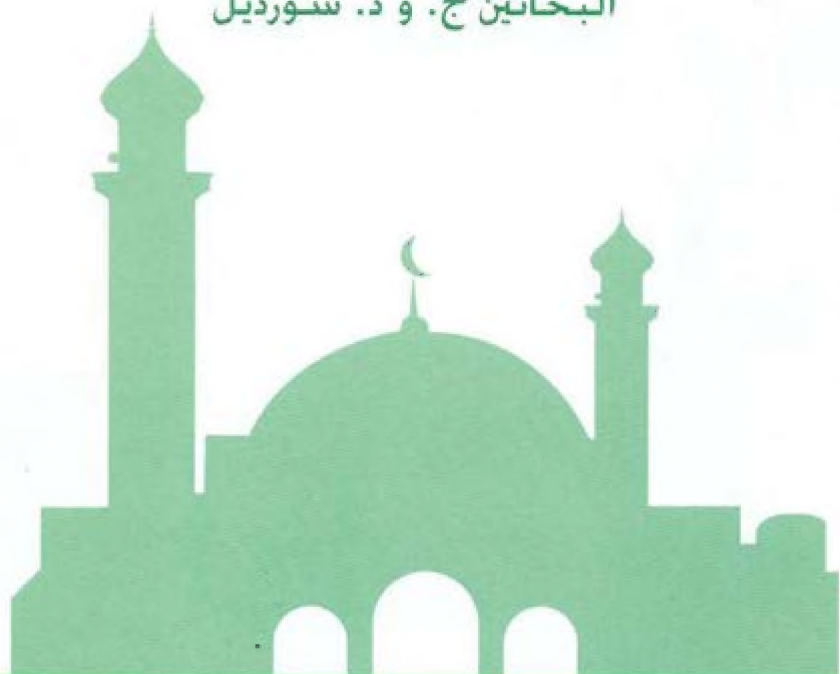


معجم الإسلام التاريخي

تأليف

البحاثين ج. و د. سورديل



ترجمة

الدكتور أ. الحكيم

بمشاركة نخبة من الأساتذة الجامعيين

مراجعة الدكائرة

ف. الكك إ. بيضون ه. الأتوبي

معجم الإسلام التاريخي

معجم الإسلام التاريخي

تأليف

البحّاثين ج. و د. سوردیل

ترجمة

الدكتور أ. الحكيم

بمشاركة نخبة من الأساتذة الجامعيين

مراجعة

الدكاترة: ه. الأيوبي إ. بيضون ف. الكك

Shiabooks.net

الدار اللبنانية للنشر الجامعي



"Cet ouvrage, publié dans le cadre du *programme d'aide à la publication Georges SCHEHADE*, bénéficie du soutien du ministère des Affaires étrangères et européennes et du Service de coopération et d'action culturelle de l'ambassade de France au Liban".

يصدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الخارجية والشؤون الأوروبية الفرنسية ومن السفارة الفرنسية في لبنان، قسم التعاون والعمل الثقافي، وذلك في إطار برنامج جورج شحادة للمساعدة على النشر.

Dictonnaire Historique de l'Islam

Janine et Dominique SOURDEL

Presses Universitaires de France, 1996

شارك في ترجمة هذا المعجم، بنسب مختلفة، الأساتذة الدكاترة: ص. البستاني،
د. بولمهب عطاالله، أ. حطيط، ج. خليل، ج. شرف، أ. ضومط، ج. طراد،
ج. عون، أ. قسيس، إ. القطار، س. قهوجي، ف. الكك، أ. نجيم، ج. نعمان، ه. نعمة.

توزيع مكتبة لوبوان
جديدة المثنى - بيروت - لبنان ص.ب. ٩٠٥٦٢
هاتف: ٨٩٨٠٨٥ ١ ٠٩٦٦
E-mail: lepoint@cyberia.net.lb

© حقوق الترجمة محفوظة
الدار اللبنانية للنشر الجامعي
ص.ب. ٧٠١٥٥، انطلياس لبنان، ٢٠٠٩
ISBN: 978-9953-451-00-8

يمثل هذا المعجم - الموسوعة عصارة الفكر الأوروبي في نظرته إلى الإسلام وحضارته المتعددة الوجوه. صحيح أنه اعتمد المصادر الإسلامية واستقى منها معلوماته، إلا أنه قاربها بذهنية المتمرس بالبحث المنهجي النقدي العريق في تراث أوروبا.

ومؤلفا هذا المعجم التاريخي للإسلام هما من أساتذة جامعة السوربون العريقة، ومن باحثيها المبرزين الذين وقفوا حياتهم على دراسة الحضارة العربية الإسلامية وعلاقاتها بسائر الحضارات الفاعلة في التاريخ.

لذلك، قمنا بترجمة معجمهما بالعربية من دون أي تصرف أو تحريف أو شطط عن الأصل، تقودنا الأمانة العلمية والإخلاص لحضارتنا. وقد بذلنا قصارى جهدنا لتوحيد النهج والعناية بالصياغة بحيث تأتي عربية صافية. كما عملنا على اختيار المصطلحات العربية العلمية التي تعبر عن مضمون موضوعات المعجم المتعددة، هادفين إلى تقديم ترجمة دقيقة وموضوعية.

كما أننا لم نندخل في مضمون النصوص، فاحترمنا محتواها عامدين في القليل النادر إلى تعليقات جعلناها حواشي في آخر المعجم حين رأينا أن الحاجة تدعو إلى ذلك.

إلا أننا أضفنا التواريخ المهجرت بجانب التواريخ الميلادية، تسهيلاً لمهمة القراء المعتادين ذلك، ورغبة في القرب من روح الحضارة الإسلامية. كما نقلنا إلى العربية الملاحق على أنواعها (خرائط تاريخية، سلاسل الأنساب، رسوم ومخططات هندسية)، وأضفنا في آخر المعجم ثبناً بالمداخل كما وردت في الترجمة، أي بحسب الترتيب الأبجدي العربي. لكننا تركنا الببليوغرافيا المدرجة في الطبعة الفرنسية على حالها.

أما في ما يتعلق بالآيات القرآنية الواردة في الترجمة العربية، فقد استقيناهما من تفسير الجلالين، حرصاً على حرفية النص القرآني. إلا أن مهمتنا في شواهد الحديث النبوي الشريف كانت أصعب من ذلك بكثير، إذ إن المؤلفين نقلوا الأحاديث إلى الفرنسية من دون الإشارة إلى مصدرها العربي. فجهدنا في جلاء ذلك إلى أبعد الحدود، آملين أن يبقى أقرب ما يكون إلى النص الأصلي.

وقد واجهنا صعوبة مشابهة فيما يتعلّق بتعريب الأعلام العربيّة الواردة في الأصل الفرنسي أي بردها إلى صيغة كتابتها العربيّة الأصليّة، أو الفارسيّة والأردنيّة والتركيّة التي اعتمدت الحرف العربيّ مع اختلاف في بعض الحروف وفي التلفظ ببعضها. لكنّ تنوع اختصاص من قاموا بالعمل ومعرفة بعضهم بهذه اللغات عصمنا من الشطط فحمداً لله الكريم. وبعد، فإنّ عملاً كهذا يُعتبَر ركيّة لإطلاق دراسات لاحقة، لأنّ العمل المعجميّ لطالما شكّل بدايات لأيّة نهضة، فهو يحفز الهمم للاطلاع بتقديمه عصارة المعارف في مجلّد أو أكثر، جامعاً إياها من مئات الكتب المطبوعة والمخطوطة، وهو أمر لا يتيّسر لطالب العلم نيله إلّا خلال سنوات مديدة من الدراسة والتّقيّب.

قصارى الكلام، إنّ هذا المعجم يهدي القارئ إلى أهمّ معالم الحضارة العربيّة الإسلاميّة ومضامينها وأعلامها وتضاريس المجتمعات التي نشأت فيها وازدهرت، فهو يصلح كي يكون «كتاب المخذة» بامتياز - إضافة إلى أنه مدخل جدّيّ إلى تراث الإسلام - يتناوله أيّ قارئ قبل إخلاده إلى النوم ليطلّع على مقاطع من حضارته، فتتراكم معرفته ليلاً بعد ليلة، وإذا هو في نهاية المطاف أمام لوحة متكاملة.

نوجّه في الختام كلمة شكر إلى كلّ الذين ساهموا من قريب أو من بعيد في إتمام هذا العمل، سواء على صعيد الترجمة وتقويم بيانها أو على صعيد الطبع والاخراج. كما نشكر دار النشر الفرنسيّة Les Presses Universitaires de France التي سمحت لنا بنقل هذا المعجم إلى العربيّة.

مقدّمة الطبعة الفرنسية

إنّ الإسلام المعاصر الذي تمتدّ رقعة انتشاره على مساحة العالم - مع احتفاظه بدور مسيطر في بعض المناطق الأفريقية والآسيوية التي سبق له أن ضمّها منذ قرون، وبفعل العوامل المتداخلة لهجرة أتباعه ومعتنقيه الجذد التي ما برحت تُدخله في نسج عدد من الدول غير الإسلامية - يتبدّى لنا حاصل تاريخ مديد وحافل بالخفايا. يبدأ هذا التاريخ مع نشأته في شبه الجزيرة العربية، قبل نيف وأربعة عشر قرناً، حيث دعا النبيّ محمد ﷺ إلى دين الإسلام، وجعل من حرم مكّة، مقرّ عبادة المشركين آنذاك، القطب المركزيّ لطقوس عبادته. ثمّ شهد تاريخه هذا نمّوه من مختلف النواحي المذهبية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي هيّأتها له الظروف السياسية والتحوّلات التي هي قدر البشرية المشترك، في أمبراطورية مترامية الأطراف وغير متجانسة، يزداد سكّانها وتتبدّل حدودها باستمرار بفعل الفتوحات والغزوات، وتقوم فيها ممالك تنفصل وتتفكك، ويعاد تركيبها بأيدي قوادر عسكريين أقوياء أو بتبشير دعاة يستميلون قلوب الجماعة.

هذا التاريخ الذي عرفه الإسلام - على ما فيه من تعقيدات - هو، وحده، القادر على توجيهنا، في تدبّرنا رذات الفعل المختلفة، كما الأسباب الأخرى للزراعات الخفية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة حيث العلاقات الداخلية بين أفرادها، كما علاقة هؤلاء بغير المسلمين المجاورين لهم، تؤثر، إلى حدّ بعيد، على مستقبل هذه المجتمعات، وأيضاً على مستقبل المجتمعات الأخرى.

بيد أنّ مراحل تطوّره القديم كانت، في أكثر الأحيان، بعيدة عن إدراك وجدان أهل الغرب، ما أدى إلى تصوّر مبسّط وأحاديّ المنحى عن الإسلام لم يُفضّ إلى أجوبة عن المسائل التي تواجهنا والتي ما تزال قائمة في خضمّ الجدالات والغموض. وهذا ما يُهيّب بنا، إلى الأخذ في الاعتبار الفائدة الفورية التي استمالتنا، منذ مدّة، إلى تنفيذ مشروع معجم للإسلام اقترح علينا واختر مفهومه ببطء، وتحوّل إلى «معجم تاريخي». وقد تمّ تنفيذه ببطء أكبر، على مرّ السنين، إلى جانب أعمالنا الأخرى التي أتاح لنا هذا المنجد الفرصة لتطويرها.

وقد بدا لنا أنّ فكرة «المعجم التاريخي» هي من الأهمية بحيث تُيسّر للقراء الراغبين في الحصول على معلومات محدّدة بدقّة، مجرّاة عمداً ليسهل عليهم الولوج إليها، وذلك

إنطلاقاً من معارف مليئة بأطلاعات تقريبية ومتناقضة إذا ما نُظر إليها بشكل شمولي. وهل من حاجة إلى التذكير، على سبيل المثال، - بكيفية تدبّر الإسلام التاريخي لروح «الطاعة لله» التي تجلّت في شرعية معيارية لما هو ديني، كما في اندفاعات مختلفة جداً شهدتها التصوّف أو شهدتها طقوس التقوى الشعبية؟ - أو كيف أنّ الأقاليم التي حكمها الإسلام منذ أوائل ظهور أمباطوريتها لم تجد نصيباً من جهد جذّي لتوحيدها، في حين تولّد عن تنوع المنابع واللغات والثقافات خصوصيات مناطقيّة؟ - أو كيف أنّ الحضارات التي ازدهرت في ظلّ سلالاته الأكثر تألقاً ذهبت بها ثورات إصلاحية رفعت لواء العودة إلى صرامة الأصول الأولى؟ - وأخيراً، كيف أنّ الأمة الإسلاميّة التي غلبت ظاهراً إرادتها في تحقيق تجانس وحدويّ بين أفرادها، عمرت، منذ بداية تاريخها، بالانشقاقات التي انبثقت عنها ينحُلّ ازداد رسوخها وتفرّعها. إنطلاقاً من ذلك، نلاحظ سيطرة تعذّدية كان الاختصاصي الفرنسي في الدراسات الإسلاميّة، هنري لاوست صاحب النظرات النافذة، أوّل من بيّن نتائجها التي أقضت إلى بروز شيّع شكّكت في قدسيّة تشريع قُدّم للناس على أنّه عامل تجانس، ووصل بها الأمر إلى إنكار بساطة الإيمان الإسلاميّ الأساسي الذي يختصره نصّ الشهادة.

إنطلاقاً من هذه الرؤية، لم نر ما هو منهجياً أكثر ملاءمة من التجزئة التحليلية للمداخل، تبياناً للأصالة التي اختصّ بها الإسلام، غنيتُ الغنى الذي تفرّدت من خلاله - بالمواجهة، وفي أكثر الأحيان، عبر صدامات حربيّة بكل معنى الكلمة - الجماعات السياسيّة - الدينيّة الكبرى التي برزت، في مجرى الزمن، سمائتها الفردية وميّزتها عن الجماعات الأخرى. لقد شكّل الستة إحدى هذه الجماعات، حتى ولو أنّ طابعهم الأكثرّي أضفى عليهم، في أغلب الأحيان، سمة «أصحاب الرأي المستقيم».

وكذلك أمر الشيعة والخوارج. نكتفي بذكر هذه الجماعات، علماً أنّ كلّاً منها عانت بدورها من إنشقاقات جديدة، تسبّبت بها، في أغلب الأحيان، ظروف طارئة. إلّا أنّه يمكن عزوها إلى الظهور الدوري للنظريات الرمزيّة والإشراقيّة التي ارتبطت بدقائق الفلسفة والتصوّف، مُفضية أحياناً إلى مواقف الشبوصيّة المتطرّفة القائلة بوحدة الوجود، أو إلى رمزيّة باطنيّة، مفسحة المجال، في الوقت نفسه، لنظريات كلامية هدامة.

وهكذا غدا التشيع شأنًا مغايرًا لما كان عليه في بداية نشأته، إذ كان يُنظر إليه على أنّه «الحزب» الذي تجتمع حول علي بن أبي طالب، ابن عم النبي محمد (ﷺ) وصره، دافعاً عن شرعية تسلّمه السلطة وشرعية الحفاظ على هذه السلطة في أعقابهِ. هذا التشيع الجديد أنتج معتقدات تضمّنت ابتكارات عقائدية مغرقة في التخيل. إنّ حافظ على المبدأ الأساسي للإمامة

التي حصرها في البدء في اعقاب علي، ولكنه اعطاها لاحقاً منحى غير تقليدي عبر عقيدة المهدي (أي انتظار المخلص المتمثل بالمهدي)، حتى نجح أخيراً في تمرير التوفير للإمام - وبخاصة في صورة الإمام المستور، ولكن الحي - قبل التوفير المفروض للنبي محمد (ﷺ) نفسه.*

هذه الانشقاقات والمجاذلات المؤدية إلى ظهور مجموعات صغيرة ذات تفرعات غير منضبطة، نوعاً ما، تنبئها في أهل التشيع، عملت عملها كذلك بين أهل السنة، بدفاعها عن تخريجات كانت تستند، بحسب الحالات، على نمط تفكير طُبق في مجال الفقه وعلم الكلام التنظيري، أو البحث عن الاتحاد الصوفي. وهكذا تنامت بين أهل السنة - إضافة إلى المذاهب الفقهية المعروفة رسمياً والمهتأة للتعاش سلمياً، مثل الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية والظاهرية، على سبيل المثال، - وإضافة كذلك إلى المسالك (المدارس) الروحية المتجلية في كثير من الطرق الصوفية والمتفرعة باستمرار فيما بينها، لتشكل كل منها بؤرة تجمع لاتباع انتظموا في جمعيات أو طرائق مثل القادرية والنيجانية والسُوسية - مدارس فلسفية كلامية كذلك، مثل المعتزلة والأشعرية أو المائريديّة، وأخيراً تيارات اجتماعية وُجّه تنظيمها للاستيلاء على السلطة، كالحركة التي كانت في أساس نجاح أمبراطورية الموحّدين في المغرب في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، أو الحركة المهدية التي ألهمت السودان الإنكليزي - المصري قبيل انقضاء القرن التاسع عشر.

جميع هذه الأسر السياسية - الدينية، سواء منها الشيعة أو السنة، المتكثرة بعضها إلى جانب بعض، والمراشقة بسهام الاتهام، قامت بذلك من دون ضابط، إذ لم يتوافر في ديار الإسلام، لا في الماضي ولا في الحاضر، «سلطة تفسير كفيّة، على الصعيدين الفردي أو الجماعي» قادرة على فرض نفسها مرجعية لا جدال حولها. فكما قال هنري لاووست الذي رأى في ذلك السبب العميق للإغراق في التعددية، «كلّ مسلم نجتمع لديه شروط العلم التي يراها ضرورية وطافية يمكنه أن يقدم نفسه على أنه مفسّر للشرعية مأذون له». بناء على ذلك، استمرت جميع تلك الأسر في تقاسمها السكّان وتصارعها على احتلال الصفوف الأولى من المسرح السياسي، مع القدرة على تجديد نفسها والتكاثر إنطلاقاً من معطيات تتجدّد بحسب مقتضى الحال، وفي أكثر الأحيان تحت شعار مختلف وجوه التحديث والإصلاح الذي تحرّكه العودة إلى الأصول. وإذا جاز لنا، في هذا المقام، أن نعتد بقوة على قول منشئ بالعربية قديم هو أبو بكر الخوارزمي: «ليس من نحلة لم تصادف يوماً ريحاً ملائمة ولم تفد من دعم دولة ما»، فينبغي، كذلك، القبول بالصيغة المعكوسة والعزوف عن التفتيش، عبر التاريخ

الإسلامي، عن نموذج دولة إسلامية تكوّنت بمنأى عن الدعاوات والأيديولوجيات التي تشهد، بوجودها ومضمونها، لتعددية منطلق فكريّ خارج على أيّ سلطة.

إنّ اعتمادنا المداخل التحليلية المستقلة بحسب المنهج المعجمي الذي بدا لنا منسجماً مع وضع الإسلام المعقّد، على الصعيدين الفكري والروحاني، ظهر لنا، كذلك، مناسباً لسير غور الوجوه المتكرّرة لحضارته التي ازدهرت عبر تجليات متعاقبة حتى شمولها خلفيّات الفيسفساء المعقّدة، المميّزة في الوقت نفسه، التي تدبّرتنا أنامل الدول الإسلامية الحديثة. هذه الدول هي، في معظمها، دول - أمم، يفصل الواحدة عن الأخرى منها، بحسب التوجّهات الاقتصادية أو التضامات السياسية، اختلافات عارضة تعود أحياناً إلى مقدار أخذها بالتحديث والنتائج الاجتماعية الناشئة عن هذا الوضع. إنّها تعبر بطريقتها عمّا آلت إليه بسبب أمور متقدمة، كتنوع الأراضي والمناخ والموارد والأعراق والموروثات، من دون إغفال سمات أخرى ما فتئ تاريخها يحمل أفعالها. إلّا أنّ تُخومها لا تطابق، إلّا استثناء، المناطق والإمارات القروسطية التي سبقتها، مع عدم حفاظها على استمرار المجموعات العرقية - اللغوية التي كانت تعمرها في الماضي. يُشار، في الدرجة الأولى، إلى المجموعات الإيرانية والتركية، إذا ما أخذنا في الاعتبار الوسطين الثقافيين الأقدمين اللذين أسهما، مع المجموعة العربية اللغة، في نهضة العالم الإسلامي؛ وفي الدرجة الثانية مجموعات الأوساط النائية، الهندية والأندونيسية والصينية والأفريقية وغيرها التي انصهرت فيما بعد في بوتقة الإسلام.

هذه المناطق التي قامت فوق كيانات سياسية مختلفة عبر الأزمنة المتعاقبة، - وهذه المدن المتغيّرة تسمياتها التي شهدت في نطاقها نمواً أو تراجعاً في سياق شبكات مواصلات أحيّتها حركة التجارة والفنون البدوية إذ لم تكن حواضر ملكية أو منشآت مدنيّة ذات طابع إداري أو عسكريّ، - وهؤلاء الأمراء والملوك الذين كانت قدرتهم منوطة بحظّهم في الحروب وأثره في التحوّل المستمرّ للسلطات، - وأخيراً، إلى ممثلي الطبقات الناشطة والمنتجة الذين أسهموا عبر القرون، في شهرة الأماكن التي استوطنوها بفضل نجاحهم في معترك الشؤون الفكرية أو المادّية التي قبستها عنهم فيما بعد حتّى المجتمعات غير الإسلامية، - جميع هذه العناصر المتنوّعة الطبيعة وفنّناها حقّها في إعتدالنا تعددية المداخل، وقد أخذنا في الاعتبار العالم المترامي الذي ران عليه الإسلام، من المحيط الأطلسي حتى المحيط الهندي، ومن السهوب الأورو-آسيوية الباردة حتى الغابات الاستوائية لأفريقيا السوداء. في هذا المسار، كان علينا، تحديداً لحقل مواذنا، أن نتخذ احتياطات أولية تركت أثرها في بنية المشروع.

كان أول هذه الاحتياطات الشّهر، في كل موضوع عالجنه، على تقديم المعطيات التي

تتناول الأحداث في تسلسل مراحلها الكبرى. وثانيه الذي يعوقه دقة، ألا نخرج، في اختيارنا للعناوين المنتخبة، عن الإطار الذي رسمناه لأنفسنا، وهو الإسلام والعالم القائم به.

وهكذا قررنا ألا نتناول، بحد ذاتها، الشعوب والديانات والدول والأحداث التاريخية التي كان لها أثر على تاريخ الإسلام، إلا أنها لم تكن منخرطة في دار الإسلام. لم تُفرد لمحة خاصة بالبيزنطيين، مثلاً، ولا بالساسانيين ولا باليهود ولا بالمسيحيين ولا بالبرتغاليين ولا بالإسرائيليين، ولا، من باب أولى، بالظواهر الطارئة على العالم الإسلامي في بداياتها كالحملات الصليبية والاستعمار والصهيونية، على سبيل المثال، كما أننا لم نخصّ بلمحة مستقلة غير المسلمين الذين اشتهروا في المجتمع الإسلامي، ولو من الأعلام، مثل يوحنا الدمشقي وإسحق بن حنين أو ابن ميمون. في هذا التوجّه أيضاً، اخترنا أن نخرج من دائرة اهتمامنا الإبداعات الأدبية المرتبطة بلغات وخصائص عرقية وثقافات محلية - في حال لم يتوافر لها بُعد اجتماعي إسلامي أو منحي ديني - بينما أشرنا بطريقة سريعة إلى الإنجازات الفنية والمكتسبات ذات المنحى الفكري والعلمي التي يدعيها الإسلام عادة، على أنها موضوع جدل، وإن كانت، في أغلب الأحيان، مطبوعة بشروط حياتية خضعت لتنظيم الشريعة الإسلامية أو حاصل لشروط رسوم اللياقة الإسلامية.

إلا أن ثقل الطابع العربي - الذي لم يكن مطروحاً أن نغيّبه في المسار الإسلامي، فرض نفسه علينا، إذ إنه لعب دوراً من الطراز الأول في تاريخ الإسلام، بعد أن كوّن محيطه الحجازي الأول، وهو ما يرمز إليه الحفاظ، عبر الأزمنة، على اللغة والخط العربيين كناقلين مفضلين للرسالة النبوية. فالعربية غدت لغة طقسية ودعامة للأدب الإسلامي في تحقيقاته الدينية، بعد أن كانت لغة القرآن الكريم؛ - والخط العربي الذي دان بشهرته وحتى بقدره الغني لكونه شكّل مظهر التعبير المكتوب لهذا القرآن نفسه في بدايات قراءته مرتلاً بلسان نبي الإسلام ﷺ. من هنا أنت كذلك الأهمية النسبية التي حازت عليها، في هذا المعجم التاريخي، بعض المفاهيم التي عكست مصطلحات عربية اختصت بالتعبير عما اقتضاه التشريع أو اقتضته المؤسسات، أو الأشكال المتعددة للفكر الإسلامي. لكننا أردنا، نتيجة لذلك، الإلماح، من خلال استمرارية هذه المفردات التقنية، إلى نتائج عادات جديدة واكبت النمو المتدرج للمجال المسلم، بينما كان العرب - حتى العرب بالمعنى الواسع للكلمة الذي يشمل شعوب الشرق الأوسط والمغرب الذين تعربوا منذ القرون الأولى - يتحوّلون، شيئاً فشيئاً، إلى مجرد أقلية. وفي الوقت نفسه، سعينا إلى التشديد على المسائل الحالية غير المنفصلة عن الوجه غير المستقر لبعض الدول الإسلامية المتحوّلة باستمرار على الصعيد الاجتماعي، خلال العصر

الحديث. من هنا، وجدنا لها مكاناً في المعجم، لكنه مكان ضيق لا يتجاوز الفهرسة، مع مراعاتنا لاحتوائه الأساسي من المعلومات، أي الإرشادات السريعة للأحداث التي أدت إلى نشوء هذه الدول، انطلاقاً من الولايات القديمة للإمبراطورية والتي تترامى من خلال تكوينها المعاصر.

وكان علينا، مع ذلك كله، تنفيذ هذا البرنامج بالسعي إلى حصر هذا الكم الهائل من المعلومات في إطار مجلد سهل الاستعمال، وهو كمّ يشمل حقل العقيدة والجوانب المادية. وقد قضى قرارنا الأساسي بالأ نلجأ إلى أية مساعدة من جهة أخرى، بحيث نستبدل بالخيار الموسوعي عصارات ننم عن مكتسبات خبرتنا الشخصية وتأملاتنا. وإذ تجافينا اللجوء إلى الأبحاث المتخصصة المفرقة في الدقة - ومنها البعض من أبحاثنا - لأنها ما تزال غير مستقرة وغير موثوق بها، وقد تجسدت في دراسات غير كافية من حيث العدد، رغم الإنجازات المحققة، سعينا إلى الجمع بين الإيجاز والموضوعية، مسهلين الاستزادة بالإحالة إلى المداخل المضمومة بين دفتي عملنا. وقد رمينا، بوجه خاص، أن نرسم خطوة بخطوة، بفضل الاختيار، والتفصيل المعقول، وتنظيم الملخصات، لوحة تلي تساؤلنا التي لم تبارحنا خلال تلك السنوات المديدة التي قضيناها في اتصالنا بالإسلام، كما اخترنا تغليب توجهه ببيوغرافي عام، من دون تفصيل نصوصنا بإحالات تفصيلية، وهي نصوص تتميز عن المنابع التي عدنا إليها، وبينها الموسوعة الإسلامية التي تتيّن فيها، رغم تفاوت موضوعاتها، ميراث جميع المستشرقين الذين اشتركوا فيها والتي نعلن دُيننا لها كما لسائر وسائل العمل التاريخي التي لا غنى عنها (الأطالس، لوائح السلاسل...)، والتي أفدنا منها.

وقد عدنا، لإنجاز هذا المعجم، عبر مسارات غير متوقعة أحياناً ولم تخطر ببالنا، إلى النتائج والإشكاليات التي كُتّا انتهينا إليها أو طرحناها من خلال أبحاثنا السابقة. كما أننا استعدنا، في كثير من الأحيان، ذكريات أماكن وأشخاص سبق لنا أن عرفناهم، وكذلك ذكريات مشاهد طبيعية ومبانٍ أثرية كانت هدفاً لرحلاتنا في الماضي، وقد منحها مزيداً من الجمال حينئذ للعودة غير الممكنة إليها. أمّا بالنسبة إلى نتيجة أدائنا، فمن المبكر الحكم عليه. إلا أن المؤكد هو أن ضرورات المنطق الداخلي الضاغطة باطراد والصعوبات الملزمة لطموح المشروع كانت تتنامى مع مرور الوقت، ومع تحوّل الهدف الذي كُتّا نسعى إليه بلذة ولامبالاة، في مرحلة بدء العمل، إلى عمل جدي.

به المذاهب الفقهيّة ولكن لم يفرضه إلّا واحد هو المذهب الشافعي. تجري عمليّة الختان عادة للصبيّ بين الثالثة والسابعة من عمره (يختلف العمر بحسب البلدان)، ويقام لهذه المناسبة احتفال كان يرافق قديمًا مع أفراح عائلة إذا كان الصبيّ أميرًا. وتشهد النصوص التاريخية على احتفالات الختان لأطفال الأسرة العبّاسيّة، وكذلك نجد روايات حديثة ذات دلالات تعود مثلاً إلى عهد سلاطين بني عثمان.

إنّ ختان الفتيات الذي لم يزل يمارس حتى اليوم، وبخاصّة في مصر وفي بلدان أفريقيا السوداء، يُعتبر في بعض المجتمعات من الأمور الموصى بها، في حين أنّه لا يستند إلّا إلى أحاديث ضعيفة (يمكن الشكّ في صحتها). وعلى أيّ حال، فإنّ ختان الإناث يجري سيّراً، على العكس من ختان الذكور.

كان من نتائج شيوع عادة الختان في العالم الإسلامي في القرون الوسطى أنّ الغربيّين اعتبروه، منذ زمن بعيد، ميزة خاصّة بالمسلمين.

آدم، شخصيّة توراتيّة، جاء ذكره في القرآن الكريم على أنّه الأب الوحيد للبشر وأوّل الأنبياء.

نطابق قصة آدم - كما ترونها مجموعة من الآيات القرآنيّة في المرحلة المدنيّة وكما أوضحنها التفسير اللاحقة وقصص الأنبياء - التي لاقت رواجا في العصور الوسطى الإسلاميّة - في مجملها، المسلّمات اليهوديّة والمسيحيّة التي تتناول خلق الإنسان الأوّل ووقوعه في التجربة وسقوطه. إنّ السقوط الذي شمل، في إشارة خابرة، أمراة حرّاه التي عرفها كذلك التقليد الإسلامي في ما بعد، ورد في جملة واحدة: ﴿فَأَنزَلْنَاهَا فَلَئِنَّ عَلَيْهَا لَآرَاجَ﴾ (سورة البقرة، الآية

آداب، مفهوم مهمّ في الإسلام يشمل التصرفات التي ينبغي الأخذ بها في الحياة اليوميّة، والمعلّمة عادةً بتعليمات الحديث الشريف. لكنّها تستند أحيانا إلى عادات قديمة محلّية تطوّرت، بحسب الأمكنة والعصور، لتكتفّ جوانب متعدّدة من الحياة الاجتماعيّة الإسلاميّة في القرون الوسطى، كما في العصر الحاضر.

هذه التوصيات التي دوّنت أحيانا مع قواعد اللياقة الدنيويّة وآداب السلوك شكّلت، بخاصّة، موضوع اهتمام الفقهاء الذين صاغوا بعضها باسم الحديث الشريف وألوهها اعتماما مميّزا، خصوصا عندما تمسّ العادات. إلى مفهوم الآداب هذا، تستند عادةً أجمعت عليها المذاهب وهي عادة الختان، وكذلك فرائض مختلفة مرتبطة بالطهارة مثل حفّ الشوارب أو تنظيف الأسنان أو إزالة شعر الإبط والعانة. ومن الأمور الموصى بها، كذلك، المواظبة على بعض الممارسات الثّقويّة مثل «الرياضات الروحيّة» في المساجد، تلك الرياضات التي قد يرافقها الصيام وتلاوة القرآن الكريم. ومن آداب السلوك اختيار صيغ السّلام أو عادة البسلة أي القول: «باسم الله الرحمن الرحيم» في ظروف مختلفة، ولا سيّما قبل تناول الطعام وقبل التوضؤ والقيام ببعض الأعمال. وإلى هذه القواعد أيضا يستند إيجاب النساء على الخروج متحجّبات، وكذلك الحشّ على عدم التمثيل بالرسوم الذي نشأ استنادا إلى الاستنكار الموجّه لراسمي الأشخاص. وقد اختلفت هذه التوصيات والجدل الذي أثارته بحسب المؤلّفين، واهتمّ بها أحيانا فقهاء قدامى مثل ابن بظّة الحبلي الذي عاش في بغداد في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

ومن هذه العادات الموصى بها الختان الذي أوصت

جلزراً عن تلك التي كانت لمعاصره محمد إقبال. ولم يكف عن محاربة تقسيم بلاده. وبعد أن جرى هذا التقسيم ضد أمنيته، ونشأت، سنة ١٩٤٧، دولة باكستان، نتخى أبو الكلام جانباً وأنهى حياته وزيراً لثبيرة في حكومة الاتحاد الهندي.

كانت ولادته في مكة المكرمة التي كان والده قد هاجر إليها، ثم انتقل إلى كلكتا فدرس فيها وحصل ثقافة إنكليزية عميقة، كما كان يوصي بذلك سيد أحمد خان. ولم يلبث أن بدأ يناضل ضد الاستعمار البريطاني وضد توجهات جماعة «الهار» الذين كانوا يساندون هذا الاستعمار، واهتم بنشر صحفيين معارضين لم يرخص لهما: «الهلال» (١٩١٢) و«البلاغ» (١٩١٥). وبعد إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ وإعلان ولادة الجمهورية التركية، تخلى آزاد عن الآمال التي كان قد عقدها على الجامعة الإسلامية، تلك التي نادى بها جمال الدين الأفغاني. فكرس جهده لمؤلفاته الرئيسة في علم الكلام، وقد وضعها باللغة الأردية، كما شرع في ترجمة القرآن الكريم وتفسيره، ولم يستطع إنجاز هذا العمل. وقد وضع في صلب تفسيره هذا مجاهرته بالعبارة الإلهية وتمسكه بها، ودعوته إلى تغليب مفهوم «المحبة» الذي استقاه من التصوف. هذا المثال الديني وهذا الميل التوفيقي - اللذان يتعارضان مع مواقف محمد إقبال الانفصالية، ولكنهما يندرجان ضمن خط روحي توفيق عرف به عدد من المتصوفين في الهند - دفعا بأزاد إلى مساندة المحاولات السياسية التي اضطلع بها، لفترة، أعضاء الأقلية الإسلامية الكبيرة في الاتحاد الهندي والتي كان هو أحد قادتها.

أسفي (المملكة المغربية)، مدينة صناعية وتجارية نمت حديثاً على شاطئ المحيط الأطلسي. لم يذكرها جغرافيو العرب إلا في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وتميزت بـ«رباط» في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. لم يزل هذا العرف ذو الحماية السنية أهمية إلا في القرن السادس عشر، عندما استقر فيه البرتغاليون عام ١٥٠٧م، ولكنهم أجلاؤه بعد وقت قصير عام ١٥٤١م. في ما بعد، أصبح هذا الموقع - الذي حصنه البرتغاليون - منفذاً بحرياً للسعدين

(٣٦). في المقابل، إن قصة الخلق التي تذكر بشأنها الآية القرآنية (سورة البقرة، الآية ٣٠) أن الله اختار آدم خليفة له في الأرض، تورد معلومات دقيقة عن المعارف الخاصة التي حصنها آدم. من جهة أخرى، تشدد تفاصيل وردت في تراث مشترك سابق، على سجد الملائكة له، ما أدى، في ما بعد، إلى عصيان الشيطان^(٣٧)، وعلى الميثاق الوارد ذكره في القرآن (سورة الأعراف، الآية ١٦٩) والذي اعتمده المتصوفون لتبرير نظريتهم في الاتحاد^(٣٨).

ثمة روايات أخرى تقيم صلة بين آدم وأرض مكة المقسمة حيث أدى، لأول مرة، مراسم الحج، وعاد فالتقى حواء، وحيث دفن معها في غار جبيل أبي قبيس. وقد كانت الأماكن المرتبطة بهذه الأحداث المختلفة، مرة في الحجاز، وأخرى في سورية أو في مكان ناهٍ مثل جزيرة سيلان، مدعاة لزيارات تقوية، في القرون الوسطى. إن ازدهارها في الوقت الذي نمت فيه «طقوس تكريم الأولياء» في بلاد الإسلام ظاهر في ما ذكره دليل الهزوي، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، عن الزيارات الخارجة عن القرائن. إلا أن الفكر الشعبي كان، بوجه خاص، وراء ما أعطي لآدم المثالي، الذي أراد الله على صورته، من أهمية مميزة، إذ جعله أول الأنبياء، أي الكائن المستفيد من النور الإلهي - ولهذا سجدت الملائكة له - الذي تمأى و«الإنسان الكامل» في مفهوم الهليتي، بل وتجنس العقل ومصدر الفيض الكوني. إن العقيدة الإسماعيلية التي مامت بينه وبين رأس الأئمة «الناطقين» جعلت له فوق ذلك وصياً، هو ابنه شيت، انتسب إليه في ما بعد تيار باطني وثيوصوفي في الفكر الإسلامي (يقول بالإشراق سبياً إلى الاتحاد بالله)^(٣٩).

آزاد، مولانا أبو الكلام (١٨٨٨-١٩٥٦)، مفكر ومصنع، لعب دور المنظر في حركة الجامعة الإسلامية، أو حركة إحياء الخلافة، وهي حركة راجت في الهند في مطلع القرن العشرين، كما كان مفسراً ومتكلماً.

برز آزاد بين الحريين العالميتين مدفوعاً عن نظرة للإسلام قوامها التامل الصوفي، وهي نظرة تختلف

يؤمنان لها الغنى الإقتصادي. وهكذا فإن آسيا الوسطى التي اشتهرت بمسوحاتها وسجادها وبقوت المعدن، برزت بعد ضمها إلى الدولة العربية الإسلامية إثر الفتح الكبير، كإحدى المناطق الأكثر تحضرًا في تلك الأمبراطورية. حتى إنها شكّلت مع خراسان، في مطلع العصر العباسي، مجموعة قادرة على منافسة العراق وحواضره. وفي آسيا الوسطى تكوّنت قوّة الثمّانون، وكان نائب الخليفة في المناطق الشرقية، فل أن ينتزع من أخيه الأمين الخلافة التي أورثه إياها هارون الرشيد. كما نهضت في هذه المناطق خلال القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، دولة السامانيين المستقلّة في بخارى التي أشاد الجغرافيون العرب بعظمتها، قبل قيام دولة الخوارزمشاهيين. والمعروف أن كبار مفكرى ذلك العصر، ومنهم الفيلسوف الكبير ابن سينا، كانوا يلجأون إلى بلاطات أمراء هذه المناطق. وفيها، أخيرًا، نمت مدن رائعة انتصبت على المسالك البرية للتجارة العابرة لآسيا، على طرق القوافل التي كانت تغلّ الرقيق والجلود والحبر، والتي كانت تربط الدول الإسلامية على البحر المتوسط بالمناطق الروسية السيبيرية وبدول الشرق الأقصى.

هذه الوضعية المتميّزة التي عرفتها آسيا الوسطى خلال العصور الأولى للإسلام، على الصعيدين المادي والفكري، على الرغم من بعدها عن المركزين السياسيين الرئيسيين، العراقي والمصري، والأدوار العسكرية التي أدّتها كمناطق متقدّمة على حدود الأمبراطورية، لم تلبث أن اضمحلّت في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد بعد أن تغيّر مصيرها، إذ تحوّلت إلى معبر للغزوات التركية، ثمّ المغولية، فالتركية من جديد. وهذه الغزوات كانت كلّ مرّة تبدّل ظروف الحياة في قلب العالم الإسلامي الشرقي. ومفاعيل التثريك الأولى التي عاشتها آسيا الوسطى كانت مع قيام مملكة القزاقانيين ثمّ الغزنويين الذين أرسلوا مع قدوم السلاجقة. واندفعت إلى آسيا الوسطى قبائل الكركولوك، ثمّ قبائل التتر التي توسّعت نحو دولة السلاجقة الكبار في إيران، وتابعت زحفها نحو كورمان وسوريا وهضبة الأناضول التي عُرفت باسم

الذين استقروا في مراکش، لكنّ ما شهدته من ازدهار في القرن السابع عشر قُضي عليه بسبب منافسة مرفأ الصويرة المتزايدة. ضعفت هذا الموقع، بخاصة بعد أن اختار ملوك جدد من السلالة العلوية أن يقيموا في الشمال. عاشت آسفي، منذ ذلك الوقت، في حالة خمول حتى القرن العشرين حين جعلت منها التحولات الاقتصادية مركزًا يتنامى بسرعة.

آسيا الوسطى، منطقة جغرافية وتاريخية، تقوم على تخوم الأمبراطورية الإسلامية ويصعب تحديدها بدقة، كان لها دور أساسي في تطوّر هذه الأمبراطورية على مرّ العصور.

كانت آسيا الوسطى تُعرف، في أواخر القرن التاسع عشر، باسم التركستان الروسي وخانية خيوة. أمّا اليوم فهي مقسّمة بين أربع جمهوريات مستقلّة خلفت، عام ١٩٩١، جمهوريات سوفيّاتية إشتراكية تحمل الأسماء نفسها، وهي جمهوريات أوزبكستان، قرغيزستان أو قرغيزيا، طاجيكستان وتركمانستان. هذه الجمهوريات تحدّها جمهورية كازاخستان من جهة، ومن جهة ثانية جمهوريتا إيران وأفغانستان، فضلًا عن الصين الشعبية. وقد رُسمت حدود هذه الجمهوريات انطلاقًا من الواقع الإنساني واللغوي الحالي، من دون أن تؤخذ في الاعتبار التقسيمات الطبيعية والتاريخية التي عرفتها المناطق المأهولة والواقعة بين سلاسل الجبال العالية التي تمتدّ من سفوح جبال ألّتاي وهندوكوش حتى سفوح باير وتيان شان، وأيضًا داخل مناطقها الشهيّة الممتدة من سواحل بحر آرال الحافة وبحر قزوين، وصولًا إلى صحراء فره قوم وقزل قوم. إنّ التسميات القروسطيّة التي أطلقت على هذه المناطق، ابتداءً من خوارزم وبلاد ما وراء النهر، وصولًا إلى بلاد الشدّ وطمقند وفرغانة ويندخشان، تمكّن، على أفضل وجه، حقيقة الواقع الجغرافي لإقليم فيه الواحات الخصبة على مجاري أنهر دائمة التدفق كأموداريا وسردريا وزرافشان.

وعلى الرغم من ضلّالة مساحة تلك الواحات المروية في بيئة قاحلة، فإنّ نتاجها الغذائي والصناعي، وكذلك نتاجها الجزيئي المزدهر والمرتبط هو أيضًا بنتاج المعدن، والذي تشجّع الحركة التجارية الناشطة، كانا

إبراز نتائج هذه العلاقات في منطقة تفتح اليوم على الجنوب، وتقع على ملتقى حضارات متنوعة، مع بقائها مميزة بتركيبها السكانية غير المتجانسة، وبالنباتات الحالية في مستويات معيشة شعوبها.

« راجع المستندات ١٠٠٨، ١٢، ١٣، ٢٤، ٣٠، ٣٥، ٧١.

آغا [آقا] لفظ من أصل تركي، هو في الأصل لقب تشريفي، وقد شاع في إدارة العثمانيين.

أطلق هذا اللقب، الذي كان يعني «الرئيس» أو «السيد»، على موظفين شغلوا مناصب ذات سمة عسكرية في مقابل لقب «أفندي» -، وبوجه خاص على القادة المسؤولين عن الحصان في القصر، من البيض والسود. وقد نشأ عن هذا المعنى استعمال اللفظ انتشار في ما بعد وأطلق، بوجه عام، على كل خصي. وفي العهد ذاتها، توافرت مفاهيم واستعمالات شبيهة بلفظ آقا، في الأوساط الفارسية حيث استعمل لقب آغا خان [آقا خان]، الذي يكتب في صورته الفرنسية هكذا: أغاخان (Agha Khan)، ليطلق على رئيس الإسماعيليين الجدد، أو الثرارين الذي ما يزال أفراد سلالة يحملونه.

آغاخان، لقب يحمله في أيامنا الإمام أو الرئيس الروحي لطائفة الإسماعيليين الثرارين الفدائي التي أعيد تنظيمها.

ظهرت التسمية عندما فرّ حفيد أواخر الأسياد الكبار [لقلة] أُلُوت أن يخرجوا، في القرن التاسع عشر، من الخفاء الذي امتنعوا به في إيران، بعد انهيار القصر المتع وتلاشي دولتهم على أيدي مغول هولوكو عام ١٢٥٤/١٢٥٦م. بعد اغتيال خليل الله عام ١٨١٧، صيغ لقبٌ مرّجّب من كلمة آغا (آقا) التي كانت سارية الاستعمال في بلاط القاجاريين وأعطيت لآيه، حسن علي شاه، الذي لازم العاهل الإيراني حتى الثورة الفاشلة التي أجبرته، عام ١٨٣٨، على اللجوء إلى السند. من هناك انتقل الإمام، عام ١٨٤٥، إلى بوساي حيث كان للحركة الإسماعيلية الجديدة موقع مهم، حافظت عليه تقاليد الخوفا الذين انقسموا حول شخصه، إلا أن سلطته عليهم أمتنت له قرار قضائي بريطاني، عام ١٨٦٦. منذ ذلك الوقت، تأمنت سلطة حسن علي شاه على جميع

تركيا، ابتداء من القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد.

وهكذا أسست آسيا الوسطى منطقة خطرة تندفع عبرها القبائل الغازية، التي ظلت، على مدى أكثر من خمسة قرون، تغزو أو نتاج الدول الإسلامية الغربية. ومن الغزاة نذكر تيمورلنك وخلفاءه التيموريين الذين جعلوا مقر إقامتهم في آسيا الوسطى، ما ساعد على تطوير هندسة البناء في مدينة كسر قند. وفي الوقت نفسه تحلّت البلاد تغييراً قسرياً في تركيبها السكانية، إذ كانت، حتى ذلك التاريخ، ذات أكثرية إيرانية، ثم شهدت صراعاً، متجدداً باستمرار، بين الأتراك الذين كانوا قد استقروا فيها والغزاة المتلاحقين أمثال «الفرختاي» ومغول جنكيزخان وأبنائه، وقبائل الأوزبك الشيبانيين في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد. إلا أن الخراب المتراكم لم يمنع المدن التجارية، بعد إعادة بنائها كل مرة على مقربة من المكان الأول، من أن تعود إلى الازدهار. لكن التطورات السياسية والاقتصادية التي فرضها، في العصور اللاحقة، قيام امبراطوريات كبيرة، كالعثمانية والصفوية - وقد خلف هذه الأخيرة القاجار بعد مرحلة فوضى ساعدت على تدخلات قدمت من المناطق الشمالية الشرقية - وضعت حدّاً لكل دور بارز لآسيا الوسطى التي فصلت بعد ذلك عن خراسان وأفغانستان. أمّا ملوك الخانات الذين تقبلوا الإسلام واستقروا بعد ذلك في تلك المنطقة، بعدما جعلوا كوكند وبخارى وخيوه مراكز حكومات قبيلة، وأمنوا، مع ذلك، مجال ازدهار بعض المراكز الثقافية، فغدا هدفاً لغزوات الروس الذين وجهوا ضدهم الحملات المتتالية. وقد قويت العلاقات بين آسيا الوسطى وسهوب كزاخستان وسيبيريا، نتيجة لسيطرة إستعمارية تدريجية قام بها الروس، وانتهت في أواخر القرن التاسع عشر. وثلت ذلك مرحلة تحديث وتطعيم بالطابع الروسي، ازدادت حدتها مع قيام الاتحاد السوفياتي. وكانت النتيجة أن عزلت آسيا الوسطى سياسياً عن العالم الإسلامي، إلى أن قامت جمهوريات مستقلة سنة ١٩٩١، فاعادت مع هذا العالم علاقات كانت منسية. والمستقبل وحده كفيل

الخليج العربي-الفارسي، من ناحية، وحتى مدينة هراة من ناحية أخرى.

هكذا أفادوا، لفترة، مما فاه عليهم من ثروة ومكانة دبلوماسية سهّلنا لهم التفاهم مع تجار البندقية ومراقبة مجمل الترانزيت تسلك الشرق الأقصى المنفتحة عبر البحرين والمسالك البحرية أو النهرية في العراق. وقد شملت [منافع] هيمنتهم إيران، إذ إنهم، وإن لم يقيموا بأنفسهم في أصفهان، لم يتوانوا عن القيام بأعمال ترميم في الجامع الكبير لهذه المدينة يمكن تبينها حتى يومنا هذا.

إلا أنّ هذه السلسلة من النجاح عرضتهم لحملات متزايدة من قبل إخوانهم الأعداء في المنطقة الغربية، أي العثمانيين الذين خرجوا بعد فترة وجيزة متصهرين في معركة تركن عام ١٤٧٣م/٨٧٨هـ، في انتظار أن تغرق دولة الآق قويونلو نهائيًا في النزاعات على الحكم التي زادت في حداثها دعوة داخلية موالية للشعبة، وضاعف شدتها انتصار عسكري للصوفيّين عام ١٥٠٢م على مقربة من نخجوان.

١٤٣٥-١٣٧٨م	قره بولوك عثمان
١٤٤٤-١٤٣٥م	حمزة
١٤٤٤-١٤٥٣م	جهانكير
١٤٥٣-١٤٧٨م	أوزون حسن
١٤٧٨-١٤٩٠م	يعقوب
١٤٩١-١٤٩٢م	بايشنغر
١٤٩٢-١٤٩٧م	رستم
١٤٩٧-١٤٩٨م	احمد كوده
١٤٩٨-١٥٠٤م	أوزون حسن
١٥٠٢-١٥٠٨م	محمد ميرزا

◀ راجع المصنف ٢٤.

آل، لفظة عربية تعني «أسرة»، سلالته استعملت في تركيب الأسماء الحالية لسلالات عربية أميرية في الشرق الأوسط.

نجد في كلمات أخرى معنى «أسرة، عشيرة»، منها كلمة «أهل» المذكورة في القرآن حيث تحمل السورة الثالثة عنوان سورة آل عمران، وقد انتشر استعمالها، في أحقاب متأخرة، في الوسط الإسلامي، لتعني مفهومًا

النزائليين الذين كان عددهم ما يزال كبيرًا في الهند وإيران وسورية وأفريقيا الشرقية، وانتقلت تلك السلطة، بعد وفاته عام ١٨٨١، إلى ابنه علي الذي توفي عام ١٨٨٥، ثم لابن هذا الأخير، محمد آغا خان الثالث الذي حاز شهرة عالمية نسبية حتى وفاته عام ١٩٥٧. ثم انتقلت هذه السلطة، في تسلسل عائلي مستمر، إلى آغا خان كريم، في الوقت الحاضر، حفيد محمد الذي أسس، عام ١٩٧٧، معهد الدراسات الإسلامية في لندن.

الآق قويونلو «أصحاب الخروف الأبيض»، ٧٥٩-٩١٤هـ/١٣٧٨-١٥٠٨م، سلالة من العالم الإيراني-التركي حكمت، في المناطق الحدودية بين القوقاز وإيران، اتحادًا من القبائل التركمانية في الأناضول الشرقي، قبل أن تستولي على تبريز عام ١٤٦٧م وتُحلّ سلطتها محلّ سلطة القره قويونلو.

إنّ سلالة الآق قويونلو التي قامت نتيجة لضعف الإبلخانيين وخلفائهم، مدعومة من قبل الأباطرة البيزنطيين في طرابزون، نشأت في منطقة بلاد ما بين النهرين العليا، في محيط آمد/ديار بكر، حيث تنقّلت عائلتها لمدة طويلة. لقد استطاع أفرادها أن يستحصلوا على هذه الأراضي من نيمورلوك، مكافأة على إذعانهم له، بعد استيلائه على أذربيجان وانتصاره في معركة أنقرة. ومن هذه المناطق خرجت أسرة بايندر المالكة التي عُرف أفرادها بأمراء آمد، وقد تحلّز منهم قره بولوك عثمان وخلفاؤه، ومنهم الشير أوزون حسن.

تزامنت بداية سلطة الآق قويونلو مع انطلاقاة متوازية، وإن أكثر بريقًا في البدء، لمجموعة قبلية أخرى هي المراققويونلو الذين كانوا في نزاع دائم معهم وحاولوا دون توسعهم ناحية الشرق. وفي أعقاب دسائس ومعارك كثيرة في عهد أوزون حسن، بلغوا أخيرًا النصر على خصومهم. عندئذ غدوا، رغم الضغط المستمر عليهم من قبل العثمانيين، سياد الطريق التجاري الكبير الذي كان يخترق أذربيجان في اتجاه مرافئ البحر الأسود. وابتحلتهم المدينة - المفتاح لذلك الطريق التجاري، أي تبريز، فيضوا على مقدّرات إمبراطورية قصيرة الأمد ولكنها متأقّة، ممتدة من الأناضول حتى

خاصاً هو «السلالة».

يُستعمل هذا اللفظ في أيماننا في أسماء مركبة تدلّ على الأسر المالكة المسلمة من أصول بدوية، وبخاصة تلك التي تمارس سلطتها على دول حديثة متعدّدة في شبه الجزيرة العربية، مثل آل بو سعيد في عُمان، وآل خليفة في البحرين، وآل ثاني في قطر، وآل الصباح في الكويت، ولا سيّما آل سعود الذين يسيطرون على أراضي المملكة العربية السعودية الواسعة. يجب التنبّه لعدم الخلط بين لفظ آل، المكتوب غالباً بالفرنسية (Al) [بحرف كبير لا يعلوه الرمز ش، أي ال accent circonflexe]، وآل التعريف التي نجدها في عدد وفير من أسماء الأعلام العربية التي تدلّ على الأشخاص، لا على المجموعات القبلية.

آل أفراسياب ← قره خانيون أو القراخانيون.

آل بو سعيد ← مَسْقَط (سلاطين).

آل ثاني ← قطر.

آل خليفة ← البحرين.

آل سُعود أو السُعوديون، أفراد الأسرة المالكة حاليّاً في المملكة العربية السعودية التي يسطر سلطانها في بلاد العرب، في مطلع القرن [المشرقي]، عبد العزيز بن سعود.

حكمت الأسرة نفسها، في ما سبق، المملكتين السعوديتين في نجد اللتين حيلّ، غير مرّة وبقساوة، دون انطلاقهما السياسي، وقد قامت أولاهما على طموح محمد بن سعود متّخذاً من الدُرعية، موطن آل سعود منذ القرن الخامس عشر، عاصمةً لها. كان محمد شديد الصلة بمصلح ديني هو الشيخ ابن عبد الوهاب الذي ألهمت حركته المعروفة بالوهابية، بصورة مستمرة، جميع الأنظمة السعودية اللاحقة. لقد استطاع محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز وحفيده سعود وابن حفيده عبدالله، في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر، السيطرة على نجد، فاستولوا على الرياض في العام ١٧٧٦م، وتوغّلوا حتى العراق عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م، ثم احتلّوا المدينة عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ومكّة عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م. هذه الدولة السعودية التي

تشكّلت في وسط شبه الجزيرة العربية لم تلبث أن أثارت قلق العثمانيين الذين وجّهوا لمهاجمتها محمد علي، حاكم مصر شبه المستقلّ، فقامت جيوشه، بقيادة إبراهيم باشا، بالاستيلاء على الحجاز، عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، ومحاصرة الدرعية بنجاح وتدميرها، وأسر الملك عبدالله في الوقت نفسه، فاقْتيد إلى اسطنبول وحكم عليه بالموت وأُعدم.

ثم، حوالي العام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م، تشكّلت من جديد دولة سعودية ثانية متّخذة من الرياض عاصمة لها برئاسة الأمير تركي، سليل محمد بن سعود، إلا أنّ المملكة الجديدة اصطدمت بمعارضة حاكم بغداد العثماني وعانت بوجه خاص خصومة قبيلة آل الرشيد. فقد استطاع هؤلاء احتلال الرياض عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م، فيما لجأ أمراء سعوديون إلى كنف أمير الكويت.

إلا أنّ عبد العزيز بن عبد الرحمن أو ابن سعود، سليل الأمير تركي، نجح في نهاية الأمر، على رأس حملة جريئة، في إعادة احتلال الرياض عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م والسيطرة على نجد من جديد. وهكذا أُتسّس المملكة السعودية الثالثة التي وسّع رقعتها وطوّرها شيئاً فشيئاً، بدعم عسكريّ ودينيّ ممّا وقرّته له جماعة «الإخوان»؛ فاحتلّ، وبخاصة، المدن المقدّسة طارداً منها، عام ١٩٢٤، الأشراف الهاشميين، وبينهم الشريف حسين أكثرهم طموحاً والمطالب، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، بقلب ملك على إمارته وحتى بقلب خليفة المسلمين. وهكذا أعلن ابن سعود نفسه، عام ١٩٢٧م ملكاً لنجد والحجاز؛ وفي عام ١٩٣٤م سعى مملكته بالاسم الذي تحمله حاليّاً. وقد خلف عبد العزيز الذي ملك حتى العام ١٩٥٣ أولاده: سعود، فيصل، خالد، وفهد.

١١٥٩-١١٧٩هـ/ ١٧٤٦-١٧٦٥م	محمد بن سعود
١١٧٩-١٢١٨هـ/ ١٧٦٥-١٨٠٣م	عبد العزيز الأول
١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م	سعود بن عبد العزيز
١٢٢٩-١٢٣٤هـ/ ١٨١٤-١٨١٨م	عبدالله الأول بن سعود
١٢٣٤-١٢٣٨هـ/ ١٨١٨-١٨٢٣م	تركي
١٢٣٨-١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣-١٨٢٤م	فيصل الأول
١٢٥٩-١٢٨٢هـ/ ١٨٤٣-١٨٦٥م	• •

عظيماً في تحديدها للفضائل والسلطات المعترف بها للأئمة العلويين. وهكذا، غدت عبارة أهل البيت تعني، بالنسبة إلى الشيعة، حصراً، العلويين الذين حصر النبي محمد ﷺ بهم، بحسب اعتقادهم، السلطة فكان لهم الحق في المطالبة بها، وقد جرى ذلك في أكثر الأحيان، عبر ثورات لم يكتب لها النجاح إلا نادراً.

من جهة أخرى، شملت هذه العبارة، بمعنى أوسع، ما وافق العقيدة الشيعية، من دون المسّ بالوقار الذي حُصّن به أقارب النبي محمد ﷺ وذريتهم، إذ إنها صُمّت، إضافة إلى الأقربين منهم (بمن فيهم زوجته) وسلالة العلويين المتحدثة منهم، الأسر والسلالات المتحدثة من عُقبه العباس وأبي طالب، وهي سلالات صُمّت الهاشميين جميعاً. وهكذا غدا آل محمد، بهذا المعنى، يشملون العباسيين والعلويين معاً. إستناداً إلى هذه التسمية التي تجلّى مضمونها في عبارة «وزير آل محمد» التي استخدمها كتاب الحوالات الأقدمون للدلالة على أحد دُعاة «الثورة العباسية» وهو أبو سلمة، تيسر للعباسيين أن يطفئوا حركتهم الثورية بدعوة العلويين للانضمام إليها، ثم حوّلوا لمصلحتهم، بعد أن أفادوا من إخلاص العلويين ودعمهم الحربي لقضيتهم.

آمد ← ديار بكر.

الأمدي، سيف الدين علي بن أبي علي التغلبي (٥٥١-٦٣١هـ/١١٥٦-١٢٣٣م)، فقيه ومتكلم من المدرستين الشافعية والأشعرية، كان وجهاً بارزاً بين العلماء في سوريا خلال القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد. ولد في آمد/ديار بكر، في بلاد ما بين النهرين العليا، ونشأ على المذهب الحنبلي، وانتقل إلى بغداد حيث انضم إلى الشافعية وانصرف إلى الفلسفة. ثم انحدر إلى القاهرة حيث حصد جماعة من الفقهاء ونسبوا إليه فساد العقيدة بسبب أخذه بمذهب الفلاسفة والحكماء. فترك الأمدي مصر وعاد إلى حماء في سوريا، ثم انتقل إلى دمشق سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م ودرس فيها بالمدرسة العزيزية بناء على رغبة الملك المعظم الأيوبي. إلا أنه عُزل من قبل الملك الأشرف سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م بسبب استنائه بالأوائل في علمه، أي بالفلاسفة الأوائل. فأقام

خالد بن سعود
عبدالله الثاني بن بُنيان
عبدالله الثالث بن فيصل
.....
سعود بن فيصل
عبد العزيز الثاني بن سعود
سعود بن عبد العزيز
فيصل الثاني بن عبد العزيز
خالد بن عبد العزيز
فهد بن عبد العزيز
وفي الملك سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
«راجع المستد ٧»

آل صباح ← الكويت.

آل محمد أو «أهل البيت»، و«آل البيت»، مجموعة عائلته ذات مضمون يتسع ويضيق، أدّى تحديدها الدقيق، في العالم الإسلامي، إلى خلافات ذات منحنى سياسي-ديني.

يُذكر، باستمرار، مع هذه التسمية، أشخاص مؤفرون من أهل التقوى في الإسلام، كما جرت العادة السائدة التي تقوم على ذكر عبارة «آله» عندما يُذكر محمد، في معرض استطراد البركة عليه في ما يُعرف بالتصلية (= اللهم صلّ على محمد وآل محمد). إلا أن الإحترام الذي أحاط بآل البيت لم يُخلّ دون استعمال العبارة وتأويلها بطرق مختلفة، وتحولها إلى موضوع جدال خلال ظروف تاريخية محدّدة.

بحسب المضمون المحدّد الذي ساد الأوساط الشيعية، تشمل العبارة محمداً نفسه، وابنته فاطمة، وصهره علياً، وسيبطين ولديهما الحسن والحسين، أي الجماعة المحدّدة بأهل الكساء. والواقع أن نبي الإسلام، بحسب الحديث المروي عنه، غطى بكسائه هؤلاء الأربعة من آله فيما كان يتلو آية من القرآن. كان ذلك بين عامي ١٠-١١هـ/٦٣١-٦٣٢م، بينما كان يستقبل وفداً من نصارى نجران عرض عليهم مُباهلة تناول طبيعة المسيح، جرى التغلّي عنها في ما بعد. أمّا الآية فكانت «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (سورة الأحزاب، الآية ٣٣). وقد بنى عليها الكلام الشيعي مفهوم البعصة التي مثلت دوراً

إسلامياً آخر مع سلاجقة الروم سنة ١١٧٦/١١٧٧م واحتلالاً تركياً نهائياً على أيدي أحد أمراء بني متشا سنة ١٢٨٠/١٢٨١م. وإلحاق المدينة بالأمبراطورية العثمانية الذي تمّ، في البدء، على زمن السلطان بايزيد الأول، ثمّ تثبت سنة ١٤٠٣/١٤٠٦م، على الرغم من الانتصار العابر الذي حققه تيمورلنك على الجيوش العثمانية قبل سنة، حوّلها في ما بعد إلى مركز إداري ثانوي.

« رابع المست ٢٢

الإباضية فرع معتدل من الخوارج، انتشر أنصاره في المغرب حيث قاموا بدور تاريخي، وما يزال وجودهم مستمراً هناك.

إن منشأ الإباضية غير معروف بشكل كافٍ، وكلّ ما نعرفه أنّ لهذه الحركة مؤسساً مفترضاً يُدعى ابن إياض. انشق عن الخوارج المنطوقين سنة ٦٦٥/٦٨٤م، معتمد عقيدة معتدلة. لكن يبدو أنّ آخرين قد تبنّوا قبله هذه الموقف المعتدل الذي يرفض استثناء غير الخوارج من الجماعة الإسلامية، كما يرفض «القتل الديني». ومهمد يكن الأمر، فإنّ ابن إياض كان على علاقات بالمراسلة. في العصر الأموي، بالخليفة عبد الملك بن مروان. كما تابع ورثته في رئاسة الإباضية، المحدث والفقيه جابر بن زيد المقيم في البصرة، سياسة التفاهم مع الحجاج الحاكم الأموي للأقاليم الشرقية، هذه السياسة التي انتهت مع تشوب ثورة ابن الأشعث. وقد عانى الإباضيون آنذاك، في العراق الأسفل والجزيرة الفراتية، الاضطهاد: فبعضهم أودع السجن، وبعضهم قُتل إلى عُمان. وفي ظلّ آخر الخلفاء الأمويين، عادت جماعاتهم فانتقلت، ووجهت دعاء إلى مختلف الأقاليم محدثة ثورات أفلقت الخلافة، لكنّها ما لبثت أن قضت بتدريج إلى أن تلاشت.

في أثناء ذلك، كان الإباضيون في المغرب قد تبنّوا مكانتهم في مدينة طرابلس. وعندما طردتهم الجيوش العباسية سنة ٧٤٤/٧٦١م، اجتمعوا في مرحلة لاحقة حول الحاكم السابق للقيروان، ابن رستم، الذي أسس في المغرب الأوسط سلالة بني رستم الإباضية التي اتخذت من تاهرت عاصمة لها. وقد اعترفت القبائل البربرية الإباضية بالأمير المرستمي إماماً، ابتداء من سنة

معتزلاً في بيته حتى وفاته بدمشق سنة ١٢٣١/١٢٣٣م. ترك تصنيف مهمة لم تُدرَس بعق، وهي تعالج قضايا في الفقه، كما أنّ له كتاباً مهماً في علم الكلام حاول فيه دحض آراء الفلاسفة القدماء، وآراء المعتزلة، والعقيدة المانوية.

آية الله: لقب لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية يُمنح لبعض المجتهدين في الشريعة - وفق التسمية العربية النخبية المشتقة من كلمة «إجتهد» - ممن يمارسون مسؤوليات سياسية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي وُلدت سنة ١٩٧٩.

كان انطلاق هذا اللقب نتيجة مباشرة للنظريات السياسية^(٤) التي وُضعت، بعد تسلّم الصفويين السلطة في إيران، في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد. وجاءت هذه النظريات منفصلة عن المواقف السافية التي كان يدافع عنها الشيعة الإماميون بعد غيبة آخر أئمة العلويين المعترف بهم. هذا التطوّر اتضحت معالمه خلال القرن التاسع عشر، ولكن من دون أن تجد مسألة إسناد هذا اللقب، لا سيّما لقب آية الله العظمى، حلاً واضحاً، اللهمّ إلا من خلال اللجوء إلى الإجماع، وهو أمر صعب المثال. وقد طالب الخميني منذ العام ١٩٦٣ بهذا اللقب الأخير الذي كان في أساس نجاحه السياسي. لكنّ آية الله طباطبائي، الذي توفي سنة ١٩٧٠ في النجف، ادّعى أيضاً بأحقّيته بهذا اللقب.

ألبوليين (الجمهورية التركية): مدينة في غرب الأناضول تُذكر بالإمارة التركمانية التي أعطتها اسمها، بعد سيطرة الاسلام الدائمة عليها في أواخر القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.

على مقربة من آثار مدينة «ترالس» القديمة، ما تزال مدينة ألبدين الحالية النشيطة، الواقعة في وادي نهر مثنزس الخصب، تحافظ على القليل من المعالم الباقية من أيام السلالة الألبينية، وكان مؤسس هذه السلالة قد اختارها مقراً له بعد أن احتلّها سنة ٧١٠/١٣١٠م. وقد عرفت المدينة من قبل أوّل احتلال تركي سنة ٤٦٣/١٠٧١م، ثمّ عادت إلى البيزنطيين بعد مرور القرنين يحملهم الصليبية وانتصارهم في معركة دوريلي (Dorylée) سنة ٤٩٠/١٠٩٧م، وعرفت احتلالاً

الجزائرية، في ورقلة والمزاب، ولذا كثيراً ما تطلق عليهم تسمية المزابيين؛ وكذلك يوجد إياضيون في الجمهورية التونسية، ولا سيما في جزيرة جربة الواقعة في أقصى الشرق من خليج قابس؛ وكذلك في الجماهيرية الليبية، من دون أن نُغفل وجود مجموعات في سلطنة عُمان، وفي نقاط متفرقة على الساحل الشرقي لأفريقيا.

أبخازيا (جمهورية)، مساحتها ٨ آلاف كلم^٢. عاصمتها سوخومي (Soukhoumi). مقاطعة تابعة لجمهورية جورجيا، لكنها تتمتع، منذ العام ١٩٣٧، بدستورها الخاص الذي سمح للأقلية الإسلامية التي تقدر بـ ١٧٪ من السكان بالإشراف فعلياً على البلاد.

يقع هذا الإقليم في شمال غربي جورجيا، بين القفقاس والبحر الأسود. كان يتبع سابقاً الأمبراطورية الروسية، وقد عانى لفترة طويلة الفقر وقلّ سكانه بسبب هجرة مُسلمة إلى السلطنة العثمانية. أعادت له الحكومة الروسية حدوده في العام ١٩٢١، واعتُبر، في العام ١٩٣٠، جزءاً من جمهورية ما وراء القفقاس (Transcaucasie) الإشرافية السوفياتية الفدرالية، ثم ضمّ إلى جمهورية جورجيا الاشتراكية السوفياتية التي أنشئت في العام ١٩٣٦. إن الحكم الذاتي الذي يتّبع به الإقليم ضمن هذه الجمهورية، التي حصلت على استقلالها في العام ١٩٩١، كان سبباً لتوترات سياسية يغذيها، في أيامنا هذه، وجود أبخازيا في جوار جمهورية كراتشيوف-شركاسيا (Karatchaev-Tcherkessie) التي تمارس إدارة ذاتية ضمن الفدرالية الروسية.

لقد برزت بوضوح، في الحقبة المعاصرة، أصالة سكّان هذه المنطقة إذ استطاع الأبخاز، وهم كالشركس ينتمون إلى مجموعة الشعوب الأيبيرية - القفقاسية، أن يدافعوا عن وجودهم طيلة القرون الوسطى وأن يصمدوا في وجه الغزوات الإسلامية منذ عهد الفتوحات الكبرى، لكنهم في النهاية أذعنوا لنفوذ المسلمين. لم تؤثر الحملات العسكرية الأولى التي وجهها الأمويون إلى هذه المنطقة على السكان الأصليين الذين كانوا في معظمهم قد اعتنقوا المسيحية والذين ظلّوا خاضعين لسلطة أمراءهم. أمّا الحملات المظفّرة التي قادها

١٦٠/٧٧٦م. لكن نطاق سلطته انحصر، سنة ٢٢٤/٨٣٩م، في المناطق الشرقية بسبب عمليات الأغابة الذين قطعوا الاتصالات، عبر بلاد الجريد، بين الدولة الرستمية وطرابلس. وبعد انهيار دولة بني رستم سنة ٢٩٦/٩٠٩م، انتقلت مجموعات إياضية باتجاه الجنوب إلى منطقة ورقلة، ومن هناك إلى غرداية في المزاب، وصمدت في طرابلس، في جبل نفوسة. وفي ورقلة نشأت جمعية من «المنوحدّين» عُرفوا بـ «المزاب»^١، يواسهم شيخ. وفي مكان قريب من ذلك الموضع تقوم البقايا الأثرية الغنيّة للموقع الذي أنشأه في سدراتنا المهاجرون من تافغرت، ثم هجروه.

داخل هذه الجماعات عاش فقهاء بارزون أوضحو، خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، العقيدة الإباضية وأكسبوها شكلاً منظّوراً، فبدت قريبة من المعتزلة. ويعود ذلك، بدون شك، إلى العلاقات التاريخية القديمة بين الفريقين، التي لا تملك عنها معلومات كافية. وقد نشأت، عبر التطوّر الطويل الذي شهدته الإباضية، فِرَق اتخذ كلّ منها إمامة مستقلة، كالإمامة النُكرية في المغرب التي تبثت، في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، أسوة بالأزارقة والصُفيرة، مواقف منظرية، كالقتل الديني^٢ تجاه الغرباء عن فرقهم.

وعرفت الإباضية مراكز أخرى ناشطة بسطت فيها سيطرتها خلال القرون الوسطى. فثمة مجموعات إياضية ظهرت، منذ زمن بعيد، في شبه الجزيرة العربية: في اليمن حيث استمرّ وجودهم حتى القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، ولا سيما في عُمان في أواخر القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، حيث تبثّى مذهب الخوارج - المتجدّل في هذه المنطقة - العقيدة الإباضية. وتأسست في هذه المنطقة مجموعة مهمة امتازت بجهودها في مجال الفكر العقائدي. وقد اعترف زعمائها بسلطة الأئمة الرستميين، ثم استقلّوا عنهم لفترة يصعب تحديدها. وثمة مراكز إياضية أخرى نشأت في أفريقيا الشرقية، وإيران والسند والصين في أوساط الجاليات الإسلامية التي وصلتها عبر البحر.

وفي عصرنا الحاضر، نجد إياضيين في الجمهورية

يمكننا القول، من الناحية التاريخية، إن النبي محمداً ﷺ ركز، خلال الحقبة التي تلت الهجرة مباشرة، وتأسيس الدولة في المدينة، على المثال الذي يشكّل [إبراهيم] أبو المؤمنين، وعلى الطابع التوراتي للإيمان الذي كان يدافع عنه بنفسه. يظهر ذلك بوضوح، حتى ولو اعتبرنا أن موقف النبي ﷺ هذا هو تأكيد لمواقف كان قد اتخذها من قبل، وأنه لا يشكل تحولاً جذرياً في دعوته الدينية. أطاريح بعض العلماء الغربيين في هذا الشأن تؤكد عكس ذلك، لكن المسلمين يرفضونها. إذ الإصرار على امتداد مثالية إبراهيم التي تميّزت به الحقبة الأخيرة من الدعوة المحمدية تبقى مرتبطة، بعد التحلي عن القدس قبله للصلاة، باعتماد فريضة الحج إلى مكة. وقد تفت الروابط بالإيمان الإبراهيمي هذا الحج من آثار الوثنية.

أدت صورة إبراهيم بعد ذلك، وبالتحديد في خضم الحقبة القروسطية، دوراً أساسياً في تطوّر ما نسميه «تكريم الأولياء» في الإسلام. وُضع تحت شفاعت العديد من المكرم التي يزورها المؤمنون والتي يطلق عليها اسم «مقام» أو «مشهد» أو «مسجد». لم تكن هذه المزارات موجودة في مكة وجوارها وحدها، بل في العراق أيضاً، وفي بلاد ما بين النهرين العليا، وفي سوريا وفلسطين، إذ كانت هذه البلدان هي الأماكن التي ولد فيها إبراهيم والتي تنقل فيها راعياً خلال مراحل حياته والتي استقر فيها أخيراً حتى مماته. إن هذا الأماكن العديدة والمختلفة، التي يقصدها المؤمنون في زيارات تخرج عن إطار القرائن الدينية الشرعية وتدلّ على حيوية تلك العبادات المتأثرة بالأصل اليهودي-المسيحي، كانت معروفة جيّداً في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. وقد ورد ذكرها في دليل الهروي وبقي معظمها موضوع تبجيل حتى عصره الحالي.

أثر الإسلام، بشكل عام، الدفاع بدون أي لبس عن كونه ديانة إبراهيمية، وقد صُنِعَ بهذه الصبغة منذ انطلاقه. لكنّه لم يعتبر قط أن ذلك يشكل مبرراً للبحث عن تقارب بين وحدانية الله التي ينادي بها هو والوحدانيّة التي تنادي بها الديانتان الأخريان، أي اليهوديّة

تيمورلنك في مطلع القرن الخامس عشر، فلم تعيط نتائج ثابتة. إن تحول المنطقة إلى الإسلام بدأ بجديته منذ أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، بعد سيطرة العثمانيين عليها، ما أدى إلى اعتناق الحكام العقيدة الإسلامية. وقد وقف الباب العالي إلى جانب هؤلاء الحكام ضدّ الممّ الروسي وحال دون السماح للروس، الذين كانوا قد سيطروا في سنة ١٨٠١ على جورجيا، بضم أبخازيا قبل سنة ١٨٦٤.

أبراهام أو إبراهيم، المسمّى غالباً الخليل أي «صديق» [الله]. شخصية من الكتاب المقدس، يصفه القرآن الكريم بأنّه نبيّ ويخصّه بدور استثنائي، معتبراً إياه أوّل المسلمين وأوّل المدافعين عن التوحيد الكامل.

هناك آيات عذّة وردت في أكثر من خمس وعشرين سورة تتعلّق بحقب مختلفة من حياة النبي محمداً ﷺ، ترسم بدقة هذه الشخصية القرآنية المتمثلة بإبراهيم، كما ترسم بعض التفاصيل من سيرته. إنّه الحنيف بالذات الذي أسس في حياته الديانة الإبراهيمية أو «ملة إبراهيم» التي دعا إليها في ما بعد رسول الإسلام ﷺ. شنّ إبراهيم حرباً شاملة على عبادة الأوثان ليُحل محلّها الإيمان بالله وبوحدانيته. وتذكر الروايات نفسها أنّه أبلغ إلى قوم لوط العقاب الذي ينتظرونهم. أطاع الله إلى حدّ جعله يقبل بأن يُضحي له بابنه. لكنّ القرآن لا يحدّد إذا كان هذا الابن هو إسماعيل أو إسحاق. هو الذي بنى، بمساعدة إسماعيل، كعبة مكة التي أصبحت في ما بعد وجهة (قبلة) صلاة المسلمين ومكان التقاء جموع الحجاج لأداء فريضة الحج الإسلامي.

ارتبط تاريخ إبراهيم، خلال حياته الترحالّة، بتاريخ مكة وسكانها، وكان هؤلاء يُعرفون آنذاك ببني جرهم، وقد تزوّج فيهم إبنة إسماعيل. يجري إحياء الذكرى السنوية لأضحيتته في عيد المسلمين الرئيسي (عيد الأضحي)، وتؤكد التقاليد أنّ هذا الحدث جرى في وادي بين. ولقد اعتبر علماء الأنساب العرب في القرون الوسطى أباً إسماعيل سلفهم الأكثر شهرة، حتى إنّ قبره الموجود في مدينة الخليل - وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنّها مدينة «صديق الله» - ما زال يشكل، منذ قرون عذّة، موضوع احترام لدى المسلمين.

والتيارات الصوفية التي ظهرت في بداية العصور العباسية، إذ يُنسب إلى مثاله، لا إلى تعليمه - فهو لم يترك أي أثر مكتوب - الدور الأساسي الذي أذاه حينذاك. وثمة نوادر وأخبار متأخرة حول سيرته، ما تزال إلى اليوم واسعة الانتشار بالفارسية والأردنية مثلاً، وكذلك بالعربية، ساهمت في نشر شهرة إبراهيم بن أدهم، وشكّلت صورته لتنتشر أعضاء الفرق الصوفية في أواخر القرون الوسطى.

من مواليد بلغ بخراسان في وسط أميري، تخلق ابن أدهم عن امتيازاته، لبش حياة الفقر، كاسباً قوته بعمل يديه، ومشاركاً في حملات الجهاد، على الحدود العربية-البيزنطية، مطبقاً عملياً كل أشكال نكران الذات والحسن تجاه الآخرين. إن المدى الذي بلغه تكريم ابن أدهم، وأحاط بذكره منذ وفاته، يظهر في تعدد المدافن التي تنسب إليه، ولا سيما في جيلة، في شمال الشاطئ السوري، وهو مقام ما زال مميّزًا بجزر. وقد حسّته الممالك، وكان محجاً لزيارات تقوية، عند انطلاق تقليد «تكريم الأولياء»، ورد ذكره منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في دليل الهروري.

إبراهيم بن المهدي، ١٦٢-٢٢٤هـ/٧٧٩-٨٣٩م، ابن الخليفة المهدي، الثالث من السلالة العباسية، عُرف عنه أنه قبل أن يبايع بالخلافة سكّان بغداد، وذلك في محرم ٢٠٢هـ/تموز ٨١٧م. فقد رفض هؤلاء تعيين المأمون علياً بن موسى الرضا، خلفاً له، وهو إمام علوي يدعي حقّه بالخلافة. إن إبراهيم الذي انتقل إلى هذه المغامرة، من دون أن تكون له طموحات سياسية حقيقية، استقال من منصبه عندما أعاد الخليفة الحاكم سيطرته على الوضع السياسي، بعد أن ترك مكان إقامته في مرو، في آسيا الوسطى، وعاد إلى العراق في حزيران ٢٠٤هـ/٨١٩م. سُجن إبراهيم، ثم عفا عنه المأمون بعد انتصاره، فانصرف منذ ذلك الحين، حتى نهاية حياته، إلى ممارسة نشاطه شاعراً وموسيقياً، في بغداد ثم في سامراء.

الأئمة، ناحية مرفئية بائدة في العراق، نعمت بازدهار كبير حتى القرن السابع الهجري/الثالث عشر

والمسيحية، اللتان تنسبان، أيضاً، إلى إبراهيم. إضافة إلى ذلك، إعتبر النبي ﷺ، في مجادله مع اليهود والنصارى، أن هؤلاء انحرفوا عن الرسالة التي اُتُمِنوا عليها، ما سمح للإسلام بامتلاك ميراث الإيمان الإبراهيمي الحقيقي منفرداً. استمرّ المسلمون في ما بعد في التركيز على هذا النقص، وقد ساهم ذلك في تصلّب موقفهم من «أهل الكتاب».

إبراهيم باشا، ١٢٠٤-١٢٦٥هـ/١٧٨٩-١٨٤٨م، الابن البكر لوالي مصر، محمد علي. شارك والده في المهمات السياسية والعسكرية، لكنه لم يتبنأ شخصياً كرسي الحكم. ومع ذلك فقد ترك أثراً، هو اسماعيل الذي تمكّن من الوصول إلى العرش.

مارس نشاطه قائداً وحاكماً في صعيد مصر إبتداء من ١٨١١، ثم في الجزيرة العربية حيث حارب آل سعود؛ لكن أعماله لم تبلغ كلّ مداها إلا بعد إعادة تنظيم الجيش المصري على يدي كوثونيل فرنسي عرف باسم سليمان باشا. شارك إبراهيم عندذاك، بأمر من السلطان العثماني محمود الثاني، في حرب اليونان، لكن استعادته لشبه جزيرة المورة قدّدت نتائجها بعد الهزيمة البحرية التي مُني بها الأسطولان العثماني والمصري في نافارين. بعد ذلك، احتلّ، لمصلحة مصر، الأراضي السورية، حيث حقّق انتصارات متلاحقة على الجيوش العثمانية، ولا سيما احتلال عكا سنة ١٨٣٢م، والانتصار في شمال سوريا سنة ١٨٣٩م، وهي انتصارات حالت القوى الأوروبية دون قطف ثمارها. وإذ اضطرّ إلى مغادرة دمشق، بعد مقرّرات معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م، اكتفى منذ ذلك الحين بمساعدة أبيه، أو بالنيابة عنه، في حكومة لم يحصل من السلطان العثماني على مسؤولياتها الكاملة إلا بضعة أسابيع قبل وفاته.

إبراهيم بن أدهم، أبو اسحاق العجلي، والمعروف أيضاً بـ **ابن أدهم**، ١١٢-١٦٦هـ/٧٣٠-٧٧٧م، زاهد وصوفي شهير، عربي الأصل، انتهت حياته المشتردة، المثقلة بالملاحم الأسطورية، من دون شك، في سوريا. هذه الشخصية السمحة، وسعت بطلانها المميّز، بالنسبة إلى تراث الحقبة اللاحقة، المرحلة الأولى من

شهرة اثنين من إخوته، انصرف أحدهما إلى العلوم الدينية والآخر إلى الآداب - لكنها لا تطلعا على ظروف حياته: فنحن لا نعرف إلا رحلاته في منطقة الشرق الأدنى حينذاك، ومشاركته في بعض المعارك ضد الفرنج تحت راية صلاح الدين. أمّا حولياته التاريخية فقد لقيت عبر العصور حظوة مميزة. ألّف ابن الأثير معجماً في سير الصحابة هو «أشُدُّ الغابة»، كما وضع تاريخ «أنابكة الموصل»، ولا سيما تاريخه الشامل وعنوانه «الكامل» الذي يزعم أنّه جمع فيه كل الحوادث التي حصلت منذ خلق العالم حتى سنة ١٢٢٨هـ/١٢٣١م.

لقد اعتمد المؤرخون الآخرون على هذه المجموعة الواضحة والدقيقة، التي استندت إلى مصادر جيدة ولكنها، مع الأسف، غير مذكورة. ويتضح في الكتاب بعض الانحياز الناتج عن ميول مؤلفه إلى المنطقة التي ينتمي إليها.

إبن إسحق، أبو عبدالله محمد بن إسحق بن يسار، ٨٥٠-٧٥٠هـ/٧٤٧-٧٤٧م، محدث من العصر الأموي في الشرق، وضع أسس سيرة النبي محمد (ﷺ) في كتابه المعروف بـ «السيرة النبوية».

هذا الكتاب الذي وصل إلينا من خلال تعديلات ابن هشام، أتاح الشهرة والمجد، في المجتمع الإسلامي، لابن إسحق، وهو حفيد أحد الموالى، وكان قد ولد في المدينة قبل أن يستقر في مصر، ثم في أماكن مختلفة من العراق، وأخيراً في بغداد حيث توفي في تاريخ غير محقق. إنَّ الانقلابات التي وجهها إليه بعض معاصريه، كمالك بن أنس، تناول مقدرته الفقهية وحدها، وربما كانت ناتجة عما أخذ عليه من اتجاه إلى التشيع والقدرة.

إبن إياس، زين الدين أبو البركات محمد بن أحمد الناصري الجركسي الحنفي، ٨٥٢-٩٣٠هـ/١٤٤٨-١٥٢٤م، مؤرخ لمصر، ويشكل كتابه المصدر الأهم لتاريخ هذه البلاد في نهاية عهد المماليك وبداية السيطرة العثمانية.

ينتمي المؤلف إلى أسرة من الأمراء المماليك شركسية الأصل؛ إنه مرتبط إذًا بالأساطير العسكرية الحاكمة في ذلك الوقت. وقد تلمذ على علماء مسلمين

الميلادي، وقد استوعبها ازدهار مدينة البصرة في الزمن المعاصر.

بحكم موقعها، في العصور الوسطى، بين دجلة وفتاة مهمة حملت اسمها، كانت الأئمة المرسى البحري الوحيد لمصب دجلة ومركزاً تجارياً مفضوفاً، قبل أن تُدخلها الفتوحات الكبرى، عام ١٧هـ/٦٣٨م، في الخلافة الإسلامية. إلّا أنّ الفاتحين لم يستقروا فيها لأنهم أثروا أن يؤسسوا، على مقربة منها، مدينة - معسكراً باسم البصرة بعيداً من النهر وعلى أبواب الصحراء، في مكان أكثر ملاءمة للحفاظ على الاتصالات بشبه الجزيرة العربية. ومنذ ذلك الوقت، وفي جوار هذا المركز الإداري المُحدث، دخلت الأئمة عهد الانحطاط، لكنها ظلت تسترعي الانتباه كمدينة ناشطة متراصة الأطراف غنية بالمباني ومحاطة بالحدائق، ولم يذترها سوى الغزو المغولي وانحسار حركتها التجارية نتيجة تراجع مياه الخليج العربي الفارسي بعيداً عن إنشاءاتها.

إبليس ← الشيطان.

إبن أبي زيد القيرواني، أبو محمد عبدالله، ٣١٠-٣٨٦هـ/٩٩٦-٩٩٦م، فقيه شهير في القيروان، كان مرجعاً في المدينة حيث حقق للمذهب المالكي ازدهاراً استمرّ زماناً طويلاً.

جهد في الدفاع عن مذهبه، زمن السيطرة الفاطمية على إفريقية، التي أرادت أن تبسط على البلاد مبادئ التشيع. وعاش أيضاً في ظل بني زيري الذين انفصلوا عن العقيدة المذكورة. ألف عدداً من الكتب الشهيرة، لا سيما «الرسالة» التي كتبت سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م. هذا الملخص في الفقه الإسلامي التقليدي كان معتمداً بكثرة، وما يزال كذلك حتى اليوم، في تدريس المذهب المالكي.

إبن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي ٥٥٥-٦٣٠هـ/١١٦٠-١٢٣٣م، واضع حوليات ومؤرخ عربي اللغة، ينتمي إلى أسرة موطّقين لدى آل زنكي، عاش في منطقة الموصل في أعالي ما بين النهرين. ترتبط شهرته بصفته عالماً موسوعياً - وكذلك

إبن باديس، عبد الحميد بن المصطفى ١٨٨٩-١٩٤٠، مفكر دافع عن قضية الإصلاح الإسلامي في الجزائر وقام بدور سياسي وديني في هذه المنطقة. ولد في قُسطَينة وبدأ عمله صحافيًا، وأنش حوالى سنة ١٩٢٥ «الشهاب»، مجلة شهرية استمرّ صدورها حتى سنة ١٩٣٩، وكانت تنشر الأفكار التحديثية المستوحاة من مجلة «المنار» لرشيد رضا، وتدعو في الوقت نفسه إلى مبادئ قومية. أصبح ابن باديس في سنة ١٩٣١ رئيس تجمع العلماء الجزائريين، وأحد أبرز ممثلي الجماعة الإسلامية في بلاده. ساهم في تشجيع النجدة الثقافي العربي-الإسلامي، ووضع، عدداً مقالاته الكثيرة، تفسيراً للقرآن الكريم أكسبه شهرة واسعة.

إبن بَطَّه، أبو عبدالله عبيد الله بن محمد المكبري، ٣٠٤-١٣٨٧/٩١٧-٩٩٧م، متكلم وفقه حنبلي، ذاعت شهرته في العراق المنقسم مذهبياً تحت وصاية البويهيّين الشيعة، لتشده العقائدي ونضاله في سبيل المذهب السنّي.

بعد أن تلقى ابن بطة ثقافة موسوعية في بغداد، فام برحلات دراسية إلى مكة ثم إلى سوريا، قبل أن يعود إلى بلاده، وفيها كانت نهاية حياته. تركز نشاطه على رواية الحديث والمواظ، وترك مؤلفات عقائدية وفقهية، لا سيما مؤلفه «الإبانة الصغيرة» الذي ساهم في ذبوع شهرته الواسعة. ناهض تعليمه الإيماني الواضح كل أنواع البدع، ودعا للعودة إلى الإسلام الأصيل بحسب ما كانت عليه صيغته وتطبيقه على عهد النبي محمد (ﷺ) والخلفاء الثلاثة الأولين.

إبن بَطَّوطة، شمس الدين أبو عبدالله محمد اللواتي الطنجسي، ٧٠٣-٧٧٩هـ/١٣٠٤-١٣٧٧م، رحّال وجغرافي، ولد في المغرب وبدأ حياته فقهياً تقليديّ الثقافة، وتجوّل في العالم الإسلامي بين ٧٢٥ و٧٥٤هـ/١٣٢٥ و١٣٥٣م، قبل أن يؤلّف كتابه الذي روى فيه رحلاته.

إن تنقّلاته الكثيرة خارج بلاده جعلته يقيم نباعاً في مصر وسوريا، وجزيرة العرب والعراق، وشرقيّ أفريقيا والأناضول، ويلازم ما وراء النهر، والمهند وسيلان وجزر

تقليديّين كالسويّط المتنوّع المؤلّفات، والفقه عبد البسيط بن الخليل. لكّته كان يرغب في منافسة مؤرّخ أقدم منه هو ابن ثوريّ يژدي. فقسّم إلى تاريخه الكامل لمصر منذ العهد الفرعوني ملاحظات شاهد عيان، غالباً ما كانت بالغة الأهمية، وهي تتناول خاصة حكم قانصوه الغوري والنكبة العسكرية التي سرّعت في إنهاء دولته بطريقة مأسوية.

إبن بابّويه أو بابّوي ← الصّدوق (الشيخ)

إبن بابّجّه، أبو بكر محمّد بن يحيى بن الصانغ التّجيبّي الأندلسي (٩-٥٣٣هـ/٩-١١٣٩م)، عالم ومفكّر أندلسي، كان لأراؤه تأثير في فكر ابن رشد، ولقيت رواجاً خارج حدود عالم الإسلام، فنجد استشهادات منه وردت عند أبيير الكبير.

ولد في سَرْقُستَة في أواخر القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، ودخل في خدمة المرابطين عندما استولى هؤلاء على المدينة سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م. وعندما وقعت بيد ألفونسو الأول ملك أراغون سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، انتقل ابن بابّجّه إلى جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية، وذكر وجوده في إشبيلية كما في غرناطة. ثم استقبل بحفاوة في بلاط فاس بالمغرب حيث دفع الحسد بابّجّه البلاط الآخرين إلى دسّ السمّ له، فمات في تلك المدينة، في ربيع سنة ٥٣٣هـ/١١٣٩م.

إلى جانب تعمّقه في الطبّ والرياضيات والفلك والفلسفة، عُرف ابن بابّجّه أيضاً شاعرًا وموسيقياً. وقد ترك مجموعة شروحات حول أعمال أرسطو، ومؤلفات فلسفية تناولت على الأخصّ النفس والعقل وعلم الأخلاق، كما وضع رسالة لم يكملها بعنوان «تدبير المتوخّد». وبحسب المذهب العقلي أو «الفكراني»، المرتبط بالفلسفة الأفلاطونية الجديدة الذي جاهر به، ولكن من دون أن يعطيه أي طابع صوفي؛ وحده التفكير النظري يسمح بادراك المعارف العقلية والانصال بالعقل العقال. ولكن هذه المعارف تبقى محصورة ببعض الأشخاص النوايح الذين يُحكم عليهم أن يعيشوا، في أغلب الأحيان، متوحّدين في حواضر تعثرها العيوب.

سلطين قوية بعد أن تخلى عن وظيفته في بلاط آخر الخوارزمشاهيين، وبعد أن كان في خدمة السلطان الأيوبي الحاكم في دمشق. هذه المسيرة العالمية جعلت ابن بيبى، وهو رئيس الكتاب وواضع المذكرات التاريخية، شخصية مميزة تمثل تطوّر العالم الإسلامي التركي-الإيراني، في عهد استطاع أن يقوم فيه بدور رسمي مهم. إن الحوليات التي ألفها تتناول الحفبة الموافقة ما بين ٥٨٨ و٦٧٩هـ/١١٩٢ و١٢٨٠م.

إبن البيطار، أبو محمد عبدالله؟ - ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، صيدلاني عالم، خلّف فوائده بأسماء الأدوية البسيطة والمركبة المعتمدة في الطب. إستناداً إلى معطيات موثوقة بها قديمة وإلى ملاحظاته الخاصة.

ولد في مائقة في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ودرس في إشبيلية قبل أن ينتقل، حوالى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، إلى الشرق حيث نال حظوة لدى الأيوبيين. عُيّن رئيس «المشايين» في القاهرة حيث أقام، وكان في الوقت نفسه يقوم برحلات لمنابعة أبحاثه، ثم استقر في دمشق، وفيها توفي بعد أن وضع، على شكل مقالات متنوعة ألفها أو جمعها، عملاً علمياً لقي حظوة خلال القرون الوسطى داخل العالم الإسلامي وخارجه.

إبن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ٨١٢-٨٧٤هـ/ ١٤٠٩-١٤٧٠م، مؤرخ عربي، عاش في القاهرة على عهد المماليك البرجيين، وكان ينتمي إلى طبقتهم الحاكمة.

ابن مملوك من أصل أناضولي لقي حظوة لدى السلطان بروجق، وأصبح القائد الأعلى للجيش ونائب الملك في سوريا. تلقى ابن تغري بردي، بعد وفاة والده المبكرة، سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، تربية تقليدية وتعرّس بأساليب القتال. اتّخذ السلطان برديباي لخاصته، وكذلك فعل خلفاؤه، فأصبح من أهمّ المؤرخين الممثلين للعصر المملوكي. فضلاً عن سير السلطين والأمراء الذين حكموا من ٦٥٠ إلى ٨٥٥هـ/ ١٢٤٨ إلى ١٤٥١م، الواردة في كتاب المنهل الصافي، وعن مؤلفه الضخم كتاب النجوم الزاهرة الذي تناول مصر منذ سنة ٦٢٠هـ/ ٦٤١م، أضاف حوثيات تناولت الحفبة

المالديف، والهند الصينية والصين، وكذلك في سردينيا، وإفريقية والجزائر والأندلس. ثم استقر في فارس حتى وفاته.

لم يدون ابن بطوطة أخبار رحلاته بنفسه، بل دونهها مثقّف يدعى ابن جزيّ بتكليف من السلطان المريني أبو عنان. إن المعلومات الواردة فيها لا تستند إلى ذكريات ما شاهده ابن بطوطة فحسب، بل تستعير من ابن جزيّر معلومات عن بعض المناطق. ومع ذلك فإنها لا تخلو من معلومات قيمة، لا سيما عن الهند وجزر الدونيسيا والأناضول وآسيا الوسطى وبعض المناطق الأفريقية. إن رحلته، تصوّر بشكل حيّ عالم القرون الوسطى حيث نرى، حتّى في الأقاليم البعيدة التي اعتنقت الإسلام في فترة متأخرة، جماعة مسلمة تعيش متضامنة في تصرّفاتهما، فتستقبل مسلماً من بلد آخر وتُسند إليه الوظائف الاجتماعية-الدينية، فنعينه، مثلاً، قاضياً، لأنّه أظهر جدارة فقهية.

إبن البواب، أبو الحسن علي بن هلال المعروف أيضاً بابن الميثري، ٤١٣-٤٢٢هـ/ ١٠٢٢-١٠٣١م، خطاط شهير، عاش في العراق في العصر العباسي على عهد البويهيين. قد يكون جود نمطاً من الكتابة العربية اخترعه ابن مقلة.

تردّد ابن البواب على الأوساط الإسلامية الحاكمة، وعمل في خدمة بعض رعاة الآداب منهم، ومارس، سواء في بغداد أو في بلاد فارس، وظيفة نسخ مميّز. نمت نسخة من القرآن وقّعتها سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م، محفوظة في مكتبة تشبتربيتي في دبلن، يمكن أن تقدّم فكرة دقيقة عن هذه «الكتابة المتناسبة» التي أجادها حتى وفاته في بغداد، وكانت سبب شهرته.

إبن بيبى أو **إبن الببى المنجّم** «إبن الأميرة المنجّم»، الحسين بن محمد، القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، أدب إيراني الأصل ومؤرخ عاش في بلاد الأناضول الإسلامية حيث شكّلت مؤلفاته باللغة الفارسية شاهداً على تلك البلاد بالغ الأهمية.

يتحدّث ابن الببى، من جهة والدته، من أسرة مثقفة من نيسابور، وتابع، في بلاط سلاجقة الروم، تقليد الاستكتاب الذي ورثه عن أبيه، فعمل في الإدارة لدى

التي سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م.

لقد تحققت مشاريعه، لاحقاً، مع ازدهار سلطة الموحدين السياسية، فهؤلاء ظلوا أوفياء للعقيدة السنوية إلى ابن تومرت. هذه العقيدة المرتبطة بوضوح بتيار المهدية، لكن يصعب إعطاؤها ميزة محددة. فهي معقدة التركيب، تنسب إلى بربري متشدّد جمع عناصر مختلفة أخذها من التيارات الفكرية الشرقية. واقع الأمر أن ابن تومرت حارب المشيئة بُدافع عن وحدانية الله الذي اعتبره بدون صفات منفصلة، وهو في ذلك كان يستوحي الأشعرية، وربما المعتزلة. وفضلاً عن ذلك، كان يعارض وجود مذاهب فقهية مختلفة، معتبراً أنه يجب العودة إلى النصوص الأساسية في القرآن والحديث. أما بالنسبة إلى فكرة «المهدي» فيبدو أنه استلهمها من التشيع، وعذّل فيها لترضي الأوساط السنية التي وجّه دعوته إليها بشكل أساسي واستطاع أن يستميلها إليه.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد، ٦٦١-٧٢٨هـ / ١٢٦٣-١٣٢٨م، متكلم وفقه طبع تاريخ المذهب الحنبلي على عهد المماليك البحرين، وقام بدور بارز في سوريا ومصر، في زمانه، قبل أن تؤثر كتاباته في القرن الثاني عشر للهجرة/الثامن عشر للميلاد، في المُنظر المقبل للعقيدة الوهابية.

ولد ابن تيمية في حرّان، وقد اضطرت عائلته لتركها عند الاجتياح المغولي لتستقرّ في دمشق، سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٩م. علّم في مدرسة وكذلك في المسجد الجامع، قبل أن يصبح أستاذاً في المدرسة الحنبليّة. منذ سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٥م، عاش حياة مضطربة، سواء في القاهرة أو في دمشق حيث توفي سجيناً في قلعته. ترك نتاجاً غزيراً يمكن أن يُعدّ جديداً، مع أن المؤلف يتّبع خط المذهب الحنبلي. فهو، وإن كان تلميذاً للمؤلفين الكبار في هذا المذهب، يعرف أيضاً المواقف الفقهية والكلامية لدى المذاهب الأخرى، فضلاً عن تضلّعه في الصوّف.

إن عقيدة ابن تيمية، كما تظهر من خلال إعلان إيمانه في مواضيع مختلفة، عقيدة تعتمد على الإيمان، لكنّها لا ترفض استبطان الدين، وتسمي إلى الحلول في

التابعة مباشرة لكتاب «السلوك» للمقريزي، أي أنّها تروي الأحداث التي استجدّت في مصر بين ٨٤٥ و٨٨٧هـ / ١٤٤١ و١٤٦٩م.

ابن تومرت، المهدي، ٤٧٤-٥٢٤هـ / ١٠٨٠-١١٣٠م، مؤسس حركة دينية بُثرت بعقيدتها، وانتشرت بغزو السلاح في المغرب، وأدّت إلى تأسيس سلالة من «أتباع الوحدة الإلهية»، الموحدين، على يدي خليفة عبد المؤمن.

ينتمي ابن تومرت بأصله إلى البربر. ولد في جماعة قبلية من مصمودة، في منطقة الأطلس الداخلية ورحل في طلب العلم حتى قرطبة والاسكندرية وسكّنة، ثمّ بنغازي، وأقام في المشرق حيث درس على عدد من الأساتذة. رويت عنه نوادر، معظمها خرافي، جعلته يلتقي الغزالي، أهمّ مفكر في الإسلام في ذلك العصر. وفي طريق عودته إلى بلاده حوالي سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م، ومنذ وصوله إلى إفريقية، بدأ بإعلان أفكاره الخاصة في العقيدة الدينية والسياسة، جاذباً إليه كثيراً من المستمعين الذين قدّروا علمه وطريقته في اتباعه الدقيق للفرائض الدينية. في هذه المرحلة، التقى البيهقي الذي دوّن مذكرات يُشكّك في صحتها، كما التقى عبد المؤمن الذي أصبح خليفته. أحاط به أتباعه المؤمنون بعقيدته، فأثار اضطرابات في أماكن مختلفة، ثمّ تحوّل إلى التمرد العلني ضد المرابطين، في جنوب المغرب، معلناً وشوك مجيء المهدي. وبنيجة دعوته، أقرّه به أتباعه بأنّه هو المهدي، وذلك سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م.

عندذاك، طرد من جماعته كل الذين لم يلتزموا حركته، معتمداً على المساعدة الناشطة التي قدّمها له «الصحابية العشرة»، واختار موقع يُشمال الجبل الذي كان يشرف منه على منطقة الأني-أطلس والسوس، واعتبر ذلك الموضوع مكان «هجرته» سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م. ثمّ عمد إلى تقوية دولته الثورية القائمة على ترابنية طرفية، فهي تضمّ مجلساً من عشرة دعاة، وجمعية من خمسين مبشراً اختارهم تبعاً لاندفاعهم. وأخيراً باشر بسلسلة من الحملات الحربية حقّقت له انتصارات كثيرة، لكنّه مُني في المقابل بهزيمة عندما حاول اجتياح مراکش، وعقب ذلك بعبء أشهر، وافته

كانت تساند المذهب الشافعي وتدافع عن الأشعرية. سُجِن ابن تيمية في قلعة دمشق لبضعة أشهر، سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، ومرة أخرى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، بسبب مؤلفه الذي يحرم فيه تكريم الأولياء، وتابع كتابته «الفتاوى» إلى أن مُنِع عنه ورق الكتابة، والريشة والكتب، وذلك خمسة أشهر قبل وفاته. وكانت جنازته شاهداً على ما كسبه من الشعبية الكبرى في منطقته، التي جعلت قبره موضع تكريم ومزاراً.

على الرغم من الاضطهاد المستمر الذي تعرّض له، ساند ابن تيمية السلطة الحاكمة مراراً متعددة، ولا سيما بالحث على الجهاد بين ٦٩٨ و٧٠٢هـ/١٢٩٩ و١٣٠٣م. وكان مستشاراً للسلطان المملوكي محمد بن قلاوون في القاهرة بين ٧٠٩ و٧١٣هـ/١٣١٠ و١٣١٣م. إن أفكاره التي انتشرت في أوساط مختلفة، استمر تأثيرها الشديد في أواخر عهد المماليك وخلال العهد العثماني، إلى حد جعل محمدًا بن عبد الوهاب، مؤسس الحركة الوهابية، يبنّي معظّمها.

إبن جُبَيْر، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكنتاني، ٥٤٠-٦١٤هـ/١١٤٥-١٢١٧م، وحنّالة وأديب أندلسي اكتب شهرة بالرواية التي دونها عن حجه إلى الشرق، وهي تتشكّل وثيقة متميزة عن الحياة في المناطق التي اجتازها. ولد ابن جُبَيْر في بلنسية حيث حصل ثقافة تقليدية جيدة، دينية وأدبية، واستكثبت لدى حاكم غرناطة، وكان قد نال حظاً من الشهرة بصفته شاعراً، عندما قرّر، سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، الذهاب إلى مكة. قصد في بادئ الأمر سبتة، ومنها أبحر إلى الإسكندرية على مركب جنوي توفّق في سردينيا وصقلية وكريت. ومن مصر التي عبرها ليلجأ الحجاز عن طريق عيذاب والبحر الأحمر، وصل إلى المدينة المقدسة وأقام فيها تسعة أشهر، ثم قصد العراق وما بين النهرين، ماژا بالكوفة وبغداد والموصل، قبل أن يبلغ حلب ودمشق في سوريا، ثم عكاً في فلسطين، ومنها أبحر مجدداً، سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، على مركب جنوي. وبعد غرق المركب، اضطرّ إلى عبور صقلية النورمانية، ووصل إلى قرطاجنة في ذي الحجة ٥٨٠هـ/آذار ١١٨٥م. قام برحلة ثانية إلى الشرق، بين سنتي ٥٨٥ و٥٨٧هـ/

مرتبة وسطى بين التناقضات المتطوّفة. وعلى الصعيد الفقهي، أفسح في المجال للرأي باعتدال القياس رافضاً مبدأ «المصلحة العامة» الذي يصعب جداً تطبيقه، وكان يرفض إقفال باب الاجتهاد.

لكن فكره، على الصعيد السياسي، أشدّ أمّالة. لقد أعلن شرعية الخلفاء الأربعة الراشدين، بدون أن ينحاز إلى عثمان أو علي، ولم يدافع، مثل بعض المؤرّفين السابقين، عن ضرورة وجود خلافة موحّدة. وعلى عكس ذلك، أقرّ بأن الجماعة الإسلامية أصبحت اتحاد دول، وفي كل منها يتوجّب على صاحب السلطة أن يفرض الشريعة، ولكنّ فرد حقّ إسداله النصح له. إن دراسته المتطوّلة للحق العام، تستند إلى الآية الآتية:

﴿الْيُسْرَاءُ لِلَّهِ وَالْيُسْرَاءُ لِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ النَّسَاءِ﴾ (الفران، سورة النساء، الآية ٥٩)، ويشدّد على واجبات الحكام ومساعديهم الأخلاقية، أكثر ممّا يشدّد على طبيعة وظائفهم. فضلاً عن ذلك، اهتم ابن تيمية «بالأخلاق الاقتصادية»، داعياً إلى التعاون والتعاقد وإلى وضع حدود دقيقة للصراف على الأسعار التي كانت تطفّئ في زمانه.

كان ابن تيمية معتدلاً في مواقفه، لكنّه متشدّد في بعض المجالات، فاصطدم، جرّاه ذلك، مرّات متعددة، بمعارضة معاصره. فقد عانى السجن، للمرّة الأولى، في دمشق، سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م، بسبب التشدّد في موقفه من مسيحي أنّهم يشتم الرسول. وأنّهم لاحقاً بالقول بعقيدة التجسيم، فرفض المثل أمام قاضي حنفي معلناً عدم صلاحيته في هذا المجال. وفي سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٦م، بناء على شكوى القاضي الشافعي في دمشق، استدعي إلى القاهرة، ومثل أمام مجلس يضمّ الأربعة الذين يتولّون منصب «قاضي القضاة» في العاصمة. وأنّهم مرّة أخرى بعقيدة التجسيم، فسجن لمدّة سنة ونصف السنة، ولوحق نتيجة لحملاته المتواصلة على بعض النظريات الصوفية التي وصفها بأنّها «بدع» تستحقّ التنديد بها، كتفريّات ابن العربي.

إنباده من سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، قام ابن تيمية في دمشق بدور رئيسي لمذهب مرموق، مع أنّه كان ما يزال عرضة لاتهامات توجهت إليه من حاشية السلطان، ولكرامية أسرة دمشقية نافذة هي عائلة السبكي، التي

المستقيم الذين صلبوا أنفسهم في خط صحابة النبي محمد (ﷺ) - وتراجم مدحة عائدة الى بعض الشخصيات الكبرى في تاريخ الإسلام، كما وضع نقداً لكل المذاهب التي يراها منحرفة أسماء «تلبس إبليس»، أي حيك الشيطان.

ابن حَجَر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، ٧٧٣-٨٥٢هـ/١٣٧٢-١٤٤٩م، محدث من مصر خلال عهد المماليك. نال في زمانه شهرة واسعة ومتنامية، سواء في مجال العلوم الدينية أو في التاريخ.

كان أستاذ الحديث إيتاء من سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م في القاهرة حيث استقرت أسرته، بعد انتقالها من عسقلان إلى الإسكندرية. قام ابن حجر بمهمات المفتي والخطيب في المسجدين الجامعين الأساسيين في العاصمة، وحافظ مكتبة وكبير القضاة. كان كل ذلك عملاً عادياً لرجل يمثل البورجوازية التجارية الغنية، استطاع أن يحصل ثقافة جيدة في مذهبه الشافعي. وكان محظاً إعجاب بمؤلفاته الموسوعية التي لقيت شهرة في زمانه، من آسيا الوسطى التيمورية حتى تونس في عهد بني حفص. فقد ألف عدداً وفيراً من الكتب، والحواليات ومعاجم التراجم. ومع أن طابع التجميع هو الغالب عليها، فإن قيمتها تكمن في دقتها، وهي ما تزال إلى اليوم مصادر تاريخية بالغة الدقة، تتناول العصور الإسلامية، كما العصر الذي عاش فيه مؤلفها.

ابن حَزْم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ٣٨٤-٤٥٦هـ/٩٩٤-١٠٦٤م، شاعر ومفكر وفقه ومؤرخ أندلسي دافع عن تعاليم الطاهرية، لكنه تميز كذلك بمواقفه الأدبية.

في حقبة هي الأشد ظلمة في تاريخ تلك المنطقة، استطاع ابن حزم أن ينجو من الصعاب المحيطة به بتكريس نفسه للتبحر في العلوم وفي وضع المؤلفات التي أكسبته شهرة واسعة، في مرحلة لاحقة. ولد بقرطبة في أسرة أرستقراطية، فهو ابن وزير أمير الجيش وعمدة البلاط المنصور بن أبي عامر المعروف بالأسبانية Almanzor، وهذا ما حقق له تربية تقليدية

١١٨٩-١١٩١م، ثم سافر إلى الإسكندرية سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م حيث انصرف إلى التعليم. وهناك توفي بعد وصوله بضعة أشهر.

ليست رحلة ابن جبير، التي كتبها عن حجته وعن الطرق البعيدة التي سلكها للوصول إلى مكة والرجوع منها، أول رحلة من هذا النوع كتبها مؤلف عربي فحسب، بل هي نص ذو قيمة أدبية كبرى، أظهر فيه الكاتب، في آن معاً، وضوحاً في الملاحظة ودقة في معرفة النفس الإنسانية. نجد في الرحلة أوصافاً معمارية تفصيلية كما نجد فيها أخباراً عن الحياة اليومية، هذا من دون أن تُغفل تلميحه إلى الأحداث المعيزة التي طبعت مساره الطويل.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ٥١٠-٥٩٧هـ/١١١٦-١٢٠٠م. مؤرخ وعلامة حنبلي، وخاصة فقيه ومحدث، عمل مدرساً ناجحاً، وواعظاً وخطيباً في بغداد في أواخر العهد السلجوقي. كُلف ابن الجوزي، بنوع خاص، بين سنة ٥٦٦ و٥٧٤هـ/١١٧٩ و١١٧٩م، الدفاع عن السنة في مواجهة جميع الذين يسبون إلى شرف الصحابة، أي في مواجهة معتنقي التشيع. فقد اكتسب، خلال حياته، تربية تقليدية صلبة، وأفاد من مساندة خلفاء عدة من السلالة العباسية أرادوا أن يستعيدوا مجدهم السياسي-الديني. هؤلاء الخلفاء، من المكثفي إلى الناصر لدين الله، منحوه، في العاصمة، سلطة تفتيش حقيقية، وفي الوقت نفسه إدارة مدارس عدة. وقد استخدم هذه السلطة لتمييز المذهب الحنبلي على حساب المذاهب الأخرى. هذا الموقف سبب له، في أواخر حياته، التوقيف والنفي إلى واسط لمدة خمس سنوات (٥٩٠-٥٩٥هـ/١١٩٤-١١٩٩م). توفي، بعد رجوعه إلى بغداد بوقت قصير، وقد استمر طوال حياته، سواء بمؤلفاته أو بنشاطه، شديد التأثير في معتقدات المذهب الحنبلي، ويمكن اعتباره في ذلك العصر أحد أبرز مثقليه.

إن نتاجه الوافر يتضمن أكثر من مئتي كتاب، نذكر منها بنوع خاص حوالة قيمة في تاريخ الخلافة عنوانها «المنتظم»، ومعجماً للأولياء عنوانه «صفة الصفوة» - هدف من خلاله إلى الدفاع عن أصحاب التصوف

المحلية الإستقلالية واستطاع، على مدى عشرات السنين، أن يقام سلطة أمويي الغرب.

يتحدر ابن حفصون من سلالة أحد أسباط القوط الغربيين الذي اعتنق الإسلام، والذي كان حفيده حفص قد عاش في منطقة رندة من جنوب إسبانيا، حوالي منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. اضطر ابن حفصون للهجرة إلى المغرب، وعاد سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م ليسفر في أراضيه، وجمع حوله في قلعة بوباسترو، وهو معقل جبلي حصين نهجل حالاً موقعه بالضبط، عدداً من أنبائه، وبسط سلطته باتجاه غرناطة ومالقة والجزيرة، وانتصر على ممثلي الأمير الأموي الذي اضطر إلى توجيه حملة عسكرية ضده. بعد أن أرغم على الخضوع شخصياً للأمير في قرطبة سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م، إستمع، في السنة اللاحقة، ملكة قلعة، ونظم ثورة حقيقية تضم جميع الرافضين للحكم الأموي من المسيحيين ومعتنقي الإسلام. وأفاد من عدم استقرار السلطة في العاصمة لتوسع نفوذه. وعلى الرغم من الحملات التي شنها عليه الأمير الجديد عبدالله، فإن اندفاعه أدى به إلى الارتداد عن الإسلام متخذاً اسم صموئيل، وصار الوضع يحتاج إلى حزم عبد الرحمن الثالث، الخليفة في ما بعد، الذي تزوّج العرش في قرطبة سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، ليعمد إلى أعمال نظرون أدت إلى القضاء على حركة التمرد التي امتدت إلى مناطق واسعة. توفي ابن حفصون، بعد أن تقدّم في السن، سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م، وأولاده الذين استمروا في المقاومة قضى على تمردهم تدريجياً، وانتهت حركتهم سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م بالاستيلاء نهائياً على بوباسترو.

ابن حَمْدِيس، عبد الجبار أبو محمد بن أبي بكر الأزدي، ٤٤٧-٥٢٧هـ/ ١٠٥٥-١١٣٣م، شاعر عربي من صقلية الإسلامية، ترك نتاجاً وافراً من الشعر المنظوم للبلات، ويعكس نتاجه تاريخ عصره المضطرب. بأسلوبه المتكثف، المتأثر ربّما بالبيئة الشعرية في الأندلس، تُثني ابن حمديس خاصة بيلاده، ورثى أحوالها مع استيلاء النورمان عليها. وقد اختار مغادرته سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م، فاستقبله بنو عبّاد في بلاطهم في إشبيلية حيث أقام حتى اجتاحتها المرابطون سنة ٤٨٤/

كاملة. شهد منذ فتوّته الاضطرابات التي رافقت انحطاط خلافة الأمويين في الغرب. وبعد وفاة أبيه ونهب العاصمة سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م، بحث عن ملجأ في أسكنة عدة، منها ألمرية وشاطبة (Jativa)، مع ربط مصيره بمصير الأميين عبد الرحمن الرابع والخامس اللذين اتخذاه، الواحد بعد الآخر، وزيراً. لقد دفعه اغتيال عبد الرحمن الخامس سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م إلى خيار التخلي النسبي عن السياسة، لكنه اتخذ مجدداً مواقف سياسية، في مواجهة بني عبّاد، مثلاً، جرّت عليه تصرفات عدائية مختلفة حتى وفاته، في نهاية غامضة لحياته.

عُرف ابن حزم خاصة بمؤلف كتبه في شبابه، عنوانه «طوق الحمامة»، وهو مجموعة نوازل تتناول مظاهر الحب وعلاماته. هذا الكتاب القريد في الأدب العربي، سواء من حيث التحليل النفسي أو الإشارات الكثيرة إلى الحياة الاجتماعية في الأندلس، يستند إلى تحديد أفلاطوني للحب غالباً ما شُبه بمفهوم غيلوم الأكيثاني. ومهما يكن الأمر، فإن الملفت المتعلق بتأثير محتفل للتقاليد العربية في الشعر الغزلي الأوروبي، ما يزال معقداً، ويصعب طرحه عملياً.

وابن حزم هو كذلك مؤلف دراسة فقهية يظهر من خلالها أشهر ممثل للمذهب الظاهري، منتقداً في هذه المناسبة كلّ المذاهب الأخرى، بما في ذلك المذهب الشافعي الذي يُعطي، بحسب رايه، مكانة مبالغ فيها للمنطق، وبلجاً إلى مبدأ القياس الذي يراه حرباً بالإدانة والرفض. كما ألف أيضاً كتاباً مهماً في الديانات والمفائد، هو كتاب «الفضل في الملل والأهواء والنحل»، وهو أول كتاب تناول، لا الحركات الفكرية داخل الإسلام فحسب، أسوة بسواء من الكتب، بل كذلك الحركات التي نمت خارج الإسلام؛ وانتقد المذهب الأشعرطي باسم التّيار الظاهري وآرائه العقائدية، وأكّد، في هذا الكتاب، أفضلية الإسلام على سائر الديانات السماوية التي يبدو أنّه كان على معرفة جيدة بها.

ابن حفصون، عمر بن حفص (أو حفصون مع «ون» الملحقه بالاسم في الاسبانية) بن عمر بن جعفر، ؟- ٣٠٦هـ/ ٩١٨-٩١٨م، ناثر في الأندلس، جسّد المقاومة

الأندلس الإسلامية، «المقتبس» و«المعتن». وهذا الأخير أعيد تكوينه، في عصرنا، انطلاقاً من الاستشهادات، وهو يُظهر فيه ولاءه المطلق للسلاطة الأموية الحاكمة التي كانت، حتى ذلك الوقت، قد هيمنت على تاريخ البلاد.

ابن خُرَدَّاذِبَه أو ابن خُرَدَّاذِبَه، أبو القاسم عبيدالله (٢٠٥-٢٧٢ أو ٢٣٠٠هـ/ ٨٢٠ - ٨٨٥ أو ٩١٢ م، جغرافي من العصر العباسي الذهبي. وقد يكون مؤسس هذا العلم في المجتمع الإسلامي الوسيط.

ابن خرداذبه فارسي الأصل، اعتنق جدّه الإسلام على عهد الخليفة هارون الرشيد وفي أجواء أسرة الوزراء البرامكة. عُيِّن والده والياً على طبرستان، في خلافة المأمون. يُقال إنّه ولد في خراسان ونشأ في بغداد، عُيِّن رئيساً لديوان البريد في غربي إيران، ثم تولى شؤون هذا الديوان في بغداد، ثم في سامراء على عهد المعتصم وصار ندمه. كتاباته المتنوعة كانت مستوحاة من ذوقه الأدبي والفني المرمف، حصيلة حياته اللاهية في البلاط، وكذلك من نشاطاته المهنية ومعارفه التاريخية. وعلى أي حال، فإن «كتاب المسالك والممالك»، الذي أوحته إليه خبرته المرتبطة بطُرق البريد، كما بالطرق التي كانت تسلكها القوافل في زمانه، هذا الكتاب حفظ مجد مؤلفه للأجيال اللاحقة، وما زال يُعدّ في طليعة المؤلفات الجغرافية الإسلامية.

ابن الحَصب، أبو بكر الحسن، أو باللاتينية ألبواثير، Albubather، وفي استعمال أقلّ ألقاسم فيليوس الكاريت Alkasim filius Alkarit. عاش ابن الحَصب في أواخر القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد وأوائل الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، في كنف البرامكة، وقد حاز إعجاب رعاياه، لعلمه بالغيب وتكهّنه التي تناهت إليه من تغاليد قديمة تسرّت إلى بعض الجوانب الباطنية في الحضارة الإسلامية القروسطية. خلف وراءه مؤلفات كثيرة، بينها رسالة في النجوم بعنوان المُغني في المواليذ التي أصبحت، بعد ترجمتها [إلى اللاتينية] بعنوان دو ناتيفيتاليوس De nativitalibus، كتاباً كلاسيكياً متداولاً في الأدبيات السُحرية الأوروبية في

١٠٩١م، وهو التاريخ الذي انتقل فيه إلى المغرب، فأقام في أمكنة عدّة، منها المهديّة عند الزيريين، وبجاية عند الحفّاذيين، قبل أن يؤم مايورقة في جزر الباليار حيث يرجّح أنّه توفي.

ابن حنبل ← أحمد بن حنبل.

ابن الحنفية ← محمد بن الحنفية.

ابن حَوْقَل، أبو القاسم محمد بن علي النَصّيب، نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، رحالة وجغرافي، وضع باللغة العربية وصفاً لبلاد الإسلام، مستنداً في معظمه إلى مشاهداته الخاصة، في كتاب بعنوان «صورة الأرض».

لا تعرف عن ابن حوقل إلا أن أصله من نصيبين في منطقة ما بين النهرين العليا، وأنّه بدأ، منذ سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م، سلسلة من الرحلات قادته إلى المغرب والأندلس ومصر، ثم إلى أرمينيا وأذربيجان والعراق وإيران وما وراء النهر، وأخيراً إلى صقلية حيث كان سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م. وعني كتابه، الذي هو استعادة لمؤلف سلفه الاصطخري، بعرض منهجيّ لمناطق متعدّدة تمتّ أسلمتها، مرّكزاً اهتمامه على طرق القوافل، وعلى الإنتاج المحلي الذي يؤدي إلى نشاط تجاري، وعلى المدن نفسها. فضلاً عن ذلك، يتضمن ملاحظات متنوعة عن الأتراك والخزر، والسودان وبلاد النوبة، وهي تقع خارج الإطار المحدّد لكتابه. كان ابن حوقل، بلا ريب، تاجراً يهتمّ بالمسائل الاقتصادية، وربما داعياً مبشراً ملتزماً بالدعوة الإسماعيلية. وقد أظهر في كتاباته ميوله المؤيِّدة للنظام الفاطمي. لكتابه صيغ عدّة ربّما كان آخرها تلك التي وُضعت سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م.

ابن حَيَّان، أبو مروان حيّان بن خلف بن الحسين القرطبي، ٣٧٧-٤٦٩هـ/٩٨٧-١٠٧٦م، علامة ومؤرخ، صبّ كل جهوده في جمع المعلومات لإعادة كتابة تاريخ الأندلس حيث وُلد، وألّف عملاً أصيلاً للتحفة التي عاش فيها.

كان ابن حيّان ابن مؤلف في الدولة الأموية في قرطبة، وعمل كاتباً في الديوان على عهد ملوك الطوائف. من مؤلفاته كتابان مهمان يتناولان تاريخ

الذي جعل شيراز عاصمته المفضلة.

يُعد ابن خفيف، الذي عاش ومات في مدينة شيراز، مؤسس مذهب صوفي يصعب تحديد مبادئه بدقة، لأن مؤلفات ابن خفيف قد فقدت. لكننا نعرف، بوجه خاص، أنه جعل الفقر شرطاً أساسياً لحياة القداسة. أحدث تعليمه الذي نشر بعض الأفكار التي سبق أن طرحها الحلاج، تأثيراً استمر في الحياة الصوفية في إقليم فارس، حتى الاجتياح المغولي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

إبن خلدون، ولقي الذين عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣٢-١٤٠٦م)، مؤرخ وعالم اجتماع من أصل مغربي، أمضى أواخر حياته في بلاد الشرق، وترك مؤلفات تناولتها لاحقاً تفسيرات متنوعة، جعلته يُعد، اليوم، مفكراً مبتكراً.

ولد ابن خلدون في تونس، من أسرة تنسب إلى حضرموت، وكانت قد استقرت في مدينة اشبيلية منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي. ثم في مرحلة متأخرة، غادرت الأندلس للإقامة في سبته، ثم انتقلت إلى تونس. خدم أجداده الأمراء الحفصيين في إفريقية، أما والده فاختار أن ينصرف إلى دراسة الفقه والآداب. تلقى ابن خلدون تربية تقليدية متينة في مسقط رأسه، وكان قد استقر في هذه المدينة علماء تربوا في محيط المربيين. وعندما قضى الطاعون الأسود على والده، وكان حينذاك في السابعة عشرة من عمره، غادر تونس إلى مدينة فاس، أبرز المراكز الفكرية في المغرب حينذاك. حصل على وظيفة في الإدارة، في نهاية سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م، وأصبح، بعد أحداث متضلة، أحد أفراد حاشية السلطان أبي عنان، إلى أن أُلقي في السجن سنة ١٣٥٧م حيث بقي سنتين. وبعد أن أصبح كاتباً في إدارة السلطان الجديد، وقع، مرة أخرى، ضحية دسائس مختلفة، فلجأ سنة ١٣٦٢م إلى أحد أمراء بني نصر في إمارة غرناطة.

بعد ثلاث سنوات، أقام لمدة قصيرة في بلاط بجاية حيث تولى منصب حاجب، وكان ذلك آخر عهده بالعمل الإداري الذي مارسه بكل جدارة. منذ ذلك الوقت، قوّد شغفي من غرور المناصب، كما عبّر عن ذلك بنفسه. قرّر الانكباب

أواخر القرون الوسطى، طبع في البندقية في عامي ١٤٩٢ و١٥٠١، في مجلد واحد، مع كتاب «ستيلوكيوم» Centiloquium المنسوب إلى هرمس تريميجيست (Hermès Trimegiste).

إبن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السُّلماني، ٧١٣-٨٧٦هـ/١٣١٣-١٣٧٥م، حاجب ووزير ومؤرخ بني نصر (النصريون)، كان في الوقت نفسه مثقفاً متمكناً من العلوم الدينية، وترك مؤلفات كثيرة متعددة الموضوعات.

ولد قرب مدينة غرناطة في عائلة عربية يمنية، ودخل كآبئه في خدمة النصريين، وتبوأ مناصب إدارية مهمة حوّلته لتسلم مسؤولية الديوان، ولُقّب بذي الوزارتين. في هذه المملكة الصغيرة، المملكة الأخيرة في الأندلس، ذات الحضارة المرفهة، كان ابن الخطيب عرضاً لدسائس متنوعة، لا سيما بعد ٨٧٦هـ/١٣٥٩م، سنة سقوط محمد الخامس عن العرش. فغنى نفسه، لبضع سنوات، إلى المغرب، إلى مدينة سلا، ثم عاد إلى غرناطة التي اضطر لمغادرتها إلى سبته وتلسمان حيث حظي برعاية المربيين. ووقع، من جديد، ضحية دسائس البلاط، وأتهمه أصحابه الغرناطيون بالزندقة، فألقي القبض عليه وسُجن، ثم حُكم عليه بالموت أواخر سنة ٨٧٦هـ/١٣٧٥م.

بفضل اهتماماته المتعددة وتمرسه بأعمال الحجابة، اشتهر ابن الخطيب بثقافته الموسوعية ويكونه كاتباً مبتكراً بأناقة أسلوبه المتكثف. وفضلاً عن أشعاره، كتب رسائل رسمية (ديوانية)، ودراسات في الطب، وتناول موضوعات التصوّف والفلسفة، ولكننا ندين له بشكل خاص بمؤلفاته التاريخية الثمينة لمعرفة القرنين السابع والثامن للهجرة/الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، أبرزها «الإحاطة في تاريخ غرناطة»، وهو دراسة تتناول غرناطة ووصفها وتراجم لأعلامها، وكذلك أعمال الأعلام، وهو دراسة في تاريخ الإسلام، غير مكتملة.

إبن خفيف، أبو عبدالله محمد الشيرازي، المعروف أيضاً بالشيخ الكبير أو الشيخ الشيرازي (٣٧١هـ-٩هـ-٩٨٢م)، شيخ صوفي إيراني من شيراز، قام بدور سياسي لدى أبرز ممثل لسلالة البويهيين، عضد الدولة

سيما للعصية، أو «روح العشيرة أو الولاء»، وبدون هذا الشعور لا يمكن، في رأيه، أن تدوم الدولة. وفي الواقع، فإن ابن خلدون المتمرس بالمدارس الفقهية التقليدية، والمتحيز من الفلسفة التي رفض مزاعمها، طمّن بنفسه المناهج المنطقية التي تمثلها جيدا، على دراسة الأحداث الاجتماعية. ولكنه، على ما يبدو، لم يشأ أن يذهب بعيدا في نظرياته، ولا يمكن إلا أن أسف القارئ الحديث لأن ابن خلدون لم يطبق في تاريخه العام المبادئ الاجتماعية التي حددها بدقة في «مقدمته».

إبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي الشافعي. ٦٠٨-١٢٨١هـ/ ١٢١١-١٢٨١م، فقيه وعالم شافعي من عهد الأيوبيين والمماليك، ألف معجم تراجم أكسبه الشهرة، في مجال التاريخ، لمدة طويلة.

فقد ابن خلكان أباه وهو في الثانية من عمره، وكان الأب معلما في المدرسة التي أسسها في إربل، في أعالي بلاد ما بين النهرين، الأمير غوكوري. ولد ابن خلكان في هذه المدينة وتلقى ثقافة تقليدية، ثم انتقل إلى حلب فدمشق فمصر، حيث عمل ماعداً لقاضي القضاة سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٩م، ثم عُيّن قاضي قضاة دمشق بين سنتي ٦٥٩ و٦٦٩هـ/ ١٢٦١ و١٢٧١م. عرف ابن خلكان صعوبات جمة بسبب الدسائس التي شهدتها عصره، ما أدّى إلى عزله مرّات متعدّدة حتّى وفاته في دمشق، في رجب ٦٨١هـ/ تشرين الأول ١٢٨٢م.

إن المؤلف الذي ثابر في سبيل إنجازهِ، على الرغم من كل الصعاب، بين ٦٥٤ و٦٧٢هـ/ ١٢٦١ و١٢٧٤م، والذي أخذ شكل معجم مشاهير الرجال، كتاب تسهل مراجعته وعنوانه «وفيات الأعيان»، ما يزال منجم معلومات في ما يتعلق بالشخصيات المهمة في الإسلام، لا سيما التي عاصرت المؤلف.

إبن داود، محمد بن علي الإصفهاني، ٩-٢٩٤هـ/ ٩-٩٠٧م، فقيه بغدادي عاش في العصر الذهبي للعباسيين، واعتُبر، لاهتمامه ببعض إشكاليات الحب، سواء البشري أو الصوفي، الممهّد لمفهوم المعلقة في الفنون الوسطى.

على الدراسة والتعليم، لكن ذلك لم يحلّ دون استمراره في التورط بمؤامرات سياسية أجبرته على النشّط والإقامة في أمكنة متعدّدة. ففي سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م، نجده في تلمسان، وبعد مدة يسيرة في قصر ابن سلامة قرب تلك المدينة، حيث أقام أربع سنوات أمضاها في تأليف «المقدمة». ومز بتونس، متجهاً إلى مصر التي كانت خاضعة للمماليك، فتعاظم في القاهرة التدريس وعيّن في منصب كبير القضاة للمذهب المالكي. عزّل من هذا المنصب مرّات عدّة، وأعيد مرّات، واضطرّ إلى اللّحاق بالسلطان الناصر في دمشق التي كان يهددها تيمورلنك بالاجتياح. استمرّ في العاصمة السورية بعد فرار السلطان الناصر، وقام بمفاوضات مع الغزاة، لكن ذلك لم يحلّ دون أن يقوم هؤلاء بنهب المدينة عندما سقطت في أيديهم. بعد ذلك عاد ابن خلدون إلى القاهرة، وشغل من جديد، في أوقات متقطعة، منصب كبير القضاة، إلى أن توفي في شهر رمضان ٨٠٨هـ/ آذار ١٤٠٦م.

إن حياة ابن خلدون المضطربة تنبئ لنا الإدراك أنّ هذا الرجل المثقّف والفقيه كان عميق المعرفة بالمشكلات السياسية. وشهرته على أنّه مفكّر مبتكر تعود إلى حصيلة تجاربه في ذلك المضمار، وقد بسطها في أحد مؤلفاته التأملية. وفي الواقع، فإنّ نتاجه المكتوب يتشكّل أساساً من تاريخه العالمي الضخم، المفيد خاصة لمعرفة تاريخ المغرب، خلال القرنين اللذين سبقا عصر المؤلف. هذا فضلاً عن سيرته الذاتية المسماة «التعريف»، وعن بعض آثاره الصغيرة التي لم يصلنا إلا قسم منها. إنّ كتابه في التاريخ، الذي مهّد له بمقدمة نظرية يهدف من خلالها إلى تبسيط فهم التاريخ، لا يزال يحظى باهتمام كبير. ففي مقدمته يعرض ابن خلدون قواعد جديدة لما عُرف لاحقاً بعلم الحضارات أو «علم العمران» بشكليه الريفي والمدني.

هذا العلم يقدم تفسيراً لنشوء الدول وازدهارها وانحطاطها، بدراسة عدد من الظواهر، بعضها اقتصادي أو اجتماعي، وبعضها الآخر نفسي. وقد لاقي هذا العلم لدى المؤرّخين الحديثين قبولاً متعدّد الوجوه، فرأى فيه بعضهم تأسيساً لنظرية المادية التاريخية، وهذا تأويل لا يُراعي المكانة التي يعطيها المؤلف للوقائع النفسية، لا

بفكره. ولم يكن له، في المقابل، التأثير نفسه في العالم الإسلامي. إلّا أنّ أبناء السلالة الموحدية عرفوا قدره، فأثّر لوه بينهم مكرّمًا فاستطاع، بفضل ذلك وعبر فكره الفضولي، أن ينصرف إلى علم الفلك، ودراسة الفلسفة الهلنستية. ومن حيث أنّه ينتمي إلى وسط إسلامي تقليديّ فقد اختبر تعاليم هذا الوسط، قبل أن ينصرف إلى أبحاث أكثر ابتكارًا، بمساعدة مرشدين تَمَرَس على أيديهم بالعلوم الدينية وبفلسفة العصور القديمة.

ولد ابن رشد في قرطبة لأسرة من الفضاة المالكيين. وتلقّى ثقافة كاملة في الفقه وفي دروس الحديث وعلم الكلام، قبل أن يتصدّى لعلوم الأوائل. ثم انتقل إلى المغرب ولقي ترحيبًا وحماية لدى الملك الموحدي أبي يعقوب يوسف. عيّن بعد ذلك قاضيًا في إشبيلية، ثمّ في قرطبة. وفي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، أصبح طبيبًا للملك في مراكش، مكان ابن طفيل، وكان قد تتلمذ من قبل على يده قبل أن يصبح صديقًا له. عاد بعد ذلك إلى قرطبة حيث مارس القضاء. وقد لقي الحماية نفسها لدى أبي يوسف يعقوب المنصور، إلّا أنّ المنصور تقم عليه بين سنتي ٥٩١ و٥٩٣هـ/١١٩٥-١١٩٧م لأسباب غير واضحة، كان لأعدائه في ذلك دور كبير. فأحرقت كتبه وحُرمَت تعاليمه من قبل مجموعة من فقهاء قرطبة. إلّا أنّ محنة ابن رشد لم تدم طويلًا، وسرعان ما رضي عنه أبو يوسف، وعندما كان قد أبعاد لفترة إلى أليسانا، قرب قرطبة، عاد إلى مراكش حيث توفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م، وأعيد جثمانه بعد ذلك إلى مسقط رأسه.

تنوّعت مؤلّفات ابن رشد وكثرت ولم تُدرَس بشكل واف. ولا نعرف بعض أعماله إلّا عن طريق الترجمات في اللغتين اللاتينية أو العبرية، نظرًا إلى النجاح الكبير الذي لقيته في الغرب، في حين أنّ الأصول العربية ضاعت في البلدان الإسلامية التي لم يكن لابن رشد فيها إلّا القليل من التلاميذ. ولأنّه لقي في هذه البلدان عداوة طالّت من قبل الأوساط الدينية المشدّدة.

تناولت بعض مؤلّفاته أسس القانون، كتّبتها «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» الذي يعرض فيه أسباب التباعد بين المدارس الفقهية؛ ومن مؤلّفاته ما يتناول

كان ابن داود ينتمي إلى المذهب الظاهري الذي أسسه أبوه داود الإصفهاني. وقامت شهرته، بوجه خاص، على مؤلّفه «كتاب الزهراء»، وهو ديوان شعر غزلي. في هذه المجموعة، التي يرفض فيها عواقب العاطفة الجامحة، حاول الدفاع عن أخلاقيّة في الحب مؤدّية إلى «أخلاق ملاطفة» عربية منفصلة عن الدين، وهي تتحلّر، من موضوع دافع عنه الشعراء القدامى من قبيلة بني عذرة وتُعرف بالحبّ العذري. إنّ مفهوم «شهيد الحب» لقي مقاومة صارمة، لا سيّما لدى فقهاء المذهب الحنبلي، لكنّ ذلك لم يمنع دخوله في تراث الثقافة الإسلامية بعد أن لقي رواجًا لدى نخبة من الفقهاء والعلماء واللغويين الذين اجتمعوا حول ابن داود. إنّ تأثيره في المرحلة اللاحقة، والذي استمرّ ربما في بعض الكتابات اللاتينية-المسيحية في القرون الوسطى، برز بشكل واضح في الأندلس، خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، لا سيّما في مؤلّفه وضعه ظاهريّ آخر هو إبن خُزم الفقيه والشاعر القرطبي المشهور.

إبن فُرَيْد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، ٢٢٢-٣٢١هـ/٩٣٣-١٠٣٧م، لغوي ولد بالبصرة، في أسرة غنيّة من عرب الجنوب، ساهمت دراساته المحمّدية في ازدهار الثقافة العربية-الإسلاميّة في عصر العبّاسيين الذهبي.

ينتمي ابن دريد إلى قبيلة الأزد القحطانية، وقد أقام في مناطق متفرّقة من البلاد الإسلامية، لا سيّما في عُمان، ثمّ في فارس وخراسان، مع أنّه مارس التعليم خصوصًا في بغداد. كوّن في عاصمة الخلافة عددًا كثيرًا من الأتباع، وتلقّى، حتى وفاته، مرتبًا خصّه به الخليفة العبّاسي المقتدر. مؤلّفه الأساسي هو معجمه الضخم المعروف بـ«الجمهرة».

إبن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي ٥٢٠-٥٩٥هـ/١١٢٦-١١٩٨م، فقيه وفيلسوف وعالم وطبيب وفلكي أندلسي.

ذاعت شهرة ابن رشد بشكل خاص بين أتباع الفلسفة المدرسيّة أو السكولانيّة (scolastiques) الأوروبيين الذين نهّلوا من أعماله المترجمة وتأثّروا

بعض الشيء، الفكر الرشدي، وفي الوقت عينه تأثر به تأثراً شديداً.

إبن رضوان، أبو الحسن علي بن رضوان المصري، ٣٨٨-٤٥٣هـ/٩٩٨-١٠٦١م، طبيب مشهور في مصر على عهد الفاطميين، ترك عدداً من المؤلفات العلمية. هذا المتعق في الطب القديم، الذي نقل إلى العربية من خلال كتاباته، فكر أبقراط وجالينوس، ولد بالقرب من القاهرة. أظهر باستمرار تفضيله للمعرفة المستقاة من الكتب، ولعلم التنجيم، ما أكسبه حماية الخليفة الفاطمي المستنصر، فاختاره رئيساً للأطباء في مصر. تجادل مع بعض العلماء كابن بطلان النصراني، لكنه كان بنوع خاص مجتهداً خالياً من الأصالة، أكثر منه مبدعاً، ومع ذلك فإنه ساهم في تطوير الطب العربي القروسي القائم على استعادة الميراث العلمي القديم.

إبن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جرجس، ٢٢١-٢٨٣هـ/٨٣٦-٨٩٦م، شاعر من العصر الذهبي للعباسيين، كان، بنوع خاص، مدافعاً متحمساً عن الشيعة ولا سيما عن الزيدية.

ابن مُتَّق روميّ اعتنق الإسلام (لذا عرف بابن الرومي)، وألم إيرانية، هذا الشاعر المجذّب، ذو النعاعات الشيعة المعارضة للنظام السياسي القائم، لم يحظ إلا مدة قصيرة برضا الخلفاء في العراق، وذلك على عهد الموفق، الوصي على العرش، الذي نهج سياسة متسامحة نحو العلويين، ما وقر له دعم سلطة الخلافة. إن نتاج ابن الرومي نموذج للمناخ السياسي-الديني السائد حينذاك في بغداد، تلك المدينة التي تنضارب فيها التيارات المختلفة والصراعات الحقيقية، وقد أمضى فيها تقريباً كل حياته، ووجد فيها حمةً ومشجعين متابعين، على الرغم من حدة أهاجيه.

إبن الرُّبَيْر، عبدالله بن الرُّبَيْر بن القوام، ٩-٧٧٣هـ/٦٩٢م، فرسي، مناصر للخليفة على عهد الأمويين. فبعد موت معاوية، شنّ حملات على السلالة الحاكمة رافضاً الاعتراف بسلطة يزيد الأول. كان عبدالله ابناً للرُّبَيْر الذي شارك في معركة الجمل، وحفيداً لأبي بكر لجهة أمّه. وقد سلطه في مكة حيث لم تبدأ الجيوش التي

لفيزياء، والطب، وخصوصاً علم الكلام والفلسفة. وفي هذا المجال الأخير له كتاب «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال»، وكتاب حول مناهج لأدلة المتعلقة بمقائد الدين، وكتاب «تهافت التهافت» فيه نقد لفلسفة الغزالي، وأخيراً شرح كتاب «علم ما وراء الطبيعة» لأرسطو.

أراد ابن رشد، كما تدلّ عناوين مصنفاته، أن يعرض بكر الفيلسوف الأغرقي كما هو في حقيقته، ذلك أنّ هذا الفكر كان مجهولاً حتى عصره من قبل مفكرين ستوحوا الفلسفة الأفلاطونية الجديدة عن طريق رجيمات مغلوطة ونسبوها إلى أرسطو، ولم يدركوا حقيقة الفكر الأرسطوطاليسي. ولهذا السبب دافع عن لفلسفة التي انتقدها الغزالي، لكنّها فلسفة كما فهمها هو، لا تعارض بينها وبين الوحي. لهذا يتساءل الباحثان لأوروبّيون المعاصرون عن التوجّه الديني الحقيقي حذّبه ابن رشد الفلسفي، إذ يعتبرون أن الكتاب للآتين في القرون الوسطى لم يحسنوا فهمه بدقّة.

ترنكز مكانة ابن رشد، في نظر مترجميه لأوروبّيين، على كونه ناقلاً للأفكار الأرسطوطاليسية شارحاً لها، وقد استعان بها لتوضيح فلسفته التي تقيت، في قلب الفكر الإسلامي، طرْحاً أصيلاً، ولكنه لم يفهم على حقيقته. ومن دون الدخول في تفاصيل رايه حول وجود الله، وهي مختلفة عن مفاهيم ابن سينا، نشير إلى أنّه يرفض فكرة كائن واجب بنفسه، يرى أنّ الله تعالى هو صانع الكون، وهو موجود في عالم الحسّ بسببه، كما أنّه يرفض المعرفة الصوفيّة. إن لم يكن ينكر خلود النفس ولا بعث الأجساد، فإنه هشّر أنّ هذه الحقائق لا تُدرك إلّا عن طريق الوحي. أمّا مفهومه لمسألة التوفيق بين الفلسفة والدين فيلطي فيه مع الفارابي، إذ يعتبر أنّ هناك طريقتين يؤدّيان إلى لحقيقة، طريق الفلسفة وطريق النبوة. وهذا الرأي يستبعد وجود حقيقتين، واحدة للعامة وأخرى للفقول لمستنبية، ولكنه يقول بوجود وجهين لحقيقة واحدة. أما ما سُمّي بالرُّشديّة اللاتينية، وهي الفلسفة القائمة على ازدواج الحقيقة، فلا تتطابق على فكر ابن رشد، بل على التفسير الغربي في القرون الوسطى الذي بدّل وشوّه

له، ولا سيّما عندما أعلن أنّ الله هو الحقيقة الوحيد للأشياء الموجودة (الموجودات). هاجر أولاً إلى المغرب مع تلاميذه وانتقل إلى سبتة. وقد سبّغه إليه شهرة واسعة، إلى حدّ أنّ الحاكم الموحدي دعا للإجابة عن الأسئلة الفلسفية التي طرحها الأباطرة فريديك الثاني على السلطان الحاكم من سلا! عبد الواد الرشيد. لكن، نتيجة للصعاب التي سبّبت له تعالييمه، اضطرّ إلى الهجرة من جديد، فأتبع نحو الشرق عن طريق بجاية، فتنس، فالقاهرة. ولم كل موضع كانت تواجه كراهية العلماء، إلى أن استق به المطاف في مكان آمن هو الحرم المكي، وعلى الرغم من ذلك، يبدو أنه مات منتحراً هناك.

كان شديد الإيمان بالفلسفة الأرسطية، ومتصوّراً سامي التفكير، مع ذلك رفض التوفيق بين الفلسفة الهلنستية التي يقول بها والعقيدة الإسلامية، وصنّفه ابن خلدون بين أنصار مذهب وحدة الوجود. ظلّ ابن سبيع طوال حياته عرضةً للشكوك وللأحكام الموجّهة إليه فعاش في عزلة عن معاصريه. ومع ذلك، كان له تلميذ مباشر ومخلص هو الصوفي الششتري (٦١٠-٦٦٨هـ) ١٢١٣-١٢١٩م).

إين السطري ← إين البواب.

إين سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد البصري المعروف أيضاً بـ «كاتب الواقي» ١٦٨-٢٣٠هـ/٧٨٤م، محدّث عراقي مارس نشاطه في رواية الحديث على العهد الذهبي للعاسيين، وخلف مادة تاريخه قدرتها حقّ قدرها الأجيال اللاحقة.

ولد في البصرة، وهو مولى الهاشميين الذين كانوا جدّه الأعلى من مُتَنَقِّهِمْ. بعد رحلات استقصاء عدّة استقرّ ابن سعد في بغداد حيث عمل كاتباً للوفاقي وكان في الوقت نفسه طالباً لعلم مع ابن الكلبلي. خضع للمحنة التي أجراها الخليفة المأمون واضطرّ إلى اعتناز عقيدة المعتزلة. ترك ابن سعد مؤلّفات أبرزها ٥ كتاب الطبقات الذي حقّق له الشهرة، من خلال نوفي المعلومات عن أكثر من أربعة آلاف شخص، هم نقلاً الحديث، منذ بداية الإسلام حتى عصر المؤلف. ينضمّر هذا المؤلفُ بنوع أساسي، فضلاً عن سيرة النبي محمد

أرسلها يزيد الأول ابن معاوية بالتدخل ضدّه إلا سنة ٦٤هـ/١٦٨م، بعد أن استعادت سلطتها على المدينة المنوّرة. وقد استغلّ عبدالله بن الزبير موت الخليفة الأموي، والفتن التي حصلت إثرّ ذلك، ليُحكم سيطرته، خلال ما يقرب من عشر سنوات، على المدينة المقدّسة. إنّ سحق حلفائه في سوريا على يد مروان الأول، مؤسس الفرع المرواني في السلالة الأموية الحاكمة، تبعته الحملة التي شتتها عليه الحجاج، هذا القائد العسكري المحكّ الذي أرسله الخليفة المرواني الثاني، عبد الملك، فحاصر مكّة، وهاجمها منتصراً، بعد أن انتصر في العراق على مصعب بن الزبير، وهو أخو عبدالله. إنّ مقتل عبدالله، في أثناء أحد الاشتباكات، وضع حدّاً لثورة التابعين (تابعي صحابة النبي محمّد ﷺ) الذين، باعتراضهم على التوارث في العمل السياسي الذي حقّقه معاوية، أرادوا استمرار العادة العربية القائمة على التنافس والنضال في سبيل الوصول إلى السلطة، وهو الطابع الذي اُتسم به موقف المسلمين الأوّلين.

إين زُهر، أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر (؟- ٥٥٧هـ/ ١١٦٦م)، طبيب أندلسي شهير، صديق لابن رشد. ولد في إشبيلية في أسرة عريقة من العلماء أصلهم من الجزيرة العربية، وكان والده وجده طبيبين مشهورين، وعُرِفَا أيضاً بتقافيهما الفقهيّة والأدبيّة. مارس ابن زُهر بنجاح مهنة والده ونقلها إلى ابنه. دخل في البه في خدمة المرابطين في المغرب الأقصى، ثم أصبح طبيب عبد المؤمن الموحدي، قبل أن يعود إلى إشبيلية، مستط رأسه، حيث توفي. وتجدر الإشارة إلى أنّ مؤلّفاته الطّبيّة لا تميّزُ بفرادة ملفنة، لكنّه كان طبيباً ماهراً في ممارسته.

إين سبعين، قطب الدين أبو محمد عبد الحقّ بن ابراهيم بن محمد المُتَمَكِّي الحُرسي، ٦١٤-٦٦٨هـ/ ١٢١٧-١٢٦٩م، من أنصار الفلسفة، متصوّف أندلسي الأصل، كان طوال حياته عرضة لهجمات عنيفة شتتها عليه الأوساط الفقهيّة. ولد ابن سبعين في مُرُسيه حيث تلقى ثقافة معمّقة متّسمة بالباطنيّة، فاضطرّ إلى مغادرة المدينة بسبب مواقفه العقائديّة، والالتزامات التي سبّبتها

للهجرة/الرابع عشر للميلاد - على مصقته الطبي المذكور. فقد بقي كتاب «القانون» في الطب أساساً لدى المؤلفين العرب حتى وقت متأخر، كما دُرِس في جامعات كبيرة غير إسلامية في أواخر القرون الوسطى.

يحوي إنتاج ابن سينا الفكري - بغض النظر عن كتاباته المتعددة التي تشهد على فضله العلمي الواسع والتي تُقدت جزئياً - خلاصات فلسفية تناول المنطق والطبيعات والماورائيات؛ كما تبرز نتائج التجارب العلمية التي قام بها، والاستنتاجات ذات الطابع الشخصي التي توصل إليها، لنتهي إلى ما يسميه ابن سينا نفسه «الفلسفة الشرقية». كما أن كتاباته الصوفية، إضافة إلى ذلك، تتوافق مع خياراته كإنسان أراد دائماً أن يوفق بين إيمانه الديني وشرحه لإرث فلسفي.

من أجل تأسيس نظرياته ذات الطابع الشمولي، استعاد ابن سينا، في الواقع، فلسفة الفارابي الميتافيزيقية المتعلقة بالجوهر، وكذلك التمييز بين الكائن الواجب والكائن الممكن، مع استيعابه مباشرة وتصرف أفكاراً أرسطوطاليسية مزوجة بأخرى من الأفلاطونية الجديدة. والأفكار الأخيرة وصلته منسوبة إلى أرسطو، بسبب خطأ في النقل والنسبة، وهذا الخطأ ألقى بثقله على تطور الفلسفة كلها. لقد تصوّر ابن سينا إذاً، انطلاقاً من هذا المنظور، نظاماً كونياً نسّبه حتمية دقيقة. واعتبر أن الخلق الإلهي هو فعل الفكر الإلهي الذي يعقل نفسه، وبذلك وُلد العقل الأول الذي، كما عند الفارابي، تولدت منه تسعة عقول متسلسلة آخرها العقل الفعال الذي هو مصدر كل معرفة. ونظرية العقل المتميز عن الله والمنفصل عن العقل البشري هي خاصة بالمدافعين عن الفلسفة الفزوسطية؛ إنها تُصيح في المجال أمام التوفيق الصوفي الذي عبر عنه ابن سينا في قصصه الرمزية المشهورة. نحن أمام أول صياغة للدعوة إلى الاستضاءة العقلية أو «الإشراق» التي طبعت الفلسفة الشرقية، والتي وجدت كمالها في مفاهيم مدرسة أصفهان خلال القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد. إننا نفهم، في المقابل، الحدود التي توقفت عندها تأثير تعاليم ابن سينا في الغرب المسيحي. فقد ساهم بدون شك، في تطوير معرفة حقيقية لأرسطو، لكن اكتُشف لاحقاً ما

نُفذت مفصلة عن الصحابة، ومعلومات أقل فصلاً عن أشخاص من المراحل اللاحقة.

بن سعود ← آل سعود.

بن سينا، أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا ٣٧٠-٤٤٢/هـ-٩٨٠-١٠٣٧م، طبيب وفيلسوف نال شهرة واسعة إلى حد أنه ما يزال اليوم يُعد من كبار مفكري لقرون الوسطى.

عمل مديراً ومستشاراً لدى عدد من أمراء إيران وآسيا الوسطى، فكان له دور سياسي لا بأس به. لكنه عُرف في العالم الإسلامي، وكذلك في الغرب المسيحي حيث تُرجمت بعض أعماله إلى اللغة اللاتينية منذ القرن لسادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، كعالِم معيّر، وُذّي بمعارف القدماء وشقّ بتعاليمه وأعماله طريقاً أمام طور مهنة الطب، وأمام التفكير الماورائي المبني على مهد منطقي حقيقي.

ولد ابن سينا قرب بخارى في بلاد ما وراء النهر، من بيت كان يعمل موثقاً في الدولة السامانية، وتلقّى باكراً ثقافة موسوعية تناولت الطب والعلوم الطبيعية والفلسفة والفقه وعلم الكلام. والشهرة التي عرفها في السابعة عشرة من عمره، إذ أبرأ أحد أمراء المنطقة من علته، دفعته إلى السفر إلى خراسان وجوارها، ثم راح يتجول في مدن متعددة، وبخاصة في جرجان قرب بحر قزوين. وحظي هناك برعاية الحكّام المحليين وبدأ بكتابة مصقته الطبي «القانون». وعاد بعد ذلك إلى التجول مجدداً، فانتقل إلى لري ثم إلى قزوين وأصفهان وهمدان حيث كُلف لبعض الوقت بأعمال الوزارة. لكن ذلك لم يمنعه من وضع بحثه لفلسفي «الشفاء» بمساعدة تلاميذه. سُجن ابن سينا وضع في سجنه رسالة «حي بن يقظان» وهي غير رسالة بن طفيل المسماة بهذا الاسم، وهي عبارة عن رواية ذات طابع صوفي. وأخيراً انتقل إلى أصفهان قبل أن يحتلها، سنة ٤٢١/هـ-١٠٣٠م، السلطان الفزنوي مسعود الأول، فيها توفي باكراً سنة ٤٤٨/هـ-١٠٣٧م.

يرتکز النتاج الكبير الذي تركه ابن سينا - وكان له تأثيره في أوروبا المسيحية على الأخص، ولا سيما في سبانيا وإيطاليا وجنوب فرنسا، حتى القرن الثامن

على الضمّة الأخرى من المضيق، ثم إلى بلاط أبي يعقوب يوسف نفسه الذي ألحقه بخدمته الخاصة، فنه خطوة لديه. وفي محيط بلاط مراكز تابع اهتماما العلمية - إذ كان مهتماً، إلى جانب الطب، بعلم الفلا - وألف أهم كتبه. استقطب علماء ناشئين مثل ابن رش الذي خلفه في مسؤولياته الرسمية سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢، وظلّ يتمتع بمكانته المرموقة إلى أن وافاه الأجل و. بلغ من الكثر عتياً.

ترتبط شهرة ابن طفيل المستمرة بروايته الفلسفة حتى ابن يقظان التي تُرجمت باللغتين العبرية واللاتينية فطارت بذلك شهرته في الغرب المسيحي الوسيط عرض في تلك الرواية نظرية المعرفة التي تُدر بالعقل، مبيّناً كيف أنّ رجلاً متوحّداً بلغ، في جزير خالية من السكان، بمجاهداته المنفردة وتدرجياً، جميع درجات المعرفة. وقد استوحى فكرة الرواية من إ. سينا. إلا أنّ تصوّره [لمعراج المعرفة] كان مبتكراً.

ابن طولون ← الطولونيون.

ابن عبّاد، أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد بن العباس الملقب بالصاحب «السيد» ٣٢٦-٣٨٥هـ/٩٣٨-٩٩٥م وزير شهير خدم عدداً من الأمراء البويهيين، ونال أيف شهرة واسعة بصفته أديباً.

ولد في اصطخر بإيران، في أسرة من الموظفين ونشأ في إصفهان قبل أن يدخل، بصفة كاتب، في خدمة الأمراء الشيعة الإبراهيميين أسباط بلاد فارس. وكان ابن عبّاد، طوال مدة عمله، إدارياً متميّزاً مهتماً بالمصلحة العامة وبحسن تنظيم مالية الدولة، حتى إنه استطاع بصفته وزيراً، بعد وفاة عضد الدولة، القيام بدور رئيس في الدولة إلى جانب سلاطين عاجزين. بموازاة عمله كتب ابن عبّاد مؤلفات في التاريخ وقواعد اللغة والنقّ الأدبي والدواوين الشعرية، وكان كلامياً متميّزاً، دافع ع عقيدة المعتزلة، وساند بعض المدافعين عن ها المذهب. وفي الوقت نفسه، كان يتحلّى حوله شعر وملاحون يبالغون في تزيينه. وارتبط اسمه بمشأمة مهمة في إصفهان التي كانت في ما مضى عاصمة البويهيين، وقد خلّدها في أيامنا الحضرية الأثرية التي جرت في المسجد الجامع القديم، وكذلك في ضاحيته

نسبه خطأ إلى الفيلسوف اليوناني. وهذا ما حمل العاملين في العلوم اللاهوتية، في أوروبا، خلال القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، على الإنكشاف بعدد من البراهين التي يُمكن اعتمادها والتي دخلت في بناء توما الأكويني الفكري.

ابن شدّاد، إسم عرف به مؤلفان عربيان، لم تكن بينهما أي صلة قرى، لكنهما، مع فاروق جيلين بينهما، أبرزوا وجه سوريا في العصر الأيوبي، وفيها عاش كلاهما.

أقدم الاثنين هو بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رفيع بن نعيم، ٥٣٩-٦٣٢هـ/١١٤٥-١٢٣٥م. قّبه ومستشار سياسي لصلاح الدين ولابنه الملك الظاهر، ولد في الموصل، قبل أن يدخل في حاشية فاتح القدس، مشجعاً إياه على سياسة الجهاد. ثم استقرّ، بعد وفاة مولاة الأول، لدى ابنه في حلب حيث عيّن قاضياً ومراقباً للاوقاف. كتب «سيرة صلاح الدين» التي أكسبته شهرة مستمرة.

والأحدث بين المعروفين باسم ابن شدّاد، هو عزّ الدين أبو عبدالله محمد بن عليّ الحلبي، ٦١٣-٦٨٤هـ/١٢١٧-١٢٨٥م. له مؤلفات تاريخية وجغرافية، ولد وعاش في مدينة حلب، وكان من أعيانها المسموعي الرأي، وكاتباً في الديوان، أوفده حاكم الإمارة في مهمّات دبلوماسية عدّة. وكلف، بنوع خاص، المفاوضة مع الغزاة المغول. لكنّه لم يستطع منعهم من احتلال بلاده بالقوة، فاضطرّ إلى الهرب واللجوء إلى القاهرة، وفيها توفي بعد أن أفضحت له الحياة الوقت ليؤلف كتاب «الأعلاق الخطيرة»، وهو أطلس تاريخي لسوريا ولأعالي بلاد ما بين النهرين، وكذلك سيرة السلطان بيبرس، مؤسس سلطنة المماليك، وهو الذي استقبله في مصر.

ابن طفيل أو أبو باصر، أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد القيسي، ١١٠٠-١١٨٥م. عالم شهير وممثل للفلسفة في الأندلس، كان مقرّراً لواحد من أقوى ملوك الموحّدين.

ولد في قادش ثم انتقل إلى غرناطة. إكتسب هذا العالم الناشئ على العلوم الدينية شهرة الطبيب والكاتب المثقف التي سهّلت له الانتقال إلى سبتة،

عنوانها «البيان».

هذا المؤلف الذي نكاد لا نعرف عنه شيئاً سوى أنه عين قاضياً في فاس على عهد المرينيين، ترك عملاً تجميعياً إستانداً إلى مصادر نغية قديمة ضاع بعضها. وأصبح بذلك أحد أبرز مثلي المؤرخين العرب في الغرب.

ابن العربي، محي الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي، ٥٦٠-١٢٣٨هـ/ ١١٦٥-١٢٤٠م، صوفي أندلسي مشهور، استقر لاحقاً في الشرق. وأصبحت عقيدته التوحيدية التي تمثلت عناصر متعددة ذات جذور معرفية، أحد العناصر الأساسية في التصوف، في مرحلة متأخرة.

حققت له مؤلفاته شهرة واسعة في الأوساط المسيحية الأوروبية، في حين كان ذكره مكرماً في البلاد الإسلامية؛ وضريحه في دمشق، الذي أعيد بناؤه على عهد السلطان العثماني سليم الأول، يعني موضع تكريم مستمر. وبالفعل، وفي سوريا الأيوبية قضى سنواته الأخيرة، بعد حياة متنقلة وإقامة في أماكن بعيدة. ولد في مرسية، ودرس في إشبيلية حيث أمضى

عشرين سنة مطلقاً على جميع الاتجاهات الفكرية الأصلية في الإسلام، ونافع، منذ ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م، تحصيل العلم في مراكز أخرى من بلاد الأندلس والمغرب. وفي سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، هجر نهائياً تلك المناطق نحو بلاد أخرى كان يأمل أن يثير نصوّفه فيها حذراً أقل، فأقام على التوالي في مصر فسوريا فالعراق فالأناضول، ولا سيما في قونية حيث غمره سلاطين سلاجقة الروم بمظاهر التكريم. وأخيراً، حوالى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، عاد إلى سوريا حيث توفي سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م، ودفن في حي الصالحية حيث استمر أولاده يقيمون.

كتب ابن العربي مؤلفات كثيرة ما يزال بعضها غير منشور، لكن دراستها وشروحها شجعت إزدهار مدرسة التصوف التي انبثقت من تعاليمه، والتي استمرت في النماء لاحقاً، على الرغم من معارضة المتكلمين السنة. أهم كتابين له، أو على الأقل أكثرهما شهرة، هما: بحث في أجزاء عدة هو «الفتوحات المكنية»، وكتب بعنوان

المباشرة حيث اكتشفت بوابة مسجد جرجير المزخرفة. توفي ابن عباد في مدينة الري، وهو في أوج مجده.

ابن عباد المرندي، أبو عبدالله محمد بن أبي اسحاق الشافري الحميري، ٧٣٤-٨٧٩٢هـ/ ١٣٣٣-١٣٩٠م. مؤلف صوفي، نال شهرة واسعة في مراكز على عهد سلالة المرينيين.

ولد في رندة في مملكة بني نصر، وانتقل في صباه إلى المغرب ليتلقى ثقافة دينية. فهذا المتحدر من أسرة مسلمة أندلسية تابع، في بداية الأمر، تعليم مدرّسي الفقه المالكي، لا سيما في مدارس فاس الشهيرة حينذاك، لكنه سرعان ما تخلّى عن العلوم الفقهية لينصرف إلى التفتش والتصوف بتوجيه من أحد معلمي سلا. ارتبط بعد ذلك بأتباع الطريقة الشاذلية، وصار شيخاً مقدرًا، وعُيّن خطيباً لجامع القرويين في فاس حيث توفي، بعد أن وضع بعض أهم المؤلفات في التصوف المعتدل في الغرب: شرح مقامات ابن عطاء الله الإسكندري، وبعض رسائل متفرقة في التوجه الروحي، مبتعداً في كل ذلك عن خط ابن سبعين كما عن ابن العربي، ليتخذ مواقف تميل إلى التقليد.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، ٢٤٦-٣٢٨هـ/ ٨٦٠-٩٤٠م، شاعر أندلسي، ساهم خلال عهد ازدهار الحكم الأموي في الغرب، في انطلاق محلي لترويع الأدب الذي كان ذا حظوة في بلاط العباسيين.

عاش في قرطبة مادحاً أسباط السلالة الحاكمة، وتوفي في عهد الخليفة الشهير عبد الرحمن الثالث. تبرز موهبته الموسيقية في مصنفه الأدبي المسمى «العقد الفريد»، وهو كتاب لا يتسم بالأصالة بقدر ما يمتاز بجودة التقسيم والتصنيف. هذه الموسوعة ساهمت في أقلمة ثقافة الشرق في الغرب الأندلسي، ولم يكن للمؤلف فيها سوى دور الناقل، وما تزال تحظى حتى اليوم بشهرة قائمة على ما تُسديه من نفع، بصفتها عملاً تجميعياً.

ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن عذاري المرّاكشي، ت نحو ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م. مؤرخ ألف حولة مهمة عن تاريخ المغرب حتى سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م، عُرفت ببداية

«فصوص الحكم».

«دار الحديث» حيث استطاع نشر أفكاره، وتشتت أفراد سلالة الذين سيخلفونه. وقد لقي كل مظاهر التكريم حتى وفاته سنة ١١٧٦هـ/١١٧٦م، بُعيد وصول صلاح الدين إلى الحكم في سوريا ومصر. يعدّ كتابه «تاريخ دمشق» أبرز مؤلفاته الكثيرة، وهو معجم تراجم يتناول المحدثين والشاهيرين الذين عاشوا في المدينة، وقد مهّد له بمقدمة قيّمة عن خطط المدينة.

إبن عطاء الله، أحمد بن محمد الإسكندري الشاذلي، ١٣٠٩-٩هـ/١٣٠٩-٩م، صوفي عاش في مصر وترك عدداً من المؤلفات المشهورة، وكان أحد خصوم الحنبلي ابن تيمية.

ولد ابن عطاء الله في الإسكندرية ولكنه عاش في القاهرة، وفيها توفي. وأصبح قبره في قُرّة موضع تكريم ومزاراً. أبرز مؤلفاته، التي ما يزال بعضها مخطوطاً، مجموعة جُكَم عتوانها «الحكم العطائية» التي شرحها وعلّق عليها، بنوع خاص، المتصوّف الأندلسي ابن عباد. ووضع أيضاً سيرة الشاذلي، وحمل على ابن تيمية لسببين: أحدهما أنّه انتقد المتصوّف التوحيدي ابن العربي، وثانيهما أنّه يعتبر الذكر بدعة مُفكّرة.

إبن عقيل، أبو الوفاء علي بن عقيل بن أحمد البغدادي الزفري، ٤٣١-٥١٣هـ/١٠٤٠-١١١٩م، فقيه وعالم كلام على عهد السلاجقة، قام بالدفاع عن السنة والتقليد، في زمن الصراع الديني العنيف في العراق. قبل أن يعتنق المذهب الحنبلي، ويصبح فيه تلميذ القاضي أبي يعلى السمسري أيضاً ابن الفراء، كان هذا العالم الشاب الذي أظهر توقفاً شديداً إلى المعرفة، يتبع تعليم سيد الشافعية أو الحنفية وكذلك الاعتزال، وفي الوقت نفسه كان مهتماً بكتابات بعض المتصوّفين كالحلاج. هذه الميل سببت له، سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٦م، كراهية قفّة من الحنابلة في بغداد التي ولد فيها، وفيها عُيّن مدرّساً في الجامع المنصور، فاضطرّ إلى التخلّي في منزل بضاحية المدينة يملكه رجل ثري كان يحبه، إلى أن أنكر علناً، سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، مؤلفاته المؤيدة لاتجاهات عقلانية أو صوفيّة كانت قد أثارت انتقادات شديدة. ومع ذلك، فإنّ فكره احتفظ بطابع معيّن، أتاح

يصعب تحديد عقيدة ابن العربي على وجه الدقّة. فهي في الوقت نفسه دينيّة وفلسفيّة وصوفيّة. إنّها تستند إلى نظرية الكلمة التي هي الحقيقة المطلقة، الله والكون في أن، لأنّ العالم منبثق من الله، كما الخاص من العام. ليس، في هذه النظرية، إلّا وجود واحد، «وحدة الوجود»، وهي التي ستبناها طبقة من المتصوّفين بعد ابن العربي. أما محدّد النبي (ﷺ) الذي لم يشكّ ابن العربي يوماً في تفرّقه على بقية الأنبياء - وابن العربي هو المفكر الذي رأى في الإسلام ديانةً شموليّة، مهّدتها كلّ الديانات الأخرى - فهو يعتبر تجلياً للكلمة: إنّهُ مبدأ كوني خالد، وبواسطته يحقق الإنسان كمال إنسانيّته. وفي الوقت نفسه، يعتبر ابن العربي أنّ الرسالة النبويّة هي مرتبطة بزمن معيّن، فيحلّ مكانها مفهوم الولاية المختصّة بالوليّ، أي «الصدّاقة التي يعلنها الله لبعض مختاربه بأن يكشف لهم معرفة الأشياء بالحدس، ما يجعلهم خير هداة للإنسانية». إنّ نظرية كهذه، نشأت عنها نصوص صوفيّة فائقة الجمال، كان محتشماً عليها أن تُعدّ بدعة بالنسبة إلى فقهاء السنة، تماماً كالأفكار التي انتشرت في بعض الأوساط الشيعيّة المتطرّفة، وما تزال هذه النظرية تثير مثل هذه الرذات في الأوساط الإسلاميّة التقليديّة.

إبن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن الملعشقي الشافعي، ٤٩٩-٥٧١هـ/١١٠٥-١١٧٦م، الملقّب بالحافظ، فقيه ومحدّث ينتمي إلى أسرة من الأعيان الشافعيّين في دمشق، نال شهرة واسعة مستمرة بفضل مؤلفاته الأدبيّة والتاريخيّة.

تتفّح ابن عساكر بالعلوم الفقهيّة والدينيّة بحسب التوجّهات السنيّة الصارمة في أسرته. وبين ٥٣٠هـ/١١٣٦م و٥٣٨هـ/١١٤٣م، قام برحلات إلى العراق وإيران وما وراء النهر، وأدّى فريضة الحج إلى مكّة، ما أتاح له أن يجتمع من معلّمين كبار عدداً وافراً من الأحاديث المروية عن النبيّ محمد (ﷺ)، مبتعداً عن النزاعات الدينيّة والسياسيّة التي كانت تثير الأحداث في سوريا آنذاك. انصرف بعد ذلك إلى التعليم في دمشق، وأصبح في عداد مستشاري نور الدين الذي شيّد من أجله

خلف بن أحمد بن الفراء، المعروف أيضاً بالقاضي أبي يعلى، ٣٨٠-٤٥٨/٩٩٠-١٠٦٦م.

فقيه ذائع الشهرة في زمانه، وأحد أعلام المذهب الحنبلي في بغداد عند بله السلاجقة ببسط سبائهم هناك.

إنشئ ابن الفراء إلى حاشية الوزير ابن مسleme، كمعاصره الماوردي الشهير الذي ينتمي إلى المذهب الشافعي. وبصفته تلك قام بدور بارز في نهاية عهد القادر، الخليفة العباسي، كذلك نال تقدير الخليفة القائم الذي اتبع سياسة دينية تقليدية ذات اتجاه حنبلي، دافع عنها سلفه. تميزت سيرة هذا العالم بمظاهر التكريم والمسؤوليات القضائية، وقد مارس القضاء في عاصمة الخلافة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، زمن القائم، وفي الوقت نفسه درس الحديث في المسجد الجامع في المدينة نفسها. من أهم مؤلفاته بحث في الحق العام هو كتاب «الأحكام السلطانية»، المشابه لكتاب الماوردي، وكتاب «المنعمت»، وهو بحث في علم الكلام يولي أهمية للمناهج المنطقية المعتمدة في هذا العلم. كان ابن الفراء منافساً ملتزماً في الصراع السياسي-الديني في عصره، واستمرت المكانة السامية التي نالها في هذا المجال حتى منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

إبن الفرات، أبو الحسن علي بن محمد بن موسى ابن الحسن بن الفرات، ٢٤١-٣١٢هـ/٨٥٥-٩٢٤م، وزير الخليفة المقتدر، وهو ينتمي، في عهد العباسيين الذهبي، إلى أسرة من كتاب الدواوين عمل أفرادها، لاحقاً، في خدمة الإخشيديين في مصر.

عمل ابن الفرات في ديوان الخراج حالاً محلّ أحد إخوته الذي كان كاتباً للخليفة المعتمد، ووُزِّر للخليفة الشاب المقتدر سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م، بعد فشل محاولة ابن المعتز الانقلابية، واستمر حتى سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م. خلفه في الوزارة كاتب آخر بارز هو علي بن عيسى الذي اتبع أهدافاً سياسية مختلفة. ثم عاد إلى عمله الوزاري في عهد الخليفة المقتدر نفسه، خلال ٣٠٥-٣٠٦هـ/٩١٧-٩١٨م، ثم خلال العامين ٣١١-٣١٢هـ/٩٢٣-٩٢٤م، حين خضع الخليفة لغضب الشعب على وزيره وأعدمه.

له تأثيراً عميقاً في مرحلة لاحقة، لا سيما في الوسط الحنبلي حيث ظهرت، بعد وفاته، بعض نسخ من مؤلفاته التي رُغم أنها أنلفت عندما أعلن إنكاره لها.

إبن العميد، أبو الفضل محمد بن الحسين ؟ - ٣٦٠هـ/٩٧٠م، وزير عدد من أمراء السلالة البويهية، عرفته الأجيال اللاحقة خاصة بصفته أدبياً مشجعاً للعلم والأدب.

هو ابن أحد صغار التجار الذي صار كاتباً في إحدى الإدارات المحلية في خراسان، حتى إنّه نال لقب «عميد» وهو لقب مختص بالموظفين الكبار لدى السامانيين. مارس ابن العميد، بدوره، نشاطاً إدارياً فضلاً عن نشاطه العسكري: كان حينذاك في خدمة أسرة شيعية أسكت بزمام السلطة في غرب إيران، ومارست وصايتها في العراق على الخلافة العباسية. استطاع، في أوساط أسباده، أن يُقَيِّد مخططات المتآمرين، أو أن يهذئ هياج بعض الفرق العسكرية، وأن يتسلّم، عند الحاجة، قيادة العمليات، وفي الوقت نفسه، كان يحظى بشهرة واسعة من خلال ممارسة عمله كاتباً بفضل أناقة عبارته. بعد أن تسلّم الوزارة، طوال ثلاثين سنة، ووسّع دائرة نفوذه بصفته وصياً على عهد الدولة، توفي في همدان تاركاً ابناً له. هو أبو الفتح علي بن محمد الذي أصبح، هو أيضاً، وزيراً، قبل أن يُعزل ويُحكم عليه بالموت ويُعدم سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، أي بعد وفاة والده بضع سنوات.

إبن الفاراض، شرف الدين أبو القاسم مُهر بن علي المصري السعدي، ٥٧٧-٦٣٢/١١٨١-١٢٣٥م، صوفي وشاعر نصوّف، عاش في القاهرة، وتكرّم بصفته شخصية ورة في السنوات الأخيرة من حياته. يحتوي الديوان الذي خلفه ابن الفاراض قصائد تُكثت، بلا شك، لتُشد مع مرافقة موسيقية، وبشكل غموضٍ معانيها العنصر الأساسي في طرائفها، ويمكن أن تُفسّر على أنها قصائد حبّ أو أناشيد صوفية معبّرة عن حالات متنوعة من الخبرة الدينية. ما يزال مدفن ابن الفاراض، الواقع عند جبل المقطم، إلى اليوم، مزاراً.

إبن الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الديّزري، ٢١٣-
٢٧٦هـ/٨٨٩-٨٨٨م، أديب ومتكلم سني، عاش في
العصر الذهبي للخلافة العبّاسية في العراق، وترك نتاجاً
وافراً متعدد الموضوعات، واهتم باستقامة العقيدة
الإسلامية وبالأبحاث اللغوية.

ولد ابن قتيبة في الكوفة، في أسرة إيرانية متمرّبة،
يعود أصلها، بلا ريب، إلى خراسان، وتوفي في بغداد،
محافظة بتلاميذه، بعد حياة لا تعرف عنها إلا القليل على
الصعيدين الشخصي والعلمي. نبت له وحماه وزير
الخليفة المتوكل، فعين قاضياً لمدينة دينز في إيران
سنة ٢٣٦هـ/٨٥١م، واستمر في هذه الوظيفة حتى سنة
٢٥٦هـ/٨٧٠م. يبدو أنّ مؤلفاته، التي تنتمي في غالبيتها
العظمى إلى ما يعرف بالأدب، هدفت، في الوقت
نفسه، إلى تأييد الاتجاه الديني المتحفظ الذي اعتمده
المتوكل. نلاحظ في مؤلفاته اهتماماً بالعلوم الفقهية
والكلامية، ما يستلزم اعتبار المؤلف مجرد لغوي،
ذي ثقافة دينية إيرانية ومقدرة تعبيرية.

إذا كان ابن قتيبة يبدو، بحق، أحد كبار النافرين
العرب في العصر العبّاسي، فهو بنوع خاص ممثل التيار
السني الذي جسّدته الخلافة منذ أواسط القرن الثالث
الهجري/التاسع الميلادي، عندما تمّ التخلي عن
الاعتزال الذي لزمه المأمون وخلفاؤه الأزلون. ترك
بنوع خاص، عدا المؤلفات في النقد الشعري
والمتنقيات الأدبية، دراسات عدة تتناول الجدل الديني
وتعلّق بتفسير القرآن والحديث: إيتعد عن التفكير
الشخصي أو الرأي، الذي لا في حطوة لدى أتباع
المذهبن الشافعي والحنفي، مفضلاً السّنة التي شكّلت،
مع القرآن، القاعدة الأساسية لعقيدته.

ابن القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف
الشياني، ٥٦٨-٦٤٦هـ/١١٧٢-١٢٤٩م، كاتب ومؤرّخ
يمثّل النشاطات الفكرية في سوريا الإسلامية على عهد
الأيوبيين.

ولد في قفط، في صعيد مصر، وتابع دراسة طويّلة
في القاهرة ثمّ في القدس على عهد صلاح الدين. دخل
ابن القفطي بعد ذلك في خدمة حاكم حلب الملك
الظاهر، قبل أن يعود إلى القاهرة في آخر حياته. عُرف

كان ابن الفرات مشيخاً في عقيدته، معتقاً الإمامية
الاثني عشرية، وكان بارعاً في الأمور المالية ورجل
حاشية لبقاً، لكنّه كان واسع الضمير، لا يتردد في
ارتكاب المخالفات في ما تطول يده.. وهذا ما أدّى إلى
عزله مرّات عدة. لكنّ علاقاته الشخصية وعطف الخليفة
عليه كان يتيح له الرجوع إلى وظيفته. وحده العنف
الذي مارسه في المرحلة الثالثة من تولّيه الوزارة والذي
أدّى إلى ردة فعل شعبية، وضع أخيراً حدّاً نهائياً له.

ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العبّاس، القرن الثالث
الهجري/التاسع الميلادي، مؤلف معثور لم يُعرف إلا
من خلال تقرير تناول أحداث بعثه وجهها الخليفة
العبّاسي المعتز إلى بلغار الفولغا خلال عامي ٣٠٩-
٣١٠هـ/٩٢٢-٩٢١م.

مرّت تلك البعثة ببخارى عاصمة السامانيين
حينذاك، وبخوارزم وبلاد الترك المُزّ. إنّ النصّ
العربي الذي روى فيه ابن فضلان أخبار تلك البعثة
شكّل مصدراً جغرافياً وتاريخياً بالغ الأهمية عن
العلاقات القائمة بين العالم الإسلامي والجماعات غير
الإسلامية، في السهوب الآسيوية، في تلك المرحلة.
هذا المؤلف الذي يبدو جيلاً أنّه نتاج كاتب مثقّف ينتمي
إلى الأوساط الرسمية في بغداد، يتناول بطريقة مثيرة
للاهتمام حدثاً لم ينته إليه أيّ من كتّاب التاريخ
والحواليات في تلك الحقبة.

ابن الفقيه الهمداني، جغرافي إيراني الأصل، عاش
في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في الدولة
العبّاسية، في أوج ازدهار عصرها الذهبي.

ولد، بلا شك، في همدان، لكن ليس لدينا
معلومات أكيدة عن حياته. ألف ابن الفقيه «كتاب
البلدان» باللغة العربية، ولكن لم يصلنا منه إلا ملخص
كُتب على الأرجح قبل سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م. هذا الكتاب
الذي يتضمن استطرادات أدبية، واهتماماً بالأمور
«المدنية» الهادفة إلى إثارة اهتمام القارئ، يتضمن
أيضاً معلومات مفيدة لا سيّما عن إيران في القرون
الوسطى. وهو يوضح خاصة بعض المظاهر الحضارية
في ذلك العصر، ويقدم صورة عن تطوّر الفن الأدبي
الذي ينتمي إليه.

مؤرخاً من خلال الكتاب الذي ألّفه عن تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام.

كوفي الأصل، وفي مدينته دُرس، وفيها توفي. وأقام في بغداد، من دون شك، زمن الخليفة المهدي. لم يصلنا من مؤلفاته المئة والخمسين إلا معجم «أنساب العرب»، الذي استند إليه المؤلفون اللاحقون، و«كتاب الأصنام» الذي يتضمن معلومات قيمة عن الوثنية العربية.

إبن كلس، أبو الفرج يعقوب بن يوسف، ٣١٨ - ٣٨٠٩هـ/٩٣٠-٩٩١م، كاتب بيت المال والمستشار المحظي لدى خليفتين من السلالة الفاطمية، نال شهرته في خدمتهما ودافع عن المذهب الإسماعيلي عند توطيد الحكم الفاطمي في مصر.

إبن كلس يهودي، ولد في بغداد واختار، بادی الأمر، أن يقيم في الرملة فلسطين، لتعاطي التجارة، ثم رحل إلى مصر حيث لقي حظوة، خاصة لدى الوصي كافور، واختص في الإدارة الضرائبية. خبير في هذا المجال، وُعد بمنصب الوزارة، فاعتنق الإسلام سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م، وانصرف إلى دراسة الفقه. وبعد موت كافور، انتقل إلى إفريقية حيث حظي بثقة الخليفة الفاطمي المعز. عاد معه إلى مصر عند احتلالها، وفي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م، عينه الخليفة الجديد وزيراً، عند تسلمه الحكم، فكان بذلك الرجل الأول الذي يحتل هذا المنصب على عهد الفاطميين.

امتاز ابن كلس بعقله وسخائه على العلماء. تعمق في العقيدة الإسماعيلية فشجّع نشرها عن طريق الدعوة الفاطمية، وبدأ بتشيد المسجد الذي عُرف لاحقاً بمسجد الحاكم. وبفضل ما امتاز به من صفات الحذر السياسي والقنالية، عمل كثيراً على توطيد النظام الحاكم في مصر، مع أن كتاب سيرته لم يكونوا دوماً موافقين على الحطّ الذي اعتمداه.

إبن ماجد، شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد... بن أبي الروكاتب التجدي، بخار عاش في نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. إنّه يتحدث من أسيرة ملاحين، لا تعرف تاريخ حياته بدقة، وقد اشتهر

بنوع خاص بكتابه «تاريخ الحكماء»، وهو معجم يضم أكثر من أربعمئة نبذة عن المختصين بالعلوم وبالحكمة الموروثة عن القدماء، وبالأطباء، وبأئصار الفلسفة ويعلماء الحساب والفلك. وقد حفظ هذا المؤلف فقرًا منقولة من اليونانية إلى العربية، وقد ضاع نصّها الأصلي.

إبن القلانسي، أبو يغلي حمزة بن أسد التميمي، ٤٦٥-٥٥٥هـ/١٠٧٣-١١٦٠م، مؤرخ اهتم بمدينة دمشق وإمارتها على عهد السلجقة في سوريا، وعهد الأتابكة البوريين الذين خلفوهم.

هو من أعيان دمشق، وقد آوَّج للحياة السياسية والاجتماعية في زمانه، وتاريخه يتضمن معلومات بالغة الأهمية عن علاقات بلاد الإسلام بغرب مملكة القدس، وبالدولة اللاتينية التي تنظمت بعد سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م. وتجد في كتاباته صورة حيّة لسوريا الإسلامية المتقسمة سياسياً ودينيّاً، والتي جعلتها الاضطرابات الداخلية تحت مراقبة القوى المسيحية المجاورة، في انتظار ركّات المقاومة واستعادة الأرض التي قام بها الزنكيون وصلاح الدين.

إبن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، ٧٠٠-٧٧٤هـ/١٣٠٠-١٣٧٣، فقيه ومحدث من المذهب الحنبلي، عاش في سوريا على عهد المماليك، وترك مؤلفات كثيرة، لكن شهرته قامت على نتاجه التاريخي. ولد ابن كثير في بصرى بحوران، وكان أحد العلماء الأكبر مكانة في مدينة دمشق التي تلقى فيها علومه، وتلمذ بنوع خاص لابن تيمية. وفي دمشق علّم الحديث وتولّى القضاء حتى وفاته. كرّس نفسه لدراسة الحديث والفقه وتفسير القرآن، وكتب في هذه المجالات مؤلفات مهمة، لكنها لم تبلغ من النجاح ما لقيه «الدبابة»، وهو كتابه المهم عن تاريخ الإسلام، وقد أغناه بحوليات لمدينة دمشق، التي اختارها ليعيش فيها ويلقي دروسه.

إبن كزّام - الكزّامية.

إبن الكلبي، هشام بن محمد، ١٢٠-٢٠٤هـ/٧٣٧-٨٢١م، مثقف من العصر الذهبي للدولة العباسية، برز

ينوع خاص بمعرفة المحيط الهندي.

الأجسي التلمساني الملقب بالجد الرئيس الخطيب أو بالرئيس الخطيب المبيخل، ٧١٠-٧٨١هـ/١٣١٠م-١٣٧٩م، مثقف وقاضي ومحدث وإداري، عاش حياة مضطربة في بلاط عدد من الأمراء والسلاطين في المغرب والأندلس، وكذلك في مصر المملوكية. ينتمي ابن مرزوق إلى أسرة كبيرة من الأعيان، إفريقية الأصل. وعند وصول بني هلال، في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، هاجر بنو مرزوق إلى تلمسان. وفي هذه المدينة ولد ابن مرزوق، وكان أبرز ممثل لسلالة حقيقية من العلماء المرنطين، قرب هذه المدينة، بمسجد أبي ميدان الذي كان أحد أسلاف ابن مرزوق من أتباعه. بعد إقامته في بلاد الشرق للتعلم عاد إلى المغرب، وكانت حياته مقسمة بين تبوء المناصب العالية والعزل، حتى إنه تعرض للسجن. وكان ينتقل من خدمة بني مرين في فاس، إلى بني زيان أو بني عبد الواد في تلمسان، فإلى بني نصر في غرناطة وأخيراً إلى القاهرة داخلاً في خدمة السلطان شعبان المملوكي. وفي هذه المدينة انتهت حياة ابن مرزوق، بعد أن أوكّل إليه القضاء، والخطابة الرسمية، والتعليم في المدرسة، ناعماً بتقدير كبير. وقد ترك عدداً من المؤلفات في التاريخ والفقه، والدفاع عن الدين، والأخلاق.

إبن مسرة، محمد بن عبدالله الجبلي، ٢٦٩-٣١٩هـ/٨٨٣-٩٣١م، أحد مشاهير مثقلي الفلسفة في الأندلس، على عهد الخلافة الأموية في الغرب. تمتع بشهرة في التصوف واستطاع بتحفظه أن ينجو من تهجم الفقهاء المالكيين عليه.

ولد بقرطبة في أسرة ذات أصل محلي، ونشأ والده على تراث المعزلة. زار بلاد الشرق ليتلقى تعاليم التصوف، ولا شك في أنه أقام في مكة، ثم عاد إلى الأندلس ليعتزل، قرب قرطبة، في شتلك جبلي (فلقب بذلك)، ومكث هناك حتى وفاته، على الرغم من الأحكام القاسية التي تعرضت لها مؤلفاته، ولم يعلن فلسفته الحقيقية التي ما تزال غير معروفة إلا لبعض الخاصة من تلاميذه. ومما لا شك فيه أن فقهاء السنة رموه بالزندقة، لكن ذلك لم يمنعه من التأثير في الفكر الإسلامي في مرحلة لاحقة، لا سيما في ابن العربي

ينتسب ابن ماجد إلى أسرة عربية من جلفار في الخليج العربي - الفارسي، وقد وضع، بين ٨٦١ و٩٠٦هـ/١٤٦٢م، كتابات كثيرة ضمنها، إنطلاقاً من تجربته الخاصة ومن خبرات سابقه، المعارف الرياضية والتقنية التي أتاحت للمسلمين السيطرة على الطرق البحرية المؤدية إلى بلاد الزنج وإلى الهند والصين، كما أنه نقل كل التراث القديم والمعارف التي جمعها في مجال الملاحة والجغرافيا وعلم الفلك. كل ذلك جُمع في مؤلفات متعددة، نثراً وشعراً، وقد تم اليوم نشرها، ودراستها، ويمكن اعتبارها إرشادات لملاحة تتناول شواطئ أفريقيا الشرقية، وآسيا الموسمية، وكذلك الطرق المباشرة التي تربط هاتين المنطقتين بمرافئ الخليج العربي الفارسي أو جنوبي شبه الجزيرة العربية.

اعتمد ابن ماجد في حياته المهنية، كرتان، خرائط بحرية وأدوات متنوعة تمثل العلوم البحرية في عصره، وينسب إليه أيضاً اختراع البوصلة، وذلك أمر يحتمل الشك. وكان على صلة بالبشارة البرتغاليين الذين كانوا يضاعفون جهودهم لبلوغ الهند بعد أن اجتازوا رأس الرجاء الصالح، وربما التقى فاسكو دي غاما وزوّده بمعلومات مفيدة، سواء تم ذلك عبر لقاء مباشر أو بطريقة أخرى.

إبن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد الرّبيعي القزويني، ٢٠٩-٢٧٣هـ/٨٢٥-٨٨٧م، محدث، ومؤلف أحد الكتب المعتمدة في الحديث، عاش في العصر الذهبي للخلافة العباسية. بعدما تجول في بلدان عدة من الشرق الأدنى، بحثاً عن الأحاديث المنسوبة إلى النبي محمد (ﷺ)، وضع ابن ماجه مؤلفه الجامع الذي يحمل عنوان «كتاب السنن» الذي يشمل على أربعة آلاف حديث، إنه يكمل مجموعات الأحاديث الشرعية الخمس التي سبقت. على الرغم من النقد الذي وجه إلى هذا الكتاب، فإن ذلك لم يحلّ دون الإقرار بأنه أحد «الكتب الستة» التي تشكل أساس علم الحديث، مع أنه لا يُعدّ كذلك في المغرب.

إبن مرزوق، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد

الخلافة، لمحاربة هجمة الكتاب الشيعة الذين كان هو أيضاً يكرههم. جرى بعد ذلك انقلاب في البلاط، سببه مؤامرة قُضت عليها مؤامرة أخرى، وأُرعِمت، في ١٧ كانون الأول سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، المقتدر الفتي على التخلي عن الحكم، بعد مرور أشهر عذّة على موت الخليفة المكني.

إنّ النجاح الذي وقّره لابن المعتز جماعة الكتبة والأمراء الذي ساندوه، كان غير كافٍ وقصير الأمد. ففي اليوم التالي، سيطر على الوضع مؤيدو المقتدر، واضطّر ابن المعتز إلى الفرار، وسرعان ما قُتل في البيت الذي لجأ إليه، لذا عرف عبر التاريخ بلقب «خليفة اليوم الواحد».

حتى ذلك التاريخ، قضى حياته بعيداً عن السياسة، ولم يكن له من دور إلّا دور الشاعر المذاح لابن عمه الخليفة المعتضد. وبصفته شاعراً، تناول الموضوعات «الحبية»، واصفاً، بلغة صافية وواضحة، ملاهي الطبقة الاجتماعية العليا. وبصفته ناقدًا أدبيًا، ترك ابن المعتز دراسة في فن الشعر، ودراسة في اللغة الجميلة، جهد فيها إلى تحديد أنواع الصور الأدبية والكتابات. ودرسته تنمّ عن تأثره بكتاب البلاغة لأرسطو الذي كان قد تُرجم حديثاً، مع أنّ هدفه الأساسي كان الدفاع عن الثقافة العربية. إنّ مجلّ نتاجه المتّصف بالكلاسيكية، يتضمّن شعراً وصفيًا^(٥) وإرشادات ترمي إلى ضمان الأسلوب الجميل^(٦) الذي يُصبرُ ابن المعتز على جملة يرقى إلى مستوى لغة أهل البادية.

إبن المعلم ← المفيد.

إبن المقفّع، ١٠٢-١٣٩هـ/٧٢٠-٧٥٦م، كاتب بالعربية، ومُتّف فارس الأصل، وأحد مؤسسي الثقافة المرهفة التي ميّزت العصر الذهبي للعباسيين، ولكنه قُتل بأمر من المنصور، الخليفة الثاني في هذه السلالة. كان ابن المقفّع زردشتي المذهب، وعندما اعتنق الإسلام اتخذ اسم عبدالله، وظلّ طويلاً في خدمة الأمراء العباسيين أعمام السّفاح والمنصور، وهذا ما سبّب له غضب المنصور وقتله عندما حاول الدفاع عنهم تجاه ابن أخيه. وكان، قبل ذلك، قد لقي كرامة الأوساط

الذي حفظ في مؤلفاته بعض قطع قوية الدلالة من كتابات ابن مسرّة، أُضيفت إلى المعطيات التي ناهت إلينا عبر مؤلفات ابن حزم.

إن عقيده، المستوحاة من الأفلاطونية الجديدة، تخصّص مذهب الفيض القائم على تراتبية عناصر خمسة بمكانة بارزة. لكنّها كانت أيضاً ذات طابع صوفي بارز، وأسست لمنهج حياة روحية مستوحاة في الوقت نفسه من الممارسات التقنيّة التي خضع لها ابن مسرّة. هذه العقيدة، قبل أن تصل إلى ابن العربي، مورست خاصّة في الأوساط الصوفيّة التي كان أعضاؤها يُعرفون في الأندلس بالمريدين، وقد جابه هؤلاء، في بداية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، المرابطين، سواء في مدرسة ابن العريف في المرية أو حول ابن فسي في شلب.

إبن مسعود، عبدالله بن غافل بن حبيب بن هذيل، صحابي، محدث وفارّ، اكتسب في قراءة القرآن الكريم شهرة واسعة مستمرة.

عربي الأصل، وضع النسب، ولكنه من أوائل معتنقي الإسلام، احتلّ ابن مسعود مكانة بارزة لدى الأنصار في المدينة. بعد مدّة، انتقل إلى الكوفة، حيث قام بدور فعال في مرحلة الفتوح الكبرى، قبل أن يتمرّض للإساعات من قبل الخليفة الثالث عثمان بن عفّان. كان صوفي الميول، وشهّر خاصة بدفاعه عن نصّ للقرآن يختلف بوضوح، بحسب ما يُروى، عن الذي اعتنقه عثمان، واقترح تفسيراً لبعض الآيات كان، على ما يبدو، لمصلحة الشيعة. إنّ قراءات ابن مسعود للنص القرآني رُفضت رسمياً في بغداد في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ما يدلّ على أنّها كانت ما تزال محفوظة ومستمرة علناً، في بعض الأوساط.

إبن المعتز، أبو العباس عبدالله، ٢٤٧-٢٩٦هـ/٨٦١-٩٠٨م، أمير من الأسرة العبّاسيّة، ابن الخليفة المعتز، وحفيد المنوكل. كان شاعراً، وخليفةً ليوم واحد سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م. ولد ابن المعتز في سامراء، وتوفي مقتولاً في بغداد عن عمر يناهز الخمسين، نتيجة المحاولة الفاشلة التي قام بها الأعيان الذين أوصلوه إلى

العباسية. ومع أنهم ظلّوا مخلصين لثقافتهم الأصلية، فقد شغفوا بأداب اللغة العربية، وبذلوا الجهد ليقبلوا إليها القيم التي كانوا شغبيين بها، ما أدّى بعد زمن يسير إلى نشوء الحركة الشعبية.

ابن مقلة، أبو علي محمد بن علي، ٢٧٢-٣٢٨هـ/٨٨٥-٩٤٠م، وزير في العصر الذهبي للخلافة العباسية، وخطاط شهير، يُنسب إليه ابتكار نمط من الخط العربي قدّر له أن يبلغ كماله على يد ابن البواب.

ولد في بغداد، وتسلّم في بادئ الأمر وظيفة إدارية في مقاطعة فارس، ثم دخل في خدمة الوزير ابن الفرات الذي عهد إليه بإدارة مركزية مهمة، سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، واستعان به، مرّة أخرى، سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م. ثم تخلّى عنه، لكنّ الوزير علي بن عيسى لاحظ مقدراته سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م. وبلغ هو نفسه منصب الوزارة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، واحتفظ به حتى ٣١٨هـ/٩٣٠م، ولكنه لم يستطع مجابهة الصعاب التي كانت تنهال على الخلافة في تلك المرحلة. عاد إلى الوزارة سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، ثم سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م، لكنه عجز من جديد عن فرض سلطته. واجه كراهية كبار الأمراء الذين كانت سلطتهم قد بدأت تتوكل، بشخص ابن رائق، فجنّ ومات مسجوناً نتيجة ما تعرّض له من سوء المعاملة.

ابن مكرم ← ابن منظور.

ابن مقاتي، الأسعد بن مهذب بن زكريّا، ٥٤٢-٦٠٦هـ/١١٤٧-١٢٠٩م، كاتب في الإدارة المصرية على عهد الأيوبيين، خلال حكم صلاح الدين وابنه الملك العزيز، ترك مؤلفاً وصفاً يُسمّى بالطرافة يتعلّق بالتاريخ المحلي. ينحدر ابن مقاتي من أسرة موثقين أقباط اعتنقوا الإسلام، وشهّرهم أبوه وجده الذي كان أدبياً مثقفاً معروفاً، تسلّم مقاليد الإدارة في جميع الدواوين المركزية في مدينة القاهرة، إلى أن تعرّض لتهمة رماء بها أحد خصومه في آخر حياته، فاضطرّ للهروب إلى حلب، لانّادى بابن آخر لصلاح الدين، هو الملك الظاهر، وبقي فيها حتى وفاته. كان ابن مقاتي قد ألّف لسلطان مصر «كتاب قوانين الدواوين»، وهو كتاب قيّم يهدف إلى وصف حالة الإدارة في البلاد. وعلى الرغم منّا

العربية-الإسلامية المحافظة عندما أكبّ على إبراز نفوق التراث الفكري الهندي والإيراني، من خلال ما نقله إلى العربية، إمّا مترجماً، وإمّا عبر المؤلفات التي وضعها.

عرف ابن المقفّع، بنوع خاص، بالمؤلفات الأجنبية التي أدخلها إلى الأدب العربي، ولا سيّما «كتاب كيلة دمنة»، وهو مجموعة قصص خرافية هندية لغيت إقبالاً مميّزاً في الأوساط الإسلامية في العصور الوسطى. إنّ قصص هذه المجموعة التي تجري في عالم الحيوانات، ومنها اثنان من بنات آوى إحداهما كيلة والأخرى دمنة، ألُفّت في الهند حوالي سنة ٣٠٠ بعد الميلاد، ثم تُرجمت إلى لغات عدّة، منها البهلوية الفارسية. شكّلت ترجمة هذه القصص العمل الأول الكبير في النشر العربي، ونقلت حكمة مجرّدة من الصفة الدينية، تدعو إلى اتّخاذ الحيطة تجاه الحكّام، وتبرز قيمة الصداقة. إنّ خلاصة هذه الحكمة دخلت في الأخلاق الإسلامية، إلى جانب الحكمة القديمة الموروثة، والفضائل التي دعا إليها القرآن الكريم.

وضع ابن المقفّع مؤلفاً آخر في السلوك الاجتماعي، هو كتاب «الأدب الكبير»، نجد فيه حتّى على تدوّن الثقافة والأدب من جهة، ومراعاة لباقة التصرف في البلاط من جهة ثانية. والكتاب يقدم إرشادات موجّهة إلى الحكّام وإلى أتباعهم. وثمة مؤلّف آخر، موجه إلى الخليفة المنصور، عنوانه «رسالة في الصحابة»، أي صحابة الحاكم، يقدم حلولاً عملية للمشكلات السياسية-الدينية المطروحة حينذاك، ولم يزل هذا الكتاب استحسان المُهدى إليه. لقد عبّر الكاتب عن ثقته، بخاصّة على تنوّع الأحكام التي يصدّرها القضاء في مدنٍ مختلفة، واقترح على الخليفة أن يصدر قانوناً يطبّق في كل أنحاء الدولة، لكنّ هذا المشروع الذي يجعل من الخليفة شارحاً للشريعة لم يؤخذ به.

وينسب إلى ابن المقفّع كتاب في امتداح الديانة المانوية، ألّف الشكّ حول صدق اعتناقه الإسلام، ولكن لم يُحفظ منه سوى بعض المقاطع. إنّ ابن المقفّع يمثل الصورة المميّزة للكاتب الأيوبيين الذين اعتنقوا الإسلام، فوسّمو بميزاتهم الشخصية الدولة الإسلامية

العصر الأيوبي وعصر المماليك الأولين، شهر بظرفاته الطبية.

ولد في دمشق، وتفق في علوم الدين، وحصل ثقافة واسعة، وأصبح، في مصر، الطبيب الخاص للسلطان بيبرس، ما أتاح له أن ينعم بحياة مترفة في القاهرة حيث توفي بعد عمر مديد.

ترك ابن النفيس عددًا من المؤلفات، لكن شهرته قائمة اليوم على أنه مكتشف الدورة الدموية في الرئتين، الأمر الذي كان يحله جالينوس وابن سينا. هذا الاكتشاف الذي ظل مجهولًا لدى الأطباء العرب المتأخرين، يبدو أنه انتقل إلى الأطباء الغربيين في عصر النهضة، عبر المترجم أندريه ألباغو (Andrea Alpago) المينوفي سنة ١٥٢٠م. وقد استعاد ميشال سيرفي (Michel Servet) وريسلو كولومبو (Realdo Colombo) ما ذكره ابن النفيس، واستخلصا نتائج لم تكن معروفة لدى العلماء المسلمين.

إبن هاني الأندلسي، محمد بن هاني بن سعدون، ٣٢٣-٣٦٢هـ/٩٣٥-٩٧٣م، مداح الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في إفريقية. كان قد قام سابقًا بدور الداعي الناشط للمذهب الإسماعيلي في الأندلس، على عهد أموي الغرب.

ولد ابن هاني في مدينة إشبيلية التي كانت مركز معارضة قوية للسلطة المركزية. واكتسب عقائد تشيع متأثر بالفلسفة، في خط الطروحات الماورائية التي بثها ابن مسرة. اضطر، فرارًا من الملاحقات، إلى أن يغادر الأندلس إلى المغرب حيث كانت القوات المكلفة نشر السلطة الفاطمية قد بلغت، منذ سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، شمال المغرب الحالي. فاستقبل في بلاط صبرا - منصورية، قرب القيروان، حيث لم يتوقف عن خدمة قضية إمامه. وبقي شعره، المستحسن لقيمه الأدبية، شاهدًا قديمًا على الأفكار السياسية-الدينية التي كان مكلفًا للدفاع عنها ونشرها باسم الدعوة الإسماعيلية. وربما لم يكن موته العنيف، الذي ما زال يلقى الغموض، بعد ذلك بقليل، ليفصل عن التأثير العميق الذي تركته قصائده المؤثرة بالصور الشعرية في ما وراء حدود دولة المعز.

نوبه من نقص، فإنه يحتوي على كمية كبيرة من معلومات عن الحالة الزراعية والضرائبية والاقتصادية في مصر خلال حكم الأيوبيين.

بن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن لمي الأنصاري الإفريقي المصري، المعروف أيضًا باسم بن مكرم، ٦٣٠-٧١١هـ/١٢٣٣-١٣١٢م. قاضي وكناب على عهد المماليك الأولين في مصر، ومؤلف «لسان لعرب».

هذا العلامة المثقف، طرابلسي الأصل من ليبيا حيث عاش. أكتب يشق على العمل المعجمي العربي. «لسان العرب» هو المعجم الأضخم بين المعاجم العربية القديمة. جمع مآذنه من خمسة معاجم سابقة، واعتمده ابن مرتضى عندما ألف معجمه «ناج العروس»، وأشار بشكل أوضح منّا في «لسان العرب» إلى المصادر السابقة التي استند إليها.

إبن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق الوزافي البغدادي، ٣٨٥هـ-٩-٩٩٥م، وراق، مثقف، صاحب فكر فضولي، عاش في بغداد على عهد العباسيين، وشهر بنوع خاص بكتابه «الفهرست» الذي ذكر فيه الكتب المعروفة في زمانه. لا نعرف عن شخصيته إلا القليل. كان ينسخ الكتب، وكان على صلة بابن الوزير علي بن عيسى، وبفيلسوف نصراني. وأظهر إعجابًا كبيرًا بمفكرتي اليونان وبأفكار الفلسفة. إن الأفراد التي يستعملها تثبت أنه كان شيعيًا ينتمي إلى الإمامية الاثني عشرية. كتب سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م الفهرست، وهو ثبت يجمع الكتب العربية، على اختلاف موضوعاتها. وأرق تعريفه الكتب بإشارات قيمة إلى سيرة مؤلفيها، وأحيانًا بآراء حول العقائد التي يعتنقونها. هذا الكتاب - الذي يساعد على معرفة الحياة الفكرية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي - ينضم عشرة أقسام، الست الأولى تتناول الكتب ذات الموضوعات الإسلامية، والأربعة الأخرى مؤلفات العقائد الفلسفية والديانات غير التوحيدية.

إبن النفيس، علاء الدين أبو العلاء علي القرشي اللمشقي ٦٨٧هـ-٩-١٢٨٨م، عالم وأديب مسلم من

ابن الهيثم، أبو الحسن البصري المصري، ٣٥٤-٤٣٠هـ/٩٦٥-١٠٣٩م، رياضي وعالم عربي، جاء عمله الضخم مطلقاً بمعرفته العميقة للمفكرين الإغريق وأعمانهم. ولد ابن الهيثم في البصرة بالعرف، ثم انتقل إلى القاهرة ليمضي قسماً من حياته فيها، زمن الفاطميين، وعمل للخليفة الحاكم بأمر الله. اشتهر بأعماله في علم البصريات وفي علم الهندسة، ونقلت مؤلفاته إلى اللاتينية. وقد عرض في أبحاثه حلولاً لعدد كثير من المسائل الرياضية والفلكية. فعمل البصريات بقي ملصقاً باسمه، وكان قد عرضه في كتابه «المنظر» وأصبح يُعرف في أوروبا المسيحية باسم «كنز البصريات» (Thesaurus opticus).

ابن واصل، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم.. بن واصل، ٦٠٤-٦٩٧هـ/١٢٠٨-١٢٩٨م، قاضي ومتفقد من مدينة حماة، وأحد أبرز ممثلي الحياة الفكرية في سوريا على عهد الأيوبيين.

بعد أن تابع ابن واصل دراساته العلمية والفقهية في تلك البلاد، وخدم عدداً من أمراء الأسرة المالكة حينذاك، لا سيما الملك الصالح سلطان مصر، ألحق بحاشية السلطان الذي أسس قوة المماليك ودولتهم الجديدة. أرسله بيبرس الذي كان يقدّره، سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م، في مهمة لدى ملك صقلية، مأتمرد. بعدئذ، عاد ليعيش في حماة حيث توفي بعد أن عثر طويلاً. ألف «مفرج الكرب» وهو كتاب في التاريخ، كان سبب شهرته مؤخراً لتلك الحقبة؛ لكنه أيضاً درس الفقه وخلف مؤلفات في المنطق وفي علم الفلك، وكتب أخرى علمية.

ابن يونس، أبو الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن الصدّقي، ٣٩٩-٤٠٩هـ/١٠٠٩-١٠١٩م، فلكي شهير لا تعرف عنه سوى أنه عاش في القاهرة، وأنه أحدث تقدماً في علم المثلاث المسطحة والكروية.

مؤلفه في علم الفلك، «الزيج الكبير الحاكمي»، الذي يحتوي كل المراقبات الفلكية التي ذكرها سابقون في القرنين الثالث والرابع للهجري/التاسع والعاشر للميلاد، وتلك التي قام بها هو نفسه، بقيت محفوظة في هذا الكتاب. ويُعزى الفضل إلى ما بقي من مفاطم المختارة، ومن نصوصه المترجمة، في إثارة اهتمام

ابن هُبيرة، تسمية تطلق على اثنين من ولاء العراق في العصر الأموي، هما هُمر وابنه يوسف اللذان عملا من دون جدري على نُصرة السلاطة الحاكمة بوجه المشاريع الانقلابية التي كانت تندر بانتصار قريب للثورة العباسية.

كان هذان الواليان يمثلان الحزب القيسي الذي ينتمي إلى عرب الشمال، فقاما بمحاربة الحزب اليميني الشيعي الميول الذي كان قوياً في الكوفة. ويوسف، وهو الثاني والأخير منهما، فشل في الدفاع عن الخليفة مروان الثاني، أمام الجيش الذي أرسله أبو مسلم الخراساني، وتراجع إلى واسط وانتهى به الأمر إلى الاستسلام، فحكم عليه بالموت على الرغم من الوعد بالآمان على حياته الذي أعطى له.

ابن هُبيرة، عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد الشيباني المدّوري البغدادي، ٤٩٩-٥٦٠هـ/١١٠٦-١١٦٥م، إداري ووزير في الحقبة الأخيرة من خلافة العباسيين، كان أيضاً قضيها بارزاً في المذهب الحنبلي. ما فتى ابن هُبيرة، الذي وجّه الحكم خلال ستة عشر عاماً على عهد الخليفة المقتدي ثم المستنجد، يشجّع انتشار المذهب الحنبلي، وألّف كتاباً في الفوارق بين المذاهب الفقهية، واستقدم إلى بغداد علماء مختلفي الاتجاهات لمناقشة هذه الموضوعات. هذا الكتاب، المعروف بـ«الإفصاح»، ساعد على التقارب بين ممثلي المذاهب المختلفة، وقد طبع هذا التقارب نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في الشرق.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ٢١٥-٢٢٠هـ/٨٣٠م، نَسابة وحوي عربي، نال شهرته من خلال تصنيفه سيرة النبي محمد (ﷺ).

ولد ابن هشام في البصرة، وتعمّق في دراسة الحديث، واقتلع على أحاديث أخرى كانت متداولة في العراق. ثم انتقل إلى مصر. اهتّم، فضلاً عن مؤلفات مختصة بالتاريخ القديم لجنوبي الجزيرة العربية، بوضع «سيرة الرسول» انطلاقاً من كتاب كان قد وضعه ابن إسحق، فأجرى فيه تعديلات متنوّعة، وأدخل عليه زيادات جمّة.

السياسة التي اعتمدها النبي محمد (ﷺ) في حياته، فإن هذا الحكم أُنسِم بأهمية أساسية وتأثر به المسلمون في ما بعد وساروا على سُنَّته. لقد دُمِعَ الجهد الأولُ لتثبيت الدولة الإسلامية الناشئة، بعد أن مُنِيت بالاضطراب إثر وفاة مؤسسها، وأُطلق مرحلة التوسع المدعشة التي حققتها لها الفتوحات الكبرى.

إنَّ تنظيم البُيُعة الذي أُطلق بمبادرة من عمر بن الخطاب والذي أصبح في ما بعد تقليدًا في الأوساط السنية، سمح لأبي بكر بممارسة حكم مطلق، فاتخذ لنفسه لقب خليفة رسول الله، الذي غدا من بعده سُنَّة. ومع هذا، كان على الخليفة الجديد أن يواجه، بقوة السلاح، حركة العصيان الواسعة التي عُرفت بالردة، التي أعقبت غياب النبي محمد ﷺ، في شبه جزيرة العرب.

وما إن أُنمَّ هذه المهمة حتَّى أُطلق حركة الفتوحات، نحو أراضي إمبراطوريتي الشمال الغنيتين والتي كان من المرتقب أن توحد القبائل المُتَحَرِّلة في ديار العرب، أملًا في الغزو والغنمة^(٧). وقد تحققت الفتوحات الأولى، في بلاد ما بين النهرين وفي سورية، بمعركة أجنادين، قبيل وفاته في آب/أغسطس ٦٣٤م.

درج التقليد الشيعي، على التذكير بحضور أبي بكر المستمر إلى جانب النبي محمد ﷺ، ودعمه له خلال الصعوبات التي واجهته في أوّل عهد الدعوة، وتزويجه ابنته عائشة، بحيث اتَّخذ في الذاكرة الإسلامية أبعادًا أكثر أهميةً ممَّا نمحَصَّت عنه الأحداث التي تميَّز بها حكمه.

ولمَّا كان قد نَافَسَ عليًّا، إتهمه الشيعة بأنّه حال دون وصوله المباشر إلى سدة الخلافة بدفاعه عن مصالح المهاجرين على حساب قضية الأنصار. فقد حباه (التقليد الشيعي) فضل اعتناق الإسلام قبل سواء، وقد ميَّزه النبي بأنّ آياه عنه في رثامة الحبيج وإمامة الصلاة خلال مرضه الأخير. وبذلك غدا، في نظر أهل السُنَّة العريقين في التقليد، النموذج الأمثل لرئيس الدولة المتمرس باحترام الشريعة والحريص على قيادة المسلمين، دونما ضعف، نحو النصر في الجهاد.

أبو الحسن علي، ٦٩٧-٧٣٦م/١٢٩٧-١٣٣٥م،

العلماء الغربيين الذين خصّوه بعدد من الدراسات، ابتداء من القرن التاسع عشر.

أبو أيوب الأنصاري، ؟ ٥٢هـ/ ٦٧٢م، من أصحاب رسول الإسلام ﷺ، دفن تحت أسوار القسطنطينية. يُطلَقُ اسمه بصيغة «أيوب» على الضاحية التي نشأت حول ضريحه في العصر العثماني. شارك أبو أيوب في كلّ الغزوات التي قام بها النبي محمد ﷺ، ودافع بعد ذلك عن قضية علي، واشترك في العصر الأموي، وبالتحديد خلال حكم معاوية، في أكبر عملية جهاد أطلقت آنذاك ضدَّ بيزنطية، ومات بسبب العرض خلال تلك الحملة. يبدو أنَّ البيزنطيين احترموا المكان الذي دُفِن فيه وهو يقع في عمق القرن الذهبي، وقد عرفه الكتّاب العرب القدماء، وورد ذكره موضعًا للزيارات في الحقبة التي انتشر فيها تكريم الأولياء. نجده في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في دليل الهزوي. بعد أن استولى السلطان محمد الثاني الفاتح على العاصمة البيزنطية التي أصبحت تعرف، بعد هذا التاريخ، باسم «إسطنبول». تمَّ، في عام ١٤٥٨م، بناءً مسجده الجديد في المكان المذكور ضمَّ المقام. دُفِنَ بالقرب منه شخصيات كبيرة عدَّة ونما أبقصًا في الجوار حيَّ سكي. تمَّ بعد ذلك غير مرَّة تكبير مسجد «أيوب» وتجميله، وما يزال حتى اليوم موضع تكريم خاص.

أبو بكر، هيدانه بن أبي فُحافة التميمي القُرَشي، الملقَّب به الصَّدِّيق، ٥٢ق.هـ-١٣هـ/٥٧٠-٦٣٤م، أوّل خلفاء الإسلام، تولّى الحكم من سنة ١١ إلى سنة ١٣هـ/٦٣٢ إلى ٦٣٤م، وكان، قبل ذلك، والد إحدى زوجات (الرسول) محمد ﷺ وصاحبه الأمين الذي رافقه في هجرته إلى يثرب.

وُلد حوالي العام ٥٧٠م في مكة، في عشيرة من قبيلة قُرَيش؛ وكان قد تقدَّم في السن حين دُعي إلى الاضطلاع بدور قيادي. هو الأوّل بين الخلفاء الأربعة المباشرين للنبي محمد ﷺ المعروفين بالراشدين. مارس السلطة العليا على المؤمنين بعد وفاة المعلم القائد والصدِّيق، وكان قد خدمه بإخلاص وامتثل لأوامره حتى هذا التاريخ. ورغم قصر مدة حكمه الذي تابع خلاله

فيما بعد ، لا تتلام ، إطلاقاً ، مع واقع المواقف الرصينة التي دافع عنها . إلا أنه أقام ، من دون شك ، علاقة بالشيعية الذين كان لهم في مدينته ومنطقته أتباع كثيرون ، تجلّت خلال الحركات الفاشلة التي أشعل نارها علويون من سلالة الحسن طامعون بالخلافة ، ما بين عامي ١٤٥ و ١٤٦هـ / ٧٦٢-٧٦٣م . وأكثر الظن أن موقفه هذا أفقده عطف الخليفة وكان السبب في سجنه .

لم يخلف أبو حنيفة مجموعة فقهية مدونة في كتاب ، إلا أن تلاميذه تولّوا جمع آرائه من بعده . ويبدو أنه ، فضلاً عن ذلك ، أبدى ميلاً إلى عقيدة المرجئة ، يتجلّى ، بشكل خاص ، في «إعلان للعقيدة الدينية» جهر به في مؤلف منسوب إليه هو «الفقه الأكبر-الأول» .

أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأثف ، ٢٠٢-٢٧٥هـ / ٨٨٩-٨١٧م ، محدث وصاحب أحد مجاميع الحديث الستة الصحيحة .

قضى أبو داود القسم الأعظم من حياته في البصرة ، وإن نسبته إلى سجستان غير واضحة ، فمن المحتمل أن تكون أسرته قد هاجرت من هذه المقاطعة الإيرانية .

في مجموع الأحاديث التي دوّنها «كتاب السنن» أو «كتاب أعمال [الرسول]» ، يصرّح بأنه بذل وسعه في الاختصار على جمع الأحاديث التي بدت له «حسنة» أو «غاية في الحسن» ، بحسب التصنيف المعمول به أيامه . وقد كان حريصاً ، في أحيان كثيرة ، على إبداء رأيه حول قيمة الأحاديث (النصوص) التي كان ينقلها . فامتاز بذلك عن سائر مصتفي المجاميع المشابهة ، ممهداً الطريق أمام حركة النقد المفضل للأحاديث التي نهض بأعبائها لتلميذه الترمذي .

أبو المشعور ، محمد بن محي الدين محمد ، ٨٩٦-٩٨٢هـ / ١٤٩٠-١٥٧٤م ، عالم حنفي من العهد العثماني ، غدا شيخ الإسلام من ١٥٤٥م حتى وفاته .

هو ابن عالم من منطقة آساميا ، عُرف كذلك باسم الخوجا جلبي ، عمل مدرّساً في عهد محمد الثاني ، ثم قاضياً في بورصة ، وبعدئذ في اسطنبول . غدا عام ١٥٣٧ قاضي عسكر في الزوملي (تراقية ومقدونية) ، وفي ١٥٤٥ المفتي الأكبر وشيخ الإسلام في عهدي سليمان القانوني وسليم الثاني ، وأنهى حياته المهنية في

العامل العاشر في سلالة ملوك المغرب المرينيين . شكّل عهده قمة سلطنتهم ، من ١٣٣١ إلى ١٣٤٨م .

إن روح الجهاد التي كانت تحرّك هذا الأمير عندما اعتلى عرش والده آلت به ، في أوّل الأمر ، إلى مقاومة حروب الإسترداد المسيحية في الأندلس ، فانتزع جبل طارق ، عام ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م ، من أيدي القشتاليين الذين كانوا استولوا عليه عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م ، إلا أن جهوده في هذا الاتجاه تلاشت أمام كارثة ريو سالادو ، قرب طريفة ، عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م (حيث دحره الفونسو الحادي عشر) . كما أن سياسته التوسعية اتجهت نحو جبراته في تلمسان ، بني عبد الواد . فقد احتلّ موقناً عاصمتهم لمدة عشر سنوات ، بعد حصار دام ثلاث سنوات وانتهى عام ١٣٣٧م . وكان قد انطلق من مدينة المنصورة المحصنة التي كان قد شيدها أحد أسلافه الذي لم يحالفه الحظ مثله . وقد أدّت به مطامعه المتزايدة لتوسيع أراضيه مملكته إلى الإخفاق عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م ، غير بعيد من القيروان حيث قصد مسانداً حليفاً له من سلالة الحفصيين . إن هزيمة جيشه التي ، على أثرها تسلّم السلطة ابنه أبو عنان ، أدت بأفول نفوذه قبيل وفاته ، وقد دفن في المقابر الملكية في شالة ، بضاحية الرباط .

أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت ، ٨٠-١٤٩هـ / ٦٩٩-٧٦٧م ، فقيه وعالم كلام ، ومؤسس المذهب الفقهي المنسوب إليه أي المذهب الحنفي . إنه ، لهذا السبب ، يتمتع بشهرة كبيرة .

تولّى في بغداد حيث كان الخليفة العباسي المنصور أمر بسجنه ، وحيث غدا ضريحه مع قبته موضع توفير ، وكان أبو حنيفة قد ولد في الكوفة من عائلة من الموالي مرتبطة بقبيلة عربية .

لقد لازم هذه المدينة حيث كثر أتباعه وتلاميذه ، وغدا حجّة في سائل الفقه يمارس التعليم من دون أن يتولّى مهمة القاضي أو يتوقّف عن كسب عيشه من عمله . ويبدو أنه وجه همه إلى تحسين التقنية الفقهية [في استخراج الأحكام ، بشكل أساسي ، مع اهتمامه بمبادئ العقيدة وحرصه على تجانس نظرياته . إن الاتهامات التي أطلقها ضده خصوم الحنيفة ،

إن هاتين السمتين اللتين وقرنا لأبي طالب شهرة ما في ذاكرة المسلمين لم نجعلنا منه، مع ذلك، شخصية نافذة. لقد حفظت التقاليد، بوجه خاص، موقفه العطوف تجاه ابن أخيه، ورعايته له في صباه، مشركاً إياه في أعماله التجارية في سوريا، وحامياً له في الفترة الأولى لدعوته التي أَلَيْتْ ضده نَجَار المدينة الأغنياء. إننا نعلم، من جهة أخرى، أنَّ أبا طالب استمرَّ على رأس عشيرة بني هاشم أو الهاشميين، رغم المصاعب المالية التي أجبرته على تقويض بعض مسؤولياته إلى العباس. وقد كان موته الذي حرم النبي محمداً (ﷺ) سنداً، فعلاً، أحد أسباب الهجرة وإقامة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة.

« راجع المستند رقم ١. »

أبو ظبي ← الإمارات العربية المتحدة.

أبو عُبَيْد الْبَكْرِي، عبدالله بن عبد العزيز، ٤٣٢-١٤٨٧هـ/١٠٤٠-١٠٩٤م، جغرافي من الأندلس، كان أبرز علماء الأندلس في عهد ملوك الطوائف. كل ما نعرفه عنه أنَّ والده تولى إمارة ولَّيه من ٤٠٣ حتى ٤٤٣هـ/١٠١٢م حتى ١٠٥١م. توفي في قرطبة عام ٤٤٤هـ/١٠٩٤م، بعد أن شهد اجتياح المرابطين شبه جزيرة إيبيريا والتغيير العنيف الذي أحدثه فيها.

خلف البكري عدداً من الرسائل، إلَّا أنَّه اشتهر بوصفه جغرافياً. كتابه الموسوم «كتاب المسالك والممالك» لم يصلنا سوى قسم منه، وهذا القسم منشور ومترجم فقط جزئياً، وهو وصف لمسالك القوافل: نحاظته معلومات كثيرة عن التاريخ السياسي والاجتماعي نهل في بعضها من سابقه. إنَّها نجعل من كتابه مصدراً أساسياً لمعرفة [أحوال] الأندلس والمغرب خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد.

أبو العتاهية، أبو إسحق إسماعيل بن القاسم، ١٣٠-٨٢١١هـ/٧٤٨-٨٢٦م، شاعر عربي من العصر الذهبي العباسي، اُمتت له «هُدَيَاتُه» - وهي أشعار من وحي ديني تبيجل الزهد - في آخر حياته، شهرة تعدت الأوساط الأرستقراطية حيث لمع في البدء، واستمرت

سطينول حيث دفن في حيّ أيوب.

برَّر أبو السعود، بصفته شيخ الإسلام، بعض لقرارات التي اتخذها السلاطين. وقد اشترك بوجه خاص في العمل التشريعي الذي أطلقه العاهل الكبير سليمان القانوني، محاولاً التوفيق بين التنظيمات الإدارية للمملكة والشريعة الإسلامية. من جهة أخرى، أقام مبدأً قضياً بأن يتبع القضاء، في أحكامهم وطريقة تطبيقهم للقانون، توجيهات السلطان.

بو سفيان بن حرب بن أمية، ٣٣٣هـ/٩٠٣-٦٥٣م، سيب من بعيد للنبي محمد (ﷺ) ورأس عشيرة عبد حمس من قريش، كان من رجالات مكة الأكثر نفوذاً. انضوى إلى الإسلام متأخراً بعد مناصبته العداء لسافر له. كان من أشرف [مكة]، وهو والد معاوية مؤسس الخلافة الوراثية الأولى في الإسلام، خلافة لأمويين، المنسوبة إلى إسم جدِّهم الأوَّل، أمية بن عبد لمس. وقد دفعت مسؤولياته السياسية تجاه عشيرته، هي الأكثر ثراء بمكة، زمن قيام حكومة المدينة، إلى حمل السلاح حفاظاً على حرية تنقّل القوافل التي ماجها النبي محمد (ﷺ)، وخاض الحرب ضده في نزوات بدر وأحد والخندق.

بيد أنَّ موقفه غير العنيف وحذقه بشراً له مفاوضة لنبي محمد (ﷺ) الذي كان، في غضون ذلك، قد تزوج إحدى بناته، أم حبيبة، وسمح له بالمساهمة في سننسلام مدينة سلمية، وكذلك المساهمة في غزوتي حُنين والطائف اللاحقتين. وبذلك تأمَّنت له معاملة جيدة، ولا سيما في تولِّيه توزيع الغنائم، وظلَّ فعلاً خلال خلافة أبي بكر والحملات العسكرية الأولى على سوريا في مسهل الفتوحات الكبرى.

« راجع المستند ٢. »

أبو شجاع فتًا خسرو ← عَصْد الدولة.

أبو طالب، ابن عبد المظلل بن هاشم، ٦١٩هـ/١٢٢٩م، أخ غير شقيق لعبد الله والعباس، قرشي وعمِّ نبي الإسلام، عرف، بشكل خاص، بصفته والداً لأحد المسلمين الأوَّلين والمقرَّبين إلى النبي محمد (ﷺ)، أي علي بن أبي طالب.

واجهته في حملاته البعيدة المدى إلى اغتياله وانحطاط
السلالة التي حاول أن يمثلها على أفضل وجه.

أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن أيوب الملك المؤيد
٦٧٢-٨٧٣/١٢٧٣-١٢٣١م، أمير سورّي سليل أسر
الأيوبيين، تولى مسؤوليات رفيعة في دولة المماليك
وحاز شهرة حية بصفته مؤرخاً وباحثاً.

إلى جانب الشهرة التي حازها أبو الفداء حاز
لمدينة حماة حيث رعى شؤون الثقافة والأدباء، فقد
بالسلف الصالح في التقليد العربي-الإسلامي، ف
خلف وراءه كتاب «المختصر في أخبار البشر» جار
فيه على حقل مؤرخي الوقائع العرب في القرو
الوسطى، وكذلك كتاب «تقويم البلدان» في الجغراف
الوصفية العامة، وهو نقميش فطن للمعلومات
الجغرافية. وقد تداولت الأيدي هذين المؤلفين بكث
في ما بعد، بما في ذلك في الأوساط التركية خلا
الحقبة العثمانية، وأيضاً في أوروبا ابتداء من القرن
السابع عشر والثامن عشر، قبل أن يعمد علم الإستشرا
في القرن التاسع عشر - وكان قد اهتم بطبع مؤلفاء
أبي الفداء وترجمتها - إلى تركيز معرفته بالإسلام عل
مصادر ونصوص أقدم منها.

أبو فراس، الحارث بن سعيد بن حمدان التلملي
٣٢٠-٣٥٨/٩٣٢-٩٦٨م، أمير وشاعر عربي من سلا
الحمّانيّين، عاش في سورية بطلاً فارساً ولقت الأنظ
خلال حروب المسلمين مع بيزنطية.

إنّ هذا الشاعر الغنائيّ المثيرة الذي أثر السير عل
سنة شعراء العرب قبل الإسلام في أخذهم بفنون الغز
والهجاء والحماة الحربية، ضمّن شعره، بوضوح
معتقداته الدينية الملزمة الخط الشيعي. وبحكم ص
القرابة بينه وبين سيف الدولة، المؤسّس الشهير لملكو
عربية صنيعة في حلب، أصبح حاكماً لفتح وجاه
لأحد تخوم امبراطورية الخلافة العباسية في مرح
انحطاطها. وقد أسّر في هذه المدينة خلال إحدى
الحملات البيزنطية، بعدما اشترك في غزوات موسه
جهادية في الأناضول. وهو تدينّ لسنواته الأربع اذ
قضاها في الأسر في الفسطنطينية بمجموعة أشعار
المعروفة بالروميّات. وقد تجلّت فيها نفحات حين

حتى أياها هذه.

ولد في الكوفة من عائلة بسيطة، أعجمية الأصل.
اشتهر شاعر الزهد هذا، قبل أن يذهب إلى بغداد،
بأشعاره الغزلية التي كان يغنيها، في بعض الأحيان،
بحسب عادات العصر، موسيقى من أمثال إبراهيم
المؤملي، كما اشتهر بخمرياته وبقصائد المديح. سمح
له هذا النجاح الأوّل بأن يعيش حياة تعافيت فيها فترات
من الحظوة وأخرى يلوّنها، وذلك في الأوساط المرفهة
المقرّبة من بلاط الخليفة والمتأثرة بالتيارات السياسية-
الدينية المختلفة. لكن الشهرة الحقيقية والإنجاز أضافه
بعد ذلك، خلال حكم الخليفة هارون الرشيد، بسبب
«اهتداء» جمعه لا يؤلف إلّا مواضع شعريّة ذات صبغة
أخلاقية. وقد دفعت الأفكار التي أخذ يدافع عنها
بعضهم إلى الشكّ في صحة معتقداته. لكنّ التعبيرات
الطبيعية والبساطة العاطفية التي تميّز بها إنتاجه الشعري
الغزير نجحت في تأمين حظوة له لدى جمهور شعبي
واسع الانتشار.

أبو العلاء المعري - المعري.

أبو العلاء المودودي - المودودي (سيد).

أبو عثمان فارس، ٧٢٩-٧٥٩/١٢٢٩-١٣٥٨م،
العامل الحادي عشر للسلالة المراكشية المرينية، ملك
من ٧٤٩ إلى ٨٧٥٩/١٣٤٨ إلى ١٣٥٨م محاولاً، من
دون جدوى، الحفاظ على طموحات أسلافه في توسيع
أراضي مملكته.

أفاد أبو عثمان من هزيمة مُني بها جيش والده أبي
الحسن عليّ لانتزاع السلطة منه، واستمرّ في منافسته في
كلّ الإنجازات التي حاول أن يحققها. في نطاق مملكته،
إستأنف البرنامج الديني-السياسي لبناء المدارس، ومنها
بالذات مدرسة بو عناية التي ما تزال تحمل اسمه في
فاس. في الخارج، تابع طموح أبي الحسن في اتّجاه
إفريقية وفي اتّجاه المنطقة التي ستعرف في ما بعد باسم
الجزائر، حيث انتزع من جديد تلمسان عام ٨٧٥٣/
١٣٥٢م من بني عبد الواد الذين كانوا استرجعوا، كما
استولوا على بجاية وقسنطينة. ورغم جهوده وجرأته على
منح نفسه لقب أمير المؤمنين، فقد أدّت المصاعب التي

الذي كان ينشئ عليه مريديه، بعد أن أنشئ عليه في فاس. وتابعه في بلاد المشرق، حيث يقال إنه قد تعرّف إلى التقليد الصوفي الذي خلفه الغزالي والثقي عبد القادر الجيلاني. ترك مؤلفات قليلة، إلا أنه أصاب شهرة عظيمة بعد وفاته. ذاعت شهرة ضريحه بين الملا، فأصبحت إليه ميّزات وأبنية أقامها المريّون، ولا سيما أبو الحسن علي. وما يزال هذا الحرم الضخم المعروف بسبدي بو مدين من أهم المزارات الشعبية في المغرب الإسلامي، حيث يعتبر صاحبه مؤسس الطريقة المذنبية المعروفة أيضًا بالشاذلية.

أبو مسلم، ١٣٢هـ/٧٥٥م، مغامر سياسي وداعية ومؤب، من مؤيدي الدعوة الشيعية، عمل على إنجاح «الثورة العباسية»، ومع ذلك لاقى حتفه بأمر من الخليفة العباسي الثاني، المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية أبي جعفر المنصور.

أصله غير معروف، إلا أنه من أرومة إيرانية، عبد معتق لقبيلة عربية من الكوفة. ماضيه ينسج بروج ثورية وبانتماءات منشّية دفعته إلى الانخراط في خدمة الداعية العباسي آنذاك إبراهيم بن محمد. وكان قد اختاره إبراهيم على رأس أتباعه في خراسان، في حين عين مولّى آخر، هو أبو سلمة، ممثلًا له في الكوفة.

أفاد أبو مسلم من التذمّر الذي كان يسود الناس في المناطق الشرقية من الأمبراطورية، في صفوف الموالى^(٨) من أهل تلك البلاد الذين غدوا ضحية الضرائب الباهظة، على الرغم من اعتناقهم الإسلام، كما في صفوف العرب من الفرق المغالّة التي دخلت البلاد إبان الفتوحات الكبرى، فتنجح الداعية السريّ الجديد في كسب رضا الرؤساء المحليّين من ذوي الميول العلوية. كما عرف كيف يستغلّ البلبلة التي سادت الشيعة بعد هزيمة يحيى بن زيد. استطاع أبو مسلم أن يعدّ جيشًا ساهم مبدأ المساواة الذي كان المعارضون للحكم الأمويّ يسعون إلى إقراره بين العرب وغير العرب، إذ إنّ أفراد هذا الجيش كانوا يسجلون على لوانحه من دون أيّ ذكر لأصلهم. بعد ذلك انتقل إلى حبرّ العمل جهازًا، فدفع إلى الميدان بفرقة ترفع الرايات السوداء في ١٥ حزيران/يونيو عام ١٣٠هـ/

شهرية التي شبّهت أحيانًا في أوروبا بثورات شارل وزليان الذي صادف الظروف نفسها أميرًا متغيًا. كان أبو راس نموذجًا للفصائل العربية الغيلية ولشرف الشجاعة والكرم التي طالما تغتّى بها وهو يشيد مجاده وأمجاد أسرته. لم يعتّم أن فارق الحياة وهو ازع السلطة نسيبه إبن سيف الدولة ووريثه. إنّ موته حبرك ساهم، من دون شك، في تحويله مثلاً، وقد شُيّرت آثاره المميّزة، عبر الأزمنة، تجلّيًا لها.

و الفرج الأصفهاني - الأصفهاني.

و قير (معارك)، معارك جرت بين المسلمين الأوروبيّين وكذلك بين القوى الأوروبية المتنافسة، لقرب من مرفأ «أبو قير» المتوسطي الواقع في منطقة دلتا في مصر، إلى الشرق من الإسكندرية.

إلى ذكرى المعركة البحرية التي وقعت في الأوّل ن آب ١٧٩٨ والتي قضى خلالها الأميرال الإنكليزيّ سون على الأسطول الفرنسي، تُضاف معركة أخرى ضح خلالها الفرنسيّون حدًا للمحاولات التي قام بها جيش العثماني لاسترجاع مصر. إن الهزيمة التي مُني بها العثمانيّون في هذا المكان بالذات، في ٢٥ تموز ١٧٩٩، قرّرت مستقبل الحملة التي قادها بوناپرت إذ سمحت لها بالتمركز في مصر. لقد كان لتلك الحملة، لمى الرغم من طابعها العابر، أثر عميق في التطوّرات التي عرفها الشرق الإسلامي في القرن التاسع عشر. برت في المكان عينه عملية إنزال قامت بها الفرقة لبريطانية التي أرسلت لمحاربة قوات الاحتلال الفرنسيّ لأخيرة في آذار ١٨٠١، كما جرت عمليات أخرى قام بها الإنكليز في العام ١٨٠٧.

بو المحاسن - إبن تَقْري بردي.

بو مَدِين، شُعب بن الحسين، ٥٢٠-١١٢٦هـ-١١٩١م، صوفيّ شهير من الأندلس، قصد المغرب في بهد المؤخّدين وحاز التوقير على أنّه وليّ تلمسان.

ولد في منطقة إيشيلية وتوفي في قرية المُباد، لمجاورة لتلمسان، فيما كان متوجّهًا من بجاية إلى بلاط تراکش بأمر من الملك أبي يوسف يقوب. حاز، خلال حياته، مكانة مرموقة بفضل التعليم الصوفي المميّز

العملية كذلك التي تؤسس لقانون المدّ والجزر. وإذا كان أبو معشر قد زاول التنجيم بوجه خاص، فقد جمع، في الوقت عينه، في كتاباته القوانين الفلكية الأساسية التي جعلها معاصروه وجعلها أصلاً مفيداً لاختبار الشخصية.

أبو نواس، الحسن بن هانئ الحكمي، ١٤١-٢٠٠هـ
٧٥٦-٨١٥م، شاعر عربيّ تمثل موهبته الأدبية وشخصيته الأوساط الموهبة عهد العباسيين الذهبي، خلال حكم الخليفين هارون الرشيد وابنه الأمين.

ولد في مدينة الأهواز في خوزستان من أسرة من الموالي ذات أصول محلية. ومما لا شك فيه أنّه كان، صلة بالحركات الفكرية المختلفة ذات الصبغة الإبرانية والزراعات الابتداعية التي كانت تشكّل آنذاك الشرو الفكرية لمجتمع مركّب، في عزّ نهضته، نازكة أثراً في في بلاط الخلفاء وفي أوساط حاشيتهم. إلّا أنّ شعره قد حقّ قدره في بغداد العاصمة، بعد أن كان قد تنقّب في البصرة والكوفة. أفاد من رعاية البرامكة، أسرة الوزراء المعروفة، قبل أن يغدو نديماً للخلفاء. ورغم انصرافه إلى التهنّك، يبرز في دوره نديماً وملاحاً وابتدع أشعاراً، ساهمت، بمواضيعها المختارة وأناقيتها، في تجديد الشعر العربيّ العباسي، في مقابل شعر بدوي تقليدي؛ كان وحده معتمداً حتى ذلك العهد. هكذا تؤكد شهرته الأسطورية التي استمرت حتى أيامنا، ولا سيّ في مجال النوادر النادرة عن التحلّل الخلقيّ ومزرك الشعرية الرفيعة في فني الغزل ووصف الخمرة.

أبو هاشم، عبدالله، ٩-٩٨هـ/ ٧١٦-٧١٧م، ابن محمد بن الحنفية الذي غدا رأس فصيل من الفرقة الكيسان المتحدرة من الشيعة. ساهم في بروز الحركة النباسية شخّج أبو هاشم، في أواخر القرن الأوّل الهجري مطلع الثامن الميلادي، انطلاق حركة المعارضة الدينية السياسية ضد الحكم الأموي التي كان يقودها [دعاة] من سلالة العباس بن عبد المطلب، مساهماً بذلك في إضفاء الشرعية عليها. وقد تنازل أبو هاشم إلى أحد ممثلي هذه السلالة - وهو محمد بن علي، الذي كان يعمل في الخفاء ضد سلطة الخلفاء الأمويين، أسيد الأمباطور العربية-الإسلامية منذ عام ٤١هـ/ ٦٦١م - عن حقّه في

٧٤٧هـ، رمزاً إلى آمال الخلاص التي تسعى إليها الثورة التي تولّى قيادتها. نجحت محاولاته الأولى، فاحتلّ على إثرها، في كانون الثاني/يناير ٧٤٨هـ، مدينة مرو، قاعدة الحكم. ثم اشتركت قواته، وعلى رأسها قواد من العرب، في معارك متعدّدة في الأراضي الإيرانية، هزمت في أعقابها الحاميات الأموية.

إنّ النصر الذي تلا ذلك، في ما بعد، في العراق وإعلان السّاح خليفة سمحت لأبي مسلم، وهو في أوج قدرته، بأن يصبح والياً على خراسان من قبل العباسيين. وفي الوقت نفسه ظلّ يتدخل في توجيهات السلطة المركزية، من ذلك استشارته في إعدام شريكه القديم في الثورة، أبي سلمة، الذي اتهم بالخيانة وموافقة على ذلك. وقد ساند بعدئذ خليفة السّاح، المنصور، في صراعه مع عمّه عبدالله بن عليّ الذي انتفض عليه. إلّا أنّ موقفه الحذر هذا لم يمنع الخليفة، في ما بعد، من التخلص غدرًا من هذا القائد الذي تعاطفت سلطته فضاء به ذرغاً، وأوجس منه خيفة. وكان موته باعثاً لثورة ذات منحي شيعي في إيران، غير أنّ هذا الحدث لا يكفي لإثبات أنّ أبا مسلم كان ينوي ترجيح آراءه المواليين لعلّي، في انتظار الظروف المناسبة لإطاحة الحكم العباسي الذي عرف من قبل كيف بيّث دعامته بشكل فعّال.

أبو معشر البلخي، جعفر بن محمد بن عمر، المعروف باللاتينية باسم أليومصّر، (Ablumasar) ١٧٢-٢٧٣هـ/ ٧٨٨-٨٨٦م، فلكيّ ومنجّم مسلم، ساهمت آثاره الذاتية الشهرة في هذين التحليلين في انتقال علوم العرب إلى أوروبا المسيحية في القرون الوسطى.

وُلد في بلخ، شرقيّ خراسان، حيث أتمّ دراسته الأولى، ثم انتقل إلى الدراسة في بغداد عاصمة الخلافة العباسية حيث كانت الحياة الفكرية في أوج ازدهارها، ووضع فيها مؤلفات كثيرة قبل أن توافيه المنية، في سنّ متقدّمة، في مدينة أخرى بالعراق ذات أهمية في زمانه تدعى واسط. أنشأ جداول فلكية، وبخاصة رسالة في التنجيم، بعنوان المدخل الكبير، تُرجمت إلى اللاتينية منذ القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، واحتوت نتائج معاينات قابلة للاستعمال من الناحية

القتال خلال معارك متلاحقة، فتعقب أبا يزيد حتى هزيمته النهائية فقتل غير بعيد من قلعة بني حماد.

أبو يعلى (قاضي) ← ابن القراء.

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي، ١٢٨-١٨٢هـ/٧٤٥-٧٩٨م، عالم بالفقه، عاش في العصر الذهبي لخلافة العباسيين وغدا القاضي الأكبر الأول في تاريخ الإسلام وأحد المؤسسين الأول للمدرسة الفقهية الحنيفة.

عُيِّن قاضياً في بغداد، بعد أن درس في الكوفة وفي المدينة على أبي حنيفة وكان موضوع تقديره. ولقد حاز هذا المشتري، وهو من أصل عربي عريق، شهرة فائقة في ممارسته الفطنة وخبرته في المسائل الفقهية. وربما كانت هذه المرونة التي تواخرت له من خبرته، وكان يؤثرها على الصرامة العقديّة، هي التي هيّأتها للدور الذي اضطلع به لدى الخليفة هارون الرشيد، صديقاً ومستشاراً في مجالي السياسة الماليّة وإدارة شؤون القضاء. لذلك مُنح لقب القاضي الأكبر [قاضي القضاة] الذي حوّلته مراقبة تعيين القضاة في جميع أنحاء الامبراطورية.

خلّف أبو يوسف كتابات متعدّدة لم يصلنا منها سوى بعضها، تناول فيها النظرية الفقهية، في خط الفكر الحنفيّ، ويتجلى فيها ميله إلى الجدل. وما لا شك فيه أنّ مؤلفه الأشهر هو رسالة في الضرائب وفي مسائل أخرى تتعلّق بالحكم، وضعها يطلب من هارون الرشيد، وسماها «كتاب الخراج».

أبو يوسف يعقوب بن يوسف، المنصور بالله، العاقل والخليفة الثالث في سلسلة الموحّدين. حكم من سنة ٥٨٠ إلى سنة ٥٩٦هـ/١١٨٤-١١٩٩م. يتطابق ملكه مع بلوغ أميرائهم أوج قدرتهم وإمنازها بانتصارات حربية وإنجازات معمارية خلّدت أمجادها.

هو ابن أبي يعقوب يوسف، أعاد جثمان والده إلى إشبيلية، وخلفه على الفور في مراكش من دون مصاعب، متابعاً بمزيد من الصرامة والعزم عمل والده في تثبيت أسس الدولة بالقتال تبهما للظروف التي ألجأتها إلى ذلك. وقد حقّق في هذا الاتجاه النجاح الباهر نلّو الآخر، في إفريقية حيث قضى على ثورات

قيادة الجماعة الإسلامية، بموجب وصيّة، وذلك قبل وفاته عام ٧٩٨هـ/٧١٦م، وهو حقّ كان أنباع والده قد ناضلوا من أجله بقوة السلاح^(٩). منذ هذا التاريخ بالذات - وإن تكن بعض المصادر التاريخية القديمة تشكّك بذلك - بدأت عودة النشاط للدعوة، إن لم يكن لمصلحة أبناء عليّ، فعلى الأقلّ لآل محمد ﷺ، وهو نشاط أدى، بعد مرور بضع سنوات، إلى نجاح «الثورة العباسية».

أبو الوفاء البُرْزْجاني، محمد بن محمد بن يحيى، ٣٣٩-٣٨٧هـ/٩٤٠-٩٩٧م، رياضيّ وفلكيّ ذاعت شهرته في أوساط بغداد العلمية، خلال عهد السيطرة السياسية الدينية للبويعيين.

ولد في إيران، في خوزستان، حيث تنامى إليه ميراث علمي محليّ على أيدي أساتذة نهوا من أسرته. ساهم أبو الوفاء، بوجه خاص، في تطوير علم المثلثات الدائرية حيث تجلّى إبداعه، مقبلاً من بعض المعطيات المتقبّسة من المعلم الهندي. وقد أعلّنه المكانة التي حازها في عاصمة الخلافة لمساعدة الأديب أبو حيّان التوحّيدي. إنّ أغلب مؤلفاته في الحساب والهندسة وعلم الفلك التي راجت في القرون الوسطى فقدت أو هي غير معروفة كما ينبغي.

أبو يزيد البسطامي ← البسطامي.

أبو يزيد النُكَّاري، مَخْلَد بن كيداد، المعروف كذلك بصاحب الحمار، ٢٧٠-٣٣٦هـ/٨٨٣-٩٤٧م، مسلم متمرّد من أصل بربري زناتي، نجح، لسنوات عدّة، في زعزعة سلطة الفاطميين الشيعة الذين كانوا قد استقروا حديثاً في إفريقية. كان مشابهاً للإباضية، إحدى نخل الخوارج المتجنّدة بقوة في المغرب، فوجد لدى بني قومه من البربر مناخاً ملائماً لحملته ضدّ الحكم، منذ العام ٣١٦هـ/٩٢٨م. وقد أمّنت له انتصاراته الحربية بعدد، ولا سيّما احتلاله القيروان منذ عام ٣٣١هـ/٩٤٣م، دعماً نسبياً من قبّل أهل البلاد من السنة المتعطلّين إلى رفع نير أنباع الإسماعيلية الذين استولوا على البلاد عنوة. إلّا أنّه أخفق في هجمته على عاصمتهم، المهدية. فقد استعاد عاقلها الفاطميّ الجديد الذي نصّب في هذه الظروف، متعلّقاً بالمنصور، مبادرة

يلدرك على منطقتي «الجبال» وأذربيجان، واستطاعوا في حدود سنة ١٠١٠هـ/١٢٠٥م، القضاء على أنابكة فراغة الذين كانوا يقيمون في هذه المنطقة، منذ مطلع القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، حكماً مضطرباً.

استعمل لقب أنابك كذلك لدى الخوارزمشاهيين وسلاجقة الروم، بدون أن يستطيع حاملوه الحصول على الشهرة التي تضيفها الوظائف الملكية، وبقي بعد غزو المغول، لكنه خرج من الاستعمال مع قيام الدولة العثمانية. وقد حمله عدد من الأشخاص في سوريا ومصر زمن الأيوبيين، كما استعمل أحياناً زمن المماليك، ولكن من دون أن يكون لحامله، بالضرورة، مهمة أو وظيفة معينة.

أناتورك، مصطفى كمال، ١٨٨١-١٩٣٨، مؤسس الجمهورية التركية وأول رئيس لها، بعدما جعلها، في مطلع القرن العشرين، مركزاً لقومية تركية جديدة، ولعلمانية على النمط الغربي، محوراً لذكرى الدولة العثمانية الإسلامية.

ولد مصطفى كمال في سالونيك، وفي سنة ١٨٩٥ دخل المدرسة الحربية في مونشتر، ثم المدرسة الحربية في اسطنبول سنة ١٨٩٩، فأكاديمية الحربية حيث تخرج سنة ١٩٠٥ برتبة نقيب. وقد عُيِّنَ، في ما بعد، في أركان حرب جيش سالونيك، فأنصرف مدة عشر سنوات تقريباً إلى المهام العسكرية في وسط منهمك أكثر فأكثر بالقضايا السياسية. وبعد خلع السلطان عبد الحميد ومجيء الاتحاديين إلى السلطة، بقي بعيداً عن المحكّمات الجدد ومنهم أنور باشا. وقد بقي أكثر من عشر سنوات يقاتل على مختلف الجبهات: قاتل الإيطاليين أولاً في طرابلس الغرب، في سنتي ١٩١١ و١٩١٢، ثم قاتل الفرق الفرنسية - البريطانية في شبه جزيرة غاليبولي سنة ١٩١٥؛ وفي المناطق الشرقية انتزع بثلث من الروس سنة ١٩١٦. ثم عُيِّنَ قائداً للجيش السابع في فلسطين، فظلم عملية انسحابه إلى شمال حلب حيث علم بتوقيع هدنة «مودروس» (٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨)، وأعلن فوراً رفضه لشروطها. وكان هذا التاريخ بداية وقوفه ضد الحكومة

محلية منذ العام ١٩٠٨/١١٨٧م، كما في الأندلس حيث ألحق بالإنشيليين، عام ١٩٠٢/١١٩٥م، الهزيمة الدامغة المعروفة والتي لُقّب أبو يوسف على إثرها بالمتصور. وقد كُرِّست إِنْصَارَات أبي يوسف في ساحات القتال هيبة الشخصية التي كانت توافرت لهذا الأمير الناضج بمسؤولياته خير نهوض، والحريص على إعظام رسالة الإسلام على جميع الصعد. وفي الوقت الذي كانت إدارته مستمرة في احترام تعاليم العقيدة الصارمة التي أعلنها إبن تومرْت، أدّت مبادراته كراعٍ للحضارة إلى أن يفتن اسمه ببيان تجاوزت شهرتها آثار سابقيه، ولا سيما في مؤاكن وإشبيلية والزباط، حيث تنتصب المآذن الثلاث الضخمة التي تعتبر من أجمل الآثار التي خلقها طموح الفن الموحدي.

«راجع المستد رقم ١٩»

أنابك، لقب تركي حمله عدد من أبناء الخاصة في دولة السلاجقة، في القرنين الخامس والسادس للهجرة/الحادي عشر والثاني عشر للميلاد. كما استعمل، أحياناً، لقباً سامياً حمله عدد من أبناء السلالات الحاكمة آنذاك.

تتكوّن اللفظة من «بك» أي السيد، و«أنا» أي الأب، وقد تعني «الوصي أو الولي». ويُمكن أن يُعطى اللقب لعلو أو لمعنّي يُعَمِّن وصياً على أمير فتى من الأسرة السلطانية. وقد أُعطِيَ أيضاً لبعض الوزراء، كنظام الملك مثلاً. وفي مناسبات عديدة، عمد القادة الأقوياء، متبنّين كانوا أوصياء على ورثة العرش، إلى قتل أولياء العهد وتأسيس سلطة جديدة في الشرق السلجوقي تحت هذا اللقب.

من الأنابكة المشهورين نذكر الذين حكموا الموصل وأعالي بلاد ما بين النهرين، وعُرفوا كذلك باسم الزنكيين، واشتهر منهم في العصر الصليبي عماد الدين زنكي وابنه نور الدين؛ وهناك أنابكة دمشق في سوريا الذين عُرفوا أيضاً باسم الأنابكة البوريين؛ وهناك أنابكة آخرون سيطروا على عدد من المقاطعات الأيرانية، منها فارس، حيث حكم أسباط الحرب، وقد عُرفوا باسم السلفريين. أمّا في الشمال الغربي، فقد سيطر أولاد

العمومية الكبيرة في أنقرة، في تشرين الثاني ١٩٢٢، على أن تُلغى نظام السلطنة، على الرغم من المعارضة الشديدة من بعض الأوساط الدينية التي رأت أنه لا معنى لوجود خليفة تُرعت منه السلطات الزمنية. ونتيجة ذلك، اضطرَّ السلطان السابق محمد السادس إلى مغادرة اسطنبول على ظهر سفينة بريطانية، فحلَّ محله في الخلافة ابن عمه عبد المجيد الثاني.

في سنة ١٩٢٣، صدّقت الجمعية العمومية الكبرى على معاهدة لوزان، وقد حصل فيها الأتراك على شروط أفضل بكثير من شروط معاهدة سيفر. وقد اعتُبر مجرى نهر ماريتزا في ترافيا الحدّ الفاصل بين تركيا وأوروبا، وأعادت هذه المعاهدة إلى تركيا جزيرتي إمبروس وتينيدوس، وأعطتها الحق في إعادة تحصين المضائق وتسليحها في حالة الحرب، وألغت جهود الأمان المعروفة بـ «الإميازات» التي كان معمولاً بها في العهد العثماني، وتخلّت عن فكرة استقلال كلٍّ من أرمينيا وكردستان، بعد الإشارة إليها في معاهدة سيفر، واعتبرت سيادة إيطاليا على جزر الدوديكانيز، وأقرّت التبادل السكاني بين تركيا واليونان. والمسألة الوحيدة التي بقيت عالقة كانت تتعلّق بولاية الموصل التي ألحقت نهائياً بالعراق في تموز/يوليو ١٩٢٦، مقابل تعويض ماليّ دُفع لتركيا.

وبعد أن حرّر الأراضي التركية كما خطط، ما أمّن له نفوذاً كبيراً، انصبّ اهتمام مصطفى كمال على تنظيم المؤسسات السياسية الجديدة وعلى تطوير المجتمع. فأنشأ حزب الشعب، ثمّ حزب الشعب الجمهوري، وكان هو رئيسه. انتُخب من جديد رئيساً للجمعية الوطنية الكبرى الثانية، وكان أعضاء حزبه يمثلون فيها الأكثرية. وفي ١٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٣ أعلنت الجمعية قيام الجمهورية وانتُخب مصطفى كمال رئيساً لها. فعتن عصمت إينونو رئيساً للوزراء واختار أنقرة عاصمة للبلاد. أخيراً في الثالث من آذار/مارس ١٩٢٤، ألغيت الخلافة عن طريق الاقتراع، وطُرد أعضاء السلالة العثمانية من البلاد.

أما الدستور الذي أراده مصطفى كمال والذي أصبح نافذاً في ربيع سنة ١٩٢٤، فإنه يمنح رئيس الجمهورية

القائمة التي أدان تصرفها واعتبرها عاجزة عن حماية مصالح الأتراك.

وبعد أن انتقل من أرضروم - حيث كان قد عيّن - إلى سمسون، ومنها إلى أمازيا، دعا الأمة. في ٢٢ حزيران ١٩١٩، للنضال من أجل وحدة أراضي الوطن. وخلال مؤتمر عُقد برئاسته في أرضروم (تموز وآب/يوليو وأغسطس ١٩١٩)، وفي مؤتمر آخر عُقد بمدينة سيواس في أيلول/سبتمبر ١٩١٩، أوضح مبادئه ووسائل الصراع ضد الاحتلال الأجنبي وضد حكّام اسطنبول، معتمداً في نضاله على الجيش الذي ظلّ وفياً له. وكان ردّه على احتلال جيوش الحلفاء العاصمة العثمانية، أن عقد في أنقرة (نيسان/أبريل ١٩٢٠) اجتماعاً للجمعية الوطنية الكبرى المؤلفة من ممثلين انتخبوا حديثاً ومن بعض النواب الوطنيين من المجلس النيابي القديم. وقد أعلن المجتمعون على الفور المقررات الآتية: أنّهم وحدهم يمثلون الأمة، وأنّ السلطة التشريعية والتنفيذية هي بيدهم إلى أن تعود الحرية إلى السلطان في اتخاذ قراراته؛ وقرّرت الجمعية هذه السلطات إلى مجلس وزراء رئيسه مصطفى كمال الذي اختير أيضاً رئيساً للجمعية.

تشكّلت الحكومة الوطنية الأولى في ٣ أيار/مايو ١٩٢٠، وكان من مهماتها المباشرة استعادة كيليكية عسكرياً، وهذا ما حصل فعلاً على أثر توقيع هدنة مع فرنسا. كما كان عليها أن ترفض، بشكل قاطع، معاهدة «سيفر» التي قبلت بها حكومة السلطان في آب/أغسطس ١٩٢٠، وأن تنصّذ لليونان الذين سيروا حملة على هضبة الأناضول، بموافقة الحلفاء، من أجل تطبيق بنود المعاهدة المذكورة بالقوّة. وخلال ما سُمّي بحرب الاستقلال، حقّق الأتراك انتصاراً في معركة سكاريا (أيلول/سبتمبر ١٩٢١)، كان الفضل الأكبر فيه لمصطفى كمال، قتال رتبة مارشال ولُقّب بالغازي. وعقب ذلك قاد هجوماً سنة ١٩٢٢ وانتزع انتصاراً في ذوملوتيار، ثمّ في إزمير، ونتج عن ذلك توقيع هدنة مُدانيا. ثم كانت محادثات لوزان (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٢ - تموز/يوليو ١٩٢٣) التي سيحدّد فيها الحلفاء شروط الصلح. وخلال ذلك حمل مصطفى كمال الجمعية

الاقصادية لم تعرفه تركيا من قبل، وأقيم في الخارج سياسة حذرة، مع حرصه على إزالة آثار حرب الاستقلال؛ وهذه الآثار كانت تهدد بنشوب عدد من الأزمات. فعقد سلسلة اتفاقات مع الإتحاد السوفياتي (١٩٢٨-١٩٢٩) وبلغاريا واليونان (تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٠)، وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا العظمى. كما وقّع ميثاق «التفاهم البلقاني» سنة ١٩٣٤، ثم ميثاق التفاهم الآسيوي في سغديآباد سنة ١٩٣٧. عند وفاته، وحده الخلاف مع فرنسا على مصير لواء الاسكندرونه كان لا يزال عالماً، فحلّ سنة ١٩٣٩.

في ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٨ توفي مصطفى كمال أتاتورك، بعد أن أنجز عملاً يُعتبر ثورياً بكل معنى الكلمة، نتجت عنه ولادة دولة تركية جديدة اعترفت بها الدول الغربية. فقد أوجد، بفضل مبادرته، الظروف الملائمة لتحديث مجتمع إسلامي لم يكن قد خرج بعد من القرون الوسطى. والنتائج المباشرة كانت لا شك على مستوى طموحات شخصه، وإليها ترمز في أنقرة الساحة التي يرتفع وسطها ضريح ضخم نُقِلَ إليه رفاته سنة ١٩٥٣. وكان يرغب في حلّ عدد من المسائل الدينية والسياسية التي ما تزال عالقة، كمسألة الأقليات غير التركية. وهذه المسائل تلقى بثقلها اليوم على كاهل الجمهورية التركية، وتؤثر على علاقتها بالبلدان المجاورة، وتجعلها تواجه في الداخل حركات المعارضة الإسلامية.

الأثرak، هم مجموعة عشائر بدوية على وجه الخصوص، كانوا يسكنون، عند ظهور الإسلام، السهوب الآسيوية الداخلية فاقترحوا، بعد أربعة قرون، المشرق الإسلامي وأقاموا فيه محالين التأقلم اجتماعياً وثقافياً، بعد اعتناقهم الإسلام، لكنهم ظلوا محافظين على لغتهم وطبائعهم الخاصة.

كانت العشائر المنتشرة، خلال القرن السابع الميلادي، ما بين نهر الفولغا وجبال ألتاي من جهة، وما بين بحر قزوين وسيبيريا، من جهة ثانية، على اتصال، إبان الفتوحات الكبرى، بالجيش العربي - الإسلامية، التي اجتاحت خراسان وبلاد ما وراء النهر، متوغلة داخل بلاد الصغد حتى منطقة سيردوبا/سيحون.

السلطة التنفيذية، ويُنْتَخَب الرئيس مجلس وطني وحيد لمدة أربع سنوات. ويتمتع المجلس الوطني بالسلطة التشريعية ويُنتخب أعضاؤه بالاقتراع العام، مع الاعتراف بحق المرأة في أن تشارك بهذا الاقتراع. وكان هذا النظام يعتمد على حزب واحد، هو الحزب الذي أسسه مصطفى كمال حول مبادئ ستة أساسية: النظام الجمهوري والقومية والشعبوية وسيطرة الدولة أو الدولانية والعمالية والثورة. وباستثناء بعض المحاولات التي لم تدم طويلاً والتي سمح بها مصطفى كمال في عامي ١٩٢٤ و١٩٢٥، ثم في عام ١٩٣٠، بقي هذا الحزب محور كل النشاطات السياسية الشعبية. وفي هذا الإطار أُقرّت إصلاحات لم يسبق لها مثيل في أي مجتمع إسلامي، هدفت إلى فصل الدين عن الدولة. وابتداءً من سنة ١٩٢٤، وُضعت قوانين لإلغاء الطرق الصوفية، كما أُلغيت المحاكم الشرعية لتحل محلها قوانين مدنية وجنائية وتجارية مستوحاة من القوانين السويسرية والإيطالية والألمانية. وفُرض الزواج المدني، وكذلك وضع نظام تعليمي رسمي خضع، في كل مرحلة، لرقابة مباشرة من الدولة. وفي سنة ١٩٢٥، مُنعت تعدد الزوجات، وليس الطربيش ووضعت الحجاب عند النساء، وفُرض استعمال التقويم الغريغوري. وفي سنة ١٩٢٨ أُلغيت من الدستور المادة التي تجعل من الإسلام دين الدولة، واستُبدلت بالأحرف العربية الأحرف اللاتينية، كما لُغ الأذان والدعوة إلى الصلاة، ابتداءً من عام ١٩٣١، باللغة التركية، ونُقل القرآن الكريم إلى اللغة التركية. هذه الإجراءات التجديدية أدانها التقليديون الذين عبروا بشدة عن معارضتهم، فظنوا المظاهرات مهتدين بالثورة، كما حصل في سنتي ١٩٢٥ و١٩٣٠. وفي سنة ١٩٣٤ صدر قانون يفرض على المواطنين تبني اسم العائلة أو الشهرة، وفي المناسبة نفسها منحت الجمعية مصطفى كمال اسم «أتاتورك» أي أبو الأثرak.

إن إرادة تحرير تركيا من النفوذ الأوروبي تُرجعت بتتريك وبنائهم عدد وافر من الشركات التجارية الأجنبية، ومن المصارف والمصانع. وفي وضع سنوات، أعطى أتاتورك دفعةً جديدةً لحياة البلاد

مختلف الإمارات الذين انحدروا بهذه المناطق خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، والذين أنشأوا، في ذلك الوقت أو بعده، أميراتيات حقيقية، بعضها زال بسرعة كأميراتيوتي القراقينلو والآق قيونلو، والبعض الآخر دام طويلاً كأميراتيوتي الصفويين ولا سيما العثمانيين، وقد انبثقت منها سلالات تركية حكمت في الدكن في الهند، كما في المغرب العربي حيث تمكنت من إنشاء سلطات شبه مستقلة.

واستمر، في الوقت عينه، وصول أتراك، في بعض المناطق، إلى السلطة العليا. وكان هؤلاء قد تربوا، في البدء، أرقاء؛ منهم مماليك بلاد الشام ومصر، وكان أفرادهم الأوائل قد خدموا في جيوش الأيوبيين؛ ومنهم أيضاً سلاطين دلهي الذين كانوا أساساً من قدماء قادة الغوريين، وقد عُرفت سلالتهم الأولى باسم «سلالة المماليك».

وأخيراً، لم تتوقف عن التدفق من السهوب الآسيوية قوى جديدة ارتبط انطلاقتها بالعناصر التركية المختلطة أو غير المختلطة بالمغول، الذين استطاعوا كسب شهرة غير عادية مثل شهرة أميراتيوتي تيمورلنك التي تقاسمها، في ما بعد، ورثته التيموريون؛ أو الذين نجحوا في تأسيس ممالك في مناطق بعيدة، مثل أميراتيوتي المغول المترفة في شبه القارة الهندية.

لقد تركت كل هذه السلطات التركية، في عصرها، آثاراً عميقة في الحضارة الإسلامية، طُبعت بصورة خاصة الفن الذي تطور تبعاً لمطالباتهم وأذواقهم، في حين أن المجتمع كان يعكس أيضاً بعض تأثيرات قراراتهم. وأدت جهودهم السياسية، في حالة الدولة العثمانية، إلى نهامي جميع السكان المسلمين، في هذه الأميراتيوتي الشاسعة، مع الأتراك، وفقاً لمعادلة تسمح، في اللغة المحكية في الدول الأجنبية، بالخلط بين صفتي «تركي» و«عثماني»، كلما جرى الحديث عن الإدارة أو الجيش، أو عن أي مظهر من مظاهر الدولة العثمانية. وانشصر هذا الاستعمال اليوم، ولكن هناك واقع «تركي» لا يزال قائماً في بعض المناطق، ناتج عن تحولات سكانية مرتبطة بتوافد كثيف ومتكثّر لعناصر

وكانت هذه العناصر متداخلة بالسكان الإبرانيين في تلك المناطق، وخضعت للسيطرة الصينية على عهد سلالة تانغ. وعلى أثر الهزيمة التي مني بها الجيش الصيني في معركة طلس عام ١٢٣٣هـ/٧٥١م، استقرت حدود تلك المناطق، وصار الأتراك يقيمون، تدريجياً، علاقات بالعالم الإسلامي.

وكان التجار الذين يعارسون التجارة في المناطق الحدودية يبيعون الأرقاء. وقد دخل هؤلاء إلى المجتمع الإسلامي كخُدم، وعلى الأخص كجنود، وسيمرفون فيما بعد باسم «ماليك»، وقد غدوا من ضرورات التنظيم العسكري في الدولة. وهكذا جند الخليفة العباسي المعتصم، في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، أفواجاً من الرجال لبناء حرسه وتجديد جيشه. وفي نهاية القرن عين أنزل السمانيتون هزيمة بالأتراك من كانوا يجاورون مناطق نفوذهم وجندوا منهم أيضاً، ونشأت عن أحد قادتهم، الذي أسلم وأعفى، الدولة الغزنوية، وهي أولى السلالات التركية المستقلة داخلية في العالم الإسلامي. وبموازاة ذلك، كانت تنمو في الوسط البدوي لآسيا الوسطى، سلطة القراخانيين، الذين استقروا في تلك المنطقة، محافظين على عاداتهم القبلية.

وفي أواسط القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، بدأ غزو القبائل الغزية بقيادة السلاجقة الذين اقتطعوا لأنفسهم أميراتيوتي محورها إيران. وعُرفت، في ما بعد، مجموعاتهم الأغل انضباطاً باسم التركمان، وقد احتلت الأناضول وأذربيجان وتمرکزت فيها إلى درجة جعلتهما، اليوم، مناطق ناطقة بالتركية، إلا أنهم لم يتخلوا كلياً عن موطنهم في آسيا الوسطى. واعتباراً من هذه الحقبة، لم تتوقف السلالات التي أسسها قادتهم العسكريون عن التعاقب في كل العالم الإسلامي. يتحلّر بعض هؤلاء القادة من السلالة السلجوقية في إيران أو من المعزبين منها، مثل: سلاجقة الروم وداشمنديين الأناضول، وسلالات الأتابكة المختلفة في سوريا وبلاد ما بين النهرين العليا. وخرج البعض الآخر من صفوف العناصر التركية المختلفة المستقرة في الأناضول، أو في أذربيجان، ومنهم حكام

وفي عام ١٩٠٨ دفعت أزمة اقتصادية حادة، إضافة إلى وضع ديبلوماسي يدعو إلى القلق، قيادي الجمعية إلى التحرك. وانضمت إلى المعارضين الفرق العسكرية المرسلة من الأناضول، ما دفع بالسلطان عبد الحميد إلى إعادة العمل بالدستور في تموز ١٩٠٨، معلناً، في الوقت نفسه، إجراء انتخابات تشريعية. اجتمع البرلمان الجديد المنتخب في كانون الأول، وكان أحمد رضى رئيساً له، واستبدل رئيس الوزراء. لكن سياسة الأتراك الجدد واجهت معارضة رجال الدين، وتُرجمت هذه

المعارضة بفتنة حصلت في تموز عام ١٩٠٩ أمام البرلمان، فتمّز السلطان وحلّ مكانه أخوه. ومنذ ذلك الحين، وعلى الرغم من بعض الحوادث المتنوعة، تولى أعضاء جمعية الاتحاد والترقي - التي كانت تضم اتجاهات مختلفة - الحكم حتى عام ١٩٢٣. وكان هؤلاء قد استولوا على السلطة بالقوة عام ١٩١٣، وكان عليهم أن يواجهوا المشكلات التي أحاطت بالمجتمع العثماني والأخطار التي أثقلت كاهل الأباطورية.

في الداخل، اعتمدت جمعية الاتحاد والترقي سياسة قوية تركية وعلمنة تدريجية. وفي الخارج، واجهت المشكلات الناجمة عن الحروب البلقانية (١٩١٢-١٩١٣)، وعن الأطماع الإيطالية في طرابلس الغرب منذ عام ١٩١١، وعن المشكلات العربية - ومنها ثورة ١٩١٦ بمؤازرة بريطانيا - وعن طموحات روسيا التي كانت قد ضمت مقاطعة من الأناضول الشرقي عام ١٨٧٨، والتي كانت تسعى إلى توسيع ممتلكاتها بهجوم قامت به عام ١٩١٥. وبضاف إلى ما تقدم مشكلة الأرمن الذين، بعد أن ساعدوا ببليشايتهام الجيش الروسي، هُجروا جميعاً في اتجاه سوريا والعراق حيث تعرّضوا للعنف، ولم يسلم منهم سوى القليل. ووقعت جمعية الاتحاد والترقي أخيراً ضحية الانقاعات المفقودة مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى وضحية إعلان الحرب ضد الحلفاء في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤.

أفشحت قرارات الحلفاء ضد العثمانيين المجال أمام مشاريع مصطفى كمال، الذي كان قد أصبح جنرالاً. وفي عام ١٩٢٠، شرع هذا الأخير في النضال من أجل تحرير البلاد ونجح في ذلك وألغى السلطنة عام ١٩٢٢

من أصل تركي استطاعت فرض لغتها. إن الوضع اللغوي في كل من تركستان والأناضول وأذربيجان معبر بالنسبة إلى هذا الموضوع. فضلاً عن ذلك فإن توزيع هذه الجماعات التركية ما زال يوجب، في عصرنا الحاضر، التنظيم السياسي في عدد من البلدان، إما عن طريق أقليات عرقية - ثقافية ناشطة، وإما بواسطة عنصر أساسي مهمين في دول حديثة ناطقة بالتركية، مثل الجمهورية التركية، أو الجمهوريات السوفياتية السابقة: أفريجيان، وتركمستان، وأوزبكستان وكازاخستان.

الأتراك الجدد أو تركيا الفتاة، حركة سياسية مناهضة للسلطان عبد الحميد، ظهرت عام ١٨٨٩ وأدت إلى الثورة الكمالية وقيام الجمهورية التركية. في عام ١٨٨٩، في مناسبة مئوية الثورة الفرنسية، بدأ معارضون للنظام العثماني بالتجمع مشكّلين جمعية الاتحاد العثماني. وقد ضمت هذه الجمعية في عدادها، ليس الأتراك وحدهم، بل العرب والأرمن والأكراد والألبان المحتجين على استبداد السلطان والمطالبيين بإعادة دستور عام ١٨٧٦. كان جميع هؤلاء من المهاجرين الهاربين من ملاحقة النظام، وكانوا يجتمعون في بلدان مختلفة غير إسلامية، وأيضاً في مصر. وبالرغم من القمع الذي تعرّض له الطلاب الذين اجتنبهم دعاوة هذه الجمعية، فإن الحركة نمت، وعقدت مؤتمراً في باريس، في العام ١٩٠٢، أدى إلى انقسامها إلى تيارين: الأول ليبرالي لامركزي، والثاني أكد أهمية دور العنصر التركي في وحدة السلطنة.

في عام ١٩٠٦، نشر أحد قيادي الجمعية كتاباً في مصر يدعو فيه الضباط للمشاركة في النضال، وتأسست من ثم، في عام ١٩٠٦ في سالونيك، وهي مدينة في مقدونيا حيث كانت فرق من الجيش مكلفة بقمع المحاولات القومية البلقانية، جمعية الحرية العثمانية، واعتمدت، بعد ذلك، اسم جمعية الاتحاد والترقي. كانت هذه الجمعية المؤلفة من عشرة أعضاء تختار المنتسبين إليها من بين الضباط والموظفين، في الفترة نفسها التي أسس فيها مصطفى كمال، الذي عُرف في ما بعد بأتاتورك، جمعية سرية واتصل ببعض الأوساط في سالونيك، وهو يعود بأصله إلى هذه المدينة.

فعل الأباطرة الأثيوبيين حالت دون ذلك. وهكذا وجب انتظار القرن السادس عشر، الذي شهد حملات على الحبشة باسم الجهاد، قادها أحمد غران الذي خلع على نفسه لقب إمام، وكاد يحتاج الأراضي المسيحية القديمة، لكن قوته انهارت تحت ضربات البرتغاليين الذين لبوا نداءه للنجدة سنة ١٥٤٣. لم تتبع هذه الهجمة التاريخية الإسلامية سوى محاولات تمزيق كان مصدرها الدائم مدينة هرر، حتى كانت حملات الخديوي إسماعيل التي شُنت في القرن التاسع عشر من مصر، والتي كان مصيرها التحطم والهزيمة القاضية التي لحقت بالفرق العسكرية المصرية سنة ١٨٧٦. وقد لقيت الحملات التي شنت سنة ١٨٨٨، على حدود أخرى، من قبل عناصر من المهديين الذين دبت فيهم الحماسة، بعد نجاح حركتهم السياسية-الدينية في السودان، المصير العسكري نفسه، نازكة آثاراً لا تُذكر في هذا البلد الذي وحّده ضد الإسلام أباطرته الجدد.

نتج عن هذه الحوادث التوزيع الحالي غير المتوازن للسكان الإثيوبيين المسلمين السنيين الشافعيين، والذي يختلف من منطقة إلى أخرى. وقد حافظ هذا التوزيع، في كل مكان تقريباً، على سمات تعود إلى حيوة اللغات المحلية التي شكّلت دعماً للأسلمة في أواخر القرن التاسع عشر، وهي سمات لا تميّز الطوائف الإسلامية من المجموعات المسيحية المجاورة. إن انتشار الطرق الصوفية الذي حدث منذ عهد قريب لم يحمل معه أي رواج للعلوم الفقهية التقليدية، ولا أي إصلاح للممارسات المنحرفة المتعددة، إلا في ما يخص تجذّر الطريقة القادرية. لكثّة أدنى إلى سمي مستمر وراء المنحني الجذابة المقبولة في الأساطير القادرية والمنوارة، في الوقت نفسه، في مجبطات أخرى. وسادت الحالة نفسها عندما برزت جهود الأحياء الديني بوضوح والتي نهض بها أتباع الإدريسية والصالحية/الرشيديّة، وبقدّر أقل، أتباع التيجانية. لم يطرأ أي جديد ذي أهمية على هذا الوضع، ومع ذلك فإنّ التوسّع الإسلامي تابع مسيرته محلياً، في أراضي النيل المنخفضة الهيماء لتسرّب التأثير الوافد إليها من جمهورية السودان، كما هو

بقرار من الجمعية الوطنية الكبرى المنتخبة عام ١٩١٩.

الأثرية الإسلامية (علم -) ← علم الأثرية الإسلامية.

إثيوبيا، باللغة العربية الحبشة، منطقة جبلية في شمال شرقي أفريقيا، يوافق موقعها موقع أبيسيني (Abyssinie) القديمة. أدّت علاقاتها المستمرة بالإسلام، منذ أيام النبي محمد (ﷺ)، والصعبة في أكثر الأحيان، إلى تنامي الإسلام فيها بصورة بارزة.

١) بسط المسلمون سيطرتهم الكاملة على المناطق الحدودية الخارجية الشرقية والجنوبية من هذا البلد، رغم أنّه مسيحي تاريخياً ولم يزل كذلك في معظمه، كما أنّهم دخلوا بعض المقاطعات وأصبحوا يشكلون نسبة مئويّة مهمّة من عدد سكان الجمهورية الأثيوبية، لكنّ هذه الجمهورية خسرت المناطق الإسلامية الشمالية التي تتكوّن منها إريتريا الحالية. لم يحدث هذا الامتداد إلا ببطء ومن خلال تقدّم معقّد بسبب التعدّد العرقي واللغوي للسكان، وأيضاً بسبب الحواجز الطبيعية التي تعيق الوصول إلى الهضبة البركانية المنشأ المرتفعة والوعرة، وسط البلاد والتي تخترقها الشقوق الجيولوجية والقمم، ما يجعل الوصول إليها مستحيلاً. وقد تكسّرت وتشرذمت على هذه الكتلة الضخمة، طوال قرون، الهجمات المباشرة والحصارات السياسية التي تعرّضت لها البلاد عن طريقين: أوّلها شاطئ البحر الأحمر حيث استقرّ مسلمو شبه الجزيرة العربية منذ وقت طويل، وثانيهما الأرض المنخفضة التي تحيط بالقرن الأفريقي، أي الساحل الصومالي الذي عرفت الازدهار بعض مدنه الرفيعة التي تعاملت بتجارة الرقيق. وكانت أبواب هذا الساحل مشرّعة لتدفّق اللاجئين الذين هربوا من حكم العباسيين، فكانت النتيجة اعتناق قبائل الداخل الإسلام وازدهار سلطنتات محلية في موازاة ذلك.

في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، تمكّن حاكم منطقة إيفات الإسلامي، الذي اعتمد على الازدهار الموقّت لمدينة هرر الإسلامية، من التمدّد لفترة قصيرة إلى المنبسط الحبشي. لكنّ ردة

أمبراطورية العثمانيين.

وكان من أثر التغلبي عن بتوم لروسيا بموجب معاهدة سان ستيفانو، ثم احتلالها من قبل الروس عام ١٨٧٨، أن أنشئت في المنطقة وحدة إدارية مستقلة، وُضعت عام ١٩٠٣ تحت وصاية حكومة جيورجيا وخضعت، في ما بعد، لتقلبات مختلفة إبان الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩٢١ أقام النظام السوفياتي فيها جمهورية أجاريا الاشتراكية السوفياتية المتمتعة بالاستقلال الذاتي والمتاخمة، من جهة واحدة، لجمهورية تركيا، ومنحها دستوراً خاصاً في إطار ما كان يُعرف بجمهورية جيورجيا الاشتراكية السوفياتية والتي أصبحت، عام ١٩٩١، جمهورية فدرالية مستقلة، من دون أن يؤدي هذا التحول الأخير إلى تغيير في نظام أجاريا.

إجتهد، أو جهد في التفكير، مصطلح عربي يطلق على الجهد الذي كان يقوم به الفقهاء في العصور الوسطى عندما كانوا يعملون على إيجاد حل لمسألة عملية يطرحها تطبيق الشريعة.

وقد عمد الفقهاء، في سبيل بلورة الفقه، إلى وسائل استدلال متنوعة تقرأها المذاهب، أبرزها القياس. فالرأي أو الظن الذي يتبع عنها يمكن أن يشكل موضوع نقاش، لكنه يكتسب سلطة الإلزام عندما يصدر عن شخص مميّز مشهور له بالجدارة العلمية. والمصطلح المقابل للإجتهد هو التقليد، أو «القبول بالمذاهب الثابتة». وهذا التضاد ذو المنشأ الفقهي يمكن أن يحصل كذلك في مجال علم الكلام والإيمان: فبعض المؤلفين كالغزالي يرون أن الإيمان الحق ينبغي أن يستند إلى الاجتهاد لا إلى التقليد.

إن من يمارس الاجتهاد يدعى مجتهداً. وفي الأوساط السنية غالباً ما يُعدّ مؤسسو المذاهب، الذين حدّدوا القواعد المعتمدة في هذا النوع من التفكير، مجتهدين في المطلق، أما أتباعهم الذين انصرفوا إلى تطبيق هذه القواعد فيُعتبرون مجتهدين من درجة أدنى من المؤسسين. وتعتبر هذه الأوساط أنّه يجب «إقتال» باب الاجتهاد، طالما أن المسائل الأساسية وَجَدَتْ حلاً لها في عصور الإسلام الأولى، أي منذ القرن الرابع

الموضع بالنسبة إلى القبائل المجاورة للمناطق الساحلية التي تستمدّ، من علاقاتها بالصرمال، الدعم الضروري لثوراتها ضد السلطة المركزية.

(٢) جمهورية إثيوبيا: المساحة ١٢٢١ ٠٠٠ كم^٢، العاصمة: أديس أبابا، هي الدولة الحديثة المستقلة التي وُلدت سنة ١٩٧٤ من الأمبراطورية المسيحية القديمة القروسطوية. تضمّ هذه الدولة ٥٣ مليون نسمة منهم أقلية مسلمة مهمة توازي ثلث السكّان، لكنها موزّعة على مناطق مختلفة بنسب غير متعادلة. إن هذا الوجود المسلم في بلد طغيته، خلال العقود الأخيرة، تحولات سياسية-اجتماعية عميقة، هو نتيجة الجهود القديمة لنشر الإسلام والتي تابعها مسلمو الأطراف لاحتلال الهضبة المركزية. إنه متجذّر في المناطق المجاورة: في إريتريا المستقلة في الشمال الشرقي قرب البحر الأحمر، وفي جمهورية السودان في الشمال الغربي، وفي جمهورية الصومال الديمقراطية في الجنوب الشرقي. وقد نتج عن هذا الوضع توترات دينية محلية تضاف إليها الصعوبات الداخلية الناشئة عن عدم التجانس العرقي واللغوي لشعب متعلّق بإثيوبيا بكل جوارحه. وقد اختلطت عنده، منذ القدم، المشاعر القومية بالمسيحية ذات الطبيعة الواحدة (Monophysite).

أجاريَا (جمهورية). المساحة: ٣٠٠٠ كلم^٢، العاصمة: بتوم؛ منطقة تابعة لجمهورية جيورجيا، عدّد سكّانها غير المتجانسين [دينياً] ٤٠٠ ٠٠٠ نسمة، بينهم أغلبية مسلمة نسبتها ستة وخمسون بالمائة.

إن بلاد هولاة الأجار الذين يعتبرون أحياناً أمّة مميّزة عن الجيورجيين، وأحياناً مجموعة إثنية جيورجية، لم تكن دوماً سوى منطقة داخلية بالنسبة إلى المدينة العرفية المعروفة ببتيومي أو بتوم. وهي، اليوم، مركز صناعي ومصبّ نطفي رئيسي على البحر الأسود. ويتنافس التنوع السكّاني لهذه المدينة الكبيرة مع المذهب السني الحنفي التقليدي لسكّان المنطقة الداخلية الذين جرت أسلمتهم، بعد أن كانت المنطقة لمدة طويلة مسيحية، ومقاومة لتقدّم الجيوش العربية-الإسلامية إبان الفترات الكبرى، ثم أخضعت بحملات تركية جرّدت ضلعها وأدّت إلى ضمّها عام ١٦٢٧ إلى

القائب، ما يزال يحظى حتى اليوم بصلاحيّة تأويل الشريعة، مع العلم أنّ تبايناً في وجهات النظر قد يبرز بين فقيهيهم. وارتسمت ترانيمية بين هؤلاء الأشخاص الذين تزايد عددهم في إيران، منذ القرن الثامن عشر، بحيث شكلوا طبقة فعلية من رجال الدين يُعرفون بالملالي. وأبرز هؤلاء يحملون لقب «حجة الإسلام»، قبل أن يظهر لقب «آية الله»، في عهد أسرة القاجار. إنّ «آيات الله»، الذين يرتبط كلّ منهم بمركز ديني كبير في البلاد، يشكلون نوعاً من مدرسة يتم الانتساب إليها بالاختيار الداخلي. وعلى رأسهم «آية الله العظمى» الذي تكتسب مقرراته قوّة الشريعة، كما حصل للخميني عندما أعلن نفسه بهذا اللقب.

الإجماع، تعبير تقني ذو طابع فقهي - كلامي يُستعمل للدلالة على أحد مصادر التشريع، بعد القرآن والسنة. يختلف تحديد مفهوم الإجماع باختلاف المدارس الفقهية وكانت أهميته تتفاوت فيها. فيحسب الحالات، كان يعني الاتفاق الإجماعي للصحة، أو إجماع العلماء في فترة زمنية معينة، أو حتى إجماع مجموع المسلمين. وفي كل الحالات، لا يمكن أن يتعارض الإجماع مع تعاليم القرآن والسنة، بل هو بأكملها فقط ويتيح تطبيقاً أكثر دقة للفقه.

يُذكر ممثلو بعض التيارات السياسية - الدينية، وبخاصة الخوارج والمعتزلة والشيعة، أي قيمة للإجماع. في المقابل، يستند اللجوء إلى الإجماع، بالنسبة إلى المدارس السنية، إلى حديث شريف «لا تجتمع امتي على خطأ»، وترى أنّ العمل بالإجماع يشيع حلّ مشكلات عدّة. وهكذا، فإن بعض الممارسات الدينية كـ«تكريم الأولياء» أو بعض المعتقدات حول عصمة النبي محمد (ﷺ)، تجد مبررها بحسب هذه المدارس، في الإجماع الضمني حولها، على رغم المواقف المعارضة لها. أخيراً، يجهد بعض المفكرين في الحقبة المعاصرة لإعطاء الإجماع تحديداً يسمح بشرعة بعض التعديلات في القوانين التي فرضتها ظروف الحياة المعاصرة.

أجم (الاتحاد الهندي)، أو أذنجير، مدينة من أعمال

الهجري/المعاصر الميلادي. إلّا أنّ بعض المفكرين المسلمين في القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، طالبوا بأن تكون لهم أيضاً القدرة على الاجتهاد. وفي أواخر القرن التاسع عشر خاصة، اعترض الإصلاحيون الذين أرادوا التوفيق بين الفقه وشروط الحياة العصرية، على «إقفال باب الاجتهاد» وأعلنوا حقهم في التشريع على أسس قانونية. ومع ذلك، فإنّ هذا الاتجاه لم يؤدّ إلّا إلى نوع من الاجتهاد المُحدَث، في مطلع القرن العشرين، له بعض النتائج العملية.

وفي الحقبة الزمنية المعاصرة، في الأوساط السنية، أدخل العلماء وقادة الدول تعديلات على موجبات الشريعة في مجال القانون المدني والجزائي، وكذلك في ما يخص القانون العائلي (الأحوال الشخصية). فالعقوبات الشرعية، مثلاً، تمّ التخفيف عنها في السلطنة العثمانية منذ ١٨٥٩، وترتيبات القانون المدني عدلت سنة ١٨٦٩. وفي بلدان أخرى، وخارج إطار العلنة الشاملة التي طُلقت في الجمهورية التركية بتأثير من الحركة الكمالية، طرأ تعديل على قانون الأحوال الشخصية، منذ منتصف القرن العشرين، وأصاب بنوع خاص وضع المرأة وقواعد الزواج، ولا سيّما ما تعلّق بتعدد الزوجات والطلاق، وكذلك أحكام الميراث. هذه التحوّلات الحاصلة بتأثير من العقلية العصرية، هدفت إلى تقوية التماسك العائلي، واستندت، بحسب المناطق، إلى مناهج مختلفة. فحيناً كان يتم اعتماد بعض الحلول التي أوجدتها مدرسة فقهية سابقة، تُفضّل على مدارس أخرى؛ وحيناً كان يجري اللجوء إلى مزيج من القواعد التي حدّتها هذه المدارس؛ وحيناً كان يتم الاستناد إلى ما أوصى به القرآن، بحسب روح النص لا حرفيته؛ وحيناً يتم اللجوء إلى ما يُعرف بالضرورات العملية. ثمة قرارات جديدة، إذاً، جرى تطبيقها في كلّ دولة من الدول، لكن من دون أن يظهر عمل فكري شامل يعدّل في الأصول، أي الأسس القانونية.

أما في الأوساط الشيعية الاثني عشرية فإنّ المجهتد، الذي يُعدّ المناطق الرسمي باسم الإمام

انتصرت في هذه المعركة، بقيادة خالد بن الوليد^(١) على جيش بيزنطي بقيادة شقيق الامبراطور هرقل. وإذ كان عدد هؤلاء المحاربين أقل بكثير مما ذكرته مدونات الوقائع العربية، فإن النصر كان حاسماً بحيث أدى إلى تراجع الفرق البيزنطية نحو دمشق تاركاً فلسطين م دون حماية. هذا، وإن موقع أجنادين الذي جعله التقليل بين بيت جبرين والزملة لم يُحدد بعد بدقة.

أُحُد، معركة أُحُد، جُمادى الآخرة ١٢هـ/ تشرين الثاني نوفمبر ٦٢٤م.

إشتياك غير موثق، واجه خلاله مسلمو المدينة جيشاً مشركاً أتى من مكة ليشارك في معركة بدر. هذه المعركة التي وقعت قرب جبل أُحُد، على بعد كيلومترات شمالي المدينة، لم تكن في مصلحة المسلمين الذين خسروا عدداً كبيراً من المقاتلين. م بين الشهداء الذين سقطوا في هذه المعركة حمزة - أحد أعمام النبي محمد (ﷺ) الذي أصيب كذلك بجروح وثمة آيات قرآنية نزلت بعد هذه الواقعة تلقي المسؤولية على ضعف إيمان المؤمنين، وتقويض في إسداء نصايح ذات طابع حياتي، بعضها كثير التفصيل، جاءت لم سورة الرابعة المعروفة بسورة النساء. وقد أصيب موقع هذه المعركة في ما بعد، وبشكل خاص مدافر المقاتلين الذين قُضوا فيها، وكذلك المسجد - المصنم المكنّس للذكرى حمزة، مواقع لمزارات تقوية، أشاء إليها الهروي في دليله في القرن السادس للهجرة/الثامن عشر للميلاد.

الأحدية، عقيدة اعتمدها بعض ممثلي الفلسفة والصوفية تؤكد وحدة الوجود وتنفي وجود كائنات متميزة عن الله الموجود الأوحد.

تخلص هذه العقيدة إلى أن الكائنات كافة تنشأ في وجود الله، ولا وجود لها إلا من خلاله. اشتهرت هذه العقيدة من خلال مدرسة صوفية تميّز فيها إرب العربي، لكنها اعتبرت مخالفة للوحدانية والتعاليم الإلهي. ومن بين العلماء المسلمين الذين انتقدوها بشد في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، نذكر الحنبلي ابن تيمية الذي أكد عداؤه لأطوار ابن العربي

راجستهان، تسكنها أقلية مسلمة ذات شأن، ما تزال عاصمة دويلة تتمتع بحكم ذاتي نسبي، وتحفظ من ماضيها بأبنية إسلامية شهيرة ما تزال مقصد السياح.

بعد استيلاء الغوريين عليها عام ١١٩٢/٨٥٨٨م، والحقاقها، بعيد ذلك، بأراضي قوادهم - المماليك القدامى الذين أصبحوا سلاطين دليهي، اختيرت أجمر مقراً من قبل الصوفي معين الدين تشيشتي (أو جشتي)^(١) الذي توفي فيها عام ١٢٣٣هـ/١٢٣٦م، فعدا ضريحه مقصداً للزيارات الثنوية ذا توفير خاص. إنطلاقاً من هذه الصفة، اكتسب هذا الموضع - الذي أهله موقعه لدور إستراتيجي وتجاري، وأصبح بذلك موضوع نزاع بين الراجبيتين وسلاطين ملوى، قبل أن يُضم إلى إمبراطورية المغول - في الوقت نفسه، شهرة وتحول مقصداً للزيارات التقوية، تغشاها الجماهير الهندية وتُريه هبات الكثيرين من ملوك المغول. من بين هؤلاء أكبر، جهانكير وشاه جهان الذين جملوا، واحداً بعد الآخر، الضريح الأول المقام في أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، تكريماً للخواجه تشيشتي، في الوقت الذين كانوا يقيمون في المدينة، لأنفسهم، قصوراً ممتدة ومقاصير للسكن. لكن الأثر الهندسي الأكثر قيمة هو، بدون شك، المسجد الجامع الذي بناه الغوري معز الدين، بعد استيلائه على المدينة بقليل، والذي وشعه في ما بعد قطب الدين أيبك. إنه يشهد - كما الأبنية التي شُيّدت في دليهي، في الحقيقة نفسها، حول قطب منار - على ولادة فن هندي - إسلامي محلي، تطوّر في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، في كنف سلاطين الشمال المسلمين الأوائل.

« رابع المستند ٢٣.

أجنادين (معركة)، جُمادى الأولى - جُمادى الآخرة ١٢هـ/ تموز-آب-يوليو-أغسطس ٦٣٤م، واقعة مهمة من الفتحاح العربية-الإسلامية الأولى جرت خلال خلافة أبي بكر، بعد سنتين من وفاة النبي محمد (ﷺ)، ثم جاءت معركة اليرموك بعد ذلك بقليل لتكمل نتائجها.

إن فرق فاتحي سوريا التي كانت، حتى ذلك التاريخ، متفرقة تقوم بغزوات بقودها بصورة خاصة يزيد ابن أبي سفيان، شقيق معاوية الخليفة في ما بعد،

الإحرام ← الحج.

الأحساء ← الحسا.

أحسن آباد ← بَهْمَنْ (آل -).

الثقافة المعروفة باسم لالِه يُوري أو عهد الزنبي الذي زُرعت خلاله هذه الزهرة التي راجت أيامئذٍ، بشغف، واستُعملت موضوعاً زخرفياً مميزاً، بعد أن أدَّى توجهه بعثة إلى فرنسا، عام ١٧٢٠، إلى تعريف بعض الأوساط العثمانية برفعة الذوق المَهْدَب لأسلوب الحياة في عهد الريجانش (Régence) (١١٢).

استُهلَّ عهده، بتُعيد معاهدة كارلوفيتش المجحفة، يحذر سياسيٌّ كبير طاول العلاقات التي كانت السلطة العثمانية تقبها مع كثير من البلدان الأوروبية. وقد ساد الاعتدال، رغم دسائس شارل الثاني عشر السويدي، العلاقات مع قيصر روسيا بطرس الأكبر الذي تمَّ معه، في نهاية الأمر، توقيع معاهدة سلام في أدرنه، عام ١٧١٣. كما أدَّت النزاعات اللاحقة مع البنادقة والنسبوتين إلى معاهدة باساروفيتش عام ١٧١٨، وقد جرى بموجبها تبادل لبعض الأراضي، إذ أُعطي الأتراك المورة وبعض المناطق، في مقابل عودة بلغراد إلى النمسا مع بعض المقاطعات. في حين يَسُرَّت الفوضى في إيران، بسبب انحلال سلطة الصفويين، عقد اتفاق عام ١٧٢٤ روسي - عثماني لقتسام مناطق ما وراء القفصاس الحديثة العهد بالإسلام. إلَّا أنَّ الفتوحات المهمة التي كانت من نصيب أحمد الثالث في أذربيجان وأرمينيا وجورجيا ما عمَّت أن مُحنتها حملات القائد الإيراني نادر شاه عام ١٧٢٩م، فأدَّى نصر هذا الأخير إلى ردة فعل في اسطنبول حَزَّضت على ثورة شعبية أطاحت بالسلطان. في موازاة هذه السياسة الخارجية بتناجها المِخْيَةِ للأمال، شهد عهد أحمد الثالث محاولة تغيير في المجتمع [العثماني] يجري في مسيرة الغرب الأوروبي الذي كان يعاطف الفضول بالنسبة إليه، ولا سيَّما بسبب جهود الوزير الداماد إبراهيم باشا من نوشهر. فقامت حركة تحديث للتنظيم العسكري والبحرية، فيما كانت تتناقص أهمية الفرقة الانكشارية، كما أعمل اللجوء، إلى الدُشُرما لاختيار الموظفين المؤهلين لتولِّي المراكز الأساسية في الإدارة والحكومة. وهكذا ظهرت طبقات جديدة تولَّت شؤون البلاد، كانت منفتحة على التأثيرات الأجنبية، ممَّا سهَّل افتتاحها بجوِّ الذُخ والأعياد الاحتفالية المسمَّرة التي لاقت تقديراً مرموقاً، بحيث

أُخْمِتْ، اسم تركيٍّ محوَّر عن الاسم العربي أحمد، حملة ثلاثة عواهل من سلالة العثمانيين خلال القرن السابع عشر ومطلع الثامن عشر، في حقبة كانت إمبراطوريتهم، على الضعف الذي اعترأها، ما تزال تحتفظ بمكانتها.

أُخْمِت الأول، ١٥٩٠-١٦١٧، ثالث سلطان في السلالة، شغل العرش من ١٦٠٣ إلى ١٦١٧م. لم يتوقَّف عند مجرَّد توجيه جيوشه في اتجاهات متعدِّدة: للانسدي أولاً لحملات الاستيلاء على أرمينيا التي قادها إنشاء عباس الأول الصفوي، ثم للاستمرار في الضغط على النمساويين عبر هنغاريا، وأخيراً لمحاربة الغارات الروسية في اتجاه البحر الأسود ولقمع حركات العصيان التي ظهرت في عهده في الأناضول وسوريا، لكنه صرف همَّه إلى [تأمين] الازدهار الاقتصادي لإمبراطوريته بوضع أنظمة تجارية [لها] وتجديده نظام الامتيازات [أي عهود الأمان] مع فرنسا وانكلترا والبنديَّة، في الوقت الذي كان فيه، كذلك، يمنح امتيازات مماثلة لتجار هولندا. اهتم أيضاً بأوضاع البحرية. وقد أظهر، بوجه خاص، غيرة مستمرة في سبيل الإسلام، فضاعف عدد المِزَّات، وقَدَّم هبات للكنعبة في مكة وخلف في اسطنبول المِجْمَع المعماري السلطاني الذي يحمل إسمه والذي يضمُّ، حول الجامع الكبير المعروف بالأحمدية، والمسجدين أحياناً الجامع الأزرق بسبب لون الكسوة الخزفية المستخدمة في الداخل، مجموعة من المباني المعدَّة للتعليم الديني.

وإذا كان عهد أحمد الثاني قد انقضى، من عام ١٦٩١ حتى ١٦٩٥، من دون ما يجدر ذكره، فإنَّ أحمد الثالث، ١٦٧٣-١٧٣٠، السلطان الثالث والعشرين من السلالة، عمل على إحداث تطوير ما في مسار الدولة العثمانية. فقد طبعها بالتنظيم الذي تناول محاولته لإجراهِ إصلاحات فيها ويميله المتزايد إلى منع الترفيه والفن، رغم بخله. ويعود إليه الفضل في الثورة

العباس خلال «الثورة العباسية» واستقرت في بغداد حيث انصرف أحمد إلى الدراسة. إلا أنه لم يغفل عن طلب العلم في سوريا والبصرة والحجاز واليمن. لكن يبدو أن مدرسة أهل الحديث في الحجاز كان لها الأثر الأقوى في تكوين شخصيته. ولقد دمج مسيرة حياته أصابه خلال المحنة (أو محكمة التفتيش في المفهوم الغربي) في عهد الخليفة المأمون الذي سعى إلى فرض مذهب المعتزلة. فقد استدعاه الخليفة إلى طرسوس حيث كان يشن حملة على البيزنطيين، إلا أن الذين اقتادوه كانوا بلغوا به الرقعة حين وصلهم نبأ وفاة المأمون. فأعيد إلى بغداد حيث سُجن وخضع لاستجواب طويل قام به، باسم الخليفة المعتمد صاحب الشرطة. وقد ذكرت بعض المصادر أن ابن حنبل سق به بتوقي الآراء التي كانوا يريدونه أن يعتنقها، إلا أن حكم عليه بعقوبة الجلد، وفي نهاية الأمر أطلق سراحه. شرط ألا يتعاطى التدريس على الإطلاق، فأخذ نفس بذلك في ما بعد: رفض أن يتولى أية وظيفة ولبت بعيداً عن السلطة، حتى عندما لاقى آراؤه قبولاً، من جديد. عندما آلت الخلافة إلى المتوكل عام ٨٤٧/٨٣٣م وبعد وفاته غدا مواء موضع توقيير وزيارات تقوية أسوأ بالمزارات البارزة التي كان البغداديون يقصدونها للصلاة، إلى أن جرفه دجلة في طوف عاتٍ إبان القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

خلف ابن حنبل المسند، وهو مجموعة من الأحاديث (النبوية)، وأثره الأساسي. وكان، كذلك، صاغ أجوبة كثيرة عن أسئلة متنوعة أو مسائل تتعلق بالعقيدة، والفقه والأخلاق، دونها أولاده. وكان ينتكب عن تقنين فكره كتابةً، وحذر أتباعه من هذا الصنع. لئلا يتردّد إلى التبحر بحرفية النص، وهذا يفسر البطء الذي استغرقته مدرسته لتتلاقى قبولاً كما هي، سواء في ميدان الفقه أو في ميدان علم الكلام. إلا أنه، فيما أبدى حذرًا تجاه التعاليم التي كانت بدأت تتشكل مرجعية في زمانه والتي كان يشيعها أتباع أبي حنيفة ومالك والشافعي، لم يتردد أبدًا في إيداع رأيه الشخصي، مشدّدًا على أن ما جاء في القرآن والسنة يكفي قاعدة لعقيدة راسخة.

أحمد خان بهادر (السر (Sir)، والسيد)، ١٨١٧-

عُهد إلى رسامي المنمنمات الرسميين أمر تخليد روتقها. أدى ذلك إلى انطلاق في الحياة الفنية والفقائية امتازت بعمارة الموسيقى والشعر وتكاثر المكتبات والتفتيش عن المخطوطات، ونشجيع الترجمات للمؤلفات العربية والفارسية، وتحجيم اسطنبول بترميم حصونها البيزنطية وتحسين تغذيتها بالمياه، وحيوية إنتاج المنمنمات والسيراميك [الفاناسي] وإقامة أبنية أنيقة كمثل منهل أحمد الثالث المشيد أمام رتاج قصر توبكاي، أو كمثل المسجد الذي بناه السلطان لأمه على الضفة الأخرى للبورسور، في أسكودار/شكوتاري. كل هذا كان تعبيراً عن الفرح بالحياة اللاهية الدينية التي شكّلت العلامة البارزة لعهد الزنبي الذي عرف فاهية في العيش لم تدم طويلاً. وقد تجلّى هذا الفرح في الأناقة، المتصنعة بمقدار، في أصغر إنجازات هذا العهد.

أحمد آباد (الاتحاد الهندي)، مدينة تابعة لشجرات، في شمال غربي الدكن، عتد عاصمة لدولة إسلامية بالهند استقلت في أواخر العصور الوسطى.

أسس مدينة أحمد آباد، عام ٨١٤هـ/١٤١١م، سلطان شجرات يومئذ، أحمد شاه الأول، حفيد الحاكم الذي كان أعلن استقلاله، بعد مضي أكثر من قرن على إلحاق المقاطعة [بأراضي] سلاطين دلهي. منذ ذلك الوقت، عرفت المدينة عهداً من الازدهار شهد عليه المباني الباقية التي تشكّل بيئات دالة للفكر الهندي-الإسلامي في المنطقة. إلا أن محموداً الأول [محمود شاه الأول] بغرا الذي ملك من ٨٦٢ إلى ٩١٧هـ/١٤٥٨ إلى ١٥١١م تخلّى عنها كمقام له، وأسّس مدينة محمود آباد/نشامير^(١٣)، لكنها عاودت تألقها في إطار امبراطورية المغول، قبل أن يأفل نجمها من جديد ابتداءً من القرن الثامن عشر وتخضع للبريطانيين عام ١٨١٨.

«راجع المسند ٣٢».

أحمد بن حنبل، ١٦٤-٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م، سلفي، فقيه وعالم دين، يعتبر مؤسساً للمذهب الحنبلي في الفقه، وهو الذي أخذ بإصرار بعقيدة أهل الحديث السنية.

ينتسب ابن حنبل إلى أسرة عربية ناصرت سلالة

ينعتها بالمادية والذي لم يكن ليغفر لأحمد خان نواطؤه مع السلطات البريطانية ومعارضته لفكرة الجامعة الإسلامية^(١١).

أحمد سرهندي (الشيخ)، ٩٧٢-١٠٣٣هـ/١٥٦٤-١٦٢٤م، المعروف، كذلك، بمجدد الألف الثاني أو «مجدد الإسلام في الألفية الثانية»، شخصية صوفية ورعة كسبت شهرة عظيمة في الهند المغولية. وقف حياته للدفاع عن إسلام متشدد.

ولد في مدينة سرهند في البنجاب، وانتقل، بعدئذ، إلى بلاط أقره حيث انصرف إلى دحض العقائد التي كان يراها مفسدة. وكانت قد توافرت له، في صباه، نشئة سلفية راسخة، دمغتها معارضته لعقائد الشيعة، فأكملها على صعيد التصوف بانضوائه، عام ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م، إلى فرقة النقشبندية، من دون القبول بالترجيحات الوجودية في الصوفية التي أثار فيها ابن العربي. إن المعارضة التي واجهته في بطانة المعامل جهانكير لم تخلُ دون ممارسته عليه تأثيراً واقعياً، في الوقت نفسه الذي كان يقوم فيه بإدانة سياسة الترفيق والمحاولات المرتبطة بالبدع التي سلكها المعامل السابق، أكبر.

بلغت شهرة أحمد سرهندي، مدافعاً عن الدين الإسلامي ومحبباً له، آسيا الوسطى، بفضل مقامه الشخصي وانتشار مؤلفاته: لقد أثبت علو شأنه «مصلحاً إسلامياً، مركّزاً على ضرورة عودة الجميع إلى التقيد بالشريعة والسنة»، بمن في ذلك سالكو النهج الصوفي. هذه الأفكار التي دعا إلى الأخذ بها أوحّت، بعيد ذلك، إلى حفيد جهانكير أوركزيب، سياسته المتشددة.

أحمد نَقَر (الاتحاد الهندي)، مدينة من أعمال الدكن تحولت إلى الإسلام واضطلعت، في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، بالدور التاريخي لعاصمة دولة النظاماشاهيين، الناشئة من تفكك إمبراطورية الهمتيين.

في عام ١٤٩٠م، أعلن مؤسس هذه السلسلة - وهو هندي باسم أحمد نظام شاه، كان تابعاً لوزير آل بهمن^(١٢) الإيراني الأصل محمود شاهوان^(١٣) - استقلاله [عن الهمتيين]. وقد جهد من عقوبه في الحفاظ على

١٨٩٨م، كان ينتمي إلى [حركة] الإصلاح الإسلامية لتحديثية في الهند، ويحمل لقب تشريف هاسر (Sir) منحه إياه الإنكليز. وسيد الذي يشير إلى تحدّره من أصل علوي.

نشأ في أسرة أرستقراطية من أصل إيراني من بطانة لاط المغول في القرن السابع عشر، مبصراً النور في لهي حيث شغل وظائف في القضاء المحلي، وكان سرعاً حياته العملية في الشركة الإنكليزية للهند لشرفية. وقد ألقته أنشطته الأدبية والتاريخية كي ينتخب، في العام ١٨٦٤، عضو شرف في الجمعية للملكية الآسيوية في لندن. في هذه المرحلة، تأثر بما قضت إليه ثورة عام ١٨٥٧ المعروفة بثورة السيائي، فسخر كتاباته لتهديد الأهل محاولاً مصالحة الإنكليز والمسلمين. سعى، بوجه خاص، إلى رفع مستوى معاصريه الثقافي، غير متردد في اعتماد طرق التعليم والتربية المعمول بها في بريطانيا. فأسس، عام ١٨٨٧م في غلبه، حيث تكاثرت أتباع الحركة [الإصلاحية] لتي كان ينتمي إليها، كلية إسلامية، بريطانية-شرقية، قام نظامها على نموذج الكتابات البريطانية. وفي السنة نفسها عُيّن عضواً في المجلس التشريعي لنائب الملك مكافأة لوفائه. ويمكن القول إن أحمد خان كان يُعتبر رأس الطائفة الإسلامية في الهند، وإن دوره كان راجحاً في صحوة هذه الطائفة التي أدّت في ما بعد إلى تقسيم العام ١٩٤٧ وإنشاء الباكستان.

غير أن أفكاره لم تنعم أن أثارت تحفظاً واسعاً لدى علماء البلاد. صحيح أن أحمد خان لم يكن لا مبالياً بالنسبة إلى المسائل الدينية، إلا أنه ترك جانباً التعليم التقليدي للحديث [النبيوي]، أخذاً بروح القرآن لا بحرفية نصّه. كان، بوجه خاص، يصبو إلى نظرية جديدة في علم الكلام تقول إنّما ينقض العلوم الحديثة، وإما بالأخذ بها مع تبيان ملاءمتها لمبادئ الإسلام، كما أعلن في خطبة له عام ١٨٨٠. وقد دعا إلى عقيدة تحضلت لديه مفادها أنّ الطبيعة، بقوانينها، هي من عمل الله، كما أنّ الوحي هو كلامه. إلا أنّ هذه العقيدة التي كانت تقدّم الدين في مظهر عقلاني صادقت هجوماً عنيفاً، ولا سيّما من قبل جمال الدين الأفغاني الذي كان

الحديثة متوسّلة بها لتشجيع الناس على اعتناق الإسلام وذلك في بلدان إسلامية ناطقة بالانكليزية، مثلاً أندونيسيا.

الأحمدية (فرق) - بلوي (السيد)، إدريسية .

أحمر (بنو ال-) - آل نصر/النصريون .

أخباري [الأخباريون]، لفظة تُطلق على متبلي مدر- كلامية تعود إلى القرون الوسطى في إطار الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

كان هؤلاء الإماميون، في فهمهم للشرعة ومقاربتهم العقيدة، يقفون عند حدود روايات الحديث التي يطلقونها عليها تسمية الأخبار ولا سيما منها المسندة إلى الأئمة رافضيين، تالياً، الاجتهاد، ومقيدين بذلك كفاية العلم في مجال الفقه. وقد عارضوا عبر التاريخ، الإمامية المعروفةين بالأصوليين الذين كانوا يأخذون بنهج العقد لبناء علم الكلام والذين كانوا يمتحنون المجتهد سلم كبيرة.

تمتع الأخباريون^(١٧) بموقع مميز في عهد نادر شاه بياران، في مطلع القرن الثامن عشر. إلا أنهم، في آخر هذا القرن، طُردوا من مدينتي النجف وكربلاء في العراق وحل محلهم الأصوليون في إيران. ومع ذلك فقه استمرّوا في العراق الأسفل، كما في البحرين والهند **الاختلاف (علم -)**، هو علم خاص بالإسلام، عُنه بالاختلافات الشرعية - الفقهية والكلامية - على العصور.

وقد اعتُبرت الاختلافات بين الفقهاء والمشرعين أمراً عادياً في قلب العالم السني. واعتباراً من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، أصبح محصورة في أربعة مذاهب، بعد ما توصل كل مذهب إلى نتائجه، مع إمكان تعايشها جميعها في منطقة إسلام واحدة. وعلى الصعيد العملي، كان التعرف إلى تلك الاختلافات أمراً مهماً، فشكّلت مواز لأبحاث فقه متخصصة. ولكن، في ميدان علم الكلام، مالت ك مدرسة، حتى ضمن السنة نفسها، إلى إدانة المدرس المناقصة ومنع تعاليمها، وهذا ما تشير إليه المصنّف القديمة التي اهتمت بالبدع والملل.

سياسته، في محيط قاسي، إلى أن استولت جيوش أكبر على المدينة عام ١٦٣٣م وجرى ضمّها إلى إمبراطورية المغول. قبل ذلك، كانت دولة النظامشاهيين التي اعتمدت، في الوقت نفسه، على قلعة دولت آباد/ ديوجير، غير البعيدة عن أوروغ آباد، ونقلت في النهاية العاصمة إليها، قد اشتهرت بالتزاعات الدينية التي امتدت إليها، بدءاً بمعهد برهان الدين (١٥٠٩-١٥٣٣)، بسبب انتشار المعتقدات الشيعة التي دافع عنها أرواها. وقد أدّى ضعف قدرة المغول إلى تنازع أراضي أحمدنغر وخرابها خلال الصراعات المسلحة، بين المهراته والنظامشاهيين، التي استمرّت حتى الاحتلال البريطاني في القرن التاسع عشر.

أحمدو - شيخو أحمدو .

أحمدو سيكو - الحاج عمر .

الأحمدية، نحلة إسلامية حديثة قامت بنشاط كبير لنشر أفكارها، انطلاقاً من الباكستان، وغم انشعابها إلى منطقتين مختلفتين أوّلت كلّ منهما، على طريقها، الرسالة التي خلفها مؤسس الحركة في نهاية القرن التاسع عشر.

عاش هذا المؤسس، وهو الميرزا غلام أحمد (١٨٣٩-١٩٠٨)، في البنجاب، في مسقط رأسه مدينة قاديان، صوفياً زعم أنّه المهدي، معلناً عقيدته بين مجموعة من أتباعه الذين أسسوا، بعد وفاته، طائفة بكل معنى الكلمة. فنشأ عنها، عام ١٩١٤، مؤسستان مختلفتان، إحداهما، وهي الأهم، تدعى باللغة الأردية «جماعت أحمدية» وبالانكليزية الحركة الأحمدية في الإسلام (Ahmadiya Movement in Islam)، وهي تشكّل منظمة قوية وغنيّة ذات انتشار في الباكستان والاتحاد الهندي وأفريقيا السوداء. وهي تدّعي تجسيد الإسلام الصحيح الأرحد، وتقضي بأنّ جميع المسلمين الذين لا يأخذون بعقيدتها هم كفّار. أمّا الثانية التي نشأت من انشقاق مجموعة أقل عدداً وأكثر توجّهاً إلى الغرب، جعلت مركزها في لاهور باسم «أحمدية أنجمن» إشاعت إسلام «لاي: مجلس الأحمدية لنشر الإسلام»، ويقتصر نشاطها على ترويج نوع من الليبرالية الفكرية

من إفريقية.

كان مؤسس هذه السلالة، محمد بن طغئ، ضابطاً ولد في أسرة تركية تخدم الخليفة، وعين حاكماً سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، واستطاع الحصول على لقب إخشيد، وهو لقب إيراني اتخذهُ أمره الصُّدُ وفُرغانة قبل الفتوحات الإسلامية. وبعده انتقلت السلطة إلى عبد خصي نوبختي الأصل، يقال له كافور، كان قد أوكل إليه قيادة جيشه، وعينه وصياً على ولديه أونوجور وعلي، فدافع عن حقوقهما، وأوصلهما إلى العرش الواحد تلو الآخر. وفي سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م، أعلن كافور نفسه سيّداً على البلاد بأسرها، وحلَّ اسمه رسمياً، حتى موته سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، محلَّ اسم زبينيّه في الدعاية له خلال خطبة الجمعة. وهكذا حكم طوال التّنين وعشرين سنة، على الرغم من الأزمات الداخليّة والصعوبات الاقتصاديّة، مملكةً تشتمل على مصر وسوريا الجنوبيّة التي عقد، من أجلها، اتفاقاً ناجحاً مع الحمدانيّين سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م. وشهر تاريخياً لآله استقل المتنبّي، الذي مدحه بقصائد عدّة، من دون أن يغفل أحياناً عن هجانه. وعند وفاة كافور سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، تسلّم الحكم إخشيدني آخر، هو أحمد الذي حكم أشهراً عدّة، حتى كان هجوم الفاطميين الظافر على القسطنطين سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م.

محمد بن طغئ الإخشيد	٣٢٢-٣٢٤هـ/٩٣٥-٩٤٦م
أونوجور بن محمد	٣٣٤-٣٥٠هـ/٩٤٦-٩٦١م
علي بن محمد	٣٥٠-٣٥٦هـ/٩٦١-٩٦٦م
كافور	٣٥٥-٣٥٦هـ/٩٦٦-٩٦٨م
أحمد	٣٥٧-٣٥٨هـ/٩٦٨-٩٦٩م

أخلاق أو **خِلاط** بالعربيّة (الجمهورية التركية)، ناحية تقع في الشمال الغربيّ لبحيرة وان، في الأناضول الشرقية، تشهد خرابتها العائدة إلى القرون الوسطى والمكوّنة من أضرحة وشواهد قبور بشكل أساسي، على أهميتها وغناها السالفين بين القرنين السابع والتاسع للهجرة/الثالث عشر والخامس عشر للميلاد.

بدأ تاريخها الإسلامي منذ القرن الأوّل للهجرة/السابع للميلاد، خلال خلافة عمر بن الخطاب الذي عقد معاهدة مع أهلها. تداول الحكم فيها، في ما بعد، كما

والاختلافات التي ظهرت بين الفقه السني والفقه الشيعي تناولت «الأصول» أولاً، ثم المجال المتاح للرأي. كما برزت الاختلافات في التطبيقات أو الفروع. قد تبدو الاختلافات بسيطة أحياناً وثانوية، لكنها تُفسّر دائماً بالتباين بين الطرق المنطقية الخاصة بكل مدرسة، ويمكن أن ترك تأثيرها على الحياة اليومية حتى السياسيّة. ففي الصلاة مثلاً يجب أن تُثلى اليُسْلمة بصوت منخفض بحسب ثلاث مدارس، بصوت مرتفع بحسب المدرسة الشافعية، وكذلك حسب المدرسة الجعفرية المرتبطة بالإمامية الاثني عشرية. ومن جهة ثانية فإنّ رفع اليدين في بداية الصلاة يجب أن يتكرّر مرّات عدّة بحسب ثلاث مدارس، وليس حسب المدرسة الحنفيّة. والمدرسة الجعفرية توصي بلاوة «الكبير» خمس مرّات في الصلاة الجنائزية، في حين أنّه يكفي تكراره أربع مرّات بحسب المدارس السنيّة. وفي مجال التوضؤ للطهارة الطقيّة، هناك بعض الاختلاف بين المدرسة الجعفرية والمدارس السنيّة. وأخيراً فإنّ الأذان يختلف ما بين السنيّة الشيعية، إلى حدّ أنّ تبني صيغة من الصيغ يمكن أن يُبرر إلى الانتماء السياسيّ.

ومن الاختلافات ما له علاقة بالحياة الاجتماعيّة، لا سيّما مسألة الزواج، ذلك أنّ حضور وصيّ على متزوّجة ليس مطلوباً في المدرسة الحنفيّة. أمّا في مسألة الإرث فإنّ الحنبلين يرفضون أن يورثوا أقرباء نساه، وفي حال عدم وجود ورثة غير هؤلاء، يعتبرون تركه شاعراً ويأمرون بتحويلها إلى الخزينة العامة. وفي ما يتعلّق بحقوق الإبنة الوحيدة بالإرث، فإنّ الأمر اتخذ أبهاً خاصاً لدى الشيعة انطلاقاً من فكرة الدفاع عن نفوق فاطمة، إبنة النبي محمّد (عليه السلام). ومن الاختلاف ما خلّق بكيفيّة معالجة أزواج المرتدّة، وما يتعلّق بتقدير عقوبة الخليفة، إذ جعلها بعضهم أربعين جلدة، في حين جعلها آخرون ثمانين.

إخشيديون، ٣٢٣هـ/٩٣٥م - ٣٥٨هـ/٩٦٩م. سلالة من الحكّام المستقلين ذاتياً، حكمت مصر تحت سلطة نخباسيين الاسميّة، وقاومت مظالم الحمدانيّين في سوريا الشماليّة قبل أن تخضع للتوسّع الفاطمي الوافد

بمسجدين عظيمين ما يزالان حتى اليوم في أحسن حال
 راجع المستدين ١٧ و ٢١.

الأخلاق ← علم الأخلاق الإسلامي

الإخوان، إسم أطلق على أعضاء حركة سياسية ودينية ساندت عمل ابن سعود في شبه الجزيرة العربية بين ١٣٣٠ و ١٣٤٨هـ/ ١٩١٢ و ١٩٣٠م. حوالى سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، وإلى جانب حضرتي نجد الذين كانوا يشكلون العمود الفقري لجيشهم، عمل أعضاء العائلة السعودية، آل سعود، على تجنيد مجموعات من العرب البدو بعد تعليمهم العقيدة الوهابية، وأسكنوه في جاليات دُعيت الهجرة (أو أرض التهجير)، نسبة إلى هجرة النبي (ﷺ) خارج مكة. هؤلاء الإخوان الذين آمنوا بوحانية متشددة تذهب إلى حد إدانة كل المخترعات التي حَقَّقها التطور التقني الحديث، قدموا لآل سعود مساندة فعالة في حملاتهم. وإلهم يعود بعض الفضل في تمكين ابن سعود من أن يعلن نفسه، في الرياض سنة ١٩٢١، لملكهم أظهروا، في بعض الحالات، عدم انضباط، حتى إنهم ادانوا، سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، ابن سعود الذي أصبح ملذ الحجاز، لأنه أرسل ابنه إلى مصر لتعلم بعض التقنيات الحديثة. وفي سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، عاد الإخوان إلى الاعتدال، وأصبحوا جنود الحرس الوطني وما يزالون كذلك إلى الآن.

إخوان الصفا أو الإخوان الصادقون، مجموعة مؤلفة من ثمانية أسماء لموسوعة فلسفية-دينية يعين الباحثون تاريخها في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشرون الميلادي، وقد نالت شهرة واسعة في الأوساط الإسلامية في القرون الوسطى.

ترك هؤلاء الناصرون للنشيط، وربما المناضلو الإسماعيليين، تراثاً يهدف إلى توفير فكر روحي باطني للمريدين، وإلى الاطاعة بمجموعة المعارف في اثنتي عشرة رسالة، تنظم في أربعة أقسام كبرى: المعارف التمهيدية، الرياضيات والمنطق، الفلسفة الطبيعية والماورائيات والنصوف. هذه الدراسات تعتمد التدرج بحيث تُدخل المنتسبين شيئاً فشيئاً للوصول إلى حقائق

في سائر نواحي أرمينيا، أمراء وحكام عرب أو حكام محليون. وقد تعرضوا لبعض الهجمات البيزنطية وأخضعوا، منذ ٩٨٣هـ/ ٩٨٣م، لسلالة المروانيين الكردية الصغيرة المتمركزة في بلاد ما بين النهرين العليا.

إن دخول الأتراك إليها بقيادة السلجوقي ألب أرسلان الذي انتصر، عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م، في معركة مانزيكوت/ملاذكوت، غير بعيد عنها، جعل منها مركز حكم لأمرأ محليين، هم سلالة شاه أرمين، الذين اضطروا، في ما بعد، في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، إلى التخلي عن الحكم لأمرأ جاؤوا من بعيد وأقوى منهم بكثير. تنازع المنطقة أياماً: الأيوبيون من سوريا، أمراء جورجيا، الخوارزمشاهيون في شخص جلال الدين منكوبرتي، وأخيراً سلاجقة الروم الذين حافظهم الظفر بسيطرة كيبكاد الأول على تلك الديار في ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م.

لكن الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للمنطقة، في الوقت الذي بدأت فيه أخلاط تحول نواحي مجاورة مثل عادل سيواز وأرسيس - كانت هذه الأخيرة من الأهمية بحيث منحت إسمها للبحيرة - توطدت في وقت متأخر: عندما أدت حماية الإبلانيين التي نتجت عن انتصار مغولي أول في كوز داغ عام ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م، إلى مرور الطريق الرئيس للتجارة بين آسيا الداخلية وأوروبا في المنطقة الشرقية من الأناضول. إن جلاير الذين ورثوا في المنطقة سلطة الإبلانيين، ولا سيما سلالة آق قويونلو التركمانية الغنية والنشطة التي احتلت أذربيجان بعد بقاءها لفترة طويلة منحصرة في السهوب الأناضولية، أحسنوا استخدام قلعة ومدينة أخلاط التي تحتفظ مدافنها، منذ ذلك العهد، بأنوارهم، في حين أن خراب القسم الذي كان مسكوناً في السابق هي أقل تمييزاً، وذلك ربما بسبب التدمير الذي أحدثته غارة صفويي إيران عام ١٥٤٨م. وبعد إلحاق مقاطعة أخلاط، بصورة نهائية، بسلطنة العثمانيين في القرن السادس عشر، إضافة إلى الاهتمام الذي أبداه رؤساء محليون من الأكراد تجاهها، شيدت مدينة أخلاط جديدة، غير بعيدة عن موقع القديمة، وخُصصت

الأحرار على السلطة في مصر إبان ثورتهم، طلب هؤلاء مساندة الإخوان المسلمين الذي تشددوا في شروط تلبية طلبهم. فتج عن ذلك صراع خفي انقلب عنيًا بينهم وبين أسبأ السلطة. وهكذا، بعد محاولة اغتيال التي نجا منها عبد الناصر في العام ١٩٥٤، نُفذ حكم الإعدام في ستة من الإخوان المسلمين، كما حكم على رئيسهم بالسجن مدى الحياة. وفي عقب مؤامرة كُشِف أمرها عام ١٩٦٥، حكم على ثلاثة من الإخوان بالقتل ونُفذ الحكم بهم، بينهم الكاتب سيد قطب. ولم يخل ذلك دون استمرار الحركة وتوزع فريق من الإخوان ينتمي إلى سيد قطب في اغتيال أنور السادات في العام ١٩٨١. في مؤازرة ذلك، تألفت جمعيات الإخوان المسلمين في باقي البلدان العربية في الشرق الأدنى (مثل سوريا على وجه الخصوص، حيث جوبه نشاطهم بقمع فاسي)، كما في الأردن والعراق والسودان. كانت عقيدة الإخوان المسلمين بمثابة عودة إلى إيمان الأجداد أو السلف الذي حملت لواءه، في مستهل القرن [العشرين]، حركة الإصلاح المعروفة بالسلفية، وهي عودة إلى الإيمان بالمفهوم التقليدي. وقد صرح البنا بذلك في قوله: «الإسلام عقيدة وعبادة، وطن وتابعية. دين ودولة، روحانية وعمل، قرآن وسيف». وهذا يعني أن الإخوان عملوا لإقامة نظام مسنوح من التنزيل وحسب، ينظم جميع وجوه الحياة الإنسانية والاجتماعية. وقد نشأت من ذلك حرب ضد السيطرة الأجنبية وضد أي تحوير أصاب المؤسسات السياسية أو القواعد الاجتماعية المطابقة لتقليد الغرب. كما نشأت أيضًا إرادة في إقامة دولة إسلامية تجمع جميع الشعوب الإسلامية واستعادة شكل من أشكال الخلافة بلائم العصر الحالي.

الأخضر، هو الاسم الحالي لقصر مدرّس في الصحراء العربية - العراقية، غربي كربلاء، تديره هندسة البداية والغنية بالعناصر الدفاعية نساوات ما تزال بدون جواب.

تألف هذا القصر - ذو التسمية الحالية الغامضة المصدر، التي لا ترشدنا إلى ما كان يمكن أن يدعى في العصر الوسيط - من سور مزدوج محصّن مستطيل ضخم القياسات، أعُدّ داخله لحاجات سكنية تشبه ما في قصور

عميقة لا تتفق مع حرفية الشريعة، لكن بدون التعبير عنها بشكل صريح. هذه الحقائق المستمدة من علوم الأوائل، تمثل بالنسبة إليهم إلهامات أوحاها الله خلال هذه العصور، كما كان يحصل في السعي إلى الحكمة لدى الشيعة. وكان يفترض بهذه الحقائق أن تنجح للإنسان الحصول على السعادة في هذا العالم، وعلى الخلاص في الآخر، وللنفس أن تتخلص من دنس المادة، وأن تتحرّر من الجسد وتشد بالنفس الكلية التي تدبر العالم. ونجد في هذا الفكر، ليس مجرد تأثير الأندلسية الجديدة التي يقول بها دعاة الفلسفة، والتي رُوّج لها صابئة حرّان، بل أيضًا تأثير الكتابات المعرفية النحوية والسحرية. كل هذه المؤثرات لم تمنع، مع ذلك، مؤلفي هذه الأبحاث من النجاح في بلورة حصيلة أصيلة تتفق، ظاهريًا، مع العقيدة الإسلامية، وبهذا حققت أساس شهرتها.

الإخوان المسلمون، حركة دينية وسياسية تنامت في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين، بعد تأسيسها في مصر على يدي حسن البنا.

في العام ١٩٢٨، أُسّست في الإسماعيلية جمعية الإخوان المسلمين، بإدارة المدرّس البنا الذي وضع لنفسه هدفًا يقضي بنشر التعليم الديني وتأسيس ما من شأنه أن يحسّن الحالة الصحية ومستوى حياة السكّان المُعسّرين.

في العام ١٩٣٦، عقب توقيع المعاهدة البريطانية - المصرية، أعطى حسن البنا دعوته مزيدًا من التوجّه السياسي بمحاربته النفوذ البريطاني ودفاعه عن قضية عرب فلسطين. وكانت مواقفه خلال الحرب العالمية الثانية من العنف بحيث أدّت إلى سجنه عام ١٩٤١. بعد العام ١٩٤٥، خصّص الإخوان المسلمون قسمًا من نشاطهم للنضال ضدّ الشيوعيين المصريين، بينما وجّهوا فرقة مسلّحة إلى فلسطين في العام ١٩٤٨. وقد أثار نفوذهم قلق الحكومة المصرية، فأعلنت حلّ جمعيتهم التي عمدت إلى مواصلة نشاطها سرًا حتى العام ١٩٥١ حيث برزت علنًا من جديد، بعد موت البنا الذي اغتيل عام ١٩٤٩.

وفي العام ١٩٥٢ الذي استولى خلاله الضباط

ولكنها استمرت تشكو من الجمود في أداؤها ومن التخلف في عدد موظفيها حتى برز التصدع وإرهاصات التحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين.

الأداسة، ١٧٢-٨٣٦٣/٧٨٩-٩٧٤م، سلالة متحدر من ذرية علوية حسنية، سيطرت على غربي بلاد المغرب، حوالي قرنين من الزمن، في القرون الوسطى هذه السلالة الشيعية المنتسبة إلى مؤسسها إدريس الأول، أقامت حكماً مستقلاً عن الخلافة العباسية، لكن بدون أن تبدي أي حماسة للدعوة الشيعية. اكتفى أميرها الأولان بأن يُقَرَّ بهما إمامين جماعات بربر زانة الذين استقبلوهما وأنصارهما من العرب، مراقبي إدريس عنه فراره. والأزمات المتتالية التي نشأت لاحقاً لم تكن سوى نتيجة خلافات داخلية على اقتسام المملكة بين أبناء إدريس الثاني. وقد استطاع ورثة ابنه الأكبر، محمد المنتصر، صاحب الأفضلية والمقيم في فاس، أن يوقروا للدولة وضعاً مستقراً، وحالة من الازدهار تجلّت بشيبد مسجدين جامعين في العاصمة، سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م؛ لكن انقساماً جديداً حصل سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م أدى إلى فقدان عائلته سيطرتها. وتعرضت الأداسة لاحقاً لمخاطر جديدة. فابتداءً من سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، اضطرروا إلى الاعتراف بسيادة الفاطميين، وذلك قبل أن يجدوا أنفسهم، خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بين الفاطميين وأمويي قرطبة؛ فكانوا يطلبون حماية فئة ضدّ الأخرى، فيما كانوا هم أنفسهم منقسمين إلى فروع عدة غامضة المنشأ، وقد أقام بعض أعضائها في مدينة سبتة. وكان الحسن بن القاسم آخر الأفراد المعروفين من هذه السلالة، وقد استسلم للأمويين سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م، ثم لجأ إلى مصر، وقتل سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، بعد قيامه بمحاولة فاشلة لاستعادة السلطة. وبعد بضع عشرات من السنين، قام بعض المتحدرين من هذه العائلة الذين مكثوا في الأندلس، في مدينة مالقة، بإنشاء إمارة بني حمّود، على عهد ملوك الطوائف.

إدريس الأول ١٧٢-٨٣٦٣/٧٨٩-٩٧٤م

إدريس الثاني ١٧٧-٨٣٦٣/٧٩٣-٨٢٨م

محمد المنتصر ٢١٣-٨٢٨/٢٢١-٨٣٦م

علي الأول ٢٢١-٨٢٦/٨٢٤-٨٤٩م

الحكام. إن تاريخ ونسبة هذا البناء المهييب - غير المصحوب بأي أرض مزروعة، والذي كانت أهميته الإستراتيجية فقالة في عصره كما يبدو - ما يزالان غير واضحين، رغم فرضيات بعض علماء الآثار. ولئن اتجه بعض الباحثين إلى تخمين بنائه في مطلع العصر العباسي، فما من برهان حاسم على ذلك، وثمة اليوم ترجيح لتحديد تاريخ بنائه خلال القرن العاشر الميلادي.

الإدارة الإسلامية القروسطية، عبارة تعني النظام المعقد والبيروقراطي جداً الذي اعتمدته، حتى الزمان المعاصر، حكومات أهم الدول الإسلامية، سائرة في هذا المجال وفاق تقليد تأسس في الأمبراطورية الخلافة التي نشأت غب الفتوحات الكبرى.

هذا النظام الذي كان يقوم على دواوين كثيرة موزعة على أجهزة مركزية تعمل حول الخليفة وإدارات تابعة لحكام الأقاليم، أنشئ لتكثيف الموروث الإداري السالف مع ضرورات النظام الجديد، في مجال مسائل الضرائب، كما في أعمال الدواوين وتقاليد الدبلوماسية. وقد اضطلع بنقل هذه الإرث جهاز مؤلف من أكثره من كتاب محلّيين توارثوا ثقافات قديمة جداً ونقلوا ما عرف بالأدب.

احتفظت الإدارة التي قام عليها التنظيم الداخلي للامبراطوريات الإسلامية في القرون الأولى، وكذلك تنظيم الإمارات التي نشأت من تفككها، بهيمنتها في داخل العالم الإسلامي حتى العصر الحاضر. في الوقت نفسه، تعرضت هذه الإدارة التي استمرت في أيدي طبقة متخصصة في مسك السجلات وتدبير المكاتب المختلفة، عبر العصور، إلى تحولات اقتضتها التغيرات المحلية والخصوصيات المتعلقة بكل دولة. وقد برزت، بوجه خاص، آثار أسلمة الكتاب المعتمدين التي استمرت في تصاعد مع مرور الزمان، إذ غالباً ما كانوا يُختارون، بدءاً بالقرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، من بين رجال الدين الذين تلقوا في المدارس تعليمًا إسلاميًا تقليديًا يتناقض مع التنشئة الدنيوية لأسلافهم. إن النماذج التي كانت قائمة منذ إنشاء الإدارات الإسلامية الأولى لم تُصَبّ تحوُّلاً،

الرحلات، أو لحكايات يتفاوت نصيبها من الخوارق، كما للثمُرس ببراعة الكتابة الأدبية.

أثره (الجمهورية التركية)، وهي مدينة في ترافيا، تقع على الحدود البلغارية. إنها فقدت أهميتها القديمة، لكن صروحها تذكر بالزمن الذي كانت فيه عاصمة العثمانيين من ١٤٠٢ حتى ١٤٥٣، ولاحقاً حيث أصبحت محوراً إستراتيجياً للطرق المؤدية إلى الرُّوملي ومركزاً موقفاً لبعض السلاطين.

استولى السلطان مراد الأول، في سنة ١٣٦٢، على المدينة البيزنطية التي استعارت اسمها من الإمبراطور أديان (Hadrian)، فأصبحت نقطة انطلاق الحملات التركية ضد مدينة القسطنطينية والبلقان، بعد أن كانت حامية لهما. كما أقام فيها سلاطين القرن الخامس عشر بعد اجتياح تيمورلنك الذي نهب، في سنة ١٤٠٢، مدينة بورصة التي كانت في هذا الوقت مركزهم. لكنها خسرت هذا الدور في سنة ١٤٥٣، باختيار محمد الثاني الفاتح مدينة إسطنبول/ القسطنطينية مقراً له، ولم يعد السلاطين يمتثلون فيها إلا في المناسبات، رغم أن إقامتهم فيها ظلت تتميز بالبلخ. لكنهم استمروا في استعمالها قاعدة انطلاق لجيوش الأباطورية المحاربة في أوروبا، وتابعوا بناء الصروح الفخمة فيها.

وهكذا نجد القصر الأوّل الذي بناه مراد الأول والذي سمي في ما بعد بالقصر القديم، قد استُبدل به آخرُ إمبراطوري، بناه مراد الثاني عام ١٤٥٠ على جزيرة وسط النهر، أعيد تكبيره وتزيينه في القرن السادس عشر والسابع عشر، كما أعيد بناء المساجد الصغيرة وتكبيرها، وكانت قد بنيت بعد الفتح في مواضع الكنائس. وهكذا تحوّلت إلى عمارات واسعة، على سبيل المثال، المسجد الملقب «بالقديم» أو إسكي جامع (Eski Cami) المبني بين ١٤٠٢ و ١٤١٣، وأوتشرفلي جامع (Uçsereveli Cami) أو الجامع ذي العتدة التي بها ثلاث شرفات، والذي شيّده مراد الثاني وانتهى العمل فيه عام ١٤٤٨. أما المجموعة المعمارية المميزة التي ما تزال قائمة على الضفة الأخرى من النهر، والتي تتضمن مسجداً وحمامات ومستشفى ومدرسة ومطابخ وأبنية أخرى مخصصة للمخدمات،

بحسب الأزل بن محمد ٢٣٤-٢٤٩/٨٤٩ ٨٦٣م.

◀ راجع السند رقم ١١.

أدب، لفظ يعني، حرفياً، «التهديب، علم الأدب»، وهو تمييز يحمل في الأصل مفهوماً غير ديني، ومع ذلك لاقى رواجاً كبيراً في المجتمع الإسلامي الوسيط.

شملت هذه اللفظة، الأدب، في معناها الشامل الكتابات القيمة بتثنية نموذج للإنسان المميّز من أهل الحواضر، الذي عرف بالأدب، والذي انماز بحسن تصرفه، وبيانه الأنيق، وصفاته الاجتماعية، مع اندراجه، في الوقت نفسه، في سياق مثل أعلى مبطن بالمفهوم الإسلامي. من هنا أُطلقت التسمية، بشكل عام، على الأدب العربي المنثور الذي يقصد منه التسليّة والاعتداه بمكارم الأخلاق وتنقيف الشخص الذي كان يُحمد، أيّامئذٍ، لمسلكه الاجتماعي ومراعاته آداب السلوك.

واقع الأمر أن هذه الكلمة، في مفهومها المتقادم، كانت تنطبق على شكل من أشكال ما عُرف بالثقة، أي المعيار العملي للسلوك وللعادة الجامعة معنى الإطراء والتحقّر من الأسلاف. إنطلاقاً من هذا المفهوم، ووفق الرهافة المتزايدة للأخلاق والعادات البدوية، والاحتكاك بالثقافات الأجنبية، تطوّرت اللفظة، عبر التاريخ الإسلامي، لتحتضن مفاهيم متنوّعة أكثر خصوصية، أُضيفت إلى المعنى الواسع المذكور.

ثم إن الأدب، في تحرّره من مفهومي الكياسة وحتى الأنسنة الاجتماعية الأنقي الذكر، غدا يعني، على سبيل المثال، المعرفة الموسوعية التي كان ينبغي للمتعلم أن يحوّزها، وهذا أمر مرادف للثقافة. كما كان يمكن أن ينطبق على المصنّفات التعليمية التي كانت تصف المعلومات الضرورية لتنشئة أصفان من الأفراد يُؤدّون لتسلّم وظائف إجتماعية مثل الكُتّاب والقضاة. كذلك كان يعني المؤلّفات ذات المنحى الأخلاقي والنفسي، أي النوع الأدبي الذي برّز فيه الجاحظ. وأخيراً، كان يُسمّ باسمه المؤلّفات ذات الطابع التعليمي والترفيهي التي كثيراً ما تناثرت خلالها الطُّرف، والتي شكّلت أحد الجوانب المميزة للأدب العربي في العصور الوسطى في ديار الإسلام، مفسحة في المجال، في الوقت نفسه، لإيراد أخبار تاريخية، أو روايات

إنشاء مملكة صغيرة. وبعد وفاته في ليلة، دفن خارج المدينة، في موقع الضريح الذي ما يزال مكرماً إلى اليوم، ودعيت المنطقة «مولاي إدريس» نسبة إليه.

إدريس الثاني أو إدريس الأصغر، ١٧٥-٢١٣هـ/ ٧٩١-٨٢٨م، هو ابن السابق، ومولود بعد موته، كان المنظم الحقيقي لمملكته، بعد أن قبل الزناتيون اعتباره وريثاً لأبيه. وكانت الوصاية عليه قد أمّنها المعتز رشيد الذي قُتل سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م، على أثر ثورة دبرها وحرض عليها إبراهيم بن الأغلب الذي كان حاكماً على إفريقية. أعلنه الوصي الجديد إماماً سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م، وكان هذا الأمير الصغير قد بلغ الحادية عشرة من عمره، فعقد صلحاً مع ابن الأغلب. وفي سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م، استقبل مجموعة من العرب الوافدين من إفريقية، وطمأ من القيروان، وأنشأوا بذلك سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م «حَيّ القيروانيين»، الذي استمر اسمه مرتبطاً بجامع المرقوقين الكبير. وكانت منطقة فاس قد استقبلت بدورها، سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٨م، لاجئين من الأندلس. وإدريس الثاني الذي شن حملات عدّة على قبائل البربر ليدعم سلطته على المنطقة، توفي في حادث سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م، تاركاً اثني عشر ولداً.

◀ راجع المستند رقم ٥

إدريس، نبيّ ورد ذكره في القرآن، لكنّ الشراح اختلفوا في تحديد شخصيته.

غالباً ما اعتُبر إدريس أنّه أنوخ المذكور في التوراة، وأحياناً عدّ واحداً من المهراسة، هؤلاء الحكماء الهلنستيين الذين حملوا اسم إله يوناني، وكانوا حفظة كل أنواع المعرفة، بحسب الآراء الغنوصيّة التي لاقت حظوة لدى بعض الأوساط الإسلاميّة في القرون الوسطى. لقي إدريس أيضاً تكريماً من ممثلي التصوّف الذين جعلوه «نبيّ» أتباع الفلسفة. وكانت تُنسب إليه حكم وابتكارات من كل نوع.

أما المؤلّفون السّنة فقد اكتفت غالبيّتهم بتحديثه زمناً بين آدم ونوح، ويؤكدون أنّه، بعد أن تلقّى الوحي، دخل الجنة حيّاً ولم يخرج منها. وثمة أحاديث تؤكد أنّ النبيّ محمداً (ﷺ) التقاه في صموهه الليليّ، أي الممرّاج. وتجدر الإشارة إلى أنّ ثمة معابد متصلة بذكره

فيعود تشييدها إلى بايزيد الثاني في نهاية القرن الخامس عشر. كما أنشأ المعماري ستان، للسلطان سليم الثاني، السليميّة حوالي عام ١٥٧٠، وهي محاطة بعدد لا بأس به من الأبنية المهمة، وهي تعتبر ثخنة فنيّة ليراعة إنجاز قنّتها.

واستمرّت أدنة مدينة مزدهرة ومركزاً ثقافياً ودينيّاً ناشطاً حتّى نهاية القرن السادس عشر، أي طواك استمرار الحملات العثمانيّة الناجحة على أراضي أوروبا الوسطى، ثمّ صغفت قدرتها بسرعة ابتداءً من القرن الثامن عشر، بسبب تدهور قدرات الأمبراطورية في الرّومليّ (Roumélie)، كما ألهمت النيران أحياء عدّة منها في سنة ١٧٤٥. وقد ساهم الاحتلال الروسي لها بين ١٨٢٨-١٨٢٩ و ١٩١٢-١٩١٣ في تدنيّ نسبة سكّانها. وجاءت الحروب البلقانيّة بين ١٩١٢ و ١٩١٣ لتقضي نهائياً على دورها الرائد، على الرغم من أنّ القوّات العثمانيّة دافعت عنها بشراة. وهكذا بقيت المدينة تابعة للجمهورية التركيّة، لكنّها عانت، على الصعيد الاقتصادي، فنّزها الجديد الذي حتمّ عليها أن تتحوّل إلى مركز إداري وبنّي يدور في فلك مركز آخر.

◀ راجع المستندات ٢٦، ٢٧ و ٨٠.

إدريس، إسم دُعي به، في القرون الوسطى، الأميران الأزلان العلويّان لإمارة شيعيّة مستقلّة، أسسها في المغرب الأقصى، خارج سلطنة الخلفاء العبّاسيين، واستمرّت بعدهما في أيدي سلالتهما، أي الأدارسة.

إدريس الأوّل أو إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ، المدعوّ أيضاً **إدريس الأكبر ٩-١٧٥هـ/ ٧٩١-٩م،** هو ابن حفيد الحسن، وعدّ لاحقاً سيّد المغرب وحاميه. كان قد نجا من مذبحة الفخّ، قرب مكّة، سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٦م، التي قتل فيها الحسين بن عليّ بن الحسن بن عليّ، وهو ابن عم أبيه. هرب إدريس إلى مصر، مع عبد معتز اسمه رشيد، واجتاز تلك البلاد بفضل حيل متنوّعة، حتّى بلغ المغرب واستقرّ في ويلة، المدينة المعروفة في التاريخ القديم باسم فولوبيليس.

بعد أن لقي، لدى بربر زناتة، أنبأعاً اعترفوا به إماماً، سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩م، أسّس إدريس مدينة فاس على الضفة اليمنى لوادي فاس، وخاض معارك أتاحت له

في قرطبة، وتوجّل في الأندلس والمغرب، قبل أن يستقرّ، لسبب غير معروف، لدى الأمير المسيحي الذي حماه وشجّعه. ولهذا الأمير ألف كتابه في الجغرافيا الوصفية المعدّ لشرح خارطة للأرض من الفضة، صنعها بنفسه. إنّ كتابه المعروف بـ «كتاب روجار»، يقسم العالم الأمّاحول سبعة أقاليم، تتوافق مع مناطق محدّدة بخطوط الطول، وفقاً لمفهوم موروث عن القدماء. أنهى الإدريسي كتابه سنة ١١٥٤هـ/١١٥٤م. ومع أنّه ليس جديداً كل الجدة، فضله في أنّه يمتاز بأمرين: تدوين المعلومات المعروفة في عصره، والتوسّع لتناول مناطق خارجة عن نطاق البلاد الإسلامية، كان سابقوه من الجغرافيين قد أغفلوها، عن عمد.

الإدريسية، طريقة صوفية إسلامية، أو تنظيم تطلق عليه أحياناً تسمية الأحمدية، أسّسه في القرن التاسع عشر أحمد بن إدريس. هذا الصوفي المغربي الأصل، ولد قرب مدينة فاس سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م، وأقام في القاهرة سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م، ثمّ في مكّة سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م، وتوفّي سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م، في عسير حيث تعاطلت سلطته. أنجّه تعليمه نحو إحياء الإسلام استناداً إلى ممارسات صوفية معتدلة ترفض التأويل الباطني، وترتكز على الإخلاص لشخص نبيّ الإسلام. إنّ الجماعة التي نظّمها الإدريسي، في منطقة كانت حتى ذلك الوقت عرضة لتنافس فوضوي بين القبائل العربية، كانت شبيهة بدولة حقيقة دينية وعسكرية، اتخذت من صبيّا (عسير) مركزاً لها. وفي أواخر حياته مارس تأثيراً قوياً ومستمرّاً على مؤسّس الطريقة السنوسية، لاحقاً، وكان قد جاء إلى الحجاز لتجديد ثقافته الدينية.

استمرّ المتحدّثون من سلالة أحمد بن إدريس في القيام بدور في عسير، إلى أن قُبِلَ أحدهم، سنة ١٩٢٣، إثر معاهدة تفاوض عليها السنوسي أحمد الشريف، الإذعان لسلطة آل سعود الذين كانوا، منذ مدة، يحاولون ضمّ تلك المنطقة إليهم. كما أنّ تنظيم الإدريسية انتشر في الحبشة، وبشكل أوسع على الساحل الشرقي لأفريقيا السوداء حيث ما زال يحفظ بأتباع: فقد نشأت عنه في الصومال الصالحية/الرشيدية.

شكّلت محبّات «الزيارات تقوية» عند ازدهار حركة «تكريم الأولياء»، ذكرها الهروي في «دليله»، بين مزارات للأولياء الذين كانوا يكرّمون في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

إدريس (محمد المهدي السنوسي) ١٨٩٠-١٩٨٣م، رئيس الطريقة السنوسية الذي أصبح، من ١٩٥١ إلى ١٩٦٩، ملك ليبيا المؤلّفة حينذاك من الاتحاد الليبي الفدرالي. قبل أن تحوّلها الثورة إلى جمهورية عرفت باسم الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

محمد إدريس، حفيد محمد المهدي، أصبح بعد وفاة أحمد الشريف، المسؤول عن هذا التنظيم الصوفي، الذي انتظم في حركة سياسية-دينية حاربت الإيطاليين، سنة ١٩١٢. أسّس بزمام السلطة في برقة كما في طرابلس الغرب، لكنّه اضطرّ للهرب إلى مصر سنة ١٩٢٢. مال إلى جانب الحلفاء سنة ١٩٤٠، وانضمّ إلى قوّاتهم التي احتلت البلاد سنة ١٩٤٣م. وعندما أفقرّت الأمم المتّحدة وحدة البلاد الليبية، سنة ١٩٥٠، وأعلنت استقلالها سنة ١٩٥١، انتخب ملكاً للاتحاد الليبي، واختيرت مدينة بنغازي عاصمةً للمملكة.

وبفضل الثراء الجديد العائد إلى إنتاج البترول والغاز، أطلقت حكومته خطة واسعة لتحديث البلاد، ولا سيّما في مجال الأشغال العامة والتعليم، فأنشئت مراكز جامعية في طرابلس وبنغازي. وجامعة للعلوم الدينية في البيضاء. لكنّ التدابير التي اتخذها الملك، ابتداءً من سنة ١٩٦٤، ضدّ التخلّلات الغربية، والقواعد العسكرية، والامتيازات البترولية، لم تُحلّ دون حصول انقلاب سنة ١٩٦٩ على أيدي مجموعة قومية من الضباط الشبان، متهم العقيد القذافي، رئيس الجماهيرية الشعبية الحالية.

الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد، ٤٩٣-٥٦٠هـ/١١٠٥-١١٦٥م، جغرافي عربي مسلم شهير، عاش وكتب في بلاط الملك النورماني روجار الصقليّ.

لا نعرف إلا القليل عن حياة هذا المثقف الذي دعاه بعض المؤلّفين الشريف أو الشريف الإدريسي، بسبب بُلّ أصله العلويّ. ولد في سبّته، ويبدو أنّه تلقّى دراسته

بالمؤذن، وهي كلمة مشتقة من الجذر نفسه الذي اشتقت منه كلمة أذان والتي جعلت في الفرنسية (muezzin).

يتضمن هذا النداء جملاً طقسية مستوحاة من نص الشهادة في هذا الشكل:

«الله أكبر (أربع مرات). أشهد أن لا إله إلا الله (مرتان). أشهد أن محمداً رسول الله (مرتان). حيّ على الصلاة (مرتان). حيّ على الفلاح (مرتان). الله أكبر (مرتان). لا إله إلا الله (مرة واحدة).»
عند صلاة الصباح، تُضاف جملة مرتين في المرتبة السادسة، هي: «الأصلاة خير من النوم». ويضيف الشيعة على كل نداء «حيّ على خير العمل»، وهي جملة اعتبرت تلاوتها باستمرار إشارة إلى سيطرتهم على بلد ما وهي تشكل ردة فعل على سياسة الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين، عمر بن الخطاب، الذي قدّم الجهاد على جميع الفرائض الشرعية على أنه حربٌ فتح. أخيراً، يسبق إقامة صلاة الجمعة في المسجد الكبير نداءً ثانٍ يحتوي الجمل نفسها ويُسَمَّى إقامة، في حين يكون النداء إلى الصلوات الطقسية التي تقام خصيصاً في مناسبات العيدين الشرعيين أو في مناسبة كسوف أو في ظرف آخر هكذا «حيّ على صلاة الجماعة».

يقيد التقليد أن نبي الإسلام (ﷺ) هو الذي طلب من الحبشي بلال أن يطلق النداء إلى الصلاة من مكان مرتفع. بعد ذلك، لكن في فترة متأخرة، اعتمدت لهذه الغاية أبراج سميت بالفرنسية منارات (minarets) (أمآذن)، بينما استمر في بعض المناطق التقليد الذي عمل به في عصر النبي محمد (ﷺ).

وفي حين يتنوع النداء إلى الصلاة، بشكل عام، فإن بعض العلماء المتشددين، وبخاصة الحنيليين، عارضوا ذلك. لكل مؤذن نظم خاص يعتمد في النداء، جرباً على عادة لا تخضع لقاعدة: غير أن المندوب إليه، في مدينة ما، هو أن تتوالى التلاطات من دون أن تتداخل.

أذربيجان، مقاطعة داخل العالم الإسلامي، كان لها دورها البارز خلال القرون الوسطى، سكنها الأتراك ابتداءً من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، وهي تمتد باتجاه الشمال حتى قمم القفقاس. تنقسم أذربيجان اليوم بين جمهورية إيران الإسلامية وجمهورية

أدماوا، منطقة من أفريقيا السوداء الغربية دخلت في الإسلام، تقع في أطراف ما يعرف حالياً بجمهورية نيجيريا الفدرالية، ما يزال اسمها مستمراً في إحدى الولايات الشمالية لهذه الدولة، إلا أنه كان يغطي سابقاً أرضاً أكثر اتساعاً.

واقفت شهرتها اتساع إمارة القلعة الإسلامية التي قام لإدهارها على تجارة الرقيق. أسس هذه الدولة في القرن التاسع عشر المدعو موديو أدما، في إطار أسباطورية سوكوتو التي أوجدها جهاذ عثمان دان فوديو. فما أن كلفه هذا بمهمة حربية عام ١٨٠٦ حتى انصرف موديو بسرعة إلى توسيع فتوحاته باسم الإسلام. وكان يؤدي الجزية لسوكوتو التي تعاقب على حكمها أعقاب عثمان، معترفاً بسيادتها. وقد أسس أسرة مالكة لأحقاب طويلة في العاصمة، يولا، التي أسسها، عام ١٨٤١، على ضفتي نهر بنو، وفيها توفي عام ١٨٤٨.

إديسا ← الزها.

أديغ (منطقة) ← أديغتون (جمهورية الأديغيين الفدرالية).

الأديغيون (جمهورية الأديغيين الفدرالية)، المساحة: ٧٦٠٠ كلم²، العاصمة: مايكوب، إقليم قديم مستقل لم يزل جزءاً من الاتحاد الروسي. عدد سكانه المتنازعين من حيث العرق واللغة قد يصل إلى ٤٠٠ ٠٠٠ نسمة، بينهم أقلية مسلمة تتجاوز العشرين بالمائة.

عام ١٩٢٢، أقام الحكم السوفياتي في هذه المنطقة الواقعة في الشمال الغربي من القفقاس، في حوض كوبان، منطقة مستقلة للأديغيين-الشركس، ضمت فئة الشركس الغربيين المسلمين الذين لم يهاجروا إلى الامبراطورية العثمانية في ١٨٦٤-١٨٦٥، عقب احتلال الروس مجموعة الأراضي التي كانت تنتشر فيها هذه القبائل. ثم بُدِّل الاسم في ما بعد، عام ١٩٢٨، إلى «منطقة الأديغيين المستقلة»، ولم تصبح الدولة الصغيرة جمهورية فدرالية إلا حديثاً، عام ١٩٩١.

أذان، تعبير عربي يعني النداء الذي يطلقه، قبيل ميقات كلٍّ من الصلوات [الخمس] الطقسية، الشخص الموكولة إليه هذه المهمة والمعروف بالمربية

عرفته هذه المقاطعة بفضل النشاط التجاري القائم على حركة القوافل التي كانت تعبرها، انطلاقاً من إيران باتجاه البحر الأسود والبحر المتوسط. وهذا ما جعل الإيلخانيين يستقرون في أذربيجان ويحولون مدينتها بالتالي إلى عواصم لهم، مثل تبريز ومراغة وسلطانية، كما برزت فيها مملكتان قويتان هما مملكة القراقونلو ومملكة الآق قويونلو. وفي أذربيجان أخيراً وُلدت المملكة الصفوية في مطلع القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، وبسطت سيطرتها على مجمل الهضبة الإيرانية، وراحت بعد ذلك تعمل للدفاع عن أذربيجان، المهد الأول لسلطتها، في وجه المد العثماني، ولكنها لم تنجح إلا نسيئاً. ولم تكف الحروب عن تسبب الضعف والخراب لعدد من المدن التي كانت عامرة زماناً طويلاً، ومنها مدن أرمية ومراغة وتبريز وأردبيل وخوي.

هذه المقاطعة التي شهدت المواجهات الحربية المتواصلة بين الأتراك، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، شهدت أيضاً، في القرن التاسع عشر، تدخل الروس الذين غزوا مناطق القوقاز الجنوبية ووصلوا إلى نهر أراكس في العام ١٨٢٨، وراحوا بعد ذلك يستغلون الفرص لتعميق نوعيهم نحو الجنوب. أما الحدود الحالية بين إيران وتركيا فلم تُرسم إلا في سنة ١٩١٤. وتصدت لأهداف الروس التوسعية ولرغبتهم الاستعمارية، احتفظت إيران بالقسم الأكبر من البلاد، ولم تؤخذ المشاعر الوطنية المتزايدة في الاعتبار. وقد اتخذ القرار الأول بهذا الشأن سنة ١٩٢١، عندما سيطر مؤسس السلالة البهلوية رضا شاه على الوضع. وأخذ القرار الثاني سنة ١٩٤٦، عندما احتلت القوات السوفياتية أذربيجان في الحرب العالمية الثانية، ولكنها اضطرت إلى إخلائها بفعل الضغوط الدولية. وحدها نجت من الاحتلال الإيراني منطقة تركية اللغة، تقع خارج المقاطعة القديمة، تكوّنت تدريجياً من منطقتي آران وشروان، وتحولت بعد سنة ١٩٢٠، وعلى أثر احتلال باكرو من قبل الأتراك، ثم من قبل الحلفاء، إلى جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفياتية، وشكّلت بذلك واحدة من الجمهوريات السوفياتية الثلاث في ما وراء القفقاس.

أذربيجان الحالية، وبشكل نهر أراكس (أراس) الحدود الفاصلة بين البلدين.

١- بمحافظة الساحل الغربي لبحر قزوين، وعلى حدود أرمينيا القديمة، ضمت أذربيجان في العصور الوسطى مجموعة من سلاسل جبال وأحواض عالية خصبة ذات اتجاهات مختلفة، منها ما ينحدر نحو بحيرة أرمية الداخلية. عرفت هذه المنطقة تاريخاً مضطرباً في القرون الوسطى، تميّز أولاً بإلحاقها بالعالم الإسلامي خلال الفتوحات الكبرى. والواقع أنّه، بين سنتي ١٨ و٣٩٩/٦٤٣م، خضع سكان تلك المقاطعة للعرب المسلمين الفاتحين، فاكثف الفاتحون بفرض الجزية عليهم وأبقوهم على إيمانهم الزرادشتي، وخصوصاً على إيمانهم المسيحي العائد إلى قريبهم من أرمينيا، ومنحومهم وضعية أهل الذمة. وقد امتازت منطقة آران التي كانت تُعرف في القرون الوسطى باسم ألبانيا، بكونها حافظت على استقلالها الداخلي، شأنها شأن إمارة موغان وشيروان الساحليتين. وعلى الرغم من الصراع الداخلي الممّقد، فقد اعترفت هذه الإمارات بوضاية الخلافة العباسية في عهدها الذهبي، وسكّت نقدها باللغة العربية ودفعت به الجزية.

ولم تبدأ عملية الأسلمة الكاملة إلا في القرن الخامس للهجرة/العاشر للميلاد، وذلك بعد تعرّض المقاطعة لغزو قبائل الفُرّ التركية وظهرت الإمارات التركمانية التي نتجت عن توسع السلاجقة باتجاه الأناضول. وقد قوي هذا التوسع لاحقاً مع هجمات المغول وتيمورلنك، وهذا ما أدى إلى تتركب إثني ولغوي وصل إلى أقصى مداه مع ازدهار لغة وأدب بلهجة تركية محلية هي اللهجة الأذربية، وذلك في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. هذه اللهجة التي تتميز بجملة خصائص صوتية وصرفية أصبحت هي اللغة المتداولة في مناطق تسكنها غالبية مسلمة والتي تمتد من داغستان أو جيورجيا، وصولاً إلى المناطق التي يتكلم سكانها التركية في خراسان وآسيا الوسطى.

تاريخياً، إنّ البلد الذي يعودون بأصلهم إلى السهب الآسيوية جذبتهم، في القرون الوسطى، مراعي أذربيجان الطبيعية، كما جذبتهم الازدهار الاقتصادي الذي

الخلاف أشده بين الإثنين.

إن غموض المصادر الكتابية المتعلقة بظهورات معركة صفين يتكرر بالنسبة إلى التحكيم الذي كان ينبغي أن يجري في منتصف الطريق، ما بين العراق وسوريا، حين تقرّر إيقاف القتال، إلا أنه جرى من دون شك على مرحلتين، إحداهما في دومة الجندل، في العام ٣٧ هـ/٦٥٨ م، والثانية، بعد مرور عام، في أذرح. وفي كلتا الحالتين، كان من أمر فطنة عمرو بن العاص، المدافع عن مصالح حاكم ولاية سوريا، أن ساعدت في إضعاف موقع علي، الخليفة المنتخب شرعياً، بإصراره على توأطو علي مع القتلّة المسؤولين عن مصرع سلفه وابن عم معاوية، أي الخليفة عثمان بن عفان.

لقد غدا موقع أذرح، الذي كان معسكراً رومانياً على معين ماء مهم، منزلاً للمقاول استُخدم في حياة النبي محمد (ﷺ) وخضع بموجب عهد أمان للإسلام منذ غزوة تبوك عام ١٠ هـ/٦٣١ م. ولم يعتَم أن فقد أهميته التجارية والإستراتيجية. كما أنه عاد إلى الذكر في مناسبة لقاء حصل بين معاوية والحسن، في مرحلة اعتزال هذا الأخير السياسة، حتى إذا انقضى عهد الأمويين، توقف عن الاضطلاع بأي دور في التوازن الاقتصادي الجديد للإمبراطورية.

الأراضي (تسريع أو نظام-). هو عنصر مهم في النظام الاجتماعي - الاقتصادي الذي ساد في كل الدول الإسلامية خلال العصور الوسطى. كما كان، خلال تلك المرحلة، في أساس النظام الضريبي المعمد الذي كانت تحدّه جزئياً أحكام الشرع. كانت تقرّر وضع الأراضي بوجه عام عقوداً الصلح التي أبرمت إبان الفتوحات الكبرى، خلال القرن الأول الهجري، والتي كان ينتج عنها، تباعاً لكل حالة من الحالات، جباية ضرائب مختلفة. وقد ميّز فقهاء ذلك العصر وعلماءه في البدء بين حالتين: من جهة أولى الأراضي الخاضعة لضريبة العشر المنتهكة من الضريبة الشرعية أي الزكاة، أكانت هذه الأراضي يملكها مسلمون في الجزيرة العربية، أو كانت أعطيت لهم مؤقتاً، في مناطق أخرى، عن طريق الإنقطاع؛ ومن جهة ثانية، الأراضي المفتوحة التي ظلّت في أيدي أصحابها غير المسلمين في الأساس، والذين

٢- جمهورية أذربيجان الحالية: مساحتها ٨٦ ٦٠٠ كلم² وعاصمتها باكو، وكانت قبل استقلالها التام سنة ١٩٩١ جمهورية الاشتراكية السوفياتية. وهي تعدّ حوالي سبعة ملايين نسمة، تبلغ نسبة المسلمين بينهم أكثر من ثمانين بالمئة.

والمساحة التي تحدّدت سنة ١٩٢٠ جنوب شرق القفقاس لتشكّل دولة قُبلت، سنة ١٩٣٦، ضمن الجمهوريات الفدرالية للاتحاد السوفياتي، لا تزال اليوم على حالها، تحدّها جمهورية داغستان المستقلة ذاتياً في الشمال، وجمهورية جيجورجا المستقلة في الشمال الغربي، وأرمينيا في الغرب. وتأتي أرمينيا لتفصل أذربيجان عن طوق أذربيجاني كان يعرف في عهد الاتحاد السوفياتي بجمهورية ناكشيفان الاشتراكية السوفياتية شبه المستقلة. وفي داخل أذربيجان يقع إقليم «ناغورنو كاراباخ» شبه المستقل، وفيه يشكل المسلمون أقلية وتصل نسبتهم إلى نحو ثلاثين بالمئة. فجمهورية أذربيجان الحالية لا تشمل إذاً إلا المناطق الشمالية لأذربيجان القديمة التي تحوّلت في معظمها إلى مقاطعة داخل الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

لقد اتخذ الأتراك اللغة ذريعة من أجل رسم الحدود لأول مرة، على أثر تدخلهم واحتلال باكو سنة ١٩١٨ من قبل نوري باشا. ثم جاء النظام السوفياتي الذي تبنّى اسم أذربيجان للجمهورية الفقفاسية الجديدة التي جعلت باكو عاصمة لها. ثم إن عدم التجانس العرقي والديني الذي كان من أسباب عدم الاستقرار الداخلي، ما يزال اليوم قائماً، وهو الذي يكمن وراء الصراع بين أرمينيا وأذربيجان حول إقليم «ناغورنو كاراباخ».

◀ راجع الاستندات ٨، ١٢، ١٣، ٢٠، ٢٣.

أذرح، موقع في شبه جزيرة العرب، مهذّم في الوقت الحاضر، اعتبره الكتاب العرب في القرون الوسطى عاصمة الشّراء/أدوم أو بلاد مؤاب القديمة.

اشتهرت أذرح - الواقعة بين معان والبتراء، على نخوم الحجاز وسوريا وعلى الطريق الذي يربط ساحل البحر المتوسط بشبه جزيرة العرب - في مطلع تاريخ الإسلام، بالتحكيم الذي وُسّم باسمها والذي جرى فيها بين مندوبي عليّ ومعاوية، في الفترة التي بلغ فيها

في نهاية القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، حينما ضمعت وخضعت لسيطرة الأمراء البويهيين، إذ أصابت كل هذه التشريعات تعديلات، بحيث مُنحت الأراضي الخراجية، هذه المرة، إقطاعاً لأمرأه الجيش، شرط أن يجبووا الضريبة العقارية من شاغلي الأراضي ويؤدوا إلى بيت المال ما يوازي الجسر. من وجهة النظر القانونية، لم تبدل هذه الإجراءات نظم دفع الضريبة، لكن عملياً اعتمدت هذه الأراضي أراضي عشر وأخضع العاملون فيها لنظام المزارعة. وحدث الأمر عينه في عهد السلاطين السلاجقة، إذ ازدادت الأراضي المُقطّعة، بسبب التحولات التي أصابت النظام الإقطاعي العسكري، مع قدوم قادة عسكريين جدد طامحين إلى الحصول على امتيازات عقارية يدعمون بواسطتها ثرواتهم ونفوذهم الشخصي.

في هذه الفترة شهدت هضبة الأناضول، بعد اندماجها بالعالم الإسلامي واستسلامها لوصاية غزاتها الأتراك، وضعاً سياسياً واقتصادياً مرتبطاً بشكل خاص. وحده ازدياد قوة العثمانيين في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، سمح لهؤلاء بإعادة تنظيم حقيقي للملكية الأراضي، ظهرت نتائجه أولاً في الأناضول، ومن ثم في البلقان. في القرن السادس عشر كانت معظم الأراضي، وبالتحديد حوالي ٩٠٪ منها، مملوكة من فئة أراضي الدولة أي أميرية، وبشغلها الرعايا من فلاحين مسلمين أو مسيحيين، ممن كانوا يتمتعون بحق استعمالها وبحق نويث هذا النوع من الانتفاع، وكان على المزارع دفع ضريبة عقارية تساوي العشر. لكن عملياً، منحت الدولة قسماً كبيراً من هذه الأراضي، عن طريق نظام التيمار، العسكريين الذين عُرفوا بأصحاب التيمارات، وخولتهم حق جباية الضرائب على أن يفوا بالتزاماتهم العسكرية تجاه الدولة. وإلى جانب املاك الدولة العقارية، كانت توجد بعض الاملاك الخاصة المعروفة بأراضي الملك. وأخرى تعرف بالوقف. واتجه هذان النوعان نحو الازدياد، لكن السلاطين العثمانيين، بما لهم من سلطات قانونية، أوقفوا تكراراً هذه الحركة، وأمنوا مراقبة الدولة على كامل أراضيها تقريباً.

ويميل المؤرخون الحاليون إلى مقارنة هذا النظام

اعتنقوا الإسلام في ما بعد، وهي أراضي كانت خاضعة لضريبة الأرض أي الخراج، التي كانت تساوي تقريباً الضريبة التي كانت تجبى قبل الإسلام.

لم يورث الخليفة الراشدي الثاني، عمر بن الخطاب، الأراضي المفتوحة على المجاهدين، بل قرّر جعلها ممتلك الأمة الإسلامية، بمعنى أنه ترك استغلالها بيد أصحابها على أن يدفعوا عنها إيجارها الذي اتخذ صفة الضريبة. لم يقتل جميع الفقهاء بقرار عمر، واعتبر بعضهم حتى في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، أن ضريبة الخراج غير شرعية، وكذلك الموارد الناتجة عنها. وكان الغزالي المشهور أبرز من قال بذلك. وبالمقابل اعتبر فقهاء المذهب الحنفي أن هذه الأراضي، بعد زوال شاعليها الأوائل، أصبحت قانوناً على ما هي عليه، أي أملاكاً خاصة تشري وتباع وتورث.

كانت الأراضي الخراجية وأراضي العشر المعروفة بأراضي الملك، في عهد الخلفاء العباسيين، تدار بواسطة دواوين الخلافة. وأما الاملاك التي مُنحت لمعدد من الأشخاص من حاشية الخلفاء أو قادة الجيوش، فقد أُضيفت إليها أملاك الدولة التي كانت تشكل مورد دخل للخليفة. ويجب التمييز بين أراضي الوقف، من جهة، التي لا يجوز التصرف بها، وتخصّص عائداتها لبعض المؤسسات الخيرية، ومن جهة ثانية، الأراضي الموات أي غير المزروعة (البور) التي كان يسمح لمن يريد استملاكها وتحسينها أن يدفع عنها ضريبة مخففة. وبوجه عام، لم يكن الوضع القانوني للأراضي، في تلك الفترة، مرتبطاً بديانة شاغلي الأرض. يعود ذلك إلى قرار قديم اتخذته الخليفة عمر بن عبد العزيز في العهد الأموي كي لا تنخفض عائدات الدولة، فحافظ على الضريبة العقارية كما كانت عليه قبل تحوّل شاغل الأرض إلى الإسلام.

إن مختلف فئات الأراضي التي كان يتم تصنيفها على هذا النحو في الدواوين المالية المركزية، والتي تمّ تعدادها سابقاً، شكلت خلفيةً لجميع التشريعات الضريبية التي شهدتها العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى. لكن بعض التفاصيل كانت تختلف باختلاف المناطق والظروف. وهذا ما حصل في الدولة العباسية

مدينة سرفسطة إيثان حُكم بني هود.

أُرَآن، اسم أطلق في العصور الإسلامية الأولى على مقاطعة تقع في منطقة ما وراء القوقاز، شمالي نهر أراس ويجوار رافده نهر كورا، وقد اعتنقت الإسلام في وقت متأخر.

واسم أُرَآن الذي اشتقه العرب من اسم قديم للمقاطعة بقي مستعملاً خلال الخلافة العباسية. وكانت المقاطعة قد احتلت في عهد الفترحات الكبرى التي جرت في القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، ووُضع لها نظام شبه مستقل في ظل أمراء محلّيين ظلوا على مسيحيّتهم مقابل دفع الجزية للمسلمين. وقد تعرضت لمجمل أراضي أُرَآن الحدودية والتداخلة مع أرمينية لغزوات متنوعة، منها غزوات الخزر. والمعروف أنّ الجغرافيين العرب كانوا يترددون، في العصور الإسلامية القديمة، في إدراج أُرَآن ضمن حدود الخلافة، مع إشارتهم إلى الغنى الزراعي حول عاصمتها، وهي قلعة بُرداعة المشهورة التي لا تزال خرابتها معروفة حتى اليوم قرب محلة بُرداء.

في أواخر القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، وسّع السلاجقة سلطتهم باتجاه الأناضول. فكان التتريك الأول لأُرَآن مع قدوم قبائل «الغُزّاء» واستفراهم فيها. وازدادت هذه الظاهرة بعد ذلك مع ازدهار مملكة الإيلخانيين في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، وعزّزتها غزوات تيمورلنك اللاحقة. وقد بلغ الأمر حدّاً أصبحت فيه أُرَآن مقاطعة مسلمة يغلب عليها اللسان التركي، ولم يعد ممكناً تمييزها عن أفريجيان، فاخطط تاريخها بها. وهذا ما يفسّر اتحاد أُرَآن مع مقاطعة شيروان القديمة والمجاورة. ما أدّى إلى تكوين جمهورية أفريجيان الاشتراكية السوفييتية التي أصبحت جمهورية مستقلة سنة ١٩٩١.

❖ رابع المستثنين ١٣ و ٢٢.

الأُرَتَقِيّون، ١٩٥-١١١هـ/٨١١-١٤٠٨م، سلالة تركية حاكمة، أقامها سلاجقة إيران الكبار في أعالي بلاد ما بين النهرين، فكانت لها فروع حاكمة في أماكن متعدّدة، وعرفت قدرًا متفاوتًا من النجاح.

بنظيره الذي وجدّه الاتراك في الأمبراطورية البيزنطية إثر الفترحات. في حين جهد علماء المذهب الحنفي، في تلك الفترة، في ربط مختلف مظاهره، على رغم بعض الصعوبات، بالتشريع التقليدي الذي كان قد شرّعه خلفاء الفترة الإسلامية الكلاسيكية وفتحهاؤها. ومن الثابت، في مطلق الأحوال، أنّ الأراضي في المشرق الإسلامي - سواء في تلك المرحلة أو في العصور التي سبقتها - والتي أعطيت عائداتها الضرائبية لشخص أو لآخر، لا تربطها أية علاقة باقطاعات الغرب المسيحي التي تشارنها أحياناً بها بطريقة إعتباطية. فلم يكن لمسلميها المسلمين لا سلطة قضائية، ولا القدرة لتبنيير الأساس الضريبي الذي كانت تحدّده الدواوين المركزية في الدولة. وكانت الأراضي التي يتعمون بها تُغطّى لهم دائماً بشكل مؤقت. ومن الثابت أنّه، في بعض الأقاليم وفي بعض الحقب، ولا سيّما في سوريا خلال العصر الصليبي، حين سيطر أسيا د الحرب والملوك الصغار المحليون، على أثر ظهور العصابات التركية، حصل التباس بين امتياز بسيط وبين مهمات حاكم مدينة وملحقاتها، بحيث أُطلقت كلمة إقطاع على الحالتين معاً. لكنّ حالة الأمر الواقع هذه، القابلة للتبدّل، لم تظهر أبداً في عهود كان فيها الحكم المركزي قوياً، كما في عهدي المماليك والعثمانيين، ولم تسفر، بسبب قلّة الحالات الفعلية، إلا عن نتائج ثانوية.

أراغون، مقاطعة حالية في إسبانيا، لا تزال تحافظ على معالم تشير إلى الدور الذي أدّته، خلال ما يُقارب قروناً خمسة، كتغر مقدّم في الأندلس. وقد تركزت جهود مملكة أراغون الإسبانية، من أجل بسط سلطتها على وادي نهر إيرو والسلاسل الجبلية الساحلية المجاورة، على دعم سلالات إسلامية حاكمة صغيرة وقت، في مرحلة مبكرة، في وجه السلطة الأموية في قرطبة. وتراقت تلك الجهود مع سياسة التسامح تجاه السكان الذين أخضعوا تدريجياً لمملكة أراغون، عن طريق معاهدات الاستسلام. وهذا ما يُفسّر الدور الذي أدّاه المدجنون والموريسكيون الذين أسهموا في الازدهار الاقتصادي وفي الحفاظ على فنّ محلّي مستوحى من العنصر الإسلامية السابقة، ولا سيّما تلك التي شهدتها

تعبّر عن هندسة محلّية تتّصف بشيء من الطرافة. كما امتازوا بأشكال النفود التي حملت رسومهم والتي قلّدوا بها النفود البيزنطيّة القديمة.

١- أرتقيو حصن كيفا وأميّدا

معين الدين سقمان الأول	٤٩١-٤٩٩هـ/١٠٩٨-١١٠٥م
ابراهيم	٤٩٩-٥٠٣هـ/١١٠٥-١١٠٩م
زكن الدولة داود	٥٠٣-٥٠٩هـ/١١٠٩-١١٤٤م
فخر الدين قره أرسلان	٥٠٩-٥١٤هـ/١١٤٤-١١٦٧م
نور الدين محمد	٥١٤-٥١٦هـ/١١٦٧-١١٨٥م
قطب الدين سقمان الثاني	٥١٦-٥١٨هـ/١١٨٥-١٢٠١م
نصير الدين محمود	٥١٨-٥١٩هـ/١٢٠١-١٢٢٢م
زكن الدين مودود	٦١٩-٦٢٣هـ/١٢٢٢-١٢٣٢م
الملك السمود	٦٣٠-٦٣٢هـ/١٢٣٢-١٢٣٤م

٢- أرتقيو ماردين وميافارقين

نجم الدين الغازي الأوّل	٤٩٧-٤٩٩هـ/١١٠٤-١١٢٢م
حسام الدين تمرشاش	٥١٦-٥١٧هـ/١١٢٢-١١٥٢م
نجم الدين أبي	٥١٧-٥١٨هـ/١١٥٢-١١٧٦م
قطب الدين الغازي الثاني	٥١٨-٥١٩هـ/١١٧٦-١١٨٤م
حسام الدين يوبوك أرسلان	٥١٩-٥٢٠هـ/١١٨٤-١٢٠١م
نصير الدين أرتوك أرسلان	٥٢٠-٥٢١هـ/١٢٠١-١٢٣٩م
نجم الدين غازي الأول	٦٣٦-٦٣٩هـ/١٢٣٩-١٢٦٠م
قره أرسلان المظفر	٦٥٨-٦٦١هـ/١٢٦٠-١٢٩٢م
شمس الدين داود	٦٩١-٦٩٣هـ/١٢٩٢-١٢٩٤م
نجم الدين غازي الثاني	٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٤-١٣١٢م
عماد الدين علي أبي	٧١٢/١٣١٢م
شمس الدين صالح	٧١٢-٧١٣هـ/١٣١٢-١٣٦٤م
أحمد المنصور	٧٦٥-٧٦٦هـ/١٣٦٤-١٣٦٨م
محمود الصالح	٧٦٩/١٣٦٨م
داود المظفر	٧٦٩-٧٧٨هـ/١٣٦٨-١٣٧٦م
محمد الدين عيسى الظاهر	٧٧٨-٧٧٩هـ/١٣٧٦-١٤٠٦م
الصالح	٨٠٩-٨١١هـ/١٤٠٦-١٤٠٨م

◀ راجع المستندين ١٧ و ٢٠.

الأرتقيون، ٧٢٧-٧٨٢هـ/١٣٢٦-١٣٨٠م، سلالة من أصل تركي أوغوري، ورثت السلطة على الأناضول الأوسط من سلاجقة الروم والإيلخانيين لفترة قصيرة في عصر الإمارات. وقد نجح مؤسسها الحافظ غياث الدين إرثنا الذي كان ضابطاً في الدولة المغولية في إيران،

وكان أرتوق، جد الأسرة، قائدًا عسكريًا يعمل في خدمة السلطان ملكشاه، وشارك مع قادة آخرين من التركمان في غزو سوريا وأطراف الأناضول لحساب سيده، ومات في فلسطين سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م. وقد حول أفراد أسرته الكثير والعدد، وأولهم أيتاؤه - ومن بين هؤلاء سقمان والغازي - طموحاتهم باتجاه أعالي دجلة والفرات بعد سقوط القدس بأيدي الفاطميين، ثم بأيدي الحملة الصليبية الأولى عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. وكانوا قد استولوا من قبل على محلّة ماردين، وبعدها على حصن كيفا. وبعد موت سقمان، أكمل الغازي سياسة قامت على الحروب من جهة، وعلى المفاوضات من جهة ثانية، وأدّت إلى توسيع ممتلكات الأسرة لتشمل مدينة ميافارقين (تُعرف اليوم باسم سيلفان) ولتشمل موقنّا مدينة حلب، قبل وفاة الغازي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م. وقد استطاع ابن أخيه «بلك» أن يحقق مزيدًا من النجاح، فانطلق من خربوت وملطية باتجاه شمال سوريا. لكن نجاحه زال سريعًا، إذ هلك سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م في أثناء حصار منبج.

ثم نشب من الأسرة قرعان، أحدهما من سلالة الغازي في ماردين وميافارقين، والآخر من سلالة سقمان في حصن كيفا، ثم في خربوت وأمد، ديار بكر اليوم. واستمرّ الفرعان قائمين، بشكلي موازن، حتّى بعد اصطدامهما بالقوّة الصاعدة لنور الدين زنكي، وخضوعهما من ثمّ لسلطة صلاح الدين الأيوبيّ سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م. واستطاع فرع ماردين وحده النجاة من الصراع الذي احتدم، بعد سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م، بين الأيوبيين وسلاجقة الروم والخورزمشاهيين، والذي قضى على سلطة القرع الآخر، ولم يستطع أن يستمرّ إلا بقبوله حماية المغول سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، ولكنّه زال في القرن التاسع للهجرة/ مطلع القرن الخامس عشر للميلاد بفعل ضربات القره قويونلو.

ويبدو أنّ الأرتقيين اتبعوا سياسة تسامح نسبيّة، فأقاموا علاقة جيّدة مع أتباعهم المسيحيين، وساندوا السُنّة فأقاموا لهم المدارس، وتحاشوا الصدام بالزرايين (الجشاشين). وقد تركوا في أماكن سلطتهم المختلفة، أبنية معيّنة ما يزال الكثير منها قائمًا حتّى اليوم، وهي

والزوجات، الوالدة، البنات والأخوات - شرط ألا يتنافس هؤلاء الورثة مع الأبناء أو سائر الأقارب الذكور، إذ، في مثل هذه الحال، يُقَصِّدُون أو يَنْتَوِنون فرائض زهيدة؛ وأخيراً إلى أن يخصص ما تبقى إلى الأقرب من نسل الأب، أي بالترتيب التالي: إلى الإبن، إلى الأب، إلى الأخوة. في حال عدم توافر وريث من نسل الأب، في إمكان الأقارب من نسل الأم أن يرثوا، وفقاً لرأي المدسدة الحنبلية، ولأعاد الثروة إلى الخبزية أي إلى الدولة. إنَّ النظام الذي تكلمنا عنه يجد قاعدته وأصوله في الآيات القرآنية التالية:

[illegible]

إلا أنَّ التدابير القرآنية التي حدّدها وشرحتها مقالات الفقهاء وقراراتهم بدأ تنفيذها عملياً، بخاصّة عندما يكون مجموع الحصص الرغوية من الثروة ينفق مجملها. في مثل هذه الحال، كان يلجأ إلى تخفيض كل حصّة بشكل مناسب لبلوغ حلول بنسب مختلفة. ويمكن ذكر بعض الأمثلة على ذلك: فعندما يكون الورثة هم الزوجة وابن، تكون حصّة كل واحد $\frac{1}{8}$ و $\frac{7}{8}$ من

ومن ثم عُنِيَ حاكماً في الأناضول، في انتزاع استقلاله في القسم المضالع للسكن من هذه الهضبة الإستراتيجي في آن. فحكم من عاصميه سيواس وقبصرية منطقة واسعة تمتد من نيجده إلى سُسُون، ومن أنقرة إلى أرزنكان. بعد موت غياث الدين أرنا في سنة ٨٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م، لم يدعم سلطة العائلة المالكة إلا القاضي بُرهان الدين الذي تصدى للثورات الداخلية والهجمات الخارجية قبل أن يُقْتَب نفسه سلطاناً في ٨٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م. وبين المباني التي خلفها الأرنتيون نجد الضرائع المهمة، منها منارة جودوك (Güduk Minare) في سيواس وسيرجلي كُعبِد (Siricali Kümbet) في قبصرية وعمارات أكثر أهمية، مثلاً مدرسة الكُشْك في قبصرية أو مسجد سُقْرُك (Sunqur Beg) في نيجده. وتختلف هذه المباني عن مباني السلجوقيين بخصائص وفُرْها الأساليب الجديدة في فن العمارة.

الإرث في الإسلام ، قضية مرتبطة بالأحوال الشخصية
عند المسلمين ومتعلقة نائبًا بالفقه .

نص القرآن على نظم للتركات بشكل دقيق، إلا أن تطبيق معطياته أدى إلى نشوء علم خاص يحتم الرجوع إلى مفاهيم رياضية في غاية الدقة من حيث توزيع الحصص أو الفرائض، تختلف باختلاف المداس الفقهية.

إن التدابير القرآنية التي غيّرت، إلى درجة يصعب تحديدها بدقة، النظام الإرثي الذي كان قائماً في جزيرة العرب قبل الإسلام، أوردت لا الأقرباء الذكور وحسب، أي الأقرباء ذوي الصلة بالمتوفى من جهة القرابة المذكورة، بل أوردت أيضاً النساء وأقاربهن. في الوقت نفسه، هدفت التدابير إلى حفظ حقوق بعض الورثة، أخذاً في الاعتبار أن المرأة لا يمكنها أن ترث أكثر من نصف ما يرثه الرجل. إن خيار اتخاذ تدابير خاصة في الوصية لم نلُف، إلا أنه حصر في ثلث التركة.

يدعو الشرع إذاً إلى تسديد الديون المحتملة المترتبة على الموقوف قبل الانتقال إلى توزيع الإرث؛ وثم تُوزَّع الحصص الموصى بها، والتي لا يمكنها أن تتجاوز ثلث ما تبقى من الثروة؛ ثم تُوزَّع الفرائض المنقبة من الشركة على بعض الأنساب، الأزواج

واستمرت عاصمة إقليمية مزدهرة في العصر العباسي، على الرغم مما عانته بسبب ثورة بابك في بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. ثم تنازعها الأسر المحلية، إلى أن ضمها المغول سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م، فلم تعد بعد ذلك قادرة على منافسة تبريز تجارياً، وقد وقعت هي أيضاً في أيدي التركمان، وأصبحت، في القرن السابع للهجرة/أواخر القرن الثالث عشر للميلاد، مركز الطريقة الصفوية الصفوية، التي أسسها الشيخ صفي الدين (المتوفى سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م). والمعروف أن أحد ألقابه أصبح سيد المقاطعة سنة ٩٥٠هـ / ١٤٩٩م، ثم بسط ملكه على إيران بكاملها.

أصبحت المدينة بعد ذلك، خارج طرق القوافل الكبيرة، وتحولت المناطق الزراعية المجاورة إلى مراعي للبدو. نالها لم يتوقف تراجعها، برغم الاعتبار الذي يحظى به ضريح صفي الدين، الذي هو عبارة عن بناء ضخم مزين بالخزف البراق، وهو ما يزال قائماً حتى اليوم، برغم الهبات السخية التي خص بها الصفويون هذا الضريح، ولا سيما على عهد الشاه عباس الأول. وقد احتل العثمانيون المدينة غير مرة، كما استعادها نادر شاه في منتصف القرن الثامن عشر للميلاد، وبقيت من ثم في قلب المملكة الإيرانية. وأردبيل اليوم تدخل في نطاق الجمهورية الإسلامية الإيرانية غير بعيدة من الحدود التي تفصلها عن جمهورية أذربيجان.

◀ راجع السند ٢٤.

أردستان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، محلة في مقاطعة الجبال، على الأطراف الغربية للصحراء الوسطى، كانت من المواقع المحصنة في العصور الإسلامية الأولى، وهي تُعتبر اليوم مجرد قرية. اشتهرت أردستان بمسجدها الجامع ذي القيمة الرفيعة الذي تم بناء هيكلية الرئيسة في أواخر عهد أسرة السلاجقة الكبار، وذلك في حدود سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م. وهو بناء نموذجي من أربع إيوانات مع صحن ذي قبة في الوسط، ويُعدّ أذا مسجداً إيرانياً سلجوقيًا. وإلى الشمال الشرقي من أردستان تقع بلدة «زواره» التي تحتفظ هي أيضاً بمسجد جامع من العهد السلجوقي.

لميراث، وإن كان الورثة الزوجية والإبن والابنة، فتصحيح مصصهم كالتالي: ١/٨، ٧/١٢، ٧/٢٤، ٧/٢٤، وإن كانوا لزوج وابنتين وابنتين، فمصصهم كالتالي: ١/٤ للزوج لكل من الابنتين ١/٨ لكل من الابنتين.

إن تنظيم القرآن الكريم للإرث الذي اعتمد منذ داية الاسلام، لم يكن بدون نتائج على الصعيد لاجتماعي، إذ إن تدابير هذا التنظيم التي تناسب أوساط ربي الماشية والتجار عندما يتعلق الأمر بتوزيع دواب أو موال نقدية، تبدو صعبة التطبيق عندما يتعلق الإرث الأملاك والأراضي.

إن هذه التدابير تقود، إلّا في حالات استثنائية، إلى جزمة الإرث، وهذا يحول دون الحفاظ على الثروات لشخصية الضخمة، وبخاصة إن كانت ممتلكات، وقد عمل البعض على صونها عن طريق الوقف. من جهة أخرى، يفرد النظام مكاناً لابن الإبن الذي لم يكن في بداد الورثة سابقاً، إلّا أنه يحرم من الميراث أبناء البنت، يرفض أن يخصّص البنت، إن كانت المورثة الوحيدة، أكثر من نصف الثروة، كما هو منصوص عليه في الآية ١١ من سورة النساء. لكن الشيعة يرفضون تطبيق هذه لقاعدة ويدافعون عن المبدأ القائل إن فاطمة بنت النبي (عليها السلام) نقلت إلى ابنها الحق في السلطة السياسية التي مارسها والدها، وكذلك إليها وحدها يعود الحق في ممتلكات واحدة فذلك التي طالبت بها بدون جدوى.

في أيامنا، أجرت بعض الدول شيئاً من التعديلات على قواعد الإرث الإسلامي. فتركيا اعتمدت قانوناً وروبيّاً، في حين أنّ تونس والعراق اعتمدا أنّ البنت لوحيدة لها الحق في الارث بكامله ولا يقاسمها إياه أحد من الورثة الآخرين وإن كانوا ذكوراً، إلّا أنّ هذه لتعديلات تبقى محصورة وتتملّق أحياناً بتفاصيل دون لمسّ بالجواهر، في حين أنّ التشريع بكامله يبقى خاضعاً لمقتلاد الديني.

أردبيل (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة تقاسمت لتفوّق في المرتبة، في القرون الوسطى، مع مراغة تبريز داخل مقاطعة أذربيجان، وكانت مهد الأسرة لصفوية. وكانت أردبيل، بموقعها في واحة جبلية برفعة، قد دخلت عالم الإسلام مع الفتوحات الكبرى.

العهد الأموي.

٢ - المملكة الأردنية الهاشمية الحالية، مساحتها ٩٧٧٤٠ كلم^٢، عاصمتها عمان. هي دولة مستقلة أصبحت مملكة عام ١٩٤٩، ويبلغ عدد سكانها حوالاً أربعة ملايين نسمة، غالبيتهم الساحقة من المسلمين (٩٠٪).

ليس للمملكة الأردنية الهاشمية سوى منفذ واحد على البحر هو ميناء العقبة على الخليج الذي يحده الاسم نفسه، شمالي البحر الأحمر، ما جعلها مطوّراً بدولة إسرائيل وأراضي الحكم الذاتي الفلسطينية في الغرب، والجمهورية العربية السورية من الشّمال والمملكة العربية السعودية من الجنوب الشرقي، كما أنّ لها حدوداً برية ضيقة مشتركة مع الجمهورية العراقية من جهة الصحراء. يعود هذا الوضع، جزئياً، إلى عام ١٩٢١، وترسيم الحدود التي أعطيت لإمارة شرق الأردن على أثر تجزئة السلطنة العثمانية. بعد ذلك بقليل (عام ١٩٢٥)، حصل الأمير عبدالله، أمير هذه الدّولة الجديدة الموضوعة تحت الانتداب البريطاني، على إمكان التصرف بمنطقة معان والعقبة، وهما المنطقتان الوحيدتان اللتان استطاعت أسرة الشريف حسين الاحتفاظ بهما، وأن يكون له منفذ على البحر، ليثبت هذا المنفذ أن وسّع إثر اتفاقية وقّعت مع المملكة العربية السعودية عام ١٩٢٥. في أثناء ذلك، سمّح تقسيم فلسطين الذي حصل بقرار الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، ونشوب الحرب بين إسرائيل والدول العربية للأردن أن يضمّ إليه، في كانون الثاني ١٩٤٩، الضّفة الغربية والجزء العربي الإسلامي من القدس. وأصبح عبدالله، الذي سبق أن أعلن نفسه ملكاً بعد فوز بلاده بالاستقلال عام ١٩٤٦، ملكاً على الأردن. لكنّه اغتيل عام ١٩٥١، في المسجد الأقصى، فانتقلت السلطة إلى حفيده الحسين الذي اختير، بعد فترة حكم قصير لوالده طلال، ملكاً في آب ١٩٥٢، وهو في السّابع عشرة من عمره.

كان على الملك حسين أن يواجه وضعاً صعباً ناجم عن القضية الفلسطينية والمعارضة النّقدية ونفوذ جماعة عبدالناصر. وفيما توّصل، بعد فشل الوحدة بين مصر

الأردن، منطقة قائمة على جهتي وادي نهر الأردن، وقد شكّلت بعد الفتوحات العربية الإسلامية الكبرى، في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، مقاطعة عسكرية، أو جنّداً من أجناس سوريا في العهد الأموي. ١ - هذه المنطقة المجاورة لبلاد مؤاب القديمة، والتي كانت تُعرف بفلسطين الثانية في عهد الإمبراطوريتين الرومانية والبيزنطية، أدّت دوراً كبيراً في بداية الإسلام.

احتلتها باكراً، ومنذ عام ٦١٣/٦٣٤، الجيوش الإسلامية، وهي تقع شمالي المنطقة المسماة فلسطين، وكانت تضمّ في ذلك العصر الجليلين ومنخفض النهر عند أسفل بحيرة طبرية، وجزءاً من الهضبة المحيطة بها من جهة الصحراء. أمّا مذهبها الأساسي فكانت طبرية وعكا وصور وجرش وعمان. لكنّ أراضيها التي تتكوّن من مزارع كبيرة تعود إلى العصور القديمة، وقعت في أيدي العرب بعد الفتوحات الأولى. وما تزال هذه المنطقة تحتفظ إلى الآن بآثار عديدة في وادي نهر الأردن وهضبة البلقاء، تشهد على مدى الرعاية التي أولاهما إياها الخلفاء الأمويون وأفراد عائلاتهم وزعماء القبائل القادمة من الجزيرة العربية. لقد اهتمّ هؤلاء، في الواقع، ببناء منازل لهم في وسط أملاكهم الجديدة، كما بنوا قصوراً فخمة، مثل خربة المفجر أو المششّ، لكنّ أماكن السكن والاستيطان هذه، التي تعود

أهميتها الاستراتيجية إلى الطرقات التي تربطها بشبه الجزيرة، ما لبثت أن أهملت لأنّ أبناء المغالين الذين كانوا قد أقاموا فيها استبعدوا عن مهماتهم العسكرية في ظلّ الدولة العبّاسية. ولم تعد تُعرف منطقة الأردن إلا كمحافظة إدارية يذكرها الجغرافيون مجرّدة من أيّة أهمية سياسية أو اقتصادية. بعد بضعة قرون، احتلّ فرنج مملكة القدس بعضاً من الأردن، ثمّ قسّمه المماليك إلى مناطق منفصلة. ومنذ ذلك الحين سقط اسم الأردن من التداول، حتى أعيد استعماله مجدداً في العصر الحالي مع تأسيس المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٤٩. إنّ سهوبه التي تعرّضت للإفقار على أيدي البدو وسائر الجماعات الرّحّل، شهدت، من جديد، نموّ بعض الأراضي المزروعة، وظهر غناها باكتشاف مواقع أثرية تعود إلى

أمباطورية العثمانيين في عهد سليم الأول عام ١٥١٤، عقب المعركة الطافرة في جالديران ضد الصفويين، وضع حدًا لتاريخها المتقلب الذي لم يخلف لنا أي أثر في مجال فن العمارة. إن زلازل عديدة، كان آخرها في عام ١٩٣٩، دمرت مباني كانت، ربما، تنافس تلك التي قامت في ديفريجي، إحدى مستلكات المنكوجكيين الأخرى. ولم يبق إلا على شواهد قبور على شكل كبش تُنسب إلى تقاليد التركمان الذين استمروا يعيشون حياة البدو في هذه المنطقة.

• رابع المستندين ٢٦ و ٢٤.

أرضروم، (الجمهورية التركية)، وهي نشأت من العربية (أرض الروم)، إحدى مدن الأناضول الشرقية الأساسية التي تحكمت بعلاقاته مع إيران، وما تزال تشكل حتى يومنا هذا مركزًا تجاريًا وإستراتيجيًا يقوى ويضعف بحسب الظروف. رغم فساوة الأحوال الطبيعية العائدة إلى ارتفاع هذه المنطقة الجبلية الواقعة في بيئة سهبية ذات مناخ قاس، وعلى ملتقى طرق القوافل، فإن عدد سكانها استمر في الازدياد منذ زمن بعيد، وقد أصبحت عرضة للمطامع والغزوات عديدة. هكذا تحولت هذه المدينة من مدينة كارين الأرمية إلى مدينة فاليفلا أو قالي في نصوص القرون الوسطى العربية التي لم تأت أبداً على ذكر اسمها اليوناني ثيودوسيوبوليس (Théodosiopolis)، رغم أن هذا الحصن البيزنطي كان قد ألحق بالاراضي الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى، في القرن السابع الميلادي، وبالتحديد على عهد الخليفة عثمان بن عفان. لكن أعيد مراراً ضم أرضروم إلى دول مسيحية، فكان أن عادت إلى الأرمن، ومن ثم إلى البيزنطيين سنة ٩٤٩م/٣٣٨هـ الذين أحكموا السيطرة عليها لأكثر من قرن.

ثم كان نجاح السلاجقة في ملازكوت/مانتيكرت الذي أطلق شرارة الغزوات التركية سنة ١٠٨٠م/٤٧٣هـ فاحتلت المدينة وتحولت إلى عاصمة لأماراة السلوقيين، ولكنها وقعت، في العام ٥٩٧هـ/١٢٠١م، في قبضة سلاجقة الروم. وفي نهاية القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، فرض الإيلخانيون عليها سلطة تداعت بعد مرور قرن على قيامها، لمصلحة

سوريا، إلى اتفاق مع السعودية، جاءت حرب ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل لتُفقد الضفة الغربية التي احتلتها إسرائيل منذ ذلك التاريخ. تقلد الملك حسين بمشروع قاعة مملكة متحدة تضم أراضي الضفة الغربية، وهو مشروع لم تقبل به إسرائيل ولا الدول العربية (١٩٧٢). كما كاد يمضي وقت قصير على سقوط مشروع المملكة المتحدة، حتى وجد الملك حسين نفسه في مواجهة مقاومة فلسطينية داخل المملكة، نجح في القضاء عليها عام ١٩٧٠. استمرت قضية الضفة الغربية عالقة، بعد أن خلى عنها الملك حسين عام ١٩٨٨، لكن المفاوضات حول وضعها، وكانت قد لحظتها اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨، أدت إلى اتفاق واشنطن في أيلول ١٩٩٣. في عام ١٩٩٤ عقدت المملكة الأردنية اتفاق سلام مع إسرائيل.

حكم الملك حسين استناداً إلى دستور يعود إلى عام ١٩٥٠، منحه سلطات واسعة: سلطة تنفيذية وسلطة شريعة، تقاسمها مع البرلمان، كما تمتع بالهالة التي تمتع بها شرفاء الأسرة الهاشمية المتحذرين من نبى لمسلمين (ﷺ)، عن طريق أحد أحفاده، الحسن، الابن ليكر لعلي وفاطمة.

• رابع المستندين ٦ و ٩.

رُزْنَجَان، (الجمهورية التركية)، مدينة من مدن الأناضول الشرقية، ويُذكر دورها الحالي، كمركز احيى، بأهميتها السابقة كملتقى طرق القوافل بين سيواس وأرضروم. إن هذه العاصمة التي أقيمت لدولة صغيرة، هي دولة المنكوجكيين، بعد معركة لازكوت/مانتيكرت عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م، لمصلحة ائد سلجوقي ظافر، كانت تشغل منطقة خصبة ذات مناخ لطيف في جوار منطقة أرضروم القاسية. بعدئذ، سقطت في أيدي سلاجقة الروم عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م، تحولت، بشكل مباشر، صدمة الغزوات المغولية الأولى في العام ٦٤٠هـ/١٢٤٣م التي سحفت في موارها جيش كُيخسرو الثاني، في معركة كُوبيداغ. ثم فضعت لسلطة الإيلخانيين، قبل أن تتعاقب على ضفتها، بام حكم الإمارات، سلالات مثل الأرتنيين القراقويونلو والآق قويونلو. إلا أن ضفتها إلى

من البحيرة التي تحمل الاسم نفسه .

لم يتوافر لأرمية، بسبب عزلتها النسبية، دور ف بداية تاريخ الإسلام، سوى أنه توافر لها موقع محص على حدود الأمبراطورية العباسية والإمارات الأرمية التي كانت خاضعة لها بشكل أو بآخر . احتفظت أرمية م الفترة السلجوقية بضييق، وكذلك بصادق مقبب ف مسجدها الجامع، زاد عليه الإيلخانيون محراباً ذا زخرا مميزة مكسوة بالمرمر . وفي سنة ١٢٩٥/٥٦٩٥م خُصت المدينة بقلعة . وفي ما بعد صارت أرمية مسرح صراعات بين العثمانيين وأسياد إيران الصفوية والقاجاريين، ثم بين العثمانيين والروس والمسيحيين المحليين، ولم تُلقَ نهائياً بأمبراطورية الهلوتية الإيرانية إلّا في نهاية الحرب العالمية الأولى .

أرمينيا، منطقة تقع بين آسيا الصغرى وجبال القفقاس في جوار جورجيا وأذربيجان وأعلى بلاد ما بين النهرين . شكلت، إلى زمن، جزءاً من العالم الإسلامي مع بقاء سكّانها، في أكثريتهم، على دينهم غم الإسلامي، وقد تميزوا بحماسة وطنية بقيت حية حت العصر الحديث .

وهي ذات سهول عالية تصف بقساوة المناخ محاطة بسلاسل جبلية، وتمتد لتشمل أطراف الأناضو الشرقية حيث تتوقف الهضبة الصحراوية الوسطى تاركة المكان لمناطق أكثر تعرجاً . كانت أرمينيا، ف زمن الفتوحات العربية الإسلامية الكبرى، ترمز في حا من الفوضى السياسية، بسبب احتدام الصراع بين الأمم الكبيرة في البلاد، ويسبب تعرّض البلاد للأطماع الأجنبية عقب حروب القرن السادس بين البيزنطيين والساسانيين . وقد عانى سكّان البلاد المسيحيون، به انفصالهم عفاثياً عن بيزنطية سنة ٥٠٦م، تمرّقا داخل ساعد، منذ سنة ٦٢٤/٥٢٤م، وعلى مدى خمسة فرون على أن يسط المسلمون عليهم شبه حماية، نفوذ وتخت تبناً للثورات وللتحالفات مع بيزنطية، لكنّ تضمن الاعتراف الدائم بسلطة الخلافة . مثال على ذلك أنّ النفوذ الإسلامي تراجع عند وقوع الحرب بين معاوي وعلي، وعاد ليقوى مجدداً مع الحكم الأموي . وف العصر العباسي اندلعت ثورة كبيرة، في منتصف القرا

أمرام من منافسيهم يتحتم إلى الأصول المغولية نفسها، وبخاصة لمصلحة الدولتين التركمانييتين الكبيرتين القراوقونلو، ابتداء من ١٣٨٥م، والآق قوبونلو، ابتداء من ١٤٦٥ . وخلال عصر الإمارات هذا، عرفت المدينة ازدهاراً يشهد عليه حتى الآن عدد من الصروح المبنية بالحجارة والمنقطة بزخارف محفورة، وقد جمّلت هذه الزخارف، برهافة ذوق، مجموعة من الزوايا والمدارس المعروفة، منها «منارة تشيفتي» و«الباقونية» وهذه الزينة الغنية تنافس أسلوب القلعة الثقيل والضرائح السلنوقية والمسجد الجامع .

إنّ استيلاء العثمانيين على أرضروم سنة ١٥١٤م، بعد معركة جالديران التي قادها السلطان سليم الأول، أدّى إلى انتزاعها آنذاك من الصفويين الذين كانوا استولوا عليها سنة ١٥٠٢م، وأعاد لها أهميتها كحصن للأمبراطورية، ومحطة لا بدّ منها للأنشطة التجارية تربط، عن طريق إيران والأناضول، آسيا الداخلية بيموان البحر الأسود أو البحر المتوسط . كان لها إذا دور مزدوج: محطة تجارية وموقع دفاعي . واستمرّ هذا الدور إلى أن بدأت الطرق التجارية العالمية تحوّل مسارها، وذلك خلال القرن التاسع عشر . في الوقت عينه، أدّت الحروب الروسية - التركية، في القرن التاسع عشر، إلى احتلال الروس هذه المدينة مرّات عدّة، واستمرّ ذلك حتى تمكّن الجنرال مصطفى كمال (أتاتورك) في ما بعد، من إعادة الهدوء إلى هذه المنطقة . إنّ أرضروم التي عُقد فيها المؤتمر الوطني التركي الأول سنة ١٩١٩، أدّت دوراً مهماً في ولادة الجمهورية التركية الحالية التي جعلت منها مركزاً لجهازها العسكري الشرقي . وهكذا أوقف انحطاط هذه المدينة الإقتصادي وعوّض عن بُعدها وعزلتها بتمركز المصالح الإدارية والكنكات والجامعات فيها .

« راجع المسند ٢٤ .

أركان الدين ← الشريعة الإسلامية .

أرمية (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، تُعرف أيضاً برضاية (تُلفظ بالفارسية رزائية). وهي مدينة في أذربيجان، تقع على علو شاهق في واحة مزروعة قريبة

السكّانية لأرمينيا الكبرى التي ازدادت فيها موجة الأسلمة في زمن سيطرة الإبلخانيين في القرن الرابع عشر للميلاد، وعلى الأخص في عهد آق قويونلو في القرن الخامس عشر. وجاء أخيراً المدّ العثماني الذي اجتاحت البلاد التي كانت تتحوّل مرحلياً إلى ساحة صراع بين العثمانيين والصغويين. ولم يعد الأرمن يتمتعون بشبه استقلال إلا في إمارة «يريفان» في منطقة ما وراء القوقاز. ثم احتلّ الروس هذه الإمارة التي تحوّلت بعد ذلك إلى جمهورية اشتراكية سوفياتية، قبل أن تصبح عام ١٩٩١ جمهورية أرمينيا المستقلة. خارج هذا الإطار الجغرافي، كان الشعب الأرمني، ومن غير أن يدخل الإسلام، يشارك في حياة إمبراطورية عثمانية ذات سلطة مركزية مضطربة، تحاول أن تدمج رعاياها غير المسلمين من خلال نظام الأقليات الذي عرف رسمياً باسم نظام «الملة». وبعد مرحلة هدوء نسبي حقق فيها الأرمن الإثراء عن طريق التجارة، عادت الحروب الإقليمية لتشتعل بين الروس والفرس، والروس والأتراك في القرن التاسع عشر، ولتغدو بعدها تلك المقاطعة القديمة مقسّمة، بطريقة غير متساوية، بين سلطات أجنبية. وما يستريعي الانتباه، إضافة إلى ذلك، هو أن أزمات كثيرة، واضطرابات متعدّدة، وأجراءات قمعية دموية، وتهجيراً سكّاناً باتجاه سوريا، طبعت تاريخ الشعب الأرمني، بدءاً من القرن التاسع عشر حتى ١٩١٥، داخل الإمبراطورية العثمانية المحتضرة، وفي إطار القوضى السائدة في المنطقة. ومع الحملات التركية الأخيرة التي قادها أتاتورك، سنة ١٩٢٠، والحكومة الكمالية، وُضع حدٌ لمطالبات الجمهورية الثورية الأرمينية التي كانت حديثة الشأ. وقد تبيّنت الحدود الحالية وأبقت لتركيا مناطق طرابزون، وأرزنجان، وكارز، وموش، وبتليس، ووان. أمّا مقاطعة «باطوم» التي احتلها الأتراك مدّة وجيزة فقد عادت إلى جمهورية أذربايجان الاشتراكية السوفياتية المتشعّبة بحكم ذاتي داخل جمهورية جورجيا الاشتراكية السوفياتية. أمّا مقاطعة «نخجوان» فأصبحت جمهورية نازرة مستقلة ثم ضُمَّت إلى جمهورية أذربايجان الاشتراكية السوفياتية.

➤ راجع المستندات ٨، ١١، ١٢، ١٧، ١٨، ٢٤.

الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، لم يلبث أن قضى عليها الخليفة المتوكل.

بصورة عامة كان أمراء أرمينيا وملوكها التابعون للعباسيين يسيرون شؤون مناطقهم ضمن أجواء أمنية وحرية متأرجحة، مع إرغامهم باستمرار على دفع جزية عالية للخلافة الإسلامية. إن قسماً من الضرائب كان يُسدّد أقمشة فاخرة وسجاداً، وقد شكّلت هذه المواد الصناعية الرئيسة في هذه المنطقة المزدهرة آنئذ. لم نتوقّف نواح قديمة - ضمت أحياناً مستوطنين عرباً - عن النمو، بدءاً من «ذيل» التي جعلت مقرّ الحكّام المسلمين، والتي تحوّلت في ما بعد إلى بلدة صغيرة، ومنها «أني» و«كارس» اللتان تضاملت أهميتهما وكذلك «أزسروم» و«أرزنكان» و«بتليس» و«أحلاط» و«نخجوان». ولم يترافق الوضع المزدهر مع أيّة ظاهرة تحوّل نحو الإسلام، في حين أنّ بعض الأرمن العاملين في البلدان البعيدة قدموا إليها كمبيد وقبّلوا الإسلام، ولا سيّما في مصر زمن الطولونيين والفاطميين، ونجحوا في الوصول إلى المراتب العالية في الإدارة أو في الجيش. وهذا كان حال القائد والوزير بدر الجمالي في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد.

في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد أيضاً، تبدّلت أوضاع أرمينيا بفعل الغزوات الآسيوية وقيام دولة السلاجقة الكبار في إيران، فضُمَّت إليها المنطقة بكاملها تحت سلطة أسر تركية الأصل. فارتحل عدد من سكان أرمينيا المسيحيين نحو الغرب واستقروا في جبال طورس حول «خربوت» و«مطيط»، ثم في سهل كيليكيا وأضنة. في المنطقة التي عُرِفَت باسم «أرمينيا الصغرى» التي دعمها الفرنج في إماني أنطاكية والرّها. وهناك، بين القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، حكمت أسر تان وطينان أرمينيان هما أسرة «روينيان» وأسرة «هاتوميان»، إلى أن خضعت المنطقة مجدداً لسلطة المسلمين وأصبحت تابعة لسلاجقة الروم أسياد الأناضول.

خلال ذلك، أدّى وصول موجات جديدة من الغزاة التركمان إلى إحداث تغيير تدريجي في التركيبة

الذي وصله الإسلام بطرق غير متجانسة، كما أنه مفسوم بالتساوي تقريباً بين المسلمين والمسيحيين - قد ضُمَّ، في صيغة فدرالية مع احتفاظه بالحكم الذاتي، إلى الامبراطورية الأثيوبية التي كانت قائمة أيامئذ.

وما عَتم أن دُمج نهائياً فيها، فقدما بذلك مسرحاً لحركات عصيان محلية قاومت، بما توافر لها من وسائل، أعمال القمع المسلحة التي لم تتوقف السلطة المركزية الأثيوبية عن ممارستها، سواء في عهد هبلا سيلاسي أو بعد قيام حكومات ثورية المنشأ، طُردت الأخيرة منها عام ١٩٩١. ولا بد من الإشارة إلى أنَّ هذه العناصر المتمردة القديمة هي التي أقامت في إريتريا، في نهاية المطاف، النظام الذي أتاح لها الاعتراف بها دولة مستقلة.

أريحا (جريكو) (الأراضي الفلسطينية ذات الحكم الذاتي)، مدينة تقع في وادي نهر الأردن، بالقرب من البحر الميت. حُلَّت أريحا الحائثة، الواقعة في منطقة معروفة بخصب مزروعاتها، محلَّ قرية صغيرة بسيطة من القرون الوسطى. هذه القرية التي كانت تشغل موقع مدينة بيزنطية وموقع أريحا التوراتية الوارد ذكرها في القرآن، عانت، في القرون الوسطى، من فقدان الأمن فيها، ما منعها من الاستفادة من مواردها الطبيعية العائدة إلى مزروعاتها شبه الاستوائية، ومن صناعة السكر فيها. أمَّا الفترة الأكثر ازدهاراً في تاريخ أريحا، والتي لا تتوافر عنها معلومات كافية، فقد تكون متزامنة مع ازدهار الخلافة الأموية. شُيِّد في جوارها حصن يستحق بجداره، نظراً إلى زُخرف بنائه، اسم القصر، وتُعرف بقايا الأثرية اليوم باسم «خربة المفجر». أدى احتلال الفرنج لأريحا إلى ازدهار إنتاج السكر فيها. وبعد ذلك، عرفت أريحا إنحطاطاً مستمراً، على مقربة من المدينة يقوم مزار النبي موسى الذي يشير إلى مكان قبر موسى، وهو مقصد لزيارات تقوية. إنَّ المدينة الحديثة التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ هي الآن جزء من أراضي الحكم الذاتي المعلن عام ١٩٩٣.

أُرْد (بنو -)، إسم اتحاد قبلي قديم في الجزيرة العربية قبل الاسلام، كان فرعاه الأساسيان بقطان منطقة عسير في الغرب وعُمان في الشرق. والأرديون يسمون ببنو

إريتريا (جمهورية)، المساحة ١٦٩ ٩٣ كلم^٢، العاصمة: أسمرا. إريتريا دولة مستقلة منذ حزيران ١٩٩٣، للإسلام فيها حضور مهم بين سكَّانها الذين يبلغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين نسمة. هذه الأرض المجاورة للبحر الأحمر والواقعة في الشمال الشرقي لجمهورية إثيوبيا الحالية، والمتاخمة بحدودها الأخرى لجمهورية السودان، تطابق القسم الشمالي لشريط ساحلي كان أكثر اتساعاً أطلق عليه الايطاليون، منذ سنة ١٨٩٠، إسمًا قديماً هو إريتريا. وكان النفوذ الإيطالي قد ازداد في هذه البقعة لعقدين سابقين. ووفقاً للتقائيد الإسلامية، استقرَّ على هذه الأرض الأنباغ الأزلون لنبي الإسلام محمد (ﷺ)، إتيان حياته، بعد أن اضطروا لمغادرة مكة. لكنَّ ضغط المسلمين لم يتوقف لاحقاً، وكانوا قد نزحوا من بلاد العرب، وخاصة من اليمن، وتمركزوا في جزر ذُفلك وحول مرفأ مضُوع، ممَّا اضطرَّ السكَّان المسيحيين الأصليين للدخول إلى القسم الجبلي الداخلي.

وقد نجحت أسلمة الأراضي الساحلية المنخفضة في الشمال، كما في الجنوب، وشملت قبائل البجا وعفار البدوية. أمَّا العثمانيون فسيطروا سلطتهم، منذ القرن السادس عشر، على ساحلي البحر الأحمر، العربي والأفريقي، حيث نصَّذوا لمحاولات البرتغاليين، ولكنهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تركوا الساحة لجيوش خديوي مصر. وفي وقت لاحق برزت جهود جديدة للدعوة إلى الإسلام في مواجهة محاولات التدخل الأوروبية، ولا سيَّما الإنكليزية والإيطالية منها، مصدر هذه الجهود السودان، بدفع من أتباع الطريقة الخاتمية، المعروفين كذلك بالميرغنية؛ بينما ظلَّت الطريقة القادرية تسيطر على امتداد البحر الأحمر. وتُقسَّم لنا هذه الموارث الدينية تنوع المذاهب الفقهية المتلوثة بتقاليد محلية متعددة والتي ينتمي إليها مسلمون، يأخذ بعضهم بالمذهب الحنفي الذي حملته إليهم الأتراك، وبعضهم بالمالكي السائد في السودان النيلي، وبعضهم بالمذهب الشافعي الوافد من شبه الجزيرة العربية.

وفي العام ١٩٥٢، وجد هذا البلد نفسه - وهو

إلى عرب الجنوب القطانين .

اعتنق الأزد الإسلام في زمن النبي محمد (ﷺ) سنة ٦٣١/هـ ، ولم نحل الردة القصيرة التي لجأ إليها بعضهم دون اشتراكهم ، بدأ من سنة ٦١٣/هـ ، في حركة الفتوحات الكبرى . وهذا ما ساعد على انتشارهم واستقرار بعضهم في البصرة بالعراق وفي خُراسان البعيدة . وتحالف بنو أزد مع ربيعة في كل هذه المناطق جعلهم في موضع الخصومة مع بني تميم في أثناء الصراع بين عرب الشمال وعرب الجنوب ؛ وإلى هذه الخصومة أضيف الخلاف الديني لاحقاً ، ما أدى إلى حروب داخلية دموية في العصر الإسلامي الأول . وكان الأزديون أخصام الأمويين ، فشاركوا في الجهود التي أوصلت الثورة العباسية إلى غايتها سنة ١٣٢/هـ . ٧٥٠م . أما الأزديون الذين لم يغادروا شبه الجزيرة فقُضي على سلطتهم التقليدية في عُمان مع وصول الخوارج الإباضيين الذين لجأوا إلى العنف وإلى اللداساس لإحكام قبضتهم على هذه المقاطعة المعزولة . لكن الأزديين صمدوا على الأيام ، ومنهم برزت في القرن الثامن عشر أسرة «آل بو سعيد» التي حكمت صُفُوط وزنجبار ، ومنها اليوم صاحب عرش سلطنة عُمان .

إزمير (الجمهورية التركية) ، هي شَيرن القديمة ، مدينة مرفئية على ساحل بحر إيجه تحتل اليوم المرتبة الثالثة بين المدن التركية الكبيرة ، بعد أن عرفت منذ القرون الوسطى دوراً استراتيجياً وتجارياً .

احتلها المسلمون بُعيد سنة ٤٦٣/هـ ١٠٧١م ، عندما ثارت بعض الجماعات التركية إثر انتصارات السلاجقة في ملازكرت/مانتيكيرت . واستعادها البيزنطيون سنة ٤٩٠/هـ ١٠٩٧م ، واحتفظوا بها حتى ٧٢٠/هـ ١٣٢٠م . وفي هذه السنة سقطت في يد الأمير أيدين ، مؤسس إمارة الأيدينيين . ومنذ ٧٤٥/هـ ١٣٤٤م ، احتلها الغربيون من جديد ، وأوكلوا أمرها إلى فرسان رودس الذين احتفظوا بها حتى اجتياح تيمورلنك سنة ٨٠٦/هـ ١٤٠٣م . ضُمَّت لاحقاً ، سنة ٨١٨/هـ ١٤١٥م ، إلى السلطنة العثمانية ، وشكَّلت هدفاً لهجمات البنادقة الذين نهبوا سنة ١٤٧٢م ، لكن ذلك لم يمنع أن تقوم بدور بارز خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/

السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، بصفتها مركزاً تجارياً فاعلاً في الحياة الاقتصادية ، غربيّ بلاد الأناضول .

لم تكن إزمير ، حينذاك ، مرفأً لتصدير الانتاج الجزئي المحلي فحسب ، بل أيضاً لتصدير البضائع التي تنقلها القوافل من إيران والعراق ، بل من الشرق الأقصى عبر الخليج العربي - الفارسي . لقد أفادت المدينة من التوخل التدريجي الذي أصاب المرافئ المجاورة التي كانت مزدهرة في العصور القديمة ، كآفسس وميليه ، كما أفادت من كونها منفذ قسم من الحركة التجارية الداخلية في السلطنة العثمانية . استقرّ فيها عدد من التجار الأوروبيين ، ومن الأرمن واليهود ، زيادة على السكان المحليين من المسيحيين اليونانيين ومن المسلمين .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى احتلت اليونان المنطقة سنة ١٩١٩ ، لكن القوات التركية طردها ، وسيطرة على المدينة التي دخلتها في أيلول سنة ١٩٢٢ ، واحتفظت بها بموجب معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ . وتقرّر حينذاك إجراء تبادل سكاني ، فغادر أهالي إزمير اليونانيون المنطقة ، وحلّ محلّهم مسلمو اليونان . عندها ، بدأ ازدهار اقتصادي وسكاني ذو أهمية بالغة ؛ في الوقت نفسه نمت مدينة صناعية زاخرة بالحياة ، وقد أضيف إليها اليوم مرفأً اصطناعي حديث ينمو على شاطئ خليج يحتمي من خطر تجمّع الطمي فيه .

◀ رابع المسند رقم ٢٧ .

إزنك (الجمهورية التركية) ، هي نيقيا القديمة . مقاطعة تابعة اليوم لجنوب غربي بلاد الأناضول . احتفظت ، في بداية عهد السيطرة العثمانية ، ببعض مجدها القديم الذي عرفته عهد الامبراطورية البيزنطية .

حاصرتها الجيوش العربية - الإسلامية ، زمن الفتوحات الكبرى في أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، لكن من دون جدوى . ولم نخضع نيقيا إلا سنة ٤٧٤/هـ ١٠٨١م للقائد السلجوقي سليمان بن قُتْلُشْ ، عند أول اجتياح تركي إثر معركة ملازكرت/مانتيكيرت . استعادها البيزنطيون ، حلفاء الصليبيين ، سنة ٤٩٠/هـ ١٠٩٧م . وكانت غنية ومحمية بأسوار ، فحلّت

في سنة ٣٦٤هـ/٩٧٥م، كان ابن القاضي الثعالب يعطي في الأزهر دروساً في الفقه الإسماعيلي مبنية على مؤلفات والده. وجاء بعده فقهه أقامهم الخليفة العزيز بالله في مسكن مجاور للمسجد، فضلاً عن علماء آخرين كانوا يعملون في «دار الحكمة» التي أقامها، بعد تأسيس الأزهر، الخليفة الحاكم بأمر الله.

وتوقف انتشار الأفكار الإسماعيلية من الأزهر بعدما قضى صلاح الدين على الفاطميين. وحلّ مكان الإسماعيلية تعليم الفقه السنّي الذي توزّع على عدد من المدارس التي أُنشئت في المدينة. والنشاط الفكري الذي نهض في المساجد الجامعة، كمسجد الحاكم، ومسجد ابن طولون ومسجد عمرو بن العاص، وأخذ أتباعاً معاكساً للشيع، استمرّ في الأزهر الذي وُفّر له المماليك لاحقاً ازدهاره الفكري عن طريق إقامة مؤسسات للمعلّمين ولقراءة القرآن الكريم. ولم يفتقر وهج التعليم الأزهرّي إلّا بعد سيطرة العثمانيين. فتحوّل الأزهر معهم إلى مكان كسائر الأماكن المماثلة في العالم الإسلامي، تُلقّى فيه الدروس التقليدية القائمة على قراءة بعض المؤلفات الموجزة وشرحها، من دون العودة إلى النصوص الأصلية الأساسية. والمعروف أنّه في سنة ١٨٧٥ كان الطلاب - وبينهم عددٌ يسكنون الجامع ويعيشون حياة فقر معتمدين على مساعدات المحسنين ومساعدات ذويهم - يحافظون على عادات تعود إلى القرون الوسطى، إذ كان كلّ معلّم يلقى دروسه أمام قاعدة عمود معيّن، وكانت الأعمدة موزّعة على المذاهب. وتركز الاهتمام على دراسة الفقه وسائر العلوم الدينية المتعلقة بالقرآن الكريم والحديث الشريف واللغة العربية. وكان الأزهر يحوي، سنة ١٨٧٦، ثلاثمائة وواحد وستين مندرّساً وأكثر من عشرة آلاف طالب اختار نصفهم دراسة الفقه الشافعي.

في القرن التاسع عشر، عرف الأزهر عملية إصلاح للتعليم، يمكن إدراجها في إطار التحولات التي شهدتها مصر للانفتاح على المؤثرات الحديثة. ولم يهدف التطوّر إلى جعل الأزهر جامعة على الطراز الأوروبي - لأن ذلك لم يكن مقبولاً في تلك المرحلة - بل ركّز على تعميق الدروس وتنظيم مراحل التعليم، وتوزيع

محلّ القسطنطينية وقامت بدور العاصمة عندما احتلّها اللاتين في الحملة الصليبية الرابعة بين ٦٠١ و٦٥٩هـ/١٢٠٤ و١٢٦١م، وسقطت مجدداً في أيدي المسلمين سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م، عندما قام أورخان، السلطان الثاني في سلالة العثمانيين، بدخولها بعد حصار طويل، واتخذها مقراً له. وبذلك استطاعت المدينة أن تنهض من عثارتها، لكن من دون أن تشع لتشمل كل الأراضي التي كان يحيط بها السور البيزنطي القديم. وشيّدت فيها مباني إسلامية متعدّدة قبة، منها نيلوفر خاتون إماراتي، ولا سيما الجامع الأخضر، المميّز بقبته المركزية، وواجهته الرخامية البيضاء ومنذته المغطاة بالخرزف المزخرف. إنّ إزناك التي قاست اجتياح تيمورلنك سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، وفقدت بعد ذلك كل أهميتها السياسية والإستراتيجية، لم تعد معروفة بعد ذلك إلا بصفتها مركزاً عثمانياً مزدهراً لصناعة الخرف. ويظهر أن نشاطها توقّف في القرن الثامن عشر، وذلك لمصلحة كوتانية التي انتقل إليها حرفيّو إزناك.

◀ راجع المستندين ٢٧ و٢٩.

الأزهر، مسجد جامع شيّده الفاطميون في القاهرة سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م، وهو ما يزال حتى اليوم أشهر مركز للدراسات الإسلامية التقليدية في مصر والشرق الأدنى العربي.

غالباً ما يحاول بعضهم ربط اسم الأزهر بصفة الزهراء التي أطلقت على السيدة فاطمة، لكن ليس لدينا ما يثبت وجود هذه العلاقة. والمعروف أن المسجد الثاني الذي بناه الفاطميون في القاهرة أطلقوا عليه اسم «الأنوار». ويمكن أن تحمل هاتان الصفتان تلميحاً إلى بريق العقيدة الإسماعيلية التي قامت عليها دعوتهم. وقد بدأ العمل في بناء مسجد الأزهر سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م، قرب القصر الملكي، واستمرّ سنتين، ليغدو المكان الذي يقصده الخليفة من أجل ترؤس الصلاة، ولينحوّل رمزاً زاهياً للمدينة التي تضمّ مقرّ السلطة ومركز إرشاد منظم للعقيدة الإسماعيلية، بهدف دعم المواقف الدينية لأسباب مصر الجدد. والتعديلات الكثيرة التي عرفها البناء لاحقاً أبّنت على ملامح تشير إلى ما كان عليه في هذه الأول وإلى ما كانت عليه زخرفته. والمعروف أنّه

الهجمات البيزنطية فحسب، بل قامت بهجمات ضد قبرص في سني ٢٨ و٣٥هـ/ ٦٤٩ و٦٥٥م، وحقت انتصارًا في معركة الصواري في العام ٣٤هـ/ ٦٥٥م، وهاجمت صقلية ورودس وكريت، وقامت بحاصرة القسطنطينية مرتين في ٤٩ - ٥٠هـ/ ٦٦٩ و٦٧٠م وفي ٩٨-٩٩هـ/ ٧١٧-٧١٨م.

إن تنامي قوة الخلفاء العبّاسيين المتمركزين في العراق أعطى، في ما بعد، دفقًا جديدًا لنشاطات أخرى، تجارية أكثر منها حربية، فازدادت هذه النشاطات بصورة خاصة في المحيط الهندي، مطلقًا من الخليج العربي - الفارسي باتجاه الهند والصين، ناهيك عن الشاطئ الأفريقي التابع للزنج، في حين كان فنّ الملاحة يستفيد من كافة المكتسبات العلمية التي انتقلت إلى الوسط الإسلامي منذ بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، عن طريق استيعاب الإرث السابق، أكان يونانيًا أو فارسيًا. لم يُنسى كل ذلك جبهة البحر المتوسط حيث كان أسطول الدولة الإسلامية الذي تتم صيانته في دور الصناعة والموانئ المحصنة في الإسكندرية ورشيد ودمياط وعكا وصور وصيدا وطرشوس، قد فرض نفسه من خلال غزوات قام بها إلى قبرص وكريت. في الوقت عينه، كان أسطول الأغابة في إفريقية يقود العرب إلى احتلال صقلية سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٢م، ويؤمن سيطرة بحرية إسلامية مؤقنة على البحرية البيزنطية التي، بعد أن اضطرت فترة إلى الدفاع عن نفسها، ما لبثت أن استعادت المبادرة.

انقلب الوضع في نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، عندما استعاد البيزنطيون قبرص وكريت، وعندما واجهت أساطيل الفاطميين في ما بعد - كانت هذه الأساطيل قوية في الحوض الغربي للمتوسط للدرجة أنها قامت بهجمات على إيطاليا وانتصرت، كما قامت بحرب أخوية ضد بحرية الأمويين في قرطبة - الهجمات البحرية التي شنتها الجمهوريات التجارية الإيطالية التي أصبحت بدورها قادرة على غزو السواحل العلوة في المغرب. أنشأ الفرنج مملكة الأراضي المقدسة مكملين بذلك عمل النورمان الذين استرجعوا صقلية من المسلمين. وقد نجح الفرنج، في نهاية القرن

سنوات التخصّص بشهادة رسمية، وهو أمر لم يكن موجودًا حتى ذلك التاريخ. إن الإجراءات الأولى اتخذها المسؤولون الذين جمعهم الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٢م والذين أنشأوا شهادة لترويج نهاية الدروس تخوّل حاملها أن يصبح أسنًا في الأزهر. ومن ثمّ تمت عملية إعادة تنظيم إجمالية استوحت أفكار المصلح محمد عبده: إنشاء مجلس إدارة، زيادة رواتب الأساتذة، وضع شروط واضحة لقبول الطلاب، إدخال مواد جديدة كعلم الحساب والجغرافيا، تقسيم التعليم إلى ثلاث مراحل، وكلّ مرحلة من أربع سنوات. في سنة ١٩٠٧م، أنحفت بالأزهر مدرسة للقضاة، كما أنشئت سنة ١٩٠٨م جامعة القاهرة الحرة التي كانت نواة الجامعات الحديثة التي نافست الأزهر، ما دفع إلى إحداث تغييرات جديدة في نظامه. وهكذا حدّد قانون صادر سنة ١٩٣٦م مجدّدًا شروط قبول الطلاب ومواد التدريس. فجامعة الأزهر التي استقبلت وتستقبل طلابًا من مصر وسائر العالم الإسلامي، والتي ترفض أن ينحصر نشاطها في العلوم الدينية، تابعت إذًا تجلدها البطيء، بشكل منهجي، ولكن لا تزال، بين الحين والآخر، توجه إليها انتقادات وتُتهم بأنها لا تفتح بما فيه الكفاية على مشاكل العالم الحديث.

الأساطيل البحرية الإسلامية، أساطيل تطوّرت بصورة غير متساوية طيلة القرون الوسطى، ولعبت دورًا على جانب من الأهمية في الأعمال العسكرية أو التجارية للبلدان الإسلامية، وأفسحت في المجال، بفضل المرافىء العديدة، أمام طرق الملاحة في البحر المتوسط أو في المحيط الهندي.

في المتوسط، ولدت أول بحرية إسلامية - وكانت ضرورية لسياسة الأمويين الهجومية - على أثر الفتوحات الكبرى التي جعلت من العرب أسبّاح سواحل بعيدة الأطراف، تنطلّب الحماية وتكوّن، في الوقت نفسه، نقاط انطلاق مفيدة للحملات ضد بيزنطية. وإذ لم يكن في جيوش الخلفاء ما يلزم من البحارة، اضطرّ هؤلاء، منذ البداية، إلى استخدام السفن الموجودة في المرافىء التي احتلّوها والاحتفاظ ببخارتها من غير المسلمين. ولكن ذلك لم يمنهم من تشكيل قوة بحرية لم تقاوم

الأسود وبحر إيجيه، وكانوا بحاجة إلى إنشاء أسطول ما لبث أن أصبح ناشطاً في الحوضين الغربي والشرقي للبحر المتوسط. أنيطت مسؤولية هذا الأسطول بأميرال يدعى «كابودان باشا» كان يدير الحملات ويشرف على الصيانة ويضطلع بمسؤوليات جسام.

على الرغم من الحملات التي قامت بها البحرية العثمانية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، فإن تاريخها، بنوع خاص، هو تاريخ صراعاتها في البحر المتوسط مع بحرية البندقية المتحالفة أحياناً مع غيرها من البحريات الأوروبية. فعند العام ١٤١٩/١٤١٦م، قامت سفن عثمانية متمركزة في غاليلوي بمواجهة بحرية البندقية فانتهزمت. غير أن الوسائل التي امتلكتها البحرية العثمانية تطورت بانتظام، ما سمح لها، قبل نهاية القرن، باحتلال الكثير من الجزر في بحر إيجيه، منها جزيرة أوبيه (Eubée) والجزر الإيونية. بعد أن اشتهر الأميرال خير الدين بتركيز سلطته في الجزائر، طوّر نشاطه في إطار قيادته لبحرية السلطنة، فمكّنها، خلال معركة نيكوبوليس في العام ١٥٣٨، من السيطرة على البحر المتوسط. ولكنها فقدت هذه السيطرة في العام ١٥٧١، على أثر هزيمتها الشهيرة في ليبانت. ولكن سرعان ما أعيد بناء القوات البحرية العثمانية فاستعادت، في نهاية القرن التالي، جزيرة خيو (Chio) من البندقية. كانت آنذاك تمتلك سفناً شراعية حلّت محلّ السفن القديمة ذات المجاذيف. بقيت هذه القوات موضوع اهتمام السلاطين، مع أنها لم تعد تلعب دوراً رئيساً منذ القرن الثامن عشر.

وحدها «القرصنة» التي تعتمد على السفن السريعة والمستقلة حافظت على مكانة لا يستهان بها وأغنت مرفأ المغرب العربي، الجزائر وتونس. كان يُمارَس في سلا، على شاطئ المحيط الأطلسي، نشاط مشابه، ولكن خارج مراقبة الباب العالي. أخيراً، إن جهود السلطان سليم الثالث الذي شجّع الإصلاحات التي قام بها الأميرال الكبير، كجك حسين باشا (المتوفى عام ١٨٠٣)، وجهود محمود الثاني بعد فترة قصيرة، لم تمنع التفاوت التقني المتزايد بين الأسطول العثماني وأساطيل الدول الأوروبية، الأمر الذي أدّى إلى هزيمة

الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، في احتلال مرفأ المشرق تدريجياً، بما فيها مرفأ عسقلان الذي سقط في العام ١٥٤٨/١٥٣١م. ولئن جهد صلاح الدين الأيوبي، بعد ذلك، في إعادة بناء بحرية إسلامية، فهو لم يتمكن من مواجهة بحرية الفرنج، ولم يفرض نفسه إلا في البحر الأحمر حيث لم تكن السيطرة البحرية الإسلامية قد مُتت بعد.

مع ازدهار دولة المماليك، بدأت مرحلة جديدة كان خلالها الأسطول المصري - السوري شبه غائب في البحر المتوسط، إذ إنه ظلّ عاجزاً عن انتزاع السيطرة من المسيحيين. فالسلاطين المتحدرون من صفوف المماليك والمذبذبون على الفروسيّة، أصبحوا أسياد هذه المنطقة، فاهملوا البحرية واعتمدوا استراتيجيّة حربية جديدة: على الجبهة البحرية، اجتهدوا خاصّة في تطوير الدفاعات الساحليّة لمصر التي بقيت مفتوحة على علاقات بحرية تجارية مع الخارج، كما عملوا على تفشيل هجمات محتملة على سوريا وفلسطين عن طريق سياسة الأرض المحروقة، إذ دمّروا المرفأ الذي كان يمكن أن ينزل فيها العدو.

ولكنّ الوضع كان مختلفاً في مناطق خاضعة لأمره آخرين من المشرق الإسلامي، تعني بهم خصوم المماليك في الأناضول. هنا ظهر اهتمام حقيقي بالملاحه في البحر المتوسط، عند سلاجقة الروم، منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وقد أثّرت دولتهم بفضل تجارة الترانزيت نحو أوروبا التي كانت تقوم بها سفن إيطالية في أغلب الأحيان محمّلة بالبضائع الآسيوية التي سلكت قبل ذلك طرق القوافل. بعد امتداد تلك السلطنة إلى ساحل المتوسط جنوباً وساحل البحر الأسود شمالاً، اتخذ الأمراء موقعاً مشجعاً لازدهار المرفأ التجارية مثل أنطاليا، والحرية مثل علايا حيث ظهرت، إلى جانب السفن الأجنبية، أولى السفن التركية القادرة على أخذ حصتها من الحركة التجارية وعلى ممارسة القرصنة لإضعاف العدو. هذه السياسة الجديدة التي اعتمدت في عهد الإمارات، اتّسعت كثيراً في العهد العثماني. منذ احتلال العثمانيين للبلقان، أصبحت سلطنتهم تضمّ بحر مرمرة والبحر

نافارين سنة ١٨٢٧ وإلى إزالة وكر القراصنة في الجزائر بعد إنزال قام به الفرنسيون. لم يؤوض العثمانيون في ما بعد عن تأخرهم، على الرغم من المحاولة التي جرت في نهاية القرن التاسع عشر لتحديث البحرية والجيش، لا سيما في عهد السلطان عبد العزيز.

في غضون ذلك، حفل تاريخ البحرية الإسلامية بأحداث حصلت في المحيط الهندي حيث خسرت السفن العربية، منذ القرن الخامس عشر، الإمتياز الذي كان لها في القرون الوسطى أمام البرتغاليين، ثم أمام سائر الأوروبيين. إن المحاولات التي قام بها حكام اسطنبول والبوسفور، لكي يعطوا الأسطول العثماني مجالاً إستراتيجياً واسعاً في جنوب البحر الأحمر، باءت بالفشل، وأدت إحداهما إلى الحكم بالموت، حوالي السنة ١٥٥٤، على الأميرال ييري زيس الذي لم يتمكن من الإستيلاء على هرمز/بندر عباس. في البحار التي سيطر عليها الهولنديون أو البريطانيون، الذين خلفوا البرتغاليين، استمر بحارة الخليج العرب وبحارة الشواطئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية بنسبٍ مراكبهم الشراعية بصورة منتظمة نحو الصومال والجنوب وصولاً إلى الموزامبيق. إلا أن آخر حلقات الشبكة زالت بانحطاط السلطنة المحلية التي كانت، انطلاقاً من مسقط، قد بنت قوتها خلال القرن التاسع عشر، على المبادلات التقليدية بين منطقة عُمان الساحلية وجزيرة زنجبار الأفريقية والأراضي الساحلية المجاورة.

ولد أسامة في شيزر بسوريا، من أسرة عربية هيئت منذ أمد بعيد على المنطقة، فشهد المرحلة الأولى من احتلال الفرنج جزءاً من البلاد، وهي المرحلة التي عقبها الإستيلاء على القدس عام ١٠٩٩/١٠٩٩. توفي بعد سنة من استعادة صلاح الدين لشيزر، بعدما أمضى حياته محارباً مسيحيي مملكة القدس، وفي الوقت نفسه مسلمي الإمارات المعادية الذين كانوا يقسمون البلاد التي اجتاحتها الأتراك. على الرغم من ذلك تسى له، بحسب مذكراته الشخصية، الانصراف إلى متعني الصيد والكتابة المفضلتين لديه.

وبعدما قضى أسامة في خدمة زنگي تسع سنوات، من عام ٥٢٣ إلى ٥٢٣/١١٢٩ إلى ١١٣٨م، اضطر للمغادرة قصره في شيزر وأمضى ست سنوات في خدمة البوريين في دمشق، بين عامي ٥٢٣ و ٥٢٣/١١٣٨ - ١١٤٤م، فسنحت له الفرصة عندئذ للتوجه إلى المملكة اللاتينية إثر الاتفاقات التي عُقدت بينها وبين ملوك دمشق، فتنسّى له بذلك أن يراقب عن كثب الفرنج وعادتهم. ثم أرغم على الذهاب إلى مصر، حيث مكث عشر سنوات، عاد بعدها إلى دمشق ووضع نفسه في خدمة نور الدين، ثم غادر إلى إمارة حصن كيفا في بلاد ما بين النهرين العليا، قبل أن يعود إلى دمشق حيث عاش حتى وفاته. تعود شهرته، بوجه خاص، إلى كتاب مذكراته التي تنطوي على سرد عذب وقصم للعلاقات بالفرنج ولعافراته، محارباً وصياداً. نُقل كتابه هذا إلى لغات أوروبية عدة، وترقى ترجمته الفرنسية الأولى إلى نهاية القرن التاسع عشر.

الإستحسان، مصطلح عربي متخصّص، يعني لغوياً «إيجاد الأمر حسناً»، وفهنيّاً «البحث عن أفضل

نافارين سنة ١٨٢٧ وإلى إزالة وكر القراصنة في الجزائر بعد إنزال قام به الفرنسيون. لم يؤوض العثمانيون في ما بعد عن تأخرهم، على الرغم من المحاولة التي جرت في نهاية القرن التاسع عشر لتحديث البحرية والجيش، لا سيما في عهد السلطان عبد العزيز.

في غضون ذلك، حفل تاريخ البحرية الإسلامية بأحداث حصلت في المحيط الهندي حيث خسرت السفن العربية، منذ القرن الخامس عشر، الإمتياز الذي كان لها في القرون الوسطى أمام البرتغاليين، ثم أمام سائر الأوروبيين. إن المحاولات التي قام بها حكام اسطنبول والبوسفور، لكي يعطوا الأسطول العثماني مجالاً إستراتيجياً واسعاً في جنوب البحر الأحمر، باءت بالفشل، وأدت إحداهما إلى الحكم بالموت، حوالي السنة ١٥٥٤، على الأميرال ييري زيس الذي لم يتمكن من الإستيلاء على هرمز/بندر عباس. في البحار التي سيطر عليها الهولنديون أو البريطانيون، الذين خلفوا البرتغاليين، استمر بحارة الخليج العرب وبحارة الشواطئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية بنسبٍ مراكبهم الشراعية بصورة منتظمة نحو الصومال والجنوب وصولاً إلى الموزامبيق. إلا أن آخر حلقات الشبكة زالت بانحطاط السلطنة المحلية التي كانت، انطلاقاً من مسقط، قد بنت قوتها خلال القرن التاسع عشر، على المبادلات التقليدية بين منطقة عُمان الساحلية وجزيرة زنجبار الأفريقية والأراضي الساحلية المجاورة.

أسام، مقاطعة تقع في الطرف الشرقي للاتحاد الهندي، بين شرقي الهند وبنغلادش وبرمانيا، يشكّل فيها المسلمون ربع السكان تقريباً.

لم يدخل الإسلام وادي برهماپورا قبل القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، ولم يثبت وجوده الفعلي إلا بعد خضوع البلاد تدريجياً لسلطة المغول ابتداءً من سنة ١٦١٢/١٦١٢م. ومجاورة البنغال لهذه المقاطعة ومعارستها بعض السلطة عليها أدّى إلى هجرة متتالية لمسلمي السهل إليها، وهذه الهجرة تزايدت في المرحلة المعاصرة. وقد ترافق تنامي الإسلام مع ازدياد الحركات الإصلاحية التي عملت على محاربة التقاليد الدينية غير الإسلامية التي كانت أخذت بالاندماج

أنَّ اعتماده قديم بقدر ما يؤكِّد بعض المؤلِّفين . صحيح أنَّ هذا المنهج في البرهان مقبول لدى الفقهاء الشافعيِّين الذين يعتبرون المصلحة العامة تقوم على ملاحظة ما تريد الشريعة أن يناله البشر ، أي التمسك بالدين ، والحفاظ على الحياة ، وعلى العقل ، وعلى النسل وعلى الأموال ؛ لكنَّ الحنابلة ، كابن تيمية ، متحفطون بشأن هذه المسألة . ومع ذلك ، فإنَّ اللجوء إلى الاستصلاح يلقي بعض القبول في عصرنا ، وباسمه سُوِّغت الإصلاحات الفقهيَّة التي جرت حديثاً .

إسحق ، شخصية توراتية برد ذكرها خمس عشرة مرَّة في نصوص القرآن ، حيث يشارك إسماعيل الذي تنامي اعتباره في الفكر الإسلاميَّ اللاحق ، بصفته ابن إبراهيم وورث إيمانه التوحيدِيَّ .

قام بين مفسري القرآن الكريم ، في المصور الأولى ، تباين في الرأي بالنسبة إلى تضيحة إبراهيم الذي ، بحسب تقليد موافق لما ورد في العهد القديم ، قدَّم ابنه إسحق وليس إسماعيل ، في حين أنَّ هذا الأخير هو الذي اعتمد لاحقاً . وعُرف إسحق أيضاً في الروايات التي لها جذور يهودية-مسيحية ، التي يدعوها التقليد الإسلاميُّ الإسرائيليُّ ، كذلك في «قصص الأنبياء» التي ازدهرت في الأوساط الإسلاميَّة في القرون الوسطى ، والتي اغتنت نصوصها لاحقاً باستعارات من التقاليد العبرية المتأخِّرة .

أسد (بنو -) ، قوم قدماء من سكَّان شبه الجزيرة العربيَّة ، توازي شهرتهم شهرة بني نثرخ ، وتطلق التسمية على إحدى قبائل عرب الشمال الكبيرة المنحشرة مع بكانة من أصل واحد ، نزحت من نجد حيث كانت تترحل أيام النبي محمد (ﷺ) ، وانتقلت إلى العراق وأعالي بلاد ما بين النهرين حيث لا يزال «بني بدة» معروفين حتى اليوم .

عُرف بنو أسد في نجد ، قبل الإسلام ، من خلال ثورتهم على كندة . وكانت لهم علاقات متوتِّرة بالقبائل المجاورة ، وبخاصة ببني تميم وطوي ، وغطفان . كما حاربوا الدولة الإسلاميَّة الأولى في المدينة ، وذلك قبل اعتناقهم الإسلام سنة ٩هـ / ٦٣٠م ، ولكنهم ارتدُّوا عنه بعد موت النبي (ﷺ) . ثم اعتنقوا الإسلام نهائياً بعدما

الحلول ، وهو المفهوم الذي استند إليه بعض الفقهاء ، لا سيَّما في المذهب الحنفي .

عمد الفقهاء إلى الاستحسان للتعويض عن النقص الحاصل في المعطيات القرآنيَّة وفي السِّنة النبويَّة ، لاستنباط الشريعة . والاستحسان يستند إلى حديث ، ولا يشكُّل إلا وجهاً من التفكير الشخصيِّ أو الرأي . لكنَّ المنهج المعتمد في الإدلاء بالحجج ، والذي يتناقض في بعض الحالات مع القياس ويشوبه الكثير من الغموض ، جعله هدفاً لرفض الإمام الشافعي الذي رأى في الاستحسان مجالاً لأحكام اعتباطيَّة .

أستراخان (الاتحاد الروسي) ، مدينة على نهر الفولغا ، كانت تنتمي في أواخر القرون الوسطى إلى العالم الإسلامي تحت سيطرة الأمراء المنغول .

وبحسب التقاليد ، فإنَّ نشأة المدينة كانت عن طريق مستعمرة أسسها على الضفة اليسرى للنهر ، على بعد حوالي مئة كيلومتر عن بحر قزوين ، أحد الحجاج بعد قدومه من مكة المكرمة ويدعى حاجي تَرخان . هذه المدينة التي زارها الرحَّالة ابن بطوطة في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد ، نهبا تيمورلنك سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م ، لكنَّها نهضت من الأقاض وأصبحت مركزاً مهماً للنشاط التجاري في عهد خانات القبيلة الذهبية . ثم تحوَّلت إلى عاصمة لخانية مستقلَّة ، فاجتاحها الروس سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٤م ، على أثر سقوط قازان سنة ٩٥٩هـ / ١٥٥٢م . وفي سنة ١٧١٧م أنشأت دولة القياصرة حكومة أستراخان التي ألحقت ، سنة ١٩١٩ ، بجمهورية روسيا الفدرالية الاشتراكية ، مع الاحتفاظ باستقلالها الداخلي . وقد أصبحت بعد ذلك جمهورية كُلموكيا الاشتراكية السوفياتية . ومنذ منتصف القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد ، أصبح المسلمون في أستراخان أقلية .

الاستصلاح ، مصطلح عربيٌّ متخصص يعني «إيجاد الأمر مناسباً للمصلحة العامة» ، ويشكُّل ، فقهاً ، مفهوماً عمداً إليه بعض الفقهاء ، ولا سيَّما في المذهب المالكي . ساعد الاستصلاح على التحوُّض عن النقص الحاصل في المعطيات القرآنيَّة وفي السِّنة النبويَّة لاستنباط الشريعة . ومع أنَّ المالكيِّين لجأوا إليه ، لا يبدو

بحسب الأماكن والأعراق والعصور، والدول في عصرنا الحاضر، لمتغيرات عميقة طاولت بنيتها، محفظة باستمرار، استناداً إلى مقتضيات شريعة إجتماعية دينية استمرت حتى بعد بروز التشريعات الحديثة، بطابع وروح خاصين بالعائلة الإسلامية.

لقد أوصى القرآن بالزواج وتأسيس أسرة؛ إلا أن إتاحة نمط الزواج والتشريعات طبعت هذه الأسرة، منذ بداية الإسلام، بطابع خاص، في حين استمرت بعض العادات المتعلقة بالنسب والقبيلة والعشيرة التي طبع المجتمع العربي في الحقبة السابقة للإسلام في شبه الجزيرة العربية. واقع الأمر أن فكرة الأسرة غير متوافرة في البيئة الإسلامية، إلا في ما ندر؛ إذ يبنى الفصل بين الجنسين هو القاعدة، حتى إن الأمر يصل إلى تكيف هندسة المنزل بحسب ذلك؛ كما أن وضع المرأة ملازم للحرلة ولتهديد مستمر بالطلاق، وهي أمور تشكل أسباباً لعدم توازن الحياة الزوجية، رغم وجود عقد، في الأصل، يفترض فيه أن يؤمن نوعاً من الحماية للزوجة؛ كذلك، لا يجتمع الأولاد حول أمهم إلا في السنوات الأولى من طفولتهم حتى سن تختلف بحسب كونهم بنين أو بنات. من جهة أخرى، من شأن نظام الميراث أن يقضي بسرعة على الإرث الذي لم يكن ليكون في يوم من الأيام ملكاً عائلياً موحداً، إذ إن أملاك الزوج والزوجة أو الزوجات تبقى منفصلة. إن الضعف الذي ينشأ عن ذلك، والذي يتجلى، بشكل خاص، في وضع العائلات المالكة التي عليها أن تواجه، بحسب البيئة الإسلامية، صعوبات من نوع خاص، عندما يتعلق الأمر باستمرار السلطة المالكة، كان يعالج باللجوء إلى تشريعات مصطنعة كالإمكانات التي يقدمها نظام الوقف. إلا أنه جوبه، عبر العصور، بلعبة التأثيرات المحلية التي تُيسر لنماذج أُسرية متعددة أن تُجلب ميزات في هذا الخصوص - بإدخال التقليد أو العرف - محل ميزات العائلة المسلمة التقليدية، ففضية إلى توليفات جديدة يرتبط كل منها بمجموعة جغرافية معينة أو مرحلة تاريخية معينة.

وإنما تكن النزعة المحلية السائدة، سواء كانت تنتمي إلى النظام الأبوي أو، بصورة نادرة، إلى نظام

همهم أبو بكر سنة ٦٣٢/١١. وشاركوا لاحقاً في الفتوحات الكبرى، واستقروا في منطقة الفرات في سوريا، وخصوصاً في الكوفة حيث نشبوا.

في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، أسست إحدى عشائرهم المقرية من البويهيين سلالة صغيرة ولكنها مثاقفة، هي سلالة بني مزيد التي استقرت في الحلة، وناضت بني عقيل في الموصل قبل أن تزدهر في زمن السلاجقة الكبار، رغم أن بني أسد كانوا قد عادوا السلاجقة، عند قدومهم إلى العراق، إذ وقوا إلى جانب الباسميري الشيعي الموالي للفاطميين. وفي القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، أعطي صدقة بن منصور، أشهر الزيديين، لقب «ملك العرب». وكان قد جمع القبائل العراقية تحت إمرته، وكان يتحلى بمزايا الأشراف العرب، واعتبر مثلاً وقدوة.

ويعود سقوط إمارة الحلة سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م إلى ضعف سائر عشائر بني أسد التي كانت قد أفادت من شهرة تلك الإمارة، ففترقت تلك العشائر في العراق كله وصولاً إلى أعالي بلاد ما بين النهرين. وفي القرن التاسع عشر واجه أعقاب تلك العشائر صعوبات مع العثمانيين، كما عارضوا الملك فيصل سنة ١٩٢٥ لدى ولادة دولة العراق الحديثة بنظامها الملكي.

إسرائيليات، تسمية عربية تطلق على روايات من أصل يهودي - مسيحي (تاريخ الأنبياء التوراتيين، عبر قصصية أو موضوعات فولكلورية)، كان لها شأن في التراث الإسلامي.

هذه المرويات تُنسب إلى أشخاص غير معروفين جيداً في بدايات الإسلام، يصنفون أحياناً على أنهم من التابعين لصحابة النبي محمد (ﷺ)، كوهب بن منبه أو كعب الأحبار. وهذه الروايات المستعملة بشكل مبكر في التفسيرات القرآنية وردت عند شارحي القرآن وعند شراح الأدب المتبحرين، ولم تتوان عن إثارة بعض التحفظات، أحياناً، لدى الأوساط الإسلامية المتشددة.

الأسرة، فئة اجتماعية عُرفت، في اللغة العربية بمصطلح أهل أو آل، وخضعت في ديار الإسلام،

عليهم وأن يعين لهم، عند الضرورة، وصيًا، إذا لم يكن هذا الأخير قد عُيِّن بموجب وصية. ونستمر الوصاية حتى سن البلوغ التي تقررهما المذاهب الفقهية المختلفة.

اسطنبول (الجمهورية التركية)، إسم تركي لبيزنطية القديمة ثم للقسطنطينية. إنها مدينة منظمة وذات ماضي مجيد. احتلها السلطان محمد الثاني في ربيع الآخر ٨٥٧هـ/أيار ١٤٥٣م، فأصبحت العاصمة الرابعة للإمبراطورية العثمانية حتى ١٩٢٣.

كان اسم اسطنبول مستعملًا قبل الفتح وهو مأخوذ من اليونانية *eis tèn polin*. وينطبق، بشكل طبيعي، على المنطقة الواسعة القائمة بين القرن الذهبي، وبحر مرمرة وسور نيودوسوس، في مركز مميز يتحكم بممر البوسفور البحري، كما بالطرق البرية التي تتجاز تراقيا، ومنها تلك الآتية من البلقان مرورًا بسالونيك أو بلوفديف. في تلك الحقبة، لم تكن المدينة تشمل على الأحياء الخارجية في غلطة وأيوب واسكودار، التي تضمنها اليوم، ولا على الدساكر المجاورة المتعددة التي أصبحت أحياء حديثة. عندما احتل محمد الثاني المدينة الإمبراطورية التي كانت هدفًا للهجمات الإسلامية منذ القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، عمل جهد، لتحاشي النهب، وأعطى الأمان للهاربين، ودع اليونانيين إلى انتخاب بطريركهم الذي أصبح زعيم ملتهم، وذلك لمنع فراغ العاصمة، وقرر منذ وصول تحويل كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد جامع. وأمر، فضلًا عن ذلك، ببناء قصر في مكان الفورم توري، وإصلاح الأسوار البيزنطية التي أكملها بإنشاء قلعة جديدة، هي قصر يدي كول أو الأبراج السبعة، الذي بُني بين ١٤٥٧-١٤٥٨م، وحلّ مكان القلعتين العثمانيتين السابقتين على ضفاف البوسفور: «الأناضولي حصار» على الضفة الآسيوية، و«الروملي حصار» على الضفة الأوروبية. وكانت إحدى القلعتين قد بنيت على عهد بايزيد الأول منذ ٧٩٢-٧٩٥هـ/١٣٩٠-١٣٩٣م والأخرى على عهد محمد الثاني نفسه سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م، وكانتا قد شيدتا من أجل تهديد القسطنطينية والوصول إلى فتح تحقق منذ ذلك الحين. وأخذ السلطان العثماني إجراءات تنظيفية عدة، منها تحديد

يعطي السلطة للأم، فإنّ وضع الولد كانت تحدده الشريعة الإسلامية المستمرة من دون تغيير، بصورة عامة. والشريعة، في رأي الفقهاء، كانت تُجيز ممارسة انسحاب الرجل قبل الكفد تجنبًا للجل، شرط موافقة الزوجة إذا كانت زوجة شرعية، إلا أنّ ذلك يسقط إذا كانت جارية. بعد ذلك، يجري التمييز بين الأولاد الشرعيين وغير الشرعيين. فأشرعيون هم المولودون من زواج شرعي بعد انقضاء ستة أشهر على عقده، والمولودون من زواج سيد بجاريته في حال اعترافه بشرعيتهم. أمّا غير الشرعيين فهم الذين ولدوا من علاقة غير شرعية، أو الذين ولدوا خلال زواج شرعي، لكنّ الموائد لم يعترف بهم، وعلاقة هؤلاء الشرعية لا ترتبط إلا بوالدهم.

ثمة تقاليد عامة تقريبًا روعيت في بعض المناطق أو عبر بعض العصور واستمرت حتى أيامنا هذه، فصارت عُرفًا، كأن يُنلى في أذن الولد اليمنى، عند ولادته، الأذان وأن يختار الأب اسم الابن، والأم اسم البنت. وهناك تقاليد لم تتجاوز النطاق المحلي، فسادت في بعض البلدان، مثل المغرب، حيث كان القوم يحلقون رأس المولود، ولا سيما الذكر، خلال عامه الثاني، فلا يُبقون من شعره إلا على خصلة يطلقون عليها اسم «خصلة الحساب»، إشارة إلى آية قرآنية تذكر بالمذنبين الذين يُخزّون بخصلة شعرهم (سورة الملق، الآية ١٦). إلا أنّ شأنًا ساد في كل مكان وما يزال مرعي الإجراء حتى أيامنا، وهو أنّ كلّ ذكر ينبغي أن يخضع للختان، في سن غير محدّدة، وهو يشكل قاعدة مجاملة إجتماعية ومناسبة لاحتفال عائلي، في حين تخضع الفتيات لختان من نوع خاص لا يمارس إلا في مناطق محدودة جدًا. تقع مسؤولية الإنفاق على الأولاد على الأب. أمّا تربيتهن فتوكّل، عمليًا، إلى الأم التي تحتضنهن بقرىها حتى في حال الطلاق، وهي التي ترعى البنات حتى زواجهن. وفي ما بعد يتعهد الأولاد بسد حاجات والديهم عند الحاجة، وقد قضى القرآن بواجبات الأولاد تجاه والديهم ودعا إلى الرأفة بهما والقول الكريم (سورة الإسراء، الآيات، ٢٣-٢٤). أخيرًا، في ما يتعلق بالأولاد البناتي، يعود إلى القاضي أن يقرّر الوصاية

أحياء للمسيحيين المستفيدين من الأمان، وإسكان عائلات مسلمة ومسيحية ويهودية، معظمها من أصول ريفية في المدينة، أتية من الأناضول ومن الروملي وهذا ما يدل وجه المدينة. وسمح للبنادقة أخيراً بأن يأتوا إليها للتجارة، بعدما أقرّ نظام عهد الأمان أو «الامتيازات» الأجنبية في ١٤٥٤/٨٥٨م، مضيقاً نشاطهم إلى نشاط الحالبية الجنوبية في بير (Péra)، في الطرف الآخر من القرن الذهبي، وكانت هذه قد استسلمت بشروط في ٨٥٧/١٤٥٣م، وتمكّنت، لاحقاً، من المحافظة على وجودها وتجارها البحرية.

في العاصمة العثمانية الجديدة التي حلّت محل بورصة وأدرنة، احتلّ القصر وَسَطَ العاصمة، على مسافة قريبة من المسجد الجامع، ونُظِّمَتْ سوقٌ في جواره، حول مبنى مغلق يدعى «يدستن»، وخانات تتيح الإقامة للتجار العابرين. في ما بعد، كبرت أحياء أخرى في الأحياء التي تعاقبت فيها الإنشاءات السلطانية، والمساجد الجامعة ومجمّعات هندسية من نمط «كُلِيَّة» (Kulliyé)، كانت تُرفَقُ، في غالب الأحيان، بأسواق تؤمّن مداخيلها نفقات الصيانة. وأوّل هذه المجمّعات كان الذي بناه محمد الثاني نفسه وحمل لقبه «القاتح»، وقد بني لبضاهي آيا صوفيا، وأنجز في ١٤٧١م، وبمحافظ حتى اليوم على عناصر تعود إلى هذه الحقبة، مع أنّه أخضع لعملية ترميم مهمة في القرن الثامن عشر إثر الهزّة الأرضية في ١٧٦٦. كان المسجد الجامع المركزي محاطاً بشماني مدارس، ومستشفى، وخان، ومساكن للمدرّسين، وحمام ضخّم وسوق. ولصيانة هذه الأبنية المختلفة وترميمها، كان يفترض استعمال مداخيل الأوقاف التي تألفت من مخازن وحمامات.

والى منشآت من هذا النوع التي ظهرت على مفصل القرنين التاسع والعاشر للهجرة/الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، تنتمي مجموعة المباني التي شيدها بايزيد الثاني بين ١٥٠١ و ١٥٠٥م، ليس بعيداً عن القصر القديم، وفيها يبرز الجامع الكبير الذي يشرف، حتى اليوم، على إحدى الساحات المهمة من المدينة الحالية. وخلال القرن السادس عشر، ظهر في ما بعد، بأمر من سليمان القانوني، مجمّع جامع السليمية

(Selimye Cami) الذي أنشئ بين ١٥٢٠ و ١٥٢٢م، تخليداً لذكرى أبيه سليم الأول؛ وبين ١٥٤٤-١٥٤٨م المجموعة التي تحمل اسم جامع شاهزاده، وذلك إكراماً لأحد أولاده؛ وبين ١٥٥٠ و ١٥٥٧م، شُيِّدَت المنشآت التي تحمل اسمه، جامع السليمانية. كلّ هذه المباني تعود إلى المهندس الشهير سنان. والعنصر الثابت في سقف كلّ الجوامع هو أنّ القبة الكبرى تحتلّ المركز الرئيسي بتقليد آيا صوفيا، وهي تستفيد من الدعائم التي تشكّلها القباب النصفية ذات الأحجام والأعداد المختلفة. وهناك أبنية أخرى كثيرة في اسطنبول، دينية أو مدنية، تبرز معالم هذه الحقبة المعروفة باسم «حقبة سنان»، بين ١٥٤٠ و ١٥٨٨، حيث شُيِّدَت، على نفقة أشخاص بارزين، أبنية فاخرة من أمثال مساجد ميحرمة (Mihrima)، ومسجد رستم باشا، وكذلك مسجد كليج علي باشا. في وقت لاحق، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، بينما تجاوز التجنّع السكاني أسوار القسطنطينية القديمة، رأت النور منشآت أخرى مردها إلى الإرادة السلطانية، بخاصة تلك العائدة لأحمد الأول وهي تحيط بجامع الأحمدية (Ahmadiye Cami) المعروف أحياناً بالجامع الأزرق، وقد بُني في سنتي ١٦٠٩ و ١٦١٠م، وكان يجاور مركز الميدان البيزنطي الذي حوّل إلى ساحة عثمانية؛ وكذلك جامع بني وليد (Yeni Valide Cami)، الكائن قرب المرفأ، وقد بدئ به على يد السلطانة صفية (Safaye)، أمّ محمد الثالث، في ١٥٩٧م، ولم ينته إلا في ١٦٦٠م على يد أمّ محمد الرابع. وكذلك، وفي أيوب (Eyüp)، سنة ١٨٠٠، أعاد سليم الثالث بناء ضريح أبي أيوب، من صحابة الرسول (ﷺ)، هذا الضريح الذي كان محمد الثاني قد بناه في ١٤٥٧م.

في القرن السابع عشر، لم تتوقّف مدينة اسطنبول عن النمو. فقد عرفت مجرّاً تصميماً مدنياً جمع، في الوقت نفسه، تراث البلاد الإسلامية وطرز التراث البيزنطي. كانت المدينة تعدّ ثلاث عشرة منطقة، وفي كلّ منها، عدد من الأحياء تُدعى محلة. وكان السكان فيها متضامنين ومسؤولين عن ضبط الأمن، وإمام الجامع هو ممثلهم لدى السلطات. وكان سكّان المحلة من

والحاشية موزعين على أربعة قصور متعاقبة، تحيط بها الحدائق. والقصر الحقيقي يبدأ في الثالث حيث يفتح المئذنة المؤدي إلى المساكن الخاصة ودار الحرم. هناك أيضًا ارتفع الجناح الفخم لقاعة الاستقبال ومكتبة محمد الثالث. والقصر الرابع أخيرًا يحتوي سطوحًا مزروعة بالأشجار حيث تتلاقى أجنحة وأكشاك من كل الأنماط معدة للاستقبال، وأهمها اثنان يحملان اسم بغداد وبريقان، وقد بنيا في القرن السابع عشر، والأحدث منهما واحد شُيّد سنة ١٨٤٠، باسم عبد المجيد. وفي الواقع، فإن السلطان سليمان لم يتخذ من القصر الجديد مقرًا له إلا ابتداء من سنة ١٥٤٠م، وانتقلت، في مرحلة لاحقة، دار الحرم إلى هذا المجمّع الفاخر، الذي ظلّ عرضة لإضافات مختلفة وفخمة حتى القرن التاسع عشر. في هذه المرحلة شُيّد القصران المتأخران اللذان اتخذا مقرّين للسلطين، وهما خير شاهدين على التجديد الذي عرفته الهندسة المعمارية التركية المتأثرة بأوروبا. إنهما قصر دالمابهجت العائد إلى سنة ١٨٥٣ حيث استقرّ السلطان عبد المجيد، وقصر يلدر الذي سكنه عبد الحميد الثاني ابتداء من سنة ١٨٧٧. هذا الخليط من الاستعارات المعمارية الأجنبية والتقاليد المعمارية المحلية، الذي يميّز هذه المباني، يعكس، على مستوى المساكن الأميرية، التحولات التي طبعته، في المرحلة الزمنية نفسها، مجمل المنشآت في مدينة اسطنبول. هنا أفسحت الأساليب الأوروبية، كالبازوك (baroque) والروكوكو (rococo)، التي تأقلمت في القرن الثامن عشر، منذ إنشاء السُل، كسييلي أحمد الثالث وطوفان، والمساجد، كمسجدي نورعثمانية ولاللي، أفسحت في المجال أمام البحث عن الحداثة. وهذا ما تشهد عليه، حتى اليوم، المباني المشيدة في أواخر القرن التاسع عشر، والمحافظة عليها، في الشوارع الضيقة بالحياة في غلطة وبيرا. وفي الوقت نفسه، تطوّرت بعض وجوه التنظيم المدني، الذي ما لبث أن اتسع ليشمل مباني سكنية مشيدة بأسلوب ريفي فاخر، وهي تُعرف بـ«باللي»، وتمتدّ بواجهاتها الخشبية على ضفتي اليوسفور حيث بُني بعضها على أعمدة.

الطائفة عينا. وكان هناك في العاصمة إذاً أحياء مسلمة (٢٥٣) في وسط القرن السابع عشر، وأحياء غير مسلمة، تضمّ اليونانيين والأرمن واليهود (٢٤) في الحفبة نفسها). ويقع في وسط الحي مكانُ العبادة وهو جامع أو كنيسة أو كنيس. وإذا كان العديد من الكنائس تحوّل إلى مساجد في زمن الفتح، نمشيًا مع القاعدة المتبعة بالنسبة إلى البلاد المفتوحة عنوة، إلا أنه تحت المحافظة على بعضها لمصلحة السكّان المسيحيين، كما أنشئت أخرى لاحقًا. وفي الواقع، كان غير المسلمين يسكنون خاصة في شمال القرن الذهبي وعلى طول اليوسفور، في ضواحي وأقمة خارج الأسوار، كان عددها يوازي تقريبًا عدد الأحياء داخلها، ما يشير إلى نموّ التجمّع السكّاني. والفرنج الذين أقاموا في اسطنبول، بفضل جهود الأمان، سكنوا حصريًا في بيروا وغلطة، حيث الجالية الجنوبية القديمة، وقد تمّ الحفاظ عليها إبان الفتح التركي، فكان حيّها يُستخدم، منذ ذلك الحين، لاستقبال الأجانب المسيحيين، وفي وقت لاحق استخدم مركزًا للسفارات الأوروبية. ساهم ازدهار تجارة هؤلاء الأجانب مع بلادهم الأثم في الغنى الاقتصادي لعاصمة تحمي نشاطها التجاري والحرفي الخاص بها، وهو يضمّ صناعة الكساليات وتجارتها، وكذلك المشاغل الصناعية، وبناء السفن في الترسانة الجديدة في القرن الذهبي.

أما بالنسبة إلى القصر السلطاني الذي بني أولًا في الجزء الوسطي، فقد نُقِلَ منذ عهد محمد الثاني إلى موقع الأكروبول البيزنطي القديم المشرف، في الوقت نفسه، على اليوسفور والقرن الذهبي وبحر مرمرية. وفي ١٤٦٥م، بدأت الأعمال في بناء هذا القصر الجديد الذي أصبح صالحًا للسكن حوالي ١٤٧٣م. إلا أنّ محمدًا الثاني استمرّ بتخصيص جزء من وقته في أدرة، وبقي الحرم السلطاني، سنوات عدة إضافية، في القصر القديم الذي لم يُهمل. والقصر الجديد الذي اتخذ اسم توكياي سراي أو «قصر باب المدفع»، تميّز ببوابة ضخمة تدعى باب هُمايون. ويحتوي أبنية عدة مخصصة للإدارة أو للخدمة والاستقبالات وسكن السلطين، يحيط بهم حرسهم وحاشيتهم. وكان أفراد الحرس

الثاني الفاتح بعد دخوله القسطنطينية. إن أبرز منشآتهم العمرانية، كما تشهد على ذلك مباني الأمير اسماعيل بك في قسطنطيني، مع جامع وضريح ومدرسة و«عمارة» وخان وحمام كبير، تنتمي من حيث الأسلوب الهندسي إلى بدايات الفن العثماني. فضل خلفاؤهم أن يُسموا «قول أحمدلوا».

« راجع المستند ٢٢ و ٢٧.

الإسكندر الكبير، شخصٌ ذُكر في القرآن الكريم على أنه ذو القرنين.

وفاق رواية وردت في القرآن (سورة الكهف، الآية ٨٣ وما بعد)، بنى ذو القرنين، دفاعاً عن شعب مهجور، جداراً معدداً لإيقاف [زحف] يأجوج ومأجوج. كما أنه قال بثواب الذين سيؤمنون، من دون أن تُطلق عليه في التقليد الإسلامي القديم صفة النبوة.

في مستهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، تحولت شخصيته الأسطورية - كما نفيذ آثار نظامي الشعرية، المكتوبة بالفارسية والمستهلقة من أحداث «قصة الإسكندر» - إلى بطل إسلامي، مقاتل شهيم وأمير نموذجي، خالق بزعه وحكمته لأن يرتقي إلى مكانة نبي. منذ ذلك العهد الذي شهد ازدهار «تكريم الأولياء»، نجد في دليل المهزوي مزارات باسمه أقيمت في مصر وسوريا والمنطقة العليا من بلاد ما بين النهرين.

إسكندرون (سنجق)، أو إيالة ختاي الحالية في إطار الجمهورية التركية، لواء أدى إلحاقه النهائي بهذا البلد عام ١٩٣٩، بعد خمسة عشر عاماً من الانتداب الفرنسي تقريباً، إلى تغييره في العمق من دون أن تسوّى فيه مسألة الأقليات.

إنّ هذه المنطقة التي رُسمت حدودها بعد الحرب العالمية الأولى، في معاهدة لوزان عام ١٩٢٣، كانت تضيق مقاطعة فُصلت عن إمبراطورية العثمانيين لُصِّمَ إلى سوريا الواقعة تحت الانتداب، وهذا رغم السمة التركية الغالبة لسكانها ولغتهم التركية. وقد اعترف بهذه السمة يومئذٍ، إذ استمر استعمال اللغة التركية، وكذلك وجود موفلين من الأتراك [في المنطقة]. كان

بعد هذا التاريخ العثماني الطويل الذي تشهد عليه لبقايا الهندسية المتعددة، توثقت اسطنبول، في ١٣ يول ١٩٢٣، عن أن تكون عاصمة للجمهورية التركية لجديدة، وحلّت محلّها مدينة أنقرة. ومع ذلك، ستمتّز المدينة مرفأً كبيراً، على خطّ العبور البحري بين البحر الأسود وبحر مرمرة، المنفتح بدوره على لبحر المتوسط. كما استتمّت مركز نشاط تجاريّ، مركزاً ثقافيّاً وفتياً من الطراز الأول، يشتمل مثلاً على جامعات حديثة عدّة. ظلّت اسطنبول، التي يقارب عدد سكانها الثلاثة ملايين نسمة، تتوسّع، بخاصّة بعد بناء جسر على اليوسفور، ما أتاح بناء أحياء سكنية جديدة على ضفّة الاسيوية.

« راجع المستندات ٢٦-٢٧، و ٨٢-٨٦.

الأسطول ← الأساطيل البحرية الإسلامية.

لاسفندياريون، أو اسفنديارو أغوللري، أو لجنداريون، ٦٩٠-٨٦٥هـ/١٢٩١-١٤٦٦م، سلالة ن البكوات التركمان من زمن الإمارات، حكمت في لفسم الشمالي - الغربي من الأناضول. ظهر هؤلاء لأمرأ على الساحة السياسية زمن الاستيلاء على سطموني (عاصمتهم المستقبلية)، على يد يمان باندار أو تشندر، وهذا اللقب الأخير يفسّر تسمية جنداريين أو تشنداريين التي أطلقت أحياناً على هذه لسلالة. وكانت فضيلتهم الرئيسة هي الحفاظ على لسلطة، حتى بعد انقضاء القرن الثامن الهجري/الرابع شر الميلادي، في هذه المنطقة من البطس، فلاخونيا لقديم، الغنيّة بالموارد الزراعية، والمنجمية خاصة، حيث إنهم تفاهموا مع العثمانيين، في سبيل الصمود طريفة أفضل أمام أطماع جيرانهم الأقرباء، هؤلاء لعثمانيين الذين سينتفون عليهم بعد مدة قليلة.

بعد أن استعادت عائلتهم العرش في ٨٠٥هـ/١٤٠١م، على أثر انتصار تيمورلنك في معركة أنقرة على بايزيد الأول يلدرم الذي كان قد أخضعهم في ٨٧٩هـ/١٣٩٣م، لم يتنازلوا كلياً عن أراضيهم - التي كانت تمتد من بولو وقلعة تشانكيري حتى شواطئ لبحر الأسود، حول سينوب وسمسون - إلّا لمحمّد

التدمير المتتالي الذي أنزلته بها الحروب العربية البيزنطية حتى العهد الصليبي. وفي مرحلة لاحقة، لم تتمكن من أن تستفيد من دورها المرفئي كمفد تجارو لمدينة حلب في سوريا، وهي مرفأ في كامل نمو، ولكن يصعب الوصول إليه بسبب التضاريس. أخيراً تميّز مصيرها، بعد زوال الأباطورية العثمانية، بالتنازل عليها من قبل الدولتين المعاصرتين المجاورتين، سوريا وتركيا، فلم تحقّق الازدهار المرجو، حتى بعد ضمّها نهائياً إلى تركيا في ١٩٣٩، وتحسين بُناها المدن والبحرية.

الإسكندرونية (جمهورية مصر العربية)، مدينة مرفئية تقع شمال غربي دلتا النيل، وتتميز حيويّتها الراهنة كحاضر منفحة على التجارة العالمية وكمدينة تجذب الجاليات الأجنبية، إلى أنّها بقيت، منذ بدايات الإسلام، أمانة علم ما كانت عليه، وأنّها ورثت نشاطها التجاري من العهود القديمة.

هذه المدينة القائمة على تخطيط منتظم أسّسها الاسكندر الكبير سنة ٣٣٢ قبل الميلاد، وقد جُمعت ثم ثمانية شوارع واسعة تقطعها ثمانية طرق مستقيمة، وما ما بهر المحاربين العرب المسلمين خلال الفتوحات الكبرى، بعدما فتحوها سنة ٦٤٢/٢١، واضطّروا إلى فتحها مجدداً سنة ٢٥٠/٦٤٥ في أعقاب هجوم بيزنط معاكس. وكانت أحيائها الفخمة ترتبط، عن طريق سدّ بجزيرة فاروس التي ارتفعت في آخرها المنارة الكبيرة وقد اعتُبرت المنارة إحدى عجائب الدنيا التي طالع أثنى عليها أدباء القرون الوسطى، إذ إنّ انهيارها الكمل لم يقع إلّا في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد وكانت الجزيرة تحمي مرفأ مزدوجاً، حافظ على نشاط التجاري بعد الإحتلال الذي أبقي القسم الشرقي من المرفأ في أيدي المسيحيين وجعل القسم الغربي مر حربياً للمسلمين. وجاء هذا الوضع مختلفاً عمّا تحوّل إليه المدن البحرية الأخرى في الشرق، إذ ضُمَّت إلى العالم الإسلامي وغدت أماكن محصنة في الحرب ب بيزنطية.

لقد حافظت الإسكندرونية في العهد الأموي وأوّل العصر العباسي على دور مزدوج، فكانت قاعدة بحري

السكّان الأصليّون هناك الذين تعرّبوا وأسلموا منذ الفتوحات الكبرى، وهم في أكثرهم سنيّون، قد لازموا تلك البلاد، إلى جانب مجموعات عربية وأرمينية بقيت على مسيحيّتها، وبخاصة مجموعات نصيرية كانت تسمّى «الملوئين» غالبية عليها.

إنّ التخلّي عن السنجق لتركيا، عقب مظاهرات أخذت تشع ابتداءً من العام ١٩٣٠ ومفاوضات فرنسية- تركية سبقتها اتّفاق جنيف المعفود في عصبة الأمم عام ١٩٣٧، استتبع، على الفور، هجرة قسم من السكّان، بخاصة الأرمن والعرب المسيحيّين والملوئين. مع ذلك، خلّف الملوئين ورائهم، بعد أن خسروا ثلثي عددهم، مجموعة مهمّة (عشر السكّان، تقريباً) تكفي ليبقى الوضع الداخليّ متأثراً بها. على هؤلاء تُطلق تسمية علوي، ومعارضتهم للسلطة المركزية زداد بسبب المصاعب الاقتصاديّة في منطقة محاطة بالحدود السورية وذات نشاط ضعيف، بحيث أنّ الازدهار النسبي لمرفأ الإسكندرونه لا بمؤوض الركود الذي يضرب أنطاكية.

الإسكندرونه (الجمهورية التركية)، في الفرنسية Alexandrette، مدينة مرفئية في داخل الخليج الذي يحمل الاسم نفسه، تحميها جبال الأمانوس الساحلية، أصبحت عاصمة لمقاطعة هاتاي، سنجق الإسكندرون القديم.

إنّ التاريخ المعاصر لهذا التجمّع التجاري والصناعي فرضته جزئياً المشكلات العرقية والدينية، العائدة إلى الاختلاف اللغوي لسكّانها الذين هم مزيج من الأتراك والعرب، وكذلك إلى وجود النصيرية، المعروفين باسم الملوئين الذين يرتبط ممثلوهم بعلاقات مع العلويين في سوريا.

إن هذه المنطقة، التي كانت في القرون الوسطى جزءاً من الأباطورية العربية-الإسلامية منذ الفتوحات الكبرى، والتي وجدت نفسها ملحقة، منذ العهد الأموي، بأرض فنسرين، قبل أن تنتسب إلى «الأطراف الحدودية»، لم تتمكن إطلاقاً من أن تتطور بشايط. فضلاً عن أنّها تفتقر إلى عمق يسمح لها بالإفادة من واقعها الشاطئي، كانت أيضاً تتأذى بفعل

وكذلك النسيج على أنواعه ومنه المقصَّب أو البروكار، وكذلك المطرَّز وهي من الأنواع التي نَجُزُّ في مشاغل الدولة.

والإسكندرية التي حافظت قلعتهَا على هيبتها حتى العهد العثماني، كانت كذلك مركزاً فكرياً ودينيّاً، وفيها ازدهرت مدرسة المذهب المالكي، بفعل العلاقات البحرية مع أفريقيا الشماليّة. ومع انتهاء عصر الفاطميين الذين نشروا العقيدة الشيعية بناءً على الدعوة الإسماعيلية، تأسست مدرستان سنيّتان جاءتا تكملان الأبنية التي شيدها صلاح الدين لاستقبال العلماء المغاربة، وتكاثرت المدارس في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، بفضل المؤسسات التي أقامها عدد من التجّار الأغنياء. ومقابل ذلك، لا نعرف بوضوح تواريخ مساجد المدينة التي حلّت بأكثرها مكان كنائس قديمة. نذكر أخيراً أنّ الإسكندرية عرفت عدداً كبيراً من الرباطات التي كانت، في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، أمكنة اختلاء أو تعليم يقصدها العلماء والأقنياء.

والإسكندرية التي لم تعد تشكّل المرفأ الذي يتحكّم بحركة التجارة في البحر الأحمر، بعد إنجاز قناة السويس في أواخر القرن التاسع عشر، بقيت مع ذلك محافظة على أهميتها البحرية والتجارية في العصر الحديث، كما أنّ عدد سكانها يتزايد باستمرار.

◀ راجع المستندات ٨، ١٠، ١٢، ١٣، ٢٠، ٢٤.

أسكودار (الجمهورية التركية)، تسمية تركية للمضاحية البيزنطية «سكوناري» قديماً، كانت تقع في مواجهة القسطنطينية، على الضفة الآسيوية من البوسفور، واستمرّت في الثنائي، بعد الفتح العثماني وانطلاق اسطنبول.

يطابق ذلك الموضع كيريزبوليس القديمة التي اجتاحت غير مرّة، في حين أنّ القسطنطينية قاومت، في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، الحصار المتكرّر للجيوش العربية - الإسلامية. احتلّت سكوتاري - التي لا يزال أصل تسميتها غامضاً - من قِبَل طلائع العثمانيين بُعيد نيقيا/إزنيك، أي نحو عام ١٧٣١هـ/١٣٣١م، واشتهرت بصفتها مقرّاً للحياة

حرية مجهّزة بترسانة لصناعة السفن وترميمها، كما كانت ملقبة المراكب التجارية. وبدت المدينة في ذلك العهد بمظهر هندسي طالما تحدّث عنه المؤرخون بإعجاب، كما رُممت فيها أبنية قديمة لاستعمالها مجدداً. وقد بنى فيها عمرو بن العاص المسجد الجامع، وأُحيط بعد ذلك بسور يعود الفضل في إنجاز قسم كبير منه إلى الخليفة العباسي المتوكل، وقد رُفِع السور لحماية المدينة من الهجمات البحرية على الأخص. أمّا الحكام الذين توالوا على حكمها واستقروا فيها فقد ظلّوا حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) مستقلّين عن ولاة مصر.

مع الخلافة الفاطمية عرف مرفأ الإسكندرية بمجملة نهضة جديدة، ساعد على قيامها تزايد النشاط التجاري والعلاقات المتواصلة مع الغرب الإسلامي وغير الإسلامي، خصوصاً مع المدن الإيطالية، كما تكثّفت الحركة التجارية في عهد الصليبيين وفي ظلّ حكم لمماليك. فشهدته الرحالة ابن بطوطة، كانت لإسكندرية، في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، من أهم المرافئ في العالم، تقع على ملقى طرق يسهل نقل البضائع بين جنوب الجزيرة العربية والهند والشرق الأقصى من جهة، وأوروبا المسيحية والمغرب من جهة ثانية. وقد خُصّصت الفنادق للتجّار لأجانب الذين لم يكن لهم الحقّ في الانتقال إلى البحر لأحمر حيث كان تجار التوابل من المسلمين يؤمّنون نقل البضائع. وكلّ ما كان يمرّ عبر المدينة كان يخضع فور إنزاله للرسوم الجمركية التي تختلف نسبتها باختلاف المصدر ودين صاحب السلع ومكان إقامته، إذ قد يكون من أبناء البلاد الإسلامية كما قد يكون غريباً عابراً، وهذا ما دوّنه الرحالة ابن جبير وحفظه في رحلته خلال القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. وكان ليهار والتوابل بعامة من السلع الرائجة وكذلك المرجان. وكان جهاز خاص من الدولة مكلفاً ببيع التجّار المسلمين السلع المستوردة، في حين أنّ جهازاً آخر من قبل الدولة أيضاً كان يؤمّن تصريف السلع التي يشتدّ تصديرها صفة الاحتكار. من تلك السلع نذكر حجر الشبّ الذي كان مطلوباً بكثرة في الغرب،

قبول داخلي بالديانة. وبالتالي، يمكن وجود إسلام من دون إيمان. وهذه حال المناققين الذين رفضهم الإسلام. في أزمنة مختلفة، بدأ بعهد النبي محمد (ﷺ). لكن بوجه عام، يتحدد الإسلام كديانة بالانتماء إلى عقيدة حددتها شيئاً فشيئاً المدارس الفقهية المتعددة وبالمحافظة على شريعة تجمع قواعد اجتماعية وموجبات شعائرية. هذه الشريعة كانت موضوع التفكير المستمر لدى المتخصصين بالفقه أو الفقهاء المنتظمين في مدارس فقهية مختلفة.

ويتميز الإسلام أيضاً باستمرارية أخلاقية تبدو صعبة التحديد، ومع ذلك، فإن تأثيرها ساهم في بلورة معنى توحيدي للكثير من المواقف الشخصية. هكذا ساهم الإسلام في توليد مفهوم للجماعة، تأسس خلال الحقبة الأولى من تطوره. ولم يتوقف عن الهمنة لاحقاً علم تاريخه، رغم الشروح الكثيرة التي تناولته والانقسامات التي نشأت عن وجود الفرق المختلفة.

هذه الجماعة، التي يوحدتها شعور بالتضامن يؤثر لها اللحمة الداخلية، كانت في الواقع وبموجب فرض الجهاد، الأداة الفضلى لنشر الديانة الجديدة، وقد أذن لاحقاً إلى نشوء دول جديدة، وأميراطوريات فاتحة. وقد ساعد على ذلك واجب الجهاد أو الحرب المشروعة وهكذا إذا ظهر البعد الشاسع، الجغرافي والسياسي «المدى» إسلامي، حدد بدوره تطوّر الإسلام، في واقع الاجتماعي-السياسي، كما في خصوصيته الدينية التي أثّرت فيها بعمق الخلافات المتعلقة بانتقال السلطة وتنظيمها. وسبق أن ذكرنا أن السلالات المتخاصمة دافق كل منها عن مقامحه الخاصة التاريخية وجسد في دوا متنايزة، الذهنية المشايعة التي تستلهمها. ولكن العالم الإسلامي نفسه، الذي كان قد نشأ من توحيد بلدان متنوعة السكان وذات تاريخ مختلف، لم يتوقف عن معاناة نتائج اتجاهات هذه البلدان المستمرة نحو الانفصال. لقد عرف الإسلام عبر العصور تحولات سياسية واجتماعية كثيرة، أثرت في الشرق الأوسط العربي-الإسلامي، الذي بقي دائماً قلب العالم الإسلامي، كما في المقاطعات البعيدة حيث تمّ تفاعل عبر الاحتكاك بتقاليد غريبة، أدى إلى إنجازات مختلفة

النسكية، عُرفت بخواتمها المصوّفة الكثيرة. بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م، تحوّلت إلى مركز مهم للأنشطة التجارية، على مخرج طرق القوافل في الأناضول، وشبّنت فيها خانات. شيدت فيها أيضاً مساجد أبرزها، من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، بمبادرة من نساء الحريم السلطاني اللواتي كنّ في أكثر الأحيان أمهات ملوك غدود سلطانات وليدة وفاق وضعهنّ الشرعي الإسلامي المعروف بأُمّ الولد. كما أُقيمت فيها أبرز مدافن العاصمة.

حافظت أسكودار في المرحلة الحديثة، لفترة أطول من استنبول، على السحر القديم لمشاهدتها الطبيعية، رغم تحوّلها رصيفاً للمراكب الآتية من الساحل الأوروبي، ما أدّى إلى توجّهها، في القرن التاسع عشر، نحو التجارة. لكنّ الازدهار الناجم عن ذلك الوضع انحصر، مؤخّراً، لمصلحة ضاحية أسبوية أخرى تقع على شاطئ البوسفور، أكثر قرباً إلى الشرق، على مقربة من الجسر الذي بات يتيج عبور المضيق.

« راجع السند رقم ٨٣. »

الإسلام، اسم تروا به، في نصّ القرآن، الديانة التي دعا إليها النبي محمد (ﷺ) في القرن السابع الميلادي، وأخذ يدّ في ما بعد، في البلاد الغربية، على العالم الذي انتشرت فيه هذه الديانة عبر العصور، وعلى الحضارة التي نشأت فيه.

نقرأ في إحدى الآيات «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُوَ أَلْحَمُّ الْمَوَاقِدِ» (سورة آل عمران، الآية ٩٦)، وفي آية أخرى تبدو أوفى دلالة: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ الْإِسْلَامِ» (سورة المائدة، الآية ٣). إنّ المصطلح العربي الوارد في الآيتين، والذي يعني لغوياً «الخضوع لله»، يظهر دائماً وكأنه الفكرة-المفتاح للدعوة الجديدة، بينما لفظة مسلم (جميعها مسلمون)، وهو اسم الفاعل من المصطلح السابق، كانت تُطلق على الذين قبلوا الإسلام، ومنه تولّد مصطلح «Muslimano» بالفرنسية.

هذا المفهوم البسيط للإسلام، الذي يقود إلى الإقرار الإيماني الصريح بالشهادة، وإلى التزام الواجبات التي يفرضها الشرع، يتناقض مع الإيمان، الذي هو

كالحروب الصليبية في الشرق أو استرجاع إسبانيا وحوض الدانوب في أوروبا، ومشاريع تجارية أيضاً، مرافقة لنمو التجارة الإيطالية والفرنسية التي ثبتت أقدامها شيئاً فشيئاً في «أساك» [مراقر] المشرق، وأخيراً مشاريع استعمارية لم تزل واضحة النتائج، وهي وراء رذات الفعل الحالية في بعض البلدان الإسلامية. هذه الظروف المتنوعة، التي أتاحت لأشكال

معينة من المجتمعات التجدر في هذه المنطقة أو تلك، والازدهار والتعبير عن ذاتها بآثار مبهورة بخانمها، يقابلها عدد كثير من الثقافات المحلية التي لم يخلُ طابعها الإسلامي دون تجدرها بشكل عميق في الزمان والمكان. فالإسلام التركي في الحقة العثمانية، والإيراني في ظلّ السلالة الصفوية، والهندي على عهد المغول الكبار، وهي أمثلة يعرفها الجميع، أنتج أعمالاً إبداعية تحتلّ فيها الديانة الإسلامية موقع الصدارة، ولكنها لا تمنع تأثير تيارات أخرى ذات طابع خاص، مميز، إلى حد بعيد. وقریباً مما جاءت مشاكل الدول الإسلامية الحديثة، لتبرهن على إمكانات تطوّر المبادئ وطرق الحياة التي نخطى إن غلّطنا أنها لا تُسنّ (د. وج. سورديل، حضارة الإسلام الكلاسيكي).

الإسلام (صورته وتأثيره في أوروبا في القرون الوسطى)، صورة في تطوّر دائم عانت، في شكل مستمرّ، حتى القرن السادس عشر، من ارتدادات العلاقات ولا سيما العسكرية منها، هذه العلاقات التي غالباً ما كانت تتفاقم على الصعيد الديني، فكثفتها مارست على الفكر الأوروبي تأثيراً عميقاً في مجالين زمتين هما العلوم والفلسفة.

١- كان الغرب الأوروبي، في القرون الوسطى، في مواجهة مستديمة تقريباً مع الإسلام. فالمواجهات العسكرية لم تتوقف في شبه الجزيرة الإيبيرية منذ مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، حتى نهاية مملكة غرناطة في ١٤٩٢م/٨٩٨م. كانت المواجهات مرحلية في صفية، التي احتلّها العرب من ٢١٦م/٣١١م إلى ٤٦٤م/١٠٧٢م، وكذلك في إيطاليا الجنوبية. وتجذدت المواجهات في الشرق على عهد الصليبيين (٤٨٨-٦٩٠م/١٠٩٥-١٢٩١)، بينما الأمبراطورية

جداً عما تحقّق سابقاً. وهكذا نشأت، على أنقاض الأمبراطوريات الأولى الموحدة الناتجة عن الفتوحات العربية، ممالك أقلّ اتساعاً، اتخذت، لأسباب اقتصادية وبالنظر إلى أطماع السلاط، أحجاماً مختلفة، بدءاً من الإمارة الصغيرة المستقلة الملتقة حول أميرها المحلي، وصولاً إلى التجمّع الهش لمقاطعات جمعها بالقرعة فاتح محظوظ.

وفي الوقت نفسه، لم تتوقف عن التداخل عناصر ثمايز جديدة، عائدة خاصة إلى دخول سلمي بضيء أو إلى غزوات عنيفة قامت بها شعوب غير عربية خارجة من السهوب الآسيوية أو من الصحارى الأفريقية، كانت مستعدة في غالب الأحيان للأسلمة بسرعة، ومع ذلك كانت تتغيّر بظهورها أوضاع التوازن السابق. ونحن نعرف مدى تأثير دخول الأتراك البطي في تحويل سيماء الدولة العباسية، سواء في مقاطعاتها البعيدة أو في حواضرها العراقية. إن وصول هؤلاء الأتراك إلى السلطة، آتية بقوة من آسيا الوسطى إلى إيران، ولّد نتائج أكثر وضوحاً، إذ أدادت شدتها كلّما ضمت إلى ديار الإسلام أراضي جديدة، كالأناضول في عهد السلاجقة، وأوروبا البلقانية في العهد العثماني، وكلّما ظهر تغيّر عميق في المجتمع الإسلامي بفعل الاتصال بعادات جديدة وأنماط حياة مختلفة. والتدمير المتلاحق الذي أحدثته موجات الفتوحات مع جنكيزخان أولاً، ثم مع مغامرة تيمورلنك الوحشية، لم تكن له نتائج أقلّ تأثيراً. وفي حين كانت إيران، المفتحة بشكل واسع منذ ذلك الوقت على التأثيرات الآسيوية، وجدت من جهة الغرب حدودها قد اختفت منذ قرون؛ بينما أخذت تتحوّل من جديد إلى سهوب، بفعل التخريب الذي تسبّب به التركمان، أراضي مزروعة عاشت عليها سابقاً أجيال من الحضار.

إن إغفال النتائج المباشرة لمثل هذه الاضطرابات التي زادت في حدتها الصراعات بين الدول الإسلامية، يعني نقياً لأية قيمة للأحداث التاريخية. من دون أن ننسى التورث الدائم الناتج عن مجابهة العالم الإسلامي مع الغرب المسيحي ومشاريعه الطموحة أولاً، ثم مع أوروبا التجارية والصناعية لاحقاً. كان هناك مشاريع عسكرية

هذه المحاولات الأولى تبعها محاولات بناء أكثر واقعية. فبطرس الفونسي (Petrus Alfonsi)، وهو يهودي إسباني، اهتمت المسيحية في ١١٠٦/١١٠٩ وأصبح، لاحقاً، طبيب هنري الأول ملك إنكلترا، عرّف أوروبا ببعض الأساطير الشرقية وبوجوه مختلفة للعلوم العربية، وترك مختصراً عن العقيدة الإسلامية كان الأكثر دقة بين ما كتب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. بعد فترة قصيرة، أبصرت النور أول ترجمة لاتينية للقرآن، وضعها روبري دو كتون (Robert de Ketton)، بناء على طلب من أبائي دير كلوني، بيار لوفينيرابل (le Vénérable)، ترجمة برّرها هذا الأخير بضرورة محاربة البدع التي يأتي الإسلام في ظلّيتها. ولكن، في القرن اللاحق، بدأت ذهنية الأوروبيين بالتغيّر، في الوقت الذي كانت فيه الآثار العلمية والفلسفية موضوع ترجمة في إسبانيا بخاصة. وتوسّع أفق المفكرين اللاتين في الواقع عندما اكتشفوا، إبان الغزوات الآتية من آسيا الوسطى، وجود مسيحيين أصليين في هذه المناطق، حاولوا عقد حلف معهم ضدّ الإسلام. في ١٢٤٣/١٢٤٥م، أرسل البابا أنوشتيوش (Innocent) الرابع إلى الشرق، الفرنسيكاني الإيطالي جان دوبلان كاربان (Jean de Plan Carpin) في مهمة للاستقصاء عن وضعية المغول. بعد فترة قصيرة، أرسل الملك لويس التاسع، بعد هزيمته في مصر، الفرنسيكاني القلمنكي غلبوم دو روبروك (Guillaume de Rubrouk) في مهمة إلى بلاد المغول وصل فيها إلى عاصمة منغوليا، كراكوروم في ١٢٤٣/١٢٤٥م، وشارك في نقاش شهير بين مثلي الديانات الكبرى: المسيحية اللاتينية التي كان يدافع عنها، والمسيحية النسطورية، والبوذية والإسلام. التقرير الذي وضعه غلبوم دو روبروك عن هذه المجادلة في مذكرات رحلته، ونُشر خاصة في إنكلترا، أثار اهتمام الفرنسيكاني روجيه باكون (Bacon) (١٢١١-١٢٩٣/١٢١٤-١٢٩٤م) الذي أدخل إلى دراسة الإسلام نظرة فلسفية.

وكذلك ظهر منذ ذلك الوقت، عندما بدأت نصوص عربية تصبّح في متناول الدارسين من خلال

البيزنطية، التي هوجمت منذ نهاية القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، بدأت تنقلّص في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي تحت ضربات الأتراك، وزالت في ٨٥٧/١٤٥٣م. ثم في القرن الخامس عشر، بدأت إمبراطورية العثمانيين بالتوسّع في البلقان وفي سهول الدانوب، ولم تتمكن هذه المناطق من التخلص بشكل كامل من هذه السيطرة قبل نهاية القرن التاسع عشر أو مطلع القرن العشرين. هذا الوضع، الذي هو مزيج من الحروب الممتّعة والصراعات العنيفة، دفع بمسيحي أوروبا الغربية إلى التعرّف إلى الإسلام، لمحاربه كديانة في بداية الأمر، ولاحقاً لمحاولة جذب أتباعه إليهم؛ بينما قويت علاقاتهم بالبلدان الإسلامية التي كانت محدودة في البدء، منذ أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، لتطال المبادي الثقافية في مجال الفكر والعلوم. وخارج المسألة الخاصة بالنشاط التجاري، مرّ موقف الغربيين في مواجهة الإسلام، خلال الحفبات التي سبقت عصر النهضة الأوروبية، بمراحل متلاحقة.

حتى حوالي ١٤٩٣/١١٠٠م، سيطرت أولاً، على مواقف الغربيين، ردود فعل دفاعية ضدّ أعداء كانت عقيدتهم مجهولة، غير واضحة بالنسبة إلى مسيحيين اعتبروا أنّ القرآن، عندما عرفوه، مليء بالغموض، ونسبوا نصّه إلى رجل غريب التصرفات. الحملة الصليبية الأولى التي تزامنت مع تراجع موازٍ للمسلمين على الأرض الأوروبية، طبعت بداية حقبة جديدة سعى خلالها علماء المسيحية اللاتينية إلى استقصاء أفضل عن الإسلام. فكُتبت عن «حياة محمد»، في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، مؤلّفات عدّة، أشهرها ما كتبه «غيبار دو نوجان» (Guibert de Nogent) الذي استند إلى معلومات شفوية استقّاها من الرحالة وإلى بعض معلومات من كُتّاب بيزنطيين. فكانت تختلط الأخبار الأسطورية بمعطيات مصدرها التراث الإسلامي. وإنّا نجد آراءً كيفية وغير واقعية معانلة في مؤلّفات أدبية كملحمة «نشد رولان»، التي صوّرت المسلمين ونسبين يعبون ثلاثة آلهة: ترفقان ومحمّد وأبولون.

وكانت ردة الفعل بين المفكرين الإنسانيين ورجال الدولة متنوعة. بعضهم - كجان دو سكوفي (Jean de Séguier) الذي شارك في مجمع بال في ١٤٢٣م ورعى ترجمة جديدة للقرآن أكثر دقة، تسمح باستخلاص أفضل للأفكار الأساسية الواردة في النص - قُدِّر أنه ينبغي التخلي عن الحملات العسكرية والسعي إلى طرق سلمية؛ والكاردينال الألماني نقولا دو كوزا (Nicolas de Cusa) (١٤٠١-١٤٦٤م)، كرس نفسه، من جهته، لدراسة نقدية لعقيدة الإسلام عبر كتاب عنوانه «Cribatio Alchoran»؛ في المقابل، وفي الحفة نفسها، كان الفرنسي جان جرمان (Germain)، أسقف شانون، لا يؤمن بحطوط السلام مع المسلمين ويشتر بتجديد الروحية الصليبية؛ أما الإيطالي إنياس سلفيوس (Aeneas Silvius) (١٤٠٤-١٤٦٤)، من مدرسة الفكر الأنساني، الذي أصبح في ما بعد البابا بيوس الثاني، والذي أرسل إليه جان دو سكوفي، كما إلى شخصين آخرين، رسائل تشرح برنامجه، فهو معروف خاصة بالرسالة التي وجهتها إلى السلطان محمد الثاني سنة ١٤٦٠، بعد الاستيلاء على القسطنطينية. بأسلوب منق، واضح وحازم دافع فيها البابا دفاعاً عقلياً عن المسيحية، حاثاً السلطان على اعتناق هذه الديانة، مبرهاً وجود نقاط مشتركة عدة بين الديانتين، ومؤكداً أنَّ الخلاف الوحيد يقوم حول طبيعة الله. وغني عن القول إنَّ هذه الرسالة لم تترك أثراً، وإنَّ المسيحيين الغربيين استمروا يتساءلون عن الموقف الواجب اتخاذه حيال أتباع ديانة تمكّنوا من الوصول إلى معرفة أفضل لها ولوضعيتها، ومع ذلك ظلوا يعتبرونها شديدة الانحراف وبالغة الضرر، من دون أن يجدوا وسيلة لإزالة الخطر الذي تمثله. هذه الرؤية المتشائمة للوضع لم تمنع - خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، من نشر أولى المحاولات لدراسة «علمية» للغات بلاد الإسلام، تلتها دراسات لحضاراتها ودياناتها، وتهدف إلى تغذية الحركة التي دُعيت «إسنشافاً» والتي يمكن تحديد بداياتها في نهاية القرن الثامن عشر.

٢- إنَّ التطوّر الذي عرفته، في السابق، «صورة معينة للإسلام»، وإن لم يتقبلها المسيحيون، أدّى إلى

ترجمات في طليطة، أنَّ منهجية تفكير مشترك يمكن استخدامها من قبل مسيحيين ومسلمين. فروجه يكون، في المقالات التي كتبها، بين ٦٦٤هـ/١٢٦٧م و١٢٦٦م و١٢٦٨م، إلى البابا كليمنتس الرابع، انتقد تصرّف المسيحيين تجاه معتنقي الإسلام، وأدان الحملات العسكرية، وأوصى باللجوء إلى التبشير الذي يفترض معرفة اللغات الشرقية ليؤدي النتيجة المرجوة، كما أوصى بالاختلاص العميق على عقائد غير المسيحيين وبالتمتع بالقدرة على النقاش الصارم. وكان يكون بأمل أن يحقق النقاش، بحسب الطرق المنطقية للفلسفة، هداية غير المؤمنين الذين لم يكن يكون يعتبر دورهم سلبياً بشكل قاطع. فبواسطة الفلسفة التي هي الحكمة الإلهية، يرى يكون أنَّ الإسلام يشارك في البحث عن الحقيقة، وكان يعتقد أنَّه من الممكن، بشكل منهجي، دحض الأوجه المختلفة للعقيدة الإسلامية، وقد كرس نفسه لهذا الغرض مؤلفاً من مؤلفاته.

على أي حال، فإنَّ الحقيقة التي تلت أسلمة المغول وسقوط عكا سنة ١٢٩٠هـ/١٢٩١م، طغى فيها التشاؤم على العلاقات بين المسيحية والإسلام. وضاع كلُّ أمل في النصر على المسلمين منذ دخول المغول في الإسلام؛ فالكتب الذين شاركوا روجه يكون وجهات نظره في ما يتعلّق بالبرهان العقلي عن حقيقة المسيحية وإمكان إقناع المسلمين، ك«ريموند لول» (Raimond Lulle) (٦٣٣-٧١٥هـ/١٢٣٥-١٣١٥) مثلاً، أدركوا أنَّ مشروعاتهم بلا جدوى. والفيلسوف ريكولندو دي مونتكرونتشي (Ricoldo de Montecroce)، الذي كان في بغداد سنة ١٢٩٠هـ/١٢٩١م لإقامة علاقات مع المسيحيين المحليين، كتب دحضاً للقرآن جعل فيه الأمل في التقارب ضئيلاً. وثمة رحالة أوروبيون آخرون من الذين زاروا الشرق، في مطلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، كانوا لا يرون مجالاً للنقاش مع المسلمين؛ وفي الحقيقة نفسها، بدأ الغرب المسيحي ينظر بعين الشك إلى الفلسفة العربية.

كان القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، حقبة توسّعت فيها الإمبراطورية العثمانية في البلقان واحتلت القسطنطينية، فشكّلت نهديداً جديداً.

شخص محدد. وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، تحققت أعمال جديدة من هذا النوع، بخاصة من قبل مايكل سكوت (Scott) الذي توفي سنة ١٢٣٦م في اسكوتلندا، بعدما مكث في طليطلة، ثم في صقلية حيث عمل للأمبراطور فردريك الثاني، نزولاً عند طلب ألفونس العاشر القشتالي.

بفضل هذا العمل المهم الذي جرى في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وخلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، عرفت أوروبا في القرون الوسطى أهم العلوم والثقافات الفلسفية التي ازدهرت في بعض مناطق الأمبراطورية العباسية والدويلات التي انفصلت عنها. وإذا كان اعتماد الأرقام المسماة عربية عائداً لتاجر بيزاني كان، على ما يبدو، على علاقة بالمسلمين في بيجيا في الجزائر الحالية، فإن علم الفلك ازدهر في فرنسا وإنكلترا انطلاقاً من الترجمات المشار إليها آنفاً. وفي الطب خاصة، حصلت تطورات ملحوظة في الغرب بفضل نشر دراسات بدئ تعليم مضمونها في سالرنو وفي مونبلييه، بينما كان يتم تدريس الطلاب علم التشريح، ثم الجراحة التي كانت ممنوعة حتى ١١٦٣/٥٥٨م. واستمرت كتب الملخصات العربية الطبية معتدلة لمدة طويلة، إذ إن تلك المائدة للرازي وابن سينا كانت ما تزال تُطبع في القرنين التاسع والعاشر للهجرة/ الخامس عشر والسادس عشر للميلاد.

في الميدان الفلسفي، احتل فكر ابن سينا مكاناً مميّزاً، وحث الفريسيين على البحث في ماهية الله أو خلود النفس، وغذى فكر «الأفلاطونيين» كروجر بيكون (Bacon) في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. ولكن صاحب التأثير الأعمق هو ابن رشد. فكتبه حول ما وراء الطبيعة لأرسطو يشترط للعلماء اللاتين فهماً أفضل لهذه الفلسفة التي كانوا سابقاً لا يعرفون منها إلا الأجزاء المنطقي. وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، عُرفت الأرسطوطاليسية بفضل ابن رشد، فتمكن اللاهوتيون المسيحيون من تخطئها، بخاصة مع توما الأكويني (Thomas d'Aquin). وكانت آثار ابن رشد، فضلاً

عن معرفة هذه الصورة، تدريجياً، بشكل أدق، وتالياً إلى تأثير حقيقي للإسلام في البلاد المسيحية. ولم تكن هذه الصورة وليدة التفكير الفقهي - الديني، ولا نتيجة التقاليد في الأوساط الإسلامية حصراً، بل أتت حصيلة بعض الأوجه الزمنية للحدس التي اعترفت أوروبا الغربية بتفوقها، لامتلاكها إرث حضارات العصور القديمة: هكذا انتقلت إليها، عبر كتابات العلماء المعاصرين أو الذين عاشوا في البلاد التي جرت أسلمتها - من أطباء، وعلماء فلك، وعلماء رياضيات وبعض المشتغلين بالفلسفة - ما كان هؤلاء الأشخاص - الذين غالباً ما كانوا يتعرضون لملاحقة علماء الدين، على الرغم من أنهم كانوا يتمتعون بحماية الحكام وأصحاب النفوذ ومشجعي العلوم - قد تعلموه وأحياناً أغنوه انطلاقاً مما ورثوه عن القدماء.

عملياً، بدأ الفريسيون، في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، الاهتمام بالعلوم وبالفلسفة التي تسمى عربية، لأنه جرى التعبير عنها في نصوص باللغة العربية، ولكنها كانت، بوجه عام، تشكل جزءاً من ثقافة البلاد الإسلامية في تلك الحقبة. صحيح أن بعض الترجمات من العربية تمت في حوالي السنة ٢٣٩٠/ ١٠٠٠م، وأن الرياضيات العربية، بخاصة علم الفلك، كانت قد فُرست على يد جريرت دوريللي (Gerbert d'Aurilly)، الذي سيصبح أليابا سيلفستر الثاني، وأن الطب العربي دخل إلى سالرنو في إيطاليا بفضل الشخص المعروف باسم قسطنطين الأفريقي، إلا أن هذه المحاولات بقيت فردية.

على العكس من ذلك كانت الحال في إسبانيا. فبعد نصف قرن من استعادة طليطلة في ١٠٨٥/١٤٧٨م، بدأت حركة ترجمات واسعة، يعود الفضل فيها بنوع خاص إلى دومينيك كوندبسالفي (Gundisalvi) الذي عمل بالاشتراك مع أتدث (Avendeth)، وهو يهودي اعتنق المسيحية. بعد ذلك بقليل، أي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، جاء أيضاً إلى طليطلة العالم الإيطالي جيرار دو كريمونا (de Crémone)، فاهتم بالكتابات العلمية العربية. كما تم نقل العديد من النصوص التي تصعب نسبة ترجمتها إلى

الإخوان المسلمين، يُمكن اعتبار الإسلاميين امتدادًا، على مجمل العالم الإسلامي الحالي، لهذه الحركة الخاصة التي نشأت في الشرق الأوسط. بعض مناصريهم، الذين يوصفون في اللغة المتداولة بالأصوليين، لا يتوزعون عن استعمال العنف، عند الاقتضاء، لتصفية الحكام الذين لا يتبنون مطالبهم التي تختلف بحسب البلدان. وإذا وُجدت أحيانًا بعض الفروق، المائدة مثلاً إلى تطبيق الحد أو العقاب الشرعي، بين معقلي هذه الاتجاهات المختلفة، فهناك إجماع بما يخص وضع المرأة ولبس الحجاب الذي يتخذ، بالنسبة إلى هذا الوضع، قيمة شبه رمزية.

الأسماء الإسلامية للأشخاص، أسماء متنوعة في طبيعتها وأصلها اللغوي، خضعت، خلال قرون، لقواعد نظام تداعي المعاني مستقى من العادات العربية القديمة ومفروض كما هو على المجتمعات الإسلامية.

إن تدخل التأثيرات الحديثة، وبخاصة التحولات المعاصرة، التي أسهم فيها الغرب، لم تؤد إلى تطوير نظام التسمية المعقد الذي اعتمد عند بداية الإسلام، إلا في مرحلة متأخرة؛ وفي كل الأحوال، تأثر هذا التحول بالمجتمعات الآتية والكيانات الوطنية الجديدة. كان هذا النظام قائماً على أربعة أقسام متميزة، تتعاقب بحسب قانون مفروض بدقة: أولاً، الكنية المبنية على أساس عبارتي أبو وأُم للدلالة على «أبي فلان» أو «أم فلان»؛ ثَم، «الاسم» في حد ذاته الذي في إمكانه العودة إلى فئات عدة مختلفة، لكنه يأتي دومًا اسم غُلم لإنسان مُثبت بإحكام، وهو يوافق حاليًا الاسم الأول للشخص، بعده يأتي القُصب الذي يبدأ بكلمة ابن أو بنت، بحسب تعلق الأمر برجل أو امرأة، والذي بإمكانه أن يشمل سلسلة قد تطول أو تقصر من أسماء الأجداد، غالبًا بحسب شهرة هؤلاء؛ أخيرًا، تأتي مختلف «مواصفات» النسب التي تتجاوز تيسير التعرف إلى أصل الإنسان وعائلته، أي قبيلته أو عشيرته ومكان ولادته أو إقامته، إلى تحديد المدرسة الفقهية والفرقة والمهنة التي ينتمي إليها مثلاً.

هذه الأقسام الأربعة المتميزة حيث الاستعمال العادي كان يسمح باختيار، غالبًا ما يكون عشوائيًا،

عن ذلك، في أساس الحركة الخاصة التي دعيت الرشدية اللاتينية.

إسلام آباد (جمهورية باكستان الإسلامية)، مدينة حديثة لها طابع إداري، وهي العاصمة الجديدة للدولة الإسلامية التي نشأت إثر تقسيم الهند في ١٩٤٧، وخلفت كراتشي في هذا الدور، وقد تأسست عام ١٩٦٠ في جوار راولپندي.

الطابع الأبرز لهذا التأسيس، الذي يخضع من بعض وجوهه لأسباب تقنية واستراتيجية، هو من دون شك الاختيار الرمزي لهذا الاسم، «مدينة الإسلام»، الذي ينبغي أن نرى فيه برنامجًا سياسيًا حقيقيًا معبرًا عن توجه دولة باكستان نفسها. في الواقع، إن اسم إسلام آباد كان قد بدأ إطلاقه في القرن السابع عشر، على مدن عدة من شبه الجزيرة الهندية من قبل الحاكم المغولي أونكرزيب الذي تميّز بحماسة لفرض تطبيق صارم للإسلام على أتباعه.

الإسلامي (التوجه -)، مصطلح كان يستعمل في نهاية القرن التاسع عشر للدلالة على الإسلام من حيث هو ديانة وحضارة، ولكنه اتخذ حديثًا مفهومًا جديدًا للإسلام المناهض الأصولي التقليدي التشييعي المتحسّر.

إن التوجه الإسلامي الذي تدافع عنه جماعات تدعى «إسلاميين»، يقوم حاليًا على فرض تطبيق صارم لتعليمات القانون الديني أو الشريعة. يرى الإسلاميون أنّ مبادئ الإيمان قد أهملتها بعض الحكومات الحديثة في البلدان الإسلامية، بخاصة تحت تأثير البلاد الأوروبية، والإيديولوجيات الغربية والحركات الإصلاحية. الإسلاميون يعظمون الجهاد، في بلادهم نفسها، ضدّ المسلمين «السيّئين» والحكومات الفاسدة، بطريقة تسعى لتأسيس دولة إسلامية بحتة، إذا لزمَت الضرورة ذلك. ومن جهة أخرى، وبطريقة أكثر تعميمًا، أنهم يعظمون الجهاد ضدّ القيم الزمّية التي تسيطر على العالم غير الإسلامي. ويصوّرون أيضًا، في غالب الأحيان، على قيام حكومة تكون مؤلفة من رجال دين، أي فقهاء، مكلفين السهر على تطبيق الأفكار التي يدافعون عنها. هناك الكثير من الشبه بين الإسلاميين وحركة

التي حملها النبي محمد (ﷺ) وعائلته وأشهر صحابته، والأسماء التي اشتقت لمديح نبي الإسلام مثل أحمد أو مصطفى. لكنهم ظلوا أوفياء للأسماء التي تدل طوعاً على نعمة المؤمن تجاه الله، مثل الأسماء التي تدخل في تركيبها لفظة «الله» أو إحدى صفاته، كعبدالله أو عبد الرحمن. في غضون ذلك، ظهرت الأسماء الفارسية المقتبسة من الأساطير الإيرانية، والأسماء البربرية والتركبة، وبشكل أعم، الأسماء العائدة إلى المجموعات الإثنية واللغوية المنتشرة إلى أرض الإسلام، وقد أضيفت كلها إلى المجموعة الأولى العربية بسببها في القالب المعقد لنظام التسمية الإسلامي.

وترافقت الحركة مع نبي أشكال جديدة لأسماء السلف. فمراجعة للنسبة استعملت كلمات مثل زاده بالفارسية أو أوغلو بالتركية، وفي المناطق النائية اعتمد جمع أسماء عدة معاً. في هذا الوقت، برزت، في خيارات تدل على مفاهيم معينة - مثل رواج بعض الأسماء الغلوثة الشهيرة - آثار الانقسامات الكبرى السياسية-الدينية التي ميزت التاريخ الإسلامي. حتى إن النسبة تطوّرت بحسب المجتمعات اللغوية - كان خسرت مثلاً «آل» التعريف في الفارسية أو هي تميّزت بخاتمة «لي» بالتركية - بينما كان للنحو التركي تأثير في تعديل كامل للنظام العربي الأصلي. أخيراً، ساهمت ضرورات الحقبة المعاصرة الشيعية بالتأثير الغربي في إدخال تعديل جذري على العادات القديمة ليحل محلها اسم العائلة والاسم الشخصي، تجاوزاً مع قواعد الأحوال الشخصية المعتمدة حديثاً في البلدان الإسلامية. فاختيار أسماء عائلية حصل بالاستعانة، غالباً من دون نغمة، بسلاسل التسميات المستعملة، مع بعض الإضافات التي تدل على خصائص كلّ لغة أو شعب معني. أمّا اختيار الأسماء الأولى، فتسيطر عليه صبغة إسلامية منطوية.

الأسماء الإلهية. صفات تنطبق على الله، يذكرها القرآن الكريم على أنها «الأسماء الحسنى»، وعددها، بحسب الحديث، تسعة وتسعون اسماً. اللائحة النموذجية الموضوعية انطلقتاً من النص القرآني والمشروحة في التفسيرات تحوي بعض

كانت تُدرج كاملة في سيرة الأشخاص أو في الشاهد على قبر، أي في كل مرة يراد التعريف بالفرد المقصود من دون إيهام. لكنها كانت، بصورة عامة، تُختصر، في الممارسة اليومية، فتزوّد إلى نُبس يجعل، حتى اليوم، من الصعب، وأحياناً من المستحيل فيه، وضع المعاجم الأبجدية المتعلقة بالأشخاص في ماضي الإسلام واستعمالها.

يضاف إلى هذه الأقسام الأربعة بالنسبة للزير وخاصة اللقب (أي صفة الشرف)، والاثنان يشكّلان علامات التعريف الأكثر وضوحاً. فاللقب، بخاصة، وهو المرتبط بالمركز أو المرتبة عندما يكون الأمر متعلقاً بأناس يتمتعون بألقاب رسمية أو شبه رسمية، ولّد تسميات استعملت بغزارة. هنا أيضاً تطوّر الاستعمال بمرور الأيام: في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، وحدهم الخلفاء حملوا، مثلاً، ألقاباً ملكية، بينما برزت، بدءاً من القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، الألقاب في محيطهم، أولاً مضافة إلى كلمة «دولة» ثم «دين»، وما فتئت أن تعددت. في هذا الموضوع، كانت مبادرات الإدارة الديوانية في الخلافة، في ما خص إعطاء الألقاب، تتطوّر زمناً بدقة متناهية، آخذة في الاعتبار المناسبات التاريخية والتراثية السياسية، على الرغم من تضخّم مستمرّ للتصريح المستعملة وتراجع للاعتبار الموازي لها.

إنّ التبديلات المعتمدة في اختيار التسميات لم تتناول الأساطير الحاكمة وحسب. فتسمة قواعد مقرّرة، كانت تفرض نفسها، بحسب الأماكن والحقائق، للتسميات الأكثر شيوعاً. والكنى ذات القيمة الاعتبارية أصبحت مثلاً تستعمل استشارةً للذكريات تاريخية تدلّ عليها، أو لأسباب أخرى ظرفية. كذلك، ظهرت أنساب اصطلاحية في ظروف أخرى، مثل ابن عبدالله الذي درج استعماله للعديد من معتقّي الإسلام الجدد. في الوقت عينه، تطوّرت الأسماء نفسها التي كانت تُستعمل قديماً في المجال العربي-الإسلامي، أكانت عربية الأصل، أو تورانية أو أسماء تدخل في تركيبها كلمة الله - على غرار عبدالله - أو أي من الأسماء الإلهية الموقرة. بطبيعة الحال، إنّ التقوى الإسلامية لم تنفك تفضّل الأسماء

البقرة ، ١٢٥ ، ١٢٧-١٢٩) ، في بناء الكعبة ، بعدما جعل الماء يتدفق من بئر زمزم في طفولته الأولى ، عندما كان مع والدته هاجر معرّضين للعوت عطشا في الصحراء . أخيرًا ، إسماعيل ، وليس إسحق المذكور أيضًا في القرآن ، هو ابن إبراهيم الذي تعتبر غالبية المفسرين - وبالرغم من الرأي المعاكس الذي كان سائدًا في البداية - أنه كان موضوع التضحية الذي يتذكره المسلمون ، في العاشر من ذي الحجة ، في شاعر الحج .

إسماعيل الأول (شاه) ١٤٨٧-١٥٢٤م ، تركماني الأصل ، أسس سلالة الصفويين في إيران ، وحكم من ١٥٠١ إلى ١٥٢٤م .

هذا المتحضر من سلالة الشيخ صفي الدين مؤسس طريقة الصفويين الصوفية كان ، لجهة أمه وجدته ، نسب الأمراء من سلالة الآق قيونلو الأناضوليين الذين ، لشكهم فيه ، أسروه ، وهو ما يزال حدثًا ، في اصطخر مدة أربع سنوات . وعندما نجح في ما بعد باللجوء إلى جيلان ، حيث بقي على اتصال بمناصره التركمان في أذربيجان ، الملتحقين بطريقته الصوفية والمدعّوين في التركية قول باش أو «الرفوس الحمر» ، باشر بمساعدتهم ، سنة ١٤٩٩م ، في محاربة آق قيونلو الذين هُزموا في شرور ، في ٩٠٧هـ / ١٥٠١م ، فاعترف به ملكًا في تبريز .

خلال بضع سنوات ، من ١٥٠٣ إلى ١٥١٠م ، عمل إسماعيل على بسط سلطته على كامل البلاد الإيرانية ، على منطقة ديار بكر وعلى العراق ، ومن ثمّ على خراسان وصولًا إلى هراة ، في الوقت الذي كان فيه بثت الشبهة الإمامية الإثني عشرية ديانة رسميًا للمملكة ، وينظم الإدارة في دوله الجديدة . عمل بعناية خاصة لتوزيع إقطاعات على الفزل باش كما على نبلاء إيرانيين ، ممّا أوجد حالة من الخصومة الدائمة بين هاتين الفئتين من مساعدي السلطة الذين كانوا يعملون على فرض ارادتهم عليها .

إنّ القوة الشرقية التي تأسست على هذا الشكل أفلقت العثمانيين . وفي ١٥١٤ ، دخل السلطان سليم الأول في حرب ضد إسماعيل ملحقًا به هزيمة خطيرة في

الاختلافات ، وهي تشكل إحدى قواعد التقوى الإسلامية . تُستعمل للتلاوة الفردية وبواسطة السجدة ؛ لكن ، بالنسبة إلى المنشدّين على غرار الوهابيين ، يعتبر الأمر بدعة وستحقّ اللوم . في الواقع ، إن الصوفيّين هم الذين يعتمدون ، في ممارستهم الروحية المسماة المذُكر ، على الأسماء الإلهية دعماً لتأملاتهم ويحتهم عن الاتحاد الإنشائي .

لعدد من هذه الصفات ما يوازها في لغات سامية أخرى . حاول المستشرقون ، من دون نجاح كبير ، تحديد «الأسماء» الأقدم التي كانت تُستعمل ، قبل الإسلام ، في بعض الثّوب على غرار صفة «الرحيم» التي يعطيها دورها في الشهادة الأولى المسماة السّمْعة أهمية خاصة . فضلًا عن ذلك ، إنّ التّنزع في المفاهيم التي تستدعيها هذه الصفات كبير : إذا كان الله هو الرّخّمن الرحيم ، فهو أيضًا الحيّ القيّوم (القرآن ، سورة البقرة ، الآية ٢٥٥) أي مبدأ الحياة في الكون ؛ هو العزيز ، الصّمد ، العليّ ، العليم ، السميع البصير ، الكريم ، الحكيم ، العادل ، الحقّ ... مثل هذه الأسماء تعطي فكرة عن الإله الواحد البعيد ، لكنه غير مجرّد من الرحمة للناس ، وهو الذي أملى على المسلمين شريعتهم . وقد أوضحت الشروح كيف أنّ هذه التسميات القرآنية استطاعت أن تطرح على الفكر الإسلامي إحدى المسائل الأساسية التي حاولت حلّها ، عبر العصور ، المدارس الكلامية في الإسلام ، ألا وهي مسألة الصفات الإلهية .

إسماعيل ، شخصية توراتية مذكورة في نصوص عدة من القرآن . كان مكرمًا ، بخاصة ، في التقليد الإسلامي اللاحق ، على أنّه الوريث الديني الحقيقي لوالده إبراهيم ، وعلى أنّه جدّ عرب الشمال .

وبفضل تسلسل يربط ، بطرق مختلفة ، إسماعيل بعدنان ، البطل الأساسي الذي وهب اسمه لعرب الشمال ، أحبّ النّسابة المسلمون في القرون الوسطى الإشارة ، بشكل بارز خاص ، إلى أهمية ابن هاجر . فهذا الشخص قد يكون جاء ليعيش في منطقة مكّة حيث استقبلته قبيلة جرهم ، وفيها تزوّج . هنا أيضًا ، قد يكون ساعد والده ، بحسب نص الآيات القرآنية نفسها ، (سورة

بصفته الإمام السادس وما قبل الأخير عند الإسماعيليين الذين ينتسبون إليه .

كان هذا الرجل ابن جعفر الصادق، الإمام العلوي المعترف به أيضاً من قبل الإمامية الإثني عشرية، من حيث إنه يظهر في المرتبة السادسة، ومن قبل الإسماعيلية الذين يجعلونه الإمام الخامس في لانحنهم الخاصة التي تبدأ بالحسن لا بعلي، توفي إسماعيل قبل والده جعفر، فلم يعتد به إطلاقاً عند الإثني عشرية. وبالمقابل، حمل مشايخه ومناصروه من بعده تسمية الإسماعيلية. واعتبروا أنه، على حياة والده، كان يمتلك حقوق الإمامة التي تمكّن، بدوره، من أن يورثها لانه محمد. هذا الأخير اعتُبر عند الإسماعيليين، الذين دُعوا أيضاً سبعة، نسبة إلى إمامهم السابع والأخير الذي استمروا في انتظار عودته، أو الذي نسبوا إليه وريثة مستورين، أحدهم سيظهر في المستقبل كمهدي. إن القرامطة ما زالوا ينتظرون أيضاً عودة محمد بن إسماعيل.

الإسماعيلية، حركة شيعية انتشرت تعليمها الباطني بفضل نظام من الدعاية عرف باسم الدعوة، رافقته في غالب الأحيان، في القرون الوسطى، حركات ثورية وإرهابية أثمرت بها فترعات المتطرفة.

انبثقت هذه الحركة في ٧١٤هـ/٧٦٥م من انشقاق عن الشيعة الإمامية الإثني عشرية، إثر وفاة جعفر الصادق، وسرعان ما انتشرت ولاقت، منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، نجاحات سياسية لافتة. ثم أصبحت هدفاً لهجمات واضطهادات عنيفة من جانب الأوساط السنية، في القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، لكن ذلك لم يجل دون استمرارها بأوجه متنوعة، ومتابعتها، حتى العصر الحاضر، لعب دور ما زال يتسم بالحيوية في داخل العالم الإسلامي. كان أعضاؤها، كما يشير إلى ذلك اسمهم، مناصرين لإسماعيل، الابن الأكبر لجعفر الصادق، الذي كان قد عُين وريثاً لأبيه، لكنه توفي قبله. ومع ابنه، محمد بن إسماعيل، تتوقف سلسلة الأئمة العلويين التي يجعلها الإسماعيليون تنطلق من الحسن، بحث لا يعترفون إلا بسبعة أئمة، ما أعطاهم تسمية أخرى هي السبعة.

جالدانان، بفضل أسلحته النارية. فأجبر إسماعيل على التخلي عن البلاد العربية التي كان يحتلها؛ لكنه لم يتوقف عن مواجهة أعدائه في أذربيجان، وأيضاً في خراسان حيث رد غزوات الأوزبك. وبأشرف أيضاً، خلال السنوات الأخيرة من حكمه، بتطوير علاقاته الدبلوماسية بالدول الأوروبية التي كان يأمل أن يجد فيها حلفاء ضد العثمانيين. ولئن لم يتمكن من حل كل المشكلات الداخلية التي فرضت نفسها عليه، فإنه ترك على الأقل لخلفائه مملكة مستقلة كانت هزبتها منذ ذلك الحين تركزت، في جزء منها، على الانتماء إلى التشيع.

إسماعيل باشا (١٨٣٠-١٨٩٥)، حاكم مصر، من السلالة المدعوة خديوية المتحدثة من محمد علي، وقد حكم مصر من ١٨٦٣ إلى ١٨٧٩، وكان المسؤول، الطموح والعميق البصيرة، عن التطور الحديث في بلاده. هذا الحفيد لمحمد علي وابن إبراهيم باشا وصل بدوره إلى وظيفة نائب ملك مصر، بعد عضوين آخرين من العائلة. وبعدما تسلمه، في ١٨٦٧ من الباب العالي، لقب الخديوي كشيبة لنصف - استقلال بلاده، حاول أن ينافس جده، الشهير بالأبوة وبالمجد وضخامة مشاريعه. وإذا تمكن من الحصول على اعتراف العثمانيين بقوته، وشق قناة السويس التي افتتحت، سنة ١٨٦٩ في احتفال عظيم يشير رمزياً إلى نجاح التقنيات الأوروبية التي حاول تكييفها، فإنه لم يتمكن من السيطرة على المصاعب المالية التي نتجت عن مساعيه المختلفة للإصلاح والتنظيم الداخلي السريع جداً. وازدادت هذه المصاعب بمحاولاته الهيمنة العسكرية في أفريقيا التي أرسل إليها حملات، انطلاقاً من السودان النيلي، حتى أثيوبيا وأوغندا. بعد ذلك بقليل، كان عليه مواجهة التدخل الأوروبي في حياة مصر الاقتصادية منذ ١٨٧٥، بحيث أصبحت القوى الأوروبية دائمة له. وقد أدت الرقعات المعادية التي تلت ذلك إلى سقوط نهائي لادعائه. وفي ١٨٧٩، أُنزل السلطان العثماني عن العرش لصالح ابنه توفيق؛ ثم احتل البريطانيون بلاده قمارسوا الرقابة والحماية عليها منذ ١٨٨٢.

إسماعيل بن جعفر ١١٤٥هـ/١٨٧٢م، علوي مكرم

وبحسب العقيدة الشيعية الإسماعيلية، كان هؤلاء الخلفاء الفاطميون مكرّمين بصفتهم أئمةٌ وهبوا الكمال والعصمة، ويعملون كمفسّرين مطلقين للشريعة. وكلّ واحد منهم كان يتم اختياره من قبل سلفه، إذ يعيّنه بوصية، وهي طريقة تتبناها فِرَق شيعية أخرى؛ لكن الاختيار عند الفاطميين كان سرّيّاً، تنحصر معرفته في أحد كبار المسؤولين في النظام، ويكشف بعد موت الخليفة، تبعاً لترتيب كان يمكن أن يحول دون قيام أي صراع على الوراثة لو أنّه طبق بطريقة صارمة. فضلاً عن ذلك، عرفت الدولة نفسها طرق عمل للحكم متناسقة مع الحاجات العملية، وذلك يكاد لا يختلف عمّا يميّز الدول السنية المعاصرة.

إنّ الدعوة الفاطمية، المتميّزة عن الدعوات الإسماعيلية الأخرى، كانت تسعى إلى دعم الدولة التي تعمل في ظلّها وإلى ازدهار السلالة الحاكمة، كما كانت تهدف إلى الاعتماد على عقيدة خاصة. هذه العقيدة كانت تركز إلى كوسمولوجيا أسطورية تجعل من التاريخ تاريخاً حقيقياً، كلّ حلقة منه تتألف من سبعة أزمنة، يبدأ كلّ منها ببني «ناطق» يتبعه إمام، وآخر إمام من كلّ زمن هو نبيّ الزمن الآلق. والأنبياء هم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، حتّى الإمام السابع الذي هو المهدي الذي يُعتبر حاملاً لرسالة وحي جديدة، مقدّراً لها الحلول محلّ الشريعة المحمّدية. المهدي الذي كان معروفاً فقط لدى فئة، كان دوره موجّهاً لإطلاق عهدٍ جديد، عهد العدالة. لكنّ الخلفاء الفاطميين لم يقرّروا الإعلان عن عهد كهذا، باستثناء محاولات واحد منهم، هو الحاكم. وبدلاً من استبدال المادّات الفقهيّة السنية التي كانت لا تزال قيد الممارسة، اكتفوا بتعديلها في بعض النقاط بواسطة فقهاءهم الخاصين، وتعرّضوا لخطر تخريب آمال مناصريهم بتأجيل تحقيق رجائهم الخلاصي - الذي فكّروا به عند إرساء السلطة الجديدة - إلى أميد بعيد.

ربّما كان هذا هو السبب الذي من أجله استبدلت بالفكر الإسماعيلي الأوّل، في مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أفكاراً من وحي الأفلاطونية الجديدة. فبالنسبة إليها إنّ الله - الذي لا تبلغه معرفة

إمامهم السابع كان له خلفاء - بحسب معتقد لم يتحدّد، على كلّ حال، إلّا في القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد - وهم أئمةٌ غير منظّورين، عُرفوا باسم «الأئمة المستورين». كان أحدهم مقدّراً له أن يعود للظهور في يوم من الأيام لإرساء زمن من العدالة بصفته المهدي. لكنّ الدراسات الحاليّة تُظهر أنّ المفهوم الذي ساد في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، كان إلى حدّ ما مختلفاً: في هذه الحقبة كان الإسماعيليّون أو «مناصرو الحقيقة» يكتفون بجعل محدّد بن إسماعيل آخر أئمّتهم، وهم ينتظرون عودته. دافع عن دعوتهم، في منطقة الأهواز في خوزستان، ثمّ في السليمة في سوريا، أوّل رئيس للحركة، المدعو عبد عبدالله الذي كان يدّعي أنّه متحدّر من أحد إخوة علي. وبعض المؤرّخين يتساءلون اليوم عمّا إذا لم يكن عبد الله هذا هو السلف الحقيقي للمهدي الفاطمي الذي ظهر بعد قرن من الزمن، والذي كان يعيد نسبه إلى أحد أبناء جعفر الصادق، غير إسماعيل، يدّعي بالاسم نفسه أي عبدالله.

في أي حال، وفي الوقت الذي بدأت فيه الأفكار الإسماعيلية تُصاغ بشكل واضح، كانت جماعة منظّمة من الدعاة تعمل في خدمة الأئمة مهّدةً لظهورهم، وذلك بيّث دعوة من نوع خاص، تميّزت بفعاليتها وجمعت مناصرين في كلّ مكان. في ٢٨٦هـ/٨٩٩م، عمل هذا النظام للمرة الأولى، لمصلحة الشخص الذي أعلن نفسه مهدياً وإماماً في السليمة، قبل أن يذهب إلى المغرب حيث كان قد سبقه مرسل تكثفت محاولاته الأولى بالنجاح. فبعدما كانت الحركة قد مارست نشاطها، بخاصة في إيران، من دون الحصول على نتائج، نجح هذا المرسل إلى إفريقية، وهو أبو عبدالله الشيعي، بضمّ عشار بربرية من قبيلة كنامه إلى دعوته، وتمكّن بمساعدتهم من قلب نظام الأغالبة في القيروان في ٢٩٦هـ/٩٠٨م، وأعلن خليفة المهدي عبيد الله الذي وصل بعد ذلك بقليل إلى البلاد من السليمة. هكذا تأسست سلالة الفاطميين التي سيطر خلفاؤها أولاً على منطقة البربر الغربية، ثمّ على مصر وسوريا حتّى ٥٦٧هـ/١١٧١م.

إنسان - بولّد العقل الذي يفيض عنه نفس تدبر سبعة
أفلاك، يكون الإمام بطريقة ما على اتصال بها. هذه
العقيدة، التي تكوّنت كمقيدة للحكمة بكلّ معنى
الكلمة، نشرت في إنريقية، ثم في مصر الفاطمية، من
دون أن نعرف بالضبط كيف كان يُعرض تعليمها الموجه
في الأساس إلى «المقلّعين»، الأصدقاء أو أولياء النظام
كما كانوا يُدعون.

في زمن انطلاق الحركة الفاطمية، لكن مع أسبقية بسيطة، انفصلت أيضاً عن الإسماعيلية حركة القرامطة التي كان يحركها، على ما يبدو، مشفقون كانوا ينتظرون عودة محمد بن إسماعيل، لا ظهور إمام مسنور. في ٢٦٣هـ/٨٧٧م، بدأ المدعو حمدان قرمط بالتحرك، يساعده أخو زوجته عبدان، انطلاقاً من منطقة الكوفة. في ٢٨٦هـ/٨٩٩م، بينما كان أبو سعيد الجبائي يؤسس دولة القرامطة في البحرين، في شبه الجزيرة العربية، كان عبيدالله يعلن نفسه المهدي في السليمانية من دون أن يتبعه حمدان قرمط. وهنا يكمن من دون شك السبب الذي دفع خليفه المستقبل الفاطمي للذهاب إلى المغرب. في هذا الوقت، اغتيل عبدان على يد المدعو زكرويه الذي جُزّب هو أيضاً، بين ٢٨٩ و٢٩٤هـ/٩٠٢ و٩٠٧م، إشعال ثورة في سوريا، واستند في ذلك، مع بعض النجاح، على القبائل البدوية، لكنه اغتيل بدوره. فالتكفأت حركة القرامطة إذًا في تلك الحقبة إلى شبه الجزيرة العربية حيث قامت بدور تاريخي، خاصةً بانصرافها إلى شن هجمات على العراق العباسي وعلى قوافل الحج السنوية إلى مكة.

تمركزت الإسماعيلية، فضلاً عن ذلك، في اليمن حيث استقر شخص يُدعى منصور اليمن منذ ٢٦٧هـ/ ٨٨١م. هذه الجماعة الموالية، في البدء، للمهدي عبيدالله قبل استقراره في إهرقية، قطعت علاقاتها به في ٢٩٩هـ/ ٩١٢م. وكذلك رفضت غالبية المجموعات الإسماعيلية في إيران الغربية الاعتراف بادعاء الفاطميين الإمامة. في المقابل، حلت دولة إسماعيلية خاضعة للفاطميين في السند، في ملتان حوالي ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م، محلّ جماعة قمرية قديمة، واستمرت حتى ٤٠١هـ/ ١٠١٠م، بينما كان مشيرون من الاتقياء نفسه ينشرون

نشاطهم في سجستان وفي كرمان. وظهرت في اليمن في ٤٢٩هـ/١٠٣٨م، إمارة إسماعيلية متصلة بالفاطميين مع سلالة الصليحيين التي أُرست في حُجرات في الهند. ثلثًا منذ نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، جماعة مهتأة لاستقبال مرسلي الإسماعيلية من المستعدين، كانوا في أساس مجموعة «البهرة» الحالية ومن الانقسامات المتنوعة التي نشأت في

الإسماعيلية الفاطمية، كان لانتين منها، بنوع خاص أهمية كبيرة، وكانت في أساس ولادة حركات جديدة في مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أولاً، أعلن بعض الإسماعيلية الوعة الخليفة الحاكم، ووجدوا، بعد موته، ملجأ في جبال سورية حيث كونوا حركة انفصالية اتجهت للتمايز أكثر فأكثر عن الإسماعيلية الأولى، هي حركة الحاكمية أو الدروز بعد ذلك بقليل، في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، بعدما استعاد الإسماعيليون نشاطهم في إيران، احتل واحد منهم يدعى حسن الصباح قلعة ألموت في جبال الدينليق، ومن هناك نجح، من جهة، في مناشئة قوة السلاجقة بواسطة اغتيالات سياسية، ومن جهة أخرى في الاستيلاء على بعض حصون الجبل. ففي ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، إثر موت الخليفة الفاطمي المستنصر، أعيد الوزير القائم وقتذاك، ابنه البكر نزاعاً، الوريث المعين، الذي دخل في ثورة. ولكنه انكسر وأسر. أيد حسن الصباح نزاعاً ضد الخليفة الفاطمي الجديد المستعلي الذي كان أتباعه يدافعون عن حقوقه، فأسس حركة تُدعى النزواتية أو الحركة الإسماعيلية - الجديدة. عرفت هذه الحركة متغيرات عدة حتى الزمان الحالي. ويخضع غالبية مناصريها، ومنهم جماعة الخوارج في الهند وأفريقيا الشرقية، في أمانا، لسلطة الأغا خان.

الإسماعيلية الحديثة ← النُزاريون .

الإستاد (أو السلسلة)، نسق أساسي في بناء أئمة عقيدة أو علم إسلامي تقدم عناصره على الفل الدقيق للمعطيات عبر سلسلة من الشهود أو المؤتمنين عليها. وقد أدّت «السلسلة» دوراً من الطراز الأوّل في التعليم التأملي للطرق التي نشأت في كنف الصوفية

التجارة وتبادل السلع على أنواعها.

كانت الأسواق المتخصصة منتشرة في المدن الرومانية - البيزنطية التي احتلها العرب المسلمون خلال الفتوحات الكبرى. وغالبًا ما كانت منقطة على طول جادة أو جادتين عُرْضائيتين، أو أحيانًا على طول جادتين تقاطعان في وسطهما. وكانت تتألف من صفوف من الحوانيت المتصلة بعضها ببعض، ومن ساحات ومن أبنية تجارية مغلقة عُرِفَتْ باسم «قيسارية»، جُمِعت، في كل الأحوال، في قطاع واحد من المدينة، وُضِعت إليها مشاغل حرفية. وتم تجميع الحرفيين على غرار التجار وفقًا لِمَنَافِعهم لتسهيل إشراف السلطات عليهم.

بقي هذا التنظيم على ما كان عليه تقريبًا في مدن الامبراطورية البيزنطية السابقة، ويبدو أنه اعتُمد أو قُلِّد في المدن الجديدة التي ظهرت في سوريا وفي العراق، وعلى سبيل المثال في عنجر أو في وابسط في العهد الأموي، كما في بغداد وسامراء في العهد العباسي. واعتمد تنظيم مماثل في المدن الإيرانية حيث غالبًا ما أقيمت الأسواق في الأحياء التي شيدتها القوات العربية، خارج المدن القديمة المحصنة.

لكن، وبالرغم من القواسم المشتركة، اختلف تنظيم الشوارع التجارية في مدن الخلافة، في القرون الوسطى، من مقاطعة إلى أخرى. كما تطوّرت، على مر الزمن، أهمية الفسحة المخصصة لها داخل النسيج المدني والمخاضة أحيانًا لإجراءات إستيدادية وقسرية من الأحكام، خصوصًا في المدن الملكية حيث افتقد وجود هذه الفسحة لأي مبرر باستثناء تزويد الملك وحاشيته بالكماليات. وهكذا فقد تمّ نسفها، خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، في بغداد، نقل التجار المستقرين بين أسوار المدينة المستديرة التي بناها المنصور، إلى إحدى ضواحيها؛ وقد أخذ إجراء مشابه في القاهرة، خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، حيث أبعاد القصر الملكي عن حوايت مدينة الفاطميين الملكية القديمة لكي يستقر في القطعة. وقد نتج عن ذلك تطوّر مختلف للحمي التجاري الذي كان من قبل ملازمًا للقصر.

بدءًا من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وكلّ سلسلة مستند إليها تسمح بإرجاع الممارسات والأفكار التي يتفاسمها مختلف أفراد الطريفة - حتى ولو كانت حديثة العهد - إلى مؤسستها.

كذلك كانت «السلسلة» - تحت تسمية أخرى هي «الإسناد» التي تعني «السلطة التي يُستند إليها» - أساسية في نقل الحديث النبوي ونقده. وهو أمرٌ كل تفسير فقهي أو كلامي. في كل الأقوال والتصرفات التي تشكّل السلسلة، يجب الإستناد إلى سلسلة من محدثين أو نقلة جديرين بالثقة ومعروف أنهم اتفقوا ليشيّدوا مباشرة النصّ أو الرواية موضوع النقل. وقد شكّلت دراسة صحة السلسلة وتراجم المحدثين فرعًا مهمًا في العلوم الدينية، لأنها كانت تسمح بتصنيف الأحاديث، لا بالقياس إلى عدد الأشخاص الذين نقلوها في الأصل ومكانتهم وحسب، بل بموجب سلسلة من المحدثين الضامنين لصحتها والمتوالين من غير انقطاع.

ومفهوم «السلسلة» متوافر أيضًا في المذهب الشيعي في إطار الحدود التي تفترض أنّ كلّ إمام علوي كان يستهيه سلفه بموجب وصية أو نص. لكن، في هذه الحال، لا يُنقل التعليم، إذ إنّ كل إمام كان ينشر تعليمه الخاص إستنادًا إلى صفات العصمة التي يمتنع بها من حيث المبدأ.

الأسواق الإسلامية، أماكن مخصصة للتجارة في المدن القروية في الدول الإسلامية، عُرِفَتْ باسم «سوق» باللغة العربية و«بازار» باللغة الفارسية، إضافة إلى مصطلحات أخرى أقلّ شمولية مثل مصطلح «قيسارية».

احتلّت هذه الأماكن، على مرّ العصور، مركزًا مهمًا ضمن التجمّعات السكانية كافة في العالم الإسلامي، إذ كانت تؤمّن حاجات التجارة المحلية الصغيرة، وفي الوقت نفسه، تهتمّ بالأنشطة التجارية المنظّرة التي تغطي هذا العالم بكامله. غير أنّ تنظيمها الذي كان يختلف بين المناطق والحقب التاريخية، لا يمكن فهمه إلّا بالعودة إلى التقاليد السابقة، على الرغم من أنّ المبادئ الاجتماعية والدينية المسيطرة كانت تشجّع، مع التقيد ببعض الشروط،

لذلك من الملاحظ أنَّ ممثلي بعض المهن، كنجار الكتب مثلاً، كانوا يمارسون عملهم بالقرب من المسجد الجامع، تسهلاً لأموال زبائنهم المكوّنين بشكل خاص من رجال الدين الذين كانوا يترددون على هذا الصرح كما أنَّ المهن المتعلقة بسراجة الخيل تجمّعت، في دمشق مثلاً، خلال عصر المماليك، بالقرب من القلعة ومن حاميها العسكرية. ولذت أسباب أخرى إلى إقامة بعض المشاغل خارج المناطق السكنية بسبب الروائح الكريهة المنبعثة منها، كمصانع الدباغة مثلاً، أو بسبب حاجتها إلى كميات وفيرة من المياه، كصناعة الورق أو النصابون. كما أنَّ أسواق المواشي وبعض أسواق الفاكهة والخضار كانت تُقام خارج الأسوار حيث كان إنتاج المزارعين يصبّ مباشرة. أمّا في داخل المدينة فكانت تجارة المواد الغذائية واللبسة مجمّعة وفقاً لأنواعها إنّما بدون أن تختلّ مواقع محدّدة. كما قامت، فضلاً عن السوق المركزية الكبيرة، أسواق صغيرة أو «سوقيات» مطابقة لها في تنظيمها، بهدف التقرب من السكّان المقيمين في بعض الأحياء البعيدة.

إنَّ تجمّع ممثلي كلّ فئة تجارية في مكان معيّن ويمواراته توزيع مماثل لمختلف المهن، يعود بالتأكيد إلى حقبة سابقة. وقد استمرت هذه العادة بسبب الاهتمام الذي أولته كل سلطة إسلامية جديدة لحسن سير الأسواق ولتنوع السلع المعروضة، لكنّها لا نستطيع أن نتكلّم بعد على تنظيم داخلي من خلال طوائف الحرفيين. وقد تكون تأثيرات أخرى قد لعبت دوراً نتيجة لاستمرارية اقتصاد من نوع واحد طغت عليه بعض الخصائص، منها الطابع البدائي الذي تميّز به التنظيم التجاري، وعدم التمييز بين تجارة الجملة وتجارة المفروق، وبين الصانع والتاجر، والدخول، في كثير من الأحيان، إلى البيع بالمزاد العلني من خلال وسطاء إضافةً إلى مفاعيل بعض العادات الخاصة بالإسلام فالدولة مثلاً كانت تراقب الأسواق من خلال الحساب التي يمارسها موظّف يُعرف بالمحتسب؛ أمّا قاعد العرض والطلب وفقاً للأسس الأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي فكانت تمازس بحرية تامّة. وفي الواقع كانت هذه القاعدة التي أطلق عليها العلماء أيضاً تسمياً

إنّما، وبشكل عام، بقي منظر المدينة، خلال القرون الوسطى الإسلامية، متميّزاً بأنشطة تجارية وجرّية مزدهرة. وكانت هذه الحيوية المتدفّقة تعكس حياة العالم الإسلامي في هذه الحقبة، وكانت تعكس طرق القوافل والمنشآت المرفئية المتعدّدة والممتدة على مجموعة هائلة من الأراضي، انطلاقاً من شبه الجزيرة الأيبيرية وشاطئها الأطلسي، وصولاً إلى آسيا الوسطى والهند، وإلى إندونيسيا في ما بعد. داخل هذه المساحة، وبالرغم من الخلافات السياسية والدينية التي أدّت إلى حروب متكرّرة، تمتّع جميع التجار بحرية حقيقة في التنقّل وكانوا في حاجة إلى ممارسة تجارتهم في المدن. إضافة إلى ذلك، كان هذا العالم - الذي شكّل رابطاً بين الشرق الأقصى من جهة، وأوروبا وأفريقيا السوداء من جهة أخرى - والذي أضاف بُعداً عابراً للقارات على تجارة داخلية تمحورت حول بغداد، ثمّ حول القاهرة، قبل أن تتجه بضائمه نحو الأناضول واسطنبول - في حاجة إلى امتلاك مستودعات ومراكز تجارية في المدن. ولذلك كانت الأسواق، على أنواعها، تجمع بين المنتجات البعيدة والقيمة وبين التجارة الصغيرة المحلية وتلب في المدن دوراً مهيماً، غالباً ما تعجز البقايا المعمّرة المشتتة أو الحديثة عن إعطاء صورة حيّة عنه.

ما زالت بعض المعلومات حول تنظيم هذه الأسواق خلال القرون الوسطى متوافرة، سواء في ما يتعلّق بسورية في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، بفضل الملاحظات الطبوغرافية الجزئية التي تؤمّن المصادر التاريخية أو الجغرافية، أو في ما يتعلّق بمدينة القاهرة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، بفضل الرواية التي تركها المقريزي، الكاتب المتعدّد الموضوعات. ويتبيّن من خلال المعلومات المتوافرة عن هذه الحقبات المتفارقة، أنّ صفوف الحوانيت كانت تمتدّ على طول الشوارع التي غالباً ما كانت متوازية وتتقاطع بزوايا تسعين درجة مع شوارع أخرى. أمّا الفسحة العاتقة التي تحدّها هذه الشوارع، فكانت تتضمن المسجد الجامع والمدارس والحمامات، بينما كان توزيع الأسواق يعتمد على حاجات الزبائن المحلية.

تقليدي، إلى جانب مؤسسات حديثة قائمة بشكل عام في الضواحي، فقد فقدت الأسواق القديمة ضخامتها واقتصرت على أروقة ضيقة ومتعرجة، كما هي الحال في مدينة فاس القديمة. غير أنَّ هذا الغياب لأيّ تصميم هندسي لا يشكل، كما استنتج البعض، عصباً مميزاً لتنظيم الأسواق المُدنية في بلاد الإسلام، بل هو ناتج عن تدهور متواصل للتصاميم الأصلية تحت تأثير الزمان وفي غياب الأنظمة البلدية. كما أنَّ المخططات السابقة التي بُنيت وجودها في المدن التي بقيت مأهولة في العصر الأموي وفي بعض المدن التي نشأت في الحقب الأولى لظهور الإسلام، والتي استمرت طيلة القرون الوسطى، فكانت تعتمد مخططات ذات زوايا قائمة وأضلاع مستقيمة. نجد آثاراً لذلك في مدينة حلب السورية، تحت منشآت المدينة الحديثة.

◀ راجع المستندات ٣٦، ٥٧، ٥٩، ٧٢، ٨٢.

أسوان (جمهورية مصر العربية)، مدينة في وادي النيل على مستوى شلالات النهر الأولى. يرتبط ازدهارها في الحقبة المعاصرة بالموقع الذي تحتله بالقرب من البحيرة الإصطناعية التي أنشئت لتنظيم منسوب نهر النيل.

إن الأهمية الإستراتيجية والتجارية التي عرفتها المدينة طيلة القرون الوسطى نتجت عن الدور الذي لعبته كمسند لطريق الغوافل التي تربط مصر ببلاد النوبة. لكن منطقة أسوان ظلت، حتى آخر العهد المملوكي، منطقة حدودية لا تتمتع بالإستقلالية الإدارية، تابعة لإقليم فُوص. حافظت البلدة، حتى يومنا هذا، على بعض الصرائح المشيدة في جوارها التي يعود تاريخها إلى العصر الفاطمي، وعلى مداخل فيها نُصبت تحمل كتابات. لم تعرف التوسّع إلا حديثاً، وقد اشتهرت في عصرنا الحاضر بالسدّ الكبير الذي أنشئ على نهر النيل في عهد الرئيس عبد الناصر، والذي حلّ محلّ سدّ قديم يعود إلى العام ١٩٠٢، وقد نتج عنه تطوّر صناعي طال المنطقة ونمّو ديموغرافي للمدينة. تغطي المياه التي يخزنها السدّ مساحة شاسعة من الأراضي يصل طولها إلى خمسمائة كيلومتر وتمتد داخل السودان.

◀ راجع المستندات ١٢ و ١٣ و ٢٥.

«شروط السوق» تقضي بعرض كافة النماذج المتوافرة من السلعة المطلوبة في الموقع نفسه.

أمّا في المدن الكبرى فلم تقتصر الأسواق على لحوانيت والمشاغل بل نصّبت، منذ العهد القديمة، بنية ضخمة استُخدمت كمراكز تجارية وأسواق مؤقتة شبيهة أحياناً بالمعارض الحقيقية. وكانت هذه الأخيرة تُظلم في ساحات خارج الأسواق، بالقرب من محطات لقوافل. أمّا الأبنية التجارية فظهرت في عهد مبكر تحت اسم «قيسارية» الذي يشير إلى أصلها القديم، استُخدمت في بادئ الأمر، حصراً، لحماية السلع الثمينة من مجوهرات أو أقمشة. كما ظهرت في ما بعد نادق ومستودعات وخانات مخصصة لاستقبال التجار لأجانب الأثين لعرض سلعهم على أهل المدينة.

وبتداء من القرن السابع الهجري/الثالث عشر لميلادي، أخذت الأبنية المعروفة بـ«الخانات» أو «القنادق»، والشبيهة بتلك التي خُصّصت لتحسين أمن لطرق، تدخل إلى المدن وتكاثر. شُيّدت هذه الأبنية ثمانية وأحياناً بأحجام ضخمة، وأضيف مظهرها مهمّاً على لأحياء التجارية التي شهدت، في الوقت نفسه، إنشاء لناظر من الحجر أو الآجر، تغطّيها في إيران مثلاً، وأبواب عريضة، بهدف حماية صفوف الحوانيت المتصل بعضها ببعض، والتي باتت شبيهة بالأسواق المسقوفة.

استعملت أجمل أنواع الحجارة في الأباطرة في العثمانية لتشييد أهم النماذج لهذه الهندسة المعمارية لإسلامية ذات الطابع المُدني. وقد ارتفعت الخانات لضخمة المزودة بالواجهات المتقنة، وبالقنابل أحياناً، المجاورة لأروقة وممرات مسقوفة ومتنوعة التصميم. كانت متصلة أحياناً، كما هي الحال في سليمة أترنة، بالمسجد الجامع الذي كان يشكل قلب المجتمع.

ظهرت نماذج أخرى رائعة ضمن النطاق الإيراني شُيّدت بالآجر المزخرف، وأحياناً بالخزف؛ إنشأ، وبسبب ضعف المواد المستخدمة، لم يبق منها سوى الإشاءات الحديثة التي تعود إلى العهد الصفوي مثل سوق أصفهان، أو بشكل خاص إلى عهد القاجار. وإنّ أجمل بقاياها موجود في مدينتي قزوین وسمان.

أمّا في المدن الحالية التي حافظت على حيّ تجاري

الجنوبيين، ذلك أنَّ إشبيلية المفتحة على الأطلسي كانت مركزاً ناشطاً ساعد على ازدهار الثغور الغرب للأندلس، وقد استقبلت منقطعها أعضاء جند حمص من ١٢٤/٧٤٢م، عندما وُزعت إقطاعات على المحاربين العرب القادمين من سوريا. ثم عرفت المدينة حركات ثورية، وكان عليها أن تواجه هجمات النورمان من ٢٢٩/٨٤٤م، وسنة ٢٤١/٨٥٥م، ولم تعرف الهدوء إلا في زمن الخليفة عبد الرحمن الثالث.

وفي المرحلة اللاحقة، أي في عهد ملوك الطوائف، نهضت في إشبيلية سلالة بني عبّاد العرب التي أسسها القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد سنة ٤١٤/١٠٢٣م، واستمر حكم هذه السلالة حتى سنة ٤٦١/١٠٨٦م. وإشبيلية التي أفاد نشاط التجاري من هيمنتها على وبلّ، شهدت حركة أدبية متميزة، وتحوّلت قصبتها إلى قصر ملكي اشتهر بروعة وأصبح مقرّ أمراء من رعاة الأدب. وفي سنة ٤٨٤م، دخل المرابطون البربر إشبيلية ونهبوها، بعد أن كانوا قد أتوا من المغرب لمساعدة ملوك الأندلس. وفي سنة ٥٤١/١١٤٧م، احتلّ الموحدون المدينة وجعلوه مقرّ سلطنتهم في شبه الجزيرة، كما أقاموا مركز القيادة العامة لجيشهم فيها، وأدخلوا عليها تعديلات معمارية تلبّي أذواقهم في فنّ البناء، فعرفت إشبيلية عندئذٍ صلباً تجميلية وارتفعت فيها أبنية جديدة. تظهر حتى الآن الترميمات التي قام بها الموحدون في قصر بني عبّاد الذي يُعرف اليوم باسم «القصر»، كما في المسجد الجامع، والحمّامات وفنادق المسافرين. ومن المسجد الجامع، لم يبق اليوم إلا الفناء والمئذنة المشهورة التي تُعرف باسم «جيرا الدا» (Giralda) وقد بُنيت، كغيره من المآذن في مراكش والرباط، بهدف تخليد مجد الموحديين. وفي سنة ٦٤٦/١٢٤٨م، سقطت إشبيلية بيد فرديناندو الثالث، ولم يستطع المسلمون استعادته رغم المحاولات المتكررة، وانتشرت فيها بعد ذلك أعمال عمرانية وفنية متنوعة تُظهر خصائص الفن المدجّن.

« راجع المستندات ١١، ١٥، ١٦ و ١٩.

الإشتراكيات الإسلامية، هي أنواع خاصة من

أسبوط (جمهورية مصر العربية)، مدينة في مصر العليا تُعتبر اليوم من المدن المهمة، وكان لها، بعد فتوحات القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، دور إداري واقتصادي في قلب ولاية مصر النخبة.

تقع أسبوط في محيط خصب من الضفة الغربية لنهر النيل، على طريق القوافل القادمة من السودان. كانت هذه المدينة القبطية القديمة تُعرف في اليونانية باسم «ليكوبوليس». وكانت في القرون الوسطى مدينة ناشطة اشتهرت بمحاصيلها الزراعية ومنتجاتها الحرفية وتجارتها، إذ كانت قافلة «دارفور» تحمل إليها الرقيق والعاج كلّ سنة وتعود بالسبيح المصري. إلا أنها لم تكن يوماً مركزاً فكرياً مشهوراً، على الرغم من أنها أنجبت بعض العلماء والمفكرين، بينهم السريطي الذي عاش في العصر المملوكي وترك مصنفات متنوعة. وأسبوط التي ما زالت تحتضن أعداداً وفيرة من المسيحيين، وتُعتبر عاصمة مصر العليا، عرفت ازدهاراً جديداً مع نهاية القرن التاسع عشر، عندما انصلت بالقاهرة عن طريق خط للسكك الحديدية سنة ١٨٧٥، وبعد أن بُني فيها سدّ، بين سنتي ١٨٩٢ و ١٩٠٢، أعطى الزراعة دفقاً جديداً.

إشبيلية (إسبانيا)، مدينة مرفئية لعبت في غرب الأندلس، خلال أكثر من خمسة قرون، دور مركز إقتصادي وعاصمة إقليمية.

تقع المدينة جنوبي شبه الجزيرة الأيبيرية، على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير/ غوادالكفير، وعلى بعد مئة كيلومتر من مصبه، لكنّ السفن تستطيع الوصول إليها. عُرفت قديماً باسم «هسباليس» (Hispalis)، وخضعت للرومان ثم للقوط، قبل أن يدخلها المسلمون سنة ٧١٣/٨٩٤م، خلال الفتوحات الكبرى. جعل منها الحاكم الأوّل للمقاطعة الجديدة، عبد العزيز بن موسى بن نصير، قائد الجيوش العربية - الإسلامية، عاصمةً له، ولكن بعد موته سنة ٩٧/٧١٦م، نُقلت العاصمة إلى قرطبة التي أصبحت الحاضرة الأولى وحافظت على نفوذها في المناطق التي دخلت الإسلام، كما غدت لاحقاً مقرّ أمويي الغرب. مع ذلك بقيت المنافسة قائمة بين المدينتين

ببدأ^{٢٠}، وفيه يطالب بتغيير إجتماعي جذري في مصر. ثم نشر الكاتب السوري مصطفى السباعي سنة ١٩٦٠ كتاباً عنوانه «اشتراكية الإسلام»، أراد أن يظهر من خلاله أن النظام الاشتراكي هو الحل للقضاء على البؤس والجوع، كما أراد أن يدعو إلى التكافل الاجتماعي الذي هو أحد أسس إيديولوجيته. إن هذا النظام الذي اعتبر الأكثر ملاءمة لتوطيد وحدة الشعب العربي وإخراجه من حالة الفقر يتبنى حلّ الملكية الجماعية في الحقل الاقتصادي، ويرفض في المقابل مبدأ صراع الطبقات. إنه يتميز، في ما خصّ هذه النقطة الأخيرة، عن الاشتراكية الأوروبية، بالرغم من أن التباير المعروضة لتأمين التنظيم الجماعي للمجتمع تؤدي في الواقع إلى زوال الطبقة الوسطى.

في غضون ذلك، جاءت مبادرات جديدة لتحلّ سريعاً مكان المحاولات السابقة التي ولدت نتيجة تسلّل الأفكار الأولى للاشتراكية، وهذه المبادرات أدت، في الإسكندرية، إلى قيام حزب العمال سنة ١٩٢٠، والحزب الشيوعي سنة ١٩٢٢. وابتداء من سنة ١٩٣٠، أفسح في المجال، تحت تأثير النظامين الألماني والإيطالي، لبروز حركات قومية واشتراكية في مختلف دول الشرق الأدنى تدعو إلى اشتراكية الدولة. وفي السنوات العشر الأولى التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، رأينا الاشتراكية العربية الإسلامية التي نادى بها مفكّرون جدد تتوغّل بقوّة في الحياة السياسية العربية. فأدّت إلى قيام أنظمة جديدة مع جمال عبد الناصر في مصر سنة ١٩٥٢، ومع حزب البعث العربي في سوريا سنة ١٩٦٣، وفي العراق سنة ١٩٦٨، مع الفرع العراقي من الحزب عنه. وفي تونس، نهض حزب الدستور الجديد، فدعا الحبيب بورقيبة سنة ١٩٦٢ إلى تطبيق نظام سياسي يعزّز دور الدولة.

من جهة أخرى، كان للأفكار الجديدة الآتية من أوروبا تأثيرها في الولايات التركية من السلطنة العثمانية، ولا سيّما بعد انتفاضة ١٩٠٨. وفي سنة ١٩١٩ تأسّس حزب تركي إشتراكي لم يلبث أن حلّ مكانه حزب إشتراكيّ عمالي وفلاحيّ. وفي الحقبة عينها، تأسّس حزب شيوعي. وبعد قيام الجمهورية

الاشتراكية ظهرت في البلدان الإسلامية التي جابهت مشكلات العصر الحديث، وهذه المشكلات ما تزال في غالبيتها قائمة حتى اليوم.

كان لدى الإصلاحيين المسلمين، في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، همّ التكيف مع التوجّهات الحديثة للعالم الغربي، من دون التخلّي عن الهوية الأساسية لعالمهم. من أجل ذلك حاولوا أن يبيّنوا أن الإسلام يتلاءم مع متطلبات الاشتراكية التي انتشرت في البلدان الأوروبية، وأنّ يشدّدوا على أن أهمّ ما شغل تفكير النبيّ محمد (ﷺ) كان الدفاع عن الفقراء والضعفاء. هذا ما كان ينادي به خصوصاً جمال الدين الأفغاني في حدود سنة ١٨٩٧، وهو لم يتردّد في التأكيد أن ممارسة المسلمين الأوائل هي صورة حقيقية للاشتراكية وتطبيق لها قبل نشوتها. ويذكر الأفغاني بالعواقب الوخيمة التي تنتظر الاشتراكية التي تُهمل لدين، إذ تؤدي إلى زوال المراتب والدرجات الاجتماعية. وهو نالياً يدعو إلى اتباع منهج إسلامي يختلف عن ذلك الذي تنبّه الاشتراكية الغربية.

تواصلت تعاليم الأفغاني مع آراء مفكرين لاحقين من العالم الإسلامي ذهبوا في الاتجاه نفسه، ولم يتمّ لتعرّف إلى آراء بعضهم إلا في زمن متأخّر. مع العلم أن عدداً منهم لم يكن ينتمي إلى الإسلام، ما أدى، في بداية القرن العشرين، إلى ظهور تيارين في البلدان العربية: تيار الاشتراكية الإسلامية وتيار الاشتراكية العربية، مع تلاقي الأفكار بينهما أحياناً. وفي سنة ١٩١٣ وضع كاتب مسيحي، هو سلامة موسى (١٨٨٧-١٩٥٨)، بحثاً بعنوان «إشتراكية» لم يكن له أيّ صدى آنذاك، ثم أعيد نشره سنة ١٩٦٢، فلقى نجاحاً مثيراً. والواقع أن الاشتراكية العربية أو الإسلامية أصبحت، بعد الحرب العالمية الثانية، من القضايا التي وُضعت حولها أبحاث تحدّد طبيعتها.

في سنة ١٩٤٦ اقترح ميشال عفلق، وهو مفكر سوري مسيحي اعتنق الإسلام في أواخر حياته، إشتراكية عربية الطابع^(١٨). وفي سنة ١٩٥٠ وضع الكاتب المصري خالد محمّد خالد كتاباً، تُقَل لاحقاً إلى الانكليزية، بعنوان "From here we start"، من هنا

العاشر الميلادي حتى ١٩٢٤. هم سلالة العلويين المتحدرين من الحسن التي استمرت كل فروعها، بدو إنقطاع تقريباً، في مكة منذ مطلع القرون الوسطى. من هذه السلالة نشأت في القرن العشرين عائلة تمكنت من الاحتفاظ بعرش المملكة الأردنية الهاشمية بعد أن حاولت أن تملك على الحجاز والعراق.

هؤلاء الأشراف الذين يرجعون بنسبهم المباشر إلى النبي محمد (ﷺ) من خلال أحد أحفاده، كما من خلال انتمائهم إلى الهاشميين عشرينه الأصلية، استقروا في مكة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. كانت هذه المدينة تمر آنذاك بفترة مضطربة بعد أن سيطر عليها الإسماعيليون الذين لبوا نداء القرامطة الذين قادوا صراة عنيقا من عربهم في البحرين ضد سلطة الخلفاء العباسيين. كما أفاد حكم الأشراف الناشئ أيضاً من تنامي الخلافة الفاطمية التي حرّت سلطة خلفاء بغداد.

وأول الأمراء المستقلين من هذه السلالة كان من أسرة الموسويين المتحدرة من أحد أحفاد الحسن، وكاد شقيق محمد النفس الزكية. إن الأسر الأخرى التي شكّلت في ما بعد الفروع المتعاقبة للسلالات (السليمانيين والهواشم والفتاديين الذين حكموا أكثر من سبعة قرون)، تتحدث كلها من الجد نفسه. على أن سلطة هذا الأمير - وكذلك سلطة الأشراف من ذوي الانتماء الشيعي، ومن ثم السني، الذين خلفوه والباين عدهم مئة تقريباً - ظلت دائماً سلطة نسبية. كانت خاضعة، من جهة، لسيادة قوى بعيدة كالعباسيين والفاطميين، وأيضاً المماليك والعثمانيين الذين مارسو جميعاً نوعاً من الحماية الفعلية نسبياً على الأراضي المقدسة الإسلامية؛ وكانت، من جهة ثانية، تنصّذ للطامعين المتنافسين الذين كانوا يتواجهون في صراعات داخلية لا تنتهي. وينتمي الأشراف الأخيرون، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى عشيرة «آل عون». وأشهر هؤلاء الحسين بن علي المعروف بالشريف حسين الذي حاول، من دون جدوى، بعد الثورة العربية في عام ١٩١٦، أن ينصّب نفسه ملكاً على الحجاز، وحتى خليفة على المسلمين، قبل تخلّيه عن العرش عام ١٩٢٤. في المقابل، كان مستقبل سياسي

التركية فرض أتاتورك، سيّد البلاد الجديد، مراقبة مشددة على الاشتراكيين والشيوعيين. إن الدستور الذي وُضع سنة ١٩٣٧ لم يأخذ إلا بعدد قليل من الطروحات التي دافعت عنها الاشتراكية. وحتى ١٩٦٠، ظلت النخبة التركية تعتبر الاشتراكية خطيرة وغير شرعية. ولكن بدءاً من ١٩٦١ أصبحت الأجواء أكثر ملاءمة لنموها، إذ أقر حق الاضراب للقطابات، كما أبصر النور حزب عمالي حقن بعض النجاح في انتخابات سنة ١٩٦٥. لكن هذا الحزب الذي تبنى مبادئ ماركسية من دون اللجوء إلى أساليب ثورية، لم ينجح في تنمية حضوره في البلاد.

أشراف المغرب أو «الشرفاء»، مجموعة شخصيات تنسب إلى العلويين المتحدرين من الحسن، مثلت دوراً مهماً في تاريخ المغرب الأقصى حيث كانت في أساس نشوء سلالات الأديرة والسعديين والعلويين الملكية.

ومن المرجح أن يكون هؤلاء الأشراف قد استقروا في فترة مبكرة في البلاد التي لجأوا إليها منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، هرباً من سلطة العباسيين وقمعهم النيف لثورات العلويين الذين ادّعوا الحق في الخلافة. من هؤلاء الأديرة الذين يتحدثون عن إدريس الأكبر، أحد أحفاد الحسن، الذي كان قز من الشرق بعد هزيمة ابن شقيقه الحسين بن علي في معركة فخ في العام ١٦٩هـ/٧٨٦م، والذي تمكن، مباشرة بعد ذلك، من اقتطاع مملكة له في المغرب الإسلامي. أمّا الباقون الذين ينسبون إلى أشقائه إدريس أو هم أحفاد آخرون للحسن - منهم محمد النفس الزكية الذي ثار ومات في العام ١٤٥هـ/٧٦٢م خلال حكم المنصور - فلم يتمكنوا من الوصول إلى السلطة إلا بعد زمن طويل، بعد القرن السادس عشر. وإلى أسلافهم تنتمي أشهر سلالتين في المغرب الحديث، سلالة السعديين وسلالة العلويين الذين عرفوا حظوة متزايدة في مجتمع يعيل، منذ زمن بعيد، إلى الزعماء الذين يستهون الجماهير وإلى أهل التقى الذين يتمتعون بإجلال شعبي.

« رابع المستد رقم ٥ »

أشراف مكة الهاشميون: القرن الرابع الهجري/

واعد ينظر ولديه فيصل وعبدالله .

« راجع المستندين ٥ و ٦ .

إشراق، مصطلح تقني عربي، لاقى حظوة خاصة بعدما استعمله «معلم التيوصوفية الإشراقية»، شهاب الدين السهروردي المدعو المقتول، الذي عاش في سوريا في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

الكتاب الذي خصّه هذا المؤلف بالحكمة الإشراقية، جعل هذه الفكرة المستوحاة ظاهرياً من كتاب لابن سينا، القاعدة الأساسية لكل مدخل إلى حقيقة لا تسمح المعرفة العقلية إطلاقاً بالوصول إليها، ولكن يوحى بها إنطلاقاً من شرفي حقيقي ورمزي، جرى تتبعه عبر الحكمة القديمة، كما بواسطة رؤيا صوفية. إن نظرية كهذه سقطت تحت ضربات الاتهام بالزندقة، التي أعدم السهروردي بها، بعدما تم اتهامه رسمياً. ومع ذلك، لم يصف تأثيرها لاحقاً في أبحاث مفكرين آخرين كثر من المتصوفة، في طليعهم نصير الدين الطوسي وابن العربي، واعتنتها خاصة عدد من أتباع السهروردي الحقيقيين، ومن تلامذته المباشرين كشمس الدين الشهرزوري (المتوفى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م)، واعتنتها أيضاً تلامذة نشيطون عاشوا في بلاد فارس في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي وكانوا كثيري العدد، ومنهم الملاء صدرا شیرازی. وعلى كل هذه الأجيال من تلامذة الإشراق تطلق عمومًا تسمية «الإشراقيون» التي جرى توسيعها أحياناً، فشملت طلائع مثالي الباطنية والتيارات المعرفية الابتداعية، أولئك الذين كانت اهتماماتهم الإشراقية قد سبقت في زمانهم التعبير عن عقيدة السهروردية من دون الوصول، على أي حال، إلى ما بلغته من وضوح.

أشروسنا، إقليم في آسيا الوسطى القروسطية، سقط اسمه من التداول، وكان يقع بين وادي زرافشان الأعلى ويكسزنت/سبيردزيا الأعلى. هذا الإقليم المورث اليوم بين جمهوريتي أوزبكستان وطاجيكستان، كان يحتل هضبة عالية وخصبة، تحدها، من جهة، أرض سمرقند في بلاد السغد القديمة، ومن جهة أخرى، منطقة فرغانة. شهد ازدهاراً في مرحلة ما قبل الإسلام، ما زال يعكسه

موقع بنجيكت الشهير - وكانت تُعرف بيونجيكات في القرون الوسطى -، تلت مكانة مشابهة لدى الجغرافيين العرب الذين ذكروا فيه، في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، حواضر عبدة.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل ٢٥٩-٣٢٤هـ/ ٨٧٣-٩٣٦م، مفكر عراقي ذو نسب عربي قبلي، أسس أحد أشهر المذاهب الفقهية المعروف بالمذهب الأشعري الذي يحمل اسمه، حتى لو أنّ هذا المذهب يدين كثيراً لأتباعه ومعتنقيه في ازدهاره وانتشاره.

ولد في البصرة التي وُلّي عليها سلفه أبو موسى الأشعري الصحابي في القرون الأولى للهجرة، من سنة ١٨هـ/٦٣٦م إلى سنة ٢٩هـ/٦٥٠م. وقد درس فيها على الجبائي أحد أئمة المعتزلة المجلين، قبل أن يتركه مجاهراً بخلافه معه سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م. هذا التحول الذي شكّل المنطلق لاحظه آراء المعتزلة استناداً إلى حجج من القرآن الكريم ومن السنة، كان الحدث الأوحد الجدير بالتوقف عنده في سيرته، قبل أن ينتقل في نهاية حياته إلى بغداد عاصمة العباسيين حيث توفّي. من أشهر كتبه «الإبانة في أصول الديانة» الذي نجد فيه مجاهرته بعقيدته، مدعومة بحجج أوفى من حجج الحنابلة. وله كتاب «المع في الرد على أهل الزنغ والبدع» وهو دراسة في علم الكلام، وكتاب «مقالات الإسلاميين» الذي هو عرض للعقيدة الإسلامية. أما فكره الفلسفي فقد تبين أنه أكثر رصانة ورزانة مما كان يُعتقد حتى الأمس القريب، وقد قام بشرحه أحد أتباعه.

الأشعرية، اصطلاح يدلّ على مدرسة أو مذهب في علم الكلام وعلى عقيدة هذا المذهب الذي أسسه الأشعري ونافس فيه مذهب المائريدي. وقد أضحت الأشعرية في العصور الوسطى المتأخرة أحد المذاهب الكلامية الأكثر انتشاراً في العالم الإسلامي.

واقع الأمر أنّ الأشعري الذي تحدّر إلينا منه «شهادة إيمان» [رسالة في الإيمان] مفضّلة ورسالة في علم الكلام، خالف المعتزلة الذين كان انضوى إلى مذهبهم، لكنّه احتفظ ببعض طرق تفكيرهم وحتى ببعض التحاليل التي عدّها بحيث تتوافق والأطاريح

أوحى إليهم بها بعض المفكرين من المعتزلة، تقوم على مفهوم المادّة-الذرة (أي الجواهر). ولقد قال بهذه النظرية «الذرية» في [خلق] العالم كثيرون من علماء الكلام المسلمين، إذ إنها تيسر القول بالحرية الإلهية، فالعالم المكوّن من مجموعة من الذرات لا يمكن أن يكون خاضعاً لأيّ حتمية.

زد على ذلك أنّ الغزالي الأشعريّ المنحى أخذ ببعض الحجج ذات النمط الفلسفي، مثل التي تناول البرهان على وجود الله بمنطق أرسطويّ، يفوق في دقته المنطق الذي استخدمه من سبقه من المؤلّفين. وهذا ما مكّن ابن خلدون من القول إنّ الغزاليّ اختط في علم الكلام منهجاً جديداً هو «منهج الأخذين بالحدادة».

إنّ الأشعرية التي جهدت في هذا الاتجاه للمحافظة على مذاهب السلف وعرضها، في الوقت نفسه، في صيغة يقبلها العقل، أحرزت نجاحاً حقيقياً استمرّ حتى وقتنا الحاضر، بعد أن كانت قد انتشرت في المناطق الوسطى والشرقية من إمبراطورية العباسيين حيث تجنّد لخدمتها علماء كلام مثل الباقلانيّ، وفي مرحلة لاحقة الجوّينيّ. ولقد لاقت حظوة بعد وصول السلاجقة إلى الحكم وأفادت، بفضل الوزير الشهير نظام الملك، من دعم رسميّ يناقض العداء الذي ناصبتها إيّاه السلطات البويهيّة الشيعة. وإضافة إلى الأشخاص الذين سبق ذكرهم من قروا لها الإنطلاق، ينبغي ذكر الشهرستاني والإيجي، من دون أن يغيب عتاً أنّ المكانة المميّزة التي حظي بها مثقّو هذه الحركة الفكرية عبر العصور، في مؤسسات التعليم في الشرق الأدنى العربيّ، أخلّتها لأنّ تُعتبر، أحياناً، مرادفة لما يمكن تسميته السُنّة. إلّا أنّ العصور الوسطى شهدت حرباً على الأشعرية قادها الحنابلة من موقع الدافقين المتصلّين عن الأفكار السُلفيّة، فاتهموا القائلين بها بمبالاة خصوصهم، وهكذا أمّنوا لأنفسهم، بدورهم، مكانةً من الدرجة الأولى، منذ أواخر القرن التاسع عشر، في تطوير الفكر الإسلاميّ المعاصر.

إصطخر، مدينة من القرون الوسطى، مهدّمة، في مقاطعة فارس، لا نعرف منها اليوم إلّا مكانها قرب آثار الأحمينيّين في المدائن.

التقليدية. قال بوجود الصفات الإلهية وعدم خلق القرآن والتفسير في ما يختص بأعمال الإنسان، جرّأ على مقولة التقليديّين من السلف، ولا سيّما الحنابلة؛ إلّا أنّه كان يشعر بالحاجة إلى إرساء مقولاته لا على القرآن والحديث وحسب، بل على التفكير. وهكذا كان يثبت وجود الله بالبرهان المسمّى في الغرب «حدوث العالم» (a contingentia mundi)، فيما كان السلفيّون لا يرون في ذلك فائدة ما دام وجود الله معرّضاً بالوحي. يصعب الاعتقاد، رغم ما تؤكّده بعض الدراسات المنشورة حديثاً، أنّ الأشعري استغلّ بنفسه الامكانات التي أتيحت بهذا الشكل للمدافعين عن آرائه، لكنّه أسّس بهذا النهج علم الكلام، وهو مصطلح يعني، في العربية، «القول» أو «الخطاب»، فأطلق على النظر في مسائل العقيدة كما على الدفاع عن هذه العقيدة. إلّا أنّ الأشعري كان قد اعتمد بعض التحديدات التي تميّزه بوضوح عن السلفيّين: وهكذا، مع دفاعه عن فكرة التفسير في ما يخصّ أعمال الإنسان، قال إنّ الإنسان، يبتّيه بنفسه هذه الأعمال ساعة تنبّذها، يصبح مسؤولاً عنها.

وفي ما اتّبع تلاميذه الطريقة التي انتهجها، جازوا بتأويلات أو صيغ جديدة قد تكون تأثّرت بانتقادات المنارديّين. مهما يكن من أمر فإنّهم طوّروها باستخدامهم إيّاها في إطار علميّ متكامل وفي خطّة انتقاء فلسفيّ للأسس التي كان وضعها استأذمهم. ففي القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، مثلاً، عمدت جماعة مثل الجويني إلى الدفاع عن تأويلات مجازية لعبارات تجسيمية وردت في القرآن ذكّرت فيها «يد» الله و«وجه»، وهي عبارات كان الأشعريّ نفسه اكفّى بقبولها كما وردت «بدون شرح»، من دون أن يعلن قبوله الكامل بمعناها الحرفيّة. يُعيد ذلك أيضاً، دأب الغزالي على إيضاح عقيدة القرآن غير المخلوق بقوله إنّ هذه الصيغة يمكن أن تُطلق على أفكار الوحي الإلهي وفنّ ما يستحقّ في عرف البشر، «الكلام الداخلي»، إلّا أنّها لا تناسب، في الوقت عينه، النصّ نفسه، كما نقرأه ونلوه. بيد أنّ الأشاعرة، من منطلق تبنّيهم المحتمل لموقف حدّده الأشعريّ نفسه، أبدوا اهتماماً كبيراً بصياغة نظرة إلى العالم [ووجوده].

مدينة أميرية، يسكن فيها أمير من الأسرة الحاكمة، وعرف جامعتها الكبير تعديلات، يمكن التعرف إليها اليوم، وهي تتفق وضرورات الفخامة والعظمة المتزايدتين. وفي أصفهان استقر أيضاً الوزير ابن عباد، رجل الأدب المشهور. والمدينة التي كانت محصنة بقلعة جرى تجميلها من قبله ببنائ مختلف، منها جامع جرجير المتميز بمدخله المزين بزخارف من الجص ويقطع من القرميد متنوعة الأشكال. على أن أصفهان لم تلعب بالفعل دوراً مهماً إلا مع قيام الأمبراطورية السلجوقية: فالسلطان وزيره كانا يقيمان فيها عادة؛ ومنها، مثلاً، كان نظام الملك يُصدر أوامره المتعلقة بتنظيم التدريس في بغداد. تمت في الجامع الكبير أعمال جديدة جعلته في مستوى العظمة التي عرفها البلاط الأمبراطوري، وقصور أخرى لم يعد لها اليوم وجود. وقد تحقّق ذلك أولاً بإنشاء أجنحة لها قباب، تنم عن قدرة تقنية وفيّة بالغة، ثم بإضافة إيوانات على جهات الباحات الرئيسية الأربع، وهي ما تزال ظاهرة حتى اليوم تحت غطاء من القاشاني المتأخّر، يشير إلى هيكل البناء. وبعد موت ملكشاه، فقدت المدينة مركزها المتميز شيئاً فشيئاً، وشهدت احتلالات متلاحقة، قام بها المغول، ثم تيمورلنك؛ ولم تعد موضوع اهتمام إلا من قبل بعض الحكام الإيلخانيين، ثم التركمان، من الآق قويونلو، الذين أغنوا زخارف المسجد الجامع. وأنشأ «أولجايتو» فيه قاعة داخلية لها محراب أنيق من الجص المنحوت. في سنة ١٥٠٢م، مع استيلاء الشاه إسماعيل الأول الصفوي على أصفهان، أتبع للمدينة أن تصبح المركز الاقتصادي والثقافي للأمبراطورية التي أنشأها، ذلك أن ازدهار هذه الأمبراطورية لم يكن من الممكن إرساؤه في المقاطعات الشمالية-الغربية، المعرّضة لأطماع العثمانيين. وفي ١٥٩٦م، أخضعها الشاه عباس الأول الكبير عاصمة له، متخلياً بالتالي عن المقرات التي كان أسلافه، متبعين في ذلك الإيلخانيين، قد اختاروها سابقاً في أذربيجان، فبنى أحياء جديدة، ومسجداً جامعاً ملكياً مشهوراً باتساعه وبنوعيته تزيينه بالخزف. هذا المسجد الذي عُرف بمسجد شاه أنشئ في أحد أطراف الساحة الكبيرة المستطيلة الشكل، المدعوة ميدان شاه، التي

دخلتها القوات العربية - الإسلامية للمرّة الأولى زمن الفتوحات الكبرى في ٦٢٣هـ/٦٤٣م، ومرّة ثانية نهائية في ٦٢٩هـ/٦٤٩م. كانت اصطخر مدينة ساسانية مهمة في إيران، وسرعان ما توارت، منذ القرون الأولى للإسلام، أمام شيراز المدينة الجديدة التي أصبحت عاصمة المقاطعة. واثّر ثورة نشبت حوالي نهاية القرن العاشر، دُمّرت اصطخر كلياً على يد جيش أرسله الأمير الكبير عضد الدولة من السلالة البويهية.

«راجع المصنف رقم ١٢»

أصفهان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة في ما كان يُعرف في القرون الوسطى بمقاطعة الجبال، وهي مجاورة لفارس وقائمة في وسط إيران الغربية. توسّعت في العهد الإسلامي، ولا سيما على عهد السلاجقة وخلال حكم السلطان الصفوي شاه عباس الأول.

أنشأ نهر زابنده رود، الدائم التدفق، لإنشاء بساتين وزراعات غذائية في سهل عال في جبال زغروس، أنشئت الأزهار في هذا المكان، حوالي ١٩هـ/٦٤٠م، خلال الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، لمدينتين صغيرتين، يفصل بينهما حوالي ميلين بحسب الجغرافيين العرب في القرون الوسطى: الأولى، أنشأها الساسانيون، تُدعى بَجِي، والأخرى تدعى يهودية، نسبة إلى اليهود الذين استقروا فيها، في زمن يصعب تحديده. في هذه المنطقة المروية والخصبة، كانت المدينتان محاطتين بقرى تابعة لهما، جُهّزت إحداها بأول مسجد جامع بعدما عدل الفاتحون عن احتلال المجتمع الساساني.

بعد زمن قليل، في نهاية القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، بُني مسجد جامع آخر في مكان مسجد الجمعة الحالي، يعود تصميمه الأول وأقدم بقاياه الأثرية إلى زمن العباسيين الأتليين. وارتفع حول الجامع سور، وسوّت ساحة في وسط مدينة ذات شكل دائري، نطلقت منها شوارع على شكل شعاعي، وشيّد قرب الساحة المركزية قصر الحاكم أو بالأحرى مثله. كانت أصفهان في الواقع خاضعة لسلطة الحاكم العبّاسي في البصرة، باستثناء الفترة التي خضعت فيها للصفّاريين. لم تكن سوى مركز إقليمي، لكنها أصبحت، في ظلّ البويهيين،

٨٩٧ ٩٦٧م، أدب وشاعر عربي، متشيع، اشتهر خاصة بمؤلفه «كتاب الأغاني». ولد في أصفهان، من عائلة قرشيّة أموية. عاش أبو الفرج في ظل حُماة الأدب، وسلالات شيعة حاكمة، كالبرهيين، والحمدانيين في حلب، وعاش خاصة في بغداد حيث توفي. كتابه المذكور هو مجموعة من الأشعار ومن الأغاني نقّدها موسيقيون مختلفون، وقد أرفقها المؤلف بتدّ عن سير هؤلاء. يشكّل الكتاب مصدرًا أساسيًا لمعلومات عن المجتمع البغدادى في زمانه، وعن الحظوة التي كان يلغاها نوع من الموسيقى واللهم. والفضول الخاص بالمؤلف، والذي ينمّ عنه الكتاب، دفعه إلى تصوير مظاهر متنوّعة للمجتمع العربي وللثقافة العربية، عائدًا بذلك حتّى إلى مرحلة ما قبل الإسلام. وتظهر خياراته الدينية بشكل واضح في كتاب آخر يدل على نبخه، هو «مقاتل الطالبين»، يروي فيه الطريقة التي لقيت بها حتفها سلاله علي بن أبي طالب خلال القرون الأولى للإسلام، وهي طريقة تشمّ بالعنف في أغلب الأحيان.

الإصلاح أو الحركة الإصلاحية، تيار فكري ظهر، أولاً، في الشرق، بين نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، في فترة تامت فيها علاقات جديدة سياسية وفكرية بأوروبا التي كانت تشهد تطوّرًا كبيرًا. ولم تكن غاية هذا التيار «إصلاح» الإسلام بل العودة به إلى ما كان عليه في الأصل.

هنا تكمن بالفعل، على حدّ قول مختلف أعضاء هذا التيار، الوسيلة الوحيدة التي سمحت بتقوية العالم الإسلامي وجعله قادرًا على الوقوف بوجه التأثيرات الغربية المضرة؛ وهذا ما أضفى على هذا التيار اسم «السلفية». ومع ذلك، لم يرفض التيار الإصلاحي بعض وجوه المعرفة أو بعض مفهومات الحياة المعاصرة؛ وجمع، مع ميله إلى الانكفاء على الذات، همّ التأقلم مع بعض التأثيرات الخارجية، السطحية في الغالب.

١ - يتطابق هذا التيار الفكري مع اتّجاه عميق في الإسلام لم يتوان عن الظهور في مراحل عدّة عبر العصور، واتّخذ أهمية خاصة في القرن التاسع عشر، بسبب وضع يمكن رسم خطوه الكبرى كالآتي: وجدت البلدان الإسلامية بمجملها، خلال هذه الحقبة، أنّها في

تفتح عليها من الجهات الثلاث الأخرى سوق ذات يوايه ضخمة، ومزار فخم على اسم الشيخ لطف الله، وواجهة قصر الأكاو. وأعاد التخطيط المدني في أصفهان بإنشائه جادة جهار باغ المؤدّية إلى جسر الله ورديهان الذي بني بأمر منه. وأقيمت في الحدائق الفسيحة للمقرّ الملكي الجديد أجنحة ضاهت شهرة جناح الأعمدة الأربعين أو «جبل سوتون».

وبحسب الرحالة الفرنسي شاردان (Chardin)، كانت أصفهان في هذه الحقبة أجمل مدن الشرق. وكانت كثيفة السكّان، تضمّ، فضلًا عن المسلمين، ممّلكين لديانات عدّة. فالشاه عباس كان قد نقل إلى أحد أحيائها، الذي عُرف منذ ذلك الحين بحيّ جلفا، عناصر أرمينية نزحت من المقاطعة التي تحمل هذا الاسم في ما وراء القوقاز، على الحدود الحالية التي تفصل جمهورية إيران عن أرض نخجوان التي تشكّل جزءًا من جمهورية أذربيجان. هؤلاء الأرمن الماهرون والتجار نعموا بالحرية، وشاركوا في تطوير اقتصاد المدينة، التي سكنها أيضًا تجّار وحرقيون أوروبيون. لكنّ هذه الأوضاع المؤانية لم تدم طويلاً، وبدأت بالتراجع خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، على الرغم من ظهور منشآت فخمة كمدرسة مادر شاه والخان المميّز التابع لها. في القرن التاسع عشر، تأكّد انحطاط أصفهان التي كانت تعاني الاضطرابات، أسوة بسائر المناطق الإيرانية، واستمرّت على هذه الحال إلى مطلع القرن العشرين، حين ساهم أمهاليها في نهضة الحركات القومية. وهكذا تمكّنت هذه المدينة من استعادة حيويّة إقتصادية وصناعية جديدة بأنّ تُسهي حالة الإهمال الماضية، وبأنّ تحافظ، في الوقت نفسه، على مجدها المميّز القائم على مبانيها الفاخرة. فهي لا تزخر بالتحف الصوفية التي أعادت إليها أعمال الترميم رونقها وحسب، لكنّ مسجدًا الجامع القديم، الذي أعيدت كتابته تاريخه الأثري منذ مئة، انطلاقًا من الأبحاث والدراسات المنهجية، قدّم معطيات ثابته، كان قد أسى فهمها حتى ذلك الوقت، عن تطوّر ما عرف به الجامع الإيراني».

«راجع المستندات ١٠، ١٢، ١٣، ١٧، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣

والجهد. وقد حارب أيضاً، من دون هوادة، بالقلم والعمل، الحكومات الإسلامية الاستبدادية التي وضع في طينعتها حكومة الشاه في إيران. لكن تفكيره تطور، فانتقل من مفهوم الجامعة الإسلامية - غير ممكنة التحقيق بسبب سوء العلاقة بين السلطان العثماني وشاه إيران - إلى الاعتراف بالحركات القومية المحلية. في الحقيقة كان جمال الدين ناشطاً أكثر منه مفكراً. وإذا كان بعض نتاجه الفكري قد عرف انتشاراً واسعاً، فإن ذلك يأتي، بالنسبة إليه، في المرتبة الثانية، فضلاً عن أن بعض نتاجه قد وضعه بالتعاون مع المصري محمد عبده.

كان محمد عبده، على عكس الأفغاني، استاذاً ذا ثقافة تقليدية، وقاضياً عمل، طوال حياته المهنية، على تحديث التعليم في الأزهر، وتحسين مؤسسات القضاء بتجديدها ودفعها إلى المزيد من الاستقامة. وقد امتاز أيضاً بعبادته الفقهية والفتاوى التي أصدرها والتي هدفت إلى السماح ببعض الممارسات ذات الطابع الغربي التي كانت ممنوعة، حتى ذلك التاريخ، في أقاليم الإسلام. وضع بخاصة مؤلفاً فقهياً صفيحاً، يمكن القول إنه يعبر عن الطريقة التي اتبعتها الإصلاحيون في معالجة مسائل من هذا النوع: كانوا يسبقون ما كان يبدو لهم كمسائل تخبطها الزمن، ويشددون على القيمة الاجتماعية للدين. وقد ساهم مفكر ثالث، هو الكواكبي السوري الأصل، في المرحلة الأولى من حركة الإصلاح، وبشكل خاص عبر كتاباته المناهضة للاستبداد.

ولكن، مع بداية القرن العشرين، جهد الإصلاحيون لتحديد موقعهم العقائدي. عمل على ذلك في الشرق، بشكل أساسي، رشيد رضا الذي، إضافة إلى تأسيسه مجلة «المنار» التي تحلّق حولها أعضاء الحزب المعروف بالاسم ذاته، تابع تفسير القرآن الذي كان قد بدأه محمد عبده. وقد لعب ابن باديس، في المغرب، دوراً مماثلاً وخلف هو أيضاً مقالات في تفسير القرآن.

٢ - هدفت الحركة الإصلاحية، بشكل عام، إلى تجديد الحياة الدينية وإلى إحياء العقيدة الإسلامية من منظور استمررت تحركه الأصولية. وهكذا ركزت هذه

حالة نعية مباشرة أو غير مباشرة للدول الأوروبية، سواء كان الأمر يتعلق بالسلطنة العثمانية التي ضعفت بفعل الخسائر العسكرية والديون الخارجية، أو بالدولة الإيرانية (الفاخرية) التي أصعبتها ديونها الخارجية أيضاً، أو بلدان المغرب التي وقعت على التوالي تحت السيطرة الأجنبية، أو الهند المحتلة هي أيضاً، وبدون أن ننسى مصر التي كانت تواجه، رغم ظهور الشعور الوطني منذ حملة بونايرت في العام ١٧٩٨، المشكلات السياسية والثقافية والمالية نفسها التي كانت تعاني منها المناطق الأخرى.

وللتعويض عن الحالة الدونية الاقتصادية والعسكرية هذه، بدأت تظهر بعض المواقف المؤيدة لممارسات الغرب الحديث، ومنها: إدخال التقنيات الأوروبية إلى مناطق مختلفة - تعایش التعليم التقليدي مع الجامعات ذات النمط الأوروبي التي تأسست في أرجاء عدة - الإزدهار، غير الممهود حتى ذلك الحين، الذي عرفته الإرساليات المسيحية في الشرق الأدنى، في الوقت الذي كانت كنائس الشرق تفتتح على التأثيرات الأوروبية - الانتشار الواسع للأفكار التي أصبح باستطاعة الصحافة نشرها على نطاق واسع، بفضل المطابع العربية الجديدة، كطبعة بولاق في مصر التي افتتحت عام ١٨٢٢. وتبع ذلك نهضة في الحركات الفكرية العربية عنها، بالموازاة مع التغلغل الغربي، أفرزت بدورها ذهنية عصرية سببها التحول في الحياة الاجتماعية والسياسية وفق النمط الأوروبي. لكن مثل هذه التحولات ترافق مع ضيق وحالة رفسية لدى العديد من الشعوب الإسلامية التي مُسّت في عاداتها، والتي وقعت بنصف في وجه كل محاولة للتأقلم مع الغرب، إذ كانت تعتبرها إذلالاً للإسلام.

كان جمال الدين، المعروف بالأفغاني، أول المفكرين الإصلاحيين، وقد شعر بضرورة محاربة الإمبريالية الأوروبية، وبالأخص البريطانية، في الهند كما في مصر. وقد أدرك، بالتأكيد، أنه، لمحاربة أخطار المادية الغربية، يجب إعادة القوة إلى الدين وإحياء الإسلام، ونذ بعض الإنحرافات كالتصرفات المنيقة من مفهوم حتمية الأمور، وتشجيع المسلمين على الكفاية

تجديد حقيقي في علم الكلام الإسلامي، لكنهم ساهموا، بشكل ما، بإعادة الثقة إلى المسلمين الذين كانوا يتساءلون عن مسببات الانحطاط الفضال الذي أصاب قواهم السياسية. وبالفعل، إنتشرت الحركة الإصلاحية في كل البلدان العربية تقريباً، وإن بنجاحات متفاوتة، لئلا الفراغ الذي كان يفسل، في مطلع القرن العشرين، العالم الغربي عن عالم إسلامي كانت أنماط حياته وإنجازاته المباشرة لا تزال تضرب بجذورها في صميم القرون الوسطى.

إن الدعوة التي أطلقها رشيد رضا نفسه، باسم العالم الإسلامي، إلى كل شعوب الأرض لتعتنق الإسلام «دين الإنسانية والسلام»، إنما ارتكزت تحديداً على إعادة تأكيد القيمة الذاتية للإسلام كشرعية منزلة مهتية، بصفتها هذه وبشكل كامل، لتنظم كل مظاهر حياة الفرد والجماعة. إن إرادة الدفاع عن الإسلام ونشره بقيت، من هذا المنظور، كاملة، لا بل كانت حاضرة أكثر من أي وقت مضى. وبالفعل لم تراكب هذه الإرادة أية محاولة لمناقشة أو إعادة تفسير الأسس الدينية التقليدية المكنونة التي لا تُمس. إن كل جهد تطويري كان يتخطى المجال المادي للفنون والتقنيات، بالمعنى الحصري، كان يُجابه بضرورة العودة الدائمة إلى الرسالة النبوية وإلى الأوامر الدقيقة المبنية منها. وبالنسبة إلى الإصلاحيين، كانت الرسالة المحمدية هي الوحدة التي أُنحت للإسلام تأسيس شرعية السلطين الزمنية والروحية، اللتين كانتا في أساس الاعتمادية التي تميّز بها المسلمون. وكل ذلك جرى مع تجاهل كامل للدعوات الأخرى، ويمكننا القول أيضاً: مع نظرة متعالية إلى الرسائل الأخرى وطموحاتها.

٣ - عانى هذا الأمل المسيطر على الفكر الإصلاحية في الإسلام من الحالة التاريخية الفوضوية التي عرفت في البلدان العربية في العقود الأخيرة من القرن العشرين. فبرز تناقض واضح بين التحديث المتسارع لبعض الدول النفطية من جهة، واليؤس السائد في بقية البلدان الإسلامية التي، بسبب افتقارها إلى مثل هذه الموارد، ظلت تعاني من سوء التنمية الزمن. إن الفشل الذي مُنبت به بعض الدول الإسلامية الفتية في الارتقاء إلى

الحركة على ضرورة إبعاد الدين عن بعض الممارسات التي تُعتبر بدعاً، وبخاصة بعض الشعائر المتصلة بزيارة قبور الأولياء، والتي لا أساس لها في القرآن ولا في السنة؛ وكذلك بعض المظاهر المتعلقة بتكريم الأولياء. كما دعت إلى التشدد في مراقبة الأخلاق العامة، وتصدت للذين كانوا يتساهلون بشأن الممنوعات الغذائية وبشأن ألعاب الميسر؛ وبالمقابل، شجعت المفضول الفكري وحب العمل. عمد أفراد هذه الحركة إلى الدعوة إلى الإسلام وإلى نشر مطبوعات دورية موجهة إلى جمهور مثقف.

شكّلت العقيدة، بدون شك، المجال الذي أظهرت فيه الحركة الإصلاحية، بأوضح صورة، أمانتها للقواعد التقليدية. تمسك مثلوها - أي أساساً رشيد رضا، وهو الوحيد الذي وضع مؤلفات بناء بهذا الخصوص - بسوافق تعتبر القرآن والسنة مركزين، لا جدال فيهما، للدين. ولم يكونوا مجددين إلا بالقدر الذي رفضوا فيه الانقسامات القائمة بين المدارس الفقهية، وكذلك تلك التي بين السنة والشيعة؛ وأيضاً بقدر ما انتقدوا التقليد ودعوا إلى الاجتهاد، معتبرين أن باب الاجتهاد لم يُغفل في يوم من الأيام. ولجأوا إلى الاجتهاد، بخاصة في المسائل الاجتماعية، بمقتضى مبادئ قال بهما كلّ الاصلاحيين: من جهة أولى، إن الفروض الطقسية هي واضحة بما فيه الكفاية في المصدرين الأساسيين للإسلام؛ ومن جهة ثانية، إنه يمكن أن تتخذ السلطة، في المجال التشريعي، تدابير معينة، بالاتفاق مع الفقهاء، لجعل الحياة اليومية للجماعة تتلاءم مع متطلبات الحياة المعاصرة. وبموجب هذا المبدأ، اقترح رشيد رضا تصوراً لإعادة الخلافة التي كانت الجمهورية التركية قد ألغتها عام ١٩٢٤.

حاول الاصلاحيون إذاً، ومن خلال عملية تجدد داخلي للإسلام، الحد من انتشار التيار التحديثي الذي كان يمثل آنذاك أولئك الذين قبلوا بمكتسبات الحضارة الغربية في مجال العلوم والتقنيات - مع ما يفترضه ذلك، بطبيعة الحال، من التزام بروحية النقد والتجربة - بدون أن يعيروا أهمية لمعرفة مدى توافق هذه المكتسبات مع الإسلام. لم يتوصل الاصلاحيون إلى

الإصلاحي، ولكنه ناضل خصوصاً من أجل إقامة جامعة إسلامية كان يعتبرها الوسيلة الفضلى لمواجهة التدخل الخارجي.

ولم يتخذ علماء الدين الإيرانيون أو الملالي موقفاً مؤيداً للإصلاح السياسي، إلا في ما بعد، في الفترة بين عامي ١٩٠٥ و ١٩١١. وقد أدّى هذا الموقف إلى ما عُرف بالثورة الدستورية؛ وكانت مهمة المجلس الذي نتج عنها، الحؤول دون تجاوز الحكومة للسلطة، في غياب الامام الغائب، بحسب عقيدة الإمامية الإثني عشرية. إلا أن علماء الدين الإيرانيين، باستثناء هذه المسألة الخاصة، لم يسعوا إلى صياغة جديدة للعقيدة، لأن ذلك لم يكن له ما يبرره في الوسط الشيعي. لا بل إن هؤلاء العلماء آثروا البقاء في الظل إلى لحظة انفجار التوترات والخلافات - التي كانت مستترة تحت غطاء حداثة مجرّدة من أي رابط مع الإسلام - في ثورة ١٩٧٩ التي قادها الخميني. فالسلطة التي تقرها الإمامية الإثنا عشرية لآيات الله تعزّت، بدعم من الملالي أنفسهم، إذ إن هؤلاء مكلفون، وفق هذه العقيدة، عبر عملهم باسم الامام الغائب وطيلة غيبته المستمرة منذ أحد عشر قرناً، بالعودة بالمؤمنين إلى حياة مطابقة للمشيعة، وإلى إقامة عدالة سوف يكملها الامام عند عودته المنتظرة.

لعبت الحركة الإصلاحية، التي كانت ذات فاعلية ضعيفة في إيران، دوراً ثانوياً في تركيا الحالية أيضاً. فقد انتشرت أفكار محمد عبده لفترة من الزمن في الأمبراطورية العثمانية، بفضل مجلة «الإجتها» التي أصدرها جودت باشا (١٨٢٢ - ١٨٩٥) في المنفى؛ واستمرّ انتشارها في ما بعد من خلال مجلة ذات منحى تحديثي أسّسها علماء دين شباب بعد ١٩٠٨؛ وقد برز اتجاه للنهل من منابع الإسلام، عبر عنه بدیع الزمان سعيد نرسي (١٨٧٣ - ١٩٦٠). إلا أن كل هذه المحاولات لم تصمد أمام المفكرين العلمانيين الذين شكّوا الطريق أمام الكمالية التي أقامت بالقوة الدولة الوحيدة التي يسكنها مسلمون، والتي رفضت أية تسوية مع العقيدة السياسية للإسلام.

وبالمقابل، احتلّت الحركة الإصلاحية موقفاً معيّزاً في تطوّر الهند، حيث ظهرت، في البدء، كردّة فعل

المرتبة الأولى بين الدول الصناعية، أُضيف إلى الحرارة الدائمة لدى شعوب مضطربة ومتقسمة على ذاتها، ثم نجد في توازنها الداخلي ضمان تفوّق يوضّحها - بعد حصولها على الاستقلال - عن مرارة سنوات السيطرة الأجنبية التي أحسّت بها كستوات ذلك. إن النجاحات والصعوبات الاقتصادية لم تؤدّ سوى إلى تأجيج الصراعات الداخلية ذات الطابع الاجتماعي - الديني التي يعرفها الإسلام، والتي يتمّ التعبير عنها بأشكال مختلفة في طبقات المجتمع عند كل شعب، وفاقاً للدرجة ثقافته وطبيعة الإعلام الذي يحظى به.

برز، بعد حركة الإصلاح التي كانت مسيطرة في مطلع القرن العشرين بمبادئها المتشددة، ولكن بتعبيرها المعتدل، اتجاه نحو أصولية لا تقلّ عنها تشدداً، ولكنها مطبوعة، إضافة إلى ذلك، بعدوانية واضحة أو مستترة. تشكّل هذه العدوانية إحدى الخصائص المميزة لما نسمّيه اليوم الإسلام الراديكالي؛ وكانت تظهر، في ما مضى، في كل مرّة كان فيها الإسلام يستلهم جذوره ليستمدّ منها العزم الذي يدفعه إلى البحث عن الانتصار عن طريق السلاح.

في غضون ذلك، لم يبقَ المظاهر المشار إليها وفقاً على التطوّر الذي عرفته البلدان العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. ومع أن الحركة الإصلاحية لم تظهر في إيران بالوضوح الذي كانت عليه في الشرق الأدنى، إلا أن هذا البلد عرف أيضاً جهود التحديث والتغريب. وقد سهّلت هذه الجهود، في بداياتها، شخصيات بعيدة عن الروحانية الدينية، كالأرمني - الإيراني ميرزا ملكوم خان (١٨٣٤-١٩٠٣) الذي أصدر في لندن، بين عامي ١٨٩٠ و ١٨٩٨، مجلة «قانون» التي كانت تدعم الفكرة القائلة إنّه في إمكان الإسلام أن يقبل بإصلاحات إجتماعية وأن يُدخل، في بعض المجالات، تشريعاً مستمداً من التجربة الغربية. والبرهنة التي اعتمد عليها كانت تركز على ضرورة الانطلاق من القرآن عينه، بدون التوقف عند الصياغات القانونية اللاحقة. وبعد فترة قصيرة، تأثرت إيران أيضاً، بشكل إستراتيجي، بأفكار جمال الدين الأفغاني الذي يمكن اعتباره، كما رأينا، من أركان التيار

الأصولية، موقف ديني يقول بالتزام النصوص المتزلة بصرامة، وقد كان قائماً طوال تاريخ الإسلام.

تمثل، بوجه خاص، خلال العصور الوسطى، بالتقليديين الذين كانوا حنابلة، بصورة عامة، وكانوا بتادون، في ما يتعلق بمسائل كثيرة، بضرورة الأخذ بحرفية نص القرآن من غير تأويل.

في الحقبة المعاصرة، تقوم الأصولية على موقف ديني وسياسي في آن، ويمثلها جميع الذين يطالبون بتطبيق الشريعة المستندة إلى نص القرآن. هذا هو موقف حكام المملكة العربية السعودية، وموقف الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وكذلك الإخوان المسلمين، الناشطين في دول متعددة، وموقف مختلف المجموعات المعروفة بالإسلاميين أو السلفيين، بحسب التسميات الغربية السائدة اليوم، وهي تسميات مرشعة للتطور بسرعة.

أضنه (الجمهورية التركية)، مدينة في جنوب الأناضول هي، اليوم، عاصمتها الاقتصادية، بعد أن عرفت، منذ انضمامها إلى الإسلام في القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، تاريخاً مضطرباً، مرتطلاً بمصير سهل كيليكيا الغني وبموقعها الإستراتيجي الخاص.

وبحكم موقع أضنة بين منفذ سلسلة جبال طوروس والطرق التي تربط الهضبات المرتفعة لقونية وأنقرة بالساحل الجنوبي للبلاد وبسوريا المجاورة، كان لهذه الحاضرة القروسطية دور تجاري من الدرجة الأولى.

فقد ورثت مدينة قديمة، وساعدها، في نموها، خصب محيطها والطابع المركب لسكانها الذين تودعوا، لحقبة طويلة، مناصفة بين مسيحيين ومسلمين. وإلى جانب منافستها في ذلك الزمان، المضيصة، أي موبصيفضا العنيفة التي غدت، اليوم، ضيعة بسيطة باسم بضيص، ولا سيما طرس/طرشوس الشهيرة التي حلت محلها تدريجياً، فقد اضطلعت بدور حربي تشهد عليه خرائب قلعتها. إلا أن المطامع المتعددة التي قرصت عليها السيطرة المتتالية لأسباب من أصول عربية-سورية، ويونانية، وتركية أو أرمنية، في منطقة حدودية بقيت موزعة الأداء اللغوي بين العرب والأتراك، عقب وصول هؤلاء في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أدت إلى تقلب الدهر بها ودورانها عليها

على التحديث المبالغ فيه الذي دعا إليه أحمد خان في القرن التاسع عشر. وقد تمثلت هذه الحركة، خاصة، بمحمد إقبال المنتمي إلى الصوفية والشاعر في آن معاً. وقد اجتهد إقبال لإعادة إحياء الفكر الديني للإسلام مع تشديده، في الشؤون الاجتماعية والسياسية، على ممارسة الاجتهاد والإجماع الذي كان يرى فيه مرتكزاً قديماً للنظام البرلماني. ومن هنا برزت حركة إصلاحية معتدلة في ظاهرها، كان لها أيضاً ممثل هو أبو الكلام آزاد، بينما تزعم الاتجاه الأصولي أبو العلاء مودودي.

أصول، مفردتها أصل، وهو مصطلح عربي يعني «أسساً أو جذوراً»، كان له دور أساسي في مجمل مصطلحات العلوم الإسلامية، ويقابله فيها مصطلح فروع، مفردتها: فرع، الذي يُطلق على «الفروع»، والامتدادات والتطبيقات».

تظهر كلمة أصول، على الخصوص، في تعيينين استغفل أحدهما المهتمون بالمسائل المتعلقة بالشريعة واستعمل الآخر الذين عملوا على تحديد العقيدة. هناك، من جهة، تعبير «أصول الفقه» والمعني به النصوص أو المناهج التي تركز عليها أحكام الفقه: أي القرآن الكريم والحديث الشريف والحكم الشخصي أو الرأي، والقياس، والإجماع؛ من جهة أخرى، تعبير «أصول الدين» الذي يُطلق على أهم بنود العقيدة كما تتجلى في أبحاث علم الكلام أو في الجهر بالعقيدة الدينية. كان الإسناد إلى الأصول في شتى المواضيع يتم بصورة مستمرة، وهذا يتوافق مع عقلية المسلمين الذين كانوا يسعون دائماً للعودة إلى الأسس التي وُضعت خلال السنوات الأولى أو العقود الأولى للإسلام. واتخذ الإسناد إلى الأصول أهمية خاصة عند الشيعة الإمامية حيث ظهر، في القرون الوسطى، اتجاهان متناقضان: اتجاه أتباع التقليد وهم «الإخباريون»، واتجاه أتباع إعمال الرأي استناداً إلى الأصول وهم «الأصوليون». وقد كانت الغلبة لهؤلاء الأخيرين فعند علماء الشيعة الإمامية حالياً أصوليين، بمعنى أنهم يدعون إلى الأخذ بالاجتهاد.

أصولي ← إخباري ← الامامية الاثنا عشرية.

بلاط المغول حيث أتاح له زواج ابنته، نورجيهان، من السلطان جهانكير، أن ينهي حياته العملية في أعلى مراتب التكريم.

كان اعتماد الدولة ابنًا لأحد وزراء السلطان الصفوي طهماسب، غادر إلى الهند بعد وفاة أبيه سنة ١٥٧٦م، واتصل بالسلطان أكبر، فاستقبله بالحسن، واستعمله في خدمته. وفي سنة ١٦٠٥م، رفعه السلطان جهانكير إلى رتبة وزير، وشرفه بمنحه لقب «اعتماد الدولة». وفي عام ١٦١١م جعله رئيس وزراء، بعد أن تزوج بابنته، وخصه بأعلى الامتيازات. مثقف لاعم، تمتع بمجد التقرب من السلطان، حتى وفاته سنة ١٦٢٢م، وقد أفاد من مركزه ليساعد في تغلغل التشيع في البلاط المغولي وفي أوساط الطبقة الحاكمة. وضحيه المشيد بالرخام الأبيض، المميز بمهارة البناء، والذي أكمل سنة ١٦٢٨م، ما يزال يعدّ بين المباني الشهيرة في مدينة أغرا.

إعتناق الإسلام، هو الطريقة للحصول على صفة مسلم التي أخذ بها طوال التاريخ الإسلامي بالحسن أو بالإكراه.

واعتناق الإسلام على هذه الشاكلة لم يكن ليفترض احتضاً خاصاً. فكان على طالب إعتناق الإسلام، بعد قيامه بوضوء كامل، أن يتلو الشهادتين فقط في حضور شاهدين. ولهذه التلاوة طابع نهائي، يتعرّض من يخرفها لأقصى العقوبات الشرعية. وقد ثبت مثلاً، عبر العصور، أنّ مسيحياً ما اعتنق الإسلام ثم ارتدّ إلى ديانته الأولى، كان يُتهم بالارتداد ويتعرّض لعقوبة الموت. والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة في القرون الوسطى حصل مع مسيحيي مصر الذين أرغمهم الخليفة الفاطمي الحاكم على اعتناق الإسلام، ثمّ سمح لهم بالعودة إلى ديانتهم الأولى.

وقد مثلت عملية اعتناق الإسلام بالتأكيد دوراً من الدرجة الأولى في انتشار الدين. لكنّ وتيرة هذه الاعتناقات، في مختلف البلدان التي احتلها المسلمون في فترة الفتوحات الكبرى وما تلاها، تبقى غير واضحة، رغم تبيّن الأثر المهمّ لهذه الاعتناقات التي أدّت في بعض المناطق، في قرون قليلة، إلى اختلا

حتى الأزمة الحديثة.

شهدت بعد احتلالها على أيدي الجيوش العربية الإسلامية إثنان الفتوحات الكبرى هجمات بيزنطية، قبل أن يبادر الخليفة هارون الرشيد إلى إعادة إعمارها على أنّها أحد المواقع الحصينة الممتدة على التخوم السورية أو الثغور؛ غير أنّها لم تسلم من الحملات المسيحية المنتصرة في أكثر الأحيان^(١). ثمّ إنّ الحروب المختلفة الإسلامية-البيزنطية التي تناوبت عليها ودمغت عصور الأمويين والعباسيين، تلتها منازعات لم تكن أقلّ عنفاً، في العهد الصليبي، حيث انتقلت أضنة من سيطرة السلاجقة إلى سيطرة فرنج أنطاكية، ثمّ إلى سيطرة الأرمن، فسلاجقة الروم، فالأرمن من جديد، حتى سيطرة المماليك السوريين-المصريين عام ١٣٥٩م.

وخلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، نجح آل رمضان في أن يجعلوا من أضنة قاعدة للدولة تركمانية نصف مستقلة، أفادت من مطامح المماليك والتمتاعيين المتنافسة. أدّى ذلك إلى ازدهار ثقافيٍّ مميّز زان المدينة بمباني مثل المساجد والمدارس والعناصر المدنية والأضرحة المزودة بزخارف حيث تجلّت من جديد التقاليد المعمارية أو الزخرفية التي عُرف بها سلاجقة الروم، وكذلك تقليد النماذج السورية. وقد تلت ذلك السيطرة العثمانية النهائية التي أصبح آل رمضان في ظلّها من أصحاب المقاطعات، بعد معركة السلطان سليم الأول الظافرة عام ١٥١٦. وأصبحت أضنة مركزاً لولاية، أفادت في بادئ الأمر، على صعيد المبادلات، من أرباح السلام الإمبراطوري، قبل أن يؤدّي الأمر بها إلى انحطاط مستمرّ. وقد أدّى نموّ زراعة القطن في منتصف القرن التاسع عشر، وبوجه خاص التصنيع النامي الذي أعقب ذلك، إلى جعل أضنة أحد الأقطاب الاقتصادية للجمهورية التركية، متحمّلة نتيجة لذلك عواقب توجهات النموّ السكاني التي لا تزال تؤثر في وضعها المدني.

◀ راجع المستندين ١٢ و١٨.

إعتماد الدولة، ميرزا غياث الدين محمد، ؟-١٩٠٣هـ/ ١٦٢٢م، إداريّ إيرانيّ مثقّف، هاجر إلى

الديانات الأخرى بشكل كامل.

أفريقيا السوداء، لا يزال الحصول على وضعية مسلم بشكل عتصر جذب للسكان، وهذا ما يفسر، بمعزل عن الجهاد والصنوط الخارجية، الانطلاقة التي عرفها الإسلام، خلال القرون الأخيرة حتى يومنا هذا، في جنوب السهوب الساحلية للقارة.

الإعجاز، أو استحالة التقليد، مصطلح عربي خاص بالقرآن الكريم ويعبر عن المكانة الأساس التي يحتلها، في الإسلام، هذا النص المنزل الذي يعتبر بكتلته تدخلا عجائبا إلهيا.

نوضح هذا المصطلح قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في زمن ساعدت خلاله المناقشات التي دارت بين المدارس الكلامية، في صياغة العقيدة والشرعية في أشكال متباينة أحيانا، وقد تدخل مفكرو المعتزلة خاصة في هذه المسألة التي تتناول خلق القرآن أو أزليته (غير مخلوق). ومع ذلك، لم تقم أبدا معارضة حقيقة تواجبه تأكيد صحة النص القرآني الذي يحمل في ذاته دليلا على صحته. وقد لبث الحقبة الجمالية في مستوى الدرجة الثانية، على الرغم من أنه، بصورة عامة، تم تأكيد المصوّق الأسلوب للقرآن الكريم الذي تشكل دراسته أساسا لكل الأبحاث المتعلقة بقواعد اللغة العربية ويعلم البلاغة التي تجد فيه مثالا كاملا. وفي ما بعد، وحلال كل الحقبات، رأى المسلمون في الإعجاز إثباتا لإيمانهم، ولم تجر أية محاولة، لا من قبل المصلحين ولا من قبل دعاة العصرية، للمس بهذا الإثبات.

أغادير (المملكة المغربية)، مدينة ميناء جنوبية، على الساحل الأطلسي، يعود استمرار دورها كمركز إداري وتجاري إلى موقعها الإستراتيجي القديم الذي كان، لفترة، مركزا لممتلكات برنغالية.

إن اختيار البخارة المسيحيين [لهذا الموقع] وإشغاله منذ ١٥٥٥م وإقامتهم فيه قصورا محضنا لحمايته، أدت إلى ردات فعل عنيفة من قبل قبائل البربر التي واجهت هذا التمرركز الأجنبي الجديد بحركة جهاد، على الرغم من أن هذا المكان كاد يكون خاليا من السكان. وهكذا أدت هجمات رؤساء القبائل، وهم من الأشراف، من بني سعد، إلى فرض سلطتهم، في ما

إن وضع غير المسلمين، أي أهل الذمة، في المجتمع الإسلامي الذي استبعدهم من بعض الوظائف وعرضهم أحيانا لمضايقات مختلفة، وأرغمهم على دفع ضريبة إضافية، شكل، في حد ذاته، حافزا لاعتناقهم الإسلام. وهكذا تكاثرت عمليات اعتناق الإسلام تدريجيا في الأراضي التي فتحها المسلمون. ويبدو أكيدا أنه، في نهاية القرن الأول للهجرة، كان عدد معتني الإسلام، الذين وُصفوا بالموالي، يناهز، على أقل تقدير، عدد المسلمين العرب الذين وصلوا إلى هذه المناطق فاتحين. وثبت، من خلال بعض الوثائق، أنه حوالي سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م، كان نصف غير المسلمين في بلد كإيران مثلا انصهروا في مجموع المسلمين. وهذا ما يفسر توقف الثورات المتواصلة للإسلام في هذه المرحلة، لتحل محلها ثورات ذات طابع فتوي كانت في أسسها حركات إجتماعية - دينية داخل الإسلام ذاته.

ومما لا شك فيه أن الاعتناقات تسارعت عبر العصور، لكن وفاق وثيرة تختلف بين منطقة وأخرى. فالمسيحية اضمحلّت في المغرب حوالي القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، بينما استمرت الطوائف المسيحية ذات النطقوس الشرقية في الشرق الأدنى وإيران. وكان لبعض الأحداث التاريخية اللاحقة - الحملات الصليبية وبخاصة غزو المغول الذين اعتقد المسيحيون أنهم سيجدون لديهم الدعم - نتائج مؤسفة على هذه الطوائف التي خسرت في ما بعد الكثير من أبنائها. لكن يستحيل وضع جردة دقيقة لهذه النتائج التي اختلفت من شعب إلى آخر. وقد حصلت تقلبات مشابهة في مناطق البلقان التي احتلها العثمانيون بعد فترة قصيرة، حيث تفاوتت ردة الفعل ما بين مقاومة ضاربة حينًا، كما حصل في صربيا، واستيعاب تدريجي في الإسلام لجزء من السكان، حينًا آخر، كما في البوسنة. وتجدر الإشارة إلى خصوصيات أخرى، كما في حالة الهند حيث فشلت جهود الموجات المتعددة من الغزوات التي قادها ملوك مسلمون - بلدا من الغزنويين والغوريين وصولا إلى المغول في حمل مجموع السكان على اعتناق الإسلام. في المقابل، في

ما بعد، بلغت القيروان - التي ينبغي اعتبارها عاصمتهم، حتى إن أقام الأغالية خارجها، في عزلة قصورهم الخاصة وحواضر الحكم - درجة من الحيوية الثقافية وقررت لها مكانة دامت طويلاً.

وعلى النقيض ذاته، كانت تنامي ثروة إقتصادية بشرت للأغالية أن يوجهوا جهودهم لتنفيذ مشروعات عدة ذات منفعة عامة: مبان فخمة تضاهي ما كان يُشاد في الحقبة نفسها في قلب الأمبراطورية العباسية؛ وفي موازاة ذلك إنشاء أسطول بحري آمن لهم في البحر المتوسط تفوقاً لم يستطع بلوغه، حتى ذلك الوقت، أي أمير مسلم. وهناك شواهد على روعة فقههم المعماري تتمثل في المساجد الكبرى في القيروان وتونس ورباط سوسة، وكذلك المصلى الصغير المعروف باسم بوفاته المني في المدينة نفسها، وأطلال القصور الملكية في رقّاده، والمباني العسكرية المنتشرة على الشاطئ، وحتى المنشآت المائية من أحواض وأقنية التي ما تزال ماثلة حول القيروان.

أما إنجازاتهم البحرية فهي شاهدة على سياسة الجهاد التي تبناها الأغالية لاستقطاب رأي عام لم يكن مرتاحاً إلى أسلوبهم في ممارسة الحكم. فقد هيأت لهم سبيل النجاح، بين ٢١٢ و٢٦٤هـ/٨٢٧ و٨٧٨م، للاستيلاء شبه الكامل على صقلية وانتزاعها من أيدي البيزنطيين ولشن غزوات على المناطق الساحلية من إيطاليا الجنوبية، وعلى سردينيا وكورسيكا، وحتى على [مقاطعة] پروانس الفرنسية، كما للحكم بحيزية مالطا. إن تقاعص المصاعب الداخلية الطارئة، في نهاية القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، سببه الدعوة الشيعية الإسماعيلية التي كانت تمهد لمجيء المهدي عبيد الله والتي لاقت مشايعين بين البربر من كتامة. وقد أدت إلى انهيار قدرة الأغالية تحت ضربات عصيان شامل. عندئذ أخذت تلك السلالة الحاكمة مكانها لفاطميين، فيما عمد آخر ممثل لها، زيادة الله الثالث، إلى حمل كتوزة فزاً إلى الشرق.

إبراهيم الأول بن الأغلب ١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١٢م

عبدالله الأول ١٩٧-٢٠١هـ/٨١٢-٨١٧م

زيادة الله بن إبراهيم ٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٢٨م

بعد، على كل المغرب حيث أنشأوا سلالة السعديين. فقد قضوا، في العام ٩٤٨هـ/١٥٤١م، على الموقع المحصن الذي كان يُعرف باسم سائنا كروز دى كابو دي أغوير (Santa Cruz del Cabo de Aguer). بذلك فتح الطريق أمام أغادير فعرفت ازدهاراً تجارياً استمر حتى إنشاء مرفأ أنصويزة في نهاية القرن الثامن عشر. نتج عن ذلك عهد طويل من الركود بسبب إنشاء هذا المرفأ وبسبب تبدل وجهة الحركة التجارية التي تلت. إلا أن الحقبة المعاصرة أعادت الحيوية إلى هذا المرفأ الذي طرأ عليه تحسين مطرد، والذي يشكل، عند منفذ سهل سوس، مركزاً لمنطقة غنية بالزراعة والمعادن وهي في أوج انطلاقها في المغرب الحديث، مستفيدة من جهود التخطيط المدني بعد الزلزال الذي ضربها عام ١٩٦٠.

«راجع السند ١٤»

الأغالية، ١٨٤-٢٩٧هـ/٨٠٠-٩٠٩م، سلالة قوية لحكام مستقلين، تمكنوا في مقاطعتهم بإفريقية من توطيد استقلالهم عن الخلافة العباسية، معترفين، في الوقت نفسه، بسلطانها، ومحافظين على سيادتها المقابلة الوفية للسنن.

ولما كان الأغالية أمراء قديرين وأسباطاً لمستطعة من الأمبراطورية مزدهرة للغاية، فقد اكتسبوا شهرة بساھلونها على آتھم بناء وفاتحون، بُنيتْها إلحاقهم صقلية بأراضيهم. كان مؤسس السلالة، إبراهيم بن الأغلب، قائداً عسكرياً، ينتمي إلى فرقة الخراسانيين الذين احتضنهم الخلفاء الجدد منذ العام ١٣٢هـ/٧٥٠م، تاريخ انتصار «الثورة العباسية». عُهد إليه، كما لأبيه من قبله، بإعادة النظام إلى المغرب الشرقي، وكان الاضطراب قد اعتراه بشدة. فيسر له نجاحه أن يفاوض هارون الرشيد حول إقراره في منصبه، في مقابل اتاة سنوية يؤدّيها لخزانة بغداد. ولم تُنهِ المعارضات الكثيرة التي واجهها في تلك الديار، من قِبل العرب النازلين في البلاد، وكذلك البربر سكان البلاد الأصليين، وفقهاء المالكية، كما من قبل أتباع الحركات السبائية-الدينية المنسقة، كالخوارج، عن فرض سلطته على الجميع من دون مراعاة. وخلال ملكه وملك ابنه زيادة الله الأول، وكذلك خلال اليهود الناشطة لمعظم أفراد سلالته، في

هذه العاصمة للدولة بربرية صغيرة كانت قائمة في المغرب الأقصى، في القرن الخامس للهجرة/الحدادي عشر للميلاد، امتازت بترسخها كمدينة قديمة في واحة تُسند ظهرها إلى الجبل عند حضيض الأطلس، وكانت مركزاً ناشطاً للدعوة الإسلامية، أقام فيها فقهاء كثيرون هاجروا إليها من قرطبة وحتى من القيروان. وقد اتسع نفوذها، أيامئذ، حتى بلغ الصحراء التي ربطتها بها، عبر سجلّامة أو تارودانت، طرق للقوافل متنزعة.

وقد أفقدتها التحولات التي تسارعت في المغرب، خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة/الحدادي عشر والثاني عشر للميلاد، هذا الدور السياسي والثقافي، عندما فضل الفاتحون البدو الذين أسسوا إمبراطورية المرابطين، وبخاصة منهم الملك الحقيقي الأول لهذه السلالة يوسف بن تاشفين، أن يقيموا قاعدة سلطتهم العسكرية والتجارية في موقع سهل، أكثر اتساعاً وأيسر بلوغاً. ولم تعمّق الحياة الاقتصادية والإدارية، وحتى الدينية. أن انتقلت من أغمات إلى مراکش، العاصمة الجديدة المحصنة التي لم يطل بها الأمر حتى ارتفعت إلى مكانة المدينة الإمبراطورية.

« راجع المستدرك ١٤ »

أفراسياب، شخصية أسطورية إيرانية، تعاظمت سماتها كبطل رمزي نموذجي في العالم الإسلامي خلال القرون الوسطى، إبان الغزوات التركية.

إنّ الفُورانيّين الذين ذكرت الشاعته آتة ملكهم الأسطوريّ، مائل المؤرخون المسلمون بينهم وبين الأتراك إبان الاحتكاكات الأولى للبدو الآسيويين مع إمبراطورية العباسيين حيث وظفوا سلطتهم شيئاً فشيئاً. وقد شجعت الروايات المتناقلة من التغاليد الإيرانية السابقة للإسلام والتي ضمّتها محاولات كتابة التاريخ العام للمخلّقة قام بها مؤلفون كاططبري، السلالات الجديدة السلجوقية، وبوجه خاص، الفراهانيّين، على نبّيّ نسمة «أفراسياب» أو «أسرة أفراسياب».

أفراسياب (موقع) - سمرقند.

أفريغتون - الخوارزمشاهيون.

أفريقيا السوداء الإسلامية، مجموعة أقاليم أفريقية

لإنتاجية التي زادها غنى وجود البلاطات الملكية فيها لتي استمرّت لعهود طويلة، حتى الاضطرابات السياسية التي نشبت في نهاية القرن الثامن عشر والاحتلال لبريطاني عام ١٨٠٣. إنّ الانحطاط التدريجي الذي صاب صناعاتها اليدوية المترفة، بتأثير من الغرب، في طاع النسيج كما في قطاع فنون المعادن المتينة، أدّى لى نسيان المكانة المميّزة التي توافرت للمدينة في زدهار فنون الأثاث خلال العهد المغوليّ الزاهر.

إلا أنّ ما وفر لأغراً ومنطقها تفوقهما بصورة باهرة ثانت الرعاية الإمبراطورية المغولية للفن المعماري. اقع الأمر أنّ معالم قليلة انتهت إلينا من المدينة التي زدهرت في عهود باهر أو مُهابون، كما في عهد شيرشاه لسوري. غير أنّنا يمكن أن نثبّين ما خلفته إقامة السلطان كبر لمدد طويلة فيها، والتعديلات التي أدخلها على لغة اللودين القديمة بناء سورٍ عظيم حولها، لغرض فاعيّ، ومجموعة من المباني من الحجر الأحمر، قبل ن ينصرف إلى إقامة القصر الملكي الجديد في فاتح ورسكري. بعدئذ، أقام ابنه جهانكير بعض الأجنحة الضريح العظيم لأكير نفسه، في سيكلندره، بضاحية أغرا، سط حديقة فخمة. أخيراً، ثبّت شاه جهان مجد لمدينة، مستخدماً الرخام لإعادة تشكيل القلعة من لداخل بأبهة عظيمة. ويعود إليه، بوجه خاص، بناء لقباب الأبنقة في مسجد المعطي أو مصلى اللؤلؤ ١٥٤٨ ١٦٥٤) وآيات الفن المتجلية في القاعات لأكثرة للمجلس الخاص أو للإستقبالات العامة، الديوان الخاص والديوان العام). وهو الذي رفع، فوق نبر زوجته المفضلة ناج محل^(٢٢)، المتوفاة في العام ١٦٣١، الضريح المدهش من المرمر الأبيض الذي شكّل شهرة أغرا، بما يتوافر فيه من صفاء النسق لمعماري، وكذلك للضخامة والروعة اللتين تميّزان تصميمه وتفيذه، وقد أتى ذلك نتيجة عمل طويل النفس ستغرق سنوات كثيرة.

« راجع المستدرك ٣٣، ٧٦، ٧٧ »

أغمات، حاضرة بائدة في جنوب المملكة المغربية، كانت مركز المقاطعة قبل تأسيس [مدينة] مراکش وكان نصيبها، بعد ذلك، أفولاً لا تدارك له.

والعاج، ويوجه خاص الرقيق. وقد تراجعت الحدود الموسومة بالمناخ الاستوائي الرطب، بشكل متفاوت إثر غارات الحرب الشرعية أو الجهاد، والبعثات التجارية القادمة من الشمال والشرق، في حين تنامت في الوقت نفسه، تيارات ثقافية مختلفة الطابع، إلا أنهم مرتبطة، في أكثر الأحيان، بتعاليم المصلحين الدينيين. هذه التيارات المستمرة كانت موجودة في أفريقيا الشرقية حيث شكلت لها مرافق المحيط الهندي، لمدً طويلة، منطلقاً في مراكز تقاطع معابر انترانزيت البحري والبري، وفي أفريقيا الوسطى والغربية حيث أعلنت تجهيزات لمخلفات تجارية، جنوبي الهضبات التي كانت تجتازها مجاري النيجر الأعلى، وكذلك جنوب السنغال. في المقابل، رغم الاتساع والعنف لجهة الثقافة الحقيقية هذه التي أدت، على الصعيد المحلي إلى تكاثر سلطات محلية ذات صيغة شرعية إسلامية ورغم موجات الأسلمة القهرية التي كانت تعقب، مر حين إلى آخر، تدخل الدعاة المؤهّلين بانتصاراتهم مثل أولئك الذين أحيوا حركة المهدية، ومثل الأمبراطوريات الفاتحة الجهادية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التي أفادت من مساعدة الطرز الصوفية والتي يُشار إليها باسم «إمبراطوريات الجهاد» وهي التي تصدّت بعنف لمحاولات الاستعمار الأوروبي الأولى - فإنّ حاجز الدفاع الذي كانت توفّره القارة الأفريقية للأعراق العتيقة ضدّ الغزاة الذين اعتنقوا الإسلام، لم يسقط إلا مع التحولات الاجتماعية السياسية للعصر الحاضر أو الذي سبقه مباشرة.

إنّ الاحتلال الغربي، في مطلع القرن العشرين، ه الذي يشر للإسلام سبّل تقدّم سلميّ غير آيب بالعوائق القديمة ومتنامياً بنجاح، سواء في مدن واجهة الأطلس البحرية أو على طول شواطئ المحيط الهندي وجزره ويفضل الظروف المستجدة في أوضاع الحياة والسكن أي بفضل تداخل عوامل الهجرة والتحديث، فإنّ ظواه تنامي الإسلام، التي كانت حتى ذلك الوقت غير منتظمة ومتفرقة، أفسحت في المجال، طوال تلك الفترة لاهتدات رسمية إلى الإسلام. ثم تابع التأثير مسيرته في داخل الدول السوداء المستقلة التي ورفت، في تشكيل

سكانها من السود، حيث تعاطف انتشار الإسلام عبر القرون، متجاوزاً المنطقة الساحلية لما كان يُعرف بالسودان حيث استقرّ خلال القرون الوسطى ومغربيًا، اليوم، قسمًا مهمًا من القارة، مع اختلاف في نسب المسلمين بين بلد وآخر.

إنّ النموّ العددي المستمر الذي توافر للمسلمين في أفريقيا الشرقية والوسطى والغربية، في العصور الحديث والمعاصر، يسمح بالقول، بشكل عام، في هذا المجال، بانطلاق «إسلام أسود» تميّزه، الآن، كما في السابق، سمات خاصة مختلفة. لكنّ هذا التطور هو حديث نسبيّ. هذه الأقاليم التي كانت، في ما مضى، منفصلة عن أفريقيا الإسلامية المتوسطة بحزام من الأراضي المقفرة التي يصعب اجتيازها، كانت تشملها، من المحيط الأطلسي حتى البحر الأحمر، تسمية «الصحراء» التي تُكمّلها صحراء التوبة، وكانت قد امتنعت على التوسّع الأوّل للأمبراطورية العربية الإسلامية خلال تقدّمها السريع إبان الفتوحات الكبرى في القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلادي.

إلا أنّ ما غيّر هذا الوضع كانت جهود التوسّع العسكريّ والنفوذ السياسيّ التي انمازت بها دول مصر والمغرب والتي أكملتها، في أواخر العصور الوسطى، مساعي الممالك الإسلامية المستجدة التي تقاسمت السودان. وقد أدّى ذلك إلى نتائج منها الإقرار بتفوق الحضارة الإسلامية في هذه المنطقة الحدودية وهجرة مستمرة، نحو الجنوب، لشعوب بدوية كانت تعرّف بنفسها تحت أسماء العرب والبربر والموروس والقبيلة، وقد أسكت هذه الشعوب بتجارة القوافل العابرة للصحراء مفتحة نفسها على أنّها داعية مندفة للإسلام. شهدت المرحلة التالية تجلّلاً متنامياً للإسلام في مفاوز منطقة الساحل حيث تعاقبت ممالك وأمبراطوريات مسلمة، متعادية أحياناً، لكنها متمسكة باستمرار بانتمائها الدينيّ. كما اخترقت الدعوة الإسلامية، وإن بصعوبة وببطء، الغابات الأفريقية التي كانت تشكّل حماية طبيعية للعادات البدئية في القرى السوداء، والتي كانت تطوي على سلم لا يستثنى عنها في تجارة خارجية ذات مردود كبير، منها تجارة الذهب

على المنطقة الممتدة من الساحل الشرقي حتى بجاية، أي الأراضي التي خضعت، في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، للأغالية الذين كانوا يتمتعون بالحكم الذاتي، ثم ما لبثوا أن صاروا حكاماً مستغنيين.

وفي القرن التالي، كانت المنطقة مسرحاً للصراعات الدينية التي بلغت ذروتها مع تأسيس الفاطميين لسلطة شيعية إسماعيلية، في صميم مجتمع أغليته من السنة، أتباع المذهب المالكي، على الرغم من تأثرهم بالخوارج الإباضية في الجنوب. ثم هدأت هذه الصراعات لاحقاً مع العودة إلى السنة، باستثناء فئة قليلة ما تزال تنتمي إلى الإباضية مستغزة قرب قابس في جزيرة جربة.

عرفت «إفريقية» عهداً مزدهراً في العصور الوسطى الأولى، وكانت عواصمها المتلاحقة، قرب القيروان، كقصور الأغالية والمدن الفاطمية المستحدثة كالمهديّة أو صبرا - منصورية، قد شهدت إنجازات هندسية ما تزال ماثلة إلى اليوم. هذه الثروة الاقتصادية والثقافية التي استمرت في عهد بني زيري الذين كانوا، في بداية الأمر، حكاماً من قبل الفاطميين الذين عادوا إلى الشرق، ثم حكاماً مستغنيين، هذا بشكل فلاح اجتياح المهللين في القرن الخامس الهجري/ منتصف الحادي عشر الميلادي. بعد ذلك التاريخ، وبعد أن ألحقت تلك البلاد جزئياً بسلطة الموحدّين، عادت فأصبحت مركزاً لدولة قوية، هي دولة الحفصيين الذين استمروا، من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، متخذين مدينة تونس عاصمة لهم، حتى الاحتلال العثماني سنة ١٥٧٤م. وقد نظم هؤلاء تلك المنطقة وأوكلوا أمرها إلى باشا، وسرعان ما انتقلت السلطة إلى داي متبني عن الإنكشارية، ثم إلى البكوات المراديين والحسينيين الذين شكلوا سلالات حاكمة.

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر، أصبح البكوات مستغنيين في مناطقهم التي اغتنت من أعمال القرصنة، مع استمرار خضوعهم الإسمي لسلطة العثمانيين. وقد استندوا في حكمهم إلى أعيان تم اختيارهم من مماليكهم الذين اشتروهم من الشرق وأعتوهم

كما في مؤسساتها، جوانب صيغت تحت السيطرة لأوروبية، كما أنه أفاد من التأثير المتنامي والمسلم به لمطرق الصوفية، سواء التي كان لها نفوذ خلال القرن لتاسع عشر كالقادرية والشيخانية، أو التي نشأت في لقرن العشرين مثل الهمالية والمريدية، بدون أن تغفل لمجهود الذي بذله في سبيل الدعوة فرقة الأحمدية. في الوقت نفسه، طرأت علاقات جديدة سياسية-

بينة بين أفريقيا السوداء والإسلام الشرقي، العربي الإيراني وحتى الهندي، طبعتهما نتائج نزاعات اقتصادية، وحرية أحياناً. وقد تأثرت جميع هذه لعوامل لإكمال تطوّر استمرّ قرونًا وأتاح للشعوب لأصلية أن تتفاعل، كل منها بحسب أصلاتها الشخصية، مع العقيدة والأعراف الإسلامية التي انصلمت بها. إن سلام الأمم الأفريقية المختلفة، إن شكل ديناً للأكثرية و للأقلية، يعتبر نفسه معيّن بمصير البلد الذي يعيش فيه، ويستحقّ اليوم الاهتمام به في دول الساحل، مثل مالي وبوركينا فاسو، والنيجر والنيشاد، والسودان، كما في الدول الساحلية المتاخمة للمحيط الأطلسي أي جمهوريات السنغال وغانبيا وغينيا، وغينيا-بيساو، سيراليون، وليبيريا، وساحل العاج، وغانا، وتوغو والبنين، ونيجيريا والكامرون، من دون أن ننسى بلدان أفريقيا الشرقية، إبتداءً بجمهورية إريتريا وجيبوتي والحشة والصومال، وصولاً إلى جمهوريات كينيا وأوغندا وتنزانيا والموزامبيق وملاوي.

◀ راجع المستدين ٢٨ و ٢٩.

أفريقيا الشمالية - المغرب.

إفريقية، أطلقت هذه التسمية على المنطقة الشرقية من المغرب، في القرون الوسطى، وغالباً ما دُعيت بالفرنسية بلاد البربر الشرقية. إن القسم الواقع منها في الطرف الشرقي الذي حمل لاحقاً اسم تونس، بسبب الأهمية التي اكتسبتها مدينة تونس، بشكل اليوم الجمهورية التونسية.

إن لفظة إفريقية، وهي بالتأكيد مشتقة من كلمة «أفريكا» (Africa) اللاتينية، أطلقت، في زمن الفتحاح الكبرى، على المغرب بكامله، ثم اقتصرت

قامت بها، بينما برز الزنانيون في أفغانستان والفاجاريون في مازندران والزنديون في أذربيجان وكان الزنديون السابقين إلى توطيد سلطانهم على إيران

نادر شاه، ظهاسب علي خان ١٧٣٦-١٧٤٧

عادل شاه، علي علي خان ١٧٤٧-١٧٤٨

ابراهيم ١٧٤٨

شاهرخ ١٧٤٨-١٧٩٥

الأفضل، لقب شرف حمله بالمتابع وزيران في الخلافة الفاطمية في مرحلة انحطاطها، كان لهما دور خلا المرحلة الصعبة التي علا فيها شأن الأباطور السلجوقية وتمركزت الإمارات الفرنجية الناجمة عن الحملة الصليبية الأولى.

كان أول هذين الشخصين، أبو القاسم شاهنشاه ٤٥٨-٥١٥هـ/١٠٦٦-١١٢١م، إيتا للوزير المفتر بد الجمالي الذي أشركه، في حياته، في مسؤوليات منصبه. مارس سلطة شبه مطلقة في السنوات الأخيرة لحكم المستنصر، وكذلك خلال خلافتي المستمل والأمر اللذين أوصلهما إلى العرش، إلا أنه اغتيل بأمر من الثاني. كان اتحيازه للمستعلي عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤ سببا في الانشقاق الذي ولد مذهب إسماعيلج جديدا، ه الزلزاية، أي أتباع نزار، الإبن البكر الذي جرد م حقوقه بعد موت والده والذي قُتل من دون شك. إ الجهود اللاحقة التي بذلها الأفضل للتصدي عسكري للعصابات التركية في سوريا سهلت، على الفرع عمل الاستيلاء على القدس، عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، وتبعهم تقدمهم المسلح على طول الساحل حتى الدلتا المصرية عام ٥١٢هـ/١١١٨م. كان الأفضل راعيا للثقافة مهووسا بالآبهة والمقتنيات الثمينة، كما كان يحرم الثروة، فضاض من إقامة مؤسساته ومساكنه حول القاهرة، تاركا شاهدا على عظمته في محراب م المرمر، أمر بشييده، مزيئا بلقبه، في مسجد ابن طولو الذي كان قائما منذ مدة طويلة.

أما الأفضل الثاني، إبن السابق والمدعو أبو علم أحمد (كُتبت)، فقد استغل اغتيال الخليفة الأمر، عا ٥٢٤هـ/١١٣٠م، على أيدي الزناترين ليضطلع بمنصب وزير، وبخاصة ليحاول إقامة سلطة الإمامة الثاني عشر:

للووظائف الإدارية والعسكرية، بينما كان نفوذ الانتكشارية بتضال تدريجيا، حتى تم إلغاهم بين ١٨١١ و ١٨١٦. في القرن التاسع عشر، قام أحمد بك ومحمد بك، اللذان حكما بين ١٨٣٧ و ١٨٥٩، بإصلاحات في الجيش والنظام الإداري. وصل سنة ١٨٥٧ ميثاق تأسيس، أكمنه دستور ١٨٦١ الذي أنشأ نظام حكم دستوري. لكن الصعوبات المالية أدت إلى اندلاع ثورة التياكل، إبتداء من سنة ١٨٦٤، وأدغمت البا على القبول بالوصاية على تونس، سنة ١٨٦٩. إن الجهود التي بذلت، خلال السنوات اللاحقة، لإصلاح الوضع، لم تحل دون أن تفرض فرنسا حمايتها التي تم تحديدها، سنة ١٨٨٣، باتفاقية المرسى التي شكلت ملحقا لمعاهدة باردو المعقودة سنة ١٨٨١. وأتاحت المرحلة اللاحقة، من ١٨٨١ إلى ١٩٥٦، لتونس التي اقتصرت مساحتها على قسم فقط من إفريقية السابقة، أن تنمو اقتصاديا، سواء في الحقل الزراعي أو المنجمي، وأن تشرى مؤسسات سياسية وإدارية تعزرت بالفعالية والاستمرار. كما أن الحركة الوطنية التي اتسعت منذ ١٩٣٣، بتأثير من الحبيب بورقيبة، توصلت أخيرا إلى الاستقلال فأعلنت، سنة ١٩٥٦، الجمهورية التونسية الحالية.

راجع المستندات ٨٠، ٥٣، ٥٤، ٨٧ و ٨٨.

الأفشاريون، ١٧٣٥-١٧٩٥، سلالة يتماهى أوجها القصير الأمد مع ملك نادر شاه في إيران والانتصارات العسكرية التي بفضلها استطاع هذا الفاتح أن يستبدل سلطانه بسلطان آخر الملوك الصفويين.

تحدث نادر شاه وخلفاؤه من عشيرة أفشار التركية (ومنها اسم سلالة)، وهو سليل قبيلة الكُر التي اشتهرت، إبان غزوات القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بإعطائها فروع السلالة المتعددة. لم يميز شيء هؤلاء البدو عن سائر الجماعات التركمانية المستقرة في الأراضي الإسلامية التي شاركت في الصراعات التي عرفتها هذه العهود المضطربة. لم يرد ذكر الأفشاريين إلا بعد قيام دولة إيران الصفوية التي دُعوا إلى خدمتها. إن الأباطورية المتسعة التي أخضعها لهم، في ما بعد، نادر شاه تفككت بالسرعة نفسها التي

الأول والثاني للهجرة/ السابع والثامن للميلاد.

أشهر هذه المقاطعات الثتان، خُراسان في الشمال وسبجستان في الجنوب، من دون أن ننسى أودية العبور المرتفعة التي تشكل، اليوم، منطقة كابل بعد أن شكّلت، قديماً، ما كان يُعرف بـكابلستان أو زابلستان. هذه المجموعة من المناطق الجبلية المقفرة والأودية النخصة التي تجري مياهها في اتجاه صحارى إيران الداخلية والسهل الهندي - الغانجي، كانت تتحكّم بالمدخل الرئيس إلى ائجنجاب الذي عرف بضمّ خير، في اتجاه پشاور. لذلك احتلت تلك المواقع مكاناً من الدرجة الأولى في توازن العالم الإسلامي الشرقي، منذ أن قضت الحملات الحربية الموجهة من بغداد، خلال القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، على الحكّام المحليين الذين كانوا، حتى ذلك الوقت، قد اكتفوا بتأدية جزية غير محدّدة للأمويين.

هنا نمت، في البداية، مدينة غزنة الشهيرة عاصمة أمباطوريات الغزنويين والمُورّدين التي امتدّت مناصفةً على إيران والهند ودامت حتى القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد. وهنا، أيضاً، في مستهلّ القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، في عهد التيموريين، انطلقت عاصمة أخرى، هي كابل، التي صارت محلّ الإقامة المفضّل لبابر، مؤسس دولة المغول، قبل أن تغدو، في ما بعد، المقرّ المختار لأسرة دُرّاني وأسرة باركزاني حيث وتلّدتا سلطتهما وإدارتهما. إنطلاقاً من هذا الموقع الإستراتيجي، تسوّى لهؤلاء الملوك الأفغان الذين حكموا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، أن يراقبوا الهند الشمالية الغربية حيث بسطوا سيطرتهم في بعض الحقب، كما أنّهم ضمّوا، في الشمال، بدخشان، وبخاصة في اتجاه آسيا الوسطى، سهل بلخ الخصب، وكانت الطريق إليه تمرّ بمسلك للفرّواض قاسي وتعبير بُلّ خُفّري وطاش كورغان. واقع الأمر أنّ في محيط هراة وبلخ استمرّت في الانتعاش، بعد الإحتلال الأفغاني، منطقة من خُراسان ضمّت إلى أمباطورية الإسلام في مرحلة مبكرة، وأفادت، على الصعيد الاقتصادي، من جوارها المباشر لما وراء النهر، قبل أن يعمرها الانهيار شيئاً فشيئاً بسبب

في القاهرة، مقدّمًا نفسه على أنّه الناطق باسم المهدي المنتظر. إلّا أنّ انقلابه، رغم جهوده التوفيقية بين معتقداته المذهبية الجديدة وتقاليده الإسماعيلية، كان محكوماً بالفشل، سياسياً ودينيّاً، وأدّى إلى اغتياله القوري.

الأفطس (نُتو -)، ٤١٣-٤٨٧هـ/ ١٠٢٢-١٠٩٥م، أسرة أندلسية حكمت في عهد ملوك الطوائف وبسّطت سلطانها في الناحية الغربية من البلاد التي كانت معروفة يومئذ باسم الغرب وعاصمتها بطليوس.

أسّس هذه الأسرة رجل بربري يُعرف بابن الأفطس ثم تلقّب بالمنصور، وخلفه ابنه وحفيده اللذان اتّخذا أيضاً لهما لقبين شرفٍ معتبرين. إلّا أنّ نصيب هذه الأسرة من الحكم عكّره طموحات الدول الإسلامية المجاورة وخصوصاًها، بخاصة آل عبّاد في إشبيلية، وهجمات الملوك المسيحيين. وكان هؤلاء مهتئين بدفع حرب الاسترداد في مناطق تندرج اليوم، في أكثرها، في أراضي البرتغال. لكنّ احتلال المرابطين، الأتّين من المغرب، للأندلس أنهى بصورة مفاجئة، بالنسبة إلى بني الأفطس كما لجرائهم، عهداً من الازدهار عرفته المراكز الاقتصادية والثقافية التي تألّقت، رغم الحروب والمصاعب السياسية المتعدّدة التي واجهتها.

عبدالله المنصور (ابن الأفطس) ١٠٢٢-١٠٤٥م

محمد المظفر ١٠٤٥-١٠٦٨م

عمر المتوكل ١٠٦٨-١٠٩٤م

« راجع المستدين ١١ و١٥.

أفغانستان، اسم يُطلق، بحسب مفهوميّن مختلفين، حيناً على منطقة آسيوية غير واضحة الحدود حيث استقرّت قبائل في أكثرها أفغانية بدوياً ابتداء من نهاية المنصور الوسطى، وحيناً على دولة إسلامية معاصرة غير معروفة المصير.

١ - لا يمكن تناول منطقة أفغانستان أو «بلاد الأفغان» من حيث التحوّل الذي أصابها، بدون النظر في [أحوال] المقاطعات الوسيطة التي كانت تنقسم من قبل رقعة أراضيها، والتي كان لكلّ منها تاريخها الخاص، في إطار الخلافة العباسية التي نشأت من الفتوحات الكبرى العربية-الإسلامية خلال القرنين

أحدثها الغزوات والهجمات الغربية المتتلفة من الهند كما من إيران. إلا أن القبائل الأفغانية التي سيطرت عليها في ما بعد، متخذة من قندهار مركزاً لحكمها المحلي، لم تتوقف عن معارضة الطامعين الغزاة بفساوة، ووقفت إلى إقامة سجنستان أفغانية كبيرة، تقع بين المقاطعة الإيرانية الحديثة المعروفة بسجنستان ومقاطعة بلوچستان التي ألحقت، في نهاية الأمر، بباكستان (شُرعت كلها من خلال التحكيم البريطاني عام ١٨٧٢، لوضع حدٍّ للتراعات المخزبة المستمرة للمنطقة كلها).

هكذا أَوْز، بتضافر جهود القومية القبلية البشوية ويفعل المنافسة البريطانية-الروسية في القرن التاسع عشر، واقع كيان أفغاني جديد أُنشئ، تحت سلطة دولة جديدة، ترابط مقاطعاتٍ عرفت لمدة طويلة مصائر تاريخية مختلفة.

٢ - دولة أفغانستان الإسلامية الجديدة: ١٩٧٤-١٩٧٨
كلم، ٢، العاصمة: كابل، هي دولة معاصرة مسلمة بأسرها، ذات أكثرية سنية كبيرة، يعكس نظامها الحالي غير المستقر الاضطرابات المختلفة والحروب الخارجية أو الداخلية التي تتوالى عليها منذ عقود.

يحدُّ هذا البلد من الشرق باكستان، ومن الغرب جمهورية إيران، ومن الشمال جمهوريات تركمنستان، وأوزبكستان وطاجيكستان. وقد استقرت هذه الحدود، بفضل تعاضد سلطة ملوك الأفغان من المذائبي في المنطقة، وحلول أسرة حاكمة ثانية محلهم، في القرنين التاسع عشر والعشرين. هي أسرة البركزانيين التي استمرت في الحكم حتى ثورة ١٩٧٣ التي أعقبتها، في العام ١٩٧٩، إعلان الجمهورية واحتلال الجيش السوفياتي البلاد حتى انسحابه عام ١٩٩٢.

إنَّ هذا الموقع الجغرافي الذي يشكل إقليماً مكوّناً من الشُّهوب والجبال، والقائم في الداخل حول سلسلة جبال تطبع قممها القسم الأوسط منها بطابعها، يحفظ بموقعه المميز كملتقى طرق، في الأطراف القصوى الشرقية لإيران وآسيا الوسطى والهند التي كانت مقاطعاته المختلفة القديمة ملحقه بها. يشهد على هذا الماضي، حتى اليوم، واقع عدم التجانس العرقي-

الغزوات المتلاحقة على أيدي الأتراك والمغول القادمين من سهوب الشمال. إنَّ هذه الرقعة من الأرض التي قامت عليها دولتا الغزنويين والتيغوريين في القرون الوسطى، قبل أن ينزاعهم إياها السلاجقة والخوارزمشاهيون، عرفت، في ظلِّ سلطة الإيلخانيين والتيغوريين النسيبة، نزعات إقليمية جعلت من هراة مركزاً سياسياً وثقافياً نشيطاً، وغدت هذه المدينة في ما بعد عاصمةً إمبراطورية، تحت حكم التيموري شاه رخ وأعقاب. بعدئذ، بسطت سلطة الصفويين لفترة طويلة على واحات لطالما نالها الخراب، ولم يستطع باير ولا أحفاده من المغول، ولا الأوزبك الشيبانيون أن ينتزعوها منهم، قبل الانتصارات التي أحرزتها في المنطقة القبائل الأفغانية وقيام إمبراطورية أحمد شاه الدراني. ابتداءً من هذه المرحلة وحسب، بدأت ترسم الحدود في الشمال حيث سارت بمحاذاة مجرى جيحون/آمودريا لتفصل، اليوم، بين أفغانستان وجمهورية طاجيكستان وأوزبكستان. إنَّها تمتدُّ لجهة الغرب من ناحية جمهورية تركمنستان وجمهورية إيران (شهدت هذه الناحية اضطراباً في القرن التاسع عشر بسبب الحملات الإيرانية)، ولم تحصل أعمال التحكيم في شأنها إلا في عامي ١٩٣٥-١٩٣٥).

إلى جوار هذه الأراضي التي تشكل، اليوم، مقاطعتي هراة وتركستان ممتدةً إلى غرب البلاد وشمالها الغربي، كانت تقع، في قلب السلسلة المركزية المرتفعة، منطقة غور القديمة التي غدت اليوم هزارةستان والتي لعبت في الماضي دوراً تاريخياً: كانت أرض الغوريين الأصلية حيث أراد هؤلاء الملوك الأشراف أن يحافظوا على عاصمتهم جَم/فيروزكوه.

وغير بعيد من هنا، كانت تمتدُّ، في اتجاه الجنوب، وعلى أقدم السلاسل المركزية، السهول المرتفعة الحاذرة ونصف الصحراوية أحياناً، التابعة لزعمين داوود وسجنستان التي ازدهرت واحاتها زراعياً ونجارياً على طريق السند، في وقتٍ مبكر عقب الفتوحات الكبرى، والتي احتضنت، حول بُست/ لشكري بازار، المساكن الشتوية والقصور الملكية للغزنويين والغوريين. وهنا، أيضاً، تراكت خرائب

ورجال الدين باستثناء القادة العسكريين. وقد حاولت الدولة أن تنظم استعماله في القرن التاسع عشر، فأضيف إلى إسم أشخاص من ذوي المكانة، في أغلب الأحيان من رجال الدين، لكنهم لا يحقّ لهم أن يحملوا لقب «بك» أو لقب «باشا». وتحوّل مع الأيام إلى كلمة موازية لـ «موسيو» (monsieur) في اللغة الفرنسية. في عام ١٩٣٤، مُنح هذا اللقب، لكنّ استعماله استمرّ في اللغة المتداولة عند التوجه إلى شخص ما.

أفيون (الجمهورية التركية) أو **أفيون قره حصار**، «قصر الأفيون الأسود»، ناحية تقع غربي الهضبة المركزية للأناضول، احتلّها الأتراك في مطلع القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، فحافظت في ما بعد، وحتى يومنا، على دورها كمركز مقاطعة.

إنّ اسمها الحديث المشتقّ، في شطر منه، من تسمية شعبية كانت تبرز الأهمية التي حازتها زراعة الخشخاش في المنطقة، يُذكر كذلك بتسمية عائدة إلى القرون الوسطى هي «قره حصار» صاحب فرنت باسم «القصر الأسود» إسم سيّد الأكثر شهرة، المفترد صاحب عطا. وقد جعل وزير سلاجقة الرّوم هذا، من موقع سهل التحصين قرب القلعة البيزنطية العتيقة **أكروئوس** (Akroinos)، مركز المنطقة نصف المستنقعة التي صانها لنفسه، عند انقضاء القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، وحيث استقرّ مولاده في القرن التالي، أسوة بالسلالات الأخرى في عهد الإمارات. إلى ذلك العهد، تعود مجموعة من المباني المثيرة للاهتمام، بينها مسجد كبير غطاؤه وأعمدته من خشب، بُني وعُدّل بين عامي ٦٧٠ و٧٤٢هـ/١٢٧١ و١٣٤١م في سياق التقليد المعماري لآسيا الوسطى.

إلا أنّ وقوع أفيون في أيدي العثمانيين في القرن الخامس عشر للميلاد، لم يغمّ أن أفقد هذا الموقع أهميته الإستراتيجية وال عسكرية وهو الموقع الذي، غير بعيد منه، وقعت معارك شديدة عديدة، بينها معركة هُزم فيها جيش عربي إسلامي، عام ١٢٢٣هـ/٧٤٠م، ولأفنى حتفه فيها البطل الأسطوري البقال^(١٢). وحدها أهميتها الاقتصادية صمدت، بفضل الأنشطة الزراعية للمنطقة المحيطة بها وحركة التجارة إذ إنّها شكّلت ملتقى للطرق

اللغوي الذي يجمع، في إطار الدولة الواحدة، عناصر من الأفغان، وعناصر إيرانية يقال لها الطاجك، وعناصر تركية أكثرها من الأوزبك، وعناصر من الهزار ذوي الأصول التركية المغولية، وهم من الشيعة، وشعوباً هندية-آرية، لبثت طويلاً مستعصبة على الإسلام لاجئة إلى الجبال الشمالية الشرقية النعينة.

ثمّة تنوّع أساسي يتجلى في التناقض القائم، من جهة، بين المقاطعات الوسطى والمقاطعات الشمالية الشرقية التي لا تزال تشكّل القسم الحيوي والإستراتيجي من أفغانستان، حول كابل، ومن جهة ثانية، مقاطعات الجنوب التي تجمع القري بين سكّانها وسكّان بلوچستان، ومقاطعة هراة التي تشبه طبيعتها طبيعة إيران، ومقاطعة بلخ^(١٣) المطابقة لبكتيريان القديمة، بدون أن ننسى، إلى الجهة الشرقية، فوق خاضرة پامير، مقاطعة بدخشان ومقاطعة نورستان ذات السكّان البدائيين الذين ظلّوا، لفترة طويلة، على وثنيّتهم. وقد أعطيت هذه التسمية، بعد الاستيلاء عليها عام ١٨٩٧، وكانت من قبل يقال لها كافرستان، أي بلاد الكفار، كما لا ننسى مقاطعة وخنّ في عمق الداخل. إنّ تعقيد العلاقات الداخلية الناجمة عن هذا التنوّع السكاني، إضافة إلى عوامل الطرفة ذات المنشأ القبلي تُيسّر لنا إدراك الحدود التي تقف عندها القومية الأفغانية، كما اتّضحت في حروب القرن التاسع عشر وكذلك في الكفاح الأخير ضدّ السوفيّات. كما أنّها تبيّن الصعوبات التي تواجهها المركزية القائمة حالاً حول مدينة كابل المهذّمة. كانت هذه المدينة سابقاً منطلقاً لجهود التحديث التي حرص عليها الملوك الأفغان خلال القرن العشرين. هذا المركز الرمزيّ، الأفغاني والشّي، الذي حاولت من خلاله الدولة السابقة بناء وحدتها، لم يستعد، حتى الآن، وضعه السياسي الحقيقي.

«راجع المستندات ٨، ١٢ و ٣٥».

الأفغاني ← جمال الدين.

أفندي، كلمة تركية ذات أصل يوناني، تعني السيّد في العالم العثماني. استعمل هذا التعبير لقباً، ابتدأ من القرن الخامس عشر، ولقب به أصحاب الرتب العالية

ليباستان.

إنَّ شعره ذا النهج الكلاسيكي، لا يسمى إلى الجمال الفني في حد ذاته، بل إلى نقل «إرث النبوة»، إذ إنه يُعتبر «شاعرًا-فيلسوفًا» يستوحي مصادر إلهامه الأساسية من القرآن، مشيدًا بدينامية الشرع الإسلامي. وهو، بالمقابل، كان ينتقد بشدة الصوفية الأفلاطونية، المسؤولة في نظره عن انحطاط وانكفاء في الحياة الإسلامية، معتقدًا أنَّ رسالته تقوم على محاربتها.

إقطاع، تعبير عربي يفضل لفظ قطعة للدلالة، عند انحطاط سلطة الخلفاء العباسيين، على تنازل، غير قابل للتورث، عن عقارات تخص الدولة الإسلامية، بعدما كان قد هجرها أصحابها قديمًا، زمن الفتوحات الكبرى. اتسع العمل بالإقطاع، الذي اتخذ دورًا متزايدًا في إدارة الأراضي المصنفة ضريبًا بالنسبة إلى وضعيتها، لمواجهة الصعوبات السياسية والمالية التي طرأت على السلطة المركزية، خلال التفتت التدريجي للامبراطورية، وكان يقتضي قرارًا يُتخذ أولًا باسم الخليفة. وقد استفاد الزعماء العسكريون وأشراف البلاط غالبًا من هذه التنازلات ومن المردود المقطوع منه العشر، إذ كان يشكل بالنسبة إليهم معاشًا أو إضافة إلى المعاش أو الأجر. مهما يكن من أمر، أصبحت الأراضي المتنازلة لهذا النوع من الاستناد، في عهد الوصاية البويهية على الخلافة البغدادية، غير كافية، فاضطرت الحكومة إلى تحويل أراضي الخراج إلى إقطاعات لا يؤخذ منها سوى العشر. وقد شكل ذلك صيغة جديدة من الإقطاع أدت تدريجيًا إلى تقليص خطير في موارد الدولة مشفوعًا، أحيانًا، باستغلال يهدف إلى إطالة أمد ما كان، تحديدًا، حقًا بالإفادة المؤقتة، وإلى جعله وراثيًا.

في ما بعد، سرى هذا النظام - الذي أقيم في العراق - على سائر مناطق الأمبراطورية العباسية، وغدا، في الوقت نفسه، شيئًا فنيًا، أكثر خطورة بالنسبة إلى التنظيم الداخلي للدول التي أخذت به. وفي سوريا، في العهد الصليبي مثلاً، حصل أنَّ مدينة وجوارها كان يُستند أمر استغلالها لشخص كان يمارس دور الحاكم، أو بالأحرى أمير ناحية، ما أدى إلى تداخل بين الإقطاع القديم والمنطقة أو الإمارة التي كان حكمها مستندًا إلى

القادمة من إزمير وأطاليا وفونية في اتجاه الشمال.

إقبال (محمّد)، ١٨٧٧-١٩٣٨، مفكر وداعية سياسي وشاعر صوفي بالفارسية كما بالأردية، حاز في الهند شهرة عالمية بوصفه مصلحًا إسلاميًا، كما كان المهتم للنظيم السياسي والديني الذي حصل عام ١٩٤٧. ولد في البنجاب، وقصد في ١٩٠٥ بريطانيا العظمى حيث تابع دراسته في كمبردج، ثم توجه إلى ألمانيا حيث حصل على دكتوراه بالفلسفة من ميونخ في العام ١٩٠٧. وعندما عاد إلى لاهور في ١٩٠٨، دُرِس الفلسفة في الوقت الذي عانى أزمة روحية تمتد من خلالها بحث نهضة في الإسلام وفي سلطته الزمنية. كرس نفسه لهذا الهدف من خلال قضاؤه التي سعى بها إلى إقناع المسلمين بأنهم تخلّفوا بسبب أخطائهم، وفقدوا حظونهم عند الله، وأنّ الذل الذي أنزله بهم الأجنبي يعود إلى توانيهم وقلة إيمانهم. كما أنه، بالوسيلة نفسها، أعرب عن أفكاره الخاصة التي تسمو بواجبات الفرد، سالكا نهجًا معاكسًا لفلسفة إسلامية متأخرة نشأت من بعض التوجهات الصوفية القائلة بوحدة الوجود والساعية إلى الفناء عبر الانخفاف.

في ١٩٢٨، بعدما حصل شهرة بفضل آثاره الشعرية، ألقى، في جامعات هندية متعددة، محاضرات هادفة إلى تفصيل المواضيع الرئيسة لعقيدته، جمّعت نصوصها لاحقًا تحت عنوان: صت محاضرات في إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام. وقد سعى، من خلال ذلك، إلى التوفيق بين عقيدة تقليدية، يتجلى فيها أثر فكر أحمد سرهندي ومكتسبات فلسفة أوروبية أثرت فيه، وبخاصة عن طريق نيتشه وبرغسون. وفي الوقت عينه كانت تتوسّع ثقته في التوفيق السياسي للإسلام، بحيث إنّه في ١٩٣٠، خلال جلسة للرابطة الإسلامية الهندية، أعلن ضرورة إنشاء دولة إسلامية مستقلة في شمال - غرب الهند. ثمّ إنّه، بعد نشر مجموعات شعرية أخرى له، بينها «جاويد نامه»، وحصوله، منذ العام ١٩٢٢ من التاج الملكي البريطاني، على لقب «سير»، وارتفاع منزلته، بوجه خاص، في بلد مولده، توفي إقبال في ١٩٣٨ في لاهور حيث دفن وحيث يكرم قبره حتى اليوم على أنّه «الأب الروحي»

دولة احتفظت بالسيمة الإسلامية ، أكثر ما قام ، على سعة رؤية عاقلها التي رسمت سلوكه بالنسبة إلى رعاياه ، بإقدامه على إلغاء الجزية ، مثلاً ، وإشراكه ، بوجه خاص ، في مهاتم الإدارة والحكم ، الفئات العرقية والدينية المختلفة من السكّان الذين كان غير المسلمين منهم ، ممّن حرص على تأمين ولائهم له ، يحتلون موقعاً راجحاً .

وفي هذا السياق ابتكر نصوّراً ، في ميدان الفكر الفلسفيّ ، يقوم على جهد لإيجاد تلفيق انتقائي [أسماء] «الدين الإلهي»^(٢١) ، باعد بينه وبين صورة العاقل المسلم التقليديّ ، بينما كان في الوقت نفسه ملائماً لمثاله الأعلى السياسيّ الرامي إلى الساحة والمصالحة . وكان ، في ذلك ، يتّبع ميوله الشخصية الفلسفيّة-الصوفيّة التي ترسّخت عبر السنين ، بمخالطه جماعات الصوفيّة والأشخاص الوريثين الذين كان يشاركونهم في معتقداتهم الباطنيّة . وقد تنهى إلينا أنّه في بداية أمره أبدى احتراماً خاصاً تجاه المتصوّفين والأولياء من الطريقة الجشنية ، قائماً بزيارة نافذة سنويّة إلى ضريح مُعين الدين الجشنّي في أجّبر ، وذلك حتى العام ١٥٧٩ ، وموقّراً ، كذلك ، خلال حياته ، الصوفيّ سليم الجشنّي الذي يُقال إنّهُ مهّد بصلواته لولادة ابنه الذي عرف في ما بعد بجهاانكير ، فبنى لهذا الصوفيّ ، من بعد ، ضريحاً فخماً من الرخام الأبيض جعل منه مركزاً لعاصمته الملكيّة الأخيرة ، مدينة الصلصال الرُمليّ الأحمر ، قُتْجُور بيكري . وكان يكمل هذا المنحى بمطارحات مع ممثلي المسلمين والهندو والمسيحيّين والزرادشتيّين من مختلف الديانات التي كان يهتّم بها ، مع نيّاته على إيلاء كل ما يتعلّق بالإسلام احتراماً خاصاً . إلّا أنّه ، مع ذلك ، لم يُبلّغ في الفوز بقول (أُسّر) عقيدته الجديدة في ما بين معاصريه كما في توريثها من خلفوه ؛ فخلافاً للمبادئ التي وضعها ، أكمل تاريخ المجتمع الهنديّ-الإسلاميّ ، خلال العهد المغوليّ ، مسيرته [المعهودة] .

أكبر الأول شخصية مختلفٌ عليها ، يتبدّى صاحبها لبعضهم واحداً من أعظم ملوك الهند المسلمين ، بينما اعتبره آخرون المسؤول عن المتاعب العرقية والدينية

من يفيد منها ، ممّا حمل بعض المراقبين المتأخّرين على الخلط بين هذا الوضع وصيغة من الحكم «الفيودالي» . في مقابل ذلك ، كما هو معلوم ، عاد الحكم المركزيّ إلى سابق عهده ، بوصول الممالك السورتيين-المصريّين إلى الحكم ، فلم يحصل القادة العسكريّون إلّا على إقطاعات متوسطة المساحة حيث لم يكن في مقدورهم أن يحكموا كأسياد .

أكبر آباد ← أقرا .

أكبر الأول ، أبو الفتح جلال الدين سحمّد ، ١٥٤٢-١٦٠٥م ، سلطان الهند ، ملك منذ ١٥٥٦ ، وكان المؤسّر الحقيقيّ لأمبراطورية المغول ، مكملًا في هذا المنحى ، كما في توجهاته الدينية التوفيقيّة ، عمل جدّه بابر .

إذا كان أكبر استهلّ بانتصاراته العسكريّة وحسّه التنظيمي الحفيّة الأكثر تألقاً في تاريخ الإسلام في البلاد ، منصرفاً إلى العمل بتسامحه [الدينيّ] المشجع بالصوّف ، فإنّه نهض بذلك في ظروف صعبة . كان العرش الذي اعتلّاه وهو حدث ، بعد وفاة والده مُعايُون الطائفة^(٢٢) ، قائماً على قواعد غير مضمونة دُزَعَتْها عودة سلاطين دلهي الموقوفة من سلالة سُوري ، ولكّنه استطاع أن يتصرّ ، بفضل حزم وصبّه ، في معركة بُنيبات الثانية . إنّ سطوته الشخصية والحملات الحرّية الطائفة التي أخضع بها ، ما بين ١٥٦١ و ١٥٧٦ ، الدولتين الراجپوتيّتين المستقلّتين ، عُجْزَات وبِثْغال ، أقلّته لتقديم نفسه ، في شمال الهند ، خلفاً [لائقاً] للسلاطين الأوائل ، ولبسط سيادته ، بعيد ذلك ، على أراضي متزايدة ، إنطلاقاً من دلهي . وقد تابع ، حتى وفاته ، توسيع رقعة مملكته في اتّجاه السند وبلوشستان كما في اتّجاه الدكن . من دون التوفّق عن وضع الشؤون الهنديّة في المقام الأوّل لاهتماماته . قارن اتّساع الأراضي اثني غنصها بالسلّاح ، فعالية نظام حكم ابتكره مليك ذو فِراة فكرة بارزة ، عرف كيف يقيم نظاماً هرميّاً لإدارته المركزيّة والإقليميّة ، مع احتفاظه بالسلطة الأساسيّة على المسؤولين المحليّين واهتمامه الشديد بإقامة نظام ضريبيّ سليم . وقد قام التوازن الذي نتج عن ذلك في

القائم قد منحه لقب سلطان. تسلّم قيادة جيوش والده وهو بعد فتى، وبعد موت هذا الأخير وموت طغرل بك، جمع كل ما عند الأتراك من طموح، بعد أن غزا هؤلاء إيران والعراق. فكان قائداً عسكرياً حازماً متنبهاً، لم ينخرط في الدساسات التي كانت تُحكّم في عاصمة الخلافة بغداد، ولم يهتّم لها، بل وضع أمام جيشه وأمام قوّاته القبلية هدفين أساسيين دفاعاً عن السنة، وهما: مهاجمة الفاطميين في سوريا، والجهاد ضد البيزنطيين الذين كانوا يسيطرون على الأناضول.

وبعد أن تبيّن سلطته في الشرق حيث الغزنويون والقرخانيين ودولة السلاجقة في كرمان التي أسّسها أحد إخوته، انطلق في غزواته نحو أذربيجان، كما أخضع المرعاسيين الشيعة في حلب، وشجع غزوات البدو التركمان ضد البيزنطيين في آسيا الصغرى. وجاءت ردة فعل البيزنطيين لتقدم له فرصة انتزاع نصر عسكري حاسم في معركة ملاذكرد/مانزيكرت، في آب من سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، ما ساعده على احتلال بلاد الأناضول وأسلمتها. إلّا أنّه لم يلبث أن هلك بعد ذلك بقليل، تاركاً لولده ووريثه ملكشاه مجال الإفادة من الانتصارات التي حققها، وجهاراً إدارياً منضبطاً يديره، منذ تسلمه السلطة، الوزير نظام الملك بمهارة وحزم.

ألبانيا، اسم أطلق، خلال عصور مختلفة، على مقاطعتين من العالم الإسلامي، كانت إحدهما تابعة لمناطق القوقاز، والأخرى لأراضي البلقان حيث قامت، جمهورية ألبانيا الشعبية الاشتراكية.

١ - إنَّ ألبانيا ما وراء القوقاز التي حملت، في ما بعد في العصر الوسيط، اسم أرّان الذي سقط، بدوره، من الاستعمار، ضُمَّت إلى الأمبراطورية العربية-الإسلامية، منذ فتوحات القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد. وقد اتّحد مصيرها بمصير مقاطعة أذربيجان، بخاصة مع وصول القبائل التركية بقيادة السلاجقة في القرن الخامس الهجري/العادي عشر الميلادي، وقد تبيّنت هذا الوضع الغزوات المغولية وحملات الإيلخانيين في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. وما تزال النتائج التي تركت على ظاهرنا الإسلامية والتتريك اللتين برزتا أتابميد تتحكّم، إلى حدّ

المتزايدة في البلاد التي حاول توحيدها؛ كما كان، أيضاً أميراً كثير الاهتمام بالتهووس بأراضي مملكته في مجالي التجارة والصناعة، فشجّع المبادلات بتيسيره، مثلاً، استقرار البرتغاليين فيها. كما شجّع الصناعة الحرفية في داخل المحرقات الأمبراطورية المتعددة، أي الكارخانات التي كانت إدارته تراقبها مباشرة، وساهم، بوجه خاص، في ازدهار مدرسة من الرُشامين والمُثَنِّمين الذين تأثروا ببعض الشيء بالغرب. وعلى عظمة [ملكه]، الذي بلغت شهرته أوروبا، ما تزال تشهد الآثار الباقية في دلهي حيث يُذكر، بوجه خاص، الضريح الذي بناه على شوى والده هُمبايون، وصولاً إلى حصن أغرا، ولا سيّما أبنية فتحبور سيكري التي لم تصد طولياً، بينما لم يُقَم الضريح الذي دُفن فيه أكبر إلّا في زمان متأخّر، في سيكندره، غير بعيد من أغره، حيث وافته المنيّة.

◀ رابع السنتين ٣٣ و ٧٨.

الآركوس أو الأرك، (معركة)، شعبان ٥٩١هـ/١٨ نموز/يوليو ١١٩٥، إشبك ظافر كان يرمي إلى إيقاف حرب الإسترداد المسيحية في الأندلس، تصدى خلاله للقوات القشتالية، بقيادة ألفونس الثامن، [الملك] الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور.

وقعت المعركة بالقرب من قصر محصّن يعرف بالأرك، يسمّى اليوم سانتا ماريا دو الأركوس، في منطقة كالاثرا لا فيخا. إلّا أنّ هذا التوقّف للحملات الآتية من الشمال لم يدم إلّا فترة قصيرة ولم يخل دون استمرار التحضير لتحالف القوّات المسيحية التي حققت نصراً، بعد ذلك بخمس عشرة سنة، في لاس نافاس دو تولوزا. ▶ رابع الستد ١٦.

أليّا - عَلَينا.

ألب أرسلان، أو عضد الدولة أبو شجاع محمد بن دلو (٤٢١-٤٦٥هـ/١٠٣٠-١٠٧٣م)، ثاني سلاطين أسرة السلاجقة الكبار الإيرانيين. وقد شهد عهده امتداداً واسعاً للدولة السملجوقية، ولا سيّما في الأناضول.

وهو ابن أخي طغرل بك الذي كان الخليفة العبّاسي

الجديد، وفي مقدمهم الإقطاعيون القدامى، ثم في القرنين السابع عشر والثامن عشر، تمت أسلمة الفلاحين. قبل ذلك، كان الأخذ المكثف بالدوشرمة قد أدى إلى تويع الدوائر الحاكمة للدولة العثمانية بالموثّقين والعسكريين من الألبان، وهم في معظمهم ذوو نشاط مميّز. أخيراً، يذكر أنه، في وقت متأخر، تنامي في القرن التاسع عشر التأثير الديني للطريقة الصوفية البكتاشية، فتكاثرت في الولاية مراكز الدعوة، ما ساهم في زيادة عدد المسلمين.

٣- جمهورية ألبانيا الشعبية الاشتراكية الحالية، المساحة: ٢٨ ٧٤٨ كم^٢، العاصمة: تيرانا، دولة حديثة العهد مستقلة في شبه جزيرة البلقان، ما تزال تضم أكثرية نشطة من المسلمين. تفكّر بين ستين وسبعين بالمانا من السكّان.

إنّ هذا الوضع الذي يصعب تقويمه في بلو مغلق على نفسه، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، هو وليد ميراث السيطرة التركية التي تنامت داخل أراضي ألبانيا في العصر الوسيط، منذ أواسط القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، ثم امتدّت إلى المنطقة بأكملها، ولا سيّما الجبلية، بحيث أشرفت على ساحل البحر الأدرياتيكي. وهكذا تجاوزت حدود الأرفانولوك في زمن العثمانيين الحدود التي، من الشمال إلى الجنوب، تفصل، اليوم، جمهورية ألبانيا عن مونتغرو وكوسوفو ومقدونيا واليونان.

استمرّ هذا الوضع حتى القرن التاسع عشر، إذ حاول السكّان الألبانيون - الذين كانوا قد أصبحوا في أكثرهم مسلمين - أن يستغلّوا المصاعب التي واجهتها الأمبراطورية ليعتدوا استقلالهم. قامت في البدء محاولات أصابت نصف نجاح، فادها حكام عثمانيون مثل علي باشا نيتلي الذي كان على مقدار كبير من الحقد السياسي، بحيث حاز بعض الشهرة في أوروبا، قبل أن يُصاب بجرح قاتل في العام ١٨٢٢. شكّلت هذه المحاولات إرهابات لأعمال الحركات الاستقلالية التي أبقت الرابطة الألبانية عام ١٨٧٨ والتي قاومت مشاريع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني. وفي نهاية الأمر، بُسّرت نتائج الحرب البلقانية، في العام ١٩١٢،

ما، بالتطوّر السياسي الحالي لجمهورية أذربيجان المستقلة التي تضمّ منطقتي أَرّان وشروان القديمتين.

٢- أمّا ألبانيا البلقان التي لم يظهر اسمها إلا ابتداء من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي - رغم أنّ سكّانها ينتمون إلى الأدومة الإيليرية من دون شك، كما أنّهم ظلّوا متمسكين بغادتهم في مناطق جبلية واقعة إلى الجنوب الشرقي للبحر الأدرياتيكي - فإنّها لم تعتنق الإسلام إلّا في وقت متأخر، في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. حلّ العثمانيون محلّ البيزنطيين والصرب والنورمان في السيطرة على هذه البلاد، ولا سيّما بعد العام ١٤٧٨م، بفضل ما أحرزوه من نجاح ضدّ البندقية. نتج عن ذلك عهد طويل من الاشتراك في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية للأمبراطورية، استنعى ذلك تحوّل الألبانيين إلى الإسلام في أكثرهم ويقاوم أوفياء لهذا الخيار.

تميّزت المراحل الأولى للأسلمة بمخاطر نتجت عن فتح عسكري صعب، تحقّق بموازاة الاستيلاء على البوسنة، بعد أن انتصرت جيوش السلطان مراد الأول على الصرب في سهل كوسوفو في العام ١٣٨٩م. استندت حملات العثمانيين على مناعة مراكزهم الحدودية التي كانوا قد أقاموها في مقدونيا، في أسكوب/سكوبيا، وقد استمرّت في التقدّم رغم المفاوضات المحلية والتزاعات المسلّحة مع البندقية. الذين أخذت تدابير قهر متوّعة في حقّ السكّان الشجعان، وقد اصطبغت مقاومتهم التي قادها أسكندر بك (٨٠٨-٨٧٣م/١٤٥٥-١٤٦٨م) بمصبغة قومية، وأدّت في النهاية إلى تحويل ألبانيا إلى قاعدة إدارية لما كان يُعرف يومئذ باسم الرومّلي، وهي واحدة من أكبر مقاطعتين خضعنا للعثمانيين. إنّ أربعة أفضية، على الأقل، هي: شكودر/اسكندرية/سكوتاري وأفلونا، والباسان وأمري كانت تشكّل في القرن السادس عشر الأرفانولوك، وهي الولاية العثمانية التي خلفت الإمارات المحلية والتي لا تشغل جمهورية ألبانيا الحالية سوى قسم صغير منها.

إنّ النظام الضريبي المستند إلى امتيازات التّجار الأرضية، ومن ضمنها جباية الضرائب المحلية السابقة، هو، من دون شك، ما دفع بالكثيرين إلى اعتناق الدين

من القرميد المزّين والمرصع بالخزف حيث دُفِن تحت قبة ذات حجم مهيب.

الجزيرة (إسبانيا)، عُرفت في زمن العرب باسم الجزيرة الخضراء: مدينة مرتفعة تقع جنوبي شبه الجزيرة الأيبيرية، أُنشئ لها المسلمون في القرون الوسطى الازدهار الاقتصادي والعسكري، بعدما جعلت نقطة عبور للمضيق باتجاه سبّنة.

أقامت الدولة الأُموية الأندلسية، في مرحلة قوتها وازدهارها، دارًا للصناعة في الجزيرة وقاعدة بحرية، وتحولت المدينة إلى مركز إداري للمقاطعة. وهذا ما أدى إلى نموها على الجهة الثانية من الخليج الذي تحميه قلعة جبل طارق. وأدت الجزيرة بعد ذلك، بفضل تحصين الأماكن الإسلامية التي كانت تهددها حرب الاسترداد، دورًا مهمًا يوازي الدور الذي كانت تؤدّيه القلعة المقابلة. كما كان مصير هذين المركزين كمصير مدينة طريف المجاورة. وفي أواخر القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، أقام المرابطون تحصينات قوية لمدينة الجزيرة التي منها انطلقوا لدمع ملوك الطوائف وردد هجمات ألفونسو السادس القشتالي. وفي مرحلة لاحقة جعلها المريتيون مقرًا لهم ومركز انطلاقًا لعملياتهم، حتى هزيمة أبي الحسن علي المريني سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م على نهر الربو سلاو، ما أدى إلى وقوع المدينة في قبضة ملوك قشتالة. على أثر ذلك تغيرت أوضاع الجزيرة التي عرفت تبدلًا كبيرًا، بسبب الحملة الإسلامية التي انطلقت من غرناطة سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، وقوّضت كل معالم أبنية العصور الوسطى السابقة.

◀ راجع المستندات ١٥، ١٦ و ١٩.

ألغرب Algarve، اسم مقاطعة حالية تقع جنوبي البرتغال، وفيها يبدو أثر الوجود الإسلامي المتلاحق حتى منتصف القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد أكثر بروزًا من سائر أنحاء البلاد. والاسم الذي تحمله المقاطعة حُرّف عن العربية، إذ أطلق العرب على تلك الناحية اسم «غرب الأندلس»، وهذه التسمية التي كانت تشمل قسمًا كبيرًا من البلاد لا تُطلق اليوم إلا على

والحرب العالمية الأولى التي عصفت بُعَيْدها، الولادة العسيرة لأول دولة ألبانية حديثة. حازت هذه الدولة الاعتراف بها في العام ١٩٢٠، ومرت بتجربة علاقات مضطربة مع إيطاليا، وانتقلت من ملكية قصيرة الأمد، في عهد الملك زورغ الأول، إلى جمهورية شعبية عام ١٩٤٤. في نهاية الحرب العالمية الثانية، أدار شؤونها أنور خوجا باستبداد شبه مطلق حتى وفاته التي عقبها، عام ١٩٩٢، فقدان الحزب الاشتراكي سلطته [على البلاد].

◀ راجع المستند ٢٧.

ألجائتو، غيات الدنيا والدين محمد خُدايئده ٦٧٩ هـ/١٢٨٠ - ١٣١٧م، هو الملك المنغولي الثامن في سلالة الإيلخانيين في إيران، حكم بين ٧٠٤ و ٧١٧هـ/١٣٠٤ و ١٣١٧م، نازكا وراه سمعة اليّاه الباذخ وراعي الآداب والعلوم. هو ابن أحد أحفاد هولاكو، وُلد من أم مسيحية رتته على هذه الديانة. وفي ما بعد، اعتنق الدين الإسلامي، لكنّه كان متذبذبًا في فناعاته الدينية: ففي البدء، كان مؤيّدًا للإسلام الشيعي، لكنّه اقترب فيما بعد من الإسلام السني ليعود أخيرًا إلى التشيع.

اعتلى العرش بدون صعوبة وهو صغير السن، وريثًا لأبيه غازان. واتّبع، مثل أبيه وأسلافه، سياسة عداوية تجاه المماليك تميّزت بحملات عدّة على سوريا وحصار فاشل لقلعة الرحبة. وفي المقابل، أقام علاقات سلمية مع ملوك الغرب المسيحي حيث أرسل موفدًا مسيحيًا ليروهم هذا الغرب بأنّه ما يزال على الديانة المسيحية. إضافة إلى ذلك، عيّن في خدمته وزيرًا ذا كفاية عالية هو المؤرّخ رشيد الدين. لكنّ شهرته المائعة قامت، بدون شك، على نقل مقرّه الملكي من تبريز، عاصمته الأولى، إلى مدينة سلطانية الجديدة التي أنشأها في مقاطعة الجبال القديمة، غير بعيد من قزوین، والتي كان يطمح إلى تحويلها مركزًا إقتصاديًا فاعلاً على الطريق الأساسية للقوافل، بحيث تكون صلة الوصل بين الأمبراطورية المغولية والأناصول وأوروبا، عبر أذربيجان. وما تزال آثار قليلة لهذه المدينة قائمة في موقع مغر من السهوب، من بينها الضريح الذي بناه بنفسه

کردستان في عهد السلطان السلجوقي شجر. هكذا نرى أن أحد القادة الأكراد في جيش نور الدين [محمود] زنكي، وهو صلاح الدين المشهور، أسس سلالة الأيوبيين التي حكمت سوريا ومصر، فكثر عدد الأكراد في الجيش وفي الجهاز الإداري. وعُرف من بين الأكراد عدد من رجال الدين الذين أذوا دوراً في التعليم الذي كانت تؤمّه المدارس التي استُحدثت في ذلك العصر. وبعد مرور مرحلة قصيرة، خلال غزوات المغول، احتلت المناطق الكردية ونُهت، وهلك عدد كبير من الأكراد، وهذا ما حمل الناجين على التحالف مع المماليك. وبعد انتصار العثمانيين على المماليك وسيطرتهم على الشرق الأدنى، تحولت بلاد الأكراد إلى مسرح لصراع جديد بين الصفويين والعثمانيين، ثم بين العثمانيين والروس. وقد حاول الأكراد، غير مرة، الحصول على استقلالهم، لكنهم لم يتمكنوا. وهذا الاستقلال الذي كان متوقفاً في مطلع القرن العشرين، بموجب معاهدة سيفر سنة ١٩٢٠، ألغته معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣، وقد نتج عن ذلك عصيان مسلح.

بعد الحرب العالمية الثانية، ضُمّ قسم من الأراضي الكردية إلى تركيا، وجُعِلَت المنطقة القريبة من الموصل، والتي تضمّ حقول البترول في كركوك، من نصيب العراق. أما المنطقة التي كانت من قبل تحت سيطرة إيران فقد احتلتها القوات السوفياتية سنة ١٩٤٦. هذا الوضع جعل بعض الأكراد يعتقد أن الوقت أصبح مناسباً لإعلان الدولة الكردية المستقلة (كانون الثاني - يناير ١٩٤٦). لكن ذلك لم يمنع إيران من أن تستعيد تلك المنطقة بعد انسحاب القوات السوفياتية منها في آذار - مارس ١٩٤٧، وأن تُعَدِّم زعيم الأكراد. إلا أن أكراد العراق لم يتوقفوا عن التحرك، وأحياناً بعنف، بدءاً من سنة ١٩٤٥. ومرحلة الهدوء الوحيدة تناسبت مع قيام الجمهورية في العراق سنة ١٩٥٨، حيث ضُمّن الدستور الجديد حقوق الأكراد. إن وصول حزب البعث إلى السلطة أدى إلى عودة التوتر، رغم نظام الحكم الذاتي الذي مُنح للأكراد سنة ١٩٧٤. كما أن الصعوبات الداخلية والخارجية التي صادفها نظام صدام حسين غالباً ما كانت تنتج عنها حملات عسكرية قمعية في بلاد الأكراد.

قسم ساحلي صغير. وقد انتزع الإسماعيل المقاتلة من المسلمين تدريجياً خلال حروب الاسترداد، وكان سقوط مدينة شلب (Silves) البحرية سنة ١٢٤٧/١٢٤٩ م.

ألقصر دو سال (في البرتغال)، بالعمية قصر أبي دانس، موقع مرفئي يحتفظ ببعض المذكرات من ماضيه الإسلامي الوسيط، على الساحل الأطلسي للاندلس. نشأت هذه الحاضرة البحرية خلال الاحتلال الإسلامي للمنطقة. زامز إزدهاها، في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ازدهار ترسانتها التي غدت بسرعة في أهمية ترسانة شلب. وقد اضطلت بدور الحصن، فحملت اسم القصر، وصمدت في وجه الزحف المسيحي، ثم سقطت بعدئذ في العام ٥٥٣هـ/١١٥٨م، واستُعيدت عام ٥٨٧هـ/١١٩٦م، لتسقط بصورة نهائية بأيدي المسيحيين في العام ٦١٦هـ/١٢١٧م.

« رابع المئذنة ١٩ »

الأكراد، شعب إيراني يبدو أنه سكن منذ القدم منطقة جبلية تقاسمها اليوم كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا.

وقد قُدمت آراء كثيرة تفسيراً لأصل كلمة «كرد» لتي كانت معروفة في عهد الفتوحات العربية-الإسلامية الكبرى. وقد استعملها الجغرافيون المسلمون في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وذكروا مختلف القبائل لكردية بأسمائها، كما ذكر المؤرخون باكراً الثورات التي اندلعت ضد الخلافة والتي شارك فيها الأكراد. عُرفت في القرن عيه سلالات كردية حاكمة، كبنو لُشَاد، وبنو خُسْرُوهُ الذين كانوا حلفاء كل من البويهيين وكن الدولة وعُضْد الدولة، في حين أن سلالات أخرى كردية كانت معادية لبني بويه، وأن إحداهما، المروانيين، سيطرت على منطقة ديار بكر من سنة ٣٨٠ إلى ٤٨٩هـ/٩٩٠-١٠٩٦م.

مع قدوم السلاجقة، حاول الأكراد التصدي للقدوم التركي، واستمروا بعد ذلك في إثارة الاضطرابات. إلا أن كثيرين منهم دخلوا كمرتزقة في جيش الزنكيين الذين كانوا من أسرة حكّم بعض أعضائها منطقة

﴿إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمَّ الْفُؤُودَ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

في هذه الآية من القرآن الكريم، كما في آيات كثيرة أخرى، نلاحظ استعمال تعابير هي من الخصائص الإنسانية: فالله يستوي على العرش، وله يد ووجه ويتحلّى بصفات تصلح لأن تعبّر عن التقوى الصوفية والشعبية، ويبلغ عدد هذه الصفات، بحسب التقليد، تسعاً وتسعين هي «أسماء الله الحسنى» التي يردده المؤمنون في إطار المديح والثناء. وهكذا فإن الله هو الخالق، والسامي، والحي، والثابت، والكلّي العلم والعاقل، والعاقل، والعاقل، وهو على الأخصّ الرحمن الرحيم وكلّ سورة من القرآن تبدأ بالقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا ما يُعرف بالبسملة، وقد أخذ القول من سورة الفاتحة التي هي أولى السور، والتي يردده المسلمون في مناسبات كثيرة - وهذا واجب عليهم - وذلك قبل المباشرة بأيّ عمل مهمٍّ شرعي، كما قبّل بعض الأعمال كالوضوء أو تناول الطعام. أمّا النصوص المكتوبة فيجب أن تستلّ كذلك بالبسملة، من أجل نيل رضى الله وبركته. ويختصر القول أحياناً إلى كلمتين هما: «بسم الله». وغالباً ما ترد عبارة «الحمد لله» في الأحاديث اليومية. كما أنّ تعابير كثيرة كعبارة «الملك لله» كانت، منذ اليهود الأولى للإسلام، تستعمل كمواضيع مفضّلة في الكتابات التي نسهم في تزيين الأبنية، والأثاث، وسائر الأعمال الفنية. وينبغي أن نشير إلى أن لفظة «اللهم» كانت متداولة في عصر ما قبل الإسلام، ولم يجد فيها النبيّ محمد ﷺ ما يستوجب التعبير، فاستمرّ استعمالها في الصلوات والابتهالات لدى المؤمنين أتباع الديانة الجديدة.

هذا الإله الخالق والكلّي القدرة هو في حالة دائماً من السمو والترفع، ولا يستطيع العالم المخلوق أن يقبّه معه صلة أو أن يدركه، بالرغم من أن مغلفي حركي التصوّف جاهرُوا بإمكان إقامة علاقة حبّ بينه وبين الإنسان، وبأنّ هذه العلاقة تؤدّي إلى الوجد ونشوء

الله، لفظة عربية تشير إلى الخالق، يرد ذكرها في القرآن الكريم لدى المجاهرة بالإسلام عن طريق الشهادة، وفي ما بعد، في الفكر الديني الذي ثابر على تحديد الإيمان في الإسلام والمفيدة التي تعبّر عنه. فاللفظة التي يبدو أنّ معناها تشير إلى الألوهية المطلقة أو إلى الإله قد أعطت، عن طريق الدغم، لفظة «الله»، وهذا ما لم يتفق حوله علماء اللغة بشكل تام.

وبشهادة عدد من الآيات الكريمة كانت اللفظة معروفة عند العرب قبل الإسلام ونشير بمعناها إلى الألوهية الكلية، فعلى النبيّ محمد ﷺ وأعطاهما برسائله معنى توحيدياً. وفي القرآن الكريم يبدو الله سيّد النبيّ محمد ﷺ، يأمره بتلاوة الآيات التي يوحى بها إليه بواسطة ملاك، وبعد ذلك دُوّنّت هذه الآيات. والله لا نظير له ولا شبيه ولا شريك: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (سورة الشورى، الآية ١٦)، وهو لم يلد ولم يولد بحسب ما يحدّده النص الوارد في سورة الإخلاص والذي يتردد ذكره في الأوساط الإسلامية. وهذه الحقيقة الثابتة في وحدانية الله فيها إدانة للشرك، أي لتعدد الآلهة، وللمسيحيين أيضاً:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ أَلْفَسَكْدُ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ ثَوْلَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ صَكْوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص، الآيات ١-٤).

هذا الإله الوحيد هو ربّ السموات والأرض، وهذا ما تعنيه العبارة المعروفة «رب العالمين». وهو سيّد الملائكة والجنّ، وسيّد البشر الذين خلفهم والذين يوجههم بحسب ما يشاء، كما أنّه يدبّر كلّ شيء، بإرادته الإلهية. وهذا العالم ينتهي وجوده بقراره، وفي يوم القيامة، بعد بعث الأموات، يحكم على أعمال البشر فيرسلهم إما إلى النعيم وإما إلى الجحيم. وإذا كان خلقه قد تمّ عن طريق القول أو الأمر أو عن طريق الروح، فإنّه تعالى يرسل كذلك نوره للأنبياء، وينشره على الرسل التي يخلقونها ويذيعونها.

إلا أنّ الآية القرآنية التي تشير إلى قدرة الله الكلية وقوّته الفريدة هي التي تُعرف باسم آية العرش. وقد غدت على مدى العصور إحدى الوسائل المفضّلة في التعبير عن تقوى الإسلام:

الأبنية الأخرى. وقد حضنت المدينة، بعد ذلك، الصوفي الشهير المعروف باسم محب الله ١٥٨٩-١٦٨٤، الذي انتمى إلى الطريقة الجشنية، وكان متمسكًا بالأفكار المتأدية بوحدة الوجود التي روجها ابن العربي، فعمل على نشرها في أوساط أمير المغول «دلا» شيكوه». ولم يتوقف دور «الله آباد» الاقتصادي والإداري عن النمو، حتى خلال الاحتلال البريطاني الذي كان ناجزًا سنة ١٨٠٠. ولا يزال هذا الدور ثابتًا في عصرنا الحالي، وإن المدينة تحتفظ بأقلية قوية من المسلمين.

العمرة أو مريّة بجانة (إسبانيا)، مرفأ أندلسي تأسس في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد، وحاز أهمية جعلته يحلّ مكان مدينة بجانة. إلا أنه لم يحافظ من العهد الإسلامي إلا على بقايا أثرية قليلة.

هذه المدينة المزدهرة التي تأسست سنة ٨٣٤هـ/٩٥٥م على يد الخليفة الأموي الاندلسي عبد الرحمن الثالث، واحتلت موقعًا إستراتيجيًا في الدفاع عن المنطقة الساحلية كان يشير إلى أهميته وجود برج للمراقبة ورباط، عرفت نموًا سريعًا بفضل المرفأ الذي شمل نشاطه الأغراض الحربية والتجارية. ولم يكن المرفأ يُستخدم حصيرًا قاعدة بحرية ومركزًا لبناء سفن أموية كانت، في ذلك الوقت، تنافس الأسطول الفاطمي في المتوسط، بل كان النشاط التجاري - الذي حرّكه المراكب الوافدة من كلّ جهة - أساسًا لازدهار اقتصادي معيّر. ثم إن الأسوار أثّرت الحماية للأحياء الجديدة، مع القلعة التي تُعرف باسم «القصبة» والتي بُنيت فوق مرتفع صخري. وقد بقيت المدينة مع دفاعاتها، حتى القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، معقلًا دالًا على قوّة المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية.

عرفت مدينة العمرة حركة ثقافية وصلت إلى ذروتها في عهد ملوك الطوائف، عندما انتقلت من أيدي العامريين إلى الشببيين الذين جعلوا بلاطهم مركزًا فكريًا وأدبيًا معيّرًا، وقد استمرت هذه الحركة في ما بعد. وأدى قدوم المرابطين سنة ١٠٩١م/١١٨٥م إلى تزايد النشاط التجاري والازدهار الحرفي. وإلى انتشار صناعة النسيج الفاخر، فضلًا عن استثمار المتاجم الواقعة داخل البلاد. وبين سنتي ٥٤٢ و٥٥٢م/١١٤٧

الاتحاد. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ هذا الاتحاد ليس في الواقع إلا نوعًا من التقزّب. أمّا مناصرو الفلسفة الذين لا يتكبرون القدرة الإلهية على الخلق، فعلائيًا ما كانت تستهويهم فكرة اعتبار العالم المخلوق قبضًا إلهيًا، وبذلك تنتفي فكرة خلق العالم من العدم.

ثم إن إدراك ماهية الله في الوسط الإسلامي كانت منذ عصور، وما تزال، محور أسئلة كثيرة، أهمّها تلك التي أثيرت في مناقشات العلماء وولدت جدلًا وخلافاً كانا في أساس التحديدات التي وضعتها مدارس علم الكلام المتلاحقة. من ذلك: أينبغي الأخذ بحرقية التعابير التي تنفي على الله صفات بشرية؟ إن البحث عن جواب لهذا السؤال يؤدي إلى مشكلة التخصيم والتشبيه التي انتقدتها المعتزلة والتي انتقدها أيضًا، إلى حدّ ما، الأشعريون. ومنها: ما قولنا بالصفات الإلهية التي تتوافق مع أسماء الله الحسنى التي أشرنا إليها سابقًا، وهل هي صفات أزليّة؟ إن سؤالاً كهذا هو في النهاية سؤالٌ حول التوحيد. ثم هل كلام الله أزلي أم مخلوق؟ حول هذه المسألة تضاربت الآراء وتباينت المواقف بين المعتزلة والتقليديين. والتساؤل الأخير: هل الله عادل؟ هل هو مسؤول عن الشر؟ أيمكن القول إن الأعمال التي يقوم بها الإنسان هي من صنعه أم إنها مفروضة من الله؟ هذه الأسئلة التي قادت إلى مناقشة قضية حرية الإنسان وعدم حرّيته جعلت المسافة تزداد بعدًا بين المعتزلة والتقليديين، بعدما كان أتباع القدرية والجبرية قد بدأوا يبرزون هذه المسألة الدينية التي كان لها تأثيرها السياسي، وأصبحت واقفًا حيويًا يطلق منه المؤمنون لتحديد مواقفهم من الأحكام وقادة الجماعة.

الله آباد أو لَهَايَاد (الاتحاد الهندي)، مدينة تقع اليوم في ولاية «أوتر براديش». يعود الفضل في تسميتها ونموها إلى سلطان المغول أكبر الذي جعلها عاصمة إحدى مقاطعات إمبراطوريته. فبين عامي ١٥٧٤ و١٥٨٠ للميلاد بدأ السلطان يدي اهتمامًا بمدينة «هراياد» الصغيرة التي كان يقدّسها الهندوس، بعدما رأى فيها مركزًا إستراتيجيًا مهمًا لعبور نهر «الغانج»، وأطلق عليها اسم «الْهَاس» الذي أصبح في ما بعد «الله آباد». وقد شيد فيها قلعة ما تزال اليوم قائمة، ومجموعة من

محبة للزيارات القوية، وقد حلد موضع قبره في أماكن مختلفة. فوجد في دليل الهروي على الأقل أربعة أماكن مختلفة، وذلك في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي: في حوران في سوريا، في مصر، في بلاد ما بين النهرين العليا، كما في فلسطين، وعلى وجه التحديد في البلدة المسيحية المعروفة ببسطة. وقد اعتمد التقليد اليهودي - المسيحي أساساً لتحديد أمكنة هذه المزارات.

أُم الْقَيُومِينَ (مدينة) - الإمارات العربية المتحدة.
أُمُّ الْوَلَد، تعبير عربي ذو مدلول قانوني، يعني، في المجتمع المسلم القروسطي، أنه وضعت ولداً لسيدها. كانت أمة كهذه، خلية، تتمتع بامتياز يحول دون بيع مالكتها لها، كما لها الحق، بوفاء هذا الأخير، بالإعتاق، فيما ولدها يتمتع بجميع حقوق الإنسان الحر. وتعود هذه الوضعية المعمول بها إلى قرار أصدره الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، يستند إلى حديث نبوي. ويبدو أنه لقي اعتراضاً في اليهود الأولى للإسلام، إلا أن المدارس الفقهية الأربع في السنة أخذت به، في ما بعد، من دون أيّ التباس.

الواقع أن تطبيق هذا الوضع تأكد خلال القرون الوسطى وفي مرحلة متأخرة أيضاً، في الأسر الأميرية والملكية، بما فيها الخلافة، حيث تبسّر لأولاد خلبلات تولي السلطة قانونياً في ظروف قريبة من تلك التي توافرت لأولاد الزوجات الشرعيات، حتى لو جاء ذلك غالباً نتيجة مكائد وحكمة سياسية لأمهاتهم من أجلهم. وثمة حالة قصوى - مثبته كذلك في نقاليد سلالة الصفيين - هي حالة عرفتها دولة العثمانيين حيث جرت العادة، منذ القرن السادس عشر تقريباً، بأن يفسح السلطان، الذي لم يعقد زواجا معترفاً به رسمياً، في المجال لدى وفاته، للنسابة بين أولاد مختلف الخليلات اللواتي أنجبن له البنين وحصلن على لقبتي «خدين» أو «خاصكي» الشرقيين، وعندما كان أحد الأمراء المتخاصمين يعتلي العرش، كان يقضي على إخوته من أبيه، وهو أمر كان له صفة قانونية، وظل معمولاً به حتى نهاية القرن السابع عشر. وكانت تقيده أنه عندئذ من وضع النفوذ المميز لها كونها السلطانة

١١٥٧م، وقعت المربة في أيدي المسيحيين، بصورة مؤقتة، خلال حروب الاسترداد، فكانت تلك المرحلة بداية انحطاط، ولا سيما عندما شهدت المدينة، بعد ذلك، صراعاً بين ذوي النفوذ في ظلّ الموحّدين. واستمر الاضطراب مع ضمّ ألمرية إلى المملكة النصرية في غرناطة سنة ١٢٣٥هـ/١٢٣٨م، إلى أن سقطت سنة ١٤٨٩هـ/١٤٨٩م في أيدي الملوك الكاثوليك.

◀ راجع المستندات ١٥ و ١٦ و ١٩.

أَلْمُوت، قلعة خربة تقع في قلب جبال ألبرز في إيران، ظلت، لثلاثة قرون، مركزاً لأشهر دولة وسيطة من فرقة التّزاريين.

إنّ موقع هذه القلعة المشهورة يمنعتها الفريدة والتي احتلها، رغم ذلك، هولاء في العام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، بقع إلى الشمال الشرقي لمدينة قزوین الحالية، وهو من أعمال مقاطعة التّيلم التي كانت، منذ أوائل عهد الإسلام، منطفة جغرافية يصعب الوصول إليها، بحيث غدت معقلاً للدعوة الشيعية وللاضطرابات التي كانت تراقفها. يفسّر لنا هذا الأمر اختيار حسن الصّباح هذا الموقع، عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، ليحتضن مركز حركة التّزارية القائمة على مذهب الإسماعيلية الفاطمي، والتي أدّت إلى نشوء إمارة مستقلة أدارها رؤساء الفرقة. إنّ تاريخ المعلمين الكبار لألموت وقدرتهم الحربية القائمة في معظمها على استخدام مبرمج للإرهاب، يصوّر لنا مختلف مراحل تطوّر عقيدتهم، ويتماهي مع عقيدة فرقتهم التي عرف أفرادها من خلال التسمية الفرنجية القروسطية لهم، أي الحشّاشين (Assassins) المرادفة للفظ «قتلة».

◀ راجع المستند ١٧.

أَلْمُوت (المعلمون الكبار) - التّزاريون.

إليشاع، أو **أليشاع،** ذكرت هذه الشخصية التوراتية مرتين في القرآن الكريم باعتباره نبياً. وقد أغنى كتاب القرون الوسطى في رواياتهم هذه الإشارات، باستحياتهم من العهد القديم ليؤكدوا أنّ إليشاع كان أحد أتباع إيليا وخلفه. وقد خصصت له، في مرحلة انتشار «تكريم الأولياء»، بعض المزارات التي كانت

إثر معركة ملازكرت/مانتريكورت سنة ١٠٧١ وافتطعت كلُّ منها، بحسب حظوظها المتبدلة وفقاً لالتصارات القبلية، بعض الأراضي، عاكسة عدم الاستقرار الذي أدخله إلى قلب الأبراطورية البيزنطية ظهورهم العنيف في رقعتها. في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، كان الوضع ينعكس التحولات الاجتماعية والسياسية التي أصابت، خلال قرنين، سكان الأناضول حيث كان الأتراك المسلمون، المتناكرون بالثقافات المحلية، ينهضون بدور إلى جانب السكان الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام تدريجياً. وهذا يفسر حيوية عصر حاولت فيه المقاطعات الرئيسة إثبات خصوصياتها عبر سعيها إلى إبراز تفوقها. ويعود الفضل أيضاً في الإنجازات الفنية الرائعة التي خلفتها إلى الأمراء، رعاة الفنون، الذين تحلوا بالإقدام، رغم قصر فترة حكمهم. وقد احتفظ الأناضول، في جميع أحواله، بروائع فنية كثيرة ترقى إلى تلك الحقبة، تصاف إليها منجزات الفن العثماني الأول. تعود هذه الروائع إلى دويلات الهضبة الوسطى وأطرافها الجنوبية، أي دويلات الحميديين في سيبديا ويعقيليا، وبنى أرثنا في سيواس وقيصري، وبنى ذولقادر في ألبستان وملطية، والكرمانيين في كوتاهية، والعثمانيين في بيشينا ثم في بورصة، والقرامانيين في قرمان وقونية، إضافة إلى أشرف أوغورثي وهم أسباط يشهر الأقدمون. ثم ازدهرت الروائع على الساحل الغربي، أي ساحل بحر إيجه حيث انتشرت المناطق التجارية الغنية في ظل حكم المستشرقين في منطقة ميلاس، وحكم الأديبيين والصاروخانيين في مانيسا. وهناك يكوث آخرون خلفوا آثاراً من أبنيتهم في جنوب كيليكيا، مثل الرُّمضانيين في أضنة، أو في الشمال في مناطق البُنطلس، مثل الإسفندياريين في سينوب وقُسطنطيني. أخيراً كثرت في المقاطعات الشرقية العائدة للقبائل التركمانية الأكثر شراسة، في حافة متأخرة، المباني الفخمة. فقد نشأ في أفريجيان اتحاد إمارات اقراقبولو المتسعة، وفي أحلاط، إمارات الآق قيونلو. قبل أن يستقر هؤلاء في تبريز في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، مفيدين من ازدهار هذه العاصمة التي تتحكم بالمحور الرئيس لأنشطة القوافل عبر آسيا.

لوالدة، أو الأم، أي الأئمة القديمة التي بانت تُعامل الاحترام الواجب لأُم السلطان.

كانت تلك السلطنة - الوالدة تنعم بامتيازات فاصلة وتقيم، بعد تنصيب ابنها، في قصر كان يحمل اسم «السراي الجديدة». كما كانت تقيد من إيرادات مالية مهمة ومن لقب تشريفي يتناسب والاحترام الواجب لها. ومع ذلك، ووفق التقاليد السائدة، كانت تظل نزوية في قصرها الخاص وسط الحرم. غير أنها كانت حارس سلفتها على مستخدمين ذلك الحرم، كما كان لها تأثير بالغ، بمختلف الوسائل، على تسير الأمور. لم يتوان المؤرخون القدامى في سرد النشاطات لسياسية التي قامت بها السلطنات والودلات اللواتي حظين ببلوغ تلك المرتبة، واللواتي كنّ، إلا في حالات نادرة، خليطات سابقات أفدن من الوضع الإسلامي لشرعي - وضع «أُم ولد»، فور إنجابهن أول ولد. عُرِفَت بعض تلك السلطنات، إلى ذلك، برغبتهم في تشييد أبنية ضخمة خلّدت ذكراهن حتى اليوم، أعنها ساجد جامعة في إسطنبول أو ضواحيها، المحاطة غالباً بجبانٍ ملتحفة بها وتملك أوقافاً.

الإمارات (عصر -) في الأناضول، هو عصر تجزئة لبلاد إلى سلطات محلية متعادية، إثر سقوط مملكة سلاجقة الروم في نهاية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تحت ضربات المغول. انتهى هذا العصر في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، مع لانتصار النهائي للعثمانيين.

وُلدت هذه الدول في معظمها من طموحات أسباط الحرب ورؤساء القبائل التركمانية الذين ربطوا مصيرهم، على الرغم من جذورهم البدوية، بدويلات الحضرة التي كان قد أنشأها كلُّ منهم حول الحاضرة الإقليمية حيث أقام بلاطه، عازماً على أن يجعل منه مركزاً لحياة فكرية ناشطة. وقد سهّل لهم الاستقرار فيها الشكل الطبيعي لتضاريس الأناضول المجزأة، وأفادت - على الرغم من الجهود التي بذلها ملوك قونية، عندما بلغت سلالاتهم أوج قدرتها، لتثبيت مركزية الإدارة والاقتصاد - من إثر مرحلة الفوضى السابقة. خلال هذه الفترة، كانت الزُّمَر الترككية تجوب البلاد بعد أن دخلتها

هرمز وبحكمها آل القاسمي.

أم القيوين	(مساحتها ٧٥٠ كلم ^٢)، بحكمها آل الشملي.
عجمان	(مساحتها ٢٥٠ كلم ^٢)، بحكمها آل النعيمي.
الشارقة	(مساحتها ٢٦٠٠ كلم ^٢)، بحكمها آل القاسمي.
ذبي	(مساحتها ٣٩٠٠ كلم ^٢)، وطلارها من أحدث المطارات في الإمارات وبحكمها آل مكتوم.
أبو ظبي	(مساحتها ٦٧٢٥٠ كلم ^٢)، وبحكمها آل نهيان وقد اختيرت عاصمتها الحديثة كي تكون عاصمة الاتحاد

أمازي (الجمهورية التركية)، مدينة في شمال الأناضول عرفت ازدهاراً حديثاً كمعاصمة لمقاطعة. إلا أن قدره الإسلامي حتم أن يجعلها، في أواخر القرن الخامس للهجرة/الحدادي عشر للميلاد، مركزاً فكرياً وقد مشهوراً.

والموقع الإستراتيجي المميز لهذه العاصمة الهلنستية لمملكة «البلطس»، والتي كانت تُعرف باسم أماسيا (Amaseia)، بوضوح سبب الشهرة التي تمتعت بها بعد ذلك. وقد تنازعها أمياد الحرب الذي تقاسموا الولايات التركية الإسلامية في القرو الوسطى، كما جعلها السلاطين العثمانيون من أمك الإقامة المفضلة لأولياء العهد. وكانت قد وقعت بأيدي الدانشمنديين في القرن السادس للهجرة/الثاني عش للميلاد، ثم انتقلت إلى سلاجقة الروم، ونلقفنها إلى كثيرة خلال المرحلة التي عُرفت بعهد الإمارات، إلى أن ضمتها إليه السلطان بايزيد الأول في القرن الثام للهجرة/أواخر القرن الرابع عشر للميلاد. وكانت في ذلك العهد قد اغتنت بالأبنية المميزة بهندسة وزخرفتها، ومنها منارة بورمالي، ومدرسة غوغ والبيمارستان الذي بني سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، وعاد كبير من الأضرحة، نذكر منها ضريح خليفة غازي وضريح تورتاي. وقد ترك عدد كثير من الباشاوات الأتراك عمارات ضخمة كذلك التي بناها بايزيد با. ويورجوج باشا سنة ٨٣٣هـ/١٤٣٠م، والسلطان بايز الثاني نفسه سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م. وقد تضاعف ع الأبنية، خلال القرن التاسع للهجرة/الخامس عا للميلاد، في ذلك الخائق الجبلي الذي يجري فيه ن «ياسيل يرامك»، وهذا خير دليل على دور أمازي الثقافي

جميع مباني تلك الحقبة تندرج مباشرة في سياق المنجزات السابقة وتذوب فيها أحياناً، وهي منجزات سلاجقة الروم، وقد اعتبر مؤسسو الإمارات أنفسهم ورثة هؤلاء، وإذا كانت آثارهم، بهذا المعنى، حاضرة في المراحل المختلفة لتطور معماري خلاق، فهي تشهد أيضاً على أهمية حقبة تاريخية أصابها الإهمال كثيراً وعلى فرادتها، وقد كانت غنية وخصبة رغم الحروب الداخلية، رغم أن المصادر المكتوبة لم تتناولها إلا بشكل مقتضب، ورغم أنه لم يُنظر إليها إلا وكأنها تشكل المرحلة الأولى من الازدهار العثماني المدهش.

«راجع السنتين ٢٢ و٢٤».

الإمارات العربية المتحدة، مساحتها ٧٧٠٠ كلم^٢، عاصمتها أبو ظبي، وهي عبارة عن مجموعة دول معاصرة مستقلة، لكنها متحدة في ما بينها وتقع شرقي شبه الجزيرة العربية، على شاطئ الخليج العربي الفارسي وخليج عُمان.

عقدت بريطانيا العظمى اتفاقات مع المشايخ المحليين في القرن التاسع عشر، للقضاء على الفرصة التي كانت تعيش في مياه الخليج. وقد أدت هذه الاتفاقات بأمره الساحل، الذي أصبح «الساحل المتصالح»، إلى قبول تعيين حاكم بريطاني، وبناء قوة مسلحة بقيادة ضباط بريطانيين. في سنة ١٩٧١، بعد أن نالت هذه الإمارات استقلالها، اختارت طريق الاتحاد في ما بينها بسبب صغر مساحتها، فألفت بلداً موحداً تحده إمارة قطر وسلطنة عُمان والمملكة العربية السعودية المتشعة. تتألف الإمارات العربية المتحدة من سبع إمارات حيث يتمتع كل من الشيوخ السبعة بالحكم المطلق في إمارته، وعليها جميعاً رئيس دولة، ورئيس حكومة يُختار من بين الشيوخ الحكام. تتصرف الإمارات بعائدات نفطية مهمة، أما عدد سكانها فهو حوالي المليون ونصف المليون. إنها تحرص على أن تتميز على الصعيدين الديني والسياسي عن جارتها القوية، المملكة العربية السعودية، وهي تضم:

الفجيرة	(مساحتها ١٦٥٠ كلم ^٢)، تقع على خليج عُمان وبحكمها آل الشرفي.
رأس الخيمة	(مساحتها ١٧٠٠ كلم ^٢)، تقع بجوار مضيق

بصفته سيّد الحجاز وحارس الأماكن المقدسة، اتخذ ذلك المملكة العربية السعودية لقب خادم الحرمين الشريفين الذي كان تلقّب به، للمرّة الأولى، صلاح الدين الذي انتزع الزعامة على هذه الأماكن من الخليفة العباسي الناصر لدين الله، والذي انتقل في ما بعد، بصورة متقطعة، إلى السلاطين المماليك، ثم بشكل منتظم إلى السلاطين العثمانيين ابتداءً من عهد سليم الأول.

إمام، ثمّني هذه اللفظة، في اللغة العربية، «الموجه» الذي يقف في المقدمة (في الطليعة)، وهو مصطلح يختلف مفهومه بحسب السياق الذي يردّ فيه؛ لكنّ معناه الأصل يتّيح لنا أن نتركّ كلّا من هذه المفاهيم، وأن نربطه بالمؤسسة الأساسية للإمامة.

الإمام هو، أولاً، موجه الصلاة. إنّهُ يرأس اجتماع العبادة الذي تؤدّيه جماعة المؤمنين، المجتمعين صفوفاً مترابطةً مواجهاً لجدار القبلة. وهؤلاء يؤدّون الحركات نفسها التي يقوم بها الإمام جهاراً، وهو في مقدمتهم ووجهه إلى حية المحراب. وكلّ مسلم بالغ، ومقطع كفاية على القواعد التي يجب اتّباعها، يحقّ له، من الناحية المبدئية، أن يكون إماماً، مع أنّ معظم المساجد نعهد بهذه المهمة إلى شخص معيّن. وهو لا يتقاضى حكماً أجراً مقابل عمله، مع أنّ ذلك أمرٌ مقبول، وأحياناً ملحوظ في مداخل الوقف. وهو يمتاز عادةً بجدارته في مجال العلوم الدينية. وفي المساجد الجامعة، يؤدّي في معظم الأحيان دور الخطيب، ويلقي خطبة الجمعة. وفي الغالب، خاصة في القرون الوسطى، وفي المدن الكبرى، كان للإمام مركزٌ معروف، إذ يمكن أن يكون، ابتداءً من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، قاضياً، وكان يتوجّب، منذ بدايات الإسلام، أن يكون أصحاب السلطة موافقين عليه؛ ففي بغداد، على عهد العباسيين مثلاً، كانت هذه المهمة تُوكّل إلى أفراد الأسرة الهاشمية من دون سواهم.

إنّ إمامة الصلاة لم تكن إلّا واحدة من المهامّ العملية والرمزية للعائدة، في الوسط السني، إلى الشخص الذي هو إمام بامتياز، أي إلى موجه الجماعة، على الصعيدين الزمني والروحي. هذا الموجه، الذي

لمجيد. وفي الوقت نفسه، ازدهر دوره التجاري بحكم موقعها على طريق القوافل الذي يجتاز الأناضول باتجاه لبحر الأسود ومرافاً سمسون. وقد كان لكل ذلك أثره في استمرار ازدهارها الاقتصادي لاحقاً.

«راجع المستدين ٢٦ و٢٧».

لأماكن المقدسة الإسلامية، عبارة استعملت للدلالة على «الحرمين الشريفين»، مكّة والمدينة، وهما يتمتّعان مكانة فريدة في الأوساط الإسلامية. تضمّ الأماكن المقدسة في مكّة الكعبة والمسجد المحيط بها، أي لمسجد الحرام، والمباني المختلفة التي تلعب في مقدّوس الحج. وفي المدينة، هناك المسجد الذي أسّسه لنبي محمد ﷺ في منزله الخاص وفيه ضريحه وضريحاً لخليفته الأولين وهما من صحابته، أي أبي بكر وعمر بن الخطاب.

يحزّم القرآن على غير المسلمين الدخول إلى لأماكن المقدسة: ﴿لَمَّا اتَّفَقَتْ يَمَعُ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَكَذَا﴾ (سورة التوبة، الآية ٢٧). أنيط أمر حراسة الأماكن المقدسة وصيانتها، حسب التقليد، بالخليفة رأس الجماعة الذي كان أيضاً مسؤولاً عن تأمين أداء الحج. في القرن الرابع الهجري/عاشر الميلادي، فقد خليفة بغداد العباسي مهمة حراسة لأماكن المقدسة، إذ سلّبه إياها أشراف مكّة من نسل لإمام الحسن. غير أنّ هؤلاء الرؤساء المحليين الذين اضطّروا في ما بعد إلى إعلان ولائهم للفاطميين، تضرّعوا، في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر لميلادي، إلى السلاجقة السّنة واعترفوا من جديد خليفة بغداد. بعد ذلك اضطلع المماليك بهذه المهمة اسم الخليفة العباسي الذي النجاء إلى القاهرة بعد سنة ١٢٥٠/١٢٥٨م، ثمّ تسلّمها العثمانيون الذين هزموا للمماليك سنة ١٥١٧، إلى أن أعلن الشريف حسين استقلاله في العام ١٩١٦، وقد طرده آل سعود سنة ١٩٢٤، فتسلّموا عندئذ مسؤولية تنظيم الحج الذي ستقطب جماهير متزايدة من المؤمنين، والذي أصبح تطلّب، لإسكانهم وإعالتهم ووقايتهم من الأمراض، تحسينات عمرانية دائمة في مكّة، وكذلك إجراءات أمنية وأمنية.

لذا شاع إطلاق هذه التسمية ، بوجه عام ، على معظم الأضرحة والمعابد المنتشرة في إيران ، والتي تذكر بموافق تقوية شيعة متفادنة الدقة . هذه المواضع لا تنافس كليا الأضرحة الفخمة للأنمة العلوية التاريخية ، فهي تراوح بين المزار الصغير ذي الأهمية المحلية ، والمزارات القوية الكبرى التي تموله الأوقاف بسخاء ، وتشكل محجبات ، خارج إطار الموجبات الشرعية .

إمام علوي ، هو الإمام الذي يتقلد ، في نظر الشيعة سلطة مميزة ، ويختار من أفراد سلالة علي ، وهم وحدهم المستحقون أن يتبوأوا الخلافة ، بحسب رأي مؤيدي ينتمون إلى حركات متنوعة ، لم يعترفوا دائما بشرعية المطالبين الآخرين بالخلافة .

بالنسبة إلى أتباع الزيدية الذين لا يشترطون ، في تعيين الإمام ، أن يكون هناك وصية ، ويقبلون بتعدد الأنمة ، فإن الأنمة العلوية يمكن أن ينتموا إلى سلال الحسن أو الحسين ، والمهم أن يمتازوا بجدارتهم الشخصية . أما بالنسبة إلى الحركات الأخرى ، فعلم تقبض ذلك ، يجب أن ينتسب الأنمة العلوية إلى سلال الحسين فحسب ، وقد تابعوا بالعين من الأب إلى الابن ، في سلالة من الأنمة المنظورين ، قد تطول لدى بعض الفئات : فهذه السلالة تتوقف ، كما في الإمامية الاثني عشرية ، عند أحد هؤلاء الأنمة الذي اختفى بطريق غامضة ، ويُنظر رجوعه ، أتا عند الإسماعيلية ، فيترك المجال لانتقال الإمامة في سلالة من الأنمة المحتجيز الذين يُنظر ظهور واحد منهم في أحد الأيام .

إن الأنمة التاريخية ، في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، الذين لم تتميز حياتهم بأي حدث بارز ، ولكن فضائلهم ثابتة في كتب التراجم التي تناولتهم ، كانوا بحسب أتباعهم ، يتصفون بالعممة ، وكانوا ينتمون لهذا ، بالولاية ، وهي فضيلة الولي أو « صديق الله » ، التي جعلت أتباعهم يخلصون لهم بصدق تام . لقد ماتوا شهداء بامتياز ، ضحايا الاضطهادات غير المرتبة دائمة التي سببت وفاتهم ، إذ إنهم قضوا ، في معظم الأحيان مسبيين . ويبدو أنهم نعموا بقدرة اجتراح العجائب فظهرت في حياتهم ، وأتاح لهم ، بعد الموت ، متابعا

دعي خليفة ، لأنه خلف النبي محمدا (عليه السلام) في مسؤولياته ، سواء بصفته رئيسا للدولة ، أو في أداء وظائفه الدينية ، يرأس جماعة المصلين يوم الجمعة ، ويسير بالمؤمنين لأداء فريضة الحج ، ويقود الجيوش الإسلامية في الحرب الشريعة أو الجهاد . ولقظة إمام ، بهذا المعنى ، كانت مرادفة لفظ خليفة ، على الأقل في المؤلفات العقائدية ، وصارت أيضا لقباً اتخذ بصورة دائمة الخلفاء العباسيون ابتداء من أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، والظاهر أنهم اعتمدوا ذلك لإفشال الدعوة العلوية وأتباعها .

إن لقب «إمام» كان يطلقه دائما الشيعة ، منذ هذه المرحلة ، على المتحدثين من سلالة علي الذين كانوا يعتبرونهم أصحاب الحق الشرعيتين الوحيدتين في السلطة ، وهم مميّزون بصفتهن «أنمة علويتين» ، بصفات استثنائية خاصة بهم . هكذا اكتسب هذا المصطلح مفهوم الاجلال والتكريم المؤدي إلى نوع من التقديس ، اتسمت به أضرحة الأنمة التي تحولت أماكن مقدسة بالنسبة إلى الشيعة ، ومقصدا للزيارات التقوية ، ومحجبات خارج إطار الموجبات الشرعية . والقيمة نفسها اكتسبتها مصطلحات مشتقة منها كـ «إمام زاده» .

هذه المفاهيم الخاصة لم تُخل دون استعمال كلمة «إمام» ، في اللغة العربية الكلاسيكية بمعنى عام يدل على شخص مشهود له ، داخل المجتمع الإسلامي ، في أي اختصاص أو أي مجال ، كالفقه والحديث والتقوى وأصول اللغة ، حتى في مجال الأدب . هذه الصفة التفرؤية أطلقت على مؤسسي المذاهب الفقهية الكبرى ، كما على الفقهاء الآخرين أصحاب الآراء التي اشتهرت في زمانهم . وظهرت هذه الصفة كذلك في الألقاب كإمام الحرمين (مكة والمدينة) ، الذي كني به رجل دين كالجويني .

إمام الحرمين — الجويني .

إمام زاده . مصطلح فارسي يعني «المتحدث من سلالة إمام» ، ويطلق في إيران تسمية «شرفية» على كل علوي حصل ، باستحقاقه الشخصي أو بنسبه المباشر ، شهرة كافية لجعل ضريحه موضع تكريم وزيارات تقوية .

الإسلامية، وقد تماثلت ومفهوم الخلافة، مع غلبة الطابع الديني عليها.

إن مسألة الإمامة وانتقالها مسألة ذات طابع عقائدي وديني بقدر ما هو سياسي، تناولها علماء الكلام في مؤلفاتهم وعرضوا النظريتين السنية والشيعية: مبدأ الاختيار (الذي تقول به الأولى) ومبدأ النص أو التعيين بالوصية (الذي تقول به الثانية). في حين أنَّ مسألة الخلافة هي قضية فقهية، أولاً، بحثها مؤلفو الحق العام كالماوردي، وهي تتعلق، على الخصوص، بطريقة التعيين، من جهة، وبصلاحيات الخليفة وعلاقته بمختلف مساعديه، من جهة أخرى.

الإمامشاهيون ← خوفاً.

الإمامية الاثنا عشرية، حركة اتخذت طابعاً خاصاً داخل التشيع، حوالي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حين توقفت سلالة الأئمة العلويين عند الإمام الثاني عشر، ما أدى إلى أن يحمل أتباعها الإماميون تسمية الاثني عشرية.

كان محمد، المهدي المنتظر، ابن الحسن العسكري، آخر الأئمة المتابعين الذين يعترف هؤلاء الشيعة بأنهم توارثوا الإمامة بالوصية في سلالة الحسين، وهو يبقى، بالنسبة إليهم، منذ غيبته سنة ٢٦٦هـ/٨٧٤م في سامراء، المهدي الذي ينتظرون رجوعه. وهكذا، فإنَّ إمامي العصر الحاضر، المتجمعين بخاصة في إيران، والمكونين أقلّيات مهمة في العراق، وفي بعض الدول في شبه الجزيرة العربية ولبنان، من دون أن تغفل بعض مجموعات في أفغانستان، هؤلاء الإماميون يحيون حتى الآن مرحلة غيبة الإمام الثاني عشر الذي يتلقون مشيئته، منذ قرون، بإيعاز من ممثليه. إنَّ التشكُّل العقائدي لهذا النظام، زُكِّدَتْ تدريجياً أفكار فلسفية وصوفية معقدة، مَسَّحة، في الوقت نفسه، بالباطنية وبملاصع عاطفية قادرة على إثارة الودع. بل التعصب، لدى العناصر الشيعية.

خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بدأت العقيدة الإمامية تتضح. وقد شهدت محاولة تكوين نظرية عامة في مؤلفات أحد المحدثين وعلماء

شفاعتهم بفعالية. وكانت الزيارات الطقوية لأضرحتهم - خارج إطار الموجبات الشرعية، وكذلك علامات التكريم الأخرى، المظاهر الأولى لتلمسك الشعبي بالتشيع، وفي الوقت نفسه السبب الأساس لنملاء ما سمي في الإسلام «تكريم الأولياء». وما تزال حرارة الإيمان لدى الشيعة، حتى اليوم، متجهة نحو الأئمة الفاخرة التي تخلد ذكرى الأئمة الشهداء، في النجف وكربلاء والمدينة وبغداد ومشهد وسامراء.

إن الأئمة الذين يُقرّ بهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية هم:

علي	المتوفى سنة ٤٠/٦٦١م في الكوفة
الحسن	المتوفى سنة ٤٩/٦٧٠م في المدينة
الحسين	المتوفى سنة ٦٠/٦٨٠م في كربلاء
علي زين العابدين	المتوفى سنة ٩٧/٧١٥م في المدينة
محمد الباقر	المتوفى سنة ١١٤/٧٣٢م في المدينة
جعفر الصادق	المتوفى سنة ١٤٨/٧٦٥م في المدينة
موسى الكاظم	المتوفى سنة ١٨٣/٧٩٩م في بغداد
علي الرضا	المتوفى سنة ٢٠٣/٨١٨م في طوس
محمد الجواد	المتوفى سنة ٢٢٠/٨٣٥م في بغداد
علي الهادي	المتوفى سنة ٢٥٤/٨٦٨م في سامراء
الحسن العسكري	المتوفى سنة ٢٦٠/٨٧٤م في سامراء
محمد المهدي	المنتظر، الغائب منذ سنة ٢٦٠/٨٧٤م

هذا الثابت مشترك، في الأئمة الخمسة الأولين، يعد علي، مع الاسماعيليين الذين يكرّمون، بعد هؤلاء، الأخ الأكبر لموسى الكاظم وهو اسماعيل الذي يدعونه الإمام السادس. والإمام السابع عند الاسماعيلية هو محمد بن اسماعيل. ونعرف، من جهة أخرى، أنَّ أحد أئمتهم المحتجبين ظهر سنة ٢٩٧/٩٠٩م ليؤسس الخلافة الفاطمية التي انتهت سنة ٥٦٧/١١٧١م، والتي حمل خلفاؤها جميعاً لقب إمام بالمعنى الشيعي لهذه الكلمة. وهذا اللقب ما يزال يحمله اليوم الأغا خان، المتحدث من سلالة الأئمة الاسماعيليين التزاريين الذين انشقوا عن الحركة الفاطمية، ولجأوا خفية إلى إيران، ثم نشطت سلالتهم فيها في القرن التاسع عشر، وانتقلت بعد ذلك إلى الهند حيث شهدت الدعوة لها قوّة انتشارها الحالي.

« رابع المستندين رقم ٤ و ٥.

الإمامة، صفة أو وظيفة الإمام، كونه رئيس الجماعة

نظرهم، طموحات الأئمة، ومطالبة أهل البيت بحقهم في الخلافة. والسبب نفسه أيضاً، كان هؤلاء الأئمة الذين مات معظمهم، سواء بالقتل أو في السجن بحسب المؤرخين الشيعة، يُعدّون شهداء يتمتعون بقدرة خارقة في الشفاعة. ونمت، نتيجة لذلك، طقوس خاصة داخل التشيع، ولا سيما «الزيارة» التي لا تنص عليها الشريعة، إنى أضرحة الأئمة، وذلك منذ عهد بعيد. وفي الوقت نفسه، تراقب نموّ مشاعر الاحترام والتضرّع، بتشديد مبادئ فخمة لهذه الأضرحة. وكذلك ظهرت في العراق، منذ أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، على عهد البويهيين، مجالس العزاء التي تراقب الذكرى السنوية لمقتل الحسين، في العاشر من شهر محرم، أي ذكرى عاشوراء. وفي المقابل، كان يُحتفل بعيد غدير خم الذي يجده، في الثامن عشر من ذي الحجة، ذكرى تولية النبي محمداً (ﷺ) علياً خليفة له. وفي هذه المناسبات، غالباً ما كانت تنعقد في بغداد أحداثٌ بين العامة من الشيعة والسنة، تنمّق الشرخ وتضع أكثرية السكّان في موقف معارض لقوارات البويهيين الدينية.

شهد تاريخ الإمامية مرحلة أخرى مهمة أتاحها للحركة أن تتجذّر بعمق في إيران، على الرغم من الصعاب التي واجهها بها، في غضون ذلك، التجذّر السنيّ، بدعم من السلاجقة في القرنين الخامس والسادس للهجرة/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد. إنّ العطف الذي لقيته هذه الحركة، منذ أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، من قبل بعض السلاطين المغول من سلالة الإيلخانيين، الذين اعتنقوا الإسلام على مذهب الإمامية، كان في أساس انطلاقها الجديدة. وفي بداية القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد، تحقّق تألق الحركة، بوصول السلالة الصفوية إلى الحكم، واتّعام مؤسستها، الشاه اسماعيل الأول، أنّه متحرّر من الإمام السابع موسى الكاظم. إنّ ترابط السياسة الإيرانية، منذ تلك الفترة، والدفاع عن التشيع، سوّغ المواجهات التي وقعت بين دولة الصفويين الإمامية ودولة العثمانيين السنية، وواكها ازدهار عقائدي اتّخذ منحىً جديداً.

في الواقع، وبتّحت حملة نقد منظمّة إلى السنة،

الكلام، وهو الكليني، وذلك قبل وصول البويهيين إلى الحكم، هؤلاء الذين فرضوا إرادتهم على الخليفة العبّاسي، الخاضع للمصايبة، مسجّلين بذلك أوّل نجاح سياسي للحركة الإمامية.

هذا النجاح واكمه ازدهار حقيقي لمؤلفات وضعها بعض الأشخاص البارزين، ومنهم من اهتم بالأدب والتاريخ اهتمامه بالفقه وبقضايا الإيمان. ومن مشاهير هؤلاء الأشخاص في الإمامية، لا يمكن أن نغفل الشيخ الصدوق ابن بابويه، ولا الشيخ المفيد، ولا الأخوين المعروفين بالشيخ الرضي والشيخ الشريف المرتضى، ولا أبا جعفر الطوسي.

إنّ أحد أهم أركان العقيدة الذي تشكّل في هذه المرحلة هو، بدون شك، التفوّق المطلق المعترف به للأئمة، كونهم يتمتعون بالعصمة. إن الهيكليّة الدينية والفكرية للحركة تستند إلى تعاليم الأئمة الاثني عشر، ولا سيّما السادس منهم، جعفر الصادق، بقدر ما تستند إلى القرآن والسنة. وفي مجال الفقه، فإنّ المذهب الجعفري، نسبة إلى الإمام المشار إليه آنفاً، يمتاز ببعض الأحكام الخاصة، ولا سيّما في موضوع الزواج (السماح بالزواج الموقت)، والإرث (الابنة الوحيدة تحصل على الميراث كاملاً، لا على نصفه كما في الفقه السنيّ)، والعبادة (طريقة خاصة للأذان). وبشكل خاص، فإنّ الطاعة غير المشروطة للإمام، والإخلاص له - لشخصه في حال وجوده، وللمناطقين باسمه مدّة غيبته - تشكّلان جزءاً من واجبات المؤمن، تماماً كالوجبات التي تفرضها عليه الشريعة. أمّا بالنسبة إلى العقيدة الكلامية التي كانت تميل إلى التشبيه، في المرحلة الأولى، فإنّها تدرّجت في الاقتراب من عقيدة المعتزلة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، كما يظهر، بنوع خاص، في مؤلفات الشيخ المفيد.

في الوقت نفسه، كان الإماميون، بدافع من رغبتهم المستمرة في إضفاء مزيد من الصفات الخارقة على أنفسهم، يعتبرون، بدون تردد، أنّهم يؤمنون على حقائق عميقة لا تناقض، بحسب رأيهم، القرآن، بل تتوافق مع معنى مستتر يُكتفى بمعرفة حلّ رموزه: ثمة آيات، إذا ما شُرّحت بطريقة صحيحة، تسوّغ، في

مارسها المتقدم بين أفرادها، آية الله الخميني، مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران.

هذا التطور الذي شهده التشيع الإمامي، يميزه الإيرانية، لا يعني أن جماعات أخرى، تنتمي إلى المذهب نفسه، لم تعرف، هي أيضاً، أحداثاً تاريخية معاصرة مثيرة للإهتمام في بلدان عربية عذبة. وأول هذه البلدان هو العراق حيث الشيعة الذين يقارب عددهم أحد عشر مليوناً، يزيدون قليلاً عن عدد السنة، ويمثلون الأكثرية الشعبية في البلاد، وسيطرون بوضوح على نصفها الجنوبي. وكان هذا الواقع حصيلة السياسة المتبعة منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، في منطقة تواجدت فيها مجموعتان دُعمتا تبعاً، الأولى من قبل الصفويين الشيعة، والثانية من قبل العشائيين السنة. وثمة حركة صاعدة حديثة ومستمرة للإمامية توطدت بتأثير من اعتناق هذا المذهب، إبتداء من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وتنامت في مرحلة ما بين الحربين العالميتين، طالت في هذه الحقبة، جماعات الفقراء من قبائل متعددة عربية مترحلة، بدأت تميل إلى الاستقرار الحضري، كما طالت بعض مثلي الطبقات المحرومة الأخرى.

كذلك تقيم في المملكة العربية السعودية، لا سيما في مقاطعة الحسا، أقلية إمامية تقدر بأكثر من نصف مليون نسمة، وقد عانت في القرن التاسع عشر ضغوط الإدارة العثمانية، وفي الوقت نفسه سيطرة الوهابيين الذين كانوا مناهضين لها. ينتمي هؤلاء الأماميون إلى شعب فقير، شكّل طبقة عاملة، بسبب الإمكانيات التي أوجدها استثمار البترول، وهم يشكّلون قاعدة معارضة ناشطة، إلى حد ما، للنظام السعودي. إنهم يشكّلون الأكثرية الدينية في دولة مجاورة هي مملكة البحرين، حيث تزيد نسبتهم عن ٥٠٪ من عدد السكان، وحيث يحملون لواء المطالب الاجتماعية والسياسية. كذلك يشكل الشيعة الإمامية نواة مهمة في الكويت، ولهم أنصارٌ في الإمارات العربية المتحدة.

وأخيراً في لبنان، فإن الإمامية الاثني عشرية تعود إلى استقرار شعبي قديم فيه، نتج عن نزوح قبائل عربية فحطانية، وعن قدوم لاجئين إيرانيين. وحركة السكن

مباشرة بعد الغزو المغولي، قام بها عالم بارز هو الفلكي الشهير نصير الدين الطوسي، بتشجيع من هولاكو، ثم تابع هذا الجهد تلميذه جمال الدين الحلي المستشار النافذ لدى السلطان أولوجايو خدابنده. ثم ازدهرت، منذ القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، مقالات عقائدية كتبت، هذه المرة، بالفارسية، نشفت عن أفكار مختلفة بعض الشيء، وهي مستوحاة من التصوّف الإشرافي، وقد كتبها كلاميون أصبحوا فلاسفة، أكثر منهم فقهاء، وكان هدفهم حماية أنفسهم عن طريق التقيّة. وقد ساهم، على أفضل وجه، في بناء الفكر الإمامي بشكل جديد، مير داماد وملا صدرا، وهما فارسياً الأصل. وقد حظيا بتقدير خاص من الشاه عباس الأول. غير أن هذا الاتجاه لم يخلُ من إثارة التحفظات بل العداء في بعض الأوساط المحافظة. إن مسيرة النظريات المتسمة بالزرعة الروحية المتصوّفة، والحيوة التقليدية في التشيع، المؤاتية لنشوء فِرَق جديدة، لم تتوقفاً، مهتدين لتفرعات جديدة متبقة من الإمامية، كالشيخية والبائية والبهائية، نشأت في إيران منذ القرن التاسع عشر.

في موازاة ذلك، هذه الإمامية التي أصبحت المذهب الرسمي في الدولة الصفوية، غيّرت جذرياً الذهنية الشعبية في بلاد الفرس. وانتشرت، عندئذٍ، في البلاد احتفالات التعزية التي كانت تستعيد نهاية الحسين المأسوية، وربما يعود ظهورها إلى زمن سابق. وفي هذا الوقت أيضاً، طرح انتصار الإمامية، أكثر من أي وقت مضى، مشكلة العلاقة بين السلطة ومثلي الدين. فبأي طريقة، مثلاً، يُقبل، في غيبة الإمام المنتظر، وجود رسمي لأشخاص مكلفين بممارسة السلطة الشرعية، أو على الأقل تطبيق الشريعة وتفسيرها عند الإقتضاء؟ وتأثير من الاتجاه الأصولي الذي تفوق على الأخباري، ثم اللجوء إلى مفهوم الاجتهاد الذي قدّم، في التنظيم السياسي والاجتماعي، المجتهدين أو الفقهاء الذين يشكّلون في إيران هيئة الماللي، ومنهم من يُعتبر مجتهداً مطلقاً، أي ناطقاً رسمياً باسم الإمام. من هنا ندرك كيف حاربت مجموعة الماللي النظام الملكي البهلوي في العصر الحاضر، ثم تسلّمت السلطة، سنة ١٩٧٩، التي

والمرابحين في التنقل داخل هذه البلاد الإسلامية أو تلك، بهدف القيام بأعمال تجارية. وممارسة هذه العادة في المرحلة الأخيرة من القرون الوسطى، وتطبيقها على التجار الأوروبيين، ولا سيما القادمين من جنوى والبندقية بغية الإقامة في المرافئ المتوسطية أو مرافئة القوافل التجارية، كانت في أساس اتفاقات الامتيازات أو عهود الأمان التي تطوّر مفهومها في عهد العثمانيين.

الأمة الإسلامية أو جماعة المؤمنين، هي مجموع المسلمين الذين تضمّهم الشريعة نفسها والعالمين في سبيل أهداف واحدة هي التضامن الداخلي للجماعة وانتصار العقيدة على البدئ الطويل، وهو انتصار ينتظرون حصوله بشعور عام من التفوق.

وجماعة المؤمنين أرادها النبي محمد (ﷺ) بعد الهجرة أداةً لانتصاره القريب. وقد تمّ تحديدها في المدينة في النص الذي يُعرف عادة بـ «الصحيفة» وهو بمثابة دستور حدّد فيه بدقّة العلاقات بين فئتين من الأهالي كان النبي يطمح إلى توحيدهما تحت سلطته: «المهاجرون» الذين رافقوه من مكّة، و«الأنصار» الذين استقبلوا المهاجرين في يثرب حيث تمت المدينة ممّا ذاك. وهذا النص ذو الأهمية الكبرى والمحتوي على الأرجح فقرات عدّة، كان يهدف إلى أن يستبدل بالعصية القبلية القديمة التضامن بين أعضاء الجماعة الدينية الواحدة. فأسّس، والحالة هذه، لمجتمع منظم على قاعدة دينية، وهذا في جوهر الإسلام. ويحدّد هذا النص أنّ الحرب، وكذلك السلام، تقرّهما جماعة المؤمنين. وقد أشركت القبائل اليهودية القاطنة في يثرب في الأمة الإسلامية، لكنّها لم تشكّل جزءاً منها بالمعنى الدقيق للكلمة.

وعاد أمر انتخاب خليفة للنبي محمد (ﷺ) ومبايعة الخليفة الأول المعترف به إلى جماعة المؤمنين هذه التي توسّعت لنضمّ أهل مكّة الذين اعتنقوا الإسلام بعد الانتصارات العسكرية عليهم. وفي ما بعد، كان أمر اختيار خليفة جديد في العالم السنيّ، أو على الأقل الموافقة على الخليفة المقترح - أمّي الاقتراح من جماعة صغيرة أو من السلف - اختياراً تختصّ به الأمة وتعبّر عنه من خلال مبايعتها الخليفة الجديد، في مقابل التزامه

هذه اشتدّت لأسباب متعدّدة على عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين، قبل أن تنحسر لاحقاً بقول ثمّدّد الوجود السنيّ والدرزي والنصيري والمسيحي المازوني. واستعادت أهميّتها على عهد الانتداب الفرنسي، عندما نظّم لبنان، ابتداء من سنة ١٩٢٦، مع التركيز على استقلالية الجماعات المحلية، كما أرادت عصبة الأمم. وخلال العقود اللاحقة، بعد الحرب العالمية الثانية، وإعلان الاستقلال الكامل للدولة اللبنانية، نشأ عن المناوئة - وهي التسمية التي شاعت، في ما بين الحربين، للدلالة على جماعة ريفية فقيرة تقيم في جنوب لبنان، وشمال البقاع - تجمع شيعي إمامي ناشط، طالب بمعادلة جديدة اجتماعية-اقتصادية، مدّعياً أنه بشكل الأقلّوى في لبنان. هذا الموقف الذي دافع عنه زعيمهم موسى الصدر، المخفي منذ ١٩٧٨، ما يزال إحدى القواعد التي يستندون إليها في مطالبهم.

أمان، لفظ يحمل معنى الضمان وكان يعني، في القرون الوسطى، الحماية التي يمنحها القائد أو السيد لمتحمّد يظهر الخضوع والطاعة، فينال بذلك العفو الذي ينقذ حياته.

ويقوم الأمان عادةً على قسّم يقضي بمنع كلّ انتهاك. غير أنّه قد يُفرض إذا لم تتوافر الشروط التي طُلِبَت عند منحه، ومنها أن يعتمد طالب الأمان مثلاً إلى حوك المؤامرات ضدّ من وقرّ له الحماية. وحالات النقض غير المبرّرة كثيرة ومتنوّعة، وبعض الحكّام في التاريخ الإسلامي اشتهروا بعدم الوفاء بالتزاماتهم.

قد يُمنح الأمان لغريب يرجو دخول «دار الإسلام» قادماً من «دار الحرب» أي من الدار التي يسيطر عليها الكافرون والتي، بحكم طبيعتها، تكون في حالة عداء مع المسلمين، إذا ما التزم هؤلاء بالجهاد الذي تفرضه عليهم الشريعة. وإنّ هذه تقضي بالآسّيح لغريب المسلم، ممن لا يؤدّون الجزية، بدخول دار الإسلام إلا بشكل استثنائي وضمن شروط محدّدة.

من هذا المنطلق، كان منح الأمان الضمانَ الضروري الوحيد للموقدين الدبلوماسيين إلى عواصم الدول الإسلامية، وللتجار القادمين من الخارج

الامتيازات (والأصح: جهود الأمان)، تعبير مستعمل في أوروبا منذ حقبة قديمة للدلالة على الامتيازات التجارية التي كانت تمنحها الدول الإسلامية رسمياً - بخاصة في العهد العثماني - لتجار أجانب تسمح لهم بالإقامة في «دار الاسلام» التي كانت محترمة عليهم عادةً.

وبموجب «حق الأمان» المنصوص عنه في الشرع والذي يمنحه، لزمان ومكان محددين، رئيس الجماعة أو ممثله، كان يحق لكل غير مسلم أجنبي أن يتجول ويتاجر في أي بلد إسلامي في القرون الوسطى. وفي الامبراطورية العثمانية سُميت المعاهدات المعقودة «عهد نامه»، وكان المستفيدون منها يتمتعون بالأمان على أشخاصهم وممتلكاتهم، إضافة الى إمكان تشييلهم بـ«قنصل» يدافع عنهم. وفي العادة، كان على الأجنبي الراغب في الإقامة من هذه الشروط أن يتقدم بـ«طلب أمان» يلتزم فيه الصداقة والسلام اللذين يشكلان أساس العقد. لكن العاهل المسلم كان يحتفظ بحق إلغاء «الأمان» بحسب لوائحه إذا ما ارأى أن السلام قد حُرق، مما يعطي العقد طابعاً أحادي الجانب.

إن هذا النوع من الامتيازات قد مُنح، ولا شك، منذ فترة قديمة، لضرورات تجارية، رغم أننا لا نملك قرائن واضحة على ذلك. لكننا نعرف، في الواقع، أن التجار اليهود المسنين الزُهَدَانِيّين كانوا يعبرون البلدان الإسلامية، حوالي القرن التاسع، عبر مسارات متعددة، كما ورد ذكر تجار روس وبيزنطيين، في حين أن تجاراً إيطالياًيين تردّدوا على الإسكندرية وحتى القاهرة خلال العهد الفاطمي.

ومنذ بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، منح سلاجقة الروم في الأناضول امتيازات لتجار البندقية وللتجار القبارصة تسمح لهم بالإقامة في أراضي مملكتهم؛ بينما منح الملك الظاهر الغاوي الأيوبي، حاكم حلب، تجار البندقية أنفسهم حق التصرف بخان مديني يسمى قُنداقو أو قندق. كذلك منح المماليك امتيازات لتجار البندقية ولتجار غربيين آخرين، وهو تدبير أخذ به العثمانيون. وكانت مختلف «المواثيق» التي منحها الباب العالي أحادية الجانب. ويبدو أن مشروع المعاهدة بين ملك فرنسا والسلطان

قيادة هذه الجماعة وإرشادها وهي التي أوّلته قننتها. تفاوتت أهمية دور الأمة في التنظيم السياسي ووضع الأسس القانونية والعقائدية باختلاف الشيع والمذاهب الفقهية. فالخارج بخاصة، أولو الأمة أهمية كبيرة، إذ إن أتباع هذه الحركة السياسية - الدينية كانوا يقولون ببدا الخليفة المنتخب، من دون شروط في نسبة؛ كما كانوا يعتبرون الأمة مؤمنة على الحقيقة. في المقابل، كان دور الأمة في اختيار الخليفة معدوماً عند الشيعة إذ على المؤمنين الخضوع، من دون أي اعتراض ممكن، للإمام المعين بموجب وصية سلفه.

يضاف إلى هذا الدور السياسي المحتمل للأمة عند السنة - الذي كان في غالب الأحيان صورياً - دور فقهي كان أكثر فاعلية بمقدار ما كانت مهمة استمراوسنة النبي ترتبط بتقاليد الجماعة. وبهذا المعنى، فإن تغيير «الجماعة» هو المستعمل للإشارة إلى مجموعة المؤمنين بمفهومها الفقهي المرجع على الديني. وكذلك فإن تغيير «الجماعة» له دور خاص عند السنة المعروفين بأهل السنة والجماعة، ولا سيما أنهم يقولون، فضلاً عن ذلك، مكانة خاصة لمفهوم الوحدة بين المسلمين. وأهمية الجماعة على أنها جسم حي توضح الدور الذي تنبسط بعض المدارس الفقهية ببدا الإجماع، كما توضح الموقف السياسي للحنابلة الذي تعبّر عنه صيغة «وجوب الصلاة حتى وراء إمام غير نقي»، إذ إن الهدف الأساسي لفقه هذه المدرسة هو عدم شق وحدة المؤمنين.

وفي الحقبة المعاصرة، بتداخل مفهوم الأمة الإسلامية الذي ما يزال حياً في النفوس، مع الواقع السياسي للدول الإسلامية المستقلة ومع اتجاهات مختلف القوميات؛ كما أنه يبقى في أساس شعور توحد للمسلمين تظهر آثاره سواء في الحياة الدولية أو داخل الجماعات الإسلامية المهاجرة القاطنة في دول غير إسلامية. وفي المغرب، يدلّ تغيير «الجماعة» أيضاً على الجمعيات المحلية للإدارة التي تمثل تجمعات محددة داخل الأمة الإسلامية وتتمتع بشكل خاص بصلاحيات في الشؤون العقارية. وتنعكس هذه الجمعيات عادات كانت منتشرة في ما سبق في بلاد البربر.

أن يُعترف به حاكمًا مستقلًا عن الخليفة الحاكم في العراق. وهكذا أسس عبدالرحمن هذا، الملقب بـ «الداخل» أو المهاجر، مملكة استمرت مدة ثلاثة قرون وامتد تاريخها على ثلاث مراحل رئيسية:

١ - من سنة ٧٥٦/١٣٨هـ حتى سنة ٨٣٠هـ/٩١٢م: جهد أمراء عدة متعاقبون، في البدء، لتنظيم المملكة الجديدة التي، بعد قطعها كل ارتباط قانوني بالخلافة العباسية - مع بقائها جزءًا لا يتجزأ من العالم الإسلامي - لم تكن تنتمي إلى الامبراطورية التي تدار من بغداد. بل، بالعكس، كان عليها إيجاد الحلول للمشكلات الخاصة بها كمشكلة السكّان ومشكلة الدفاع الناجتية جزئيًا عن الوضع الجغرافي لهذه المملكة. والأمراء الأوائل للسلاطة - عبد الرحمن الأول، هشام الأول، الحكم الأول وعبد الرحمن الثاني - أقاموا في قرطبة التي كان الحكم السابقون للمقاطعة اختاروها عاصمة لهم، فحكموا حتى سنة ١٠٢٨هـ/١٠٨٢م، واضطدوا بصعوبات عدة داخلية وخارجية.

في الداخل، كان عليهم مواجهة عدم انضباط قواد العسكر - الذين كان جُلهم من المسلمين الجدد أو «المؤدّين» والذين يسيطرون على تخوم الأندلس، ولا سيّما المناطق الحدودية الشمالية. كما اضطروا لقمع الاضطرابات الخطيرة في العاصمة والصراعات التي نشأت أحيانًا مع المستعربين المعاهدين الذين كانوا يشكون من إخضاعهم لضرائب قاسية، ويطالبون باحترام خصوصيتهم الدينية. ففي إحدى المناقشات، عمد كاهن مسيحي إلى شتم نبي الإسلام ﷺ، فحكم عليه بالموت وأعدم في قرطبة يوم عيد الفطر سنة ١٢٣٥هـ/١٠٨٥م. الأمر الذي دفع مسيحيين آخرين إلى شتم النبي ﷺ جهارًا، فلاقوا المصير نفسه. واستدعى الأمر تدخل الأساقفة لوقف هذه الاندفاعات نحو الاستشهاد التي تدّأ على هيجان في النفوس كان نذيرًا بحركات التمرد اللاحقة.

في الخارج، واجه هؤلاء الأمراء حالة حرب دائمة مع الملوك المسيحيين في شمال شبه الجزيرة والبلاد الواقعة وراء جبال البيرينيه. ففي سنة ١٢٦٤هـ/٨٧٨م، مثلاً، قاد الملك شارلمان حملة على إسبانيا المسلمة، وهي

العثماني سنة ١٥٣٦ لم يتحقق أبدًا. لكنّ الامتيازات أدّت إلى نشوء أحياء معينة مخصصة للأجانب في مختلف المدن العثمانية، لاسيما في اسطنبول، حيث كان يتمّ الفصل في نزاعات التجار من قبل سلطاتهم الخاصة بهم. أدّى هذا الواقع، منذ القرن الثامن عشر، إلى نتائج إقتصادية مؤسفة للبلدان الإسلامية التي أصبحت، في الواقع، في حالة تبعية لدول الغرب. وكان هذا الأمر صحيحًا بالنسبة إلى المناطق التي تتكوّن منها الامبراطورية العثمانية، وصحيحًا أيضًا بالنسبة إلى إيران التي عمد ملوكها الصفويّون بدورهم، بدءًا من القرن السادس عشر، إلى منح تسهيلات إقامة لغير المسلمين الوافدين إلى البلاد للتجارة.

وقد ألغت الحكومة العثمانية نظام الامتيازات مع بداية الحرب العالمية الأولى، وأكدت معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ هذا الإنهاء، على أن هذه الامتيازات بقيت سارية في مصر حتى سنة ١٩٣٧.

أمر، لفظ عربي يتردّد بكثرة في القرآن الكريم للإشارة إلى حكم الله الذي كان في أساس الخلق، وهو يفسح في المجال أمام تفسيرات كلامية متنوعة. إلّا أن استعمال هذا اللفظ بقي ضمن المفاهيم المتعلقة بتنظيم الجماعة الإسلامية. والجذر «أمر» الذي منه تشتقّ لفظة «أمير» التي عرفت رواجًا كبيرًا، كان استعماله ضروريًا ليرمز إلى مهنة «القائد» الذي تقرّه العقيدة الإسلامية شرعًا. والمبدأ الأساسي يرد في الآية ٥٩ من سورة النساء، كما نفع على اللفظة في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وهذا ما يشكل أساس الأخلاق الاجتماعية في الإسلام، وقد تجسّد فعلاً بعد تطوير مؤسسة الحسبة.

أمويّو قرطبة، يستمّون أيضًا أمويّي إسبانيا أو الغرب، ويُعرفون كذلك باسمهم الآخر «المروانيّون». هم سلالة أمراء، ومن ثمّ خلفاء متحدرون من سلالة أمويّي الشرق، السلالة الخليفة الأولى في الإسلام. حكم أمويّو قرطبة في الأندلس ما بين سنتي ١٣٨ و٤٢٢هـ/٧٥٦ و١٠٣١م. سنة ١٣٨هـ/٧٦٥م، أقلت أحد الأمراء الأمويّين من المنزلة التي ذهب أهلها ضحيتها بعد انتصار الثورة العباسية، وهرب إلى إفريقية ثمّ إلى شبه جزيرة إيبيريا التي كان قد تمّ فتحها سنة ٩٢هـ/٧١١م، حيث نجح في

على مناطق واسعة في جنوب إسبانيا، ارتدت إلى المسيحية مجتدًا سنة ٢٨٥هـ/٨٩٩م. ووجب انتظار حكم عبدالرحمن الثالث لوضع حد لهذا التمرد.

٢ - المرحلة الثانية تمتد بين ٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢ و٩٦١م تولى الحكم في أثنائها الأمير الشاب عبدالرحمن الثالث الشهير الذي اتخذ لقب خليفة سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م.

وعبد الرحمن هو حفيد الأمير السابق عبدالله وابن خليفة إفريقية، عتبه جدّه للحكم مفضلًا إياه على أبيه وعمّه نظرًا إلى صفاته الشخصية الحميدة. في الواقع، كان عبد الرحمن ذكيًا وصلب العود، حول بلاده مملكة مزدهرة، آمنة وقوية. في الوقت نفسه، جعل من عاصمته أشهر المدن في بلاد الإسلام. حتى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٢م، اجتهد عبدالرحمن بشكل أساسي لإخضاع الفتن في الداخل، كما في الخارج ضد الملوك المسيحيين في الشمال، إضافة إلى نجاحه في سياسته الأفريقية. ولما لم يكن في إمكانه مواجهة الفاطميين - الذين استقروا حديثًا في إفريقية - بشكل مباشر، ولا تدمير مملكة الإدارة التي هي الأقرب جغرافيًا إلى مملكته، فقد نجح في إقامة تحالفات في المغرب الأقصى، في الوقت نفسه الذي كان سيطر فيه على مناطق تشكل رأس جسر في ثلثة وسبّعة، قبل أن يحتل طنجة لاحقًا.

هذه النجاحات المتعددة رفعت من مكانة عبد الرحمن الثالث لدى الأمراء والملوك المسيحيين الذين أقاموا معه علاقات ودية. كما يشرّز له بوجه خاص - بعد أن عزز سلطته - اتخاذ لقب خليفة سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، فسّى نفسه «أمير المؤمنين» وحمل اللقب التشريفي «الناصر لدين الله». أحاط نفسه بأعماه الذين كانوا يساندونه، وبارستقراطية بلاط عربية جزئيًا، وكذلك بحاشية خدم كثيرة العدد. ولما ضاق فصر قرطبة، أسس عبد الرحمن مقرًا جديدًا له سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، مجاورًا لقصره الأول، أطلق عليه اسم «مدينة الزهراء»، وأصبح بدوره مقرّ الإدارة، وفي الوقت عينه، مكانًا فخماً للهر والاستقبالات الرسمية.

٣ - ٣٥٠-٤٢٢هـ/٩٦١ - ١٠٣١م، بلدًا من سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م. تاريخ وفاة عبد الرحمن الثالث، بدأت

حملة ظلت مجهولة عند المؤرخين العرب، لكن خلفتها في الغرب «أشودة رولان». في القرن الثامن الميلادي، سُجّلت خسارة بعض المدن كُثُيْلُونَا وبرشلونة، وهو أمر لم يمنع أبدًا القراصنة المنطقيين من المغرب - الذين لم تُخدّث هويتهم ولم يُعرّف إذا ما كانوا عربًا أو بربرًا أو من الموّلدين - من التوغّل في وادي الرون. في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، وصولًا إلى ٢٢٥هـ/٨٤٠م. في المقابل كانت علاقات أمراء الأندلس جيّدة بالبيزنطيين الذين حاولوا، لكن من دون جدوى، إقامة تحالف مع سادة الأندلس المسلمين لمواجهة العباسيين والأغالبة.

في خضمّ هذه التحوّلات، كانت تتركز شيئًا فشيئًا دولة قامت على هيكلية صلبة نسبيًا، فالجيش الأميري المكوّن خصوصًا من البربر والمصقالية، كان جيشًا محترفًا فعلاً، وإن حدث أن دخل في بعض الأحيان في صراعات مع السكان. ويعود الفضل إلى عبد الرحمن الثاني في إرساء أسس إدارة على النمط القائم في بغداد. كانت هذه الإدارة بيد عرب يشرفون على الدوائر الأكثر أهمية، وبخاصة الدوائر المالية. وكان على رأس هذه الإدارة شخص يقوم بدور الوزير الأول ويحمل لقب «حاجب» الذي كان يطلقه أمويو الشرق في ما مضى على مساعديهم، وليس لقب وزير، المستعمل عند العباسيين. في المقابل، كان يُطلق على بعض الكتاب لقب وزير وهو لقب تشريفي لا ترتبط به أيّة مسؤولية فعلية. إضافة إلى وسائل الحكم الصلبة التي كانت في تصرفهم، اعتمد هؤلاء الأمراء أيضًا على قضاة وفقهاء ينتمون جميعًا إلى المذهب الفقهي المالكي. كان هذا المذهب يمثل في الأندلس تيار النسب الذي أدى الأخذ به إلى بناء وحدة قوية في المجتمع الإسلامي.

لكنّ الإنجازات التي تحقّقت لم تُحل دون قيام اضطرابات شتّى طبعت السنوات الواقعة ما بين ٣٢٨ و٣٥٠هـ/٨٥٢-٩١٢م: حركة بعض أفراد الأسرة الأموية الذين ناصبوا الأمراء الحاكمين العدا؛ كذلك حركة معتنقي الإسلام الجند بقيادة ابن حفصون الذين ثاروا جهارًا في فترة حكم عبدالله، بلدًا من سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م. وابن حفصون هذا، بعد أن نجح في السيطرة

٧٨٨ - ٧٥٦/١٧٢-١٣٨	عبد الرحمن الأول (الفاخل)
٧٩٦ - ٧٨٨/١٨٠-١٧٢	هشام الأول
٨٢٢ - ٧٩٦/٢٠٦-١٨٠	الحكم الأول
٨٥٢ - ٨٢٢/٢٣٨-٢٠٦	عبد الرحمن الثاني (المونوط)
٨٨٦ - ٨٥٢/٢٧٢-٢٣٨	محمد الأول
٨٨٨ - ٨٨٦/٢٧٥-٢٧٣	المنذر
٩١٢ - ٨٨٨/٣٠٠-٢٧٥	عبد الله
٩٦٦ - ٩١٢/٣٥٠-٣٠٠	عبد الرحمن الثالث الناصر
٩٧٦ - ٩٦٦/٣٦٦-٣٥٠	الحكم الثاني المستنصر
١٠٠٩ - ٩٧٦/٣٩٩-٣٦٦	هشام الثاني المؤيد
١٠١٣ - ١٠١٠/٤٠٠-٣٨٠	
١٠١٠ - ١٠٠٩/٤٠٠-٣٩٩	محمد الثاني المهدي
١١١٠ - ١٠٠٩/٤٠٠	سليمان المستعين
١٠١٦ - ١٠١٣/٤٠٧-٤٠٤	
١٠١٨/٤٠٨	عبد الرحمن الرابع المرتضى
١٠٥٤ - ١٠٢٣/٤١٤	عبد الرحمن الخامس المستظهر
١٠٢٣ - ١٠٢٤	
١٠٢٥ - ١٠٢٤/٤١٦-٤١٤	محمد الثالث المستنفي
١٠٣١ - ١٠٢٧/٤٢٢-٤١٨	هشام الثالث المعتد

« راجع المستندات ١١، ٨ و ٥٢-٥٣ ».

الأمويون، هم أولى سلالات الخلفاء في التاريخ الإسلامي الذين تولوا السلطة بعد الخلفاء الراشدين الأربعة. وقد استمرت سلطتهم حتى سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، وأرست، في أقل من قرن، نشأة حضارة عربية - إسلامية وازدهارها، بلغت ذروتها مع السلالة الخليفة الثانية، أي السلالة العباسية.

تمكنت الأسرة الأموية - التي تنتمي إلى فريش، قبيلة نبي المسلمين (ﷺ) - بعد وفاة الخليفة الراشدي الرابع علي، من الإفادة من انتصار معاوية، لتأسيس نبط الخلافة الوراثية. اعتمد الأمويون على قبائل عربية مستقرة في سوريا، إلا أن الصراعات الداخلية لهذه القبائل - ولا سيما بين كلب وقيس - ساهمت في إضعاف الأمويين الذين عانوا، في الوقت نفسه، عدائية العلويين المنتمين إلى عائلة النبي محمد (ﷺ) والمربطين بالحركة الشيعية. تابعت هذه السلالة الفتوحات الكبرى، لكنها لم تتمكن من أن تقدم للموالي - المعنقين الجدد للإسلام - المكانة التي

سلطة الخليفة بالأفول حتى تمكن «أركان البلاط» من السيطرة على السلطة بين ٣٧١/٨٣٩٩ و ٩٨١/١٠٠٨م. كان الحكم الثاني خليفة مجرباً لكنه أقل عزماً من والده «الناصر»؛ حكم بين ٣٥٠ و ٣٦٦/٩٦١ و ٩٧٦م. إضافة إلى بعض الحملات على المغرب، تجلّت أجداد الخليفة الجديد، بوجه خاص، في تجميل المسجد الجامع في قرطبة، وكذلك في تأسيس مكتبة احتوت سريعاً مؤلفات قديمة مترجمة. لكنّ الفتى هشام الثاني الذي خلف الحكم، ترك مساعديه يستولون على السلطة شيئاً فشيئاً. فوالده، وهي خليفة طموحة كانت، قبل سنة ٣٦٦/٩٧٦، شجعت ترقية شخصية من أصل عربي، هي ابن أبي عامر الذي عُرف في ما بعد في الغرب بلقب «المنصور». فابن أبي عامر هذا، بعد فترة وجيزة من تولي الخليفة الجديد السلطة، ساند وقمع المؤامرة التي حاكها ضده الصّقالية، وأصبح حاجبه والوصي عليه. وقد مارس وصاية امر واقع بمعاونة الوزراء ووالدة الخليفة المعروفة بـ«السيدة»، ممهّداً بذلك لمستقبل أسرته ولبروز سلالة هي سلالة العباسيين. وفي سنة ٣٧١/٩٨١، استأثر حاجب البلاط هذا بالحكم، وعزل الخليفة في قصره، وسوّى نفسه «المنصور»، وقام بحملات عسكرية مظفّرة ضدّ الملوك المسيحيين، وعيّن خلفاً له ابنه عبد الملك الذي تسلّم السلطة سنة ٣٩٢/١٠٠٢م، وحمل أيضاً لقب المظفر. لكنّ موت عبد الملك سنة ٣٩٨/١٠٠٨م شكّل الإشارة لقيام اضطرابات، بعد أن اختار الخليفة شقيقه المدعو شنشل (عبد الرحمن)، - وهو حفيد ملك يميلوناً من ناحية والده - وريثاً. وهذا ما أثار النقمة ضده فاضطرّ للتنازل عن الحكم^(٢٢) سنة ٣٩٩/١٠٠٩م. ونوالى على الحكم، منذئذ، خلال عشرين سنة، خلفاء عدّة، بمن فيهم هشام الثاني الذي رقيّ العرش من جديد بين ٤٠٠ و ٤٠٣/١٠١٠ و ١٠١٣م وتعرّض لحصار البربر، وشهد نهب قرطبة عام ١٠١٣م. وقد اضمحلت الخلافة الأموية أخيراً سنة ٤٢٢/١٠٣١م، بسبب عجز المتولّين السلطة فيها عن وقف الصراعات بين الفئات المتنافسة، ووقعت الأندلس مذكاً في أيدي ملوك الطوائف.

للميلاد، كانت سيطرتهم تمتد إلى مناطق بعيدة جدًا ومختلفة جدًا في ما بينها. وقد بلغ اتساع هذه السيطرة مدى كبيرًا كان في أساس بروز الصعوبات بوجههم.

وفي الداخل، قام الأمويون بتثبيت التفوق الذي استأثر به العرب؛ وفي الوقت عينه، جهدوا لطبع البلاد التي أخضعوها - ولا سيما المدن - بطابع الإسلام. وقد جرى كل ذلك في أمبراطورية غير متجانسة إلى حد بعيد من حيث تنوع سكانها ولغاتها. ولما كان من الصعب علينا تكوين فكرة دقيقة عن تعددية اللهجات السائدة في كل منطقة، فإننا من المعروف، في المقابل، أن الوثائق الرسمية في البداية كانت تحزّر باللغة الفهلوية في المقاطعات الشرقية، وباللغة اليونانية في سوريا ومصر، وباللغة الأثينية في المقاطعات الغربية. لذلك، في نهاية القرن السابع للميلاد، قرّر الخلفاء الذين كانوا يحكمون هذا التجنّف الواسع توحيد دوائر الإدارة بقرص استعمال اللغة العربية فيها، حصراً.

واضطرّ الكتاب المحلّون الذين أبغاهم الخلفاء في مراكزهم - ولم يكونوا في أكثر الأحيان مسلمين - إلى استعمال اللغة العربية. لا شك في أن عملية الإصلاح التي يعود الفضل فيها إلى الخليفة عبد الملك، كانت بطيئة وتدرجية. لكنّها أفضت إلى تكوين بُنى لدولة مركزية ولأعراف موحدة. وبموازاة ذلك، قام الخليفة عبد الملك بإصلاح النظام المالي، من خلال فرضه سكّ النفود الذهبية والفضية والنقش عليها بالعربية. هذه الرسوم المتوشّاة، إضافة إلى الصيغ المستعملة في وثائق أخرى، كانت تتضمن عبارات إسلامية - آيات قرآنية في أكثر الأحيان - تثبت أنّ الأمويين كانوا يجهدون لتنظيم أمبراطورية إسلامية وعربية الطابع في آن. وللسبب عينه عمد خليفة كعبد الملك إلى بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى في القدس^(٢٢)؛ بينما سعى ابنه الوليد إلى بناء مسجد جامع في دمشق في محلّ الكاتدرائية البيزنطية؛ وكذلك ابنه الآخر سليمان الذي شيّد المسجد الجامع في حلب، بعد أن كان أسس مدينة الرملة الحكومية في فلسطين.

٢ - أدّت هذه السياسة إلى تشجيع قسم من السكان الأصليين، في المناطق المختلفة من الأمبراطورية، على

كانوا يطالبون بها. هذه المشكلات الاجتماعية والسياسية - الدينية تفسّر أوفولها السريع بعد أن اضطلعت بدور انتقالي أدى إلى قيام أمبراطورية حقيقية متحضرة ومنظمة على الأراضي التي كانت، في السابق، مجزأة أراضي مُخضّعة ومحتملة من قبل الفاتحين العرب والبدو.

١ - حول مؤسس السلالة معاوية - الذي حكم ما بين سنة ٤١ و٦٠هـ/٦٦٠ و٦٨٠م - سلطته الشخصية إلى سلطة وراثية بتسميته ابنه يزيد وريثاً له، ومن ثمّ تأمين أداء يمين الولاء له، أي البيعة التي تشكّل قبولاً من قبل الأعيان بالخليفة الجديد عند اعتلائه سدة الحكم. ثمّ نقل يزيد السلطة بدوره إلى ابنه معاوية الثاني بالأسلوب نفسه. لكنّ وفاة هذا الأخير من دون وريث أعاد طرح مسألة انتقال الخلافة من جديد. وقد اتفق الزعماء العرب المجتمعون في الحجابة، قرب دمشق، على تسمية مروان، أحد أقارب الخليفة المتوفى، مكانه. ومروان الأول، كما معاوية، يتحسّر من «أمية» التي أعطت اسمها لـ «بنّي أمية» أو الأمويين، وقد عُرفت به السلالة التي اعتلى فرعان من فروعهما العرش بالتتابع: فرع الشّيبانيين أو فرع معاوية بن أبي سفيان، وفرع المروانيين. ويدورهم استعمل المروانيون أسلوب الوصية المصحوب بيمين الولاء المسبق، كما اكتفوا بتسمية الورث سريّاً. وهكذا تمّ التسليم بعرف وراثي، رغم شوائبه، أهمّها عدم احتوائه قاعدة أو تراتبية في الورثة. وظلّ هذا العرف سارياً تقريباً كما هو على مرّ العصور الإسلامية، وصولاً إلى السلالة العثمانية التي حاولت تعديله.

على الصعيد الخارجي، كانت مهمة الخلفاء الأمويين الأرائل متابعة الفتوحات وإكمالها، مع مراقبة التطوّر الذي طرأ على «الأمبراطورية العربية» والذي حوّلها إلى أمبراطورية صار لتبهر العرب مكانهم فيها. وكان على عاتقهم كذلك متابعة الأعمال العسكرية لجهة الشرق، في اتجاه ما وراء النهر والسند والمناطق المجاورة؛ ومن جهة الغرب، في اتجاه المغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية التي جعلوها الأندلس، وانطلقوا منها بحملات نحو جنوب فرنسا أوقفها معركة «برتاينه» المعروفة. وفي بداية القرن الثاني للهجرة/الثامن

العرب المقيمين في وسط السكان المحليين كانوا ينفرون من متابعة الأعمال العسكرية. وقد تواجعت آنئذ سياستان: واحدة تدعو إلى وقف حركة التوسع واتخاذ الإجراءات المناسبة لتهدة الموالى؛ والثانية تصرّ على المضي قدماً في الخيار العسكري الذي كانت القوات العربية - الإسلامية التزمته منذ فترة طويلة. وفي الواقع، تبنّى معظم الخلفاء، ولا سيّما الخليفة هشام، الاتجاه الثاني. فأضيفت الصعوبات التي أثارها هذه السياسة إلى انقلابات التي كانت تتأكل الدولة الأموية خلال الربع الثاني من القرن الثامن الميلادي.

وقد برزت هذه التقلّبات ذات الطابع السياسي أو السياسي - الديني مع وفاة معاوية، وأدت مذكاً إلى حركات معارضة جذبة. فالحسين بن علي لم يعترف بسلطة يزيد الخليفة السفيناني الثاني، وتمرّد عليه في العراق حيث قُتل في نهاية الأمر سنة ٦٦١هـ/٦٨٠م في كربلاء، خلال صدام بين مناصريه ومجموعة مسلّحة أرسلها ضده والي المقاطعة. ويرقى الرفض المنتظم للشيعية لمختلف الخلفاء الأمويين الذين تولّوا على السلطة إلى تاريخ مأساة كربلاء. وقد اندلعت حركات عصيان عدة بتحريض منهم، أولها الحركة التي أثارها في العراق المدعو المختار، باسم أحد أبناء علي هو محمّد بن الحنفية، وقد تمّ قمع هذه الحركة من قبز الخليفة عبد الملك وفائده الدافع الصيت الحجاج الذي عمل، فضلاً عن ذلك، على إنهاء تمرّد ابن الزبير أفي الحجاز] وهو ابن أحد الصحابة القدمة الذي نماحت حركته الانفصالية في الأماكن المقدّسة في الجزيرة العربية، بين عامي ٦٤-٧٣هـ/٦٨٤-٦٩٢م^(٢٧)، في حين كان أحد أشقائه يتحرّك في العراق. مع أنّ حملات الحجاج العسكرية سمحت لسيّده بإعادة وحد الأمبراطورية التي كانت في وقت ما مهددة بشكل خطير، وباتخاذ الإجراءات الإدارية التي أعادت الوحدة النسبية لهذه الأمبراطورية، فإنّ حركات المعارضة الداخلية التي غدت أقلّ حدة لم تتوقّف، رغم ذلك فحركة الخوارج، مثلاً، أعفيت قيام شيع عدة، بعضها أكثر تشدّداً من بعضها الآخر، وإلى نشأة بعض الفرق التي استقرّت في المناطق النائية من الجزيرة العربيّة

اعتناق الإسلام. وإذا كان من المستحيل تقدير عدد الذين اعتنقوا الإسلام في هذه الفترة - سواء للتخلّص من وضعهم الديني كاهل دة أو لكسب المزيد من الاعتبار، أو للحصول على بعض الفوائد - فإنّ عددهم غداً مهمّاً بما فيه الكفاية ليشكل وضع هؤلاء موضوع نقاشات تناولت أهمّ المشكلات المطروحة، ولاسيّما المالية منها ومخصصات العسكر.

فمن الناحية المالية، رغم جهود الخليفة عمر بن عبد العزيز، لم يحصل الموالى على تحويل الضريبة العقارية المفروضة عليهم، أي الخراج، إلى ضريبة العشر أو الزكاة. وكان الهروب إلى المدينة، في حال تيسّره، هو المخرج الوحيد لهم لعدم تحميلهم أكثر من العرب المسلمين. وفي الجيش، كان هؤلاء الموالى أنفسهم يقيّنون بالتأكيد للقتال إلى جانب العرب، كما يشهد على ذلك فتح شبه الجزيرة الأيبيرية الذي شارك فيه عدد من البربر من معتنقي الإسلام. لكنّ روايتهم العسكرية لم تكن هي نفسها التي يتفاضاها الفاتحون القدامى. وفي الوقت الذي كانوا يباطلون فيه بأن يعاملوا بالطريقة نفسها التي يعامل بها إخوانهم في الدين المنحذرون من أصل عربيّ، طُرحت قضية دمجهم الاجتماعي بشكل حاد في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، مؤدّية إلى تماسك هذه الفئة الاجتماعية الميالة إلى التمرّد وإلى إثارة المطالب، وقد غدا عددها مساوياً، من دون شك، عدد الفاتحين الأوائل.

وإلى استياء الموالى، أضيف كذلك، في الوقت نفسه، استياء العرب المقيمين في سوريا الذين لم يكونوا أكثر رضى عن وضعهم، بعد أن خدموا بإخلاص السلالة الحاكمة. وكانوا يشكلون طليعة عسكر النظام، إذ كانوا يرسلون، في أكثر الأحيان، بعيداً عن ديارهم لغرض السلطة الخليفية: فقد تركزوا مثلاً في الموقع الجديد في منطقة واسط في العراق الذي أنشئ سنة ٧٠٥هـ/٧٠٥م لغرض النظام في البلاد، وأرسلوا، مثلاً، حوالي سنة ٧٢٥هـ/٧٢٥م، إلى منطقة خراسان البعيدة لمتابعة تقدّم الفتح في آسيا الوسطى. وبالفعل اصطدم الأمويون بمقاومة جدية في هذه المناطق البعيدة، إذ إنّ المقاتلين

النصوص العربية المتعلقة بالمرحلة الأموية. واكم هذا الفن تفتح حضارة غدت ذا طابع إمبراطوري، نستدل عليها من خلال آثار الصروح الرائعة التي لم تتشكل، حتى اليوم، موضوع دراسة وافية. ويمكن النظر إلى هذا الفن بصورة عامة، على أنه كان، في آن معاً، مصدر كل الأنماط الفنية التي تفتحت لاحقاً في أرض الإسلام، والتعبير الأول عن حيوية خلافة كان في إمكانها الاستجابة - عبر روائع الفن المعماري وعبر زخرفة نستعمل أسلوفاً جديداً في الأشكال - لحاجات المجتمع الإسلامي الناشئ.

ومن بين هذه البقايا العظيمة، فإن الأكثر إثارة لتعجب تلك التي ظهرت لمكتشفها في أواخر القرن التاسع عشر، والتي لها، بالتأكيد، القيمة الوثائقية الأكثر أصالة - كونها لم تتعرض إلا في النادر لترميم - هي أماكن إقامة الطبقة الارستقراطية المرفقة، وقد اكتشفت في مناطق مقلقة. وكان وجود مثل هذه الصروح في مثل هذه المناطق يفاجئ زائريها: في تُصنبر عُمره والشمسي، في خربة الجنبيا بطبرية وخربة المنجور قرب أريحا، كما في جبل سابس وفي قصر الخبث الغربي وقصر الجير الشرقي حول تدمر. وهذه الدهشة ناتجة عن المفارقة ما بين نوعية بناء هذه الصروح وزخرفتها من جهة، وعزلة الأماكن التي تقوم فيها ووحشتها من جهة أخرى. «قصور الصحراء» هذه - بحسب تسمية تطلق عليها في أكثر الأحيان في المؤلفات الحديثة التي تتطرق إلى المرحلة الأموية - ما يزال يحيط بها السحر الذي حظيت به في مرحلة اكتشافها الأولى. وهكذا كانت هذه الصروح معبرة عن نموذج لابنية الأميرية، وهو نموذج أعيد تركيبه اصطفاً من خلال جمع السمات المستفانة من كل من هذه المواقع، وصولاً إلى تصوّر مقرب، إلى حد ما، اليوم، شكل بناء ضخيم، مع فناء مركزي وسور، ذو هيكلية مرتبة الزوايا، جداره أختارجي مزروع بنصف أبراج وبأبراج على الزوايا، فناء داخلي محاط برواق تفتح عليه قاعات متنوعة وشقق، بينما بوابة المدخل مصممة للتدليل على ضخامة المجمع، وغرفة الاجتماع والاستقبال معدة في الطبقة العليا، وأحياناً تكون بوجه المدخل وتتكون من قاعة

والتي اضمحلّت سريعاً. وكان بعض مناصري الخوارج قد سيطروا، لوقت قصير، على الكوفة قبل نهاية السلالة الأموية بفترة وجيزة^(٢٨). في موازاة ذلك، واجهت الخلافة الأموية معارضة أكثر خطورة تمثلت في القدرية، وهي حركة سياسية - دينية دعمها بعض الفقهاء، تطالب بإلحاح - في آن معاً - بالحد من السلطة الكيفية للخليفة وإثبات سياسة «سلمية». وقد أغرى برنامج هذه الحركة بعض الخلفاء الذين حاولوا تطبيقه، منهم عمر بن عبد العزيز، وفي ما بعد يزيد الثالث الذي وصل إلى السلطة عام ١٢٧هـ/٧٤٤م والذي ألقى خطبة شهيرة بذت ملية مطالب القدرية، إلا أن حكمه لم يدم سوى بضعة أشهر.

أما الاضطرابات التي انتشرت في نهاية النصف الأول من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، فقد أفضت إلى الحركة المعروفة بـ «الثورة العباسية»، وكانت الأكثر خطراً على الأمويين، إذ تمكنت، في نهاية الأمر، من الانتصار على العائلة الحاكمة وسعت للقضاء عليها. وقد أفلت واحد فقط من أفراد العائلة الأموية وفر إلى الأندلس حيث بعث من جديد السلطة الانفصالية لفرع جديد من المروانيين، هو فرع «أموي الغرب» أو «أموي قرطبة». وفي انتظار انطلاق هذه المملكة ذات الطابع الإقليمي التي ستصبح بدورها مقراً لخلافة منافسة للعباسيين، صارت ذكرى السلالة الخليفية الأولى في الإسلام موضوع انتقادات حادة نشرها الأخصام المنتصرون، وضعت في موضع الشك - بشكل استرجاعي - الشرعية الدينية للنظام الأموي. وبالفعل فإن العائلة الأموية، رغم الخصال التي لا جدال بشأنها التي نشأت بها معظم أفرادها، رزحت تحت وطأة الصعوبات التي رافقت اتساع الفتوحات.

٣ - لكن هذه الصعوبات لم تمنع هذه العائلة، طيلة فترة سيطرتها على السلطة، من إطلاق ثقافة عربية - إسلامية ذات نوعية مميزة. وقد عبرت عن هذه الثقافة، في آن معاً، الآراء الأولى لرجال الدين ونتاج طبقة من المثقفين، من غير العرب في أكثر الأحيان، وبوجه خاص إنجازات الفن الإسلامي الأول الذي تعوض الآثار الباقية منه حتى اليوم النقص في مصادر

محمد (ﷺ) في المدينة والشكل «البازيليكي» الموروث عن المصور القديمة. إن نمط المسجد الجامع هذا الذي كثره الخلفاء الأمويون أو حكام ولاياتهم في المدن الرئيسة للأمبراطورية، طُمس في أغلب الأحيان، بترميمات وإصلاحات وتوسيعات لاحقة ومع ذلك، أمكن استرجاع السمات الأساسية لما كان عليه شكله آنذاك. إضافة إلى ذلك، فإن الأجزاء العائدة للفترة الأموية والمائلة في المسجد الأقصى في القدس أو في الجامع الكبير في دمشق - الذي ما يزال يحتوي بعض القسيسة التي كانت تزخرف أروقة فناءه - مازال قائمة لتشهد على درجة الكمال الفني التي تميز التواصل إليها: مبانٍ ضخمة تشهد، عبر فخامة أعمدتها ومحاربيها وتداخل عقودها وكوها الصمت، على مستوى الخبرة التقنية للمعماريين المحليين الذين دخلوا في خدمة الخلفاء؛ كما تدلّ على إنجازات مصممي زخارف هذه الصروح وحرفتي الأعمال الفخمة الذين جرى إشراكهم في العمل. جميع هذه التقاليد التي جرى تبنيها آتت، منذ ذلك الحين، الأسس التي استقام عليها فيما بعد هذا الفن التوليقي الذي يوصف اليوم بالفن الإسلامي.

معاداة الأول بن أبي سفيان ٤١ - ٦٠هـ / ٦٦١ - ٦٨٠م	معاداة الأول بن أبي سفيان
يزيد الأول ٦٠ - ٦٤هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣م	يزيد الأول
معاداة الثاني ٦٤ - ٦٥هـ / ٦٨٣ - ٦٨٤م	معاداة الثاني
مروان الأول بن الحكم ٦٥ - ٦٦هـ / ٦٨٤ - ٦٨٥م	مروان الأول بن الحكم
عبد الملك ٦٦ - ٦٨٥هـ / ٧٠٥م	عبد الملك
الوليد الأول ٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م	الوليد الأول
سليمان ٩٦ - ٩٩هـ / ٧١٥ - ٧١٧م	سليمان
عمر بن عبد العزيز ٩٩ - ١٠١هـ / ٧١٧ - ٧٢٠م	عمر بن عبد العزيز
يزيد الثاني ١٠١ - ١٠٥هـ / ٧٢٠ - ٧٢٤م	يزيد الثاني
هشام ١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣م	هشام
الوليد الثاني ١٢٥ - ١٢٦هـ / ٧٤٣ - ٧٤٤م	الوليد الثاني
يزيد الثالث ١٢٦هـ / ٧٤٤م	يزيد الثالث
إبراهيم ١٢٦هـ / ٧٤٤م	إبراهيم
مروان الثاني (العمار) ١٢٧ - ١٣٢هـ / ٧٤٤ - ٧٥٠م	مروان الثاني (العمار)

١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩

الولايات، ولا سببا في حقل الضرائب، إذ أصبح أمر جباية الأموال من صلاحيات العامل. كما حُرِّم الأمراء حق تعيين القضاة في المدن والأقاليم، ولكنهم ظلوا يُعَيِّنُون أصحاب الرتب العالية في الأقاليم المناط بهم الحفاظ على الأمن وترؤس الصلاة أيام الجُمُع باسم الخليفة. كانوا يميلون إلى معارضة نوع من الاستقلالية معترف لهم بها بشكل عام.

داخل التنظيمات العسكرية في الأباطورية الإسلامية في القرون الوسطى، كان لقب الأمير يوازي رتبة لواء أو رتبة مقدم. وقد أصبح يُمنح بعد ذلك لكل أصحاب الرتب العالية من ضباط جيش وخزّن خلافاً، يقصّ النظر عن الوحدة العسكرية ومن دون أن يؤخذ العرف في الاعتبار. وسرى هذا العرف في معظم الدول الإسلامية، كما يظهر ذلك، في القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد في ألقاب ضباط الجيش المملوكي في مصر وسوريا. هؤلاء القادة العسكريون كانوا بمعظمهم، منذ القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، من أصل غير عربي وجُلُّهم من العبيد المعتقّين. وبغية تأمين أجورهم، جرت العادة على منحهم إعطاعات تؤمّن لهم رزقهم ورزق جنودهم. وهذا الأمر سهّل مجال الاستقلالية، وساعد أولئك القادة على الاستئثار بالسلطة وتأسيس ممالك، بين القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد، على تقاسم عالم إسلامي مؤقّت.

وتجدر الإشارة إلى أن تسمية أمير مُنحت، منذ القرون الأولى للإسلام، لتدوين يقومون ببعض المهّمات المدنية المميّزة كإمارة الحج، أو يتسلّمون مسؤوليات عليا كأمير الأسطول أو أمير البحر، وذلك في مختلف الأساطيل البحرية العربية في القرون الوسطى (نقل الاسم إلى القرنسية وخُوف إلى أميرال)، كما استعملت عبارة أمير الأمراء في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد. وجاء اسم الأمير أيضاً في تشكيلين هما أمير المؤمنين للإشارة إلى الخليفة - وأمير المسلمين. وقد عرفت العبارتان شهرة لا مثيل لها. ونذكر أخيراً أن لفظة أمير دخلت في معظم الألقاب الشريفة ولم يُستغنى عنها إلا بالفاظ موازية ولكتها من لغات أجنبية،

لواضحة التي بذلها المنسرون التقليديون للكتاب. يُعنى بأُتَي غائباً «الجاهل»، من غير أن يُثبت لتدقيق في فقرات القرآن التي ورد فيها المصطلح هذا لتفسير. بالمقابل، فإنّ صيغة الجمع «أميون» تعني بلا يب، مثلاً في الآية ٧٨ من سورة البقرة، «الوثنيين» في مقابل «أهل الكتاب»، بحيث أنّ تعبير «النبي لأُمِّي» ينبغي بالأحرى، أن يُفهم، بحسب بعضهم، أعلى أنّه النبيّ الوثنيّ» أو، «النبي المرسل إلى الوثنيين».

مئة بن عبد شمس، الجد الأعلى الذي أطلق اسمه على أسرة الأمويين المتمين إلى عشيرة عبد شمس التي كانت، في عهد النبيّ محمد ﷺ، من عشائر قريش لأوفر غنى في مكة. هذا السليل المباشر لعبد مناف قُصّي كان ابن عمّ هاشم الذي مهّدت عداوته معه (٢٤) لمصراعات التي وضعت وجهها لوجه، في ما بعد، في سبيل بلوغ الخلافة، الأمويين والهاشميين. ويقال إنّ كان الجد الأول لأبي سفيان، رئيس الأرستقراطية المكية في مرحلة انطلاق الدعوة الإسلامية، ووالد معاوية، أول خليفة من فرع السفيانيين في سلالة الخلافة الأموية.

«راجع السند رقم ١».

مير، لفظة تحمل معنى السلطة والتوجيه والقيادة، استعملت بكثرة في الأوساط الإسلامية منذ الفتوحات الأولى، ولا تزال حتى اليوم تحافظ على مدلولها لكبير.

١ - الأمير: هو الذي يتمتع بالسلطة والذي بيده الأمر، ويكون القائد وصاحب الكلمة الفصل. في لعمود الأولى للإسلام، أطلقت اللفظة على قادة لجيوش الذين انتزعوا الانتصارات، فكانوا أصحاب لفتوحات الكبرى. وإلى جانب أدوارهم كرجال حرب كانت لهم أدوار حكام البلدان التي افتتحوها. فالأمراء الذين يعيّنهم الخلفاء ويخولونهم مهّمات متنوعة يمتحنونهم سلطات تمثيلية، كانوا أول الأمر قادة الجيوش العربية الإسلامية. وقد كانت صفة تمثيل لخليفة ضرورية ومهمّة لهم. إلّا أنّ تطوّر الإدارة في العصر العباسي حرّمهم عدداً من امتيازاتهم الأميرية في

العباسي، وتشير إلى توزع السلطات العليا الذي ساد ظهور نظام السلطة.

الأمير، تعبير غدا استعماله رائجاً في أيامنا للدلالة على حاكم مسلم صاحب إمارة يمارس فيها حكمه. في المركز السامي الذي ارتقى إليه، في العصر الوسيط الإسلامي، عدد من «أسياد الحرب» الذين أقلتهم مهاتهم لأن تطلق عليهم بالعربية تسمية «أمير» وبالتركية تسمية «بك»، يفسر المفهوم التشويقي الذي ما تزال الكلمة الفرنسية تحمله حتى يومنا هذا. بناء على ذلك، يمكن استعمال كلمة أمير، سواء لعت أي شخص نبيل، أو للتعبير عن المعاني الثقنية المختلفة التي تحملها اللفظة، والتي تشير أحياناً إلى قادة عسكريين تندرج رتبهم من «مقدم» إلى «لواء»، وأحياناً إلى حكام ولايات، وأحياناً أخرى إلى حكام إمارات، أو أشخاص من أصل نبيل لا يؤدون مهمة محددة، كما أننا نقع على كلمة أمير في تسمية «الأمير الكبير» التي كانت تعني «أمير الأمراء» خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة العاشر والحادي عشر للميلاد، في الشرق، وكذلك في التعبير الفرنسي «*émir des croyants*» الذي يؤدي مع العبارة نفسها المستعملة في العربية قديماً، أي «أمير المؤمنين» التي كانت تطلق على الخليفة والتي كثيراً استخدمت في نصوص أدبية.

أمير خسرو دهلوي، ٦٥١-٧٢٥هـ/١٢٥٣-١٣٢٥م. شاعر هندي فارسي اشتهر شعره بالطابع الديني، ساء في بلاط سلاطين دلهي، وأظهر تعلقاً قوياً بالشعر الجشني نظام الدين أولي، ودُفن إلى جانبه. وكان أوله في الهند داخل أسرة من أصل تركي.

إن تفتح شاعرية دهلوي الموهبة جعلته ينال حظاً لدى أبناء الأسم المختلفة المالكة التي تعاقبت على عرش دلهي. وعمله الضخم المصنّف بالطابع الصوفي إلى جانب قصائد تاريخية ومقطوعات غنائية وجدانية اعتبر مدة طويلة نموذجاً للنجاح الذي حققه الحضار الإسلامية في العصور الوسطى بالهند.

أمير سلطان أو أمير سيد، شمس الدين محمد بن علي الحسيني البخاوي، ٧٧٠-٨٣٢هـ/١٣٦٨-١٤٢٩م.

كلمة «بك» التي هي من أصل تركي والتي تستعمل اليوم للإشارة إلى أبناء أسر تنتمي إلى الأرستقراطية العربية.

٢ - **أمير المؤمنين**: لقب تشريفي في الإسلام خاص بالخليفة، يعود في أصله إلى التسمية التي نبتاها الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب في المدينة المنورة. وقد أتى اللقب صدى للآية ٥٩ من سورة النساء التي تدعو إلى طاعة المسلمين لأوليائهم أمهم، وهذا يشير إلى أن الخليفة هو رئيس الجماعة المؤمنة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَآتُوا الْأَمْرَ سَكَنًا». وقد بقي هذا اللقب قائماً براق الخلافة ويُنظر إليه بكل جلال، وطالب به عبر العصور عدد كبير من الموالين الذين وجدوا أن لهم الحق بالخلافة. ومن الذين تلقوا بأمرهم المؤمنين، نذكر الخلفاء الراشدين الثلاثة الآخرين، والخلفاء الأمويين والعباسيين المتعاقبين. كما حمله أسياد ممالك أخرى منافسة ظهرت في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، كالفاطميين، والأمويين في الأندلس، وقادة برزوا مؤخرًا في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد كالعويحيين، أو حتى في القرن الثالث عشر للهجرة/الثامن عشر للميلاد كخلفاء «سوكوتو» في أفريقيا السوداء.

إن عبارة أمير المؤمنين التي أشارت، في كل الأحوال، إلى السلطة الإسلامية العليا والمستقلة، توضح سبب ظهور لقب أمير المسلمين بعد ذلك. وقد عرف هذا اللقب قبولاً في المغرب مع المرابطين، فجاء تعبيراً عن موقف سلطة سنية تقبل، على الرغم من عظمتها، أن تحتد من استقلاليتها، ولو في الشكل، وأن تعترف بسيادة الخلافة العباسية.

٣ - **أمير الأمراء**: هو اللقب الذي منحه الخليفة العباسي الرضا سنة ٨٣٢٤/٩٣٦م إلى ابن رائق، عندما سلمه السلطات العسكرية والاقتصادية. وهذا ما أفسح في المجال أمام ابن رائق ليمارس على الخلافة وصاية نائمة. وبين سنتي ٣٣٣ و٤٤٧هـ/٩٤٥ و١٠٥٥م، بقي اللقب قائماً يحمله أفراد الأسرة البويهية الإيرانية، ويمارسون صلاحياته. والمرحلة التي مورس فيها هذا النوع من السلطة تشكل ظاهرة بارزة في التاريخ

ذلك طريقاً يختلف عن ذلك الذي كان قد سلكه قبله مجدد آخر، سيد أحمد خان، الذي كان يميل إلى جعل الإسلام غربي الطابع، في حين أن أمير علي كان يرى في الإسلام نفسه نوع كل تطوّر. وفي هذا المجال وضع مؤلّفين كان لهما صدامهما في الغرب. جاء الأوّل بعنوان «روح الإسلام» (The Spirit of Islam) كتبه سنة ١٨٩١ وطبع أكثر من مرّة، والثاني عنوانه مختصر تاريخ العرب «A short History of the Saracens»، طبع سنة ١٨٩٩.

أميركا، قارة بقيت زمناً طويلاً يجهلها المسلمون، وإليها أدخلت الهجرة حديثاً مجموعات إسلامية توارثت أقليات لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من السكان. والواقع أنه، باستثناء حاليين تمثّلان في جمهوريتي سورينام وغويانا وبنسبة أقل في جزيرتي ترينيداد وتوباغو من أوغيبيل الأنبل، لا يجمع المسلمون إلا عدداً قليلاً جداً. وحتى الذين استوطنوا أميركا الشمالية والجنوبية وشكّلوا مجموعات تتكلّم العربية، بعدما بدأوا يفدون من لبنان وسوريا وفلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر، فإنهم كانوا بغالبهم من المسيحيين، ولم يكن بينهم إلا عدد قليل من المسلمين.

إلى أولئك المسلمين الذين هاجروا من الشرق، يجب أن نضيف السود في الولايات المتحدة الذين اعتنق بعضهم الإسلام وانضمّوا إلى حركة المسلمين السود.

الأمين، محمد، سُمّي في ما بعد بالمخلوع (١٧٠-١٩٨/٧٧٧-٨١٣م)، هو سادس الخلفاء العباسيين، تسلّم الحكم سنة ٨١٣/٨٠٩م ووقع نزاع بينه وبين أخيه المأمون انتهى بخلعه وانتصار المأمون. والده هارون الرشيد وأمّه أميرة عربية من الأسرة الهاشمية، وصلته الخلافة بخيار من والده وبموجب قسم البيعة المسبق، مع التزامات علنية وخطية تعهد بها هو وأخوه المأمون وأودعت الوثائق في مكة.

وما إن قدم بغداد، مباشرة بعد وفاة الرشيد في طوس، حتى بدأ الخليقة الجديد سياسة اتّسمت بالخفّة، محاولاً بالقوّة نزاع حق أخيه المأمون في ولاية العهد.

صوفي علويّ الثّشب وشخص ورج، اكتسب احترام السلاطين العثمانيين قبل أن يصبح شفيماً لمدينة بورصة. جاء من بخاري إلى الأناضول، بعد أن كان قد التحق بالطريقة الكبريّة وأقام في المدينة المنورة بعد أداء فريضة الحج، ثم استقر في بورصة، عاصمة الدولة العثمانية الأولى آنذاك، حيث اكتسب تقدير علماءها وشيوخها. وقد تزوّج السلطان المحارب بايزيد الأول بلدرهم من ابنته، في زمن كان السلاطين العثمانيون يبنون خوانق من داخل المجمعات الملكية التي كانوا يشيّدونها والتي كانت تضمّ مساجد وزوايا، كما كانوا يعتمدون على أهل الطرق الصوفيّة من الدراويش. وكان هؤلاء يشجعون الحملات الحربيّة في البلقان، باسم الجهاد، ويشاركون فيها عند الحاجة. مكث أمير سلطان، بعد هزيمة بايزيد في معركة أنقرة ضد تيمورلنك، في بورصة حيث ساند مراد الثاني حين تسلّم العرش عام ١٤٤٢م، وخلال محاولته الفاشلة لمحاصرة القسطنطينية. وقد أقيم فوق قبره الذي غدا مقصداً للزيارات التقويّة ضريح رائع، ما لبث سليم الثالث أن بادر إلى توسيعه عام ١٨٠٤، وهو ما يزال قائماً حتى اليوم.

أمير علي (سيد)، عُرف في الغرب باسم سيد أمير علي (١٨٤٩-١٩٢٨): مفكّر هندي مجدد كان له في بلاده دور سياسي بارز. وقد وضع مؤلفات باللّغة الإنكليزية فيها تمجيد للإسلام. ويرجع أمير علي في الأصل إلى أسرة شيعيّة وفدت من خراسان إلى البنغال. وبالقرب من كلكتا بدأ دروسه ثم أكملها في بريطانيا بين سنتي ١٨٦٩ و١٨٧٣، وأصبح بعد ذلك محامياً وأستاذاً في الشّرع الإسلامي. وفي سنة ١٨٨٣ اختير مع ثلاثة هنود ليكونوا مستشارين لنائب الملك، وكان المسلم الوحيد في المجلس الاستشاري. إلا أنه انتقل إلى لندن سنة ١٩٠٩ وبقي فيها حتى وفاته.

في سنة ١٨٧٧، أسس الجمعية الوطنيّة المحمديّة (The National Muhammadan Association) التي جعلت هدفها الدفاع عن مصالح المسلمين والعمل على تقوية أواصر الأخوة والمودة بين أبناء الهند. دافع عن إسلام عصري ومُحضّر، وقد سلك في

الوقت الذي كان فيه نظام الأمباطورية البيزنطية ينحدر ويضعف تدريجيًا.

مع ظهور الإسلام، تحوَّلت بلاد الأناضول إلى أرض تحاصرها الحروب، وتنقل، عبر حدود متحركة، السلطة التي يمارسها عليها الخلفاء، من الأمويين إلى العباسيين، وكذلك سلطة الممالك التابعة لأولئك الخلفاء. ثم بدأت موجات الغزوات الكبيرة الصاعدة من آسيا الوسطى تندفق على المقاطعات الشرقية والوسطى عبر إيران.

لقد مرَّت الأناضول في ثلاث مراحل حدثت مصيرها. كانت أولًا منطقة في حالة حرب مستمرة جعلت بعض أطرافها خاضعًا لاحتلال الجيوش الإسلامية، وعرضة لغزوات القبائل العربية الإسلامية من سوريا والعراق. ثم تحوَّلت إلى معقل قوي للإسلام تنقسمه إمارات متخاصمة. وفي هذا الوقت بدأت القبائل التركية، في ظلّ السلاجقة والإيلخانيين، تنجح ما كان يُعرف عند الجغرافيين العرب باسم بلاد الروم. أمّا في المرحلة الثالثة فأصبح الأناضول مركزًا لدولة عسكرية وتوسعية ذات طموحات كبيرة، هي السلطنة العثمانية، عملت من القرن الخامس عشر إلى القرن العشرين على توسيع مداها في آسيا وأفريقيا وأوروبا، إلى أن بلغت حالة الضعف والتفتت. ولكنها لم تستطع أن تُحسن قاعدة حكمها الأساسية، أي الأناضول. خلال هذه المراحل كان تطوّر الأسلحة والتتريك كافيًا للسماح بولادة قومية تركية راسخة خدمت مخططات أتاتورك الذي جعل من أرضروم ثم من العاصمة أنقرة مقرّين لولادة تركيا المعاصرة.

قبل ذلك بكثير، ومنذ القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، قُنع باب المرحلة الأولى التي ذكرناها والتي حققت نجاحًا مؤقتًا، خلال الفتوحات الكبرى، للجيوش العربية - الإسلامية التي نُوِّلت حتى القسطنطينية وحاصرتها من دون جدوى، ولكنها استطاعت أن تحتلّ منطقة أرضروم بصورة دائمة. ومن هنا امتد نفوذ خلفاء بغداد، في عهد قوّتهم، نحو أرمينيا وجيورجيا والممالك المحيطة بأعالي وادي دجلة. وأرغم أصحابها على دفع الجزية. ثم إن مناطق حدودية

وكان هذا الأخير قد عُيِّن حاكمًا مستقلًا على خراسان وسائر الولايات الشرقية.

وقد أثقل صراع الأخوين كاهل الخلافة، وأذى إلى كوارث حرية، وانتهى بمقتل الأمين. والحدث الأبرز في ذلك الصراع كان حصار بغداد سنة ١٩٦/٨١٢م من قبل جيش المأمون، والذي انتهى بخراب المدينة المستديرة بعد أن استمات أتباع الأمين، ولا سيما العرب منهم، في الدفاع عنها. ويبدو أن الخلاف بين الأخوين لا علاقة مباشرة له بالمسألة العربية الفارسية. والواقع أن الصورة التي انطبعت في أذهان الأجيال اللاحقة عن الأمين، هي أنّه كان حاكمًا فاسدًا، يرتاح إلى معايشة عدد من الشعراء الماجنين، في طليعهم أبو نواس، وكان شغوفًا بالثقافة العربية ولا يكثر لفضايا الدين والعقيدة. وهو لم يكن قادرًا على فرض سلطته في مرحلة اتّسمت بالصعوبة، حتى إنّ أخاه المأمون، على ما نحكي به من ذكاء ومهارة وحسن تدبير، وجد صعوبة كبيرة في فرض سلطته وتفكيره الشخصي على معاصريه.

الأناضول (في التركية أنادولو)، من اليونانية «أناتولي» Anatoli وتعني الشرق، منطقة واسعة تُهي القارة الآسيوية عند أوروبا من جهة البلقان، دخلت الإسلام تدريجيًا على أيدي الأتراك، ابتداء من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، وهي تمثّل اليوم كامل مساحة الجمهورية التركية تقريبًا.

وطبيعة الأناضول تغلب عليها الهضاب العالية المجدية التي تعزلها حواجز طبيعية عن البحار المختلفة المحيطة بها، من البحر الأسود حتى البحر المتوسط الشرقي، ولا يفصلها عن مقاطعة ترابيا التركية في أوروبا إلّا مضيق البوسفور ومضيق الدردنيل، وهما يحيطان ببحر مرمرة. ومن القسم الذي يبدأ ببحر إيجه حيث تتراكم الذكريات القديمة لآسيا الصغرى الغنيّة، إلى الأحواض العليا لهري دجلة والفرات، في مناطق يصعب بلوغها على حدود بلاد ما بين النهرين العليا وأوائل القوقاز، تشكّل الطبيعة مظهرًا متقلّبًا متغيرًا في المناظر والمتاحات. وهذا الواقع قد يفسّر النزاعات الداخلية وفوضى تطوّر البلاد في القرون الوسطى، في

الطريق إلى البحرين الأسود والمتوسط، وأن تزداد غنى بسيطرتها على طرق القوافل عبر الأناضول، كما وضعت يدها على أراضي الأرمن في بلاد ما بين النهرين العليا، وأحرزت انتصارات على الأتوبيين وعلى الخوارزمشاهيين. هذا التطور جعل الإسلام يشمل القسم الأكبر من الأناضول في منتصف القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد. وتبع ذلك تدفق عناصر التركمان من جديد، بعد انتصار المغول في معركة «كوز داغ» (٦٤١هـ/١٢٤٣م). وفي المرحلة اللاحقة جاء التقسيم السياسي للبلاد ليسمح لكل إمارة من الإمارات التركية المحلية بأن تقيم بؤرة ثقافية فنية تنافس بها الدول التركمانية في الشرق، في الأناضول وأذربيجان، كدولة القراقينلو ودولة الأقباقينلو. وكان التطور الذي عرفه الأناضول على الصعيد السكاني قد اكتمل عند زوال تلك الإمارات بانتصار العثمانيين، على الرغم من أن مجيء تيمورلنك يسرّ لعدد منها بعض الاستمرار.

إن التنوع البشري في شبه جزيرة الأناضول، بعد الأسلمة والتفريك، بقي قائماً خلال المرحلة الثالثة التي انتهت معها الفتوحات العثمانية وامتدت إلى المناطق المجاورة في مطلع القرن السادس عشر. ومنذ ذلك التاريخ بدأت خصائص نظام مركزي، سياسي وإداري، تبرز في الأناضول، من دون أن يمنع ذلك التمييز بين المقاطعات المتمتدة والمنفصلة التي أطلق عليها اسم إيالات ثم ولايات، والتي انقسمت كل منها إلى سناجق أو ألوية، وذلك وسط مساحة واسعة بقيت فيها المناطق الغربية والوسطى والشرقية تتضارب جغرافياً وإتياً. واستمر التباين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في تزايد، إلى أن تم التحول الجذري العميق، في القرن العشرين، بانتقال الدولة العثمانية إلى واقعها الجديد والمتمثل في الجمهورية التركية.

«راجع المستندات ٨ و ١٠ و ١٢ إلى ٢٠ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٨١».

الأندلس. في العربية جزيرة الأندلس التي كانت تعني شبه الجزيرة الإيبيرية. وينطبق اللفظ على إسبانيا والبرتغال وهما الدولتان اللتان كانتا تشكلان قسماً

أخرى تنظمت في الوقت نفسه عسكرياً، في سوريا وأعالي ما بين النهرين انطلاقاً من تقسيمات الأجناد، وشكلت حواجز وافية معتمدة عدداً من المدن المحصنة مثل أنطاكية ومنبج. وهذا ما جعل الثغور في كيليكيا وأعالي دجلة والفرات متينة تقف في وجه الهجمات البيزنطية وتدعم الحملات الجهادية على كبادوكيا وما حولها. لكن الهجمات البيزنطية، في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وأوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أفقدت المسلمين أراضي الأناضول تقريباً بكاملها.

وقد اتخذت المرحلة الثانية منحى مختلفاً، وبدأت مع وصول الغز التركمان الذين كانوا قد بنوا في إيران والعراق أمبراطورية شرقية قوية خضعت، بدون انضباط، لسيطرة السلاجقة الكبار. وقد هزم السلاجقة جيش أميراطور بيزنطية في معركة ملازكوت/مانزيكيرت، وراحوا يتوغلون عشوائياً داخل البلاد. فأسلمت المناطق المحتلة من الأناضول، في مدد غامضة؛ ثم تحولت إلى ساحة صراع بين أسiad الحرب، إلى أن استطاع سلاجقة الروم القضاء عليهم، وهؤلاء السلاجقة هم السلاطين الذين كانوا يحكمون مقاطعة قونية في الجنوب.

لا شك في أن قوة بيزنطية تعرضت فقط للاهتزاز، لكنها أفادت من مرور الحملة الصليبية الأولى وانتصارها في معركة «دوريليه» (٤٩٠هـ/١٠٩٧م)، فاستطاعت تحرير غربي الأناضول من سلطة الأتراك، فحوصر هؤلاء، لمدة داخل الهضاب الداخلية المرتفعة. وقد تمكنت مملكتان يونانيتان، واحدة في نيقيا وأخرى في طرابزون، من أن تثبتا في الوقت الذي أصبحت فيه القسطنطينية بيد الصليبيين، وذلك في سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م. كما أن مملكة مسيحية جديدة، هي مملكة أرمينيا الصغرى، قامت على سفوح طوروس وفي سهل كيليكيا، مستفيدة من الصراع ضد المسلمين الذي كانت تقوم به الإمارات اللاتينية في سوريا الشمالية منذ العام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، على أثر الحملة الصليبية الأولى. إلا أن جُزء المقاومة تلك لم تحل إجمالاً دون استمرار المد الإسلامي وسيطرته.

استطاعت الدولة السلجوقية في قونية أن تفتح

مع العالم الإسلامي في حالة اتصال واحتكاك، عن طريق المواجهات الحربية وعبر التفاعل الفكري والنبات والحيواني. وقد بقي التفاعل الفكري قائماً حتى في المرحلة التي كان فيها الإسلام يتكهن أمام الهجمات الشمالية. والممالك المسيحية التي احتلت البلاد بعد ذلك عمدت إلى حفظ معارف يعود بعضها إلى اليهود القديمة وكانت قد نُقلت من اليونانية أو السريانية إلى العربية. وهي تُصنّف عادةً ضمن إرث الإسلام الأيبيري. ومقابل ذلك لا تزال أرض الأندلس تحفظ آثاراً ومعالم هندسية إسلامية، وأبنية قائمة في قرطبة وإشبيلية وغرناطة، فضلاً عما تركه الفن المدجن بعد ذلك. وهذا ما ساعد الباحثين الغربيين، منذ القرن التاسع عشر، على التعرف إلى الفن الإسلامي.

ولم تكن فريدة هذا الوضع إلا الشئ على فريدة أخرى جعلت الأندلس في القرون الوسطى تمتاز عن المناطق الإسلامية القريبة أو البعيدة. وهذه الفريدة هي فريدة مقاطعة ترتبط ثقافياً بالعالم اللاتيني، وقد حافظت جزئياً على لغتها وروحها وعاداتها، مع تعريب وأسلمة واجهتهما صعوبات ناتجة عن المقاومة الشعبية. ولا شك في أن التعايش بين عناصر دخيلة وأخرى أصيلة لا يختلف في المبدأ عما اختبرته، في المرحلة عينها، أو بعد ذلك، في العالم الإسلامي، مقاطعات أخرى بعيدة عن المركز، وكذلك مناطق حدودية. وقد عرف الإسلام الفاتح كيف يتغذى من المتابع المتنوعة. لكن ضخامة المؤثرات المتبادلة والمتزايدة على المداخل الأسبوعية تجاوزت، بفضل الاجتياحات المتتالية، تلك التي نعت على بيتانها في المناطق البرتغالية والإسبانية.

برزت المشكلات السكانية في الأندلس منذ البداية أكثر حدة من سواها في أماكن أخرى. والسبب هو أن جيوش الفتح لم تكن عربية خالصة، بل كانت بربرية أيضاً، وقد قامت المنافسة والخصومة بين الفريقين حول الاستئثار بالأماكن والأراضي التي احتُلت. ثم إن المهزومين المسيحيين ظلوا على مقربة من الممالك الإسبانية المسيحية التي كانت تقدمهم بالمساعدة عند الاقتضاء. وقد عُرفوا باسم المستعربين لأنهم تعربوا سريعاً مع حفاظهم على لغتهم الرومانية. حتى الذين

من العالم الإسلامي في القرون الوسطى. والنزول الأول للفرق العربية البربرية، في عهد الفتوحات الكبرى، كان بداية لتاريخ طويل ومضطرب في تلك المناطق. وبعد عصر ازدهار عهده القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، خلال حكم الإمارة ثم الخلافة الأموية في الغرب، أو في قرطبة المعروفة أيضاً بخلافة المرمايين، تقسّمت الأندلس إلى دويلات إسلامية مستقلة متناحرة، فُهرت المرحلة باسم عصر ملوك الطوائف، ورافقت ذلك الوضع حروب الاسترداد التي شنتها الممالك الإسبانية. وقد زالت تلك الدويلات بعد أن ضمها المرابطون إليهم، ثم الموحدون؛ ولم يبقَ وافقاً في وجه القوى الإسبانية إلا آخر ممالك الجنوب، وأهمها المملكة الصربية في غرناطة.

ولغة الأندلس، التي يكتنف معناها الغموض، لا علاقة لها باسم القندال كما يفكر بعضهم، بل يشير المعنى إلى «الأرض المغروزة» أي التي كانت مقسّمة قبل الفتح. وتأتي الكلمة في أساس تسمية أندلوسيا الحديثة التي تُطلق على المقاطعة القريبة من المغرب والتي حضنت مراكز إسلامية كبيرة، كقرطبة وإشبيلية، قبل أن ينحسر الوجود الإسلامي إلى غرناطة وما حولها حتى أواخر القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، أو حتى رحيل الموريسكيين النهائي سنة ١٦١٠. وكانت الأندلس، في العصور الأولى للإسلام، تشمل مقاطعات أخرى عدّة، بينها الثغر الأوسط الذي كان ساحة صراع باكراً وأصبح يُعرف باسم قشتالة الجديدة بعد سقوط مُلْكِيَّة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م؛ ومنها الثغر الغربي الممتد من قُلْمَرَة إلى إشبيلية مروراً بعمارة وبظليوس، وهو ما يُعرف باسم غرب الأندلس الذي بقي منه في البرتغالية اسم «الغرب» Algarve؛ كما نذكر أخيراً الثغر الشرقي الذي يضمّ مناطق واسعة تمتد من سَرْقُطَة إلى نُلُفْسَة ومُرسية، وقد عُرف باسم شرق الأندلس، وبهذا الثغر ارتبطت جزر البليار.

مالت الأبحاث التي وُضعت في الغرب حول تاريخ بلاد الأندلس وحضارتها إلى إبراز النواحي المهمة وإلى تفصيل مختلف الظواهر. وكان من الطبيعي أن توضع دراسات خاصة حول البلاد التي بواسطتها دخلت أوروبا

جهد حكّام الأندلس الأقوياء، ابتداء من الأوائل الذين ارتبطوا بسلطة الخلافة المركزية في الشرق، مرورًا بالامارة في قرطبة ابتداء من العام ١٠٣٨هـ/٧٥٦م. ثم بالخلافة بين ٣١٦ هـ/٩٩٩ و ١٠٠٩م. في توفير البناء السياسي والإستراتيجي لدولتهم المركزية، وكان عليهم أن يواجهوا دائمًا مصاعب داخلية قوية أبرزها الثورات ومظاهر التمرد والفكّك.

وقفت الخصوصيات المتنوعة حاجزًا في وجه الازدهار الذي تجلّى في أحلى صورة في الانجازات التي حقّقها عبدالرحمن الثالث خلال ملكه الطويل، وذلك في الأبنية التي أعلمها داخل عاصمته، وفي مدينة الزهراء التي شيّدها لنفسه وجعلها مقرًا له، كما في ازدهار الحياة الفكرية والأدبية. فقد انفتح الأندلسيون على الثقافة العباسية البغدادية بعدما وفد من المشرق الموسيقي والمغني المشهور زرباب، وعرف الأندلس عددًا من الشعراء والكتاب منهم ابن عبد ربّه. وكان التمتع في التأمل الديني، الصوفي والفلسفي، يتسم بالتقليدية والشروعية ويمثّل مواقف المدرسة المالكية المنتشرة هناك، وهذا ما تقع عليه في أبحاث عدد من المعكّرين كإبن مسرّة.

استمرّ الازدهار في الذروة على عهد الحكم الثاني، وبعد ذلك في ظلّ الحاجب المنصور، ثم حلّت الفوضى والصعوبات من كل نوع. وكانت النتيجة قيام عدد من الدويلات شبه المستقلة، في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، تتصارع في ما بينها سعيًا للتوسّع والتفوّق، وتعتمد كلّ منها على مدينة كبيرة أو على منطقة، وترتبط مصيرها بمصير أمير طموح من الأمراء العرب أو البربر الذين عرفوا باسم ملوك الطوائف. نذكر من بينهم الحموديين في مالقة، والعباديين في إشبيلية. وبنو زيري في غرناطة، والجهنوريين في قرطبة، وبنو الأفطس في يافلّوس، وبنو ذي النون في طليطلة، والعامريين في بلنسية، والشجيبين وبنو هود في سرقسطة. وفي هذا الوقت راحت المساحة الإسلامية تنحسر، في حين أنّه لم يكن خارج سلطة الإسلام من قبل سوى المناطق الواقعة على أقدام جبال اليريبته وبلاد الباسك وسواحل كُنْتَرِبْرَا. وهذه المناطق نفسها

تقبّلوا الاسلام وعُرفوا باسم المولّدين لا المرالي، استمروا بتكلمون لغتهم الرومانية ويكتبونها بالأحرف اللاتينية. وأحيانًا بأحرف عربية ولفظ روماني. وهذا ما جعل الإرث الثقافي الأسباني يترك بصماته على الثقافة العربية الأندلسية الجديدة. يضاف إلى ذلك أن الأمراء الأمويّين كوّنوا لهم حرسًا من الأرقاء المحاربين، من أصل أوروبي، وهم الصقالبة الذين بقي على رأسهم قائد مسيحي، على الأقلّ حتى حدود سنة ٢٠٧ هـ/٨٢٢م.

ومهما كنن المشكلات التي نتجت عن عدم التجانس السكاني، فإنّ إقامة المسلمين في إسبانيا ساهمت في تطوّر مدنيّ له طابعه الخاص. فقد أنشئ عدد قليل من المدن الجديدة، منها ألمرية وتغلبّوس ومرسية ومدينة سالم وقلعة أبواب، التي تشير أسماؤها الحالية إلى أصل عربي. والواقع أن تلك البلاد كانت، منذ العصور القديمة، عامرة بالمدن، والقسم الأكبر من المراكز السكانية التي كبرت بعد الفتح كان عبارة عن مدن قائمة، حافظت على وجودها وأسمائها. وهناك مدن أبقت على أسمائها اللاتينية مثل بلنسية وماردة وسرقسطة، ومدن أخرى حملت أسماء إيرانية وظلّت فيها معالم أثرية سابقة للإسلام، كمدن إشبيلية وطيطة وقرطبة. وهذه الأخيرة اختارها الأمويّون عاصمة لهم، وأقاموا فيها قصرًا قرب كنيسة القديس منصور (Vincent) التي نفّسها، في البدء، المسلمون والمسيحيّون، ثم انتزع المسلمون القسم المسيحي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م وحولوا الكنيسة إلى مسجد جامع. فالإنجازات المدنية كانت إذا ثمرة تطوّر تاريخي متكامل دمجت تقاليد متنوعة، وتلازمت مع الغنى الاقتصادي الذي تحقّق بفضل استخراج المعادن، والمحاصيل الزراعية، والنشاط الحرفي والتجاري، وذلك داخل بقعة جغرافية كثيفة ضخمة تقاطعها سلاسل جبلية وعرة ومجموعة أنهر وأودية. وانقسامات الطبيعة للبلاد ساعدت على التمييز بين المقاطعات الكبيرة وعلى تمزّجها، في حين كانت التقسيمات الادارية قائمة على تنظيم عسكري دقيق، شبيه بالتقسيم السوري للدوائر أو الجند، لكنّ هذا التقسيم ثم يقضي على حيوية المحاور المحلية.

وهذا التفتّن من كل نوع ترافقا مع حضارة راحت تضعف وتتكشف، برغم محاولات مدّ الوجود الإسلامي قرنين إضافيين.

أما مملكة غرناطة الإسلامية التي احتضنت وراء الجبال الضخمة وأحاطها المتوسط من جبل طارق إلى المرية، فإنّها في النواقع كانت في حالة حصار، ولم يستطع العالم الإسلامي حمايتها إلا بصعوبة، وسط المواجهات الحربية والمؤامرات السياسية. ومع ذلك بدا الملوك النصرئون معيّرين في نظر العالم الغربي المعاصر، وأصحاب شهرة وإشراق، كما استطاعوا أن يكونوا حُماة العلوم والآداب. وفي المرحلة الأخيرة من ذلك التطوّر السائر في اتجاه لا يمكن تغييره، دوّن المؤرّخ والعالم الاجتماعي ابن خلدون مشاهداته وملاحظاته، كما دوّن ابن الخطيب للحقبة نفسها. أما الرمز الباقي - وهو قصر الحمراء على مرتفع غرناطة، فلا يكفّ عن إثارة الحنين، وبعث الذكريات التي لا تخلو من الألم.

❖ راجع المستندات ٨ و ١٠ و ١١ و ١٥ و ١٦ و ٥٠ و ٥١ و ٦٩.

أندلوسيا، اسم مقاطعة حالية في جنوب إسبانيا، تنطبع بعمق بالآثار والذكريات التي تركتها السيطرة الإسلامية التي دامت أكثر من سبعة قرون. والاسم الذي تحمله اليوم مقاطعة «إنيكا» الرومانية مشتق من اسم الأندلس العربي الذي أطلق في النهاية على المملكة النُصْرُوة الإسلامية وجدها، وهي المملكة التي استمرّت قائمة حتى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. وهذه المقاطعة القريبة من المغرب عرفت الفتح العربي قبل سواها، بعد أن اجتاحتها المسلمون منذ سنة ٩٢هـ/٧١٠م، عن طريق [جزيرة] طريف كما عن طريق جبل طارق. وضمت بعد ذلك أكثر المراكز الإسلامية أهميّة، ولا سيّما قرطبة وإشبيلية، إلى جانب مراكز أخرى شكّلت قلاعا منيعا مثل جيان، أو مراغة محصنة مثل ولة والجزيرة [الخضراء] ومالقة والمرية، والتي كان لها، على مرّ العصور، دورها في الدفاع عن الأندلس.

أندونيسيا أو الهند الشرقية، مجموعة واسعة من الأراضي في جنوب شرقي آسيا، تصل بين أرخبيلات

تعرّضت - غير مرّة، لحملات وغزوات وصل بعضها إلى فرنسا، لم تخفّ حدّتها إلا بعد معركة بواتييه سنة ١١٤٨هـ/٧٣٢م. وقد أدّى سقوط مدينة طليطلة بيد الملك القشتالي ألفونسو السادس سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م إلى تدخّل للمرابطين ناجح ومفجع مفا. فقد نزّلوا من المغرب ليستصروا على ملك قشتالة في معركة الرّوْلَاقَة، ولكنهم فُضوا بعد ذلك على ملوك الطوائف من أجل ضمّ ممالكهم.

على الرغم من الوحدة التي استعيدت ظاهرياً، فقد بدأت بلاد الأندلس عهداً يُمَدُّ الأكثر اضطراباً. فحروب الاسترداد ازدادت ضعفاً من كلّ جهة، والموحّدون الذين بسطوا سلطانهم على الأندلس مكان المرابطين بعد القضاء عليهم في المغرب، لم يتوصّلوا إلى إيقاف الانحسار برغم انتصارهم في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م. والهزيمة التي مني بها الموحّدون في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م أنذرت بقرب سقوط مدن الأندلس: قرطبة سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م، وبلنسية سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م، وإشبيلية سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م. والطريف أنّ هذه الكوارث المتكرّرة التي كُرّست نهاية عهد شهد قتالاً متواصلًا بين الأمراء المحليين، إلى جانب نقل الضغط على الإسلام الأندلسي، كانت حافزاً على قيام نشاط فني وأدبي وفلسفي من نوعيّة ممتازة.

فالإ جانب الفقهاء الذين كثر عددهم، برزت شخصيات ركّزت على العلوم الفلسفية وعلى الصوفيّة، كابن باجه، وابن طفيل، وابن زهر، وابن رشد، وأبي فائز وابن العربي، وابن سيعين المُرْتَسِي. وإلى جانب أعمالهم الفكرية المتنوعة، اشتهر هؤلاء بثقافة شعريّة شعبيّة وخاصة. ولا بدّ كذلك من ذكر أسماء الأمراء الشعراء كالمعتمد بن عبّاد وندمان، ومن ذكر الأدباء أصحاب الموضوعات المتعدّدة كابن حزم، والشعراء المتجوّلين المجّان كإبن قُزّمان. ثمّ إنّ العاطفة المتأجّجة التي قلّما نفع على مثيلها في القصائد العربية الأخرى، ودقّة وصف الطبيعة بتفاصيلها، والتعبير عن الحب بتقلّباته وأنواعه، كلّها جاءت تردّد في نظم غنائي قائم على الموشحات والأزجال، مع تزيين الرميّة بألفاظ أجنبيّة من اللغة الرومانيّة. إلا أن هذا الإفراط في اللباقة

خلال المرحلة الممتدة بين القرنين التاسع والحادي عشر للهجرة/ الخامس عشر والسابع عشر للميلاد، كان الإسلام يترسّخ إذاً في أندونيسيا، سواء في الدول التي يسيطر عليها اقتصاد زراعي أو في المدن المرفئية المختلطة التي تستقبل الحركة التجارية. وقد اعتُمد الحرف العربي لكتابة اللغة الجاوانية، وأتبع المسلمون مبادئ المذهب الشافعي في حياتهم، مع التزام جزئيّ بعادات البلاد: فالإسلام الأندونيسي يحتفظ، حتى اليوم، بطابع خاص يتميز بأهمية التصوّف، واستمرار تقاليد محلية كثيرة.

في القرن التاسع عشر وبداية العشرين، نظّم الهولنديّون ما كانوا يدعونه الهند الهولندية، لكنّ ذلك الإجراء لم يمْزِ سلاماً، بل حصلت ثورات محلية متتابعة، كان في أساس بعضها مسلمون أصليون يستلهمون الحركة الوثائقية التي كانت تنتشر في الجزيرة العربية. وشيئاً فشيئاً، تعاظمت كذلك الحركات الوطنية التي نشأت قبل الحرب العالمية الأولى وشارك فيها المسلمون.

هذه الحركات استمرّت في التنامي حتى الحرب العالمية الثانية، وأدت بعد الاحتلال الياباني (بين ١٩٤٢ و١٩٤٥)، إلى إعلان الإستقلال، في ١٧ آب ١٩٤٥، ثمّ إلى تأسيس الجمهورية الأندونيسية الموحدة، في آب ١٩٥٠، وبذلك وُضع حدّ للنظام الفيدرالي الذي كان الهولنديّون قد حاولوا إرساءه. ومع ذلك، فإنّ ثلاث دول واقعة في جزيرة بورنيو ولم تكن جزءاً من الهند الهولندية القديمة، اختارت إمّا الانضمام إلى الاتحاد الماليزي، وإمّا البقاء مستقلة، وعلى الحياد بالنسبة إلى القوى المجاورة، كما هي حال سلطنة بروناي.

٢- الجمهورية الأندونيسية الحالية، مساحتها ١٩١٣٠٠٠ كلم^٢، وعاصمتها جاكارتا، تضمّ في دولتها المستقلة، مجموعة الجزر التي تحمل الاسم عينه، والتي يسيطر فيها المسلمون سيطرة شبه كاملة، إذ يشكّلون، من دون شك، ثلثين بالتمّة من السكان الذين يزيد عددهم عن ١٨٠ مليون نسمة.

وهي تجاور، من جهة، اتّحاد ماليزيا ذا الأقليّة الإسلامية، وتتقاسم معه جزيرة بورنيو الواسعة؛ ومن

عذّة والجزر الكبرى: سومطره وجاغا وبورنيو. يتوزّع سكّانها ذوو الغالبية الإسلامية في جمهورية أندونيسيا، والاتّحاد الماليزي، وسلطنة بروناي.

١- إنّ الاتّصالات الأولى بين هذه المناطق والمسلمين، ثلثتْ تطوّر المواصلات البحرية التي حصلت في القرون الوسطى بين العراق، على عهد العباسيّين، والصين؛ ويبدو أنّها تعود، على أقلّ تقدير، إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إذا استندنا إلى النقوش الكتابية. إنّ الدّول الإسلامية الأولى في سومطره تعود إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بحسب المصادر المكتوبة. وفي ما بعد، ظهرت في جزيرة جاوه، في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، دول أخرى إسلاميّة يعود تأسيسها إلى تسعة رؤساء دينيين اعتُبروا مرسلين لهيئتين. ونشوء هذه الجماعات الإسلامية مرتبط، من جهة أخرى، بنشاطات تجارية إسلاميّة كانت قائمة بين الهند والشرق الأقصى، توافقت مع أهداف سياسيّة.

عرف التوسّع الإسلامي تقدّماً جديداً في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، في جاوه حيث ازدهرت أربعة مراكز مهمّة. وفي الوقت نفسه، سنة ١٥٢٨/ ٩٢٢م، استولى عدد من السلاطين على بروناي، وعلى أراضي أخرى في بورنيو. وفي القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد، توسّعت ممالك سومطره، لا سيّما حول مرفأ أنجّه حيث تجمّع المسلمون قبل ذلك بقرن لمواجهة مشاريع البرتغاليّين. وفرض السلطان «اسكندر مودا» (١٦٠٧-١٦٣٦م)، أو الاسكندر الجديد، سلطته على مراكز تجارية عذّة في شمال أو غرب الجزيرة، كما فرض احتكار البهار، لكن من دون أن يتمكّن من الاستيلاء على ملّاكا، التي يملكها البرتغاليّون. وفي جاوه، بسط أيضاً حُكّام الداخل المسلمون، في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، سلطتهم على كامل البلاد تقريباً، باستثناء القلعة الهولندية باتافيا، جاكارتا ومرفأ باتين. ورغم ذلك، وفي نهاية القرن، تراجع الازدهار التجاري الإسلامي وتقسّمت السلطانات، في حين كانت السيطرة على التبادل التجاري تنتقل إلى الشركة الهولندية للهند الشرقية.

الإنسان على صورته، وجعل الإنسان الكامل روح العالم الذي تجسّد في النبي محمد (ﷺ). فمثال الإنسانية ليس آدم، بل النبي محمد (ﷺ) الذي أنعم الله عليه «بالكلمات الكونية التي هي محتوى الأسماء التي علّمها الله آدم». أمّا الجيلي، فقد جعل الإنسان الكامل «القطب الذي تدور حوله أفلاك الوجود»، وهو واحد لكنه يترأى بأشكال وأسماء مختلفة، وواحد من هذه الأشكال تمثّل في النبي محمد (ﷺ).

الأنسجة الإسلامية، أنسجة غالباً ما طُبعت عليها رسوم كما أنّها مقصّبة ومطرزة، وهي صناعة حرفية كانت منتشرة في العصور الوسطى اشتهرت بمتجانها الفخمة ووجودتها، واستخدمت في المبادلات التجارية البعيدة.

اعتمدت هذه الأنسجة في التبادل التجاري، وغالباً ما صُدّرت إلى ممالك وأميراطوريات غير إسلامية. فكانت، كما السجاد النفيس المنسوج في المناطق عينها، رمز أثبة ونرف؛ كما مثّل أيضاً، في أوروبا المسيحية، الحضارة التي أنتجتها وكترستها لاستعمال الملوك. إنّ البروكار الحريري الذي احتفظ ببعض نماذج منه في كاتدرائيات الغرب الأوروبي، أو نُقلت رسوم بعضه إلى لوحات في العصور الوسطى وعصر النهضة، غالباً ما كان يُصنّع لتزيين صالات القصور بالطنافس، حيث كانت تنافس، من حيث الفخامة، السجاد والأثاث.

وكانت تغطّ من هذه الأنسجة أيضاً ثياب الملوك الفخمة، وزيّات حراسهم، وزيّات كبار الموظفين وأصحاب الرتب العالية، وكذلك ثياب سائر الشخصيات التي تشارك في الاستقبالات الرسمية. إنّ الدور الذي كانت تلعبه هذه الملابس في المراسم تنامي مع التقليد الخليفي الذي برز مع الخلفاء العباسيين الأوائل، والذي كان يقوم على الإنعام على الأشخاص الممراد مكافأتهم أو تكريمهم بسنجم خلع شرف تُعرف بال«طرز»، وهي مزينة بكتابات. هذه القواعد والتقاليد في اللباس أخذت طريقها إلى أوساط الطبقات الميسورة، ولكن على مستوى أدنى، بحيث كان الشخص يشتري، لإبراز مكانته وثروته، ثياباً فاخرة

جهة أخرى تمتدّ أرخبيلاتها بين المحيط الهندي وغينيا الجديدة التي تنقسمها مع بابوايا. إنّ نظامها الرئاسي المتسلّط تبع مرحلة تميّزت بالتجربة البرلمانية، بين ١٩٥٠ و١٩٥٧، بعد أن نشأت تلك البلاد، في آب ١٩٥٠، من الممتلكات الهولندية السابقة في المنطقة. وتميّزت في هذه المرحلة برئيسها المسلم سوكارنو الذي ألغى كلّ وجود هولندي، وأتبع خطّاً معادياً للإمبريالية، يتناسب مع التوجهات التي تأكدت في مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٥، ودشن، على أثر ثورة، مرحلة «الديموقراطية الموجهة»، مُلغياً البرلمان، ومؤمّساً في الوقت عينه شركات النفط، ومحقّقاً الإصلاح الزراعي. إلّا أنّ ثورة جديدة حملت الجنرال سوهارنو إلى الحكم، سنة ١٩٦٥، وقد استند في حكمه إلى الجيش وإلى الأوساط الإسلامية المحافظة.

إنّ الإسلام الذي يحتلّ في الحياة السياسية والاجتماعية في أندونيسيا مركز الصدارة، يتّسم بملامح خاصة، بحيث إنّ كثيرين من المسلمين حافظوا على ممارسات خاصة بهم، تمثل إحياء حقيقيّاً لمرحلة ما قبل الإسلام. فالفرق الصوفية المرتبطة بتصوّف ذي ميول توفيقية، ما تزال زاخرة بالحياة، في حين أنّ الفقهاء أتباع المذهب الشافعي يبدون أيضاً نشطين. هذه الحالة تفسّر السبب الذي من أجله لم تعلن أندونيسيا أنّها دولة «إسلامية»، بل دولة تعترف بجميع المذاهب الدينية المتواجدة على أراضيها.

◀ راجع المستند رقم ٣٠.

الإنسان الكامل - تعبير عربي واضح المعنى تراه به، في الاستعمال العام، الدلالة على «الإنسان المثال» أو «المؤمن الحق». وهذا التعبير ترفده مفاهيم أكثر دقة، طوّرتها أفكار إسلامية تستند إلى أساس معرفي، وتجد نواتها في النصّ القرآني.

أقدم هذه المواقف دافع عنها، في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، منصوّفون أمثال ابن العربي والجيلي، قبل أن تلقى تأليداً أوسع في مرحلة لاحقة. وأكثرها وضوحاً نظرية ابن العربي الذي يرى أنّ الإنسان، وهو ممثل الله على الأرض بحسب القرآن، مكلف بالحماية الإلهية للعالم. وفي الواقع، فإنّ الله خلق

وقد ساهم القطن والقطنيات بألوانها الجذابة في ازدهار مقاطعات بلاد الصغد وما وراء النهر وخراسان التي كانت تغذي، عبر إيران - وإيران هذه كانت مشهورة بأساليب الطباعة على القماش التي كانت تكثر زخارف أنيقة - تجارة تنبج نحو البلاد الإسلامية المنوسطة ومرافقها المفتحة على أوروبا. واتجهت هذه التجارة، في ما بعد، إلى تبريز وطرايزون ومرافق البحر الأسود، بينما أصبحت، في نهاية العصور الوسطى، كل من بلاد ما بين النهرين العليا، والأناضول وسوريا ومصر مناطق لزراعة القطن. وكان سكان تلك المناطق يصنعونه بأنفسهم، ولا سيما في سوريا، وتحديداً في حلب، بحيث أنّ تصدير القطن المصنّع ساهم بشكل ملحوظ في ثراء الدولة العثمانية حتى نهاية القرن الثامن عشر.

وقد شهد مطلع القرن العشرين بقايا لتلك الحيز مع استمرار دواج محلي لبعض الأقمشة الصلبة والملمعة ذات الخطوط المتعددة الألوان، وكانت تدخل في حيكها أنقضية خيوط حربية، وقد استمرت هذه الصناعة النسيجية التقليدية زمناً طويلاً في سوريا الشمالية.

أما الأقمشة الكتانية التي صنعت شهره المناطق التي كانت تهتم بزراعة الكتان وحياته، فكانت، في القرون الوسطى، قليلة الوجود. من هذه المناطق، منطقة البصرة في العراق، وبعض المناطق المصرية مثل تبس في دلتا النيل.

وكان الحرير أثنى إنتاج البلاد الإسلامية، وقد يُجر به أحياناً خائلاً قبل أن يتم نسجه بطريقة مدعة. وكانت الصين، في ما مضى، منذ القدم حتى العهد الساساني، تغذي التبادل التجاري بالحرير شرقاً وغرباً على امتداد طريق القوافل الشهيرة التي تمر آسيا الوسطى وإيران. وقد حافظ هذا المحور الاقتصادي على دور داخل الامبراطورية العربية-الإسلامية عندما فقدت الصين احتكارها تربية دودة الحرير، وعندما تطوّرت أعمال الغزل والنسيج في المقاطعات الشرقية للامبراطورية، ما ساهم أولاً في إثراء بخارى في العهد الساماني، ومن ثم في شهرة الأنسجة الحريرية البوذية التي شهدت على كمال زخرفتها في القرن الرابع للمهجرة/ العاشر للميلاد، بعض القطع التي عُثِر عليها في

أو أنثاً مصنوعاً من أنسجة باهظة الثمن حافلة بالزينة، تناسب الذوق السائد وأساليب الزخرف السائدة في كل عصر.

وكانت بعض المحترفات (دور الطراز) التي تلبّي هذه الحاجات محترفات رسمية تخضع لإشراف بطانة الحاكم مباشرة. لكنها غالباً ما كانت منتشرة في أحياء صناعية أو تجارية في المدن بحيث تؤمّن العمل لأيدٍ عاملة كثيرة، متخصصة إلى أقصى حد، نلبية للمهام المتعاقبة التي يقتضيها تحويل المواد الخام إلى إنجازات فنية. من هذه المهام الغزل والصباغة، فضلاً عن صناعة الأقمشة التي كانت تتفاوت في الرفاعة بحسب توجهها، إمّا نحو نلبية حاجات عامة الناس، وإمّا نحو تلبية رغبات الشخصيات النافذة أو الغنية من حيث جودة القماش، والمعمّرات والزّينات الفاخرة. وفي حين كانت فنون القماش تقتضي حميّة عمال مهرة، عندما يكون المطلوب إنتاج قطع قيّمة، فإنّ تقنيات بدائية استمرت في كل النواحي، كما كانت الحال بالنسبة إلى صناعة السجاد، في المناطق النائية، كما في داخل البيوت الفقيرة في أصغر القرى، وكذلك في خيم البدو، لتأمين الأعطية والنياب للمعالات. كان الصوف، في أغلب الأحيان، هو المستعمل في الحياكة وكان يشكل مادةً أوّلية يؤسّسها إقتصاد عائلي يعتمد على ما توفره قطعان الغنم والماعز والإبل. وكانت الأقمشة، وأحياناً اللبد، تسمى وراء المتانة التي تتطلبها صناعة بعض الأصناف، كصناعة أكياس البضائع مثلاً أو صناعة السجاد. وقد شكّلت الأقمشة مادةً لتجارة حقيقية نشرت نسيج المغرب في أماكن بعيدة، وفي ما بعد، النسيج التركي المعروف بالكليم. أما نسيج المحترفات الفخمة - التي شكّلت شالات كشمير نموذجاً متأخراً لنسيجها وأفادت من ازدهار التجارة الذي عمّ الامبراطورية المغولية، واشتهرت حتى في الغرب الأوروبي خلال القرن التاسع عشر - فكانت في أساس مبادلات تجارية أكثر اتساعاً وشمولاً.

كان القطن أبرز المواد الطبيعية التي حيكت منها الأنسجة بعباية ومهارة، وقد ازداد انتشار زراعته خلال العصور، وتلاه الكتان والحرير اللذين تزايد إنتاجهما.

والمناصفة بين الأنصار والمهاجرين، في حياة الرسول (ﷺ)، كانت قائمة على الرغم من سهره على تهذيبها، وهي التي طبعت، بعد وفاته، بداية الخلافة. وقد كان للأنصار دورهم في الصعوبات التي برزت خلال عملية انتقال السلطة العليا وتنظيم الخلافة.

الأنصاري الهروي، أبو اسماعيل عبدالله بن محمود بن علي ٣٩٦-٤٨١هـ/١٠٠٦-١٠٨٩م، متكلم ومتصوف إيراني، ومن الأولياء المكرمين في هراة حيث قبره.

ولد في هذه المدينة الخراسانية وتلقى علومه على أيدي علماء شافعيين، ثم التحق بالمذهب الحنبلي. وقد أصبح عبدالله الأنصاري من أهم المدافعين عن المبادئ التقليدية، إلى جانب انصرافه إلى التصوف. وفي سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، حج إلى مكة المكرمة، وعرج على بغداد حيث التقى علماءها المختلفين، ثم عاد إلى هراة حيث انصرف إلى تعليم تلاميذه وإلى المشاركة في المناقشات الفقهية والكلامية متصدياً للتعقليين. وقد شفي في حياته باسم شيخ الإسلام، وترك من المؤلفات، إلى جانب كُتُب في الصوفية وضعها بالشر الشعري وبالشعر الفارسي، دليلاً روحياً أسماه «منازل السائرين»، كما ترك مجموعة مناظرات ضد أصحاب علم الكلام. وفي سنة ٤٢٨هـ/١٤٢٥م، بعد مضي زمن طويل على وفاته، وبأمر من الملك التيموري شاعرُخ، شُيِّد له ضريح تحول إلى مقصد للزيارات النفوسية قرب هراة، وأُثِنَ شهرة قرية «غازوغاه» حيث أقام الأنصاري خانقاه.

الإنصاف، العدالة، مفهوم تردد تكراراً في الحضارة الإسلامية والعالم الإسلامي. وقد صيغ هذا المفهوم نظراً للفقه والفكر، بشكل عام.

باسم الإنصاف، كان القضاء يحسمون الخصومات بين الأفراد؛ كما اعتمد، على أساسه، فقهاء المدرسة الحنفية بعض الحلول لمسائل قضائية. فالطريقة الخاصة بهذه المدرسة المسماة «استحسان»، أو البحث عن الحل الأفضل، غالباً ما كانت تركز على هذا المفهوم الذي يتبناه اتباع الفلسفة في التفكير والتطبيق؛ وبالنسبة إليهم يتحدثون الإنصاف من العدالة ويحدثونه على أنه الحياد الواجب على رجل العلم.

مدينة الرزي الأثرية. وكانت آنذاك بغداد والقاهرة الفاطمية تشكلان أحدى الأسواق المركزية لهذه الصناعة الحرفية التي استمرت مزاولتها في المناطق الإيرانية، وكانت قد انتقلت أيضاً إلى مصر وسوريا، بل إنها وصلت إلى أبعد منهما، فشيدناها تزدهر في قصور حكام الأندلس المترفة؛ وأيضاً في صقلية حيث عمل الملوك النورمان على المحافظة على التقاليد الفنية والحرفية السابقة.

وتركزت تربية دود الحرير في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد في الأناضول، خلال حكم سلاجقة الروم وفي عهد خلفائهم. وهناك احتوت قونية ثم بورسه وأخيراً إسطنبول على محترفات نسج مميزة. وهكذا نشبت معارك حقيقية بين السلاطين الأتراك والصُوفيين من أجل ازدهار الإنتاج المدهش ومرافقته: الأنسجة الحريرية الفارسية من جهة، والبروكار والمخمل العثمانيين من جهة ثانية. وقد غدت تلك الحقيبة مجالاً لتألق أنسجة وملابس في بلاطات مثالي حكام السلاطين، نجد العديد منها اليوم في مجموعات المتاحف. ومن أسباب ازدهار مرفاً إزمير إغتماده على تصدير السلع إلى الغرب الذي كان ينهض آنذاك لتطوير الأساليب المقتبسة والاعتماد عليها في صناعته. وبتأثير هذه المناصفة، لم يعد الإنتاج النسيجي الإسلامي الفخم مربحاً، وكان قد احتلّ في ما مضى مكاناً بالغ الأهمية في ازدهار فنون العالم الإسلامي التي وفرت للتجارة الأوروبية في العصور الوسطى، ولأمل بعيد، سلماً قيمة قابلة للنقل، زادت في ثرواتهم.

الأنصار، هم الذين ناصروا النبي محمد ﷺ من أبناء يثرب التي أصبحت تعرف باسم المدينة المنورة.

وسمى الأنصار أساساً إلى قبيلتي الأوس والخزرج اللتين تعودان إلى القحطانية اليمنية، فهم من عرب الجنوب الذين سكنوا واحة يثرب منذ زمن طويل. وقد بايعوا نبي الإسلام (ﷺ) قبل الهجرة، في العقبة، في «بيعة النساء» وبيعة الحرب، ثم ارتبطوا بالمهاجرين الذين ارتحلوا عن مكة مع النبي (ﷺ). بذلك تألفت في المدينة قواعد دولة جديدة لم يُعرَف فيها الأنصار إلا بصفتهم الإسلامية.

العالمية الأولى. ثم إنَّ إلحاق هذه المنطقة بتركيا سنة ١٩٣٩ زاد من معوقات تطورها، إذ باتت محصورة ضمن مساحة ضيقة، بين البحر والجمهورية العربية السورية، في منطقة مداخلها محدودة.

«راجع المستندات ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١».

أنطاكية (الجمهورية التركية)، «أناليا» في التركية العثمانية، و«ساليا» في المصادر الأوروبية: مدينة بحرية في القسم الجنوبي من الأناضول، يلقى تطورها الاقتصادي والديمقراطي صدها القوي في عصرنا الحالي، ويعكس ما كانت عليه من ازدهار زراعي وتجاري في القرون الوسطى.

هذه المدينة التي تأسست في العهود القديمة تحت اسم «أناليا»، دخلت الإسلام سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٧م بعدما دخلها السلجوقي الرومي «كَيْخُسرو الأول». ولكنها لم تخسر شيئاً من أهميتها بعد أن كانت مرفأً مهمّاً للبحرنة البيزنطية، ثم مركزاً تجارياً في عهد الصليبيين. وهي كمعبر حتمي للحركة التجارية التي كانت تجمع بين قونية ومصر أو سوريا المملوكية، وكذلك بين الشرق والبلدان المسيحية الغربية بواسطة جنوى أو البندقية، لم تملك الخصائص العسكرية التي توافرت لمدينة «أناليا» المجاورة والمحصنة. ولكنها كانت تملك أفضل وسائل التواصل مع المناطق الداخلية بواسطة عدد من طرق القوافل السائكة. وكانت أنطاكية كذلك مركزاً لمنطقة سهلية خصبة وغنية بالمياه، وهي المنطقة التي كانت تُعرف قديماً باسم «هَيْفاليا»، وقد أُنشئ لها موقعها، على أقدم سلسلة جبال طوروس، إزدهاراً على عهد إمارة أسرة تركمانية تنفّزع من الحميديين وتُعرف باسم «تيكيوغولاري». ويرجع الفضل إلى هؤلاء الأمراء المحليين الذين حكموا في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، والذين عاش في كنفهم مؤيدون من الشيعة، في وجود عدد من الأبنية لا يزال قائماً. منها مجموعة من الأضرحة والمدارس، ومسجد جامع تعلوه قباب متعددة بُني قرب المئذنة السلجوقية التي تُعرف باسم «المئذنة المخدّدة».

إنَّ موقع أنطاكية الجغرافي ساعدها، على أثر سقوطها النهائي في أيدي العثمانيين سنة ٨٢٦هـ/

أنطاكية (الجمهورية التركية)، هي مدينة «أنتيوش» (Antioche) في زمن السلوقيين والرومان، وهي اليوم من المدن المهمة في مقاطعة «هاتاي»، سنجق الاسكندرون سابقاً. ولا يُذكر بطل نشاطها الحالي، إلا من بعدُ، بالشهرة التي تمتعت بها في العهود القديمة وفي العصور الإسلامية الأولى.

هذه الحاضرة الكبيرة في العهدين الهلنستي والروماني جمعت الازدهار الفكري والتجاري، واغنت من محاصيل المناطق السورية والأسبسية، ومن نشاط مرفئها، سلوقية، الذي ناقس، بحركته وضخامة أبنيتها، وأيضاً بغنى سكّانه ولباقتهم، مرفأً الإسكندرنة. إلا أنها تعرّضت بعد ذلك للغزوات الفارسية ثم للزلازل الأرضية. ولم يستطع الترميم الموقّت الذي أجراه يوستينيانوس أن يعيد إليها وهجها السابق. وقد كانت مدينة مهذبة فقيرة عندما انتزعها العرب من البيزنطيين سنة ٦٣٧هـ/٦٣٧م، خلال الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى وألحقوها بالخلافة. وشبّها قسباً خسرت، بانحطاط متواصل، دورها كمرفأ تجاري لسوريا، لتحوّل إلى مكان محصّن تتنازع بينزنية مع الدولة الإسلامية.

تحوّلت أنطاكية في العصر العباسي إلى واحدة من المدن الحامية، أي العواصم، المواجهة للأناضول حتى سنة ٩٦٩م/٣٥٨هـ. ثم انقلبت قلعة بينزنية انتزعها السلاجقة سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م. ووقعت بعد ذلك في أيدي الفرنج مع الحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م، وبقيت نحواً من قرنين مركز إمارة لاتينية. ولم يتسنّ لها بعد ذلك أن تصبح من جديد مستودعاً للبضائع القادمة من الداخل الشرقي، ولا للمحاصيل الزراعية للبلدان المجاورة. وعودتها إلى الهدوء في ظلّ حكم المماليك ثم العثمانيين لم تترافق مع استعادة الازدهار، بعد أن نهباها السلطان بيبرس وأعادهما إلى الإسلام سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م. وبقيت أنطاكية تابعة لحلب وفي مرتبة ثانية من حيث الأهمية، واستمرّت في حالة خمول بعيداً من التّيارات الاقتصادية الجديدة. كما أنها لم تجد شيئاً من اختيارها مركزاً إدارياً لسنجق الاسكندرون سنة ١٩٣٨. في نهاية الانتداب الفرنسي الذي عقب الحرب

جعلها تكبر وتنمو على نسق المدن الأوروبية المعاصرة، إلى أن تدفق إليها أبناء الريف الذين غادروا قراهم وبسطوا أحياءهم حول المدينة دونما تخطيط. لم يكن شيء فيها يشير إلى هبة الإسلام التقليدي، لأن هذا الإسلام لم تسمح له الظروف للتأثير على تخطيط المدينة أو على نمط عيش السكان، لا سيما إن هؤلاء يتمتعون بمعظمهم إلى الطبقة الحاكمة.

٢ - معركة أنقرة، في التاسع عشر من ذي الحجة ٨٠٤هـ/ ٢٠ تموز ١٤٠٢م، أسفرت عن هزيمة الجيوش العثمانية وانتصار جيش الغازي تيمورلنك، على مقربة من المدينة القروسطية التي كانت تحمل هذا الاسم. كما أسر السلطان بايزيد الأول بلذيم ومات بعد بضعة أشهر مع ذلك فإن انتصار تيمورلنك الذي كانت قد سبقته نوغلات مغولية عديدة، والذي بدا وكأنه وضع حداً لكل مقاومة في الأناضول، زالت آثاره بسرعة، في الوقت الذي كان فيه هذا الغازي قد أصبح سيد آسيا الوسطى وإيران، ووصل إلى أقصى مدى في غزواته. لذلك فإن السلطة العثمانية التي كانت قد قويت في امتدادها داخل أوروبا، استجمعت قواها سريعاً، بعد اضطرابات داخلية قليلة، واستأنفت سيرها التصاعدي.

◀ راجع المستندات ٢٦، ٢١، ٢٧.

الإنكشارية، باللغة التركية «الفرقة الجديدة» (Yeniçeri)، اسم لفرقة من عتقا الجيش، أنشأها السلطان مراد الأول (٧٦٣-٨٧٩/١٣٦٢-١٣٨٩م). وقد أدت دوراً كبير الأهمية في النظام العسكري والسياسي للدولة العثمانية.

في منتصف القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، بلغ عديد فرقة النخبة هذه ستة آلاف رجل من شبان مسيحيين يتمتعون إلى جماعات قُرُص عليها تأديباً الجزية، وكانوا يتجلبون وفق نظام «الدوثوم» أو ضريبة الغلمان. كان هؤلاء يعتقدون الإسلام، ورغم أصولهم المختلفة، كانوا يتلقون التربية نفسها. وبعد إعدادهم العسكري، كانوا يُستخدمون في الممارك المهمة. وكان في إمكان من تميز منهم أن يحصل على تيمار ويصل إلى مراكز مهمة. كان من بينهم المهندسون والمعماريون. كسنان الشهير الذي شيد، في القرن السادس عشر

١٤٢٣م، على أن تأخذ مركزها الهادي في قلب الأمبراطورية. والقدم الزراعي الحديث الذي أدى إلى نمو مواز للمدينة، لم يشوّه جمال منظرها ولا أساء إلى معالمها الأثرية الباقية.

◀ راجع المستندات ٢٠، ٢١، ٢٦.

أنقرة (الجمهورية التركية)، أنقيره أو أنقوريه عند العرب، حاضرة حديثة ذات ازدهار ديمغرافي وصناعي كبير، قامت مكان محلة كانت مهمة ولا أهمية لها في الأناضول خلال العصور الوسطى.

١ - تقع مدينة أنقرة على ملتقى طرق تجارية، وقد حلت مكان مدينة «أنيس» القديمة بعد نهيا سنة ٣٤٤هـ/ ٦٥٤م من قبل الجيوش العربية - الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى. وبقيت منذ ذلك التاريخ عرضة للحروب والغزوات التي كانت تتجتاح منطقة «غلاطية» المتنازع عليها. وبقيت منطقة نزاع بين البيزنطيين والعباسيين، إلى أن احتلتها القبائل التركية بعد معركة ملازكوت/ماتزكوت سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م. ثم تحولت قلعتها إلى ساحة صراع بين الدانشمنديين وسلاجقة الروم، ثم بين الإلخانيين والكرمانيين والإرانيين والعثمانيين. ولم يبق من تلك المرحلة المضطربة إلا معالم أثرية قليلة، منها منبر من الخشب المحفور في مسجد علاء الدين يعود تاريخه إلى سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م. وخصوصاً المسجد ذو الهيكل الخشبي المعروف باسم مسجد أرسلان هان (خان). وقد شُيد في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد. أما الأبنية العثمانية التي قامت بعد ذلك قليلة، على الرغم من أن اقتصاد تلك المنطقة الجذبة تحسن بموارد طبيعية أهمها تطوير حياكة نوع من الصوف يُعرف باسم «أنقرية».

هذا المعاضي الذي كانت خلاله أنقرة مدينة صغيرة محصنة على ملتقى طرق القوافل، حيث المشاركة في الحياة السياسية انحصرت بروابط التجار وبالفرق الصوفية. لم يكن يُشبه بما ستتحول إليه في القرن العشرين، عندما جعلها مؤسس تركيا الحديثة عاصمة للبلاد. وقد أصبح النمو الديمغرافي والاقتصادي لتلك المدينة متعلّقاً بنشاطاتها كمركز إداري، وبما تمثله من رمز وطني. وتطوّر أنقرة، عن طريق إضافة أحياء ممتدة،

انقلاب سنة ١٩١٣ الذي حوّل نظام الحكم الدستوري إلى دكتاتورية حزبية وعسكرية. أصبح في سنة ١٩١٤ قائداً عاماً مساعداً للسلطان، قاد طيلة الحرب السياسية العسكرية للدولة العثمانية. تابع سياسة التحالف مع ألمانيا التي كان قد نصح بها وتعاون بصدق مع الضباط الألمان. لكنه اضطرّ إلى الهرب سنة ١٩١٨ والذّجوء إلى برلين حين بدأت جيوش الحلفاء بحملاتها الهجومية في البلدان العربية. من برلين انتقل بصعوبة إلى موسكو حيث أسس «اتحاد الجمعيات الإسلامية الثورية». كان أنور يعمل على تحريض أتراك آسيا الوسطى على الثورة في الوقت الذي كان فيه مصطفى كمال يعزّز سيطرته على أنقرة. اغتيل في آب سنة ١٩٢٢.

الأهرام، إسم جريدة باللغة العربية شرعت بالصدور في القاهرة حوالي نهاية القرن التاسع عشر، مساهمة في جهود التحديث التي شهدتها مصر أيامها.

إنّ هذه المنشورة التي طبعت بداية نمو الصحافة والتي عكس تاريخها المراحل المختلفة للتطور السياسي في البلاد أبصرت النور بفضل مبادرة، عام ١٨٧٥، قام بها كنيانتيان مسيحيان هما سليم وبشارة نقلا. وقد غدت هذه الجريدة، في ما بعد، ولا سيما بعد عام ١٩٣٢، أهم وسيلة إعلامية مصرية. بعد الثورة الناصرية عام ١٩٥٢ وتأميم الصحف عام ١٩٦٠، اعتبرت الأهرام لسان حال الأفكار الحكومية، مع أنّ رئيس تحريرها، محمد حسين هيكل الذي كان المستشار الحميم لعبد الناصر، أظهر استقلالية في الرأي، ولم يتوان عن انتقاد بعض وجوه السياسة السائدة في البلاد إلى أن عزله الرئيس الجديد السادات عام ١٩٧٤. وما تزال الأهرام حتى اليوم الصحيفة اليومية الأهم في مصر المعاصرة.

أهل، كلمة عربية ذات معنى أصلي متسع نسبياً تعني «الذين يسكنون» مع شخص أو في مكان ما وتفيد، في آن، مفهوم «الأُسرة»، الممثلة بشكل أفضل في كلمة آل، ومفهوماً آخر يعني «سُكَّاناً، أناساً، ساكنين»، وكلا المفهومين ورد في نظريتها التاريخي.

استعملت الكلمة في عدد من العبارات المرغية التي راجت، بوجه خاص، في المجتمع الإسلامي بالقرون

للميلاد، العديد من المساجد الإمبراطورية الضخمة، بالإضافة إلى أعمال فنية كثيرة. يرأس الانكشارية آغا يحيط به عدد من الضباط، وكانوا يخضعون لنظام قاسي جداً، ولم يكن لهم الحق، في البدء، في الزواج، ثم ما لبث أن منحهم هذا الحق السلطان سليم الأول. تأثر الانكشارية بالمتصوفة، وكانوا على صلة بنظام للدراويش بدعي البكتاشية، وقد التحقوا بشكل رسمي بهذه الطريقة منذ نهاية القرن السادس عشر.

كانوا، كجنود، يستخدمون السلاح التقليدي، ثم حملوا البنادق في القرن العاشر للهجرة السادس عشر للميلاد. أقام الانكشارية بالقرب من القصر لحراسة السلطان، كما أمّنوا له الحماية أثناء المعارك. وكُلف بعضهم حماية الحصون على الحدود. كانوا يمارسون، عن طريق حركات التمرد التي يقومون بها انطلاقاً من ثكناتهم في اسطنبول، نوعاً من الرقابة على قرارات السلطان المتعلقة بالأعمال الحربية، وينوع خاص على تلك المتعلقة بالإصلاحات ومحاولات تحديث النظام العسكري. كانوا يتصدون لهذا التحديث، بدافع المحافظة الدينية، وذلك خلال فترة ضعف السلطة ابتداء من القرن السابع عشر.

اعتُبر الانكشارية مسؤولين عن الإخفاقات التي أصابت السلطة في مطلع القرن التاسع عشر، ووجهت إليهم انتقادات شديدة، ما حمل السلطان محمود الثاني على إجراء تغييرات في نظامهم، فتمردوا من جديد. فقرّر السلطان آنذاك القضاء عليهم: ففي ١٥ حزيران ١٨٢٦ قُضيت ثكناتهم، وألقي القبض على قادة الطريقة البكتاشية وتمّت تصفيتهم.

أنور باشا ١٨٨١-١٩٢٢، كان ضابطاً ورجل دولة في آخر عهد الإمبراطورية العثمانية. انخرط في حركة تركيا الفتاة، لكنه كان منادياً لمصطفى كمال، أي أتاتورك في ما بعد. ولد في اسطنبول وهو ابن مؤلف مدني. التحق أنور بالكلية الحربية وتخرّج ضابطاً سنة ١٩٠٦، وعُيّن في منستير في مقدونيا حيث انضم إلى حركة تركيا الفتاة التي برزت في ثورة ١٩٠٨. عُيّن ملحقاً عسكرياً في برلين، وهناك تكوّن عنده إعجاب خاص بالجيش الألماني. عاد إلى اسطنبول سنة ١٩١٢ وشارك في

اليوم، بدور العاصمة الإدارية لهذه المقاطعة الذي كان لها في خلافة المهدي العباسي، رغم ما عانته خلال النزاع العراقي-الإيراني الأخير. وكانت هذه المدينة الحديثة قد شهدت سابقاً، منذ أوائل القرن العشرين، نهضة، بحكم موقعها المركزي في منطقة اغتنت بفضل استخراج مواردها النفطية. غير بعيد من بقايا جسر عتيق على دُجبل/كارون، كان قد جرى ترميمه غابراً باهتمام عضد الدولة البوئي، في أعقاب الخراب الذي أحدثته ثورة الزنج في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، أنهت هذه المدينة، في العصور الحديثة، عهداً طويلاً من الانحطاط. إنَّ الازدهار الذي كان من نصيبها، في المرحلة الأولى من القرون الوسطى، والذي كان يعتمد على خصب منطقتها الحاذرة والروية بسخاء والموجهة، في معظمها، إلى الزراعة وتضيق فصب الشُّكر، يرتبط الآن بإمكاناتها الجديدة في مجالات التصنيع.

◀ راجع المستدين ١٣، ١٧.

أود، أو عود، اسم مقاطعة قديمة شمالي الهند، ملحقه اليوم بولاية «أوتر براديش» في الاتحاد الهندي، قامت فيها بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دولة إسلامية مستقلة، ولا تزال تحتفظ بأقلية مسلمة شيعية.

هذه المنطقة الغنية من السهل الغربي الذي يرويه نهر الغانج الهندي، دخلت عالم الإسلام في القرن السادس للهجرة/أواخر القرن الثاني عشر للميلاد، وخضعت لسيطرة سلاطين دلهي الذين حلَّ مكانهم سلاطين جاوهور بعد مدة وجيزة. ثم أصبحت تابعة لأمبراطورية المغول في زمن مُلك أكبر الذي نجح سنة ١٥٦٧م في توسيع ممتلكاته باتجاه شرقي شبه القارة.

وشاء قدر «أود» الإسلامي أن يثبتت مع حلول «مُعات خان برهان المُلك» في لُكناو Lucknow بعد ذلك بسنة وخمسين سنة، أي في سنة ١٥٧٦م، وهو سيد نيسابوري الأصل كان مؤسس سلالة حاكمة - هي سلالة آل نواب - لم تلبث أن استغلت. وقد عمل هؤلاء الأسياد على منافسة أصحاب دولة أخرى، شيعية أيضاً، كانت قد وُلدت في حيدر آباد نتيجة ضعف المغول، ففرضوا على أتباعهم خيارهم الديني، واهتموا برعاية الآداب. إلّا

الوسطى، وهي تمثل ذنبيته الدينية، كمثل قولهم أهل البيت وأهل الكساء، دلالة على أسرة النبي [محمد] (ﷺ)، مع مفهوم محدّد ومقصود عليها، نسبياً. كذلك ثمة ما هو معروف عن أهل الكهف الوارد ذكرهم في القرآن، وأهل الضمّة وهم مجموعة من صحابة النبي محمد (ﷺ) معروفون بزهديهم.

في صورة أشمل، أطلقت تسمية أهل الكتاب، منذ أوائل [عهد] الإسلام، على ممثلي الديانات السابقة، وتحديدًا اليهود والسيحيين، الذين سموا أهل الذمّة، أو «الخاصين للحماية»، بسبب وضعهم الذي يؤقون بموجبه الجزية في مقابل حمايتهم، في حين كان المسلمون، في مجملهم، يَحْتَوْن أن يُعرفوا بأهل القبيلة أو المتوجّهين إلى قبلة واحدة للصلاة. بعد ذلك جرى التمييز داخل الأمة الإسلامية بين فئات متعددة، مثل أهل السنة المعنوي بهم الشنُون، أو أهل الحديث الذين كانوا إمّا «جماعة السُنّة [التبوية]» وإمّا «مُحدّثين» بزاوَلون تنبُع الحديث ونقده.

أهل البيت - آل محمد.

أهل الحق، «رجال الحق» أو «رجال الله»، اسم نجلة سزيّة، وليدة حركات استلهمت التشيع الباطني، وهي منتشرة، في ألبانيا، في إيران الغربية. بين أدينا عنها شهادات تعود إلى أوائل القرن العشرين؛ على أنّ أصولها ما تزال غامضة.

تنطوي عقيدتها التوفيقية على عناصر عُنوصية [القائلة بالمعرفة الروحية] ومائوّة وإسلامية، مع دفاعها عن عقيدة تجلّيات الأكرهة المتواترة، وعددها سبعة، كما عن التخصّص. تقوم الطقوس الدينية على مجالس ذكر، وفرايين حيوانية وصيام صارم لثلاثة أيام. إنّ هذه النحلة التي يعتبرها المسلمون بدعة استهوت عامة الشعب، وعلى وجه الخصوص البدو والفلاحين الذين لهم صلة باليزيديين في العراق، وقد انتشرت بين الأكراد. حاربها أتباع البهائية.

أهواز أو أهواز (جمهورية إيران الإسلامية)، بالعربية سوق الأهواز، والاسم القديم هو هُرْمُز-أردشير أو هرمز-شهر، مدينة في خوزستان احتفظت، حتى

من سنة ٧٢٦ إلى سنة ٧٦٣/١٣٢٦ إلى ١٣٦٢ م.
 ثابر أورخان الذي هو ابن الأمير عثمان، خلال
 الفترة الأولى من حكمه، على ترسيخ مواقفه في
 الأناضول، عن طريق تقوية جيشه. وقد استولى على
 يورثه قبيل وفاة والده، ووسّع لاحقاً ممتلكاته على
 حساب البيزنطيين باحتلاله نيقية التي صارت تُعرف بـ
 إزنيق، ونيقوميديا/إزميت. وبعد فترة قصيرة، شرع ابنه
 سليمان بمهاجمة أمراء الأناضول المسلمين وتمكّن من
 انتزاع حصون عدّة تابعة لهم وبخاصة برغامة. وفي
 الوقت نفسه، اتخذ الأمير في عاصمته بورصة إجراءات
 إدارية متنوّعة، فقرّر سكّ النقود واعتماد أنظمة لباس
 خاصة في ما يتعلّق بالهياكل، وأعاد تنظيم الخيالة
 المؤلّفة من أصحاب التيمارات. فضلاً عن ذلك، قدّم
 الحماية للطرق الصوفيّة وبخاصة البكتاشيّة، وأغدق على
 جمعيّات خيرية كثيرة من سخائه.

ابتداءً من سنة ٧٤٥/١٣٤٤ م، اضطرّ أورخان -
 الذي كان أقام تحالفاً مع البيزنطيين وتزوّج ابنة
 الامبراطور يوحنا السادس - إلى التخلّص في أوروبا بناء
 على طلب حميه.

على أنّ نجاح بعض الغزوات التي كانت غير ذات
 أهمية دفعه إلى تصوّر مخطط سياسي أسّس لقيام الدولة
 العثمانية على المدى المتوسط. وتخطيطاً منه لتمرّكز
 لاحق وطويل الأمد في هذه المناطق، كلّف ابنه سليمان،
 سنة ٧٥٧/١٣٥٦ م، عبور الدردنيل، فاستولى هذا
 الأخير، سنة ٧٥٨/١٣٥٧ م، على غاليتولي، التي
 صارت منذ ذلك التاريخ المعبر لنقل القوات إلى
 البلقان. لكنّ سليمان توفي بعد فترة وجيزة، بينما غاب
 أورخان بدوره عن المسرح.

أورشليم ← القدس.

أورغتش، (جمهورية أوزبكستان)، ناحية حديثة في
 جمهورية قره قالميا ذات الحكم الذاتي، بجوار خيوه،
 احتفظت بتسمية مدينة قروسطيّة اندثرت، على بُعد منه
 كلم من الشمال الغربي، ما تزال آثارها حتّى اليوم ماثلة
 في منطقة كونا - أورگشت في تركمانستان.
 أقدم مدينة في أورغتش، المسماة أيضاً كُركانج أو

ن صراعهم مع أمراء المُهرّاث، وتداول البيزنطيين
 لمتاحق على سلفتهم، ابتداءً من سنة ١٧٦٥ م، في جز
 من الأزمات والصعوبات الدائمة، أدّى إلى نهايتهم سنة
 ١٨٥٦ م. فالحقّ الإنكليز الولاية بمستعمراتهم،
 وأحكموا قبضتهم عليها بعد التمرد الكبير الذي وقع
 سنة ١٨٥٧ م.

« راجع المسند ٣٢ و٣٥.

أوداغوست، اسم محلّة إسلاميّة قديمة كانت تقع على
 طريق القوافل في أفريقيا الغربية السوداء. وقد اختفت
 اليوم على الرغم من الشهرة التي عرفتها في القرون
 لوسطى، إذ كانت على إحدى الطرق التي تربط آنذاك
 المغرب بالسودان النيجيري، وتحديداً بمملكة غانا
 السوداء.

ويبدو أنّ حفرّيات حديثة في موقع «بُغداوست»
 على التخوم الجنوبيّة - الشرقيّة لجمهورية موريتانيا
 لإسلاميّة، ساعدت على تحديد ذلك الملتقى القديم
 للنشاط التجاري الذي ارتبط نموّه أيضاً بمحاولات
 السكّان البربر بسط سيطرتهم على المناطق الجنوبيّة التي
 تهيمن عليها لانيّات سوداء. لا يزال الغموض يلفّ تاريخ
 هذه المدينة الواقعة في نهاية الطريق التي تربط
 سجلماسا بالعاصمة القديمة لغانا التي زالت هي أيضاً
 من الوجود. وقد كان وجود هذه المدينة مرتبطاً، إلى
 حدّ بعيد، بتطوّر طرق القوافل التي كانت تنقل الملح
 والذهب داخل الصحراء في المصور الأولى للإسلام.
 وجلّ ما نعرفه عنها هو تقريبي ومستمد من معطيات
 الجغرافيين العرب التي هي، بدورها، غامضة
 وتستوجب الحذر في تفسيرها. لكنّ ما يبدو الأقرب
 إلى الواقع التاريخي هو وجود احتكارات تجارية مارستها
 مجموعات قبلية كانت تقيم آنذاك في المغرب، وكانت
 مرتبطة بسلاسل مختلفة، نشأت بدورها عن فرق دينيّة
 مختلفة، كالشيعة مثلاً أو كالأباضية.

« راجع المسند ٢٩.

أورخان، ٦٨٧ - ٧٦٣/١٢٨٨ - ١٣٦٢ م، هو ثاني
 سلاطين السلالة العثمانية، ذو شخصيّة أسطوريّة إلى حدّ
 ما، كان المؤسس الفعلي للسلطة الجديدة، وامتدّ حكمه

كونيا - أوركش حيث ما تزال أضرحة عديدة قائمة. مر هذه الأضرحة واحد يعود تاريخه إلى ما بعد القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، هو ضريح نجم الدبر كُبرى، مؤسس الطريقة الكُبروية التي تستمد اسمها منه وهذا الضريح مجاور لضريحين من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، أحدهما مدفن الملك القدير تكتش، من ملوك السلالة الخوارزمشاهية الأخيرة والآخر مدفن يُنسب خطأ إلى العلامة فخر الدين الرازي وقد فُقدت هذه المدينة حيويتها سريعاً حتى الفترة التي تم فيها نقل ما تبقى من سكانها في بداية القرن السابع عشر، بناءً على إرادة أحد الخانات من الأوزبك في خيبر، إلى موقع جديد هو الموقع الحالي لمدينة أوركش.

أورنغ زيب، أبو المظفر محمد محيي الدين أورنغ زيب
عَلِمَ جِير، ١٦١٨-١٧٠٧م: آخر سلطان كبير من السلاسل المغولية في الهند، حكم من سنة ١٦٥٨م حتى وفاته ورغم جهوده الحربية المتواصلة وتصلبه، لم يترك لورثته إلا حكماً في حالة الاحتضار.

هذا الابن الثالث لإشاه جهان تلقى تربية إسلامية تقليدية، وكان يتخذ مواقف معارضة لتلك التي لأخيه «دارا شكو» ، الوريث المعبّر، الذي كان نصيبه للمتصوفة وطرقها. فاستطاع أن ينتصر عليه وأن يحكم عليه بالموت سنة ١٦٥٩ بعد اتهامه بالكفر، كما استطاع أن يتخلص من أخويه الآخرين خلال الحرب الشرسة التي خاضها الأبناء الأربعة من أجل الاستئثار بالعرش وكان الوالد ما يزال على قيد الحياة، ولكنه كان قد أصيب بمرض سنة ١٦٥٧.

وكان أورنغ زيب، من قبل، قد أدى دوراً ناشطاً كفائد وحاكم في الدكن، كما في مناطق بلُخ وقندهار إلا أنه تخلّى عنها وتركها عرضة للهجمات الخارجية لكنه اتبع سياسة حربية الطابع طوال ملكه. إن نصيب حملاته العسكرية في المناطق الشمالية، بين سنتي ١٦٦٠ و١٦٨٠، حيث اصطدم بالهاتان والسبيغ والراجبوت، لم يكن أفضل من نصيبها، في ما بعد، في منطقة الدكن، مع أنه أقام فيها مدة طويلة وبذل من أجلها ما عنده من جهد وقوة بعد انتقاله إلى مدينة برهانپور سنة

الجرجانية في العربية، شهدت تاريخاً مضطرباً، وكانت في القرون الوسطى إحدى المدينتين الرئيسيتين لخوارزم، وقامت بدور عاصمة في بعض المراحل. وقد ذكرت مدونات الفتوحات العربية-الإسلامية الدور المهم الذي اضطلعت به، على تخوم السهوب المفتوحة على نهر الفولغا والمناطق التي يربوها نهر أمودريا قرب مصبه في بحر آرال، ولا سيما بعد احتلالها نهائياً سنة ٩٤٤/٧١٢م. فقد نافست هذه المدينة، منذ ذلك الحين، العاصمة الأخرى للمنطقة، أي كاش، حيث استقر الحكم المحلي للخوارزمشاهيين الأول. كما اتخذ منها الأمير المسلم القيم على خوارزم مقراً، حتى أقول كاش التي سيطرت عليها سنة ٣٨٥/٩٩٥م السلالة الإسلامية الثانية للخوارزمشاهيين، وهي سلالة المأمونيين المتحدرة بالتحديد من سلالة حكام كُركانج، التي جعلت من المدينة مركزاً للعلوم والثقافة الإسلامية، وفي الوقت نفسه، ملقياً للأنشطة التجارية في اتجاه سيبيريا وأفاصي الأورال.

بعد الاضطرابات التي أعقبت احتلال الغزنويين للبلاد، ومن ثمّ السلاجقة سنة ٤٣٤/١٠٤٣م، استعادت كُركانج موقعها مدينة كبيرة من المدن الأكثر ازدهاراً في العالم الإسلامي، وصخرناً تجارياً مشهوراً، وقد واكب ازدهارها ازدهار السلالة الأخيرة للخوارزمشاهيين في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، وكان هؤلاء أسلاف أميراتورية تشمل إيران بكاملها، وذلك قبل أن يدثر المغول عاصمتهم سنة ٦١٨/١٢٢١م، بعد حصار عيف، غير مخلفين وراءهم سوى بعض البقايا الأثرية النادرة.

على أن هذه النكبة لم تخلُ أبداً دون استعادة هذه المدينة - التي أعيد بناؤها بدءاً من سنة ٦٢٨/١٢٣١م ليس بعيداً من المدينة الأولى - شهرتها من جديد، عاصمةً وحيدة لخوارزم ومحطة على طريق القوافل التي تصل منطقة ما وراء النهر وخراسان بأراضي في الشمال، دخلت في ذلك الحين في ممتلكات خانات المغول (القبيلة الذهبية). وكُركانج الثانية هذه التي نهبتها جيوش تيمورلنك في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، بقي منها آثار تُعرف اليوم باسم

الدخول إلى هذه البلدان خلسة. وما لبث المهاجرون أن تخلّوا عن فكرة العودة إلى وطنهم الأم الذي كان، في أغلب الأحيان، يتخبط في مشكلات اقتصادية متزايدة، وفقدوا البقاء في أوروبا التي استقبلتهم.

يقدر عدد المسلمين المستقرين في فرنسا بأكثر من خمسة ملايين من متجنّسين وغير متجنّسين. ولهؤلاء المسلمين جامع تأسس سنة ١٩٢٦ في باريس. وانطلاقاً من سنة ١٩٧٦ - تاريخ صدور قانون جديد يسمح للمسلمين بإنشاء مؤسسات جديدة - ازداد عدد الجوامع من ٨٧ سنة ١٩٧٨، إلى حوالي الألف سنة ١٩٨٥. أمّا في بريطانيا، فيناهز عدد المسلمين المليون، وكان لديهم سنة ١٩٨٥ أكثر من ٤٠٠ جامع. وفي ألمانيا الاتحادية هناك حوالي المليون مسلم، أغلبيتهم من الأتراك، ويملكون حوالي ألف جامع. كما أنّ هناك جماعات إسلامية مختلفة في بلجيكا وسويسرا والنمسا والدول الإسكندنافية وهولندا وإيطاليا والبرتغال. أمّا في إسبانيا فالمهاجرون المسلمون قليلون جدّاً.

الأوزبك، يتحدّثون من جنكيزخان عبر ذرية ابنه البكر جوتشي. كانت عشائرتهم التركية - المغولية المستقرّة أولاً في سيبيريا حيث كانت جزءاً من الغانية التي أدّت إلى نشوء خانية القبيلة الذهبية، قد عادت، في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، لتستوطن في مناطق ما وراء النهر وخوارزم حيث حكم رؤساؤها تحت تسمية الشيبانيين. والأوزبك - وهذه التسمية هي متأخرة - الذين يدّعون الانساب إلى الجنكيزخاني غياث الدين محمد الأوزبكي الذي حكم بين ٦٨٩ و٧١٢هـ/١٢٩٠ و١٣١٢م، استوطنوا خصوصاً مناطق آسيا الوسطى التي عُرفت في ما بعد بأوزبكستان. وكانوا انتقلوا إليها بعد التحاقهم بزعماهم الشيبانيين المنحدرين من شيان، الإبن الأصغر لجوتشي، وكان هؤلاء قد استردوا من التيموريين منطقة خوارزم سنة ٨٥١/١٤٤٧م، ومنطقة ما وراء النهر سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م. واستتب ذلك انسحاب الزعيم التيموري المدعو بابُر نحو القارة الهندية حيث أسس سلالة المغول.

ابتداءً من هذه الفترة، اختار الشيبانيون الأقوياء، في القرن السادس عشر، سمرقند ثم بخارى عاصمةً

١٦٨١. والواقع أنّ الانتصارات التي حقّقها، بدءاً من سنتي ١٦٨٦ و١٦٨٧، على السلالات الشيعية في بيجانور وغولكوند، التي كان قد حاربها قبل تسلّمه الملك في سنتي ١٦٥٥ و١٦٥٦، لم تحلّ دون معارضة المهراته العنيفة. فلم تحاول دولة المغول بعد ذلك حملهم على الطاعة أو بسط سيطرتها عليهم مجدّداً.

لم تحفّز توجهات هذا السلطان أهدافها، وقد استهلك قواه في توسيع ممتلكاته وفي محاربة المكائد والثورات الداخلية التي حركها أفراد أسرته. ولكنها كانت، على كلّ حال، تتوافق مع نشوة طباعه، إذ كان يجنح إلى قمع الهندوسيين وفرض الضرائب عليهم، ومواجهة امتداد الدعوة الإمامية الرافدة من الدولة الصفوية في إيران والمتمركزة في الدكن. وقد أراد أن يفرض حوله تطبيقاً صارماً للشرع الذي ازداد تقيّده به مع مرور السنين، ما جعل منه حامياً للمذهب الحنفي الذي سهّل انتشاره، وأمر أن يوضع مؤلّف في فقه هذا المذهب، فظهر تحت عنوان «فتاوى العالمگیریّة».

وتطبيقاً لفتاواته أزال من قصره الفخم بعض المظاهر الفنية التي اعتبرها سُكّرة، بعدما كانت قد تألّفت بشكل رائع في عهد أسلافه.

« راجع السند ٣٣.

أوروبا الغربية، أراض تضمّ دولاً تحتضن جماعات إسلامية غالباً مهاجرة، تختلف أهمية هذه الجماعات وأصلها، وغالباً ما يتعدّد حصصها في إحصاءات.

ينتمي هؤلاء المسلمون في أكثريتهم إلى المناطق التي كانت مستعمرّة في السابق، أو كانت على علاقة مميّزة بالدولة التي اختاروها في ما بعد للهجرة. هكذا نرى أن عدد المغاربة كبير في فرنسا، كما أنّ الباكستانيين المسلمين الذين جاؤوا من الهند هم كثير في بريطانيا، أمّا الأتراك فهم متواجدون خاصة في ألمانيا.

لقد بدأت حركات الهجرة في أواخر القرن التاسع عشر وزادت بعد ١٩٤٥، ويتنوع خاص بعد سنة ١٩٦٠، بسبب حاجة الدول الأوروبية إلى اليد العاملة وأيضاً بسبب الجاذبية التي مارسها مستوى الحياة المرتفع في أوروبا على الشعوب الفقيرة التي غالباً ما حاول أبناؤها

ولم تستطع أوزبكستان اليوم التغلب على عدم تجانسها الداخلي القديم. فالمناطق القريبة من بحر آرال التي تضم مصب نهر آمودريا ومدن أورغتش وحيوه تشكل مجموعة أولى قائمة بذاتها في جمهورية قره قالبايا المستقلة ذاتياً. من جهة أخرى، فإن واحات وادي زرافشان، مع مواقع بخارى أو سمرقند الذائعة الصيت، مضافاً إليها الأراضي الخصبة للشعذ القديمة وفرغانة. تشكل كلها، على الضفة اليمنى لنهر سيردزيا، حول طشقند وكوكند، القسم الأكثر نمواً من الناحية الاقتصادية في البلاد. وفي كل مكان، يبقى السكان غير متجانسين، والتوترات القائمة بين مختلف مكونات البلاد تقترن أيضاً محاولات أوزبكستان إقامة علاقات مميزة، من جهة مع الجمهورية التركية، بدفع من الأكثرية ذات الأصول التركية، ومن جهة أخرى مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية. ويتحكم المسلمون السنة بالنظر السياسي وتساندهم مالياً في دعم توجههم الديني المملكة العربية السعودية ويُنسب قسم منهم حركاً معارضة أصولية.

◀ راجع المستند رقم ٣٥.

أوزكند، (جمهورية فرغيزستان)، محلة في منطقة فرغانة، تقع على تخوم جمهورية أوزبكستان. ما تزال تحتفظ حتى اليوم ببعض الصروح التي يعود تاريخها إلى القرون الوسطى الإسلامية.

وهناك مدن قروسطية أخرى في المنطقة درست فيها كل الآثار التي تدل على عظمتها الغابرة، وتؤكد تاريخيتها فقط المصادر المكتوبة. من هذه المدن أنسيكاك التي كانت العاصمة الأولى للمقاطعة، والتي حلت محلها أنديجان التي تقع بجوار انديجان الحالية هناك مدن أخرى، مثل قبا، لم تكشفها الحفريات الأثرية إلا مؤخراً. في المقابل ينماز موقع أوزكان، الذي كان مأهولاً باستمرار رغم أفوه التدرجي، بآثار صروح من القرنين الخامس والسادس للهجرة/الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، تثير الاهتمام من ناحية بنيتها المكونة من القرميد وزخرفتها. من هذه الصروح مثذنة بروج وأضرحة نُقشت عليها تواريخ ٤٠٣ و ٤١٧ و ٥٨٢ هـ/ ١١٢٢ و ١١٥٢ و ١١٨٦ م. وبذلك تنبئ شواهد

لهم، وقاتلوا الصفوتين لاختلافهم عنهم بانتمائهم إلى الإسلام السني الصارم. لكن سلطنتهم لم تمتد أبداً الحدود الطبيعية التي يشكلها مجرى جيحون/أمودريا، وكانت سلطة محلية. ولقد خلفتهم بعض الأسر الأخرى، في بخارى بدءاً من سنة ١٠٠٧ هـ/ ١٥٩٨ م، وفي طشقند وفرغانة حيث نشأت سلطة محلية كوكند، وخصوصاً في خوارزم التي شهدت توسع خانية خيوة وهي من أهم الخانيات. وفي إطار هذه السلطات المتنوعة، حافظ الأوزبك على عادات البدو، المهيتين، طبعا، لأعمال الغزو، حتى الوقت الذي حُجم فيه التقدم الاستعماري الروسي، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ممتلكاتهم شيئاً فشيئاً.

بعد هذا التحجيم، اضمحلت خانياتهم خلال بضعة عقود، وقام على أراضيهم القديمة إقتصاد حديث استند إلى مساهمة جديدة نهض بها شعب سلافي الانتماء انتقل إلى المنطقة.

أوزبكستان (جمهورية)، تبلغ مساحتها ٤٤٧ ٤٠٠ كلم^٢ وعاصمتها طشقند. دولة معاصرة مستقلة منذ ١٩٩١، وهي إحدى جمهوريات آسيا الوسطى الخمس السوفياتية سابقاً. سكانها البالغ عددهم ٢٠ مليون نسمة هم مسلمون بنسبة تفوق ٨٥٪.

إن النخوم الاصطناعية التي تفصل أوزبكستان عن سهوب جمهورية فرغيزستان في الشمال، وتركمانستان في الجنوب الغربي، تنساب في الشرق على خط مقعد، وسط مناطق جبلية تابعة لجمهوريتي فرغيزستان وطاجيكستان، لتلتقي في الجنوب حدود جمهورية أفغانستان الإسلامية. وقد رُسمت هذه الحدود في إطار الاتحاد السوفياتي آخذة في الاعتبار، بشكل خاص، مواقع الإثني واللغوي الناشئ عن تغلغل عشائر بدوية، تركية ومغولية، في هذه الأراضي. وكانت هذه العشائر في أساس نشأة خانات الأوزبك، من بينهم الشيباتيون الذين سيطروا عليها بدءاً من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ليحلوا الساحة لاحقاً لأسر أخرى. لكن سيطرتهم لم تمتد أبداً التمايز التاريخي العميق الذي أرسى المواجهة بين مقاطعتي خوارزم وما وراء النهر القروسطيتين.

في تبريز عام ١٤٧٨. ولم يفلح خلقاؤه في المحافظة على وحدة أراضي مملكته التي تميزت، في الوقت نفسه، لهجمات العثمانيين والصفيين الذين ظهروا عام ١٥٠١م، على المسرح السياسي.

«راجع المسند رقم ٢٤»

أوس (بنو -)، قبيلة عربية تعود في أصلها إلى عرب الجنوب اليمينيين المنحدرين من قحطان. اشتهرت للدور الذي نهض به أبناؤها إلى جانب النبي محمد (ﷺ) في المرحلة المدنية من حياته، وهو شبيه بالدور الذي كان للخزرج، وقد شكّل كلاهما الأنصار.

والواقع أن الأرس، في عصر ما قبل الإسلام، انفصلوا عن الغساسنة خلال نزوحهم الطويل عبر الجزيرة العربية نحو الشمال، واستقروا في واحات وادي يثرب التي أصبحت المدينة لاحقاً، وذلك مع قبيلة الخزرج. وكانت الفيلثان في حالة نزاع عندما اضطر النبي (ﷺ) إلى ترك مكة، فقاوضهما من أجل الإقامة بينهم كرئيس لأول جماعة إسلامية. وكانت «بيعة العقبة» التي نتج عنها فضّ الخلافات بين الفيلثين ومناصرة النبي بعد الهجرة والانضمام إليه ضد أعداء الإسلام. وقد تبيّن كل ذلك في النص الذي يُطلق عليه المؤرخون تسمية دستور المدينة. وقد شارك الأوس في تلك الحقبة في المعارك ضدّ المكّيين، كما شاركوا في الفتوحات الكبرى التي أدّت إلى ولادة الأُميراطورية العربية الإسلامية في القرن الأوّل للهجرة/السابع للميلاد.

أوسيتيا الشمالية الفدرالية (جمهورية)، تبلغ مساحتها ٩٢٠٠ كلم^٢، عاصمتها فلاديقاز، جمهورية اشتراكية سوفياتية سابقاً، تنتمى باستقلال ذاتي، ما تزال حاليّاً جزءاً من الإتحاد الروسي. سكّانها البالغ عددهم حوالي ٦٠٠ ألف نسمة مسيحيون في أكثريتهم، يضمّون، مع ذلك، نسبة مرتفعة من المسلمين تُراوح بين ٢٠ و ٣٠ بالمئة.

يدلّ هذا الوضع على المقاومة التي أبدّاها الأوسيتيون، في ما مضى، في وجه تقدّم الاسلام، كما يدلّ في الوقت نفسه على التفوّذ الذي مارسه عليهم

على الأهمية الإستراتيجية والإقتصادية لهذه المدينة، خلال حكم سلالة القراخانيين التركية التي أقامت فيها مركز حكمها. كانت المدينة، من جهة ثانية، تقع على آخر محطة، في آسيا الوسطى المتأسلمة، لطريق القوافل الآتية من إيران، وقبل أن تلج هذه الطريق سهوب حوض تاريم ومناطق أخرى خاضعة لتفوّذ الصين.

«راجع المسند رقم ٢٣»

أوزون حسن، حسن بيگ بن علي بيگ، ٨٢٨-٨٨٢هـ/ ١٤٢٤-١٤٧٨م، أهم ملوك سلالة التركمان المنحدرين من آق قويونلو، وافق حكمه أوجاً بارزاً، وإنّ هشاً، للسلطة التي هيمنت على تبريز قبل أن تسقط المدينة بين أيدي الصفويين. كان أوزون حسن سيّد ديار بكر في بلاد ما بين النهرين العليا، منذ عام ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م، قبل أن يعمل على توسيع مملكته من الأناضول إلى العراق وإيران، بدءاً من العام ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م حتى وفاته. وتاريخه، الذي لم يُعرف كما ينبغي في دقائقه، هو في الواقع تاريخ نزاعاته مع جيرانه المغامرين. فلم يتمكّن من أن يمنع العثمانيين - الذين احتلّوا اسطنبول وطمحووا إلى السيطرة على الأناضول بعد البلقان - من احتلال مرفأ طرابزون عام ٨٦٤هـ/ ١٤٦١م، وهو منفذ على البحر الأسود لطريق القوافل التي تمرّ بأذربيجان وإحدى الإمارات التي بقيت مسيحية والتي كان يقيم معها، حتى ذلك التاريخ، علاقات اقتصادية حسنة، كما كان يقيم علاقات شخصية وعائلية مشرمة بأحر الأباطرة البيزنطيين. لكنّه تمكّن، عام ١٤٦٧، من إلحاق هزيمة بملك القرايونلو، جهانشاه، الذي توفّي خلالها، ثمّ أسّر التيموريّ أبا سعيد فأعدمه عام ١٤٦٩. في غضون ذلك، سيطر أوزون حسن على تبريز وجعل منها بدوّه عاصمته عام ١٤٦٨، وتمكّن عندئذ من بسط سلطته على إيران كلّها، رغم أنّه أُرِكَ دوماً بتصاعد القدرة العثمانية. تحالف مع قوامانيّ الأناضول ومع البنادقة فسوّّل لهؤلاء تجارتهم الدولية وتبادل معهم السفارات. وقد مُحّقت جهوده عندما هزمه العثمانيون، بفضل تفوّق سلاحهم الناري، هزيمة قاسية في وادي ترجان عام ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م. توفّي أوزون حسن الذي حافظ، رغم ذلك، على سيطرته على الأقاليم الشرقية،

فأحاط نفسه بالعلماء وحثَّ نحو عام ١٨٤١/١٨٣٧م، على وضع ربيع جديد عرفه الغرب الأوروبي واستخدمه. كان، إلى ذلك، أدبياً، عالم كلام ومؤرخاً وضع كتاباً حول خلفاء جنجيز خان، فقد، لسوء الطالع، ورعى الشعراء، وعلى الخصوص شاعرًا يدعى عصمت البخاري الذي كان شاعره الرسمي. بكلمة، أفاد من وقته، فيما كان متنبئاً في سمرقند، بصفته نائب ملك على حياة أبيه، لتحقيق إنجازات ما تزال باقية في مختلف هذه الميادين وإبراز مبله، في الوقت نفسه، إلى فن العمارة. وبالفعل، عمل على تشييد الخوانق والمساجد والمدارس والضرائح والخانات في عاصمته، فكان له الفضل الكبير في متابعة مشاريع تنظيم مدني حقيقي، وتصميم ساحة راجستان حيث رفع أربعة أبنية فخمة، وهي الساحة التي ما زالت تقوم فيها أضخم مدرسة له انتهى العمل فيها عام ١٨٢٣/١٨٢٠م. ويعود إليه أيضاً في سمرقند، إلى جانب قصر دُرس، بناء البوابة الكبرى ومجموعة ملحقات لمجمع الأضرحة المعروف بشاه زنده، ومرصد مهم أنجز بناؤه عام ١٨٣١/١٨٢٨م.

في نهاية تلك المرحلة من الإنجازات الرائعة، لم يتسكن أولوغ بيك، وقد أمسى، في فترة متأخرة من حياته، سيد الأباطورية التيمورية، من مقاومة هجمات الأوزبك الشيبانيين والخصومات العائلية التي تأقلت جماعته. أعلم بأمر من أحد أولاده، فلم يخلف سوى عرش انهكته الانشغافات الداخلية وبداية تقطيع أوصاله. « رابع المستند رقم ٧١.

الأولياء (تكريم الأولياء)، ممارسة انتشرت تدريجياً في الأوساط المسلمة لتكريم أشخاص صالحين (أولياء جمع ولي) اعتبروا وسطاء بين العالم الروحاني والعالم المادي.

توافق الحرص على التقرب من مثل هؤلاء الوسطاء مع التكريم الذي يولييه الشيعة أئمتهم الذين يتمتعون، في نظر أتباعهم، بمقدرة الشفاعة. وأدى ذلك إلى شيوع معتقدات في أوساط الشعب لم يسمح بها القرآن، راحت تنتشر تدريجياً ابتداءً من القرن الرابع الهجري/المعاصر الميلادي تقريباً. والأولياء الذين سرعان ما تم الاحتفاء

سكان المناطق المجاورة للمسلمون، وبخاصة الجمهوريات الفدرالية ذات الطابع الإسلامي الغالب، كانشيشان وكاباردينو - بلكاريا اللتين تحيطان بأوسيتيا الشمالية من الشرق والغرب.

ويتميز الإسلام الأوسيتي، ذي الطابع الفريد المثير للفضول، بالإنجازات توفيقية، تعود جذورها إلى الساضي البعيد لأجدادهم البدو الألاتيين ولإتنيات قوقازية أخرى.

أوغندا، (جمهورية)، تبلغ مساحتها ٢٣٦.٠٤٠ كلم^٢، عاصمتها كمبالا. دولة معاصرة مستقلة في أفريقيا السوداء الشرقية؛ عدد سكانها حوالي عشرين مليون نسمة، بينهم أقلية مسلمة تبلغ حوالي ١٠٪.

هذا الوضع نتج عن أسلمة قرية العهد نسبياً، واكبت، خلال القرن التاسع عشر، تنامي العلاقات التجارية التي تولدت، شيئاً فشيئاً آنذاك، بين ساحل المحيط الهندي والأراضي الخصبة المحيطة ببحيرة فيكتوريا. فُيِّيل التغلغل الأوروبي، برزت بعض الصعوبات بين ملوك مملكة باغندا السوداء - ومن بينهم الملك يتسا الشهير، مُضيف المستكشف ستانلي (Stanley) عام ١٨٧٥ - ورعاياهم الذين أغرهم الدعوة إلى الإسلام التي كان يظلفها التجار العرب السواحليون. أجتجت هذه التوترات الطموحات السياسية لخديوي مصر المتحذرين من محمد علي الذين كانوا يوجهون حملات عسكرية نحو أراضي جمهورية السودان الحالية. لكن هذه التوترات لم تُثَلِّ دون تجلُّل إسلامي صمد أمام الاضطرابات الداخلية التي وقعت في الفترة الأخيرة.

أولوغ بيك، محمد تورغان، ٧٩٥ - ١٣٩٣/١٨٥٣ - ١٤٤٩م، هو ابن شاهرخ والملك الثالث الكبير لسلالة التيموريين، لم يصفَ حكمه غير الناجح، بدءاً بالعام ١٤٤٧ حتى إعدامه بعد سنتين، إلا القليل على شهرته كرجل علم وراعي للثقافة؛ وقد ذاع صيته بفضل الأبنية التي شيدها. ولد في السلطانية وأصبح عام ١٤٠٧، وكان لا يزال حديث السن، حاكماً على خراسان، فأخذ يكتسب، بهذه الصفة، شهرة شخصية شكلت على الدوام عماد مجده. أولع بالرياضيات وعلم الفلك،

بغداد، على سبيل المثال، كان يُكرَّم عبد القادر الجيلاني، وفي لاهور الهجويري، وفي دمشق ابن العربي، وفي استنبول أبو أيوب - وهو صاحب سبط «شهباء» تحت أسوار القسطنطينية في مكان يدعى اليوم «أيوب» - وفي مصر أحمد البدوي المدفون في طنطا، والست نفيسة، وعلويون آخرون مدفونون في القاهرة، وفي القيروان سيدي عقبة أي عقبة بن نافع الذي سُمي باسمه المسجد الجامع، وفي الجزائر سيدي بومدين أو أبو مدين التلمساني، وفي المغرب مولاي إدريس أي إدريس الأول المدفون في مدينة مولاي إدريس. إن كلاً من هؤلاء يتمتع بشهرة خاصة قد تكون مبنية على وقائع تاريخية، ضخمها الحاجة إلى آبيات متخصصة، لها صلة بفضائل مكان ما أو شخص ما. لكن ما وصلنا من أخبار يبرز تمجيد شخصيات من صانعي العجائب، اعتمد فيه على كل ما يثير الدهشة للإشادة بالعجائب أو بالأحرى بالمعجزات التي حققها أولياء، غالباً بفضل الإفراط في الزهد، وإسباغ قدرات مختلفة عليهم.

اهتم الصوفيون من جهتهم بالمشكلات التي يطرحها وضع الشفعا الخارجين غالباً من صفوفهم. وكان مقرون تقليدياً من الصوفية، كالحكيم الترمذي أو الهجويري، يحدِّدون الولي كمن «يعرف الله بالله»، ويملك جزءاً ذلك معيَّرات مختلفة: فهو قد تحرَّج من نير الشهوات ويمكنه «الحلّ والربط»، وله موهبة في صنع المعجزات، وينسب إليه بعض المؤلفين «حكم الكون». وبالنسبة إلى بعض الكتاب الصوفيين، فإنَّ الأولياء موزعون إلى فئات وعددهم محدّد، فيحلّ ولي جديد مكان آخر قد غاب، ويدعى الجُدد «الأبدال»، وعلى رأسهم «القطب».

تبدو فكرة العدد الثابت قديمة، إذ هناك أحاديث تذكر «الأولياء الأربعين» الموجودين في سوريا وحدها أو في سوريا والعراق. وفي كتابات من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وصل عددهم إلى أكثر من ثلاثمائة بصفة «مختارين»، وإلى أربعين «بديلاً»، و«أطهار» بعدد سبعة، و«أركان» بعدد أربعة، و«أمرأ» بعدد ثلاثة، و«قطب» واحد. ويطرح ابن العربي، في القرن السابع الهجري/الثالث عشر

بذكرهم كانوا في الواقع على أنواع، كما يدلّ على ذلك «دليل» الهروي الذي وُضع في نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في عصر شهد فيه تكريمهم تطوراً مهمّاً، وقد ساعد على ذلك ازدهار الصوفية. كان اعتماد الزيارات التقوية والحجّ غير المنسكي قد وُلد، في الواقع، عبادات تَصَلَّت في عمق العادات الشعبية والممارسات الدينية واتَّخذت، وفق كل منطقة، أنواراً خاصة اغتننت بتفاصيل آبيات الشِّير التي غالباً ما كان محتواها أسطورياً. كانت القبور والأضرحة موضوع احتفالات تكريمية، وكذلك بعض الأماكن كالعمام والمشهد حيث تُخلَّد ذكرى نبي أو شهيد أو بعض الأتقياء.

ناقش الفقهاء في وقت مبكر، على ما يبدو، شرعية هذه الاحتفالات التي حظيت بإجماع مرحّب به، مشابه للإجماع الذي كان يسمح بتجميل بعض الأضرحة وارتداء المقابر، لكن كان هناك بعض التحفظات. وفي القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، اتخذ ابن تيمية موقفاً متشدداً، إذ ميّز ما بين «الحج» إلى مسافة بعيدة بعض الشيء، و«الزيارة التقوية». وفي ما كان «الحج» غير المنسكي معترفاً بالنسبة إليه، كانت الزيارة في مكان الإقامة مسموحة وحتى محبّذة إذا ما تقبّلت ببعض الشروط. استند ابن تيمية إلى الحديث الذي لا يسمح للمؤمن إلا بزيارة مساجد مكّة والمدينة والقدس. لكنّ تمييزه ما بين «الحج» غير المنسكي و«الزيارة التقوية» لم يدركه دوماً معاصروه، ممّا يفسّر سجن العلامة الحنبلي على أيدي سلطات دمشق سنة ٧٢٦/١٣٢٦م. من جهة أخرى لم يكن ابن تيمية يسمح بصلاة الالتماس الموجهة إلى «الأولياء»، والتي شجها، كما حرّم الصلاة الطقسية على الأضرحة.

تدلّ انتقادات ابن تيمية على الأهمية التي أولاها عصره لتكريم الأولياء الذين كان من العادة اللجوء إليهم في الشدائد، وطلب شفاعتهم للحصول على غفران الله. كان دورهم، كشفعا، خبيرين يتمّ الضرع إليهم في مقامهم المقدّس، يتأخّد عبر الاعتراف بهم شفعا محليّين، تارة كأولياء صغار في إطار محدّد لإحدى القرى. وتارة كأولياء كبار حُماة لمَدن أو للعواصم. في

البكري الشبانكارى، ٦٨٠-٧٥٦هـ/١٢٨١-١٣٥٥م. فقيه ومنكلم سني، أكتب على مؤلفات يغلّب عليها طابع الجمع بطريقة منهجية موجّهة للتعليم.

ولد في إيج، مدينة في إقليم فارس. من أتباع البيضاوي، ينتمي إلى المذهب الشافعي وإلى المدرسة الأشعرية. خدم آخر الإيلخانيين، أبا سعيد، الذي عينه قاضياً، ثم التحق بالمظفرتين. قامت شهرته على دراسة فقهية عرض فيها الأفكار الفقهية الأساسية بإيجاز، في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، مستنداً بشكل أساسي إلى مؤلفات أبرزها كتابات فخر الدين الرازي والأمدني، ومؤلفه هذا ما يزال يُدرّس في جامعة الأزهر.

الأبدينيون (٧٠٨-٨٢٩هـ/١٣٠٨-١٤٢٥م)، إسم سلالة تركمانية من عصر الإمارات في الأناضول بسطت سلطتها على رقعة ضيقة وخصبة من ساحل بحر إيجه.

وتجدر الإشارة إلى أن الرواديين السُفّليين لُنَهزِي مُلُدُرس الكبير ومُلُدُرس الصغير كانا قد شهدا قدماً قيام أشهر المدن الأيوتية. وقد احتلّت هذه المنطقة أولاً من قبل مؤسس السلالة، أُنْدِيُونُغُلُو محمد بك (توفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٣٤م). وكان قائداً دخل في خدمة الكروميانيين، فاستغلّ بتلك المنطقة حيث أُنْدِين، ويزجي وآباسولوك، وكيلس، وهي قرية من سلجوق الحالية. وما تزال برجى تحافظ على بقايا كثيرة من أبنيتها القديمة. أمّا ولده عُمر بك الذي حكم حتى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، فقد احتلّ مدينة أزمير وقلمتها، قبل أن ينطلق في غزوات بحرية مرتبطة، ولو جزئياً، بتدخله في الصراعات البيزنطية القائمة آنذاك، ما أثار ضده الهجمات الصليبية التي كان قد دعا إليها البابا كليمانس السادس. وحكم بعده أخوه عيسى بين سنتي ٧٦١ و٧٩٢هـ/١٣٦٠ و١٣٩٠م، قبل ضمّ الإمارة إلى الدولة العثمانية للمرة الأولى. وإليه يعود الفضل في بناء المسجد الجامع في سلجوق قريباً من مدينة «أفسس» القديمة. ويُعتبر هذا البناء الضخم تحسباً لما كانت عليه دولته الصغيرة من غنى، بفضل نشاطها التجاري وعلاقاتها بالغرب اللاتيني، وبخاصة بالمدن الإيطالية.

الميلادي، سلفاً مثابها مصرّاً على دور القطب الذي يمثل النبي محمد (ﷺ) في كل جيل. وهو محور الكون والضمائم للنظام الكوني. ويستعيد كذلك فكرة الحكيم الترمذي بأن هناك «خاتم قداسة» يختم سلسلة الأولياء. لكنّه كان يتجاوز هذا المفهوم معيّراً خاتم القداسة الشمولية الذي يتّكّل بعيسى (المسيح) وخاتم القداسة المحمدية، ويبدو أنّه طالب لنفسه بهذا اللقب.

وهكذا أضيف إلى الفكر الإسلامي تفكير حقيقي حول مفهوم القداسة، يصعب تحديده في الإسلام حيث أنّه لا يتركز على قاعدة عقائدية محدّدة. إنّ المعطيات الخاصة بمسيرة الصوفيين الروحية السالرين بالتدرّج نحو «صدقة الله» هي الوحيدة التي أنت تفتي التعاليم القليلة التي يمكن استخراجها من الجذر السامي «قدس» المستعمل بحدّة في القرآن.

إُوليا جَلِّي، أوليا بن دويش محمد ظلي ١٦١١-١٦٨٤، عالم جغرافيا تركي، كان رحالة معيّراً وصاحب رحلة وصف فيها الأمبراطورية العثمانية في القرن السابع عشر.

ولد في اسطنبول، واجتاز هذا الرجل الذي لم يعرف إلا باسمه المستعار ولايات الأمبراطورية، حيناً بمفرده وحيناً آخر برفقة مسؤولين عثمانيين رفيعي المقام. معلوماً عن حياته وعائلته قليلة، ما عدا أنّ والده كان رئيس الصّافّة في البلاط، في عهد سليمان القانوني وخلفه. أمّا هو فقد استرعى الانتباه بصفته حافظاً للقرآن، وقد رَحّب به السلطان مراد الرابع في بلاطه وغدا «سباهي» الباب العالي. تناول كتابه الضخم «سباحة نامه» أو «كتاب الزّحلات»، الواقع في عشرة أجزاء، توصيف مدن ومناطق كثيرة ولا سيّما اسطنبول، والأناضول وسوريا وفلسطين وإيران والبلقان والموره ومصر. يحوي مؤلفه، الذي يجمع بين البحث الدقيق والطرفة، فضلاً عن تجارب وافقة، معلومات قيّمة، إلّا أنّ ميل صاحبه إلى الخارق من الوقائع يجبر المؤرّخ الحديث على قراءة رواياته بروح نقدية.

إيبيريا (شبه الجزيرة الإيبيرية) ← الأندلس.

الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن عبد الغفار

المتعرجة التي تصل الهضبة بسهول دجلة والفرات العراقية.

من جهتها، فإن السواحل الخصبة والرفيعة لبحر قزوين التي انتشرت فيها، منذ القرون الوسطى، عند أقدم الغابات العذراء، زراعات الأرز في جيلان وطبرستان، وكذلك وادي كارون الواسع، أي سوزبان القديمة التي عرفت لاحقاً باسم خوزستان والتي بنفسم مفدها في عمق الخليج الفارسي - العربي إلى دلتا بلاد ما بين النهرين، هذه السواحل وذلك الوادي حافظت في كلّ المهود على قراذنها. وفي الجزء الشمالي - الشرقي أخيراً تمتد، في ما وراء جرجان، خراسان الواسعة التي انهار ازدهارها مع الغزوات التركية - المغولية، وتقسّمت أراضيها شيئاً فشيئاً، وفق الحدود التي تفصل اليوم الجمهورية الإسلامية الإيرانية عن جمهوريتي تركمانستان وأفغانستان. في كلّ هذه المجموعة تصافرت الغزوات التي عاثت في أواخر القرون الوسطى الإسلامية، مع تغيّرات الأحوال السياسية، على تشكيل بلد ذي أكثرية شيعية إيرانية اللغة، مساحته أضيق إلى حدّ ما، قياساً إلى العالم الإيراني في القرون الإسلامية الأولى، ذلك البلد يعرف اليوم بالجمهورية الإسلامية الإيرانية.

قديماً، كانت المناطق الإيرانية المختلفة التي ضُمت إلى العالم الإسلامي، منذ الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، تتشكّل جزءاً من الأراضي المفتوحة عنوة، بخلاف الأراضي البيزنطية التي خضعت في غالب الأحيان سلباً ومن خلال معاهدة. هذه المناطق شهدت، منذ معركة نهاوند في ٦٢٢/٦٢٣م، اندفاع الجيوش المنتصرة التي أنهت الاحتلال بطريقة تقريبية بعد ٣١١هـ/٦٥١م، عندما قُتل المعامل الساساني الذي كان هارثا إلى منطقة ما وراء النهر. ورغم ذلك استغرقت التهدة مدة من الزمن، توالى فيها، وفي ظلّ الخلافة الأموية السورية، فترات من المقاومة والثورات من جهة، والقمع من جهة أخرى. في تلك الحقبة، كانت إيران بكاملها خاضعة لحاكم يقوم بالحروب الضرورية ويمسك بالجزء الشرقي من الامبراطورية. ولم تتشكّل المقاطعات المنمّزة إلا على عهد الخلفاء العبّاسيين. في غضون

أما آخر أمير من الآديتيين فقد ولي الحكم بعد عدد من أقربائه جعلهم يعمرونك بتعاقبون على الإمارة، إثر انتصاره في معركة أنقرة. لكنّ السلطان العثماني، مراد الثاني، الذي تغلّب عليه، قتله وضمّ المنطقة إليه نهائياً. راجع المستند ٢٢

إيران، مقاطعة من دار الإسلام في القرون الوسطى تشمل تقريباً أرض فارس القديمة، وقد احتلت مركزاً متميّزاً في تاريخ الإسلام، وتقوم على قسم منها اليوم دولة حديثة مستقلة، لها سمة خاصة قوية على ثلاثة صعد: اللغة والدين والشعور الوطني.

١- يتميّز الكيان الجغرافي الإيراني بتنوّع كبير في المناظر الطبيعية، وتسكنه على أطرافه مجموعات سكانية غير متجانسة هي أيضاً. يتطابق هذا الكيان مع الهضبة الواسعة ذات المناخ شبه الجاف التي تمتد في الشرق إلى أفغانستان وباكستان الحاليين اللتين تحتلان أطرافها الشرقية، بجوار آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية. هذه الهضبة التي تعلوها قمم أليز ونيجارو وبحر قزوين وسلاسل زغروس المنتصبة فوق العراق والخليج العربي - الفارسي، تنتشر فيها واحات مرتفعة حول الصحراويين المالحين اللتين تحتلان منخفضاً في الوسط، يمتدّ بعد ذلك عبر سهل سجستان. بفضل تقنيّات للري مطوّقة منذ زمن بعيد، بخاصة تقنيّات القنوات، فإنّ هذه الواحات كانت تعيش من استثمار المياه الجوفية التي تغدّي من مياه سيول الأطراف الجبلية، فتؤمن زراعات غذائية ضرورية لمناطق قوس، والجبال، وفارس وكرمان التي تتمتع أيضاً بغنى إنتاجها الحرفي ونشاطها التجاري، من دون إغفال بعض الموارد المنجمية.

إنّ التقاليد الحياتية نفسها كانت متبعة في الجبال المحيطة، بدءاً بالمنحدرات الجافة في بلوشستان ومكران، حتّى الخاصرة الغربية للهندوكش وأول الالتواءات القوقازية. وفضلاً عن ذلك، كانت تمرّ عبر أذربيجان، بالأمس كما اليوم، طرق المواصلات التي تصل الهضبة الإيرانية بالهضبة الأناضولية وأراضي أرمينيا وروسيا. وهي إتّما مسالك عادية للقوافل أو ممرّات صعبة، ولكنها أقلّ قسوة، على كلّ حال، من الطرقات

اجتماعية، تركبها صراعات شخصية.

أضحى حكم المأمون، في ما بعد، تحولاً تاريخياً تولدت، انطلاقاً منه، حركات انفصالية في الشرق، صحيح أنها أقل خطورة من تلك التي ظهرت في الغرب الإسلامي، لكنها أدت إلى تكوين سلطات وراثية حاكمة ومستمرة إلى حد ما. فالظاهر بنون حكموا حتى ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م مقاطعة خراسان التي كان المأمون قد عهد بها إلى طاهر، وهو قائد ينتمي إلى أسرة من الموالي. في تلك السنة، أطاحهم عن سدة الحكم الصفاريون الذين استقروا بدايةً في سجستان منذ ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م، ومنها بسطوا سيطرتهم على كل إيران تقريباً. ثم هزموا بدورهم وحلّ محلّهم السامانيون، وهم إيرانيون من سكان ما وراء النهر، حصلوا على حكم خراسان منذ سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م. وشهد القرن الرابع (الهجري/العاشر الميلادي)، إذًا، تحت السلطة الإسمية للعباسيين الذين تراجع نفوذهم، انفصلاً بين شرق إيران وغربها: فالجزء الشرقيّ حكمه السامانيون، ثم ضباطهم الأتراك القدامى، الغزنويون المدافعون عن السنة، الذين استقروا في شرق سجستان، ومن هناك حاربوا حتى الهند من جهة، وحتى الرّي من جهة أخرى، وفي الجهة الغربية حكم أعضاء من أسرة البويهيين حماة التشيع، وتبوأ بعضهم منصب أمير الأمراء في بغداد، وفرضوا وصايتهم على الخليفة. في تلك الحقبة ازدهرت أيضاً تمازج من فنّ إسلامي إيراني طريف، بدأ يثبت نفسه في هندسة معمارية تعتمد القرميد، في أسلوب زخرفي، وكلاهما يستوحى تقاليده من ماضي بعيد؛ وكذلك عرفت اللغة الإيرانية رواجاً جديداً كأداة أدبية استعملت، منذ ذلك الحين، في أنواع أدبية زمنية، نثرية وشعرية، أعادت إحياء مواضيع قديمة.

بعد ذلك، في القرن الخامس الهجري/الحدادي عشر الميلادي، تبدّلت الحالة كلياً مع غزو الأتراك السلاجقة وعشارتهم التي اجتاحت خراسان واستقرت في نيسابور، منذ ٤٣٩هـ/ ١٠٣٨م، قبل أن تسيطر على السلطة في بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م. هؤلاء الأسباط الجدد الذي فرضوا سيطرتهم على مجمل إيران أعادوا تثبيت السنة من دون أن يتمكنوا، مع ذلك، من القضاء على الإسماعيلية النزارية التي استقرت في ألمات منذ ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م. بالتأكيد لم

ذلك، قام العرب وموالي خراسان - المتحذرون من منطقة غنية وتجارية عرفت ظروفاً خاصة، جعلت سكانها يعتنقون الإسلام بأعداد وفيرة، مع بقاء الأمراء المحليين في مراكزهم وفرض الجزية عليهم - بدور حاسم في «الثورة العباسية»: فقد عُهد إليهم في دولة الخلافة الجديدة مسؤوليات متزايدة، ومع ذلك لم يتم إخماد التوتر والاضطرابات المتنوعة في إيران نفسها.

بعض هذا التوتر مرده إلى الحيوية التي احتفظت بها في البلاد، لبعض الوقت، الدبابات الإيرانية السابقة، لا سيما الزرادشتية والمناوية، على الرغم من تنامي حركة اعتناق الإسلام. ويبدو أن بعض المسلمين الجدد، خاصة من المانويين، ظلوا مخلصين لقناعاتهم الأولى وألهموا، على عهد الخليفة المهدي، بأنهم زنادقة أو كافرون. وثمة عادات دينية هندية-إيرانية كانت هي أيضاً في أساس الاضطرابات التي اندلعت في بداية العصر العباسي. والدور الحقيقي الذي قام به هذا الإرث في ميدان الأفكار التي طبعت التطور الديني والزمني للثقافة الإسلامية، كما التعبير عنها أدبياً باللغة العربية، كانا في أساس الحركة المطلبية المعروفة بالشعرية.

فضلاً عن ذلك، يفسّر التوتر الاجتماعي الناتج، من بعض وجوهه، عن الضرائب التي فرضها المسلمون في البلاد المفتوحة، نشوء بعض الثورات التي ظلت تقع في هذه المناطق. ومن أجل قمع إحداها، قام هارون الرشيد نفسه، على رأس جيش مهم، بحملة إلى خراسان حيث توفي في طوس في ١٩٣هـ / ٨٠٩م. هذه الحادثة كانت، في جزء منها، سبباً للاطّماع السياسية التي راودت الخليفة الشاب المأمون، الذي كان في حينه حاكماً لهذه المقاطعة وكان يقيم فيها، وبلاطه في مرو يتوهج بلمعان معيّر. وإذا رفض المأمون، وهو الوريث الثاني للعرش، الاعتراف بأولّية أخيه الذي أعلن خليفة بحسب تعليمات أبيهما، فأنه قام بحرب أهلية ربّحها جزئياً بفضل القوات التي تمّ حشدتها في خراسان. هذا الصراع، الذي يعطي أيضاً دليلاً إضافياً على ثقل المقاطعات الشرقية في توازن الدولة العباسية، لا يجوز أن يفسّر، مع ذلك، على أنّه نتيجة التضاد بين العرب والإيرانيين، بل بالحري كنتيجة للمنافسة بين جماعات

يمكن التيموريون المتحذرون منه من المحافظة، بعد موته في ١٤٠٥/٨٠٧ م، إلا على الأراضي الشرقية. واستمرت الاضطرابات طوال القرن الخامس عشر، بينما كانت سلالات التركمان من الغراقينلو والآق قوبولنو تتصارع في ما بينها وضد التيموريين. كل ذلك، لم يخل دون أن تستمر في التطور تلك الحضارة التي انطلقت في ظل الإيلخانيين: تشهد على ذلك تحف تتم تنفيذها في مجال المنمنمات أو الكسوة بالقاشاني الذي يزين لمعانه المباني القليلة المعروفة اليوم، لأنها تمكنت من الصمود أمام الكوارث الحربية المختلفة والزلازل.

الصوفيون، وهم أيضاً من أصل تركماني، استفادت سلالتهم في بداياتها من مساعدة حركة دينية منظمة، فبنوا آنذاك في إيران، بدءاً من العام ١٥٠١ م، دولة تيوقراطية محاربة فرضت بالقوة عقيدة التشيع الإمامي الاثني عشري في كل البلاد، وفي الوقت عينه، حققوا نهضة سياسية واقتصادية مدعومة بظهور شكل من الشعور القومي. ويعود لهم الفضل في تشييد الأبنية ذات الأتنية التي زين بها الشاه عباس الأول عاصمته أصفهان، التي أصبحت مجدداً مدينة كبيرة، وما تزال شهرتها قائمة على إنجازاتها المعمارية. بعد انحطاطهم واستيلاء نادرشاه على السلطة، بين ١٧٣٦ و١٧٦٧، بفضل انتصارات عسكرية وضعت نهاية للفوضى والتدخلات الغربية، كانت ردة الفعل السببة على حكم الأفشاريين في هذه المرحلة قصيرة الأمد. وإذا بالتشيع، منذ نهاية القرن الثامن عشر، يسيطر من جديد على البلاد في ظل سلالة الزند، ثم القاجار الذين احتفظوا بالعرش على الرغم من المصاعب الداخلية التي تخللتها محاولات تحديث، سبقت مرحلة الحرب العالمية الأولى. إيران الحديثة، المملكة، ثم الجمهورية الإسلامية، ولدت آنذاك، في ظل سلطة البهلويين الذين تسلموا الحكم في ١٩٢٧، وأزاحهم عنه، في ١٩٧٩، الثورة الإسلامية التي فرضت النظام الحالي. وفي الوقت نفسه امتحت، لمصلحة إسلام منتصر، صورة الدولة القومية والمتغربة في أن، التي سعت الى تشكيلها سلطة زمنية مناهضة لرجال الدين الشيعة من المالكي، معتمدة في ذلك على عائدات النفط.

٢- الجمهورية الإسلامية الإيرانية، تبلغ مساحتها

يوقفوا إطلاقاً نهضة أدبية وفنية أتاحت في كنفهم ولادة حضارة أمبراطورية جديدة. ولكنهم عدلوا، بشكل عميق، التكوين العرقي والتنظيم الداخلي لمختلف المقاطعات: فهذه كانت تحت رحمة شهوات حكام محليين من البدو الأتراك، في كل مرة غرّ لهم إحتلال البعض منها كأذربيجان مثلاً؛ وفي أماكن أخرى، عمد أسياذ حرب جد، وهم من الأتراك العصاة التابعين لدولة كانت على شفير التفكك، على إدخال بذور انقسامات وصراعات داخلية دائمة. وعند وفاة السلطان سنجر الذي كان قد جعل من خراسان مركز سلطته، خلافاً لسابقيه الذين كانوا مقيمين خاصة في عاصمتهم أصفهان، تقاسم البلاد أمراء أتراك عدة، بعضهم ينسب إلى العائلة المالكة، كسلجقة كرمان، وآخرون من الذين كبروا في خدمتها كغالبية، منهم الشغوريون في فارس، والإيلدغزيون في أذربيجان. وبعيداً منهم، فقد سعى الغوريون، خلفاء الغزنويين، ثم الخوارزمشاهيون، حكام آسيا الوسطى القدامى من قبل السلجقة، إلى ضم المناطق الحدودية إلى أمبراطورياتهم قبل أن يغير قديم المغول الأوضاع.

هذه الموجة الثانية من البدو الغزاة - الذين نهوا أولاً المدن الرئيسة في ما وراء النهر، وحتى نيسابور، منذ ١١٨٨/١٢٢١ م، وأعادوا الكرة في ١٢٥٤/١٢٥٦ م، تحت قيادة هولوكو، وقاموا بهجمات منظمة في إيران - كانت أيضاً في أساس قيام الأمبراطورية العائدة للإيلخانيين. فهؤلاء اختاروا أن يملكوا في مراغة أو تبريز وشاهدوا، بدورهم، سلطتهم تنفك في أقل من قرن. وكانوا تمكنوا قبل ذلك، ليس فقط من إعادة ترميم ثقافة البلاد التي غيروا أيضاً طبيعة سكانها بالسي إلى تركيها، بل أيضاً من تطوير مناخها الديني إذ إنهم، عندما اعتنقوا الإسلام، شجع بعضهم التشيع الإمامي الاثني عشري مع استئصالهم الإسماعيلية. استمرت العادات نفسها في ظل وراثتهم الذين كان أهمهم المظفرون في الجنوب والجلانريون في الشمال الغربي، حتى الوقت الذي قامت فيه حملات تيمورلنك مجدداً باجتياح إيران بدءاً من ٧٨٢/١٣٨٠ م. عند ذلك، ضمت البلاد، ككل آسيا الغربية، إلى الممتلكات الشاسعة، ولكن المعترسة للزوال، التي استولى عليها تيمورلنك بالقوة، والتي لم

بفعل تعديل الدستور، إلى رئيس الجمهورية.

« راجع المستندات ٨، ١٢، ١٣، ١٧، ٢٣، ٢٤، ٤٧-٤٩، ٧٠ و٧٢.

إيطاليا، بلاد احتلّ المسلمون موقناً المناطق الجنوبية منها، في القرون الوسطى، لا سيما في القرنين الثالث والرابع الهجريين/القرن التاسع وأوائل العاشر الميلاديين. لقد شكّلت صقلية، أولاً، ثم شبه الجزيرة الإيطالية نفسها، هدفاً للهجمات العربية الإسلامية التي تمكن بعضها، في مرحلة مبكرة، من تكوين إمارات صغيرة. ومنذ القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، بعد انهزام أسطول البندقية في تارانت، سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م، استقرّ المسلمون في باري سنة ٢٢٣هـ/٨٤٧م، وأسسوا دولة استمرت حتى سنة ٢٥٧هـ/٨٧١م. وقد احتلّت تارانتا بين عامي ٢٣٢ و٢٦٦هـ/٨٤٦ و٨٨٠ تقريباً. وفي ذلك الحين، كانت فرق مسلّحة قادمة من البلاد الإسلامية تشنّ غزوات، أو تضع نفسها في خدمة الأمراء اللومبارديين. والحملة التي حرّزت أكثر ما يكون العالم المسيحي كانت، بوجه خاص، تلك التي أُنشأت للمسلمين أن يبلغوا سنة ٢٦٦هـ/٨٤٦م، أسوار روما وأن يخزبوا كاتدرائية القديس بطرس. وحملة أخرى قادتهم إلى إنشاء معسكر متغول في وادي غارغليانو حيث استقروا بين عامي ٢٦٩هـ/٨٨٣م و٣٠٢هـ/٩١٥م. وفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م، وجه الأغليي إبراهيم الثاني حملة بحرية من أفريقيا إلى كالابريا.

وبداً من مرحلة سيطرة الفاطميين على صقلية، استمرت الحملات على شبه الجزيرة الإيطالية، لكن من دون أن تحقّق أهدافاً تذكر، باستثناء الحملة التي قادها صابر ضد الإمارات اللومباردية في السواحل التيرانية سنة ٣٦٦هـ/٩٢٨م، وتلك التي حقّقت سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م الاستيلاء المؤقت على مدينة جنوى. كل هذا النشاط العسكري والبحري، الذي تميّز أيضاً بالحملة على سردينيا سنة ٤٠٥هـ/١٠١٥م، توقّف على كل حال عندما استعاد المسيحيون النورمان سلطتهم على صقلية في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. إنّ المؤثرات الفنية الآتية من البلاد الإسلامية، في هذه المرحلة، والتي استمرت ظاهرة في الهندسة المعمارية الصقلية، تركت كذلك آثاراً واضحة في

١٦٤٨ كلم^٢، عاصمتها: طهران، هي اليوم دولة حديثة مستقلة، عدد سكّانها حوالي ٦٥ مليوناً، وهم مسلمون شيعة بنسبة ٩٨٪.

جمهورية إيران الحالية، التي لا تغطي كامل المقاطعات الإسلامية القديمة التي حملت اسم إيران أو فارس، تحدّها شواطئ بحر قزوين في الشمال والخليج العربي - الفارسي أو خليج عُمان في الجنوب، ولها حدود مشتركة مع مناطق مختلفة إلى حد كبير، وتتقاطع في وسطها طرق مواصلات أرضية، قانبلاد تفتح في الغرب على الجمهوريات السوفياتية السابقة في أذربيجان وأرمينيا، وعلى الجمهورية التركية التي تتحكّم بالمضيق التي تمرّ عبرها علاقاتها الاقتصادية مع أوروبا، وأخيراً مع العراق الذي سيطرت حالة الحرب على علاقات الجمهورية الإسلامية معه في الثمانينات من القرن العشرين. ونحو الشرق تتابع الحدود التي تفصل الأرض الإيرانية عن الجمهورية السوفياتية السابقة تركمانستان ودولة أفغانستان الإسلامية ودولة باكستان الإسلامية، ولكن من دون أن تقطع هذه الحدود - التي رُسمت بطريقة إصطناعية - التواصل في المشاهد الجبلية السهوية أو الصحراوية.

منذ ١٩٧٩، أصبحت هذه الدولة ذات الوضعية الجغرافية الفريدة، جمهورية إسلامية، بعدما أسقطت مملكة البهلويين. دستورها يحدّد بدقة أن كلّ التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي ينبغي أن يكون متجانساً مع المبادئ الإسلامية التي يحددها مجلس مختصّ مكون من ٢٢ (فقيهاً) يختارهم مجلس النواب. هذا الدستور ينصّ أيضاً على أنّ إدارة الجماعة تعود إلى فقيه، فاهي يخاف الله، وتحدّد بدقة أنّ هذا الفقيه هو آية الله الخميني. ومع أنّ النظام برلماني يعمل مع مجلس وزراء ورئيس للجمهورية، فالحياة السياسية يسيطر عليها حزب الجمهورية الإسلامية. موت الخميني في ١٩٨٩، عدل إلى حدّ ما الوضع القائم، مع أنّه حوّل على المبدأ القاضي بوضع زعيم ديني قوي في مركز القيادة. خامنئي، الوريث الأوّل، تمّ تعيينه من قبل مجلس الاختصاصيين، لكنّه لم يحصل على لقب آية الله، واكتفى بلقب حجة الإسلام. كما أنّه لا يملك السلطة الحقيقية التي أعطيت،

«إبلاخان». لكن التسمية «الإبلاخانيين» استمرت لدى المؤرخين لتمييز امراء المغول في بلاد الفرس، حتى زوالهم سنة ١٣٥٤م/١٣٥٣م، عن مغول وسط آسيا، أو سيبيريا أو روسيا.

إن الحكام الأولين من هذه السلالة الذين اعتمدوا تنظيمًا مستوحى من التقاليد الإيرانية، لكن لم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام، أي دين شعوبهم. كان موقفهم معادياً للإسلام السني المتمثل بمصر وبسوريا على عهد الماليك، فكانوا بحاربون هؤلاء الماليك ويهاجمونهم باستمرار بعد الهزيمة التي منوها بها في عين جالوت. وأظهروا، في المقابل، ميلاً إلى الشيعة، وقد تسلم بعض هؤلاء وظائف إدارية؛ وكذلك إلى المسيحيين الذين تنتمي إليهم إحدى زوجات هولاء. وأقاموا علاقات دبلوماسية مع الغرب، ولا سيما مع فرنسا على عهد لويس التاسع. وظن الأوروبيون أنهم وجدوا فيهم حلفاء ضد الدول الإسلامية، كالدولة السورية-المصرية المعادية، في الوقت نفسه، للمغربين معاً... هذه السياسة، في الواقع، لم تؤد إلى أي مبادرة فعلية؛ لقد قام بها هولاء، لكنهم لم يتابع إلا على عهد ابنه أباقا الذي شجع البيذيين والمسيحيين النساطرة، حتى وفاته، سنة ١٢٨٠م/١٢٨٣م، التي تبعتها مرحلة قصيرة من الارتباك والفوضى المالية.

انتمشت قوة الإبلاخانيين على عهد غازان، حفيد أباقا، الذي تيزر العرش سنة ١٢٩٤م/١٢٩٥م، بعد أن اعتنق الإسلام، وكذلك فعل كبار شخصيات الدولة. أبقى غازان محل إقامة في تبريز التي كان أباقا اختارها، وهي ذات الموقع المناسب لمراقبة الأنشطة التجارية وطرق القوافل المتجهة إلى البحر الأسود، وأعاد إلى مملكته النظام والازدهار. ومع كونه سنيًا كان متسامحاً مع الشيعة. وخلفه، سنة ١٣٠٤م/١٣٠٤م، أخوه أولجايتو الذي اعتنق المذهب الشيعي. ومنذ ذلك الحين، بقي السني والمسيحيون معاملة سيئة على يد السلطة. وعلى الرغم من أن خليفة أولجايتو، ابنه أبو سعيد، عاد إلى السنة، بسانده الوزير والمؤرخ رشيد الدين الذي تسلم بجدارة القيادة والإدارة، وشجع الترجمة الإيرانية في المجتمع في عهد الحاكمين الآخرين، فإن التشيع وجد

جنوب إيطاليا. تشهد على ذلك مبانٍ متعددة، سواء في كالابريا أو حتى في كامبانيا، ولا سيما شكل الأقواس والعناصر الزخرفية من هندسية ونباتية. ومن جهة أخرى، فإن التيارات العلمية العربية الإسلامية ساعدت في ازدهار الأساطير العلمية في هذه المناطق، ولا سيما في مجال الطب، وهي شاهد على التأثير الفكري الذي ساعد على أن يكون العالم المسيحي فكرة معبّية عن الإسلام.

الإبلاخانيون، ٦٥٨-١٣٥٤/١٢٦٠-١٣٥٣م، سلالة مغولية متحيزة من جنكيزخان، حكمت إيران، متوسعة إلى العراق والأناضول. اعتنق أفرادها الإسلام في آخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وجعلوا مملكتهم مركزاً جديداً للحضارة الإسلامية.

بعد توقف التقدم المغولي الذي سببته وفاة جنكيزخان، سنة ١٢٢٤م/١٢٢٧م، قام حفيده هولاءو بحملات ظافرة، انطلقت من منغوليا باتجاه الشرق الأوسط، سنة ١٢٥١م/١٢٥٣م، فطالب أخاه قبلاي، الذي أصبح الخان الكبير إثر موت أخيه الآخر مونكغ، بحكم الأراضي الممتدة من وادي الفرات إلى ما وراء النهر (أو كس/آمو دزيا). كانت هذه الأراضي مكونة من مناطق يحكمها أسباطها الجدد، وأخرى خاصة لنظام حماية، وتدفع الضرائب، كالأناتول على عهد سلاجقة الروم، وبعض المقاطعات في إيران. وفي بلاد ما وراء النهر، تمتد مملكة الجغتانيين أو سلالة جغتاي، أحد أبناء جنكيزخان. هؤلاء كانوا في منافسة دائمة مع أسباط المملكة الجدد، التابعين لقبلاي منذ أن حصل هولاءو، مؤسس السلالة الجديدة، عند تنويجه، على لقب الخان، الذي يشير إلى خضوعه للخان الكبير في الصين.

هذه الحالة الناشئة، المحكومة بهاجس الحفاظ على نوع من التوازن في «إمبراطورية السهوب»، لم تستمر إلا حتى سنة ١٢٩٣م/١٢٩٤م، تاريخ وفاة قبلاي. ذلك أن أحفاد هولاءو الذين حافظوا، في بداية الأمر، على تقاليد أسلافهم الدينية، وكانوا من أتباع الديانة الشمانية، متأثرين، في الوقت نفسه، بالبوذية أو بالمسيحية، اعتنقوا الإسلام وقطعوا ثالياً علاقاتهم بأسباطهم البعيدين، وحملوا لقب خان، وليس

وقد ذاعت شهرتهم ونأقت بفضل الأنشطة الفنية والثقافية التي راجت في دور أمرائهم، وسط النزاعات والخلافات الداخلية التي كانت آنذاك تحتاج المنطقة. وبعد أن تصدروا بنجاح لهجمات الجورجيين ولهجمات أحمدبليتي مراغة، انهارت قوتهم العسكرية تحت ضربات الخوارزمشاهين الذين تمكنوا من احتلال تبريز سنة ١٢٢٢هـ/١٢٢٥م.

شمس الدين إيلدكز	٥٣١-٥٧١هـ/١١٣٧-١١٧٥م
نصرة الدين بهلول محمد	٥٧١-٥٨٢هـ/١١٧٥-١١٨٧م
مظفر الدين قزل ارسلان عثمان	٥٨٢-٥٨٧هـ/١١٨٧-١١٩١م
قُتلغ بئانج	٥٨٧-٥٩١هـ/١١٩١-١١٩٥م
نصرة الدين أبو بكر	٥٩١-٦١٠هـ/١١٩٥-١٢١٠م
أوزبك	٦١٠-٦٢٢هـ/١٢١٠-١٢٢٥م

◀ راجع المستند رقم ١٧.

إيلغازي بن أرتق، نجم الدين، ٩٠٥/٥١٦هـ-٩٠٢/٥١٣هـ، أمير من سلالة الأرتقيين، ومؤسس الفرع الذي أقام في ماردين. حارب الفرنج في شمال سوريا في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. بانتسابه إلى الحاشية التركية للسلاجقة الكبار الذين وسعوا فتوحهم حتى الأناضول، بعد غزو إيران، صاهر إيلغازي أبرز ممثلي السلاجقة في سوريا، وهو تنش. وبعد وفاة هذا الأخير، فقد سلطته على القدس، وأصبح حاكماً لبغداد لحساب السلطان في ذلك الوقت. وبغزله عنها سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م، استولى على حصن ماردين، ولزم الحياض في الحملات العسكرية التي وجهها الأمراء المسلمون على الدولة الفرنجية التي نشأت عن الحملة الصليبية الأولى.

سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، وبعد ثقلبات متنوعة، فرض سلطته على مدينة حلب التي كانت تتمتعها الفوضى، بناء على مطالبة سكانها بقدومه إليها. هاجم حينذاك الفرنج وألحق بهم، سنة ٥١٣هـ/١١١٩م أولى هزائمهم وتوفي، بعد سنوات قليلة، في ٥١٦هـ/١١٢٢م، بعدما نجح في الاستيلاء، فضلاً عن حلب، على ميّافارقين/سيلفان، ونصيبين، وخاصة على ماردين حيث استمرّ أحفاده في السلطة طوال ثلاثة قرون، خلافاً لما كانت عليه حال الأرتقيين في حصن كيفا وآمد في ديار بكر.

في الدولة الإيلخانية أكثر فأكثر أرضاً خصبة. وأبو سعيد الذي شهد عهده ارتفاع أبنية مميزة تقريباً في كل مكان من إيران، لا سيما المساجد الجامعة، كجامع ورامين، وهي تشهد على حيوية التقاليد المعمارية التي تعود إلى عهد السلاجقة، لم ينجح في المحافظة على وحدة الأمبراطورية، حتى لو أنّ بعض خانات المغول حكموا إلى ما بعد عهده، بين ٧٣٦ و٧٥٤هـ/١٣٣٥ و١٣٥٣م. كانت الدولة آنذاك في حالك تفكك، والمعمّلون الحاضرون على الساحة، لا سيما آل جلاير وكل مظفر، يتنافسون للحفاظ على سلالاتهم الخاصة. وعلى الرغم من ذلك نجح المغول، لعشرات السنين، في تأسيس أول مملكة إيرانية مستقلة، وكان لهذا الحدث أهمية بالغة، في مرحلة لاحقة، لتاريخ المناطق التي قامت فيها سلطتهم.

هولاكو	٦٥٤-٦٦٣هـ/١٢٥٦-١٢٦٥م
أباقا	٦٦٣-٦٦٥هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م
أحمد نكودار	٦٨٠-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م
أرغون	٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م
جغتاي	٦٩٠-٦٩٤هـ/١٢٩١-١٢٩٥م
بaidu	٦٩٤هـ/١٢٩٥م
محمود غازان	٦٩٤-٦٩٥هـ/١٢٩٥-١٣٠٤م
محمد خُودابنده أولجيتو	٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٤-١٣١٧م
أبو سعيد	٧١٦-٧١٦هـ/١٣١٧-١٣٣٥م
أرپا	٧٣٦-٧٣٦هـ/١٣٣٦-١٣٣٦م
موسى	٧٣٦هـ/١٣٣٦م

◀ راجع المستند رقم ٢٣.

إيلدكزوني، هم إحدى السلالات الأتابكية من أصل تركي. ملكت لفترة قصيرة، وتنامى طموحها للدفاع عن الإسلام، في الوقت الذي غرقت فيه في الفوضى أمبراطورية آخر السلاجقة الكبار في إيران. مؤسس هذه الأسرة المالكة هو عبد محارب اسمه إيلدكز أو إيلدنز، تسلم من السلجوقي مسعود مهمات حاكم أزن وأذربيجان، قبل أن يسط نفوذه على مناطق أكثر اتساعاً، وذلك باسم سلطان سلجوقي آخر كان هو قد نصبه على العرش. تابع خلفاؤه السياسة نفسها حتى ٥٨٧هـ/١١٩١م، وتمتروا بحرية حقيقة في إماراتهم التي شملت مقاطعة الجبال وكل شمال شرقي إيران.

إيلكخان ← القراخانيون.

الإيلك خانات ← القراخانيون.

إيليا أو إلياس، شخصية توراتية جاء ذكرها في القرآن بين الأنبياء الذين لم يُضغ يعاصروهم لإنذاراتهم. يرد اسم إيليا في سورتين، إحداهما السورة ٣٧ التي تشير، بوجه خاص، إلى توبيخه غير المشمر لشعبه عابد الأصنام. وفي وقت لاحق، أخذت روايات الكتاب المسلمين حول إيليا بما ورد في العهد القديم، إلا أنها أضافت إليها عناصر من الأسطورة اليهودية، وكثيراً ما خلط هؤلاء الكتاب بينه وبين الخضر. وقد أدى انتشار عادة «تكريم الأولياء» في تلك الفترة إلى إجلال بعض المزارات المسماة على اسم هذا النبي، فأصبحت مقصداً لزيارات تقوية. إن ما حفظه لنا دليل الهزوي يسمح بتحديد مواضع بعض هذه المزارات، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، حول بعلبك في القسم الأعلى من سهل البقاع حيث يقال إن إلياس لحاً إلى العزلة. وما تزال حتى اليوم مجموعة من المواقع تذكر باسمه. من جهة أخرى، نعلم أن دير الكرمل المسيحي، أو دير مار إلياس في حيفا، بقي لمدة طويلة مقصداً لزيارة المسلمين والدروز الذين كانوا يشاركون سنوياً في الاحتفالات الشعبية البهيجة التي تقام تكريماً لهذا القديس شفيح الدير.

الإيمان، مفهوم أساسي في الإسلام يرد في الحديث المتداول، كما في القرآن حيث تتكرر كلمة «مؤمن» أكثر من كلمة «مسلمون» التي تعني المذعنين لله، للدلالة على أتباع رسالة النبي محمد ﷺ وتمييزهم من أتباع سائر الديانات.

نشئت كلمة إيمان، مثل مؤمنين، من جذر يلائم فيه الشعور بالولاء والوفاء - ومن ذلك معنى «المحافظة» على أمر ما - مفهوم الإنخراط في عقيدة. كما أنه يعني الفعل والمضمون معاً، وفي كثير من الأحيان الاثنين معاً، وينطبق بذلك، بصورة عامة، على الاعتقاد الذي يختصر الجهر بالإيمان أو الشهادة.

ويمكن تفصيل ذلك بالقول إنه الاعتقاد بإله واحد، ورسوله، والكتاب الموحى إلى هذا الرسول، واليوم

الأخر، والحياة الآخرة، أو الآخرة. وذلك يفترض القيام بالأعمال المنصوص عنها في الشريعة، استناداً إلى [أحكام] القرآن والسنة، ورغم الأخذ، في الوقت نفسه، بمقولة تمييز الإيمان الذي يوافق الإنخراط الداخلي، من الإسلام الذي يُطلق على موقف خارجي هو التسليم لله. وهذان المعطيان يشترهما العمل بالمضائل الأساسية التي تُطلق عليها كلمة إحسان، في حين تعرف الطهارة المستنبطة بالإخلاص.

ولما كان الإيمان لا يُفهم حذو بدون التوجه المستمر إلى العقيدة، فقد عُمد، عبر التاريخ، إلى انغمس في مسائل الإيمان، ولكن ذلك كان يتم، في أكثر الأحيان، في مناخ من التوتر ومن الصراعات السياسية - الدينية. هكذا برزت التعددية في الإسلام التي تشكل أحد جوانبه الأكثر تشويشاً والتي كانت، منذ النزاعات الأولى بين الشيعة والسنة، في أصل انشعابه الديني إلى نخل، متناحرة في أحيان كثيرة.

إن تداول هذا التعبير في مفهوم متشعب، غب بساطته الأولى ووحدة مفهومه، بالاستخدام المستمر لمعاني مستمدة من النزعة الباطنية والدعاوات الحزبية لكل «دعوة»، أدى إلى الرواج الذي أصابه من جهة أخرى، مفاهيم الجهر بالإيمان التي فضلت، في كثير من الأحيان بوضوح فقط، الأسس التبريرية لكل تيار [ديني]. بينما أدت مناقشات أخرى إلى نشوء علم الكلام، في حين أن بعض قيم الإيمان لم تهتد إلى تعبير عنها إلا بانطلاق التصوف والنزعة الزهدية المشبعة إلى إشراقية بعيدة عن المعطيات المحصورة في الشهادة والشريعة. في هذا السياق الصعب، الذي خضع بدوره لتحولات متعلقة بالمراحل التاريخية لتنامي الإسلام، نشأت، إضافة إلى ذلك، شيئاً فشيئاً، الآراء المختلفة الرامية إلى إيضاح العلاقات بين الإيمان والأعمال البشرية، محاولة أن تحدد موقع الإيمان، وفي الوقت نفسه درجاته المحتملة وتحولاته، بالنسبة إلى التقليد المتواتر.

في صورة أدق، يمكننا القول إن الإيمان، في معناه الإسلامي التقليدي، ينطوي على ثلاثة عناصر هي: الانضواء الباطني، فالتعبير الكلامي عن الشهادة،

جوازها بحسب المجموعات المذهبية .

إيوان ← الهندسة المعمارية الإسلامية .

أيوب، شخصية توراتية، يرد اسمه كنبى في القرآن الكريم مراراً، فبعض آيات سورة ص (الآيات ٤١-٤٤) تروي بإيجاز حكاية أيوب والألام التي كبّده إيتاها الشيطان، وتصرّعاته وشفائه. هذه الرواية، المنصّرة على ذكر الموضوع الرئيسي لبشر أيوب في العهد القديم، أفاض فيها في ما بعد المنسرون والمؤرخون المسلمون لبشر الأنبياء. والنبي أيوب، في المنظار الإسلامي، قد يكون بشر برسالة في حوران، جنوبي دمشق، وهذا ما يفسر إشارة المسعودي إلى وجود قبر أيوب في تلك المنطقة، في نوى. وهناك العديد من الأضرحة منسوبة إلى أيوب في حوران، أضحت مقصد لزيارات تقويّة، وذلك في الفترة التي ازدهر فيها تكريم الأولياء في الإسلام. ورد تعداد هذه الأضرحة في دليل الهروي في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، واعتُمدت بعد خطف والتباس في تحديد المواقع يعودان إلى التراث اليهودي-المسيحي القديم، أو الاسرائيليات؛ وما يزال تكريمها سائداً إلى أيامنا هذه .

أيوب الأنصاري ← أبو أيوب .

الأيوبيون (٥٦٤-٦٥٩هـ/١١٦٩-١٢٦١م)، اسم سلاكة كدبة الأصل حكمت بفروعها المختلفة الشرق الأدنى العربي الإسلامي في عهد الصليبيين، واستطاعت، رغم النزاع المستمر بين أبنائها، أن تسيطر على مصر وسوريا وأغالي بلاد ما بين النهرين، وحتى على اليمن إن الشهرة والنفوذ اللتين تمتعت بهما هذه السلاكة في الغرب المسيحي كانا يفوقان أهميتها الفعلية، يعود ذلك إلى الدور الذي نهض به بعض أمرائها في صراع الإسلام مع فرنج الأراضي المقدسة، والنجاح الذي حققوه. فشخصية المؤسس، صلاح الدين المشهور الذي انتزع القدس من الفرنج بعد معركة حطين سنة ١١٨٧/٥٨٣م، طبعت حكمه وحكم ورثته في المنطقة التي سيطروا عليها لبعود عدة. وتحت سيادة العباسيين البعيدة، احتل صلاح الدين القسم الأكبر من الأراضي

والاحترام المفروض لأوامر الشريعة؛ فيما تشدد كل من المدارس الكلامية على الواحد أو الآخر من هذه العناصر، علماً أنّ النقطه التي نوقشت بامتياز تناولت المكانة التي خصّصت للأعمال .

طُرحت هذه المسألة الأخيرة في وقت مبكر لأن وضع «المؤمن» كان يتوقف على تحديد الإيمان، وشكلت المنطلق لكثير من المجادلات والتكفيرات التي أعقبت انقسامات سياسية طويلة الأمد وأحياناً عنيفة. ففي حين حكم الخوارج على جميع مرتكبي الكبائر بالطرد من الجماعة الإسلامية، لأنهم غدوا، في نظرهم، عارين عن الإيمان، لم يتخذ المرجعة من الأعمال معياراً للحكم على الإيمان، ذاهبين إلى أنّ الحكم يُرجأ إلى يوم الحساب ليصدره الله. في فترة لاحقة، شدّد معظم الفقهاء على دور الأعمال المتعاهية جوهرياً مع تنفيذ الأوامر الأساسية أو «الدين»، إذ إنّ الإيمان بمعناه الدقيق يقوم، كما حدّد الحنبليّ ابن بطة، على الإيمان بما قاله الله وأمر به، مقروناً بوضع الأوامر الإلهية موضع التنفيذ. مهما يكن من أمر، يبقى أنّ رأياً انشر في دار الإسلام مفاده أنّ الاعتقاد يكفي للتفوز بالخلاص، وأنّ صاحب الكبيرة يفيد من غفران الله. فيحسب أحد الأحاديث «لا يدخل النار من كان في قلبه ذرة إيمان». قالت المدارس السنية بأنّ الإيمان، من جهة أخرى،

قابل للزيادة أو النقصان، فهو يزيد بالقيام بالأعمال المأمور بها، وينقص بسبب عصيانها. هذا المفهوم الذي يكرّس، بشكلي ما، نتائج الخروج على الشريعة، يبرز، من ناحية أخرى، الرأي السائد القائل بحق كل مؤمن بدخول الجنة، لأنه يأخذ في الاعتبار استمرار الإيمان، ولو ضعيفاً. زد على ذلك أنّ بعض الكتاب المتأثرين بالتصوّف جعلوا الإيمان على مراتب. فالغزالي يعتبر بين إيمان العامي القائم على مفهوم سلبيّ، وإيمان المفكر القائم على المعرفة، وإيمان الصالح الذي هو إيمان اليقين الصوفي .

في النهاية، ثمة مسألة أخيرة ما وُنت تُطرح على جماعة المسلمين وهي الأشكال المختلفة التي اتخذها إخفاء الإيمان أو التّقيّة التي قال أصحابها بالإلفاء من الأوامر الشرعية في حال الخطر. هذه المواقف التي اعتبرت جائزة شرعاً من قبل المسلمين، تفاوتت درجات

جاءت نهاية الأيوبيين مع ظهور المماليك في مصر، وهم من العبيد العسكر الذين كانوا يشكلون حرس الأيوبيين، فاستأثروا بالسلطة وحلوا مكان أسيادهم.

١- الأيوبيون في مصر

٥٨٩-٥٦٤هـ	الملك الناصر الأول صلاح الدين
١١٦٩-١١٩٣م	
٥٨٩-٥٩٥هـ	الملك العزيز عماد الدين
١١٩٣-١١٩٨م	
٥٩٦-٥٩٦هـ	الملك المنصور نصير الدين
١١٩٨-١٢٠٠م	
٥٩٦-٦١٥هـ	الملك العادل الأول سيف الدين
١٢٠٠-١٢١٨م	
٦١٥-٦٣٥هـ	الملك الكامل الأول نصير الدين
١٢١٨-١٢٣٨م	
٦٣٥-٦٣٧هـ	الملك العادل الثاني سيف الدين
١٢٣٨-١٢٤٠م	
٦٣٧-٦٤٦هـ	الملك الصالح نجم الدين أيوب
١٢٤٠-١٢٤٩م	
٦٤٦-٦٤٧هـ	الملك المعظم طوران شاه
١٢٤٩-١٢٥٠م	
٦٤٧-٦٥٠هـ	الملك الأشرف الثاني مظفر الدين
١٢٥٠-١٢٥٢م	

٢- الأيوبيون في دمشق

٥٨٢-٥٩٣هـ	الملك الأفضل نور الدين علي
١١٨٦-١١٩٦م	
٥٩٢-٦١٥هـ	الملك العادل الأول سيف الدين
١١٩٦-١٢١٨م	
٦١٥-٦٢٥هـ	الملك المعظم شرف الدين
١٢١٨-١٢٢٧م	
٦٢٤-٦٢٦هـ	الملك الناصر صلاح الدين داود
١٢٢٧-١٢٢٩م	
٦٢٦-٦٣٥هـ	الملك الأشرف الأول مظفر الدين
١٢٢٩-١٢٣٧م	
٦٣٥-٦٣٦هـ	الملك الصالح عماد الدين
١٢٣٧-١٢٣٨م	
٦٣٦-٦٤٣هـ	
١٢٣٨-١٢٤٥م	الملك الكامل الأول نصير الدين
١٢٤٥-١٢٣٨م	الملك العادل الثاني سيف الدين
٦٣٦-٦٣٧هـ	

لتي كانت تتشكل من قبل أمباطورية الفاطميين، ومنها ليمن الذي ضمّه أخوه طوران شاه سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م. هكذا تكونت دولة سنية جديدة وثبتت كيائها بالاعتماد على الجهاد الذي أتاح لها عددًا من الانتصارات الباهرة، نهضت قوة مهيبة، لكنها راحت تضعف بعد موت صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م وتقسيم المملكة بين ولاده الثلاثة: الملك الظاهر والملك الأفضل والملك العزيز. وقد استطاعت دولة مع ذلك أن تحافظ على بيتها حتى سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، بفضل الجهود التي بذلها الملك العادل، أخو صلاح الدين.

خلال هذه المرحلة، عرفت المقاطعات الأيوبية لمختلفة ازدهارًا اقتصاديًا حقيقيًا، بفضل سياسة السلم التي اتبعت مع الفرنج، وتكثيف العلاقات التجارية مع لغرب المسيحي، وكان التجار الإيطاليون يحتكرون هذه العلاقات. وقد أفضى ذلك إلى نهضة فكرية وفنية حيّرة. ففي مدن القاهرة، ودمشق، وحلب، والقدس لتي استُعيدت، تجددت الحياة الدينية بفضل نهضة لدراسات الفقهية على مذهب السنة، وبفضل انتشار مظاهر التقوى، وبروز الميول الصوفية، وقد شجّعها زدهار الطرق الصوفية الأولى، فتنتج عن ذلك تكاثر لمدارس الدينية والزوايا الميمنية بأناقة. ومقابل ذلك تطوّرت وسائل الدفاع وشيّدت حصون وقلاع وأسوار جديدة تنافس تلك التي رفعها في المنطقة مسيحيو لدول اللاتينية.

إلّا أنّ ما أنجزه الأمراء الأيوبيون في مطلع القرن لسابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد بدأ الضعف يذبّ إليه بسبب صراع الإخوة، وذلك بعد موت الملك لكامل سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، الوحيد بين أبناء العادل لذي حاول أن يضع خطة سياسية شبيهة ب تلك التي رضعها والده. فبعد موته سيطرت معالم الضعف ولم تبرز إلّا بعض المبادرات المحلية الخجولة. والفروع لأيوبية - ومنها سلالة أيوب التي ملكت حماء واليمن، وسلالة صلاح الدين التي استأثرت بحلب، وسلالة العادل التي تنازع أفرادها مصر وسوريا وأعالي بلاد ما بين النهرين - خسرت تباغًا مناطق سيطرتها. وعدا إمارات صغيرة متعزلة عاجزة عن القيام بأيّ دور بارز،

٦١٧-٦٤٢هـ	الملك المعظم شهاب الدين	١٢٣٩-١٢٣٨م	
١٢٤٤-١٢٢٠م		١٣٧-١٢٣٩م	الملك الصالح نجم الدين أيوب
٦٤٢-٦٥٩هـ	الملك الكامل الثاني نصير الدين	٦٤٧-٦٤٧هـ	
١٢٦٠-١٢٤٤م		١٢٤٥-١٢٤٩م	الملك المعظم طوران شاه
		٦٤٧-٦٤٧هـ	
٥ - الأيوبيون في أعالي ما بين النهرين (حصن كيفا)		١٢٥٠-١٢٤٩م	الملك الناصر الثاني صلاح الدين يوسف
٦٢٩-٦٣٧هـ	الملك الصالح نجم الدين أيوب	٦٤٧-٦٥٨هـ	
١٢٣٩-١٢٣٩م		١٢٥٠-١٢٦٠م	
٦٤٧-٦٣٧هـ	الملك المعظم طوران شاه		
١٢٤٩-١٢٣٩م			
٦٨٢-٦٤٧هـ	الملك المرشد تقي الدين		
١٢٨٣-١٢٤٩م			
			٣ - الأيوبيون في حلب
		٥٧٣-٦١٣هـ	الملك العادل الأول سيف الدين
		١١٨٣-١١٨٣م	
		٥٨٢-٦١٣هـ	الملك الظاهر غياث الدين غازي
		١١٨٦-١٢١٦م	
		٦١٣-٦٤٣هـ	الملك العزيز غياث الدين
		١٢١٦-١٢٣٧م	
٥٧٧-٥٧٧هـ	الملك المعظم شمس الدين طوران شاه	٦٣٤-٦٥٩هـ	الملك الناصر الثاني صلاح الدين يوسف
١١٨١-١١٧٤م		١٢٣٧-١٢٦٠م	
٥٩٣-٥٩٣هـ	الملك العزيز ظهير الدين لطفكين		
١١٩٧-١١٩٧م			
٥٩٨-٥٩٨هـ	معز الدين اسماعيل		
١٢٠٢-١١٩٧م		٥٨١-٥٩٠هـ	٤ - الأيوبيون في أعالي ما بين النهرين (ميفارقين وسنجار)
٦١١-٥٩٨هـ	الملك الناصر أيوب	١١٩٥-١١٩٥م	الملك الناصر الأول صلاح الدين
١٢١٤-١٢٠٢م		٥٩٠-٥٩٦هـ	الملك العادل الأول سيف الدين
٦١٢-٦١١هـ	الملك المعظم سليمان	١١٩٥-١٢٠٠م	
١٢١٥-١٢١٤م		٥٩٦-٦٠٧هـ	الملك الأوحده نجم الدين أيوب
٦٢٦-٦١٢هـ	الملك المسعود صلاح الدين	١٢٠٠-١٢١٠م	
١٢٢٩-١٢١٥م		٦٠٧-٦١٧هـ	الملك الأشرف الأول مظفر الدين
		١٢١٠-١٢٢٠م	

◀ راجع المستندات ١٨، ٢٠، ٥٦، ٥٧، ٦٠.

ب

«عالي كابي». الباب العالي العثماني كان يجمع مكاتب كبير الوزراء، وأصبح يدل، في القرن التاسع عشر، على وزارة الداخلية. وفي الحقبة نفسها كان باب المشيخة في اسطنبول يعمل بأسرة المفتي الأكبر، وكان «باب السر عسكر» يمثل وزارة الدفاع. أما أصول هذه الاستعمالات التي كانت مجهولة في عصر الخلفاء العباسيين فظلت غير واضحة.

٢ - اكتسبت لفظة «باب»، من جهة ثانية، معنى دينياً صريحاً، تجسّد خصوصاً لدى الشيعة الذين أطلقوها على التابع الأول للإمام. فهو الذي يفسّر إرادة الإمام، كما يحجب الناس عنه أو يسمح بالدخول إليه. فكان لكل من أئمة الاثني عشرية، المدافعين عن حق أتباع علي، باب. واستمر ذلك حتى اختفاء الإمام الثاني عشر فانقلبت إرادته إلى أشخاص مُنحوا، منذ ذلك الحين، ألقاباً أخرى: السفراء (المفرد سفير)، في عصر «الغيبة الصغرى» (٢٦٠-٣٥٠هـ/ ٨٧٤ - ٩٦١م)، المجتهدون (المفرد مجتهد) خلال «الغيبة الكبرى»، وقد اتخذ هؤلاء في العصر الحديث لقب مُلّا وآية الله. كما ظهرت تسمية «باب» أيضاً داخل هرمية الحركة الإسماعيلية الشيعية، فكانت تُطلق في مصر، إبان الحكم الفاطمي، على «الداعي» الذي كان يحتل المركز الثاني مباشرة بعد الإمام والذي كان يأخذ على عاتقه أمر إدارة تعاليم «الدعوة» التي كان يحتلّ فيها المقام الأول. أما النصيريون فقد أفردوا في ثالوثهم مكاناً لباب يتجسّد في كل دورة، معادل لشخصية سلمان الفارسي في عصر النبي محمد (ﷺ).

و«باب» أخيراً، أي المدخل المؤدي إلى الحقيقة، هو الاسم الذي اختاره «نبي» البابية ومؤسسها في القرن

باب، لفظ عربي تُفسّر معانيه المختلفة، المجازية والاصطلاحية، غزارة استعماله تلبيةً لمقتضيات توالد داخل الحضارة الإسلامية.

١ - هناك أولاً الأشكال المختلفة التي تدلّ على لفظة باب في مدلولها الحسيّ مثل «باب المدينة» أو باب البناء (مدخل). في مثل هذه الحالات، تظهر الأهمية التي منحها الهندسة المعمارية الإسلامية في القرون الوسطى للإنجازات التي كانت تسهم في تحصين الأسوار أو في إضفاء نوع من الأبهة عليها. تؤكد هذه الإنجازات مدى الغنى في هندستها الدفاعية والتزيينية، كما تؤكد، في الوقت نفسه، الاستعمال المكثف لللفظة «باب» في طوبوغرافيا المدن.

قد يكون للقواعد الخاصة بالمجتمع الإسلامي ولقوانينه الشرعية دورٌ في تنمية ميزات خاصة في البناء، كذلك النوع من المداخل التي تُركّز على طريقة حرية البندقيّة أو بشكل متدرّج، مؤمنة بذلك درجة عالية من الحماية لقاطني هذه المساكن. كما أنّها تسهم من ناحية ثانية، كما هي الحال في قلعة حلب، في تمتين القدرة الدفاعية للبناء. أما أبواب القصور فكانت تبنى وفق هندسة تثير إعجاب الزائرين.

لا شيء يسمح في المقابل بالربط بين الممارسة الإسلامية للسلطة في القرون الوسطى والعادة التي ظهرت مؤخراً في بعض الدول، كدولة الصقليين أو دولة العثمانيين، والتي تشير، من خلال عبارات منسوجة حول لفظة باب أو حول ألفاظ تواريخها في اللغتين الفارسية والتركية، إلى صرح مهيب أو إلى حكومة أو إلى مركز إداري، جناح الشاه يجلس الملكي المؤدّي إلى الساحة التي انشأها في عاصمته أصفهان كان يحمل اسم

التاسع عشر السيد علي محمد الشيرازي.

الباب العالي أو بالتركية القديمة «باب عالي» أو «باب آصفي»، تسمية أطلقت، ابتداءً من القرن الثامن عشر، على الأجهزة التي خضعت، داخل الدولة العثمانية، لإشراف الصدر الأعظم والتي كانت تشكل الحكومة الحقيقية للإمبراطورية.

كان درج، منذ القرن السابع عشر، استعمال أشمل لمثل هذه التسمية في نطاق الحكم الصفوي، حيث استُخدمت عبارة «عالي قابو» التي كانت تعني مجمل القصر الأمبراطوري، بما في ذلك البلاط والإدارة المركزية التي انتظمها الشاه حوله. ولم يتعدَّ الأمر توسيع مدلول التعبير المعماري «باب» الذي كان يستعمل في صيفته العربية أي «باب» أو في صيفته التركية «كالي».

بابا، لفظ تركي وفارسي يعني «أب»، ويستعمل أحياناً بعد الاسم العلم كلقب فخري مثل حاجي بابا أو علي بابا.

لاقي هذا اللفظ رواجاً كبيراً في حلقات اندرايش في القرون الوسطى، خصوصاً في إيران وتركيا، بحيث أصبح أحياناً مرادفاً للفظ «صوفي» عند العامة في هذين البلدين.

بابا طاهر، صوفي ذو وجه أسطوري، عاش على الأرجح في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، في مدينة همدان حيث ما يزال ضريحه مكرّماً حتى اليوم.

اشتهر هذا الممثل القديم للتصوّف الإيراني بأشعاره المنظومة بلهجة فارسية عامية، نسبتها إليه أنطولوجيات متأخرة، كما اشتهر أيضاً برسائله وحكمه المكتوبة بالعربية، والمتشرة خصوصاً في أوساط الصوفيين المتأخرين، وهي ما تزال محفوظة في مخطوطات متعددة. ترتبط شخصيته بشكل غامض بمنطقة لورستان التي ربما كان ينتمي إليها، وبشكل أدق بفرقة «أهل الحق» الباطنية التي نخسه اليوم بمركز مميز في سلسلة أئمتها الروحيين.

بابائي (بابائيون)، هم أعضاء حركة إجتماعية - دينية

نشأت في الأناضول في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. دعت هذه الحركة التي كان يرأسها الواعظ الشعبي ومذعي النبوة بابا اسحق، عناصر قبائل التركمان في طوروس وفي منطقة اماسيا الى الثورة سنة ١٢٤٠م/١٢٣٨م. كانت هذه القبائل مُبعدة عن السلطة في عهد سلاجقة الروم الذين كانوا يعتمدون على سكان المدن من أهل السنة.

لا نعرف بشكل واضح تاريخ البيابائية التي تقرب من بعض أشكال التشيع. وما نعرفه هو أنها انتشرت في عصر المغول في الأناضول، وكان لها، على ما يبدو، أثر على جماعة البكتاشيين.

بابُر، ظهير الدين محمد، ٨٨٨-٩٣٧هـ/١٤٨٣ - ١٥٣٠م، هو الحاكم الأول والمؤسس لسلالة المغول في الهند. اشتهر، خلال حياة حافلة بالمغامرات العسكرية، بأنه كاتب وشاعر صوفي.

ينسب بابر من ناحية أبيه إلى تيمورلنك، ومن ناحية أمه إلى جنكيز خان. ناضل منذ صغره ليحتفظ بإرثه أميراً لفُرغانة، واشترك في مختلف النزاعات المسلحة بين السلالات الحاكمة في المنطقة، إذ كان قسماً من هذه السلالات ينتمي الى عائلته. لم يتمكن بابُر من تثبيت سلطته على المدن المهمة في آسيا الوسطى، إذ كانت تُستَرع منه بعد كل انتصار. اعتنق لفترة عابرة المذهب الشيعي وناضل الى جانب الشاه إسماعيل الصفوي، لكن كل ذلك لم يحل دون فقدانه سمرقند للمرة الثالثة. استقر بعد ذلك في كابل ثم في قندهار، ومنها دخل الهند. في سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م، بعد انتصاره في يانبات، تمكن من أن يحتل دلهي وأكرا حيث توفي بعد أربع سنوات من ذلك. ونقلت رفاته في ما بعد إلى ضريح خاص في كابل.

لم يكن لبابُر مُنْصَع من الوقت لتنظيم ملكه الذي أورثه ابنه هُمايون. لكنه أثبت خلال حياته، الملائم بالمعارك وبالتجوال المستمر، جدلته في الأمور السياسية والعسكرية. وهو، إضافة إلى ذلك، كاتبٌ سيرة ذاتية عنوانها بابُرنامة. تشهد هذه السيرة التي كتبها باللغة التركية على موهبته الأدبية وعلى حسّه ودقّة ملاحظته. وقد دفعه اهتمامه بالمسائل الدينية إلى أن

الأخير في ما بعد «الباب» الذي يقضي إلى الحقيقة، أي رأى فيه البادئ لدورة نبوية جديدة. ومن ذلك الحين راح «الباب» يناضل ضد رجال الدين الشيعة الذين كان يعتبرهم فاسدين، وقد تمكن من أن يضم إلى حركته عددًا من الأنابغ من بينهم الملا حسين الذي كان أول من آمن برسائله، فمنحه لقب «باب الباب». وبعد أن أعلن في مرحلة لاحقة أنه المهدي، تمكن سيد علي محمد من نشر مؤلفاته في مدن مختلفة، وخصوصًا في شيراز وأصفهان. لكن الاضطرابات التي أحدثتها دعوته والتي هزت الإمامية الاثني عشرية، المذهب الرسمي للبلاد، إضافة إلى ما حلته من تمرد سياسي، غيّلت في القبض عليه وفي سجنه في أذربيجان سنة ١٨٤٧ حيث أعدم، بعد إعدام سبعين من أتباعه في طهران. نقلت جثته في ما بعد إلى عكا حيث كان عدد من أتباعه قد نفى إليها، ودفن في ضريح بُني خصيصًا على منحدر جبل الكرمل. خُلف «الباب» مؤلفات عدة أشهرها «البيان» الذي حرّر باللغتين العربية والفارسية. إن العقيدة المُعتر عنها في هذا المؤلف تبنت بشكل مُحسوس عن الاسلام، بالرغم من بعض النقاط المشتركة مع العقيدة الشيعية والصوفية. على معتق هذه العقيدة أن ينتظر مجيء «من يظهره الله»، «نبيًا منتظرًا»، وأن يقبل باعتماد قبلة جديدة هي مَقَر «الباب». ألغت هذه العقيدة أهم مبادئ الشريعة الإسلامية، خصوصًا تلك التي تتعلق بالصلاة، لأن الحلقة النبوية لمحمد قد انتهت، بحسب رأيهم، سنة ١٨٤٤. كما أن الآيات القرآنية قد أخضعت لتأويلات وروايات.

يكشف هذا الكتاب، من ناحية أخرى، عن رؤية ميتافيزيقية خاصة تضع عالمًا لامرئيًا بين العالم الطبيعي وعالم الذات الإلهية المستحيل بلوغه، وهو لا يترك مكانًا لخلود النفس الفردية. كذلك، تعلن العقيدة المثبتة في كتاب «البيان» بعض المبادئ الأخلاقية والقانونية المختلفة التي لا تخلو من الغرابة، كمنع العلاقات الجنسية بين الزوجين، وإجبار الأرامل ذكورًا وإناثًا على الزواج في أقصر فترة من نزلهم وإلغاء الشعائر الدينية العامة. يضاف إلى كل ذلك التساهل في أمر الحدود حيث كان يُترك أمر تنفيذها إلى المذهب نفسه.

يترجم شعورًا باللغة التركية نتائج الصوفي خواجة عبيدالله أحرار، من جماعة الفشبندي. مثل هذا الأخير، الذي كان يكنى له بالمر تقديراً خاصاً، دوراً مهماً في أسس الواسطى. وغالباً ما اعتبر الدارسون أن المبول الواسطية التي نمت في نفس بالمر ظهرت في ما بعد في شخصية حفيده أكبر، الأميراطور التوقيقي المشهور.

«راجع المتمد ٣٣»

بابك (٩ - ١٢٢٣هـ - ١٢٣٨م)، مُتمرد من أصل إيراني، ظهر في بداية حكم العباسيين في المناطق الجبلية لأذربيجان الشمالية، وتمكن من إلحاق الهزيمة بحملات الخلافة العسكرية حتى سنة ١٢٢٢هـ/١٨٣٧.

كان بابك رئيس بدعة دينية تبعه فيها سكان منطقة أُرّان ابتداء من سنة ١٢٠١هـ/١٨١٦م، وقاد حركة دينية إجتماعية، غالباً ما كان يُربط بينها وبين الدعوة الخُزمية في إيران. من الصعب تحديد المنحى الديني لدعوته، لأنها أولت بطرق مختلفة عند المؤرخين المسلمين القدامى. فقد رأى بعضهم فيها ما يذكر بتعاليم غلاة الشيعة. استعمل بابك وسائل مُثقلة بالعنف. ولم تمكن الحملات العسكرية المتتالية التي أرسلها الخليفة العباسي المأمون من إخماد ثورته التي امتدت إلى منطقة الجبال. وعندما تولى المعتصم الخلافة، أرسل ضده القائد التركي أفسين الذي تمكن من الاستيلاء على قلعة البَد في شهر رمضان ١٢٢٢هـ/آب ١٢٣٧م. قُبض على بابك واقتيد إلى سامراء في صفر ١٢٢٣هـ/كانون الثاني ١٢٣٨م حيث أعدم بعد أن ذاق مختلف فنون التعذيب. واستمر أتباع بابك الذين عرفوا بالبابكية يمارسون نشاطهم طيلة القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

البابية، حركة دينية متحذرة من الفرق الشيعية الأكثر تطرفاً، انتشرت في إيران في القرن التاسع عشر، وما تزال فاعلة في هذا البلد حتى الحقبة الحديثة.

ولد مؤسس هذه الحركة سيد علي محمد في شيراز سنة ١٨١٩، وأُعيد في تبريز سنة ١٨٥٠. استرعى سيد علي محمد نظر رئيس حركة الشيعية في كربلاء، المدينة الشيعية المقدسة، وقد رأى فيه أحد أتباع هذا

من جهة ثانية، منحى أكثر تعقيداً في القرن التاسع عشر، وذلك نتيجة للصراع وللتنافس اللذين سببهما توسع إمبراطورية البول التي قامت على الجهاد، وتدخل قوى إسلامية أخرى مرتبطة بالحركة المهدية في السودان الشرقي، وتطور الطريقة السنوسية في السيريناك، أي بركة. إن التحولات التي عرفها في ما بعد الوضع الاقتصادي في هذه المنطقة خلال القرن العشرين، بعد الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٠٠، ثم خلال الاستقلال سنة ١٩٥٦، تؤكد الانحطاط الذي أحدثته سابقاً فيها الحروب المتتالية وتدمير ماسباً عاصمتها القديمة.

باجه، إسم مشتق من نسبتين قديمتين مختلفتين تدلّان على مدينتين في العالم الإسلامي الفروسي، ما تزالان تحملان هذا الاسم حتى اليوم.

باجه البرتغالية، مدينة صغيرة من أعمال الأنتيخو لم تعرف، خلال السيطرة الإسلامية، سوى مراحل من الانحطاط البهي، بالرغم من ثروة منطقتها الزراعية. كانت باجه مدينة رومانية قديمة مشهورة تُعرف باسم باكس جوليا أو جوليا السلام، احتلها العرب المسلمون مع مدينة بربدا (مارده، بحسب التسمية الأندلسية) إبان الفتوحات الكبرى على الأراج، وأصبحت سنة ١٢٣٣هـ/ ٧٤١م عاصمة لأحد القطاعات العسكرية في الأندلس في عهد الأمويين. حافظت على سكانها الأصليين الذين اشتركوا في ثورات عدة. لم يحلّ دورها كعاصمة لمقاطعة دون مسيرتها إلى الانحطاط. فقد حلت محلّها مدن مثل باثرة ومرتلة، إلى أن استعادها المسيحيون سنة ١٧٥٠هـ/ ١١٧٥م. فلم يجدوا فيها سوى خرائب شبه مهجورة، فأعادوا بنائها بدون الحفاظ على أي أثر من ماضيها الإسلامي.

باجه التونسية، مدينة ناشطة الحركة في شمال البلاد، وقر لها موقعها الجغرافي المحافظة على ازدهارها حتى اليوم. إضافة إلى كونها مركزاً لمنطقة زراعية في إفريقية القديمة، فإنها أدت دوراً إستراتيجياً نتيجة لموقعها على أحد طرق القوافل التجارية في المغرب، ولأثره بذلك مدينة قاعة القديمة. واستمرت عاصمةً للمقاطعة منذ احتلّها الجيوش العربية الإسلامية إبان الفتوحات الكبرى سنة ٦٩٥هـ/ ٦٩٥م. من هنا كانت

تتميز تاريخ أتباع البائية بسلسلة من الاضطهاد التي تعرّضوا لها. بين سنة ١٨٤٤ وسنة ١٨٥٢، تاريخ محاولة اغتيال الشاه الفاجاري ناصر الدين شاه الافاشة، قام أتباع البائية بأعمال عنف عدة ضد السلطات الحاكمة. وكانوا قد أعلنوا، سنة ١٨٤٨، في بنشنت انفصالهم عن الإسلام ورفضهم للشريعة الإسلامية. وكان في عدادهم الشاعر المشهورة فُرّة العين التي نزعحت حجابها في تلك المناسبة لتؤكد أنّ حركتهم ترفض الشريعة. تعرّض أعضاء هذه الحركة للاضطهاد وللموت خلال تلك الفترة في مناطق مختلفة، ما يُفسّر محاولة الاغتيال الفاشلة التي قاموا بها سنة ١٨٥٢. وقد تعرّضوا بعد هذه المحاولة للاضطهاد وللتعذيب من جديد. ألقي القبض على الشاعر فرة العين، فأودعت السجن قبل أن تُعدم خفياً. نُفي قسم كبير منهم إلى العراق، إذ راح نشاطهم بعد ذلك التاريخ يتسم باللاعنف. وقد انشقت حركتهم إلى قسمين: البهائيون الذي نبهوا نباه الله، والأرثيون الذين نبهوا ميرزا يحيى أو صبح الأول شقيق بهاء الله، ويقوا متمسكين بحرفية العقيدة المثبتة في «البيان» ويتعاليم «الباب». عملت السلطة العثمانية سنة ١٨٥٨ على تثبيت الانشقاق بينهم إذ قسمت البهائيين المنفيين إلى العراق وإلى أذنة فنتين منفصلتين، فأرسلت الأرثيين إلى جزيرة قبرص وأتباع بهاء الله إلى فلسطين.

الباتويون ← القبيلة الذهبية.

باجرجمي (مملكة)، دولة إسلامية ازدهرت بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، في المناطق الواقعة في جنوب شرقي بحيرة تشاد في إفريقيا، وهي اليوم جزء من جمهورية تشاد.

كان ازدهار هذه الدولة المضمحلة الذي قام، في الأصل، على تجارة القوافل، تابعاً لحركة أسلمة في منطقة متنوّعة الإثنيات، تقع على حدود المناطق الساحلية لما كان يُعرف بالسودان. فمنذ القرن السادس عشر ظهر في تلك المنطقة الأثر الإسلامي الذي عزّزه الدعاة من البول أو المُلبّة (Peuls) والتجار من الهوسا (Haoussas). اتحدت العلاقة، التصادية في الغالب، بين باجرمي من جهة، ووكاي والبورنو ودارفور

١٨٦٩ - ١٨٦٣	دوش محمد
١٨٦٣ - ١٨٦٦ : ١٨٦٧ - ١٨٧٩	ير علي
١٨٦٦ - ١٨٦٧	أفضل
١٨٧٩ - ١٨٨٠	محمد يعقوب خان
١٨٨٠ - ١٩٠١	عبدالرحمن خان
١٩١٠ - ١٩١٩	حبيب الله
١٩١٩ - ١٩٢٩	أمان الله
١٩٢٩ - ١٩٣٣	ناصر شاه
١٩٣٣ - ١٩٧٣	محمد ظاهر شاه

باريس (معاهدة)، مارس ١٨٥٦، معاهدة أبرمت بين الدولة العثمانية، من جهة، وروسيا وفرنسا وبريطانيا العظمى من جهة ثانية، على أثر مؤتمر انعقد في ٢٥ شباط/فبراير من السنة عينها.

جرى عقد هذا المؤتمر بُعيد تبليغ الباب العالي الدول الأوروبية صدور براءة جديدة تكمل براءة ١٨٣٩ وتعطي الطوائف غير الإسلامية الضمانات التي كانت تطالب بها. نتج عن المؤتمر اتفاق يضمن استقلال الامبراطورية العثمانية وسلامة أراضيها، ما يعني، في الظاهر، أنه كان لمصلحتها. غير أنه تضمن سلسلة من القيود ربطت الامبراطورية بالتبعية لدول أجنبية مصمتة على التدخل أكثر فأكثر في شؤون شرق المتوسط والبلقان، في حين أن الاعتراف بتوحيد المقاطعتين المستقلتين مولدافيا وفلاشيا عام ١٨٥٩ كان ييسر بالقيام اقريب لدولة رومانيا المستقلة.

باساروفيتز (معاهدة سلام)، ١٧١٨، معاهدة قضت بالموافقة على تراجع جغرافي ملموس للامبراطورية العثمانية في البلقان، وأنتهت الحرب النمساوية - التركية التي كانت قائمة منذ ١٧١٦. وهي تحمل اسم مدينة صغيرة على نهر الدانوب في صربيا تدعى اليوم يويافاتز.

أُجريت في ذلك المكان محادثات شارك فيها دبلوماسيون غربيون من البندقية و إنكلترا وهولندا، أضافوا آراءهم إلى آراء الدبلوماسيين الأتراك والنمساويين ذوي الصلاحيات المطلقة. كان الباب العالي قد بدأ الحرب بعد أن اتهم البندقية بعدم احترام معاهدة كارلوفيتش جزاء تصرفاتها في المور،

أهميتها السياسية بالنسبة الى الحكام المستقرين في القبروان، ولا سيما الأغلبية منهم والحفصيين.

باديشاه، من الفارسية «بادشاه» أي «السيد الملكي»، لقب رفيع حمله بخاصة السلاطين العثمانيون، وغالبًا ما يترجم بالسيد الكبير.

ربما شرع باستعمال هذه التسمية التي تضمّ لقب شاه حوالي نهاية القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، لأسباب الامبراطورية التركية الكبرى التي كانت قد تكوّنت في ذلك الحين. لا تسمح المستندات المحفوظة لتحديد تاريخ استخدام هذا العرف الذي استمرّ حتى نهاية السلالة. كانت الإدارة العثمانية تستخدمه كذلك، ابتداء من القرن السابع عشر، لبعض الملوك المسيحيين في أوروبا الذين كانت على علاقة بهم.

الباركزاي أو المحمّدي، ١٨١٩ - ١٩٧٣، ثاني أسرة لأممملوك أفغانستان، متحدرة من القبيلة نفسها التي يتحدّر منها آل دُرّاني. سلبت السلطة من الأسرة الأخيرة وركزت جهودها على المحافظة على الدولة الأفغانية إلى أن أعلنت الجمهورية سنة ١٩٧٣.

ترسّخت النزعة القومية الأفغانية طيلة تلك الحقبة وتميّزت بمقاومة البلاد لكلّ الهجمات والاضغوطات الغربية المصدر، أكان ذلك في العلاقات بالهند البريطانية التي بلغت ذروة حدتها خلال فترة حربي الإنكليز والأفغان من ١٨١٩ إلى ١٨٤٢ ومن ١٨٧٥ إلى ١٨٧٩، أم في المحاولات التي قام بها الروس والإيرانيون، مستغلّين هذا الوضع لتوسيع حدودهم على حساب حدود أفغانستان غير الثابتة آنذاك. في الوقت نفسه حدث عدد من الاضطرابات الداخلية اثنانجة عن نزاعات بين القبائل وعن مشكلات الخلافة داخل العائلة المالكة. ومما زاد هذه الاضطرابات حدة في بعض الفترات، الآثار التي تركتها عملية التحديث بالرغم من كونها نسبية. وقد أعقب الصعوبات والثورة التي أدّت إلى نهاية سلطة أسرة الباركزاي سنة ١٩٧٣ دخول الجيوش السوفياتية واحتلال أفغانستان سنة ١٩٧٩؛ فكانت حربٌ دامت عشر سنوات وانتهت بانسحاب نهائي للجيوش السوفياتية ونجحت عنها فترة من الاضطرابات والفوضى.

الميلادي، ضمت هذه المقاطعة إلى المناطق التي يحكمها أعقاب جنكيزخان والذين أسلموا في ما بعد، وأصبحوا خانات «القبيلة الذهبية». وكان قد سكنها في مطلع القرون الوسطى، فبائل تركية أو قبائل تُتركزت أطلق عليها اسم باشكورت/باشكيزت، من هنا تسميتهم بالباشكير الذين ذكرهم الجغرافيون العرب القدماء والذين اعتنقوا الإسلام منضوين إلى المذهب الحنفي. كان للميزات القتالية التي تمتع بها المتحاربون من هذه القبائل، التقدير الكبير عند المغول وعند الإيلخانيين، وحتى عند المماليك في سوريا ومصر حيث ألحق عدد كبير منهم بخدمة هؤلاء الحكام.

منذ مطلع القرن الخامس عشر، بدأ عدد من الأمراء المحليين في تشكيريا، والمربطين إلى حد ما ببعض الخانات منها خانة قازان، بتثبيت سلطتهم نتيجة لتفتت «القبيلة الذهبية». لكنهم ما لبثوا أن اضطروا لمواجهة تقدم الاحتلال الروسي ولمقاومته خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. فأقاموا اتصالات بالعثمانيين وشاركوا في المجاهبات المسلحة التي كانت تهز منطقة شمال القوقاز ومنطقة سيبيريا الغربية.

ولم تمنع العمليات المشتركة التي قاموا بها مع خانات القرم من ضمّ مقاطعتهم تدريجياً إلى الإمبراطورية الروسية. وقد انضمت هذه المقاطعة في سنة ١٩١٧ إلى الحركة التي قامت في المناطق التركية والإسلامية مطالبة باستقلالها.

قُبِلت باشكُرتُستان في ما بعد، سنة ١٩١٩، النظام السوفييتي لتصبح منطقة منتمية بحكمها الذاتي، ومن ثمّ جمهورية بشكيريا الاشتراكية السوفياتية المستقلة. وقد اتسعت مساحتها الجغرافية سنة ١٩٢٢ لتضمّ عدداً من المناطق التي تغطيها أكثرية روسية. من هنا كان حالاً التمزق في انتماء سكان هذه البلاد. وهو تمزق يجعل الوضع السياسي والديني غير مستقر.

باطن، لفظ عربي معناه العام: «داخلي، شخصي، خفي»، يُطَبّق بشكل خاص على المعنى الخفي لنصوص القرآن الكريم في مقابل لفظة «ظاهر». الوجود لمعنى خفي يطلق الحقائق العميقة التي لا يبلغها إلا المظلّمون على أسرارها، يؤكد عدد من الشيعة

وتميّز الصراع بانتصارات النمسا في يثروقادربن وتيميشوارا وبلغراد. وانتهى، نالياً، على حساب الإمبراطورية العثمانية التي بات عليها أن تمنح النمسا مكاسب تجارية، وأن تتخلّى لها عن منطقة تيميشوارا وشمال شرقي صربيا، بما فيها بلغراد، كما عن جزء صغير من فالاشيا. في المقابل تخلّت البندقية عن مكسباتها في العمود واحتفظت ببعض الأماكن على الساحل الدلماشي.

باشا، لقب فخري، مُنح لأعيان من الأتراك رديعي المرمية، كان يعني «السيد». درج استعماله، بنوع خاص، في الإمبراطورية العثمانية.

كان هذا اللقب الرسمي غير الوراثي يُضاف بعد الاسم، كما كان يجري بالنسبة للقني بك وأفندي، وهما دونه أهمة. أصبح في العهد العثماني وفقاً على حكام المقاطعات أو ييلربيك وعلى وزراء العاصمة. وكان دخل في الاستعمال من قبل، منذ القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، في الأوساط التركية في الأناضول، عند سلاجقة الروم، كما عند حكام سلالات عصر الإمارات. وبرّج استقائه من كلمة بادشاه، وليس من باشا التركية التي كانت تُستخدم حصراً للدلالة على الأعيان والعسكريين ذوي الرتب الصغيرة.

اختفى لقب باشا من القاموس التركي الحديث، واستمرّ طويلاً في أعراف المغرب خلال العصر الشريفى إذ أدخله السعديون للدلالة على بعض رؤساء القبائل الكبار، وللحلول في بعض الحالات مكان لفظة «قائد» العربية.

باشكُرتُستان، (جمهورية باشكُرتُستان الفدرالية): ١٤٣ ٦٠٠ كلم^٢، عاصمتها: أؤفا؛ وهي جمهورية بشكيريا الاشتراكية السوفياتية سابقاً، ما تزال تنتمي إلى روسيا الفدرالية. عدد سكانها أربعة ملايين نسمة، أكثر من نصفهم من المسلمين.

تقع هذه المقاطعة المجاورة لجمهورية تاتارستان المستقلة في مناطق الأورال الزراعية الشاسعة، قرب الحدود الشمالية لجمهورية كزاخستان. بعد غزوات المغول في القرن السابع الهجري/الثالث عشر

نتيجة لموقف النقاء، بصورة عامة، من تحريم الفلسفة لمتناقضتها بعض العقائد الأساسية للإسلام، ومن مزاوله بعض العلوم السرية مثل العرافة والسحر. هذا المنحى الباطني الذي استخدم، في الوقت عينه، لتطوير العلوم الدنيوية مثل علم الفلك والرياضيات والكيمياء، ونشر العقائد والأفكار الدينية غير النقية، خلف طابعه في نظام نقل المعارف والتعليم في الأوساط الإسلامية الفروسيّة، وذلك بالانقياد إلى تعاليم المرشد وبالميل إلى الأخذ بمصطلحات مذهب الباطنية.

الباطنية ← الإسماعيلية.

الباقرية (فرقة) ← محمد الباقر.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب، (توفي سنة ٨٤٠٣/١٠١٣م)، متكلم أشعري وفقه مالكي، اضطلع بدور ناشط، مُنفِظاً للسنة في العراق أيام البويهيين. وُلِدَ في البصرة وأمضى قسماً كبيراً من حياته في بغداد حيث توفي. شغل وظيفة قاض خارج العاصمة وقام بأسفار عدة إلى إيران، وحتى إلى القسطنطينية كما يقال. تردد على بلاط عُقْد الدولة البويهية في شيراز حيث كان صاحب البلاط يَكنُّ له تقديرًا خاصاً بحيث جعله مربياً لابنه. فكان له أنبما حل أنشطة تعليمية مشرفة.

غالبًا ما كان الباقلاني يعتبر من أوائل علماء الكلام الأشعريين. عُرضت عقيدته في مؤلف عنوانه "تهديد". كان يهتم بشكل خاص بمسألة المعجزة المبينة للإيمان ويدافع عن نظرية مذهب الفرقة، لكن من الصعب تحديد مدى الأصالة في أفكاره.

باكستان (جمهورية - الإسلامية)، مساحتها ٩٤٣ ٨٠٣ كيلومترًا مربعًا وعاصمتها إسلام آباد. دولة معاصرة مستقلة تقع غربي شبه القارة الهندية. يبلغ عدد سكانها حوالي مائة وعشرين مليون نسمة، غالبيتهم الساحقة من المسلمين.

تشكلت باكستان الحالية القسم الغربي للدولة التي كانت تحمل الاسم نفسه، والتي أُسِّست سنة ١٩٤٧ تلبية لمطالب الرابطة الإسلامية، وبدفع من محمد علي جناح. رأت تلك الدولة النور بعد تقسيم الهند على أساس

وغالبية الصوفيين. من هنا تسمية الباطني التي كانت تُنسب في القرون الوسطى لمعتلي فرقة الإسماعيلية الشيعية.

الباطنية، مذهب (Esotérisme)، تيار فكري سري، طبع تطوّر الفكر الإسلامي القروسي وأُنتج في المجال تُسرُّب بعض التيارات الخفية المتأثرة بالفكر الغنوصي القديم. وقد تطوّر هذا التيار في أوساط الصوّف والشيعي، وأخذ يبحث عن حقيقة مؤكّداً أن بلوغها يمزّ بالنفاذ من ظاهر النصوص المنزلة إلى معناها الباطن. اعتبر الصوفيون أنّ الأخذ بنوع من الزهد والقيام بشمارين خاصة، مثلاً الذكر المصحوب أحياناً بالموسيقى والرفص، يمكن أن يؤدّي إلى الاتصال بالله وتجلّي الحقيقة الكبرى، بقبض الإلهام المؤدّي إلى التوحّد. إنّ تحقيق هذا الهدف الأقصى للحياة الدينية يمكن بلوغه بالسعي إلى التوفيق بين الأخذ بأحكام الشريعة، وبالشير في سلك الطريقة الصوفية الموصول إلى الحقيقة بوسيلة المعرفة. إلّا أنّ العلاقة بين هاتين الضروريتين تباينت تبعاً للمرشد والفرق الصوفية، إذ إنّ الوصول إلى الحقيقة هذه يبقى سرّاً لا يمكن إفشاؤه ولا يمكن أن يبلغه إلّا بعض المختارين. وكما قال ابن العربي، ليس باستطاعة من بلغ هذا الهدف نقل تجربته وأحاسيسه إلى سواه، بل هو يعتبر بواسطة الرموز والإشارات التي يبقى فهمها محصوراً بالمريدين الذين تلقّوا، شيئاً فشيئاً، فكّ الرموز بقواهم الداخلية وإرشادات أستاذ روحي. هذا ما يفسر ازدهار أدب صوفيّ ذي طابع شعري، يعتبر عن أحوال روحانية تنتاب الصوفيّ وفاق اجتيازه مراحل تدزجه خلال عملية تثبته. يبقى الفكر العقدي أو علم الكلام، بالنسبة إلى الشيعة، مضمّاراً لإعداد المريدين، لأنّ عليّاً والأئمّة العلويين، بحسب رأيهم، استودعوا معرفة حذسية يحقّقون غير بيّنة في القرآن، وهي حقائق تتعلّق، بحسب عقيدة الإمامة الاثني عشرية، بحقوقي آل البيت وولائتهم. أمّا في المذهب الإسماعيلي وفي معظم فرق الغلاة من الشيعة، فإنّ هذه الحقائق تتكلّ مجموعة عقديّة لا يعرف ماهيتها سوى كبار الدعاة المولجين بالأمر.

إنّ الأخذ بالمنحى الباطني هو، من ناحية أخرى،

بأكثريةهم، يعود ازدهارها الحالي على بحر قزوين إلى مرقعها كماصمة إدارية، وخصوصاً إلى نمو صناعاتها الناتجة عن إنتاج البترول فيها.

عرف الجغرافيون العرب القدامى «منابع النفط» التي كانت تجري وتحترق بجوارها، في قلب مقاطعة شيروان التي كانت حينئذ من تغور دار الإسلام والتي كانت تحمي مناطقها الحدودية. على مرّ العصور، ومع دخول الأتراك، تبدّل وضع المدينة وتغيّر سكّانها. فضمتها الأتراك إلى مقاطعة أذربيجان التي أسلمت وتتركت؛ في القرن السادس عشر انتقلت من سيطرة أسرة شروانشاه إلى سيطرة الصفويين ثم إلى العثمانيين. وبسط الروس في ما بعد سيطرتهم عليها ابتداء من سنة ١٨٠٦، لكن كان ينبغي انتظار نهاية القرن التاسع عشر لكي تنمو المدينة وتُشع بفضل تحسين وسائل اتصالها بالبحر الأسود ووسط روسيا. فسّست لها عندئذ أن تؤدّي دوراً سياسياً إبان المراحل المختلفة التي ميّزت نهاية الحرب العالمية الأولى في المنطقة. بعد احتلالها من قبل الأتراك ثم الحلفاء. غزاها الجيش الأحمر سنة ١٩٢٠ وتمّ إعلان جمهورية أذربيجان السوفياتية الاشتراكية التي أصبحت باكوه مركزها النشط.

بالرمو (إيطاليا)، بلّزم، بالعربية: مدينة ومرفأ في جزيرة صقلية، ظلّت تحت السيطرة العربية الإسلامية من سنة ٢١٦ إلى سنة ٨٦٤/٨٣١ إلى ١٠٧٢م، واحتفظت بتقاليد فنية طغت على منجزات القرن التالي في عصر سلاة الملوك النورمان المسيحيين.

أصبحت بلّزم، بعد أن كانت محقة ثانوية في أيام البيزنطيين، مع احتلال أغلبية إفريقيا للجزيرة، المدينة الأولى في صقلية ومقرّاً لحكّامها. فالأماكن التي كانت ذات أهمية سابقاً في القسم الشرقي، مثل سيراكوزا، باتت عرضة لهجمات الأسطول البيزنطي، فيما كان خليج بلّزم أكثر أمناً وقاعدة انطلاق ممكنة لعمليات بحرية كان المسلمون يحاولون القيام بها ضد الجنوب الإيطالي.

حافظ المحتلون في البدء على الخطة التنظيمية السابقة للمدينة القديمة المحاطة بالأسوار، واكتفوا بتحويل الكاتدرائية إلى مسجد جامع. إلى جانبها، بنى

ديني، وكانت تضمّ قسمين مختلفين، أحدهما غربيّ الاتحاد الهندي والثاني شرقيّه، بفضلهما حوالى الألفي كيلومتر. شهدت، حتى سنة ١٩٧١، حياة سياسية مضطربة سببها بخاصة تعايش إثنين مختلفة، كما أنّ اختلالاً اقتصادياً كان قائماً بين القسم الشرقي الشديد الفقر والقسم الغربي حيث للينجاب دور أساسي. على إثر هذه الفترة من عدم الاستقرار، حلّ الجنرال يحيى خان، سنة ١٩٦٥، مكان الجنرال أيوب خان الذي كان قد تسلّم الحكم في العام ١٩٥٨، واندلع صراع داخليّ دام أدّى إلى انفصال القسم الشرقي الذي نال استقلاله في العام ١٩٧١ تحت اسم بنغلادش.

تضمّ دولة باكستان - التي أصبحت تقتصر على القسم الغربي - مقاطعات أهمّها البنجاب وفيها المدينة التاريخية الكبرى لاهور، والسند مع كراتشي العاصمة الصناعية والمرفئية، وبلوتستان الصحراوية. إنها تلتقي بمنطقة سين كيانغ الصينية من جهة، ومن الجهة الأخرى بمنطقة مكران التابعة للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهي دولة شيعية علاقاتها بباكستان غير حليّة. لكنّ حدود باكستان الأطول تمتدّ شرقاً مع الاتحاد الهندي الذي ما تزال علاقاتها به تتسم بعدله ديني، وتشتدّ دورياً بسبب قضية كشمير. وتلتقي في الشمال الغربي مع دولة أفغانستان الإسلامية التي استقبلت باكستان، باسم التضامن الإسلامي السني، اللاجئين منها ودعمت مقاومتها خلال الحرب السوفياتية - الأفغانية التي انتهت عام ١٩٨٩، لتفسح في المجال لصرعات مسلّحة داخلية.

إن الدور الذي قاد باكستان إلى تكييف علاقاتها الدولية وفقاً للإسلام، يتجذّر كذلك في حياتها السياسية الداخلية. فقد أدّى إلى خصام بين حزب إسلامي أصولي يطالب بالتطبيق الكامل للشريعة الإسلامية، هو حزب أنصار الرئيس السابق ضياء الحق الذي توفي سنة ١٩٨٨، وحزب «الشعب الباكستاني» الأكثر ليبرالية بقيادة السيدة بنازير بوتو التي تولّت رئاسة الحكومة مرتين. يعتمد هذان الحزبان على مقاطعتين مختلفتين، الأولى على البنجاب والثاني على السند.

باكوه أو باكُويه، بحسب تسمية محلّية (جمهورية أذربيجان)، مدينة مرفئية حديثة، سكّانها من المسلمين

وقعت بامبالونا تحت الاحتلال الإسلامي في العام ١١٩٩هـ/٧٣٨م لفترة قصيرة، ثم ما لبثت أن أصبحت مركز إمارة مسيحية صغيرة مستقلة على الرغم من الحملات التي استهدفها والتي باءت بالفشل. غير أن واحدة من تلك الحملات التي قادها عبد الرحمن الثالث - الخليفة الأموي في ما بعد - تمكنت، في العام ١٢١٢هـ/٩٢٤م، من استعادتها لبعض الوقت. وكان الفشل من نصيب المحاولات اللاحقة.

«راجع المستند رقم ١٥».

باميهور ← الدَّيْلِيل

بانياس، اسم عربي أطلق على ناحيتين قروسيّتين مختلفتين تقعان في سوريا. وكانتا تؤذيان دورًا مميزًا في عصر الصليبيين بعد أن كانتا قد أسلمتا في القرن السابع الميلادي إبان الفتحوات الكبرى.

بانياس الشمالية، وهي أهم المدينتين، تنتمي إلى «بلاد العلويين» وتقع على بُعد خمسين كيلومترًا جنوبي اللاذقية، وهي تطابق مدينة بالانبا لوكاس القديمة التي كانت تعرف باسم فالينبا في القرن الثاني عشر الميلادي. احتل الفرنج منذ سنة ١١٠٩/٥٠٢م مرفأها الصغير الذي تجاوره قلعة، ويشرف عليهما حصن المرقب الجبّار والذي أصبح مركزًا قويًا لإمارة أنطاكية على حدود كونية طرابلس. صمدت المدينة في وجه الهجمات التي شنّها المسلمون لاستعادتها من أيدي الصليبيين، وصمدت بشكل خاص في وجه غزوات صلاح الدين والأيوبيين الآخرين إلى أن تم الاستيلاء عليها من قبل قلاوون، سلطان دولة المماليك، سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م فهدمها. فقدت لفترة طويلة دورها الإداري.

بانياس الجنوبية، تقع عند أقدام جبل حرمون القديم، في منطقة الجولان، وكانت مركز هذه المنطقة في الماضي. وهي تطابق مدينة قيسارية التي كانت تمتد على ضفاف أحد ينابيع نهر الأردن المكشّوس للإله بان (Pan). كانت، بشكل خاص، مركزًا حدوديًا يتنازعه المسلمون وفرنج مملكة القدس اللاتينية، بسبب موقعها الإستراتيجي ووجود قلعة الصُبيّة فيها. احتلها، بين

ممثل الخليفة الفاطمي، في بداية القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، مقرًا محصنًا سماه «الخالصة». أمّا حولها فقد أنشئت أحياء دُعِيَ أحدها حيّ الصقالبة وكانوا في خدمة الفاطميين. خلال فترة الاحتلال هذه، أصبحت بلُزْم، الواقعة داخل سهل ساحلي متفن الزراعة، مركزًا إداريًا ذا ثقافة إسلامية ومدينة ناشطة ومأهولة. بعدئذ احتفظ أسايد البلاد المسيحيون بها عاصمةً وشيدوا فيها المباني بحسب التقليد الهندسي والزخرفي لمحتلّيها السابقين. لم يبق من ذلك سوى بعض الآثار المعزولة مثل كنيسة البيلاط الشهيرة التي زُيّنها بإتقان خاص حرفيون مسلمون لم يغادروا المدينة، ومثل الأجنحة الأميرية في ريزا وكوبا وكوبولا.

«راجع المستندين ١١ و١٩».

بالس، موقع أثري على نهر الفرات تغمره اليوم مياه سد الرقة. كانت آثاره تشهد على وجود مدينة كان لها أهمية كبرى في سوريا القروسطية.

كانت هذه المدينة التي انتشرت آثارها في ما مضى على هضبة تشرف على الوادي مرفأً تجاريًا ناشطًا في الإمبراطورية العربية - الإسلامية ومركزًا تجاريًا لنقل البضائع، لموقعها على مُنْطَد طريق القوافل التي تربط هذا الوادي بالبحر المتوسط عبر مدينة حلب. وكانت البضائع المتجهة إلى بغداد والعراق والخليج العربي - الفارسي أو القادمة منها تسلك نهر الفرات الصالح للملاحة حتّى موقع المدينة.

كانت بالس أيضًا، في بداية الخلافة العباسية، مدينة حدودية متاخمة للإمبراطورية البيزنطية. وسقطت في ما بعد في أيدي الحكام المسلمين الذين حكموا في شمال سوريا. وكانت تنتمي إلى دولة الأيوبيين عندما خُربَت بالغزو المغولي لها. تَلَدَ بعض آثارها على أنّها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، في العهد السلجوقي، كان يغلب عليها المذهب الشيعي.

«راجع المستند ٩».

بامبالونا (إسبانيا)، ناحية في نبرة (Navarre)، احتلها المسلمون لفترة وجيزة، شكّلت جزءًا من حدود منطقة الأندلس.

على تشجيع الأنشطة التجارية. فقد كانت في الواقع مخططة ضرورية على خط القوافل الذي يصل أضروروم بشط البحر الأسود، أي بأسيا الوسطى وبمرافئها التي يرتادها التجار الأوروبيون.

بقيت بایبورت محافظة على أهميتها التجارية حتى بعد بلوغ سلطة العثمانيين المنطقة سنة ١٥١٤م، نتيجة للحملة التي قام بها السلطان سليم الأول ضد الصفويين والتي انتهت بانتصاره في معركة جالدران. ولم تنحط فعلياً إلا في القرن التاسع عشر، بعد أن أهملت تدريجياً إذ أصبحت محرومة نانويًا للتبادل التجاري العالمي. وكان التدمير الذي لحقها، إثر احتلال الجيوش الروسية لها سنة ١٨٢٩، قد ثبت هذا الانحطاط. تعرضت بایبورت في ما بعد لهجمات روسية عدة، أعنفها هجوم ١٩١٦. وبقيت بعد ذلك بعيدة عن النشاط التجاري الذي عرفته البلاد في ظل الجمهورية التركية الحديثة.

بایزیت، هو الشكل التركي الحديث لاسم تركي قديم هو بايزيد المأخوذ عن العربية: أبو يزيد، وقد نقل في الماضي إلى الفرنسية في شكل باجازة (Bajazet). حمل هذا الاسم، بشكل خاص، سلطانان يفصل قرن بين فترتي حكمهما، وقد اشتهر كلاهما في تاريخ أسرة العثمانيين الطويل وعلا على ازدهار إمبراطورية لم تكن قد بلغت أوج قوتها بعد.

بایزیت أو بايزيد الأول المعروف بـ بلديرم أبي البرق (٧٥٥-٨٨٥/١٣٥٤-١٤٠٣م، حكم من سنة ١٣٨٩ حتى سنة ١٤٠٣م، وهو ابن مراد الأول خداندگار. بعد لقبه هذا إلى اندفاعه في المعارك، خصوصاً تلك التي خاضها في الأناضول ضد انفرمانيين، عندما كان ولي عهد يدافع عن الممتلكات الشرقية للدولة العثمانية. أمضى كل حياته في الحرب والقتال في المناطق البعيدة، فكان يتنصر حيناً ويفشل حيناً آخر.

تولى الحكم بعد موت أبيه في معركة كوسوفو، وتابع اهتمامه بمنطقة الأناضول، خصوصاً في جزئها الغربي، فكثفت ضغط العثمانيين على الإمارات التركية الثلاثة: الأيدينية، الصاروخانية، المنتشية، الحميدية والجرمانية فقسّم أراضيها إلى دولته. بعد سنوات من ذلك،

سنتي ٥٢٠ و ٥٢٤هـ/١١٢٦ و ١١٣٠م، الإسماعيليون المزاريتون الذين أنزلهم فيها طفتكين. أتاك دشتق، ثم انتقلت من حكم لآخر، إلى أن أعادها نهائياً إلى الإسلام نور الدين الزنكي سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م. بقيت محافظة على أهميتها في عصر المماليك لكنها انحطت وتخلت عن دورها الإداري لمصلحة مدينة القنيطرة الحديثة.

بانيات (معارك)، اشتباكات حربية متلاحقة في ذلك المكان من شمال الهند المفضي إلى دلهي، حفل بها تاريخ المغول.

أعقب النصر الذي حققته، في العام ١٥٢٦، جيوش بابر، ظفر جيوش أكبر في العام ١٥٥٦. وبعد قرنين، أي في العام ١٧٦١، كان انتصار أحمد شاه مؤسس السلالة الدرانية على المهورنة، وقد ثبت هذا الانتصار توسع مملكة أفغانستان على حساب الدولة المغولية التي ضعفت بشكل نهائي.

واقع الأمر أن ناحية البنجاب التي أعطت اسمها لتلك المعارك المختلفة، والقائمة حالياً في أراضي الاتحاد الهندي، كانت تتحكم بإحد المواقع الإستراتيجية في وادي الجحمة حيث تمر الطريق التي كان على الغزاة الآتين من الغرب والموجهين إلى سهل الغانج أن يسلكوها بمحاذاة جبال هملايا.

البانديتون، آل باوند ← مازندران.

بایبورت (الجمهورية التركية)، مدينة في الأناضول الشرقي، كانت في الماضي مخصصة، في القرون الوسطى كانت مركزاً حدودياً يتنازع البيزنطيون والعالم الإسلامي التركي والإيراني.

ما تزال آثار القلعة الضخمة وسورها بحجارته الجميلة يشهدان بدور المدينة هذا. ذلك أن الأتراك عملوا بالمدينة تهديماً منذ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، ثم ضموها إلى الأراضي التي احتلها سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م بعد معركة ملازكرت/مانتيكرت، وصمدت بعد ذلك امام محاولات بيزنطية طرابزون لاستعادتها. عرفت بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر لت الميلاد ازدهاراً اقتصادياً بارزاً، في ظل سيطرة سلاجقة الروم ثم الإبلخانيين والجلابريين والآق قوونلو، إذ عملوا جميعهم

الوقت الذي وجد نفسه فيه يواجه صراعاً طويلاً حول السلطة. فمناصفه المهزوم، شقيقه الأصغر جم، الذي كان حاكماً على فرمان عندما كان هو حاكماً على مقاطعة آماسيا، لجأ إلى أوروبا وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٤٩٥. كان في إمكان شقيقه أن يشير ضده نكتلات خطيرة للدول المسيحية. لكن هذا القتل من جهة أخيه لم يمنعه من أن يشن مباشرة هجمات على جبهتين مهمتين: جبهة مولدافيا وجبهة كيليكيا، لكن نتائج الجبهة الأولى كانت أفضل بكثير من نتائج الثانية، إذ اضطر إلى مجابهة قوة إسلامية كانت ما تزال رهيبة، هي سلطة ممالك سوريا ومصر. أما الحملات الأخرى التي قادها على طول نهر الدانوب والتي اتبع فيها طريقة الغزوات الخاصة، فلم تحقق سوى نجاح نسبي تمثل بالهدنة التي وقّعها مع بولونيا سنة ١٤٩٩. في الوقت نفسه، راح بايزيد الثاني بعد لهجوم على البندقية عن طريق سواحل المود، وألبانيا ودلماتيا، ما أدى إلى احتلال مدينة لياتي في السنة نفسها. وهكذا تكون قد تكرّست سيطرة القوة العثمانية البحرية على قوة البندقية التي طلبت الصلح سنة ١٥٠٢.

لكن ضعف الدولة العثمانية ما برح يتأكد في منطقة الأناضول التي غشّتها، منذ عشرات السنين، الانقسامات والصراعات بين الإمارات التركية التي زادت اضطراباً التيارات الدينية الشيعية السنيول، والتي غذتها العلاقات السياسية بتركستان وإيران. أدت هذه الصراعات إلى حرب أهلية حقيقية زاعها تعقيداً خلاف ولّذي السلطان، أحمد وسليم على خلافته، إذ كان الأول حاكماً على آماسيا والثاني على طرابزون. ولم يمنع انتصار السلطان على المتمردين سنة ١٥١١ من أن تؤذي الضغوط والمؤامرات التي كانت تحاك داخل القصر، والتي اشترك فيها بشكل فعال جنود الإنكشارية الذين بدأوا يؤدون دوراً سياسياً، إلى إنهاك قوى السلطان الذي أضعفته الشيوخة. فاضطر إلى أن يتنازل عن الحكم لمصلحة الابن الذي يضمن استمرار الصراع ضد الشيعة وضد نمو الطريقة الصفوية في الشرق التي أدت إلى نشوء الصفويين في إيران.

وهكذا شكّل حكم بايزيد الثاني مُنطفئاً في تاريخ

ركّز جهوده على منطقة البلقان، فتقدّم في المود ثم في ألبانيا وهنغاريا وفلاشيا. هدّد بشكل جذّي بيزنطية وأحكّم الرقابة عليها، ما دفع إلى تجهيز حملة صليبية عُرفت بحملة نيكوبوليس، ردّاً على تهديده، لكنه انتصر عليها سنة ١٣٩٦/٧٩٨م، قبل أن يهاجم القرامايتين من جديد ويتنصر عليهم. وللحدّ من سطوته، كان ينبغي انتظار تدخّلات نيومولتك المتكرّرة في شؤون الأناضول. وأدّى الصراع الذي كان قد بدأ سنة ١٣٩٤م بينهما إلى انهزام بايزيد في معركة أقره سنة ١٤٠٢م. فالقي القبض عليه واقتيد أسيراً إلى آق شهر حيث توفي في السنة التالية.

هذا الفصل الأخير لبايزيد الذي خلّص في الوقت نفسه مدينة القسطنطينية من فتح شبه مُحتم، لم يُلْ إلا سطحيّاً من زخم الدولة العثمانية التي كانت في عزّ انطلاقها، علماً أنّ بايزيد كان قد حَسَن المركزية الإدارية والتنظيم العسكري العتني، وأظهر، خصوصاً في عاصمته بورصة، اندفاعاً للإعمار، تشهد على ذلك آثار خالصة الأناقة.

إضافة إلى مسجد المدينة الجامع، يعود لبايزيد الفضل أيضاً في بناء المجمع الهندسي لمسجد يلدريم الذي أنشأه على ثلة في ضاحية المدينة، بناءً ملكيّاً خاصاً، وهو حتى اليوم يخلّد ذكراه.

بايزيت أو بايزيد الثاني، ٨٥١-٩١٨/١٤٤٨-١٥١٢م، السلطان السابع من الأسرة العثمانية، حكم من سنة ١٤٨١ حتى سنة ١٥١٢م. كان حاكماً نشيطاً على رأس دولة أصبحت قادرة، لكنه كان مضطراً لمعالجة وضع أصبح صعباً على الصعيدين الداخلي والخارجي. وقد نجح في مهمته بفضل جهده المستمر في تنظيمه العسكري وفي هجوماته الفعّالة، واستمرّ في جهوده حتى تنازله النهائي عن الحكم لمصلحة ابنه سليم الأول. وقد سبق ذلك موته بقليل.

إنّ الأمبراطورية العثمانية التي ورثها بايزيد الثاني عن أبيه مراد الثاني الفاتح كانت عاصمتها قد أصبحت إسطنبول، القسطنطينية سابقاً، لكنّ مستقبل هذه الأمبراطورية لم يكن مضموناً بعد. عزم الحاكم الجديد إذاً على متابعة سياسة أسلافه البقدامة، في

جابر بن سنان، ويقال له كذلك الضابي، ٢٤٤ - ٣١٧هـ/٨٥٨-٩٢٩م، بلغت شهرته، منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، أوروبا المسيحية حيث تحققت الإغادة من أعماله.

وُلد، من دون شك، في حرّان^(٣١) في بيئة صابئية نقلت إليه تقاليد جبّسّية قديمة، إلّا أنّه، لكونه مسلماً، خلافاً لأصول عائلته، عاش بوجه خاص في الرقة حيث انصرف بشغف إلى القيام بأرصّاد فلكنية قيّمة جداً. فقد قام بتصحيح نظريات علميّة عدّة تتعلّق بالاعتدالين أو بحركات القمر والكواكب السيّارة، وكان بطليموس قال بخلافها، وفي الوقت نفسه ساهم في تقدّم حسابات المثلثات الدائرية وتقديم حلول جيّدة لمسائل متعدّدة. ولم يصلنا من الرسائل التي ألّفها سوى التوقيم الفلكي الذي أسماه ببساطة كتاب الرّجّح الذي وصلنا بعد أن تُرجم، مرّات عدّة، إلى اللاتينية والألمانية خلال القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد. أُعيد طبع بعض هذه الترجمات تكرّراً.

پتروفاردين (معركة)، ١٧١٦، هزيمة مُني بها العثمانيون بالقرب من المكان المحصّن الذي يحمل هذا الاسم والذي عاد نهائياً إلى الأمبراطورية العثمانية بعد معاهدة سلام بويارقانس أو ياساروفيش.

خلال هذه المعركة، انتصر جيش الأمير أوجين دو سافوا (Eugène de Savoie) على جيش عثماني يفوقه عدداً. وقد هاجمه ليمع الصدر الأعظم علي باشا من محاصرة پتروفاردين التي اضطر الباب العالي إلى التخلّي عنها في العام ١٦٨٧ بُعيد سقوط بودا، أي بودابست لاحقاً، مكرّساً ملكيتها للنمساويين بموجب معاهدة سلام كارلوفيش سنة ١٦٩٩. كانت هذه المحلّة ذات القيمة الإستراتيجية الكبيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر الدانوب في مقابل نوفي ساد، على الطريق الذي يصل بلغراد بالمجر. كانت في ما مضى، لأكثر من قرن، جزءاً من الأمبراطورية العثمانية، وقد ضُمَّت إليها سنة ١٥٤٣ خلال حملة السلطان سليمان القانوني الثانية على أوروبا الوسطى، بعد أن استولى عليها عنوة الصدر الأعظم إبراهيم باشا.

بثليس (الجمهورية التركية)، تعرف في انغريّة

الدولة العثمانية التي دُعمت بينتها الداخلية بشكل بيّن. وذلك بفضل الجهود التي بذلها السلطان لتطبيع إدارته في الخط الذي رسمه والده، ولاستغلال موارد الدولة الهائلة بشكل منهجي ومنظّم. فقد استعاد منها أوّلاً في تنظيم المؤسسة العسكرية، والقوى البحرية منها بشكل خاص، إذ تمكّنت، لفترة من الزمن، من السيطرة على البحر المتوسط برّته. وقد استفاد أيضاً من هذه الموارد لوضع أسس الهندسة العثمانية الأمبراطورية التي ظهرت ملامحها في المنشآت الحديثة. ومن هذه المنشآت التي تظهر ميزات هذه الهندسة تلك الصروح الدينية الخاصة والهائلة في أماسيا، أو مسجد بايزيد الثاني على ضفة تونكا في أوردو الذي بني بين سنتي ١٤٨٤ و ١٤٨٨، وأخيراً في اسطنبول حيث ما يزال مسجد بايزيد الذي بُني بين سنتي ١٥٠١ و ١٥٠٦ يشرف على إحدى أجمل ساحات المدينة قرب البازار الكبير.

« راجع المسند ٨١ ».

بايزيد ← بايزيت.

بايزيد الأنصاري، ٩٣١-٩٨٠هـ/١٥٢٥ - ١٥٧٢م، مؤسس حركة دينية وقومية أفغانية في عصر النفوذ المغولي في الهند.

وُلد بايزيد في جالندار قبل تأسيس بابّر للدولة المغول في الهند سنة. وكان يعلن أنّه متحدّر من أبي أبوب الأنصاري، أحد الصحابة. عرف بايزيد نشأة مضطربة، درس العلوم الدينية الإسلامية وتابع أيضاً تعاليم عالم من مذهب الإسماعيلية وألّم بالعقائد القائلة بالنقص والنجسد. كان شائباً لمذهب الغنوصية أو المعرفة الروحية^(٣٢) التي لا يمكن بلوغها إلا بواسطة مُرشّد روحي، لكنه كان يعلن أنّ الله يوحى إليه مباشرة بهذه المعرفة. أحاط نفسه بأنّباع متعصبين كانوا يعتبرون كافراً كل من لا يعتقد عقيدتهم، ونشروا دعوتهم في أراضي أفغانستان الحالية، لكنه اصطدم بسلطة المغول. انتصر حاكم پشاور على كل أنبائه، أما هو ففرّ إلى الجبال حيث مات ضحّى.

ألبثاني، المعروف باللاتينية باسم **ألباتغنوس** (Albatagnus) أو **ألباتينوس**، أبو عبدالله محمّد بن

المغرب الأوسط، تقع بالقرب من مدينة الجزائر، إلى الشرق من المدينة، على ساحل منطقة القبائل.

إن هذه البدة المزدهرة التي خلفت في القرون الوسطى سلة القديمة، لم تشهد تألقاً في العهد الإسلامي إلا بين القرنين الخامس والعاشر للهجرة/ الحادي عشر والسادس عشر للميلاد، في الفترة التي بدأت مع سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، عندما اتخذها ملوك بني حمّاد المتأخرون مقراً لهم. قبل ذلك الحين كانت هذه المدينة - التي ربطتها دائماً المواصلات البحرية بالاندلس والتي تشرف على خليج محمي وسط منطقة واحة النبات - قد وقعت سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م، تحت سيطرة الحمّادي الناصر، فُقرت بالناصرة، وأصبحت قاعدته المفضلة. ثم اتخذها في ما بعد ابنه وخلفه عاصمة له، بعد أن أُجبر على التخلي عن قلعة بني حمّاد. فعاشت في تلك الحقبة القصيرة ذروة مجدها، إذ كانت تحوي قصوراً ومتنّات فخمة نفّس بها الشاعر الصقلي ابن خلدون، إضافة إلى بلاط اشتهر بأناقته. ولا نفع اليوم إلا على بعض هذه الآثار التي تشهد بازدهار تلك الحقبة، كبقايا السور أو الباب الذي كان يُفتَح أمام البواخر للدخول إلى المرفأ. لكننا نعرف مدى أثر هذا الفن المزدهر على الفن في صقلية أيام ملوك النورمان، إذ ما زالت بعض عناصره تشهد على ذلك.

إن احتلال الموحّدين للمدينة سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥٢م الذي أنهى حكم الحمّاديين وأذى إلى ردة فعل موقنة إثر نزول بني غانية إليها، أبقى لها دورها مدينة تجارية غنية، وقد حافظت عليه في عهد الحفصيين. كما أغزتها أيضاً غنائم القرصنة حتى احتلال الإسبان الموقت لها بين سنتي ١٥١٠ و ١٥٥٥، ولا سيما حتى استقرار القرصنة الأتراك أنباع الدولة العثمانية في الجزائر، ففرت في انحطاط طويل، وتحوّلت إلى قرية صغيرة بسيطة كما ذكرها مثلاً الفارس دارفيو (Ic chevalier d'Arvieux) الذي تنسّى له زيارتها سنة ١٦٧٤.

◀ راجع المستدين ١١ و ١٩.

البحرين، أطلق هذا الاسم، في العصور الأولى للإسلام، على قسم من الشاطئ الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وعلى مجموعة الجزر الواقعة في عُرض البحر

ببذليس. هي حائياً مركز مقاطعة في شرق الأناضول. قامت بدور دفاعي بصفتها موقفاً حصيناً على مقربة من بحيرة وان.

دخلت هذه المدينة في الدولة الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى، منذ سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م، لكن موقعها على حدود الدولة الشمالية أخضعها لسلطات متعددة، حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. ثم تعاقبت عليها سلالات حاكمة إسلامية. وقد زاد في أهميتها الإستراتيجية غزو السلاجقة للأناضول منذ سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م، بينما أدخل إليها الأيوبيون الذين نجحوا في الاستيلاء عليها، عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، عناصر كردية كثيرة.

لاحقاً، أصبحت بتليس تحت سيادة الإلخانيين. وبعد تفكك سلطتهم، عرفت ازدهاراً على يد الأمراء الأكراد المحليين الذين احتفظوا باستقلالهم الداخلي حتى القرن التاسع عشر. ابتداءً من هذا الوقت فرض العثمانيون عليها سلطتهم المطلقة. وبعد الحرب الروسية-التركية عام ١٨٧٧-١٨٧٨، أصبحت المنطقة ولاية تركية ملحقمة بشكل وثيق بالسلطة المركزية، لكنها ضعفت وانقرضت نتيجة الأحداث التي عرفت خلال الحرب العالمية الأولى، ولا سيما ثورة الأرمن، والاحتلال الروسي.

بجاية (إسبانيا)، مرفأ يقع إلى الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة الأيبيرية، كان مدينة اندلسية مهمة سرعان ما حلت محلها المروية.

في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، أسست في بجاية، وعلى بُعد عشرة كيلومترات تقريباً من الشاطئ، شبه جمهورية بحرية إسلامية أرست سفنها علاقات تجارية بالوكالات التي كانت قد تأسست في المغرب مثل تنيس. إن مرفأ المروية الجديد أو مروية بجاية الذي اختاره الأموي عبد الرحمن الثالث، في سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، مركز قضاء للمنطقة، حلّ سريعاً مكان بجاية التي هُجرت وأصبحت خراباً، وورث دورها الاقتصادي والإستراتيجي.

بجاية (الجمهورية الجزائرية)، مدينة مرفئية في

والتي كانت جزيرة أوّل أهمّها.

١ - في القرون الوسطى وفي تاريخ نصيب تحديدّه بالضبط، انقصر اسم «بحرين» على تلك الجزيرة الرئيسة التي انفصل مصيرها عن مصير اليابسة حين اضطلّت دولة القرامطة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلاديّ. في السابق، كانت مقاطعة البحرين التي تضمّ منطقة الحسا ملجأً تحتمي فيه المجموعات المتمردة. فقد لجأ إليها الخوارج في القرن الأوّل للهجرة/ السابع للميلاد ثمّ الإسماعيليّون القرامطة في القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد، وجعل منها هؤلاء الأخيرون حصناً يلدجأون إليه بعد عمليات الاعتداء والسلب التي كانوا يقومون بها، في جنوب العراق وفي مكّة. ولم تتمكّن الخلافة العبّاسيّة من بسط سلطتها على هذه المقاطعة إلا في سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، عندما تولّت أسرة محلية هي أسرة القويّين زمام الحكم فيها.

من جهة ثانية، أصبحت جزر البحرين هدفاً لمصالح تجارية وإستراتيجية تتمثّل في الصراعات المختلفة التي مست بشكل خاص ميدان الملاحة فيها. فالقوى البحريّة التي برزت في نهاية القرون الوسطى، وفي ما بعد في الخليج العربي - الفارسي، عملت على وضع يدها على أنشطة هذه الجزر التجاريّة. وفي الوقت نفسه سعى الأتراك، أسبّاد الطرق التجاريّة السنيّة، ابتداءً من السُلفوريّين في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حتّى الآق قويونلو في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، إلى فرض سيطرتهم عليها. واستولى عليها البرتغاليّون بدورهم في بداية القرن السادس عشر الميلادي وتحكّموا بها مدّة ثمانين سنة. بعد ذلك احتلّها صفويّو إيران في القرن السابع عشر وسيطروا عليها حتّى مجيء آل خليفة، وهم قادة عرب من نجد، الذين استقروا فيها وأنشؤا إمارة البحرين الحاليّة والمستقلة.

٢ - إمارة البحرين الحاليّة^(٢٣)، مساحتها: ٦٧٨ كلم^٢، عاصمتها: المنامة. هي دولة معاصرة ومستقلّة يبلغ عدد سكّانها حوالي الخمسمائة ألف نسمة، كلّهم تقريباً مسلمون، ونصفهم من الشيعة. تضمّ هذه الإمارة

المجاورة للمملكة العربيّة السعوديّة ولدولة قطر جزيرة البحرين ومجموعة الجزر المجاورة؛ تحكمها حتّى اليوم أسرة آل خليفة التي أحكمت سيطرتها عليها في أواخر القرن الثامن عشر. أبرمت البحرين معاهدة أولى، سنة ١٨٢٠، مع بريطانيا العظمى تبعتها اتفاقات أخرى أدّت إلى تحويلها محميّة بريطانيّة سنة ١٨٩٢ بحكم الأمر الواقع. بعد أن نالت استقلالها الفعليّ سنة ١٩٧١ ونزّلت الانكليز عن امتيازاتهم في الخليج، أعلن الأمير الذي كان يحكمها آنذاك الدستور الجديد للإمارة سنة ١٩٧٣. كانت إمارة البحرين غنيّة بزرعتها وبتجارة اللؤلؤ وازداد اقتصادها ازدهاراً بفضل عائدات البترول، ما أدّى إلى نموّها العمراني. يتوزّع سكّانها العرب مع بعض الجاليات الإيرانيّة والهنديّة بين السنة والشيعة؛ ينتمي السنة فيها إلى المذهبين الحنبلي والمالكي وهم يفتنون في المدن. وإليهم تنتمي الأسرة الحاكمة. أما الشيعة فهم غالباً مزارعون، يتحدّثون من سكان المنطقة الأوائل وأكثرهم من الإماميّة الاثني عشرية. إضافة إلى بعض الشيعة.

◀ رابع المستثنين ١٢ و ١٣.

البحريون ← الممالك السورّيون والمصريّون.

بخارى (جمهورية أوزبكستان)، مدينة في آسيا الوسطى استمرّت، حتّى أيامنا هذه، أحد مراكز الحياة الإسلاميّة في تلك المنطقة، بعد أن كانت، بالتناوب مع سمرقند، إحدى العواصم التي اتخذتها السلطات الإسلاميّة في ما وراء النهر مركزاً لها في القرون الوسطى.

تقع بخارى على النهر الأسفل لنهر «زرافشان»، في وسط واحة، وعلى الحدود الشرقيّة لصحراء «قزل قوم» التي كانت تفصلها عن خيوه، وتتّصل عبر طريق القوافل بمدينة مرو، وكذلك بأودية جَيّخون/ آمودزيا وسِيخون/ سيبيردزيا. كانت بخارى تقع على ملتقى طرق حركة تجاريّة، ما شكّل مصدر غنى لاقتصادها، لكنّها كانت معرضة لغزوات مصدرها وسط آسيا، أمثال غزوات الترك والمنغول، فكان إزدهارها رهن بضخامة غزواتهم، إلى درجة أن الانقراض التي بختلفها الغزاة بعد رحيلهم كانت تتبّع باستمرار أعمال الزراعة والري.

الآثار المهمة بقيمتها الزخرفية، وأبرزها واجهة مسجد منك أطاري المبنية بالأجر، وكذلك منذنة كالبان المشادة سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م بالأسلوب نفسه. هذا، فضلاً عن بقايا مصلّى، خارج المدينة، يعود إلى الحقبة نفسها، وعن منذنة بنيت خلال الأعوام ١١٩٦-١١٩٨م في منطقة بيكند المجاورة.

في عام ١١٦٦هـ/١٢٢٠م، نُهبت المدينة بعد احتلال جنكيزخان وجيش المغولي لها، لكنها ما لبثت أن نهضت بسرعة لتشهد ازدهاراً جديداً في ظل السلطة المتنازع عليها بين الجغتائيين والتيموريين، بعد أن كانت حملات تيمورلنك، في نهاية القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، قد ساهمت في إعادة تنظيم العلاقات التجارية باتجاه الغرب. في هذا الوقت كان النفوذ المتعاطم للأوزبك الشيباتيين في آسيا الوسطى قد أدى إلى احتلال بخارى، فجعلوها منها ومن سمرقند عاصمتين لمناطقهم الشرقية، بين ٩٠٥هـ و١٠٠٨هـ/١٥٠٠ و١٥٩٩م. وقد استمرت سلطنتهم حتى عام ١٧٨٥. تركزت فيها سلالة أوزبكية أخرى هي سلالة الجغتائيين أو الأستراخانيين، على الرغم من اجتياح المدينة الموقت على يد نادر شاه سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م. ثم استولى خانات جند على العرش وأصبحت موالية للروس، منذ سنة ١٨٦٨ حتى الثورة الروسية التي قامت بطردهم عام ١٩١٧. وأخيراً ضُمَّت هذه المقاطعة، سنة ١٩٢٣، إلى جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفياتية التي أصبحت الآن دولة مستقلة.

إن هذه المدينة التي لم يتنل قط مركزها الماهول نحفظ، فضلاً عن آثارها القروسطية، بأبنية كثيرة تعود إلى ما بعد القرن الخامس عشر، تضاف إلى معالمها الأثرية السابقة، لتجعل منها منحناً حقيقياً للحياة الفنية التي عرفتها المنطقة في المرحلة الإسلامية من تاريخها. لقد شيد الأوزبكيون فيها بازارات أو أسواقاً مغلقة وعدداً من المدارس، وكل ذلك يشهد على نشاط في فن العمارة استمر بارزاً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

■ راجع الممنذات ٨، ١٢، ١٣، ١٧، ٢٣، ٢٤، ٣٥.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل الجعفي،

إنَّ المُنْذَةَ التي كانت قائمة منذ العصور القديمة في الموقع نفسه والتي كانت تُعَدُّ بين مدن أشروسنة، استولت عليها، عام ٩١هـ/٧١٠م، جيوش الفُتُوحات العربية - الإسلامية الكبرى، على عهد الخلفاء الأمويين، بقيادة قُتَيْبَةَ بن مسلم الذي فرض سلطته على أمير محلي استمرّت أسرته في الحكم، في بادئ الأمر. كانت المدينة تابعة آنَئذٍ لمقاطعة خراسان التي كانت «مرو» عاصمتها، كما كانت مركزاً ثقافياً مزدهراً، ظهرت فيه سريعاً قدرة السامانيين الإيرانيين الأصل، وفيه شُيِّدَ، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، الضريح الملكي العاتلي المنسوب إلى أحدهم وهو إسماعيل. هذا الأثر المعماري قد يكون أقدم ضريح محفوظ في الأرض الإسلامية، وقد تميّز دائماً بجودة هندسته وبأجزءه الزخرفية.

كانت المدينة البائدة تمثل، بحسب رأي الجغرافيين العرب، التناقص الثلاثي المألوف في تنظيم مدن إيران ومحيطها في القرون الوسطى، أي التجاور بين القلعة والمدينة نفسها (أو شَهْرَسْتَان)، وضواحي (أو أرباض) كانت معدة لتحضن حياة تجارية متنامية النشاط، وأسواقاً ومستودعاتٍ وخاناتٍ مُدُنِيَّة كانت تنهض بحاجاتها. كذلك أشادت المصادر بطرقاتها الواسعة المرصوفة بالحجارة، وبمنارة سورها ذي الأبواب الأحد عشر، المحيط بموقع استمرّ دائماً مأهولاً حول المركز التجاري الكبير والحصن الذي أعيد بناؤه لمَرَّاتٍ عدّة، على عكس ما كان يحصل في مدن أخرى.

تراجعت أهمية بخارى بعد سقوط السامانيين عام ٢٣٥هـ/٨٥٩م، لكنها استمرّت مركزاً ثقافياً يُؤَيِّدُ علماء بارزين. وسرعان ما جعلت منها دولة الأتراك القراخانيين التي بسطت سلطتها على كل المنطقة حتى الحدود الشرقية لتركستان، أحد مراكز قوتها، قبل أن تقسم إلى إمبراطوريتين: الخانية الغربية، مركزها بخارى، التي أقامت لاحقاً علاقات نيعمة مع السلاجقة المنتمين إلى الإسلام، والخانية الشرقية التي أقوّت بسيادة «القراخاني» الوثنيين. إلى هذا العهد، وبالتحديد إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، تعود

نخبة من الشعراء والعلماء.

• راجع المستندات ١١، ١٥، ١٦.

بِدَار (الاتحاد الهندي)، مدينة صغيرة في منطقة الدكن الإسلامية، ومركز المقاطعة التي تحمل الاسم نفسه. قامت بدور تاريخي بصفتها عاصمة محلية، بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر للميلاد، واحتفظت من ماضيها الإسلامي بعدد من الأبنية.

لأسباب إستراتيجية نُقل إلى بدار، هذه القلعة المركزية التي يسهل الدفاع عنها، مركزُ سلطنة البَهْمَنِيَّين (سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م) الذين اهتموا بتحصينها ونجمل قصورهم فيها. في الوقت نفسه، بنيت في مكان قريب أضرحتهم، كما شُيّدت في المدينة مبانٍ ذات طابع ديني تعود إلى القرن الخامس عشر، إلى عهد الوزير محمود قوام الذي شُيّد فيها مدرسة فاخرة. هذه المباني تُظهر التأثير الإيراني، المزمان لتدقق العناصر «الأجنبية» حاملةً معها تيارات دينية شيعية، وسمت بطابعها إمبراطورية الهند-الإسلامية في المناطق الجنوبية.

بعد فترة وجيزة، جرت محاولة لتدعيم السلطة المركزية على أيدي أسرة البريديشاهيين السنة المحلية. إن زعيم هذه الأسرة، قاسم بريد، كان عدواً تركياً، وقد استطاع ابنه أن يستولي على السلطة سنة ١٥٢٧. إن المدافن الملكية الجديدة، المجاورة هي أيضاً لبدار، تمثل الأنشطة الهندسية التي قام بها هؤلاء الأمراء الذين اقتصر أعمالهم على تجليل الأبنية البهمنية وترميمها. لقد حافظوا على ازدهار المدينة والمنطقة بأسرها إلى الوقت الذي ضمت فيه ممتلكاتهم إلى أبرز منافسيهم العادلشاهيين في بيجابور، وذلك سنة ١٦١٩.

• راجع المستند ٢٢.

يَدَخْشَان، في العصر الوسيط، منطقة جبلية شاسعة في آسيا الوسطى، تقع على الحدود الشرقية للعالم الإسلامي. وهي اليوم مقاطعة في دولة أفغانستان الإسلامية ومساحتها أصغر بكثير مما كانت عليه. اشتهرت هذه المنطقة - التي كانت تعرف سابقاً

بالحوض الأعلى لجَيخُون أو آمودُنيا على أطراف سامير وشرقي طُخارسان - بسنجم الحجارة الكريمة، وخصوصاً

١٩٤-٢٥٦هـ/٨١٠-٨٧٠م، من رواية الحديث المشهورين، ما تزال مؤلفاته تعتبر حجةً في مجال الحديث الشريف.

إيراني الأصل، من عائلة تنتمي إلى منطقة بُخاري. هذا العالم الآتي من بلاد ما وراء النهر ركز اهتمامه، منذ صغره، على دراسة الحديث. جمع منه الكثير في أثناء حجه إلى الحجاز، وخلال رحلاته الكثيرة التي بلغت به مصر، قبل أن تدركه الوفاة قرب سمرقند.

تعود شهرة البخاري، بشكل خاص، إلى المصنف الضخم الذي جمع فيه الأحاديث وعُرف بـ«صحيح البخاري». وقد أمضى ستة عشر عامًا في جمع مواده، وفي تصنيف الأحاديث بحسب موضوعاتها. وقد صحّ لديه ٢٧٦٢ حديثاً. اعتبر هذا العمل، لاحقاً، مع «صحيح مسلم»، واحداً من أفضل مُصنّفات السنة في هذا المجال.

بداخوس، (إسبانيا)، بظليوس في العربية، وهي مدينة في إسترمادورا (L'Estrémadura)، أسست إبان العصر الإسلامي، وازدهرت بصفة عاصمة محلية في الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف.

في نهاية القرن التاسع، بنى فيها رئيس عصابة عُرف بابن الجليقي (le Galicien) قلعة محصنة كي يضمن بذلك استقلال سلطته. ازدهرت المدينة إثر ذلك على حساب مدينة ماردة القديمة. لكن كان لا بد من انتظار نهاية الخلافة الأموية في قرطبة وتشرذمها، في بداية القرن الخامس الهجري/العاشر الميلادي، كي تصبح هذه المدينة بموقعها المميز وبنموها الاقتصادي وبإسراعها، المركز الرئيس لدولة بني الأفطس الضعيفة. لكن هذه الدولة ما لبثت أن وقعت في أيدي المرابطين قبل أن يحتلها الموحدون. ولقد حاول هؤلاء جاهدتين حمايتها، ولم يتخلّوا عنها إلا في سنة ١٢٢٧هـ/١٢٣٠م، تحت وطأة الاحتلال المسيحي. يعود الانتهاء من تشييد قلعتها المعروفة بـ«القصبة» إلى المرحلة الأخيرة من الحكم الإسلامي. وتشهد آثار هذه القلعة على الدور الإستراتيجي والعسكري الذي أدّته، علماً بأنها اشتهرت في القرن الخامس الهجري/العاشر الميلادي بإسراعها الثقافي والفكري الذي جسّدته

في أول لقاء جدي بينهم .

بدر الجمالي المعروف أيضاً بأبى الجيوش ، ؟ - ٤٨٧هـ / ٩ - ١٠٩٤م ، رجل دولة وقائد عسكري ، عُيِّن وزيراً للخليفة المستنصر في أواخر الحكم الفاطمي . وقد تمكَّن ، في مصر على الأقل ، من تثبيت الوضع السياسي بعد أن كان مهتزاً بشكل خطير . يدلُّ اسم هذا المملوك الذي أُعْتُق في ما بعد على وضعه الاجتماعي . فهو يحمل اسماً يعطى للعبيد : « بدر » ، وقد اقترن هذا الاسم بلقب الأمير الذي كان مولاه سابقاً . نالت أحداث حياته العسكرية في مقاطعة سوريا الفاطمية حيث تمكَّن من بلوغ أعلى المناصب ، وأصبح لمرتين حاكماً على دمشق ، وبعد أن تمكَّن من صدِّ تقدُّم السلاجقة . خولته تجربته الشخصية وقوَّة جيشه الفاتمة على المرزوقة من الأرمن أن يليي نداء الخليفة ، سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، لتخليصه من الضباط الأتراك من حراسه الذين نجَّروا على سلطته . وقد عمل بعد ذلك على تهدئة الوضع الداخلي وتدعيم الحدود ضدَّ أيِّ اعتداء خارجي .

ساعد تنظيم الإدارة على عودة الإزدهار الاقتصادي الضروري لتمويل تحسين أسوار القاهرة . فقد أمر بدر الجمالي ، بين سنتي ٤٧١ و ٤٨٥هـ / ١٠٧٨ و ١٠٩٢م ، ببناء الأبواب الشهيرة التالية وبتحصينها : باب النصر ، باب الفتوح وباب الزويلة . ما تزال هذه الأبواب المستقيمة والمبنية من الحجر الصلب تثير ، حتى اليوم ، الاستحسان لبساطتها الفنية ولتميزتها العملية . ويظهر فيها أثر هندسة حضارة ما بين النهرين أكثر مما يظهر فيها أثر الهندسة المصرية . تعكس هذه الإنجازات إرادة باتنها في التجديد ، وهي لا تقلُّ أهمية عن ضريحه ، « مشهد جيوشي » ، الذي أمر ببنائه على تلة المُعْتَمَد . وما زال هذا الضريح ، حتَّى اليوم ، يحيي ذكرى صاحبه في الذاكرة الشعبية . بالرغم من قوة جيوش بدر ومن الانتصارات التي حقَّقها في الدلتا كما في صعيد مصر ، لم يتمكَّن من منع سقوط سوريا في أيدي السلاجقة . بعد أن احتلَّوا مدينة دمشق سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م ، وقد حاول الفاطميون عبثاً بعد ذلك استرجاعها . إنَّ صلاة موقع الوزير بدر في مصر خولته ثوريت منصب لابنه الأفضل .

اللازورد والياقوت . بقيت لفترة طويلة تحت سيطرة القادة المحليين خارج سلطة الإسلام حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي على الأرجح ، عندما دخلها دعاة الإسماعيلية . وقد استمرَّت عقيدتهم سائدة فيها حتى القرن الخامس عشر . بعد أن نجت من الغزو المنولي ومن سيطرة التيموريين ، وكذلك من سيطرة المغول ، دخلت في نهاية القرن السادس عشر أميراُورية الأوزبك الشيئانيين ، قبل أن تتحكَّم بها بعض الأسر شبه المستقلة . كانت هدفاً للأطماع الروسية في نهاية القرن التاسع عشر ، فتمَّ تقسيمها ، بناءً على مبادرة بريطانية ، وأُعطي القسم الأكبر من أراضيها للملوك الأفغان ، بينما أصبح القسم الشمالي - الشرقي منها الذي كان ملحفاً بإمارة بخارى وتابها للوصاية الروسية ، منطقةً مستقلة سنة ١٩٢٥ إسمها غورنو بدخشان ، وكانت تابعة للجمهورية الاشتراكية السوفياتية التي تعرف اليوم باسم جمهورية طاجيكستان المستقلة .

بَدْر (معركة بدر) ، رمضان سنة ٢هـ / آذار/ (مارس) ٦٢٤م ، كانت أول انتصار حققه المسلمون من مهاجرين وأنصار بقيادة النبي محمد (ﷺ) ، منذ السنة الثانية للهجرة .

جرت المعركة قرب محلَّة بدر الواقعة قرب ريف الحجاز ، جنوب - غربي المدينة المنورة ، على الطريق الذي تسلكه القوافل التجارية بين مكَّة وسوريا . في هذا السهل الصغير المحاط بالتلال والهضاب ، بدأ نبي الإسلام حياته القتالية عندما اعترض قافلة عدوة ، غنيَّة الحمولة يقودها أبو سفيان ، زعيم عشيرة أُمَيَّة التي انبثقت منها سلالة الحكام الأمويين . أرسلت فرقة من مكَّة لملاقاة القافلة بغية حمايتها والحفاظ على حمولتها ، لكنَّ المعركة التي دارت حول بعض الآبار انتهت بانهزام المكِّيَّين ، قُتِل وأُسر عدد كثير منهم . كان انتصار المسلمين غير المنتظر ، نظرًا إلى قلة عددهم بالنسبة إلى المكِّيَّين ، قد أثَّرَ لهم غنيمة مهمَّة . يعود هذا الانتصار ، بحسب الآيات القرآنية التي نزلت بعيد هذه المعركة ، إلى مساعدة الله الذي أرسل ملائكته للقتال إلى جنب المسلمين . وقد اعتُبر هذا التفوق مبرراً للدين الجديد وإشارة واضحة لتفوق المؤمنين على الكافرين

◀ راجع السند ٦٣.

المصطلح. حتى إن بعض المتكلمين ميزوا بين البدع «الحسنة» والبدع «المذمومة»، كما فعل الفقيه الشافعي في أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي؛ بينما اضطر منظرون آخرون في الفقه إلى قبول ممارسات لا تنسبها النواهي القديمة، والتي كانت تُعدُّ بدعاً، لكنَّ الوجدان الإسلامي كان يشعر بالحاجة إليها، مع اهتمامه باحترام الرسالة الإسلامية الأساسية. وهكذا خُصِّصَتْ مؤلفات كثيرة لمسألة «البدع» في المجالين الفقهي والنكلامي. ومن أهم البدع في ما يخصُّ العبادة - تلك التي لقيت انتشاراً واسعاً، لا سيما ابتداء من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، والتي حاربها في الوقت نفسه بعض الفقهاء - هي «تكريم الأولياء»، وقد نشأت من تقليد «الزيارة» المرتبط بإجلال بعض الأضرحة. لقد كان موقف الحركة الوهابية، في القرنين التاسع عشر والعشرين، صارماً في رفض هذه البدعة، بينما كان يؤيدها المتصرفون ورفقهم.

البلد قبائل مترحلة في السهوب الصحراوية، احتلت مؤقَّتاً كبيراً في القرون الوسطى، في العالم الإسلامي، ما فتئ نمط عيشها المميَّز، وصولاً إلى المتغيرات الحديثة، يؤثر في تاريخ هذا العالم.

على الرغم من أن البدو لم يفوموا بأي دور في بناء الحضارة الإسلامية، فإنهم وُجدوا قبل الإسلام وشهدوا بزوغ الدعوة الجديدة. كان بدو شبه الجزيرة العربية يرتبون الحصال التي تساعدهم على العيش وتسمح لهم بممارسة ميولهم القتالية والتجول على طول طرق القوافل، فكانوا يسيطرون على كلِّ البلاد قبل قيام الجماعة الإسلامية على يدي النبي محمد (ﷺ)، وما لبثوا أن قبلوا الإسلام ونشروه منذ البداية. لم يكن هذا النمط البدوي وفقاً على القبائل التي اعتنقت الإسلام وقدمت الولاء للنبي الجديد الذي استقرَّ في المدينة بعد الهجرة، لكنَّ العرب الذين كانوا يقطنون الحاضرة التجارية في الحجاز، أي مكة حيث وُلد النبي محمد (ﷺ)، وعلى الرغم من سكنهم في الحضر، حافظوا هم أيضاً على البنى القبلية والمعتقدات الدينية البدائية وبعض عادات حياة البدوة. وهم الذين شكّلوا المجتمع

البِدْع (أهل-)، مفهوم استُخدم عبر التاريخ الإسلامي، في الأحكام وأحياناً في الإدانات، التي كانت تطلقها الجماعة على عدد من الفرق، وفي وقت متأخر، على الحركات الصوفية.

يصعب تحديد الأصول العقائدية التي عُمل بها في ديانة طغت فيها التعددية على إرادة واضحة للتوحيد ونسب الامور. إلا أنَّ عقيدة توحّد الجماعة المعروفة باللغة العربية بأهل السنة والجماعة، التي يدعها مبدأ الإجماع، شكّلت النقطة المحورية التي انطلقت منها ظواهر الرفض المعروفة.

لقد سمحت هذه الظواهر للمذهب السني، على تنوّعه، وعلى وعيه للواقع السياسي، أن يثبت ويرسخ عقيدته في وجه المتطرفين الذين كان يصمّهم، وفي وجه الانقسامات التي كان يعترض مبدأً على شرعيتها، بعبارة أخرى في وجه التوجّهات التي أدّت إلى بعض وجوه التطرّف الصوفي، منها مثلاً القول بوحدة الوجود، وسواها من الحركات الدينية التي أحدثت فرقاً وتُعتَمد بالكفر.

بدعة، مصطلح ذو دلالة فقهية وكلامية، في إن معاً، وهو يعني، مع مضمون تحقيري، كلّ ممارسة أو فكرة غير متفقة مع مبادئ الإسلام في عهده الأول.

إن الاتهام بالابتداع (بإحداث البدعة) كان من أعظم ما يمكن أن يُرمَى به مُسلم. ومنذ العهود الأولى، صُنِّفَتْ بدعاً بعض النظريات التي اعتُبرت انحرفاً عن السنة التقليدية. وكان رئيس الجماعة، أي الخليفة أو مثله، صاحب الصلاحية لمحاربة البدع؛ لكنَّ مفهومها كان يتحدّد أحياناً بطريقة شخصية، بحيث نرى الخليفة المأمون، مثلاً، يؤدّد المعتزلة، واصفاً الآراء المخالفة التي يقول بها الحنابلة بأنها «بدع»، مع أنها لا تتعارض ومبادئ الإسلام وسنة الرسول. هكذا خاض العلماء التقليديون صراعاً ضد البدع، ولكنهم اتهموا أحياناً بدورهم بالابتداع.

لقد اتّسمت البدع، عبر العصور، بخصائص متباينة جدّاً، وذلك ناشئ عن صعوبة التعريف الملازمة لهذا

المؤرخ ابن خلدون، المراقب للنكسات المتتالية التي عانتها دول المغرب بسبب عصابات كانت آخرها جماعات بني هلال.

لم يكن هؤلاء العرب الذين طبعوا بأعمالهم قلب بلاد الإسلام، البيدو الوحيدين الرُّحْل والغزاة الذين عرفهم تاريخ المسلمين. فتمت شعوب أخرى من تينيات مختلفة ربيبة الأراضي الأفريقية أو سهوب آسيا الوسطى ظهرت، في حقبات مختلفة، لتؤسس غالباً سلالات حاكمة، سيطرت على أمبراطوريات واسعة، بعد أن نسبت باندماز إبان اجتياحها. هذه كانت حال المرابطين من البربر الذين انتقلوا إلى الشمال مع جماعاتهم المُسلَّحة، غزاة ومتمردين على النظام القائم. كذلك كانت حال الأتراك الغزّ الذين استطاعوا، بقيادة السلاجقة، السيطرة على إيران والعراق وسوريا، في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، ثم صعدوا إلى ممتلكاتهم آسيا الصغرى البيزنطية، ما أدى إلى استيطان قبائل تركمانية بدوية جديدة في الشرق الأدنى والأناضول، فأعادوا بذلك إلى جوف الصحراء مساحات كانت في السابق مخصصة للزراعة. عقب ذلك هجمات المغول، وأتراك تيمورلنك، والأوزبك، إضافة إلى مبادرات عصابات من البيدو الأضعف شوكة التي ساعدت، مثلاً، في إقامة الإمارات في الأناضول بعد المعهد السلجوقي. ولئن اختلفت الظروف التاريخية، فقد كان دوماً وراء قيام السلالات التي نظمت حياة العالم الإسلامي أو احتلالها، منذ القرون الوسطى حتى الفترة الحديثة، سمات ثابتة من الصراع بين البيدو والحضر، وهو من الصراعات التي عرفها الإسلام منذ نشأته.

البيدي (السيد)، أبو الفتيان أحمد البيدي، ١١٩٩-١٢٧٦م، ولي مصري ذو شعبية كبيرة، قبره في طنطا من منطقة الدلتا.

ولد في فاس سنة ١١٩٩/٥٩٥م من عائلة شيعية. قصد، وهو حدث، مع ذويه الحج إلى مكة حيث توفي أبوه. استقر البيدي الذي أصبح صوفيّاً في الشرق وتفرغ ابتداءً من سنة ١٢٢٧/٦٢٣م للعبادة. انتقل إلى العراق حيث زار ضريح كل من الرافعي والجيلاني، ثم إلى طنطا في مصر حيث عاش ابتداءً من سنة ١٢٦٣/٦٢٣م.

الذي انتقد القرآن مرات عدة ذهنيته وحيث تجذرت سنة النبي محمد (ﷺ)، إذ إن الشريعة اعتمدت غالباً، مع بعض التعديل وفاق الحاجة، بعض القواعد المتبعة بين أهل البداية القدامى. بعدئذ كيف البدو تقاليد الغزو التي كانوا قد اعتادوها مع الجهاد، وشكلت قبائلهم قوات محاربة انطلقت في اتجاه الشمال، في زمن الفتوحات الكبرى، لتستقر في ما بعد في مختلف مناطق الأمبراطورية العربية الإسلامية.

يتجلى هذا التأثير البيدي في المجتمع الإسلامي في المواضيع غير الإسلامية للشعر القديم، وفي رواج أدب الأنساب وقصص المعارك، وفي هذه المثالية لحياة تميزت بالفسادة والكرم، ونجدها مثبتة في دقائق مفردات اللغة، ويتجلى أيضاً في هذا الميل إلى الأنشطة التجارية والتقاشات الدقيقة؛ وفي الوقت عينه، تأصلت بعض عوامل الفرقة المتأخرة عن الخصومات القديمة بين القبائل. وإذا كانت هذه الدفعة العربية التقليدية قد خفت، أو على الأقل جُمِدت داخل مجتمعات المدن التي جمعت القوى الحية في الدولة الجديدة، مع الخلفاء الأمويين ثم العباسيين، واني استطبت البيدو القدامى الذين دجنهم التناقض، فإن نتائج العلاقات بين البدو والحضر حلت عندئذ مكان التأثيرات الفاعلة منذ القدم، واتخذت شكل التصادم المحتوم، والدُموي أحياناً.

كان هنالك دوماً على حدود الأراضي المزروعة، سواء كانت واحات هزيلة أو سهولاً زراعية غنية، مخزون من المغيرين النهائيين الذين يمكن استخدامهم في الفتوحات، والأخذين بعادات الترحال، يتحينون الفرصة للإغراض على الأراضي المطموع فيها، فإن نجحوا عمدوا إلى التسلب إليها، أو إلى احتلالها واستملاك ثرواتها. إن هذه الظاهرة الغريبة عن الإسلام هيمنت على تاريخه، فقد استمرّت الاعتبارات الجغرافية الواضحة التي تفسر استمرارها وكانت، حتى نهاية القرن التاسع عشر، وراء هجمات البيدو التي أبقت حالة عدم الأمن قائمة في النهضة الوسطى السورية - الأردنية، مثلاً، وفي مناطق أخرى. آثارت نتائج هذا التصرف، في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، جهود تشكير

ابتداءً من سنة ١٨٥٢ وحتى التقسيم سنة ١٩٤٧.

◀ راجع السند ٣٥.

البرامكة، أو آل برمك، أسرة من الإداريين والكتّاب الذين اعتنقوا الاسلام، أصلهم من خراسان، نهضوا بدور في نهاية القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، في ظل أسرة العباسيين وخصوصاً خلال حكم هارون الرشيد. اكتسبوا شهرة أصبحت أسطورية.

إن لفظة «برمك» التي أطلقت على سلف هذه الأسرة ليست اسم علم بل هي تدلّ على منصب الكاهن الأكبر لمعبد بودي، هو معبد نوبهار، قرب بلخ، الذي ذكره كتاب الجواثبات في العصر الأموي، وقد يكون مركزاً ثقافياً معتمداً في القدم. أول من جاء من هذا الوسط واستقر في العراق واضطلع بدور في تاريخ الخلافة هو خالد بن برمك المتوفى سنة ١٦٥هـ/٧٨١م. شارك في «ثورة العباسيين» وشغل منصب كاتب الجند وصاحب الخراج في عهد الخليفة السفاح، قبل أن يتولّى مسؤوليات مختلفة في عهد خلفه المنصور.

أشهر أعضاء العائلة هم يحيى بن خالد وولده الفضل وجعفر الذين مارسوا، خلال السنوات السبع عشرة الأولى من خلافة هارون الرشيد، الحكم مكان الخليفة، الأول وزيراً والأخيران حاكمين لمقاطعات أو مستشارين للخليفة. كان يحيى قد كُلف في عهد الخليفة المهدي الوصاية على هارون الصغير الولي الثاني للعهد. وعندما تولى الهادي، ولي العهد الأول، الخلافة، حاول أن يبعد مناقسه هارون عن خلافته، فدافع يحيى عنه. فكان وفوف يحيى إلى جانبه، إضافة إلى موت الهادي المفاجئ، ضروريين ليتمكن هارون من أن يبلغ سدة الخلافة. فالتقى خلال سنوات عديدة أعباء الحكم على حائق يحيى الذي كان يقوم بها على أكمل وجه، بعد أن أصبح وزيراً؛ وكان جعفر مؤتمناً على أسراده؛ أمّا الفضل فقد تولى مهمات قيادية في الجيش. إن رفعة هؤلاء الوزراء النافذين التي انتهت بعضهم بـ«المُلك» انتهت بشكل مفاجئ ومأسوي: خلع بعضهم وأعدم جعفر. وقد قُسمت هذه الأحداث بما لا يتركز إلا على مخيلة أصحابها، وقد ساهمت هذه التفسيرات في جزء كبير من الشهرة التي عرفها البرامكة في العصور

١٢٣٦م عيشة النساك. يُروى أنّه شفى بعض المرضى واعتبر وليّاً. كان السلطان المملوكي بيبرس يكرّم له تقديرًا خاصاً. وقد عرفت جمعية المرويش التابعة له والمعروفة بالأحدية انتشاراً كبيراً في مصر، إلى جانب الرفاعة والقادرية والبنائية.

تحوّل قبره الذي بني عليه مسجد إلى مركز عبادة يومه الزوّار بكثافة، خصوصاً في الأعياد السنوية الثلاثة التي تقام احتفاءً بذكره. وقد رأى بعض الفقهاء في هذه التظاهرات الدينية خروجاً على السنة، ما دفع السلطات السياسية إلى منعها خلال فترات متعدّدة. لكنّ هذا الموقف لم يمنع تكاثر أعداد الوفود التي تزور قبره ابتداءً من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حتى العصر الحالي.

برار، مقاطعة من الدُكن الإسلامية سابقاً، دُمجت حالياً في دولة أندرة-پراديش في الاتحاد الهندي. وقد بقيت تحت سلطة الأسر الإسلامية حتى الاحتلال البريطاني في القرن التاسع عشر.

أصبح هذا القسم الشمالي من إمبراطورية المهيمنين المغنّبة مقراً لدولة الحمادشاهيين المستقلة (١٤٩٠-١٥٧٤) التي أسّسها ضابط من أصل هندي اعتنق الإسلام واتّخذ لقب عماد الملك، وتولّى مهمات الحاكم فيها. خلال ما يقارب القرن، استمرّ هذا القائد العسكري وأسلافه في تأكيد أصالتهم السنيّة، وذلك وسط صراعات مرّت الأخلاف الآخرين للبهمنيين والتي اشترك فيها سلاطين كُجرات أو سلاطين كُنْشيش المجاورة.

كان أقولهم، سنة ١٥٧٤ بعد انتصارات النظامشاهيين في دولتيّباد الشيعية، قد سبق بقليل إحتلال برار من قِبَل المغولي أكبر الذي ضمّها إلى إمبراطوريّته، لكن لفترة كانت بدورها قصيرة هي أيضاً. وقد عمل الأصفجهايون أو نظاميّو حيدرآباد، وهم الأسرة الجديدة الحاكمة التي أسّسها سنة ١٧٢٣ أحد النافذين الكبار في بلاط دلهي، على حماية هذه المنطقة التي كانت تتعرّض بشكل مستمرّ لغزوات المهراته. لكنّ هذه الأسرة لم تتمكّن من الاحتفاظ بحقوقها في مواجهة الإرادة البريطانيّة التي تولّت مباشرة إدارة برار

الأندلس بعض نزاعاتهم الداخلية، إضافة إلى الحد الذي اعتزل في نفوسهم ضد العناصر العربية، من خلال اشتراكهم التدريجي في المعارك التي أسفرت عن ضم شبه جزيرة إيبيريا إلى أراضى الأمبراطورية العربية-الإسلامية وعن الاحتفاظ بجزء منها طيلة ثمانية قرون.

انتهت أسلة البربر في كل المغرب في حدود القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد. ورافقت حركة الأسلمة هذه حركة تعريب نسي، لم تترك مجالاً لهوية لغوية إلا لبعض الجماعات القبلية المتمركزة في المناطق الصعبة البلوغ. من هنا كان الانتشار الحالي لحوالي ستة ملايين بربري في المناطق باللغة البربرية، من مصر إلى الشاطئ الأطلسي وإلى بلاد أفريقيا السوداء في منطقة الساحل الصحراوي. وتشير التسميات التي تُطلق عليهم إلى مناطق لغوية يميزها أيضاً التنظيم الاجتماعي - الديني والعادات اليومية.

إن استمرارية بعض الاستعمالات التقليدية في إطار محلي ضيق يعكس حيوية لغة غير مدونة، أبدت آدابها الخاصة من حكايات وأشعار وأغان، أنفت لتواكب إيقاع الرقصات والاحتفالات في الأعياد، وأحياناً ممارسة الشعائر التي تقوم بها جماعات البربر، سواء منهم البدو أو الحضر. فإذا كان في الإمكان التحدث عن تراث للبربر مُشترك فإن الاختلاف في التعبير، حتى في تأويل الإسلام، يفصل اليوم مثلاً، داخل جمهورية الجزائر، بين سكان الأوراس وسكان منطقة القبائل وسكان المزاب، ويفصل داخل المملكة المغربية بين سكان منطقة الريف والشلوح المورّعين في سلسلة جبال الأطلس الغربية أو في وادي سوس، وبين الطوارق الذين يحافظون على أصلتهم في المناطق المتاخمة لكل من دول الجزائر ومالي والسنغال. وهناك آثار لتوغل للبربر في القرون الوسطى مورّعة، حتى اليوم، بين ليبيا وتونس وموريتانيا، كما تنتشر جاليات من البربر في المدن الحديثة الكبرى وفي أندلس الأوربية.

هذا الوضع هو في أساس التثور الحالي المرتبط بمسألة البربر داخل الدول الحديثة المعينة. وهو ينضوي أيضاً إلى خط استمر منذ أمد بعيد، طُبع بالتحالفات العائلية والاتحادات القبلية التي رسمت تاريخ الممالك

الأخفة. إن تدهور العلاقة بين الخليفة ومساعديه البرماكة جاء بشكل تدريجي، فقد بدأ منذ وقت بعيد بسبب موقف هؤلاء من الشيعة المطالبيين بالخلافة ومن ثورتهم: كان الخليفة يميل إلى اتخاذ إجراءات صارمة بحق هؤلاء، بينما كان يسعى البرماكة إلى إخماد هذه الثورات بسياسة اللين والتوافق. من جهة ثانية، يبدو أن البرماكة كانوا يظهرون انفتاحاً على العقائد غير الإسلامية ويشجعون في مجالسهم المناقشات بين أصحاب النيازات العقائدية المتنوعة، بينما كان الخليفة متشدداً في هذا الميدان ولا يرتاح لمثل ذلك النقاش. أدت حقول النزاع هذه إلى خلاف عميق بين الخليفة والبرماكة على الصعيدين السياسي والديني. وإذا أضفنا إلى ذلك أن الخليفة ضاق ذرعاً بالوصاية التي يمارسها عليه وزيره وأسرته فإننا ندرك الأسباب الكامنة وراء القرار الذي اتخذته إثر عودته من الحج إلى مكة، والقاضي بإعدام جعفر سنة ٨٠٣ وسجن يحيى والفضل بعد إبعادهما عن مسؤوليات السلطة، وذلك حتى موتهما سنة ٨٠٥ بالنسبة إلى الأول، وسنة ٨٠٨ بالنسبة إلى الثاني. لكن، كان ليحيى ولدان آخران أقل شهرة من السابقين اضطلعوا بدور في ظل حكم المأمون.

كان للبرماكة خلفٌ عديدون ذكرهم المؤلفون. أما تسمية «برمكي» فقد أطلقت أيضاً على أشخاص من خارج العائلة كالموالي أو بعض سكان الحي البغدادي الذي التصق اسم البرماكة به.

برباروسا ← خير الدين.

البربر، اسم عام يطلق حالياً على مجموعات إسلامية متنوعة من سكان المغرب، تمتاز بانتمائها إلى مجموعة لغوية واحدة تجمع بينها عناصر حضارية مشتركة.

وضع احتلال العرب الأول لأفريقيا الشمالية، إبان الفتوحات الكبرى في القرنين الأول والثاني للهجرة/ السابع والثامن للميلاد، البربر أمام إسلام لم يعتنقه إلا بصعوبة. تاروا مزات عذّة على السيطرة الأجنبية الجديدة التي خلفت سلطة البيزنطيين، وأفسحو في المجال لنشر دعوات الحركات الانفصالية المختلفة المناهضة للخلافة السنية كالخوارج والشيعة. وقد نقلوا معهم إلى

عن زحديّة الموحّدين. فقد كان لكلّ هذا التشرّد أثر واضح في تطوّر المغرب في السنوات الأخيرة من العصر الوسيط وفي مطلع العصر الحديث. ومن الممكن أن نغزو الانحلال التدريجي لهذه التجمّعات القبليّة إلى التحوّلات الاجتماعيّة والدينيّة اللاحقة حيث تزامن الاعتناق الشامل للملكيّة كمذهب فقهي سنيّ مع التأثير المتنامي للجماعات الصوفيّة التي بقيت، في قسم كبير منها، وقيّة تخصّصات جوهرية أخرى عند البربر.

البرتغال بالعربيّة البرتقال، تسمية أطلقت خلال القرون الوسطى، على موقع على مصبّ نهر دورو، بدعى اليوم بورنو، وفي الوقت عينه على منطقة دخلها الإسلام جزئيّاً، كانت تشكّل، في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، مملكة مسيحية تطابق حدودها حدود البرتغال الحالي.

امتدّ الماضي الإسلامي لهذه المنطقة على أكثر من خمسة قرون وتخلّلته تقلّبات متعدّدة، وارتبط، من الوجهة التاريخيّة والثقافيّة، بمصير شبه الجزيرة الأيبيرية بكاملها التي احتلّها الجيوش العربيّة - الإسلاميّة خلال فترة الفتوحات الكبرى وعُرفت ممّا بالاندلس. انمازت هذه المنطقة بخصائص تفرّدت بها المقاطعات الغربيّة لشبه جزيرة إيبيريا، وهي الغرب والنّيجو وإستريمادور التي تضمّ مدناً شهيرة مثل سلّب (Silves) وباجّه (Beja) ولشبونة وباداجوز (نظليوس) الأسبانيّة الانتماء في أيامنا. ثمّ كانت الهزيمة البحريّة للموحّدين أمي يقوب يوسف أمام لشبونة سنة ١١٨٤/١١٨٤م، وعجزه عن الاستيلاء سرّاً على حصن شنترين (Santarem)، ما أدّى بإعلان نهاية الحكم الإسلامي في غرب شبه الجزيرة، وقد زال هذا الحكم نهائياً بعد معركة لاس نافاس دي تولوزا (Las Navas de Tolosa) في العام ١١٧٩/١١٧٩م، وسقوط سلّب سنة ١٢٤٧/١٢٤٩م.

« راجع المستند رقم ١٦ ».

البرنجيون - ممالك سوريا ومصر.

البرزاني، اسم قبليّ صيغ نسبة إلى قرية برزان في شمال شرقيّ الجمهوريّة العراقيّة، وهو يطلق على زعماء

الصغيرة المأهولة بالبربر أو الخاضعة لهم، التي تعاقبت في تلك المناطق منذ أوائل القرون الوسطى، والتي أفسحت في المجال، من حين إلى آخر، لنشوء إمبراطوريّات إسلاميّة شاسعة كانت بدورها بربريّة كإمبراطوريّة المرابطين وإمبراطوريّة الموحّدين. فلا ازدهار الحركات الإصلاحية الفاتحة - التي أدّت إلى نشوء مجموعات شاسعة من المقاطعات التي كانت في بعض الأحيان ميداناً لمطامحات دينيّة ابتداعيّة - ولا تكاثر الدول المختلفة - بدءاً بدولة الرستميّين في تاهرت أو دولة الأدارسة في فاس، في القرنين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد، وانتهاء بدولة الغرناطين في المغرب في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، مروراً بأولّ تمرّكز للفاطميّين في إفريقيّة في بداية القرن العاشر للميلاد - يمكن أن تُتهم بدون الرجوع إلى العلاقات المعقّدة التي كانت تربط قضايل البربر، ذوي الخبرات الدينيّة المتنوّعة، بعضهم ببعض: فكأنهم كانوا يتنافسون على سلطة سريعة الزوال، إذ لم يتمكّنوا من أن يبنوا دولاً متينة وثابتة.

هناك أسئلة شهيرة مثل زانة، من جهة، ومصودة وكُتامة وضُهاجة من جهة ثانية، لا بد من العودة إليها إذا أردنا التفكير في التنافس والتقسيمات التي أدّت إلى تقسيم المغرب إلى منطقتي نفوذ: نفوذ أتويّ قرطبة في الغرب ونفوذ الفاطميّين في الشرق. إنّ الصراعات الحادّة التي لم تعرف المهادنة بين أعضاء هذه التجمّعات الرئيّسة أدّت، منذ ذلك الحين، إلى عدم استقرار سياسي في كلّ إفريقيّا الشماليّة. وقد زاد من حدّة هذا التزعزع وجود تفرّعات مميّزة، داخل تجمّع ضنهاجة مثلاً، بين جماعات لها طموحات وأنماط عيش متنوّعة: فمن جهة هناك سكان المناطق الشرقيّة أو الوسطى من المغرب، وهم من الشيعة، ومن جهة ثانية هناك لمتونة في الرُّبُط الصحراويّة. أصحاب الجماعة الأولى هم من الحضّر سكّان الجبال، وأصحاب الثانية هم من البدو الذين تجذّبهم مساحات الجنوب الواسعة. والأمر نفسه صحيح بالنسبة إلى فروع مصودة حيث نمت بين جماعاتها بدعّ متنوّعة، عند تغرّاطة كما عند غُلمارة من أنخوارج، أو عند مصودة الجنوب المدافعين

بَرْغَوَاطَة، قبائل بربرية استقرت في القرون الوسطى على الساحل الأطلسي للمغرب الأقصى، وقد تميّز أفرادها بين القرنين الثامن والثاني عشر للميلاد باعتنائهم عقيدة متطرّفة بقيت غامضة.

إنّ الاتجاه الديني لهذه القبائل مستوحى على الأرجح من عقيدة الخوارج، وقد تسرّبت إليه بعض المبادئ الشيعية، إضافة إلى ميل واضح للتشكّف. وقد رافق هذا الاتجاه ممارسات خاصة بالوسط البربري. كما أنّه تميّز برغواة بحيث جعل جيرانهم ينعونهم بالإلحاد. لذا كانت دولتهم المستقلة الصغيرة التي ازدهرت في القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد، هدفًا لتغزوات متلاحقة شتّها عليهم، باسم الجهاد، حلفاء أمويّ قرطبة، ومن ثمّ المرابطون. وقد تمكّن الموحدون من القضاء عليهم عندما احتلّوا المنطقة.

برقة ← سيرينايايك.

بَرْقُوق، الملك الظاهر سيف الدين (توفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م)، أزل سلاطين المماليك البرجيين في سوريا ومصر، وتمكّن بهارة من الاستيلاء على الحكم إذ تولّاه من سنة ٧٨٤ إلى ٨٠١ هـ/١٣٨٢ إلى ١٣٩٩م، مع انقطاع دام سنة نتيجة ثورة داخلية.

يعود برقوق في أصله إلى القرم، وقد تولّى القيادة العليا للجيش في ظلّ حكم مملوك بحري نجح، سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، في أن يميّن سلطانًا من قبل مجلس برأسه الخليفة. فحلّ بذلك محلّ الشقيق الصغير للسلطان المتوفى الذي كان قد ساعده على الوصول إلى الحكم، كي يمهّد بذلك الطريق لارتقائه إلى السلطتين العسكرية والسياسية. بعد سبعة أعوام من توليه الحكم اضطرّ لمواجهة حركة عصيان شاملة أثارها اعداءه بدءًا من سوريا، لكنّه استعاد سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م السلطة وراح يهتّم بشكل خاص بتحصين حدوده السورية خوفًا من المدّ العثماني في الأناضول من جهة، ومن أخبار فتوحات نيمورلوك الأولى من جهة ثانية. توفي قبيل غزو بلاده فلم تسخّ له الفرصة لإصلاح وضع دولة المماليك التي كانت تواجه مشكلات اقتصادية ومالية

الحركة القومية الكردية وعلى اتباعهم في المنطقة. كان للبرزانيين، الذي ظهوروا في القرن التاسع عشر كمجموعة من [الطريقة] القشينية حول شيوخهم، نزاعات مع العثمانيين أدّت أخيرًا إلى إعدام الشيخ عبد السلام الثاني سنة ١٩١٥. لكنّ أنشطتهم السياسية التي اتخذت بعد ذلك من داخل الدولة العراقية مسرحًا لها استعادت زخمها خلال الحرب العالمية الثانية، إذ أدّت ثورة الملا مصطفى والشيخ أحمد إلى إعلان جمهورية الشعب الكردي على أراضي الدولة الإيرانية، لكنّ هذه الجمهورية انهارت بسرعة.

برسبای، الملك الأشرف (توفي سنة ٨٨٤١هـ/١٤٣٨م). سلطان من ممالك سوريا ومصر البرجيين، حكم من سنة ٨٧٥هـ/١٤٢٢ إلى سنة ٨٨٤١هـ/١٤٣٨م، وحاول عبثًا حلّ المشكلات الاقتصادية في المملكة باتخاذ تدابير عنيفة ومتطرّفة.

كان برسبای مملوكًا للسلطان برقوق، ثمّ عُيّن حاكمًا على طرابلس في سوريا قبل أن يصبح سلطانًا. منذ بلوغه السلطة منع مُجذّذاً المسيحيين واليهود من تولي المناصب الإدارية. ثمّ، نتيجة لنشاط القراصنة الأوروبيين، أمر بوضع اليد على ممتلكات الغربيين في مصر وسوريا ومنع التداول بعملات بلادهم. وتشدّد أيضًا مع التجار القادمين من الهند إذ أجبرهم على تفريغ بضاعتهم ليس في عدن، بل في جدة حيث فُرِضت عليهم ضرائب باهظة.

على الصعيد العسكري، وجّه برسبای حملة ضد جزيرة قبرص، ونتيجة لانتصاره فرض على ملكها دفع جزية سنوية. انخضم أيضًا مع أمير تركماني من أق قويونلو وأدّى النزاع بينهما إلى حصاره ديار بكر وبسط سيادته عليها سنة ٨٧٣هـ/١٤٣٣م، بالرغم من فقدان قسم كبير من جنوده.

رغم إشادة المؤرخين العرب بصفات برسبای الإدارية، ورغم أنّ التدابير التي اتخذها في الحقل الاقتصادي قد أثبتت بعض فعاليتها، فإنّ سياسته العسكرية كانت مغامرة ولم تؤدّ خلال حكمه القصير إلى نتائج مشرّة.

لكن الساعي المتبادلة بينهما لم تسفر عن أية نتيجة. خرجت جيوش منتصرة في معركتها مع جيوش هولوكو على صفاق التيرك (Terek) سنة ١٦٦٠هـ/١٦٦٢م. استمرت حملاته في ما بعد ضد البيزنطيين في تراقيا، وتوفي في تيفليس خلال مجابهة مع أباقا، خلف هولوكو. « راجع المستند ٢٣

بِرْكِيارق أو ركن الدين بُرْكِياروق، (٤٧٢-٤٩٨هـ/١٠٧٩-١١٠٥م)، رابع سلطان من أسرة سلاجقة إيران أو السلاجقة الكبار، ملك من سنة ١٠٩٤ حتى سنة ١١٠٥م على إمبراطورية تحولت اتحاذًا فدراليًا تقاطعات مستقلة ذاتيًا.

ركن الدين، هذا الابن البكر للسلطان مُلُكشاه، وصل إلى الحكم شابًا صغيرًا بعد صعوبات حرب أهلية اضطرت له لمواجهة طموحات منافسيه. فأجبر على تقاسم السلطة العليا - عندما حصل عليها - مع مثليين آخرين للأسرة السلجوقية وعلى رأسهم شقيقه محمد وشيخ الزدان حكما من بعده، فيما كان يخضع، في الوقت نفسه، لنفوذ رؤساء القبائل من أتباعه، إضافة إلى أن صغر سنه وعدم تجربته في الحكم لم يمكنه من السيطرة على عوامل التكتك داخل النظام السلجوقي. إن عدم حماسه في الدفاع عن مذهب السنة أبعد عن السياسة التي كان قد اتبعها الوزير نظام الملك في عهد أبيه. وبالرغم من اتخاذه أبناء هذا الوزير وزراء له، فإنه لم ينجح في استمالتهم. إن حدة الصراع الديني الذي تقاسم إيران، جعلت الإسماعيليين يستفيدون من هذه الفوضى العامة في البلاد ليستولوا على بعض الفلاح الحصينة كقلعة النوت، في شمال غرب إيران، ويصبحون أسبَاد المنطقة. وكان لموت بركيياروق، وهو في الخامسة والعشرين من عمره، أن يتركس حالة الارتباك التي ميزت السنوات العشر من حكمه.

برلين (معاهدة برلين)، تموز/يوليو ١٨٧٨، هي معاهدة أبرمت بين دولة العثمانيين والدول الكبرى الأوروبية، إثر مؤتمر دعا اليه بُيْمَارْكَ، لحل مسألة البلقان. عُذِلَتْ بموجبها بتود معاهدة سان ستيفانو التي فرضتها روسيا على الباب العالي بعد انتصاراتها في

خبرة، إضافة إلى الصراع على السلطة الذي ظهر بشكل حاد في ظل حكم ابنه وخليفته.

بَرَكَة، لفظ عربي إسلامي، انتقل كما هو إلى اللغة الفرنسية وحافظ على معناه «قوة خيرة»، مصدرها إلهي، تشير الوفرة في الميدان المادي والازدهار والسعادة في الميدان النفسي.

دخلت هذه اللفظة القرآنية لغة كل المسلمين سواء منهم الذين يتكلمون العربية أو الذين لا يتكلمونها. تدل، في استعمالها مفردة، على ما يُعْتَبَرُ هبة من الله «الرحمة» أو «السلام». وتدخل، مع ألفاظ سواها مشتقة من الجذر نفسه، عددًا من تعابير التقوى والمجاملة والشكر مما تفرضه الثقافة الإسلامية. اسم المفعول «مُبَارَك» يستعمل بشكل مكثف أيضًا.

شاع مفهوم «البركة» مع نمو حركة تكريم الأولياء. فهي وفيرة عندهم وعند الأنبياء يشلون بها من يشاؤون. تشهد على ذلك ليس الأخبار المتقولة عن كل منهم وحسب، بل الأماكن المقدسة كمزاراتهم وحوادثهم الخاصة التي تحمل هي أيضًا البركة. من هنا كانت بعض مظاهر العبادات التي تمارس خلال زيارة هذه الأماكن.

بِرْكَة خان (ت سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، ملك مغولي من فرع الباتويين. إتيح سياسة توسعية ناشطة في السهوب الواقعة غربي منغوليا، وتبث فيها حكم أحفاده خانات القبيلة الذهبية.

بركه خان هو خفيد جنكيزخان من ابنه البكر جوجي/جونشي. لم يُعرف بالضبط تاريخ اعتناقه الإسلام، لكنه حدث على الأرجح قبل مجيء الخان الكبير منكو سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م، وقبل وصوله إلى الحكم سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. فرض سلطته، في بداية عهده، على ما وراء النهر وعلى سيبيريا الغربية المجاورة للاروال حتى الثولغا والقوقاز. وحظي بتقدير خاص لدى الأدياء وفقهاء الإسلام في بخارى. دخل، في ما بعد، في حرب مع ابن عمه هولوكو فاتح إيران والعراق وسوريا ومؤسس إمبراطورية منافسة لم تكن اتنذر إسلامية، هي إمبراطورية الإيلخانيين.

اتصل لذلك بالسلطان بيبرس، مؤسس دولة المماليك في مصر وسوريا، رغبة في التحالف معه،

الحرب الروسية-التركية (١٨٧٧-١٨٧٨).

أكدت هذه المعاهدة استقلال كل من رومانيا وصربيا ومونتنيغرو (الجبل الأسود) وقسم من بلغاريا بضم مدينة صوفيا في جوار الروملي الشرقية التي بقيت تركية. أما البوسنة والهرسك، فمع بقاها مبدئياً عثمانيتين، خضعتا للإمبراطورية النمساوية-المجرية، في حين ألحقت ناليا وإيبروس باليونان، بينما استقرت إكلترا في قبرص. احتفظت أخيراً روسيا بمقاطعات الأناضول الشرقية التي كانت احتلتها حديثاً، وهي أردلان وقرص وباطوم.

برهان الدين، القاضي أحمد (٧٤٥-٨٠٠هـ/ ١٣٤٥-١٣٩٨م)، شاعر وعالم عاش في عصر الإمارات في الأناضول. قائد حرب ورجل سياسة، أنهى حياته سلطاناً على مقاطعته في الهضبة الوسطى. كان ما يزال في سن الفتوة حين ولّاه غياث الدين إرتنا، مؤسس سلالة الأرتين الحاكمة، منصب القضاء. وفي عهد حنفاء إرتنا القصيرة شغل منصب وزير وأتابك. إن هذا الرجل التركي الأصل، المتحدر من سلالة قضاة متفكرين في قيصرية، ترك باللغة العربية مؤلفات فقهية مستحسنة، وبالتركية مجموعة من القصائد.

في سنة ٨٧٨هـ/ ١٣٨١م، انتزع السلطة من آخر السلاطين أسباده، واتخذ سيواس عاصمة لدولته. شغل، طوال مدة حكمه، بمحاربة جيرانه ومنافسيه من القرامانيين والعثمانيين والآق قويونلو والمماليك، وفي الوقت نفسه كان يجمع الثورات الداخلية، وقد هلك خلال إحدى معاركه في ظروف غامضة.

برهانپور، (الاتحاد الهندي)، مدينة في مقاطعة مدعيه برادش الحالية. إن موقعها الإستراتيجي شمالي الذكن يفسر الدور الذي قامت به خلال توسع الإلهام الديني والمسكري في مرحلة متأخرة من العصور الوسطى.

منذ تأسيسها في أواخر القرن الرابع عشر عاصمةً للفاروقيين أو سلاطين خندش (Khandesh) الذين أطلقوا عليها اسم الصوفي برهان الدين غريب، وحلّفوا أناراً متعددة، احتضنت برهانپور عدداً وفيراً من المنصوفين المسلمين الآخرين. منذ سنة ١٥٥٥م،

انتقلت إلى دائرة النفوذ المغولي، وألحقت بسلطتهم، خلال حكم «أكبر» الذي احتلها عسكرياً في وقت لاحق، وبالتحديد سنة ١٦٠١. منذ ذلك الوقت، شكّلت قاعدة للعمليات الحربية ضد ولايات الذكن، هذه العمليات قادها حيناً شاه جهان، وأحياناً كثيرة أوزنغريب الذي أقام فيها بصفته نائباً لذلك ثم بصفته أميراً طوراً. في مرحلة لاحقة، عانت برهانپور هجمات المهراته، إلى أن أصبحت، في القرن التاسع عشر، مستعمرة بريطانية، غالباً ما تواجه فيها الهندوس والمسلمون.

بروتوكول البلاط، هو إحدى السمات المميزة للحضارة الإسلامية الوسيطة التي واکب فيها الاحترام للمسكين بزمام السلطة، وهم ملوك مطلقو الصلاحيات وحماة الديانة المعتزلة، والاهتمام المستمر برفع شأن جلالهم وكذلك شأن ولائهم.

وقد توافق الغرض من هذه التشريفات مع المبادئ المعمول بها في تنظيم مجتمع انتم متطلبات الشرع وتطع بقرارات الخليفة الذي هو مصدر كل سلطة. وهكذا اتخذت التشريفات شكلها منذ القرون الأولى للإمبراطورية، خلال الحقبة الأموية، وبخاصة في العصر الذهبي للسلالة العباسية التي ما فتئت إنجازاتها في هذا المجال تشكّل، حتى الحقبة المعاصرة، نموذجاً قياسياً للسلطات التي نشأت نتيجة لتفكك الخلافة.

١ - كانت التشريفات الأميرية (Cérémonial princier) تنظم العادات المعمول بها في أساط المقامات العليا وجلسه الأمير وندمانه المقربين وكبار موظفي الإدارة والقادة العسكريين الذين يشكلون حاشية الخليفة وحرسه. وقد كان لهذه الأصول الاحتفالية دورها، منذ البداية، في المسجد الجامع. فالبساطة المطلوبة في إقامة الصلاة لم تتنافأ أبداً، حتى خلال حياة النبي محمد (ﷺ)، مع المظاهر الاحتفالية المهادفة إلى إبراز الموقع القريب لنبي الله ورسوله الذي يقود الجماعة الإسلامية. وبرز لاحقاً، على الأرجح في نهاية القرن السابع، الاهتمام بتنظيم الحضور في المسجد، في صفوف متوازية، نتج أنظارها إلى القبلة وتكرر الحركات التي يقوم بها الإمام. كذلك درج التقليد منذ تلك الفترة على تخليعة الممرّ الرئيس، وهو ممر يتخذ

المتعة تتم بشكل أساسي في القصر، وليس في المسجد الجامع حيث لم تعد تناح القرصة إلا نادراً للخليفة للوقوف على منبره لمخاطبة رعاياه والشخصيات البارزة المجتمعين في صدره. فكل شيء كان يجري أنتزج في قاعات الاستقبال الفخمة والسرية التي لا يلجها إلا رمسوي البلاط والشخصيات المراد تكريمها، أي الشخصيات التي يراد مثلاً تسليمها براءات تعيين أو أية شارات تشريف أخرى. وكانت الأصول المنبئة في مثل تلك الاحتفالات صارمة، تنكّر بدقّة من احتفال إلى آخر، والمراسم المنبئة في القاعات الاحتفالية كانت هي نفسها تنكّر في العديد من الاحتفالات الأخرى، كاحتفال بيمين الولاء التي يقسمها أمير جديد وتؤدى عند تسلّم السلطة. وفي بعض الحالات، كانت الأمور على عكس ذلك، إذ كان الوجهاء وعجّلة القوم يمثّلون بين يدي الخليفة بشكل غير منظم. كما هو معروف مثلاً بالنسبة إلى الثورة الفاشلة التي قام بها ابن المعتز.

ومن مظاهر الاحترام الإضافية لشخص الخليفة جلوسه وراء حجاب يُرفع في اللحظة التي ينحني فيها الزائر لتقبيل الأرض مكرّراً الحركة ذاتها إلى أن يبلغ المكان المخصّص له. ومثل هذا التكريم لشخص الخليفة كان على الأرجح جزءاً من المراسم عند الأمويين، لأنّ كلمة «الحاجب»، وهو شخص يحتلّ مكانة مهمة في هذه المراسم، تشتق من الكلمة العربية «الحجاب». وهذه الظاهرة وُصِفَتْ بدقّة في القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد، في فترة سيطرة البويهيين. ففي هذه الحقبة كان الخليفة يريد التوفيق عن تساؤل دوره السياسي بظواهر تشريف إضافية. وفي سبيل هذا الغرض، كانت تخصّص في قصره في بغداد قاعة تسمى «دار السلام»، كان يجلس فيها على الطريقة الشرقية في عمق الإبراق، على أريكة مرتفعة تسمى «السريز»، أي العرش، ونشبه سريز استراحة، وأحياناً كان يجلس تحت قبة مسيحة تسمى «البدلة». وفي موقعه هذا، كان يحيط بنفسه بكل رموز السيادة العائدة للنبي محمد (ﷺ) - والتي تُعتبر رموزاً دالة على موقعه - وهي «القضيب» و«البردة»

أهمية خاصة لوقوعه في المجال النظري للمحارب ويحدد نطاق هذا الممرّ صفان من الرجال المسلّحين على جانبه. وفي الوقت نفسه، كان استعمال الإمام للنبر، حيث يقف على أعلى درجاته لإلقاء الخطبة، يسمح له بالإشراف على جمهور المؤمنين.

كانت هذه العادات في معظمها مستندة إلى السنة النبوية. لكن دخلت في النطقوس الاحتفالية الخاصة بالبلاط أعراف تستمد أصولها من تقاليد خارجية سابقة لها، وبخاصة تلك التي ازدهرت في الدول الشرقية الكبرى في العصور القديمة. وقواعد المراسم التي اعتُمدت في بلدان العالم العربي - والتي انتشرت في مرحلة متأخرة في العالم الإيراني التركي - حملت في سوريا الأموية ومصر الفاطمية سمات الإرث البيزنطي، بينما طغت في البلاط العباسي وعند الملوك الآسيويين السمات الساسانية. مع ذلك، رغم تطابق القواعد في أكثر الأحيان مع مظاهر الجلالة المعروفة في حضارات شرقية أو حتى أوروبية أخرى، إلّا أنّها طُبعت بخاصة إسلامية تدلّ عليها مثلاً المراسم المتعلقة بإرتداء الخليفة العباسي «عباءة النبي» ووضع قرآن عثمان بجانبه.

وأذا كنا نفقّد، في ما يتعلّق بالحقبة الأموية، روايات جليّة بما فيه الكفاية لتلقي الضوء على المكتشفات الأثرية، فإنّ الأعراف التي سادت أيام العباسيين كانت مستمدة بوضوح من أعراف قديمة يوردها الجاحظ في «كتاب التاج»، مستنداً في ذلك إلى أمثلة قديمة. وفحوى هذه الأعراف مجموعة قواعد لياقة بسيطة تتناسب ومناخ الترف والذخ الذي يفرّضه على الملوك الشرقيين، منذ عصور طوبلة، اهتمامهم بمظاهر هيبتهم: فلم يكن مسموحاً لأحد بالتجول على صهوة حصانه داخل حرم القصر الملكي، وكان يُعرض على الجميع، مهما كانت مكانتهم، التزجّل عند باب المدخل؛ ولم يكن يُسمح لأحد بالجلوس في حضرة الملك أو السيادة بالكلام من دون إذنه منه. إلّا أنّ هذه التدابير لم يكن معمولاً بها إلّا خلال الاستقبالات العامة؛ وكان يمكن التناهي عنها في اللقاءات الخاصة، وبشكل أوّلي خلال جلسات الترفيه والمرح.

٢ - في عهد العباسيين، كانت المراسم الاحتفالية

والقباه، والتي يخلعها على المستحقين ويصار إلى لباسهم إتيانها على الفور.

وخلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كانت الشخصيات التي تُشرف بحضور المجالس التي يعقدها الخليفة تتألف من كتاب الدواوين الذين يشكّلون بطاقة الوزير، وأمراء العسكر الذين يرافقون قائد الجيش، والقضاة والفقهاء الملحقين بالعاصمة والوافدين في ركاب قاضي القضاة. كان الجميع يقفون بصمت على جانبي الممر الذي تعبره الشخصية التي يستقبلها الخليفة، وكان كل منهم يرتدي اللباس الخاص بصفته: فالأمراء والقادة العسكريون يرتدون السترة القصيرة أو القباه؛ بينما يلبس أمراء السر الدّزاعة، ويتميّز القضاة باعتماد الطيلسان. وكان الأسود هو لون اللباس المعتمد في البلاط العباسي، بينما كان اللون الأبيض هو الطلاعي في محيط الأمويين في ما مضى، في حين أنّ الثّرثيث بالأقمشة المزركشة والزهرمة ذات الألوان المتنوعة كان مرغوباً في أماكن أخرى. أخيراً كانت أفضليّات الدخول إلى حضرة الخليفة تبدأ بولي العهد - في حال وجوده - يليه أولاد الخليفة ثمّ الوزير ومرافقوه، ثمّ قائد الجيش وكبار الكتاب والموظفون والأمراء والضيّاط وممثلو العائلة الهاشمية والقضاة. وكان يجاز للجنود أن يحضروا على أن يتخذوا أماكن لهم في النهو القائم قبل فاعة الاستقبال وراء جبال مشدودة إيقاعاً للممرّ الواسطي حراً.

كانت العراسم تختلف قليلاً عندما يستقبل الخليفة سفيراً أجنبياً، فالسفير نفسه كان موضوع تشريفات متنوّعة منذ ولوجه القصر حيث يصطف الحرس على جانبي مسيره؛ ومن ثمّ كان يعبر أفنية متتابعة ترتبها روائع فنية متنوّعة إستشارة لإعجابه؛ ومن ثمّ كان يستقبله الوزير قبل أن يرافقه إلى حضرة الخليفة. وثمة رواية معاصرة لذلك العهد، أوردتها ابن الخطيب في كتابه «تاريخ بغداد»، مخصّصة لوصف استقبال الخليفة للموفد البيزنطي سنة ٩١٧/٨٣٥م، تقدّم لنا تفاصيل وافية حول مراسم الاستقبال الطويلة:

«ولقد ورد رسول لصاحب الثروم في نيام المعتد باقه ففرست الدار بالفروش الجميلة وزينت بالآلات الجبلية وربت الحجاب

والسيف، وإلى جانبه نسخة من مصحف عثمان. وكان يرتدي لباساً رسمياً أسود، مكوّناً عادة من «القلنسوة الرّصافية الطويلة»، ومحاظاً بحرسه الذين كان بعضهم يحرك مذبة، وكان يحيط به أركان معاونيه في الحكم: الوزير الذي يدخل مباشرة بعد أبناء الخليفة، ثمّ وليّ العهد الذي يجلس عن يمينه على مقعد عادي، وقائد الجيوش الذي يجلس عن يساره.

وبعد أن يعطي أمراً للحاجب، كان الخليفة يبدأ باستقبال الشخصيات وأفراد الحاشية الذين يتقدّمون الواحد تلو الآخر للسلام عليه منحنين أمامه، كلّ بحسب مرتبته. وهذه «المراتب» التي يترعرع عنها عملياً عدد الوسائد المقدّمة خلال مجالس ذات طابع خاص، كانت بيّنة في المقاعد المخصّصة للشخصيات في قاعة الاحتفالات التي يرتبط بها تسلسل مشور أصحابها في حضرة الخليفة. وفي فترة سابقة، كان أفراد حاشية الخليفة المنصور يمشون أمامه للسلام عليه كلّ صباح، وفاق ترتيب تحدّده وظيفة كلّ منهم، وتاريخ ميلاده أو حتى انتماءه العرقي، إذ كان ثمة حرص على التمييز بوضوح بين العرب والموالي.

وكانت أنواع المشارات التي تُمنع خلال هذه المجالس الرّسمية احتفاء بشخص ما، منقّمة وفاق قواعد تراتبية صارمة، وتتنوّع بتنوّع فئات الأشخاص الذين تتمّ مكافأتهم. فيجري تقديم براهات تعيين مخطوطة صادرة عن ديوان الكتابة، وكذلك يبارق قيادة، تعطى للحكام والقادة العسكريين الذين يُهدى إليهم بمهّمات. وكان هؤلاء يُمنحون، عند عودتهم منتصرين من حملاتهم، تيجاناً وعتوداً وأساور أو زنابير وسروجاً لخيولهم، جميعها من معادن ثمينة أو مزودة بها ومرصّعة بحجارة كريمة. وكانت هدايا متنوّعة تُوزّع على رجال الإدارة والأدباء ورجال الدين المكلفين بمهامّ محددة أو لمكافأتهم في مناسبة ما. وتراوح هذه الهدايا ما بين الثياب الفاخرة والأطباق المرفهة المذوق المعدّة في مطابخ القصر والدور الملأ بالذهب والفضة. لكن الهبات الخليفة السخية الأكثر شيوعاً كانت «عبادات انشريف» التي تجهّزها المشاغل الرّسمية أيّ دور الظلّاز، المزودة أحياناً بالفرو والموشاة بأسماء الخليفة

والثلاثين ألف ستر منها الستور للديانج المذبة المتقدم ومنها اثنا عشر ألفا وخمسمائة ستر وعدد البسط والخنخاج الجهمية والذابجيرة والدورقة في الممرات والصحون التي وطي عليها أفراد ورسل صاحب الروم من دار البانة الجعيد إلى حصرة المفتر باهة سوى ما في المقاصير والمخاض من الأنماط الطبري والديبني التي لعنها للفظ دون الدوس الثمان وعشرون ألف قطعة....

(الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد، المكتبة العلمية بيروت - بدون تاريخ، ص ١٠٠ - ١٠٣).

ومن ثم، في اليوم المخصص لاستقبالهم، انتقل المبعوثون البيزنطيون الذين أقاموا في بغداد على نفقة الخليفة في فندق ملكي يسمى «فندق سعيد» - إلى قصر الخليفة، عبر طريق محاطة عن جانبيه بحرس من الخيالة. ومن ثم بدأوا يخطون بتمهل داخل القصر لإلقاء الدهل في قلوبهم أكثر فأكثر مع كل خطوة، وبعد عبورهم الباب العام، الذي منه دخلوا إلى الإصطبل الكبير ذي الممرات المركزة على أعمدة من النمرور، حيث ساروا بين حاجزين (من الحرّاس):

وأدخل رسول صاحب الروم من معشر باب النعمة الأعظم إلى الدار المعروفة بدار الخيل وهي دار أكثرها أروقة بأستين وخام وكان فيها من الجانب الأيسر خمسة عشر فرس عليها خمسة عشر عرب ذبياً وفتة بغير أشبه ومن الجانب الأيسر خمسة عشر فرس الجلال الديانج بالبرافع الطول وكل فرس في يدي شاكري باليرة الجميلة ثم أدخلوا من هذه الدار إلى الممرات والدعاليق المتصلة بحير الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجت إليها من البحر فطعان تقرب من انناس وتنسجهم وتأكل من ألبدهم ثم أخرجوا إلى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديانج والونسي على كل فيل ثمانية نفر من السند والبراقين بالثار فهال الرسول أمرها ثم أخرجوا إلى دار فيها مائة سبع خسوف مائة وخمسون بسرة كل سبع منها في يد سبع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد ثم أخرجوا إلى الجوق المحدث وهي دار بين بساتين في وسطها فيل رصطها فيل رصاص قلبي حواليها نهر رصاص قلبي أحسن من الفضة المطروقة طول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً فيها أربع طيارات لظاف بمجالس مدنية مزينة بالديبني المطرز وأغشيتها ديبني مذهب وحوالي هذه البركة بستان بديانج في خل وإن عدده أربع مائة سلة وطول كل واحدة خمسة أذرع قد ليس جميعها ساجد منقوش من أصلها إلى حد البهامة بحلق من شبه مذبة وجميع البشخ حامل بقران التيس الذي أكثر، خلال لم يتغير [...] ثم أخرجوا من هذه الدار إلى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها شخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذبة ومغففة وأكثر قضبان الشجرة صفه وبعضها مذهب وهي تتمثل في ألوانات ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الربيع ورق لشجر وكل من هذه الطيور بغير وبهم وفي جانب الدار بمئة البركة تماثيل خمسة عشر

وخفافهم والوحوش على طبقهم على أبوابها ودعايتها وممراتها ومخزقاتها وصحناتها ومجانها ووقت الجنح مزين بالثياب الحسنة وتحتهم الدون مراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الجناح على مثل هذه الصورة وقد أنظروا العدد الكبير والألحاح المختلفة فكانوا من أعلى باب الشمامسة إلى قريب من دار الخلافة وبعدهم الغلمان المحبرة والخدم الخواص الدرية والبرية إلى حصرة الخليفة بناية الزينة والسيف والمناطق المحلاة وأسواق النجائب الشرقي وشوارعهم وسطوحهم ومساكنهم مطروقة بالعمارة النظارة وقد كثرت كل ذلك وغرفة مشرفة بنوامم كثيرة وفي دجلة الشلالات والفيضات والزياب والندالات والسيريات بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبية وسار بالمرسل ومن معه من المراكب إلى أن وصلوا إلى الدار ودخل الرسول قومه على دار نصر القشوري الحاجب ورأى صفها كثيراً ومطرزاً عالياً فقل أنه الخليفة وقد أحلته له هبة وروعة حتى قيل أنه ابن الخديج وحمل من بعد ذلك إلى الدار التي كانت برسم الوزير محبب أبي الحسن علي بن محمد الفرات يومئذ فرأى أكثر مما رأى في نصر الحاجب ولم يشك في أنه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير وأجلس بين دجلة والبراقين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه المنسوت وأحاط به الخدم بالأعمدة والسيف ثم استدعى بعد أن طيف به في الدار إلى حصرة المنصور بالله وقد جلس وألاده من جانبه فساد من الأدم ما هاته ثم انصرف إلى دار قد أعدت له. حدثني الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف باسم السلطنة قال حدثني أمير المؤمنين النعمان بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين المنصور بالله قال حدثني حتى أم أبي إسحاق بن المنصور بالله أن رسول ملك الروم لما وصل إلى تكريت أمر أمير المؤمنين المنصور بالله بإتيانه هناك شهرين ولا وصل إلى بغداد أنزل دار صاعد ومكث شهرين لا يذوق له في الموصول حتى فرغ المنصور بالله من ترتيب قصره وترتيب آتة فيه ثم صف العسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة وكان عدد الجيش مائة وستين ألف فارس وأهل قفار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار ثم أدخل في أرج تحت الأرض فسار فيه حتى مال بين يدي المنصور بالله وأدى رسالة صاحبه ثم رسم أن يظاف به في الدار وليس فيها من العسكر أحد البية وإنما فيها الخدم والحجاب والغلمان السودا وكان عدد الخدم إذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف يضي ولادة آلاف سود وعدد الحجاب سبعة آلاف حاجب وعدد الغلمان السودا غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والملاقي. وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يعمل لخزائن المراكب وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلايات على درج عشت بالديانج الأسود وثنا دخل الرسول إلى دار الشجرة ورأى كل تجمع منها وكانت شجرة من الفضة وزنها خمسة مائة ألف درهم عليها طيار صرعه من الفضة تصفر سحر كرت قد جعلت لها فكان تعلق الرسول من ذلك أكثر من تجمع من جميع ما شاهده. قال لي هلال بن المحسن ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كانه أنه نقله من خط القاضي أبي الحسن بن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسن أنه نقله من خط الأمير وأحسبه الأمير أبا محمد الحسن بن عيسى بن المنصور بالله قال كان عدد ما حل في قصر أمير المؤمنين المنصور بالله من الستور الديانج المذبة بالطرز المذبة الجميلة المتصورة بالجنات والبقية والخيول والجمال والبسج والهدر والستور الكبار الضخامة والأرمية والوسطية والهتبة السودا والتمشقة والديبني المطروقة ثمانية

على كل البلاطات الملكية في تلك الفترة وفي العصور اللاحقة، مع فارق وحيد هو التفاوت في ثروة الأمراء المعيّنين والعادات الخاصة بمحيط كل مهم أصلي. ونقاط التشابه بينة مثلاً بينها وبين اللقائد والاستبالات التي كانت تقام في القصور العظيمة التي شادها الخلفاء الشيعة الإسماعيليون، من سلالة الفاطميين، في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في عاصمتهم الجديدة القاهرة. فقد كانت هناك قاعتان مخصصتان للاحتفالات نصف الأسبوعية: إحدى هاتين القاعتين، تسمى «قاعة الذهب» وهي جزء من المجمع المسمى «القصر الكبير»^١، والثانية، المسماة «الإيوان الكبير»، جرى إعدادها برعاية الخليفة العزيز. وفي كلتا القاعتين، كان الخليفة يجلس، كما في بغداد، على عرش فوق منصة، داخل مقصورة مشبكة ووراء حجاب. وكان يرتدي ملابس ويضع شارات تكتل التي للخليفة العبّاسي، ويضيف إليها «التاج» الذي هو في الواقع عمرة عربية. كان أصحاب الرتب العالية من الكتيبة والقادة العسكريين، والخدم الخاصين بالخليفة يأتون للسلام عليه، وفاق تسلسل مراتبهم متحنيين أمامه. على أن القضاء والأشراف كانوا معفيين من هذا الالتزام الأخير. وفي كل مكان، كان الخدم الخاص بالخليفة - الذين يتم اختيارهم في أكثر الأحيان من الخصيان - ينتظمون وفاق ترتيب صارمة ويشاركون عن قرب في تنظيم الاحتفالات التي كانوا يحتفلون فيها مكاناً بارزاً.

وقد حرص الفاطميون، بدورهم، بعناية شديدة، على الأخذ بعقوس مواكب التطواف العامة والرسمية التي كان الخليفة العبّاسي يقوم بها في مناسبات نادرة ذكرها المؤرخون، عندما كان يتوجه مثلاً إلى المسجد الجامع بسلامة ليوم الصلاة، يتقدمه صاحب الشرطة حاملاً الحربة العائدة للنبي. كان الخليفة [الفاطمي] يقوم بذلك في مناسبات جميع الأعياد، سواء منها الدينية أو الشعبية المحلية، محتجباً مع الشعب يفتح فتال النيل أو «تخليق المقياس»^٢ فكان يركب تحت قبة تحفّ به الربابات، ومحاطاً بأركان الدولة وحرسه، وفاق مراسم كان معمولاً بها، ربما، في العراق، من غير أن يبادر أحد إلى تدوينها بدقة. بيد أن بعض الدارسين عمد إلى تشبيهها بمراسم

فلان على خمسة عشر فرساً قد ألبسوا الديباغ وغيره وفي أيديهم مطارد على رماح يتدورون على خط واحد في التزود خيلاً وتقريباً يظن أن كل واحد منهم إلى صاحبه قاصد وفي الجانب الأيسر مثل ذلك ثم أدخلوا إلى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من أغرش والآلات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة وفي هاتين الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم أخرجوا منه إلى ممر طوله ثلاثمائة ذراع قد عُثِّل من جانبيه نحو من عشرة آلاف درقة وخوذة وبيفة ودروع وزردية وجعبة محلاة وقسي وقد أقيم نحو ألفي خادم بيضا وسودا صفين بمنة وبسرة ثم أخرجوا بعد أن طيف بهم ثلاثة وعشرين قصراً إلى الصحن الشعبي وفيه الفلجان المحيرة بالسلاح الكامل والمزودة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروح والطبوزينات والأعمدة ثم مروا مصفاً من علي السواد من خلفه الحجاب الحد والرجالة وأصاغر اقتراد ودخلوا دار السلام وكانت عدد كثير من الخدم والمصفاة في سائر القصور يسفرون الناس الماء المبرور بالثلج والأشربة والنفقاه ومنهم من كان يطوف مع الرسل فطولوا المشي بهم جنوا واستراحوا في سبعة مواضع واستنقوا الماء فسقوا.

(المصدر نفسه، ص ١٠٤).

وكانت ذروة هذه الزيارة هي المراسم الخاصة باستقبال الخليفة لهم في موضع هو أكثر أبهة من الأماكن السابقة، حيث وصلوا إلى حضرة الخليفة المعتد بعد أن عبروا سلسلة أخيرة من الأروقة والمعمرات في قصر التاج المطل على نهر دجلة حيث كان يقم. وفي هذا القصر كان سيد المكان:

«وصلوا إلى حضرة المعتد بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجلة بعد أن لبس بالتياب الدنيقة المطرزة بالذهب على سرب أنوس قد فرش بالبياني المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويلة ومن بمنة السرب تسعة عقود مثل السبع معلقة ومن يسره تسعة أخرى من أواخر الخواصر وأعظمها قيمة غالبية الفضة على ضوء النهار وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة بمنة والثاني مبسرة ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المعتد بالله فكفر له وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر التمشوري وكانا يترجمان عن المعتد لولا أني لا آمن أن يطالب صاحبكم بتغيير الساط لثبته ولكنني فعلت ما لا يطالب رسولكم بمثل لأن التكفير من رسم شريعتنا ووفقاً ساعة وكانا شاباً وشيخاً فالتاب الرسول المعتد والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الأمر في الرسالة لتخليق متى حدث بالتأب حدث الموت وناله المعتد بالله من يده جوازاً وكان ضيقاً كبيراً فتناوله وقبّله إعظاماً له وأخرجوا من باب الخاصة إلى دجلة وأقاموا وسائر أصحابها في شدة من الشدائد الخاصة وصعدوا إلى حيث أنزلوا فيه من الدار المعروفة بصادق وحمل إليهما خمسون بكرة ورقاً في كل بكرة خمسة آلاف درهم وخلق على أي عمر عدي الطلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاثمائة...»

٣ - إن التفاصيل المتعلقة بالمراسم المعمول بها في البلاط العبّاسي - والتي توردها تخصص موقوف بها وواضحة التاريخ، كالخصوص أعلاه - تنطبق في الواقع

رسمي البلاط، ويتبع خط سير ثابتاً يومه إلى مسرح المناورات العسكرية. كذلك كان السلطان يعقد جلسة في الأسبوع لينظر شخصياً في التماسات رعاياه. وكانت هذه الجلسات تُعقد في مبنى محاور لباب القلعة يُسمى «دار العدل»، يعاونه فيها قضاة المذاهب الأربعة الكبار وصاحب الديوان الرئيسي والمحتسب، إضافة إلى كبار الأمراء الذين يشكّلون «مجلس الخليفة»، كما أنه كان يستمع إلى آراء أفراد عائلته وبعض حكام الولايات. وكان الواصلون - سواء كانوا مدعين أو لا - يسجدون أمام الخليفة قبل أخذ أمأكتهم؛ على أن السلطان يرساي ألقى هذه العادة ليعيدها لاحقاً ملطقة في شكل احتفاء بسيط.

وهكذا، لم تكف السمات المميزة للمراسم الملكية عن التطور، متجاوبة في ذلك مع المتغيرات التاريخية، لكنها ظلت في مبادئها الأساسية أمانة للأسس التي وضعت في الحقبة الذهبية للخلافة. وفتح هذا التطور الباب في ما بعد أمام تغييرات عدّة ذات طابع محلي، متوسطة وأسيوتية وأغريقية، لا مجال هنا لتعدادها. لكن بعضها على الأقل عرف شهرة تشهد عليها النوعية الممتازة للروايات التي وصلت إلينا، لاسيما تلك التي كتبها رحالة غربيون من خلال شهود عيان، وهي تصف بإعجاب الأنظمة والقفاضة الظاهرتين مثلاً في بلاط العثمانيين والصغويين والمغول، من دون إغفال الإشارة إلى بلاطات أخرى لها تقاليد مختلفة أيضاً، نمت على أطراف عالم إسلامي في ذروة توسّعه. والمعطيات التي تزوّدنا بها هذه الروايات توضحها الرسوم الملكية التي ساهمت بالمنمنمات العائدة لتلك المرحلة - من تركية وإبرانية وهندية مثلاً - في إضاح تفاصيلها بشكل بارز. وإذا كانت أوصاف تلك المشاهد قد تفاوتت دقة، فإنّ تشديد الرسوم باستمرار على أنبه الإطار العام واحتفالية المراسم المتبعة، ساهم في إثارة الاهتمام بالمزيد من الأبحاث حول موضوع البلاط الملكي في أرض الإسلام والأعراف السائدة فيه.

«راجع المستندات ٣٩، ٤٠ إلى ٤٢، ٤٥ إلى ٤٩، ٦٩، ٧٥، ٧٧ و٧٨».

بروناي (سلطنة -)، مساحتها ٥٧٠٠ كلم^٢، عاصمتها بندر سري بڠاوان. دولة صغيرة مستقلة تقع على الساحل الشمالي لبورنيو. يقارب عدد سكّانها ١٥٠ ألف نسمة،

الأباطرة البيزنطيين في القسطنطينية. كذلك، كان يحدث، خلال عهد القاضيين في مصر، على الأقلّ في القاهرة، أن يطلّ الخليفة من منطرة تملو ردعة الاستقبال في القصر ليتقبّل تحيات الشعب. إنّ هذه العادة التي شهدتها بغداد في ظروف إستثنائية كإشاعات التخلّي عن السلطة - إذ كان الخليفة يُشرف من السطح القائم فوق مدخل القصر على المتجمّعين فيه، أخذ بها أمراء مثل آل زنكي في سوريا، مستخدمين لهذا الغرض رؤوفاً أو «طامرة» من القلعة، سواء في حلب أو في دمشق.

وفي الحقبة ذاتها، أيضاً، كانت سلالات حاكمة أخرى في مناطق ثانية من الأمبراطورية تنفرد بتفاصيل المراسم التي اعتمدتها. ففي المقاطعات الواقعة في أطراف إيران، استعاد الغزنويون، بشكل خاص، تقاليد تعود إلى الساسانيين - وهي تقاليد كانت ترفع من شأنهم بين الناس - وأضافوا إليها عادات أخرى اقتبسوها من المقاطعات الهندية التي احتلّوها. وكذلك الأمر في الغرب الإسلامي، وبخاصة في الأندلس خلال خلافة أمويي قرطبة أو في فترة حُكم ملوك الطوائف، إذ حوُظ على عادات قديمة تطابق التراتب الاجتماعي الخاص بالبلاد. وكانت مراسم مختلفة بعض الشيء. تعكس أيضاً سمات تتوافق مع التركيبة الخاصة ببطانة الملك.

وبالطريقة نفسها، تتلفلت في الشرق، منذ نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، عادات تركية حملها السلاجقة واختلطت بالمعادات العباسية وأبرزت بعض مظاهر اللباس والأسلحة والأنشطة العسكرية لزعماء البدو في آسيا الوسطى. ويرتبط بهذه المظاهر مثلاً الرمز الملكي للفوس والنشاب. لم يوضع كتاب الحواريات دائماً تأثير هذه الإضافات على المراسم المعمول بها عند ملوك المسلمين آنذاك. لكن من المعروف، بعد فترة قصيرة، أنّ قواعد المراسم المعتمدة في دولة المماليك في سوريا ومصر أخذت تركز على نمط العيش وطريقة الحكم لفائدة عسكريين أخذوا يمتحون الأولوية لكل ما يتعلّق بمهنة السلاح وممارسة السلطة المباشرة. هكذا مثلاً كان العرض العسكري في القاهرة يتمّ بشكل منظم مرّة في الأسبوع أمام السلطان الذي يخرج من قصره في موكب يرافقه كبار

سنون بأئمة منهم مسلمون.

تعود السلطة الحالية التي بقي نظامها ملكياً مطلقاً إلى القرن الخامس عشر. وعرفت أوج عزها في القرن السادس عشر عندما توسعت لتشمل كل الجزيرة، قبل أن يحصرها الأسبان في حدودها الحالية. أصبحت بروناي محمية بريطانية سنة ١٨٨٨. ومنذ سنة ١٩٢٩ بدأت شركة ثيل تستثمر حقولها النفطية التي تشكل مصدر ثروتها. حصلت على استقلالها عام ١٩٨٤، غير أن السلطان الذي رفض الدخول في اتحاد ماليزيا الفدرالي الذي يطوق أراضيه، يصعد اليوم، على الصعيد الداخلي، بمعارضة تنادي بنظام أكثر ديمقراطية. « راجع المستند ٣٠ ».

البريد، من اليونانية «بيريدوس» تنظيم حكومي. نشأ خلال القرون الوسطى الإسلامية، لنقل توجهات السلطة المركزية إلى المقاطعات، وموافاة صاحب السلطة بالمعلومات التي توافرت لعملائه المستقرين فيها.

في بداية العصر العباسي، في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، تنامت خدمات البريد برزخم، وقد كانت متوافرة في السابق، في الأباطوريين البيزنطية والساسانية، وما من شك في أن بعض جوانبها يعود إلى مبادرات الخليفة الأموي عبد الملك. كان في كل مدينة عميل مكلف تسلم الرسائل والوثائق، ثم إيلاخها إلى السلطات المحلية، وفي المقابل، إعلام دواوين الخليفة بالوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمنطقة التي يساهم في إدارتها. وكانت خدمات برديّة خاصة تصل العاصمة بساتر المدن، سالكة مسارات محددة مغايرة أحياناً لطرق القوافل، وعليها منازل استراحة مختلفة عن الخانات، وهي مبانٍ أخضر منها، لكنها محمية ومزودة بالمياه، تتعاقب بمسافة فرسخين أو أربعة فراسخ أي ١٢ كلم أو ٢٤ كلم بحسب المناطق.

كان البريد جهازاً حكومياً مهماً. فبنا على قول الخليفة العباسي الثاني المنصور، كان كاتب البريد الذي يدبر مكتب المراسلات الرسمية ويرأس، كذلك، جهاز الاستخبارات، شخصاً لا يُستغنى عنه مثل كاتب الخراج. إن أقدم المؤلفات في الجغرافيا وضعت بهدف

إحصاء مسالك البريد ووصفها. غير أن هذه المؤسسة المعقدة التجهيز المتطلبه نأحاً من السلطة والأمن، تفككت شيئاً فشيئاً مع تفكك الأباطورية العباسية. ونتيجة لذلك لم تنافر للبهيين، ولا للسلاجقة على ما يبدو، سوى خدمات برديّة غير قائمة على شبكة صلبة من المحطات. لكن البريد استعاد أهميته خلال دولة المماليك السورية - المصرية التي كانت أقل انشاعاً، لكن على قدر كبير من المركزية، عاملاً بشكل فعال بواسطة الحمام إضافة إلى الجياد.

البساسيري، أبو الحادث أرسلان المظفر، (ت ٤٥١هـ/١٠٦٠م)، أمير تركي شيعي، عمل في خدمة البهيين وخاول، في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فرض سلطته على بغداد، مقاوماً في الوقت نفسه نفوذ السلاجقة المتصاعد. كان همّه الأول العمل على استئجاب الأمن في مختلف المناطق العراقية عندما كانت الفوضى سيطرة والصراع بين السنة والشيعية في أوج عنفه. أقام بعد ذلك علاقات مع فاطمي مصر، عندما دخل طغرل بك على رأس جيوش الأتراك الفُرّ بغداد بعد أن كانوا قد احتلوا مجمل الأراضي الإيرانية. استغل البساسيري فرصة غياب السلطان الجديد ودخل بغداد على رأس أربع مائة فارس سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٨م، وأمر بأن تلقى الخطب باسم الخليفة الفاطمي في المساجد الجامعة. لكن، بعد أن تخلى عنه أسياد القاهرة وبعد أن فشلت كل محاولاته لدعم قضيتهم، اصطدم بطغرل بك الذي سار إليه بجيوشه. قُتل في ذي الحجة من عام ٤٥١هـ/كانون الثاني ١٠٦٠م. إن الأشهر القليلة التي جعل خلالها سلطة الفاطميين تسود في قلب الأباطورية العباسية، لم تكن سوى مرحلة وجيزة لم تترك أي أثر سياسي أو ديني في المراحل اللاحقة.

بسطام (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة صغيرة احتفظت، لمدة طويلة، بأهمية موقعها محطة للقوافل على الطريق الذي يصل، في شمال الصحراء المالحة، غربي إيران الإسلامية بمناطقها الشرقية وآسيا الوسطى. تقع بلدة بسطام في مقاطعة خراسان، بالمعنى الواسع

المماثلة لله كلياً، من خلال التجرد عن الذات الفردية،
بإلغائه بذلك مرحلة الاتحاد مع الوحدانية والذات الإلهية،
وهذا ما يمكن مقارنته بالتأويل الصوفي لانتقال النبي
(ﷺ) إلى العالم اللامحسوس عند صعوده الليلي أو
المعراج. إن الشهرة التي نالها أبو يزيد البسطامي في
حياته تنامت، بعد مماته، بحيث غدا قبره مزاراً يوقر
لمنطقة بسطام تدق الزوار الذي استمر حتى بعد زوال
ازدهارها الاقتصادي.

البسطة ← الله، الفاتحة.

البصرة (الجمهورية العراقية)، مدينة مرفئية على
الخليج العربي - الفارسي، تقع اليوم على شط العرب،
على بعد خمسة عشر كيلومتراً عن البحر. بقيت محافظة
على شهرتها وعلى ازدهارها الاقتصادي منذ بداية
الإسلام، برغم ما عايشته من أحداث.

البصرة من المنشآت الإسلامية التي تعود إلى عصر
الفنوحات الكبرى في القرن السابع الميلادي. وهي،
بحسب الزُّوراء، أولى المدن - المُسكَّرات التي أُُنشِئت
بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، وكان الهدف من
إنشائها إسكان الفاتحين الجدد واتخاذها قاعدة لانطلاق
الجيش منها نحو فتوحات جديدة. كانت مساكنها، في
بادئ الأمر، أكواخاً من القصب استُبدلت بها في ما بعد
بيوت من الطين ثم من الحجر، وذلك في عهد الحاكم
الأموي زياد بن أبيه حوالي سنة ٤٥هـ/٦٦٥م. وما لبث
هذا التجمع السكاني أن اتخذ شكل مدينة. بعد أن بُني في
وسطه المسجد الجامع ومقر الحاكم. كانت مقسمة إدارياً
خمساً أقسام، خُصص كل قسم لقبيلة، وكانت تُمثل هذه
القبائل «العائلات الكبرى» أو «أهل العالية»، على
الأرجح: قُرَيْش وتميم وبكر من عرب الشمال، عبد
القيس والأزد من عرب الجنوب. وإلى هؤلاء الفاتحين
انضمَّ عدد من مواطني المنطقة الأصليين، من الذين
اعتنقوا الإسلام واعتُبروا من الموالي.

على مقربة من البصرة حصلت في ما بعد، سنة
٣٦هـ/٦٥٦م، معركة الجمل الشهيرة بين علي وخصمه
طلحة والزبير. وعاش في هذه المدينة، منذ بداية
الإسلام، عدد كبير من المفكرين الذين كان لهم أثرهم
في تاريخ الفكر الإسلامي، من هؤلاء الحسن البصري

للكلمة، لكنّها بالتحديد كانت تابعة لمقاطعة قوش
التي احتلت المرتبة الثانية بعد دافغان في عهد
العباسيين. وقد عرفت هذه البلدة، في ظل السيطرة
السلجوقية، أوج ازدهارها الذي استمرَّ حتى ما بعد الغزو
المغولي في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.
كذلك شهدت، على عهد الإيلخانيين، في بداية القرن
الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، توسيع المزار ودار
التعليم المشيدين حول ضريح البسطامي وتحسينهما.
وهما يشكّلان، حتى يومنا هذا، أشهر المباني الأثرية في
تلك المنطقة. تحيط بالضريح أبنية تابعة له، تفوق
بأهمية آثارها سائر العمارات السلجوقية المشيدة في
البلدة، كالكوفة والمسجد الجامع، ولم يكن لاحترام
الناس لها أي دور في حماية المدينة. إن الدراسة
المعمارية لهذا المجتمع المدفني الكبير، حيث تتداخل
أبنية تعود إلى مراحل تاريخية مختلفة، أتاحت تقدير
القدِّم والجودة الزخرفية لعناصر فنية ما تزال حتى اليوم
مهمة.

إنَّ تغيُّرات العصرين الحديث والمعاصر أفادت
قليلاً مدينة بسطام، مع أنَّها تقع على طريق مهمٍّ في
البلاذ، يربط طهران بمشهد، مروّزاً بجنوب البُزُر، في
موازاة طريق ساحل بحر قزوين؛ لكنَّ نشاط بسطام
التجاري أخذ باستمرار في الانحسار لمصلحة مجموعة
عمرانية مجاورة في شافروود/ إمامرود.

البسطامي، أبو يزيد طيفور بن حمسي (٢-٢٦٤هـ/
٨٧٧م)، صوفي إيراني من العصر العباسي الأول. عاش
في بسطام حيث ما يزال قبره مكرّماً، وتجلّت في بعض
أقواله نزعة صوفية اعتُبرت الأخطر في نظر الفقهاء
المسلمين.

تنسب إلى هذا الوليِّ الخراسانيّ - الذي أهابت
نقوى الإيلخانيين بهم إلى تكريمه لقرون عدّة بعد
وفاته، بتشيد مباني ملحقة بضريحه - جيكم تناول
الاتحاد الصوفيّ، جمعها أتباعه وتشروها، وترجمها
صوفيّ شهر آخر، عاش في بغداد، هو الجُنَيْد، من
الفارسية إلى العربية.

هذه الآراء الجريئة التي ربّما أخذها البسطامي عن
أساتذته الإيرانيّ، أبي علي السنديّ، تثبت عظمة الخليفة

تعرّضت للتهديم من قِبَل المغول، شأنها بذلك شأن سائر المدن العراقية. وجدها رَحالة القرن الرابع عشر مُهْدَمةً بشكل جزئي. ثُمَّ انتقل التجمع السكّاني إلى الموضع الذي كانت تقوم عليه مدينة الأُبلّة القديمة، وهناك نشأت في ما بعد مدينة البصرة الحديثة.

أصبحت البصرة إذاً مدينة إقليمية ثانوية ولم يُبَدَل وَضْعُها الاحتلال العثماني لها سنة ١٥١٧. في مطلع القرن السابع عشر، أُسِّسَتْ على هذا الموقع التمتيّز (مارة محليّة راحت تستقبل ممثلين للتجار الأوروبيين الذين انشأوا فيها، خلال العقود اللاحقة، وكالات تجارية بالرغم من القوضى السائدة. في الحرب العالمية الأولى وخلال الاحتلال البريطاني للعراق من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩٣٢، تحوَّلت البصرة مدينة حديثة وأصبح مرفأها الحديث المفضّل لأهمّ للتجارة العراقية. في سنة ١٩٤٨ اكتُشِفَ حقل الزُّيُور النفطي، وفي سنة ١٩٥١ بدأ تصدير النفط نحو الفاو، فكان ذلك سبباً لازدهار جديد أرقّفه موقفنا الصراع المسلح بين إيران والعراق.

« رابع المستندات ١٠، ١٢، ١٣، ٣٠.

بُصْرَى (الجمهورية العربية السورية)، بلدة في سوريا، استمرّت مزدهرة في القرون الوسطى، واضطلعت بدور إستراتيجي في مقاطعة حوران خلال عهد الصليبيين. كانت الحاضرة القديمة المعروفة باسم بوسترا (Bostra)، أحد أهمّ المراكز الرئسية لمملكة العرب الأنباط قَبْلَ ظهور المسيحية، قبل أن تُضمّ إلى الإمبراطورية الرومانية عام ١٠٥. ضعفت بصرى بعد الفتح العربي - الإسلامية الكبرى، رغم موقعها على طريق القوافل التي تصل بين الحجاز والبحر المتوسط، ورغم الذكريات الإسلامية التي بقيت مرتبطة باسمها. ففي بصرى، بحسب الأخبار المأثورة، التقى محمد الشاب، خلال إحدى رحلاته التجارية، الراهب بُحَيْرَا الذي تنبأ له بمستقبله. وفيها، لاحقاً، بركت النافذة التي كانت تحمل نسخة القرآن إلى مدينة دمشق، بناء على طلب الخليفة الثالث عثمان بن عفّان. لكنّ ارتباط المدينة بهذه الذكريات وخصب ضواحيها الزراعية، وكذلك سلوك الطريق القديم الذي يمزّه الحجاج إلى مكّة، كل ذلك لم يكن كافياً للحفاظ على أهميّتها، مع

وواصل بن عطّاه في عصر الأمويين، وسواهما من مفكرَي المعتزلة والنحويين واللغويين والشعراء. كانت الحياة الفكرية فيها ناشطة، ونشير المصادر إلى وجود مكتبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يمولها مؤسسها بشكل منتظم، ما يسمح بشراء الكتب أو بنسخها ويدفع رواتب للدارسين فيها.

أُمِنَت الأنشطة التجارية، إضافة إلى محصول التمّر في الحقول المجاورة، نموّ هذه الحاضرة التي عرفت، في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، ثروة حقيقية بالرغم من إنشاء مدينة بغداد. تَمَرَّ فيها قناتان، الأولى باسم نهر مُغَلّ تصلها ببغداد والثانية، باسم نهر الأُبلّة، تلتقي دجلة قرب مدينة الأُبلّة القديمة، وعلى طول هذا النهر الأخير تمتدّ مدينة البصرة. داخل سورها الذي يعود إلى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م، أحصى الجغرافي المقدسي ثلاثة مساجد جامعة، أقدمها ذلك الذي يقع قرب باب البادية، والثاني في وسط الأسواق التجارية والثالث داخل الأحياء السكنية. اشتمت المدينة بشكل ملحوظ إذ بلغ عرضها، بحسب المقدسي، ثلاثة أميال أي ما يقارب الخمسة كيلومترات. قبالة باب البادية تقع ساحة كبيرة تُعرف باسم الجريد، كانت محطة تتوقّف فيها القوافل، كما كانت مركزاً للاجتماعات وللبضاد التجاري. كانت أسواقها تضاهي شهرة أسواق بغداد إذ كانت تتوافر فيها، بفضل تقدّم الملاحة البحرية، مُنتجات تصلها من الشرق الأقصى. أمّا من الناحية البرية فكانت تحتازها طريق تصل الجزيرة العربية بإيران الجنوبية.

تعرّض هذا المركز التجاري، الذي كانت تُقضي إليه طرق التجارة من المحيط الهندي، لغزوات عديدة شتّت عليه من الخارج، في ظلّ الحكم العبّاسي. ونذكر، بشكل خاص، حركة الزُّنُج سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧١م إذ أمعنوا في المدينة حرفاً وندميراً مدة ثلاثة أيام، وبعد ذلك غزوة القرامطة الذين نهبوا. غير أنّ المدينة كانت مأهولة بشكل كثيف عندما مرّ بها الداعي الفاطمي، الرحالة الإيراني ناصر خُشْرُو سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م. لكنّ تراجع التجارة العالمية التي كانت تسلك خليج الفرات أدّى، في ما بعد، إلى انحطاط البصرة بعد أن كانت قد

إن منجزات هذا المحارب المقدم الذي اشترك في حملات تاريخية ضد القسطنطينية في بداية الإسلام وقُتل في الأناضول حوالي سنة ١١٢٢هـ/ ٧٤٠م أضفت هالة من المجد، إبتداء من القرن العاشر للميلاد، على شخصيته التي كانت مجهولة إلى حد كبير. نكن كان لهذا الوجه تقديره في الروايات الشعبية، إذ اعتُبر مثالا للصراع ضد الكُفَّار، كما أنَّ الأوساط الدينية في سوريا في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي التي عاشت مناسبات إحياء قوى الجهاد وانتشار عادة «تكريم الأولياء»، نتيجة للصراع ضد الصليبيين، خلقت له سيرة تزامنت مع تحول قبره مؤزنا يُتبرك به. وقد ذُكر هذا القبر في دليل الهرزي.

تظهر أيضًا الصبغة الشعبية لهذا التكريم في نصوص الروايات التركية حيث مُجد البطل وعُظم قُتب إلى سلالة علي. وفي الوقت نفسه، نقلت هذه الروايات إلى قلب عصر العباسيين وربطت اسمه بانتصار الخليفة على المعتدع بابك، كما جعلت من انتصاراته العسكرية تمهيدا لفتح الأتراك لمطية الذي روته ملحمة الملك دانشمند. وقد اختلطت بالتقاليد الملحمة المحلية المستفاد من الفولكلورين التركي والإيراني، عناصر زُوجها أتباع النصيرية وممكوا الطريقة البكتاشية. فقد كان لذكرى البطل عند هؤلاء، إجلال كبير.

بَطْلُيُوسُ ← بَدَاخُوسُ.

البَيْعُثُ، إسمٌ لحزب عربي قومي وإشتراكي في الشرق الأدنى الإسلامي. بدأ يسيطر على مجريات الأحداث في دولتي سوريا والعراق بين سنة ١٩٥٦ و سنة ١٩٦٦، تاريخ انشقاق داخلي أصابه وما يزال مستمرا حتى الآن. أسس الحزب ثلاثة أشخاص: ميشال عفلق، الدمشقي المسيحي الأرثوذكسي، الذي اعتنق في أواخر حياته الإسلام، وتوفي سنة ١٩٨٨، وصلاح الدين البطار، وهو مسلم سني، ثم زكي الأرسوزي، وهو علوي من لواء الإسكندرون. المؤسسون الثلاثة هم من خريجي جامعة السوربون في فرنسا.

برز الأرسوزي، وهو أكبرهم سناً، منذ سنة ١٩٣٢، من خلال نضاله ضد الانتداب الفرنسي في سبيل استقلال سوريا. فأسس، سنة ١٩٣٩، الحزب القومي

أن الأمويين كانوا قد شيدوا فيها مسجداً جامعاً، أعاد الأيوبيون ترميمه في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

في ذلك العصر، حقق بصرى غزو الفرنج للشرق الأدنى بداية نوع من الازدهار ناتج عن وقوعها على مقربة من المملكة المسيحية في القدس، والضرورة الإستراتيجية لجعلها مدينة منيعه. وفي الوقت نفسه، مليئة بالآثار الدينية التي تؤكد طابعها الإسلامي. ففضلاً عن المسجد الجامع الذي جُدد، أضيفت مصليات جديدة، أصبح اثنان منها، مع رواج تكريم الأولياء، مزارين دينيين جذبا، بشكل خاص، اهتمام ولاية المنطقة وهما: مَصَلَى الخضر الذي رُسم سنة ١١٢٦هـ/ ١١٣٢م، ومَصَلَى المُنْزَك (موضع بروك الناقه) الذي أضيفت إليه مدرسة على المذهب الحنفي، عام ١١٣٦هـ/ ١١٣٠م. وبلغت في بصرى المباني العسكرية التابعة للبروتيين والزنكيين والأيوبيين درجة عالية من الجودة والكمال. إن المسرح الروماني القديم اكتسب أهمية دفاعية، وما لبث أن تحول تدريجياً إلى قلعة بزيادة الأبراج ذات المقاييس الضخمة، والجدران الفاصلة بينها، والمحال التجارية في داخلها. هذه القلعة التي تضررت لاحقاً عند الاجتياح المغولي سنة ١٢٦١م، أعاد تدعيمها السلطان بيبرس المملوكي، لكنها عانت نتائج الأعمال الحديثة الهادفة إلى هدم بعض أقسامها لكشف المسرح الروماني القديم.

في أثنائه ذلك، كان من نتيجة استيلاء العثمانيين على سوريا ومصر، في بداية القرن السابع عشر، تحويل هذا الموقع القروسي الحصين إلى مركز إقليمي صغير. وفضلاً عن ذلك، فإن غزوات البدو، إبتداء من القرن السابع عشر، جعلت طريق الحجاج تتحول عن بصرى بعد أن كانت محطة في طريقهم، إلى الغرب عبر طريق صُنْفِين.

البَطَّال، «الشجاع»، لقب أحد المحاربين العرب الأسطوريين في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، قام بالجهاد ضد البيزنطيين في عصر الأمويين. أصبح في ما بعد يُعرف باسم سَنَد بَطَّال الغازي، وهو بطل الروايات الملحمة التركية وأخبار الأولياء في المعصور المتأخرة.

علمًا أنه بقي على هامش الحياة السياسية طيلة فترة الوحدة السورية - المصرية (١٩٥٨ - ١٩٦١). وكان من أثر الانقلاب الذي وضع حدًا لهذه الوحدة أن دفعه إلى السلطة. وبثأير منه، وُضعت إيداه من سنة ١٩٦٣ سياسة سورية للتأميم. سنة ١٩٦٦ وصل إلى السلطة نزار حزبي راديكالي متشدد ما برح أن يُبعده، سنة ١٩٦٨، نزار برغماني معتدل.

مثل هذا التيار الجنترال حافظ الأسد الذي أصبح سنة ١٩٧٠ رئيسًا للوزراء وأمينًا عامًا للحزب، قبل أن يصبح، سنة ١٩٧١، رئيسًا للجمهورية.

كان البعث نشيطًا في العراق منذ ١٩٤٩، تاريخ تأصله فيه. لكنه بقي ضمن إطار السرية نتيجة لملاحقة أتباعه من قبل نوري السعيد، رئيس الوزراء. ولم يظهر الحزب بصورة رسمية إلا بعد ثورة ١٩٥٨، إذ دخل في صراع مع نظام الجنترال قاسم، وكان في صفوف المناضلين الحزبيين الطالب صدام حسين الشكريني. في سنة ١٩٦٣ تمكن تنظيم البعث من قلب الجنترال قاسم والاستيلاء على السلطة لشهور عدة، لكنه لم يتمكن من الاستمرار فيها نظرًا إلى مواقف حكمه العدائية من عبد الناصر ومن الشيوعيين. وفي سنة ١٩٦٨ برز كل من الجنترال بكر رئيسًا للجمهورية ورئيسًا لمجلس قيادة الثورة وحليفه صدام حسين نائب رئيس لمجلس قيادة الثورة، قبل أن يصبح هذا الأخير سيد البلاد غير المتنازع (٣٣). ومنذ ذلك الحين سيطر حزب البعث، المُحكم التنظيم، على الحياة السياسية في العراق.

البعث أو قيامة الأموات، موضوع يتكرر في سؤ القرآن الأولى ومنه تُستلهم، في المجتمع الإسلامي معظم الطقوس المتعلقة بالموت.

يعلم القرآن قرب نهاية العالم التي ستمتمّر بيعت الأموات والدينونة الأخيرة. إن إعلان البعث هو مظهرًا الموضوع الذي صدم أكثر ما يكون سكان مكة عندما توجه إليهم النبي محمد (ﷺ) في مسنّله دعوته. لقي أصحاب الفلسفة، في القرون الوسطى، صعوبات في استيعاب هذا المفهوم. فأنكر بعضهم ذلك قائلًا بيعت الروح لا الجسد، على الرغم من أن القرآن الكريم ذكر

العربي الذي انتهى إليه كلّ من عقلق وبيطار، قبل أن يتغيّر اسمه سنة ١٩٤٦ ليصبح حركة البعث العربي. وقد ظهر سنة ١٩٤٦ كل من ميشال عقلق وصلاح الدين البيطار زعيمين لحزب سياسي هو حزب البعث العربي، راح بعد سنة ١٩٥٠ ينشر أفكاره ومبادئه بمختلف الوسائل. كان مناصرو الأرسوزي قد انضَموا إليهما في تلك الفترة. وفي سنة ١٩٤٧ عُقد في دمشق أول مؤتمر للحزب فتولّى ميشال عقلق أمانة العامة. انضم إلى الحزب بعد بضع سنوات الحزب الاشتراكي الذي كان يفوده أكرم الحوراني. وقد منحت المؤتمرات المتتالية، حتى سنة ١٩٦٣، الحزب تنظيمًا صارمًا أفرد في بنيته مكانًا لممثلي مختلف البلدان العربية.

تؤكد عقيدة الحزب، كما حددها ميشال عقلق، وحدة الأمة العربية وإحياء المجتمع العربي. وقد تضمن برنامج الحزب البند الأساسي التالي: «يؤلف العرب أمة. لهذه الأمة الحق الطبيعي في العيش داخل دولة واحدة وفي حرية اختيار مصيرها». دعا الحزب إذًا إلى بناء دولة عربية واحدة معتبرًا أن الإسلام اضطلع وما يزال بدور جوهري في هذا البناء. أعلن عقلق «أن سلطة الإسلام تتخذ في عصرنا الحالي شكلًا مختلفًا عن السابق هو شكل القومية العربية». انطلاقًا من هذه النظرية، على العرب المسيحيين أن يعتبروا الإسلام العنصر الأقوى في قوميّتهم. ابتداءً من عام ١٩٥٠، جاء مبدأ الاشتراكية ليضاف إلى مبدأ القومية. تبدو الاشتراكية وكأنها خير وسيلة لإحياء المجتمع العربي، إذ إنها تحدث انقلابًا في داخله. أما الماركسية فقد أبدى عقلق تحفظًا حيالها إذ اعتبر أنها تعطي الصراع الطبقي أهمية مبالغًا فيها في حين أنها لا تعطي القومية أهميتها كاملة. لكن ذلك لم يمنع حزب البعث من التحالف مع الحزب الشيوعي في مناسبات متنوعة.

أدّى حزب البعث دورًا رئيسًا في الجمهورية العربية السورية. أصبح أنه أُلغي سنة ١٩٥٢، شأنه شأن الأحزاب الأخرى، وقد بقي قادته إلى لبنان، لكنه عاد ليظهر سنة ١٩٥٤ في البرلمان الجديد،

تصاميم هذه المدينة سنة ١٤٤١هـ/١٧٥٨م، ولم يفرغ من بنائها إلا في سنة ١٤٤٦هـ/١٧٦٣م. تقوم المدينة في الموقع الذي يتقارب فيه نهرا دجلة والفرات أكثر ما يكون. وحيث تصل القنوات بينهما، إن تلافي الطرق البرية والقنوات المائية في هذا الموقع كان من شأنه أن يساعد على تنمية الحركة التجارية وعلى التنظيم العسكري، لأن وفرة المسالك المائية هي وسيلة دفاعية لا يُستغنى بها.

بنى المنصور، في بادئ الأمر، على الضفة الغربية للنهر، بين دجلة والقناة المعروفة بـ «المدنية المدورة» المُحصّنة التي اتخذت رسمياً اسم «مدينة السلام» وهي تسمية مستوحاة من القرآن (سورة يونس، الآية ٢٥) حيث استعملت عبارة «دار السلام» لوصف الجنة. يحيط بالمدينة سوران تخرقهما أبواب أربعة ويفصل بينهما خندق عريض. وداخل هذين السورين سور ثالث يحيط بالفناء الداخلي للمدينة حيث شُيّد، في وسطه، قصر الخليفة مجاوراً للمسجد الكبير. وإلى جوارهما مساكن أبناء الخليفة وقائد الشرطة ورئيس الحرس. بين السور الداخلي والسور الخارجي الذي يليه، أُقيمت الأحياء السكنية ومباني الإدارة حيث تتجمع كلها بشكل حلقة. أما المحلات التجارية فقد خصّص لها، في بادئ الأمر، الممرّات ذات القناطر التي تصل بين الأبواب الخارجية والأبواب المقابلة لها في السور الداخلي المحيط بالفناء الكبير. لقد خضع بناء هذه المدينة التي يبلغ قطرها الكيلومترين ونصف الكيلومتر لتصميم هندسي دقيق، يعتمد الشكل الدائري على غرار مدن العصر الساساني. يُرى في هذه الهندسة الأثر الآسيوي المختلف عن التقليد المتبع في حوض المتوسط الذي ميّز بناء المدن الأموية. لكن، بالرغم من هذا الاختلاف، حُوِّظ على العلاقة التي أصبحت تقليداً بين القصر الملكي ومرافق المدينة.

تحوّلت المدينة بشكل سريع إلى مركز تجاري. فتمت الأحياء التجارية خصوصاً في القسم الجنوبي منها خارج السور الخارجي. وذلك لأن القسم الشمالي منها المعروف بالحربية كان مخصّصاً لسكن الجنود. كان لأصحاب كل مهنة مكانهم الخاص، يُشرف فيه على سير

بعت الجسد بوضوح (مثلاً سورة القيامة، الآيات ١ - ٥)، وقد نوقش الموضوع، بشكل مفصّل في كتب التفسير وفي مختلف الكتابات الدينية.

بعلبك (الجمهورية اللبنانية)، مدينة في الناحية الشمالية لسهل البقاع. استمرّت آثارها القديمة الضخمة في التأثير على أحداث العصر الوسيط قبل أن تؤدّي إلى تطورها الحديث.

ترتفع بعلبك أكثر من ألف متر عن سطح البحر وتقع بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية، فاصلة بين حوضي نهر العاصي ونهر الليطاني. عُرفت باسم هليوبوليس قبل أن تدخل، سنة ٦٣٧م، في نطاق الإمبراطورية الإسلامية إثر الفتوحات الكبرى. ازدهرت كسائر المدن السورية في عهد الأمويين قبل أن تتضاءل أهميتها في عهد العباسيين. شجعت ضخامة آثارها على الاستفادة منها في الحروب الدفاعية وعلى تحويل منشأتها إلى قلعة حصينة. أضيفت إليها تحصينات جديدة إبان حكم الزنكيين والأيوبيين والمماليك. وقد شُيّد مسجد كبير قرب هذه القلعة. تأثت الطاقة العسكرية الدفاعية لهذه الآثار لبعلبك - التي هي أصلاً قرية بسيطة - أن تضطلع بدور إستراتيجي مهم في تاريخ المنطقة. واستمرّ هذا الدور حتى سيطرة العثمانيين في القرن السادس عشر الذين حجّموا دورها وجعلوا منها مركزاً إدارياً.

بغداد (الجمهورية العراقية)، العاصمة الحالية للبلاد. كانت عاصمة العباسيين بين القرنين الثاني والسابع للهجرة/الثامن والثالث عشر للميلاد. لكنّها، بعد احتلالها وهدمها على أيدي المغول، عادت لتكتفي بدورها مركزاً للمنطقة.

اختار المنصور، ثاني الخلفاء العباسيين، هذا الموقع وسط ما بين النهرين ليعني مقرّاً له ولحاشيته ولموثّقيه. كان همه أن يتبعد عن مدينة الكوفة حيث كان عدد كبير من سكّانها يتناصبه العداة، وأن يؤسّس، بعد نجاح الثورة العباسية، عاصمة تكون رمزاً للسلطة الجديدة وتتمتع بميزات إستراتيجية واقتصادية. أنشئت المدينة بعيداً عن كل موضع مهم باستثناء تلك القرية التي كانت تحمل، من دون شك، اسم بغداد في عصر ما قبل الإسلام [حيث كانت تقام فيها الأسواق]. وُضعت

وقصر الفردوس، ويتوا المسجد الجامع المعروف بمسجد القصر الكبير الذي كان الخليفة يرئسه ليزم فيه الصلاة. شكّلت مجموعة الأبنية الجديدة هذه ما عُرف بدار الخلافة، وبقيت كذلك حتى أواسط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

أما التجمّعات السكّانية الشعبيّة المجاورة فقد بقيت، خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، محافظة على نفوذها الاقتصادي بالرغم من الحفّة التي أصبحت فيها سامراء عاصمة الخلافة. لكنّها، خلال القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد، عانت الفتن والاضطرابات العسكريّة والفيضانات. وقد وجدها القائد البيهقي عضد الدولة سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م في حالة يرثى لها، فعمل على ترميم مبانيها المهتمة وشيّد له فيها قصرًا عُرف بدار الإمارة. وعندما بلغها بعد ذلك السلطان السلجوقي طغرل بك، هزم على أن يبني مدينة جديدة في الأحياء الوسطى بين الرّصافة ودار الخلافة، لكنّ الوقت لم يسمح له بذلك، فاكثفت بإعادة بناء مقر البيهقيين الذي اتخذ، ابتداءً من ذلك الحين، اسم دار المملكة. وعندما جاء السلطان السلجوقي الثالث ملكشاه، اهتم بالمسجد المجاور الذي أصبح مسجد السلطان الكبير وثالث مسجد جامع على الضفة الشرقيّة لدجلة. وفي السنوات الأخيرة من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، أحاط الخليفة المستظهر الأحياء السكنيّة بسور، بينما راحت الرّصافة تفرّغ تدريجيًا من سكّانها، نتيجة للفيضانات المتكرّرة. وأصبحت المساكن على الضفة الغربيّة أكثر تشنّثًا.

فقدت بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد مركزها كعاصمة عباسيّة مترامية الأطراف. لكنّها، وهي تحمل ذكرى مجدّها الغابر، بقيت محافظة على دورها الريادي، نظرًا إلى وجود دار الخلافة فيها وإلى موقعها الفكري، إذ كانت تضم أكثر من ثلاثين مدرسة. راحت هذه المؤسسات التعليميّة تزدهر منذ ظهور المدرسة النظاميّة الأولى سنة ١٠٦٧م، وقد قام ببنائها، في بداية حكم السلاجقة، الوزير نظام الملك وأصحاب المراكز العليا في الدولة، ثمّ الخلفاء أنفسهم. فقد أمر الخليفة المستنصر بتشيد بناء ضخّم

العمل مُراقب تعيّن الدولة رسميًا. لذلك ما لبث أن استقرّ في هذه الأحياء تجّار قدموا من إيران الشرقيّة ومن بلاد ما وراء النهر، ما بدّل على سرعة التبادل التجاري وعلى نمو المصادر الحرفيّة.

في سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٣م، أُنشئت الخليفة كل المحلات التجاريّة التي كانت قد استقرّت داخل المدينة المدوّرة ونقلها إلى حي الكرخ جنوبي المدينة. وفي السنة نفسها بنى له قصرًا عُرف بقصر الخلد، خارج سور المدينة، على ضفاف دجلة. وفي سنة ٧٧٣م أيضًا أنشئ في الناحية الشرقيّة، على الضفة المقابلّة لنهر دجلة، مسكن وليّ العهد المهدي. عرف هذا المقرّ أصلاً بـ«العسكر» وتجمّعت حوله بشكل سريع الأسواق التجاريّة، وأصبح يُعرف في ما بعد بـ«الرّصافة». ولما ثوفا المنصور سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م، كانت بغداد قد أصبحت مدينة مزدوجة، كثيرة الازدهار، منتشرة على ضفتيّ دجلة.

بعد ذلك راحت بغداد تنمو وتزداد جمالًا. وشهد القسم الشرقي منها نشوء قصور فخمة يمتلكها أصحاب الشأن في الدولة، إذ إنّ القسم الغربي منها لم يبق فيه أيّة مساحة فارغة. كان الخليفة يقطن نارة في قصر الخلد وطورًا في قصر الرّصافة، وبالرغم من ذلك فإنّ المسجد الجامع القائم وسط المدينة المدوّرة لم يُهجر، بل على العكس، جرى تكبيره. وقد استمرّ ازدهار بغداد ناميًا حتى نهاية حكم هارون الرشيد. فجاءت الحرب الأهليّة بين إبنه الأمين والمأمون لتوقف هذا الازدهار. خلال حصار سنتي ٨١٢ - ٨١٣م، دُمّرت المدينة المدوّرة بأكملها ولم ينج سوى المسجد الجامع الذي بقي لوقت طويل المسجد الرئيس ومركز التعليم الأوّل في العاصمة.

إنّ المرحلة الزمانيّة التي استقرّ فيها الخلفاء في سامراء بين سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م وسنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م لم تمنع بغداد من استعادة مجدّها وأُنهتها. فقد اتخذ الخلفاء الذين اختاروا العودة إلى بغداد المقرّ الرمزي للأسرة العبّاسيّة من قصر المأمون المعروف بقصر حسني، القائم في القسم الجنوبي من الرّصافة، مقرًا لهم؛ وقاموا بتوسيعه وتجميله.

ثمّ شيّدوا بالقرب منه قصر النّاج وقصر الثريا

فكان ذلك بداية ازدهار لم تعرقه لا الاضطرابات السياسية ولا آثار الحروب الأخيرة. وقد واكب هذا الازدهار العمراني ازدهار ديموغرافي وتجاري أسهما في إزالة الآثار النادرة المتبقية التي تشهد لماضي مجيد.

البغدادى (الخطيب) - الخطيب.

بك أو بكي، (المؤنث انجاري الاستعمال هو ييغم، ييكم)، لفظ فخري تركي يعني «السيد»، كان يُطلق بشكل مُبهم على النبلاء، كما كان يُدخل في تركيب أسماء العلم، كذلك استُخدم في ظروف أخرى على أنه لقب مختص بوظائف محددة.

بعد أن دخل الضباط الأتراك وأعضاء الأسر الحاكمة المجتمع الإسلامي في القرون الوسطى، أصبحت لفظة بك تستعمل، بشكل عام، مرادفاً للفظ «أمير» العربية، ولفظة بكيريكي أو بيكليويكي مرادفة لأمير الأمراء في العربية. وما لبثت معانٍ أخرى أن برزت، تختلف باختلاف الزمان والمكان، ولا سيما بعد سيطرة السلاجقة انكبار الدين تسقى الأولون منهم باسم چغري بك وطفرد بك، وبعد أن اتسعت سلطتهم لتشمل القسم الأكبر من الشرق الإسلامي. ولاحق الانقلاب التي أخذت تُرَدَّف بلفظ بك، مثل أنابك، إستحساناً كبيراً، علماً بأن لفظ بك نفسه كان يُطلق على «الأمراء» الأتراك من مختلف الأسر الحاكمة في إيران والأناضول. وهكذا كان يُطلق بشكل خاص، خلال القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، على رؤساء الدويلات المستقلة، بعد تتكك سلطة سلاجقة الروم، فحملت هذه الدول اسم بيك أو «إمارة».

ثم استُعمل في ما بعد لفظ بيك أو سنجق-بيك، للدلالة على أهم «الوحدات الإدارية والمسكرية» في الامبراطورية العثمانية. في العصر نفسه أصبحت الألقاب المردفة بلفظ بك تتبع هزمية محددة، لكن سُمِّم هذه الهرمية أخذ يفقد شيئاً فشيئاً من قيمته - فانخفض لقب بيلريك مثلاً من «قائد الجيوش» إلى «حاكم مقاطعة» بسيط - كما عدا يُطلق أحياناً على بعض الرُتب، بدون أن يكون لحاملها أية مسؤولية خاصة.

أما اللقب المؤنث ييغم/بيكم الذي كان مقصوراً في عهد الإيلخانيين وعند المغول على الملكات أو

مختصين لتعليم الفقه وفق مذاهبه الأربعة المعترف بها رسمياً في الدولة. ما يزال هذا البناء المعروف بالسننصرية قائماً حتى الآن وهو يشكل، مع بقايا مدرسة أخرى كانت قائمة في وسط القلعة، نموذجاً للفن الهندسي المعتمد آنذاك. فقد كانت الهندسة العراقية تتخذ من الأجر والفخار مادة لبناء وللزخرفة. لكن عاصمة آخر الخلفاء العباسيين - الذين بقوا محترمين كخلفاء بالرغم من ضيق الرقعة التي كانوا يستقلون بحكمها - سقطت في أيدي المغول الذين دخلوها سنة ١٢٥٦هـ/١٢٥٨م وعيخوا بها سلباً وتخريباً. فقتلوا عدداً كبيراً من سكانها ولم يتجّ أعضاء العائلة العباسية من هذا المصير أيضاً. بعد ذلك لم تتمكن بغداد من أن تنافي من الكارثة التي حلت بها، خصوصاً أنها فقدت دورها كمركز للخلافة، إذ أصبح الخليفة السني لاجئاً في مصر. تقلّست المساحة المأهولة فيها لتختصر في أحياء الضفة الشرقية المحمية بالسور الذي بُني في القرن الخامس الهجري/العادي عشر الميلادي. ولم يبق الأمر عند هذا الحد، إذ تعرّضت لموجة جديدة من التهديم سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م، إثر اجتياحها من قبل تيمورلنك. إن المدينة التي كانت محور العالم الإسلامي أصبحت، منذ ذلك الحين، محط صراع بين التيموريين، أخلاف تيمورلنك، وسلالة آق قويونلو التركمان، ثم أصبحت بعد ذلك مركز نزاع بين الصفويين والعثمانيين. وقد دخلها سليمان القانوني سنة ١٥٣٤، ثم استولى عليها الفرس سنة ١٦٢٣، لكنهم اضطروا للتراجع عنها أمام السلطان العثماني مراد الرابع.

وقد أدّى الأمر ببغداد، نتيجة للهجمات المتتالية التي تعرّضت لها وللتدمير المتزايد الذي لحق بها في القرن التاسع عشر، إلى تحويلها مدينة متوسطة الأهمية، لا تجمع سوى بعض الأنشطة الحرفية والتجارية، بالرغم من بقائها مركزاً رئيساً لمقاطعة العراق. لكنها شهدت، في مطلع القرن العشرين، توسّناً مفاجئاً في ظل الانتداب الإنكليزي لمملكة العراق. وازدادت تمعدداً، خصوصاً بعد سنة ١٩٣٠ عندما تمّ بناء أحياء متعددة، سواء في شمال المدينة القديمة أو في جنوبها.

محمود الثاني على الإنكشارية سنة ١٨٢٦. عند ذلك تعرّض البكتاشيون والجماعات المتحدّرة منهم للاضطهاد ودُكَّت كل خوانقهم. وقد تمكّنت البكتاشية، بفضل تأصل جذورها، من الاستمرار بعد ذلك في الأناضول وفي البلقان وفي بعض البلدان العربية. وتوصّلت إلى البروز في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في حلة أدبية جديدة، إلى أن حلّت رسمياً سنة ١٩٢٥، بعد تطبيق أحكام القوانين العلمانية في جمهورية تركيا الجديدة.

البكتاشية ← بكتاشي.

البكري ← أبو عبيد البكري.

يُكس (الجمهورية الهنغارية)، مدينة ما تزال تحتفظ ببعض الآثار المعمارية العائدة إلى المرحلة التي خضعت فيها للحكم الإسلامي، بعد أن ضُمَّت إلى الأمبراطورية العثمانية زهاء قرن ونصف القرن.

إن فترة الاحتلال التركي لهنغاريا من قبل سليمان القانوني، بعد انتصاره العسكري في موهاكس سنة ١٥٢٦، واستيلائه سنة ١٥٤١ على قلعة بودا التي أصبحت لاحقاً بودابست في شمال البلاد، وقرت الأردهار لمدينة يَكس إلى أن استعادها الهابسبورغ في العام ١٦٨٦. هذا المركز القديم لمنطقة ما وراء الدانوب الذي كان موضوع اهتمام من قبل الحكام المجرّيين بعد احتلالهم موقع سوبينا، العاصمة الرومانية لسقاطمة بانونيا، استمرّ في الاضطلاع بدور إداري مهمّ لموقعه المحصّن، فضّته السلطات العثمانية إلى منظومة مراقبة هذه المنطقة الحدودية الجديدة. ثمّ عرف هذا المركز إزدهاراً اقتصادياً بفضل أنشطته التجارية وموقعه على طريق القوافل التي تصل أوروبا الوسطى باسطنبول مروراً بالبلقان. وعلى الرغم من الخراب الذي تسبّب به في ما بعد الحملات العسكرية، ما تزال المدينة الحاتية، الواقعة على مقربة من الحدود الجنوبية لجمهورية هنغاريا، تحتفظ بآثار عثمانية الطابع متنوّعة، منها المساجد والأضرحة.

يَلَات، ميناء قروسطي في منطقة الأناضول المتّصلة ببحر إيجه، بني على موقع ميله (Milet) القديمة ولم

الأميرات، فأصبح شائعاً في ما بعد، إلى درجة أنّه يدرّ اليوم في الباكستان على كل امرأة متزوجة من الطبقة الوسطى.

البكتاشيّة، طريقة صوفيّة إسلامية، منافسة للمولوية، كان لها زواج كبير في أمبراطورية العثمانيين، عُرفت بهذا الاسم نسبةً إلى صوفيّ تركي، شبه أسطوري، اسمه حاجي بكتاش.

كان حاجي بكتاش خراساني الأصل، قدّم إلى الأناضول في نهاية القرن الثالث عشر للميلاد، وكان على الأرجح من أتباع بابا إسحق رئيس حركة البابائية الدينية السياسية. ترك بعض الكتابات العقائدية لكنه بالرغم من ذلك لم ينهض أبداً بالدور الكبير الذي نسبته إليه بعض الترجمات. أعاد البكتاشيون - الذين استمروا ناشطين من دون شك في القرن الرابع عشر - تنظيمهم في بداية القرن السادس عشر على يديّ كبير من مرشديهم وعرفوا، نتيجة لذلك، إنتشاراً واسعاً عزّزته علاقتهم بالإنكشارية. فكانوا ينتقون أعضاء تجمّعهم من بين كبار المسؤولين في العاصمة وفي المقاطعات التي يرأسها حكام من أصل عسكري.

كانت جماعة البكتاشية تملن انتماءها إلى الشّيعة، لكنّها كانت تضمّ بين أعضائها أفراداً يمكن نسبهم إلى الشيعة نظراً إلى معتقداتهم وإلى ما يكتّون لعلّيّ ولسلالته من عميق الإجلال. ولقد كان لهذه الجماعة علاقة، في الأصل، بجماعات الدراويش التركمان، كجماعة قزل باش التي أدّت من جهتها إلى نشوء دولة الصفويّين. وقد تمكّنت البكتاشية من تجاوز وضعها الدقيق هذا في دولة تتخذ من السّنة الحنفيّة مذهبها الرسمي، بفضل سرّية عقيدتها والنشّط في ممارسة شعائرها. وكان في جملة معتقداتها عناصر غريبة عن الإسلام، تنسوها نحت ستار التقاليد المحلية أو العبادات الشعبية. وكانت مراكز التكايا الدينية تقام غالباً قرب مزارات تكريم الأولياء.

نعود أهمية هذه الطريقة بشكل خاص إلى قدرتها السياسية التي مكّنتها من صدّ الهجمات التي تعرّضت لها من حين إلى آخر، بسبب معتقداتها التوفيقية. لكنّ هذه السلطة داعت بشكل يبيّن بعد أن قضى السلطان

والعراق بعد فتحهما، منطقة الجزيرة واحتلتها حتى جبال أرمينيا، وألحقت بها قلعة أرزن الروم، وهي ارضروم الحالية.

لم ينته الاحتلال بتراجع الحدود البيزنطية وحسب، بل باستقرار منظم في المنطقة لعدد من القبائل العربية، كانت قد بدأت قديماً بالنسّل إليها. أدى ذلك، خلال خلافة عثمان بن عفان وحكم معاوية لولاية سوريا، إلى تكوين ثلاث مقاطعات تحمل أسماء القبائل الأكثر سيطرة والأقوى: ديار بكر، ديار مصر وديار ربيعة. المقاطعة الأولى تقع الى الشمال وهي الأصغر، وهي تُنسب إلى بكر بن وائل، إحدى مجموعات القبائل البدوية التي قدمت من جزيرة العرب والتي انتشرت شمالاً عبر بلاد ما بين النهرين. تمتد هذه المنطقة على حوض دجلة الأعلى، وهي تضم نواحي أمثال ميفارقين، حصن كيفا وديار بكر عاصمتها. أما المنطقة الثانية المنسوبة إلى عرب آخرين قادمين من الشمال ومتحدرين من مُضر، فكانت تمتد غرباً على ضفتي الفرات وبلخ وأسفل الخابور، يحدها سُميساط شمالاً وعانة جنوباً وعاصمتها الرقة، كما كانت تضم عدداً من المواقع المهمة القديمة، شأن خِزان والرُها، دون أن تُغفل منبج ولا المواقع التي أضحت اليوم خراباً كبالس وقرقيسيا والرحبة.

والمقاطعة الثالثة والأوسع هي ديار ربيعة التي كانت تضم التضاريس التي تفصل أحواض دجلة والفرات، بين مناطق رأس العين وماردين ونصيبين وسنجار، وتضم أيضاً وادي دجلة نفسه حول جزيرة ابن عمر المعروفة اليوم باسم سيزره، وبخاصة حول الموصل عاصمتها، والتي أصبحت عاصمة بلاد ما بين النهرين العليا بكاملها. وبسبب الطبيعة الخاصة بهؤلاء السكان من أهل القبائل والعشائر، نشبت صراعات متواصلة عانت خراباً في الاقليم، وبخاصة في زمن الحكم الأموي. فلم تكف هذه الصراعات عن تدمير حضارة مدنية محلية عانت ما عانت في الماضي من آثار الحروب بين الأمباطوريين الفارسية والبيزنطية. ثم تشهد عصور الاسلام الأولى في الجزيرة مواصلة الصراعات بين قبيلتي قيس وكنب المنقسمين إلى عشائر تتبع كل منها نهجا في سبيل

يبي منه سوى بعض الأناقض البعيدة عن البحر. إن الأهمية التجارية والإستراتيجية لهذا الموقع الذي أقيم على مضب المياندز، والذي دخله الإسلام مع الأتراك في بداية القرن الثالث عشر للميلاد، لم تنشب إلا بعد أن ضمّ في ما بعد إلى إمارة المنتشا أغلخري، حين جعل منه أمراًها مُطلقاً لحملاتهم البحرية. وقد حصل البندقيون في هذا المرفأ على تسهيلات تجارية تُثبها لهم العثمانيون في القرن الخامس عشر. لكنّ التفقر الاقتصادي لهذا الموقع جاء نتيجة توغل المرفأ التدريجي. وما يميّز موقع بلاد اليوم هي تلك الأناقض الأثرية ومنها المسجد الأثني ذو القبة الوحيدة الذي بناه سنة ١٤٠٤م إلياس بك من أسرة المنتشا.

بلاد ما بين النهرين العليا، عُرفت منذ العصور الوسطى بالجزيرة. أرض واسعة تقع بين مجري دجلة والفرات العاليتين، على الحدود الجنوبية الشرقية للأناضول، وهي مقسمة اليوم بين الجمهورية العربية السورية والجمهوريتين العراقية والتركية. إن هذه الهضبة الشهية الغنية بالمراعي الموسمية، القابلة للاستغلال زراعياً بواسطة الري، وبخاصة في أجزائها الخصبة، تحتوي مناطق مرتفعة في جزلها الشمالي، حيث تنحدر أودية كوادني البليخ والخابور، وهما وادنان للفرات، أو كوادني الرّباب الصغير والرّباب الكبير، ورايدي دجلة.

تحتكم هذه الهضبة بطرق القوافل، الممتدة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، التي كانت تجتاز الهلال الخصيب لتصل إيران والخليج العربي - الفارسي بساحل المتوسط والأناضول، وتشكّل تقاطعا للمواصلات البرية والنهرية، التجارية والإستراتيجية، التي وفّرت لها بين الحين والآخر الازدهار التجاري، ولكنها كانت، في الوقت نفسه، ممراً للغزوات. لقد شجعت هذه الطرق تدفق الغزاة المتواصل، من البدو غالباً، وكتبت للجزيرة في تاريخها الاسلامي قلراً مضطرباً حصلت فيه معارك شهيرة وغارات قام بها جييران هذه المنطقة الأقوياء.

منذ سنة ١٢٠٠هـ/١٨١٦م، دخلت الجيوش العربية - الإسلامية إبان الفتوحات الكبرى، قادمة من سوريا

السوريين - المصريين فسوّا ديار مضر إلى ممتلكاتهم. بينما أقام التركمان، الذين انضموا إلى صفوف الآق قويونلو، لفترة طويلة في ديار بكر.

إن التغيير التدريجي الذي طرأ على السكان كان من شأنه أن يقضي على تقسيم أراضي ما بين النهرين العليا التي قسمها العثمانيون إلى ممتلكاتهم منذ ١٥١٧، على الرغم من الخصومات التي كانت قائمة بينهم وبين الصفويين والتي دامت حتى عام ١٦٣٧. أنشئت آنذاك مقاطعة كبيرة تحت اسم ديار بكر ضمت الجزيرة القديمة بكاملها، ومركزها الإداري والعسكري آمد حيث منها كانت تنطلق الحملات العسكرية ضد فارس، وبدأت آمد تُعرف بديار بكر أو ديار بكر، وكانت مدينة الموصل خاضعة لها.

غير أن همّ التوحيد هذا، الذي تبعه تحسّن ملموس وجذّي من الناحية الاقتصادية، لم يحل، خلال القرن التاسع عشر، دون تكرار النزاعات والاصطدامات المحلية التي اخفت نهائياً على أثر رسم الحدود الجديدة. إن هذه الحدود التي قامت إثر الحرب العالمية الأولى، في ضوء نتائج معاهدة لوزان في العام ١٩٢٣، قسّمت أراضي دجلة العليا والفرات الأعلى إلى ثلاث مناطق منفصلة: منطقة تركية تضمّ الأقسام الشمالية من ديار مضر وديار بكر وديار ربيعة القديمة، بما فيها نواح مثل أورفا (الرها) وحزان وديار بكر وسيلفان وماردين وسيزه؛ ثمّ منطقة الجزيرة السورية التي تضمّ السهول المجاورة لخليج والخابور وحوض الفرات الأوسط حول الرقة ومدينة دير الزور الحديثة؛ وأخيراً منطقة عراقية حول الموصل تضمّ أعالي سنجار والامداد الجنوبي للسهوب السورية.

◀ راجع المستندات ٨، ٩، ١٢، ١٣، ٢١، ٢٤ و ٢٦.

بلاد ما وراء النهر، منطقة في آسيا الوسطى تقع ما وراء نهر جيحون/أوردو، وتضمّ حوضي نهري جيحون وسبحون/سرذويا.

إن قسماً من بلاد ما وراء النهر صحراوي؛ ومع ذلك كانت أوديتها مزروعة خلال العصور الوسطى، إذ كانت تعبها الجداول المنحدرة من بامير، ويجري فيها النهران الكبيران اللذان يصبان في بحر آرال. كانت

تحقيق طموحاتها السياسية وحسب، لكنها شهدت أيضاً صراعات دينية، منذ معركة صفين حتى معركة الزاب الكبير. يضاف إلى كل ذلك إخماد حركات التمرد على يد السلطة المركزية السنية في سوريا. كانت السلطة تحاول ضرب حركات التمرد المحلية التي يحرض عليها الشيعة المناقلون الداعون إلى خلافة العلويين، أو الخوارج الذين بقوا في الموصل وضواحيها.

إن هذه العقبان الداخلية التي تعود، من جهة، إلى التنوع الكبير على الصعيد السكاني، ومن جهة ثانية إلى أنشطة التيارات الدينية المتباينة في قطاع جغرافي ممتد - كان يُشكّل، في الوقت نفسه، منطقة حدودية خاضعة للهجمات البيزنطية لأنه كان يضمّ معظم الثغور - غلّت قائمة إبان الخلافة العباسية. تسبّب هذا الوضع وأسهم بخلق حركات عصيان دائمة، منذ القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، بتسيخ سلطات محلية، غالباً ما كانت من أصل غريب وذات توجه إنفصالي. هكذا كانت سلطة حمداني الموصل، ومرواني آمد (ديار بكر) الأكراد وعقيلي نصيبين والموصل، بدون أن يفتونا ذكر لمبري ديار مضر على سبيل المثال لا الحصر.

إلا أن تطوّراً استجّد في المنطقة إثر اصطدامها بالغزوات البدوية القادمة هذه المرة من آسيا الوسطى، وذلك منذ أواخر القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد. إن قدوم الأتراك وإقامة إمبراطورية سلاجقة إيران الواسعة الأطراف، غيّرا في التوزيع السياسي لأراضي بلاد ما بين النهرين العليا، وكذلك في ما يتعلق بالأناضول التي أصبحت المنطقة المنفصلة لتوسّع سلطة السلالات التركية وهي في عزّ بقضها. نصّدت أنابكة الموصل (أو الزنكيون) الأقوياء لفروع الأرتقيين المختلفة التي تقاسمت ديار مضر وديار ربيعة وديار بكر، والتي لم تكفّ عن الفضال لتبني أخيراً في ماردين حتى القرن الخامس عشر للميلاد. وقد بروزت أيضاً طموحات الأيوبيين في سوريا، وكذلك طموحات سلاجقة الروم والخوارزمشاهيين. وبسط المغول بدورهم، في أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، نفوذهم على منطقة الموصل التي خضعت طويلاً لسلطة الإيلخانيين، في حين أنّ العماليك

القزاقايتون الغربيون الذين احتلوا الوسط، والغزنويون الذين استولوا على الجنوب والغرب. واعتبرا من منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، خضعت السلطانان للسلطين السلاجقة الكبار الذين ثبتوا سلطانهم في إيران والعراق وأغالي بلاد ما بين النهرين وفي بلاد الشام، كما أنهم فرضوا سلالة جديدة حاكمة هي الخوارزمية. وبعد فترة وجيزة، سمح سقوط آخر السلطين السلاجقة الكبار للقبائل الرحل القزاقية غير المسلمة باحتلال البلاد في أواخر القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، قبل أن تندفع عليها الغزوات المغولية التي ألحقت تدميرا مريفا بمدن بلاد ما وراء النهر. لكنها نهضت ثانية خلال القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، ليعود فياحتلها تيمورلنك من جديد عام ٨٧٧هـ/١٣٧٠م. لكن أميراطوريته تجزأت بسرعة بعد موته عام ٨٩٧هـ/١٤٠٥م. غير أن سمرقند عرفت إزدهارا جديدا في ظل التيموريين، ولا سيما في عهدي شاهرخ وألونغ بك. وشهد القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد سيطرة سلالة الأوزبكيين الشيبانيين الصغيرة، التي، بعد أن أحكمت سيطرتها على كامل بلاد ما وراء النهر، تمكنت من الاحتفاظ بخيوة، بعد أن تخلت عن باقي البلاد لخانات محليين. ممن سيطروا بصورة خاصة على بخارى وكوكند. وأخيرا، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، احتل الروس المنطقة بدغا بطشقند، الشاش القديمة، عام ١٨٦٥. وتلقوا حول هذا المدينة منطقة التركستان الروسي. وتقدموا في ما بعد إلى بخارى وخيوة وكوكند، حتى إنهم سيطروا، في عام ١٨٨١، على بلاد ما وراء النهر قاطبة. وقد ألحقت هذه المناطق ما بين ١٩٢٣ و ١٩٢٤ بالاتحاد السوفياتي ونشأت منها، إلى الجنوب من كازاخستان، جمهوريات مستقلة هي: أوزبكستان، قرغيزستان، وطاجيكستان التي تجاور، إلى الجهة الثانية لنهر آمودريا، جمهورية تركمانستان.

◀ راجع السندات ١٣، ١٧، ٣٥.

البَلَدْرِي، أحمد بن يحيى، ت ٨٢٧٩/٨٩٢م، مؤرخ عربي من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، كان في العصر الذهبي لحكم العباسيين

تحوي عددا وافرا من الواحات. يشغل بعضها مركزا مميذا على طريق القوافل التجارية التي تصل خراسان بالشرق الأقصى، وهي معروفة بطريق الحرير الشهيرة. ولكنها كانت تقع، في الوقت نفسه، على الممر الذي تسلكه الغزوات البدوية القادمة من السهوب الآسيوية الداخلية. وكانت تضم أقاليم عدة خلال العصور الإسلامية، من بينها: بلاد الصغد مع مدنتي بخارى وسمرقند المهمتين، وخوارزم وهي بلاد خيوة الحالية التي تضم دلتا نهر جيحون وحوضه الأعلى وتحديدا مقاطعتي يندخشان ووخان، كما تميز فيها أيضا، في حوض نهر سيجون، منطقتي فرغانة والشاش/طشقند. في العهد الأموي، وإبان الفترحات الكبرى، بدأت الجيوش العربية - الإسلامية غاراتها على بلاد ما وراء النهر. وكانت ترمز أولى مدن بلاد ما وراء النهر التي سقطت بأيديهم عام ٦٩٩هـ/٨٨٩م. وتتابعت حركة الفتوح بنجاح. ففي أواخر القرن الأول للهجرة/مطلع الثامن للميلاد، ضمت مناطق واسعة منها إلى الدولة العربية وأخضعت لسلطة والي خراسان. ففي عام ٨٥٥/٧٠٥م، عندما عين الخليفة الأموي الوليد الأول قتيبة بن مسلم واليا على خراسان، تابع والي الجديد التقدم باتجاه فرغانة، وراح يشيد المساجد في المدن الرئيسة التي حلت فيها جماعات عربية. وقد دافع هؤلاء العرب عن أنفسهم بنجاح على أثر اغتيال قتيبة عام ٩٦٦هـ/٧١٥م والجملاء عن فرغانة بعد أن كانوا قد اجتاحتها. إلا أنهم واجهوا ثورات محلية عديدة تابعت حتى بعد وصول العباسيين إلى الحكم، إلى أن تمكنت الجيوش الإسلامية من الانتصار في معركة تالس عام ١٣٣هـ/٧٥١م، وأبعدت نهائيا فرغانة عن مطامع الصينيين والأتراك.

وظهرت في ما بعد السلطة السامانية في بلاد ما وراء النهر، وكان السامانيون في البدء حكام سمرقند وفرغانة والشاش وهراة. وفي عام ٢٦٢هـ/٨٧٥م، عين الخليفة العباسي المعتمد أحد السامانيين واليا على كل تلك المنطقة، فأنشأ الطريق أمام قيام دولة شبه مستقلة تميز بالفتى والقوة. وبعد سقوط السامانيين سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م، اقتسمت دولتهم سلطتان تركيتان هما:

الخدام الشخصي للرسول وخازن الأموال.

بعد وفاة النبي (ﷺ)، صار بلال مؤذن أبي بكر أول الخلفاء الراشدين، لكنه تخلى عن ممارسة هذا العمل على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وانضم بجيش الفتوح الإسلامية في بلاد الشام حيث أمضى بقية حياته. مات بلا شك في دمشق، حيث غدا قبره مزاراً إبان انتشار حركة تكريم الأولياء، وقد ذكره النهروني في «دليله».

بَلْعَارْث، أو بنو الحارث بن كعب، قبيلة من عرب الجنوب كانت تسكن في عصر محمد (الرسول) (ﷺ) منطقة نجران وكانت تجاور بني همدان الذين كانوا يقطنون منطقة اليمن.

يروى أنَّ وفداً من هذه القبيلة التي كان نصفها من المسيحيين والنصف الآخر من المشرّكين توجّه سنة ٨ للهجرة، أي سنة ٦٣٠م، إلى نبي الإسلام وكان عليه أن يخضع، قرب المدينة المنورة، لمباحلة لكنه تخلى عن ذلك. وقد حصل بعد ذلك أن اعتنق قسم منهم الإسلام، ووقع المسلمون معاهدة مع المسيحيين. وقد أكد هذا الوضع الخاص في خلافة أبي بكر عندما تمكّن من إعادة فرض سلطة الإسلام في شبه الجزيرة العربية إثر الرّدة التي تلت موت النبي محمد (ﷺ).

بَلْعُ، (جمهورية أفغانستان الإسلامية). مدينة قروصية مشهورة في إيران الشرقية. كانت في السابق على تخوم الامبراطورية الإسلامية وأصبحت قرية صغيرة في شمال غرب أفغانستان. وقد تزامن انحطاطها مع ازدهار مدينة مزار شريف الجديدة في القرن التاسع عشر.

عرفت مدينة بلخ كعاصمة للسّهل الزراعي الثّغني، الممتدّ على جنوب نهر آمودريا أو جيحون، إزدهاراً عرفته من قبلها بأكثرها القديمة. لكنّ هذا الدور بدأ يتضاءل تدريجيّاً منذ القرن السابع الميلادي، عندما حاولت الجيوش العربية - الإسلامية فرض سيطرتها على تلك الحاضرة إبان الفتوحات الإسلامية. وما نرحت المدينة، منذ ذلك الحين، مركزاً لمقاومة ناشطة. فقد حاول أمراء محلّيون في فترات متعدّدة إحياء مجد هذه المدينة الغابرة، وحافظ المعبد البوذي تُوْبهَار - الذي

أهم مؤرّخ دون أخيار توسّع الإسلام وفتوحاته الأولى التي شكّلت انطلاقته.

يعود البلاذري في جذوره البعيدة إلى أصل إيراني لكنه عاش في بغداد ونادم الخليفة المتوكل. بقي يتردّد على بلاط الخلافة بعد مقتل المتوكل، بالرغم من أنّه لم يحظ مع الخلفاء اللاحقين بالثقة نفسها التي كان يحظى بها لدى هذا الأخير.

جمع عدداً من المواد التاريخية إن في بغداد أو إبان تجواله في سوريا، وغالجهما بكثير من التجرد والأمانة العلمية اعترف له بهما منذ ذلك العصر. له مؤتلفان مهمّان ما يزالان محفوظين حتى اليوم، الأول: «فتوح البلدان»، يروي فيه باختصار ظروف احتلال الجيوش العربية - الإسلامية مختلف المناطق. ويضمّن رواياته تلك آراء مختلفة حول المسائل الاجتماعية والمالية؛ والثاني: «أنساب الأشراف»، وهو مؤتلف ضخّم لم يفرغ من تأليفه كما أنّه لم يُنشر برُمته^(٢٤). صنّف المؤلّف فيه مجموعة السّير التي تتناول العصور الأولى للإسلام بحسب سلسلة الأنساب لكل أسرة، فابتدأ بأسرة عليّ وتابع بالعباسيّين، وانتقل بعد ذلك إلى الأمويّين، فأفرد لهم قسمًا كبيراً من مؤلّفه. وهو في منهجه التأليفي هذا متأثر بطريقة اتّبعها مؤلّفون سابقون، منهم ابن سعد الذي اعتمد «الأجيال» أو «الطبقات» تصنيفاً لسرد أخباره. إنّ الروحية التي ساق بها أبحاثه تبدو مع كل ذلك جديدة، إذ إنّّه كان يهدف إلى دعم السياسة العربية والسّنية التي اعتمدها المتوكل. فقد دفعه هذا الهدف إلى التذكير بفضائل الأمويّين، تلك الفضائل التي حاول طمسها مؤرّخو الحقبة الأولى من العصر العبّاسي. وما تزال مؤلّفاته مصدراً كبير الأهمية لكلّ مؤرّخ حديث يهتمّ بتطوّر المجتمع الإسلامي خلال القرن الأول للهجرة، وهي فترة ما تزال غامضة حتى الآن.

بلال بن رباح، (٤ - ٦٤١م)، من صحابة الرسول ومن خاصّته المقرّبين إليه. جُلِبَ عبداً من الحبشة واعتنق الإسلام في مرحلة مبكّرة. اشتراه أبو بكر واعتقه، فدخل في خدمة الرسول. كان في عداد المهاجرين، وأصبح المؤدّن الرسمي عندما اعتُمد الأذان (الدعوة إلى الصلاة) في المدينة المنوّرة، واستمرّ في اتّوفا نفسه

٨، ١٠، ١٢، ١٧، ٢٣. راجع المستندات

الْبَلَدِيَّة، نمط من التنظيم الإداري المدني، لم يعرفه الإسلام في القرون الوسطى، لكنه اعتمد في معظم الدول الإسلامية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. ظهرت أولى الدوائر والتنظيمات البلدية في الأمبراطورية العثمانية وقد أُطلق عليها، في القرن العشرين، اسم «بلدية»، وهو تعبير مستحدث منسوب إلى كلمة «بلد». في العام ١٨٥٧ جرى، مثلاً، في حبيّ غالانا في اسطنبول تشكيل مجلس بلدي عُيِّن أعضاؤه من قبل الحكومة، وأعطى صلاحيات في ما يتعلق بمصلحة الطرق وتنظيم الأسواق ومراقبة الأماكن العامة. وفي العام ١٨٦٨ تمّ توسيع هذا التنظيم لكي يشمل المدينة كلّها، بينما شكّلت، في العام ١٩١١، مجالس بلدية منتخبة لمعاونة المحافظين. وفي العام ١٩٣٠ تمّ في تركيا إنشاء بلديات منظمة على النمط الأوروبي.

اعتمد التنظيم المعتمد في قلب الأمبراطورية إلى المدن الرئيسية في الشرق الأدنى العربي الخاضع لسيطرة العثمانيين. لكنّ جودة الخدمات البلدية كانت مرتبطة بإرادة الحكّام. ولم يتمّ تنظيم البلديات على النمط الأوروبي، في مختلف الدول، إلّا بعد الحرب العالمية الأولى. وشكّلت مصر حالة استثنائية، إذ إنّ مدينة الإسكندرية التي كانت تضمّ عدداً من المقاطعات الأوروبية، كانت قد زُوِّدت، منذ العام ١٨٣٥، بتنظيم بلدي، ومن ثمّ، في العام ١٨٦٩، بمجلس منتخب برئاسة رئيس معين. أمّا القاهرة فلم تحصل على مجلس بلدي حقيقي إلّا في العام ١٩٤٩. وفي المغرب العربي زُوِّدت مدينة تونس، في العام ١٨٥٨، بمجلس بلدي وفقاً للنموذج العثماني، وعُدِّل هذا النظام عدّة مرات في ظلّ الحماية وبعد الاستقلال. وفي دولة المغرب تمّ إنشاء هيئات بلدية في فاس، ومن ثمّ في المدن الأخرى في العام ١٩١٢. أمّا إيران فقد شهدت، بدءاً من العام ١٩٣٠ في عهد رضا شاه، مجالس بلدية منتخبة يرتبط رئيسها مباشرة بوزارة الداخلية.

البلغار، قوم انشروا، منذ ما يقارب القرنين قبل الإسلام، في سهوب جنوبي روسيا لمُدّة طويلة نسبياً.

كان يتخذ الكاهن الأكبر فيه اسم يرمكو، ومنه جاء اسم أسرة البرامكة - على شهرته في بداية الإسلام. وكانت المدينة التي وصفها أحد الجغرافيين العرب، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بأنها «أمّ المدن» لا تزال تُعتبر إحدى المدن الأربع الكبرى في مقاطعة خراسان الحديثة.

توالّت عليها الثورات، كما توالى التمتع والتهديم، منذ الاضطرابات الأولى التي بدأت في ظل حكم الأمويين، لوقوعها في منطقة زراعية زادت الحركة التجارية غنى، إضافة إلى افتتاحها التجاري على آسيا الوسطى وتعرّضها تالياً للاجتياحات القادمة من الشمال، عبر طرق ما وراء النهر القديمة. تعرّضت المدينة لهجمات متلاحقة أدّت إلى تدميرها، بالرغم من بعض المحاولات التي قام بها حكامها لإعادة بنائها من وقت إلى آخر. ففي هذا الموقع الذي تنازعت، حتى القرن الرابع عشر، أسر حاكمة مختلفة كالصفاريين والسمانيّين والغزنويّين والسلاجقة والقرمانيين والخورزمشاهيين، لم يبق من تلك الحقبة سوى آثار مصلّى اكتُشف حديثاً، تزخرف زخرفة داخلية رائعة من المرمر المنحوت، وهو معروف اليوم بمسجد حاجي بياده.

بعد تلك الحقبة، بذل التيموريون جهوداً ملموسة لترميم المدينة، فتركوا آثاراً هندسية تشهد على ذلك، كضريح الخواجه ابو نصر پارسا. لكنّ هذه الجهود أُلغيت بصدام مسلّح بين الأوزبك الشييعيين من جهة والصفويين من جهة ثانية إلى أن دخلت بلخ، سنة ١٧٥٢، أمبراطورية آل قُرّاني الأفغان، وضُمت نهائياً إلى أفغانستان ابتداءً من سنة ١٨٤١. في تلك الحقبة انتقلت الحياة النشطة في مدينة بلخ القديمة إلى مدينة جديدة تقع على بعد عشرين كيلومتراً منها، تعرف باسمها العربي - الفارسي مزار شريف أو «القبور الشريف» حيث يقوم مسجد شيعي على اسم الإمام عليّ منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، كما يذكر ذلك دليل الهزوي. وأصبح هذا العزّار مفضلاً لزيارات متكاثرة ولاحتفالات شعبية أخرى تجذب السكّان. ففي هذا المركز التجاري النشط استمرّت المدينة الجديدة بالنمو، إلى أن خلّت محلّ بلخ عاصمة للمقاطعة.

الاستقلال الذي تبع تلك المرحلة وتعيّز في آنٍ بالاتّفاق والتنازع مع الروس، حافظ على ازدهار الوضع الاقتصادي في دولة البلقان، إلى أن غزاها المغول فجأةً ودمروا عاصمتها، وألحقوا أراضيها بدولة جنكيز خان حيث سُنَّشَا أمبراطورية القبيلة الذهبية، فارتبط مصير البلقان، منذ ذلك التاريخ، بمصير تلك الأمبراطورية.

« رابع المستندات ٢٠، ٢١، ٢٢ ».

بلغراد (صربيا)، مدينة حديثة في البلقان وعاصمة مقاطعة قديمة أصبحت جمهورية صربيا الشعبية، عاشت، لأكثر من ثلاثة قرون من تاريخها، تحت حكم الإسلام، في ظل الأمبراطورية العثمانية. ولم تخلُ هذه الفترة من صدامات متعددة.

خضع مصير هذه المدينة للدور الإستراتيجي الممتاز الذي اضطلعت به قلعتها القائمة على ملتقى نهري الساف والدانوب، على طريق القوافل التي تُصل أوروبا الوسطى بالشرق الأدنى والتي شكّلت، في الوقت نفسه، طريق الغزوات. إنَّ المعارك التي كانت تدور في الماضي بين البيزنطيين والصرب والبلغار والهنگاريين للاستيلاء على هذا الموقع القريب من قلعة سنجيدونوم الرومانية البائدة، تجددت بشكل عنيف في القرن الرابع عشر، عندما أراد العثمانيون توسيع رقعة احتلالهم نحو الشمال، بعد أن انتصروا على الصرب في كوسوفو سنة ١٣٨٩ وسيطروا على مقدونية والبوسنة وألبانيا. لقد واجهت الجيوش التركية، بالطبع، مقاومة مستميتة من قبل جيوش صربيا وهنگاريا، وقد تمكّنت هذه الأخيرة من صدّ هجوم قام به محمد الثاني الفاتح شخصيًا سنة ١٤٥٦. لكنَّ هذه المدينة التي كان يُطلق عليها اسم «حصن المسيحية» من جهة، و«دار الجهاد» من الجهة الأخرى، سقطت سنة ١٥٢٦، بعد حصار طويل، في يدي سليمان القانوني، فأعاد تنظيم موقعها الدفاعي وجعلها منطلقًا لغزواته ضدّ هنگاريا، وقاعدة ارتكز عليها لتنظيم سهل الدانوب الذي احتلّه إثر معركة موهاكس سنة ١٥٢٦.

ابتداءً من ذلك الحين، بالرغم من تقدّم الأتراك إلى بودابست سنة ١٥٤١، بقيت بلغراد مركزاً مهمّاً بالنسبة

اعتنق ممثلوهم الإسلام في تواريخ مختلفة وحافظوا عليه لمدة من الزمن.

منذ القرن السابع للميلاد، كانت مجموعات من البلقان قد تابعَت مسيرها غرباً حتّى صفاق الدانوب، وبها دعيت تلك المنطقة من البلقان فسُمِّيت بلغاريا، وقد انضمت إلى العالم الإسلامي بعد أن اجتاحتها العثمانيون في مرحلة لاحقة. وثمة جماعات أخرى اتجهت صعداً نحو أعلى مجرى الفولغا، وأسّست، في مطلع القرون الوسطى، دولة تركية إسلامية مشهورة، قضى عليها الاجتياح المغولي في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، وبالتحديد منذ سنة ١٢٣٦ أو ١٢٣٧م.

هذه الدولة التي أطلق عليها قدامى الجغرافيين والمؤرخين العرب اسم «بلغار» (وأطلقت هذه التسمية أيضاً على عاصمتها)، تكوّنت من اتّحاد قبائل بدوية عدّة، واغتنت لاحقاً بفضل نشاطها التجاري مع أقطار بعيدة، لوقوعها على ملتقى طرق سمائية/جنوبية وشرقية/غربية كانت تمرّ عبرها تجارة الفراء والرفيق إلى الشرق الأدنى. لكنَّ ظروف اعتناقها الإسلام بقيت غامضة، بيد أنَّه من الممكن أن يكون الإسلام دخلها انطلاقاً من آسيا الوسطى، لأنَّ تقاليد المذهب الحنفي هي التي كانت سائدة فيها. على أيّ حال فإنَّ سكّانها كانوا مسلمين عندما أوفد الخليفة المقتدر ابن فضالان سفيراً إليهم، عام ٩٢١-٩٢٢م، ليؤكد العلاقات الدينية بين تلك البلاد والدولة العباسية. وقد ترك ابن فضالان مؤلفاً هو الأذق والأشمل في وصف أحوال تلك البلاد. وإذا كانت جهوده ضاعت سدىً من حيث دعوته إليهم إلى اعتماد الأذان وسائر الفرائض والممارسات السائدة في بغداد، كمكّمة بحسب المذهب الشافعي، فإنَّ كتابات ابن فضالان تُظهر إعجابه بالحيرة الدينية في تلك المملكة التي كانت تعلن الجهاد، وتبذل الجهد لاعتناق جيرانها الوثنيين الإسلام، سواء كانوا من الأتراك أو من الروس.

في بداية الأمر، كانت العلاقات بين حاكم البلقان في الفولغا وخاقان الخزر علاقات تبعية استمرت حتى انهيار دولة الخزر تحت ضربات أمراء كييف في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. إن زمن

اسم بلاد البلقان. وهي لم تتعرض لاجتياح طويل الأمد على أيدي أتراك الأنصُول إلا ابتداء من سنة ١٣٥٧م. أنشئ في غاليلوي، على الضفة الأوربية لمضيق الدردنيل، قاعدة عسكرية انطلاق منها الغزاة والساجدون الذين شكّلوا الوحدات الحربية للعثمانيين الأوائل. فكانت الفنوحات الإسلامية سريعة، تميّزت في مرحلة أولى بالانتصار في كوسوفو سنة ١٣٨٩، تلاها مباشرة احتلال بلغاريا ومقدونية وألبانيا. وبعد مرور خمسين سنة على ذلك، أي بعد اضمحلال سلطة البيزنطيين على القسطنطينية سنة ١٤٥٣، أصبحت الأمبراطورية العثمانية تضم كل أراضي صربيا والعورة وبوسنيا. أخيراً، في عهد سليمان القانوني، تم اجتياز خط الدانوب الذي يُعتبر حدّاً لبلاد البلقان واحتلت بلغراد سنة ١٥٢١، وتم انتصار موهاكس (Mohacs) سنة ١٥٢٦. بلغ بعد ذلك تقدّم الجيوش التركية هنغاريا وفلاشيا، وغدت هذه المقاطعات الجديدة جزءاً من تجمّع عُرف بالثوملي العثمانية. شكّل هذا التجمّع، إبان ذروة التوسّع العثماني في القرن السابع عشر، القسم الأكثر غنى في الأمبراطورية. وبفضل نشاط وزراء أسرة كوبرولو، نفّذت هذه المنطقة وضبطت بشكل دقيق حتى قلب أوروبا الوسطى.

وسط تجمّع الثوملي التاسع، شكّل البلقان حصناً مميّناً خاضعاً للحكم العثماني المباشر. حاولت السلطة العثمانية أن تحد من سلطة الإقطاعيين المحليين في الأرياف، وذلك بتطبيق نظامها الزراعي والمالي الخاص. لكنها لم تتوان، في بعض الحالات، عن إدخال ممثل هذه الأرستقراطية في نظام الإقطاعيات وإدخال بعض أعضاء البورجوازية الصغرى في السلك العسكري. حتى إنّ مؤسسة الدوشرما عملت بطريقها الخاصة على ربط القرى المسيحية بالسلطة المركزية، فتوحّل أبناء هذه القرى. بفضل تلك الطريقة، إلى بلوغ مراتب عليا في الجيش وفي البلاط السلطاني. فعاشت شبه الجزيرة ازدهاراً حقيقياً قائماً على الإنتاج الزراعي وعلى الموارد الطبيعية والجزئية من جهة، وعلى النشاط التجاري بينها وبين اسطنبول من جهة ثانية. وقد برز، في هذا السياق، اختلاف مهم بين شعب وآخر، وذلك تبعاً للظروف السياسية السائدة، ولنسبة اعتناق الإسلام من

إليهم، ولم يتوانوا عن تحصينه وتعزيز حاميته العسكرية وأسطوله النهري الحربي. لم يتوقّف سكّانها المسلمون من إداريين وجنود وإنكشارية ونجار وحرفيين انتقلوا إليها وسكّان أصليين اعتنقوا الاسلام، عن النمو والكثائر، بفضل ازدهارها ونتيجة لموقعها كمركز لتخزين البضائع وإعادة تصديرها. وقد أدّى ذلك إلى نموّ هندسي أشارت إليه النصوص بشكل واضح.

منذ نهاية القرن السابع عشر، نالت على المدينة الحصارات والقصف المدفّر. وقد ترافق ذلك مع انتصار الأمبراطورية النمساوية التي استعادت المدينة من أيدي العثمانيين وجعلتها عاصمة صربيا الشمالية بين سنة ١٦٨٨ و١٦٩٠. أُعيدت إلى الأتراك من سنة ١٧١٧ حتى سنة ١٧٣٩، إثر معاهدة بلغراد التي جعلت من مجرّي الساف والدانوب حدوداً لها، وأعيدت مرّة ثانية إلى الأتراك أيضاً بين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٧٩١. وفي القرن التاسع عشر أدّت حركات العصيان التي قام بها الصرب إلى جعل بلغراد عاصمتهم من سنة ١٨٠٦ إلى سنة ١٨١٣، لكنها أدّت، في الوقت نفسه، إلى القضاء عليها كمركز محض قديم وإلى إزالة منشآتها.

وحدها اليوم آثار القلعة التي أُعيد ترميمها باستمرار تُذكّر بالاحتلال العثماني لهذه المدينة الذي انتهى سنة ١٨٦٧. بعد محادثات ديبلوماسية، تُركت بلغراد مدينة رئيسية في صربيا من دون أن تحافظ على أي أثر اسلامي، لا في تنظيمها الخارجي ولا في تنظيمها الاجتماعي. أمّا المسلمون الذين كانوا يشكّلون أقلية لا بأس بها عندما كانت المدينة عاصمة ليوغوسلافيا الفدرالية، فإنهم ليسوا متحذرين من الماعات الإسلامية القديمة العائدة إلى العهد التركي بل هم من المسلمين الذين هاجروا إلى المدينة من مقاطعات البوسنة ومقدونية ومونتيفرو وكوسوفو-مينوهيا.

البلقان (شبه جزيرة البلقان)، في التركية بلكان. كيان جغرافي وتاريخي اتخذ هذه التسمية التي تعني «سلسلة الجبال»، عندما خضع لسيطرة دولة العثمانيين بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر.

أطلق الجغرافيون العرب المسلمون، في القرون الوسطى، على هذه المنطقة المتشيرة بتضاريسها الوعرة

قَبْلَ هَذِهِ الشُّعُوبِ.

الحروب التي عرفت بالحروب البلقانية، إضافة إلى الهزات الناتجة عن الحرب العالمية الأولى. نتيجة لكل ذلك، نبُورَت فسيفساء الأمم المتحرّرة من النير العثماني. وأخذت معالم هذه الفسيفساء تتحدّد بدقّة ابتداءً من مؤتمر لندن سنة ١٩١٣ ولا تزال العملية مستمرة حتى يومنا هذا.

إنّ مصير هذه البلدان التي شهدت حدودها تعديلات مختلفة أو اتحدت فيما بينها بعض الأحيان، لم يَعد مُتعلّقاً بالعالم الإسلامي بعد أن ابتعد معظم السكّان عن هذا العالم وتخلّصوا من وضعهم كرعابا عثمانيين، وتَنكَّروا للأتراك الذين كانوا قد استقروا بينهم بصفتهم جنوداً وموظّفين أو تجاراً.

في بعض هذه البلدان، كاثوسنة والهرسك وألبانيا مثلاً، ما يزال هناك مجموعات سكّانية إسلامية تتحدّث بأكثرها من السكان الأصليين الذين غيَّروا دينهم. ما يزال انتماءهم الديني يولّد توترات سياسية وصراعات مختلفة.

◀ راجع المصندين ٢٦ و ٢٧.

بَلَنَسِيَّة (إسبانيا)، مدينة مرفئية ومركز لمقاطعة ليغانته، ما يزال اسمها مرتبطاً بذكرى أربعة قرون من الإحتلال الإسلامي، وبذكرى استعادتها للمرّة الأولى على يدي السيد كُثَيَّادور.

تقع بلنسية على ضفة نهر، غير بعيد من البحر، في المنطقة الشرقية من الأندلس التي كانت تسمّى شرق الأندلس، وغدت فيها معقلاً مهمّاً للأسلمة، قبل أن تصبح مدينة محصنة متنازعاً عليها، خصوصاً إبان القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد الذي شهد استيلاء المسيحيين الموقّث عليها، سنة ١٠٩٤م/١٢٨٧هـ. إنّ الخصب المتوافر في عمق بلادها، في سهل رَيَّان على شاطئ المتوسط، وسهولة دخولها عبر منافذها البحرية، دفعت بجماعات من قبائل ثِيَّس العربية، قدّمت من الشرق حوالي سنة ٧١٤م/٩٥هـ، إلى أن تستقرّ فيها، إبان الغزوات العربية - الإسلامية الكبرى. استقرّ ازدهارها خلال حكم الإمارة، ثمّ خلال خلافة الأمويين الغربيين الذين كانوا يولّون عليها حكماً بارزين، إلى أن اندلعت فيها اضطرابات داخلية وافقت

في القرن الثامن عشر بدأت مرحلة جديدة في تاريخ البلقان. كان ذلك على أثر تفهقر موجة الحملات العثمانية التي كانت قد بلغت منتهى توسّعها في غرب هَنغاريا، مع حصار فيينا سنة ١٥٢٩ وسنة ١٦٨٣، وأدّت الهجمات المعاكسة التي شتّتها، بشكل خاص، أسرة هابسبورغ وحلفاؤها، إلى استعادة تدريجية للأراضي المتساوية، قابلاً تراجع العثمانيين على الأطراف، ثم داخل شبه الجزيرة. وثبّت هذا الواقع معاهدات صلح، منها معاهدة كارلوفيتش (Karlovitz) سنة ١٦٩٩ وباساروفيتش سنة ١٧١٨، ومن ثمّ معاهدة بلغراد سنة ١٧٣٩ التي جاءت أكثر اعتدالاً من السابقتين. في القرن التاسع عشر، قامت في هذه المناطق ثورات محلية حلّت محلّ الحملات العسكرية وتزامنت معها أحياناً، بالرغم من عمليات الإصلاح والتحديث الواسعة التي قام بها سلاطين الأتراك، بدءاً بمحمود الثاني، لتثبيت هيبة الباب العالي أمام القوى الغربية، فقد تلاحت حركات التمرد التي أدّت إلى تشرذم الممتلكات العثمانية، ومنها مقاطعة المورة حيث أعلنت فيها الثورة سنة ١٨٢١. فكانت الثورة الأولى التي أدّت، خلال مؤتمر لندن سنة ١٨٣٠، إلى نشوء دولة يونانية مستقلة، لها ملكها ابتداءً من سنة ١٨٣٢. وفي الوقت نفسه حصلت صربيا، إثر حركة عصيان قامت بها، على الحكم الذاتي، لكن في ظل السيادة التركية. أما إمارة مولدافيا وفالاشيا فقد كُرس اتحادهما في معاهدة باريس سنة ١٨٥٦، ومهدّا بذلك لنشوء دولة رومانيا. وهكذا اتجهت البلقان نحو التقسيم إلى دول تتمتع بحكم ذاتي، وتقلّد في اقتصادها ومجتمعها اقتصاد ومجتمع الغرب، إلى أن تثبّت استقلالها في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ حيث عُذلت مواد معاهدة سان ستيفانو التي أبرمت في نهاية الحرب الروسية - التركية (١٨٧٧-١٨٧٨).

بقي الجيش التركي، مع ذلك، يحتلّ ويحكم ما تبقى من الزماني التي اقتصر بعد ذلك التاريخ على ألبانيا ومقدونيا وترفيا. جرت بعد ذلك صراعات أخرى مع الدول الأجنبية، وعرفت المنطقة حركات قومية جديدة نبُورَت في مطلع القرن العشرين، مع اندلاع

الثامن عشر، بوصاية ملوك آل دُرّاني من الأفغان. في أواسط القرن التاسع عشر بدأ تدخل السلطات البريطانية عبر معاهدي ١٨٥٤ و ١٨٧٦، إذ ألحقت، ابتداء من ذلك التاريخ، دولة كالات بأسباطوريتهم في الهند. وسيطت في الوقت نفسه إيران الفاجاريتين سلطتها حتى بلوچستان الغربية. وما تزال هذه المنطقة تسمى حتى اليوم لتحافظ على خصائصها الانثوية والمغوية والدينية مُنيّة ميولها الانفصالية.

قُسمت الحدود التي تَبَتّت سنة ١٨٧٢، ثم سنة ١٨٩٥-١٨٩٦، البلاد بين باكستان من جهة، وجمهورية إيران الإسلامية من جهة ثانية. وفي الشمال تمتدّ جمهورية أفغانستان الإسلامية حيث تعيش أيضًا مجموعات من البلوچس.

السكان الحاليون للبلاد هم من المسلمين السنة، لكنهم لم يحافظوا إلا جزئيًا على تنظيمهم القبلي التقليدي، وقد استقر عدد منهم إمّا في الزراعة وإمّا في المدن.

« راجع الوثيقة رقم ٣٥.

بُلُوڤْدِيَش (بلغاريا)، بالتركية فيليبّي، مدينة ظلّت تحت السيطرة الإسلامية داخل الأمبراطورية التركية العثمانية لأكثر من خمسة قرون.

حاضرة قديمة وغنيّة في سهل تراقيا، ذات موقع إستراتيجي ومحصّن على ضفّة نهر ماريتزا، سَمّاها اليونانيون فيليبوپوليس (Philippopolis) والرومان تريمونتيوم (Trimontium). انزعها المسلمون من البلغار في العام ٧٦٤/١٣٦٣م، مباشرة بعد أن بدأت جيوش الجهاد العثمانية باحتلال البلقان. عندها أصبحت بلوفديف مركز إدارة لمقاطعة الرومليّ، وفي الوقت نفسه مركزًا تجاريًا وصناعيًا مهمًا يقع على تقاطع طريق القوافل الكبيرة التي تصل الأدرياتيك باسطنبول. سرعان ما ظهرت فيها آثار الاحتلال التركي الذي بدأ منذ عهد السلطانين مراد الأول وبازيد الأول بلُدُرم. فيها العديد من الأبنية العثمانية التي كانت تشهد على ازدهارها وتضفي طابعًا خاصًا على أحيائها، وقد صمدت حتى اليوم في وجه التغيرات التي طرأت في القرن العشرين على هذه المدينة التي أصبحت مجرّد مركز لمقاطعة في

تقسيم دولة قرطبة في عصر ملوك الطوائف. عندئذ قامت فيها مملكة إسلامية محلية، جريًا على ما آتت إليه الحال في جميع مدن البلاد الرئيسية، فأدارها منذ سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، اثنان من الصقالبة، ثم سلالة العامريّين التي لم يدم حكمها طويلًا.

إنّ الجهود التي بذلها في ما بعد بعض ملوك خُلُيطة المتحدّرون من سلالة ذي النون لحصَم المدينة الى مملكتهم الخاصة بامت بالفشل، تحت ضربات حروب الاسترداد. وبعد فترة وجيزة على ضمّ طليطلة، سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، إلى أراضي ملك قشتالة ألفونسو السادس، استولى على بلنسية البطل الأسطوري الأسباني الذي أطلق عليه اسم «السيد» كميادور مأخوذًا من لفظة «السيد» العربية. وعندما تَحَلَّت عنها عام ٤٩٥هـ/١١٠٢م أرملة «السيد» التي لم تستطع حماية أراضيها من غزوات المرابطين المتكرّرة، قاومت عاصمة الحدود الشرقية التي حصنها مجددًا المسلمون، حتى فتحها سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م، بعد سنتين من فتح مدينة قرطبة على يدي ملك أراغون جاك الأول.

أمّا اليوم فلا يشهد أيّ ظل منها على ماضي إسلامي حافظت على بقايا أسماء المواقع المدرجة في سجلات المساحة في الأرياف والمناطق الجبلية المحيطة.

« راجع المستندات ١١، ١٥، ١٦ و ١٩.

بَلُوچِسْتَان (بلوچستان)، «بلد البلوچس»، وهو بلد شاسع، تبلغ مساحته حوالي ٣٠٠ ٠٠٠ كلم^٢، يقع غربي باكستان، كثافته السكانية ضئيلة جدًا. يشكّل البلوچس الرُحْل الذين يتكلمون لغة إيرانية غالبية سكّانه.

إنّها منطقة جبلية جرداء غير واضحة الحدود، تطابق مُكران القديمة، وتمتدّ على طول المحيط الهندي حتى أطراف السند والبنجاب، وتقع على الأطراف الشرقية لإيران القديمة. بلغتها الجيوش العربية - الإسلامية في عصر الفتوحات الكبرى، وأسَلَّتْ بأكملها بعد قرنين أو ثلاثة قرون.

بعد غزوات السلاجقة انتقلت إليها قبائل البلوچس قادمة من إيران حوالي القرن الثاني عشر الميلاديّ. وبعد أن خضعت لسلطة رؤسائها التقليديّين أي السُردار، اضطُرتّ قبائل البلوچس هذه إلى القبول، في القرن

حول بقايا قلعتها.

كانت قلعة نیم - التي اشتهرت لزمن طويل بمناعتها - تحمي مدينة قروسطية ساسانية الأصل، ازدهرت بفضل صناعة النسيج ونشاطها التجاري. وقد استفادت من موقعها الإستراتيجي على طريق القوافل الذي يصل العراق بالسند، وكان لهذا الطريق أهمية كبرى. وتفسر الحركة التجارية هذه ازدهار مدن عدة مجاورة اصطَلَتْ مثل نرْمُسِير أو جِرْفَتْ التي هي أبعد من الأولى بقليل. ومع ذلك لا يعود تاريخ مدينة نیم القديمة، المحاطة بسور مُسْتَنٍّ، والتي شهدت هجمات الغزاة السلاجقة وسواهم، إلّا الى عهد الصفويين. وقد عُرِزَتْ تحصيناتها في عهد نادر شاه بين سنة ١٧٢٩ وسنة ١٧٣٠، قبل أن تسقط في أيدي القاجار الذين اضطروا إلى قمع عدة ثورات اندلعت فيها. يقوم فيها حتى اليوم قبر الإمام زيد ابن الإمام علي زين العابدين.

البَنَّا، حسن بن أحمد، ١٩٠٦ - ١٩٤٩، مصري مؤسس لحركة سياسية ودينية هي حركة "الإخوان المسلمين" التي كانت أهدافها تتجاوز حدود مصر.

بعد أن تلقى تربية دينية تقليدية تابع حسن دروسه في القاهرة، وأعلن منذ ذلك الحين أن المشكلات التي يعانيها العالم الإسلامي يمكن حلّها بالعودة إلى الأصول، أي القرآن والسنة.

بعد سنة على تعيينه مدرّساً في الإسماعيلية سنة ١٩٢٧، أسس حسن حركة الإخوان المسلمين وراح يلقي المحاضرات وينظم "الخلايا" متجولاً في كلّ منطقة قناة السويس. وبعد مجيئه إلى القاهرة سنة ١٩٢٣، وسّع حسن نشاط حركته مُتَبَيِّناً قضية عرب فلسطين ومناضلاً ضدّ النفوذ الإنكليزي. دخل خلال الحرب العالمية الثانية في صراع مع الحكم المصري وأوقف مرّات عدة. استمرّ الوضع المتوتر بعد الحرب العالمية وحلّت الحركة سنة ١٩٤٨ إثر عملية اغتيال قام بها أحد أعضائها. دخلت الحركة بعد ذلك مرحلة النشاط السريّ، فاعتُبل حسن نفسه في شباط ١٩٤٩، لكنّ موته لم يضع حداً لانتشار أفكاره.

الپنجاب، مقاطعة هندية غنية، تعود إلى القرون

دولة بلغاريا الجديدة التي أُعلنت في العام ١٩٠٨ جمهورية مستقلة.

◀ راجع المستد رقم ٢٧.

الباليار (جزر)، وتعرف بالعربية بجزر الأندلس الشرقية. أممّ هذه الجزر كانت مَبْنُورَة ومبنورة وبابسة، حكمها المسلمون بين بداية القرن العاشر والقسم الأول من القرن الثالث عشر للميلاد.

إتّان الفتوحات الكبرى قام ابن موسى بن نصير فاتح الأندلس بغزو هذه الجزر فدخل مَبْنُورَة والجزر المجاورة سنة ٧٠٧/٨٩٩م وفرض على الملك الذي كان يحكمها جزية. لكن السيطرة الفعلية للإسلام على هذه الجزر لم تتمّ إلّا في سنة ٢٩٠/٩٠٢م على أيدي أمويّ قرطبة الذين واجهتهم في ذلك صعوبات كثيرة. ثمّ جاء عصر ملوك الطوائف فعرفت الجزر شبه استقلال، فتوالى على حكمها عدد من المسلمين من بينهم عامريّو دانيه (بنو عامر) ابتداءً من سنة ١٠١٤م، ثمّ بنو هود أصحاب سرقسطة الذين ثغلبوا عليهم سنة ٤٦٩/١٠٧٦م، في حين كان سكّان جزر الباليار يمارسون القرصنة البحرية. ثمّ أتى المرابطون فأرسوا، سنة ٥٢٠/١١٢٦م، سلطنة بني غانية من [قبائل] ضلّهاجه الذين حملوا معهم الطابع البربري، ومنها انطلقوا لاحتلال بجاية سنة ٥٨٠/١١٨٤م. احتلت الجزر على أيدي المرخّدين سنة ٥٩٩/١٢٠٢م، إلى أن طردهم جاك الأول ملك أراغون سنة ٦٢٧/١٢٢٩م من مَبْنُورَة، بينما سقطت بابسة سنة ٦٣٢/١٢٣٥م ومبنورة سنة ٦٨٦/١٢٨٧م.

عرفت مَبْنُورَة التي تعرّبت وأسلمت، بخاصة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، نشاطاً فكريّاً مميزاً توزّع في الأوساط اليهودية والمسيحية والإسلامية. تُفسّر لنا هذا الواقع، ولو جزئياً، المحاولة التي قام بها ريموند لولّه (Lulle) نوضّح عقيدة فلسفية تكون مقبولة لدى الجميع.

بِم (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، المركز الرئيس للمنطقة التي تحمل الاسم نفسه في مقاطعة كرمان. ما تزال بِم حتى اليوم تحوي مجموعة آثار قديمة تتجمّع

سڪاڻا الذين يتكلمون الصربية - الكرواتيّة أقليّة مسلمة.

تقع بنجالوڪا في شمال غرب المنطقة الجبلية من البنلفان، بناها الهنغاريتون مدينةً محصنةً في نهاية القرن الخامس عشر، لكنها كُيّرت بعد أن احتلّها الأتراك سنة ۱۵۲۷ أو ۱۵۲۸، وخصوصاً بعد أن جعلها الحاكم العثماني للمنطقة مقرّه وعاصمة المنطقة حتى سنة ۱۶۳۸. إلى هذا العصر الذي كانت فيه المدينة مركزاً سياسياً لنشر الإسلام ومركزاً اقتصادياً مزدهراً، تعود الصروح العسكرية والدينية الجميلة التي بُيّت في جزميها، العالي والسفلي. وقد صُنِدَ ازدهارها بعد فقدان دورها الإداري، عندما انتقل ممثّل السلطة العثمانية إلى ساراييفو، واستمرّ هذا الازدهار بالرغم من الصراعات اللاحقة. ألحقت بالامبراطورية النمساوية - الهنغارية سنة ۱۸۷۸ بعد استسلامها للجيش النمساوية المُكثّفة احتلال البوسنة. وانضمت في ما بعد إلى المملكة ثم إلى الجمهورية التي ستحمل اسم يوغوسلافيا.

يندر عباس (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة مرفئية حديثة في الخليج العربي - الفارسي على ساحل كرمان. وهي مجاورة لمدينتين قروسيّتين عرفتا باسم هرمز القديمة والحديثة.

جاء نمو بندر عباس الحالي ليُعيد الازدهار إلى المرفأ الذي أنشأه الشاه عباس الأول سنة ۱۶۲۲، والذي راح ينحط بعد سقوط الأسرة الصفوية. بُني المرفأ في موضع كان سابقاً مركزاً لمحطات بحرية منذ عهد الساسانيين وكان منفذاً لمقاطعات كرمان وسجستان وحتى خراسان. أما مدينة هرمز القديمة الناشطة والتجارية، الواقعة على الساحل الإيراني والتي زارها ماركوپولو مرتين: سنة ۱۲۷۲ و ۱۲۹۳، فقد هُجرت في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بسبب موقعها غير الآمن. وقد أهملت لمصلحة مدينة مرفئية جديدة، أكثر تحصيناً، أُنشئت على الجزيرة واتخذت اسم المدينة السابقة.

هذه المدينة الجديدة التي ازدهرت بشكل مميّز خلال ثلاثة قرون نظراً إلى أنشطتها التجارية، وضمّتها الرحالة المسلم ابن بطوطة في القرن الثامن للهجرة/

الوسطى، يشكّل، اليوم، قسمها الغربي وهو الأوسط - إحدى مقاطعات باكستان، فيما بقي قسمها الشرقي داخل الاتحاد الهندي.

يعني اسم هذه المنطقة «أرض الأنهار الخمسة» وهي تتروى من نهر الهندوس وروافده. احتلّها في العام ۷۱۳هـ/ ۱۳۱۳م، حوالي نهاية الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، محمد بن القاسم [الثقفي]، بعد أن استولى على السند وعلى مدينة ملتان. بعد ثلاثة قرون، إثر حملات ناجحة جرّدها السلطان محمود [الغزنوي]، وقع البنجاب في أيدي الغزنويين، وأصبحت لاهور التي كانت مركز قضاء مقرّاً لسلطتهم، بعدما اضطرّ آخر حكامهم إلى مغادرة غزنة. عندما احتلّ الغوري معز الدين محمد لاهور في العام ۵۸۱هـ/ ۱۱۸۵م، استفز بدوره في البنجاب قبل أن يوجّه حملاته المتعددة نحو دلهي وسهل الفانج. عند وفاته في العام ۶۰۳هـ/ ۱۲۰۶م، انتقلت سلطته إلى ضابطه التركي القديم قطب الدين ألبك الذي توجّج في لاهور وأصبح مؤسس فرع سلاطين دلهي المعروف باسم «الملوك العبيد».

في ما بعد، إثر هجمات المغول وتفتك مملكة دلهي الذي تلا احتلال نيومرلنك، استولت أمبراطورية المغول، في عهد بابر في العام ۶۳۲هـ/ ۱۲۲۶م، على البنجاب حيث كانت قوّة السيف أخذت في الازدياد. وقامت مملكة للسيف سنة ۱۸۰۳ بعد أحداث متعددة، لكنها لم تستمرّ، إذ قامت الهند البريطانية بضمّ أراضيها سنة ۱۸۴۹، فأصبحت، في العام ۱۹۰۱، جزءاً من مقاطعة الحدود الشمالية الغربية التي شتمت بدورها، مع ما تبقى من البنجاب، إلى الباكستان الذي أُنشئ سنة ۱۹۴۷. لكنّ البنجاب، حيث الإسلام دين الأكثرية، عانى باستمرار العداء القائم بين المسلمين والسيف. وقد شهد، سنة ۱۹۴۷، ظهور الحدود الجديدة التي تفصل بينه وبين الاتحاد الهندي قريباً من لاهور، المدينة الكبرى التي خسرت بعضاً من ميزاتها لمصلحة كراتشي. غير أنّ البنجاب ضمت من جديد، منذ العام ۱۹۶۰، عاصمة باكستان بعد إنشاء إسلام آباد.

بنجالوڪا (البوسنة)، مدينة تأكدت أهميتها في ظلّ سيطرة العثمانيين خلال أكثر من أربعة قرون. في عداد

تقع بنغازي على لسان وملي تفصله عن الأرض الجامدة بحيرات شاطئية. وقد ازدهرت هذه المدينة، ابتداءً من القرن الخامس عشر، في موقع مدينة قديمة. تعود تسميتها إلى صوفي مَخْلِي مغفور، إسمه سيدي بن غازي. تزايد عدد سكانها غير المتجانسين في القرن التاسع عشر، بعد أن توافدوا إليها من مختلف بلدان الأمبراطورية العثمانية. كانت مركزاً لإحدى ولايات الأتراك، وأصبحت في ما بعد المركز الإداري الشرقي للمستعمرة الإيطالية الليبية، بعد أن عاد السلام إليها ابتداءً من سنة ١٩٣١، فبُني فيها مرفأً جديد وأحياء حديثة عُدَّة.

بنغازي مدينة سلمة برقتها تقريباً، إختارها ملك ليبيا المستقلة عاصمة له سنة ١٩٥١، ثم فقدت في ما بعد أنشطتها المرفئية والصناعية الرئيسة، لكنها تشهد حالياً نهضة ملموسة. وقد حلت طرابلس محلها عاصمةً للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية التي نشأت سنة ١٩٦٩.

البنغال، منطقة في الهند الشمالية الشرقية، انتشر فيها الإسلام في نهاية القرون الوسطى حيث أصبحت غالبية سكانها من المسلمين. شهدت، في سنة ١٩٤٧، نشوء دولة الباكستان الشرقية التي أصبحت في ما بعد، سنة ١٩٧١، دولة بنغلادش.

تُطابق هذه المنطقة المتميزة بشعبها وبطبيعتها، من الناحية الجغرافية، دلتا الغانج وبراهماپوترا حيث بلغتها الفتحوات الإسلامية، بعد الاستيلاء على مدينة كُشُونِي سنة ٥٩٣هـ/١١٩٨م من قبل أحد قادة قطب الدين أَيْبَك، مؤسس سلالة سلاطين دلهي المعروفة بهالملوك العبيدة. اعتنق عدد كبير من سكانها الإسلام الذي انتشر بشكل خاص بين طبقة الفلاحين البوذيين الذين كانوا يعملون عند الإقطاعيين الهندوسيين الكبار. وقد توابك تأثير الصوفيّين، التابعين بشكل خاص للسهروردية، مع جهود الحكام الأتراك الميسطرين على الهند الشمالية، في سبيل إنماء ثقافة إسلامية راحت تنتشر بشكل مقلود، في حين كان يحكم شرق البلاد وغربها فرعان مختلفان وشبه مستقلّين أحدهما عن الآخر.

تميّزت الحقبة اللاحقة بازدهار فكري وديني أكثر

الرابع عشر للميلاد. في سنة ١٥٠٧، انتقلت المدينة إلى أيدي البرتغاليّين الذين جعلوا منها قلعة حصينة ومركزاً تموين ومحطة استراحة في طريقهم إلى الشرق الأقصى، إلى أن تمكنت جيوش الشاه عباس الفارسية، بمساعدة سفن شركة الهند الشرقية (البريطانية)، من الاستيلاء على هذه القاعدة الأجنبية سنة ١٦٢١ ومن هدمها نهائياً. وعلى انقاضها بنى عباس الأول مرفأً ملكياً هو بندر عباس.

بنزوت (الجمهورية التونسية)، مدينة مرفئية كبرت في العصر الحديث. تقع على ساحل البلاد الشمالي.

احتلّها جيوش الفتح العربية - الإسلامية الكبرى منذ سنة ٤١هـ/٦٦١م، فقدت هذه المدينة القديمة التي تعود إلى العهد الفينيقي أهميتها، ولم تلعب أي دور بارز في القرون الوسطى. نجد فقط إشارات إلى وجود القلاع الصغيرة أو الرُّبُط حيث كان يقيم المجاهدون المسلمون، الحريصون على مقاومة أي نزول محتمل للمسيحيّين على الشاطئ. لكن، منذ القرن الخامس عشر، عرفت بنزوت التي كانت قد استقبلت جماعات من المسلمين المهاجرين من الأندلس بعد طرد المورسكيّين، نهضة جديدة تميّزت بالثراء الناتج عن غزوات القراصنة المقيمين فيها، الذين شاركوا في أعمال القرصنة التي كانت تحصل في البحر المتوسط.

في سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٤، خضعت لسُلطة خير الدين حاكم مدينة الجزائر، في ظلّ السيادة العثمانية، ومع ذلك، احتلّها الأسبان من ١٥٣٥ حتى ١٥٧٢. على الرغم من تمّتعها بحماية العثمانيين، فإنّها لم تُنَجِّ من حملات الدول المسيحية. فقد دمرها البنادقة تدميرًا شبه كامل عام ١١٩٩هـ/١٧٨٥م. وكان لا بدّ من الانتظار حتى عام ١٨٨١ لتصبح، بعد أن كانت مجرد قرية صغيرة، تجمّعًا عمرانيًا ناشطًا، قرب مرفأ جُدّد وحُدِّث في عهد الحماية الفرنسية، واستغلّت، منذ ذلك الوقت، من موقعها الإستراتيجي على شاطئ المتوسط.

بنغازي (الجماهيرية العربية الليبية)، مرفأً في منطقة برقة، شرقي خليج سرت، وهو، اليوم، إحدى المدن الرئيسة في الجماهيرية الليبية.

فيها الاكثرية الساحقة، وجلّهم من الفلاحين؛ والبنغال الغربية، حيث المسلمون أقلية، والتي اتجهت نحو الصناعة. وكان الفصل النهائي بين المنطقتين قد تمّ في تقسيم سنة ١٩٤٧، عندما انضمت كلكتونا والمنطقة المحيطة بها إلى الاتحاد الهندي، بينما أصبحت دكا عاصمة دولة باكستان الشرقية المسلمة التي هي اليوم بنغلادش.

سلاطين البنغال: ١٣٣١-١٥٧٦

١٣٥٨-١٣٥٨م	شمس الدين إلياس شاه ^(٢٥)
١٣٥٨-١٣٩٠	بيكندر شاه الأول
١٣٩٠-١٤١٠	غياث الدين أعظم شاه
١٤١٠-١٤١٢	سيف الدين حمزة شاه
١٤١٢-١٤١٤	شهاب الدين بليز شاه
١٤١٤	علاء الدين فيروز شاه
١٤١٤-١٤٣٢	جلال الدين محمد شاه
١٤٣٢-١٤٣٦	شمس الدين أحمد شاه
١٤٣٦-١٤٦٠	ناصر الدين محمود شاه
١٤٦٠-١٤٧٤	ركن الدين باتريك شاه
١٤٧٤-١٤٨١	شمس الدين يوسف شاه
١٤٨١	بيكندر شاه الثاني
١٤٨١-١٤٨٧	جلال الدين فتح شاه
١٤٨٧	سلطان شاهزاده باريك شاه
١٤٨٧-١٤٩٠	سيف الدين فيروز شاه
١٤٩٠-١٤٩١	ناصر الدين محمود شاه
١٤٩١-١٤٩٤	شمس الدين مظفر شاه
١٤٩٤-١٥١٩	سيد علاء الدين حسين شاه
١٥١٩-١٥٣٢	ناصر الدين نصرت شاه
١٥٣٢-١٥٣٣	علاء الدين فيروز شاه
١٥٣٣-١٥٣٩	غياث الدين محمود شاه
١٥٣٩-١٥٤٠	شير شاه سوري
١٥٤٠-١٥٤٥	خضر خان
١٥٤٥-١٥٥٥	محمد خان سوري
١٥٥٥-١٥٦١	خضر خان نهار شاه
١٥٦١-١٥٦٤	غياث الدين جلال شاه
١٥٦٤-١٥٧٢	سليمان كراتاني
١٥٧٢	بليز شاه كراتاني
١٥٧٢-١٥٧٦	داود شاه كراتاني

◀ راجع المستندين ٣٠ و ٣٥.

بروزًا حيث ترسخت، خلال أكثر من قرنين، مملكة مستقلة لسلاطين البنغال. تأسست هذه المملكة سنة ١٣٥٢م/١٣٥٨م على يد إلياس شاه، وعلى حساب سلطة فرع سلاطين دلهي المعروفين بالثملقيين. توطلدت أسس هذه الدولة مع مختلف الأسر التي توالفت على الحكم والتي تمكنت من فرض تأثيرها على مقاطعة بهار. أوتت الملاحة نحو الشرق الأقصى والتجارة البحرية إلى ازدهار مرفأ شيتاكونغ الذي احتل سنة ١٣٣٨م. وكان لثراء الحكّام الذين رعو الأدياب والعلماء أن جعل من عاصمتهم لكهنوتي ومن المدن المجاورة مثل غور حيث أقاموا في مراكز لحياة فنية وأدبية إسلامية النزعة. إلى الأناز الهندسية التي ما زالت تشهد لذلك، تُضاف الكتابات التي أعطت لغة البنغال الشعبية أنبل آدابها، مسهمة في نشر العلوم الإسلامية التي كانت قبل ذلك مقصورة على اللغتين العربية والفارسية.

لم تؤثر سيطرة المغول الذين جعلوا من البنغال، ابتداءً من سنة ١٥٧٦، إحدى مقاطعات أمبراطوريتهم، على أصالة هذا البلد. كما لم يؤثر عليها الاحتلال البريطاني في ما بعد، بين سنة ١٧٥٧ وسنة ١٩٤٧. على الصعيد الديني، استمرّ نفوذ الحركات الصوفية في الوقت الذي بدأت تُرسم فيه ملامح التيارات الشيعية التي غذّاه تدفّق التجّار الفرس، نظراً إلى النشاط التجاري المزدهر. وقد شهدت البلاد أيضاً، في القرن التاسع عشر، نموّ فرقة ناشطة اجتماعياً هي الغرائضية. ومن الممكن أن تكون هذه الفرقة قد خضعت لتأثير أفكار الوهابية الإصلاحية، إذ سعت، تحت شعار العودة إلى الشريعة، إلى التخفيف من حدة البرّس لدى الفلاحين البنغال، لكنها تلاشت نهائياً سنة ١٨٦٠، بعد موت ابن مؤسسها. أمّا على الصعيد الاقتصادي، فقد شهدت البلاد ازدهار مراكز جديدة كمدينة دكا التي اختارها الحكّام المغول عاصمة لهم، بعد تدمير لكهنوتي في نهاية القرن السادس عشر، ومدينة كلكتونا، محط التجّار الأجانب، التي أصبحت في ما بعد أول عاصمة رسمية للهند الانكليزية.

شكّل هذا الوضع أساس تطوّر ديموغرافي حدّد الاتجاه الزراعي لسهول الدلتا، وراح ينمو إذّاك وضمان مختلفان في البلاد: البنغال الشرقية التي يشكّل المسلمون

نيجيريا من الجهة الجنوبية-الشرقية. أقت هذه الحركة، كما في بلدان أخرى من خليج غينيا، إلى ازدهار للإسلام زاد من حيوته الدينية نشاط الطرق الصوفية كالتيجانية والقادرية.

بهاء الدين زكريا مُلثاني سَهْرُوردي، المعروف أيضًا **بهاء الحق**، ٥٧٨-١١٨٢/هـ - ١٢٦٢م، صوفي وِرع، كان له تقدير خاص في الهند في القرون الوسطى. أدخل الى شبه الجزيرة الطريقة السهروردية التي كُتِب لها الازدهار بشكل سريع.

وُلد بالقرب من مُلثان في بلاد السُند وما لبث أن غادرها طلبًا للعلوم الدينية، فجال في الشرق الأدنى من إيران حتى فلسطين حيث تمكّن من لقاء الشيخ أبي حفص عمر السهروردي في بغداد، فاختاره هذا الأخير ليكون خليفة له. عاد إلى مسقط رأسه حيث تابع، خلال أكثر من خمسين سنة، نشاطه داعيةً وصوفيًا. أَعَدَّ عددًا وافرًا من الأتباع، خصوصًا في إطار المؤسسة التي أنشأها في ملثان والتي كانت منقّمة خير تنظيم. وتمكّن، إضافةً إلى ذلك، من أن يمارس نفوذًا سياسيًا في أنحاء الهندج إبثر مُندحه وظيفة رسمية من قبل شمس الدين إيلتمش، أحد سلاطين دلهي الأوائل. تَسَلَّمَ بعد موته أخفاده إدارة هذه المؤسسة، منهم حفيده ركن الدين الذي دُفِن بالقرب منه. وقد بُني على قبريهما ضريحان ضخمان هما اليوم من أشهر آثار ملثان وأفخمها.

بهاء الله ← البهائية.

البهائية، بدعة مُتحدّرة من الشيعة، طرحت نفسها على أنها دين جديد، أسَّسها في إيران، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بهاء الله أحد أتباع الباب. وهي مُتشرّعة، في جزء منها، من البابية مع محافظتها على سمة أصولها الإسلامية.

بهاء الله هو اللقب الذي أطلقه على نفسه ميرزا حُسَيْن المولود في طهران سنة ١٨١٧، والمتوفى قرب عكا سنة ١٨٩٢. كان من أتباع الباب من دون أن يكون قد تعرّف إليه شخصيًا على الأرجح. سُجِن في طهران سنة ١٨٥٢ إبثر محاولة الاغتيال التي دبرتها ضد الشاه الفاجاري ناصر الدين شاه. وقد تحصّلت له، خلال

بنغلادش (جمهورية بنغلادش الشعبية)، مساحتها ١٤٣ ٩٩٨ كلم^٢، عاصمتها: دكا. هي جمهورية مستقلة، نظامها رئاسي، والإسلام فيها هو دين الدولة حاليًا. يُقدّر عدد سكانها بـ ١١٥ مليون نسمة، خمس وتسعون بالمئة منهم من المسلمين، وأكثرهم من السنة. هذه الدولة التي تطابق القسم الشرقي من مقاطعة البنغال القديمة، في شرق شبه القارة الهندية، كانت جزءًا من الباكستان حيث كانت تشكّل القسم الشرقي منه عند التقسيم سنة ١٩٤٧. انفصلت عن الباكستان ابتداءً من سنة ١٩٧١، وحافظت على استقلالها حيال الاتحاد الهندي الذي يحيط بها من كل الجهات. تتميز بماضياها الإسلامي الذي ساعد على نشوء ثقافة بنغالية أصيلة، كما تواجه مشكلات اقتصادية بسبب بيئتها الطبيعية الصعبة.

بنين (جمهورية بنين الشعبية)، مساحتها: ١١٢ ٢٢٢ كلم^٢، عاصمتها: بورتو نوفو، وهي دولة أفريقية مستقلة تقع على شاطئ خليج غينيا، يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين، من بينهم أقلية مسلمة ناشطة تشكل ١٥٪ من عدد السكان تقريبًا.

ولدت جمهورية بنين سنة ١٩٥٨، من مستعمرة داومي القديمة التي كانت جزءًا من أفريقيا الغربية الفرنسية منذ ١٨٩١. وهي تمتد بين جمهورية نيجيريا الفدرالية في الشرق وجمهورية توغو في الغرب، ولها حدود مشتركة من الجهة الشمالية مع جمهورية النيجر، وجمهورية بوركينا فاسو الديمقراطية الشعبية. وهكذا تكون بنين مجاورة لأفريقيا الساحلية ذات الأكثرية المسلمة.

تعود الاتصالات الأولى للمنطقة مع الإسلام إلى القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، إذ ثُمّت عبر الحالات التجارية القادمة من أمبراطورية مالي، وقد استمرّت هذه الاتصالات على طول طرق القوافل التي كانت تنجز منطقة السباسب. وقد وُلّدت في ما بعد، في القرن السابع عشر، هجرة الجماعات القادمة من أمبراطورية الشنغاي القديمة، وهجرة جماعات القُبلية أو البول (Peuls)^(٢٦) بعدها بقليل، أثر الإسلام في شمال البلاد. وكان التأثير الإسلامي يتسلّل إلى البلاد أيضًا من

مصر وأوروبا وأميركا، ما سمح له بأن ينظم في عدد من البلدان مجموعات بهائية. توفي سنة ١٩٢١ في حيفا حيث دُفن قرب قبر الباب، على منحدرات جبل الكرمل. قاننلت إدارة الحركة إلى شوقي أفندي، أحد أحفاده، الذي درس في أكسفورد وتزوج من أميركية واستقر في المركز الإداري العالمي للإيمان في حيفا حيث توفي سنة ١٩٥٧.

تنتشر في العالم، اليوم، مجموعات بهائية عدّة، كان أهمّها في إيران حيث بلغ عدد أعضائها نصف المليون، ثم في الهند. وثقّة مجموعات كذلك في الولايات المتحدة وفي ألمانيا وأفريقيا السوداء وفي أندونيسيا، لكنّها لا تتوافر في البلدان العربية^(٢٧). لم تشكّل البهائية في إيران أقلية دينية مُعترفًا بها، فكان أتباعها هدفًا لبعض العنف ولسوء المعاملة في ظل الحكم الملكي. وقد ساء وضعهم بعد الثورة الإسلامية إذ اتُّهموا، إضافةً إلى المهرطقة والبدعة، بأنهم يقيمون علاقات بالولايات المتحدة وإسرائيل، حيث كان مركزهم الروحي قد استقر حتى قبل قيام دولة إسرائيل. كما اتُّهموا أيضًا بأنهم تعاونوا مع النظام [الملك] السابق. فسُجن عدد كثير من البهائيين وهاجر منهم قسم آخر.

البهرة، هي جماعات مسلمة في الهند الغربية تتألف من أكثرية شيعية، شكّلت في عُجرات طائفة لها تفرّعات كثيرة ذات ميول انتمائية واضحة. وقد أذى نشاطها التجاري إلى انتشارها على سواحل المحيط الهندي الأفريقيّة، لا سيّما في كينيا وتنزانيا.

إنّ هذه الجماعات المتحدّرة من أفراد ينتمون إلى طبقة من الطبقات الهندية التي اعتنقت، ربّما في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، المذهب الإسماعيلي على أيدي دُعاة قادمين من اليمن، استمرّت على علاقة بهذا البلد حتى القرن السادس عشر على الأقلّ. إنّ أفراد هذه الجماعة ينتمون إلى الفرع الإسماعيلي المسمّى «المستعلية»، نسبة إلى المستعلي ابن الخليفة المستنصر الذي كانوا يدافعون عن حقّه في الإمامة والخلافة. لذلك كانوا يُمارضون التّراية أو الإسماعيلية الجديدة، المتعلّقة في الهند بالخوجا، وكانوا يُظهرون دائميًا

إقامته في السجن، تجربة صوفيّة وصفها في أحد مؤلّفاته. استقرّ في بغداد بعد نفيه حيث مارس تأنيؤًا مناميًا على المهاجرين البهابيين الموجودين في بغداد بحيث أنّ فنّصل إيران في العراق طلب إبعاده إلى اسطنبول. حيث انتقل هذا الناشط الديني مع البهابيين سنة ١٨٦٣، قبل إبعادهم بعد ذلك إلى أدنّة.

وقد نسّى لبهاء الله، قبل مغادرته بغداد، أن يُعلن في حديقة رضوان القريبة من بغداد أنّه، بحسب ما ورد على لسان «الباب»، «هو الذي سيظهره الله»، أي أنّه النبيّ المؤسّس لدورة نبوية جديدة تُعقّب دورة النبيّ محمد (ﷺ). ولما وُضِل أدنّة أعلن من جديد رسالته النبوية، وعلى غرار نبيّ الإسلام (ﷺ)، بعث برسائل إلى حكام عدّة: انضمّ اليه غالبيّة البهابيين بينما تبعت أقلية منهم صُحح أزل. أدّت هذه الانقسامات بينهم إلى نشوء حوادث أحيانًا، ما دفع بالسلطات إلى نفي البهابيين إلى عكا حيث وصلوها سنة ١٨٦٨. في فلسطين كتب بهاء الله بين سنة ١٨٧١ وسنة ١٨٧٤ «كتاب أقدس» (الكتاب الأقدس) وهو الكتاب الأساسي للدين الجديد، وذلك قبل موته سنة ١٨٩٢.

يحفظ الدين البهائي البهائي كالبهائية بعوروت انتهى إليه من غلاة الشيعة، إذ أنّه يعترف بأنبياء اليهودية والمسيحية والإسلام وإليهم يضمّ زرادشت. ويعتبر أنّ لبهاء الله هو آخر هؤلاء الأنبياء، لأنّه فاتحة دورة ستدوم مئات الملايين من السنين. إلّا أنّ هذا الدين جاء بعدد واخر من السمات التي نجعلها مختلفًا، بشكل محسوس، عن الإسلام التقليدي. فهو لا يفرّض الطقوس الجماعية بالرغم من حقّه على تشييد هياكل دائرية تُفتح في وجه المؤمنين الراغبين في الصلاة، بقطع النظر عن معتقداتهم الدينية. أمّا الفرائض الدينية فهي مُخفّضة. إنّ دين عالمي، جامع، يقول بوحدة الأديان المختلفة، ويدعو إلى السلام العالمي وإلى استعمال لغة عالمية واحدة. وهو أيضًا دين المساواة إذ يوصي باتخاذ تدابير من شأنها القضاء على الغنى الفاحش والفقر البائس.

تولّى إدارة البهائية، بعد موت مؤسّسها، ابنه عبّاس أفندي الملّقب عبد البهاء الذي ولد في طهران سنة ١٨٤٤. وقد قام بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١٣ بأسفار إلى

بَهْلَوِي، ١٩٢٦ - ١٩٧٩، سلالة حكمت مملكة فارس التي أصبحت، في العام ١٩٣٤، مملكة إيران والتي لم تعرف منها إلا ملكين اثنين، قبل إعلان الجمهورية الإسلامية.

في شهر شباط - فبراير ١٩٢٦، استولى على الحكم العقيد رضا خان الذي أصبح وزيراً للحربية ثم رئيساً للوزراء سنة ١٩٢٣، فكانت بذلك بداية تاريخ إيران المعاصر يُعَدُّ انتهاء الحرب العالمية الأولى. طمع القائد السابق لنواء «القوزاق» إلى تأسيس جمهورية، ثم خلع آخر شاه من سلالة القاجار ونُصِبَ نفسه ملكاً في كانون الأول - ديسمبر ١٩٢٦. بذلك أسس سلالة الخاصة وبدأ بتحديث البلاد والجيش محققاً نتائج متفاوتة، ومتجاهلاً البرلمان. كان يستوحي سياسة أتاتورك، فدخل في صراع مع رجال الدين إذ قام بإصلاح مؤسسات التعليم وأنشأ جامعة حديثة في العام ١٩٣٥، ومنع النساء من استعمال الحجاب. كما حاول اتباع سياسة خارجية جريئة مقلداً دائرة استثمار الشركة الإنكليزية-الإيرانية للزيت، كما حظر الحزب الشيوعي الإيراني سنة ١٩٣١ واستقدم تقنيين من ألمانيا. لكن تحالف البريطانيين والسوفيّات، خلال الحرب العالمية الثانية، أرغمه سنة ١٩٤١ على التنحي لمصلحة ابنه محمد رضا المولود سنة ١٩١٩.

اضطرّ محمد رضا إلى مغادرة بلاده إلى المنفى المؤقت سنة ١٩٥٣ خلال النظام السلطوي الذي أقامه الوزير مصدق، لكنه جهد، بعد عودته، في إكمال تحديث البلاد بتنمية صناعاتها والقيام بإصلاحات - منها الإصلاح الزراعي عام ١٩٦٣ - نالت من موقع رجال الدين وأحدثت في ما بينهم استياء كبيراً. اضطره ذلك إلى نفي آية الله الخميني الذي استقرّ في العراق، في حين كان التوتّر الاجتماعي يأخذ في الازدياد. وقد أدّت مظاهرات عنيفة إلى الثورة التي أرغمت الشاه على مغادرة إيران في شهر كانون الثاني - يناير ١٩٧٩ وإخلاء الساحة للجمهورية الإسلامية الحالية.

١٩٢٦ - ١٩٤١

رضا شاه

١٩٤١ - ١٩٧٩

محمد رضا

بَهْمَن (آل) - ٧٤٨ - ٩٣٣ هـ / ١٣٤٧ - ١٥٢٧ م، أسرة

إخلاصهم الشديد لحاكمهم المحلي، ويعتبرونه مثلاً للإمام الغائب، وبراعون القواعد الفقهية التي سادت قديماً في دولة الفاطميين، وكانوا لا يتزوجون إلا في ما بينهم.

نشأت انشقاقات متعددة داخل الطائفة، نذكر منها الانشقاق الذي حصل في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حين عادت إلى السنة جماعة من البهزة يمارس أفرادها الزراعة. وكذلك الانشقاق الذي حصل في القرن السادس عشر، والذي سببه داع أتى من اليمن وأقام في الهند، فنتج عنه فرعان عُرفا بالداودية والسليمانية. يسكن الزعيم الحالي للبهرة الداوديين في بوساي، أما مركزهم الثقافي ففي سراة، بينما مركز السليمانية في بارودا.

بَهزَاد، الأستاذ كمال الدين بهزاد، (ت سنة ٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥ م)، هو أحد أشهر ممثلي رسم المنمنمات الفارسية في أواخر العصر الوسيط. كان يشتغ بحماية الحكام الذين كانوا يستقبلونه في بلاطاتهم غير مترددين في انتهاك قواعد حظر الرسم التحسيني. حظي بهزاد بتقدير [السلطان] حسين باقرا من سلالة التيموريين، ابتداء من سنة ١٤٨٨ م، ثم انتقل بعد ذلك إلى تبريز ليدخل في خدمة الشاه الصفوي إسماعيل الأول فعيّنه رئيساً للمكتبة الملكية سنة ١٥٢٢ م واستمر في العمل خلال حكم الشاه طهماسب الأول خليفة الحاكم السابق. إن مظاهر التكريم التي نالها توافق الضرب الذي خضع به في نصوص المصادر القديمة. وقد نشئ له أن ينقل تعليمه إلى تلاميذه العديدين الذين كانوا يحيطون به ويعملون بإدارته في مشغل رسمي. ومن هذا المشغل خرجت روائع فنون تزيين الكتب.

إضافة إلى المعلومات التاريخية الدالة على وضع الفنانين في إيران ورعاية الأمراء أصحاب الذوق الفني الرفيع لهم، هناك شهادات محسوسة تسمح بالتعرف مباشرة إلى موهبة بهزاد. إن الكتب التي نَمَقَهَا بمنمنماته والتي أثبتت الأبحاث الحديثة نسبتها إليه، تكشف عن أسلوب في الرسم غني بزخرفته، يجمع بين واقعية تستلهم الحياة اليومية وفرس ملكي اعتمدته الفنانون المسلمون منذ زمن بعيد.

مالکۃ مسلمۃ ہندیۃ من الدکن الشمالي، انخذت غلبہ او کلبترکہ ثم بیدار عاصمۃ لها. اکتسبت فی العالم الاسلامی، فی نہایۃ القرون الوسطی، شہرۃ واسعۃ. مؤسس ہذہ الأسرۃ حسن اوغشکو غنگو (GANGU)، وهو غامض السبب، أعلن نفسه ملکاً سنۃ ۷۶۴ھ/۱۳۴۷م، باسم علاء الدین حسن بھمن شاہ، علی مقاطعۃ تابعۃ لنفوذ سلاطین دہلی منذ بداية القرن الرابع عشر. عمل خلفاؤه، ومن بينهم تاج الدین فیروز شاہ، علی إغناء مفرہم فی أحسن آباد/غلبہ، بإنشاء المباني المختلفة. فجدبوا الی ہذہ المدينة الصوفیین، وکسبوا وکرم بمعاملتهم الحسنۃ، فنجعوا بذلك ازدهار ثقافۃ عربیۃ إسلامیۃ منتنتها العلاقات البحریۃ المباشرة التي كانت قائمۃ، منذ آمد بعيد، بین شبه الجزيرة العربیۃ والساحل الغربي للہند. وقد جعل الشیخ الصوفی جی جی محمد شیسوراز من عاصمۃ البھمنیین مقراً لہ، فكان يتمتع بقدر کبیر من الإجلال والتقدير. وبقي فیہا فی القرن الرابع عشر مسجد کبیر، وفقاً للفن الفارسی، ما يزال قائماً حتی الیوم وسط التحصينات التي تعود إلی العصر نفسه. وهي تضم إضافة إلی ذلك ضرائح ملکیتۃ أنیقۃ البناء.

منذ تولي أحمد شاہ الملک فی القرن الخامس عشر، انتقل مقر البھمنیین إلی بیدار حیث کان یدور موقعها الإستراتيجي والوضع السائد فیہا أكثر ملاءمۃ لممارسۃ الحكم من العاصمۃ الأولى. أدى التدفق المستمر للإیرانیین ولأغراب آخرین متقنین علی ہذہ المدينة إلی إدخال المذهب الشيعي علی وسط دینی متنوع أصلاً. فالتصمت الهوة بین المسلمین المحليین الذین ينتمون منذ القدم الی المذهب السني، والمسلمین الأسیاد الجدد الذین یقتلون تيارات دینیۃ حدیثۃ الدخول إلی المدينة. یمکننا أن نجد فی ذلك سبباً من أسباب إضعاف سلطة البھمنیین عقب الصراع المستمر للشراف الممتناسة. وقد أدى ہذا الوضع، بالرغم من جهود الوزير محمود قوام الذي اغتيل سنۃ ۱۴۸۱، إلی تقسیم الدولة إمارات مستقلة تبعاً لعدد مقاطعاتها الإداریۃ، بکلام آخر، تبعاً للتقسیم الجغرافي لہضۃ الدکن. ففي بیدر نفسها، حکم البریدشاہیون ثم

حلی محلہم العادلشاہیون فی بھیاور الذین کانوا مع الفطیشاہیین فی کُلکندہ من أبرز ورتۃ البھمنیین، بینما بقي کل من العادلشاہیین فی برار والنظامشاہیین فی أحمدنغر ودونت آباد أقل شہرۃ بالنسبۃ إلی الأولین.

بھمنیو گلبرگہ او غلبہ/أحسن آباد

علاء الدین حسن بھمن شاہ ۷۴۸-۱۳۴۷ھ/۱۳۵۸م

محمد الأول ۷۵۹-۱۳۵۸ھ/۱۳۷۶م

علاء الدین شجاع ۷۷۶-۱۳۷۵ھ/۱۳۷۸م

داود ۷۷۹-۱۳۷۸ھ/۱۳۸۰م

محمد الثاني ۷۸۰-۱۳۸۷ھ/۱۳۹۷م

غیاث الدین تھمن ۷۹۹ھ/۱۳۹۷م

شمس الدین داود الثاني ۸۰۰-۱۳۹۷ھ/۱۴۰۰م

تاج الدین فیروز شاہ ۸۰۰-۱۳۹۷ھ/۱۴۲۲م

بھمنیو بیدر/محمد آباد

شہاب الدین أحمد شاہ ۸۲۵-۱۴۲۲ھ/۱۴۳۶م

علاء الدین أحمد الثاني ۸۳۹-۱۴۳۶ھ/۱۴۵۸م

علاء الدین ہمایون ظالم ۸۶۲-۱۴۵۸ھ/۱۴۶۱م

نظام الدین أحمد الثالث ۸۶۵-۱۴۶۱ھ/۱۴۶۳م

شمس الدین محمد الثالث ۸۶۷-۱۴۶۳ھ/۱۴۸۷م

شہاب الدین محمود ۸۸۷-۱۴۸۲ھ/۱۵۱۸م

«راجع المستند ۳۲»

بھوپال، من أقالیم الاتحاد الهندي الحاليۃ، تطابق دولة إسلامیۃ كانت قائمة منذ القرن الثامن عشر وكانت تُعتبر الثانية من حیث الأهمیۃ بعد حیدر آباد.

أنشأ ہذہ الدولة زعيم حربي باتاني دخل فی خدمۃ الأباطرة المغول، فأُسس، فی العام ۱۷۲۸، مدينة بھوپال التي حوّلها أحد خلفائہ إلی عاصمۃ. بُنيت المدينة التي عرفت نظراً سريفاً، قرب بحیرتین مشہورتین بجمالہما، ورؤدت بقلعۃ اسمها «فتح غارت» (Fathgarth). ضُمَّت فی ما بعد الی النواة الأصلیۃ المعروفة باسم «شہر خان»، أي المدينة الملکیۃ، ضواح عديدة.

الميزة الأساسیۃ لہذہ الدولة أنها خضعت، ابتداء من العام ۱۸۲۰ حتى ۱۹۲۶، لأمیرات متزوجات من أمراء، لكنّ الحكم کان فی أيديہن. قبلت الأمیرات، ابتداء من العام ۱۸۲۷، الوصایۃ البريطانيۃ. وقد أدى تقسیم شبه القارة الهندیۃ مع الاستقلال إلی ذوبان دولة

مخصصاً لتأمين حاجات الجيش والترسانة العسكرية. إلّا أنَّ هذا الواقع لم يؤدِّ إلى ازدهار فن العمارة والحياة الثقافية.

لم يستمرَّ وجود القلعة الإسلامية في بودا مدة طويلة، فقد طُلمس ذكرها بعد أن عُرِّضَتْها الحصارات المتلاحقة للخطر منذ بداية القرن السابع عشر، لا سيّما معارك ١٦٨٤ و ١٦٨٦ التي أدّت إلى تدمير مبانيها وتهدّج سكّانها المسلمين. إلّا نكاد لا نجد اليوم إلّا بعض الشواهد، وذلك في بقايا آثار الحمامات الضخمة، وفي بناء الطرّيح الذي كان، لمدّة طويلة، موضع إكرام، وهو القبر المسمّى عُلى بابا.

◀ راجع المستند ٢٦.

بور سعيد (جمهورية مصر العربية)، مدينة مرفئية على البحر المتوسط تقع على مدخل قناة السويس. أسست سنة ١٨٥٩ واستمرّت في النمو حتى أيامنا الحاضرة. عندما أُخذ قرار بشقّ القناة في عهد والي مصر سعيد باشا، جرى حفر المنشآت البحرية التي حملت اسمه وسمحت بشوّه تجمع سكّاني جديد. وسرعان ما أصبحت المدينة - التي كانت قد بُنيت جزئيّاً على أعمدة وضمت حيناً أوروبّيّاً استقرّت فيه مكاتب شركة قناة السويس - مركزاً تجاريّاً. لكنّ، على الرغم من احتضانها، في الأصل، مجموعات سكّانية من أجناس مختلفة، فقد نشأ الطابع الإسلامي لسكّانها على مرّ السنين، في حين كانت القناة - التي أُنجزت في العام ١٨٦٩، في عهد الوالي إسماعيل الذي أصبح الخديوي والذي احتفى بتدشينها الشهير - تُفتّح أمام الملاحة الدوليّة وتجنّي أربابها لا تخضع في غالبيتها للرقابة المصرية. بعد قرن من الزمان، عانت بور سعيد انطماع، والصراعات المسلّحة الناتجة عنها وعن قرار الرئيس جمال عبد الناصر، سنة ١٩٥٦، بجعل القناة رهاناً رئيساً لسياسات القومية.

بورسه أو بروسا (الجمهورية التركية): مدينة في غرب الأناضول، أُطلق عليها، في الغرب، اسم بُروس لمدة طويلة. أصبحت عاصمة الأمبراطوريّة العثمانية بين عامي ١٣٢٦/٨٨٠٥ و ١٤٠٢م، وما تزال، حتى اليوم،

يهوبال في الاتحاد الهندي الذي دخلته عام ١٩٤٩، كما أدّى إلى هجرة آخر وريث للسلاطة إلى باكستان.

بوداتيه (معركة)، ١١٤٤هـ/٧٣٢م، اشتباك في أقاصي العالم الإسلامي حسم، بشكل قاطع وقف توسّع فتوحاته في أوروبا القرون الوسطى، وقد تناوله الروايات التاريخية العربية والإفرنجية من منطلقين مختلفين تماماً.

اكتشف المصادر العربية القديمة بالتلميح إلى تلك المعركة التي اشتمت فيها فِرَق يهودها أحد حُكّام الأندلس المسلمين مع جيوش شارل مارتل (Charles Martel) المسيحية. ولا نفع على ذكر لها واضح، وإن مقتضباً، إلّا في كتابات مؤرّخي القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد التي تحدّد موقعها في مكان وسم به «بلاط الشهداء». وقد تعرّف البحّاة الحديثون بدقّة إلى هذا المكان بالقرب من بقايا طريق رومانية، فربّما استمرّت ذكرها في التسمية الحالية لموقع موسيه لا باتاي (Moussais-la-Bataille).

بوداپست (هنغاريا)، تسمية ناتجة من اندماج مدينتين طالما كانتا منفصلتين على ضفتي نهر الدانوب، هما: بودا (في التركية بودين) وبست. وقد استعمل العثمانيون الأولى منها قاعدة لاحتلالهم العسكري لهنغاريا التي ضمّوها عنوةً إلى إمبراطوريتهم.

بعد سقوط قلعة بودا في يد السلطان سليمان القانوني، أعيد النظر في التنظيم الإداري لهذه المنطقة الحدودية، بحيث أُخضعت لسلطة الباشا الذي أقام فيها منذ ذلك الوقت بصفة بيّلي (beylerbey) - وهي منطقة أساسية بالنسبة إلى سياسة المواجهة العسكرية المعتمدة في سبيل توسّع الإسلام نحو الغرب، وكذلك بالنسبة إلى حماية المناطق التي تمّ الاستيلاء عليها. إنّ الاستحكامات الدفاعيّة للقلعة والقصر القديم، المدعّمة بوجود حامية وافرة العدد، قامت، منذ ذلك الوقت، بدور مهمّ. نتج عن ذلك تحوّل كبير في المدينة نفسها، وفي سكّانها الذين ينتمي أكثرهم إلى المهاجرين القادمين خصوصاً من مناطق البلقان التي اعتنقت الإسلام، كما في نشاطها التجاري والحرفي الذي كان

على الدولة العثمانية التي تغلب عليها، يظهر بوضوح في الصروح التي شيدها بذورهم، وأبرزها تلك التي بناها محمد الأول شلي، منها الجامع الأخضر، والصرع الأخضر. ونعود التسمية إلى الخزف الذي زُخرف به المسجد من الداخل، والصرع من الداخل والخارج. وقد بلغ هذا الخزف في زخرفة الرواق الملكي والمحراب جودة عكست مهارة الحرفيين الذين أتقنوا فتحهم في سمرقند، حيث اقتادهم تيمورلنك أسرى، قبل عودتهم إلى الأناضول. لكن هندسة المسجد وواجهته المبنية بالرخام الأبيض لم تكن أقل أهمية، في حين أن نماذج أخرى من الزخرفة بالخزف، مستعملة في التزيين الداخلي لمجموعة من الأضرحة الأخيرة، كانت تشكل المنصر الأهم الذي يُعني أبنية مسجد الرُادية الذي شيده مراد الثاني، عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، وهو آخر أثر عمراني تركه السلاطين العثمانيون في بورصة.

في الواقع، منذ أن فقدت بورصة دورها عاصمة للعثمانيين، أصبحت مركزاً اقتصادياً تلقى فيه القوافل المحملة بضائع من أماكن مختلفة، ولا سيما من تبريز، والتي تنقل بضائع عبر الأناضول نحو المتوسط في ما عُرف بـ«طريق الحرير». إليها تصل أيضاً بضائع الهند التي كانت تنقل عبر الطريق البحري إلى الخليج العربي الفارسي. وإليها أيضاً كان يأتي التجار الإيطاليون ليحصلوا على منتجات الشرق.

غير أن ازدهار بورصة بدأ يميل إلى الانحدار في القرن الثامن عشر، بسبب منافسة أسواق أخرى، وانخفاض مستوى إنتاجها من النسيج، في مقابل تدفق القطنيات الآتية من أوروبا. وكان لا بد من انتظار العصر الحاضر، بعد جلاء الجيوش اليونانية عام ١٩٢٢ - وكانت قد احتلتها عام ١٩٢٠ - لتعود بورصة مركزاً تجارياً، وبخاصة صناعياً مزدهراً، وبرز في الوقت نفسه تراثها المعماري الذي يعود إلى العهد العثماني الأول، لا سيما نماذج المساجد المسماة المساجد-الروايا التي لا تشبهها أي مجموعة في أي مكان آخر.

«راجع المستشير ٢٧ و٨١».

تضم أعمالاً عمرانية تشهد على عظمة تلك المرحلة. إن بورسيا الأولية القديمة، التي أصبحت إحدى مدن بيزنطية الأساسية، كانت ما تزال تحت سيطرة هذه الأباطرة حوالى سنة ١٣٠٠. بعد أن كابدت الغزوات العربية - الإسلامية في القرنين السابع والثامن للميلاد، وبعد أن فتحتها السلاجقة عام ١٠٧٥. وقد تبع هذه المرحلة صراعات مستمرة حتى بداية القرن الثالث عشر. في هذه المرحلة، كانت بورصة قاعدة البيزنطيين الصلبة. ولحقاً، طمع بها حكام الولايات العثمانية الصغيرة في بيسنينا، فاقترحموها عام ٧٦٦هـ/١٣٢٦م، وطردوا اليونانيين من قلعتها وأقاموا مكانهم، وحولوا الكنيسة البيزنطية مسجداً.

في ما بعد، اتخذ الأمير أورخان مدينة بورصة عاصمة له، وشيد خلفاؤه مباني مختلفة حول القلعة، في الحي الذي أصبح مركز المدينة التجاري. وكذلك في ضاحية شكرجي، حيث شيّد مراد الأول خلدوندار، بين ١٣٦٦ و١٣٨٥، المجموعة المعمارية المؤلفة من طابقين، وهي تضم المسجد-المدرسة، وتنظم بشكل بارز، خلف واجهتها المبنية بحجارة جميلة على طراز قصور البندقية. ثم عرفت المدينة نهضة مميزة على عهد بايزيد الأول يلديريم. وبني المسجد الجامع ذو القباب المتعددة المعروف بـ«أولوجام» بين ٧٦٧ و٨٠٣هـ/١٣٩٥ و١٤٠٠م، وكان يحمل اسم السلطان الذي توج بعماراته إحدى أجمل تلال الموقع، وذلك بشييده المجموعة التي تضم مسجداً ومدرسة وضريحاً.

في سنة ١٤٠٢م، تعرضت مدينة بورصة للنهب على يدي تيمورلنك بعد معركة أنقرة، فقتل العثمانيون عاصمتهم إلى أدرنة. لكن المدينة نهضت سريعاً بعد أعمال السلب والنهب، وبقيت في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، مثلما كانت قبل غزو القسطنطينية وبعده، إحدى الحواضر الكبرى الثلاث في الأباطورية، مع اسطنبول وأدرنة. وكانت تستخدم مركز قيادة للحملات نحو الشرق، كما احتفظت، حتى القرن السابع عشر، بالقصر الذي كان السلطان يقيم فيه أحياناً. إن اهتمام السلاطين الذين ثَمروا إرث بايزيد الأول ببورصة، رغم الإجراءات السيئة التي فرضها تيمورلنك

السباسب، ومع الزيادة في عدد معتقي الإسلام. وفضلاً عن تأثير المذهب المالكي السائد حتى ذلك الوقت، هناك تأثير الطُرق الصوفية مثل القادرية والتيجانية، وفي الوقت نفسه ازدهار الإقبال على أداء فريضة الحج. إنَّ الانحطاط الذي أصابها، بخاصة في القرن التاسع عشر، كان موازياً لنموً إمبراطوريات البول (Peuls) أو القُلبَة المنبثقة من الجهاد، ولضراوة حملاتهم. لكنَّ جهود رجل دين مثقف محلي، برز زعيم حرب نشيطاً، هو الكامي، ضمنت المقاومة ضد سوكوتو، كما ضمنت تأسيس سلالة حاكمة جديدة نصَّدت بدورها حوالي نهاية القرن التاسع عشر، مع هجمات أخرى كان مصدرها منطقة الأوداي هذه المرَّة، أنهاها الانتصار الفرنسي في العام ١٩٠٠. إنَّ فرعاً من أسرة كامي، وهي الأسرة الحاكمة الأخيرة، أعيد إلى الحكم بفضل سلطة الاحتلال البريطاني، ليقيم قرب عاصمة مايدوغاري القديمة التي أصبحت المركز الإداري الحالي لمنطقة بورنو في نيجيريا.

البُورُون، (١٩٧هـ-١٤٩٧م/١١٠٤-١١٥٤م)، سلالة حاكمة من الأتراك الأتابكة، نشأت من تجزئة إمبراطورية السلاجقة الكبار. كانت عاصمتها دمشق لكنَّها لم تمُتَّ طويلاً.

أسسها طُغتكين، أتابك (أي الوصي على) دُقاق، ابن الأمير السلجوقي تئش، وهو الملك الأخير من سلالة السلاجقة السوريين التي لم تحكم مدَّة طويلة. أخذت سلالة البوريين اسمها من ابن طغتكين المسمَّى «بوري»، الذي حكم بين عامي ٥٢٢هـ/١١٢٨-١١٣٢م. خلف بوري أبناؤه الثلاثة، ثمَّ أحد أحفاده الذي ترك السلطة بيد «أنور» أتابكه الخاص، غير أنَّ المرحلة الأهمَّ كانت بين ٤٩٧هـ/٥٢٢م-١١٠٤م، أي عهد طغتكين نفسه، وهو الملوك القديم الذي تزوج من صفوة المُلْك، والدَّة ولي العهد القاصر، بعد أن كان مستشاره، ثمَّ حصل بعد ذلك على الميراث. وقد نجح لسنوات في التَّباع سياسة استقلال حقفي لسوريا الجنوبية، إزاء الدولة المتنافسة القائمة على حلب، وإزاء المملكة المسيحية في القدس التي استطاع أن يعقد معها تحالفات مؤقتة، وإزاء سلطة الخليفة في بغداد الذي

يوركينا فاسو (جمهورية يوركينا فاسو الديمقراطية الشعبية)، مساحتها ٢٧٤ ألف كلم^٢. عاصمتها أوغادوغو. دولة مستقلة في أفريقيا السوداء الساحلية. يبلغ عدد سكَّانها حوالي النِّصْف مليون نسمة، بشكل المسلمون فيها أقلِّيَّة تناهز ربع هذا العدد. إنَّ هذه المستعمرة الفرنسية القديمة في القوئنا العليا تحيط بها، لجهة الشمال، دول أكثر سكَّانها من المسلمين، مثل جمهورية مالي والنيجر، وتجاورها جنوباً دول أخرى ذات أقلِّيَّات مسلمة كبيرة، مثل جمهوريات بنين وتوغو وغانا، ولا سيَّما ساحل العاج. إنَّها تعكس، من الناحية البنيَّة، حصيلة التطور الفريد الذي مرَّت به البلاد حتى عهد قريب.

في نهاية القرن الثامن عشر، بدأ الإسلام يلعب دوراً سياسياً في المملكة، بعد أن انتشر في الأوساط التي تتعاطى الأعمال التجارية، وكان ينتمي إليه، منذ عهد بعيد، البول أو القُلبَة، سكَّان المنطقة الشَّمالية، الذين ارتبطوا لاحقاً بإمبراطورية سوكوتو. وقد مارس الإسلام تأثيراً قوياً غربى البلاد في القرن التاسع عشر، وذلك بسبب الممالك السوداء التي تدرَّجت به. إنَّ المكانة التي شغلها المسلمون استمرَّت في النموِّ والازدياد بعد الاحتلال الفرنسي عام ١٨٩٧، كما بعد إعلان الجمهورية المستقلة عام ١٩٦٠.

بورنو (مملكة أو إمبراطورية -)، إمارة إسلامية قديمة في أفريقيا الغربية السوداء. كان مركزها في المنطقة الواسعة التي تحمل الاسم نفسه شمالي جمهورية نيجيريا الفدرالية الحالية. بقيت، حتى العصر الحاضر، خاضعة لسلالات حاكمة متتابعة.

بلغت إمبراطورية بورنو أوج مجدها في القرن الخامس عشر، بعد أن استقرَّ فيها حكام كائِم الذين طردوا من مقاطعاتهم. ومع أفول إمبراطورية الصَّنْغاي، امتدَّت سيطرتهم غرباً حتى منطقة كانو، وشمالاً حتى أبيير في قلب الصحراء. وشرقاً إلى ما وراء بحيرة تشاد، إذ كانت مملكة كائِم خاضعة لسيطرتهم.

توافقت نهضة بورنو، القائمة في الدرجة الأولى على الغزوات الحربية، مع نموِّ الأنشطة التجارية المعهودة في الإمبراطوريات السودانية في منطقة

القرون الوسطى، عندما كانت منطقة غجرات، التي تشكل القسم الرئيسي من البلاد، تستقبل أولى الجماعات العربية - الإسلامية الآتية بحراً. واستمرت بعد ذلك، أي منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، تحت حكم الأمراء المسلمين، خاضعة، في الوقت نفسه، لتأثيرات متتابعة لتيارات دينية متعددة. من هنا تعددية المظاهر الاجتماعية والقومية المنشحة بردها الإسلام المتنوّل بتأثيرات مختلفة.

إنّ أغلبية المسلمين، ولا سيّما السنة، كانوا خاضعين لضغوط الحشاعات الصغيرة الشيعة الإسماعيلية، البهرة والخوجا، الذين يحتلون في المجتمع الحالي مركزاً مرموقاً، بعد أن قاموا بدور في تحديث الهند الإسلامية. وليس من باب الصدفة أن تكون بومباي المدينة التي اعترف فيها بحقوق أغا خان عام ١٨٦٦ بقرار من محكمة إنكليزية، والمدينة التي استطاعت أسرة تيباجي فيزي، وهي عائلة من البهرة السليمانيين، أن تسخر لأغراضها الشخصية السياسية - الدينية، تكتيكا اجتماعيا وثقافيا غربيا مستمرا، في الوسط البريطاني، طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر

◀ راجع المستندين ٣٣ و ٣٥.

البوسميدون ← مسقط (سلاطين).

البوسنة، أو البوسنة - الهرسك (بالتurكية بوسنة وهرسك إيلى)، منطقة جبلية شمالي البلقان، تقع غربي صربيا، عرفت أربعة قرون من السيادة الإسلامية في ظلّ الامبراطورية العثمانية، وتميّزت بأهمية المجموعة الإسلامية فيها.

تغطي مساحتها التي تبلغ ١٢٨ ٥١ كلم^٢ أراضي مقاطعة البوسنة والهرسك التي كانت الامبراطورية النمساوية - الهنغارية قد أنشأتها في عام ١٨٧٨، بعد أن ضمت إليها السحقين العثمانيين اللذين كانا يحملان الإسمين نفسيهما، وقد أصبحت لاحقاً، عام ١٩١٨، جزءاً من مملكة صربيا وكرواتيا وسلوفانيا التي تأسست في هذا التاريخ. بين الحربين العالميتين أصبحت البوسنة وحدة إدارية تابعة ليوغوسلافيا، وتحوّلت، منذ

منحه براءة التعمين رسمياً عام ١١٦٦م. لكنّه، مع ذلك، أخفق في إنقاذ مدينة صور الساحلية المهمة من حصار الفرنج، فأُغمِمت على الاستسلام عام ١١٢٤م.

بعد وفاة طغتكين، أصبح استمرار إمارة دمشق أمراً صعباً، فهو الذي أسسها ولكنّه ترك لخلفائه مهمة الدفاع عنها بوجه المظالم الجديدة من جانب الزنكيين. منذ ذلك التاريخ، أصبحت سلطة البورجيين مهددة، في الوقت نفسه، من قبل فرنج الدولة اللاتينية الذين ضربوا الحصار حول دمشق عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م، ومن قبل أميري سوريا السامائيين المسلمين اللذين حلّوا محل السلاجقة، أي زنكي وابنه نور الدين.

لم يتردّد أسيد دمشق، في بعض المناسبات، من التحالف مجدّداً مع الفرنج لإبعاد هجمات خصومهم، لكنهم انتهوا إلى الاستسلام أمام حملات نور الدين الذي دخل إلى مدينة تتأكلها صراعاتها الداخلية. فطوال هذه المرحلة الأخيرة اصطدم البوريون، الذين لم يحظوا بإقرار البودجوازية المحليّة بسلطنتهم، بميليشيات نشأت في المدن، من جهة، وجماعات إسماعيلية، من جهة أخرى، ما ساهم بشكل فعّال في إصعافهم.

البوصيري، شرف الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد الفصّنهاجي (٦٩٩هـ - ٧٦٩هـ/١٢٩٤ - ١٣٧٢م)، شاعر مصري بربري الأصل، ألف بخاصة أشعاراً دينية.

ولد في صعيد مصر حيث درس على مرشد صوفي، ثم أقام نبأها في القدس فالمدينة المنورة، فمكة، قبل أن يستقرّ في بلبيس. مات في الاسكندرية.

خطاط ومحدث، قامت شهرته بوجه خاص على قصيدته في مدح النبي (ﷺ) وعنوانها البُرْدَة (الرداء) الذي كان يلبسه الرسول (ﷺ). وقد حظيت شهرة واسعة. إن أبيات هذه القصيدة التي تناولتها شروح متعددة، كثيراً ما تُلقَى في المآتم، أو تُنْجَرَج في التعازيد.

بومباي (الاتحاد الهندي)، حاضرة ومرفاً عصري كبير، يقع على الساحل الغربي للهند، حيث بقيت أقلية مسلمة ناشطة، بعد التقسيم الذي حصل عام ١٩٤٧ ونشوء دولة باكستان.

كان هذا الوضع انعكاساً لتاريخ المنطقة منذ أوائل

وتطبيق الشريعة. في الوقت نفسه، استمرّ فيها، أكثر من أيّ مكان، طابع الحضارة الإسلامية التي مهوت النتاج الأدبي، وبرزت في الأساليب المعمارية وفي تنظيم المدن، في الأحياء القديمة من سارايفو وبناجا لوكا أو مسنار. من هذا الوضع الموروث نتجت الصعوبات المأسوية أحياناً، والمواجهات الحريّة التي طبعت أرض البوسنة - الهرسك بعد انحلال الاتحاد الفدرالي اليوغوسلافي سنة ١٩٩٠.

البول أو القلعة، من سكان أفريقيا السوداء الغربية المسلمين، وقد أدّوا دوراً تاريخياً متزايد الأهمية منذ القرون الوسطى حتى الفترة المعاصرة. استقرّت هذه القبائل المكوّنة من رعاة رُحّل من العرق الأبيض ومن أصل نوبي، منذ ما قبل التاريخ، في الصحراء الكبرى قبل أن تنسلّ إلى سهوب المنطقة التي كانت تُعرف بالسودان الساحلي. استقرّ القلعة للمرّة الأولى، منذ القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، في فونتا تورو في منطقة السنغال الحالي، ثم انتشروا ببطء نحو الشرق حيث أسسوا أمبراطوريات متعاقبة، في حين كان يتوقّد، في كل مرّة، التفوّق العسكري والتصلّب الديني لهؤلاء الفانحين الجدد المتأثرين بتعاليم الطرق الموصوفة المتخاصة مثل القادرية والتيجانية.

من أمبراطورية الـ«بول» في ماسينا التي أسست في نهاية القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، نزعرت الدول التي نشأت اعتباراً من القرن الثامن عشر في فونا دجالون وفي فونتا تورو وفي المقاطعات الشمالية لنيجيريا الحالية، أي في غانغو وسوكوتو كما في أداماوا، وصولاً إلى الذروة الموقّنة مع أمبراطورية الحاج عمر. خلال كلّ فترة، كان جهاد الـ«بول» يؤدّي إلى مرحلة جديدة من الأسلمة مبنية على جهود الإصلاحيين ذوي الطموحات السياسية والعقائدية في آن، وعلى تنظيم شبه إقطاعي لسلطة خاصة بالـ«بول». من جهتها، أصبحت لغة الـ«بول» عنصر ثقافة إسلامية شكّلت باستمرار وسيلة التعليم التقليدي، إلى جانب اللغة العربية التي غالباً ما احتفظت بالتعليم المكتوب.

بون ← عتابة.

١٩٤٦، إلى جمهورية إشتراكية، في إطار جمهورية يوغوسلافيا الفدرالية التي ضمت ست جمهوريات. تعود ميزتها الأساسية إلى عدد سكّانها الذين حافظوا على انتمائهم إلى الإسلام والذين تفوق نسبتهم أربعين بالمئة، في جماعة ذات طابع قومي، مستعذّة لتحمل مسؤوليات سياسية، والتتميّر عن أقلّيتين أخريّين هما الصرب من جهة، والمكروانيّين من جهة أخرى.

إنّ «الأمة» الإسلامية بالمعنى المألوف لـ«الملل» أو لإ«القوميات الطائفية» في السلطنة العثمانية، كانت تتألف بخاصّة من الصقالبة الذين اعتنقوا الإسلام زمن الاحتلال التركي، بحقن في ظروف تاريخية خاصّة بالبلاد. كانت ظروف الغزو العثماني لهذه المنطقة مختلفة عن ظروف غزو مقاطعة صربيا المجاورة التي وقعت في نيعة كاملة، بعد هزيمة جيشها في كوسوفو منذ سنة ١٣٨٩. وقد استطاعت مملكة البوسنة التي بدأت السيادة التركية تُمارس عليها في النصف الأول من القرن الخامس عشر، أن تصمد حتى ١٤٦٣، في حين أن هجمات السلاطين كانت تتوالى عليها بشكل منقطع، رغم تدخلات هنغاريا. وكانت تخضع لتنظيم إداري مركزي يسهّل على الإقطاعيين البوسنيين الانضمام إلى النظام الجديد. نتج عن ذلك تحوّل جذري في النظام الاجتماعي قوامه اعتناق الإسلام ونهضة اقتصادية فعلية. إنّ المراحل المتعددة لهذا التحوّل المتدّعم بمبادرات الولاء الأتراك، وبالتأثير الثقافي للفرق الصوفية، ما تزال غامضة، وهي موضوع جدل بين المؤرّخين. لكنّ نتائجها ظهرت في القرن السادس عشر، مع ازدهار شبكة من المدن وتنظيم عسكري وإداري فعال.

إنّ تحجّر المؤسسات العثمانية لاحقاً، والأزمات المالية، وتراجع السلطنة، وانهزامات جيوشها المتتابعة، كل ذلك لم يمنع من أن تصمد في البوسنة، أكثر من أيّ مكان آخر، طبقة محلية إسلامية حاكمة، لم يكن لها ضلع في الثورات الشعبية خلال القرن التاسع عشر. وقد نجحت في الحصول من الحكومة المساواة - الهنغارية على وضع مميز يضمن لها، بشكل خاص، إدارة داخلية مستقلة لشؤونها الدينية، ولأموال الأوقاف التي يتركز عليها عمل منظماتها المستقلة، في ما يتناول التعليم

البويهبي، بعد موافقته على المحافظة على الخلافة العباسية السنية والدفاع عنها، من دون أن ينكر إيمانه بالشيعة الإمامية الاثني عشرية، لم يعد له من هدف إلا أن يكون طليق اليد ليحكم على هواه. لكنه لم يكن ليحقق ذلك بدون أن يفرض إرادته على الخليفة الذي كان يُجهِد نفسه في مقاومته. لذا كان يعدد إلى خلعهِ وتعيين خليفة آخر أكثر طواعية. أمّا الخليفة الذي كان يجد نفسه مرغماً على الخضوع لأمير الأمراء، فلم يكن ينفذ الأمل في استعادة استقلاله. هذا ما قام به الخليفة القادر، عندما نال دعم سلالة الغزنويين الحاكمة المستقرة حديثاً في خراسان، ليدين علناً العقائد التي يعتنقها حماته (البويهبيون).

من جهة أخرى، لم تلقِ محاولات البويهبيين الجاهدة في تأييد العقيدة الإمامية موافقة الشعب العراقي. إن الاحتفاء بالأعياد المختصة بالشيعة كذكرى عاشوراء (استشهاد الحسين)، وذكرى تولية الرسول (ﷺ) للإمام عليّ في غدير خم، أثار ردات فعل عنيفة في العاصمة بغداد، ما دعا إلى تلقيها مرّات كثيرة، ثم إلى إلغائها نهائياً في مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. فضلاً عن ذلك، فإنّ التوازن السياسي الهش القائم بين الخليفة وأوصيائه كان كذلك حصيلة التدهور المستمر في الوضع الإداري والمالي في ذلك العصر. كان البويهبيون يعتمدون على جيشهم الخاص المؤلف من ذُليّمين، وكانت وحداتهم كثيراً ما تصطدم بالقوّات العسكرية المؤلفة من العبيد الأتراك التي كانت تعتمد عليها ألفاً قوّة الخليفة. وكان هذا الجيش الديلمي يتطلّب عطاءات مالية ضخمة، ما دفع المسؤولين، المضطرين لتأمينها له، إلى تطبيق نظام ما لبث أن ظهرت سببته، وهو التنازل لقادة الجيش، عوضاً عن أجرهم المستمر، عن أراضي تشكّل إقطاعاً لهم.

لقد سهّل هذا النظام الإجراءات الإدارية، لكنه أفسح في المجال لتجاوزات كثيرة، فكانت نتائجها وبالأعلى الوضع الاقتصادي؛ إذ لم يكن الإقطاعيون يستغلّون المزارعين وحسب، بل كانوا يستمتعون حتّى عن دفع الحد الأدنى من الضرائب المتوجّبة عليهم إلى خزينة الدولة، ما أدّى إلى إفقار الدولة وسوء استعمال الأراضي.

البُوهَيُون (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)، سلالة من الأمراء الإيرانيين يعود أصلهم إلى بلاد الديلم، حكموا، مع بقائهم منقسمين كلياً إلى فروع عائلية عدّة، باسم الخليفة، الأميراطورية العربية الإسلامية معترفين بسلطة العباسيين الشرعية.

اعتنقوا المذهب الشيعي، وعلى الرغم من الصراعات الداخلية بين أفراد جماعتهم، استطاعوا أن يؤسّسوا نظاماً ذا جوانب مشتركة، وذلك ناتج عن خيانتهم الدينية التي أدّت إلى نزاعات اجتماعية. وعن ميلهم إلى رعاية الأدب وما نتج عنها من تطوّر فني وثقافي.

منذ العام ٣٢٤هـ/٩٣٦م، أرغم الخليفة العباسي الراضي، الذي وقع فريسة صعوبات مادية مستعصية، على أن يعهد بسلطاته العسكرية والمالية إلى الأمير ابن رائق الذي حصل على لقب «أمير الأمراء». وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، آل هذا اللقب إلى أحمد بن بويه، وهو أحد أفراد أسرة البويهبيين، المتمثلة آنذاك بثلاثة زعماء عسكريين متحذرين من أب واحد (بويه)، واحتفظت سلالاته، من بعده، باللقب طوال قرن من الزمن؛ فضلاً عن السلطة التي كان يمارسها أفراد هذه الأسرة في إماراتهم الخاصة، الواقعة بين فارس وكرمان والجيل وخورستان، بدون أن تنسى سلطتهم على العراقي نفسه. إن القطاع الخاضع مباشرة لسلطة الخليفة - وهو الذي يمتدّ على أودية دجلة والفرات الأسفل وقارون حتّى التحصينات الجبلية غربي إيران - شكّل مملكة حفيضة للبويهبيين، لكنّها لم تتوحّد فعلياً إلا في عهد الأمير عضد الدولة الذي سيطر عليها منذ العام ٣٦٦هـ/٩٧٧م حتّى ٣٧٣هـ/٩٨٣م. ولم يكفّ الأمراء البويهبيون عن تنازع مناطقها في ما بينهم، مع إقرارهم المبدئي بسلطة من يحمل منهم لقب أمير الأمراء ويقع في بغداد. لم تكن سلطة البويهبيين الرسمية على هذه القطاعات الواسعة موضوع نزاع مع الخليفة، ولم تتأثّر إلا في حالات نادرة بالتوتر المفرط الذي طبع العلاقات بين الخليفة وأمير الأمراء، كما لم تتأثّر بالعلاقات بين هؤلاء الأمراء الإيرانيين ومختلف عناصر الشعب.

هذا التوتر المستمرّ مرّده أولاً إلى أنّ أمير الأمراء

عليها الزخارف المُؤشِّلة (stylisds) الإيرانية الأصل، سواء النباتية أو الكتابية وأحياناً الحيوانية التي كانت تزيّن بعض المنسوجات أو القطع العائدة إلى ذلك العصر، والتي تكوّن المرجعية الأساسية التي سيطّعت بها الفن السلجوقي في مرحلة ازدهاره.

إنّ التوزّع الجغرافي والزمني لهذه الإنجازات المتنوّعة، ذات الطابع الثقافي، يشهد على وفرة المراكز التي نشأت حول أفراد ينتمون إلى هذه السلالة الحاكمة والتمشّية إلى أقصى حدّ. إنّ، على الرغم من وجود التداخل بين إمارة وأخرى، من السهل، على وجه التحديد، التمييز بين أربعة فروع أساسية حكمت فارس وخوزستان وكرمان والجلال حيث ظهر منذ سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م حتى ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م، فرعان مميزان، كانت مدينة الريّ مركز أحدهما، أمّا مركز الآخر فكان مدينتا همدان وأصفهان، وبعدهما العراق.

بويهيو فارس وخوزستان

٩٣٤-٩٤٩م	عماد الدولة عليّ
٩٤٩-٩٨٣م	عبد الدولة قنّاسخرو
٩٨٣-٩٩٠م	شرف الدولة شيرزاي
٩٩٠-٩٩٨م	صمصام الدولة مؤرّبان
٩٩٨-١٠١٢م	بهاء الدولة فيروز
١٠١٢-١٠٢١م	سلطان الدولة
١٠٢١-١٠٢٤م	مشرف الدولة حسن
١٠٢٤-١٠٤٨م	عماد الدين مرزبان
١٠٤٨-١٠٥٥م	الملك الرحيم خسرو فيروز
١٠٥٥-١٠٦٢م	فولاد شون

بويهيو كُرمّان

٩٣٦-٩٤٩م	معز الدولة أحمد
٩٤٩-٩٨٣م	غضد الدولة قنّاسخرو
٩٨٣-٩٩٨م	صمصام الدولة مرزبان
٩٩٨-١٠١٢م	بهاء الدولة فيروز
١٠١٢-١٠٢٨م	قوام الدولة
١٠٢٨-١٠٤٨م	عماد الدين مرزبان

بويهيو الجبال

٩٣٢-٩٤٦م	عماد الدولة عليّ
٩٤٦-٩٧٧م	ركن الدولة حسن

وعلى خطّ مواز، ثمّ يكن الوضع التجاري مزدهراً، فالحروب المتكرّرة بين أفراد الأسرة البويهية جعلت طرقات العراق قليلة الأمان بالنسبة إلى القوافل، فبدأ التجار يتخلّون عنها مفضّلين طرقات مصر الفاطمية التي كانت تسعى إلى أن تجعل من مرافئها المحطات النهائية للتجارة مع الشرق الأقصى. إنّ ازدهار العراق انحط بشدّة، في حين كانت مدينة بغداد تتكيّد، هي أيضاً، نتائج اختلال الأمن: إنّ كثيراً من أحيائها التي تهدّمت في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أعيد بناؤها، لكن من دون أن تستعيد مطلقاً بهامها القديم.

إنّ هذا التغيّر الذي لم يُصب محيط البويهيين المباشر، لم يؤثّر في الحياة الثقافية والفنية التي أمسّتها رعايتهم للأدب والفنون. ففي المراكز الفكرية التي نشأت في إيران، لا سيّما في الرّيّ وشيراز وأصفهان حيث بقيم الأمراء البويهيين، كان الجوّ الجديد الذي أراده النظام قد أتاح لعلماء الشيعة، كما لمفكرين المعتزلة، حريّة التعبير. في الوقت نفسه، استطاع عدد من المنقّبين غير المنتمين إلى مذهب ديني معيّن أن يتأثّروا بروح الفلسفة التي كانت تزدهر في بلاط بعض الأمراء. وقد نتج عن ذلك مصنّعات قيّمة وضعها علماء وفلاسفة مثل ابن سينا والتوحيد ومكويه، أو أدباء ومفهرسون كالأصفهاني وابن النديم وسواهما. وثمة جغرافيون ورحالة مثل المُقَلِّبي وابن حوقل، ومؤرّخون مثل هلال الصايغ، من دون أن ننسى أعمال المؤلّفين التقليديين، مثل ابن بَكة، التي جعلت من هذا العصر أكثر العصور تألّقاً بالنسبة إلى الفكر العربي الإسلامي.

هذا الازدهار الأدبي البارز كان نتيجة تشجيع البويهيين أنفسهم، أو تشجيع وزرائهم المشهورين أمثال ابن العميد وابن عباد. وقد تزامن مع إنجازات في مجال العمارة والحرف اليدوية، كانت شاهادة على ذوق مرهف، وكانت في رقيّها على نقض من الضعف البنيّ للنظام السياسي. إنّ معظم الآثار العمرانية قد اندثرت باستثناء بقايا المساجد المذكورة، منذ زمن بعيد، في مدينة نائين الريفية الصغيرة، أو التي كشفها حديثاً حفريات مدينة أصفهان. لكن، كما سبق أن أكّدنا، هذه الآثار تدلّ على جودة الزخرفة المبتكرة التي تشهد

بوييوت العراق (٣٨)

مع الدولة أحمد	٩٤٥-٩٦٧م
عز الدولة بختيار	٩٦٧-٩٧٨م
عبد الدولة فتاحسرو	٩٧٨-٩٨٣م
صمصام الدولة مرزبان	٩٨٣-٩٨٧م
شرف الدولة شيرنفل	٩٨٧-٩٨٩م
بهاء الدولة فيروز	٩٨٩-١٠١٢م
سلطان الدولة	١٠١٢-١٠٢١م
مشرف الدولة حسن	١٠٢١-١٠٢٥م
جلال الدولة شيرنفل	١٠٢٥-١٠٤٤م
عماد الدين المرزبان	١٠٤٤-١٠٤٨م
الملك الرحيم خسرو فيروز	١٠٤٨-١٠٥٥م

السلطة السياسية الجديدة التي ظهرت سنة ١٤٨هـ/ ١٢٥٠م. دخل وهو ما زال حيًا عالم الأسطورة من خلال سرد ملحني لمآثره.

ينتمي بيبرس إلى مماليك فيجناق (٣٩) الذين اشتراهم سلطان مصر الأيوبي الملك الصالح، من هنا كان لقبه الصالحي. تميّز بيبرس خلال معركة المنصورة ضد الصليبيين التي انتهت بالفرض على الملك لويس التاسع. واعتبر بعد ذلك، سنة ١٢٥٠م، مسؤولاً عن اغتيال الشاب نوران شاه، آخر ممثل لأسرة الأيوبيين.

تميّز من جديد في معركة عين جالوت التي أدت إلى إيقاف غزو المغول بقيادة هولاكو، وشارك في المؤامرة التي انتهت بقتل السلطان قُطز فكان خليفته.

عندما أصبح بدوره سلطاناً سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، بدأ التصال ضد المغول الذين بقي خطرهم قائماً وضد الفرنج الموجودين في الشرق (الأدنى)، من دون أن يهمل، بالطبع، إعادة تنظيم المملكة التي آلت إليه. بذل نشاطاً عسكرياً بقي مشهوراً، إذ نالت الحملات العسكرية ثلوه الحملات، واهتم بتحصين فلاح المدن داخل سوريا، وتحسين ظروف القتال، إذ أنشأ شبكة يريد مدعشة القتالية. وسعى أيضاً، بشكل تدريجي، إلى نزع إقطاعات الأمراء الأيوبيين التي كانوا يملكونها في سوريا واعطائها في بادئ الأمر إلى المماليك المعروفين بالصالحيين مثله، ومنح هؤلاء الوظائف الحكومية الأساسية. ثم أوكل بهذه الوظائف عبيده العسكريين الذين جتدهم بنفسه ودرّبهم على خدمته وأصبحوا يُعرفون بالظاهرين. ونجح بيبرس أخيراً في إعطاء الملك الجديد شرعية مُستلماً بها، وذلك باستقباله في القاهرة أحد أعضاء الأسرة العبّاسية الذي نجا من المذبحة التي تعرّض لها العبّاسيون إثر سقوط بغداد. نودي بهذا الأمير العبّاسي خليفة، وإن كان خليفة من دون أية سلطة. لكنّ هذا التعيين ضمنّ للدولة المصرية وضعها كدولة إسلامية بامتياز، وجعلها تقرض سيطرتها على الأماكن المقدسة: المدينة المنورة ومكة المكرمة. كذلك ساعدت نتائج إيجابية أخرى في دعم سياسة بيبرس. فكلّ الحملات التي شنّها تقريباً ضد الإيلخانيين الذين حاولوا مراراً شُرّ هجمات معاكسة، وضد أرم

بيالي باشا، ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م، أميرال البحرية العثمانية، بدأ مهنته في عهد سليمان القانوني وأحرز انتصارات عدّة في القرن السادس عشر.

يُقال بأنّه من أصل كرواتي عُيّن في البدء في خدمة القصر في اسطنبول حيث اضطلع بمهام متعدّدة، ثم أصبح أميراً في العام ١٥٥٤، ولمع اسمه منذ ١٥٥٥، عندما استولى على وهران ثم على بجزرت. في العام ١٥٦٠، انتصر على الأسبان واحتلّ جزيرة جربة في خليج فاس جنوب تونس حالياً، فعاد عودة الفاتحين إلى اسطنبول حيث تزوّج، سنة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م، بإحدى حفيدات السلطان سليمان القانوني. في العام ١٥٦٤، قام بمهاجمة مالطا، لكنّه لم يُفلح هذه المرّة، ثم استولى سنة ١٥٦٦ على جزيرة كُيُو. غير أنّه فقد حظوة السلطان سليم الثاني، على الرغم من ذلك، شارك في فتح قبرص. عند وفاته في العام ١٥٧٨، دُفن في اسطنبول بالقرب من المسجد الذي انتهى العمل فيه سنة ١٥٧٤ والذي كان هو قد عهد ببنائه إلى المهندس الشهير سينان. ما يزال هذا المسجد إلى اليوم ماثراً إعجاب لطرّاه المعماري ولزينة الخزف الداخلية.

بيانيّة (فرقة) ← الكيسانيّة.

بيبرس، الملك الظاهر ركن الدين البُيُوتُقاري الصالحي، ٦٢٠-١٢٧٦هـ/ ١٢٢٣-١٢٧٧م، رابع سلاطين مماليك سوريا ومصر، حكم من سنة ١٢٦٠ حتى سنة ١٢٧٧م، مثّر خلال هذه السنوات العاسمة

استطاعت أن تصبح، اعتباراً من القرن الثامن عشر، مقرّ حكام الرومليّ العثمانية، ومركز إدارتهم الإقليميّة، فضلاً عن احتضانها الكلية الحربية التي سيخضعُ ذكرها، في أواخر القرن التاسع عشر، وجود الطالب الذي سيصبح في المستقبل أتاتورك.

وعلى الرغم من إعادة فتحها على يد الصربيين خلال حرب البلقان الأولى، ومن المعارك التي وقعت فيها خلال الحرب العالميّة الثانية، بقيت فيها شواهد مختلفة للأنشطة العمرانيّة ذات الطابع الإسلامي التي عرفتها منذ القرن السادس عشر، ويضمّ سكّانها الحاليون عدداً لا بأس به من المسلمين.

بيجاپور (الاتحاد الهندي)، مدينة صغيرة في دولة مهارشترا الحاليّة، كانت عاصمةً لسلالة العادلشاهيين الشيعة منذ نهاية القرن الخامس عشر حتّى نهاية القرن السابع عشر. وقد احتفظت، من تلك الفترة، بمجموعة مميزة من الآثار ذات الطابع الهندي-الفارسيّ.

إنّ المدرسة المعماريّة التي نشأت في أوج تاريخ المدينة الإسلامي هي التي وُفّرت لبيجاپور، وما تزال، شهرتها الواسعة، على الرغم من الفنون الأخرى التي تنامت فيها، وعلى الرغم من الرعاية النيرة للأدب والفنون التي تولّتها سلالة العادلشاهيين والتي ساهمت في ازدهار فنون المنمنمات والموسيقى والشعر، سواء باللغة الفارسيّة أو الأردية.

إنّ المباني التي شُيّدت فيها، في عهد حاكميها الأساسيين: عليّ الأول (٩٦٥-٩٨٧هـ/١٥٥٧-١٥٧٩م) وإبراهيم الثاني (٩٨٧-١٠٣٦هـ/١٥٧٩-١٦٢٦م)، شملت مساجد جامعة ومدارس وخوانق أو دوريات للصوفيّة، وأضرحة، بعضها مدافن ملكيّة. تميّز هذه الممارات بتوفيقيّة جماليّة مرهفة، وكذلك بذوق في بناء القباب بلغ أوجاً في قبة غُلّ غُلّ (Gol Gumbad)، الضريح الذي بني عام ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م مُميّزاً بقبة يبلغ قطرها ٤٣ متراً، بحيث يافس الرائعة المعماريّة المعاصرة له وهي ضريح تاج محلّ في أغرا.

هذه المدينة الأنيقة التي طبعها سلالة عادل شاه بسمات مميزة، اتّسمت، كذلك، ثقافيّاً، بانتشار الصوفيّة بمذاهبها المختلفة فيها، لا سيّما القادرية

كيليكيّا حلفائهم، تكلّلت بالنجاح. فقد تمكّن خلالها من الاستيلاء على مرفأ أبّاس سنة ١٦٧٤هـ/١٢٧٥م، ومن نزع قلعة الحشاشين الحصينة حول مصيف في شمال سوريا من الإسماعيليين. أما بالنسبة إلى الفرنج، فقد نجح بيبرس شيئاً فشيئاً، بين سنتي ٦٦٣-٦٦٩هـ/١٢٦٥-١٢٧١م، في أن يستعيد منهم مدناً وقلعاً عديدة مثل أرسوف، صفد، باقا، الشيف وأنطاكية التي كان لسقوطها أثر كبير، وأخيراً قلعة الحصن أو حصن الأكراد.

وقبيل موته في دمشق، شنّ بيبرس حملة ضد سلاجقة الروم في الأناضول أدّت إلى احتلال فيصريّة كُبدوقية التي تُعرف اليوم، بـ «فيصري». ولم تُشنّ بعد ذلك أيّة حملة في هذا الاتجاه، لكنّ السلطان النشيط بيبرس ترك بعد موته مملكةً سوريّة - مصريّة في وضع مزدهر، بالقرب من ممتلكات الفرنج التي اقتصرّت على حزام ساحلي ضيّق.

البيت (أهل) - آك محمد.

بيت الله - الكعبة.

بيت المقدس - القدس.

بيتولا (مقدونيا)، مدينة كانت تعرف قديماً باسم «مونستير»، وهي تقع اليوم على حدود جمهوريتي اليونان وألبانيا. قامت بدور بارز في ظلّ السيطرة العثمانية، وما تزال تحتفظ ببعض آثار تلك الحقبة.

انضمت إلى العالم الإسلامي منذ سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، قبل الانتصار التركي الحاسم في كوسوفو بفترة وجيزة، حين أسماها أسابها الجدد مونستير.

لم تتوقّف بيتولا الفروسيّة التي كانت موضع صراع بين بلغاريا وصربيا، والتي كانت آنذاك في أوج ازدهارها بالقرب من موقع هرقليا لنيستيس القديمة، عن الاستفادة من المنافع التي أكسبها إيّاها موقعها الجغرافي، في ظلّ السلطنة العثمانية. لقد كانت تشرف على طريق مواصلات إستراتيجيّة وتجاريّة، تخرق من ناحية إلى أخرى شبه جزيرة البلقان في اتجاه القسطنطينيّة، وهي تطلق الطريق الرومانيّة القديمة التي كانت تعرف باسم «طريق اغناسيا» (Via Egnatia). وقد

وعندما قام سليم الأزل بحملاته، بين ٩٢٠ و ٩٢٣هـ/ ١٥١٤ و ١٥١٧م، ضُمَّت بَيرجيك إلى السلطنة العثمانية، وهي ما تزال تابعة للجمهورية التركية، في موقع غير بعيد من الحدود السورية.

بيروت (الجمهورية اللبنانية)، مرفأ وحاضرة على الساحل اللبناني-السوري. قامت فريدة هذه المدينة العاصمة لدولة متعددة الطوائف، على أن نصف سكانها من المسيحيين ونصفهم الآخر من المسلمين، والعربية لغتهم جميعاً، وهي تنعكس في تعددتها الوضع السياسي والديني للبلد بأسره.

كانت بيروت مركزاً مهماً قبل تَقَرُّضها لهزة أرضية سنة ٥٥١هـ؛ استعمرها الرومان فَعُرِفَتْ باسم بريوتس، ثم احتلها الجيوش العربية - الإسلامية في بداية الفتوحات سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م. وقد حافظت طيلة قرون عدة على دورها البحري، مدينة صغيرة مُخَصَّنة ذات أنشطة تجارية مزدهرة. كانت تابعة لجند دمشق ونصم رباطاً. أصبحت في القرون الوسطى هدفاً لغزوات أجنبية تكللت بالنجاح: البيزنطيون سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م، وبعدهم الفاطميون، ثم الفرنج سنة ٥٠٣هـ/ ١١١٠م، وصلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، ثم آل لوزينان سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م الذين ألحقوها بمملكة قبرص المسيحية، وأخيراً غزاها ممالك مصر، فضمَّوها بعد محاولات متكررة إلى مقاطعة دمشق سنة ١٢٩١، وأصبحت في ما بعد مركزاً إدارياً فيها. كل هذه الغزوات تؤكد موقع المدينة الإستراتيجي والاقتصادي ونقطة للتبادل يؤمها تجار الغرب باستمرار ليصدروا منها النسيج الغني وصناعات الحرير والندباج.

إذا كان امتداد الامبراطورية العثمانية إلى المناطق السورية-المصرية لم يغير إلا قليلاً من مصير هذه المدينة، إذ اقتصر حباتها الاقتصادية على الإفادة من نظام الامتيازات الأجنبية، فإن الاضطرابات السياسية والحروب التي هزت منطقة لبنان، ابتداء من القرن التاسع عشر، ساهمت بشكل ملحوظ في اردهار هذه المدينة بشكل ممتاز. ففيها اتخذ الحاكم التركي، ابتداء من ذلك الوقت، مقراً له، وفيها ظهر بشكل سريع أثر التغريب الاقتصادي، فوسَّع مرفأها، وأنشئت الطرقات

والشطارية والجشيتية، التي حاولت كبح منحنى التساهل الذي اعتمدته الحكام. واجهت المدينة، في ما بعد، صعوبات بسبب الهجمات التي تعرَّضت لها، في الوقت نفسه، من المغول في الشمال، ومن المهرانه في الجنوب، بحيث أن الغزو المغولي لبيجاپور الذي تأخَّر حتى نهاية حكم أورنغزيب سنة ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م، تبعته أحداث مختلفة. إنَّ عودة بيجاپور إلى الاستقلال ثم احتلالها من قبل حكام في حيدر آباد، ثم من قبل المهرات، وأخيراً من قبل الانكليز في القرن التاسع عشر، أذنت بداية انحطاط، عَجَّل فيه ما أصاب المدينة من الأوبئة والمجاعة.

بئر، كلمة فارسية تعني «المُسْبَّح»، وتدلّ في إيران عند المتصوّفين على «المرشد» المكلف إرشاد «المريد». في الوسط الإيراني - التركي، كان مؤسس الطرق الصوفية يحملون هذا اللقب الذي يوازي، إلى حد ما، لقب شيخ المستخدم لدى المتصوّفين في البلدان العربية والذي يتنمّى بالقيمة الفخرية عنها. من هنا كان استعماله دلالة على أهل التقوى الذين أدّت عادة تكريم الأولياء إلى تكريم قبورهم ومدافنهم.

البيرة ← غرناطة.

البيرة ← بيرجيك.

بَيرجيك (الجمهورية التركية)، تعرف في العربية بالبيرة. مدينة في بلاد ما بين النهرين العليا، قامت في القرون الوسطى بدور إستراتيجي، باعتبارها قلعة على مجرى نهر الفرات.

تقع على الضفة الشمالية للفرات، في موضع صالح للملاح، تعبّر الطريق التي تصل اليوم أورفا/الرها بغازيآتب/عينتاب. وما تزال هذه المدينة الصغيرة تحتفظ بذكرى عصرها الذهبيّ في قلعتها التي تحتوي كتابات عربية، تنتج من نهاية القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر للميلاد.

والواقع أن هذه المدينة أصبحت، إثر انضمامها إلى المقاطعات الإسلامية، وبعد زوال كونية الرُّها (التي كانت تسيطر على الطريق الموصلة إلى أنطاكية)، موقفاً مهماً للممالك في دفاعهم عن أراضيهم السورية.

يرتبط باسمه اسم مدينة «عُتْبَد قابوس».

بعد ذلك، عاد الخوارزمي إلى بلاده ملازمًا حاكمها. وبعد أن قام محمود الغزنوي، سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، بغزو خوارزم، أقيده البيروني مع علماء آخرين إلى بلاط الغازي المنتصر في غزنة، فسُتحت له الفرصة لمرافقة سيده الجديد في غزواته الظافرة في بلاد الهند، ما أتاح له كتابة وصف لهذه البلاد في «كتاب الهند» الذي انتهى من تأليفه سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م. بعيد ذلك، في عهد الحاكم الغزنوي الثاني، مسعود الأول، أُلّف «القانون المسعودي»، وهو دراسة في علم الفلك أهداها إليه. ثم، في عهد خليفته مودود، أنهى «كتاب الجواهر»، وهو يتناول علم المعادن، وذلك قبل أن يضع، في آخر حياته، كتابًا في الأدوية، لم ينشر بعد. مات بلا شك في غزنة، بعد عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م.

إنَّ عدد المؤلّفات التي تركها البيروني كبير، نَد يفوق المئة، وهو يتناول فيها موضوعات مختلفة. إنّه رجل علم ومراقب دقيق للمعادن الاجتماعية، وفي الوقت نفسه طبيب، ويمكن اعتباره كذلك من علماء الفلك. لقد أضاف البيروني النكهة الفلسفية والتفكير الديني إلى الاختصاصات المختلفة التي قامت عليها شهرته حتى أيامنا هذه.

بيري رئيس محيي الدين، ؟ ت حوالي ٩٦١هـ/ حوالي ١٥٥٤م، قرصان معروف وبخار عثماني اشتهر في ما بعد بأعماله في مجال الخرائط الجغرافية وتدوين الإرشادات البحرية المتعلقة بالمنوسط.

من المحتمل أن يعود بيري رئيس إلى أصول مسيحية، وقد قام بأسفار عدة بامرة عمه كمال رئيس وخير الدين بزربروس في المحيط الهندي والخليج العربي-الفارسي، انتهت إحدى هذه الرحلات بالاستيلاء على مسقط وبحصار غير ناجح لهرمز/بندر عباس. لكّته تمكّن، بعد هذه النكسة، من العودة إلى السويس ثم إلى القاهرة حيث قُطِع رأسه بناء على أوامر السلطات العثمانية في تاريخ غير محدد، لكن في نحو العام ٩٥٢هـ/ ١٥٥٤م.

مؤلّفه الرئيس كتاب في الملاحة بعنوان «البحرّة»، يشكّل وثيقة جغرافيّة في منتهى الأهمية،

وخطوط السكك الحديدية لثربطها بالمناطق الداخلية في البلاد، ومنها انطلقت النهضة الأدبية العربية مستفيدة من نموّها السكاني ومن الازدهار المميّز للحياة الجامعية التي شجّعها النفوذ الأوروبي.

منذ ذلك الحين شهدت بيروت التي توفقت العلاقات بينها وبين مقاطعة جبل لبنان المجاورة وشبه المستقلّة ابتداء من ١٨٦١ - تدقّق المسيحيين إليها. فأثّرها هؤلاء إمّا هربًا من الاضطهاد وإما سعيًا وراء الإمكانات والأنشطة الصناعية التي تؤمّنّها بيروت. وأصبح المسيحيون في فترة وجيزة الأكثرية فيها إلى جانب المسلمين السُنّة والدروز والشيعة. فتطابقت صورة المدينة مع التكوين التدريجي للدولة الجديدة راقية في أن تجمع في أحضانها القوى الفاعلة في المنطقة، بقطع النظر عن الانتماءات الطائفية. وقد ترسّخت هذه الصورة بعد الحرب العالمية الأولى وإعلان الانتداب الفرنسي على دولة لبنان الكبير، عندما أصبحت بيروت مقرًا للمفوض السامي الفرنسي المشرف على كلّ دول المشرق الواقعة تحت الانتداب الفرنسي. وكان لاختيارها، سنة ١٩٤٣، عاصمةً للجمهورية اللبنانية المستقلّة أن أعطى زخمًا جديدًا لقدرتها الاقتصادية على جميع الصّعد، بما في ذلك الصّعيدان المصرفي والدولي. وقد ترافق ذلك مع نموّ ديمغرافي وتوسّع عمراني فريدين، إلى أن حلّت أزمة ١٩٧٥ فرضت على المدينة حربًا طويلة الأمد، أهليةً وأجنبيةً في آن، دُفرت وسطها التجاري تدميرًا شبه تام، وإن كان هناك اليوم بصيص أمل في إخراج المدينة من محتتها.

البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (٣٦٢-٤٤٢هـ/ ٩٧٣-١٠٥٠م)، أحد أبرز علماء العالم الإسلامي في القرون الوسطى. اهتمّ بدراسة التاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلم الفلك وكذلك بالفيزياء والطبيعيات. وقد في خوارزم حيث أمضى السنين الأولى من حياته، وتابع دراسات مختلفة. وابتداء من سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م أقام في جرجان حيث ألّف أول أعماله الكبيرة (الآثار الباقية عن القرون الخالية)، وهو يعالج فيه الأزمنة والتقاويم ومسائل رياضية وفلكية مختلفة. وقد أهداه إلى أمير جرجان الشهير قابوس بن وشمكير الذي

السَّكَّانَ لَلْجَوءِ إِلَى بِشَاوَر وَتَحْوِيلِهَا مَرْكَزًا لِلْحَرَكَاتِ الْمُسْلِحَةِ.

« راجع المسند رقم ٣٥.

بِشَهِير (الجمهورية التركية)، مدينة صغيرة في الأناضول الأوسط، إلى الغرب من قونية، تحتفظ ببعض الآثار الإسلامية من مرحلة الازدهار التي عرفتها في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.

تقع المدينة داخل دولة سلاجقة الروم، قرب بحيرة تحمل اسمها، في مقاطعة پامفيليا (Pamphylie) القديمة. أنشئت في عهد السلطان علاء الدين كيوشا، ثم سيطرت عليها، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد، أسرة من القادة العسكريين من أصل تركماني هي أسرة إشراف أغلري التي كانت مكثفة بحماية الحدود الغربية للإمبراطورية. قبل عهد الإمارات التي تقاسمت في ما بعد أراضي الأناضول، كانت بِشَهِير عاصمة لسلالة نصف مستقلة، زودتها بأبنية قيمة، منها مسجد يتميز بسقفه الذي يقوم على أعمدة خشبية وبخزفه النفيس الزخرف، وفاق التراث المعماري التركي لآسيا الوسطى. إن الروائع الفنية التي تميزت بها هذه المرحلة القصيرة من الازدهار الفني التي عقيت دخول الإسلام إلى المنطقة، والتي توقفت في سنة ١٧٢٢/١٣٢٢م مع زوال حكم أسرة أغلري، استطاعت أن تصمد في وجه الضربات التي تلقفتها المدينة عندما تنازعها الحبيدونيون وخصومهم القرامانيون. لكن سيطرة العثمانيين التي بدأت في العام ١٧٨٣/١٣٨١م وتوطدت في العام ١٤٢٣، حوّلت بِشَهِير إلى عاصمة مقاطعة في منطقة شهدت تراجعاً ثقافياً واقتصادياً.

« راجع المسند رقم ٢١.

البَيْضَاوِي، عبدالله بن عمر، (ت ١٢٨٦/١٢٨٦م)، فقيه وعالم من أصل إيراني، اشتهر خصوصاً بتفسيره للقرآن. أهم تصانيفه «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». كل ما نعرف عن البيضايي أنه ينتمي إلى المذهب الشافعي وأنه كان قاضياً في مدينة شيراز. أمّا مؤلفه الرئيس - الذي تأثر فيه بتفسير الزمخشري مع تصحيح بعض آراء هذا الأخير المعترلة أو الابتعاد عنها - فيُشكّل

وهو مهدي إلى السلطان سليم الأول في العام ١٥٢١، ثم إلى السلطان سليمان في العام ١٥٢٥. وبحسب العادات الخاصة بالإرشادات البحرية، يصف الكتاب كل سواحل البحر المتوسط. إن ما يحتويه من نصوص وخرائط لم يلقَ بعد تقاسير كافية، لكن ثمة شكوك تتعلق بخارطة العالم التي أنجزها بييري رئيس ربما منذ العام ١٥١٣، والتي وُجد القسم الغربي منها تحت اسم «خارطة كولمبس»، وهي تضيف إلى المعطيات الإسلامية التقليدية عناصر توثيق مستمدة من خرائط بحرية أجنبية.

بِشَاوَر (جمهورية باكستان الإسلامية)، مدينة إسلامية حديثة نمت بفضل موقعها الإستراتيجي على ملتقى الجبال التي تصل أفغانستان بشبه القارة الهندية، والتي كانت تدخل عبرها قديماً الجيوش الغازية الآتية من آسيا الوسطى.

إن منطقة المرور التي شكّلتها لقرون عديدة المنطقة التي أصبحت بِشَاوَر مركزاً لها، انتقلت إلى الإسلام بعد سائر مقاطعات السند والبنجاب التي احتلتها، منذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، الجيوش العربية الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى، عبر طرقات الجنوب البرية والبحرية.

في ما بعد، اجتاز بِشَاوَر واحتلّها جزئياً ملوك الغزنويين والغوريين خلال حملاتهم داخل الأراضي الهندية ابتداء من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. ثم غدت بِشَاوَر تدريجياً نابعة لقباليل الباتان التي ما تزال تسكنها حتى اليوم. وقد اندمجت المدينة بصومبة في إمبراطورية المغول التي شكّلت، إسمياً، جزءاً منها. أمّا اعتناقها الإسلام فقد نبع التطور نفسه الذي عرفه البنجاب. تكرّس دورها الإستراتيجي والعسكري بوضوح عندما أصبحت في عهدة الوصاية البريطانية التي أدّت إلى إلحاقها بالبنجاب في العام ١٨٤٩، وجعلها، في سنة ١٩٠١، مقاطعة الحدود الشمالية الغربية. في الوقت نفسه، تنامي دورها الإداري والاقتصادي وازداد بفعل استقلال باكستان في العام ١٩٤٧، وانعكاسات الأحداث السياسية التي شهدتها أفغانستان منذ العام ١٩٧٩ والتي دفعت بالعديد من

نفسه. هذا النوع من البيع الذي يبدو غير مطابق للمبادئ المعلنة سابقاً برره الفقهاء انطلاقاً من نصوص مستقاة من القرآن الكريم والحديث الشريف:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنَكُمْ أَلَّا أَحْكَمَ أَحَدُكُمْ بِالْأُخْرَىٰ فَاسْتَشِيرُوا...﴾ (القرآن، سورة البقرة، الآية ٢٨٢). وجاء في الحديث ما معناه: وعندما يقيمون عقداً بصيغة سلم، فيجب تحديد وزن البضاعة أو حجمها ووقت تسليمها. كان التاجر مباهياً لعملية البيع بمقدار ما يشتمل على عملية انتقال حق الإنفاع. وكان هناك أنواع عدة منه: تأجير عمل في مقابل سعر محدد، تأجير بستان في مقابل الحصول على نسبة من الفواكه المقطوفة ويُدعى المساقاة أو عقد السقاية، تأجير أرض قابلة للزراعة ويُدعى مُزارعة (عقد استئجار أرض يقسم المزارع بموجبها مع المالك غلتها). أما بالنسبة إلى قرض الاستهلاك أو «القرض» فيجب أن يُتبع به استرداد موضوع البيع ذاته أو تسليم شيء يساويه حصراً، وإلا كان رباً يخضع للنقاب.

لقد حُظفت حتى أيامنا هذه نماذج مختلفة من هذه التدابير ترقى إلى العصور الوسطى، وهي شاهدة، بحسب العصر والمنطقة، على استخدام ورق البردي أو الرق، وبخاصة الورق المستعمل منذ زمن بعيد لهذا النوع من النصوص. هذه النماذج المدونة بطريقة جيدة والمرققة بتوافيق إلزامية للشهود، تحترم في كتابتها مختلف الشروط التي وضعها الفقهاء لضمان صحة العقد وشرعيته. وهي توضح التطبيق اليومي وتشغل مكاناً مهماً بين المستندات الاجتماعية - الاقتصادية التي خلفتها المستندات القديمة نلبئة لفصول المؤرخين المحدثين.

يُبَيْعَةُ، لفظ عربي يعني تمهّد شخص ما للإقرار بسلطة شخص آخر.

يُترجم هذا الإقرار أو الاعتراف بإعلان شهادة (عبارة) مصحوبة بالمصافحة. وهذا اللفظ مرتبط باللفظ العربي «باع»، إذ إن الالتزام الحاصل يشبه الالتزام حيال عقد بيع أبرم. طُبّق تقليد «البَيْعَةِ» في اليمن التي كان أتباع محمد النبي ﷺ يوقونها له. ثم عُملَ به في ما بعد في قسَم الولاء الذي كان يرافق وصول الخلفاء إلى

جملة من المعارف المتنوعة التي ما برحت تلاقي اهتماماً لدى الدارسين، والطبعات المتعددة لهذا الكتاب تشهد على ذلك.

البيع (عقود -)، عقود مُعترف بها في الفقه، كانت تشمل جميع الاتفاقات المعقودة بين طرفين، ما جعل استخدامها سائداً في المجتمعات الإسلامية القروسطية. إن جواز عقود البيع هذه، المتعارض مع أحكام الدين بشأن الدين بالفائدة، يستند إلى آية قرآنية غالباً ما تذكر «أحلّ الله البيع وحرم الربا» (القرآن، سورة البقرة، الآية ٢٧٥)، كما يستند أيضاً إلى أحاديث نبوية، منها: «عن رسول الله (ﷺ) الذهب بالذهب ورجلاً بوزن والفضة بالفضة ورجلاً بوزن والملح بالملح مثلاً بمثل والبر بالبر مثلاً بمثل والتمر بالتمر مثلاً بمثل. فمن زاد أو استزاد فقد أربى. فبيعوا الذهب بالفضة مثلاً بيد كيف شئتم والتمر بالملح مثلاً بيد والشعير بالبر مثلاً بيد كيف شئتم» (البيهقي، السنن الكبرى، الجزء الخامس، باب الأجناس).

في الواقع كانت العقود تشمل أنواع البيع المذكورة حصراً: بيع عينة (بيع يُدفع ثمنه في وقت محدد)، مبادلة المعادن الثمينة، المعاملات التجارية، التأجير، قرض الاستهلاك، وأخيراً الزواج الذي يُعتبر بمثابة عقد بيع. تفترض أنواع البيع هذه أن يمتلك البائع والشاري حرية التصرف بموضوع العقد، بصفتهما مالكين أو متدبين، لأن كل خداع مرفوض. لا يمكننا مثلاً بيع حيوان نحاول اصطیاده ولم نقبض عليه بعد. تفترض أنواع البيع أيضاً الموافقة المتبادلة التي تظهر جلياً بمرض واضح، يتبعه قبول ليس أقل وضوحاً. كذلك، يجب أن يتسلم الشاري فعلياً ما اشتراه، في الوقت عينه الذي يجب أن يُدفع فيه المبلغ المناسب نقداً، إضافة إلى ذلك، ثمة بعض الاحتاملات لإلغاء العقد، كتلك الاختيارات المُتفق عليها التي تسمح لكل فريق بالرجوع عن كلامه خلال فترة محدّدة، أو في الحالة المعروفة بحق الخيار بسبب عيبٍ مبطل.

إن بيع العينة أو «السلم» هو نوع خاص من البيع، يُلبّج إليه بكثرة، لأنه يسمح بتأجيل تسليم الشيء المُباع كما تبيته مثلاً حالة الزارع الذي يبيع محصوله قبل

والقسم الذي يقوم به أبناء العاصمة، وأخيرًا القسم الذي يقوم به أبناء المدن الكبرى الأخرى.

أما في العصر العباسي، فأداء يمين الولاء الذي كان يشارك فيه أبناء البلاط وكبار القوم كان يجري في قصر الخلافة، فتمت خلاله البيعة، وبلي ذلك قُسم آخر في المسجد الجامع حيث كان يمثل الخليفة بتولي المنبر ليستقبل المؤمنين والمبايعين. والمعروف أن حكام الأقاليم كانوا يقومون باحتفالٍ مماثل في الأمصار التي كانوا يحكمون.

والبيعة التي هي عبارة عن إجراءات بسيطة كانت بأشكالها المتنوعة تُعطى أهمية كبرى، خصوصًا عندما لا تكون سلطة الخليفة الجديد ثابتة وقوية، إنما بسبب الصراع على الخلافة داخل الأسرة الحاكمة، وإنما بسبب انقلاب داخل البلاط. فمثلاً عندما أعلن ابن المعتز خليفة مكان المعتذر، على أيدي مجموعة من المتأمرين، سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م، عمد إلى الاحتفال مباشرة بمراسم البيعة، ورفضًا اتخذ أي تدبير في حق الخليفة المخلوع قبل إنهاء الاحتفال، وقد دفع ابن المعتز حياته ثمناً لذلك.

وكان تقديم يمين الولاء، أو البيعة، متبعًا في النظام الشيعي أيضًا، ولا سيما عند الفاطميين. ولكنه كان يرتدي طابعًا مختلفًا، إذ اعتُبر واجبًا مفروضًا على المؤمنين، في حين أن الجماعة المؤمنة، في النظام السني، كان لها الحرية في أن تحتفظ بحقوقها ولا تؤذي يمين الولاء إلا للخليفة الذي ينال عندها قبولاً ورضى. إن أشكال الولاء الأخرى التي كانت تنظم العلاقة بين الخليفة والأسر الحاكمة التابعة له والخاضعة مبدئيًا لسلطته، كانت تعكس تقاليد الاحتفالات المتبعة في البلاط، وما كان الخليفة يطلبه من الحكام الذين توكل إليهم سلطات تسمح لهم بأن يحكموا باسمه في الولايات. وفي هذا المجال فإن وثيقة الولاية التي كانت تُكتب في ديوان الخلافة وفق أصول رسمية، وتُعطى لبعض الأمراء المستقلين نسبيًا، كانت تتراقق بأداء يمين الولاء من قبل منسّم الوثيقة، في احتفال تحضره الخاصة، فيُقرّ جبينه بين يدي أمير المؤمنين ويظهر له خضوعه. وهذا ما كان يحتم على الحكام الجديد أن

الحكم، تعبيرًا عن شرعية تعيينهم. وبشكل عام، بقي تقليد «البيعة» معمولًا به خلال كل القرون الوسطى الإسلامية.

البيعة، هي الداعم الأول والمحرك الأساسي للنظام السياسي في العالم الإسلامي في القرون الوسطى. فالاعتراف بالسلطة المنتهية إلى قائد الجماعة المؤمنة كان يتم عن طريق قسم تؤدبه الجماعة أو من يمثلها أمام الخليفة. وهذا القسم يعرف بالبيعة.

وهناك أنواع مختلفة من الأعمال والمواقف الدالة على البيعة وإظهار الولاء، كان لها الدور في قيام أسر حاكمة كثيرة سيطرت على السلطة لمدة وجيزة، وذلك على أيدي عسكريين نجحوا في الاستيلاء على رقعة من البلاد، أو توصلوا إلى الاستئثار بالسلطة بقوة السلاح. وقد استطاع أبناء هذه الأسر بسهولة - إلا عندما كانت تحدث حركات تمرد ذات طابع ديني - أن يقيموا علاقات تبعية بالسلطة الإسلامية الشرعية، نعتي بها سلطة الخلافة.

هذا النوع من الولاء الإرادي الذي تفرضه التزامات البيعة يعود في الأساس إلى ما أتبعه النبي محمد ﷺ من عادات فرضها على أتباعه، واستمرت بعده قائمة في عملية اختيار خلفائه الأولين. كانت العملية تتم بعد أن تكون الجماعة قد قامت باختيارها، فتُعتبر تبيينًا لهذا الاختيار وفي الوقت نفسه موافقةً من قبل الشخص الذي اختير. كما كان للبيعة دورها في عملية اختيار ولي العهد التي كانت تأتي، من حيث أهميتها، في المرتبة الثانية، في الانتقال الشرعي للسلطة داخل العالم الإسلامي. وقد تمّ اللجوء إلى البيعة لتأمين انتقال السلطة العليا بين أبناء الأسر الأولى للخلفاء، فكانت وسيلة لتثبيت إرادة الخليفة الحاكم رسميًا ووسيلة، بعد أن يكون قد اختار لخلافته أحد أبناء أسرته. ومعاوية بن أبي سفيان هو أول من لجأ إلى هذه الوسيلة، بعد تأسيس الخلافة الأموية، إذ فرض تأمين البيعة مسبقًا لابنه يزيد.

إن يمين الولاء، الذي كان له دوره البالغ في شيوع الأمن واستتباب النظام، أحبط باكرًا بعدد من الأنظمة والشعائر. فمنذ عهد الخليفة عثمان بن عفان جرت العادة أن يُعزّر بين القسم الذي يقوم به رؤساء القبائل،

بیلربی أو بکلربیکی، تسمية تركية مبنية على لفظة بك، استعملت في العصر الإسلامي الوسيط بمعنى «الأمير الكبير»، وقد أطلقت في ما بعد على حكام المقاطعات في الأمبراطورية العثمانية.

كانت الدوائر العثمانية التي يديرها بکلربکيون لا تتجاوز الاثنتين في الأصل: الأناضول والروملی. ازداد عددها في ما بعد، فبلغت الثماني في عهد سليمان القانوني ثم اثنتين وثلاثين في القرن السابع عشر.

كان لكل بیلربی لواء أو سُلُخ، وكان يحمل لقب باشا، يعاونه في الأمور المالية عمال مرتبطون بالإدارة المركزية. لم تكن ولايته تتجاوز الثلاث سنوات بشكل عام. وكان السلطان يختاره إما من «ممالیکه» وإما من بين أمراء الأسرة الحاكمة.

بیمارستان ← مستشفى.

يحترم، في نطاق حكمه، القواعد الأساسية التي تُفرض على كل حاكم: منها أن يدعو في خطبة صلاة الجمعة لأمير المؤمنين، وألا يضرب النفود إلا وفق ما تملیه دار السكّة عند الخليفة، أي أن يدوّن اسم الخليفة على كلّ القطع النقدية التي يصدرها، وأن يؤدّي له ضريبة، ولو رمزية، تُذكر بالزمن الذي كانت فيه كل الضرائب الشرعية نصّب في خزينة دار الخلافة، ويهتم بجبايتها وإرسالها للحكام أنفسهم.

ونشير إلى أن النقوش على النُصُب التذكارية الدالة على الأعمال المصالحة التي تركها بعض الأمراء الناعمين، كانت هي أيضاً تشيد بأيجاد الخليفة قبل أن تُشرع بتعداد ألقاب صاحب الأثر وأعماله، مما يدلّ على احترام قواعد الولاء الأساسية.

بيعة الشجرة ← الحديبية.

ت

الشرقية الثانية، أي السلالة العلوية، الاهتمام بها، وشيدت فيها، خلال حكم مولاي اسماعيل، سنة ١٧٢٧م، السور الحصين الذي ما يزال، حتى اليوم، يطبع المشهد المدني. وقد تأثرت سلًا، في ما بعد، بالخطط مرفأ أغادير لمصلحة الجديدة/مازاغان التي استعيدت من البرتغاليين عام ١٧٦٩م، ثم نشط اقتصادها من جديد وحافظ على انطلاقة حتى تطور سوس وأغادير في عصرنا الحاضر.

◀ راجع المستند رقم ١٤.

التاريخ، هو علم نشأ وتنامى في نطاق الحضارة الإسلامية القروسطية، ما لبث أن أثمر مؤلفات مبتكرة. مثل التاريخ دورًا بارزًا في الإسلام نظرًا إلى موقع النبي محمد (ﷺ) الذي أتى بعد سلسلة الأنبياء الذين تعاقبوا منذ أول الخلق، ونظرًا إلى أن الجماعة الإسلامية مؤتمنة على سيرة تشكّل، في نظر المسلمين، أحد أركان الدين. إن الكتابات التاريخية الأولى اهتمت بسيرة النبي (ﷺ)، أو بحملاته العسكرية المعروفة بالمغازي. وهكذا شكّلت المعطيات المدونة في هذه الكتابات، إضافةً إلى الأحاديث [النبوية]، السّنة، وهي أحد أسس الشريعة.

إن الأحداث التي امتازت بها حياة الجماعة الإسلامية شكّلت ياكزًا مادة لروايات مكتوبة، شأن رقعة الجمل أو معركة صفّين. وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد، ظهرت المدونات الأولى أو «الحوليات» المعروفة مصطلحًا بـ«التاريخ»، وكانت تزوي الأحداث وفقًا للتسلسل الزمني، وغالبًا سنةً بعد سنة. أشهر هذه المؤلفات وأكثرها تمثيلًا مؤلف الطبري، وصاحبه متخصص،

التابعون، تسمية تحمل معنى المجد والفخر، أطلقت على الجيل الأول من المسلمين الذين جاءوا مباشرة بعد الصحابة وكانوا من ذريتهم المباشرة، واعتبروا مثلهم أصحاب تأثير ونفوذ وقوة في نقل الحديث.

هؤلاء الأشخاص الذين كانوا في غالبيتهم من أصل عربي، جمعوا مباشرةً من أفواه سابقين بعض العناصر المكوّنة للسنة النبوية. فهم إذا يحتلون مركزًا مهمًا في السلسلة المعتمدة لإثبات صحة الأحاديث التي تركز عليها جزئيًا الشريعة الإسلامية. من هنا التقدير الذي كان لهم دائمًا في نظر المحدثين كما في نظر علماء الدين، والحرص الذي بدا في مختلف المصنّفات ومعاجم التراجم القديمة على توثيق الدقة في تدوين أسماهم وتفاصيل حياتهم. وكان لهم في ما بعد، في عصر ازدهار تكريم الأولياء، إحترام يشهد عليه الإجلال الذي حُصّنت به، خلال القرون الوسطى، بعض القصور والأضرحة العائدة لهم.

تارودانت (المملكة المغربية)، محلة في جنوب المغرب، غنيّة بماضيها البعيد، استمرّت أجيالًا عدة تشغل دور العاصمة والمدينة الرئيسة لسهل سوس.

كانت مركزًا لهذه المقاطعة المنعزلة بين سلسلي جبال الأطلس الأعلى وجبال الأطلس الصحراري، ومحطة مهمّة على طريق القوافل التي تربط المغرب الأقصى بالسودان. وقد دافعت تارودانت، في اليه وخلال العصور الوسطى، عن استقلالها النسبي الذي حافظت عليه في ظلّ حكم المرابطين وفي عهد الموحدّين. ثم أخضعها بنو مرين وشهدت إزدهارًا جديدًا لنشاطها التجاري أمّنتها لها رعاية السعديين الأوائل الذين اتخذوها أحيانًا مركزًا لإقامتهم. وتابعت السلالة

ديني واضح، حتى وإن تناولت معاجم السير، إضافة إلى المحدثين وقراء القرآن والفقهاء، طبقات إجتماعية لا علاقة لها بالدين إلا من بعيد، من أمثال علماء النحو والصرف ومؤلفي المعاجم. والشعراء، والأمراء والفلاسفة. وقد حدث تطوّر موازٍ في تدوين الأخبار والأحداث. في القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، إذ تناول هذا التدوين طوائف دنيوية تتعلق بالسلالات المحببة أو بسلالات الملوك، مع الإشارة إلى أنّ السلالات والملوك المعنّين ترتبط سيرتهم بتوسّع الإسلام الذي تسلّموا زمام الدفاع عنه أو مسؤولية انتشاره.

أخيراً، تجدر الإشارة إلى مؤلّفين لا مثيل لهما: الأول هو الموسوعة التاريخية والجغرافية للمقريزي، التي تناولت مصر وعاصمتها، والثاني هو كتاب ابن خلدون في التاريخ الذي لم يقتصر على تاريخ السلالات والعهود، بل تناول تاريخ المجتمعات بأشكالها المختلفة.

نازة (المملكة المغربية)، ناحية تحوّلت إلى مركز إداري عاديّ لولاية، بعد أن كانت قد لعبت دوراً إستراتيجيّاً كمكان محصّن يتحكّم بالعلاقات بين المغرب الأوسط والمغرب الغربي.

تقع على بعد حوالي مئة كيلومتر إلى الغرب من فاس، على مدخل ممرّ ضيق كان يتيح الدخول إليها بين منطقتين جبليّتين هما: جبال الريف وجبال الأطلس الأوسط. كانت هذه المدينة القروسطية - التي ما زالت آثارها، المحاطة بسورها، تشرف على التجمّع السكاني الحديث - في وقت مبكر لتأسيسها، مدينة مزدهرة بفضل أهميّة منفذها الاقتصادي ولكونها المعبر للنشاط التجاري لمرقأ مليلة. سكّانها البربر من قبيلة زناتة، كانوا قد ساعدوا الأدارسة الأوائل، قبل أن يعتزقوا، في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، بسيادة فاطميّة إفريقية الذين بسطوا سلطنتهم على كامل المنطقة. لكنّ المدينة لم تشهد تحصيّنًا حقيقيًا إلا في عهد الموحّدين، إعتبارًا من ١١٣٣/٥٢٨م، وقبل أن يجعل منها المرينيّون، الذين زخرفوا مسجدًا الجامع، نقطة ارتكاز أساسية لتدعيم سلطنتهم. ومن ثم سقطت نازة

كذلك، في تفسير القرآن. وقد عالج في مؤلّفه تاريخ العالم مبتدئًا بالخلق، رابيًا تاريخ الأنبياء القدّام، وتاريخ الأباطورية النسانية، وحياة النبي محمّد (ﷺ) وتاريخ الجماعة الإسلاميّة في عهود الخلفاء المتعاقبين حتّى مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. استخدم منهجيّة في التحرير الإخباري شبيهة بتلك المعتمدة من قبل جامعي الأحاديث، جاعلاً لكلّ خبر أو حدث أوردته سلسلة من الأسانيد توثيقاً للصدق.

وقبل الطبري بضعة عقود، وضع العيني مؤلّفًا إخباريًا أكثر إيجازًا وأفضل بناءً، أعمل فيه أسماء الرواة الذين أمّده بالمعلومات والأخبار الواردة في مؤلّفه، واعتمد منهجيّة شخصية في التصنيف. والعيني مؤرّخ وعالم جغرافيا شعبي، لذا افرد موقفاً خاصاً في مؤلّفه لتاريخ الأئمة العلويّين، مع العودة، كما فعل الطبري، إلى بدء الخليقة.

هذان النوعان من الحواريّات اعتمدتا طوال العصور الوسطى. وربما كان أبرز تاريخ جامع تناول الشرق والغرب المسلمين، هو «الكامل في التاريخ» لابن الأثير. وفي الوقت نفسه ظهرت أنواع أخرى من المؤلّفات، وهي معاجم السّير أو التراجم التي استمرّ التأليف فيها في القرنين السابع والثامن للهجرة/الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، وسبب ذلك الإهتمام بصحابة النبي (ﷺ) وبالتابعين لهم الذين شكّلوا مرجعيّة في ما يتعلّق بصحة الأحاديث النبويّة. يضاف إلى المعاجم المذكورة سابقاً، ابتداء من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، «تاريخ المدن»، وأقدم ما كتب في هذا الحقل هو «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي الذي هو بمثابة معجم سير الرجال المشاهير الذين أقاموا أو عاشوا في المدينة، وفي طليعتهم المحدثون. عرف هذه النوع من الكتابة رواجاً بين القرنين الخامس والسابع للهجرة/الحادي عشر والثالث عشر للميلاد، ما يفسّر السبب الذي دفع ببعض أصحاب الحواريّات لأن يضيفوا، إلى أخبار هذه السنّة أو تلك، لائحة بالوقايّات تعدّد أبرز الشخصيات التي توفيت خلال السنة المذكورة، مع اعطاء نبذة عن حياتها.

اتسمت هذه الكتابات المتنوعة، في البدء، بطابع

أنسها في سنة ١٤٤٤هـ/٧٦٦م أمراء السلالة الرستمية الخوارج، الذين استقروا في منطقة المغرب الأوسط بعد وصول العباسيين إلى الخلافة. إن هذا الموضع الحصين القريب من مدينة رومانية قديمة يحمي منطقة خصبة تشكل خط تماس بين مناطق البدو ومناطق الحضر. لذا أصبح مركزاً اقتصادياً ناشطاً يسكنه البربر ونازحون شرفيون أتوا مع مؤسسه. وقد استولى على هذا الموقع سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، أبو عبدالله المداعي الإسماعيلي، الذي دفع عُبيد الله المهدي^(١) إلى عرش إفريقية. فهرب السكّان الخوارج خوفاً من السيطرة الفاطمية وأقاموا في موقع سدرانا الصحرأوي القريب من وُزْلَة. لم يبق من تاهرت القديمة سوى آثار لا شكل لها، من بينها بقايا القلعة التي كانت تدافع عن موقعها الإستراتيجي.

«راجع المستدين ١١ و ٨».

تَبرِيز (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، عُرِفَ طويلاً في الغرب باسم نوزيس (Tauris)، وهي مدينة في أذربيجان الشرقية، يتكلم سكّانها التركية. وهي اليوم مركز لمحافظة إيرانية تحمل اسمها. وقد نهضت، في القرنين السابع والثامن للهجرة/الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، بدور عاصمة أمبراطورية، وازدهرت بفضل موقعها الإستراتيجي ونشاطها التجاري.

تقع تبريز في منطقة جبلية على الطريق الرنسية للقوافل التي كانت تربط الهضبة الإيرانية بالأناضول، وبخاصة بمرافق طرايزون، بحيث شكّلت عقدة مواصلات محلبة بين مدينة مراغة ومنطقة بحيرة أورمية من جهة، وبين مدينة أربيل وشواطئ بحر قزوين من جهة ثانية. من هنا كانت أهميتها كمدينة حصينة ومستودع تجاري حيوي في قلب ولاو مرتفع خصيب ومروي يساهم، لكنها، مع الأسف، عانت تكراراً دماراً سببته الزلازل المتلاحقة.

تأكد نموها، بشكل خاص، مع استقرار الاتراك في المنطقة، في ظل حكم السلاجقة أولاً، ومن ثم خلال الفترة التي أعقبت الاجتياح المغولي، في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، والتي شهدت تأسيس طرق مواصلات جديدة بين آسيا الوسطى أو القصوى

في أيدي السعديين فالعلويين. وكان عليها آنذاك حماية المغرب من العثمانيين، الذين كانوا قد استقروا في الجزائر. وقد استُخدمت أيضاً قاعدة عسكرية من قبيل ثوار ناهضوا الحكم المركزي، واستمرّوا يعيشون فساداً حتى في بداية الحماية الفرنسية.

«راجع المستد رقم ١٩».

تافيلالت أو تافيلالت، منطقة واحات مروية، تقع جنوب شرقي المغرب الحالي، على الجانب الصحراوي لجبال الأطلس. وقد قامت بدور اقتصادي وتاريخي مشهود في المغرب الأقصى خلال كل العهود الإسلامية.

كانت هذه المنطقة مزدهرة الزراعة بفضل سائتين النخيل التي كان يتم زيتها على الطريقة الشرقية، أي بواسطة «القنّاة» والمعروفة في اللغة المحلية بـ«القفطارة». وقد اغتنت أيضاً بفعل نشاطها التجاري لوقوعها على مفترق الطرق المؤدية إلى فاس أو مكناس، فضلاً عن مختلف الطرق الأخرى المنظمة عبر الصحراء، والتي أمنت، خلال العصور الوسطى، ثروة محلّتها الرئيسة، أي سجناسة ذات الشهرة الأسطورية، وقد اندثرت اليوم.

سكّانها من البربر، وقد شكّلت تافيلالت، في القرنين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد، مركزاً للخوارج الذين نموا حينذاك وانتشروا في المغرب. وقد لقيت، في ما بعد، المصير عينه الذي أصاب الأمبراطوريات الكبرى التي استولت عليها، بدءاً بفاطمي (إفريقية، مروّأ بالمربيتين والمرباطين، وصولاً إلى الموحدّين. وقد استقرّ فيها أيضاً الأشراف القادمون من الشرق، المتحدّرون من سلالة الحسن بن علي، الذين أسسوا فيها، في ما بعد، سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م، السلالة العلوية أو الفلالية - من أصل تافيلالي - لتمييزهم عن السلالة الشرقية السعدية.

«راجع المستد رقم ١٤».

تاهرت، إسم يعود إلى العصور الوسطى يُطلق على آثار في المغرب الأوسط تشغل موقفاً مرتفعاً يُعرف اليوم بـ«تَنْقُذَت»، يبعد ١٠ كلم عن مدينة تيارت الحالية.

والبحر المتوسط.

لم تكن تبريز في العاصي سوى قرية صغيرة ضُمَّت إلى العالم الإسلامي سنة ٦٢١هـ/٦٤٢م، إبان الفتوحات الكبرى. وأُعيد تشييدها خلال خلافة هارون الرشيد بإيعاز من زوجته زبيدة، بحسب ما ذكرته بعض المصادر. وظلّت مركزاً ريفياً وإدارياً بسيطاً، ووصفت في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بالمحلة المزدهرة.

بقيت تبريز على حالها حتى سنة ٣٦٣هـ/١٢٦٥م، حيث اكتسبت، في ظلّ سيطرة الإيلخانيين وبمبادرة من أباقا بن هولاكو، مكانتها كعاصمة ملكيّة. وزاد قازان في مساحتها المبنية بما أضاف إليها من ضواح واسعة. واعتباراً من سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م، بنى فيها، بالقرب من القصر الواقع غربي المدينة، ضريحاً ومسجداً، ومدرستين ومستشفى (بيمارستان)، ومرصداً فلكيّاً ومكتبة. وشيّد الوزير رشيد الدين الطبيب^(١١)، داخل سور تبريز، أبنية عذّة عُرفَ الحى باسمه. وظلّ اسمه مرئياً بالمدينة، على الرغم من مشاركته ببناء المقرّ الملكي الجديد في العاصمة الجديدة «سلطانية»، بأمر من الماهر الإيلخاني^(١٢). لكنّ اتخاذ أوجايتو سلطانيّة مركزاً لحكمه لم يمنع وزيراً آخر، هو تاج الدين علي شاه، في أعقاب سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، من تشييد أبنية رائعة في تبريز، ما تزال تشهد على أهميّتها الآثار الضخمة لمسجد أرك. ولم يؤثّر انتقال العاصمة إلى سلطانيّة على وضع تبريز، إذ استمرت مركزاً تجاريّاً وحرثيّاً، بدليل أنّ أمراء المقاطعات التي نشأت من تفكك الأمبراطوريّة الإيلخانيّة كالجويانيين، والجلاليتين، والمظفرتين، استمروا ببنائها. وما لبث نيمورنك أن طرد المظفرتين منها، وسيطر عليها من سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م حتى سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م. ومن ثمّ انتقلت إلى سيطرة حكام «الشاة السوداء» (القرافيرلو) الذين رتقروا سلطنتهم فيها، بعد أن استولوا عليها قره يوسف مؤسس دولتهم.

إنّ تبريز، مدينة القوافل، أغنت مملكة العراقينو بفضل سيطرة هؤلاء على طرق التجارة الدوليّة فيها. وقد اختاروها لتشييد الأبنية الباذخة التي صرّفوا عليها

أموالاً طائلة. نذكر منهم جهان شاه الذي نجح في السيطرة على أراضي تمتد من الأناضول إلى الخليج العربي-الفارسي وإلى خراسان، والذي بنى فيها المسجد الأزرق الشهير الذي ما تزال آثاره تشعّ حتى اليوم نظراً إلى سيفسائه المخرقة والفريدة من نوعها. بعد فترة وجيزة على إنجاز هذه التحفة الفنّيّة، أدّى الانتصار الصاعق لأوزون حسن التركماني، أمير الآق قوينلو (الشاة البيضاء) سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، إلى القضاء على السلالة المالكة السابقة وإعطاء تبريز حاكماً جديداً. وقد اتخذ هذا الحاكم بدوره المدينة عاصمة له حتى وفاته سنة ١٤٧٨م، ومارس سياسة مماثلة لسياسة السلالة السابقة. ونتج عن ذلك مزيد من نوافذ التجار البائدة عليها، في حين ازدادت مصاعب تلك المنطقة نتيجةً للانتصارات العثمانيّة التي أضعفت سلطة آخر أمراء الشاة البيضاء وأدت في النهاية إلى سقوط الإمارة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، على يد مؤسس سلطان الصفويين في إيران.

في بداية الأمر، استمرت تبريز محافظة على مكانتها كعاصمة، ولكنها خضعت لعمليات قمع ناتجة عن المعتقدات الشيعيّة للشاه إسماعيل الصفوي الأوّل ومناصريه التركمانيين وظلّت، فوق ذلك، عرضة لطموحات وهجمات العثمانيين الذين نجحوا في السيطرة عليها مؤقتاً سنة ١٥١٤م، ونالوا لم تعد مقراً للحاكم إعتباراً من سنة ١٥٢٤، وهو تاريخ تولّي الشاه طهماسب الأوّل، إذ غدت عرضة للتجاذبات العسكريّة العنيفة بين الصفويين والعثمانيين، بحيث هوجمت مرات عذّة، واحتلّها العثمانيون في السنوات ٩٤١هـ/١٥٣٤م، ٩٥٥هـ/١٥٤٨م و٩٩٤هـ/١٥٨٥م. تخلّى عنها الشاه عباس الأوّل سنة ٩٩٩هـ/١٥٩٠م، ثمّ استعادها سنة ١٠١٣م، كما نُهيت أيضاً سنة ١١٣٥م. وكانت معاناتها نتيجة لوضعيتها كمدينة حدوديّة متنازع عليها. وبقيت تابعة لإيران طيلة الفترة المضطربة التي شهدتها بلاد فارس في ما بعد. وفي موازاة ذلك، حافظت على ثروتها ومركزها التجاري المرموق. فكانت في كلّ مرّة تستعيد نشاطها، على الرغم ممّا كان يصيبها من دمار. وقد ازدهرت بشكل خاص في أواخر القرن التاسع

المتوكل سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م. شهدت تغلبس التي كان يعرفها حيناً جغرافياً العرب في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، خلال الفترة اللاحقة، تاريخاً مضطرباً بسبب طمع أمراء أرمينيا المسيحيين فيها، فضلاً عن طمع أمراء آخرين لا تعرف أصلهم بالتحديد. ولقيت تغلبس المصير عينه الذي أصاب جورجيا كلها بدفاعها عن نفسها ضد أطماع مؤسسي السلالات الحاكمة الإسلامية المجاورة لها، فضلاً عن الغزوات الإسلامية المتأخرة. «راجع المستندات ١٢ و ١٧ و ٢٠.

تارتستان أو تاتاريا (جمهورية تارتستان الفدرالية)، مساحتها ٦٨٠٠٠ كلم^٢، عاصمتها قازان كانت، في السابق، جمهورية اشتراكية سوفياتية مستقلة ذاتياً، وما تزال عضواً في الاتحاد الفدرالي الروسي، يبلغ عدد سكانها حوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة، نصفهم من المسلمين.

تجاور هذه المنطقة اليوم الجمهوريات الفدرالية التالية: تشوفاشيا، وماريس وأودمورتيا وباخورنستان. كانت في الماضي تابعة لخانية قازان. وقد نشأت على أثر تفكك دولة القبيلة الذهبية التي كانت قد نعمت بالاستقلال ما بين ١٤٤٦ و ١٥٥٢م. تطابقت تارتستان في ما بعد، في ظل الإدارة الروسية، مع منطقة سهوب الفولغا، إمتداداً حتى بحر قزوين جنوباً. وكان يسكنها عدد كبير من التتر. هذه التسمية غدت تدلّ، منذ عهد القبيلة الذهبية، على السكان الذين اعتنقوا الإسلام، والذين تميزوا، في ظلّ هذه القبيلة، بانصهار العناصر المغولية مع عناصر تركية تعود إلى هجرات قديمة وحديثة، وقد حُلّت لفة هؤلاء بسرعة محلّ اللغة المغولية.

تطوّر هؤلاء التتر تبعاً للسياسة الروسية التي بذلت بعض الجهد لتحويلهم إلى المسيحية، وسهّلت أيضاً الاستعمار الروسي لمنطقتهم. إنّ كلّ ذلك لم يمنع الشعور القومي من أن يستمرّ، أو بالأحرى من أن يستيقظ في نهاية القرن التاسع عشر وأن يدفع بالتتر إلى المطالبة باستقلالهم الثقافي. وكان لهذه النزعة القومية انعكاسات على الوضع الاجتماعي الديني الحالي بحيث أصبح للإسلام مكانته، لكن لا تملك معلومات

عشر، على الرغم من أنّ التدخلات العسكرية الروسية والمعارك المتنوعة التي أعقبتها، بدأت، هي أيضاً، بتعميد تاريخ تلك المنطقة. وحدها التغيرات السياسية في القرن العشرين، وتقسيم مقاطعة أذربيجان القديمة، ساهمت في الأولول النسي لهذه المدينة الإيرانية التي تسكنها أغلبية من الأذريين، إذ تراجعت إلى مستوى محافظة لمنطقة بسيطة منفصلة عن الأراضي القوقازية، ولم تعد لها أية سيطرة على التبادل التجاري الذي تقلّص نسبياً بين دولتي إيران وتركيا المعاصرتين. «راجع المستندات ١٢، ١٣، ١٧، ٢٢ و ٢٤.

تبوك (المملكة العربية السعودية). محلة تقع على طريق الحج الشامي القديمة إلى مكة المكرمة. تعود شهرتها إلى غزوة تبوك التي قادها نبي الإسلام ﷺ في أواخر حياته، إذ في سنة ٩هـ/٦٣١م، توجه النبي محمد ﷺ على رأس حملة عسكرية إلى الأطراف الشمالية للجزيرة العربية، ووصل إلى غدير في تبوك على الحدود مع الأباطورية البيزنطية. وقبل عودته السريعة تمكن، عن طريق المفاوضات، من إخضاع عدد كبير من سكان الواحات المجاورة. ومع أنّ الحادثة انتهت من دون أن ترتب عليها نتائج عسكرية مهمة، إلّا أنّها ساعدت، في ما بعد، في دفع الفتوحات الكبرى، ودعم الرأي القائل بأن النبي محمد ﷺ نفسه كان يتطلّع إلى نشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية بقوة السلاح.

تبيليسي (جمهورية جورجيا)، كانت تُعرف قديماً بتغلبس، في اللغة العربية، وهي عاصمة جورجيا حالياً، كما كانت أيضاً أهم مدن جورجيا في العصور الوسطى. مدينة قديمة، احتلتها الجيوش العربية - الإسلامية عام ٦٥٥هـ/٦٦٥م، إبان الفتوحات الكبرى، وعقدت عهد صلح مع سكانها ألزمتهم فيها بدفع الجزية. وتحلّت تغلبس في ما بعد المصير عينه الذي أصاب منطقتها كلها، إذ فاست بشكل خاص من غزوات الخزر. وقد نجح في ما بعد أحد الأشخاص، ويدعى اسحق، في السيطرة عليها وفي تحويلها إلى إمارة شبه مستقلة، ما لبثت، بعد فترة وجيزة، أن أعيدت إلى حظيرة الخلافة العباسية، إثر حملة عسكرية وجهها إليها الخليفة

التي احتلتها أو أسستها الجيوش العربية - الإسلامية المنتصرة. وفي فترة لاحقة، ساهمت هذه القوافل في تأمين المواصلات المنتظمة التي تطوّرت بسرعة بين المقاطعات، ضمن شبكات اتّخذت في آنٍ معاً طابعاً إستراتيجياً وإدارياً وتجاريّاً.

ارتبط الازدهار الإقتصادي للعالم الإسلامي القديم، وصولاً إلى فترة الثورات التكنولوجية الحديثة، دائماً بحركة وبأمن القوافل التي كانت تجوب مختلف أرجائه. ولأسباب ظرفية - لكنها من دون شك جوهرية - كان لهذه القوافل أثرها على مستقبل هذا العالم كأمبراطورية. والأثر الذي تركته الحيوية الفاعلة، إلى حدٍّ ما، لهذه المواصلات واتّجاهات محاورها الكبرى على الحياة اليومية وعلى رخاء المدن الرئيسة، كان له تأثير في المجتمعات الإسلامية. وليس هذا وحسب، فقد حدث أيضاً اختراق سلمي لبعض المناطق المحاذية للبلدان التي أسلمت، سهّله إرسال قوافل إلى هذه المناطق تبغي الربح هدفاً، وفي أكثر الأحيان من خلال مبادلة الرقيق والمواد الأولية الغنيّة بالمنتجات الصناعية. وفي الوقت عينه، كانت هذه القوافل، إلى جانب نشاطها التجاري، تقوم بنشر الدعوة، وقد تركّز هذا العمل خصوصاً في المحطات القائمة على طرق القوافل، وفي النواحي الإسلامية التي نأست على امتداد هذه الطرق لتأمين حماية فعّالة للأسواق والمخازن. وبهذه الطريقة انتشر الإسلام بواسطة هؤلاء التجّار الذين كان بعضهم يجوب السهوب الآسيوية أو يتبع مجاري الأنهار الروسية، وبعضهم الآخر كان يتغلغل داخل القارة الأفريقية حيث أدّى تأثير نظام المبادلات العابرة للصحارى الذي كان يمتد إلى سهول المنطقة التي كانت تُعرف آنذاك بالسودان، وحتى إلى داخل الغابات، إلى تراجع مستمرّ للوثنية أمام تنامي حركة اعتناق السكّان المحليين للإسلام.

والمكانة التي احتلتها القوافل في أرض الإسلام كوسيلة اتصال مفضّلة، والتي ظلّت مستمرة طيلة القرون الوسطى وإلى ما بعدها، كانت تتطلّب الخبرة والمهارة عند هؤلاء الذين كانوا يتكلمون هذه التجمّعات الواسعة من البُشر وحيوانات النقل، حيث كانت تختلط، لفترات

دقيقة حول هذا الموضوع. تُشير، فضلاً عن ذلك، إلى أنّ تارستان منطقة غنيّة بثروتها الزراعية والقطعية.

تجارة القوافل، وسيلة لنقل الأشخاص والبضائع توافق العادات البدوية في المناطق الصحراوية. وهذا النمط ظلّ سائداً لفترة طويلة في العالم الإسلامي مسترعياً الانتباه إليه بشكل خاص.

١ - يشتقّ التعبير الفرنسي «caravane» من كلمة إيرانية الأصل، هي «كاروان»، دخلت، منذ أواخر القرون الوسطى، في اللغة التركية وفي مختلف اللغات الأوروبية التي أعمّلت استعمال التعبير العربي المألوف «قافلة». ويغيد استعمال كلمة «كاروان» إلى أيّ مدى كانت تتشكّل طريقة السفر هذه السمة المميّزة لمناطق الأمبراطورية العثمانية الآسيوية القاحلة التي اختبرها الأجانب بأنفسهم. وإذا لم نكن نملك إثباتاً - باستثناء بعض المعطيات البديهية - يسمح لنا باعتبار هذه الظاهرة خاصية إسلامية، لكننا نعرف أنّ الأنشطة التجارية في الأمبراطورية الإسلامية القروسطية نشأت من شبكات قوافل، يدلّ على أهميّتها الدور التاريخي الذي مثّلته منذ بداية الدعوة الإسلامية.

إنّ النبي محمد (ﷺ) نفسه، الذي كان تاجراً في مكّة قبل أن يظهر دعوته نبياً، وجد من الطبيعي، لتأمين ازدهار الجماعة الإسلامية الأولى في المدينة، مهاجمة قوافل أعدائه. من ناحية أخرى، كانت الدولة الإسلامية التي أسسها النبي محمد (ﷺ) في واحة جبلية تقع ضمن سلسلة الحجاز الغربية حيث القوافل كانت وسيلة السفر الوحيدة، تضمّ بين أبنائها «مهاجرين» يتحدّرون مثله من مدينة مكّة التجارية، وقد حملوا معهم، داخل المجتمع الإسلامي الجديد الناشئ عن الهجرة، خبرتهم التجارية. وهذا ما يفسر احتفاظ مسلمي هذه الفترة بحسّ خاص لتجارة القوافل، القريبة منها والبعيدة، ما سمح لعدد منهم بالإثراء. وتنامى هذا الحسّ مع انتشار الفتوحات في القرن السابع الميلادي، ما وسّع إمكانات التبادل والتجارة إلى أطراف أمبراطورية شاسعة لا حدود داخلية فيها. من هنا أيضاً يمكن فهم الاهتمام بإيجاد أماكن معدّة لاستقبال قوافل البدو المتدفّقة من الجزيرة العربية والتي تعود إليها محمّلة بالغنائم، وذلك خارج أسوار المدن

اعتداه سبيله في متاهات موحشة غير مطمئنة، إلى الخبرة الضرورية لرسم خط السير ونظم المخيم اليومي والاعتناء بالحيوانات، والعمل كل يوم على نصب الخيم ووسائل الاستراحة الأخرى، ومن ثم العمل على طيها عند الانطلاق من جديد. بحسب وصف شامل وجميل قام به غوبينو لكل هذه الأمور وللخيمات «مع أوتال البغال والخيال المربوطة إلى الأوتاد» ومع نيرانها المشتعلة، قال إنها تشبه تجمعات متحركة حيث، عند الصباح، تتركهم طرود البضائع كأنها أسوار، وحيث تشكل، في أماكن عدة، خلايا يجهد أفرادها في إعادة ترتيب عدة النوم من فرش وأغطية، وحيث «تبدو هذه المعمرات المتحركة وكأنها طرقات بدأ الناس يتجولون فيها منهمكين بأشغالهم».

وأوصاف القوافل هذه بحماليها وتجارها الدامي التنقل، والتي تغلها الرحالة إلى الغرب الأوروبي، تنطبق على مرحلة متأخرة، سبقت بقليل، وبخاصة في البلدان الشرقية، تداعي العادات المتوارثة الذي حصل بعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩، وتطور خطوط سكك الحديد الأولى. وتسمح هذه الأوصاف بفهم المزايا والعيوب للنظام الذي ساهم في الحفاظ على مستوى معين من الازدهار في العبادات داخل الامبراطورية العثمانية، حتى التحديث الجزري لوسائل النقل. كما أنها تلقي أضواء على جوانب أكثر قدماً، عندما كان الأدلاء أنفسهم، المدربون على طريقة الحياة البدوية، يقدرون في الفرون الوسطى، في سيرها ومحطات استراحتها اليومية، أنواع القوافل نفسها التي لم يكن من الممكن الاستغناء عنها في الحياة الاقتصادية المدنية والمناطقة القائمة جنباً إلى جنب في العالم الإسلامي آنذاك.

٢ - في كل عهد، كان كل شيء يرتبط بما يديه الحكام من اهتمام بشبكة طرق القوافل التي تقوم عليها التجارة، والتي كانت تستدعي تشييد خانات في محطات الاستراحة كما في المدن، ما يتطلب موارد مالية كبيرة. هؤلاء الحكام، كان في مقدورهم وحدهم تأمين الحماية أو التحسين الثغني لبعض أجزاء خطوط السير كلما دعت الحاجة، ووحدهم شجعوا أيضاً تدوين

تمتد إلى أسابيع عدة، الخيل والبغال وبشكل أساسي الجمال المناسبة لعبور الصحارى والتي في إمكانها نقل حمولة توازي أربع إلى خمس مرات حمولة الحيوانات الأخرى. وكان انتظام التجارة يتحكم، بحسب الحالات، بحجم القوافل ووتيرتها السنوية، وفق إيفاق موسمي يفرضه المناخ، ويرتد نائباً تغيراً في سرعة حركة التنقل. وعلى سبيل المثال، كانت الرحلة من تونس إلى القاهرة تستغرق شهرين إلى ثلاثة أشهر، وكذلك الأمر للانتقال من أصفهان إلى حلب أو إلى إزمير. وكانت ظروف السفر تختلف كثيراً تبعاً للصعوبات الطبيعية، وترتبط بالظروف السياسية السائدة في المناطق التي تعبرها القوافل. وكانت المراكبة المسلحة الجيدة للقوافل ونوعية الزواد تساعد في مواجهة شتى مفاجآت الطريق. كانت المسؤولية الأساسية تقع بخاصة على رئيس القافلة المسمى، في الأوساط العثمانية، «كازوان باشي»، وقد ورد ذكره في روايات الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر.

وكانت سلطة التقرير في كل الأمور تعود إلى هذا الرجل المميز الذي كان التجار يدفعون أجره. فهو يحدد خط السير الواجب اتباعه، وطول فترة الاستراحة، وتنظيم مجموعات القافلة، ويعود إليه أياً في كل شأن قانوني أو جزائي، وهو الذي كان يفوض في شأن الرسوم التي كانت تُدفع للسماح للقافلة بالمرور، وكذلك في شأن تموينها بالعلف والغذاء. وقد ورد عن هذه الشخصية في كتاب «أخبار آسيوية» (Nouvelles asiatiques) للرحالة الفرنسي غوبينو (Gobineau) ما يلي: «لم يكن لرئيس القافلة هذا أي موقع في تراتبية الوظائف العامة في أية دولة إسلامية. ومع ذلك فهو شخصية كبيرة بمعنى من المعاني، وهو يتمتع بامتيازين نادرين في العالم: إله، من جهة أولى، بأمر كل من حوله، وليست سلطته موضوع جدل على الإطلاق؛ وإن نزاهته، من جهة ثانية، أمر مسلم به دائماً، ومن النادر أن تغدو موضوع نزاع». ويشبه دور رئيس القافلة هذا الدور الذي يقوم به، في الوسط اليدوي، رئيس حملة عسكرية، إضافة إلى أنه كانت تتوافر فيه وفي محيطه صفات مستقاة من نمط الحياة البدوية، منها قدرته على

وعودة وإقامة الجسور وبناء أحواض وبرك، كانت أحياناً تتخذ شكل أبنية وأحياناً أخرى شكل خزانات مكتوفة، وتقوم إلى جانب محطات تبديل البريد الذي كانت تنقله الخيالة، أو إلى جانب الخانات والتحصينات التي هي، إلى حد ما، واسعة وصلبة. وبطبيعة الحال، تطوّرت هذه المبادلات بشكل مستمر مع الوقت واختلاف الأماكن، بينما كانت تتغير قدرات وعادات السلالات المحلية الكثيرة العدد. والطرق الأفضل تجهيزاً يعود تاريخها إلى المراحل. المتأخرة. كالتطرق الإمبراطورية التي وظفت الدولة العثمانية لإنشائها مهندسين اختصاصيين من الجيش الإنكشاري، ومنهم بيان المهندس المعماري الشهير. وقد جُهزت هذه الطرق بجسور ضخمة ذات نوعية مميزة. وإلى جانب البقايا الأثرية، فإن المصادر التاريخية المتعلقة بهذه الفترة متوافرة بكثرة، وكذلك سجلات المستندات المدونة والمتعلقة بالمبادلات والالتزامات، وكذلك الوثائق المتعلقة برقابة الدولة على التجارة. ويمكن، من خلال وفرة هذه التفاصيل، إعادة رسم دقيق لخريطة خطوط السير، حتى طرابزون وبورصة وبخاصة إسطنبول، التي كان يسلكها التجار والمسافرون. كانت الإدارة تُخضع هؤلاء السالكين للمراقبة ولدفع رسوم مرور، وكانت هذه الإدارات تسهر بالطبع على تسهيل تجوالهم، لكنّها في المقابل كانت تحرص أيضاً على استمرارية التنظيم والرقابة وفعاليتها.

وحدث، على مرّ العصور، أن نفثرت نقاط انطلاق ونقاط وصول المسارات الكبرى التي تحرك الأنشطة التجارية التي كانت تنأثر بالأحداث التاريخية والتحولات الاقتصادية - الاجتماعية. وفي موازاة ذلك، كانت حاجات المدن ووسائل التبادُل والتوزيع تتغير كذلك. وفي كل الأحوال، حافظت بعض خطوط المواصلات على ثباتها، ومنها الخط الذي يربط الشرق الأقصى بالبحر المتوسط والذي ظلت القوافل تسلكه على الدوام في بعض أجزائه، رغم بعض التوازنات المتقلبة التي كانت تعطي الأفضلية أحياناً للمسارات الأسبوعية الطويلة، كطريق الحرير القديمة التي تعبر آسيا الوسطى وتتفرّع نحو السهول الهندية، وأحياناً أخرى

المعلومات وتنظيم الجردات المنهجية للطرق التي ترنداءها القوافل، ما أثار بداية فضول علمي في هذا الاتجاه، ودفع إلى وضع مؤلفات جغرافية صيغت في صورة دليل للطرق والمحطات. وفي الواقع، شكّلت هذه الطرق أساس كل المبادلات وكل المواصلات، بين رجال الدين كما بين التجار، بين دول متنافسة أو متحالفة، كما بين قادة الحرب الذين كان لهذه الطرق، بالنسبة إليهم، دور إستراتيجي لا غنى عنه. وعند الحاجة، كانت تسلكها جيوش الخلافة، وكذلك كانت تستعملها الجماعات الأجنبية المتسلّطة داخل الأراضي الإسلامية والتي كانت تتبع هذه المعابر التي لا مجال لأحد أن يحيد عنها في هذا الوسط الطبيعي العدائي في أكثر الأحيان. وأخيراً، كانت كل الحكومات تستعمل هذه الطرق لتأمين نقل المراسلات البريدية وتقارير عملاء الاستخبارات، وجمع أموال الضرائب المحلية وتوزيعها داخل ممالك أو إمبراطوريات كان وضعها هشاً إجمالاً وتفتقر، حتى في أوج ازدهارها، إلى تنظيم مركزي.

كما ساهم الاستعمال المنتظم لطرق القوافل هذه داخل العالم الإسلامي في توحيد بلدان تتنوع طبيعتها وثقافتها بشكل خاص؛ ومع ذلك لم تكن هذه الطرق إلا خطوط سير بسيطة أعلنت بعض الشيء وحُدّدت معالمها. وأياً كانت أهمية استعمال هذه الطرق، فإنّ ارتيادها اقتصر، حتى حقبة التغييرات الأولى الممهّدة للعصور الحديثة، على المشاة والأشخاص الذين يمتطون دواباً وحیوانات نقل، لأنّه تمّ التخلّي بشكل سريع عن وسائل النقل الأكثر إيقاناً والتي عرفتها العصور القديمة. ولم تطرح أبداً مسألة بناء وصيانة طرق حقيقة شبيهة بالجاكات الرومانية. وقد تناولت جهود التحسين، بشكل خاص، إشارات الإرشاد على الطرق: نقاط اعتداه بصريّة مثل حُرُيم الانتهاء والتدليل، أو تلال من الأحجار الصغيرة غير المصنّعة، أو العلامات الدالة على المسافات، وأيضاً المآذن والأبراج المزروعة على مساحات في الأمكنة التي يُخشى فيها أن يضلّ الإنسان مسيره. وبعض الأعمال المنجّرة التي خلّدها بعض النفوس والتي شملت حصراً تسهيل المتعذرات الأكثر

أفراد الشعب الذين كانوا يقدمون المساعدات تلقائياً للحجاج عند انطلاقهم ويحتفون بهم لدى عودتهم. لكن هذه القوافل - شأنها شأن قوافل أفلأ أهمية - كانت تعاني، على طرق الحج التقليدية المؤدية إلى مكة، بطء الحركة ومخاطر الطريق وصعوبات التنظيم والنموين. فهذه القوافل كانت تنقل، عبر طرق غير آمنة في أكثر الأحيان، جماعات ذات أعداد متزايدة، كذلك القافلة المصرية التي كان تنظم كل سنة، خلال الحقبة العثمانية، والتي كان يمكن أن يصل عدد أفرادها عند انطلاقها من القاهرة إلى أكثر من أربعين ألف حاج. منهم عشرة آلاف تقريباً آتين من المغرب.

« ربيع المستند ١٠ و ٢٥ و ٣٠.

التجارية (النشاطات -)، نشاطات طالما ازدهرت في العالم الإسلامي وقامت على تجارة القوافل والرافى المفتحة على الخارج، وقد ساهمت في ازدهار الحضارة الإسلامية وفي تنظيم هندسة المدن حول أسواقها، وعملت على نموها أو زوالها وفقاً لشبكات المواصلات.

كانت التجارة ناشطة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وبشكل خاص في مدينة مكة التي وصفها بعض المؤرخين المحدثين بـ «الجمهورية التجارية». وساهمت الدعوة للإسلام وانتشاره، خلال الفتوحات الكبرى، في تشجيع تجارة القوافل التي كانت سائدة في المجتمع المكي، علماً أن الدين الجديد لم يقدم على إدانة التجارة، بل اكتفى النص القرآني بمنع بعض الممارسات المؤدية إلى تجاوزات مثل الذئب بالفائدة.

وقام الفقهاء الذين ساروا في ما بعد القوانين ووضعوا قواعد أخلاقية حقيقية تتعلق بالإقتصاد، بتأكيد هذا الحظر، غير أنهم أقرّوا بمشروعية بعض الممارسات الهادفة إلى تعزيز عمل التجار، مثل الشراكة والتوصية وفي هذه الظروف أدى إنشاء دولة شاسعة، ممتدة من المحيط الأطلسي إلى آسيا الوسطى فالهند، إلى تفعيل المبادلات، إذ إن نقل البضائع كان يحظى في الداخل بحرية تامة، حتى خلال الانقسامات السياسية والدينية كالتي شهدتها مثلاً العالم الإسلامي مع ظهور سلال الفاطميين. ومن جهة أخرى، فإن القصور الملكية

نخط برقي محدود يؤمن المواصلات مع بعض المرافى على الخليج العربي - الفارسي وعلى البحر الأحمر، حيث كانت ترمو المراكب بعد عبورها المحيط الهندي. وكان الأمر كذلك، لفترة طويلة، بالنسبة إلى خطوط اصطلاح على تسميتها «طرق الرقيق»، والتي كانت تنطلق من مناطق كان يتم فيها شراء رقيق أو أسرهم، فيستخدمون لاحقاً خدماً أو جنوداً، كالسهبوب التركية أو شمال القوقاز أو أفريقيا السوداء. وكان الأمر كذلك أيضاً في ما يتعلق بطرق تجارة البهارات والبخور والذهب. وفي هذا الوقت كانت المفاصل الكبرى لخطوط القوافل تنقل من بغداد إلى القاهرة وإلى تبريز، وكان لتغيرات أخرى مرتبطة بالمنافسة المتزايدة للتجارة البحرية الأوروبية، بدءاً من القرن السادس عشر، انعكاسات لا مفر منها على نسبة استعمال الخطوط القارية.

علاوة على ذلك، حافظت بعض الخطوط على أهميتها حتى يومنا هذا، لأنها تؤمن المواصلات إلى الأماكن المقدسة الإسلامية، أو إلى مزارات يؤمها مؤمنون أحياناً من مناطق بعيدة. تلك مثلاً كانت حال الطرق المؤدية من إيران الصفوتين والقاجاريين إلى المراكز الدينية الكبيرة للشيعية في النجف وكرلاء في العراق. ومنذ بدايات الأمبراطورية العربية - الإسلامية، كانت تلك بشكل خاص وضعية الطرق المستعملة لتوجيه جماعات المؤمنين المتجهين سنوياً إلى مكة لإتمام فريضة الحج. ويشير كتاب الحوليات إلى توارخ الإنطلاق الرسمية لهذه القوافل في المدن الرئيسية، كما أن منمنمات من القرن الثالث عشر الميلادي حفظت عنها لوحات مثيرة للاهتمام. وكانت هذه القوافل تشكل جزءاً من حركة العبور الدائمة في صحارى الجزيرة العربية، حيث وحده الاستغلال العقلاني للجمال وميزاتها سمح بالتغلب على مصاعب الطريق. واقع الأمر أن هذه القوافل كانت تحاط برعاية خاصة من قبل السلطات الرسمية التي كانت تلحق رجالاً مسلحين بمواكبها تأميناً لحمايتها، أو تنظم الطرق التي تسلكها، كما شهد على ذلك «الطريق العراقي» في عهد الخليفة هارون الرشيد. وكانت هذه القوافل تستفيد من اندفاع

أحياناً، كما حدث في مصر، تعهّداً من قبل الأجانب بشراء كمية محدّدة من المنتجات المحتكرة من قبل الدولة، كحجر الشب مثلاً، وبالمقابل أجازت للتجار الممتنعين تملك مؤسسات خاصّة بهم في الأراضي الإسلامية، مثل الفنادق والخانات. تُعتبر هذه الاتفاقات أساساً لعهود الأمان أو «الامتيازات» التي أقرّت بها السلطنة العثمانية في ما بعد، والتي تُعرف باللغات الأجنبية باسم capitulations، وقد ألغتها الجمهورية التركية في العام ١٩٢٣. كانت هذه الاتفاقات تؤمّن للأجانب، بشكل عام، شروطاً أفضل من الشروط التي كان يفرضها علماء الفقه، وكانت هذه تتضمن ضريبة نسبتها عشرة بالمائة من قيمة البضائع.

وكانت النشاطات التجارية التي أخذت تتطوّر بهذا الشكل، إبتداءً من أواخر القرون الوسطى، تسلك مسارات تختلف عن تلك التي كانت سائدة سابقاً بين الشمال والجنوب، أو بين إيران العباسية وسوريا مروراً ببغداد. لقد عزّزت الهيمنة التي مارسها المغول على آسيا بكاملها أهمية المحور البرّي التجاري المارر للفاة الآسيوية، من خلال إعادة إحياء طريق الحرير القديمة، ولكنها قلّصت من أهمية سالك البحر الأحمر ومصر. في حين أدّى توسّع الفتح التركي الإسلامي في الأناضول وفي أذربيجان إلى توجيه المنتجات الشرقية الثمينة، المخصّصة للمستوردين الأوروبيين القادمين من جنوى ومن البندقية، نحو مرفأ بحر إيجه المتوسطي، وبشكل خاص نحو مرفأ البحر الأسود، ولا سيّما نحو طرابزون أو فيودوسيا في شبه جزيرة القرم. وتأكّدت في ما بعد، إبتداءً من القرن الخامس عشر الميلادي، أهمية اسطنبول الناشطة عند ملتقى الطرق التجارية القادمة من أوروبا ومن آسيا. وقد حافظت هذه المدينة على ازدهارها إلى أن اختلّ التوازن في هذه المبادلات، في القرن الثامن عشر، عندما اجتاحت المنتجات الأوروبية، بسبب اتفاقات «الامتيازات الأجنبية»، منطقة الشرق الأدنى، التي كانت عاجزة عن تقديم أي شيء بالمقابل، والتي شهدت عندئذ تفاقماً لتراجعها على الصعيدين الاقتصادي والنفسي.

المنفعة التي أُقيمت في المدن الكبرى والعواصم، مثل بغداد ومرو وقُربّة والقاهرة، وفي ما بعد في أصفهان ودلهي وسمرقند واسطنبول، لم تُكفّ عن تشجيع صناعة الكماليات وبيعها - وكان يتم استيراد بعضها من أمكنة بعيدة - والإتجار بها كثيفاً بصورة واسعة.

وكانت التجارة تمتد أيضاً إلى الخارج وقد طالت، منذ عهد الخلافة العباسية، أوروبا الشمالية وأقصى آسيا الوسطى التي كانت مُصدّر الفرو والعبيد، وأفريقيا السوداء الساحلية الممتدة إلى ما وراء الصحراء لتشمل بلاد السودان التي كانت مصدر الذهب، والشواطئ الأفريقية الممتدة على المحيط الهندي، وأندونيسيا والشرق الأقصى الغني بالحرير والخزف حيث كانت المراكز التجارية التي يسكنها تجار مسلمون، والتي تنتشر حتّى في الأماكن البعيدة كالصين مثلاً، تستقبل سنّاً تؤمّن التجارة مع مرفأ البحر الأحمر والخليج العربي - الفارسي.

وفي المقابل، شهدت التبادلات التجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، خلال هذه الحقبة، تراجعاً كبيراً. وانحصرت على نشاط قامت به جماعة غامضة من التجار اليهود أطلق عليهم اسم «رادانيّة»، وهو اسم مجهول المسمى. كان هؤلاء ينتقلون، كما ورد عند الجغرافي ابن خُردادبّه، برّاً أو بحرّاً بين أوروبا والشرق الأدنى، ومنه إلى مناطق أخرى. ولم تُستأنف العلاقات المنتظمة في حوض البحر الأبيض المتوسط إلّا في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، عندما توجه تجار مسيحيون وإيطاليون بشكل خاص إلى مدن ومرفأ مثل الاسكندرية والقاهرة. وفي ما بعد، استقرّ هؤلاء التجار على الشواطئ السورية - الفلسطينية الخاضعة للفرنج، ومنها تاجروا مع مسلمي الداخل، خصوصاً خلال الفترات التي غابت عنها العمليات العسكرية. غير أنّه لم يكن يُسمح لهم في مصر، في العهد الأيوبي، بتجاوز منطقة الدلتا، إذ حظّر صلاح الدين على غير المسلمين الوصول إلى البحر الأحمر حيث اعتبرت العمليات التجارية حكراً على تجار التوابل المسلمين. عُقدت بعض الاتفاقات التجارية ابتداءً من العهد الصليبي بين الأوروبيين والدول الإسلامية. ونصّنت

قريباً ممّا كان عند الأوائل، عارضوا استعمال هذه التعبيرات لأنّها لا تليق بالله الذي «لا شيء يشبهه» في الخليقة، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم أيضاً. واتّهموا بالتجسيم أولئك الذين لا يتجاوزون المعنى الواضح للآيات القرآنيّة من أجل المعنى المجازي. وهم يعتبرون أنّ الصفات المعطاة لله ليست سوى مظاهر من الجوهر الإلهي، وأنّه لا وجود لها خارج هذا الإطار.

من جهتهم، كان أتباع التجسيم يتباهون بتمسّكهم بحرفيّة النص، وهم الذين يُعرفون باسم السلفيّين، ويتّهمون المعتزلة بتعطيل فكرة الله وإفراغها من محتواها.

التجسيّون أو بنو تُجيب، أسرة عربيّة في شبه الجزيرة الألبيرية المتأسّسة. لعب أفرادها دوراً سياسياً في مختلف حقبات التاريخ الأندلسي.

فرض بنو هاشم، وهم فرع من بني تُجيب، سلطانهم على سرقسطة، من العام ١٠١٩هـ/١٠١٩م إلى ٤٣٠هـ/١٠٣٨م، وكانوا، في البداية، من أتباع أيّوبي الأندلس الذين أزرعهم في صراعهم ضد بني قُبيّ ذوي الأصل القوطي. ومن ثمّ، في عهد ملوك الطوائف، حصل بنو هاشم على استقلالهم في سرقسطة، ولم يلبثوا أن خسروه لمصلحة بني هود.

ونعكس بنو صدادح، الفرع الثاني لبني تُجيب، في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، من الاستيلاء على إمارة المرية المستحدثة، واستمرّوا في حكمها حتّى مجيء المرابطين في ٤٨٤هـ/١٠٩١م. ويُعتبر المعتصم الذي ينتمي إلى هذا الفرع أشهر من حكمها، إلى أن أرغمه المرابطون على الانسحاب إلى بجاية حيث توفي.

أسرة بني تُجيب في سرقسطة:

المنذر المنصور ٤١٠-٤١٤هـ/١٠١٩-١٠٢٣م

يحيى المنظر ٤١٤-٤٢٠هـ/١٠٢٣-١٠٢٩م

معز الدولة المنذر الثاني ٤٢٠-٤٣١هـ/١٠٢٩-١٠٣٩م

تدمر (الجمهورية العربيّة السوريّة)، واحة تقع في الصحراء السوريّة شمال شرقيّ دمشق، خضعت للإسلام منذ بداية الفتوحات الكبرى.

وبدأ في الحقبة نفسها تطوّر مماثل في مكان آخر: لقد تركزت ضعف التجارة الإسلامية ونخلت هذه، لفترة، لمصلحة البرنغاليّين، عن سيطرتها على التجارة في المحيط الهندي، قبل أن تعاود الملاحة الإسلامية تطوّرها انطلاقاً من سواحل عُمان، لتزوّن ثروة سلاطين مسقط وزنجبار، إلى أن هيمن البريطانيّون بدورهم على كل الطرق التجاريّة وعلى دول المنطقة.

هكذا بدأ تراجع تدريجي وعام للسيطرة التجاريّة التي مارسها المسلمون في القرون الوسطى على الدول المجاورة كافّة حيث كانوا قد استقروا فيها بصورة شبه سليمة. ولم يستمرّ الوضع السابق إلّا في بعض مناطق أفريقيا، الشرفيّة منها والغربيّة، حيث واصل الإسلام انتشاره حتّى أواخر القرن التاسع عشر، وفقاً للطرق التي اتّبعها تجارة الرقيق وقوافلها، بينما تمّ التخلّي عن الممارسات الأسبويّة التي سلكتها الأسرى من الترك والشرّكس. أمّا في أفريقيا السوداء فقد تواصل إنشاء المدن على النمط الإسلامي حول المستودعات التجاريّة المحصّنة التي بُنيت لجمع السلع الثمينة ولتوزيعها. وقد حافظت هذه المواقع المأهولة لعقود عدّة على دورها كمراكز مقدّمة لانتشار الإسلام على الصعيد المحلي، ولكنها توارت مع تغزّيات الحقبة المعاصرة. لقد تبدّلت، خلال القرن العشرين، آخر الآثار للنشاطات التجاريّة الإسلاميّة العائدة إلى القرون الوسطى، وحلّت محلّها علاقات اقتصادية قائمة على أسس جديدة كليّاً. أقامت دول إسلاميّة تختلف عن بعضها في تنظيمها وفي تعاطيها مع الموضوع.

«راجع المصنّفات ١٠، ٢٨، ٣٠».

التجسيم، لفظ تداوله المسلمون عند بذلهم الجهود الأولى لتفسير العقيدة فكان، في القرون الوسطى، سبباً لمناقشات دينيّة كثيرة ولخصام غفّ أحياناً. وتفسير حدّة ذلك النقاش القديم هو أنّ بعض الآيات القرآنيّة، إذا ما أخذ بحرفيّة، يُبرز الله بمظهر بشري: فالله ذو وجه ويدين يستوي على العرش؛ كما أنّه، تعالى، يتلقّى، في النصوص عنها، صفات يمكن إضافتها على البشر، إذ إنّ «القادر» و«المعالم»...

إلّا أنّ مفكّري المعتزلة الذين نبّؤوا مفهوماً فكرياً

تأكيداً بمعاودة ستاروفيتش في العام ١٧١٨م وبصلح بلغراد في ١٧٣٩م. بحيث تم الاعتراف رسمياً بسيادة آل هابسبورغ على ترانسلفانيا، المنطقة الحدية لنفوذهم.

ترجمان، هو الذي يقوم بعملية الترجمة ويكون دليلاً للمسافرين الأجانب في العصور الحديثة، خلال تنقلهم داخل الوسط الإسلامي.

وقد أدى المترجمون دوراً خاصاً وفاعلاً في بلدان المتوسط، انطلاقاً من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، أي مع نهضة النشاط التجاري وتكثيف العلاقات الدبلوماسية بين البلدان الإسلامية وأوروبا المسيحية. فقد كثر عددهم في المرافئ التي يقصدها التجار الغربيون، وكانوا موقظين في دوائر الجمرات. كما كان بعضهم من المسلمين، ولكن غالبيتهم من المسيحيين أو اليهود.

وأتخذت هيئة المترجمين، التي تعينها السلطات، أهمية متزايدة في العهد العثماني. وكان هناك، فضلاً عن المترجمين العثمانيين في المرافئ، ترجمان السلطان الرسمي، المكلف على الأخص كتابة الاتفاقات المُنعدة لأن توقع مع الدول الأجنبية. وقد ظهرت وظيفة ترجمان الباب العالي في القرن السادس عشر، وربما قبل هذا التاريخ. وقد شغل هذا المنصب عدد من المترجمين الكبار، جميعهم من المسيحيين.

وكان المترجمون الرسميون، وكذلك الذين كانوا في خدمة السفارات أو القنصليات الأجنبية، يتدخلون في تطبيق شروط عهود الأمان المعروفة بالامتيازات. وفي القرن التاسع عشر، بدأت الدولة العثمانية تقف منهم موقف الحذر. وفي سنة ١٨٦٣، حظرت على الدول الأجنبية اللجوء إلى مترجمين عثمانيين. لكنّ المشكلات التي كان يسببها المترجمون لم تُزل إلا بعد إلغاء نظام الامتيازات سنة ١٩١٤.

الترك ← الأتراك.

تركستان (بلاد الأتراك)، لفظة تعيّر مدلولها الجغرافي، عبر العصور، تبعاً لتبدل مواطن العاشرة التركية المختلفة التي استمرت طويلاً على البداية. إنّ الأتراك، الذين جاءوا في القرن السادس

على الرغم من أهميتها الاقتصادية والسياسية في العصور القديمة التي تشهد عليها الآثار المتبقية، تحولت تدمر، في ظلّ الحكم الإسلامي، إلى قرية كبيرة ليس إلا، أشار إليها الجغرافيون العرب في القرون الوسطى نظراً إلى أثارها القديمة وقلمتها.

لكنّ منطقتها تدمر استمرت بإثارة اهتمام الحكام الجدد، إذ إنّ الاستيطان العربي في العصر الأموي أدى، لجهة الغرب كما لجهة الشرق، إلى بناء مقرات إقامة محمية، من أهمها قصر الخيبر الغربي وقصر الخيبر الشرقي، في حين استمرّ استخدام طرق القوافل التي تعبر الصحراء وفاق خط مباشر يصل مرائي سوريا بإيران والهند وآسيا الوسطى. في ما بعد ازدهرت الأنشطة التجارية في القرون الوسطى، وأدى ذلك إلى إقامة خانات ونزل استراحة في مواقع أموية نال منها الدمار، كقصر الخيبر الشرقي.

➤ راجع المسند رقم ٩

ترانسلفانيا، هي إردل أو إرولستان في اللغة التركية. تقع هذه المنطقة إلى غرب الكريات. وقد كابت، في أواخر العصور الوسطى، وعلى مدى ثلاثة قرون، الهجمات والسيطرة العثمانية.

وهي تتأخم مولدايا من الشرق وفالاشيا من الجنوب، وكانت هاتان المقاطعتان قد خضعتا لسيطرة عثمانية طويلة. تتصل ترانسلفانيا غرباً بسهل هنغاريا الأوسط، الذي، عبره، حصلت على مساعدات عسكرية مكنتها من الدفاع عن نفسها، طيلة القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، ضد الهجمات العثمانية. وفي عام ١٥٤١م، بينما كان السلطان سليمان القانوني يحتاج حوض الدانوب الأوسط، وقّعت معه ترانسلفانيا معاهدة اعترُف فيها بالسيادة العثمانية، وتعهّد بموجها السلطان، لغاء ضريبة تدفعها المقاطعة، بحماية حكامها الذين اعترف له بحق تسميتهم وعزلهم. أمّا في المرحلة الصعبة التي تلت، فقد توالى الاضطرابات الداخلية والنزاعات المسلحة، تبعاً للتدخلات النسابة ولرذات الفعل العثمانية، ولكنها لم تهتد بمحق السيادة العثمانية على ترانسلفانيا، إلى أن وقّعت معاهدة كارلوفيتش عام ١٦٩٩م التي تم

العالم الاسلامي، يتسبون بشكل خاص إلى القبائل الغزّية.

قبل القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، اعتبر أحد الكتاب (محمود قشغري) التركمان مجموعتين: الغزّ وإلهم ينتسب السلاجقة الذين ظهروا في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، والغزّ لك. وبعد الغزوات السلجوقية، استقرّت قبائل الغزّ في إيران وفي الأناضول بشكل رئيس، في حين تقاسم قادتهم من الأنايكة وسلالات أخرى أراضي أمبراطورية دخلت طوز التجرنة. ولكن استمرت تعيش بينهم، كما في آسيا الوسطى، قبائل رحّل. منذ ذلك التاريخ، أعطى لقب «ترکمان» لهذه القبائل الرحّل التي أفرزت قادة معظم دويلات الأناضول في عصر الإمارات، وقد تميّزت من بينها المجموعتان الكبيران، القراينلو والآق فيونلو. وقد التحق بعضهم، في أذربيجان، بالفرقة الصوفية الصفوية، التي كانت في أساس الدولة الصفوية. وفي القرن التاسع عشر، توزّع تركمان آخرون بين إيران، وأفغانستان، وروسيا، على أطراف آسيا الوسطى حيث شكّلوا، في عام ١٩٢٤، جمهورية التركمستان الاشتراكية السوفياتية المستقلة اليوم.

❖ راجع المستند رقم ٣٥

ترکمانستان (جمهورية)، مساحتها ١٠٠ ٤٨٨ كلم^٢، عاصمتها أشخباد، وهي دولة معاصرة استقلت عام ١٩٩١، وهي واحدة من الجمهوريات الخمس السوفياتية السابقة في آسيا الوسطى، ويقرب عدد سكّانها من أربعة ملايين نسمة، أكثر من ٨٣٪ منهم مسلمون.

وتحتلّ صحراء كراكوم معظم أراضيها التي تمتدّ من بحر قزوين إلى مجرى نهر جيحون/أمودريا، بين جمهوريتي إيران وأفغانستان من جهة، وجمهوريتي كزاخستان وأوزبكستان السوفياتيتين السابقتين من جهة ثانية. كانت تعبرها قديماً، في قسمها الشرقي التابع لولاية خراسان الغنيّة، طريق القوافل القروسطيّة التي كانت تربط نيسابور ببخارى - مروّزا بسترخس ومرو. ويعبر تركمستان اليوم خطّ بُني في عهد الاحتلال الروسي، يصل مرفأ كرانسوفودكس بأوزبكستان

الميلادي من السهوب الداخلية الأسيوية، تقدّموا حتى نهر جيحون/أمودريا بطريقة جعلت بلاد ما وراء النهر جزءاً من أراضيهم. على أثر تهجيرهم إلى ما بعد نهر سيحون/سيردريا بفعل تقدّم الجيوش العربية - الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى، أصبحت بلاد الأتراك تقع، وفق ما ذكره الجغرافيون العرب في القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد، إلى شمال وشرق بلاد ما وراء النهر في منطقة فرغانة. لم يحصل أيّ تبدّل جذريّ في الوضع مع الغزوات السلجوقية والمغولية، ولكنه تبدّل في القرن السادس عشر عندما احتلّ الأوزبكيون بلاد ما وراء النهر ومناطق أخرى تقع إلى جنوبها.

ظهر تعبير «ترکستان» رسمياً في سنة ١٨٦٧ عندما أوجد الروس حكومة تركستان العامة التي ضمّت تقريباً، المساحة الجغرافية الواسعة المعروفة اليوم بآسيا الوسطى^٤. وانتهت هذه الحكومة في العام ١٩٢٤، على أثر قيام جمهوريات أوزبكستان، وتركمنستان، وطاجيكستان الاشتراكية السوفياتية. واستعملت عبارة «الترکستان الصيني» للدلالة على مناطق السين كيانغ، التي تأسّست ونزّكت، ولاسيما في حوض نهر تاريم. وتُطلق أخيراً لفظة «ترکستان» على مدينة صغيرة

في جمهورية كازاخستان كانت تُسمّى في ما مضى «بازي». إنّها تعيش من نشاطها التجاري لوفوعها على طريق القوافل الذي يصل طشقند بالسهوب الشمالية. وهناك عاش مؤسس الفرقة الصوفية اليوسوية الشيخ أحمد اليوسوي المتوفى في العام ١١٦٦هـ/١٧٦٦م، وأصبح قبره هدفاً لزيارات تقوية، تقصده أعداد وفيرة من البدو الأتراك. ودفعته هذه الشهرة تيمورلنك إلى أن يأمر، في أواخر القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، ببنائه ضريح ضخم فوق قبره، رُزّن بفسيفساء من الأجر والخزف، وهو يشكل أحد أجمل نماذج الفن التيموري التي وصلت إلينا.

❖ راجع المستند رقم ٣٥.

الترکمان، إسم أطلق على عشائر تركية في آسيا الوسطى، ولكننا لا نستطيع أن نعيّن بين الأتراك والترکمان. وقد أطلق لاحقاً على أتراك رحّل، داخل

احتلالهم آسيا الوسطى وإيران، والأقاليم البيزنطية، ويتمسكون باستعمال لغة تركية، استمرت نقبتها، خلال العقود الأخيرة، مما أدخلها تاريخياً من ألفاظ عربية وفارسية تستوي فيها مفرداتها الأصلية.

نشأت الجمهورية التركية الحديثة عام ١٩٢٠، نتيجة القطيعة بين الجمعية العمومية في أنقرة والحكومة العثمانية، على يد الجنرال مصطفى كمال، الذي سُمِرَ لاحقاً بـ"أتاتورك" أي أب الأتراك، وقد أطلق الدولة الجديدة بدعونه إلى المقاومة من أجل الوطن بدءاً من ١٩١٩، وبانتصاراته العسكرية اللاحقة، وقد استمر رئيساً لتلك الدولة حتى وفاته في العام ١٩٣٨. خاص، أولاً، بنجاح حرب الاستقلال، التي أدت إلى إقامة الحدود الحالية، في حين كانت معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ قد لحظت وضع الدولة العثمانية، من جديد، تحت نظام الامتيازات الأجنبية، وسلّح البلاد العربية في الشرق الأدنى عنها، وكذلك أراضي أناضولية تقع في الشرق (مناطق أرمينيا القديمة، والمناطق المأهولة بالأكراد)، وفي الغرب (ترافيا ومنطقة إزمير). ثم اتخذ المبادرات المختلفة الضرورية لإنشاء الدولة الجديدة وتفعيلها: ألغى السلطنة عام ١٩٢٢، والخلافة في العام ١٩٢٤، وأعلن قيام الجمهورية سنة ١٩٢٣ وتولى رئاستها عن طريق الانتخاب. وتلا ذلك، ما بين ١٩٢٥ و ١٩٢٨، اعتماد إجراءات أساسية أدت إلى فصل الدين عن الدولة، وسمحت للأمة التركية بالانفتاح كلياً على الثقافة الغربية وبالاستمرار في تأكيد انتمائها إلى أوروبا من خلال سيادتها على ترافيا.

ولتركيا وضع اجتماعي وسياسي كدولة علمانية هو - إلى حد بعيد، فريد من نوعه في دولة كانت تشكل، على مدى عصور، جزءاً من العالم الإسلامي، ولعبت فيه دوراً رئيسياً كمرکز إمبراطورية عثمانية نشأت عن طريق الجهاد الديني. هذا الوضع بشكل فريدة تركيا الحالية، التي ما تزال تخضع لدستور ١٩٢٤ الذي أكمل في ١٩٢٨. لم يحدث أي تغيير بعد وفاة أتاتورك، الذي خلفه في رئاسة الجمهورية عصمت إينونو، ساعذه الأمين الأمين، ورئيس الوزارة لعدة طويلة. وصمدت مبادئ العلمانية على رغم الإعترابات المتساهلة تجاه

وطاجكستان، عابراً نهر آمودريا في تشاردجاو - أمل سابقاً - الواقعة على الطريق التجارية المذكورة أعلاه. يسكن البلاد، بصورة خاصة، بدو قدامى من أصل تركماني ويدينون بالإسلام؛ وقد حافظوا جزئياً على ذهبيتهم القبلية وعاداتهم التقليدية. تحضر قسم منهم واستقر في بعض المدن التي نشأت بفضل استغلال المعادن والغاز الطبيعي، والبعض الآخر في وادي النهر، وعلى لحف الجبل المتكّن إلى الحدود الإيرانية الحالية حيث توجد أخشاب، المدينة الحديثة الأكثر أهمية. ونفقد للمعلومات حول تأثير هذه التحولات الاقتصادية والاجتماعية على الوضع الديني.

« راجع المستند رقم ٣٥.

تركيا (الجمهورية التركية)، مساحتها ٥٧٦ ٧٨٠ كلم^٢، عاصمتها أنقرة، وهي دولة مستقلة معاصرة تقع على الأطراف البعيدة لأوروبا وآسيا الغربية، ويحترم دستورها علمانية النظام الديمقراطي البرلماني الذي أوجده أتاتورك، على الرغم من أنّ سكانها كلّهم تقريباً مسلمون سنة.

وتحيط حدودها الحالية، التي تمّ الاعتراف بها بموجب معاهدة لوزان ١٩٢٣، بمشاهد غاية في التنوع بدءاً من شواطئ المتوسط، مروراً بشواطئ البحر الأسود وحتى مناطق ما قبل القوقاز. ويحدها غرباً اليونان وبلغاريا، وشرقاً الجمهوريتان السوفياتيتان السابقتان، جورجيا وأرمينيا، فضلاً عن إيران، وجنوباً الجمهورية العراقية، والجمهورية العربية السورية. وتماثل حدودها إذاً تقريباً الحدود القديمة للأناضول، ولكنها نصّمت، من الجهة الشرقية، مناطق مأهولة بالأرمن أو حتى بالإيرانيين، كما نصّمت ترافيا الواقعة إلى ما وراء بحر مرمرة، وهي جزء من الروملي الذي نجا من تفكك الممتلكات العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى. وعلى الرغم من عدم التجانس الداخلي الذي لا يقلل الجدل، على المستويين الجغرافي والديمقراطي، تحافظ تركيا على تماسك سياسي مبنّي، قبل كل شيء، على الشعور القومي لسكانها. ويستند هؤلاء إلى الانتماء العرقي التركي مع المحافظة على ذكرى جذورهم الآسيوية البعيدة التي تعود إلى مرحلة ما قبل

من التلطيف الذي طال، في العام ١٩٥٠، بعض الإجراءات التي اتخذت في بداية العهد الجمهوري - مثل السماح مجدداً بالتعليم الديني - فإن المبول المؤيدة للإسلام التي ظهرت آنذاك استمرت بالتطور. ذلك أن الإنتعاش الذي يشهده الإسلام اليوم في بلدان عديدة بطل أيضاً تركيا، بصورة ملفقة، ولكنها مثيرة للدهشة بعد التحولات التي أصابت المجتمع جزاء سياسة مصطفى كمال. يُمكن أن يُفسر ذلك بأنه نتيجة لإعادة تركيا علاقاتها مع بعض دول الشرق الأدنى العربي، ما يسمح لها بجني بعض الفوائد الاقتصادية، كما يُمكن أن يُنظر إليه، وكأنه تأثر بالوضع السياسي - الدولي القائم في إيران الشيعة. وقد تكون أصول ذلك محلية وظرفية محضة: تمايز إقتصادي وقد أشرنا إليه، وتزايد سكاني حديث العهد، طال بصورة خاصة الطبقات الأقل تقدماً بين المسلمين.

تورم (جمهورية أوزبكستان)، مدينة في آسيا الوسطى، تقع على الضفة الشمالية لأعالي نهر جيحون (أمودريا)، تمكنت من المحافظة، عبر العصور، على دور إستراتيجي وتجاري من الطراز الأول. ألحقها بديار الإسلام قائد عربي مستقل، إبان متابعة الفتوحات الكبرى في العهد الأموي عام ٧٢٠م/٦٨٩م. ولم تخضع لسلطة والي بلاد ما وراء النهر إلا بدءاً من العام ٨٨٥م/٧٠٤م. وخضعت في ما بعد، على التوالي، لسيطرة الغزنويين والسلاجقة والخوارزمشاهيين، إلى أن دثرها المغول في العام ٦١٧هـ/١٢٢٠م، بعد أن كانت قد شهدت ازدهاراً ملحوظاً، في وجه بلغ غير البعيدة، على خط مسار القوافل الكبير على طريق الحرير القديمة. وتعود لهذه الحقبة آثار قصور القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد والأبنية التي شُيّدت بعدها بزمان قصير، وهي تحيط بضرع الحكيم الترمذي، وتحافظ حتى اليوم على نماذج الزخرفة التي كانت معتمدة آنذاك في الفن المعماري. من جهة أخرى، كان ضرع «السلطان» فيها يُعتبر، في نظر شيعة تلك الديار، وهم كثر، واحداً من المزارات المقدسة. أما مدينة ترمذ الثانية فقد أُعيد بناؤها في ما بعد على مسافة قريبة من النهر ومن الموقع الذي دمره

الإسلام التي اتخذها رئيس جديد، هو الاقتصادي جلال نيار الذي تولى مقاليد الحكم في العام ١٩٥٠، على أثر انتصار الحزب الديمقراطي الحديث الولادة، كمنافس لحزب أتاتورك الجمهوري.

وبموازاة ذلك استمرت أسس السياسة الخارجية «الكلمائية»، وساحت مناهج مواقف أتاتورك المعادية للسلوفاك - التي ورثها عن التمازج العديدة التي خاضها الجيش التركي ضد الروس على جبهة القوقاز - في حصول تركيا على موقع في حلف شمالي الأطلسي بعد الحرب العالمية الثانية. وكانت تركيا قد استعادت السيطرة على المضائق سنة ١٩٣٦، وعلى هتاي/لواء الاسكندرون منذ ١٩٣٩. واستمرت أيضاً، بتأثير الإجراءات الموجبة المدعومة من الحزب الجمهوري ومن العسكريين الذين كانوا يساندونه، التطور الاقتصادي والازدهار المادي المطابق لأهداف التحديث التي كان قد اتبعها مؤسس الجمهورية، والتي لم تمتسها المحاولات الأولى لتحرير الاقتصاد.

إن التوجه الذي اتبع منذ ولادة الجمهورية لم يلق الإجماع الذي كان يُفترض أن يحصل عليه لو أخذت في الاعتبار النجاحات الأولى التي حقّقها هذا التوجه في الداخل كما في الخارج. إن التفاوت بين المناطق، الذي يعود سببه جزئياً إلى تضاريس البلاد، أدى إلى تفاوت مماثل في مستوى المعيشة لشعب أفاد من مشاريع التصنيع والتأميم والإرشاد الزراعي، ولكن ثنائه الأكثر فقراً أخذت تنتقل من المناطق الريفية والسهوب إلى المدن في ظروف هتة. وظهر الخلل، مثلاً، بين المناطق الجبلية في الشرق المتخلفة عن العصرية، ومناطق تركيا المتوسطة أو الحواضر الكبرى في الغرب. ويضاف إلى كل ذلك مشكلات الأليات العرفية واللغوية. وأخيراً، أدت الاضطرابات إلى تدخل الجيش في العام ١٩٦٠، وإلى العودة، في ما بعد، إلى نوع من عدم الاستقرار السياسي تميز بتناوب الحزبين الأساسيين المنافسين على الحكم.

ومن جهة ثانية، عادت إلى الظهور الصعوبات التي أثارها الإسلام بعد مبادرات أتاتورك، وقد اعتُقد في البدء أن تلك المبادرات ستسمح بإقامة توازن مستمر. إنطلاقاً

بالتجصص لعمارات الأمويين في سوريا، وكذلك اللجوء إلى مداميك الأجر في إيران أيام البويهيين والسلاجقة، حيث كانت تسود التقاليد التريبتية التي شاعت في العراق أيام العباسيين، تحولت شيئاً فشيئاً إلى تشابيك متعددة الزوايا ومتزايدة التعقيد. وقد قارن تطوّر هذه النصب، التقدم الذي أحرز في الرياضيات والهندسة التي كانت تؤمّن لها الرسم البياني الموجّه. إلا أن تطبيقاتها المعمّلة التي حققتها إنجازات علمية واقعية أدّت إلى نوع من الجمود في الفن الزخرفي، بسبب تصغير الأشكال الكروكية ونكاثرتها، وقد استعملت، لإبراز هذه الأشكال، مواد متعددة، من فسيفساء إلى مرتعات قيشانية إلى التطعيم بالخشب أو بالمعاج أو بالمعدن، ما تسبّب بطمس خطوطها الأساسية في زحمة فوضوية من مضارب الألوان أو من الانطباعات الباهتة.

تشاد (جمهورية)، تبلغ مساحتها ١ ٢٨٤ ٠٠٠ كلم^٢، وعاصمتها نجامينا، وهي دولة مستقلة معاصرة في أفريقيا السوداء. نشأت عام ١٩٥٨، بعد أن كانت مستعمرة فرنسية قديمة تحمل الاسم عينه، وتشكّل جزءاً من أفريقيا الاستوائية الفرنسية. يبلغ عدد سكانها حوالي ستة ملايين نسمة نصفهم من المسلمين.

إنّ حالة التورّع الديني واضحة على الأرض بتجاور مناطق تمتد من شمال تشاد إلى جنوبها، تعتنق كلّ منها معتقداً مغايراً كلياً للآخر. ويوضح هذا التورّع، إلى حدّ ما، إقسامات البلاد الحالية التي، على الرغم ممّا تتمتع به من أهمية إستراتيجية، تبقى ضعيفة بسبب عدم تجانس سكّانها، المكوّنين من البربر والعرب والزنوج؛ أضف إلى ذلك أنّهم محاطون بحيران لهم مصالح منيابة: الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية في الشمال، وجمهورية السودان في الشرق، وجمهورية النيجر ونيجيريا والكاميرون وأفريقيا الوسطى في الغرب والجنوب. وقد أدّت هذه الأوضاع على الحياة السياسية في التشاد وطبيعتها، بشكل خاص، بعدم الاستقرار. وقد نتجت عنها ماركات داخلية وحجعات خارجية تختدّ من الطموح والنباعد المنتشرتين داخل الأوساط الإسلامية.

كما يمكننا أن نشاهد فيها مجموعة جغرافية مكوّنة

جنگيزخان، وتحديداً عند منفذ جسر السفن الذي كان يستخدم لاجتياز النهر، والذي وصفه كلافيجو (Clavijo) الموفد الأسباني في روايته، في عهد تيمورلنك. استعادت منطقة ترمذ بعض استقلالها في القرن الخامس عشر، ثم اضطرت للدخول تحت سلطة خانية الأوزبك الشيبانيين. لكنّها هُذمت من جديد في القرن الثامن عشر. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، توافرت لها ظروف لازدهارها، بحيث شُيّدت فيها قلعة، وتأنّست لها المواصلات بواسطة الخط الحديدي الذي وصل بلاد الصغد بدوشنبه عاصمة طاجكستان.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى ٢٠٩-٢٧٨هـ/ ٨٢٤-٨٩٢م، هو محدث شني، وأحد مصتفي الأحاديث النبوية الشريفة. لا نملك معلومات مفصلة عن حياة هذا العالم الذي توفي في ترمذ بعد أن قام برحلات إلى العراق وبلاد فارس والجزيرة العربية لجمع السنة النبوية الشريفة. كان تلميذاً لأبي داود السجستاني وهو يقاسمه حسّه النقدي. إنّ مؤلّفه «صحيح الترمذي»، على غرار صحيح مسلم النيسابوري، يتميز بإعطائه مكاناً مهماً للمسائل الكلامية وللإختلاف بين المذاهب الفقهية. وهو، كما مؤلّف أبي داود، كتاب الممارسات التي تشكّل السنة النبوية الشريفة.

تسالونيكى ← **سالونيك**.

نُسُتَر ← **شُسُتَر**.

التشابيك الهندسية والشبكات المقوسة الخطوط، عنصر تزيني ومكوّن لزخرفة المباني والتحف التي قام عليها الفن في دار الإسلام، والتي يمكن أن يقرن رواجها بتحريم التجسيم في الإسلام وبعيادى الهندسة الإسلامية نفسها.

وعلى نسق التجريد القائم على الزخرف بالنبات أو الأزهار المعروف بالعربية بالقرصة (أرابسك)، فإنّ هذه التوثيفات التي استعملت فيها مواد كثيرة التّنوُّع وأخذت بأشكال متفاوتة في بروزها ونفورها، سلكت في تطوُّرها التاريخي مسالك متناغمة مع المراحل الكبرى التي طوّرتها الحضارة الإسلامية. إنّ النماذج البسيطة نسبياً التي استعملت في التلييسات الأولى وفي ألواح التغليف

يعقوب، قلعة للدفاع عن أراضيه ضد التبعيات التي كان يتعرض لها من الأندلس، ولا سيما من غرناطة. بدأت المدينة آنذاك بتطوير ملاحتها. لكنها عانت باستمرار هجمات أسبانية، إلى أن استقبلت، وبعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م، مهاجرين من الأندلس، فأعادوا إعمارها وأعطاها انطلاقة حقيقية للفرصة البحرية. وبعد ذلك أفادت مدينة تطوان من الأسوار التي شيدها الحاكم العلوي مولاي إسماعيل، بحيث شهدت ازدهارًا متناميًا قبل أن يحتلها الإسبان مؤقتًا، من سنة ١٨٦٠م إلى ١٨٦٢م، وقبل أن تصبح في العام ١٩١٣ عاصمة المنطقة الواقعة تحت حمايتهم. وبعد استقلال المغرب في العام ١٩٥٥ تحولت إلى مركز قضاء محلي.

تُعرّف «الجمهورية العربية اليمنية»، مدينة في جنوب شبه الجزيرة العربية، تقع على الطريق الممتد من عدن إلى صنعاء، وقد حافظت، حتى اليوم، على نشاطها التجاري والسياسي.

أسسها أحد الأيوبيين من فرع اليمن، وهو الملك العزيز ظاهر الدين طغتكين. ثم أصبحت لاحقًا المقر المفضل لحكام دولة الرسولين الذين، منذ أواسط القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، حتى نهاية القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، خلفوا حكمها ستة الشوافع، واحتفظوا بالخيارات العقائدية عنها. استمرت تميز، منذ ذلك الوقت، مركز مقاومة للمعتقدات الشيعية، وناهضت بصورة خاصة أنصار المذهب الزيدي الذين لم ينجحوا، طيلة العصور الوسطى، في بسط نفوذهم إلا مؤقتًا عليها.

ما تزال حتى اليوم أواسطها الثقافية، التي استندت إلى التعليم الذي آتته لها المدارس العديدة التي شيدها وجهزها الحكام الرسوليون، تتمتع بميزة مهمة، وهي تزايد في قوة وأهمية الدور الاستراتيجي المعروف للمدينة ولقلاعها الواقعة على حدود المناطق الجبلية، حيث كان زيديو اليمن الشيعة يمارسون دعاوهم وسلطتهم.

يعود نفوقها الاقتصادي إلى الإزدهار الطبيعي لخصائصها المروية بشكل جيد، والمزروعة على ارتفاع حوالي ١٤٠٠م عن سطح البحر. وقد زادت قوة وثباتا

أساسًا من صحارى وسهول مفتوحة على الغابة الاستوائية، داخل المناطق الأخرى التي كانت تُعرف في القرون الوسطى باسم «السودان»، وهذه المجموعة عانت، نتيجة لتطور طويل، من تأثير حركات إنشائية وتيارات سياسية دينية ترجع بين المناطق النيلية وحوض النيجر. وتطوّرت بداية في التشاد أشباه دول مؤسمة، كمملكة كانم الأسطورية التي اعتنق حكامها، في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، المذهب المالكي؛ ثم مملكة بورنو الشافعية التي بسطت سلطانها، في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، على كانم؛ في حين ظهرت في الشرق، في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، مملكتا واداي وباجزمي اللتان اعتمدتا المذهب المالكي. وأصبحت واداي تحديدًا المنطقة الأكثر أسلمة مع مركز «أبيشي» الثقافي الذي يحتفظ، حتى اليوم، كما كان، بتعليم إسلامي عالٍ. ولم تبسط الممالك الإسلامية القديمة سلطانها على قطاعات البلاد الجنوبية الأكثر غنى اقتصاديًا، والأكثر سكانًا، على عكس ما كان الأمر عليه في الشمال الذي تعرض لندخلات مصدورها فزان ودارفور، مدعومة إلى حد ما بالبحرية السنوسية. ونجبت من تداخل هذه العناصر المختلفة مشكلات ذات طابع قبلي وآخر ديني. ولم تنجح، اعتبارًا من سنة ١٩١٠، الجهود التوحيدية للإدارة الفرنسية بحلها، على رغم الأهمية التي أعطيت للعاصمة فورت - لامي التي هي اليوم نجاميًا في عملية مركزية السلطة. وقد برزت المصاعب مجددًا وبقرة في الجمهورية المستقلة.

تطوان (المملكة المغربية)، بلدة مرفئية في المغرب الغربي، تقع على شاطئ البحر المتوسط إلى الجنوب من سبتة، ما تزال حتى اليوم تحتفظ ببعض السمات الرائعة لماضيها في العصور الوسطى.

وإذا كان اسم تطوان ورد في الحوليات التاريخية العربية للقرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، وفي مؤلفات الجغرافيين في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، فإن البلدة المذكورة التي خلقت مدينة قديمة لم تصبح مهمة إلا في وقت متأخر، حين بنى فيها، عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، الحاكم المريني يوسف بن

التعليم، التعليم في الإسلام وسيلة لنقل المعلومات الدينية والدنيوية في نطاق المجتمع الإسلامي. وهي ضرورة بدرجات مختلفة لكل أفراد المجتمع. ولما كان للنص المنزل وللحديث اللذين قام عليهما الإسلام وكوّننا حضارته في ما بعد، صفة سلطوية، فقد اضطلع التعليم بدور أساسي في العالم الإسلامي، وذلك على مستويين. المستوى الأول يقوم على تنشئة أولية كتعلم القراءة والكتابة وقواعد اللغة والحساب. كان يقوم بهذا التعليم الذي يمكن أن نسميه ابتدائياً معلّمون يجمعون طلابهم في مدارس تدعى «كُتّاباً» أو أحياناً مدارس قرآنية، لأنّ التعليم فيها يطلق من النص القرآني. كان في إمكان المعلمين الذين يمارسونه أن يستقروا في أبنية موقرة وعامة كالمساجد، على أن تتم مراقبتهم من خلال الحسبة للتأكد من حسن معاملة الأولاد.

أمّا المستوى الثاني فيتضمّن العلوم العالية التي كانت تبدأ لاحقاً، في سنّ يصعب تحديدها، ويتعلّق بالعلوم الدينية التي كانت تعتبر علوماً أساسية: دراسة القرآن بالتفسير، ودراسة الفقه، وأحياناً المسائل التي كانت تشكّل موضوع اختلاف داخل المذاهب الكلامية. إلّا أنّ التعليم لم يرتبط بالسلطات الحكومية في مراحل الإسلام الأولى، بل كان في استطاعة كل معلّم أن يجمع تلامذته أينما شاء، غالباً في المسجد الجامع أو في مصلى، حيث تتعدّد الحلقة الخاصة به. فكان يُقرّنهم المؤلّقات التي يختارها لهم ويعرض عليهم آراءه فيها. لم يكن في استطاعة أن يشرح مؤلفاً لعالم ما، إلّا إذا حصل مسبقاً على إذن أو إجازة من هذا العالم. لكن يبدو أنّ هناك مراقبة داخلية كانت تجري ضمن كل مدرسة فقهية، وكان الفقه بشكل مائة التعليم الأساسية ويهدف الى تنشئة فقهاء يقيّدون بالأراء الغالبة في المذهب الذي ينتمون إليه، فيأخذون بها إذا ما تسلّموا مهسات القضاء وعُهد اليهم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، أو يعتمدون عليها في تدليل المصاعب الناجمة عن أوضاع مستجدة أو تناقضات تواجههم.

ابتداءً من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ومع الانتشار التدريجي للمعاهد التي شُيّتت مدارس، والتي نظّمت في مؤسسات أكثر اتساعاً أو ما

حيوية التبادل التجاري، ولا سيّما مع عدن. وقد استمرّت هذه الحيوية رغم تأثيرات الصراعات المسلحة والحروب الطويلة التي غدّتها أيضاً، في القرن التاسع عشر، طموحات العثمانيين. ورغم تراكم الخراب، حافظت المدينة على أصالتها الهندسية وآثارها الدينية وأسوارها، إلى أن أدخلت عليها تغييرات مدنية بفضل الجهود التي بذلت مؤخراً من أجل تحديثها.

التعزية، كلمة عربية تعني «مؤاساة»، وتدلّ في الأساطير الشيعية على العويل العلني والتندب إحياءً لذكرى الأئمة الشهداء. بدأ بذكرى الإمام الحسين. وتنطبق كلمة تعزية، بالتحديد، على تمثيل الأئمّ الذي يجري إبّان احتفالات الحداد في ١٠ محرم، ذكرى عاشوراء الشيعية، التي تشتمل على مواكب واجتماعات متنوعة. وتنطبق بصورة خاصّة على العروض التي تقام في أماكن عامة عدّة أو في خانات القوافل مثلاً. وخلال الحفل، يدعو أحد الشعراء إلى الحداد، وهو محاط بجوقة من الشباب والتاديات، في حين يظهر ممثلون يجسّدون الشخصيات المهمة بمن فيها الحسين نفسه، مذكّرين ببعض الحوادث المختارة من كارثة كربلاء مثلاً. إنّ لهذه العفوس التي يُحتفل بها أهدافاً بعيدة بحيث يُروى فيها، في غالب الأحيان ووفق نظرة خاصة، تاريخ الإسلام ورويته لتاريخ العالم منذ بداية الخلق.

وإذا كان يصعب تحديد تاريخ الفترة التي بدأت فيها، في إيران، هذه العروض التي لم تكن دائماً موافقة الملالي، فإننا نعلم أنّها كانت تقام بطريقة غنائية شعرية وشعبية في بدايات القرن التاسع عشر، بحيث أنّنا نملك روايات عدّة لرحالة عنها. وازدهر هذا التقليد أيضاً في الدول الشيعية في شبه القارة الهندية حيث كان الحكام يؤمّنون بكرم تكاليف الإحتفالات، ويعمدون أيضاً إلى تشييد الأبنية المخصصة لإقامة هذه الإحتفالات المعروفة بـ«إمامباراه». وكان يتنافس، في السخاء على تشييدها، في القرن الثامن عشر، آل نظام في حيدرآباد في الذكّن، وآل نواب في أوده، ولا سيّما في مدينة كُتّاو.

قد استقرت، قبل ظهور الإسلام، في سهوب بلاد ما بين النهرين العليا، وكانت تنقل في المقاطعات، التي ستعرف في ما بعد بالعراق وسوريا (بلاد الشام).

اشتهر بنو تغلب في ذلك الزمن بشهامتهم وغناهم الناجم عن تربيتهم الخيل. كانوا مسيحيين، حافظ معظمهم على انتمائهم الديني، ومع ذلك شاركوا في الفتوحات الكبرى التي قامت بها الأباطورية الإسلامية الناشئة.

قام التغلبيون بدور مهم في العهد الأموي، بعد أن حاربوا إلى جانب معاوية في موقعة صفين. كما زوّدوا البلاط الأموي بشاعرهم المشهور، الأخطل، الذي أصبح نديم الخليفة الأموي الثاني يزيد الأول، وأحد أوفى مناصريه.

تفسير القرآن، مجال علمي مهم وفرع لعلوم الدين التقليدية كان له دور في تطور الفكر الإسلامي عبر العصور، وُضعت فيه شروح للقرآن عُرفت، في العربية، بالتفسير.

أُلقت تفسيرات قرآنية متنوعة، وكانت في أَسْ نظريات الفقه ومناقشات المذاهب الكلامية، وكذلك في أَسْ البناء العقائدي لمختلف الحركات السياسية-الدينية المرتبطة بالمشهد الشيعي. وقد بدأ، في إحدى المراحل، التمييز بين التفسير الذي يتناول شرح المعنى «الظاهر» للنص القرآني، والتأويل، وهو في معظم الأحوال «رمزي وصوفي»، يستخرج المعنى الباطن. وكان التفسير يستند باستمرار إلى مضامين الحديث النبوي، وأحياناً، أيضاً، إلى إيضاحات ذات مصادر منوعة بينها نصوص الإسرائيليات المستخدمة لشرح روايات القرآن الكريم المتعلقة بالأنبياء التوراتيين. أما التأويل فقد أخذ به، بشكل خاص، بعض فرق الشيعة. إستناداً إلى تأويل من هذا الاتجاه يعتبر الشيعة، على سبيل المثال، أنَّ عبارة «أهل البيت» لا تعني نساء النبي محمد (ﷺ)، كما ينبج عن شرح يعتمد حرقاً للنص، بل هي تعني أعضاء أسرته الذين أنيطت بهم امتيازات خاصة. في حين يرى الصوفيون، مثلاً، في النور الشيعي بشكلاً فيها مصباح (القرآن، سورة النور، الآية ٣٥)، صورة الإيمان.

سمي بكتابات في عهد العثمانيين، التزم تلقين العلوم الدينية قواعد صارمة، لكنه لم يقض على الطرق التي كانت متبعة في السابق. أما التعليم في الاختصاصات الأخرى، فقد بقي خاضعاً لمبادرات الأساتذة بحرية غير مقيّدة. وإذا كان التدرج في مراقبي الصوفية قد شكّل حالة خاصة، إذ إنَّ التهوية للنشوة كان يقضي اتباع تمارين التنفّس تحت إشراف معلّم، أو في صفوف جماعة من شيوخ الطريقة، يقومون بهذه التمارين في خلواتهم، فإنَّ العلوم الدنيوية الموجهة لجمهور محدود كانت تُدرّس، في أغلب الأحيان، في بيوت المعلمين. وغالباً ما أفادت العلوم الطبية من إمكان تجربة العلاجات والتشخيص التي كانت تتيحها لها المستشفيات. أما العلوم الإدارية فكانت تجري في الإدارة أو الدواوين حيث يترقى الكاتب الشاب شيئاً فشيئاً في تعلّم مهنته، مجتازاً المراحل المتعاقبة المؤدية إلى المسؤولية.

أما ما يمكن أن يسعى المجامع العلمية والمكتبات التي ظهرت في حقبات معينة، وضمن أطر تاريخية محدّدة، فقد كان لها تأثير خاص على تطور العلوم واستخلاص النظريات المرتبطة بها. وعلى سبيل المثال نذكر بيت الحكمة الذي أسّسه في بغداد، في بداية القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، الخليفة العباسي المأمون، ودار الحكمة التي أسّسها في القاهرة الخليفة الفاطمي الحاكم سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م. كانت لهذه المؤسسة الأخيرة صلة بمراكز التأهيل، حيث كان بعد المرسلون للدعوة إلى الإسماعيلية. وتكاثر في الوقت عينه دور العلم التي أنشئت في مدن عديدة، وخاصة في بغداد، في نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. كانت هذه المراكز كلّها مراكز نشطة، تعكف على ترجمة النصوص القديمة أو الأجنبية وعلى نشر بعض العقائد السياسية-الدينية والتي ارتكز نجاحها على فعالية مبعوثيها الذين كانوا يتلقون تدريباً خاصاً، بشكل سرّي أحياناً. وكان الشيعة أوّل من استعان بمؤسسات من هذا النوع، أنشئت من قبل الحكومات، كالفاطميين مثلاً، ما سمح لهم بتوسيع نفوذهم نحو أقاليم جديدة، حيث قاموا بحركات عصيان مسلّحة.

تغلب أو بنو تغلب: قبيلة من عرب الجاهلية، كانت

التاسع عشر، تراتبية لمجتهديهم أوجدوا بموجبها رتبة علامة (نموذج للمرجعية) يجب الخضوع لسلطته وهو يُعرف بـ «مرجع التقليد».

التقويم ← الروزنامة.

التقية، تعبير عربي يعني، بصورة عامة، «الإحتراز والخشية»، كما يعني في المفهوم التقني الخاص «كتمان المعتقدات الدينية». وهو أمر مجاز، شرعاً، للمسلم إذا تعرض للضغط أو للخطر الشديد.

إن إمكان كتمان المعتقدات أكدته آية قرآنية أوضح معانيها المفسرون: «مَنْ حَفَرَ بَاءَهُ مِنْ بَقْدٍ بِئْسَ بِلًا مَن أَكْثَرَهُ وَقَلَّهٖ مُتْلَبًا بِالْإِسْنِ وَلَكِنْ مَن شَرَّجَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَلَتَبَهُمْ عَذَابٌ رَّيَكَ أَنَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (انقرآن، سورة النحل، الآية ١٠٦). وقد فسرها الطبري بقوله: «إذا تعرض أحد إلى الضغط واعتبر بديانة الجاحدين بلسانه، في حين كان يعتقد العكس في قلبه، إنقاذاً لنفسه من أعدائه، لا يتعرض لأيّة ملامة لأن الله يحاسب عبده وفق ما يضررون بقلوبهم».

لم تطرح أبداً عند السنة قضية التقية بطريقة حادة، واكتفى الفقهاء بطرح السؤال الآتي: هل يحق للمسلم، إذا ما شُع عن الجهر بإيمانه، أن ينكر دينه ظاهرياً، أم يتوجب عليه اللجوء إلى الهجرة أي التفرّب، كما فعل النبي محمد (ﷺ) عندما هجر مكة إلى يثرب، «المدينة المنورة» لاحقاً؟. ولم يعط الفقهاء أجوبة محدّدة عن هذه المسائل. فاعتبر بعضهم التقية الزامية في الحالات القصوى، واكتفى بعضهم باعتبارها مشروعة.

في المقابل، مارس الشيعة التقية بكثرة لا بل باستمرار، لأنهم غالباً ما تعرضوا عبر تاريخهم للإضطهاد والإذلال، فوجدوا فيها، في بعض الحالات، السبيل الوحيد للخلاص من العنف. لم يكن ذلك يعني، بالنسبة إليهم، تنكراً ظاهرياً للإسلام، بل إخفاءهم لمعتقداتهم الخاصة في وسط إسلامي. فمذهبيهم يسمح بالتقية، ولم يكن مع ذلك أكثر حرماً من المذهب السني، حتى إن كان يستند إلى موقف الإمام علي خلال حكم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول حيث يرى فيه تقية بالأكراه، ولكنّه في الوقت عينه بقدر

يُنسب أقدم تفسير للقرآن إلى ابن عباس، ابن عمّ نبي الإسلام (ﷺ)، والمشهور بمعرفته للحديث النبوي. وقد ألقت نماذج كثيرة على شاكلته خلال القرون الوسطى، وكذلك في المهديين الحديث والمعاصر. يذكر بين التفسيرات الأكثر شهرة تفسير المؤرّخ الطبري، وهو مؤلف ضخّم كتب في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وهو يعتمد في رواياته على سلسلة من الأسانيد، وتفسير الزمخشري الممدون في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وهو ذو نزعة معتزلية، وتفسير فخر الدين الرازي من الحنفية نفسها، ولكن بنزعة أشعرية، وتفسير البضاوي الذي يعود إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، والمعتنق بكثرة في الأوساط التقليدية، وتفسير السيوطي وأستاذه في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. أمّا المنصوفة فألقوا، من ناحيتهم، تفسيرات قرآنية نفع فيها على زبدة عقيدتهم.

في العصر الحديث توسّل الإصلاحيون، لنشر أفكارهم، تفسيرات للقرآن. كان هذا ما قام به محمد عبده ورشيد رضا في التفسير المعروف بـ «تفسير المنار» لأنه نُشر في مجلة المنار في مستهل القرن العشرين.

التقليد، تعبير عربي يستعمل في المصطلحات التقية الإسلامية^(١٣) للإشارة إلى موقف الخضوع للنصوص المرجعية ولرأي مفسريها. وقد طبع هذا الموقف مناهج التعليم الإسلامية كلّها خلال القرون الوسطى. وحدهم، بعض المثقفين العقلانيين كالمعتزلة، هاجموا هذا المبدأ وخرجوا عليه. كما أنّه في ما بعد، أي في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين، عارض المصلحون المسلمون بدورهم المبدأ المذكور الذي ساهم، في رأيهم، بتفوق خادع للفكر الإسلامي، وطلبوا بإعادة فتح باب الاجتهاد في الحقل التشريعي.

فالشيعة الإمامية الاثنا عشرية لم يهملوا أبداً، من جهتهم، الأخذ بالاجتهاد. من هنا تسمية «مجتهد» التي تُطلق على بعض علمائهم وملايهم. لكنهم كانوا، مع ذلك، يفسحون في المجال للتقليد، ويغضون على الاجتهاد حدواً، محافظين بذلك على الإحترام الواجب لسلطة المرجعية. لذلك وضعوا، اعتباراً من القرن

شجاعة الأئمة شهداء الايمان كالامام الحسين .

فَشَرَعَتْ له أبواب إيران الغربية، وقد رفض الجلاء عنها على رغم تدخل الخليفة العباسي الناصر . عندئذ منحه الخليفة لقب سلطان العراق العجمي وخراسان وتركستان . واحتلّ نكش أيضًا بخارى سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م، فبرز بصورة السيد القوي، على رغم بقاءه تابعًا إسميًا للقراخاني . إن قُوَّة هذه التي قامت على الضعالية الحربية وفساوة جيوشه، انتقلت إلى ابنه علاء الدين محمد فتناها بدوره، لكنها زالت بعد سنوات عدة أمام الغزوات المغولية .

تَكِيَّة ← خافقاه .

تَكَلَسْ (معركة)، معركة جرت في ذي الحجة عام ١٣٣هـ/ تموز ٧٥١م . انتصر فيها الجيش الإسلامي الذي أرسله العباسيون لمحاربة قوات صينية شنت هجومًا لاستعادة ما وراء النهر .

جرت المعركة في آسيا الوسطى، خلف منطقة اما وراء النهر المعروفة، على مجرى نهر تَكَلَسْ وقرب المَحَلَّة التي تحمل الاسم نفسه والواقعة حاليًا شمال جمهورية فيرغيزستان، ومباشرة بالقرب من حدودها مع جمهورية قزاقستان . وقد هلك الجيش الصيني كله بحسب روايات الإخباريين العرب . وكان من بين الأسرى الصينيين الذين وفقوا في أيدي العرب حرفيون يعرفون طريقة صناعة الورق، تم إسكانهم في سمرقند، فعلموا الحرفيين المحليين هذه التقنية، التي كانت ما تزال مجهولة حتى ذلك الوقت في الخلافة العربية الإسلامية .

« راجع المستند رقم ٨ .

تَلَمَّسان (الجمهورية الجزائرية)، مدينة يعود أصل اسمها إلى لغة البربر . تقع غربي المغرب الأوسط، وما تزال تحافظ على الكثير من آثارها التي تعود إلى القرون الوسطى .

في سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م . بنى إدريس الأول، مؤسس السلالة الإدريسية، بجانب مدينة رومانية صغيرة، مسجدًا جامعًا . وأنشأ المرابطون، في نهاية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، في المكان نفسه، ناحية سَمِّيت تَاغَرَات، والمْلَقْطَة تعني مخبئًا بلغة البربر . ذلك

تكرور، منطقة تقع في جمهورية السنغال الحالية على امتداد نهر التكرور، اُفتُرِن ذكرها بقيام مملكة سوداء إسلامية فيها خلال القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد . وقد أطلق الكتاب العرب المتأخرون في الشرق الأدنى تسمية «تكرور» على كل المسلمين السود الذين يتحدّون من أفريقيا الغربية . اما التعبير الفرنسي توكولور (Toucouleur) الذي اشتق من كلمة تكرور فإنه اتخذ معاني مختلفة للدلالة بصورة خاصة على شعب فونا تور من القبلة . واستعمل المؤرخون العرب، ولا سيَّما كتاب الوقائع من المصريين في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، تعبير تكرور للدلالة، في تلك الفترة، على مملكة مالي التي تم يكن التكرور يشكل سوى جزء منها .

« راجع المستند رقم ٢٩ .

تَكْرِيت (الجمهورية العراقية)، محلة تقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة، كانت خلال العصور الوسطى تشكل حدًا فاصلًا شمال سامراء، بين ولاية العراق وبلاد ما بين النهرين العليا . داخل هذا الحد الذي كانت تقف عنده، من الناحية المناخية، مناطق زراعة النخيل، بُنِيَتْ مدينة تكريت التي أسسها الساسانيون . وفاق ما تؤكده التقاليد العربية . كان سكانها يتشكلون أساسًا، قبل الإسلام، من المسيحيين الذين أخذ عددهم في التناقص تدريجيًا، عبر القرون . وقد أشاد الجغرافيون العرب في العصور الوسطى بقلعتها المشرفة على نهر دجلة، وسورها الذي نعلوه الأبراج، وبسبجها وأسواقها . كما اشتهرت تكريت، إضافة إلى ذلك، بأنها مسقط رأس صلاح الدين الأيوبي .

تَكَشْ ٩-٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، أمير وسلطان خوارزم، شهد حكمه (٥٦٧-٥٩٧هـ/ ١١٧٢-١٢٠٠م) ذروة عهد السلالة الرابعة الخوارزمشاهية .

نَجح تكش، بمساعدة أخيه، ومن ثم بمساعدة أولاده، في السيطرة على أمبراطورية كانت تضم، إضافة إلى خوارزم، بلاد ما وراء النهر وخراسان . انتصر عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م على السلطان السلجوقي طغرل الثاني،

الحكام الميريتيين بالقرب من مدفن مكزوم يعود إلى ولها الصالح أبي مدين الصوفي المتوفى سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م. ويُعرف الضريح والمجموعة الهندسية، بما فيها المدرسة، باسم سيدي بومدين.
 راجع المستندات ١٧، ١٦، ١٤، ١١، ١٠.

تميم أو بنو تميم، قبيلة من عرب الجاهلية، أبرز الشعراء دورها الحربي، كانت تقيم خلال القرن السادس الميلادي في القسم الشرقي لشبه الجزيرة العربية، قبل أن تقوم بدور مهم في بدايات الإسلام. ويبدو أن أفراد هذه القبيلة كانوا قد أقاموا علاقات مع النبي محمد (ﷺ) في السنة الثامنة للهجرة، من دون أن يعتنقوا الإسلام فوراً، وهم أول من رفض سلطة الخليفة أبي بكر في زمن الرثوة. وبعد فترة انخرطوا بسرعة في الإسلام وشكلوا عنصرًا مهمًا في الجيوش العربية - الإسلامية التي قادت بنجاح الفتوحات الكبرى في القرن السابع الميلادي.

كانوا كثيرون العدد في البصرة والكوفة، وكذلك في خراسان. ونبع منهم شاعر العصر الأموي الشهير: جرير والفرزدق.

كما شاركوا، في ما بعد، في الثورة العباسية بعد أن كانوا قد ساندوا حركات سياسية دينية عدة مثل الخوارج. وينتمي أيضًا إلى بني تميم الذين استقروا في خراسان مؤسسين سلالة الأغالبة في إفريقيا. وبعد زمن طويل شهد التميميون الذين استمروا في حياة البداوة في نجد - ولادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية، في القرن الثاني عشر للهجرة/الثامن عشر للميلاد، التي ترسخت في تلك المنطقة بمساعدة آل سعود.

التنجيم (علم -)، هو علم تخميني كالغرافة، تعرّض لكثير من النقد، ومع ذلك فإن الذين كانوا يمارسونه لا قوا الاحترام والتكريم، وكان موقف الإسلام منه على شي، من الإيهام والغموض.

وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ أَنَاةُ اللَّيْلِ يَنُوتُ﴾ ﴿التكوير﴾ ﴿وَيُعَلِّمُ الْكَوْكَبَاتِ﴾ ﴿يَتْلُو تَغْوِي﴾ (سورة الصافات، الآيات ٧٦ و٧٧). وتالياً، فإن دراسة النجوم لا تساعد على

أن يفهم العسكرية كانت قد تركزت هناك بغية محاصرة أعاديير القديمة.

وفي القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، جمع النوحدون المحليين معاً وأحاطوهما بسور، واستخدمهما، في ما بعد، بنو عبد الواد، أصحاب السلطة المحلية، مركزاً لحكمهم وساهموا، إعتباراً من ١٢٣٦/١٢٣٤م، في تجميل معالمهما. وأعقب ذلك، ما بين ١٢٩٨/١٢٩٦م - ١٣٠٦م، اعتداءات الميريتيين وحصارهم لتلمسان. وقد بنى هؤلاء موقفاً مجاوراً لها هو "المنصورة" وأحاطوها بسور، وسوا في داخلها مسجداً جامعاً وقصراً، ومن ثم ضموا المدينة القديمة إليها.

عملياً، دامت سيطرة الميريتيين عليها فترة قصيرة امتدت من سنة ٧٣٨ إلى ٧٤٩/١٣٣٧ إلى ١٣٤٨م، ومن ٧٥٣ إلى ٧٦٠/١٣٥٢ إلى ١٣٥٩م، إذ استرجع بنو عبد الواد مدينتهم وأضافوا إليها أبنية جديدة، وعلى رأسها المدارس، واستطاعوا تأمين ازدهارها مستفيدين من مركزها المناسب للتجارة ومن ارتباطها بمرافق ختن في غرب الجزائر. أما الضغوط الخارجية التي تعرّضت لها، في القرن السادس عشر للميلاد، من قبل إسبان وقران وأتراك الجزائر، فأدت بالنهاية، في عام ١٥٥٥م، إلى إخضاعها لسيطرة باشا الجزائر أي لسلطة العثمانيين. وعرفت في ما بعد، أي ما بين ١٨٣٦ و١٨٤٢م، نزاعات متعددة الجوانب أدت في النهاية إلى سيطرة الفرنسيين عليها. وتحولت إلى منطقة ريفية متوسطة ذات تطوّر متواضع، واستمرت على هذه الحال بعد استقلال الجزائر، وهي تعيش من تراثها الثقافي والربحي التقليدي، وتبقى بعيدة نسبياً عن التحولات الاقتصادية الحديثة.

وفي إطار المساحة المأهولة حول تلمسان، سرعان ما هُجرت مدينة المنصورة الميريتية التي لم يبق منها اليوم سوى آثار مدهشة. ويتطابق التجمّع الحالي فيها مع المدينة المرابطية بعد توسعها. وقد حافظت هذه المدينة على مسجدتها الجامع الذي ما يزال قائماً حتى اليوم، وعلى آثار أخرى مختلفة. وبالقرب منها، في اتجاه الجنوب الشرقي، تقوم قرية «العباد» التي شيدها أحد

الكريم وتفسير الآية التي تبدأ بها الصفحة المفتوحة. كما أنَّ الخوف من سوء الطالع، والتشاؤم من بعض المظاهر، من الأمور التي بقيت قائمة، وهذا ما يفسر اللجوء إلى استعمال التَّوْرِيَّة في اللغة.

تنزانيا (جمهورية تنزانيا المتحدة). مساحتها ٩٤٥.٠٩٠ كلم^٢، عاصمتها دودوما، وهي دولة مستقلة معاصرة تقع على الشاطئ الشرقي لأفريقيا السوداء. سكانها حوالي ٢٧ مليون نسمة، ثلثهم تقريباً من المسلمين، وهم يتحدثون من أعراق مختلفة.

نشأت هذه الدولة من اتحاد مستعمرة ألمانية قديمة هي أوستافريكا - التي أصبحت في ما بعد تنجنيكا، ودخلت تحت الحماية ثم الوصاية البريطانية، قبل أن تنال استقلالها سنة ١٩٦١ - مع دولة زنجبار التي نشأت سنة ١٩٦٣ في الجزيرة التي تحمل الاسم نفسه. تنوّع أقليتها الإسلامية، بصورة خاصة، على شاطئ المحيط الهندي الذي كان، في ما مضى. مركز نشاط تجاري وهجرات عربية أولاً، ثم هندية على أثر تطوّر العلاقات البحرية مع شبه الجزيرة العربية في القرون الوسطى. وكان لهذه العلاقات تأثيرات مماثلة في كل من الصومال، وكينيا، وحتى الموزامبيق. كما نجد أيضاً مشايين للإسلام في بعض المناطق الداخلية التي طبعها، أكثر ممّا في كينيا، القوافل التي توافمت، في القرن التاسع عشر، مع إنشاء مؤسسات تجارية دائمة، شكّلت هي أيضاً مراكز للانتشار الإسلامي. وقد انتشرت هذه المخازن على طريق الحاج والرفيق القديمة بين باغاموبو وأوجيجي، التي يغالبها اليوم - ولتباد تجاري من نوع آخر - المحور الذي يصل دار السلام بظابورة. تصل نسبة المسلمين في بعض المقاطعات القريبة من حدود البلاد مع ملاوي والموزينبيق إلى ٦٥٪. وفي بعضها الآخر إلى ٩٠٪.

يتمركز التجنّع الإسلامي الأكبر على الشاطئ والجزر الكبيرة المجاورة مثل بِنْيَا، وخصوصاً زنجبار التي أصبحت، في القرن التاسع عشر - بعد انهيار دولة كَلُوة المؤسّسة، فضلاً عن دول مومباسا ومليندي الواقعتين في الشمال الأقصى - مركزاً لسلطنة يأتي حكمها مباشرة من عُمان. هنا، وكما في دار السلام

معرفة مصير الإنسان ولا على تغييره، وهذا ما حمل قبلواً شهيراً كابن سينا على وضع بحث يدين فيه علم التنجيم. مع ذلك، فإنَّ هذا العلم الذي يستجيب للفضول السحي قد مارسه عدد من العلماء الحقيقيين، وكان له تقديره وأهميته في الأوساط الاجتماعية، مع الإشارة إلى أنَّ من أهداف علم الفلك، أو علم الهيئة، كان في الواقع خدمة علم التنجيم. وبحسب ما وصلنا من أخبار قديمة، كان الأمراء المسلمون في القرون الوسطى يؤمنون بفضائل التنجيم وقرادة الأبراج، كما كانوا يستشيرون المتنجّمين من أجل أن يختاروا الوقت المناسب للشروع في بناء مدينة مثلاً، وهذا ما حصل قُبيل تأسيس القاهرة وفاس.

التنجيم (ممارسة -)، ممارسة متنوّعة، ما تراء اليوم منتشرة في العالم الإسلامي، لقيت قبولاً في المصور الوسطى بفضل وجود أحاديث وتلميحات قرآنية تجيز البحث في الأمور التي تشتم بطابع الخفاء.

وقد انتشرت ممارسات التنجيم بفضل الموجة التي لقيتها النظريات الباطنية والرمزية الموروثة عن القدماء، لدى علماء ذوي ميول نحو البدع. كما ارتبطت في قسم منها بالزهد العلوم الرياضية وعلوم الفلك. فالعرائن الحسابية والهندسية المرتكزة على الأرقام وعلى الرسوم التخطيطية، وكذلك علوم الجفر وعلوم التنجيم وكل المحاولات لكشف خفايا المستقبل، أضيفت كلها إلى الطرق الشعبية المتبعة من ضرب بالرمل وتفسير للأحلام، لتشكل فضلاً من الممارسات التقنية ومجموعة عادات ساعدتها احترام العلم في المجتمع الإسلامي، خلال القرون الوسطى، على أن تستمر وتنتشر.

ثم إنَّ تدوين تلك الممارسات وحفظها في مصتقات ضخمة أو ملخصات، كانت من العوامل التي ساعدت على إغنائها وانتشارها، ما ساعد الذين يتعاطون التنجيم والسحر، وكانوا أحياناً من الدجالين. إلا أنَّ متصوفين وشيوخاً معروفين أظهروا اهتمامهم بتلك الممارسات، وكان لهم تأثيرهم عبر اللجوء إلى البروج لكشف الطالع وتحضير التعاويذ التي يطلبها حمائهم المتفدّون. ومن الممارسات التي أثبتت لمعرة الغيب، فتح القرآن

الأوروبية. وفي النهاية ظلت لفترة في قبضة الأمير عبد القادر، بعد احتلال الفرنسيين للجزائر، ولم نخضع للسيطرة الفرنسية إلا في عام ١٨٤٣م. عند ذلك نشأت فيها الأبنية الحديثة، على مسافة لا بأس بها من البلدة العتيقة التي لا تزال تحفظ بأسوارها حتى اليوم.

التنظيمات أو «تدابير تنظيمية»: «التنظيمات» كلمة تركية من أصل عربي، وأطلقت على مجموعة الإصلاحات التي اعتمدها الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر، سعيًا إلى إقرار هيكليات حديثة وفعالة استوحت معظمها من الغرب. وبما أن بعض هذه التنظيمات تم إعداده بضغط من القوى العظمى الأوروبية التي رغبت، بشكل خاص، في أن تجري معاملة غير المسلمين بالمساواة مع المسلمين، فقد اصطدمت هذه الحركة التحديثية، التي شجعها بعض الحكام وبعض رجال السياسة، بمعارضة التقليديين والعناصر القومية. شمل عهد التنظيمات، بالفعل، ثلاث مراحل: الأولى سنة ١٨٣٩م، وأطلق عليها اسم خط شريف كُتُخانة، والثانية سنة ١٨٥٦م وعُرفت بالخط الهمايوني، أما الثالثة فقد عُبِّرَ عنها دستور سنة ١٨٧٦م.

١ - خط شريف كُتُخانة سنة ١٨٣٩م: وهو ليس إلا استكمالاً لخطة إصلاحية أولية بدأت في عهد السلطان محمود الثاني سنة ١٨٠٨م، وقد تقررت بموجب اتفاق تم يومئذ بين السلطان والأعيان، من أبرز بنوده: يعترف الجميع بأن الصدر الأعظم هو ممثل للسلطان، وأن فرض الضريبة المشترعة بإعصاف سيطئ في كل أرجاء الدولة العثمانية، وأن أعيان المقاطعات سيساعدون في عملية التجنيد وفي إنشاء مؤسسة عسكرية جديدة. وقد ظهر جلياً أن أبرز اعتمادات السلطة، من خلال خط كُتُخانة، تركز على تأمين حكم مركزي أفضل، وتحسين النظامين القضائي والدفاعي. وفي الميدان الأخير، أي الدفاع، طُبِّقَت التدابير الأكثر جذرية. ففي تموز سنة ١٨٢٦م، عندما ثار الإنكشارية احتجاجاً على استحداث وحدة عسكرية مدربة على الطريقة الأوروبية، تم استئصالهم جميعهم، وهُدمت ثكناتهم.

سمح هذا الحدث للسلطان بالقيام بتغيير جذري في مؤسسة الجيش. وفي الوقت الذي كان إداريون شباب

المدينة المرفئية الكبيرة، استقرت التجتمعات الأكثر نشاطاً من العرب السواحليين السنة الشوافع المتحتر بعضهم من حضرموت أو من القُصُر، ومن الشيعة الذين قدموا بصورة خاصة من الهند وهم: أغنياء الخوجا، التزايون المنصرون تحت لواء الأغاخان الذين يشكلون الأكثرية، إلى جانبهم مكلو الإمامية الاثني عشرية، والاسماعيليون الذين يشكلون طائفة النهضة. أما الإبايضون العثمانيون، وهم الجماعات السلطانية القديمة، فلم يكن لهم دور مهم داخل هذه المجموعات. وفي المقابل إن انطلاق الإسلام، الذي ظهر على الشاطئ كما في أماكن أخرى من البلاد خلال القرن العشرين، لم يكف عن الاعتماد على الجهد التجديدي الحوي الذي بذلته باستمرار الطرق الصوفية بفاعلية كبيرة، نذكر منها: الشاذلية، والقادرية القوية الحضور، والادريسية/ الاحمدية.

«راجع استدين ٢٨ و٣٠».

التزليل - الوحي الإلهي.

تيس (الجمهورية الجزائرية)، بلدة مرفئية في المغرب الأوسط، تقع غربي الجزائر العاصمة، وتحفظ بمعالم لا تزال مأهولة، تعود لمدينة تيس القروسطية، التي استمرت مزدهرة حتى القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد.

وعلى مسافة قريبة من المدينة القديمة التي خزنها الفُنداليون (أو الونداليون)، شيد بحارة قدموا من الاندلس، حوالي سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥، قلعة تركزت فيها جماعة من مرسية ومن البيرة القديمة قرب غرناطة، وانضمت إليهم جماعة من بربر المغرب الداخلي. كانت تيس خاضعة لأموتي قرطبة، لكنها خضعت، في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، لسيادة السلاطات المختلفة التي سيطرت على المغرب الأوسط، ولا سيما سلالة بني عبد الواد في تلمسان، إعتباراً من سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م. وخضعت المدينة، في بداية القرن السادس عشر، لسلطة القرصان العثماني خير الدين^(١)، وفقدت ازدهارها بسبب انهيار التوريجي لنشاطها التجاري، ولا سيما تجارتها مع البلدان

أدت إلى التخلي عن نظام الدواوين الموروث من التقليد الحكومي الإسلامي منذ قيام إمبراطورية الفترحات الكبرى في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وإلى إنشاء وزارات بالمعنى الأوروبي للكلمة، ولا سيما وزارات الخارجية، والداخلية، والتجارة. إن أهم الإصلاحات المتعلقة بالقانون التجاري، الذي كان مصدر نزاعات بين الرعايا العثمانيين والأجانب، جاء تدريجياً لتطوّر بدأ قبل سنوات عدة، واستمرّ بعد ذلك. وبالفعل درج القضاة، (إعتباراً من القرن الثامن عشر، على استشارة مجالس رؤساء النقابات، وهي مجالس اشترك فيها الأجانب تدريجياً. وفي سنة ١٨٤٠م، وفي أعقاب خط كلخانة، استُحدثت محاكم للتجارة، مستقلة عن المحاكم العادية، تمثّل فيها الأجانب. وفي سنة ١٨٥٠م صدر قانون التجارة، وهو أول قانون أوروبي أدخل في التشريع العثماني. من جهة أخرى، استُحدثت سنة ١٨٥٤ محاكم جنائية مختلطة مناصفة بين العثمانيين والأجانب، وظفّتها النظر في الجنح والجرائم التي تحصل بين الأجانب والعثمانيين. وقد أخذت هذه المحاكم، للعمرة الأولى في تاريخ الدولة العثمانية، بمبادئ قانونية تخالف الشريعة الإسلامية: اعتماد الشهادة المكتوبة دليلاً في المحكمة، وقبول شهادة غير المسلمين. وفي المقابل، كان على الأجنبي الخضوع لقوانين الدولة العثمانية. وأنشئ أيضاً، في التاريخ عينه، مجلس التنظيمات الأعلى، وهو مؤسسة تشريعية جديدة مهمتها توسيع الإصلاحات. بينما كان يُحفظ لتحسين الإدارة في الولايات، وكذلك نظام جمع الضرائب الذي كان، حتى ذلك الوقت، يتوافق مع نظام الضرائب الإسلامي التقليدي. وكان هذا التوجّه يهدف أساساً إلى إنهاء التزام الضرائب، وإلى أن يستبدل بالملتزمين موظفون يتقاضون رواتبهم من الدولة، وإلى إعادة هيكلة التسييمات الإدارية. لكنّ هذا المشروع لم يطبق إلا جزئياً.

٢ - الخط الهمايوني سنة ١٨٥٦م، وهو معروف أيضاً بمرسوم الإصلاح الذي صدر عشية عقد معاهدة باريس، وقد أكد هذا الخط التنظيم الجديد للولايات وللنظام الضريبي وطوّره، كما باشر تعديل العلاقات بين

يشغلون وظائف عدة مهمة، ثم إنشاء جيش جديد قوامه مئة وعشرون ألف جندي راوحت أعمارهم بين خمس عشرة وثلاثين سنة، يخدم كل واحد منهم فترة لا تقل عن خمس عشرة سنة، ويتوّعون على ثمانية قبائل، تتركز جميعها في إسطنبول. كما تطلّمت أفواج أخرى في الولايات، فضلاً عن فوج للمدفعية. ومن الواضح أنّ هذا الإصلاح اعتمد بعد قوات الأوان، إذ إنّ لم يستطع أن يمنع الانحطاط العسكري الذي أصاب الإمبراطورية العثمانية، والذي نجمت عنه أحداث خطيرة: خسارة شبه جزيرة المورة بعد معركة نافارين سنة ١٨٢٨م، وتوقيع معاهدة أدونة مع روسيا سنة ١٨٢٩م، إضافة إلى فشل العثمانيين في صراعهم مع مصر التي كان يسيطر عليها محمد علي باشا، وخسارة الجزائر سنة ١٨٣٠م. ومع ذلك فإنّ التغيير الذي حصل في الإدارة أدى إلى ظهور نظام إداري بيروقراطي جديد متحرّز من النمو العسكري والديني الذي كان في السابق يراقب الحكومة.

وفي ظلّ الحكم الذي أعقب عهد محمود الثاني، أي في عهد عبد المجيد الأوّل المعرّز بالصنعة الأعظم مصطفى باشا، أمكن اعتماد إصلاحات أكثر شمولية مع إصدار خط كلخانة، حتى لو أنّ هذا الخط الذي يتوافق في صياغته مع التقاليد الإسلامية، لم يتعدّ الاعلان عن العودة إلى نظام سابق كان مهملًا. وقد عبّر الخط عن هذا الإنجاز في عبارته الأولى، قبل أن يحدّد إطار المؤسسات الجديدة، وقد جاء فيه:

«منذ مئة وخمسين عامًا أدى توالي أحداث وأسباب مختلفة إلى منع التقيد بالقانون المقدس والنظم التابعة منه، كما أنّ القوة والأعداد الداخليين قد تحوّلوا إلى ضعف وقفر. وهذا يعني بالفعل أنّ الإمبراطورية تفقد كل استقرارها عندما تتوقّف عن مراعاة قوانينها (...) هنّا نستدعي الحاجة مؤسسات جديدة تحوي الضمانات التي تؤمّن لنا جميعنا حماية كاملة على ممد الحياة والشرف والثروة كما تؤمّن:

- طريقة منظمة ودقيقة تقضي الضرائب وجبايتها.

- طريقة منظمة أيضاً تجنّب العسكريين ونحديد مدة خدمتهم.»

ومنذ ذلك التاريخ، أنشئ مجلس تنظيم قضائي ليحلّ محلّ الديوان الكبير، وليصبح أوّل مجلس تشريعي يحدّد نوعاً ما من تحفّ حكومة السلطنة واستبدالها. كما وأكبت خط كلخانة إصلاحات إدارية

التي اشتملت، عام ١٨٧٥م، على كلية للأدب، وأخرى للعلوم، وثالثة للحقوق، فضلاً عن مدرسة للطب كان قد تم تنظيمها منذ عام ١٨٢٦م،

٣- وتُوجت المرحلة الأخيرة من هذا التطور المبرمج بدستور ١٨٧٦م الذي لم يُطبق في الحال، لكنه أمد لمواجهة ظروف جديدة قد تطرأ. لقد اعتمد بعض رجال السياسة، في عهد السلطان عبد العزيز الذي حكم من سنة ١٨٦١م إلى سنة ١٨٧٦م، أنه، لمواجهة القوى الأجنبية، يتوجب على الدولة العثمانية أن تعتمد نظاماً برلمانياً، وأن تمنح الحقوق المدنية ذاتها لجميع الرعايا العثمانيين بدون تمييز. وقد اعتمد هؤلاء، للمطالبة بإقرار هذا الإصلاح، على المبدأ الذي كان يقبله العثمانيون، وهو أن العلماء والوزراء الحق يتوجب تسيبه إلى الحاكم إذا ارتأوا أن الضرورة توجب ذلك. وعشية اتفاقية برلين، كان للأفكار الدستورية مؤيدوها بين شخصيات وطنية عثمانية كانت قد لحأت إلى الخارج، وكانت هذه الأفكار، في الوقت عينه، ترضي حاشية السلطان التي وجدت فيها الوسيلة الفعالة لدعم سلطة الدولة.

وفي أيلول سنة ١٨٧٦م، صدر أمر شريف عن السلطان الجديد عبد الحميد الثاني يدعو فيه المصدر الأعظم إلى إعداد دستور برلماني. ونص هذا الدستور على أن إنشاء برلمان مؤلف من مجلسين، يُجاز لغير المسلمين أن يتمثلوا فيها، وينص أيضاً على وجود رئيس وزراء غير مسؤول أمام المجلس، وعلى إقرار المساواة المدنية والسياسية بين جميع الرعايا العثمانيين، وعلى إنشاء مجالس منتخبة في الولايات كافة. إلا أن هذا الدستور لم يطبق لأن عبد الحميد مارس نظام حكم مطلق استمر حتى سنة ١٩٠٩. وفي ذلك التاريخ برزت من جديد فكرة إعداد دستور للدولة العثمانية، ولكن هذه الفكرة لم تتحقق، وتأمّن الحكم بواسطة لجان يفرض عليها القرارات أشخاص من خارجها. واستمر الأمر على هذا النحو حتى سنة ١٩٢٤، يوم إعلان الجمهورية التي أعطت السلطة الانتدابية للجمعية الوطنية الكبرى، التي كانت قد نشأت منذ ١٩٢٠، لتقوم بدور الجمعية التأسيسية.

وهكذا كانت فترة التنظيمات قد مهدت لقيام نظام جمهوري علماني في تركيا، استُوجبت معظم مؤسساته من

المسلمين وغير المسلمين، على المستوى القضائي، وتعديل التنظيم الداخلي لمختلف الطوائف.

وعلى الصعيد القضائي أنشئت سنة ١٨٦٩م محاكم نظامية هدفها النظر في الأمور المدنية والجنائية التي تنشأ بين المسلمين وغير المسلمين، أو بين مسيحيين من مذاهب مختلفة. وفي الوقت عينه استحدثت قوانين عدة: القانون الجزائي سنة ١٨٥٧م، قانون اصول المحاكمات الجزائية سنة ١٨٦١م، قانون التجارة البحرية سنة ١٨٦٣م. وكانت المحاكم النظامية التي تعمل وفق النمط الأوروبي تابعة لوزارة العدل، وتترع للحلول مكان محاكم التجارة القائمة آنذاك. أدى ظهور هذه المحاكم إلى قانون مدني، تمت صياغته بين عامي ١٨٦٩ و ١٨٧٦، مستوحى من المذهب الحنفي، وقد وضع موضع التنفيذ، وبشكل منهجي، الأحكام الاجتماعية للفقهاء. كان هذا القانون يهدف إلى توجيه قضاء الشرع والقضاة المدنيين، إنما لم يكن له قوة ملزمة. ومنذ ذلك التاريخ وُجد نوعان من المحاكم: النظامية للبت بالقضايا المدنية والعقوبات، والشرعية للأحوال الشخصية، ويخضع لها المسلمون وحدهم. وكانت تتم معاملة غير المسلمين، من عثمانيين وأجانب، على قدم المساواة مع المسلمين، وفق ما كانت تطالب به الدول الأجنبية. لكن، كان على الأجانب التخلي تدريجياً عن الإمتيازات التي كانوا يتمتعون بها.

هدف أيضاً الخط الهمايوني الصادر في العام ١٨٥٦ إلى إعادة تنظيم الطوائف المعروفة بـ«الملل» التي دُعيت - عن طريق لجان عُيّنت من أبنائها - إلى إعادة النظر بالإمتيازات التي كانت تتمتع بها. ولكن هذه الطوائف ظلت متعلقة بشدة بنظامها القديم الذي بُت، أو حتى وُسع، عام ١٨٥٦م، بحيث أعطاهما حق تشييد كنائس جديدة. وقد عارضت أيّة إعادة نظر في امتيازاتها. وبالتاليك قد تم إعداد تنظيم جديد لكل طائفة اعتباراً من عام ١٨٦٠م، نجت عنه تعديلات بسيطة.

ومن جهة أخرى، نجم عن حركة الإصلاح تطوير تعليم علماني خرج عن سيطرة شيخ الاسلام، فتم إنشاء مدارس، لكل مستويات التعليم، وفق النمط الأوروبي. وأكملت المدارس الابتدائية والثانوية بجامعة «دار الفنون»

الأنظمة الاروروبية. لكن التمييز بين المسلمين وغير المسلمين، الملقى قانوناً، استمر عملياً.

تفانيكا - تنزانيا.

تنمال، مدينة مندثرة في جبال الأطلس الأعلى المغربية، فيها نشأ الموحدون، وما تزال آثار مسجد مشهور تدل على موقعها. وفي العام ١١٢١هـ/١١٢١م، وبعد أن أعلن ابن تومرت نفسه مهدياً، قرر الالتجاء مع مناصريه، بهدف تركيز سلطته، إلى هذا المكان الوعر، المرتفع ١٢٠٠م عن سطح البحر، والقريب من ممر جبلي يسمح بعبور السلسلة الجبلية في اتجاه سهل سوسة. وفيه عاش ودفن، كما خلفاؤه الأوائل.

بعد أن أصبح عبد المؤمن سيد مراكش التي جعل منها عاصمته، أنشأ في تنمال، في العام ٥٤٨هـ/١١٥٣م، أحد أشهر المساجد الموحدية من حيث توازن بنيتها، ودقة زينة عقودها ومحرابها. وكان قسم كبير من آثارها ما يزال ماثلاً إلى جانب أسوار هدمها جزئياً مناصرو المبريتيين الذين نهباها عام ٦٧٤هـ/١٢٧٦م، المنطقة، وحولوا تنمال إلى قرية بسيطة. لقد رُقمت هذه الآثار، ما يسمح بفهم أفضل لهندستها المعمارية.

« راجع المستند رقم ١٤ »

التنوخيتي، ابو علي المحسن ٣٢٨-٣٨٤هـ/٩٤٠-٩٩٤م، قاضٍ واديب عاش في العهد البويهي، وألف كتاباً علاة تعتبر كنز معلومات عن المجتمع في عصره. ولد في البصرة وكان هو أيضاً ابن قاضٍ. وبعد أن تردد إلى الأوساط الأدبية، مارس التنوخيتي مهماته في بغداد، ثم في الأهواز في ظل الخلافة العباسية النخاضية حينئذٍ لوصاية البويهيين. عُزل من القضاء سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، واستعاد وظيفته بعد ثلاث سنوات. لكن عضد الدولة البويهي غضب عليه مجدداً سنة ٣٧١هـ/٩٨١م لأنه تضامى من بعض آرائه التي تجهل مفادها بالتحديد، ومات في بغداد بعد عشر سنوات.

أهم مؤلفاته هي «نشوار المحاضرة» وهي مجموعة نوادر في أجزاء عدة، تتعلّق موضوعاتها بالأدب كما بالتاريخ، وتتناول شخصيات ينتمي كثير منها إلى طبانة الخليفة وأمير الأمراء. من مؤلفاته أيضاً «الفرج بعد

الشدة» الذي يطغى عليه الطابع الأدبي، وهو يعالج مسألة الشدة التي كان قد عالّجها قبله كتاب آخرون. ومجموعة الطوائف التي يحتوي عليها هذا المؤلف تشكّل أيضاً معين معلومات عن الأوساط الاجتماعية، حتى إن كانت نهاية رواياته أحياناً خيالية.

التنوخيتون أو بنو تنوخ، قبيلة من بلاد العرب القديمة غادرت جنوب شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني الميلادي، لتقيم في وادي الفرات، ويعتقن قسم منها المسيحية، ثم تقوم بدور ناشط منذ نجاح الدعوة الإسلامية.

اعتنق بعض أفرادها الإسلام إبان الفتوحات الكبرى في القرن السابع الميلادي وشاركوا في احتلال مصر، وأقاموا بخاصة في معسكر الفسطاط الذي أصبح في ما بعد مصر القديمة. كما بقي بعضهم في أعالي بلاد ما بين النهرين وسوريا وتحولوا، رغمًا عنهم، إلى الإسلام في مطلع العهد العباسي، بعد أن كابدوا ضغوطاً من قبل السلطة. ويبدو أن الفرصة سحنت لبعض التنوخيين للإستقرار في لبنان، كما اعتنق بعض هؤلاء الاسماعيلية أو الدرزية.

التوحيد، قاعدة عقيدة الإسلام وإيمانه بوحدة الألوهية، الذي يعبر عنه بوضوح القسم الأول من الشهادة: «لا إله إلا الله».

إن مفهوم التوحيد الإلهي، المحدّد انطلاقاً ممّا نصّ عليه القرآن حول الله، ولا سيما في سورة الإخلاص، لا نقاش فيه في نظر المسلمين، وإلا أفشى ذلك إلى الشك الذي لا تجوز مفقرته. وقد دارت حول نقاط محدّدة، كسألة الصفات الإلهية - التي اعتبرها بعضهم منافية لوحدة الله - جدالات بين المدارس الفقهية. وساهمت مثل هذه الاختلافات في إبراز فريدة الفكر المعتزلي، وكذلك فكر عدد من الحركات السياسية الدينية ذات الاتجاه الإصلاحية، كحركة الموحدين. لكنّها لم تثل في العمق من واقع الإجماع الإسلامي على أوليّة التوحيد غير المنفصل، في عرفه، عن مفهوم التثنية.

إلى ذلك، إن وجود الله واحد تكرر تأكيد غير مرة في القرآن، وبخاصة في مجموعة آيات يقول التقليد إن الشيطان تدخّل فيها موحياً إلى النبي محمد ﷺ بأنين

اشتهر من كتابات التوحيدي الكثيرة كتابه «المقاييس» أي المحاورات، وتصنيفه «الإمتاع والمؤانسة» الذي دَوَّن فيه الأحاديث التي تبادلها، على الأرجح، مع ابن سعدان وندمائه الأدياء الذُّوَّاقَة. تناولت تلك المحاورات مواضيع متعددة: بدءاً بمزجة فلتين من الكتاب عرفتاهما دواوين الإدارة الحكومية، وصولاً إلى مسألة العلاقة بين الدين والعقل. فالتوحيدي والمفكرُّون الذين كان يجالسهم كانوا مشبعين بعبادات التفكير الفلسفي الذي كان سائداً في بغداد آنذاك، من دون أن يمنع ذلك وجود ميول دينية سياسية متباينة في ما بينها أحياناً. فالتوحيدي مثلاً لم يخف معتقداته السنية تجاه وزراء كانوا، على غرار سادنهم البريهتين، أكثر ميلاً إلى الشيعي، وهذا يفسر بعض المضايقة التي عاناها من قبل رعاياه.

توغو، جمهورية مستقلة في أفريقيا الغربية، تبلغ مساحتها ٥٦٠٠٠ كلم^٢، عاصمتها لومي، ويبلغ عدد سكانها ٣,٥ مليون نسمة بينهم أقلية مسلمة تبلغ نسبتها حوالي ١٢٪. تحدها من الغرب جمهورية غانا، ومن الشرق جمهورية بنين التي تضم أقلّيات مسلمة كبيرة، وتفتتح في جنوبها على خليج غينيا، كما لها حدود ضيقة مع جمهورية بوركينا فاسو. إن موقعها الجغرافي في منطقة الغابات المدارية لم يعرضها إلا بشكل ضعيف للضغوط الإسلامية المنطلقة من الساحل الأفريقي.

توقات (الجمهورية التركية)، مدينة صغيرة تقع شمالي الأناضول الأوسط. حافظت حتى اليوم على نشاطها الاقتصادي الذي كان في أساس ازدهارها منذ عهد سلطنة الروم.

نحتلّ توقات موقفاً إستراتيجياً على مجرى نهر يشيل إرمالك. كانت في البداية قلعة حربية نمكن المسلمين من الاستيلاء عليها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، عندما احتل الأتراك تلك البلاد، عقب موقعة ملازكرت/مانزبكرت. اعتُمد عليها في ما بعد لمقاومة الهجمات المغولية عمومًا، والتميمورية خصوصًا. فضلاً عن أن العثمانيين الأوائل كانوا دائماً يطمحون إلى الاستيلاء عليها.

تناقضان جوهر التوحيد. على أنّ النبي ﷺ، الذي لم ينتبه إلى ذلك على الفور، عاد وألقى هاتين الآيتين. وقد عُرفنا بتسمية «الآيات الشيطانية» بحسب رواية المفسر الطبري.

التوحيد، مبدأ ديني في الإسلام، يشكّل أساس عقيدته. يحرص الإسلام كثيرًا على أن يعرّف نفسه بأنه ديانة إبراهيم، النبيّ المتفوّق في التوحيد والوارد ذكره مرّات عديدة في القرآن الكريم. لكنّ ديانة إبراهيم، بحسب القرآن الكريم، تعرّضت في ما بعد للتحويل على أيدي اليهود والمسيحيين. لهذا السبب يرى الإسلام أنّه من الضروري أن يؤكّد أنّه ديانة التوحيد الحقيقيّ، المتميّز بمفهومه المنشود لوحديّة الله وتسميه اللذين يرفضان وجود أيّ وسط بينه وبين الإنسان.

التوحيدي، أبو حيّان هلي بن محمّد، ٣٦٥-٤١٩هـ/ ٩٢٧-١٠٢٣م، كاتب عربيّ ومفكر موسوعيّ تعبّر كتاباته عن اهتمامات الأوساط الفكرية في العراق وإيران في العهد البرهقي.

من المؤكّد أنّه ولد في بغداد لعائلة فقيرة، ومع ذلك تمكّن من تحصيل العلم على أيدي أساتذة مبرزين، فقهاء ونحويين، وكذلك على علماء متصرفين إلى معالجة المسائل الفلسفية، كما أقام علاقات بأهل التصوّف. أفاد لبعض الوقت من رعاية الوزير المهلبي الذي نفاه بعد مدة قصيرة لأسباب غير واضحة، وإن يكن على الأرجح أنّ آراء التوحيدي اعتُبرت مفسدة. فأصابه الفقر لبضع سنوات مارس خلالها مهنة الوراقة. ثمّ نجح في استعراة انتباه الوزير ابن العميد، الذي كان يقيم في الرّئي، من دون أن ينشأ بينهما توافق في الرأي. وبعد سنوات عدّة، استرعى أيضًا انتباه وزير آخر من وزراء البرهقيين، هو ابن عبّاد، الذي كان يقيم أيضًا في الرّئي، لكنّه اضطرّ إلى الابتعاد عنه سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م. بعدئذٍ، توافرت له في بغداد رعاية وزير أخير هو ابن سعدان الذي قسّر ثقافته وموهبته الأدبية، ولا سيّما من ناحية أسلوبه التعبيري. لكننا لا نعرف شيئًا عن نهاية حياته المتعلّبة. المتميّزة بالصعوبات التي تعرّض لها رجال الفكر في ذلك الزّمان.

الناسب أن يجعل سلطتهم شرعية، فأرضاً عليهم في الوقت نفسه الاعتراف بسيادته.

منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في أمبراطورية العباسيين، كان الخليفة يعطي التولية للسلطين وللأمراء في صورة رسائل. قبل ذلك كانت التولية تُمنح إحتفالياً في قصر العاصمة، خلال حفلة استقبال تراعي عادات احتفالات القصور التي كان معمولاً بها، ولا سيما التي تتلاءم مع مراسم تنفّذ بدقه. هذا ما كان الوضع عليه، بوجه خاص، في تولية الوزراء والأمراء الكبار من سلالة البويهيين، أو تلك المتعلقة بالسلطين الأواغل من سلالة السلاجقة. خلال هذه الاستقبالات، كانت تتم قراءة منشور التسمية ويُعطى المستفيدون من ذلك شاراتٍ تشريفية، تخلف تبعاً للوظيفة، المدنية أو العسكرية، أو بحسب الرتبة المعطاة التي تشتمل على ألبسة شرف، أو تيجان، أو سيوف، فضلاً عن هدايا أخرى متنوّعة.

وقد سجّل خبر تولية السلطان التركي طغرل بك في بغداد في العام ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، كاتبٌ تتجلى في معلوماته العامة الدقة والوصف الحيّ، موضعاً في الوقت نفسه وقائع إجراءات المراسم المعمول بها وفاق تقاليد تطوري على أيّتها ودقّة في التفاصيل كان الخليفة، الحريص على الاحتفاظ بسلطته، يسعى من خلالها إلى فرض هيئته على قادة عسكريين حداثي العهد بثقافة السلطة.

«في السلطان طغرل بك الخليفة القائم بالله. وكان السلطان يسأل في ذلك إلى أن تقرّ كون هذا في ذي القعدة، فجنس رئيس الرزاه في صدر رواق صحن السلام، وبين يديه الخُطاب، ثم استدعى قسبي العباسيين، والعلويين، وقاضي القضاة، والشهود، فلما نفاخ الأنهار كتب إلى السلطان طغرل بك بما فسمونه الإذن من أمير المؤمنين في التحصير، فأفند ذلك مع إبنی المؤمنون الهائسين، ومن خدم الخواص خافعين، ومن انجذاب حاجبين، ولما وقف السلطان على ذلك نزل في السطير، وكان قد تفرّق وأفند إليه فانتصر ومعه [عدة] زنازب مسيريات، وعلى الظهر فيلان يسيران بإزاء الطيار، فدخل الدار والأولاد والأمراء والملوك يمشون بين يديه، ونحو خمسمائة غلام ترك، فلما وصل إلى باب دهليز صحن السلام وقف طويلاً على مرصه حتى فتح له، ونزل فدخل إلى الصحن، ومشى وخرج رئيس الرؤساء إلى وسطه فلقاه، فدخل على أمير المؤمنين وهو على سرير عال من الأرض نحو سبعة أذرع، عليه قميص وعمامة مصمتان، وعلى منكبيه ثريدة التي كس، وبيده

لم يمنع تدميرها على يد أوزون حسن، أمير الآق قويونلو، اندماجها نهائياً بالسلطنة العثمانية حيث حافظت على أهميتها الاقتصادية، إذ شكّلت ملقى طرق بفضل وقوعها على الطريق الذي يربط اسطنبول بالمقاطعات الشرقية العثمانية، على منتصف الطريق بين آسيا ووسطها. وهكذا عرفت غنى ذا مصدرين - تجاري وحرقي، ما تزال تشهد عليه حتى اليوم نوعية معاملها القروضية، في منطقة مملكة أنشلس القديمة التي تميّزت، في عهد الإمارات، بازدهار معماري كبير.

«راجع المسند رقم ٢٦».

التوكل، لفظة عربية تعني الاتكال على الله، أو الثقة بالله، وهي تنتمي إلى المعجم الخاص بالمصطلحات الصوفية الإسلامية.

إنّ الثقة بالله هي في الواقع، بالنسبة إلى الصوفية، إحدى المراحل التمهيدية الضرورية لكلّ من يسعى إلى بلوغ مرحلة الوجد، ويوصى به كلّ مسلم - بصورة عامة، حتى إنّ المصلحين المسلمين في القرن العشرين جعلوا من تلك الحالة النفسية سبباً لقلة النشاط والفعالية الشخصية، وذلك أمر شكّل مأخذاً للغربيين على المسلمين.

إنّ التوكل الذي يرتبط، بحسب بعض الكتاب، مباشرة بالمعقّدة المركّبة في الإسلام، أي وحدانية الله أو التوحيد، يمكن فهمه بأساليب متعدّدة. فهو يعني، مثلاً:

- الخضوع لله أي إطاعة أوامره (وهذا التعبير لا يختلف عن معنى كلمة «إسلام»).
- الثقة بالله، أي التسليم كلياً بقدرته الإلهية، والتقرّب منه لملاقاته عن طريق الاتحاد الصوفي.
- والمعنى الأخير، الذي يعتقد به معظم المسلمين، وهو الإستسلام إلى الله إيّان المصائب، وهذا موقف يقضي إلى الاعتقاد بالقدر.

التولية، تدبير رسمي، في إطار الجماعة الإسلامية، كان صاحب السلطة الشرعية، في القرون الوسطى، أي الخليفة، ولاحقاً السلطان، يفوّض، بموجب، بعض سلطته إلى مثله المختارين أو إلى الذين كان يرى من

الحقبة بأن معظم سكّانها من الزوج المسلمين، وقد أدهشت عاداتهم هذا الرّحالة القادم من الأندلس. ثم خضعت للطوارق، فألقى الصّنهاغي الذين امتدّت أمبراطوريتهم، في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، من كاؤكاو حتى تمبوكتو. وفي هذه الحقبة ارتبطت تمبوكتو بعلاقات تجارية مع إيطاليا، ومنها انطلقت القوافل التجارية في اتجاه مصر وتونس والمغرب، ووصولاً إلى منطقة جتي في مالي، وحتى إلى جنوبها. لكنّ هذه العلاقات التجارية توقفت في القرن السادس عشر للميلاد، إثر هزيمة الصنهاغي على يدي أحمد المنصور السعدي الذي قاد ضلّهم حملة من المغرب. ومنذ ذلك الحين جعل المغاربة من تمبوكتو مركز مقاطعة، لكنّ الباشا الذي حكمها حولها تدريجياً إلى منطقة مستقلّة.

إنّ الإنحطاط الذي أصاب هذه الإمارة، في أواخر القرن السابع عشر، أدّى بالمدينة إلى الخضوع لسلطة رجال دين من البربر، ينتمون إلى الفرقة القادرية التي كانت قد بسطت سلطتها على منطقة قريبة من تمبوكتو. وفي عام ١٨١٨م، أسس شيخو أحمدو دولة القلّة الشيرقاطية الجهادية في ماسينا، واستولى بدوره على تمبوكتو من دون أن يسلبها استقلالها التقليدي. وفي العام ١٨٢٨ تمكّن الفرنسي رينه كايه (René Caillé) من اكتشاف مركز القوافل القديم هذا، وكان مهجوراً جزئياً، فتمّ إلحاقه بأفريقيا الغربية الفرنسية اعتباراً من عام ١٨٩٣م.

« رابع ائتمستبر ٢٨ و ٢٩ »

تونس (الجمهورية التونسية)، مدينة مرنيّة وعاصمة البلاد الحاليّة. سبق ازدهارها الإقتصادي ونموّها انديمغرافي، خلال العقود الأخيرة، تطوّر متزايد في أواخر العصور الوسطى.

تقع تونس الحاليّة مع ضواحيها خلف بحيرة شاطئية تتصل اصطناعياً بمينائها خلق الوادي الذي كان في الماضي قلعة رومانية. لم تحط تونس بالأهمية، قياساً بقرطاجة القديمة، إلا بعد أن احتلّها الجيوش العربية - الإسلامية في العام ٨٧٣م/٦٩٢م، إبان الفتوحات الكبرى. كان نموّتها، على ملتقى الطرق الداخلّة،

القصب، فحين شاهد السلطان/ أمير المؤمنين قتل الأرض دفعت، قلعة دنا من مجلس الخليفة صعد رئيس الرّؤساء إلى سرير لطيف دون ذلك السرير بنحو قامة، وقال له أمير المؤمنين: أصعد زكي الذين إليك. ولكن مع محمد بن منصور الكندري فاصدهما إليه وتقدم وطرح كرسي جلس عليه السلطان، وقال (أمير المؤمنين) لرئيس الرّؤساء: قل له يا علي: أمير المؤمنين حامد لسبيك، شاكر لفضلك، آس بغريك، زائد الشفك بك، وقد ولّاك جميع ما ولّاك الله تعالى من بلاد، ورد إليك فهي مراعاة عياده، فائق الله فيما ولّاك، واعرف نعمته عليك، وعيدك في ذلك، واجتهد في عمارة البلاد، ومصالح العباد، ونشر العدل، وكفّ الظلم.

« فسر له عبيد الملك القول، فقام وقبّل الأرض وقال: أنا خادم أمير المؤمنين وعيده، ومتصرف على أمره، ونهيه، ومشرف بما ألهني له واستخدمني فيه، ومن الله تعالى استهداه المعونة والتوفيق.

« واستأذن أمير المؤمنين في أن ينهض ويحمل إلى حيث نغاض الخلع عليه، فنزل إلى بيت في جانب الهر، ودخل معه عبيد الملك، فألبس الخلع وهي سح خلع في ري واحد، وترك النّاج على رأسه، وعاد مجلس بين يدي أمير المؤمنين، وزم قبيل الأرض فلم يتمكن لأجل النّاج، وأخرج أمير المؤمنين سيّفاً من بين يديه فتلقاه إليه، وعاطبه بملك المشرق والمغرب، واستدعى ألوّية وكانت ثلاثة: اثنا عشرية بكتاب صفر، وأخر بكتاب مدّعة سمي لواء الحمد فعقد منهم أمير المؤمنين لواء الحمد بيده، وأحضر العهد فقال: يسلم إني وبقال له: يقرأ عليك عهدنا إليك، ويسر لك لتعمل بمرجه، ويمنّقى ما أمرنا به، خار الله لنا ولك ولللمسلمين فيما فعلنا وأمرنا، أمرك بما أمرك الله به، وأنهاك عما نهاك الله عنه... » (ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم، ج ١٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢/١٩٩٢، ص ١٩-٢٠).

تومبوكتو (جمهورية مالي)، مدينة في ما كان يُعرف بالسودان الغربي، قريبة من مجرى نهر النيجر، شغلت، خلال العصور الوسطى، المركز الثقافي والتجاري الأكثر أهمية في تلك المنطقة من أفريقيا المسماة ساحلية.

أسستها، في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، قبائل من الطوارق شبه حضريّة، كمستودع للسلع التجارية، وتحوّلت بسرعة إلى مركز تجاري يمكن الوصول إليه عن طريق وادي نهر النيجر، أو عبر طرق القوافل التجارية القادمة من المغرب، أو من منطقة طرابلس الغرب.

حكمت المدينة سلالات عدّة، بدءاً بالماندنغ حكّام مالي، إذ ضمّوها إلى مملكتهم من سنة ١٣٣٧م/١٣٣٦م إلى ١٤٣٦م/١٤٣٣م. وقد وصفها ابن بطوطة في تلك

المدينة القديمة الحالية، مع امتداد من الشمال إلى الجنوب، بين القصبية وباب البحر الذي يُعطي إلى المرفأ وترسانة صناعة السفن، ومع المحافظة، في وسطه، على المسجد الجامع المحاط بأسواق متنوعة. وتطوّر نشاطها التجاري كثيرًا، كونها مرفأ بدأ تِجار أوروبيون، منذ ذلك التاريخ، يتركزون فيه؛ فمنذ مطلع القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، وُجدت فيه جالية جنوية مثّلة بقنصل وتملك فندقًا.

وفي القرن السادس عشر أصبح الوضع أكثر صعوبة، إذ كانت المرحلة مضطربة بالنسبة إلى مدينة أصبحت محط أطماع للمخارة والقرصنة الأتراك والأسبان المتنافسين. ولم تشهد بعض الهدوء إلا بعد السيطرة العثمانية عليها في ١٥٧٤. جذبت هذه السيطرة عناصر جديدة من السكان، سرعان ما انضم إليهم المورسكيون الذين أبعدهم قليب الثالث من الأندلس في العام ١٦٠٩م، وقد ساهم سكانها جميعهم في إدخال تحولات على المجتمع التونسي، في حين نشأت في المدينة، في ظل البابايت المراديين والحسينيين، مبان وفق الهندسة العثمانية، كذلك التي خلفها يوسف داي في مطلع القرن السابع عشر.

استُعمل مجمّع «دار الباي» في غرب المدينة - الذي يعود الفضل في إقامته إلى حُفودة باشا ما بين ١٧٨٢ و ١٨١٤ - مكانًا لإقامة الحكّام الذين اهتموا أيضًا بزخرفة مساكنهم في ياردو، وشيّدت، إضافة إلى ذلك، أبنية أخرى لسكن الأمراء والأثرياء، داخل الأسوار وخارجها، باستخدام وسائل هندسية جديدة بدئيًا مؤخرًا بالتفتيش عن غناها.

من جهة ثانية، نتيجة لوجود عدد من الأرقاء الأوروبيين الذين أسروا إبان القرصنة في المتوسط، دخلت تونس الإرساليات التبشيرية المسيحية، كما استقرت فيها قنصليّة فرنسية، وتمّ تشييد كنيسة لويس التاسع تخليدًا لاستشهاده إبان حصاره للمدينة عام ١٦٨٨/ ١٧٧٠م. وفي القرن التاسع عشر استرعت الإمكانيات الاقتصادية إنباء الجالية الأوروبية التي راحت تنمو وتؤسّس المدارس إعتبارًا من ١٨٣١م. في حين بدأت ترسم مدينة عصرية خارج الأسوار باتجاه

في منطقة زراعية خصبة قريبة من البحر، فوائد دفاعية واقتصادية بشكل خاص. خلقت تونس إذا قرطاجنة وأصبحت نفزا بحريًا يتمتع بترسانة لصناعة السفن الحربية، وهي محمية بشكل جيّد. وشيّد أحد حكامها الأمويين، سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م، مسجدها الجامع الذي يحمل، منذ ذلك التاريخ، اسم جامع الزيتونة، وقد تمّ توسيعه وتجميله سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، حينما بُنيت قبة التي يليها المحراب. في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، الذي تميّز بسيطرة الأغلبية الذين كانوا متمسكين بعاصمتهم القيروان، قامت تونس التي كانت مركزًا فكريًا وتجاريًا بثورات عدّة ضد السلطة. وإذا كان الأمير زيادة الله الأغلي قد ذك حصونها عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، فإنّ الأمير إبراهيم الأغلي نقل إلى قصبته، التي شيّدها هو نفسه، بلاطه وحكومته سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م، لكنّه لم يستقرّ فيها طويلًا، إذ عاد في العام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م إلى مقرّه الأصلي في رقادة بالقرب من القيروان.

إنّ الفاطميين الذين بنوا المهدية حيث تحصنوا إبان ثورة الخوارج، والذين بنوا بعد ذلك صيرا - المنصورة قرب القيروان، لم يهتموا بتونس، مركز المذهب المالكي المعارض لسلطتهم. وفي تونس عاش، في مطلع القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، محرز بن خلف أحد المدافعين عن هذا المذهب، وقد عُرف باسم «سيدي محرز»، وأصبح وليًا لهذه المدينة التي شهدت حينها ازدهارًا حقيقيًا. وفي منتصف القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، تلت غزوة الهلاليّين بداية حكم بني خراسان (الخراسانيّين) الذين بنوا سورًا جديدًا وقصرًا وضاحيتين للمدينة. وتحوّلت تونس إذا إلى مدينة مهمّة، وغدت، بعد سيطرة الموحّدين عليها في العام ٤٥٥هـ/ ١١٥٩م، عاصمة إقليم إفريقية، في حين أكمل الحفصيون تشييد أبنية ملازمة لمركزها السياسي الجديد؛ فشيّدوا قصر القصبية مكان القلعة؛ كما شيّدوا مساجد، منها مسجد القصبية الذي بُني ما بين ٦٢٨ و ٦٣٣هـ/ ١٢٣١ و ١٢٣٥م، ومدارس وقنوات للمياه. إنّ الإثّاع الذي عرفته في أواخر القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد يتطابق مع اتّساع

وبورقية نفسه كان قد ذهب إلى باريس في آب ١٩٣٦ للدفاع عن برنامج كان يجب أن يؤدى، في النهاية، إلى استقلال تونس، لكنه لم يحصل على أي وعد دقيق بهذا الخصوص، فحصل في موافقه، ما أدى إلى اعتقاله إثر تظاهرات قامت في تونس في العام ١٩٣٨، وأطلق سراحه في العام ١٩٤٣. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي لم تؤد إلى أي تغيير في السياسة الفرنسية، قدم بورقية إلى الحكومة الفرنسية برنامجاً، في نيسان من العام ١٩٥٠، لقي مبدئياً استحساناً، لكنه لم ينتج عنه أي إصلاح. في كانون الثاني من العام ١٩٥٢ أدت التظاهرات على أنواعها التي كانت تنوّل حينها في تونس إلى توقيفه ونقله إلى فرنسا سنة ١٩٥٤، ما جعل منه محارر الحكومة الفرنسية حين اعترفت باستقلال تونس سنة ١٩٥٦.

أقيمت على عاتق بورقية مسؤولية تنظيم الدولة الجديدة التي أصبح رئيساً لها من دون منازع، ممارساً حكماً قريباً من حجبها، ولكن بحذر شديد. وشهدت سياسته مرحلتين أساسيتين: الأولى، مرحلة التنظيم، امتدت من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٩ حيث اتخذت إجراءات عدة ذات طابع علماني، منها: منع تعدد الزوجات، وإصلاح التعليم الرسمي، وعدم التشدد في صوم رمضان؛ بينما كانت كل الروابط مع فرنسا قد قطعت ووضع موضع التنفيذ نظام يسمح للدولة بالتدخل بفاعلية في النظام الاقتصادي. خلال المرحلة الثانية التي امتدت من ١٩٦٩ إلى ١٩٨٧، تخلى بورقية عن السياسة الموجهة لمصلحة نظام الليبرالي سمح بدخول رؤوس الأموال الأجنبية إلى البلاد، كما سمح أيضاً بإقامة علاقات جيدة بالدول الغربية. وأخيراً أدت، أخيراً، الصعوبات المتصاعدة إلى عزل الرئيس المسن وتسلم الرئيس زين العابدين بن علي السلطة. وكان على العهد الجديد مواجهة تأثير الإسلاميين من دون التخلي عن السير نحو الحداثة.

التيجانية (الطريقة -)، جمعية إسلامية صوفية، أو طريقة صوفية استمدت اسمها من أحمد التيجاني، الذي أسسها بداية في الجزائر، ثم في المغرب حيث تابع نشاطه حتى وفاته في العام ١٨١٥م.

البحيرة. وقد شهدت هذه المدينة إنسافاً جديداً بعد الاحتلال الفرنسي لتونس في العام ١٨٨١م، في حين حوفظ على المدينة القديمة وعلى مسجد الجوامع الذي استمر مركزاً للدراسات الدينية، على الرغم من إنشاء مدرسة صادقي الثانوية على أنظار الأوروبي، وذلك في العام ١٨٩٧.

وبعد أن نالت تونس استقلالها في العام ١٩٥٦، عمد النظام الجديد إلى تدعيم أهميتها الثقافية والسياسية من دون أن يفضي على مميزاتها. فأعيد تنظيم التعليم الثانوي وتوحيده، وتطورت جامعات عدة، ولم تعد جامعة الزيتونة تدرس، اعتباراً من العام ١٩٥٨، إلاّ تعليمًا عاليًا مشابهًا جزئياً للتعليم في الجامعات الجديدة.

➤ راجع المستندات: ١١، ١٩، ٨٧، ٨٨.

تونس (الجمهورية التونسية)، هي دولة مستقلة حديثاً، مساحتها ١٦٣ ٦١٠ كلم^٢، عاصمتها تونس. دولة معاصرة مستقلة، نظامها رئاسي، جميع سكانها تقريباً من المسلمين، وتشغل في الطرف الشمالي الشرقي للمغرب مساحة جغرافية أصغر من تلك التي كانت تشغلها (ولاية) إفريقية في العصور الوسطى.

أصبحت تونس الحديثة جمهورية بعد إلغاء نظام البايات الحسينيين، وحوكمها من ١٩٥٦ إلى ١٩٨٧ الرئيس الحبيب بورقية، الذي استند إلى حزب الدستور الجديد ليقم، وفقاً لدستور ١٩٥٩، حكماً مركزياً سلطوياً، ساعياً إلى التوفيق بين مصالح متعارضة، ودافعاً قوياً بالتحديث الاقتصادي والثقافي والاجتماعي.

ولد الحبيب بورقية في العام ١٩٠٣ في مناسير من عائلة بورجوازية. وبعد أن أنهى مرحلة التعليم الثانوي في تونس، درس الحقوق في جامعة باريس، وعاد محامياً إلى تونس في العام ١٩٢٧ حيث انخرط في العمل السياسي. أسس صحيفة أسماها «العمل التونسي» (L'Action tunisienne)، وغدا لسان حال مجموعة من المثقفين المناهزين بأفكار اليسار الفرنسي، وقد عمل هؤلاء على السيطرة على حزب الدستور، قبل أن يؤسسوا حزب الدستور الجديد الذي ضمّ عناصر بورجوازية، وأخرى شعبية، بهدف الدفاع عن الفكرة القومية.

الذي يبلغ مردوده أقل من عشرين ألف أقة؛ والذي يزيد ربه عن ذلك يسمى «زعامة»؛ وأخيراً الفئة العليا المتمثلة بتيمار الحكّام «الخاص».

وكان للتيمارات نظام خاص تمّ تحديده من قبل سليمان القانوني. وهي تتماثل، من جهة مع البرونيا (pronia) البيزنطية، ومن جهة ثانية مع الانقطاع أو الالتزام الضريبي، الذي طُبّق في العالم الإسلامي القديم، على قاعدة نظام الأراضي المعتمد منذ العهد الإسلامية الأولى. ومن الصعوبة بمكان تحديد أصول التيمار بدقة، ولا سيما أن معرفتنا بالنظامين الضريبي والمسكري اللذين كانا سائدتين في الاناضول في ظلّ سلاجقة الروم محدودة. وكان يتوجب، في العهد العثماني، على أصحاب التيمارات السكن في تيماراتهم، إلاّ إنان الحملات العسكرية، وكانوا يشكّلون فرقة الخيالة في الأبراطورية التي كانت تضاف إلى القوى العسكرية الأخرى. وقد جرت محاولات عدّة لإصلاح هذا النظام الذي أساء المستفيدون منه استعمال سلطانهم، لكن من دون جدوى. وفي العام ١٨٣١ ألغاه السلطان محمود الثاني، الذي أعاد تنظيم الجيش العثماني.

تيمور أو تيمورلنك، (٧٣٧-٨٠٧هـ/١٣٣٦-١٤٠٥م). قائد تركي - مغولي من بلاد ما وراء النهر، تمكّن، اعتباراً من سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م، بعد حملات مدمرة، من بسط سلطانه على إمبراطورية شرقية واسعة أورثها لعائلته، «التيموريين»، غير أنّه لم يجنّبها التفكك المباشر.

ولد في جنوب سمرقند في عشيرة كانت تابعة إقطاعياً للجغتانيين، رفعت نسبها إلى جنكيزخان. بدأ هذا الفاتح الطموح مسيرته، في سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م، بالسيطرة على بلخ ومطقتها؛ ثمّ سيطر، سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م، على خوارزم حيث تركزت الثروة الاقتصادية لآسيا الوسطى حول كوركانج/أورغنتش^(١٥)، وقد تطلّب إخضاعها، بطريقة عنيفة، حوالي عشرة أعوام. وكان يعتمد حينها على أفراد الطريقة النقشبندية الصوفية التي كان يحبي شيوخها. ثمّ باشر غزو إيران بدءاً بخراسان، وصولاً إلى فارس وأذربيجان، ثمّ احتلّ

ولد التيجاني في جنوب الجزائر في العام ١٧٣٧م حيث عاش فترة طويلة منتصباً إلى الطريقة الخلواتية. أسس طريقة جديدة في تلمسان في العام ١٧٨٢. وبعد مكوثه وقتاً في الصحراء، استقرّ في فاس حيث حظي بحماية مولاي سليمان، من السلالة العلوية التي كانت تحكم المغرب آنذاك.

حدّد التيجاني طريقته انطلاقاً من رسالة أكّد أنّه تلقاها مباشرة من النبيّ محمد (ﷺ)، وكان نظام طريقته بسيطاً لا يوجب عزلة أو تقشّراً، ولا طقوساً معقّدة، ولا يوجب على الأخص اعتماد سلاسل الإنسان أسوة بما كانت تقوم به سائر الطرق الصوفية تبييناً لسلطة رؤسائها.

إنّ الغريضة الأساسية المتوجبة على كل تيجاني هي بناء اعتقاده الخاص عن طريق تأملاته الشخصية، والاستعانة بشفاعة شيخه مؤسس الطريقة وحده، واستبعاد كلّ ما عدا ذلك، بما فيه زيارة أضرحة الأولياء الآخرين، رغم أنّها كانت عادة شعبية رائج آنذاك في المغرب. نتج عن هذا الموقف المتمايز الاستقلال النسبي لممثلي التيجانية تجاه الطرق الصوفية الأخرى، بحيث تمايزوا عنها، في حين أنّهم شاطروا بعض الآراء حركاتٍ عُرِفَت بالسلفية، كالوقاية التي أقاموا معها بعض الصلات. هكذا انتشرت التيجانية بسهولة في المغرب وفي أفريقيا السوداء المجاورة، متبنية، تيمّاً للمناطق، مبادئ سياسية متنوّعة، وأعطت عن نفسها صورةً تعكس الواقع الاجتماعي المحليّ.

تيمار، هو اصطلاح كان يعني في الإمبراطورية العثمانية تلزم ضريبة عقارية لغارس يُعرف بـ«سامي» [لفظ فارسي تركي يعني العسكري]، ويُفرض عليه الزامية القتال عند الاقتضاء وتجهيز فرقة عسكرية يكون مسؤولاً عن إعمالها.

التيمار ليس «إقطاع» بالمعنى الصحيح، لأنّ المستفيد منه لم يكن يملك سلطة على شغالي الأرض أو على الرعايا، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، بل كان يتمتع بحق جباية الضرائب الأساسية المتوجبة عليهم، وهو حقّ قابل للإلغاء. ويمكن أن نميّز ثلاث فئات من التيمارات تيمّاً لأهميّتها: التيمار العادي وهو

أعضاؤها، بعد وفاته، بقايا إمبراطوريته الشاسعة، متنافسين على الحكم والسيادة، ولا سيما في المقاطعات الشرقية، متباين بعضهم إنجازاتهم.

وظلت سمرقند، عاصمة تيمور السابقة، مركز السلطة العليا التي ترابط طموحات مختلف أفراد العائلة التيمورية في إيران. وقد سيطرت، في ابنه، سلالة شاهرخ على عرش آسيا الوسطى على حساب مملكة ميرانشاه الغربية، على الرغم من أن شاهرخ الذي شرع بتركيز سلطته انطلاقاً من خراسان قد اختار الإقامة في هراة، وجعل، خلال حياته، ابنه أولوغ بك يشارك في الحكم في سمرقند، بصفته نائباً للسلطان. وعقب الفضل الذريع الذي مني به أولوغ بك بعد أن خلف والده، تمكن أبو سعيد حفيد ميرانشاه من السلالة التيمورية، على أثر مواجهات عديدة مع أولوغ بك، من السيطرة على المملكة بكاملها، وفرض سلطته الشخصية من حدود الهند وصولاً إلى العراق. لكنه عجز عن مقاومة إعتدات الأوزبكيين الشيبانيين، إذ هُزم أخيراً وحكم عليه بالموت في العام ٨٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م، إثر الحملة التي قرّر القيام بها على الغرب، لمجابهة أوزون حسن الشهير وهو من سلالة الآق قويونلر.

منذ ذلك التاريخ، انحصر التيموريون في بلاد ما وراء النهر وخراسان حيث نعم بعضهم بحياة بدخ وترف. ويجدر بنا التنويه، بشكل خاص، بحسين بالقرأ، على سبيل المثال، الذي حكم هراة طيلة ٣٧ عاماً، وتمكّن، خلال سنوات حكمه الأولى، من فرض احترامه على خصومه وإيقافهم عند حدودهم، كما اشتهر، في الوقت نفسه، بقصوره التي كانت موئل الشعراء والمؤرخين والفنّانين. وفي ما بعد قبض السلطان سليم الأول على ابنه وسجنه حتى وفاته في اسطنبول عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وهو آخر حاكم من سلالة التيموريين. وفي هذا الوقت استولى الخانات الشيبانيون على سمرقند في أعوام ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م وعلى هراة في العام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م.

وهكذا اضمحلت نهائياً آثار إمبراطورية تيمورلنك التي لم تعمر طويلاً، لكن أحد أبناء العائلة التيمورية، باهر، تمكن من الخروج من آسيا الوسطى، فاحتل كابول

العراق، ولم يتردد في أن يُعاقب، بقساوة، أهل المدن التي حاولت التمرد. وفي سنة ٨٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م، بدأ الحرب التي عُرفت بحرب الخمس سنوات، التي مكنته من اجتياح الأناضول وبلاد ما بين النهرين العليا، وسهوب القوقاز وصولاً إلى موسكو. ثم، في سنة ٨٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م، استرعت الهند انتباهه، فاستولى على دلهي بعد أن قتل قسماً من سكّانها. لكنه اضطرّ في سنة ٨٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، للعودة إلى جورجيا والأناضول، فاحتل سيواس وملطية حيث خلف الدمار. وأغار على سوريا، وانتصر على المعاليك الذين كانوا يحكمون مصر وبلاد الشام، مستولياً على أهم المدن فيها، ومن هناك قصد بغداد وسيطر عليها سيطرة تامة سنة ٨٨٠٤هـ/ ١٤٠١م.

ثم اندلعت الحرب بين تيمورلنك والسلطان العثماني بايزيد، الذي كان سلطانه يمتدّ إلى البلقان، فهُزم بايزيد في معركة انقرة سنة ٨٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م، وسقطت بورصة وإزمير بيد تيمور، فيما كانت حينها الدولة العثمانية مفككة جزئياً. واستقبل تيمورلنك عندئذٍ سفراء السلطان المملوكي^(١) والإمبراطور البيزنطي حنا السابع باليولوغ. وعند عودته إلى سمرقند التي ظلّت عاصمته - مع أنّه كان يفضل الإقامة في كش/شهرسّر حيث بنى قصرًا - استقبل كلايفجو (Clavijo) مبعوث ملك قشتالة، الذي تدين له بكتاب رحلة قتم. بعد ذلك قرّر مهاجمة الصين، ونقّذ حملته عليها في كانون الأول سنة ٨٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م، لكنه مرض ثم توفي في الشهر التالي، بعد أن كان قد قسّم إمبراطوريته المترامية الأطراف بين أولاده وأحفاده. ودفن في سمرقند، في ضريح ما يزال قائماً ويُعرف بـ غوريير (Gour-i-Mir).

قامت شهرته، للأسف، على أسلوبه في إبادة سبب المدن وتدميرها. لكنه لم يتوان عن تشجيع أنشطة المفكرين والفنّانين. كما كان يشجّع، في آن، الحياة الاقتصادية مشجّعاً في سمرقند أبنية رائعة، ومنقّداً أيضاً أعمالاً ذات فائدة عامة في أماكن مختلفة.

التيموريون ٧٧١-٩١٢هـ/ ١٣٧٠-١٥٠٦م، سلالة
تتحدّر من تيمورلنك الفاتح الشهير. وقد تقاسم

١٤٦٩-١٤٥١/٨٨٧٤-٨٥٥م	نور سعيد	وسيطر في ما بعد على الهند، حيث أسس الأمبراطورية المغولية.
١٤٩٩-١٤٦٩/٨٨٩٩-٨٧٤م	احمد	
١٥٠١-١٤٩٤/٨٩٠٦-٨٩٩م	محمود بن أبي سعيد	كبار تيموريي سمرقند:
	تيموريو هراة:	تيمورلنك ٧٧١-٨٠٧/١٣٧٠-١٤٠٥م
١٤٧٠-١٤٦٩/٨٨٧٤-٨٧٣م	ياكار محمد	شاهرخ ٨٠٧-٨٥١/١٤٠٥-١٤٤٧م
١٥٠٦-١٤٧٠/٨٩١٢-٨٧٤م	حسين بايقرا	أولوغ بك ٨٥١-٨٨٥٣/١٤٤٧-١٤٤٩م
١٥٠٦/٨٩١٢م	بديع الزمان	عبد اللطيف ٨٥٣-٨٨٥٤/١٤٤٩-١٤٥٠م
	راجع الملاحظات ٢٤، ٢٦ و ٧١.	عبد الله ميرزا ٨٥٤-٨٨٥٥/١٤٥٠-١٤٥١م

ث

نُذِت بها سور وآيات قرآنية عدة، وذلك في زمن سبق الرفض الذي أظهره المكثرون تجاه النبي محمد ﷺ. وهناك تقاليد محلية عدة في جزيرة العرب تعود يذكرها إلى شعب ثمود الذي يُقال إنه تميّز، بشكل خاص، بمساكنه المحفورة في الصخر. كما نُسبت إليه، منذ أمد بعيد، آثار كتابات منقوشة على الصخور، وأضرحة محفورة على الشاطئ الصخري. هكذا هي الحال في شمال غربي شبه الجزيرة بجانب آثار الجحجر، وهو موقع في وادي الثّرى عرفه الجغرافيون العرب في العصور الوسطى؛ وهكذا هي الحال أيضًا في المكان المسنّى مدائن صالح، وهو يقع اليوم بقرب مدينة تحمل الاسم نفسه. وقد حدّدت أيضًا مساكنهم القديمة في اليمن في ضواحي مدينة شبوة حيث تميّز المنطقة ثروة أثرية. وبوجه عام، فإنّ شعب ثمود الذين كان يُعرف سابقًا باسم تموداي (Tamudaei)، ذكره الكتاب اللاتين القدماء على أنّه من بين الشعوب القديمة التي سكنت شبه الجزيرة العربية.

ثقيف (بنو -) : قبيلة من عرب الجاهلية، كان أفرادها قد تحضّروا جزئيًا، وكانوا يقيمون، عند ظهور الإسلام، في منطقة الطائف بالقرب من مكة.

تحالفت بنو ثقيف مع الأمويين وساندوهم، ما جرّ عليهم عداوة العباسيين. وعلى الرغم من أنّ قسمًا منهم تركّز، في العصر الحديث، في اليمن، فإنهم ما يزالون يقيمون في المملكة العربية السعودية في المنطقة التي كانت لهم في عهد الرسول محمد ﷺ.

ثُمود، قبيلة أو شعب عربيّ متفرّض، يعود عهده إلى العصور الخالية والأسطورية، ويُعتبر في عداد الأمم الطاغية الوارد ذكرها في القرآن الكريم لأنّه نبذ الرسول الذي أرسل إليه، وهو النبي صالح. إنّ الحادثة المشار إليها والمعروفة جيدًا في الأوساط الإسلامية، هي قصة صالح والناقة التي أخرجها له الله من صخر بناء على طلبه، ورغم ذلك لم يتمكن من حمل شعبه على الإيمان. تُظهر هذه الواقعة، كما في حالة قبيلة عاد، رفض الرسالة الإلهية من قبل شعوب ارتكبت خيانة عظمى،

ج

علاقة وثيقة بأهم خلفاء العراق، من المأمون إلى المتوكل، ووزراء عديدين، لكنه لم ينول وظيفة رسمية. أفاد لبعض الوقت من نفقة، وحصل بفضل بعض كتاباته، على مساعدات قيمة إبان إقامته في بغداد، ومن ثم في سامراء، قبل أن يعود أدرجه، في أواخر حياته، إلى مسقط رأسه حيث توفي.

ضمت كتابات الجاحظ المتنوعة، والقليلة الترتيب في الظاهر، كما هي الحال بالنسبة إلى جميع مصنفات الأدب، دائرة معارف واسعة - كتاب الحيوان - ومؤلفات جدلية وهجائية، ومقالات سياسية-دينية. ويغلب عليها جميعاً طابع الفضولية الدينية الذي تميز بها كاتبها.

ينطوي كتاب «الحيوان» على كمية من الاستطرادات ذات طابع فلسفي أو ديني، وهي مخصصة للدفاع عن طروحات المعتزلة حول العناية الإلهية. وقد اهتمت مقالاته بمظاهر أخرى لهذه العقيدة. ومن الواضح أن ما كتبه الجاحظ كان لدعم سياسة الخليفة المأمون الذي كان على علاقة به. ففي كتاب «الخلافة» انتقادات للبخلاء ترمي إلى مدح كرم العرب، وثقة انتقادات أخرى موجّهة للكُتّاب وادّعاءاتهم، وهي تشكّل مادة لبعض كتاباته. بينما نراه، في مجال آخر، يمتدح فضائل الترك الذين أتى بهم الخليفة المعتصم، أو نجده بدافع عن شرعية الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل ضد ادعاءات الشيعة، كما نجده ينتقد المسيحيين لما كان لهم من مكانة إجتماعية. تصيف هذه الإهتمامات المختلفة قيمتها الوثائقية إلى النوعية الأدبية لمجمل كتابات الجاحظ، ما يجعل منها مصدراً للمعلومات حول الحياة الإجتماعية والثقافية

جابر بن حنّان، خيميائي عربي ذو ميول ابتداعية، وشخصية غامضة من شخصيات القرون الوسطى الإسلامية، يُعتقد من غير جزم، أنه عاش في زمن الخلفاء العبّاسيين الأول، وكان متأثراً بأفكار الإمام جعفر الصادق.

ترك العديد من المؤلفين الأقدمين لائحة واسعة من المؤلفات المنسوبة إلى جابر بن حنّان، ليس فيما يتعلّق بالخيمياء فحسب، بل أيضاً في مجالات عدّة في العلوم الموروثة من المصور القديمة. وما تزال بعض المقاطع من هذه المؤلفات محفوظة إلى أيامنا الحاضرة. هذه الكتابات، التي يعود جزء منها إلى المرحلة اللاحقة للفترة التي يُفترض أنّ جابر عاش فيها، تبقى مع ذلك مهمة لاحتوائها على مستوى رفيع من المعرفة العلمية والفلسفية تشهد لها في البلاد الإسلامية، وقد عزّاهها جابر إلى تعاليم الإمام جعفر الصادق.

تأثرت كتابات جابر بخاصة بالمذهب التلغيفي الغنوصي (التوفيق بين المذاهب المتعارضة) المماثل لما كان يحصل في الأوساط الشيعية المتطرّفة التي كانت هي أيضاً تُبشّر بظهور إمام جديد يلغي الشريعة ويستعيض عنها بدراسة العلوم القديمة.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بشر الكتاني البصري ١٦٠-٢٥٥هـ/٧٧٦-٨٦٩م، كاتب تأثر باللغة العربية، لعب دوراً مهماً في العصر الذهبي للخلافة العبّاسية، جاعلاً من نفسه صدى لطروحات المعتزلة الفلسفية - الدينية.

ولد الجاحظ في البصرة، متحزباً من أسرة من الموالي غير معروفة. تلقّى العلم منذ طفولته على كبار علماء العصر، من فقهاء اللغة ومفكرين؛ وكان على

جامعات، مفرداً جامعة، مؤسسات تعليم عالي قائمة اليوم في العالم الإسلامي، مضافة أحياناً إلى مساجد جامعة قديمة، ومدارس وكتليات، لا تزال شهرتها قائمة لتأمينها مراحل من الدروس الحديثة المخصصة للعلوم الدينية، وناذراً للعلوم الدينية.

هذه الجامعات ذات الطابع الغربي التي تشمل على مجموعة اختصاصات تدرّس في كتليات أو مدارس متخصصة. ظهرت في بلاد الإسلام في فترة قريبة العهد، منذ نهاية القرن الثامن عشر وصولاً إلى القرن العشرين. في أكثر الأحيان، أسست مدارس ذات طابع مهني أو تقني أولاً، ثم صُغت في جامعات ضخمة، فعكست بازدهارها وتكاثرها مراحل التطور الديمغرافي والسياسي للمناطق التي قامت فيها.

إنّ أوّل مثال في البيئة العربية هو، بلا ريب، مثال مصر حيث أقيمت، منذ العام ١٨٢٧ في القاهرة، مدارس تقنية ومدارس عسكرية عدة أو مدارس طب وصيدلة. وتم في العام ١٨٧١ تأسيس معهد لتعليم اللغة العربية، وفي العام ١٨٨٦، مدرسة حقوق. وفي العام ١٩٠٨، تأسست الجامعة الوطنية التي تحولت، بعد الحرب العالمية الأولى، إلى جامعة دولة. وتأسست جامعتان أخريان في العامين ١٩٤٢ و ١٩٥٠، إحداهما في الإسكندرية، والأخرى في القاهرة. والمؤسسات الثلاث تسمى حالياً جامعات القاهرة، والإسكندرية وعين شمس. وظهرت حديثاً جامعات أخرى في مدن المقاطعات، في حين أنّ الجامع الأزهر استمرّ بصفته جامعة إسلامية متخصصة في تعليم العقيدة والفقه. إلا أنّ هذه المؤسسة التقليدية أعيد تنظيمها بحسب المعايير العربية التي أفسحت في المجال للعلوم الدينية وجذدت هيكليّات استخدمت حصراً، في ما مضى، لتطوير الدراسات المعطاة أصلاً في المساجد الجامعة، كما كان يحصل في الكتليات العثمانية.

في موازاة ذلك، شهدت عاصمة الأمبراطورية العثمانية، منذ نهاية القرن الثامن عشر، ولادة مدارس متخصصة، ومدارس عسكرية ثمّ مدارس طب، وبعد قرن نشأت مجموعة من المدارس العليا ألحقت، في العام ١٩٠٠، بجامعة أسطنبول التي دُعيت دار الفنون.

والدينية لعصر النجاش، إنّها تبدو حية بفضل الإبداعات الأسلوبية المفعمة بالحماسة.

جاكارتا (جمهورية أندونيسيا) هي مدينة بتافيا القديمة والعاصمة الحالية للبلاد. وهي مدينة كبيرة حديثة، تمتاز بنوع خاص من الإسلام المحلي. كانت بتافيا قاعدة لشركة الهند الشرقية الهولندية التي استقرت في جاوه منذ العام ١٦١٩، واستمرت مقرّاً للحاكم العام الهولندي حتى العام ١٩٤٢، مع بعض الانقطاع ما بين عامي ١٨١١-١٨١٦. ازدهرت المدينة، ليس كمركز تجاري وحسب، بل أيضاً كمركز إداري وفكري. وبالرغم من أنّ غالبية سكّانها من المسلمين، فقد تميّزت، وفي وقت مبكر، بطابعها العالمي وطوّرت، إلى جانب ذلك، العديد من المراكز المكرّسة للدراسات الإسلامية. فمُنذ العام ١٩٢٤، أنشئت فيها كلية للحقوق تهتم بصورة خاصة بالفقه الإسلامي.

في عام ١٩٤٢، بعد أن استولى عليها اليابانيون، اتخذت بتافيا اسم جاكارتا، لتحتفظ به، في العام ١٩٤٥، عند إعلان استقلال جمهورية أندونيسيا.

جالدران (مركبة في ١٥١٤/١٩٢٠م)، انتصار حاسم حققه العثمانيون على الصفويين، يشرّ لهم تثبيت سيطرتهم، لمدة قرن تقريباً، على التخوم الشرقية للأناضول والقوقاز.

وقع التحام الجيشين في سهل في أذربيجان الإيرانية بجوار الحدود الحالية التي تفصل بين الجمهوريتين الإيرانية والتركية. وقد أثبتت المعركة التفوق العسكري للجيش العثماني الذي قاده السلطان سليم الأول، في بداية عهده، في حملة عسكرية شهيرة جسّدت مبادرته الأولى الكبرى. وعلى الرغم من أنّ الجيش العثماني تابع تقدّمه لبعض الوقت، حتى مدينة تبريز، فإنّ الأراضي التي اجتازها لم تُضمّ إلى الفترحات العثمانية التي كان أنّهاها المفضّل نحو مناطق ديار بكر وكردستان. وكان الهدف من ذلك إرغام إنشاء إسماعيل، أوّل حاكم صفوي، على التخلّي عن سياسة التحريض التي كان يمارسها على القبائل التركية الأناضولية الموالية للشعبية.

استحدثت جامعات أخرى في المراكز الريفية. بينما توافر لتونس، البلد الأقل مساحة بكثير من الجزائر، منذ العام ١٩٤٥، في مدينة تونس، معهد دراسات عليا، دُرّس فيه القانون والعلوم الاجتماعية واللغة العربية، في حين أنّ جامع الزيتونة، في المدينة نفسها، استمر في تعليم العلوم الإسلامية. ثم أُسّست في العام ١٩٦٠ جامعة تونس وتبعها، في ما بعد، بعض جامعات في المناطق. وشهد المغرب أخيراً تأسيس معهد دراسات عليا مغربية في العاصمة في عهد الحماية، وذلك منذ العام ١٩٢٠، إضافة إلى مركز دراسات قانونية ومركز دراسات علمية، وقد تحوّلت هذه المراكز، في العام ١٩٦٠، إلى جامعة الرباط، في حين حافظ جامع القرويين، في مدينة فاس، على شهرته في توفير تعليم تقليدي للعلوم الإسلامية. منذ ذلك الحين أُسّست جامعات أخرى في مدن مختلفة من الدولة الشريفة.

في الهند أُسّست مدارس أو معاهد ذات نمط إنكليزي خلال القرن التاسع عشر، ثم ظهرت، في ما بعد، جامعتان: جامعة لاهور عام ١٨٨٢، وجامعة الله آباد عام ١٨٨٧. بيد أنّ معهداً إسلامياً مفتحاً على العلوم الحديثة كان قد أُسس في غليزره في العام ١٨٧٥، على يد السيد أحمد خان وتحول، في العام ١٩٢٠، إلى جامعة. وقد حوّر تعليمه ذو الاتجاه العصري محاربة عنيفة من قبل دار العلوم في ديوبند التي كانت تدرّس منذ العام ١٨٦٥، والتي كانت تهدف، منذ نشأتها، إلى التفوّق نوعياً على المؤسسات ذات الطابع الديني التي سبق أن بدأت عملها في دلهي ولكهنو وحيدر آباد، في مختلف توجهاتها الإسلامية التقليدية. وثمة جامعة جديدة وشهيرة في حيدر آباد، أُسّست في العام ١٩١٨، وأفسحت مجالاً مهماً للدراسات الإسلامية، استمرّت في عملها، بعد التقسيم، في منطقة تقع اليوم في الاتحاد الهندي. وفي الجهة الأخرى من الحدود، كانت للسند كما للبنغال - وهما إقليمان معظم سكانهما من المسلمين اجتماعاً مع أقاليم أخرى تحت اسم باكستان وانفصلاً لاحقاً مع ولادة بنغلادش - جامعتان: جامعة لاهور التي أُسّست في العام ١٨٨٢، وجامعة دكا التي أُسّست في العام ١٩٢١. ثم أنشئت أربع مؤسسات

وقد ازدادت وثيرة هذه الحركة في جمهورية تركيا العلمانية الحريضة على تعزيز التطوّر التقني والفكري لشعبها. وهكذا، أُسّست في العام ١٩٤٦، جامعة أنقرة، وفي العام ١٩٥٥ جامعة إزمير، وفي العام ١٩٥٦ جامعة أرضروم، في إطار توجه لامركزي متزايد رافقه تكاثر الجامعات في المدن الكبرى: قاسطنبول أو انقره، مثلاً، تملك اليوم مراكز تعليم عالٍ عديدة وناشطة.

في سوريا أُسّست جامعة في دمشق في العام ١٩٤٦، بُعيد الاستقلال، شملت أولاً مدرستي الطب والقانون، وسرعان ما احتضنت كليات مختلفة في العلوم الدينية، إضافة إلى كلية الشريعة. في العام ١٩٦٠ أُسّست جامعة في حلب. وشهد لبنان المتعدّد المطوائف، من جهته، في مرحلة مبكرة، قيام مؤسسات تعليم عالٍ على يد الإرساليات المسيحية: الجامعة الأميركية في بيروت، التي دُعيت على هذا النحو في العام ١٩٢٠، لكنها انبثقت من الكلية البرونستانية [الإنجيلية] السورية التي أُسّست في العام ١٨٦٤، وجامعة القديس يوسف التي أسّسها البوسعيون في بيروت في العام ١٨٧٥، واختصّت، في البلد، بميدان اللاهوت والفلسفة، وسرعان ما وسّعت أنشطتها لتشمل حقولاً أخرى. ونشأت جامعة حكومية في ما بعد في العام ١٩٥١، هي الجامعة اللبنانية تطوّرت، بخاصة ابتداءً من العام ١٩٥٩، وثمة جامعة مارونية هي جامعة الكسليك، تبلورت هيكلتها بُعيد ذلك. أُسّست في العراق مدارس عليا مختلفة بين العامين ١٩٢٠ و١٩٤٩، أمّا جامعة بغداد فأبصرت النور في العام ١٩٥٦. في الفترة نفسها، ظهرت في السودان جامعة الخرطوم، وفي ليبيا جامعة لها فرع في طرابلس، وأخرى في بنغازي، وفي المملكة العربية السعودية، أُسّست جامعة الرياض، وتبعها لاحقاً جامعات أخرى غيّت التجهيز، سعت لتطوير تدريس حديث رفيع المستوى، في إطار إسلامي مؤكّد.

في المغرب العربي الذي كان، في القرن التاسع عشر، على اتصال مباشر بالثقافة الفرنسية، تأسّست جامعة أولاً في مدينة الجزائر منذ ١٩٠٩، وضمتّ كليات أو مدارس كانت قائمة سابقاً. ومنذ الاستقلال

الجديدة وقرت تعليمًا عصريًا بمناهجها ومضامينها، لكنها بقيت مشبعة بالتقاليد الإسلامية. أخيرًا، ظهرت جامعات أيضًا في جنوب شرقي آسيا، كما في آسيا الوسطى حيث خطط لمؤسسات التعليم العالي طبقًا للنموذج السوفياتي.

الجامعة الإسلامية، نظرية سياسية رُوج لها خصوصًا في نهاية القرن التاسع عشر، كانت تهدف إلى جمع البلدان الإسلامية في دولة واحدة برئاسة السلطان العثماني آنذاك.

كان السياسي والمصلح جمال الدين الأفغاني، لبضع سنوات، من أبرز المدافعين عن هذه النظرية التي أدت إلى معارضة شاه إيران المنتمي إلى الشيعة الإمامية. ظهرت هذه النزعة الإسلامية الجامعة مجددًا بعد أن ألغى نظام كمال أتاتورك في تركيا الخلافة والسلطنة، في العام ١٩٢٤. وقد خُصص اجتماعان في مكة والقدس، في ١٩٢٦ و ١٩٣١، لاستعادة الخلافة. انضم إلى هذه القضية المصلح اللبناني-المصري رشيد رضا الذي يفتتح في كتابه «الخلافة أو الإمامة العظمى» حلولًا جديدة، لكنها لم تقضي إلى نتيجة ملموسة. وراء تلك المحاولات، عثفت فكرة إعادة الخلافة بصلاحيات تقتصر على المجالين الديني والشرعي، الأمر الذي كان يمكن أن يوحد العالم الإسلامي ويُبقي على تعدد الأنظمة الزمنية. لكن الهيئات التي انبثقت بهذا الخصوص لم تتفق على مشروع واحد.

الجامعة الإسلامية العالمية، منظمة غير حكومية، عاملة حاليًا، طوّرت دورها الدولي على أساس ديني إلى جانب الجامعة العربية ذات الأهداف المختلفة.

اتخذت الجامعة الإسلامية العالمية التي أُسست سنة ١٩٦١ ١٩٦٢ مهمات المساعدة على إنماء الدراسات الدينية الإسلامية ونشر الإسلام بالطرق السلمية، والمساعدة الإنسانية. مقرها في مكة، وتقوم ميزانيتها على هبات خاصة، توفر قسمًا منها المملكة العربية السعودية، وتكملها منظمة المؤتمر الإسلامي التي تأسست سنة ١٩٧٢ بوحى سعودي. تقسم هذه الأخيرة أكثر من أربعين دولة إسلامية، أضيفت إليها مؤخرًا

الجاهلية، يشير هذا التعبير إلى المرحلة الزمنية التي سبقت ظهور الإسلام، في شبه الجزيرة العربية. وهذه المرحلة، في مفهوم مسلمي القرون الأولى، هي العصر الذي لم يتعرّف الناس فيه إلى الدين الصحيح، بل كانوا يتعبدون وثنية. إلا أن ذلك لم يمنع من إعلاء شأن بعض الفضائل، كالشجاعة والإيثار والكرم أو الصياغة. وهذه الفضائل التي تجمعها كلمة المروءة استمرت مقبولة في علم الأخلاق بعد ذلك.

وقد أمكن التعرف إلى قسم كبير من الحياة الجاهلية عن طريق القصائد التي نُظمت في ذلك العصر. وهذه القصائد يمكن أن تكون موضوع شك من

الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى في القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، مفتتحة الطريق عنوة خلال انتصارها في نهاوند في العام ٢١هـ/٦٤٢م.

عرفت هذه المنطقة أربع حواضر مهمة خلال حكم الخلفاء العباسيين، وهي: كرمشاه وهمدان والري - التي كانت تشغل مكاناً قريباً من طهران، عاصمة إيران الحالية - وأصفهان التي كانت لفترة طويلة أهم حاضرة في تلك المنطقة.

مع قيام حكم السلاجقة الكبار، أُهملت تسمية الجبال التي كانت مستعملة في المصور الأولى. ولُصِّدَتْ بها تسمية العراق العجمي. ثم اختضت هذه التسمية كلياً إبان الاجتياح المغولي. وفي الوقت نفسه زالت الوحدة الإدارية لمنطقة منشأة جغرافياً، بينما برزت بعد ذلك منطقتان امتازتا بفرادهما، هما كردستان ولورستان اللتان لا يزال كلٌ منهما يحمل التسمية نفسه إلى الآن.

وبتأثير من تطوّرات تاريخية جرت ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، حصلت تحولات أخرى جعلت كرمشاه وجوارها موضع تجاذب بين الأباطرة العثمانيين والصوفيّة. وبالفعل تمّ التنازل عن المدينة للعثمانيين ما بين ٩٩٨-١٠١١هـ/١٥٩٠-١٦٠٢م، ثمّ من جديد ما بين ١١٣٥-١١٤٢هـ/١٧٢٣-١٧٢٩م. وفي القرن التاسع عشر، وبالرغم من معاناتها ابتزازات عديدة، أصبحت المنطقة، بعد فتح قزاق السويس، محطة ضرورية للتجارة ما بين البلدين، حيث كانت تمرّ بضائع الترانزيت الآتية من الهند وباكستان. كما كان يسلكها الحجاج الإيرانيون المتوجّهون إلى العتبات المقدّسة الشيعية في كربلاء والتنجف في العراق.

◀ راجع المصنفين ١٢ و ١٣.

الجَبَرْتِي، عبد الرحمن بن الحسن (١٧٥٣-١٨٢٥)، مؤرّخ عربي مصري، اهتم بالفترة ما بين نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن التاسع عشر، وخصّها بمصادر وثائقية هامة.

شارك الجبرتي، المتحزب من أسرة حنفية المذهب، كلاً من المرادي الدمشقي والمرتضى الزبيدي المصري

حيث الشكّل، لأنّها حُفِظَتْ ونقلها رواة لاحقون، لكنّ المضمون لا يزال اليوم يعتبر شاهداً على المجتمع العربي في عصر ما قبل الإسلام، حيث كان بدو شبه الجزيرة يتعايشون مع الحضرة المستقرّين في الواحات، أو في سهب أطراف سوديا وما بين النهرين.

وقد وسّع عدد من المؤلّفين من العرب المسلمين مفهوم الجاهلية لتشمل مجمل تاريخ الإنسانية في عهود ما قبل الإسلام. فجعلوا العصر الأوّل يمتدّ من آدم إلى نوح، وأطلقوا اسم «المرحلة الفاصلة» على العصر الممتدّ من السيّد المسيح إلى النبيّ محمد (ﷺ).

جاوّه ← أندونيسيا.

الجَبَانِي، أبو علي محمّد بن عبد الوهاب (٩-٣٠٣هـ/٩-٩١٥م)، مفكّر مشهور من المعتزلة زمن الخلفاء العباسيين. ولد في خوزستان وهو ينتمي إلى مدرسة المعتزلة في البصرة، لكن كانت لديه أفكار خاصة تميّزه عن غيره من المفكرين، أمثال النظام والجاحظ. وقد عمل في التدريس، بعد الرّدة المعادية للمعتزلة التي قام بها الخليفة المتوكل في العام ٢٣٦هـ/٨٥٠م، أي عندما لم تعد أفكاره في خط المذهب الرسمي. تبنّى نظرية الصفات الإلهية المتماثلة للجوهر الإلهي؛ لكنّه سمى، في المقابل، إلى أن يدخل في نظامه فعل الإرادة الإلهية. وبما أنّه كان استأذاً للأشعري، فكان المفكّر المعتزليّ الذي عمل هذا الأخير على دحض تعاليمه الكلامية أكثر ممّا فعل مع سواه.

جبال أو **الجبال**، منطقة من إيران الإسلامية في أوائل القرون الوسطى، تطبق اليوم على الجزء الغربي من الجمهورية الإسلامية الإيرانية الواقع بين الصحراء الوسطى والعراق. هذه المنطقة الجبلية الإستراتيجية التي كانت تحيط بها أفريجيان من الشمال، وخوزستان وفارس من الجنوب، ولم يكن لها أيّة حدود واضحة سوى حدود ميديا القديمة التي، وفق ما ذكره اليونان، كانت تُعَلِّق على سهول بلاد ما بين النهرين. تمرّ بمنطقة الجبال الطريق الوحيدة المؤدية من بغداد إلى الهضبة الإيرانية، أي تلك التي كانت القوافل تسلكها في أثناء توجهها إلى خراسان، والتي سلكتها الجيوش العربية -

تشكل منطلقاً ضد الممالك المسيحية المنخرطة في حرب الاسترداد، ولهذا السبب أطلق عليها اسم «مدينة الفتح» أو «مدينة النصر». هذا الموقع المحصن الذي تعاقبت الأيدي عليه في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر الميلادي حتى سقوطه النهائي في أيدي الفشتانيين الإسبان في العام ١٤٦٢م، والذي نهى، في العام ١٥٤٠م، الفرسان العثماني خير الدين، وقد أحاطه بأسوار جديدة شارل الخامس/شارلوكان، ما زالت آثار دفاعاته القديمة ظاهرة للعيان حتى يومنا.

«راجع الوثيقة ١٩».

جُبَيْل، الجمهورية اللبنانية، أطلق عليها قديماً اسم جبلة. وهي ميناء بحري منذ القرون القديمة، يقع ما بين بيروت وطرابلس، في موقع بيلوس القديمة. احتلها الجيوش العربية-الإسلامية إبان الفتوحات الكبرى في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي. استولت فيها جماعة من الفرس زمن الخليفة معاوية، وعرفت أهمية إستراتيجية في العهد الأموي حيث كانت نابعة لجند دمشق. رابطت فيها حامية حتى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وكانت نابعة آنذاك لإمارة بني عمّار الشيعية في طرابلس.

احتلها الفرنج في العام ٤٩٢هـ/١١٠٣م، وعملوا على تحصينها. وقد استعادها المسلمون في عهد صلاح الدين في العام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ثم تنازلوا عنها مجدداً، إلى أن استعادها السلطان بيبرس في العام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م، لتصبح جزءاً من دولة المماليك المصرية-السورية، ثم جزءاً من الدولة العثمانية في مطلع القرن السادس عشر. واستمر دورها في الانحسار، وأصبحت، رغم ما تختزنه من آثار فرنجية مهمة، قرية قليلة الأهمية، وانتقل نشاطها كميناء إلى مدينة جبنة.

الجدّة الرئيس الخطيب ← ابن مرزوق.

جدّة (الملكة العربية السعودية)، مدينة مرفئية على البحر الأحمر، على مسافة قريبة من مكة المكرمة. وقد عرفت، منذ عهود قديمة، ازدهاراً اقتصادياً وديموغرافياً ملحوظاً.

في سنة ١٩هـ/٦٤٠م، اختار الخليفة الثالث عثمان

في تصنيف معجم لتراجم كبار رجالات القرن الثامن عشر. بيد أن وفاة المرادي، في العام ١٧٩٩، جعلت العبري يفرز، مدفوعاً برغبة شخصية، جمع معلومات خاصة بأعماله، تتعلق بتراجم وأحداث.

شكل كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» حولة ذات قيمة لا تقدر، أُرِخ فيها للأحداث ما بين ١٦٨٨ - ١٨٢١م. تمتاز بفرادتها، لأنها الحولية الوحيدة التي اشتملت على تراجم، وكذلك على معلومات دقيقة تتصل بحملة بوناپرت على مصر، وبداية حكم محمد علي الذي كان العبري شديد القسوة حياله. لذا مُنِعَ كتابه «عجائب الآثار» في بلدته لفترة طويلة، ولم يُطبع بكامله قبل عامي ١٨٧٩ - ١٨٨٠م.

الجَبْرِيتِيَّة، تيار فكري، عرف رواجاً في بداية الإسلام، يؤكّد أن إكراهاً إلهياً أو جبّراً يؤثر على الأعمال البشرية التي يعتبر أنها من صنع الله، بدون أن يكون الإنسان مسؤولاً عنها.

في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، حاربت الفدرية والمعتزلة أتباع الجبرية، بدون أن يُعرف من هم مؤيدو هذا الاتجاه، فيما لوحظ، فيما بعد، أن التقليديين وبخاصة الحنابلة، كانوا من أتباع الجبرية.

جبلة ← جبيل.

جبيل طاروق (جبرلثار)، أرض ومدينة في أسبانيا الجنوبية لم تكن أهميتها الإستراتيجية بالنسبة إلى المسلمين في القرون الوسطى تُنقل عمّا هي عليه بالنسبة إلى البريطانيين في العصر الحديث.

لم يكن هذا المرتفع الصخري في العام ٩٢هـ/٧١١م، في نهاية الفتوحات الكبرى العربية - الإسلامية، نقطة إبحار القائد العسكري من أصل بربري، طارق بن زياد، الذي منحه اسمه، والذي أدخل شبه الجزيرة الأيبيرية في الأمبراطورية الأموية تحت اسم الأندلس فحسب، بل إن قلعة شيدت في هذا الموقع وكانت تؤمّن الدفاع عن مرفئه وخليجه قبالة منطقة الجزيرة البحرية التي كانت تُستخدم بدورها محطة للسفن. لكن، بعد ذلك، اختار الموحدون هذا الموقع، بأمر من عبد المؤمن، لاقامة مدينة محصنة في العام ٥٥٥هـ/١١٦٠م،

وأمام حضور محدّد.

كانت المناظرات تتناول، بشكل عام، موضوعات تتعلق بالعلوم الدينية الأساسية، بما فيها الفقه. لكن نهج المناظرة، الذي أجمع بأساليب التعليم، كان يمتدّ أيضاً إلى ميدان المعارف غير الدينية.

وكانت المناظرات الكلامية - الفقهية تدور في أكثر الأحيان في حضور الحاكم أو ممثله، ووفق قواعد دقيقة: فكان أحد المتناظرين يطرح أسئلة يتوجب على المتناظر الثاني الإجابة عنها؛ وإذا اعتبرت إجابات هذا الأخير غير كافية، اعتبر خاسراً. حدّدت قواعد المناظرة، وهي قواعد تعود في أصولها على ما يبدو إلى المدارس الهلنستية. وبدلاً من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تقريباً، كان التحكيم في المناظرات يتمّ وفق عادات وخلاصات تستلهم المنطق. وهكذا شملت المناظرات كلّ العيادين التي تطغى فيها النقاشات ذات الطابع الفكري كميّدان الفلسفة مثلاً، وكذلك ميادين العلوم كالرياضيات وعلم الفلك والطب. وهناك أيضاً نماذج لمناظرات بين مدافعين عن الإسلام وممثلي ديانات أخرى، كما كانت الحال في عهد العبّاسيين وفي بلاط بعض الإيلخانيين في ما بعد.

الجديدة، (المملكة المغربية) المعروفة قديماً باسم ميزقان (Mazagan)، مدينة مرفئية حديثة على الساحل الأطلسي تمت على موقع تجاري برتغالي محصّن من القرن السادس عشر.

نجد اسم ميزقان عند بعض المؤلّفين في القرون الوسطى وكأنّها اسم قرية صغيرة يقطنها الصيادون. بعد أن استولى البرتغاليون في القرن السادس عشر على موقع قريب منها يدعى أزموور، قرّروا التمرّكز في ميزقان وشيّدوا فيها، في سنة ١٥١٤، قصرأ مرثعاً محصّناً على الزوايا الأربع بأبراج، أحدها برج البرية الذي كان موجوداً سابقاً. ولقد قاومت هذه القلعة، سنة ١٥٦٢، الهجمات التي قام بها ابن السلطان السعدي عبدالله؛ لكنّها عادت وسقطت في يدي محمد بن عبدالله سنة ١٧٦٩، في حين أنّ جدّه القويّ مولاي إسماعيل من سلالة العلويين لم يحاول من قبل استعادتها. ولم تعرف

ابن عفّان جدّة كنقطة انطلاق القوافل باتجاه مكّة، مفضلاً إياها على نقطة أخرى تقع إلى الجنوب. وقد تطوّرت تلك المنطقة، في القرون الوسطى، وأصبحت محطة للتبادل التجاري ومركز استيراد البضائع الوافدة إلى الحجاز من مصر، والهند، وأندونيسيا، والصين. وإليها كان الحجاج يقدون بحرّاً من المناطق الشرقية، وكذلك من المناطق الغربية الإسلامية عبر مصر، عن طريق بعض مرافئها كمرفأ عيذاب. وكان على أولئك الحجاج، في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، أن يدفعوا ضريبة أقّرها شريف مكّة، وقد أمر صلاح الدين لاحقاً بإلغائها. وكما هي الحال في المرافئ كلّها، وُضعت رسوم جمركية على السلع المستوردة. وفي عصر المماليك المصريين، الذين كانوا يسيطرون على المدن المقدّسة الإسلامية، كان السلطان يتقاسم الرسوم مع الشريف.

وكان على جدّة، بعد ذلك، أن تؤمّن لنفسها الحماية من هجمات الأسطول البرتغالي، فبني حولها سنة ١٥١١م. سور منيع. ثم إنّ الحركة التجارية في البحر الأحمر التي أنشأت لها الفتى، واستمرّت قائمة في القرن السادس عشر بفضل حماية العثمانيين، بدأت تضعف في القرن التالي. وفي القرنين التاسع عشر والعشرين تحوّلت المدينة مسرحاً للصراع بين الملوك المسلمين الذين تنازعوا الحجاز. وبعد أن احتلّها الشريف حسين سنة ١٩١٦، وبقيت في يده بضعة سنوات، تحوّلت إلى عاصمة للمملكة العربية السعودية قبل أن تتخلّى عن مكانتها للرياض سنة ١٩٢٥. وقد عرفت على الأخصّ، بعد الحرب العالمية الثانية، تطوّراً مهماً، فأصبحت تشهد حركة بحرية وجوية نشطة، مرتبطة بعملية نقل الحجاج إلى مكّة المكرمة بعدما تكاثرت أعدادهم. وامتدّت جدّة مسافة بعيدة وراء سورها القديم الذي مُدّم سنة ١٩٤٦، وتحوّلت إلى مدينة عصرية غنيّة بالأماكن الخاصة لاستقبال الحجاج.

◀ راجع المستند رقم ٢٥.

الجدل أو المناظرة، ممارسة كانت منتشرة في الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، تقوم على عرض حجج نظريتين متعارضتين، إجمالاً بشكل علني

يمكن تحديده، وهو غير بعيد عن مدينة عُباد قابوس الحديثة. كما دُمِّر في هذه الفترة أيضاً، ميناء أبسكون العائد إلى القرون الوسطى، والذي كان يتركز فيه نشاط المنطقة التجاري بكامله في القرن الرابع للمهجرة/ العاشر للميلاد، وكان من أشهره بحيث عُرف بحر قزوين ببحر أبسكون. لكن شهرة جرجان في القرون الوسطى لم تغب، وإن مدينة أستراباذ الأكثر حداثة، والواقعة على مسافة مئة كلم غربي جرجان القديمة، يشار إليها اليوم باسم كركان أو جُرجان.

جرجس أو مار جرجس، إسم عربي للقديس جاورجيوس، شهيد مسيحي يكرمه المسلمون ويصفونه أحياناً بالتي.

وفق روايات المصنفين المسلمين الذين بأنون على ذكره، فإن القديس جرجس استشهد في الموصل زمن الأسباطور الروماني ديوقلسيانوس، ثم بُعث حياً، بعد إعدامه، مَرَّت ثلاث. بعد ذلك قليل، وفي زمن انتشر فيه «تكريم الأولياء» في الإسلام، امتزجت شخصيته بشخصية الخضر، وكذلك بشخصية الياس، وكان شفيح مزار مهم أضحى مقصد زيارات تقوية. وقد أظهر دليل الهروي أنه كان في الموصل، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر للميلاد، «مشهد» مخصص لـ«التي» جرجس، وكان يُعتبر من بين أماكن الزيارات القوية، واستمرَّ حتى الوقت الحاضر أثراً في موقع كنيسة قديمة، وهو يحظى بتقدير الأتقياء من العامة. ونعلم أيضاً أنَّ هناك ضريحاً لمار جرجس مكرماً منذ زمن بعيد في موقع كنيسة القديس جاورجيوس البيزنطية في اللد.

جزيرة (اسبانيا)، باللغة العربية شَرِيش، مدينة صغيرة من مدن الأندلس الحالية في إقليم قادس، نهضت بدور الموقع الحدودي طوال تاريخ الأندلس، فيها قلعة استُعملت مقراً أميرياً، وهي تُعرف اليوم بـ«الكازار» (القصر). استُخدمت هذه الناحية أولاً لحماية أراضي أمويي الغرب من غزوات النورمان الذين نزلوا على شواطئ الأطلسي المجاورة. ومنذ سقوط خلافة قرطبة، ونظراً إلى قربها من إشبيلية، أصبحت شَرِيش جزءاً من

المدينة الحديثة، التي شيدت في بداية القرن التاسع عشر تحت اسم «الجديدة»، الأزدهار إلا في العصر الحاضر.

جُذام (بنو -)، قبيلة عربية قديمة، تسَلَّت إلى الأراضي البيزنطية قبل الفتوحات الكبرى، ونهضت بدور كبير أيام الخلافة الأموية. هؤلاء البدو الذين كانوا يشغلون، عند ظهور الإسلام، المناطق الحدودية بين سوريا وأنجزيرة العربية، من عُمان إلى نيك، يتحدثون من أصل يعني، مع أنَّ بعض علماء الأنساب ينسبونهم إلى عرب الشمال. وبعد أن تحالف بنو جُذام مع الأمباطور هرقل في معركة اليرموك، فإنهم غيروا مواقعهم وساحموا في استيلاء المسلمين على سوريا، وسكنوا جند فلسطين. وقد شهروا بمساهمتهم في الصراعات القبلية بين فِيس وكلب، وبدعمهم لكلب، وكذلك بمواقفهم الموالية للفرع المرواني من الأمويين.

جرجان أو كُركان، منطقة في إيران في القرون الوسطى. عرفها الجغرافيون العرب، تقع في الجهة الجنوبية الشرقية لبحر قزوين. كانت مدينتها الرئيسة، المندثرة اليوم، تحمل الاسم نفسه. اشتهرت هذه الأرض، التي كانت لا تزال خصبة في جوار السهوب، بموقعها الاستراتيجي والتجاري، ما بين صحراء دهستان، الواقعة اليوم في جمهورية تركمانستان، وطبرستان أو مازندران، وكان يسكنها الحضر.

سُمت جرجان أحياناً، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، إلى دولة الديلم البويهية، على الرغم من أنها كانت، آنذاك، مقراً لسلالة حاكمة محلية هي سلالة الزياريين. خضعت لسلطة الإسلام منذ العام ٧١٦/٨٩٨م، خلال الفتوحات الكبرى، وفي زمن الخلافة الأموية، ونائزت في وقت مبكر، كسائر المناطق الواقعة على السفح الشمالي لجبل الألبز، بالدعوة الشيعية.

أسفر اجتياح المغول لجرجان، ومن قبلهم اجتياح السلاجقة، إلى تقويض ازدهارها لفترة طويلة، وزوال عاصمتها الأولى كركان أو جرجان، وقد تباهت النصوص التي تعود إلى تلك الحقبة بنائها في وسط حداثةا. وحده موقعها، الذي لم يخضع لأيّة حفریات،

نهضة إمارة قُضَّة المستقلة التي استمرت حتى سنة ١١٥٩هـ/١٧٥٤م. وقد سيطر الموحّدون على بلاد الجريد، وأسست بعد ذلك فرينة تتنازعها السلالات المختلفة، مع بقائها في أيدي الأسر الكبيرة التي جهدت كي تحفظ لها بعض الاستقلال، ولا سيما في ظلّ المملكة الحفصية. وانطلاقاً من القرن السادس عشر عمل العثمانيون ثم الحُسينيون على بسط سلطانهم عليها وتأمين جباية الضرائب، وهذا ما اقتضى إرسال الحملات الحربية المكلفة حماية الجباة.

وكان اقتصاد المنطقة يتركز على توازن العيش بين البدو الرُحّل وأهل الحضر، ولكنه بدأ يضعف في العصر الحديث، في ظلّ الحماية الفرنسية وبعد الاستقلال، بسبب تراجع حركة القوافل. ولم يعط العمل الزراعي مداخيل جديدة، على الرغم من المساحات الشاسعة، بسبب سوء توزيع الملكيات. وإذا كانت بلدات معدودة لا تزال تحافظ على بعض الشهرة، ومنها توزر ونقطة، فإن ذلك يرجع إلى ماضيها العريق. فنوزر التي كانت في القرون الوسطى مدينة حقلية تحيط بها الأسوار، تحافظ اليوم على منازل قديمة مزينة بالقرميد، وعلى معالم مسجد جامع بني بين سنتي ٤١٨ و٤٢١هـ/١٢٢٧م. و١٠٣٠م، أصيب إليه بعد قرن محراب مزخرف، وهو يعود إلى عهد بني غانية الذين قدموا من جزر البليّار ومن بجاية، واستطاعوا، إلى حين، أن يستقروا في الجريد وأن يجعلوا توزر عاصمة لهم.

❖ راجع المستند رقم ١٩.

الجزائر، اسم أخذه الأوروبيون من مدينة الجزائر وأطلقوه على القسم الأوسط من المغرب الذي يشكّل اليوم دولة إسلامية مستقلة، هي الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

١ - الجزائر، التي كانت تشمل في الأساس مجمل الأراضي التي احتلتها فرنسا سنة ١٨٣٠، أي الولاية التركية القديمة، تبلغ مساحتها تقريباً ٣٠٠٠٠٠ كلم^٢. وهي عبارة عن شريط ساحلي متوسطي، وراءه قسم جبلي صعب البلوغ، تنقطع فيه سلاسل جبال الأطلس التلي والصحراوي، وهذه الجبال تحصر سهولاً عالية مجبدة. وليس هناك حدود طبيعية تميّز المغرب

إمارة بني عيّاد، لتتبع بعد ذلك مملكة النصرتين في غرناطة. تنازعها المسلمون والمسيحيون في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، إلى أن سقطت نهائياً في أيدي المسيحيين في العام ١٢٦٢هـ/١٢٦٤م، وقاومت منذ ذلك الوقت هجمات المسلمين الذين حاولوا، من دون جدوى، استعادة هذا الموقع الاستراتيجي.

الجرسك ← الشرسك.

جُرْهُم (بنو)، قبيلة قديمة في الجزيرة العربية، عرف اسمها شهرة عند علماء الأنساب والمؤرخين العرب في الفترة الإسلامية. ما نعرفه عن هذه القبيلة أنّها نزحت قديماً من اليمن إلى مكة حيث أدّت دوراً مهماً، قبل الإسلام وبعده، ولكن يصعب تحديده.

الجريد (أو بلاد الجريد، أو بلاد النخيل)، منطقة من القسم الصحراوي في شمالي أفريقيا، عُرفت في القرون الوسطى باسم «قُسْتِيلِيَا»، تقع في الجهة الجنوبية الغربية من جمهورية تونس الحالية، وكان لها في إفريقيا الإسلامية مصير فريد، فعرفت اضطراباً دام طويلاً.

تضمّ تلك المنطقة واحات نقطة وتوزر والحمّة، وتمتدّ أحياناً لتشمل قُصَّة وقابس. وهي منطقة متجهة للتمور، تحدّ سهلاً حليصاً مليحاً وقاحلاً يُعرف اليوم باسم شط الجريد. وقد دخلتها الجيوش العربية الإسلامية مرّة أولى سنة ٢٦٩هـ/٦٤٧م، ومرّة ثانية سنة ٤٤٩هـ/٦٦٩م، بقيادة مقبة بن نافع. وشكّلت بعد ذلك، في العصور التالية، مركز الحركات الانفصالية التي كانت تُشجع نابعاً. إنّ الخوارج الإباضيين الذين أقاموا فيها، على الطريق الوافدة من طرابلس الغرب التي تودّي إلى مملكة الرُشْتَميين في تاهرت، وإلى أماكن تجمع الإباضيين في سُدُرانا (أُوْرُغْلا) ومزاب، خضعوا، منذ القرن الثالث للهجرة/الثاسع للميلاد، لسلطة الأغالية.

وفي القرن الخامس للهجرة (أواسط القرن الحادي عشر للميلاد)، شهدت تلك الواحات ازدهاراً يبيّن، برغم ما عانته من غزوة الهلاليين، وبلغت مستواها الأعلى مع

الإدارية الظاهرية لهذه البلاد العثمانية الواسعة - التي كانت دائمة التعرض للغزوى والانتفاضات والتمزعات -، نذكرنا بأن تنظيمها على هذا الشكل كان يهدف إلى حماية المنطقة الساحلية ومرافقها فحسب. وهذه المنطقة كانت وحدها المهمة في نظر حكم تسيطر عليه أقلية إنكشارية من ضباط الجيش أو فادة السفن الحربية. فأولئك الأشخاص الذين كانوا يعيشون على هامش القبائل ويحققون الثروات من القرصنة البحرية، كانت لهم اليد الطولى في اختيار الديارات، إذ كان هذا الاختيار يتم، في القرن التاسع عشر، بقرار من القوات التركية الموجودة هناك، قبل أن تتم موافقة السلطان العثماني عليه.

فالجزائر البربرية ذات التوجه نحو الأنشطة البحرية أصبحت، ابتداء من هذه المرحلة، واقعا فائما وحقيقة تاريخية. والاحتلال الفرنسي الذي بدأ بسيطرة محدودة وموقفة لمكان بسيط يعيش فيه القرصنة، امتد بعد ذلك إلى الداخل تأمينا للهدوء وتحفيقا لاستعمار. وهذا الاحتلال اتخذ لاحقا حجما إقليميا كاملا، ونبعته ولادة قومية جديدة.

في كانون الثاني (يناير) من العام ١٨٣٠، في عهد الملك شارل العاشر، تم الإستيلاء على مدينة الجزائر بحجة تافهة. وفي عهد الملك لويس فيليب شمل الاحتلال مجمل أنحاء البلاد، وانتهى باستسلام الأمير عبد القادر سنة ١٨٤٧. على أثر ذلك قُسمت البلاد إلى منطقة مذبذبة، تشمل مدن الساحل الكبرى ومناطقها المجاورة حيث أقام المستعمرون الأوائل، ومنطقة عسكرية حُظرت على المستعمرين. وفي سنة ١٨٤٤ أنشئت مكاتب القضايا العربية في المحافظات، لتكون صلة وصل بين الزعماء المحليين الذين حافظوا على مكانتهم والقادة العسكريين الذين يُشرفون على هذه المكاتب. والواقع أن الفرنسيين، خلال القرن التاسع عشر، ترددوا بين سياسة الاستيعاب التي سعى إلى تحقيقها الأوروبيون، وسياسة المملكة العربية التي نادى بها نابليون الثالث، والسياسة البرغماتية التي اتبعتها مكاتب القضايا العربية والتي لم تحظ برضى المستوطنين الأوروبيين. إلا أن الجزائر أصبحت

الأوسط، كما سماه العرب، عن سائر أفريقيا الشمالية. كما أن سببه الداخلية التي يجوبها البدو منذ زمن طويل تتناقض مع أضراره البحرية التي تشكل منطقة زراعية خصبة. ثم إن سكان تلك المنطقة هم خليط من الشعوب، ولا يختلفون في ذلك عن سكان المناطق المجاورة حيث عرفت المجموعات البربرية نفسها تدفق مختلف أنواع الغزاة، ومنهم العرب الذين أدخلوا البلاد ضمن الأباطورية الإسلامية الناشئة، خلال الفتوحات الكبرى في القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد.

هذا الانتماء إلى الإسلام - الذي كان سريعا وفعالا - برغم مقاومة السكان المحليين - كَيْفَ، منذ البداية، أوضاع بلاد لم تكف الشهوات المتلاحقة للحكام المجاورين عن تنازعها خلال القرون الوسطى. فالأغالبه والفاطميون، وبنو زيري، وبنو حفص في إفريقية من جهة، وبنو أمية في قرطبة، والأداسة، والمرايطون، والموحّدون والمريثيون في المغرب من جهة ثانية، بسطوا بالتعاقب نفوذهم على المغرب الأوسط أو صموه إليهم. كما نشب الخلاف والقتال بين القبائل البربرية المتنافسة، كقبائل صنهاجة وكُتامة. أما السلطات المحلية، التي نادوا ما برزت، فقلما تجاوزت نفوذها حدود هذه المقاطعة أو تلك، ومنها الدولة الرستمية الصغيرة التي قامت في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد في تاهرت، بدعم من الخوارج المتمرزين في المنطقة، ودولة عبد الواد في تلمسان التي حكمت بين القرنين السابع والعاشر للهجرة/الثالث عشر والسادس عشر للميلاد.

إلا أن الوضع نبذل مع التوسّع الذي شهدته تلك البلاد منذ القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد. فولاية الجزائر لم تشكل مقاطعة غنية ضمن الأباطورية العثمانية فحسب، بل تحولت، بعد سنة ١٦٧١م، إلى دولة حقيقية يُسّر أمورها الديارات الذين جعلوا مدينة الجزائر عاصمتهم، وتمتعوا باستقلال شبه كامل. والمعروف أن بابايت آخرين كانوا مسؤولين عن ثلاث مقاطعات أخرى، هي المقاطعة الشرقية ومركزها قسنطينة، ومقاطعة تينري ومركزها ميدبا، والمقاطعة الغربية التي شملت مازونا ومسكرة وهران. والوحدة

الجزائري «Manifeste du peuple algérien» ، مطالب فيه بنظام سياسي جديد للجزائر قائم على الفدرالية ؛ وشكّل سنة ١٩٤٤ ، مع العلماء وحزب الشعب الجزائري السري ، تجمع أصدقاء «البيان» والحزبة ، سعيًا إلى إنشاء «جمهورية جزائرية مستقلة متحدة فدراليًا مع جمهورية فرنسية مجددة» . إلا أنّ التظاهرات التي اندلعت في أوّل أيار سنة ١٩٤٥ تحولّت إلى فتنه في منطقة قسنطينة . وفي سنة ١٩٤٧ وضع مجلس النواب الفرنسي نظامًا سياسيًا جديدًا للجزائر ينصّ على قيام مجلس نيابيّ فيها . فانتُخب أعضاء المجلس واستمرّ وجوده حتى سنة ١٩٥٦ ، من دون أن يستطيع القيام بمهامه ، لأنّ تركبه لم يكن يرضي المسلمين ولا الأوروبيين المستوطنين في الجزائر .

في سنة ١٩٥٤ اندلعت الثورة المسلّحة التي كان يحضّر لها منذ فترة . وأظهرت جبهة التحرير الوطنية ، بعدما أعلن عن ولادتها في القاهرة ، رغبتها في الحصول على «الاستقلال عن طريق إعادة بناء الدولة الجزائرية» . واستمرّت حالة الحرب ثماني سنوات ، إلى أن وُقِع اتفاق إقبار في ١٩ آذار (مارس) ١٩٦٢ ، وبموجه اعترفت فرنسا بسيادة الدولة الجزائرية على المقاطعات الجزائرية والصحراوية الخمس عشرة . وعن طريق استفتاء جرى في الأوّل من تموز (يوليو) اختار الجزائريون الاستقلال .

٢ - تبلغ مساحة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية الحالية ٢٣٨١ ٧٤١ كلم^٢ ، وعاصمتها الجزائر . وهي دولة ذات نظام رئاسي ، سكّانها كلّهم تقريبًا مسلمون . إنّها تضمّ المقاطعات الجزائرية عيها والمناطق الصحراوية الواسعة التي كانت تحت السيطرة الفرنسية . إنّ امتلاك هذه المساحات الصحراوية الشاسعة التي كانت تديرها - بعد أن تمّ فرض الأمن فيها - حكومة الجزائر الفرنسية ، يسمح للجمهورية الجزائرية اليوم بأن تكون لها حدود مشتركة ، ليس مع تونس في الشرق ومع المغرب في الغرب وحسب ، بل أيضًا مع ليبيا جنوبًا والنيجر ومالي وموريتانيا ، أي مع مناطق بشكل بعضها جزءًا من الحدود لما كان يُعرف بالسودان القديم والتي تعتبر من أفريقيا المسلمة السوداء . كذلك فإنّ مساحتها

إداريًا ، بموجب دستور ١٩٤٨ ، جزأ لا يتجزأ من الأرض الفرنسية . فسُخِّمت إلى ثلاث مقاطعات . وحدها المناطق العسكرية بقيت في عهدة الجيش ومكاتب القضاة العربية . لكنّ المسلمين استطاعوا ، مع ذلك ، أن يحافظوا على نظام أحوالهم الشخصية من دون أن يتحوّلوا إلى مواطنين فرنسيين .

وقد أدّى سقوط نابليون الثالث إلى إهمال السياسة الامبريالية التي كان أعضاء البرلمان قد تصدّوا لها ، في آذار (مارس) ١٨٧٠ ، عندما رفقوا مشروعًا للدستور يحاول التوفيق بين طموحات المستوطنين ومصالح أبناء البلاد . وبعد نمرّد قام به المستوطنون ، تبعته ثورة إسلامية بدعم من الطريقة الرحمانية سنة ١٨٧١ ، تكثفت محاولات الاستيعاب والدمج . فاشّعت حدود المناطق المدنية وأُعيد زعماء البلاد (١٨٨١) ، وشجّع الاستعمار الرسمي . شهدت الحقبة الممتدة بين سنتي ١٩٠٠ و١٩٣٠ قيام حركة قومية بين المسلمين المتقنين ، عُرفت باسم حركة الشباب الجزائريين ، ولقيت ترحيبًا في بعض الأوساط الفرنسية الليبرالية ، لكنّها سرعان ما انقسمت إلى اتجاهين . حاربت الإدارة المحلية هذه الحركة التي اختارت لقيادتها زعماء أمثال فرحات عباس وبين جلّول . وابتداءً من سنة ١٩٣٠ تكاثرت التظاهرات . ففي سنة ١٩٣١ ، شكّل العلماء ، بقيادة ابن باديس وتوفيق المدني ، جمعية تدعو إلى الإصلاح المستوحى من المفكرين المشاركة ، وتحارب المرابطة مثمّة أتباعها بالموالاة للاستعمار . وقد جعلت هذه الجمعية شعارها : «الإسلام ديننا ، والجزائر وطننا ، والعربية لغتنا» . هؤلاء العلماء الذين فتحوا مدارس خاصّة ، أظهروا العداء لأنصار التغريب من حركة الشباب الجزائريين . وتأسّس في المرحلة نفسها حزب الشعب الجزائري ، بقيادة مصالي الحاج ، فألقي القبض على زعمائه الأساسيين . أمّا حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا فلم تقم بما يحسن الوضع ، لأنّ مشروع سنة ١٩٣٧ المعروف باسم «بلوم-فيوليت» لم يبحث في مجلس النواب .

خلال الحرب العالمية الثانية حاول فرحات عباس القيام بمبادرة : فأصدر ، سنة ١٩٤٣ ، «بيان الشعب

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٩٥، تم انتخاب رئيس جديد للبلاد.

الجزائر (الجمهورية الجزائرية)، مدينة مرفئية في المغرب على المتوسط، بدأت نهضتها وازدهارها في القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد كمركز لولاية عثمانية، ثم تطورت كعاصمة للجزائر الفرنسية قبل أن تصبح، سنة ١٩٦٢، عاصمة دولة جديدة مستقلة.

فوق أرض دخلت الإسلام وتعرّبت جزئياً في عهد الفتوحات الكبرى، أخذت المدينة اسمها من محلة ساحلية تابعة لقبائل صنهاجة البربرية. وقد تأسست في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، على انقاض محطة تجارية فينيقية أصبحت بعد ذلك مركزاً رومانياً، وسط الخليج الذي يحمل اليوم اسمها، وبقية الجزر الصغيرة التي تحيط بها. ولم تكن الجزائر في البداية سوى مرسى متواضع الأهمية، ذلك أنّ السلع المتنوعة كانت تمر عبر الطرق الداخلة للقوافل. إلّا أنّ المرابطين بنوا فيها مسجداً جامعاً في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد.

تطابق تاريخ الجزائر، بعد ذلك، مع تاريخ القراصنة الذين جعلوها مركز نشاطهم، بعدما أقام فيها بخارة أندلسيون قرّوا من حرب الاسترداد الإسبانية. في سنة ١٥٢٩م، وقعت مدينة الجزائر في يد خير الدين باشا بربروس الذي حولها، بعد مواجهة عدد من الصعوبات، إلى مرسى أمين لفراسك البحرية التركية وأصبح، بعد ذلك، قائدها العام، فوضع بين يدي السلطان الإمارة التي أنشأها حول القاعدة البحرية الجديدة. وكانت الأحداث التي أدت إلى هذا الاحتلال العثماني قد تلاحت من قبل بشكل معقد، إذ بذل الإسبان جهدهم للزول في الجزر المحيطة بالمدينة سنة ١٥١٠م وحققوا بعض النجاح. كما حاولوا في سنتي ١٥١٦ و ١٥١٩م أن يسيطروا عليها. وفي سنة ١٥٤١م كانت لهم محاولة جديدة بقيادة شارلكان، بعد أن كان خير الدين قد طردهم من قلعة بينون التي كانوا قد بنوها.

منذ ذلك التاريخ أصبح لمرافئ الجزائر وصف

الداخلية تميز بتباين جغرافي واضح، وباختلاف بين السكان، ويبدو التناقض بارزاً خصوصاً بين الصحراء الحقيقية في الجنوب، ومنطقة شبه جافة تتخللها أقسام خصبة وزراعية. أما المناطق الشمالية فهي مقسمة بدورها بين أقسام ذات مناخ متوسطي، وسهول الهضبات العالية التي يسكنها البربر، وهؤلاء يشكلون اليوم نحو ثلث السكان، وكذلك العرب أو المعزبون وهم أكثر عدداً. تعرف هذه المناطق أيضاً تقسيمات داخلية وصعوبات في المواصلات بسبب التقطع الناتج عن التضاريس.

والعامل الأساسي للوحدة كان يكمن، من قبل، في توجيه إسلامي دقيق لشعب متشتت في أكثرية بالذهب المالكي، وإن وُجدت في «مزاب» بعض الجيوب لاتباع الإباضية، أو انتشرت في البلاد طرق ولدت من الصوفية، أهمها القادرية وفروع متنوعة من الشاذلية. إنّ العوامل التي ساعدت على خلق التلاحم السياسي في منتصف القرن التاسع عشر، عندما كانت القوات الفرنسية تتقدم في سيطرتها على الجزائر، أو في المرحلة الحديثة التي سبقت الاستقلال، تُنتج اليوم مفاعيل أكثر تعقيداً، في بلد يعتبر الإسلام بالثأيد دين الدولة، ولكن هذا الذين يتعايش، منذ سبعين، مع حكم يستوحي بعض مبادئه من الماركسية.

والواقع أنّه انطلاقاً من سنة ١٩٦٢ حكم الجزائر حزب واحد هو جبهة التحرير الوطنية، وهو حزب انبثق من الحركة الوطنية والإشتراكية، ولم يخلُ من المنازعات الداخلية. وبعد بِن بِلَا الذي تسلم الرئاسة من سنة ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٦٥، تعاقب على رئاسة الجمهورية كلٌّ من بومدين (١٩٦٥-١٩٨٣) والشاذلي (١٩٨٣-١٩٩١) الذي استقال سنة ١٩٩١ بعد اضطرابه إلى القيول بتعدد الأحزاب سنة ١٩٨٩ وإلى إجراء انتخابات سيطرت عليها الجبهة الإسلامية للخلاص التي ضمت الناشطين من المسلمين، فتسلّمت السلطة عند ذلك اللجنة العليا المكمّلة بإجراء انتخابات جديدة. والوضع المضطرب الذي سيطر. أتى نتيجة لحدة المشكلات المطروحة والعائدة، من جهة، إلى حيوية الدين الإسلامي في الطبقات الشعبية، ومن جهة ثانية إلى تراكم الصعوبات السياسية والاقتصادية وتداخلها.

الى ضريح في مدينة مراكش حيث ما يزال يُعتبر مزاراً. كتب الجزولي، الفقيه التقليدي، العديد من المؤلفات في التقوى، من بينها ديوان في الدعاء وبحث في «دلائل الخيرات الإلهية» كان موضع تأملات لأتباعه. لم يؤسس مذهباً خاصاً به، لكن مريديه شكّلوا تجمّعات عديدة، من بينها تجمّع الجزولية، وقد ساهمت جميعها بالتجديد الإسلامي في المغرب، في القرنين التاسع والعاشر للهجرة/الخامس عشر والسادس عشر للميلاد. ومن هذه التجمّعات تتحدّر العيساوية.

الجزية، لفظة عربية مستخدمة في القرآن الكريم للدلالة على ضريبة إجمالية مفروضة ك«نمويض»، على غير المسلمين المقيمين في بلاد الإسلام، كونهم أهل ذمّة.

استُخدمت هذه اللفظة، في ما بعد، للدلالة على ضريبة الأتراك التي فُرضت على غير المسلمين، خلافاً للضريبة على الأراضي المعروفة في نظام الضرائب الإسلامي في العصور الأولى، وكانت تحمل اسم الخراج، وكانت تظال بشكل مباشر أراضي البلاد المفتوحة.

ويبدو أنّ مفهوم الجزية لم يُحدّد إلّا في أواخر العصر الأموي، بشكل ظلّ نظرياً وفي ظروف غامضة. فقد كانت تُجبي من الرجال الأحرار والأصحاء، وكانت نسبتها تحدّد وفق ثروة الشخص المعني. في بداية الأمر، كان الرهبان بمصر يُعفون منها، ثمّ ألغي هذا الإعفاء بسرعة. اقتطعت الجزية بطرق مختلفة خلال العصور: ففي بلاد الأناضول مثلاً، وقبل السيطرة العثمانية، كانت الضريبة المفروضة على غير المسلمين تسمّى أحياناً الجزية وأحياناً أخرى الخراج، من دون تمييز واضح بين هذين المفهومين؛ وفي زمن العثمانيين فُرضت ضريبة الأعناق على كل مسيحي، وإذا كان مزارعاً فعلياً أن يدفع ضريبة إضافية تدعى «الإسبنجة»، يدفعها لصاحب التيمار وليس للدولة. أمّا في بلاد الهند الإسلامية، في القرون الوسطى، فإنّ غير المسلمين كانوا من الكثرة بحيث لم تُفرض عليهم الجزية، ولم تظهر إلّا في وقت متأخّر أيام دولة المغول، وبمبادرة من الأميراطور المتشدد أورنج زب، ثمّ ألغيت هذه الضريبة

حقيقي يجمع بين الجزر الصغيرة، وتحميه تحصينات قوية تمتدّ من القصبة إلى جهة البحر، ولم يتوقّف عن النموّ والازدهار بفعل أعمال القرصنة المشهورة. فوفدت إليه شعوب متوسطيّة متنوّعة، وتجاور أتراك الفرق العثمانية مع البربر النازحين من الداخل وبعض المرتدّين عن دينهم الساعين للمغامرة والغنى. فتجلّت المدينة بالأبنية الفخمة التي سكنها أبناء الخاصة والتجار، أصحاب السفن، الذين جمعوا ثرواتهم من بيع حمولات المراكب، بعد الاستيلاء عليها، ومن تجارة الرقيق. وفي سنة ١٦٦٠ شهدت المدينة قيام مسجد جامع جديد بهندسة عثمانية.

في مقابل ذلك تالتت ردات الفعل الأوروبية على أعمال إمارة الجزائر وعلى مهاجمتها المتواصلة للسفن التجارية. وتعرّضت المدينة للقصف من الإسبان والدانماركيين والفرنسيين والإنكليز، بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر، من دون أن يؤدّي ذلك إلى نتائج مهمّة. أمّا الحملة الفرنسية التي أدّت إلى احتلال البلاد، بعد ذلك بسنوات قليلة، فبدأت سنة ١٨٣٠ بإتزال بحريّ في ضواحي الجزائر، وانتهت باستسلام المدينة. وفي ظلّ الاحتلال الفرنسي اتّجهت المدينة نحو الحدادّة السريعة، وعرف المرفأ اتّساعاً ونموّاً أدّى إلى تحوّل الجزائر من مجموعة محصورة داخل سور ثلاثيّ الشكل إلى حاضرة كبيرة ومزدهرة. وقد غدت المدينة مركزاً إداريّاً للمنطقة كلّها، بل جعلت مركزاً لفرنسا الحرّة بين تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ وآب (أغسطس) ١٩٤٤، خلال الحرب العالمية الثانية. وفي سنة ١٩٦٢ أصبحت عاصمة الجمهورية الجزائرية. ◀ راجع المستند رقم ١٩.

الجزولي، أبو عبدالله محمّد بن سليمان ؟-٨٨٧٥/م - ٤٧٠م، متصوّف من المغرب، أصله من مناطق الجنوب حيث اكتسب شهرة واسعة كشخصيّة وعة، ثمّ شهّر باسم سيدي بن سليمان، وكان أحد أولياء مدينة مراكش. وهو من قبيلة جزولة البربرية من منطقة سوس. تابع دراسته في مدينة فاس ومن ثمّ في الشرق، قبل أن يتدرّج في الطريقة الشاذليّة، ويكرّس نفسه للتصوّف ويعود لنشر دعوته في منطقة صافي حيث توفي. تُقلّ جثمانه

غقد واحد؛ وهو يشكّل أنثراً مثيلاً للفضول، إذ إنّ أعمدته تحمل رسوماً لبروج السماء.

خضعت المدينة لمختلف السلالات الكبيرة التي تنازعت المنطقة خلال القرون الوسطى الإسلامية. لكنها تمتعت بشبه استقلالية عندما سيطرت عليها، في القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، عائلتان محليتان إحداهما عائلة المؤرخ ابن الأثير. كما حافظت سيزر أيضاً على نوع من الاستقلالية تحت حكم أمراء أكراد بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر. ولم يحتلها العثمانيون إلا في عام ١٨٣٦، فأفل نجمها بعد دمجها بالأميراطورية، وظلّ هذا الوضع يتفاقم حتى يومنا هذا.

جزيرة العرب ← شبه الجزيرة العربية.

جشنى، هو الخواجه معين الدين حسن السجزي (٥٣٢-٦٣٣هـ/ ١١٤١-١٢٣٦م)، صوفي ورجل نقوى، استقرّ في أواسط عمره في أجمر في الهند حيث نشر الطريقة الصوفيّة الجشنية وحيث أضفى فريجه، في ما بعد، موضع توثيق على غرار أضرحة الأولياء.

ولد معين الدين في سيجستان وغادها طلباً للعلوم الدين، وقد جاب، لسنوات طويلة، مناطق الأميراطورية السلجوقية في بلاد فارس، التي كانت تعاني تفككاً شاملاً، وقد أخذ هناك اتعالم الصوفية عن عدد من الشيوخ المرشدين، ملازمًا إياهم قبل أن ينتقل إلى السند. وهناك، بعد أن قام بزيارة لضريح المهجوري في لاهور، استقرّ في أجمر حيث نشر فكره الديني، في حين كانت سلطة سلاطين دلهي الجدد تترسخ. ويبدو أنّ عقيدته حول وحدة الوجود، فضلاً عن سلوكه الخلق جعلا السكان المحليين، بمن فيهم الهندوس غير المسلمين، يتلقون تعليمه. وقد وُثِرَ أفكاره أتباعه من الطريقة الجشنية التي كان يسمي إليها. إنّ ضريحه في أجمر، الذي أحاطه أحد سلاطين ملوى بحرم في أواخر القرن الخامس عشر، وكرّمه بشكل خاص حكّام السلالة المغولية، ومن بينهم أكبر العظيم، تحوّل جزءاً ذلك إلى أحد مراكز الزيارات الأكثر ارتياداً في شبه القارة الهندية قاطبة.

إثر انتهاء حكمه. في العصر الحديث تمّ التخلي عن الجزيرة في معظم الدول الإسلامية، حيث اقتضت عملية التحديث إجراء تغييرات في النظام الإداري والضريبي التقليدي.

جزيرة، جمعها جزائر، أو شبه جزيرة، مصطلح عربي واسع الاستعمال للدلالة على أسماء المناطق، وقد أطلق أيضاً على أقاليم مهمة.

تشكّلت، انطلاقاً من هذا الاسم، أسماء أماكن عديدة عُرفت بشبه الجزيرة، مثل: شبه الجزيرة العربية أو جزيرة العرب، وشبه الجزيرة الأيبيرية أو جزيرة الأندلس؛ وكذلك أسماء سهول ونجود عديدة، وهي مساحات موجودة إمّا بين نهر ورافده، مثل: «الجزيرة» في جمهورية السودان الواقعة بين النيل الأبيض والنيل الأزرق، أو بين نهرين، كالجزيرة في بلاد ما بين النهرين العليا التي يحيط بها الفرات ودجلة، والمعروفة اليوم باسم «الجزيرة». ونجد العبارة نفسها في بعض الأسماء التي تحتفظ بمفهوم شبه الجزيرة مثل: مدينة «الجزيرة الخضراء» التي تُعرف بالإسبانية باسم «الجزيرة» (Algéiras)، أو بمعنى جزيرة صغيرة في نهر، مثل «جزيرة ابن عمر» التي أصبحت تُعرف بـ «الجزيرة»، أو أيضاً بمعنى جزيرة محاطة بالبحر مثل «الجزر الصغيرة» أو الجزائر، باسم المرفأ الذي يحمل هذا الاسم ويعرف بالفرنسية باسم Alger.

جزيرة ابن عمر بالعربية، سيزر بالتركية، بلدة من القرون الوسطى، تقع في شمال العراق، لكن موقعها الحالي قرب الحدود التركية - السورية أسقطها إلى مرتبة قرية.

كانت سيزر تقوم على جزيرة على نهر دجلة، تمّ وصلها لاحقاً بصفة النهر بتضييق إحدى شعبه. وبحسب التقليد، فإن مؤسس سيزر هو المدعو الحسن بن عمر الذي أعطاهما تسميتها العربية «جزيرة ابن عمر». في البلد كان موقعها مرفأً نهرياً في أساس ازدهارها البين. وفي القرن الثاني عشر كانت سيزر تضمّ جميع المباني التي تميّز بها مدينة إسلامية مزدهرة في تجارتها. ونحو مسافة النهر كان يقوم جسر حجري لم يبق منه اليوم إلا

الميلادي، أصحى قبره في مؤنة مزاراً للمؤمنين، كذلك ورد ذكره في دليل الهروري.

جعفر الصادق، أو «الجدير بالثقة»، ٨١-١٤٨هـ/ ٧٠٠-٧٦٥م، إبن محمد الباقر، وسادس الأئمة العلويين المعترف بهم من قبل أتباع الإمامية الاثني عشرية، بينما يُعتبر الإمام السادس عند الاسماعيليين، وهو مشهود له بعلوم الدين، وله دور مركزي في تطوّر المذهب الشيعي.

بعد وفاته، انفجرت إحدى أكبر الأزمات التي أدت إلى حصول تشعبات في الحركة الشيعية، وبخاصة حين تميّز فرعها الأساسي وانفصلا عن بعضهما، وهما الاسماعيلية والإمامية.

عاش جعفر الصادق حياة هادئة في المدينة، حيث بقي في منأى عن الاضطرابات السياسية، ولم يكن يجاهر أبداً بدوره كقائد للعلويين، وهو دور شغلته إبان «الثورة العباسية» واستلاء العباسيين على السلطة. لم يطالب جعفر الصادق بالخلافة التي أضعافها العلويون مؤنة أخرى، ولم يلجأ إلى العنف، كما لم يشارك في الثورات السابقة، قبل أن يرفض مقترحات أبي سلمة (الخلال)؛ كما بقي أيضاً بعيداً عن ثورة محمد النفس الزكية. لذا لم يتعرّض مضايقة الخليفة المنصور. بعد وفاته في المدينة، اتخذ أتباعه المباشرون اتجاهات عدّة قدّرها الاستمرار داخل المذهب الشيعي: اعتبره بعض منهم الإمام المهدي، بينما أعلن بعضهم الآخر ولاءه لإبنه البكر إسماعيل الذي كان قد أعلنه وريثاً له، لكنه توفي قبل والده.

وأخيراً التحق معظم أتباع جعفر الصادق بابن آخر له من أم جارية، يدعى موسى الكاظم. أصبح هذا الأخير الإمام السابع عند الاثني عشرية، لكنّ الاسماعيليين يابعدوا ابن إسماعيل المدعو محمد.

كان الإمام جعفر الصادق مرجعاً في الحديث والفقه، فعدّدت أهميته المجال الشيعي الخاص إلى مجالات أكثر اشباعاً، ونُسب إليه العديد من المصنفات الخاصة بعلم الغيب المرتبط بسلطة النبوة التي كان يقتخر بها الأئمة. وشهر، بفعل تعاليمه التي كان ينشرها من حوثة، بالحكمة، ما جعل تأثيره الفكري يطاول

الجشنيّة، طريقة صوفية إسلامية، استمدت اسمها من بلدة جشنا في ولاية هراة حيث أقام مؤسسها أبو إسحق المتحدّر من أصل سوري. إلا أنّها عرفت ازدهارها المميّز بعد تجرّدها في الهند.

يعود الفضل في تنامي هذه الطريقة في الهند إلى جهد الخواجه معين الدين الجشني، انطلاقاً من مدينة أجمر الهندية حيث كان قد استقرّ في أواخر القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. ومنها انتشرت أنوار المتصوفة الذين بلغت أنشطتهم المناطق المجاورة بتأسيسهم خواتم جديدة، فذاع صيت نقواهم الفريد، أمثال حميد الدين الصوفي، وقطب الدين بختيار كاكبي، وفريد الدين مسعود المعروف بـ«كنج شكره»، ونظام الدين أؤلياء. إنّ بحثهم عن النشوة الروحية من خلال ممارسات انجذاب ذي نزعة حلولية، ومن خلال الموسيقى أو الشعر، توافق مع ممارسة تفشيفية متأثرة ببعض أساليب اليوغا.

بعد انقضاء عهد الشيوخ العظام، الأول الذين أخذوا بنهج الاستقلال عن السلطة الزمنية، قامت علاقات جديدة بين المتصوفة الجشنيين والعوالم المحليين المسلمين فأثّر الجشنيون لهؤلاء العظام الديني، وأقادوا في الوقت نفسه من هباتهم ونعمهم. وأبرز مثل على ذلك، خلال العهد المغولي، موقف الأمبراطور الشهير أكبر من سليم الجشني.

واكب الانتشار المتزايد للطريقة نشوء فروع محلية، برز من بينها، بصورة خاصة، الصابرية والنظامية. واستمر نشاط الجشنيّة وتأثيرها حتى القرن العشرين، إذ ظلّت شعبية وفاعلة من خلال حركات مثل التي عرفتها مدينة ديوبند.

جعفر بن أبي طالب، إبن عم النبي محمد (ﷺ) والأخ الأكبر لعلي. يُعتبر من صحابة الرسول الذين استشهدوا في سبيل الإسلام، يُحيى الشيعة ذكره. كان جعفر من أوائل الذين اعتنقوا الإسلام. هاجر إلى الحبشة، وحظي هو وصحبه بحماية النجاشي، بعد أن قرأوا عليه بعضاً من آيات القرآن. وعند عودته من الحبشة إلى الحجاز، شارك جعفر في غزوة مؤتة سنة ٦٢٩م حيث قُتل. في القرن السادس الهجري/الثاني عشر

أعدت لكتاب إدارة الخلافة المركزية، تلور حول وصف الطرقات والمناطق، والمدن في الأمبراطورية، تصحبها لوائح بمحطات مسار القوافل. وأهم مثال على هذه الأعمال مصنف الإيراني ابن خردادبة أو خورذبه في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. لكن يمكننا ذكر مؤلفات اليعقوبي، ومؤلفات قدامة الذي يشكل كتابه حول الخراج واحدًا من مجموعة في هذا الموضوع، وكذلك ابن رسته الذي ركّز اهتمامه على مناطق أكثر اتساعًا.

في هذا التوجّه، تندرج مؤلفات البلخي (المتوفى في العام ٨٣٢٢/٩٣٤م). انصرفت مؤلفات متأخرة إلى تقديم مشاهدات مفصلة عن مختلف مقاطعات الأمبراطورية، مع التركيز على ذكر العقائد التي اعتنقتها الشعوب المختلفة، وكذلك الموارد الاقتصادية لكل ناحية. وندين بهذا لابن حوقل البغدادي الذي جمع ذكرياته عام ٨٣٨٧/٩٩٧م بعدما جاب العالم، وكذلك المقدسي المتوفى عام ٨٣٩٠/١٠٠٠م. يضاف إلى هذه المؤلفات حول الجغرافيا البشرية لتلك الفترة، في ما خصّ الغرب الإسلامي، أعمال البكري الأندلسي وكتاب الإدريسي الشهير الذي جاء نتيجة لرغبات مجتمع مختلف في صقلية التي استعادها النورمان، مع حرص على تجاوز حدود العالم الإسلامي يومئذ.

الاتجاه الثاني للأدب الجغرافي (أدب الرحلات) يتجلى في مجموعات من الروايات مشوبة بالخوارق، رواها ودونها كتاب يهدفون إلى تسليّة قرائهم. ومجانها مؤلفات ابن الفقيه الذي كتب في العام ٨٢٨٧/٩٩٠م، ومؤلفات المسعودي الكاتب الذي كان يعتبر الجغرافيا في خضمّ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، جزءًا من التاريخ. لكن ظهرت آنذاك أيضًا روايات سردية عن رحلات إلى البلدان البعيدة، مثل رواية التاجر سليمان (حوالي العام ٨٢١٥/٨٣٠م)، الذي أورد معلومات عن الهند والشرق الأقصى، أو رواية بُزْرُك (المتوفى حوالي العام ٨٣٩٠/١٠٠٠م) بعنوان «جانب الهند». وفي الاتجاه نفسه تجري أخبار الرحلات التي تزوي أخبار الحج، مودة أوصافًا مفصلة وحيّة للبلدان التي اجتازها

أناسًا من ميول مختلفة، ومنهم عدد من مؤسسي المذاهب الفقهية، كأبي حنيفة، ومالك بن أنس، وبعض الفلاسفة والعلماء، كواصل بن عطاء، أحد رواد الاعتزال، والخيميائي الشهير جابر بن حيان.

ومع ذلك، يبقى من الصعوبة بمكان التعرف بدقة إلى عقيدة جعفر الصادق، سواء في علم الكلام حيث نزاهه يميل إلى التفسيرات التجسيمية (إطلاق الصفات البشرية على الله)، أو في مادة الفقه حيث يُعتبر مؤسسًا لمذهب الإمامية الشيعية المعروفة بـ«الجعفرية».

الجعفري (المذهب -) ← جعفر الصادق.

الجَعْفَرِيُّونَ ٦٢٤-٧٧٢هـ/١٢٢٧-١٣٧٠م. إسم سلالة مغولية، تعود بأصلها إلى جنكيزخان، حكمت بلاد ما وراء النهر وتركستان ولم تتأثر بالإسلام إلا بمقدار يسير. وترجع تسميتها إلى «جغتاي» أو «چغتاي» الذي وُرد عن والده جنكيزخان خاتمة منطقة السهوب التي تمتد من حوض نهر «طارم» إلى بخارى وإلى نهر «أكس/أمودريا». إلا أنّ تلك الأسرة لم تحكم إلا بالاسم، ذلك أنّ الصراع كان قائمًا حولها داخل الأوساط المغولية التي ظلت متأثرة بحياة البداوة، كما لعبت ضدها قوّة الخانات الكبار، وقوّة الإيلخانيين سياد إيران. وإذا كانت مناطق إسلامية قد خضعت مدة لسيطرتها، ومنها خوارزم، فإنّ أسياك تلك الأسرة رفضوا الإسلام الذي، رغم ذلك، انتشر خلال القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، في تلك المنطقة حيث برزت فيها بعد ذلك قوّة تيمورلنك المتنامية.

الجغرافيا أو صورة الأرض، علم ونوع أدبي محبّب

إلى الكتاب المسلمين في القرون الوسطى، منذ العصر الذهبي للأمبراطورية العباسية حتّى آخر المؤلفات العثمانية ذات الطابع التقليدي. إنّ الجغرافيا القروسطية - التي تدين لها بمعطيات ثينة حول وضع العالم الإسلامي القديم - كانت جزءًا من إرث العصور القديمة، كما أنّها تعكس أوضاعًا خاصة بالأوساط الإسلامية التي عرفها الغرب المسيحي لاحقًا. يمكن تمييز ثلاثة اتجاهات كبيرة، في إطار هذا العلم، ولكونها قد تختلف أحيانًا: الاتجاه الأول رسائل

نامه، التي تركها المؤلف كاتب شلي، وكذلك «كتاب الرحلات» أو «سيا حتنامه» الذي حرره إؤليا شلي الذي لم ينفك عن زيارة مقاطعات الإمبراطورية ما بين ١٦٣١ و١٦٧٠.

من جهة أخرى، بفضل تقدم التقنيات الضرورية لرسم خرائط عن العالم والمقاطعات، كان العلماء المسلمون يمارسون هذا الفن في نطاق علم الفلك. وقد طوّروها بتأثير التضاليد اليونانية والهندية المتجذرة في الأوساط الإسلامية، وبوجه خاص بفضل تشجيع الخليفة العباسي المأمون وعمل المترجمين الذين تجسّموا في بيت الحكمة الذي أنشأه هذا الخليفة. وهكذا بتبين، مثلاً، في إنجازات قروضية من هذا النوع، استخدام معطيات مستقاة من أقدم الرسوم للعالم كان بطليموس قد قام بها، ولكن الجغرافيين المسلمين حدّثوها بالرجوع إلى مشاهداتهم وإلى حسابات فلكية متطورة. كما نجد في المؤلفات التي تركها الجغرافيون في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي خرائط سياسية لمختلف المقاطعات، توقّفت بدقة معلوماتها، وُضعت في سياق تمجيد الإمبراطورية الإسلامية. أخيراً، انطلاقاً من جهود البيروني فقد حسّنت نظريات جديدة المعطيات المدوّنة ووقّرت أسساً متينة في تقديم رسوم للعالم، على سبيل المثال، كما عرّفته «الكوسموغرافيا» الإبرانية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، وفي رسم الخرائط البحرية المستخدمة آنذاك في الملاحة داخل المحيط الهندي، وهي خرائط عمليّة ومفصلة. يقال إنّ ابن ماجد قد وفّر واحدة من هذه الخرائط للبرتغالي الشهير فاسكو دو غاما. وقد استخدم الأساليب الرياضية فيها البحارة العثمانيون الذين كانوا على علاقة بالبحارة الغربيين، وقد واجه هؤلاء العقبان وعرفوا النجاح في اكتشافاتهم الجغرافية الكبرى، وقد أغنوا بفضلها خارطة العالم الشهيرة التي قدّمت إلى السلطان سليم الأول بعد أن أنجزها پيري ريس، في العام ١٥١٣.

الجغرف، لفظ تقني عربي يُقصد به أشكال متعدّدة من العلوم والممارسات التي لها علاقة بعلم الغيب وقد عرفت ازدهاراً مطرداً في العالم الإسلامي القروسطي، حيث كانت تسيطر، جزئياً، النزعة الباطنية.

المؤلّفون. وأشهرها رحلة ابن جبیر، الحاجّ الأندلسي الأصل، الذي خلّف لوحة حقيقة عن الشرق الإسلامي حوالي نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي؛ في حين أنّ الشرق الإسلامي في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، امتدّاداً إلى المناطق الشامية جدّاً، في أفريقيا السوداء وفي أندونيسيا، ينراى لنا من خلال رحلات المغربي ابن بطوطة.

أخيراً، الاتجاه الثالث يتجلى في الجهود العلمية ذات التوجّه الكونيّ التي بدأت مع أعمال الجغرافي اليوناني بطليموس، والتي أغناها وحقّق فيها وأكملها، على مرّ العصور، علماء الفلك العرب. وتتضمّن أعمال البيروني أكمل المعلومات في هذا الموضوع، إلى جانب معلومات وصفية عن الهند حيث أقام الكاتب. إنشدها من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، اتخذت الكتابات الجغرافية في الأوساط الإسلامية طابعاً موسوعياً مع بقائها وفيّة للاهتمامات المذكورة. وجهدت المعاجم في توفير معلومات عامة، وأكملها معجم باقوت. في حين توجّهت مسارات أخرى إلى تأمين معلومات أكثر اختصاصاً، مثل دليل الهروي، السوري الأصل، الذي خصّه بمراكز العبادة وأمكنة الزيارات النوقية. وتكاثرت روايات الرحلات، لكنّها كانت منمّعة بالبلاغة الكلامية. أمّا الأعمال المتعلقة بالكوسموغرافيا أو علم الكونيات فكانت أشدّ دقّة، في حين جرت محاولات طبوغرافية إقليمية اهتمت بتاريخ البلدان، والمثل الأوضح عليها أعمال ابن شداد. أمّا الملاحة فقد اهتمت بدراسات تناولتها، منها دراسة ابن ماجد التي تعود إلى نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، وقد عرفت هذه الدراسات شهرة خاصة. وإلى جانب المعطيات العلمية، نجد فيها ملاحظات ذات منفعة كبرى، وبخاصة في ما يتعلّق بالشواطئ. ويتّبع إلى هذه الفئة، في عهد العثمانيين، مؤلّف مرموق عن الملاحة بقلم الأميرال پيري ريس (Piri Reis)، يصف فيه شواطئ البحر المتوسط. إلّا أنّ المعلومات المخصّصة للملاحين لم تكن الشاهد الوحيد، في الوسط العثماني، على الفضول الذي ولّد، في القرن السابع عشر، موسوعة بعنوان «لمحة عن العالم» أو «جهان

جلال الدين الرومي ابن بهاء الدين سلطان العلماء ولد بن الحسين بن أحمد المعروف بمولانا، ٦٠٤-٦٧٢هـ/١٢٠٧-١٢٧٣م، متصوف مؤسس المذهب الصوفي الشهير المعروف بالمولوية، ومؤلف أشعار صوفية بالفارسية. أصبح جلال الدين الرومي ولياً لمدينة قونية حيث يوجد قبره.

وُلد في بلخ، في خراسان، في عائلة من الدعاة. غادر إيران في صغره، على أثر خلاف وقع بين والده وأحد الأمراء الخوارزمشاهيين الذي كان يحتضن فخر الدين الرازي. التحق بأهله في بلاد سلاجقة الروم في آق شهر أولاً، ثم في أرزنكان ولارندة (قزمان)، ليستقر في قونية، ملتحقاً بالوالد الذي قدم إلى المدينة تلبية لطلب السلطان (السلجوقي) كَيْقْبَاد الأول، وتوفي فيها سنة ٦٧٨هـ/١٢٣١م.

أقام جلال الدين في قونية، ولم يتأخرها إلا لطلب العلم في سوريا. بعد أن أتم دراسته على عدد من الصوفيين، عرف، بعد لقائه بشمس الدين التبريزي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، حالات من الانشء، عبر عنها شعراً بمقطوعات عشقية، وبخاصة في غزليات ديوانه وفي مؤلفاته التعليمية المعروفة باسم «السنوي»، وقد عبّر بها عمّا يعتبره المعنى الحقيقي والخفي للقرآن الكريم، وانكب على التعبير بواسطة الرقص عن تقواه وعن انفعالاته العشقية. خلفه أحد تلامذته، ومن ثم ابنه سلطان وُلد الذي وضع التنظيم النهائي لمذهب والده الصوفي، لاحقاً فرادته، عبر تأكيد المظاهر الجمالية والانفعالية التي يحصل عليها من يسعى إلى النشوة، وذلك بسماع الموسيقى، وخاصة بالرقص الاحتفالي المنتظم الذي لا يزال يمارسه أتباع هذا المذهب الصوفي إلى الآن.

لم تُدرس مؤلفات جلال الدين بدقة وتمتق، لكن يُستنتج منها أنّ جلال الدين لا يؤمن بوحدة الوجود التي قال بها العديد من متصوفة زمانه. من وجهة نظره، تتأكد كينونة الله المتعالية بالنسبة إلى الواقع الذي ينظم في أربعة أمور: «العدم»، و«الانحطاف»، و«الوجود» و«الحواس». إنّ العالم، في نظره، قد تكوّن تدريجياً، وإنّ الإنسان لا يتكوّن من جسد ونفس وحسب، بل من روح أيضاً، وحتى من روح «خالدة»

في البداية كان الجفر عبارة عن مجموعة من النبوءات والأدب الرؤيوي الذي ظهر في القرنين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد في الأوساط الشيعية في العراق، في زمن العبّاسيين، ما أفسح المجال أمام ظهور تفسيرات للقرآن تختلف عن تفسيرات أهل السنة التقليدية. واعتُمدت لفظة الجفر في ما بعد في مختلف الدراسات المتصلة بالنبوءة للمستقبل، المرتكزة بخاصة على «علم أحرف الأجدية» وعلى قيمتها العددية المحسنة وفق أنظمة عديدة، ارتبط رواجها بتطور علم التصوف والفكر الصوفي المتأثر بميول إبتدائية ومولعة برموز ذات معاني خفية.

الجلالريون ٧٣٦-٨٣٥هـ/١٣٣٦-١٤٣٢، هم سلالة من أصل مغولي قامت دولتهم على أنقاض دولة الإيلخانيين وقد حاولوا، لفترة من الزمن، السيطرة على العراق وعلى طرق القوافل فيه باتخاذهم بغداد عاصمةً لهم. أسس هذه الدولة حسن بُزُرك، وكان حاكماً برزت طموحاته في ظل حكم الإيلخانيين. استغلّ الجلالريون تهاوياً عن الإيلخانيين في عهد أويس الأول بن حسن بزرگ، وسيطروا على بغداد وأذربيجان، وكانوا دائماً على عداء مع الأمراء المجاورين لهم، وبخاصة مع الفراقيونلو. وقد تأثروا بالاجتياح الذي قام به تيمورلنك، عندما تمكن هذا الأخير من الانتصار على آل مظفر حكام فارس. إنّ عبّر الجلالريين عن السيطرة على تبريز، المركز التجاري الحيوي في الشرق، أدى إلى تراجعهم وانكفائهم نهائياً عن بغداد سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م. لقد خلّفت هذه السلالة - التي بدأت شهرتها تتألق كحامية للأدب والفنون في بلاط قصده الرسامون والشعراء، ونظّرت فيه فنون الكتاب والمنمنمات، والتي شيدت في بغداد مسجد المرحان وخاناً - بعض الأمراء الضعفاء في العراق الأسفل، الذين استمروا كأتباع للتيموريين قبل مقتل آخرهم في الحلة، عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، على أيدي الفراقيونلو.

الأمراء الجلالريون حكام بغداد:

تاج الدين حسن بُزُرك ٧٣٦-٧٧٧هـ/١٣٣٦-١٣٥٦م
أويس الأول ٧٧٦-٨١٥هـ/١٣٧٦-١٣٧٤م
جلال الدين حسين الأول ٧٧٦-٨١٤هـ/١٣٧٤-١٣٨٢م

بعز بواسطتها الوحي ويتميز بها الولي والشي.

جَمْ (٨٦٣-٩٠٠هـ/١٤٥٩-١٤٩٥م)، أمير من الأسرة العثمانية، أصبح مشهوراً في الوسط الأوروبي بفعل السنوات الطويلة التي أمضاها مسجوناً في الغرب المسيحي.

وجم هو الابن الثاني للسلطان محمد الثاني، وقد رفض، سنة ١٤٨١م، الاعتراف بأخيه بايزيد الثاني سلطاناً، وعبثاً حاول محاربته، فاضطر إلى اللجوء إلى مصر حيث المماليك. مع ذلك لم يتخل عن فكرة الحصول على قسم من الأباطورية، ومن أجل الانتقال إلى «الروثلي» بحرًا، عقد اتفاقاً مع المعلم الأكبر لفرسان القديس يوحنا في رودس. وما إن وصل إلى رودس سنة ١٤٨٢م، حتى احتفظ به المعلم سجيناً، ثم أرسله إلى فرنسا. بقي فيها من سنة ١٤٨٢ حتى سنة ١٤٨٩ رهينة ثمينة. والفرسان الذين نالوا مكافأة من الباب العالي مقابل احتجازه فرروا، سنة ١٤٨٩، بالاتفاق مع البابا إيوانيس الثامن، نقله إلى روما. غير أن ملك فرنسا قام بحملة على إيطاليا سنة ١٤٩٤، ونقل جم معه إلى نابولي حيث توفي في ظروف غامضة في شيباط (فبراير) سنة ١٤٩٥.

جَمْ أو فيروزكوه، موقع أثري مدثر في وادي خري زُود، عند ملتقى إستراتيجي لطرق جبلية حيث أدى اكتشاف مئذنة من القرميد، من القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، شُيِّدت باسم أقوى حكام الدولة الغورية، إلى تحديد موقع الحاضرة فيروزكوه الذي لم يكن يُعرف إلى ذلك الحين. فقرة جم - التي كان يُعتبر بلوغها حتى استندعت أهمية هذا الاكتشاف شق طريق سالكة توصل إليها - مبنية بجوار موقع محصن من القرون الوسطى، هو اليوم مهجور، كان أسبأب منطقة الغور يلجأون إليه عندما يشعرون بالخطر. حمى هذا الحصن، المشيد بخشونة، السلطة السياسية والعسكرية لأبناء السلالة الغورية الذين عُرفوا بطموحاتهم، وبخاصة بعد انتصارهم على الغزنويين.

بلغت سلطة الخوريين أوجها خلال حكم غياث الدين محمد بن شام، ٥٥٨-٥٩٩هـ/١١٦٣-١٢٠٣م، الذي اعتمد على أخيه معز الدين محمد، قانع مدينة

لاهور. أما غياث الدين فتحرّك في الاتجاه المعاكس قاصداً السيطرة على إيران، وأراد أن يجعل من موقعه المحصن الذي نشِيت به مقعراً للحكم مدينةً جديدةً بعظمة الأباطورية المستحدثة ورخائها العابر. هكذا نفهم صلابه بناء هذه المئذنة وروعة زخرفتها، وهي ما تزال قائمة منعزلة في مكان هو اليوم غير أهل حيث تشهد بقايا الخزف وحدها على آثار الأبنية الأخرى التي شُيِّدت فيه، منها، بصورة خاصة، القصر والمسجد الجامع المواجه له، حيث تُمكننا التفاصيل الواردة في المصادر المكتوبة من تحديد موقع الواحد منها بالنسبة إلى الآخر. يعتمد التزيين على تناغم موزاييك القرميد ذي الزخرفة المعقدة التي يزيد من جمالها استخدام الخزف الأزرق في بعض الأماكن، حيث تمجد العبارات الدينية والتاريخية المنقوشة عليها عظمة غياث الدين. تشكّل هذه المئذنة عملاً نادراً تزداد أهميته لكونه بقي متيناً لمعصود عديدة، ولوقوعه ضمن سلسلة من المآذن - الأبراج ذات الطبقات المتعددة، التي تعود إلى القرون الوسطى في المناطق الشرقية من العالم الإسلامي في أيام العباسيين، والتي ما تزال ثلاث منها قائمة إلى الآن في دلهي وغزنة.

➤ راجع المستد رقم ١٧.

جمال الدين المعروف بالأفغاني، ١٨٣٩-١٨٩٧، منكر مسلم وناشط سياسي من نهاية القرن التاسع عشر، غالباً ما يُعتبر في أساس الحركة المعروفة في الإسلام بالاصلاح.

عُرف جمال الدين بثقافته، وكان كثير التجوال والأسفار. تدخل في المشكلات التي عرفها عدد من البلدان الإسلامية الشرقية في عصره. وبالرغم من أنه اختار أن يدعى «الأفغاني»، نسبة إلى أفغانستان، فإنه وُلد في إيران في منطقة همدان، وادّعى أنه أفغاني ليتخلص من ملاحقة الشرطة الإيرانية. تتحدّر أسرته من سلالة الحسين، ما سمح له بأن يحمل لقب السيد. ومن المحتمل أن يكون تعاطفه مع الشيعة هو ما يُفسّر جزئياً اهتمامه بالفلسفة. درس في كابول، ودخل لفترة في خدمة ملك أفغانستان. وعند وفاة هذا الأخير قصد جمال الدين بلاد الهند، لكن السلطات البريطانية منعه من

تصنيفهم المنتظم للعلوم الحديثة، مثبراً إلى أهمية التربية، مادحاً الفلسفة التي يرى ضرورة فهمها، داعياً إلى وحدة اللغة كونها وسيلة الشعب الوحيدة للدفاع عن هويته.

في بداية العام ١٨٨٣ سافر جمال الدين إلى لندن، ومنها إلى باريس حيث أسس، مع محمد عبده، المجلة العربية «العروة الوثقى»، وهي عبارة مأخوذة من القرآن الكريم، وتشير إلى إيمان المؤمن. ظهرت هذه المجلة ما بين شهري آذار وتشيرين الأول من العام ١٨٨٤ لكي توزع في بلاد الشرق، لكنها ما لبثت أن توقفت بسبب منع السلطات البريطانية توزيعها في مصر والهند. وكان لأعدادها القليلة التي نُشرت صدى كبير، كونها تضمنت البرنامج الإصلاحية لتلك الفترة والعنقل بما يلي: رفض القضاء والقدر، الدعوة للعمل والثقافة، انتقاد التدخل الأوروبي، انتقاد الاستبداد، الدفاع عن النظام البرلماني. وخلال إقامة جمال الدين الأفغاني في باريس سُنحت له أيضاً الفرصة لدرء، في «جريدة المناقشات» (Journal des débats)، على محاضرة ألفها أرست رينان (Ernest Renan) حول «الإسلام والعلم»، محاولاً إثبات أن الإسلام لا يتعارض والعلم، وأنه، على العكس من ذلك، شجّع العلم والتعلم في القرون الوسطى، مستخدماً حججاً عقلانية يمكن أن تصفه في مصاف العقلانيين. إلا أن النص العربي الأصلي لردّه لم يُعثر عليه أبداً ولم يُنشر. بدءاً من العام ١٨٨٥، تابع جمال الدين نشاطه السياسي، بينما عاد محمد عبده إلى بيروت. كانت حياة جمال الدين غير المستقرة محكومة بعلاقته مع الشاه في إيران التي كانت لا تزال تحت حكم سلالة القاجار. فخلال أسفاره العديدة، وبخاصة إلى روسيا، تلقى دعوة من شاه إيران، فكانت مناسبة إقامته الأولى في إيران، ثم تلتها إقامة ثانية بعد فترة تمكن خلالها من تقديم برنامج الإصلاح القضائي لم يلق استحساناً لدى أوساط الشاه، فرأى أن يتخذ جانب الحذر باللجوء إلى مزار قريب من طهران، حيث أقام مدة سبعة أشهر مع بعض مريديه، ثم اختطف، بأمر من الشاه، واقتيد إلى الحدود الإيرانية-التركية في مطلع العام ١٨٩١.

لإقامة فيها، ما يدل على أنه كانت له، منذ ذلك الحين، نشطة سياسية غير معروفة.

انتقل جمال الدين من القاهرة إلى اسطنبول، حيث لقي، عام ١٨٧٠، في مناسبة افتتاح جامعة من طراز أوروبي، عُرفت بدار الفنون، محاضرات سببت له الكثير من الانتقاد من قبل رجال الدين. لقد أراد لأفغاني في محاضراته أن يؤكد استحالة قيام المجتمع دون مهن مختلفة ومميّزة تنظم وفق ترابعية هرمية معينة يتّوج منصب النبي قمّتها، فأثّم بالإلحاد والعقلانية بينما كان، في الواقع، يستلهم بعض الفلاسفة المسلمين لتقليديين. فرأى أن من الحكمة - وهو الذي كانت تراوده أفكار لتوحيد العالم الإسلامي، كان عرضها على لسلطات العثمانية - أن يغادر اسطنبول عام ١٨٧١ ويعود من جديد إلى القاهرة حيث استقر لبعض الوقت محاطاً بتلاميذه، ومنهم أحد المصلحين اللاحقين، محمد تقيّه، وأحد السياسيين اللاحقين، سعد زغلول. حتّى جمال الدين أتباعه على تأسيس صحف والانطلاق بنضال يهدف بخاصة إلى محاربة التدخل البريطاني وإقامة حكم برلماني، مشجعاً إنشاء العديد من المجلات والصحف ليومية، منها، على سبيل المثال، مجلة «مصر» لأديب سق.

في هذه الفترة اعتنق الأفغاني الماسونية، الناشئة آنذاك في مدن الشرق الكبرى، ثم ما لبث أن ترك الماسونية الاسكتلندية ليؤسس محفلاً مرتبطاً بمحفل لشرق الكبير الفرنسي، داعياً إلى التوحيّة المصرية، فأثار تصرفه هذا حفيظة الإنكليز الذين طردوه من مصر في أيلول عام ١٨٧٩، فانتقل إلى حيدر أباد في الهند، ريفها كتب، بالفارسية، نقده الشهير للمادية، نمني به رسالته «إبطال مذهب الدهريين»، معتبراً أن المادية الملحدة، بمختلف أشكالها، هي السبب في انحطاط لمجتمعات، وأن الدين، وبخاصة الدين الإسلامي - وهو عنده أفضل الأديان - قادر على توفير القوة للدول. عرف هذا النقد الذي نُقل إلى العربية شهرة واسعة في الشرق الأدنى، وكان موجهاً ضدّ الحداثة العقلانية التي دعا إليها أحمد خان. في الوقت نفسه، انتقد الأفغاني، في العديد من مقالاته، علماء الهند الذين أخذ عليهم

إشارتهم إلى علاقاته بالأوساط المتعزبة المعادية للدين يبقى أن الأفغاني يُعتبر من قبل الكثيرين شخصاً غامضاً. كان عمله سياسياً في الدرجة الأولى، مر الصعب التكهّن بحقيقة فاعانها.

الجَمَل (وقعة -)، هي وقعة جرت في جمادى الثاني ١٣٦٦هـ/ تشرين الثاني ١٩٥٦م، مأثورة في تاريخ الحروب الأهلية التي رافقت بدايات الإسلام وطبعت تاريخه لفترة طويلة.

جرت هذه المعركة قرب البصرة في العراق، بين أنصار علي من جهة، وأنصار طلحة والزبير. تدعمهما عائشة أملة النبي محمد (ﷺ) - من جهة ثانية. واستمدت تسميتها من الجمل الذي كان يحمل الهودج الذي كانت عائشة داخله. وتعود أسبابها إلى المؤامرة المناهضة لعلي التي حيكّت خيوطها في مكّة بين الصحابة القدماء واقرشيين، بعد اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومبايعة علي بالخلافة، وهو أم كان الفريقان المذكوران يعارضانه. وقد قُتل طلحة والزبير في المعركة واضطرت عائشة للعودة إلى المدينة والتخلي عن كل عمل سياسي.

كان لهذا الصراع الداخلي انعكاسات مهمة على الجماعة الإسلامية التي كانت أكدت انطلاقها للنزول خلال سلسلة فتوحات، والتي كانت تعمل لتركيز أسس تنظيمها المستقبلي. وكانت هذه الموقعة هي المرة الأولى التي تتواجه فيها جماعتان من المؤمنين بهذا الشراسة. وطرح آنذاك السؤال حول صاحب الحق من الفريقين، أو بالأحرى طرح التساؤل عن كيفية تحديد أي من الفريقين كان على حق. والسؤال، كما طرح، أثار جدالات عقائدية جديدة. وبالفعل، غدت هذه المسألة طوال قرون، تفكير علماء الكلام، وشكّلت إحدى القضايا التي تواجها حولها معظم الحركات السياسية - الدينية التي كانت في أساس نشأة شيع عدّة في الإسلام الجُتائين (فَن -)، فن زاوله المعنويون به في العالم الإسلامي في القرون الوسطى، وراج لقرون عدة بسبب ارتباطه بتطور تفتيات التزي والتطور النظري والعلمي لطرق الزراعة. انعكس ذلك في القضايد الوصفية الخاصة بأدب ترفيحي ذي طابع رمزي، وحتى ديني.

حارب الأفغاني، بعد ذلك، سياسة القاجار بعنف، وتوصل إلى إقناع المجتهد حسن الشيرازي بأن يحرم على المسلمين كافة شراه التبغ الذي ينتجه البريطانيون بموجب امتياز منحهم إياه الشاه، فتمكّن بذلك، وبشكل غير مباشر، من إلغاء هذا الامتياز.

بعد ذلك، أقام الأفغاني في العراق ولندن حيث كتب، على امتداد سنتين، مقالات حنيفة ضد الشاه في جريدة تصدر بلغتين، ما أسهم في ولادة حركة إصلاح إيرانية. أنهى جمال الدين حياته في اسطنبول، وقد دعاه إليها السلطان العثماني عبد الحميد في العام ١٨٩٢، وربما بادر السلطان إلى دعوة الأفغاني تشجيعاً لمشاورته الخاصة في العالم الإسلامي، إلا أن جمال الدين مُنع عن السفر بعد أن ساءت علاقته بالسلطان. ولكن هذا الأخير لم يستجب للطلب الذي وجهته إليه السلطات الإيرانية تسليمها المصلح، وذلك على أثر مقتل الشاه عام ١٨٩٦. على يد شخص كان على صلة وطيدة بجمال الدين. توفي الأفغاني في ظروف اعتبرها بعض المؤرخين مشوهة، ودُفن جثمانه في اسطنبول. ثم نُقلت رفاة، في العام ١٩٤٤، إلى أفغانستان حيث يرقد في ضريح شيد له في إحدى ضواحي كابول.

برز جمال الدين، خلال حياته غير المستقرة، كواحد من أوائل رؤاد النهضة في البلاد الإسلامية ومن أبرز المدافعين عن الحريات الدستورية. ناضل من أجل القومية في كل من مصر والهند، وعرض، في الوقت نفسه، على السلطان العثماني مشاريع كبرى تتعلق بوحدة العالم الإسلامي، ولكن تحقيقها كان صعباً. وكان دوره أساسياً في تطوّر الشرق الأدنى في القرن التاسع عشر، على الرغم من أن عمله لم يتصف دائماً بانتماسك، وعلى الرغم من أن فكره لم يكن قريباً أو سهل المنال، ولكنه تمتع بعنفات مميزة كمنصف عميق وجدلي مخيف، دافع عن الإسلام ضد العداية، وعن التربية وعن فلسفة معتبة، وحارب القدريّة التي اعتبرها مؤذية، لكنه لم يقدم صيناً دينية وفهية جديدة. تُبرز بعض كتاباته عقلانية تتساءل إن كانت حقيقة أو أنه يسخرها لإحكام دحضه حجج خصومه. فضلاً عن ذلك، لقد شكّل بعض المؤرخين في صحنه إسلام الأفغاني عبر

الجُنْدِي، أبو القاسم بن محمد النهاوندي (٢-٢٩٦هـ/٩-٩٠٩م)، متصوف مسلم من أصل إيراني، عاش في بغداد إبّان العصر الذهبي للخلافة العباسية، وكان يُعتبر ممثلاً للصوفية المعتدلة. تعلم على خاله الشيرازي الشافعي، وعلى المحاسبي الشهير، وتلقى إعداداً تقليدياً كفقيه وكمُتكلّم على يد شيوخ من المذهب الحنبلي. تناول الجُنْدِي في أبحاثه العديدة، وبعضها رسائل تبادلها مع مفكرين عصره، موضوعات أساسية من تجربته الروحية: الحقيقة، الصدق، وحدانية الله، إفتاء الذات، الطب الروحي. بذلك يبدو الجُنْدِي، وكان حريصاً على ألا تكون الصوفية موضوع نزاع، مصراً على إضاح استقامة فكره، وبصورة خاصة مفهوم الشوّة الصوفية، بقوله وبخاصة إنّ لكل شيء أساسه في الله، بدون أن يُسقط، مع ذلك، مفهوم وحدة حياة المؤمن الداخلية. كان الجُنْدِي يُسلّم بالتمييز بين الشرعية والحقيقة، «الحقيقة العميقة الدائمة»، لكنه كان يرفض أن يعلن عن عدم جدوى الشرعية، حتّى لو كان التوصل إلى الحقيقة يسمح بتجاوزها. ولم يعتمد، إذن، أبداً المبالغات اللغوية التي من أجلها أُدين تلميذه الحلاج. وإذا كان الجُنْدِي يؤكّد أنّ في الصوفية «يميت الله الإنسان بالنسبة إلى ذاته، ليبعثه حيّاً فيه»، فإنّه يبرّز هذا الأمر بالعودة إلى المفهوم القرآني للميثاق المعبود بين الله والبشر قبل بداية التاريخ، شارحاً: «قال الله نفسه إنّهُ تحدث إلى سلاله آدم حينما لم يكن لهؤلاء وجود حقيقي. وهذا ممكن لأنّ الله يدرّكهم في وجودهم الروحي. ويقضي هذا الوجود الروحي أنّ يعرفوا الله روحياً دون أن يفترضوا بأنهم يدرّكون ذاتهم الخاصة» (لويس ماسينيون، شغف الحلاج).

الجهاد، أو بالتحديد «الحرب الشرعية»، إذ إنّ الأمر يتعلّق بالحرب أو «المجهود الحربي»، بحسب أصل الكلمة، الذي تأمر به الشريعة ضدّ الكافرين. أبصر هذا المفهوم النور في المدينة، إبّان غزوات النبي محمد (ﷺ) الأولى ضدّ المكّين، وهو يستند إلى آيات عديدة من القرآن، أهمّها الآية التالية:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ بِينَ

في زمن الخلفاء العباسيين الأوائل.

هذه المدينة السامانية القديمة التي استولى عليها المسلمون عام ١٧/٦٣٨م، إبّان الفتوحات الكبرى، كان معظم سكّانها من المسيحيين النساطرة وكان فيها، منذ القرن السادس الميلادي، مستشفى، واستمرّت مركزاً للدراسات الطبية والدراسات الأخرى المعروفة في العصور القديمة. وقد قصد العديد من أطباء جنديسابور المسيحيين بغداد، أيام الخليفة هارون الرشيد الذي كان يقدر بشكل خاص خدمات أحدهم، ويدعى بخيشوش. اختار يعقوب بن الليث الصفّار جنديسابور مركزاً لحكمه، ومات ودفن فيها عام ٢٦٤هـ/٨٧٨م. يشرف الضريح الذي يشير إلى قبره على موقع أثري جرت فيه نفيّات أوّلية منذ فترة قصيرة.

جَنِّي (جمهورية مالي)، مدينة كانت لها أهميتها خلال القرون الوسطى في وادي النيجر الأعلى. شكّلت مع «تومبوكتو» أحد مراكز القوافل الإسلامية في السودان الغربي الساحلي.

ولم تعد جَنِّي اليوم تؤدّي إلا دوراً تجارياً إقليميًّا، ويتوزّع فيها عدد من الأبنية، شُيّدت وفقاً لقواعد الهندسة المسماة «سودانية». كانت هذه المدينة القديمة المحصنة التي تحميها المستنقعات تقوم على الضفة الشمالية لنهر «باني»، في منطقة الفيضان التي تفصل هذا النهر عن نهر النيجر. ولا شكّ في أنّها تأسّست في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، فكانت مستودعاً وممرّاً تجارياً عبر الصحراء، ولا سيّما للملح الذي كان يُنقل باتجاه الجنوب، والذهب باتجاه الشمال. وجعلها ذلك النشاط التجاري تنمو وتتطوّر، خصوصاً بعد أن ضُمَّت إلى مملكة المصفاي. وعندما وقعت بيد المغرب في القرن السابع عشر، شهدت ازدهاراً فكريّاً واقتصادياً جعلها تتفوّق على «تومبوكتو». وفي سنة ١٨١٨، سيطرت عليها دولة البول إنطلاقاً من منسيا، ثمّ اجتاحتها سنة ١٨٦١، جيوش الحاج عمر. ومع الاستعمار الفرنسي لِمالي التي كانت تُعرف بالسودان الفرنسي، بدأت مرحلة الانحطاط منذ سنة ١٩٩٣، وظلّت مستنزّمة حتى العصر الحديث.

◀ رابع المسند رقم ٢٩.

الَّذِينَ أُتُوا بِالْحَكِّ حَتَّى يَمُوتُوا أَلْجَزَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
مَكْرُومُونَ ﴿٢٩﴾ (سورة التوبة، الآية ٢٩).

استنتج الفقهاء، انطلاقاً من هذا النص وغيره، أنَّ الحرب الشرعية هي واجب على الجماعة الإسلامية ولكنها تتوقف، بالنسبة إلى أهل الكتاب (أي اليهود والنصارى)، فوز اعترافهم بسنطة الإسلام ودفعهم ضريبة خاصة تسمح لهم بأن يكونوا مقيولين ضمن الجماعة الإسلامية. هم في عهدة المسلمين لكتهم أقل شأنًا منهم، ويشكّلون جماعة دافعي الجزية أو أهل الذمة. وفي ما عني عبدة الأوثان، فإن الجهاد ضدهم واجب إلى أن يعتنقوا الإسلام، فإذا ما رفضوا اعتناقه، يمكن قتلهم أو استعبادهم.

إنَّ العمل المسلح لتحقيق نصرته الإسلام يصبح أقلَّ حدةً في المرحلة التي نلي الانتصار، بفضل إعطاء أهل الكتاب وضعًا خاصًا، ولكنه يبقى واجباً لمواجهة كل الدول غير الإسلامية. لذلك لا يمكن أن يعقد المسلمون مع هذه الدول سوى اتفاقيات هدنة مؤقتة وليس معاهدات سلام دائم. ومن جهة أخرى لا يُعتبر الجهاد، الذي هو واجب جماعي، من ضمن الواجبات الفردية للمسلم. لذلك فإن قائد الجماعة هو الذي يحدّد متى يبدأ الجهاد ومتى ينتهي، ومن هم الذين يتوجب عليهم القيام به.

وهكذا فإن الخليفة، في القرون الوسطى، وفي الفترة التي عرفت فيها مؤسسة الخلافة أوج مجدها، كان يعلن الجهاد بنفسه بطريقة منتظمة، وذلك بتوجيه غزوات موسمية إلى بلاد غير المؤمنين، وبخاصة بلاد البيزنطيين.

وما خلا الجهاد، ليس ثمة حروب مسموح بها في الإسلام الذي عليه أن يشكّل أمّة واحدة. لكنّ ظهور الانقسامات المبكرة والخصومات ما بين المذاهب الإسلامية أدى إلى صراعات داخلية قاتلة، بما فيها المعارك الأولى بين صحابة النبي محمد (ﷺ)، كوقعة الجمل ومعركة صفين مثلاً، التي أثقلت ضمير بعض المسلمين. ثمة حلّ بسيط لهذه القضية، وهو يقضي باعتبار أيّ عدوٍّ، حتّى ذلك الذي يجب مواجهته في الصراعات الداخلية، كافرًا يمكن محاربه، وهذا ما

ينطبق في الإسلام على وضع المتمردين. وهناك أمر بميز الشيعية، وهو أنّه لا يمكن مبدئيًا إعلان الجهاد إلا بوجود الإمام، بيد أن هذا الأمر لم يُحترم على مر العصور.

تاريخيًا، حصل انتشار الإسلام تارةً بواسطة الجهاد، وتارةً أخرى باعتناق شعوب للإسلام بعد الاجتياحات المسلحة التي كانت في أساس الفتوحات الكبرى في القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، والتي لم تتوقف في ما بعد. فهناك جماعات، تحمل خصيصًا اسم المجاهدين أي «جند الجهاد» تقوم إلى اليوم، تحت هذا الشعار، بأعمال حربية ضد الشعوب والدول الشيعية بسوء النية تجاه المسلمين، أو حتّى بالتخلّل في قضايهم. ولكن إلى جانب هذه الحالات القصوى عرفت الحرب الشرعية، خلال العصور، مراحل متنوعة ومتتالية، فعرفت المرونة واللين حيناً، والشدّد أحياناً. وكان الشدّد صدى لنشاط الدعاة والوعاظ الدنيين وحتى الفقهاء، حيث كانت نداهات هؤلاء تترابّد عندما يشعر المسلمون بأنهم مهذدون أو أنّ سلامة أراضيهم مهددة، كما حصل بشكل خاص في شبه الجزيرة الإيبيرية إبان انتصار المسيحيين واستعادتهم الأندلس، أو في الشرق السوري المصري بعد نجاح الحملات العسكرية الصليبية الأولى. في كل من هذه الحالات، وتأثير من إحياء الشعور الإسلامي، وبسبب أبطال غزاة قادمين من أراضٍ بعيدة، كان الوضع الهادئ يتفاقم شيئاً فشيئاً. وفي كل من هذه الحالات أيضًا نجد أن التآزم يطال أماكن يحكمها أمراء محليّين، في حال من اللامبالاة السياسية والدينية، ولديهم علاقات سلمية، وحتّى تحالفات مؤقتة مع المسيحيين الذين خدموا طموحاتهم أو أحياناً ساهموا في استمرارهم في السلطة. وفي عصور أخرى أدّت الحماسة المتزايدة لروح الجهاد إلى فتوحات جديدة، لا إلى مقاومة هجمات العدو وحسب. وهكذا فإنّ الروح التضالّية لدى الغزاة، الذين كانوا بحماستهم يبرزون الاندفاع القتالية التي تميّز بها قوّادهم، ساعدت على إنشاء أمبراطوريات واسعة وعلى تثبيتها. هذا ما حصل مثلاً عندما توسّع المرابطون في المغرب. وقد ميّزت الظاهرة نفسها ازدهار أشهر الأمبراطوريات التركية، فتمكّنت جيوشها إمّا من

في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، عندما حاول المتصوفة تعريف الجهاد على أنه صراع داخلي ضد الأهواء، ومرحلة ضرورية للوصول إلى الاتحاد الصوفي، مقابلين بذلك بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر المتعلق باقتال المسلح ضد غير المؤمنين، لكن هؤلاء لم يتمكنوا من فرض رأيهم بشكل واسع.

جهانكير، نور الدين سليم ٩٧٧-١٠٣٧هـ/١٥٦٩-١٦٢٧م، رابع ملوك سلالة المغول في الهند، عُرف باهتمامه بالعلوم والحياة الفكرية، وميله نحو المذاهب، إبان حكمه الممتد من العام ١٠١٤هـ/١٦٠٥م إلى حين وفاته. انصف عهده بلزدهار الأميراطورية المغولية.

ولد جهانكير في مكان اختبر ليكون موقعاً لمدينة فتحيور عسكري الملكية، غير بعيد عن أغرا، على أثر صلوات متصوفة من أتباع الجشنة يدعى سليم جشني، وقد حمل نور الدين اسمه. ثار هذا الابن المبكر على والده السلطان أكبر، ثم كان بدوره عرضة لثورات عائلية، منها ثورة ابنائه، وثورة ورثته في الحكم شاه جهان. نتج مناخ العنف هذا وديناميكي الباطل عن عداوات شخصية، إضافة إلى صراعات خفية، ذات منشأ إثنوي أو ديني، ما انفكت تنوالت في العصر المغولي محدثة تحولاً في سياسة السلالة الحاكمة.

في الواقع إن جهود جهانكير، الذي حرص على أن يظهر نفسه في صورة الأمير المسلم الأكثر استقامة من كان عليه والده، اصطدمت بعقبات ناتجة عن تنامي المذهب الشيعي من حوله في البلاد الخاضعة له. كانت زوجته، نور جهان، تنتمي إلى هذا الاتجاه السياسي-الديني، وقد اضطلعت بدور في مواجهة الأمور المستعجلة وحلت سياسياً، تحت نظر والدها عماد الدولة ونظر أخوها، محل جهانكير الذي أولى اهتمامه، بصورة خاصة، للآداب والعلوم والفنون.

فشل جهانكير في محاولاته للسيطرة على طريق الغرب، وخسر بشكل حاسم قندهار التي استولى عليها الصفويون في العام ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، لكنه أفاد - كي يدعم أسطوله - ويعزز علاقته بالتجار الأجانب - من امتيازات منحت لتجار شركة الهند الشرقية الإنكليزية، وتحلق حوله حريقون مهرة نتيجة لحالة الرخاء السائدة

اجتياح أجزاء من شبه القارة الهندية، ولما من سلخ ممتلكات بيزنطية في الأناضول، كما فعل الغزنويون ومن بعدهم المغول، أو على غرار ما فعله السلاجقة، أو أخيراً من الاستيلاء على أوروبا الشرقية على غرار ما قام به العثمانيون الذين فرضوا سلطانهم على هذه الأجزاء من أوروبا، بفضل حماسة المجاهدين الذين انضموا تحت رايانهم عندما أصبحوا، باجتيازهم الدردنيل، أبطال القضية الإسلامية.

وبعد ذلك بأمد بعيد، وخلال القرن التاسع عشر، وتحت راية الجهاد، نجح مقاتلو الغلبة في سوكوتو، ومن بعدهم الحاج عمر، في تأسيس ممالك في أفريقيا السوداء، ولكنها لم تدم طويلاً. كما تمكن المهدي من إثارة حماسة الجماهير في السودان. وباسم الجهاد أيضاً، نشأت حركات المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وضد الاحتلال الروسي في داغستان، والبريطاني في شمال غرب الهند، والإيطالي في ليبيا. وقد أعلن العثمانيون في آخر عهدهم، في العام ١٩١٤، الجهاد ضد الحلفاء، ولكن بدون نتيجة. أمّا في القرن العشرين فقد أعمل مفهوم الجهاد، وحاول المعسكرون إعطائه تعريفاً سلبياً يحصره في مفهوم الدعوة إلى اعتناق الإسلام والحد من فعله العسكري، باستثناء حالة الدفاع وحدها. وما عثم أن عاد التفكير بضرورة الجهاد مجدداً في كل مرة كانت الجماعات المتطرفة تجد ذريعة لمواجهة الغربيين الكفار، والحكام المسلمين المتواطئين معهم، وفي كل مرة تقوم فيها حروب تحرير، كما في أفغانستان ضد الجيوش الروسية، أو حركات تحرر كما في فلسطين.

ومن المؤكد، من ناحية ثانية، أنه جرت، في كل العصور، محاولات لتوسيع مفهوم الجهاد عقائدياً وتحويله عن مساره، ولكن هذه المحاولات لم تحظ إلا بنصيب ضئيل من القبول، هذا إن لم تُرفض كلياً. وهذا ما حصل عندما حاول ابن تيمية الحنبلي، في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، استعمال مفهوم الجهاد ضد «البدع»، وليس ضد الكفرة (غير المؤمنين) وحدهم، ولكن من دون أن يتمكن من تأمين انطلاقة جيدة لهذا المفهوم. وهذا ما حصل أيضاً،

محمود شاه الأول ابن إيلتمش وعنوانها «طبقات ناصري» ، ونظم أشعارًا صوفيةً ، لكنها لم تصل إلى شهرة حويلته التي ما تزال تشكل مصدرًا للمؤرخين المعاصرين المهتمين بهذه الحثبة .

الجولان ، منطقة في سوريا الجنوبية ، يحدها نهر الأردن من الغرب ، ومن الجنوب رافده نهر اليرموك . ومن الشمال جبل حرمون . ألحقت هذه الهضبة الصخرية والخصبة في آن بإقليم الشام ، في العصور الوسطى ؛ وكانت بانياس الجنوبية المركز الإداري لها . في العصر الحديث نُقل مركزها الإداري إلى القنيطرة . وقد احتلت إسرائيل في العام ١٩٦٧ الجولان الذي كان جزءًا من أراضي الجمهورية العربية السورية .

جونبور (الاتحاد الهندي) ، مدينة في إقليم أوثر برادش الحالي شمالي الهند . قامت فيها ، في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، دولة إسلامية مستقلة ، وقد اشتهرت كمركز فكري وعلمي وفني .

أسس هذه المدينة سلطان دلهي فيروز شاه ، من السلالة التُغَلقية في العام ١٢٥٩هـ / ١٣٥٩م ، ولم يتسكن خلفاؤه من المحافظة عليها . أصبحت جونبور ، إبان الفوضى التي تلت اجتياح نيمورثك للهند ، مقرًا لدولة السلاطين المعروفين باسم الشرقيين ، أي ملوك الشرق ، نسبة إلى لقب حمله العبد الخصي ملك سرفار ، وكان أول من تولى عرشهم . وفي أوج حكمهم القصير ، الذي امتد لفترة ما شرفًا إلى البنغال ، كانت جونبور التي كانت تُعرف بإشرار الشرق ، مركزًا إسلاميًا حيث انتشر تأثير الصوفيين المنتمين إلى الفرقة الجشتية أو إلى الفروع المتحدثة منها . كما عُرفت جونبور بأنشطتها العلمية التي استمرت بعد سقوط سلاطينها على أيدي سلاطين دلهي في العام ١٢٤٩هـ / ١٨٨٤م ، قبل أن يستولي عليها مُهايمون المغولي بفترة قصيرة ، أي في العام ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م ، لقد ضُمَّها إلى إمبراطوريته وأضحت مقرًا للسلطان أكبر ، ثم فقدت أهميتها بعد أن أضحت الله آباد عاصمةً للإقليم .

احتل البريطانيون جونبور عام ١٧٧٥م ، وما يزال فيها إلى الآن مبانٍ تاريخية عديدة ، وبخاصة المساجد التي تشهد على ازدهار الفن الإسلامي-الهندي ، وعلى

نشأت هذه الدولة في العام ١٩٣٦ ، اثر الوضع السياسي المعقد الذي كان سائدًا في البلاد بعد التدخلات الغربية عقب الحرب العالمية الأولى وضغوط جيوش مصطفى كمال التركية . نتج عن هذا الوضع ، في العام ١٩٢٤ ، إقامة نظام سوفياتي متشدد ، فأصبحت جورجيا جزءًا من الجمهورية الفدرالية الاشتراكية السوفياتية لما وراء القوقاز التي كانت تضم أيضًا أرمينيا وأذربيجان . ثمة عناصر إسلامية ، إمّا وافدة من أذربيجان ، أو متمركزة في جمهوريتي أبخازيا وغجباريا المنتميتين بالحكم الذاتي ، شكلت جزءًا من سكان جمهورية جورجيا السوفياتية الاشتراكية ، وما تزال فيها إلى اليوم في بلاد تشهد توترات عدة وصراعات داخلية .

تمتد أراضي الجمهورية الجديدة على منحدرات القوقاز وفي أحواضه الجنوبية ، إلى الجنوب من الاتحاد الروسي والجمهوريات المستقلة ذات الشعوب الخليفة ، المسلمة في أغليبتها ، كجمهورية كراشغو - شركاسيا وكبادينو - بلكاريا وأوسيتيا الشمالية والشيشان وأنغوشيا وداغستان . وتقع البلاد أيضًا على حدود بلد مسلم هو تركيا ، وكذلك على حدود أرمينيا وأذربيجان اللتين تضمّان مناطق كان المسلمون قد استولوا عليها في ما مضى .

◀ راجع المستندين ١٧ و ٢٠ .

الجورجاني ، أبو عمرو عثمان (٥٨٩-٦٨٤هـ / ١١٩٣-١٢٨٥م) ، فقيه وعالم دين ، كان مؤرخًا لسلاطين دلهي الأوائل . ولد في فيروزكوه / جام ، حاضرة الغوريين ، وهو ابن فقيه بارز ذي منزلة عالية في بلاط هؤلاء الحكام . ذهب الجورجاني إلى الهند حيث درّس في إحدى المدارس التي كانت قد أنشئت حديثًا في هذه البلاد . وفي العام ١٢٢٧هـ / ١٢٢٨م ، وضع نفسه في خدمة شمس الدين إيلتمش ، المؤسس الحقيقي لسلطة السلالة الأولى لسلاطين دلهي ، المعروفين بـ «الملوك-العبيد» ، وتبعه إلى حاضرتهم حيث أصبح قاضي القضاة . وقد مارس هذه المهمة ، مع بعض الانقطاع ، في ظلّ ابن إيلتمش ، واستمر فيها إلى حين وفاته في دلهي ، إبان حكم بلبان . كتب حويلته عن فترة حكم ناصر الدين

رأسه: ثم اضطر إلى مغادرة إيران عندما أذن وزير السلطان السلجوقي طغرل بك الأشعرية، بوصفها «بعدة مستكرة»، فانتقل، على الأثر، إلى بغداد، ومن ثم إلى الحجاز حيث اكتسب لقبه. ولم يرجع إلى بغداد، إلا بعد أن أوقف الوزير الجديد، نظام الملك، الملاحظات التي كان سلفه قد بدأها، داعياً المهاجرين للعودة إلى بلادهم. ولأجله أسست في نيسابور المدرسة النظامية حيث دُرِّس، وخلفه، بعد ذلك، تلميذه الغزالي.

تشتمل مؤلفات الجويني على دراسات فقهية، اقترح فيها طريقة جديدة في ما عني «الأصول» أي «أصول الشريعة»، لكن اقتراحاته لم تلق نجاحاً كبيراً، وبخاصة دراساته في علم الكلام التي سعى فيها إلى تجديد المذهب الأشعرية، بإعطائه مكانة واسعة للمنطق من النمط الأرسطوطاليسي. ولديه أيضاً بحث مهم في القانون العام، لكنه يبقى دون بحث الماوردي من الناحية التأليفية.

جيان (إسبانيا)، من مدن الأندلس، عُرفت على مدى أكثر من خمسة قرون من السيطرة الإسلامية، كموقع إستراتيجي ساهم في الدفاع عن الأندلس.

تقع جيان على منحدرات تلة سانتا كاتالينا الصخرية، إلى الشرق من قرعة. امتلكت هذه المدينة القروية حصناً منيعاً، وكانت في البداية قاعدة لجند قنشرين. بعد فترة وجيزة، تجاذب المدينة أمير قرعة الأموي والتمرد عليه ابن حفصون، إلى أن استولى عليها أمير غرناطة، ومن ثم المرابطون، فالموحدون الذين انطلقوا منها في فترة الهجوم الذي قادهم إلى النصر في معركة لاس نفاس دي تولوزا (معركة العقاب). وعندما ألحقت جيان بمملكة قشتالة في العام ١٦٤٤/١٧٤٦م، أضحت الحصن المدافع عن هذه المملكة ضد هجمات بني مرين وبني نصر أمراء غرناطة.

جيبوتي (جمهورية)، مساحتها ٢٣ ٢٠٠ كلم^٢ وعاصمتها جيبوتي، دولة صغيرة معاصرة ومستقلة، تتكوّن أساساً من مدينة جيبوتي المرفئية الحديثة التي لا يتعدى عدد سكانها النصف مليون نسمة، جميعهم تقريباً من المسلمين.

تلك الأرض التي تحبب بها اليوم الحبشة

النقمت الذي عرفته المدينة آثار حكم سلاطين دليهي وسلاطين المغول.

سلاطين جوبور الشرقيين:

- ملك سرفار ١٠٧٩-١٣٩٤/١٣٩٩-١٤٠٥
- مبارك شاه ١٤٠٥-١٣٩٩/١٤٠٥-١٤٠٦
- شمس الدين إبراهيم ٨٠٥-٨٤٤/١٤٠٦-١٤٤٠
- محمود شاه ٨٤٤-٨٦١/١٤٤٠-١٤٥٧
- محمد شاه ٨٦١-٨٦٢/١٤٥٧-١٤٥٨
- حسين شاه ٨٦٢-٨٨٤/١٤٥٨-١٤٧٩

«راجع المستند رقم ٣٢».

جوهري بن عبد الله الصقلي أو الصقلي ٢-٩٣٨٢/٩٩٢م، رجل ثقة، شُهر في أيام حكم الخلفاء الفاطميين الأوائل. استولى على مصر وأسس مدينة القاهرة.

كان جوهري، وهو عبد من أصل سلافي بدون شك، (لقبه الصقلي، حُرّف إلى الصقلي نسبة إلى جزيرة صقلية)، كاتباً في بداية حكم الخليفة المنصور، الذي عهد إليه قيادة حملة على المغربين الأقصى والأوسط. مكّنت هذه الحملة الفاطميين من السيطرة بسرعة، ما بين ٣٤٧-٩٥٨/٩٦٠-٩٦٠م، على الجزء الأكبر من هذه البلاد ما عدا الموائج، مثل طنجة وسبتة، والقضاء على مملكة الأدارسة الصغيرة. بعد ذلك بقليل قاد جوهري بنجاح حملة إلى مصر، لحساب الخليفة المعز، وتمكّن من الاستيلاء على البلاد وأسس في مصر، قبل وصول سيده إليها، حاضرة جديدة أطلق عليها اسم القاهرة. وهكذا حكم جوهري، لفترة أربع سنوات - حتى وصول المعز في العام ٩٧٤/٩٧٤م - هذه الولاية التي ستصبح مقراً للسلطة الفاطمية في الشرق. ويبدو أنه منذ ذلك الحين توقفت كل أنشطة جوهري.

الجويني، أبو المعالي، عبد الملك بن عبيد الله (٤١٩-٤٧٨/١٠٢٨-١٠٨٥م)، عالم دين وفقيه. أُطلق عليه، بسبب شهرته في المحيط الإسلامي القروسطي، اللقب الفخري «إمام الحرمين»، أي إمام مكة والمدينة، بالرغم من أنه لم يملك فيهما سوى الفترة ما بين ٤٥٠-٤٥٤/١٠٥٨-١٠٦٢م.

ولد الجويني في نيسابور في خراسان وهو، كوالده، من أتباع مذهب الأشعرية. دُرِّس في مسقط

في هذه البلاد المتبعة، عاش السكّان المحليون طويلاً على دين أسلافهم، أي الزرادشتية، فلم تشملهم الفتوحات العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي، ولم يعتنقوا الإسلام إلّا في فترة متأخرة. في صورته القاسية على مذهب الشيعة الزيدية الذي ساد، أباين، إقليم طبرستان. ومع أنّ مذهب النُصْنُ سَرَب إلى بعض نواحيها، فإنّ هذه المنطقة التي كانت تشملها بلاد الذّيلم الكبرى، خلال بلوغ النفوذ البويهّي أوجه، اكتفت بالاعتراف الاسميّ بسيادة السلالات الأمبراطورية التي حكمت إيران والتي شملتها بسلطتها، سواء منها السلاجقة أو الإيلخانيّون بوجه خاص، ولم تخضع لسلطة مركزية إلّا ابتداءً من القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، بفضل جهود الصفويين الذين حرصوا على نشر المذهب الشيعي الاثني عشري فيها، وعندئذٍ صارت جزءاً لا يتجزأ من بلاد فارس، رغم محاولات احتلال غير ناجحة قام بها الروس في القرن الثامن عشر، ثم الحكومة السوفيّاتية ما بين ١٩١٧ و ١٩٢١. وقد تامت حديثاً في هذا الإقليم مدينة زشت، وهي القاعدة الإدارية الجديدة له ومركز إقتصادي حديث حلّت محل العاصمة القروسطيّة القديمة، لا هيجان، منذ القرن الرابع عشر للميلاد.

« راجع المستدين ٢٣ و ٢٤ »

الجيلانيّ، عبد القادر محيي الدين أبو محمد بن أبي صالح (٤٧٠-٥٦١هـ/ ١٠٧٧-١١٦٦م)، أحد أشهر الأولياء الذين تنتسب إليهم فرقة القادرية الصوفيّة. شُهر الجيلانيّ كصوفي، وعالم وفقه، وواعظ في بغداد حيث لا يزال مدفنه مزاراً. وفي إطار مذهب الفقه الحنبلي الصارم نَمَسَ هذا الإيراني الشاب، القادم من جبلان إلى بغداد لمتابعة الدراسات الدينية، بالفقه والتفسير والحديث على ابن عقيل الحنبلي، وتلقّى في الوقت نفسه مبادئ الصوفيّة على أبي الخير حمّاد الدبّاس، ثمّ قام بنفسه بالتدريس في مدرسته الخاصة، حيث حافظ ألقابه من بعده على بقائهما وحيويتهما. دافع الجيلاني عن موقف محافظ ومحترم للشريعة، مشجعاً محاربة الأهواء بشكل جهاد داخلي (ضد الذات). اشتهر كواعظ، وقد امتدّت هذه الشهرة بفضل

والصومال، اثبتت من القسم الفرنسي القديم لساحل الصومال، وأصبحت في العام ١٩٤٦ من الأراضي الفرنسيّة ما راء البحار، حتى استقلالها عام ١٩٧٧. إنّها تعود جغرافياً إلى بلاد «الغغاز»، وليس إلى بلاد الصومال. ومقومات الحياة لدى السكّان الذين دخلوا الإسلام منذ زمن بعيد كانت في الواقع شبيهة بتلك التي للبدو في أريتريا المجاورة.

في أواخر القرن التاسع عشر أنشأت فرنسا مرفأ جيبوتي، فأذّى ذلك إلى ازدهار اقتصاديّ في المنطقة، وإلى استقرار سياسي فرضته أهمية موقع جيبوتي الإستراتيجي والإقتصاديّ مقابل اليمن، وعلى منفذ البحر الأحمر وخليج عدن المؤدّي إلى المحيط الهندي. والسكان الذين هم من قدماء البدو ومن قبائل عربية مهاجرة، يتوزعون في الأحياء المحيطة بالمرفأ، لعدم وجود أماكن أخرى صالحة للسكن، ويفيدون من المساعدات الفرنسيّة والغربية، وكذلك من مساعدات دول شبه الجزيرة العربية الغنيّة التي يقيمون معها علاقات طيبة. وهم من السّنة التابعين للمذهب انشافي، يتأثرون بالطريقة القادرية، مع الاحتفاظ ببعض العادات والأعراف الدينيّة المحليّة. وتلاحظ في جيبوتي وجود عدد من الشيعة الزيدية قداماً من اليمن.

جبلان، أحياناً «غيلان»، إقليم في جمهورية إيران الإسلامية يقع جنوب غربي بحر قزوين وجنوبي جمهورية أذربيجان المتاخمة له.

عُرف بهذا الاسم في القرون الوسطى، واعتُبر نوعاً ما جزءاً من الديلم، فيما كانت علاقاته التاريخية قائمة مع أذربيجان من جهة ومازندران أو طبرستان من جهة أخرى. كان يمتد على مقاطعتين حول دلتا نهر سفيدرود، في منطقة خصبة ووطية حيث كانت زراعة الأرز مزدهرة. وقد أثرت على مناخه سلسلة جبال البرز المكسوة بالأشجار التي تفصله عن الهضبة المجاورة. كما أنّ له هذا الموقع حماية فعالة ضد الغزاة الأجانب عبر العصور، ما خلا أولئك الذين كانوا يهاجمونه بحرّاً وهم الفايكنغ المعروفون بالروس، في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، والغزاق في القرن السابع عشر.

المعثاني في أوروبا.

كانت حصناً قازيًا وبحرياً قديماً للبيزنطيين، وقد هُدم جزء من المدينة جزاء هزة أرضية، واحتلها العثمانيون في العام ٨٥٥٧/١٣٥٤م، فأصبحت قاعدة انطلاق عمليات عسكرية في اتجاه الشمال. هاجمها الصليبيون واستولوا عليها عام ٨٧٦٧/١٣٦٦م، ثم أعيدت إلى البيزنطيين الذين هجرها في العام ٨٧٧٨/١٣٧٦م. أصبحت القاعدة البحرية الرئيسة للعثمانيين في عهد مراد الأول حوالي العام ٨٧٩١/١٣٨٩م، إذ كانت تملك داراً للصناعة، فوجب عليها، خلال عقود، أن تدافع عن نفسها ضد هجمات الجنويين. لهذا عزز السلطان بايزيد الأول بلديرم قلعتها، آملاً السيطرة على المضيق الذي كان الجنويون ينازعونه عليه. لاحقاً، بعد احتلال القسطنطينية في العام ١٤٥٣، أنشئت ترسانة جديدة في اسطنبول على القرن الذهبي في العام ١٥١٥، وفقدت بعدها جيبوللو بعض أهميتها.

كان لهذه المدينة المرفئية دور تجاري على الطريق المؤدية من بورصة إلى أوروبا، وهي طريق سلكها تجار أوروبيون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. لكن المدينة كانت تشرف، بصورة خاصة، على الطريق البحرية التي تمر بالمضيق، وهناك كان يتم تفشيش المراكب الآتية من اسطنبول متجهة إلى المتوسط.

« راجع المسند ٢٧ »

مصنقاته الوعظية التي انتشرت بعد وفاته، وكانت في أساس الإعجاب الذي خصّه به تلامذته الكثر، وفي أساس الصورة المثالية التي رسمتها له المصنقات التعليمية المتأخرة.

وإذا كان الجيلاني، في كتابه «الغنية» حيث يعرض للواجبات الدينية والاجتماعية المفروضة على المسلم، يقوم بدور الفقيه، فإنه يحرص في المواظم المنسوبة إليه على أن يبين أن ما يقوم به الصوفي لا يستوجب اللوم. وبحسب مذهبه، فإنّ الإنصياح لتعاليم النبي محمد (ﷺ) يجب أن يكون مطلقاً من دون أن تحول الأعمال غير المفروضة شرعاً، في أي حال من الأحوال، من تطبيق مفتضيات الشريعة؛ لكنّ الشنك وكلّ الممارسات المؤدية إلى انشوة محكومة ببعض القيود. فمن واجب المسلم، كما يقول الجيلاني لمستمعه، حتى من غير المتصوفة، التغلب على أهوائه والترفع عن تقديس نفسه، والخضوع لمشيئة الله. ويقترح الجيلاني منهجاً شديداً الصرامة الأخلاقية قبل كل شيء. إنّ هذا المعلم الذي يعتبره تلامذته صانع معجزات هو، على الأصح، إذا ما حكمنا على كتاباته، تقليدي لا يمكن للحنبالية إدانته.

جيبوللو (الجمهورية التركية)، أو غاليلوليس باليونانية، مدينة مرفئية على ساحل تراقيا في طرف مضيق الدردنيل. كان لها دور مهم في أثناء التوسع

الشخصية التي تمتع بها الحاج عمر. على الرغم من ذلك، ورث الحكم ابنه أحمدو بيكو الذي أعلن نفسه أمير المؤمنين عام ١٨٩٧، واستطاع أن يحافظ إلى حد ما على استقلال البلاد حتى الاحتلال الفرنسي الذي تمّ نهائياً بين ١٨٩٠ و ١٨٩٣.

الحاجب، مسؤول مرموق في حاشية الخليفة، كان يضطلع، خلال القرون الوسطى، بدور كبير في المراسم الاحتفالية الملكية.

والحاجب المكلف، منذ الحقبة الأموية، مهمة تقديم الزوار للخليفة الذي كان - بحسب تقليد يعود إلى الأمبراطورية الساسانية - مستوراً وراء حجاب، كان، أولاً بؤبؤاً. على أن وظيفته، من خلال مقابلات الخليفة، جعلته على صلة مباشرة بحياة سيده. والحاجب، بوصفه رئيساً لتابعي الخليفة، وأحياناً رئيساً لمقر إقامة الخليفة بكامله، تتداخل مهماته في بعض الظروف مع طموحات الإداريين، فكان يتولّى أحياناً مسؤوليات حكومية يراحم فيها وظائف الكُتّاب الأكثر نفوذاً، وبخاصة الوزراء الذين قد يحدث أن لا يقوم مقامهم.

كما كان يمكن أن يكون لمقام الحاجب، إذا كان خارجاً من صفوف الجيش، وبشكل خاص من صفوف حرس الخليفة، طابعاً عسكرياً. وكان من أثر ضعف السلالة العبّاسية، في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، أن يُمنح الأمير - الحاجب - الذي كان ينصرف كحاكم مطلق الصلاحية في العاصمة - السلطة التي آلت في نهاية الأمر إلى حاكم ولاية أسبغ عليه لقب «أمير الأمراء». وكان الطابع العسكري ذاته طاغياً في الولايات الشرقية، عند السامانيين، وفي ما بعد عند الغزنويين، حيث كانت مرتبة الحاجب - سواء

الحاج عمر بن سعيد بن عثمان تال، ١٧٩٧- ١٨٦٤، زعيم ديني ورجل حرب، استطاع باسم الجهاد أن يصبح سيّداً على أمبراطورية واسعة وموقنة في ما كان يُعرف بالسودان الغربي.

ولد الحاج عمر في فوتاتورو في جمهورية السنغال الحالية. انضوى إلى الطريقة التجانية بعد أن تابع دراسات تقليدية. إن هذا المتصوّف المثقف، الذي توجه إلى مكّة والقاهرة في رحلة طويلة الأمد ساعياً إلى المزيد من المعرفة في الشرق، عاد إلى فوتاتالون ليجمع حوله أتباعاً ويقوم بدور مؤسس زاوية ومحرك سياسي. انصرف للدعوة إلى الجهاد بنجاح متعاطف، ثمّ عمد، بعد عشر سنين تقريباً، إلى شنّ حملات عسكرية وضاعف الانتصارات، وضمّ تحت سيطرته أراضٍ تمتد من وادي السنغال إلى وادي النيجر.

إن عددًا لا يستهان به من الوقائع الدموية سمحت له بأن يفرض بالقوة الشرع الإسلامي. متصدّياً للسلطات السابفة المرتبطة بامبراطورية اليول أو القلّة التي كانت تذكّنها الطريقة القادرية. وبعد محاولات لمنع الفرنسيين من أن يتقدّموا عن طريق الساحل الغربي، سافته انتصاراته إلى الشرق، أولاً حتى سيجو (Ségou) التي استولى عليها في العام ١٨٦١، ثمّ إلى تسينا حيث أعلن نفسه سلطاناً في العام ١٨٦٢، بعد أن سيطر على حمداللهي ودمر دولة شيخو أحمد وخلفائه التيوقراطية، ونهب نومبكتو.

إلا أنّ المغامرة انتهت بموت الحاج عمر بعادوث عنيف قرب حمداللهي، على أثر عدد من المعارك عفت سلسلة من الثورات المتجددة وعلى أثر الضعف السريع الذي أصاب هذه السلطنة التي قامت على الجاذبية

حاكم إقليم ، بالعربية ، أمير أو والي ، وفي التركية باي أو بيليري أو باشا . مهمة استمرت في جميع بلدان العالم الإسلامي حتى العصر الحاضر ، كانت ذات أهمية كبرى في القرون الوسطى حيث أدت إلى قيام سلطنة سلاط مستقلة ، بلغت أحياناً حد الاستقلال ، كما كان يحصل مع عدد من أسيا الحرب .

مارس الحكام مسؤوليات أساسية ، خلال عهد الأمويين الذين أوكلوا إليهم إدارة مناطق كبيرة من الامبراطورية ، شرقاً وغرباً ، إلا أن هذه المسؤوليات تقلصت خلال العهد العباسي . فمن جهة ، برز اتجاه إلى تقسيم المناطق إلى وحدات إدارية قائمة بذاتها وشبه مستقلة ، بحيث غدت أصغر بكثير مما كانت عليه سابقاً ، ومن جهة أخرى ، حرص الخلفاء على فصل المهمات الموكلة إلى الحكام وتحميلها في كل من الأقاليم .

فقد ألحق بالحاكم - الذي استمرت مهمته في الحفاظ على النظام ، والدفاع عن الحدود عند الانقضاء ، وفي الوقت نفسه إمامة الصلاة - جاب للضرائب ، يقال له عامل ، يجمع الضرائب وفاق المبلغ الذي تحدده الإدارة المركزية للشؤون المالية ؛ وكذلك قاضي يعينه الخليفة ، مهمته تأمين ممارسة العدالة . إلا أن هذا النظام الذي يسر رقابة عملية على حكام الأقاليم أصابه الوهن شيئاً فشيئاً . فعند بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، على سبيل المثال ، حصل الأغالة في إفريقية ، من بغداد ، على وضع إداري يمنحهم شبه استقلال سعى إلى توفير مثله لأنفسهم حكام الأقاليم الشرقية (الظاهرية) وكذلك حكام مصر (الطولونية) ، لكن من دون جدوى . ثم إن بعض الأمراء تمكنوا ، خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، من وضع يدهم على الموارد المالية العائدة إلى أقاليمهم . ومن فرض إرادتهم على الخليفة . هكذا نشأ منصب الأمير الكبير أو أمير الأمراء الذي نبؤأه ، بشكل خاص ، في ما بعد ، البويهية .

وعقب التفكك الذي أصاب الأراضي المترامية الأطراف التي تشكلت منها الخلافة العباسية ، برزت التوترات والصعوبات نفسها بين أسيا الامبراطوريات الكبيرة التي تعاقبت خلال التاريخ الإسلامي القروسطي

كان صاحبها أو لم يكن ، في الوقت نفسه ، مديراً للقصر - تمتع امتيازاً للضابط الذي يحظى بثقة الحاكم . وانتقل هذا التقليد ، في ما بعد ، إلى سلاجقة سوريا وأتباعهم من البويريين والزنكيين أو الأيوبيين . لكن هذا الامتياز كان أكثر بروزاً في الأندلس حيث آل مركز الوزير الأول ، منذ البدء ، إلى حجاب كان لهم ، في إدارة شبه الجزيرة الإيبيرية ، الصدارة بالنسبة إلى الوزراء الذين اعتُبروا مجرد مستشارين . وفي السنوات الأخيرة من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، بلغت وظيفة الحجاب الذروة مع الانتصارات العسكرية والتمار السياسي لابن أبي عامر ، «حاجب القصر» الشهير والمعروف بلقبه النكري «المصور بالله» ، وهو من الألقاب التي كانت تُعطى للملوك ، وقد أطلق عليه المسيحيون اسم «المنظور» (Almanzor) .

وفي ما بعد استمرت وظيفة الحجاب مع مختلف الملوك في العالم الإسلامي الذين كان يقاس جبروتهم بمدى اتساع قصورهم ، وأتية بلاطهم الأميري وتوق حرسهم . اعتُبر الحجاب أشخاصاً لا غنى عنهم في ميداني الانضباط العسكري والتمار الملكية ، ما أناح لهم الوصول إلى مراتب تشريفية توصلت بالامبراطوريات الكبرى إلى تنظيمها بشكل تراتبي وفي مسار أكثر رتابة . وقد وصل الأمر بالحجاب ، في الدولة المملوكية السورية - المصرية مثلاً ، إلى أن أصبحوا المسؤولين عن نوع من القضاء السياسي الفريد من نوعه ، حلّ ، في الطبقات العسكرية القبايية ، محل السلطة القضائية الإسلامية التقليدية .

حاجي بكتاش ← البكتاشية .

حاجي خليفة ← كاتب جلّبي .

الحافظ لفظة تعني ، في أصلها ، «من يحفظ القرآن غيباً» ، ثم اتخذت معنى خاصاً ينطبق على بعض العلماء . وعلى مر الزمن ، اتخذت اللفظة معنى شرفياً وصارت تعني عالماً كبيراً ذائع الصيت ، مع المحافظة على المعنى التقني المتعلق بعالم حفظ المعارف الدينية . ومنها نصوص الحديث ، أي باختصاصي يعلم الحديث . وهكذا أطلق الاسم على ابن عساكر المحدث الشهير .

العائنين ٣٩٣هـ/١٠٠٣م و٤٠٤هـ/١٠١٣م، بتدمير الكنائس من أجل بناء المساجد، ويمنع بيع الخمر حتى إلى من ليسوا بمسلمين، كما فرض على المسيحيين واليهود التمنطق بنطاق أسود واعتصار العمامة السوداء، وصادر أملاك الكنائس والأديار في مصر. وفي العام ٣٩٩هـ/١٠٠٩م، أمر بتدمير كنيسة القيامة في القدس، وفي انعام ٤٠٤هـ/١٠١٣م، استبدل مسلمين بالموظفين المسيحيين العاملين في السلك الإداري، كما هدم عددًا من الأديار. وتعرض المسيحيون في عهده إلى شتى أنواع الاضطهاد، فتحوّل عدد كبير منهم إلى الإسلام.

لم يكن الهدف من هذه الاجراءات إرضاء المسلمين الذين كانوا مستائين من سياسة الطامعين المتسامحة تجاه أهل الدمة. إنّ ما فعله الحاكم لم ينهض مبدأ تطبيق الشريعة فحسب، بل يبدو أنّه أتى، بحسب ما يؤقده البعض، مجازاة للنبوءات التي ظهرت حوالى سنة ١٠٠٩-٤٠٠هـ، والزعامة أنّ الإسلام سينتشر على الأرض كلّها.

لم يتردد الحاكم، نظرًا إلى التكهّنات السائدة، في أن يدمّر الكنائس والأديار لأنّ المسيحية في نظره، في مثل هذا المناخ، مدعوة إلى الزوال سريعًا. ولما لم تتحقّق التنبؤات، عاد الحاكم إلى رشفه ووعى خطورة ما فعل، إلى حدّ أنّه سمح للمسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، أن يعودوا من جديد إلى ديانتهم الأولى بدون أن يُعاقبوا على ارتدادهم. وعقد مع البيزنطيين اتفاقًا لإعادة بناء قبر السيّد المسيح في القدس الشريف.

فشر البعض تصرّفات الحاكم بشكل غير مقنع، ناسبين موقفه المعادي للمسيحية إلى حاجات ماديّة أو ضرورة ملحة لاجتراح أراضي ينشئ عليها جوامع جديدة. إلّا أنّ هذه النظريات لا تنسّر تراجعها المقابح في ما بعد، ما يفيي مسألة التفسير معقّنة.

يبدو أنّ الحاكم اهتم أيضًا بالانحلال الأخلاقي الذي لحق بالمسلمين، فوجد نفسه مضطّرًا إلى تبني سلسلة من القرارات العنيفة والقاسية ومنها: منع الظهور في الحمامات بدون ثوب حمام، منع بيع الفتيان، منع الغناء والرقص، منع النساء من التوجّه إلى الحمامات أو

أو الحديث، وحكّام ولاياتهم. وإذا كانت هذه المواجهات قد اتخذت أشكالًا مختلفة عمّا كانت عليه أيام العباسيين، فإنّ مسألة استقلال الحكّام في أراضي الأطراف ظلّحت من جديد أيام العثمانيين، في بلدان المشرق العربي وفي المغرب، على سبيل المثال. في حين أنّ المنول، في أوج سلطتهم في شبه القارة الهندية، نجّبوا ذلك عن طريق اقامة نظام إداري مركّب في الولايات الأساسية.

الحاكم بأمر الله، أبو علي المنصور، ٣٧٥-٤١١هـ/ ٩٨٥-١٠٢١م، شخصية غريبة الأطوار، وهو سادس خليفة فاطمي يتخذ من القاهرة مركزًا لحكمه. لقد بسط نفوذه على الامبراطورية الشرفيّة التي أنستها عائلته بعد تحوّل نشاطها إلى مصر، وذلك من سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م حتى وفاته.

أقرّ له أوّل الأمر من الاسماعيليين بالإمامة، رغم تصرّفات الاستفزازيّة والأزمات الدينيّة التي نتجت عن ذلك. وقد اعتبره أهل السنة مختلًا، نظرًا إلى مبادرته الخطيرة التي وصفت حياته السياسيّة والدينيّة.

لقد خلف الحاكم بأمر الله والده العزيز وهو في الحادية عشرة والنصف من عمره. وما أن اعلّى سدة الخلافة حتى توسعت دائرة الخلافات بين زعيم البربر من قبيلة كتامة، من جهة، والوصي السابق على الحاكم، واسمه بروجوان، من جهة ثانية.

وتجدد الاشارة إلى أنّ بروجوان تمكّن من ممارسة السلطة حتى تاريخ اغتياله بأمر من الخليفة الشاب. ومنذ ذلك الحين تولّى الحاكم السلطة مستبدًا غير آبه، إلى حدّ جعل المؤرخين يجدون صعوبة في تفسير تصرّفاتة ودراسة شخصيّة.

لم تكن القرارات الصادرة عن الحاكم مطلقة ومجففة على صعيد الرأي العام وحسب، بل أسوأ ما فيها أنّه كان أحيانًا يتراجع عنها، ممّا حمل البعض على الشك في سلامة عقله.

تميّز الحاكم بادئ ذي بدء بالهجوم العنيف الذي شنّه على المسيحيين واليهود، ولا يخفى ما في هذا العمل العدائي من مخالفة لسياسة أسلافه الذين أرسوا أسس المصالحة والمسالمة. فقد أصدر الأمر مثلاً، بين

صيتهم في الأقاليم الشرقية من إيران.

ولد الحاكم في نرمد، في ما وراء النهر، شمالي خراسان، ودرس في نيسابور. نجعل الكثير عن سيرته الذاتية، وتاريخ وفاته ليس دقيقاً. ترك مؤلفاً عنوانه «ختم الأولياء»، يشدد فيه على صفة القداسة أو الولاية الخاصة بأحباب الله. اعتبر الولاية أعلى شأناً من النبوة، لأنها مستمرة ومتواصلة غير مرتبطة بظروف معينة. كلفته عقيدته الملاحقة والمطاردة من قبل السلطات المحلية فاضطر إلى الهرب والازنواء، غير أن أفكاره عادت إلى النور لاحقاً بفضل أحد المتصوفين، هو ابن العربي.

نجد بين أنقاض مدينة نرمد، التي تعود إلى ما قبل العهد المغولي، معبداً يحمل اسم الحاكم، يبدو أنه شيد بعد القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، في زمن انتشر فيه تكريم الأولياء. ما زال المعبد محافظاً، منذ تلك الفترة، على زينة من الرخام المنحوت تكسو جوانب الجدران القرميدية.

الحاكمية ← الدروز.

الحبشة ← إثيوبيا.

الحبوس ← الوقف.

الحج أو الحج الكبير، هو إحدى الفرائض الأساسية الموصوفة بـ «أركان الإسلام»، تجري في مكة عبر مجموعة طفوس حددتها الشريعة في فترة معينة من التقويم الهجري. يُفرد الحج الكبير مكاناً للحج الصغير أو الحُمْرة، وهو يدفع، حتى أيامنا هذه، بحشد سنوي من الزوّار الورعين إلى الحجاز ويؤثر على تنظيم الحياة العامة في العالم الإسلامي. ينظم القرآن الكريم، بشكل دقيق، الحج الكبير والحج الصغير الذي يمكن القيام به في أي وقت وخارج موسم الحج، توفيراً لقدسية بيت الله الفريدة، أي الكعبة. يتميز الحُجّاج بوضوح عن «الزّيارات» غير المفروضة التي يقوم بها المسلمون والتي تُعتبر، على الأقل عند أهل السنة، طوقاً نافلاً.

١ - كان الحج إلى مكة قبل الإسلام يتم في شهر رجب، وكان مناسبة هدنة تحترمها قبائل البدو المختلفة المتنقلة في وسط شبه الجزيرة العربية. كان ينماز بخاصة بزيارة حرم الكعبة المحلي ويمنح مكانة دينية مرموقة

إلى المغابرة، منع الاسكافيين من صنع أحذية النساء، منع اللهب على ضفاف النيل، منع التجوّل ليلاً. أضيف إلى كل هذه المنوعات أمر غريب وهو الدعوة إلى قتل كل الكلاب لأنّ نباحها يزعج الخليفة. عاقب الخليفة الذين خالفوا أوامره بقسوة، في حين أمر بتعذيب أشخاص عديدين وإعدامهم، بترغ خاص من بين الموقوفين. أضف إلى هذه القائمة أوامر بتطبيق بعض الفرائض الخاصة بالمذهب الشيعي، والدعوة إلى قتل أهل السنة، ولعن الخلفاء الراشدين الثلاثة الأولين وصحابة نبي الإسلام (ﷺ). كلّ هذه الإجراءات التي كان الحاكم يتراجع عنها ثم يفرضها من جديد، أدّت إلى تزايد استياء الشعب منه.

عُرف عن الحاكم أنّه تأثر ببعض المنتهيين من أتباع المذهب الاسماعيلي الفاطمي الذين خيّب الخلفاء الفاطميون الأوائل آمالهم، لعدم اتّخاذهم صفة المهدي ولعدم إصدارهم شريعة جديدة. انجذب هؤلاء المتطرفون إلى شخصية هذا الخليفة الذي أظهر عصبية خاصة ومفرطة تجاه الدين بصورة عامة، وتجاه الاسماعيلية بشكل خاص، فدعوا إلى تأليه، وهذا لم يزعج الحاكم مطلقاً، بل جعله يميل إلى تصديق تنبؤات اللوزي وحزمة اللذين يعود إليهما في ما بعد، تأسيس مذهب الدروز الذين عرفوا أيضاً بالحاكمية.

أمّا الشعب المصري، على الرغم من اعتناقه المذهب الإسماعيلي، فضدّ بهذا التّطرّف واعتبر أنّ الخليفة يريد أن يقضي على تعاليم الإسلام، فهاج في وجهه وقام بالثورات والفتن. عبّر رة الخليفة عن غضب مجنون وأدّى في العام ٤١٠هـ/١٠٢٠م إلى حرق مدينة القسطنطين ونهبها وإذكاء الصراعات بين الجنود السود من جهة، والبربر والأتراك من جهة ثانية. وظلّت الحالة مأسوية حتى اختفاء الحاكم في إحدى ليالي شوال/شباط في العام ٤١١هـ/١٠٢١م، بينما كان يتشقى في مدينة القاهرة. يُقال إنّ اغتيال على يد أحد المعارضين، إلّا أنّه أصبح، بالنسبة إلى الدروز، المهدي المنتظر الذي ما زالوا ينتظرون عودته.

الحاكم الترمذي، محمّد بن عبد الله بن الحسين ؟ - ٩٣٢هـ/٩٣٢م، من أوائل رجال التصوّف الذين ذاع

أحد هذه النماذج، ويقضي بفصل مناسك الحج والعمرة؛ وهناك القرآن الذي يُدخل العمرة في الحج؛ والتمتع الذي يمكن من إتيان الحج بالعمرة شرط أن يفك قيد طهارته في مكة، بين الأدلّة. تختلف المذاهب الفقهيّة حول تحديد الأفضل من تلك التدابير، لكنّها لا تشدّد على الأخذ بالثالث منها.

إن الذي يؤدي الحج بحسب القرآن الكريم، وهي الحالة الأكثر شيوعاً، يبدأ بالعمرة التي تجري طقوسها كالآتي: - تلاوة التلبية على طول الطريق المؤدي إلى الكعبة - الوصول إلى الكعبة وتقبيل الحجر الأسود - الطواف حول الكعبة في اتجاه معاكس لعقارب الساعة سبع مرات، ثلاث منها بسرعة - تأدية صلاة من ركعتين - السعي بين الصفا والمروة سبع مرات، أربع منها في اتجاه ثلاث في اتجاه آخر، وهو يهدف، بحسب التقليد، إلى استعادة ذكرى هاجر، جارية إبراهيم، عندما بحث عن الماء في الصحراء لتنفذ ولدها إسماعيل.

في ما يتعلّق بمراسم الحج التي يفرضها القرآن الكريم على الحاج بعد العمرة فهي تجري، حكماً، إعتباراً من الثامن من ذي الحجة، على طول مسارٍ محدّد بدقّة في الجبال المنعزلة المجاورة لمكة، وهي تشمل المراحل والأعمال التالية: - الوصول إلى وادي منى وإضفاء الليل فيه - الوصول في الصباح التالي إلى موقع عرفات الذي يشرف عليه جبل الرحمة حيث الوقوف، في حين يتلو الحاج صلوات شخصية، أو يردد التلبية على وقع الخطب الرسميّة التي يلقيها قاضي مكة - إفادة المؤمنين إلى منزل المُردّلة بين منى وعرفات حيث يتسارع المؤمنون، بعد غياب الشمس، للقيام بصلوات المساء والليل ولقضاء الليل - العودة إلى منى في اليوم العاشر حيث يقام طقسان خاصان: رجم، بسج حُصَي، إحدى كومات الحجارة اثنتا (الجمرات)، والتضحية عادة بخروف بأكل الحاج جزءاً منه ويوزّع الباقي.

هذه الذبيحة التي تذكر بتضحية إبراهيم في هذا المكان، بحسب التقليد الإسلامي - وهي عمل تكفيري ذو طابع فردي - تتمّ في الوقت نفسه الذي تجري فيه تضحية عيد الأضحي الذي يمكن المسلمين كافة من المشاركة مع الحجّاج في مكة. يضاف الطابع الترحيدي لهذا الطقس

٢ - على المسلم الذي يؤدّ فريضة الحج أن يشرع بتطهير نفسه لدى وصوله إلى منطقة مكة واجتيازه، بصفته حاجاً، حدود الأرض المقدّسة أو الحرم، معرباً عن نيته في فعل ذلك، أي واضعاً نفسه في حال الإحرام. لذلك عليه أن يخلع عنه كل ثوب محيط وأن يرتدي زياً خاصاً مؤلّفاً من قطعتين فماش أبيض، تدعى إحداهما إزاراً تُشدّ حول الوسط لتبلغ الركبتين كثوب فضفاض، والثانية رداء تغطي الكتفين وتلفّ التّصنّف الأعلى من الجسم. عليه أيضاً أن يتنعل خفّين وأن يبقى مكشوف الرأس مع إمكان استعمال مظلة أو غطاء للشمس. ومن بين الموجبات الدقيقة التي تختلف بعض الشيء باختلاف المذاهب الفقهيّة، ضرورة تقصير شعر الرأس، قبل البدء بالحج، والقيام بالوضوء الشامل، ومن ثمّ عدم تغليم الأظافر وقصّ الشعر واللحية والامتناع عن العلاقات الجنسيّة.

بالنسبة إلى النساء، لا يقضي الإحرام بأي لباس طفسي خاص، لكن عليهنّ مثل الرجال أن يعبرن عن نيتهم في أدائه. ويتمّ الإحرام عادة على مسافة معينة من مكة عند حدود الحرم حيث يدخلن من منازل يُدعى كلّ منها ميفات، ويتلون صلاة من ركعتين ويكررن مرّات عدّة كلمة «لبيك» التي تعني ها أنذا، وهي صيغة التلبية. كانت المحطات تقع على خطوط القوافل القديمة التي تُفضي إلى المركز الديني للعالم الإسلامي والتي يسلكها في كل عام الحجّاج الآتون من مختلف الأقطار. وكانت كل محطة تشكّل أحد نخوم الأرض المقدّسة. مثلاً: ذات العرق على مسافة ٨٠ كيلومتراً شمال شرقي المدينة، على الطريق الآتية من العراق؛ ذات الحُلَيْفَة على مسافة ٢٥٠ كلم إلى الشمال الشرقي؛ الجحفة على مسافة ١٨٠ كلم إلى الشمال الغربي على الطريق من سوريا، قُرن المنازل على مسافة ٥٠ كلم إلى الشرق على الطريق من نجد؛ يَمَلُّم على مسافة ٦٠ كلم إلى الجنوب الشرقي على الطريق من اليمن؛ وأخيراً مرفأ جُذَة الذي هو اليوم المحطة الأكثر استخداماً.

من ثمّ يمكن أن يختار المؤمن، لتأدية حجه، واحداً من ثلاثة نماذج تُعرض عليه قبل الإفصاح عن نيته التي تشرعن وحدها دينياً ما سيقوم به من أعمال: الأفراد هو

انتقلت هذه المهمة، لفترة وجيزة، إلى خصومهم الإسماعيليين، الخلفاء الفاطميين في القاهرة، في نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، لكن، بفضل مساندة الزعماء السنة الأقوياء، أي السلاجقة وخلفائهم، استعاد العباسيون وصايتهم على الحجاز ومارسوها بأبهة متميزة في عهد الخليفة الناصر لدين الله. بعد العام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، تولى الإشراف على الحج مماليك مصر الذين كانوا حكامًا عاديين يتمتعون بنفوذ عسكري على المنطقة، مارسوه باسم الخلفاء العباسيين الذين فقدوا سلطانهم واستمرت سلالتهم في القاهرة التي نقلوا إليها رمز مكانتهم السابقة. في كل عام، كان العماليك يرسلون بانتظام، مع قافلة الحج الرسمية، محملاً مزيناً وفارحاً مثبناً على ظهر جمل ليوضع في مقابل مكة ثم في عرفات، إلى جانب اليباري التي كان الخليفة يرسلها منذ مدة طويلة. يصعب تحديدها بدقة - للدلالة على مشاركته الرمزية في مناسك الحج.

إن الاتساع المتزايد لوقعة العالم الإسلامي وتجزئته في القرون الوسطى الأخيرة دفع ببلدان أخرى إلى إرسال المحامل. غير أن المحمل المصري احتفظ بالأولوية، إلى أن ضمّ العثمانيون الشرق الأوسط إلى أمبراطوريتهم في القرن السادس عشر. عندئذ أرسل السلطان العثماني المحمل الرئيس من اسطنبول، لكن ذلك لم يبطئ تقليد إرسال المحامل الأخرى حتى الفترة المعاصرة. كان المحمل المصري آخر المحامل الموضوعة في الخدمة حتى بعد زوال الدولة العثمانية وصلاحياتها. تم إلغاؤه نهائياً في العام ١٩٥٢، وكان قد تعثر إرساله مرات عدة بسبب شروط آل سعود المتشددة، وعلى الأخص ابن سعود، سيد المدن المقدسة في العام ١٩٢٤ وملك الحجاز سنة ١٩٣٠.

إضافة إلى مفاعيل الصراعات السياسية، كانت مسألة إدارة احتفالات الحج تزداد تعقيداً على مر العصور. في القرون الوسطى، كان الحجاج يسافرون في قوافل تنطلق من بعض المدن الكبرى مثل بغداد والشام والقاهرة. كانت الطريق محفوفة بالمخاطر نظراً إلى الأوضاع المناخية القاسية في المناطق الصحراوية، ومخاطر هجمات البدو الرحل. كانت قافلة الشام تصل إلى المدينة المنورة بعد

إلى الأثر التطهيري الذي يكسبه الحاج وافراد عائلته. يخضع الحاج، بعد ذلك، لحلاقة شعر رأسه جزئياً ويعود إلى الكعبة ليقوم بطواف أخير. ثم يعود إلى منى لقضاء ثلاثة أيام من ١١ إلى ١٣ ذي الحجة، وهي أيام استراحة تتخللها أيضاً أعمال رجم بالحجارة. بين كل هذه الأعمال الطقسية، هناك اثنان أساسيان: الطواف حول الكعبة الذي هو عمل عبادة، والوقوف بسهل عرفات حيث يرجو الحاج غفران رزائه. من ناحية أخرى، أظهرت مناقشات رجال الفقه اختلافات في تحديد مواصفات كل من الطفوس الأخرى، فميزوا بين الأعمال الإلزامية والأعمال الموصى بها وحسب، ولحظوا كمّات متنوعة للمخالفات، تقضي إما توزيع الطعام على الفقراء، وإما بذبح الأصحيات.

٣ - ولجعت تأدية الحج على مر التاريخ الإسلامي صعوبات أفضت إلى تطوير بعض سماته وإلى نتائج متنوعة. فمدينة مكة التي هي اليوم، بما تشهده من احتفالات، مكان يلتقي فيه المؤمنون الآتون من بلدان متباعدة، كانت، منذ القرون الوسطى، مكان التفاء المسلمين الآتين من المغرب أو من أفريقيا السوداء، ومن الأناضول ومارءاء النهر والهند وأندونيسيا، وكلهم يتنسون إلى لغات وإثنيات مختلفة. لكن لقاءهم ببلد، في أن، على الوحدة العميقة للعالم الإسلامي الذي يتنمون إليه، وعلى التنوع الكبير للشعوب التي يتكوّن منها. وكانت هناك مشكلات عدة تتعلق بتنظيم مثل تلك التجمعات وبأمن المشاركين فيها، وهي مشكلات عملية وسياسية اجتهد القادة المسلمون على مر العصور في حلّها.

في الماضي كان الخليفة عادة يتولى إدارة الحج ويضطلع بمسؤولية قيادة أكبر القوافل التي تؤم مكة في المناسبة. وكان مندوب الخليفة، أي أمير الحج، يقود في معظم الأحيان الفرق التي يفصلها الخليفة رسمياً لهذا الغرض، ويقوم بمهمة رئيس القافلة. ورغم هذا التفويض لسلطته الخاصة، يبقى الخليفة، تحديداً، حارس الأماكن الإسلامية المقدسة، مكة والمدينة، وهي مهمة اجتهد الخلفاء العباسيون في الاضطلاع بها بتجّاح، إلى أن فقدوا السلطة في العراق عندما غزا مغول هلاكو بغداد في العام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

مع العلم أنّ تقديره ، ولّو بصورة تقريبية ، غير ممكن قبل القرن التاسع عشر . فبين ١٨٠٧ و ١٨٧٣ ، مثلاً ، نعلم أنّه راوح بين خمسين ألفاً وستين ألفاً سنوياً . منذ بداية القرن العشرين ، ارتفع بشكل ملحوظ بفضل التسهيلات الحديثة للتنقل ، لكنه بقي متقلباً بحسب السنين : ٢٥٠ ألف حاج في العام ١٩٢٦ ، لكن بمعدل وسطي راوح بين ١٤٠ و ١٨٠ ألفاً بين ١٩٥٧ و ١٩٦٢ . كانت البلدان المشاركة كثيرة وما تزال ، وهي جمهوريات مصر والسودان ونيجيريا وسوريا والعراق وإيران والاتحاد الهندي وباكستان وأندونيسيا . هذه الدولة الأخيرة توفد سنوياً عدداً مرتفعاً جداً من الحجّاج . وما يزال عدد الواقفين إلى الحج في ازدياد ، بحيث بات يُقلق باستمرار السلطات المحلية في الحجاز ، بعد أن كان سابقاً مصدر رزق لسكان مكة ومنطقتها وللمملكة العربية السعودية في بداياتها . ففي العام ١٩٥٢ كان كل حاج يؤدّي رسماً بقيمة ٢٨ ليرة ، ولكن جرى الغاء منذ زمان طويل . هكذا لم يعد للحجّ اليوم أي مردود مادي بل هو ، على العكس ، مصدر إنفاق للحكومة السعودية التي تنكفي بتحمّل تبعاتِهِ بدقّة ، معزّزة ، من خلال تأدية هذا الواجب ، السلطة السياسية والدينية للملك الذي أصبح بدوره « خادم الحرمين الشريفين » .

الحجّاج بن يوسف الثقفي ٤١-٩٥هـ/٦٦١-٧١٤م ، قائد حرب وحاكم من أصل عربي ، وقد أسس الخلافة الأموية وخدم بإخلاص خليفتين من هذه السلالة . أصله من الطائف في جزيرة العرب ، كان رجل دولة بكل ما للكلمة من معنى ، ومقاتلاً قويّ الشكيمة . ساند الخليفة المرواني الأموي الثاني عبد الملك بن مروان في بسط سلطة الخلافة من جديد ، بعد فترة من الاضطرابات والفوضى . لقد انتصر أولاً سنة ٧٣٣هـ/٦٩٢م على ابن الزبير ، الذي ادعى الخلافة لنفسه ، وذلك بعد أن حاصر مكة مدة طويلة ، ثم أعاد السلم إلى الحجاز . تولى حاكمية العراق وضمت إلى ولايته الأقاليم الشرقية في خراسان وسجستان ، فعهد بهما إلى فتيبة ابن مسلم الذي قام بأدائها بنجاح تحت إشراف الحجّاج الذي أقام في مدينة واسط التي أسسها بعد أن سحق المتمردين ، وظلّ ، حتى وافته المنية ، ساهماً على ازدهار البلاد التي عهدت إليه وتولى شأنها . نهض

ثلاثين يوماً ، متوقّفة في حصون صغيرة أقيمت على مسار الطريق بالقرب من نقاط الماء . أمّا القافلة المصرية التي كانت تنطلق من القاهرة وكان ينضم إليها ، إضافة إلى قافلة مغربية ، حجّاج مغاربة يأتون إلى الاسكندرية بحراً ، وحجّاج آخرون أتون من أفريقيا الغربية عبر الصحراء الكبرى ، فكانت تبلغ المدينة خلال ثلاثين يوماً تقريباً مروّراً بالعقبة . كان هذا المسار هو الأكثر سلوكاً في القرن التاسع عشر ، في حين كان الحجّاج الذين يمتزّون بمصر يختارون ، في عهد الصليبيين ، عبور البحر الأحمر عند مرفأ عيذاب ، بعد أن يصلوا إليه عبر نهر النيل . أمّا السفر في طريق البحر فقد توقّف مؤقتاً بسبب تعديلات الفرنج ، ليعود مجدداً في نهاية القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد ، لكن من دون أن يلغي السفر المباشر في طريق البحر .

في المناطق المغفرة من الجزيرة العربية تتدنى معرفتنا بالطرق التي كانت تسلكها القافلة العراقية وينضم إليها حجّاج من إيران ، وأيضاً بالطريق الذي كانت تتبعه القافلة اليمنية . لكننا نعرف أنّه كان هناك طريق جيد مجهّز بمعامل يربط بغداد بمكة ويدعى « درب الحج » . وقد خضع لأعمال فنية شملت تسوية الأماكن الوعرة وبناء خزانات ماء في المحطات الرئيسة منذ عهد هارون الرشيد ، كشفت التنقيبات المعاصرة بعض آثارها .

ظهرت في فترة لاحقة صعوبات من نوع آخر بسبب تغيّر عادات السفر في القرن العشرين وظهور وسائل نقل جديدة ، مثل سكّة الحديد بين الشام والحجاز التي أنجزت سنة ١٩٠٨ والتي قصّرت مدة الرحلة إلى حوالي ستين ساعة ، إلّا أنّ هذا الخط الجديد الذي كلف جهوداً جبّارة لم يؤمّن الخدمات التي توقّعها المسؤولون العثمانيون بسبب مشكلات الصيانة واعتمادات البناء وتدمير جزء منه خلال الحرب العالمية الأولى . لكن سرعان ما تبدلت ظروف السفر والمأوى ، بفضل الانتقال جواً والتحسينات الصحية التي ينشأها ازدهار النفط في شبه الجزيرة العربية والإنشاء الذي نتج عنه ، فقد أخذت سلطات المملكة العربية السعودية تدابير مراقبة صارمة تجتنباً للاثابة .

لكلّ هذه الأسباب يزداد عدد الحجّاج اليوم باستمرار ،

الْحُجَّةُ (للجوء إلى -)، في الإسلام يتم اللجوء غالباً إلى الحجة وفقاً لمطلوبات العدالة التي تسمح بذلك عن طريق ثلاث وسائل: الإقرار أو الاعتراف والشهادة وأداء اليمين.

الإقرار يجب أن يصدر عن شخص راشد سالم العقل، يعمل بملء رضاء، بحيث يعلن هذا الشخص أمام القاضي أنه بقر بأن شخصاً له حق عليه. ويلي الإقرار أعمال مدونة تحمل الاسم نفسه.

الشهادة هي الحجة بامتياز، بموجب الآية القرآنية: ﴿... وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ [....] وَاسْتَشْهِدُوا بِمَا نَكَحْتُمْ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٨٢).

اليمين هي التصريح بشي، ما، مع ذكر اسم الله. تؤدى أمام القاضي ولا يمكن اللجوء إليها إلا في حال عدم وجود حجة أخرى. كما يمكن تأديتها مرّات عدة لمزيد من القوة. تُقْبَلُ يمين غير المسلمين وفق صيغة معينة خاصة بأناء كل طائفة.

إلى جانب ذلك، من وجهة نظر كلامية، تُطلق تسمية «حجة» عند الشيعة على الشخص الذي يُسْتَعْلَمُ على البشر التقرب من الله. عند الإماميين الاثني عشريين الأقدمين، الحجة هو الإمام الثاني عشر. أمّا عند الفاطميين فالحجة كان ذا مقام كبير، هو داعي الدعاة، وعند النزاريين كان ممثل الإمام بزار. في أيامنا الحاضرة ظهر مصطلح الحجة في عبارة حجة الإسلام، وهو لقب منح للمجتهدين المبرزين في إيران خلال عهد القاجار.

الحجر الأسود ← الكعبة.

حد - حدود ← العقوبات الشرعية.

الحدود أو العقوبات الشرعية والعقوبات الاستثنائية، في المجتمع الإسلامي، هي مجموعة العقوبات التي تُنْزَلُ بمرتكبي الأخطاء والجنح ذات الطابع الاجتماعي والديني، وفاق ما نصّ عليها الشريعة بوضوح، أو بفقرها رئيس الجماعة وممثلوه.

في ما يتعلق بالجنح التي تستدعي العقوبات، ينبغي التمييز بين الجنح الصغيرة التي لم يرد أيّ تدبير بشأنها في القرآن الكريم وفي السنة، والجنح الكبيرة التي

الحجاج بدور نائب الخليفة عبد الملك أولاً، ثم بدور نائب الوليد الأول بن عبد الملك الذي يدين له بوصوله إلى سدة الخلافة. وقد أمّده الحجاج بكل الوسائل ليوسّع دائرة فتوحاته نحو الشرق، بصورة خاصة في اتجاه ما وراء النهر.

إنّ مساوئته المتصّلة والمثّالة، وفي بعض الأحيان شرسته، يَسْرَتَا له القضاء على أعمال الشغب السياسية الدينية، والتورّات المسلّحة، ومكنته من الحد من الخلافات القائمة بين القبائل العربية الكبرى، التي كادت أن تقرض مستقبل الأمويين وتهتدّد وحدة الإمبراطورية، بحيث أصبح شخصه مضرب الأمثال. فاستمرّ الناس في تمجيد مزاياء العقلية وذكراته وبلاغته وسلامة ذوقه الأدبي، ولا سيما وفاته نجاه الخلفاء الذين اختار أن يدعمهم، الواحد تلو الآخر، فاكسب شهرة الظهير المخلص الذي لم يحط أي خليفة، في ما بعد، بمثل له.

الحجاز، تعني لفظه الحجاز «الحاجز»، وهي منطقة جبلية في الجزيرة العربية، تشكّل الجزء الغربي منها حيث تقوم الأماكن المقدسة الإسلامية، وهي اليوم تشكّل جزءاً من المملكة العربية السعودية.

يتألف الحجاز من منطقتي عسير ونجران المجاورتين لليمن، ومن سلسلة من المرتفعات الشديدة الانحدار التي تفصل السهل الساحلي المتناخم للبحر الأحمر والمسمى تهامة، عن الهضبة الصحراوية الوسطى والمسماة نجد. ويبدو أنّ هذه السلسلة هي التي أعطت الحجاز اسمه الحالي.

وهذه المنطقة تضمّ، في معناها الواسع، الشاطئ الذي يقوم عليه مرفأ جُدّة؛ وفي الداخل، إضافة إلى مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة، تمتدّ واحة الطائف، وقد تطوّرت مدينة الطائف كثيراً في الفترة المعاصرة. لم يشكّل الحجاز، عبر التاريخ، وحدة سياسية مستقلة إلا في عهد الشريف حسين، أي من ١٩١٦ إلى ١٩٢٤. أمّا منذ العام ١٩٢٥، فالحجاز جزء من أراضي المملكة العربية السعودية ويضمّ منطقتي مكّة والمدينة ومقاطعة تبوك في الشمال.

في مقابل أداء ثمن الدم أو الذية - وهي مبلغ مفروض للتعويض عن الضرر الحاصل - من يرتكب القتل غير المتعمد، عليه أن يؤدي الذية وحسب. كما أن عقوبة القصاص لا تطال النساء الحوامل ولا أسلاف الفحصة. وإذا أخذ بالقصاص - وهو أمر يستدعي إذاً ناتجاً عن دعوى تُقام أمام القاضي - بعد نيبان البرهان الواضح على الذنب - يجري الإعدام، بحسب رأي أبي حنيفة، بقطع الرأس بالسيف. في واقع الأمر، لم تصلنا أية رواية عن مدى تطبيق مبدأ الثأر في القرون الوسطى.

بالنسبة إلى الجنح الأخرى التي تستحق عقوبات قانونية، لا يمكن أن نتابع الجهة المتضررة بشأنها؛ هناك أولاً الزنى أي العلاقات الجنسية بين رجل وامرأة محرمة عليه، أي إنها ليست بزوجه الشرعية ولا بجاريته. في هذه الحال، يعاقب المسلم الحر بالرجم إذا كان متزوجاً، وآلاً فبمئة جلدة، وللمرأة العقاب نفسه. في الواقع لا يذكر القرآن إلا الجلد:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدٍ...﴾، (سورة النور: ٢٠).

إن عقوبة الرجم تستند إلى السنة وإلى حديث واحد، لكن لا يمكن تطبيقها إلا إذا أقر المذنبون بذنبهم أو بناء على شهادة جازمة من أربعة شهود من الذكور، وذلك شرط ورد في القرآن الكريم (سورة النساء، الآية ١٥)، لكن نادراً ما أمكن تطبيقه. وشهادة الزور في هذا الموضوع هي أيضاً محرمة، فالذي يقيم بالزنى رجلاً أو امرأة شريفة، من دون تقديم بيّنة، يعاقب بشاغلين جلدة، والذين يمارسون اللواط يعترضون للجلد مهما يكن وضعهم، وذلك بموجب آيات قرآنية تذكر العقاب الذي نزل بشمب لوط. أما أبو حنيفة فيعتبر التائب كافياً في المرة الأولى، وإذا تكرّر ذلك يصدر عنه عند الحكم بالموت.

في مرتبة ثالثة تندرج السرقة، فثبّر يد السارق اليميني بموجب الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا كَفْلًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة المائدة، الآية ٣٨).

لا تطبق العقوبة إلا إذا كان الماروق ذا قيمة وباعتترف مرتكب السرقة أو إبانها من قبل شاهدين

تستدعي عقوبات محلدة عرفية أو شرعية، كالقتل والأعمال التي تسبب بالحجوح، أو الجنايات. في القرآن الكريم آيات كثيرة تمنع القتل بغير وجه حق، وتعطي ممثل الفحصة الحق في الانتقام الذي يجب ألا يصل إلى حد القتل:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جُنَاكَ لِإِيمَانِهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ مَن لَّمْ يَكُنْ مَنُورًا﴾ (الإسراء، ٣٣). ﴿وَمَا كُنَّا بِمُؤْمِنِينَ أَن نَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا حَقًّا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَهُوَ يُقْتَلُ وَكَفَرًا مُّؤْمِنًا قُتِلَ فَمِوْتُهُ قَتْلًا مُّؤْمِنًا وَكَفَرًا مُّؤْمِنًا قُتِلَ فَمِوْتُهُ قَتْلًا مُّكْفَرًا وَلَئِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَتَعْلَمُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الْوُجُوهَ وَيُنْزِلُهَا لَعَنَ اللَّهُ الْفَاسِقِينَ الْفَاسِقَاتِ لَكُم مِّنْهُنَّ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ فَكَانَ مَقْتُولًا مَّنْ لَّمْ يَجِدْ فَسَيَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُنْكَادِرًا مِّنَ الْعَذَابِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء، ٩٢، ٩٣).

ينتج من ذلك أن حياة المسلم محمية شرعاً، وأن مصير قاتله من دون سبب مشروع هو إلى الجحيم، فيما يعرض نفسه لانتقام أقرب أقرباء الفحصة. فلا يُبرّر القتل إلا عند قتال «الطاغية الظالم» الذي ربما يكون رئيس الجماعة. غير أنه يجب الاتفاق على تحديد معنى الطاغية، وهي مشكلة طرحت نفسها منذ الأيام الأولى للإسلام عندما اغتيل الخليفة الثالث للنبي، عثمان بن عفان، ثم خلال الحروب التي اندلعت بعد ذلك بين عليّ وخوصه.

كما أن ثمة أية أخرى تنظم حتى الانتقام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثَابِتُوا كَيْدَ عَدُوِّكُمْ الْمَوْتِ فِي الْقَتْلِ الْفَرِّ بِالْحَرْبِ وَالْقِتْلَةِ وَالْقِتْلَةِ وَالْقِتْلَةِ بِالْأَقْبَرِ قَتْلَ عَدُوِّكُمْ مِّنْ أَيْدِيهِمْ قَتْلًا بِالْمُؤْمِنِ وَأَنَّهُ إِلَى اللَّهِ يَمُوتُونَ ذَلِكَ تَقِيَّتُكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبِمَنَّةٍ قَتْلَ عَدُوِّكُمْ بِمَا كَسَبُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٧٨).

في هذه الحال، تُعتمد عقوبة القصاص المستمدة من الثأر الذي كانت تمارسه قبائل الجزيرة العربية قبل الإسلام، لكن تطبيقها محدود إذ كان في إمكان المعتدي عليه - في حال كان جريحاً - أو أحد أقربائه - في حال موته - عوضاً عن أن يطالب بحقه، أن يغفر للمعتدي،

للآية القرآنية: ﴿مَنْ حَكَّرَ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِسْمَاعِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأَمْرِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَنُفِثَ عَنْ عَذَابِ رَبِّكَ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل، الآية ١٠٦).

في هذا السياق أوردوا أحاديث من مثل هذا: «جزاء المرتد القتل». يختلف الفقهاء حول المدة الواجب منحها للمرتد قبل إعدامه، وحول ما إذا كان على الدولة أن تصدر ممتلكاته كافة أو تلك التي حصل عليها بعد ارتداده تحديدًا. وفاق بعض الفتاوى، لا يجري حكم القتل على النساء المرتدات، بل يُعاقبن بالسجن وحسب. أما العبيد فصيهم في هذا الموضوع نصب الأحرار.

كذلك المبتدع المعروف بالزندقي، وهو مسلم في الظاهر وكافر باطنًا، بحسب تحديد المالكي ابن أبي زيد القيرواني، يواجه هو أيضًا عقوبة الإعدام. كما يواجهها كذلك الذمي الذي يشتم نبي الإسلام (ﷺ) ولا تقبل نوبته، وذلك الذي يرفض الزمام أنظمة الإسلام وأداء الجزية. أخيرًا، إن المسلم الذي يمنع عن أداء فرائض دينه يجد نفسه في حالات مختلفة، فالذي لا يدفع الصدقة الشرعية يتم حسمها منه تلقائيًا من دون عقوبة أخرى. أما الذي يمنع عن إقامة الصلاة فيعتبر مرتدًا إذا تعمد ذلك واستمر في امتناعه، وإذا كان ذلك مجرد إهمال يوجه إليه التأنيب حصراً. والمسلم الذي لا يؤدي فريضة الحج إلى مكة لا تطاله أية عقوبة إذ إن أمامه العمر كله لتأدية تلك الفريضة. أما إذا أنكر وجوب تلك الفريضة فيمكن اعتباره مرتدًا ومعاملة على هذا الأساس. ذلك ما أصاب الصوفي الحلاج الذي حكم عليه وقُتل في بغداد سنة ١٠٣١هـ/٩٢٢م.

لقد جرت بين رجال الفقه نقاشات حول إمكان/إزالة عقوبات متراكمة بالمجرم، فأجمعوا على نفي ذلك، إذ إن عقوبة الإعدام تلغي بشكل خاص كل عملية بتر سابقة، في حال كان المتمرّد يقوم أيضًا بقطع الطرق. لكن إخباري القرون الوسطى يذكرون في أخبارهم أنّ متمرّدين أعيدوا وعُلقوا على المشقة بعد أن كانوا قد خضعوا لعمليات بتر. في أيامنا هذه، تخلّت مختلف البلدان الإسلامية، على وجه العموم، عن هذه الأحكام

محترمين. إذا كثر السارق فعلة تُبتر رجله اليسرى، وإذا استمر في تكرارها فأزاء الفقهاء تختلف: بحسب الحنفيين والحنبلين، يُسجن السارق في المرة الثانية، وبحسب الشافعيين والمالكيين تُبتر يده اليسرى في المرة الثانية ورجله اليمنى في المرة الثالثة.

كما يُنزل العقاب الشرعي بأربعين جلدة بموجب الحديث والسنّة في من يعاقب الخمرة أو أي شراب سكر بحسب الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْفَرْسُ وَالْكَبِيرُ وَالْأَسْأَدُ وَالْأَكْلَامُ رِشٌّ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة البائدة، الآية ٩٠).

ولقاضي الطرق والكافرين والمتمرّدين عقوبات فانونية أيضًا، وقطع الطرق هو جريمة توقيف المسافرين على الطرقات أو في الصحراء لسلبهم ممتلكاتهم، وهي جريمة يعاقب عليها: ﴿وَمَا جَزَاؤُهُ إِلَّا أَنْ يُخَارِجَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَسْتَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَخُوا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَكَفِّرُوا عَنْهُمْ اللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة، الآيات: ٣٣ و٣٤).

بصورة أوضح، وضع الفقهاء عقوبات لخصها ابن قدامة كما يلي:

جزاء قاطع الطرق الذي يقتل ويسرق، القتل وتعلق جثته على مشقة لإعلام الملا بعقابه. أما الذي يقتل ولا يسرق فيُقتل ولا تُعرض جثته. والذي يسرق ولا يقتل تُبتر يده اليمنى ورجله اليسرى في آن، والذي يزود الرعب على الطرقات من غير أن يقتل ويسرق، يجب نفيه من البلاد.

أما المتمرّد الذي يرفض الاعتراف بالسلطة الشرعية فيجب محاربته بشتى الوسائل. في إمكان رئيس الجماعة أو من يمثله أن يأمر بقتله من غير محاكمة، وفقًا للآية القرآنية التي استند إليها قديمًا الخوارج لرفض تحكيم أذرح: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوا فِي الْكُفْرَيْنِ اقْتُلُوا فَاصْهَلُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَدَأَ إِكْثَرُهُمْ عَلَى الْآخَرِ فَقَاتِلُوا إِلَى تَبَيُّنِ حَقِّ قَوْمٍ فَإِنْ كَرِهَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَقَاتِلُوا فَإِنَّمَا تَلَفَتْ أَمْوَالٌ لَكُمْ بَيْنَهُمَا بِالْكَذِبِ وَالْقِيَامِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة الحُجُرَات، الآية ٩).

أخيرًا يواجه المرتد عقوبة الإعدام إن لم تنب، وفقًا

تدخل إلى دار الإسلام المُسترفين المُستقدمين خصيصاً للخدمة في جيش دولة الخلافة، فيجتازون تلك الحدود، ولا سيما في آسيا الوسطى.

وهناك تخوم أخرى نائية كانت تشكل مناطق تجري فيها هجمات وهجمات مضادة بين جيوش متحاربة، تنصرف في ما بينها إلى تجريد حملات موسمية. هكذا كان الوضع في الأناضول وفي الأندلس حيث، عند حدود الأراضي المُقسَّمة أجنالاً أو «دوائر حربية»، كانت تتواجه، من جهة، الجيوش الإسلامية، ومن جهة أخرى عساكر بيزنطية، أو الدول المسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية، المعروفون لدى المؤرخين العرب باسم الفرنج أو الفرنكبيين. كانت هذه الحدود - التي تتجاوزها باستمرار تلك الغزوات - غير واضحة المعالم، بحيث كانت تنبذل باستمرار عبر الأزمنة. وقد تميَّزت بتنظيم خاص للولايات الحدودية يجعل منها منطقة واقية، كما تميَّزت بوجود تحصينات، كذلك التي كانت تحمي سوريا الشمالية ضد غزوات البيزنطيين، أو بوجود حصون صغيرة معروفة بالرباطات، يستخدمها مقاتلو الحرب الشرعية. أي المجاهدون المعروفون بالغزاة. هكذا نشأ تنظيم خاص بالمناطق الواقعة في جوار سوريا ومنطقة ما بين النهرين العليا في مستهل العصر العباسي، عندما أنشئت فيه مقاطعات الثغور والعواصم أو المدن الحامية^١.

هذه الحال، التي كانت ما تزال سائدة في العهد الحديث، على امتداد الحدود الأوروبية للإمبراطورية العثمانية، زالت خلال الحقبة المعاصرة، منذ تكوَّنت في البلدان الإسلامية دول قومية تحتمي وراء حدود مرسومة بوضوح.

الحُدُودِيَّة (صلح الحُدُودِيَّة)، ٦٢٨/٥٦م، صلح معقود في وإ، على مقربة من مكَّة، بين النبي محمد (ﷺ) وممثليين عن زعيم أعدائه، المشركين يومئذ، القرشي أبي سفيان.

سبق هذا الصلح حدثٌ أعرب خلاله ١٤٠٠ مسلم من المدينة عن رغبتهم في إقامة العمرة في مكَّة، فباعوا النبي محمد (ﷺ) في ظلِّ شجرة، وهذا ما عرف ببيعة

المجزائية بعد أن استبدلت بها، في العام ١٨٥٨، في الأمبراطورية العثمانية، أحكام قانون جزائي مستوحى من القوانين الأوروبية. لكن يستحيل تنظيم جدول محدد بالتعديلات التي أدخلت، منذ بداية القرن التاسع عشر أو في نهايته، في مختلف البلدان. بل تجدر الإشارة إلى أنَّ عقوبة البتر بسبب السرقة ما تزال قائمة في المملكة العربية السعودية، كما أعيد اعتمادها مؤخراً في إيران، بعد الثورة الإسلامية سنة ١٩٧٩، وفي موريتانيا.

أخيراً، وردت في القرآن الكريم جنحٌ ليس لها عقوبات قانونية محددة، منها انتهاك حرمة البيت، والهروب من القتال والنسيئة وشهادة الزور في غير حالة الزنى، وجميع أعمال التزوير والإخلال بالشرعية. ينتج عن هذه الجنح عقوبات اعتباطية أو «تعزير» يُنزلها بالمذنبين، عادة، المحتسب وليس القاضي، ويجب ألا تتخطى أضعف العقوبات القانونية (أي ٤٠ أو ٨٠ جلدة، بحسب المذاهب الفقهية)، وتكون مختلفة في طبيعتها. هناك عقوبات اعتباطية أخرى يتم فرضها باسم المحافظة على النظام، وهي، منذ القرون الوسطى، مناعة بصاحب الشرطة الذي كان مسؤولاً عن تطبيق أحكام القاضي بالقوة العامة. من بين تلك العقوبات الاعتباطية يُذكر، يتوخى خاص، السجن الذي لم يرد في القرآن، مع أنَّه كان معتمداً باستمرار وعلى نطاق واسع من قبل المسؤولين عن السلطة، بخاصة تجاه سكَّان المدن وقادة التمرد المحتملين أو المحرضين عليه.

حدود الإسلام، مفهوم كان له أهمية خاصة في العصور الوسطى، كانت هذه الحدود تفصل بين دار الإسلام وبلدان غير المسلمين المسماة دار الحرب.

فموجب قواعد الجهاد، كانت تقوم حالة حرب مستمرة مع تلك البلدان، لم توقفها سوى بعض الهدن القصيرة الأمد. أمَّا بعض الحدود، كذلك المجاورة للسهوب التركية والأراضي الواقعة في القوقاز أو البلدان السوداء، في النوبة بخاصة، فكانت تشكل الدفاعات المقامة ضد الغزاة من البدو، أكثرها شهرة كانت إرثاً من الماضي الإيراني عند باب الأبواب/دُرْبَنْد. مع ذلك، كانت تخترقها أنشطة تجارية، من شأنها أن

الشجرة» أو «بيعة الرضوان».

لم يكن في ذلك الحين من فصل بين مجموعة أحاديث ومصنف فقهي، لذلك يُعتبر «الموطأ» لمالك ابن أنس، مؤسس المدرسة المالكية، مرجعاً في الحديث والفقه في آن.

أما في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، فقد ظهرت أعمال حصرت توجهها في تصنيف الأحاديث وفقاً لمادة موضوعها. استند الفقهاء، في عملهم لدعم توجههم، إلى أحاديث لا نزاع فيها، تواترت سلسلة من الثقة أسندت إليهم عن ثقة. كان على هؤلاء الفقهاء، الذين عرفوا بـ «أهل الحديث»، أن يواجهوا الذين يولون الرأي الشخصي أهمية كبرى. وهكذا رأت النور ستة مجموعات تفوّقت على سواها ونالت إجماع الأمة الإسلامية، ومنها «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم»، ثم المجموعات الأربع المعروفة بـ «سنن» والمعادة لأبي داود، و«الترمذي» و«اللساني» ولابن ماجه، يضاف إليها «مسند» ابن حنبل، إذ إنّ الأحاديث فيه صُنّفت استناداً إلى نقلة الحديث وفاق الترتيب الزمني، لا وفاق المواضيع.

أما في ما يتعلق بالشعبة، فقد ألفوا مجموعاتهم الخاصة بهم، لأنهم لم يرضوا إلا بالأحاديث التي نقلها علي بن أبي طالب وأهل بيته. وأشهر مؤلفاتهم في هذا المجال «الكافي» الذي وضعه الكليني.

إنّ تداول هذه المصنّفات التي غدت مصادر معترفاً بها رسمياً، لم يحل دون مواصلة تعليم «سنة النبي» أو التقليد بطريقة مميزة. لقد خصّصت، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، مدارس في سوريا عُرفت بدار الحديث، حصرت عايتها بتعليم هذه المادة. وساهمت هذه الظاهرة في تأليف مجموعات جديدة، بعضها اجتهد في تجميع أصبح الأحاديث المتعلقة في موضوع معين ومحدد. كما أنّ العلماء واصلوا نقد النصوص المحفوظة عبر التحري عن شخصية الناقل ونوعية نقله (هل جرى النقل على لسان شخص أو أشخاص عدّة اتفقا في ما بينهم، أم لم يلتقوا) وألقوا في هذا الصدد معاجم بيّرت خاصة بدراسة الأحاديث، فخلصوا إلى تصنيفها ضمن ثلاث فئات كبرى تتوزع كما يلي: الأحاديث الصحيحة، الأحاديث

ثم رافق الذين أدوا البيعة نبي الإسلام (ﷺ) في طريقه إلى العمرة حيث اعترضهم المكيون وأوقفوهم. اتخذت المفاوضات منحى صعباً وانتهت بالاتفاق أن النبي محمداً (ﷺ) وأتباعه من المؤمنين يفتلون عاتدين إلى المدينة، على أن يعودوا في السنة التالية لإتمام العمرة بحرية غير مقروصة، لمدة ثلاثة أيام. وهكذا تمكّن النبي محمد (ﷺ) من أن يحصل من خصومه القدامى على الاعتراف بصفته رسولاً لله، في حين عقد الطرفان، أتباع الديانة الجديدة وجماعة المكيين المتمردين على الرسالة، هدنة لمدة عشر سنوات، ما أفسح في المجال أمام جماعات أخرى للانضمام إلى الفئتين المؤقتتين.

في الواقع حقّق المسلمون رغبتهم، فقاموا في السنة التالية بإتمام العمرة كما كان مقرّراً في المفاوضات السابقة. لكن بعد مضي شهرين، في كانون الثاني من عام ٦٣٠/هـ، وعلى أثر خلاف وقع بين حلفاء الطرفين، عقد النبي محمد (ﷺ) اللّية على اقتحام مكّة واحتلالها بدون تردد أو تأجيل.

الحديث، مجموعة النصوص التي تروي أقوال أو أفعال النبي محمد (ﷺ)، وهي تشكّل كذلك ستة النبي، وتعتبر أحد المصادر الأساسية للقانون الإسلامي أو الفقه.

تناقل النصوص المذكورة صحابة النبي (رضي الله عنهم)، ونقلوها بدورهم إلى أشخاص آخرين. وظلّ التواتر قائماً حتى جاء زمن وضع فيه أهل الاختصاص مجلدات تتضمن كلّ المعلومات التي استطاعوا جمعها.

لقد عرف العالم الإسلامي، في مطلع الإسلام وتفرّعات طويلة تلت نشأته وامتداده، علماء سُموا بالمحدثين، اقتصر جهدهم على جمع نصوص الحديث ونقلها. وكان من واجب كل طالب في العلوم الدينية أن يلتحق بهؤلاء المحدثين ويتلمذ عليهم أينما وجدوا، بصورة خاصة في إيران والعراق وسوريا ومصر.

تعود أقدم مجموعات الحديث إلى العصر الأموي، لا سيّما تلك التي أعدها الأوزاعي، وكان مؤسساً لمدرسة فقهية زالت في ما بعد، والزهرري (المتوفى في العام ١٢٤هـ/٧٤١م) وكان مقيماً في سوريا.

السليمة والأحداث الضعيفة.

تقع حِزَان عند تقاطع طرق إستراتيجية وتجارية في وادي بليخ - أحد سواعد الفرات، في منتصف الطريق بين النُجَاف/أورفا والرقة. وهي المدينة التي أطلق عليها الرومان اسم كَارْهِي (Carrhae). وقد ضمت إلى الأمبراطورية الإسلامية منذ سنة ١٩هـ/٦٤٠م. في عهد الفتوحات الكبرى، ثم أصبحت مركز إقامة مروان الثاني، آخر خلفاء بني أمية، وقد هُدم قصره بعد الهزيمة العسكرية التي قُوِّضت حكمه بعد قيام «الثورة العباسية».

في حين كانت حِزَان تشكل نقطة الارتكاز للغزوات العباسية الموسمية ضد الأراضي البيزنطية، كاد سكانها المشهورون بوثنتيتهم وبالإراث العلمي القديم الذي توارثوه وقاموا بنقله، أن يتكبدوا اضطهاد الخليفة المأمون لهم، لكنهم نجوا من ذلك لأنهم اعتُبروا من الصابئة، وهي بخلّة ورد ذكرها في النص القرآني، فعملوا معاملة أهل الذمة. من هنا كانت تسمية الصابئين التي عرف بها علماء المدينة الأصليون.

نبع من حِزَان عدد من العلماء ذوي الشهرة والشان، استخدمهم المأمون في تأسيس مراكز علمية كـ «بيت الحكمة» في بغداد، وفي تنشيط حركة النقل إلى العربية، فنقلوا كتبًا في الرياضيات، والطب، وعلم الفلك. إن أشهر علماء حِزَان المسيحي ثابت بن قزّة، إلّا أن بعض الذين اعتنقوا الإسلام، مع المحافظة على صفة الصابئين، برزوا بأعمالهم الإبداعية، أمثال عالم الفلك الثاني المعروف بـ Albatagnus، في حين أن آخرين، سواء أسلموا أو لا، انخرطوا في سلك الخدمة الإدارية الخليفة ككتبة، ومنهم من اختار أن يكون مؤرخًا ذا شأن مثل هلال الصابئين. في الواقع إنَّ عددًا مفيّزًا من متقفي حِزَان المعروفين بالصابئة شاركوا، إلى حد بعيد، في ازدهار الثقافة التي عرفها العصر الذهبي العباسي.

إنَّ هذه المدينة، التي ساهمت في نهضة مدرستها العلمية، تعرّضت في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، لتدمير معبدها الرئيسي، قبل أن تصبح عرضة للهجمات المتعددة ويستولي عليها الأتاتك زنكي سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م. ثم سقطت في أيدي سيّدِي سوريا نور الدين محمود وصلاح الدين اللذين أعادا لها وهجها.

الحُدَيْدَة (الجمهورية العربية اليمنية)، مرفأ حديث، يقع على شاطئ البحر الأحمر، استخدم، رغم مراسيه الميسرة، نقطة إنزال لسفن الخزاة الغريبة عن اليمن. لم تعرف هذه الناحية - التي ترسّخ اليوم دورها الإستراتيجي والتجاري - النمو والتطور إلّا في القرن التاسع عشر، وذلك وسط الجزء الحار والمعتّر من تهامة حيث لم يرد لها ذكرٌ قبل القرن الخامس عشر. كانت هدفًا لهجوم شتته قوَّات السلطان المملوكي قانصوه الغوري في العام ١٥١٦، ثمّ تراجعت إلى المرتبة الثانية عندما ازدهر مرفأ مخا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، واكتسبت أهمية سياسية في القرن التاسع عشر خلال الحملات التي قامت بها الجيوش التركية - المصرية إلى الجزيرة العربية لمقاتلة آل سعود. أدخلت، حوالي ١٩٦٠، تحسيناتٌ على تجهيزات مرفأها؛ وبعد الصراع بين اليمنين الشمالي والجنوبي، وعلى الرغم من قربها من مرفأ عدن، فرضت نفسها باب عبور بحريّ إلى مدينة صنعاء.

حرام، لفظة إصطلاحية عربية مستعملة في معجم «الفقه» وتعني «غير مشروع أو غير مباح»، في مقابل لفظة «حلال» التي تعني ما هو «مشروع ومباح». إن لفظة «حرام» المشتقة من الجذر العربي «ح ر م» شأنها شأن حَزَم وحريم اللتين تحولتا في الفرنسية إلى «فرزم» و«هارم» (haram, harem)، تعني «المنعوت باسم الشريعة». بهذا المعنى تتميز لفظة «حرام» عن لفظة «متنكر»، أو المنهي عنه، التي تأتي في درجة أدنى من حرام في سَلَم الصفات المتعلقة بالأعمال الإنسانية الذي وضعه الفقهاء.

إن «حرام» قد تتضمن معنى «المقدس» كما تفيد عبارة «المسجد الحرام» التي تدل على مسجد مكة المكرمة. وهي عبارة واردة في الآية الأولى من سورة الإسراء التي تأتي أيضًا على ذكر «المسجد الأقصى».

حِزَان (الجمهورية التركية)، ناحية في المنطقة العليا من بلاد ما بين النهرين، تحتفظ بذكرى حصن مهمّ ومدينة قروسطية ما تزال آثارها بارزة حتى اليوم.

القصر ويسكنون فيه، وكانت أحياء بكاملها من عاصمة الخلافة تحت إمرة ضباط من جماعتهم جرى إعتاقهم. توزّعوا على ألوية مختلفة وندخلوا في الحياة العامة مرّات عدّة، وغدّوا اضطرابات انتهت باغتيالات خلفاء أو إزاحتهم، وبخاصة في الفترة المعروفة بمرحلة سامراء. في نهاية تلك المرحلة أصبح الغلمان من جنسيات مختلفة. فإلى جانب الأتراك كان هناك عبيد قدامى من الدّيلم وبربر وسود البشرة من النوبة. وكان بعضهم وظائف محدّدة في مراسم البلاطات، وبخاصة حامية المعامل وتكوين سياج حوله إبان مقابلاته، وكانت زينة ثيابهم ومظهرهم وسلاحهم تقرض الهيئة على الزّوار. وكانوا يخضعون للحاجب أو لوكيل بيت المال، إلّا أنهم كانوا يتلقّون الأوامر من أمراءهم الذين كانوا يعرفون بالقوادر، وكان هؤلاء تابعين بدورهم لفقائد الأعلى للجيش. لذلك كان لهم دور في ثورتي القصر. أتام المقتدر، اللتين باءتا بالفشل في بداية القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد. وقد تمّ انتخاض من المحرّضين الأساسيين منهم بطريقة عنيفة أو بمذابح.

وكان هناك ميليشيات من العبيد تحمي الحكم التابعين رسمياً للخليفة العبّاسي، وكذلك أساد الحرب الذين لا يعرفون إلّا إسمياً بسلطنته. وكان منهم عند الطولونيين والإخشيديّين في مصر، والسمانيّين في ما وراء النهر، والغزنويّين والغوريّين في أطراف إيران. وقد رسموا على الجدران رسوماً لهم يبرزاتهم العسكرية وبخاصة على جدران قصر لشكري بازار. وكان النظام نفسه متّبعاً عند منافسي العبّاسيّين، كالفاطميّين وأموّنيّ الغرب. وفي عهود لاحقة جتّد السلاجقة والخوارزمشاهيّون حرساً من العبيد، وقد لجأ إلى النظام عبّنه الأيوبيّون الأكراد في القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد. وقد استولى الغلمان الأتراك لدى آخر الحكّام الأيوبيّين على الحكم، وأقاموا نظام الحكم المملوكي السوري - المصري الذي كجّوه برئته وفاق تقدّمهم بانتظام نحو مراتب الشرف. وفي ذلك العصر كان الضباط من الحرس الشخصي يضيّغون إلى اسمائهم صفة مشتقة من اسم سيّدكم، أو بكلام أدقّ من لقبه. وهكذا كانوا

وظنّت بين أيدي الأيوبيّين إلى حين نقل سكّانها، سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م، إلى الموصل وماردين على أيدي المغول الذين هذّموا أبرز معالمها ومراكزها الأثرية.

ومع أنّ القلعة قامت بدور معيّن في زمن المماليك الذين احتلّوها سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، إلّا أنّ البيوت المهذّمة لم يُجدّد بناؤها. وفي عصرنا أفسحت أعمال البحث والتنقيب في إظهار بقايا السور الذي كانت تحترقه ثمانية أبواب مستطيلة الشكل، وكذلك بقايا المسجد الجامع الأموي الذي وسّعه نور الدين، وهو يقع على مقربة من القلعة، وأخيراً بقايا ضريح مينيّ خارج الأسوار ويعود بناؤه إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

أضف إلى ذلك أن حرّان كانت في زمن الأيوبيّين والمماليك مركزاً حنبلياً ناشطاً وقد وُلد فيها، سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م، الفقيه العلامة ابن تيمية.

◀ راجع المستدرك ٨: ٩ و ١٠.

الحرية ← الكيسانية.

حرس الملوك المسلّح، مؤسسة أساسية في التنظيم العسكري في العالم الإسلامي في القرون الوسطى، كانت تعبّر عن الأبهة والسلطة اللتين كان يتمتع بهما الفايضون على السلطة، كما كان لها، في أكثر الأحيان، دورها في التطوّر السياسي.

كان لكلّ الملوك تقريباً خدم أو حرس خاص، يجتذّبونهم بفضل نظام الرّق، وكانوا أحياناً من الخصيان، وفي أغلب الأحيان من الأجانب الذين لا علاقة لهم بالسكّان المحليّين. وكانوا يعرفون، بالعربية، بالعلمان، والغلام هو الفتى الصغير، ثمّ عُرفوا بالمماليك، وفي الأندلس بالقبان والصفالية.

تزامنت بدايات هذه المؤسسة مع التحوّلات التي أصابت الجيش والبلاط في عهد الخلفاء العبّاسيّين الأوّلين. في عهد المعتصم في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، جيء بعدد كبير من الأتراك الذين تمّ شراؤهم من سمرقند لتكوين نواة أوّل فرق مخلصة تمام الاخلاص لسيّدكم. بدأ العدد بثلاثة آلاف وارتفع إلى سبعة لا بل أكثر. كان هؤلاء الحراس يؤمّنون خدمة

على الأباطوريات الإسلامية الخليفة والسلطانية، إن من حيث القيمة الذاتية للأشياء المُشجَّرة، وإن للخصائص المميزة للثغنيات المستعملة التي طبقها، في ما بعد، عدد كبير من البلدان المجاورة. وقد نسبت هذه الانجازات أحياناً إلى متقِّدين غير مسلمين، ولا سيَّما في العصور الأولى للهجرة، إذ ترك أهل الذمة بصمات تقاليدهم الأسلوبية الخاصة في تلك الأعمال، وداخل المشاغل التي كانت تحرَّكها خبرتهم. لكنَّ هوية تلك الأعمال يجب ربطها بالانتماء الديني لطالبيها، سواء أكانوا من الأفراد الأغنياء أم من أبناء الأسر المالكة. وهؤلاء الأسياد كانوا يفرضون، محلياً، أنوافهم على الحرفيين من أفراد حاشيتهم المكوَّنة من الخدم الأتباع أو من العبيد.

وكانت هناك قواعد خاصة بالمجتمع الإسلامي، يسهر على احترامها وتطبيقها المحاسب المكلف من قبل الحسبة ب مراقبة الأسواق حيث كان يختلط صغار التجار والصناعيين الكبار، وحيث يتمُّ البيع بالجملة أو بالفقر. ولا شك في أن التقيد بتلك القواعد تحت مراقبة شخص ورث بعض مهامه من العصور القديمة لا يعني أن منطلقها الأوَّل كان دينياً حصرياً. وإذا كانت تلك القواعد قد أدخلت بعض أسس الأخلاق الإسلامية الاجتماعية، وعلى الأخصَّ الاقتصادية، بتركيزها على أنَّ الاستفادة في الأعمال التجارية بين المسلمين هي مطلوبة لإبعاد الغشِّ، وعلى أنَّ الأعمال الحرفية يجب أن تكون خالية من العيوب، فإنَّها لا تكفي وحدها لإعطاء فكرة عن مجمل الخصائص التي تميَّز العمل الحرفي وعن تنظيمه الخاص في القرون الوسطى الإسلامية. لا نجد فيها ما يبرِّز تقسيم العمل وفقاً لاختصاصات دقيقة جداً، وهذا التقسيم هو في أساس التكرار الآلي الذي نشهده في كل الأشكال الترتيبية، على الرغم من أنَّ كلَّ حِرْفٍ بلغ درجة عالية من المهارة في حفل اختصاصه. أيَّ أصل إسلامي يمكن إيجاده مثلاً في الإنتاج الثابت لأشكال مقولبة، ولرسوم مثبِّة يلجأ إليها المُلُونون ورَّاسمو الصور الممتنمة؟ والأمر نفسه يكون مع العاملين في الحِرَف الأخرى. لا يمكن أن نسب إلى عادات دينية واضحة، لا التجزئة التي عرفتها مراحل الانتاج، ولا

يتخذون ألفاناً معقدة، غائباً ما تلخَّص مسيرتهم منذ دخولهم في السلك العسكري.

وفي المرحلة عنها كان هناك جيش من العبيد في الهند من أصل تركي بصورة خاصة، فكانوا مكلفين بحماية السلطان، وكانوا كثيري العدد عند سلاطين دلهي الذين كانوا مثلهم عبيداً في الأصل. والقباط الذين شكَّلوا أوَّل سلالة من «الملوك العبيد» احتلُّوا لاحقاً مكانة رفيعة في بلاط الخُلجيين والتغلتيين، كما ساهموا في إنشاء دول إسلامية في مقاطعة الذكن. في إيران، توقفت هذه العادة لفترة خلال حكم الإيلخانيين الذين استوطنوا البلاد بعد الغزو المغولي، لكنها عادت بقوة مع وصول السلالتين الصفوية والقاجارية إلى الحكم. نظروَ نظام العُلماني في بلدان البحر المتوسط، إلا أنَّه عرف ازدهاره بشكل منظم في البلاد التي خضعت للعثمانيين. وقد جيء بهم من مقاطعات بعيدة وكانوا، بصورة عامة، فتياناً مسيحيين أُلحقوا بالجيش بحسب نظام الدُّوشرما. وقد توصل قسم منهم إلى التحكم عن كُتب بحياة السلاطين، ما أدى إلى استياء المسلمين الأحرار من أهل البلاد. غير أنَّ نفوذهم، الذي بلغ أوجه في القرن السادس عشر في دوائر الدولة، بدأ بالانحسار في القرن السابع عشر، حتَّى ان بقي عدد منهم - وكانوا يُعرفون بالكُشارية - في الجيش ووظائف البلاط، وقد أدَّت المشكلات التي طرحتها موقعهم إلى نهاية مأسوفة، في العام ١٨٢٦، لَمُنَ تبقَّى منهم.

الحِرَف أو النشاط الحرفي هي الأنشطة التي تأثرت بالقواعد الدينية الإسلامية - ولكن بأقلَّ مما يظنُّه البعض - والتي كانت لها الأولوية في ازدهار العالم الإسلامي القروسطي، وقد زُوِّدته بعض العناصر الضرورية لتفتح فنونه.

فالإلتباس الذي يحيط بمفاهيم واسعة الاستعمال كمفهوم «الزخرفة الإسلامية» أو «فن العمارة الإسلامية»، نجده كما أنَّه في الأصانة التي نعتز بها اليوم للأعمال الحِرَفِيَّة العائدة إلى البلدان الإسلامية في القرون الوسطى، وهي أعمال كثيرة ومتنوعة، ولكن تجمع بينها سمات مشتركة. والإنجازات الحرفية، التي غالباً ما أنت مميَّزة، ساهمت في إضفاء طابع الشهرة

تطوّر تفضيلاتها التي بلغت قمتها مع الطلاء التبراق المتعدد اللون. وتوصلت الأنسجة الثمينة المقصّبة أو الموشاة، وكذلك السجاد المحبوك بدقة متناهية، بفضل قيمتها التجارية العالية وغنى مكوّناتها الزخرفية، إلى مضاماة الإنجازات الدقيقة التي حققها فن تزيين الكتب وتجليدها. والمعروف أنّ المخطوطات كانت تستمدّ قيمتها من التجليد الفني وكذلك من معارف العلماء المتقنين الذين كانوا يقومون بأنفسهم بعملية النسخ. لم يتوان علماء الفلك أنفسهم عن إعداد آلات الرصد وعن كتابة أسمائهم على الإسطرلابات التي يساهمون في صنعها. وكانت بعض السمارسات، الناشئة في أغلب الأحيان عن التجربة الملموسة، تتطوّر بفضل النظريات الرياضية وعادات التفكير الخاصة بالأوساط المثقفة، كما كانت نواكب نمط الحياة في المجتمع الإسلامي القروسطي بكامله، ما يُفسّر الإنسجام الفني الذي طبع الإنتاج الحرفي التقليدي بمجمله.

حَرَمٌ، هي مشتقة من الجذر «ح ر م» بمعنى المنع أو الممنوع والمحزّم، لفظة تعني «أرض مقدسة، حرم ممنوع الدخول إليه». وقد يعود المعنى المذكور إلى ما قبل الإسلام، هذا إن صحّ حديث منسوب إلى النبي محمد (ﷺ) يذكر أنّ «لكل نبيّ حرمه».

أطلقت هذه التسمية، مع ظهور الإسلام، على مكانين مقدّسين، هما مكة والمدينة، ثمّ أضيف إليهما لاحقاً حرم القدس وأحياناً حرم الخليل. إلّا أنّ حُرُم الجزيرة العربية تميّزاً بفرادة جعلت منها رمزاً للتسمية التي خُصّ بها، وهي «الحُرَمَان»، وهي تسمية وردت في عبارات شاعت ولا تزال مستعملة حتى اليوم، مثل «خادم الحرمين الشريفين».

يتألف حَرَم مكة من المجال الذي يضمّ الكعبة، حيث يحزّم على الحجاج وغيرهم أن يقوموا ببعض الأعمال، ولا سيّما حمل السلاح، والصيد أو قتل الحيوانات (باستثناء الضأن منها)، وقطع أثنيات. كما أنّه يمنع على غير المسلمين الدخول إلى هذا الحرم. وعلى الحاجّ، مدّ يظاً ذلك المكان، عند مدخل إحدى المحطات المسماة «مقات»، إن يدخل في حال من التقديس بارتدائه لباس الإحرام.

ولادة طوائف الحرف التي يبقى أصلها غامضاً، ولا تنظيماً الأسواق المألوف حيث كانت الحوانيت ذات النشاطات المتشابهة مجتمعة في مكان واحد. كان هذا التجمّع يشجّع على المنافسة، ولكنه، في الوقت نفسه، كان يورّع على شكلٍ معيّن النسيج السكّاني للمدينة. وإذا كان من الصعب التحدّث عن نشاط حرفي إسلامي يعكس نتائج حالة كان وراها الإسلام وحده، فإنّه يمكن القول إنّ نظاماً شائعاً معتمداً في العصر العباسي، وربما أيضاً في العصر الأموي، هو الذي فرض عادات تتعلّق بالإنجازات «الصناعية» أو التزيينية، فأخصّصها لمراقبة السلطات المحلية ودفعها إلى إتقان أعمالها، ثمّ إلى نسخها وتقليدها في نماذج عديدة. وفي كلّ مرّة كانت شخصية الفنان تخفي وراء الحرفي الذي يتمتع وحده بوضع اجتماعي شرعي، وهو وضع يأتي حتماً أدنى من وضع عناصر أخرى في المجتمع، لكنه كافٍ، مع ذلك، ليؤمّن له قوته اليومي.

بين ممثلي هذه الحرف، أي القسم الأكبر من سكّان المدن العاديين، عدد من العمّال اليدويين الذين كانوا يلّون طلبات السكّان اليومية. فمنهم من كان يقدّم الموادّ الغذائية الأساسية، كالمحاصيل الزراعية التي كانت تُحوّل إلى دقيق أو سكر أو زيت في مطاحن الحبوب، ويُرسَل من ثمّ إلى الطهارة أو إلى صانعي الحلوى، فيقدّمون للمشترين مأكولات متنوعة. واهتمّ حرفيّون آخرون بأعمال ذات طابع كيميائي بدائي ولكنها ضرورية لتسيير أعمال الدباغين، والصباغين، وأصحاب معامل الصابون والظهور. كما انصرف أصحاب بعض الحرف إلى الأعمال القاسية، كالبناء والحداة والنجارة والخزاف، والندافة والحياكة، فقدّموا لأبناء المدن والقرى موادّ يتنعمون بها. إلّا أنّ أصحاب الحرف المهمة كانوا يعكفون على أعمال تنسّم بالدقة، فتمتبر من الكماليات وتلبي متطلبات التجارة الكبيرة ورغبات أبناء الخاصة.

هكذا ازدهرت الفنون الحشوية والمعدنية التي تميّز تحفها بترصيع منظم بدقّة من جهة، وبتعشّش تغنيها النحاسيات وتزيّنها الجواهر الثمينة من جهة ثانية. وعرفت مشاغل الخزافه من جهتها حظوةً متزايدة مع

مرحلة المجد الإلهي الذي يتجلى في شخص فضل الله. يتحقق هذا التجلي بواسطة الحروف التي تتطابق مع الخلق عند الله. وقد نوافر لفضل الله مريدون سعوا إلى تنظيم ديانة مستقلة في ما بعد، لكنهم أخفقوا كلياً. إلا أن الحروفية خلقت أثراً في الصوفية الفارسية.

الحريم، لفظة تدلّ على الخدر أو الموضع المحظور على الرجال. يحمل هذا الموضع، في المناطق الإسلامية غير العربية، أسماء محلية متعددة الأصول. إن توصيات القرآن الكريم - التي بالغ في تضخيمها الفقهاء - أرست العادة التي تفرض على البيوت، بما فيها خيم البدو، أن يُقَطَّع جزء منها ويخصّص للنساء: زوجات شرعيات، جوارٍ محظّبات، خادمات، قريبات بدرجات مختلفة. إن دخول هذه الخدور - التي توازي في بيوت الأثرياء وبلاطات الحكام جناحاً مستغلاً - لم يكن مجازاً إلا لسيد الأدار والأقرباء من الأسرة والأهل، وللخدام الذين كانوا في أغلب الأحيان من الخصيان. لقد أثر تنظيم هذا الحريم في جوانب مختلفة من الحضارة الإسلامية، بصورة خاصة في ما يتعلق بالهندسة المنزلية الداخلية التي وضعت نموذجاً يتفرّد به السكن الإسلامي، بحيث يفصل قاعات الاستقبال المشرّعة أمام الغرباء عن أقسام التمسك الخاصة بالحياة اليومية. كانت هذه الأقسام تمتدّ على مساحات واسعة، ولكنها تلاحق دائماً أماكن لا تطلّ على الخارج. إلا أن هذه الأجزاء من المنزل كانت منظّمة حول فناء واسع. حفظت نماذج من هذه الأبنية الضخمة المزينة بترف وفخامة، أهمّها تلك التي تعود إلى العهد العثماني، شأن أجنحة «حريم» قصر توبكابي سراي في اسطنبول.

حزقيال أو **حزقييل**، شخصية توراتية تُعرف أيضاً باللغة العربية باسم «ذو الكفّل». وردت في القرآن حيث ارتبطت ببعض الأنبياء. وقد بقيت شخصية ذي الكفل غامضة في التقاليد الإسلامية، حتّى إنّ بعض المفسّرين جعل منه تسبب النبيّ الباس. في المقابل، إنّ شهرة الأماكن التي اقترنت بمواقع قبره المختلفة وغدت زارات خلال تنامي حركة تكريم الأولياء، تشهد لها

أما أرض المدينة حيث غدا جامع نبي الإسلام (ﷺ) وقبره مرادين، فهي أيضاً منطقة مقدّسة يحزّم دخولها على غير المسلمين، وإن تكن حدود الاقتصار والحظر غير محدّدة بدقة، كما بالنسبة إلى مكّة.

إنّ المكان الثالث الذي اكتسب صفة الحزّم الشريف يقع في القدس ويتألّف من الساحة التي كانت تُعرف باسم المسجد الأقصى، حيث يقوم حتى اليوم المسجد الذي يحمل الاسم نفسه وقبة الصخرة. ولفظة حَزَم هذه أطلقت أيضاً، في عهد العثمانيين، على المقام الذي يضمّ في [مدينة] الخليل قبر إبراهيم، وهو النبي الذي كثره القرآن إذ نعتة بالخليل. وصفة الخليل صارت ترمز، في ما بعد، إلى حرم الخليل وبها سمّيت الناحية بكاملها.

ومن الجذر العربي نفسه «حرم» تشتق لفظتان أخريان هما «حرام» و«حريم»، كثر استعمالهما في تاريخ الإسلام.

الحرم الشريف ← المسجد الأقصى.

الحروفية، عقيدة ذات توجّه صوفيّ، غنوصي وسري نشأت في إيران، في أواخر القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، على يدي فضل الله الأسترابادي.

كان فضل الله سيّداً متحدّراً من الإمام علي، ولد في استراباد، سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. جذبه الصوفية، ومنذ حداثة سنه أظهر موهبة في تفسير الأحلام. بعد أن أنتم مرتين فريضة الحجّ إلى مكّة، انتقل إلى خراسان، ومن ثمّ إلى أصفهان حيث غلبت إقامته وجمع حوله عددًا من المريدين، وعزم، حوالي سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، على السعي إلى تحقيق «تجليّ المجد الإلهي»، فأسس حركة دينية مستقلة عرض عقيدتها في كتابات باللغة الفارسية.

حاول الأسترابادي جذب الحكّام إلى قضيته، فتوجّه إلى نيمورلنك في سمرقند، لكن بدون جدوى. فلجأ إلى ابنه مران شاه، في شروان، غير أنّه أوقف وأعدم سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م. تميّزت الحروفية ظاهراً بإعطائها معنى سريّاً لحروف الأبجدية، لكنّ عقيدتها هي أكثر تعقيداً من ذلك. إنّها أعلنت نهاية زمن النبوة وبداءة

١٩/٦٣٠م، غير أنه يصعب تكوين فكرة دقيقة وصحيحة عن طبيعة أشعاره، لأن الديوان المنسوب إليه يبدو، إلى حد كبير، منحولاً.

الحسبة، لفظة عربية تقنيّة تعني الواجب الذي تفرضه الشريعة على كل مسلم للأمر بالمتعارف والنهي عن المنكر؛ كما تعني، منذ القرون الوسطى، الوظيفة المتعلقة بهذا الواجب. يستند هذا الواجب إلى الآية القرآنية ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَتَّبِعُونَ آيَاتَ اللَّهِ وَلْيُؤْتُوا ذِكْرًا﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٠٤).

غير أن لفظة حسبة ليست قرآنية، والمعنى المشتق من جذر الكلمة أي «حساب» لا يمكن أن يُنسب بصورة مقبولة إلى الواجب المذكور سابقاً.

في الواقع إن المحتسب، أو الشخص الذي اضطلع بالحسبة، بشكل فردي أو رسمي، قد يكون الشخص الذي يكافأ في الآخرة على حسبه، إلا أن أصل الكلمة ما يزال موضوع شك.

إن الحسبة، بالعودة إلى الرسائل الفقهية أو إلى الفصول التي كتبت حول هذا الموضوع، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، في مؤلفات كتاب كالموردي والغزالي، تتعلق بصورة خاصة بالأفعال المنظورة الموصى بها أو الجديرة بالعقاب.

لا يتوجب على الشخص المسؤول عن الحسبة أن يهتم بما يجري داخل البيوت، ولا أن يصدر الأحكام في المخالفات التي رصد لها القرآن والسنة عقوبات شرعية هي من صلاحية القاضي أي، بمعنى آخر، من صلاحية المؤسسات القضائية.

والمحتسب لا يطبق القانون الجزائي، بل يسهر على تنفيذ احترام آداب السلوك واللياقة الإسلامية، استناداً إلى مبدأ القاتل: إن ممارسة الإسلام لا تقتصر على تجنب الأعمال الموصوفة بال«حرام» أو المنهي عنها، وعلى القيام بالأعمال الواجبة المأمور بها، بل إن الممارسة تقتضي القيام بالمتعارف وتجنب المنكر.

هذا التحديد للحسبة المرتبطة بواجب ديني لم يتجسد في الواقع قبل عهد أول الخلفاء العباسيين، حيث حل المأمور الذي عُيّن في هذا المنصب محل «صاحب

حيوية الزبارات التي استمرت في العراق إلى مكان يقع في جوار الجبل». وقد أشار إلى هذا الموضوع، الذي يُعرف اليوم باسم الكفل أو الكفل، دليلُ الهروي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، مشيراً إلى الأصل العبري للتسمية.

الحسا أو الأحساء، اسم منطقة في جزيرة العرب تقع على الساحل الشرقي، على امتداد الخليج العربي - الفارسي، وهي اليوم جزء من المملكة العربية السعودية. إن هذه المنطقة الصحراوية التي تقسم بعض الواحات، عُرفت كذلك باسم البحرين، لشدة ارتباط قدرها بقدر الجزر المجاورة والتي تشكل اليوم مملكة البحرين، وذلك حتى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تقريباً. اعتنق سكانها الإسلام باكراً واستخدمت أرضهم ملجأً للتحركات الثورية المتمردة على الخلافة، من الخوارج والإسماعيليين. وضعت الأحساء، في القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد، قلعة شيدها زعيم القرامطة، أبو طاهر، سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، وظلت صامدة حتى انتهاء حكم القرامطة في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي على يد سلالة تتحدّر من الأحساء، هي سلالة الغوينيين.

توالى على مجنّع الواحات عدد كثير من الأسياد الذين وضعوا يدهم عليه. ما إن استولى الوهايتون عليه في العام ١٧٩٤، حتى شهد دخول جيش محمد علي في العام ١٨١٩، واسترجع المجمع ثم استولى عليه في مذ وجزر، حتى اتخذ العثمانيون المقيمون في الحسا، في العام ١٨٧٢، القرار بضمّ المنطقة إدارياً إلى العراق. وفي العام ١٩١٣ احتلها أخيراً عبد العزيز بن سعود، المعروف في الغرب باسم ابن سعود، وضمّها إلى مملكة آل سعود الجديدة.

حسان بن ثابت، ؟-٤٤٠هـ/٦٦٠م، شاعر صدر الإسلام الشهير. ينسب إلى قبيلة الخزرج التي كانت تقيم في واحات يربث التي عُرفت بالمدينة لاحقاً. أسلم حسان منذ وصول النبي محمد (ﷺ)، ويبدو أنه استقبل، كأخيه له، عثمان بن عفان الخليفة في ما بعد، الذي كان آنذاك في عداد المهاجرين. شرع بمدح الرسول منذ العام

يعمل على منع الغش والتحايل على القانون، ما يمارسه أحياناً الصغار والتجار في مهنتهم، وهذه الممارسات وصفها بأسهاب مصنفات الحسبة.

ومن ضمن مهام المحاسب أن يوتغ أهل الجرح ووجهة إليهم الإنذارات. إن العقوبات الاعتبارية التي كان يفرضها عليهم كانت، على كل حال، أقل قسوة من أدنى عقوبة شرعية ينص عليها القرآن. ومن ممارسات المحاسب، في ما يتعلق بمعاقبته الإجرام، أنه كان يسير بالمخالف معتمراً بقعة الخزي والعار في شوارع المدينة. إلا أن مثل هذه الرواية لم تأت على ذكرها المصادر التاريخية إلا نادراً.

واقع الأمر أن الحدود بين وظيفة كل من القاضي والمحاسب ورئيس الشرطة لم تكن واضحة تماماً، وغالباً ما فُرض على الثلاثة تعاون وثيق، وغالباً ما حصل أن راقب القاضي وظيفة الحسبة. ولما كان الحكم السياسي يتخذ طابعاً عسكرياً، فكان يكلف رئيس الشرطة بمهام الحسبة.

إن تلك الوظيفة المنظمة استمرت في مجمل العالم الإسلامي من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، مع إدراك بعض التعديلات عليها عبر العصور. فُرضت مثلاً ضرائب على التجار وكان على المحاسب أن يستوفيها، ومنذئذ تحولت المهمة المدعوة احتساب في البلاد الإيرانية التركية إلى وظيفة تشتري وتباع، قائمة على الرشوة.

ولما تمّ تحديد الأسعار في بعض البلدان الإسلامية، أوكل إلى المحاسب أن يراقب احترام هذا التحديد وأن يحدد نسبة الربح. ويمكن الاستنتاج، من الأنظمة المنشورة في عهد العثمانيين، أن الحكومات كانت تولي مسألة استيفاء الضرائب، وتحديد الأسعار والربح اهتماماً أكبر من مراقبة الأسواق.

الحسن البصري، أبو سعيد بن الحسن بن يسار، ٧٢٨-٦٤٢/هـ ١١٠-٢١١، خطيب وزاهد من منطقة البصرة في عهد الأمويين، تميّز بأخلاقه وإرشاداته وتقواه التي كان لها أبلغ الأثر في النشأة الأولى للنصوّف.

هو من أصل عراقي من جهة والده الذي كان أسير

السوق السابق. فشملت وظيفته إذاً مهمات الشخص الذي كان يكلف سابقاً مراقبة الإنتاج الصناعي والمبيعات في المدن. وقد مارس هذه المهمات، إلى جانب أنشطة القاضي ورئيس الشرطة. أضف إلى ذلك أن كل مسلم كان يعتبر نفسه، باسم الواجب الذي تفرضه عليه الحسبة، معنياً بكل ما يجري في جواره، ومن واجبه أن يحول دون ارتكاب الأعمال المنكرة، بخاصة في مجال الأخلاق.

إن وظيفة المسؤول عن الحسبة بصفتها مأموراً مدنياً معترفاً به، انصحت أكثر في مؤلفات علمية متخصصة وضعت لاحقاً، في أواخر القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، سواء في الشرق أو في الأندلس. جاء في هذه المؤلفات أن المحاسب يسهر على المحافظة على الأخلاق، ويحول دون التعبير عن آراء هدامة - كالترويج للشبهة في سوريا الأيوبية مثلاً - ويراقب كيفية ممارسة العبادة، بصورة خاصة أحكام الصلاة؛ وعليه أيضاً أن يتحقق من أن السيد لا يتعرّض لسوء المعاملة، وأنّ معلّمي المدارس لا يمارسون أساليب العنف على تلاميذهم. كما أن العمل على احترام شروط السير والتنقل في الشوارع هو من وظيفة المحاسب الذي يمنع حدوث أيّ نعد، وإن كان مؤقتاً، على الطريق العام. أمّا المهمة الأبرز التي توكل إلى المحاسب فهي مراقبة أصحاب الجرف المختلفة، كما كان يفعل صاحب السوق سابقاً. ومثل هذه المهمة تتطلب الاعتماد على معاونين، إذ إنه من صلب وظيفته أن يتحقق من أدوات القياس والوزن والمعايير التي يستخدمها التجار تأميناَ لاحترام الوصايا التي تأمر بها الآيات القرآنية، ومنها الآيات ١٨١ إلى ١٨٣ من سورة الشعراء ﴿لَوْ لَوْ الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْلِينَ﴾ ﴿وَلَا تَبْخُسُوا أَخَاهُ تَبْخُسًا وَلَا تَقْرَبُوا فِي الْأَرْبَاعِ مَوْبِقِينَ﴾. ومن واجبات المحاسب، أخيراً، أن يرعى تنفيذ البيع بحسب الشروط التي وضعها الفقهاء لمختلف أنواع العقود، وأن يسمي إلى أن يحترم الناس قانون العرض والطلب. وهذا ما كان يجري باسم الأخلاق الاقتصادية ويفسر غياب أيّ تحديد سلطوي للأسعار، أقلّه قبل القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. كما على المحاسب أن

إيران في مواجهة السلاجقة، حماة السنة. يعزى المرحوم الحسن تأسيس المنظمة الارهابية الفدائية التي حافظت على الدولة الزنارية، إلا أنه يصعب تحديد دوره في وضعية العقيدة الإسماعيلية الجديدة، وقد شارك فيها خلفاء علم رأس المنظمة، وقادة الموت وأسبغوا من بعده.

الحسن بن علي، ٣-٤٩٠هـ/٦٢٤-٦٧٠م، الإبن المبكر لعلي وفاطمة، وهو جزء من آل بيت محمد ﷺ بمعنا الضيق أي «أهل الكساء». عاش الحسن، كزعمه للعلويين في زمانه، وثاني إمام إثني عشري، حياة هادئة في المدينة، بعد أن تخلّى عن كل مطابقة بالسلطة.

عاش هذا الحفيد للنبي محمد (ﷺ) قرب جده سبع سنوات، ولم يغم بأي دور في عهد الخلفاء الراشدين فلم يظهر على الساحة السياسية إلا بعد مقتل والده سنة ٤٠هـ/٦٦١م. بايعه حينئذ الشيعة خليفة. مشرطين عليه شروطاً غير واضحة، ما لبث أن وجد نفسه مجاباً مناورات معاوية، مؤسس الأسرة الأموية، التي كانت تارة هادئة وطوراً عنيفة مهلدة، بحيث نجح معاوية في النهاية بضم عدد وفير من أنصار الحسن إلى معسكره وبإقناعه بأن ينازل عن السلطة. لقد صرح الحسن رسمياً وعكاً عن ذلك في المسجد الجامع في الكوفة مبايعاً معاوية بالخلافة. لم يكن مثل هذا الموقف ليبرز دور نتائج، إذ إنه أذكى في صفوف الشيعة كثيراً من الاعتراض. انزوى الحسن في المدينة حيث مات بعد عشر سنوات مخلّفاً سلالة أي الحسينيين، الذين برز مر بينهم، في ما بعد، مطالبون بالخلافة، معتمدين العنف أحياناً، ومنهم مؤسسو سلالات لاحقة كالآدارس وأشرف المغرب وأشرف مكة.

«راجع المسند رقم ٥».

الحسن بن محمد الوردان - لاون الأفريقي.

الحسن العسكري ٢٣٠-٢٦٠هـ/٨٤٤-٨٧٤م، أو رجل المعسكر، وقد أعطي نوعاً آخر عديداً، بينه النبي، الزكي أو الطاهر. إنه ابن علي الهادي العسكري وهو الإمام العلوي الحادي عشر للإمامية الاثني عشرية ولد الحسن العسكري في المدينة، وانتقل المرحوم سامراً عندما نقل الخليفة المتوكل والده سجيناً إليها

حرب فاعتق. ولد في المدينة وشبّ في جزيرة العرب، قبل أن يشارك في فتح إيران الشرقية وقيم في البصرة التي نُسب إليها. كان الحسن من تابعي صحابة النبي محمد (ﷺ)، ونقل أحاديث عديدة قبلت بنحفظ من حيث دقتها وصحتها. وبفضل بلاغة نداءاته الداعية إلى التخلّي عن الجاه والسلطة، ثبتت أقواله بصورة خاصة انطوق الصوفية اللاحقة واستشهدت بها. إنها تعترف بدوره الريادي في الحقل الديني، من خلال التزامه وتحذيراته الموجهة إلى كبار عصره، ومن بينهم الخلفاء الأمويون أنفسهم.

نُسب إليه بعض الآراء القلترية والتأثير في نشأة المعتزلة، إلا أن انتداه الأساسي للسنة لم يكن أبداً موضوع شك. ومع أنه لم يترك سوى رسالتين أو ثلاث، إلا أن بعض حكمه وخطبائه، المحفوظة في مجموعات مختارة كنماذج في الإنشاء والبلاغة، كانت كافية لتخليد شهرته حتى أيامنا، عبر بعض الجوانب من فكره الصوفي وشخصيته.

الحسن بن الصباح، ٩-٥١٨هـ/٩-١١٢٤م، أحد دعاة «الدعوة الفاطمية»، أسس فرقته الخاصة، الثوارية، وأصبح السيد الأكبر لدولة يقال لها دولة الحشائين، مركزها قلعة ألموت في الشمال الغربي من إيران.

لا نعرف الكثير عن هذه الشخصية البارزة والفاعلة الأني من الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي كان يتسبب إليها والده الذي يعود بأصله إلى الكوفة. وُلد الحسن في قم في إيران، وتحول إلى الإسماعيلية في الرّي، في فترة تحصيل دراسته الدينية. إنه يمثل غليان الأفكار الفلسفية الصوفية ذات النزعة الباطنية التي كانت تعمل فعلها في أوساط النُخل. كانت هذه الأخيرة تحمي نفسها عبر انتفاء المتستبين إليها وعبر ممارسة التقية التي كانت تبدو ضرورية.

إنّ اتخاذ الحسن قلعة ألموت سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م مقراً له، وتحالفه مع أحد أبناء الخليفة الفاطمي المستنصر، ويدعى نزار - وقد دافع عنه كإمام ومهدي معتبراً نفسه حجته والناطق باسمه - كل هذه الأمور جعلت من الحسن زعيم المقاومة الإسماعيلية التي نشطت في

سكان الكوفة في العراق، الحسين على أن ينضم إليهم لمقاتلة النظام الأموي. ويروي المؤرخون أنه لم يكن على علم بنبأ التولي الأموي، ابن زياد، الذي أمر بقتل المبعوث الذي أرسله الحسين إلى الكوفة، فقرر الحسين أن يستجيب لدعوة أنصاره، وأن يلتحق بهم مع عائلته وحوالي اثنين وستين نفرًا من أصحابه.

واجهت القضية الصغيرة، في ١٠ تشرين الأول سنة ٦٨٠م (الموافق ١٠ محرم ٦١هـ)، على ضفاف الفرات، على مقربة من الكوفة، قوة نفوقها عددًا أرسلت لملاقاتها. أصغر ابن زياد على أن يؤدي الحسين البيعة للمخلقة الأموي الثاني، يزيد الأول، وإن سلم نفسه أسيرًا.

وبعد وقائع غامضة وتعاقب مبارزات فردية - هذا ما تقوله الأخبار التي وصلت إلينا - فإن العطش اشتد على الذين بقوا أحياء من جماعة الحسين، فقتلوا جميعًا مع الحسين، إلا أن أحد أبناء هذا الأخير، علي الأصغر، الذي عرف لاحقًا بـ «زيد العابدين» لم يصب بأذى، وانتقل إلى المدينة بأذن من يزيد.

فُطع رأس الحسين وحُمل إلى دمشق. يُقال إن الخليفة أبغى للعنف الذي مارسه وأبيه، أمّا جثمان الحسين فوُرد الثرى في كربلاء حيث شيد لاحقًا الفريح المزار للشعبة الذي ما يزال حتى اليوم موضوع إجلال مثير.

وقد أحبطت الأماكن التي، بحسب الروايات، دُفن فيها رأس الحسين، بقدر مشابه من الاحترام. إن الرواية الأكثر شيوعًا تذكر أن رأس الحسين دُفن في عسقلان، ومنها نقل الفاطميون ذخائره إلى القاهرة، في زمن الصليبيين، إلى مشهد الحسين؛ ولكن هناك آنية عديدة أقيمت في سوريا في الأمكنة التي تُعتبر محطات أنزلت فيها الذخيرة في مراحل انتقالها، وأصبحت هذه الأمكنة مراكز لزيارات تقوية يقصدها المؤمنون بكثافة.

إن الإجلال الخاص الذي أحيط به ذكرى استشهاد الحسين من قبل الشيعة الذين اعتبروا وفاته موثًا طوعًا لخلاص العالم، دفع بالإمامية الاثني عشرية إلى طلب شفاعته عبر تظاهرات من الفتوى والحداد تتخذ طابعًا مشهديًا عميقًا خلال فترة عاشوراء.

حمل نائب الملقب ذاته المستند من المدينة الملكية التي كانت تعرف بالمعسكر - وثأوي مرتزة الحرب الأتراك. إن السنين الست من إقامته القصيرة، بعد أن اختاره وألده خليفة له سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م، تميزت بمعاملة سيئة تجاهه من قبل العباسيين الحاكمين في حينه. كما يروى أن المعتمد أمر بدم السمل له.

تكثر حول شخصية الحسن العسكري الروايات، منها ما يشدد على قداسته وعلى المعجزات التي حققها، وبعضها يتعلق بالظروف التي جمعت به بيزنطية من أصل ملكي كان مقدرًا أن تلد له إناثًا.

أثار موته لغظًا شديدًا بين أنصاره، فاعتبره بعضهم المهدي، في حين انضم آخرون إلى أخيه أو إلى ابنه محمد القائم الذي اختفى صغيرًا في السنة نفسها ٢٦٠هـ/٨٧٤م، وهو الإمام الثاني عشر الذي به تنتهي سلسلة الأئمة الظاهرين الذين يعترف بهم أتباع الاثني عشرية.

إن ضريح الحسن العسكري، الواقع إلى جانب ضريح والده، يشكل أحد قطبي المقام الشيعي المقدس الذي نشأت حوله سائرته الحديثة.

• رابع السنتين ٤١ و ٤٢.

الحسين بن علي، ٣-٤١١هـ/٦٢٥-٦٨٠م، هو الابن الثاني لعلي وفاطمة، والإمام العلوي الثالث للإمامية الاثني عشرية. يعتبر الحسين منذ وفاته المأسوية في كربلاء شهيدًا، وما تزال التقاليد الشيعية تحيي ذكراها كل سنة.

كان الحسين صغيرًا عندما توفي جدّه النبي محمد (ﷺ) ولم يعرفه أبدًا. إلا أن انتسابه إلى عائلة النبي (أهل البيت) أو «أهل الكساء»، جعل منه زعيم العلويين بعد وفاة شقيقه الأكبر الحسن الذي قام بدور متواضع على المساحة السياسية ابتداء من سنة ٤١هـ/٦٦١م. وإن بدا الحسين مثناه من أخيه بسبب تنازله عن السلطة، إلا أنه قبل، هو أيضًا، هبات معاوية السخية، ولكنه رفض الاعتراف بالسلالة الأموية وامتنع عن أداء قسم المبايعات ليزيد، ولي العهد آنذاك. وجدّد رفضه بعد وفاة معاوية سنة ٦١هـ/٦٨٠م وانسحب إلى مكة برفقة ابن الزبير. حرّض الشيعة، الذين كانوا يشكلون قسمًا كبيرًا من

علوي من ذرية الحسينين مطابق بالحكم، ثار على السلطة العباسية، في أواخر القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد على عهد الخليفة الهادي.

اشتهر هذا الرجل بنفواه الشديدة، عاش في المدينة في أوساط المعارضين حيث سبق أن نشأت، لعشرين سنة مضت، حركة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم. قاد الحسين ثورة محلية سمحت له بأن يحتل مسجد المدينة لمدة عشرة أيام فقط. أراد التقدم إلى مكة، ولكن اعترضته بعض القوى، فقتل في اشتباكه معها في مكان يقال له فتح، على مقربة من مكة، في ٨ ذي الحجة ١٦٩م/١١ حزيران ٧٨٦م.

تمكّن بعض أنصاره من الهرب، أبرزهم إدريس بن عبدالله أو إدريس الأكبر مؤسس سلالة الأدارسة في المغرب.

«راجع السند رقم ٥».

الحسيني، أمين ١٨٩٣-١٩٧٤، مفتي القدس، لعب دورًا كبيرًا في الصراع ضد الصهيونية.

ولد في القدس وبدأ فيها دروسه التي أكملها في القاهرة، بدون أن يحصل على الشهادات التي تخوّله أن يصبح مفتيًا. عمل، بعد الحرب العالمية الأولى، في الصحافة ودافع، منذ ذلك الوقت، عن قضية فلسطين العربية - الإسلامية. عيّنت سلطات الانتداب البريطانية، في العام ١٩٢١، مفتيًا، وكان يُعرف بالحاج أمين لأنّه كان قد حجّ إلى مكة. جعلت منه وظيفته الجديدة قائدًا لمسلمي فلسطين ورئيسًا للمجلس الإسلامي الأعلى للشريعة. نكّل، في العام ١٩٣١، مؤتمراً إسلامياً في القدس وحاول الإفادة منه في دعم سياسته. ثمّ انشأ، في العام ١٩٣٥، حزب فلسطين العربي الذي كان يهدف إلى منع بيع الأراضي إلى المستوطنين اليهود. خُلع من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى على أثر حركة عصيان اتهم بتدبيرها، فاضطرّ إلى مغادرة فلسطين فأقام في ألمانيا بين ١٩٤١ و ١٩٤٥.

استقرّ، بعد الحرب العالمية الثانية، في مصر وحاول أن ينظم من هناك الحركة المناوئة للصهيونية. انتقل في أيلول/سبتمبر ١٩٤٨ إلى غزة حيث أعلن قيام حكومة فلسطينية. بعد أن صُغت الفضة الغربية إلى

ويذكر من جهة ثانية أنّه ظهر، في صفوف الشيعة المتحذرين من الحسين، أو الحسينيين، المطالبون بالسلطة بعناد، متسلحين بلقب «إمام». ولكن تعيين إمام جديد كان يتسبّب، كل مرّة، بصراعات بين السلالات المعنية.

«راجع السند رقم ٤».

الحسين بن علي (الشريف) ١٨٥٣-١٩٣١، هو آخر معنّي الأشراف الهاشميين في مكة والحجاز، وقد حمل هذا اللقب بين ١٩٠٨ و ١٩١٦، ثم أصبح ملكاً على الحجاز بين ١٩١٦ و ١٩٢٤، بعد أن نهض بدور مهم في الثورة العربية في العام ١٩١٦.

وهذا الشريف المتحدّر من الهاشميين والمنتمي إلى فرع «آل عون» والذي سبق له أن انصرف إلى الأدب في اسطنبول حيث كان موضوعاً في الإقامة الجبرية منذ ١٨٩٤، ارتقى إلى سدة السلطة لأوّل مرّة بعد ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨. وقد منحت له الفرصة، حين آثره السلطان العثماني على أفراد آخرين من عائلته، كي ينهّي، بمهارة، طموحاته الشخصية، إلى جانب طموحات السلطة الحاكمة في الشرق العربي، إن لم يكن على حسابها. وقد حاصرته الصعوبات بعد إعلانه الاستقلال في العام ١٩١٦ بصفته ملكاً للحجاز، في الفترة التي تلت المواجهات العسكرية الأولى التي خاضها ضدّ العثمانيين بدفع من الحلفاء، وبخاصة البريطانيين الذين تولّوا سريعاً قيادة العمليات العسكرية. وقد خيّت معاهدة فرساي^(٤٨) كل آماله لإقامة ملكة عربية كبرى، مع أنّ اتفاقاً جديدة افتتحت أمام نجله فيصل وعبدالله. ورغم إصراره على اتباع سياسة كان محكوماً عليها بالنقل المحتم، إلّا أنّه اضطرّ، بعد فترة وجيزة، للنزول عن العرش، في الوقت الذي كان أنصار ابن سعود الوهابيون يسيطرون سيطرتهم على الحجاز بالقوة العسكرية، ممهّدين بذلك لتتويج عبد العزيز الثاني ابن سعود، المعروف في أوروبا باسم ابن سعود، ملكاً على الحجاز ونجد في العام ١٩٣٠.

الحسين بن علي بن الحسن بن علي، المعروف باسم صاحب فتح أو «رجل فتح» (١٦٦٩-٩/ ٧٨٦م،

قلعة أُموت بإيران، قد أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية، أو لجأوا إلى الحشيشة بغية ارتكاب جرائمهم السياسية. فيبدو إذاً أن هذا التعت قد استعمل من قبل أعدائهم. بينما يُطلق مؤرخو الأحداث العرب على الذين يقومون بمثل هذه الأعمال لفظة «فدائين»، وهذه اللفظة تُستعمل اليوم باللغة الفرنسية بصيغة «fedayin».

«راجع المصنف ١٨».

الحشيشة ← الحشاشون. حصن الأمراء ← كرك.

حصن كيفا (الجمهورية التركية)، ناحية تقوم على انقاض مدينة قروسطة في بلاد ما بين النهرين العليا. إن هذا الحصن القديم المبني على حدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية، والذي أصبح في ما بعد بيزنطياً، ألحق بالعالم العربي - الإسلامي في زمن الفتوحات الكبرى في القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد. غير أنه لم يستعد دوره الإستراتيجي كمدينة بسط سلطتها على الوادي الأعلى لنهر دجلة إلا عندما أصبح عاصمة أحد فروع سلالة الأرتقيين. ابتداءً من سنة ٩٩٥هـ/ ١١٠٢م، ومركز بلاط ملكي. بعد هذه الفترة من النهضة والازدهار، انتزع الأيوبيون الآتون من سوريا المدينة وسيطروا على أملاك أمرائها، فعرفت هذه تراجفاً سريعاً تحت وطأة الزحف المغولي سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م. إن سيطرة الأقباق فوينلو والصفوتين، ثم احتلال العثمانيين للمنطقة عام ١٥١٦م، وجداً حصن كيفا قرية لا أهمية لها، منزلة عن مسالك القوافل الجديدة. لا يزال فيها، حتى أيامنا، آثار تعود إلى الأرتقيين، بينها أنقاض القلعة القائمة على صخرة مطلة على دجلة، وهي تضم بقايا القصور، وكذلك بقايا مسجدتين وبقايا جسر حجري بُني قديماً فوق النهر.

«راجع المصنف ٢١».

حضرموت، منطقة جبلية قاحلة في جنوب الجزيرة العربية. هي اليوم جزء من الجمهورية اليمنية قوامها، بشكل أساسي، وادٍ موازٍ لشاطئ المحيط الهندي القاحل.

إن زعماء البلد القدامى اتصلوا، بحسب الروايات،

المملكة الأردنية الهاشمية، عام ١٩٥٠، فقد نقضه على الرغم من أنه عُيّن مفتي الملك عبدالله الخامس. غادر إلى بيروت حيث توفي في العام ١٩٧٤ من دون أن يستطيع استعادة النفوذ الذي كان له من قبل.

الحشيتيون، ١٧٠٥-١٩٥٧، سلالة البايات الذين حكموا تونس من عام ١٧٠٥ إلى ١٨٨١، تحت وصاية عثمانية إسمية، وما لبثوا أن تحرروا منها في مطلع القرن التاسع عشر، وواصلوا حكمهم تحت الحماية الفرنسية حتى إعلان استقلال البلاد.

على اثر هجوم شتّى الجزائريين على تونس، عام ١٧٠٥، استنجد التونسيون بأقا السباهية الحسين بن علي، وهو ابن انكشاري تركي وامرأة تونسية. تمكن الحسين، طيلة فترة حكمه (١٧٠٥ - ١٧٤٠)، من أن يفرض سلطته، فأعترف به العثمانيون منذ العام ١٧٠٧. على الرغم من اعترافهم بسيادة الباب العالي، حكم البايات التونسيون البلد بحرية، حتى إنهم عقدوا معاهدات مع الدول الكبرى بصورة مستقلة. قاوم حمودة بك أو حمودة باشا الذي حكم من ١٧٨٢ إلى ١٨١٤ البندقية وإسبانيا وفتح رابط السيادة الذي كان قائماً بين السلطة العثمانية وتونس.

وتلا هذا الوضع الحماية الفرنسية، عام ١٨٨١. ثم رأت أنشور، في العام ١٩٥٧، جمهورية تونس المستقلة التي وضعت حداً نهائياً لسلالة البايات القدامى.

الحشاشون، اسم أطلقه الفرنج، في عصر الصليبيين، على أتباع الشيعة الإسماعيلية الثائرة ممن عُرِفوا باللاجوء إلى الأعمال الإرهابية وإلى الاختبالات السياسية، وهذا يفسر المعنى الذي اتخذته اللفظة لاحقاً في اللغة الفرنسية.

وقد جاء أن لفظة «حشاشين» التي تردت قديماً مع لفظني «متدبّنين» و«غلاة»، ثم مع لفظة «قتلة» في النصوص التاريخية الغربية التي دُوّنت خلال القرون الوسطى في مختلف اللغات، تشبّه من لفظة «حشاشين» العربية التي تعني «مدخني الحشيشة». والواقع أن لاشيء يثبت أن الإسماعيليين الذين استقروا في سوريا حول مضيايف بزعامة رشيد الدين سبتان، أو الذين تحصنوا في

حالة يائسة. وفيما نجح ريمون، أمير طرابلس، في الفرار وحيداً، وقع ملك القدس غي دولوزينيان في عداد الأسرى الذين تعرّض الكثيرون منهم للقتل، وبصورة خاصة فرسان الهيكل والاسبتارية (Hospitalliers)، إضافة إلى رينو دو شاتيلون (Renaud de Châtillon).

إن استعادة القدس على أيدي المسلمين، التي تمت في شعبان سنة ٥٨٣هـ/ تشرين الأول ١١٨٧م، بعد سقوط مجمل مدن الساحل الفلسطيني، كان لها دوي رمزي كبير. يبدو أنّ قرار مهاجمة القدس بهذه السرعة قد فرضه على صلاح الدين محيطه من رجال الدين، ما أفسح في المجال أمام المدافعين عن حصن صور القوية كي ينظموا دفاعاً أذكت حميته شراسة المنتصر في حطين، فقاموا ببسالة هجماته طوال حصاره الذي دام شهرين.

حفصة، (؟ - ٤٥٠هـ/ ٩-٦٦٥م)، ابنة عمر بن الخطاب، أحد صحابة النبي محمد (ﷺ) وثاني خلفائه. حفصة هي واحدة من زوجات النبي اللواتي ورد ذكرهن مرّات عديدة في الأحاديث النبوية.

كانت حفصة متزوجة من قرشي مسلم وافته المنية في المدينة بعد موقعة بدر. تزوّجها النبي (ﷺ) في العام ٦٢٥م، بعد فترة وجيزة من إقراره بعائشة، ابنة أبي بكر، وقيل موقعة أُخذ. وهكذا أصبحت زوجته الرابعة. بعد وفاة النبي (ﷺ)، حصلت حفصة، المعززة بين زوجات محمد، على هبة، لكنّها لم تقم بأي دور سياسي. يقال إنّّه كان في حوزتها نصّ القرآن الذي كتبه زيد بن ثابت، واعتمده في ما بعد الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

الحفصيون، (٦٢٧ - ٩٨٢هـ/ ١٢٢٩ - ١٥٧٤م)، سلالة ملكية حكمت إفريقية في أواخر العصور الوسطى، ووقّرت لهذا الإقليم فترة نفوذ وازدهار لا مثيل لها، متخذة من تونس مركزاً للحكماء.

أوّل حاكم حفصيّ كان يدعى أبو ذكريا يحيى الأوّل، وهو من نسل أحد قادة «الموحدين» وصاحب ابن نومرت. كان قد أصبح، بعد جدّه وأخيه، حاكم المغرب الشرقي في العام ١٢٢٥هـ/ ١٢٢٨م، واستقلّ بإمارته في العام ١٢٣٤هـ/ ١٢٣٧م. ثمّ وسّع نفوذه إلى

مباشرة بالنبي محمد (ﷺ) ليحلّوا له إسلامهم. وبعد أن أصبحت خضرموت جزءاً من اليمن، تسوّت إليها العقائد الإبراهيمية التي تعرّض لها، حوالي منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، الصليبيون، وهم شيعة إسماعيليون موالون للفاطميين، تمكنوا من بسط نفوذهم على صنعاء وعدن. ومع وصول الأيوبيين السنة، في العام ٥٦٦هـ/ ١١٧١م، وضع حدّ لهذه الحالة. ترك الأيوبيون الحكم لبني رسول الدين انتفوا بنظم البلاد وبإحلال الاستقرار والسلام فيها. إلّا أنّه مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، تناحرت مجموعات قبيلة عديدة للسيطرة على المنطقة وتسلّم زمام أمورها، لا سيما أنّها كانت محط أطماع البرتغاليين والعثمانيين.

أما في القرن العشرين، فليحظ تنظيم سلطتين قامتا في ظلّ الحماية البريطانية ودلتا إلى حين ضمت خضرموت عام ١٩٦٧، ومعظم سكّانها من السنة الشافعية، إلى اليمن الجنوبية. ثمّ عادت، في العام ١٩٩١، إلى الجمهورية اليمنية التي وُجدت البلاد من جديد.

« راجع المصنّد ٨.

حظنين أو حظنين (معركة -)، ربيع الآخر ٥٨٣هـ/ تموز ١١٨٧م، مكان التحام كبير وقع قرب البلدة التي تحمل هذا الاسم، على مقربة من بحيرة طبريا، أفسحت في المجال لقوات صلاح الدين أن تقضي، في هذه المعركة الوحيدة، على القوّة العسكرية لملكة الفرنج في القدس.

يعزى هذا الانتصار، إلى حدّ بعيد، إلى التفوّق في الخطة التكتيكية التي اعتمدها سيد سوريا ومصر في هذه المناسبة. لقد سجّل الانتصار الهائل لسياسة الجهاد الطويلة التي وضع صلاح الدين كل قواه في خدمتها، موخذاً الفصائل العسكرية المتعددة التي تكوّن منها جيشه المهيّب الذي بلغ عدده الاثني عشر ألف رجل؛ أمّا الهدف المشترك فكان: الحرب المقدسة أو الجهاد.

في الواقع إنّ القوّات الإسلامية لم تكن تتفوّق على القوّات المسيحية إلّا بنسبة ضئيلة. إلّا أنّه قُضي على العقائنين المسيحيين بعد أن وُهمهم الحرّ والعطش في

عشر الميلادي ومطلع القرن التالي، فترة أنشطة شهدت استعادة الحيوية الاقتصادية، وإقامة علاقات بالدول المسيحية وواحد بين المود تارة والتوتر طورا، كما أنها لم تكف عن نهضة الأوضاع والعمل على إقرار السلام في الداخل، عن طريق ردع البدو والحؤول دون تحقيق أية عملية انفصال في الجنوب.

إن أحد أساد الحفصيين، أبو فارس عبد العزيز، ساعد، بنوع خاص، العلماء والاشراف والمصنفين، واهتم بالآبئة الدينية والمدنية، وأحيا عيد المولد النبوي، فاكسب حظه ذلك شهرة وموقعا كبيرين في العالم الإسلامي. وتابع حفيده، أبو عمر عثمان، عمله بين ١٤٢٥ و ١٤٨٨م، إلا أن خلفاءه اصطدموا بالقرصنة الأتراك المستقرين في الجزائر، ولم ينعموا إلا بنفوذ مهبط إلى أن نحوّلت تونس، في العام ١٥٩٢هـ/ ١٥٧٤، إلى مركز إقليم متواضع داخل أمبراطورية العثمانيين.

أبو زكريا يحيى الأول

١٢٢٨-١٢٤٩م

١٢٤٧-١٢٦٥م

أبو عبدالله محمد الأول المستنصر

١٢٤٩-١٢٧٧م

١٢٧٥-١٢٨٨م

أبو زكريا يحيى الثاني الواثق

١٢٧٧-١٢٧٩م

١٢٧٨-١٢٨٢م

أبو اسحق ابراهيم الأول

١٢٧٩-١٢٨٣م

١٢٨٣-١٢٩٤م

أبو حفص عمر الأول

١٢٨٤-١٢٩٥م

١٢٩٤-١٣٠٨م

أبو عبدالله محمد الثاني المستنصر

١٢٩٥-١٣٠٨م

١٣٠٩-١٣٠٩م

أبو بكر الأول الشهيد

١٣٠٩-١٣١١م

١٣١١-١٣١١م

أبو البقاء خالد الأول القاصر

١٣١١-١٣١١م

١٣١١-١٣١١م

أبو يحيى زكريا الأول اللحياني

١٣١١-١٣١١م

١٣١١-١٣١١م

أبو ضربة محمد الثالث المستنصر اللحياني

١٣١١-١٣١١م

١٣١١-١٣١١م

أبو يحيى أبو بكر الثاني المتوكل

١٣١١-١٣١١م

١٣١١-١٣١١م

أبو العباس أحمد الأول الفضل المتوكل

١٣١١-١٣١١م

١٣١١-١٣١١م

الغرب، فوضع يده على قسنطينة وبجاية والجزائر، واستولى أيضا على تلمسان في العام ١٢٤٢هـ/ ١٢٤٢م، ما حدا بقبيلة عبد الواد إلى تقديم الإكرام له؛ كما أخضع عددا من القبائل المتمردة وأقام مملكة امتد نفوذها إلى المغرب الأقصى. إلى جانب إخلاصه لأسباده «الموحدين»، ولأنكارهم وتغاليدهم السياسية والتنظيمية التي ميّزت سلطاتهم، سمح أبو زكريا يحيى الأول للمذهب المالكي وللطرق الصوفية أن يوسع نطاق عملهما.

لقد تميّز عهده وعهد ابنه، أبو عبدالله محمد الأول، الذي اتخذ لنفسه لقب الخليفة المستنصر، بنهضة اقتصادية يعود الفضل في تحقيقها إلى العلاقات الناشطة القائمة بين المملكة الحفصية وأوروبا الغربية.

إضافة إلى المعاهدة المعقودة مع صقلية لاستيراد القمح، أقام التجار الأوروبيون في تونس حيث أفادوا من استخدام الخانات المخصصة في المدن للتجار الأجانب والمعروفة بالفنادق، بينما استقر المسلمون، الذين غادروا الأندلس بسبب حروب الاسترداد المسيحية، في أفريقيا الشمالية ومنها قاتلوا انصار «الموحدين» القدامى. لكن العلاقات بالمسيحيين تدهورت لفترة قصيرة، في أثناء الحملة الصليبية التي قادها لويس التاسع في العام ١٢٧٠م.

لقد تلت وفاة المستنصر ١٢٧٧هـ/ ١٢٧٧م، فترة اضطرابات سببها الصراعات العائلية والخصومات بين القبائل، وقد انتهزت بعضها الفرص للاستقلال. لقد حاول أبو يحيى أبو بكر الثاني، في مطلع القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، أن يفرض سلطته. وللمسكن من مقاومة سلطان تلمسان، اضطُر إلى التحالف مع الأسرة المرينية في فاس، ما أتاح لهذه الأسرة، بين ٧٤٨ و ٧٥١هـ/ ١٣٤٧ و ١٣٥٠م، أن تضع يدها على أملاك الحفصيين. كما استطاع المرينيون أن يفرضوا سلطتهم مرّة ثانية، بين عامي ٧٥٣ و ٧٥٩هـ/ ١٣٥٢ و ١٣٥٨م، إلا أنهم اصطدموا بثورة البدو التي حالت دون نجاحهم.

على الرغم من أن الانقسامات العائلية لم تتوقف، فإن المملكة الحفصية عاشت، في أواخر القرن الرابع

أبو إسحق إبراهيم الثاني المنتصر

٧٥٠-٧٧٧/م

أبو البقاء خالد الثاني

١٣٥٠-١٣٦٩/م

أبو العباس أحمد الثاني المنتصر

٧٧٠-٧٧٧/م

أبو فارس عبد العزيز المتوكل

١٣٦٩-١٣٧٢/م

أبو عبدالله محمد الرابع المنتصر بالله

١٣٧٠-١٣٩٤/م

أبو عمر عثمان

١٣٩٤-١٤٣٥/م

أبو زكريا يحيى الثالث

١٤٣٥-١٤٣٩/م

عبد المؤمن

١٤٣٩-١٤٤٨/م

أبو يحيى زكريا الثاني

١٤٤٨-١٤٩٥/م

أبو عبدالله محمد الخامس المتوكل

١٤٩٥-١٤٩٩/م

أبو عبدالله محمد الحسن

١٤٩٩-١٥٢٦/م

أحمد الثالث

١٥٢٦-١٥٣٢/م

أبو عبدالله محمد السادس

١٥٣٢-١٥٤٣/م

الحكم، إسم حمله عاهلان يتبعان الى السلالة الأموية في قرطبة، وقد حكما الأندلس بفارق قرنين في العصور الوسطى.

الحكم الأول، ١٥٣-٢٠٦هـ/٧٧٠-٨٢٢م، ثالث أمير ينحدر من السلالة الأموية، حكم من العام ١٨٠هـ/٧٩٦م الى العام ٢٠٦هـ/٨٢٢م، وعمل على تدعيم الدولة المستقلة التي كان أسسها، قبل خمسين عامًا. عبد الرحمن الأول.

لقد شكّل الدفاع عن الحدود في وجه الممالك المسيحية الشمالية وقمع الثورات المتتالية أبرز جهوده، فكان الحاكم القاسي الشرس الذي لا يرحم؛ لقد ترك لحلفه، ابته عبد الرحمن الثاني، مهمة رعاية الحياة

التنافية. وكان دأب الحكم الأول ضرب المولدين المنتمين على السلطة في نواحي طليطلة وسرقطة وماردة. إلا أنّ اضطرابات عنيفة وقعت في ضواحي قرطبة، في العام ٢٠٢هـ/٨١٨م، سببها شراسة الحرس الأميري. وقد عوقب المذبذبون بفساوة وضراوة، فأحرقت بيوتهم، وتمّ إعدام بعض النبلاء، ونفي جزء من السكان الذين لجأوا الى فاس أو هربوا عن طريق البحر الى جزيرة كريت حيث اتخذوا لهم هناك إقامة ومسكنًا.

الحكم الثاني، ٣٠٣-٣٦٦هـ/٩١٥-٩٧٦م، العاهل التاسع الذي خلف والده عبد الرحمن الثالث في الخلافة، في العام ٣٥٠هـ/٩٦١م. وهو الخليفة الثاني من السلالة الأموية الحاكمة في الأندلس. تسلم الحكم متأخرًا ولم يدم حكمه طويلا. إلا أنّه انصرف، خلال فترة خلافته، إلى مواصلة ما بدأه والده من أعمال وإلى المحافظة، في جوّ سلمي، على ذروة القوة التي بلغتها الخلافة الأموية في الأندلس آنذاك.

لقد كان الحكم الثاني مدبرًا ومؤخرًا لحكم، إلا أنّ صحته كانت ضعيفة. فمارس سلطته بمعاونة وزير من أصل بربري وبمساعدة العبد المحزّر غالب، المكلف بحماية الثغور، وقد أحرز غالب بعض الانتصارات على الأدارسة في المغرب.

تميّز عهد الحكم الثاني بالسلم، وامتزج تذوق للعلوم الدينية الإسلامية بحسن المهراف في الفز والأدب، وهو نصيرهما الى حد بعيد.

وبعدو إليه الفصل في توسيع جامع قرطبة الكبير وتجميله، وجعله ذا مكانة فُت نظيره.

عزم الخليفة على تزويد البناء القديم بقاعة للمصلا؛ تلتى عادات حبّ الفخامة الراجية في ذلك الزمان في الشرق. لذلك أنشأ، أمام حائط القبلة الجديد، مجموعة من ثلاث قباب مزينة بالفسيفساء تضيي، مع محراب من الفسيفساء الزجاجي المذهب، الروعة على المقصورة الملكية، وهي مكان خاص يقع في صدر صحن محوري بصاهيه زينة. وكانت هذه المقصورة، كما عند العباسيين الذين حكموا الشرق، المكان المخصص للخليفة عندما كان يقصد جامع عاصمته للصلوة.

تاريخ الخلافة العباسية.

لا يخفى أنَّ علاقة الحلاج بأوساط الخلافة كانت أمرًا معروفًا، وكان ينتمي إلى جماعة المتصوفين الذين، في أواخر القرن التاسع ومطلع القرن العاشر للميلاد، مارسوا، فردبًا، البحث عن النبوة واصطدموا بالتقليد السائد. ولد الحلاج في قرية صغيرة من جنوب إيران، من عائلة زرادشتية اعتنقت الإسلام. قضى طفولته في واسط في العراق حيث تلقى دروسه و لازم، منذ حداثته، المتصوف سهل التستري، وقد ابتعد عنه في ما بعد ليستقل إلى البصرة حيث تابع تلقن الصوفية على يد عمرو بن عثمان المكي وحيث تزوج. قدم الحلاج إلى بغداد، في العام ٢٦١هـ/٨٧٥م، حيث تردد على تلاميذ المتصوف الشهير، الجنيدي، ثم قام بالهجرة إلى مكة في العام ٢٨٢هـ/٨٩٥م، وعاد إلى بغداد ودخل في صراع مع المتصوفين المقيمين في العاصمة.

اعتبر الحلاج أنَّ الطغوس يجب أن تكون وسيلة لبُلوغ الطهارة الذاتية، وأراد أن يوجه رسائله الروحية إلى مختلف فئات المجتمع مذكرًا إياها بضرورة التوبة والصلاة، مدعيًا معرفته سرائر كل فرد، من هنا كان لقبه «حلاج القلب» الذي لازمه كنية حتى وفاته. تميّز الحلاج بقواه، إلى جانب كونه خطيبًا شعبيًا يحارس الوعظ في الأسواق، ويخالط كل الأوساط معتمداً فيها عقيدة الحب الإلهي، التي كانت سابقًا خاصة بجمهور محدود وضيق.

جال الحلاج مدة خمس سنوات في المقاطعات الإيرانية، بصورة خاصة في خراسان وفارس، وتخلّى عن ثوب الصوف الأبيض الذي يرتديه المتصوفون، وتدنّر بثوب النسك المرقّع، ما سمح له بالتوغّل بين الناس والتداخل بهم. وبعد عودته إلى بغداد، سافر إلى الهند، في العام ٢٩٢هـ/٩٠٥م، ووصل إلى حدود الصين. بعد سفره الثاني، استقبله تلاميذه في بغداد ونسبوا إليه تحقيق العجائب دلالةً على رسالته. إلا أنَّ نظرية الحلاج في الاتحاد الصوفي القائلة بأنَّ الله يحسّن الشخصية البشرية ويؤلّهمها - إلى حدّ جعل الحلاج يصرخ في لحظات نشوة «أنا الحق»، أي الله - كلّفته انتقادات قاسية. فقد وجد الفقهاء في مثل هذه المقولة

الحكمة، مفهوم مستعمل في القرآن للدلالة على معرفة الحقائق الروحية؛ اعتمده الفلاسفة في معنى قريب لإله الحكمة (sophia) اليونانية حيث يعني المعارف النظرية والعملية.

ويحسب ابن سينا، الحكمة هي «تحول نفس الإنسان إلى الكمال الممكن له، ضمن حُدُود العلم والعمل». وقد شملت بذلك علوم الطبيعة، وكذلك الرياضيات والعلوم الإلهية؛ أمّا الأخلاق والسياسة، فكانا أيضًا جزءًا منها في الميدان العملي. من جهة أخرى، كانت الحكمة تعني، بشكل خاص في تلك الحقبة، الفلسفة والعلوم الدينية من أصل يوناني، كما كانت تُدرّس في بغداد، وفق إرادة الخليفة المأمون، في الأكاديمية المسماة «بيت الحكمة» التي أنشأها هذا الخليفة في بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وكانت تضمّ أوّل مكتبة مختصة بسخنوطات التراث القديم وترجماتها.

كما أنَّ المصطلح نفسه كان يعني الحقائق المعينة التي ادّعى الإنكار عليها تيار فكري باطني ذو توجه شيعي، هو تيار إخوان الصفا. كذلك عني، بوجه آخر، العقيدة الإسماعيلية التي كانت تُنتشر في القاهرة في عهد الفاطميين، في المؤسسة المسماة «دار الحكمة» التي أُسِّيت سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م، للدفاع عن هذا التيار السياسي - الديني، ولتوسيع رقعة دعونه. إلّا أنَّ هذا المعنى الضيق لم يكن ليستبعد الرأي السائد المنتشر، بوجه خاص، في نطاق النشيع، المتمثل كذلك في المجهود الفكري الذي بذله مفكر كمسكويه، ومفاده أنَّ الإسلام هو الحكمة بعينها: الحكمة التي حوت جميع حكّم الحضارات السابقة وأنشأت، إنطلاقًا من حكّمها القديمة، مسارًا خاصًا يمثلها جميعًا بشكل كامل، وقد اعتُبر هذا المسار، بحسب تعاليم هذا الرأي، ثمرة مسيرة معرفية باطنية.

الحلاج، أبو المفيت الحسين بن منصور بن محمد البليضاوي، ٢٤٤-٣٠٩هـ/٨٥٨-٩٢٢، المتصوف الشهير الذي حرّم متواه كونه وليًا يعد إعدامه في بغداد بسبب عقيدته التي اعتُبرت مينة ومناهضة للسنة. وقد تزامن الإعدام مع مرحلة تحوّل سياسي وثقافي في

السياسية، وأخطأ في البوح علناً بعقيدة كان من المفترض أن تبقى محصورة في بيئة محدودة، فخالف بذلك قواعد التعليم الباطني السري التي حافظ عليها المجتهدون من المثقفين والروحانيين في العصور الإسلامية الوسيطة. كما اعتبر الحلاج شهيد الحب الإلهي متحملاً نبوة قال فيها: «أسأمت في دين المشقة»، لم تعد مكة والمدينة تعينان لي شيئاً، حاول البعض ترجمة «دين المشقة» بـ «دين الصليب» ورأوا في مثل هذه الإشارة تلميحاً صريحاً إلى الديانة المسيحية، إلا أن هذا التفسير الذي اقترحه الاختصاصي الكبير بالحلاج، المستشرق لويس ماسينيون، يبقى في حاجة إلى إثبات.

حَلَب (الجمهورية العربية السورية)، أهم مدن سوريا الشمالية. احتلت مكانة مهمة طوال العصر الإسلامي الوسيط، وهي اليوم. بعد دمشق، المركز الاقتصادي والثقافي الثاني في أنحاء سوريا.

يعود تاريخ حلب التي قامت فوق هضبة داخلية إلى أعرق العصور القديمة، إذ إنها ذكرت في القرن العشرين قبل الميلاد تحت اسم حَلَب (بالياء المثلثة). وقد حازت هذه الأهمية ليس بسبب مواردها محيطها الزراعية الشحيحة، بل بفضل دورها كمركز طرق عريقة جداً، تربط البحر المتوسط بالفرات، وبمنطقة ما بين النهرين العليا والعراق والأناضول وسوريا الوسطى. اختار موقعها سلوقس نيكاتور لئيسكن فيها جاليةً من المقدونيين حوالي السنة ٣٠٠ قبل الميلاد، أطلق عليها اسم بروجيا. وقد أدى ترسيم شوارعها مستقيمة متقاطعة، وفاق تصميم أخذت به المدن الهلنستية، إلى منحها هيكلية كانت ما تزال تحتفظ بها في العهد الإسلامي.

عندما ضُمَّت حلب إلى الإمبراطورية العربية الإسلامية في العام ٦١٦م/٦٣٧م، إبان الفتوحات الكبرى، أفادت من معاملة صلح احتفظ سكانها بموجها بأماكن عبادتهم، بينها دور عبادة لليهود وكاندرانية مسيحية تقع على طرف الأغورا (Agora) أو الساحة العامة. وبطبيعة الحال شُيّد مسجد موقّت على مدخلها، إلا أن المدينة بقيت، في العهود الأولى، مأهولة بالسكان الأصليين الذين كانوا يؤدون الجزية،

نفساً مانوئلاً، ذلك الذي يعتبر النفس، الشرارة الإلهية، سجية الجسد والمادة، فزموه بالتالي بالزندقة.

إن الحب الإلهي، ضالة الحلاج، لا يمكن، بحسب هؤلاء العلماء، أن يحدث إلا من خلال اتحاد الألوعة بالنفس البشرية، وهو اتحاد يتنافى، تحديداً، مع وحدة الله، أو عقيدة التعالي الإلهي. إن الحلاج في أسفاره وتنقلاته كان يعلم في الأوساط الشيعية، ولكنه لم يتوان، في العام ٢٩٥هـ/٩٠٨م، عن دعم مؤامرة ابن المعتز باسم حركة إصلاح أخلاقية سنّية حنبليّة التوجه. كان من نتائج هذا الموقف الأخير إثارة نفور الحكّام المواليين للحركة الشيعية. ولا يخفى أن هؤلاء تمكنوا، في عهد الخليفة المتزدد والمتقلب «المقتدر»، أن يمارسوا مراوأة الحكم ويقاوموا سياسة الوزير علي بن عيسى المقرب من الخليفة المذكور. وتحت تأثير نفوذ هؤلاء الإداريين الشيعية نمت مراحل سجن الحلاج ومحاكمته التي انتهت بإعدامه.

يمكن القول إن إلقاء القبض، للمرة الأولى، على الحلاج في بغداد، في العام ٢٩٦هـ/٩٠٩م، تم لأسباب دينية وسياسية. ولما نجح في الهرب، أقام ثلاث سنوات في خوزستان، ولكن أُلقي القبض عليه مجدداً وتم استجوابه. بقي في السجن في بغداد مدة ثماني سنوات، استطاع خلالها أن يستميل عطف بعض كبار الشخصيات في بلاط الخليفة، إلى أن أقيمت الدعوى عليه بتحرير من الوزير المسؤول في ذلك الحين، رغم المحاولات التي قام بها الوزير السابق، علي بن عيسى، لتأجيل الدعوى.

دام التحقيق في الدعوى سبعة أشهر، صبت خلالها الجهود على إيجاد سبب كاف لتبرير القضاء عليه. وأخيراً نصّ المجلس الأعلى القرار الاتهامي بناء على الآتي: يعلن الحلاج، في إحدى كتاباته، عدم جدوى الحجج إلى مكة متى استطاع الإنسان أن يلاقي الله في قلبه، واعتُبر ذلك جحوداً للشرعية يستأهل الموت.

صدر حكم الإعدام عن أحد قاضي بغداد، وأمر الخليفة بتنفيذ الحكم، وعلّق المحكوم على المشقة ثم ضرب عنقه، وذلك في العام ٣٠٩هـ/٩٢٢م.

كان الحلاج، بدون شك، ضحية الدساس

وفضلاً عن ذلك، أُسِّست فيها مدارس كثيرة، على أيدي الملوك أو الأمراء أو أفراد ميسورين. وهكذا غدت المدينة، في عهود الزنكيين والأيوبيين، أحد المراكز المهمة لنشر التشيُّن، رغم أنَّ سكَّانها كانوا، قبل ذلك، أتباع الحمدانيين، متشيعين في أكثريتهم. من جهة أخرى، كان ازدهارها الإقتصادي محط الأنظار، وهذا عائد جزئياً إلى الاتفاقيات الموقعة بين السلطات وتجار البندقة في مطلع القرن الثالث عشر للميلاد. وهكذا قامت ضواحي عديدة خارج أسوارها، كان يشغل بعضها ضباط من الأتراك كانوا يشجعون التجارة فيها. وقد ضمت هذه الأحياء خانات، مفيدة من حركة طرق القوافل، بينها الخان الذي أُعطي إلى جماعة البندقة والذي عُرف باسم «فونداكو»، وهو يتطابق مع كلمة فُنْدُق العربية.

قضى على هذا الازدهار بفساوة غزو مغول هولاكو الذين حُربوا المدينة في محرم ٦٥٨هـ/كانون الثاني/يناير ١٢٦٠م. بعد انسحاب الغزاة منها، وقعت حلب تحت سيطرة المماليك الذين اكتفوا بجعلها مركزاً لإحدى المقاطعات المهمة التي كانوا يطلقون عليها تسمية نياية، يديرها نائب. ولم تستعد أهميتها إلا في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، عندما توفَّق الطريق التجاري الذي كان يربط أوروبا بإيران عن المرور بتهريب وبالمراكز التجارية التي كان يملكها البنادقة على البحر الأسود، لتتجه مباشرة إلى البحر المتوسط عبر أنطاكية؛ بذلك كانت المنسوجات الفاخرة الشرقية تُقايس في حلب بالآقمشة الإبطالية التي كان يعرضها البنادقة. فُتِيت مستودعات ضخمة في وسط الأسواق لتلوي هذه التجارة، في حين كانت المصاويحي حيث قامت المساجد تُؤوي مختلف أنواع الجِزَف، ممتدة بشكل خاص نحو الشرق.

خلال العهد العثماني، عانت المدينة لمدة طويلة بسبب الخصومات بين القضاة العسكرية المحلية، إلا أنَّ هذا لم يوقف نموها كمدينة تجارية، إذ إنَّ عهود الأمان أو الامتيازات بِثرت قيام وكالات تجارية فيها للفرنسيين والبريطانيين والهلوليين في أواسط القرن السادس عشر وبداية السابع عشر. كانت حلب آنئذٍ تستورد سلخاً مصنعة وترسلها إلى المناطق الداخلية،

فيما تجتمع المقاتلون العرب بناحية الشمال في معسكر مرج دابق. وكان ينبغي انتظار بداية القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، كي تُخصَّص المدينة - التي لم تكن بعد قد غدت مركزاً إدارياً - بمسجد جامع ضخم من الطراز الأموي، شبيه بمسجد دمشق، شغل موقع الأغوار، على حافة الجادة المتبقية المعمدة التي كانت تربط بالقلعة الباب المعروف بباب أنطاكية، والتي كانت حوايت الحرقيين والتجار تتوزع على مداها، كما في الزمان الغابر.

لبثت حلب مدينة ثانوية في عهد الأمويين والعباسيين الأوائل، ثم غدت، في العام ٣٣٣هـ/٩٤٤م، عاصمة إمارة صغيرة مستقلة هي إمارة الحمدانيين. فاستقرَّ فيها سيف الدولة الشهير، بطل الجهاد والقبضة العربية، وأطلق فيها نهضة أدبية مرموقة زانها المتنبي وأبو فراس من الشعراء وعلماء لغة مثل ابن جوتي وفيلسوف مثل الفارابي. وأمر ببناء قصر عظيم له خارج سورها، على غرار قصور الخلفاء، إلا أنَّ مجدها كان قصير الأمد، إذ إنَّ القائد البيزنطي تغفر فوكاس فاجأ المدينة، في العام ٣٥١هـ/٩٦٢م، بهجوم مدمراً المنشآت الحمدانية ومحتلاً المدينة إلى حين، ما خلا قلعتهما حيث استقرَّ، في ما بعد، خلفاء سيف الدولة.

استمرَّ مركز المدينة في التحول أيام السلاجقة وأخلافهم. وقد تلا سيطرة تُشش، أخي مُلكشاه ومؤسس سلالة سلاجقة سوريا العابرة، على المدينة في العام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، عهدٌ من عدم الاستقرار، سببه محاولات الفرنج الاستيلاء عليها، وتخلَّل ذلك فترات من النهضات المحلية وركبت النجاح السياسي الذي أحرزه قواد الحروب والملوك: منهم زنكي الذي أفلح في فكَّ حصار الفرنج عنها، وابنه نور الدين الذي عرف كيف ينهض بالمدينة بعد اختلال نظامها، وأخيراً صلاح الدين، ولا سيَّما ابنه الملك الظاهر غازي، اللذين جعلها منها عاصمة مزدهرة، في إطار إمارة قوية ومرهوبة الجانب. وقد عمد غازي إلى توطيد أسوارها وتأهيل القلعة تأهيلاً كاملاً بحيث غدت مدينة ملكية صغيرة، وإلى إعادة بناء قسم من المسجد الجامع، وترميم قوات المياه، وتأهيل الأسواق وتوسيعها.

«الحلول» الروح الإلهي في الإنسان، بل بأنّه «تقارب» بين الله والمخلوق. وفي الواقع فإنّ مفهوم الحلول أدّى إلى وحدة الوجود عند ابن العربي. وبموجبها يشارك المخلوق في الذات الإلهية. ومع أنّها شكّلت أساساً لبعض النزعات الإسلامية في موضوع الحلول، فإنّها أثارت رفض الفقهاء ولا سيما الذين تناولوا موضوع الفرق.

الجلّي، جمال الدين الحسن بن يوسف، ٦٤٨ - ٧٢٥هـ/١٢٥٠-١٣٢٥م، الملقّب بالعلامة، عالم كلام شيعي لامع، تُمثّل آثاره مدرسة الجلّة خير تمثيل. ولد الجلّي من أسرة دينيّة في العراق. انتقل إلى إيران سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م حيث عقد مناظرات مع الفقهاء السنيّين، وبصورة خاصة في بلاط السلطان الإيلخاني أولجنجو الذي تحوّل بفضله إلى الشيعة الإماميّة الإثني عشرية. وكان من شأن تأثير الجلّي أن أعلن هذا المذهب الشيعي، لفترة، مذهباً رسمياً في إيران.

ألف الجلّي ما لا يقلّ عن ثلاثمائة كتاب، يعتبر الإثنا عشريون ثمانية منها مؤلفات أساسية لما تضمّنت من شروح للعقيدة الإماميّة. وقد مثّل بذلك مدرسة فكرية، كان قد انتسب إليها قبله عالم أقدم منه، هو المحقق الحليّ (٦٠١-٦٧٦هـ/١٢٠٥-١٢٧٧م)، صاحب أهمّ موجز في الفقه الإمامي: «شرايع الإسلام». إنّ ازدهار العلوم الدينيّة في الجلّة رافق التراجع الذي أصاب المركز الفكري الشيعي في مدينة قم المقدّسة، منذ تاريخ تدميرها على أيدي المغول. ولم تستعد قم مقامها إلّا بعد فترة من الزمن.

حماة (الجمهورية العربيّة السوريّة): مدينة تقع شمالي سوريا، على الطريق التي تصل حمص بحلب. كانت تعتبر محطة مهمّة للقوافل في العصور الوسطى.

ضُمَّت هذه المدينة القديمة العهد، القائمة على ضفّتي نهر العاصي، إلى الأسبرطورية الإسلامية مع مطلع الفتوحات العربيّة - الإسلامية، أي منذ سنة ١٥هـ/٦٣٦م. شُيّد فيها، إبّان العصر الأموي، مسجد كبير على أنقاض كنيسة بيزنطيّة. خضعت للحملاتين ثمّ لبني مرداس، قبل أن تقع تحت سيطرة السلاجقة. اختلف عليها أمراء حلب ودمشق، إلى أن احتلّها عماد الدين

وتصدّر أنواع الحرير والقطانيّات. وهكذا أعاد الحكّام المشائير بناء الأسواق، فأقيمت خانات جديدة فيها، بعضها على مقربة من المساجد الجامعة، وشيّدت مدارس رائنة ساهمت في تشكيل المشهد المعماري للمدينة الذي يتميّز بأبنيته الحجرية الرائنة.

لكنّ هذه الأنشطة خدمت في القرن التاسع عشر، بينما أخذت الحياة الاجتماعيّة في البذل بتأثير أوروبي، فظهرت أحياء جديدة أكثر حداثة. بعد الحرب العالميّة الأولى، نجمت ظروف صعبة، عندما عزلت حدود دولة سوريا الجديدة حلب عن بلاد ما بين النهرين التي كانت تتاجر معها من قبل. لكنّ ذلك حفز أهلها على إيجاد أنشطة وأسواق جديدة، لمدينة صناعية لم تعد تستطيع، لا على الصعيد الإداري ولا على الصعيد السياسي، منافسة دمشق التي أصبحت عاصمة البلاد، إلّا أنّها استمرّت في الدفاع عن حيويّتها الاقتصاديّة. هكذا توافرت الظروف لانطلاق مدينة ثابتة ومميّزة. لم تتوقّف عن المساهمة في اتّساع المدينة السوريّة الثّانية وتجميعها، فيما بقيت آثار المباني الأساسيّة للمدينة القروسطيّة المنيّة البناء صامدة حتى اليوم. تطفئ عليها منجزات الأيوبيّين والمماليك الماثلة في قلعتها. إنّ الأسوار والأبواب المحصّنة التي استخدمت فيها جميع وسائل الهندسة المعماريّة القروسطيّة تُساهم في إبراز الأصالة القويّة المتجلّية في سلسلة من المباني التي تجعل من المدينة القديمة المجمع الأكثر تمثيلاً للفنّ السوريّ بين القرنين السابع والعاشر للهجرة/الثالث عشر والسادس عشر للميلاد.

« راجع السندونات ٩، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨، ٥٦ إلى ٦٦ »

الجلّة (مدرسة) - الجلّي.

الحلول، مفهوم خاص ببعض المتصوّفين الذين يؤكّدون أن الألوهيّة، في أثناء الإنخفاف، تكون حاضرة فيهم أو حالة في روحهم.

هذا المفهوم كان منافقاً لفكرة التنزيه الإسلاميّة المعروفة بالتوحيد أو بالوحدانيّة الإلهية. وقد امتنع بعض المتصوّفين عن اعتناقها، وأعلنوا مبدأ تفرّقه العقيدة الإسلاميّة، يقوم على تفسير الإنخفاف، لا بكونه

قام حماد بتفصيل مملكة على قياس طموحه، في مناطق بعيدة غربي القيروان، لطالما حاولت الإقلاط من السلطة الزيرية، وكان هو قد ساهم في انتزاعها من قبيلة زناتة. ثم إن هذا الزعيم العسكري الطموح، بهدف الدفاع عن أراضيه، استبدل بمركز اقامته الأول، «عشيرة» القلعة التي حملت اسمه، إن الأمير الجديد وسلالته، حافظا على استقلاليتهم، كانوا يفتقون حيناً موقفاً مالياً، وطوراً موقفاً معادياً للفاطميين الشيعة المقيمين في مصر. لكن الزيري المعز بن باديس نبذ، في العام ٤٣٢هـ/١٠٤١م، طاعة الفاطميين وأعلن ولاءه للعباسيين السنة، فاتخذاً الطريق بذلك أمام الغزاة البدو القادمين من الشرق (بنو هلال).

بذل الحماديون جهداً كبيراً لمقاومة الخطر الجديد المدهم، كما لصّد الحملات العسكرية الموجهة ضدهم من قبل أولاد عقهم وساداتهم السابقين، في حين كانت تتنامى في رعايتهم حياة فنية وفكرية امتدحها عدد كبير من المؤرخين. غير أنّ ذلك لم يخلّ دون اضطرابهم إلى التخلي عن ممتلكاتهم في الداخل، تحت وطأة الهجمات المشتركة لبيى هلال وللمرابطين أسياذ غرب المغرب، فلجأوا، في نهاية القرن الخامس للهجرة/الهادي عشر للميلاد، إلى بجاية مملكتهم الجديدة. ومن هناك استطاع الحماديون أن يفرضوا سيطرتهم على من تبقى من الزيريين، وكان الوهن قد أصاب هؤلاء، كما تمكنوا من مقاومة المرابطين ومواصلة الحرب من أجل الاستيلاء على إفريقية. وكان تألق حضارتهم الفني والثقافي قد بلغ صقلته في عهد الملوك النورمان. ثم جاء استيلاء الموحديين على بجاية في العام ٥٤٧هـ/١١٥٢م ليضع حداً لسلطة الحماديين وطموحاتهم، وكان الموحدون قد قضوا من قبل على سلطة الزيريين.

حماد بن بلكين الأول بن نديري ٤٠٥-٤١٩هـ/١٠١٥-١٠٢٨م
القائد بن حماد ٤١٩-٤٢٦هـ/١٠٢٨-١٠٥٤م
المحسن بن القائد ٤٢٦-٤٤٧هـ/١٠٥٤-١٠٥٥م
بلكين الثاني ٤٤٧-٤٥٤هـ/١٠٥٥-١٠٦٢م
الناصر ٤٥٤-٤٨١هـ/١٠٦٢-١٠٨٨م
المصور بن الناصر ٤٨١-٤٩٨هـ/١٠٨٨-١١٠٥م
باديس بن المصور ٤٩٨هـ/١١٠٥م
العزيز بن المصور ٤٩٨-٥١٥هـ/١١٠٥-١١٢١م

زنكي. ومنذ ذلك الحين أصبحت في عهده نور الدين زنكي، ثم في عهده صلاح الدين، مؤسس السلالة الأيوبية. وقد أوكل هذا الأخير إلى ابن أخيه الملك المظفر، في العام ٥٧٤هـ/١١٧٨م، مسؤولية الاهتمام بالمدينة. وحافظ أحفاد المظفر على المدينة حتى العام ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، جاعلين منها مركز إمارة شبه مستقلة. استطاع أبو الفداء، وهو ابن أخ آخر أمير أيوبي، أن يحكم المدينة باسم المماليك ابتداءً من العام ١٣١٠م، لكن ابنه عزّل، مما سبّب تراجع حماة التي تحولّت إلى مركز قضاء عادي، وازداد تراجعها في زمن الأمبراطورية العثمانية.

عرفت حماة في العهد الأيوبي، وخلال حكم أبي الفداء، ذروة شهرتها ومجدها، وتميّزت، إستناداً إلى المصادر القديمة، بظاهرة حضارية خاصة. كانت نوعيها تمتد على طول نهر العاصي وتغذي السكان والحدائق بالماء. ويقوم على الضفة اليمنى للنهر حي وصفه أهل الأدب بأنه «ضاحية» تميّز بخاناتها وبجامع نور الدين.

أمّا القسم الباقي فيتضمّن مدينة سفلى ترجع إلى عهد نور الدين، ومدينة علياً أقدم عهداً، يقوم فيها مسجد جامع وحسن أجهز عليه في ما بعد تيمورلنك.

راجع المستندات ٩، ١٢، و١٨.

الحماديون أو بنو حماد، (٤٠٥-٥٤٧هـ/١٠١٥-١١٥٢م)، سلالة من بربر صنهاجة أنسابه زيريّ إفريقية، حكموا المغرب الأوسط حيث أنشأوا، لفترة، أمبراطورية مترامية الأطراف. بلغوا أوج عزهم بفضل مناعة عواصمهم، منها مقرّ محضن عُرف باسم قلعة بني حماد، وقد اضطروا إلى اللجوء عنه في ما بعد؛ ومنها أيضاً مدينة بجاية المينائية. لم يتمكن بنو حماد من فصل مصيرهم عن مصير السلالة الزيرية التي استمدّوا منها سلطانهم ولم يصدّوا كثيراً بعدها، إنّ الأزد هار الوقت والمصاعب التي واجهت هذه السلالة في إفريقية التي كان قد نخّل عنها الفاطميون منذ العام ٣٦١هـ/٩٧٢م، وسلموها إلى نوابهم القدامى وأتباعهم من البربر، كلّها عوامل اذكت طموح حماد بن بلكين، العمّ الأكبر للحاكم الزيري الثالث، باديس بن المصور.

للحمام البارد بئركه وملاعبه الرياضية لعدم الحاجة إليه ، أصبحت تحوي العناصر التالية : غرفة أولى لزرع التياب ، تختلف أسماؤها باختلاف المناطق ، غرفة إنتقالية فائرة الحرارة لمجاورتها القسم المُحمى ، ثم غرفة أولى ساخنة وثانية عِزَاقَة ، شديدة الحرارة ، في داخلها أحواض من رخام تنوسطها نافورات ماء ، وبعض الخلوات والمقاعد التي يذلك عليها المستحم .

حيطان مجمل هذه الغرف سميكة كي تحافظ على الحرارة الداخلية ، وفي قبيها فتحات صغيرة سُدَّتْ بالزجاج لتسمح بدخول الضوء ، وهي مبنية بشكل متين وبمواد قادرة على تحمُّل الرطوبة الدائمة . بلحق بهذا البناء بناء تابع يحوي المستلزمات الصحية ، إضافة إلى خزان المياه والموقد مع كل ما يتطلبه هذا الأخير من خشب أو مواد حارقة أخرى . وفي مِرْجَل المياه المغلي فوهة يخرج منها البخار مباشرة إلى الغرفة العِزَاقَة الشديدة الحرارة . ومن الموقد يخرج أيضًا الهواء الساخن الذي يسري في الحيطان أو تحت أرض الغرف ليحافظ على حرارة ثابتة . وكان ذلك يتم وفق طريقتين مختلفتين : الأولى طريقة قديمة بقيت سارية في العصور الأولى للإسلام ، تقضي ببناء أفران أرضية ، والثانية أصبحت متبعة ابتداءً من القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد ، تم بموجبها تدفئة الغرف بواسطة القنوات المستعملة لتصرف الدخان المتصاعد من الموقد ، وهي موازية لقناة المياه الساخنة . إن مثل هذه الإنجازات الهندسية تتطلب من البنايين مهارة تقنية . وكانت قاعات الاستقبال والاستراحة في الحمامات غالبًا ما تُشَق وتزخرف ، إلى جنب الحمامات الشعبية التي كانت مصدر رزق لأصحابها ، وإلى جنب الحمامات الخاصة المتواضعة البناء ، هناك حمامات ملكية أنيقة تحمل كل مظاهر البُخ والترف ، بناها الخلفاء والحكام داخل قصرهم أو في المدن ، لا يرتادها إلا السحوظون .

هناك نماذج مختلفة لحمامات قديمة منشرة في البلدان الإسلامية . منها ما هو بقايا أثرية ، ومنها ما يزال قائمًا وكان صالحًا للاستعمال من زمن قريب ، كما في دمشق . مثل هذه الحمامات التي بقيت محافظة على بنائها سُمنحت بعراقة هندستها ونصايمها عن كتب .

يحيى بن العريز
« راجع المستند رقم ١١ .

الحمامية ، حركة سياسية دينية أفريقية اتخذت اسمها من الشريف حمى الله ، ظهرت في مطلع القرن العشرين كمحاولة لإصلاح التعليم الذي كانت تؤمنه الطريقة النيجانية .

أسس الحركة الشيخ سيدي محمد الذي استقر في نيورو في العام ١٩٠٤ ، ونوَّى في العام ١٩٠٩ ، ونظرت على يد تلميذ المؤسس الشريف أمادو حمى الله المتحدر من عائلة تجار تقيم في نيورو . وتدعى أنها من سلالة علي بن أبي طالب .

أرسل الشريف دعاة إلى أماكن متعددة لينشروا الدعوة في أوساط الشعوب السوداء المستقرة في أحواض السنغال والنيجر الأوسط ، ولكنه اصطدم بعداوة أشرف نيورو .

تميزت الحركة الحمامية عن النيجانية بتفاصيل تتعلق بالشعار ، منها مثلاً تلاوة صلاة الطريقة إحدى عشرة مرة بدل الاثنى عشرة مرة . إلا أن الدعوة اتخذت طابعًا اجتماعيًا بارزًا نتيجة الصعوبات التي واجهتها الحركة على الصعيد السياسي . تفضت رسائلها المناداة بالمساواة ، بما فيها المساواة بين الرجل والمرأة ، وتحميد شخصية معظما إلى حد أنار اضطرابات خطيرة دفعت بالسلطات الفرنسية إلى ردع أنباعها .

نفي حمى الله في العام ١٩٤٠ إلى الجزائر ، ومن ثم إلى فرنسا حيث وافته المنية في العام ١٩٤٢ . أما الحماميون فما زالوا حتى أيامنا منتشرين في أفريقيا السوداء العربية .

حمام ، نموذج من البناء القروسطي غذا ضروريًا لحياة المسلم اليومية لكي يؤدي فريضة الإغتسال للصلاة ، أي التوضؤ ، وكانت الحمامات ميزة أغلبية المدن والقصور الملكية .

تحمل الحمامات التي ورثت هندستها عن حمامات العصور القديمة التسمية الفنية للمصور التي بنيت فيها . وبقيت محافظة على تصميم ثابت فرضته مختلف الأعمال التي يقوم بها المستحم . فبعد أن تحلّت عن الـ « frigidarium » القديم ، أي عن القسم المخصص

يُنسب نجاحها إلى زعيم عسكري يدعى حمدان بن حمدون قاد حركة تمرد في أعالي بلاد ما بين النهرين، في أواخر القرن الثالث للهجرة/الثامن للميلاد، ما سهّل للحمدانيّين أن يبنّوا سلطتهم في قرعين أساسيّين كانا يتحالفا تارة ويتخاصمان طوّراً، وقد اختارا قواعد حكمهما في الموصل وحلب ومبّافار (سليمان اليوم). إنّ الشهرة التي نالها هؤلاء العواهل الصغار طيلة قرون في الوسط العربي - الإسلامي قامت على زعيمهم النحدر من سلالة بدويّة نبيلة قديمة العهد، وعلى دعمهم العلويّين، ودورهم كقادة جهاد ضدّ البيزنطيين على المواقع الحدوديّة. لقد تبنّى هؤلاء الأمراء أعمال الغزو الموسميّ للأراضي البيزنطيّة، في حقبة لم تعد الخلافة خلالها قادرة على شنّ مثل هذه الغارات، وكانوا يصدّون ببأس المهجومات التي جرّدها على سوريا الأباطرة البيزنطيّون من الأسرة المقدونيّة. إلّا أنّ خلود مجدهم ربما قام بوجه خاص على رعايتهم للأدب والتي شملت جميع بلاطات الحمدانيّين، وبصورة خاصّة بلاط سيف الدولة، فعدت مراكز زخرفة بالشعر العربي، تأثت فيها مذاحون أمثال المتنبّي وأبي فراس. وكان هذا الأخير ينتمي إلى البيت الحمداني، وقد رفعت من شأنه المعارك التي خاضها وانقضاءت التي وُصمها.

إنّ انبعاث الميول والصفّات التي تعود بجذورها إلى عرب ما قبل الإسلام والتي كانت تمجّد حياة الفروسيّة والأشعر التي كانت تلازمها، ساعد على تعظيم ذكرى هؤلاء العواهل الذين لم يميّزهم عن سواهم، لا نجاحهم السياسي ولا الازدهار الاقتصادي لدولهم. إنّ الدساس والنصرعات التي حفلت بها بغداد سمحت لهؤلاء الأمراء بتنظيم طموحاتهم الشخصيّة ورفع شأنهم عن طريق الألقاب الطنّانة التي أغدقتها عليهم دواوين الخلفاء مثل: ناصر الدولة، أو سيف الدولة، أمير الموصل وحلب المميّزين. إلّا أنّ آثا منها لم يمارس في بغداد سلطنة أمير الأمراء، وإن تلقب ناصر الدولة بهذا اللقب مدة شهور، بين ٣٣٠ و٣٣١/٩٤٢ و٩٤٣م. أخف إلى ذلك أنّ عدائيّة البويهيين الإيرانيّين قضت على إمارة الموصل منذ العام ٣٦٩/٩٧٩م، في حين أنّ الامارة السورية - انعرافيّة، أي إمارة حلب الشيعيّة، التي أسسها سيف

هذه المعلومات العينيّة أُضيفت إلى المعلومات المستقاة من نصوص كتّاب الحواريّات والجغرافيين الذين وصفوا بإسهاب في رواياتهم حمامات مدن المشرق والمغرب القروسطيّة، مثل بغداد وحلب ودمشق والقاهرة واسطنبول وفاس وقرطبة. وكانوا يبالغون أحياناً في عدد الحمامات، لأنّ عظمة مدينة ما ناتجة، في جزء منها، عن أهميّة حماماتها. فإنّنا نعرف، على كل حال، بقايا حمامات بناها أعضاء الأسرة الأمويّة ابتداءً من القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلاديّ، كذلك الحمام الصنير في قُصير غفرة على حوضه مواب الأردنيّة والشهور بالرسوم التي تزين جدرانها، أو حمامات مجموعة قصور جزية المُعَجر في فلسطين حيث تبلغ قاعة الاستقبال فيها، بمساحتها وتنسيقها الفسيفائي وبحوتها، مستوى من العظمة صُعّت منافسة في ما بعد. تميّز الهندسة الداخليّة الجميلة عددًا من الحمامات التي أنشئت في مدن سوريا ومصر في عهد الأيوبيين والمماليك، لكنّها لا توازي، بالرغم من كل ذلك، الإقذان الهندسي للحمامات التي بناها العثمانيّون في عاصمتهم اسطنبول على الأخص.

إنّ الحمامات التي كانت تبنى في مختلف الأزمنة كشاهد على عظمة السلطة، كانت تؤدّي أيضاً دوراً مهماً في الحياة الاجتماعيّة، لأنّها كانت تمنح فرص اللقاء والترفيه لكلّ من الرجال والنساء على حد سواء. لكن، كان بالطبع لكلّ من الرجال والنساء ساعات خاصّة لارتياحها. وكانت الحمامات سبباً للتخلّي عن بعض المواقف الصارمة، خصوصاً في ما يتعلق بتزيينها، إذ باتت بعض الحمامات، وخصوصاً الباذخ منها، تزدهن بالرسوم التي تمثل أشخاصاً، أو بالتمائيل النافرة، وهذا ما لم يكن مسموحاً به في أماكن أخرى وكان مخالفاً لمبدأ تحريم التجسيم.

الحَمْدَانِيُّونَ، (٢٩٢-٣٩٢هـ/٩٠٥-١٠٠٤م)، سلالة من الأمراء، حكمت أعالي بلاد ما بين النهرين وسوريا، بصورة شبه مستقلّة، وقد أسسها ضباط قدامى خدموا لدى العبّاسيّين، كانوا ينتمون إلى قبيلة تغلب العربيّة، مالوا في البدء إلى الخوارج ثم إلى الإماميّة الاثني عشرية.

أما حمص، نظرًا إلى موقعها الإستراتيجي، فظلت، طوال العصور الوسطى، عرضةً للخصومات المحلية وأحد أهداف الغزوات البيزنطية في نهاية القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد. ثم استقطبت الفرنج لاحقًا، وقد احتلّوا ثغر طرابلس المقابلة لحمص، وأقاموا بالقرب منها الحصن المنيع أو ما يعرف بحصن الفرسان (الأكراد)، من دون أن يتمكنوا من الاستيلاء عليها.

فُتت حمص:

- سورًا منيفًا لحمايتها. هذا السور دُمِّر كليًا ولا نستطيع اليوم تحديد موقعه إلا بصعوبة.

- قلعة تملو الزاوية الجنوبية الشرقية للسور، تعرّضت للهدم في القرن التاسع عشر ولا يبقى منها إلا بعض الآثار.

- عددًا من المساجد أهمّها المسجد الجامع المعروف بالنوري، لأنّ نور الدين أعاد ترميمه في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد.

- أسواقًا مهمّة وخانات مدينته عرفت الإزدهار في الحقبة العثمانية.

يقع خارج المدينة ضريح الفاتح والصحابي خالد بن الوليد الذي ما يزال مقصد زيارات تقويّة. وقد أعاد العثمانيون بناءه، إضافة إلى الجامع المجاور.

❖ راجع المستندات ١٢، ١٨.

الحمّوديون، ٤٠٧-١٠١٦هـ/١٠٥٨-١٠٥٨م، سلالة أندلسيّة، تنتمي إلى عهد ملوك الطوائف، حاولت أن تستولي على سلطنة الخلافة في قرطبة في عهد خلفاء بني أمية الأخيرين، قبل أن تتخذ من مالقة مركزًا لسلطتها المتناقصة عليها.

واجه علي وأخوه القاسم - وهما من أدارسة المغرب الأقصى، كان أحدهما يحكم سبتة والآخر الجزيرة باسم ملوك قرطبة - هزائم عندما توالوا على عرش الخلافة. وكان الفضل نفسه من نصيب يحيى بن علي، بسبب معارضة البربر، فارتدّ إلى عربية في مالقة. وظلّت سلالاته محافظة على موقعها وسط الخصومات والصراعات التي شهدتها تلك الحقبة المضطربة، إلى أن تمّ خلع محمد المستعلي على يدي أمير غرناطة البربري باديس، وهو من السلالة الزيرية، فاستولى على الناحية في

الدولة في العام ٩٤٤هـ/٩٤٤م على حساب إخشيد مصر لتمتدّ من حمص إلى أرمينيا، انهارت نهائيًا، في العام ١٠٠٤هـ/١٠٠٤م، تحت ضربات البيزنطيين والخلافة الفاطمية في مصر معًا.

حمدائيُّ الموصل:

أبو الهيثم، عبد الله ٢٩٢-٣١٧هـ/٩٠٥-٩٢٩

ناصر الدولة الحسن ٣١٧-٣٥٨هـ/٩٢٩-٩٦٩

فصل الله أبو تغلب ٣٥٨-٣٦٩هـ/٩٦٩-٩٧٩

أبراهيم الحسن ٣٦٩-٣٨١هـ/٩٨١-٩٩١

حمدائيُّ حلب:

سيف الدولة علي الأؤذ ٣٣٤-٣٥٦هـ/٩٤٥-٩٦٧

سعد الدولة شريف الأول ٣٥٦-٣٨١هـ/٩٦٧-٩٩١

سميد الدولة سعيد ٣٨١-٣٩٢هـ/٩٩١-١٠٠٢

علي الثاني ٣٩٢-١٠٠٢هـ/١٠٠٢-١٠٠٤

حمزة بن عبد المطلب، (٩ - ٦٢٥م)، عم النبي محمد (ﷺ) وأحد صحابته.

كان حمزة من أنشط المدافعين عن نبيّ الاسلام (ﷺ) بعد اعتناقه الدين الجديد. قاتل ببسالة في موقعة بدر، لكنه قتل في موقعة أُحُد على يد عبد جشّي ومثّل بجسده القرشيون. ولما كان قد اعتبر واحدًا من أشهر شهداء تلك المعركة، فقد أصبح بطل إحدى الروايات الشعبية.

حمزة بن علي - الدروز.

حمص (الجمهورية العربية السورية)، مدينة من مدن سوريا الوسطى. تقع على المسافة نفسها (تقريبًا) من حلب ودمشق، وتدين حاليًا لموقعها بانطلاقتها الاقتصادية.

في مطلع الفتحوات العربية-الإسلامية الكبرى، سنة ١١٦هـ/٦٣٧م، وبعد أن وقعت صلحًا، انضمت مدينة إميز (Emèse) القديمة المعروفة بأهميّة سكانها العرب، إلى أمبراطورية الخلفاء الأوزين، ونحوّلت كإندراجيتها إلى جامع، فاخترها عمر بن الخطاب، الخليفة الثاني للنبي (ﷺ)، عاصمة أحد أجناد سوريا.

سنة ٦٦١هـ/١٢٦١م، في ظلّ السلالة الأموية، فُصل هذا الجند عن منطقته الشماليّة التي شكلت مقاطعة قيسرين.

الحنبليّة، مدرسة فكرية ساهمت عقيدتها في نشأة مذهب فقهي معروف. يستمد اسمه من مؤسسه أحمد بن حنبل، وقد نما وتطوّر في قلب العراق العباسي منذ النصف الثاني للقرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد. إنّ هذه المدرسة الدينية التي كانت تجمع بين الفقه وعلم الكلام، والتي امتازت بزعمتها للأخذ بحرفيّة النص والتقليد، اعتبرت ممثلة لأحد التلامع السبّة الأساسية. لكنّ طابعها المتشدد حدّ من نموّها وحال دون انتشارها العميق في بعض الأوساط حتّى أيامنا. وإذا كانت صادفت رواجاً في بغداد استمرّ حتى نهاية الخلافة العباسيّة في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، فإنّها ازدهرت كذلك في سوريا، إلى أن تراجع مدعها إثر الفتح العثماني في القرن السادس عشر. إلّا أنّها، بفضل ازدهار الحركة الوهابيّة وتجلّوها، شهدت حيوية منجذدة في شبه الجزيرة العربيّة.

إنّ السمات البارزة لهذه المدرسة تعكس تلك التي طبعت شخصيّة أحمد بن حنبل، وهو عالم ديني شهير ذاع صيته بسبب معارضته المعتزلة في أواخر عهد الخليفة المأمون.

إنّ الآراء التي كان يدافع عنها هذا العلامة، والتي أدّت الى اضطهاده في زمن المحنة الكبرى، تضمنت إصراره على أنّ كلمة الله، بمعنى آخر القرآن الكريم، لا يمكن أن تكون مخلوقة لأنّها هي خالقة. حارب المأمون وخلفاؤه الأوائل أفكار ابن حنبل، ولم يُكتب لأرائه النجاح إلّا بعد وصول المونوكل إلى سدة الحكم، في العام ٨٤٧هـ/ ٨٤٧م، فتطوّرت هذه الآراء، وبادر إلى تفصيل مضامينها أبناء ابن حنبل الذين قرؤوا لها متابع الانتشار محلّين بعدها القانوني والكلامي.

لقد اكتفى ابن حنبل بجمع مجموعة من الأحاديث عرفت باسم السنن، لأنّ الأحاديث النبوية جاءت فيها مصنفة، لا من حيث الموضوع بل وفاق السنن. وإذا كانت الشهرة التي نالها جزء هذا العمل جعلت معاصريه يعتبرونه محدثاً لا فقيهاً، إلّا أنّه استخرج منهاجاً في استخلاص أحكام الشريعة يقوم على النص القرآني والأحاديث التي يرجع إسنادها إلى نبيّ الإسلام (ﷺ) دون سواها. وقد اعتمد تلاميذه أحمد ابن حنبل هذا

العام ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م. من جهة أخرى، استولى بنو عبّاد لاشيبيون، في العام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، على الجزيرة، وقضوا على الفرع الحمودي الأصغر.

علي الناصر ٤٠٠-٤٠٧هـ/ ١٠١٠-١٠١٦م

القاسم الأول المأمون ٤٠٧-٤١٢هـ/ ١٠١٦-١٠٢١م

يحيى الأزل المعتلي ٤١٢-٤٢٦هـ/ ١٠٢١-١٠٣٥م

ادريس الأول المتأيد ٤٢٧-٤٣٩هـ/ ١٠٣٦-١٠٣٩م

الحسن المستنصر ٤٣٠-٤٣٩هـ/ ١٠٣٩-١٠٤٣م

ادريس الثاني العالي ٤٣٩-٤٣٨هـ

٤٣٨-٤٤٧هـ/ ١٠٤٣-١٠٤٦م

١٠٤٦-١٠٥٥م

محمد الأول المهدي ٤٣٨-٤٤٠هـ/ ١٠٤٦-١٠٤٨م

القاسم الثاني الواثق ٤٤٠-٤٤٦هـ/ ١٠٤٨-١٠٥٥م

محمد الثاني المستعلي ٤٤٧-٤٤٩هـ/ ١٠٥٥-١٠٥٧م

◀ راجع المستنصرين ١١ و ١٥.

لحميدتون أو حميد أوغُزلي، القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، سلالة تركمانية من ليكوات، تعود إلى عهد الإمارات في الأناضول، سطت نفوذها من وسط الهضبة الى ساحل المتوسط. حصّلت هذه السلالة الصّغيرة ثروتها من السيطرة على طرق الأفل في المنطقة وعلى معابرها، وانقسمت لى فرعين، استمرّ فرع واحد منهما في الإقامة في نواحي ناحية إغريدبر التي حصّنها سلاجقة الرّوم، قريباً من المعز الأرضي الذي يشرف عليه هذا الموقع جنوبي لبحيرة التي تحمل الاسم نفسه.

أمّا المملكة الأخرى المعروفة أيضاً باسم تكة وغُزلي، فقد تنظمت في سهل بامفيليا في ضواحي مدينة نطايا المينائية. استعادت إحدى هاتين الأسرتين - للثنين ما لبثتا أن انهارتا ما بين عامي ٧٩٣-٧٩٤هـ/ ١٣٩١-١٣٩٢م، أمام القوّة العثمانية المتنامية - شيئاً من حقوقها على يدي تيمورلنك على أثر هزيمة بايزيد يلدرم لأولّ في موقعة أنقرة، في حين أنّ أراضي الأسرة الثانية لمقيمة في اغريدبر استولى عليها القرامانيون قبل أن يسيطر العثمانيون بشكل كامل على المنطقة، وقبل أن تزول الأسرة الحميدية نهائياً في العام ١٤٢٣م.

◀ راجع رقم ٦٢.

الديني السياسي وأثاروا بدورهم فتناً متعددة.
إنَّ الحنبلية، التي تَمَثَّلَتْ بأسماء شهيرة في العراق
في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد من أمثال
ابن عقيل، وعبد القادر الجيلاني، وابن الجوزي
وجدت أرضية خصبة لها في سوريا وفي المنطقة العليا
من بلاد ما بين النهرين.

في زمن انتشار المدارس، تطوَّر تعليم المذهب
الحنبلي في دمشق حيث كان ابن تيمية أبرز مثليه خلال
عهد المماليك، يليه ابن قيم الجوزية، وتلميذ هذ
الأخير، الفقيه والمحدث والمؤرخ في الوقت نفسه ابر
رجب. إنَّ صراعات الفتوى في هذه الأوساط، التي
وضعت في المواجهة الحنبلتين وأهل النصوص مر
أصحاب النزعة إلى وحدة الوجود، متمكنين بمدرسة ابر
عربي، لم تحل دون استمرار تقليد قام عليه، في القرد
الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر للميلاد، إنتاج منظ
جديد هو الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب، لقد استمال هذ
الأخير إلى أفكاره الأمير ابن سعود، مؤسس دولة آل
سعود في جزيرة العرب، وساهم في تنمية حركة فريد
استهدفت ترسيخ الحنبلية في حركة الإصلاح الإسلامي
في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة/ العشرين للميلاد
كما في سائر المسائل الدينية-السياسية في العالم
الاسلامي المعاصر، وبنوع أخص في التشريع المعتم
حتى اليوم في المملكة العربية السعودية.

الحنفي (المذهب -)، مذهب فقهي نشأ في العراق
الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، يعود اسمه إلى «أبي
حنيفة» الذي عُرف عنه أنّه قليل التشدد في مسائل
الفقه، حيث كان للرأي الشخصي عنده مجال واسع
فاضحى هدفاً لانتقاد أنصار الحديث.

إنَّ الانتشار الواسع للمذهب الحنفي في المشرق
حتى أيامنا هذه يعود إلى أنَّ الأتراك، منذ دخولهم العراق
الإسلامي في العصور الوسطى، وقع اختيارهم عليه
ليصبح المذهب الفقهي الرسمي للدولة وللإمبراطورية
العثمانية. وهذا الاختيار هو في الواقع نتيجة للدور الذي
قامت به هذه المدرسة في عراق العباسيين والذي كا
يتناغم مع النجاح الذي عرفته في أوساط السلطة بسبب
بعض مواقفها.

المنهج الذي أصبح ركن أعمال المدرسة الحنبلية. لقد
هدف ابن حنبل إلى تقليص دور الرأي الشخصي إلى
أقصى حدٍّ، وكان أسلافه قد أسرفوا، بحسب رأيه، في
الأخذ به، داعياً إلى التقيد، بعكس ذلك، بتعاليم
النصوص الأساسية.

يُنسَب إلى ابن حنبل وأتباعه مجموعة من «إشهارات
الإيمان» التي تُعدَّد، من دون بُيِّنَةٍ، عقائد الإسلام
الأساسية: قدرة الله اللامتناهية في الخير وفي الشر،
بمعنى آخر، حيوية الأعمال البشرية ونفي مبدأ حرية
الاختيار؛ إثبات وجود صفات الله؛ تأكيد أزلية القرآن؛
الطاعة المطلقة لرأس الأمة، حتَّى لو كان غير نقيّ. وقد
لافت «إشهارات الإيمان» الحنبلية رواجاً من دون أن
تقوم على براهين تعتمد أساليب التفكير المنطقي. وخير
مثال على ذلك الإشهار الذي صاغه الحنبلي البغدادي
ابن بقلّة في نهاية القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد،
وهو نموذج للإيمانة الحنبلية.

عُرفت الحنبلية، تاريخيّاً، بصراعها مع الشيعة من
جهة، ومع أنصار علم الكلام من جهة أخرى، أيّا كانت
المواقف الكلامية التي دافع عنها هؤلاء. أضف إلى ذلك
أنَّ أتباع المدرسة الحنبلية مارسوا، في الحياة اليومية،
أسلوباً صارماً، وسعوا، مراراً، إلى أن يفرضوا نهجهم على
أنّه النظام الأخلاقي الإسلامي، ممنهكين لواجب
«الحسبة»، آخذين به بحزم. وقد شوهدوا يتدخلون في
عاصمة الخلافة لمنع بيع الخمرية بتحطيم جزارها، كما
اعترضوا بعض على بعض الممارسات الطقسية التي كانوا
يتكرونها، كمنع زيارة قبور الأئمة العلويين، مستبشرين في
المناسبة بتظاهرات مناهضة ومعارك في الشوارع.

ما من شك في أنَّ هذه التجاوزات المتعددة وخرق
النظام العام أدت، في مطلع القرن الرابع الهجري/
العاشر الميلادي، إلى شجيتها بقرار صادر عن الخليفة
القاهر. إلّا أنّه، بعد انقضاء قرن، نمت الحنبلية كمعقّدة
دينية سياسية بتشجيع الخليفة القادر، وأصبحت في العام
٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، العقيدة الرسمية الوحيدة، بمعنى آخر
العقيدة الوحيدة التي يُجَاز تعليمها رسمياً. مع وصول
السلالة في العام ٧٤٧هـ/ ١٠٥٥م، تحرك أنصار
الأشعرية بعنف في بغداد ضد هذه الأحادية في التعليم

شبوته في الأناضول حيث تمهده جميع الحكام الأتراك اللاحقين، بمن فيهم السلاطين العثمانيون الذين عُرِف نظامهم الفقهي في أوروبا، عبر الكتاب الذي وضعه إ. مورادجا دهبسون (I. Mouradjea d'Oshson)، «الجدول العام للإمبراطورية العثمانية»، المنشور بين عامي ١٧٨٧ و ١٨٢٤. إن جزءاً من الفقه الحنفي، وهو المتعلق بالقانون المدني، كان في أساس القانون العثماني الرسمي الذي وُضع في العام ١٨٧٧، والمعروف بـ «المجلة». هذا القانون، على حفاظه على أصول الشريعة الإسلامية، لم يسلم من التأثير الغربي. وما الدراسة الحديثة المفصلة التي أصدرها مفتي اسطنبول، عمر نصوحي بيلمن، ونشرها في الأعوام ١٩٥٠-١٩٥٢، سوى صدى لأحكام المذهب الحنفي التقليدي.

من جهة أخرى حثَّ الأباطور المغولي أوزونكزيب في الهند على إعداد مصنف ضخم في القانون الحنفي، تحت اسم «الفتوى العالمية الكبرى»، [أي ذات الشمولية العالمية].

بعد ذلك، في عهد السيطرة البريطانية، أدمجت عناصر من الفقه الحنفي بقانون تطبيقي داخله أيضاً عناصر من الفقه الشيعي، وهذا ما عرف بـ «القانون الانكليزي المحمدي» الذي أدى دوراً لا يستهان به حتى فترة قريبة.

إنَّ جهود التحديث المبذولة في العصر الحديث استطاعت أن تستقطب بسهولة أتباع المدرسة الحنفية، فقوى ذلك نموّ مذهبهم ونظوره، وقد أظهرها، منذ زمن بعيد، ميلاً واضحاً للمدارس الكلامية العقلانية المنحى. وغالباً ما اعتُبروا قريبين من المعتزلة. نذكر أيضاً أنَّ المائريديّة نشأت وتماطلت في أوساط ما وراء النهر حيث سادت خيارات أتباع الحنيفة.

وتجدر الإشارة إلى أن الحنفيين، بسبب التوقيف الذي كانوا يخصّصون به شخص [الإمام] علي، وربما أيضاً بسبب نوحات مؤسّسهم، يُعتبرون قريبين من الشيعة أكثر من سائر المذاهب السنية.

وهذا يفسّر وقوف فئات منهم إلى جانب الفاطميين في إفريقيا ثم في مصر، واتّخاذ دروز لبنان المذهب

واقع الأمر أنّه، في ما يتعلق بطرق تطبيق الشريعة، لم يميّز الأحناف عن سواهم من أصحاب المدارس الأخرى إلا في أمور تفصيليّة، وإن تكن هذه التفاصيل قد أدّت، بصورة عامة، إلى اعتبار الأحناف أقلّ صرامة في بعض المسائل من سواهم.

لم يكن الأحناف ليعتبروا مثلاً من الضروري نوافر وصي لعقد الزواج، وكانوا يسمّحون بشرب خمر البلع أو «البليذ» في غياب السكر والنشوة. وكانوا، بفضل اللجوء إلى الرأي الشخصي، يرضون ببعض المخارج التي تفسح في المجال أمام العودة عن بعض المنكرات المنهي عنها، شأن الدين بالقائدة مثلاً.

إن المبدأ الذي أعطوه الأولوية وانمازت به فريدة أساليبهم الفقهية هو «الاستحسان» أو «البحث عن أفضل حل».

ثمّ ما لبثت أساليبهم أن تناولها التدقيق والإيضاح، عبر مرور الزمان، على أيدي علماء مشهورين، تتلمذ أئدهم على أبي حنيفة، مباشرة، أبرزهم أبو يوسف والشيباني. اشتهر الأوّل بأنّه قاضي قصاة بغداد، وقد حظي في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد على تقدير رفيع لدى الخليفة هارون الرشيد، وقد تضمّن مؤلّفه، «كتاب الخراج»، نصائح في شؤون ممارسة الحكم موجهة إلى الخليفة. أمّا الثاني، أي الشيباني، واضع المؤلفات العديدة في أصول الفقه، والفقيه المرجع الذي كان مسموع الكلمة لدى هارون الرشيد، فكان قاضياً على الرقّة وقد عُيّن في ما بعد في منصب في خراسان. ولكنّ المنيّة التي وافته في العام ١٨٩هـ/ ٨٠٥م حالت دون النهوض به.

وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ترك القدوري ملاحظاً مشهوراً في الفقه الإسلامي، وهو بعنوان «المختصر في الفقه»، يقوم على الأسس التي أرساها أسلافه.

إنَّ المذهب الحنفي الذي نشأ في العراق، وما يزال قائماً في مستوى رفيع في هذه المنطقة، أفاد من رعاية الخلفاء العبّاسيين الذين اختاروا قضائهم من بين علمائه. انتشر هذا المذهب كذلك في سوريا، وخراسان والهند، وما وراء النهر. كما تبنّاه السلاجقة، ما أدّى إلى

المنتمجة التي تؤدي إلى مدينة الطائف. وبعد أدّ تضعفت الجيوش الإسلامية تمكّنت من إعادة تنظيم قواها وهزمت أتباع هوازن الذين اضطروا إلى الخضوع والإستسلام.

إن النص القرآني (سورة التوبة، الآيات ٢٥ و٢٦) يذكر هذه الوقعة ويعزو النصر إلى تدخل الله.

حوران، إقليم من سوريا القروسطية، يقع جنوبي دمشق، هو اليوم جزء من الجمهورية العربية السورية وبضمّ أعالي جبل الدروز في جوار الجولان.

بضمّ القسم الأكبر من المقاطعات القديمة باتانيه و تراكونيتيديا وأورانتيديا (Batanée و Trachonitide و Aurantide). دخل إقليم حوران العالم الإسلامي سنة ١٣٤هـ/٦٣٤م، في زمن الفتوحات الكبرى، بعد معركة الميرموك بقليل. عانى الإقليم في العصور الوسطى غارات عديدة شنت عليه، بسبب موارد أرضه البازليّة ذات المنخفضات الخصبة. إن قلعة بصرى، وكذلك قلعة صلخد، وهي الموقع المحصّن المتقدّم من ناحية الصحراء، استخدما كمركز لعدد من الأمراء والحكّام الأتراك بعد زحف السلاجقة، في حين كانت تتواصل على هذا الموقع هجمات الفرنج، والخوارزميين والمغول، وقبائل البدو الآتية من جزيرة العرب. بير هذه العتائر الدوية، وصل بنو ربيعة منذ القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، وما لبثوا أن تحضرو بسرعة. ولحق بهم بنو عترة في عهد العثمانيين، فعاثو فسادا واضطرابا، فأرغموا حركة قوافل الحج إلى مكّة التي كانت تنطلق من مدينة بصرى. أمّا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فاضطدم الزواله ببني عترة من جهة أخرى، أقام الدروز القادمون من لبنان الجنوبي في السلسلة الجبلية التي حملت اسمهم. إذ إر قسما من المتوزطين منهم في أحداث ١٨٦٠ أنثوا الم حوران فازداد عدد الدروز فيه. تجدر الإشارة الى أد إنشاء سكّة حديد الحجاز في العام ١٩٠٤ وضع حدّ لتجنّع الحجاج في بصرى. بعد الحرب العالميّة الأولى، وبعد تفكّك الأمبراطورية العثمانية، ثار دروز حوران، في العام ١٩٢٠ ثم في العام ١٩٢٥، ضا الانتداب الفرنسي. على الرغم من تلك الثورات التي

الحنفي فقها لهم، مكتنين بإضافة بعض التعديلات عليه كي يستطيعوا تطبيقه رسميا.

حنيف، نفقة من أصل غير واضح، هي من دون شك آرامية وتسيرها قابل للجدل. وردت في النص القرآني حيث عنت أشخاصا كانوا يماوسون، قبل ظهور الإسلام، الديانة التوحيدية التي غذا النبي محمد (ﷺ) في ما بعد نبياها الحقيقي.

إنّ تسمية حنيف التي أطلقت بصورة خاصة على ابراهيم لاقّت، في ما بعد، بعض الرواج في الأوساط الإسلامية، في الاستعمالات المتعلقة بالدفاع عن العقيدة، كما في المصطلحات الصوفية. وقد استعملها بعض المؤلفين بالمعنى العام لكلمة مسلم، إذ إن الإسلام كان يُسمّى أحيانا الدين «الحنيف».

حنّين، موقع في ناحية ميناية مدقّرة في الجزائر الغربية، مثّلت دورا بارزا في المغرب خلال العصور الوسطى. تقع حنين على مسافة لا تقلّ عن خمسين كيلومترا شمال غربي تلمسان، كانت مرسى وسّعه وطوره «الموحّدون» تيسيرا لأنشطة تلمسان التجارية. أصبحت حنين عاصمة لبني عبد الواد في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، وعرفت ازدهارا تجاريا باعرا لوقوعها عند نهاية خط القوافل الآتية من الصحراء. وقد وسّعت علاقاتها مع مرافئ الأندلس وإسبانيا المسيحية. واصلت ازدهارها على عهد المرينيين الذين انتزعوها من بني عبد الواد، وفي القرن السادس عشر تحوّلت إلى وكر للفراسة.

وقعت حنين في قبضة الإسبان في العام ١٥٣١. إن بقايا الأسوار الواقعة حول خرائب قلعتها تشير اليوم إلى موقعها القديم.

« راجع المستد رقم ١٩.

حنّين (معركة حنّين) أو الحنّين، وقعة بطوليّة تشكّل جزءا من المعارك التي خاضها نبي الإسلام (ﷺ)، جرت عام ٦٣٠هـ/٦٣٠م بعد فتح مكّة.

كانت الجيوش الإسلامية بقيادة النبي (ﷺ) شخصيا تقاوم أحد تكتلات العرب البدو بقيادة قبيلة هوازن، عندما وقعت ضحية كمين نُصب لها في الأودية

المبنى المخصص للاحتفال بعاشوراء وإحياء مجالس التعزية.

لقد بسط المغول نفوذهم على المدينة إبان عهد أورونغ زيب، ثم أخذت سلطتهم بالتراجع، ما أدى إلى إعلاء شأن سلالة جديدة، هي سلالة الأصفهانيين أو «نظاميو» حيدر آباد. تتحدر هذه السلالة من زعيم عسكري مغولي نال من سيده لقب نظام الملك وأصف جاء. استقل هذا الزعيم في العام ١٧٢٣، وكان منافساً لمؤسس سلالة النواب في لكهنؤ، وقد مارست هذه السلالة السياسة نفسها. إن الخلافات التي عرفتها الذكّن في ما بعد، والتي أدّت نازها المواجهات بين الفرنسيين والبريطانيين، لم تحل دون إبقاء حيدر آباد بين أيدي أسباده المحليين الذين وقروا لها الازدهار، وإن تحت وصاية غربية تراوح حدة وطاقتها بين الحين والآخر، وذلك ابتداءً من مطلع القرن التاسع عشر.

لم ينجح هؤلاء الأسياد في ما بعد بالحق هذه الدولة المسلمة بباكستان. إلا أنّ مدينة حيدر آباد، بحداثتها وروائع هندستها، بقيت أبرز شاهد على التفاعل الثقافي الهندي-الإسلامي الذي ما زال قائماً حتى اليوم في بعض مناطق الاتحاد الهندي.

« راجع السنتين ٣٤ و٣٥.

الحجيرة، موقع مدرّج، جنوب شرقي النجف الحالية. كانت الحجيرة بلدة لا تزال حيّة في مطلع العهد الإسلامي، ولكنها كانت تُعتبر، في القرون الثلاثة السابقة، أبرز مدينة في المنطقة.

كانت هذه العاصمة لسلالة اللخمينيين العربية، خلفاء الساسانيين، المركز الفكري للمسيحية النسطورية. استسلمت للقوات العربية-الإسلامية منذ بداية الفتوحات الكبرى في العام ١٢هـ/٦٣٣م، إلا أنّ المسلمين أمهلوها، فتراجعت خلال العهد الأولي للخلفاء العباسيين، قبل أن تطمس الكوفة بإشعاعها.

غير أنّ الحفريات الأثرية سمحت بالعثور على زخارف من معجون المرمر تعود إلى القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، كشفت دراساتها بعض ملامح الفن الإسلامي في العراق في ذلك العهد وأبرز وسائله التعبيرية الزخرفية.

سرعان ما أخذت، وعلى الرغم من قرب الجولان الذي احتلته إسرائيل في العام ١٩٦٧، ظلّت منطقة حوران تُعتبر «خزان القمح» لسوريا، وظلّت تحافظ على ازدهارها، وهي الإقليم الذي تسلكه شبكة المواصلات بين الجمهورية العربية السورية والمملكة الأردنية الهاشمية، ومنها إلى الجمهورية العراقية وإلى المملكة العربية السعودية.

حيدر آباد، اسم يعود لمدينتين تقعان في الهند الإسلامية، تنتمي إحداهما اليوم إلى السند في الباكستان، والثانية إلى الذكّن في الاتحاد الهندي.

حيدر آباد (جمهورية باكستان الإسلامية)، تقع في شمال دلتا نهر الهندوس، وهي حديثة العهد، أنشئت في العام ١٧٦٨ على يد حاكم محلي من السند جعل منها عاصمته.

أُعلنت حيدر آباد لمصلحة كارايتشي بعد الاحتلال البريطاني للإقليم في العام ١٨٤٤، ولكنها تمكّنت من المحافظة على مركزها كعاصمة من حيث الأهمية بعد كارايتشي ولاهور، ومركز رئيسي للنشاطات الثقافية الإسلامية، تتميز بجامعة حديثة ومعهد مخصص لدراسة فكر شاه ولي الله.

حيدر آباد (الاتحاد الهندي)، أعطت هذه المدينة اسمها لدولة حيدر آباد التي كانت عاصمة لها بعد أن قامت بدور تاريخي بالغ الأهمية منذ القرن السادس عشر، هي اليوم عاصمة إقليم أندرا برادش وتعدّ بين أبرز المدن الحديثة في البلاد.

تُسم حيدر آباد بانتهاج سكّانها منذ القدم إلى الشيعة، وما تزال تشكّل، حتى اليوم، مركزاً شهيراً للثقافة الإسلامية إذ أسّست فيها في العام ١٩١٨، الجامعة العثمانية الشهيرة المعروفة منذ ١٩٢٨ بمجلتها Islamic Culture (الثقافة الإسلامية). لكنها فقدت، منذ التقسيم الذي حدث في العام ١٩٤٧، عدداً من سكّانها المسلمين.

إنّ تأسيس المدينة على موقع قريب من حصن كُثُفَته يعود إلى عام ١٥٩٠، على عهد سلالة القطب شاهين الذين حلّموا بأن يجعلوا منها أصفهان جديدة. إنهم أصحاب الأبنية الأكثر أهمية، بما فيها عاشور خانه،

مثلاً عادات وممارسات متناقضة بشأن بعض الطرائد من دون أن تكون الآراء حولها مبنية على ملاحظات تتعلق بعالم الحيوانات. كما أنَّ هناك معطيات قرآنية بسيطة وواضحة هي من المسلّمات المقبولة من الجميع، منها تحريم أكل لحم الخنزير بشكل قطعي. وهذا التحريم كانت له نتائجه على الصعيد الاقتصادي، لأنه شمل تربية هذا النوع من الحيوانات والإتجار به.

على صعيد آخر، وبعبارة من الفقه، يبرز في الأدب ما يشير إلى أن المجتمع الإسلامي القديم ركّز اهتمامه الدائم على نوعين من الحيوانات الأليفة، وكانت له معارفه ودروسه عنهما. فالأول هو المطة الأساسية التي لا غنى عنها في الحياة البدوية داخل مناخ مداري، وهو الجمل الذي يذكره القرآن الكريم غير مرّة، والذي أذى دوراً في الأخبار المتعلقة بالرسول (ﷺ) وصحابته، بعد أن كان، قبل الإسلام، الموضوع المفضّل في المجالين المعجمي والشعري. والثاني هو الجواد الذي اعتُبر مثاليّاً في الحروب خلال الفتوحات العربية - الإسلامية الأولى، وفي عمليات التوغّل اللاحقة داخل القارة الآسيوية. وقد وُضعت في القرون الوسطى مؤلفات عديدة حول طبّ الخيل، بعضها موروث عن القدماء وبعضها جديد، كما أظهر المرؤضون مهاراتهم في تدريب الجياد على القروسية والمعارك الحربية، بحسب العادات والقواعد المتبعة في العالم الإسلامي. كذلك كان الاهتمام مماثلاً بالصقور وسائر الطيور التي يستعان بها في الصيد. ولا يزال هذا الاهتمام قائماً من قبل أبناء الخاصة التقليدية. وقد وُضعت حول هذه الطيور، في الماضي، مقالات تميّزت بالغزارة والأصالة، بعضها علمي والبعض الآخر عملي.

وقلماً تشكّل الحيوانات في حفل الرسم - حتّى تلك التي أثارت اهتمام العلماء المسلمين في القرون الوسطى - وذلك بسبب مبدأ تحريم الرسوم المطبّق في الفن الإسلامي بصورة عامة. إلا أن هذا المبدأ لم يُعزَم بشكل قطعي، ولم يمنع انتشار الرسوم الحيوانية في بعض المناطق، فكانت تزيينية ورمزية، ولكنها أنت أحياناً واقعية، تنمّ عن دقّة في الملاحظة.

حيفا (إسرائيل أو فلسطين المحتلة)، يقال لها قديماً قيفاً، وفي العربية حيفا. مدينة كبيرة مبنائية حديثة، يعود نموّها الاقتصادي إلى الإنتداب البريطاني على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى. وقد هجرها معظم سكّانها من العرب والمسلمين بعد الحرب العربية-الإسرائيلية التي وقعت في العام ١٩٤٨.

إنّ المركز السكاني القائم عند أسفل جبل الكرمل وجنوبيّ الخليج الذي كان ينفذ إليه مرفأ عكا القروسطي، لم يضمّ سوى قرية إثنان القرون الإسلامية الأولى، حيث تركّزت الأنشطة التجارية والبحرية في المدينة الساحلية المجاورة، أي عكا. لقد عرف المركز السكاني، في ما بعد، على عهد الصليبيين، نمواً مبنائياً أوليّاً، شجّعهُ الفرنج الذين بسطوا نفوذهم على المنطقة حتّى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، باستثناء الفترة الواقعة بين ٥٨٣ و ٥٨٧هـ/ ١١٨٧ و ١١٩١ حينما سقطت في يدي صلاح الدين بشكل مؤقت. تلا فترة الازدهار هذه ركود وجود عرفتها المرافئ الفلسطينية كلّها بعد أن وقعت تحت سيطرة المماليك والعثمانيين. إلا أنّ الخراب الذي ألحقته الحروب بعكا، والتوخل التدريجي الذي أصاب حوضها، سمحا لعرفاً حيفا في القرن التاسع عشر بالتفوّق، وقد أصبح هذا العرفاً، على أثر نفي بهاء الله إلى المنطقة وموارثه التراب عند سفح جبل الكرمل، مركزاً دينياً للبهائيّين.

« راجع المسند ١٨ »

الحيوان (عالم -)، هو في الإسلام ما يذكره القرآن الكريم من حيوانات أليفة وبرتية، مع مسألة تحريم أكل بعضها بموجب الشريعة.

وبحسب القرآن الكريم، فإنّ الحيوانات التي خلقها الله لخدمة الإنسان، ولا سيما الأليفة منها، يجب ألاّ تُساء معاملتها. لكن ما يهمّ الفقه هو جواز أو عدم جواز أكل لحومها. وقد فُصّل الآراء المتقاربة والمتباعدة حول هذه المسألة، وتناقشها علماء المدارس الفقهية المختلفة. وقد وصلت آراؤهم إلى نتائج دقيقة، تركّز على الحالات الخاصة، ما يجعل تصنيفها أمراً صعباً، كما أدّت إلى اتّخاذ تدابير معقّدة للغاية بشأنها. اعتمدت

خ

خاقان ← خان .

خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (؟ - ٢١هـ / ٩ - ٦٤٢م)، من الصحابة وأحد أبطال مرحلة الفتوحات العربية-الإسلامية الكبرى، إذ كان له دور ناشط كقائد عسكري جعله يستحق لقب «سيف الله». وتُفصّل الرواية الموقف الذي اتخذ خالد إلى جانب المُكَيَّن في موقعة أُحُد، وكذلك العنف الذي أظهره تجاه نبيّ المسلمين. إلّا أنّه بعد اعتدائه سنة ٦ أو ٨/٦٢٧ أو ٦٢٩م، أصبح قائد الحملات ضدّ عدد من القبائل العربية في حرب الردّة، وخصوصاً ضدّ البيزنطيين. وكانت هذه الحملات الأخيرة قد بدأت في زمن النبي محمد (ﷺ) الذي حرّك المسلمين في اتّجاه مؤتة وتبوك ودومة الجندل، ثم توسّعت في زمن حكم الخليفة الأوّل أبي بكر الصديق.

إنّ تسلسل الأحداث العسكرية التي نُسبت إلى خالد، منذ اشتراكه في المعارك الأولى التي جرت في العراق عند الإستيلاء على الجيرة سنة ١٢هـ/٦٣٣م، حتّى الانتصارات الحاسمة في سوريا ضدّ البيزنطيين الذين هُزموا في أجنادين سنة ١٣هـ/٦٣٤م، ثمّ في اليرموك سنة ١٥هـ/٦٣٦م، تحمل الكثير من الألفاظ ويكتنفها الغموض. والمعروف أنّ الخليفة الراشدي الثاني، عمر بن الخطّاب، أعفاه من مهمّة قيادة الجيوش. إلّا أنّ الشهرة التي تمتّع بها في سوريا حيث برز ولده (عبد الرحمن) قائداً في الحملات ضدّ البيزنطيين بقيت ماثلة في الأذهان. وشهد على ذلك الإحترام الذي كان يكتّه المسلمون، في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، لفريق مشيّد في حصص، بقال إنّ يحفضن رفاتهِ. كان يوجد في المدينة المنوّرة

خاتون، في التركيّة هانون، لقب سُعدِيّ الاصل كانت تحمله الأميرات التركيات في القرون الإسلامية الوسطى ويُلزج بعد الاسم.

استُعمل هذا اللقب على الأخصّ عند السلاجقة وأنباغهم، في آسيا الوسطى وإيران وسوريا والأناضول، فلفي إقبالاً بين القرنين الخامس واثنا عشر للهجرة/الحادي عشر والخامس عشر للميلاد، من الخوارزمشاهيين والأيوبيين وسلاجقة الروم، ومن سلالات أخرى حاكمة أقلّ أهمية. واستمرّ اللقب منتشراً، فبناء الإيلخانيّون، وكذلك العثمانيّون الأوائل. ثمّ حلّ مكانه لقب «بيك» (بِغْم). وزال من ثمّ عندما أصبح السلطان محاطاً بالجواري، ولم يعد يهتمّ باتّخاذ زوجة شرعية من الأسر النبيلة التي كان الأسلاف يحرصون على التحالف معها.

خاف أو خوُاف، منطقة قديمة في مقاطعة كوهستان أو قوهستان الإيرانية، تميّز اليوم بمعالمها الأثرية التي تعود إلى العصور السلجوقيّة وما بعدها. في هذه المنطقة المعزولة التي اشتهرت واحاتها بالإزدهار الزراعي في القرون الوسطى وكانت ممراً للقوافل التجارية، تقع خوارجرد وزُوزَن وفيهما معالم من الهندسة الإسلامية تعود إلى القرون الوسطى لم تُدرس كفاية، ولا سيّما المدارس العائدة إلى العهد التيموري. كما تُرى، في أماكن أخرى، بقايا فلاح كان يحتلّها التزايّون قديماً، وخرائب مآذن كاثني في كبرات وكشمير، وبقايا مساجد جامعة في كُناباد وفردوس تعود إلى القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، تُضاف إليها أبنية محلّة تَبَس (كُلْشَن)، على الطريق التي تصل بين كوهستان ويزد عبر الصحراء الوسطى الكبرى.

القوافل في أثناء الليل، أما تعبير «فُنْدُق» - المشتق من الكلمة اليونانية Pandocheion، والذي دخل في ما بعد اللغة الإيطالية كما الفرنسية في صورة fondaco وfondouk - فقد كان له معنى أدق يطبق على خانات المدن المخصصة لاستقبال التجار الأجانب، كمثل الخانات التي كان يملكها تجار البندقية في سوريا،

وبخاصة في حلب، في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. وكأننا ما كان التعبير المستعمل، فإن المقصود به أبنية تقوم بوظائف مماثلة، لكن مع فروق في تفاصيل الترتيب وحسب. فكل هذه الأبنية تتكوّن دائماً من حائط مرتفع يحمي من السرقة، يكون في أكثر الأحيان محصّناً في الأراضي المكشوفة. وكان هذا الحائط يَسُور مجموعة أماكن موزعة حول فناء داخلي ممّد لإيواء حيوانات النقل ولاستقبال الناس، إضافة إلى أمكنة لتكديس البضائع. وبصورة عامة، كانت مساكن رجال القوافل تقع في الطابق الأعلى، وكان، في وسط الفناء، مصلّى يكمل هذه المجموعة المعمارية.

أما النماذج الأكثر قدماً - التي ما تزال محفوظة حتى اليوم - من هذه الأبنية المزروعة على طول طرق القوافل أو المجمّعة في المدن التجارية، فتعود إلى الحقبة ما بعد السلجوقية. وبالفعل، عرفت هذه الفترة مبادرات في هذا الاتجاه - سلطانية في أكثرها - أدّت إلى تكاثر هذه الأبنية الضخمة المشيّدة على طرق المرور الأكثر استعمالاً، كالمطريق الكبير في خراسان وآسيا الوسطى، وتلك الدروب التي تمر الهضبات الصحراوية في الأناضول. والمثال الأبرز على الحالة الأولى هو خان رباط الشرف الذي ما يزال قائماً قرب خانات مهدّمة كرباط المعهي أو رباط الميك، وبغرض بناء هذا الخان، حوالي منتصف القرن الثاني عشر للميلاد، إلى الملك سَنَجَر، آخر كبار الملوك السلجوقية الإبرانيين. يشهد هذا الخان، من خلال واجهاته الأنيقة المصنوعة من الفرميد، ومن خلال فناءه ذي الإيوانات الأربعة، على الاهتمام الفني الذي يجعله، في زخرفته الفنية، أقرب إلى قصر منه إلى بناء للإستعمال النفعي. وفي الحالة الثانية، فاليانة الضخم أيضاً - الذي قد يكون أكثر عظمة - هو خان السلطان هاني الذي شيّده

ضريح آخر يحمل اسمه. وقد تحوّل منزله في دمشق إلى مكان زيارات تقوية، وكذلك المسجد حيث كان يصلي.

خان، لقب تركي يحمل معنى الأمير أو القائد، تحوّل إلى لقب ملكي لسلطين مسلمين من أصل تركي، وأكثر من لُقّب به هم من السلالات الجديدة التي خلفت الغزاة المغول.

استُعمل اللقب أولاً لدى القبائل التي لم تكن بعد قد اعتنقت إلى الإسلام، والتي كانت تضرب في السهوب الآسيوية. ثم انتقل إلى الأوساط الإسلامية في القرون الوسطى، فحملته السلالات التركية، كالفراخانيين وکالسجوقيين الذين نشروهم في الأسباطورية كلّها، انطلاقاً من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، حتى لدى سلاطين دلهي وسلاطين المغول. ثم ندّت فيمة هذا اللقب في تلك المناطق مع مرور الزمن، وبات يحمله الحكام المحليون والقادة العسكريون الثانويون. إلا أنّه حافظ على قيمته الأساسية في الدول التركية المغولية التي سادت وسط آسيا وجنوب روسيا، فحمله خانات القبيلة الذهبية حتى القرن التاسع عشر، وتلقّب به الخانات المسلمون الذين تعاقبوا على حكم شبه جزيرة القرم وحكم استراخان وقازان وخيوه وبخارى وغيرها.

وهناك لقب آخر شاع بين قبائل سهوب آسيا، لا سيما بين كبار خانات المغول، وهو لقب خاقان الذي كان استعماله محدوداً في الأوساط الإسلامية. وهو في الواقع لم يستعمل إلا في بعض الألقاب العثمانية انطلاقاً من القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد.

الخانات، أبنية نموذجية للفن المعماري الإسلامي في القرون الوسطى، كانت تُستعمل تَرُلاً مرحلة على طرق تجارة القوافل، ومركز استقبال وتخزين للبضائع في المدن. وقد مثلت دوراً مهماً في عالم كانت تسهّل، داخله، الأنشطة التجارية.

في القرون الوسطى، حملت هذه الأبنية تسمية «خان» (هان في التركية) و«رباط» في إيران بنوع خاص، وعُرِفَتْ في ما بعد بتسمية «بَزْواشْراي» التركية - الإيرانية التي عرفت رواجاً خاصاً في أوروبا بمعناها الواسع الذي كان يعني مكاناً معدّاً لاستراحة

الأبنية المشيدة على هذا الطراز انطلاقة ملموسة في المجمعات السكنية الرئيسية. إن ظاهرة، كمثل ظاهرة تكاثر نزل الاستراحة المرحلية البعيدة، يعود سببها، من دون شك، إلى تقوية الروابط الاقتصادية، في هذه الفترة، ما بين الدول الإسلامية والعالم غير الإسلامي. يمكننا، نالبا، أن نميز بين فئتين من الخانات المدنية: تلك التي تضم مساكن يمكن أن يقيم فيها التجار الغريباء عن المدينة مؤقتا، وتلك التي تستعمل بشكل خاص مخازن للبضائع. وكان بعضها - الذي كانت تقتطع فيه رسوم على السلع الغذائية المستوردة - يُسمى وكالة، وهو تعبير دخل اللغة الفرنسية في صورة كلمة *okelle*. لكن هذه الكلمة الأخيرة لم تعد تشير إلى أي واقع محدد في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، إذ إن جميع الأبنية المدنية التي كانت تستقبل القوافل ومختلف البضائع التي تنقلها كانت تسمى على السواء خان، فندق أو وكالة. وهكذا كانت هذه الأبنية نخترن بضائع ثمينة وتقوم بالدور الذي قامت به «الفيسرات» في العصور الأولى للإسلام.

إن نماذج هذه الأبنية التي ما تزال في حالة جيدة، ليست نادرة في المدن التجارية الشرقية القديمة، بدءا من أصفهان وإسطنبول حتى القاهرة، مرورًا بحلب ودمشق. أما سبب تواضع أحجامها أحيانا فكان يفرضه تداخلها في النسيج المدني لأحياء تجارية سابقة الوجود. والرتابة الظاهرية في بنائها لم تحل دون استعمالها الأساليب الخاصة بالمدارس المعمارية الأكثر شهرة في كل منطقة في أواخر القرون الوسطى. من هنا يُفهم انتشاره البسيوط والزخرفي الذي يمكن ملاحظته ما بين واجهاتها ذات المداخل الضخمة، وسقوفها ذات القباب، وأروقتها الداخلية من جهة، وأبنية ذات أهداف أكثر نبلا، كالمدارس الدينية والمساجد والأضرحة المجاورة لها، من دون تشويه محيطها، من جهة أخرى.

« رابع السنين ٥٩ و ٦٥ »

خاندیش، مقاطعة هندية إسلامية قديمة، كانت بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر دولة مستقلة، هي دولة الخانات المسلمين من الأسرة الفاروقية. تقع هذه الدولة شمال غربي الدكن، وكانت تعزلها عن المناطق

كيكسرو الثاني من سلالة سلاجقة الروم، بين سيواس وقيصريّة، سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م. ويتنوّق هذا الخان على سابقه بمزاياه الوظيفية والجمال البسيط لسوقه المقودة من حجارة والمؤنّية إلى قفاه محاط أيضا بملحقات. وهذا البناء المحكم هو واحد من نماذج عبيدة أخرى من الطراز نفسه، شكّلت عبر الأناضول شبكة حقيقية من طرق عبور آمنة. هذه النماذج كافية وحدها للدلالة على الاهتمام الذي أولاه سلاطين قونية للمبادلات التجارية التي جعلت من أملاكهم أنبئ مركز تجارة العبور (الترانزيت) بين أوروبا وآسيا.

في المقابل، تبدو الخانات القائمة على طرق القوافل في سوريا الأتوبية أكثر تواضعا، إذ بُنيت وفاق اتجاه شمالي - جنوبي تسلكه مسارات التجارة، ويلائم في الوقت نفسه إحدى طرفي الحجّ في اتجاه الجزيرة العربية. وقد أكملت هذه الخانات ووسّعت وجُعلت في الحديقة المملوكية، في فترة سبقت ظهور نموذج البناء الجديد للخانات الذي نشره العثمانيون في أمبراطوريتهم، بما فيها الولايات العربية، وهو نموذج استعاد - مع بعض التعديلات - تقليد الأبنية ذات الحجارة الجميلة التي كان يشيدها سلاجقة الروم. وفي موازاة ذلك، استمرّ في إيران استعمال الأجر المطبوع في أبنية تشهد على الذوق الرفيع في التصميم، بلغت أوجها في عهد سلالة الصفويين. وهنا أيضًا ندلّ هذه الأبنية على الأفضلية التي كانت لتجارة ذات الطابع الدولي التي عمل أسياة البلاد على تأمين الحماية لها بشكل دوري. وآخر الملوك الإبرانيين الذين أوّلوا هذا الأمر اهتمامهم هم سلالة القاجار، وهم الذين رَسَمُوا أيضًا، في القرن التاسع عشر، آخر محطات القوافل، وهي محطات أعلمت نهائيا في الحقبة المعاصرة.

هذا التطوّر في أسلوب البناء، الذي يمكن تمييز سماته البارزة من خلال إجراء مقارنة بين مختلف أنواع الخانات المشيدة في السهوب، نلاحظه أيضًا في المظهر الخارجي وفي تنظيم الأبنية التي أُقيمت داخل المدن، والتي نمت في أكثر الأحيان متكاملة مع أسواق مسقوفة تضاهيها ضخامة. وحوالي القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، عرفت

حَلَّتْ مكان تلك التسميات في الشرق، عدا الهند، ما عرف في التركية باسم «التكّة» أو التكية (جمعها تكايا)، لكن لفظ خانقاه لم يدخل المغرب العربي قط، بل قامت هناك مؤسسات مماثلة حملت اسم الزياط والزوايا، وأضيف، في مرحلة متأخرة، اسم التكية التركي الذي شاع ضمن نطاق الأمبراطورية العثمانية في المغرب.

الختم، هو خاتم للطبع والدمغ، يحمل عادة كتابات منحوتة، كان يُستعمل في القرون الوسطى الإسلامية لتوقيع الرسائل وتصديق الوثائق المتنوعة الصادرة عن الدواوين المتخصصة، كدواين الرسائل ودواين الخاتم، وكان كلٌّ منها، في أغلب الأحيان، مستقلاً عن الآخر. وكان الختم، وهو رمز السلطة، يُعهد به أحياناً إلى شخصية تحوز ثقة صاحب السلطة، كالوزير في ظلّ الخلافة العباسية، والصدر الأعظم في العهد العثماني. وكان في استطاعة كلِّ مسلم غني أن يمتلك ختمًا يحضر فيه إمّا عبارة دينية وإمّا اسمه عارياً من كلِّ لقب، كدليل على تواضعه. وكان يُضاف إلى طابع الختم توقيع صاحبه، ويطلق على هذا التوقيع اسم «العلامة». والمعروف أنّ أفراد طبقة الخاصة درجوا على ألا يضعوا هذا الخاتم في الإصبع بل في الجيب، كما كان بعضهم يعهد به إلى خادم. والحجارة المنقوشة كانت إجمالاً من النوع الصلب وبعضها من الحجارة الكريمة، وما يزال عدد كبير منها محفوظاً في المتاحف، ويهتمّ العاملون بالختماء بفك رموزها وكتابتها الصعبة، ويُعتبر علم الختماء من العلوم المساعدة لعلم التاريخ الإسلامي القروسطي.

خُتَنَ، جمهورية الصين الشعبية، تقع هذه المدينة اليوم في منطقة كُسيُنْجيانغ التي تتمتع بالحكم الذاتي، والتي كانت جزءاً من الأمبراطورية الصينية في عهد أسرة تانغ، والتي استولى عليها، في فترات متقطعة، أتراك اعتنقوا الإسلام.

استولى أمراء كاشغر الأتراك، مؤسسو سلالة القراخانيين، على خُتَن وجوارها منذ القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، ثم سقطت المدينة في أيدي القراخاني واضطهد المسلمون فيها لفترة وجيزة.

المجاورة سلسلة من الجبال. إلّا أنّ الإزدهار الذي شهدته في أواخر القرون الوسطى حول عاصمتها بُرماتبُور لم يدم طويلاً بسبب غزوات المغول، كما أنّ هجمات المَهرات وصراعاتهم الداخلية كانت قد بدأت بإضعاف الأمبراطورية الهندية الإسلامية الكبرى في القرن السابع عشر.

◀ رابع المسند رقم ٣٢

خانقاه (جمعها خوانق)، لفظ إيراني الأصل، كان يعني في الشرق الإسلامي، خلال القرون الوسطى، بناءً ينتجع فيه الزُهاد والمتصوّفون الذين تربط بينهم طريقة صوفية.

أما ظروف ظهور هذه الأبنية التي وُجدت، أولاً، في خراسان وفي بلاد ما وراء النهر، والتي استعملها - ربما منذ القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد - عدد من الجماعات الدينية، بينها الكَرَامِيّون، فتبقى غامضة. إنّها تتداخل مع مراحل غير واضحة انتشرت فيها تجمّعات صوفية إسلامية، وإنّ الشُعْطى الوحيد الأكيد بشأنها هو أنّها ازدهرت خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. ففي ذلك الوقت، كانت الخوانق عبارة عن أبنية مجهّزة بحجر صغيرة ومزوّعة في كافة المناطق الشرقية من العالم الإسلامي، يلتقي فيها أتباع شيخ روحي أو «پير»، أي أتباع طريقة صوفية معينة، ويعيشون معاً ضمن قواعد محدّدة تختلف بين طريقة وأخرى. وهذه الأبنية كان يحكمها الحُكّام الذين ساعدوا بسخائهم على انتشارها في إيران وسوريا ومصر والهند. كما اعتُبرت مؤسسات لها طابع القداسة، يمكن أن تكون لها أوقاف، وبواسطتها يستلذ أصحاب عمل الخير النعم الإلهية. ولكن غالباً ما كان هؤلاء من أبناء الأسر الحاكمة.

وفي المرحلة الزمنية عليها ظهرت أشكال هندسية أخرى شبيهة بالمدارس المعاصرة، ما يزال بعضها قائماً في عدد من المدن كالقاهرة ومدّش. فكانت أولاً على نمط هندسي بسيط، ثم انخرطت في المجمّعات الواسعة التي أقيمت في المدن الإسلامية، ابتداءً من القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، وكانت تؤمّن أنشطة متنوعة وتُعتبر، بصورة خاصة، مراكز عبادة وتسلّك. ثم

إنّ الإنجليزات التي حققها محمد علي في سبعة لتحديث مصر - حيث كان قد أرسل لمقاتلة الفرنسيين ، وحيث تعرّف إلى التحولات التي نتجت عن حملة يونانيرت - كانت كافية للحصول على دعم السلطانيين سليم الثالث ومحمود الثاني . بالرغم من ذلك ، اقتضى الأمر انتظار وصول حفيده الخديوي إسماعيل الذي أرسى دعائم مملكة قوية طالما حلم بتحقيقها محمد علي وولده إبراهيم باشا .

ثم إن الصعوبات الاقتصادية التي واجهها الخديوي إسماعيل بعد ذلك ، بسبب مشاريعه الواسعة خارجيًا وداخليًا ، كانت سببًا للتدخل البريطاني ، ولا سيما بعد ثورة عرابي باشا . وقد أدّى التدخل البريطاني إلى فرض رقابة واسعة على مصر دامت عشرات السنين ، وكذلك على السودان الذي كان خاضعًا لإدارة مصرية-انكليزية مشتركة . ولم تتمتع مصر بالاستقلال الرسمي إلّا مع الملك فؤاد الأول وولده فاروق الذي أعلن في آخر عهده «ملك مصر والسودان» . إن الاستقلال الذي أعلن سنة ١٩٢٣ ترافق مع صراع الأحزاب السياسية والمؤامرات الخارجية ، ما جعله هشًا . إن النجاحات الأولى التي حققتها الأسرة المالكة لم تسمح لها بالتفاعل مع الوسط المصري الذي حملها مسؤولية فشل العرب أمام إسرائيل سنة ١٩٤٨ . وبعد تنازل فاروق عن العرش سنة ١٩٥٢ ، ألغيت الملكية في مصر بعد مرور سنة .

١٨٠٥ - ١٨٤٨	محمد علي باشا
١٨٤٨	إبراهيم باشا
١٨٤٨ - ١٨٥٤	عيسى الأول باشا
١٨٥٤ - ١٨٦٣	سعيد باشا
١٨٦٣ - ١٨٧٩	الخديوي إسماعيل
١٨٧٩ - ١٨٩٢	توفيق
١٨٩٢ - ١٩١٤	عباس الثاني حلمي
١٩١٤ - ١٩١٧	حسين كامل
١٩١٧ - ١٩٣٦	فؤاد الأول
١٩٣٦ - ١٩٥٢	فاروق
١٩٥٢ - ١٩٥٣	فؤاد الثاني (الطفل)

الخراج ← الأراضي (تشرع أو نظام) .

في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد ، ونتيجة لتقلبات الزمن ، سقطت ختن من جديد في أيدي الصليبيين . وشاركت سائر المدن الواقعة في حوض طارم مصيرها ، وهي مدن مُتَنَاقِضٌ عليها بين الصليبيين والمغول ، ولكنها حُضِنَت جماعات من المسلمين الذين حافظوا على إسلامهم حتى اليوم .

خديجة بنت خويلد (٩ - ٦١٩م) ، أولى أزواج النبي محمد (ﷺ) . إنها تَحَلَّت في حياته مكانة مهمة ، وقد وقفت إلى جانبه عندما أطلق دعوته .

كانت خديجة - التي تنتمي إلى إحدى عشائر قريش - أرملة في الأربعين من عمرها عندما اقترن بها محمد الشاب . كانت قد تزوجت قبل ذلك مرتين . طلقت زوجها الأول - وكان الطلاق من العادات المأثورة في قريش - وترملت من الثاني . يقال إنها طلبت من محمد ، حوالي العام ٦٠٥ ، أن يقود إحدى قوافلها إلى سوريا ، وعرضت عليه ، إثر ذلك ، أن يتزوجها . رزق منها أولادًا عدة ، منهم فاطمة . دافعت عنه عندما تعرّض لانتقادات المكّيين بعد أن نزلت عليه الآيات الأولى من القرآن الكريم . توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات ، ولم يتزوج محمد بامرأة ثانية قبل وفاتها .

الخديوي ، لقب عثماني فارسي الأصل ، طالب به حكام مصر منذ أن سُمي محمد علي بالإستقلال في مطلع القرن التاسع عشر ، وقد مُنح رسميًا سنة ١٨٦٧ من قبل الباب العالي إلى إسماعيل باشا .

وقد رأى الباشا في هذا اللقب رمز ارتقائه إلى مستوى عال بين أتباع السلطان العثماني ، كما اعتبره تمييزًا لاستقلال بلاده الداخلي . وقد ألغى هذا اللقب سنة ١٩١٤ ، بعد أن فرض البريطانيون حمايتهم على مصر ، وحلّ مكانه لقب سلطان ، ثم لقب ملك .

الخديويون ، هم خلفاء محمد علي (١٨٠٥-١٩٥٣) ، وسلاسة مسلمة من أصل ألباني ، حكموا مصر دولة شبه مستقلة ، وتوارث بعضهم الملك كخديويين تابعين للعثمانيين ، قبل أن يتسلّموا مسؤولية مُلك مستقل تُزع منهم على أثر انقلاب عسكري .

المعارضة هناك لتطلق الثورة العباسية وذلك بفضل الدعاة التي قام بها أبو مسلم، لا سيما في المناطق الشرقية، ما أدى إلى قيام الخلافة العباسية.

كان لخراسان دور حاسم في تطور الأمبراطورية الإسلامية الناشئة. وانتقل عدد كبير من رجال الحرب فيها إلى بغداد حيث شكلوا بطانة الخلافة، في حين تحولت خراسان بدورها إلى محور مهم من محاور تطور الحضارة العباسية في عصرها الذهبي. وقد كانت، لفترة زمنية، مقر الخلافة، وذلك بعدما انتصر المأمون على أخيه ومناصفه الأمين سنة ١٩٨هـ/٨١٣م، فتردد لسنوات عديدة في الانتقال إلى العراق وفي مغادرة مرو حيث كان قد أقام كوالٍ وكمطالب بالعرش. وانتقال المأمون إلى العراق لم يمنع من أن تستمر في خراسان مرحلة الازدهار الاقتصادي والثقافي، مع جهود محلية للحصول على استقلال جزئي. وقد بدأت تلك الجهود مع الطاهريين منذ سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م، ووصلت إلى ذروتها في القرن الرابع الهجري/المعاشر للميلاد، مع بلوغ الأسرة السامانية أوج مجدها، وذلك على أثر الاضطرابات التي سببتها في المنطقة. بين سنتي ٢٥٩ و٢٨٧هـ/٨٧٣ و٩٠٠م، غزوات الصفاريين. وقد جعل السامانيون - الذين هم في الأصل من منطقة بلخ - مدينة بخارى، في بلاد ما وراء النهر، مقرهم. وهي قريبة من الحدود حيث كانوا يواجهون الأتراك. لكن خراسان كانت المنطقة الحيوية بالنسبة إلى مملكتهم، ومركز الدفاع عن السعة، كما كانت محور النشاط التجاري الذي كان قائماً على طول طريق القوافل بين بغداد وآسيا الوسطى. وقد اشتهرت خراسان أيضاً بمحدثيها وعلمائها وفقهاها، وأيضاً بازدهار زراعتها، وانتشار الحرف المتنوعة فيها، وغنى مدنها التي كانت ممراً لتجارة الرقيق في اتجاهها نحو بغداد.

وقد نبذت الأوضاع منذ بدايات السيطرة التركية في بلاد الإسلام، وذلك مع قيام السلطة الغزنوية التي ألحقت خراسان بالقسم الشرقي من أمبراطوريتها سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م. بذلك تحولت من مقاطعة يسكنها الحضر وتزعم شؤونها بنفسها، إلى منطقة نزاع، بل إلى ضحية يتنازعها الخصوم من كل نوع. وقد رافق

خراسان، اسم مقاطعة شملت، في القرون الوسطى، منطقة واسعة وغنية. تقع شرقي الهضبة الإيرانية وجنوبي آسيا الوسطى. وبحكم موقعها الاستراتيجي على دروب الغزوات البدوية، فقد كان لها تاريخ مضطرب في قلب العالم الإسلامي.

ويطلق اسم خراسان اليوم على المنطقة الواقعة إلى الشمال الشرقي من الجمهورية الإيرانية، حول مدينة مشهد التي هي عاصمتها الإدارية. لكن المقاطعة في العصر العباسي - وكانت باتساع «المُرْزِيَّة» الساسانية القديمة التي تحمل الاسم عينه - كانت أكبر بكثير من المنطقة الحالية، ونصّب مناطق تعود اليوم إلى جمهورية تركمانستان وإلى جمهورية أفغانستان الإسلامية. والواقع أنها شملت قديماً مناطق المرتفعات والهضوب التي تنوّع فيها واحات خصبة اشتهرت بزراعتها وتقع وراء آخر خاضرة لـجبال «البرز»، ويمر فيها نهر «مُرْغاب» وهري رُود» اللذان، بعد اتحدارهما من جبال أفغانستان الوسطى، يضيعان في صحراء قره قوم. وهذه المقاطعة التي ضمت أربع مدن مهمة، هي: نيسابور وهراة ومرو وبلخ، كانت تمتد من شرق مقاطعة «الجبال» في غرب إيران لتصل إلى طخارستان وبلخستان وزابلستان. أما حدودها الشرقية فكانت تبدأ شمالاً من نهر آمودريا الذي كان يفصلها عن بلاد ما وراء النهر، وتنتهي جنوباً بجبال قوهستان حيث تلاصق حدود بلخستان.

إلى هذا الملتقى الواسع حيث استقرت عبر العصور شعوب بلغات مختلفة وأجناس متنوعة، وحيث كان يسيطر سابقاً العنصر الإيراني، اندفعت الفرق العربية-الإسلامية الأولى في عصر الفتوحات الكبرى، منذ خلافة عثمان بن عفان، سالكة طريق الجنوب، وأخضعت لسلطنتها، بين سنتي ٣٠ و٣١٠هـ/٦٥١ و٦٥٢م، نيسابور ومرو. ولم يسد الهدوء المنطقة إلا في العصر الأموي. لكن اندفاع الجيوش الأموية باتجاه بلاد ما وراء النهر وحتى فرغانة، وسيطرتها على بلخ وغزوها طخارستان، واستقرار وحدات عربية عديدة في تلك الأيلا، لم تساعد على محو أسباب الاضطرابات المحلية المستمرة. وفي النصف الأول من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، التقت القوى السياسية والدينية

مع سيطرة السوثبات على منطقة مرو التي كان الروس قد احتلّوها منذ العام ١٨٨٤. كما دخلت منطقنا بلخ وهرات ضمن مملكة أفغانستان (ولم تنجح المحاولات التي بذلها الروس لاستعادة هرات بالقوة سنة ١٨٣٨، وخلال سنتي ١٨٥٦ و ١٨٥٧، لكنّ الترسيم النهائي للحدود في هذه المنطقة تمّ في سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٥). على أثر ذلك، انحصرت مقاطعة خراسان الإيرانية، بعد اقتطاع تلك الأجزاء منها، بمنطقة نيسابور التي انضمت حول مدينة مشهد التي هي مركز للزيارات النوقية والتي تنامت تدريجيّاً بالقرب من خراب طوس، وذلك بفضل وجود ضريح الإمام علي الرضا فيها.

■ راجع المستندات ١٢، ١٣.

خراسان (بنو -)، ٤٥٤-٥٥٢٢هـ/١٠٦٢-١١٢٨م
 و٥٤٣-٥٥٥٤هـ/١١٤٨-١١٥٩م، إسم لسلالة محلية حكمت تونس بين عهد بني زيري وعهد الموحدّين. فخلال المفوضى التي سبّتها غزوة الهلاليّين، أعلن شيوخ تونس، مجتمعين في مجلس أطلق عليه اسم «الجماعة»، المدعو عبد الحق بن العزيز بن خراسان، وهو بربري من صنهاجة، شيخاً عليهم. نجح عبد الحق في القضاء على غزوات بني هلال، وبقي إسميّاً خاضعاً للحمّاديين. وقد خلفه أولاده، ثمّ حفيده أحمد الذي ألغى مجلس الشيوخ وبني قصر الخراسانيين وأحاط مدينة تونس بسور منيع. إلّا أنّه اضطرّ للإستسلام إلى الحمّاديين سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م. وفي سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، نهض أحد أفراد هذه الأسرة ونسّلّم زمام الأمر نحوًا من عشر سنوات، ثمّ خضع لعبد المؤمن قائد الموحّدين سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م. وما يزال أحد المساجد قائمًا في تونس منذ عهد بني خراسان، ويُعتقد أنّه كان تابعًا لقصرهم الذي زالت معالمه؛ كما يعود أحد الأضرحة إلى عهدهم، وكذلك عدد من الكتابات التي تتّصف بخصائصها التزيينية.

خرية المَقْفَر، خرابب لقصر ملكي من العصر الأموي، تقع في وادي الأردن قرب أريحا، وتحتوي مجموعة من الأبنية غير المُستكملة التي تتّسم بطابع هندي فخم. إنّ اسمها الحالي يعني «خرابب المباء المتفجرة».

ذلك انتشارُ المفوضى والخراب اللذين سبّتهما غزوات البدو القادمين من السهوب الآسيوية، بعدما اندفعوا موجات متلاحفة محاولين أحيانًا الإستقرار فيها مع قطعانهم. وعلى أثر موقعة دُذُنْقَان سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م، أوصلت قبائل «الغز» قاداتها السلاجقة إلى رأس دولة إيرانية تركية قوية، تمركزت في العراق ومنطقة «الجيل». ونجحت بعد ذلك مجموعات أخرى من التركمان، بقيت محافظة على عاداتها الرعوية، في أن تسيطر على الأطراف الشماليّة من المنطقة. فكانت مصدر خطر على السلاجقة. وقد أسر هؤلاء التركمان، سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، السلطان السلجوقي سنجر. وبعد تعرّضها لهجمات الخوارزمشاهيين، أصابت خراسان الكوارث مع غزوات المغول التي قادها جنكيزخان منذ مطلع القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد. واستمرّت هذه الكوارث مع قيام مملكة «هولاكو» والإيلخانيين، ووصلت إلى أقصى مداها مع اجتياحات تيمورلنك. وفي القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، سلكت هجمات الأوزبك الطريق عينه، فغزت خراسان التي كانت، قبل ذلك بقليل، قد وقعت تحت سيطرة الجيوش الصفوية الفارسية.

إنّ الإفقار الذي أدّت إليه تلك الأحداث، ومعه تراجع نسبة الأرض المزروعة، لم يمنع من أن تعرف خراسان أوقافًا قصيرة عادت خلالها إلى حالة الغنى والازدهار الفني. من تلك الأوقات ما كان في زمن أنيمورين، لا سيّما في النصف الأوّل من القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، وتحديداً في عهد شاهرخ في هرات. لكنّ عوامل التمزّق، بسبب تكاثر الأسر الصغيرة المحليّة الحاكمة منذ أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، ترسّخت في بلاد نفّخر إلى التجانس السكاني. وقد تزايد عدم التجانس هذا مع وصول مجموعات بشرية جديدة رافقتها انتشاقات دينيّة نتجت عن تصاعد موجة التشيع في إيران. ثمّ إنّ الصراع الدائم الذي عرفه القرن الثامن عشر جعل خراسان تنتقل من يد نادر شاه إلى الدُرّانيّين الأفغان، فإلى القاجار، مع بقاء لآعاءات الأوزبك وطموحاتهم. وهذا الصراع بدأ برسم ملامح الحدود الحاليّة. بدأت هذه الحدود تنبثق

التزيينات التي تغطي القباب والجدران يزخارف حية. تنصارب مع أرض البناء المرسوفة بفسيفساء بسيطاً مكونة من حجارة طبيعية تحمل تشبيكات هندسية ذات طابع بيزنطي. إن هذه الزينة الجصية المغزيرة تعبر عن التردد في الأساليب المعتمدة، إذ نجد تعاضداً بين أعمال روعي فيها تحريم الرسوم البشرية، وأخرى اعتمدت أشكالاً رمزية مستكزرة في الإسلام، وهي كناية عن رسوم تتعلق بمراحل حياة الملوك. لذلك كثرت التعليقات على رموز العظمة المثورة بين تزيينات قاعة الاستقبال الكبرى، منها التمثال الذي يرمز إلى الخليفة في مدخلها والعنزة الملكية التي تنصتير القاعة: إنها تهدف إلى تعجيد قوة الملوك المعبر عنها أيضاً برموز الأسد المفترس، وبالشجرة ذات الثمار الذهبية التي تزين مكان الصدارة في قاعة الاستقبال الخاصة.

« راجع المستند رقم ٩ ».

خربة المنية ← طبرية.

خربوت ← هربوت.

الخرطوم (الجمهورية السودانية)، عاصمة الدولة حالياً وهي، كمركز إداري متطور وكمدينة عامرة، لم تعرف الإزدهار الفعلي إلا في مرحلة متأخرة.

تقع الخرطوم على ملتقى النيلين، الأزرق والأبيض، عند أطراف أرض خصبة يروها النهران ويحاصرتها على شكل جزيرة. ولم تكن، في مطلع القرن التاسع عشر، إلا قرية بدأ سكانها يتكاثرون مع الاحتلال المصري والنشاط الذي عقبه. وفي كانون الثاني (يناير) من سنة ١٨٨٥، وقعت المدينة بيدي المهدي، وكان المدافع عنها في ذلك الوقت ضابط انكليزي من قبل الخديوي يدعى «غوردون» (Gordon). قانتقل النشاط السياسي إلى أم درمان على سافلة ملتقى النهرين. ثم عادت الخرطوم إلى سابق ازدهارها بعد الإندحار النهائي لأنباع المهدي، لكن من دون أن يكشف لزهدها دور أم درمان التي باتت مرتبطة بها. وتشكل الخرطوم اليوم، مع أم درمان التابعة لها ومع مدينة الخرطوم الشمالية الجديدة، مجموعة يطلق عليها اسم «المدن الثلاث».

الخرقاني، أبو الحسن علي بن أحمد (٣٤٩-٤٢٥هـ/

هذه الخرائب التي تُعرف شعبياً باسم قصر هشام تخيّر واحداً من أهم القصور التي بُنيت في سوريا خلال القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، والتي مهدت، كما في الشَّشَى، لقصور العصر العباسي. فخصائص هذا القصر التزيينية النادرة وأهمية الرسوم الزخرفية ورموزها، تُرجّح أنه مُلكاً لأحد أفراد الأسرة الحاكمة. وقد قُدِّمت براهين للدلالة على أنه كان للوليد بن يزيد قبل تسلمه الخلافة، وقد بناء زمن خلافة عمّه هشام التي امتدت بين سنتي ١٠٥ و١٢٥هـ/٧٢٤ و٧٤٣م. ولم نستطع العثور على معلومات حول هذا البناء الملكي في المصادر العربية القديمة التي لم تفلح كثيراً عن الأبنية الأموية والحياة فيها.

وقد أبدى المؤرخون، في العصر الحديث، إهتماماً بما وجدوه بين معالم خربة المنجر من مواد تساعدهم لمعرفة خصائص من فن العصر الأموي وثقافته كانت لاتزال مجهولة. في الواقع، لم تهتم أبحاثهم بقضايا الزراعة، على الرغم من كونها من نشاط سكان ذلك العصر الذين كانت لهم حدائق وزراعات خاصة مسورة ووسائل للري، لكنّها ركزت على الأشكال الهندسية ذات الفريدة المميّزة: - بناء سكني بمدخل كبير، مع مستودعات وفتاه مركزي، قسمه الأعلى مخصص للسكن، - بناء على شكل مظلة يعلو حوضاً في الفناء الأمامي، - مسجد وقاعة كبيرة ذات أعمدة، وقبب ومحاسن ترى منها اليوم قاعة فخمة للإستقبالات، وبفربها حكام وغرفة للإستقبالات الخاصة.

أشارت الشروح المتعلقة بهذا الفن إلى مغايرته تعود إلى مراسم البلاط البيزنطي التي روعيت ووطئت بتقاليد محلية، هذا إضافة إلى اقتباسات من الفن الساساني الفارسي المتمثل بزخرفة اللوحات المعرسة وتلبسات الجهن التي تزين الواجهات والساحات الداخلية لمختلف الأبنية. ثم إن التقيّات التزيينية السريعة التي تعتمد على القولية، والتي استعملت في تحضير أشكال الكسوة نصف الثانئة، وكذلك العناصر المستندرة والمحدّبة التي استعين بها لتجسيد أشكال بشرية وحويانية، ساعدت على تلبية مطلّبات تزيينية هي، في الوقت نفسه، غنّة ومتحرّرة من التقليد. إن

خَزَاعَة (بنو -)، قبيلة عربية قديمة مغمورة الأصل، ينسبها بعضهم إلى مضر وعرب الشمال، ويجعل بعضهم الآخر أبنائها من عرب الجنوب الذين هاجروا من اليمن، كما هاجرت الأزد.

وكانت خزاعة، في العهد الأولي للإسلام، تقسم بين مكة والمدينة، وكان لها مع قريش علاقات قري، وقد ساعدتها على بسط سيطرتها على مكة. إلا أن معظم قرونها سادت بقوة، بعد ذلك، النبي محمد (ﷺ) الذي أطلق عليها لقب «مهاجرين». وقد شارك بنو خزاعة في الفتوحات العربية، ونوّع بعضهم في مقاطعات الأمبراطورية الإسلامية الجديدة.

الخزرج (بنو -)، إسم قبيلة عربية سكنت المدينة وأظهرت دعمها للنبي محمد (ﷺ)، وألها ينتسب عدد من الأشخاص من الأنصار والصحابه. وكانت قبيلتا الخزرج والأوس قد انتقلتا من اليمن لتستقرا في واحة يثرب قبل ظهور الإسلام. تكثر الخصومات بينهما، لذا لم تترددا في استقبال النبي محمد (ﷺ) في يثرب لتحتكما إليه. وقد خرج منهما شعراء كثيرون في العصور الأولى للإسلام. وفي أواخر الفتوحات العربية-الإسلامية الكبرى، انتقل بعض أبناء الخزرج إلى الأندلس ليستقروا فيها، بعدما ضمها الأمويون إلى خلافتهم. كما زعم سلاطين الدولة النصرية في غرناطة لاحقا أنهم يرجعون في نسبهم إلى الخزرج.

الخزقيّات الإسلامية. عبارة تُستعمل للدلالة على مجمل الإنتاج الحرفي من التُخارِيات والخزقيّات الذي تنامي، عبر الزمن، في العالم الإسلامي القروسي، والذي عرف إنجازات فنية معيّنة.

ورغم عدم وجود علاقة مباشرة بين هذه الأعمال، من جهة، والعقيدة والشريعة الإسلامية، من جهة أخرى - كما هي الحال بالنسبة إلى الفن المعماري مثلا - فإن الخزقيّات، ولا سيّما بشكل أشمل كل الإنتاج الفني الذي تُستخدم النار في تصنيعه، بما في ذلك صناعة الزجاج، تتشكّل جميعها جزءا لا يتجزأ من الشواهد السائدة على فريدة الحضارة والصناعة الحرفية الإسلامية. فمن جهة، تعكس هذه الإنجازات، في

٩٦٠-١٠٣٣م)، صوفي إيراني، برز بطلا في الشعر الصوفي الملحمي.

يعود الخزقاني بأصله إلى محلة خرقان الصغيرة الواقعة شمالي بسطام في إيران. وقد عاش حياة زهد في منسلق قريب من الوادي الذي كانت فيه ولادته. فقصدته عدد كثير من الناس، بينهم عبدالله الأنصاري الذي اعتبره معلّمه. وكذلك القشيري وابن سينا؛ كما زاره سيّد الشرق في ذلك العصر، محمود الغزنوي. والخزقاني، الذي لم يترك مؤلّفات مكتوبة، له مجموعة أقوال دَوّنها أحد تلامذته في جمل مختصرة، وهي تشير إلى خبرة صوفية كانت تقوده إلى الفناء، أي إلى الحلوليّة الكلية في الذات الإلهيّة.

الخزُميّة، بدعة دينيّة غير واضحة المعالم، من أصل إيراني وذات ميول معادية للعرب. ظهرت في بداية الإسلام في الأجواء التي برزت فيها مختلف فرق الشيعة المتطرّفة، ويبدو أنها تتحدّر من الحركة الدينيّة القديمة التي أسسها مزدك في القرن الخامس للميلاد.

وهذه الطائفة التي تُعرف في الفارسيّة بإسم «خُزْمُدينيّة» المشتقة من خُزْمَدين، أي «الديانة السعيدة»، خرج منها أحد الدعاة المنتمين إلى الدعوة العبّاسيّة، عُرف باسم «جدّاش»، وقد أعدم لخروجه عن الدين. ويرى بعضهم أنّ هذه الطائفة وقفت إلى جانب أبي مسلم عندما راح يحضّر للثورة العبّاسيّة في خراسان. وقد أعلن عدد من أتباع الخزُميّة أنّ أبا مسلم لم يمت، وسيظهر مجدّدا، وعندما سيؤزل ملك العرب. ثم انضم الخزُميّون إلى «بابك» عندما أعلن ثورته في أذربيجان، خلال القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، مؤكّدا أنّه تجسيد لأحد الأنبياء القدماء.

حافظ أتباع الخزُميّة، بعد ذلك، على وجودهم في القسم الغربي من إيران خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد، ودرّبا في القسم الشرقي منها، وذلك على شكل مجموعات تميّزت بمعتقداتها الخاصة على صعيد الثنويّة، وتجلّي الأرواح، واستمرار النبوة وانتظار المهدي.

خريس ← جرّور.

المدعون والمحفور على طريقة السِّقْرَافِيَاتِ (sgraffiato)، والخزف المطليّ والمزّين بالرسوم ومجموعة كبيرة من الخزف المزّين بالرسوم والمطليّ بطلاء شفاف، ولا سيّما بالزّصاص الذي يمنحه تلمّيحاً في الألوان أخاذاً، بسبب تركيب الأكسيدات المعدنيّة المتداخلة فيه.

وقد راجت، في أواخر القرون الوسطى، بشكل شيّء شامل، تعلّيفات جداريّة ملوّنة من فخار وعناصر أخرى من الطين، مكسّوة بطلاء خزفيّ، أو اعتُمد فيها استعمال فيفاء الخزف الصيني وسمّعات موضوعة جنباً إلى جنب. وقد تكون الخطوة المتزايدة التي عرفها هذا التركيب الفنيّ الخزفيّ - التي كانت ترتبط بالغز المعماري رغم بقائها تابعة له، والتي كانت تمنحه ألّف متعدّد اللون لا مثيل له - أحد الأسباب الرّئيسة للنجاح الباهر الذي حقّقه حرفيّ الخزفيّات من المسلمين. كما أنّه لا يجب إغفال الدور الذي نهض به هؤلاء الحرفيّون أنفسهم في نقل بعض الأساليب التي ملكوها ناصيتها إلى الغرب المسيحي، والتي كانت في أساس نشأة بعض المصنّعات في أوروبا.

مهما يكن من أمر، لا بدّ لهذه النظريّات المقدّمة من أن تستند إلى دراسات أثرية تهيديّة. إلّا أنّ هذا، الدراسات ما تزال غير كافية نظراً إلى اتّساع المجال الذي ينبغي من خلاله المباشرة بتحليل منهجيّة للمكتشفات، والقيام بحفريات تسمع وحدها بتصنيف صحيح لبقايا كسرات الخزف، على قاعدة الانتباه الجغرافي والزمني لهذه البقايا، واستناداً إلى التفتّات والأشكال والأنواع التزيّنيّة، وهي أنواع وفيّة بمجمعلها لتقاليد الزخرفة الإسلاميّة.

الخصيان، شكّل الخصيان طبقة اجتماعيّة قائمة بذاتها، في العالم الإسلاميّ القروسيّ، أصلتها بما أحرزته ظاهرة الزق، واضطلعت بدور بارز، في أحيان كثيرة، في أوساط السلطة.

حاز الخصيان، في نطق الملاك الوطنيّ في القصور وفي التنظيم العسكريّ في كلّ الدول الإسلاميّة، التي كانت أهمّيّتها، مكانة بارزة لم تنقص أبداً قبل تحولات القرن التاسع عشر. لكن من النصب

مراحل تطورها، بروز نجم السلالات الحاكمة التي توالّت على السلطة منذ تأسيس الأسباطوريّة الخليفيّة المتبثّة من الفتوحات الكبرى في القرن الأوّل للمهجرة/ السابع الميلادي. فهذه الأعمال كانت تُنجز إستجابة لطلبات البلاطات الأميريّة، كما أنّ زخرفتها كانت تسوّج عادات هذه البلاطات في الترف واليدخ، وكذلك أذواق رعاة الفنون فيها. ومن جهة أخرى، فهي تُبرز - في الدول الإسلاميّة في القرون الوسطى - التأثير العميق للواقع الجغرافي والتاريخي في هذه الانجازات، سواء من ناحية إقامة أفران الفخار في أماكن اخبرت بسبب مواردها الطّبيعيّة؛ أو من ناحية استمرار هذه المحترفات وازدهارها بفضل طلبات واردة من أماكن بعيدة، تبعاً لتنامي الأنشطة التجاريّة؛ أو من ناحية توافر إمكانيّات التبادل التقني والأسلوبي بين مناطق تنتمي إلى بلاد واحدة، شهدت تفتّات فنانين وعمّال مرتبطة بتقلّبات العلاقات السياسيّة، واتّجاهات الهجرة الناتجة عن عوامل داخليّة، كما عن غزوات خارجيّة. وبهذا المعنى، تنتمي التحف الخزفيّة المسمّاة إسلاميّة، ليس إلى المدارس المحليّة التي تميّز ببعض الخصائص وحسب، بل إنّها ترتبط أيضاً بتأثيرات وتفاعلات خاصّة بالعالم الإسلامي وصلت أصدائها أحياناً إلى أطرافه.

كانت المراحل الكبرى لتعمّد هذا الفنّ الزخرفي على صلة بالانتشار شبه الشامل للتحسينات التي تمّت محليّاً، سواء في ما يتعلّق بالتغيّرات التقنيّة في الطينة والأشكال المستعملة، أو في تحولات المصطلحات الزخرفيّة وطريقة توزيع الأشكال. وهكذا انتشرت، في العصر الذهبي للخلافة العبّاسيّة، أشكال مستوحاة، في أنّ، من نماذج خزفيّات العصور القديمة التي عرفها الشرق في سالف الزمن، ومن محاكاة الخزفيّات الصينيّة التي كانت تُستورد بكثافة من الشرق الأقصى عبر الخليج العربيّ-الفارسي. وقد شهدت عهود أخرى، بين أطراف متباعدة لأسباطوريّة كانت تتفكّك شيئاً فشيئاً، انتشار أنماط وطُرق قلّ لها رواج مشابه في أمكنة متنوّعة، نتج عنها إيجاز ما يلي: الخزف ذو الزخرف المطبوع أو المحفور، والخزف الملمّع، والخزف

كيف يتنقلون من وضع الحكّام وقادة الحروب إلى اقتطاع إمارات لهم متفاوتة من حيث الاستقلال، كمثل ما قام به سيد مصر كافور، إذ إنّه، بعد خدمته في دولة الإخشيديين، استأثر بالسلطة القصوى في آخر حياته. إلى جانب المسؤوليات السياسية، كان الخصيان يُستخدمون كذلك في الساكن الخاصة بالوجهاء وفي المنازل الأميرية لمراقبة نساء الحريم. إلّا أنّ هذه المهمة كانت ثانوية، لأنّ مهمتهم الأساسية كانت تشمل إدارة المنزل بوجه عام وتنظيم عمل الخدم. ففي قصور اسطنبول مثلاً، خلال عهود العثمانيين، نجد خصياناً يضرر الأجسام بقيادة «آغا البنا» منافسين للخصيان السود بقيادة «آغا البنا»، وذلك لمراقبة الخدم. كانوا يُعتبرون من أصحاب الرتب العالية في الدولة، وهؤلاء جميعاً ساهموا، بقدر بارز، في حياة السلطنة بالنفوذ الذي كانوا يمارسونه على بطاقة السلطان، في جميع وجوه رسوم البلاط، وعلى السلطان نفسه في حياته اليومية الخاصة.

الخضر أو الخضير، إسم لشخص شعبيّ مكرّم في الوسط الإسلامي، تعاطى شخصيته عادة شخصية «خادم الله» المرافق للنبى موسى في إحدى الروايات التي يوردها القرآن الكريم. والخضر يُعتبر نبياً حياً، وحيناً آخر ولّياً ممثلاً لله في البر والبحر، ولا يدرك الموت بحسب بعضهم. ويحيط باسمه الذي يعنى «الأخضر» الكثير من الغموض. ويكتنف الغموض أيضاً مصادر الأخبار التي حيكت حول شخصيته التي تحيط بها الأنغاز. يرى بعض المفسرين أنّه هو «الفتى» الوارد ذكره في الآيات ٦١ - ٨٣ من سورة الكهف. بينما يرى آخرون أنّ الخضر هو النبيّ إيليا كما تجسّد الرواية التلمودية، وكما كان يتمثله اليهود في القرون الوسطى. كما أنّ آراء حديثة تحاول أن تُقرّب بينه وبين صورة الإسكندر الأسطورية، وحتىّ بينه وبين ملحمة جلجامش. في زمن ازدهار تكريم الأولياء في الوسط الإسلامي، انتشرت مزارات صغيرة على اسم الخضر وفصدها الناس في زيارات تقوى. ولا تزال اليوم في الشرق مشاهد وتُحب قائمة على اسمه، بخاصة قرب الليانج والآبار. هناك خلط، في بعض الحالات، بين

تقدير أعدادهم، إذ لا تتوافر لدينا إحصاءات لهم في العهود القديمة، كما أنّ المصطلحات المتعلقة بهم لا تيسر دائماً التمييز بين الرقيق، بشكل عام، ورقيق الخصيان. فقلماً استعمل المصطلح العربيّ ذو الدلالة الدقيقة، وهو خصيّ، في حين كان يشار إليه بمصطلح غير مميز هو خادم. كما استعمل في الفارسية والتركية المصطلح الشيرينيّ «آغا». إنّ النصوص المكتوبة لا تساعد على التمييز بين فئتين من الخصيان شهدت بوجودهما بعض المؤلفات، أي الخصيان الذين استؤصلت فقط خصيتاهم، والخصيان الذين استؤصلت كل أعضائهم التناسلية.

مهما يكن من أمر، كان كثيرون من الخصيان يُقلون مع الرقيق المجنوب أو المشتري من مناطق مختلفة: بعضهم كان يُستقدم من أوروبا الوسطى، وهؤلاء هم الصقالبة أو «الإسكلافون» الذين نجدهم في الأندلس، وكذلك في إفريقية وصقلية وصولاً إلى العراق، وبعضهم الآخر كان يُؤتى به من أفريقيا السوداء والحبشة، وآخرون كذلك من بخارى وسمرقند. وقد استفاض المؤلفون المعروفون قديماً في ذكر صفات كل فئة منهم. لكنّ المؤكّد أنّهم جميعاً كانوا يبدؤون تجارة ناشطة جدّاً لعمود مديدة، يسيطر عليها تجار متخصصون، من البداية إلى النهاية، فكانوا يقومون بخصاء بعضهم، أو يبتاعونهم وهم في هذه الحال من العائلات الفقيرة من سكّان البلدان غير الإسلامية المجاورة لحدودهم.

كان الطلب على الخصيان يعود بوجه خاص إلى تأمين خدمة المقتدرين الذين كانوا يتوخّون منهم الوفاء، بسبب انعدام أية رابطة عائلية لديهم، لا من جهة الأهل ولا من ناحية الذرية. كما أنّهم، بحسب تقليد شرفي قديم ساد كذلك في بيزنطة، كانوا يُستخدمون، بوجه خاص، في الجيش، في جميع العصور، لكننا نجهل نسبتهم العددية في كل القطاعات. وكثيراً ما ارتقوا إلى رتبة ضابط وأحياناً إلى رتبة قائد. وقد حاز بعضهم شهرة بصفتهم قوّاداً للخلّفاء التبايين، فكانوا يتخلّون أيضاً في مؤامرات البلاط ومؤامرات عاصمة الخلافة، على غرار مؤسس في عهد المقتدر. إلّا أنّ آخرين عرفوا

التي أعيد إحيائها أو التي أدخلت غير مجموعات عرقيّة جديدة في الولايات المختلفة لهذه الأمبراطورية النافذة التحول، أو في الولايات المتاخمة التي بلغها الإسلام شيئاً قسباً. هكذا توجّب على الخط العربي، بحكم كونه الخط الرسمي للأمبراطورية والخط الذي يرمز إلى الإسلام، أن يدوّن كل الأصوات للهجات غير العربية على الرغم من النقص في الأشكال الخطيّة التي لا تلتقي حاجات اللغات غير السامية ولا تعبّر عن أصواتها منها: اللغات الإيرانية، كالفارسيّة واليشيّة، واللغات التركيّة كالعثمانيّة والجنانيّة، واللغات الهنديّة كالأوردية، واللغات الرومانيّة والسلافيّة والماليزيّة وأخيراً اللغات الأفريقيّة مثل السواحيليّة والهاوسيّة والفلبينية. كما دخلت، عبر هذه النجاحات المحليّة تأثيرات ساعدت على خلق أساليب خاصّة وفريدة يكثر أن نجدتها في نقوش المعابد والنصب أو على المصنوعات الحرفيّة أو المخطوطات الخاصّة بمنطقة ما. نعرف مثلاً فرادة الأساليب الخطيّة المنفردة علم ألواح اللّبن والعزيمّة بجداول وحواشي زهرية وهندسيّة التي تميّزت بها الولايات الإيرانيّة الشرقيّة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، أو الأناقة النادرة التي تتحلّى بها نماذج الخط الفارسي والتي عرفت ازدهاراً خاصاً في عهد الصفويين. وهكذا توجّب انتظار القرن العشرين حيث قامت حركات تغيير عديد بالتنخيف نوعاً ما من سعة انتشار الخط العربي الذي تطابق نقوده، حتى هذا التاريخ، تطابقاً تاماً مع حركة توسّع الحضارة الإسلاميّة. فكانت مثلاً إصلاحات كمال أتاتورك الذي فرض على الجمهوريّة التركيّة استعمال الأحرف الهجانيّة اللاتينيّة، وكانت أيضاً الإصلاحات التي فرضت على جمهوريّة آسيا الداخليّة، والتي كانت في ذلك الوقت سوفيّتيّة، استعمال الأحرف السيريليّة؛ كما كانت الطرق التي اعتمدت التدوير الصوتي للهجات الماليزيّة، المذغشقرية أو الأفريقيّة مثلاً.

لكنّ هذه الجهود ذات الطابع العلماني لم تمنع استمرار بعض العادات التقليديّة في البلدان المعنيّة، كما أنّها لم تلغ الميل العام الذي تجسّد في استعمال النماذج

الخضر وماز جرجس. والواقع أنّ المزارات المكرّمة له هي أماكن تُقى محدودة الشهرة. وفي القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، ثم ينسب دليل الهروري إلى الخضير أماكن زيارات مشهورة، بل اكتفى يذكر بعضها بإيجاز في مصر وبلاد ما بين النهرين العليا. وتجدر الملاحظة إلى أنّ المتصوّفين غالباً ما أظهروا اهتماماً بشخصيّة الخضر، واعتبره بعضهم مرشداً لهم على دروب الزهد.

الخط الإسلامي، وسيلة اتصال استُخدمت منذ تدوين القرآن حتّى عصرنا الحاضر، وقد أثّرت وظائف ثلاثاً: دينيّة ونفسيّة وزخرفيّة.

١) كانت رموز الخط السامي، وهو نموذج يعتمد على الصوامت من الحروف الهجانيّة وعلى الأصوات الكلاميّة، تدوّن منذ البدء من اليمين إلى اليسار؛ وقد كان هذا الخط، وهو ما استعمله العرب في زمن النبي محمّد (ﷺ) استعمالاً شحيحاً، ينطوي على إمكان الوصل بين الكلمات، مع التشديد على أهميّة خط أساسي، توضع عليه الأحرف. إضافة إلى الأحرف الصامتة، وُثرت أحرف العلة الثلاثة الطويلة الموجودة في اللغة العربيّة الكلاسيكيّة، ثم استُكمل في ما بعد بتحديد الحركات القصيرة وهي حركات ظهرت أولاً على شكل نقاط ملوّنة في النسخات القديمة للقرآن. وقد فرض الإلتباس الحاصل جراء تصوير أحرف مختلفة بالرسم نفسه، استعمال علامات مختلفة إضافيّة، فكانت النقاط التي توضع فوق بعض الحروف أو تحته والتي أصبحت لا غنى عنها في الكتابة اليومية، لكنّها لم تُعتمد في الكتابة الزخرفيّة.

وقد خضعت حروف الخط العربي مع العصور لتحولات عدّة، زاوجت زمنياً بين الإلتقان في التخطيط والاستمرار في تلبية حاجات مجتمع ينطق باللغة العربيّة وتستعمل خطّها طبقات واسعة من رجال الدين والعلم والعلماء والتجار. وقد ازداد استعمال الخط العربي بموازاة ازدياد التعريب الثقافي والإداري الذي ازدهر بعد فتوحات القرنين الأولين للهجرة/السابع والثامن للميلاد. فقد استُخدمت الأحرف العربيّة لاحقاً لتسجيل اللغات غير العربيّة التي بقيت مستعملة، أو

إلى صرامة وسط مغلق يسيطر عليه اختصاصيون يتفرون من كل تجديد في هذا المجال، ويعتبرون أن التلاعب بالقراءة التحوية لبعض الجمل، انطلاقاً من الغموض في شكلها الخطي، هو علامة تفوق، وكذلك التلاعب بأسلوب اختزال الأرقام الخاص بإدارات الدوائر العالية. غير أنه، من منظور آخر، ظهر الميل إلى اعتبار الخط العربي وسيلة للتعبير الفني استعملها الحرفيون والمزخرفون، ولا سيما الرّسامون والنحاتون، وذلك منذ زمن قديم. فعرفت أعمالهم نجاحاً مدهشاً وشكلت إبداعاتهم الأمثلة النموذجية لتحريم التجسيم وللإرادة التجرد الحاضرة في صلب الفن الإسلامي، كما شكلت متممات للشبائكات الهندسية وللعربية التي هي في أساس فنّ الزخرف الإسلامي. وقد عكست هذه التراكيب كذلك مواهب المعلمين الحفّاطين الذين توجّب عليهم تسليم نماذج إلى النقّاشين والفسيفسائيين واختصاصي الحفر في الخشب والمعدن وميدعي التحف الزجاجية وأعمال السرايميك، حيث كان كل منهم يتقنها مرعياً بذلك قواعد مهنته وإمكاناتها. من هنا نشأ التشابه، وفقاً للصور والأمكنة، بين عناوين الصفحات وفاتحاتها المكتوبة وبعض النقوش الدقيقة على الباني. لم تعد نوعية القاعدة المعدة للكتابة هي المهمة، بل غدا حرف الكتابة الثمين هو المحور، يُبرر الإعجاب لقدرته على جعل مساحة معينة، أياً كانت، تستوعب المضمون المخطوط، وكذلك لقدرته على أن يخفي، طيّ تعقيدات رسومه وتزييناته المرتجلة، المعنى الظاهر والباطن الذي كان يشكّل وسيلة التعبير عنه.

(٣) هكذا عرف الخط العربي تطوراً فريداً، وسمّنه بطابعها الظروف الخاصة التي خضع لها المجتمع الإسلامي في القرون الوسطى. ومن الأسف أنه لم يُخصّ بدراسات وتحليلات نفيه حقّه. على أننا نستطيع أن نذكر هنا بعض خصائص تطوّر الخط القديم، الذي كان متجانساً، إلّا ما بقي ناقصاً وغير منظم رغم إصلاحات الخليفة عبد الملك في بداية العصر الأموي التي أسفرت فقط عن جعل رسومه هندسية الشكل؛ كما أننا نستطيع التركيز على الاتجاهين اللذين تطورا فقههما هذا الخط منذ العصر العباسي. فقد أسفر الاتجاه الأول

الخطية الدينية والمزخرفية على أرضيات متنوعة. هكذا استمرّت هذه الماذج النسخية في تأدية دور من أطراف الأدوار التي لعبتها الكتابة عند مسلمي القرون الوسطى. (٢) لقد التقت في القرون الوسطى عوامل عديدة ومتوازية فأفردت مكانة إستثنائية للخط العربي، فكانت من جهة الحاجة العلمية، ومن جهة أخرى احترام «النصوص المخطوطة» التي أعيد نسخها بلا كلل، وأحياناً بتعميق وتزيين. بالنسبة إلى النقطة الأولى، نحن نعرف أهمية الكتابة في الأعمال التجارية والمؤسسات القضائية والإدارات. والدليل على ذلك أن هذه المؤسسات خلّفت وراءها أعداداً ضخمة من الوثائق والمخطوطات، حيث نجد العقود الخاصة إلى جانب القرارات المهمة والملفات الرسمية التي هي حاليّاً في عهدة علماء المستندات القديمة للإسلامية. كما أنّ استعمالها كان مهماً بالنسبة إلى انتقال العلوم الدينية والدينيّة، وفق طرق تعليم تعتمد على الكتابة كما الوسائل الشفوية، تأمينا لتخزّج علماء من كل أقطان. كان لهؤلاء مكانة خاصة في إسلام القرون الوسطى، سواء على صعيد الحياة الدينية أو القضائية أو الفكرية. وقد توفّى العلماء أنفسهم الاستملاء والتأليف والشرح والنسخ لإخراج نسخ من المخطوطات التي شكّلت ميراً ضخماً، وحُفّلت في مكاتب المدن والقصور، بخاصة بعد أن أمنت صناعة الورق، ابتداءً من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كمبات كبيرة منه، ذات نوعية متينة وأسعار مقبولة.

أدت كل هذه المعطيات التاريخية إلى تحسين مستمرّ في سرعة التنفيذ وسهولة القراءة، كما أثّرت طرازاً من الكتابة المكثورة والسريعة والسهلة عُرفت بـ«خط النسخ». وقد طبع هذا الخط «فنون الكتاب» بعد أن كان قد ازدهر في كل العالم الإسلامي. لكنّ هذه التجارب الجديدة لإتقان الخطوط - التي قام بها بعض الأساتذة المعروفين - ظلّت متأثرة بالتقنيات التي تدرّج عليها هؤلاء سابقاً، وبالمهارة البدوية الخاصة بكل منهم في الإسك بالقلم، أي بريشة من قصب ذات أسنان غير متساوية، وقد شكّلت براعة إعدادها شرطاً أساسياً لإنجاح عملية الكتابة. لقد خضعت هذه العملية أيضاً

الخُطبة، سطة ذات طابع سياسي وديني، عُرِفَت منذ عهد النبي محمد (ﷺ)، وهي تسبق صلاة الجمعة التي تقام ظهرًا أو نلي صلاة العبدین الکبیرین. وعلى المكلف بإلقاء الخطبة - وغالبًا ما يكون الإمام الذي يترأس الصلاة - أن يلقى في المناسبة خطبتين متتاليتين، فيتسلق درجات المنبر الأولى ويضربها بعصاه أو سيفه، دلالة على وظيفته وعلى سلطته، ويبقى واقفًا. ومنذ بدايات الإسلام، كانت الخطبة تتضمن عناصر متنوعة، منها الأوامر والتحذير وحتى اللعنات. تندرج هذه العناصر بشكل تقليدي في الخطبة، وقد أخذ بعضها طابع الأهمية التاريخية عبر العصور، كاللجوء للمسلمين، وفي الماضي استمطار النعم على الخليفة. وكان الدعاء للخليفة يعني إظهار التبعية والخضوع له من قبل كل من يعثله ويحكم باسمه. وإغفال الدعاء أو إسقاطه من الخطبة يعني التمرد الذي يستتبع إزاله العقوبة التي يحددها الشرع.

وقد شكّلت الخطبة إحدى الصلاحيات الأساسية للذين تعاقبوا على رأس الدولة الإسلامية في مراحلها الأولى، باعتبارهم خلفاء النبي (ﷺ). وكان الخليفة نفسه يلقى الخطبة في المسجد الجامع، في عاصمته. كما كُلف بها الولاة لاحقًا في المقاطعات، وكذلك الأسر الحاكمة باسم الخليفة في «دار الإسلام». وبمقتضى العادة المتوارثة، فإن الخطبة التي تُلقى في أثناء الصلاة ما تزال اليوم، كما في القرون الأولى للإسلام، تعد إلى إطلاق نداءات وتوجيهات إلى المسلمين لا علاقة لها بالعظات الدينية، ولكنها تبقى أمينة للمطالب الاجتماعية والسياسية التي ركز عليها النبي محمد (ﷺ) منذ بدايات حياته في المدينة، كما كانت ترسخ فكرة الجهاد لدى المسلمين وتقوى وحدتهم.

وفي العهود الأولى للإسلام كانت الخطب تُلقى في المساجد الجوامع، خارج أوقات الصلاة، وتتناول قضايا تفرضها الأحوال والأحداث القائمة، ومنها الدعوة إلى قمع ثورة، كخطبة الولاية التي ألقاها الحجاج في الكوفة، وخطبة البيعة التي ألقاها يزيد بن الوليد، أو تلك التي ألقاها السفاح الخليفة العباسي الأول. ثم أخذ هذا النوع من الخطب يتناقص إلى أن زال كليًا. ومع

الذي كان يقضي برسم الأشكال بدقة وبطريقة صارمة ومروّاة، عن خط بطيء التنفيذ، صعب القراءة، خُصص للنسخ الثمينة من القرآن، كما دُوّنت به نصوص دينية متفرقة، وكذلك استعمل لتزيين المباني وأطلق عليه اسم «الكوفي». ويكون أحيانًا بسيطًا وأحيانًا مزخرفًا بشئى الوسائل، ومن سماته: اتساع جسم الحروف، استعمال الأوراق والأزهار في نهاية الكلمات بحيث تؤثّر أحيانًا عربسة حقيقتية، إفتتال الأحرف في صفائر ترسم تشابيك هندسية بوسمها أن تمتد إلى خارج حدود مساحة الكتابة، تزيين خلفية الصفحة أو اللوحة بزينة صغيرة، قوامها نقاط ملونة بالريشة أو ثقوب في الحجر أو في الجص، وسط شبكة من الأشرطة المتداخلة وبخاصة التمنعات الزهرية بأغصانها الملتفة التي تعمل على تغطية أصغر المساحات. أمّا الاتجاه الثاني الذي اتبعه بشكل مكثف الكتاب، فهو تميّز بخطوط مرّنة ومكثّرة، تُمتّع بعد بضعة قرون بشهرة كافية سمحت له بتأدية دور تزييني ضامى به دور الخط الكوفي، وأنجب الخط الأكثر استعمالاً الذي استمرّ حتى أثنائها. وقد ظهر هذا الخط السريع منذ المحاولات الأولى في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد على ورق البردي، رغم أنّ المخطوطات بقيت، حتى القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، تحمل عناوين بالخط الكوفي، كما راج هذا الخط وازدهر مع تألّق بعض الكتبة الأدباء الذين لمعوا في تاريخ العرب، كابن البوّاب، وابن مقلّة، وياقوت المستعصمي الذين استعملوه للتدوين بنجاح كبير، واحتلّ مكانة الشرف بحلوله مكان الخط الكوفي المستعمل على الأبنية والمعابد، واستعارته للزخرفات والتمنعات التجميلية. وهكذا ولدت التشكيلات الخطية الأكثر انتشاراً في العالم الإسلامي، في أواخر القرون الوسطى والعصر الحديث، متفوّقة على إنجازات الخط الكوفي الذي أصبح يُعتبر، في البلدان الإسلامية المعاصرة، خطًا قديمًا وصعبًا على القراءة.

الخط الشريف ← عبد المجيد الأول، التنظيمات.

الخط الهمايوني ← عبد المجيد الأول، التنظيمات.

الموصى به أن يتوب الإنسان ويطلب الغفران فيؤمّن بذلك مغفرة خطيئته، وفي إمكان صلوات المسلمين لموتاهم أن تُقضى أيضاً إلى هذه النتيجة، وقد جاء في الحديث بهذا الخصوص أنّه عندما تقوم جماعة من المسلمين، من ثلاثة صفوف، بتأدية الصلاة من أجل سلم ويصلّون جميعهم من أجل مغفرة خطاياهم، فإنّ صلاتهم لا شك مقبولة. أخيراً إن شفاعة النبي محمد (ﷺ) بعد القيامة يمكن أن تشمل خطاباً لم تُغفر بعد.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الشافعي (٣٩٢-٤٦٣هـ/١٠٠٢-١٠٧١م)، محدث وفقيه وخطيب، عُرف في أواخر العصر العباسي، وصاحب معجم عرض فيه سير مشاهير الرجال الذين سكنوا بغداد.

ولد الخطيب في بغداد بالعراق، وانصرف إلى تحصيل العلوم الدينيّة التي من أجلها كرس نشاطه باكراً، فسافر إلى إيران بحثاً عن الأحاديث الشريفة. ورجع إلى بغداد، سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م، حيث ألقى الخطب التي نالت الاستحسان، وغدا عالماً مرجعاً في السنّة وفي التقليد. وقد كانت قناعته الشافعية الأشعرية سبب نفقة الحنابلة عليه، لكنّ الخليفة القائم أمّن له الحماية وسمح له بالتدريس في مسجد المنصور الجامع في بغداد. وفي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م، حملته ثورة البساسيري على ترك بغداد واللجوء إلى دمشق حيث أمضى ثماني سنوات، ثم قبض عليه حاكم المدينة من قبل الفاطميين، لكنّه استطاع الفرار والعودة إلى بغداد حيث بقي حتى وفاته.

أما معجمه الذي يحمل عنوان «تاريخ بغداد»، فيهتمّ المتخصصين في علم الحديث أكثر من سواهم، وفيه يلقي الضوء على النقلة المحدثين القدماء ويقدم المعطيات المساعدة على التحقق من صحة الأحاديث الشريفة وتسلسلها، كما يحوي الكتاب جملة معلومات ذات طابع تاريخي. وللخطيب البغدادي أعمال أخرى تماثل قضايا متنوّعة لها علاقة بعلم التقليد، فضلاً عن الكتابات الأدبية.

الخلافة، مؤسسة يختص بها الإسلام، نشأت في صلب

نكائر أماكن الصلاة في المدن، وعدم اكتراث بعض الأحكام بواجباتهم الدينية، أصبحت الخطبة في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس للهجرة/الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، في أكثر المساجد، من مهمات رجال الدين، وينوع خاص من مهمات الفقهاء الذين كانوا يُعيّنون في هذا المنصب معتبرين لآه منصباً تشريعياً. وفي هذه الأحوال كانت مهمّة الخطيب تختلف عن مهمّة الواعظ التي تركز على التوجيه الديني والخلفي والتي هي قريبة من تأنيبات المنصوّفة. وكانت المواعظ تلقى في المسجد الجامع، لكنّها لم تكن كالخطبة منتظمة وضرورية.

خطبة، مفهوم يكتنفه بعض الغموض في الإسلام، يمكن تحديده فقط بمعضة الأحكام الإلهية، وقد شكّل، نالاً، موضوع نقاشات عقائدية بين مختلف المذاهب الكلامية. إنّ الكبيرة (الخطبة الكبرى) التي لا تُغتفر، بحسب القرآن الكريم، هي عدم الاعتراف بالله وبوحدانيته أي الشُّرك. أمّا الخطايا الأخرى فيمكن غفرانها، حتى لو أزيلت بمرتبتها غضب الله وعقابه. كذلك يجب التمييز، بحسب القرآن، بين الأخطاء الصغيرة التي لا تُضرّ بالإيمان، والأخطاء الجسيمة التي يفرها الله أو يعاقب عليها، بحسب إرادته.

أثارت قضية العلاقات بين الخطيئة والإيمان تأويلات عديدة عند علماء الكلام الذين جهدوا في تحديد طبيعة الخطايا الجسيمة أو الكبائر التي يتكلّم عنها القرآن نفسه. وقد تنوّعت أعداد هذه الخطايا بحيث أنّ بعض المؤلّفين أورد قولاً لابن عباس جاء فيه أنّ ما من خطيئة جسيمة إذا التمس صاحبها الغفران، وما من خطيئة عرضية إذا استمرّ مرتكبها فيها. ينتج عن ذلك أنّ الاستمرار في الخطيئة هو الذي يجعلها جسيمة وليس طبيعتها. ومهما يكن، فإنّ «الخطايا الجسيمة» أو «الكبائر» هي: الكفر والشُّرك والتجديف على نبي الإسلام (ﷺ) والقتل والربا والسحر وشرب الخمر والسرقه والهروب في المعركة وعدم احترام القسم العلن وشهادة الزور. لكنّ عدد الكبائر يزداد بحسب المؤلّفين من سبع إلى سبعين، ما يدل على تردّد الفكر الفقهي في هذا المجال.

النبي محمد (ﷺ): والأمويون الذين ينتمي إليهم عثمان تحديدًا. وبعد الولاية القصيرة للخليفة علي، انتقلت الخلافة إلى العائلة الأموية سنة ٤١هـ/٦٦١م. وهكذا بات معاوية مؤسس أول سلالة خلفاء في الإسلام، وكان مجال نباهي أعضائها الوحيد هو كونهم «المُعَلِّمين في قبيلة قريش». وبعد نحو قرن على ذلك، في سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، اضطرَّ الأمويون للتخلي عن السلطة لمصلحة العباسيين المتحذرين من أحد أعمام النبي محمد (ﷺ) والمنتمين إلى الهاشميين الذين هم من عشيرة النبي نفسها، لكنهم يمتزجون عن العلويين. ويُزجَّح، منذ ذلك الحين، الارتباط بآل النبي محمد (ﷺ) على أنه عنصر أهليَّة للخلافة. لكنَّ العلويين، وهم الوحيدون الذين يتوافر فيهم، بالمعنى الضيق للكلمة، عنصر الأهلية هنا. لم يتمكّنوا، مع ذلك، من الحصول على السلطة إلا في مرحلة متأخرة مع السلالة الفاطمية.

نتج عن هذا الواقع تثبيت نظريتين أساسيتين حول الإمامة، تحدّدان الحقَّ الشرعي في السلطة العليا: إحداهما وضعها ودافع عنها السنة، والأخرى وضعها ودافع عنها الشيعة. وبموازاة هاتين النظريتين، تميّز موقف الخوارج المؤيدين لبداية «الخليفة المنتخب» الذي عُمل به في مناطق محدودة وفي فترات محدودة. بالنسبة إلى السنة، الذين طُغت مفاهيمهم بشكل واسع على العالم الإسلامي في القرون الوسطى، كان ينبغي للخليفة أن ينال رضى الجماعة الإسلامية، أو على الأقل موافقة الأفراد الأكثر تمثيلًا فيها. فلا يمكن للخليفة أن يمارس سلطته ما لم يحصل على يمين البيعة التي تؤدّيها الشخصيات المحيطة به، كما يؤدّيها سكّان العاصمة وسكّان المدن الريفية. ويعتبر الفقهاء هذا الرضى قاعدة لسيادته. وبحسب هؤلاء الفقهاء أنفسهم، ينبغي أن يكون الخليفة أيضًا من قبيلة قريش، وهي خاصة تميّز بها كل الخلفاء الذين حكموا حتى القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، وهي الفترة التي يعود إليها تدوين أقدم المؤلفات المعروفة في الفقه. فالخلفاء الأربعة الراشدون الأوائل، والخلفاء الأمويون في الشرق، وكذلك أمويو قرطبة الذين ادّعوا

الجماعة الإسلامية الأولى لتنظيم ممارسة السلطة العليا بعد وفاة النبي محمد (ﷺ). وصارت الخلافة بعد ذلك - وصولًا إلى نغزات الفترة المعاصرة - إحدى الركائز الأساسية في ممارسة السلطة ونظرية الحكم في العالم الإسلامي.

استُعمل تسمية «الخليفة» في الأصل للدلالة على أبي بكر بعد انتخابه «أول خليفة لرسول الله». ومع عمر ابن الخطاب، ثاني الخلفاء، صار اللقب الرسمي للخليفة هو «أمير المؤمنين»، وهو لقب يظهر بشكل خاص في النقوش مع بداية الحقبة الأموية. والخليفة، بصفته رئيسًا للجماعة، كان يُعتَمَد أيضًا به المرشد أو الإمام، وهي تسمية لاقت استحسانًا خاصًا عند الشيعة بسبب مضمونها الديني وأطلقت، في الوقت نفسه، على الخلفاء الشيعة، وكذلك على الفالسين بحقهم في الخلافة من العلويين، وإن لم نتحقّق لهم.

١ - جرى، في وقت مبكر، تحديد الشروط المطلوبة لتقلّد مركز الخليفة وكيفية انتقاله، وكذلك طبيعة السلطات التي يمارسها صاحب هذا المركز. وكانت هذه الموضوعات مثار جدال بين أعضاء الجماعة الإسلامية في المدينة، كما أنّها أثارت، في ما بعد، اهتمام علماء الكلام والفقهاء الذين احتلّت آراؤهم مكانها في الجدل منذ الحقبة الأولى للإسلام، وظلّ تأثيرها يطبع القرون اللاحقة.

وفد جعل غياب النبي محمد (ﷺ) - الذي لم يترك وليًا ذكرًا ولم يتحصّن لكيفية قيادة المؤمنين بعد وفاته - هؤالء في حيرة. فالخلفاء الأوائل - أبو بكر وعمر اللذان مرّ ذكرهما، وكذلك عثمان بن عفّان - الذين توالوا على قيادة المسلمين، اختيروا وفق أصول مختلفة، بالنظر إلى الخدمات التي قدّموها لقضية الإسلام، وبشكل خاص كونهم من قبيلة قريش التي ينتمي إليها النبي محمد (ﷺ). والمقاعدة الوحيدة التي استُخلّصت في ذلك الوقت من الجدالات المشحونة حول الموضوع هي أن يكون الإمام قُرشيًّا.

ثمّ أخرج اغتيال عثمان، في سنة ٣٥هـ/٦٥٦م، إلى العلن الخصومات بين جماعتين من قريش تدعيان الحق في الخلافة: العلويون المتحذرون من علي وفاطمة ابنة

توافق على الخليفة المعين، فإن السلف كان يختار، إلا في حالات إستثنائية، خلفه. وهذه الأصول كانت جارية في السلالات السنية الأموية والعباسية، كما في السلالة الفاطمية التي هي السلالة الشيعية الأقدم. لكن، بالنسبة إلى كلٍّ من هذه السلالات التي نبأ أفراد منها سدة الخلافة - سواء بالتعاقب أو، في الوقت نفسه، في أماكن مختلفة - فإن المشكلة الحقيقية التي ظلت قائمة تتعلق بتقرير الحق في السلطة. وقد ترتب على ذلك انشقاقات أو تشعبات داخلية كانت أكثر حدة في المناخ السياسي الشيعي الذي يسم بالتدقيق والاحترام الشديد لشخص الإمام.

وبالفعل، لم يكن مفهوم السيادة التي يتصرف بموجبها الخليفة هو نفسه في المحيط السني وفي المحيط الشيعي. فالخليفة السني كان يتمتع بسلطة عقائدية، لكن في حدود جهوده لمحاربة البدع حصراً، وكان يحيط نفسه عادة بفقهاء يساعدونه في اتخاذ القرارات، وكان يمتلك السلطة القضائية التي يفوض ممارستها إلى القضاة؛ ولم يكن يسمح لنفسه بإصدار أحكام في قضايا التجاوزات من دون العودة إلى رأي الفقهاء. وعلى العكس من ذلك كان الخليفة الشيعي، وتحديدًا الخليفة الفاطمي: فهو الذي يفسر الشريعة، وهو يمسك خصوصاً السلطة القضائية كاملة، حتى لو كان في بعض الأحيان يكلِّ إلى علماء الكلام والفقهاء القيام ببعض المهمات القضائية، ما أوجد بعض التشابهات في سير عمل السلطة بين بغداد والقاهرة. والنسق الشيعي ذاته كان يحتوي أنماطاً عدة، فالتوائف الرديئة مثلاً لم تكن تشترط أن يتقلد أئمتها - المنحدرين من ذرية الحسن والحسين - السلطة من أسلافهم؛ كما أنها لم تكن تمنح عليهم صفات ما فوق الإنسانية، بل مجرد صفات العلم والشجاعة. ونجد مثل هذا النمط أيضاً في تقاليد سلالات مثل الموحدين الذين اتخذ خلفاءهم لقب «أمير المؤمنين» عام ٥٢٨هـ/١١٣٢م، مستندين في ذلك إلى عقيدة مسنوعة جزئياً من النظرية الشيعية؛ وكذلك الأمر في سلالاتي الخفصيين والمرتبيين اللتين حافظتا على لقب خليفة بعد أن سيطرتا على السلطة محلّ الموحدين. ٢ - في ما يتعلق بطريقة ممارسة الخليفة لسلطته، فإن

أيضاً الخلافة، والخلفاء العباسيون، كانوا جميعاً من أصول قرشية، وهو شرط ظلّ مطلوباً حتى نهاية الخلافة العباسية في العام ١٥١٦م. في المقابل، لم تكن الأعراف المعمول بها في الخلافة العباسية ولا أسس الشرعية فيها تستند إلى أيّ سورغ نظري، لأنها كانت تتناقض إلى حد ما مع مبدأ «الاختيار» الذي يتطلب اعتراف الجماعة بالإمام والذي يعبر عنه في قسم الولاء. وهذا الاختيار من صلب قبيلة قريش وهو واحد من أحكام الخلافة التي كان يطالب بها، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فقيه كالساردي، رغم أنّ احتفال البيعة منذ ذلك الحين كان يجري تحديداً لتثبيت اختيار يقوم به، في أكثر الأحيان، السلف بعد أن يحصل على موافقة الشخصيات النافذة في البلاط، ومثل هذا الاختيار كان السبيل الوحيد، في المحيط السني، لضمان استمرارية السلطة داخل عائلة محدّدة. وعلى العكس من ذلك كان الأمر عند الشيعة. فجوهر السيادة عندهم يرتكز إلى اختيار النبي صهره علماً لممارسة السلطة من بعده، وهذا الحدث جرى، بحسب التقاليد الشيعية، قرب غدير خُم. أمّا استمرار الشرعية فتَمَّ بعد ذلك عبر نقل السلطة الذي كان يقوم به كل من الأئمة المتوالتين إلى خلف يجري اختياره ويتم تنصيبه بموجب الرخصة أو «النص». وكان انتماء الخلف إلى نسب علي شرطاً ضرورياً للاختيار، إضافة إلى تمتعه بالصفات التنظيمية المطلوبة من الأئمة الشيعة. ويمين الولاء التي تقسمها الجماعة في هذه الحالة ليست إلا يمين خضوع لا نوابك أي مشاركة في اختيار الشخص المعين، وهذا ما يدلّ عليه مثلاً نظام الاختيار الذي كان معمولاً به في السلالة الفاطمية.

وهكذا يظهر أنّ قضية انتقال السلطة الخليفية كانت المشكلة الأساس في المجتمع الإسلامي في عصوره الأولى. وهذه المشكلة أحدثت انشقاقات داخل الإسلام - فقدّر لها أن تستمر حتى يومنا - كمثل التناقضات بين السنة والشيعة؛ وتولّدت منها أيضاً تناقضات على المستوى القانوني والعملية، في كلِّ مرة كان يتم فيها انتقال السلطة في ظروف مثيرة للجدل. ولا جرم، ومهما يكن النظام المثبع، وسواء وافقت الجماعة لاحقاً أو لم

سبيلاً لإيجاد حلول للمشكلات المالية الناتجة عن تضاول المداخليل. ولم يعد أمام الخليفة - الذي وجد نفسه مضطراً لطلب سلفات من جباة الضرائب الذين تحولوا ملتزمين - سوى مخرج وحيد، هو تحويل السلطة الفعلية إلى أيدي المسكينين بالقرعة المالية والقوة العسكرية، أي إلى قائد له ما يكفي من القوة، بسنحه لقب «أمير الأمراء».

حكم هؤلاء «الأمراء الكبار» من ٣٢٦هـ/٩٣٦م حتى ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، إلى أن حل محلهم السلاطين، وذلك حين أرغم القائد التركي السلجوقي، طغرل بك، الخليفة على أن يوكل إليه المسؤوليات التي كانت حش ذلك الحين بيد «أمير الأمراء»، وأن يسبق عليه، إضافة إلى ذلك، لقباً جديداً هو لقب «السلطان». تبع ذلك قيام نظام فريد استمر لأكثر من قرنين، وقد عمل منظرو القانون العام الإسلامي فوراً على منحه إطاراً قانونياً. وبموجب هذا النظام كانت سلطة الخليفة تقتصر على تنصيب السلطان الذي تعود إليه مراقبة الجزء المركزي من الأباطورية، وكذلك تولية الشخصيات الأخرى، من سلاطين أمراء، إدارة ولايات الأطراف.

والخطوة الإضافية في تدهور موقع الخليفة تمثلت بإبادة الخليفة العباسي المترفع على العرش في بغداد، مع أكثر أفراد عائلته، سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، عقب احتلال المغول للمدينة ونهبهم لها. وقد تمكن أحد أبناء عم الخليفة من الإفلات من المذبحة واللجوء إلى مصر حيث استقبله السلاطين المماليك الحاكمون في القاهرة، واعتزفوا به خليفة، لكن من دون أن تكون له أية حرية نصرف. وهكذا نالت ما بين سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م و٩٢٢هـ/١٥١٦م - تاريخ فتح العثمانيين لمصر - مجموعة خلفاء اقتصرتهم مهمتهم، في بداية عهد كل منهم، على تنصيب الأمراء المماليك سلاطين، ولم يمتنعوا، حتى في ذروة عظمة الدولة السلجوقية، لا بالاستقلالية الشخصية، ولا بالاحترام اللذين كانوا يحظون بهما في بغداد من قبل، واللذين سمحا للخلفاء العباسيين القدماء بالحفاظ على سلطتهم حكماً على العراق، وفي الوقت نفسه بالحفاظ على سلطة معنوية لم تنسها شابة.

٣ - طرح الطابع الصوري للخلافة العباسية التي انتقلت إلى القاهرة التنازل حول التفاوت الحاصل ما بين

الخلفاء العباسيين، كما الخلفاء الأمويين في الغرب الذين اتخذوا لقب خليفة في سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م، وكذلك الخلفاء الفاطميين الذين سبقهم في هذا المجال، كل هؤلاء سعى إلى أن يتقيدوا ببرامس بروكوكلية خاصة تجري داخل القصور الواسعة التي يقبضون فيها وسط حراسهم والمقربين منهم، لإظهار نبالة المهمة التي ألت إليهم، والخلفاء الشرقيون تخصيصاً الذين امتد حكمهم، في البدء، على كل العالم الإسلامي تقريباً - إذ إن شبه الجزيرة الأيبيرية وحدها ظلت خارج قبضتهم - كانوا يهدفون، من هذه المراسم، إلى إظهار ارتباط السلطة التي ورثوها بنبي المسلمين، فكانوا يشفعون في الواجحة بعض الذخائر التي يعتبرونها شارات حقيقية دالة على سلطتهم. ومع ذلك، ظلوا يواجهمون، من خلال هذه الأنظمة وهذا الجبروت الظاهري، صعوبات جمة ملازمة لظروف ممارستهم السلطة.

لقد فوّضوا كل الوظائف القضائية إلى القضاة واحتفظوا بنفساء ردة المطالب (الاستئناف) لكنهم كانوا يصرون على الاحتفاظ بكامل مسؤولياتهم الحكومية التي لم يكن في مقدورهم القيام وحدهم بأعبائها، ما اضطرهم إلى الاعتماد على رؤساء التنظيمات العسكرية وكتاب الدواوين الذين كانوا، في الشرق، يعملون، منذ نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، تحت إمرة وزير تحول شيئاً فشيئاً رئيس حكومة حقيقياً. فضعفت، والحالة هذه، سلطة الخلفاء العباسيين بشكل مستمر خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، نتيجة طموحات هذه الشخصيات التي تضاف إليها، عندما كانت الظروف تسمح، طموحات الشخصيات العليا المدنية والعسكرية في العاصمة، ومساعي حكام الولايات الذين لم يكونوا أقل طموحاً. نتج عن ذلك أولاً انفصال مناطق مهمة، بشكل مؤقت أو طويل الأمد، عن السلطة المركزية؛ ومن جهة ثانية، حاول وزراء وقادة جيوش - وهم موظفون قابلون للزمن من حيث المبدأ - في مناسبات عدة الاستئثار بالسلطة الفعلية.

وهكذا تمكن وزراء نواثو على السلطة في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي من تأكيد سلطتهم. لكنهم اصطدموا بطموحات قائد الجيوش، ولم يجدوا

يتم إنقاذ الخلافة - التي صارت مؤسسة وهمية منفصلة عن الواقع - إلا في شباط سنة ١٩٢٤ .

إن إلغاء الخلافة قوبل بالامتناع على الصعيد الدولي ، وبخاصة في أوساط المسلمين الهنود ، إذ عدد بعضهم - متأثرين بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي أطلقها من قبل جمال الدين الأفغاني - إلى التجمع في «حركة الخلافة» دفاعاً عن هذه المؤسسة على المسوين الزمني والروحي ، فطالبوا ، بدءاً من ١٩٢٠ ، كل المسلمين بالتعبير عن شكل من الولاء السياسي والديني للخليفة العثماني . وفي انعام ١٩٢٣ تدخل هؤلاء لدى مصطفى كمال ليغيروا له عن قلقهم لغياب السلطنة ، وذلك قبل وقت قليل من قراره النهائي بإلغاء هذه المؤسسة ، وشكل هذا القرار مؤشراً للتفكك السريع لحركتهم . ولم يخلُ العالم العربي السني من ردات فعل ، إذ جرت محاولات شتى لإعادة الخلافة ، لكنها ضلّت بلا نتيجة . ولم يتسكن أي من الطامحين إلى مركز الخلافة - سواء الحسين شريف مكة الهاشمي ، أو فاروق ملك مصر المنحدر من محمد علي - من استقطاب تأييد الجماهير ، نظراً إلى حدة الخصومات الإقليمية التي كانت سائدة في تلك الفترة . وفي سنة ١٩٢٦ انعقد مؤتمران ، أحدهما في القاهرة والآخر في مكة ، لكن من دون أية نتيجة ، وأخيراً انعقد مؤتمر في القدس سنة ١٩٣١ حيث برزت فكرة التضامن بين الدول العربية والإسلامية بدلاً من الخلافة التي كانت العودة إليها غير ممكنة . وشكل هذا المؤتمر المنطلق لمؤتمر الوحدة العربية الذي انعقد سنة ١٩٣٧ والذي مهد لفكرة زوال الخلافة واستبدال ملوك زمنيين بها . يكتبون بتطبيق الشريعة كما يحددها الفقهاء . لكن مع إدخالهم أحياناً بعض التعديلات في ما يتعلق ، على الأقل ، بكيفية تطبيقها . في هذا المجال ، صيغت نظريات عدة . قبله من سنة ١٩٢٢ مثلاً ، اقترح رشيد رضا تنظيم ندوة دراسية لإعداد اختصاصيين يصار في ما بعد إلى اختيار خليفة من بينهم . تكون مهمته تكيف الشرع الإسلامي مع متطلبات

السلطة الفعلية للسلطين والسلطة الاسمية للخليفة . وذهب بعض الفقهاء إلى حد القول إن كل عاهل يطبق الشريعة يمكن اعتباره خليفة الله أي «ملكه على الأرض» ، ورئيساً شرعياً - إن لم يكن على الجماعة الإسلامية كلها - فعلى الأقل على جزء من هذه الجماعة . وأعلن سلاطين عدة - كانوا يدينون بسلطتهم للقوة العسكرية ولرضى السكان المرغم إلى حد ما - أنفسهم «خلفاء» ، لكن من دون أن يتخذوا لقب «أمير المؤمنين» . ذلك كان الوصف بالنسبة إلى سلاطين دلهي ، وبشكل خاص إلى السلاطين العثمانيين ، حتى إثناء في القرن التاسع عشر ، شهدنا في أفريقيا ، وفي دولة سوكوتو ، انبعاثاً طارئاً لخلافة أرادت التباهي بكل الألقاب والصفات المتصلة بالخلافة الأصلية .

وظرحت ، بشكل خاص ، ابتداء من سنة ١٥١٦م ، مشكلة «الخلافة العثمانية» . هناك رواية بدأت في الواقع تنتشر في القرن الثامن عشر ، على ما يبدو ، وقصوها أن السلطان سليم الأول عند فتحه مصر ، استحصل من الخليفة العباسي على كل الشارات الخاصة به ، كما ورت عنه الخلافة . ليس هناك أي تأكيد لصحة هذه الرواية التي ظهرت في فترة متأخرة ، كما أن السلاطين العثمانيين لم يتخذوا أبداً لقب «أمير المؤمنين» وهو اللقب الرسمي للخليفة ، ومع ذلك فقد قدّموا أنفسهم في أكثر الأحيان - وبخاصة لممتلكي الدول الغربية في القرن التاسع عشر - خلفاء شرعيين . ويمكن الافتراض أنهم ، بهذه الصفة ، أرادوا الحصول على اعتراف الدول الأوروبية بهم حماة للشعوب الإسلامية التي كانت ما تزال تعيش في الأراضي البلقانية التي تنازلت عنها الدولة العثمانية نتيجة معاهدات شتى . يبقى أن دستور ١٨٧٦ - الذي لم يطلق أبداً - أكد أن السلطان ، بصفته خليفة ، هو حامي الديانة الإسلامية . وهذا يعني أن العاهل العثماني جمع في شخصه وظيفتي الخليفة والسلطان ، علماً أن الأولى تتخذ بشكل خاص طابعاً دينياً . انطلاقاً من ذلك ، تمكن مصطفى كمال - الذي سيصبح في ما بعد أتاتورك - بعد الحرب العالمية الأولى من إلغاء السلطنة بقرار من الجمعية الوطنية ، مع الحفاظ على الخلافة وتعيين خليفة جديد في شخص عبد المجيد الثاني الذي اعتبر ، مذاك ، سلطة عليا تربط بين المسلمين . ولم

المذكورة شجب للراحة يوم السبت بالنسبة إلى اليهود، ومثل ذلك ليوم الأحد بالنسبة إلى المسيحيين. لكنَّ عملية الخلق في حد ذاتها تُحدّد حيناً بأنها فعل خلق من عدم، وهذا مطابق لما ورد في التوراة، وحيناً بأنها فعل مورس على المادة الموجودة من قبل أو على الخلاء، وحيناً آخر بأنها فصل بين المياه والبابسة. لكنَّ التفسير الأوّل هو الذي طغى، فإن الله، تالياً، هو «الخالق» و«المصور» أي الذي يمنح الأشكال.

إن رواية خلق آدم، الرجل الأوّل، تُذكر برواية مبغرة التكوين. ففي التوراة خلق الله الإنسان من الطين، ثم رثّبه في صورة، ونُفخ فيه من روحه. وعاش آدم في جنة، وأمر الله الملائكة بالسجود له، أما إبليس الذي أبى الانصياع فطرد من الجنة وكان ضحية كبريائه. ثم خلقت المرأة حواء، وآدم، رغم النهي الإلهي، أكل من ثمر الشجرة المحرّمة بعدما أغواء إبليس، فطرد وحواء من الجنة. ثم عفا الله عنه في ما بعد، وصار الجد الأوّل للبشرية. وهذه البشرية لم تحمل وُزْر «الخطيئة الأصلية»، لكنها مضطّرة باستمرار إلى مقاومة إغراءات إبليس.

وفدّى الله آدم إلى السيل القويم، وأرسل أنبياءه حاملين بشارته إلى أحفاده بتفاصيلها. والله يستمر في رعاية الكون الذي يُمدّد جيروته وعظمته، كما تنصّ بعض الآيات:

يَوْمَ الْأَحْزَمِ مِنَ السَّحَابِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (الشجدة، ١٥).
﴿يَسْئَلُ لَهُ الْمُشْكِرُونَ النَّاسُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا قَدْ بَيْنَ بَيْنَهُمْ وَلَا يَسْئَلُ عَنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَنْفَعَهُمْ لِيُخَيِّرَهُمْ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً غَفُوراً﴾ (الإسراء، ٤٤).

وهكذا اعتبر الخلق، بحسب العقيدة السائدة، عملية مستمرة. بينما أطلق بعض المتكلمين استناداً إلى هذه المعطيات، مفهومًا «دورًا» للكون بني وجود أئمة حتمية، لأن كل ما يحدث هو من خلق الله، بينما رأى آخرون، ومنهم المعتزلة، في عملية الخلق، ارتباطاً علمي. وكان لعملية الخلق أيضاً تفسير مختلف عند الفلاسفة الذين لم يجدوا في مؤلفات أئمتهم الذين اشتدحهم أي أثر لمفهوم الخلق من عدم. فشرحوا،

الحياة المعاصرة. وبعد ذلك، في سنة ١٩٢٥، أصدر علي عبد الرازق، وهو من مشايخ الأزهر، كتاب «الإسلام وأصول الحكم» الذي وضع فيه الأسس العقائدية للفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية. ورغم إدانة الكتاب، فإنَّ الفكرة التي أطلقها عبد الرازق استمرت في شقّ طريقها.

الخلافة (حركة -)، حركة انتشرت مدة قصيرة بين مسلمي شبه القارة الهندية، بين ١٩٢٠ و ١٩٢٥، وكان لها دورها في تطوّر فكرهم السياسي.

وُلدت هذه الحركة من أفكار الجامعة الإسلامية التي نشرها جمال الدين الأفغاني، والتي لم تجد الدعم من المصلح الهندي الكبير السيد أحمد خان في أواخر القرن التاسع عشر. وقد دعت إلى الإنقاذ حول خليفة للمسلمين يكون القطب الروحي للإسلام كله، واعتبرت أنَّ السلطان العثماني يمكن أن يلعب هذا الدور. لكنَّ السلطان لم يكن يملك في استنبول سوى سلطة هزيلة أمست موضوع شكّ وجدل على أثر الهزيمة التي منيت بها دولته في الحرب العالمية الأولى. وفي كانون الثاني (يناير) من سنة ١٩٢٠، نُشر في الهند بيان حوى الأسس النظرية التي قامت عليها الحركة التي قادها، بنوع خاص، أبو الكلام آزاد، وذلك في جوٍّ من التسامح بين القوميين المسلمين والهندوسيين. ثم كان تطوّر الأوضاع في تركيا، وقد نتج عنه إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤ بعد إلغاء السلطنة سنة ١٩٢٣، فكانت النتيجة زوال هذه المحاولة السياسية التي لقيت، منذ قيامها، صعوبات محلية، ولم تستطع أن تحقق أي هدف تاريخي مباشر. **الخلق**، مفهوم أساسي في العقيدة الإسلامية يرتكز إلى نصوص قرآنية، لكنه، مع ذلك، أثار جدلاً داخل تيارات الفكر الإسلامي المتأثرة بالفلسفة، كما في مدارس علم الكلام.

يعرض القرآن عملية خلق الكون في روايات شبيهة بما ورد في التوراة، انطلاقاً من الأمر الإلهي «كن». ﴿وَاللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّنْ دُونِهِ مِن وَلٍيٍّ وَلَا يُصِيبُ أَهْلَ السُّعُورِ﴾ (الشجدة، ٤).

نجد الرواية عنها في آيات أخرى عدّة، وفي الآية

العائلة لأنبياء وأشخاص ثوراتيين وُجد في المغارة التي يُقال لها مغارة البطارقة. اعتبر ضريح إبراهيم في الخليل حرمًا كما اعتبر، مع حرم القدس، حرمين شريفيين.

في سنة ١٠٩٩/١٤٩٢م، احتل الفرنج مدينة الخليل فحوّلوا المسجد إلى كنيسة ورمّموا أكثر من موضع فيه. استعاد صلاح الدين المدينة سنة ١١٨٧/١١٨٨م، بعد معركة حطين، ثم احتلها المماليك سنة ١٢٦٦/١٢٦٧م ومنعوا المسيحيين واليهود من الدخول إلى المعبد. أما في القرن السادس عشر فتحت مدينة الخليل مصير فلسطين داخل السلطنة العثمانية لتنتقل، بعد الحرب العالمية الأولى إلى الانتداب البريطاني، ثم إلى سلطة المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٤٨، فألّى الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧، وانتهى بها الأمر جزءًا من الأراضي الفلسطينية الخاضعة للحكم الذاتي.

كان حرم الخليل يستقبل، في العصور الوسطى، عددًا من الزائرين الذين كانوا يأملون أن يستجيب إبراهيم لصلواتهم ودعائهم. ولحرم الخليل موقع في دليل الهروي الخاص بآماكن الزيارات الخارجة عن القرائض الشرعية. كان الحرم يستفيد من أموال الوقف، فيقدم إلى كلّ زائر وجبة طعام تمثل «ضيافة النبي». تعرّضت هذه الزيارات في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد إلى النقد على لسان بعض الفقهاء المتشددين وأبرزهم ابن تيمية، إلا أن السلاطين المماليك والعثمانيين أظهرها اهتمامًا كبيرًا بالمدينة حيث كان يقيم عدد من المتصوفين، فزوّدها بأبنية دينية عديدة.

الخليل ← إبراهيم.

الخُميني، روح الله موسوي (١٩٠٢ - ١٩٨٩)، رجل دين من أتباع الإمامية الاثني عشرية، وصل إلى مرتبة آية الله. وهو مؤسس جمهورية إيران الإسلامية ومنظمها، بعدما حرّك الثورة ضد الأسرة البهلوية.

ولد الخميني في أسرة رجعت إلى إيران بعد أن أمضت زمنًا طويلاً في كشمير، وقد تلقى دروسه العليا في الفقه وعلم الكلام على أيدي كبار المجتهدين في عصره، لا سيّما في قم، ابتداءً من سنة ١٩٢١، حيث علّم لاحقًا في المدرسة الفيضية التي أسسها ثاني ملوك

نابا، عملية الخلق، بشكل عام، من خلال «الفيض» أي الانبثاق من الله الذي ثمّ، بحسب بعضهم، بواسطة عقل علوي. ولم يقل هؤلاء بمفهوم الخلق المستمر ودافعوا عن مبدأ الحتمية.

أخيرًا، فإنّ الله، في الفكر الإسلامي، الذي يهب النجابة للبشر ينتزعها منهم ويميتهم بحسب إرادته، كما يُهمّهم من الآية ١٤٥ من سورة آل عمران:

﴿وَمَا كَانَ لِغَيْرِي أَنْ تُمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُتَوَقَّعَاتِكُمْ فِي صُحُفٍ وَأَبْنَيْنَا إِلَيْكَ نَبَاتًا لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا وَنُفُوسًا لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا وَنُفُوسًا لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا وَنُفُوسًا لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا﴾ (آل عمران، ١٤٥).

كذلك فإن الله يقرّر، متى شاء، العقاب الإلهي الذي نشير إليه كوارث وردت أخبارها في روايات أُخرى عدّة. إنّ سورة قرآنية مختلفة تنصّ، بعبارة مخيفة، بنهاية العالم التي سيلها البحث ويوم الدين.

خلواتية، طريقة صوفية إسلامية تشجّع الجهد الشخصي لحياة الزهد والنسك عن طريق الخلوة، وقد تبنّت تيوصوفية ابن العربي. هذه الطريقة ليست مرتبطة، كسائر الطرق، بشخص أظهر تفوقه، إنّها ظهرت كتجمّع لصوفيين من أصل تركي، كردي أو إيراني، يعتبرون أنّهم يعملون ضمن الخط الذي رسمه «العلامتين». إنّ الشخص الذي ينسب إليه تحديد قواعد هذه الطريقة هو المدعو عمر الخلواتي، يُقال إنّهُ توفي في سوريا في حدود سنة ٨٣٨/١٣٣٧م. وقد كان لهذه الطريقة خواص (جمع خانقاء) متعدّدة في الأناضول وسائر البلدان العربية في الشرق الأوسط.

الخليل، (الأراضي الفلسطينية المحتلة) بالحكم الذاتي، مدينة غالية سكّانها من المسلمين، تقع على بعد ثلاثين كيلومترًا جنوبي القدس. ما يزال أهلها يكرّمون ضريح إبراهيم المعروف بالخليل.

لا نعرف الكثير عن وضع مدينة الخليل في زمن الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، ولا عن احتلالها الذي تركه الرواة طيّ الكتمان. لكن يُعرف أنّه في عهد البيزنطيين كان يقوم في مدينة الخليل ضريح لإبراهيم يكرّمه اليهود. وتحوّل هذا الضريح، في زمن الحكم الإسلامي، إلى مسجد إبراهيم وإنّ عددًا من المدافن

علي أكبر هاشمي رفسنجاني، والمرشد الأعلى للثورة علي خامنئي. أمّا آية الله عراقي والملاي الباقرون، فنخوا جانباً.

الْخَنْدَق (معركة). هي وقعة تواجه فيها مسلمو المدينة الأزلون ومقاتلون جازوا من مَكَّة لاحتلالها. أصيب هجرم المكيين بالقتل، في السنة الخامسة للهجرة، وكان جرى التحضير له منذ وقعة أُحُد وحُشِدَتْ له فرقة ضَمَّت قبائل مختلفة متحالفة، عُرِفَتْ بالأحزاب. فقد كان من شأن خندق حُفِر بسرعة حول المساكن أن أوقف الهجوم، فتحوّل إلى حصار تخفّي عنه أصحابه بعد أسبوعين. حقّق انسحاب المكيين نجاحاً للمسلمين، ففكّروا عندئذ، بدورهم، في احتلال مَكَّة. أمّا فكرة حفر خندق دفاعي أمام المدينة فقد اقترحتها على النبيّ محمد ﷺ الصحابيّ سلمان الفارسيّ، وهو مسيحيّ إيرانيّ الأصل اعتنق الإسلام.

خَوَاجِه. لقب فارسيّ الأصل استُعمل بكثرة في البلدان الإسلاميّة، وأصبح، مع مرور الزمن، شائعاً بين الناس. وكان هذا اللقب الدالّ على الاحترام يُعطى أوّلاً للأشخاص المميّزين في المجتمع الإسلامي، كالعلماء والتجار الذين كانوا في غالبيّتهم من الأجانب. وفي بعض الحالات، أصبح اللقب ملصقاً بصاحبه وبشكل جزءاً ملازمًا لاسمه. وفي أماكن أخرى، استُعمل كوسيلة للتداه، ولم يكن يُمنح إلّا لبشّات اجتماعيّة مُعيّنة. وهكذا، عند العثمانيين، كان يُعطى للفقهاء والعلماء، ولفظة «خوجه» المشتقة من خواجه، والمستعملة اليوم في اللغة التركيّة، تُطلق صفةً على رجال الدين والأساتذة الكبار. أمّا في مصر فإنّ لفظة خواجه تشير، على الأصح، إلى التجار غير المسلمين، كما تحوّل معناها فأصبح يشير إلى أتباع الديانات غير الإسلاميّة.

الخوارج، اسم أُطلق على فرقة إسلاميّة، تشكّلت من أتباع الإمام علي، انفصلوا عنه سنة ٦٥٧/٣٧ بعد معركة صفين، وذلك بعد قبوله التحكيم وعدم متابعتها الدفاع عن حقّه في الخلافة بقوّة السلاح. إنّ لفظة خوارج تعني «الذين خرجوا»، وهي تُطلق

أسرة القاجار. وفي سنة ١٩٣٦ حصل على حقّ الإجتها، ثمّ أصبح هذا المُلّا آية الله. وقد شارك في حركات المعارضة المتنوّعة التي أثارها، في أوائل السنين، تدابير اتّخذتها الدولة: منها إعطاء أعضاء المجالس المحليّة حقّ القسم على «الكتاب المقدّس» (من دون أيّ توضيح)، وقرار الإصلاح الزراعي الذي شمل المؤسسات ذات الطابع الديني، ومنها أيضًا إعطاء المرأة حقّ الاقتراع. وعندما احتلّت المدرسة الفيضيّة بالقوّة، راح الحميني يُلقي خطباً عنيفة يهاجم فيها أعداء الإسلام، فأدخل السجن في حزيران من سنة ١٩٦٣، ثمّ وُضِع في الإقامة الجبريّة. وعندما أُطلق سراحه، عمد إلى مهاجمة قانون جديد يمنح العسكريين الأميركيين المتواجدين في إيران وضعاً مميّزاً، فنُفي إلى تركيا، ودُعي منها إلى التجف في العراق حيث انصرف إلى التدريس حتى ١٩٧٨.

وعندما بدأت التظاهرات التي أدّت إلى ثورة ١٩٧٩، اضطرّ الحميني إلى مغادرة العراق واللجوء إلى فرنسا. وعاد إلى إيران في أوّل شبّاط (فبراير) سنة ١٩٧٩، بعد أيام من رحيل الشاه محمد رضا بهلوي. وكان قد وضع كتاباً بعنوان «ولاية الفقيه» يعرض فيه آله، في غياب الإمام المسنور، ينبغي أن يتأخّر الحكم على أيدي فقهاء أصحاب كفاية. ويدعو الحميني في كتابه إلى قيام حكم إسلامي يكون الضمانة الوحيدة لوحدة الجماعة المؤمنة، مع ارتكاز هذا الحكم على الشريعة الإسلاميّة من دون سواها. وفي سنة ١٩٧٩ أوجد مجلساً للثورة ترأّسه بنفسه، وقد ضمّ في البداية عدداً من «التجديدين» الذين أبعدوا بعد ذلك بقتل. وقد أقرّ دستوراً أسس لنظام سياسي قوامه مجلس للثواب ورئيس للجمهوريّة ينتخبه الشعب مباشرة. أمّا الحياة السياسيّة فهُتمن عليها الحزب الجمهوري الإسلامي. هذا يعني أنّ النظام المعتمد هو نظام توناليتاري يخضع لإشراف المرشد الأعلى. أي للحميني نفسه الذي اعتبر ممثلاً للإمام الغائب، كما يُقَب هو نفسه بـ«الإمام». وبعد وفاته سنة ١٩٨٩، اختار مجلس الخبراء خليفة له هو علي خامنئي الذي لم يكن صاحب السلطة الدينيّة العليا. وهذا ما حثّم تقاسم المهام بين رئيس الجمهوريّة،

سلطة خارجية، فرماهم خصوصهم بالتعصب واتباع طرق الإرهاب. وهذا الأمر حمل الإمام علي على محاربتهم في النهروان، سنة ٣٨هـ/٦٥٨م. حيث قضى على قسم كبير منهم، فضعت شوكتهم إلى حين، لكنهم ازدادوا، مع ذلك، تمسكاً بموقفهم وقناعتهم ومالوا إلى التوسع في نشر دعوتهم وإلى اتباع طريق العنف. والإمام علي نفسه سقط على أيديهم سنة ٤٠هـ/٦٦١م، إذ قتله أحد الخوارج على مدخل مسجد الكوفة.

بذلك دخل الخوارج تاريخ الإسلام، ووضعوا عقيدة سياسية دينية واضحة. فهم يرون أن المسلم لا يكون فعلاً مؤمناً إلا إذا راعى أحكام القرآن الكريم بدقة ووضوح. وإذا رفض الانصياع لها فإنه يُعدّ كافراً، وهذا ما يحتم طرده من جماعة المؤمنين، وحتى تصفيته جسدياً. وقد أطلق على هذا النوع من الحكم اسم «الاستعراض». ونتيجة ذلك، فإنّ رئيس الجماعة المؤمنة ينبغي أن يكون الأفضل، بغض النظر عن لونه وأصله، حتى إن كان عبداً أسود. وهذا الموقف كان يتعارض مع الممارسات السابقة، أي مع القاعدة المتبعة والقائلة إنّ كلّ المرشحين لاستلام السلطة العليا يجب أن يكونوا من قريش. وانطلاقاً من الثوابت عنها، فإنّ رئيس الجماعة المؤمنة يمكن أن يتعرّض للمخلع والإسقاط لدى ارتكابه أقلّ مفة.

على صعيد آخر، تقبل الخوارج عدداً من الآراء ذات الطابع الفقهي، وهي آراء مخالفة لمبدأ التشبيه والتجسيم وشبيهة بآراء المعتزلة. إلا أنّ هذا الموقف الغندي لم يظهر إلا في مرحلة متأخرة عند إحدى الفرق المنفردة من الخوارج، وهي الفرقة الإباضية.

نشير، من ناحية أخرى، إلى أنّ الخوارج استمروا في اتباع منهجية سياسية دينية معارضة، اتّسمت بالعنف في عهد الخلافة الأموية. وقد انقسموا فروعاً متعددة تختلف قليلاً في ما بينها في المواقف والآراء. والتنوع في مواقف فروع الخوارج جاء نتيجة للأوضاع المختلفة التي عرفتها كلّ مجموعة. وتطوّرت المواقف بعد ذلك تبعاً لمصلحة كلّ مجموعة، ولما تملية عليها ظروفها وما يفرضه مصيرها. فبعض منها انسحب إلى «دار الهجرة»، تلبّياً لما كان قد فعله النبي محمد (ﷺ)

على المُقاتلين الذين خرجوا على طاعة علي. واللفظة يمكن أن تعني أيضاً «المُتمردين». والمسلمون الذين انضموا إلى الخوارج كانوا، أساساً، من أنصار الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان، وقد اتصفوا بشذوهم النبالغ وينطبق أحكام الشرع بحرفته^(١٩). وقد وقفوا إلى جانب الإمام علي في خلافه مع معاوية، ورفضوا أن يقبل فاندعهم مبدأ التحكيم الذي طلبه معاوية؛ كما رفضوا اللجوء إلى حكم إنساني، مطالبين ببدل «لا حكم إلا بالله». ومن أجل ذلك أطلق عليهم اسم «المحكّمة». أي الذين حملوا هذا الشعار. وقد اعتمدوا، دفاعاً عن مبادئهم، على الآية الكريمة: ﴿وَكُنْ عَلَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْئَتًا قَاصِمِينَ﴾ فَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْهِمَا عَلَى الْآخِرِينَ فَتَقَبَّلُوا إِلَيَّْ تَبَيُّنَ إِلَهِ لِي أَلَهُ فَإِنَّ قَاتَت قَاصِمِينَ يَتَبَيَّنُ الْفَظْلُ وَإِلَهِ لِي أَلَهُ يَحْيَى الْفُطُوحُ

وهكذا صتقوا اتباع معاوية من «البناء» الذين ذكرهم القرآن الكريم؛ كما اعتمدوا نوعاً من البرهان عرضه أحد مؤرخي القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، مستنداً إلى نصوص قديمة جاء فيها: «عندما هربنا من عثمان كذا على الطريق القويم لأنه جاء باليد». وكذا على صواب أيضاً عندما هربنا دم طلحة والزبير وأتباعها في معركة الجمل، لأنهم كانوا «بغاة». وأيضاً عندما هربنا دم اتباع معاوية وعمرو لأنهم كانوا «بغاة». فخالقوا كتاب الله وسنة النبي، نرى هل نزل من السماء أمر حمل علياً على تغيير موقفه؟ كلا بالطبع. وكان عليه بالتالي أن يستمر على النهج الذي سلكه في البداية فيكمل انخرب ويرفض مبدأ التحكيم.

بعدما رفضوا الحلّ الذي رضى به معظم المحاربين، انفصل الخوارج عن جيش علي في الكوفة، وانتقلوا إلى خزواهم حيث استطاع الخليفة (علي)، على ما يبدو، أن يقتنعهم بالعودة عن موقفهم وبالإلتزام إليه مجدداً. لكنّ المتطوّرين منهم ما لبثوا أن اتهموه بعدم الوفاء للوعد الذي قطعته لهم ليقنعهم بالعدول عن موقفهم، فتركوه مجدداً وانتقلوا إلى النهروان في العراق حيث اختاروا قادة لهم، بينهم المدعو ابن وهب. وراحوا بعد ذلك يوجهون الانتقادات لعلي ولعثمان معاً، محلّنين أنّ المؤمنين كلّهم سواء؛ وأنّ لا فرق بين مؤمن وآخر. كما عدلوا إلى تنظيم صفوفهم فزاد عددهم، ورفضوا كلّ

إنَّ محاولات التوسُّع المتواصلة من قبل هذه الفرق المختلفة في العصر الأموي، والإضطرابات التي نتجت عنها، لم تُشكِّل يوماً خطراً على الخلافة. إلا أنَّ اتباع هذه الفرق ساهموا لاحقاً في الحركات الثورية التي قصت على الخلافة الأموية في القرن الثاني للهجرة/ أواسط القرن الثامن للميلاد. وحدهم الإباضيُّون توصَّلوا إلى إنشاء الدولة الرستميَّة التي استقلَّت في مطلع العصر العباسي، واستطاعوا الاستمرار في المغرب والحفاظ على فرادتهم حتى عصرنا الحالي. ويمكن القول، بصورة عامة، إنَّ فرق الخوارج التي حورت بقوة استطلعت، رغم فشلها السياسي، وبفضل الأسنلة والأطاريح المتواصلة التي عرضتها، أنَّ تُنمَّح في المجال أمام قيام مدارس علم الكلام الأولى التي نمت وازدهرت في قلب العالم الإسلامي، لا سيَّما في مدينة البصرة.

خوارزم، اسم مقاطعة إسلاميَّة غنيَّة في أواسط آسيا اشتهرت في القرون الوسطى، وهي اليوم مقسَّمة بين جمهوريَّتي أوزبكستان - التي ضمَّت إليها جمهورية قره كَلْبَكستان - وتركمانستان.

وتضمُّ منطقة خوارزم مجموعة واحات مروية، يهدها نيدلُ المحرى السفلي لنهر «أمودريا»، بين مصبِّه في بحر آرال ومجره القديم باتجاه بحر قزوين. وقد نالت شهرتها بفضل محاصيلها الزراعية، وبفضل الأرباح التي كانت تجنيها من طرق القوافل التجارية باتجاه السهوب الداخلية لسيبيريا وروسيا؛ وكان الرفيق والجلود المستوردة من الشمال من أهمِّ البِلَع العابرة. وعرفت خوارزم حضارة محلَّية كانت قد ازدهرت قبل الإسلام وساهمت في نهضة عدد من المدن التي اشتهرت خلال القرون الوسطى، ومنها «كات»، و«كرجاتج» أو الحرجانيَّة (أوورغتش القديمة) التي أصبحت، في أواخر القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، عاصمة الأسرة الخوارزمية الثانية.

وفي سنة ٩٩٣م/ ٧١٢م، دخلت الجيوش العربيَّة - الإسلامية بلاد خوارزم بقيادة عُتْبِيَّة بن مسلم وضمتها إلى الأمبراطوريَّة الإسلاميَّة، وحملت أبناءها مدَّة من الزمن على دفع الجزية. وخلال القرن الثالث للهجرة/ التاسع

عند هجرته إلى المدينة من أجل تكوين جماعته. واستطاع هؤلاء أن يُنشئوا عدداً من الدول المستقلَّة بنظامها ومبادئها، وعلى رأس كلِّ منها «أمير للمؤمنين» (اللقب المخصَّص بخليفة المسلمين).

إلى جانب ذلك، بقيت فرق ومجموعات أخرى داخل الأوساط المعادية للخوارج، ما اضطرَّها إلى التخفيف من تشدُّدها، وإعمال سياسة العنف، ولا سيَّما «القتل باسم الدين». وقد لجأت هذه المجموعات إلى المعارضة والتمرُّد في غير مناسبة، ومنذ سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م، تجمَّع في خوزستان، ثم في فارس، منطُرفون من الخوارج بقيادة نافع بن الأزرق فسَّحوا بالأزارقة. وكانوا قد انفصلوا عن الإباضيِّين المعتدلين الذين كانوا قد استقروا في منطقة البصرة. وفي سنة ٦٨٨هـ/ ٦٨٧م، تسلَّم ظُفريُّ بن المُجاعة قيادة المجموعة التي لجأت إلى المناطق الشرقية البعيدة وتوغَّلت في جبال كرمان بعد تعرُّضها لعدد من الهجمات. واستطاع ابن المُجاعة أن يحتل بعض مناطق فارس والأهواز، ولكنَّه تراجع مجدداً أمام الحملات الأموية - إبان ولاية الحجاج للعراق - التي أدت إلى قتله سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م والقضاء على الأزارقة.

ولم تكن تلك المجموعات المنبثقة من الخوارج هي الوحيدة التي شغلت الأوساط الإسلاميَّة. فالإي جانب الإباضيِّين الذين تعاطف شأنهم، عمدت فرقة النجدية (سُمِّيَتْ كذلك نسبة إلى رئيسها نجدة بن عامر) إلى بسط سلطتها على مناطق واسعة من شبه الجزيرة العربيَّة حوالي سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م، فامتدَّت إلى البحرين وعمَّان وحضرموت واليمن، ولم يعد وجودهم بذلك محصوراً في مناطق ضيِّقة أو داخل مواقع منزلة. وقد أهلوا لاحقاً مبدأ التنظُّف الذي اعتمدته الأزارقة، وقالوا إنَّ الخطأ لا يُفقد السلام صفته «المؤمن» إلا إذا تكزَّر، كما نبذوا فكرة «القتل باسم الدين». أمَّا الصغريُّون من الخوارج، فيبدو أنَّهم لم يسيطروا سلطتهم على رقعة جغرافيَّة معيَّنة - ونعلم القليل عن نشاطهم الفعلي - لكنَّهم لفتوا، هم أيضاً، مسألة إخراج مرتكب الخطأ من جماعة المؤمنين، إذ ميَّزوا في الأخطاء بين كبائرهما وصغائرهما.

المقاطعات الشرقية يناقض الركود الاقتصادي الذي تنصّف به المساحات المجففة في قرة كلباكي، كما في خيوه.

❖ رابع المستندات ٨، ١٢، ١٣، ١٧، ٢٣.

الخوارزمشاهيون (ملوك خوارزم)، إسم لسلالات حكمت في العصور الوسطى خوارزم. ونُسَم أشهر أفرادها السلطة في أواخر القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، وأصبحوا، عشية الغزو المغولي، أسياذ أقوى أمبراطورية في الشرق.

فالسالة الأولى عُرفت باسم «الأفرغيين» واستقرت في كات، وكان أفرادها حكام المنطقة في زمن الفتوحات العربية-الإسلامية. وبعد اعترافهم بسلطة الخليفة، خضعوا لحكم السامانيين في مطلع القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد. وهذه السلالة لم تعتن الإسلام إلا في أوائل القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد.

والسلالة الثانية عُرفت باسم «المامونيين»، (آل مامون)، وكان أفرادها في البداية أمراء «كُركايج» أو «الجرجانية». وقد حكموا بين سنتي ٣٨٥ و٤٠٨هـ/ ٩٩٥ و١٠١٧م. تحققت لهم شهرة واسعة تمتعت بها العاصمة على الأخضر، وغدا بلاطهم ملقى رجال الفكر من أمثال ابن سينا والبيروني.

والسلالة الثالثة حكمت أيضًا مدة قصيرة (٤٠٨ - ٤٣٢هـ/ ١٠١٧-١٠٤١م)، بعد حملات محمود الغزنوي الناجحة على خوارزم. فقد عيّن محمود أسرة من الحكّام عملوا من أجل الاستقلال، وتشمل هذه السلالة المملوك الغزنوي «ألتون تاش» وولديه.

أمّا السلالة الرابعة والأخيرة فقد امتد حكمها بين سنتي ٤٧٠ و٦٣٠هـ/ ١٠٧٧ و١٢٣١م، وقامت بعدما ضمّ سلاجقة إيران البلاد إلى ملكهم، في حدود سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م. ففي سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، عيّن السلطان «ملكشاه» أحد مماليكه المدعو «أنوشكين» حاكمًا على تلك المقاطعة. وفي سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م، أعلن ونّذه قطب الدين محمد ملكًا على خوارزم (خوارزمشاه). فكان تابعًا أمينًا لسنجر. ونبتى ولده أئسر السياسة عنها، كما نجح في بسط سلطته على

للميلاد، اعتنق أسياذ خوارزم الإسلام، واعتزوا بسيادة السامانيين المسلمين حكام بلاد ما وراء النهر، قبل أن يدرهم الغزنويون الذين تركوا، بعد ذلك، مكانهم للسلاجقة. على أثر ذلك زالت الثقافة الإيرانية أمام تدفق الأتراك وانتشار لغتهم. وقد أسس الحكّام الأتراك الذين عيّنهم السلاجقة على خوارزم دولة مستقلة، سرعان ما أصبحت سيّدة أمبراطورية واسعة امتدّت على الشرق كله، وقد اشتهر من حكامها الملك «نكاش».

بعد غزوات المغول سنة ٦١٨هـ/ ١٢١٢م، وعلى الرغم من الخراب الذي تسببت به، عادت خوارزم إلى غناها السابق بفضل النشاط التجاري عبر طرقها التي تربط المناطق الخاضعة للإيلخانيين بالمناطق الخاضعة لخانات القبيلة الذهبية. وقد بقيت مركزًا ثقافيًا يلتقي فيه رجال الفكر والأدب وتتكاثر فيه الأبنية.

وقد لبّت تفرّج خوارزم الاقتصادي على بلاد ما وراء النهر والسغد بفضل كثافة الحركة التجارية. كما غيرت القوازل طرقها بعد غزوات تیمورلنك، فاختارت طرقًا أخرى جاءت لصالح سمرقند.

وبدأت خوارزم مرحلة ضعف لم يحاول لا تیموريو ما وراء النهر ولا تیموريو خراسان إيقافها. واستمرّ الوضع على حاله بعد القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، عندما سيطر الأوزبك الشيانيون على آسيا الوسطى. وإذا كان أحد فروع هذه السلالة الحاكمة قد جعل من مدينة خيوه عاصمة له في القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد، وأعطى بعض الاعتبار إلى المنطقة التي حملت اسم خانية خيوه، فإنّ هذا الاعتبار كان لإمارة بدويّة بقيت بعيدة عن طرق المواصلات التي كانت تنمّش العالم الإسلامي. فالخرائب المؤرّعة في هذه المنطقة التي تحوّلت إلى صحراء تنتشر في أرض كانت من قبل مروية وخصبة، مزدحمة بالمدن والبلدات. وليس من المصادفات أن تكثّر فيها حاليًا الأماكن الأثرية التي بفضلها نستطيع التعرف إلى أُمجاد خوارزم الغابرة. والواقع أنّ الإحتلال الروسي في أواخر القرن التاسع عشر أبقي على عدم التوازن الذي كان قائمًا بين النصف الشرقي والنصف الغربي لمنطقة تواجد الأوزبك التابعة جزئيًا لجمهورية أوزبكستان الحالية، إذ إنّ تطوّر

الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى (١٦٤-١٢٣٦م) / ٧٨٠-٨٥٠م)، يُعرف في اللاتينية باسم «الغوريسموس» (Algorismus)، رياضي وفلكي أدخل إلى العالم الإسلامي طرق الحساب الخاصة بالهندسة اللامعدارية الهندية، ووضع أبحاثاً مهمة ساعدت على تقدّم العلوم في أوروبا خلال القرون الوسطى.

لم تصلنا التفاصيل الواضحة المتعلقة بحياة هذا الرجل، وما نعرفه عنه أنّه عمل في بغداد، في بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة العباسي المأمون. ويجب ألا نخلط بينه وبين خوارزمي آخر، هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الذي عاش بعد مرور قرن في بلاط السامانيين ووضع للكتاب ملخصاً بعنوان «مفاتيح العلوم».

والخوارزمي هو أوّل من وضع نظرية الجبر في بحث عنوانه «الجبر والمقابلة». وانتشر البحث بعد ذلك في أوروبا خلال القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، بفضل عدد من المترجمين منهم جيرار دي كريمونا؛ كما ألف أبو جعفر الخوارزمي كتاباً مهماً في الحساب هو «كتاب حساب العدد الهندي». وقد قدّم النص العربي الأصلي، لكن يوحنا الأشبيلي (Jean de Séville) كان قد نقله، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أيضاً، إلى اللاتينية بعنوان «كتاب الخوارزمي» (Liber alchoarismi). والبحث التطبيقي في العمليات التي تجري بحسب طريقة العدّ اللفظي، بفضل استعمال العدد «صفر»، ترافق مع الأبحاث حول الأعداد الكسرية، ولا سيّما الكسور الستينية التي يُستعان بها في علم الفلك. والمعطيات التي تجمعت وتابعت الرياضيون المسلمون تطويرها، كانت في أساس قواعد الحساب التي انطلق فيها الأوروبيون.

واستعان الغرب الأوروبي بالجدول الفلكية بعد أن نقلها «أديلارد دي باث» (Adélaard de Bath) إلى اللاتينية، وتُعرف بالعربية تحت إسم «زيج السند هند» والعناصر المكوّنة لهذه الزيج أخذها الخوارزمي عن غيره من الرياضيين. والشهرة التي يشهد عليها المترجمون اللاتين لم تمتد إلى الكتاب الذي وضعه الخوارزمي في الجغرافيا بعنوان «كتاب صورة الأرض». ثم إننا لا نملك التصوص التي وضعها ذلك

التركيان المجاورين. وبعد موت سنجر سنة ١١٥٢م/١١٥٧م، أصبح ملوك خوارزم أكثر حرية، وكانوا قبل ذلك قد حسّنوا علاقتهم مع «الفرخاني» حكام الشمال، لا سيّما في عهد الملك «نكاش» وولده محمود. وقد توصّل هذان الملكان إلى احتلال خراسان وانقسم الأكبر من إيران بعد انتصارهما على الغوريين وعلى آخر السلاجقة، وحصلتا بدورهما من الخليفة على لقب سلطان. بعد ذلك، كانت نهاية تلك السلالة مع تأثير جلال الدين منكوبتي الملحمة، وذلك بظهور المغول على المسرح السياسي في إيران.

المأمونيون

أبو علي مأمون الأول ٣٨٢-٣٨٧/٩٩٧-٩٩٧م
أبو الحسن علي ٣٨٧-٣٩٧/١٠٠٩-١٠٠٩م
أبو العباس مأمون الثاني ٤٠٠-٤٠٨/١٠١٧-١٠١٧م
أبو الحارث محمد ٤٠٨-٤١٧/١٠١٧-١٠١٧م

الحكام الغزنويون

ألتون ناش ٤٠٨-٤٢٣/١٠١٧-١٠٣٢م
هارون بن ألتون ناش ٤٢٣-٤٢٥/١٠٣٢-١٠٣٤م
إسماعيل خندان بن ألتوناش ٤٢٥-٤٣٢/١٠٣٤-١٠٣٤م

ملوك خوارزم (الخوارزمشاهيون) الكبار

أنوشكين غرشاني ٤٧٠-٤٩٠/١٠٧٧-١٠٩٧م
نقط الدين محمد ٤٩٠-٥٢١/١٠٩٧-١١٢٧م
علاء الدين أرتغر ٥٢١-٥٥١/١١٢٧-١١٥٦م
إيل أرسلان ٥٥١-٥٦٧/١١٥٦-١١٧٢م
علاء الدين نكاش ٥٦٧-٥٩٦/١١٧٢-١٢٠٠م
علاء الدين محمد ٥٩٦-٦١٧/١٢٠٠-١٢٢٠م
جلال الدين منكوبتي أو منشورنو ٦١٧-٦٢٨/١٢٢٠-١٢٣١م
راجع المستند رقم ١٧.

الخوارزمي، رياضي وفلكي ساهم، خلال القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، في شهرة بيت الحكمة الذي أسسه الخليفة العباسي المأمون.

ذُكر اسمه في الترجمات اللاتينية الشهيرة لمؤلفاته، لكنه حُرف غير مرّة، إلى أن أعطى لفظاً فرنسياً Algorithmic يشير إلى طرق الحسابات الهندية الأصل، ثم غدا تعبيراً واسعاً عن نهج معين في علم الرياضيات.

الفلكي حول التقويم اليهودي وحول بعض الآلات كالإسفرلاب والساعة الشمسية.

خَوَانْدَمِير، غياث الدين (٨٨٠-٩٤٢هـ/١٤٧٥-١٥٣٦م)، مؤرخ فارسي، شهد غزو الصفويين لخراسان، وفي أواخر حياته دخل في خدمة بابر مؤسس سلالة المغول.

ولد خواندمير في هراة في أسرة من العلماء، فرعاه مير علي شير نوائي، لذا قدّم له أعماله الأولى. ثم دخل في خدمة أحد الأمراء التيموريين، وعاصر غزو الأوزبكيين للمملكة التي تركها تيمورلنك، وذلك في حدود سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م، كما عاصر سقوط هراة بأيدي الصفويين سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م. وبعد أن اعتزل الناس مدة من الزمن، انتقل إلى الهند سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م ودخل في خدمة بابر، ثم في خدمة ولده همايون، إلى أن توفي في دلهي ودُفن فيها.

إن أهم ما يميّز أعمال هذا الكاتب الكثير الإنتاج هو أنّها ذات طابع تاريخي، إذ سجل أحداثاً كان شاهداً عليها: غزو الأوزبك، توسع الصفويين شرقي إيران، حياة بابر وإنجازاته. كما ترك مصقاً في الحكيم السياسية، وآخر حول حياة مشاهير الوزراء، وأيضاً ملخصاً في التاريخ العام فيه وصف لمدينة هراة، ومؤلفاً في التاريخ العام أيضاً ينتهي مع أواخر ملك الشاه إسماعيل الأوّل، وهو بعنوان «حبيب السير»، وفيه العديد من التراجم ومجموعة أخبار عن حياة بابر.

خُوجَا، اسم يُطلق على مجموعة من المسلمين الشيعة غربيّ الهند، تشمل، على الأخص، الإسماعيليين الذين ينتمون إلى النزاريّة، وقد انتشروا على شواطئ المحيط الهندي الأفريقيّة، وبخاصة في كينيا وتنزانيا.

وكان الخوجا في البداية يشكلون طبقة هندوسية مغلقة، ولا تعرف الظروف التي حملتهم على اعتناق الإسلام، لغياب الدلائل التاريخية على ذلك. ومنذ القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، وبالتحديد بعد سقوط حصن أَلُوت، عرفت منطقاً السند وعُجرات مجموعات من الدعاة الإسماعيليين البجد الذين عملوا في أوساط كان المستعبدون قد بلغوها. ويبدو أنّ نشاط

الخوجا الأوائل قد ارتبط بنشاط بعض المتصوّفين المنتمين إلى الفرقة السُهروردية، وأنّ القسم الأكبر منهم أظهر طاعته للأغا خان. وأبداء من القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، نفّز من الخوجا عدد من الشيع الخاصة بقدّس بعضها مؤسّسها، منها فرقة «الشمسية»، وفرقة «الإمامشاهية» المتأثرة بالهندوسية والمعروفة أيضاً باسم الـ «سُنيّيس». وقد نجّم الخوجا في مؤسّسة قويّة هي «جماعة خان»، مع الإشارة إلى أنّ عاداتهم وتقاليدهم ابتعدت عن الفقه الفاطمي القديم الذي حافظت عليه جماعة «الهُهرة».

في القرن التاسع عشر، ارتبط الخوجا بالأغا خان حسن علي شاه، وجعلوا من مدينة بومباي مقرّ نشاطهم الديني، على الرغم من أنّ قسماً كبيراً منهم، نتيجةً للنشاط التجاري القائم بين الهند وأفريقيا الشرقية السوداء، انتقل إلى جزيرة زنجبار، وإلى المناطق الأفريقية المجاورة حيث يزيد عددهم باطراد.

خوجندا ← طاجكستان.

خوزستان، مقاطعة تقع إلى الجنوب الغربي من إيران، وقد حافظت على اسمها حتى اليوم، بالرغم من كونها حملت مدة اسم عربستان.

هذه المقاطعة التي تنحصر اليوم بين جبال زاغروس والخليج العربي - الفارسي وتمتدّ على طول الحدود مع الجمهورية العراقية، تتكوّن من سهل غنيّ بالظلمّي الذي تركه نهر «دجيل»، وهو سهل ذو مناخ خائف عُرف قديماً باسم «شوشيانا». وفي سنة ١٩هـ/٦٤٠م، دخلتها الجيوش العربية-الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى. وقد عانت المنطقة مع عاصمتها من ثورة الزنج التي اندلعت في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد. ومن مدينتها المعروفة: شُشُر، جُذُول، شوش وعُشكر مكرم، وهاتان الأخيرتان هما اليوم خراب تحوي آثاراً مهمّة. في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، وقعت خوزستان في أيدي أسرة من الأمراء العرب الشيعة، وهي أسرة «شُشُغ» التي استقلت مدة سبعين سنة. ثم خضعت، سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م، للشاه إسماعيل الأوّل الصفوي، واستمرّ أبناؤها في الحكم على الرغم

خير الدين خضر باشا الملقب بـ «بزنوسا» (٨٧١-٩٥٣هـ/١٤٦٦-١٥٤٦م)، الأميرال الكبير، أو «كابودان» باشا، في البحرية العثمانية، توصل بأعمال القرصنة التي اتبعها إلى أن يصبح أحد أبطال معارك المتوسط. وقد احتل مقاطعة الجزائر وقدمها للسلطان سليم الأول وسليمان القانوني.

بدأ مغامراته البحرية الطويلة في ظل أخيه «غروج» الذي استولى على مدينة الجزائر سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م تلبية لرغبة أبائهما، والذي توفي سنة ١٥١٨. وتجدر الإشارة إلى أن أعمال خير الدين لاقت نجاحاً متواصلاً على الصعيدين الحربي والدبلوماسي. ومن أهم ما قام به تخلي عن الجزائر وجعلها تابعة رسمياً للسلطة العثمانية سنة ١٥٢٠. والمعارك الكثيرة التي خاضها، بحراً وبراً، غازياً شواطئ الأعداء ومدافعاً عن الجزائر، أدت إلى توسيع المناطق العثمانية في تونس وجزر اليونان. آت مواجهته لشارلكان فأرغمته على التخلي لهذا الأخير عن تونس سنة ١٥٣٥، لكن ذلك لم يمنعه من خدمة التحالف الذي قام بين السلطان سليمان وفرنسا الأول ومن أجل ذلك كان عليه أن يتخذ عدداً من المهمات آخرها سنة ١٥٤٣، أدت إلى التعاون مع الأسطول الفرنسي في الحوض الغربي للمتوسط.

وانطلاقاً من سنة ١٥٣٤، غدا خير الدين مسؤولاً عن البحرية العثمانية، فكلف بالإشراف على بناء السفن وتجهيزها كي تستطيع تلبية طموحات السلطنة. وقامت بتحقيق بفضلها سيطرة بحرية تركية استمرت حوالي ثلاثين سنة. هذا النجاح الشخصي للأميرال الكبير إضافة إلى شهرته المتزايدة التي حققتها انتصاراته البحرية المتلاحقة، أدت له إلى الترقية وجعله محظاً واحداً وتكريم في عاصمة السلطنة. يشهد على ذلك، حتى يومنا، في اسطنبول، ضريحه الذي أقامه المهندس المشهور سنان، وكذلك المؤسسات الخيرية التي تحمل اسمه في حي «بشككاس»، منها مسجد ومدرسة. وظلت السلطات العثمانية مدة من الزمن تحيي ذكرى الأميرال الكبير في كل مرة يُمن فيها أميرال جديد للأسطول وعند كل انطلاق رسمي واحتفالي لهذا الأسطول.

الخيزران بنت عطاء (١٧٣-٩٠٤هـ/١٧٨٩-٩٠٤م)، زوجة

من التغلّبات المتنوعة. وبعد أن احتل العثمانيون المقاطعة مدة قصيرة، انتقلت المنطقة إلى سلطة نادر شاه سنة ١٧٢٩م، فخضع له الحكام، ولكنهم تخلوا تدريجياً عن الحكم لمصلحة أسر عربية أخرى، منها بنو كعب وبنو لام، وبقي سكان المقاطعة خليطاً من العرب والإيرانيين.

وأشتهرت خوزستان بكونها منطقة غنية بالثمر، وقصب السكر والنسج. وتشهد اليوم، على الرغم من النزاعات المسلحة، إزدهاراً تحقّق بفضل حقولها النفطية. وقد تميّزت، قبل وقوع الخراب فيها، بمصفاة عبادان، ومرافأ جزيرة خرج (خاكن) المعدّة لاستقبال ناقلات البترول، وسدّ «إيز» الذي أنشئ سنة ١٩٦٢، وبالطّور الصناعي الذي عرفه مرافأ خُرمشهر. راجع المستندين ١٢ و١٧.

خَيْر (المملكة العربية السعودية)، واحة في الحجاز، تقع على بعد نحو مئة وخمسين كيلومتراً شمالي المدينة المنورة، وقد أدت دوراً مهماً في بدايات الإسلام.

كانت قبائل من اليهود ومن العرب المتهودين تسكن تلك الواحة. فأراد النبي محمد (ﷺ) إخضاعها لسلطته لأنه كان يحذر سكّانها. وبعد أسابيع عدة من المناوشات، استسلم اليهود وطلبوا عقد صلح، فأعطوا ما طلبوه. وقَرَّرَ نبي المسلمين (ﷺ) أن يُبقي لهم أراضيهم الزراعية شرط أن يؤدّوا، في المقابل، نصف محاصيلهم. هذا القرار فسّره الفقهاء، بعد ذلك، على أنه إعطاء اليهود عقد مزارعة والإعتراف بوصفهم كسركاء، كما اعتُبر من الأسس التي بُنيت عليها نظرية الجزية.

في سنة ٦٤٢/٢١هـ، وضع الخليفة الراشدي الثاني، عمر بن الخطاب، نهاية لهذا الوضع، فقرّر طرد اليهود من الجزيرة العربية. لذلك انتزع منهم ممتلكاتهم في الواحة، وقسم الأرض بين المسلمين. ويبدو، من خلال بعض الشهادات، أن بعض اليهود رجعوا بعد ذلك إلى خير. في مطلع القرن العشرين، كانت الواحة تابعة للشريف حسين ملك الحجاز وشريف مكة. إلّا أن الأمير عبد العزيز بن سعود احتلّها سنة ١٩٢٢، ووضع المنطقة تحت سلطة آل سعود.

الخليفة العباسي المهدي، اشتهرت في كونها أم الخليفة هارون الرشيد.

هي في الأساس جارية بمعنى أعتقت، ثم تزوجها المهدي فأنجبت له ولدين: موسى الذي أصبح الخليفة الهادي، وهارون الذي أصبح الخليفة الرشيد. يُقال إنها أرضعت الفضل برمكي، في حين أنّ أم هذا الأخير أرضعت هارون، ما أوجد قرابة الرضاعة أو «قرابة اللبن» بينها وبين الفضل الذي أصبح وزير الرشيد. وخلال خلافة المهدي نجحت الخيزران بجعل ولاية العهد في ولديها، موسى ثم هارون، وذلك على حساب أبناء زوجة المهدي الهاشمية. وكانت تفضل أن تكون الولاية في هارون، أولاً، لكنّ مساعيها لم تكفل بالنجاح. وعندما استخلف موسى واتخذ اسم الهادي، منع أمّه من الاهتمام بشؤون الدولة، وعمد إلى سجن أخيه الذي كان يخذله، وإلى سجن مربيته يحيى برمكي. ولم ينجُ السجينان من الموت إلا بعد تدخل الخيزران وموت موسى الهادي الفجائي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. وقد أثار هذا الموت الكثير من الشكوك لدى عدد كبير من المؤرخين قديماً وحديثاً.

في السنوات الثلاث الأولى من خلافة ولدها الثاني، إهتمت الخيزران بإدارة شؤون الدولة، بمساندة يحيى برمكي. فكانت بذلك من النساء القلائل اللواتي أدّين دوراً سياسياً مهماً خلال العصر العباسي الذهبي.

في خيوة (جمهورية أوزبكستان)، مدينة مهمة من مدن «الخانية» التي تحمل الاسم عنه، كانت بين القرنين السابع عشر والعشرين آخر عاصمة لمقاطعة خوارزم القروسطية.

تقع المدينة على الضفة الغربية لنهر «آمودرياه»، ولا نعرف الكثير عن تاريخها القديم. لكن الجغرافيين العرب عرفوها في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وكانت داخل المنطقة الخاضعة لإشراف

هذه الحاضرة التي ارتبط مصيرها بمصير تلك الامارة المستقلة، والتي تحميها صحارى قره قوم وقزل قوم، عرفت كيف تحافظ، في واحةها، على فريدة ثقافية وفنية أكثر وضوحاً منها في المناطق الأخرى من بلاد ما وراء النهر، خصوصاً في فنّ الحفر على الخشب. وعلى هذه الفريدة، تشهد مجموعة أبنية شُيّدت أكثرها في القرن التاسع عشر، كالمساجد والقصور والدور الفنية ذات الإيوانات والأزوقة المكسوة بالزخارف الخزفية التي ما تزال اليوم تحافظ على رونقها. لكن العزلة التي سمحت لخانية خيوة بالاحتفاظ بأمرائها المحليين، على الرغم من الاضطرابات التي سببتها في المنطقة طموحات الإيرانيين والتركمان ثم الروس، لم تمنع هؤلاء من أن يُخضعوا خيوة لحكمهم سنة ١٨٧٣ وأن يجعلوا من آخر خان تابعاً لقيصر روسيا، قبل أن يحملوه على الاستقالة سنة ١٩٢٠. وفي سنة ١٩٢٤ توّعت أراضي جمهورية خوارزم الشعبية كلّ من الجمهوريتين الاشتراكيتين السوفييتيتين، أوزبكستان وتركمانستان، اللتين أصبحتا اليوم مستقلّتين. أما خيوة فلم تعد تؤدّي سوى دور ثانوي كمركز إداري للمقاطعة، وظلّت بعيدة عن الإزدهار الذي سجلته مناطق أخرى في آسيا الوسطى.

◀ راجع المستند رقم ٣٥.

بتمكّن أني موقع إسلامي من النمو، بعد أن دمر هؤلاء البرتغاليون أنفسهم، في القرن الخامس عشر، هذه المنطقة التي كانت وكراً للقراصنة ومركزاً لبني مبرين حيث كان يقوم في السابق مرقاً أنفاً.

مع حلول منتصف القرن التاسع عشر، قامت في هذا المركز الدفاعي، بترخيص سلطاني، أول نواة تجارية كان أكثر المقيمين فيها أجانب غير مسلمين. وكان وجود هؤلاء أحد أسباب الأحداث التي أدت إلى بسط الحماية الفرنسية على المغرب عام ١٩١٢. وابتداء من هذا التاريخ، لم يتوقف ازدهار هذه المدينة التي كانت في أوج انطلاقها، إذ كانت تسكنها جالية أوروبية مهمة، والتي تم اختيارها باكراً لإقامة مرفأ كبير وحديث سمع بتكاثر المصانع، وجعل من الدار البيضاء مركز الاستقطاب الاقتصادي الأساسي في المغرب حالياً. والدار البيضاء هي أيضاً المدينة التي شيد فيها مؤخرًا، بمبادرة ملكية، مسجد جامع وفخم.

دار الإسلام، تشير يشير إلى مجموعة البلدان الخاضعة للشريعة، مقابل «دار الحرب» المعرضة للجهاد، ومقابل «دار الصلح» أيضاً وهي التي، في رأي بعض الفقهاء، قادرة على أن تشتري الصلح والسلام عن طريق المعاهدة أو دفع الجزية.

ومفهوم «دار الإسلام» لم يرق، داخل حدود خارجية متغيرة، إلا على وحدة العقيدة وعلى التقيد بالشريعة على الصعيدين الديني والاجتماعي. وجاء تطبيقه مضطرباً داخل عدد من البلدان الإسلامية التي تنازعتها تيارات مختلفة، ولم يترافق مع فكرة الصلح والسلام بين الدول الإسلامية نفسها. وجاء تطبيقه، من جهة أخرى، ملازماً للتغيرات التي عرفها، عبر العصور

دايق (معركة مرج دايق)، رجب ٩٢٢هـ/ آب-أغسطس ١٥١٦م، انتصار حققه العثمانيون على المماليك، وأوسع أمامهم في المجال لدخول سوريا ومصر.

هذه الهزيمة الدموية أنزلها السلطان سليم الأول بالمماليك، بفضل تفوق مدفعيته على الفرق الخيالة الخيرية بفن الفروسية التي كان يفودها السلطان قانصوه الغوري بنفسه. وكانت نتيجة المعركة سقوط السلطنة المملوكية واحتلال العثمانيين سوريا ومصر. وكان موقع المعركة في مركز إستراتيجي، في مرج يقع شمال سوريا، غير بعيد عن حلب، قرب محلّة دايق التي اشتهرت من قبل، بكونها جعلت مركز تجمع الجيوش الإسلامية في عهد الفتوحات الكبرى، وقد توجّهت هذه الفتوحات نحو المناطق البيزنطية في زمن الأمويين والعباسيين الأوائل. وفي دايق مات الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م، حيث كان يقم بمسكوه، وفي تلك المحلّة دفن. كما نُصّب فيها ابن عمه الخليفة عمر بن عبد العزيز.

«راجع المسند رقم ٩»

الدار البيضاء أو كازابلانكا (Casablanca)

(المملكة المغربية)، تُسمى الدار البيضاء بالعربية، وهي ترجمة للاسم البرتغالي الذي أطلق في البدء على مدينة أنفا القديمة. وهي مدينة مرفئية على ساحل المحيط الأطلسي، جعل منها ازدهارها التجاري والصناعي حالاً المدينة الأكثر حركة والأكثر كثافة سكانية في البلاد.

في أوائل عهدها، كانت هذه المدينة - التي أسسها في القرن الثامن عشر سلطان من السلالة العلوية - موقفاً محصناً: فقد بُنيت لحماية الحدود البحرية بين الرباط والجديدة (مُرُغان) من هجمات البرتغاليين. إذ لم

دار لصناعة السفن على مجرى النيل، في جزيرة «الروضة» قرب القسطاط، ثم أُنشئت دور أخرى زمن الفاطميين. وقد خسرت تلك الدور أهميتها مع المماليك لأن هؤلاء قلما حاولوا القيام بحملات بحرية في حروبهم؛ على كل حال لم يُكتب لمحاولاتهم النجاح. وقامت أيضا مؤسسات مماثلة، في أواخر القرون الوسطى، في الغرب الأفريقي الإسلامي، في تونس في إفريقية، وفي ستة وطنجة في المغرب الأقصى. وعرفت بلاد الأندلس، على الأخص في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، دورا لصناعة مشهورة، أقدمها دار إشبيلية، وأهمها دار ألمرية، وهي مدينة مرفئية تأسست في عهد أموي قرطبة، من غير أن ننسى دور دانية والجزيرة. وإذا كان المسلمون قد خسروا دور الصناعة في شبه الجزيرة الإيبيرية، مع حروب الاسترداد، فإن دور أفريقيا تجدد نشاطها مع انتشار حركة القرصنة. التي أصبحت النشاط الأساسي لمراة إفريقية والمغرب المتوسطية. لكنها لم تستطع منافسة مراكز البناء والصيانة التي أقامها العثمانيون في الشرق، خصوصا في «غليبولي» واسطنبول. وقد بلغت قمة نشاطها وازدهارها في عهد سليمان القانوني، قبل أن يمسي مصيرها بعد ذلك كمصير سائر المؤسسات العسكرية في إمبراطورية سائرة إلى الزوال.

دار العلم ← المكتبات.

دار الهجرة ← دار الإسلام.

دارفور، مقاطعة حالية في جمهورية السودان المعاصرة، في أفريقيا الشرقية السوداء، تمتد على طول الحدود الفاصلة بين السودان من جهة، وجمهورية تشاد والجمهورية العربية الليبية من جهة ثانية.

هذه المنطقة البركانية كانت تتشكل من قبل فسمًا من السودان المعروف في القرون الوسطى، وهي تملو هضبات «كروغان» انطلاقًا من سلسلة جبالها الوسطى المرتفعة. وقد كان لها دورها الإستراتيجي، بحكم وجودها على طرق القوافل القديمة التي كانت تربط أفريقيا الساحلية الغربية بمصر وليبيا في الشمال، وبلاد النيل العليا التي تنفتح على البحر الأحمر لتصل إلى شبه

وبحسب الأمكنة، مفهوم الجهاد الذي تكيف مع ظروف سياسية مختلفة للغاية. إن المعنى الضيق لدار الإسلام، في نظر أفراد بعض الجماعات المسلحة، كما في نظر المنتسبين إلى بعض البدع، يجعلها تتطابق مع مساحة المنطقة التي استولوا عليها بقوة السلاح واستقروا فيها. إنها «دار الهجرة» التي أقاموا فيها دولتهم وجمعوا مقاتليهم مستوحين الخطط التي اعتمدها النبي محمد (ﷺ) لدى إقامته في المدينة بعد الهجرة. هذه هي في نظرهم «دار الإسلام» الحقيقية.

دار الصناعة، اسم أطلق في العصور الإسلامية الأولى على المؤسسة التي تهتم ببناء السفن الحربية وترميمها وإعدادها تلبية لحاجات الأساطيل الحربية في تلك الحقبة.

فيعد التوسع البري الذي تم مع فتوحات القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، بدأ المسلمون يهتمون بالملاحة البحرية وبالسفن الحربية، فأنشأوا مراكز لإعداد هذه السفن وتجهيزها، بخاصة داخل مراة المتوسط الشرقي، من أجل مواجهة البيزنطيين. ويعود الفضل في إنشاء أولى هذه الدور إلى الخليفة الأموي الأول معاوية الذي جهز في عكا حوضًا لبناء المراكب سنة ٦٢٨هـ/٦٤٩م، ثم نقل الدار إلى صور لوجود حوض محصن فيها. وفتح حوض عكا مجددًا في عهد الخليفة العباسي المتوكل، وحسنه ابن طولون بعد ذلك، كما تأسس على ساحل طرسوس حوض مهم بقي، حتى سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، مركز انطلاق الحملات البرية والبحرية ضد بيزنطة. وقد أزيلت دور الصناعة تلك في عهد الصليبيين، ولم يهتم المماليك بترميمها لاحقًا، لأنهم ركزوا اهتمامهم على التحصينات البرية وأهملوا المراة البحرية. إلا أن السلاجقة أنشأوا، بعد ذلك، دارًا للصناعة في «العلاية»، «علايا» الحالية.

وفي مصر وُجدت قديمًا دار لصناعة في الأقلام تُشرف على البحرين الأحمر والمتوسط في آني معًا، وأُنشئت أحواض محصنة مجهزة لصيانة السفن عند مصبات نهر النيل، في الإسكندرية والرشيد ودمياط، بنوع خاص على عهد الخليفة العباسي المتوكل. وفي القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، كانت قد تأسست

الجزيرة العربية ومواقع الحج.

الفدرالي، هما «كلموكيا وتشيشنيا»، ومع جمهوريتين أخريين مستقلتين من منطقة ما وراء القوقاز، هما جورجيا وأذربيجان. وعدم التجانس الحالي في اللغة والأجناس يعكس التقييد الذي شاب تاريخ داغستان في القرون الوسطى. وهذا التاريخ يبدأ مع استيلاء الأمويين، في مطلع القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، على مقاطعة شيروان الساحلية المجاورة لداغستان، وعلى منطقة باب الأبواب حيث تقع اليوم مدينة دربند، ثاني أكبر مدينة في البلاد.

هذه المنطقة الأخيرة بقيت، مدة طويلة، تعتبر الحد الأقصى للسيطرة العباسية الإسلامية على بلاد ذات طابع مسيحي، وتابعة في القسم الأكبر منها لأمبراطورية الخزر، وقد أدى انهيار تلك الأمبراطورية في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد إلى حالة من الفوضى عشت البلاد. وفي ما بعد، لم تساعد السيطرة السلجوقية، في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، ولا توسع أمبراطورية الإيلخانيين في مناطق ما وراء القوقاز على تقدم الإسلام وراء «دربند» التي كانت تابعة آنذاك لخانات القبيلة الذهبية. ولم تتبدل الأوضاع إلا بعد وصول قبائل تركية دخلت مع حملات تيمورلنك، بين سنتي ١٣٩٥ و ١٣٩٦م.

تقدم الإسلام بشكل محسوس في داغستان بين سنتي ١٤٦١ و ١٦٠٦م، إثر الاحتلال العسكري العثماني. وقد قامت إثر ذلك إمارات تركية اندلعت بينها خلافات دامية. قامت الثقافة العربية - الإسلامية التي أرسيت بفضل الجهاد على قواعد حنيفة قوية، استغيت من المدرسة الفقهية المسيطرة لدى العثمانيين، وازدادت قوة مع تولي النقشبندية في البلاد خلال القرن الثامن عشر. ثم إن الحروب التي اشتعلت لاحقاً بين الفرس الصفويين والأمبراطورية العثمانية، ثم مع روسيا، ساعدت هذه الدول على تثبيت سيطرتها على عدد من القبائل المتنازعة التي تقاسمت مناطق النفوذ. ثم كانت معاهدة غلبستان سنة ١٨١٣ التي تركت الساحة حرة للأطماع الروسية.

ولم تكن المهمة الروسية وممارستها تنمّر من دون أن تثير مقاومة إسلامية محلّية ذات طابع ديني شعبي. وقد

وقبائل «قور» التي أعطت اسمها لتلك المنطقة مارست سلطة مستقلة قوية فيها، من دون أن تمنع الهجرات العربية المتأخرة التي حملت معها الإسلام. وانطلاقاً من القرن السابع عشر، تركّزت فيها سلالة من السلاطين المسلمين، زعموا أنهم من أصل عربي عريق، ونشروا ثقافة إسلامية نقلها دعاة صوفيون وفدوا من الشرق وعُرفوا باسم «الفقهاء». وقد قام الغني الذي حققه سلاطين دارفور على التجارة. واستمرّ قائماً إلى الوقت الذي ألحقت فيه السودان بمصر سنة ١٨٧٤، على أيدي الخديويين من ذرية محمد علي. وتبع ذلك تدخل الدولة المهدية في الخرطوم. فلم يمس إلحاف دار فور بالخرطوم من دون سلسلة اضطرابات، إلا أن السلطة المحلية تثبتت في دارفور سنة ١٨٩٨، بعد الانتصار العسكري الإنكليزي على الدولة المهدية، والتي كانت تميل إلى ربط السودان بمصر بتيّة إبعاد الخطر الفرنسي الزاحف من النشاد. وقد زالت في سنة ١٩١٦، حين أصبحت دارفور تابعة، بشكل مباشر، لنظام الخرطوم. وُسّمت حدود هذه المقاطعة مع النشاد في سنة ١٩٢٤، وأصبحت في ما بعد جزءاً من البلاد التي قامت فيها جمهورية السودان عام ١٩٥٦. ولم تُثر مسألة دارفور بعد هذا التاريخ.

داغستان (جمهورية)، مساحتها ٣٠٠ ٥٠ كلم^٢، وعاصمتها مختشكالا، إحدى الجمهوريات المستقلة ذاتياً في الاتحاد السوفياتي السابق، وهي اليوم تشكّل جزءاً من الاتحاد الروسي الفدرالي. أمّا سكانها فمن جنسيات متنوعة، ويبلغ عددهم حوالي مليوني نسمة، كما يشكل المسلمون منهم نحو ٨٥ بالمئة.

داغستان هي بلاد جبلية دخلها الإسلام في وقت متأخر، مع أنها كانت محاطة به زمناً طويلاً. وهي لم تعرف استقلالاً ذاتياً قبل القرن السادس عشر، كما أنها لم تشكل دولة إلا بعد استعمار روسي صعب استمرّ طوال القرن التاسع عشر.

تقع داغستان شمال شرقي القوقاز، وهي تضمّ منحدراته وصولاً إلى بحر قزوين، ولها حدود مشتركة مع جمهوريتين مستقلّتين ذاتياً من الاتحاد الروسي

وهي إحدى مقاطعات قوس الثلاث - خسرت أهميتها لمصلحة مدينة سُنَّان، ولم يعد لها اليوم إلا دور ثانوي، إذ تقع على الطريق التي تصل بين مشهد وطهران، وهذه الطريق نفسها أسست مهمة. وتجدر الإشارة إلى أنها كانت تشكل من قبل قسماً من طريق القوافل التي تربط العراق بسوريا وخراسان وآسيا الوسطى، كما كانت تتركز فيها، بين الرّيّ ونيسابور، الحركة التجارية في شمال إيران.

والجغرافيون العرب يتحدثون عن الازدهار الذي عرفته دَامَغَان، وعن التحصينات التي قامت فيها خلال العصور الأولى للإسلام، وكانوا يطلقون عليها إسم قوس أو مدينة قوس. وقد حافظت المدينة على المسجد الجامع الذي يعود تاريخه إلى العصر العباسي، وهو واحد من أقدم المساجد في إيران. ذلك أن بناءه يعود إلى القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد. كما حافظت على مآذن قريمية ذات زخارف هندسية، وعدد من الأضرحة تشير تواربها إلى عهد يسبق وصول السلجوقيين في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. وهناك أبنية أخرى سلجوقية، منها برج تابع لضريح يرتفع غير بعيد في محلة يَهْمَانْدُوسْت.

« راجع المستند رقم ١٠ »

الدائشَمَنْدِيُون، (٤٦٤-٥٧٣هـ/ ١٠٧١-١١٧٨م)، أسرة حاكمة انتقلت من الاجتياح التركي الأول للأناضول، في عهد سلاجقة إيران الكيار، واضطرت بعد ذلك إلى ترك السلطة تتوخد على أيدي سلاجقة الروم.

كان مؤسس الأسرة، الأمير دانشَمَنْد، أحد المعزبين من سليمان بن قُلُشُش الذي كان من أسلاف سلاجقة الروم. وبحسب مصادر متأخرة، اشتهر غازياً خلال المرحلة التي نلت معركة مانزكوت سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٧١م، والتي تركزت فيها جماعات تركية في المناطق البيزنطية التي انتقلت إلى الاسلام. وكان فارساً محارباً بكتف تاريخه الغموض، فأقام في الشمال الشرقي من الهضبة الوسطى، حول سيواس وثققات وأماسيا، دولة قوية ساعدت خلفاء المباشرين على أن يكون لهم دورهم التاريخي. وقد نجحوا في بسط

استمرت حركة المقاومة طوال القرن التاسع عشر، ووصل العنف إلى ذروته مع الثورة الجبلية الشهيرة التي قادها شامل، وامتدت من سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٨٥٩. وقد شهدت المنطقة، بعد ذلك، عدداً من الثورات والفتن، ولا سيما خلال الحروب الأهلية التي نلت الحرب العالمية الأولى. ثم تثبت بعد ذلك النظام السوفياتي بشكل نهائي في تشرين الثاني/نوفمبر من سنة ١٩٢٠، واثار ذلك أعلن، في قلب الجمهورية الاشتراكية الفدرالية لروسيا السوفياتية، الحكم الذاتي لجمهورية داغستان. وقد استمرت الجمهورية قائمة حتى زوال النظام السوفياتي سنة ١٩٩١. إلا أنها، لِمَا تمتع به من غنى زراعي وثروة بتروية، لا تجد نفسها اليوم يمتد عن النزاعات الداخلية بين شعوب القوقاز، والأتراك والروس.

داماد (مير)، أو مير محمد باقر بن شمس الدين محمد الحسيني (٩-١٠٤٠هـ/ ٩-١٦٣٠م): فقيه شيعي فارسي عاش في عصر الصفويين.

ولد في أستراباد، وهي اليوم جرجان، وتلقى علومه في مشهد على أيدي كبار العلماء. كان من المفترض أن يُعرف باسم ابن الداماد، لأن لفظة «داماد» (صهر) كانت لقباً تشريفاً منح لوالده الذي كان صهر الفقيه الشيعي علي بن الحسين، كما كان هو أيضاً فقيهاً ينتمي إلى الإمامية الاثني عشرية. غاص في العلوم الدينية المتنوعة، وشارك، بين سنتي ١٥٦٧ و ١٦٦٦م، في مناقشات نال على أثرها شهرة ومكانة مبرزين. وقد تمتع بحظوة لدى الشاه عباس الأول، وتتملذ له صدر الدين الشيرازي. ترك مؤلفات متعددة قبل وفاته في العراق قرب النجف حيث دفن. وخصص قسماً من أعماله للتبصّر في الحديث وفي أخبار الأئمة العلويين، كما تأثر بعدد من المفكرين كابن سينا والشهرزوردي، واطلع على الفلسفة الإشراقية وعلى فكر ابن العربي.

دَامَغَان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، إسم محلة غنية بالمعالم الأثرية التي تذكر بوجود مدينة إسلامية تجارية كانت عاصمة مقاطعة قُوس في العصور الوسطى.

إن هذا المركز الإداري القديم لمقاطعة دَامَغَان -

بذكرى بعيدة للازدهار الذي عرفته في القرون الوسطى، عندما كانت من أهم المرافئ الأندلسية، وتحضن رسالة.

أنها مدينة أرتميسيوم الإغريقية، ثم ديانيوم الرومانية، دخلها المسلمون سنة ٧١٣/٩٤م، خلال الفتوحات الكبرى. وقد برزت أهميتها بعد أن ضعفت الإمارة ثم الخلافة بقرطبة. وفي سنة ١٠١٤/٨٤٠م، في عهد ملوك الطوائف، وفي كنف أبي الجيش مجاهد، وهو عامري أعنه ابن المنصور، أصبحت إمارة إسلامية مزدهرة شملت جزر البليار والمنطقة من الأندلس الواقعة على حدودها الشرقية. وقد اغتنت مملكة دانية بفضل نشاطها التجاري وأعمال القرصنة. ثم وقعت في أيدي بني هود حكام سرقسطة، ثم في أيدي المرابطين. وحين جاء الموحدون جعلوا منها قاعدة انطلقوا منها لمهاجمة بني غانية في جزر البليار سنة ٥٩٩/١٢٠٢م. ثم كانت حرب الاسترداد التي انتزعت دانية نهائياً من الموحدين سنة ٦٤٢/١٢٤٤م.

« راجع المستدين ١٥ و١٦ ».

داود، شخصية توراتية يود ذكرها غير مرة في القرآن الكريم. ويعتبر داود في نظر الإسلام من الأنبياء. وعلى غرار العهد القديم، يشير القرآن إلى أن داود قتل جالوت، وهو يتكلم عنه بشأن: فهو ملك قادر على تحقيق العدالة، اختاره الله «خليفة» ليرث أسباط الأرض، وحياء المعرفة والحكمة والهيبة المنتزعة، وسلمه كتاب الزبور.

وقد أعطى المؤرخون وشارحو القرآن لاحقاً تفاصيل إضافية حول تاريخ داود، استقي بعضه من التناقل اليهودية كقصة امرأة أورثا. أما عبارة «خليفة في الأرض» (صورة ص، الآية ٢٦) فقد استعملت بعد ذلك للذين خلفوا النبي محمد (ﷺ)، وغالباً ما أخذت معنى «ممثل الله على الأرض»، وهي بذلك تجعل داود نبياً. وقليلة هي الأضرحة وأماكن الزيارة المرتبطة بذكرى داود بين تلك التي انتشرت بين المسلمين في عصر تكريم الأولياء. وعدا قبره في فلسطين ومحراب داود في القدس الذي ورد ذكره في القرآن، يكتبني الهروي في دليله بالإشارة إلى زيارت تقوية كانت تقدم، في

سلطنتهم على كندوية كلها وأصبح لهم إمارة واسعة، بعدما ضموا إليها أنقرة وقيصرية وملطية. الانتصارات التي حققوها في أعمال الجهاد حملت الخليفة العباسي، المسترشد، على منح قائدهم لقب «ملك»، وهو لقب حمله الأيوبيون لاحقاً في سوريا.

تلت تلك اللدوة نزاعات داخلية تقاسم على أثرها المتخاصمون مناطق النفوذ (تقاسم أخوة ثلاثة مدة وجيزة مدن المملكة: سيواس، ملطية وقيصرية). فغلبوا على أمرهم وأخضعوا بالتالي لقوة سلاجقة الروم الصاعدة، وقد عمد هؤلاء إلى توسيع مناطق سيطرتهم وإرساء قواعد قوية لدولتهم.

الداشمنديون في سيواس:

الملك دانشمند غازي ٤٦٣-٤٧٧/١٠٨٤م

الأمير غازي غومونكين ٤٧٧-٥٢٨/١٠٨٤م

الملك محمد ١١٣٤-١١٣٤م

الملك نظام الدين باغي بازار ٥٣٧-٥٥٩/١١٤٢م

الملك مجاهد جمال الدين غازي ٥٥٩-٥٦١/١١٦٦م

الملك شمس الدين إبراهيم ٥٦١-٥٦١/١١٦٦م

الملك شمس الدين اسماعيل ٥٦١-٥٦١/١١٦٦م

الداشمنديون في ملطية وأليستان:

عين الدين غومونكين ٥٣٥-٥٤٧/١١٥٢م

ذو القرنين ٥٤٧-٥٥٧/١١٦٢م

ناصر الدين محمد ٥٥٧-٥٥٧/١١٦٢م

فخر الدين قاسم ٥٦٥-٥٦٥/١١٧٥م

أفريدون ٥٦٧-٥٦٧/١١٧٥م

دانية (إسبانيا)، مدينة في خليج بنسبة لا نحفظ إلا

هذه الدولة على أساس عرقي، واستطاعوا، برغم المساحة الشاسعة التي شملها ملكهم، أن يتصرفوا كشيوخ قبيلة، إلى أن أزاحتهم سلالة «بُزْكَزْاي» عن الحكم.

وصلت قبيلتهم إلى السلطة - وكانت تسكن من قبل منطقة قندهار ثم هرات - بفضل انخراط أبنائها في الجيوش الفارسية، في أواخر عهد الصفويين وفي أيام نادر شاه الذي سمح لهم بالإقامة مجدداً في منطقة قندهار. وبعد موت هذا الأخير سنة ١٧٤٧م، نهض مؤسس السلالة، معتمداً على قوته الحربية، وتوج نفسه في قندهار باسم أحمد شاه دُرَي دُرَي، أو «الولادة الأولى» (ومن هنا تسمية القبيلة لاحقاً). ثم اجتاحت مناطق المغول في الهند، وكان الضعف قد تسرب إليهم، ونهب دلهي وأغرا سنة ١٧٥٧. وانتصر في معركة بانينيات سنة ١٧٦١. لكن المملكة الشاسعة التي سيطر عليها، من السند وبلوشستان وصولاً إلى البنجاب وكشمير، فضلاً عن خراسان، سرعان ما تفككت. أما ورثته الذين أقاموا في «كابل» أولاً، فحاولوا تحجّب المنافسات العائلية، ولكنهم خسروا فوّتهم تدريجياً في مغامرات حربية طائشة، حتى أنه لم يبقَ بيدهم إلا مدينة خُراة.

أحمد شاه دُرَي ١٧٤٧ - ١٧٧٣م

نيمور شاه ١٧٧٣ - ١٧٩٣

زمان شاه ١٧٩٣ - ١٨٠١

محمود شاه ١٨٠١ - ١٨٠٣، ١٨٠٩ - ١٨١٨

شاه شجاع ١٨٠٣ - ١٨٠٩، ١٨٣٩ - ١٨٤٣

عني شاه ١٨١٨ - ١٨٣٩

دُرَيْد، (الاتحاد الروسي الفدرالي)، مرفأ في داغستان على ساحل بحر قزوين، كان يُعتبر في القرون الوسطى من أهم ثغور العالم الإسلامي، يعرف بالعربية بـ «باب الأبواب».

تقع مدينة دريبد على الطرف الشرقي من جبال القوقاز، ومنه كانت تشرف على الممر الرئيسي الذي يعبر هذه الجبال، وهي ما تزال تحتفظ اليوم ببقايا تحصينات قديمة. دخلت في حكم المسلمين سنة ٨٢٣هـ/ ٦٤٣م في مرحلة الفتوحات العربية - الإسلامية

القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، التي أمكنة في سوريا الشمالية تذكر بأفراد من أسرة داود، منهم أوريا الحثي الذي كان يكتم في مقر النبي أوري في جوار قورش.

داي أو دايي، لقب تركي يحمل في الأساس معنى «العم» من جهة الأم [الخال]، كان يُطلق على ممثلي السلطان في المقاطعات المغربية التابعة للسلطنة العثمانية.

ولا نعرف متى بدأ إطلاق هذا اللقب، لكن حمله في البداية، في مقاطعة تونس، قادة ثائوتيون من الإنكشارية. ونعرف أنه، في سنة ١٥٩١، انتخب «داي» من قبل أتداده فمارس سلطة مطلقة، ولم يعد لـ «بُيُورُ لُبَاي» إلا صفة تمثيلية إسمية. إلا أنه سرعان ما اصطدم بمنافسة أحد البايات الذي كان قد عُيّن رسمياً قائداً أعلى، فاستطاع هذا الأخير، في حدود سنة ١٦١٥، أن ينال لقب باشا ويستأثر بالحكم ويؤسس سلالة وراثية.

وفي سنة ١٦٧١، عُيّن قادة القراصنة أحد البايات حاكماً على الجزائر، فألغى دور «الأغوات». ودرج قادة الجيش بعد ذلك على اختيار «داي» من صفوف الضباط. وقد مارس هؤلاء «البايات» سلطات متنوعة ومطلقة أحياناً، وذلك حتى سنة ١٨٣٠.

دُبِي - الامارات العربية المتحدة.

الدُّجَال، اسم لشخصية تنتمي إلى معتقدات أخروية في الإسلام، يرد ذكرها في الأدب الإسلامي.

يظهر الدُّجَال في أواخر الأزمنة، قبيل يوم الدين، فينشر الشر والعارمة وجيزة، إلى أن يفهر المهدي، أو عيسى، الذي ينشر العدالة فيعم الإسلام الأفطار إلى الأبد. وتجعل التقاليد مكان ظهوره عادة في «أرض الأنبياء» التي تمثلت بسوريا في القرون الوسطى. لكن هناك أماكن أخرى تشير إليها الأخبار الرُويّة التي راجت في الوسط الإسلامي، منذ القرون الوسطى، وذلك في مجال الحديث عن الدلائل والإشارات التي تكون إعلاناً للاضطراب الكبير.

الدُّرَايُون، (١٧٤٧ - ١٨٤٢م)، إسم للفرع الأول من سلالة ملوك أفغانستان الذين ساهموا بنشاط في إقامة

إلا الخراب، بسبب قسوة الانتقامات المتكررة التي نفذتها الفرق المصرية بقيادة إبراهيم باشا وحسين بك، بعدما أرسلها العشانيون لإبادة القوة العربية الجديدة الناشئة في نجد. وفي المحلة المجاورة، أقيمت مدينة الرياض التي أصبحت سنة ١٨٢٤ عاصمة المملكة العربية السعودية الثانية.

دُرْقَاوِيَّة - طريقة صوفيّة إسلامية عرفت نجاحًا كبيرًا في المغرب، أسسها الشريف الإدريسي مولاي العربي الدرقاوي (١٧٦٠-١٨٢٣م).

تلقى الشيخ الدرقاوي، في فاس، ثقافته داخل الفرقة الشاذليّة. ثم أنشأ تجمّعًا خاصًا به، وأقام، في العام ١٨٦٣ - زاويته الرئيسيّة في أنجوت، وهي لا تزال تجذب الزائرين الذين يقصدونها في مناسبة عبده السنوي. وقد كان له دور سياسي ساعده على آثابه نجاحه في أوساط البربر. والاضطرابات التي أثارها أدت به إلى السجن في المغرب في أواخر حياته، بأمر من السلطان مولاي سليمان (١٧٩٣-١٨٢٢م). والمعروف أنّ أتباع طريقته المعتدلة انتشروا في شمال المغرب وشرقه وفي غرب الجزائر.

الدروز، هم أتباع عقيدة شيعيّة النبت من الاسماعيليّة وابتعدت بعد ذلك عن الإسلام. وقد ظهرت هذه العقيدة خلال العصر الفاطمي، في بداية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، وبقيت قائمة لدى عدد من سكّان سوريا الجنوبية.

هذا المذهب الذي يتصف بالباطنيّة انظم حول الشخصية الغريبة للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، ومن هنا تسمية الحاكميين التي أعطيت لأتباعه. وفي أواخر ملك الحاكم بأمر الله عمد بعض الأتباع، بدافع من حميتهم، إلى جعله مائلا للعقل الكلّي، حتّى إنّ الغلاة منهم ألّفوه. ومن الأشخاص الذين تميّزوا في هذا الاتجاه نشكيب الدروزي (من هنا تسمية الدروز) وهو تركي، وبشّر آخر بالدعوة الاسماعيليّة هو حمزة بن علي الذي كان من أصل إيراني، وهو الذي حدّد قواعد العقيدة. وفي رأي حمزة أنّ الخليفة هو تجسيد للواحد، أي لله، والإمام، أي حمزة نفسه، يمثل العقل الكلّي. وقد وضع تنظيمًا متسلسلاً يتلاءم مع المبادئ الكونية

الكبرى، وحافظت بعد ذلك على الدور الإستراتيجي الذي كانت تؤدّيه في ظلّ الملوك الساسانيين، وقد وقفت حاجزًا أمام تدفّق الخزر من السهوب الشماليّة، وتحول الخزر بدورهم هدفًا لغزوات المسلمين بعد ذلك. وقد سقطت وأعيد احتلالها سنة ١١١٢هـ/٧٣٠م على يدي أنقاده الأمويّ شُلمة الذي قام بغزوات ناجحة في تلك المنطقة.

بأبي الجغرافيّون العرب في وقتٍ لاحق على ذكر القلعة والصور الأسطوري، وهو سور بأجوج وماجوج الذي شُيّد لصدّ هجمات البرابرة. كما يتحدثون عن النشاط التجاري الذي شهدته المدينة في العصر العباسي، وقد كانت آنذاك مركز إمارة صغيرة شبه مستقلة، وذلك قبل أن يضمّها السلاجقة ثم المغول. وقد جاء مصيرها في قلب العالم الإسلامي شبيهاً بمصير سائر بلدان القوقاز، إذ خضعت لأسباب إيران، ثم طمع بها الروس إلى أن احتلّوها مؤقتًا في القرن الثامن عشر، ونهائيًا سنة ١٨٠٦. فخرست إذك دورها الحربيّ لكنّها بقيت مركزًا إداريًا واقتصاديًا مزدهرًا، وجلّ سكّانها من المسلمين. وهي اليوم تأتي في المرتبة الثانية بين مدن المقاطعة التي أصبحت، في أواخر القرن العشرين، جمهورية داغستان في قلب الاتحاد الروسي الفدرالي.

« راجع المستند رقم ٢٤ »

الدُّرْعِيَّة، إسم بلدة في نجد تعرّضت للخراب مرّتين، وذلك سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٢١، وكانت العاصمة للمملكة الأولى التي أقامها آل سعود في شبه الجزيرة العربية.

البلدة التي استمرّ ازدهارها الاقتصادي، في مطلع القرن التاسع عشر، إنباء الزائرين الأجانب، تحتلّ واحة تنبسط في واد على بعد عشرين كيلومترًا عن الموقع الذي احتضنّ لاحقًا مدينة الرياض. ومنذ القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، أقام في تلك البلدة أجداد الملوك السعوديين الحاليين، وفيها وُلد المصلح الديني الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وعلى مرتفع التّظريف أقيمت قصور أمراء المملكة العربية السعودية التي أسسها، في سنة ١٧٢٦، محمد بن سعود، حليف محمد بن عبد الوهاب وحاميه. ولم يبق من تلك الأبنية

بداية القرن التاسع عشر، قلاقل وثورات عند الدروز والموارنة. وما لبث العداة أن تأنج بين هاتين الطائفتين واتخذ هذا طابع العنف، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تمر بأزمة حادة نذبتها تأثيرات عالم غربي أوروبي في أوج تطوره. ونتيجة الأحداث الدامية، قررت الدولة العثمانية سنة ١٨٤٢ أن تعيد تنظيم جبل لبنان بتعيين حاكمين، واحد درزي وآخر ماروني، وتوزيع الضرائب على الطائفتين! وأدخلت تعديلات على هذا النظام عام ١٨٤٥. وفي عهد التنظيمات، تسبب «الخط الهمايوني» سنة ١٨٥٦، الذي قدم تنازلات لغير المسلمين، باضطرابات جديدة أوقعت مجاهبات دامية بين الدروز والموارنة. وفي أيار من سنة ١٨٦٠ وقعت مجازر راح ضحيتها موارنة، وذلك على أيدي الدروز الذين انضم إليهم دروز حوران. فأدت هذه الحوادث إلى تدخل فرنسا سنة ١٨٦٠، واتخذت السلطات العثمانية إجراءات بحق عدد من الزعماء الدروز.

ثم عُقد اتفاق وقّع في حزيران (يونيو) سنة ١٨٦١، سُلح بموجبه جبل لبنان عن ولايتي بيروت ودمشق، وعُيّن عليه متصرف مسيحي يساعده مجلس من اثني عشر عضواً يمثلون الطوائف كافة. ومن جهة ثانية ترك عدد من دروز لبنان المنطقة ولجأوا إلى حوران حيث انتشروا في كامل تلك الأراضي التي أطلقوا عليها اسم جبل الدروز.

في بداية القرن العشرين، بقي الدروز في لبنان وحوران في نزاع مع السلطات التي كان من المفروض أن يخضعوا لها. وفي سنة ١٩١٨، دخلوا دمشق مع الحلفاء، لكنهم قاموا بثورة، في ظل الانتداب الفرنسي، قُمعت بقسوة سنة ١٩٢٧. ويتوزع الدروز اليوم بين إسرائيل (حيث يخدمون في الجيش) وحوران ومنطقة الشوف في لبنان.

درويش - لفظة فارسية الأصل تعني «متسول، فقير»، بحسب الأصل اللغوي الشائع، وهي في كل حال موضوع نقاش من قبل اللغويين.

هذه اللفظة المستعملة في اللغة العربية بمعنى «فقير»، أطلقت في إيران والأناضول، ولا سيما في القرنين السابع والثامن للهجرة/ الثالث عشر والرابع

المستوحاة من الفلسفة القديمة، وأعلن أتباعه إلغاء الشريعة الإسلامية، ما تسبب بحوادث بين الناس. وحالة الجيرة التي عاشها الحاكم، سنة ٤٠٨ هـ/ ١٠١٧م وفي السنوات التالية، زادت الوضع اضطراباً، وفي الوقت نفسه اختفى الدرزي، وتنبئ حمزة موقفاً حذراً.

أدى موت الخليفة سنة ٤١٢ هـ/ ١٠٢١م، وقد تكون تلك الأحداث السبب، إلى اختفاء الحركة من مصر لتنتشر بالمقابل في سوريا، وخصوصاً بين أبناء الريف من منطقة جبل حرمون. وشكل الدروز إذاك طائفة مغلقة، مكونة من مجموعات ذات أصل عربي لها عاداتها وتقاليدها الخاصة. وظهرت في أوساط هذه الطائفة ممارسات دينية جديدة، ولا شك في أنها تعود إلى القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد. وقد انقسمت الطائفة إلى «مغلاة» وإلى «جهال» غير مغلقين على الدين. وعلى المغلاة أن يراعوا سبع وصايا تحل مكان أركان الدين في الإسلام: منها الإخلاص تجاه المؤمنين (وليس تجاه غير المؤمنين)، التعاون والاعتراف بأحدية سيدنا الحاكم. وقد أضيفت إلى هذه الأركان قوانين جديدة تتعلق بالأحوال الشخصية. وقد احتفظ الدروز ببعض الشعارات الإسلامية، لكن علماءهم يعقدون اجتماعات سرية في أماكن للعبادة خاصة، ويسهرون على الكتب التي تتضمن طقوسهم الدينية. أنهم ينتظرون عودة الحاكم وحمزة لنشر العدالة بين الناس. ويانتظار ذلك عليهم، عند الضرورة، أن يمارسوا التقية وأن يتظاهروا بتأييد دين السلطة القائمة.

في العهد العثماني كان الدروز يخضعون لسلطة بعض العائلات الكبيرة، كالتوخيين والمعينيين والشهابيين، وأفسح لهم المجال للسيطرة على قسم من لبنان. لكن الخلاف وقع بين تلك الأسر، ما أدى إلى قيام حزبين: القيسية واليمينية. كما وقع الدروز ضحية حملات تأديبية قام بها العثمانيون، ومنها حملة ١٥٢٣م التي انطلقت بدافع شرعي وبحجة الدفاع عن الإسلام في وجه الكفار. وكان الدروز يهيمنون على جبل لبنان ودير القمر ومرقا وبيروت. وفي القرن الثامن عشر تحولت بعض أسرهم إلى الكتلركة.

ونج عن احتلال إبراهيم باشا لسوريا ولبنان، في

كما أرسى الدستور من جهة أخرى مبدأ انفصل التسيير بين السلطات. وما كاد هذا الدستور يُشر حتى علّق السلطان العمل به سنة ١٨٧٨. لكنّ جمعية تركيا الفتاء أصرت، في العام ١٩٠٨، على إعادة العمل به. بعد فترة وجيزة، عقب الحرب العالمية الأولى، أبصرت الدولة التركية الجديدة النور. ونصّ قانون التنظيمات الأساسية الذي وضعته الجمعية الوطنية الكبرى في العام ١٩٢١ على «أنّ السلطينة التنفيذية والنشورية منوطتان بالجمعية الوطنية الكبرى التي هي الممثل الفعلي الوحيد للأمة». وأُنتج هذا القانون بالإلغاء الصريح للسلطنة عام ١٩٢٢ وإعلان الجمهورية في العام ١٩٢٣، وإلغاء الخلافة في العام ١٩٢٤. وأدخلت تعديلات أخرى على القانون منها: في العام ١٩٢٨، ألغى من الدستور النصّ الوحيد الذي يشير إلى الإسلام ديناً للدولة، ممّا كرّس قيام الجمهورية التركية العلمانية حيث التشريع الذي تضعه الجمعية الوطنية هو تشريع مدني. وفي سنة ١٩٦١، أعلن دستور جديد عقب الانقلاب العسكري الذي أطاح بالحكومة في العام ١٩٥٦.

في موازاة ذلك شهدت مصر، خلال القرن التاسع عشر، قيام مؤسسات أذت شيئاً فشيئاً إلى إنشاء نظام برلماني، لكن من دون وضع تشريع علماني كما حصل في تركيا. وكان قد أنشأ بونابرت، خلال حملته على مصر، مجالس إستشارية علّق العمل بها بعد رحيل الفرنسيين، إلّا أنّ محمد علي أعاد العمل بها في العام ١٨٢٩. ويعود للخديوي إسماعيل، بعد ذلك، فضل تأسيس جمعيات جديدة، أهمّها مجلس اللّوالب الذي أنشئ سنة ١٨٦٦. وعهد، سنة ١٨٨٢، إلى وضع أوّل دستور بالمعنى الحقيقي نصّ على نظام برلماني. لكنّ هذا الدستور ألغى سنة ١٨٨٣، بعد وقت قليل من ثورة عربي باشا.

وخلال الاحتلال البريطاني جرى العمل بدستور آخر نصّ على نظام برلماني، لكن مع جمعية انحصرت دورها في الإطار الإستشاري. وأخيراً حصلت مصر، سنة ١٩٢٢، على دستور خصّ الملك بصلاحيات واسعة. ورغم التقلّبات والصعوبات ظلّ يُعمل به حتّى انقلاب

عشر للسيلاد، على الصوفيين الذين كانوا كثرة. وقد استُعملت على الأخص للإشارة إلى الصوفيين أعضاء الفرق المعروفة.

الدستور، كلمة عربية دخيلة من الفارسية، معناها في اللغة العربية «القاعدة». والدستور شكل جديد أخذت به معظم البلدان الإسلامية منذ القرن التاسع عشر، معتمداً أنظمة حكم كانت تقتصر، في إسلام القرون الوسطى، على مفهومين ظلاً محوريين لفترة طويلة هما: مفهوم الخلافة في البد، ومفهوم السلطنة في ما بعد.

والدساتير الحالية التي اعتُمدت على أساس تطابق نمائلي مع دساتير البلدان الغربية رأت النور في الحقبة المعاصرة، في معظم الدول الإسلامية، العربية وغير العربية، المنتمية باستقلال سياسي راسخ منذ زمن، أو أعيد تشييده حديثاً، أو تلك التي حصلت عليه منذ فترة وجيزة.

هدفت الدساتير، بشكل عام، إمّا إلى الحد من السلطة الملكية القائمة، وإمّا إلى تنظيم جمهورية وطنية سيّدة، إضافة إلى تحديد حقوق المواطنين، مع مراعاة مبدأ الشورى المعمول به تقليدياً. وبهذه الطريقة تمّ الحفاظ، بشكل متفاوت في صرامته، على مبادئ الشريعة الإسلامية التي كان مطلوباً تأكيد استمراريّتها، وفي المقابل التخفيف من بعض مفاعيلها في أحيان كثيرة.

١ - ظهرت في الأمبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر الإجراءات الإصلاحية الأولى، المعروفة بـ«التنظيمات»، في الحكم والإدارة والتي فرضت، بتأثير الأفكار السائدة آنذاك في أوروبا، المساواة في الحقوق بين المسلمين وغير المسلمين. إلّا أنّ أوّل دستور بكل معنى الكلمة في الأمبراطورية العثمانية، كان ذلك الذي أعلنه السلطان عبد الحميد سنة ١٨٧٦، تحت ضغط الأوساط الليبرالية. استوحى هذا الدستور للدستور البلجيكي لعام ١٨٣١، لكنّه قدّم على أنه منحة سلطانية، كما كانت الحال بالنسبة إلى الدستور الهنوسي لعام ١٨٥٠، ونصّ على إنشاء مجلس للوزراء يعينه السلطان ويتمتع بالسلطة التنفيذية، وعلى إنشاء مجلس للشيوخ يعينه السلطان أيضاً، إلى جانب مجلس نواب منتخب.

للدستور الذي كان الوطنيون من دعاته، للحد من الطابع الكيفي لقرارات الشاه المتهم بالخضوع للمؤسسات الغربية. بقي معمولاً بهذا الدستور، وكذلك ظلت الجمعية الوطنية تتعقد حتى ١٩٦١، تاريخ حلها من قبل الشاه محمد رضا، ثاني ملوك السلالة البهلوية. وحتى هذا التاريخ، كانت الإجراءات المتخذة تلتزم ما يفرضه الإسلام، وكان القانون مطابقاً للإسلام المعترف به ديناً للدولة، وهو الإسلام الشيعي الإمامي الاثنا عشري الذي يجب أن ينتمي إليه الشاه. علاوة على ذلك، كان الدستور ينص على إخضاع كل القرارات الحكومية لموافقة لجنة من خمسة فقهاء بدرجة «مجتهد»، على أن تظلل هذه اللجنة قائمة حتى عودة حجة الزمان، أي «المهدي المنتظر» الذي يوقف عملها. وقد كُرس هذا الدستور دور السلطات الدينية، لكنه حمل في طياته نغمة عصريّة، إذ أكد أن السيادة هي «أمانة، بمثابة عطية إلهية، عهد بها الشعب إلى الشاه». وعمد رضا شاه، مؤسس السلالة البهلوية الذي استولى على السلطة في العام ١٩٢٧، إلى تعديل الدستور كي يدخل في صلبه مادة تنص على أن السيادة تعود إليه وإلى خلفائه من بعده. وبالفعل، لم تقم الجمعية الوطنية بأي دور طيلة عهده. وسنة ١٩٤١ اكتفى ابنه وخليفته بإضافة نص دستوري يمنحه حق حل الجمعية الوطنية، وهو أمر أقدم عليه سنة ١٩٦١. وبعد فترة قصيرة، أرسلت ثورة ١٩٧٩ أسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي يركز نظامها، ذو المنحى الكليائي، على الإسلام الذي يجب أن يرمي كل العلاقات الاجتماعية، والذي يستبعد تماماً كل تأثير غربي. ويشتمل تنظيم الدولة بالتأكيد على بنى ذات طابع غربي: مجلس للوزراء، مجلس للنواب، مجلس للجمهوريّة. لكن السلطة في الدولة هي بيد الحزب الجمهوري الإسلامي الذي يسيطر عليه رجال الدين. ويتنص في هذه الدولة ممثل الإمام آية الله العظمى، الذي لا يعينه الحزب بل تختاره هيئة مجتهدين، سلطة عليا.

٢- إلى هذه النماذج من الدساتير التي نُشرت لأزل مرّة في أواخر القرن التاسع عشر والتي كان يجري تحسينها بملامح متتابعة، تضاف نماذج أخرى ظهرت في بلدان شرقية عدّة في فترة ما بين الحربين

١٩٥٢. وفي هذا التاريخ تمّ تعيين لجنة دستورية أصدرت شرعاً منحت مجلس قيادة الثورة سلطات مطلقة. وبعد فترة وجيزة، في العام ١٩٥٣، أُنقِيت الملكية وأعلنت الجمهورية؛ وجاء دستور ١٩٥٦ ليؤسس أسس نظام رئاسي.

في الحقيقة نفسها، تقريباً، سلكت تونس - وهي دولة عربية نابعة اسمياً للإمبراطورية العثمانية تشكل جزءاً من المغرب العربي - طريق الإصلاحات الحكومية. ففي سنة ١٨٥٧ أصدر باي تونس، تحت ضغط الدول الأوروبية القلفة على وضع غير المسلمين، ميثاقاً تأسيسياً يضمن لكل السكان، من دون تمييز، الأمن وحرية التجارة والمساواة أمام القانون والضريبة. وفي سنة ١٨٦١ أعلن دستور جعل من الباي الرئيس الأعلى للدولة، يساعد مجلس أعيان معين يشارك في وضع القوانين. وقد عُلق العمل بهذا الدستور عند بسط الحماية الفرنسية على البلاد. بعد الحرب العالمية الأولى، تأسس حزب أخذ يطالب بإعادة العمل بهذا الدستور، فُرع بـ «حزب الدستور»، وكان هذا الحزب في أساس نشأة «حزب الدستور الجديد» عام ١٩٣٤ برئاسة الحبيب بورقيبة الذي كان يطالب باستقلال البلاد. واجتازت تونس مرحلة جديدة مع استقلالها سنة ١٩٥٦ وانتخاب جمعية تأسيسية، بدعوة من الباي، ووضع دستور للبلاد في العام ١٩٥٩. وقد نصّ هذا الدستور على قيام «جمهورية دينها الإسلام»، لكنه في المقابل أكد المساواة بين جميع المواطنين أمام القانون والضريبة، كما نص على إنشاء نظام برلماني قائم على جمعية تشريعية منتخبة، وعلى رئيس للجمهورية يمارس السلطة التنفيذية.

وقد ظهرت أيضاً، في القرن التاسع عشر، محاولات إصلاح إداري مستوحاة من أوروبا في المملكة الإيرانية، وهي دولة إسلامية قوية. فقد دفعت الأزمة المالية في نهاية هذا القرن والاضطرابات التي أشعلتها قضية إدارة التبغ بالشاه الضعيف مظفر الدين، من سلالة القاجار، إلى إنشاء جمعية إستشارية في العام ١٩٠٦ لمساعدة مجلس الوزراء في تنفيذ مشاريع مختلفة. وبعد فترة قصيرة، نشر الشاه القانون التأسيسي

١٩٦١)، ليعاد العمل به لفترة وجيزة حتى انقلاب ١٩٦٣ الذي ألغى النظام البرلماني وأتاح، كما في العراق، لحزب البعث السيطرة على البلاد. وفي سنة ١٩٧٣ أُرسيَت أسس نظام رئاسي ما يزال قائماً حتى اليوم.

أما الأردن فقد حصل، سنة ١٩٢٨ - وكان يسمى آنذاك إمارة شرق الأردن وكان تحت الانتداب البريطاني -، على دستور نصّ على تأسيس جمعية تشريعية. وعُدل هذا الدستور سنة ١٩٤٧ عندما نالت المملكة استقلالها تحت اسم المملكة الأردنية الهاشمية. منذ ذلك الحين طرأت على الدستور تعديلات في مناسبات عدة، لكنها أبقت على سلطات واسعة للملك.

٣ - وهناك أخيراً فئة الدول الإسلامية التي لم يقم فيها تنظيم حكومي واضح إلا بعد الحرب العالمية الثانية. ويدخل السودان في عداد هذه الفئة، حيث نص القانون الأساسي لعام ١٩٤٨ على إقامة مجلس تنفيذي وجمعية تشريعية. وبعد الاستقلال، سنة ١٩٥٦، وُضع دستور جديد لم تسع فرصة لتطبيقه بسبب تسلّم العسكريين الحكم في انقلاب ١٩٥٨.

كذلك هو الأمر في ليبيا التي استقلت في العام ١٩٤٩ والتي صدر دستورها في ١٩٥١ وتشكّلت فيها دولة فدرالية من ثلاثة كيانات: برقة، طرابلس وفزان، يرأسها ملك يساعده برلمان مكون من مجلسين. وبعد الانقلاب العسكري الذي قامت به مجموعة من الضباط في العام ١٩٦٩، تحوّلت ليبيا إلى الجمهورية العربية الليبية. يرأسها العقيد القذافي. وفي العام ١٩٧٧ استبدلت بها «الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية»، وهي نوع من تنظيم لا مؤسسات فيه، يُدار بحسب مبدأ الإدارة الذاتية برعاية «المرشد».

وحصلت المملكة المغربية من جهتها، بعد استقلالها سنة ١٩٥٦، على دستور وضعه الملك الحسن الثاني في كانون الثاني سنة ١٩٦٢، بعد أن خلف والده محمد الخامس، وعُدل في العامين ١٩٧٠ و ١٩٧٢. ونصّ هذا الدستور على إنشاء مجلس للوزراء، لكنّه أبقى للملك صلاحية اللجوء إلى السلطات الاستثنائية. وكان الملك يحرص بشكل خاص على

العالميتين. تلك حال أفغانستان التي اعتُرف باستقلالها سنة ١٩١٩ والتي حصلت، في العام ١٩٢١، على دستور كُرس نظام ملكية وراثية مع مجلس للوزراء ومجلس استشاري. وجعل هذا الدستور من الإسلام ديناً للبلاد؛ لكنه، في المقابل، ضمن الحماية للرعايا غير المسلمين وأُفسح في المجال أمام محاولات قام بها الملك أمان الله لإدخال سمات غربية الطابع، لكنها ظلت من دون نتيجة. وبعد سقوط هذا الملك وحلول أفراد آخرين من عائلته مكانه، تمّ تعديل الدستور سنة ١٩٣٠ وإنشاء جمعية وطنية استشارية. وقد علّق العمل بهذا الدستور عملياً بعد سقوط الملكية سنة ١٩٧٣ والاحتلال السوفياتي للبلاد سنة ١٩٧٩.

وفي الفترة نفسها وضعت دول أخرى، منها المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان، دساتيرها مُستة النظام الملكي الوراثي. لكن سواها اعتمد نظاماً برلمانياً، كما فعل العراق تحت الانتداب البريطاني، إذ حصل في العام ١٩١٩ على دستور نصّ على إنشاء مجلس للنواب مكوّن من هيتين يتقاسم السلطة التشريعية مع الملك. وبعد نيل العراق استقلاله، بعد الحرب العالمية الثانية، أذت ثورة ١٩٥٨ إلى إعلان الجمهورية وإقامة نظام عسكري. وفي ١٩٦٤ وُضع دستور جديد جعل من العراق جمهورية ديمقراطية شعبية سيطر عليها حزب البعث، بدءاً من سنة ١٩٦٨.

أما لبنان الذي كان تحت الإنتداب الفرنسي، فقد نصّ دستوره الصادر عام ١٩٢٦ على مجلس للنواب مؤلّف من هيتين؛ كما امتاز بخاصية حصر رئاسة الجمهورية بمسيحي ورئاسة الوزراء بمسلم وبتوزيع مقاعد البرلمان بين مختلف الطوائف الدينية التي كانت تنقسم أرضاً كان المسلمون أقلّ عدداً فيها. ومنذ العام ١٩٧٦ لم يعد العمل ممكنًا بشكل طبيعي بهذه التدابير. في موازاة ذلك حصلت الدولة السورية، في العام ١٩٣٠، بدورها على دستور وُضع بمساعدة السلطات الفرنسية، وتمّ انتخاب رئيس للجمهورية سنة ١٩٣٣. وفي العام ١٩٥٠ عُدل الدستور وأدخلت في صلبه مواد تتعلق بـ«نظام الأراضي»، ومن ثمّ علّق العمل به لفترة قصيرة خلال الوحدة السورية - المصرية (١٩٥٨) -

دستور في العام ١٩٥٦، وقد نصّ على إنشاء جمهورية باكستان الإسلامية، وهي ذات نظام فدرالي يديرها رئيس تنتخبه البرلمانات المركزية والمناطقية، ويُشترط فيه أن يكون مسلمًا. في العام ١٩٥٨ علّق العمل بهذا الدستور، واستُبدل به سنة ١٩٦٢ دستور جديد حدّد من صلاحيات المقاطعات، وأنشأ نظامًا رئاسيًا وأكد، في الوقت نفسه، مساواة الجميع أمام القانون، لكنه أكّد في المقابل أنّ القوانين لا يمكن أن تخالف الفرائض التي ينصّ عليها الإسلام.

هكذا، لم يبقَ في العالم الإسلامي اليوم سوى دول قليلة تنظر إلى دساتير تحدّد العلاقة بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وكذلك حقوق الرعايا. ورغم ذلك تفاوتت أشكال الأنظمة، من جمهورية برلمانية إلى ملكية دستورية على النمط الغربي، وصولاً إلى أنظمة رئاسية ذات طابع عسكري أو قريب من الديمقراطية الشعبية. ويتغيّر موقع الإسلام - الذي هو من حيث المبدأ أساس التشريع - بين نظام وآخر. فهو في أكثر الأحيان - لكن ليس دائماً - دين الدولة، حتّى لو أنّ أنظمة الأحوال الشخصية تدبّن له بخصائصها الأساسية.

دستور (حزب ال) - تونس.

الدعوة، تعبير ينطبق على «التبشير» السياسي - الديني الذي يقوم به «الداعي» أو ذلك الذي يدعو إلى العقيدة الصحيحة.

وقد تنظمت حركات سرية أحياناً، في العصور الأولى للإسلام، من أجل نشر الدعوة لفرق جعلت همّها الوصول إلى السلطة، فكانت تقيم شبكات من المناصرين بهدف إطلاق ثورات مسلّحة. على هذا النمط انتشرت الدعوة الشيعية، من زيدية وإمامية، في المناطق المؤيّدة للعلوية والتي تنسب بإخلاصها لشخصية الإمام. وإنّ دعوة نشرت بهذه الطريقة أدّت إلى نجاح الثورة العبّاسية في مطلع القرن الثاني للهجرة/القرن الثامن للميلاد. أمّا الدعوة الفاطمية في القرن الثالث للهجرة/أواخر القرن التاسع للميلاد، فقد انتشرت باسم الإسماعيلية، واستمرت زمناً طويلاً قائماً منسجلاً، حتّى

صفته «أميراً للمؤمنين» التي يستمدّها من نسبة الشريفي الحنفي، والتي تنطلّب منه السهر على احترام الإسلام والدستور.

وفي الفترة نفسها تقريباً، حصلت موريتانيا - التي كانت قد أصبحت، في العام ١٩٥٨، ضمن المجموعة الفرنسية، جمهورية موريتانيا الإسلامية - على استقلالها وأقرّت في العام ١٩٦١ الدستور الذي وضعه جمعية وطنية. ويتمتع الرئيس، الذي يُشترط فيه أن يكون مسلمًا، بسلطة واسعة في مقابل جمعية حُصرت صلاحياتها في الطاق التشريعي. وفي العام ١٩٩١ وضع الدستور الجديد لموريتانيا حدّاً للنظام العسكري الذي فرض نفسه منذ ١٩٨٤.

أخيراً أصبحت الجزائر، بعد استقلالها في العام ١٩٦٢، جمهورية ديموقراطية شعبية تتركز كل السلطات فيها بين يدي رئيس مجلس قيادة الثورة، الذي صار يسمّى، منذ ١٩٧٦، رئيساً للجمهورية. لكن إرادته ظلّت تتحكّم بإدارة الدولة التي لم تعرف نظام التعددية الحزبية إلّا منذ فترة وجيزة، وحيث لم تزل الحكومة تواجه معارضة تضعها أمام صعوبات متزايدة.

إنّ تنوع الأحكام التي تنظّم السلطة والتي تختلف من بلد إلى آخر، ومن نظام إلى آخر - وبخاصة في أفريقيا الشمالية الإسلامية التي شهدت تطوراً سريعاً بعد الحرب العالمية الثانية - يتسع أكثر فأكثر عندما تنتقل إلى المناطق التي اعتنقت الإسلام في آسيا الموسمية. فإندونيسيا التي استقلت عام ١٩٤٩ كانت قد حصلت، منذ ١٩٤٥، على دستور أسس لجمهورية بدون أي إشارة إلى الإسلام، وكانت تمارس السيادة فيها جمعية الشعب الاستشارية، ولرئيس الجمهورية حقّ اللجوء إلى سلطات طوارئ. إنّ التعديلات البسيطة التي أدخلت على الدستور في العامين ١٩٥٠ و١٩٥٩ لم تبتلّ من جوهر ما هو في الواقع نظام رئاسي منسلط، وإنّ الدستور، مع أنّه لا يشير إلى الإسلام، ينصّ على أنّ الجمهورية «تقوم على الإيمان بالله العليّ القدير».

من جهتها حصلت باكستان - التي تأسست عام ١٩٤٧ لتضمّ كلّ مسلمي شبه القارة الهندية - على

خسرت من أهميتها خلال مرحلة الاحتلال البريطاني، وذلك لمصلحة مدينة كلكتو. وفي مقابل ذلك تركزت فيها الجهود الدينية التي دافعت عن حقوق المسلمين في البنغال، وتأسست في المدينة الرابطة الإسلامية الهندية، سنة ١٩١٦، التي كان لها دورها البارز في ولادة باكستان. وقد عرفت ازدهاراً فكرياً أسهم فيه تأسيس جامعتها سنة ١٩٢١. وبعد سنة ١٩٤٧ كان قدرها أن تنبع القسم الشرقي من الدولة الإسلامية الجديدة التي أنشئت في شبه القارة الهندية.

الدكن، إسم يُطلق على القسم الجنوبي من شبه الجزيرة الهندية حيث بدأ الإسلام ينتشر ابتداء من القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد. ولكنه، بعد انقلابات عدة وتغييرات اتسمت بالاضطراب، لم يستمر في القرن العشرين دينياً للأمر الحاكم، إلا في ولاية حيدر آباد. ومنطقة الدكن حصراً تتميز هضبتها الكبرى جغرافياً عما يُعرف تحديداً باسم جنوب الهند، وهي تضم مقاطعات تختلف في ما بينها، على الصعيدين التاريخي والجغرافي، ومنها مقاطعات أحمد نغر وبيجاپور، وبيار القديمة، وأورنغ آباد وحيدر آباد. هذه المساحة الواسعة التي تقطر إلى التجانس إثنيًا ولغويًا، احتلها سلاطين دلهي من سلالة تغلق، في مطلع القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، وأسسوا فيها عاصمتهم الثانية تحت اسم دولة آباد، ولكن تلك المساحة سرعان ما خرجت عن سيطرتهم.

على أثر ذلك، قامت في الجنوب أمبراطورية إسلامية هي أمبراطورية البهمنيين في كلبركه وبيدار، ونفرت عنها، في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، ممالك متعددة، بعضها مائل إلى الشيعة. ووقع النزاع بينها قبل أن تتمكن سلالة المغول القوية من ضمها بالتالي إليها. وهكذا رأينا المعادشاهيين (١٤٩٠ - ١٥٧٤) يتحلون عن الحكم لمصلحة النظامشاهيين (١٤٩١ - ١٦٢٣م)، حكّام أحمد ناغار ودولة آباد، ثم يخضعون بدورهم لسلطاني المغول أكبر وشاه جهان. ومن جهة ثانية عمد البريشاهيون (١٥٢٧ - ١٦١٩م) في بيدار إلى انتزاع السلطة من آخر البهمنيين، وما عموا أن خضعوا لسلطة المعادشاهيين (١٥٢٧ -

بعد وصول السلالة إلى الحكم. وهناك دعوات أخرى قامت عبر المصور تساند نبذات سياسية ذات طابع ديني، ونجح بعضها في بلوغ السلطة داخل مناطق محدّدة.

الدفاع عن الدين، هو قيام خطاب، في المصور الأولى للإسلام، يتسم بطابع الحدة، ويهدف إلى ضرورة الدفاع عن الدين الجديد؛ ثم، بعد استنفاح الخصام الداخلي، إلى الدفاع عن المذاهب المختلفة. وقد أوحى الدفاع عن الدين في العالم الإسلامي أعمالاً فكرية كثيرة، بدءاً بالأبحاث في علم الكلام؛ كما أوحى، منذ المجهود الأولي، مؤلفات عديدة صغيرة تثبت الإسلام في وجه المسيحية والمناوئة. وكان أتباع هاتين الديانتين منشغرين في المناطق التي خضعت للدين الجديد خلال الفتوحات الكبرى. كما ساعد على إيجاد الأسس التي اعتسدها الدعاة الذين دافعوا عن مختلف الحركات السياسية - الدينية، وعن مختلف الفرق التي نشبت في العالم الإسلامي مع تعاقب العصور، وشاركت في المناظرات وفي الصراع المسلح، بغية أن تثبت كل واحدة تفوقها.

دكا (بنغلادش)، مدينة إسلامية كبرى في مقاطعة البنغال الهندية القديمة، أصبحت عاصمة الدولة الجديدة المستقلة، بعدما كانت عاصمة لباكستان الشرقية، إثر انسلاخها عن الهند سنة ١٩٤٧.

والمدينة الحالية، بأحيائها الصناعية وسكانها الذين يتزايدون باستمرار، ثم تمتد ذكرى مدينة القرون الوسطى المحصنة التي، بموقعها الاستراتيجي بعيداً من الدلتا - وهي اليوم تبعد ٢٠٠ كلم عن البحر - كان لها دور مهم في تاريخ المنطقة السياسي، ما ساعد على دخولها الإسلام في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، على أثر الانتصار الذي حققته الجيوش المغولية سنة ١٦٠٨. خلف الأسر الحاكمة - التي كانت قد جعلت من هذه المدينة مركزاً لها - أسباط أقرباء حكموا حتى سنة ١٧٠٦، فغُيروا معالم المدينة وتركوا أبنية إسلامية ما تزال اليوم تشير إلى عظمتهم.

إلا أنّ دكا التي شهدت ازدهاراً حقيقياً، في حقلي التجارة والحرف المتنوعة، وكانت مركزاً مهماً للنسيج،

المعروفة باسم قطب منار. الهدف من إقامتها تخليد انتصاراته واستعمالها للأذان. وقد أكمل خلفاؤه بناؤها وأضافوا أبنية أخرى وأنشأوا المدينة الملكية المعروفة باسم قلعة زاي بيثورا. وعند وصول تلك السلالة إلى أواخر حكمها، بعد مرور نحو قرن، بنى أحد أفرادها، السلطان كُتُبُشاه، قصراً جديداً في كيلوخري سنة ١٢٨٨هـ/١٢٨٩م. لكنَّ الخُلُجيين، الذين استولوا آنذاك على السلطة، أحملوا هذا البناء ليعودوا إلى المدينة الأولى التي حرمها في وجه هجمات المغول، عن طريق إنشاء معسكر محصّن في الشمال، في سهل سيري.

في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، اختار السلطان عُلقُش، مؤسس السلالة التي تحمل اسمه، مكاناً مختلفاً لعاصمته شرقي المكان السابق، وأطلق عليه اسم عُلقُش آباد، فيه تقوم حتى الآن منشآت متينة وفخمة ما تزال معالمها تستقبل الزائرين حتى اليوم، وبينها حصن وقصر ومسجد. وأضيفت إلى هذا البناء قلعة عُرفت باسم عادل آباد، بناها ابن عُلقُش وورثه محمد شاه الذي نقل مقرّه، سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م، إلى دولة آباد. وبعد عودته إلى دلهي قرّر تكبير المدينة القديمة عن طريق إقامة سور يصلها بسهل سيري، وبناء مدينة في تلك المساحة التي أطلق عليها اسم جهان پناه. ثم جاء السلطان فيروز شاه الثالث، ابن عم محمد وورثه، فبنى له مقراً عُرف باسم فيروز آباد. إلى الشمال من دلهي، لم يبق منه إلا قلعة تحوي قصراً ومسجداً. كما بنى مدرسة تحمل اسمه وتجاور ضريحه في عاصمة تكاثرت فيها، بحسب المصادر المكتوبة، المدارس والمستشفيات وعدد من المؤسسات الدينية، ممّا يشير إلى الدور الذي أدّته في عملية نشر الإسلام.

بعد غزوات نيومورلنك، أُمِلت مدينة دلهي وتحوّلت مدينة أموات واسعة، لم يحاول ترميمها سلاطين أسرتي سِنْد وَلُودِي اللّتين حكمتا مدّة وجيزة. ولم يُستأنف الترميم والبناء إلا بعد الانتصار الذي حقّقه بابر في بانيبث سنة ١٥٢٦م، ومعه بدأت قوّة المغول تتعاظم في شمال الهند. فأصبحت دلهي آنذاك عاصمةً إمبراطورية أوّلاها همايون، ابن بابر وورثه، عناية خاصّة، وبنى فيها قلعةً دينيّةً سنة ١٥٢٣م. وقد هُزم

١٦١٤م). حكام بيجاپور المتسامحين. وهؤلاء بدورهم زهمهم أوزنكزيب سنة ١٦٨٦م، قبل أن يضطرّ إلى لخضوع لحكم القُلبشاهيين، حكام كولكنده وحيدر باد.

هذه الدول التي لم تعمّر طويلاً شهدت كلّها ازدهاراً قافياً نسبيّاً، في فنّه وأفكاره الدينية، بقوّة أسسه الهندية. تأثّر بالتيارات الوافدة من إيران، وقد حملها مهاجرون ندموا عن طريق البحر. هذا التفاعل نشير إليه اليوم أبنية أدوات ثمينة ومنمنمات ذات طابع هندي إيراني مميّز. لم يعمل انتصار المغول، بعد ذلك، إلا على توقيف الاضطرابات السياسية مدّة وجيزة في الدّكن حيث انتفض المهراثه بقوّة، كما تصارعت معانك سلاميّة كان المسلمون لا يزالون فيها أقليات. وحدها سلالة الأُسْتُجْهيد المحلية، المعروفة باسم نظام، استطاعت أن تشكّل حول أورنغ آباد، ثم حيدر آباد، دولة إسلاميّة بقيت قائمة حتى ضمّها إلى الاتحاد الهندي سنة ١٩٤٨م، ما أدّى إلى تفكّكها وانتهائها سنة ١٩٥٦م. « راجع السّنندات ٣١ إلى ٣٥.

دلهي (الاتحاد الهندي)، أو دلهي، حاضرة تقع شمال الهند أصبحت عاصمة إداريّة لإمبراطوريّة الهند لبريطانيّة. ثم للاتحاد الهندي. عرفت ماضياً إسلامياً مميّزاً كعاصمة لسلطين دلهي حتّى سنة ١٥٥٥، وللمغول الكبار حتى سنة ١٨٥٨.

١ - تقع مدينة دلهي على ضفّتي نهر جمنا في سهل الفانج العالي. وقد تميّزت بوجود منشآت ملكيّة، ومبان حكوميّة، وتجمّعات تجاريّة، لحق الخراب بعضها وما يزال بعضها الآخر قائماً. وهي تشهد على تراكم الأدوار السياسيّة التي لعبتها المدينة، وعلى التدقّق السكاني الذي عرفته حتى إنشاء مدينة نيودلهي الحديثة.

من أقدم المنشآت قلعة لا لُكُوت التي بُنيت سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، احتلّها قطب الدين أيلك، مؤسس السلالة الأولى لسلطين دلهي، وهي سلالة الملوك العبيد. وقد بنى فيها سنة ٥٨٦هـ/١١٩٦م، مسجد قوّة الإسلام بعدما انتزع حجارته من معابد هندوسيّة، وبأشر برفع المئذنة المخروطيّة الشهيرة بحجارة نجميّة الشكل، مع زخارف قوامها أفاريز كتابيّة، وهي

الغوريون قد أسسوا لأنفسهم قاعدة محدودة لكنهم صلبة، أقام عليها أتيك سلفته بعد أن حكم لاهور كملك تابع للدولة الغورية المحترضة التي سيفضي عليها نهائياً الخوارزمشاهيون والمغول. وقد استقر أتيك بعد ذلك في دلهي وتوفي سنة ١٢٠٦هـ/١٢٠٦م. فخلفه صهر التركي شمس الدين ألتمش الذي هو أيضاً عبد معتن وهذا ما يفسر تسمية السلالة الأولى التي حكمت دلهي باسم الملوك العبيد. وقد اعتلوا العرش بفعل علاقة الموالى بالأسيد وبفعل علاقة القرى، وسُوموا لذلك باسم المُغِيرِينَ نسبة إلى معز الدين الغوري سيّد أتيك وألتمش.

دام حكم ألتمش خمساً وعشرين سنة، واستطاع أن يثبت استقلال مملكته وأن يستولي على السند التي كانت ما تزال بيد قائد تركي آخر من قادة معز الدين. وفي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، اعترف به الخليفة العباسي المستنصر سلطاناً ومنحه لقب «ناصر أمير المؤمنين». وقد خمد ورثته سلطتهم لمصلحة مُعْتَق تركي آخر وعبد سائر لألتمش، هو غياث الدين بلبان الذي حكم بحزم، لكن ترك هو أيضاً ورثته عاجزين.

في سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، استطاع قائد أفغاني من الخليجيين، وهو جلال الدين فيروز شاه الثاني، أن يؤسس بالقوة سلالة ثانية، وأن يوسع الملك باتجا مُلَوّى والدكن وصولاً إلى ديوجير. كما استطاع صد هجمات المغول، والقيام باصلاحات إدارية حكيمة والحفاظ على علاقات طيبة بأمرأ الهندوس الذين خضعوا له. إلا أن هذه السلالة، بعد ملك علاء الدين محمد شاه الأول، لم تصمد أكثر من سابقتها في وجه المناقصات الداخلية.

واستطاع قائد تركي مجدداً أن يستأثر بالسلطة سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، وهو غياث الدين تغلق، وقد خلفه ولده غياث الدين محمد شاه الثاني وحكم خمساً وعشرين سنة. إلا أن هذا السلطان الجريء والحازم كان عليه مواجهة عدد متكاثر من الانتفاضات، كما أفضل مختططات الجيئانيين لغزو بلاده، لكنه لم ينجح في إعادة التوازن الجغرافي لمملكته. نقل عاصمته الم ديوجير (دولة آباد)، فحسر البنغال والدكن، في الوقت

وتُقي تارثاً مكانه لسلطين من أصل أفغاني أهمهم شيرشاه الذي هزمه في معركة فُتُوج. فبقي خارج الحكم من سنة ١٥٤٠ حتى سنة ١٥٥٥م، وعاد بعدها إلى تولي السلطة في دلهي. وابتداءً من سنة ١٥٥٦ تحولت المدينة، خلال مُلك السلطان أكبر، مركزاً إدارياً منظماً ومتنظراً، ولها أقيم ضريح همايون الذي باشرت ببنائه أرملة سنة ١٥٦٨م. وفي وقت لاحق اختار شاه جهان (١٦٢٨ - ١٦٥٧م) أغراً مقراً له لبضع سنوات، ثم نخل عنها وبني، في سنة ١٦٣٩م، مدينة جديدة أسماها شاه جهان آباد، وفيها قلعة باسم القلعة الحمراء، وكانت في الوقت عينه قصراً يحوي، حتى اليوم، قاعات استقبال فخمة، ومسجداً من المرمر الأبيض. وتميزت المدينة المغولية كذلك بوجود مسجد ضخم يتسم بالفخامة، وعدد من المباني الرسمية؛ وقد استمرت حركة العمران حتى سنة ١٩١١، حين نقلت السلطات البريطانية العاصمة الإدارية من كلكتونا إلى نيودلهي. وهذه المدينة الأخيرة استمرت أهميتها في ازدياد كعاصمة للإتحاد الهندي بعد الانشقاق سنة ١٩٤٧. وهي اليوم حاضرة كبيرة، وتعتبر المدينة الثالثة في البلاد.

٢ - سلطين دلهي (١٢٠٦ - ١٥٥٥م): هم الأسيد الأوائل الذين حكموا، انطلاقاً من دلهي، شمال الهند وبسطوا سلطتهم على المناطق المجاورة لمدينة دلهي وعرفوا كيف يزرعون الإسلام بعن في هذه البلاد. وقد كانوا سلالات متعددة تقاسمت السلطة تباعاً: الملوك العبيد أو المُغِيرُونَ، الخُلُجَيُونَ والتغلقيون وآل السيد، وآل لودي، وآل سُوري.

في أواخر القرن السادس للهجرة/أواخر القرن الثاني عشر للميلاد، استطاع مُعز الدين محمد بن سام الغوري، بمساعدة معاونيه الأتراك، وببهم قلب الدين أتيك، أن يتزع المناطق التي كان قد احتلها الغزنويون في البنجاب ولجأوا إليها، سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، حيث لاذوا بعاصمتهم لاهور. وقد كانت الحملات العسكرية طويلة وصعبة، تكلت مع ذلك باحتلال لاهور سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م. وتبعها غارات متواصلة في سهل الغانج وصولاً إلى البنغال من جهة، وإلى غجرات من جهة ثانية. وعندما توفي معز الدين سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م، كان

- غياث الدين بلخان ١٢٦٦-١٢٨٦هـ/١٢٨٧م
معز الدين كينباد ١٢٨٧-١٢٨٩هـ/١٢٩٠م
شمس الدين كيوتز ١٢٩٠هـ/١٢٩٠م
الخلجيين
جلال الدين فيروز شاه الثاني ١٢٩٠-١٢٩٥هـ/١٢٩٦م
ركن الدين ابراهيم شاه الأول ١٢٩٦-١٢٩٥هـ/١٢٩٦م
علاء الدين شاه الأول ١٢٩٦-١٢٩٦هـ/١٢٩٦م
شهاب الدين عمر شاه ١٢٩٦-١٢٩٦هـ/١٢٩٦م
قطب الدين مبارك شاه ١٢٩٦-١٢٩٦هـ/١٢٩٦م
ناصر الدين خسرو شاه ١٢٩٦-١٢٩٦هـ/١٢٩٦م
الغزنويين
غياث الدين تغلق شاه الأول ٧٢٠-٧٢٥هـ/١٣٢٥م
محمد الثاني بن تغلق ٧٢٥-٧٢٥هـ/١٣٢٥م
فيروز شاه الثالث ٧٥٢-٧٥٢هـ/١٣٥١م
غياث الدين تغلق شاه الثاني ٧٩٠-١٣٨٨هـ/١٣٨٩م
أبو بكر شاه ٧٩١-٧٩٢هـ/١٣٨٩م
محمد شاه الثالث ٧٩٢-٧٩٢هـ/١٣٩٠م
سكندر شاه الأول ٧٩٦-٧٩٦هـ/١٣٩٤م
محمود شاه الثاني ٧٩٦-٧٩٦هـ/١٣٩٤م
نصرت شاه ٧٩٧-١٣٩٥هـ/١٣٩٥م
محمود شاه الثاني ٨٠١-١٣٩٩هـ/١٤١٣م
دولة خان لودي ٨١٦-١٤١٣هـ/١٤١٤م
آل السيد
خضر خان سيد ٨١٧-١٤١٤هـ/١٤٢١م
معز الدين مبارك شاه الثاني ٨٢٤-٨٣٧هـ/١٤٢١م
محمد شاه الرابع ٨٣٧-٨٤٧هـ/١٤٢١م
علاء الدين عالم شاه ٨٤٧-٨٥٥هـ/١٤٢١م
آل لودي
بهلول لودي ٨٥٥-٨٨٩هـ/١٤٥١م
نظام خان سكندر الثاني ٨٩٣-٨٩٣هـ/١٤٨٨م
ابراهيم الثاني ٩٢٣-٩٢٣هـ/١٥١٧م
آل سوري (الأقنان)
شير شاه السوري ٩٤٧-٩٥٢هـ/١٥٤٥م
إسلام شاه ٩٥٢-٩٥٢هـ/١٥٤٥م
محمد الخامس عادل شاه ٩٥٩-٩٦٠هـ/١٥٥٢م
ابراهيم الثالث ٩٦٠-٩٦٦هـ/١٥٥٢م
أحمد خان اسكندر شاه الثالث ٩٦٦-١٥٥٥هـ/١٥٥٥م
« راجع المستند ٣٠، ٣٥ إلى ٧٣، ص ٧٥.

- لذي كان يتصدى فيه لانتفاضة الأوساط الصوفية. وقد
نال هؤلاء إلى ابن عمه ووريثه فيروز شاه الثالث الذي
تبع سياسة مهادنة، وأعاد الحكم السلطاني إلى الهند
البنغال من دون الاكثراث بالدكن. وبعد وفاته سنة
١٣٨٨هـ/١٣٨٨م، اجتاحت تيمورلنك، سنة ٨٠١هـ/١٣٩١م،
دلهي، فبدأ عهد الضعف بالنسبة إلى
سلاطين دلهي، مما سيؤدي إلى تفكك دولتهم.
أما آل السيد الذين سُموا كذلك لزعيمهم أنهم
رجعوا بنسبهم إلى سلالة نبي المسلمين، فقد حكموا
لهمي نفسها والمناطق المجاورة ممكنين للتيموريين،
كن الشعب كان يكرههم، فحل مكانهم سنة ١٤٥١م آل
ودي، وهم قادة قبائل أفغانية قدموا من منطقة ملتان.
فد حققوا عددا من الانتصارات، ولا سيما على أمراء
سلالة الشرجيين في جنيور. كما بذلوا الجهد للإسك
الهند الوسطى، ما حملهم على نقل عاصمتهم مؤقتا إلى
غرا. إلا أن ذلك كله لم يحل دون انهيار السلالة أمام
نصار باهر في بانيات سنة ١٥٢٦م، وهو من سلالة
لجغتانيين ومؤسس إمبراطورية المغول في الهند.
وفي سنة ١٥٤٠م عادت إلى عرش سلطنة الهند
سلالة من الأساد الأفغان، بعد انتصار هؤلاء على
لإمبراطور المغولي همايون في معركة فتوح سنة
١٥٤٠، بقيادة شير شاه السوري. لكن حكمها لم يدم
كثير من خمس عشرة سنة، ولم يقف حائلا دون انتصار
لمغول الكبار الذين سيعملون، بأسلوب جديد، على
سلمة شبه القارة الهندية، بعد ما راود هذا المشروع
سياد الحرب الأوائل، وهم ممالك من أصل تركي
كانوا قد استقروا في دلهي في القرن السابع للهجرة/
لثالث عشر للميلاد.
لملوك العبيد أو الميزون
عقب الدين أليك ٦٠٧-٦٠٧هـ/١٢٠٦م
رام شاه ٦٠٧-٦٠٨هـ/١٢١٠م
حسن الدين ألقميش ٦٠٨-٦١١هـ/١٢١١م
كن الدين فيروز شاه الأول ٦١١-٦١٣هـ/١٢١٣م
جلال الدين رضيه بيغوم ٦١٣-٦١٣هـ/١٢١٣م
حر الدين بهرام شاه ٦١٣-٦١٣هـ/١٢١٣م
علاء الدين محمود شاه ٦١٣-٦١٣هـ/١٢١٣م
ناصر الدين محمود شاه ٦١٣-٦١٣هـ/١٢١٣م

إلى كاتدرائية على اسم القديس يوحنا المعمدان، وبعا احتلال المسلمين دمشق، يقال إنهم تقاسموا الكنيسة بين المسيحيين. وفي سنة ٨٨٦هـ/٧٠٥م عمّد الوليد، الخليفة الأموي السادس والثالث من البيت الأموي، إلى هد الكنيسة ليرفع مكانها المسجد الجامع، بعد تزايّد أعدا الداخلين في الإسلام من أبناء المدينة. وقد راعى هذا المسجد الجامع نوعاً جديداً من الهندسة، مبرزاً الفساد التي يدير منها الخليفة الصلاة ويليقي خفيته أما المؤمنين. وهو ما يزال اليوم، يزخرف فناءه، واحداً من النماذج المميّزة في الهندسة المعمارية الإسلامية. وكما قصر الحاكم، ثم الخليفة يلاصق هذا البناء، ثم أزيل بعد ذلك، وكان يُعرف باسم «الخضراء».

كانت دمشق في ذلك الوقت عاصمة إدارة للخلافة، كما كانت، في الوقت نفسه، مركزاً للجن الذي يحيط بها. وفي العصر العباسي هبطت متراً دمشق، وتهدمت حصونها وبقيت، حتى وصوّا السلاجقة في أواخر القرن الخامس للهجرة/الحادية عشر للميلاد، مدينة من الدرجة الثانية. ولم تعرف الازدهار مجدداً إلا في عهدهم وفي عهد الحكام الذين عثوهم، نعتي بهم الأتابكة البورزين الذين تركوا الحكم لاحقاً لنور الدين زنكي ولأمراء الأسرة الأيوبية. فتعتبرت آنذاك مرية المدينة وشهدت تطوراً ملحوظاً، فتقررت تحصيناتها في الوقت الذي ازداد فيه تهديد الفرنج ورُمّت أبوابها بحسب آخر التفتّات العسكرية، ورُفِعَ فيها قلعة في موقع حيّ روماني قديم محصّن. كما امتدّت أحياء جديدة شمالاً وحنوباً وغرباً، وجُلِدَتْ فيها أفنية جزّ المياه، وأدخل تعديل على المسجد الجامع فأضيف إليه جناح بقبة تناسب الفن المعماري للمه السلجوقي، وشيّدت أبنية جديدة في المدينة كالمستشفيات والمدارس التي كان أولها سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م، وزوايا عُرفت بـ«الخوانق»، ومعاهد تدريس الحديث، وعدد من التحفّات العائنة. وقد أذى تطور الحياة الاقتصادية إلى تعديل الأسواق الواقعة على جهتي المسجد الجامع، وإلى تطويل السوق المستعرضة أو «الطريق القديمة» التي تعود إلى العهد الروماني وأسواقها التي توزّعت فيها مختلف أنواع الحرف، علم

مدينة مزدهرة وعاصمة سوريا منذ القرون الوسطى، عرفت مبارزاً تاريخياً متكاملأ، دونما تغيير، وتطوّرت عبر العصور بشكل مستمر.

هذه الخصائص لا تنفصمها دمشق إلّا مع عدد قليل من كبريات المدن الإسلامية، وهي مرتبطة بموقعها الجغرافي المميّز في واحة سكّانها من الحضر، ترتفع عن سطح البحر، وهي القوطة المشرفة على قسم من سلسلة جبال لبنان الشرقية والمطلّة على البادية السورية العربية. ومنذ العهود القديمة كانت محط أنظار البدو من الداخل، وهي مفتوحة على مناطقهم، في الوقت الذي شكّلت فيه المرتفعات حاجزاً يحول دون اتصالها السهل بالمناطق الساحلية، وقد ساعد على استمرارها توافر المياه لسقاية أرضها الخصبة، بفضل قنوات تنطلق من مجرى نهر بردى الصغير. وشهرة المدينة جعلتها من الموضوعات المفضّلة لدى الشعراء العرب، كما أنّ غنى أسواقها المحليّة حمل البدو على ارتيادها، فجعلت محطّة على طرق القوافل المتنقلة من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، مجتازة بذلك الأراضي السورية. ودمشق التي كانت على طريق الحجّ باتجاه مكة المكرمة تميّزت بأهميّة خاصة في العهد العثماني، كما شكّلت من قبل مركزاً لأوّل أمبراطورية عربية - إسلاميّة، هي الخلافة الأمويّة، مع قوّاتها العسكرية الوافدة من شبه الجزيرة العربية. وفي العهد الصليبيّ تحوّلت قاعدة متينة للإسلام، وإليها كان يصل الدعم من الصحراء لمساندة المقاومة في وجه الفرنج. هذه المدينة التي كانت سابقاً سينطية، ثم وقعت في أيدي المسلمين دونما مقاومة تذكر خلال الفتوحات الكبرى - كان الاحتلال النهائي لها سنة ١٥هـ/٦٣٦م، إثر معركة اليرموك - تُعتبر وريثة تاريخ طويل يبدأ مع العهد البرونزي، تحوّلت بعده إلى عاصمة دولة آراميّة. وفي العهد الهلّنيّ أنشئت فيها أبنية متنوّعة وثقّلت أحيائها على شكل مربّعات. وظهرت في العهد الروماني أسواق تجارية تتوّج شوارعها الأبواب العائنية، كان أحدها يؤدّي إلى هيكل للإله السامي «هند أو أود» الذي تحوّل إلى هيكل للإله «زوس» الدمشقي. وكان هذا الهيكل يجاور ساحة عامة وتحوّلت، في العهد البيزنطيّ،

الطريق الجنوبية التي أقام فيها الحجاج، كما شُيّدت مجمعات سكنية بحسب هندسة اسطنبول حول مساجد ذات قباب ضخمة ومآذن مستطيلة بذلت بعض الشيء معالم المدينة. وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت تغييرات جديدة على صعيد التنظيم الداخلي، وذلك عندما عمد الموالي مدحت باشا، الذي عُيّن سنة ١٨٧٨، إلى تحسين وضع السير بتوسيع السوق المؤدية إلى المسجد الجامع، وأطلق عليها اسم سوق الحميدية، نسبة إلى السلطان العثماني عبد الحميد.

برز دور دمشق التاريخي مجدداً بعد تفكك السلطنة العثمانية، وخلال الأحداث التي شهدتها القرن العشرون بعد الحرب العالمية الأولى. والمدينة التي ضمت المؤسسات الإدارية في عهد الانتداب الفرنسي، أصبحت عاصمة الدولة السورية المستقلة. فتوسّعت أحياؤها وشملت الصالحية وعمرت أبينتها الحديثة تدريجياً فرى النوبة. وقد تراقف الازدهار التجاري والصناعي مع تطوّر ثقافي بارز، إذ أصبحت دمشق مقرّ مجمع اللغة العربية الذي تأسس سنة ١٩١٩، وقامت فيها المكتبة الظاهرية، كما تأسست جامعتها سنة ١٩٢٣ وضمت ست كليات.

« راجع السندات ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٣ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٢٣ و ٥٥ و ٦٢ ».

دمياط (جمهورية مصر العربية)، مدينة على دلتا النيل، وهي لا تحفظ من نشاطها البحري، ومن الدور الذي أذته خلال النزاع بين البيزنطيين، والفرنج، والمسلمين في القرون الوسطى الأولى، إلّا بالذكرى.

ودمياط الواقعة على الساعد الأيمن لنهر النيل احتلتها عمرو بن العاص في عهد الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى خلال القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد. وغدت بعد ذلك هدفاً لهجمات بحرية متكررة. وعلى أثر هجوم قام به الأسطول البيزنطي سنة ٨٢٢٠/ ٨٣٥م، عمد الخليفة العباسي المتوكل إلى تحصين المدينة. وقد حوصرت بعد ذلك ثلاث مرات في العهد الصليبي: كانت المرة الأولى سنة ٥٦٥/ ١١٦٩م، من قبل فرنج القدس، في الوقت الذي عُيّن فيه صلاح الدين وزيراً على مصر من قبل الفاطميين. وكانت المرة

غرار سائر المدن الإسلامية في القرون الوسطى، ضمت، إضافة إلى صفوف الحوانيت، القيساريات المتخصصة للسلع الثينة، كما ضمت الفنادق والمخازن وخانات القوافل التي ينزل فيها التجار العابرون ويدفعون الرسوم المتوقعة عليهم. أمّا الأحياء السكنية فتكوّنت من مجموعة منازل متجاورة في طرق غير نافذة تُغفل ليلاً، تأمناً للأمن العامة. وفي أواخر القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، أقام في دمشق حيّ جديد على منحدر جبل قاسيون عُرف باسم حيّ الصالحية، وأقام فيه عدد من رجال الدين، بينهم أسر من الحنابلة الذين غادروا فلسطين بعد قيام دولة الفرنج فيها.

كانت دمشق، في زمن الأيوبيين، عاصمة عامرة ومزدهرة، فاخترت لتأوي مدفني صلاح الدين وأخيه الملك العادل. إلّا أنّها تعرّضت للخراب على أيدي المغول سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وتحولت، في العصر المملوكي، إلى عاصمة مقاطعة بسيطة. مع ذلك فإنّ السلطان بيبرس أقام فيها غير مرة، ورمّم قلعتها، وبني خارج الأسوار قصراً جعله مقراً له. ولم تعرف المدينة في ظلّ ممالك المرحلة اللاحقة تحسينات تُذكر. وقد افتحمها تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ/ ١٤١٠م، قبل أن تشهد في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، نشاطاً تجارياً ملحوظاً، إذ نهضت من خرابها وأفسحت في المجال أمام قيام عدد من المذاهب والأضرحة لكبار الأمراء في ضواحيها القريبة. كما خُصّصت أسواق لتجهيز الفرسان قرب القلعة. أمّا الأسوار القديمة فنقلت لتقرب من المسجد الجامع.

لم يجر في العهد العثماني أيّ تطوير لمنط الحياة في دمشق، بل حوفظ على النشاط التجاري، وفتح الباب أمام اتّجار الأوروبيين. وقد كثر عدد الخانات المخصصة للقوافل، ونال بعضها شهرة خاصة كفتندق البندقية الذي شُيّد سنة ١٥٣٣م، كما أقيمت فنادق لقوافل الحج القادمة من الأناضول واسطنبول والمناطق الشمالية. وكانت دمشق المحطة الأخيرة للحجاج في بلاد الحضر: انطلاقاً منها كان أمير الحج يتسلّم قيادة القافلة ويرافق المحمل. وامتدّت أحياء جديدة على

فعلى الحاكم، في رأيه، أن يفيد من رضى الله وعونه ليفود الناس في سبيل الكمال، وكلّ حاكم عادل ومنصف يستحقّ نالاً أن يكون على رأس الأمة الإسلامية، مهما كان أصله. وكلّ سلطان عادل له الحقّ في أن يكون خليفة الله. ويبدو أنّ هذه النظرية قد وُضعت خصيصاً لإرضاء طموح السلطان أوزون حسن، من سلالة الآق قيونلو، كما أنها تعتبر عن تطوّر الآراء المتعلقة بالخلافة في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد.

الدواوين الإسلامية، هي دوائر إدارية قامت مهنتها، في الدول الإسلامية على أن تضع باسم الملك رسائل ووثائق تنصيب وإجراء شئى المعاملات الرسمية. وكانت هذه الدوائر تلتزم، في صياغة ذلك، قواعد معقّدة تراعى المراسم والألقاب تشبه تلك المعتمدة في مراسم البلاط.

خلال حكم السلالتين الأموية والعباسية كانت الدائرة التي لعبت الدور الأساسي في إدارة الأمبراطورية العربية - الإسلامية، تُسمّى بالعربية «ديوان الرسائل» أو «ديوان الإنشاء». وكانت الوثائق الصادرة عنها ترفع من شهرة الخليفة نظراً إلى جودتها الأدبية وجمال خطوطها. وكانت صياغة هذه الرسائل تستلهم التراث اللغوي والإنشائي الذي خلّته قدامى العرب، فتخرج في لباس روائع أدبية تضاهي الإنتاج الذي كان معمولاً به سابقاً في أمبراطوريات الشرق الكبيرة التي كانت موضوع مباحة بأسلوبها المميّز والمصنوع. وكان يُستَمرَط في كتاب الإنشاء المكتّبين هذه الشؤون ككتابة خاصة، كذلك التي اشتهر بها بعضهم مثل عبد الحميد وابن المقفع اللذين برزا بإتقانها فن الأدب وما قرره لهما من شهرة جعلتهما في مقام المستشار والنديم لدى الأمراء، ومقام صاحب الكتابات المعتمدة الوفيرة. وفي فترة متأخرة ظهر في صفوفهم خطاطون، كابن مُقْلَة، وناثرون شهيرين كابن عباد الذي غدا كاتباً ثمّ وزيراً في عهد البويهيين، وعساذ الدين الأصفهاني الذي كان الكاتب الخاص لصلاح الدين.

كانت الوثائق التي تضعها الدوائر الخليفة تقتصر على تفصيل التوجيهات التي يعطيها الخليفة لوزيره في صورة مذكرة موجزة أو «توقيع»، وكانت تبلغ عند

الثانية سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، وقد نجح الفرنج في اقتحامها ثمّ اضطروا إلى التخلّي عنها سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م. وفي المرّة الثالثة نجح لويس التاسع، سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، في السيطرة عليها وقتاً وجيزاً. والواقع أنّ الفرنج كانوا يأملون في أن تستطيع جيوشهم دخول مصر عن طريق دمياط، وهذا ما جعل المماليك يقرّرون هدم تحصينات المدينة ومنع استعمال الساعد الأيمن للنيل، ما سمح لهم بصد كل هجوم؛ لكنهم بالمقابل جعلوا تلك المدينة تخسر أهميتها على أثر انهيار صناعة النسيج القطني فيها. إلّا أنّ نجمها سكنياً آخر بدأ ينهض جنوبي المدينة القديمة، واستمرّ في تطوّره حتّى العصر الحديث.

◀ رابع المستثنى ١٦ و ١٨.

دندانقان (دندانكان)، معركة حاسمة وقعت في العام ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م، هُزم فيها الجيش الغزنوي بقيادة السلطان مسعود الأوّل، على أيدي أتراك بدو قدموا من آسيا الوسطى، وعلى رأسهم السلجوقي طغرل بك.

دارت المعركة في سهوب خراسان بين مرو وسرخس، قرب محلة هي اليوم خربة تُعرف باسم دُندانكان، في جمهورية تركمانستان. لقد كان انتصاراً للفرسان البدو بأسلحتهم الخفيفة على الفرق المجهّزة بأسلحة ثقيلة والمدمومة بالقبلة. فتحت هذه المعركة نهائياً طريق إيران أمام قبائل من الغزّ، بعد محاولات نسّلت سابقة وناقشة داخل الدولة الغزنوية. ثمّ اندفع الفرسان البدو باتجاه بغداد وأثنا لسيادهم السيطرة على الأمبراطورية الإسلامية في الشرق عقوداً عدّة.

الدواني، جلال الدين محمد بن أسعد ٨٣٠-٩٠٨هـ/ ١٤٢٧-١٥٠٢م، مفسّر وصاحب مصنفات فقهية وصوفية، عُرف على الأخصّ بنظريته حول الخلافة.

ولد في مقاطعة كازرون في إيران، وكان والده قاضياً. درس في شيراز وعيّن قاضياً على فارس زمن سيطرة الآق قيونلو. ترك مؤلفات كثيرة، أشهرها بحث في الأخلاق مستوحى من «أخلاق ناصري» لنصير الدين الطوسي. إلّا أنّ القسم الأخير من الكتاب يعالج مسائل سياسية، فيعرض نظرية جديدة تتعلّق بالشرعية والحاكم.

في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، مع توسع دولة سلاجقة الروم، وقد استطاع هؤلاء الصليبيون بنجاح، سنة ١١٤٧/٥٥٤٢م، لمحاولة أخرى قام بها الصليبيون الذين استطاعوا، بعد هجمات متكررة، الاستيلاء على دوريليوم. وقد وقعت المدينة في قبضة البيزنطيين الذين حصنوها سنة ١١٥٧/١١٧٥م. لكن المسلمين نوصلوا بعد ذلك الى احتلالها نهائياً.

دوشيرما، لفظة تركية تشير إلى مؤسسة خاصة بالامبراطورية العثمانية، نهتم بتنشئة الأطفال المسيحيين، بعد انتزاعهم من أسرهم وبعد إدخالهم للإسلام، ليصبحوا عبيداً تابعين للدولة.

بهذه الممارسة كان الإنكشاريون وسائر خدام القصر يُجندون، وكان في إمكان عدد منهم أن يتسلموا مسؤوليات عالية. وكان يُؤتى بالأطفال من بلدان البلقان على الأخص، مع أن كل المسيحيين في السلطنة كانوا معينين بهذا الأمر، مع تفضيل أبناء الفلاحين في الريف، على أساس أن أبناء المدن كانوا أقلّ صلاحة.

لا ندرى تحديداً في أي عصر أُسّس هذا النظام، والمعلومات المتوافرة تعود أساساً إلى مسيحيين كانوا يعترضون على هذا الإجراء، وقد عُرف بوجوده حوالي سنة ١٤٠٠م، إلا أنه لم يُعْمَم في الأناضول إلا في حدود سنة ١٤٥٠م. وهو في الأساس منافٍ لأحكام الإسلام المتعلقة بأهل الذمة الخاضعين لأداء الجزية. اجتهد بعض الفقهاء، مع ذلك، لتبرير هذه الممارسة فقالوا إن المسيحيين الذين يخضعون لهذا الإجراء ينتمون إلى جماعات وثنية دخلت المسيحية بعد نزول القرآن الكريم، وهم نالوا لا يملكون الوضع القانوني الذي يقره القرآن الكريم لأهل الكتاب، وقد أقرّ هؤلاء عليه عندما كان النبي محمد (ﷺ) على قيد الحياة.

ومن نتائج تطبيق نظام «الدوشيرما» أن الوظائف العسكرية والإدارية للسلطنة العثمانية عُهد بها مدة طويلة إلى أشخاص غير أتراك من أصل مسيحي، قدموا من الرومي أو من الأناضول. وتوصل بعضهم الى رئاسة الوزراء، وقدموا أسراً كبيرة كان لها دورها المهم في السلطنة. إلا أن ممارسة «الدوشيرما» بطلت في مطلع القرن الثامن عشر مع تسلّم السلطان أحمد الثالث

الاقتضاء إلى المعنيين في الولايات بواسطة البريد. استمرت هذه الأعراف في ما بعد في معظم الدول الإسلامية حيث اضطلع «ديوان الرسائل»، من بين الدواوين الأخرى، وإلى جانب أجهزة المالية بشكل خاص، بدور نشهد عليه في مرحلة متأخرة الأهمية التي كان يوليها العثمانيون للدواوين. ثم تنحصر مهمته موكلتي ديوان الرسائل بكتابة الصكوك ووضع الطغرة عليها (وهي التأشير الخاصة بكل سلطان) لتصديقها، ومراقبة مطابقة النص للتشريع السائد، بل كان عليهم، إضافة إلى ذلك، تجميع مختلف القوانين التي تصدر لإكمال التشريع ولتحديد دقائق تطبيقية، مما كان يشكل تشريعاً مدينياً حقيقياً. وكان النيشانجي، الذي يشرف على جميع أعمال الديوان والذي يحتفظ بالختم السلطاني، ينتمي إلى سلك أساتذة الفقه، وكان غالباً ما يتمتع بالشهرة كما كانت، على عهد السلطان سليمان القانوني، حال كوجا النيشانجي، على الرغم من أنه لم يشغل هذا المنصب إلا بين ١٥٣٤ و ١٥٣٦، ومن ١٥٦٦ إلى ١٥٦٧.

دوريليوم (معركة - ١٠٩٧/١١٩٠م)، معركة تغلب فيها الفرنج من الحملة الصليبية الأولى على سلاجقة الروم، وشقوا طريقهم داخل أراضيهم.

كان ذلك في عهد قلع أرسلان الأول، الذي كان منهمكاً بتثبيت سلطته غربي الأناضول حيث كان عليه أن يحارب البيزنطيين ويردّ أطماع الدانشمنديين. وقد أظهر جيش الفرنج تفوقه في معركة منظمة بعدما احتلّ مقرّ الأمراء السلاجقة الأول في نيقية (إزنيك). هذا الانتصار، الذي أفسح في المجال أمام الامبراطور الكيسس كومنينس لاستعادة بعض الأراضي ونبلوغ المقاطعات الإيجية، لم يكن له إلا تأثير قليل على القوات التركية المسلمة، إذ إنها أعادت تجميع صفوفها حول قونية بعد مرور المنتصرين متوجهين نحو الجنوب. وعُرفت تلك المعركة باسم المدينة الإغريقية التي قامت مكانها مدينة أسكي شهر الحالية، على ملتقى طرق القوافل التي كانت تعبر مضيق الأناضول بين بورصة وإزنيك وأنقرة. وهذا انسهل جرت فيه مواجهات متعددة بين الجيوش العربية - الإسلامية والبيزنطيتين في العصور الأولى للإسلام، كما وقعت فيه معارك أخرى

الثعلبية، هو غياث الدين محمد شاه. وقد أمر بإعادة بناء الأسوار لحصانها ونقل إليها مجموعات إسلامية، بمن فيهم رجال إدارة أو رجال أدب وصوفيون، أنبئت بهم أمور الدعوة. وكان بين هؤلاء عدد من أتباع الطريقة الجشتية، وقد برز منهم برهان الدين غريب (المتوفى في العام ١٢٤٠م)، المدفون في المدينة والذي أعطى اسمه لبرهانپور.

توالى على حكمها الهميتيون ونظام شاعري أحمد نغر (١٤٩١-١٦٣٣)، ثم المغول خلال فترة توطيد حكم امبراطوريتهم في الدكن في عهد شاه جهان، وقد تركوا دمعاتهم خلال تلك المراحل التي سيطروا فيها على المدينة، ونهصوا بحماية موقع استرجعه المهورات في أواخر القرن الثامن عشر. وإذا كانت قصورها القديمة قد بادت، فإن المدينة ما تزال تحتفظ، من تاريخها الإسلامي، بأطلال تحصيناتها ومسجد جامع من القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، ولا سيما مئذنة جندماتاري قد تنافس قطب منار دلهي، وكان قد أمر بإقامتها، في العام ١٤٤٥، علاء الدين أحمد الثاني من الأسرة الهميتية.

❖ راجع المستندين ٣٠ و ٣٢.

دُومَة الجَنْدَل (المملكة العربية السعودية): اسم قديم لمنطقة الجوف الحالية، شمال غربي هضبة نجد، وتعود شهرة تلك المنطقة إلى علاقتها التاريخية بالاسلام في عهوده الأولى وإلى توسعه.

هذه المنطقة التي يعني اسمها «جوف» أو «سهل منخفض»، وهذا المعنى يتطابق مع طبيعتها الجغرافية إنطلاقاً من منخفض وادي سرحان الواسع. وقد شكّلت دائماً ممراً مفضلاً بين شبه الجزيرة العربية وسوريا الجنوبية، مع وجود منفذ باتجاه العراق. إن غناها بالنخيل آمن الغذاء لسكان مستقرين، وجعلها محطة تجاوب مميّزة منذ العصور القديمة، كما تأكدت أهميتها الاستراتيجية لدى قيام المملكة الأولى لآل سعود في آخر القرن الثامن عشر. وقد تحوّلت مسرحاً للصراع القبلي، وتعرّضت لاحتلالات مختلفة، إلى أن ضُمَّت نهائياً إلى الدولة السعودية التي أقامها ابن سعود بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٥.

وقد بقي اسم دومة الجندل، في المصادر العربية،

الحكم، ذلك أن تغلب المعاداة الغربية كان قد بدأ يطبع بطابعه البلاط والمجتمع العثمانيين.

الدولة، مصطلح عربيّ يعني «السلطة، السُلالة (الحاكمة)، نظام الحكم، لاقى رواجاً خاصاً في الأوساط الحكومية للإسلام في القرون الوسطى، منذ قيام إمارات ذات أنظمة متنوّعة على هامش الخلافة الضعيفة.

وكلمة دولة، تشمل، بالمعنى الواسع لها، كل سيطرة تمارسها سلالة حاكمة على بلد معين وفاق نظام محدّد، كما تنطبق على أية سيطرة يمكن أن يمارسها أشخاص، مثل الوزراء من أسرة البرامكة في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، في [إطار] امبراطورية الخلافة العباسية.

إن هذا التعبير الذي أضيف، خلال القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، إلى بعض الألقاب الرسمية. أخذ يعني، بشكل أدق، سلطة زمنية في مقابل لفظة «الدين» التي استُخدمت كذلك، في صياغة بعض الألقاب المرتبة. وقد وضح الفرق بينهما، بوجه خاص، زمن البرهانيين، هؤلاء الأمراء الكبار الذين خلع عليهم الخليفة ألقاباً مركبة من كلمة «دولة»، لا من كلمة «دين»، إذ كان يُفترض لهم أن يمارسوا سلطة زمنية القاطع. وفي ما بعد، بسبب اتساع استعمال المفردات، حصل خلط بين المصطلحين، فحمل بعض الأمراء ألقاباً مركبة من كلمة دين، كما من كلمة دولة، شأنهم في ذلك شأن رجال الدين الذين كانوا قد خُصّوا، لفترة معينة، بألقاب مركبة من كلمة دين، بدون غيرهم.

دولت آباد (الاتحاد الهندي)، هي ديوجير القديمة، مدينة تقع في الشمال الغربي من الدكن، حملت كذلك اسم فتح آباد، وقد شكّلت، لعمدة طويلة، القاعدة الاستراتيجية للمسلمين الشاهين إلى بسط سلطتهم على المناطق الهندوسية الجنوبية.

إن الاستيلاء على ديوجير، في أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، الذي حققه سلاطين دلهي من سلالة خلجي، قُبِته فترة مضطربة وضع نهاية لها احتلال تلك المدينة، عام ١٣٢٧/٧٢٧م، بصفتها عاصمة ثانية، باسم دولت آباد، من قبل أمير من الأسرة

ديار بكر (الجمهورية التركية)، مدينة في أعلى بلاد ما بين النهرين، كانت تُعرف في القرون الوسطى باسم آمد، بقيت مركزاً إدارياً ناشطاً بعد أن أدت دوراً تاريخياً منذ دخولها في الإسلام خلال القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد.

تقع ديار بكر في الوادي الأعلى لنهر دجلة، على هضبة بازلية قاحلة، غير بعيدة من الضفة اليسرى للنهر الذي تشرف عليه. وقد شكّلت مدّة طويلة موقعاً إستراتيجيّاً منيعاً في أطراف الأناضول الجبلية. وبحكم صعوبة الوصول إليها بالطرق المختلفة التي تصلها بماردين وأورفا وهاربوت، وبالمقاطعات الواقعة شرق بحيرة وان وبلاد القوقاز، فقد شكّلت للحلفاء الأمويين والعباسيين حصناً منيعاً في وجه الأمبراطورية البيزنطية.

في عصر الفتوحات الكبرى، سقطت القلعة المنيعّة من دون مقاومة في أيدي الفرق العربية - الإسلامية سنة ١٩/٦٤٠م. وتحوّلت بعد ذلك مدينة حدودية تحمي المقاطعات الإسلامية شرق الأناضول. وتعرّضت غير مرّة لتهديد البيزنطيين، فدافع عنها البوهيون ثم الحمدانيون، كما دافع عنها الحكام المحليون شبه المستقلين كالمروانيين والإبنايين، والنيسابيين، وذلك قبل التدفق التركي إلى الأناضول مع السلاجقة الكبار وبعده. ثم وقعت المدينة في أيدي «الأتقيين» أسيا د ماردين وحصن كيفا ومبارقين. وبعد أن اتخذوها عاصمة لهم عرفت نوعاً من الإزدهار المائل في الأبنية التي شيدت فيها. وطمع بها أسيا د سوريا والأناضول المسلمون، فاحتلّها سلاجقة الروم سنة ١٢٤١/١٢٣٩م، قبل أن يغزوها المغول، وتتنازعها بعد ذلك سلطتان تركمانيتان متنافستان هما القراقونلو والآق قيونلو، وبدوره انتزعها منهم الشاه إسماعيل الأول من السلاطة الصفوية، ووقعت أخيراً في أيدي العثمانيين سنة ١٥٦٦م.

عاشت مدينة آمد، كما كانت تُسمّى آنذاك، حالة ضعف وانحطاط بعد ذلك، وأصبحت عاصمة إقليمية بسيطة. وفي القرن السادس عشر تغيّر اسمها من «أيد» إلى «ديار بكر»، وكان هذا الاسم يُطلق على المنطقة التي تقع فيها المدينة في بلاد ما بين النهرين العليا حيث

موضوع التباس مع محلتين أخريين تحملان اسم دومة، واحدة قرب دمشق وأخرى قرب الحيرة. ولا شك في أنّها كانت أحد أهداف الحملات الحربية التي قادها النبيّ محمد بن عبد الله (ص)، على دفعات ثلاث، بين سنتي ٦٢٥ و٦٣٠م. وقد احتلّها خالد بن الوليد سنة ١٢/٦٣٣م. واختيرت مكاناً أوّلً للحكيم بين علي ومعاوية إثر موقعة صفين، بينما الاجتماع الثاني عُقد في أذربح.

وهستان، إسم أُطلق في القرون الوسطى على مقاطعتين من إيران الإسلامية، ولا سيّما على مقاطعة ذات أهمية إستراتيجية وتجارية كبيرة تقع شرقي بحر قزوين.

هذه المقاطعة تشكّل اليوم جزءاً من جمهورية تركمنستان، وقد شكّلت، على تخوم صحراء الغز، منطقة حدودية متمرّص غزوات الأتراك البدو، وتشرف على طريق القوافل التي تصل خوارزم بجرجان المتاخمة لها من الجهة الثانية لنهر «أترك»، كما تروّع فيها عدد من الواحات المروية. أمّا عاصمة المقاطعة فهي مدينة «دهستان»، أو رباط دهستان، وهذه التسمية تدلّ على أنّها لعبت دوراً في حماية المنطقة، إذ إنّها بنيت حول رباط. وقد اشتهرت بأبنيتها التي ما تزال خرابتها الضخمة قائمة، وهي تعود إلى القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد. وهذه الخرابات يطلق عليها اسم «مشهد بسرائر».

دَهْلُك، أرخبيل في البحر الأحمر، يقع في عرض ساحل أريتريا، ويضمّ أكثر من مئة جزيرة صغيرة وعدداً من المنصخور. اشتهر في القرون الوسطى وعرف، لمرحلة، ازدهاراً اقتصادياً.

كانت جزر دهلك قديماً منفى ومعتقلاً في عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين. وفي القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد نالت استقلالها، فكانت محطة بحرية شكّلت فيها إمارة اغتنت بالتجارة وأعمال القرصنة، كما كانت على علاقة بدولة المسالك في مصر. ومع ظهور البرتغاليين سنة ١٥١٣، تعرّضت الجزر للتخريب على دفعتين، ثم وقعت في أواخر القرن في أيدي العثمانيين. وفي سنة ١٨٨٥ ألحقت بأريتريا التي كان قد احتلها الإيطاليون.

■ راجع المستدرف ٢٥.

المجتمع عنه بشكل «أديرة إسلامية».

١ - إنتشرت «الأديرة» الإسلامية، التي عرفت لزدها رافق انطلاق الصوفية، بشكل خاص بدءاً من القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، في مختلف مناطق العالم الإسلامي. لكن وجود هذه الأديرة يعود إلى فترة سابقة لا تتوافر لدينا حولها معلومات واضحة تتعلق بتنظيمها. وفي ما بعد حملت هذه الأديرة، بشكل مبهم، تسميات مختلفة - سواء عربية كرباط وزاوية، أو إيرانية مثل خانقاه، أو كذلك تركية مثل نكه أو نكبة - تفاوتت تفصيل استعمال إحداهما على الأخريات بحسب المناطق. وهكذا فالخانقاه عرف، في الشرق، النمو الأكثر إثارة للإهتمام، إن كمؤسسة وإن كفن معماري؛ وفي المقابل، تكاثرت الرباطات والزوايا في المغرب حيث استمرت انتباه الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر؛ وأخيراً فإن كلمة نكه أو نكبة هي المرادف، في اللغة التركية، لـ «خانقاه» ولزواوية. مع أنَّ تسمية «زواوية» هذه، التي كثر استعمالها في الأوساط العثمانية، انتهت بها الأمر بدخولها اللغة التركية بصيغة «زافيه».

وبمعزل عن هذه التسميات، يمكننا أن نميز، من الناحية الوظيفية، ثلاثة أشكال من «الأديرة» الإسلامية: الدير - الثرل الذي هو الأقدم وجوفاً من دون شك، وكان معداً لاستقبال رجال التقوى من عابري السبيل في مدينة ما؛ ثم «الدير» المبني حول محل الإقامة الشخصي لشيخ أو بير حيث كان هذا الأخير يسدي نصائحه الروحية لمريديه وزواره من مختلف المراتب؛ وأخيراً «الدير» التابع لطريقة صوفية، الذي عُرف في فترة متأخرة من القرون الوسطى، وكان مقراً للحياة المشتركة ولأنشطة الأعضاء المنتمين إلى طريقة ما، المتزوجين منهم والعازبين. وفي كل مكان، كان هؤلاء الصوفيون يؤدون الصلوات الخمس ويبيتون فيه منصرفين إلى «الذكر»، وكان بعضهم يتفرغ، جزئياً أو كلياً، لتلاوة القرآن وكذلك لممارسة الفروض الدينية الأخرى التي قد تتضمن جلسات موسيقية أو حتى حلقات رقص.

في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، كانت في مصر زوايا كبيرة مهتأة لاستقبال ٤٠٠ صوفي

نزلت في الماضي قبائل عربية، فأطلق اسمها على هذه الأراضي، أي ديار بكر.

والمدينة المبينة بالحجارة السوداء غنية بالمعالم الأثرية. إن أسوارها التي تعود إلى العهد البيزنطي أدخلت عليها تعديلات في العصور الإسلامية، وزينت بكتابات عربية منقوشة ذات قيمة تاريخية وقيّمة ومسجدها الجامع الذي يحوي مosaic قديمة مهمة أعيد استعمالها، خضع لتعديلات متعددة منذ أن بني بحسب هندسة المساجد الأموية التقليدية، وهو جدير بدراسة متأنية ومعقّمة. والمدينة التي حافظت على منظرها القديم لا تزال تحتضن أبنية من العهود الإسلامية السابقة، منها مدارس أرثوذكسية وأبنية من عهدي الآق قيوللو والعثمانيين، فضلاً عن قصر أرثوذكسي كشف عنه داخل القلعة.

«راجع المستندات ١٧، ١٨، ٢١».

الدَّيْلُ، مرفأ قديم على دلتا نهر الهندوس، لم يستطع المتقنون حتى الآن تحديد موقعه بدقة، كان له شهرة في القرون الوسطى الإسلامية، تفوق شهرة المدن التي ظهرت في ما بعد، ولا سيما مدينة كراشي الحديثة. وقعت مدينة ديل في أيدي المسلمين سنة ٩٤٤هـ/ ٧١٢م، في أواخر مرحلة الفتوحات الكبرى، وشكلت محطة أساسية في فتح منطقة البلد التي لا تزال، منذ العصر الأموي، تشكل جزءاً من العالم الإسلامي. وقد استمرت مزدهرة، قيل أن تغمرها الوحول، حتى القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، عندما شُيّد فيها مسجد جامع على يدي أحد ملوك الخوارزمشاهيين وهو جلال الدين الذي احتل المدينة سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م. أما مرحلة انحطاطها فلا نعرف شيئاً عنها، ويبدو أنَّ تاريخها يرتبط بكتابات تعود إلى العصر العباسي، عُثر عليها خلال عمليات التنقيب عن الآثار في منطقة «نيسبور».

«راجع المسند رقم ٣٠».

الدَّيْر، تعبير يشمل معناه مجموعات متنوّعة من المؤسسات لها تسميات مختلفة في اللغة العربية، منها ما ظل قائماً في المجتمع الإسلامي القروصلي، مع دور محدد، كالأديرة المسيحية، ومنها ما نما في هذا

ضُمَّتْ إجمالاً أضرحة هؤلاء السلاطين، نُعِدُّ من الإنشاءات الأعظم روعةً التي أقامها السلاطين الأوائل من السلالة العثمانية.

وابتداءً من القرن الخامس عشر، رغم تنوع الأنظمة الخاصة بكل طريقة، كانت الزوايا الفضخمة التي اتخذت أهمية متزايدة في تاريخ فن العمارة الإسلامي، تضم في أرجائها حياة ديرية صوفية تتوافر لنا حولها معطيات أفضل من تلك المتعلقة بالمراحل السابقة، كما أنها تُبرز وجود بعض صفات مشتركة بين منطقة وأخرى. وكلما توسع انتشار طريقة ما بعد نشأتها، ازداد عدد الأديرة التابعة لها والخاصة لمرشدتها. لكنَّ خلافة هذا المرشد لم تكن دائماً وراثية: «البِنوة الروحية» كانت في بعض الأحيان تلعب دوراً في اختيار الخلف؛ وفي أحيان أخرى كان يصار إلى انتخاب الخلف من بين الأعضاء. وكانت العلاقات المؤسسية بين مختلف المؤسسات أيضاً متحركة، رغم وجود ممثلين لكلِّ شيخ في مختلف المناطق، يُطلق عليهم اسم خليفة أو مقدّم في البلدان العربية، وبير أو دده في العالم الإيراني-التركي. أما الصوفيون الذين كانوا ينتمون إلى مؤسسة فكانوا يُقسمون فئتين: الدراويش، بالمعنى الحصري للكلمة، الذين يدلّ عليهم التعبير العربي «فقيه» و«فقراء»؛ و«المتنسيون» الذين يُقبل النساء في صفوفهم.

وكان الوافدون الجدد الآتون للإقامة الدائمة في هذه الأديرة يخضعون لفترة تأهيل يمنحون في نهايتها «الخزقة»، وهي الرمز الظاهر الذي يدلّ على طريقة الحياة التي اختاروها، إضافة إلى قطع لباب أخرى في بعض الأحيان. ويشتمل احتفال التأهيل إجمالاً على قسم خضوع للشيخ وتلاوة صلوات متنوعة يخلف محتواها بحسب كلِّ طريقة^(١٠٠). هناك قسَم كان يقوم به أتباع الشاذلية، وقد وصل إلينا نصّه على الشكل الآتي:

«يا إلهي، أنا أتوب اليك وأقبل معلماً لي أنتيخ... أقل به شيخاً في هذا العالم وفي العالم الآخر، أقل به معلماً وسيداً في حضرتك الإلهية، ومرشداً على طريقك. لن أخالف تعاليمه لا قولاً ولا فعلاً، لا سراً ولا علناً. يثبتي يا إلهي على طاعة وعلى طريقتي في هذا العالم وفي الآخر، يثبتي يا إلهي على طريقة الشيخ الأكبر وإمام الأئمة. قلب الجماعة سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه.» ومن الممكن أن تكون عناصر مشابهة لمثل هذه

على ما يقال. لكن، في أكثر الأحيان، كان حجم الزوايا متواضعاً، حتى لو كان يتم دمجها عند الحاجة بأبنية أخرى قائمة داخل مجمّع معماري واحد، ومعدة أصلاً للاحتفالات الجنائزية أو لوظائف تعليمية. أمّا إذا كانت هذه الأديرة مدمجة بضريح أو بقبر بسيط لشيخ عُرف بالتقوى وحلّت عليه البركة الإلهية، فإنها تتحوّل، بهذه الحجة، موضع زيارات تقوية تُسهم في تكريم وليّ المكان الطاهر. وكانت تُلقى في هذه الزوايا دروس في مواد دينية وتقنية كالفقه وعلم الكلام وتفسير القرآن. لكنَّ هذا الأمر كان ذا طابع إستثنائي، إذ إنه ينشر التنافس بين الزوايا والمدارس الدينية، بينما كانت كلتا المؤسساتين تتناميان بشكل متواز.

في هذه الحقبة أيضاً، تكاثرت الإنشاءات الفضخمة التي حلت محل الخواص المتواضعة التي كانت قائمة في الحقبة الأولى؛ ومنذ القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، كانت هذه الأبنية تجمع، حول مقر إقامة هذا الصوفي الشهير أو ذاك، أو حول الأشياء التي تذكّر به، مختلف الإنشاءات الضرورية لتنظيم العمل في مراكز الصلاة والارشاد الروحاني هذه التي كانت تنمو في آن كمزارات. وكانت هذه المراكز تقوم بتوزيع الإحسانات التي تسمح بها مداخيل الأوقاف التابعة لها. وهناك أمثلة بارزة عن هذه المؤسسات في الهضبة الإيرانية، كمزار التبسطامي قرب بسطام، ومزار الأنصاري المعروف بغرغاه في ضاحية هراة. ويمكن أن نصنّف في هذه الفئة أيضاً «المجمّعات المعمارية» ذات الطابع الصديني التي خلّفها المماليك في مصر، كمجمّعات السلاطين قلاوون وقانصوه النوري في القاهرة؛ كذلك المؤسسات الخيرية المشهورة في المغرب التي تحمل اسم أبو مدين أو سيدي بومدين في تلمسان، أو مؤسسات إدريس في مولاي إدريس. وتندرج في هذه الفئة أيضاً المؤسسات الخيرية التي اختارها التبريتيون مدافن لهم، وقد بنوا زاوية سلا قرب الرباط. ولأسباب مشابهة، ازدهت في المدن العثمانية، في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، مثل بورصة وأدرنة وخصوصاً إسطنبول، مساجد - زوايا محاطة بأبنية عذّة مخصّصة لاستضافة الدراويش. وكانت هذه الأبنية التي

ويَقْدَم لنا دير القديسة كاترينا الشهير في سيناء - الذي حافظ حتى يومنا هذا على سماته القديسة وعلى وثائق تشهد على نقليات تاريخه الطويل - نموذجاً يبيح فهم طبيعة النزاعات القانونية التي كانت تضع هذه المؤسسات، في بعض الأحيان، في مواجهة حكومات لم تكن تتردّد في استنزافها ماليّاً. ورغم أنّ هذه الأديرة كانت، من حيث المبدأ، معفاة من دفع الجزية. ومع ذلك كانت هذه الحكومات، من حيث المبدأ أيضاً، تنظر بعين الاعتبار إلى المطالب والشكاوى التي ترفعها هذه الأديرة؛ كما أنّ أيّ إجراء من قبلها لتدمير هذه الأديرة كان يشكّل مشاً خطيراً يحثوق بالأقليات المحمية في الإسلام.

وبطبيعة الحال، كان وضع كل من هذه الأديرة يختلف بحسب المكان والزمان، وكذلك تتنوع الضمانات الممنوحة لها، أو بالعكس طبيعة المضايقات التي يتعرض لها أهل الكتاب الذين عاشوا أحياناً اضطهادات محصورة في إطار محلي. وتبقى فترة حكم «الحاكم بأمر الله»، خلال الخلافة الفاطمية، مشهورة في هذا المجال. وعلى مرّ العصور، تناقص عدد أهل الكتاب بشكل عام، بمقدار ما كانت الإجراءات التي تفرض عليهم وضعية دوية دائمة، تفعل فعلها: فقد تراقق الاضمحلال التدريجي للشعوب المسيحية في المغرب وبعض مناطق الشرق الأدنى مع تناقص موازٍ في عدد الأديرة المسيحية، حتى قديمة العهد منها، التي عانت على ما يبدو صعوبات متزايدة بدءاً من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد. ولم يستمرّ منها إلّا القليل حتى يومنا هذا، وذلك في بعض المناطق الجبلية في بلاد ما بين النهرين العليا ومصر وسوريا وليبان.

وكانت هذه الأديرة قد عرفت في مرحلة سابقة، وبخاصة في العصر الذهبي للعباسيين، شهرة مطابقة للدور الذي بهضت به آنذاك، في أراضيها الزراعية المزدهرة، بصفتها مراكز حياة فكرية وثنية مرفهة. فقد أُنشئت هذه الأديرة، في ظلّ الحكم الإسلامي، استمرارية المعارف القديمة والتقاليد الأسلوبية، وكذلك بعض ممارسات الترفيه المحرّم. وقد ساهمت إلى حد

الغفوس قد ظهرت، منذ العصور الأولى للإسلام، وانتشرت في اتجاهات عدّة، ومنها استعمال «الخرفة الصوفية» في الأوساط الصوفية خلال هذه الحقبة، قبل أن يصبح استعمالها معتمداً في العصور اللاحقة. بعد أن حصلت هذه الطرائق على الاعتراف الواسع بوجودها في عالم الإسلام. ومن الممكن أيضاً أن تكون أماكن الاجتماع والخلوّة - المعاصرة لوجود الربط العسكرية التي عُرفت على حدود الدول غير المسلمة وعلى طول السواحل - قد توافرت في مدن الشرق منذ العصر الذهبي للإمبراطورية العباسية، ربّما على شكل خانات - نزل شيدت بجوار المساجد الكبرى التي كانت آنذاك تستقطب الجزء الأهم من أنشطة التأمل الديني والتعليم. على أنّ هناك شيئاً في ما توردّه المصادر الأدبية العربية حول هذا الموضوع من معلومات يمكن الاعتماد عليها للخروج باستنتاجات أكيدة، والاستناد إليها للتحقّق من الآثار المعمارية التي هي، فضلاً عن ذلك، قليلة الوجود. إن الزوايا الإسلامية التي بُنيت لتأوي أوائل المنصويين إلى الصوفية لم تنصع، في أيّ حال، لبرامج هندسية أكثر دقّة من تلك التي كانت راجعة في أواخر القرون الوسطى، والتي استُخدمت لتشييد المدارس الدينية والخوانق على السواء، إذ استعملت فيها تصاميم متماثلة لأن أهدافها متشابهة: حياة جماعية، احترام التقاليد المشتركة، التقهية والصوفية، التي كانت تستغل عبر التعليم.

٢ - إلى جانب هذه الأشكال الجديدة للمؤسسات «الديرية» في الإسلام في القرون الوسطى، استمرّت قائمة في الشرق الأدنى بعض الأديرة المسيحية التي يعبر عنها بكلمة «دير» السريانية الأصل وقد تكيفت هذه الأديرة على طريقتها، بشكل عميق، مع عادات الحياة اليومية للجماعة الإسلامية. وكانت هذه الأديار - التي شكّلت للحياة الرهبانية محاور استقطاب سابقة للإسلام - متجزّرة منذ فترة طويلة في بعض المناطق كالعراق وبلاد ما بين النهرين العليا وسوريا ومصر؛ وقد أفادت هذه المؤسسات، سواء لاستمرارها أو نموّها، من الشروط القانونية الممنوحة لمؤدّي الجزية الذين ظلّوا يعيشون على الأراضي الإسلامية وفاق نظام أهل الذمة.

إلى مصر ويلاذ ما بين النهرين العليا، والتي تنتمي سماتها المميزة مع سمات النتاج الإسلامي المعاصر لفترة نفسها والمحفوظ في المناطق عنها.

ديفريجي (الجمهورية التركية)، مدينة تقع شرق الأناضول، فيها معالم أثرية تعود إلى عصر سلاجقة الروم. إثر افتتاحها من قبل مجموعات تركية، بعد معركة ملاذكرد/مانتيكورت، خضعت مدينة «ديفريجي» للبيزنطية القديمة والمناطق المجاورة لسلطة سلالة صغيرة من التركمان هي سلالة السنجوكيين. فقد استقر في المدينة فرع منها وأقام حتى سنة ٦٥٠/١٢٥٢م، وما عثم أن اعترف، في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، بسيادة سلاجقة الروم. ثم بُنيت المدينة على أيدي المغول وانتقلت إلى سيطرة أمراء منهم، وهم الأرتينيين الذين حكموا في سيواس وفيسيرة. وخلفهم في الحكم القاضي بربان الدين، ثم ضُمَّت المدينة إلى الدولة العثمانية سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. وقد انتزع المماليك، أسياذ سوريا ومصر، مدينة ديفريجي مدة وجيزة، ثم استعادها العثمانيون سنة ١٥١٦م، خلال الحملة التي قادها السلطان سليم الأول.

تحوّلت المدينة بعد ذلك بلدة صغيرة معزولة، لكنها حافظت حتى اليوم على بقايا قلعة ذات جدران متينة، وعلى عدد من الأبنية، بينها مجمع معماري فيه مسجد كبير ومستشفى ملاصق له. وهذا المجمع بُني سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م، وأدخلت عليه تعديلات سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م، وهو يشكّل واحداً من أجمل النماذج المعبرة عن فن محلي اعتمد على الحجر، وعن فن البناء والزخرفة الذي تميّزه عهد السلاجقة الكبار في إيران.

الدَّيْلَم، تسمية لاقت رواجاً لدى الجغرافيين المسلمين في القرون الوسطى، فكانوا يشارون بها إلى مجموعة المناطق الواقعة جنوب بحر قزوين، وتمتد أحياناً باتجاه جبال ألبورز، انطلاقاً من جيلان حتى مناطق مازندران وجرجان وقومس.

كان بروز أسرة ديلمية، هي الأسرة البويهية، في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، في أساس التوسع في استعمال هذه التسمية التي

كبير في نشر الإنتاج الفكري الهلنستي الذي كانت تحفظه في مكتباتها الفنية، والذي كان غالباً مترجماً بالسرانية قبل نقله إلى العربية. لذا كانت هذه الأديرة منبعا لكثاب عملوا في إدارة الأمبراطورية، حتى إن بعضهم رقي، بعد اعتناقه الإسلام، إلى سدة الوزارة. وكانت أبواب هذه الأديرة مفتوحة لعباري السبل، كما شكّلت محطات استراحة للمسافرين، أو ملجأ لشخصيات كبيرة كانت تحس نفسها، في بعض الظروف، في مأمن في هذه الأديرة أكثر منها في أي مكان آخر. ويتحدث المؤرخون العرب عن زيارات الملوك والأمراء في أثناء رحلات الصيد، للرهبان في الأديرة المجاورة، حيث كان هؤلاء يقدمون لهم المأكّل والمشرب. وكذلك كانت هذه الأديرة تستقبل الكثيرين من الزوّار المسلمين الذين تجذبهم الحانات المنتشرة في جوارها وحيث كان في إمكانهم إبتاع الخمرة ومعاقرها بكل حرية. وعلى مقربة من المدن الكبرى، وفي أثناء الأخذ بأسباب الترفية التي كانت تطبع الاحتفال ببعض الأعياد، كان محيطها يتحوّل في أكثر الأحيان مكاناً للهو، وحتى للفسق. وقد تردّد صدى ذلك في قصائد الخمرات والشعر الغزلي آنذاك، وكذلك في الروايات التي نقلت في نايها سلوك الملبس لأهل الأديرة، وهذا ما يفسّر أيضاً أنّ بعض الكتّاب المسلمين في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، ولا سيّما في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، كرسوا لهذه الاحتفالات مؤلفات كاملة جمعت في طبائنها الأشعار العربية التي تحدثت عنها، والنوادر المتعلقة بالشخصيات التي كانت تؤمّها.

وهكذا، رغم التغيرات ذات الطابع التاريخي التي أدّت، منذ القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، إلى خراب هذه الأديرة وهجرها، بعد أن عرفت لفترة طويلة نشاطاً ملحوظاً، فإنّه من الممكن اعتبار بقاياها الأثرية في عداد الببئات التي تلقي أضواء على الحضارة الإسلامية في تلك الحقبة، سواء في ما يتعلق بزخرفة الجصّ في الأديرة المصرية في وادي الفُطُرون، أو منحوتات دير مار بهنام في جوار الموصل، أو المخطوطات المزخرفة، التي تعود أصولها بخاصة

تحمله كلمة «دين» فتجده في كلمة «مدينة»، مركز القضاء ومركز السلطة، وقد استعملت هذه الكلمة في عهد النبي للدلالة على المكان الذي أقام فيه لإدارة شؤون الجماعة التي أسسها، وهي واحة يثرب التي عُرفت في ما بعد باسم المدينة.

الَّذِينَ (تسديد -)، إجراء مراعى في الإسلام، يركز على آراء فقهاء القرون الوسطى الذين شرحوا في هذا المجال آية قرآنية فيها التباس.

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَوْصِي بِالْأَمَانَةِ لِلْإِثْرَامِ، ولكنّه يُبَدِي تَسَامُحاً تَجَاهَ الْمَدِينِيِّينَ، بشهادة الآية:

﴿وَلَا يَكُنْ لَكُمْ دُونِ اللَّهِ مُبَدِّلٌ لِمَا أَنْزَلَ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٨٠).

وينبغي على المستدين المفلس أن يتقدم أمام القاضي، الذي يقيم جرده لممتلكاته ويبيع عند الاقتضاء قسماً منها لتسديد حساب الدائنين. فيخسر بذلك الحق والقدرة على إدارة رزقه، لكن هذا الوضع لا يمسّر الحقوق المتعلقة به شخصياً.

ديوان، لفظة إيرانية الأصل، أصبحت «ديوان» في التركية، وانتقلت بصيغتها هذه إلى الفرنسية، وهي تعني مقعداً واطناً لأشخاص عدة، ممّا كان يستعمله أصحاب الرتب العالية من الموظفين العثمانيين. أمّا معناها التاريخي فهو «سجل» أو «مصفّ»، وهو كذلك «قسمة إدارية».

استعمل هذا التعبير منذ العصور الأولى للإسلام. للدلالة على مجموعة شرعية من جهة، ومن جهة ثانية على السجلات الإدارية، ونالها على المكاتب التي كانت تستعمل هذه السجلات بأشراف موظفين وأمناء سرّ فاعلين، متعدّدين وطموحين. وفي مرحلة متأخّرة، أصبحت الكلمة تعني كذلك رئيس تلك المكاتب. كما كانت الحال عند السُغُول في الهند؛ وتعني مجلس الوزراء كالمجلس السلطاني الذي كان يتكوّن من اجتماع رئيس الوزراء والوزراء عند العثمانيين.

وقد أُنشئ الديوان الأوّل، بحسب التقليد، في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وهو ديوان الجند، فأوجده لتسجيل أسماء المحاربين العرب الذين كانوا

أُطلقت، في البدء، على المناطق المرتفعة من جيلان حيث كانت تقيم قبائل شرسة، وتقابلها أراض منخفضة خصبة وكثيرة المستنقعات في المناطق الساحلية. ومنذ عصر الفتوحات العربية - الإسلامية اكتسبت لفظة الديلم هذه، في استعمالها الضيق، معنى خاصاً يشير إلى منطقة عاصية صعبة الترويض، تحوّلت لاحقاً إلى ملجأ للثائرين على سلطة الخلافة المركزية، وبينهم عدد كبير من العلويين الطامحين إلى الحكم. ولكن التسمية في استعمالها الواسع حافظت، بفضل نجاح البويهيين السياسي والعسكري، على المفهوم الحربي في معناها، وازداد هذا المفهوم وسوخاً مع بروز الاسماعيليّة الجديدة أو الثوّارية في قلعة ألمات. ثم جاء المغول مع هولاكو ففصوا على الثوّارية سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وأعمل بعد ذلك استعمال لفظة الديلم.

«راجع السند رقم ١٣».

دين، فضلاً عن معنى العبادة والمعتقد، ترتبط كلمة دين بمفهوم «المحاكمة والتسبيب»، وبمفهوم «الدين» ومفهوم «الخضوع».

ولا تعني هذه اللفظة العلاقات التي تربط الإنسان بالله كما يحدده معناها اللغوي في اللغات الغربية (religio)، بل تعني مجمل الواجبات التي يفرضها الله على مخلوقه الذي يتوجّب عليه الخضوع. بحسب ما تفرضه كلمة «إسلام». فلفظة «دين» تشمل مجموع الأنظمة التي حرص الله على إيصالها بلسان نبيه محمد (ﷺ)، عن طريق وحي أقرّ إلى إقامة تشريع ذي قيمة مطلقة.

في الاستعمال الشائع، غالباً ما ترتبط لفظة «دين» بلفظة «حق»، كما يظهر في عبارة «دين الحق». وهي تتعارض مع لفظة «ديا» التي تعني العالم الدنيوي، ومع لفظة «دولة» التي تعني السلطة السياسية، وكانت تتميز عنهما بوضوح كما يظهر في الألقاب المرتبطة التي كان يعطيها ديوان الخليفة في القرون الرابع لتهجرة/ العاشر للميلاد. ومع ذلك فقد جرت العادة عند المسلمين بإعطاء القاب تدخل في تركيبها لفظة «دين»، إلى شخصيات تمارس سلطة سياسية وليس فقط للفقهاء ورجال الدين. أمّا معنى «المحاكمة أو الحساب» الذي

للميلاد، وكانت بمثابة أجهزة حكم.

وفي عهد الحكم الأموي بقرطبة في الأندلس، كان التنظيم الإداري شبيهاً بالعباسي الشرقي، ثم أصبح مستقلاً مع التفتك وسيطرة ملوك الطوائف. كذلك الأمر بالنسبة إلى دواوين مصر في زمن الفاطميين، إذ جاءت على غرار ما كان عند العباسيين وحملت أحياناً أسماء مختلفة، ونذكر منها ديوان الأسطول الذي لم يكن له مثل خارج مصر. واستمر التنظيم الفاطمي نفسه قائماً مع الأيوبيين، وقد عُرف أن رئيس «ديوان الإنشاء» كان له دور رئيسي. وفي مرحلة لاحقة شهدت إدارة دولة المماليك تغييرات تعود إلى الطابع العسكري للنظام: هيمنة المسؤول العسكري على رئيس ديوان الإنشاء، تجزئة الوزارات وتوزيعها على أربعة أشخاص.

وفي إيران حيث الديوان، وتحديداً «الديوان الأعلى»، يشير إلى الحكم المركزي والإدارة المدنية، فإن الدوائر الأساسية كانت تتعلق بالرسائل والبراءات والقرارات، وبالإدارة المالية، وبالقضاء الذي تغير تنظيمه خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، فأُتبطت إدارته بجهاز جديد وأصبح أداة بيد السلطة المطلقة. وقبل ذلك فإن التنظيم الذي اعتمده السلاجقة الكبار استمر نفسه مع الإيلخانيين والسلالات التي أعقبتهم، وذلك بفعل استمرار الحكم الفردي من نظام إلى آخر. كذلك الأمر بالنسبة إلى الممول في الهند حيث تكررَت أساليب الغزنويين مع من جاء بعدهم.

أما السلطة العثمانية فقد عرفت هي أيضاً دوائر إدارية كثيرة وأُطلق على كل منها اسم ديوان. وكان أهمها ديوان المال، وديوان الرسائل الذي ألحق به الدوائر المختصة بتعيينات أصحاب الرتب العالية والوظائف الكبرى. والادارات بمجموعها كانت تحت إشراف مجلس سلطاني أعلى يُعرف باسم «ديوان همايون» وكان في عهده الأولى يعمل برئاسة السلطان، كما كان يضم رئيس الوزراء وعدداً من القضاة وأمناء السر.

ديونند، (الاتحاد الهندي)، مدينة تقع في مقاطعة أوتاربراديش الحالية شمالي دلهي، حضنت في أواخر القرن التاسع عشر مركزاً علمياً دينياً إسلامياً مناهضاً للغرب.

يتقاضون نفقات غذائية من الغنائم التي تجمع بعد الانتصار في الحروب ومن الضرائب الجديدة. وفي العصر الأموي جرى الفصل بين ديوان الجند هذا وديوان الخراج الذي كان يهتم بقضايا الضرائب وأضيف إليهما ديوان الرسائل، وديوان الخاتم.

وفي العصر العباسي، الذي قدّم نماذج لكل الأنظمة الإسلامية اللاحقة، تكاثرت الدواوين لتشمل مجموعة مكاتب متخصصة تعرف أسماءها ولا نعرف دائماً مهمات بعضها، وكان الوزير يؤمّن التنسيق بينها. فمنها ديوان الخراج الذي بقي قائماً، وكذلك ديوان الأملاك الخاصة للمعشر، وديوان الغنائم، وديوان النفقات، فضلاً عن ديوان الجند الذي حافظ على دوره واهتم بتسجيل أسماء المحاربين وسلاحهم وأجورهم. ويبدو أن الدواوين الضرائبية كانت خاضعة لديوان مراقبة، وإلى ديوان بيت المال الذي كانت مهمته إعداد الميزانية دورياً للمداخيل والنفقات، أضيف ديوان الخزانة الخاصة بالخليفة، أي المتعلقة بأمنه وعرف لاحقاً باسم «ديوان الفيض». وإلى ديوان الجيش أضيف ديوان الموالي والغلمان الذي اهتم بتحديث بحرس الخليفة. وكان قد ظهر من قبل ديوان الثريد المكلف بنقل الرسائل إلى الولايات وتأمين الأخبار المتنوعة للسلطة المركزية. وكان لهذا الديوان دور أساسي منذ العهد الأولي للخلفاء العباسيين. أما ديوان الرسائل حيث كانت تُحرر الرسائل والقرارات المتعلقة بالتعيينات، وبالعمليات المتنوعة، وديوان الخاتم الذي كان يدرج في هذه الوثائق ويُوزل عليها خاتم الخليفة، فقد استمر قائماً دونما تغيير يذكر، وكانا على علاقة بديوان السر، وربما كان هذا الأخير شبيهاً بديوان الخاتم.

وقد ظهرت لدى إدارة الولايات دواوين محلية لم تقف على ماهيتها بوضوح. ثم إن السلالات المختلفة التي نشأت جزاء تفتك الخلافة، بعد القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد وجزء التطورات المتلاحقة التي تلت غزوات الأتراك والمغول، أنشأت دواوين شبيهة بتلك التي عرفت ببغداد، وإن حملت أسماء مختلفة. من تلك الدواوين نذكر «الدواوين العليا» التي نشأت في الشرق خلال القرن السادس للهجرة/الثاني عشر

(ب) المدرسة الفكرية الإسلامية المعروفة باسم مدرسة ديوبند أمتت شهرة هذه المدينة التي تحتفظ من ماضيها بأبنية مهمة، منها مساجد يعود تاريخها إلى سلاطين دلهي من أسرة لودي، وأخرى من عهد المغول. لكن شهرتها الأساسية تأتت من المؤسسة الدينية التي أقامها محمد عابد حسين سنة ١٨٦٥ باسم دار العلوم، التي كانت تعطي دروساً ذات طابع تقليدي بإشراف

روحاني من قبل شاه ولي الله. وكانت حركة العلماء هذه تعارض بقوة محاولات التحديث التي يقوم بها سيد أحمد خان في أئيفار، وتأمل عودة الإسلام في تعاليمه المتعلقة بالعقيدة إلى الأصول. كما هدوت إلى إصلاح مجتمع إسلامي قادر على إحياء موقلانه القديمة، ليمارس حكماً سياسياً دينياً حقيقياً ويتنصر على أعدائه.

ما لا نهاية، على الآية ٢٩ من سورة التوبة: ﴿قَتَلُوا
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ اللَّهِ﴾. وفي أوائل
الكتاب حتى يَطْلُوا الْحِزْبَةَ عَنْ يَمِينِهِمْ وَيَسَارِهِمْ.

إن تفسير الفقرة الأخيرة من هذه الآية يحتمل
تأويلات مختلفة، وقد تأكد مضمونها بطريقة ما
بالموقف الذي اتخذته النبي نفسه (ﷺ). ففي أواخر
حياته وافق على عهود خضوع عدّة مع مجموعات
متعدّدة من اليهود والنصارى بصفهم من أهل الكتاب،
في حين أنّه كان، قبل ذلك، قد عامل بقساوة يهود
وأحاث المدينة وقرّر مقاتلتهم. ومن ثمّ طردهم والقضاء
عليهم. ويبدو أنّ هذا الموقف المتساهل نسبياً تنوّن
نهائياً إبان الفتوحات الكبرى، بحيث فرض اتّساع هذه
المظاهرة وإرتباطها بضالّة عدد الفاتحين الموزعين في
مناطق واسعة جدّاً، سياسة لبّنة تجاه المواطنين الأصليين
المخضّعين حديثاً، ولا سيما في حال أثر هؤلاء
الاستسلام، بموجب معاهدة صلح، على المقاومة
العسكرية.

من المؤكّد أنّ المحاولات الضرائبية الأولى
الخاصّة بأهل الذمّة طُبّقَت في هذه المرحلة، فأُلزِم
هؤلاء بدفع الجزية والخراج اللذين يشرّ إرساء نظام لم
يلبث أن يدا معقداً، وتبعاً له، شكل الخراج والجزية على
حساب أهل الذمّة ركيزة النظام المالي في كل الدول
الإسلامية. وفي هذا الوقت توضّح، نيّماً لمفهوم عهد
الذمّة، توازن اجتماعي كافٍ للسماح لعناصر إنّيّة ودينيّة
غير متجانسة بالتعايش داخل المجتمع الإسلامي الذي
كان، فضلاً عن ذلك، مثبّتاً تجاه احترام شريعته
الخاصّة.

فُكِر، تعبير يشير إلى نوع من الصلاة الفردية أو
الجماعية الخاصّة بممارسات الصوّفيّين، وقد درج هذا
النوع من الصلاة في المجتمع الإسلامي على شكل
تسيح.

ويعني الذكر تذكّر الله تعالى بحسب ما يرد في
القرآن الكريم: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذِكْرُ رَبِّكَ إِذَا كُنْتَ
وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَحْمَةً﴾ (سورة
الكهف، ٢٤)، أو ﴿وَذِكْرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَخِيَ بِالْقَتَنِ
وَالْإِبْطَرِ﴾ (سورة آل عمران، ٤١). يناقض الذكر
«الفكر» أي التأمّل، وهو يقضي بتكرار جملة «لا إله إلا
الله» المأخوذة من «الشهادة»، أو بترداد أسماء الله
الحسنى الواردة في القرآن الكريم. وهو غالباً ما يترافق
مع الرقص والموسيقى. فهذه العناصر التي تضاف إلى
الصلاة تسهّل الوصول إلى حالة النشوة والاتحاد بالله
تعالى، وهذه هي الغاية من انعقاد جلسات كهذه.

نميّز بين هذه الاحتفالات الجماعية التي تطوّرت مع
تطوّر التصوّف في الإسلام، وبين الذكر الفردي الذي
يقوم على عبارات التداوّد والدعاء تُتلى بعد الصلاة وفي
مناسبات متنوّعة. وهناك تمارين شبيهة تقوم على تكرار
آيات قرآنية بحسب ترتيب معيّن، وهي تشكّل ما يُعرف
باسم «الورد»، إشارة إلى طريقته صوفيّة لدى فرقة من
الفرق.

الذمّة (أهل -)، هم مجموع غير المسلمين ممّن
يعيشون بشكل دائم في بلاد المسلمين، ويتمتّعون بنظام
خاص هو نظام «الحماية»، ويدفعون الجزية لقاء عهد
الذمّة الذي عُقد لهم، شرط أن يرتضوا، في مقابل ذلك،
وضماً دوتياً معترفاً به شرعاً.
ويرتكز العهد الذي أبرم، والذي يمكن تجديده إلى

العربية راعياً بذلك، على ما يبدو، في التشديد على فرز المسلمين عن غير المسلمين. وفي المقابل، نجح النصارى، في بعض العصور، في تليين شروط الذمة التقليدية. إذ بنهاية القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد مثلاً، وعقب مفترقات المتوكل التي لا تعرف حقاً إذا ما كانت وضعت فعلياً موضع التنفيذ - نجح بعض كتاب الدواوين النساطرة، بتوسط بعض النساطرة الذين اعتنقوا الاسلام وتولوا مناصب عالية، بالحصول على تراخيص تجيز لهم بناء كنائس جديدة.

ولم يكن وضع غير المسلمين، في القرون الوسطى الأولى، مائلاً بين بلد وآخر، إذ كان يتبدل تبعاً للأنظمة ولوثيرة اعتناق الاسلام في صفوفهم. ففي مصر الفاطمية، على سبيل المثال، يبدو أن عدد المسيحيين ظل مرتفعاً، وكان بعض الحكام يحاملونهم. وقد أسندوا منصب الوزارة إلى مسيحيين، مخالفين بذلك التحريمات التي أوردناها سابقاً. إلا أنه في مصر الفاطمية نفسها، وفي عهد الحاكم بأمر الله، تعرّض المسيحيون لاضطهاد قاس. فالحاكم بأمر الله نفسه أمر بهدم كنيسة القيامة في القدس، ثم تراجع عن قراراته وأجاز إعادة بنائها، كما سمح للمسيحيين الذين تحولوا قسراً إلى الاسلام بالعودة إلى المسيحية.

لكن عملياً، وبوجه عام، إن فكرة الحفاظ، بصورة مستمرة، على مجتمع ذي طبقتين - من جهة طبقة السادة الذين يسمّون بانتماثلهم إلى الاسلام، ومن جهة ثانية طبقة غير المسلمين الذين لا يتمتعون بالحقوق نفسها - كانت تحمل في طياتها بذور عدم التسامح الديني الذي طبع، في كل العصور والمناطق، الدول الإسلامية المتشذدة في مواجهتها لمشكلة الأقليات الدينية. حتى إن النظام الطائفي الذي كان يُعتبر، في القرون الوسطى، أكثر الأنظمة تسامحاً، والذي كان يسمح لأهل الذمة بتولي مناصب إدارية، وحتى أيضاً مناصب حكومية، كان يشدد، على الأقل، على الفروق الأساسية بين أهل الذمة والمسلمين والتي تحول دون المساواة بين المجموعتين، إن في السلوك في الحياة اليومية، وإن تجاه الضرائب. وفي مناطق أخرى - ولا سيما في الشرق الأدنى، سيصبح الوضع أشدّ قسوةً ابتداءً من القرون

وتسمح لنا بعض الممارسات، التي طُلّت سارية في العصور العباسية، بإلقاء الضوء بوضوح على وضع أهل الذمة وفقاً للشريعة الإسلامية التقليدية: فكان أهل الذمة يخضعون لعدد من الالتزامات والمحرّمات والحد من الحقوق، كالزواج بألبسة تميّزهم عن المسلمين، منها الزناجر الملونة، ومنعهم من حمل السلاح، وركوب الخيل، واستحداث كنائس، كما ألزموا بدفع الجزية وضريبة على التجارة تفوق تلك التي كان يدفعها المسلمون، كما اعتبرت شهادتهم محدودة القيمة أمام القضاء، وحُرّم عليهم الزواج بمسلمات، كما حُرّم على من اعتنق الاسلام منهم الإرتداد عنه.

وفي المقابل، تمكّن أهل الذمة من إشغال مناصب عالية في المجتمع. فتولّى بعضهم وظيفة الكاتب وآخرون رئاسة الدواوين، على الرغم من أنهم كانوا ممنوعين من إشغال المنصب الأعلى في هذا الحقل، نعني به الوزارة. ومازس بعضهم مهنة الطب، ولا سيما المسيحيون، وأُسّس فريق آخر مصارف ومحال للصيرفة، وبخاصة اليهود. وكان حضورهم جلياً في معظم المدن، على الرغم من أنهم استمروا، في بعض المناطق، يمارسون الزراعة بنشاط. كما مثّلوا دوراً بارزاً في الأعمال الحرفيّة حيث احتكروا بعض الاختصاصات. فكانت الصباغة، بوجه عام، حِكْراً على اليهود. إن المناصب التي تولّاها أهل الذمة في تلك الفترة، في مختلف القطاعات، جعلتهم هدفًا للتداعيف من قبل بعض الكتاب المسلمين الذين تسبّبوا بخلق مناخ معادٍ لهم. ونتيجة لذلك، حاول بعض الحكام، في أوقات مختلفة - خصوصاً عندما كانوا يرغبون في إظهار غيرتهم على الاسلام - تطبيق البنود الأشد قسوة في حقهم من أحكام أهل الذمة التقليدية التي أرساها، بحسب ما يروى، الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

وفي العهد الأموي طبّق الخليفة عمر بن عبد العزيز أحكاماً من هذا النوع، وهو الذي اشتهر بتقواه وصرامته الأخلاقية؛ كما طبّقها، في العصر العباسي، هارون الرشيد، وفي ما بعد المتوكل. وصل الأمر بهذا الأخير إلى حدّ أنّه منع أولاد أهل الذمة من دخول المدارس

لثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد.

أما الأمباطوريات الكبرى الفاتحة، التي بسطت سيطرتها، في مرحلة لاحقة، على مناطق تسكنها غالبية من غير المسلمين، أكانت شعوباً أوروبية أخضعها لعمانيون، أو هندية أخضعها البهمنيون والمغول، فقد إجهت مشكلات من نوع آخر. فعند العثمانيين، خضعت شعوب الأناضول والروملي المسيحية، لفترة منية، خلافاً لأحكام الشريعة الإسلامية، لضريبة لغللمان (الدوشرما) التي أثنت عناصر جيش لإنكشارية. أما عند المغول فقد غلبت فترات التصب على الفترات النادرة والظرفية التي تميزت بالتوفيق بين لمذاهب المتعارضة، كما جرى في عهد «أكبر». استمر، في كل مكان، التمايز الاجتماعي - السياسي قائماً على الانتماء الديني. حتى إن البقعة القومية، في داية الحقبة المعاصرة، زادت مسألة الوضع القانوني لغير المسلمين تعقيداً، من دون أن تلتيه، ذلك أن لدساتير الحالية للدول غالباً ما تجهد لاحترام متطلبات لشريعة ونظم الفقه، ولكن تطبيقها باعتدال لا يكتفي لإرضاء مطالب الإسلاميين الأصوليين.

وأي، تعبير بشير، بموجب معاهدة الحماية، إلى غير لمسلمين الذين يعيشون في دار الإسلام من دون أن يتمتعوا بالمساواة مع المسلمين في حقلي الحقوق لقانونية والإقتصاد.

ويتعلق الأمر في الواقع بمؤذي الجزية الخاضعين لوضع قانوني، طبق أحياناً بصرامة في بعض الأماكن والعصور، كان من نتيجة دخول مستمر أعداد كثيرة في الإسلام.

الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان (٦٧٣ - ٧٤٨هـ / ١٢٧٤ - ١٣٤٨م)، مؤرخ وعالم سني، اشتهر في سوريا في بداية العصر المملوكي.

وُلد الذهبي في ميفارقين، ودرس الحديث في دمشق والقاهرة ومدن أخرى من الشرق الأدنى، ثم انصرف إلى دراسة الفقه على المذهب الشافعي، وأصبح بعد ذلك مدرّساً في دمشق حيث عاش ومات ودُفن. وترجع شهرته في زمانه إلى ضلوعه في علم الحديث،

ويظهر ذلك في أعماله المتعلقة بالبسر والتراجم. وهو صاحب كتاب «تاريخ الإسلام» الذي يعرض الأحداث البارزة منذ ظهوره حتى سنة ١٣٠٠هـ / ١٣٠٠م، ومجموعة ملاحظات وتعليقات مهمة.

ذو القدر (٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ - ١٥٢٢ م)، سلافة من البكوات التركمان من عهد الإمارات حكمت ألبستان، وكانت تابعة للممالك السوريتين المصريتين، ثم للعثمانيين.

عندما تسرب الضعف إلى الإيلخانيين عمد أحد القادة من الأتراك الرحّل، واسمه زين الدين قره جابن ذو القدر (من هنا اسم السلافة)، إلى الاستئثار بناحية ألبستان أو ألبستان سنة ١٣٣٧هـ / ١٣٣٧م، الواقعة في سهل مروئي داخل هضبة جنوب شرق الأناضول. وقد كانت هذه الناحية تشكل، بعد الفتوحات العربية - الإسلامية، واحداً من الثغور، وذلك قبل أن تتحول ساحة يتنازعها فرنج أنطاكية والدانشمندیون في سيواس. وسلاجقة الروم الذين جعلوها، سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م، مركزاً إستراتيجياً، والممالك الذين احرزوا فيها سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م، انتصاراً على الإيلخانيين.

أفاد قره جاب، وخلفاؤه من بعده، من مميزات عاصمتهم التي كانت مدينة ناشطة، لشح حروب متواصلة ضد جيرانهم الأرتقيين والقرمانيين، ولبسطة سلطتهم من كبادوقيا حتى كربوت وقيصريّة، ولكن حكمهم كان مركزاً بنوع خاص بين مزرعش وملطية. وقد تعرّض أولئك الأمراء لتهديدات تيمورلنك الذي غزا منطقتهم سنة ١٤٠٢م، ولهجمات القرايولنو والآق قبولنو في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، وأخيراً لاجتياح الصفويين الذين ضموا ألبستان ومرعش سنة ١٥٠٧م. ثم عمد أولئك الأمراء، الذين عرفوا تاريخاً مضطرباً، إلى التخلص من ضغط المماليك فتحالفوا مع السلاطين العثمانيين. وآخر ممثل لهم أعدمه السلطان سليمان القانوني، وأصبحت مزرعش عاصمة إقليمية. مع ذلك بقي عدد من أبناء تلك السلافة يتمتّعون بشيء من الامتيازات حتى أواخر القرن السابع عشر.

ذو القرنين ← الاسكندر الكبير .

ذي النون (بنو -)، (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/١٠٣٦ - ١٠٨٥م)، سلالة أندلسية صغيرة، نهضت في عصر ملوك الطوائف وشكلت لنفسها مملكة في وسط البلاد. ففي القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، تكوّنت في طليطلة وجوارها مملكة مستقلة تضم المقاطعات التي كانت تملكها، منذ القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، أي منذ عهد الخلافة الأموية في قرطبة، في قلب شبه الجزيرة الأيبيرية، أسرة أصلها من البربر عرفت باسم جدّها ذي النون. والجهود التي بذلها إسماعيل، الأمير الأول، تكلمت بالنجاح في عهد ولده يحيى المأمون. فقد أقام هذا الأخير علاقات طيبة بجيرانه المسيحيين واستطاع الانتصار على منافسيه المباشرين من المسلمين، كبنى هُود في سرقطة

والعامرتين في بلنسية. كما انتصر على بني عبّاد ملوك إشبيلية وانتزع منهم مدينة قرطبة سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م وهي رمز السلطة العليا التي كانت من قبل في أيدي الخلافة الأموية. إلّا أنّ موته، في السنة نفسها، وضع حداً للمجد القصير الأمد الذي عرفته طليطلة، إذ سقطت بعد عشر سنوات في أيدي المسيحيين في حروب الاسترداد. وقد جعل بنو ذي النون بلاطهم ملقى العلماء والشعراء، واغتنت المدينة في عهدهم بالتحصينات والأبنية المشهورة.

٤٢٧ - ٤٦٩هـ/١٠٣٦ - ١٠٣٨	إسماعيل الظافر
٤٢٩ - ٤٦٧هـ/١٠٣٨ - ١٠٧٥	يحيى المأمون
٤٦٧ - ٤٧٨هـ/١٠٧٥ - ١٠٨٥	يحيى القادر

◀ راجع المستنير ١١ و١٥.



رأس الخيمة ← الإمارات العربية المتحدة.

الرأي، كلمة تقنيّة عربيّة تعني «الرأي الشخصي»، استُعملت بهذا المعنى الخاص في باب الفقه، وبشكل عام في مجال الفكر التشريعي الإسلامي.

لجأ الفقهاء، إلى حدّ ما، إلى الاجتهاد الشخصي لمعالجة النقص في مصدرين أساسيين للشريعة هما: القرآن الكريم والسنة. وكان الحنفيتون أكثر من غيرهم أخذًا بالاجتهاد، بينما لازم الحنبلّيون، وكذلك الظاهريّون، حرفيّة النص. أمّا الشافعيّون فوقفوا بين الاثنين. وفي المهود الأولى، غالبًا ما كانت تتمّ المقارنة بين أهل الرأي وأهل الحديث.

ورئيس، كلمة عربيّة حملت في بلاد الإسلام، من العصور الوسطى حتّى يومنا، معاني متعدّدة عدّة.

تطابق كلمة رئيس، في العصور الوسطى، على كبير طائفة اجتماعيّة - مهنيّة مثل طائفة الأطباء في مدينة مهنّة، وكذلك بالنسبة إلى الفقهاء الملتزمين إلى مدرسة فقهية معيّنة، فإنهم يعترفون بوجود رئيس عليهم، ولكن من دون أن يُعرف دوره بالضبط. ربّما استعملت هذه الكلمة بشكل مماثل، في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، في مدن سورية للدلالة على رئيس الشرطة المحليّة الذي كان يقوم بتأمين مسؤولية الحكم وإحفاظ النظام، عندما كانت تضعف السلطة المركزيّة. اختفى هؤلاء الرؤساء عندما قام حكم مركزي قوي في عهد الزنكي نور الدين في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

استُعملت كلمة رئيس، لاحقًا، في التركيبة للدلالة على مهنّات رسميّة عدّة. كان «الرؤساء»، في بحريّة السلطة العثمانية، قوّاد سفن وقراصنة، وقد نجموا في

إطار نوع من الطوائف. نجد أيضًا لقب «رئيس الكتاب»، وهو لقب حمله رئيس الديوان العثماني، وقد أنشئت هذه الوظيفة، في القرن السادس عشر على ما يبدو، إبان حكم سليمان القانوني. كان هذا الشخص، الذي لُقّب أيضًا بـ «رئيس أفندي»، موقّظًا كبيرًا في السلطة مارس مهامه كأنه أشبه بوزير خارجيّة، إلى أن ألغى هذا المنصب أيام التنظيمات المعروفة بخط همايون، في العام ١٨٥٦.

غدت كلمة رئيس، في العصر الحديث. مرادفة لرئيس الدولة، وتعني رؤساء الجمهوريّة في مختلف الدول العربيّة في الشرق الأوسط. وقد اكتسبت هالة شعبية ساعدت على إضفاء شرعيّة على سلطة تنامت في إطار «جمهوريات» حديثة خاضعة لنظام حزب مسيطر. هكذا، مثلاً، حمل هذا اللقب جمال عبد الناصر في مصر، ولاحقًا صدام حسين في العراق.

الرابطة الإسلامية الهندية أو رابطة جميع مسلمي الهند، منظمة أسسها مسلمو الهند سنة ١٩٠٦ للدفاع عن مصالحهم. لم تنجح قط في استقطاب دعم الجميع، لكنها حقّت على إنشاء الباكستان سنة ١٩٤٧.

بعد تقسيم البنغال في العام ١٩٠٥، والحرب الأهلية التي نتجت عنه، قرّر بعض المسلمين من ذوي نزعة الحداثة والموالين للسلطات البريطانية إنشاء جمعيتهم الخاصة برئاسة الأغا خان، وكان هدفها فرض احترام الحقوق المدنيّة للمسلمين. في العام ١٩١٣، عدّلت الرابطة الإسلامية قوانينها، لكنها بقيت منظمة ثانوية إلى جانب سائر الرابطة الإسلامية الموجودة في مختلف الأقاليم، وعانت انقسامات في الآراء وكانت هذه الانقسامات تُحدّث اضطرابًا داخل

وضع مصنفات طيبة عذّة، نالت في ما بعد حظوة كبيرة: رسائل في شتى الأمراض؛ وبالأخص موسوعات طيبة أغناها بنتائج اختباره الخاصة. أبرز كتبه، كتاب «الحاوي» الفصم المعروف باللاتينية بعنوان «Liber continens»؛ وله أيضاً «كتاب المنصور» «Liber Almansoris» باللاتينية، وكتاب «الملوكي» «Liber Regis»؛ اللذان كان لهما في الغرب تأثير استثنائي. عمل الرازي، على ما يبدو، في مجالات علمية عذّة مثل الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء، وكان له فيها كتابات عديدة ضاع بعضها. كما ذاعت شهرته، كمقلد مبدع و«مفكر حرّ» من خلال كتاباته في الاخلاق والماوريات. ولم يتوان عن توجيه تفكيره نحو البحث عن السعادة الإنسانية التي عمل على تحديد شروطها من منظور النعمة الفكرية المتأثرة بالأفلاطونية والتوجهات النوصية. وتعرّضت كتاباته، في مواضيع كالزمن والطبيعة، والنفس، والنبوة، لانتقادات عنيفة من معاصريه، ومن بينهم مفكرون إسلاميون، مع أنّ معتقداته تغلّغت في ما بعد في الأوساط الشيعية. جعل من الزمن أحد المبادئ الخمسة الأدبية، وأنكر تأثير النفس في الطبيعة، وأعطى الدور الأول للفيلسوف الذي يقع على عاتقه تحرير النفوس من المادة، وفق مفهوم يذكر بالمناوية.

الرازي ← فخر الدين الرازي.

الراشلون، (١١-٤١هـ/٣٢٢-٦٦١م)، إسم يطلق على الخلفاء الأربعة الأولين في الإسلام بعد النبي محمد ﷺ وهم: أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

حصلت، في ظل هؤلاء الخلفاء، الفتوحات الأولى الكبرى بسرعة مدعشة، وهي الفتوحات التي أوصلت جيوش المسلمين إلى ما بعد مصر لجهة الغرب، وإلى أموداريا في الشرق، مؤسسين بذلك الامبراطورية الإسلامية. وُضعت، في عهدهم، أسس دولة الخلافة الإسلامية، كما نوّقت مسألة انتقال السلطة ومفهوم الإمامة، فيما برز، مثلاً، تقليد قسم البيعة للخليفة الجديد من أجل تثبيت شرعيته. جُمع، على عهدهم، النص الرسمي للقرآن، ووضعوا أزل الأسس التشريعية

الطائفة الإسلامية الهندية، وكذلك داخل حركاتها السياسية والدينية.

لم تضطلع الرابطة بدور مهمّ إلا في العام ١٩٣٧ بتأثير من محمد علي جناح الذي أراد أن يجعل منها الأداة الوحيدة لمشاريعه الجديدة، بعد أن منع الانتساب المزدوج إلى المؤتمر الهندي وإلى الرابطة. عندئذ بدأ التفكير بفصل الطائفتين الإسلامية والهندوسية، ما سيؤدي إلى إنشاء دولة إسلامية مستقلة. وقد أعلن هذا البرنامج سنة ١٩٤٠ على أنّه الوحيد الذي يستحقّ أن يكون موضوع اهتمام. إلا أنّه بعد النجاح السياسي الذي أدّى إليه ذلك القرار، وبعد حصول باكستان على الاستقلال سنة ١٩٤٧، انحلت الرابطة وهي التي كانت تستمدّ الدعم من المناطق الهندية ذات الأقليات المسلمة، ونشأ عنها ثلاث مجموعات سياسية جديدة.

رابعة العَدْوِيَّة، (٩٤-١٨٥هـ/٧١٣-٨٠١م)، متصوفة لمع اسمها خلال بدايات التصوّف في الإسلام. عاشت في البصرة حيث تُعتبر من أولياء هذه المدينة.

اختارت رابعة منذ صباها، وهي المتحدّرة من أسرة فقيرة، ربّما كانت من الرقيق، أن تحيا حياة الزواهد. وتخلّق حولها أتباع أخذوا بتعليمها الذي كانت تصوغه غائباً في قالب شعري. وقد توخّت، على ما يبدو، كما يظهر من ترجمة حياتها التي أوردها كتاب متأخرون مثل الغزالي أو الكلاباذي اللذين نقلوا بعضاً من أقوالها، محبة الله والأنس به: «لم يُعد لي وجود مستقلّ، لقد خرجت من ذاتي وأصبحت واحداً مع الله وأنا له كلبائه، هذا ما أعلنته في تعاليمها، ساعية للفوز بالإنقاذ الصوفي، وهي تعاليم مهّدت الطريق لتعاليم من تلوها من أركان التصوّف مثل الحلّاج.

الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (٢٥١-٣١٣هـ/٨٦٥-٩٢٥م)، طبيب وعالم وفيلسوف مدافع عن الفلسفة. أصله من الزّي كما تشير نسبته. كان ذائع الشهرة في القرون الوسطى في أوروبا المسيحية.

شغل الرازي، على التوالي، منصب مدير مستشفى الزّي، ثم مدير مستشفى بغداد حيث، بصفته هذه وبوجوده في خدمة أمراء عديدين، جمع ملاحظات طبية عملانية كثيفة. والرازي، الذي يحيط الغموض بسيرته،

سلطتهم تنهار.

رامبور (الاتحاد الهندي)، إحدى الإمارات الإسلامية التي استمر وجودها في ظلّ الحكم البريطاني للهند بعد ١٨٥٧، والتي أصبحت مركزاً للثقافة الإسلامية، أسوة بدولتي بهوبل وحيدر آباد في الدكن.

استقرّ في هذه الإمارة القائمة في سهل الغانج، بعد رسوخ الحكم المغولي في الهند الشمالية، أقوام من الأفغان والپاثان. أنشأ فيها الأفغاني علي محمد خان وابنه، بعد وفاة السلطان المغولي أورنغ زيب في العام ١٧٠٧، إمارة صغيرة مستقلة دخلت في ممتلكات البريطانيين في العام ١٨٠١، لكنها ظلت في أيدي وريثة علي محمد. أصبحت بعدئذ مدينة رامبور - ونصف سكّانها هم اليوم من المسلمين - مركزاً لتعليم اللغة العربية والعلوم الدينية التقليدية.

الرباط، كلمة يغلب عليها الطابع التقني، استعملت في مجال الهندسة المعمارية العسكرية في بلاد الإسلام للدلالة على أبنية شيدت خلال القرون الوسطى في ثغور معرّضة للخطر، من أجل إيواء الدفاعات وحاميات الجند. تشقّ هذه الكلمة من جذر «ربط»، بمعنى «أوثق»، «شدّ»؛ وكانت تعني في الأصل، إمّا قلعة حدودية يشغلها مقاتلو الجهاد ويستعملونها كمركز دعم للحماية من الهجمات الآتية من البرّ أو من البحر؛ وإمّا خانقاه يسكنه أتباع الصوفية، وفق نماذج معمارية تكاثرت بدءاً من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، وإمّا خاناً محصّناً، يقع غالباً خارج المدن. دخل التعبير في اللغة الفارسية تحت اسم «رباط»، ويُطلق أساساً على أبنية شُيّدت في فترة متأخرة، وما تزال قائمة على المنطق الإيرانيّة.

هذه المعاني الثلاثة التي استعملت ممّا أو بشكل متتابع، بحسب الإقتضاء، ظهرت في فترات وأماكن مختلفة، على قدر الرواج الذي لاقت هذه التسمية التي كانت، بالموازاة، تُستبدل بتسميات أخرى، ما عدا في ما يتعلّق منها بمعنى القلعة الحدودية. ويبدو أنّ الاختلاف بين معاني الكلمة مرّدّه إلى كيفية تفسير جذرها العربي الآف الذكر، الذي اختير للدلالة على

لسدّ الفراغ القانوني في المواضيع التي لم يشر إليها القرآن ولا السنة. نالت، في هذه الفترة أيضاً، الصراعات الداخلية بين صحابة نبي الإسلام (ص)، ومنها الحرب الأهلية التي فجرها اغتيال عثمان في العام ٦٥٦/٣٦. لذا تصحّ تسميتها بالفتنة الكبرى أو الفوضى، لأنّها قسّمت الأمة إلى حركات سياسية - دينية لها الأهمية عينها التي ارتدتها لاحقاً حركات أخرى، كالشيعة والخوارج.

ما يشير العجب أنّ صفة «الراشدين» أطلقت في التقليد الإسلامي على خلفاء كانوا أبعد ما يكون عن الاتفاق الكامل في ما بينهم. ولكن، أبعد من الاختلافات التي انفجرت بين هؤلاء الخلفاء وحولهم، كانت اندفاعه الاسلام قد سلكت الطريق التي سنتبعها فيّ ما بعد، حتّى لو أنّ الخلفاء اللاحقين ابتعدوا عن بعض الأعراف السابقة. بقي عند المسلمين من هذه الفترة فكرة العهد الذهبي الضائع وبعض الأحاديث المنسوبة إلى النبي (ص)، يقول فيها إنّ أئمة ستبقى على الصراط المستقيم مدّة ثلاثين سنة، وإنّها ستقع بعدها تحت نظام «الملوك». يبرز هذا التأكيد أهمية المهمة التي نفّذها الخلفاء الأربعة المتخوون الذين حكموا في المدينة، وذلك قبل أن يرسى معاوية، بذكائه السياسي، في دمشق، أسس أوّل سلطة سلالية في الإسلام هي سلطة الأمويين.

الراضي بالله، أبو العباس أحمد بن المقدّر (٩٠٩-٩٤٠هـ)، خليفة من السلالة العباسية، خلف الفاهر إثر سقوطه، حكم فقط من العام ٩٣٢هـ/٩٣٤ حتى موته المبكر في العام ٩٤٠هـ/٩٣٨.

اشتهر حكمه القصير بتعيين ابن رائق أوّل أمير أمراء. كان هذا الأخير، قبل ذلك، والياً على واسط والبصرة، وباتت في يده السلطات العسكرية والمالية، قبل أن يخلفه في هذا المنصب بجكّم في العام ٩٣٦هـ/٩٣٨. كان ذلك بداية لمرحلة من التراجع أصابت سلطة الخليفة في بغداد، في وقت كان فيه الأشعبيون قد وقدوا حكمهم في مصر، وأظهر الحمدانيون استقلالاً متزايداً، وبدأ البويهيون، بعد سلسلة انتصارات عسكرية على الراضي، يمارسون وصايتهم على خلفاء أخذت

بيزنطية، والتي اندثرت اليوم. وهكذا تعرف اليفابا المهمة للرباطات الضخمة في سوسة ومنستير، على شاطئ إفريقية القديمة. إذ كانت هذه الرباطات تشكل جزءاً من سلسلة تحصينات أقيمت في النقاط الحساسة على هذا الشاطئ، بغية حماية البلاد خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. وهذه الرباطات، بالنظر إلى نمط بنائها الاستثنائي في ضخامته، نعدّ، حتى اليوم، من بين الإنجازات الشهيرة والأفضل ترميمًا في التراث المعماري التونسي. يُمكننا ذكر نموذج آخر عن هذه الرباطات، وهو المعسكر الضخم الذي أقيم في المغرب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، على مصب نهر بو رقرق وقبالة مدينة سلا، كمركز تجتمع للجيش والبحرة إلى الأندلس للدفاع عنها باسم الجهاد. ومن هذا الرباط أخذت مدينة الرباط إسمها.

سُمي شاطئ الرباط، بالعربية، «مرايطين» (جمع مرايط). وقد استعملت هذه الصفة، الإطرائية في فحواها، من ضمن ألقاب القادة العسكريين والملوك في الشرق الإسلامي منذ أن درجت، ابتداءً من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، عادة الإكثار من النعوت التي تشير إلى الكفاح ضد الكفار. كانت لفظة «مرايط» تعني آنذاك «المقاتل في الثغور»، وغالبًا ما كانت تُفَرَن بلفظة مجاهد. وخلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، أصبح تعبير «الغازي» هو الأكثر استعمالاً. وفي فترة سابقة، وفي الغرب الإسلامي، أطلقت تسمية «مرايط» بشكل أخص بصيغة الجمع، أي «المرايطون»، على ملوك بربر يُشار إليهم، باللغة «الفرنسية بكلمة «Almoravides» المشتقة من اللغة الإسبانية، بدون أن نعرف ما إذا كان أفراد هذه السلالة قد شغلوا فعلاً رباطاً حدوديًا يُقال إنه كان يقع في جزيرة على نهر السنغال، أو أنهم اكتسبوا هذا اللقب لمجرد الحماسة التي أبدوها في نشر الإسلام في أفريقيا السوداء. وهذه الحماسة كانت الضمان لنجاحاتهم المستقبلية كفتاحين للمغرب والأندلس. أخيرًا، وفي فترة غير بعيدة، أعطت كلمة «مرايط» اللفظة الفرنسية «marabout» المشتقة من لهجة عامية، وهي تدلّ على

مكان استراحة - أو حتى إقامة مؤقتة - لأشخاص أتقياء تُحرّكهم، بالقدر نفسه، إهتمامات ذات طابع حربي وتأملي صوفي.

اشتهر شاطئ القليعات الحدودية البرية أو البحرية - التي عرفت رواجاً خاصاً في فترات تفاقم روحية الجهاد - بنفوذهم للممارسات الثنوية في الفترات الفاصلة بين الحملات العسكرية. حتى إنهم كانوا يُعدّون في صفوفهم، بدءاً من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، صوفيّين أصليين يكرّسون أنفسهم آنثو، على غرار رجال الدين الآخرين في هذه الفترة، للحياة القاسية التي يعيشها المجاهد ضد الكفار. وجميعهم مارسوا نوعاً خاصاً من «المثابرة على المحن»، وهذا يتطابق مع فضيلة الصبر في الإسلام؛ كما حافظوا، وفق اعتبارات أخرى، على نمط حياة لا يختلف، بدون شك، عن النمط الذي كان المتصوّفون يختبرونه في أماكن أكثر هدوءاً. وكذلك فإنّ هندسة الخانات المنعزلة كانت، ولأسباب أمنية، شبيهة بهندسة القليعات الحدودية، من أجل حماية منازل المسافرين واصطبلات الحيوانات. وإلى جانب التخار الذين يتجوّلون على طرق القوافل، كانت هذه الخانات تأوي، في أكثر الأحيان، متصوّفين متنقلين ودراويش و«فقراء» آخرين كانوا يستفيدون، في ثقلاتهم، من أماكن الإستراحة المؤقتة هذه. ومنحت الفرصة لهؤلاء الصوفيّين أيضاً، بدءاً من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، للإستئثار - من أجل ممارساتهم الصوفية - ببعض هذه الخانات التي تحوّلت إلى أماكن صوفية منتشرة هنا وهناك، وتابعة لهذه الطريقة أو تلك لتأمين انطلاقها وانشارها.

لم تمنع هذه المعاني المختلفة من أن يكون الرباط العسكري، الذي عرفته المصور الأولى للإسلام، هو الذي حاز الشهرة الأكثر اتساعاً، وذلك بسبب أهميته الوظيفية في مجال الدفاع. والاهتمام الذي يعبره المجتمع الإسلامي لهذا الرباط نجم أكثر عن المعطيات الأثرية، المتعلقة خاصّة بالغرب الإسلامي، منه عن الشهادات النصية للمؤرخين العرب التي تذكر بخاصّة القليعات التي كانت قائمة على الحدود العباسية مع

أضرحة ومساحات جنازية مسورة، وعدد من المصليات والزوايا وفق مخططات متشابهة هي، حالياً، موقع أثري مهم.

إن طرد جماعة الموريسكيين من إسبانيا، في بداية القرن السابع عشر، أثر بالطريقة نفسها في مصير المدينتين التوأمتين، الرباط وسلا. لقد استقرَّ شعب بحري، من أصل ليبرتي، على ضفتي النهر، وتابعت سفنه رحلاتها البحرية سعياً للتجارة، وبخاصة للقيام بأعمال القرصنة. وقد جمع هؤلاء القراصنة ثروات ضخمة ونجحوا في إقامة إمارة شبه مستقلة، وتابعوا نشاطهم حتى العام ١٧٥٧، أي بعد عودتهم إلى طاعة الحكم المركزي وخضوعهم لمولاي الرشيد - أول ملك من الأسرة العلوية - الذي احتلَّ الرباط في العام ١٦٦٦. عندئذٍ، تمَّ بناء مساجد عدَّة وقصر ملكي في الرباط. وقد رافق التخلّي عن القرصنة، في نهاية القرن الثامن عشر، تراجع نسبيٍّ لازدهار المدينة استمرَّ حتى الاحتلال الفرنسي في العام ١٩١١.

إنَّ تنظيمًا مُدنيًا وتخطيطات هندسية حديثة طُبعت، ممَّاك، تطوُّر المدينة، وإنَّ أهميَّتها الإدارية في ازدياد مستمرٍّ تتجاوًى مع دورها كعاصمة للمغرب.

« راسع السند رقم ١٩ »

الرَّحْبَة (قلعة -)، بلدة قروسطيَّة مهذَّمة، تقع في منطقة الجزيرة السورية. كان لها دور مهمٌّ في ازدهار منطقة بلاد ما بين النهرين العليا.

تقع على مقربة من بلدة الميادين الحالية، جنوبي ملتقى نهر الفرات ورافده الخابور. تأسست، على الأرجح، في العصر القديم. إلَّا أنَّ التقليد التاريخي العربي يُرجع بناؤها إلى المرحلة الإسلامية، إلى عهد الخليفة العبَّاسي المأمون، وذلك على يد أحد أتباعه، مالك بن طوق، الذي خدم سابقاً الخليفة هارون الرشيد. احتلَّت هذه البلدة الفسيحة موقعاً إستراتيجيًّا وتجاريًّا من الدرجة الأولى بين ولايتي العراق وسوريا. تنازعها أمراء المناطق المجاورة، خصوصاً بين القرنين الرابع والسابع للهجرة/العاشر والثالث عشر للميلاد، قبل أن تتوقَّف طرق القوافل التي تتقاطع فيها بسبب غزوات المغول. وبها نور الدين، في العام ٥٥٩هـ/١١٦٤م، إقطاعاً

شخص نقي حامل بركات، وعلى ضريحه أيضاً، وذلك وفق مفهوم جغرافي، إذ إنَّها أطلقت، بنوع خاص، على الأفريقيين. وهناك علاقة بين كلمة «مرباط» وكلمة «رابطة» التي استُعملت في المناطق عينها، على غرار لفظه زاوية، للدلالة على مكان تصوُّف.

« راسع السند رقم ٥١ »

الرِّبَّاط، (المملكة المغربية)، تُعرف بالعربية «الرباط الفتح». وهي مدينة مرفئية على الأطلسي، قبالة سلا تقع على مصب نهر بو رقرق. عرفت ازدهاراً حديثاً كمدينة إدارية وعاصمة للمغرب.

اختار عبد المؤمن، أول ملوك الموحَّدين، حوالى العام ٥٤٥هـ/١١٥٠م، الجهة المواجهة لسلا، لتجميع الجيوش المعدَّة للقتال في شبه الجزيرة الإيبيرية دفاعاً عن الأندلس. وهكذا أقيم مخيم دائم للجهاد في موقع رباط قديم أدَّى إلى إنشاء بلدة حملت، لفترة، اسم المهدية، ووُزِّدت بمسجد جامع وبقصر سلطانيّ مات فيه عبد المؤمن في العام ٥٥٨هـ/١١٦٣م. أوَّلَى أحد خلفائه، وهو أبو يوسف يعقوب المنصور، هذه «المدينة الملكية» الجديدة اهتماماً خاصاً، وما لبث أن حصَّنها بسور وبأبواب عظيمة. وبعد الانتصار في معركة الأرك، في العام ٥٩١هـ/١١٩٥م، أعطاهما اسمها الحالي رباط الفتح. عقب ذلك تشييد مسجد جامع فيها ذي قياسات ضخمة لم يكتمل بناؤه، وكذلك «مئذنة» مربعة الشكل، بلغ ضلعها ١٦ مترًا، وعُرقت باسم برج حُشان، لم يكتمل بناؤه أيضاً. ما زالت هذه المجموعة تفوق، من حيث أهميَّتها المعماريَّة، الأبواب الضخمة القائمة في المدينة والتي تؤدِّي إلى قلعتها المسماة قصبة الأوداية.

لم تتمكَّن الرباط، في نهاية حكم الموحَّدين وخلال حكم السلالة المرينيَّة، من التزوُّق على منافستها سلا التي كانت في أوج نشاطها المريني. لكنَّ الحكَّام البجديد، الذين أصبحوا بدورهم أبطال الجهاد، باتوا متحسين لمكانتها، فاختراروا أن يجعلوها قربها، في الشَّالة، مقبرتهم الملكيَّة. وهكذا أقيمت بين القرنين السابع والثامن للهجرة/الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، إلى جانب قبورهم، داخل أسوار ضخمة،

الحكم لكل مسلم لا يرضى بمحاكمة ما، أو يحتج على عدم تنفيذ حكم ما فحسب، بل كذلك مرجعاً ضد كل تجاوز للسلطة يركبه أحد عمال الحكم، أو تحكّم يركبه أمير ما، أو في حالة جباية ضرائب غير شرعية، مثلاً.

كان الخلفاء، ولا سيما العباسيون منهم، يجلسون للناس بانتظام للقيام بهذه المهمة القضائية التي كانت تيسر لرعاياهم الشكوى من تصرفات صاحب الشرطة أو أحكام القضاة، كما كانت توفر لهم فرصة القيام بمبادرة بأنفسهم وطلب محاكمة قادة العسكر والكُتاب المختلسين والذعاة، وحتى المتصوّفين المتهمين بالبدع. إلا أنّ الخلفاء كانوا يعمدون، كي لا ينهضوا بهذه المهمة باستمرار، إلى تفويض سلطتهم الى قضاة ينتدبونهم خاصة لهذه المسائل، وزبنا تشكلت لهذه الغاية، أحياناً، محاكم عليا كان تشكيلها يختلف باختلاف المسائل المطروحة.

إنّ تنظيم هذه المحاكم الذي كان مجهولاً، حتى في المهود الذهبية للخلافة، قد خضع لمتغيرات كثيرة بحسب الدّول والصور. فبعض الملوك جعلوا من أداء هذه المهمة برحانة مسألة شرف، بينما كان سواهم لا يولونها الاهتمام الكافي. بصورة عامة، كان هذا النوع من المحاكم التي شهدت محاكمات شهيرة ذات طابع ديني، مثل محاكمة الحلاج، والتي لوحقت أمامها بالخيانة شخصيات كبيرة فقدت الخطوة، يوفّر السبيل الوحيد لحلّ النزاعات في المسائل الإدارية وللاحتجاج على التصف في جباية الضرائب. وهكذا ساهمت في دمج عدالة الدولة في المؤسسات القضائية الإسلامية.

الفرستميون، (١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٧-٩٠٩م)، سلالة تنتمي إلى الخوارج، استقلت عن الخلافة العباسية وسيطرت على قسم من المغرب الأوسط.

قام المدعو عبد الرحمن بن رستم، وهو من أسرة فارسية، منذ العام ١٤٤هـ/٧٦١م، بتجميع بربر نفوسة الذين كانوا قد تحوّلوا إلى الإباضية واستقروا في منطقة طرابلس الغرب، وبغزو إفريقية. توجه بعدئذ إلى المنطقة الوسطى من المغرب حيث أسس مدينة تاهرت وأقام إمارة مستقلة. تم الاعتراف به في العام ١٦٠هـ/

للفضايل الكردي شيركوه، عمّ صلاح الدين، الذي بنى على بعد بضعة كيلومترات من النهر مدينة جديدة حصنها بقلعة وأسماها «الزُّجّة الجديدة»، لتحل محلّ المدينة القديمة التي كان مقرها زلزال.

عرفت المدينة الرخاء، حتى قيام مملكة الإيلخانيين، وذلك بفضل تحويلها إلى مركز لتخزين البضائع وإلى سوقى للأنشطة التجارية، كما أصبحت، في ما بعد، موقفاً حصيناً على تخوم دولة المماليك، ومن ثمّ تفهّرت كلياً بعد ضمّ المنطقة إلى ممتلكات الأباطورية العثمانية في القرن السادس عشر، لتحلّ مكانها مدينة دير الزور التي عدت مركزاً إدارياً واقتصادياً لتلك المنطقة. وحتى الآن لم تجرأه حفريات أثرية منهجية في موقع الرحبة القديم المهجور.

الرحلة ٤ - الجغرافية.

الرحمانية، طريقة صوفية تفرّعت من الطريقة الخلواتية، أسسها، في القرن الثامن عشر، البربري محمد بن عبد الرحمن الجرجري.

كان مؤسسها قد قصد القاهرة طلباً للعلم. وهناك انخرط في سلك الطريقة الخلواتية وأعطى التوجيهات لنشر تعاليمها. بدأ مهنته في الجزائر بعد سنوات عدة، حيث أطلق رسائله وأسس زاويتين: الأولى في جرجرة، في منطقة قبائل البربر، والثانية قرب مدينة الجزائر. تفرّعت الطريقة، بعد موته وموت خليفه في العام ١٨٣٧، عدة فروع، دعا واحد منها، في العام ١٨٧١، باسم الجهاد، إلى ثورة داخلية لم يكتب لها النجاح.

ردّ المظالم، أحد الامتيازات المسلم بها للعامل المسلم في القرون الوسطى. وقد أدّت ممارستها، خلال بعض الفترات، إلى نشوء ما يمكن تسميته عدالة الدولة. كان هذا العمل واجباً على رئيس الجماعة، بدلاً بالخليفة أو من يقوم مقامه، ينظر بموجبه في الشكاوى والالتماسات المرفوعة إليه ويعالجها وفاق قواعد العدالة، وعند الانقضاء يضع حدّاً للمظالم أو يقرّم الأخطاء التي ينيبها. من هنا نشأت في القرون الوسطى، في كل دولة إسلامية، سلطة قضائية خاصة، منفصلة عن سلطة القضاء، كانت تشكل، لئس إمكان استئناف

إلى أخرى، مع تنوع وتبديل في الأسلوب، بحسب ما يتفق مع أذواق أصحاب القصور.

وهذا المزيج الفني المركب يعتبر أحياناً عن الحفلات داخل البلاط أو من مجالس اللهو، استعين به لتزيين الجدران أو الأواني الثمينة أو الأثاث، وهو ذو طابع رمزي. إلا أنه من الصعب تلمين أهميته، كونه بعيداً بمواضيعه عن حياة المسلمين اليومية. إذ كان هؤلاء بعيدين كل البعد عما كان يجري في البلاط، وبعيدون عن نمط عيش الذين يترددون إليه من قادة عسكريين وأصحاب رتب عالية وجلساء. إن الرسوم التي تزين المجلس الملكي الغزنوي والغوري في لشكاري بازار، في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، والتي تمثل صفاً من الحرس باللباس الرسمي، وكذلك قبلها اللوحات المستوحاة من الرسوم الجدارية القديمة، الإغريقية أو الساسانية، والمنقولة إلى الحمامات الأموية في قصير غشر، كان تأثيرها ضعيفاً في الأوساط الشعبية، لأن العامة كانت تجهل ما يجري داخل القصور التي لم يكن يسكنها إلا الخليفة وأسرته. ونصل إلى النتيجة نفسها مع دراسة الرسوم المخصصة للكتب حيث تكثر الزخارف التي تمجّد الشخصية حامية الأدب التي أوصت بإعداد الكتاب، ونكون هذه، في أغلب الأحيان، الأمير الحاكم. كذلك الحال مع قطع الأثاث المتنوعة داخل الفصور، والتي خضعت للتثنيات الخزفية أو الفنون المعدنية وتجسّد أفراداً في وضع يعتبر عن عظمة وجلال، ومشاهد مستوحاة من عادات البلاط.

خارج هذه الحالات الخاصة والمحددة بمدلولاتها، يبقى التجهيز هو القاعدة التي يقوم عليها الرسم، كالتشبيك الهندسي، والعربة القائمة على الزخرفة والتوريق، والتركيبات المكوّنة من التداخلات الكتابية والندويات المتنوعة التي تهتمّ بجمال الشكل أكثر من المضمون. ونستاء إذا ما كان التحريم انطبق بهذه الشمولية لم يتأثر بعوامل أخرى مختلفة لم يجر درسها حتى الآن، وهذه العوامل هي التي عزّزت ما كان الدين قد حرّمه في الأساس. لا شك في أنّ الرتبة والحرف كانا دائماً قائمين في الإسلام تجاه عمل أيّ فنان يحاول

٧٧٧م. إماماً للخوارج المتحقّقين حوله، وحصل على ولاء سائر الجماعات الإباضية في الأوراس وإفريقية الجنوبية وفزان. ولكنه اصطدم بمقاومة الأدارسة في فاس، والأغالبة السّنة في إفريقية، ولم يحظ سوى بدعم أموي قرطبة البعدين، الذين تحالف معهم.

إن الدور الجديد الذي نهضت به، في البلاد، قبائل كُثامة المنتسبة إلى الإسماعيلية والمدافعة عن قضية صاحبها، كان مشوِّماً بالنسبة إلى الإمارة الصغيرة التي سقطت عاصمتها تاهرت، في العام ٢٩٦هـ/٩٠٩م، على يدي الداعية أبو عبدالله، فكان ذلك مشوِّراً لولادة الفكرة الناشئة للدولة الفاطمية في إفريقية. انتقل الرستميون الذين نجوا بعد خراب عاصمتهم إلى وُزْغَلَة حيث أسسوا، حول سدراتنا، حكماً إياضياً جديداً.

عبد الرحمن بن رستم ١٦٠-١٦٨هـ/٧٧٧-٧٨٤م
عبد الوهاب بن عبد الرحمن ١٦٨-٢٠٨هـ/٧٨٤-٨٢٣م
أبو سعيد أفلح ٢٠٨-٢٢٣هـ/٨٢٣-٨٧٢م
أبو بكر بن أفلح ٢٥٨-٢٦٠هـ/٨٢٣-٨٧٤م
أبو اليفطان محمد ٢٦٠-٢٨١هـ/٨٧٤-٨٩٤م
أبو حاتم يوسف ٢٨١-٢٨٢هـ/٨٩٤-٨٩٥م
يعقوب بن أفلح ٢٨٢-٢٨٦هـ/٨٩٥-٨٩٩م
أبو حاتم يوسف (للمرة الثانية) ٢٨٦-٢٩٤هـ/٨٩٩-٩٠٧م
يفطان بن محمّد ٢٩٤-٢٩٦هـ/٩٠٧-٩٠٩م
◀ راجع المستند ١١.

الرسم الإيقوني (تحريم -)، هو من أهم سمات الفن الإسلامي وثقافته، بقي قائماً ثابتاً دونما تطوير حتى المرحلة المعاصرة. إلا أنّ ذلك لم يخلّ دون بروز رسوم زهرية محلّية تتراءى فيها وجوه معبّرة.

وكثيراً ما كان موضوع هذا التحريم ذي الطابع الديني الإسلامي، بمعانيه وأبعاده، مدار مناقشات متنوعة من قبل مؤرّخي الفن الذين قيّموا، بطرق مختلفة، علاقة هذا التحريم بمجتمع متنوع، لا يشكّل إلا ظاهراً كتلة متراصة. وقد تمّ التركيز، في دراسة فنّ القرون الوسطى، على وجود رسوم تعود إلى سلالة من الأمراء، أو إلى حضارة البلاط في بعض البلدان، وهي غنية بالمعطيات، ممّا يؤكّد أنّه كان هناك اهتمام خاص بفن الرسم. وقد تبيّن أنّ هذه الرسوم قد نُقلت من مادة بناء

منافسة الخلق الإلهي. ولا شك كذلك في أنّ تحريم الصور مُنّبئ بدقّة داخل المساجد وحولها، وفي الأماكن التي ترعها التيارات الفقهية والقانونية الصارمة، كذلك التي عند المذهب المالكي. إلّا أنّه لم تُذكر قط آية أحكام واضحة بحقّ الدين يخرقون التحريم، واحترام أشكال الرسم الخالية من الوجوه بات نوعاً من العرف المتبع.

الرسوليون (٦٦٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٥٥٤م) [أو بنو رسول]، سلالة سنية حكمت اليمن بعد أن خلفت الأيوبيين وأقامت علاقات جيدة بالمماليك في مصر. عرفت البلاد على عهدهم إنطلاقة سياسية واقتصادية، وذلك بفضل ازدهار أنشطتها التجارية، لا سيّما تجارة القوافل البرية والتجارة البحرية التي تنوّرت، بفضل مرفأ عدن الذي أصبح أحد المراكز الأساسية للملاحة في المحيط الهندي. هذا الانفتاح على العالم الخارجي الإسلامي، وصوّلاً إلى الشرق الأقصى، يفسّر لنا الثروة التي تيسّرت لحكام تلقبوا باللقاب رفيعة ومُدحوا رعاةً للأدب والفنون، في بلد خلف فيه فنّ العمارة والحرف اليدوية التي كانوا يرفعونها شواهد قيّمة.

كانوا ينتمون بلا شك، وبغض النظر عن ادّعائهم أنّهم متحدّثون من قحطان، إلى الأتراك الغُزّ، وبعودون بنسبهم إلى «رسول للخليفة في المنطقة» (من هنا تسميتهم). واصلوا في حكمهم السياسة التي اتّبعها الأيوبيون، وأجبروا، لفترة، أتباع الشيعة الزيدية وأنتمهم على الانكفاء في الجبال الشمالية الوعرة الصّالك. وسعوا إذاً نطاق نفوذهم حتى تعز وزبيد وصولاً إلى صنعاء، من دون أن ننسى مكّة. بالموازاة، نمت، في المناطق السفلى من اليمن، مجموعة سكانية سنية على المذهب الشافعي، لم يتوقف طابعها المدني ومهارتها عن البروز في القرون اللاحقة.

خلف الطاهريّون، وهم أسرة سنية قليلة الأهمية، الرسوليتين في العام ٨٥٨هـ/١٥٥٤م، إثر فترة اضطراب عامّة كانت بدأت في العام ٨٤٦هـ/١٤٤٢م. ونجحوا في السيطرة على منطقة عدن حتّى الفتح العثماني في العام ١٥١٧.

الملك المنصور نور الدين عمر الأول

٦٦٧-٦٤٧/

١٢٢٩-١٢٢٩م

الملك المقفّر شمس الدين يوسف الأول

٦٤٧-٦٩٩هـ/

١٢٥٠-١٢٩٥

الملك الأشرف عمر الثاني

٦٩٤-٦٩٩هـ/

١٢٩٥-١٢٩٧م

الملك المؤيد جيزر الدين داود

٦٩٦-٧٢١هـ/

١٢٩٧-١٣٢٢م

الملك المجاهد سيف الدين علي

٧٢١-٧٦٤هـ/

١٣٢٢-١٣٦٣م

الملك الأفضل شرغام انديس، العباس

٧٦٤-٧٧٨هـ/

١٣٦٣-١٣٧٦م

الملك الأشرف مهدي الدين اسماعيل الأول

٧٧٨-٨٠٣هـ/

١٣٧٦-١٤٠٠م

الملك الناصر صلاح الدين أحمد

٨٠٣-٨٢٧هـ/

١٤٠٠-١٤٢٤م

الملك المنصور عبدالله

٨٢٧-٨٣٠هـ/

١٤٢٤-١٤٢٧م

الملك الأشرف اسماعيل الثاني

٨٣٠-٨٤٢هـ/

١٤٢٧-٨٣١هـ/

الملك الظاهر يحيى

٨٣١-٨٤٢هـ/

١٤٢٧-٨٤٢هـ/

الملك الأشرف اسماعيل الثالث

٨٤٢-٨٤٦هـ/

١٤٢٧-١٤٢٨م

الملك المقفّر يوسف الثاني

٨٤٦-٨٤٧هـ/

١٤٢٨-١٤٤٣م

الملك السمود أبو القاسم

٨٤٧-٨٥٨هـ/

١٤٤٣-١٤٤٣م

◀ راجع المسند رقم ٢٥.

الرشيد -> هارون الرشيد.

رشيد الدين سيّان، أبو الحسن ستان بن سليمان (؟ - ٥٨٩هـ/؟ - ١١٩٣م)، زعيم مذهب الإسماعيليين الجدد أو التوّارئة في سوريا، خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد اشتهر هؤلاء بلقب الحشاشين.

عُرف باسم شيخ الجبل، وقد حاك حوله مؤرخو الفرنج الأساطير، لكنّ الفعوض لا يزال يلفت سيرته. ولد قرب البصرة وذهب، من ثم، إلى إيران حيث نشأ وتمّ اختياره، في العام ٥٥٨هـ/١١٦٣م، من قبل سيّد

المغول، أهدت إنجازاته الإدارية والعمرانية. وقد بدأ كتابه هذا بأمر من غازان وسوّته يطلب من ألبانيو ليصبح «جامع التواريخ» الذي لم ينه، على ما يبدو. تضمّن الكتاب معلومات ثمينة جداً عن تاريخ قبائل الترك في آسيا الوسطى، وعن التنظيم الداخلي لمجتمع المغول الذي كان يعرف أجهزته حق المعرفة. كتب رشيد الدين أيضاً رسائل علمية عديدة حول الفنون العملية أو حول علم الكلام الصوفي، لم يُعثر عليها كلها. ولم تحظ مؤلفاته الكاملة، حتى اليوم، بدراسات معمقة تعطيها الأهمية التي تستحق.

الرّصافة، إسم عربي من أصل ساميّ أطلق على مدينة قديمة اشتهرت في سوريا في القرن الأول للهجرة، وأطلق في ما بعد على عدد من النواحي القروية. عُرفت الرصافة الأولى أو رصافة هشام في العصر البيزنطي بسرجيوبوليس (Sergiopolis). احتلها الأمويون، ولم يبق منها اليوم سوى بعض الآثار القائمة على مسافة حوالي خمسين كيلومتراً إلى جنوب الفرات في صحراء تدمر. تضمّ هذه المدينة المهمة والنيبة بالآثار القديمة قصراً بناء الخليفة هشام حوالي العام ١١٤/٧٣٢م. قد يكون هذا القصر هو المكان الذي مات ودُفن فيه الخليفة هشام. يكون هذا الاحتمال صحيحاً إذا كانت الرصافة التي نتحدث عنها النصوص التاريخية هي نفسها مدينة سرجيوبوليس البيزنطية. أما الرصافة التي يرتبط تاريخها بتاريخ موقع آخر خرب يسمى اليوم قصر الحير الشرقي، فهي تقع على طريق قوافل كانت تربط الرقة، في بلاد ما بين النهرين العليا، بالسلمية وحمص في سوريا.

أطلق إسم الرصافة في ما بعد، في العصور العباسية الأولى، على مدينة مبنية على الضفة اليسرى لدجلة قبالة المدينة المستديرة أي بغداد. وقد بناها المهدي يوم كان ولياً للعهد. أطلق هذا الاسم أيضاً على ضاحية سكنية بُنيت خارج مدينة قرطبة، عاصمة الأمويين في الأندلس. وحكّام الأندلس هؤلاء، المتحدرون من السلالة الأولى للخلافة في الإسلام، دفع بهم حينهم إلى الشرق إلى أن ينقلوا إلى الأندلس أسماؤه مواقع قائمة في سوريا.

«راجع المستند رقم ٩»

ألموت الأكبر، حسن الصباح، ليقود الطائفة الإسماعيلية الجديدة في سوريا، حيث عاش حتى وفاته. اتخذ قلعة مصياف مسكناً، وكان له سلطان مطلق على أتباعه، وهابه أيضاً الأمراء المسيحيون والمسلمون على حد سواء، وقد قامت بينهم دولته الصغيرة المستقلة. تميّزت هذه الدولة بغرارتها الدينية، واستمدت قوّتها من موقعها في منطقة صعبة الولوج، يعلوها عدد من القلاع المحصنة التي احتلها أتباع هذه الفرقة.

كثرت الأخبار البطولية حول المقدرات الخفية لرشيد الدين سنان التي أثبتتها الاغتيالات العنيفة التي تعرّض لها أعداؤه. وإنّه لمن الصعب التأكد من أنّ الاغتيالات السياسية التي ارتكها فدانثيون، سواء بحق مسلمين أو بحق فرنج، كانت تتم بناء على أوامره. وعلى أي حال، وقّع سنان، في ظروف غير واضحة، مع صلاح الدين اتفاقاً، ما سمح لهذا الأخير بمواجهة منافسيه في حلب أو في الموصل، وبإعداد الأسس لانتصاراته المستقبلية على مملكة القدس اللاتينية.

رشيد الدين الطبيب، أبو الخير فضل الله بن عماد الدولة، عرف غالباً بلقبه رشيد الدين (٦٤٥-٧١٨هـ/ ١٢٤٧-١٣١٨م)، وهو مؤرخ وطبيب وكاتب ورجل سياسة خدم كبار ملوك أسرة الإيلخانيين في إيران. ولد رشيد الدين في همدان، وخدم أولاً الملك المتولي أباقا، ومن ثم خلفه غازان الذي جعله وزيراً برتبة «صدر»، وأخيراً ألبانيو الشهير، قبل أن يقتد الحظوة ويُحكم عليه بالموت في عهد أبي سعيد. نهض بدور المستشار صاحب الرأي في عهد غازان، ولمع نجمه في عهد ألبانيو، من سنة ٧٠٣ إلى ٧١٦هـ/ ١٣٠٤ إلى ١٣١٦م. ساهم آنذاك في بناء العاصمة الجديدة، أي السلطانية، حيث قام بتنظيم حي كامل، بعدما كان قد ضاعف عدد مؤسساته وممتلكاته في تبريز واستمر في الاهتمام بها. جدّد، في هذه الأثناء، في كتابة «جامع التواريخ» وأهدى لسيدته جزءه الأول، في العام ٧٠٥هـ/ ١٣٠٦م. لكنّ حظوته جلبت له العداة الذي ظهر بعد موت الحاكم، الأمر الذي أدّى إلى خلمه ومن ثم إلى إعدامه، في تبريز، مع أحد أبنائه. تحفّظ شهرته كمؤرخ، بفضل كتابه عن تاريخ

رضا (الإمام) ← علي الرضا.

الإعترار إلى هذه المؤسسة. مات في العام ١٩٣٥، بعد أن أدى دوراً فاعلاً في تطور حركة الإصلاح في أبعادها المختلفة.

لم يحاول رشيد رضا نيل المراكز الرسمية الإسلامية على غرار محمد عبده. وإذا كان شارك هذا الأخير في بعض أفكاره المتعلقة بالتجديد الديني، إلا أن اهتماماته كانت، بشكل خاص، ذات طابع سياسي. لقد عبّرت مجلة المنار عن أهداف يمكن اختصارها بما يلي: - نبين قيمة الإسلام كنظام ديني وإظهار إمكان استعمال الشريعة الإلهية كوسيلة للحكم؛ - إبعاد الخرافات والضغريات الخاطئة للإسلام، وبخاصة في ما يتعلق بالاعتقاد بحنمية الأمور؛ - تشجيع الانسجام بين الفرق الإسلامية؛ - تنمية التربية؛ - دفع المسلمين إلى منافسة بقية الشعوب في مجال التطور العلمي. استُعملت المجلة أيضاً لنشر تفسير للقرآن، ساهم فيه محمد عبده في مراحله الأولى، وكان ذلك مجالاً لرشيد رضا لعرض أفكاره الشخصية.

كان رشيد رضا، في مجال ممارسة الطقوس والقرائن الإسلامية، أكثر تشدداً من محمد عبده، إذ دافع عن تعدد الزوجات، وتناول مسألة تعليم البنات بتحفّظ، ودان بحزم الفرض بالفائدة. لكنّه، بالمقابل، أخذ هامشاً واسعاً من حرية الحركة تجاه المدارس الفقهية التقليدية، منسحباً إعادة تنظيم الجهاز القضائي، وإن لم يستطع الانصراف إلى تخصيص وقته لذلك. أخيراً، اتخذ مواقف جريئة في ما يتعلق بالتنظيم السياسي، إذ اعتبر أنّ العلماء وحدهم جديرون بالانتماء على السلطة، في مختلف البلدان، مؤكداً أنّ في وسعهم إعداد نظام حكم يتلاءم مع العصور الحديثة، مع الالتزام، في الوقت نفسه، بأسس الإسلام. دافع، من هذا المنطلق، عن اعتماد نظام ديمقراطي برّزه بالشورى التي كان النبي محمد (ﷺ) يلجأ إليها في مناسبات مختلفة من حياته.

توسّع رشيد رضا في عرض أفكاره ونصوّراته هذه في مؤلّفه عن الخلافة. كما اعتبر أنّ الشريعة الإسلامية، تقدّم، بحسب الزمان والمكان، تنوّعا في مجالات التنظيمات السياسية والإدارية والمالية. لكنّ مسؤولية المطابقة بين النظم الإسلامية وحاجات العصر الحاضر،

رضا (رشيد)، ١٨٦٥ - ١٩٣٥، مؤلّف ومفكّر مسلم، يمثل في العصر الحديث حركة الإصلاح في الشرق. إنّه من أصل لبناني، لكنّه عاش في مصر حيث مارس نفوذاً كبيراً في الحياة السياسية بوازي شهرته الشخصية.

ولد في ضواحي طرابلس في عائلة ترفع نسبها إلى سلالة النبي محمد ﷺ. تابع رشيد رضا دروساً تقليدية في طرابلس حيث تتلمذ على حسين الجسر المعروف بمؤلّف خصصه للدفاع عن الإسلام ضد نقد الغربيين، وحيث التقى محمد عبده وسعى، في ما بعد، إلى اللحاق به. قرّر، في العام ١٨٩٧، الاستقرار في مصر هرباً من بلده حيث كان السلطان العثماني عبد الحميد يمارس سياسته الاستبدادية، وأنشأ هناك مجلة «المنار» الشهيرة في العام ١٨٩٩، التي استمرّت في الصدور حتّى العام ١٩٤٠، والتي حلّت محل مجلة «العمدة الوثقى» المتوقّفة عن الصدور التي كان قد أسسها جمال الدين الأفغاني. لكنّها لم تتبع الخط السياسي نفسه، على الأقل في المسائل الدينية والاجتماعية. انضمّ إلى المجلة الجديدة عدد كبير من الإصلاحيين وكوّنوا ما يمكن تسميته حزب المنار.

كرّس رشيد رضا أنشطته، بعد ثورة ١٩٠٨، لإحياء روح الإسلام. فأسس جمعية الدعوة والإرشاد التي قامت بتنظيم الحلقات الدراسية في بلدان مختلفة. ثمّ توجه إلى اسطنبول، لكنّه لم يستطع الاتفاق مع جمعية الاتحاد والترقي. المعهد الديني الوحيد استطاع تأسيسه كان في القاهرة، في جزيرة الروضة، وقد استقبل، منذ العام ١٩١٢، الطلاب من مختلف الجنسيات. كان هؤلاء يحصلون، بعد إنهاء دراستهم، على شهادة تخوّلهم الدعوة إلى الإسلام لدى غير المسلمين. نجح رشيد رضا، خلال الحرب العالمية الأولى، في العودة إلى سوريا حيث تصدّى للأهداف الفرنسية وأصبح، في العام ١٩١٨، رئيس المؤتمر السوري. لكنّ إلغاء الخلافة في تركيا الكعالية منحه فرصة لنشاط جديد هو الدفاع عن الخلافة التي كرّس لها رسالة طويلة قبل أن يشارك في مؤتمرات - لم تكن مثمرة - عُقدت في مكّة والقدس، وكانت غايتها إعادة

الأناضول حيث تراجعت شهرتهم، بدءاً من القرن الخامس عشر، لمصلحة الفادوية. ولم تقم بين الطريقتين أية علاقة إيجابية.

الرق، عُرف أثره وشرعه الإسلام في القرون الوسطى، وقد حفظت الجماعة التي أسسها النبي محمد (ﷺ) في المدينة مكانة خاصة للمستعبد. سُني في اللغة العربية عبداً ولاحقاً مملوكاً. كما وُصف بتعابير خاصة أخرى عديدة تبعاً لمفاهيم مختلفة وُزِد بعضها في القرآن، واستُحدث بعضها بحسب الأمكنة والمهود، لوصف أنواع مختلفة من المستعبدين من عسكريين وموظفين حكوميين.

(١) أمّن الاعتراف الواضح بالاستعباد، الذي بُنيت لاحقاً بالممارسة وبالتناوؤ الفقهية، إستمرار عادات سابقة للدعوة الإسلامية، خصوصاً في شبه الجزيرة العربية، وقد خضعت هذه العادات لتلطيف في الممارسة والتعديل وفقاً لتوصيات وتدابير جديدة. راجت هذه العادات لاحقاً في أنحاء الإمبراطورية العربية-الإسلامية التابعة للخلفاء. وقد عرفت في بعض المناطق حيوية جعلتها تستمر حتى عصرنا الحاضر. لقد حثّ القرآن الشروط التي كان يخضع لها الرقيق في عصره بمطابقتها بمعاملتهم بالحسن، وخصوصاً بإعتاقهم. فمُروست إجراءات العتق على نطاق واسع، ولم تكن لتشمل الأطفال المولودين لجوارٍ، إذ كانوا يولدون أحراراً إذا كان التسري بهم شرعياً، أي يسمح به الفقه. كان من المفترض أن يتناقص، في البلاد الإسلامية، عدد العبيد على مدى القرون بسبب هذه الإجراءات، لولا حلول قادمين جدد مكان المعتقين بسرعة، فبعضهم كانوا أسرى حرب، وآخرون تمّ شراؤهم من تجار الرقيق الذين أنوا بهم من خارج الحدود.

تشكّلت الفئة الأولى من شعوب مغلوقة رفضت الدخول في الإسلام في زمن الفتوحات الكبرى، وهي لا تنتمي إلى أمل الكتاب، فاستحققت بهذا صفة الكفار. وجمعت في صفوفها في ما بعد أشخاصاً من مختلف الجنسيات، اختلفت انتماءاتهم الدينية، مسيحيين كانوا أو وثنيين، كما اختلفت ظروف أسرهم، فمنهم من أُسر

وإعادة إصلافي الاجتهاد للوصول إلى تفسير جديد للشريعة، هماً من حق أصحاب السلطة وحدهم. وهؤلاء هم، بالنسبة إليه، أعضاء البرلمان في أنقرة وعلماء الأزهر في القاهرة، وعلماء الفانج والسليمانية في اسطنبول، وعلماء الزيتونة في تونس وعلماء ديوبند في الهند. على عاتق هؤلاء الأشخاص تقع مسؤولية إعادة الخلافة، وسيكون للخليفة المختار، بالخاص، مهمات فقهية ودينية.

إن البرنامج الذي رسمه رشيد رضا، والذي كان مرتباً في ما يخص اختيار الخليفة المحتمل، لم يُفصّل إلى أي تطبيق. لكنه كان صدى للاضطراب الذي أحدثته في العالم الإسلامي العلمنة في تركيا الكمالية، وإشارة إلى الأهمية التي اتخذتها مسألة إعادة بناء الهيكليّة السياسيّة التي عمل لها المفكّرون الاصلاحيون، لتفادي اللجوء مستقبلاً إلى إجراءات شبيهة بتلك التي اعتمدتها تركيا.

رضا شاه ← بهلوي.

الرضوان (قَسَم -) ← الحديبية.

الرضي ← الشريف الرضي.

الرفاعية، طريقة صوفية إسلامية، نشأت في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد في العراق الأسفل، وتنسب نفسها إلى الشيخ أحمد بن علي الرفاعي. عرفت في ما بعد انتشاراً واسعاً في الشرق.

عاش ابن الرفاعي (٤٩٩-٥٧٨هـ/ ١١٠٦-١١٨٢م)، وهو من أصل عربي، في منطقة البباخ في العراق الأسفل الذي غادره، في العام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، حاجلاً إلى مكة. كان فقيهاً ينتمي إلى المدرسة الشافعية، ولم يترك أي أثر مكتوب، لكنه جمع حوله العديد من الأتباع الذين قام من بينهم من أسس طرائق جديدة، وبخاصة البيدوية والدسوقية والشاذلية والأهوانية. انتشر الرفاعيون في سوريا بفضل الحريري المتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، وفي مصر بفضل الواسطي (المتوفى سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م)، ولافت طريقهم مناهضة قوية من قبل الفقهاء، كإبن نيمية. كما انتشروا كذلك في

بينهم عدد وفير من الخييان، شكّلوا، على جميع المستويات، هيئة الخدم وحتى هيئة الموظفين الكبار في قصور الخلفاء وسواهم من الحكّام، مساهمين في تألّق جهاز الشرفيات ورسوم دار الخلافة. أخيراً شكّل هؤلاء، وقد عُرِفوا بالغلمان، نواة الفرق المستخدمة للقتال في الحرس الملكي، ويلفوا، بفضل مهنة السلاح هذه، أعلى مناصب المسؤولية من حكام إلى قوّاد كبار، وقد بلغ بهم الأمر إلى الاستيلاء على السلطة وتسلم رئاسة الدول. ودونك مثلاً على ذلك دولة المعاليك في مصر التي غدت فريدة من نوعها من القرن الثالث عشر الميلادي حتى السادس عشر. وثمة أمثلة أخرى كثيرة على ذلك، بينها الدولة التي حكمها عبيد سابقون من الأتراك، في شمال الهند، في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقد أطلق عليهم اسم «الملوك العبيد» أو سلاطين دلهي الأولين. وهكذا شكل الدور الذي أدّاه العبيد من العسكر أو الإدارات الحكومية علامة فارقة في المجتمع الإسلامي، فتحكّم هذا النظام، إلى حدّ معيّن، بالتطوّر التاريخي لهذا المجتمع متحمّلاً، في الوقت عينه، النتائج الناجمة عنه.

وقد استورد العبيد الذين شاركوا في حياة المجتمع الإسلامي في القرون الوسطى من مناطق عدّة، وهذا ما يظهر واضحاً في التنوّع العرقي للخليّلات أو الجوّاري اللواتي كُنّ سوداوات أو بيضاوات، أثيوبيات أو سودانيات، أو تركيات، أو يونانيات، أو قوقازيات. وقد تغيّرت إتيّات العبيد وأصولهم من مقاطعة إلى أخرى، وفقاً لتغيّر التيارات التجارية الرئيسية والاستخدامات التي وُظف فيها هذا الرقيق المباع. وليس من باب المصادفة، مثلاً، أن يعهد في زراعة المستنقعات في العراق الأسفل إلى زوج من أفريقيا الشرقية، كان في استطاعتهم أن يحتلّوا الطقس الحار وغير الصحي في هذه المقاطعة، وكانوا يصلون من بلادهم إلى مرفأ البصرة مباشرةً عبر طريق بحرية مسلوكة بانتظام.

وقد ظهرت الفروقات العرقية بين العبيد بنوع خاص في المؤسسة العسكرية، حيث تكوّنت داخلها بعض التحالفات نتيجة لهذا التنوّع. من المعروف أنّ

خلال معارك نظاميّة أو في غزوات شتّت باسم الجهاد واستمرّت في شكل غزوات موسميّة أو قرصنات بحريّة، أو حتّى في حملات جذبة كانت تُشنّ على البلاد البعيدة سعياً إلى نشر الدين الإسلامي. أمّا تألّب العبيد عن طريق التجارة فقد راج في كل العصور، وكان له في أرجاء الأباطوريّة أسواقه الخاصة ومساكن قوافله. أمّا في ما يتعلّق بوضع العبيد القانوني، فالعبد في الإسلام هو في الوقت عينه شيء ما وشخص. فيكون شيئاً يخضع لحقّ الملكية ولصفات عديدة، لكن على سيّده أن يعيله، ولا يمكنه تملك إلا ما آخره. ويكون شخصاً لا يختلف وضعه الدينيّ عن وضع المسلم الحرّ، ففي إمكانه، الممكن له، مثلاً، أن يؤمّ صلاة الجماعة؛ كما يحقّ له أن يتزوّد بعد أن يسمح له سيّده، لكنّه لا يستطيع أن يمتلك خليّة لأنّه لا يحقّ له أن يملك شيئاً. أما السيّد فيحقّ له أن يجعل من امرأة من الرقيق خليّة، لكنّها بدورها إذا أصبحت أمّاً فهي تتمتع عندئذ بصفة «أمّ الولد»، ما يجعل التصرف بها غير مسموح ويفتح لها باب الحرية عند وفاة سيّدها. أمّا من الزواحي الجزائية، فللعبد وضع خاص، يعامل بسوجه على أنّه شخص من مستوى أدنى: فالمسلم لا يحكّم عليه بالإعدام إذا قتل عبداً، من ناحية أخرى يكون عقاب العبد الزاني، بحسب الشريعة، أخفّ عبثاً من عقاب الحرّ.

٢) اضطلع العبيد بأدوار عديدة في المجتمع الإسلامي القروسي، إذ منحتهم هذه الأدوار أهمية تفوق التي يوحى بها وضعهم. من الأكيد أنّهم نادراً ما عملوا كمجموعات ضخمة شبيهة بالتي عرفتها المزارع الكبرى في العصور القديمة. كما أنّ حالة العبيد التوسين - الذين كانوا يعملون في المزارع الأسفل والتي جسّدت ثورة التّزنج في القرن الثالث الهجري/ التاسع والميلادي - تبقى حالة نادرة لا يقاس عليها. كما أنّّه لا ينبغي تضخيم أهمية دور اليد العاملة للأسرى الأوروبيين الذين ساهموا، وبخاصة في المغرب، في تشييد المباني الملكية أو مباني أخرى احتاجت إلى يد عاملة خيرة. لكنّ الاقتصاد الحرقيّ للمدن كان يقوم على نشاط الرقيق في معظمه، وكذلك حياة أهل المدن العائليّة التي أفادت من خدمتهم. زد على ذلك أنّ الرقيق، ومن

التركية حيث توقّف تجنيد أسرى الحرب من أوروبا الشرقية مع انتهاء الحملات على البلقان، ما دفع العثمانيين إلى الأخذ بوسيلة مخالفة للمشرع تقضي باستخدام أحداث مسيحيين من الأمبراطورية على أنهم رقيق حكومي في إطار نظام «الدوشيرما» أو ضريبة الغلمان.

٣) في وقت متأخر، وتأثير من الدول الأوروبية الحديثة، سلكت الدول الإسلامية، بعد تردّد، طريق التحلّي عن الرّق، فكان أن أُلغي أولاً في الدول الخاضعة لسلطة أوروبية، كما في الهند بين سنة ١٨٣٤ وسنة ١٨٦٢، في المستعمرات الفرنسية سنة ١٨٤٨، في مستعمرات هولندا في الهند سنة ١٨٦٠، في آسيا الوسطى الروسية سنة ١٨٧٣، في جزيرة زنجبار سنة ١٨٩٧، في أفريقيا الشرقية الإنكليزية سنة ١٩٠٧. أمّا الدول الإسلامية المستقلة فقد اتبعت الطريقة عينها، لكن ببطء وتدرّجاً: إن تونس، ابتداء من سنة ١٨٤٦، حرّرت كل عبد طالب بالحرية، وقد شرّعت هذه الإجراءات باسم «المصلحة العامة» أو الاستصلاح كما سُمي من قبل المذهب المالكي. كذلك في الأمبراطورية العثمانية حيث منعت السلطات تجارة العبيد البيض ابتداء من سنة ١٨٥٤، ثم تجارة العبيد السود، وكان عدد العبيد فيها قد تضاعف للدرجة أنّه عندما ضمن الدستور الجديد، سنة ١٩٠٨، لكل فرد حريته، لم يكن قد بقي أحد منهم تقريباً. كما حظرت مصر تجارة العبيد السود سنة ١٨٧٧، التي توقفت نهائياً سنة ١٨٩٨، بعد قمع الحركة المهدية في السودان. في المقابل، تمكّنت بريطانيا من وقف تجارة العبيد السود في أفريقيا الشرقية باتجاه الجزيرة العربية وخاصة عُمان. كما حرّمت إيران، بموجب اتفاق وقّعه مع الإنكليز سنة ١٨٨٢، تجارة الرّق، في الوقت الذي توقفت فيه هذه التجارة كلياً في الأراضي الأفريقية التي حكمتها فرنسا، كما توقفت رسمياً في كل القارة الأفريقية، لكن بقيت إثيوبيا أحد المواقع الأخيرة للاسترقاق، رغم قرارات المنع التي أصدرها النجاشي.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كان قد قضي تقريباً في كل مكان على الاسترقاق. بيد أنّ بعض الدول

الفرق العسكرية التي شكّلها الخلفاء، في بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، تكوّنت، بنوع خاص، من الأتراك الذين نُشروا في سامراء ثم تم شراء نساء تركيات قُصص على هؤلاء العساكر الزواج منهنّ. من جهة أخرى، ظهرت في الأندلس وفي أفريقيا فرق تشكّلت من «السلافيين» أصلهم من أوروبا الوسطى، أطلق عليهم في الغرب لقب "Esclavons" أي الصقالبة. أمّا في مصر، في عهد الفاطميين، فقد جُنّدت مجموعات من التوبيين في الفرق العسكرية. كما وصل لاحقاً، إلى المنطقة نفسها، الأتراك، ابتداء من القرن الرابع عشر للميلاد، والشركس ومجموعات أخرى من القوقازيين كانوا من المشاركين الفعّالين في نظام المماليك.

يشكّل كل ذلك دلالات على الدور الذي شغلته تجارة العبيد في التوازن الاقتصادي للعالم الإسلامي في القرون الوسطى. واستمرّ هذا الوضع حتّى العصر الحديث حيثما سيطر الإسلام. على سبيل المثال، شاع في المغرب، لمدة طويلة، استيراد السود عبر الصحراء، في الوقت نفسه الذي كانت تجري فيه تجارة البيض أو ربحاً في أسواق الجزائر وتونس، وكانت تغذيها القرصنة في البحر الأبيض المتوسط. وقد امتدت هذه التجارة لتصل إلى اسطنبول، كما خضعت أسواق العبيد في ما كان يُعرف بالسودان الساحلي لسيطرة التجار المسلمين الذين شحّنوا عبيدهم نحو أميركا بواسطة أوروبيي السواحل، ابتداء من القرن السادس عشر. وقد جالت القوافل في أفريقيا الشرقية متّجهة نحو مصر أو نحو شواطئ المحيط الهندي الذي بدوره غلّت مرافته وأمواله (مثلاً أسواق زنجبار) شبه الجزيرة العربية بحاجاتها من العبيد. أمّا إيران فقد اتّجه نحوها انبيد افغانود من الهند ومن القوقاز، أو من أفريقيا.

هذا، وقد قام الأرقاء بالمهّمات نفسها التي قاموا بها في القرون الوسطى في كل هذه البلدان، وحتى داخل الدولة العثمانية، فغداً ضرورة في الحياة اليومية لمساكن الأتربة خلال القرن التاسع عشر، وكذلك في الخدمات العامة المدنية والعسكرية حيث تكاثرت أعدادهم. زد على ذلك بروز ظاهرة جديدة في الدولة

الأميراطورية الإسلامية منذ العام ١٨/٦٣٩م، بموجب معاهدة سلام. في الضاحية المقابلة، على الضفة الثانية للنهر التي كانت تتصل بها بواسطة جسر عبور قائم على القوارب، شيد الخليفة الأموي هشام قصرين. إن موقع الرقة الإستراتيجي، على نصف المسافة بين حواضر الخلفاء في العراق وبين حدود الدولة البيزنطية في الأناضول، واختيارها مركز إقامة مؤقتة لعدد من الخلفاء، منهم هارون الرشيد والمأمون، زاد في تعزيز موقعها خلال الحكم العباسي.

بنى الخليفة المنصور، قريباً منها، مدينة جديد أسماها الرافقة وأسكن فيها جنوداً من الخراسانيين. كالا لهذه المدينة، المحصنة بسور من الطوب غير المطبوخ شكل نصف دائري كحدوة الحصان، واستوحى تصميمها من الشكل الدائري لمدينة بغداد. وقد تم تصليبها من الشكل الدائري لسوق شكّلت حياً كبيراً وعُرفت الكل باسم الرقة. انطلقت، من هذه المدينة المزدهرة تجارياً والمحصنة، الحملات العسكرية لضم المناطق الواقعة على الحدود الشمالية، أو لجه الغرب، من أجل إحلال الأمن والنظام في داخل سوريا. وخلال إقامة هارون الرشيد فيها، جرى سجن اثنين من أسرة البرامكة، هما الوزير السابق وأحد أبنائه إثر نكبتهما ومقتل جعفر البرمكي.

إن البقايا الأثرية التي تعود إلى عصور مختلفة والتي لا تزال في مكانها على الرغم من ازدهار الرقة الحالي سمحت بالتعرف إلى بقايا السور القديم والسجاء الجامع الذي رُمّمه نور الدين في العام ٥٦٠هـ/١١٦٥م وإلى قصور عدة، من بينها واحد يمتد إلى الحقب نفسها، وأخيراً إلى بوابات كبيرة، من بينها تلك المسما بوابة بغداد التي طُلّيَ خطأ أنها تعود إلى القرن الثاني أو الثالث للهجرة/الثامن أو التاسع للميلاد. تؤكد هذه الشواهد المعمارية، إضافة إلى المصادر التاريخية، علم أهمية المدينة التي أعيد بناؤها وترميمها بعد التحولات السياسية التي جرت في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين مستفيدة من الازدهار الاقتصادي للدول التي تأسست في ظل سلطة السلاجقة أو سلطة من خلفهم. لقد عمل آل

الإسلامية استمرت بتبويره، إذ إن إلغاءه كان يثير مشكلات اجتماعية، رغم أنه ظهرت في مصر وفي الهند حركات إصلاح حاولت أن تبرهن أن الإسلام قبل على مفض بالاسترقاق، لذلك وجب التخلص منه. لكن بقيت حركات، كالوهابيين في الدول العربية، تعارض إلغاءه، ما أرغم حكومات آل سعود على التناقص عن بعض الممارسات القديمة التي وجدت أيضاً في اليمن. في سنة ١٩٢٦، وقع اتفاق جنيف الذي رعت عصى الأمم مطالباً بإلغاء الرق، وقد انضوت تحت لوائه، تقريباً، كل الدول الإسلامية. كما صدرت، بعد الحرب العالمية الثانية، إدانة أخرى تتعلق بهذا الموضوع باسم منظمة الأمم المتحدة عند الإعلان العالمي لشرعة حقوق الإنسان سنة ١٩٤٨. وهكذا قطعت هذه الحركة مراحل حاسمة لم يعد ممكناً الرجوع عنها، إلى أن كانت سنة ١٩٦٢، فألغت المملكة العربية السعودية رسمياً الاسترقاق وتبعتها جمهورية موريتانيا الإسلامية سنة ١٩٨١.

الرقادة، موقع خرب للقصر القديم أو «المدينة الملكية» التي بناها، في العام ٢٦٢هـ/٨٧٦م، الأغلي إبراهيم الثاني قرب القبروان.

وفيها أقام الأغلي الأخير زيادة الله الثالث، حين اضطر إلى الهرب أمام أتباع عبيد الله المهدي مؤسس الأسرة الفاطمية. وفيها أقام أيضاً هذا الأخير حتى العام ٣٠٨هـ/٩٢٠م، حين انتقل إلى مدينته الجديدة المهدية. وفي ما بعد، هدم الخليفة الفاطمي المعز الرقادة، ومع ذلك، بقي منها حتى اليوم، على بعد كيلومترات عدة من القبروان، آثار معمارية كشفت عنها حفريات حديثة.

الرقة (الجمهورية العربية السورية)، تحتل هذه البلدة، في بلاد ما بين النهرين العليا، موقع عاصمة قديمة للعباسيين، اشتهرت بأطلالها الضخمة وبنوعية خزفها العائد إلى القرون الوسطى.

قامت المدينة الفروسطية على الضفة الشمالية للفرات، في جنوب ما يعرف اليوم بمقاطعة الجزيرة السورية، وشكّلت ملتقى لطرق القوافل البرية وللملاحة النهرية. تعود، على الأرجح، إلى الفترة الهلنستية، وقد ضُمَّت، في بداية الفتوحات الكبرى، إلى

يُعرف به إلّا في أواخر القرن التاسع عشر. في هذه المرحلة حصراً بدأت دراسة الرُّقْم المعرّضة لحوادث التلف وتجميعها، كما تفتّيات العالم المعاصر. لقد جمّعت هذه النصوص ونُشرت بمبادرة من المختصّين الغربيّين الذين اتّبعوا القواعد المعتمدة في مجال دراسة الرُّقْم اليونانية أو اللاتينية، والتي شكّلت أدوات العمل الأولى. يبقى الكثير للقيام به اليوم - بالرغم من جهود هؤلاء المختصّين - لتأدية الجمع المنهجي وتصنيف واستعمال هذه الوثائق الوافرة العدد، والموزّعة في أصقاع متراصة. فتحة معطيات أساسية يمكن استخلاصها مما نعرفه عن طبيعتها ومحتواها.

بعضها نقوش على المباني تحفظ نصراً تذكارية وإدارية من مختلف الأنواع، تحتلّ المكانة الأولى فيها شواهد المدافن وأحياناً الأضرحة؛ وبعضها نقوش على الأثاث، حيث تغلب الإشارات الدالة على الملكية والتميّات للمالك؛ والبعض الآخر نقوش دينية محض ترفع من قيمة أيّ مبنى أو أيّ قطعة. وهذه النقوش جميعاً تبدو كأنها وُجدت لغاية واحدة، هي تعظيم الإسلام. وهذه، من دون شك، المميّزة الأشدّ ثباتاً وإدعاشاً لنتائج كتابيّ أخذ، حيث الإعلان عن الإيمان الإسلامي، من البسملة إلى الشهادة، وكذلك الشواهد المضمّنة آيات قرآنية، أو تضرّعات تستدعي البركة والرحمة والتأييد الإلهي لممثلي الإسلام. إنّ هذا الإعلان يشكّل وحده النصّ المنقوش، أو يجاور نصراً تاريخية أخرى، يبدو فيها المؤسس الثري، في بداية الأمر، «خادماً متواضعاً لله»، يهديه أعماله الصالحة؛ ويبدو المتوفّي مؤمناً بفخر بأنّه حمل شهادة الإيمان الإسلامي في كلّ ظروف حياته. هنا نجد القاسم المشترك الذي يزعج اعتماد النقوش عملاً متكاملًا مع كلّ تركيبة معمارية أو تزيينية، وهذا ينطبق أيضاً على النصوص ذات الطابع الرسميّ المدوّنة، في أواخر العصر الوسيط، بلغات غير العربية، مع الاحتفاظ باللغة العربية للتعبير عن التوقّية التي نجسّد تقبّل النصوص بالأعراف الإسلامية.

وفي هذه الكتابات المتعدّدة، تبدو ميزة ثانية أساسية ثابتة، هي الصلة الوثيقة بينها وبين السلطة

زنتكي، وبخاصة نور الدين، للسيطرة عليها، لكونها نفع على إحدى الطرق التي تربط ما بين ممتلكاتهم في حلب من جهة، وفي الموصل من جهة ثانية. هذا الازدهار الاقتصادي، الناتج عن النشاطات التجارية، يتطابق أيضاً مع الفترة الذهبية لصناعة الخزف في الرقّة ولنتاجها فنّياً. راجع المستند ٩.

رقص دهلّيّ، هو في الإسلام ممارسة مرتبطة ببعض الطقوس الصوفيّة، وهي معروفة منذ عصور قديمة. هذا الرقص يُعتبر في عداد أنواع اللهو الدنيوي أيضاً، وهو يرافق الأفراح الشعبية أو يُقدّم مشهداً أمام الصيوف، وقد مارسه بعض الفرق الصوفيّة أمام المدعوّين كوسيلة لبلوغ حالة النشوة والذهول. كما كان يُقدّم خلال اجتماعات «الدراوش الدوّارين» أو «المولويّين» في قونية. وقد عُرف هؤلاء، منذ أن تأسست فرقهم في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وحتى الحقبة المعاصرة، بلجوئهم إلى هذا الفن. لكنّ اللجوء إلى الرقص لأهداف دينيّة ظهر قبل تلك المرحلة. إذا أردنا أن نأخذ برأي الفقيه الحنبليّ إبن بطة الذي أشار إلى هذا النوع من الممارسة في أوساط القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وأدانه.

الرُّقْمُ الإسلامية، نصوص منقوشة على المباني وعلى أثاث المنازل، ذات مسحة دينيّة دائماً، وطابع زخرفي إجماليّ. كثرت في البلدان الإسلاميّة في العصر الوسيط، وكان الدور الأهمّ، في بداية الأمر، للنقوش العربية.

نعكس هذه الكتابات الدور المعترف به، منذ العصور الأولى، لكتابة عربية، وجودها طامح في كل مكان، بسبب دورها النفعي والرمزيّ، فساهمت في إظهار الطابع الفريد للحضارة التي رافقت النقوش تطوّرها التاريخي، وشكّلت ملامحها المميّزة. وهكذا فإن علم الرُّقْم أو إيفرافيا، الذي أثبت ضرورته لنهم مونوتي به للمعطيات الأثريّة، يجب أن يُنظر إليه اليوم على أنّه أفضل وسيلة لفهم خارجي ومنهجيّ لحاضي الإسلام، حتّى لو كان وجوده، بصفته علماً مستقلاً، لم

تتّوجّ فجوات مغلفة؛ وهي ترسم الأطر المستطيلة المتتالية التي تفتح في وسطها البوابات الضخمة أو فجوات المحارب. وكانت تشكّل أفاريز تملأ بزخارفها الأقسام العليا من الجدران، أو قواعد القباب؛ وكانت تزيّن منتصف المساحات الخالية في الأسوار والأبراج، كما كانت تقسم بعض الجدران الخارجية أو الداخلية، المكسوة بالجنس المقلّب أو المحزوز، أو بأشكال قطع من الأجر البارز، أو بمنحوتات على الحجارة، أو بفسيفساء من زجاج، ولا سيّما من الفاشاني، وأحياناً تعتمد مربعات خزفية. من جهة أخرى، وفي القطع المصنوعة من المعدن أو من الفخار المطلي أو غير المطلي، كانت الأشكال الكتابية تحتلّ مكانة بارزة إذ إنها تدور على بطن الإناء أو عنقه، كما على حافة الصحن وأطر العلب والصّحاف، وتكاثر وفق الأشرطة أو الدوائر التي تساهم في حركة تكوين الزخارف. وهذه الأساليب نفسها كانت تُغني بزخارفها المصنوعات الجلدية والألواح الخشبية المخزّمة، وكذلك الأقمشة حيث الكتابة معتمدة في التطريز أو متداخلة مع النسيج. لكنّ هذه العصائب واللوحات المنقوشة المعتمدة لمراقبة الأعمال الفنية ولبعث الحياة فيها، كانت مميّزة كذلك من حيث نوعية الخطوط الزخرفية، والعناصر الطارئة التي تكمل قيمتها التزيينية، وباعتمادها معطيات أنماط متنوعة من الخطوط العربية، تلك المحددة الزوايا أو المدوّرة، التي عرفت تطوّراً مختلفاً تبعاً للزمان والمكان، شهدت تطوّرها على نماء الفن الإسلامي عبر ميزان مختصة بكلّ من مدارسه الفنية.

الركعة ← الصلاة.

الرمضانيّون أو بنو رمضان (٧٨١-٨٩٦م/١٣٧٩-١٥١٠م)، أسرة تركمانية من عهد الإمارات في الأناضول، امتدّ حكمها إلى كيبليكا القديمة، حول أضنة وطرسوس.

إنّ هؤلاء الأمراء المسلمين - ذوي التاريخ غير الواضح والذين يعمدون أصلهم إلى الغزاة الأتراك الذين أتوا من آسيا الوسطى في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي - لم يتمتعوا إلا باستقلال هش، استغلّوا الخصومات القائمة بين مماليك مصر - الذين

السياسية التي أرادت دائماً أن تتخذ من هذه الكتابات وسائل فضلى للتعبير، لأنّها الأوضح انكشافاً لأنظار الشعب، والأطول استمراراً من الوثائق المحفوظة، ومن روايات المؤرخين والكتابات الأخرى المودعة في مواد أقلّ صلابة. إنّ عظمة الأمراء والحكام المهتمين بإعلان أعمالهم النجيدة، وبتخليد ذكراهم على أبنية وقطع تبقى بعدهم، كانت الدافع الأساس لهذه المعلومات المحفوظة في الحجر، أو المصنوعة بأشكال مختلفة من قطع الحجر. ليس من بناء شيد في العالم الإسلامي القديم، لم يتّجّع فيه هذا التقليد، وهو أن يحمل اسم بانيه بطريقة واضحة. إضافة إلى ذلك، فإنّ هذا الرباط الوثيق بين النفوس والسلطة، لم يسوّ في شيء إلى الطابع الإسلامي لهذا العمل بل قوّاه، لأنّ هذه السلطة هي إسلامية، وهي تُعلن هذا الطابع وتظهره بوضوح في صلوات التعظيم وفي الصّحيف الشّعبيّة المختارة. وثمة بعد تاريخي وأسرّي يُضاف إلى الرسالة التي تحملها هذه النفوس، وذلك في إبراز اسم الشخص الذي نظم هذه الأعمال، في موضع واضح، إلى جانب ذكر التاريخ والتفاصيل الأخرى المتصلة بتشييده، بحسب الطريقة المعتمدة في الدواوين، والتي تتضمن عناصر التثبيت وفق عادات المرحلة الزمنية والمنطقة.

وأخيراً، خاصّةً نائلة مُميّزة، نشر بأنّها نتيجة سابقتهما، وهي ليست دونهما مكانة، تكتسب أهميتها من قيمتها الأساسية الجمالية والفنية، والتي أفزّتها الحضارة الإسلامية للنفوس التي قامت باضفاء هالة من القداسة على الأمكنة، في الوقت الذي أبرزت فيه مجد الأمير الحاكم أو كبار موظفيه. هذه الأهمية التي أُعطيت لمظهر النصوص أدّت إلى إيقان واضح في معظمها، سواء لكونها عناصر ضرورية للتوازن في زخارف المبني أو القطعة الفنية التي تزيّنها، أو للمبراة التقنية والفنية الفريدة التي تميّزها.

وفي الواقع، فإنّ النصوص المنقوشة كانت تحتلّ، على كلّ مبنى أو قطعة تينة، موضعاً مختاراً تُهَيّئ على شكله الخارجي. فهي تبرز، مثلاً، الخطوط الهندسية الكبرى في المبنى، بفضل وجودها على العتبات العليا في الفتحات المختلفة، أو على جوانب الأفواس التي

البيزنطي. وهو يشبه، إلى حد كبير، تنظيم مدينة عنجر التي أسسها الأمويون، وكشفت عنها حفريات أثرية حديثة في السهل الواقع قرب منحدرات سلسلة جبال لبنان الشرقية.

أعيد بناؤها، بعد زلزال ١٤٢٤هـ/١٠٣٣م، وغدت مدينة زاهرة في مملكة القدس اللاتينية. بنى الفرنج، خارج أسوار المدينة، كنيسة تحولت في ما بعد إلى مسجد جامع. احتلها صلاح الدين من جديد، في العام ٥٨٧هـ/١١٩١م، كما رُممت منذئها المرممة في العام ٧١٨هـ/١٣١٨م في عهد المماليك. إن تدهور المدينة في هذه الفترة، والذي لم يتوقف مع العثمانيين، لم يمنعه من الاستمرار حتى نهاية القرن الثامن عشر، وقد اتخذها بونابرت مركزاً لقيادته في العام ١٧٩٩.

◀ راجع المستدين ٩ و ١٢.

الرُّها، حاليًا أورفا (Urfa)، إيسا (Edesse) في المصادر الفروسيطة الغربية التي استعادت التسمية الإغريقية. هي مدينة في بلاد ما بين النهرين العليا، تقع على أطراف جبل طوروس والسهوب السورية، بقيت تضطلع، بعد إلحاقها بالإسلام في القرن الأول الهجري/السنيع الميلادي، بدور إستراتيجي مثبت بخاصة في عهد مملكة القدس اللاتينية.

وهي حاضرة قديمة، أعيد تشييدها في العهد الهلنستي، وأست، في ما بعد، في ظل الحكم البيزنطي، عاصمة محلية ومركزاً كنسياً. تامت على مفترق طرق في وادي ريان. احتلها المسلمون سنة ١٨هـ/٦٣٩م، في زمن الفتوحات الكبرى ودعيت منطقتها - وهي منطقة وادي البليخ الأعلى، أحد روافد الفرات - ديار مُضر، باسم القبيلة العربية التي أسكنت فيها. وهكذا أمت نفراً ظل يضم عدداً كبيراً من المسيحيين ومجموعة من الكنائس، فهاجما البيزنطيون في نهاية القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، ونهبوها عام ٣٦١هـ/٩٧١م. غير أنَّ ذلك لم يخل دون استمرارها موقفاً ذا شأن في أمبراطورية الخلافة العباسية، إلى أن سقطت، بميد مجيء السلاجقة إلى المنطقة، في أيدي الفرنج الذين أنشأوا كونتية إيسا في العام ٤٩١هـ/

كانوا آنذاك يحكمون سوريا المجاورة - وبين العثمانيين الذين كانوا يجهدون لإحكام قبضتهم على كامل الأناضول، ليستولوا سيطرتهم على منطقة ذات أهمية إستراتيجية، هي تلك التي كانت تشكل، لفترة طويلة، حدوداً بين الأمبراطوريتين العربية - الإسلامية والبيزنطية، قبل أن تصبح مطعماً للفرنج والأرمن. وقد أدّى الخصب الزراعي والتقدم الحرفي لهذه السهول الحارة والمروية إلى نهضة إقتصادية وثقافية تشهد لها أبنية أثرية باقية في أضنة. كما أنَّ الانتصار النهائي للعثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق، في العام ١٥١٦م، لم يمنع إطلاقاً الرمنانيين من متابعة سيطرتهم على المنطقة، إن لم يكن كحكام محليين مستقلين، فعلى الأقل كموقوفين يمارسون مهماتهم تحت سلطة الإدارة في اسطنبول.

الرُّمَّة، تقع هذه المدينة الأثرية الفروسيطة المدمرة، على مسافة أربعين كلم شمال - غربي القدس. بناها الأمويون في أواخر القرن الأول الهجري/بدايات القرن الثامن الميلادي، لتصبح القاعدة الجديدة للمنطقة العسكرية المعروفة بجند فلسطين، ولم تحظ، حتى اليوم، بالدراسات الأثرية التي تستحقها.

قُرر سليمان، الخليفة الأموي لاحقاً، شقيق الخليفة الوليد الأول، بصفت والياً على هذا الجند، نقل المركز الإداري إلى مدينة جديدة، فاختار منطقة رملية (وهي التي أعطت الاسم الجديد للمدينة) لا تصلح لإقامة مدينة بسبب افتقارها إلى المياه، ولا تعرف، فعلاً، سبب هذا الاختيار. لكن من المرجح أن يكون سليمان قد أراد ترك مدينة اللد المسيحية، التي كانت حتى ذلك الحين مركز المنطقة، وكانت مشهورة بكنيستها، للإقامة في مدينة إسلامية حقاً، يمكن أن يتنافس مسجدها الجامع المسجد الذي بناه أخوه في دمشق.

كانت المدينة مرممة الشكل، يحيط بها سور له أبواب عدة. بُني المسجد الجامع والقصر في الوسط، وجُمعت الأسواق على طول الطرقات المؤدية إلى المداخل الرئيسة. يبدو، من خلال الأوصاف التي تركها المؤرخون القدماء، أنَّ مخطط المدينة - التي حُرِّبها زلزال عنيف في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر

حاول المسلمون مراراً، خلال الفتوحات الكبرى في القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، احتلال جزيرة رودس من دون نتيجة. وإذا كان الأمويون قد تمكنوا، لفترة قصيرة، بين عامي ٦٧٢ و ٦٧٩، من الاستيلاء عليها، فإن الإماليك، بعد احتلالهم قبرص في العام ١٤٢٦، عمدوا إلى توجيه حملات عسكرية غير ناجحة، بخاصة في الأعوام ١٤٤٠ و ١٤٤٣ و ١٤٤٤، ضد رودس التي كانت أولاً خاضعة للبيزنطيين ثم للمدن البحرية الإيطالية، قبل أن يدافع عنها الفرنج، وبالتحديد فرسان القديس يوحنا.

وأخيراً نجحت الجيوش العثمانية، في عهد سليمان القانوني، في احتلال الجزيرة في العام ١٥٢٢، وطردت الفرسان الذين انتقلوا إلى مالطة واستقروا فيها حتى القرن العشرين. احتلها الإيطاليون في العام ١٩١٢، ونتم الاعتراف بانضمامها إلى إيطاليا في العام ١٩٢٣، بعد الحرب العالمية الأولى، بموجب معاهدة لوزان. تضم رودس حالياً أقلية صغيرة من المسلمين، وقد حافظت على بعض مساجد العهد العثماني، لكنها ضُمَّت إلى اليونان في العام ١٩٤٧.

الروزنامة/ التقويم. أحد ابتكارات الإسلام الذي لم يكتب باستنباط نظام جديد لتأريخ الأحداث، هو التاريخ الهجري، بل وضع أيضاً تقويمياً فمرتباً خالصاً ما يزال المسلمون يعملون به حتى اليوم، على الأقل في حياتهم اليومية الاجتماعية والدينية التي تنظمها تواريخ الحج والصوم والأعياد الدينية.

مع ظهور الإسلام، تم وضع تقويم أدخل تعديلاً على التقويمين القمري والشمسي المعمول بهما حتى ذلك الحين في الجزيرة العربية والبلدان المجاورة. هذا التقويم حدد بدء التاريخ الهجري في السادس عشر من تموز ٦٢٢م، وهو التاريخ المفترض لهجرة النبي محمد ﷺ. وقبل ذلك كان العرب يستعملون تقويمياً قمرياً حفظ بعض الكتاب المسلمين المتأخرين ذكره. وتتميز هذا التقويم بعبادة إدراج شهر إضافي عندما يصبح التفاوت مع السنة الشمسية كبيراً جداً. وفي خطبة الوداع التي ألقاها النبي قبيل وفاته، حُزم عادة إضافة هذا الشهر. وتالياً صارت السنة الإسلامية سنة قمرية من

١٠٩٨م، ويقوا فيها حتى في العام ١٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، حين استعادها أتاليك زنگي بعدما حاصرها. بقيت، بحكم موقعها، عرضة للاضطرابات، وتنازعها الدول الإسلامية المتعادية، فألحقت في أكثر الأحيان بالأراضي السورية. إلا أنها عانت على الخصوص الخلافات بين الأيوبيين وسلاجقة الروم، ثم اجتياح المغول وحملات تيمورلنك. على أنها نفقت غبار الخراب، وكانت لا تزال على ازدهارها عند استيلاء العثمانيين عليها نهائياً في العام ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م، خلال نزاعاتهم مع الصفويين، وأطلقوا عليها اسم أورفا الذي ما زالت تحمله. كما حافظت حتى اليوم على نشاطها مركزاً إدارياً ومحطة اقتصادية محلية مرتبطة بعينتاب (Gaziantep الحالية) من جهة، وبديار بكر وماردين من جهة ثانية، ورغم أن ولادة الجمهورية التركية قطعت اتصالها المباشرة بالبرقة، من الجهة الأخرى للحدود الجديدة.

راجع المسندات ٩ و ١٨ و ٢١.

رؤساء الطوائف ← الطوائف.

الروح، استعمل المؤلفون العرب هذه الكلمة مرادفةً لنفس، ولكنها حملت أيضاً معاني تقنية ذات دلالة دينية.

تعني كلمة روح في القرآن «نفحة الحياة» الفاصدة من الله أو «روح» التي تمنح المعرفة والنور. هكذا أنزلت روح الله على النبي محمد (ﷺ) وأعطته الوحي أي القرآن. كذلك النبي عيسى هو روح الله، ويقول القرآن إن الله قد أرسل لميسى روح القدس أو روح القدس.

يرتكز المؤلفون الشيعة على هذه النصوص للمقول إن روح الله يمكن أن تتجسد في الأنبياء أو في رجال مختارين، مثل الأئمة. من جهة ثانية، يقول بعض المتصوفين، ولا سيما النيسابوريون، بأحادية الوجود التي تعطي الروح غير المادية مركزاً خاصاً في العالم، وقد مثل هذه النظرية إبن العربي.

رودس (اليونان)، جزيرة في الأرخبيل اليوناني، تبعد حوالي ١٢ ميلاً عن الشاطئ الجنوبي للأناضول، كانت جزءاً من السلطنة العثمانية من العام ١٥٢٢ إلى العام ١٩١٢.

بجباية الضريبة على المحاصيل. فقد اضطر الخلفاء، في غير مناسبة، إلى أخذ هذا الأمر في الاعتبار وتأخير الجباية. محلياً، وفي بعض المقاطعات، بقي معمولاً في أكثر الأحيان بالتقويم الشمسي بسبب الارتباط التقليدي به، ولأنه أفضل تطابقاً مع الدورات السنوية للحياة الزراعية. تلك، مثلاً، كانت حال «تقويم قرطبة للعام ٨٣٥٠/٩٦٦م»، وكذلك تقويم إين البتاء، وهو عالم رياضيات من مراكش توفي في سنة ٨٧٢١/١٣٢١م. وكانت هذه التقاويم تبين تحديداً فترة النهار وفترة الليل، والأعمال الزراعية، وأحياناً الأعياد المسيحية. وفي عهد الأباطورية العثمانية تَمَّ، منذ العام ١٦٦٧م، اعتماد التقويم البولوي في الشؤون المالية؛ وفي العام ١٩١٧ اعتمدت تركيا التقويم الأوروبي الذي كان استعماله رائجاً أيضاً في القرن التاسع عشر في بعض الاستعمارات الرسمية، في مناطق من العالم الإسلامي أصابها موجة التحديث.

روسيا (الإتحاد الروسي). بلاد مترامية الأطراف، كانت لا تزال تقسم، في العام ١٩٩١، مجموعة جمهوريات سابقة مستقلة ذاتياً ومناطق، مستقلة هي أيضاً ذاتياً، تحولت إلى جمهوريات إنداعية تقطن بعضها شعوب إسلامية.

تقع هذه الجمهوريات المتحدة بنوع خاص في سهوب الأورال والقوقاز، وعلى الأطراف الشمالية للقوقاز، وأيضاً في سيبيريا. لا نملك معلومات دقيقة عن وضعها السياسي والديني الحالي، وبشكل عام عن وضع مسلمي روسيا الذين تؤكد بعض الإحصائيات أن نسبتهم تبلغ خمسة عشر بالمئة من مجموع السكان الذين يقدر عددهم بحوالي مئة وثلاثين مليوناً. لكن يمكننا أن نميز، بين هذه الجمهوريات التي تقسم أغليات مسلمة ذات أهمية أحياناً، تلك التي تستحق أن تُطلق عليها صفة «إسلامية». نظراً إلى تاريخها الوسيط أو الحديث الذي له انعكاسات أحياناً على الأوضاع الحالية. هذه الجمهوريات هي: تاتارستان، بشكورتستان، داغستان، تشيشان، أنغوش، كاباردينو - بالكاري، أوسيتيا الشمالية، كراتشيفو - تشيركيسيا وجمهورية الأديغيين.

٣٥٤ يوماً موزعة على ١٢ شهراً، بعضها من تسعة وعشرين يوماً وبعضها الآخر من ثلاثين يوماً. علماً أن اليوم يبدأ مع مغيب الشمس.

وفي سنة ١٦٦٦/١٦٣٧م، حذد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب بداية التقويم الإسلامي - الذي يُعرف بالتقويم الهجري - نيس في يوم الهجرة بالذات، بل مع بداية السنة القمرية التي حصلت فيها الهجرة، ومنذ ذلك الحين، اعتمد هذا التقويم رسمياً في كل المناطق التي فتحها الإسلام. وكان هذا القرار أساساً لتاريخ الأحداث إلا أنه تطلب حسابات معقدة للحصول على معادلة ما بين التواريخ الهجرية والتواريخ الميلادية؛ وأخذت هذه الحسابات في الاعتبار، في أن مئة الفارق الأساسي بين التاريخين، أي ٦٢٢ سنة، والتفاوت السنوي العكسي القائم بين السنة الغريغورية والسنة القمرية الإسلامية. وقد وضعت جداول تُطابق بين التقويمين، ما يُسهل عمل المؤرخين النحويين.

الأسبوع الهجري مؤلف من سبعة أيام أولها يوم الأحد، ويوم الجمعة مخصص لإقامة الصلاة الجماعية، لكنه نيس بالضرورة يوم تعطيل عن العمل، مع أنه أصبح كذلك في معظم الدول الإسلامية في عصرنا الحاضر.

وأشهر التقويم الهجري هي الأشهر العربية القديمة نفسها التي أُنشئ على أسمائها: شهر محرم الذي كان في ما مضى أحد شهور الهدنة المقدسة التي يحترمها العرب، علماً أن أول محرم هو بداية السنة الهجرية. وهو يوم تسلبه وابتهاج للناس؛ صفر الموصوف به «الحسن»؛ ربيع الأول المعروف أحياناً بـ «شهر الولادة المكرم»؛ أي ولادة النبي محمد (ﷺ)؛ ربيع الثاني؛ جمادى الأولى؛ جمادى الثانية؛ رجب الموصوف عادة بـ «المعزول»؛ شعبان الموصوف بـ «المكرم» أو «المبارك»؛ رمضان وهو شهر الوحي وشهر الصوم الموصوف بـ «الكريم»؛ شوال؛ ذو القعدة وذو الحجة، وهما من الأشهر الحرم، لأن ذا الحجة هو شهر الحج الذي تمّ التهيئة له في شهر ذي القعدة.

وقد سبب التفاوت بين السنة الهجرية والسنة الشمسية صعوبات في القرون الوسطى في ما يتعلق

الروم - السلاجقة.

بموجب نظام الملل.

هذا الوضع الجديد الذي اشتدت وطأته مع المبالغة في زيادة الضرائب، أدى إلى ثورات عديدة تحولت، غالباً، إلى حروب خارجية تغذيها أطماع كلٍّ من النمسا، الخاضعة لعائلة هابسبورغ، وروسيا، الأمر الذي أرغم العثمانيين، منذ القرن الثامن عشر، على الانسحاب التدريجي من بعض مناطق الروملي. جاء الانسحاب النهائي بعد قرنين من الزمن، عند نهاية الحرب العالمية الأولى وحروب البلقان التي سبقتها. لم تحتفظ الجمهورية التركية الحديثة من كل هذه الأراضي سوى بمقاطعة تراقيا، ما سمح لها بأن تكون في عداد الدول الأوروبية.

« ربيع المستندين ٢٢ و ٢٧ »

الرومي - جلال الدين الرومي.

الرَّيُّ أو المَحْمَدِيَّة، مذبنة خُرْبة من القرون الوسطى في إيران، حافظت على ازدهارها حتى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وما يزال موقعها معروفاً إلى الجنوب الشرقي لتهران.

كانت الرِّي مدينة قديمة في ميديا معروفة باسم راجين (Ragès)، احتلها باكراً، في العام ١١٩٩/١٦٤٠م، الجيوش العربية - الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى، لكنها تعرّضت للتخريب بعد ذلك بفترة قصيرة. أعاد بنائها، في زمن العباسيين، المهدي، الخليفة لاحقاً، عندما عُيِّن، في العام ١١٤١/٧٥٨م، حاكماً على جند إيران، وأعطاه إسماعيلاً جديداً، وفيها ولد، في ما بعد، ابنه هارون الرشيد.

ومذاك، صارت الرِّي جزءاً من الإمبراطورية الإسلامية وضاحت في عناها وشهرتها العاصمة بغداد، لكنها أصبحت محققة خلافت أمراء الديلم القريبة، لتسقط لاحقاً بين أيدي السامانيين ثم البويهيين الذين جعلوا منها، لأكثر من قرن، مركزاً لبلاط ميمر.

احتلها السلاجقة، في العام ١١٤٣/١٠٤٢م، في زمن الاجتياحات التركية. عندها بدأت تضعف تدريجياً بسبب الخلافات الكبيرة بين مجموعات سكّانها، وبخاصة بين السنة والشيعة، وأيضاً بين الشافعية

الروملي، اسم يدلّ على مناطق في البلقان وفي أوروبا الشرقية، احتلها العثمانيون وأصبحت جزءاً من إمبراطوريتهم المترامية، من الأناضول حيث أسسوا حكمهم، إلى بلدان شرقية أو أفريقية احتلّوها في أوقات لاحقة.

في القرن السادس عشر، ضمت منطقة الروملي - ذات الأهمية الكبرى بالنسبة إلى الدولة العثمانية - سلسلة من المقاطعات يحميها نظام دفاعي محكم. وكانت هذه المقاطعات إما خاضعة مباشرة لإسطنبول ومقسمة إلى سناجق، وإما منقّمة على شكل دولٍ تتمتع باستقلال داخلي، ولكنها تخضع للسلطنة العثمانية. كان منها منطقة ساحلية متوسطة، ضمت إليها جزر بحر إيجه، وكانت خاضعة لقائد البحرية الأميرال الأكبر الـ«كودان باشا».

إن الدول الواقعة شمال الدانوب تمتعت بنوع من الاستقلال الذاتي. فولاديا وفالاشيا كان لهما ملكان يعترفان بسلطة السلطان، إلا أنّ وضع هذه الأراضي لم يكن محدّداً بشكل دقيق. كما تمتعت ترانسالفانيا بتنظيم خاص، بينما ضمت هنغاريا مبدئياً إلى السلطة. أمّا في البلقان، فالمجموعة المكوّنة من البوسنة - الهرسك والجبل الأسود وصربيا، وألبانيا، والمورة، خضعت لنظام إدارة المقاطعات العثمانية، مع استثناءات مختلفة. وفي المناطق القريبة من العاصمة، كبلغاريا وتراقيا ومقدونيا، مارست السلطة المركزية حكماً مباشراً.

شكّل المسلمون أقلية صغيرة بين سكّان مناطق الروملي. أمّا اعتناق الإسلام فكان نادراً جداً، هذا إذا استثنينا ظاهرة الإنكشارية التي كانت تقضي دخول الإسلام بالقوّة، الأمر الذي أدى إلى وصول أشخاص، يعودون بأصلهم إلى مسيحيي البلقان، إلى المراكز العليا في الدولة. لذا يُظنّ أنّ المسلمين لم يتجاوزوا، بشكل عام، العشرين بالمئة من مجموع السكان، لكنّ هذه النسبة كانت تتغيّر تبعاً للمناطق. فغالبية السكان كانوا من المسيحيين الأرثوذكس التابعين لبطريرك بقل من السلطان بصلاحيته في مسائل الأحوال الشخصية،

مختلفة، ونشطوا في مراكز مرموقة لا تقل تنوعاً، بصفتهم أبناء البلاد، أو غرباء غير مسلمين، أو أنهم كانوا من المهتمين حديثاً إلى الإسلام، ولكنهم كانوا ينفقون جميعاً باللغة العربية. وأفادت هذه العلوم من الاهتمام الذي أثاره بعض فروعها، سواء كان من أجل ممارسة علم الفلك وعلم الأبراج، أو من أجل تطوير تقنيات إدارية أو علمية متخصصة تستدعي عمليات قياس أو توجيه، مثل تقنيات مسح الأراضي أو تحسين أداها بفضل أنظمة ري معقدة، ومثل احتساب الضرائب وغيرها من الشؤون المالية، ورسم الخرائط وغيرها من التقنيات المتعلقة بالجغرافيا والإبحار، والهندسة المعمارية. وكذلك الأمر بالنسبة إلى أشغال حرفية فاخرة تتطلب تزيينات قائمة على تقنيات التداخلات الهندسية. من هنا الاهتمام والحماية اللذان أولتهما السلالات الحاكمة لعلماء كانوا، في الإجمال، يبرزون أيضاً في مجالات الطب أو الفلسفة، وكذلك في مجال الأرقام، والذين أكملوا تشنتهم بفضل المكتبات الغنية التي جمعت في بلاطات حكامهم.

هكذا تأثر تطوير العلوم الرياضية الأساسية في بلاد الإسلام انطلاقاً من معطيات مستعارة، في الغالب، على أيدي أشخاص انصرفوا إلى أنشطة متعددة، وإذ كتاباتهم لا تزال تشهد على ذلك. لكن تعدد المواهب الذي ميّز معظم هؤلاء العلماء لا يتناقض مع وجود فروعين منفصلين داخل الرياضيات الإسلامية منذ البداية، هما «علم الحساب» من جهة، ومن جهة أخرى «علم الهندسة»، أي الهندسة مع تطبيقها على العلوم الفيزيائية. الفرع الأول الذي كان مرتبطاً أيضاً بعلم الأعداد، بوجوه النظرية والتطبيقية كان يستند، في الأساس، إلى نصوص يونانية ترجمها المسيحيون النسطورية في عراق العباسيين، مثل «مقدمة نيكوماك» التي ترجمها ثابت بن قرة. وقد تم تحويلها لاحقاً، بشكل كبير، من خلال بنّي وسائل الحساب وكتابة الأرقام الهندية - بما فيها استخدام «الصفرة» والترقيم العشري - التي دُمجت بعادات حسابية من أصول بابلية. أمّا في ما خص الهندسة، فقد تم تأسيسها في البداية، منذ القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، على ترجمة

والحنفية. أدّت غزوة المغول لها، في العام ١٢١٧هـ/ ١٢٢٠م، إلى مذابح عانت آثارها لمدة طويلة. وفي العام ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، كانت الرّي، على حدّ قول أحد الرحّالة الأوروبيين، أرضاً غير مأهولة. أخذت مكانها بالتعاقب مدن عدة قريبة كوزامين ومن ثم طهران، بينما ظلت فيها بعض الشواهد المادية: برج، ضريح سلجوقي، ومقام شعبي لأحد أبناء الأئمة، وبقيت ذكرها بفضل من لمع من أبنائها وحملوا لقب الرازي، أي «المولود في الرّي».

«راجع المستندات ١٧، ٣١، ٢٣».

الرياض (المملكة العربية السعودية). مدينة في شبه الجزيرة العربية، تقع في منطقة نجد، غدت، منذ العام ١٩٣٢، عاصمة دولة آل سعود.

أصبحت بلدة الرياض، في العام ١٨٢٤، مكان إقامة أحد الأمراء السعوديين، حماة ابن عبد الوهاب والوهابية، بعدما دمّرت الجيوش العثمانية عاصمتهم الأولى الدرعية. هُجرت بعد سقوط المملكة السعودية الثانية، في العام ١٨٨٤، تحت ضربات آل الرشيد، ثم استعادها، في العام ١٩٠٢، عبد العزيز المعروف بآل سعود، وأصبحت عاصمة المملكة الجديدة في العام ١٩٣٢. شهدت هذه الواحة، الواقعة قرب قلعة المرنك القديمة، تطوراً سريعاً، بخاصة منذ العام ١٩٤٥. اتسعت أحيائها وغدت مركزاً تجارياً وإدارياً متزايد النشاط، وهي تضم مختلف وزارات المملكة المستقرة فيها منذ العام ١٩٥٥، وكذلك حياً مهماً لمختلف البعثات الدبلوماسية. استفاد سكانها من تنظيمها الجديد ومن تجهيزاتها الحديثة ومن شوارعها العريضة. قُدّر عددهم، في العام ١٩٨٣، بحوالي مليون ونصف مليون نسمة.

الرياضيات، علوم موروثة في الإسلام عن تقاليد قديمة، يونانية وهندية في شكل أساسي، عرفت، في القرون الوسطى، رغم الشكوك التي رافقت نظرة المجتمع الإسلامي إليها، إنطلاقة وقرّت لها، في الوقت نفسه، تطوير أساليبها والوسائل التي سمحت بنقلها لاحقاً إلى أوروبا المسيحية.

اهتمّ بهذه العلوم علماء ذوو قيمة جاؤوا من مناطق

ذروته في الوسط الإسلامي بفضل الأعمال التي حُفِّت في إيران، بين نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر للميلاد، على يد عمر الخيام الذائع الصيت. إن الإزدهار الذي عرفته الرياضيات في تلك الحقبة ختم المرحلة الخصبة الأولى من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، في عزّ العصر الذهبي لحضارة الخلافة العباسية. وقتها كان تحت تصرف العلماء العاملين في العراق في ظلّ حماية الحكام، موروث قديم أو أجنبي يصلح لأن يكون قاعدة انطلاق لمكتسباتهم العلمية الخاصة، وذلك بفضل مبادرات مهمة مثل «بيت الحكمة» الذي أسسه المأمون. وقد ظهرت النتائج الفورية، منذ بداية القرن، في كتابات محمد الخوارزمي الألف الذكر، وكان الأول في توظيف إمكانات النظام الهندي الذي اجتهد للتعريف به في أبحاثه عن الحساب والجبر؛ وقد عمل، في الوقت نفسه، على مناقشة أعمال «إقليدس» في الهندسة. وقد أُنتِجت أعماله سريعاً بأعمال بني موسى بن شاكر، وخصوصاً بأعمال «البَتَّاني» الذي وضع كلّ هذه المعارف الجديدة في خدمة علم المثلثات الدائرية.

في المنحى نفسه نتدرج، في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولاحقاً أيضاً حول البويهيين، التطوّرات المحقّقة، سواء كان في عمليات الحساب انطلاقاً من الأرقام الهندية على يد أحمد بن إبراهيم الإقليديسي (يعود مصقّه إلى العام ٣٤١هـ/ ٩٥٢م، وقد وُضع في دمشق)، وكوشيار بن لبان الجيلي، أو في حلّ المسائل الهندسية مع أحمد السيجزي، من دون أن ننسى جهود تطبيق هذه العلوم على حاجات حثاب الدولة، وهي جهود قام بها أبو الوفاء البُزْجَاني.

هذا الإزدهار لأعمال تستخدم وتنظّم معطيات اتّخذت شكلها انطلاقاً من موروثات متنوّعة، ووضعت للمستقبل أسساً انتقلت إلى أوروبا المسيحية بفضل ترجمات عبرية أو لاتينية تمت في مراكز الغرب الإسلامي، شكّل نهاية حقبة مميّزة من تاريخ الرياضيات في بلاد الإسلام. إن علم الحساب القائم على مكتسبات أصبحت، بعد ذلك التاريخ، تقليدية، لم يُحرز أيّ تقدّم

مؤلّفات يونانية واستيعابها، بينها «مبادئ» إقليدس التي احتلّت مكانة مهمة. بعدها لم تتأخّر في الإنفتاح على علم المثلثات لتتبع تطوّر علم الفلك الناتج عن استخدام جداول فلكية.

وقد أفاد «علم الحساب» و«علم الهندسة» بسرعة من التبادل القائم بين وسائلهما، وذلك بمقدار ما كان «الحساب» قد انفتح بسرعة على نماذج ما سيُعرف بعلم «الجبر». وقد اتضح أنّ هذه النماذج مفيدة أيضاً لحلّ مسائل هندسية. كما كانت الهندسة مفيدة أيضاً لتجسيد بعض المعادلات. وبفضل ذلك تمّ نقل هذين العلمين، بشكل واسع، إلى ما وراء البلدان الإسلامية. إنّ لفظة «algebre» بالملّفات الأجنبية مأخوذة من الكلمة العربية «الجبر» التي اعتمدها، بالتدريج، المترجمون اللاتينيون الذين جعلوا، بين القرنين السادس والثامن للهجرة/ الثاني عشر والرابع عشر للميلاد، الوسائل المعتمدة في الحياة اليومية في العالم الإسلامي بمتناول الغرب المسيحي. وهذا ما يذكر إلى اليوم بالذور الذي لعبه، ابتداءً من القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، كتاب عالم الرياضيات والفلك محمد بن موسى الخوارزمي، الذي يُلخّص بإسمه باللاتينية «الخواريزموس» أو «ألغوريسموس» (Algorismus). ويعود الفضل لانتشار كتابه «في استخدام الجبر والمقابلة» ولدراسته في أوروبا، في جعل لفظة «الجبر» - التي لم تكن سوى إحدى طريقتين لتحويل المعادلات المطروحة - تصبح لاحقاً مستخدمة للدلالة على مجمل هذا النظام.

هذه الأساليب «الجبرية» التي لا ينبغي، في أي حال، اعتبارها اختراعاً للخوارزمي ولكنها مأخوذة عن مصادر قديمة، بما فيها البابلية، من خلال مؤلّفات يونانية، عبرية، وهندية، تمّ تطويرها على يد علماء مسلمين آخرين، مثل شجاع أبي كامل (حوالي ٢٣٦-٣٤٤هـ/ ٨٥٠-٩٥٦م)، تمكّنوا لاحقاً من حلّ معادلات قائمة على أعداد مجهولة عدّة. وتشت أيضاً إستعمارة تحسينات أخرى بفضل ترجمات جديدة لمؤلّفات يونانية. وأدّت تطبيقات نظرية القطاعات المخروطية، من جهتها، إلى تطوُّرات جديدة، إلى أن بلغ علم الجبر

خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وقد سمح بانطلاقة الرياضيات، برعاية الأبلخانيين. انتقلت هذه الانطلاقة، بعد ذلك، إلى آسيا الوسطى، زمن التيموريين، حيث نمى، في القرن الخامس عشر للميلاد، عالم الفلك الكاشي. لكن هذه الانطلاقة كانت آخر مرحلة من تطوّر تاريخي طويل، قبل التخذير الثقافي الذي عرفته الحقبات اللاحقة.

لاحقاً، إلا في علم الجبر وفي توظيف علم المثلثات الذي تزامن مع تحسين مستمّر في الأرصاد الفلكية والتفتيات المعمارية. وقد ظهرت فعالية هذه التقنيات في كتب الفن التي وُضعت أيام المغول أو العثمانيين. بالتأكيد برزت بعض الأسماء الكبيرة في هذه الحقبات الأخيرة، مثل ابن الهيثم في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وعمر الخيام المذكور آنفاً، ونصير الدين الطوسي الذي كان دوره أساسياً في الشرق

زارنج، مدينة فروسية مندثرة، عُرفت كذلك بغدنة سجنستان بالنعربية، وشهرستان بالفارسية، كانت تشكل المركز الاقتصادي والإداري لمقاطعة سجنستان الغنية.

إن هذه المدينة التي تألفت في العهد الساساني واستمرت في ازدهارها بعد احتلالها على الأرجح في العام ٢٠ هـ/٦٤١م، في عصر الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، كانت تقوم في موقع ليس بعيد عن موضع زابل الحالي، وكان معروفًا بـ «زهندان»، ومن الصعب تبينه بين أطلال المنطقة الكثيرة. وكان ريفه، في عهود ازدهاره، يُروى بمياه نهر هلمند، غير بعيد عن المكان الذي كان يصب فيه، في منخفض بحيرة زارا، في الجنوب الشرقي لصحراء الملح الكبرى التي تقع في وسط الهضبة الإيرانية.

أصبحت زارنج، بفضل غناها الزراعي، في منطقة هي اليوم منطقة مستنقعات، وبفضل أنشطتها التجارية على خط القوافل المؤدي من العراق إلى السند، مركزًا مهمًا للصياربين في القرن الثالث للهجرة/التاسع الميلادي.

حافظت المدينة على هذا التفوق الذي تشهد عليه صروح أثرية أُنشِبت في وصفها الجغرافيون القدماء، إلى أن تعرضت للنهب والدمار على أيدي جيوش تيمورلنك سنة ١٣٨٣/١٣٨٣م. منذ ذلك الوقت، عادت المدينة إلى الصحراء التي هددتها آنفًا زوالها، وبقيت مقاطعتها التي تنقسمها اليوم الجمهورية الإسلامية الإيرانية ودولة أفغانستان الإسلامية غير بعيدة عن أراضي باكستان، خارج خطوط المواصلات الكبرى. لم تجر حتى اليوم حفريات منتظمة في المدينة التي تبعد عن زاهدان، العاصمة الرئيسية لمقاطعة سجنستان الإيرانية.

الزباب، (معركة الزباب الكبرى، جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ/كانون الثاني ٧٥٠م)، معركة مصيرية انتصر فيها الثوار على الجيوش الأموية التابعة للخليفة مروان الثاني، وسُخت نجاح «الثورة العباسية» في الاستيلاء على السلطة.

إن أنوار من ذوي الأصول الخراسانية الذين قاموا للدفاع عن قضية آل بيت محمد (عليه السلام)، والذين زحفوا نحو العراق المؤبد للشيعه، عملوا أخيرًا، في الكوفة، إلى تنصيب عضو من العائلة العباسية سيصبح في ما بعد مؤسس السلالة الخليفة الثانية الكبرى في الإسلام. بعدئذ، نشدوا السيطرة على بلاد ما بين النهرين العليا حيث مقر التعامل الأموي في حران. وقعت المعركة على ضفاف النهر الذي يصب في دجلة، قريبًا من أسفل مدينة الموصل. وبذلك نُسِر لأتباع (الخليفة) السُفاح متابعه طريفيهم نحو الأراضي السورية التي اقتحموا تحصيناتها، بينما هرب خليفة السلالة المهزومة إلى مصر حيث لقي في النهاية حتفه.

زابلستان، إسم يعود إلى العصر الوسيط، كان يُطلق على المنطقة الواقعة حول غزنة في أفغانستان الحالية. تضم هذه المقاطعة، بحدودها غير الواضحة المعالم، التي كانت تجاور الغور وطرخارستان، الأحواض العليا لروافد نهر هلمند الشرقية، شمال قندهار، وتشكل قسمًا من مقاطعة سجنستان الواسعة والخصبة جزئيًا. بعد ضمها إلى ديار الإسلام حوالي القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، أصبحت مركزًا لسلطة الغزنويين قبل أن تتخلى، في أواخر القرون الوسطى، عن دورها لمقاطعة كابل التي تسمى أحيانًا كابلستان، وهي مجاورة لها شمالًا.

(Daumas) الذي كتب سنة ١٨٤٧ يقول:

«تألف كل زاوية من مسجد، ومن قبة تعلو فبر المرباط الذي تحمل اسمه، من حجرة لا يُبلى فيها إلا القرآن الكريم، ومن أخرى لتلقيّن العلوم، ومن حجرة نائفة تُستعمل كمدرسة ابتدائية للأولاد، ومن مسكن معدّ للتلاميذ أو الطلبة الذين يتوافدون طلباً للعلم أو للتبحر فيه، وأخيراً من مسكن آخر لاستقبال المسافرين والمسؤولين. يضاف إلى ذلك أحياناً جَنَانة مخصصة للأتقياء الذين التمسوا حظوة الرقود بجانب الوُليّ. هكذا تكون الزاوية، في الوقت نفسه، جامعة دينية ونزلاً مجانياً، وبهاتين الصفتين تكشف الزاوية الكثير من أوجه التشابه مع الدير في العصور الوسطى».

ظهر هذا النوع من المنشآت في الشرق منذ وقت طويل، بحيث سهّلت الزوايا المرتبطة بشخص صوفي مكّرم، منذ بداية القرون الوسطى، وكما تؤكد بعض النصوص، نقل الروحانية الصوفية التي لا يمكن أن تُعلّم في المساجد، على كلّ حال، مع بداية القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، بُنيت أيضاً، في سوريا كما في مصر، منشآت بسيطة مؤلفة، في أغلب الأحيان، من صالة اجتماعات مسقوفة أو غير مسقوفة بقبة، ومزودة عادةً بمحراب، نوضع في تصرّف شيوخ اشتهروا بتقواهم، كانوا، في الأغلب، رؤساء طرائق صوفية ناشئة، يقيمون فيها طيلة حياتهم، ويستمرّ ذكرهم في ما بعد، عن طريق أضرحتهم التي تغدو مقصداً للزيارات التقوية.

مع نهاية القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، أدى ازدهار الطرائق الصوفية التراثية وحصولها على أوقاف، مصدرها الطبقات الموسرة أو السياسية، إلى قيام مجمّعات معمارية ممتازة حول أبنية المتصوّفين، بحيث لم تعد تُطلق عليها تسمية «خانقاه» لانفناء دلالتها. وهكذا عرفت الزاوية، في صيغتها التركية «زاوية»، شهرة عارمة بفضل العناية التي أولاهها المجتمع العثماني، الخاضع لحكم مركزي وبيروقراطي، لبناً من هذا النوع.

لم يكن وجود هذه المباني محصوراً في المدن التي تملك منشآت ملكية كمدينة بورصة، وذلك منذ القرنين

رَمينداور، مقاطعة في أفغانستان الحالية، كانت تُعرف بهذا الاسم في العصور الوسطى وتطابق الحوض العالي لنهر الهلمند.

إنها منطقة جبلية. في بعض أجزائها كما يشير إلى ذلك اسمها، لكنّها أيضاً منطقة غنيّة بمصادرها الزراعية في مقاطعاتها المروية. كانت تابعة لإقليم سجستان. مدينتها الرئيسية - وقد زالت اليوم - كانت مركزاً اقتصادياً وتجاريّاً حيويّاً، نعتي بها حاضرة بُست أو قلعة بُست التي ازدهرت بفضل جوارها لقصور الغزنويّين والغوريّين في لشكري بازار التي أعطت اطلالها اسمها لمحلة جديدة.

زاوية، بالتركية «زاوية» (مع اختلاف في كسر الياء)، نوع من البناء يقيم فيه المتصوّفون المسلمون. حظي بشهرة خاصة في المغرب ابتداء من القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. تُعتبر بعض نماذجه، بالشكل الذي اتخذته في تركيا، من أجمل الأبنية التي عرفها الأناضول في القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد.

كانت اللفظة العربية المستعملة خلال القرون الأولى للإسلام تشير إلى أحد المعنيتين الآتين: إمّا موضع محدّد داخل صرح كبير، وإمّا حجرة صغيرة معزولة يختلي فيها المترقّد للتأمل، مع إمكان استقبال بعض مرّيديه. كان هذا المفهوم يتلاءم والمعنى الأصلي للجذر المتعارف عليه، منذ القديم، في شرق العالم الإسلامي وغربه، والذي يشير إلى الزاهد الذي يتزوي عن معاشرّة الناس.

لاحقاً، أصبحت بعض الزوايا - مثلاً تلك التي شُيّدت في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد في المغرب في عهد المرينيّين، ومنها زاوية شالة بالقرب من الرباط، وزاوية السالك بالقرب من سلا - صروحاً واسعة تضم مجموعات من المتصوّفين الملتصّمين، في أغلب الأحيان، إلى طريقة صوفية معيّنة. وصنفاً للكتب المعاصرون، مثل ابن بطوطة، بأبنية شبيهة بالأديرة في بلاد اليونان، ونعرفها أيضاً من خلال الأوصاف التي انتهت إليها، من القرن التاسع عشر، من العلماء الفرنسيّين الذين عرفوا الواقع الجزائري، مثل دوماس

ذلك، لسلطة ذرية زباد بن أبي سُفْيَان، أي لبني زباد الذين أعطوا المدينة، حوالي العام ٢٥٠ هـ/٨٢٠م، شكلها الإداري. وقد تعاقبت على حكم زبيد سلالات عدة من السُنة، المستقلّين نوعاً ما، بالرغم من علاقات التبعية التي كانت تربطهم بالعبّاسيّين. وقد خضعت المدينة، فضلاً عن ذلك، في فترات قصيرة، لسلطة أمراء من الشيعة منهم القرامطة، وبخاصة الصليحيّون الذين أوقفوا لفترة سيطرة بني نجاح واعترفوا بسيادة الفاطميّين في مصر.

منذ سنة ٢٦٦ هـ/١٢٢٩م، سيطر على المدينة الرُسلُوتون (بنو رسول) المتحدّثون من أتايك أيوبيّ، وقد خلفهم طاهريّو اليمن حوالي منتصف القرن الخامس عشر للميلاد، قبل أن يخلوا الساحة، بعد قرْنٍ من الزمن، للحكّام الذين عيّنهم العثمانيّون والذين نَحّاهم لاحقاً الأئمّة الزيديّون. إن ثقل عاصمة اليمن إلى صنعاء على أيدي العثمانيّين أفقّد زُبيد أهميّتها الإقتصاديّة والسياسيّة، فبقيت مركزاً دينيّاً سيّاً وحسب، في منطقة يسيطر عليها الزيديّون الشيعة، وهي تحتفظ بمدد من الصروح التي تشهد على ماضيها.

❖ راجع المستد رقم ٢٥.

زبيدة بنت جعفر، المدعوة أيضاً أمّ جعفر (١٤٥-٢١٦ هـ/٧٦٢-٨٣١م)، هي ابنة عمّ الخليفة هارون الرشيد وزوجته العربيّة الكريمة النسب التي تنتمي، بدورها، إلى سلالة العبّاسيّين. وهي والدّة الخليفة الأمين.

هي حفيدة الخليفة المنصور الذي لقّبها بـ «زبيدة»، وهو الاسم الذي عُرفت به. اشتهرت بالكرم بفضل سخائها تجاه الشعراء والعلماء بشكل خاص، وأيضاً لأنّها كرّست ثروتها لأعمال البرّ والخير، مختلفة، في أماكن مختلفة، مؤسسات وإنشاءات شتى، إذ يمكن حتّى اليوم مشاهدة بقايا الأعمال التي أمرت بإجرائها في مكّة وأماكن أخرى من الجزيرة العربيّة لاصلاح طريق الحج. كما كان لها دور سياسي إذ تدخلت لدى زوجها لتعيين ابنها وليّاً للعهد، مسبّبة بذلك صراعاً بين الأخوة، ما أدّى إلى مقتل الأمين المأموي ودمار «المدينة المستديرة». إن الشهرة التي اكتسبتها في حياتها، والتي ارتبطت

الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، بل أخذت منذ ذلك الوقت بالإنتشار على طول الطرقات، وحتّى في الأمكنة الريفيّة المتواضعة. كانت تستعمل نَزْلاً بالمقدار الذي كانت تتزايد فيه وترتفع، داخل الأراضي العشائيّة، طرائق الدواوش الذين تعاطم أمرهم.

وكثيراً ما كانت تتكامل هذه المباني مع مساجد، مشكّلة ملاحق لها ومعدّلة هيكلتيها المعماريّة. كان يضاف إلى قاعة الصلاة المجهّزة بمنبر والمعدّة لأن تكون مسجداً جامعاً، وذلك وفق تصميم شبيه بحرف التاء (T) باللاتينيّة شكلها: قاعات للإجتماعات، وأخرى للتعليم، وأخرى لتأمل الأقباء الذين كانوا أهمّ شاغلي هذه المباني، فيما كانوا يقيمون في مباني مجاورة لها. وأفضل نماذج لهذا المسجد - الزاوية تلك التي شُيّدت في عهود السلاطين العثمانيّين الأوّلين، مثل مسجد بايزيد الأوّل يلدريم في بورصة أو مسجد محمد الأوّل المعروف بـ «بشيل جامع» أو الجامع الأخضر.

صُيِّمت أيضاً هذه الخصائص أقدم المساجد في اسطنبول في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد. مثل مسجدي بايزيد الثاني وسليم الأوّل، حيث نلاحظ الأبنية الجانبية المعروفة، بالتركيّة، بـ «تايخان» والتي تحاذي قاعات صلاة ضخمة مجهّزة ببقية وحيدة. واستمرّت هذه المعالم المعماريّة حتّى قيام ما عُرف بالكليّات في العهد العثماني الذي شهد أوّل الطرائق الصوفيّة في الأوساط العثمانيّة.

❖ راجع المستدبر ٨٠ و٨١.

زُبيد (الجمهورية اليمنية)، ناحية ترقى إلى القرون الوسطى، كانت لها أهميّتها في المنطقة الساحليّة من شبه الجزيرة العربيّة الجنوبيّة، أو ما يُسمّى نِعام، وهي الآن مجرّد مركز قضاء وبقي بعيداً عن شبكات الطرق التجاريّة.

تقع زُبيد عند أقدام سلسلة جبليّة، وسط أراضٍ زراعيّة لا تمتد كثيراً عن شاطئ البحر الأحمر. على طريق القوافل القديم المؤدّي من مكّة إلى عدن، إنّ هذه العاصمة السابقة لليمن دخلت في دار الإسلام سنة ١٠ هـ/٦٣١م. قبل موت النبيّ محمد ﷺ. خضعت، بعد

حبوي من التزيين والزخرفة باستعمالها أشكالاً مقبولة حرارياً وأحياناً محفورة أو مقذودة في المادة نفسها. كذلك أضيف عليها تحسينات فنية باستعمال أدوات جديدة ساعدت، بفضل المهارة المتنامية، على فقط الزجاج وعلى منع القوارير والكؤوس والأقداح رونق المينا والطلاء المعدني المستعملين في فنون السيراميك.

إن النتائج السريعة التي تجلّت في العراق وفي سوريا نتيجة لحاجات بلاطات الخلفاء العباسيين في بغداد أو سامراء، وكذلك في ما بعد، بلاطات الفاطميين في مكان إقامتهم الجديد في القاهرة، أدّت إلى تفوق غير منازع، في القرنين السابع والثامن للهجرة/الثالث عشر وأربع عشر للميلاد، لأوان زجاجية سورية مزخرفة ذات ألوان براقة زاعها التذهيب ألقاً. هذه الروائع أخذت أحياناً طريقها إلى الغرب المسيحي، بعنوان هدايا ملكية، حيث حُفظت في المتاحف وفي مجموعات خاصة. عرفت آنذاك مصابيح المساجد المزينة بالكتابات المنقوشة وبالشعارات المملوكيّة، وكذلك الزجاجيات، روائجاً حقيقيّة. وقد برهن صانعوها - الذين هاجر بعضهم من إيران بعد كوارث الغزو المغولي - عن مهارة كبيرة اقتبست منها مباشرة البندقية أسرار المهنة.

بعد مرحلة الذروة هذه، بدأت هذه الصناعة تضعف، وكانت قد اقتصرت على إنتاج قطع قليلة ذات قيمة كبيرة تحمّلت عواقب المصاعب التجارية التي واجهتها مصر في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. لم تعد الإنجازات الشرقيّة بعد ذلك التاريخ قادرة على منافسة الإنتاج الأوروبي لا كمّاً ولا نوعاً، رغم السعي إلى تقليده. وعلى نهج هذه المدرسة نمت المراكز الجديدة لإنتاج الزجاج الإسلامي في بلاد فارس، إيتان العهد الصفوي، وفي الهند إيتان العهد المغولي، وبخاصة في أسباطورية العثمانيين المستهلكين للزجاجيات في مبانيهم وفي صناعة الأثاث. لكنّ المصانع الكبرى المتمركزة في اسطنبول تحت مراقبة السلاطين، أفسحت في المجال تدريجياً، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، لمراكز

بذكراها، هي في أساس التقليد الشعبي الذي يعتبر أنّ قبرها ما زال قائماً في بغداد، وهو كناية عن خسران تعلموه قبة ذات نجاويّف. لكنّ هندسة هذا الضريح وزينته نشيرات إلى أنّه ينتهي إلى القرن العباسي للقرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد.

الزبير بن الموّام بن خويلد، أبو عبدالله، ٣٦٦-٣٧٦هـ/٦٥٦-٦٥٦م. من صحابة النبي (ﷺ) وابن عمته، وذو مكانة خاصة لديه، اشترك في معركة الجمل حيث قُتل. كان من أوائل معتنقي الإسلام. تزوّج من إحدى بنات أبي بكر، كما كان في عداد المجموعة الصغيرة التي هاجرت إلى الحبشة. عاد إلى المدينة المنورة وحارب بشجاعة في كل معارك بدايات الإسلام ضدّ المكثّين. بعد مقتل عثمان بن عفّان، الخليفة الثالث، انحاز ضدّ عليّ إلى جانب طلحة وعاتشة، وهلك في أثناء الاشتباك الذي واجه خلاله المتمردون جيوش عليّ، على الطريق المؤدّة من شبه الجزيرة العربيّة إلى البصرة، وكان يبلغ آنذاك الستين من العمر تقريباً.

ثار ابنه عبدالله، المعروف غالباً باسم ابن الزبير، على الأمويين في مكّة، وهكذا فعل أيضاً ابنه الآخر مُصعب في العراق.

الزجاج (فنون -)، صناعة فاخرة نمت في القرون الوسطى، بفضل الظروف الاقتصادية المشجّعة، واستعداد المجتمع الإسلاميّ الميسور لتوفير أساليب صناعتها الموروثة مباشرة من العصور القديمة، وقد بذلت الجهود حرصاً لتحسين هذه الأساليب.

إنّ تقنيات صناعة الزجاج المتجذّرة في الشرق الفروسطي، بعد ظهورها لأوّل مرّة في بلاد ما بين النهرين، مصحوبةً بالازدهار الذي عرفته في العصر الروماني، استمرّ العمل بها من دون تغيير يُلاحظ بعد الفتحاحات العربيّة - الإسلاميّة الكبرى، كما تشهد على ذلك وحدة الأسلوب، المتجليّة في الأواني المحفوظة من ذلك العهد، وهي تُنسب، من دون تميّز كبير، إلى مشاغل ذات تراث بيزنطي أو ساساني، وكانت ناشطة ما بين القرنين السادس والثامن للميلاد.

انمازت هذه القطع القديمة بأشكال بسيطة وطرز

يبدو أنه وجّه اهتمامه إلى هذه المسائل كما إلى معطيات العلم القديم التي انصرف إلى ترجمتها ونقلها إلى بغداد، قبل أن يفارق الحياة حوالي ٨٣٠/٩١٢م في بلاط أميري في أرمينيا.

في هذا المحل، إذن، كما في حقول أخرى كثيرة، تسوّت المعارف التي كانت قد أثّرت الشرق القديم، إلى الحضارة الإسلامية، بفضل جهود بعض العقول الفصولة، بالعلامة بينها وبين حاجات عصرهم، مضيفة إليها ثمار تحقيقاتها الخاصة. وقد شكّلت أرضية صالحة لجميع المصنّفات اللاحقة باللغة العربية، تلك التي ظهرت في مصر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، بقلم ابن سنيّان^(٥١) وجمال الدين الوطواط^(٥٢)، والتي حرّرها في سوريا، في القرن الثامن عشر، الكاتب الموسوعي عبد الغني النابلسي، من دون أن ننسى المصنّفات التي ازدهرت في الأندلس، في القرنين الخامس والسادس للهجرة/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، على أيدي من كرّسوا حياتهم لهذه الأعمال. واقع الأمر أنّ مصنّفات كثيرة حول الزراعة ظهرت هناك، جمعت بين الرجوع المباشر إلى الكتابات اليونانية والمقولات المبتكرة. وقد حازت شهرة عظيمة بحيث تُرجمت إلى لغة قشتالة، وهذا ما أصاب، في قرطبة، تراث أبي القاسم الزهرلوي، المعروف في الغرب اللاتيني باسم ألبوكاسيس (Albucasis)، وفي طليطلة تراث ابن الوافد المعروف باسم أبِنْغِيرِيث (Abenguerith) ومعاصره ابن البشال. بعدئذٍ ظهر، في مطلع القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، مؤلّف ضخم لابن العوّام، في إشبيلية، نال من الشهرة في الشرق بحيث نُقل إلى التركية، منذ القرن السادس عشر، وكان شاهداً على المؤلّفات الموسوعية المرتبطة بالأنشطة الريفيّة التي حرّرها كتاب العصر العثماني في أوجه، إستناداً إلى تعاليم سابقهم، فيل أن يوحى الميل إلى زراعة الزهور ولا سيّما الزنبق. في القرن الثامن عشر، بتأليف بعض المصنّفات المبدعة.

أثّرت بعض التجارب الزراعيّة والنباتيّة، على امتداد العالم الإسلامي، إلى اختبارات وإنجازات تزامنت واستمرار الممارسات التي أثبتت جدواها منذ القدم

أكثر حذراً. وفي المقابل، إنّ جهود التطوّر الصناعي في بعض الدول الإسلاميّة لم تسمح لبعض الطرائق القديمة بالاستمرار حتى أيامنا هذه، إلّا من خلال بعض المشاغل النادرة التي تنتج أواني بسيطة يعتمد أكثرها على إعادة تصنيع مواد زجاجيّة سابقة.

الزراعة الإسلاميّة، أي مجموعة الطرائق والتقنيّات المعتمدة لاستثمار الأرض، في الظروف المناخية غير الملائمة للمنطقة شبه المجبّدة التي نما فيها الإسلام في أوّل أمره، وذلك في زمان كانت الموارد الناتجة عنها تتشكّل إحدى الدعائم الأساسيّة للاقتصاد.

على ذلك، استقرّت، نظريّاً وعمليّاً، التقاليد الزراعيّة التي لم تكن ترتبط مباشرة، إلّا في ما يخصّ الوضع القانوني للأراضي، بالتشريع الديني، بل كانت تتشكّل جزءاً من الموروثات التي استوعبها المجتمع الإسلاميّ أنثاشي. هكذا استمرّ استثمار الأرض المعروف بالفلاحة، والذي يعرف، في أيامنا، بالزراعة، في منطقة الشرق الأوسط حيث ما يزال الفلاحون، من الناحية العددية، يشكّلون نسماً كبيراً من السكّان.

على المستوى النظريّ، نشأ أدب زراعيّ قروسطي باللغة العربية، ارتبط بأسماء كتاب مسلمين، منذ القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، في الأوساط العلميّة التي كانت قد تركزت في العراق، في قلب الإمبراطوريّة، وفي كنف السلالة الثانية لخلفاء الإسلام، أي سلالة العبّاسيّين. وتبيّن عناوين المؤلّفات الأثريّة [في هذا المضمار] نقل معطيات أعرق في القدم، تعود إلى تقاليد شرقيّة أو بيزنطيّة. ويبدو أنّ كتاب «الفلاحة البسيطة» أو «فلاحة ما بين النهرين»، المنسوب إلى ابن وحشيّة، ألّف في العام ٨٢٩٢هـ/ ٩٠٤م، استناداً إلى ترجمات من اللغة «البيطية»، أي الآرامية، أخذت بتقليد سريانيّ يرقى، في واقع الأمر، إلى الفترة الهلنستيّة السوريّة والإسكندرانيّة التي أُنشِبت بها عائلات الكُتّاب والعلماء، ذوي الأصول غير الإسلاميّة والذين عملوا في دواوين الإدارة. ثمّة نماذج أخرى قدّمها لنا كتاب «الفلاحة الرّوميّة» أو «الفلاحة البيزنطيّة» لرجل يُعرف بقسطنطوس الرّوميّ ما تراءى شخصيّة غامضة، أو نوادر قسطنطين لوقا الجلبكي الذي

للسكان الأصليين، من حيث المبدأ، أن يستمروا في أعمالهم الموسمية وفاق النهج الذي تعودوه، أخضعهم لضرائب كانت جابتها تقوم، أياً كان الوضع القانوني للأراضي المعنية، على تدابير فهرية ترك العمل بها لتقدير جياة عديمي الذمة. لقد طرح ذلك مشكلة قانونية حاولت قوانين عقارية واقعية، مستندة إلى الشريعة الإسلامية، طوال القرون الوسطى، أن تحلها بالدخول في تفاصيل دقيقة تتعلق بأنماط المزارعة أو الملكية الخالصة، كما تناولت مسؤوليات الدولة في تعهد الأراضي الزراعية المتروكة أو إحيائها.

واقع الأمر أن كل حكومة إسلامية كانت تجد نفسها مجبرة على إرساء مالياتها وتأمين رواتب جندها - وبخاصة الرقيق المحاربين والمترتبة الذين حلوا محل العرب الذين شكلوا الجيوش المحتلة الأولى - على دخل وحيد ثابت: المحاصيل التي كانت تخضع لاقطاع منظم عيني يفتي المخازن الحكومية، أو المبالغ المستددة سلفاً بالقود العينية المتعادلة لمبلغ الاستئجار الزراعي. أفصى هذا النظام إلى استبعاد المزارع الذي - بسبب كونه غير مسلم ومجبر على تأدية الجزية - لم يكن في استطاعته الدفاع عن حقوقه. كان هذا الوضع قائماً في الأمبراطورية العباسية وقد أخذ به في وقت متأخر جداً، في أمبراطورية العثمانيين. وقد أدى إلى ذبول شامل للزراعة وإفكار للموارد. لم يكن الإداريون المسؤولون غافلين عن هذا الواقع؛ يثبت ذلك ما أعلنه، منذ مستهل القرن الرابع للهجرة/المعاشر للميلاد، وزراء مثل ابن الفرات، ومحاولاتهم لتفكية الوضع المالي من الشوائب، إنما بعدم إغفالهم انتقاد الطريقة المعتمدة في تلزيم الضرائب، وإنما بتجاوز ذلك إلى النصح بالترفق بالمزارعين عند تأدية الضرائب، على أن ذلك هو السبيل الوحيد لتحسين عائدات الأراضي. وإذا استثنينا فترات من السلام قليلة عرفتها بعض النواحي، فإن تلك المقترحات لم تكن لتقدم حلولاً بديلة عندما كان يقضي الظرف الأعصاب تلبية الحاجة [المعاضمة] للمال التي كانت، طوال القرون الوسطى، مشكلة الملوك المزمنة وبطانتهم.

نمة مزارع ضخمة ذات إنتاج غني وحيوية زراعية

وتنقلت من منطقة إلى أخرى. هذه المستجذبات حققت، بوجه خاص، قرن الحدائق الذي منحه أنماط الحياة [الحديثة] انطلاقاً قريباً في نوعه، من إسبانيا حتى الهند. ولكنها كانت تتعلق أيضاً بدراسة مختلف أنواع النباتات الغذائية والصناعية وبناتلها. جمعت هذه النباتات، في بعض الأحيان، في «رياض نباتية» كذلك التي أنجزها علماء زراعيون، عُرفوا بمؤلفاتهم النظرية، لأمرء من الأندلس. كما شهدت زراعة هذه النباتات انتشاراً بحسب المبادلات التجارية وسائر ظروف الاحتكاك والامتزاج العرقي بين الشعوب، وقد شكلت إحدى خصائص العالم الإسلامي على امتداد القرون الوسطى. وهذا ما أصاب زراعة الأرز وقصب السكر والنخيل وبعض الحمضيات، والأشجار المثمرة كالشمش والدراق والإيجاص والفسق وسواها، والخضار كالبطيخ الأحمر والبادنجان، والتوت الضروري لندودة الحرير، والقطن، والكثبان والزعفران، والثيلة والنفوة [للصباغ] المستعملة في صناعة النسيج وتزيينه. كما انتشرت ثغيات [هذه الأعمال] ولا سيما «ثغيات الماء»، كجمع الماء ونقله بواسطة أقبية. وقد بشر اتساع الأمبراطورية الإسلامية في القرون الأولى انتشار هذه الثغيات، بدءاً بإيران وانتهاء بأقصى الأراضي الغربية أو الجنوبية. إلا أن هذه التحسينات لم تؤثر إلا قليلاً في المساحات الزراعية التي بقيت، في أوائل عهد الإسلام، محافظة على التوازنات الكبرى المتوارثة منذ العهود القديمة، سواء منها السهول الغربية الغنية بالغذاء التي استثمرها سكانها بدرجة عالية منذ أقدم العصور، أو سلسلة الواحات ذات النباتات المنوطة بالإنسوانية، بحسب المناخ، التي استوطنها أهل الحضر وكيهوها منذ زمان بعيد، على حساب السهوب والصحراء. وقد ارتبط ازدهار هذه وتلك، في البدء، على امتداد المناخات التي شغلها العالم الإسلامي، بأنظمة الري التي نوارتها المسلمون من الحضارات السالفة. كما ارتبطت، في ما بعد، بتحول سياسي - اجتماعي أحدثته الفتوحات الكبرى، إذ أثر الوضع القانوني الجديد للأراضي ونظام خراجها تأثيراً كبيراً على عائلاتها. إن الفتوحات التي تركت

الدولة العثمانية، في عهد التنظيمات، أو في إيران خلال حكم القاجار، كما في البلدان الإسلامية التي شملته السيطرة الاستعمارية الأجنبية. تأسست مدارس زراعية ومزارع نموذجية، شيئاً فشيئاً، فيما اتخذت تدابير إدارية اتسمت بالجدة. لكن المشكلة الأساسية، أي مشكلة توزيع الأراضي وقانون الملكية التي تتوقف عليها، في الواقع، آتية تنمية زراعية حديثة، بدأت معالماً تنوّع ببطء، من دون اقتراح حلول لها، سوى الحلول المؤقتة هكذا أصبحت مسألة الأراضي، في القرن العشرين مشكلة مطروحة على الدول الإسلامية كافة، ولا سيّما تلك التي تشهد نمواً سكانياً متسارعاً، وكلّ منها بعدد إلى حلّها في إطار تطوّر الاقتصادي الخاص، كما في إطار خياراته السياسية، الغربية في أكثر الأحيان عن خيارات الإسلام.

زرياب، أبو الحسن هلي بن نافع، ١٧٣-٢٤٣هـ/٧٨٩-٨٥٧م. مُعَرِّفٌ كان له مكانة في البلاط الأموي في قرطبة ينسب إليه مؤرّخو الوقائع العرب في العصور الوسطى نقل كل مظاهر الثرف التي عرفها الشرق في العهد العباسي إلى الأندلس.

كان زرياب موسيقياً من أصل عراقي، أعقته الخليفة المهدي، وقد تلمذ على المغني الشهير في البلاط البغدادي إسحاق الموصلي. أثار حسد معلّمه بسبب حظوته لدى الخليفة هارون الرشيد، ففضّل المنفى. أقام بادئ ذي بدء في القيروان - ومنها انتقل إلى شبه جزيرة إيبيريا، حيث استقبله الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني. فاستقر في عاصمته سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م، وأقام فيها حتى وفاته سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م.

طيلة هذه الفترة، عُرف زرياب فتاناً ذا مواهب مختلفة ومتقاربة، وأيضاً مروّجاً لتقاليد الأناقة والأدب الإجتماعية. ويعود إليه الفضل في إنشاء معهد فني يُمارس فيه تعليم الموسيقى المستعارة من التقاليد الشرقية ومن الإثر الأندلسي، وكذلك في اختراع عود جديد بخمسة أوتار، وفي إدخال تعديلات مختلفة، خصوصاً في ميداني الطبخ واللباس. ما جعل الأناقة في السلوك والعادات تسيطر في بلاطات تلك الحقبة ومدنها.

زاحرة كان يُفترض أن تستمر في دعم حاجات الحياة المدنية، مشكلةً بالنسبة إليها سنّاً لا بد منه، لكن مساحتها [المزروعة] لم تتوقف عن التقلص، عبر القرون، لتقوم مقامها السهوب الجافة التي بدت، في غزّة القرن العشرين، جزءاً معهوداً من المشهد الطبيعي التقليدي للعالم الإسلامي.

يعود أيضاً هذا الانحسار المتدرّج للمساحات الريفيّة إلى توسّع أراضي المراعى إثر الغزوات البدويّة المتواترة والخراب الذي أحدثته الحروب، وهذه هي أسباب خارجيّة أُضيفت إلى نتائج الإهمال والإستغلال غير المحدود للقرّوين. ولم تتوقّف الهجمات المملّحة ولا الغزوات عن تدمير أمبراطوريّة مسلمة تأكلتها الانقسامات الداخلية وأصبحت معرّضة أكثر فأكثر للاضطراب السياسي، من خلال المطاعم المثالية لأسباب الحرب والفقادة الدينيتين. ولم يكن من شأن الكوارث المتجددة التي أعقبت هذه الصراعات إلا أن تزيد في هشاشة البنية التحتية التقنيّة، أي شبكة منشآت ضبط المياه وجزرها التي كان يقوم عليها، في تلك المناطق، ازدهار الزراعة.

والبيات على الذبول أكثر من ذلك، كان التدفّق الكبير للقبائل الآسيوية التي غمّرت، بغض الخيانة من الترك والمغول، أراضي كان الإسلام قد أخضعها، فكانت سبباً في تصخّر مساحات أُضيفت شيئاً فشيئاً إلى السابقة. هكذا [نشأت] حالات خاصّة كثيرة من هذه العلاقات الزراعية التي برع ابن خلدون في وصفها، ذاكراً، خلال حديثه عن البدو، «السهول التي يحولونها غنيمّة لهم وفريسة يلهثونها». إلا أن النتائج القسوى لم تظهر إلا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، حيث تندرج مشاهدات ابن خلدون. ولكن لا يجوز المبالغة في نسبة الإنحطاط الزراعيّ الشامل في العالم الإسلامي في أواخر العصور الوسيطة إلى الإسلام، بينما يجب ربط وجوه التقدّم التي حقّقها العلماء المسلمون سابقاً بالتراث العلمي للعالم القديم. غير أن تحوّل أخيراً طرأ على الزراعة، منذ القرن التاسع عشر، حين قامت محاولات لتغيير التقاليد [السالفة]، بتأثير أوروبي، ولتحسين وضع الفلاحة في

تزال تحت الرقابة العسكرية البريطانية. وقد نهض بهذه المهمة حتى وفاته سنة ١٩٢٧، فخلفه في رئاسة حزب الوفد النحاس باشا.

الزكاة، أو الصدقة الشرعية، وهي نوع من الصدقة تعادل ضريبة تدلّ عليها هذه اللفظة العربية ذات الأصل الآرامي، التي تعني التطهير. كانت خامسة الفرائض الدينية المعتمدة من قبل الشريعة أركاناً للدين، وهي تشكّل الأساس النظري لكلّ الضرائب الإسلامية.

هدف الزكاة هو تطهير الأموال من نجاسة المعصية كما تقول الآية القرآنية: ﴿حُذِرْ مِنْ أَنْتَهُمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. ذُكرت الزكاة مراراً في مناسبات عدّة في النص القرآني إلى جانب الصلاة، مشكّلة حاجة أساسية للمؤمن، ومضطلعة بدور الضريبة الوحيدة في الدولة الإسلامية الأولى التي ساسها النبي محمد ﷺ ونهضت بها جماعة المدينة المنورة ويمكن اعتبارها ضريبة تضامن.

إنّ سُنّة نبيّ الإسلام التي حدّدها الفقهاء، منذ العهد الأولي للإسلام، عزّفت الزكاة على أنّها انقطاع سنوي من الممتلكات يسمح باستعادة شرعية التمتع بها، كما أفقّها القرآن الكريم، شريطة تسديد هذا الانقطاع.

وقد عُني بها الممتلكات التي لا تمييز فيها بين رأس المال والدخل، وهي: ١- المواشي، ٢- الحبوب، ٣- الثمار، ٤- الفضة والذهب، ٥- السلع التجارية. وهي ممتلكات كانت تتوافر للبدو والتجار، وربما أيضاً للمزارعين. وكان من شأن انقطاع الزكاة تيسير إعادة توزيع بعض الثروة على المعوزين بحسب الآية: ﴿إِنَّمَا أَصْدَقُكُمْ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ عَلَيْهَا وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَفِي الْأَرْبَابِ وَالْمَسْكِينِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرِيضَةً يَرَى اللَّهُ وَفَعَلَ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

لم تُعتبر الزكاة فريضةً على هذه الممتلكات إلّا اذا بلغت قيمة هذه الأخيرة حدّاً أدنى خاصاً بالضريبة يُسمّى التّصّاب الذي يختلف بحسب الممتلكات، وكانت يُسبّأها تختلف باختلاف فئاتها. فكان نصاب الإبل محدداً بخمسة منها، وثلاثاً بقر ثلاثين، وللأغنام بأربعين. وقد اعتُبرت الضريبة المؤقّدة عبئاً نعمة عن كلّ خمسة جمال، وناقة عن كلّ خمس وعشرين. أمّا بالنسبة إلى

الزعيم، لفظ عربيّ معناه «مسؤول»، ناطقٌ بإسم جماعة، رئيس. استُعمل أوّلاً في الألقاب القروسطية، ثمّ تحوّل معناه في الاستعمال الحالي، فيُطلّق على كل رئيس حزب وأحياناً على رئيس دولة بحسب المفهوم الأنكلوسكسوني للكلمة «ليدر» (leader) أو الزعيم السياسي.

إنّ هذا اللقب الذي ساد قديماً في عهد ممالك مصر، وخصوصاً في الإدارة العثمانية، كان يُعطى أساساً لضباط الشرطة أو للمسكريين، وهذا ما يُفسّر تداوله حالياً في جيوش البلدان العربية، بمنحه للذين بلغوا رتبة كولونيل.

لكنّ مكانة هذا اللقب ارتبطت، من دون شك، بأهمية الإمتيازات العسكرية التي كان يحصل عليها، في الأوساط العثمانية، الزعماء «زعاميت» بالتركية، والتي كانت، في أغلب الأحيان، عبارة عن تيمارات لها وضع إستراتيجي خاص.

زغلول باشا أو سعد زغلول (١٨٥٧ - ١٩٢٧)، قومي مصري مؤسس حزب «الوفد»، اضطلع بدور مهم في جهود بلاده لتحرّز تدريجياً من السيطرة البريطانية. تلقى زغلول دروسه في «الأزهر»، وكان يتمتع بموهبة حقيقية في فنّ الخطابة. وسنحت له الظروف للتدخل في مختلف إصلاحات التنظيم القضائي والتعليمي حيث شجّع استعمال اللغة العربية. حقّق لنفسه، بذلك، مكانة سياسية ورأس، سنة ١٩١٨، الوفد الذي أرسل إلى لندن لمناقشة شروط حصول مصر على الإستقلال. أوقف آنذاك ونُفي، ما أثار موجة من الفتن والإضطرابات المحلية التي أدّت، سنة ١٩٢٣، إلى قيام المملكة التي نصب عليها السلطان السابق، الذي أصبح الملك فؤاد الأول، وهو ينتمي إلى سلالة الخديويين المتحدّرين من محمّد علي. لم يستطع سعد زغلول، الذي عُيّن رئيساً للوزراء بفضل شعبيته الواسعة، ترويض أفكاره وتطبيقها بشكل كامل، في أجواء نزاع على السلطة بينه وبين الملك فؤاد. فاكثف، منذ ذاك الوقت، بالعمل كزعيم لحزب الوفد، بدلاً من كل جهودهِ للحد من سلطة الملك الذي جعله الدستور الجديد سيد السلطة التنفيذية ومسؤولاً عن القوى المسلّحة التي كانت لا

عدة في نهاية عهد ملوك الطوائف. كما كُتبت إنيهار الإمارات الإسلامية التي كانت تقسم البلاد آنذاك، وإقامة سلطة جديدة في شبه الجزيرة الإيرانية، أتية من المغرب، هي سلطة المرابطين. وهكذا، فإن ملوك هذه الأباطورية المقتدرة - الذين استدعوا للمجدة من الجهة الأخرى للضيق بعد سقوط طليطلة في العام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م - انتهزوا الفرصة لضمّ الأندلس عنوة إلى أراضيهم.

الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر (٤٦٨-٥٣٩هـ/ ١٠٧٥-١١٤٤م)، معجمي عاش في المقاطعات الشرقية لأباطورية السلجقة الكبار، واشتهر بتفسيره للقرآن الكريم بالتمسح الفلسفي والمقاني الذي اعتمد.

ولد الزمخشري في زمخش بمقاطعة خوارزم، وعاش في المنطقة نفسها ومات فيها. في علم الكلام، أخذ بأطاريح المعتزلة، وفي مجال اللغة، دافع عن تفوق اللغة العربية بالرغم من أصوله الإيرانية. اشتهر أعماله تفسيره للقرآن الكريم المعروف بـ «الكشاف»، المرتكز على معارف لغوية ولبية ذات قيمة عالية. حتى إن الأوساط التقليدية قدّرت جودة تفسيراته، إلى أن قام البيضاوي بوضع تفسير مماثل ولكنه أقرب إلى التوجه السني. وقد خلف الزمخشري أيضًا بحثًا مصفًا في البلاغة ومجموعة أمثال، لكنه، في المقابل، لم يهتم إلا قليلًا بعلوم الحديث.

زمزم (بئر) - الحج.

الرّثا - العقوبات الشرعية.

رثاة، أهم المجموعات البربرية التي أسلمت، وقد تصارعت في القرون الوسطى مع صنهاجة للسيطرة على المغرب الأوسط والغربي حيث كانت تنتقل كمجموعات بدوية كبرى، قبل أن يعروها الضعف، ابتداءً من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد.

في مستهل الفتوحات العربية - الإسلامية، قاوم الرّثانيون بنجاح في جبال الأوراس بقيادة الكاهنة. وقد تجلّت قوتهم في ما بعد في مناسبات متعددة. كان ينتمي إلى جماعتهم بنو إفران الذين أسسوا، في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، مملكة الخوارج في تلمسان،

المحاصيل الزراعية، أي الفواكه والحبوب، فإن الحد الأدنى هو ما يمكن أن يحمله خمسة جمال. واختلف الإقضاع بين عشر منتوجات الأراضي المروية طبيعيًا وجزء من عشرين في حال كان الري اصطناعيًا. أمّا الحد الأدنى بالنسبة إلى المعادن الثمينة من الذهب والفضة فكان عشرين دينارًا ومئتي درهم، أمّا المساهمة فبلغ اثنين ونصف في المئة. وأمّا في ما يخص السلع التجارية فوضعها مشابه لوضع الذهب والفضة.

في الواقع، إن عملية جمع الزكاة كانت صعبة التنظيم، وقد طرأت عليها شيئًا فشيئًا تغيرات مهمة، حتى إنه لم يرد ذكرها، في العصور الكلاسيكية، بين الضرائب المفروضة، إلّا في ما يخص الأراضي. هنا ظلّ الإقضاع الجاري على بعض المحاصيل ثابتًا على العشر، وهذا ما يفسّر استعمال لفظة «العشر» للدلالة على هذه الضريبة.

زكريّا، شخصية ورد ذكرها في العهد الجديد ومعروفة في التقليد الإسلامي، وقد جعلها القرآن الكريم بين الأنبياء (سورة الأنعام، ٨٥).

إن الآيات التي تُذكر بهذا المصديق الوصي على مريم ووالد يوحنا المعمدان/يحيى تتوافق مع النص الإنجيلي مع بعض التعديل. وتروي قصة بشارة الملائكة لزكريّا بأنه سيؤزق صبيًا. إلّا أنّ الرواية المتأخرة أضافت بعض المعطيات المستفاد من التقاليد اليهودية، التي حوّلت زكريّا إلى شهيد. وفي زمان رواج تكرّم الأولياء، ارتبط ذكر هذه الشخصية بمدينة القدس، حيث كان قبره يُكرّم على أنّه مقصد لزيارات تقوية في مغارة قبة الصخرة. على كلّ حال، نجد ذكرًا لهذه الزيارات منذ القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد في دليل الهروي.

الزّلاقة (معركة)، ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، هزيمة أنزلتها بجيش ألفونس السادس، ملك قشتالة، الوحدات العسكرية التي جنبها من أفريقيا يوسف بن تاشفين المرابطي.

وقع الإشبناك بالقرب من محلة صغيرة كانت تحمل آنذاك اسم الزّلاقة، ليست بعيدة عن بدخس أو بطليوس في غرب الأندلس، وقد شكّلت عقبة أمام حرب الاسترداد المسيحية التي كانت قد أحوزت انتصارات

القرن التاسع عشر، متخذةً جزيرة زنجبار مركزاً لها. وكما نلاحظ، فإن لفظة «الزنج» تدخل في تركيب كلمة «زنجبار».

إنَّ بعض العبيد الذين جُلِّبوا في البداية إلى بلاد ما بين النهرين عن طريق هذه الشبكة التجارية شكَّلوا، لفترة قصيرة، خطراً على الخلافة العباسية. كان العبيد يعملون عند كبار ملاكي البصرة في رفع النطرون الذي كان يغطي الأراضي الطينية في شط العرب، وهي ناتجة عن تراجع البحر، جاعلين منها بهذه الطريقة أراضي زراعية. كان هؤلاء العبيد مجتمعين في ورش عمل تضم بين خمسمائة وخمسة آلاف عامل، يؤدون مهمتهم في ظروف صعبة للغاية، وقابلة لإثارة جوٍّ من التوتر.

في سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م، أفاد أحد الطامعين بالخلافة من هذا الوضع وادعى الانتساب إلى الأسرة العلوية، وهذا أمر مشكوك فيه، وقاد حركة سياسية ودينية، فتبعه خلق كثير واجه به الجيوش المرسلة من قبل الخليفة المعتدل للقضاء عليه. وفي سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م، نجحت جيوش الخلافة، بقيادة «الموفق»، ولي العهد وشقيق الخليفة، في محاصرة عاصمة الزنج جنوبي البصرة واسماها «المُخْخارة».

استطاع الثَّوار، الذين نكَّلوا حكماً ذا طابع جماعي، أن يسيطروا سلطانهم حتى عبادان وقد بلغوا الأهواز من جهة، ومن جهة أخرى منطقة واسط، معتمدين على أسطول من السفن الصغيرة. حصل الهجوم الأخير على المدينة في العام ٢٧٠هـ/٨٨٣م، وأدَّى إلى هزيمة الثَّوار بشكل كامل، بعد مقتل الزعيم العلوي المعروف باسم «البرقي».

«راجع المسندين ٢٨ و٣٠».

زنجبار، إسم واحد لجزيرة ومرفأ قرييين من الساحل الشرقي لأفريقيا السوداء، ويكوّنان اليوم جزءاً من جمهورية تنزانيا ذات الأغلبية المسلمة.

دخل الإسلام (إلى الجزيرة) بواسطة البخارة العرب الذين كانوا يترادون، في القرون الوسطى، موانئ المحيط الهندي، وخصوصاً شاطئ الزنوج في جنوب القرن الأفريقي، وأصبح ميطراً عليها في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. عرف الإسلام

وينو مدار الذين حكموا سحلماسة، واليهم انتمى أيضاً أبو يزيد الذي تار على الفاطميين في إفريقية في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، واندعز زيري الذي استمر في حكم فاس في الفترة التي فصلت ما بين سقوط الأدارسة وسيطرة المرابطين.

واقع الأمر أنَّ قبائل زناتة، وبينها قبائل مكاسة التي كانت قد ناهضت إشاع سلطة الأدارسة، وبخاصة مجموعة مغراوة القوية التي كانت مستقرة في بادئ الأمر في المغرب الأوسط، لاذت بمنطقة السيطرة الأموية في قرطبة كرهاً بالفاطميين. وقد حافظت على سلطة أسباط الأندلس، وأحياناً ساعدت على توسعها في المغرب الأقصى، بالرغم من الأخطار المختلفة التي صادفتها في حروبها ضد الفاطميين والزيريين.

إلا أنَّ فتوحات المرابطين أدت إلى تهميش المجموعات الزناتية، ولا سيما مغراوة، وانتزعت منهم سيطرتهم على المغرب الأقصى. لكنَّ بعض قبائلهم برزت إلى الساحة من جديد في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، عندما انتزع بنو واسين السيطرة على المغرب الأوسط من أيدي الموحدنين، إلا أنهم تراجعوا أمام قوة المرينيين المتعاظمة وقوة بني عبد الواد، غير محتفظين بكيان خاص بهم إلا في بعض المناطق الجبلية في المملكة المغربية الحالية.

الزُّنُج، إسم أطلقه المؤرخون العرب، في القرون الوسطى، على سود البشرة الذين كانوا يسكنون المناطق الشرقية في أفريقيا، ومن ثم على العبيد المنتمين إلى هذه المناطق الذين عملوا في أملاك العراق السفلي وثاروا على مدار سنوات عدة في وجه السلطة العباسية. إن الشاطئ المُسمى «شاطئ الزنوج»، والذي يكوّن

اليوم جزءاً من جمهوريات الصومال وكينيا وتانزانيا، كان، منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، هدفاً للغزوات البحرية الإسلامية، المنطلقة من الخليج العربي - الفارسي وعمان حتى جنوب القرن الأفريقي. وكان أحد أهداف هذه الحملات البحرية إستيراد العبيد، وقد نتج عن هذه التجارة إزدهار وكالات تجارية محلية، ومن ثم سلطانات إفريقية تسكنها شعوب تحولت بأكثريتها إلى الإسلام. كانت هذه التجارة لا تزال مستمرة في

كلم^٢ مع تنجانيكا القديمة في إطار دولة فدرالية تحمل
إسم تنزانيا.

سلاطين زنجبار

محمد بن سعيد	١٨٥٦ - ١٨٧٠
برغش بن سعيد	١٨٧٠ - ١٨٨٠
خليفة بن برغش	١٨٨٨ - ١٨٩٠
علي بن سعيد	١٨٩٠ - ١٨٩٣
حامد	١٨٩٣ - ١٨٩٦
حمود	١٨٩٦ - ١٩٠٢
علي بن حمود	١٩٠٢ - ١٩١١
خليفة	١٩١١ - ١٩٦٠
عبدالله بن خليفة	١٩٦٠ - ١٩٦٤

زنديق، لفظ عربي من أصل إيراني، ظهر في القرون
الأولى للإسلام، يعني الكافر الملحد. وبالتحديد معنق
الإسلام الذي ما زال يحتفظ خفية بمعتقداته السابقة، غير
مخلص للإسلام، وقد يلجأ إلى معاداة.

من هذا المنطلق، كان الزنادقة في العصور الوسطى
يُعتبرون خطراً على أمن الدولة الإسلامية، ما كان يدفع
أحياناً بحكام تلك الدولة إلى ملاحقتهم بتهمة الزندقة
واعدامهم، على غرار المرتدّين عن الإسلام. بدأ
اضطهادهم بصورة رسمية في بداية الخلافة العباسية،
بأمر الخليفة المهدي بوجه خاص. وكان الأشخاص
الملاحقون - الذين أعدم بعضهم بسبب رفضهم العودة
عن خطاهم - ماثوئين أخذوا بالتبعية على الأرجح، لكن
يبدو أن تجريمهم كان لأسباب سياسية أكثر ممّا هي
دينية.

في فترات لاحقة، أخذ لفظ الزنديق مفهوماً عاماً
وأشار إلى المفكرين والكتاب الذين كانت أفكارهم
خارجة على العقائد السائدة. وقد أصاب ذلك
المتصوّفين بسبب نظريتهم في الحب الإلهي. من جهة
أخرى - فإنّ مثقّفين مشهورين، كالكاتب التوحيدي
والشاعر المعري، اتُهموا بالزندقة من دون أن يتمرّضوا
لملاحقات حقيقية.

الزندقيون، ١١٦٣-١٢٠٩هـ/١٧٥٠-١٧٩٤م، سلالة
حكمت إيران في الفترة القصيرة المضطربة التي عقت
موت الفاتح نادر الشاه وتفكّك إمبراطوريته.

إنطلاقة جديدة في القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر
للميلاد، عندما فرض أسياذ عُمان وصايتهم على الجزيرة
للتصدّي لسيطرة اليرتقاليين الذين وصلوا إلى المنطقة
سنة ١٤٩٩م، بعد رحلة فاسكو دي غاما البحرية.
أصبحت الجزيرة منذ ذلك الوقت، خصوصاً في القرن
التاسع عشر، بفضل مناحها المدياري وزراعتها
المزدهرة، مركزاً حيويّاً لمعاملات تجارية بحرية،
تُذنيها بالسلع تجارة القوافل التي كانت تجري على
المقارة، مضافة إليها تجارة العبيد.

إنّ أحد كبار سلاطين مسقط، سعيد بن سلطان، من
سلالة آل بو سعيد، حكم من سنة ١٨٠٦ حتى سنة
١٨٥٦م، واستطاع، بفضل مساعدة البريطانيين، بسط
نفوذه السياسي والاقتصادي على كل المناطق الساحلية
لأفريقيا الشرقية، وقد اختار الجزيرة سنة ١٨٣٢ لتكون
عاصمة له ومكان إقامته، وقد نعى ازدهارها بإدخاله
عليها زراعة الأشجار المنتجة لكَبش القرففل. وقد
يسّرت له إقامته في زنجبار مراقبة تجارة العاج والعبيد
مراقبة مُحكمة، وكذلك تقوية الإباضية، التي ظلّت،
رغم ذلك، محصورة بحاشية السلطان، فيما استمرّ
المذهب السنّي، المطبّق بحسب القواعد الفقهية
الشافعية، طامعاً بشكل واسع إلى جانب بعض
الأقليات الشيعية.

بعد موت سعيد بن سلطان، تقاسم إمبراطورية
اليوسمبديين الواسعة ولداه اللذان أنشا بدورهما
سلالتين منفصلتين، سلالة سلاطين زنجبار وسلالة
سلاطين عُمان الذين ظلّوا أماء لمنطقتهم الأصلية. خضع
سلاطين زنجبار، باستمرار، للتأثير البريطاني، وتحول
هذا التأثير إلى وصاية بدءاً من سنة ١٨٩٠، وقد قُرِضت
عليهم إصلاحات، منها إلغاء العبودية سنة ١٨٩٧، ما
أدّى إلى عصرة متزوجة للبلاد.

لقد حصل سلاطين زنجبار في العام ١٩٦٣ على
استقلالهم واعتمدوا نظاماً ملكيّاً دستوريّاً. إلّا أنّهم، بعد
شهرين، واجهوا انقلاباً وعُزلوا عن الحكم. أعلنت آنذاك
الجمهورية، ما غيّر أوضاع البلاد كثيراً.

في العام ١٩٦٤ توحدت دولة زنجبار التي تبلغ
مساحتها ١٦٦٠ كلم^٢، إضافة إلى جزيرة پيبا (٩٩٠

غزاها معرّضة لخطر تعديّات الفرنج المستقرّين حديثاً في كونية الرها شمالاً، وفي إمارة أنطاكية غرباً. وجد زنكي نفسه مكلفاً بالجهاد في سوريا الشمالية، وهذا ما قام به في البلدة بنجاح إذ استطاع أن يستعيد قلعة الأتاب من الفرنج. لكن شغله في ما بعد، خلال عدّة سنوات، الصراعات حول الخلافة في بغداد وحول السلطنة السلجوقية في العراق في آن. تدخل زنكي لفرض رأيه، لكنّه فشل في محاولاته، فانتهى إلى القبول بسلطة الخليفة الجديد المعلن، وعاد إلى إمارته ليتابع الجهاد ضد الفرنج، محاولاً، في الوقت نفسه، بسط سلطته على سوريا الجنوبية.

وإذا كان قد نجح في الاستيلاء على قلعة بآرين، ومن ثم احتلال حمص وبعبك، فإنّه فشل أمام مدينة دمشق إذ طلب حاكمها أثر نجدة الفرنج سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م لمقاومة أطماع زنكي. قرّر زنكي آنذاك محاربة الفرنج في الشحاك حيث انتزع منهم مدينة الرها سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، منهيّاً بذلك سيطرتهم على المنطقة. اغتيل زنكي بعد فترة قصيرة، سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، تاركاً ولدين خلفه، أحدهما في حلب واسمه نور الدين، والآخر في الموصل وهو سيف الدين غازي الأول، فيما تعاطت شهرته كزعيم حرب بعد موته. لم يكتفِ زنكي بتدريج جنوده وبنائهم الحمية فيهم، بل إنّه تجاوز ذلك إلى ذبح أعدائه، ولو كانوا من المسلمين، كما فعل بسكّان بعلبك، وقد تصرّف بوصفه بطل الحروب الجهادية أو الشرعية التي أخذت شيئاً فشيئاً تتركز طاقات السوريين. وكان أول من حق له أن يتباهى بإحراز نصر مشجع وذو مغزى، ألا وهو استرداده الرها من الفرنج.

الزنكيون أو بنو زنكي، ٥٢١-٦١٩هـ/ ١١٢٧-١٢٢٢م، سلالة تركية من الشرق الإسلامي، حكمت بفروعها المختلفة بلاد ما بين النهرين العليا وسوريا، وداعت شهرتها بفضل شخصية حاكم دمشق نور الدين. نشأت مملكة زنكي، أنابك الموصل، الفاتح المقدم الذي أسس السلالة التي حملت في ما بعد اسمه، من تفكّك الأميراطورية السلجوقية، وانقسمت تلك المملكة بعد موته لثلاث من أبنائه: محمود الملقّب نور الدين الذي حمل مشعل الجهاد ضدّ الفرنج وورث

على الرغم من بقاء آخر الأشراف المتحدّين من سلالة نادر شاه في خراسان، وبروز نجم القاجار في مازندران، نجح محمد كريم خان، وهو زعيم حرب من أصل لارستاني، في بسط سلطته على مقاطعات جنوبي إيران، ومن ثم على البلاد قاطبة. مع ذلك، أبى محمد كريم خان على سلطة وهمة تعامل صفويّ يحتفظ بقلب شاه، وقدم نفسه على أنّه مجرّد وكيله. إن ولاية هذا الوكيل الذي كان سيّد فارس، والذي اختار شيراز عاصمة له، وحكم من خلالها كل البلاد الفارسية، كانت فترة ازدهار اقتصادي كبير لم تنته إلا بوفاته. كان على خلفائه، بسلطاتهم الموزعة والمتقسمة، أن يواجهوا طموح القاجار الذين احتلّوا تباهاً أراضيهم وانتهوا بالانتصار على آخر زعمائهم، وهو لطف علي خان الذي قُتل سنة ١٧٩٤.

محمد كريم خان	١٧٥٠ - ١٧٧٩
أبو الفتح محمد علي	١٧٧٩م
صاف	١٧٧٩ - ١٧٨١م
علي مراد	١٧٧٩ - ١٧٨٥م
جعفر	١٧٨٥ - ١٧٨٩م
لطف علي خان	١٧٨٩ - ١٧٩٤م

زنكي، عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آق سقّو، ٤٧٧-٥٤١هـ/ ١٠٨٤-١١٤٦م. أنابك وأمير شهير من عهد السلاجقة الكبار، حكم ولايتي الموصل وحلب ابتداءً من سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م، مؤسساً هناك فرعي سلالة الزنكيين، أحدهما في بلاد ما بين النهرين العليا والآخر في سوريا.

تمكّن زنكي، وهو ابن ضابط تركي من ضباط السلطان السلجوقي ملكشاه، بالرغم من موت أبيه المبكر سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، من أن يصبح حاكم واسط في العراق سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م، ثم حاكماً على الموصل سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م، وكان، في الوقت نفسه، وصياً على ولدي السلطان وحاملاً لقب أنابك. تابع، آنذاك، توسيع رقعة حكمه بالسلاح إلى أن غدا، سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م، سيّد مدينة حلب التي الحق بها مدينة حماة في العام التالي، إلا أنّه لم يستطع الاستيلاء على حمص ولا على دمشق. كما بقيت الأراضي التي

إذ ركزت هذه الممارسات على القواعد الدينية - الاجتماعية، وعلى ما تقتضيه الشعائر من متطلبات، وفق منهج وسطي يفي المؤمن ضمن إطار النظام العام والاعتدال في الانفعالات. فالزهد يجب ألا يتدخل والواجبات التي تفرضها الشريعة تجاه الأسرة والمجتمع، ولا يجب أن يؤدي إلى العزوف عن العلاقات الجنسية. وحدها بعض الحركات المتصوفة بالصوفية ركزت على الدعوات إلى التبتك، وجعلت منها أحياناً طريقاً إلى القداسة، واستطاعت بذلك إثارة إعجاب الناس، ما أدى إلى ظهور مراكز يقصدها الكثيرون في زيارات تقوية للبرك.

وكانت مظاهر التبتك والعزوف عن بعض منذات الدنيا تتخذ، على العموم، طابعاً يختلف باختلاف الحقبة الزمنية، وبخاصة باختلاف المنطقة التي ينتمي إليها المبتتك الذي كان مظهره الخارجي يختلف إلى حد بعيد، بين الهند والمغرب مثلاً. لكن هذه المظاهر غالباً ما كانت تتطابق مع الفقر الطوعي والزهد والتشرد. وقد بلغت أحياناً، بتأثير من الهندوسية خاصة، أشكالاً متطرفة من المغفلة وغربة المشهد، ما ساهم إلى حد بعيد في تغذية حذر الفقهاء وعلماء الدين تجاه الزهاد وتعلق الناس بهم. أما الزهد كوسيلة للوصول إلى النشوة والإشراق - والذي كانت تقول به بعض العقائد المنحرفة وبعض المفاهيم الفلسفية التي تؤمن بوحدة الوجود - فقد شكّل أحد الأسباب التي من أجلها أدانت الشريعة وفرضت على أتباعه عقوبات صارمة.

إلا أن بعض الممارسات الزهدية المعتدلة اعتُبرت من مظاهر التقوى في الإسلام التي يمكن معها زيادة الصلوات وقرات الصوم، بدون أن يكون ذلك مفروضاً شرعاً. كما اعتُبر تكرار تلاوة القرآن والذكر والتأمل والإختلاء بالذات، مع الصوم أو بدونه، من مظاهر التقوى بحسب تعاليم مختلف المذاهب الفقهية. فالإختلاء لبضعة أيام في مكان ما، ومن الأفضل في مسجده، عمل غير إلزامي للمؤمن، إنما يُنصح به.

الزهد ← الصوفية.

الزهراء (مدينة)، تسمية أطلقت في القرون الوسطى على مدينة لم يبقَ منها إلا الخراب، وكان قد بناها

الكثير من طموحات والده، وسيف الدين غازي الأول الذي اكتفى بتركيز سلطته في الموصل. وكان من نصيب زنكي الموصل أن يحكموا لفترة طويلة. أما مملكة نور الدين الجبار، فسرعان ما وقعت، بعد موته، في يدي صلاح الدين الذي اجتاحتها بعد أن وضع حداً لخلافة الفاطميين الشيعة في مصر، معقباً وراءه سلالته الأيوبيين. تصدى زنكي الموصل بدورهم لطموحات صلاح الدين الذي حاول عبثاً، سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، أن يعطد زنكي الموصل وسنجار، بعد أن ضم ممتلكات زنكي حلب ودمشق. ما من شك في أن صلاح الدين نجح، سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، في حمل عز الدين مسعود على إعلان ولائه له، إلا أن الأمراء الزنكيين استمروا في حكم بلاد ما بين النهرين العليا، إلى أن استولى على عرش الموصل، على أثر وفاة ناصر الدين محمود، عبد معنق، إسمه بدر الدين ثوئو، ولم يتخل عنها إلا حين توفي سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، بعيد وصول المغول إلى المنطقة.

زنكي حلب ودمشق

نور الدين محمود بن زنكي ٥٤١-٥٥٧هـ/١١٤٦-١١٧٤م

الملك الصالح اسماعيل ٥٧٠-٥٧٧هـ/١١٧٤-١١٨١م

زنكي الموصل

عماد الدين زنكي بن أبق شمر ٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦م

سيف الدين غازي الأول ٥٤١-٥٤٩هـ/١١٤٦-١١٤٩م

قطب الدين مودود ٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٦٩م

سيف الدين غازي الثاني ٥٦٤-٥٧٢هـ/١١٦٩-١١٧٦م

عز الدين مسعود الأول ٥٧٢-٥٧٦هـ/١١٧٦-١١٩٣م

نور الدين ارسلان شاه الأول ٥٨٩-٦٠٨هـ/١١٩٣-١٢١١م

عز الدين مسعود الثاني ٦٠٨-٦١٥هـ/١٢١١-١٢١٨م

نور الدين ارسلان شاه الثاني ٦١٥-٦١٦هـ/١٢١٨-١٢١٩م

ناصر الدين محمود ٦١٦-٦٢٢هـ/١٢١٩-١٢٣٢م

« راجع المستدين ١٧ و ٢٠.

الزهد، مفهوم لا يقبل به الإسلام إلا بتحقّق، مع الحرص على التخفيف من مظاهره، وذلك بسبب نظريته إلى الخطيئة وموقفه من الطبيعة البشرية وغرائزها.

إن نموّ الميول إلى الحياة الزهدية يرجع إلى زمن قديم، ونجد جذوره في بعض الدعوات الواردة في القرآن الكريم، وفي بعض أخبار السّنة النبوية، لكنّه لم يكن له فقد أثر عميق في الممارسات الرسمية للعبادة،

بحسب ثلاث مدارس فقهية يعترف بها السنة، أن تصطبح وصيًا شاهدًا يؤكّد موافقتها؛ أمّا إذا كانت قاصرًا فموافقتها غير إلزامية، إذ يمكن أن يرّوجها والدها بموجب حقّ الإكراه الذي يعود إلى تقليد قديم، والذي تقبل به الشريعة. عند إبرام العقد، يعطي الزوج لزوجته مهرًا يبقى ملكًا لها، ولكن يمكن تقييده على دفعات. على المرأة المتزوجة أن تعيش في منزل زوجها، وأحيانًا معزولة في الحرم، وغالبًا إلى جانب حماتها - وذلك وفقًا لعادات غير مدوّنة - وهي نخضع سريعًا لسلطة زوجها الذي يعود له أن يعاملها المعاملة الحسنة وأن يؤثّر لها سبل العيش بحسب وضعه. ولكنها مع ذلك تحتفظ باسمها وتتمتع بالاستقلالية المالية.

إن إبرام الاتفاقيات بين مختلف الثرقات لا يُزرم بالضرورة إعداد نصّ مكتوب، على الرغم من وجود عقود زواج قديمة تتشكّل إحدى فئات علم المستندات، وتوفّر دراستها للمؤرّخ ولعالم المعاجم كمًا من التفاصيل المعقدة عن الحياة اليومية في القرون الوسطى الإسلامية. إن وجود القاضي غير ضروري لتوقيع عقد لا يتضمن شعار ديني، مع العلم أنّه يوصى للمناسبة بتلاوة بعض التضرّعات والآيات القرآنية. تلي عقد الزواج عادة احتفالات تختلف تفاصيلها باختلاف الفولكلور المحلي، ولكنها تتضمن دائمًا إتهاجات وولائم للإحتفال باستقرار العروس في منزل العريس. إنّ إتمام الزواج يعني، من الناحية القانونية، الإمتلاك الذي يرافق بالضرورة العقد.

شكل تعدّد الزوجات أحد الوجوه الأكثر تعبيرًا في تنظيم الأسرة المسلمة وامتزج ببعض العادات التي لا تزال قائمة إلى اليوم في بعض المناطق، وقد بدأ كتنيجة طبيعية ملازمة للزواج، وهو لا يزال يطلق إلى اليوم. من الشائع أنّه شُحّ بتعدّد الزوجات رتبًا لتجنّب بعض النساء البقاء من دون حماية. وتوضح الشريعة أنّه لا حقّ للمرأة بأكثر من أربع نساء وأنّ عليه أن يعاملهنّ بالتساوي مع إمكان لجوئه إلى التسري مع العدد الذي يناسبه من الجوازي.

من ناحية أخرى، يفضل أن يتتمي الزوجان إلى الوسط الاجتماعي نفسه. ولكن هناك محرّمات تتعلّق

أعظم الخلفاء الأمويين في الغرب، على مقربة من قرطبة، وفي المكان الذي عُرف، بعد استعادة الأندلس، بـ «قرطبة القديمة».

اختار الخليفة الشهير عبد الرحمن الثالث، سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، هذا المكان لبشيد فيه قصرًا أطلق عليه اسم «الزهراء»، على اسم إحدى محبّاتيه، كما يروى. أقيمت الأبنية ضمن سور مستطيل طوله ١٥٠٠م وعرضه ٧٥٠م. وقد امتدّ العمل فيها سنوات طويلة، وبعضها بإشراف من أصبح لاحقًا الخليفة الحكم الثاني؛ اجتمعت فيها كلّ العناصر الضرورية لتجعل منها قصرًا ملكيًا فاخرًا؛ فأغات استقبال قائمة على مصاطب قرب مسجد جامع، وبيوت مشرفة على برك، ومنازل للأعيان، وحمامات ضخمة، وثكنات للعسكر وأسواق. كل هذه المجموعة تقع على منحدر جبل وتمتاز بتنوع هندستها ذات الحجارة والزخارف المنحوتة، وقد أعيد ترميمها اليوم، جزئيًا. ولم يجر التقيب عن بقايا هذه المدينة إلا ابتداء من سنة ١٩٦٦، ولكنها كانت معروفة سابقًا من خلال النصوص، وكانت قد تعرّضت للخراب في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م. أمّا اليوم فقد تمّ الكشف عن بعض الأبنية وأظهر تصاميمها، ولكنّ الأقسام المنقّبة عنها لا تبلغ نصف المساحة التي كانت مبنية قديمًا، ما يجعلها غير كافية لتقدّم شهادة أثرية بالمستوى الذي نصبو إليه.

ومن أجل منافسة هذه المدينة الرائعة، بنى المنصور، الحاجب، بعد ذلك بحوالى خمسين سنة، في ٣٦٨-٣٦٩هـ/٩٧٩-٩٨٠م، مجمّعه الملكي الخاص باسم المدينة الزاهرة، قرب قرطبة، ولكنّ هذا المجمّع هُدم في سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، ويستحيل علينا اليوم معرفة المكان الذي بُني فيه.

«راجع المستنبلين ٥٠ و٥١».

زواج أو نكاح. عقد ينظمه نص القرآن، وربما أُضيفت أحكامه إلى تقاليد سابقة مع تحسين شروط الدفاع عن المرأة ضدّ التجاوزات التي قد تعرّض لها، ولكنه لم يركز مساواتها مع الرجل.

يتمّ عقد الزواج أمام شاهدين اثنين، وغالبًا أمام قاضٍ. إذا كانت المرأة التي تعقّد راشدّة، عليها،

بداية هذا القرن، كما في الهند قبل ضمها إلى
الأمبراطورية البريطانية وبعده. لم يكن لهذا الزواج أي
نبتة قانونية لهجة الإرث.

في عصرنا هذا، خضع تنظيم الزواج في عدد من
البلدان الإسلامية لبعض التعديلات؛ وبسبب إلغاء
العبودية لم يعد للتسري من وجود رسمي. وقد تم
التخلي عن بعض الأحكام، ومنها «حق الإكراه» على
القاصرات، لا بل ألغى هذا الحق رسمياً في بلد مثل
المملكة العربية السعودية، في حين أثار الفهر الإسلامي
اعتراضات بعض الأوساط النسائية. ومن اللافت أن
بعض الدول حاولت الحد من ممارسة تعدد الزوجات
إستناداً إلى آراء المحدثين والمصلحين وإلى تعذر تطبيق
الأحكام القرآنية في هذا الموضوع، عندما تطلب هذه
الأحكام من الزوج الإنصاف التام تجاه نساؤه. غير أن
تعدد الزوجات لم يمنع إلا في بلدين من العالم
الإسلامي هما تركيا، منذ اعتماد قانون جديد للأحوال
الشخصية من الطراز الأوروبي في أثناء الإصلاحات التي
قام بها كمال أتاتورك، ونونس منذ ١٩٥٧. أما في
البلدان الأخرى فغالباً ما يخضع تعدد الزوجات لقوار
محكمة من شأنها التأكد من إمكان إنعام الشروط التي
بغرضها القرآن.

هذه القرارات الرسمية والمحدودة المفعول تندرج
في مجموعة رقائ الفعل المعقدة التي أثارها أحكام
الزواج عند المسلمين. وقد نالت رقائ الفعل هذه
خلال العقود الأخيرة: بعضها شكك في صوابية أحكام
الشريعة، بينما البعض الآخر طالب، بالعكس، بتطبيقها
بشكل أشد صرامة. في الدول أو المجتمعات ذات الأقلية
الإسلامية، لا تزال توجد صراعات كامنة تظهر أحياناً
بشكل عنيف بسبب ظاهرة الرقص، أو على العكس
ظاهرة الدفاع المستنيت الذي تشهده نواح عدة من
الشريعة في هذا الخصوص، أو في أي مسألة تتعلق
بوضع المرأة الاجتماعي وبالأسرة.

زوغ الأول، ١٨٩٥-١٩٦١، ملك حكم، في اليد
لمدة قصيرة، دولة صغيرة بأغلبية مسلمة في البلقان،
تأسست سنة ١٩٢٠ في مقاطعة البانيا وأصبحت في ما
بعد جمهورية البانيا الاشتراكية الشعبية.

بالقربى لهجة الأب، ربما تم التفتيد بها في الجزيرة
العربية قبل الإسلام، ثم استمرت واتسعت لتشمل
القربى لهجة الأم، وذلك بسبب النزعة إلى الزواج
الثلثي الذي كان سائداً لدى القبائل العربية والذي لا
يزال قائماً إلى اليوم في بعض المجتمعات الإسلامية.
وهناك محرمات أخرى تتعلق إما بقربى الرضاع وإما
بديانة الأشخاص المعنيين. إذا كان باستطاعة المسلم أن
يتزوج امرأة من أهل الذمة، فالعكس غير صحيح، لأنه
لا يجوز للمسلمة أن تكون تحت سلطة غير مسلم، حتى
ولو كان ذمياً. من جهة، يستطيع المسلم الحر أن يتزوج
من أمة، إنما في ظروف محددة، خصوصاً إذا كان
معدوماً ولا يمكنه دفع مهر امرأة حرة. أما العبد فيُسمح
لهم بالزواج في ما بينهم، إنما بإذن من سيادهم.

يمكن فسخ الزواج بالطلاق الأحادي عندما يلفظ
الزوج ثلاث مرّات متتالية كلمة «طالقة»، وذلك من
دون إبداء السبب. تحتفظ الزوجة بمهرها وبإمكان الزواج
ثانية من الذي يناسها، لا يحقّ لزوجها الأول إبعاد
طلاقها بالمرّات الثلاث، أن يستردّها إلا إذا كانت قد
تزوجت في غضون ذلك ثم طلقت، وإذا كان زوجها
الجديد قد تمّ حطاً. يهدف هذا التدبير إلى ردع الزوج
عن إعلان الطلاق بلا تروء. ويمكن أيضاً فسخ الزواج
بقرار من القاضي بناءً على شكوى مبوّرة من الزوجة،
وكذلك حال وجود تهم متبادلة، أي إذا صرح الزوج
واقسم علناً أن زوجته ليست حاملاً منه من دون أن يكون
باستطاعته إثبات ذلك، وإذا صرحت الزوجة من جهتها
وأقسمت أنها بريئة. بعد فسخ الزواج أو بعد وفاة
الزوج، لا يُسمح للمرأة بالزواج ثانية إلا بعد قضائها
المدة وهي على العموم ثلاثة أشهر مخصّصة لكي تثبت
أنها ليست حاملاً. وقد اختلفت المدارس الفقهية حول
ضرورة قضائها هذه المدة في منزل زوجها.

هناك أخيراً شكل من الزواج الموقّت يدعى زواج
التمتع، كان موجوداً في بداية الإسلام وألغاه الخليفة
الثاني عمر بن الخطاب. غير أن الفقه الشيعي أبى عليه
استناداً إلى تفسير الآية ﴿مَّا أَشْتَقْتُمْ بِهِ دِينَ فَتَقَاوَعُوا
أُجُورَكُمْ رِيشَةً﴾ (القرآن، سورة النساء، الآية ٢٤).
كانت ممارسة زواج التمتع لا تزال قائمة في إيران في

الزيارات غير المفروضة شرعاً، مظاهر تقوية شعبية، عرفت انتشاراً واسعاً في البلدان الإسلامية وحطبت، بحسب المناطق والجبب، بروج متفاوت. وتمكنت، رغم اندراجها في صلب التقاليد الشيعية، اعتباراً من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، من أن تدخل في المذهبية السنية سمات التقاليد الراسخة لتكريم الأولياء.

خلال القرون الوسطى الإسلامية، لم يُسمح دائماً بممارسة تلك الطقوس التي تقوم جميعها على الزيارات التقوية، بسبب بروز مناقشات واستشارات فقهية وإدانات من قبل بعض مفسري الشريعة. لكنها، على الرغم من التحذيرات والتحريمات الطارة أو المؤقتة، ازدهرت بعد القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وبلغت الذروة في الشرق خلال القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد. إلا أن طقوسها التي كانت تستوحي أحياناً القولكلور المحلي لم تكن لتؤدي إلى استيعابها في طقوس الحج الإسلامي الأساسي. بل إن أهدافها شكلت موضوع إدانة، خصوصاً بالنسبة إلى الذين يفصلون هذه الأماكن من بعيد، بموجب حديث منسوب إلى النبي محمد (ﷺ) يطلب فيه من المؤمن ألا يسرج خيله إلا للذهاب إلى مساجد ثلاثة، هي المسجد المقدس في مكة والمسجد الأقصى في القدس ومسجد النبي (ﷺ) في المدينة. إلى جانب الحج الإلزامي إلى مكة، لم يكن هناك مكان إلا للزيارات الموصى بها إلى المدينة المنورة وإلى القدس. أما توقيف المزارات التي قبل به الحنبلي ابن تيمية، شرط أن يقتصر على «زيارة» من غير تنقل بعيد، فيُعتبر خارجاً على تعاليم القرآن الكريم والسنة وجوهر العقيدة الإسلامية الذي هو التوحيد أو الإقرار بالإله الواحد الذي لا يقبل الشُّرك.

لكن هذه التحفظات، التي نكاثرت خارج الأوساط الشيعية، لم تحل دون ازدياد تكريم الأماكن المقدسة من قبل الفئات الشعبية. فمنذ أواخر القرون الوسطى إلى أيامنا هذه، استأثرت هذه الأماكن ورعاً متزايداً بزيارة البعض بإدراجها في سياق التجديد. يستند هذا التبرير إما إلى مقام الوحي من حيث ارتباطه بذكرات عريقة في

تلقي هذا الإقطاعي الألباني المسلم - وهو من دعايا السلطنة العثمانية واسمه الحقيقي هو أحمد زوغو (Zogou) - تربية عسكرية في الأكاديمية الحربية في منستير (بيوتاً حالياً)، ثم في إسطنبول، ونُخرج ضابطاً. أصبح بعد الاستقلال وزيراً للداخلية ثم، سنة ١٩٢٢، رئيساً للوزراء، ولكنه استقال من هذا المنصب في العام ١٩٢٤ وانتجأ إلى يوغوسلافيا. انتخب في العام ١٩٢٥ رئيساً للجمهورية الألبانية، ثم أعلن نفسه ملكاً عليها سنة ١٩٢٨ باسم زوج الأول. أجبره غزو إيطاليا لألبانيا سنة ١٩٣٩ على الهرب إلى الخارج. مات في فرنسا سنة ١٩٦١، من دون أن يستطيع العودة إلى بلده الذي قام فيه، بعد الحرب العالمية الثانية، حكم الشيوعي أنور خوجا الذي عارض عودته باستمرار.

زياد بن أبيه أو زياد بن أبي سفيان، ٢-٥٣٣هـ - ٦٧٣م. رجل دولة عربي اشتهر في بدايات الإسلام، في عهد الأمويين، نولى حكم المقاطعات الشرقية باسم الخليفة معاوية المقيم في سوريا.

كان من أصل وضع، وكما هو معلوم، ابن أمة من الطائف، التحق بالإدارة الحراقية خلال عهد الخلفاء الراشدين. استرعى انتباه معاوية الذي أراد الاحتفاظ به معاوناً أميناً، فاعترف به رسمياً على أنه أخوه غير الشقيق، ففُرع زياد بن أبي سفيان، مع العلم أن بعض المؤرخين اللاحقين لم يكفوا عن تسميته زياداً بن أبيه، إشارة إلى أصوله الخامضة. عرف زياد كيف يثبت النظام في منطقة البصرة التي عُيّن في البدء واليًا عليها، كذلك في منطقة الكوفة التي عُهدت إليه أيضاً إدارتها: أخضع بالقوة، في كل مكان، المتعاطفين مع علي، ثم تسلّم لاحقاً مسؤولية مجمل المقاطعات الشرقية. مارس صلاحيات الحاكم بحزم ومهارة، ضامناً للسلطة الأموية الاحترام. صتقه الكتاب العرب واحداً من سياسيين عصره الأربعة الكبار، بالرغم من أن المؤرخين المعقّبين من العباسيين كانوا صارمين بحقه. أخذ عليه بخاصة صرامته ضد الثائر الشيعي حُجر بن عددي، ونُقِل عشرات الآلاف من البدو العرب إلى خراسان. توفي زياد بمرض الطاعون في الكوفة وكان قد بلغ من السنين، قبل وفاة الخليفة الذي وقد سلطته على أفضل وجه.

النافل، حتى العصر الحالي، إلى مراكز للحياة الإسلامية أو الدعوة، مستفيدةً روحياً ومادياً من رعاية شفعها الذي شُيّدت على اسمه، سواء كان مزار سيدي بومدين أو تحديداً أبو مثنى بالقرب من تلمسان في المغرب العربي، أو مزار الشيخ البساطمي على طريق خراسان في إيران، أو معبد أبي أيوب في حيّ أبوب في اسطنبول، وجميعها أمكنة مباحة جغرافياً، غير مغفلين الأضرحة الشهيرة للمتصوّفين المكرّمين في الهند الإسلامية أو مراكز القوى الشيعية في العراق، مثل النجف وسامراء والكابطين وكربلاء. وكذلك قمّ في إيران.

نمّة فيور محلية للأولياء ذات مظهر متواضع تُفصّد كذلك الزيارة التقوية من قبل سكان القرى المتعشّشين إلى مَدَن نورانيّ بسمارسة طقوس ثابتة، منها ممارسات فردية بسيطة (ملامسة، تقديم، مسح بالزيت، رمي بالحجارة، عقد طرف خرقه، نذر، نوم قرب المزار...) ومنها احتفالات جماعية بأعياد المواسم التي تشهد حضوراً سنوياً كبيرة أحياناً. يجري التوجه خلالها إلى أيّ أثر تذكري، بلداً بالقرى وصولاً إلى الثُقب التذكاري، إلى نقش المحفوظ في الحجر، إلى الصخرة، إلى النمل، إلى الأثر القديم، إلى المغارة، إلى الشجرة أو إلى النبع، وقد شكّلت كلّها موضوع توقيف مستمر عبر عهود متعاقبة.

يفضل هذه الزيارات النافلة، نجذّرت في الإسلام اختيارات تقديس قديمة استمرت عبر هذه الأمكنة والطقوس. لكنّ أدباً إسلامياً حقيقياً نشأ من خلال هذه المعابد متجسّياً في مؤلّفات متنوّعة، بدءاً بكتب التاريخ وأخبار الرحلات وصولاً إلى المؤلّفات المتخصصة كدليل الهرويّ، الذي بقي النموذج الأكثر تمثيلاً لهذا الواقع.

تُبرز هذه المؤلّفات، بنوع خاص، العلاقات اتفانمة بين أماكن الزيارة وحوافر القوى الإسلامية التقليدية باستعادة ذكرى تعود لثلاث فئات من الشخصيات ممكّنة تقريباً على المستوى نفسه. أولاً: ذكرى «أبطال الإسلام» الأقدمين، أي النبيّ محمد (ﷺ) ورفاقه، وقد حرص الحديث كما حرصت سيرة النبيّ

إسلامها، أي الذكريات التي تعود إلى النبيّ محمد (ﷺ) مثلاً، وإثنا إلى نوع الشعائر المعتمدة وهي: نجياً لأيّ مقد ممكن، لا تنصّصن أيّة صلاة طقسبة بل تكفني بصلاة الدعاء وهي من المواقف الإضافية. مع مراعاة هذه الاحتياطات، يمكن إدراج العادات التقوية المتبعة خلال زيارات التعبد الثانوية في خط الإيمان السابق للإسلام الذي استمرّ أو عاد إلى الظهور. ولا سيما في تشكّل طقوس التعبد الزميمة التي طعت بطابعها المكان المقدّس. وقد اختلفت التفاصيل باختلاف المناطق وفاق العادات الخاصة بالإسلام الهندي أو الإسلام، السُري أو الإسلام الرُنجي مثلاً. إلّا أنّنا نجد في كلّ الجُندان نطابقاً في سلوك الزائرين تجاه العادات الموروثة من الماضي، إذ إنّ هؤلاء يتقيّدون بتلك العادات كلّما شعروا أنّها تحمل في ثناياها قدرًا من المعطيات الغيبية والتوقّعات الغيبية.

هكذا انتشرت، في المقاطعات النائية جدًّا من العالم الإسلامي، كما في المقاطعات المركزية، موافع حُرُم تجسّدت في مبانٍ متفاوتة من حيث الفخامة حملت، بحسب طرازها المعماري ومحيطها اللغوي، أسماء مختلفة، من مثل ضريح وقيّة ومشهد ومقام، تختصّ بهذا الإمام العلوي أو هذا الولي أو هذا النبي أو هذا المربط كذلك. هذه المواقع المقدّسة أسست لأسماء أمكنة كثيرة. وأدّى إقبال الزوّار إلى توسّع بعضها، كتلك التي اشتهرت ونمت تحت اسم كُنْد قابوس ومشهد وثُربت حيدرية في إيران، والنبي موسى بالقرب من مدفن شهير لموسى في فلسطين، ومولاي إدريس في المغرب، أو مزار شريف بالقرب من بلخ في أفغانستان، على سبيل المثال. وغالبًا ما ازداد غنى تلك الأبنية بفضل هبات أوقاف من أشخاص أثرياء، ونمّ توسيعها وترميمها من قبل الأمراء، كما جرى بنائها وترتيبها بأساليب متنوّعة وبفانص مدّش من الوسائل، وقد أُحيطت بمساكن كان يقيم فيها إمّا المتعبّدون القاطنون بجوار المزار إندراؤ للبركات، وإما عائلة المتصوّف المكرّم ومدبروه، فيبدو هذا موضوع إنبها، غبّ تأسيس إحدى الطرائق.

بهذا المفهوم، تحوّلت بعض أمكنة الزيارة أو الحجّ

الزبيريون أو بنو زيار، ٣١٥-٤٨٣هـ/٩٢٧-١٠٩٠م، سلالة صغيرة في إيران القروسطية حكمت، مع بعض الصوفا، الأراضي الواقعة جنوبي بحر قزوين، أي طبرستان وجرجان. ولدت سلطنة هؤلاء الأمراء الهشة نتيجة للأعمال الحربية التي قام بها المدعو مرداويج بن زيار الذي أعطى إسمه للسلالة، وهو رئيس عصابة تعود بأصلها إلى الذئلم. تمتع خلفاؤه، في بادئ الأمر، باستقلال محدود بين دولتي السامانيين والبويهيين المتناحسين. قبل أن يفسدوا إلى الاعتراف بسلطة الغزنويين. وعندما بسط السلاجقة، في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، سلطتهم على المنطقة أرغم الزبيريون على ترك أراضيهم الغنية والنزوح إلى انجبال المجاورة. ويبدو أن ممثلي السلالة الآخرين سقطوا تحت ضربات الإسماعيليين. ويُنسب إلى أحدهم، وهو عنصر المعالي كيكافوس، مؤلف بعنوان «نصائح إلى الأمير» (قابوسنامه بالفارسية). لكننا نعرف اليوم، بخاصة، الفريخ الضخم لأحد الزبيريين السابقين، وهو شمس المعالي قابوس بن وشمكير الذي سُميت باسمه مدينة كُندقابوس (أي قبة قابوس)، في موقع جرجان القديمة.

٣١٥-٣٢٣هـ/٩٢٧-٩٣٥م

مرداويج بن زيار

٣٢٣-٣٥٦هـ/٩٣٥-٩٦٧م

وشمكير

٣٥٦-٣٦٧هـ/٩٦٧-٩٧٨م

ظهير الدين بيستون

٣٦٧-٣٧٨هـ/٩٧٨-١٠١٢م

شمس المعالي قابوس

٤٢٠-٤٢٩هـ/١٠٢٩-١٠٢٩م

فك المعالي منوچهر

٤٢٠-٤٤١هـ/١٠٢٩-١٠٤٩م

أنوشيروان شرف المعالي

٤٤١-٤٤٩هـ/١٠٤٩-١٠٦٩م

عنصر المعالي كيكافوس

٤٦١-٤٦٩هـ/١٠٦٩-١٠٧٧م

جيلان شاه

زيد بن ثابت الأنصاري، ١١١هـ-٤٥٥هـ/٦١١-٦٦٥م، من صحابة الرسول ﷺ، عرف بأنه من الأوائل الذين جمعوا القرآن الكريم وكتبوه. وقد خدم بصدق الخلفاء الأوائل المعروفين بالراشدين.

إنه ينحدر من قبيلة بني نضار. وهو أحد الأنصار الذين رُحِّبوا بمحمد ﷺ وصحابته الأولين. تميَّز بمعرفته الكتابية، لذلك اختاره نبي الإسلام كاتباً له، وأوكل إليه، بشكل خاص، تقسيم القيمة وتوزيعها، إضافة إلى

(ﷺ) وكتب أنساب المسلمين الأوائل على ذكر أعمالهم وعلى تحديد أمكنة أضرحتهم؛ ثانياً: ذكرى الأشخاص الأتقياء والورعين في كل العصور الذين استمعوا رضي الله بفعل مزايهم الروحية، سواء كانوا رجال فقه، أو متصوفين مشهورين أو أمّة بالمعنى السنّي أو الشيعي للكلمة، بحيث شكّلت الخلفاء وسائر الأمراء الذين دافعوا عن الإسلام السنّي، والعلمويين الذين يعتبرهم مناصروهم مؤتمنين على إرث النبي محمد (ﷺ) الزمني والديني؛ ثالثاً: ذكرى الأنبياء الذين يعتبرهم التقليد الإسلامي أسلافاً للنبي محمد (ﷺ) ويذكر أخبارهم المستقاة من القرآن الكريم أو من روايات شخصيات الكتاب المقدس أو «حكام» الأزمنة القديمة. وقد ساهمت في استعادة هذه الذكريات أخبار المناقب أي «الخصال والأعمال الحميدة» التي استُخدمت في الأدب الديني الإسلامي للدلالة على أدب محدّد هو أدب سيرة الأولياء الذي يُبرز صفات الشخص الذي يستحق الإطراء والتوقير.

وهكذا جمعت صلات متعددة بين تلك المشاهد المقدسة والسيارات الفكرية التي سادت إسلام القرون الوسطى، مفضيةً إلى تكاثُر البِدْع ورواج موجة متزايدة من أفكار الأوائل أو الأجانب التي تسرّبت من خلال تعاليم المتصوّفين وأفكار الفلاسفة أو الشيعة، في حين نصّلت لهذا التكريم المدافعون عن التقاليد الأصولية، ولا سيما الواهبون.

الزيارة أو الزيارة التقوية، لفظ عربي يشير إلى توفير القبور والأضرحة، كما سائر الأماكن المكرّمة وأماكن الدعاء التي حملت هي أيضاً، بصورة عامة، إسم مزار.

لقد نتج عن هذه الممارسة تطوّر تدريجي في المجتمع الإسلامي للزيارات غير الطقسية التي اختلفت أعدادها وأهميتها باختلاف المناطق والحبب التاريخية، والتي كانت تُجرَّم بصورة متوالية. لقد شكّلت هذه الممارسة الوجه الأكثر بروزاً لعادة تكريم الأولياء التي ظهرت في الوسط الإسلامي، بدءاً من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، متزامنة مع نمو حركة زهدية عُرفت بالصوفيّة.

ساروا على مثال زيد بن علي (زين العابدين). كان زيد وابنه من السَّيَّاقِينَ إلى المطالبة بالسلطة عن طريق السلاح خلال الخلافة الأموية. تلاهما، في ما بعد، سليلا الحسن وابنا عبدالله، محمد النفس الزكية وإبراهيم اللذان قاما بثورتها في عهد الخليفة المنصور، وغيرهما من الذرية نفسها. نجمت عن الحركة، في ما بعد، سلالتان من الأئمة استطاعتا تأسيس دولتين شبه مستقلتين: الأولى هي سلالة الزيديتين في طبرستان الذين استقروا في منطقة جبلية قريبة من بحر قزوين، سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م، حيث استمروا قرابة قرنين تقريباً. والسلالة الثانية هي سلالة زيدتي اليمن، وقد انتقل أفرادها، نحو سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م، إلى هذه المنطقة الجبلية من شبه الجزيرة العربية واحتفظوا بالسلطة عليها حتى سنة ١٩٦٢، بالرغم من فترات انقطاع ومن تقلبات الدهر.

تعتبر الحركة الزيدية، التي تقول بتعدد الأئمة في إطار التشيع، كلّ علويٍّ إماماً، إذا أثبت شرعية حقّه بالقتال، إلى جانب بروزه في مجالي العلم والتقوى. فالإمامة إذاً، بحسب هذه العقيدة، لا تقوم على تعيين مبني على الوصية، بل على الكفاية الشخصية ونجاح عمل جهادي قوامه ثورة وقتال.

إلا أنّ الزيدية التي جاهرت باللجوء إلى الكفاح المسلح نبئت، من ناحية أخرى، نظريات معتدلة، إذ إنّها لا تنسب إلى أئمتها أية صفة تفوق الطاقة البشرية، معترفة، بخلاف سائر الفرق الشيعية، بشرعية الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، فيما تعتبر أنّ عليّاً فافهم جدارةً، من جهة أخرى، تميّزت هذه الحركة بمواقف عقديّة شاركت فيها المعتزلة في ما يتعلّق بصفات الله [الأسماء الحُسنى] وخلق القرآن الكريم أو حرية الاختيار. وقد نبغ بعض أئمتها في الفقه والكلام نبوغاً عظيماً، من بينهم محمد النفس الزكية الذي امتاز بفقهه ومعرفته بالحدث النبوي، إضافة إلى اشتغاره بالتقوى.

كما الفرق الشيعية الأخرى، انشعبت الزيدية إلى فروع عدّة، يميّز الواحد منها عن الآخر ببعض الاختلافات في العقيدة. وكان أتباعها يكونون نشر آرائهم إلى دعاةهم الذين كانوا يؤثرون الصلة بين مختلف

تدوين أجزاء من النص المنزّل. وقد احتفظ بمهماته المالية في عهد الخلفيتين أبي بكر، ولا سيما عمر بن الخطاب الذي أسند إليه إدارة الديوان الذي أوجده في المدينة المنورة؛ كما كلّفه أيضاً بتقحيح القرآن الكريم، فنظر في صحة النص خلال عهد عثمان بن عفّان. حافظت هذه النسخة التي أعدها زيد على طابعها الرسمي رغم انتقاد بعض المعاضين للنظام، ويُقال إنّ رفض مبايعته الخليفة الرابع أي علي، لذا ثبتت في مهماته في المدينة المنورة بعد وصول سلالة الأمويين إلى السلطة في شخص معاوية.

زيد بن علي، ٧٩-١٢٢هـ/٦٩٨-٧٤٠م، علويّ من ذرية الحسين وابن عليّ زين العابدين. إنسب إليه، بعد الثورة التي لاقى حتفه خلالها، في آخر العهد الأموي، فرعٌ من الشيعة عُرفوا بالزيدية.

في الكوفة، في عهد الخليفة هشام، قاد زيد بن علي - الذي هو ابن الإمام الرابع المعترف به من قبل أتباع الإمامية الاثني عشرية والأخ غير الشقيق للإمام الخامس محمد الباقر - أول انتفاضة شيعية كبيرة. تابع ثورته، بعد مماته، ابنه يحيى بن زيد، في خراسان، فقتل بدوره مع أتباعه سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م.

سار على هذا النهج، في محاولات كثيرة مشابهة، قادة من الذريتين العلويتين الحسينية والحسينية، وهم علويّون ادّعوا الحق في الخلافة. جسّد هذا النهج نوعاً جديداً من الكفاح في سبيل السلطة، يقوم على مطالبة الإمام بحقه واستخدام السلاح لتثبيت شرعيته. تُنسب إلى زيد بن علي، فضلاً عن عنفه الثوري، مجموعة من المؤلفات الفقهية والكلامية قامت عليها العقيدة الزيدية التي حملت اسمه. ولكن، في الواقع، تجلّت هذه العقيدة في صيغتها الدقيقة في مؤلفات حرّرت في مطلع خلافة العباسيين، وفي القرن الذي تلا.

«راجع المستدرك»

الزيدية، حركة ظهرت في إطار التشيع، حوالي منتصف القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد. أعلنت مسؤوليتها عن ثورات العلويين التي تزعمها منذ منتصف القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، أشخاص

زيدو اليمن، ٢٨٤-١٣٨٨هـ/٨٩٧-١٩٦٨م، سلالة مؤلفة من سلسلة طويلة من الأئمة الزيديين، المتفرعين من عاشر متعددة، نجحوا في التجذر في هذه المنطقة خلال فترة الضعف التي مرّت بها الخلافة العبّاسية واستقروا تارة في صنعاء، وطوروا في معتقدهم الأمن في صعدة، مع فترات غابوا فيها عن مسرح الأحداث. وقد تبنّت إستراتيجية هؤلاء الأئمة، إلى جانب سلطات محلية أخرى، وخلال احتلالين سنتين للبلاد، احتلال الأيوبيين والرسوليين من سنة ٥٦٩هـ/١١٤٧م تقريباً، حتى سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م، ثم خلال احتلال العثمانيين من سنة ١٥١٧ حتى سنة ١٦٣٦م، ثم من سنة ١٨٥٠ تقريباً حتى ١٨٩٠. غير أنّ هذه الاستمرارية لم تتعرّض إلاّ وسط مصاعب متجددة، ما يسمح لنا بأنّ نميّز إنطلاقة أولى قامت بها سلالة بني زسي، تلاها ازدهار أكثر حداثة، يعود الفضل فيه إلى جهود الفاسيين. وقد استعاد هؤلاء عرش اليمن عام ١٨٩٠م على يدي حميد الدين يحيى، واستمرّت سلطنتهم على البلاد حتى العام ١٩٦٢. بقبضة حديثة.

ما تزال ظروف انتشار «الدعوة» الزيدية في اليمن، كما كانت في طبرستان، غامضة. وربما يعود ذلك إلى سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، إذا سلّمنا بما يقال عن النشاط الذي قام به في هذه المنطقة أحد العلويين من ذرية الحسن، المدعو ترجمان الدين القاسم الرّسي الذي تعود نسبه هذه إلى مُلك له في الحجاز.

وفي ما بعد، سحّت الظروف الإستراتيجية الخاصة بهذه المنطقة الجبلية البعيدة عن المركز لحسن آخر، من الأسرة نفسها، وهو الإمام يحيى الهادي إلى الحق، بأن يؤسّس دولة حقيقية. وكان هذا الإمام عالم كلام، لعب دوراً في تطوير الفكر الزيدي، أقام في صعدة وبسط سلطته على صنعاء مجاهدًا، في الوقت نفسه، ضدّ الإسماعيليين الذين حاولوا، في الفترة نفسها، توطيد وجودهم في المنطقة.

في الواقع، تمثّلت المصاعب الرئيسة التي واجهها خلفاؤه بالجهود التي حرّكتها ضدّهم السلطة المصرية الفاطمية، وهي في أوج ازدهارها، هادفةً إلى بسط سيطرتها على اليمن وبثّ دعايتها فيه. وابتداءً من سنة

المراكز الرئيسة للفرقة في اليمن وطبرستان/مازندران. إربط تجذّرهم الآخر، بخاصة، بالنجاح السياسي الذي بفضله بقيت إحدى سلالات أئمتهم مستقرة في الهضاب المرتفعة، جنوب شبه الجزيرة العربية. أمّا اليوم فإنّ الزيديين الذين ما زالوا يشكّلون أكثرية مطلقة في المنطقة التي انتجأوا إليها، يشكّلون أيضاً أغلبية في البلد بكامله حيث قدر عددهم بخمسة وخمسين بالمئة من مجمل السكان. يضاف إلى جماعتهم الزيديون المهاجرون إلى المملكة العربية السعودية ودولة الكويت والإمارات العربية المتحدة.

زيدو طبرستان، ٢٥٠-٣١٦هـ/٨٦٤-٩٢٨م، سلالة محلية يشر لها ازدهار التشيع في حصن الأمبراطورية العبّاسية أن تتجذّر إلى حين في شمال إيران، رغمًا عن بعض الصعوبات.

شجعت الأفكار الخاصة بالزيدية ثورة أحد العلويين المتحذّر من الحسن والمدعوّ الحسن بن زيد، وهو رجل حرب وفقه مثقّف في آنٍ معاً. إنّه تصدّى في طبرستان أو مازندران للظاهرين منذ سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م، إلّا أنّه اضطرّ مرتين للإلتجاء إلى غرب بلاد الديلم، قبل أن يُنشى في المنطقة سلطة غير مستقرة.

إنّ هذه الدولة التي أسسها هذا الإمام الزيدي والتي آلت، بعد وفاته سنة ٢٧٠هـ/٨٨٤م، إلى أخيه، استفادت، للمحافظة على وجودها، من الحماية الطبيعية التي تقدّمها المقاطعات الجبلية التي لم يكن سكّانها قد اعتنقوا الإسلام بعد، ما جعلهم يتقبّلون بسهولة عقائد الزيدية. بعدئذٍ، عقب الضمّ المؤقت لهذه الرقعة إلى أمبراطورية السامانيين المُتّمة، ظهر ثائر جديد، في العام ٣٠١هـ/٩١٤م، ينتمي هذه المرة إلى سلالة الحسين، تبنّت سلطته بجانب سلطة ذرية الحسين. بعد ذلك، يكتنف الغموض تاريخ الزيدية في المنطقة. لكن من المؤكّد أنّ التشيع طبع نهائيًا التوجه الديني لسكّانها، حتى الآونة التي استولى فيها الحشاشون، المتحدّرون من النزارية، على الإمارة الزيدية، وذلك ابتداءً من الفترة التي استقرّ فيها حسن الصباح في قلعة الموت في العام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م.

سانده مصر الناصرية وأدى، سنة ١٩٦٢، إلى إعلان جمهورية اليمن الشمالية العربية. إن العامل الحاكم آنذاك، الإمام محمد بدر، الذي وجد نفسه منزوع السلطة، ارتد إلى معتكفه، ولم يقدم نفسه بعدد على أنه إمام الزيديين، رغم أن هؤلاء كانوا يشكلون الأكثرية في البلاد. لكن مجلسه الخاص أعفاه من منصبه سنة ١٩٦٨. وهكذا حدث فراغ ما يزال قائماً حتى اليوم، وزاده تعقيداً الوضع الديني المضطرب منذ ذلك التاريخ.

الزيريون أو بنو زيري، إسم لسلالتين من أصل بربري حكمتا المغرب الإسلامي في العصور الوسطى، متحدرتين من القبيلة نفسها التي تنزع منها بنو حماد.

١ - زيريو إفريقية، ٣٦٢-٥٤٣هـ/٩٧٣-١١٤٨م. خلف زيريو إفريقية الفاطميين في عاصمتهم القيروان^(٥٣)، وسيطروا على قسم كبير من المغرب عندما نقل هؤلاء الخلفاء الشيعة مركز حكمهم إلى مصر بعيد استيلائهم عليها.

حتى سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م، ظلّ هؤلاء البربر الذين ينسبون إلى قبيلة صنهاجة يحكمون البلاد لمصلحة أسيادهم القدماء الذين خدمهم بصدق ولكن بن زيري في أثناء ثورة أبي يزيد. وقد وسعوا سلطتهم، في ما بعد، في اتجاه الغرب على حساب منافسيهم الزناتيين، ثم انقسموا، ابتداء من سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، إلى فرعين، فظهرت بذلك سلالة بني حماد التي رقت على عاقبتها حماية النصف الغربي من تلك الأراضي الواسعة. بعد هذا الانشقاق، شكّل حكم المُعزّ ذروة السلالة، وقد أمّن للمناطق التي سيطر عليها ازدهاراً ملحوظاً، فيما أكملت العناصر السنية في البلاد التي تحرّرت من نير الدولة الفاطمية، مطاردة الشيعة الباقين في إفريقية. دفعت هذه الحركة الشعبية المُعزّ، سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، إلى قطع علاقته بخلفاء القاهرة الذين انضموا منه بحريتهم عليه قياناً بنّي سليم العربية وقبائل بني هلال أو الهلاليين الذين كانوا مستقرين في مصر العليا.

كان لاجتياح الهلاليين، بحسب المؤرخين العرب، نتائج مفعجة للإقصاء الإفريقي، إذ تراجعت على أثره مساحة الأراضي الزراعية، لكن نتائج الأبحاث الحديثة لا تتفق حول مسؤولية هؤلاء البدو في الإنحطاط الذي

٤٥٣هـ/١٠٦٢م، سيطرت على صنعاء، وغالباً في جزو فوضوي، سلاطات متحدرة من قبيلة همدان المحلية التي اعتنقت الإسلام على والتي بقيت في السلطة حتى الغزو الأيوبي، حاملة اسم الصليحيين، على الرغم من ممارسات عابرة للسلطة من قبل أئمة صعدة الزيديين. حاصر الرسوليون السلالات الزيدية في عمق معاقها، وكانت هذه تتخطى في خلاقات داخلية. والرسوليون خلفوا الأيوبيين في الحكم وهم ستة مثلهم. وحذا حذوهم من بعدهم الطاهريون، وهم ستة أيضاً، وقد استقرّوا في الجنوب، حول عدن.

لم تنته عزلة الأئمة الزيديين إلا عندما واجه العثمانيون مطامع البرتغاليين للسيطرة على طريق الهند وتجارة الأفاريه، وذلك بعد أن ضمّ العثمانيون اليمن إلى إمبراطوريتهم في بدء القرن السادس عشر للميلاد، وحاربوا الدعوة الزيدية باسم المذهب السني. أعلن آنذاك الزيدون الجهاد لمواجهة الغزاة البرتغاليين.

وبعد قرنين من الزمن، قرّرت حكومة استنبول سحب الجيوش العثمانية سنة ١٦٣٦م، ولكنهم لم تحلّ أبداً عن سيادتها الإسمية على اليمن، وقد أرسلت إلى هناك فرقاً عسكرية لمواجهة الاضطامع البريطانية في منتصف القرن التاسع عشر. لقد فشلت كل المحاولات للقضاء على إرادة الأئمة العنيدة في الصمود، فتحصّنوا، أكثر من أي وقت مضى، في مضابهم العالية، وساعدتهم في ما بعد تغيير الوضع الدولي العالمي إثر الحرب العالمية الأولى.

في الواقع، أدت معاهدة سيفر سنة ١٩٢٠ إلى قيام مملكة زيدية شمال المحمية البريطانية في عدن. أطلقت عليها أحياناً صفة «المتوكّلية»، نيمّاً بالإمام يحيى محمود المتوكّل الذي أخذ حكمه الذي بدأ عام ١٩٠٤ حجماً جديداً. دامت ولايته حتى سنة ١٩٤٨ وتميّزت برفضها الدائم لكل تأثير أجنبي ولكل محاولات العصرية. شكّلت هذه السياسة انتصاراً لأفكار الزيدية الدينية وممارسة لسلطة مطلقة من قبل إمام أراد القضاء على كلّ قوى المعارضة، القبيلة منها والدينية. وقد تابع نهجه إثنان من خلفائه، فبقيا أمينين للسياسة نفسها. لكن هذه السياسة لم تستطع مقاومة التمرد الجماعي الذي

الذي قادهم وزراء من اليهود، إلى أن كانت المجزرة الشهيرة سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م. وقد أنهى الإحتلال المرابطي، سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، أمر السلالة، فنفي الأميران الأخيران منها إلى المغرب حيث توفيّا لاحقاً، وهما أمير غرناطة وأخوه أمير مالقة.

« رابع المستند ١١ و١٥.

زينب، إسم عربي حملته، مع بداية الإسلام، اثنتان من زوجات النبي محمد ﷺ واحدة من بناته.

أشهرهن هي أم الحكم زينب الأسديّة (٣٣ق.هـ- ٢٠هـ/٥٩٠-٦٤١م) التي كانت ابنة جحش بن رثاب ومن فريق المهاجرين. زوّجها النبي محمد ﷺ في المدينة المنورة لابنه بالتبني زيد بن حارثة. ولكنّ هذا الأخير طلقها فتزوّجها النبي ﷺ في العام الرابع للهجرة. هناك آيات قرآنية (سورة الأحزاب، الآيات ٣٦ إلى ٣٩) أنزلت على النبي ﷺ لتقضي على الشك الذي أصابه جرّاه هذا الزواج. كانت زينب مثار حسد من قبل سائر زوجاته بسبب ظروف زواجها، باستثناء عائشة التي كانت صديقتها.

زينب بنت خزّمة الهلالية، احتفل بزواجها أيضاً في العام الرابع للهجرة، فلم تحظ في المقابل بأية شهرة. تزوّجها النبي محمد ﷺ بعد أن قضى زوجها في معركة بدر، وقد ماتت بعد أشهر من ذلك. أما بالنسبة إلى زينب ابنة البكر للنبي محمد ﷺ، فقد وُجّهت من مشرك قبل انطلاق الدعوة بالإسلام، إلى أن كان العام السابع الهجري فتزوّجها شرعياً مرّة ثانية. ماتت زينب بعد سنة، وبحسب بعض التقاليد فقد نُقل جثمانها، في ما بعد، إلى القاهرة^(٥١) حيث يُكرّم ضريح يحمل إسمها منذ عهد الفاطميين. كما تُكرّم أضرحة السيدة نفيسة والسيدة سكينه والسيدة رقية.

اعتري تلك الفترة، على كل حال، إثر هجمات هذه القبائل، غل الزيريتون مركز حكمهم إلى المهدية. حيث باشروا استعادة السيادة على البحر من نورمان صقلية، من دون أن يستطيعوا إيقاف عمليات غزو المدن الساحلية ونهبها، والحؤول دون الوقوف في وجه الاستيلاء على عاصمتهم، سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، من قبل أسطول روجيه الثاني. لقد مات آخر الزيريين بعد أن التجأ إلى الموحدلين سنة ٥٦٦هـ/١١٦٧م، بعيداً من إفريقيا.

يوسف ولكن الأول بن زيري	٣٦١-٣٧٤هـ/٩٧٢-٩٨٤م
المنصور بن بكنين	٣٧٤-٣٨٦هـ/٩٨٤-٩٩٦م
بافيس بن المنصور	٣٨٦-٤١٧هـ/٩٩٦-١٠١٦م
المعز بن باديس	٤١٧-٤٥٤هـ/١٠١٦-١٠٦٢م
نسيم بن المعز	٤٥٤-٥٠١هـ/١٠٦٢-١١٠٨م
يحيى بن نسيم	٥٠١-٥١٠هـ/١١٠٨-١١١٦م
علي بن يحيى	٥١٠-٥١٥هـ/١١١٦-١١٢١م
الحسن بن علي	٥١٥-٥٤٣هـ/١١٢١-١١٤٨م

٢ - زيريو البيرة ثم غرناطة، ٤٠٢-٤٨٣هـ/ ١٠١٢-١٠٩٠م، حكموا بدورهم هذه المقاطعة الصغيرة من الأندلس في عهد ملوك الطوائف. إن بلغوهم حكماً مستقلاً بفصل العاصريين الذين استدعواهم جنوداً مرتزقة، يُبرز الدور المهم الذي نهض به آنذاك الضباط البربر في شبه الجزيرة الأيبيرية. إن النجاح الذي حقّقه السلاطات البربرية في مواجهة الأمراء المحليين، مثل الحمّوديين في مالقة، أدّى إلى ازدياد طموحاتهم بالرغم من المقاومة التي واجهتهم من قبل ملوك ذوي أصول عربية، كبنّي عبّاد في إشبيلية. إن ازدهار مدينة غرناطة المؤسّسة حديثاً والتي اختاروها في ما بعد مركزاً لهم، والمكانة التي كان يحتلّها فيها السكان اليهود الكثر، قد أثّرتا في التوجّه السياسي

س

بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر للميلاد، إمبراطورية مالي الممتدة حتى منطقة السهوب السودانية. وفي القرن التاسع عشر، في المناطق نفسها، أدى ظهور إمبراطوريات ذات طابع عسكري - عرفت بجهاد فُلْبة أو بول، ونشأ جهود رؤساء متعاقبين بدءاً من عثمان دان فوديو وصولاً إلى الحاج عمر نل - إلى توسيع رقعة نفوذ الإسلام. وقد ساهمت، إضافة إلى ذلك، في تنمية هذا التأثير وتركيزه طرائق صوفية كالمقادرية وخاصة التيجانية. زد على ذلك ما ترتب من آثار على حروب الفتح، وعلى المساومة بوجه تقدم القوات الفرنسية التي قادها، حتى ١٨٩٨، بطل مسلم من الماندنج، أصله من كَنَكَن في غينيا ويدعى ساموري توره، فافطع لنفسه، لسنوات عدة، إمبراطورية حول منطقة كونج.

وترسّخ الواقع الناشئ أكثر فأكثر بفعل مبادرات خارجية لحركة إصلاحية سلفية، متمثلة بالرهائية، أو بفعل خلايا من البدع تركتزت حديثاً هناك كالأحمدية؛ بينما كانت تنشط في الداخل شبكات التجار المسلمين المستنمين إلى إتيّة الهاوسا. نتج عن ذلك اندفاع سلبية للإسلام ما تزال مستمرة منذ بداية القرن العشرين، وبخاصة في المدن. وتسكنت هذه الاندفاعات تدريجياً من زعزعة المقاومة التي أبدتها تجاهها، منذ زمن طويل، شعوب السواحل والغابات.

سارايقو (البوسنة والهرسك)، هي العاصمة الحالية لدولة البوسنة - الهرسك، وقد لعبت الدور عينه خلال أكثر من أربعة قرون في منطقة البلقان التي كانت تحت سيطرة العثمانيين.

وكانت سارايقو عرضة لغزوات مختلفة من قبل الأتراك في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر

المساجينون أو بنو ساج، عائلة حكام أنراك من أذربيجان، لعبت دوراً مهماً عندما ضعفت سلطة العباسيين في القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد. تعود تسميتهم إلى جدّهم أبو الساج ديوداد، وهو قائد جيش تقلّد وظائف مختلفة في عهد المنوكل وخلفائه المباشرين في سامراء، لكنه فقد حظوته بعدما انحاز إلى يعقوب بن ليث الصفار، وتوفي سنة ٨٣١٠هـ/٨٧٩م. تسلّم ابنه محمد أفشين حكم أذربيجان سنة ٨٢٧هـ/٨٨٩م، وذلك قبل سنين من وفاته. أمّا ابنه الثاني يوسف فقد جعل من هذه المقاطعة مركز سلطة توسّعت جزاء فتوحاته إلى أن قتله، حوالي ٩٣٠هـ/٩٢٢م، القرامطة، وكان الخليفة المقتدر قد أرسله لمحاربتهم.

ساحل العاج (جمهورية)، دولة حديثة مستقلة في أفريقيا السوداء، تبلغ مساحتها ٤٦٢ ٣٢٢ كلم^٢ وعاصمتها ياموسوكرو، تقع على خليج غينيا، وتضم أقلية إسلامية كبيرة تبلغ نسبتها أكثر من ٣٣٪ من مجموع السكّان البالغ ثلاثة عشر مليوناً.

كانت هذه المستعمرة القديمة جزءاً من أفريقيا الغربية الفرنسية؛ وهي اليوم تجاور، على طول الساحل الأطلسي، دولاً تضم أقلّيات إسلامية أقلّ كثافة، لكن لها التأثير نفسه، كجمهورية غانا وليبيريا، من دون أن ننسى في الشمال جمهورية بوركينا فاسو. وكانت أراضيها دائماً على اتصال بالمناطق السواحلية التي تحيط بها من الشمال الغربي والتي دخلها الإسلام منذ زمن بعيد، وهي، اليوم، جمهورية مالي وغينيا. من هذه الجهة، كانت المنطقة الشمالية لساحل العاج مسرحاً لدعوة إسلامية تعود جذورها إلى الدور الذي قامت به،

تكيّفه معها واستيعابها. وهذا يذكرنا بالعقيدة الأشعرية - يمكنه بلوغ الاتحاد الصوفي. وهذه الآراء التي يُنلّس فيها مفاهيم معتزليّة وأفكاراً مستوحاة من عقيدة وحدة الوجود، كان لها تأثيرها لفترة طويلة في الأوساط السنية، حتى إنّ بعضها برز في عدد من أبحاث الغزالي. كما امتدّت إلى أفكار مثلي المدرسة الصوفيّة التي ازدهرت في الأندلس خلال القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وصولاً إلى الصوفي ابن العربي. كذلك انتقل عدد من مقلاتها المتواترة إلى الطريقة الشاذليّة.

سالونيك (اليونان)، مدينة مرثيّة في مقدونيا، على ساحل بحر إيجه، كانت جزءاً من عالم الإسلام لمُدّة خمسة قرون تقريباً، بعد ضمّها إلى الدولة العثمانية. عُرفت. هذه المدينة الغنيّة منذ القدم بنشاطها التجاري. وقد احتلّتها الجيوش العثمانية سنة ١٤٣٠م، وكانت قد دخلتها غير مرّة خلال الحملات السابقة في البلقان، ولكنها اضطرت إلى إعادتها إلى الميزنطينيين. وقد أقامت في المدينة جاليات إسلامية، ثم أخرى يهودية بعد إخراج اليهود من إسبانيا، وقد حافظ هؤلاء على لغتهم وتقاليدهم الدينية. وهذه المدينة التي تعرّلت كتابتها إلى مساجد استمرّت على ازدهارها التجاري واستفادت من عهود الأمان، أي «الامتيازات» التي مُنحت للغربيين. وفي مطلع القرن العشرين كانت سالونيك مفتوحة على المؤثرات الخارجية أكثر من إسطنبول، وهذا ما جعلها مركزاً للحركات المناهضة للسلطان عبد الحميد. فقبلها كانت تُقدّم اجتماعات جمعية الاتحاد والترقي، وريثة الجهود التي قامت بها حركة تركيا الفتاة. ومنها انطلقت ثورة ١٩٠٨ التي أدّت إلى سقوط السلطان. وقد خسرت تركيا سالونيك في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٢، خلال حرب البلقان، وأنلحت المدينة باليونان في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٣ بموجب إتفاقية أثينا.

◀ راجع المصندين ٢٠ و ٢٧.

سام بن نوح، شخصية توراتية لا يرد ذكرها في القرآن الكريم، بل يتحدّث عنها الكتاب المسلمون في قصص الأنبياء.

للميلاد، قبل وقوعها في أيديهم سنة ١٤٦٣م، وإلحاقها كلياً بالسلطنة العثمانية، وكانت تملك آنذاك قلعة حصينة مهمّة. وقد حافظت المدينة على أهميتها الإستراتيجية في هذه المنطقة الجبلية، واختيرت، مع مدينة «بثانوكا»، مقراً للحكّام المرسلين من قبل السلطة المركزية. وقد وقعت سارايو، لفترة قصيرة، بيد الأمير «أوجين» سنة ١٦٩٧، ولم تستطع الجيوش النمساوية استعادتها وضمّها إلى إمبراطوريّة آل هابسبورغ إلّا في سنة ١٨٧٨. ثم شكّلت المدينة جزءاً من دولة يوغوسلافيا الجديدة التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى، وقد شهدت اضطرابات متنوّعة على أثر تفكّك هذه الدولة ابتداء من سنة ١٩٩٢. فالألبنة المتنوّعة التي ورثتها المدينة من ماضيها الإسلامي، خصوصاً تلك التي شكّلت في القرنين السادس عشر والسابع عشر، قد زالت بمعظمها. إنّ مصير المدينة مرتبط بمصير البوسنة وتحتكّم به جزئياً مشكلات الانتماء الديني، ولا تزال نسبة عالية من سكّانها تنتمي إلى الإسلام.

سالار مسعود، غازي بيان، (؟ - ١٤٢٤هـ / ؟ - ١٠٣٣م)، أحد أولياء الهند المعروفين، وقبره في «بُهايش» بولاية «أتر برادش»، يكرّمه الهندوس والمسلمون على السواء.

نعتبره الأخبار القويّة التي جُمعت في عصر المغول ابن أخ لمحمود الغزنوي، وقد يكون استشهد خلال الحملة الإسلامية التي قادها محمود إلى تلك المنطقة.

السالمية، اسم مدرسة فقهية ذات ميل صوفيّة، انتشرت، في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، بمدينة البصرة بين السّنة من أتباع المذهب المالكي. وقد أسسها ابن سالم (توفي سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) تلميذ سهل الشّشّري.

لا يمكن التعرّف إلى الطروحات الخاصّة بهذه المدرسة إلّا من خلال شهادات خصوصاً الحنبلين. فبحسب هؤلاء، تقول السالمية بأنّ الله لا يكفّ في كلّ لحظة عن «المخلق»، وهذا ما يجعله حاضراً في كلّ مكان؛ وبأنّ إرادة الله غير مخلوقة، في حين أنّ قراراته مخلوقة؛ وأخيراً بأنّ المؤمن الذي يمارس الشريعة عبر

استطاع إسماعيل تقوية موقعه بعدما أنزل يعمر بن الليث الصفاري هزيمة قوية، وتسلم حكم خراسان مكلدا الطاهريين.

في منتصف القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد وبعد حكم نصر الثاني بن أحمد الذي بلغ معه السامانيون أوج ازدهارهم، بدأت علامات الضعف تظهر في أرجاء الأمبراطورية الواسعة التي كانت قد وصلت إلى كرماد من جهة، وإلى مازندران أو طبرستان من جهة أخرى فشهدت البلاد ثورات عديدة، قامت بعضها الأوساط الحاكمة احتجاجاً على المركزية المشددة؛ كما شهدت انقسامات مختلفة وغزوات البدو الأتراك. وقد توصل القراخانيون والغزنويون أخيراً إلى القضاء على السامانيين سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م، فاحتل الأتولون مدينة بخارى، وفر آخر أعضاء الأسرة من المدينة ومات سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م.

أحمد الأول بن أسد بن سامان ٢٠٤ - ٢٥٠هـ/٨١٩ - ٨٦٤م
نصر الأول بن أحمد ٢٥٠ - ٢٧٩هـ/٨٦٤ - ٨٩٢م
إسماعيل الأول بن أحمد ٢٧٩ - ٢٩٥هـ/٨٨٢ - ٩٠٧م
أحمد الثاني بن إسماعيل ٢٩٥ - ٣٠١هـ/٩٠٧ - ٩١٤م
الأمير السعيد نصر الثاني ٣٠١ - ٣٣٣هـ/٩١٤ - ٩٤٣م
الأمير الصيد نوح الأول ٣٣٣ - ٣٦٥هـ/٩٤٣ - ٩٦١م
الأمير المؤيد عبد الملك الأول ٣٦٥ - ٣٨٦هـ/٩٦١ - ٩٩٦م
الأمير السديد منصور الأول ٣٨٦ - ٣٩٠هـ/٩٦١ - ٩٦٦م
الأمير الرضي نوح الثاني ٣٩٠ - ٣٩٦هـ/٩٦٦ - ٩٩٧م
منصور الثاني ٣٩٦ - ٣٨٧هـ/٩٩٧ - ٩٩٩م
عبد الملك الثاني ٣٨٧ - ٣٩٠هـ/٩٩٩ - ١٠٠٠م
إسماعيل الثاني المستمر ٣٩٠ - ٣٩٥هـ/١٠٠٠ - ١٠٠٥م

سامراء (الجمهورية العراقية)، مدينة حديثة تُعتبر من الأماكن المقدسة عند الشيعة، تقع إلى جانب خراب مدينة كانت تُعد في القرن الثالث للهجرة/الناشر للميلاد، من أكبر عواصم الخلافة العباسية.

في سنة ٨٣٦هـ/٨٣٦م، أراد الخليفة العباسي المعتصم إبعاد حرسه من الأتراك عن مدينة بغداد المكتظة بالسكان، فقرر أن يختار لنفسه مقرًا جديدًا شمال المدينة، وسط الطريق الذي يصل تكريت ببغداد في محلة يتوزع فيها عدد من الأديرة المسيحية. فشيدت الأبنية الأولى الضرورية بالأجر غير المطبوخ على الصفا

سام هو الإبن البكر لنوح، أوكل إليه والده مهماتٍ مختلفة، وإليه ينتهي العرب بنسبهم. وقد كان بين الأنبياء المكرمين في القرون الوسطى، فأقيمت له مزارات في أماكن مختلفة بقصدتها عدد من المؤمنين، ويذكرها الهروي في دليله خلال القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، منها مزار في قرية نوى السورية في منطقة حوران، وآخر في اليمن. ويرد اسمه في لائحة الأنبياء المدفونين في كهف مدينة الخليل بفلسطين، كما يُنسب إليه بناء مدينة حران في بلاد ما بين النهرين العليا.

السامانيون (٢٠٤ - ٣٩٠هـ/٨١٩ - ٩٩٩م)، إسم سلالة شبه مستقلة، من أصل محلي، بسطت سيطرتها على خراسان وبلاد ما وراء النهر وشرق إيران، واستطاعت أن تقيم حضارة مميزة في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد.

يرجع السامانيون بنسبهم إلى أحد كبار الملاكين في منطقة بلخ، يُعرف باسم «سامان خُدا». وقد دخل أحفاده الأربعة في خدمة الخليفة العباسي المأمون بخراسان، فكفاهم بتعيينهم حكامًا على مدن عدة في المنطقة. وفي سنة ٢٦٦هـ/٨٧٥م، عين الخليفة المعتصم ابن أخدهم، وهو نصر بن أحمد، حاكمًا على مقاطعة ما وراء النهر، فاستطاع الدفاع عنها ضد الهجمات التركية. وقد خلفه أخوه إسماعيل سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م، فكان أول أمير جعل حكمه شبه مستقل، إذ أفاد من استقلالية مالية، وذلك في الوقت الذي كان ازدهار الدولة الصفارية في سحستان يتزامن مع انحطاط الدولة الطاهرية. وقد هاجم إسماعيل الأتراك ونهب عاصمتهم نلاس، كما آمن الفتن والازدهار الاقتصادي لدولته بإقامة الرقابة على طرق القوافل في آسيا الوسطى. وهذه القوافل كانت تهتم، على الأخص، بنقل العبيد الأتراك لتجنيدهم في جيش الخليفة، وذلك في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة/أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر للميلاد. وفي عهده أصبحت العاصمة بخارى مركزًا للنشاط التجاري والحرفي، كما تحولت مركزًا فكريًا تُدرس فيه الآداب العربية والآداب الفارسية التي كانت في مرحلة تجدد. وفي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م،

العشرين وما تزال مستمرة إلى اليوم، واستطاعت لفت الانتباه إلى عدد من الأبنية التاريخية المشهورة. وهي تم تنوّل إلى إعطاء فكرة واضحة سوى عن بعض أشكال التنظيم الهندسي، ولكنها استطاعت أن تكشف، عبر أساليب الزخرف الخاصة بسامراء، خصائص الفن العباسي الكلاسيكي الذي اختفت معالمه في أمانة أخرى. يضاف إلى ذلك أنّ التنقيب في هذا الموقع لم يُجز بشكل منهجي، ولم تُنشر نتائج الأعمال الأولى التي كانت في أغلب الأحيان سطحية، بينما كان من المفروض أن تُظهر لنا أهمّ البقايا الأثرية.

نحن ما تزال مثلاً نجهل كيف كان تنظيم القصر الرئيسي، وهو «الجوسق الخاقاني» الذي بوشره على عهد المعتصم وكان يغطي مساحة كبيرة. فلم نعرف فيه إلا إلى عدد من الأبنية المتتالية وإلى بناء سكني رئيسي مرّود ببيانات تفتح على ضفاف دجلة. وقد كان هذا القصر متصلاً بالمسجد الجامع عبر جادة عريضة تسمح للخليفة بأن ينتقل بموكب إلى المسجد لكي يترأس الصلاة. أمّا المسجد الجامع نفسه، فما يزال قسم منه قائماً وقد تمّ ترميمه، والمعروف أن بناءه، بشكله الحالي، يعود إلى عهد الخليفة المتوكل. وكانت جدرانه ترتفع وسط مساحة كبيرة، ورفعت فيه منندة زُودت بمطلع لولي الشكل من الخارج، وأطلق عليها اسم الملوّية.

من أهم القصور التي تمّ التحقق منها جزئياً، قصر «بَلْكَوَار»، وكان قد بناه المتوكل لأحد أبنائه، وهو يطلّ أيضاً على دجلة. إلا أنّ القصر الذي ما يزال محفوظاً أكثر من سواه هو الذي يُعرف باسم قصر العشيّ ويقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة. كما أمكن التعرف، وإن بشكل تقريبي، إلى الأماكن التي جعلت مساكن للمحاربين من المماليك الأتراك. والمعروف أنّه حُفّر على هؤلاء الاختلاط بالعرب، وقد زُوّجوا جميعاً من جواري تركيات حي، بهنّ خضياً لهذه الغاية. أمّا مدينة الجعفرية التي أسسها المتوكل وفيها أراد إظهار سلطته، فقد نُظمت بشكل مشابه حول قصر لم يخضع قط، حتّى يومنا، لأعمال الحفريات. وقد شيد في الجعفرية مسجد جامع متصل بالقصر عبر جادة عريضة. وهذا المسجد

الشرقيّة لنهر دجلة، بمحاذاة قناة تجري فيها المياه من الأعالي، ما ساعد على تأمين الخصب لتلك المنطقة بفضل عمليات الري. وقد عزلت هذه القناة المدينة الجديدة وجعلت تحصينها غير ضروري. وسامراء، التي قُسم اسمها بأنه تحريف لعبارة «شُرّ من رأى»، ضمت أبنيتها الفنادق والقصور من أجل سكن الخليفة وحاشيته، وأبنية للأعمال الإدارية، ومسجداً جامعاً، وأراضي زُرعت فيها ثكنات الجيش التركي، وأحياء سكنية وأسواقاً تجارية. وقد امتدت كل هذه الأبنية على مسافة عشرات الكيلومترات على طول ضفة دجلة، وتكاثرت في عهدي الخلفيتين المعتصم والواثق، حتّى وصلت إلى أقصى مداها في عهد المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م). ونورّعت المنشآت الجديدة في الجنوب كما في الشمال، حيث أقام المتوكل قصر الجعفرية وسكنه مدة سنة أشهر، وأمسى مهجوراً بعد مقتله. وبقيت سامراء، رغم ذلك، عاصمة الخلافة العباسية حتى سنة ٨٧٩هـ / ٨٩٢م، وهو التاريخ الذي قرّر فيه المعتصم الانتقال إلى بغداد قبيل موته.

بعد هذا التاريخ ظلت سامراء مسكونة، ولكنّ الانحطاط دبّ فيها، وأخذ يزداد بسبب إهمال الزراعة في المناطق المجاورة. إن المجتمع الأستقراطي الذي كان يجاور تجمّعات سكنية عدّة، كلٌّ منها على مقربة من قصر مع ثكناته العسكرية، تحوّل بسرعة إلى نواة لمدينة واحدة تضمّ أمانة محتملة بالذكريات، يكرّمها الشيعة الإنسا عشرية، وقد تحوّلت إلى مقامات بجلّونها. وقد شُيّدت الأبنية الأولى في منتصف القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وضمت تيزي الإمام العاشر علي الهادي، والإمام الحادي عشر الحسن العسكري، ومكان غيبة المهدي، الإمام الثاني عشر محمد المهدي. وبقي حول تلك الأبنية عدد من المنازل شكّلت مدينة صغيرة استمرت ناهضة بفضل تدفق الزوّار.

والخرائب التي ما تزال قائمة والتي لا تظهر معالمها جليّة إلا بواسطة التصوير الجوي، تنتشر على مسافة تصل إلى خمسين كيلومتراً طولاً وحوالي ثمانية كيلومترات عرضاً. إنّ الحفريات التي عالجت أكوام الخرائب هذه كانت محدودة وقد بدأت في مطلع القرن

وكونها محطّة على ملتقى إستراتيجي لطرق القوافل التي تصل العراق وشرق المتوسط بخراسان وآسيا الوسطى، مروراً بهذمان والرّي. وسواء التي كانت متّصلة بهاتين المدينتين، وكذلك بقروين في الشمال وأصفهان في الجنوب، كانت تميّز بتحصيناتها وبمسجدها الجامع وأسواقها، التي ذكرها الجغرافيون العرب ابتداءً من القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد. وفي سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، اجتاحت المغول المدينة، وخربوا مكنيتها العامرة وهدموا المرصد الذي كانت تملكه، ولم تستعد ساؤه بعد ذلك عرّها الماضي. ما يزال في المدينة مسجداً جامعان يعود تاريخهما إلى القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، إلى جانب مئذنتين تعودان إلى القرنين الخامس والسادس للهجرة/الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، وهما تمثلان القرن المعماري زمن السلجقة الكبير في إيران.

السياهي، كلمة تركيّة تشير إلى الخيالة في الجيش العثماني الذين كانت أجورهم تؤمّن عن طريق نظام التيمار.

في بداية الأمر، كان في إمكان السياهية أن يكونوا من أبناء الأرستقراطية المسيحية المحليّة. لكنّ هذه العادة توقّفت في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، وأصبحوا في عهد السلطان سليمان القانوني كلّهم من المسلمين. وكان عليهم أن يؤمّنوا بأنفسهم أمتعتهم وجيادهم. أمّا سلاحهم فكان تقليدياً: قوس، ترس، سيف، رمح ومقوّعة. وكانوا يُعبّأون خلال الفترة الزمنية التي تستغرقها الحملة العسكرية التي كانت تمتدّ عادة من الربيع إلى الخريف، وقد تدوم أكثر من ذلك عند الاقتضاء. وقد ألغى نظام السياهية، كما الإنكشارية، سنة ١٨٢٦.

سَبْتَة (إسبانيا)، مدينة مرفئية تقع على الضفة المغربية لمضيق جبل طارق، كانت في القرون الوسطى جزءاً من المغرب المسلم.

هذه المدينة الواقعة بين طنجة وتطوان، تحتلّ اليوم موقعاً في شبه جزيرة تتّجه من الشرق إلى الغرب وتشرف على وسطها هضبة تسمّى مونت ديل هاخو (Monte del Hacho). وهي تنظّم حاليّاً على شكل

الذي عُرف باسم «أبر دلف» كان سقفه قائماً من قبل على أعمدة داخلية من الأجرّ المشوي، وهي لا تزال محفوظة. ومسجد المعتمد، كان ينتصب فوق ساحة واسعة محاطة بجدران، وكان محفّراً هو أيضاً بمئذنة لولبية الشكل.

إنّ بقايا هذه الهندسة الضخمة - ذات الأبنية المشيّدة على عجل بمكتبات من الأجرّ غير المطبوخ في أغلب الأحيان، وذات الجدران المكسوة بزخرف غنيّ من الجصّ وفيها قباب وأقواس مُحكمة البناء - تعود إلى حقبة لا تملك عنها إلاّ شهادات أدبيّة. لذا تشكّل هذه البقايا شهادات تاريخيّة ذات أهمية استثنائية، حتّى إن كانت مسألة الإفادة منها لا تزال تتطلّب جهداً كبيراً.

◀ راجع المستدبر ٤٥ و٤٦.

سانتاريم بالبرتغالية، وشتتين بالعربية (البرتغال)، بلدة تقع في الوادي السفلي لنهر التاج، حافظت خلال القرون الأربعة من تاريخها الإسلامي على دور إستراتيجي كمركز حصين يؤمّن حماية المنطقة الوسطى من غرب الأندلس.

إنّ القيمة الدفاعيّة العادة إلى موقعها الطبيعي وغنى أراضيها الزراعية ساعدتا المدينة، منذ دخول الجيوش العربية - الإسلامية إليها خلال الفتوحات الكبرى بين سنتي ٩٥ و٩٦هـ/٧١٤ و٧١٥م، وحتّى استعادتها من قِبَل المسيحيّين سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م، على المحافظة على نفوذها كمركز عسكري وإداري. حتّى إنّ الهجمات المتكرّرة التي تميّزت لها من قِبَل أمراء البرتغال، والتي كانت ناجحة أحياناً، لم يكن لها تأثيرها على تنظيم المدينة التي تميّزت بأحيائها الأرستقراطية وبقلعتها وبضواحيها المزدهرة. إنّ بقايا هذه العناصر لا تزال ظاهرة حتّى اليوم.

◀ راجع المستدبر رقم ١٩.

ساؤه (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة تقع اليوم على الطريق التي تصل طهران بمدنيّتي قم وأصفهان، كانت في القرون الوسطى مدينة مهمّة في مقاطعة الجبال في إيران الوسطى.

توافر الغنى لهذه المدينة بفضل نشاطها التجاري،

إلى المذهب الشافعي، الذين عاشوا في القاهرة وفي دمشق في عهد المماليك. ويجدر التوقف في الحديث عن اثنين منهم على الأقل.

- تقي الدين أبو الحسن علي السبكي (١٢٨٤-١٣٥٥م)، ولد في مصر السفلى ودرس في المركزين الفكرين الأساسيين، أي مصر وسوريا حيث انصرف في ما بعد إلى التدريس فدرس أولاً في القاهرة، في المدرسة الملاصقة لجامع ابن طولون. ثم وُلّي القضاء في دمشق، واهتم بالتدريس والخطب، قبل أن يعود إلى القاهرة حيث توفي. وقد ترك حوالي مئة وخمسين مؤلفاً في الفقه، منها «شفاه السقام في زيارة خير الأنام» والابتهاج في شرح المنهاج.

- تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكي (٧٢٧-١٣٢٧-١٣٧٠م)، اشتهر، على الأخص، بمجمعه الكبير «طبقات الشافعية الكبرى» الذي يُعتبر مصدراً تاريخياً مهماً غنياً بالمعلومات. ولد في القاهرة، وانصرف إلى التدريس والخطبة والقضاء في دمشق. سُجن بضعة أيام بتهمة الابتزاز، ثم أُخلي سبيله ورُدَّ إليه اعتباراً. ولهذا القضيّة عدد كبير من المؤلفات الأخرى.

السجاد (صناعة السجاد)، هي صناعة حرفيّة نمت في معظم البلاد الإسلامية، من آسيا الوسطى إلى الهند والمغرب، وتوافرت لها في المجتمع الإسلامي شروط مناسبة لازدهار تقنياتها. وكانت تلك الصناعة، في بادئ الأمر، ميزة الشعوب البدوية.

ويبدو أنّ تقنيّة السجاد المحبوك التي كانت شائعة في منطقة ألتاي (Altai)، في أواسط آسيا، قبل مجيء المسيح، عرفت الدولة العباسيّة في عصرها الأوّل، ودلّينا على ذلك قطع السجاد التي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين؛ كما عُرِفَت تلك الصناعة أيضاً في ما بعد في الوسط الفاطمي. لكنّ التحف التي صُنعت في محترفات العالم الإيراني - التركي إعتباراً من القرن الخامس عشر الميلادي، هي القطع الأولى المحفوظة والتي تدلّ على مسار تطوّر هذه الصناعة التي صار يشتملها الغرب المسيحي منذ ذلك الزمن، وعُرِفَت باسم «السجاد الشرقي»، الذي استوحى منه، في ما بعد إنتاج مقلّد،

مدرج قائم على جوانب هذه الهضبة. وما تركّز تنصّص أجزاء قديمة تقع على قاعدة البرزخ الذي يربط شبه الجزيرة باليابسة. وفي هذا المكان كانت تقوم في السابق المدينة البيزنطيّة التي كان يملُكها الكونت يوليّان، في فترة الفتحوات الكبرى العربيّة - الإسلاميّة، والذي استسلم لعمّيق بن نافع عندما حاصره، وكان من شأن ذلك أن سهّل لاحقاً مرور طارق وجيشه نحو الأرخبيل الأيبيري.

طُرأت على سبّعة التي دخلت في الإسلام منذ ذلك الوقت، متغيّرات عدّة، قبل أن تصبح جزءاً من مملكة الإدارة. فقد احتلّها، عام ٩٣١هـ/٩٣١م، الخليفة عيد الرحمن الثالث أشهر أملاك سلالة أمويّ قرطبة؛ ثم إنّ المصاعب التي أدّت إلى إسدال الظلام على مصير الأندلس أوقعها في أيدي المرابطين عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، والموحّدين عام ٥٤١هـ/١١٤٦م، مع ما رافق هذه الفترات من ثروات متفرقة. إلّا أنّها، خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، بفضل أنشطتها التجارية، شكّلت مركزاً فكرياً مهماً احتضن علماء مسلمين عدّة اضطروا إلى مغادرة مقرّات إقامتهم الإسبانية.

بعد ذلك تكيّفت سبّعة بصعوبة مع حكم بني مرّين، وتمكّنت، في مناسبات عدّة، من التحرر من وصاياهم. وجعلت النجاحات البحرية التي حقّقها المسيحيّون بعد فترة وجيزة على الجهة الأخرى من المضيق، من سبّعة، مُلكيّة برتغاليّة عام ١٤١٥م، ومن ثمّ إسبانيّة عام ١٥٨٠. وقد واجه الإسبان صعوبات في الدفاع عنها بوجه هجمات العلويّين أسياذ المغرب الجدد، ثم بوجه هجمات القبائل المجاورة. ووقعت سبّعة تحت الحماية الإسبانية الممتدة على المنطقة في بداية القرن العشرين. وبعد تخليّ إسبانيا عن مبدأ الحماية في العام ١٩٥٥ عند اعترافها بالملكة المغربيّة المستقلّة، بقيت سبّعة، كما مليّة، أرضاً ملحقّة بإسبانيا وما تزال تسيطر عليها بسبب موقعها الإستراتيجي.

«راجع السندتان ١٦، ١٩».

السبّعيّة ← الإسماعيليّة.

السبّكي، إسم حمله عدد من الفقهاء والعلماء الممتنّين

كي يُستخدم، إمّا في المساجد حيث طُوّرت طفوس الصلاة استعماله، وإمّا في منازل الأغنياء. لأنّه شكّل الأثاث الوحيد الملائم لمنطق الحياة اليومية في وجهها الخاص والعام. كان الناس ينأمنون على السجّاد، بأكلون عليه ويستقبلون زائرهم في المجالس الحميمة وفي الاحتفالات. وكان السجّاد يوضع على الأرض مباشرة أو يُستعمل غطاءً لأفرشة ومخدّات متنوّعة.

ترتبط قيمة السجّاد بالوقت المستهلك في حياته، وهو يقاوم البلى بقوة. ولا نعرف عن الإنتاج القديم منه إلّا ما يظهر في المنمنمات الشرقية المصنّعة، أو حتى في اللوحات الغربية، التي نذكرنا بالرواج الذي كانت تلقاه مثل هذه القطع في المنازل الفخمة الشرقية والغربية على حدّ سواء. من المؤكّد أنّ هناك بعض القطع أكثر حداثة قد سلمت من الدمار، وهي محفوظة اليوم ضمن مجموعات خاصّة أو عامّة، وتعتبر من المجموعات النماذج التي يبحث عنها الهواة. كما أنّها تمثّل إنتاج البلد أو المنطقة التي حاكمتها (الأناضول، القوقاز، فآزس، خوزستان، كرمان، إلخ.). كما المدن (بورصة، هراة، بخارى، اسطنبول، القيروان، قرطبة، شُشار، تبريز...) وقد ظلّت هذه الأسماء مرتبطة بمدارس شهيرة عدّة، لا نعرف إلّا القليل عن تاريخها وخصائصها. وهذه القطع، التي هي عادة من نوعيّة فريدة، أفسحت في المجال للقيام بدراسات إيقونيّة تعالج تطوّر الزخارف التركية أو الزخارف الإيرانيّة من نوع «السجّادة - الحديقة» مثلاً.

بيد أنّ فنّ المساجد الإسلامي الذي تمتدحه كثيرًا لم يشكّل، حتّى الآن، موضوع أبحاث علميّة تسمح بنجاح ومرتبة تدوين مصطلحاته وتصنيفاته، وهي تقريبية ومنقّرة. وحده الإنتاج الأناضولي كان، مؤخرًا، موضوع دراسات تناولت أساليب زخرفته ومكنت من تقديم نظرة شاملة عن تطوّر أبرز اتجاهاته منذ عهد سلاجقة الروم.

سجستان، مقاطعة في إيران الإسلامية خلال القرون الوسطى، جنوبي خراسان، امتدّت نحو المنخفض الذي تحتله اليوم بحيرة هامون داخل جمهوريّة إيران الإسلامية من جهة، ونحو المناطق المجاورة لودي «جلمشد» في

كان من النوعيّة الرديئة بوجه عام، ثمّ إنتاج ضئيل ازدهر في أوردوبا. وفي الفترة عينا ازدهر في المغرب نوع من الإنتاج المحلي، طابعه ريفي ومديني في آن معًا، ظهرت فيه بعض التأثيرات الشرقية.

إنّ أصالة صناعة السجّاد، إذا ما استثنينا الصنف الخاص المعروف بالـ «كليم»، لا تقوم على الحياة بل على تقنية مؤداها أنّ تُعقد باليد قطع صغيرة من الصوف وأخرى من الحرير على خيوط مشدودة. ويتمّ عقدها بمراعاة طرائق ثلاث مختلفة، تميّز بينها أنواع العقد المعروفة بالتركيّة، والعجميّة، والإسبانيّة. كانت هذه الطرائق المختلفة تعطي، في أحد وجهي السجّادة، بنية حبكة متينة، وفي الوجه الآخر صفحة من الصوف أو الحرير نفاوت سماكتها بين قطعة وأخرى، وكانت النماذج ذات الوبر المسود تستأهل نعتها بالمخمليّة. وتعود دقّة الرسم إلى عدد العقد الظاهرة في السنتيمتر المربع. أمّا الزخارف المعتمدة فتتألف ألوانها بانسجام بفضل طبيعة المواد المستعملة. وفي جميع الحالات، كان يقتضي تنفيذ هذا العمل الطويل والدقيق نولاً عمودياً بسيطاً قابلاً للنقل عند الاقتضاء، من دون أن يلحق به ضرر، على يد جماعات اعتادت الترحال منذ القدم. فالقبائل العربية أو قبائل البربر، كما القبائل التركية أو الإيرانيّة، ساهمت من دون شك بالطريقة عينا - في الماضي كما في الحاضر حيث ظلّت قوّة لطريقة عيشها التقليدية - في ازدهار هذه الصناعة البدويّة التي تلائم العمل تحت الخيمة، وتوفّر مستلزمات ضروريّة للحماية وللراحة اليومية.

لكنّ هذه الظروف الأولى، المناسبة والمرتبطة بمنطق حياة قديم في البلاد شبه الصحراويّة حيث نما الإسلام، لم تكن وحدها المؤثّرة في تطوّر صناعة السجّاد. ففي محترفات الحواضر في العصور الوسطى التي كانت تؤمّن حاجات التجارة المحليّة والخارجيّة، وكذلك في تلك التي كانت قائمة في القصور والتي أنشئت لتبليّ مباشرة أدواق الحكّام رعاة الفنون، عرفت صناعة السجّاد أكبر نجاحاتها وحسّنت تقنياتها الزخرفيّة، وفقًا لأساليب متوارثة خاصّة بكل عصر أو بمنطقة ما. كان السجّاد يؤمّن للأرض غطاءً ناعمًا وملوّناً

أميراطوريتا المغول والصفويين. وقبل ذلك كانت أهميتها قد تأكدت بالنسبة إلى الدول التي أنشئت حول غزنة أو كابل، وكانت تؤثر على خيارات الغزنويين والغوريين السياسية، وحتى على خيارات حكام مقاطعات بعيدة كالإيلخانيين والتموريين. وانطلاقاً من منتصف القرن الثامن عشر، اشتد التنافس على المنطقة مع اتساع سلطة السلالة الجديدة التي سيطرت على شمال أفغانستان والتي تعود بأصلها إلى منطقة قندهار: فاندزانيون، كما الباركنزيون، ناضلوا من أجل الحفاظ على سلطتهم في منطقة كانت محط أنظار طموحات دول خارجية: الهند وبلوشتان وإيران. وبقي الوضع غير مستقر مدة طويلة، إلى أن قام البريطانيون سنة ١٨٧٢ بتثبيت الحدود، فافصلت سجنان عن باكستان في الشرق والجنوب، وعن إيران في الغرب، على المنحدر الآخر لمتنخفض هامون.

◀ راجع المستندات ١٢، ١٣، ٣٥، ٤٧ إلى ٤٩.

السجستاني ← أبو داود.

سجللماسة، مدينة في تافيلالت هي اليوم مهدمة، كانت على حدود الصحراء، وتمتعت بشهرة كبيرة في المغرب القروسي.

تأسست هذه المدينة في القرن الثاني للهجرة، سنة ١٠٤هـ/٧٥٧م، قبل مدينة فاس، وأصبحت مركزاً للخوارج، وكان سكانها من البربر الذين يكتنف الغموض تاريخهم. والمعروف أنّ مؤسس الدولة الفاطمية، عبيد الله المهدي، اضطر إلى أن يلجأ إليها في ما بعد، وفيها سُجن إلى أن حرّره الداعية أبو عبد الله.

يرجع الازدهار الذي عرفته سجللماسة إلى نشاطها التجاري الذي قوي بفعل موقعها على ملتقى طرق القوافل. وقد أفادت من موارد الواحات المجاورة، وكانت على علاقة بمدن المغرب الشرقية والغربية من جهة، وبما كان يُعرف بالسدود الساحلي من جهة أخرى. وهذا ما جعل الجغرافيين العرب يتكلمون عنها بأسهاب، ومنهم أبو عبيد البكري والإدريسي. وقد جاء انحطاطها بعد الدور الذي لعبته في بداية الدولة

دولة أفغانستان من جهة أخرى.

هذه المنطقة ذات الواحات الخصبة والمعروية بغزارة في الماضي، امتد إليها التصحر تدريجياً، إلى أن أنجزت فيها حديثاً مشاريع للري، ويعود غناها إلى ما يقده نهر «هلمند» من طمي لثريتها. وقد حافظت على ازدهارها القديم لفترة طويلة بعد وصول الجيوش العربية الإسلامية سنة ٢٤هـ/٦٤٤م خلال الفتوحات الكبرى، في عهد الخليفة عثمان بن عفان. وقد توغلت تلك الجيوش داخل المقاطعة في بداية الحكم الأموي، ولكنها لم تستطع مواجهة ممالك زابلستان الوثنية. ثم تابعت الجيوش الفاتحة تقدمها نحو مكران، وسكنت طريق القوافل التي تمر عبر الهضبة الإيرانية جنوبي الصحراء المالحة، لتصل إلى السند مروراً بالمسالك الضيقة المجاورة لمدينة كويتا في باكستان الحالية. وكانت الفرق المحاربة تنزل قرب المجاري المائية المهمة خلال مسيرتها. وقد ساعدت وفرة المحاصيل الزراعية والموارد التجارية - على الرغم من وجود مناطق مقفرة في الجوار - على تطوّر عدد من المدن النشطة، منها بُست /شُكري بازار في مقاطعة زمين دوار، وبعيداً منها قندهار.

كانت سجنان من المناطق التي صعب إخضاعها. فكثيراً ما كان الولاة المسلمون يصطدمون بثورات محلية ويتعرّضون لهجمات جيش ملك كابل. إلّا أنّ العباسيين، في زمن الخليفة المأمون، استطاعوا، في مطلع القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، أن يخضعوا سجنان نهائياً للخلافة. وتبع ذلك ظهور مملكة الصفاريين التي ضمت مناطق واسعة كانت سجنان مركزها. وبعد فترة قصيرة وسّع الغزنويون والغوريون مجال سيطرتهم، خصوصاً باتجاه الحوض الأعلى لنهر «هلمند» بين قندهار وبُست، فجاوروا المقر الملكي في شُكري بازار. أمّا مدينة زرنج المصحّلة اليوم والبيدة من مدينة زاهدان الحالية، فقد بقيت، حتى تدميرها الكامل على يدي بنمورثك سنة ١٣٨٣م، عاصمة المنطقة كلها.

مع قدوم القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، دارت معارك فاسية لامتلاك سجنان، فتنازعت مملكتها أميراطوريتا الهند وإيران الإسلاميتان، وكذلك

الحنبلي الذي اعتبرها نوعاً من الشرك.

سحتون أو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ١٥٩-١٢٤٠هـ/٧٧٦ - ٨٥٤م، فقيه سني شهير من القيروان، قام في هذه المدينة بدور ناشط في الدفاع عن المذهب السالكي.

بعدما رحل سحتون إلى المشرق للأخذ عن تلامذته مالك، إذ لا يمكننا التأكيد أنه التقى مالكاً نفسه، عاد إلى القيروان سنة ١٩١هـ/٨٠٧م وكتب، في ما كتب، مؤلفاً كبيراً بعنوان «المدة»، وفيه يشرح بوضوح محتوى مقالة أساسية لمالك هي «الموطأ». في حين أن أنشطته في التدريس ساهمت كثيراً في نشر المالكية في إفريقية، ولهذا كانت له مشاحنات مع ملوك ذلك العصر وهم الأغلبية الذين كانوا يدعمون المعتزلة. لوحق، حتى إنه سُجن، لكنه سرعان ما أُفرج عنه بفضل نبيل في سياسة أسباط البلاد، فأصبح قاضياً في سُرّ متقدمة. ويصفه هذه، لم يكتب بإقامة العدل بإنصاف، بل جهد أيضاً في محاربة العقائد التي كان يراها فاسدة، وبقي موضع تقدير وتكريم عامين.

سدود - الماء.

سَرَّازِين (Sarrasins)، هو اللفظ الفرنسي لعبارة سراسين المستعملة في الغرب المسيحي في القرون الوسطى للدلالة، في المبدأ، على المسلمين عامة، ولكن اللفظة كانت تنطبق بتوسع خاص على المسلمين الذين استقروا في جنوب فرنسا في القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد.

بين سنتي ٢٧٢ و٢٧٣هـ/٨٨٥ و٨٨٦م، دخلت إلى فرنسا، من طريق البحر، مجموعات من المسلمين وأقامت في منطقة جبلية أطلق عليها الجغرافيون العرب اسم جبل القبال، وهي التي تنطبق على ما يبدو، على جزء من المنطقة التي مازالت تعرف حتى اليوم باسم «جبال المور» (Les Maures). استقر هؤلاء الغزاة - الذين نهجوا البلد الذي ينتمون إليه - على الأخص في منطقة «فراكسينيه» (Fraxinet)، وهي المنطقة التي تملو خليج «سان تروبي» (Saint-Tropez). وفي مطلع القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وانطلاقاً من هذا

القرينة. ثم كان الأهمال الكلّي في محيط أمسي معادياً. يشهد على ذلك الوصف الذي تركه لنا المؤرخ ليون الأفرنجي في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، وذلك قبل زيارة «رينيه كايه» (René Cailié) سنة ١٨٢٨ بمدة طويلة. ولم يختلف هذا الأهمال إلا معالم أثرية لم تُدرس بعد، في منطقة من مملكة المغرب قريبة من الحدود الجزائرية.

« رابع المستندات ١١، ١٤، ١٩.

السحر (أعمال -). ما تزال أعمال السحر مستمرة حتى اليوم في بعض الأساطير الشعبية الإسلامية، وقد نشأت في العالم الإسلامي القروسطي، مترافقة مع انتشار فنون الكهانة والتنجيم وعلوم أخرى خفية كالخيمياء.

هذه الممارسات، ذات الأصول السابقة لمجيء الإسلام، تعود إما إلى تقاليد قديمة محلية، وإما إلى معتقدات شعوب العالم القديم. وكانت تنتقل، غالباً، بطرائق باطنية، لكن بعضها كان يحظى بتسامح رجال الدين الذين كانوا يحترمون بعض أشكالها، لكنهم يفضون الطرف عن بعض السحرة الذي يفتنون للإنسان مساعدة وحماية، يستأذن إلى قوى خفية. وفي الواقع، فإن الإسلام يُقر بوجود وسطاء بين عالم الأرواح والعالم المادي، كالجنّ والملائكة وبعض الأولياء والمنصوفين، بحسب بعض المفاهيم. والرسول نفسه (ﷺ)، بحسب التقليد، عانى هذه الممارسات، وللمساعدة على محاربتها أنزلت عليه سورتان في القرآن الكريم (السورة ١١٣ والسورة ١١٤).

ثمة وسائل مختلفة كانت مقترحة على المؤمنين الذين يخشون شر الأرواح، أو سعيها لتشتتاً للجو، إلى بعض الرُقي أو استعمال الأحجية التي تتضمن نصوصاً مخطوطة، تشتمل بعض الآيات القرآنية - كالنص الذي يُذكر فيه «أهل الكهف» - وذكر الأسماء الحسنى، فضلاً عن بعض العبارات الغامضة. بعض الحلّي والمواذ، كالخواتم والحلق، والكؤوس المعدنية التي تحمل كتابات، وبخاصة بعض الحجارة المقدسة، كانت معتمدة كتلاسم شافية. كانت ممارسة السحر محزنة بحسب الفقهاء وعلماء الدين المتشددين كابن تيمية

(l'Ancien)، من القرن الأول للميلاد، يشير إلى أن التعبير «سراسين» يُطلق على قوم في شبه الجزيرة العربية يشبهون التموديين، أي أبناء قبيلة ثمود القديمة. ومن جهته يذكر الجغرافي اليوناني بطليموس، في القرن الثاني للميلاد، أن «السراكينيين» يعيشون في شمال شبه الجزيرة العربية بجوار التموديين. كما تحدث أسطغان البيزنطي عن «السراكينيين» الذين يقطنون المناطق الواقعة ما وراء موطن الألبان. وهكذا أطلقت لفظة «سراسين» في القرن الثالث للميلاد على أقوام كانوا يشكلون مجموعة من القبائل العربية. وفي القرن الخامس للميلاد، يُذكر أن أسقفًا من السراسينيين شارك في مجمع خلقيدونيا. لا يمكننا أن نحدد بدقة العرب المسيحيين الذين كان يمثلهم هذا الأسقف، لكن الاستعمال المتداول للفظ «سراسين» في القرون الأولى يكفي ليوضح لنا المعنى العام الذي اتخذته هذه اللفظة لاحقًا.

سَرَحْس (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة تقع اليوم على الحدود الإيرانية - التركمانية، كانت في القرون الوسطى حاضرة نشطة في خراسان. وكانت سرخس محقة على طريق القوافل التي كانت تصل طوس، وفي ما بعد مشهد، بمرور آسيا الوسطى، وممرًا طبيعيًا للمسافرين المتجهين من نيسابور إلى سمرقند عبر دماغ قره قوم. والمعروف أن الخليفة المأمون مر بها عندما قرّر مغادرة مرو للانتقال إلى بغداد. وفيها اغتيل الوزير الفضل بن سهل - الذي كان قد وُلد فيها - بأمر من الخليفة سنة ٨٢٠٤/٨١٩م. عدا تلك الذكريات التاريخية، فإن المدينة الحالية القابعة في منطقة فاحلة على حدود الصحراء والخالية من النشاط التجاري الذي آمن لها بالأس الفنى، لا تتميز اليوم إلا ببعض المعالم المعمارية، ولا سيما عدد من الأضرحة التي تعود إلى القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد.

سردينيا أو سرّادانيا، جزيرة تقع في الحوض الغربي للمتوسط، بقيت حتى القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، هدفًا لحملات عربية إسلامية تكفل

الموقع، واحوا يقومون بغزوات داخل البلاد كانت نتيجتها النهب لا الاحتلال الدائم. وهكذا غزوا سيبسترون Sisteron سنة ٩١١/٨٣٠م، وإمبرون Embrun سنة ٩١٦/٨٣٠٤م، ومرسيليا سنة ٩٣٠/٩٢٣م، وأزل وإيكس سنة ٩٣٢/٩٢٤م. في سنة ٩٦٨/٨٣٥م، قرّر الإمبراطور أونون الكبير وضع حدًا لأعمالهم، إلا أنه مات قبل البدء بتنفيذ هذا المشروع. في آخر الأمر، وفي تاريخ لا يمكن تحديده بدقة، استطاع كونت مقاطعة البروفانس (Provence) القضاء على هؤلاء السراسين أو المور الذين تركوا بعض الأثر في أسماء الأماكن التي استقروا فيها.

سراسين (Saraceni أو Sarakēnoi)، إسم شاع في القرون الوسطى واستعمله المسيحيون، ولا سيما البيزنطيون، للإشارة إلى العرب بعامة والمسلمين بخاصة.

إن أصل هذا التعبير الذي ظهر في النصوص اللاتينية واليونانية القديمة، وأعطى لفظه «سرازين» (Sarrazins) في الفرنسية، ما يزال غامضًا. والمعروف أن المؤرخ المسعودي أفاد، في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، بأن أحد أباطرة بيزنطية منع رعاياه من نعت المسلمين باسم «سراسين»، على أساس أنه مهين لأنه يعني «عبيد ساره». لكن هذا التفسير لا يبدو صحيحًا على أساس لغوي يوناني. والمخوتون البيزنطيون، وعلى الأخص «سوزومين» (Sozomène) من القرن الخامس الميلادي، يمرضون تفسيرًا مختلفًا، ويرون أن لفظة «سراكيني» أو «ذرية ساره» قد نبتاها المهاجرون لبخفوا أصلهم الحقيقي كأحفاد هاجر.

والواقع أن لفظة «سراسين» أطلقت أولًا على عرب شبه الجزيرة، ثم على العرب المسلمين. وبعد ذلك على المسلمين عامة، مهما كان عرقهم. إن النقاش المتعلق بأصل هذه اللفظة - الذي انكب عليه المؤرخون القروسطيون والذي استأنفه مجددًا علماء معاصرون - يبدو باطلًا. فمن الأفضل (دأ أن نتعرف إلى حقيقة ما كانت تشير إليه اللفظة، بالعودة إلى النصوص اللاتينية واليونانية المتنوعة. فالمؤرخ بلين الأول (Pliny

معظمها بالنجاح.

هذه الحملات المختلفة التي كان أوثنها في حدود سنة ٧٩٢م/٧١١، في الوقت الذي بدأ فيه فتح الأندلس، لم تصل قط إلى احتلال دائم للجزيرة التي لم تكن لتفري بالسيطرة عليها. بالمقابل شكّلت، الحملات مناسبات للحصول على غنائم. وغالبًا ما كانت الحملات تتوافق مع غزوات على الساحل الإيطالي تجرّدها الأساطيل الأتية من إفريقيا الأغالبة ثم الفاطميين. والأعمال الحربية الأخيرة التي قام بها بغارة أندلسيون أدّت إلى خضوع الجزيرة مدة وجيزة لفراصة مملكة دانية في شبه الجزيرة الأيبيرية. وهذه المملكة الصغيرة التي قامت في عصر ملوك الطوائف امتدت سلطتها إلى جزر البليار.

سَرَقِيسْطَة (إسبانيا)، حاضرة تقع شمالي بلاد الأندلس كان لها، خلال أربعة قرون من تاريخها الإسلامي، دور ناشط، إذ أصبحت عاصمة لقوى محلية متنافسة.

تقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر «إيرو»، وهي ما زالت تحمل اسمها القديم المحرّف عن اسمها اللاتيني *Caesarea Augusta*. وفي سنة ٩٥٥م/٧١٢، دخلتها جيوش الفتوحات الكبرى وضمّتها إلى الخلافة الأموية في الشرق. وقد أفادت من موقعها في منطقة خصبة ومروية، فعرفت ازدهارًا دائمًا وأصبحت تُعزّا مهمًّا في الدفاع عن حدود الأندلس الشماليّة. وأهميّة المدينة الاقتصادية والإستراتيجية هذه جعلت منها منطلقًا لعُدو واخر من حركات الانفصال عن السلطة المركزيّة التي كان عليها، في كلّ مرّة، أن تعيد احتلال المدينة لتثبيت سيطرتها عليها.

وقد كانت سرقسطة يبدّي أحد المتمردين سنة ١٦٢م/٧٧٨ عندما حاصرها شارلمان، ولم تخضع من جديد لسلطة أمويّتي قرطبة إلّا في سنة ١٦٤م/٧٨٠، وذلك قبل أن تتمركز فيها أسرة «بني قاسي» المحليّة التي كانت شبه مستقلّة، ثم أسرة النُجَيبِيّين العرب. وخلال الاضطرابات التي شهدتها القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، استطاع حاكم تلك المنطقة أن يعلن نفسه ملكًا على سرقسطة، وأن يتحالَف مع حُكّام برشلونة وقشتالة ليحمي دولته الجديدة.

فُقرت المدينة عندئذ ازدهارًا تزايد بعد ذلك عندما أصبحت، سنة ١٠٣٨م/٨٤٣، عاصمة إمارة بني مُود أو اليهوديين. ثم احتلالها سنة ١١٠٣م/١١١٠ من قبل المرابطين، وبعد فترة قصيرة استعادها الإسبان سنة ١١٨٨م/١١٩٢.

قليلة هي الآثار التي ما تزال قائمة تُشهد على الماضي الغني للمدينة الإسلامية. فالمسجد الجامع فيها هُدم لترتفع مكانه الكاتدرائية الحالية. وحدها المصادر المكتوبة تُحدّثنا عن التصميم المتعمد الذي قامت عليه المدينة وهو موروث عن العصور القديمة، كما تُحدّثنا عن القصور الكثيرة التي كانت موزّعة فيها. أحد هذه القصور، وهو قصر الجعفرية الذي خضع لترميمات متتالية عبر العصور، ما يزال يحتفظ بعناصر معمارية تُنسب إلى اليهوديين، بينها المصلّى الأميري الذي تزيّنه كتابات في غاية الدقّة والجمال.

◀ رابع المستندات ٨، ١١، ١٥، ١٦، ١٩.

سَرَقِيسْطَة، أو سيلان، هي اليوم دولة سري لنكا حيث تعيش أقلية مسلمة صغيرة مكوّنة من عناصر إنسيّة كثيرة التّنوع، بخصوصيات محلية على الصعيد القانوني، وكانت حصلت على الاعتراف السياسي بها منذ نهاية القرن التاسع عشر.

يبلغ عدد هذه الأقلية - التي لا تشكّل أكثر من ٧٪ من مجموع السكان - أكثر من مليون نسمة. ونعود أصولها إلى العصور الأولى للإسلام مع استقرار عائلات عربية فيها جاءت إلى المنطقة بحرًا، حتّى قبل البدء بفتح السند عبر الطريق البرية على أيدي القوات العربية - الإسلامية، في فترة الخلافة الأموية. وقد ازدهرت هذه المستعمرة، التي تنامي فيها عدد المعتنقين المحليّين للإسلام في أوائل القرون الوسطى لأنّها كانت مرسى ومركزًا تجاريًا للزوّاد المسلمين في الملاحة البعيدة. وقد تكون شاركت في الأنشطة التجارية التي ازدهرت على الخطوط البحرية للمحيط الهندي، بين الصين والخليج العربي - الفارسي، لتنفيذ التجارة المازة عبر بغداد في اتجاه الغرب ومرافق المتوسط بالمنتجات الكمالية.

ومع الغياب النهائي للأمراطورية وللسلطة العبّاسيّة

٦٤١م ثم أعاد إليه اعتباره وعيّن أحد الأعضاء الستة في المجلس المولج باختيار خليفة له. وفي خلافة عثمان، أعيد مؤقّتاً حاكماً للكوفة؛ وبعد مقتل الخليفة ومبايعة علي [خليفة]، انسحب سعد إلى ديار قومه بعيداً من أي نشاط سياسي حتى وفاته.

سعدى، الشيخ مصلح الدين السعدى ٦١٠-٦٩١هـ / ١٢١٣ - ١٢٩٢م.

شاعر فارسي شهير من شيراز، نشأ على علوم الصوفية.

مؤلف أعمال شعرية حظيت بالتقدير، تختلط فيها أحياناً مقاطع نثر، منها، إلى جانب «ديوانه»، مجموعة بعنوان «البيان» وأخرى بعنوان «عُلمُستان» أو حديقة النور. شاعر الصوفية هذا تسمّى بالسعدى لأنه كان في منتصف حياته في خدمة سعد زكي، أحد أمراء السلالة السفغورية في شيراز. يقال إنّه بدأ في مؤلفاته كتاباً أخلاقياً أكثر منه صوفيّاً. لكّه، مع ذلك، أخذ عن عبد القادر الجيلاني الشهير، وكذلك عن شهاب الدين السهروردي. وكان، إلى ذلك، وخالة كبيراً جاب العالم الإسلامي المعروف في عصره، من الهند إلى المغرب، لكّه عاد ليُموّت في مسقط رأسه حيث غدا ضريحه مزاراً لا يزال قائماً حتى اليوم.

السعديون، (بنو سعد)، سلالة أشراف، وفدوا من جنوب المغرب وحكموا بأثمة مجمل الميلاد من ١٥٥٤ إلى ١٦٠٣م.

نجح بنو سعد، في بداية القرن السادس عشر، في السيطرة على منطقة سوس، مدفوعين برغبة فعل سياسية - دينية وبعدها تجاه المشروعات البرتغالية. ولقد قاد أتباع الطريقة الشاذلية، في تلك الحقبة، الجهاد ضد الأوروبيين الذين استقروا في نقاط مختلفة من الساحل الأطلسي. وقد ساعد هؤلاء محمد المهدي - المتحتر من عائلة عربية حسنية، متحدرة بدورها من أخ لمحمد النفس الزكية - للاستيلاء على الحكم وإعلان نفسه ملكاً في العام ١٥٠٠. في مقاطعته الواقعة في جنوب البلاد. وكانت الغلبة لأحد إبنّي محمد اللذين ملكا في ما بعد، ويدعى أيضاً محمّداً، فكان المؤسس الحقيقي للدولة

في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، حلّت العلاقات بين سيلان [سرنديب] والهند في المقام الأول، ما شجّع مسلمين من شبه القارة الهندية على الاستقرار في المنطقة والانصراف بدورهم إلى التجارة. ومنذ نهاية القرن السادس عشر، واجه هؤلاء منافسة من أسياد البحار الشرقية الجدد، أي البرتغاليين ثم الهولنديين وأخيراً البريطانيين.

وقد شكّل الفقر - الذي عاناه مسلمو سيلان منذ ذلك الحين، وكان قد اختلط بهم مسلمون آتون من ماليزيا، إضافة إلى الهنود - من دون شك السبب في انفلاق جماعتهم على ذاتها وعلى تقاليدها الثقافية التي تعتبر عنها بلغة التاميل، لكّها تستعمل، في سبيل ذلك، الحرف العربي. وكان ينبغي انتظار نهاية القرن التاسع عشر ومجيء عرابي باشا الذي نُفي إلى الجزيرة، كي يفتح السكان على العصرية مع تأسيس معهد الزاهرة في كولومبو في العام ١٨٩٢، وهؤلاء السكان هم في أكثرهم سنّيون على المذهب الشافعي، وقد بدأوا يتمتّعون، منذ تلك الفترة، بنوع من التمثيل الانتخابي.

«راجع المستندات ٣٠ إلى ٣٥».

سري لنكا ← سرّنديب.

سعد (بنو -) ← السعديون.

سعد بن أبي وقّاص بنُ وهيب ... بن مرّة، ٢٧ قبل الهجرة - ٥٩٥/٥٥٥م - ٦٧٤م، من صحابة النبي محمد (ﷺ)، شارك في حروب بدايات الإسلام، وأصبح في ما بعد أحد أركان الفتوحات الكبرى الأساسيين.

اعتنق الإسلام في بداياته، وفترّ النبي محمد (ﷺ) موهبة القتالية. وقد أسند إليه الخليفة عمر بن الخطاب بعد تنحية خالد بن الوليد، القيادة العليا للجيش العربي - الإسلامية التي اجتاحت بلاد ما بين النهرين، فانتصر على السامانيين في معركة القادسية في العام ٦٣٧هـ/٦٣٧م. وبعدما اختار البصرة لإقامة معسكر فيها، فأصبحت بذلك أوّل مدينة عسكرية^(٥٥)، استولى على طيسفون/ المدائن وخربها، ثم أسّس مدينة عسكرية مهيّمة أخرى هي الكوفة. أقامه عمر في العام ٢٠هـ/

١٦٢٤ - ١٦١٣	عبدالله الوثائق
١٦٢٤	زيدان التميم
١٦٢٧ - ١٦٢٤	عبدالمطلب بن زيدان
١٦٥٤ - ١٦٢٧	محمد الأصغر
١٦٥٩ - ١٦٥٤	أحمد العباس

◀ راجع المستند رقم ٦٨.

سعود ← آل سعود.

السعودية (المملكة العربية)، مساحتها ٦٩٠ ١٤٩ ٢ كلم^٢، عاصمتها الرياض. دولة إسلامية مستقلة تأسست في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة/ القرن الثامن عشر للميلاد في شبه الجزيرة العربية وتحكمها أسرة آل سعود التي أعطتها إسمها.

تشمل المملكة منطقة نجد التي بسط عليها الأمراء السعوديون الأوائل نفوذهم، ومنطقة الحجاز التي تحتضن أماكن الإسلام المقدسة، كما تشمل مساحات واسعة تمتد من شواطئ البحر الأحمر إلى الخليج العربي. لكنها لا تغطي جنوب الجزيرة ولا شرقها، إذ تنتهي حدودها عند اليمن وعمان والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين، كما تنتهي حدودها شمالاً عند الكويت والعراق والأردن. وهي تطلّ بحراً على إيران من جهة، وعلى مصر والسودان من جهة أخرى.

أما سكانها فقبلوا العدد، وهم يتكوّنون في الأساس من البدو الرحّل في غالبيتهم، ويقدر عددهم اليوم بثمانية عشر مليون نسمة، وقد تخلّوا عن حياة البداوة في العقود الأخيرة واستقروا في المدن. وعدد السكان القليل لم ينفخ حائلاً دون اكتساب المملكة، خارج العالم الإسلامي ودخله، نفوذاً سياسياً بفعل غنى مواردها النفطية. وهذا الوضع يُفسّر، بالمقابل، أسباب الأطماع من قبل الدول العربية المجاورة والأقلّ غنى كالعراق، أو من قبل الدول القويّة المنافسة كالدولة الأيرانية التي تسيطر على السواحل المقابلة للخليج. ومن الصعوبات السياسية الأخرى تعاقب موجات الهجرة إلى المملكة، وهذا يساهم في تمويض النقص السكاني، لكنه لا يؤثر على الخيار الديني الإسلامي. وتجدر الإشارة إلى أنّ المملكة السعودية انصرفت وتتصف دائماً بتطبيق نظام ديني يخضع لقواعد الشريعة الإسلامية

السعدية. لقد صمد وانتصر على بني وائل القاسيين، واستولى للمرّة الأولى على مدينتهم فاس ونودي به سلطاناً في العام ١٥٥٤، لكنه اغتيل في العام ١٥٥٧ لأنّه طلب مساعدة الإسبان ضد العثمانيين وحلفائهم. ألاّ خلفاء تابعوا السياسة المتعاضة للأتراك، فأعادوا تنظيم جيوشهم على النمط العثماني لمعاوضا فعاليتها. وكان أشهرهم في نهاية القرن السادس عشر أحمد المنصور الذي جعل منه الأوّل الحفاظ على النظام في المغرب، وكانت عاصمته حينئذ مراكش، وأراد أن يضمن، ضد كلّ اندخالات الأجنبية، استقلال البلاد الذي وقره له انتصاره في العام ١٥٧٨، ذلك الانتصار الذي سمح له باعلاء العرش. وكان يحرص على الدفاع عن نفسه ضد الأتراك والأوروبيين معاً، ونجح أيضاً بإرسال جيوشه حتى توميكتو التي احتلها، وأضاماً حذاً لمملكة غاو، ووسّع كذلك سلطته من السغال حتى الميرنو لمدة قصيرة. فضلاً عن ذلك، كان المنصور من كبار البناء فجعل مدينة مراكش حيث كان مقره وحيث جذب بلاطه الأملح رجال الأدب والعلم.

غير أنّ المناهضات التي اندلعت بين أبنائه بعد وفاته في العام ١٦٠٣، حالت دون مواجهتهم المصاعب التي نشأت في بداية القرن السابع عشر: محاولات إسبانية جديدة على الساحل أسفرت عن التنازل عن العرائش في العام ١٦١٠، وبخاصة معارضة أصحاب الطوائف الصوفية للسلالة الحاكمة. وتالياً لم يعد يسيطر الملوك السعوديون الأخيرون إلّا على مراكش. واختفى آخر ممثل لسلالتهم في العام ١٦٥٩، في حين استغزت، في شمال البلاد، عائلة أشراف جديدة من العلويين الذين هُرموا أحياناً بالغاليليين نسبة إلى موطنهم الأصلي الغلالية في واحة تافيلالت.

١٥١٧ - ١٥٠٩	محمد المهدي القائم بأمر الله
١٥١٧	أحمد الأعرج
١٥٥٧ - ١٥١٧	محمد الشيخ المهدي ابن محمد المهدي
١٥٥٧ - ١٥٥٤	عبدالله الغالب
١٥٧٤ - ١٥٧٤	محمد المتوكل على الله
١٥٧٦ - ١٥٧٦	عبد الملك بن محمد الشيخ المهدي
١٥٧٨ - ١٥٧٨	أحمد المنصور
١٦٠٢ - ١٦١٣	محمد الشيخ العامود

تحوّلت إلى دولة حديثة دخلتها التغيّات الغربية بمختلف أشكالها. وقد شيدت مدن حديثة تصل بينها طرق واسعة، عرفت نمواً ديموграфияً سريعاً، في حين أنّ البداوة التقليدية لم تعد عملياً قائمة إلا بالنسبة إلى عدد محدود من البدو.

« راجع المستند رقم ٧ »

السعوديون ← آل سعود.

سعيد أو سعيد باشا، ١٨٢٢ - ١٨٦٣، الإبن الرابع لمحمد علي، حكم في مصر من العام ١٨٥٤ حتى وفاته كخديوي شبه مستقل.

خلف أباه بعد وفاة أخيه إبراهيم باشا وبعد الفترة القصيرة لحكم ابن أخيه عباس الأول. كان حريصاً على إدارة البلاد ومصالحتها، فسهر على الوضع الداخلي: إحترام، دبلوماسية، الوصاية العثمانية من دون أن يتراجع عن سياسة التحديث التي سبق اعتمادها، ولكنه تخلى عن كل أطماع التوسّع في اتجاه الجنوب. أهم إنجاز له كان بلا شك المباشرة بمشروع قناة السويس الذي بدأ تنفيذه في العام ١٨٥٩، بعد حصول الفرنسي فرديناند دو لسيبس (Ferdinand de Lesseps) على الامتياز. ويعود إليه الفضل في إنشاء مدينة بور سعيد في العام ١٨٥٩.

السفاح، أبو العباس، ؟ - ١٣٦هـ / ١٧٥٤م، أول خليفة في سلالة العباسيين، حكم من العام ١٣٢هـ / ٧٥٠م إلى ١٣٦هـ / ٧٥٤م، ونجح في تثبيت سيطرته إثر نجاح ما عُرف بـ « الثورة العباسية ».

كان أبو العباس، الذي سيُعرف بالسفاح في ما بعد، أخاً غير شقيق لإبراهيم [الإمام]. وقد قاد هذا الأخير، بعد موت والده محمد بن علي، حركة معارضة ناجحة ضدّ الأمويين، ثم قبض عليه الخليفة الأموي مروان الثاني في العام ١٣٠هـ / ٧٤٧م، ومات في السجن في العام ١٣٢هـ / ٧٤٩م. ومن بعده اتجهت أمال العائلة إلى السفاح الذي اختار الكوفة لإقامة فيها مع عشيرته ومحازبيه، عند اقتراب الجيش الذي أرسله أبو مسلم إلى من العراق.

إلا أنّ تسلّمه مقاليد الحكم الذي جرى على حساب العلويين لم يلبّ مباشرةً الاستيلاء على الكوفة، لأنّ

بحسب مذهب الحركة الإصلاحية الوهابية المستيّة الذي نبّأه المؤسسون.

والمملكة الحالية، التي عُرفت بهذا الاسم منذ سنة ١٩٣٢، بدأت تنظم في سنة ١٩٠٢ على يد الأمير عبد العزيز بن سعود، المعروف في الغرب باسم ابن سعود. وقد قامت على أعقاب إمارتين سابقتين سعوديتين لم تعمراً طويلاً، كانتا قد تبنّتا تنظيمًا يمتاز بفرداته ويقوم على القواعد المستوحاة من المذهب السنّي الحنبلي. ويعود الفضل في ذلك إلى فقيه حرص على تطبيق موجبات الإسلام الأوّل ومحاربة بعض الممارسات القويّة، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٧هـ / ١٧٠٣ - ١٧٩٢م). وقد ولد في الدّرعيّة التي أصبحت عاصمة الأمير محمد بن سعود، زعيم قبائل منطقة نجد وقّع ابن عبد الوهاب مع ابن سعود، منذ العام ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م، اتفاقاً يقضي بأعلاء « كلمة الله » في الجزيرة، أي بتطبيق أحكام الشريعة كاملة.

خلّ أعضاء الأسرة السعودية الحاكمة الذين ناضلوا لتثبيت سلطتهم أوفياء، في ما بعد، لمبادئ الحركة الإصلاحية التي حملت إسم مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. من هذه المبادئ تحريم تكريم الأولياء، ما دفع إلى هدم الأضرحة الموقّرة، حتى تلك التي لها طابع التعميم. إلا أنّه أجازت زيارة ضريح النبي (صلى الله عليه وآله) في المدينة، استناداً إلى فتوى قديمة لابن نبيمة الذي استوحى منه ابن عبد الوهاب مبادئه. أمّا على الصعيد السياسي، وبوحي من المبادئ الوهابية عينها، فإنّ المملكة دولة يقوم دستورها على الشريعة الإسلامية، ويحكمها ملك يتّبع سلطات تنفيذية وتشريعية، ولكنه مُلزَم باحترام الشريعة؛ وبعاونه، منذ سنة ١٩٥٣، مجلس وزاري. فالشريعة الإسلامية تُطبّق بكلّ صرامتها، ليس على المواطنين السعوديين وحدهم، بل أيضاً على الأجانب غير المسلمين المقيمين في المملكة.

والمملكة العربية السعودية المؤمّنة على تقاليد دينية عريقة تحتلّ موقفاً مميزاً ومركزياً يحوّلها رعاية الحجّ إلى مكّة المكرمة والأماكن المقدّسة التي يعتبر الملك نفسه حارسها وخادماً. وبفضل مداخيل النفط الذي اكتشف مباشرة قبل الحرب العالمية الثانية،

أطماع الملوك المسيحيين. وفي القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد، استقبلت المورييكيين بعد طردهم من إسبانيا، وقد توصّل هؤلاء إلى إقامة إمارة مستقلة في الرباط وسلا، فاشتهرت سلا ببحريتها وبنشاط القراصنة، ولكن ذلك لم يُعَ الحركة التجارية فيها.

في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد، شكّلت سلا جزءاً من المملكة الشريفة العلوية، وحافظت علىفرادتها كمدينة تميّز بمجتمعها الأرستقراطي المثقّف. وما تزال إلى اليوم تميّز بوجود الأسر الكبيرة التي تحافظ على تقاليدها المتوارثة. وهي تعكس صورة مدينة قديمة بدون أسوار، يحمي مرفأها «باب البحر» الذي ما يزال قائماً، وقد بناه السلطان المريني أبو يوسف يعقوب. أمّا منازلها القديمة فتجاور أبنية دينية مهمّة، منها مدرسة شُيّدت في زمن المرينيين، ومسجد جامع يعود إلى عهد المرّوخدين. وهذه المعالم المعماريّة تعاني التطوّر الديموغرافي المتزايد، الذي جعل المدينة الصغيرة ضاحية مكتظة بالسكان وتابعة لمدينة الرباط.

« راجع المستند رقم ١٤ »

السلاجقة، سلالة من القادة الأتراك، قدّمت سلاطين أسسوا إمبراطوريّة السلاجقة الكبار، وقادة تقاسموا السلطة في العراق وإيران وسوريا خلال القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. ثمّ قام منهم فرع عُرف أصحابه باسم سلاجقة الروم وأدّوا دوراً أوصلهم، في فترة متأخّرة، إلى الذروة.

١ - السلاجقة الكبار (٢٩ - ٥٩٠هـ/ ١٠٣٨ - ١١٩٤م)، وصل السلاجقة الكبار إلى الحكم إثر انتصارات حقّقها غزو قبائل رحّل قدّمت من داخل آسيا، وأوجدت في السناطو المحلّة تمييزاً اجتماعياً ترافق مع تطوّرات عميقة أثّرت في مجرى التاريخ. وقد فرض قادة السلاجقة وصابتهم على الخلافة العبّاسيّة وعلى بطانتها وأفراد أسرّتها الذين كانوا قد تسلّموا مقاليد الحكم في مختلف الأقاليم.

كان للزدهار الفنّي والفكري الذي طبع حكم عظماء سلاطينهم تأثير كبير على مجمل المناطق التي

الداعية أبا سلّمة آخر موعد الإعلان عن خليفة جديد، فأخذ المبادرة رسول آخر اكتشف مخبأ العبّاسي المطالب بالعرش. وقام أبو العبّاس، بغية توطيد سلطته، باستئصال السلالة الأمويّة من الشرق بقتل جميع أفرادها، بعد أن أحاطهم [عُمّه عبدالله بن علي] إلى اجتماع في أبي فطرس في فلسطين. لكنّ شاباً يافعاً من السلالة، هو عبدالرحمن، تمكّن من الهرب والانتقال إلى الأندلس، بعد مغامرات عديدة، حيث نشأت من جديد سلالة أميريّة تحوّلت إلى خلافة أمويّة عاصمتها قرطبة. لذلك أطلق المؤرّخون العرب على العبّاس لقب السفّاح بعد قيامه بعملية الاغتيال الجماعية، وهذا اللقب يعني الدمويّ القاتل. من المحتمل أن يكون أبو العبّاس قد عُرف بهذا اللقب قبل اعتلائه العرش، وهو يعني، كذلك، «الكريم». مهما يكن من أمر، فإنّه، قبل وفاته في العام ١٣٦هـ/ ٧٥٤م، أعدم الداعية أبا سلّمة، رجل ثقته السابق، لأنّه استشعر منه محاولة لغيابة القضية العبّاسيّة خلال أحداث الزكوة.

السفيانيون ← الأمويون.

السكّة ← المسكوكات الإسلامية.

سكوتاري ← أسكودار.

سلا، (المملكة المغربية)، بلدة مرفئية تقع في مقابل الرباط على الضفة الشماليّة من نهر بو رقراق، وتحفظ بمعال من ماضيها القروسطي الغني. ويبدو أنّ المدينة تأسّست في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، على أيدي الأدارسة، وأعطيت إسم مدينة رومانية ما تزال خرائنها قائمة إلى اليوم قرب موقع شيلّا (Chella) الحالي. وفي القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، كانت عاصمة مملكة صغيرة تنصارع مع جيرانها (قبيلة بُرغواطية) الذين كانوا في الجهة الجنوبيّة. ورسماً ما تحوّلت إلى مرفأ ناشط يقصده التجار من الأندلس. وفي زمن المرينيين أُحيطت المدينة بسور منيع، وأنشئت فيها ترسانة لبناء السفن، وذلك في الوقت الذي كانت فيه السواحل المغربية مهدّدة من قبل الإسمان. في القرنين التاسع والعاشر للهجرة/ الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، بقيت سلا بمنأى عن

الدخاني المتناقم لم تستطع مجابهته إلا بصعوبة. فقد وقع الخصام، وكان داميًا أحيانًا، بين أبناء ملكشاه وأحد إخوته. وهذا الأخير، وهو تُشّس مؤسس السلالة السلجوقية التي حكمت سوريا مدة قصيرة، هلك سنة ١٠٩٥هـ/١١٨٨م، خلال المعارك التي قادها مطالبًا بالحكم. كما أنّ السلطة التي مارسها ابنًا ملكشاه، بركياروق ومحمّد، كانت موضوع نزاع. أمّا سنجر، آخر من أعلن سلطانًا على الأمبراطورية بكاملها، فقد آلت إليه خراسان منذ العام ١٠٩٧هـ/١١٩٠م، ولكنه تصرّف منذ هذا التاريخ كسلطان فعليّ. على قدم المساواة مع إخوته المتوجّجين في بغداد. وفي سنة ١١١٨هـ/١١٨٨م، أصبح بدوره سيّدًا على الأمبراطورية، لكن شاركه في السلطة سلجوقي آخر اختير من بين سلالة العراق. وجاء موت سنجر سنة ١١٥٢هـ/١١٥٧م لتنتهي معه دولة السلالة الكبار التي كانت قد تفكّكت منذ سنة ١٠٩٧هـ/١١٩٠م. إنّ آخر ممثلي الأسرة التي استمرت في العراق حتى أزالتها الخوارزمشاهيون سنة ١١٩٤هـ/١٢٥٩م كانوا أشبه بدمي ومن دون سلطة حقيقية.

عندما كانت دولة السلالة الكبار في أوج عظمتها، فرض ملوكها على خلفاء بغداد مطالب غالبًا ما كانت تتعلق بالزواج [من بنات الخلفاء]، وقد نشبت هذه المطالب بمتاعب جدية. إنّ ملكشاه مثلاً أمر الخليفة بأن يترك بغداد، لكن وفاة السلطان أنقذت الخليفة. مع ذلك فإنّ هؤلاء السلاطين كانوا يعتبرون أنفسهم سيّدًا لسلطة الخليفة وشرعيته. وعلى هذا الأساس اتخذ ألب أرسلان وملكشاه نظام الملك، وهو إيراني مشهور، وزيرًا، فأنشأ في بغداد أول مدرسة سنة ١٠٩٩هـ/١١٦٧م، وأتبعها بعدد من المدارس في مختلف أرجاء الأمبراطورية، وكانت الغاية تقوية السنة ونشر تعاليمها. وقبل ذلك كانت المناطق التي اعترفت بسلطة الخليفة قد أصبحت واسعة، إذ امتدّت نحو الأناضول التي توّغل فيها ألب أرسلان إثر انتصاره على البيزنطيين في معركة مانزيكرت/ملازكرت، سنة ١٠٧١هـ/١١٦٣م، كما امتدّت نحو سوريا حيث قبل ملكشاه بأن يعتلي أخوه تُشّس عرش دمشق سنة ١١٧١هـ/١٠٧٨م، في حين عيّن أحد قوّاده واسمه أقيشقر حاكمًا على حلب.

توخّدت لوقت قصير، أي على القسم الشرقي من العالم الإسلامي الذي كان تحت حكم العباسيين المباشر، وقد أضافوا إليه سوريا التي انزعت من الفاطميين، والأناضول الذي انتزع من البيزنطيين. والسلاطين السلالة أنفسهم بدأوا صعودهم كقادة عشائر فرضوا سلطتهم على قبيلة التز التركيّة التي كانت تترحل في السهوب الغربية من بلاد ما وراء النهر، ثمّ تغلغلوا في هذا الاقليم الواسع حيث دخلوا في خدمة دولة القراخانيين التركية، قبل أن يباشروا العمل لمصلحتهم الخاصة. وقد تعاھوا لمدّة مع الغزنويين، ثمّ اجتاحوا المناطق الغنيّة في خراسان والمناطق المتبقية من إيران. وكان على رأس هؤلاء السلالة طغرل بك الذي أعاناه أخوه جغري بك، فأعلن قيام حكمه سنة ١٠٣٨هـ/١٠٣٨م في نيسابور، وذلك قبل أن يوقّده في أصفهان وبغداد.

والسلالة الأوائل الكبار، طغرل بك، ألب أرسلان وملكشاه، حصلوا على لقب سلطان من الخليفة العباسي نفسه، مع صلاحيات واسعة في السلطة. وقد قدّموا دائمًا أنفسهم كمدافعين عن الخلافة العباسية وعن عقيدة السنة، كما كانوا في الوقت نفسه أصحاب سلطة فعلية امتدّت لـ نصف قرن تقريبًا، على مناطق واسعة تنطلق من البحر المتوسط لتصل إلى سهوب آسيا الوسطى. إنّ الدولة التي أنشأها السلالة عانت، منذ البداية، الصراع بين الطامحين إلى العرش، وقد قوي هذا الصراع بعد موت ملكشاه. والواقع أنّ السلطة عند الأتراك كانت تُعتبر ملكًا للأسرة، وهذا الملك يبقى بيد من يكون الأكبر سنًا، لكن كانت تبرز دائمًا حجج وفرواع تحمل على الاعتراض. وهذا ما اضطرّ السلاطين إلى أن يصرفوا قسماً كبيراً من جهودهم في الصراع مع منافسيهم. وهكذا اضطرّ طغرل بك إلى تصفية أحد أقربائه، كما أنّ ألب أرسلان، وهو ابن أخي طغرل بك - وكان هذا الأخير قد اختاره خلفاً له - اصطدم بسلجوقي آخر هو تُشّش. أمّا ملكشاه الذي خلف أباه من دون متاعب نذكر، فقد خاصمه أحد أعمامه وكان يقيم في كرمان.

ومرّت الدولة، بعد ذلك، في مرحلة من النزاع

مقاطعة إيرانية تمتعوا فيها باستقلال شبه كامل.

مؤسس السلالة هو قاورذ المعروف أيضاً باسم قر أرسلان، وهو ابن «غفري بك» وابن أخى السلطان: الأول طغرل بك. عرف منذ سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م كيف يستفيد من الغزو التركي ليثبت نفسه أميراً على «بزدسير» عاصمة منطقة كرمان، وقد اتخذت هذه العاصمة لاحقاً اسم المقاطعة. وعلى الرغم من نجاحه السياسية المحلية وحرصه على جعل اسمه مميزاً، فإنه لم يتوصل إلى أن يحلّ على رأس الامبراطورية التي أسسها طغرل بك، لا محلّ أخيه ألب أرسلان ولا محلّ ابن أخيه ملكشاه اللذين تعاقبا على السلطة العليا بها طغرل بك. وقد أعدم سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م إثر محاول مسلحة لانتزاع السلطة. أمّا ولده فقد تبنّى ملكشاه على مقاطعة كرمان حيث عمل مع خلفائه على مقاومة تدفّق جماعات غير منضبطة من قبيلة الغزّ، وقد عمدت هذه الجماعات، بعد أقلّ من نصف قرن، إلى وضع حا لسلطة السلاجقة باستيلائها على «بردسير» سنة ٥٨٤هـ/١١٨٧م.

١٠٧٣-١٠٤١هـ/٤٣٣-٤٤٦	عماد الدين قاورذ
١٠٧٤-١٠٧٣هـ/٤٦٦-٤٦٧	كرمان شاه
١٠٧٤هـ/٤٦٧	حسين
١٠٨٥-١٠٧٤هـ/٤٧٨-٤٦٧	ركن الدولة سلطان شاه
١٠٩٧-١٠٨٥هـ/٤٩٠-٤٧٨	محيي الدين طوران شاه الأول
١١٠٦-١٠٩٧هـ/٤٩٤-٤٩٠	بهاء الدين إيران شاه
١١٤٢-١١٠٦هـ/٥٣٧-٤٩٤	محيي الدين أرسلان شاه الأول
١١٥٦-١١٤٢هـ/٥٥١-٥٣٧	مغيث الدين محمد الأول
١١٧٠-١١٥٦هـ/٥٥٦-٥٥١	محيي الدين طغرل شاه
١١٧٥-١١٧٠هـ/٥٦٦-٥٦١	بهرام شاه
١١٧٦-١١٧٥هـ/٥٧٢-٥٧١	أرسلان شاه الثاني
١١٨٣-١١٧٦هـ/٥٧٩-٥٧٢	طوران شاه الثاني
١١٨٦-١١٨٣هـ/٥٨٢-٥٧٩	محمد الثاني

٣ - سلاجقة سوريا (٤٧١-٥١١هـ/١٠٧٨-١١١٧م)، حكم سلاجقة سوريا، لفترة قصيرة، دمشق وحلب بعد انتزاعها من الفاطميين، ولم ينجح ممثلها الرئيسي في الوصول إلى عرش السلاجقة الكبار. هذا القائد السلجوقي، ابن السلطان ألب أرسلان. هو تاج الدولة تثنّ (٤٥٧-٤٨٨هـ/١٠٦٥-١٠٩٥م)

والضغك النهائي لأمبراطورية السلاجقة الكبار كرس، في آن، استمرار عدد من فروع السلالة السلجوقية في مناطق أنسوا فيها إمارات محلية، ونشوء سلطات سلاجقة في مناطق أخرى كان أصحابها إمّا رؤساء قبائل من أصل تركي، كالألبشمتين في الأناضول والأرتقيتين في بلاد ما بين النهرين العليا، وإمّا أشرافاً من الدولة السلجوقية يحملون في أغلب الأحيان لقب «أتابك»، كالبوريتين في دمشق، والزركين في بلاد ما بين النهرين العليا وسوريا، والألبكركتوين في أذربيجان والسلجورين في فارس. وبين الفروع السلجوقية المتصلة مباشرة بالسلاجقة الكبار، فإنّ الفرع الذي حكم سوريا زال سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م، وذلك الذي حكم حلب زال سنة ٥١١هـ/١١١٧م، في حين أنّ الذي حكم كرمان بقي حتى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، والذي حكم العراق استمرّ حتى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م.

السلاجقة الكبار:

١٠٦٣-١٠٣٨هـ/٤٥٥-٤٢٩	ركن الدين والدنيا طغرل الأول
١٠٧٣-١٠٦٣هـ/٤٦٥-٤٥٥	عقيد الدولة ألب أرسلان
١٠٩٢-١٠٧٣هـ/٤٨٥-٤٦٥	جلال الدولة ملكشاه الأول
١٠٩٥-١٠٩٢هـ/٤٨٨-٤٨٥	ناصر الدين محمد الأول
١١٠٥-١٠٩٥هـ/٤٩٨-٤٨٨	ركن الدين بركياروق
١١٠٥هـ/٤٩٨	معز الدين ملكشاه الثاني
١١١٨-١١٠٥هـ/٥١١-٤٩٨	غياث الدين محمد الثاني
١١٥٧-١١١٨هـ/٥٥٢-٥١١	معز الدين سنجر
سلاجقة العراق:	
١١٣١-١١١٨هـ/٥٢٥-٥١١	مغيث الدين محمود الثاني
١١٣٢-١١٣١هـ/٥٢٦-٥٢٥	غياث الدين دارو
١١٣٤-١١٣٢هـ/٥٢٩-٥٢٦	ركن الدين طغرل الثاني
١١٥٢-١١٣٤هـ/٥٤٧-٥٢٩	غياث الدين مسعود
١١٥٣-١١٥٢هـ/٥٤٨-٥٤٧	معين الدين ملكشاه الثالث
١١٦٠-١١٥٣هـ/٥٥٥-٥٤٧	ركن الدين محمد الثاني
١١٦١-١١٦٠هـ/٥٥٦-٥٥٥	غياث الدين سليمان شاه
١١٧٦-١١٦١هـ/٥٥٦-٥٥٥	معز الدين أرسلان
١١٩٤-١١٧٦هـ/٥٩٠-٥٧١	ركن الدين طغرل الثالث

٤ - سلاجقة كرمان (٤٣٣-٥٨٣هـ/١٠٤١-١١٨٧م)، طوّز سلاجقة كرمان سلطتهم الخاصة بموازاة سلطة السلاجقة الكبار، وبسطوا ملكهم على

الجهاد ولاقتطاع مناطق نفوذ خاصة بها.

وخلال الصراع العربي الذي خاضه سليمان بن قُتَيْش ضد منافسيه - وكان والده قد ثار من قبل ضد ألب أرسلان - نُزِلَ إلى أن يصبح، سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، سيّدًا على مقاطعة صغيرة حول نيقية (إزنيق)، غير بعيدة عن القسطنطينية؛ لكنه قُتِلَ لاحقًا سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م عندما أراد التوسّع باتجاه سوريا. أمّا ولده عزّ الدين قلع أرسلان الأول، فلم يكن بعد ذلك سوى قائد تركي بين سائر الغزاة الذين تقاسموا الأرض التي تمّ ضمّها إلى الإسلام. إنَّ وضعه الهش، على حدود مملكة الدانيشمنديين الواسعة، ازداد سوءًا بسبب مرور الحملة الصليبية الأولى التي اضطرتّه إلى الانكفاء نحو قونية.

من هذه المدينة التي أصبحت العاصمة الثانية للسلالة، انطلقت لاحقًا حملات خلفائه السياسية والعسكرية. وكان هؤلاء يعتمدون محالفة البيزنطيين حيثًا ومعاربتهم حيثًا، كما اتّهم هاجموا الأمراء الأرمن في كيليكيا، والفرنج في الرّها. وقد ساعدتهم انتصاراتهم الحربية على توسيع مساحة مملكتهم بضمّ أراضي السلالات المسلمة المنافسة والغريبة، كاللانيشمنديين والأرتقيين، وكذلك البعيدة كالأيوبيين في سوريا والخورزمايين. ولكنهم اضطّروا بعد ذلك إلى دفع الجزية للمغول الذين هزمهم سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م. بعد ذلك، التزّع الإيلخانيون منهم المُلك سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، فتركوا الساحة عندئذٍ للأمراء التركمان الذين اقتسموا الأناضول المعزّق في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد. ومن صفوفهم خرج مؤسس إمبراطورية جديدة هي الإمبراطورية العثمانية.

خلال هذه المدة استطاع كبار أسباط السلالة، كمزّ الدين قلع أرسلان الثاني، وغيث الدين كينسرو الأول، وعزّ الدين كيكاولس الأول، وخصوصًا علاء الدين كيقباد الأول، أن يجعلوا من مملكتهم في الأناضول - التي افتتحت تدريجيًا على البحر المتوسط عبر أنطاليا وعلايا في الجنوب، وعلى البحر الأسود عبر مرفأ سينوپ في الشمال - محورًا لحركة تجارية أعطوا امتيازها البحري للبنادقة. وكانوا بأنفسهم يراقبون نقل

وقد لقي صعوبات كثيرة في تثبيت سلطته على بلاد تقاسمها عدد كبير من رؤساء العصابات الأتراك، بعد نزاعها من أسباطها الشيعة. وعلى الرغم من تقديمه لولاء أخيه السلطان ملكشاه، فقد منعه هذا الأخير من دخول منطقتي حلب والرها اللتين أقطعهما لقادة أتراك كان قد رأى فيهم الولاء الكامل. وحده موت ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م ساعد قُتَيْش على أن يفهر منافسيه لمحليّين، وذلك قبل فترة قصيرة من هلاكه ضحية طموحاته، خلال صراعه على السلطة مع ابن أخيه ريكادوق.

بعد موت قُتَيْش، انقسم ولداه المملكة، ولكن دُفاق سيّد دمشق أرغم على التخلّي عن الحكم لأتايكه الخاص طفتكين، مؤسس السلالة البورية. أمّا أسباط حلب، لمتحلّون من سلالة رضوان، فقد استمروا في الحكم عشر سنوات أخرى.

٤٧١-٤٨٨هـ/ ١٠٧٨-١٠٩٥م

ناج الدولة قُتَيْش

٤٨٨-٤٩٧هـ/ ١٠٩٥-١١٠٤م

دُفاق (في دمشق)

في حلب:

٤٨٨-٥٠٧هـ/ ١٠٩٥-١١١٣م

رضوان

٥٠٧-٥١١هـ/ ١١١٣-١١١٤م

ألب أرسلان الأخرس

٥٠٨-٥١١هـ/ ١١١٤-١١١٧م

سلطان شاه

٤ - سلالة الروم أو سلالة الأناضول (٤٧٠-٥٧٠هـ/ ١٠٧٧-١٣٠٧م)، يرجع هؤلاء بنسبهم البعيد إلى السلالة الكبار، وقد بنوا شيئًا فشيئًا إمبراطورية في الأراضي التي كان قد احتلّها السلطان ألب أرسلان، وأطلق على أصحابها اسم سلالة الروم، كون دولتهم قامت في بلاد الروم.

وقبل أن تصل قوتهم إلى ذروتها في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، بفضل إنجازاتهم الحربية والدبلوماسية، وأيضًا بفضل ازدهار النشاط التجاري في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم، فإنَّ سلالة الروم مرّوا بصعوبات متعددة خلال تأسيس دولتهم في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. فقد قامت تلك الدولة وسط الاضطرابات التي تلت معركة مانزيكرت/ ملازكرت، وتدقّت الجماعات التركية إلى داخل الممتلكات البيزنطية السابقة، للإشتراك في عمليّات

بالمجتمع الإسلامي.

وإذا ما ظهر بعض التأثير للإسلام في التنظيم العسكري الذي استجاب لمخططات التوسع الأولى، ونتج عنه النجاح الذي أحرزته الفتوحات الكبرى، فإنَّ خصوصيات السلاح الذي استعملته الفرق العربية الإسلامية تعود إلى الأساليب القتالية المثبتة سابقاً في الأوساط البدوية في الجزيرة العربية. ولم يعرف السلاح تطوُّره التدريجي إلاَّ مع الاحتكاك بالشعوب الحضريَّة المتنوعة التي دخلت عالم الإسلام. والإرث القديم الذي تركته بيزنطية، فضلاً عن التقاليد الإيرانية الساسانية، كان له أيضاً أهميته. فسته استوحيت النماذج الأولى للتحصينات الدفاعية التي راقت تأسيس المدن، كما كان في أساس تجهيز الجيوش الأموية، وخصوصاً العبَّاسية، بالأسلحة الثقيلة. إلاَّ أنَّ معرفة ذلك السلاح تبقى غامضة، لكن يمكن القول إنه سلاح يختلف عن التجهيزات الخفيفة التي استعملت في القرن الأوَّل الهجري من قبل العناصر القبلية القادمة من الجزيرة العربية.

وفي حصار المدن، استعملت بعد ذلك آليات لم تكن موجودة، كما ظهر في حصار الأمويين للقسطنطينية. لكنها أعدت بمهارة في ما بعد بحسب ما تغيَّرت المصنَّفات التي وضعت في عهد الصليبيين وكانت القصور الخليفة والأميرية تملك مخازن مليئة بالأسلحة الفردية من كلِّ نوع، كما يفيد مدوَّن الأخيار ومنها الشكَّة، والتروس، والدروع، والسيوف على أنواعها، والرماح، والأقواس، ورمايات السهام. وتضاف إليها آليات الرماية الثقيلة كالجناحين والمزادات، إلى جانب القاذفات والأسهم التي تقلد النار البرقانية وهي تعتمد على مادة حارقة مستخرجة من النفط وكانت تقيِّم هذا السلاح الأخير قد وضعها البيزنطيُّون قبل أن تصل إلى أيدي العلماء المسلمين الذين طوَّروا وسائل القذف. كما تشير إلى أن هؤلاء العلماء عرفوا أيضاً المرايا الحارقة، وعرفوا كيف تجري عمليات التفجير. وتعود الإشارة أيضاً إلى أنَّ إتيان وسائل قتال معقَّدة أحياناً وبماخوذة عن تقاليد مناطقية، كاستعمال الغزنويين الفيلة الهندية المدبَّرة على القتال، أو تطوير

السلع وسقْلون مرورها برًا، بفضل شبكة الخانات التي بنوها على طرق القوافل المهمة التي تحتل بلادهم، وهذا ما كان في أساس غنى دولتهم. والرفاهية التي أحاطوا بها أنفسهم كانت تعكس الازدهار الاقتصادي الذي نعمت به مملكتهم. والفرز الذي تطوَّر في كنفهم يمكن أن نتعرَّف إليه من خلال الأبنية الحجرية المنقطة والزخارف الدقيقة، ومن خلال بريق الخزفيات والشواهد الأخرى الدالة على الازدهار الحرفي المحلي. وقد حُفِّطت معالم أثرية مميَّزة في عاصمتهم فونية، كما بقيت لهم آثار في مناطق الأناضول الأخرى التي كان لسلالة الروم فيها وجود أو تأثير. حتى إنَّ مرحلة الانحطاط شهدت ازدهاراً عمرانياً بفضل الوزير صاحب عطا، والأبنية التي تركوها خليفة بأن تكون عوناً لمعلمهم.

- سليمان بن قنشل^(٥٠) ٤٧٩هـ/١٠٧٧-١٠٨٦م
عز الدين قنقل أرسلان الأوَّل ٤٧٩هـ/١٠٨٦-١١٩٢م
ملكشاه ٤٨٥هـ/١١٩٢-١٢٠٦م
ركن الدين سمود الأوَّل ٥٠٠هـ/١١٠٦-١١١٦م
عز الدين قنقل أرسلان الثاني ٥١٠هـ/١١١٦-١١٥٦م
قنقل الدين ملكشاه الثاني ٥٥١هـ/١١٥٦-١١٨٨م
غياث الدين كيخسرو الأوَّل ٥٨٤هـ/١١٨٨-١١٩٢م
ركن الدين سليمان الثاني ٥٨٨هـ/١١٩٢-١٢٠٠م
عز الدين قنقل أرسلان الثالث ٥٩٧هـ/١٢٠٠-١٢٠٣م
عز الدين كيكاسو الأوَّل ٦٠٠هـ/١٢٠٣-١٢٠٤م
علاء الدين كيخسرو الأوَّل ٦٠١هـ/١٢٠٤-١٢١٦م
غياث الدين كيخسرو الثاني ٦١٦هـ/١٢١٦-١٢٣٧م
عز الدين كيكاسو الثاني ٦٣٤هـ/١٢٣٧-١٢٤٤م
ركن الدين قنقل أرسلان الرابع ٦٤٤هـ/١٢٤٤-١٢٥٧م
غياث الدين كيخسرو الثالث ٦٥٥هـ/١٢٥٧-١٢٨٢م
غياث الدين سمود الثاني ٦٨١هـ/١٢٩٢-١٢٩٣م
علاء الدين كيخسرو الثالث ٦٩٢هـ/١٢٩٣-١٣٠٣م
غياث الدين سمود الثالث ٧٠٢هـ/١٣٠٣-١٣٠٧م

٥٠٠ راجع المستندات ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥.

السلح الإسلامي، هو مجموعة التجهيزات الحربية التي استعملت في البلدان الإسلامية خلال العصور القديمة. وقد تأثرت، كما الأبنية العسكرية، بالأوضاع المحلية وبانتطُّور التقني، أكثر ممَّا تأثَّرت بسمات خاصة

القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد. كان هؤلاء مزهّون بتشتتهم كفرسان ويستحقّون بالشاة، ولكنّ الشاة كانوا الوحيدين القادرين على استعمال المدفعية.

سلالي (حكم)، نوع من الحكم لا يقوم انتقاله على أساس ديني في الإسلام، إلّا عند الشيعة، كان له مع ذلك مكانة بارزة في تاريخ العالم الإسلامي حتى العصر الحديث.

والمعروف أنّ الخلفاء كانوا في البدء يُعيّنون انطلاقاً من مبدأ الشورى، وأنّ الشرط الوحيد المطلوب والمتعلّق بنسب رئيس الجماعة هو أن ينتمي إلى قبيلة قريش. وإذا كان معاوية، وهو أوّل مؤسس لسلالة إسلامية، قد نجح بنقل الحكم إلى ذريته، فقد كان ذلك عن طريق الاختيار المسبق وعن طريق إرغام أصحاب الشأن على أداء يمين الولاء لوليّ العهد الذي عيّنه بنفسه. وبعد موت حفيده معاوية الثاني، انتقلت صلاحية تعيين الخلفاء إلى أسياد القبائل العربية الكبيرة المقيمة في سوريا، فتمّ بذلك اختيار واحد من الأسرة الأموية هو مروان الأوّل. ثم استمرت تلك الأسرة في الحكم على أساس أنّها الأفضل بين أسر قريش.

وفي وقت لاحق، دُحضت الادعاءات الأموية، منذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، على أيدي أبناء ذرية عليّ الذين اعتبروا أنفسهم من أسرة النبي محمّد (ﷺ) التي يشير إليها القرآن الكريم باسم «آل البيت». إن الدفاع عن سلالة عليّ وعن حقّها في الخلافة كان يركّز، في الأوساط الشيعية، على تفسير معيّن للمعطيات القرآنية؛ أمّا في الأوساط السنية فإنّ الدفاع عن المبدأ السلالي كان أكثر صعوبة. فالعبّاسيون الذين شكّلوا السلالة الثانية دافعوا مع ذلك عن حقّهم على أساس أنّهم يرجعون في الأصل إلى أحد أعمام النبي (ﷺ)، أي إلى أحد ورثته.

إنّ الدول التي قامت على انقراض الخلافة العبّاسية، أو خارجها أو بعدها، كانت دولاً سلالية، ولكنّ قواعد الخلافة في السلطة لم تكن ثابتة، بل غالباً ما قامت فيها المنازعات والحروب الداخلية التي كانت تندلع بعد وفاة حاكم لم يحنّ ورثاً له، أو أنّ الذي عيّنه لم يكن مقبولاً. وتجنّباً للصراع، لم يتردّد السلاطين العبّاسيون

هذه الوسائل طبقاً للتقدّم العلمي، لم يحولوا دون الحفاظ على طرائق ووسائل حربية خاصّة بالبدو. كانت هذه الطرائق تعطي الأوثية في القتال للخيالة والنبالة، وتعتمد على تدريب مكثّف لفرق مؤثّقة من عناصر غير عربية، استُخدمت إلى العراق كرفيق ونقلت معها عادات قتالية ألّفها الفرسان الأتراك في السهوب الآسيوية.

بينما كان الفرسان يتدربون في ميادين سامراء أو القاهرة على قواعد الفروسية الشرقية، ضمن قواعد دقيقة حدّدت في مصر زمن المماليك، كان تجهيزهم العسكري يركّز، بشكل أساسي، على نوعية الأقواس التي يستعملونها، وكانت على أشكالٍ مختلفة. ظلّت الأمور على هذه الحال إلى أن ظهرت الأسلحة النارية في القرن السادس عشر، فتحوّلت الأقواس إلى أدوات غير نافعة. وفي العصور الأولى للإسلام وُجد نوعان من الأقواس: القوس العربية البسيطة والطويلة التي لا يُحسن استعمالها إلّا المشاة، والقوس المركّبة الإيرانية التي كانت تستعملها الجيوش الساسانية وعرفها العرب في العهد الأموي. ويبدو أنّ القوس المعروفة باسم قوس واسط هي شبيهة بالقوس المركّبة، وقد استبدلت بها، بعد ذلك، القوس الخراسانية من قبل أنصار الثورة العبّاسية، ثمّ القوس التركية في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد. وهذه القوس التركية هي التي أصبحت لاحقاً أساس قوّة جيوش السلاجقة والمماليك، كما اعتمد عليها المنول، واستمرّ استعمالها لدى الأتراك المالكة التي ورثتهم على المسرح التركيّ - الإيراني. وهناك مراحل من التطوّر كانت تنتظر التسلّع في البلدان الإسلامية التي عرفت، منذ القرون الوسطى المتأخّرة، إستراتيجية متزايدة بالمدفعية، وقد تطوّر هذا السلاح عن طريق تقليد الجيوش الأوروبية وبناء على نصيحة خبراء استقدموا من الغرب المسيحي. وقد أفاد هذا السلاح العبّاسيين بنوع خاص عندما ساعدت المدافع السلطانيّين محمد الثاني الفاتح وسليم الأوّل: ساعدت الأوّل على القضاء على بيزنطية وضمتها إلى ملكه، والثاني على بسط سيطرته على الشرق الأدنى العربي. اعتمد سلاح المدفعية بصورة تدريجية، ولائي مقاومة في مصر التي كانت تحت سيطرة المماليك في

الأيدينيين التركمانية. وقد شجع هؤلاء العلاقات التجارية التي كانت قائمة مع الجنوبيين والبنادقة. واستمر ازدهار المدينة بعد أسلمتها بفضل نشاطها التجاري، إذ إنها كانت تحتل منذ وادي «كوچك» متدّرس^١ (منازل الصغيرة أو كايستر القديمة). وإلى هذا العهد يعود تاريخ بناء مسجد عيسى بك الضخم، وقد شيده أحد الأيدينيين سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م بحسب الفن المعماري لسلاجقة الروم، مع تأثيرات سورية.

ثم إن سقوط المنطقة بكاملها في أيدي العثمانيين، مؤقتاً سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م، ونهائياً سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م، حوّل المدينة إلى مركز إداري وعسكري مع الحفاظ على دورها كمركز اقتصادي. إلا أن تراجع البحر المتوسط جعلها مدينة عادية صغيرة. وفي سنة ١٩١٤ اتخذت اسم سلجوق، ثم عرفت نمواً متجدداً في العصر الحديث بعد جعلها عاصمة إدارية إقليمية.

السلطان، لقب حمله عدد من الحكّام في البلدان الإسلامية، منذ الفرون الوسطى حتّى العصر الحديث، وكانت سلطنتهم تُعتبر تفويضاً من قِبَل الخليفة، ولكن هذه السلطة لم تتخذ قط طابعاً مؤسّساتياً شرعياً.

صدر هذا اللقب أوّل مرّة عن ديوان الخلافة في بغداد في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، عندما قُبِل الخليفة العبّاسي القائم، سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، ولاء السلجوقي طغرل بك، قائد قبائل الغز التركية. وكان طغرل بك قد اجتاح العالم الإسلامي الشرقي، فعهد إليه الخليفة سلطاته الإدارية والعسكرية. بذلك أصبح حامل هذا اللقب، وهو صاحب السلطة الفعلية على الأرض، يتمتع بسلطات شبيهة بتلك التي تتمتع بها أمير الأمراء الذي سبقه، إضافة إلى حقه في تعيين عمّال الدولة. إن صفة «ملك الشرق والغرب» التي أعطيت له تشير إلى أن نفوذه الفاعل لم يكن له حدود معيّنة.

هكذا وُجدت سلطنة وحيدة في عهد السلجوقيين الكبيرين اللذين وهما الخلافة تحت وصايتها، نعتي بهما طغرل بك وألب أرسلان. وبعد موت ألب أرسلان في حدود سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م، حمل الأمير الغزنوي إبراهيم لقب سلطان الذي ظهر على النقود التي ضربت

في بعض العصور، بعد تسلّمهم السلطة، في قتل اخوتهم. وأخيراً برز نوع من وراثة السلطة أُهمل فيه المبدأ الوراثي أو انحصر بمرحلة زمنية معيّنة، وهذا ما نلاحظه مع «الملوك العبيد» الذين شكّلوا الفرع الأوّل من سلاطين دلهي، وكذلك الأمر مع المماليك السوريين - المصريين.

السلام، لفظة ترد بكثرة في القرآن الكريم بمعنى «الخلاص» و«التحية»، وهو معنى سمح لاحقاً بإدخالها إلى الصيغ الإسلامية ذات الطابع القنسي أو الديني وإلى التعبيرات السائدة التي تعكس روح التهذيب في الإسلام. استُعملت اللفظة في بعض النُور بمعنى «السلام الزمني» و«الخلاص الأبدي»، كما في عبارة «دار السلام» التي تشير إلى الجنة. كما تُستعمل، في آيات أخرى، بمعنى التحية، إذ إن الملائكة تستقبل الداخلين إلى الجنة بالقول: «سلام عليكم» (سورة التحل، آية ٣٢). وبالطريقة عينها كان على نبيّ الإسلام (ﷺ) أن يستقبل المؤمنين الجدد (سورة الأنعام، آية ٥٤). أمّا عبارة «عليه السلام» المعروفة جدّاً، فيجب أن ترد بعد اسم كلّ من الأنبياء المذكورين في التقليد الإسلامي. أمّا النبي محمّد، فإن ذكر اسمه يستتبع القول: «صلّى الله عليه وسلّم». والقيمة التي حملتها لفظة «سلام»، منذ اليهود الأولى للإسلام، جعلتها متداولة بشكل طبيعي حتّى اليوم، إذ كلّما التقى مسلمان يتبادلان التحية بالقول: «السلام عليكم». والطابع الإسلامي الذي تحمله اللفظة ينبغي ألا ينسبنا عبارات مماثلة كانت متداولة قديماً في الشرق بين الساميين.

سلجوق (الجمهورية التركية)، هي، قديماً، آيا سلوق (Aya Solük)، وألتولوغو (Altoluogo) في المصادر الغربية. مدينة تشغل، في قسم منها، موقع أفسس الشهيرة.

في سنة ١٨٣هـ/٧٩٨م، كانت المدينة مهذّدة من قبل الجيوش العبّاسية، ثم احتلها الأتراك لمدّة وجيزة بعد انتصارهم في معركة ملازكوت/مانترزكوت سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م. هذه المدينة البيزنطية القديمة والمحصنة حول بازيليك القديس يوحنا ضُمت، في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، إلى إمارة

حملته مثلاً السلالة العلوية في المغرب. أما الصفيون في إيران فكانوا من الشيعة واتخذ ملوكهم لقب شاه، مع أن لفظة سلطان كانت تُدرج في ألقابهم الكاملة.

في كل مكان وزمان، كان السلاطين يتمتعون بالنصاحيات التي كانت للخلفاء، على الصعيدين السياسي والقضائي، ويمارسون السلطات عينها. وفي بداية الأمر كان الخليفة يحتفظ لنفسه بسلطة العقيدة، دفاعاً عن مقامه وتعميقاً عمّا تخلى عنه من سلطات. لكنه لم يكن يمارس هذه السلطة منفرداً، إذ كان لا بد من أخذ دور علماء الدين في الاعتبار. مع ذلك، نجح بعض الخلفاء في ممارستها فعلياً، وهذا ما قام به الخليفة العباسي الناصر لدين الله. وكانت تسمية السلاطين تأتي أساساً نتيجة إنجازات حربية أو اختيار عائلي، وفي كلا الحالتين يُتّيت الاختيار من قبل الخليفة. وهو مع ذلك يبقى في حاجة إلى مبايعة الجماعة التي يُفترض بها أن تقدم بين الولاء لحامل اللقب.

وتجدر الإشارة إلى أن المرحلة التاريخية الأخيرة التي نلت زوال الخلافة العباسية في القاهرة ساعدت حاملي لقب سلطان على فرض أنفسهم أكثر فأكثر. وبعد سنة ١٥١٦م، سمح هذا الوضع لسلاطين بني عثمان بإظهار أنفسهم كالوثة الشرعيين للخلفاء العباسيين.

السلطانية (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة تقوم على أنقاض مدينة أخرى فروسية في أذربيجان، جعلت عاصمة لملاة وجيزة في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد.

وحذا قرية قائمة على ارتفاع عالٍ ما تزال تشير إلى المكان الذي كانت تحتله عاصمة «الجنيتو» المغولي. وهي تقع بين المراعي في السهوب التي كانت تجتازها طريق القوافل المؤدية من قزوين إلى تبريز. وكانت قد تأسست من قبل على يد «أوغون»، وأصبحت سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م مقر السلطة ومستودع السلع التجارية ومركز نشاط أمبراطورية الإيلخانيين بدلاً من مدينة تبريز. إنتهى بناؤه سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م.

من المدينة الضخمة التي كانت تسيطر على النشاط التجاري بين إيران والبحر الأسود، والتي بُنيت أحياؤها وتغلّقت شوارعها بعناية السلطان ووزرائه، ولا سيما

باسمه. وعلى أثر موت ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٦م، تقسّمت الأمبراطورية دولاً، وبدأت مرحلة أفاد فيها ملوك عدة رسمياً من لقب سلطان. ويأتي في طليعة أولئك السلاطين السلطانان اللذان حكمًا ابتداءً من سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، الأول العراق وإيران الغربية، والثاني إيران الشرقية. وفي مرحلة لاحقة حمل أحد أمراء سلاجقة الروم، قلع أرسلان (٥٥١-٥٨٨هـ/١١٥٦-١١٩٢م)، لقب سلطان الذي نُقش على النقود التي ضربها باسمه. ولم يحذّ حذوه إلا عدد قليل من الأمراء المستقلين الذين حكموا البلدان التي وُلدت من تمزّق أمبراطورية السلاجقة الكبار، وانقسم الأكبر اكتفى بحمل لقب «أتابك». أما الأيوبيون فقد حملوا لقب ملك؛ وحده الممثل الأخير لهذه السلالة، وهو الملك الصالح، مُنح لقب سلطان، في حين أنّ صلاح الدين نفسه، الذي تطلق عليه مصادر كثيرة لقب سلطان، لم يُمنح قط هذا اللقب بشكل رسمي.

ابتداءً من سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، حمل المعاليك، الأسياد الجدد لسوريا ومصر، لقب سلطان وقد منحهم إياه الخليفة العباسي الضعيف بعد إقامته في القاهرة على أثر اجتياح بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. وفي المرحلة نفسها حكم الهند «الملوك العبيد» الموزون (٦٠٣-٦٨٩هـ/١٢٠٦-١٢٩٠م) الذين حملوا لقب سلاطين دلهي. وكانوا قد خلفوا السلاطين الغوريين بعدما كانوا في البدء دخلوا في خدمتهم كقادة عسكريين. ثم أوردوا هذا اللقب لخلفائهم الذين ظلّوا على عرش دلهي حتى سنة ١٥٥٥م، كما لأمراء السلالات التي استقلت في سهل الغانج وفي الـدكن.

في غرب هذه البلدان، اتخذ بايزيد الأول الشماني لقب سلطان، وذلك في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. يقال إن الخليفة العباسي في القاهرة أقّر هذا اللقب رسمياً لمحمّد الثاني الذي تولّى السلطة بعد بايزيد، وذلك إثر احتلال القسطنطينية. وبعد إزالة دولة المماليك إثر معركة مرج دابق (١٥١٦م)، أصبح الحكّام الشمانيون أكبر سلاطين العالم الإسلامي. ولكنهم لم يحملوا وحدهم هذا اللقب، إذ إنّه أُعطي أيضاً في أماكن أخرى، في أقصى غرب العالم السني، حيث

٦٦٣ - ٦٦٩هـ/١٢٦٥ - ١٢٧٠م

أبش خاتون

« راجع المستد رقم ١٧ »

سَلَفِيَّ، مشايخ لثبار فكري يتمثل، بشكل رئيسي، بالمذهب الحنبلي الفقهي والكلامي، الذي يركز على توكيدات الأسس الإبائية التي يعتبرها مطابقةً جذرياً للنسبة النبوية.

إنَّ أسس الإيمان هذه تخصّ مفاهيم عقائدية تخلق عنها أحياناً بعض علماء المسلمين. وهي تتعلق، بشكل خاص، بالقول بالصفات الإلهية، وبعدم خلق القرآن الكريم، وبإنكار حرية الاختيار، وبالخضوع التام لرئيس الجماعة من وجهة نظر سلبية للإمامة. ويعلم السلفيون (التقليديون) أهمية قصوى على التقاليد النبوية المبنية على الأحاديث الشريفة (أي السنة النبوية الشريفة)، ولكنهم ليسوا بالضرورة منخصّصين في علم الحديث أي محدّثين.

سلفية ← الإخوان المسلمون.

سلمان الفارسي، (٩ - ٣٦هـ / ٩ - ٦٥٦م)، أحد صحابة النبي محمد (ﷺ)، كان لشخصيته التي يكتنفها بعض الغموض شهرتها الثنائية عبر العصور.

لا تُعرف الظروف التي حملت هذا العبد المُسْمَى «الفارسي» على الانتقال إلى شبه الجزيرة العربية لملاقاة النبي محمد (ﷺ) في المدينة وتقبل الإسلام. يبدو، بحسب الرواية التقليدية، أنّه هو الذي اقترح على النبي (ﷺ) حفر الخندق عندما حاصر المكيون المدينة، ما حال دون تقدّمهم وساعد المسلمين على الدفاع عن أنفسهم؛ وعُرفت المعركة بمعركة الخندق. إنّ فبره المفترض الموجود في العراق قرب المدائن، في مكان يُعرف باسم سلمان باك بالفارسية، أي الطاهر، قد تحوّل منذ وقت مكيّر مزاراً يقصده المؤمنون. وقد رُفِع فوق المكان بناء قديم دُمّعه العشائرون في القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر للميلاد.

وفضلاً عن كونه من أوائل الذين دخلوا الإسلام من غير العرب، فإنه يُعتبر كذلك أحد مؤسسي حركة التصوّف، كما ارتبط اسمه بمنظومة «الفتوة». كذلك حظي بتكريم خاص لدى غلاة الشيعة، كالنصيريين

رشيد الدين طيب، لم يبقَ اليوم إلّا الضريح الكبير الذي بُني للسلطان «ألبانيو» نفسه، ولا شك في أنّه أكثر الأبنية شهرة وفخامة في ذلك العصر. فمعالم الزخرفة بفسيفساء من الخزف لا تفلّ أهمية عن الأناقة المعمارية يقيته المركزية الضخمة التي يتناغم التوازن فيها في الداخل والخارج. وبعد تلك المرحلة الوجيزة من الازدهار، تخلّى خلفاء «ألبانيو» عن السلطانية كعاصمة لهم، ولكنها بقيت لبضعة عقود مجتمعة سكنياً كبيراً، إلى أن جاء الصفويون واختاروا أصفهان عاصمة لهم، فكان ذلك بداية ضعف السلطانية وانحطاطها.

« راجع المستد رقم ٢٣ و ٢٤ »

السُّفَرِيُّونَ، (٥٤٣ - ٦٦٩هـ/١١٤٨ - ١٢٧٠م)، من أشهر أسر الأتابكة الأتراك الذين حملهم طموح الدفاع عن الإسلام على التوسّع في الشرق، في الوقت الذي كانت فيه الفوضى تعمّ أرجاء دولة السلاجقة الكبار.

وكانت مقاطعة فارس المهمة، جنوب غربي إيران، قد وقعت في يد مؤسس الأسرة، المدعو سنقر الذي ينتسب إلى إحدى القبائل التركمانية. وكان سنقر قد بدأ بحارب في الأناضول تحت راية سلاجقة الروم. وعلى الرغم من منافسة خصومهم المجاورين وصراعاتهم معهم، استطاع خلفاؤه وأحفاده الاستمرار مدة من الزمن أسياً في المنطقة التي كان احتلّها سنقر. وقد اتّوا لها الازدهار والغنى، ولا سيّما زمن مُلِك عزّ الدين سعد في مطلع القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، وذلك قبل زوال مُلكهم أمام تقدّم أسرة خوارزم شاه، وخصوصاً بعد وصول المغول الذين أخضعوهم لسلطتهم، ثم ضمّوا مقاطعتهم إلى مملكة الإيلخانيين القوية.

منظر الدين سنقر ٥٤٣ - ٥٥٦هـ/١١٤٨ - ١١٦١م
منظر الدين زنكي ٥٥٦ - ٥٧٠هـ/١١٦١ - ١١٧٥م
نكته ٥٧٠ - ٥٩٠هـ/١١٧٥ - ١١٩٤م
طغرل ٥٩٠ - ٦٠٠هـ/١١٩٤ - ١٢٠٣م
عز الدين سعد الأوّل ٦٠٠ - ٦٢٨هـ/١٢٠٣ - ١٢٣١م
أبو بكر قنقل خان ٦٢٨ - ٦٥٨هـ/١٢٣١ - ١٢٦٠م
سعد الثاني ٦٥٨ - ٦٦٠هـ/١٢٦٠ - ١٢٦٢م
محمد ٦٦٠ - ٦٦٣هـ/١٢٦٢ - ١٢٦٥م
سلجوق شاه ٦٦١ - ٦٦٣هـ/١٢٦٣ - ١٢٦٥م

الذين أحاطوا بشخصيته بهالة ذات طابع إلهي.

السَّلْمِيَّة (الجمهورية العربية السورية)، بلدة تقع في السهوب الداخلية، جنوب شرقي حماة وشمال شرقي حمص، اشتهرت في القرون الوسطى كمركز للإسماعيلية.

كانت السلمية بعيدة عن الطريق الذي يصل دمشق بحلب، لكنها كانت متصلة بطريق القوافل التي كانت تعبر السهوب السورية - الأردنية، وقد اشتهرت في القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، لأن عددًا كثيرًا من المهاجرين سكنوها، ومن بينهم أحفاد صالح بن علي، أحد أعمام الخلفاء العبّاسيين الأوائل الذي بنى دارة فخمة وسط حقول مزروعة ومروية. وفي النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، تحولت السلمية إلى مركز مهم لنشر الدعوة الإسماعيلية في سوريا. وفيها ولد عُبيد الله المهدي مؤسس السلالة الفاطمية، وقد اختلفت الآراء قديمًا وحديثًا حول أصله. وما نعرفه هو أنه ترك السلمية في حدود سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، متوجّهاً إلى إفريقية، وذلك قبيل هجوم قام به القرامطة.

وفي المصراعات المسلّحة التي طبعها مصير سوريا في العصور الوسطى، لم تهم السلمية بدور المدينة الحصينة، واكتفت باتباع مصير مدينة حمص. واستمرت، زمن العثمانيين، مدينة صغيرة معزّضة لهجمات البدو، ثم استعادت بعض الازدهار في أواخر القرن التاسع عشر، وذلك بفضل استقرار عدد من الاسماعيليين فيها بعد عودتهم إليها سنة ١٨٩٢.

« راجع المستد رقم ٩.

سليم، اسم حملة ثلاثة سلاطين من السلالة العثمانية، بينهم سليم الأول يائوز الذي عمل، في مطلع القرن السادس عشر، على توسيع الامبراطورية في المشرق العربي.

سليم الأول (٨٧٢-٩٢٦هـ/ ١٤٦٧ - ١٥٢٠م)، هو ثامن سلاطين بني عثمان، تسلّم الحكم سنة ١٥١٢، واستأنف السياسة الحربية التي كان قد بدأها جده محمد الثاني الفاتح ووالده بايزيد الثاني، وأرقها بتناير

قاسية، في أغلب الأحيان، فلُقّب بـ«يائوز» أي الطاغية. واجه حكمه في البداية صعوبات متنوّعة. وكان قد عُيّن أولًا حاكمًا على مقاطعة طرابزون، فاصطدم بمناصفة أخيه أحمد الذي كان وليّ العهد. وبفضل انقلاب دّبره الإنكشاريون، نجح في خلع والده وإعلان نفسه سلطانًا سنة ١٥١٢. وبعد تسلّمه السلطة لم يتردّد في تصفية إخوته وأولادهم، كما حمل على الشيعة في المناطق الشرقية لأنّهم كانوا يدعمون الصفويين الذي بسطوا سلطنتهم على إيران. إنّ الوجود المقلق للصفويين على حدود دولته دفعه إلى القيام بحملة عسكرية هزم فيها الصفويين في جالداران سنة ١٥١٤. وبذلك أصبح في استطاعته أن يهيمن على المناطق الشرقية للأناضول وعلى بلاد ما بين النهرين العليا. إلّا أنّه اصطدم في هذه المنطقة بطموح المماليك السوريين-المصريين، في معركة مرج دابق قرب حلب، في شهر آب سنة ١٥١٦، هُزم جيش قانصوه الغوري على يد الجيش العثماني المجوّه بالمدفعية التي ساعدت على فخر المماليك. بذلك فتحت الطريق أمام العثمانيين لاحتلال سوريا، ثمّ مصر التي توثقت فيها السلطان الجديد طومان باي عن المقاومة في كانون الثاني (يناير) من سنة ١٥١٧.

لقد استطاع السلطان سليم، في سنوات معدودة، أن يجتاح مناطق واسعة، وكان لانتصاراته صداها في العالم الغربي من دون أن نسيه إلى العلاقات السلمية التي أقامها السلطان مع الدول الأوروبية. وكان ينوي، بعد ذلك، تجهيز حملة لاحتلال جزيرة رودس، لكنّه توفي في أيلول (سبتمبر) سنة ١٥٢٠ قبل أن يحقق مشروعه. وقبل ذلك أعلن شريف مكّة خضوعه للسلطان سليم، وكذلك سيّد الجزائر القرصان السابق خير الدين، وبذلك تمتّ له السيطرة على المشرق الأوسط. وإثر احتلاله مصر، استقدم سليم إلى اسطنبول آخر ممثل للخلافة العباسية وألقاه في السجن، وكان يعيش في حماية المماليك في القاهرة. وهذا العمل كان في أساس الاعتقاد القائل بأنّ آخر الخلفاء العبّاسيين تخلى عن الخلافة للسلطان العثماني. لكنّ هذه الرواية لم تظهر إلّا بعد مرور قرنين ونصف على تلك الحادثة، وهي نالًا موضوع شك وتمعّكس رأيًا شاع في الأوساط

العثمانية أكثر مما نعتبر عن واقع فعلي.

سليم الثاني (١٥٢٤ - ١٥٧٤م)، هو عاشر سلاطين بني عثمان. تسلم السلطة سنة ١٥٦٦ في مرحلة قليلة الاضطراب، وترك الحكم بين يدي المصدر الأعظم محمد سوكوللو.

وسليم الثاني هو الابن البكر للسلطان سليمان القانوني من محظيته روكسلان. ويعود الفضل في اعتلائه العرش إلى مقتل أخيه بايزيد الذي حُرم سنة ١٥٥٩، ثم قُتل سنة ١٥٦١. وقد حاول المصدر الأعظم سوكوللو - الذي أبقاء سليم في منصبه - أن يتابع سياسة السلطان السابق، سليمان، ففقد في أدرنة، سنة ١٥٦٨، معاهدة صلح مع النمساويين، وجدّد للفرنسيين وللبنادقة عهدود الأمان (capitulations).

في وقت لاحق، نحت جيوش السلطان الجديد في انتزاع اليمن من الأتمة الزيديين. ثم قرّر سليم الثاني احتلال جزيرة قبرص، فدخلت جيوشه نيقوسيا سنة ١٥٧٠ وفماغوستا سنة ١٥٧١. هذه الحملة التي كترست سيطرة العثمانيين البحرية على المتوسط أدت إلى قيام تحالف بين البندقية وإسبانيا والبابوية، واستطاعت قوى هذه الدول مجتمعة أن تدمر الأسطول التركي في معركة ليبانت (Lépante) البحرية في تشرين الأول (أكتوبر) من سنة ١٥٧١. وقد شكّل هذا الحدث تحولاً مهماً بالنسبة إلى مستقبل العلاقات العثمانية - الأوروبية، على الرغم من عقد اتفاقية صلح بشروط ملائمة مع البندقية، في آذار (مارس) سنة ١٥٧٣، تخلّت بموجبها البندقية عن قبرص. لكنّ الدولة العثمانية عملت على إعادة بناء أسطولها، واستطاعت، سنة ١٥٧٤، أن تحتلّ تونس حيث كان الإسبان قد نجحوا في أن يكون لهم فيها موطن قدم.

لم يكن سليم الثاني ليهتم بنفسه بالوضع السياسي، إذ أمضى حياته ساعياً وراء الملذّات وسط فساد متزايد طال الطبقات العليا من المجتمع، وقد مات جزءاً من أحداث في قصره سنة ١٥٧٤. فضلاً عن الحملات الحربية التي طبعتم ملكه، والتي لم تكن دائماً موفقة، فقد ضبط القوانين التي وضعها والده (قانون نامد) ودقّق في بنودها بمساعدة المفتي أبو السعود. كما اهتم شخصياً

ببناء عدد من المساجد الجامعة التي تشكّل جزءاً من الأعمال الفنية الرائعة لذلك العصر، ومنها مسجد السليمانية في أدرنة الذي يُعتبر أجمل المنجزات المعمارية، وقد أشرف على بناءه المهندس سنان.

سليم الثالث (١٧٦١ - ١٨٠٧م)، هو السلطان العثماني الثامن والعشرون، حكم ما بين سنتي ١٧٨٩ و١٨٠٧، وحاول تجديد نظام كان ضعفه قد بدأ يظهر في الانهزامات الحربية المتكررة.

ما إن اعتلى سليم الثالث العرش حتّى اضطرّ إلى متابعة الحرب ضدّ روسيا والنمسا، ولم يستطع التحول دون إحرازهما انتصاريْن. في آب (أغسطس) وأيلول (سبتمبر) من سنة ١٧٨٩، ولا منع النمساويين من احتلال بلغراد وبوخارست في خريف تلك السنة. وقد ترك ذلك صورة عن ضعف الجيش العثماني، على الرغم من الصلح الذي عُقد في آخر الأمر مع النمساويين في آب (أغسطس) سنة ١٧٩١، ومع الروس في كانون الثاني (يناير) سنة ١٧٩٢. وهذه الهزائم حثّت السلطان سليم الثالث على أن يُدخل إصلاحات متنوّعة على التنظيم العسكري. فأقام تدريباً جديداً وتدريباً منتظماً للإكشارية، وأوجد، سنة ١٧٩٤، فليلاً جديداً من المشاة عُرف باسم «نظام جديد» قام بتدريبه ضباط أوروپيون، كما أنشأ في الأناضول نظاماً جديداً للتجنيد. اندرجت هذه الإصلاحات في إطار سياسة خارجية هدفت إلى الانفتاح على الغرب، ما دفع بالسلطان إلى إرسال السفراء إلى عدد من البلدان. لكنّ هذه السياسة اصطدمت بمصاعب داخلية متنوّعة: حرب مع فرنسا سنة ١٧٩٨ بسبب حملتها على مصر، ثمّ عقد صلح معها سنة ١٨٠٢، ثورة بلغاريا، وثورة الوهابيين في شبه الجزيرة العربية. وفي سنة ١٨٠٧ وقع السلطان ضحية ثورة الإكشارية الذين أجبروه على إلغاء الإصلاحات والتنازل عن العرش، تاركاً لمصطفى الرابع الضعيف حكماً سيعمل لاحقاً على الإسكاف به بحزم السلطان المصلح محمود الثاني.

سليم الجشتي. (١٧٩٧ - ١٨٠٧م)، مصوّف تقي وأحد أتباع الطريقة الجشتية. كان له تأثيره الديني والسياسي على السلطان أكبر من سلاله المغول.

الجنّ على العمل في خدمته.

ولم يكف الكتاب الآخرون عن تجميل أخبار النبي سليمان، بإضافة عناصر من منابع مختلفة إبرازاً لقدرته الفائقة. وتركز الأخبار، بخاصة، على العمارات المدهشة التي أنجزها، بدءاً بالمهيكل في اورشليم القدس. وكثيرة هي الأبنية الفائقة التي تُسبّط لاحقاً إليه، كخرواب برسيبولس المدهشة أو تخت سليمان في إيران، إلى خرواب مأرب في اليمن.

إلا أنّ تلك الأماكن قلما ترافقت مع إقامة مزارات على اسم النبي سليمان عندما انتشرت عادة تكريم الأولياء في الإسلام. وقليلة هي المزارات التي حملت اسمه، إذ لم يذكر منها الهروي في دليله سوى تلك التي وُجدت في فلسطين وفي اليمن، وذلك في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. ورغم تمتع شخصية النبي سليمان باعتبار مميّز عبر العصور، إلا أنّها لم توقظ مظاهر التقوى الشعبية بشكل بارز.

سليمان بن عبد الملك، (٦١١-٩٩هـ/٦٨٠-٧١٧م)، خليفة ينتمي إلى الفرع الرواسي من السلالة الأموية، تسلم الخلافة بين سنتي ٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م.

خلف سليمان أخاه الوليد بناءً على وصية والدهما الخليفة عبد الملك. كانت له من قبل نشاطات عسكرية؛ وبعد تسلمه الحكم انطلق بحزم في اقتال ضدّ البيزنطيين، وأدار برفقة أحد إخوته، مسلمة، عمليات في الأناضول أوصلته إلى القسطنطينية التي حاصرها برّاً وبحراً مدة سنة. إنّ وفاته سنة ٩٩هـ/٧١٧م في دابق، في شمال سوريا، وضعت حداً لحملته المشهورة وأوصلت إلى الخلافة ابن عمه عمر بن عبد العزيز الذي كان سليمان قد جعله وئياً للمهد. واشتهر سليمان، قبل تسلمه الحكم، بتأسيسه مدينة الرملة في فلسطين وقد جعلها لاحقاً مقراً لخليفته.

سليمان العظيم أو القانوني (١٤٩٤-١٥٦٦م)، هو السلطان العاشر في السلالة العثمانية، استمر حكمه من سنة ١٥٢٠ إلى سنة ١٥٦٦. تميّز هذا الحكم بطول مدته، وأيضاً باتساع فتوحاته وبإشرافه الثقافي. كان سليمان الابن الوحيد الذي بقي على قيد الحياة

يعود سليم بنسبه إلى أحد المؤرّقين المستنيرين إلى الطريقة نفسها، ويُعرف باسم فريد الدين مسعود، أو «كنجي شكر». وبفضل بركة هذا الصوفي وصلواته، رزق أخيراً ولداً ذكرًا هو جهانكير الذي سيصبح ملكاً، وأطلق عليه اسم السلطان سليم، تكريمًا للصوفي الجشني. بعد وفاته سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م، عمده السلطان أكبر إلى تكريمه، فبنى على اسمه ضريحاً فخماً مفتياً من الرخام الأبيض وشيّد حوله مدينة ملكية أطلق عليها، سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م، اسم «فتحپور سكري».

«راجع المستند رقم ٧٨»

سُلَيْم (بنو -)، قبيلة من جزيرة العرب تنتمي إلى عرب الشمال. كانت في بداية الإسلام تقيم على الحدود بين نجد والحجاز.

أدّى بنو سُلَيْم - الذين كانوا مرتبطين بالمكثين - بيمين الولاء للنبي محمّد (ﷺ) في حدود السنة الثامنة للهجرة/٦٢٩م، وشاركوا في فتح مكة. وقد ساندوا الخلفاء الأمويين الأوائل، لكنهم انضموا بعد ذلك إلى ابن الزبير. وفي القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، انتقل قسم منهم إلى مصر حيث أثاروا الاضطراب. وهذا ما جعل الفاطميين يرسلونهم، في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، مع بني هلال أو الهلاليين، لاجتياح إفريقيا.

سليمان، اسم حمله ثلاثة سلاطين من السلالة العثمانية، أهمهم سليمان الثاني القانوني الذي حكم من سنة ١٥٢٠ إلى سنة ١٥٦٦، عندما كانت السلطة في أوج عظمتها، وتمتّع بتقدير جعله يُعرف في فرنسا باسم سليمان العظيم.

سليمان بن داود، شخصية توراتية يرد ذكرها في القرآن الكريم، وأحد الأنبياء المرسلين الذين سبّغوا ظهور النبي محمّد (ﷺ).

تحتل أخبار النبي سليمان آيات كثيرة من القرآن الكريم، ولا سيّما في سورة النمل (١٥ - ٤٥)، حيث يبدو قاضياً منصفاً وملكاً ذا قدرة فائقة ومعرفة بالأمور الخفية تبرز في أخبار ملكة سبأ. كما يبدو فادراً على فهم لغة الحيوانات، وعلى التحكم بالعواصف، وحمل

- حازماً في تسيير الشؤون الخارجية، وهذا الحزم بلغ حد القساوة والظلم أحياناً. وبرى بعضهم أن هذه القسوة كانت بتأثير محظيته خُزّام سلطان، المعروفة بروكسلان (Roxelane)، التي أصبحت زوجته. فقد فُعم بعنف انتفاضات ثورية وقعت في سوريا ومصر، في بداية عهده، وأعدم الصدر الأعظم إبراهيم باشا بدون تردد. وبناءً على إلحاح محظيته، أمر بإعدام ابنه مصطفى، المولود من امرأة أخرى، في حين أن ابنه بايزيد فرّ إلى إيران حيث أمر الشاه بقتله. وكان عليه أن يُدْمَج بالامبراطورية، الأراضي الواسعة التي استولى عليها بنفسه أو التي استولى عليها والده، ما اضطرّه إلى وضع عدد من الأنظمة والقوانين الهادفة لإدارتها، لذا لُقّب بالقانوني. وإذا لم يكن النظام البيروقراطي العثماني قد وصل في عهده إلى مرحلة متقدمة من الكمال، فإنّه، على الأقل، عرف تطوراً كبيراً وواكب ازدهار الحياة الفكرية والفنية. وقد أمر السلطان بدائع من مبله إلى التقوى، بناءً على عدد من المنشآت الدينية، ولا سيما الكليات، بإشراف كبير المهندسين سان. وغير بعيد عن المجمع الأول الذي شيده، تدين له اسطنبول، بنوع خاص، بمجمع السليمانية الضخم، وفيه مسجد جامع بقبة مركزية، وحوله مجموعة أبنية حسة الهندسة تضم مدرسة ومكتبة ومطاعم، فضلاً عن أضرحة للسلطان وأفراد أسرته.

لا شك في أن سليمان يُعتبر أشهر السلاطين العثمانيين. وقد عمل على إقامة علاقة جيدة بالملك الفرنسي فرنسوا الأول، فأعطى الفرنسيين عهد أمان (capitulation)، واستقبل في اسطنبول ممثلاً دائماً لفرنسا. والتجّاح الدبلوماسي الذي حقّقه كُرس وضعه على رأس امبراطورية اعتبرت قوة عالمية حقيقية في وجه الغرب من جهة، وفي وجه الإيرانيين من جهة أخرى. وقد شكّل هؤلاء للعثمانيين سداً في وجه عالم أسوي دائم الاضطراب.

◀ رابع المستبين ٢٦ ٨٥.

سليمان المهري، بخار عربي من حضرموت على المحيط الهندي، عاش في النصف الأول من القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، بعد إين ماجد بوقت قليل.

من أولاد السلطان سليم الأول. وند في طرابزون واعتلى عرش السلطنة في الخامسة والعشرين من عمره. بعد أن كان والياً على مانيسا، ففرض سلطته بسرعة على كلّ القوى السياسية، بمساعدة الصدر الأعظم ييري محمد باشا، الذي خلفه إبراهيم باشا بين سنتي ١٥٢٣ و ١٥٣٦. تميّزت سنواته الأولى في التحكم بسلسلة حملات عسكرية تكثّلت في غالبيتها بالنجاح: احتلال بلغراد سنة ١٥٢١، وجزيرة رودس سنة ١٥٢٢، وبودا سنة ١٥٢٦، تهديد فيينا سنة ١٥٢٩، احتلال العراق ومناطق أروموم ووان بين ١٥٢٣ و ١٥٣٦. بذلك وصلت السلطنة إلى أقصى مدى التوسع في أوروبا والشرق، إذ بلغت المناطق المجاورة لعاصمة آل هابسبورغ، من جهة، وأذربيجان من جهة أخرى. وبعد أن أعدم إبراهيم باشا لأسباب ما تزال غامضة، تابع سليمان سياست التوسعية، ولكن مع التركيز على تثبيت سلطته في المناطق التي احتلّها.

في سنة ١٥٤٠ وقع السلطان مع البندقية اتفاقية سلام منح بموجبها التجّار البنادقة عهد أمان (capitulation) ممّيّز. وفي سنة ١٥٤١، وضع غنغاربا تحت الوصاية العثمانية في انتظار أن يبلغ ملكها سن الرشيد بعد وفاة والده، كما وقع هدنة، سنة ١٥٤٧، مع الأميرطور شارلوكان وأخيه فردنان. وفي سنة ١٥٥٩ وافق شاه إيران على معاهدة صلح وقّعها مع سليمان. وفي سنة ١٥٦٦ وقعت حوادث حملت السلطان على أن يجهز حملة ضدّ الأميرطور انجرماني الجديد، مكسيليان الثاني، وهي الحملة الأخيرة التي توفى خلالها. بعد ذلك بسنتين، أي سنة ١٥٦٨، عُقدت معاهدة صلح مجدداً مع النمسا، ما أتاح للدولة العثمانية الاحتفاظ بالأراضي التي كانت قد احتلّها. ثمّ سنحت الفرصة للجيش العثماني لاحتلال اليمن ومرفأ عدن، وفي المغرب استطاع الفرسان والأميرال الكبير خير الدين أن ينطلق من الجزائر ويحتلّ تونس سنة ١٥٣٤. وهذا الاحتلال الذي كان مؤقتاً سفل الطريق أمام العثمانيين ليستولوا لاحقاً على طرابلس الغرب وتونس والجزائر. بدأ السلطان سليمان - الذي نظّم حملاته العسكرية بحكمة ومهارة بمساعدة رؤساء وزرائه

كمدنية تجارية، اشتهرت أيضًا بالأنشطة الحرفية، ولا سيما بصناعة الورق. واستمر هذا النشاط قائمًا في عهد الغزنويين والسلاجقة، إلى أن محت غزوات المغول، سنة ١١٦٦هـ/١٢١٩م، كل أثر لأبنيتها القديمة. وحدها بعض المعالم الأثرية التي اكتشفت حديثًا جاءت تطابق ما كانت المصادر العربية القديمة قد وصفته عنها بإعجاب.

وبدأ بعد ذلك عهد جديد من الازدهار مع المدينة التي أعيد بناؤها في مكان غير بعيد عن المدينة القديمة، وأصبحت سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، عاصمة إمبراطورية تيمورلنك. وقد جاءت مدينة مذهبة، وكان الفاتح التركي يوجه إليها غنائم فتوحاته البعيدة، وقد شُيد فيها أبنية مثيرة ما يزال بعضها قائمًا حتى اليوم، كمسجد «بيي خانم» الجامع، وضريح «غوري مير». إن مخطط الأحياء - التي كانت مأهولة آنذاك والتي وصفها الرحالة الأسباني كلايفو (Clavijo) في سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، والتي جعلها التيموريون إلى الجنوب من المساحات المهجورة حيث كانت تقوم المدينة قبل الغزو المغولي - لا تزال معالمه ظاهرة وسط الأبنية الحديثة. إن الأبقار المهمة للمجمع الذي أُقيم حول ضريح «شاه زنده» وبقايا المرصد الذي أقامه «أولغ بك» تشكل الحدود لهذه الأحياء حول المدرسة التي شُيدت «أولغ بك» نفسه، في أحد جوانب ساحة رغستان المستطيلة، وجعلها أربعة أبنية متواجة. وقد هُدم قسم منها وأعيد بناؤه في القرن السابع عشر مع تشييد مدرستين حلّتا مكان القسم المتهتم.

ومع ذلك، فقد دخلت المدينة في مرحلة انحطاط بعد خضوعها لسلطة خانات الأوزبك من سلالة الشيبانيين وغيرهم الذين عجزوا عن إحياء وهج الحضارة التيمورية. وكان عليها أن تنتظر تغيرات المرحلة الحديثة التي بدأت مع احتلال الروس للمدينة سنة ١٨٦٨، وما استتبع ذلك من تدفق سكّاني إلى المنطقة بدافع الازدهار الصناعي فيها، ما سمح للمدينة بالاستمرار، رغم نموّ عاصمة إدارية جديدة للمنطقة هي مدينة طشقند.

«راجع المستندات ٨، ١٢، ١٣، ١٧، ٢٣، ٢٤، ٣٠، ١٧»

عُرف سليمان باسم المهري لأنه ينتسب إلى قبيلة عربية من منطقة ههزة. وقد وضع، قبل سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، مصنفات عدة حول الملاحة البحرية وعلم النجوم البحري، منها «المتناج الفاخر في علم البحر الزاخر» حيث يصف الطرق البحرية التي سلكها. تتخطى فائدة أبحاثه فائدة أبحاث ابن ماجد الذي اشتهر خاصة بكثرة كتاباته وبعلاقاته الشخصية مع فاسكو دي غاما.

السماع، لفظ عربي يعني الاستماع أو الإصغاء، وهو يحمل مفهومين مهمين: فهو في نظر بعضهم يعني حلقات الموسيقى الروحية التي كان يقبها الصوفيون لبلوغ النشوة، وتختلف أهميته من فرقة إلى أخرى. والسماع في نظر بعضهم الآخر هو الإصغاء إلى درس يعطيه معلّم لدى تحليله بحثًا، غالبًا ما يكون فقهيًا. وكثيرًا ما نجد في أواخر المخطوطات إشارات إلى السماع يُعرف باسم «إفادة سماع»، وتدلّ على أنّ هذا الكتاب قد أُلقي حوله درس في مكانٍ وزمان محدّدين ومن قبل شخص محدّد. وهذه الإفادات تسمح بإعادة رسم العلاقات التي كانت قائمة بين المعلّم وتلاميذه، وتساعد على تحديد شروط انتقال بعض التيارات الفكرية داخل الإسلام.

صمرقند (جمهورية أوزبكستان)، مدينة معاصرة بدأت تنمو منذ القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد قرب إحدى أهم مدن القرون الوسطى المهدّمة في بلاد ما وراء النهر، وقد عرفت في ذلك الوقت تاريخًا مضطربًا.

في العصر الأموي، دخلت الجيوش العربية - الإسلامية سنة ٧٩٣هـ/٧١٢م مدينة «ماراكند» القديمة التي كان يُطلق عليها أيضًا اسم «أفراسياب»، وهو اسم ملك طوران الأسطوري. وقد حافظت على خصائصها كعاصمة في منطقة من الواحات الغنيّة تسقيها مياه «زُرْشْتَان» وتعتبرها طرق القوافل. وقد استمرت المدينة بعد ذلك مركزًا اقتصاديًا وفكريًا نشطًا، حتى بعدما ضمّها السامانيون إلى ملكهم سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، واختاروا مدينة بخارى عاصمةً لهم. إلى جانب شهرتها

القرون الوسطى، فإنَّ سمنان كانت تؤمّن حياة أبنائها من النشاط التجاري على طول المحور الكبير الذي كان يربط الريّ، وفي ما بعد طهران، بنيسابور أو مشهد، والذي عرف حركة نقل قويّة داخل آسيا، كانت في بعض الأوقات جدّ مزدهرة. إلّا أنّ تاريخها تخلّله كوارث متتالية حلّت بها في أثناء غزوات المغول، كما في المراحل المضطربة اللاحقة. والتجديد الذي عرفته في عهد القاجار، والذي ما يزال بارزاً في تنظيمها المدني، لم يتوصّل إلى أن يعيد إليها الحيويّة التي عرفتها في العهد الأوّل للإسلام، قبل وصول السلاجقة. قالى جانب ما تذكره المصادر التاريخية وأخبار الجغرافيين العرب، كالمقدسي، عن هذه الحيويّة، تأتي الدلائل المعمارية شاهداً إضافيّاً، ومنها المسجد الجامع الذي يعود في قسم منه إلى العصر العبّاسي، ومثله من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، مرّيّة بزخارف قرميديّة نائنة.

سينان (١٤٨٩ - ١٥٨٨م)، مهندس معماري مشهور، عاصر السلطان العثماني سليمان القانوني الذي قدّم له الحماية والرعاية، وإليه يعود الفضل في هندسة عدد كبير من الأبنية التي أصبحت نماذج للفن المعماري العثماني الكلاسيكي.

وسنان في الأصل من قرية صغيرة تقع على مقربة من قيصريّة، وسط الأناضول، استدعي في عهد السلطان سليم الأوّل يأوّر بموجب نظام الدوشرما (خريبة الغلمان) ليقدم الدولة، فانهخرط في صفوف الجيش الإنكشاري، وشارك في حملات حربيّة متعدّدة في عهد السلطان سليمان القانوني، وأظهر براعته في بناء الجسور وأعمال فنيّة أخرى. ومن أجل زيادة ثقافته، كان يستغلّ كل الفرص التي أتيحت له والتي سمحت له بالتجول في مناطق البلقان، وهنغاريا، ومنطقة فيينا، وجزيرة أرواد، ثمّ في العراق بين سنتي ١٥٣٤ و ١٤٣٥م. وفي كورفو سنة ١٥٣٧، ومولدانيا سنة ١٥٣٨م. فساعده الأسفار على فهم مختلف الفنون المعماريّة وعلى الاستفادة منها في أعماله. وباشر بتنفيذ أعماله المعماريّة في المقاطعات تلبية لرغبات بعض حكام الأقاليم. وظهرت أولى مجتمعاته السكّنية في جيزري سنة ١٥٢٣م، ولا سيما

سمسون (الجمهورية التركيّة)، مدينة مرفئيّة تقع شمالي الأناضول على ساحل البحر الأسود، تطوّرت بشكل بارز بعد إلحاقها بالعالم الإسلامي.

وسمسون مدينة قديمة أصبحت بيزنطيّة، وكانت تُعرف باسم «أميزوس» (Amisus) أو «أمينسو» (Aminso) ومنه اشتق اسم «سيميسو» (Simisso) الذي استعمله الغربيّون في العصور الوسطى. ومنذ سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م، تعرّضت المدينة للتخريب بسبب الحملات العبّاسيّة، لكنّها لم تخضع لسلطة المسلمين إلّا بعد وصول الأتراك إلى آسيا الصغرى بوقت طويل. ذلك أنّ سيّد قويّة قلج أرسلان الثاني، من سلالة سلاجقة الروم، استولى عليها في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. وبفضل العلاقات التي أقامتها هذه المدينة مع المناطق الداخليّة، فإنّ مملكة الهضبة الوسطى استطاعت الانفتاح على البحر الأسود. ونحت حكم السلاطين، ثمّ حكم الأمراء التركمان كالأفندياريين، تحوّلت المدينة إلى منفذ للبضائع الآتية من الشرق عبر طرق القوافل التي كان يسيطر عليها السلاجقة والإيلخانيّون وعدد من السلاطات المحليّة في عهد الإمارات. والمدينة المسيحيّة الواقعة إلى جوار المدينة المسلمة استولى عليها الجنويّون الذين حوّلوها إلى مركز تجاري، إلى أن احتلّها العثمانيّون سنة ١٤٢٥م، وكانوا قد احتلّوا من قبل القسم المسلم من المدينة.

في القرن السابع عشر كانت مدينة سمسون، المتخصّصة بتصدير حيال القنّب، على صلة بشبه جزيرة القرم، على غرار طرابزون وسينوب. لكنّها شهدت مرحلة الانحطاط في القرن الثامن عشر، على أثر ضمّ شبه جزيرة القرم إلى روسيا. ولم تعد إلى الازدهار مجدّداً إلّا في أواخر القرن التاسع عشر، وذلك بفضل انتشار زراعة التبغ في المنطقة. وهي تُعتبر اليوم المرفأ الشمالي الأكثر أهميّة في الجمهورية التركيّة.

سيمنّان (الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة)، مدينة تقع في واحة خصبة. ازدهرت في القرون الوسطى بفضل دورها كمحطة على إحدى أهمّ طرق القوافل في إيران. وبحكم كونها عاصمة إداريّة لمقاطعة قوس في

اسطنبول، ١٥٨٠-١٥٨١ هـ - إلى جانب الأضرحة التي تحتل مركزاً مميزاً في المجمعات المعمارية ضمن المؤسسات السلطانية الكبيرة، وبعض القناطر لجزر المياه التي بنيت حول اسطنبول بين ١٥٥٤ و١٥٦٤ م. ◀ راجع المستد رقم ٨٥.

السُّنَّة، لفظ يشير إلى معنى «العادة» و«السلوك»، واشتقت منه كلمة «سنة» وأصبح يشير، في معناه التقني الإسلامي، إلى مجمل التصالح المعيارية المقبسة من حياة النبي محمد (ﷺ).

وعلى هذا «التقليد النبوي» المكوّن من أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله - وأيضاً ممّا سكّت عنه - يستند المتشرّعون والفقهاء ليحدّدوا بشكل أكثر دقّة مضمون الشرع الإسلامي الذي يتغلّى، في آنٍ معاً، من القرآن الكريم ومن هذه السّنة المثبتة في أدب الحديث. وقد دارت جدالاتٌ لمعرفة ما إذا كان في إمكان السُّنة في حال وجود تعارض بينها وبين نصٍّ قرآني، أن تُلغى قاعدة فرضها القرآن. إنّ مثل هذه الحالات عالجها المتخصّصون بعلم النسخ والمنسوخ.

سِنْجَار (الجمهورية العراقية)، مدينة في أعالي بلاد ما بين النهرين، على الحدود السورية الحالية، ما تزال تحتفظ بذكرى الدور المهمّ الذي كان لها خلال القرون الوسطى.

تنتمي سنجار إلى ديار ربيعه، أي إلى المنطقة التي استقرّت فيها قبيلة ربيعة العربية بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى في القرن الأوّل للهجرة/ السابع للميلاد. وهذه المدينة المحصّنة المتّكئة على منحدر جبلي قامت مكان مدينة أخرى قديمة اسمها سِنْغَار، وذلك على طريق القوافل بين الموصل ووادي الخابور، أحد روافد نهر الفرات. ووسط منطقة خصبة، بقيت سنجار مركزاً زراعياً كانت له شهرته التجارية أيضاً. وقد حافظت على ازدهارها بعد الغزو التركيّ السلجوقي. على الرّغم من تحوّلها لاحقاً إلى مسرح للصراع الداخلي بين الزنكيّين. وكانت في الوقت نفسه مركزاً إسلامياً توافرت فيه المدارس والخوانق والمشاهد، وكان يسكنها، كما اليوم، عدد من اليزيديّين. في أواخر القرن السادس

في حلب سنة ١٥٣٧ م.

في سنة ١٥٣٨ م، عُيّن سنان مهندساً أوّل في البلاط، فباشّر تنفيذ سلسلة طويلة من الأبنية المتنوّعة، بلغ عددها حوالي أربعمئة وسبعين بناءً، فذاعت شهرته بما أنجزه في العاصمة اسطنبول، وكذلك في الولايات، من البلقان إلى المشرق العربي. ويمكن إحصاء أكثر من مئة مسجد جامع ينتهي بعضها إلى كليات، وحوالي خمسين مصلّى، وستين مدرسة، وأربعين ضريحاً، وبعض المستشفيات، ونحو أربعين قصراً أميرياً، وبعض الدور الخاصة، وخمسين حماماً عاماً، وثلاثين فندقاً للقوافل، وعدد من الجسور والقناطر لجزر المياه وبعض المطاعم الجماعية. وقد برز إبداعه المميّز بالتدرّج الهندسي والتقسيم المدروس في الكليات التي أنجزها، والتي كانت عبارة عن مؤسسات سلطانية قائمة حول المساجد الكبرى. وكان الهِمم الدائم لدى هذا المهندس الرائع هو السيطرة على الفسحات الداخلية للأبنية التي أراد بها مناصرة آيا صوفيا، وقد تُرجم ذلك باتكارات متواصلة وتغييرات دائمة في موضوع النقيّة المركزية المدعّمة بأنصاف قباب وبأقواس. إنّ التقدّم الذي أراد سنان أن يظهره في النتائج التي توصّل إليها يعبر خير تعبير عن التحدي الذي استطاع أن يواجهه بنجاح.

بين الأعمال المميّزة التي حقّقها سنان، نذكر المنشآت التالية بحسب الترتيب الزمني لها: كُليّة حرم السلطان أو كُليّة روكسلان، زوجة السلطان سليمان القانوني، في اسطنبول، ١٥٣٨ - كُليّة شَهْزَادَة في اسطنبول، ١٥٤٣-١٥٤٨ - كُليّة يَحْزَمُهُ سلطان. ابنة سليمان، في أسكودار، ١٥٤٧-١٥٤٨ - مدرسة رسمت باشا في اسطنبول، ١٥٥٠ - كُليّة السليمانية التي بنيت لسليمان في اسطنبول، ١٥٥٠-١٥٥٧ - مسجد رسمت باشا في اسطنبول، ١٥٦١ - كُليّة مَهْرِيَمَاء سلطان في اسطنبول، ١٥٦٢-١٥٦٥ - كُليّة سليم الثاني في قونية، ١٥٦٣-١٥٦٤ - الكُليّة السليمية لسليم الثاني في أدنة، ١٥٦٩-١٥٧٥ - مسجد سوكوللو محمّد باشا في اسطنبول، ١٥٧٧-١٥٧٨ - جناح مراد الثالث في اسطنبول، ١٥٧٨-١٥٧٩ - كُليّة فُلُج علي باشا في

في ظلّ السلاجقة الكبار في إيران، كانت كلمة سنجق تشير إلى الرأية الملكية التي كانت من شارات المملكة؛ وفي عهد ملوك سلاجقة الروم الآخرين، كانت تعني إشارة تولية تُمنح لبعض الأمراء. وفي زمن العثمانيين كان السنجق يُعطى لأصحاب الإقطاعات العسكرية، وقد سُمّي كلّ من هذه الإقطاعات سنجقاً. في بداية القرن التاسع عشر، ومع حركة الإصلاح داخل الجيش العثماني، فقدت كلمة سنجق كلّ معنى عسكري لتعني، بعد ذلك، وحدة إدارية. ولكنّ التسمية أُلغيت سنة ١٩٢١ من قبل الجمعية العمومية التركية، لتحلّ محلّها لفظة «ولاية». مع ذلك استمرّ الكلام على سنجق الإسكندرون حتّى العام ١٩٣٨، عندما ضمّ إلى تركيا وعُرف بالتركية باسم هاتاي (Hatay).

السُّنْد، مقاطعة في الهند القروسطية تضمّ الوادي السفلي ودلتا نهر الهندوس، تجذّر فيها الإسلام باكراً في انصُور الوسطى، واستمرّ دين أكثرية السكّان. وهذا ما جعل من السُّنْد، عند التقسيم الذي حصل سنة ١٩٤٧، إحدى المقاطعات الست التي شكّلت دولة باكستان.

في سنة ٧١١هـ/١٣١١م، احتلّت الجيوش العربية - الإسلامية مقاطعة السُّنْد في أواخر مرحلة الفتوحات الكبرى، بقيادة محمّد بن القاسم الذي بلغها عبر طريق مكرّان، بأمر من الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. وبعد أن تمكّنت باستقلال نسبيّ، في ظلّ حكم شبه مستقلّين يعترفون بالسلطة العبّاسيّة ويقيمون في المتصورة التي كانت مركزاً عسكرياً ومحوّراً لنشر الدين الإسلامي، وقعت السُّنْد في أيدي الغزنويين في مطلع القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، إثر الحملات الناجحة التي قام بها محمود الغزنوي الذي نال شهرة كفاتح الهند للإسلام. في ما بعد استطاع الغوري معزّ الدين محمود أن يضع حداً لسلطة الغزنويين وأن يستولي على عاصمتهم لاهور سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م، وأن يحتلّ بدوره السُّنْد وأن يعيّن عليها أحد قادته الأتراك واسمه ناصر الدين قبانشا المعرّي. وعند نهاية حكم معزّ الدين شبه المستقلّ عادت المقاطعة، في بداية القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، إلى سلاطين

للهجرة/الثاني عشر للميلاد، وفعت سنجار، التي كانت دفاعاتها سيّئة، في يدي صلاح الدين، لتتمّ مقابضتها بمدينة حلب التي كان سيّد سوريا يطمع في الاستيلاء عليها، بدون أن يتمكّن من ذلك. وبدأت بعد ذلك تخسر تدريجيّاً من غناها ومن فزادة سكّانها، مع تعاقب الاحتلال التي استمرّت تنقسم تلك المنطقة حتّى العصر الحديث.

سنجر، معزّ الدين أبو الحارث سنجر بن ملكشاه، ٤٧٩-٥٥٢هـ/١٠٨٦-١١٥٧م، هو آخر سلطان من السلاجقة الكبار، حكم إيران من سنة ٥١١هـ/١١١٩م حتّى وفاته.

وكان سنجر قد عُيّن، سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، حاكماً على خراسان من قبل أحد إخوته، السلطان بركياروق، وذلك في الوقت الذي كان يساند فيه أخاه الآخر محمّداً في ثورته. فاحتفظ سنجر بمنصبه خلال الحرب التي اندلعت بين الأخوين المتنافسين. وقد تسلّم السلطنة بعد وفاة محمّد وبعد انتصاره في «ساوه» سنة ٥١٣هـ/١١١٩م على ابن أخيه مغيث الدين محمود الثاني. وكان قبل ذلك قد قهر الغزنويين، ووضع على عرش غزنة الأمير بهرام شاه وحمله على الاعتراف بسيادته. ثمّ حارب الخوارزمشاهيين والقراخانيين، والغوريين، كما حارب قبائل الأتراك الغزّ الذين كانوا يندفعون من آسيا الوسطى على خراسان، وقد أسروه بين سنتي ٥٤٨ و٥٥١هـ/١١٥٣ و١١٥٦م.

وخلال النصف قرن الذي سيطر فيه على المناطق الشرقية الغنيّة التي كان يطيب له أن يقيم فيها، نجح في جعل الأمن مستتباً والسلام النسبيّ قائماً، كما استمرّ في الدفاع عن سلطته في العراق ضدّ المؤامرات الداخلية المختلفة. والواقع أنّه كان آخر سلطان قويّ في أسرته، وما يزال ذكره قائماً في مرو حيث أقام لنفسه ضريحاً كبيراً مع قبة، وهو يعدّ من الأعمال المميّزة في الفن الإيراني التركيّ للسلاجقة الكبار.

سنجق، لفظة من أصل تركي تعني «رأية»، «علم»، ثمّ، في الدولة العثمانية، أصبحت تعني «إقطاعاً عسكرياً» و«قسمًا إداريًا».

العالية لسنغافورة إلى الأوروبيين وليس إلى المسلمين ؟
علماً أنّ مسلمين ستم من أتباع المذهب الشافعي يحتلون
اليوم موقفاً محترماً في الدولة.

« راجع المئتمة رقم ٣٠.

السنگال (جمهورية)، مساحتها ١٩٦.٠٠٠ كلم^٢،
وعاصمتها دكار، وهي دولة مستقلة حديثة، تقع على
الساحل الغربي الأطلسي لأفريقيا السوداء. يبلغ عدد
سكانها نحواً من سبعة ملايين ونصف المليون نسمة،
منهم حوالي خمسة وثمانين بالمئة من المسلمين.

وهذه الدولة التي تحيط بجمهورية غامبيا تُجاور في
الشمال الامتدادات الصحراوية لجمهورية موريتانيا
الإسلامية، وتشترك حدودها في الجنوب مع حدود
جمهورية ساحلية هي مالي، ومع دولتين أخريين على
الأطراف البحرية هما جمهورية غينيا وجمهورية غينيا -

بيساو. ومن أقامها المهمة منطقة تقع جنوبي نهر
السنگال الذي أعطاها اسمه في القرن السابع عشر، وهو
نفسه لا يُعرف أصل تسميته. وفي سنة ١٨٨٩ ظهرت
مستعمرة السنگال ونُقلت حول أربعة مراكز هي سان
لويس، ودكار، وغوري، وروفيكس، ثم شكّلت سنة
١٨٩٥ جزءاً من أفريقيا الغربية الفرنسية، ونالت
استقلالها الذاتي سنة ١٩٥٨. وقد تشكل عندذاك
اتحاد فدرالي ضمّ السنگال وما كان يُعرف آنذاك
بالسودان (الفرنسي)، وقد حصل هذا الاتحاد على
استقلاله في حزيران ١٩٦٠ قبل أن يتفكك وتنشأ عنه
دولتان: السنگال ومالي.

وتنضمّ كلٌّ من دولتي السنگال ومالي مفاوضات
دخلها الإسلام قديماً. ومع تطوّر حركة حُرّق القوافل عبر
الصحراء وولادة الممالك الأولى في غانا وتكرور خلال
الغرون الوسطى، عرفت هذه المفاوضات أشكالاً مختلفة
من المجتمعات الإسلامية، وشهدت ولادة تيارات
ساعدت على نشر الإسلام. وبعض هذه التيارات
نبعت، مع بداية القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر
للميلاد، توسّع «القبيلة» ما وراء «فوتا تورو»، أي
انطلاقاً من وسط وادي السنگال وصولاً إلى منطقة تسمى
في وادي التيجر وإلى «فوتاجالون» في جمهورية غينيا
الحالية. إلا أنّ المرحلة الأكثر اضطراباً كانت في

دلهي. ففرضوا عليها سلطتهم، إلى أن تجزأت مملكتهم
في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد
وتقسّمت إلى دويلات محليّة.

في سنة ١٥٩٢م أُتحت السند بأمر إمبراطورية المغول
التي كان على رأسها الإمبراطور أكبر، وكانت قد نمت
في غضون ذلك، عاصمة جديدة في منطقة «ثانا». إلا
أنّ السلالات المحليّة استمرّت قائمة بنجاح متفاوت.
ومع بداية سنة ١٧٧٢ اصطدمت هذه السلالات بالشركة
البريطانية للمهند الشرقية التي استولت على السند في
سنة ١٨٤٣، وألحقتها إدارياً، ابتداءً من سنة ١٨٤٩،
بمدينة بومباي. وهذا الأمر لم يمنع المقاطعة من أن
تستعيد بعض الاستقلالية التي تميّزت بازدهار اقتصادي
متجدد بدأ مع تطوّر مدينة كراتشي.

« راجع المئتمات ٨، ١٢، ١٣، ٢٢، ٢٣، ٢٥.

سنغافورة (جمهورية)، مساحتها ٦١٨ كلم^٢ وعاصمتها
سنغافورة، وهي دولة معاصرة مستقلة تحتلّ الطرف
الجنوبي من شبه جزيرة ماليزيا. يبلغ عدد سكانها حوالي
ثلاثة ملايين نسمة، ويشكّل المسلمون فيها أقلية تصل
نسبتهم إلى نحو عشرين بالمئة.

هذه الدولة المحصورة، الواقعة على الطرف
الغربي الفارقي من الاتحاد الماليزي الحالي، هي أيضاً
قريبة من جزيرة سومطرة التابعة لجمهورية اندونيسيا.
ويرتبط وجودها بالأهمية الاقتصادية والسياسية التي
تتمتع بها مدينة سنغافورة المرفئية، التي تشكّل النواة
الأساسية للدولة، وتجعلها في منأى عن هيمنة الدول
المجاورة التي هي دول إسلامية، أو تسكنها أكثرية
إسلامية.

خلال العصور الوسطى، كانت سنغافورة تشكّل
محطة للسفن المنقلة بين الهند وافسجين، كما للسفن
التي كانت تقوم برحلات طويلة بين العراق والشرق
الأقصى في العصر العباسي. وقد عرفت، بفضل ذلك،
النشاط التجاري الإسلامي باكراً. وبعد خراب مؤسساتها
سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، انتقل الدور الاقتصادي
والإستراتيجي إلى ملقا التي قامت فيها سلطنة حوالى
سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وبقيت مزدهرة حتى سنة ١٥١١م،
تاريخ وصول البرتغاليين. ويعود الفضل في الانطلاقة

ترك منطقة مَكَّة المكرمة حيث كان قد أسس سنة ١٨٣٧ زاوية أولى. وفي ليبيا، أقام علاقات بمختلف القبائل الرحَّل التي كانت تجوب تلك المنطقة. وفي سنة ١٨٥٩، قبل وفاته بقليل، استقرَّ في منطقة «جَبُوب»، الواقعة على ملتقى طرق في الصحراء الليبية، حيث أسس زاوية جديدة، وبقي ذلك المكان مركز الحركة، إلى أن اختيرت واحات كُفْرة، وهي تقع أكثر جنوباً، مقرّاً جديداً، سنة ١٨٩٥. ومن هناك وُزَّعت في اتجاهات مختلفة، وصولاً إلى بحيرة تشاد وإلى «وُذاي»، خوانق بُنيت كلها بشكل واحد، مع مسجد ومدرسة وفندق للمسافرين. فكانت مؤسسة محكمة التنظيم تُشرف على منطقة شاسعة من الصحراء، وتهمم بنشر الدعوة. وقد حرص ابن المؤسس، محمد المهدي، على أن يوجهها نحو الصحراء وأفريقيا السوداء.

ومنذ ذلك الحين بدت طاقات السُّنُسِيَّة ملغية، لجهة قدرتها على متابعة صراع سياسي قاده معلم آخر، هو أحمد شريف المتوفى في العام ١٩٣٣، ضدّ التقدّم الأوروبي: أولاً ضدّ تقدّم الفرنسيين في الصحراء، وبدلاً من عام ١٩١١، ضدّ تقدّم الإيطاليين الذين هاجموا منطقتي طرابلس وفزان. إلا أنّ هزائم كثيرة لحقت بالسنوسيين الذين دفعوا غالباً ثمن وفوفهم إلى جانب الأتراك ضدّ الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى، فاضطرَّ قائدهم أحمد الشريف إلى الفرار إلى اسطنبول. كما انتقل ممثلون آخرون للحركة إلى مصر وسوريا والحجاز. وكان على السنوسية أن تنتظر الحرب العالمية الثانية لكي يستطيع قائدها السيد محمد إدريس، خليفة أحمد الشريف منذ عام ١٩١٨ وخفيد السيد المهدي، أن يعتلي عرش ليبيا. ونسب الطُور الاقتصادي لاحقاً، وكذلك اكتشاف منابع النفط، بالفضل على السنوسية وزوالها.

السيد محمد بن علي السنوسي الكبير ١٨٣٧ - ١٨٥٩ م
السيد المهدي ١٨٥٩ - ١٩٠٢ م
السيد أحمد الشريف ١٩٠٢ - ١٩١٨ م
السيد محمد إدريس ١٩١٨ - ١٩٦٩ م

السُّنُسِيَّة، هي عقيدة الذين يعتبرون أنفسهم «أهل السنة والجماعة»، أي «أتباع السنة» ووحدة الجماعة، ويبدو

القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وذلك عند قيام دول عُرِفَت باسم إمبراطوريات القُلبَة الجهادية، تزامنت في أفريقيا الغربية كلها مع فترة حروب داخلية يُغذِّيها مدُّ أميريالي ديني حثيفي نتج عنه، في سهول السنغال، نعاُقب سلطات إسلامية غير مستقرة، بقيادة زعماء من القُلبَة أو من التُكُور (Toucouleurs)، كان آخرهم الحاج عمر. وفي الوقت عينه استمرَّت المواجهة بين طريقتي القادرية والتيجانية الصوفيتين، وقد انضمَّ إليهما، في أواخر القرن التاسع عشر، ممثلون للطريقة المرينية التي ما تزال في حالة اندفاع حتى يومنا هذا. ◀ راجع المستند ٢٨ و ٢٩.

السُّنُسِيَّة، نظام صوفي إسلامي أو طريقة صوفيّة ارتبعت باسم محمد بن علي السنوسي (١٢٧٦-١٨٥٩م) الذي كان يمثل أحد فروع الإدريسية، كما كان في أساس قيام الدولة الليبية. وقد حققت هذه الفرقة نجاحاً سياسياً ودينيّاً، وامتدّ تأثيرها جنوباً باتجاه قلب ما كان يُعرف بالسودان الغربي الساحلي، ولكن مركزها الأساسي ظلَّ في خليج «سرت». وأدّى هذا النجاح إلى قيام سلالة جديدة في المغرب، هي سلالة المعلمين الكبار المتحذرين من المؤسّس. وقد تميّز السنوسيون بتحريم الموسيقى والرقص والتمازين المختلفة التي تؤدّي إلى الوجد الصوفي، واكتفوا بتنظيم تيوراتي للجماعة الإسلامية. كما رفضوا، في آن معاً، الأساليب الاستبدالية التي يعتملها الفقهاء وجهود الإصلاحيين الهادفة إلى وحدة العالم الإسلامي وإلى صياغة جديدة للشريعة ووضعوا، في المرتبة الأولى، الدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيله، ضمن منظور العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية.

وكان المؤسس السنوسي جزائريّاً تلقّى ثقافته الأولى في فاس على المذهب المالكي، ثمّ التحق بالطريقة القادرية والطريقة التيجانية. انتقل بعد ذلك إلى الشرق لمتابعة دروسه، وأقام في الحجاز إبّنه من سنة ١٨٣٠ والتقى هناك بمؤسس الإدريسية السيد أحمد بن إدريس، فتأثّر كثيراً بأرائه ومواقفه. وفي حدود سنة ١٨٤٣، انتقل إلى منطقة برقة في ليبيا بعدما أُجبر على

وحسب، بل أيضًا تبريرًا لها. لذلك كان الأدب الديني السنِّي يفضل التركيز على النصوص المتعلقة بالعقيدة والتي تكتفي بتعداد مبادئها الأساسية: القدرة الكلية لله تعالى، وجود الصفات الإلهية، التركيز على أنَّ القرآن الكريم غير مخلوق، التحديد المسبِّق لأعمال الإنسان، واجب الطاعة لرئيس الجماعة، حتى لو لم يكن سلوكه مثاليًا، إدانة كلِّ فتنه داخل الجماعة. وقد استمرَّ موقف السنة من شرعية علم الكلام يتطوَّر، فظهر اتجاهان: واحد يأخذ بحرية النص ويمثله المذهب الحنبلي، وآخر يقبل باللجوء إلى الاستدلال في المسائل العقائدية. وهذا الاتجاه الثاني نادى به بنوع خاص الأشعرية التي ظهرت في مطلع القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، واستمرَّ يتطوَّر حتى العصر الحديث، مع اعتباره أحيانًا يمثل الرأي المستقيم.

على الصعيد السياسي، يتسلَّك السنة بالمبدأ القائل إنَّ كلَّ إمام يصل بصورة شرعية على رأس الجماعة، من الأفضل أن يكون قد تمَّ اختياره من قبل الجماعة، وفي كل الأحوال، عليه أن يحصل على مبايعتها. فهم إذا يقولون بمبدأ انتخاب الخليفة، كما هي الحال مع الخوارج، ويؤكدون الاختيار الحرَّ خلافاً لمبدأ التعيين بالوصية أو النصِّ الذي تأخذه الشيعة. وواقعهم، خلال القرون الوسطى، لم يكفوا عن مساعدة الخلفاء العباسيين، ورفضين عملياً أية آلية لعزل الخليفة، كما اقترحها مثلاً بعض أتباع المعتزلة؛ لا بل إنهم تصرَّفوا وفق مبدأ الخضوع غير المشروط للحاكم الذي حصل منهم على البيعة.

بالإجمال، فإنَّ مبادئ السنة أخذت طابعها الكامل في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، عندما تمَّ توضيح المبادئ الفقهية الحنبلية في وجه تيارات المعتزلة والشيعة. وهذه التيارات أدت إلى نشوء الفرق المهمة التي عرفت - أو بدأت نعرف - بفعل ازدهار بعض الدعوات، نجاحاً سياسياً، ما أثار رفضاً عنيفاً. عندئذ نكاثرت آراء المعكِّرين المعتدلين، كردَّة فعل على الفرق، ونشأت الأنظمة الفقهية الراضية لما توصَّل إليه علماء الشيعة من نتائج. كما تمَّ جمع الأحاديث الشريفة التي اعتُبرت صحيحة وفقاً للمعايير

أنَّ القسم الثاني من العبارة، أي «وحدة الجماعة»، وهو الأهم، غالباً ما كان يُهمل لمصلحة انقسام الأول، أي «اتباع السنة».

يشكِّل «أهل السنة» أكثرية في العالم الإسلامي، ويعتبرون أنفسهم المدافعين عن المعتقد الصحيح - وهو تعبير حوله نقاش - في وجه الشيعة كما في وجه الفرق الإسلامية المختلفة، عن طريق الدور الذي يعطونه للجماعة وتقاليدها التي يعودون إليها لإتمام تعاليم القرآن الكريم والحديث اللذين يُعتبران رُكني الشريعة. يصعب تحديد الزمن الذي نشكَّلت فيه الحركة السنية، ذلك أنَّها تميَّزت على الأخصَّ برفضها بعض المواقف المتطرَّفة وبعض البدع. وكان قد سبق، في منتصف القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، أن برزت في الحركة السنية الخصائص التي تميَّزها والتي تسمح بالتعريف بها. ففي مجال الفقه والتشريعات القضائية أولاً، يرى أهل السنة أنَّ المعطيات التي يقدِّمها القرآن الكريم والنماذج في سنة النبي محمد (ﷺ) يمكن أن توضع وتُغتني بإجماع أعضاء الأمة، أو بالأحرى بإجماع علمائها المهتمِّين الذين ينتمون، بحسب الحالات، إمَّا إلى مدينة يتمَّ اختيارها، كالمدينة المنورة مثلاً، وإمَّا إلى عصر محدَّد من العصور؛ وهذا يعني أنَّ تحديد الشروط المطلوبة قابل للتغيُّر. كما يرى السنة أنَّ النتائج التي يمكن التوصل إليها عن طريق هذا الإجماع يمكن إكمالها بالاستدلال المنطقي الذي يأخذ أشكالاً عدَّة أهمُّها القياس. هكذا نشأت المذاهب الفقهية المتنوعة، ومنها أربعة مهمة ما يزال لها أتباعها: المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي، مع الإشارة إلى أنَّ المذهب الظاهري لم يعد قائماً. وعلى الرغم من التباعد في الأساليب المتبعة لتوضيح الشريعة، ومن الاختلاف في التفسير الناتج عن ذلك، تبقى هذه المذاهب الأربعة متممة إلى السنة وتمتَّعت كلها بالاحترام نفسه.

أما على الصعيد العقائدي، فيتعلَّق السنة بالمسائل التقليدية التي دافعت عنها الجماعة بشكل دائم، وهم يتمسِّكون قدر الإمكان بحرية النصِّ الموحى. لذلك فإنَّهم، في البدء، لم تكن لديهم ميول للاخذ بعلم الكلام الذي لم يكن يشكل إستدلالاً على العقيدة

تعتبر بدءاً، وتتناقش مع عدد من آراء الشيعة عن الإمامة. وقد انتقلت هذه الآراء، عن طريق مؤلفات الشهرودي، إلى مفكرَي الإمامية الاثني عشرية في إيران خلال القرن السابع عشر.

الشهروديّة، تنظيم صوفي إسلامي أو طريقة، كان له دوره في تطوّر حركة التصوّف، وضع أسسه شيخان نسيان بحملان اسم الشهروديّ، درسا في بغداد خلال القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد.

أشهر الاثنيّين هو أبو حفص عمر الشهروديّ (٥٣٩-٦٣١هـ/١١٤٥-١٢٣٤م)، درس على عمّه ضيد الدين أبو النجيب (٤٩٠-٥٦٣هـ/١٠٩٧-١١٦٨م) الذي كان يجمع تلاميذه في رباط ببغداد على صفة دجلة. وكان أبو حفص على علاقة حسنة بالخليفة العباسي الناصر الذي كان يسعى إلى الحصول على دعم المتصوّفين؛ فأرسل أبو حفص سفيراً إلى فونية لدى كَيْفِياد الأوّل سلطان سلاجقة الروم، ولدى أمراء آخرين مجاورين. ثمّ درّس في رباط آخر ببغداد جهّزه له الخليفة، وكان تعليمه مطابقاً للتقاليد، فتبعه معجبون ونشروا مذهب في بلدان مختلفة.

ازدهرت الشهروديّة في العراق والهند بشكل متوازن، واحتلّت المركز الثاني بعد الجشتيّة. كما انتشرت في السند والبنجاب بفضل جهود بهاء الدين زكريا المُلثاني الذي كان في العراق أحد تلامذة أبي حفص عمر. وكانت عادات أتباعها وتقاليدهم شبيهة بتلك التي اتّبعها شيوخهم البغداديون، لذا عمدوا إلى التعاون سياسياً مع الأمراء الحاكمين، وإلى تقديم الآراء والنصائح لهم وقبول نعمهم، مع تركيز اهتمامهم على أسرهم وعلى أعبائهم الذين عاشوا في كنف مؤسسات غنيّة، خصوصاً في مُلثان وأوش. وقد فضّلوا اتباع صوفية معتدلة تشدّد على الانتماء إلى الإسلام بدل السعي إلى الوُجُد وتقيّاته المتنوّعة.

عن الشهروديّة انشعبت الشقارِيّة التي نشأت وانتشرت، في القرنين التاسع والعاشر للهجرة/ الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، في الهند قبل أن تمتدّ نحو إيران والسلطنة العثمانية.

السادّة، واعتمدت أساساً في تفكير السّنة. ومع ذلك يبقى من الصعب الإحاطة بنطاق السّنة، لأن موقفها السياسي كان أكثر حزمًا من موقفها العقائدي. من المقبول مثلاً القول بوجود معتزلة سنيّين يقولون بمبدل الاختيار وبشرعية الخلافة العبّاسية، حتّى لو كانوا يجاهرون، على الصعيد الفقهي، بأفكار متنازع عليها. أمّا الصوفيّون فكانوا يُعتبرون سنيّين عندما كانوا يجاهرون بأفكار معتدلة، حتّى لو كان القسم الأكبر منهم، كثيرًا ما تنبأ أفكارًا قريبة من الشيعة جعلتهم يعتقدون أنّ بعض الصوفيّين يتمتّعون بإلهام إلهي شبيه بالذي يعتقد الشيعة أنّ اتّمتهم العلويّين يتمتعون به.

الشهروديّ، شهاب الدين يحيى المُكثي «المقتول» (٥٤٧-٥٨٨هـ/١١٥١-١١٩١م)، منصوّف من أصل إيرانيّ، ساعد كنيته على تمييزه عن من يحمل الاسم نفسه، وتقوم شهرته على كونه عُرف باسم معلّم الحكمة الإِشراقية.

ولد الشهروديّ في سهرورد، في مقاطعة الجبال القديمة في إيران، ودرس الفقه والفلسفة في مراغة، ثمّ في أصفهان حيث خالط جماعات صوفية ووجد نفسه على اتصال بأفكار غريبة لفرق شيعية منطوقة. ثمّ أقام مدة في بلاد ما بين النهرين العليا، ومنها انتقل إلى حلب حيث كانت تقيم بعض الجماعات الشيعية، فلفي الحماية من إبن صلاح الدين الملك الظاهر. لكنّ صلاح الدين رأى في أفكاره ما يشكّل خطرًا سياسيًا، فحكم عليه بالموت وأعدم الشهروديّ سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وذلك على أثر نقاش علني مع علماء من حلب انتهى بإدائته وإتهامه بالزندقة.

ترك الشهروديّ، إلى جانب أبحاثه المتنوّعة، كتابًا مهمًا بعنوان «حكمة الإِشراق»، يدافع فيه عن وجود حكمة واحدة تشكّل تقليدًا صوفيًا عبّر عنه مختلف المفكرين عبر العصور، وهي التي تتوافق مع النور الإلهي الذي تشير إليه آية قرآنية مشهورة. وبموجب هذه العقيدة يستطيع المتصوّف أن يبلغ مرحلة إِشراق النفس في الله، مع إقناعه أنّ في حبّ الله والعبور إلى الخلود، وهذا ما قال به الحلاج. وهذه الآراء التي يدافع عنها صاحب الكتاب تقع عليها بين المفاهيم الصوفية التي

التعبير العربي «السودان» أو «بلاد السود»، ويشير - في معناه الواسع - إلى المنطقة الأفريقية القابلة للسكن وانمكوته من أراضي مجدية أو من مفازل تحيط، لجهة الجنوب، بأراضي الصحراء القاحلة وبمنطقة النوبة. وبدل التعبير حاليًا على جمهورية السودان في أفريقيا السوداء الشرقية.

١ - في أواخر القرون الوسطى، انتشر الإسلام في منطقة الساحل التي أصبحت نقطة الإنطلاق باتجاه أفريقيا السوداء الإسلامية التي من ميزاتها البارزة أنَّ سكَّانها اليوم هم كلُّهم مسلمون تقريبًا وأنهم يعتبرون أنفسهم كذلك منذ ماضي بعيد. وما ساعد على انتشار الإسلام هو وحدة المناخ ووحدة المشهد الطبيعي اللذين يميَّزان مجموعة الأراضي الممتدة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر فالمحيط الهندي، وهي مناطق تقع بين صحاري وغابات عذراء. وهذا ما جعلها تخضع، بالطريقة عينها - من ضفاف النيل الأعلى حتى ضفاف نهر النيجر أو نهر السنغال، مرورًا بالمناطق الموحشة في التشاد - لمؤثرات وسياقات تاريخية متماثلة. فالأراضي المواتية للرعاة الرحَّل وللقرَّال، والمواتية أيضًا لتوغل القبائل العربية أو البربرية أو تلك التي تنتمي إلى الغُلة - وكل هذه القبائل تهجَّنت بسرعة - كانت في كل مرة تشهد قيام، ثم زوال عدد من الممالك والأمبراطوريات الإسلامية المحلية المتناحية. إنَّ الأمبراطوريات الأخيرة التي نمت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر - قبل اتساع الاستعمار الأوروبي - كانت تنبثق، في إعلانها قيام إسلام متجدد، مواقف متصبِّة فرضتها بالعنف والقتال، وفنَّ مفهوم للجهاد ساعد كثيرًا على قبوله ذهنية سكَّان هذه المناطق.

ومن الأكيد أنَّ دمج الإصالة السودانية بالواقع الاجتماعي للدول السوداء المعاصرة التي تنقسم أفريقيا السوداء الشرقية والوسطى والغربية، لا يكفي وحده لتبيُّر وضع هذه الدول التي نُسكنها اليوم أغلبية مسلمة، أو التي تحتضن، على الأقل، أقليات إسلامية ناشئة وفي طور النمو. لقد دخلت عوامل أخرى إلى هذه المناطق التي تمتد في أغلبيتها إلى ما وراء حدود السودان القديم والتي عرفت، في إطار حدودها الحالية،

سهل التَّستري، أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس ٢٠٢-٢٨٢هـ/٨١٨ - ٨٩٦م، متكلم وصوفي من أصل إيراني، أدَّى فكره ومسلكه إلى نشوء مدرسة كلامية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ذات توجه صوفي هي المدرسة السالمية.

ولد في تُستَر قرب الأهواز، ونشأ على التقليد السني الذي كان عليه أساتذته الأولون. كان سهل معروفًا، بوجه خاص، بزمه. لكته، مع ذلك، نفي إلى البصرة سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م، في أثناء ثورة الزنج، لأنَّه دافع عن عقيدة اعتُبرت مضرة، ومات فيها بعد عشرين عامًا على نفيه. اشغل بجدلية شبيهة بجدلية علم الكلام، لكته لم يخلف كتابات. إلَّا أنَّ «أحكامه» جُمعت بهمة تلميذه ابن سالم، مؤسس الحركة السالمية، إنطلاقًا مما تركه له سهل في حياته من سمات أساسية لتفكيره، وقد تمَّ تحديدها كالآتي: «استيطان قائم على التجربة الميظنة لحياة العبادة القلبية ومصطلحات تقنية غنوصية التوجه ذات منحى يُفضي إلى أوحدة الوجود».

السَّواد، كلمة عربية تعني الأسود، اتخذت معاني متنوعة، خصوصًا في الحقل الجغرافي. وسواد، كاسم نكرة، كانت تشير إلى الثوب الطويل الذي درج على ارتدائه كُتاب الدواوين، خلال احتفالات البلاط، في العصر العباسي.

وكاسم علم، أطلقت اللفظة على العراق، وبالتحديد على سهل دجلة والفرات الغربيين. وكان هذا السهل من المناطق الغنيَّة في الأمبراطورية الإسلامية، وقد أخذ عنده خلال الفتوحات الكبرى وأخضعت أراضيهِ لضريبة الخراج. وتحصيل الخراج من «السود» أصبح، في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، من أهمِّ المهمات الإدارية في الخلافة. واختيار الوزراء كان يتمُّ في هذه المرحلة من بين الكتَّاب الذين كانوا يستوفونه. وقد أطلقت لفظة «السود» على مناطق أخرى أقلَّ مساحة في العالم الإسلامي خلال القرون الوسطى، وغالبًا ما كانت تُطلق على الأراضي المزروعة حول المدن.

السودان، تعبير جغرافي وتاريخي يعود بأصله إلى

أساس قيام الدولة الحديثة ذات الانتماء الإسلامي، التي تكوّنت في البدء تحت اسم السودان الإنكليزي - المصري، والتي صارت تُعرف اليوم باسم جمهورية السودان.

وبالطريقة نفسها، وبتأثير موجات الهجرة الآتية من الشمال، نمت في الجهة الغربية من القارة، وفي الجزء الشمالي من المنطقة الساحلية، مملكة غانا السوداء. وقد قامت هذه المملكة على تخوم الجمهوريات الحالية لموريتانيا والسنغال ومالي. وبحسب المؤلفين العرب، كانت هذه المملكة تضمّ في القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد، عدداً كبيراً من الذين اعتنقوا الإسلام. ويعود سطوعها الأسطوري إلى تطوّر تجارة القوافل عبر الصحراء، المرتكزة على مبادلة الملح بالذهب، وكان يسيطر عليها بالكامل تجّار مسلمون. لقد عرفت هذه التجارة عبر التاريخ تقلّبات يصعب تتبّعها، ولم تُدرس بعد كفاية، وقامت على امتداد طرق ذات مسارات متغيّرة. فالطرق الشرقية كانت تؤدّي إلى مناطق يسكنها الإبابيون؛ أمّا الغربية فنصل إلى سجلماسة، وهي التي أُنّنت الإزدهار الظرفي لأوداغوست في موريتانيا، لكنّها عانت من نتائج المغامرات التوسّعية للمرابطين الأوائل. وهذا الوضع أدّى، في السودان ذاته، إلى تمدّد طرق القوافل الواقعة على منافذ الطرق العابرة للصحراء، وإلى قيام أبنية سكنية مستغّرة شغلت بعض المواقع في السهوب، اختيرت كمستودعات وكمحطات للراحة. وفي هذه الأماكن استقرّ المسلمون الأجانب بأحياء سكنية وحتى بمدن بأكملها، ليعيشوا فيها وفق شريعتهم، بعد أن نجحوا، في غالب الأحيان، في إقناع ملوك البلاد السود باعتماد الإسلام. وفي هذا الإطار عمل تجّار مسلمون، كانوا متأكّدين من الحفاظ على استقلاليتهم، على نشر معتقداتهم عن طريق الدعوة والتعليم الديني، وقد ساعدتهم ذلك على توسيع مناطق تفقّهم.

وعلى هذه القواعد نمت كذلك، وبعد فترة وجيزة، في حوض نهر النيجر، إمبراطورية صنغاي المسلمة في غاو. في أواخر القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد. وتشهد المعالم الأثرية والنقوش، التي ما زالت

أحدًا سياسيّة وإداريّة خاصّة بالفترة المحدثة. فالخصوصيّات والمشكلات التي ميّزت الإسلام الأسود في هذه الدول تتخطّى المعطيات الموروثة عن الإسلام السوداني القديم؛ كما تتخطّى العلاقات التي قامت في هذه المناطق، في ما مضى، بين الحضريين والبدو، الذين خضعوا جميعهم لقواعد اقتصاد فروسطي، له، في آن معاً، طابع دعوي وتجاري. ومع ذلك فإنّ الواقع الحالي ما زال، في بعض مظاهره، يعكس صورة ماضي له طابع سوداني بالمعنى الحضري للملكة.

في أفريقيا الشرقية أولاً: إنّ تأثير المواجهات المتواترة والتقليدية المهد بين مصر الإسلامية ومنطقة اثيوبية - التي ظلت مسيحية لفترة طويلة - سمحت للمهاجرين القادمين من الشمال، والذين شجّعهم الغزوات التي قام بها الفاطميون والأيوبيون والمماليك، على تحويل منطقة حوض النيل الأعلى تدريجيّاً إلى الإسلام. وفي ما بعد، شهد القرن السادس عشر هذه الفسفساء من الإمازات الصغيرة المعزّبة والمؤسّسة تنسج في المجال أمام قيام سلطنة الفونج الإسلامية، وهي إمبراطورية توسّعية ترعّرت في منخفض الجزيرة السودانيّة الخصب الذي خضع لتأثير العرب المسلمين المهاجرين ولسلالاتهم القياديّة. وقد شجّع التوسّع الظرفي لهذه الإمبراطورية باتجاه الغرب الهجمات العربية - الإسلامية إلى ما وراء دارفور واداي. وبدورها انبثقت السلالات الإسلامية المحليّة من نجاح هذه المحاولات، واستقرّت في السودان الأوسط بدءاً من القرن السابع عشر. ويهدف تأكيد شرعيّتها، إذعت كلّ منها الإنتساب إلى أصول عربية عريقة.

في مطلع القرن التاسع عشر، تدخلت مصر أيضاً في الحوض الأعلى للنيل، في محاولة لتوحيد البلاد على أثر حملة محمد علي بقرّاته التركية - المصرية، وأيضاً من أجل مراقبة نامي النشاط التجاري الإسلامي داخل الغابة الإستوائية، ولا سيّما تجارة الرقيق والعاج. وأخيراً شهدت المرحلة اللاحقة اضطرابات سياسيّة - دينيّة اتّسمت بسمات الحركة المهدية الفريدة وبمعارضتها الجهاديّة. وهذه الاضطرابات كانت في

الطرق الصوفية كالفادرية والتيجانية، وعلى رفض التسامح مع الكفار، وعلى التمثل بتجربة هجرة النبي محمد (ﷺ)، وعلى ممارسة الجهاد بلا هوادة.

هذا الميل إلى التشدد الديني، الذي هيمن في ما بعد في السودان الشرقي تحت تأثير الإيديولوجية المهدية، فتح الباب، في السودان الغربي، أمام قيام أمبراطوريات القلبة التي اعتمدت على محاربين يتمتعون إلى قبائل رعاء. وقد وجه هؤلاء حركة فتوحاتهم باتجاه الشرق، وشقوا حروباً لا رحمة فيها ضد ممالك يسكنها مسلمون سود، وعاملوا ملوكها كأعداء حقيقيين. وقد نجح أسلاف تلك الأمبراطوريات المحاربة الذين كانوا، في الوقت نفسه، رؤساء روحانيين في الطريقة القادرية وقادة محاربين - في بسط سلطتهم على: فوتا جالون، فوتا تورو، وبخاصة على مسينا التي كانت في بداية القرن التاسع عشر تحت سلطة شيخو أحمدو، وأيضاً على شمال نيجيريا حيث كان عثمان دان فوديو وشقيقه قد أسسوا دولتي غواندو وسوكوتو الشيريين. بعد فترة وجيزة، في نهاية القرن التاسع عشر، تأسست أمبراطورية الحاج عمر نال الواسعة، بالطريقة نفسها ولكن تحت تأثير فرقة صوفية منافسة، هي التيجانية. وقد ظهر أيضاً مناضلون آخرون في سبيل الإسلام في هذه الأراضي. واستناداً إلى الوعد والارشاد، انصبّ جهد هؤلاء على محاربة تغلغل الأوروبيين داخل السودان الغربي، وحتى الاوسط - بعد تقدّمهم إنطلاقاً من الساحل الاطلسي - أكثر ممّا انصبّ على تطهير دار الإسلام من آثار الوثنية. واشهر هؤلاء المناضلين الذين قاوموا الاحتلال الاستعماري هو بدون شك ساموري، وهو من أصل مائينجي، اعتدى إلى الإسلام وأسس أمبراطورية مهيبة ابتداءً من العام ١٨٧٩. نوصّل، حوالي العام ١٨٨٦، إلى التفاهم مع الفرنسيين، لكن هؤلاء هزموه عسكرياً حوالي سنة ١٨٩١، فاضطرّ إلى التخلّي عن كانكان؛ وبعد أربع سنوات مُني بهزيمة كبرى في أراضي ساحل الحاج، حيث حاول، بدون جدوى، إعادة تجميع قواته. وتطابق زوال حكمه نهائياً سنة ١٨٩٨ - وبعد فترة وجيزة من أقول سلطة آخر ورتة الحاج عمر نال - مع تمرکز القوات الفرنسية في باجويرمي وفي

محفوظة حتى اليوم، على هذه النشأة. أما مرحلة الازدهار الثانية لهذه الدولة فكانت في القرنين الثامن والتاسع للهجرة/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، ووصلت إلى ذروتها في القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد، ما حوّل تومبوكتو إلى مركز كبير للتجارة وللإسلام في الساحل. لكن احتلال السعديين المغاربة للبلاذ وضع حداً لفترة الازدهار هذه بشكل عنيف. وقبل ذلك، وخلال القرنين السابع والثامن للهجرة/ الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، كانت قد نمت، في المناطق الغربية، دولة مالي السوداء التي اعتنقت الاسلام، ولكنها حافظت على روابط سياسية عديدة مع السكّان التيبينيين في الجنوب، وفي الوقت نفسه تبادلت السفراء بصورة منتظمة مع المغرب في الشمال. وأخيراً تكوّنت أيضاً، إلى الشرق وإلى الجنوب الشرقي من أمبراطورية صنغاي، دويلات إسلامية أخرى متنافسة، تشبه صنغاي من حيث تكوّنها وتنظيمها، ولكنّها لا نعرف عنها إلا القليل، على الرغم من أهميتها المتزايدة آنذاك: من بينها مملكة كانم التي كان مركزها، حتى القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، قائماً على أراضي جمهورية التشاد الحالية، ومملكة البرنو التي خلفت مملكة كانم وأفادت من تداعي أمبراطورية صنغاي لمدّ نفوذها نحو الصحراء، ومملكة الهاوسا في كانو، شمال جمهورية نيجيريا الفيدرالية الحالية، التي أخضعت أحياناً لمملكة اليورنو.

كل هذه الدول، التي اختلط تاريخها بتاريخ عدد من الملوك الصغار - سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين - الذين كانوا يدافعون عن طموحاتهم في إطار سياسي شديد التعقيد، ساهمت في تحويل السودان الغربي والأوسط إلى الإسلام بتطبيقها الشريعة الإسلامية على طريقتها. فهؤلاء الملوك أنفسهم، الذين استمدّوا من الإسلام شرعية سلطتهم، أدخلوا عليه أعرافاً مستقاة من مخزون تقاليد قديمة، ودفعوا باتجاه اعتماد ممارسات شعبية بعيدة عن التقاليد والعادات المعروفة. ونتج عن ذلك وضع يمكن من خلاله تفسير مرحلة التطور السياسي-الديني الجديدة التي بدأت مع ولادة دول إسلامية تيوقراطية. فهذه الدول ركّزت على تعاليم

النفوذ المصري. بدأت هذه الأسلمة مع الغزوات الأولى التي قام بها العرب على بلاد النوبة وتثبيت لاحقاً مع محاولات الخديويين وجهود التوحيد الثقافي التي أتم بها تاريخ الكوندومينيوم (condominium) الانكليزي - المصري في السودان. من هنا الدور المسيطر الذي يعترف به الدستور للشريعة الإسلامية المطلقة بحسب المذهب المالكي. أمّا المناطق الجنوبية فقد بقي سكانها على دياناتهم الأصلية، فهم إما تيمون وإما مسيحيون، ولكنهم أجبروا بالقوة، على الرغم من الثورات التي قاموا بها، على الخضوع لسلطة الخرطوم. تعود المظاهر الدينية الأخرى للإسلام المحلي إلى الدور الذي يؤديه المتصوّفون الذين يُعرفون محلياً باسم «فاكي» والذين يعملون باستمرار على نشر التعاليم الصوفيّة في مختلف اتجاهاتها.

على صعيد آخر، فإنّ التباينات الكبيرة بين المقاطعات تسببت بأزمات داخلية. لقد ضمت هذه المقاطعات إلى بعضها البعض بشكل إصطناعي، في إطار بلد يطعمه تنوع كبير في مظاهره الطبيعية، ما بين الصحراء والسهب، من جهة، والمناطق المروية في أعالي النيل والغابة الإستوائية في الجنوب، من جهة ثانية. ومقابل فريدة المنطقة الجنوبية غير الإسلامية من البلاد - التي تبقيها معارضتها للنظام في مستوى حياة بدائية - هناك المقاطعات الإسلامية الواقعة على نهر النيل، وأغناها تلك التي تشكل، حول مدينة الخرطوم، مثلث الجزيرة المروري الذي ترتبط به المناطق البعيدة ارتباطاً هئلاً. من هذه المناطق ما يشكل، من الجهة الغربية، هضبة كوردوفان ودارفور، ومنها، في الشمال الشرقي، ما يشمل المنطقة الساحلية للبحر الأحمر التي خضعت، ابتداءً من القرن السادس عشر، في سنجد سواكين، لاحتلال عثمانّي هدف إلى مواجهة مشاريع البرتغاليين. تشكل هذه المنطقة اليوم المقاطعة التي يرمز فيها، عبر مرفأ بورسودان، معظم تجارة البلاد.

إلى هذا التفاوت في مستويات النمو بين المناطق، تُضاف آثار علاقاتها بالدول المجاورة التي تختلف أنظمتها السياسية وأوضاعها الدينية: من مصر إلى إريتريا فالحبشة، ومن جمهوريتي ليبيا والتشاد إلى جمهوريات

بورنو، ثم في وادي سنة ١٩٠٩. بينما تمكّن البريطانيون من سلطان سوكونو سنة ١٩٠٤، في الوقت عينه الذي نجح فيه الألمان في احتلال القسم الأكبر من أدموا.

ومن ذلك الحين، وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى، ارتبط مصير الإسلام في المنطقة التي كانت تُعرف بالسودان الغربي بواقع متحوّل فرضته الإدارة الفرنسية من جهة، والإدارة البريطانية من جهة ثانية، إن في أفريقيا الغربية والاستوائية الفرنسية، أو في شمال البلدان الساحلية كنيجيريا البريطانية. ونتيجة لذلك، فإنّ الكثير من الخصائص القديمة للإسلام السوداني، التي نشأت عن ظروف الحياة الخاصة بمنطقة السهوب طوال القرون الوسطى بدأت، منذ ذلك الوقت، بالاندثار تحت ضغط عوامل التطور المختلفة - منها الاتصال المباشر بالعالم الحديث - وأيضاً بسبب التحوّلات السياسية المختلفة التي عرفتها هذه الشعوب التي تخلصت من الحواجز الجغرافية القديمة. هكذا، في المناطق الغربية كما في المناطق الشرقية للقارة السوداء، عرف الإسلام أطراً جديدة تبلورت سريعاً حول مسائل داخلية خاصة بكل من الدول المستقلة التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية. وبعض هذه الدول تخطى حدود السودان القديم وتوسّع جنوباً، وصولاً إلى خليج غينيا. وحدها جمهوريات السنغال ومالي وبوركينا فاسو والنيجر، كما جمهورية التشاد المجاورة لجمهورية السودان في أفريقيا الشرقية، حافظت على سماتها الأساسية كدول ساحلية، على رغم التحوّلات المعاصرة التي عرفتها.

٢ - جمهورية السودان الحالية، مساحتها: ٨١٠ ٥٠٥ كلم^٢، عاصمتها الخرطوم. دولة مستقلة حلت، في العام ١٩٥٦، محلّ السودان الانكليزي - المصري القديم. تمتد على الوادي الأعلى لنهر النيل. يبلغ عدد سكانها حوالي ستة وعشرين مليون نسمة، نسبة المسلمين بينهم هي ثلاثة وسبعون في المئة.

هذه الأكثرية الإسلامية في منطقة تضم شعوباً غير متجانسة تبدو ثمرة ميراث مزدوج: ميراث المهدية وميراث الأسلمة الطويلة الأمد التي تطوّرت في ظلّ

والملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية التركية.

لا شك في أنَّ اللغة العربية والإسلام سيطرا، بعد الفتوحات الكبرى، في القرن الأوَّل للهجرة/السابع للميلاد، التي بُنيت انترغل المتواصل لقياتل عربية قدمت من المناطف الجنوبيَّة الصحراويَّة. إلَّا أنَّ عوامل الوحدة هذه طُمِست بعض الشيء في فترة لاحقة بفعل الغزوات والاحتياحات والتفتيت التاريخي المتتابع، بينما بقيت الفوارق العميقة بين المناطق المأهولة حيث يظهر التنافس، مثلاً، بين الساحل اللبناني الغني والرطب وبين الروابي الفلسطينية المروية والسلاسل الجبلية المحيطة بمنطقة البقاع وادي الأردن، من جهة، والمساحات الموحشة، المزرعة بالواحات في بعض الأماكن، للهضبة السوريَّة الأردنيَّة من جهة ثانية. وسوريا التي كانت جزءاً من الهلال الخصيب كانت تتصل بالعراق عن طريق بلاد ما بين النهرين العليا، كما كانت مفتوحة على الشرق والجنوب عبر سهوب تدمر وتقوم شبه الجزيرة العربية وضواحي مصر عبر سبيلها، وكانت، فضلاً عن ذلك، مفتوحة على الخارج؛ فهي محاطة بمرافئ وتجتازها خطوط تنقل بدويَّة وطرق للقوافل تصلها، عبر إيران، بالهند وآسيا الوسطى وسهوبها الشماليَّة، وأيضاً بهضبة الأناضول ومنطقة القوقاز، وأيضاً بأوروبا المتوسطية وبدول المغرب الإفريقيَّة.

كل هذه الميزات الطبيعية التي كانت المنطقة الممتدة من انطاكية إلى القدس قد استفادت منها في ظلِّ الحكم البيزنطي ساهمت، بادئ ذي بدء، في جعل سوريا القروسطيَّة التي فتحها المسلمون واختارها الأمويُّون، منذ سنة ٤١هـ/٦٦١م، مقراً للخلافة، مركزاً غير منازع للعالم الإسلامي الجديد. قُسمت سوريا إلى مناطق عسكريَّة أو أجناد، ما سهَّل على العرب عملية الاستيطان في أراضيها الواسعة، واحتضنت عواصم إداريَّة وسكنيَّة كدمشق والرملة وحِزَّان، إضافة إلى قصور الأستقراطيِّين وأملاكهم المنتشرة في كلِّ أقسامها المزروعة. كلُّ ذلك أدَّى إلى ازدهار حضارة مميَّزة تشهد عليها اليوم الأبنية والمعالم الأثرية الباقية من العصر الأمويِّ.

أدَّى انتصار العبَّاسيِّين بعد ذلك إلى التخلِّي، بصورة

أفريقيَّا الوسطى وزانير وأوغندا وكتينا. على كل هذه المناطق السودانيَّة، فرض الثُميري نظامه العسكري الدكتاتوري، ولكنهُ أفسح في المجال في ما بعد أمام قيام حكم مدني وديموقراطي تسيطر عليه الأحزاب الإسلاميَّة النافذة. ولكن، في العام ١٩٨٩، حلَّ محلُّه من جديد نظام عسكري يميل إلى تعزيز الحركة الدينيَّة المتشددة.

← راجع السندات ١٠، ١٢، ٢٨، ٢٩.

سُورات (الاتحاد الهندي)، مرفأ بقي ناشطاً مدة طويلة في مقاطعة عُجرات الإسلاميَّة على الساحل الغربي للهند، وترافق ازدهاره مع انحطاط مدينة كمبابة القديمة.

بدأ ازدهار هذه المدينة في بداية القرن السادس عشر، بعدما عانت هجمات البرتغاليِّين المتكررة. ووصلت، إلى قمة ازدهارها عندما استولى عليها الأمبراطور أكبر سنة ١٥٧٢ وضُمَّها إلى أمبراطوريَّة المغول الواسعة والغنيَّة. ومنذ سنة ١٦١٨ أقام فيها الإنكليز عدداً من المؤسسات، ثمَّ ضمَّت أمام بومباي مع قدوم سنة ١٦٨٧، ووقعت سنة ١٨١٠ في أيدي البريطانيِّين.

السورة، جمعها السُور ← القرآن.

سوريا، وتُعرف باسم بلاد الشام: إسم أطلق في القرون الوسطى على منطقة من العالم الإسلامي، قُدِّر لها أن تكون دائمة الاضطراب في قلب الشرق الأدنى المتوسطي، وتشير اليوم، بمعنى جغرافي أكثر حصريَّة، إلى الجمهورية العربيَّة السوريَّة.

١ - كانت سوريا، بحسب وصف الجغرافيين العرب في القرون الوسطى، تميَّز بتضاريسها ومناخاتها المتنوعة، ويموقعها بين البحر والصحراء. كما عُرفت في كونها مقاطعة قديمة غير متجانسة عرقيًّا ولغويًّا. وكانت تتكوَّن من مناطق ومقاطعات تميَّز بخصوصيَّات بارزة، غالباً ما قامت على التنوع الديني. تتوزَّع هذه المناطق اليوم على الجمهورية العربيَّة السوريَّة، وأيضاً على الجمهورية اللبنانيَّة وإسرائيل فلسطين المحتلة، والأراضي الفلسطينيَّة المتمتعة بالحكم الذاتي،

التياب العالي إلى إدخال تعديلات على نظام الجبل اللبناني، ما أدى إلى مواجهات بين الدروز والموارنة المسيحيين، وكذلك إلى تدخل فرنسي في المنطقة في عامي ١٨٦٠-١٨٦١. وتعمس هذه النزاعات الدينية الحدة التي أظهرتها عبر التاريخ، داخل الاسلام السوري، الفرق والحركات الاجتماعية - السياسية التي تنتمي بأصولها إلى الشيعة. وقد أدى ذلك إلى قيام فصيلاء حقبية من طوائف متنوعة ومتصارعة، أظهرت في الفترة المعاصرة عدوانية متزايدة نتيجة لتنامي المول القومية والزعة الاشتراكية.

في مطلع القرن العشرين، تكثف الجوّ المعادي للسيطرة العثمانية، برغم جهود التحديث التي سعت إليها اسطنبول، وإنهاء بنا الخط الحديدي بين دمشق والمدينة سنة ١٩٠٨. فالتوازن الداخلي ازداد اضطراباً مع سلسلة أحداث رافقت في الشرق مسرى الحرب العالمية الأولى. وفي نهاية الأمر، غادرت القوّات التركية سوريا في تشرين الأول سنة ١٩١٨، إثر الثورة العربية التي قادها الشريف حسين وإبنة الأمير فيصل. وجاء إقرار الانتداب الفرنسي في مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠ ليكون تحضيراً لولادة دولة نالت استقلالها التام سنة ١٩٤٦. وهي اليوم تحمل اسم الجمهورية العربية السورية. كما تميّزت دولة لبنان التي كانت خاضعة أيضاً للانتداب الفرنسي، وكذلك فلسطين التي كانت خاضعة للانتداب البريطاني مع إمارة شرق الأردن التي تحولّت إلى مملكة.

٢ - تلغ مساحة الجمهورية العربية السورية الحالية ١٨٥ ١٨٠ كلم^٢، عاصمتها دمشق، وهي دولة مستقلة معاصرة، تقتصر على المناطق الشمالية من سوريا القروسطية، ولكنها تضمّ، إضافة إلى ذلك، جزءاً من بلاد ما بين النهرين العليا. يبلغ عدد سكّانها اليوم حوالي ١٨ مليون نسمة أكثرهم من المسلمين، وبنهم أقلية مسيحية قديمة تصل نسبتها إلى ١١ بالمئة.

لا تكفي هذه الأرقام لإعطاء فكرة واضحة عن الوضع الديني الحقيقي في بلد يشكّل فيه، بدون شك، المسلمون السمة الأكثرية، فيما يشكّل النصيريون المعروفون بالعنوتيين ١٣ بالمئة، كما أنّ هناك الدروز

مفاجئة، عن جزء من هذه الإمبراطرات السياسية والاقتصادية، ولم تستعد سوريا قط بريق تفوّقها المعماري. عرفت آنذاك، وهي الواقعة بين العراق ومصر، مرحلة من التراجع استمرّت حتى القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للسيلاد، وعانت لاحقاً من ارتدادات الحملات المتعاقبة التي قام بها سلاجقة الشرق والمغول وتيمورلنك، ولكنها قاومت تغلغل الفرنج الذين استولوا على منطقتها الساحلية. دفع هذا الوضع بالدول الاسلامية الواقعة في الداخل السوري إلى محاربة الغزاة. وقد استمدّت هذه الدول، في مختلف مراحل هذه المواجهات، سمعة جهادية طيبة وصلت إلى أوجها مع مآثر نور الدين وصلاح الدين. ولكن كل ذلك لم يساعد سوريا، المفسّمة داخلياً والمحرومة من أي وزن اقتصادي، على أن تلعب دوراً متقدماً.

إنّ مصر، لا سوريا، هي التي شكّلت الإقليم الأساسي في المملكة الأيوبية التي نوّعت بين مختلف الإمارات التي حكمها أفراد من أعقاب صلاح الدين أو من عائلته. لكنّ هؤلاء ظلّوا جميعاً خاضعين لسلطة سيّد القاهرة. لقد عاشت سوريا حالة مشابهة مع دولة المماليك ابتداءً من العام ١٢٦٠م، فخفضت لحاكم كان يعينه سلطان مصر. وأخيراً ضُمَّت الأراضي السورية إلى الدولة العثمانية، إثر الانتصارات التي أحرزها السلطان سليم الأول على المماليك، وقُسمت إلى ثلاث ولايات، دمشق وحلب وطرابلس (في ما بعد دمشق وحلب وصيدا، وفي المرحلة الأخيرة دمشق وحلب وبيروت)، في حين أنّ جبل لبنان تمعّع بوضع خاص. إلّا أنّ هذا الضعف السياسي لم يمنع الأراضي السورية، طيلة فترة الحكم العثماني، من أن تعرف حركة ازدهار في الحقل المعماري. قامت فيها أبنية حجرية جميلة تميّز بأسلوب هندسي بسيط وطريف. وفي الوقت عيه تطوّرت فيها حياة فكرية ذات طابع تقليدي، مرتبطة بما كان يجري في مصر، ومركزة على ثقافة عربية إسلامية قديمة.

وبعد نحو ثلاثة قرون، إجتاح يونانبرت سوريا، كما اجتاحتها من بعده إبراهيم باشا، ابن محمّد علي. فعمد

سنة ١٩٧١ انتُخب رئيسًا للجمهورية. وقد واجه مشكلات داخلية ودولية متنزعة استطاع حلها بالتخلص منها، وكان في سياسته سيّدًا لا ينازع. [وبعد وفاته، انتُخب ونده بشار الأسد رئيسًا للجمهورية].

❖ راجع المستندات ٩٠، ١٣، ١٨، ٣٦-٣٨، ٤٠-٤٣، ٥٥، ٨٩، ٦٢، ٩٠.

سُورينام (جمهورية)، مساحتها ١٦٣ ٢٧٠ كلم^٢ وعاصمتها پاراماريبو، وهي دولة صغيرة معاصرة ومستقلة في أميركا الجنوبية، تضم، كما غويانا المجاورة، نسبة معينة من المسلمين. وهذه الأقلية نشأت في البلاد عن طريق الهجرة واعتناق الدين الإسلامي. وهي تصل إلى اثنين وعشرين بالمئة من مجمل السكان الذين البالغ عددهم حوالي نصف مليون نسمة.

سُوس، مقاطعة في المغرب الأقصى تتميز بميلها إلى الاستقلال عن السلطة المركزية، كانت في القرون الوسطى تمتد إلى ما وراء وادي سُوس في المملكة المغربية الحالية، وجُلّ سكّانها من البربر المتمتدين إلى مجموعة قبائل «الشلوح».

هذه المقاطعة، التي ميّزها الجغرافيون العرب عن السوس الأدنى وحددوا موقعها بين ساحل المحيط الأطلسي وهضبة الأطلسين، غالبًا ما كانت تُعرف باسم السوس الأقصى. وقد ارتبطت بشكل وثيق بتاريخ السلالات المهمة التي حكمت المغرب، فكانت هدفًا للمرابطين، وفيها بدأ ظهور الموحدّين. وبعد أن تحرّرت في أواخر حكم الموحدّين، شكّلت مملكةً منفصلة في ظلّ حكم المرينيين الأوائل.

في سنة ١٥٠٤م نزل البرتغاليون في أغادير على ساحل سوس، فتنظمت حركة مقاومة بقيادة أشرف المغرب. ونشأت بعد ذلك سلالة السعديّين الذين نجحوا في استعادة أغادير سنة ١٥٤١. وخلال العقود التي تلت، شهدت المقاطعة ثورات متعدّدة أدّت إلى إقارها، إلى أن ضُمَّت إلى دولة المغرب ذات الحكم المركزي.

❖ راجع المستندين ١٤ و ١٩

والشعبة الإمامية الاثني عشرية والاسماعيلية المرتبطة إلى حدّ ما بالزراية القديمة. هذه المجموعات الصغيرة، التي يبدو كلٌّ منها متمسكًا بقوة على الصعيدين السياسي والاجتماعي، نساهم في انقسامات داخلية للدولة تفصلها حدود، رُسمت منذ فترة قريبة، عن الجمهورية التركية في الشمال، والعراق في الشرق، والمملكة الأردنية الهاشمية وإسرائيل (فلسطين المحتلة) في الجنوب، والجمهورية اللبنانية في الغرب. وقد وُضعت حدود الدولة بعد الحرب العالمية الأولى، ثم بُنيت بانغافية سيّهر في تشرين الأول سنة ١٩٢٠، واتفاقية لوزان سنة ١٩٢٣ اللتين وضعتا سوريا تحت الانتداب الفرنسي. وهذا الانتداب وضع نهاية لطموحات الأمير قبصل في سوريا بعدما كان قد دخل دمشق منتصرًا في تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩١٨، ثم أرغم على الانسحاب منها في تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠.

والانتداب الفرنسي الذي شمل أيضًا دولة لبنان، جعل سوريا ثلاثة أقسام إدارية: سوريا نفسها التي كانت تضم ولايتي حلب ودمشق وسنّج الإسكندرون، ثم بلاد العلويين، فجبل الدروز. وبعد قمع ثورة الدروز في سنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦، حاولت الدولة الفرنسية، من دون جدوى، إجراء انتخابات من أجل إقامة مجلس نيابي تستطيع التفاوض معه حول موضوع الاستقلال. وفي سنة ١٩٣٦، عُقدت معاهدة لم يوافق عليها البرلمان الفرنسي. وفي سنة ١٩٤١ أُعلن استقلال دولة سوريا الموسّعة التي شملت بلاد العلويين وجبل الدروز. لكنّها خسرت سنّج الإسكندرون الذي ألحق مجدّدًا بتركيا. بموجب اتفاقية جنيف التي تمّت بإشراف عصبة الأمم سنة ١٩٣٧.

والدولة الجديدة التي رفضت عقد أي اتفاق تعاون مع فرنسا أخلتها الجيوش الأجنبية إثر أحداث سنة ١٩٤٥. وقد تميّز تاريخها بعد ذلك بسلسلة انقلابات عسكرية وقعت بين سنتي ١٩٤٩ و ١٩٥٤، وبمحاولة إقامة وحدة مع مصر (١٩٥٨ - ١٩٦١)، وبغدّم حزب البعث الذي تسلّم السلطة في سنة ١٩٦٣، وما يزال محتفظًا بها. وفي سنة ١٩٧٠ اختير حافظ الأسد، وهو ضابط من أصل علوي، أمينًا عامًا لحزب البعث، وفي

سوس، موقع أثري إيراني يشير إلى موقع مدينة في خوزستان كانت مشهورة في القرون الوسطى، وهي اليوم مهذمة.

نعود هذه المدينة إلى العصور القديمة، وهي غنية بذكرات الأخمينيين. دخلتها الجيوش العربية - الإسلامية سنة ٦٣٨هـ/١٧م خلال الفتوحات الكبرى، واستمرت وقتاً مدينة مزدهرة. على الرغم من أن المسلمين جعلوا الأهواز عاصمة للمقاطعة. ويبدو أنها بدأت تضعف في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وراح ضعفها يتزايد في العصور التالية. وبعد الغزور على خزفيات إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر، ساعدت التنقيبات الحديثة على اكتشاف مسجد وأبنية متنوعة يعود تاريخها إلى القرون الوسطى وتقع قرب المدينة القديمة، ما أثبت صحة ما ورد عند الجغرافيين العرب حول ازدهارها قديماً. وفي سوس كان يُكرّم قبر النبي دانيال، ويشير إليه اليوم ضريحٌ هو موضع زيارات تكريم.

سوسة (الجمهورية التونسية)، مدينة مرفئية حديثة ما تزال تُعتبر منفذاً اقتصادياً لمنطقة الساحل، وتحفظ بمعالم معمارية تشهد على الدور الذي كان لها والازدهار الذي عرفته في ما مضى في إفريقية خلال حكم الأغالية.

كانت سوسة محطة تجارية فينيقية، تحولت إلى رومانية واتخذت اسم حضروميت (Hadrumet)، ثم إلى بيزنطية وأطلق عليها اسم جوستينيانوبوليس (Justinianopolis) في القرن السادس للميلاد. ويُقال إن عُبة بن نافع حاصر المدينة وهدها خلال الفتوحات الكبرى. وقد استمدت أهمية كافية، لذا خصها الوالي يزيد بن حاتم المهلبي برباط، وذلك قبل سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م، أي قبل تأسيس رباط المُستَير سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م. إن قرار إنشاء هذا الرباط فيها يعبر عن سياسة الدفاع عن شواطئ إفريقية التي انتهجها الخليفة هارون الرشيد، وهذه السياسة هي شاهدٌ على الإهتمام الذي أولاه العباسيون لهذه المقاطعة الغنية زراعياً والحياة إستراتيجياً بالنسبة إلى الامبراطورية.

إن موقع سوسة كمرفأ لمدينة القيروان عاصمة

الأغالية الذين جعلوا مقرهم في ضاحية الزقادة، على غرار الحكام العباسيين الذين سكنوا القصر القديم، يوضح الازدهار المميز الذي عرفته في ما بعد، خلال القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد. وفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، أنشأ زيادة الله الأول، وهو ثالث أمير من سلالة الأغالية، نرسانة في سوسة ومنشآت بحرية وجعلها قاعدة انطلاق لحملة بحرية قام بها لغزو صقلية. وقد ازدادت المدينة نمواً في السنوات اللاحقة، فكثر المباني التي ما يزال قسم منها قائماً، كمسجد أبو فثاة الذي بُني بين سنتي ٢٢٣ و٢٢٦هـ/٨٣٨ و٨٤١م، والقصبة الأولى أو القلعة التي شُيّدت سنة ٢٢٩هـ/٨٤٤م، والمسجد الجامع الذي تمّ توسيعه والذي يعود تاريخه إلى سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م. وبعد ذلك بقليل أحيط المجتمع بسور يحوي حوضاً بحرياً داخلياً.

أثّرت سوسة منذ ذلك الحين، بفضل أنشطتها التجارية. وقد انضمت إلى الفاطميين منذ بداية عهدهم، ولكنها عانت من ارتدادات الأحداث السياسية والعسكرية المختلفة التي توالى على المنطقة، بما فيها الدفع الذي أعطي لمرعئ المهدية الجديد والمحضر الذي تحول، إضافة إلى ذلك، إلى عاصمة. وفي القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، احتلّ انورمان القادمون من صقلية مدينة سوسة لبضع سنوات، كما عانت بعد ذلك هجمات الإسبان. وفي سنة ١٥٧٤ احتلّ العثمانيون البلاد وجعلوا الحكم في أيدي الحسنيين. وقد جعل الإسبان والحسنيون مدينة تونس - التي تقع إلى الشمال من سوسة - مقراً لحكهم. وبالرغم من محاولة سوسة الاحتفاظ بدورها البحري عن طريق أعمال القرصنة، فإنها لم تستطع إيقاف تراجعها الذي كان قد بدأ قبل عقود، والذي لم يتوقف إلا مع التغيرات التي شهدتها العصر الحديث.

◀ رابع المستندات ١١- ٥٣ و٥٤.

السوق ← الأسواق.

سوكوتو (جمهورية نيجيريا الفدرالية)، مدينة تقع شمال البلاد، كانت مركز دولة إقطاعية تيوقراطية تحمل الاسم نفسه. نشأت هذه الدولة في بداية القرن التاسع

السلطنة سنة ١٥٦٥ والذي زوجه من ابنته. أصبح محمد باشا بعدئذ الحاكم الفعلي للسلطنة في عهد سلطان ينفق إلى الكفاية والمقدرة. وعلى الرغم من مسؤوليته النسبية عن فشل السياسة الخارجية، ولا سيما عن هزيمة ليبانت (Lépante) سنة ١٥٧١، فإنه استطاع الحفاظ على عظمة إمبراطورية ضمت إليها جزيرة قبرص سنة ١٥٧٠، وبسطة سلطتها على تونس سنة ١٥٧٤، وأسهم محمد باشا في وصول مراد الثالث إلى عرش السلطنة في سنة ١٥٧٤، وبقي في عهده بلعب دورًا أساسيًا في الدولة. وبعد وفاته، سنة ١٥٧٩، مّوت مرحلة من عدم الاستقرار الوزاري. وإلى محمد باشا يعود الفضل في بناء مسجد يحمل اليوم اسمه، وقد أنجز بناؤه سنة ١٥٧١ على يد المهندس الكبير سنان.

سومطره ← إندونيسيا.

السيد، تعبير تبتّه الأوساط الإسلامية، واتخذ عبر العصور معاني مختلفة تتصف كلها بطابع الاحترام للرئيس أو السلطان.

وكلمة «سيد» التي ذُكرت مرّتين في القرآن الكريم، ووردت مرّةً للإشارة إلى يوحنا المعمدان، حملت في الجزيرة العربية قديمًا معنى «الشيخ» أو «الرئيس»، واللفظة كانت تُطلق على رئيس العشيرة أو القبيلة الذي كان يُختار لصفاته الشخصية المميّزة. واستُعمل التعبير بعد ذلك لقبًا تشريفيًا مُلحقًا بالألقاب التي كانت تعطى للامراء والوزراء وأبناء السلاطات شبه المستقلة. وقد مُنحت صفة «السيد» أيضًا في الأندلس لأحد المسيحيين من قادة حرب الاسترداد، وهو «رودريغو دياز» (Rodrigo Diaz)، كونت منطقة بيفار (Bivar)، في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وعُرف لاحقًا باسم «السيد» (Cid).

وفي مرحلة زمنية يصعب تحديدها، أُعطي لقب سيد لأعقاب النبي محمد (ﷺ)، تمانًا كلف «شريف». إلا أن هذين التعبيرين حملتا معنى مختلفًا في الهند: فلفظة أشرف أطلقت هناك على كل الذين ينتمون إلى نسب عالٍ، بدون أن يكونوا من السكان الأصليين، ومن بينهم الأسباط من سلالة نبي المسلمين (ﷺ).

عشر عن طريق الجهاد الذي دعا إليه عثمان دان فوديو، أو عثمان ابن فودي، ثم ضعفت بعد موت مؤسسها سنة ١٨١٧ وانهارت نهائيًا سنة ١٩٠٤.

في بلاد الهُوسا التي تطوّرت بعض الشيء مع سلطة القبيلة، اكتسبت مدينة سوكوتو الصغيرة أهمية عاصمة إمبراطورية، ما ساعدها على أن تبقى حتى اليوم عاصمة إدايرية. وقد استقبلت، ابتداءً من سنة ١٨٠٤، عثمان دان فوديو الذي هاجر إليها، فأقام فيها دولة توسّعت على يدي ولده محمد بلو، بعد فترة قصيرة على نمو غواندو في الشمال الشرقي، وجعلها مقرّ أهم إمارة في إمبراطورية عثمان دان فوديو. وقد بقي عثمان صاحب السلطة فعليًا على «دار الإسلام» الجديد هذا.

وجاء البناء السياسي لهذه الدولة فريدًا من نوعه، إذ أقيم على غرار النظام الذي عرفته المدينة المنورة في زمن النبي محمد (ﷺ). وهو النظام الذي يستوحي منه كلّ المصلحين المسلمين. وهذا ما أقرّ النفوذ والهيبة لدولة سوكوتو الإسلامية التي غالبًا ما أطلق عليها اسم «الخلافة»، ذلك أن سيدها اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين. وعلى الرغم من الضعف الذي أصاب هذه الدولة، بقي مقرّ حاكمها مركزًا للثقافة الإسلامية قصد عدد من المستكشفين الأوروبيين في القرن التاسع عشر، إلى أن جاء الاحتلال البريطاني سنة ١٩٠٤ وقضى على تلك الإمبراطورية.

سوكوللو، محمد باشا، ١٥٧٩-؟، صدر أعظم عثماني، تسلّم منصبه في سنة ١٥٦٥ واستمرّ يشغله على التوالي في ظلّ ثلاثة سلاطين، وكان على الأخصّ معاونًا فعالًا للسلطان سليم الثاني.

يرجع محمد باشا في أصله إلى اليوسنة، طُوع في خدمة الدولة بموجب نظام اليوزشما (غصية الغلمان)، في بداية حكم السلطان سليمان القانوني. وتميّز، منذ سنة ١٥٤٦، بنشاطه في البحرية حيث رُقّي إلى رتبة «قاپودان باشا» أي أميرال الأسطول السلطاني. ثم تدرّج بسرعة فعيّن، بعد ثلاث سنوات، حاكمًا للروملّي، ثم وزيرًا، إلى أن رُقّي إلى الصدارة العظمى في سنة ١٥٦٥. في ظلّ السلطان سليمان القانوني، وبقي في منصبه في عهد السلطان سليم الثاني الذي اعتلى سدة

في مقدمة تاريخ بغداد للمخطيب البغدادي. وعلى النهج نفسه وضع ابن عساكر تاريخ دمشق وابن العديم تاريخ حلب.

سيراف، مدينة أمت اليوم مهذمة كانت بجوار مرفأ في إقليم فارس، على الساحل الإيراني من الخليج العربي الفارسي، وقد احتلت مركزاً مهماً في التجارة الإسلامية خلال القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد.

هذه المدينة التي كانت تحتل في ما مضى مساحة واسعة - كانت تعادل مدينة شيراز - بحسب الجغرافيين العرب - أظهرت الحفريات الأخيرة أقسامها، وبيئت موقعها القريب من مدينة «ظاهري» الصغيرة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية. لقد تأسست في العهد الإسلامي في ظروف غير معروفة، وكان مرفأها محطة رسو للسفن المتنقلة بين المناطق الإيرانية من جهة، والشرق الأقصى وشواطئ أفريقيا الشرقية السودا من جهة ثانية. وكانت هذه السفن المتجهة نحو الهند وماليزيا وكانون تحمل النسيج لترجع بالتوابل المختلفة. أما الأبنية التي تم العثور على معالمها، على الرغم من التآكل الذي أصاب الموقع من الجهة البحرية، فإنها تساعدنا على أن نصور بشكل دقيق أحياه المدينة السكنية وأبنيتها المهمة.

وكانت سيراف مزدهرة في العهد البويهي، إلا أن زلزالاً دمرها سنة ١٣٦٧م/٩٧٧م، فأعيد بناؤها ولكنها لم تستعيد رونقها السابق. فحركة الملاحة والنشاط التجاري ضعفا فيها، وانجها نحو جزيرة قيس، قبل أن ينتفلا إلى مرفأ هرمز المواجه لمرفأ بندر عباس الحديث الذي أنشأه الصفويون.

« راجع المستندات ١٢٠٨ و ١٢٠٩ ».

سيراليون (جمهورية)، مساحتها ٧١ ٧٤٠ كلم^٢ وعاصمتها فريناون، وهي دولة معاصرة مستقلة في أفريقيا السودا يبلغ عدد سكانها أكثر من أربعة ملايين نسمة، وبشكل المسلمون سبعة بالمائة منهم.

هذه المستعمرة البريطانية القديمة التي استقلت سنة ١٩٦١ يحدها المحيط الأطلسي من الغرب، ولها حدود مشتركة مع جمهورية غينيا في الشمال وجمهورية ليبيريا

وفي البلدان الناطقة باللغة العربية، درجت العادة اليوم على وضع لفظة سيد أمام اسم العلم، كما سُتعمل لفظة «سبيدي» في اللهجات الشامية.

السيد الحميري (١٠٥-١٧٣هـ/٧٢٣-٧٨٩م)، شاعر عربي عاش في بداية العصر العباسي، وأظهر في شعره انتماء إلى الشيعة. التحق السيد الحميري باكراً بالشيعة الكيسانية، ونادى برجعة المهدي، وكان قد ولد في البصرة، واضطر بفعل آرائه إلى أن ينتقل إلى الكوفة، وتوفي في واسط. وكانت للسيد الحميري علاقات طيبة بالخليفة العباسي المنصور.

سيد قطب ← قطب (سيد).

السير والتراجم (علم)، نشأ هذا العلم في العالم الإسلامي خلال القرون الوسطى، بمعزل عن علم الأنساب الأثير لدى الأوساط العربية، وبسبب الطابع السلطوي الذي اُتسم به التعليم في المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت.

منذ العهد الأولي للإسلام، وضعت معاجم كثيرة لتراجم فئات مختلفة من الفقهاء أو غيرهم من المعلمين الذين حظوا بشهرة واسعة: الصحابة والتابعون، وأصحاب المذاهب الفقهية، ورواة الحديث والأطباء والعلماء والنصفيون واللغويون والشعراء. وهذه المعاجم تحتوي معلومات قيّمة لا تتعلق بأراء هؤلاء الأشخاص فحسب، بل كذلك بنمط حياتهم.

بعض هذه المعاجم اعتمد الطبقات في تصنيفه للتراجم (تصنيف معباري بحسب الفئة أو الجيل)، وبعضها الآخر اتبع الترتيب الأبجائي. إن كتب الطبقات التي مثلت، منذ القديم، مرحلة مهمة من التأليف العربي-الإسلامي الموسوعي، أدت بخاصة إلى الحفاظ على أسماء الأشخاص الذين انتموا إلى أجيال إسلامية قديمة، كطبقات ابن سعد. بعض المعاجم الأخرى اقتصر على سيرة أشخاص عاشوا أو أقاموا في مدينة معينة، وهي مؤلفات تحمل عنواناً مفضلاً هو تاريخ هذه المدينة أو تلك، لأنها تحوي في الواقع بذات فردية، نسبها مقدمة، لخطط المدينة موضوع البحث، ووصف موقعها الطبيعي، قد تكون ذات أهمية كبرى، كما نجد

الاستعمار الإيطالي أو داخل الدولة المستقلة، عن مصير المملكة ثم الجماهيرية الليبية.

« رابع السنين ٨ و١٢.

سيستان ← سجنستان.

سيفو (جمهورية مالي)، مدينة تقع على المجرى الأعلى لنهر النيجر، خضعت لموجة عنيفة من الأشملة بعد ضمها سنة ١٨٦٠ إلى إمبراطورية الهول (الغلة) الجهادية الأخيرة، إمبراطورية الحاج عمر.

هذه المدينة التي كان غناها الاقتصادي مرنكزا على نشاطها التجاري والمحاصيل الزراعية لوادها كانت، من قبل، عاصمة للمملكة شعب البشبرا (Bambaras) الأسود. وقد وُذنت هذه المملكة في القرن الثامن عشر، بعد زوال إمبراطورية الصنفاي، فحلت مكانها في أداء دور مهم في تجارة القوافل عبر الصحراء ومع مناطق الجنوب. ومملكة سيجو التي خضعت لأسيا وثنيتين كانت تضم، مع ذلك، أقلية مسلمة مهمة. كانت هذه الأقلية تشارك في حياة البلاد في جو من التسامح الديني، ما جعل المملكة هدفا مهما لحملات عسكرية هدفت إلى فرض إسلام متشدّد بالقوة. وفي سنة ١٨٦١ اقتحم القائد الديني المشهور الحاج عمر مدينة سيفو، قبل أن يكمل حملته على حمد الله ومنطقة سنينا وتوموكتو. أصبحت المدينة، وعلى مدى عشرين عامًا، واحدة من عواصم دولة إسلامية مجاهدة لم تحسن إعادة الازدهار للمنطقة، إلى أن أزالتها تقدّم الفرق الفرنسية التي احتلت سيفو والمناطق المحيطة بها سنة ١٨٩٠.

سيف الدولة، أبو الحسن علي بن حمدان (٣٠٣-٣٥٦هـ/٩١٥-٩٦٧م، هو أشهر أمراء السلالة الحمدانية في سوريا، وبطل الجهاد ضد البيزنطيين.

كان سيف الدولة ينتمي إلى أسرة عربية شيعية قذمت عدداً من الحكام لمنطقة ما بين النهرين العليا خلال القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وذلك في زمن كان فيه الخلفاء العباسيون يتخطّون في مشكلات اقتصادية صعبة. ما اضطرهم إلى تفويض سلطاتهم إلى أمير الأمراء. وقد تُقّب بسيف الدولة، في الوقت الذي حصل فيه أخوه - وكان من قبل حاكماً على منطقة

في الجنوب الشرقي. وكما كانت الحال في البلدان المجاورة، فإنّ الإسلام انتشر فيها، خصوصاً في الفترة الأخيرة، مستفيداً من حسن نية السلطات نجاهه. ونمت معه ميول نحو الطوائف الصوفية التي كان لها تأثيرها الكبير؛ وبين الحربين العالميتين ظهرت الأحمدية في سيرايلون.

سيريناييك أو برقة، هي إحدى المقاطعات الثلاث في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية التي حلّت تسميتها القديمة التي استعملها الأوروبيون من جديد في بداية القرن التاسع عشر، محلّ التسمية التي كانت متداولة في القرون الوسطى، أي برقة.

كان تعبير برقة يدلّ على شبه الجزيرة المصخرية الواسعة والحريرة نسبياً، المحاطة من كل الجهات بدخل صحراوي، كما كان يدلّ على البلدة التي أسسها الأغريق والتي بقيت المركز المدني الأهم بعد تفقر الحواجز الأخرى لمجتمع المدن الخمس. احتلّ عمرو بن العاص هذه المنطقة في فترة الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، بدءاً من سنة ٢٢ - ٢٣هـ/٦٤٢ و٦٤٣م. لكنّ هذا الاحتلال لم يمس ازدهار المنطقة القائم على الزراعة وعلى حيوية طريق القوافل الكبرى التي كانت تربط مصر بالمغرب، في عهد الإمبراطورية الإسلامية الأموية، كما في أيام الإمبراطورية العباسية في ما بعد. وقد خسر العباسيون لاحقاً سلطتهم على هذه المنطقة لصالح الفاطميين، إبان توسّعهم نحو الشرق. وبعد فترة وجيزة، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، قضى غزو بني هلال على الحياة الحضريّة في برقة، وتابع الغزاة طريقهم نحو إفريقية. ومنذ ذلك الحين صارت عصابات البدو تجوب هذه الأراضي المغفرة التي لم يخضعها العثمانيون إلا لرقابة بعيدة. وكان هؤلاء قد استقروا في مصر منذ العام ١٥١٧. أمّا ولايتهم في ليبيا فقد أقاموا في طرابلس، وقد خلفهم، بين ١٧١١ و١٨٣٥، سلالة قرْمُثلي المحلية. انتزعت آنذاك مدينة بنغازي المنشأة حديثاً دور برقة كمركز ولاية ووقعت في قبضة أسيا الطريقة الصوفية السنوسية.

لم ينفصل، في ما بعد، مصير برقة، سواء في فترة

ذلك في أيدي الأرتقطين من فرع ماردين الذين جعلوا منها إحدى حواضرهم، ثم انتقلت إلى الأيوبيين حكّام سوريا. لكن المغول نهبها سنة ١٢٥٠هـ/١٢٥٢م. ولا تعرف الكثير عمّا كان عليه وضع المدينة في العصور اللاحقة التي حكم المنطقة خلالها قادة أكراد استسروا في السلطة في ظل سيطرة الصفويين، وابتداء من سنة ١٥١٥، حافظوا على مواقعهم على الرغم من خضوع تلك المنطقة للسلطنة العثمانية.

وما تزال مدينة سيلوان تحافظ، حتى اليوم، على قسم من الأسوار البيزنطية التي رُمّمها المسلمون وأضافوا كتابات عربية غنيّة بالزخارف، وما يزال فيها مسجد جامع بُني بالحجر، كان قد شيّده الأرتقطيون في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة/القرن الثاني عشر للميلاد، يظهر فيه بوضوح تأثير الفن المعماري الذي عرفته إيران في عهد السلاجقة الكبار، هذا فضلاً عن معالم أثرية أخرى تُنسب إلى النشاط المعماري زمن الأيوبيين.

سيتوب (الجمهورية التركية)، مدينة مرفئة شمال الأناضول على البحر الأسود، أفادت في القرون الوسطى من مميزات موقعها المحميّ. ساعد هذا الموقع في العصور القديمة على توفير شروط الملاحة البحرية الجيدة. وقد بقيت في أيدي البيزنطيين إلى أن احتلها السلطان عز الدين كيكأوس الأول سنة ١٢١١هـ/١٢١٤م، الذي أمّن لدولة السلاجقة، في الشمال كما في الجنوب، المنافذ البحرية الضرورية لازدهار نجارة القوافل. وكانت المدينة مركزاً اقتصادياً ناشطاً تحميها قلعة منيعة وتوزّع فيها صروح، بينها مساجد عديدة لا تزال تشهد حتى اليوم على ما كانت عليه بالأسس من ازدهار. ولا شك في أنّها نالت نصيبها من نتائج الصراع الذي هزّ الأناضول في القرون الوسطى، إلى أن وقعت في أيدي الإسفندياريين وأُلحقت بعد ذلك، سنة ١٤٥٨م، بالسلطنة العثمانية. إلّا أنّ نشاطها التجاري مع الداخل لم يتوقّف عن تغذية الحركة التجارية باتجاه أوروبا، وهذا النشاط كان يؤمّه، لفترة طويلة، الجنوبيون الذين أقاموا لهم قنصلية في سيتوب. إلّا أنّ أهمية التبادل التجاري أخذت تتراجع في ظلّ الحكم العثماني الذي

الموصل - على لقب أمير الأمراء، وذلك في سنة ٨٣٣٠/٩٤٢م. وفي سنة ٨٣٣٤/٩٤٥م، أصبح سيف الدولة سيّد حلب بعد أن انتزعها من الإخشيديين أسباط مصر، ولكنّه اضطر بالمقابل إلى أن يترك لهم مدينة دمشق التي كان قد نجح سابقاً في احتلالها.

وبعداً من سنة ٨٣٣٨/٩٤٩م وحتى وفاته، قام سيف الدولة، انطلاقاً من إمارته الجديدة، بحملات عدّة على البيزنطيين، ألّبت خلّة من المجد، لكنّها لم تنوّل قط إلى نتائج نهائية. وإذا كان قد نجح في التوغّل بغزواته داخل الأناضول، فإنّ أعداءه دخلوا بالمقابل أراضي المسلمين وحققوا النجاح، حتى إنهم دخلوا مدينة حلب نفسها سنة ٨٣٥١/٩٦٢م واحتلوها باستثناء قلعتها. وقد حُزب البيزنطيون في المناسبة القصر الذي كان يعيش فيه الأمير الحمداني محافظاً بحاشية من العلماء والأدباء، بينهم الفيلسوف الفارابي، والشاعر المتنبي الذي وضع عدداً وافراً من القصائد المدحية التي تعكّم انتصاراته.

سيف الدين أبو بكر ← المعادل (الملك).

سيلان (جزيرة) ← سَرَنديب.

سيلوان (الجمهورية التركية)، مدينة في شرق الأناضول، تقع إلى الشمال الشرقي من ديار بكر، كان لها في القرون الوسطى، تحت اسم مَيافارقين، دور اقتصادي واستراتيجي بحكم كونها مركزاً إقليمياً.

هذه المدينة التي عُرفت عند الإغريق بإسم «مَرتيروبوليس» (Martyropolis)، ومَيافارقين في العصر البيزنطي، دخلها الجيوش العربية - الإسلامية سنة ٢٠/٦٤٠م، خلال الفتوحات الكبرى. وقد تحكّمت بطريق الشمال على مقربة من أحد روافد نهر دجلة، بتمان سو، وكانت تنتمي، بحسب الجغرافيين العرب، إلى أرمينيا أحياناً وإلى أعالي بلاد ما بين النهرين أحياناً أخرى، إلّا أنّ مصيرها كان تاريخياً مرتبطاً بمصير بلاد ما بين النهرين. وهكذا بقيت في قلب العالم الإسلامي ووقعت في أيدي الحمدانيين، ثم البويهيين، قبل أن تصبح مركز إمارة كردية هي إمارة المروانيين الذين سيطروا عليها من سنة ٣٧٩ إلى سنة ٤٧٩هـ/٩٨٩ - ١٠٨٦م. ووقعت هذه المدينة الصغيرة المحصنة بعد

في إيران، و«غوق مدرسه» أو المدرسة الزرقاء التي أقامها صاحب عطا، أحد وزراء سلاجقة الروم.

في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، أصبحت سيواس مركز سلافة الأرمنين التي لم تحكم طويلاً، فخلفها القاضي - السلطان في ما بعد - برهان الدين. إنها تحتفظ، حتى اليوم، بعدد من الأضرحة العائدة إلى ذلك العهد. وأخيراً ضُمَّت سيواس، سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م، إلى السلطنة العثمانية الناهضة، في زمن السلطان بايزيد الأول «بلدرم». وذلك قبل أن يقع فيها الخراب بين سنتي ٨٠٣ و٨٠٥هـ/١٤٠٠ و١٤٠٢م، مع غزو نيمورلوك. ثم نهضت المدينة ببطء من بين الأنقاض وأكملت حياة خاملة داخل الأمبراطورية العثمانية، بعدما أهملتها النواقل. وكان على المدينة أن تنتظر الجهود الحديثة لترتبط بشرق البلاد وبمرفأ سمسون على البحر الأسود، ولكي تستعيد الحيوية التجارية وأنصاعية التي عرفتها في القرون الوسطى.

◀ راجع المستندات ٢٠، ٢١ و ٢٤.

السِّيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن (٨٤٩ - ٩١١هـ/ ١٤٤٥ - ١٥٠٥م)، عالم ذو ثقافة تقليدية، من كبار رجال الأدب في العصر المملوكي بمصر.

ولد في القاهرة من أسرة إيرانية الأصل أقامت في أسيوط، وكان فقيراً أمضى حياته بدزس في القاهرة وفيها مات. والسِّيوطي أديب غزير الانتاج، خاض حقولاً متنوّعة. له مؤلفات في التفسير والحديث والفقه والشعر واللغة والتاريخ العام، منها: «الدر المنثور في التفسير بالناثور»، «المزهر في فلسفة اللغة»، و«بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة». عالج في مصنفاته اللغوية كل المسائل المتعلقة بتاريخ اللغة العربية وفواعدها ويعلم المعاجم، وهذا ما أثنى له الشهرة.

ترك سبوت خارج خطوط المواصلات المهمة. وهذه المدينة الصغيرة التي قصصها الروس سنة ١٨٥٣، وضابقتها صعوبة العلاقات مع داخل البلاد، لم تنهض إلا بصعوبة من خرابها، من دون أن تتوصل اليوم إلى تجديد ملموس لوضعها العام.

◀ راجع المستندات ١٢، ٢٠، ٢١ و ٢٧.

سيواس (الجمهورية التركية)، مدينة في وسط الأناضول، على حدود المناطق البيظية، شرقي أنقرة، على الطريق المؤدية إلى أرضروم وإيران، تحتفظ بالعديد من الشواهد على دورها الإستراتيجي ونشاطها التجاري خلال القرون الوسطى.

لا ندرى تحديداً متى وقعت مدينة سبوتوس البيزنطية القديمة - التي احتفظت باسمها كما كان في القرون الوسطى - في أيدي العصابات التركية التي قدمت من أمبراطورية السلاجقة الكبار. وقد شكّلت في البداية جزءاً من إمارة الدائشمتيين، فكانت عاصمتهم وأنشأوا فيها مسجداً جامعاً. وفي القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، ضُمَّت سيواس إلى مملكة سلاجقة الروم. وقد حافظت على قلعتها الفخمة التي أعيد بناؤها جزئياً، وجُهِزت بإحدى كبريات المستشفيات السلجوقية التي ما تزال قائمة في الأناضول. وقد بنيت في السنتين ٦١٤ و٦١٥هـ/١٢١٧ و١٢١٨م، بأمر السلطان عز الدين كيكاوس الأول. وهي ما تزال تحافظ، داخل البناء القائم على أربعة إيوانات، على ضريح السلطان المزمّن بفسيفساء من الفرميد والخزف، وهو يحمل توقيع فتان إيراني من مرّنه في أنزرجان.

إلا أن الأبنية المسيحية شُيّدت في أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد. ففي سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م، أنشئت مجموعة مدارس، بينها «چيشمتي مناره»، و«بروجردية» التي أسسها إيراني من بروجرد،

ش

الإسلامي. كانت شاطبة، الواقعة على سفوح جبل بيرنيزا، عبارة عن حصن مهم من حصون الأندلس، ظهرت أهميته الإستراتيجية بصورة خاصة في عصر ملوك الطوائف بعد تأسيس إمارة بلنسية المستقلة في بداية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد. فضلاً عن ذلك، اشتهرت شاطبة بصناعة الورق، المعروف بالشاطبي، الذي كان يصدر إلى المغرب، وحتى إلى مصر. سقطت شاطبة نهائياً عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م ١٢٤٠م وطرد من تبقى فيها من المسلمين عام ٦٤٥هـ/١٢٤٧م.

الشافعي، محمد بن إدريس (١٥٠-٢٠٤هـ/٧٦٧-٨٢٠م)، عالم وفقيه ولد في فلسطين من أسرة حجازية الأصل. واعتُبر مؤسساً للمذهب الفقهي الشافعي. انخرط في المناقشات السياسية والدينية في العصر العباسي الذهبي، في العراق والجزيرة العربية، قبل أن ينتقل إلى مصر حيث انصرف إلى التعليم وحيث توفي، وما يزال قبره موضع تكريم. والشافعي من أصل عربي، تلقى دروسه الأولى في مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث كان تلميذ مالك بن أنس. ثم انتقل إلى بغداد حيث التقى مجموعة من المدافعين عن علم الكلام، وغداً هدفاً لهجمات قاده إلى السجن، وقد أخرجته منه هارون الرشيد. فاختار بعد ذلك مدينة القسطنطين مقراً له، وانصرف إلى الدرس والتعليم، فكان يجمع تلاميذه كل صباح في مسجد عمرو الذي ما يزال قائماً في أحد أحياء مدينة القاهرة. فاشتهر بعلمه وتقواه وكُرم في حياته ومماته. وفي العصر الأيوبي، أصبح قبره الواقع في جنوب المدينة مطلقاً لأبنية ضخمة - منها مدرسة أمّ صلاح الدين ببنائها بعد تسلمه السلطة - وأدخلت عليه، بهدف الزينة، بعض الإضافات، منها

الشاطبية، طريقة صوفية إسلامية، يرجع اسمها إلى أبي الحسن عليّ الشاذلي، تلميذ أبي مئتين. انتشرت هذه الطريقة خلال القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد في المغرب، ووصلت إلى مصر وسوريا وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية.

ولد المؤسس سنة ١١٩٦هـ/٥٩٠م في غرب المغرب، واستقر في أواخر حياته في قرية تقع حالياً في تونس اسمها شاذلة، ومنها أخذ اسمه. اصطدم هناك بالعلماء واضطر إلى أن يلجأ إلى مصر التي كان يغادرها مرة في السنة لتأدية فريضة الحج. وقد توفي خلال أحد أسفاره على ساحل البحر الأحمر سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. يصعب تكوين صورة واضحة عن شخصيته من خلال بضع رسائل تركها. وهي تظهره شيخاً ذا نزعة إنسانية، ومعرفة عميقة بأفكار الصوفيين الشارقة وممارساتهم. وقد انتشرت عقيدته بفضل تلاميذه، ولا سيما بفضل أحمد المرسي المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٧م. وهو أندلسي من مرسية استقر في الإسكندرية.

انتشرت «الطريقة» الشاذلية في المغرب بفضل أعمال تلميذ آخر، هو ابن عطاء الله المتوفى في القاهرة سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. وبقيت تقليداً فردياً يركز بصورة خاصة على التمتع في الحياة الداخلية. ولم يكن أتباعها يرتدون ملابس مميزة، ولا هم مارسوا الاستجداء. وفي ما بعد، أوضح الجزولي عقيدة الشاذلية وأرامها، وقد أسس تلاميذه في جنوب المغرب مدرسة التقوى الجزولية التي منها انتشرت الطريقة الميسوية.

الشارقة - الإمارات العربية المتحدة.

شاطبة (إسبانيا)، ناحية في شبه الجزيرة الإيبيرية في منطقة بلنسية، حافظت على بعض من ملامح ماضيها

للميلاد «منهاج الطالبين» للنووي؛ وأخيرًا، في القرن التاسع عشر، تناول المؤلفات القديمة تعليقات كمثل تلك التي قام بها الباجوري المتوفى في سنة ١٨٦٠.

تميّزت الشافعية، على مر تاريخها، بحرصها على الأخذ بالملق، واجتهدت عقائدها، بشكل خاص، في التحديد الدقيق لقواعد «القياس» الذي يؤدي إلى استنتاجات، انطلاقًا من النصوص الأساسية؛ كما قدّمت أيضًا تحديدًا دقيقًا لمفهوم «الإجماع»، وهو الإجماع الذي يعتقد بين فقهاء الجماعة، كما أُرست قواعد العلم الذي عُرف بمصادر الشرع، الذي يقوم على تحديد الأهمية المترتبة، بالنسبة إلى هذه المصادر، لكل من القرآن والسنة والإجماع والقياس.

وقد انتشرت الشافعية في البدء في الشرق العربي، بما فيه مصر، وفي إيران، وبخاصة في إيران الشرقية حيث احتلّت، في نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، موقعًا مهمًا. وقد سهّل انتشارها في العراق ومناطق أخرى من الأمبراطورية الوزير نظام الملك، وزير السلطان السلجوقي الكبير نيكشاه، الذي أسّس، دعمًا للشافعية، المدارس الدينية التي تحمل اسمه كنظامية بغداد في سنة ١٠٤٩هـ/١٠٦٧م، ونظاميات عدة في مدن أخرى. والأساندة الشافعية الذين وفدوا للتعليم في مدارس بغداد في هذه الفترة كانوا، على صعيد علم الكلام، من معتنقي المذهب الأشعري الذي جهدوا في نشره في هذا الوسط حيث كان الأخذ بالتقليد سائدًا حتّى ذلك الحين. وقد أثارت محاولتهم هذه بعض ردّات الفعل العنيفة في أوساط سكّان العاصمة.

وفي ما بعد عرفت الشافعية - التي ارتبطت في أكثر الأحيان بالمذهب الأشعري، وكذلك بالصوفية المعتدلة - نموًّا لافتًا للنظر. وانتقلت الشافعية من بلاد الرافدين العليا حيث كانت متجذّرة بعمق، مثلاً، إلى سوريا بفضل الملك نور الدين الذي عيّن شافعيًا قاضيًا أكبر في مملكته، كما عيّن قضاء شافعيين في مراكز قضائية أخرى. بعد ذلك مباشرة، عرفت الشافعية انطلاقًا أخرى مع صلاح الدين، مؤسس السلالة الأيوبية، الذي كان ينتمي إلى هذه المدرسة والذي أنشأ في القاهرة ومدن أخرى مدارس شافعية، وأسند

مذنب خشبي يعود تاريخه إلى سنة ٥٧٣هـ/١١٧٨م، وضريح بقبة يعود بناؤه إلى سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م. وقد ساهم كل ذلك في رفع منزلة هذا القبر الذي كان يكرّم له الجميع احترامًا دينيًا حقيقيًا.

والشافعي هو صاحب مصنّف ضخم يتسم بطابع فقهي تقليديّ، عنوانه كتاب «الأم»، يقع في أجزاء عدة، كما أنّ له رسالة يعالج فيها كيفية فهم الحديث النبوي الشريف. وكان يهدف إلى اتّخاذ موقف مخالف للمذهبين الفقهيّين الأولين، المالكي والحنفي، اللذين كانا يدعوان إلى الأخذ بالرأي لحلّ المسائل الفقهية التي ليس لها جواب في القرآن والسنة. ويدعو الشافعي، من جهة، إلى القراءة النقدية للحديث لاستخراج الأحاديث المقبولة شرعًا، ومن جهة ثانية، إلى القياس الذي حدّده بشكل دقيق.

يمكن القول إنّ الشافعي اهتمّ بوضع أصول لعلم الفقه، اهتمّ تلامذته لاحقًا بتطويرها. وبالمقابل إنّ يدين بقوة اللجوء إلى علم الكلام الذي ظهر في أتمّه، إذا ما قاد إلى تأويلات خاطئة. كما أعطى تحديدًا للسنة أضيق من الذي أعطاها من سبقه من الفقهاء، رافضًا «التقاليد الحية» التي كانت تعيشها الجماعة، مُبنيًا على السنة النبوية كما أوردتها النصحابة وحسب. ولم يقلّ بالدعوة إلى الإجماع إلّا في الحالات التي يتطابق فيها مع السنة. ولم يكن الشافعي يقلّ بالتبصّر (التفكير الشخصي) إلّا عند الضرورة، واجتهد في تنظيم طريقة اللجوء إليه.

الشافعية، مذهب فقهي يتنسب إلى الشافعي ويستمدّ منه اسمه، وهو فقهي عاش في بداية القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد. احتلّ المذهب الشافعي، مستندًا إلى نظرية محدّدة بدقة حول أصول الفقه، موقعه المبكر إلى جانب المذهبين المالكي والحنفي. وقد ابتكر أتباع هذا المذهب - وعلى رأسهم المؤرّخي المتوفى سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م - منهج استدلال تنامت دقته شيئًا فشيئًا، ويُعتبر كتاب «المُسْتَضْفَى» للغزالي الشهير، الذي ظهر بعد كتاب «التنبيه» للشيرازي، واحدًا من أفضل النماذج لهذا المنهج في نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد. وبعد فترة، ظهر في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر

شعبي مسلم من داغستان، قاد مقاومة طويلة ضد الاحتلال الروسي لبلاد.

ولد شامل في داغستان وانتسب إلى الطريقة النقشبندية التي استند إلى دعمها عند مناداته بالجهاد. وبعد أن تظاهر بالخضوع للروس سنة ١٨٣٧، نجح في إقامة دولة إسلامية في البلاد، تطبق الشريعة، كما نجح في إعداد قوة مسلحة ضخمة. وقد جعل مقره في قلعة «ويدينو» (Wedeno) الصعبة البلوغ والواقعة في منطقة الشيشان. ولم يستطع التقدم الروسي البطيء انتزاع القلعة إلا سنة ١٨٥٩، وذلك قبل استسلام شامل ببضعة أشهر. وبعدما وُضع هذا الأخير في الإقامة الجبرية، أقسم يمين الولاء للقيصر سنة ١٨٦٦، وسُمع له سنة ١٨٦٩ بالانتقال إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة حيث بقي حتى وفاته سنة ١٨٧١.

الشاه، كلمة من أصل إيراني تعني «الملك»، اعتمدت في اللغة العربية إلى جانب كلمة الملك. وقد ساهم الدور الذي كان لهذه اللفظة، في ما بعد، في بعض الألقاب الإسلامية في مرحلة متأخرة، في انتقاله مباشرة إلى اللغة الفرنسية.

استعملت كلمة «شاه» بدءاً من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي في أدبيات القرون الوسطى الإسلامية إشارة إلى ملوك وأمراء، لكن بدون أن تتطابق آنذاك مع لقب محدد. وفي الفترة نفسها كان بعض أمراء الأسرة البويهية يلقبون أنفسهم «شاهنشاه»، أي «ملك الملوك»، وينشئون هذه العبارة على نفوذهم، إذ إن هذا اللقب حافظ على سحره عند الشعوب الإيرانية، مما سمح لحامليه بالظهور بعظم الوترية لملوك الساسانيين القدماء. وفي ما بعد، في القرن الحادي عشر للميلاد، منح الخليفة هذا اللقب إلى طغرل بك، أول سلاطين السلالة السلجوقية التي حلت محل السلالة البويهية. في هذه الفترة، ظهر هذا اللقب أيضاً في الأسماء المعربة التي كان يحملها أمراء أتراك عديدون، كإرسلان شاه أو ملكشاه. وفي هذه الحالة الأخيرة، أي في الاسم الذي حملة السلطان السلجوقي الثاني، أضيف تعبير شاه رمزياً إلى الكلمة العربية التي تحمل المعنى نفسه، وتجدد الإشارة إلى أسماء مماثلة ظهرت في ما بعد

أيضاً إلى الشافعيين، وكانوا في أكثر الأحيان من أصل كردي مثله، مراكز قضائية.

لكن الشافعية ما عثت أن خسرت أرجحيتها الرسمية في مصر المملوكية حيث عمد السلاطين الجدد، ذوو الأصول التركية والمتنمون إلى المدرسة الحنفية، إلى إنشاء أربعة مراكز لفاضل أكبر، ينبع كل واحد منها أحد المذاهب الأربعة التي اعترف بها رسمياً في ذلك الحين. وتبع ذلك قيام نوع من التوازن بين تلك المدارس. على أن الشعوب التركية ظلت تتميز بانتمائها إلى المدرسة الحنفية، بينما حافظت الشافعية على عدد من المريدن في المنطقة وعرفت انتشاراً في مناطق بعيدة كإندونيسيا وجنوب شرق آسيا بكاملها وأفريقيا السوداء الشرقية.

الشام ← دمشق.

شاهانير (الإتحاد الهندي)، بلدة في عُجرات تشهد مبانيها الرائعة على المستوى الذي بلغه الفن الإسلامي في تلك المنطقة خلال القرن السادس عشر. احتلها محمود الأول بالقرن سنة ١٤٨٤م. وهو أعظم سلاطين سلالة عُجرات الذي ملك من ١٤٥٨ إلى ١٥٠١م. أطلق عليها هذا السلطان إسم محمود آباد وصارت مكان إقامته المفضل، واستمرت عاصمة إدارية حتى عام ١٥٣٦م. استولى عليها المغول سنة ١٥٧٢م وحولوها إلى مركز إداري. وقد عراها الانحطاط لاحقاً خلال القرن الثامن عشر وحتى الاحتلال البريطاني عام ١٨٥٣م الذي ثبت إسمها جزئياً.

وهكذا تمكنت البلدة الحالية من المحافظة على مجموعة من المباني تعود إلى العصر عيه، وإن آثار قصر محمود وسور المدينة الذي شيده هذا الملك يتأفان، من حيث الأهمية، العديد من الأضرحة والمساجد التي ازدانت جدرانها بزخارف نموذجية منحوتة. إن أضخم أبنيتها وأشهرها هو، من دون أدنى شك، المسجد الجامع الذي شيّد حوالي عام ١٥٢٣م. وهو مستوحى من تصميم مسجد العاصمة أحمد آباد المشيد قبله بنحو قرن من الزمان.

شامل (أواخر القرن الثامن عشر - ١٨٧١م)، قائد

منها محققاً برنامجاً معمارياً فريداً من نوعه. تضاف إلى ذلك منجزاته في أفرا حيث نجد، داخل القلعة التي بناها، قصوراً عدة. كما تبرز الروعة في فن البناء مع صريح تاج محل الذي أقامه تخليداً للذكرى زوجة المفضلة، وقد انتهى العمل فيه سنة ١٦٤٣م. من منجزاته أيضاً أبنية أخرى في عاصمته الجديدة تسمى «آباد» في سلطنة دلهي، حيث شيد مجموعته السكنية المعروفة باسم القلعة الحمراء، ورفق قريبا مسجداً جامعاً ضخماً بين سنتي ١٦٤٨ و ١٦٥٩م. إلا أن هذه الأبنية وهذا المجد أفلا بشكل مأسوي بسبب الصراع الذي وقع بين أولاده الأربعة والذي أدى، بعد انتصار أورنكزيب، إلى سجن شاه جهان في أفرا، من سنة ١٦٥٨ حتى وفاته سنة ١٦٦٦م.

❖ راجع السندات ٣٣، ٧٣، ٧٥ و ٧٦

شاه رُخ (١٣٧٧ - ١٤٤٧م)، هو الابن الرابع لتيمولنك ووريثه الفعلي، تسلم الملك بعد أبيه سنة ١٤٠٥م، فأوصل الأمبراطورية التيمورية إلى ذروة مجدها. عمل جهده من أجل إصلاح ما سبته غزوات والده العنيفة من خراب في المدن، ولا سيما في مرو وهرارة. وقد رعى هذا الملك المثقف والمعرف الأدباء والفنانين وحماهم، واشتهر بالعدل والرحمة. عُرف أيضاً بكرمه وتسامحه، ما أثنى أكثر من خمسين سنة من الازدهار لأمبراطوريته الواسعة. وقد شملت هذه الأمبراطورية، إذا ما استثنينا سوريا والعراق، القسم الأكبر من المناطق التي كان قد احتلها تيمولنك وأدارها انطلاقاً من آسيا الوسطى حيث كان يفضل الإقامة، ولا سيما في سمرقند. أما شاه رُخ فقد اختار مدينة هرة، فجعلها عاصمته المفضلة وجعلها بأحسن المؤسسات. وقد استقر فيها، ومنها حكم خراسان وبلاد ما وراء النهر، ثم بسط سلطته على مجمل إيران، وخصوصاً على المناطق التي كانت ملحقة بالتيموريين الغربيين. وبعد أن عزل هؤلاء، عين ولده أولوغ بك نائباً عنه في سمرقند.

شاه ولي الله الدهلوي، قطب الدين أحمد أبو الفباض (١٧٠٣ - ١٧٦٢م)، أحد القادة الروحانيين للهند، في زمن انحطاط المغول، أطلق حركة إصلاحية

وحملها التيموريون، مثل شاه رُخ، كما حملها آل مظفر، مثل شاه شجاع، وآل القراقينلو، مثل جهان شاه أو أيضاً المغول مثل شاه جهان.

وبدا من العام ١٥٠٢م، تاريخ تولي سلالة الصفويين السلطة، صار كل الملوك الإيرانيين يحملون لقب شاه، واستمر هذا التقليد مع ملوك الأسرتين التاليتين، القاجار والبهلوي. وبدا من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، استعمل هذا اللقب أمراء دول عدة في الهند وأجزاء أخرى من الهند. وتجدد الإشارة أيضاً إلى أن تسمية «بادشاه» التي حملها سلاطين السلالة العثمانية منذ القرن الخامس عشر قد تكون، بحسب قواعد علم الاشتقاق، مشتقة من كلمة «شاه».

شاه جهان، شهاب الدين (١٥٩٢ - ١٦٦٦م)، أحد سلاطين المغول الباذخين الذين حكموا الهند في مرحلة أوج سلطة السلالة المغولية القوية، من سنة ١٦٢٨ إلى سنة ١٦٥٨م. وقد قامت شهرته على رعايته الفنون أكثر مما قامت على أعماله الحربية.

هو ابن السلطان جهانكير، ثار على والده وتوصل إلى انتزاع الحكم بدم من أسرة زوجته الشهيرة ممتاز محل التي ترك موتها، سنة ١٦٣١، في نفسه أثراً لا يمحى، وقد اتبع سياسة تقليدية مستقيمة على الصعيد الديني، سلك فيها طريق سلفه، وكانت مغايرة للمبادئ التي كان قد دافع عنها جلته السلطان أكبر. وبذلك ساعد عمله بمجمله في فرض إسلام متشدّد في المجتمع وفي تقوية دولة المغول. وعلى الصعيد الحربي، لم يلقّ الجهد الذي بذله للحفاظ على آسيا الوسطى، مهد سلالته، النجاح عينه، على الرغم من الحملات الجريئة التي قادها ولده أورنكزيب. والانتصارات التي حققها باتجاه البنغال والدكن لم تساعد إلا على توسيع ضئيل لملكته.

مع ذلك، فإن عهده بلغ درجة عالية من العظمة والإشعاع تشهد عليها رعايته للفنون: ففي مجال فن صياغة المجوهرات، يبقى عرش الطاووس نموذجاً مشيراً للدهشة؛ كذلك الأبنية بالرخام الأبيض التي ترتبها من الداخل نقوش مرصعة بالحجارة الكريمة، والتي أكثر

كان لها لاحقاً تأثير واسع.

هذا المفكر الذي ولد في دهلي حيث تلقى العلوم التقليدية، أصبح، في سنة ١٧١٩م، أستاذاً في المعهد المرتبط بالمدرسة التي كان قد أسسها والده الشاه عبد الرحيم. وبعد أن انتقل إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج سنة ١٧٣٠م، بقي في المدينة المنورة مدة سنتين يدرس الحديث على أيدي كبار المحذّثين في ذلك الوقت، هؤلاء الذين تابع أيضاً مؤسس الوهابية دروسهم. وعندما رجع إلى مسقط رأسه، انصرف إلى التدريس وإلى وضع مؤلفاته في العربية والفارسية، بروح من التوفيق والمصالحة، تمثلت بانخراطه على التوالي في الطرائق النقشبندية والفادرية والجنسية. وقد عكس تفكيره الشخصي بؤس مرحلة تميزت باضطرابات شتى، وشهدت خصوصاً نهب مدينة دهلي على يد نادر شاه سنة ١٧٣٩، والحملات العسكرية التي قادها أحمد شاه، مؤسس سلالة الدُرانيّين في أفغانستان.

حرص على أن يكون مجدداً، على غرار ما كان عليه من قبل أحمد سرهندي، فوجّه انتقاده إلى الصوفيّين الآخرين المعاصرين له، ونادى بالعودة إلى جذور الإسلام. وحاول شاه وليّ الله أن يقدّم حلاً لبعض المسائل الأساسية، كمسألة الخلافة، ومسألة العلاقات بين الفقه والتصوّف، وذلك من خلال تبنيّه مبدأ «التطبيق»، أي البحث عن تسوية. كما حاول وضع نظام اجتماعي يصبّ في أهداف سياسية. وبما أنّ آراءه ونصائحه لم تجد أذاناً صاغية لدى الحكّام، فإنّ ولده حاول فرضها عن طريق القوة، من دون أن يحقق أيّ نجاح. مع ذلك انتقلت بعض أفكاره إلى عدد من رجال القرن العشرين الذين استندوا إليها في فترة متأخرة، ومنهم أحمد خان ومحمّد إقبال.

الشبلي، أبو القاسم دُفِنَ (٢٤٧-١٣٣٤هـ/٨٦١-١٩٤٥م)، متصوّف سنّي من أوائل عهد التصوّف، اشتهر بعلاقته بالحلاج. ولد الشبلي في بغداد من أسرة قدمت من بلاد ما وراء النهر، وفي حدود الأربعين من عمره مال إلى حياة الزهد والتقشّف. كان صديق الحلاج، ثم تنكّر له في المحاكمة التي أدّت إلى إعدام المتصوّف المشهور. وقد انصرف على أثر ذلك، على ما

يبدو، إلى حياة غريبة ومنحرفة أدخلته بعض الوقت مصحّحاً عقلياً في بغداد. وهو لم يترك أبحاثاً مكتوبة، لكنّ أقواله انتشرت وتناقلها الناس. كما أنّ آراءه تلتقي، من ناحية العقيدة، مع آراء الجُنيد.

شبه الجزيرة العربية، أو جزيرة العرب، مساحة شاسعة جلّ سكانها اليوم من المسلمين، وهي مقسّمة إلى مجموعة دول حديثة متناحرة. وقد اعتُبرت على الدوام، ووفق ما يوحي به التعبير اللغوي «جزيرة»، مهد العرب وموطن الإسلام الناشئ، وهي ما تزال قطبها الديني وتحضن أماكنه المقدّسة.

في الجزيرة العربية بدأت رسالة النبي محمد ﷺ، نبي العرب، في قلب الحجاز، في مكة المكرمة التي شهدت الدعوات الأولى إلى الدين الجديد، ثم في المدينة التي غدت مقرّ الجماعة الإسلامية. ومن هناك، في عصر الفتحوات الكبرى، انطلق مؤسسو العالم العربي - الإسلامي في تلك الفترة، ومؤسسو الحضارة التي نمت داخله. إلى جانب ذلك، فإنّ الأحكام التي يحتويها القرآن الكريم والتي وضّحتها الشريعة لم تكفّ عن التركيز على طابع القداسة الذي للكعبة في مكة ولحرمها، وهي تُعتبر مركز العالم الإسلامي بالمعنى الحقيقي للكلمة، لأنّها القبلة التي نحوها يتوجّه كل المسلمين خلال صلاتهم الطلّسية، وإليها يتوجهون لأداء فريضة الحجّ.

بفضل هذا الاعتبار الخاص الذي ازداد أهميّة بوجود قبر النبي محمد ﷺ في المسجد الجامع بالمدينة المنورة، تطوّر تاريخ الجزيرة العربية عبر العصور. ويمكن القول إنّها شبه قارة بقيت معزولة عن العالم، إلى أن كتب لها الإسلام بانطلاقة أن تؤدّي دوراً كبيراً بدءاً من القرن الأوّل للهجرة/ السابع للميلاد. وإذا كانت الجزيرة قد نالت آنذاك شهرة ساهمت في تطوّرها اللاحق، فإنّها من قبل لم تكن سوى منطقة شبه صحراوية تؤمّن بصعوبة مقومات العيش لسكانها. والواقع إنّ شظف العيش الناتج عن طبيعتها الجغرافية ومناخها جعل من شبه الجزيرة العربية خزاناً بشرياً ينطلق منه السكّان للتوغّل في البلدان المجاورة أو لغزوها. والجزيرة العربية، بحكم موقعها في منطقة ذات

الشمال ليفرضوا سلطانهم على الأماكن المقدسة، بل تعدى ذلك إلى الحركات والفرق السياسية الدينية التي ظهرت في العصور الأولى للإسلام، والتي وجهت جهدها صوب الجزيرة، وسعت إلى التمرکز فيها والهيمنة عليها. هذا ما فعله الخوارج، ولا سيما الإباضيون منهم، وهذا ما فعلته الفرق الشيعية المختلفة، الاسماعيلية منها، ومن بينها القرامطة كما الزيدية والإمامية الاثني عشرية. وهناك دول إسلامية أخرى - كالدولة الأيوبية ثم المملوكية في مصر وسوريا، ودول هضبة إيران كالسلاجقة والصفوية، وأمبراطوريات هيمنت على آسيا وعلى المتوسط، كالإمبراطورية العثمانية - لم تكف كلها عن إرسال الحملات إلى شبه الجزيرة، إما مباشرة وإما بواسطة دول تابعة، كالدولة المصرية بزعماء محمد علي التي أقمت، في القرن التاسع عشر، فرقاً عملت في نجد على تحفيظ الخطط السياسية للدولة العثمانية. وفي المرحلة عينها، تزامنت تلك الحملات مع المحاولات الغربية التي بدأت مع الغزوات البحرية البرتغالية في مطلع القرن السادس عشر، واستمرت حتى النشاطات الهولندية والبريطانية في وقت متأخر. وقد أبدى البريطانيون اهتماماً خاصاً بانساحل العربية منذ أن أسسوا شركة الملاحة المعروفة بـ «الشركة الانكليزية للهند الشرقية»، وراحوا يقومون هنا وهناك بأعمال لها طابع العنف، ما أدى، في بعض المناطق، إلى نوع من الحماية غير المعلنة.

إن التباين الطبيعي بين المناطق في شبه الجزيرة العربية الشاسعة، وصعوبة التواصل بين أجزائها المختلفة، هما من العوامل الثابتة التي كانت تزداد تعقيداً حول الصحارى التي يصعب اجتيازها، كصحراء النفود في الشمال، وعلى الأخص الربع الخالي في الجنوب. وفي غرب شبه الجزيرة حيث المناطق الصخرية التي أطلق عليها اسم «الدرع العربية»، ترتفع جبال فوق شواطئ البحر الأحمر حيث منطقة نهامة. وقد شهدت هذه المنطقة، في القرون الوسطى، منافسة وصراعاً بين أسباط الحجاز وعسير واليمن. وفي الشرق تمتد أرض رسوبية غالباً ما تغطيها الرمال، وهي تارة تنحدر بدهود نحو الخليج العربي، وتارة أخرى

مناخ شبه مداري قليل الأمطار، سكنتها منذ القدم قبائل ساعد ترخّلها على الإستمرار في العيش، كما استقرّ حضريون قليلو العدد في الواحات أو في بعض المناطق الجبلية. والشبي محمد (عليه السلام)، ابن هذه البقعة القاسية، تزعزع في بلدة تجارية تُشّطها تجارة القوافل، وهذه البلدة هي معزولة داخل السلسلة الغربية للجزيرة، حيث تمرّ، على الرغم من وعورة المسالك، طريق تجارية تعبر شبه الجزيرة بكاملها، انطلاقاً من الساحل اليمني الجغرافي المفتوح على المحيط الهندي، وصولاً إلى أطراف المناطق السورية المفتحة بدورها على البحر المتوسط. وفي مكان غير بعيد تقوم مدينة يثرب التي تحتلّ، في الشمال من هذه السلسلة الغربية، منخفضاً يمتاز بالخصب الذي تؤمنه الواحات، فتجعله صالحاً للزراعة. وقد قدّر ليثرب أن تصبح مدينة نبي المسلمين (عليه السلام) المعيرة، لذا عرفت بالمدينة المنورة. هناك إذاً عناصر كثيرة تربط ما بين بيئة شبه الجزيرة العربية والدولة الأولى للإسلام، إلى جانب خصائص أخرى معتبرة تتعلق بالتركيب الجغرافي لشبه الجزيرة.

هذه الهضبة المرتفعة، التي يبلغ طولها نحو ٢٢٠٠ كلم وعرضها نحو ١٢٠٠ كلم، تبدو مميزة بموقعها الجغرافي. فهي تقع بين آسيا التي يفصلها عنها الخليج العربي - الفارسي، وأفريقيا التي يفصلها عنها البحر الأحمر، ولكنها تتصل بها من خلال برزخ السويس وهضبة سيناء. كما أنّها ليست معزولة عن البلدان التي تجاورها في الشمال، وليس هناك ما يفصلها اليوم عن بلاد مؤاب القديمة، ولا عن السهوب السورية أو العراقية. لذلك لم ينقطع التواصل بين البدو الرحل القادمين من الجنوب ومجموعات سبق أن تحضرت، وهي من أصل ساميّ أيضاً، فاستقرت في مناطق متقدمة حيث أُنشئت التوتّل العربي قبل أن يعطي الإسلام، في الإنجاء عينه، إشارة الفتوحات الكبرى المسلّحة.

بعد الخلفاء الراشدين الذين جعلوا المدينة المنورة عاصمتهم، لم تقم في الشرق دولة إسلامية لها أهميتها إلّا وسّنت إلى بسط سيطرتها على شبه الجزيرة العربية، إنباتاً لشريعة حكمها. ولم يقتصر الأمر على جيوش الخلفاء الأمويين والعباسيين الذين قدموا الجزيرة من

عبد الوهاب في مطلع القرن الثامن عشر. فكان ذلك دافعا لتحقيق وحدة جديدة قائمة على الدين والوطنية، وهي نرعى إلى شل الشعور بالانتماء القبلي الذي كان قد تعرّض لتحولات عميقة. قابل هذا الجهد رد فعل عنيف من الدولة العثمانية التي شامت القضاء على سلطة أسرة حاكمة جديدة، هي أسرة آل سعود، ومنافستها السيطرة على منطقة نجد. من أجل هذه الغاية دخلت الجيوش المصرية بقيادة ابراهيم باشا ونجحت في القرن التاسع عشر في تحقيق أهدافها والقضاء على السلطة السعودية القائمة. إلّا أنّ نجاح المصريين، في القرن التاسع عشر، في القضاء على الدولة السعودية التي كانت قائمة آنذاك، لم يحل دون الانفلاق المظفرة. ابتداء من العام ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢م، للأسير عبد العزيز بن سعود المعروف بالغرب باسم ابن سعود مؤسس المملكة العربية السعودية الحالية. وقد قُضي في العام ١٩٢٤ على سلطة آخر معتل للأسراف الهاشميين، هو الشريف حسين ملك الحجاز.

وبدأ من هذه الفترة، يمكن تأريخ انطلاقه شبه الجزيرة العربية، وهي انطلاقه كشفت، عبر التنظيم السياسي الحالي، صورنها كأرض إسلامية مدعومة، في القسم السعودي منها، إلى احترام القيم التقليدية للإسلام. كما عرفت هذه الدولة كيف تستغل ثرواتها الكبيرة في سبيل تحديث مرافقها. وهذه الثروات تندفق من آبار النفط المنتشرة على الأطراف الشرقية وتحت مياه الخليج العربي الضحلة. وليست المملكة العربية السعودية الدولة الوحيدة التي عرفت كيف تستثمر أحواض البترول، ذلك أن هذه الأحواض ساعدت عددا من الدول المجاورة على أن تنهض وتستقل، وتتطور، مستعينة بمنتجات مصدرها الغرب. وهي الدول الساحلية المنتشرة من الشمال إلى الجنوب، أي الكويت، والبحرين، وقطر، ودولة الإمارات العربية المتحدة التي تضم الامارات المحلية في ما كان يُعرف قديما باسم شاطئ الفرافسة أو «الساحل المهادين»، وقد أطلقت التسمية الأخيرة إثر الهدنة التي وقّعها الانكليز مع سكّانه في القرن التاسع عشر. ويعيش في هذه المنطقة الشرقية عدد من أتباع الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ما

تنتقل وتهبط فوق بحر عُمان والمحيط الهندي. وقد وقعت فيها أحداث تاريخية كان لها دورها في تقرير مصير كلّ من الاحساء والبحرين وقطر وعُمان. وتقوم بمحاذاتها، على أطراف الشاطئ الجنوبي الشديد الانحدار، مقاطعات كانت، على الدوام تقريبا، في حالة تبعية سياسية: ظفار الخاضعة لعمان، وحضرموت الخاضعة لليمن. أمّا في وسط الجزيرة فترفع هضبة نجد واليمامة، ويسكنها البدو فيؤلفون كيانا خاصا بهم. وقساوة هذا القسم الداخلي جعلت طرق القوافل الكبرى معرّضة للخطر، بما فيها طرق الحج التي تمتع بحماية رسمية. فهذه الأخيرة التي تشبه صوب مكة المكرمة من أماكن مختلفة أفادت باكرًا من عناية المسؤولين، ومنهم العباسيون في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد. إلّا أنّ أمنها لم يتوافر يوما ضد الغارات المسلحة والناجمة غالبا عن الصراع الذي كان قائما بين العشائر والقبائل، ما كان يجعل الفوضى واقعا قائما.

إن التحول الذي خضعت له هذه القبائل كان قد بدأ قبل الإسلام بكثير، وذلك عن طريق هجرات كبيرة من الجنوب إلى الشمال. وقد تطوّر هذا التحول لاحقا، وفق أسس جديدة، منذ الفترة التي انتشر فيها أبناء هذه القبائل على مساحة دولة الخلافة، حاملين معهم تحالفاتهم ونزاعاتهم وأسابهم. مع ذلك لم تمنع هجرة عدد كبير من الأسر من الجزيرة، من استمرار الانقسامات الداخلية السياسية أو الدينية. والمرحلة الوحيدة التي تلاثت فيها الانقسامات كانت في مطلع الإسلام، على عهد أبي بكر الصديق. فالحملة التي شُنت ضد المرتدين من البدو الذين اعتنقوا الإسلام في حياة النبي (ﷺ) وارتدوا عن الإسلام بعد وفاته، كان من نتيجها توحيد الجزيرة العربية بأكملها، لنتوجّه نحو الفتوحات، فاعتنى شعبها بفضل تدفق الغنائم. إلّا أنّه، بعد ذلك، بدأت عوامل الانقسام تظهر من جديد، وعادت المناطقية ترسم إطار الأحداث السياسية البارزة. وحدها مرحلة ما قبل العصر الحديث شهدت الجزيرة العربية كلّها تستجيب لحركة واسعة النطاق، هي الحركة الإصلاحية التي نادى بها محمد بن

استخراجه من المناجم المجاورة.

شجر الدرّ (١٦٥٥-١٦٥٧م)، أميرة لعبت دورًا سياسيًا مهمًا في مصر خلال القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، في أثناء المرحلة المضطربة التي شهدت ولادة الحكم المملوكي.

هذه الجارية التي كانت محظية السلطان الملك الصالح أيوب، من السلالة الأيوبية، كانت أم طوران شاه الذي اعتلى العرش سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م. وبعد مقتل ابنها تسلّمت هي الحكم، فاعترف المماليك من الحرس السلطاني بسلطتها، وجعلوا واحدًا منهم، وهو أئيك، مستشارًا لها. وأمام معارضة الخليفة العباسي في بغداد، ورفض القادة العسكريين في سوريا، اضطرت شجر الدرّ، وكانت تطلق على نفسها اسم «ملكة المسلمين»، إلى أن تتزوَّج من أئيك الذي اعترف به عند ذلك سلطانًا. هكذا لم يدم حكمها الشخصي أكثر من ثمانين يومًا. لكنّ شجر الدرّ استمرت في إدارة شؤون الدولة بينما كان زوجها يقود الحملات العسكرية. ثمّ أرادت أن تتحرّر من سلطته، فذُبرت اغتياله في القاهرة سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. لكنّها لم نلبث أن وقعت هي نفسها تحت ضربات أنباع أئيك.

شيخو أحمدو (١٧٧٥-١٨٤٤م)، متصوّف وعالم ينتمي إلى القُبلية، أسّس واحدة من إمبراطوريات الجهاد في السودان النيجيري، وهي دولة سُنيّنا التبوراطية.

كان أحمدو بدويًا برعى الماشية، ثمّ انتسب إلى الطريقة القادرية، وانصرف سنة ١٨١٨ بقوّة السلاح على قادة قبائل القُبلية وعلماها جيّ، وأقام نظامًا ذا طابع ديني في عاصمته الجديدة «حمد الله»، ففرض الأحكام المالية التي ينصّ عليها القرآن، كما أوجب احترام رجال الدين الذين يقومون بمهمة تعليم الشريعة، واختار منهم أربعين عضوًا شكّلوا مجلسًا يمارس في كلّ البلاد سلطةً تشريعيةً وتفتيشيةً وقضائيةً.

خلف شيخو أحمدو ابنه أحمدو الثاني من سنة ١٨٤٤ إلى سنة ١٨٥٢، وجاء بعده أحمدو الثالث الذي هلك سنة ١٨٦٢ عندما قام الحاج عمر تل بابجيتاح حمد الله

بطرح إشكالات ذات طابع خاص.

لكنّ صلاية المملكة العربية السعودية يشكّل باعثًا اطمئنانًا للمنطقة، فضلًا عن قيامها بمبادرات عديدة أهمّها إنشاء مجلس التعاون الخليجي. ويعمل المجلس على أن يكون التنسيق قائمًا بين الدول المعنية، وأن تكون سياسات الدول الإسلامية، في شبه الجزيرة العربية، التي تستفيد من موارد متشابهة واحدة، فتجابه ممّا الصعوبات المشتركة. ويفضّل منظومة مرنة تهدف إلى ضبط الأمن على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وإلى مواجهة محاولات أميرالية محتملة من الخارج، فإنّ حكومات الكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة تُنسّق وتتعاون مع المملكة العربية السعودية، وكذلك مع سلطنة عُمان التي لها قطاع كبير يقع خارج حدود الخليج العربي ولكنه يُشرف على مدخله. وقد حُلّت بالطرق الدبلوماسية مشكلات كثيرة كانت تهدّد المنطقة. إلّا أنّنا رأينا المملكة العربية السعودية تشارك بشكل فاعل، في سنتي ١٩٩٠ و١٩٩١، في الحلف الدولي وفي الحرب التي أجبرت العراق على الانسحاب من الكويت بعدما اجتاحتها وضُمّها إلى أراضيها.

انتظام القائم بين الدول النفضية المختلفة يتوقّف عند أبواب الدولة اليمنية التي تحتلّ الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة. وهي تمتدّ من شاطئ المحيط الهندي ومرمّل عدن إلى مدخل البحر الأحمر، وتضمّ اليوم قسني البلاد. وكانت اليمن قد انقسمت من قبل إلى يمينين لأسباب سياسية أدّت إلى حالة حرب بينهما.

« راجع السندكات ٨، ١٠، ١٢، ١٣، ٢٥، ٣٠.

شَبْوَة (الجمهورية العربية اليمنية)، مدينة قديمة تقع جنوبي شبه الجزيرة العربية، وكانت الحاضرة الرئيسة في حضرموت خلال القرون الوسطى، وقد تحدّث عنها الجغرافيون العرب.

تقع شبوة في منطقة جبلية على ارتفاع يفوق الألف متر، وكانت قبل الإسلام مركز تجارة البخور. وبقيت ملاء ملتقى القوافل التي كانت تنقل منتجات الهند إلى مصر. ومع تعاقب العصور فقدت المدينة تدرجها أهميتها، وحلّ مكان حركة القوافل تصدير الملح بعد

وتخريبها. وكان الحاج عمر من أتباع الطريقة الشيعانية وسلطاناً على إمبراطورية جهادية جديدة لم تعمر طويلاً.

الشرطة ← صاحب الشرطة.

الشُرْك، مفهومٌ لعب دورًا كبيرًا في تاريخ المجتمع الإسلامي وشكّل عنصر الإتهام الأول ضدّ الذين يرفضون وحدانية الله.

إنّ هذا الموقف يجعل لله شركاء، وقد أدانته الإسلام الذي يعتبر أنّه ينطبق على المسيحيين^(٥٧). إنّ المشركين هم، بحسب الفقه، كفّار وإنّ خطيئتهم لا تُعْفَر كما ورد في الآية ١١٦ من سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَهُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ سَبِيلًا بَعِيدًا﴾.

الشركس، في العربية الجركس أو الجراكسة. وفي التركية شيركس، وتسميتهم الأصلية الألبغ أو الأدبغيتون: شعوب من شمال غربي القوقاز أقاموا، في فترة متأخرة، علاقات مع الإسلام، إثر الوصاية التي فرضها العثمانيون على تلك المنطقة، وقد أصبحوا ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر مسلمين سنةً مقتنعين بإسلامهم ومتعمين إلى المذهب الفقهي الحنفي. في أوّل الأمر، بيعت فئات من هذه المجموعات القبلية ذات الأصول الإيرانية-القوقازية - وبمكنا أنّ نضمّ إليها أبخاز ما وراء القوقاز - أرقاء عسكريين أو «مماليك» في العالم الإسلامي في العصور الوسطى. وكان يتمّ تحويلهم إلى الإسلام منذ إعدادهم لتوكلي مهماتهم كجنود. وقد اضطلعوا بدور سياسي من الطراز الأوّل في البلاد التي نشبّتهم، ولا سيّما في عهد المالك، وعلى الأخصّ في عصر المماليك الجراكسة الذين سيطروا تحت اسم «الممالك البرجيتية» على مصر وبلاد الشام، ما بين القرنين الثامن والعاشر للهجرة/الرابع عشر والسادس عشر للميلاد.

إنّ الطريقة عينها، مع اختلاف بسيط في بعض وجوها، أعطت في ما بعد لجراكسة آخرين، إمّا كان تولّي مناصب عالية في الجيش والإدارة العثمانيين. وزدادت هذه الحركة كثيرًا في فترة متأخرة، ما بين ١٨٥٦ و ١٨٦٤م، عندما نظّرت هجرة جركسية حقيقية

في اتجاه الأراضي العثمانية، سواء باتجاه الاناضول أو الروملّي، إثر ضمّ روسيا للقوقاز بموجب اتفاقية أدرنة في العام ١٨٢٩م التي تمّت بعد حرب عصبية. إنّ المناطق القوقازية المأهولة أصلاً بالجرّكس، بدءاً من شواطئ البحر الأسود حتّى المنحدرات الشمالية لسلسلة الجبال، كانت قد أصابها تحولات ناتجة عن الأسلحة، وطالت مجموعات قبلية عدّة كانت مؤرّعة أساساً، تبعاً للاختلاف العرقي واللغوي، قبائل شرقية وقبائل غربية، وقد استقرّ فيها أيضاً غزاة من الشّر.

إنّ القبائل الأدبغية الغربية التي كانت خاضعة في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد لخانات القبيلة الذهبية، خضعت في ما بعد لسيطرة خانات كراي، أي خانات بلاد القرم، وقد استقرّ فيها أيضاً غزاة من الشّر. أمّا القبائل الشرقية أو الكابرد التي كانت تُظلمهم إقطاعية، وكان امراؤهم يسيطرون منذ أمد بعيد سلطانهم على شمالي القوقاز، اصطدموا، في القرن السابع عشر، بالكلموكيين الذين نزحوا آنذاك إلى المنطقة، وهم يتحدثون أيضاً من المغول، ولكنهم غير مسلمين. وقد تأثرت جميع هذه القبائل دينياً وثقافياً بالعثمانيين الذين فرضوا عليها سيادتهم المباشرة، وساندوها في ما بعد باسم الجهاد والدفاع عن الإسلام في نضالها ضدّ التوسع الروسي الذي بدأت معالمه بوضوح منذ مطلع القرن الثامن عشر. إنّ هذا الدعم العثماني الذي انطبع بالدعوة إلى الإسلام وبجهود لتطوير الإدارة، لم يستطع أبداً محو الخصائص المحلية التي ازدادت بفعل الهجمات الروسية وتراجع الجراكسة إلى مواقع جبلية يصعب الوصول إليها.

بعد الاستعمار الروسي في نهاية القرن التاسع عشر، ومرحلة الحرب الأهلية التي سبقت تثبيت النظام السوفياني، شكّل الجراكسة، في كل مرّة، بسبب انقسامهم القبلي وتعدّد لهجاتهم المحلية، حالة سياسية مغايرة وسط شعوب غير متجانسة إثنياً ولغوياً. وقد تشكّلت حالياً ثلاث وحدات ضمن الفدرالية الروسية على أنّها جمهوريات فدرالية هي: جمهورية الأدبغيين، وجمهورية كراتشيفو - شوكسيا وجمهورية كابدردينو بلكاريا.

شَريش ← جزر

مستخدمين طرائق يشار إليها أحياناً بعبارة الاجتهاد الجديد.

في ما يتعلّق بالخطوط العريضة للشريعة نفسها، هناك اتفاق شبه عام يشمل الأحكام المتعلقة بالعبادات والأحكام المتعلقة بالحياة الاجتماعية أو المعاملات. أحكام الفقه الأولى التي نعتى مباشرة بوضع المؤمن تجاه الله تشكّل «أركان» الدين، وهي خمسة، بحسب مجاميع الحديث: الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج. أما الجهاد الذي يجعله بعض التقاليد في المقام الأول، والذي لا يشكّل إلّا واجباً ذا طابع جماعي، فلا مكان له بين الواجبات الفردية الأساسية. ويضيف الشيعة واجباً آخر وأساسياً بالنسبة إليهم هو الولاية التي عليهم أن يظهروها تجاه إمامهم المنظور أو المستور. إنّ تلك الواجبات التي هي بشكل أساسي واجبات عبادة، لا تختص بعلاقة المؤمن بقوة إلهية كلية الوجود فحسب، بل بأحكام تؤثر في التنظيم الاجتماعي للجماعة؛ كما أنّ الزكاة تمكّن رئيس الجماعة من أن يقوم، قدر المستطاع، داخل الجماعة، بمعالجة التباينات عبر مساعدة المحتاجين.

غير أنّ المعاملات أو الأحكام التي لا تهدف في الظاهر إلّا إلى تنظيم العلاقات بين الناس داخل العائلة وفي المجتمع، من دون إهمال الجوانب الاقتصادية، فهي التي تؤكّد اتّوجه السياسي والعملية للشريعة. في هذا الإطار يتوضّع أولاً قانون الأحوال الشخصية الذي يميّز بين المسلمين وغير المسلمين، وبين الأحرار والعبيد. فغير المسلمين من يهود ومسيحيين وأتباع زرادشت يخضعون لنظام أهل الذمّة. وهناك بين المسلمين عبيد يوصى بتحريرهم. في ما يتعلّق بالنساء، تسمح الشريعة بالزواج ويتعدّد الزوجات وبالترّي بالإماء، كما بطلاق المرأة من قبل الزوج، حتى لو كانت هناك بعض الأحكام الرادعة. أما بالنسبة إلى الإرث، فهو خاضع لقواعد إلزامية في ما يتعلّق بتوزيع الميراث على الأولاد وعلى مختلف أصحاب الحق. تلك القواعد تضاعف حرص الرجل، إذ تعتبره، قانوناً، متوقفاً على المرأة. أخيراً، في مجال الحياة اليومية هناك محرمات تتعلّق بالغذاء، وتحديد لجنة

الشريعة الإسلامية، مجموعة التعاليم والقوانين التي ينبغي أن يخضع لها المسلم، وهي تتناول، في آن، الحياة النفسية والعلاقات الاجتماعية.

إن معرفة الشريعة تسمّى الفقه، وهي كلمة تُرجمت خطأ بكلمة «قانون» (droit)، إذ إنّ المفصود هو «القانون الشامل» بالمعنى الاشتقاقي، وهو يعرّف التنظيم الداخلي لمجاعة المؤمنين ويطبّق في المجالين السياسي والاجتماعي، كما في المجال الديني. إنّ الشريعة التي تستند، تحديداً، إلى القرآن وإلى سنة النبي محمد ﷺ، نجت عن تفسير مختلف القواعد التي جاءت على أيدي الفقهاء المكلفين بتطبيقها. في بدايات الإسلام تمّ هذا العمل التحصيلي داخل المدارس الفقهية أو المذاهب التي وضعت طرائق للتفكير تساعد على توضيح ما ورد في النص المنزل وفي الحديث. حدّدت تلك المدارس أصول الفقه كما حدّدت التطبيقات الناتجة عنها بحسب مختلف فروع الفقه.

في القرون الأولى للإسلام، اناطت السلطة السيّية أمر تطبيق الشريعة برجال الفقه، في حين احتفظ الإمام لنفسه بحق تفسيرها في الأوساط الشيعية. أمّا الممارسة اليومية للعائلة فكانت تناط، في جميع الأوساط، بمؤسسات قضائية مختلفة، يحتلّ فيها القضاة المعتبرون إلى مدارس الفقه المنزلة الأولى. لكنّ الخليفة كان يتدخل بواسطة الذين يتقدّمون إرادته أو إرادة مندوبيه، كالمحتسب أو صاحب الشرطة أو أي شخص مكلف بالقضاء في المظالم. من جهة أخرى، فإنّ أحكام الفقه التي ارتكز عليها فقهين مختلفين وجوه الشريعة بموجب «مجهود فكري» عُرف بالاجتهاد، وكان محصوراً في القرون الوسطى ببعض الفقهاء أو المجتهدين، لم تعرف مبدئياً أيّة إضافات، بعد أن تمّ «إقفال» الاجتهاد في الأوساط السيّية. لا يمكن تحديد زمن ذلك «الإقفال» بدقة، لكنّه، على أي حال، لم يتمّ قبل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. في ما بعد، أعيد استخدام إمكانات التطوّر التي يُميّحها الاجتهاد في الحقبة المعاصرة، عندما قام عدد وافر من رؤساء البلدان الإسلامية بإدخال تعديلات على القوانين التقليدية،

أي عقاب له، إلى الذين «يقومون برسوم مجسمة»، وهم يستمرون في القيام بذلك في بعض المجتمعات الإسلامية، حتى لو كان تحريم الرسم انتحسدي يُعتبر قاعدة صارمة. إن النصائح التي تتعلق بالسلوك واللباقة، والمشار إليها عمومًا بشكل مقتضب في مصنفات الفقه الإسلامي، تجد توسيعًا لها في بعض الكتابات المتعلقة بالعقيدة، وبخاصة في مجاميع الحديث. فهي تصاف إلى الأحكام الخلفية المذكورة في الآيات القرآنية التي بشكل التنفيذ بها جزءًا لا يتجزأ من التقوى. في الأطر الإقليمية المختلفة حيث ترسخت على مرّ العصور عادات خاصة، يمتزج التنفيذ بتلك النصائح أيضًا بمشاعر الوفاء الديني للإسلام ولجماعته، وهذا الوفاء يضي عليها قيمة رمزية تفوق تلك التي تُعطى لها بالشرعية.

الشريف، جمعها الأشراف أو الشرفاء، لفظ يُطلق عادة على «النبلاء بالولادة». وقد اتخذ في ما بعد في الإسلام معنى خاصًا، إذ أطلقت اللفظة على المتحدثين من النبي محمد (ﷺ). في العصور الأولى للإسلام، كانت لفظة «أشراف» تُطلق على رؤساء العائلات العربية الكبيرة، وهذا المعنى ظهر أيضًا عند المؤرخ البلاذري في مصنفه «أنساب الأشراف» الذي وضعه في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، والذي يعالج فيه أنساب الأسر العلوية والعباسية والأموية.

في حدود القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وبنائير أفكار الشيعة، أصبحت لفظة «شريف» وكذلك لفظة «سيد»، تُطلق حصريًا على المتحدثين من الإمام علي وفاطمة، بواسطة الحسن والحسين. ولكن، في ظل الخلافة العباسية، استمر إطلاق هذا اللقب على العباسيين الذين يرجعون بنسبهم إلى العباس عم النبي محمد (ﷺ)، وكذلك على العلويين أو الطالبيين الذين يتحدثون، عن طريق الإمام علي، من عم آخر لنبي المسلمين هو أبو طالب. ونعلم أن كلًا من هذين الفرعين تمثل، في العصر النبوي، بنقيب خاص بدافع عن مصالحه.

واتسع مفهوم لفظة شريف في أقطار مختلفة، كالهند حيث كانت لفظة أشراف تعني الطبقة العليا من

مختلفة تؤدي إلى عقوبات محدثة. وتتناول تلك الأحكام وجوهًا متعددة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية وما تزال تفرض شروطها على إبرام العقود، ومنع القروض بالفائدة، والحد من حق الملكية، وتحديد المبادئ الأساسية لنظام الضرائب الإسلامي التقليدي.

لكنّ الشريعة لا تنصّصن موجبات ومحرمات وحسب. فوفق الفقه، هناك أعمال على المؤمن أن يقوم بها، وأخرى يُنصح بالابتعاد عنها، بدون أن تكون محرمة بشكل صريح. يصعب التمييز أحيانًا، على الصعيد العملي، بين هذه الأعمال وتلك. فبعض طقوس الصلاة وبعض طقوس الحج مثلاً تنصّصن أعمالاً تُمارس من قبل الجميع من غير أن يكون لها صفة إلزامية، وكذلك أعمالاً يجب تجنبها، لكن ثمة من يمارسها لأنها ندرج في عاداته المحلية. تسمى الأعمال الموصى بها صراحةً السنة، أو هي مطابقة لتقليد السنة، أمّا الأخرى فهي أعمال ينصح القيام بها فحسب. غير أن المسلم، في واقعه اليومي وفي ضميره، نادراً ما يتقيد بتلك التراتبية، إذ نجد أن بعض الأعمال التي لم يوص بها فقط بشكل صريح قد طبعت الوسط الإسلامي أكثر من غيرها. فإذا كان الختان مثلاً من الأعمال الموصى بها منذ القدم، فقد أوصى كذلك ابن بطة، وهو مشرع حنبلي من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بإزالة شعر العانة والإبط أو يحفّ الشاربين، وتقليم الأظفار. بحسب الرأي العام، سرعان ما أصبح الختان عملاً إلزاميًا حقيقيًا، في حين بقيت التوصيات الأخرى ثانوية، وكذلك الدخول إلى المسجد بدءًا بالرجل اليمنى، أو ما يتعلق بمجموعة القواعد الاجتماعية العائدة إلى أيام نبي الإسلام (ﷺ) والتي تتعلق بالمأكل واللباس وإلقاء التحية، وكلها توصيات تقابلها مجموعة أعمال يحرم القيام بها.

ونرى الاختلافات إياها في الأعمال التي يصفها الحديث بالذميمة. فإنّ ما أظهره النبي (ﷺ) من رفض لارتداء الملابس الحبرية واستخدام الأواني الفضية أو الذهبية التي هي «أشياء تخص الكافرين في هذا العالم وتخصنا في العالم الآخر»، لم يُتبع قط بصورة جازمة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الصوم الموحّد، دونما تحديد

وكان الشريف المرتضى فقيهاً ولفظياً وشاعراً، ترك مؤلفات كثيرة حول المذهب الشيعي، وقد على الأخص آراء القاضي المعزلي عبد الجبار. ويُعتبر أنه عمل مع أخيه - ويصعب الفصل بين إنتاجهما - في جمع خطب الإمام علي وأقواله ضمن كتاب «نهج البلاغة» الذي يُعتبر من أسس العقيدة لدى الشيعة الإثني عشرية.

شُسْتُر (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، محلة في خوزستان كانت عامرة ومزدهرة في القرون الوسطى، اشتهرت بالإنشآت المائية في جوارها.

كان موقع المدينة، على طريق القوافل بين الخليج العربي - الفارسي والمدن الكبرى كهمدان والخرم و تبريز، يتحكم بجسر القوارب الذي يؤمن عبور كارون/ دجيل. وقد حافظت هذه المدينة الساسانية القديمة على أهميتها خلال قيام الأباطورية العباسية، فكانت المدينة الثانية في خوزستان بعد الأهواز، وناقتها في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد كعاصمة إدارية، وعرفت في ظلّ الإيلخانيين بعض الشهرة.

شجع النشاط الاقتصادي الذي تميّز به في أوج عهد الخلافة إنطلاقة طبقة من التجار، فانتقل عدد منهم إلى بغداد حيث شكلوا حياً حمل إسمهم. وكانت محاصيلها الزراعية وفيرة بفضل تطوّر نظام لريّ قائم على السدود والقنوات التي تعود إلى عهد الساسانيين، والتي تعتمد على مياه النهر، وما تزال معالمها إلى اليوم معروفة. ويقوف هذه المحاصيل جودةً عذبةً من الحرف المتخصصة في فنون السجّ التي كانت تنتج اللباج الممتاز الذي كان يُنقل إلى الأسواق البعيدة والذي نال شهرة واسعة. إلى جانب هذا الغنى، عرفت المدينة حركة فكرية جعلت منها مركزاً إسلامياً، وإنّ مسجدها الجامع، الذي بوشر ببنائه سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٦م وأنجز في مطلع القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، يفي من المساجد الإيرانية النخلة ذات الهندسة العباسية التي تمّ الحفاظ عليها حتى اليوم.

➤ راجع المستد رقم ٢٤.

الشعر الإسلامي، تطلق هذه التسمية حصراً، تقريباً، على طريقة تعبير دينية موزونة وشعرية، أدت أحياناً دوراً

غير أبناء البلاد، وفي الطليعة يأتي المتحدّرون عمودياً من نبيّ المسلمين (ﷺ) الذين اختصوا بلقب أساد. وفي زمن المماليك بمصر، كانت لفظة شريف محصورة بالمتحدّرين من الحسن والحسين، الذين أعطوا، في زمن السلطان شعبان (٧٤٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٧م)، حقّ التعمّم بعمامة عليها قطعة من القماش الأخضر. ويبقى من الصعب أن نعرف ما إذا كان ارتداء الثياب أو الأقمشة الخضراء يعود إلى هذا التاريخ أو إلى تاريخ سابق، لكنّ الثابت أنّ ارتداء مثل هذه الثياب، خلافاً لما يقال أحياناً، لا يعود إلى عهد الخليفة العبّاسي المأمون الذي جعل الأخضر لوناً رسمياً لبعض الوقت، ذلك أنّ العلويين كانوا يتميّزون، في تلك الفترة، باللباس الأبيض.

إلى جانب العلويين الذين تسلّموا السلطة في مناطق مختلفة بفضل نشاط الحركات الشيعية، حمل آخرون لقب «شريف» كونهم يرجعون بنسبهم إلى النبيّ (ﷺ)، لكنهم غالباً ما كانوا ينتمون إلى السنة. وقد أدّى هؤلاء دوراً سياسياً مهماً، كأشراف مكنة المكنمة الذين سادوا هذه المدينة منذ القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد حتى سنة ١٩٢٤، ومنهم أيضاً أشراف المغرب الذين يُعرفون كذلك باسم الشرفاء، وقد خرجت منهم سلالتا السعديين والعلويين.

الشريف الرضّي، أبو الحسن محمّد الموسوي (٣٥٩-٤٠٦هـ/ ٩٧٠-١٠١٦م)، مفكّر أديب من العصر البرهبي، يرجع بنسبه المباشر إلى الإمام عليّ، وهو أخو الشريف المرتضى ومن الصعب التمييز بين إنتاجه وشعره وإنتاج أخيه وشعره.

تسلّم نقابة العلويين في بغداد سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م، وكانت له كلمته النافذة بين الإماميين الإثني عشريين، كما ربطته صداقة قويّة بعدد كثير من أمراء الأسرة البويهية.

الشريف المرتضى، أبو القاسم عليّ الموسوي (٣٥٥-٣٦٦هـ/ ٩٦٧-١٠٤٤م)، مفكّر أديب من العصر البرهبيّ، ذو نسب يرجع إلى الإمام عليّ. خلف أخاه الشريف الرضّي في تسلّم نقابة العلويين ببغداد.

أن تكون قد عنت العرب ولغة «شعوب» غير العرب. وقد كان لهذه الحركة الاجتماعية أهميتها الخاصة في الشرق. فتمت في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد بدون صعوبة، ذلك أن النظام الذي وضعه العباسيون ترك مكاناً واسعاً للموالي الإيرانيين. لكن المسائل الثقافية نسبت بمشكلات أكثر تعقيداً، إذ حاول رجال الفكر، الأمناء على تقاليد بلادهم وعلى الحكمة الدنيوية التي تتضمنها، إقامة ثقافة عربية جديدة على ذلك الأساس الإيراني. والممثل الأبرز لذلك التيار كان الكاتب ابن المقفع الذي وضع، في مطلع العصر العباسي، كتابات نقل بعضها عن اللغة الفهلوية أو استقى من تلك اللغة، كما استوحى البعض الآخر من الفكر السياسي الإيراني.

إلى هذا النشاط الذي يتسم بالطابع الثقافي يضاف، لدى عدد قليل من الكتاب، ميل ديني مناهض للإسلام ومؤيد للمانوية التي بقيت قائمة في بعض الأوساط. وكان ذلك سبباً لحملة اضطهاد نُقِلت في ذلك العصر ضد الزنادقة الذين اعتنقوا مانويين في الخفاء ويعملون ضد الإسلام. والواقع أن وجود هؤلاء الزنادقة لم يمكن قط إثباته بالأدلة الواضحة؛ ومع ذلك فإن الحركة الثقافية المؤيدة لإيران وفكرة الشعبية كانتا تُعتبران خطراً على الإسلام. وهذا التوثر لم يهدأ إلا لاحقاً، خلال القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد. وقد نجح عدد من الكتاب، كالحاجظ وابن قتيبة، في التوليف بين التراث الإغريقي والتراث العربي والتراث الإيراني، وهذا التوليف قامت عليه الثقافة العربية الإسلامية في العصور التالية.

شُعَيْب، نبي أرسل، بحسب القرآن، إلى شعب مُذْنِبٍ أو إلى أصحاب الأيكة الذين يصعب التحقق من هويتهم. نقي شخصية شعيب، كما ترسمها آيات قرآنية عدة، ومن خلال بُشِيرِ الداعي إلى التوحيد، إضافة إلى حسن السيرة واحترام النظام القائم، ضبابية. وإن ذكره، كونه كان يُعتبر حما النبي موسى، وأنه نالها هو نفسه بَئْرَ المذكور في التوراة، كانت مكرمة في منطقة طبريا في فلسطين في القرون الوسطى. ويُقال إنه عُثِرَ على ضريحه في حطين، بالقرب من أضرحه أخرى،

مهماً في تاريخ الإسلام، ولا سيما بعد ازدهار الصوفية. واقع الأمر أن تجليات الشعر في العالم الإسلامي ارتبطت، في معظم الحالات، بالأوساط الدنيوية وبلغاتها وثقافتها المتنوعة، غير أنه كان يُستخدم دائماً لإبلاغ رسائل دينية. وفيما كانت القصائد الأولى تكفي بمدح النبي محمد (ﷺ)، أو بذكر بعض أركان الدين كالبعث مثلاً، أو بعض الأحكام كالجهاد، وجد الشعر نفسه في ما بعد مدعواً للدفاع عن عقائد الفرق والحركات السياسية - الدينية مثل الخوارج والشيعة وسائر فرقائها. وغالباً ما استُخدم في هذه المناسبة لتعظيم فضائل علي وأسرته «الطاهرة» وأجداد الأئمة العلويين وأنصارهم أو شهدائهم، وكذلك الفضائل الفارقة لسلالة الفاطميين التي لم تُثير بين نجاحها ونجاح الإسماعيلية.

من جهة أخرى، سرعان ما شاعت العادة على أن يُتنازل شعراً موضوع ديني ذو منحى تقوي، كالزهد الذي أوحى قصائد أبي العتاهية في بداية العصر العباسي. ثم ظهرت، لاحقاً، مواضيع الحب الصوفي التي شكّلت القسم الأكبر من الإنتاج الشعري الوجداني للكثيرين من الصوفيين الذين أسسوا الخواص والطرق وأحيوا جلسات راقفها، أحياناً، الرقص والموسيقى. وغالباً ما أدى نجاح هذه الأعمال، في ما بعد، إلى مُثاقلة الشعر الإسلامي المستوحى من الذين يأخذ الأساليب المعتمدة لبلوغ الوجد الصوفي، أو بوسيلة التعبير التي اعتمدها، بشكل طبيعي، الذين بلغوا حالة الاتحاد الصوفي، من أمثال عبد القادر الجيلاني أو جلال الدين الرومي. أحرز بعض هؤلاء الشعراء شهرة أدبية فريدة.

الشعبوية، تعبير يشير إلى حركة مقاومة، اجتماعية وثقافية في آن، ظهرت في العصور الإسلامية الأولى ضد الهيمنة العربية. وانتشرت هذه الحركة بين الإيرانيين في الشرق، وبين السكان الأصليين في الأندلس.

يلمح التعبير إلى الفارق الذي يشير إليه القرآن الكريم بين كلمتي «قبائل» و«شعوب» (سورة المحمرات، الآية ١٣)، على أن لفظة «قبائل» يمكن

المحيط الأطلسي أدى إلى ازدهار مفاجئ لهذه المدينة وترسانتها وحوضها المخصص ببناء السفن، في منطقة هي، فضلاً عن ذلك، غنية وخصبة. وهكذا أصبحت في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، أهم حاضرة في المملكة العبادية بعد أشبيلية. ثم إن علاقاتها البحرية بالمغرب الأقصى تمت بشكل مقرر في عهد المرابطين والموحدين، على الرغم من الهجمات المسيحية المتتالية على هذه المنطقة التي عُرفت باسم «الغرب». والمعروف أن هذه الهجمات راحت تتزايد إلى أن استعدها المسيحيون نهائياً بين سنتي ٦٤٧-٦٤٨هـ/١٢٤٩ و١٢٥٠م.

« رابع السنوات ١٦، ١٧، ١٩.

شترين ← سانتاريم.

الشهادة، نحتل الشهادة الخطبة أو الشغوية منزلة بارزة في سير عمل المؤسسات القضائية الإسلامية، وتبرور اندور المعطى للشهود، بما فيه اشهود العقد.

وتفاوت قيمة الشهادة تبعاً لمنزلة الشخص الشاهد. لذلك لا تُقبل، ضد مسلم، شهادة مؤدي الجزية إذ يُعتبر هؤلاء غير متعين بالزراعة الخلفية والدينية أو ما يُعرف بـ«العدالة»، وهي الصفة الأساسية التي يجب أن تتوافر في كل شاهد. وللسبب عينه لا تُقبل في بلد شيعي شهادة مسلم غير شيعي ضد شيعي. فضلاً عن أن شهادة المرأة تساوي فقط نصف شهادة الرجل. أما إذا تواجه في دعوى ما ذميتون من أديان مختلفة فيُعتبر القضاء الاسلامي صالحاً للفصل بينهم. وتُقبل في هذه الحالة شهادة الذميين بعضهم ضد بعض، هذا ما يقرّه مبدئي معظم الفقهاء.

أما الشهود المحترفون، أو «شهود العقد» المعروفون أيضاً بالعربية بـ«الشهود المدول»، المشتقة صفتهم كما في كلمة العدالة من جذر يعني الإنصاف، فهم يُستخدمون للشهادة على صحة وثائق رسمية يقرّعون عليها. وهم يساعدون القضاء في ممارسة مهماتهم. وهذا يجعلهم يُعتبرون أحياناً، وفاق المفهوم الفرنسي، بمثابة الكتاب العدل. وهم، أيضاً، ينبغي أن يشتهروا بسمو المنزلة الخلقة، وآلا يباشروا مهماتهم إلا بعد أن يتقضى

يُحج إليها في زيارات تقوية. وهي مرتبطة بذكرها وبذكرى عدد من أفراد عائلته منذ ازدهار ظاهرة تكريم الأولياء. وهذه المقامات يذكرها الهزوي في دليله.

الشفاعة، مفهوم ينتمي منذ زمن بعيد إلى الفكر الديني في الإسلام، لكن من دون أن يلقي إجماعاً على القبول به، ولا حتى الإقرار به لدى جماعة المسلمين.

إن إمكان الشفاعة للمؤمنين الخاطئين يوم الدينونة لم يظهر إلا بطريقة غامضة لدى علماء الكلام، مستندين إلى الآية القرآنية ﴿قُلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ جَمِيعاً ثُمَّ إِلَهُكَ تُسْجَدُ﴾ وَالْآخِرُ ثُمَّ إِلَهُكَ تُسْجَدُ ﴿سورة الزمر، الآية ٤٤﴾، التي تقدم تفسيراً حصرياً للشفاعة؛ ولكن يبدو أنها تنسج في المجال للشفاعة يسبح بها الله. وثمة آية أخرى تؤكد أن في إمكان الملائكة أن يلتبسوا من الله المغفرة للمؤمنين. وثمة أحاديث تعلن أن النبي محمداً (ﷺ) بشفع للمؤمنين عند الدينونة، وأخرى تروى أن الصلاة تنفع لمغفرة خطايا الأموات. وقد روى مسلم حديثاً يؤكد أنه عندما تصلي جماعة من المسلمين، عددها مئة، من أجل مسلم، ويصلون جميعاً لمغفرة خطايا، فإن صلاتهم تُقبل حتماً.

إن العقيدة الإسلامية الشائعة تريد أن تجعل الشفاعة بيد فئات مختلفة من المستفيين: جماعة من المؤمنين، أشخاص مميزين كالأولياء، مثلاً، والأنبياء، والملائكة، ونبي المسلمين الذي يحتل مكانة خاصة. إن الأهمية المعطاة لكل فئة اختلفت بحسب الأوساط: فعند المترقدين، وسواهم من أتباع التصوف، كما في المذهب الشيعي، كان المتعبدون يلبأون تلقائياً إلى الشفاعة التي يعوذون أنفسهم بها من خلال «تكريم الأولياء»، بينما الشيعة يلبأون إلى الأئمة الذين كانت أضرحتهم، في كل زمان، موضع تكريم وزيارات تقوية. وفي المقابل، تروى مفكرين كالمعتزلة يرفضون مبدأ الشفاعة، لأن ما من أحد، في رأيهم، ألقى في جهنم يمكن إخراجها منها.

شيلب (البرتغال)، مدينة صغيرة تقع على الساحل الجنوبي - الغربي لبلاد الأندلس، أدى نشاطها كمرفأ نهري إلى ازدهارها في أواخر عهد السيطرة الإسلامية. إن التطور المتأخر للملاحة البحرية الإسلامية في

شهرسبز، أو «المدينة الخضراء»، هو الاسم الذي أطلقه تيمورلنك على مدينة «كش» القديمة حيث ولد، وهي تقع في بلاد ما وراء النهر، وقد ذكرها الجغرافيون العرب في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وأشادوا بخصب تربتها في وادٍ يقع بموازة وادي زرافشان، وعلى الطريق التي تربط سمرقند بمدينة ترمذ وبلخ. هناك كان تيمورلنك يحب الإقامة في الفترات الفاصلة بين حملاته العسكرية الطويلة. والوصف الذي تركه «كلافيخو» (Clavijo)، رسول ملك قشتالة الذي قدم إلى تلك المدينة سنة ١٤٠٤م، يعطي فكرة عن المجموعة المعمارية في «أق سراي»، أي القصر الأبيض، وكان قد بوشر ببنائه قبل ذلك بنحو عشرين سنة، ولكنه لم يُنجز. أمّا اليوم فلم يبقَ منه إلا خرائب إيوان واسع مكسٍ بزخارف من الخزف.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (٤٦٩-٥٤٨هـ/ ١٠٧٦-١١٥٣م)، مفكر مسلم عاش في زمن السلجوقية الكبار في المقاطعات الشرقية، وكان فقيهاً عمل في الفلسفة وفي تاريخ الديانات.

ولد سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م في شهرستان بخراسان، وتلقى علومه الفقهية التقليدية في نيسابور، وكانت له مواقف فكرية أساء أبناء زمانه فهمها. ولم يكن له من الشهرة ما يكفي لإثارة فضول المؤرخين. وجل ما نعرفه عن حياته أنه كان يهتم بالفلسفة، وأنه فسد مكّة المكرمة سنة ٥١٠هـ/١١١٧م لأداء فريضة الحج. كما أنه أمضى ثلاث سنوات في بغداد، واجه خلالها صعوبات مختلفة، عاد بعدها ليستقر في مدينته ومسقط رأسه حيث عاش حتى وفاته.

عُرف الشهرستاني كصاحب مصنفات كلامية نشهد على تدوّقه علم الكلام. كما أنّ له مصنفه المشهور «كتاب الملل والنحل» الذي يتفرّد عن غيره في كونه لا يقتفي بعرض عقائد الفرق الإسلامية والأديان الأخرى المعروفة، بل إنه يعرض أيضاً عقائد العلماء الأقدمين. وقد بقي الغموض يكتنف شخصية الشهرستاني: إنّه يبدو رقيقاً للشعرية، كما أنّ التقارب ما بين آرائه ومواقف الإسماعيلية تترك القارئ المقلع في حيرة وأمام غموض. فبعض المقاطع من أبحاثه تحمل على الظنّ

القاضي تصرّفاتهم ويتبين آراءهم. وهذا التحقيق يشمل مسائل دينية عقائدية، ويتخذ أهمية خاصة خلال الأزمات السياسية الدينية، إذ جرى أحياناً، خلال العهد العباسي، رفض شهود جاهرُوا بآرائهم المعتزلية أو العكس.

الشَّهَادَةُ، كلمة عربية تعني في الإسلام اعلان المؤمن إيمانه شفاخاً. وهي أحد «الأركان الخمسة» في الإسلام، كما أنّها تشكّل التدبير الأساسي المفروض على كلّ من يرغب في الانضمام إلى الأمة الإسلامية.

تُلى هذه الشهادة باللغة العربية، وهي مستقاة من القرآن الكريم الذي يحضّن المؤمنين تذكيراً على الجهر بإيمانهم، ولا سيما الجهر بوحداية الله. وتتكوّن هذه الشهادة من جملتين مقتضيتين: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله». ويبرز نصّ انشهادة عبارتي الله والرسول، ويكتفي في بنده الأول باستعادة جوهر آية قرآنية بشهد فيها الله عن ذاته بذاته:

«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قُلُّهُنَّ يَأْتِينَ بِهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» (آل عمران، ١٨).

ينتج عن التأكيد المزدوج الوارد في الشهادة أنّ المسلم يؤمن بوحداية الله وبالرسالة الموحى بها إلى النبيّ محمد (ﷺ)؛ كما يفترض أيضاً قبول المسلم باتّباع الإرشادات والأوامر التي يعطيها نبيّ الإسلام بصفته هذه. ويطال هذا الأمر العقيدة والمثقة، في أنّ.

وقد جرى لاحقاً تفصيل هذا المحتوى المفهومي الناشئ عن هذا التحديد المبسط في نصوص موسّعة اتخذت طابع «إعلان إيمان» حقيقي، وكان لها أثرها في الجدالات العقائدية الأولى. وقد أثار هذا المحتوى أيضاً التعليقات التي وُضعت على المؤلفات الصادرة عن المذاهب الكلامية، وكذلك التأويلات المتناقضة التي دافعت عنها حركات البدع.

كما طابق المحتوى الفقهي أحكام الشرع الذي كان، من جهة، موضوع شروح وإيضاحات مستمرة بفضل جهود رجال الفقه وعلماء الدين الذين ينتمون إلى مختلف الأوساط الدينية المعنية.

شَهْرَسَبَز (جمهورية أوزبكستان)، مدينة تقع جنوبي سمرقند ما تزال تحتفظ بمعالم من القصر الذي بناه فيها تيمورلنك

لأنهم جميعاً ماتوا قتلاً.

الشورى، تدبير قديم مألوف في العالم الإسلامي، أوصى القرآن الحكام به، يلجأ إليه بعض المفكرين المسلمين المعاصرين لتبرير النظام البرلماني.

«وَعَاوِزْهُمْ فِي الْكُرْهِ»، هذا هو الأمر الذي تلقاه النبي محمد (ﷺ) بحسب الآية ١٥٩ من سورة آل عمران؛ بينما تدعو الآية ٣٨ من «سورة الشورى» المؤمنين إلى التشاور في ما بينهم في كل أمر. وقد استند السنة إلى «مبدأ الشورى» ليقولوا بفكرة تعيين رئيس الجماعة على قاعدة «الاختيار». وقد طُبّق هذا «الاختيار» في تعيين الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب، وفي ما بعد طُبّق على كل الملوك الذين كان الشعب يوافق على تعيينهم من خلال «البيعة» التي نعتبر في أن معنا نتيجة الشورى وقسم الولاء.

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تمّ الارتكاز على توصية القرآن في معارسة «الشورى» لتبرير اعتماد دساتير وأنظمة برلمانية غربية الطابع. وهي فكرة دافع عنها بشكل خاص المصلح السوري الكواكبي.

شيث، شخصية نورانية معروفة لدى عدد كبير من الكتاب المسلمين، وهو مكرم كنيي لدى الطائفة الشيعية النقيية.

إنّه الابن الثالث لآدم، وإليه تنتسب البشرية كلّها، ويُقال إنّه كان الوريث الشرعي لوالده. وكان شيث، بحسب التقاليد، يسكن مدينة مكّة المكرمة، وقد دُفن مع أهله في كهف في جبل «أبي قبيس». وترافق ازدهار تكريم الأولياء في العصور الوسطى الإسلامية مع انتشار مزارات في أماكن مختلفة له، منها مزار النبي شيث في البقاع اللبنانية الذي يذكره الهروي بين المزارات المتمكّمة في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد.

ثمّ إنّ أوساطاً إسلامية في القرون الوسطى، ولا سيّما الشيعة منها المتأثرة بالتوصية، نسبت إلى شيث صفات فوق الطبيعة، كانت كفيّة بأن تؤمّن له شهرة واسعة. وثورة «المقنّع» في إيران تبثت عقيدة تقول بأنّ

بأنّ لديه ميولاً سرية نحو هذه العقيدة، والمعطيات التي يلجأ إليها تُصنّف ضمن نطاق الأبحاث الباطنية للحكمة، وهي معطيات يستغنيا من نصوص ما قبل الإسلام وفيها تقع على إشارات معيّنة من الفكر الإسماعيلي.

الشهيد، جمعها الشهداء، لفظة تطلق بنوع خاص على الذي يكون شاهداً للإيمان، ويجب أن نميّزها عن لفظة شاهد بالمعنى القانوني للكلمة.

لم ترد في القرآن الكريم لفظة شهيد بمعنى «الذي يقدّم حياته من أجل إيمانه»، وهو المعنى الذي أصبح الأكثر شيوعاً. يستعمل القرآن الكريم الكلمة بشكل أكثر شمولية، حتى إنّه يجعل منها واحداً من أسماء الله الحسنى. في التفسيرات القرآنية وفي الأحاديث النبوية الشريفة وحدها طغى استعمال لفظة شهيد بمعنى الشاهد على الإيمان، وبمعنى الذي يقدّم حياته في سبيل الدين، فينال مقابل ذلك في الآخرة أكبر مكافأة. بينما يكفي القرآن الكريم بصيغ عامة كالآية: «وَلَا تَحْزَنْ أَلَّيْنِ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْثَلُ ذُنُوبًا عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّدُونَ» (آل عمران، ١٦٩).

والمكان الذي يرتبط بذكرى شهيد، غالباً ما يكون مدفنه، يُطلق عليه اسم مَشْهَد ويعني مكان الشهادة. وقد أصبح المشهد مكاناً مكرّماً عند انتشار عادة تكريم الأولياء، وتحول خلال العصور إلى مكان زيارات تقوية. والشهداء، بحسب الاعتقاد العام، يخلصون باستشهادهم من كلّ خطيئة، ولا يحتاجون تالياً إلى شفاعته النبي محمد (ﷺ). ولبعض الفقهاء مواقف حذرة تجاه البحث عن التضحية بالذات بأيّ ثمن، وتجاه الذين يرمون بأنفسهم في حومة الموت على أساس أنّ الجهاد يبقى أفضل وسيلة لبلوغ الشهادة، فيكرّسون من أجل ذلك كلّ جهودهم، في حين أنّ الفروض التي يتمّمها المؤمن في السلم لها قيمتها أيضاً.

وفي العصور الوسطى كانت لفظة شهيد تُطلق أحياناً على قادة حاربوا أعداء الإسلام، من دون أن يكونوا قد قدّموا حياتهم ممّناً في هذا الجهاد. وهذا ما كان من أمر نور الدين الذي حارب الفرنج. أمّا الشيعة فإنّها، بالمقابل، تعطي مكانة خاصة للشهيد الذي يُقتل في سبيل الدين، واعتُبر الأئمة العلويون شهداء مكرمين

الوسطى لعدد من الفقهاء المشهورين ولرؤساء بعض الفرق الصوفية، وذلك قبل أن يمنحه العثمانيون لاحقاً لمن يقوم رسمياً بمهمة المفتي الكبير في اسطنبول.

بعد احتلال القسطنطينية سنة ١٤٥٣م، منح السلطان محمد الثاني، بموجب التقليد الشيعي، لقب شيخ الإسلام لمفتي العاصمة الجديدة. وبعد ذلك أصبح له وحده الحق في إصدار الفتاوى الرسمية. وكانت مرتبته أعلى من مرتبة القاضيين الأساسيين اللذين كان كل منهما يحمل لقب «قاضي عسكر». ولم يكن شيخ الإسلام المعين من قبل السلطان يتقاضى أي أجر، لكن قراراته كانت تحفظ في سجل رسمي. ويبدو أن النفوذ المتزايد لشيخ الإسلام جعل منه الشخصية الثانية في السلطنة، وقد أسند إليه بأمر مراقبة تعيينات القضاة والمفتين، وأمر تفحص الاجراءات التنظيمية التي يتخذها السلطان. وفي عهد السلطان سليمان القانوني، في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، كان شيخ الإسلام يمارس سلطته على قضاة السلطنة كافة، وما يصدره من فتاوى كان يساعد السلطان على اتباع السياسة التي يختارها، وإن لم تكن الاجراءات التي يتخذها تتوافق دائماً مع الشرع. وأكثر شيوخ الإسلام شهرة كان أبو السعود الذي بقي في منصبه من سنة ١٥٤٥م الى سنة ١٥٧٤م، وكان له دوره في الأعمال التشريعية لسلطين زمانه.

في القرن السابع عشر، بدأ شيوخ الإسلام يتعرضون للتعزل. كما بدأ نفوذهم يتناقص. لكنهم، مع ذلك، ظلوا مقدّمين على سائر كبار الموظفين في الدولة، ما عدا الصدر الأعظم، واحتفظوا باحترام خاص بحكم انتمائهم إلى أسر إسلامية، بعكس موظفي الادارة والعسكريين الذين كان يتم اختيارهم من بين المسيحيين الخاضعين للجزية، بحسب نظام «الدوشرما» (ضريبة العُلمان). وقد حفظ لهم دستور سنة ١٨٧٦ مرقعهم، واستمرّوا في القرن التاسع عشر من أصحاب المشورة، على الرغم من العلمنة التدريجية للقضاء العثماني. وكان قد شكّل، سنة ١٨٣٩، مجلس شورى انتزع من شيخ الاسلام بعض صلاحياته، كما أنشئت وزارة العدل سنة ١٨٧٩. ومع قيام الجمهورية التركية سنة ١٩٢٢، أُلغي

روح الله انتقلت من آدم إلى شيت، ومن شيت إلى قائد الثورة. ودخلت الإسماعيلية أفكار مماثلة ربطت شيت بآدم، أول نبي «ناطق». وهناك روايات أخرى تقدّم النبي شيت كصاحب كتابات تساعد على التوفّل في أسرار الكون.

الشيخ، تعبير عربي يعني «المعجزة». في الأساس، استعمل هذا التعبير للإشارة إلى رجل متقدم في السن يفرض احترامه على الآخرين بخبرته ومعارفه. وكانت هذه الكلمة مألوفة في بلاد الإسلام على أنها تعبير لياقة أو لقب وظيفي، خاصة في أوساط رجال الدين. وفي القبيلة العربية، الشيخ هو الشخص الجليل المحترم، لكنه لم يكن بالضرورة زعيم القبيلة إذ إن هذا الأخير كان يحمل لقب «سيد» في العصور الأولى للإسلام. ومع ذلك كان يحدث أن يُجلب هذا السيد كشيخ. كما كان يُخلّ كل من مارس سلطته علياً، إذ تفرض تلك الممارسة إبداء الاحترام والتقدير له.

أُطلق لقب «شيخ» في ما بعد على المرجعيّات الدينية في الإسلام، وبشكل أشمل على شخصيات برزت في دفاعها عن الدين الإسلامي ونشره. وهذه كانت حال الخليفتين الراشدين الأول والثاني مثلاً، وكذلك الأمر بالنسبة للجامعين الأساسيين للأحاديث النبوية.

فضلاً عن ذلك، فالشيخ هو المعلم الذي يدرّس، أو الصوفي المجزّب الذي يعدّ مرديبه لطريقة عيش ولمختلف المراحل الموصلة إلى الشوّة الروحية. وقد كان لهذا التعبير آنذاك أهمية خاصة في الأوساط الصوفية حيث كان المرشد الروحي الذي يقود خطى المبتدئ يسمى، في أكثر الأحيان، شيخاً في العربية و«بير» في العالم الإيراني - التركي. ووصل الأمر إلى حدّ أن تعبير «الشيخ» صار يدلّ على رئيس كل طريقة صوفية. وكان شيخ الجبل الشهير المعلم الأكبر للزّارية أو الحشّاشين في سوريا، يقيم في «مصياف» خلال الحفّة الصليبية. وفي مرحلة متأخرة صار تعبير «شيخ الإسلام»، مثلاً، يدل على الشخصية الإسلامية الدينية العليا في الدولة العثمانية.

شيخ الإسلام، تعبير له طابع تشريفي تدخل في تركيبه لفظة «شيخ»، وهو لقب أعطي في أوائل القرون

على مدينة إصطخر الساسانية المجاورة لإفيا مدينة بربسبوليس.

أصبحت شيراز، في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، عاصمة الدولة الصفارية الخاضعة جزئياً للعباسيين، وحافظت، تحت حكم البويهيين الذين جعلوا منها أحد أهم مراكز سلطنتهم، على مكانتها مركزاً إقتصادياً وثقافياً في فارس. وضُمت في ما بعد إلى أميراطورية السلاجقة قبل أن تحتضن، في منتصف القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، سلطة محلية جديدة لأتاكمة سلالة السُلغوريين.

وهكذا، ما تزال مدينة شيراز الحالية تحتفظ بمسجد جامع، يسمى اليوم المسجد العتيق، بُني أو أُعيد بناؤه في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي على يدي عمرو بن الليث من السلالة الصفارية، وهو يتميز بخاصية وجود نصب مكعب على شكل الكعبة في وسط فناءه. وبحكم اعتمادهامعاً إقامة للأمير البويعي الشهير عضد الدولة الذي أسس فيها مكتبة ومباني أخرى درست آثارها، أحيطت شيراز بسور محصن حافظت ترميماته المتتابة على تخطيطه الأساسي الذي ما يزال يترآى في تنظيم المدينة القديمة حتى اليوم. ويعود الفضل إلى السُلغوريين في إقامة المسجد المعروف بـ«الجديد» والمشهور بفناءه الضخم المستطيل في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، والذي بناه الأتابك عز الدين سعد بن زنكي الذي حكم بين ٥٩٩ و٦٢٨هـ/ ١٢٠٣ و١٢٣١م. وقد أُعيد ترميم هذا المسجد وتجميله إبان حكم الصفويين.

وخلال حكم هذه السلالة الأخيرة، احتلت شيراز من جديد مكانة مرموقة. وكانت قبل ذلك انتقلت على التوالي من حكم السُلغوريين إلى سلطة الإبلخانيين، فال منظر فالتيموريين، من دون أن تنسى سلالة آل إنجو الصغيرة التي جهدت، بين ٧٠٣ و٧٥٨هـ/ ١٣٠٣ و١٣٥٧م، للحصول على استقلال نسبي وصعب المتال في هذه المدينة. ومع بسط الشاه الصفوي إسماعيل الأول سلطته سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م، أصبحت شيراز واحدة من أكبر مدن المملكة وأغناها، وتمز عبها تجارة قوية وناشطة مع مرفأ المحيط الهندي.

هذا المنصب على غرار مناصب أخرى كانت قائمة إبان السلطنة العثمانية.

الشيخية. أزل حركة كبيرة حديثة منفرعة من الشيعة الإيرانية، يعود طابعها التوفيقي الباطني إلى الشيخ أحمد الأحساني الذي ولد سنة ١٧٥٣م في الأحساء، في الجزيرة العربية، ونوفي في المدينة سنة ١٨٢٦م. أمضى الشيخ أحمد معظم حياته في إيران، في يزّد حيث انصرف إلى التدريس، وفي طهران حيث لقي التكريم من قبل الشاه القاجاري. وفي قزوين اتهمه في ما بعد علماء المدينة بأنه من أتباع الفرق المنطوقة، خصوصاً لاعتباره الإمام علي تجسيدا للالوهية. وفي النتائج الضخم الذي تركه والذي ما يزال غير معروف بما فيه الكفاية، تبدو عقيدته مستفاد من عقيدة المُلا صدرا، ومن نظرية السهروردي الحلي التيُوصفية، وكذلك من تصوف ابن العربي. ويبدو أنّ تأثيره كان كبيرا على أبناء عصره، فكان له عدد وفير من الأتباع الذين استطاعوا أن يتصدوا لخصومهم وأن يحافظوا على مدرسته الفكرية التي بقيت حيّة حتى عصرنا الحاضر.

شيراز (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة رئيسة في مقاطعة فارس في الحنية الإسلامية، ما تزال تحافظ حتى اليوم على موقعها مركزاً لمقاطعة، مع استمرار ذكريات ماضيتها المجيد حيّة.

تقع شيراز جنوبي أصفهان في مقاطعة جبلية من الهضبة الإيرانية، كانت تشغل، على علو مرتفع، منخفضاً خصباً يتحكم بتقاطع إستراتيجي لطرق القوافل، يصل العراق وأذربيجان بالخليج العربي- الفارسي وصولاً إلى سيجستان. وما من شك في أنّ موقعها هذا هو في أساس ازدهارها المستمر منذ تأسيسها الفعلي خلال الحكم الأموي في ٦٥هـ/ ٦٨٤م، بجهود أحد أبناء عم الخنّاج، وهو الموقع نفسه الذي ما تزال تحتله حتى اليوم. وقد جاءت إعادة تعمير هذه المحلة، التي لم يكن لها حتى ذلك الحين أهمية تُذكر، عقب المحاولات الأولى التي قام بها الإسلام لاحتلال المنطقة في مرحلة الفتوحات الكبرى، مع نهاية خلافة عمر بن الخطاب. وقد نجحت هذه المحاولات في السيطرة

هذا الإقليم المجاور لمقاطعة آران والذي كان لفترة جزءاً منها، يمتدّ شمالاً إلى نقطة «باب الأبواب»/ دربند الحدودية. وقد تمتع في القرون الوسطى باستقلالية نسبية تحت سلطة حكام تابعين للعباسيين خلغوا على أنفسهم ألقاباً ملكية: شيروانشاه أو شروانشاه. كانت عاصمة هذه الناحية، الشاخية وهي شاخة الحالية، وقد فاقها، اليوم، أهمية مدينة باكو وأنشطتها البيرونية. إن التثريك المتزايد للمنطقة، وأسلمتها منذ الغزوات السلجوقية والعقوبية، لم يحولاً أبداً دون الاضطرابات والصعوبات في هذه المنطقة الحدودية التي كانت عرضة لهجمات أطماع عدة. وهكذا منذ القرن السادس عشر، في العهد الصفوي، كانت المنطقة ساحة تنازع بين الفرس - وكان أهلها السلة لا يتقبلون معتقدهم الشيعي - والعثمانيين والروس. وقد تغير الوضع عام ١٨٢٠ مع احتلال روسيا للمنطقة الذي تسبب بحركات عصيان مختلفة. لكن الروس حافظوا لفترة على وجود «حكومة باكو» قبل أن يلغوا الحدود التي كانت قائمة في القرون الوسطى ودمجوا المنطقة في مقاطعة أوسع هي أذربيجان، أو بالتحديد في الجزء الروسي من أذربيجان الذي عُرف في ما بعد باسم جمهورية أذربيجان، الاشتراكية السوفياتية التي استقلت عام ١٩٩١.

شِيرَاز (الجمهورية العربية السورية)، محلة وقلة قروضية ما تزال خرابتها تتوج تنوءات صخرية فوق نهر العاصي، على الطريق التي تصل حماة بمدينة أفاعيا الأثرية.

لقد بُنيت القلعة فوق بقايا حصن قديم، في محلة أخذت بالتدهور منذ أن احتلتها الجيوش العربية - الإسلامية صلحاً سنة ١٧هـ/٦٣٨م في بداية الفتح الكبري. وفي وقت لاحق، تنازعها المسلمون والبيزنطيون الذين احتلّوها من سنة ٣٩٠ إلى ٤٧٤هـ/ ٩٩٩ إلى ١٠٨١م. ثم سقطت القلعة في أيدي أمراء عرب من قبيلة منقذ، كانوا أسياة المنطقة المجاورة، فحاصروا دفاعاتها واحتفظوا بها إلى أن وقع زلزال حماة سنة ٥٥٣هـ/١١٥٧م، فدمر القلعة تدميراً كاملاً. ومع هذا الحدث، انتهت الوضعية التي كانت لشيراز

وقد نفذ فيها إمام قلبي خان، حاكم فارس الباذخ في فترة حكم الشاه عباس الأول، أشغالاً، كما استقبل فيها الموفد الإنكليزي السير دوغومور كوتن Dodmore Cotton استقبالا مشهودا.

وبعد الخراب المتراكم الذي أصاب المدينة مجدداً على عهد نادر شاه، بخاصة بين ١١٤٣ و ١١٦٠هـ/ ١٧٣٠ و ١٧٤٧م، عرفت شيراز نهضتها الأخيرة الأكثر فحاشة، بوصفها عاصمة لسلالة آل زند ومقر ملكها صمعه كريم خان زند، المعروف بالوكيل، الذي حكم ما بين ١٧٥٠ و ١٧٧٩. وحتى اليوم، ما يزال حتى بكامله، مشيد حول مسجد «الوكيل»، يشهد على هذه الجهود الأميرية العمرانية. غير أن إنشاءات المدينة عانت الهزات الأرضية والكوارث الطبيعية الأخرى التي حصلت في القرن التاسع عشر والتي رافقت الانحطاط البطيء لهذه المدينة التي تحولت، مذكاً، مدينة ريفية أهلها القاجار قبل أن تتحول عنها خطوط التجارة الدولية شيئاً فشيئاً في الحقبة المعاصرة.

غير أن شيراز التي ذاع صيتها كموطن للشعراء ولتكريم الأولياء، والتي اشتهرت بنسبها الفاخر ومدرستها المختصة بفن المنمنمات، استمرت في ذاكرة الأجيال مركزاً فنياً وأدبياً شهيراً. ففيها تقوم أضرحة أشهر شاعرين فارسين: سعدي الذي عاش في المدينة في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وحافظ الذي عاش في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. لكن مظاهر الإجلال الشعبي نتجته خاصة إلى شريح إمام علوي متوفى سنة ١٢٢٠هـ/١٨٣٥م، هو شقيق علي الرضا الإمام الثامن عند الشيعة الاثني عشرية، وقد تحول ضريحه، الذي حُدد مكانه في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، إلى مزار مهيب.

➤ راجع المستندات ٨، ١٠، ١٢، ١٣، ١٧، ٢٣، ٢٤.

شِيرَوان، مقاطعة في بلاد ما وراء القوقاز خلال القرون الوسطى، اعتنقت الإسلام في فترة متأخرة. تقع على خاصرة سلسلة قمم متوسطة الارتفاع تُشرف على الشاطئ الغربي لبحر قزوين، شكّلت حدوداً شبه أسطورية لعالم الإسلام.

مجموعة الشعوب الإیریة - القوقازیة لغتان متقاربتان، وقد أسلم هؤلاء في وقت متأخر وبيطء إعتباراً من القرن السابع عشر، تأثير مزدوج مارسه عليهم حکام داغستان و حکام القرم المجاورة، بعد أن كانوا قاسوا قبل ذلك سيطرة الكازخه أي الجراكسة الشرقيين. ولما كانوا من السُنة ويتبعون المذهب التقفي الحنفي الذي كان سائداً في الدولة العثمانیة، متأثرين أيضاً بدعوة الطريقة النقشبندیة، فإنهم قاوموا بشدة سيطرة الروس واستعمارهم لبلادهم في القرن التاسع عشر. كما شاركوا بخاصة، حتى العام ۱۸۵۹م، في ثورة شامل وجهاده، إذ تحصن في مواقعهم المنيعه. وتجلت المقاومة المحليه عنها منذ تطبيق النظام السوفياتي في البلاد، وقد تكون في أساس من السمة المحافظة التي صبغت هذه الطائفة الإسلامیة، على الرغم من أنها منقسمة على نفسها بسبب التنافس بين شعبين. وقد بلغ التوتر درجة عالية، ما دفع بالأنغوش، سنة ۱۹۲۲، إلى إعلان استقلالهم الخاص في جمهوریة إنغوشيا الفدرالیة داخل الاتحاد الروسي، وإلى جانبها جمهوریة الشيشان التي صغرت مساحتها وقلّ عدد سكانها.

الشیطان، يرد ذكره في القرآن الكريم، ويحمل كذلك اسم إبليس، وهي صيغة مشتقة من دِبَالَس (diabolos) اليونانیة. وبحسب الروایة القرآنیة، فإنّ الله، بعد خلقه آدم، أمر الملائكة بأن تسجد له. ورفض إبليس السجود، فصرخ به تعالی: ﴿قَالَ فَارْجِعْ بَيْنَ يَدَيْكَ رَاجِعًا﴾ ﴿وَبَيْنَ يَدَيْكَ فَتَقَاتِلْهُ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة الحجر، ۳۴، ۳۵). وقد أعطى الشیطان القدرة على غواية الناس الذين يبتعدون عن الله: هكذا استطاع أن یحثّ آدم وحواء على عصيان أوامر الله بعد الخلق. وبعض الآیات القرآنیة تعتبر الشیطان ملائکاً (سورة الحجر، ۳۰-۳۳) وبعضها الآخر تجعله من الجنّ، وهي مخلوقات يصعب تحديد طبيعتها، ويمكن أن تكون صالحة كما يمكن أن تكون شريرة، وفي هذه الحالة، ينصف الجنّ أيضاً بصفة الشیطان.

وإلى الشیطان، بحسب بعض المصادر العربیة، تعود محاولة تضليل النبي محمد (ﷺ) وحثّه على تلاوة آیات تناقض وحدانیة الله، وهي غير مدونة في

على مدى عقود، كإمارة إسلامیة بجوار ممتلكات الفرنج. وتشهد على ذلك أخبار سيرة الأمير والأديب أسامة بن منقذ. وقد شُيّر لم یترجم فقط بعاقبتها المسمّزة للهجعات المعادیة - ومنها حصارا ۵۰۲ و ۱۱۰۸/۵۲۳ - ۱۱۳۸م - ولكن أيضاً بالهجعات المنكّرة على الممتلكات الصلیبیة، وبفترات هدنة سمحت بقبام علاقات صداقة بين أمراء تلك المنطقة وأسباد الفرنج.

بعد ذلك عمد نور الدين إلى إعادة بناء القلعة التي تعرّضت مجدداً للخراب بسبب الزلازل والغزوات، ومنها غزوة المغول. ومرة جديدة وُضمت لتساهم في الدفاع عن الساحل السوري والمناطق الداخليّة، وذلك في أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، على أيدي السلاطين المماليك، وخصوصاً السلطان بيبرس.

الشيشان (جمهورية فدرالية)، مساحتها ۱۹۳۰۰ كلم^۲ وعاصمتها غروزني. جمهوریة اشتراکیة سوفیاتیة ذات حکم ذاتي سابقاً، ما تزال تشكّل جزءاً من الاتحاد الفدرالي الروسي. وهي تضم أكثرية من المسلمين نصل نسبتها إلى ۷۰٪ من مجموع السّکان البالغ عددهم حوالي مليون ونصف المليون نسمة، وهم يتكوّنون أساساً من عصري الشيشان والإنغوش.

وُلدت هذه الجمهوریة الاشتراکیة السوفیاتیة سابقاً، عام ۱۹۳۶م، من اتحاد بين إقليمین مستقلّین ذاتيّاً، هما: الشيشان والإنغوش، وكان الأول منهما قد أُشئ في العام ۱۹۲۲ والثاني في العام ۱۹۲۴. إنّ نظامها، الذي لم يمنع الترحيل الجماعي، في العام ۱۹۴۴، لقسم كبير من سكّانها الإنغوش إلى كازاخستان، أنقذها موقتاً وأعيد العمل به في العام ۱۹۵۷ بعد عودة المبعدين. تشغل الجمهوریة التي تكوّنت بهذه الطريقة والتي انفصل عنها الإنغوش، منطقة جبلیة غنيّة بالنفط، تفصلها قسم القوقاز عن جمهوریة جورجیا المستقلة، ولها حدود مشتركة مع جمهوریات أخرى مستقلة ذاتياً ضمن الاتحاد الفدرالي الروسي: أوسيتيا الشماليّة في الغرب، وداغستان في الشرق وكلموكيا في الشمال. لشعوب الشيشان والإنغوش الذين ينتمون إلى

إلى حد كبير، فمزّخو البدع القدماء لم يتردّدوا في أن ينسبوا إلى ابن سبأ وإلى بدعة «النسابة» التي أسسها أفكارًا قال بها في ذلك الوقت «غلاة» الشيعة.

وبعد الموت العنيف للحسين، ثاني أبناء علي، والحركة التي قام بها في الكوفة أفراد سمّوا «الزّوابن» ندماً على نكوتهم في الدفاع عنه، يمكن الحديث عن حركة شيعية دافعت عن فكرة تقول إنّ السلطة يجب أن تنزل حكمًا إلى علي وأحفاده المعيّنين إسميًا من قبل السلف. مع ذلك، لم يحل وجود هذا التوجّه القاتل

بشرعية انتقال الوراثية عبر فاطمة من دون قيام حركات عصيان، في نهاية الحقبة الأموية، تدافع، بوجه السلالة الحاكمة، عن «حقوق أفراد آل النبي» غير المتحدّرين من سلالة علي وفاطمة. وهكذا انفجرت ثورة المختار^(٥٩) لمصلحة محمّد بن النخعيّة، وهو أحد أبناء

علي من امرأة غير فاطمة، وثورة عبدالله بن معاوية المتحدّر من شقيق لعلي، وأخيرًا ثورات الهاشميّين المتحدّرين من أعمام النبي محمّد (عليه السلام)، ومنهم المتحدّرون من العباس [ابن عبد المطلب] أي العباسيّين. واقع الأمر، أنّ أحفاد الحسين، الذين اعتُبروا في ما بعد أنتمى تعود إليهم وحدهم شرعية المطالبة بالسلطة، لم يتدخلوا بشكل فاعل عندما تمكّنت «الثورة العباسية» المنتصرة عام ١٣٢هـ/٧٥٠م من نصب غير علوي على عرش الخلافة. فجعفر الصادق، مثلاً - وهو الإمام السادس الذي توفي في العام ١٤٨هـ/٧٦٥م في عهد الخليفة العباسي المنصور - عاش ببساطة في المدينة رجل تقوى متضلّعًا في علوم الحديث والفقه، ولم يطالب بالسلطة. وكان يعتبر، على ما يبدو، أنّ ساعته لم تكن بعد، ولم يدعم أيّة من ثورات المحازبيّين الشيعة التي انفجرت آنذاك. لكنّ ذلك لم يقلل من اعتباره منظرًا بارزًا للمذهب الشيعي ومؤسسًا للمدرسة الفقهيّة الجعفرية الخاصة بالإماميّة الاثني عشرية.

وكان قد ظهر داخل الشيعة، في نهاية القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، اتجاهات عدّة. فتورة زيد بن علي، أحد أحفاد الحسين، قامت في العراق سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م، بينما ثار ابنه يحيى في خراسان سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، ومن دون أن تحقق إحدى الثورتين أيّ

القرآن الكريم، وإنّما مذكورة في تفسير الطبري. وبحسب هذا المؤرّخ والمفسّر فإنّ الآيات التي ألغاهما النبي محمّد نفسه (عليه السلام)، بعدما وجد ما فيها من ضلال كاد يكون ضحيته، صُمّمت كآياتٍ شيطانية. إنّها تُضاف إلى الآيات التي تذكر الآلات والمزّي ومناة: «أَقْرَبُكُمْ إِلَهُكَ وَالْمَرْيَمُ» «وَنُورَةُ الْإِسْلَامِ الْأَكْرَمَةُ» «لَكُمْ أَلَدُكُمْ وَلَكُمْ أَلَدُكُمْ» «إِنَّ مِنْ آلِ آدَمَ مَسْجُودًا أَنْتُمْ وَنَبَاؤُهُمْ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِمَنْ شَاءَ مِنْ رُسُلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ» (سورة الحج، الآيات ١٩-٢٣).

الشيعة، هم شعبة علي أو حزب علي، حركة سياسية - دينية واسعة الانتشار ظهرت بعد فترة قصيرة من وفاة النبي محمّد (عليه السلام)، وما يزال لها حتى اليوم شأن تاريخي مهمّ في عالم الإسلام.

حصر أتباع الشيعة الذين تميّزوا خاصة برفضهم القبول بشرعية خلافة السلالتين الأموية والعباسية - حقّ قيادة الجماعة الإسلامية بعلي وأحفاده العلويّين. لكنّ تضارب آرائهم، وبخاصة في ما يتعلّق باختيار الإمام، وكذلك تنوّع العقائد الفلسفيّة - الكلاميّة التي ظهرت تبعًا في مجتمعاتهم أدّت بالشيعة، مع الزمن، إلى الانقسام إلى فروع عدّة اعتنق كلّ منها آراء سياسية وعقائدية مختلفة، لكنّها بقيت جميعها معارضة للمذهب السني.

من الصعب أن تحدّد بدقة بدء ظهور «حزب» علي الذي صار شخصه تقمّة التفاه للشيعة. فبعض كتاب الوقائع يعتبرون أنّ بعض الصحابة انضمّوا إلى علي تعبيرًا عن رفضهم أداه يمين الولاء لأبي بكر، لكنهم تخلّوا عن موقفهم هذا بعد وفاة فاطمة. وكان ينبغي انتظار اغتيال عثمان وما تبعه من نزاع بين علي ومعاوية لكي تشهد تكوّن مجموعة محازبيّين متحمسين لدعم حقوق ابن عم النبي محمّد (عليه السلام) وصهره. ولم يلبث «الخوارج» أن انفصلوا عن هؤلاء المحازبيّين؛ من جهة أخرى، أدّت وفاة علي، كما هو معروف، إلى قبول ابنه الحسن بالخلافة الأموية. والروايات المتعلّقة بالمدموع عبدالله بن سبأ، أحد صحابة علي^(٥٨)، ناسبة إليه تأليهه لسبده وإدّعاءه أنّ صوت الرعد هو صوته، تبدو مشبوهة

عُرفت بـ «الإمامية الاثني عشرية»، وتبلورت عقيدتها بعد «غيبة» الإمام. وتعود هذه التسمية لاعتراف هذه الفئة بسلالة من اثني عشر إمامًا نوالوا إياها بعد أب، منذ الحسين، بموجب تعيين بالنص.

كذلك كانت تحدثت، في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، الفروع الكبرى لشيعة، ألا وهي الإسماعيلية التي أدت إلى قيام الخلافة الفاطمية في سنة ٢٩٧/٩٠٩ والتي كانت أيضًا في أساس نشأة حركة القرامطة المستقلة، والإمامية الاثنا عشرية التي كانت محدودة الفاعلية في البدء، والتي عرفت في ما بعد انطلاقة جعلت منها المذهب الرسمي لبلاد فارس، أيام الصفويين؛ وأخيرًا الزيدية التي سمحت نجاحاتها السياسية بأن يتسلم أتباعها السلطة في بعض المناطق حيث استقرت دول زيدية لفترة طويلة. وفي الحقبة نفسها يحدث كتاب الوقائع ومؤرخو البدع أيضًا عن شيعة متطرفين عُرفوا بـ «غلاة الشيعة»، يعتقدون أفكارًا مبتدعة، وبخاصة بتأليههم الأئمة. وينطبق تعبير «الغلاة» على الإسماعيليين، وبشكل خاص على بعضهم كالنزاريين والدروز، كما ينطبق أيضًا على فئات شيعية نشطت في مناطق عدة لكن بشكل غير منظم، كالنُصيرية، مثلًا.

مع ذلك، لا ينحصر تطور الشيعة بهذه التراكيب المتنقلة من الشيعة الأولى وتشعباتها المتتالية خلال الحقبة الوسيطة. إنَّ النزوع الطبيعي للإسلام، وبخاصة الإسلام الشيعي، إلى التنوع عبر انشؤه المستمر لبدع جديدة، ظلَّ ظاهرًا حتى الحقبة الحالية، مستفيدًا تحديدًا من الانطلاقة القوية للإمامية في إيران بدلًا من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، ما شكّل عاملًا مساعدًا في هذه البلاد لتنامي حركات تكفني هنا بعدد أكثرها أهمية، كالشيخية والبابية والبهائية.

نجاح. وبعد تغيير النظام، انطلق الأخوان محمد النفس الزكية وإبراهيم، الحفيدان الثالبيان العبدان للحسن وجدًا أشراف المغرب، في حركات جديدة، إحداهما في الجزيرة العربية، والأخرى في البصرة، فاصطدمت الحركتان بالجيش العباسي القوي. وفي ما بعد نبئت الحركة الزيدية كل هذه الثورات. والزيدية حركة شيعية ذات طابع خاص تدعي الانتماء، كما يدل اسمها، إلى زيد (حفيد الحسين)، ولم تبلور عقيدتها إلا بعد مرور قرن على هذه الثورات.

من جهة ثانية، في الفترة نفسها، تبنّى أنصار محمد ابن الحنفية، بحسب كتاب الحوليات، بعضًا من الأفكار المبتدعة التي طبع في ما بعد حركات شيعية مختلفة. أحد هذه الأفكار يقول بالعودة المنتظرة للإمام، أي بعودة المهدي من غيبته، على غرار ما تردد في بعض الأوساط بعد وفاة النبي محمد (ﷺ). وتشدد أفكار أخرى على الصفات ما فوق الطبيعية للإمام أو تحدّد دور هذا الإمام الذي لا يظهر بذاته، بل ينتقل تعليمه إلى تلميذه الأقرب إليه الذي يدعى «الاب» أو يكلف في بعض الأحيان «مفوضًا بالسلطة» ليفتح أمامه سبيل الخلافة. وهكذا يكون من الصعب تتبّع نمو الشيعة، بمختلف مظاهرها، حتى نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. ففي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م مثلًا، عند وفاة جعفر الصادق، حصل انشقاق كان في أساس نشأة الإسماعيلية. وسبب هذا الانشقاق عائد على الأرجح إلى اختيار بعض المناصرين لاسماعيل - الابن الأكبر لجعفر الذي كان قد توفي قبل والده - إمامًا سابقًا واعتبارهم أن خلفاء كانوا سلالة من الأئمة المحتملين. وبالعكس، تبع شيعة آخرون سابع الأئمة، موسى الكاظم بن جعفر الذي كان والده قد عبثه قبل وفاته؛ وتبعوا أحفاده من بعده حتى غيبة الإمام الثاني عشر في سنة ٨٧٤هـ/١٤٦١م. هذه الفئة من الشيعة شكّلت حركة

ص

الباتينوس (Albategnus)، أو سنان بن ثابت، طبيب الخليفة المعتذر الذي اضطر إلى اعتناق الإسلام في خلافة الفاهر، في حين أن أباه ثابت بن قزّه - المولود عام ٨٢٢١/٨٣٦م في حرّان والمتوفى عام ٨٢٨٨/٩٠١م في بغداد التي وفد إليها متأخراً، وعينه فيها الخليفة المعتضد عالم فلك - قد حافظ على شهرته كرياضي وفيلسوف من دون أن يُسلم.

الصابرية ← الجشّة.

الصاحب (جميعها أصحاب وصحابة)، كلمة عربية تعني «الرفيق، السيد، التابع، المالك، والممليك بشيء». أدّى تنوّع معانيها الأصلية عبر العصور إلى استعمالات ذات دلالات تاريخية مختلفة.

كان أنبل احتمال لها ذلك الذي خضّر معناها، منذ بداية الإسلام، بـ «صحابة» النبي محمد (ﷺ). لكنّ هذه التسمية التي أصبحت تقليدية، لم تحل أبداً دون الاستمرار في استعمال المصطلح، في مجال أوسع، وإطلاقه على مجموعات أخرى من الأصحاب، كذلك التي تحيط بعالم ما، على سبيل المثال. وهكذا حملت رسالة ابن المقفع الشهيرة، الموجهة إلى الخليفة العبّاسي الثاني المنصور نصحه في اختيار معاونيه، عنوان «رسالة في الصحابة».

ويُعدّ ذلك، في القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد، غدت كلمة صاحب، في صيغة المفرد، لقب شرف أطلق على وزراء البويهيين خلال حكمهم في العراق أو في إيران وأشهرهم انصاحب بن عباد. وقد استمرّ هذا التعبير جيّاً، وهذا يفسّر اختياره في الهند في القرن التاسع عشر حيث أطلقت هذه التسمية على الأوروبيين، بما فيها صيغة

الصايي والصابئة، صفة تطلق على مجموعة من العلماء والمتأدّبين والمتبحرين في فنون المعرفة الذين اعتنقوا الإسلام في أكثر الأحيان. كانوا من المقرّبين إلى العبّاسيين في العراق في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، وقد نُسبوا إلى أحفاد «الصابئة» الذين ذكرهم القرآن.

ينحدر هؤلاء من وسط فلاسفة وثيّين أخذوا [التعاليم] الأفلاطونية الجديدة؛ وهؤلاء الفلاسفة هم بدورهم ورثة تقليد محلي عريق سكّان حرّان في أعالي بلاد ما بين النهرين. وقد وصفهم الشهرستاني، مؤرّخ الملوك، بقبلة النجوم، وكان هذا الأخير قد جمع، في القرون الوسطى، بعض المعطيات عن عقيدتهم. تسامح معهم الخلفاء الذين قبلوا اعتبارهم من «أهل الكتاب»، وكانوا كثيري العدد نسبياً. تركوا مؤلفات بالسرانية أو العربية. وغالباً ما اختارت عائلاتهم اللجوء إلى بغداد، قرب الأوساط الفكرية التي كانت تحظى بحماية الخلفاء، مع محافظتهم على علاقات بأبناء دينهم القدماء. وقد خدم بعضهم كتاباً مدرّبين على القيام بمهمّات الدبوان أو المالية. وساهموا، خلال حكم الخلفاء ونحت إشراف البويهيين، بخبرتهم في حسن سير الإدارة في الأمبراطورية، واهتموا كذلك بعلم المستندات القديمة وبعلم التاريخ.

كانت هذه، على سبيل المثال، حال هلال الصايي الذي كان جدّه الأسبق الشهير أبو إسحاق إبراهيم بن هلال قد خدم الدولة من دون أن يعتنق الإسلام. شكّل الطب وعلم الفلك والرياضيات العلوم التي يذيعها مسلمون آخرون ينتمون إلى أصل صايي، أمثال عالم الفلك البثاني الصايي، الشهير في الغرب باسم

في موكب رسمي. خلال هذه المناسبة، كان عليه تقلد الرمح، وهو امتياز تقليدي حُصِّن به خلفاء النبي (ﷺ).

صاحب عطا، فخر الدين علي بن الحسين، ٩-١٢٨٨هـ/١-١٢٨٩م، وزير لدى سلاجقة الروم، نهض بدور راعي فنون العمران التي خلّدت ذكراه بآثار مشهود لها ومعروفة التاريخ. إن مؤسسات صاحب عطا الخيرية، التي استحوّ بها لقب «أبو الخيرات»، ضمّت كلّ منها عذدا من المباني ما زال بعض أقسامها قائما حتى اليوم، وهي تتمثل بجوامع ومدارس وخوانق ضُمّت أحيانا في مجمّعات، وتشكّل شواهد مميّزة على فنّ تلك المرحلة. وقد توزعت آثاره عبر الأناضول الأوسط من آق شهر إلى قيصريّة وسيواس، حتّى قونية العاصمة حيث دفن وحيث أقام أفخم آثاره العمرانية.

جعل صاحب عطا من «أفيون قره حصار»، وهي موقع سهل التحصين، مركز إمارة صغيرة شبه مستقلة حيث جهد أولاده، في القرن التالي، للابقاء على سلطنتهم وسط طموحات القرامانيين والكرمانيين، وكان قد شاد فيها مسجداً جامعاً محمولاً على أعمدة من خشب، أدخلت عليه بعض التعديلات سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م. وغير بعيد من هذا المكان، بنى صاحب عطا بُرْجاً للوقوف، منها خان عشاقني سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، بين جنّي وآق شهر، على الطريق المؤدّي من أفيون إلى هذه الأخيرة. إن كثرة هذه الاستراحات - المستودعات المخصّصة للمسافرين - تشهد على اهتمام ذلك الوزير بطرق القوافل التي سهّلت النشاط التجاري وأمنت بذلك ازدهار أملاكه. من بين الأبنية الأخرى الظاهرة المعالم، على الأقلّ بيّزات واجهاتها، مدرسة تاش في آق شهر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، وجامع قونية وخانقاه صاحب عطا، من ٦٥٧ إلى ٦٨٢هـ/١٢٥٨ إلى ١٢٨٣م، ومدرسة إينجه منارلي ٦٥٨-٦٦٣هـ/١٢٦٠-١٢٦٥م، وأخيراً مدرسة قيصريّة المعروفة باسم مدرسة الصحابيّة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م، ومدرسة غوق في سيواس سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م. إنّ بقايا تلك المباني تُظهر بهيكلتها ونفوشها المنحوتة وعناصر زينتتها من القيشاني المزخرف، نياراً معيّناً من التطور، واضح المعالم، لا سيّما أنّها تحمل توابع مهندسين تربطهم صلة أقربى.

المؤنث المستعملة في اللهجة المحليّة في قولهم «بمصاحب».

هناك تعابير عديدة تستعمل فيها كلمة صاحب، إمّا كصفة عامّة كقولهم «صاحب مؤثّف» أو «صاحب فلان»، وإمّا كصفة خاصّة يُنعت بها هذا البطل أو ذلك بدءاً بـ «صاحب الحوت» للدلالة على النّبّي يونان، وحتى «صاحب الحمار» الذي أطلق على الثائر أبي يزيد الذي دُمّر إفريقية الفاطميّة وأدامها، مروّراً بـ «صاحب الروم» أي الأميراطور البيزنطي. وفي موازاة ذلك، استعملت تعابير من الطراز نفسه إنطلاقاً من كلمة أصحاب في صيغة الجمع، وكان لها طابع عمومي، كقولهم «أصحاب الحديث»، للدلالة على أنصار «الحديث» أو «أصحاب الكهف» الذين أتى على ذكرهم القرآن الكريم.

صاحب الحمار ← أبو يزيد.

صاحب الحوت ← يونس أو يونان.

صاحب السوق ← الحسبة.

صاحب الشرطة، مأمور قضائي مكلف، في مجتمعات القرون الوسطى الإسلامية، بتنفيذ العقوبات التي يفرضها القاضي وفاق أحكام الشريعة وبالحفاظ، بوجه عام، على النظام الذي تفرضه السلطة.

بموجب هذه المهمة، كان صاحب الشرطة الذي كان موقعه يشكّل جهازاً أساسيّاً في دولة الخليفة أو دولة السلطان، يتشغّ بامكانات عمل واسعة جداً، منها القيام بالتحقيقات. كان في إمكانه، إضافة إلى فرض عقوبات إعتباطيّة بالسجن، أن يحارب الثائرين في حال نشوب اضطرابات، بل أن يأمر بقتلهم. ففي بغداد، مثلاً، بين القرنين الثاني والرابع للهجرة/الثامن والعاشر للميلاد، كان صاحب الشرطة يتصرّف بصنّة قائداً للعاصمة، وكان له مكانة شبيهة بمكانة قائد الجيش الذي كان يشغل المقام الأول في التراتبية والمؤسسات العسكرية. وفي عهد الخليفة المأمون، كان لصاحب الشرطة صلاحية الحلول محلّ الخليفة في حال غيابه. وكان له أيضاً مهمة فخرية وهي المشاركة في احتفالات الخليفة الرسميّة وتقدّم الموكب عندما يخرج الخليفة من قصره

صاحب فخ ← الحسين بن علي.

الصاروخانيون أو بنو صاروخان، ٧١٣-٨١٣هـ/ ١٣١٣-١٤١٠م، سلالة تركمانية استطاعت، في عهد الإمارات في الأناضول، أن تبسط سلطتها على مقاطعة ليديا القديمة، على ساحل بحر إيجه، وهي منطقة ضيقة وغنية.

إن القائد الذي أعطى اسمه للأسرة ثبت استقلاله بشكل خاص عن بني كرميان بعد احتلاله مدينة مانيسا سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م، التي جعل منها عاصمته وسط ممتلكاته في وادي خديز. وقد فرض سلطته هناك برًا وبحرًا على التجار الإيطاليين الذين أمنت تجارتهم غنى مملكته وازدهارها، كما أقام علاقات مفيدة مع بيزنطية وجيرانه الأقربين، بني منتشا والأيديين. ثم إن ما بذله خلفاؤه من نشاط سياسي وديني وثقافي، فضلاً عن جهودهم في نشر الإسلام، أدى إلى انتشار الطريقة المولوية، وإلى ازدهار الفن المعماري الذي تجلّى في مدينة مانيسا.

وقد غلب الصاروخانيون على أمرهم للمرة الأولى من قبل السلطان الثماني بايزيد الأول الذي نجح في السيطرة على بلادهم سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م، قبل أن يهزمه نيسورلنك في موقعة أنقرة سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م. ثم تأكد الاحتلال العثماني في سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٠م، مع السلطان محمد الأول، وأدى إلى إلحاق المنطقة نهائياً بالسلطنة العثمانية حيث استمرت تلعب دوراً مهماً.

صاروخان	٧١٣-٧١٦هـ/ ١٣١٣-١٣٤٥م
فخر الدين الياس	٧١٦-٧٢٦هـ/ ١٣٤٥-١٣٧٤م
مظفر الدين إسحق	٧٢٦-٧٧٦هـ/ ١٣٧٤-١٣٨٨م
خضر شاه بك	٧٩٠-٧٩٣هـ/ ٨٠٥-٨١٣هـ
	١٣٨٨-١٣٩١م، ١٤٠٢-١٤١٠م

◀ راجع المستند رقم ٢٢.

صالح، شخصية يرد ذكرها في القرآن الكريم، وهو أحد الأنبياء الذين أرسلوا إلى العرب قبل ظهور الإسلام. كثيرة هي الآيات المكية التي تأتي على ذكر النبي صالح، كسورة الأعراف، وسورة هود، وسورة الشعراء، وسورة القصص. وهي تعتبر نبيًا منذرًا بعقاب الله، ممهّدًا لظهور النبي محمد (ﷺ). وقد نوحه بكلامه إلى

قبيلة ثمود العربية القديمة التي نبذته، فدعا شعبه إلى عبادة إله واحد، ولم يلق من ثمود أدنى صاغية. وشهادة على صدق كلامه، وهبه الله ناقة، كان رجاء النبي صالح أن تُرك حرة في المراعي، لكن الثموديين عمدوا إلى قتلها غير آبهين بإنذار صالح. عندئذ هبت عاصفة هوجاء تبعها زلزال عظيم. وفي اليوم التالي وُجد الثموديون أمواتًا.

ويحدد معظم مفسري القرآن الكريم موقع هذه الحادثة داخل الجزيرة العربية، في وادي الفرى حيث نجد، حتى اليوم، تحت اسم مذائن صالح، مجموعة من الخرائب الحجرية القديمة، بالقرب من البلدة الحالية. وقد كُتبت شخصية صالح في غير مكان، مع انتشار عادة تكريم الأولياء في المجتمع الإسلامي، فأقيمت له مزارات عدت محجة الأتقياء، ومقصد زيارتهم، وإليها يشير الهروي في دليله الذي وضعه في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد. فمنها ما كان في مكة المكرمة، ومنها ما كان في اليمن حيث يُعتقد أن قبر النبي صالح هو في شبوة. إلا أنّ عددًا كثيرًا من المزارات التي أقيمت تكريمًا للنبي صالح انتشر في أرض أخرى دفعتها [حضارات] قديمة هي: سوريا حيث له مزاره بقسرين شمالها، وكذلك في بعلبك بمنطقة البقاع من لبنان، وفي عكا على الساحل القديم من فينيقيا.

الصبر، كلمة عربية تعني المثابرة والثبات، وتشير إلى فضيلة لطالما حازت ثناء الإسلام في مرحلته الأولى. هذه الكلمة الواردة في آية قرآنية معبرة، هي الآية ١٥٣ من سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾. ذكرت كذلك في مناسبات عدة أخرى، ما يتيح لنا التفاد إلى عمق معناها. إنّ الثبات المبني على التحمل، المشوب أحيانًا بمعنى التسليم، كان من منظومة الفضائل الأساسية المطلوب من المسلمين أن يتحلوا بها، فكانوا يطبقونها، على سبيل المثال، خلال حروب الجهاد. كما ورد مرارًا في أدب الحديث أو في التفسير القرآني، متخذة أحيانًا معنى «الصبر وامتناك النفس»، وهذا ما يجعلنا نفكر بصفة «صبر» الواردة بين أسماء الله الحسنى. كما أنّ الصبر

ثم في ما بين أعقابهم المباشرين، أي التابعين، لم تُكَلَّ مطلقاً من الإجلال الذي تمتع به هؤلاء جميعاً في ما بعد، بصفتهم أعضاء في الجماعة الإسلامية الأكثر بقاءً، وعناصر لا غنى عنها في المرحلة الأولى لتأسيس الأباطورية الإسلامية - العربية وتركيز شرعها. فعلى عاتقهم كانت تقع مهمة المحافظة على العناصر الأساسية للسلطة النبوية ونقلها، ما أفرد لهم مكانة خاصة في سلسلة الإسناد الضرورية لإثبات أصالة التقاليد النبوية. إلى ذلك تعود المكانة التي احتلها في نظر رواة الحديث وسائر علماء الدين، وهذا ما يفسر اهتمام المؤلفات والمعاجم المختلفة القديمة - كمعجم ابن سعد في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد - في إنبات أسمائهم ونراجهم. وما يشهد حتى الآن على الاحترام الذي يتمتعون به، تلك الشهرة التي تحيط بمواقع أضرحتهم التي غدت مقصد زيارات تقوية بدأت مع انطلاق تكريم الأولياء في القرون الوسطى.

وبحسب تقليد قديم، فإن عشرة من هؤلاء الصحابة، يسمون «العشرة المختارين»، كانوا مبشرين بالجنة، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن [ابن عوف] وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة. لكن التراث في ما بينهم بشكل عام، كان يتغير عبر العصور بحسب المدارس الفكرية القائمة داخل الإسلام. فالسنة الذين كرموا دائماً ذكراهم بضعون في الطليعة الخلفاء الراشدين الأربعة، بينما قال الشيعة بصورة عامة، وكل أنصار الفرق التي ترتبط بعقيدتهم بشكل أو بآخر، بأخية علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، ورأوا أن الخلفاء الراشدين الثلاثة السابقين، منتصبون للسلطة بكل ما لهذه الكلمة من معنى، كما مالوا أيضاً، بشكل خاص، إلى توفير بعض الصحابة من بطانة علي، كمالك بن الأشتر.

صُحَار (سلطنة عُمان)، مدينة مرتبطة على خليج عُمان، جنوب شبه الجزيرة العربية، كان لها في القرون الوسطى أهمية تاريخية واقتصادية تشهد عليها بعض المعالم الأثرية.

كانت صُحَار مركزاً ناشطاً وسط شريط ساحلي يفصله الربع الخالي عن سائر أقسام شبه الجزيرة. وكان

هو إحدى الفضايل الأساسية المعتمدة لدى الصوفية حيث ارتدت معاني صوفية مختلفة الدلالة، كقولهم «الصبر في تحمّل ضربات القدر» يضاف إلى ذلك أن الصبر عندهم هو شكل من أشكال الزهد ذو طابع أخلاقي - تقشفي. وبعض المؤلفين أمثال الغزالي الذي كرس للصبر فصلاً من كتابه «إحياء علوم الدين»، ويطوا بشكل وثيق ما بين الصبر وشكران نعمة الله، معتبرين أن الصبر والشكر بشكل كل منهما نصف الإيمان.

صبرا - المنصورية، محلة قروضية خربة، أسسها الخليفة الفاطمي المنصور عام ٩٤٨/٥٣٦م قرب القيروان في إفريقية حيث تونس الحالية، لتكون مقراً سلطاناً له.

كان الموقع المختار مخيمًا عسكريًا انطلق منه الخليفة الفتي لمحاربة فرق الخارجي المتمرد أبي يزيد. وبعد انتصاره عليه وإخماد ثورته بصورة حاسمة، قرّر إقامة قصر ومدينة ملكية تخليداً لهذه الذكرى. ولم يبق من الأبنية المشيدة سوى آثار غير واضحة المعالم حيث تمّ الشروع بحفريات جديدة.

وصف الجغرافيون العرب في القرون الوسطى هذا البناء على أنه مدينة دائرية شبيهة، من دون ريب، ببنغداد الأولى. وقد سرت الحفريات التعرف إلى بقايا أحواض وقاعات استقبال.

الصَّحَابَة، إسم عام يلقب به كل مسلمي الرعيل الأول الذين اعتنقوا الإسلام خلال حياة النبي محمد (ﷺ) وعاشوا معه واعتبروا في ما بعد مرجعية في موضوع الحديث النبوي.

يشمل الصحابة الذين كانوا جميعهم تقريباً من أصل عربي - وبعضهم أيضاً كانوا من الرقيق المعتمين - أهالي مكة الذين تبعوا النبي في هجرته وعُرفوا بـ«المهاجرين»، وأهالي المدينة الذين استقبلوه عند وصوله إلى يثرب وعُرفوا بـ«الأنصار». والخلفاء الراشدون الأربعة الأول كانوا من الصحابة، وقد دخلوا بعد موت النبي محمد (ﷺ) في منازعات ذات طابع سياسي وكذلك ديني.

والصراعات على السلطة التي نشأت في ما بينهم،

نزّال للمدينة أهميتها المحلية، والفائدة الأثرية التي تثيرها والتي سوّغت ترميم قلعته لم تحُل دون بقائها في المرتبة الثانية في التطور الاقتصادي للبلاد. ◀ راجع المستند رقم ١٢.

الصحافة الإسلامية، مفهوم يصعب تحديده في العالم الإسلامي الحثي حيث تنافر صحف عدة صادرة بلغات مختلفة وفقاً للمناطق، لا يظهر دائماً طابعها الديني أو الطائفي، على الرغم من أن بعضها يجاهر بتمسكه بهذا الطابع، لكنها تنعكس باستمرار الوضع الاجتماعي والسياسي للبلد الذي ينماز بحضور قوي للإسلام فيه. ظهرت الصحف اليومية الأولى في الشرق الأدنى إثر إدخال التقنيات الأوروبية واعتمادها في جز من الصراعات الداخلية المتعددة، الناتجة عن التحولات الكبيرة التي شهدتها العالم الإسلامي. وقد صدرت أولى الصحف باللغة الفرنسية في الأميراطورية العثمانية وفي مصر، منذ نهاية القرن الثامن عشر. وسرعان ما نشأت صحافة باللغات المحلية، العربية، التركية أو الفارسية. دخلت في خدمة الدولة لنشر أخبار الحكومات، ثم أواخر أجهزة الإعلام الخاضعة لبعض التيارات ذات الميول السياسية أو الدينية.

في العام ١٨٢٨، صدر في القاهرة العدد الأول من **الدورية المسماة** «الوقائع المصرية» التي تحولت نشرة يومية في عهد الخديوي إسماعيل، وشارك فيها محمد عبده. وفي نهاية القرن أسس سوريون ولبنانيون صحفاً أخرى وتولّوا إدارتها قبل أن تنتقل، بعد بضع سنوات، إلى أيدي المصريين. «الأهرام»، إحدى هذه الصحف، أسست في الإسكندرية سنة ١٨٧٦، وما تزال حتى اليوم الصحيفة الأولى في البلاد. أسست في الحقبة نفسها صحف أخرى. بعضها مؤيد للسلطان العثماني وبعضها الآخر يدعم الحركة الإصلاحية. في ما بعد أصبح للقرية العربية أيضاً أجهزة إعلامية الخاصة، وكذلك سائر الأحزاب التي أسست في مصر. ولم تفقد هذه الأحزاب تلك الحربة إلا بعد حصول مصر على استقلالها بعدة طويلة، عندما علّق صدور الصحف السياسية في العام ١٩٥٢، وأعيد تنظيم الصحافة سنة ١٩٦٠. وحدها بعض الصحف استمرت في الظهور مثل

أمرؤها قد اعتنقوا الإسلام منذ السنة التاسعة للهجرة/ ٦٣٠م، لكنها عرفت بعض الاضطرابات بعد وفاة النبي محمد (ص). خلال الرزة الكبرى، فاحتلت المدينة من جديد سنة ١١١هـ/ ٦٣٢م. وقد تمتعت بعد ذلك باستقلال نسبي داخل العالم الإسلامي خلال القرون الوسطى. وعندما كانت قد ألحقت بالعراق في زمن الخلافة الأموية، عادت واستقلت عنه سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م. في العهد العباسي. وكانت في القرنين الثاني والثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد مدينة مزدهرة، على صلة دائمة باليمن من جهة، وبالشرق الأقصى من جهة ثانية. وقد استفادت من النشاط التجاري الموجه نحو الخليج العربي - الفارسي بفضل ازدهار سبّراف. لكنها تأثرت بالاضطرابات التي سبّبتها ثورة الزنج في أواخر القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، وتلك التي سبّبتها القرامطة في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد. ثم أصبحت هدفاً لهجمات متكررة يرتبط بعضها بالتطور الاقتصادي، إلى أن دُمّرت في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد وانتقل دورها إلى مدينة عدن كمستودع للسلع التجارية الآتية من المحيط الهندي التي أخذت تنجّه نحو البحر الأحمر بدلاً من الخليج العربي - الفارسي.

هذا الانحطاط الأول لمدينة صحار تمّ تعويضه محلياً بنمو مرفأ قلحات الذي قام إلى الجهة الجنوبية، وحلّ محلّها كمحطة رسو وموقع محصن على الساحل العماني. وقد احتفظ مرفأ قلحات بمركزه الأول حتى منتصف القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، وانتقل هذا المركز بعد ذلك إلى مرفأ مسقط الجديد. ثم نبذل الوضع مع قدوم البرتغاليين الذين استولوا على هذه المواقع، فدمروا مرفأ قلحات كلياً واستولوا على صحار حيث استمر وجودهم حتى سنة ١٦٥٠. وبعد تحرّرها من التبر البرتغالي عرفت صحار نهضة جديدة. إطلافاً من القرن الثامن عشر، عندما برزت منطقة عُمان قوة مستقلة لها مستعمراتها الخاصة في أفريقيا السوداء. لكنها كمركز تجاري ومرفأ بحري تراجعت أمام مسقط التي تحولت إلى عاصمة وجعلت مركز إقامة السلاطة الحاكمة المعروفة باسم «سلاطين مسقط». أمّا اليوم فما

توسّعا في الدلالة، مكان الشرف في استبدال ما. استُعمل لقبًا يُطلق على «رجل رفيع المستوى» وبخاصة في الوسط التركي - الإيراني.

في مناطق هذا الوسط، بدءًا بالقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، استعمل الصوفيون هذا التعبير صفةً لشيخ طريفة ما، كما أنّه ورد في ألقاب أصحاب المناصب المهمة في بلاط سلطاني. ولاحقًا، وبدءًا من القرن السادس عشر أيضًا، خُلع على الوزير الأكبر لدى العثمانيين لقب الصدر الأعظم، وهو لقب دائمٌ على وظيفته. ولم يغب هذا اللقب إلّا عام ١٩٢٢، وقد أُلغيَت، في الوقت نفسه، مهمّات السلطان وشيخ الاسلام.

الصدر، تعبير عربي بمعنى صدر الانسان، وهو يعني، توسّعا في الدلالة، مكان الشرف في استبدال ما. استُعمل لقبًا يُطلق على «رجل رفيع المستوى» وبخاصة في الوسط التركي - الإيراني.

في مناطق هذا الوسط، بدءًا بالقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، استعمل الصوفيون هذا التعبير صفةً لشيخ طريفة ما، كما أنّه ورد في ألقاب أصحاب المناصب المهمة في بلاط سلطاني. ولاحقًا، وبدءًا من القرن السادس عشر أيضًا، خُلع على الوزير الأكبر لدى العثمانيين لقب الصدر الأعظم، وهو لقب دائمٌ على وظيفته. ولم يُلغَ هذا اللقب إلّا عام ١٩٢٢، وقد أُلغيَت، في الوقت نفسه، مهمّات السلطان وشيخ الاسلام.

صدرا (المعلاّ)، أو صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازي، ١٥٧١-١٦٤٠م، عالم كلام وفيلسوف شيعي فارسي من عهد الصفويين. كان أبرز ممثل لما عُرف بمدرسة أصفهان.

ولد في شيراز وتعلّم على علماء كثيرين، أبرزهم ميرداماد الشهير، وذلك خلال رحلاته في إيران. عُيّن المعلّا صدرًا استأذًا في مدرسة شيراز التي أسّسها الحاكم الله وردي خان. مارس فيها تعليمًا مبتكرًا في التصوّف، وانتشرت أفكاره حتّى الهند المغولية. وقد أخذ في المؤلّفات العديدة التي خَلَقَهَا - على غرار ميرداماد -

الأهرام»، لكن تحت مراقبة الحكومة.

في المقاطعات التركية من الأمبراطورية العثمانية صدرت أيضًا أوّل صحيفة تركيّة سنة ١٨٣٢ لتقل الأخبار الحكومية، واستمرّت في الصدور حتّى ١٩٢٢، تاريخ تغيير اسمها. في العام ١٨٤٠ صدرت صحيفة أسبوعية تركيّة غير رسمية، في حين أُسّست في اسطنبول صحيفة عربية بديرها أحد اللبنايين، وقد عرفت انتشارًا واسعًا في نهاية القرن التاسع عشر، إذ كانت تحظى بدعم النظام الحاكم. كانت الصحافة ناشطة في الأمبراطورية العثمانية منذ ذلك الوقت، لكنّها أخضعت لمراقبة قاسية في عهد عبد الحميد، على الرّغم من دستور ١٨٧٦ الذي كان يضمن لها الحرية. بعد ثقلات عديدة، ألغى أتاتورك الرقابة سنة ١٩٢٣، غير أنّ المطبوعات الصادرة بالتركية واجهت صعوبات في العام ١٩٢٨، عندما قُرِضت الأبجدية اللاتينية، فأصبحت عندئذ أدوات للأحزاب السياسية الموجودة في الجمهورية التركية الجديدة.

وكما ازدهرت الصحافة في قلب الأمبراطورية، ازدهرت أيضًا في الولايات العثمانية في الشرق الأوسط العربي، ولا سيّما في لبنان حيث كان العدد الأوفر من الصحف. وعلى مثال ما كان يحصل في الشرق، نشأت شيئًا فشيئًا في المغرب صحافة عربية اختلف تطوّرها باختلاف المناطق. فالدوريات العربية التي كانت أدوات للحركات القومية أو السياسية الدينية تضاعفت، وبخاصة بعد حصول مختلف الدول القومية على الاستقلال.

حدث تطوّر مماثل في إيران حيث صدرت، في العام ١٨٤٨، الصحف الفارسية الأولى التي كانت، في البدء، أدبية، ثم أصبحت سياسية اعتبارًا من إعلان دستور ١٩٠٦. كذلك في شبه القارة الهندية حيث صدرت، اعتبارًا من نهاية القرن التاسع عشر، صحف ومجلات بالأردو عن مختلف التيارات المتصارعة ذات الميول الإصلاحية التحديدية أو التقليدية أدّت، في نهاية الأمر، إلى قيام دولة باكستان سنة ١٩٤٧، ودولة بنغلادش سنة ١٩٧١. وأحدثت، في المقابل، نهضة صحافية محلية غنيّة تلبيةً لحاجات السكّان المتزايدة.

صدور، تعبير عربي بمعنى صدر الانسان، وهو يعني،

أحد علماء الشيعة القدامى الأساسيين ، وأحد الذين ندين لهم بـ «الكتب الأربعة» الأساسية في علم الحديث عند الشيعة.

الصَرَافُ ، الصَرَافُونَ ، إلى جانب فئة خاصة من رجال المصارف يعرفون بالخبائذ ، كان الصَرَافُونَ يمثلون مهنة لها موقع مهم في الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى ، نشهد عليه ، حتى يومنا هذا ، الدراسة اللغوية والتاريخية لأصل أسماء الأسواق في المدن العربية .

وكان الصَرَافُونَ أشخاصاً لا يستغنى عنهم في الحياة الاقتصادية للعالم الإسلامي الذي نشأ في القرن السابع الميلادي ، نتيجة الفتوحات الثميرة - الإسلامية الكبرى . وكان هذا الوضع مرتبطاً بانساع البلدان التي ألحقت بهذا السجّج الاجتماعي - السياسي وتنوعه ! كما كان مرتبطاً ، بنوع خاص ، بطبيعة النظام النقدي المتبع مذكاً ، وهو نظام معدني مزدوج يتداول عملة ذهبية هي «الدينار» وعملة فضية هي «الدرهم» ، لم يكن لهما القيمة النقدية نفسها . وكانت العملات تستعملان معاً وفقاً للظروف التاريخية والجغرافية . وكانت المبادلات تتم بهذه العملة أو تلك بحسب المنطقة ونظراً إلى أهمية عملية المبادلة ، مما حثّ وجود صَرَافٍ في كل ناحية له معرفة بالنسب المتحركة لقبعة هاتين العملتين . يضاف إلى ذلك أنه في العمليات المهمة ، لم يكن يتم تقدير القطع بحسب قيمتها الإثمانية بل بحسب وزنها ، مما كان يتطلب زنتها وليس عدّها . أخيراً كان في إمكان الصَرَافِينَ القيام بأعمال تعود إلى رجال المصارف ، كالإقراض بالقائدة الذي يحزمه الإسلام ، وهذا يُفسّر سبب امتناع اليهود والنصارى دون سواهم أعمال الصَرَافِ .

صربيا ، منطقة تقع شمالي البلقان ، استطاع أبناؤها ، بفضل وطبيتهم المميّزة ، أن يقيموا لأنفسهم ، باكراً في القرون الوسطى ، دولة سلافية مستقلة وأن يقاوموا بقوة نتائج ضمّ دولتهم الموقّت إلى الامبراطورية العثمانية ، منذ منتصف القرن الخامس عشر .

فتحت هزيمة الصربيين أمام الجيوش التركية ، في معركة كوسوفو سنة ١٣٨٩م ، الطريق أمام المسلمين لاحتلال تدريجي لأراضي مقدونيا وألبانيا والبوسنة

باعتصار قسبها عن ابن سينا والشهروردي ، وابن العربي . يعود إليه الفضل ، بصورة خاصة ، في بلورة مذهب «الرحلات الأربع» لنزوح ، حيث الرحلة الأولى نفوذ الروح إلى عالم الكائن في حد ذاته ، والثانية تبلغ بها مسائل الجوهر ، والثالثة عبارة عن نزول إلى عالم الكائنات المخلوقة ، والرابعة تضع الروح التي تحرّرت من كل العلائق المادية أمام مسألة العودة إلى الله . جهد في فكره ، بوجه عام ، في التوفيق ما بين الواقع الروحي ومعطيات الوحي ، مع الالتزام بتعاليم الإمامية الاثني عشرية .

الصدقة ، ممارسة أدّت دوراً كبيراً ، بأوجه متنوعة ، في الحياة اليومية ضمن المجتمع الإسلامي ، منذ بدايته وحتى اليوم ، وذلك تمثيلاً مع عادات وتقاليد نظمها الشرع الإسلامي بصورة تقريبية .

والى الصدقة الشرعية أو الزكاة ، تضاف صدقة لا تخضع لقاعدة محدّدة بل ترتبط بالمبادرة الفردية ، ولكن الإسلام يوصي بها ، وعلى هذه الصدقات كان يعيش في القرون الوسطى العديد من أفراد الجماعة الإسلامية ، وبخاصة الفقراء من كل نوع ، سواء المرتبطين منهم بالصوفية ، أو غير المرتبطين بها . وكان هؤلاء الفقراء يمارسون التسوّف ، وكانت المؤسسات التي نمّولها الأوقاف تتكفل مثلاً بتوزيع حصص غذائية عليهم وتقديم لهم الهدايا لمناسبة بعض الأعياد . ومن الصدقات التي لها طابع الإحسان كانت تلك المفروضة في نهاية صوم رمضان ، ولم تكن قيمتها محدّدة بل تُركت لتقدير صاحب العلاقة .

الصَّدُوق (الشيخ) ، محمد بن بابويه القمي ، ٣٠٦-٣٨١هـ/٩١٨-٩٩١م ، مفكر شيعي ، اشتهر منظرًا للعقيدة الإمامية الاثني عشرية .

لا نعرف الكثير عن حياته . لكن الشيخ الصَّدُوق كان شهيراً في بغداد حيث دُرّس في عهد البيهقيين وشارك في مناظرات باسم الأمير ركن الدولة . وضع عدداً وفيراً من المصنفات ، يشكّل أحدها ركنًا من أركان علم الكلام عند الشيعة ، وآخر في وحدانية الله ، وثالث هو مجموعة من الروايات المتعلقة بالإمام علي الرضا . كان أستاذ الشيخ المفيد ، وكان مع الكليني والطوسي

«الراسيون» أو «بنو الراسي»، وبوجه عام باسم زبديي اليمن، أن ينسلموا السلطة في البلاد. ولم تنفك صعدة توفر لهم ملجأ آمنًا طوال تاريخهم، وبخاصة عندما أجبروا على ترك عاصمتهم الأخرى صنعاء. فاختار كثيرون منهم صعدة مقر إقامة مفضلًا أو مكانًا يُتوجون فيه. فدفن فيها إثنان من ملوكهم، يحيى الهادي إلى الحق المتوفى عام ١٩١١ وابنه يوسف المنصور.

«راجع المسند رقم ٢٥»

صعيد مصر، كيان جغرافي كان يوافق في العصور الوسطى المنطقة الممتدة من القسطنطينية/القاهرة إلى شلالات أسوان، وكان يضم حصرًا المنطقة الزراعية المتاخمة للنبيل، ولا يشمل الفيوم ولا واحات الصحراء الليبية.

إن هذه الأرض المستطيلة والضيقة، التي حدّ أدّى عرضها في بعض المواقع لا يتجاوز بعض الكيلومترات، كانت مقسمة بحسب علماء الجغرافيا العرب منطقتين أو ثلاث تتطابق تقريبًا مع المناطق الإدارية الممتدة في العهد البيزنطي. في عهد الفاطميين قسّمت تسعة أو عشرة أقاليم دامت حتى العصر الحديث، رغم التغيرات التي طرأت على مراكزها بسبب تغيير وضع المدن، ما أدّى إلى حلول العنبا محل بهنسا، وأسبوط مكان الأشمونين، وجرجا مكان أخميم وقينا محل فوص. حافظت منطقة صعيد مصر، في العصر الإسلامي، على عدد كبير من سكانها الأصليين، إلا أنّها شهدت على أرضها نزول بعض القبائل العربية، شأن الهلاليين أو بني هلال، الذين هاجروا إلى إفريقيا في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد. إنّ معظم الثورات التي تكرّرت عبر العصور في وجه السلطة المركزية قامت بها هذه القبائل المتمردة العاصية، يضاف إليها من حبن إلى آخر طموح بعض الحكّام. إلّا أنّ هذه الأصناف ذات الطابع المحلي لم تؤدّ إلى نتائج سياسية مهمة في مجرى تاريخ مصر التي كانت محكومة بصلاية، منذ الاحتلال العربي - الإسلامي في القرن السابع للميلاد، إنطلاقًا من مركز عاصمتها الوحيدة ومدينتها الكبرى التي كانت تتحكّم بأراضي الصعيد وأراضي الدلتا على حدّ سواء. ارتكزت أهمية الصعيد المصري طيلة القرون

والجبل الأسود. وأدّى سقوط بلغراد وقلعتها، سنة ١٥٢١م، إلى انتصارات عسكرية متتالية حقّقها السلطان سليمان القانوني، على طول نهر الدانوب باتجاه الشمال. كما فتح الانتصار العثماني على الهنغاريتين في موهاكس سنة ١٥٢٦م الباب أمام العثمانيين لكي يضمّوا مساحات شاسعة من الأراضي إلى دولتهم. إنّ التنظيم العسكري والضريبي الذي فُرض على تلك المقاطعات لم يقف حائلًا دون بظفة عاطفة شعبية أدّت إلى قيام ثورات متلاحقة، وإلى الإفادة، منذ أواخر القرن السابع عشر، من تراجع الجيوش العثمانية تدريجيًا أمام قوّة الأمبراطورية النمساوية.

نتيجة ظروف متنوعة وتاريخ سياسي مضطرب، استطاعت صربيا الشمالية وصربيا الجنوبية اللتان تحرّرتا تدريجيًا من النير التركي خلال القرن التاسع عشر، الحصول، في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨، على الاعتراف بهما دولة مستقلة. وهذه الدولة الجديدة التي شاركت في حرب البلقان خلال سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣، ألحقت بعد ذلك بمملكة يوغوسلافيا التي أصبحت دولة فدرالية في نهاية الحرب العالمية الثانية. وخلافًا لما حدث في ثلاث على الأقلّ من جمهوريات يوغوسلافيا الأخرى، وهي البوسنة-أنهرسك ومقدونيا والجبل الأسود، فإنّ الإسلام، الممثل في صربيا بنسبة ضئيلة من السكان غير فاعلة، لم يكن له أيّ دور عملي. ويُستثنى من ذلك دوره في مقاطعة كوسوفو التي كانت تتمتع باستقلال داخليّ والتي كان معظم سكّانها من أصل ألبانيّ، وأيضًا دوره، ولكن بصورة موقّعة، في مدينة بلغراد التي انفتحت أمام المهاجرين القادمين من المناطق الأخرى.

«راجع المستندات ٢٠، ٢٦، و ٢٧»

صعدة، (الجمهورية العربية اليمنية)، محلة في جنوب شبه الجزيرة العربية، على الطريق من صنعاء إلى مكة، حافظت إلى عصرنا الحاضر على دورها كمركز قضاء، وبخاصة كمركز ناشط للزيدية.

ازدهرت في القرون الوسطى بفضل موارد منطقتها الطبيعية وموقعها على مسار تسلكه القوافل، وبذلك احتضنت جهود الدعوة المذهبية الزيدية. وهكذا أتاح الزيدون لسلالة أئمة من الشيعة معروفين باسم

ختاني. وجاء الخراب بعد ذلك مع الغزو المغولي، ونلاه تجديد المنطقة وإعمارها في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد في ظلّ نيمورنك وخلفائه النيموريين. وفي النهاية، جاءت سيطرة الأوزبك الشييعيين لتفصح في المجال أمام حكم السلاطين حاملي لقب «خان» الذين سيطروا على المنطقة حتى الاحتلال الروسي في القرن التاسع عشر. وهذا ما يفسّر اليوم ضمّ المنطقة إلى جمهورية أوزبكستان السوفياتية السابقة.

«راجع المستدرك ٨»

الصفات الإلهية، هي صفات يطلقها الفكر الإسلامي الديني، منذ بداياته، على الله، معتمداً في ذلك على الأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم.

وطبيعة العلاقة التي تجمع بين هذه الصفات والجوهر الإلهي شكّلت واحدة من المسائل الكبرى، التي ما تزال تُطرح حتى اليوم في مدارس علم الكلام. وكانت في الواقع مرتبطة بالمفهوم الذي يتوجب على كلّ مؤمن أن يكونه عن وحدانية الخالق، وبما يفرضه ذلك عليه، مع الحرص على المفهوم الأساسي للتوحيد. وقد أجمعت الآراء في الإسلام، في وقت مبكر، على أن الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم، على سبيل المثال، هو «قدير» و«عالم» و«رحيم». وهذا يعني أنه يملك «القدرة الكلية» و«العلم» و«الرحمة»، وهي أفكار تجريدية تُعتبر حقائق جوهرية منفصلة عن الله، لكنّها مثله خالدة. هذا المفهوم - الذي لم يكن قد شكّل موضوع تبصّر جدّي عند رجال الدين في بدايات الإسلام - يمكن أن يُعتبر في الواقع مساساً بوحديّة الله. ولم يطل الأمر بعد ذلك حتى بدأ التساؤل، داخل الأوساط الفكرية في العصر الأموي، مذ بدأت المعزلة تشقّ طريقها، عمّا إذا كانت وحدانية الله تبقى مصونة في ما لو تكلمنا عن «علم» الله أو عن «كلام» الله واعتبرناهما جوهرين أو اثنين منفصلين عنه. وقد يكون النقاش مع المسيحيين الذين كانوا ما يزالون كثيري العدد في سوريا وفي بلاد ما بين النهرين، في القرنين الأوّل والثاني للهجرة/السابع والثامن للميلاد، هو الذي حمل عدداً من المفكرين، ومنهم المعزلة، على إنكار

الوسطى على الناحية الاقتصادية. فام ازدهاره على الثروة الزراعية لأراضي وادي النيل، كما على الأنشطة الحرفيّة وأهمّها النسيج القطني. ولم تكن العلاقات مع التوبة ذات شأن تجاري مهم، إلا أن طريقاً للقوافل بين المتوسط والبحر الأحمر تُستخدم للأنشطة التجارية وللحج، كانت تحت سيطرة البدو البجة المُقيمين في الصحراء المصرية النوبية، وتوسعت أهميّتها بصورة خاصة منذ العصر الأيوبي. من مدينة فوص التي عرفت ازدهاراً كبيراً أيام العماليك، كان في الإمكان الاتّجاه إلى مرفأ عيذاب، ومنه الإبحار إلى الحجاز أو اليمن.

«راجع المستدرك ٢٥»

الصُّفد، منطقة في آسيا الوسطى في بلاد ما وراء النهر، كانت تضمّ في العصور الإسلامية منطقة ذات حدود غير واضحة، تحيط بمدينتي بخارى وسمرقند.

والإسم نفسه مأخوذ من إسم شعب قديم من أصل إيراني، عاش بين النهرين المعروفين باسم أوكسُس (أموذيا) وإياكسوت (سيرديا). وكان هذا الشعب يتكلّم لغة أهملت في ما بعد - كما جرى بالنسبة إلى لغة سكّان خوارزم - لتحلّ مكانها اللغة الفارسيّة الأدبية. وكانت منطقة الصُّفد المكوّنة من واحات يرووها نهر زرافشان، قد خضعت للإسلام مع الفتوحات الكبرى في القرن الأوّل للهجرة/أواخر القرن السابع للميلاد. ثمّ عرفت المنطقة ازدهاراً معيّراً على الصعيدين الاقتصادي والثقافي تحت حكم السامانيين. فإلى محاصيلها الزراعية أضيفت موارد النشاط التجاري، بفعل وجود طريق القوافل الكبرى، التي كانت تصل خراسان والشرق الأدنى بالصين، وهي التي عُرفت باسم «طريق الحرير».

وكان القدم التديجي للأتراك ولقبائل بدويّة أخرى من السهوب الآسيوية الداخلية - وهي قبائل كانت على استعداد دائم لغزو أهل الحضار - سبباً لاضطرابات كثيرة لاحقة، أدّت في بادئ الأمر إلى انضمام سلطة السامانيين وإلى قيام دولة القراخانيين الغربيين الذين دام حكمهم حتى القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، ولكنهم، خلال تلك الفترة، اضطروا إلى الخضوع للسلاجقة الكبار ولسلالة القره

حاکماً على خراسان وسجستان سنة ٨٢٨٠/٨٩٣م. نازع اسماعيليين على ملكهم في ما وراء النهر، ولكنه هُزم على يد إسماعيل بن أحمد وأُرسِلَ سجيناً إلى بغداد حيث تمّ إعدامه كاتش على السلطة، سنة ٨٢٨٩/٩٠٢م. انتهى حكم الصفاريين شبه المستقلين بعد ذلك بسنوات، مع احتلال السامانيين لمقاطعاتهم. ومع ذلك استمرّ بعض أعضاء العائلة في القيام بدور شبه رسمي في سجستان وبالمدافع عن مصالح اقليمية، من خلال العمل لمصلحة السامانيين ثم الغزنويين والسلاجقة والغوريين، حتى إنهم نجحوا في الاحتفاظ بمكانتهم بعد الغزو المغولي الذي قبلوا به. في الواقع لم يغيروا عن الساحة إلا في نهاية القرن الخامس عشر، بعد أن تركوا، في مواقع هي اليوم صحراوية، آثار مقراّت فضحة غنيّة الزينة، بُنيت بالأجر غير المطبوخ، شبيهة في طرازها بقصور لشكري بازار، تستأهل التنقيب عنها بصورة منهجية.

٢٥٣-٢٦٥م/٨٦٧-٨٧٩	يعقوب بن ليث الصفار
٢٦٥-٢٨٨م/٨٧٩-٩٠١	عمرو بن ليث
٢٨٨-٢٩٥م/٩٠١-٩٠٨	طاهر بن محمد بن عمرو
٢٩٥-٢٩٨م/٩٠٨-٩١٠	ليث بن علي
٢٩٨-٣٠٠م/٩١٠-٩١١	محمد بن علي
٢٩٩-٣٠٠م/٩١٢-٩١٠	عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمر

حكّام الصفاريين وامراتهم في سجستان

٣١٠-٣٥٢م	أحمد بن محمد بن خلف بن ليث بن علي
٩٢٢-٩٢٣م	
٣٥٢-٣٥٣م	ولي الدولة خلف بن أحمد
٩٢٣-٩٢٣م	

الاحتلال الغزنوي

٣٩٣-٤٠٣م	طاهر بن خلف
٤٢٠-٤٢٩م/١٠٢٩-١٠٧٣	نصر بن أحمد
٤٦٥-٤٨٣م/١٠٧٣-١٠٩٠	بهاء الدولة طاهر بن نصر
٤٨٣-٤٩٦م/١٠٩٠-١١٠٣	بهاء الدولة خلف بن نصر
٤٩٦-٥١٣م/١١٠٣-١١٦٤	تاج الدين نصر
٥٩٥-٥٩٦م/١١٦٤-١١٦٧	شمس الدين أحمد
٥٩٦-٦١٢م/١١٦٧-١٢١٥	تاج الدين حرب
٦١٢-٦٢١م/١٢١٥-١٢٢١	شمس الدين بهرام شاه
٦١٨-٦٢١م/١٢٢١-١٢٢٢	تاج الدين نصر
٦١٨-٦٢١م/١٢٢١-١٢٢٢	ركن الدين أبو منصور

وجود هذه الصفات، وتالياً على رفض القول إنّ القرآن الكريم هو غير مخلوق. والغاية من ذلك كان رفض ما جاء في القرآن الكريم عن عيسى (المسيح) من أنّه «كلمة الله»، بينما هو، في نظر المسلمين، نبيّ عاديّ، وعدم اعتباره، كما هو في نظر المسيحيين، أزليّاً ومشاركاً في جوهر الألوهية.

وهكذا شكّلت مسألة الصفات الإلهية التي كانت أساسية في علم الكلام الإسلامي موضوع جدالات كثيرة، واحتلّت في أبحاث القدماء حجماً يمكن اعتباره، من منظار معاصر، مضخّماً. ومقابل رأي المعتزلة الذي بدا جذريّاً، بذلت جهود من قبل بعض المفكرين لوضع حلول وسطية عن طريق التمييز مثلاً ما بين صفات الأحوال وصفات الأعمال. بعد ذلك ثلاث الجدالات حول هذا الموضوع. ومع مطلع العصر الحالي، وعلى الأخص مع المصلح المصري محمد عبده، لم تعد المسألة تحتلّ إلا مركزاً ثانويّاً.

الصفاريون، ٢٥٣-٣٠٠م/٨٦٧-٩١٣م، سلالة
تأسّست في سجستان مع بداية تمكّن الخلافة العباسية، ثمّ بسطت سلطتها على قسم كبير من إيران، وانبثقت منها في ما بعد سلسلة طويلة من الأمراء المحليين.

مؤسّساً يعقوب بن ليث الملقّب بالصفار أو الصفار. كان جريفاً سجستاني الأصل، نظم جيشاً صغيراً ذا طابع شعبيّ في تلك المنطقة البعيدة عن بغداد والعراق، حيث كان قد نجح معارضون دييون أمثال الخوارج، وحيث كان كثيرون من الناعمين على استعداد لانفاضة مسلّحة. نجح يعقوب أوّلًا في تنصيب نفسه سيّداً على المنطقة سنة ٨٢٥٣/٨٦٧م، ثمّ قام بحملات عدّة ضد طاهريّ خراسان، فاستولى على هراة وبلخ، ونيسابور عاصمتهم. لكنّه لم يستطع كسب اعتراف الخليفة به حاكماً، فهاجم عندئذ حاكم فارس العباسي وانتصر عليه، قبل أن يضطرّ إلى التراجع إلى خوزستان حيث توفي سنة ٨٢٦٥/٨٧٩م.

خلفه أخوه عمرو، فعقد صلحاً مع الخليفة، وأصبح بذلك حاكماً على المقاطعات الطاهريّة السابقة، إلاّ أنّه عُزل وأعيد إليه اعتباره مرّتين. ثمّ تمّ الاعتراف به مجدداً

١١٥٩/٥٥٤م. ونتيجة لذلك أقلت تجارتها، ولم تُفلح مبادرات قراصنتها - الذين كانوا يجوبون الحوض الغربي للمتوسط لحساب العثمانيين والحسينيين - في إيقاف هذا الأفول. ووجب تألياً انتظار الحقبة المعاصرة لتستعيد صفافس ألقها.

« راجع المستند رقم ١٩.

صفد، بلدة فروسطية خربة في فلسطين، شمال شرقي بحيرة طبرية، لم تثبت أهميتها إلا ما بين القرنين السابع والعاشر للهجرة/ الثالث عشر والسادس عشر للميلاد. وهي حصن أفاعه الصليبيون للدفاع عن مملكة القدس، وبخاصة عن منطقة عكا. ضد أمره سوريا الداخلية المسلمين. حافظت صند على دورها الإستراتيجي بعدما حاصرها صلاح الدين واستولى عليها عام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م. بعد انتصاره في معركة حطين. تنازل عنها أحد ملوك الأيوبيين، الصالح إسماعيل الذي كان مقره في دمشق، إلى فرسان الهيكل سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م، فاضطر السلطان المملوكي بيبرس إلى استرجاعها عتوة في العام ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م. بقيت صفد، في ما بعد، مركز قضاء في دولة المماليك السورية - المصرية، وبدأ انحطاطها في عهد العثمانيين الذين ضموا المنطقة، ابتداء من العام ١٥١٦، ونقلوا إلى دمشق المراقبة الإدارية عليها برمتها. ودمرها زلزال في العام ١٧٥٩ بشكل كامل، وكانت قد أصبحت قرية عندما رأى بونابرت من الحكمة الاستيلاء عليها، لأسباب إستراتيجية، فبل حصاره الحاسر لعكا في العام ١٧٩٩.

« راجع المستند رقم ١٨.

الصفويون ٩٠٧-١١٣٥هـ/ ١٥٠١ - ١٧٣٢م، سلالة حكمت إيران وفرضت عقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية التي استمدت منها البلاد عامل وحدتها وشعورها القومي.

مؤسس السلالة الصفوية هو إسماعيل بن حيدر، أو إسماعيل الأول الذي اتخذ لنفسه لقب شاه في تبريز سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م. بعد انتصاره على سلالة الآق قيونلو. هذا القائد المقدم يعود بنسب إلى الشيخ صفي الدين إسحق الذي أسس في أرويل، في القرن السابع

شهاب الدين محمود ٦١٩هـ/ ١٢٢٢ - ١٢٢٥م
علي ٦٢٢-٦٢٦هـ/ ١٢٢٥ - ١٢٢٩م
شمس الدين علي ٦٢٦-٦٥٢هـ/ ١٢٢٩ - ١٢٥٤م
نصر الدين ٦٥٢-٧٢٨هـ/ ١٢٥٤ - ١٣٢٨م
نصرة الدين ٧٢٨-٧٣١هـ/ ١٣٢٨ - ١٣٣١م
قطب الدين محمد ٧٣١-٧٤٧هـ/ ١٣٣١ - ١٣٤٦م
تاج الدين الأول ٧٤٧-٧٥١هـ/ ١٣٤٦ - ١٣٥٠م
محمود ٧٥١-٧٦٣هـ/ ١٣٥٠ - ١٣٦٢م
عز الدين ٧٦٣-٧٦٣هـ/ ١٣٦٢ - ١٣٨٢م
قطب الدين الأول ٧٨٤-٧٨٨هـ/ ١٣٨٢ - ١٣٨٦م
تاج الدين الثاني ٧٨٨-٨٠٦هـ/ ١٣٨٦ - ١٤٠٣م
قطب الدين الثاني ٨٠٦-٨٢٢هـ/ ١٤٠٣ - ١٤١٩م
شمس الدين ٨٢٢-٨٤٢هـ/ ١٤١٩ - ١٤٣٨م
نظام الدين يحيى ٨٤٢-٨٨٥هـ/ ١٤٣٨ - ١٤٨٠م
شمس الدين محمد ٨٨٥-٨٩٠هـ/ ١٤٨٠ - ١٤٩٥م

« راجع المستند رقم ١٢.

صفافس (الجمهورية التونسية)، مدينة مرتفعة تقع بين سوس وقابس، وتحفظ بمعالم معمارية تشهد على الازدهار الذي عرفت إفریقیة في عهد الأغالبة.

قامت صفافس على أنقاض مدينة رومانية وحافظت في القرون الوسطى على التصميم الذي كان لها. وأفادت في ظل الخلافة العباسية، كما في ظل السلالات المستقلة التي تعاقبت على الحكم فيها منذ القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، من ازدهار مناطقها الداخلية، وهي من أكثر المناطق غنى بأشجار الزيتون وبزراعات أخرى تم تطويرها من جديد في تونس المعاصرة.

وقد ساعدها نشاطها التجاري على أن تكون، في مطلع القرون الوسطى، مركزاً تجارياً محافظاً بسور منيع مع «قصة» أي قلعة بُنيت في عهد الأغالبة. وإلى هذا العهد يعود بناء المسجد الجامع الذي شُيّد في حدود سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م، وأدخلت عليه تعديلات في غير مرة، ولا سيما أيام الفاطميين. ثم وقعت المدينة ضحية غزو الهلاليين في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، كما شاركت المدينة المنطقة الساحلية المعرضة للغزوات البحرية مصيرها. وقد احتلها النورمان مدة قصيرة سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، ثم دخلها الموحدون سنة

الذين لم يتردّوا في تصفية بعض أعضاء أسرهم وعناصر من محيطهم، وأثقلوا كواهل الناس بالضرائب للحفاظ على الجيش.

مع بداية القرن الثامن عشر، ثارت قبائل أفغانية في الشرق، وفي الوقت عينه تحرك الروس والعثمانيون في الطرف الآخر من المملكة. في النهاية ظهر الفاتح نادر شاه الذي استطاع أن يرد الغزاة وأن يعلن نفسه ملكاً سنة ١٧٣٦م، وأن يؤسس لسلالة ثم تحكم طويلاً هي سلالة «الأفشاريين»، فيما استمرّ أمراء من الأسرة الصفوية صامدين في مدن مختلفة من البلاد، كما نُصّب على العرش سنة ١٧٣٠ أحد الصفويين الضعفاء، فشكّل واجهةً لسلطة مارسها في منطقة شيراز، طوال ثلاثين عاماً، الوكيل محمد كريم خان، من السلالة الزندية. مهما يكن من أمر، فإن العهد الصفوي استطاع، خلال قرنين من الزمن، أن يرسم ملامح وجه إيران الحديث وأن يساعد على تثبيت هوية بانت ترابط بالانتصار المحلي للشيعنة الاثني عشرية. وخلال هذا العهد، عرفت إيران حضارة مميزة على الصعيدين الفكري والفني. وعمل العصر الصفوي على تطوير العلاقات مع الغرب بعد ظهور البرتغاليين في الخليج العربي - الفارسي في القرن السادس عشر، وبعد تأسيس وكالات لتجارة انكليز وهولنديين في القرن السابع عشر في مناطق مختلفة، وكذلك إدخال إرساليات فرنسية مسيحية الى البلاد في عهد الشاه عباس.

١٥٠١ - ١٥٢٤	إسماعيل الأول
١٥٢٤ - ١٥٧٦	طهماسب الأول
١٥٧٦ - ١٥٧٨	إسماعيل الثاني
١٥٧٨ - ١٥٨٨	محمد خدابنده
١٥٨٨ - ١٦٢٩	عباس الأول
١٦٢٩ - ١٦٤٢	صفى الأول
١٦٤٢ - ١٦٦٦	عباس الثاني
١٦٦٦ - ١٦٩٤	سليمان الأول
١٦٩٤ - ١٧٢٢	حسين الأول
١٧٢٢ - ١٧٣٢	طهماسب الثاني
١٧٣٢ - ١٧٤٩	عباس الثالث
١٧٤٩ - ١٧٥٠	سليمان الثاني
١٧٥٠ - ١٧٥٣	إسماعيل الثالث

للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، الطريقة الصفوية الصوفيّة، التي أعطت اسمها للسلالة والتي تحوّل رؤساؤها، الستة أصلاً، إلى المذهب الشيعي خلال القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد. وبعدما ثبت الصفويون حكمهم في أذربيجان، بسطوا سلطانهم على كل إيران بواسطة قبائل تركمانية انضمت إلى الفرقة الصفوية، أطلق على أفرادها بالتركية لقب «كيزلباش» "Kizilbaş"، أي أصحاب «القبّعات الحمراء»، ذلك أنهم كانوا يمتصرون قبعات حمراء، وكلّ قبعة كانت باثني عشرة شُرابة، ترمز إلى الأئمة الاثني عشر. وأبناء هذه القبائل هم الذين سعوا للهيمنة على سياسة الملوك الصفويين المتعاقبين، على الرغم من المحاولات المتكررة لإبعادهم. وفي الوقت عينه، دُعي عدد من الفقهاء الإماميين من البلدان العربية المجاورة، من أجل نشر العقيدة الشيعية التي أصبحت العقيدة الرسمية.

خاصّ إسماعيل الأول صراعات متواصلة على الحدود مع الأوزبك من جهة، والعثمانيين من جهة أخرى، واستمرّت هذه الصراعات طيلة عهد ولده اليكز «طهماسب». وكان هذا الأخير في العاشرة من عمره عندما خلف والده، فأعانه القادة العسكريون، وكان عليه أن يواجه عداء السلاطين العثمانيين الأقوياء الذين لم يكتفوا باحتلال العراق وأذربيجان بعد انتصارهم في چالدران سنة ١٥١٤م، بل تابعوا اندفاعهم نحو أصفهان. وفي سنة ١٥٥٤ عُقد صلح امامسيا بين العثمانيين والصفويين. وفي هذا الوقت نُقلت عاصمة بلاد فارس من تبريز إلى قزوین، واستمرّت حملات الأوزبك المتعاقبة على خراسان.

وجاء عهد عباس الأول، وهو يُعرف في الغرب الأوروبي باسم شاه عباس، ليصل بالدولة الصفوية إلى أوج ازدهارها، وذلك بين القرنين السادس عشر والسابع عشر. فقد تمّ تنظيم المملكة بعناية سيّدها الذي وشّع حدودها بانتصاراته العسكرية. وغدت الدولة قوة إقتصادية كبيرة، وتجنّدت غناها في بريق العاصمة الجديدة أصفهان، وفي الأبنية الفخمة التي غيّرت معالم المدينة. إلّا أنّ الانحطاط بدأ يظهر مع خلفاء الشاه عباس

فانفصلوا عنه. وأدّى ذلك إلى نشوء واحدة من الشيع الأولى في الاسلام هي الخوارج.

١٧٥٣ - ١٧٨٦

حسين الثاني

محمّد

« راجع المستند رقم ٦٦.

صفي الدين إسحق، ٦٥٠-٧٤٥هـ/١٢٥٢ - ١٣٤٤م. شيخ صوفي مؤسس الطريقة الصوفية الصوفية وسلف الملوك الذين عُرفوا بالصوفيّين.

ولد صفي الدين في أردبيل بإيران ودرس في شيراز. ثمّ لازم شيخاً من جيلان، يدعى الشيخ زاهد، مدة خمسة وعشرين عاماً. خلف هذا الأخير على رأس مجموعة تلامذته، فأطلقت عليهم عندها تسمية الصوفية نسبة إلى صفي الدين. انضمّ أفراد هذه الطريقة، في ما بعد، إلى المذهب الشيعي، ممّا يفسّر اعتبار صفي الدين من سلالة الأئمة العلويين، متحلّلاً من موسى الكاظم. كان أعضاء هذه الطريقة يعتمرون قلانس من الصوف الأحمر مع اثنتي عشر شراية تكريماً للأئمة الاثني عشر، وكانوا يسمّون أصحاب «القلانس الأحمر». وفي التركيبة «قزلباش».

صفين (معركة)، ٣٧هـ/٦٥٧م، معركة مشهورة في العهود الأولى للإسلام، وقعت على الضفة اليمنى لنهر الفرات، في أعالي بلاد ما بين النهرين وفي مكان غير بعيد عن مدينة الرقة.

فقد قرّر عدد من الصحابة والتابعين أن يشاركوا في الصراع على السلطة الذي قام بين معاوية، المدافع عن حقّ الأمويّين، والخليفة علي بن أبي طالب. وكانت المعركة نتيجة نزاع قام قبل بضعة سنوات وقسم الأئمة الإسلامية فريقين، وقد أثار ردّات فعل سلبية ورفضاً لدى عدد من المسلمين الذين أعلنوا اتخاذ موقف محايد، فسُمّوا باسم المعتزلة. وبعد مرور قرن أطلقت هذه التسمية، في سياق سياسي مختلف، على مثلي حركة فكرية كلامية إسلامية هي المعتزلة.

في صفين التقى الجيوش ودارت معركة وانتهت بقبول التحكيم الذي نعتبره بعض المصادر حيلة دبرها معاوية، إلّا أن معظم المشاركين قبلوا بهذا المبدأ. وقد جرى التحكيم لاحقاً إمّا في دومة الجندل وإمّا في أذربج، وإمّا بالتسالي في المكاين. والقرار الذي اتُخذ من قبل الفريقين المتصارعين رفضه بعض أتباع الإمام علي.

الصقالبة (Esclavons)، استُعمل هذا التعبير في إسبانيا في القرون الوسطى، وكان يعني «السلاف» ذوي الأصول العائدة لأوروبا الوسطى. وقد استُخدم هؤلاء، من باب الرق، للخدمة في جيوش بعض الدول الإسلامية أو لتأليف الحرس الخاص بالملوك. وهؤلاء الإسكلافون/الصقالبة (الصقالبة) المشتقة تسببتهم من الكلمة الفرنسية (Esclaves)، أي عبيد، كانوا كثيري العدد بشكل خاص في شبه الجزيرة الإيبيرية، في دول الأندلس الأساسية. وكان لهم - ابتداءً من القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، دور مهمّ سجّلته المراجع العربية القديمة. كما توافرت أعدادهم في إفريقيا أيام الفاطميين وفي صقلية المسلمة، بخاصّة في بالرمو حيث كان حيّ سكتي يحمل اسمهم. يُشار إلى آتّه، في الحقبة نفسها، وُجدت في أمكنة أخرى فرق عسكرية من العبيد من أصل أجنبي، مثل الأتراك الذين استخدمهم العباسيون في الشرق أو الأفريقيين السود الذين استُخدموا في مصر وإلى بعض مقاطعات أفريقيا الشمالية حيث نهضوا ببعثات شبيهة بمهمات الصقالبة، وقد عُرفوا بأسماء كانت نادرة الاستعمال في الغرب، مثل غلام وجمعتها غلمان، وفي ما بعد مملوك وجمعتها مماليك.

صقلية، جزيرة مجاورة لإيطاليا، تقع في قلب المتوسط، احتلّها المسلمون خلال القرون الوسطى على مدى قرنين ونصف القرن، تطوّرت فيها، خلال تلك الحقبة، حضارة إسلامية محلية، استمرّت قائمة بعض الوقت بعد استعادة الجزيرة من قبل النورمان في أواخر القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد.

في أواخر القرن الأوّل للهجرة وبداية القرن الثاني/ القرن الثامن للميلاد، شرع العرب المقيمون في إفريقيا بغزو صقلية. وفي سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م، أصبح الأغالبه أسبداً إفريقية، فاستغلّوا التفكك داخل الأبراطورية البيزنطية ليحتلّوا الجزيرة سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م. فنزلوا مدينة مزاره (Mazara)، غربي الجزيرة، وبنّوا بالرمو سنة ٢١٦هـ/٨٢١م، على الساحل الشمالي. وفي سنة ٢٢٤هـ/٨٣١م، استولوا على مدينة كستروجيوفاني

ببروز فنّ عربيّ - نورماني حقّق إنجازات شهيرة، وهي تُعتبر، في بعض نواحيها، من النماذج الفريدة للفنّ الإسلامي. فالقصور الملكية مثلاً في كوبا (Cuba) وزيزا (Ziza) في ضواحي باليرمو، المحاطة بالحدائق، ما زالت تُعتبر حتى اليوم، بجزءها وتقسيماها الهندسيّة، شواهد معيَّنة على العادات التي كانت سائدة في تنظيم صالات الاستقبال والاجتماع في القصور الإسلاميّة. كما أنّ سقف الكنيسة الملكية الحرّيزن بالتجاويف والتخاريب، في قصر كاسارو، يحتفظ بمجموعة من الصور نحيط بها كتابات عربية. إنّها تشكل نموذجاً لتطوّر فنّ التمنّعات الشرقيّة وفنّ الرسم بصورة عامة في تلك الحقبة.

عندما قام الرحّالة العربيّ ابن جُبير بزيارة صفّية، في أواخر القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، كانت الثقافة العربيّة الإسلاميّة ما تزال حيّة ناشطة، وكانت المدن تحوي أحياء إسلاميّة كبيرة. إلّا أنّ الوضع تبدّل في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد على عهد الأمبراطور فردريك الثاني. فهذا الأمبراطور الذي كان معجباً بالعلوم الإسلاميّة، جمع في لوسيرا (Lucca)، جنوبي إيطاليا، علماء مسلمين من مختلف الاختصاصات، كان لوجودهم دور مهمّ في نقل معارفهم إلى أوروبا الغربيّة. إلّا أنّه، على الرغم من ذلك، أمر بإجلاء السكّان المسلمين عن الجزيرة لأنّه كان يعتبر أنّ وجودهم يشكّل خطراً على النظام العام.

«راجع المستند رقم ١١»

الصلاة، عمل ديني لا يحول دون الدعاء الحرّ عند المؤمن وهو يعني حصراً في الإسلام الصلاة الطقسيّة التي هي من فرائض الشريعة الأساسيّة التي تسمّى أيضاً «أركان الدين».

١ - استمرّت الصلاة التي تتضمّن سلسلة من الحركات الخاضعة لقواعد محدّدة، عبر القرون، من دون تغييرات تُذكر. على المسلمين أن يؤدّوها فرداً أو مع الجماعة، خمس مرّات في اليوم، وهي تدعو إلى الانتماء العلنيّ للجماعة، مرّة في الأسبوع، أي يوم الجمعة ظهرًا. وأدّاؤها واجب بعلمه القرآن حيث نقرأ مثلاً:

﴿وَيَذَرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا دُعَاءَ ذِكْرِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَأَسْبَغَ لَكُمْ رِيكَ فِيكُمْ بِأَمِينَةٍ وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ قُمُوا. وَمَنْ كُنَّ قَسَمَةً لَوِ تَرَوُنَّ الْجَبَرُوتَ﴾ (سورة الطّور، الآيات ٤٧ ٤٨)

(Castrogiovanni) في الجبال الوسطى، وبدأوا يهاجمون المدن على الساحل الشرقي، ووجدوا صعوبة في احتلالها لأنّها كانت تتلقّى الدعم من الأسطول البيزنطي. وقد سقطت مدينتا بأيديهم سنة ٨٢٢٨/ ٨٢٤٢م، ولم تسقط سرقوسة إلّا في سنة ٨٢٦٥هـ/ ٨٧٨م، وتارومينا (Taormina) في سنة ٨٢٨٩هـ/ ٩٠٢م. وفي ظلّ الحكم العربي نُقلت العاصمة من سرقوسة إلى باليرمو، وهي مدينة مرفئية تحوّلت قاعدة ناشطة كان العرب ينطلقون منها في حملاتهم على جنوب إيطاليا، وقد توسّعت ونمت فيها أحياء جديدة خارج المدينة القديمة. وفي سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م أسّس الفاطميّون، أساد الجزيرة الجدد، حيّاً جديداً عُرف باسم «خالصة» وجُعِل مقراً محصّناً للسلطة الحاكمة، وذلك بعد القضاء على فتنة محلّية. وكان الفاطميّون قد أدخلوا إلى الجزيرة محاربين من العبيد، فاحتلّوا ضاحية أخرى جعلوها حيّاً لهم.

وكان الحكّام المقيمون في باليرمو يمثلون الأمراء الأغالبية أزل الأمر. وأصبحوا، بعد سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، يمثلون الفاطميّين الذين كانوا قد استولوا على إفريقية في هذا التاريخ. وفي سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٨م تسلم السلطة حاكم من قبيلة كلب وأسّس سلالة محلّية لم تكن مرتبطة إلّا إسميّاً بالفاطميّين. واستمرّ حكم الكلبيّين في الجزيرة حتى سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م، إذ حلّ حينها مكانهم مجلس محليّ عُرف باسم «الجماعة»، وأدار شؤون الجزيرة نحوًا من عشرين سنة. وفي سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م احتلّ النورمان مدينة باليرمو، وكانوا قد أصبحوا أساد صفّية على أثر استعادة تدريجيّة للجزيرة بدأ من مدينتها سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م، لتبلغ مدينتي جرجنتي (Girgenti) وسرقوسة سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م.

مع عودة صفّية إلى المسيحيّة، تحوّل قسم من المساجد إلى كاتدرانيّات، كما حصل في مدينة باليرمو. وقد بقي المسلمون في الجزيرة وتمتّعوا بحريّة دينيّة تامّة وتبنّى الملوك النورمان أساليب الحياة الشرقيّة، وشجّعوا الأبناء العرب، ولا سيّما الإدرسي الذي وضع مؤلّفه المشهور «كتاب روجار» وقدمه إلى الملك الذي يحمل هذا الاسم. وفي حقّ البناء، استعان النورمان بمهندسين وفنّيين مسلمين، وهذا ما جعل صفّية النورمانيّة تميّز

أنه يمكن توزيع الأقسام الرئيسة للصلاة على ثلاثة أبواب لا تتبدل :

- المقدمة : يقف المصلّي متّجهاً إلى الله برفع يديه إلى مستوى الكتفين ، مردداً التكبير « الله أكبر » ومعلناً في الوقت عينه نيّته في إقامة الصلاة .

- المرحلة الوسطى : تتم فيها الركعات (من اثنين إلى أربع بحسب وقت الصلاة) ، وتتضمّن كل واحدة : - تلاوة الفاتحة وقولاً واليدان متديّتان - ركوع مع إسناد اليدين إلى الركبة - وقوف - سجود مع ملاصقة الأرض بالجهة والألف - - سجود ثانٍ .

- المرحلة الأخيرة ، وفيها المجاهرة بالإيمان عن طريق الشهادة بتلوها المصلّي وهو في وضع السجود يقدم فوق قدم ، يليه التسليم على النبي (ﷺ) .

٢ - تعتبر صلاة الظهر يوم الجمعة إلزامية للرجال عندما يبلغ عددهم في مكان معيّن أربعين أو اثني عشر بحسب المذاهب ، وتقام بالضرورة في المسجد الجامع أو في البني الذي يقوم مقامه . وهي تتضمّن ركعتين ، ويديرها إمام يتم اختياره من بين المؤمنين ، لكنه يُعتبر عندئذ رئيساً للجماعة أو ممثلاً لها ، سواء كان مسؤولاً رفيع الشأن في الجهاز الحكومي أو شخصاً يجري اختياره من بين «رجال الدين» المحليين .

أمّا الصلاة التي تُقام لمناسبة العيدين الشرعيّين الواقعيين في العاشر من ذي الحجة وفي الأول من شوال ، يمكن أن تقام بحسب التقليد ، في المسجد الجامع ، أو في ساحة كبيرة في الهواء الطلق تدعى المصلّى . وهذه الصلاة الخاصة فُرضت على جميع المؤمنين الذين يتوجّب عليهم تأدية صلاة الجمعة وهي تقام عند الصباح ، وتتضمّن ركعتين . وهناك أيضاً صلوات طقسية خاصة ، وأحياناً نافلة ، مثل صلاة الخوف التي تُتلى في مواجهة العدو ، وصلاة الخوف [والكسوف] التي تتضمّن مقاطع طويلة من القرآن ، وصلاة الميت وهي إلزامية ، لكنها توجب اعتماد طقس مختلف ، إذ تقضي جوهرياً بترداد التكبير ، وأخيراً صلاة الاستسقاء التي تتضمّن ركعتين وتقام في المصلّى .

في مناسبة الصلاة الاحتفالية الأسبوعية ، تُلقى على

(٤٩) ، ﴿إِذْ أَنتَمُ رَبِّكَ رَبُّكَ وَسَبِّحْهُ وَكَبِّرْهُ وَاسْتَغِثْهُ لَكَ طَوْلِيكَ﴾ (سورة الإنسان ، الآيات ٢٥-٢٦) .

إذا كان عدد الصلوات اليومية الإلزامية غير موضّح بدقة في الآيات التي تذكر ، غالباً ، صلاتين أو ثلاثاً ، وتنصّ مرّة واحدة ، على ما يبدو ، على أربع على الأقل (سورة البقرة ، الآية ٢٣٨) ، فالظاهر أنّ العدد خمسة هو الذي حدّد للنبي محمّد ﷺ خلال صعوده المعروف بالمعراج ، بواسطة النبي موسى . وقد جرى تحديد مواقيت هذه الصلوات الخمس بحيث لا تختلط مواقيت الطقس الإسلامي بمواقيت صلوات طقس شمسيّ : - صلاة الصبح ، عند الفجر قبل طلوع قرص الشمس ؛ - صلاة الظهر ؛ - صلاة العصر ، بعد الظهر في وسط النصف الثاني من النهار ؛ - صلاة المغرب عند غروب الشمس ، أي بعد غياب قرص الشمس في الأفق ؛ - صلاة العشاء ، خلال الثلث الأول من الليل .

يقوم المسلم بكل واحدة من هذه الصلوات ملتبساً ثيابه ، وهي عادة ترقى ، على الأرجح ، إلى أيام نبي الإسلام (ﷺ) . وعلى المؤمن ، كي يؤدي صلاته على الوجه المطلوب ، أن يكون في حال طهارة طقسية ، أي أن يكون قد قام بالوضوء المطلوب العادي أو الكامل ، بحسب الوضع . كما يمكنه أن يتوجّه إلى مسجد أو مسجد جامع ، ويمكنه أيضاً أن يحدّد حيثما يكون المساحة اللازمة للركعات ، وهي مساحة تنبسط أمامه ، لا يمكن أحداً أن يجتازها ، تحددها ، مثلاً ، سجادة الصلاة . من جهة ثانية ، عليه أن يتّجه ناحية مكّة وهو اتّجاه يحدده بنفسه أو يكون محدّداً في المساجد بوجهة حائط القبلة الذي يجب أن يكون أمامه حيث يقوم المحراب . عندما يكثر عدد الحاضرين للقيام بالصلاة معاً ، ينتظمون في صفّ واحد أو في صفوف متوازية .

خلال القرون الأولى للإسلام ، اختلفت المذاهب الفقهيّة حول بعض التفاصيل المتعلقة بالحركات الواجب القيام بها أو حول العبارات الواجب تلاوتها . وكذلك بالنسبة إلى المسائل التي يطرحها إعمال أحد تلك العناصر ، أو بالنسبة إلى قيمة بعض الأفعال التي يمكن تقسيمها ، كسائر الأعمال البشرية ، أنواعاً متعدّدة ، بدءاً بالفعل الإلزامي وصولاً إلى الفعل الموصى به بحسب . إلا

واقترحت حلولاً مختلفة. فالمعتزلة الذين يعتبرون أن صلاة العبادات هي وحدها الشرعية، كانوا ينكرون فائدة الدعاء ويرون أنه لا يتلاءم والتعاليم الإلهي الذي يعبر عنه بالتوحيد أو وحدة الله. أما الأشعرية فأعادوا لاحقاً إلى الدعاء قيمته التقليدية، وميزوا بين الحكم الإنهائي «الثابت» و«المتعلق» أو الشروط الذي يأخذ في الاعتبار التعبير بالصلاة. وحاول الفلاسفة من جهتهم أن يعطوا الدعاء الباطني تبريراً عقلياً إلى جانب دفاعهم عن الدور الأساسي للصلاة الطقسية التي تنمهي، بحسب رأيهم، والاعتراف بوجود الله. وهكذا شدّدوا على تبيان تأثير الدعاء على الأفلاك السماوية التي تتحكم بالكون.

صلاح الدين. الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٨ - ١١٩٣م. ملك من أصل كردي، ومؤسس السلالة الأيوبية، حكم من سنة ٥٦٧ إلى سنة ٥٨٩هـ/١١٧١ إلى ١١٩٣م، على مملكة واسعة الأطراف تضم مصر وسوريا وبلاد ما بين النهرين، قبل أن ينتصر في معركة حطين، سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، على فرنج الأراضي المقدسة حيث استعاد منهم القدس.

كان صلاح الدين في أوّل أمره جندياً بسيطاً، ابن ضابط يدعى أيوب كان قد ناصر أتابك الموصل زنكي في غارائه على العراق. وكان كذلك ابن أخ لقائد حربي من أصل كردي يدعى شيركوه، وهو من أكثر أعمال نور الدين فعالية. شارك في صباه، إلى جانب عمّه، في حملة سورية على مصر الفاطمية، سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، غايتها إعادة الوزير شاور إلى مهماته. تبعت ذلك حملات أخرى يأمر من نور الدين، إستجابة لدعوات محلية، وكذلك لمحاربة الفرنج الذين دخلوا تلك المنطقة. في المرّة الثالثة لم يعاود الجيش السوري القاهرة، ومُعين شيركوه وزبّاراً للخليفة الذي ضعفت سلطته. وعند وفاة عمّه، خلفه صلاح الدين في دولة فاطمية تعاني تمكّكاً رهيباً. وحيث أن هدفه كان يتطابق مع أهداف أمراء سوريا الأتراك، أي القضاء على الشيعة الإسماعيلية المساندة للنظام، فقد نجح في التخلص من الحرس السود الذين كانوا يشكلون الدفاع الأكثر فعالية عن الخليفة، وكذلك في ذكر اسم الخليفة العبّاسي في خطبة الجمعة، فيما كان الخليفة الفاطمي المريض يلفظ

الجماعة الخطبة التي يجب أن نسبقها، وهي سياسية ودينية في آن. كان حقّ إلقاء الخطبة من على المنبر امتيازاً نسي الإسلام (بنيّة) والخلفاء. وكان يمكن لهؤلاء أن يفوضوا لذلك خطيباً يتكلم باسمهم ويتوجّب عليه، نالاً، ذكر اسمهم وألقابهم وتكريمهم بالتمنّيات لهم. وكان الإغفال عن الدعاء للخليفة يُعتبر تمرّداً فاضحاً يجب معاقبته. في الوقت نفسه، كانت الصلاة الطقسية تشكل دائماً، بالنسبة إلى المسلم، العمل الأساس، لدرجة أن إهمالها إرادياً كان يُعتبر في الشرع سبباً للتهمة بالارتداد، وهذه التهمة تؤدّي إلى الإعدام. حتى إن بعض المعتزّفين كالغزالي أعلنوا، جهاراً، قيمتها معتبرين أنها تساعد المؤمن على الدخول في حضرة الله، شرط أن يؤدّيها انطلاقاً من استعدادات داخلية متعدّدة: جهوزيّة القلب، الوعي، الاحترام، الرجاء والتواضع.

٣ - في مجال آخر، هناك الدعاء الذي يختلف عن الذكر عند الصوّفيين ويبقى دونه استحقاقاً. وهو يمتاز بأنه يمكن تأديته بشكل حرّ وفردى في أي وقت. إنه غير الزامي وغير محدّد، لكنّه مذكور في القرآن الكريم: ﴿لَا يَسْتَمُ الْمُؤْمِنُ مِنْ دَعَاءِ النَّبِيِّ وَلَا مَسْأَلَةِ الرَّسُولِ فَيُفَوِّطُ﴾ [فصلت، ٤٩] ﴿وَلَا تَحْضُرْ عَلَى الْأَمْرِ أَهْرَافَ وَتَكُنْ بِحُلِيِّهِ. وَإِذَا مَسَّ الْأَمْرُ فَرُّوْهُ عَمَّا يَهْوِي﴾ [فصلت، ٥١].
﴿زَيْدٌ أَبْطَلَنِي مُبِيرَ الْفُلُوكِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي وَتَكُنْ وَتَقَبَّلْ دَعَائِي﴾ [إبراهيم، ٤٠].

هذه المتناجاة الشخصية الباطنية تبرّرها أيضاً أحاديث عدّة تلائم المناسبات كافة، ولا تذوّب في الصلاة الطقسية، مع إمكان جمعهما معاً. وقد شعر بعض الباحثين بالحاجة إلى توضيح الشروط المثلى لنجاحها، فجعلوها خلال السجود أو خلال الأذان، وربطوها هكذا بالصلاة الطقسية التي تتضمن، على الأقل، صلاة دعاء واحدة في تلاوة فاتحة. هناك، من ناحية أخرى، صلوات مناجاة تُنسب إلى مشهورين كالخلفاء الأولين، وقد أوصي بتلاوتها. يُشدّد الصوّفيون، من جهتهم في كتاباتهم بشكل خاص، على ممارسة الدعاء، ويميّزون بوضوح بينه وبين الصلوات النافلة مثل الذكر والورد.

طرح الدعاء تساؤلات على المذاهب الكلامية التي حاولت التوفيق بين فعالتيه وعقيدته «الحكم الانهائي»

أنفاسه سنة ٥٧٦هـ/١١٧١م.

بات صلاح الدين يدير مصر حيث أعاد المذهب السنّي وراح يبني المدارس، لكنه، إسميًا، كان موافق نور الدين الذي أخذ الشك يساوره بشأن نجاحه، لكنه لم يلبث أن توفي سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م. أتاح غياب نور الدين الفرصة لمنافسه الشاب لاحتلال ممتلكات الزنكيين، مع متابعته الحرب ضد الفرنج والتفرع بأنه يدافع عن ابن سيده القديم. دخل دمشق دخول الفاتحين في ربيع الأوّل ٥٧٠هـ/ تشرين الثاني ١١٧٤م، حيث كان الترحيب به عارًا لما قام به في مصر، ما وقر له فرصة لتثبيت طموحاته: تحقيق الوحدة الإسلامية ضد الفرنج، ثم الانطلاق نحو سوريا الشمالية وإمارة حلب حيث اصطدم بمقاومة الأمراء المحيطين بسماعيل الشاب ابن نور الدين. وحصل بعدها على تولية الخليفة له، ما سمح له بسك العملة. وقد حاز لقب «الملك الناصر»، وهو لقب ملكي أدنى رتبة من لقب سلطان. لكنه لم يتمكن، بعد وفاة إسماعيل عام ٥٧٧هـ/١١٨١م، من منع أمير الموصل الزنكي من الاستيلاء على حلب. فكان عليه احتلال مدن عدة في الجوار، وبخاصة سنجار، كي يحصل على استسلام المدينة الرئيسة في سوريا الشمالية سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م، ويكمل عمله السياسي باحتلال الموصل سنة ٥٨١هـ/١١٨٦م.

في موازاة ذلك، توجّب على صلاح الدين تعزيز دفاعات الاسكندرية والقاهرة، وإعادة تسليح البحرية، وتنظيم الفرق المصرية التي وقّرت له حوالى ثمانية آلاف رجل، مضافًا إليهم البلد غير النظاميين، وتعديل سياسة مصر التجارية. وفي هذا المجال الأخير سعى إلى الإبقاء على العلاقات الجيدة التي قامت سابقًا مع التجّار الغربيين، ولا سيّما أولئك الذين كانوا يفدون من المدن الإيطالية مثل «بيزا». إلّا أنّه منع أولئك الغرباء من بلوغ الفسطاط، كما منع التجّار المسيحيين المحليين من التجارة عبر البحر الأحمر. وغدت تجارة التوابل محصورة في أيدي تجّار متخصصين يدفون بالمقابل ضرائب باهظة.

ولم تغب عن بال صلاح الدين مسألة وجود الفرنج في سوريا وفلسطين. فمع بداية سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م،

قام بعدد من العمليات المحدودة وقّرت له عددًا من الأسرى لم يطلق سراحهم إلّا بفضية عالية. وفي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، قام الفرنج بحملة جريئة باتجاه البحر الأحمر، فأعلن صلاح الدين الجهاد مجددًا، وكان تحت تصرفه جيش قوامه تسعة آلاف فارس وأسطول قويّ. مع ذلك، فقد امتنع عليه حصن الكرك الذي كان بيد «رينو دي شاتيلون» (Renaud de Châtillon)، فاضطرّ إلى عقد هدنة قطعها «رينو» بعد ذلك سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م عندما راح يهاجم القوافل التجارية بين مصر ودمشق.

على أثر توجيه صلاح الدين جيشه نحو طبرية لمحاصرتها، ردّ الفرنج بتجميع قواهم لمنعه من الاستيلاء على هذه المدينة. وقد أسفر الالتحام الذي تلا ذلك عن انتصار المسلمين في حطين، في عزّ شهر تموز/يوليو. وقد دقت تلك المعركة ناقوس نهاية انتصارات الملوك الصليبيين في الشرق الأدنى، رغم خطأ التقدير الذي وقع فيه صلاح الدين في ما بعد. ولم يمض شهران حتى استسلمت مدينة القدس بعد مفاوضات صعبة. فأعطى المسيحيون غير المشرقيين حقّ مغادرة المدينة في مقابل دفع فدية عالية، وأعيدت الصروح الإسلامية إلى أصحابها، كما سُلم القبر المقدّس إلى المسيحيين المحليين، ولكنّ إحدى الكنائس حوّلت إلى مدرسة وأخرى إلى مستشفى.

كان لاستعادة القدس صده المدوّي في العالمين الإسلامي والغربي. لكنّ انتصارات صلاح الدين لم تكن كاملة، إذ امتنعت عليه مدينة صور، آخر معقل باقي لمملكة القدس بأيدي الفرنج. فقد كان الدفاع فيها منقّصًا، وبلغ طول الحصار حدًا جعل القادة المسلمين يملّون ويفضلون العودة إلى ديارهم بعد مضيّ أشهر على الابتعاد عنها. فاضطرّ صلاح الدين أخيرًا إلى رفع الحصار، والاكتفاء بالاستيلاء على حصن الكرك. وكان من نتيجة هذا الفشل التكتيكي الإفراج في المجال أمام الحملة الصليبية الثالثة كي تنزل في صور وأن تستعيد مدينة عكا وتقيم مجددًا دولة لاتينية ذات طابع هجومي على ساحل المتوسط. وقد اضطرّ سيّد سوريا، في أواخر حكمه، أن يقبل بهدنة مدّلة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، قبل وفاته بستين. وكان قد طلب العون من أسرنه ومن

الإسلام في الطريق الذي اختاره له بنفسه.

صنعاء (الجمهورية العربية اليمنية)، مدينة تقع جنوبي شبه الجزيرة العربية، كانت المقر المفضل للزيديين في اليمن خلال القرون الوسطى ومقر سلطتهم، قبل أن تصبح عاصمة الدولة اليمنية الحديثة.

تقع صنعاء على ارتفاع أثنى متر داخل مدرج من الجبال العالية، وهذه المدينة الموعلة في القدم أدت دورًا مهمًا في تاريخ البلاد، وانضمت إلى الإسلام سنة ١٠هـ/٦٣١م وذلك قبل وقت قليل من وفاة النبي محمد (ﷺ). وقد عرفت بعد ذلك على مرّ العصور تاريخًا مضطربًا، لأن المنطقة التي كانت صنعاء مركزها الاقتصادي، والتي كانت مزدهرة منذ زمن طويل، كانت بعيدة عن العراق مركز الخلافة. لذا كانت المدينة تتحول أحيانًا إلى مأوى للثائرين وقادة الفرق الدينية الذين حاولوا الاستقلال فيها عن الدولة.

في المراحل الأولى من العهد العباسي، تنازع النفوذ في صنعاء عدد من المتنافسين، وفي سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م، جرت تسوية بين أحد زعماء بني يثغر والخليفة المعتمد، نظمت مؤقتًا وضعًا هشًا، سرعان ما عكّرته طموحات جماعات صغيرة من الشيعة مرتبطة بالزيدية أو بالإسماعيلية، نخس بالذكر منها القرامطة. وقد استمرّ التنافس على السلطة والنفوذ في صنعاء في القرنين الخامس والسادس للهجرة/الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، إلى أن استولى على المدينة سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م أحد إخوة صلاح الدين الأيوبي، وهو المدعو طورانشاه. لكنّ سيطرة الأيوبيين لم تدم إلّا بضعة عقود.

وفي سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، بسط المرسولون سلطتهم على صنعاء، وجاء بعدهم منقلو المماليك السوريين - المصريين - ثم منقلو العثمانيين.

أمّا الأئمة الزيديون فكانوا يعودون إلى حكم صنعاء كلّما سنحت لهم الفرص. وعند تقادم الوضع العسكري كانوا يتركون الساحة لمنافسيهم ويلجأون إلى صعدة، وهي محلة ظلت وفية لقضيّتهم.

في العصر الحديث عادت صنعاء، أكثر من أيّ وقت مضى، مركزًا للنشاط الزيدي. وفي سنة ١٩٢٠م، اعترف الغرب بالإمام يحيى محمود سيّدًا على اليمن،

الأمراء المقيمين في مصر، فلم يلقَ أدانًا صاغية.

اعتُبر صلاح الدين، في نظر المؤرخين المسلمين في عصره، بطل الجهاد المقدس ضدّ الفرنج. إلّا أنّ شخصيته بذت أكثر تعقيدًا في نظر عدد كبير من المؤرخين الحديثين. والواقع أنّ هذا المدافع عن الإسلام الذي انتصر في النهاية، ثمّ يزّ مناسبًا الانطلاق في الجهاد قبل تأمين سيطرته على سوريا الشمالية وبلاد ما بين النهرين العليا، أي قبل تقوية سلطته الشخصية عن طريق القيام بحروب حقيقية ضدّ أمراء مسلمين آخرين، وهذه الحروب كانت من المآخذ التي وُجّهت إليه، حتّى من المقرّبين منه. وكان في مقدوره، من جهة أخرى، أن يقضي نهائيًا على أعدائه بعد معركة حطين، لكنّه فوّت الفرصة عندما قرّر محاصرة القدس بدلًا من صور. فإرادته الأولية لمحاربة الكفار يمكن إذاً أن تكون، بمعنى ما، موضوع شك، وكذلك قدراته الإستراتيجية. مع ذلك، يبقى من الصعب أن نتميّز، عند السلطان المسلم، بين طموحه السياسي الشخصي وهمّ الدفاع عن الإسلام. وعلى صعيد آخر، لاشي يثبت أنّ صلاح الدين كان في استطاعته القيام بعمل حربيّ واسع النطاق ضدّ الفرنج من دون مساعدة إمارة حلب والموصل أو، على الأقل، وقوفهما على الجاد. والحرص الذي بذله خلفاؤه من أجل تحاشي صدام جديد مع الفرنج يشير إلى أنّ ما قام به من إنجاز سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م كان عملاً يصعب تكراره.

أمّا على الصعيد الديني فقد أكمل صلاح الدين ما كان قد بدأه نور الدين زنكي، إذ أنشأ المدارس في المدن السورية وفي المدن التي احتلّت حديثاً أو ألحقت بعالم السّنة. وقد أسّس بنفسه بعضًا منها وخصّصها لتدريس المذهب الشافعي، ولا سيّما في القاهرة والقدس. كما أنّه أحاط نفسه بعدد من الفقهاء والعلماء بصفة مستشارين. وجهد لتجنّب الانحرافات العقائدية التي كان يعتبرها خطيرة. وقد وصل به الأمر إلى اتخاذ القرار بإعدام الشّهزوري، الصوفي الحلي، بسبب الاشتباه بميله إلى الشيعة. وقد غرّف، كرجل حرب ورجل دولة، كيف يبني مملكة قوية ويستعيد القدس، ويبدأ كذلك مسلمًا سيّئًا متفانيًا، وكان همّه أن يستمرّ

أقصى مداها، بعدما فرضوا نفوذهم على مملكة مالي المانديجية، وخصوصاً على المدينتين التجاريتين تومبوكتو وجني. وفي سنة ١٤٩٣م قامت رقاة فعل معادية للإسلام قضى عليها أبناء سلالة جديدة، هي سلالة أشكياس. وقد اعتمد هؤلاء على الدعم الدبلوماسي الذي أمّنه لهم ممالك مصر وعلى نشاط مصلح ديني بربري يُعرف باسم المغيلي. أخيراً برزت أطماع الملوك السعديين أسبأد المغرب الذين رغبوا، هم أيضاً، في السيطرة على طرق القوافل في المناطق الجنوبية، فراحوا ينافسون أسبأد صَنْغَاي على أرباح مناجم الملح الصحراوية واحتكار تجارة الذهب. وكانت المبادرة القوية على يد السعدي أحمد المنصور الذي أراد أن يفرض سلطته على المناطق المجاورة باعتبارها قائداً مسلحاً غير مُزارع، يحكم انتسابه إلى أشرف المغرب، فقام سنة ١٥٩١ بحملة ناجحة أدت إلى احتلال صَنْغَاي، ووضعت حداً للازدهار السياسي والاقتصادي لهذه الأباطورية السوداء، بعدما كانت مشرقة خلال القرن السادس عشر. وعلى أثر تلك الأحداث غُزل آخر ممثل لسلالة أشكياس سنة ١٥٩٩. ◀ راجع السنين ٢٨ و ٢٩.

صَنْهَاجَة، اسم أحد أهم التجمعات البربرية التي دخلت الإسلام في القرون الوسطى، وناحلت مع قبائل زناتة للسيطرة على إفريقيا الشمالية، وتنشأ منها فروع حضريّة وأخرى بدويّة.

والإتحاد القبلي الصنهاجي الواسع، الذي ترتبط به قبائل كتامة في إفريقيا ومصمودة في المغرب الأقصى، لم يُظهر مقاومة تُذكر للمدّ الإسلامي الذي نبع الحملات العربية للفتوحات الكبرى. بل إنّ صَنْهَاجَة شجعت باكراً نموّ النواحي والمدن ومنها «أشيرة»، وخرجت منها سلالات قويّة كالزيريين، والحمّادين الذين ورثوا جزئياً سلطة الفاطميين. وكانت كتامة قد ساهمت في انطلاق هؤلاء. وفي وقت لاحق أسس المرابطون أباطورية واسعة في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، إنطلاقاً من مناطق لمتمنة الصحراوية، وتلبية لاندفاع هذه القبيلة في سبيل الجهاد. ثم إنّ مرحلة تنوّق صَنْهَاجَة بلغت نهايتها

وهو من السلالة الثانية للأئمة الزيريين، وهي سلالة بني قاسم، وقد توفّي سنة ١٩٤٨. وفي عهد خلفائه الذين استمروا في الحكم حتى الاحتلال المصري سنة ١٩٦٢، وفي المرحلة التالية التي شهدت مواجهة بين جمهوريّتي اليمن الشماليّة والجنوبيّة، عرفت صنعاء مرحلة تحديث سريع أنت إستجابةً لتهافتها التجارية الجديدة. وحافظت مع ذلك على بعض الخصائص الهندسية التي ميّزت، منذ القرون الوسطى، هندستها المعماريّة، وهي تظهر في أسوارها القديمة، ومساجدها، وخصوصاً في أبنيتها السكنيّة المكوّنة من طبقات عدّة ترتبها النوافذ الزجاجيّة والزخارف الدقيقة للواجهات.

◀ راجع السنين ٨، ١٣ و ٢٥.

صَنْغَاي، أباطورية إسلاميّة سوداء قامت في المنطقة التي كانت تُعرف بالسودان الغربيّ الساحليّ في العصور الوسطى المتأخّرة، كان مركزها الأساسي مدينة غاو الواقعة على طريق القوافل. وبعد أن اعترفت بسيادة مملكة مالي الإسلاميّة المجاورة، في القرنين السابع والثامن للهجرة/الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، عرفت في ما بعد ذروة الازدهار.

قامت قوّة صَنْغَاي في الأساس على الرقابة التي كانت تمارسها، عند أبواب الصحراء، على النشاط التجاري، لا سيّما تجارة الذهب والعبيد باتجاه المغرب. وتبع ذلك اعتناق الإسلام من قبل الحكّام المحليّين الذين تُذكر بهم التسلّات الملكيّة التي رُفعت فوق قبورهم في بداية القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. وهذه المعالم الأثريّة المشيرة للاهتمام تُظهر أنّ أسبأد غاو الأثرياء كانوا، بحسب التقاليد الإسلاميّة، ينلقون من المرابطين في الأندلس، وبخاصّة في المرية، لوحات من الرخام نُقشت عليها باللغة العربيّة ألفبهم مع كتابات تزيينيّة، ولكنهم احتفظوا في الوقت نفسه، وتحت هذا الغطاء الإسلامي، ببعض تقاليدهم السابقة، منها الاستمرار في حمل أسماء تاريخيّة ذات طابع وثني نخزن، في نظرم، قيمًا مقدّسة.

مع قدوم القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، استطاع أسبأد صَنْغَاي أن يوسّعوا سلطتهم إلى

والاستقرار في المدن التي كانت ما تزال تحت السيطرة الإسلامية. ومن ثم استمرت طيلة قرنين تقريباً مركزاً حصيناً خاضعاً لمملكة القدس اللاتينية. حاول صلاح الدين الأيوبي، بعد انتصاره في حطين واستيلائه على القدس في العام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، احتلالها مرتين، ولكنه فشل كما فشل خلفاؤه من بعده، واستمرت تشكّل رأس جسر للفرنج لردّ الهجمات العسكرية. وجاء جلاء الصليبيين عنها، بعد سقوط عكا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م على أيدي المعاليك، إيذاناً بنهاية الوجود الفرنجي في سوريا، وأدى إلى تدمير هذا الموقع المحصّن، في حين اجتاحت الرمال منشآت المرفئية. كما أنّ إعادة فتحه من قبل المسلمين وضعت حدّاً نهائياً لدوره العسكري والإستراتيجي.

◀ راجع المستدرك ٩ و ١٨.

الصوقبة، تعبير يشير إلى حركة التصوّف التي ظهرت باكراً في العالم الإسلامي والتي عرفت مظاهر متنوّعة يأتي بعضها خارج نطاق العقيدة كما يحددها علماء الكلام والفقه من أهل السنة. رغم محاربتها من قبل بعضهم في العصر الحديث، فإنّها لبّيت إقبالاً متزايداً في عدد من المناطق الواقعة على أطراف العالم الإسلامي وفي تلك التي دخلت الاسلام مؤخراً.

١ - قد تكون لفظة «صوفي» ولفظة «صوقبة» مشتقتين من لفظة «صوف»، وفي ذلك إشارة إلى اللباس الصوفي الذي كان يرتديه عمومًا الممتثلون الأوائل لهذه الحركة، وقد لبّث ارتداؤه في العراق ابتداءً من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد. هؤلاء الممتثلون الأوائل الذين عُرفوا بتصوّفاتهم الموسومة بالزهد، ظهروا منذ عهد الخلافة الأموية، ومنهم الحسن البصري وهو الرافض العراقي النقيّ الشهير بين أبناء عصره، الذي اشتهر بأقواله المأثورة. وكان هؤلاء زاهدين بخيبرات الدنيا، ولا هم لهم سوى إقامة نواصل شخصي بالعزة الإلهية والعمل على بلوغ مرتبة المختارين الذين سيكونون في الجنة «المقرّبين إلى الله» والفائزين بمكافأة رفيعة (القرآن الكريم، سورة الواقعة: الآية ١١). والوسيلة المعتمدة كانت تقصي، قبل كلّ شيء، بالتعمّق بالإيمان بغية التوصل إلى

في المغرب كلّ على أثر انتصار الموحّدين.
ومن لفظة صنهاجة قد يكون قد اشتق اسم نهر السنغال الذي يحده المناطق الجنوبية التي كان يجوبها أولئك البدو. إنّنا نجد أعقابهم «الملّكين»، من دون شك، بين «الطوارق» (Touaregs) المجاورين لأفريقيا الساحلية السوداء. واستقرّت قبائل صنهاجية أقلّ شهرة، كقبائل لمتة وغزولة، في الأطلس وسوس المغربيين، كما استقرّت أخرى في منطقة الريف. والاستيطان البربري لبلاد القبائل يعود في جزء منه إلى كتامة.
◀ راجع المستدرك ١٤.

صور (الجمهورية اللبنانية)، مرفأً محصّناً وناشط في العصور الوسطى، كان يشغل موقع جزيرة على أنشاط الفينيقي القديم، وما تزال آثاره تحافظ على ذكره في موقع قريب من المدينة الحالية التي تحمل الاسم نفسه. بدايةً، أكملت صور في العصور الوسطى الدور الذي كان للمدينة الفينيقيّة القديمة، وكانت هذه قد أنشئت على جزيرة صغيرة، يصلها بالبرزخ شقّ. احتلّها الجيوش العربية - الإسلامية منذ العام ١٤هـ/٦٣٥م، بعيد احتلالها دمشق إبّان الفتوحات الكبرى. وأصبحت صور موضع اهتمام حكام سوريا المسلمين، فأسكن فيها معاوية، أوّل الخلفاء الأمويين، جاليات فارسية، كما في مدن الساحل الأخرى، تدعيمًا لحمايتها. ورّم أحد خلفائه، عبد الملك بن مروان، حصونها، وأنشأ فيها الخليفة هشام بن عبد الملك ترسانات كي يتمكّن هذا الثغر البحري من الدفاع عن نفسه ضد الهجمات البيزنطية. وأخيراً، انحطت المدينة في ظلّ الدولة العباسية، إلى أن وقعت تحت سيطرة فاطمي مصر خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد. ونعمت باستقلال ذاتي إلى أن أعاد إليها الوزير بدر الجمالي النفوذ الفاطمي إسميًا في العام ٤٨١هـ/١٠٨٩م.

دافعت صور عن نفسها، في ما بعد، بشراسة ضد الهجمات الفرنجية، وطلبت مساعدة الأمير البوري طنّكين حاكم دمشق. حاصرها الفرنج بدءاً من العام ٥٠٤هـ/١١١١م، ولم تسقط في أيديهم الا في العام ٥١٨هـ/١١٢٤م، وشُح لمعظم سكّانها بمغادرتها

«يحبهم ويحبونه» (سورة المائدة، الآية ٥٤). إن هذه الصيغة القرآنية تبرز فكرة المحبة المتبادلة بين الله والخلق، وهي نالها في أساس كل انطلاقة صوفية. إن التصوفية في العالم الإسلامي، التي عُرفت في بدايتها عبر التأمل «الأخلاقي»، مرت في مراحل تاريخية عدة:

- من القرن الثاني إلى القرن الخامس للهجرة/ القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر للميلاد، إرتسمت أطر الحركة عبر مبادرات شخصيات منفردة. كان البعض منها من المفكرين «البرزين»، تنافسها نزعة زهدية وأخرى تصوفية، ما تسبب لبعضها بمضايقات من قبل السلطة.

- ابتداء من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، بدأت انطرايق الصوفية بجمع كل منها حول شيخ معلم، يمارس أعضاؤها مختلف الشعائر الجماعية التي تنص عليها قاعدة مشتركة، كما يلتزمون أيضاً بمبدأ التقوى وينمط حياة خاص.

وفي المرحلة الأخيرة، انتشرت الطرق الصوفية في مجمل المجتمعات الإسلامية، مع اعتماد قواعد الحياة الصوفية، على نطاق واسع، من قبل الفقهاء وعلماء الدين.

٢ - خلال المرحلة الأولى للصوفية، وفي مستهل الخلافة العباسية، برز أولاً «الحناشي»، المتوفى سنة ٨٥٧/٢٤٣هـ في بغداد، الذي يعتبره الجميع أول صوفي كبير. وقد انتمى، في تعليمه وكتابات حول الحاشي الإلهي، الحدود العقائدية للرسالة القرآنية. وفي الفترة نفسها عُرف أيضاً إبراهيم بن آدم، وهو شخص تقي اشتهر كثيراً بين الناس بالتضحية والكرم، فحظي منهم بالمدح والتقدير.

وكذلك اشتهرت في البصرة متصوفة تدعى رابعة العدوية، انقطعت إلى نمط حياة يقوم على إخفاء الذات بهدف الفوز بالثبات الأبدي في الله. وهذا النمط عثرت عنه في الكلام الإنشائي الذي كانت تطلقه، مؤكدة مثلاً أن تعزية انذات تسمح للإنسان بأن يحوز الحضور الإلهي فيه، لأن الله يبيت ذات الإنسان ليحيها فيه. هذه الأقوال نجدها أيضاً في النصف الثاني من القرن الثالث

«خروج» كامل لله، يتجاوز التقيّد بالطقوس التي تفرضها الشريعة وبالنزوع، في سبيل ذلك، إلى الآيات القرآنية التي تتحدث عن يوم الدين أو إلى تلك التي تفتح الأخذ بوسائل الغنى. كما كان يتم التعلل بالإنبياء، كالنبي محمد (ﷺ)، وقبله موسى وعيسى الذين نادوا باللجوء إلى حرمة الذات الإرادية.

خلال القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، قويت نزعة الزهد تدريجياً، وأصبحت محاربة الشهوات أفضل سبيل يقود إلى الوجد. كما نبذ ذلك بخاصة عند المعتزدين في خراسان. هذا المفهوم الجديد للحياة الدينية ربما كان يعكس ارادة كمنشئة بالتساك المسيحيين في الشرق أو بالحياة الرهبانية البوذية التي كانت ما تزال حية في آسيا الوسطى في «العهد الأولي للإسلام». لكن هذا التأثير المحتمل يمكن أن يكون قد شكّل عتصراً أضيف إلى ما سُمّي «البذور القرآنية» للزهد الإسلامي. إن التأمل الدائم في مضمون النص الموحى به الذي يشته ويكتفه انتمى بمختلف الاحاديث المنسوبة إلى نبي الإسلام (ﷺ)، هو في أساس نشأة تيارات دينية استمدت جوهرها من معطيات الرسالة المحمدية نفسها. بالفعل، ولُبد من هذه الدعوات إلى الزهد، استند، منذ تلك الفترة، إلى مقاطع عدة من القرآن الكريم لتبرير الفكرة التي تدعي إمكان الاتحاد بالله. وهذه الفكرة لا تتسجم، في الأساس، مع التعاليم الإسلامية التي تقول بوحدة الله، أي بتعاليه المطلق. وقد أخذ بهذه النصوص كدليل على إمكان الإتصال المباشر بين الله ومخلوقاته، وهو إمكان تأكد في مناسبات عدة بحسب الذين يدعونها. يقول هؤلاء إن الله أملى رسالته، فهو إذا تكلم مع البشر عبر الوحي، وبتّ فيهم نثته ونوره وكلمته. فأدم هو الانسان الأول الذي يتلقى النث الإلهي، أمّا عيسى فكان كلمة الله، لكنه مع ذلك بقي إنساناً قائماً. وإِنَّه تعالى، بحسب التقليد، قد نجلّى بشكل خاص للنبي محمد ﷺ مع المعراج. وتُظهر الآية ٣٥ من سورة النور أن الله تعالى يهب نعمه الخاصة إلى الذين يتبعون نوره ويستذكرون اسمه. ومن هنا يوضى باللجوء إلى انذكّر تقرّبتاً من الله. إضافة إلى ذلك، فإن القوم الذين سيهديهم الله إلى الصراط المستقيم هم قوم

موسيقى ورقص تهدف إلى مساعدة المبتدئين للوصول إلى النشوة الصوفيّة.

وقد ظهر آنذاك اتجاهان في حقل التصوّف، وذلك بحسب الخيارات التي يتّبعها كل فريق: فبعض الشيوخ كانوا يفرضون على أتباعهم الانسحاب من الحياة النشطة لتعيش من الحسنة وحدها؛ والبعض الآخر اعتبر أنّ الانصراف إلى الحياة الروحية يتلاءم مع ممارسة نشاط مهني، فجذبوا إليهم الحرفيّين والتجار، وكانوا يشجعونهم على متابعة مهنتهم.

إلا أنّ اشتقاقاً أكثر عمقاً ظهر على الصعيد المعتقد، وكان يفصل بين اتجاهين: فمن جهة كانت هناك طرائق - تعدّ هامشية قياساً إلى متطلبات المسلمين المتشدّدين - تدافع عن نظريّة «الحلول الإلهي»؛ ومن جهة ثانية، ركّزت طرائق أخرى على التأمل كوسيلة «تقريب» بين الله والخلقة، ولكنها لم تتخلّ عن الفرائض التي يعلّمها الشرع. وهذا الموقف الحذر كان وراء الرواج الذي لاقته تعاليم العديد من الفرق، ليس لدى الطبقات الشعبيّة وحدها التي كان من السهل جذبها، بل أيضاً لدى بعض رجال الدين الذين، إلى جانب دروسهم الفقهيّة، عمدوا إلى التعمّق في أساليب التصوّف ومفاهيمه.

٣ - ومن هنا يمكن فهم التعامل المختلف للسلطات مع الصوفيّة في المرحلة الثانية من تاريخها. ففي بعض الأحيان اعتُبرت بعض الطرق منحرفة، فأُمسّت بالتالي هدفاً لمحاولات قمع اتخذت طابع العنف أحياناً. وهذا ما حصل مثلاً لأحد شهداء الصوفيّة شهاب الدين الشَّهْزُوردي، الذي أعدم في حلب بأمر من صلاح الدين، في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، في الفترة التي عرف فيها الشرق «سياسة ردة الفعل السنيّة»، بعد وصول السلاجقة إلى السلطة. وفي ذلك نموذج عن الصعوبات العائدة إلى الوضع السياسي - الديني وإلى نقاط التلاقي والتواطؤ بين الفرق الصوفيّة وفرق شيعة متنوّعة. هذا التواطؤ الذي أثار رغبة السلطات السنيّة القائمة آنذاك، قوّى عوامل الإقسام بين الطوائف الصوفيّة، وساعد على ازدهار تلك التي كانت تعمل من أجل انتشار السنيّة وتقويتها. وهكذا مثلاً رأينا،

الهجري/التاسع ميلادي، في تصاريح البساطامي، وينوع خاص في تصاريح الجُنَيْد الذي دافع عن الثيوصوفيّة الإسلاميّة. ومثل هذه الأقوال نسّبت للحلاج - الذي كان موقفه أكثر دقّة، إلّا أنّه بقي إلى حدّ ما ملتبساً - بملاحقة السلطات السياسيّة والقضائيّة، في بغداد وبالحكم عليه بالإعدام، بعد محاكمة مشهودة، وتنفيذ الحكم فيه سنة ٣٠٩هـ/٩٢٢م. ومما لا شكّ فيه، أنّ الحكم عليه، في الحالة هذه، يعود إلى أسباب سياسيّة بقدر ما هي دينيّة؛ فقد ارتكز على اتهامات ذات طابع عقائدي، منها إجازته للصوفيّين إهمال فريضة الحجّ إلى مكّة المكرّمة، لأنّ في إمكانهم أن يجدوا الكعبة في قلوبهم.

لقد شكّلت هذه الإدانة تحوّلاً في مسار حركة التصوّف القديم. فمنذ ذلك التاريخ عمل الصوفيّون على تحاشي الصدام مع علماء الدين بسبب المفاهيم الأحدثيّة التي كانوا يقولون بها، كما عملوا على عدم إغضاب الفقهاء بسبب نزوعهم إلى اعتبار بعض الشعائر الدنيويّة كفرائض غير ضروريّة. لا بل بالعكس، فقد ثابروا على إثبات أنّ تعاليمهم يمكن أن تساعد، عبر نشاط باطني خيّر، على إحياء الفروض الطقسيّة، وأنّ التصوّف، بمتطلباته الأخلاقيّة وطرقه التأمليّة، يمكنه أن يكمل الأخلاقيّات التقليديّة وإن يوصل إلى معرفة خدسيّة لله. وهذا ما هدف إليه القُشَيْري في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد. وهذا ما هدف إليه بخاصّة الغزالي الذي اشتهر، وبحسب بفسلفته التوفيقيّة بين السنيّة والتصوّف، أي التوفيق بين التصوّف والحياة السياسيّة - الدنيويّة التي كانت سائدة في الأمّة الإسلاميّة، منذ التجارب الأولى التي بدأت في المدينة بأشراف النبيّ محمّد (ﷺ). والإغناء الذي ورّقه التعليم الصوفي الذي بدأ، منذ ذلك التاريخ، يلقي رواجاً عند العديد من المؤمنين، يقوم بخاصّة على تعظيم الفضائل، منها التوكّل على الله، وعلى مدارسات تقويّة وتكرار أسماء الله الحسنی في «الذكر». وفي الوقت عينه، بدأت تتكوّن تجمّعات دينيّة يلتقي أعضاؤها في زوايا لمتابعة عظات وإرشادات أحد الشيوخ المعلّمين، وأيضاً لممارسة بعض التمارين الروحيّة والبدنيّة، أو للمشاركة في حلقات

والأناضول وسوريا ومصر، وأحياناً تحت تسميات فروع أخرى منبقة عنها، لدرجة أن الرفاعية كانت، حتى القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، الفرع الذي يضم العدد الأكبر من المتسبين.

إلى تقليد بلاد ما بين النهرين هذا، تنتمي أيضاً القادرية التي اعتمدت الإرث الصوفي لعبد القادر الجيلاني، وهو رجل دين عُرف كمتكلم وكداعية حنبلي، وقد توفي في بغداد سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م. بعد وفاته، تمّ تحديد الطريقة التي حملت إسمه والتي أذاعت شهرته، لدرجة أنه أصبح الولي الأكثر شعبية في العالم الإسلامي كله.

حتى القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، لم تعرف الصوفية في مصر والمغرب إلا نجاحاً نسبياً عائناً إلى الشهرة التي تمتع بها أبو مدين المتوفى سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م قرب تلمسان، وأبو الحسن علي الشاذلي المتوفى سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م، الذي أسس تلاميذه، بعد فترة قصيرة، طريقة الشاذلية. وبالمقابل، انتشرت الصوفية بشكل واسع في إيران والأناضول، والهند، حيث برز إنيهان أساسيان: أخذ الأول بتعاليم الجُنيد الذي كان في أساس الإنطلاقة الصوفية في العراق، والثاني، الذي كان أكثر ابتعاداً عن الممارسات التقليدية، اعتمد تعاليم البسطامي، وهو إيراني توفي سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م. وبدفع من هذا الاتجاه الأخير، ظهرت وانتشرت في العالم التركي - الإيراني طوائف عدة، أهمها، آنذاك: - الكُيزوية، نسبة إلى نجم الدين كُيزي المتوفى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م والذي عاش في خوارزم؛ - الياسوية المرتبطة بأحمد بن إبراهيم، الذي عاش في ياسي (تركستان)، وتوفي سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م. والذي كان، من خلال تعاليمه حول «الخلوة»، في أساس انطلاقة فرقة الخلواتية في أذربيجان والأناضول، - المولوية التي انتشرت في انقطاعات العثمانية، وهي تنتمي إلى جلال الدين الرومي الشهير الذي قدم إلى الأناضول من بلخ، وكان ينبع التقليد الصوفي الإيراني؛ - القشبندية التي تعود في تسميتها إلى بهاء الدين القشبندي المتوفى سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، وقد انتشر أتباعه انطلاقاً من بلاد ما

في القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، الحكام في سوريا والهند والأناضول، يشجعون الطوائف الصوفية التي في إمكانهم الاعتماد عليها، ويشجعون أيضاً بناء الخوانق التي كانت تؤدي، في سبيل خدمتهم - وإن على مستوى آخر - دوراً شبيهاً بالذي كانت تؤديه المدارس. إن هذه الخوانق كانت، في الواقع، تنمي أنماط تفكير وسلوك غريبة عن عالم الفقه.

وعلى هذا المستوى من تطورها، فإن الطوائف الصوفية التي ذاع صيتها والتي كان نفوذها يتنامى بشكل مقدر، تحولت إلى تجمعات ذات تنظيم ترتابي، يتم الإنتماء إليها وفق طقس خاص؛ كما كان لكل منها قواعدها التنظيمية التي هي إما من وضع مؤسسها، وإما تعود أحياناً إلى معلم سابق. وكان هذا التنظيم يستند إلى مبدأ إقامة تعاليم تنتقل من المعلم إلى تلميذه وفق سلسلة متكاملة، وهذه التعاليم تحدد الطابع المميز للطريقة التي تسمح، بحسب المنهج المتبع في كل فرقة من الفرق الصوفية، بالإنصال بالله. وهكذا انتشرت تعاليم هذه الطوائف وتقليدها في كل العالم الإسلامي. وقد عرفت الطوائف الأساسية منها، حوالي القرن السادس للهجرة/الثاني عشر ميلادي، إنطلاقة حية جعلتها تنتشر من بلاد ما بين النهرين، وحتى إيران الشرقية وآسيا الوسطى والهند والأناضول والمغرب.

وبعد هذا التوسع اتقسم التقليد الصوفي في بلاد ما بين النهرين - وهو الذي كان يعزّز بانتمائه إلى تعاليم الجُنيد والغزالي - إلى فرعين: الأول، وهو الشُهرزردية، وينتمي إلى شخصيتين تحملان إسم الشُهرزُردِي، ولكلّهما تلميذان عن شهاب الدين الشُهرزُردِي، الشهيد المتهّم بالانحراف الذي أشرنا إليه. وأشهر الإثنين توفي سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، وكان له تأثير كبير على الخليفة العبّاسي الناصر.

أما الفرع الثاني، وهو الرفاعية، فقد تأثر بمواقف الرفاعي الذي عاش في منطقة المستنقعات في العراق الأسفل، والذي أدخل ممارسات دينية ذات طابع خاص، اعتُبرت أحياناً شاذة. وتوفي سنة ٥٧٨هـ للهجرة/١١٨٢ للميلاد. وقد انتشرت الرفاعية بعد ذلك في إيران،

ومنها انبثقت المرابطة. وقد قام شيخان بدور مهم في نموها، هما أبو مدين من تلمسان، وقد أتينا على ذكره، وقد كرمه المربطون بعد وفاته، والجزولي المتوفى سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، الذي كان قد تمرس على الطريقة الشاذلية، واعتُبر ولياً وانتشر تكريمه. والمعروف أنَّ أحد تلاميذه كان في أساس قيام الطريقة العيسوية التي انصفت بالممارسات المؤدية إلى الزُجْد.

وعلى العكس من ذلك كان الوضع في الشرق الأدنى، وبشكل أخص في العالم التركي - الإيراني. فقد تحلّت الصوفية عن التأملات النظرية التي تميّزت بها في مراحل معتبة، ولكنها تابعت التبصّر في قضايا الدين التي كانت في أساس نشأتها. وبهذه الصفة، حافظت على المركز الأوّل الذي كانت قد احتلته في إيران وآسيا الوسطى بعد الغزو المغولي. وبهذه الصفة أيضاً نمت في تركيا العثمانية، حيث كان النقشبنديون هم الأكثر عدداً في المدن في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة/السابع عشر والثامن عشر للميلاد، إذ كانوا لا يزالون يملكون في اسطنبول، حوالي العام ١٨٨٠، إثني وخمسين «حانقاهة»، كما كانوا قد بسطوا نفوذهم باتجاه الولايات، فكان لهم مثلون في سوريا منذ القرن السابع عشر.

وفي الهند، أخيراً، شكّلت الصوفية رأس حربة للإسلام وأذت دوراً بالغ الأهمية لدى الطبقات الشعبية، كما لدى ممثلي السلطة الذين دعمتهم في تشددهم العقائدي، مستبِةً في ذلك بفشل كل محاولات التغارب مع الرعايا غير المسلمين، وهذا ما جرى مثلاً مع المحاولات التوفيقية التي قام بها السلطان أكبر والتي فشلت بسبب رقاقات الفعل السلبية التي أثارها.

وفي آخر القرن الثامن عشر، وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي، وصلت الصوفية إذاً إلى أنماط من التنظيم الجامد. لقد داخلها بدعٌ مختلفة، لكن الأفكار التجديدية توقفت.

يشكل عام، وعلى الرغم من بعض الثباتات التصنيعية الخاصة بكل فريق، تُعتبر الخطوط الآتية من الثوابت الدائمة لدى كل الفرق: ضرورة تكريم شيخ الطريقة الذي هو بمثابة المعلم الروحي؛ - ضرورة

وراء النهر باتجاه الأناضول والمناطق العربية؛ التجشّية التي نمت في الهند على عهد سلاطين دلهي - السهوردية التي انتشرت في السند والهند في الفترة نفسها، ولكن مع دعم واضح من السلطة، بفضل جهود نور الدين مبارك الغزنوي الذي توفى سنة ٦٦١هـ/١٢٣٤م، ودُفن في دلهي، وخاصةً بفضل جهود بهاء الدين زكريا المكرّم في ملتان.

٤ - ابتداءً من القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد تقريباً، اتّسع نطاق تأثير الطرائق الصوفية. وبدأت تمثل في بلدان كثيرة شكلاً خاصاً من الحياة المدنية يمتاز، فضلاً، عن الشريعة السنية. وكان أتباع هذه الطرائق يساندون الأنظمة القائمة حيناً، ويتعدون عنها أو يحاربونها أحياناً أخرى. فني الأناضول مثلاً، شكّلت الطرائق الصوفية مدحاً للشيعنة الذين لم يكن مذهبهم مقبولاً في البلاد. وغالباً ما كانت علاقات هذه الطرائق بالأوساط الرسمية هامشية، لأنّ هذه الأخيرة كانت تفضّل الاعتماد على علماء الدين ومدارسهم. ومقابل ذلك فإنّ إحدى الطرائق الناشطة في الهضبة الإيرانية أنسحت في المجال أمام ظهور السلالة الصفوية. وقد شجّع انتشار هذه الطرائق عادةً تكريم الأولياء، على حساب تراجع الحمية الصوفية مع التدرج المتزايدة في الإنتاج الأصيل في هذا الحقل.

من بين الطرائق الصوفية التي لعبت دوراً مميزاً، تجدر الإشارة إلى الخلوات والبيكتاشية اللتين نما داخل الامبراطورية العثمانية إلى جانب المولوية والنقشبندية اللتين أتينا على ذكرهما. وقد وصلت الخلوات - المرتبطة بالشيعية والآتية من أفريجان - إلى مصر والمغرب والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد. أمّا البيكتاشية التي كان لها طابع أكثر أرسقراطية والتي تميّزت بتنظيمها المركزي وأظهرت هي أيضاً ميولاً شيعية، فقد حصرت عملها في الأناضول حيث لم تلاقِ توجّهاًها العقائدية أيّة معارضة، وذلك حتى الاضطهاد الذي عانت منه في العام ١٨٢٦، على أثر زوال منظمة الإنكشارية.

ظهرت في المغرب حركة لها طابع خاص، مرتبطة بمفهوم «البركة» التي تُستخدَم من الأولياء ومن قبورهم،

أما في شبه الجزيرة العربية فقد حارب مؤيدو الوهابية الطرق الصوفية، وكانوا يدينون بشكل خاص عادة تكريم قبور الأولياء؛ كما كانوا يعملون على نشر تعاليمهم في مناسبات الحج؛ وكذلك أبدت السلطة العثمانية والسلطات المحلية التابعة لها تحفظاً تجاه تنامي الصوفية، وعملت على فرض سلطتها عليها. ففي مصر، مثلاً، عين محمد علي - الوالي العثماني الذي استقل في ما بعد - «شيخ الطرق» في كل مدن المناطق التابعة له، ولا سيما في شبه الجزيرة العربية، ابتداء من سنة ١٨١٣.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، بدأت الفرق الصوفية - التي كثر أتباعها في المناطق الواقعة على أطراف بلاد المسلمين، واستمر تناميها في الهند وأفريقيا - تعاني من حملات الحركات الإصلاحية التي كانت تزدهر آنذاك في المناطق العربية في الشرق الأدنى وفي الهند والتي لم تحصر نشاطها في هذه المناطق.

لكن هذه الحملات لم تضعف دور الفرق الصوفية في أفريقيا، حيث استمر نموها طوال القرن العشرين، وحيث ما زالت، حتى اليوم، تحيي المناخ الديني السائد في عدد لا بأس به من الدول الإسلامية المستقلة. وفي أماكن أخرى بدأت حركات التصوف تفقد الكثير من معالم هويتها، فاسحة المجال أمام صوفية متسرفة أحياناً، ترتدي بين دولة وأخرى مظاهر متغيرة، ولكنها، مع ذلك، تفي في أساس بعض رذات الفعل العميقة التي يشهدها العالم الإسلامي المعاصر.

الصُّولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (١٣٣٥-١٣٤٠هـ/ ١٩٤٦م)، مؤرخ وأديب من العصر العباسي الذهبي، كانت لشخصيته مكانتها الخاصة في بلاط بغداد.

يعود الصُّولي في أصله إلى أمير تركي، وينتمي إلى أسرة من الكتاب عملوا في خدمة الخلفاء. وقد اشتهر بإتقانه لعبة الشطرنج، ونامد خلفاء عدة، وارتبط بصدقة خاصة مع الراضي إذ كان وصياً عليه، وحكم هذا الخليفة من سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٣٥ إلى ٩٤٠م. توفي الصُّولي في البصرة سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م بعد أن وضع مؤلفات عدة، ما يزال قسم منها محفوظاً ولو جزئياً، وإليه يعود الفضل في جمع مختارات شعرية قيمة،

وجود تنظيم ترانتي يميز بين فئتين من المتسبين إلى الطريقة: الأتباع والأعضاء العاديين؛ - الحفاظ على مبدأ التلقين والتدريب لمختلف المتسبين، كل بحسب مستواه، إنطلاقاً من عقيدة نحافظ على سرّيتها وباطنيها، - تكرار عدد من الحفلات الجماعية تقام خلالها التمارين المؤدية إلى الوجد - التقيد الدائم بما كان يسمى «تكريم الأولياء».

وبعد هذه المرحلة المؤسسية المتنامية وشبه المتجمدة، شهد القرن التاسع عشر تجذراً في الحركة الصوفية، استمد حيويته من المقاومة التي أبداها بوجه التوسّع الغربي. هذا التجدد الذي ظهر في كل مكان اتخذ في غالب الأحيان شكلين مختلفين: شكل تقليدي وشكل جديد. تمّ تكيف هذين الشكلين على أيدي ثلاثة رجال من أصل مغربي: الدرقاوي، وهو شخص ملهم إلى حد ما، ينتسب إلى الخط الشاذلي، ويمثل الشكل التقليدي المعروف بالدرقاوية؛ أما أحمد التيجاني - الذي كان له أتباع بشكل خاص في المغرب كما في أفريقيا السوداء - وأحمد بن إدريس - الذي اتخذ من مكة مركزاً لنشاطه - فقد أحيا التيار التجديدي. وقد تميّزت التيجانية والإدرسية بالسعي إلى الإتحاد بروح النبي محمد ﷺ، وليس بالله، كما تميّزت برفض الحياة الزهدية والميل إلى القيام بأعمال ملموسة. وهذا ما يشير إلى التوجه نحو الحياة النشطة الذي اتخذته الصوفية.

لقد هيمنت التيجانية على مجمل المغرب العربي، وانتشرت أيضاً في جنوب الصحراء حيث حظيت بدعم الحاج عمر، وهو من قبيلة فوناتورو؛ وقد تصدّى هذا الأخير لممليّ القادريّة في ما كان يُعرف بالسودان النيجيري. وفي المغرب أيضاً، لاقت الدرقاوية نجاحاً؛ وبعد وفاة مؤسسها، اتخذت شكل طريقة مميزة ونشّبت إلى فروع عدة. وفي المغرب أخيراً نمت الإدرسية، وقد انفصل في داخلها أتباع محمد بن علي السنوسي عن أتباع محمد عثمان الميرغني. لقد تميّز السنوسيون برفضهم الموسيقى والرقص، وكل التمارين البدنية. إنهم وكّفروا على التأمل في الحقيقة المحمدية؛ بينما كان الميرغنيون أوفياء للتقليد الإيراني ولمختلف الممارسات المؤدية إلى الوجد.

ومتصليًا، وحارب القادرية بعنف. ومزّت البلاد بعد ذلك في مرحلة سيطرت خلالها الدول الأوروبية التي تقاسمت مناطق النفوذ، وذلك قبل إعلان استقلال الجمهورية الصومالية سنة ١٩٦٠.

٢ - تبلغ مساحة جمهورية الصومال الديمقراطية الحالية ٦٣٧ ٦٦٠ كلم^٢، وعاصمتها مقديشو. وهي دولة معاصرة مستقلة في أفريقيا الشرقية السوداء، ويبلغ عدد سكانها سبعة ملايين نسمة كلهم تقريبًا من المسلمين.

ولهذه الدولة حدود مشتركة مع الحبشة وكينيا وجيبوتي. وباستثناء الطوق الصغير حول مدينة جيبوتي، فإن أراضيها تشمل مجمل الساحل الصومالي القديم. ومنذ أن نالت الدولة استقلالها سنة ١٩٦٠، اجتمعت المنطقتان اللتان كانتا قد فصلتا بعد الحرب العالمية الأولى، لتشكّل الأولى، في الشمال، الصومال البريطاني وعاصمته بربرا ثم حرقسا، والثانية في الجنوب، الصومال الإيطالي وعاصمته مقديشو، الذي وُضع، بعد الحرب العالمية الثانية، تحت وصاية الأمم المتحدة.

إن الوجود القديم للإسلام الذي يعود إلى القرون الوسطى قوّي عبر العصور في هذه المنطقة بفضل اتباع سياسة الجهاد ضدّ الدول المجاورة وضدّ كلّ تدخل غريب. وهذا ما يفسّر الوضع الحالي للسكان - السنة في أغليبتهم - الذين يأخذون بالمذهب الشافعي، وتنقسم وطينتهم بالاندفاع الديني، على الرغم من قيام نظام سياسي سيطر عليه، منذ البدء، الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي، ولكنه غرق في الفوضى. والدور الذي حاولت أن تؤدّيه دول عربية معاصرة لتطوير النظام السياسي في الصومال، ولا سيّما المملكة العربية السعودية، اصطدم بطبيعة الإسلام الصومالي الذي ينطبع بتأثير الطرائق الصوفية كالفقارية والإدرسية الأحمدية التي انتبقت منها الصالحية. وهذه الطرائق بقيت مرتبطة بالأوساط الدينية البينية، وعلى الأخصّ في حضرموت. وبواسطة هذه الطرائق عينها، ولا سيّما القادرية، تقوم روابط أخرى متّوّمة بين الصومال والسكان المسلمين السود في دول أخرى، منها تنزانيا وملاوي.

الى هذه العوامل الدينية التي أدّت إلى انقسامات

١ شكّلت هذه المناطق في القرون الوسطى ملجأً للثائرين المسلمين الهاربين من ملاحقة الخلفاء الأمويين والعباسيين، كالزيديين الثائرين مثلاً، واللاجئين من الأحياء وعمّان الذين أسّسوا مدينة مقديشو. واستمرّت بعد ذلك تستقبل العرب القادمين للتجارة في مرفأ زُئغ ويندر عباس قرب نزبرا الحالية، وأخيرًا مقديشو. ولم يتأخّر الإسلام في التوغّل داخل هذه الأراضي الجافة والحرّة حيث كانت تعيش قبائل بدوية أطلق عليها الجغرافيّ ياقوت، في القرون الوسطى، اسم قبائل الصومال. كانت هذه القبائل تهاجم بانتظام الحبشة المسيحية، وقد ساعدت على قيام مجموعة سلطنات إسلامية عرف بعضها الازدهار، ومنها تلك التي زارها الرحالة ابن بطوطة سنة ١٣٣١ ودخل بلاطاتها ووصف نظمها.

إن أمبراطورية الجهاد الأولى هي تلك التي أسّسها، في هضاب الحبشة العليا، محارب محليّ ادّعى الإمامة وعُرف باسم أحمد بن إبراهيم الغازي، أو أحمد غران. أدّت هزيمته، ثمّ موته سنة ١٥٤٣، إلى تفكك المنطقة الساحلية. وقد تبع الهجمات المتتالية - التي قامت بها قبائل الغلا، وقام بها البرتغاليون والأحياش وعرب شبه الجزيرة - توغّل عثمانبي سمح لاسطنبول، في القرن السابع عشر، بيسط سلطتها على الساحل الشمالي بواسطة أنباع لها قدموا من اليمن. وقد كلّف هؤلاء علاقات إقتصادية ودينية منطوّرة بين حضرموت والمرفأ الصومالية، في حين أنّ الساحل الجنوبي وقع تحت نفوذ عمّان.

في مطلع القرن التاسع عشر، شهد الإسلام انتعاشًا مميزًا، بفضل نشر تعاليم صوفيّ هو أحمد بن إدريس مؤسّس الطريقة الإدريسية الأحمدية، وتزافق ذلك النشاط مع التوغّل الأوّل للقوى الأوروبية في المنطقة. لكنّ محاولات التوغّل المصرية والإنكليزية أوقفنها، في أواخر القرن، العمليات الحربية التي قادها أمبراطورية جهاد ثانية، وكانت هذه مرتبطة بتيّار المهديّة السودانية، وكان يحرّكها، باسم الطريقة الصالحية الصوفية المنيفقة من الإدريسية، قائدٌ صومالي هو محمد بن عبد الله (١٨٦٤-١٩٢٠) الذي طبّق مذهبًا شافعيًا قاسيًا

الذي تُستعمل فيه حيوانات مدربة - كالكلاب والفهود - لمطاردة الفريسة ؛ وكان ذلك يتطلب مرافقة عليّة القوم للسيد واستخدام عدد كبير من الخدم . لكن هذا التفضيل لم يكن يضاهي الخطوة التي تصيد الباز او (البُيُورَة) (وهو تعبير من أصل إيراني) . كان هذا الفن موضوع كتابات لا تُحصى تعود إلى الحقبة الإسلامية القروسطية ، وردت في روايات المؤرخين أو نوادر الأدب ، أو في أنواع من شعر الفُطْرَدِيَّات الغزير . على أن الصيد كان خصوصاً موضوعاً لكتابات أدبية متخصصة وعلمية احتوتها مؤلفات نقّبت حول صيد الوحوش بواسطة الكلاب ، وتربية الصقور والبيزان ، تعود أقدم نماذجها المعروفة إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، قبل أن تشهد ازدهاراً في فترة حكم ممالك مصر ، وهي التي استعمل الغرب المسيحي ترجماتها اللاتينية .

وفي عهود الإسلام القروسطي ، وافق الرواج الأدبي للمواضيع المتعلقة بالصيد ونقائاته ، الاستعمال الفني لها من قبل فئتين استهوتهم فكرة صنع نماذج حيوانية من البرونز والخزف ، مرسومة أو مطوّزة أو محفورة ، ومثبتة على ركائز ، وثمينة إلى حد ما . وكذلك ، كان الرُسامون وفنّانو التمنينات يؤثرون اختيار مشاهد الصيد على ما عدلها في دائرة الحياة اليومية للأمير ، ويقدّونها بدقة ، رغم الطابع المقولّب في غالب الأحيان للوضعيّات وللمشهد الطبيعيّ المختلط في خلفيّة اللوحة .

لكنّ الصيد في العالم الإسلامي الوسيط لم يكن مجرد مصدر متعة للحكام ورجال الحرب ، إذ إنّ ميول هؤلاء الأشخاص لهواية الصيد كانت لها انعكاسات لا يُستهان بها على الحياة السياسيّة والاقتصاديّة في مجتمعات كانت فيها تشيئة الملك تؤثر على سلوكه ، كما كان لرعاية الآداب والفنون دور أساسيّ مشجّع للتجارة والحرف . وقد أوحى الصيد الذي يمارسه الملك ، إضافة إلى النماذج الزخرفيّة ، بعضاً من الفنون المعماريّة ، كمثل احتواء المباني في داخل المدن الملكيّة مأوى لحيوانات الصيد وطيويره ، وكذلك مساحات مسوّرة مخصّصة للحيوانات المنوخشة . وكذلك كان هذا الفنّ في أساس حيوية عدد من

داخلية ، تضاف مصاعب إقتصاديّة سببها فقر المنطقة والكلفة الماليّة الثقيلة الناتجة عن العمليّات الحربيّة ضدّ الجيئة ، فضلاً عن تدفّق اللاجئين المسلمين من منطقة خزر الواقعة داخل هضبة الجيئة . إنّ تزايد البؤس العام في البلاد ، جزئه الصراع العنيف بين الجماعات المتعادية والتابعة لزعامة الحرب ، أدّى إلى قيام حالة من عدم الاستقرار العام ومن الصراعات الداخليّة التي تعانيتها الصومال اليوم .

❖ راجع التمنينات ١٠ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ .

الصيد ، هو نوع من اللهو ، تأتي الشريعة الإسلاميّة على ذكره في مجرى الكلام عن المحرّمات الغذائيّة . لكنّ الصيد كان ، في القرون الوسطى ، الترفيه المفضّل لدى الأوساط الملكيّة والأميريّة التي كانت بذلك تستعيد عادات بدويّة قديمة .

وبالمعل ، على غرار فنون القروسطيّة المرتبطة بها ، كانت هواية الصيد ، التي مارسها القُربان المسلمون على مدى العصور ، تستلهم عادات كانت سائدة عند شعوب الجزيرة العربيّة أو في العالم الإيراني - التركي ، وتدلّ عليها خصوصاً نصوص أو رسوم تعود إلى الحقبة الساسانيّة . على أنّ الصيد ، عدا أنّه كلّهم ومظهر يرمز إلى القوة ، كان يُعتبر ترميماً مفيداً لمن يمارس مسؤوليّات الحكم . وكانت هذه الهواية مدعاة فخر لمن يمارسها ، إذ إنّ التحويّلات تتحدّث عن نبلاء وأمراء اشتهروا بشجاعتهم في مطاردة الحيوانات المنوخشة ، وليس هذا فحسب ، إنّما يحسب قول أحد الكتاب القدماء :

« من شأن الصيد أن يورث للعامل باستمرار مجموعة من الفوائد أغلبها إتياعه الفرصة له ولحاشيته لمعينة منافع من أراضي قابلة للاستصلاح ، مع ما يجب إضافته لذلك أو إنقاذه (. .) . فلم يحدث أن خرج ملك إلى الصيد من دون أن يعود عليه ذلك بغنائه . فإذا جنت مغفلاً ، إلى الهيجان ذريّها ، قابضاً على أعنتها يديه تدبّر لها ؛ كذلك ينسى شهوته الجسيديّة ، ويُرْطِل نزوات حسده المضرة ، ويلتزم مفاسل أعضاء جسده . وإذا التفت أن غاب عنه ظلم وقع على أحد رعاياه ، يتيح الصيد للمظلوم فرصة لقاء سيده وعرض ظلاله له ؛ وبذلك يبرّأ له حقّه . أخيراً ، عندما ينصرف الأمير إلى ملاحقة طريده تنوّر له ، في نهجانه ، فوائد كثيرة ، من دون إعمال الفكر في آفة فائدة مادية . » (نقلاً من سورجيل ، حضارة الإسلام الكلاسيكيّ) .

ثمّة نوع من الصيد كان مفضّلاً على سواء ، وهو

تزوّدنا بها مصفّات الوقائع المحليّة لا يمكن الاعتماد عليها غالباً. فمعتقو الإسلام الذين برزوا في مراحل متأخرة عدواً، تأكيداً لوجودهم، إلى تبرير أقدميّة هذا الوجود الذي كانوا يرجعونّه أحياناً إلى السنوات الأولى لقيام الأمبراطورية العربيّة - الإسلاميّة. وفي كل الأحوال، أفاد بعض المسلمين من انتظام الرياح الموسميّة لتنمية الملاحة في المحيط الهندي في العصر الذهبي للخلافة العبّاسيّة. فثمة بقايا أثرية، منها بعض قطع الخزف المنقوشة، من أصل صيني، تؤكّد وجود مبادلات تجارية مع الصين. وتورد وقائع هذه المبادلات روايات الأسفار العربيّة القديمة المذكورة في الكتابات العلميّة للجغرافيين كابن خُرداذبه، وكذلك في الأخبار الشعبيّة للفصّاحين.

كانت سفن هؤلاء التجار تنطلق من البصرة أو من سيراف على الخليج العربي - الفارسي وتتوقّف على طول شواطئ السند وغُجرات ومالابار في الهند، وكذلك في إندونيسيا، قبل أن تتوجّه للتضخّع من الخزف الثمين والحريّرات والمنتجات الكماليّة الصينيّة الأخرى المرغوبة في مدن العراق الكبرى. واستقرّ رواد آخرون في الأنشطة التجاريّة، مهتمّون بنسبيل المبادلات، من خلال تكثيف المحطات التجاريّة التي تُيسّر استغلالهم، في مدن مرفئية عدّة على الساحل الجنوبي - الشرقي للصين، وبخاصّة في كانتون، حتّى إنهم تقدّموا في اتجاه الشمال إلى مواقع قرب بكين. ومنذ القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، في عهد سلالة التانغ، جرت إشارة إلى «غرباء» يقصدون الصين، هم في الواقع مسلمون عرب أو إيرانيّون؛ وحوالي القرن الخامس الهجري/المعاويّ عشر الميلاديّ، في عهد سلالة سونغ، شيّدت مساجد في تلك المدن التي عرفت الحركة الاقتصاديّة فيها ازدهاراً يسرّع النظر.

وفد تقدّمت العلاقات البحريّة بين الشرقين الأدنى والأقصى في الأهميّة على الاتصالات البريّة التي ظلّت ظريفة منذ بدايات الإسلام، ولم تتمكّن من الصمود، في فترة القرون الوسطى الأولى، بعد التخلّي عن التجارة الأسبوعية عبر «طريق الحرير» القديمة. ومن المؤكّد، تاريخيّاً، وقوع المواجهة العسكريّة في معركة تالاس،

الحرف، منها المتخصّصون في القبض على طيور الصيد وتدريبها والاتّجار بها، ومنها الحرفيّون الذين يصنّعون مختلف أنواع التجهيزات الضروريّة للصيد. وكان الصيد أيضاً هواية تمارسها بشغف شعوب محليّة، ريفيّة أو بدويّة. وهذا الوضع، المستمرّ حتّى اليوم في سلوك تلك الشعوب، يجعل من بعض المناطق البعيدة في آسيا الوسطى، إضافة إلى بلدان الجزيرة العربيّة الغنيّة، مرتعاً لفنّ صيد النبال.

صيدا (الجمهورية اللبنانيّة)، مرفأً على ساحل فينيقيّا القديمة، مثّلت المدينة دوراً مهمّاً في عهد مملكة القدس اللاتينيّة، وكانت معروفة عند الغربيّين باسم «صاجيت» (Sagette).

احتلّت الجيوش العربيّة - الإسلاميّة مدينة صيدا القديمة الشهيرة أيام الفتوحات الكبرى، عام ١٦هـ/٦٣٧م. أشار إليها جغرافيو العرب كمرقأ عسكريّ محمّي. استولى عليها الفرنج سنة ٥٥٥هـ/١١١١م وسلم سكّانها مقابل دفع فدية. لم تنفك، حتّى سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، تنتقل دوريّاً من الفرنج إلى المسلمين، في حين أنّ تحصيناتها، التي دمرها صلاح الدين في العام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، أعيد بناؤها في العام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م والعام ٦٥١هـ/١٢٥٣م. ماتزال هناك آثار من دفاعاتها البحرية القروسطيّة الأخيرة التي تمّ اصلاحها على أيدي المعماليك، عندما اضطلعت صيدا بدور مركز للاحية عسكريّة نابعة لولاية دمشق. كان تطوّرها في لبنان في القرن العشرين عندما أصبحت مرفأً نفطيّاً في منطقة خصبة أهله بالمسلمين بصورة خاصّة.

« راجع المستدين ٩ و ١٨ ».

الصين، بلاد كانت منذ حقبة قديمة على صلة بالإسلام، تضمّ أقلّيّة مسلمة مهمّة نسبياً بعددها، لكنّها تشكّل نسبة متوتّرة ضئيلة قياساً بعدد سكّان الصين. إنّها لا تزيد عن اثنين بالمئة من تعداد هؤلاء البالغ أكثر من مليار نسمة.

لا نملك معطيات دقيقة حول وجود المسلمين، بحارة وتجاراً، في الصين في القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد. والمعلومات التي

والكتابات العربية الأخرى المنقوشة - التي هي اليوم موضوع تحقيقات ودراسات أُقرزت معطيات جديدة - إلى الفترة الواقعة بين ٦٧٠ و٨٧٧٩/١٢٧١ و١٣٦٧م. لكن السنوات العشر الأخيرة من هذه الفترة تميّزت بالثورات والاضطرابات الخطيرة التي قُتل فيها عدد كبير من المسلمين. وبالرغم من أن هذه الجماعات الإسلامية، التي ضعفت إلى حد بعيد، قد تمتعت من جديد بحماية الحكام مع بداية القرن الخامس عشر، إلا أنها لم تسترجع أبدًا حالة ازدهار التي توافرت لها سابقًا، ولكنها سمحت، حتى يومنا هذا، باستمرار وجود إسلام صيني ذي طابع خاص تبرز بعض سماته المميّزة بالآثار المحفوظة عن هندسته المعمارية وعن فنه.

❖ راجع المستدين ١٠ و ٣٠.

سنة ١٢٣٣هـ/٧٥١م، على أطراف الأمبراطوريتين، حيث تمكّنت الجيوش العباسية من دحر القوّات الصينية التي كانت تقدّمت إلى أطراف أمبراطورية التانغ في آسيا الوسطى. ويقال إن المنتصرين تعلّموا من أسرارهم تقنية صناعة الورق التي تم استثمارها على الفور في سمرقند. لكن كان يجب انتظار الاضطرابات السياسية، التي تسببت بها غزوات المغول في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حتى يعاد فتح طرق القوافل الصعبة المسالك، التي تعبر تاريم، أمام التجارة. على أن الطريق البحرية بقيت الأكثر استعمالاً. وخلال فترة حكم سلالة يوان التي أسسها المغول، توافر لـ«الغريباء» المسلمين الذين كانوا يعيشون في المقاطعات الساحلية موقع ممتاز، وتمتعوا بامتيازات خاصة. ويعود تاريخ المباني المختلفة وشواهد القبور

ض

الشكل، والمقبة، والمزينة أحياناً بأقواس بين ركايزها الأساسية لتحللها كوى؛ وهذا النوع من الأبنية معروف في الشرق الأوسط السوري أو المصري، وصولاً إلى المغرب حيث يطلق عليه الأوروبيون، بشكل عام، اسم «كوتا» (قبة) أو «رباط». ويمكن أن تكون تلك الضرائح بسيطة البناء أو يظهر فيها مجهود للإتقان الهندسي واللغني التزييني، حيث تستوحي من العادات المحلية الخاصة بالعمارة أو بالزينة وقد ننج عنها، بحسب المقاضعات، نجاحات مبررة وأحياناً بارزة جداً. إن بساطة الأبنية الحجرية أو الأجرية المزينة بخفر، للمناسبة، بشرائط ولوحات منحوتة، أو بأنواع زخرف أخرى، هي التي تميز، مثلاً، قبور المرحلة الفاطمية في مصر، أو الأيوبية في سوريا وفي اليمن، أو حتى مرحلة سلاجقة الروم ومنافسهم في الأناضول، في العصر الذي اتخذت فيه الضرائح الشكلية، وغالباً ما كانت مكسورة الزوايا.

لكن تميزاً أكبر على صعيد التخطيط والتنفيذ كان قد برز في القباب ذات التجويفات القميديّة في ضرائح العراق أو في أبراج المدافن ذات الأشكال نصف الكوكبية التي شُيّدت في إيران، في عهد السلاجقة الكبار، والتي كانت قد سبقت بضريح ضخم ومدّش ذي خطوط صافية، أعطى إسمه لمحلة غنّاد قابوس، أو بصفاء الزخارف القميديّة التي نجدها في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، في آسيا الوسطى، في ضريح البامانيين في بخارى.

هذا الميل إلى الجدران الفخمة التي ازداد جمالها، في ما بعد، بفضل تطعيمها بالسيراميك، استمر في ضرائح خراسان، مثلاً في «ميل ردكان»، أو في

الضرائح، أبنية شُيّدت لتكون قبوراً لشخصيات شهيرة أو جليّة، وهي تُعتبر من الإنجازات الرائعة للعمارة الإسلامية، وغالباً ما تمّت المحافظة عليها نظراً إلى الإحترام الذي تحظى به.

عُرفت الضرائح، بحسب المناطق والعصور، بأسماء متنوعة من بينها خصوصاً، بالعربية، «القبة» - ومنها «Koubba» بالفرنسية - و«توربا» و«غناد» بالفارسية، وكذلك «توربه» و«كوتيد» بالتركية. وكانت تلك الضرائح التي يقال لها أيضاً «مشهد»، «مقام»، «مهازيده» أو «إمامزاده»، تضمّ بشكل أساسي رفات ملكية أو رفات مكرّمين، أو رفات وليّ أو نبيّ، بحيث تُصبح مقصداً لزيارات تقوية. ورغم مظهرها المختلف من مكان إلى آخر وتطورها عبر العصور، فإنّها تشترك جميعها في الإفادة من الزينة التي كان استعمالها شائعاً في تجميل القبور، وهذا ما كان يدينه الفقهاء؛ لكنّها كانت تحظى بتكريم مستمرّ في كل الأوساط الإسلامية، ميسورة أو شعبية، حيث يلتقي احترام السلالات الأميرية مع عادة تكريم الموتى الذين يمنحون العون والبركات.

بعض من هذه الضرائح كان يبدو كبناء بسيط، وأحياناً بدائيّ، في الريف كما في السهوب. أكثرينها خارج المدن وأمام أسوارها حيث تظهر حقول جرداء ملأى بالمدافن. وقد أصبحت بنية تلك الضرائح التي يمكن أن تتخلّق حولها بعض القصور، في أساس الضواحي أو التجمعات الصغيرة الجديدة التي نشأت نتيجة لتدفّق الحجاج والمساافرين. وقد راوحت تلك الأبنية، التي تمّت المحافظة عليها في أغلب الأحيان، بين البرج الإبراني تحديداً والصروح الصغيرة المكعبة

نفوذهم كبيراً إلى درجة أن سلطتهم الدينية انتقلت من بعدهم إلى أولادهم أو إلى آخرين من المتحذرين منهم مباشرة.

إن معظم الأثرياء الذين خموا العلوم والآداب في الشرق الأوسط اختاروا، منذ القرنين الخامس والسادس للهجرة/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، أن يدمجوا قبورهم الشخصية بمؤسسات دينية يحرسون على بنائها من ثروتهم الخاصة وعلى تأمين ازدهارها من خلال عائدات أوقافهم. هكذا قامت قبورهم وكأنها ملحقات بسيط لمدارس أو لأماكن تتك عبادته، أو لمستشفيات أو لمساجد، وحتى لمساجد جامعة، ضمن مجمعات هندسية تصف غالباً بأنها «مجمعات مدافن». بعضها يلتزم تصميمًا متماسكًا تجتده في الأناضول مؤسسة سلالة بني منكوجك في ديوركي في العام ١٢٢٥هـ/ ١٢٢٨م، أو مؤسسة هواندحاتون في قيصريه في العام ١٢٣٨هـ/ ١٢٣٨م. ونجد لاحقاً في مصر مؤسسات شبيهة تمثلها المدارس - المدافن لسلطين المماليك في القاهرة. إن انتظام بعضها الآخر يقوم على تقرب الأبنية المنفصلة التي تحيط بمدفن الواهب - وهو في معظم الأحيان عامل - كما هي الحال في مؤسسات أوائل العثمانيين التي ميّزت عاصمتهم بورصة.

من هذه النماذج الأكثر شهرة مجمعات بايزيد الأول بُلْدُرم ومحمد الأول شليبي، وقد انتهى العمل في الأول في العام ٨٧٩هـ/ ١٢٩٥م، وفي الثاني في العام ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م. ولكن منذ القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، قامت في المغرب، أيام سلالة المرينيين في سلا، قرب الرباط، مقبرة ملكية كبيرة تضم أبنية لأغراض متنوعة.

ومواء كان الأمر متعلقاً بمؤسسات تلبى رغبات الملوك، أو بمرآكز عبادة راحت تكتمل شيئاً فشيئاً على مدى السنوات، فإن أروبا عدده هذه المجمعات الهندسية يُشكّل شامداً على الحظوة التي تتمتع بها الأضرحة في بلاد الإسلام. ولقد كان لها، على الصعيد الاجتماعي - الديني، وهي أماكن مختلفة من عالم الإسلام، نتائج مستمرة: فقد وُجّهت النفقات، التي كانت تُكرّس في البدء لتمجيد الأمراء المتوفين، نحو تطوير العلوم

أفريقيجان، مثلاً في الأضرحة للمماعة والمؤنة التي تتألى ظهورها في مراغة بين القرنين السادس والثامن للهجرة/ الثاني عشر والرابع عشر للميلاد. أما المعاجز العديدة للأضرحة الملكية التي تحفظ في الهند ذكرى السلالات التي تعاقبت عليها من القرن السابع إلى العاشر للهجرة/ الثالث عشر إلى السادس عشر للميلاد، في سهل الغانج أو في الدكن، فتقدم أفضل المحاولات لإحياء نماذج قديمة جداً، ولكن هذه النماذج كانت، في كل مرة، تحقق، بأسلوب مبتكر، النموذج الإيراني للضريح ببرجه المقبب، ذلك الذي تطوّر في المقابل باتجاه شكل مُقَوَّب في إمبراطورية العثمانيين. وكان هناك ضرائع أخرى انصبّ فيها الجهد، منذ وقت مبكر، على دمج تلك الصيغة البسيطة بعناصر معمارية متنوعة الأصول. إن إضافة بوابات فخمة، وإيوانات، وأروقة وغرف عدّة ملحقة، بقياسات عملاقة أحياناً، أدت إلى نشوء الضرائع الأميرية التي يمكن أن تُخذ أمثلة عليها تلك التي شُيّدت في أيام الأيلخانيين واليُتُورين في المقاطعات الشرقية، في سلطانية، وطوس، وبلغ أو سمرقند بنوع خاص، وذلك قبل أن تزدهر في الهند، تحت تأثير المغول، ضرائع فسحة وفخمة، كضريح ناصر الدين همايون في دلهي أو تاج محلّ في أغرا. وقد تطوّرت باتجاه ذوق الضخامة نفسه، ولكن وفق منظور أكثر براعة، المدافن المُلدّجة في مجموعة معمارية معينة، والتي تشكّل نواة تلك المجموعة، باعتبارها ضريح المؤسسة وشيئة بناء على مبادئ تنظيمية مختلفة جداً.

هذا النموذج التدريجي لمجموعات واسعة محيطية بالمعنى الضريح - الذي استُوعِب بشكل كامل وأُخفي ضمن إضافات من الأبنية الضرورية لاستقبال المؤمنين وإسكان التلاميذ - جعل منها صروحاً مناسبة لحاجات العبادة والتعليم. هكذا كانت تبدو مجموعات الأبنية المنتظمة حول قبة مركزية، تمثل أضرحة شيعية لأئمة أو لأفراد من سلالة علي في إيران وفي العراق، أو توافق مدافن شيوخ متصوفة مثل الشيخ بسطامي على طريق خراسان، والشيخ أبو مدين في جوار تلمسان، أو غيرها من المتصوفة مؤسسي الطوائف الصوفية الذين كان

الإسلامية ونحو الأعمال الخيرية، وفي الوقت نفسه ساهمت في الحفاظ، قرب مدافن المتصوفة وغيرهم من رجال الدين المحترمين، على التعليم الروحي وعلى الإشعاع السياسي الذي كان هؤلاء الأشخاص الأولياء ينعمون به في حياتهم، والذي انتقل إلى الأجيال اللاحقة

بفضل انتشار عادة «تكريم الأولياء».

❖ راجع المستندات ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٧٤، ٧٦، ٨١، ٨٢ و٨٦.

الضريبة ← النظام الضريبي الإسلامي.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ حدودًا كَيْفِيَّةً تفصلها شمالًا وغربًا عن الجمهوريتين السوفياتيتين السابقتين قرغيزستان وأوزبكستان. في حين تُجاور شرقًا الطرف الجبلي للسبخ-كيانو الصيني، وجنوبًا، من الجهة الأخرى لمحرق نهر جيحون/أمودريا المنعرج، منطقتي نَدْخْشَان ووخَان التابعتين حاليًا لأفغانستان. شكَّلت هذه المنطقة في القرون الوسطى، بحدودها المذكورة وبسكانها ذوي الأكثرية الطايجية الذين ينتمون عرقًا ولغةً إلى إيران، قطاعًا غير خصب في منطقة بلاد ما وراء النهر، علمًا أنَّه كان ينبع لها، بالقرب من جسر على نهر جيحون (أمودريا)، موقع مدينة ترمذ الإمبراطورية الساسانية. وترمز هي مدينة ترمذ الحالية في جمهورية أوزبكستان. عبر هذه المنطقة، كانت تسير طريق القوافل الرئيسة التي تصل مدينة بلخ بمدينة سمرقند بمحاذاة مجرى النهر، لتسلك بعد ذلك طرقًا وعرة تؤدي إلى وادي زرافشان. وقد سلك الخط الحديدي الحالي الآن من دوشنبه خط السبيل الأورع نفسه. وهنا أيضًا ازدهرت نواح تقع على روافد نهر جيحون لصفته اليمنى. لكن الأنشطة الأهم كانت تتركز في الجهة الشمالية الغربية التي يخترقها وادي نهر سبزو دريا، على تخوم إقليميّ أتروسانا وفرغانة القروسطيين حيث ازدهرت، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، حول مدينة خُجَنْد/خُجَنْدَا، سلطة الفراهانيين. إنَّ حاضرتهم القروسطية المحصنة هذه اضطلعت بدور تاريخي مهم إنَّان الحكم المغولي والتمجوري، قبل أن يضمها خان كوكند التركي إلى ممتلكاته في القرن الثامن عشر، ثم احتلها الروس في العام ١٨٦٦م، فأُلحقت بمقاطعة سمرقند داخل التركستان، ومن ثمَّ ألحقت بجمهورية طاجكستان

الطائف (المملكة العربية السعودية)، مدينة في الحجاز، في شبه الجزيرة العربية الوسطى، وهي واحة صحراوية جبلية خصبة، على بعد حوالي مئة كلم إلى الشرق من مكة. سكنتها قديمًا، بنوع خاص، قبيلة ثقيف، وشكَّلت منافسًا لمكة. ويبدو أنَّ القرآن الكريم قد أشار إليها في آية تذكر «الفرتين» وفيها أيضًا كان معبد «اللات».

لم ينضمَّ سكانها إلى النبي محمد ﷺ إلَّا في وقت متأخر، وقد نهضوا في ما بعد بدور في العهد الأموي. لكنَّ العباسيين أبعدوهم عن الحياة السياسية على الرغم من أنَّ الطائف كانت تضمَّ قبر عبدالله بن العباس. ومنذ ذلك الوقت استمرَّت الطائف بلدة ذات نشاط محليٍّ محصور. وسقطت في أيدي آل سعود سنة ١٩٢٤م، وغدت مدينة صغيرة، وقد غُدت فيها مؤخرًا مؤتمرات إسلامية وعربية، ولا سيَّما مؤتمر ١٩٨٩ الذي حاول حلَّ المسألة اللبنانية السياسية.

طاجكستان (جمهورية)، مساحتها ١٤٣١٠٠ كلم^٢، عاصمتها دوشنبه. وهي دولة مستقلة معاصرة من جمهوريات آسيا الوسطى الأربع التي استقلت عن الاتحاد السوفياتي المنشحل. يبلغ تعداد سكانها حوالي خمسة ملايين نسمة، بمن فيهم سكان منطقة غورنو-نَدْخْشَان، معظمهم من المسلمين الذين تصل نسبتهم إلى ٨٦٪.

تشتمل هذه الوحدة الإدارية الحديثة - التي أصبحت، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، جمهورية سوفياتية قبل أن تعلن استقلالها في العام ١٩٩١م - على مناطق غير متجانسة جغرافيًا، يصعب الوصول إليها لوقوعها عند أقدام جبال پامير العالية.

سليم الأول الذي أصبح سلطاناً. وقد درّس، في ما بعد، في بورصة حيث توفي، بعد أن كان وضع شروحات لمصنفات فقهية قضائية.

وكان ابنه أحمد (١٤٩٥-١٥٦٦م) استأذاً في اسطنبول ثم في أدرنة، قبل أن يتولّى القضاء في اسطنبول. وقد ترك لنا موسوعة رائعة في الفنون والعلوم كتبها بالعربية، ومن ثمّ تُرجمت إلى التركية. كما ألف كتاباً في سير أو تراجم العلماء وشيوخ الطوائف الصوفية.

وكان حفيد محمد (١٥٥٢م - ؟) قد شغل منصب أستاذ ثم قاضي في مدن عدة، وتوفي في أثناء حملة عسكرية أرسلت إلى فلاحيا، كان قد شغل فيها منصب قاضي العسكر. وقد كتب تاريخ الدولة العثمانية منذ قيامها حتى عهد السلطان أحمد الأول، وأهداه إلى هذا السلطان.

الطالبيون ← العلويون.

الظاهرانيون، ٢٠٦-٢٥٩/٨٢٥-٨٧٣م. هم سلالة من حكام خراسان الذين تحمّلوا بشبه استقلال في مناطقهم، مع بقائهم أوفياء للخلافة العباسية. أسس طاهر بن الحسين، الذي كان في الأصل مولى فارسياً، هذه السلالة. وقد مُنح، لقاء خدماته، لقباً مشرفاً وهو «نو اليميني». أصبح طاهر بن الحسين قائد جيش الخليفة المأمون، وقد شارك في حرب الأخوين الأمين والمأمون، وفي حصار بغداد في سني ١٩٦-١٩٧/٨١٢ و٨١٣م.

غداً والياً على العاصمة بغداد بعد انتصاره على الورث الأول للخلافة^(١١١). ومن ثمّ، بعد عودة المأمون إلى العراق وتركه نهائياً مرو حيث كان يُقيم، عيّن طاهر والياً على خراسان. وبعد مرور سنة على ولايته، وفق ما أوردته مرويّات الأخباريين، يبدو أنّه أظهر ميولاً للاستقلال عن الخليفة إبان صلاة الجمعة في مسجد مرو، لكنّه توفّي في اليوم التالي بطريقة غامضة. غير أنّ المأمون الذي اتهم بقتله عيّن، رغم ذلك، طلحة بن طاهر خلفاً لوالده والياً على خراسان واستمرّت سلالة تحكمها حتى سنة ٢٥٩/٨٧٣م. وفي الوقت عينه كان بعض أفراد السلالة الطاهرية يشغلون منصب صاحب

السوقيّة وعُرفت لفترة باسم لبنيّ آباد. إنّ آثار هذه التطوّرات التاريخية المتعلّقة، فضلاً عن التضاريس الفاصلة ما بين أقسامها في الداخل، والناجحة عن الواقع الجغرافي الطبيعي، تفسّر الوضع الحالي الصعب لجمهورية تجاذبها، في آن معاً، تيارات دينية إسلامية متشادة تسيطر على جنوبها، وخطر حركة انفصالية في الشمال الأكثر غنى والأفضل صناعياً، والذي يختلف عن الجنوب في اتجاهاته السياسية.

«راجع المسند رقم ٣٥».

طارق بن زياد، قائد بربري قامت جيوشه بأولى الفتوحات العربية - الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية في أواخر القرن الأول الهجري/ مطلع القرن الثامن الميلادي. قاد طارق جيشاً قوامه سبعة آلاف جندي معظمهم من البربر الذين أسلموا. وقد أرسلهم والي إفريقية موسى بن نصير، لتلبية طلب الأمويين، إلى إسبانيا سنة ٩٢هـ/ ٧١١م، بعد إنزال للاستكشاف كان قد قام به طريف في العام السابق في مكان عرف في ما بعد بجزيرة طريف.

كان طارق، كما طريف، مولى لموسى بن نصير، اجتاز المضيق واختار، كراس جسر، الصخرة^(١١٢) التي عرفت، لاحقاً، باسمه: جبل طارق، وهو يعرف الآن بالاجنية باسم جبرلطار (Gibraltar). وبعد حصوله على تعزيزات، انتصر على القوط في معركة موادي ككة وتقدّم إلى طليطلة. لكنّ موسى، حسداً من انتصارات طارق، اجتاز المضيق بدوره بعد سنة على رأس فرقة من المحاربين العرب واحتلّ البلاد ماژاً بإشبيلية. وقد أنهى القائدان عملياً، خلال هذه الحملة، فتح واحتلال المقاطعة التي ستعرف بالاندلس الإسلامية، قبل أن يعودا إلى المغرب، [فالشام]، مع غنائم ضخمة وعدد وفير من الأسرى.

طاشكُتري زاده، إسم يرتبط بمحلّة طشكيرو في الأناضول، حمله أعضاء عائلة من العلماء والقضاة، في العهد العثماني خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، وقد كانوا أيضاً مؤرّخين.

وكان أحدهم، مصطفى (١٤٥٣-١٥٢٨م)، معلّم

الشرطة في بغداد.

وقد نَمِزَ الطاهريون، الذين اتخذوا من نيسابور عام ٨٢١٣/٨٢٨م عاصمة لهم، باهتمامهم بتأمين راحة رعاياهم وبالرداف عن الثقافة العربية. كما استمروا أيضاً أوفياء لقضية السنة، وحاربوا دعاة الشيعة الذين كانوا يمارسون نشاطاً ملحوظاً في المناطق القريبة من بحر قزوين. كما جاهدوا في التصدي للثورات التي قادها الصفاريون في إقليم سجستان، لكنهم أخفقوا، وأدى الانتصار المؤقت ليعقوب بن الليث الصفار إلى زوال السلالة الطاهرية.

طاهر بن الحسين	٢٠٥-٢٠٧/٨٢٠-٨٢٢م
طلحة	٢٠٧-٢١٣/٨٢٨-٨٢٨م
عبدالله	٢١٣-٢١٨/٨٢٣-٨٢٨م
طاهر الثاني	٢٣٠-٢٤٨/٨٢٤-٨٦٢م
محمد	٢٤٨-٢٥٩/٨٦٢-٨٧٣م

طاهريو اليمن ← الرسوليون، اليمن.

الطب، علم موروث بين العصور القديمة ونمت المحافظة عليه في قلب عالم الإسلام، حيث تحوّل مادة لعدد من المؤلفات وُضِعَتْ بالعربية وانتقلت لاحقاً إلى أوروبا القروسطية.

مارس هذا الاختصاص، على وجه الخصوص، علماء غير مسلمين، أو من الذين أسلموا حديثاً، وظلّوا غالباً خارج المجتمع الإسلامي التقليدي. في القرون الأولى، برز أطباء مسيحيون تدبّروا في جنديسابور في خوزستان، كان الأكثر شهرة من بينهم جبريل بن بختيشوع الذي استدعاه إلى بغداد الخليفة العباسي المنصور، قبل أن يصبح صديقاً حميماً للخليفة هارون الرشيد وطبيباً في آن، حيث تولّى، في العاصمة، إدارة مستشفى كان في استطاعة الأطباء العاملين فيه أن يعتنوا بالمرضى ويتولّوا التعليم. وإلى جانب هذه الشخصية كان يعمل أطباء مسيحيون آخرون لاكتساب معرفة أفضل بالمصنّفات الطبية اليونانية، ويطلبون ترجمتها، أو يترجمونها بأنفسهم إلى العربية، إنطلاقاً من نصوص سريانية في الغالب. هكذا كان يوحنا بن مَسْنُونَة (١٦٠ ٨٢٤٣/٧٧٧-٨٥٧م)، وهو طبيب في بلاط الخليفة، وتلميذه حنين بن اسحق العبّادي (١٩٢-٢٥٩/٨٠٨-

٨٧٣م) الذي تولّى هذا المنصب في عهد الخليفة المنكول، وقد كان ضحية حملات حشد من زملائه المسيحيين، أدّت إلى سجنه أشهر عدّة، لكنّه استعاد منصبه الذي احتفظ به حتّى وفاته. ترجم عدداً وافداً من الكتب اليونانية الشهيرة التي كان بعضها قد فُقد في الغرب، ولا سيّما مصنّفات «غالين». كما أنّ حُثْن وضع مؤلّفات علمية شخصية، من بينها بحث بعنوان «المدخل في الطب». لكنّه اهتمّ أيضاً بالفلسفة وله مجموعة «نوادير الفلسفة»، التي تُرجمت إلى العبرية وعُرفت في إسبانيا حيث شكّلت أحد مصادر مؤلّفات الفونس لوساج (le Sage).

في الواقع، تندرج أبحاث الأطباء الذين خطوا، في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بالدمع المعطى لمترجمي النصوص القديمة والذين كان يجمعهم بيت الحكمة الذي أسسه الخليفة المأمون، في سياق العلوم الدنيوية التي كان يغذيها اليونانيون ضمن علاقة وثيقة بالفلسفة. كانوا يجمعون المعطيات العائدة إلى هذا الميراث، ولا سيّما كتابات غالين، مستندين إليها وكأنهم يستندون إلى سلطة علمية لا جدال حولها. في هذا الإطار أيضاً، وحوالي نهاية القرن، تندرج أسماء شخصيات مثل قسطا بن لوقا (٢٠٥-٣٠٠هـ/ ٨٢٠-٩١٢م)، وهو مسيحي متحدّر من بعلبك، جاء يمارس الطب في بغداد، قبل أن ينهي حياته في أرمينيا، وقد ترك، إضافة إلى الترجمات، عدداً من الأبحاث الأصلية. وكذلك يبرز اسم علي بن سهل بن زَيْن الظبيري، المتحدّر من مرو، الذي أقام في بغداد حوالي سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م، وكتب «فردوس الحكمة»، حيث يأخذ في عين الاعتبار التعاليم الهندية التي نقلتها الترجمات الإيرانية. ولبن نسي، يعد ذلك بقليل، الفيلسوف والراهب المسيحي ابن بطّان (توفي سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) الذي ترك مصنّفاً مشهوراً عن النطافة. بعدها مارس الطب علماء مسلمون، كانوا في الغالب فلاسفة بمقدار ما كانوا أطباء، ولكن كانت نحوم الشبهات حول استقامة معتقداتهم الدينية. منهم أبو بكر الرازي، المعروف في الغرب تحت اسم «رازي» (Rhazès)، الذي غادر لبعض الوقت مدينته «الري»

على هذا الشكل في الأندلس، في الأندلس وفي المغرب بعد سقوط الخلافة [الأُموية]، لا سيما في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، حيث عاش ابن زهر الذي أصبح الطبيب الشخصي للملك الموحدي عبد المؤمن، وخصوصاً ابن رشد الذي أتقن، في شكل مواز، الفقه والفلسفة والطب. وفي تلك الحقبة أيضاً برز إسم الفيلسوف اليهودي الشهير المعروف باسم ميمونيد (ابن ميمون) (٥٢٩-١١٣٥/١١٣٥-١٢٠٤م) الذي غادر قرطبة في عهد الموحدين، واستقر في مصر في ظلّ الأيوبيين حيث دخل بصفته طبيباً في خدمة أحد أبناء صلاح الدين الأيوبي.

وقد مارس أطباء وأصحاب نظريات طبية آخرون نشاطهم أيضاً في مصر وسوريا والعراق، في القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، ومنهم ابن النفيس مثلاً. لكن ابتداءً من هذه الفترة، تجسّد الطب الذي مورس في هذا الوسط الإسلامي القروسي. إنه يوصف غالباً بأنه طبّ «عربي» لأنه أتى إلى وضع مصنفات مكتوبة بالعربية، حتى لو كان مؤلفوها في الغالب من غير العرب. في القرن الثامن عشر، بحسب أقوال الرحالة الغربيين، ظلّ الطبّ في الشرق على الحالة التي كان عليها في قلب القرون الوسطى، وظلّ أطباء تلك الحقبة يكفون بالمعلومات النظرية حول التركيب الداخلي لجسم الإنسان، من دون أن يكون في إمكانهم القيام بعمليات التشريح. في أيّ حال، كان الملوك المسلمون في المغرب قد بدأوا، منذ وقت طويل، الإستعانة بأطباء أجانب، في حين أنّ السلاطين العثمانيين قرّروا، من جهة، العمل على تطبيق مبادئ الطب الأوروبي بواسطة علماء جهوداً من أجل التوفيق بين هذه المبادئ والمفاهيم المحلية القديمة. وشهدت المرحلة التالية، في القرن التاسع عشر، بداية تعليم الطب الغربي في الشرق، لا سيما في القاهرة وطهران، من دون أن تُمنع ممارسة الطب التقليدي، ولو بشكل مؤقت.

طبرستان ← مارْزَنْدَرَان.

الطبري، هو محمد بن جبر، ٢٢٥-٨٣٩/٩٢٣م، عالم شهير، مؤرّخ ومفسّر، ينحدر من إقليم

إلى بغداد، والذي كان من دون شك أشهر أطباء القرون الوسطى الإسلامية. وظلّت كتاباته مؤثرة حتى القرن السابع عشر، وبدأ، في فكره الفلسفي، ناقداً منفصلاً تجاه الأديان بشكل عام، إلى حدّ أنه عاباً ما اعتبر واحداً من «المفكرين الأحرار» النادرين في العالم الإسلامي في عصره. بعده جاء علي بن العباس المجوسي (توفي بين ٣٧٢ و٣٨٥/٩٨٢-٩٩٥م) الذي كان، كما يدلّ إسمه، زرادشتي الأصل، وقد سُمّي في أوروبا في القرون الوسطى هالي عباس (Haly Abbas). وقد وضع موسوعة طبية تُرجمت إلى اللاتينية تحت عنوان «الكتاب السلكي» (Liber Regius)، وقد جاءت في موقع وسط بين المؤلفين الكبيرين من النوع نفسه اللذين تركهما الرازي. لكن شهرته احتجبت في القرن التالي بسبب شهرة ابن سينا، مؤلف موسوعة طبية معروفة بـ«القانون»، الذي لم يترك فيها للملاحظات الشخصية سوى مكان ضيق.

لقد برز أيضاً في الغرب المسلم أطباء مشهورون، لا سيما في إفريقية التي كان أسلافها بنو الأغلب (١٨٤-٢٩٢م/٨٠٠-٩٠٩م)، متحلّزين من المناطق الشرقية. ففي محيطهم نشط، مثلاً، طبيباً معروفان، كان أحدهما يهودياً عاش لاحقاً في بلاط الفاطميين، في حين أنّ الآخر، وهو شخصية غامضة، عُرف باسم قسطنطين الأفريقي، تابع دراسته من دون شك في القيروان، ثم انتقل إلى إيطاليا حيث دُرس الطب العربي؛ وكان قد اعتنق المسيحية أو أنه كان في الأصل مسيحياً، ذلك أنه أصبح راهباً في دير جبل «كاستينو»، حيث كُرس نفسه لترجمة مصنفات عربية عدّة كان قد حمل مخطوطاتها معه.

في الأندلس، اشتهر أطباء انتقلوا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية بعد أن كانوا تلقوا دروسهم في الشرق. وكان عددهم كثيرًا تحت حكم الخليفة عبد الرحمن الثالث ولبنه الحكم الثاني، اللذين شجعا دراسة العلوم. أشهر هؤلاء الأطباء الزهراوي أو أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي، المعروف بمصنّفه في الجراحة، وهو بحث ترجمه إلى اللاتينية جيرارد دوكريمون (Gérard de Crémone). وقد استمرت هذه الدراسات التي انطلقت

طبرية (فلسطين المحتلة - إسرائيل)، منطقة من فلسطين، كانت تقع على الضفة الغربية لبحيرة طبرية، ولا تحوي مدينة طبرية الحديثة أي أثر منها. واستمرت شهرة طبرية القديمة بعد أن دخلتها الجيوش العربية - الإسلامية صلحاً سنة ٦٣٥هـ/٦٣٥م، إبان الفتوحات الكبرى. واستمر دورها الإقليمي مهماً في الدولة الإسلامية خلال القرون الأولى لوقوعها، من جهة، على الطريق الذي يصل مباشرة دمشق بالقدس، ومن جهة ثانية لأنه شيد، في العهد الأموي، بالقرب منها، على بعد كيلومترات عدة شمالاً، قصر أميري تحمل أنقاضه إسم خربة الجبليا. وما تزال بعض آثاره صامدة إلى يومنا هذا.

ثمة بقايا أثرية لهذا الصرح المبني بحجارة جميلة لم ينم النقيب عنها بشكل واف حتى اليوم، لكنها مشهورة بمحافظتها على أرضية من الفسيفساء ما تزال بوضوح جيد. وتدل هذه الآثار على أنّ الصرح بُني لمخلف نموذجي لذلك العصر: تألف من شقق تبعا للنموذج المعروف بالسوري، موزعة بطريقة متماثلة حول ساحة مركزية مزودة بأرقة، تحيط بها جدران عالية تستقر عليها أبراج، ولها مدخل ضخم. يتصل هذا الصرح بأرض زراعية تنتشر عليها أبنية عدة تجاور بيوتاً سكنية، وقد تم بناؤها في عهد الخليفة ولید الأوّل (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)، وأدخلت عليه تعديلات في عهد الخليفة هشام. وتحول في ما بعد إلى مركز مهم للممالك على الطريق الذي يصل القاهرة بدمشق.

استولى الفرنج على طبرية سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، خلال الحملة الصليبية الأولى، وجعلوا منها مركزاً لمقاطعة الجليل. وعندما كانت خاضعة لريمون حاكم كونتية طرابلس، حاصرها صلاح الدين الأيوبي واحتلها عنوة في العام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وأعادها إلى ديار الاسلام، باستثناء فترة قصيرة امتدت من ٦٣٨-٦٤٥هـ/١٢٤٠-١٢٤٧م. ومن ثم أخذت بالانحطاط، وأكملت الزلازل في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تدميرها. واستقر بالقرب منها، في مطلع القرن العشرين، سكان جدد أسسوا التجمّع السكاني الحالي.

◀ راجع السند رقم ٩.

قزستان (مازندران اليوم) فُتسب إليه. كان من مشاهير العصر الذهبي للدولة العباسية، وما يزال حتى اليوم مصدراً لا غنى عنه لأية معلومات عن الأحداث التي وقعت خلال القرون الإسلامية الثلاثة الأولى.

ولد في آمل، وطلب العلم متقلداً إلى الري ثم إلى بغداد. وللغاية عينها قصد سوريا ومصر، ليعود من ثم إلى بغداد حيث توفي. كرس الطبري حياته للتعليم ووضع مؤلفات موثقة أعدها للأجيال اللاحقة، وفي الوقت نفسه لم يغب دون الدفاع عن مواقفه الدينية الشخصية. وهكذا، بعد أن كان من أتباع المذهب الفقهي الشافعي، أسس مذهباً خاصاً به لم يعمر طويلاً. أمّا في علم الكلام، فقد جادل المشبهة الحنابلة (حول الصفات الإنسانية المعطاة لله والتجسيم) ولا سيما الآية التي تؤكد أن ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (القرآن، سورة طه، الآية ٥)، مما أثار عليه حقد الفئات الشيعية إلى درجة أوجبت، عند وفاته، دفته سراً في منزله.

بيد أنّ شهرته ما تزال تتركز على مؤلفاته الضخمة، على الرغم من ضياع بعض أقسام منها، وهي تتناول موضوعات عدة: - تفسير القرآن الكريم الذي جمع فيه آراء مختلفة كانت متداولة في عصره، كما طرح أحياناً تفسيرات جديدة: - التاريخ: في مؤلفه «تاريخ الرسل والملوك» الذي يُعتبر تاريخاً عاماً، يبدأ حوادثه منذ بداية الخلق ويتتبع الحوادث حتى سنة ٣٠٢هـ/٩١٥م، معتمداً، في الفترة الإسلامية، الطريقة الحولية. إن هذا المصنّف الهائل تناول روايات مختلفة للحدث الواحد، استمدها الطبري حيناً من مصادر شفوية، وحيناً آخر من مؤلفات سابقة أو وثائق مكتوبة من دون أن يحكم على صحتها، وقد توخى فيه المؤلف، في الظاهر، الموضوعية قدر المستطاع. لكنه ميّز في تاريخه بعض الأحداث، ما جعله منحازاً أحياناً، على الأقل بإغفاله التاريخ لبعض الحوادث، بحيث يمكن القول مثلاً إنّ تاريخه يجري في سياق نسبي تاريخي عباسي لا ينصف الأمويين. ومهما يكن من أمر، لقد قام مؤرخون آخرون بمنابع التاريخ للمقبات اللاحقة، ولكن بنجاحات متفاوتة، كما اعتُبر الطبري مصدراً للمؤرخين الذين أتوا بعده وتناولوا التاريخ العام مثل بسكوته وابن الأثير.

أحياء المدينة.

إنَّ الجهود التي بذلها حَكَّام طرابزون الروم البيزنطيون الآخرون للتحالف الوثيق مع حكام المقاطعات والأسر التركمانية، ممن كانوا يتفاسمون معهم مكاسب السياسة الاقتصادية، دفعهم للإلتجاء، بشكل خاص، إلى أوزون حسن أمير الآق قيونلو الجبار، المسيطر على تبريز، الذي كان قد بسط سلطته على العراق وإيران. كما اختاروا أيضًا التفاهم مع بني فرمان المسيطرين على مسالك طوروس في جنوب الأناضول. لكنهم لم يتمكنوا من وقف التقدّم المحنوم للقوة العثمانية، وتاليًا أخضع السلطان محمد الثاني العثماني المدينة نهائيًا في عام ١٤٦٦م، وكان سبق له أن استولى على القسطنطينية في العام ١٤٥٣م.

إنَّ الابتزازات التي نجمت عن ذلك، فضلًا عن الزوال التدريجي للسكان المسيحيين، حوّل طرابزون منذئذٍ إلى مجرد مركز قضاء لمنطقة. ومع ذلك ظَلَّت مزدهرة لفترة من الزمن لأنها استمرّت تقوم بمبادلات تجارية مع تبريز ومع مدن الهضبة الإيرانية الوسطى. إزداد نشاطها ما بين ١٨٣٠ و ١٩٠٠ بفضل ازدهار التجارة الأوروبية في البحر الأسود. وبعد ذلك انحطت طرابزون إذ إنها اضطُرّت للإكتفاء بممارسة نشاط تجاري إقليمي من دون أن تلعب في التاريخ المعاصر أي دور عالمي، إسترانيحي أو تجاري.

« راجع المستندات ٨، ١٠، ١٢، ٢٠ إلى ٢٢ و ٢٦.

طرابلس، اسم لمدينتين مرفئيتين: إحداهما أسبوة والأخرى أفريقية. وهما تفتتحان على حوض المتوسط الشرقي. وقد شهدتا ازدهارًا بحريًا دام طويلًا، بعد أن نمت كلتاهما خلال العصور الإسلامية الوسطى.

طرابلس الشرق (الشام)، تقع حاليًا على الساحل اللبناني، وقد خلفت مدينة فينيقية قديمة كانت تشغل موقع المرفأ الحالي وتتألف من ثلاثة أحياء (مدن). من هنا جاء اسمها باللغة (اليونانية) Tripoli. وقد ضُمَّت إلى الدولة العربية - الإسلامية في بداية الفتوحات الكبرى. في عهد الخليفة عثمان بن عفّان. وبعد أن هجرها سكّانها أقام فيها والي دمشق، معاوية بن أبي سفيان، الذي سيؤسس السلالة الأموية، جماعة من

طُخارستان، إسم أطلق، قبل القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، على منطقة جبلية تقع شرقي مدينة بلُح، على الحوض الأعلى لنهر جيحون / أمودريا.

يشوب حدود هذه المنطقة بعض الغموض، فهي، تبعًا لمرويات الجغرافيين العرب، كانت تشكل جزءًا من مقاطعة خراسان الغنية، المحاذية لبلاد ما وراء النهر، حيث يفصل بينهما نهر جيحون، وتتداخل نسبيًا مع بدخشان في قسمها الشرقي، وتضمّ جنوبًا منطقة باميان القريبة من بلاد النور، وتجاور أيضًا بلاد زائليستان.

« راجع المستندين ٨ و ١٢.

طرابزون (الجمهورية التركية)، ثغر بحري شهير في العهد البيزنطي، يقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي للبحر الأسود؛ فقدت المدينة دورها السياسي بعد أن ألحقت في فترة متأخرة ببلاد الإسلام، من دون أن يُقّدها ذلك حيويّتها التجارية.

هذه المدينة التي يشتق اسمها من كلمة Trapezos اليونانية، والتي تقع على الطرف الشمالي للأناضول الشرقي، وتحميها سلاسل جبلية، نجت من السيطرة الإسلامية إبان الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، كما نجت أيضًا من الهجمات التركية التي أدّت إلى انتصار السلاجقة في معركة مانتيكورت/ ملازكورت. وقد استمرّت حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي مركزًا تجاريًا مهمًا تعبر منه السلع المتّجهة نحو العالم المسيحي التي كانت تستوردها الدول الإسلامية المجاورة. واعتبارًا من ١٢٠٢هـ/ ١٢٠٤م، غدت عاصمة آل كومينينس (Comnènes) البيزنطيين. ولم تعرّض بعد ذلك إلا لسيطرة مؤقتة مارسها الخوارزميون في العام ١٢٢٧هـ/ ١٢٣٠م. أمّا سيطرة المغول عليها، اعتبارًا من ١٢٤٠م، فاقصرت على دفع الضريبة، واستمرّ الوضع نفسه في عهد نورلوك، أي منذ العام ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م. واستمرّ ازدهارها الاقتصادي، بالمقابل، بالتصاعد نتيجة نشاطها التجاري، كونها محطة تنتهي إليها كما تنطلق منها طريق القوافل الكبرى التي افتتحها المغول والتي كانت تصل المتوسط بالشرق الأقصى. سيطرت على تجارة هذه الطريق الجالبة الجنوبية التي استقرّت في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، في أحد

شوارعها مستقيمة واسعة، تتقاطع بزوايا قائمة تبثاً لمخطط يعود بلا شك إلى العصور القديمة. وتجت، منذ ذلك التاريخ، في استرجاع استقلاليتها مرات عدة. لكن احتلتها بعد ذلك الأسبان من ١٥١٠ إلى ١٥٣٠م، وبعدهم فرسان مالطة من ١٥٣٠ إلى ١٥٥١م، كما ظلت مهذبة، طيلة تلك الفترة، من قبل القراصنة البربر. واستولى عليها أحد أولئك القراصنة وحكمها باسم العثمانيين، وظلت خاضعة لهم طيلة قرنين. وتتميز تاريخها في القرنين السابع عشر والثامن عشر بالتنافس بين ممثلي السلطة العثمانية والنسوة المتزايدة لأعقاب الإنكشارية، الذين كان أبواقهم قد تزوجوا من بنات طرابلسيات، وقد عُرف هؤلاء بـ «كول أوغلي». ومُذْكَ، تحولت إلى مركز للقراصنة، ما حدا بالإنكليز والفرنسيين إلى التدخل ضدهم في نهاية القرن السابع عشر. وأخيراً ظهر في العام ١٧١١م أحمد قرامتلي الذي تخلص من الوصاية العثمانية وأسس سلالة حكمت طرابلس الغرب حتى العام ١٨٣٥م. وقد نجح، خلال عهده الطويل (١٧١١-١٧٤٥م)، بأن يُضفي عليها إزدهاراً جديداً ارتكز جزئياً، وبشكل مستمر، على أعمال القرصنة. كما نجح أيضاً في توسيع حدودها وفي تجهيز المدينة بأبنية عديدة ومهمة. وإذا كان أحد خلفائه، يوسف باشا (١٧٩٥-١٨٣٢)، قد تمكن من التصدي للفرى العظمى مرات عديدة، فإنَّ العثمانيين بسطوا بعد ذلك سلطانهم المباشر عليها حتى ١٩١١، وهو تاريخ استيلاء الإيطاليين عليها.

❖ راجع استندت ١٨٠١، ١١، ٢٠.

طرابلس الغرب، أحد الأقاليم الثلاثة التي تولّف الجماهيرية الشعبية الليبية، والتي كانت مدينة طرابلس الغرب دائماً مركزه. اجتازته ثم احتلته الجيوش العربية - الإسلامية إبان الفتوحات الكبرى في القرن السابع الميلادي. كانت طرابلس الغرب جزءاً من ولاية إفريقية وقد سيطر عليها الأغالية ثم الفاطميون، لكنها شهدت ثورات كثيرة نجمت عن نشاط البربر المتمين إلى ثورات الخوارج الإباضية. وبعد انتقال الفاطميين إلى مصر، بقيت مصر مدينتها الرئيسية، طرابلس، وأصبحت في ما بعد جزءاً من دول المغرب الكبرى، قبل أن تخضع، في

اليهود. وهذا المرفأ، الذي كان محيماً خلال الفترة العباسية الطويلة، انتقل في ما بعد إلى السيطرة الفاطمية، وظلَّ أبداً هدفاً للهجمات البيزنطية، لكن لم يتم احتلاله إلا في العام ١١٠٩/٥٠٣م من قبل الفرنج وقد عُرف بـ «كونية» طرابلس.

وزادت من قوة دفاعه القلعة التي شُيّدت على تلّة تُحكم سيطرتها على المدينة وعلى الشاطئ الذي، إنطلاقاً منه، ضرب الفرنج على المدينة الحصار. وتبع ذلك بناء المركز الجوّي والتجاري، ما عزّز دور المدينة الاقتصادية والاستراتيجية وأدى إلى ازدهارها ونوسها. استرجع المسلمون طرابلس بالقرعة سنة ١٢٨٧/٦٨٩م، على عهد السلطان المملوكي قلاوون الذي بنى أحياء سكنية جديدة على قمة التلّة التي أقيمت عليها القلعة وعلى سفحها، وهدم جزئياً كل المنشآت السابقة مبقياً على المرفأ. وتعود إلى العهد المملوكي معظم الأبنية، ولا سيما المسجد الجامع والمدارس، التي ما تزال صامدة حتى اليوم في مدينة حديثة في عزّ ازدهارها.

طرابلس الغرب، هي العاصمة الحالية لليبيا، ومركز إقليم طرابلس. وتُماثل مدينة قديمة كانت تقع على الشاطئ الشمالي لإفريقية. وسُمّيت كذلك لأنها تكوّنت من ثلاث مجموعات مُدنية. احتلتها الجيوش العربية - الإسلامية خلال القرن الأوّل للهجرة/السابع للميلاد. واستمرّت مناطقها الداخلية مضطربة حتى القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، نتيجة لثورات الخوارج الإباضية المتتالية. كانت تشكل جزءاً من ولاية إفريقية، ما جعلها تخضع لسيادة الأغالية ومن بعدهم للفاطميين. وبعد استقرار الفاطميين في مصر، أُسّس فيها بنو غزرون، وهم إحدى قبائل البربر، دولة مستقلة دامت قرناً ونصف القرن (٣٩٠-٣٩٩/١٠٠٠-١١٤٥م)، قبل أن تُسقطها غزوة الهلالين. وأعقب خضوعها في ما بعد لسيطرة نورمان صقلية من عام ٥٤٠/١١٤٦م إلى ٥٥٣/١١٥٨م. عودتها إلى السيادة الإسلامية في ظل الموحّدين، ومن بعدهم الخفصيين الذين لم يستطيعوا منع فيليبو دوريا (Filippo Doria) الجنوي من نهبا في العام ٧٥٥/١٣٥٤م. وكانت طرابلس الغرب آنذاك مدينة مزدهرة،

ثياب إحتفالية مدعومة كانت مخصصة للأمير أو للمكرمين، كما استُخدمت أيضًا عند الخلفاء الفاطميين المعاصرين لهم أو عند أمويي الأندلس. واستمرت هذه العادة متبعة في عهد سلاطين المماليك الذين حكموا مصر وبلاد الشام. ويبدو أنّ هذا التقليد لم يعد معمولاً به بعد هذا التاريخ.

طرزوس (الجمهورية التركية)، هي طُرُس (Tarse) القديمة المعروفة بطرُوس في العربية، محلّة في جنوب الأناضول، تقع اليوم في الأراضي الداخليّة الممتدة بين مرفأ مرسين الحديث والمركز الاقتصادي لكليكيّا المعروفة اليوم بأضنة.

اشتهرت هذه الحاضرة بنشاطها الثقافي وإزدهار تجارتها الرفيعة، وكانت قد احتلتها الجيوش العربية الإسلامية التي اجتاحت سوريا إبان الفتوحات الكبرى. وأصبحت في ما بعد تقع على الحدود التي كانت تفصل العالم الإسلامي عن الإمبراطورية البيزنطية. حصنها الامويون لتصبح أحد الثغور التابعة لحشد قسرين.

دورها البيزنطيون في العهد المباسي، واستعادوها بعد أن كان عارون الرشيد أعاد بنائها سنة ١٧١هـ/ ٧٨٨م، وفي ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، أعاد فتحها الخليفة المأمون الذي توفي أثناء ذلك ودُفن فيها. ثم خضعت لسيطرة الطونونيين، فالحمديّين، قبل أن يستولي عليها الإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م. ومنذ ذلك التاريخ استمرت تحت السيطرة السليجية، فخضعت للبيزنطيين أولاً ثم لفرنج إمارة أنطاكية، ومن ثمّ للأرمن الذين كانوا قد استقروا في المنطقة.

واعتباراً من اواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، تعرّضت لهجمات مملوكيّة متكررة، ولا سيّما في عهد السلطان فلاوون. وفي القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، أصبحت جزءاً من الأراضي المملوكيّة في مصر وبلاد الشام، قبل أن يضمّها العثمانيون سنة ١٥١٥م، إثر الحملات العسكرية الناجحة للسلطان سليم الأوّل باورز^(١). إنّ الانحطاط الذي عرفته في ذلك الوقت حولها إلى مدينة ريفيّة صغيرة، كما هي اليوم، خالية من الآثار الجديرة

عام ١٥٥١م، لسيطرة العثمانيين، الذين سمحوا لسلالة القرامنلي المحليّة بأن تحكمها من ١٧١١م إلى ١٨٣٥م؛ وضُمت بعد ذلك، وتحديداً في ١٩١١، إلى ليبيا المستعمرة الإيطالية. ثم انتقلت في ١٩٥١ إلى سلطة محمّد إدريس السنوسي، الذي عاد إلى بلاده، بعد أن كان قد غادرها في العام ١٩٢٢، كعامل حقيقي لبتوّل عرش المملكة المتحدة التي قيّض لها الاستمرار حتى العام ١٩٦٩.

طراز، كلمة فارسيّة الأصل تعني التطريز أو نسج القماش على شكل عصاة مزدانة بنقوش عربية. وتوسّع استعمالها، فأطلقت على الثياب الفخمة التي كانت تُصنع، في العصور الإسلاميّة الأولى، في المحترفات الرسميّة في قصور الخلفاء والسلاطين.

وكان الأمراء والملوك يرتدون هذا النوع من الثياب، كما كانت توهب خلعاً لأصحاب المقامات، وفاق مقتضيات احتفالات البلاط. وقد حُفظت بعض قطع الطراز، التي تحمل كتابات، في المتاحف الأوروبية والشرقية، كما في مجموعات خاصة. من الناجية الثنيّة، كان يُصنع الطراز من الحرير أو من قماش قطنيّ أو كتانيّ ويُطعم بخيوط حريرية متعدّدة الألوان أو خيوط ذهبية. وكانت النصوص المعتمدة تحمل أسماء الخلفاء، كما في هذا النموذج المنجز في العصور العبّاسيّة وقد جاء نصه كما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم، بركات الله تعالى ونعمه على وليّه الإمام جعفر المقدر بالله أمير المؤمنين أمان الله عمره. هذا في عهده ما أمر بإنجازه الوزير أبو احمد المباس بن الحسن».

وكانت صناعة الخلع العربيّة بالطراز إمتيازاً خليفياً، كما ضرب النقد. لذلك غدا، في ما بعد وفي بعض الحالات، مضمون الكتابات يقتصر على دعاء لمصلحة متولّي السلطة من دون ذكر اسمه، مثلاً على الشكل الآتي: «عظمة مولانا السلطان». كما كان يكتفى حيناً آخر بكتابة تمنيّات عاديّة أو عبارات تسديعيّة الربة، أو صيغ تعبديّة. انتشرت المحترفات المخصصة التي كانت تُمنّى دور الطراز في أماكن متعدّدة من العالم الإسلامي، لكن استأثرت بها، على العموم، عواصم الحكام. لقد أثر، في البداية عند العبّاسيين، إستخدام

بماضيها خلال العصور الوسطى.

❖ راجع المستندات ٩ : ٨ و ١٨.

طرطوس (الجمهورية العربية السورية). ثغر بحري وبلدة مرفئية تقع تجاه جزيرة أرواد. شكّلت، تحت اسم طرطوز (Tortose)، موقفاً محصناً وفعالاً لمملكة القدس الصليبية.

احتلها العرب سنة ٨١٧/٦٣٨م، خلال الفتوحات الكبرى العربية - الإسلامية. حصنها معاوية في أثناء ولايته على سوريا وقبل أن يؤسس سلالة الخلفاء الأمويين. وتعرّضت طرطوس القديمة، بسبب قيمتها الاستراتيجية، لغزوات بيزنطية عديدة. احتلها الفرنج منذ مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، عندما استولى عليها كونت طرابلس، وفي ما بعد سيطر عليها فرسان الهيكل الذين تحصنوا في قلعة منيعة. ورغم هجمات نور الدين محمود زنكي سنة ٥٤٧/١١٥٢م وصلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٤/١١٨٨، التي جوبهت بمقاومة ضاربة، لم يتمكن المسلمون من استرجاع طرطوس ومرفئها في جزيرة أرواد إلا اعتباراً من سنة ٦٩٠/١٢٩١م، حين خضعت للسيطرة المملوكية. فقدت طرطوس ومرفأها، منذ ذلك الوقت، كل أهمية عسكرية، وإن ظلت محافظة على بعض النشاط التجاري والبحري المحليين، واستمرت على هذا النحو إلى أن حصلت التغيرات الاقتصادية في القرن العشرين.

طرطوشة (إسبانيا)، ناحية في شبه الجزيرة الإيبيرية، تقع على مقربة من دلتا نهر الإبرو، وكانت تُعزّا أندلسياً بحرباً ناشطاً.

افتتح هذه المدينة الرومانية القديمة - التي عُرفت أولاً باسم درتوزا (Dertosa)، ثم باسم جوليا أوغستا (Julia Augusta) - بسهولة جيش من العرب والبربر إبان الفتوحات الإسلامية الكبرى. ومن ثم هاجمها في ٨٠٩/١٩٣م لويس لودوڤينو (Louis le Débonnaire) واستولى عليها بعد عامين. لكنّها استعادت، بعد حين، مكانتها كقاعدة بحرية إسلامية في شمال المناطق الحدودية الشرقية. وشيّد فيها خلال القرن الرابع

للهجرة/العاشر للميلاد مسجد جامع يضم خمسة أجنحة. وبأمر من الخليفة عبد الرحمن الثالث أنشئت فيها، في العام ٨٣٣/٩٤٥م، ثؤسانة لصناعة السفن تزوّده بأخشاب الغابات المجاورة. وبعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، تحولت طرطوشة، في عهد ملوك الطوائف، عاصمة لإمارة الصقالبة الغماريين. ومن ثم خضعت لسيطرة بني هود حكام سرقسطة، إلى أن استعادها المسيحيون في العام ٥٤٢/١١٤٨م. وقد كانت بالنسبة إلى الإسلام مركزاً ثقافياً لامعاً، قياساً بعدد العلماء والباحثين الذين يتسبون إليها. ❖ راجع المستندات ١٥، ١٦ و ١٩.

طريقة أو جزيرة طريف (إسبانيا)، محلة في مضيق جبل طارق، هي شبه جزيرة نزلت فيها أوّل قوات عسكرية عربية - إسلامية. عاملة على توسيع الفتوحات الكبرى لسطال شبه الجزيرة الإيبيرية.

كان يقود تلك القوات طريف^(١٣)، وهو مولى لموسى ابن نصير حاكم إفريقية الذي كان قد أوكل إليه استكشاف الجهة المقابلة من البحر. سمحت له هذه الحملة بالاستيلاء على غنيمة كبيرة من منطقة ألخيبراس (Algeiras)، جلبها إلى المغرب، كما أدت إلى نزول طارق بن زياد في السنة التالية في شبه الجزيرة الإيبيرية، ثم تبعه موسى بن نصير نفسه في سنة ٧١٢/٨٩٣م.

إنّ شبه الجزيرة التي نزل فيها طريف أطلق عليها بالعربية اسم «جزيرة طريف»، وانطلاقاً من هذه التسمية أطلق عليها الإسبان في ما بعد اسم طريقة. ونمت فيها مدينة صغيرة وازدهرت في عهد الخلافة الأموية في قرطبة، وحصنها الخليفة عبد الرحمن الثالث سنة ٣٤٩/٩٦٠م، واستولى عليها الإسبان نهائياً سنة ٦٩٢/١٢٩١م.

❖ راجع المستند رقم ١٩.

الطريقة (الصوفية)، جماعة تضمّ عدداً من ذوي النظوى الذين تعرّغوا للقيام بممارسات زهدية بإدارة مرشد هو الشيخ أو بير، وفقاً لنظام يُسمى الطريقة أي السبيل، يحدّده عادة مؤسس الجماعة التي تحمل اسمه.

طغرليک أو طغرل بك، هو ركن الدين أبو طالب محمّد بن ميكائيل (٣٨٠-٤٥٥هـ/٩٩٠-١٠٦٣م)، زعيم عشيرة السلاجقة المهيمنة على قبيلة الغز وأوّل سلطان ومؤسس لسلالة السلاجقة الكبار، وقد حكم من ٤٢٨ إلى ٤٥٥ هـ/١٠٣٨ إلى ١٠٦٣م. قاد الأتراك، بمساعدة أخيه جغري بك، الذي حكم بإسمه خراسان وسجستان، إلى السيطرة التامة على إيران والعراق. وبعد أن أعلن أخاه أميرا على مرو في ٤٢٧هـ/١٠٣٦م، تقدّم بسرعة في إيران، فاحتلّ نيسابور في ٤٢٩هـ/١٠٣٨م واعتزف به الخليفة العبّاسي القائم حاكما على البلاد التي احتلّها، وسمح بذكر اسمه في الخطبة. وانصر على الغزنويين في معركة داندانقان سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م، ثم احتلّ خلال العامين ٤٣٢ و٤٣٣هـ/١٠٤١ و١٠٤٢م، جرجان، وطبرستان، والريّ، وقروين، وهمدان، واصفهان. كما سيطر، في العام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، على تبريز. ولإثان هذا الزحف العسكري تلقى رسالة من الخليفة العبّاسي يُبَيِّنُهُ فيها حاكما على المناطق الشرقية، ولكنه يحتاج على أعمال السلب التي مارسها جنوده، ويدعوه إلى عدم متابعة تقدّمه باتجاه العراق (بغداد).

وعلى رغم كل التأنيب، دخل طغرليک بغداد بجيوشه في العام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. عند ذلك أطلق عليه الخليفة لقب سلطان، وولاه كل السلطات التي كان قد تولّاها، حتّى ذلك التاريخ، أمير الأمراء. إلّا أنّ اضطرابات اندلعت، فاضطرّ طغرل بك أن يخدمها، وأن ينتظر مطلع العام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، كي يدخل بأهله على الخليفة الذي منحه لقب «ملك المشرق والمغرب». وبموجب هذا اللقب أصبح من حقّه مراقبة ما يجري في سوريا ومصر الخاضعتين للفاطميين. واضطرتّه عدّة اضطرابات جديدة لترك بغداد، ما سمح للأمير التركي أرسلان البساسيري^(١٤) أن يعلن تبعيّة العراق للخليفة الفاطمي، ولكن طغرل بك رجع إلى بغداد وأعاد الأمور إلى نصابها لمصلحته، وقضى على البساسيري في مطلع العام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م. ألزم السلطان السلجوقي المنتصر - الذي كان قد أطلق بناء مدينة جديدة في بغداد، إلى الشمال من قصر الخليفة وملحقاته - الخليفة العبّاسي القائم تزويجه من

ظهرت الطراقت الصوفيّة في زمان متأخّر نسبيا، وتحديدًا منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، لكنّها مثلت منذ ذلك الحين دورًا اجتماعيًا وسياسيًا مهمًا، مُساهمةً، بوجه خاص، في نشر الإسلام في مناطق الأطراف في آسيا كما في أفريقيا. وعرفت هذه الطراقت، منذ ظهورها، نموًا ملحوظًا في أراضي الهند، كما لاقت في الوقت نفسه تربة خصبة في المغرب، ومنه انتشرت في اتجاه أفريقيا السوداء حيث تلافي، منذ القرن التاسع عشر، إنطلاقة حديثة العهد ومذهلة.

طشقند (جمهورية أوزبكستان)، مدينة في آسيا الوسطى الإسلامية، تقع في منطقة واحات طُورَت (إصطناعيًا، وأصبحت اليوم أهمّ مدن تلك المنطقة، وعاصمة الدولة. إنّ مقاطعة شاش (Shash) القروسطيّة، حيث تقع الناحية الريفية التي كانت تحمل الاسم نفسه، ورد ذكرها عند الكتّاب العرب على أنّها تشكّل، إلى الغرب من مدينة فرغانة، الحدود بين بلاد الإسلام وبلاد الترك. وكانت خاضعة لغزو السامانيين على الضفة اليمنى لنهر سبجون (سيروداريا)، وقد تميّزت بغنى بساكنيها ومزروعاتها المروية الأخرى. فقط في العهد المغولي، ظهر اسم طشقند - الذي يعني أصله غامضًا - على العملات. سقطت الحاضرة التي كانت محصنة في أيدي التيموريين، ومن ثمّ تنازعها الخانات الذين سيطروا في ما بعد على بلاد ما وراء النهر، وهم خانات بخارى وخيوه وكوكند، وقد خلفوا الأوزبكيين الشيبانيين الذين كانوا يسيطرون على مناطق أوسع. وفي نهاية الأمر احتلّها الروس في العام ١٨٦٥م، واختاروها عاصمة للتركستان الذي تحوّل حديثًا إلى دولة، ما دفعهم إلى أن يبنوا فيها، خارج أحيائها القديمة، مجمعات سكنية جديدة. إنّ النمو الاقتصادي والإداري، الذي تبع ذلك والذي لم يتوقّف حتّى اليوم، واكمه تزايد سكانيّ مثناع. وقد وحّد هذا النمو المشهد المُدُنِيّ إذ إنّ الموقع يفتقر إلى أبنية إسلامية قديمة قادرة على مضاهاة صروح بخارى وسمرقند. تمرّكز مذكّ في هذه المدينة الصناعات والأبحاث المتعلقة باستغلال المياه وبياتاج القطن وتصنيعه.

حيث أصيب عندما كان يحمي الرسول محمداً ﷺ خلال الإنسحاب. كان عضواً في المجلس المكلف إختيار خلف للخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وقد خاب ظنه لأنه لم يُختَر خليفة. لكنه أمل مجدداً بهذا المنصب على أثر مقتل عثمان بن عفان في المدينة سنة ٣٦هـ/٦٥٦م، الذي كان قد فُضِّل عليه، وخاب ظنه مرة ثانية عندما بوع علي بن أبي طالب بالخلافة. فأعلن العصيان على هذا الخليفة الراشدي الرابع إلى جانب الزبير وعائشة بنت أبي بكر وأرملة النبي محمد ﷺ الصبية. لكن علياً هزم أتباع هؤلاء الثلاثة في موقعة الجمل، وهم قادمون من شبه الجزيرة العربية في طريقهم إلى البصرة. وهذه الهزيمة التي حفلت بنتائج سياسية أدت إلى مقتل طلحة.

طليطلة (إسبانيا)، حاضرة محصنة في شبه جزيرة إيبيريا. استعادها المسيحيون في العام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م بعد خضوعها للأندلس طيلة ثلاثة قرون، فترعوا عنها ماضيها الإسلامي، وحولوها إلى قطب إستراتيجي في فُشالة الجديدة.

تقع بطليطلة على نهر التاج، وبحيط بها أحد منعطفات مجراه من ثلاث جهات، وتقع إلى الجنوب الغربي من مدريد على مسافة تقل عن مئة كيلومتر. وما تزال تحافظ حتى اليوم على أبنيتها القروسطية السابقة لسقوطها بيد المسيحيين والتي تُنسب أحياناً إلى الفن المدجن. وفي ما سبق، كان المسلمون قد احتلّوها بقيادة طارف بن زياد إبان الفتوحات الكبرى، واستمرّت حتى القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد مركزاً شديداً الأذهار، وكانت تقطنها أعداد وفيرة من المستعربين واليهود. كما أنها شكّلت بؤرة للاضطرابات ضد السلطة المركزية في قرطبة. أما أشهر الثورات التي اندلعت فيها فهي: ثورة البربر في العام ١٢٢هـ/٧٤٠م؛ ثورة أحد الأشخاص المعروف بـ«هشام» عام ١٤٧هـ/٧٦٤م؛ ثورة أحد الأمويين، أنسي هشام الأول، في العام ١٧١هـ/٧٨٨م؛ ثورة ١٨١هـ/٧٩٧م التي، على إثرها، نصب الحاكم المولّد كميثاً لأعيانها وقضى عليهم سنة ١٩١هـ/٨٠٧م؛ الحريق الذي أضرمه الأمير الحكيم الأول والذي أتى على القسم الأعلى من المدينة في العام ١٩٨هـ/٨١٤م؛ ثورة العام ٢١٤هـ/٨٢٩م؛ وأخيراً حصار جيوش

ابته. لكنه حينئذ عاد إلى الري حيث توفي بعيد ذلك في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، عن عمر بلغ السبعين عاماً. وترك الحكم لألب أرسلان، ابن أخيه جفري بك الذي كان قد توفي قبل ذلك.

الطُغرى، تعبير تركي يعني «علامة» بالعربية، وهي توقيع ملكي مخطوط، استخدم للدلالة على الشعار المكتوب الذي رُوّجت استعماله في العالم الإسلامي السلالات التركية الكبرى، بدءاً من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد.

استخدم هذا الشعار - الذي يعرفه جيداً المتخصصون بعلم المسندات الإسلامية القروسطية - لتصديق القرارات الرسمية كما وثائق أخرى مختلفة صادرة عن الملوك. استعمله السلاجقة، لكننا لم نعث على أي من نماذجهم. ولدينا، في المقابل، نماذج تعود إلى سلاطين المماليك في مصر، وهي كانت تتألف من ألقاب السلاطين المكتوبة على سطر واحد تليها تذييلات مفرقة الارتفاع. أما «الطغرات» التي تركها لنا العثمانيون فهي الأشهر، وتبدو مختلفة بعض الشيء. فكان يُدرج عليها في أغلب الأحيان اسم السلطان وشهرته، بحيث تظهر تذييلات عدّة عالية متعاقبة وكذلك قوس أو قوسان، ويشكّل كل منها نموذجاً زخرفياً لافتاً للنظر، وكان لكل من السلاطين المتعاقبين طغرى مميزة، وكانت تُعرف بسهولة على الرغم من التشابه الكبير بين العناصر التزيينية المختلفة التي كانت تعتمد على الكتابة.

وقد اقترحت تأويلات متعدّدة حول أصل الطغرى العثمانية، وحول معناها الذي قد يكون رمزياً، لكن أبنا منها لم يلق موافقة النقاد من دون تحفظ.

طلاس ← **السحر** (أعمال).

طلحة بن عبيد الله بن عثمان أبو محمد (٣٦٦-٢/٣٧٠م). كان من صحابة الرسول ﷺ، اشتهر بشجاعته وقنائه، دفعه طموحه لمقاومة السلطة في عهد الخلفاء الراشدين.

كان طلحة أحد أقدم معتنقي الإسلام، وشارك في الغزوات الأولى ضدّ المكّيين وتميّز في غزوة أُحُد،

قرطبة للمدينة في اتمام ٨٢٨٤هـ/٨٩٧م.

وقد اضطرّ الظطيارون، إثر عصيان جديد قاموا به، إلى طلب مساعدة جيرانهم المسيحيين، لكن القوات القرطبية انتصرت على القوات المتحاففة. وفي العام ٨٢٥٩هـ/٨٧٣م، نالت طليطلة استقلالاً ذاتياً، لكن عبد الرحمن الثالث، الذي بلغت السلالة الأموية في عهده أوج عظمتها، لم يتركها تتمتع به، بحيث أنه جعلها مركز المنطقة الحدودية الوسطى وخضها بحامية عسكرية أموية قوية للمساعدة في الدفاع عن الأندلس ضد هجمات المسيحيين.

بعد سقوط الخلافة، أصبحت طليطلة - التي كانت، حتى ذلك التاريخ، قد تخلّت عن دورها السياسي - عاصمة لدولة بني ذي النون الصغيرة في عهد ملوك الطوائف. وقد سقطت هذه الدولة فبيل الهجوم الكبير الذي فاده ألفونسو السادس ملك قشتالة وانتصر فيه سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. لم يتمكن المسلمون من استعادتها بعد هذا التاريخ. وقد استمر فيها الموريسكيون لقرون عدة وكانوا يشكلون جالية مهمة.

◀ راجع المستندات ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٩.

طنجة (المملكة المغربية)، مدينة مرفئية في المغرب الغربي على مضيق جبل طارق، استمرت أهميتها الإستراتيجية وأصالتها ثابتة حتى الزمن المعاصر.

كانت عاصمة قديمة لموريتانيا الغربية الرومانية، ففسّتها موسى بن نصير نهائياً إلى الإسلام سنة ٨٨٨هـ/٧٠٧م، إبان الفتح العربي - الإسلامية الكبرى، وأصبحت مركز ولاية. وقد استقبلت في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، الأمير إدريس الذي لم يستقر فيها، إلا أنها ظلت تابعة لمملكة الأدارسة حتى سنة ٩٣٧هـ/٩٤٩م، عندما احتلها أمويو قرطبة^(١٥).

خضعت لحكم المرابطين سنة ٩٦٩هـ/١٠٧٧م، ثم الموحدين سنة ١١٤٢هـ/١١٤٧م، فالمرينيين سنة ١٦٤٥هـ/١٢٤٧م. لكنها ظلت مرفأً إسلامياً مزدهراً ونقطة عبور إلى الأندلس. تبدلت حال طنجة سنة ٨٧٦هـ/ سنة ١٤٧١م، عندما احتلها البرتغاليون بعد محاولات فاشلة عدة، وجعلوها عاصمة ممتلكاتهم في الجهة الثانية لمضيق جبل طارق. ودامت سيطرتهم عليها حوالي

قرنين، إلى أن سقطت في أيدي الإسبان. ومنذ سنة ١٦٦١م أصبح الإنكليز الذين ملكوها عرضة لهجمات المجاهدين المتحالفين مع الحكام الأول للأسرة الشريفة العلوية ذوي الظموح الاقليمي. وفي سنة ١٦٨٤م، نجح السلطان مولاي إسماعيل، بعد حصار دام ست سنوات، في إعادة طنجة إلى السيادة الإسلامية، وفي تشييد أبنية جديدة فيها. غير أن المدينة بدأت منذ ذلك الوقت عهد انحطاط، إلى أن فُرضت الوصاية الإسبانية - الفرنسية على المغرب في بداية القرن العشرين، ما أتاح لها التمتع، خلال خمسين سنة، بوضعية ذات طابع دولي، كزسما مؤتمرات دولية عدة، وأفادت منها أيضاً المنطقة المحيطة بها. وقد دانت لهذا الواقع - الذي وضع استقلال المغرب حداً له سنة ١٩٥٧ - بأن شهدت ازدهاراً جديداً، إذ استعادت دورها كمرفأ تصدير تجاري ذي صفة عالمية، وشهدت تنسيقاً جديداً لمنظورها المدني بحسب سلفية رعاة الفنون من المعقمين فيها.

◀ راجع المستندات ٨، ١١، ١٢، ١٩.

طنطا (جمهورية مصر العربية)، مدينة في مصر السفلى، تقع بين فرعي دلتا النيل: ديماط والرشيد. وتعود شهرتها التاريخية إلى ضريح ومقام احمد البندوي. تكريماً لهذا الصوفي الزاهد الموقر المتوفى سنة ١٢٧٤هـ/١٢٧٦م والذي يُعتبر الشفيح الأكثر شعبية في مصر، تقام احتفالات تحتشد لها الجموع وتكون مناسبة لإقامة أسواق كبيرة. إضافة إلى ذلك، تحوّل المسجد المشيد قرب ضريح هذا الولي، في القرن العشرين، إلى مؤسسة للتعليم الديني من الدرجة الأولى، وهو يشهد على استمرار طغوس تكريم الأولياء، في ذلك البلد حتى العصر الحالي.

طه حسين، ١٨٨٩ - ١٩٧٣، كاتب وروائي مصري حديث، تحظى نتاجه الأدبي النطاق الضيق لموضوعات الأدب العربي المعروفة، وتطرّق الى الموضوعات المتنوعة التي كانت تثير اهتمامات مواطنيه المسلمين الفكرية والدينية في أواسط القرن العشرين.

ولد في إحدى قرى مصر الوسطى^(١٦)، وفقد بصره

لتأدية الصلاة.

تنتج حال النجاسة الصغرى، بوجه خاص، عن القيام بالحاجات الطبيعية وملامسة الأشياء أو الحيوانات النجسة مثل الخمرة والخنزير والكلب وأي حيوان ميت لم يُذبح خللاً، ويُظَلُّ هذه الحال بالوضوء البسيط الذي يقضي بغسل اليدين والوجه والرأس والرجلين، وفق ترتيب محدد. أدت ضرورة تأمين هذا الوضوء إلى إنشاء أكمة خاصة، داخل حرم المساجد أو في جوارها مباشرة، تسمى عادة «بِضَاء»، وإلى استحداث أحواض وسُبل ماء متنوعة تسمى غالباً «شاذِرْوان» في فناء المسجد تغذيها المياه بحسب أنظمة جَرٍّ مختلفة.

أمّا حال النجاسة الكبرى فهي ناجمة، بوجه خاص، عن أعمال جنسية، ويُظَلُّ بالوضوء الكبير أي السُّلُّ الذي يقضي بغسل الجسم كله، الأمر الذي يبرّر بناء حمامات كثيرة، عامة أو خاصة، في البلدان الإسلامية. كذلك، تدخل المرأة في حال نجاسة كبرى في أثناء الحيض وبعد الولادة.

هذان النوعان من الوضوء اللذان تفرضهما الشريعة يتدرجان، بحسب المذاهب الفقهية، في سياق الفرائض أو ما يُصَحَّح به، لكتهما بِرَأْفِيقَان، بصورة عامة، في كلِّ مكان. ويمكن أن نستبدل بالوضوء التيمّم إذا لم يكن الماء متوفراً. كما يمكن، عند الحاجة، أن نستبدل بغسل الأرجل فرك الأحذية. إلّا أنّ هذا التصرف غير مقبول في الفقه الشيعي، وهو بشكل إحدى نقاط الخلاف الدائمة بين الشيعة والسنة، بالنسبة إلى ممارسة طقوس الحجة اليومية.

طهران (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة إيرانية أصبحت عاصمة البلاد منذ عهد القاجار.

كانت في الأصل بلدة تقع بالقرب من مدينة الزّي الفروسيّة المهمة. وقد زارها في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد الجغرافي ياقوت. ولم تشهد تنامياً يذكر إلّا في عهد الشاه الصفوي طهماسب الأوّل الذي زوّدها بسوق وسور. وفي العام ١٧٨٦م تمّ اختيار طهران مركزاً لدولة الملوك القاجاريين، فشهدت منذ ذلك الوقت نمواً كبيراً. وما بين ١٨٦٩م و١٨٧٤م، تحوّلت طهران إلى مدينة جديدة في شكل مثنّ غير

في الثالثة من عمره. لكنّ ذلك لم يمنع الفتى طه حسين من متابعة دروسه بالطريقة التقليدية، فأوصلته إلى جامعة الأزهر، ومن ثمّ إلى جامعة القاهرة التي تأسست سنة ١٩٠٨، وكانت تتبع الطراز الأوروبي في التعليم. وفي سنة ١٩١٤ أرسل إلى فرنسا لمتابعة دروسه على المنهج الأوروبي الحديث، وناقش في جامعة السوربون أطروحته التي أعدها عن ابن خلدون. تزوّج من فرنسية، وعاد بعد ذلك إلى مصر حيث تبوّأ مناصب مهمة عدّة أساتذاً في جامعة القاهرة، وعميداً لكلية الآداب فيها، رئيساً لجامعة الاسكندرية المنشأة حديثاً، فوزيراً للمعارف الوطنيّة عام ١٩٥٠، ومن ثمّ رئيساً لجميع اللغة العربيّة.

لن نتناول من مؤلفاته إلّا تلك التي تتحدّث عن الأبعاد الفكرية والدينية، ومنها: سيرته الذاتية «الأيام» التي بدأ ينشرها في سنة ١٩٢٧ واستمرّ حتّى سنة ١٩٣٩ - دراسة حول الشعر الجاهلي المفرط في نغمها والمنشورة في العام ١٩٣٧، وقد شكّك فيها في أصالة هذا الشعر، ما أثار استنكاراً شديداً في الأوساط المصرية - دراسات مختلفة نُشرت بين ١٩٣٣ و١٩٤٦ تناولت نشأة الإسلام وحياة النبي محمد (ﷺ)، وأصدر سنة ١٩٤٧ «الفنّنة الكبرى»، متناولاً عهد الخليفة عثمان بن عفّان، وأصدر «عهد علي» سنة ١٩٥٩، وفي سنة ١٩٤٩ «الوعد الحق». وأصدر اعتباراً من سنة ١٩٣٨ دراسة^(٦٧) تختلف جزئياً في موضوعها عن مؤلفاته الأخرى من حيث أنها تبحث في مستقبل الثقافة في مصر.

وبما أنّ طه حسين قد تدرّب على مناهج الفكر الأوروبي، فقد أصرّ خلال فترة من حياته على الطابع التكاملي بين الحضارتين الشرقيّة والغربيّة، وعلى الدور الذي يجب أن تضطلع به مصر في هذا التقارب. ومن أجل ذلك قام، بصفته وزيراً، بإصلاحات تهدف إلى إدخال المناهج والأنظمة التعليمية الأوروبية الراجحة ضمن المناهج الرسمية المصرية. ومع ذلك فإنّ كتاباته تُظهر أنّه لم يُهمل أبداً فيم تراث أمته، ولا سيّما القيم الإسلامية التي يؤاها مركز الصدارة.

الطهارة الطقسية، حالة واجبة على كل مسلم يتهيأ

بداية القرن العشرين، لطوائف بعض المدن كمدينة فاس في المغرب ودمشق في سوريا. وهناك ذكر أيضاً لممثلين لبعض الجرف كانوا في الحقبة العثمانية يشاكون في الطوائف الدينية التي كانت تجري أمام السلطان في مناسبة الأعياد والاحتفالات المختلفة، وهي لطوائف تشير إليها، في آن، نصوص عدة ورسوم المنمنمات. اذن وجدت في مراحل متأخرة هيئات حرفية مثلت دوراً في الأوساط المدنية الإسلامية، وقد اتخذت شكل جمعيات تتمتع باستقلالية نسبية ويجري الانتماء إليها وفاق طقوس تأهيلية خاصة. ومن المعروف، إضافة إلى ذلك، أن الأعضاء كانوا ينظمون وفاق تراتبية محددة، وكانوا يخضعون لبعض القواعد التي تختلف، عند الاقتضاء، بين حرفة وأخرى، وكانوا يلتزمون غالباً لحمايتهم شفاعاً أحد الأشخاص المكرمين في طقوس تكريم الأولياء.

لكن هناك اتجاهًا لإرجاع نشأة هذه التنظيمات إلى ماضٍ بعيد، رغم أنها لم توجد بشكلها المعروف، على ما يبدو، إلا في القرون الوسطى المتأخرة. وبالفعل، فالبيئات التي تؤكد وجودها لأول مرة، بشكل دقيق، تعود إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد. وسبب ظهورها في هذه المرحلة عائد، بحسب بعض التفسيرات، إلى تأثير تنظيمات «الفتوة»، وبشكل أعم إلى الازدهار المتنامي للطوائف الصوفية.

أما ما كان قائماً بالفعل في العصور السابقة فهو هيئات حرفية متنوعة تميزت في الواقع بتجمع أعضائها في أماكن محددة، إذ إن الأسواق كانت تنظم بصورة تخصصية منذ فترة مبكرة، وفاق قواعد صارمة. لكن هذا التنظيم لم يكن خاصية إسلامية صرفاً، كما بسود الاعتقاد عند بعض الجهات، إذ إن مثل هذه التنظيمات كان موجوداً منذ فترة سابقة في المدن البيزنطية في سوريا حيث دخلت الفرق العسكرية العربية الأولى، كما أنها ظلت قائمة في ما بعد في القسطنطينية. وقد تكون هذه النماذج القديمة دفعت في اتجاه اعتماد مثل هذه التنظيمات في المدن الإسلامية في الشرق الأدنى، بعد مرحلة الفتوحات الكبرى، وانتشارها في ما بعد إلى مدن المناطق الأخرى. وكذلك لا يمكن استبعاد احتمال

متساوي الاصلاح، وجّهت باثني عشر بائناً جديداً، فضلاً عن شوارع عريضة وجديدة. كما أن السلالة الهلوية حققت فيها مشاريع تجميل وتوسيع، بينما كانت المدينة تنمو لتصبح العاصمة الضخمة الحالية.

الطوائف (عهد -)، والأصح «رؤساء الطوائف» وفق عبارة مقتبسة من الإسبانية، مرحلة تاريخية تميزت، خلال السيطرة الإسلامية على شبه الجزيرة الإيبيرية، بمنازعات فوضوية بين إمارات متخاصمة سبقت وصول المرابطين في سنة ١٠٨٦/٤٧٨م.

هذه الفترة كانت غير مستقرة سياسياً إلى أبعد الحدود، كما أنها شهدت بداية استعادة المسيحيين للأندلس، إلا أنها، رغم ذلك، تُعتبر مرحلة بروز ذوق أدبي وفني رفيف في ظلّ سلالات صغيرة حاكمة محلية عُرفت بـ«ملوك الطوائف». وقد انفردت كل واحدة منها بحكم منطقة معينة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وُلدت الطموحات الخاصة بكلّ من المدن الكبيرة - التي استقلت ضمن نطاقها الجغرافي - نتيجةً لضعف السلطة المركزية التي كانت في السابق في عهدة الإمارة ثم الخلافة الأموية في قرطبة. واندمجت بسرعة الإنجازات الأنيقة والفخمة التي كان يحققها مختلف الحكّام ممن رعو العلماء والأدباء. وألحقت البلاد بأكملها بامبراطوريات بربر المغرب. أمّا أبرز سلالات ملوك الطوائف فهي بنو عبّاد، بنو الألفس، بنو عامر، بنو ذي النون، بنو حمّود، بنو هود، بنو جُهور، بنو زيري، بنو نجيب.

«راجع المستد رقم ٩٥».

طوائف الحرفيين، نسق تنظيمي للحرف المدنية معروف في أوروبا القروسطية، يعيل المؤرخون الغربيون إلى تقرير وجود تنظيم مماثل له في العالم الإسلامي خلال الحقبة نفسها، من دون الأخذ في الاعتبار، بالمقدار الكافي، بعض الاختلافات والنتائج المرتبطة بتغيّرات جلّية حصلت عبر الزمن.

يجري الحديث غالباً عن طوائف الحرفيين التي كانت لا تزال قائمة في مختلف البلدان الإسلامية، وقد وُضعت قوائم في فترة حديثة العهد، تعود إجمالاً إلى

كذلك، من الصعب تفسير ملوك القيم على الأسواق، أي المحتسب، الذي كان يلجأ عادة إلى الغُرفاء الذين يمثلون مختلف النُهج الحرفية لمساعدته أو تنويره في مساوئة مهماته، أي عندما كان يراقب نوعية المنتجات الحرفية، أو طرائق البيع في المبادلات التجارية. وكان المحتسب يعين، منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، على ما يبدو، هؤلاء العرفاء من بين أعضاء كل مهنة، وهذا ما يؤكد أنَّ نظام دفاع عن بعض المصالح كان قائماً منذ ذلك الوقت ولو بشكل ضعيف. على أنَّ هذا الواقع لا يعني أبداً اعتزالاً لهذه التجمعات بنوع من الاستقلالية تجاه الممسكين بالسلطة، ولا يسمح تألياً باعتبارها هيئة حرفية أو نقابية. وقد يكون قد حصل تطوّر ملموس على هذا الصعيد بدءاً من القرن السادس عشر، مع الصُوفيين والعمانيين، حيث أنَّ ممثلين يُدعون «كُتُخدا» كانوا يُختارون من قبل أبناء حرفة ما، ومن ثمَّ يصار إلى تثبيتهم في مهماتهم من قبل السلطة. حتّى في الحقبة التي وُجد فيها هؤلاء «الكُتُخدا»، كان ممثلو السلطة يراقبون بشكل حثيث ومباشر كل الأنشطة التجارية والحرفية. وكانت لهؤلاء حرية التصرف في فرض رسوم على تجار الأسواق، وفي بعض الأحيان في اختيار أماكن في المدن الكبرى يفرضون على التجار العمل فيها، لكي ينعكسوا من مراقبتهم بشكل أفضل. وهكذا يبدو أنَّ الهيئات الحرفية لم تتمتع إلا بحرية نسبية جداً للدفاع عن أعضائها.

هذه المعطيات، التي تغلب عليها السلبية، لا تصحّ على كل حال إلّا في أصحاب الحوانيت والصناع والبايعين. أمّا في ما يتعلق بأعضاء مهن أخرى، فالأمر يختلف: لقد وُجدت منذ القديم، على ما يبدو، تجمّعات مؤسسية كانت تتمتع بحق تدخل ممثل منتخب لها على الأرجح. وهذه حال الأطباء الذين كان لهم رئيس خاص، ورجال الفقه من مختلف المذاهب الفقهية الذين كانوا ينظمون في تجمّعات صغيرة لها مواردها المالية الخاصة ويدير كلاً منها رئيس.

الطوائف (ملوك -) ← الطوائف (عهد-).

طوران، لفظة فارسية أُطلقت في الأصل على المناطق

وجود مثل هذه التنظيمات في مدن الأمبراطورية الساسانية قبل الإسلام. وفي كل الأحوال، لا يمكن الاستناد إلى تخصصية الأنشطة التجارية والحرفية وإلى تفضيل أفراد بعض الحرف التجمّع في صفوف حوانيت تُغلّق عليها نسبية المهنة. للقول بأقدمية وجود نقابات في الوسط الإسلامي.

كذلك لا تملك حججاً في دراسة مسألة مشابهة - وهي لا تزال تُثير جدلاً - تتعلق بمعرفة ما إذا كان بعض المهن المتعارف على أنَّها نبيلة تحتلّ أفضل المواقع في الأسواق بصفتها هذه، وما إذا كانت المهن التي تُعتبر وضعية كانت تُفرد لها أماكن متزوية بسبب طبيعتها. وإذا كان صحيحاً أنَّه كان ثمة مهن وضعية، كمهنة الدباغ والحجّام والحائك على سبيل المثال، فإن سبب هذه الصفة ليس واضحاً دائماً؛ وإذا كان بعض هذه المهن معزولاً، فليس من الضروري التفتيش عن سبب ذلك في محظورات دينية تستهدف هذه المهن، بل يجب، بكل بساطة، تفسير هذا الانعزال في كون هذه المهن هي مصدر إضرار. في المقابل كان من مصلحة الناسخين، مثلاً - من المتعارف عليه أنَّ مهنهم نبيلة، بدليل أنَّ انساناً نقياً كان يمكنه امتنانها من دون أن يحفظ ذلك من قيمته - أن ينتجتموا قرب المسجد الجامع لسبب بسيط، هو أن يكونوا قريبين من الزبائن. وليس من الضروري أن نفترض، إنطلاقاً من هذا الواقع - كما يزعم بعضهم - وجود ترانيفية في مواقع الحرف حول أماكن العبادة.

من هنا يمكن فهم هذالة الرابط الذي أرادوه بعضهم بين الإسلام والتماسك الداخلي للمهن الحرفية. لقد وُضعت من دون شك، في فترة مبكرة، قواعد تنظّم انتقال الكفايات وتمييز المتمرّن من العامل وأستاذ المهنة. لكن لا نجد في أيّ مكان ما يشير، في الحقبة القديمة، إلى طغوس تأهيل احتفالية للمهن ذات بعد ديني. كما لا نعرف شيئاً أيضاً عن طريقة اختيار الأستاذ للمتمرّن، ولا عن العقود التي ترعى المشاغل التي لم تكن، من جهة أخرى، تعلن عن نفسها إلّا نادراً، بوضعها دفعة على متجانها. إنَّ المؤلّثات المتعلقة بالحسبة لا تأتي على ذكر هذا الأمر، فعلى الأرجح أنَّه كانت هناك حرية تصرف في هذا المجال في القرون الوسطى الإسلامية.

المغولية المسلحة، وعن حملة تيمورلنك التي قععت آخر ثورات المدينة في العام ١٣٨٩/٨٧٩١م.

وقد خرج هذا المركز الثقافي المرموق شخصيات شهيرة أمثال الوزير السلجوقي الدافع الصيت نظام الملك الذي شيد فيه مدرسة، وأيضاً الفكر الصوفي الغزالي الذي درس فيه في أواخر حياته. كما نعلم أنه وُلد فيه عالمان شيعيان كُتبا بالطوسي وهما: الفقيه المتكلم أبو جعفر محمد في العهد البويهي، والعالم الفلكي نصير الدين الذي اشتهر في زمن الإلخانيين. ولم يبق اليوم من معالم الحاضرة القروسطية سوى بعض الآثار غير المحددة تحيط بضريح ميمر مجهول الهوية يعود إلى زمن الإلخانيين.

الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (٣٨٥-٤٦٠هـ/٩٩٥-١٠٦٧م)، متكلم شيعي شهير أحد مؤلفاته في العهد البويهي.

ولد في طوس فُتسب إليها، ثم انتقل إلى بغداد لينابيع دروسه على العالم الشيعي المعروف بالشيخ المفيد، ومن ثم على الشريف المرتضى، قبل أن يدرس بنفسه في عاصمة الخلافة حيث أنصى معظم حياته. إلا أنه اضطر إلى مغادرتها في العام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، لمعاداة السكّان السنة له، فتوجّه إلى النجف وبقي فيها حتى مماته. يُعتبر أحد أهم علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ويُعتبر إنسان من مصنفاته من المؤلفات الأربعة التي تتضمن، بحسب رأي الإمامية أنفسهم، جوهر عقيدتهم.

الطوسي، نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد (٥٩٧-٦٩٢هـ/١٢٠١-١٢٧٤م)، فلكي وسياسي ذو عقيدة شيعية من أصل إيراني، لكنه توفي في بغداد.

ما نعرفه عن مسار حياة هذا العالم المولود في طوس هو أنه، بعد أن كان في خدمة أحد الحكّام التتاريين في إيران، رافق هولاكو في حملته على بغداد التي أدّت إلى نهب عاصمة الخلافة. ومنذ ذلك التاريخ غدا شخصية نافذة عند هذا الفاتح كما عند خلفائه. وفي عمر الستين حصل على قرار بتأسيس مرصد مزّاعه في منطقة أذربيجان التي كانت تشكّل آنذاك قلب الدولة الإلخانية. وهكذا تمكّن في أواخر حياته من أن يُنجز في

الشمالية الشرقية من إيران، ومن ثم على كل المناطق التي سكنتها الشعوب التركية في آسيا الوسطى وأبعد منها.

عملياً، لم يتفق الجغرافيون العرب في القرون الوسطى على تأكيد ما إذا كانت طوران تضمّ بلاد ما وراء النهر إلى الشمال من نهر جيحون/أمودريا، أو أنها تبدأ فقط من شمال نهر سيحون/سيردريا، أي من شمال بلاد الصغد وفرغانة وبلاد خوارزم؛ وفي هذه الحال تدلّ على منطقة السهوب الآسيوية الواقعة خارج العالم الإسلامي.

لقد نعت الأهمية الحالية لهذه اللفظة، رغم غموض استعمالها، من ظهور الحركة الطورانية في القرن العشرين التي كانت في أساس القومية التركية. وبينما ظلّ الشباب الأتراك (تركيا الفتاة) في ١٩٠٨ مخلصين لفكرة الأمبراطورية العثمانية، نظّر ميل للقومية دافع عنه ضيا كوك ألب الذي كان يقول: «إنّ وطن الأتراك ليس تركيا أو التركستان بل هو طوران، البلاد الكبرى الخالدة». غير أنّ الوحدة السياسية لكلّ الشعوب التركية لم تكن، في نظره، إلّا برنامجاً طويل الأمد، فاكتمى آنذاك بالدعوة إلى «ترك» بلاده، وهو أمر لا يلني في نظره الأسلمة والحدّثة. وهكذا فُتحت الطريق للكمالية^(٦٨) التي انضمت إليها كوك ألب في نهاية المطاف.

طوس، مدينة في خراسان، إندثرت حالياً، وكانت إحدى أهم حواضر إيران الإسلامية في بداية العصور الوسطى.

وضّمت طوس إلى الدولة الإسلامية إبّان الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، على الأرجح نحو عام ٢٩هـ/٦٥٠م، وحافظت على ازدهارها على مدى قرون عدّة. وهي تلي نيسابور مباشرة من حيث التراب بين حواضر المنطقة، قبل أن يتوقّع عليها، خلال القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، وفي جوارها المباشر، التجمّع الذي نشأ في مشهد، إنطلاقاً من مزار شيعي مشهور. وقد نوه الجغرافيون العرب، في القرون الوسطى، بمسجدها الجامع الذي جمّله أحد الحكّام المحليين في العهد الساماني.

من ناحية أخرى، بقي تنظيم المدينة وتاريخها، مع فضيّتها المعروفتين «طابران» و«نوقان»، غامضاً بعض الشيء، حتّى انثارتها الناتج عن توالي الاعتداءات

اغتنم ابن طولون تلك الأوضاع لتنظيم دولته، فزودها بإدارة مالية وعسكرية جيدة، وبخاصة بجيش قوامه أرقاء من أتراك وزنوج، كما بنى شمالي المنسقاط مدينة جديدة أسماها القطائع، وشيّد فيها قصره وجعل منها مركزاً لدواوينه ولحرسه، وشيّد فيها مسجداً جامعاً ما يزال يحمل اسمه ويعرف بجوامع ابن طولون ويقع اليوم داخل مدينة القاهرة.

قبل وفاته في العام ١٢٧٠هـ/٨٨٤م. أوصى بالحكم لابنه خمارويه. واعترف الخليفة العباسي المعتمد بحكم خمارويه وباستقلاله الذاتي في العام ١٢٧٩هـ/٨٩٢م، لفاه خراج سنوي. اغتيل خمارويه في العام ١٢٨٣هـ/٨٩٦م وخلفه ونّدا. وفي سنة ٩٠٥ أرسلت الخلافة العباسية حملة عسكرية إلى مصر قضت على الدولة الطولونية.

السلالة الطولونية

احمد بن طولون	٢٥٤-١٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٤م
خمارويه	٢٧٠-١٢٨٢هـ/٨٨٤-٨٩٥م
جيش	٢٨٢-١٢٨٣هـ/٨٩٥-٨٩٦م
هارون	٢٨٣-١٢٩٢هـ/٨٩٦-٩٠٥م
شيبان	٢٩٢هـ/٩٠٥م

◀ راجع المستند رقم ٤٤.

هذا المركز العلمي جداول كوكبية جديدة. كان يتسبب إلى الوسط الإسماعيلي، ومن ثم تحوّل إلى الإمامية الاثني عشرية. ولم يكتف بوضع مصنفات في الطب والفيزياء والرياضيات وعلم الفلك، بل قام أيضاً بمهمة الفيلسوف والمتكلم بغية الدفاع، مثلاً، عن نظرية غياب الإمام الثاني عشر، مستخدماً، غالباً، في كتاباته مناهج ابن سينا الفلسفية.

الطولونيون، (٢٥٤-١٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م)، سلالة حاكمة من أصل تركي، ولّتها السلطة العباسية، وقد حكمت مصر لفترة وجيزة لكنها متأثرة.

مؤسس هذه الأسرة هو أحمد بن طولون المعروف بابن طولون، وهو ابن بالنبي لأحد قادة الحرس الخلفي في سامراء. عُيّن في العام ١٢٥٤هـ/٨٦٨م معاوناً لجميّه التركي بابكياك، حاكم مصر، فتمكّن من ممارسة السلطات العسكرية والمالية ومن بسط سلطانه على بلاد الشام في العام ١٢٦٤هـ/٨٧٨م. أعلن استقلاله عن الخليفة العباسي المعتمد، إذ لاهه لأنّه عهد بسلطانه الى أخيه الوصيّ على العرش، الموفق. ولم تقم الخلافة العباسية في بغداد بأية ردّة فعل على استقلاله بسبب مشكلات السلطة المركزية التي كانت آنذاك منهكة بشوكة الزنج.

ظ

في تأمين نفوذه الشخصي وسط صراعات وخصومات كانت تمرق الدولة الأيوبية السورية - المصرية ، وتضع وجهاً لوجه ملوكها الممتنين إلى الأسرة نفسها . مات بعد أن عيّن أحد أبنائه البالغ من العمر ثلاث سنوات وريثاً له ، وباسمه مارس في البدء أتابكه طفرل السلطة ، متابهاً سياسة سيده .

الظاهرية، مذهب فقهي وكلامي صاغه في العراق الفقيه داود الأصفهاني المتوفى سنة ٢٤٠هـ/٨٨٤م .

قام هذا المذهب حصراً على «المعنى الخارجي» أو الحرفي «المناقض للباطن» أي إنه يعتمد على ظاهر نصوص القرآن الكريم والحديث . إنه يرفض أي تفسير شخصي ، أي «الرأي» وسائر أساليب الاستدلال العقلي . في المجال الفقهي ، شكّلت الظاهرية مذهباً خاصاً ، ولكنه سرعان ما زال من الشرق ، بعد أن تميّز بعدد من الفرائض تختلف عن تلك التي قالت بها المذاهب الفقهية الأخرى . أمّا في ميدان علم الكلام فإنّ المظاهرية سكّعت التسويات الأشعرية ، مؤكّدة وحدانيّة الله كما جاءت في النص المنزّل من دون الأخذ بمقولات الفكر .

إلا أنّ المذهب الظاهري ، الذي لم يحدد سوى نجاح محدود من المناطق التي وُلد فيها ، وجد مدافعاً فذاً عنه في الأندلس ، في شخص عالم القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الشهير ، ابن حزم . المعروف أيضاً كشاعر ذنبويّ وأديب ، وأصبح مذهباً رسمياً مع نهاية القرن الثاني ، في عهد الولاية القصيرة للملك الموحد أبي يوسف يعقوب بن منصور . في ما بعد ، في القرن السادس عشر الميلادي ، تبنّى الصوفي الشعراي مقولات المظاهرية في مصر .

الظاهر غازي (الملك) ، ٥٦٨-٦١٢هـ/١١٧٢-

١٢١٥م ، ملك من السلالة الأيوبية وابن صلاح الدين ، حكم في سوريا الشمالية مملكة حلب من سنة ٥٨٩ حتى ٦١٢هـ/١١٩٣ حتى ١٢١٥م .

عنه والده حاكماً على هذه المدينة منذ سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، وكان ما يزال يافعاً . نزع الحكم منه لفترة قصيرة لمصلحة عمّه الملك العادل ، ولكنه استعاد إثره حال استيلاء صلاح الدين على القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م . هكذا سيطر ، تقريباً بدون انقطاع حتى مماته ، على إمارة مهمة ، إستراتيجياً واقتصادياً ، تمتد من ضواحي حماة جنوباً حتى تخوم أرمينيا شمالاً وضفة الفرات شرقاً ، وتجاور مباشرة من الغرب الإمارة المسيحية التي أقامها الفرنج في أنطاكية .

كانت مهمته حماية الحدود الشمالية من البيزنطيين والدول الأخرى غير المسلمة في الأناضول ، لكنه شارك بشكل فعّال في عمليات عسكرية مختلفة قادها والده قبل وفاته ، في مواجهة المملكة اللاتينية في الأراضي المقدسة .

بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ، احتفظ الظاهر بسلطة فعّالة ومتزايدة على إمارة حلب التي بقيت في عهده وعهدة سلالاته حتى غزو المغول سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م . حصّن عاصمته ونظمها وأدخل تعديلات على قلعها وأصلح المجاري التي تغذيها بالمياه ، وشيّد صروحاً مختلفة دينية ومدنية ، ونمّى ازدهارها بتطوير أنشطتها التجارية وتشجيع المبادلات ، خصوصاً مع تجّار الهندية والفرنج في أنطاكية ، كذلك مع سلاجقة قونية وأهراء تبريز . وفي الوقت نفسه ، وظّف منزله كرجل دولة في خدمة طموحاته التي تكلمت بالنجاح . لم يتوان

وكان قد بناها أئمة من سلالة الزيديين في اليمن، ينتمون إلى بني رسي، وقد نُشرت حديثًا كتابات عربية قديمة تحدد بدقة، في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، بناء المجموعة الهندسية المكوّنة من المسجد ومن ضريحين، وإنَّ حالة هذه الآثار أفضل من حالة سواها.

ظفار، اسم لمواقع عدّة مهتمة من منطقة اليمن. في جنوب شبه الجزيرة العربية، بينها موقع «ذي بين» وهو أهمّها في ما خصّ الحقبة الإسلامية. ما تزال بقايا أثرية لقلعة ملكيّة قديمة موجودة على التفتة الصخرية التي تحمل هذا الاسم والتي يُنقذ إليها بصحوبة من الطريق الذي يربط اليوم صنعاء بصعدة.

عصر نوح، في منطقة «الكُشَان» أو «الأحفاف» المجاورة لعمّان وحضرموت، حيث يُذكر من مآثره أبنية عظيمة أقامها تدليلاً على بأسه. مهما يكن من أمر، فقد استقرّ ذكره، في الذخيرة الإسلامية، مع قوم نوح، على أنه، على مثال أهل مكّة النابذيين رسالة النبي محمّد (ﷺ)، نموذجٌ لتلك الأمم التي أنزل الله بها العقاب لإفصائها النبي (ﷺ) الذي حمل إليها الأوامر الإلهية والذي دعاهما إلى الطاعة.

العادة، مفهوم يُرجع إليه أحياناً كثيرة في البلدان الإسلامية بمعناه المزودج: التقليد المدوّج للسنّة النبوية الذي يشكل أحد أركان الشريعة؛ والعرف الذي، من خلال تكيفه مع متطلبات الإسلام، يؤدّي إلى إثراء الفقه.

سمح مفهوم العرف مثلاً للسلطين العثمانيين بتبوير إجراءات سلطوية عديدة كانت ترتكز أحياناً إلى عادات قديمة، وأحياناً أخرى تشكل قرارات جديدة كلياً. هكذا كان الأمر في الحقل المالي، وكذلك في مجال تطويع الإنكشارية عن طريق المؤخّشما. وحاول ملوك آخرون في الفترة ذاتها، كالمصطفويين في إيران، اتّخاذ قرارات مستندة إلى العرف، لكنّ الملالي لم يوافقوا عليها.

وقد شجّع العرف أيضاً، في بعض مناطق الأطراف، على تشكّل مجتمعات إسلامية لها طابعها الخاص. بفضل الحفاظ على ممارسات قديمة إستناداً إلى رأي فقهاء يعتبرون، بشكل عام، أنّ كل عرف لا يخالف اتّشريع هو مباح. وهكذا نشأ في مثل هذه المجتمعات خليط من اتّشريع بمعناه الحضري ومن الأعراف المحليّة. ولا سيّما في التمدّن المتعلّق بالعائلة، حيث كان يُحتفل بالزواج مثلاً وفاق طقوس شديدة الاختلاف

هائشة؟ - ١٥٩/٢ - ١٧٨٠م، ابنة أبي بكر الذي سيصبح خليفة، والزوجة الثالثة التي اختارها النبي محمّد (ﷺ). فأصبحت المفضّلة لديه والناقدرة على ممارسة تأثير فعليّ عليه.

ولدت في مكّة ولم تكن قد تجاوزت السادسة من عمرها عندما قرّر محمّد، لأسباب سياسية من دون شك، أن يتزوّجها، في الوقت الذي تزوّج فيه بسودة، وهي أرملة كان زوجها قد توفّي في الحبشة. وما كادت تبلغ العاشرة حتى أنتمّ الزواج بها، بعيد الهجرة، والثامنة عشرة حين فاجأ الموت نبي الإسلام فحضّبت بامتياز معالجته في حجرته الخاصة حيث دفن بعدئذٍ.

ليس من دليل على أنّها استغلّت تعلّق زوجها بها لتحريك في محيطه دسائس كان يمكن أن يكون لها منحنى سياسي. على أيّ حال، في الأحاديث [النبوية] تفاصيل كثيرة تتعلّق بحياة النبي محمّد (ﷺ) تُنسب إلى ذكرياتها معه. ويمكن أن تكون قد دوّنت خلال الفترة الطويلة من تزلّمها التي قصّت عائشة معظمها في المدينة حيث أنعت حياتها، حاملة لقب «أمّ المؤمنين». وحيث لم تتدخل في السياسة إلّا في مناسبة واحدة، عندما وقفت بوضوح، في العام ٦٣٦/٦٥٦م، ضدّ قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفّان: أنّذرت اشركت ضدّ علي، من هودجها، في المعركة المعروفة بوقعة الجمل، وهو أمر لم تغفره لها شيعة عليّ؟

عاد، قبيلة عربية بائدة، ضاربة في التّقدم الأسطوريّ، ندين بشهرتها لما زرد من ذكر لها في القرآن، في سياق قصّة النبي هود.

يُرجّح أن يكون هذا الشعب المتنطرس الذي سكن بلاد العرب قبل مجيء الإسلام قد اتّخذ منازلّه، بعيد

تقريباً، باستثناء فترة عابرة قضاهي في حلب من ٥٧٩ إلى ٥٨٢ هـ/١١٨٣ إلى ١١٨٦ م، ومسؤوليات في بلاد ما بين النهرين العليا تولاها ابتداء من ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م، وقد شارك في الحملات الطائفة التي أثت إلى استرجاع القدس في العام ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م، كما في جبهات القتال التي عقبتها ضد الفرنج خلال الحملة الصليبية الثالثة. وقد بشر موت صلاح الدين في العام ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م، بعد أن ورع ممتلكاته بين أولاده الثلاثة، الملك الظاهر، والملك الأفضل، والملك العزيز، للملك العادل بذل غاية جهده ودبلوماسيته لفرض سطوته على الملوك الثلاثة الجدد، مستعيناً عند الحاجة، بأنه الملك الكامل. وهكذا نجح مفيداً من الخلاف الذي كان قائماً بين أولاد أخيه - وكان الملك الظاهر رجل الدولة الوحيد بينهم - في الاستيلاء على ملك ذي سيادة واسعة حصل على التأييد الشرعي له من ديوان العباسيين في العام ٦٠٤ هـ/١٢٠٧ م.

بهذا استطاع بدوره أن يوزع أقطار مملكته بين أولاده، مقرراً سيطرة الملك الظاهر على حلب ونازعاً الحكم في حمص وحماة في أيدي أعقاب السلالات الفرعية. وقد يشرت له سلطته غير المنازعة، بعد هذه المرحلة، فرصة اتباع سياسة هدفت إلى إقامة علاقات هادئة، بالقدر الممكن، مع فرنج الأرض المقدسة والمدن الإقطاعية الممسكة بزمام التجارة البحرية في البحر المتوسط. فتمكّن، بهذه الوسيلة، من تأمين الازدهار الاقتصادي وتقوية وسائل الدفاع في أراضي مملكته، أي الحفاظ على سلامة أراضي إمبراطورته التي شملت سوريا ومصر تحت سلطانه. وقد استمر هذا التوازن المشدود حتى وفاته التي وافقت، في العام ٦١٥ هـ/١٢١٨ م، وصول الحملة الصليبية الخامسة، واستيلاء اقفرنج على دمياط.

العدال لشاهيون، ١٤٨٩ - ١٦٨٦ م، سلالة إسلامية من الدُكُن، استطاعت، خلال القرنين اللذين احتفظت فيها باستقلالها، متخذةً بيجايور عاصمةً لها، أن تشجع على ازدهار ثقافة مرموقة، سواء في الأدب أو الفن.

أسس مملكة بيجايور ضابط تركي من [أسرة] البُهمنيين، تُرجع الرواية الأسفورية أصله إلى الأسرة

بين بلد إسلامي وآخر. وقد حدث في بعض الحالات أن أقرت هذه العادات إلى جانب الشريعة، أو حتى إنهما حلّت محلّها إلى حدّ ما. وهذا الواقع يمكن ملاحظته عند البربر في المغرب، وعند شعوب أفريقيا السوداء وشبه القارة الهندية الواسعة، من إندونيسيا إلى الصين.

إنّ تبيّن مختلف الروافد التي تشكّل اليوم إرث العادات التقليدية، المعمول بها في هذه المنطقة أو تلك، أمر يصعب التحقق منه. فمن غير الممكن مثلاً أن نحّد، بالنسبة إلى مختلف المناطق البربرية في المغرب والجزائر، الروافد الأولى التي استمدت منها هذه العادات، كما لا يمكن تأكيد وجود عرف بربري قديم واحد. وقد أبطلت بعض هذه التقاليد في المغرب بعد استقلال بلدانه، من دون الأخذ في الاعتبار الطبيعة المعقّدة لهذه التقاليد التي تداخلت فيها مع الزمن تأثيرات لقانون الإسلامي. وحتى بداية القرن العشرين، كانت لا تزال مستمرة في الهند عادات متعارضة مع الشرع الإسلامي، بخاصة داخل الجماعات التي اعتنقت الإسلام حديثاً؛ لكنّ هذه العادات زالت بعد إصدار السلطات البريطانية «قانون الشريعة» في العام ١٩٣٧. أمّا في ما يتعلّق بالشرع المعروف بالعربي في إندونيسيا الذي ما يزال، على ما يبدو، معتمداً في ميادين عدّة، والذي تثير علاقته بالشرعية جدالات دائمة، فهو، إذا ما قورن بالشرعية، يحتوي أموراً شاذةً بيّنة في قضايا تتعلق بالعائلة والزواج والإرث.

العدال (الملك) أو «الملك العادل»، سيف الدين أبو بكر أحمد بن أيوب، ٥٣٨ - ٦١٥ هـ/١١٤٣ - ١٢١٨ م، حكم في مصر وسوريا من سنة ٥٩٦ إلى سنة ٦١٥ هـ/١٢٠٠ إلى ١٢١٨ م، وأصبح بعد أخيه، صلاح الدين، الرئيس الأعظم والسُّدّ الأفضل لسلالة الأيوبيين حيث ساد مفهوم عائلي للسلطة.

وُلد في ٥٣٨ أو ٥٤٠ هـ/١١٤٣ أو ١١٤٥ م. أي بعد صلاح الدين بست سنوات أو ثماني، لوالد كان ضابطاً كرديّاً في خدمة آل زنكي، وقد تابع، في مستهلّ حياته السياسية، صعود أخيه وساعده على ارتقاء العرش، واستمرّ حليفاً وثيقاً له. عيّنه أخوه حاكماً على مصر، في العام ٥٧٠ هـ/١١٧٤ م، ولبث في هذا المنصب باستمرار

في الأساطير الشيعية، يعني لفظ عاشوراء انحداد العلني المتبع لاستذكار مقتل الإمام العلوي الثالث، الحسين، سبط نبي الإسلام، الذي قُتل في كربلاء في اليوم نفسه [١٠ محرم] من أعوام ٦١ للهجرة، أي ١٠ تشرين الأول/أكتوبر ٦٨٠م.

لسنا نعرف إلى أي عصر يعود هذا الاحتفال الشيعي الذي ينبغي ربطه، من دون شك، بتوفير قبر الحسين. إن الحوليات العربية القروسطية تذكر أن هذا القبر غدا بسرعة موضع زيارات نافلة: واقع الأمر أن خليفة من سلالة العباسيين، هو المتوكل، أمر في العام ٢٣٦هـ/٨٥٠م بمنع التجمعات حول هذا القبر وبهدمه وبحرقه موقعه. بحيث لا يُعرف مكانه بعد ذلك. ما يبدو أكيداً أنه في العام ٩٦٢م، خلال سيطرة البويهيين في العراق، احتُفل بالذكرى الشيعية لعاشوراء لأول مرة في بغداد، ثم بعد مضي بضع سنوات، احتُفل بها في عاصمة الغاطميين، القاهرة. كان أنواح والتعجب بنسجيان على امتداد النهار بحيث أن متاجر بغداد كانت تُغلق. وكانت تُقام مسيرة يقظتها أمير الأمراء يتبعه خلق كثير، متجلبون بالسواد، هاتفين «يا حسين! يا حسين!» وهم يضربون أنفسهم بالسياط. هذه التظاهرات الشيعية كانت تصطبغ في العراق العباسي بالجماهير النسبية. وقد أحدثت، أحياناً، اضطرابات عنيفة بحيث أوقفت رسمياً لمرات عدة، ولا سيما في عهد الأمير عضد الدولة بين العامين ٩٧٧ و٩٨٣م. وبمجيء ملوك من السنة، مثل السلاجقة، توقفت نهائياً. إلا أنها عادت إلى الظهور بعد بضعة قرون، في إيران، عندما أصبح المذهب الشيعي الإمامي الإثنا عشري المذهب السائد فيها، مطلقاً العنان لاحتفالات بلغت من العنف والقسوة مبلغاً. بحيث تفتت انبناء الرخالة الأوربيين في ذلك العهد.

واقع الأمر أن العالم الشيعي نظراً إلى موت الحسين على أنه «درب الآلام» أو قُلّ تضحية طوعية لم يكن للمؤمنين خلاص إلا بها.

بهذا يمكن تفسير ما يجري خلال ذكرى الحسين حيث أن المؤمنين الشيعة كانوا يُزنون بأنفسهم ضروب العذاب مشاركة منهم في آلام الحسين التي كان رجال الدين (الملائي) يروونها لهم. حتى إن الأمر أدى في

العشائرية الحاكمة، إلا أن ما يُعرف عنه، بوجه خاص، هو انتماؤه إلى الشيعة. وقد اصطفت بهذا اللون الديني الخاص، أنشد، دول أخرى في الدكن الجنوبي، تحت تأثير المسلمين «الأجانب» الوافدين إليه بوجه خاص من إيران، وافق هذه الصيغة المقام الرفيع الذي تمتعت به هناك، كما في أي مكان آخر، الحركات الصوفية كما تمتع به الدعاة المتصوفون الذين جاهدوا في أسلمة البلاد، غير رافضين التكيف مع عاداتها الدينية النافذة. وقد أتم عهد إبراهيم الثاني بجهد حقيقي للتوفيق بين الاتجاهين، بحيث بلغت المدينة والبلاد اللذان رُحبا كذلك بالأوروبيين، وبينهم برتغاليون من غوا، أقصى درجات الأنظمة الأنيقة، رغم الحروب المستمرة مع الأمراء المجاورين. إلا أن استيلاء الممول على المنطقة أنهى، بضربات جيوش أورنغ زيب، سلطة آخر ممثل لهذه السلالة التي عرفت كيف تخلف إرثاً معمارياً ذا أهمية خاصة، في الوقت الذي شجعت فيه نمو الأدب والموسيقى.

يوسف عادل (خان)	١٤٨٩-١٥١٠
إسماعيل بن يوسف	١٥١٠-١٥٣٤
مُلقب بن إسماعيل	١٥٣٤-١٥٣٥
إبراهيم الأول بن إسماعيل	١٥٣٥-١٥٥٧
علي الأول بن إبراهيم	١٥٥٧-١٥٧٩
إبراهيم الثاني بن طهماسب	١٥٧٩-١٦٥٦
علي الثاني بن محمد	١٦٥٦-١٦٧٢
مستكبر بن علي	١٦٧٢-١٦٨٦

عاشوراء، اسمٌ لذكرى أو لعنابة دينية تقع في العاشر من شهر محرم القمري. لها مدلول مختلف في الأساطير النسبية أو الشيعية.

في الأساطير السنية، يُكتفى بالذكر بأن النبي محمد (ﷺ) اختار هذا التاريخ لتعيين «صيام اليوم العاشر» المستوحى من العادات اليهودية. إن إبطال صيام هذا اليوم بنقل فريضة الصيام الشرعي إلى شهر رمضان، في السنة الثانية من الهجرة، وكذلك انخفاً عن بيت المقدس كقيلة لصلاة لم يحل دون احتفاظ العاشر من محرم بقيمته الدينية المستمرة التي واكبها في بعض أمتاطن، ولا سيما في المغرب، استمرار لبعض الطقوس الشعبية القديمة ذات الجذور الزراعية.

عامر وأنصاره، وهو عمدة القصر الذي استأثر بالسلطة السياسية والحربية في الأندلس زمن الحكم الأموي، بين سنتي ٣٦٨ و ٣٩٢هـ/ ٩٧٨ و ١٠٠٢م.

١ - في العهد الأول للعامريين، تابع عبد الملك بن المنصور الأعمال التي كان قد أنجزها والده عندما كان حاجباً وقائداً عسكرياً، وذلك بين سنتي ٣٩٢ و ٣٩٨هـ/ ١٠٠٢ و ١٠٠٨م. ولكن تلك الإنجازات انهارت وهُدمت بعد ذلك على يد ابنه الثاني (عبد الرحمن) الذي حمل لقب «شنجول»، والذي أدت سياسته الشاذة إلى مقتله. إلا أن الذين جاءوا في أعقابهِ من ذريته أنشؤا مملكة عامرية صغيرة في بلنسية. كما ملك عامريون آخرون على مدينة دانية وجزر البليار، وذلك سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م، إثر عملية احتلال قام بها مُعَنّق لعبد الرحمن اسمه أبو الجيش مجاهد. وقد اغتنت إمارتهم في عهد ملوك الطوائف بفضل أعمال القرصنة البحرية. وفي مدينة طرطوشة البحرية الواقعة إلى الشمال، استقر أيضاً صقالبة تابعون للعامريين.

٢ - الأسرة العامرية المنحلبة التي ملكت بلنسية عملت على أن تحافظ هذه المدينة الشرقية على مميزاتها وازدهارها في مستهلّ عهد ملوك الطوائف. فالمملكة تأسست سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م على شاطئ المتوسط. شبه الجزيرة الإيبيرية، على أيدي اثنين من المُعَنّقين العامريين، سلماً السلطة بعد ذلك إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن العامري الذي اتخذ لنفسه لقب جدّه «المنصور».

إلا أنّ هذه المملكة التي بدأت مزدهرة مرّت بمصاعب عمل خلالها بنو ذي النون أصحاب طليظلة، بعد أن أبعدوا وريث العرش الصغير، ابن عبد العزيز. على بسط سلطتهم في بلنسية، ثم جعلوا الملك، بين سنتي ٤٦٨ و ٤٧٨هـ/ ١٠٧٥ و ١٠٨٥م، في يدي أحد أبناء عبد العزيز المنصور. ولكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلاً أمام هجمات الألبان التي أدت إلى سقوط المدينة بيد السيد (Le Cid).

عبد العزيز المنصور ٤١٢-٤٥٣هـ (١٠٢١-١٠٦١)

عبد الملك المظفر ٤٥٣-٤٥٧هـ (١٠٦١-١٠٦٥م)

أبو بكر بن عبد العزيز ٤٦٨-٤٧٨هـ (١٠٧٥-١٠٨٥)

◀ راجع المستند رقم ١٥.

إيران. ابتداء من تاريخ لا يمكن تحديده بدقة، إلى ظهور مشاهد مأسوية (من الدراما) عرفت بالنسبة العربية «تعزية»، وتطوّرت إلى فنٍّ مسرحيٍّ بالمعنى المعروف للمصطلح. هذه التمثيليات التي تجمع معاً مسائل غذائية ومشاهد واقعية كانت تطوّري على مسلسلات مؤلفة من أربعين إلى خمسين مشهداً، كان من شأنها أن تُثير ردات فعل عاطفية من قبل الجمهور، أكّدها لنا روايات المشاهدين الأجانب منذ مستهلّ القرن التاسع عشر.

وقد انتشرت هذه الاحتفالات ذاتها، بتأثير فارسي في الأساس، في المناطق الإسلامية من الهند حيث لاقت رواجاً خاصاً في منطقة البنّال منذ القرن السادس عشر. ثم في شكل أخصّ في مدينتي حيدر آباد ولُكناو اللتين تعاقبت على حكمهما، منذ القرن السابع عشر، سلالات شيعية. وفي لُكناو بوجه خاص بلغ الاحتفاء بعاشوراء ألفاً عظيماً عملت على تغذية يد الحاكم السمحة. وقد عمدت الدولتان المتنافستان إلى التفاخر بالمباني الضخمة الباقية حتى أيامنا والتي أقيمت لعرض التمثيليات أو المشاهد المأسوية التي كانت الذكري مناسبة لها.

العامري، أبو الحسن محمد بن يوسف، ٩-٣٨٢هـ/ ٩٩٢-٩٩٣م، أديب إيراني أمضى معظم حياته في المغاطعات الشرقية، حيث انصرف إلى الدفاع عن الفلسفة. وُلد في نيسابور وقصد بغداد سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م وسنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م. ومنها انتقل إلى الرّي قبل أن يرحل إلى خراسان حيث أفاد، حتى نهاية حياته، من دعم السامانيين. أقام علاقة قوية بسكويه والتوحيدي، وتعلّم للجغرافيا أبي زيد البلخي الذي كان هو نفسه تلميذاً للكندي. وضع مقالاً حول السعادة، وآخر في المسائل الماورائية، ووضع كتباً حول سمّ الإسلام عبّر فيه عن تعلّقه بعقيدة السّنة التي نجح في التوفيق بينها وبين معطيات الفلسفة الإغريقية، وذلك عبر مجموعة مسائل استعارها من الأفلاطونية الجديدة ومن الأرسطية. وفي الحقل السياسي بدا أقرب إلى المفاهيم الإيرانية التي كان قد فضلها من قبل ابن المقفّع، منه إلى نظريات الفارابي.

العامريون، لفظ يشار به إلى أسرة المنصور بن أبي

عَبَادان، آبادان في التسمية الإيرانية (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة بحرية عصرية في خوزستان، دُمِّرَتْ أخيراً خلال الحرب الإيرانية-العراقية بعد أن استُخدمت، خلال العقود السابقة، منفذاً للمناطق البترولية في إقليم فارس.

عرفت «عبادان» نقاعةً في دلتا بلاد ما بين النهرين، في عمق الخليج العربي الفارسي على مسافة غير بعيدة من الحدود العراقية، رخاءً فجائياً نتج من تجارة البترول وصناعاته، بعد أن بُنيت فيها، حوالي سنة ١٩٠٩م، محطة التكرير التابعة للشركة الأنكلو-إيرانية. ارتبط مصيرها بازدهار هذا المجتمع وكذلك بمرفأها النشط، «خُومشهر»، وهي التسمية التي أطلقها عليه العامل رضا شاه بهلوي سنة ١٩٣٧م، إلا أن الإهمال كان نصيبه بعد ثلاثين سنة تقريباً، لمصلحة مراكز جديدة لتصدير البترول.

لم تتوقف مدينة «عبادان» في الماضي عن التوسع في السهل الغربي لنهر «كارون» أو نهر «دُجبل» كما كان يُعرف في القرون الوسطى، على غرار مدينة «مستعمرة» وغير طبيعية النشأة، أحاطت بها أحياء أُقيمت عشوائياً. وقد حلَّت هذه المدينة محل قرية عادية كان قد أسسها في القرن الثامن أو في القرن التاسع الميلادي، على شاطئ البحر، قبالة مدينة البصرة الوسيطة، وحل من الأولياء يُدعى «عباد» (من هنا كان إسم هذا الموقع). إن تراجع الدلتا جعلها، في ما بعد، محاطة بالمستنقعات وبأراضي ذات ملوحة لم تلبث أن تحولت إلى بساتين نخيل.

عباس الأول (شاه)، المعروف بالكبير. ٩٧٨-١٠٣٨/١٥٧١-١٦٢٩م، ملك فارس. حكم من سنة ٩٩٥/١٥٨٧م إلى سنة ١٠٣٨/١٦٢٩م. فرض سلطته على جميع الأراضي الإيرانية، وأصبح أشهر ملوك السلالة الصفوية.

كان الابن الثاني لمحمد خدابنده. وفي سنة العرش يافعا بفضل جهود وصيه. إمتاز الشاه عباس بإرادة لا تُقهر، وفاسية أحياناً، سعى إلى توطيد قدرته واكتساب شهره تادرة. بذلك طبع بطابعه مملكة أخذت بالانفتاح على الغرب وإقامة بعض العلاقات معه، بينما كانت

عَبَاد (بنو -) أو المَبَادِيون، ٤١٤-٤٨٤/١٠٢٣-١٠٩١م، سلالة من الأندلس تعود إلى عصر ملوك الطوائف. عظم شأنها وازدهرت واتخذت من إشبيلية عاصمة لها.

يعود تأسيس هذه الأسرة - التي تدين جزئياً بشهرتها إلى الشخصية الأدبية التي اتسم بها آخر ملوكها الذي اقتاده المرابطون أسيراً إلى المغرب بعد أن ضموا مملكته إلى دولتهم - إلى قاضٍ من إشبيلية ينتمي إلى أسرة من الفقهاء الأندلسيين. قامت سلطة المَبَادِيين على الحملات الحربية التي جرَّدها المنعطف^(١)، ابن المؤسس، الذي شغله بشكل أساسي قتال امراء الأبربر من جيرانه ومتاز عنهم تركه الخلاقة الأموية في قرطبة. بلغت هذه السلالة أوجها في عهد المعتمد. وهو أمير شاعرٌ مرفه أفاد من نتائج «السياسة التي انتهجها والده، فشملت مملكته القسم الجنوبي الغربي لشبه جزيرة إيبيريا بأكملها.

اجتمع لبلاد هذا الملك الأيبيني الترف المقرون بازدهار الآداب والفنون والقوة التي أتاحت له الاستيلاء على «قرطبة» التي أعمل حمايتها آخر ملوك بني جُهور. واستمرَّ الوضع على حاله حتى زمن التقدّم الذي أحرزته حروب الاسترداد التي جرَّدها المسيحيون (سقطت طليطلة بيد ألفونس الرابع ملك قشتالة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، والتي نفذت إلى صميم الصراعات الداخلية بين الأسر المحلية الحاكمة، وأبقت التزمّت الديني الذي عُرِف به المرابطون ومُطهرهم. هكذا استولى السلطان يوسف بن تاشفين، بقرّة السلاح، على إشبيلية عندما وصلت سفته، للمرة الثانية، إلى شواطئ إسبانيا الإسلامية، وكان المعتمد قد ارتكب خطأ باستنجاذه. فعند السلطان إلى أسر آخر ملوك العَبَادِيين الذي دافع دفاعه البطولي عن مملكته ومونه الشقي بعد ذلك بخمس سنوات في منطقة مراكش شهرته الشعرية بأنق مأسوي.

محمد الأول بن عبّاد ٤١٤-٤٣٤/١٠٢٣-١٠٤٢م

عَبَاد المعتمد ٤٣٤-٤٦١/١٠٤٢-١٠٦٩م

محمد الثاني المعتمد ٤٦١-٤٨٤/١٠٦٩-١٠٩١م

الإقليم، الذي استمرّ بعد ذلك في اتّجاه بلاد القوقاز الشرقية وبلاد ما بين النهرين العليا، طال أيضاً اطراف الخليج العربي-الفارسي في منطقتي البحرين وهرمز. امتدّ هذا التوسّع أخيراً إلى العراق، إلى مدينة بغداد بالذات، حيث عاش السكّان السّنة بشكل خاص من نبذ الحكم، كما امتدّ إلى قندهار في سبستان الثانية.

إنّ الزخم الذي أعطي لتحسين طرق المواصلات ولتوسيع العلاقات الدبلوماسية، في كلّ الاتجاهات، ولحماية التجار والحرفيين الذين ينتمون إلى الأقليات المسيحية، ولمتابعة مشاريع البناء الكبرى وتنظيم المدن، أي، بالمقابل، إلى تحسّن الأوضاع الإقتصادية بالظرف. تجلّى أحد الانجازات البارزة أكثر من سواها، من دون شك، في إعادة تخطيط مدينة أصفهان جذرياً. وقد أصبحت هذه المدينة تُعرف، منذ ذلك التاريخ حتّى يومنا هذا، بـ«مدينة الشاه عباس الملكية»، وذلك بفضل الأبنية الرائعة التي ما تزال قائمة فيها. وينبغي ألا ننسى، كذلك، معالم التقوى الدينية التي أرساها الشاه في المقامات المقدّسة الشيعية الكبرى في مملكته، وكذلك الدعم الذي قدّمه لعلماء الشريعة الإماميين النافذين، أمثال ميرداماد وصدر الدين (الشيرازي) المعروف باسم «ملا صدرا».

«راجع المستند رقم ٧٢».

العبّاس بن عبد المطلب، أبو الفضل، ٥١ ق هـ - ٣٢٢/٥٧٣-٦٥٣ م، أخو عبدالله وأبي طالب من أبيهما، قرشي وعمرّ رسول الإسلام ﷺ. يرجع نصيب كبير من الشهرة التي عرفها بعد موته إلى كونه السلف الذي تنتمي إليه سلالة الخلفاء العبّاسيين.

كان من تجار الاسترقاقية المكيّة الميسورين، لكنّه كان أقلّ ثراء من أبناء عمّه من عشيرة عبد شمس، ينتمي إلى عشيرة بني هاشم أو الهاشميين. إنّه من الذين تصدّوا بعنف^(١) للشيعة محمد ﷺ في بداية دعوته في مكّة، ومن الذين هاجموا بعد ذلك خلافاً هجرته إلى المدينة، خصوصاً في أثناء معركة بدر، ومن الذين لم ينضمّوا إليه إلا عندما قرّر أن يرحل إلى مكّة، مسقط رأسه، سنة ٨٨/٦٣٠ م، أي قبل انتصاره النهائي بقليل. غير أنّ التقاليد، بدلاً من أن تظهر ضغينة على

صورتها كقوة حديثة تترسّخ، متميّزة، في الوقت نفسه، بدفاعها عن مذهب الشيعة الاثني عشرية وبانهوية الفارسية الأصلية التي نتجت عنه. إنّ سعي الشاه عبّاس الدائم إلى الاعتماد على جيش قويّ ونظامي - وكان قد أعيد تنظيمه تبعاً لنصائح مغامر إنكليزي يدعى روبرت شيرلي (Robert Sherley) - تدعمه فرقة مدفعية ذات شأن، ينسجم مع سياسة التوازن التي اتّبعها والتي هدفت إلى التوفيق، في عملية تنظيم البلاد، بين عناصر متعدّدة ذات ميول متنافرة: تمثّلت الأولى بالعناصر المعروفة بالتاجيك، وقد حافظت هذه على التقاليد القومية وأحكمت قبضتها على الآفارة؛ وتمثّلت الثانية بقوة شيعية مذهبية - تجسّدت، منذ ولادة الدولة الصفوية، ببطقة أرستقراطية من المحاربين الذين ينتمون إلى القبائل التركمانية المعروفة بالفزلياش، وقد اضطرّ الشاه عبّاس إلى كبح اطماع هذه القبائل، بدلاً بطاماع وصبه الذي تعاطف نفوذ، أمّا القوّة الثالثة فتمثّلت بالأرمن وبالجورجيين وبالشركس، وكان قسم من هؤلاء قد انخرط في الدولة بصفتهم جنوداً، عبيداً للبيت الملكي^(٢)، أو بصفتهم أعضاء في الحرس الملكي الذي ازداد عدد أفراده باطراد، حتّى إنّ الجيش النظامي الذي كان قد انشأ حديثاً، شكّل منه، أمّا الباقون منهم فقد نفقوا جماعات من منظمة إلى أخرى كما حدث في منطقة جلفا للمعائنات الأرمنية التي أُجِّلِيَتْ عن موطنها الأصلي وأسكنت في أحد أحياء أصفهان.

بذلك، سجّلت نتائج باهرة على المستوى العسكري بفضل الغزوات، وأحياناً الفتوحات التي تمّت في الغرب، في اتّجاه الأمبراطورية العثمانية، كما في الشرق، في اتّجاه المناطق التي يسيطر عليها الأوزبك وحتى المغول. إنّ استعادة مدينتي هراة ومشهد في خراسان سنة ١٥٩٩ م نتيجة لضعف الشيبانيين، عقبا فشل قوات الصفويين أمام بلخ؛ لكنّ الانتصارات الواضحة التي أحرزتها تلك القوات على العثمانيين في أفذربيجان وفي الأطراف البعيدة من أرمينيا وجورجيا، أدّت إلى إعادة النظر في نتائج انمعاودة التي كانت قد أبرمت في اسطنبول بداية العهد، في مرحلة إخماد الفتنة الداخلية، والتي لم تكن لمصلحة الصفويين. إنّ التوسّع

إن اندلاع ثورة ١٩٥٤م جعله ينضمّ إلى صفوف «جبهة التحرير الوطنية» (FLN). انتُخب في سنة ١٩٦٢. غداة الاستقلال، رئيساً للجمعية التأسيسية، لكنه استقال من هذا المنصب في سنة ١٩٦٣. طرد بعد ذلك من «جبهة التحرير» وحُرم من القيام بأي نشاط داخل الدولة الجديدة المستقلة.

العبّاسية (الثورة -)، حركة سياسية دينية في القرن الثاني للهجرة^(١٧)، كانت انطلاقها النهائية بقيادة امرأه يتحدّون من العبّاس بن عبد المظلب، عمّ رسول الإسلام ﷺ. وقد نجحت في تنصيب أحد هؤلاء على العرش.

هكذا وُلدت دولة العبّاسيين المشهورة، بينما انتهى في الشرق حكم السلالة الأولى من خلفاء المسلمين، أي سلالة الأمويين. إن الامراء المتحدّين من ذرية العبّاس الذين كانوا قد استقروا، منذ الفتوحات الكبرى، في جنوب سوريا، أقاموا في البلد علاقات متقلّبة بخلفاء دمشق الأمويين، من دون أن يظهروا طموحات خاصة، إلى أن تنازل لهم أحد المطالبين بالعرش من العلويين، واسمه أبو هاشم، عن حقوقه في الحكم، فاختار محمّداً إبن علي، حفيد العبّاس، وريثاً شخصياً له. بلغ محمّد بن علي آنذاك، عن طريق هذه الوصية أو هذا النص، رتبة تعادل رتبة أعقاب علي، ووجد نفسه على رأس منظمة سرية مؤلّفة من بعض الرجال الأوفياء. جرى هذا في مرحلة شهدت، في أمكنة عبدة، تمجيد الغزالي الخاصة بعائلة الرسول ﷺ في مفهومها الواسع، أي ليس بالأفراد المتحدّين بصورة مباشرة من النبي محمّد ﷺ فحسب، بل بكل المتحدّين من عشيرته الأصلية، عشيرة بني هاشم. لم يكن في تمجيد الهاشميين غرباً تفوق تلك التي يُثيرها تمجيد علوي [طالبي] كمحمّد بن الحنفية الذي لم يكن يتحدّ بصورة مباشرة من رسول الله ﷺ، إته ابن علي ولكنّه ولد من امرأة غير فاطمة [أمّه حنفية أي من بني حنيفة].

كان لمحمّد بن علي العبّاسي الفضل في تنظيم حركة العصيان بشكل منهجي، وقد استطاعت هذه الحركة، في النهاية، أن تنتصر على الخلفاء الذين كانوا في سدة الحكم. وإليه يعود الفضل بخاصة في نقل مركز

العبّاس بسبب تأخّره في اعتناق الإسلام وبسبب الأعمال التي قام بها قبل ذلك، فإنّها، على عكس ذلك، تركّز على التقدير الذي خصّ به الرسول محمّد ﷺ عمّه، جاعلاً منه بطريقة ما وريثه السياسي، وكأنّه أراد أن يشرّع مسبقاً ادّعاءات أعقابيه في ما بعد. حتّى إنّ المهمة التي كان يقوم بها العبّاس في مكّة قبل الإسلام والتي بُنيت بعد استسلام المدينة واعتُبرت مهمة وراثية لعائلته - كانت تُعرف بالسقاية، وتقوم على تزويد جميع الكعبة بالماء - لم يرد ذكرها في المصادر العربية إلا بهدف مبطن، حيث اعتبرتها تلك المصادر عنواناً للمجد، إذ إنّها كانت، بنوع خاص، تربط العبّاسيين بهاشم بن عبد مناف، جدّ عشيرة بني هاشم، الذي كان قد اشتهر، في زمن الشّرك، بهذا المنصب بالذات. ومما يُثير الاهتمام أيضاً أن يكون أبو طالب، أخو العبّاس لأبيه، أي العمّ الآخر للنبي محمّد ﷺ، هو الذي تنازل للعبّاس عن ذلك المنصب الذي يتناسب والمكانة المحترمة التي كانت للعبّاس في مكّة، مقابل ذبيحة نخلى عنه هذا الأخير. إنّ أبا طالب هو الجدّ الأوّل لهؤلاء العلويين الذين سيصبحون على مرّ العصور المناهضين للشّريسين والمنكوبين للعبّاسيين في الميدانين السياسي والديني.

يُعدّ عبادة بن العبّاس بين صحابة الرسول ﷺ الذين اكتسبوا شهرةً كبيرة كمحدّثين.

«راجع المستدرك ١ و٣».

عبّاس فرحات أو فرحات عبّاس، ١٩٩٩-١٩٨٥م، قومي معتدل، أدّى دوراً سياسياً في الإعداد لولادة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية الحالية.

أصبح فرحات عبّاس، وهو صيدلي مسلم من سطيف، عضواً في المجلس البلدي لهذه المدينة، ثمّ عضواً في المجلس العام «لمدينة قسنطينة، قبل أن يؤسّس، في سنة ١٩٣٨، «الاتحاد الشعبي الجزائري» الذي طالب، ضمن الإطار العام لوضع الجزائر آنذاك، بالمساواة في الحقوق بين الجزائريين والفرنسيين. لم يتردّد في المطالبة، في سنة ١٩٤٣، في «بيان الشعب الجزائري»، بدولة جزائرية ذات استقلال إداري. جمع القوميين المعتدلين، على أثر اضطرابات سطيف سنة ١٩٤٥، ضمن «الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري».

يتلاقون في دارته في الحُجَيْمَة^(٧٧)، بل في مكة لمُناسبة الحج السنوي. هكذا أبقى الطامع الأول، محمد بن علي، في الظل، إلى أن استدل به، بعد وفاته، في سنة ١٧٦هـ/٧٤٣م، ابنه إبراهيم. عرف الأمويون في النهاية بنشاط هذا الأخير، فقبضوا عليه في سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م وسجنوه في حرّان، في بلاد ما بين النهرين العليا، حيث مات [أو قُتل] قبل انتصار الدعوة بقليل.

في غضون ذلك، وبعد مقتل خدّاش، أُعيد تنظيم الحركة؛ حوالي سنة ١٠٨هـ/٧٢٦م، على يد شخص يُدعى بَيْكُور، وكان هذا الأخير قد غيّر في مرو القباء الاثني عشر الرئيسيين، وكانوا كلهم من أصل عربي باستثناء واحد منهم، كما عيّن بعض الدعاة الآخرين وكلفهم بالمواقع المجاورة. كان الأمويون يواجهون، خلال تلك الحقبة، صعوبات في إيران، يعود سببها الأساسي إلى السياسة التي انتهجوها تجاه الموالي، تضاف إليها الإجراءات التي اتخذوها لتسوية الصراعات بين القبائل؛ خلق كل ذلك مناخاً مؤثراً لانتشار الأفكار الهلّامية. لقد حُرّض سكان خراسان غير المتجانسين والكثيري العدد على التمرد بصورة بطيئة ومامكة، وكان بينهم مسلمون جدد غير راضين عن وضعهم، و«نازحون» عرب من أصول مختلفة. إن عدداً من الذين قاتلوا في الفتوحات الكبرى، وبعضهم من أصول يمنية، كانوا قد اختلطوا بالسكان المحليين في القرى المحيطة بمرو، متبئين اللغة والعادات الإيرانية، حتى إنهم كانوا ينظرون إلى العرب السوريين، داعمي الحكم الأموي، نظرتهم إلى غرباء، بكل معنى الكلمة.

على كل حال، أُرسِل إلى خراسان، حوالي سنة ١٢٨هـ/٧٤٥-٧٤٦م، مبعوث من أصل غامض، بعد أن تبنّاه الإمام إبراهيم الذي اعطاه اسمه (أبو مسلم)، وزوّده بكل السلطات لإشعال فتنة مسلحة، نجح أبو مسلم بسرعة في كسب تأييد أنصار من الشيعة، لأن هؤلاء كانوا قد تلقوا ضربات قاسية بسبب الثورة التي قام بها، قبل ذلك بقليل، يحيى بن زيد في خراسان. وكسب أيضاً تأييد عدد من العرب المتمركزين حول مرو، فجمع جيشاً صغيراً مؤلفاً من العرب ومن الموالي، بدون النظر إلى أصلهم، واستطاع أن يستولي على مرو وأن بطرد،

المقاومة وقدراتها إلى مكان بعيد من سوريا ومن العراق، - لأن هاتين المقاطعتين كانتا خاضعتين لرقابة مشددة من قبل جيوش الأمويين، بحسب ما يؤكد مؤرخو القرون الوسطى - أي إلى خراسان حيث استطاع الإفادة من موارد هذه المقاطعة البعيدة التي يسكنها، بحسب ما تؤكده المصادر نفسها، أناس شجعان، فكان من الأسهل عليه أن يقوم بعصيان. يظهر، مع مرور الزمن، أن خياره كان صائباً، حتى لو بدا لنا أنه من غير المحتمل أن يكون محمد بن علي قد أدرك، قبل الأوان، طبيعة الأحداث التي ستقع في تلك المنطقة بعد خمس عشرة سنة والتي ستسمح للثورة بالاندلاع.

إن محاولات التحريض التي حصلت على التخوم الشرقية للدولة لم تلقَ في البدء إلا تجاوزاً ضئيلاً. لقد أرسل محمد بن علي مبعوثين عديدين، كلهم من أصل عربي، وفاعدتهم الكوفة في العراق. لكنهم لا قوا بعض الصعوبات في اجتذاب المؤيدين. والدليل على ذلك إعدام المدعو خدّاش الذي يُعتقد أنه قاد الحركة محلّياً من سنة ١٠١ إلى سنة ١٠٨هـ/٧١٩ إلى ٧٢٦م والذي اتهم بيش أفكار بدعية. هدفت تلك الجهود إلى إطلاق دعاوة موجهة أولاً إلى أخصام النظام عامة وإلى مناصري الشيعة بشكل خاص: على الرغم من أن الأفكار التي دافع عنها خدّاش غير معروفة بدقة، لكن يبدو بشكل شبه أكيد أن هذا الرجل كان يعمل لمصلحة العلويين أكثر مما كان يعمل لمصلحة العباسيين، ولهذا السبب بالذات ضُحّي به في النهاية.

راوحت الدعوة العباسية مكانها بعد هذه الحقبة حتى سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م، تلويع ثورة زيد بن علي في العراق، لأنها لم تحاول أن تميّز نفسها عن الدعوة الشيعية. على كل حال فإن نجاح الحركة التي قامت بها تلك الدعوة كان يرتكز، منذ البداية، على التباين نحاشي الأعضاء توضيحه: كانوا يدعون أنهم يناضلون باسم مثل «معتزف به» من عائلة النبي محمد ﷺ، من دون أن يعطوا عن هذا الممثل مزيداً من المعلومات. كان القادة المظلمون وحدهم، إضافة إلى المبعوثين الخاصين لهذا الطامع بالعرش، يعرفون أن الأمر يتعلق بأحد العباسيين. وتداركاً لإنارة الشكوك، لم يكن هؤلاء

خراسان أو في العراق. لكن يبدو أنّ نواة الجيش الناصر كانت مؤلفة من هؤلاء السكان المختلطين، من العرب والأهالي المحليين، وقد تميّزت بوجودهم تلك الحقبة من تاريخ الدولة الإسلامية، وفادتهم عناصر عربية بأكثريتها. من هنا نفهم لماذا أطلق في ما بعد إسم «خراسانيين» على الذين دعوا النظام، وليس في استطاعتنا أن نعرف إذا ما كان هؤلاء من العناصر العربية أو من السكان الأصليين أو من الذين وُلدوا من زيجات مختلطة.

أثنت الثورة العباسية، من ناحية ثانية، إنتقال السلطة إلى أمراء استطاعوا أن يستغلوا بذكاء، لمصلحتهم الخاصة، كلّ رقعات الفعل المؤيدة للمتحذرين من سلالة علي، أو للأفراد الآخرين من عائلة النبي ﷺ الذين حاولوا، بدون نجاح، في منتصف القرن الثامن الميلادي، إطاحة السلالة الأموية. إنّ هؤلاء الأمراء العباسيين الطموحين لم يكتفوا بالانتصار السياسي على أفراد الأسرة الحاكمة التي كانت باستمرار تهاجمهم في الماضي فدعوتها، بل إنهم نجحوا في نصفي هؤلاء الأفراد جسدياً عندما أوقعوا جميع أبناء العائلة الأموية في قنّ في أبي طُرس في فلسطين، ولم ينجُ منهم إلا واحد هو مؤسس السلالة الأموية في الغرب المعروفة أيضاً بسلالة قرطبة. حاول العباسيون أن يُنشئوا نظاماً مميزاً، وعلى الرغم من أنّهم حافظوا، في عدد من المجالات، على التقاليد التي كانت سائدة في عهد أسلافهم، إلا أنّهم حفظوا منذ البدء كي يعكس حكومتهم، بروح جديدة، الطروحات المحورية التي استعملوها في دعوتهم والتي سمحت لهم بإقامة نظامهم.

يبرز بشكل واضح جداً، في خطبة يُفترض أن يكون السقّاق قد ألقاها ساعة نصبه خليفة في الكوفة، التوجّه الجديد للحكم العباسي. وقد عبّرت عنه لهجة المديح التي لجأ إليها السقّاق منذ البدء، حين شكر الله لأنّه وهب النصر للعائلة الجديدة وحدها بممارسة السلطة، وحين أكد أنّ الله سمح فعلاً بنصفي الطغاة المقتضيين الذين كانوا يحتلون العرش، واستبدل بهم أنسبه النبي محمد ﷺ الأقربين الذين يتوجب على المؤمنين أن يكونوا أوفياء لهم، كما تأمرهم بذلك إحدى الآيات

بعد ذلك، الجيش الأموي من المنطقة الشرقية لإيران. كان هذا الجيش منهمكاً آنذاك في تهدئة الصراعات القائمة بين المجموعات القبلية. أخذت قوات أبي مسلم بالازدياد بشكل مقرد، وكان يقودها مقاتل عربي خاضع لسلطته، فاستطاعت أن تتغلّب على الجيش الأموي في غرب إيران وفي أمكنة أخرى، كما استطاعت أن تنصر في معركة الزاب الأكبر، حتّى إنتها وصلت في سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م إلى الكوفة حيث التفت بالأمراء العباسيين الذين كانوا قد جاؤوا للانضمام إلى الرئيس الأعلى لمظمتهم الثورية، وهو مولى آخر اسمه أبو سلمة، وكان واحداً من انقباض الاثني عشر^(٧٢) الذين اختيروا قبل ذلك بعشرين سنة.

نودي آنذاك في الكوفة بالخليفة الجديد بينما كان مؤيدوه المنتصرون بطاردون الجيوش الأموية في العراق وفي سوريا ومصر، أو يلقون تلك التي بقيت تقاوم في واسط في الجنوب. لكن إعلان خلافة رجل لم يكن أحد، باستثناء أبي سلمة، يعرف هويته، بعد موت إبراهيم لم يبرّ من دون صدمات. تقول روايات لا مجال للشك في أنّ أبا سلمة عرض الحكم على أميرين علويين، لكنهما رفضا. اكتشف في تلك الاثناء أحد قادة الجيش المنتصر مكان وجود العباسيين، فقام بإعلان احدهم وهو السقّاق (أي الكثير المظاء) خليفة. دفع أبو سلمة بعد ذلك حياته ثمناً لمواقفه الخائنة التي لم تكن تتوافق مع أهداف الحركة التي كان يديرها العباسيون منذ سنوات عديدة.

إنّ هذا الانتصار العباسي - الذي ربما بدا لبعض مدعّيه - يُفسّر، من الناحية التاريخية، بتضافر عوامل عدّة: التنظيم الجيد لحركة سرية تمل في منطقة بعيدة؛ - الضغط البغيء للدعوى المعادية للأمويين في محيط مستعد لقبولها؛ - عدم توقف الغضب الشعبي؛ - الصراع بين المجموعات القبلية العربية التي كان بعضها يعتبر أنّ النظام جائر بحق؛ - الصعوبات العسكرية والسياسية التي واجهها الخلفاء في دمشق؛ - وأخيراً إستياء الموالي في خراسان من الأوضاع العامة. يجب عدم الإستهانة بالدور الذي نفض به هؤلاء إذ إنهم، في نهاية المطاف، هم الذين قادوا الحركة، سواء في

متحلرة من أحد أعمام النبي محمد ﷺ، وبالتحديد من العباس بن عبد المطلب. وكان أحد أسفاد العباس قد بدأ يتأمر على الأمويين منذ أواخر القرن الأول للهجرة / مطلع القرن الثامن الميلادي، وبالتحديد منذ سنة ٩٨هـ / ٧١٦م. وقد اتخذ مقره في الحنمية، جنوبي المملكة الأردنية الحالية، وترعّم حركة المعارضة المنظمة ذات النزعة المذهبية الشيعية. وقد أطلقت هذه الحركة الثورة التي عُرفت بـ «الثورة العباسية» والتي انتصرت عسكرياً إنطلاقاً من خراسان. حصل أحد أمراء هذه العائلة، أبو العباس، أخو إبراهيم، على قسم الولاء منذ سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م، بعد أن أعلن خليفه في الكوفة، واتخذ لنفسه في الحكم لقب السّاح.

أولاً: ١٣٢ - ١٣٢٥هـ / ٧٥٠-٩٣٦م. إنّ العصر الذي بدأ آنذاك والذي عرف انطلاقاً الحضارة العباسية بالمعنى الضيق للكلمة، هو العصر الذي مارس فيه خلفاء هذه العائلة سلطتهم بفعالية، بغية المحافظة على وحدة الأبراطورية والعمل على تنظيم الدولة، من دون أن يغيب عن ذهنهم موضوع تثبيت شرعيتهم في وجه ادعاءات العلويين الطالبيين.

ما إن اعتلى السّاح العرش، حتى قرّر إلقاء خطبة في هذا الاتجاه، يُقال إنه أوضح فيها أنّ عائلته حازت النصر لأنها كانت وحدها الجديرة بقيادة الأئمة الإسلامية، كما ذكر فيها أيضاً بأنّ الأمويين كانوا طغاةً ملحدين، لا تربطهم بالنبي محمد ﷺ أية صلة قرى، بينما يتحلر العباسيون من أفراد من عشيرته، ويسلكون، من منظور ديني، سمات عائلة اختارها الله لتحكم. وأضاف السّاح، على ما يبدو، أنّه هو سيبقى وفيّاً لعباد تعين الخليفة عن طريق الشورى، طبقاً للعرف الذي تقيّد به الصحابة، وهذا كان يعني رفض فكرة التعيين بالوصية التي كان يطالب بها الشيعة كما يعني، في ما يخص انتقال السلطة، تبني موقف معتدل. وقد حافظ خلفاؤه على هذا الموقف.

ثبت العباسيون في ما بعد العرف السلالي بالطريقة نفسها التي كان معمولاً بها في زمن الأمويين: كان الخليفة يعيّن وريثاً في حياته، وكان هذا الأخير يحصل، إمّا خلال حكم الخليفة أو فور مماته، على البيعة، من

القرابية. هكذا قدّمت العائلة العباسية نفسها إذاً كعائلة مختارة أرسلتها العناية الإلهية وكلفتها منذئذ بإدارة شؤون الأمة الإسلامية.

العباسيون ١٣٢-٩٢٣هـ / ٧٥٠-١٥١٧م، السلالة الثانية من خلفاء الإسلام: بعد أن مارست، إنطلاقاً من العراق، سيطرةً شبه فعلية على أبراطورية واسعة الأرجاء، نشّئت تدريجياً، حافظت في بغداد، حتى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، على سلطة محدودة، (بعد أن أصاب التفكك هذه الأبراطورية). استمرت سلطتها الإسمية في مصر، في ما بعد، حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

يمكننا أن نعيّر ثلاث حقب في هذه الفترة الطويلة التي تربو على ثمانية قرون: تمتد الحقبة الأولى، وهي الأهم، من سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م إلى سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م؛ عرفت خلالها الخلافة العباسية أوجها، أي العصر الذهبي «للحضارة الإسلامية الكلاسيكية»^(٧٩). وقد عمل على ازدهارها، خلال المرحلة التي لمعت فيها سائزها، بين سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م و ٢٧٩هـ / ٨٩٢م، عهدان مختلفان من السلطة في بغداد. تبدأ الحقبة الثانية في سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م، تاريخ ظهور «أمير الأمراء» الذي صادر لمصلحته قسماً من السلطة المركزية. إنّ الوصاية البويهية والوصاية السلجوقية سبقتا فترة أسك خلالها العباسيون في العراق بزمام الأمور من جديد، ولكن بصورة ضعيفة. وذلك خلال القرنين السادس والسابع للهجرة/اثنائي عشر والثالث عشر للميلاد. وأخيراً حقبة الخلافة المصرية، وهي تمتد من سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م إلى سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م. أقام خلالها في القاهرة المنحدرين من ذرية أحد الأمراء العباسيين. وكان هذا الأخير قد نجح من المذبحة التي تعرّضت لها أسرته على أيدي المغول. وقد أفاد السلاطين المماليك من نفوذ هؤلاء العباسيين لإخضاع صيغة من الشرعية على حكمهم في مصر وسوريا، وذلك حتى تدعيم دولتهم على أيدي العثمانيين.

إرتبط مصير السلالة، خلال تلك الحقبة الثلاث، بمصير أسرة من الأرستقراطية القبلية العربية القديمة. وكانت هذه الأسرة تنتمي إلى العشيرة الهاشمية،

عن الدفع عن حقوقهم، مستعملين تجاه العلويين ومؤيديهم الشدة حباً والحلم حباً آخر. لقد أطلق المهدي، الذي حكم من سنة ٧٨٥هـ/٧٨٥م إلى سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م، سراح العلويين الذين كان أبوه قد زجهم في السجن مع مناصريهم؛ لكنه، على الرغم من ذلك، لم يحصل على ولائهم. أمّا ابنه الهادي، فاعتمد من جديد الطرق القمعية ضد الحسين بن علي، المعروف بصاحب فخ، وهي معركة وقعت قرب مكة. وقد طارد هارون الرشيد بدوره، بين سنتي ١٧٠هـ/١٩٤هـ و ٨٠٩هـ، أنصار علي الذين حاولوا أن يثوروا في مازندران. كما حكم بالإعدام على الإمام السابع موسى الكاظم. لكن هذه السياسة لم تنجح في تخفيف التزعة القتالية لدى العلويين ومناصريهم؛ وقد تفرّع هؤلاء إلى ثلاثة فروع: الزيدية والإمامية الاثني عشرية والإسماعيلية.

دُهل الخليفة المأمون (بدايةً) من هذه الحلة العدوانية، فطُفح خفّة جديدة تبلورت خلال إقامته في مرو: صمّ على تعيين أحد الأئمة العلويين ورثاً له في الخلافة، ووقع اختياره على علي الرضا، فاستدعا من المدينة حيث كان يقيم، وأعلن في وصيته أن السلطة ستنقل إلى من هو أكثر استحقاقاً داخل العائلة الهاشمية. كان هذا يعني التخلي عن الشرعية العباسية وإحلال الشرعية الهاشمية مكانها. وكانت هذه مفتوحة أمام العلويين وأمام العباسيين على السواء. وحاول الخليفة جاهداً، في الوقت نفسه، أن يجمع العائلتين العدويتين عن طريق الزواج. وتعتبر محاولته تلك وسيلة جريئة لحل مشكلة كانت ما تزال شائكة حتى ذلك التاريخ. لكن هذا الاجراء لاقى معارضة من قبل سكان بغداد الذين نصبوا خليفة، أميراً عباسياً آخر هو ابن المهدي. عندما وصلت أخبار هذا الانقلاب إلى المأمون، تخلى عن مشروعه وأمر بدس السم لعلي الرضا الذي أصبح يشكّل عبئاً عليه، ثم انتقل إلى بغداد حيث كان يرفض الإقامة من قبل.

أمّا خلفاء المأمون فعادوا إلى سياسة القمع التي اتبعها العباسيون الأوائل، وغالباً ما تصدرت بقساوة للثائرين على حكمهم. لم يستطيعوا، مع ذلك، أن

الجماعة، أو على الأقل من أفرادها البارزين. هكذا توافقت الشرعية العباسية مع مبدأ البيعة الذي دوعي في انتخاب الخلفاء الأربعة الأول المعروفين بالرشدين^(٧٥). أمّا الورث المختار، فكان حباً أخا الخليفة السابق - بدءاً بأخي السفاح، أبي جعفر المصور الذي خلفه في الحكم - وفي أغلب الأحيان أحد أبنائه. كان الخليفة، في كثير من الحالات، يعين ورثتين محتملين كي يكون أكثر يقبلاً من أن السلطة ستبقى في العائلة. هذا ما حصل مثلاً مع هارون الرشيد الذي عين ناعماً إثنين من أولاده وهما الأمين والمأمون، في وصيتين عليّتين حددتا ما سيعود إلى كل منهما عند موت أبيهما. كان الهدف من هاتين الوصيتين تحاشي الصراع بين الأخوين. لكن هذا الصراع حصل على الرغم من كل الاحتياطات.

تم انتقال السلطة، بصورة عامة، طبقاً للتعيينات التي كان يقوم بها الخلفاء. هناك استثناءان فقط في الحقبة التي نحن في صدها: الأول هو مبايعة المتوكل سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م، الذي فضّل على الورث المختار، لأنّ هذا الأخير كان صغير السن، ممّا يحول دون تسلمه الحكم؛ والثاني هو النصر الموقت للمؤامرة التي جرت سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م والتي أوصلت إلى العرش ابن المعتز الذي لُقّب في ما بعد بالخليفة اليوم الواحد^(٧٦).

إعترض العلويون على «الشرعية العباسية» التي ساهمت في تأمين بقاء السلالة في الحكم لمدة طويلة. وقد أدان الخلفاء في مناسبات عدة إعدامات هؤلاء العلويين. ويقال إن الخليفة المتصور تبادل الرسائل مع أحد المطالبين بالعرش خلال ثورات اندلعت في شبه الجزيرة العربية، وفي منطقة البصرة، وتم قمعها بسرعة. قاد تلك الثورات متحذرون من الحس. وقد برّر الخليفة في رسائله تلك حقوقه الشخصية في الحكم، مؤكداً أنّ حقّ العباسيين المتحذرين من عمّ النبي محمد ﷺ يغلب، بحسب قواعد الوراثية الإسلامية، على حقّ المتحذرين من ابنته [فاطمة]. لقد أعيد التركيز بعد ذلك، مرّات عديدة، على هذه الحقبة، وقد نجح إليها بنوع خاص الشعراء الذين نصبوا أنفسهم مدافعين عن السلالة الحاكمة.

لم يتوقف العباسيون، في ممارستهم السلطة، وذلك حتى سنة ١٩٧هـ/٨١٣م. تاريخ تولي المأمون،

ممتلكاتهم حوالي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، لتضمّ إيران حيث اصطدما بالصقّاريين. وفي مصر أخيراً حصل ابن طولون والمتحذرون منه، أي الطولونيون، على الحكم الذاتي في سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م، واستمروا على هذه الحال حتى سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، حين استعادت جيوش الخليفة السيطرة على هذا الإقليم. لم ينجح إذا العباسيون، إلا بصعوبة، في الحفاظ على وحدة الأسباطورية حتى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م. لكنّ الفاطميين كانوا قد ظهوروا في إفريقية منذ سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩ حيث أصبحوا، باسم الحركة الإسماعيلية، الأغالبة، وأسسا في هذه المنطقة خلافة منافسة لخلافة بغداد على المستوى الديني والسياسي معاً.

لم تمنع هذه الصعوبات الدائمة عبّاسيّ العصر الذهبي عن العمل بصبر لإعادة تنظيم الحكومة المركزية وتنظيم إدارة المقاطعات التابعة لها. واتخذوا بادئ ذي بدء من الكوفة في العراق عاصمةً لهم، سعيًا إلى إحكام قبضتهم على إيران، مركز الدعم الأساسي لهم. لكنّ الوقت لم يطل حتى رغب الخليفة المنصور في الإعتاد عن هذه المدينة المعارضة [الكوفة] وفي بناء مدينة ملكيّة تكون قادرة على تأمين سلامته وترمز، في الوقت نفسه، إلى قوّة السلالة الجديدة. لذا اختار موقع بغداد، إلى الشمال، ونقل إليه مقرّ إقامته في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م. أقام فيه قصره ودوائر الإدارة وجعل منه، في الوقت نفسه، المعسكر الدائم لقوّاته الجديدة التي عهد إليها الدفاع عن النظام وحمايته شخصيًا.

حلّ محلّ الوحدات العربيّة الخاصّة التي اعتمد عليها الحكم من قبل، جيشٌ من المحترفين الخراسانيين، وكان هؤلاء قد ساءموا، من قبل، في انتصار الثورة العبّاسيّة. عرف هذا الجيش بعد ذلك تغييرات أخرى عندما زيد على عناصره الخراسانيّة عربٌ وغير عرب والعديد من المرتزقة من أصول مختلفة. أخذت السلالة الحاكمة، منذ ذلك التاريخ، تعتمد، في تأمين استقرار وضعها، على ثغاني الجنود الذين أُنشئت لهم رواتب عالية، خصوصاً أنّ القسم الأكبر منهم كان يعسكر قرب المدينة الملكيّة، بغداد أولاً، ثمّ سامراء، فبغداد من جديد. جمع الخليفة قربه في البلاط

يتمتعوا، منذ القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، نشوء إمارتين شيعيتين مستقلّتين: إمارة زيدية في طبرستان وأخرى في اليمن. كما أنّهم لم يستطيعوا منع القرامطة من زرع الرعب في سوريا وفي العراق الأسفل وفي شبه الجزيرة العربيّة.

ظَلَّ العبّاسيون يوكّدون أنّ الله قد اصطفاهم، وفي الوقت نفسه استمروا في نقض المفاهيم المتعلّقة بالحكم التي كان يُروّجها الشيعة. وتدلّ على ذلك الانقلاب الفخريّة التي اختاروها لأنفسهم، في بداية عهدهم، للدلالة على أنّهم يحظون بالعون الإلهي. ومنها «المنصور» و«المهدي» و«الرشيدي»، الخ.

كان الخلفاء العبّاسيون إذاً يملكون بحقّ إلهي، وقد حكموا باستبداد وطلبوا من المؤمنين أن يطيعوهم بدون قيد أو شرط، ودعموا الحركة الدينيّة السنيّة، ذات الاتجاه التقليدي التي تطوّرت في أواخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث للهجرة (مطلع القرن التاسع الميلادي). وقد شرعوا أيضاً، منذ أن وصلت عائلتهم إلى الخلافة، في تنظيم الأميراطورية التي كانوا يحكمونها والمحافظة عليها، لكنهم لم يستطيعوا، على المستوى الجغرافي، التصديّ للانشقاقات المختلفة التي حدثت في وقت مبكر، منها انشقاق الأندلس حيث استقرّ، في سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م، أحد الأمراء الأمويّين، وانشقاق المغرب الأوسط الذي وقع في أيدي الرستميّين، وانشقاق المغرب الأقصى الذي حكمه الأدارسة. اضطرّ العبّاسيون، في إفريقية، إلى إعطاء ابن الأغلب استقلالاً مالياً والإعتراف بحقه في اختيار خلفه من بين أفراد عائلته. هكذا ولدت سلالة حاكمة جديدة هي سلالة الأغالبة.

جرت، في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، في مقاطعات عدّة، محاولات تهدف، إمّا إلى الحصول على استقلال مالي، وإمّا إلى الانفصال عن جسم الدولة. هكذا حاول الطاهريّون في خراسان، بدون جدوى، الحصول على وضع مماثل لوضع الأغالبة. ولكنّ هذا لم يمنهم من الاحتفاظ بالأقاليم الشريفة من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٥٤هـ/٨٢١-٨٦٨م. في هذا الوقت، كان السامانيّون، حكام إقليم ما وراء النهر، يوسعون

هناك نقطة أخيرة يجب ذكرها لأهميتها، وهي أنَّ الخلفاء بذلوا جهودهم للحصول على دعم الفقهاء الذين أنيطت بهم مهمة تفسير الشريعة الإسلامية بطريقة واضحة، ما يسمع تطبيقها في كل مكان من دون أي جدل. كان الخليفة المنصور أول من امتنع عن التدخل، مكان القضاء، في القضايا العادية التي كانت تُطرح: لقد رفض رأي الكاتب الإيراني إبن المقفع وترك للإختصاصيين في الفقه أن يحدّدوا بأنفسهم الأسس التي يجب اعتمادها لتكملة المعطيات الواردة في القرآن الكريم وفي السنة. هكذا ولدت، في العصر العباسي الأول، المذاهب الفقهية التي أصبحت في ما بعد رسمية، وهي المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية. اعترف، في الوقت نفسه، معظم الفقهاء بالخلافة العباسية بعد أن كانوا، في البدء، متحفّظين تجاهها. وقد قام هؤلاء، على أثر الأزمة المعروفة بأزمة المعتزلة، بدعم السلاطة الحاكمة بقوّة، معترفين بالشرعية العباسية وداعين بالطاعة المطلقة للخلفاء المختارين، بغض النظر عن مزاياهم الشخصية.

هكذا عرف العالم الإسلامي الخاضع لسلطة العباسيين - بين سنتي ١٣٢ و٣٢٥هـ/٧٥٠-٩٣٦م، حقبة من الرخاء والقوّة، تظهر انعكاساتها في غنى وعظمة المدن - المواسم التي بناها ونظّمها الخلفاء. لقد أسس المنصور، كما رأينا، مدينة بغداد الأولى، «مدينة السلام»، الواقعة في العراق، في مكان يقرب فيه مجرى نهر دجلة من مجرى نهر الفرات، ما يسهّل الاتصالات ويساعد على حماية الموقع المختار. نظّورت هذه المدينة الملكية المحصنة ذات السور الدائري الذي أعطاها إسم «المدينة المستديرة» بحيث أنّه، في نهاية حكم المنصور، كانت الضواحي التجارية المهمة المبنية في محيطها قد غمرتها من كلّ صوب، وكانت تتصل، من الضفة الشرقية لنهر دجلة، بمدينة ثانية فيها قصر الأمير وليّ العهد.

على الرغم من أنّ عاصمة الخلفاء قد عانت نتائج الحرب الأهلية التي وقعت بين الأمين والمأمون والتي طالت أيضاً القصور الملكية التي حوصرت ودمّرت، فإن شهرة تلك العاصمة وأهميتها الاقتصادية صمدتا في وجه

المؤسسات الإدارية، على الرغم من أنّ عملية جمع الضرائب وإقرار بعض النفقات كانت تتم في المقاطعات، وتقوم بها الإدارات المحلية. كانت المؤسسات المركزية تعتمد على كفاية وإخلاص مجموعة من الموظفين الإداريين الجدد الذين حلّوا محلّ القدامى. وبدون أن يتوقّفوا عن الاستعانة بالموالي، أحاط الخلفاء العباسيون أنفسهم بالفرس، بنوع خاص، وأبعدوا السوريين. لقد دخل الفرس بقوّة إلى الدواوين وانضمّ إليهم في ما بعد، في الثلاثينات والأربعينات من القرن الثالث للهجرة (منتصف القرن التاسع الميلادي)، كتاب عراقيون، مسيحيون أو من أصل مسيحي. كانوا كلّهم يتحدثون من هذه الفئة التي كانت تدفع الجزية والتي منحها المجتمع الإسلامي، منذ البداية، وضع أهل اللقمة. كان هؤلاء يشكّلون مجموعة من الموظفين المخلصين الذين يميّزون بكفاءاتهم التقنية، لكنهم، في حال اعتناقهم الإسلام، لم يكونوا كثيري الحماسة لدينهم الجديد، بل كان بينهم أناسٌ ملاحقون كزنادقة. ترأس هذه الفئة، منذ أواخر القرن الثاني للهجرة/ مطلع القرن التاسع الميلادي، مستشار الخليفة الذي لم يلبث أن أصبح معاوناً للخليفة وحمل لقب وزير.

تعرّضت الإدارة الإقليمية، هي أيضاً، لتغيّرات أفرّها العباسيون الذين سموا جاهدين للحد من استقلالية حكام الأقاليم ولرفض رقابة دقيقة على المناطق المحتلة. ولتحقيق ذلك، احتفظ الخلفاء لأنفسهم، في البدء، بحق تعيين القضاة. بعد أن كانت تعيّنهم السلطات المحلية. وبعد مدة وجيزة، استحدثت هارون الرشيد منصب قاضي الفضاة الذي كان يسمح لشاغله بإدارة قسم كبير من المؤسسات القضائية، بما فيها مؤسسات المقاطعات. أوكل، بالمقابل، جمع الضرائب إلى مسؤولين تابعين للسلطة المركزية يعيّنهم الخليفة. تمّ بهذه الطريقة الفصل التدريجي بين السلطات القضائية والمالية والمسكرية في الأقاليم حيث كانت مهمة الحكام الأساسية الحفاظ على النظام والدفاع عن الحدود عند الحاجة. وقد استمروا في تمثيل الخليفة في الاحتفال الرسمي بصلاة الجمعة في المدن التي كانوا يقيمون فيها.

«الخاصة»، تقابلها تسمية «العامة» التي كانت تطلق على الشعب. إلى جانب هؤلاء، كان هناك أيضاً طبقة متوسطة مؤلفة من أعيان غير مرتبطين بشكل مباشر بممارسة السلطة. كانوا يدينون بمركزهم إلى جدارتهم الشخصية أو إلى ثروتهم، بينهم رجال دين وفقهاء لا يشغلون وظائف مأجورة، لكنهم يحظون باحترام الجميع. نجد أيضاً في هذه الطبقة أدباء ومتقنين، شعراء وعلماء من كل نوع، ينعمون في أغلب الأحيان بحماية الخليفة ويتمتعون بما يوجد به عليهم، كونه نصيراً للأدب والعلوم. أمّا التجار الكبار وأصحاب السفن الذين أثروا عن طريق نشاطاتهم التجارية، فكانوا يملكون، بفضل هذا الإثراء، وسائل ضغط على الخليفة. أمّا سكان المدن فكانوا يتكوّنون بنوع خاص من الحرفيين ومن أصحاب الحوانيت الذين كانوا يكتفون في عيشهم بالقليل، لكن بعضهم كان ينضم، إيماناً بالإضرابات، إلى جماعات قضاة الطرق الذين كانوا يشكلون أحياناً ميليشيات متمردة، مستعدة لهجوم التجارة راعية في عناهم، ومستعدة أيضاً لتحدي سلطة الخليفة. لاشيء كان يجمع بين هؤلاء وبين البدو الرحّل الذين كانوا يمارسون النهب بسهولة، ولا بينهم وبين فلاحي القرى المرتبطين، في أغلب الأحيان، بالأرض التي يستثمرون بموجب أنظمة مختلفة، وذلك لحساب مانكين يتسبون إلى الطبقة الأرستقراطية.

إنّ هذا المجتمع المباسي، المسلم في أكثره، الذي كان يعيش في قلب الإمبراطورية ويتمتع بالنفوذ الملائم، كان غير متجانس، إذ إنه كان يضم، إضافة إلى العناصر التي هي من أصل عربي، سكاناً محليين، منهم عراقيون وإبرانيون وسوريون وأحياناً مصريون. لكنّ هذا المجتمع كان يمارس مبدأ التفرقة الدينية تجاه غير المسلمين، بالأخصّ تجاه اليهود والنصارى، وأحياناً تجاه الزرادشتيين. لكنّ هؤلاء جميعاً كان لهم مكانهم في المجتمع وكانوا يمارسون مهناً احتسوا بها، منها مثلاً مهنة جهبذ [صيرفي] التي انحصرت بهم لأنهم غير مسلمين، ويمكنهم تالياً أن يمارسوا الربا الذي كانت تحرّمه الشريعة. كان هناك تمييز أيضاً بين الأحرار والعبيد الكثيرون العدد، من مسلمين وغير مسلمين،

الغلبات السياسية. شعر الخلفاء بعد ذلك بضرورة إبعاد حرسهم من [العلماء] الأتراك المقلّبين عن بغداد حيث كان السكان يكرهونهم، لذا قرّروا، بين سنتي ٢٢١-٢٧٩هـ/٨٩٢-٨٣٦م تقريباً، الإقامة في مدينة ملكية جديدة، تبعد مائة كيلومتر عن بغداد، هي سامراء. إنّ المعسكر الذي شكّل النواة الأولى للمدينة كان يمتدّ على طول نهر دجلة ويغطي مساحة كبيرة من الأرض، ولم يكن محاطاً بجدران. شيدت فيه، على مراحل ودائماً بحسب تصميم معدّ سلفاً، أبنية ذات أحجام غير عادية، وإنّ بعض أقسامها، لا سيّما في ما خصّ المساجد الكبرى، لا تزال قائمة حتّى اليوم. إنّ آثاراً كهذه ما زالت تشهد على أهمية هذه المدينة التي هجرها بلاط الخليفة، ثم عاد إليها في الربع الأخير من القرن الثالث للهجرة/أواخر القرن التاسع الميلادي، ولكنه استقرّ على الضفة الشرقية للنهر حيث شيدت مساكن وتحصينات جديدة.

اتّصف مجتمع العاصمة، بغداد وسامراء، وكذلك مجتمع بقية المدن المباسية بخصائص مميزة. كان هذا المجتمع مجزئاً وهرميّاً، ولكنه كان منفتحاً على التحوّلات الداخلية، ولا سيّما إنّ مبدأ المساواة الذي يفرضه الإسلام كان يرفض الطبقات المغلقة، وإنّ العديد من التيارات داخل هذا المجتمع كان ياتمر بأوامر الخليفة وأوامر حاشيته المؤلفة من التخدم والمساعدين. كان الخليفة، في ممارسته لسلطته المطلقة التي لا يقبدها سوى التزامه احترام الشريعة، يستعين بشخصيات كالوزير وأمير الجند وقاضي القضاة وصاحب الشرطة المسؤول عن حفظ النظام. كان كتاب الإدارة وضباط الفرق العسكرية يدورون في فلك هذه الشخصيات ويخضعون لها. كان يدير خدام البلاط، بمن فيهم الخصيان والعبيد الذين كانوا يؤدّون دوراً مهماً، حاجباً. وكان هذا الأخير، في الوقت نفسه، مديراً للتشريفات، يمارس هذه المهمة بنوع خاص إبان المجالس التي كان يعقدها الخليفة. أمّا النساء فكانن يخضن لمدبرة.

إنّ كلّ هؤلاء التخدم والجنود والوجهاء الذين كانوا يدورون في فلك الخليفة والذين كانوا أيضاً يملكونه في المقاطعات، كانوا يؤلّفون الطبقة الأرستقراطية المسماة

كانوا أيضاً فقهاء وشاركوا في النزاعات العقائدية التي عرفها العصر العباسي الأول. ظهرت في هذه الأثناء، وفي ظروف غامضة، حركة المعتزلة العقلانية التي أرادت الدفاع عن الإسلام، بالاعتماد على سلاح المنطق الذي توفره الفلسفة اليونانية. بلغت هذه الحركة أوج مجدها عندما تبناها الخليفة المأمون وأراد أن يفرضها على الشعب عقيدة رسمية، لكنها ما لبثت أن تراجعت بعدما أدانها، في سنة ٨٢٤٣/٨٥٨م، خليفة آخر هو المتوكل، فواجهتها، منذ ذلك التاريخ، عدواة حركة تقليدية متمسكة بحرفية القرآن الكريم برأسها ابن حنبل. وند، بعد ذلك بقليل، في أواخر القرن الثالث الهجري/ مطلع القرن العاشر الميلادي، المذهب الأشعري الذي سيصبح أحد فروع الفقه السني والذي أسسه الأشعري، أحد المنتقن عن المعتزلة. إن مذهب، الذي أرادته تقليدياً، يتميز عن الحنبليّة بكونه يقبل النقاش مع الخصوم كما يقبل أن يخضع للمنطق العقائد الدينية، وهذا ما يتميز به الفقه الظهري أو علم الكلام. وقد جرى تطوّر معاتل في الأوساط الخاصة بالفرق، كما أن الشيعة الإمامية الاثني عشرية أطلقت، في الحقبة نفسها، مذهباً يركز في الأساس على تعاليم الإمام جعفر الصادق، وكان الكلينيّ الممثل الرئيس لهذا المذهب.

نُقل إلى العربية، خلال هذه الحقبة، عددٌ من المؤلفات اليونانية، كان بعضها قد نُقل من قبل إلى السريانية. جرى كلّ ذلك بفضل المأمون، خصوصاً في بيت الحكمة المشهور، وفي مكتبات أخرى أسسها هذا الخليفة. هكذا ظهرت، مع الكلبي، المحاولات الأولى لفلسفة إسلامية مستوحاة من المؤلفات القديمة، بينما كانت علوم الرياضيات تتقدّم في بغداد مثلاً. وفي هذه المدينة أيضاً كان اختصاصيون بعلم الفلك والجغرافيا وبالكيمياء، وخصوصاً بالطب، يعيدون إلى الحياة ثمرات العديد من التراث السابق. كان الممتكون الأوائل للحركة الزهيدية والنسكية المعروفة بالصوفيّة بمارسون، من جهتهم، عبادة تقرّهم من الإرادة الإلهية، أو كانوا يبحثون عن طرائق تُتيح لهم الاتحاد حقيقةً بالله عن طريق الغيبة، وذلك وفق مفهوم أداته رجال الدين من أهل السنة وكان من نتائجه، بوجه خاص، إعدام الحلاج في

وأصولهم متعددة. كان هؤلاء يقومون بالأعمال الأكثر صعوبة، أكانت منزلية أم حرة، وكانت تختار من بينهم الخليلات، ممّا ساهم في خلق هذا المزيج من الأعراق البشرية الذي تميّز به المجتمع بكامله.

إنّ عدم تجانس سكّان الحواضر العباسية الكبرى كان يعكس عدم تجانس سكّان الأمبراطورية، وكان نتيجة لنمو إقتصادي سريع عرفه العصر العباسي الأول، إذ إنّ موارد مختلف الأقاليم الخاضعة للسلاطة كانت في الغالب متكاملة في ما بينها. كانت تراقف المبادلات الداخلية الكثيفة مبادلات أكثر بعداً، إمّا بحرية بالتجاه الشرق الأقصى وأفريقيا الشرقية، أو بالتجاه بينظلية وبلدان البحر المتوسط؛ وإمّا برية نحو شُبه القوقاز وضماف البلطيق وإلى سيبيريا ومغوليا والقوقاز وآسيا الوسطى. كانت بغداد، بفضل موقعها، مركز هذه التجارة العظيمة وملتقى خطوط سير قوافلها. وكانت الملاحة النهرية، بفضل ما لديها من وسائل خاصة، تساهم في دعم تلك المبادلات، بينما تشجّع حياة الثرف السائدة في البلاط على إنتاج التحف وعلى استيراد بعض السلع بكثرة. وإذا كان من المستحيل علينا تقدير حجم هذه المبادلات، فإن اتّساع الأحياء التي كانت تعتاش منها، والتي كانت تمتدّ على ضفتي النهر، يعطينا فكرة عن أهميتها.

أمّا النشاط الفكري والديني فلم يكن أقلّ زخماً. لقد شهدت هذه الحقبة ظهور مذاهب فكرية جديدة استمرت خلال الحقب اللاحقة. وقد رافق بعضها ولادة المذاهب الفقهية التي نجحت، استناداً إلى المنطقتات نفسها، في أن تفرض نفسها الواحدة بالنسبة إلى الأخرى. أمّا إمكانية التي تركتها هذه المذاهب لتحكيم العقل، فكانت تتفاوت في ما بينهما. إذا كانت المالكية والحنفية، وهما المذهبان الأكثر أقدمية، تُسّران أحياناً بكثير من الحرية المعطيات الأساسية، فإن المدرستين اللتين ثلّتا، أي الشافعية والحنبلية، ردّتا بالشدّد في التدقيق في الأحاديث النبوية الشريفة، ما أدى، في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، إلى ظهور أدب جديد هو أدب البحث في الحديث وتقده. إنّ المتخصّصين في هذا العلم، المعروفين بعلما الحديث،

العاصمة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢٢م.

شكّلت الحياة الأدبية التي تميّزت بإنجازات رائعة، في أغلب الأحيان، مرتبطة بالحركات العقائدية. لم يكن بعض الشعراء سوى مداحين يكتفون بتمجيد رعايتهم من الحكّام. لكنهم لم يتردّدوا في أغليبتهم في اتخاذ موقف من القضايا الدينية، فدافعوا إمّا عن الشيعة وإمّا عن التقليدية السنية. فكان شعرهم صدى للنزاعات القائمة أيامئذ. تطوّر النثر الأدبي من ناحيته في الأوساط الفكرية نفسها، وكان يحوي مجموعات من حكايات قصيرة أو روايات مسلّية ومثقفة في آن، تنتمي إلى نوع يُدعى أدبًا. وغالبًا ما كان النثر يفرج عن خفّيات سياسية-دينية مبظنة بعض الشيء. كانت معظم هذه الكتابات، مثل مؤلفات الجاحظ أو ابن قتيبة، تندرج في خدمة قضية ما، كقضية المعتزلة مثلاً، أو قضية التقليدية، أو إنّها كانت تدافع عن المنتمين إلى هذه الفئة الاجتماعية أو تلك أو كانت تنتقدهم.

لقد استحضت حضارة العصر العبّاسي الذهبي أن نبقى حيّة في ذاكرة الأجيال اللاحقة، على أنّها حضارة كلاسيكية حقيقية. لكنّ التوازن الذي حقّقته ما فتر أن اضطرب لفشل سياسي سيّبه عوامل متعدّدة: لقد قُرون ضعف الخليفة المعتز، الذي حكم من سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨م إلى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م، وعدم استقرار الوزراء الذين كان يعتمد عليهم والذين غالبًا ما كانوا يُقرّلون، بعدم انضباط رؤساء الجند والحكّام، وكذلك بظهور نزعات إقليمية متعاضدة في المقاطعات. نتج عن كلّ ذلك أزمة مالية ذات حدة متصاعدة، عجز القمّون على السلطة المركزية عن حلّها. رأى الحكّام العبّاسيون أنّ ذلك أنفسهم مرغمين على التخلّي عمليًا عن مبدأ فصل السلطات في المناطق التي كانت ما تزال تحت سيطرتهم، كما اضطروا إلى التنازل لبعض الحكّام عن التزام الضرائب في مقاطعاتهم. اعتمد بيت المال على هذه الوسيلة للحصول على سلفات مهمة، لكنّ هذه السياسة وضعت الخليفة تحت رحمة مؤسّسي السابقين. ففي سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦م مثلاً، أجبر أحد هؤلاء، وهو ابن راتق، الخليفة الراضي، على أن يتنازل له [في بغداد] عن سلطاته العسكرية والمالية، فخسر الراضي تأليًا

سيطرته على الحكومة، على الرّغم من أنّه احتفظ لنفسه بحق تعيين الموظفين. في هذا السّباق برز المنصب الذي ميّز الحقبة التالية، وهو منصب أمير الأمراء. إنّ هذا اللقب الذي حمّله ابن راتق خلال الفترة القصيرة التي بلغ فيها ذروة المجد، استعمل في ما بعد بالطريقة نفسها عندما انتقلت إدارة الأمور إلى أفراد الأسرة البويهية.

إنّ هذا النظام الذي كان يسمح لبعض أسبّاد الحرب المحظوظين بممارسة وصاية حقيقية على الخلافة العبّاسية، لم يُطبّق إلا في المناطق التي كانت لا تزال تخضع مباشرة للحكومة المركزية. أمّا باقي الأراضي العبّاسية - باستثناء المقاطعات التي كانت قد انفصلت سابقًا عن جسم الدولة - فلم تكن تخضع إلا لحكّامها الذين عينهم الخليفة، وكان هؤلاء يتصرّفون باستقلالية تامة. نذكر، من بين هؤلاء الحكّام، الإخشيد [محمد بن مُلّج]، مؤسس السلالة الأخشيديّة، الذي تسلّم الحكم في مصر في سنة ٢٢٣ هـ / ٩٣٥م والذي بسط سلطته على سوريا الجنوبية، بينما وقع شمال العراق وشمال سوريا، وكانا قد افتتا من قبضة البويهيين، تحت سيطرة أمراء عرب أسسوا السلالة الحمدانية.

ثانيًا: ٣٢٥-٣٥٦ هـ / ٩٣٦-٩٣٨م. حكم أمير الأمراء، في أوّل الأمر، المناطق الوسطى من الأمبراطورية بدايةً عن الخليفة الذي أصبحت سلطته محدودة. استمرّ هذا الوضع بعد موت ابن راتق، ممّا كرّس مكانة البويهيين، ولا سيّما ابتداءً من سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥م، حين انتقل إليهم منصب أمير الأمراء. إنّ الحضارة المتألّفة التي عرفتھا الخلافة آنذاك اتّسمت بسمّة البويهيين أكثر منها بسمّة العبّاسيين، وذلك لأنّ التأثيرات الشيعية والإيرانية، الناتجة عن التوجّه والرعاية اللتين أولاهما إيتاها هؤلاء الأمراء الذين يعودون بأصلهم إلى الذّيل، ويفيّمون في مقاطعة فارس، غيّرت في العمق الثقافة العربية-الإسلامية لتعصر الذهبي للخلافة.

شهدت الحقبة التالية بدورها، ابتداءً من سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م، تثبيت سلطة جديدة هي سلطة السلجوق الأتراك. كان هؤلاء يسيطرون على

قبل في عالم النسيان.

إنَّ خطر اجتياح جديد، مصدره آسيا الوسطى، كان يهدد، منذ مطلع القرن السابع للهجرة / مطلع القرن الثالث عشر للميلاد، الحدود الشرقية لبلاد المسلمين. عاد هذا الخطر إلى الظهور في تلك الحقبة من جديد مكنزًا حكم المستنصر الذي استطاع، على الرغم من ذلك، أن يشيّد أُبنية فخمة ما زالت تحيي ذكراه حتى اليوم. في عهد خليفته المباشر، أي الخليفة العباسي السابع والثلاثين، قُضي على الدولة العباسية سنة ١٢٥٨/١٢٥٨م، حين اقتضى جيش هولاكو المغولي على بغداد، فنهبا وقتل بقسم من سكّانها ومن بينهم الخليفة نفسه. نجا من الكارثة فردُّ واحد من العائلة المالكة، فالتجأ إلى مصر حيث أمّن استمرارية السلالة بشكل صوري.

ثالثًا: ٦٥٩-٨٩٢٣/١٢٦١-١٥١٧م. استمرّت في القاهرة. خلال هذه الحقبة الثالثة، سلالة من الأمراء العباسيين الذين كانوا يحملون لقب «خليفة». كانوا يحدّثون من غقب بعيد للخليفة البغدادي التاسع عشر، أي المسترشد. نُصّب هذا الغقب خليفة سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م تحت إسم الحاكم الأول، بعد أن توفي سلفه المستنصر، خلال حملة قادها ضد بغداد محاولاً إسنرجاعها ووراثه خلافة المستنصر الذي قتله المغول. أفادت هذه الأحداث المماليك الذين كانوا قد استولوا على الحكم في القاهرة، بعد معركة عين جالوت التي وضعت حدًا للتقدّم المغولي. كان همّ السلطان الجديد، بيبرس، تدعيم شرعية دولته المصرية في وجه دول إسلامية قويّة ومنافسة مثل دولة الحفصيين. إنّ الصيغة التي تبنّيت استغلّت لمصلحته ولمصلحة خلفائه: إنهم جميعًا مدينون لها بشهرتهم كحماة للإسلام، وقد وجدوا فيها سندا في صراهم ضدّ الدول المسيحية وكذلك في سعيهم للسيطرة على المدن المقدسة، وحتى في منافسهم غير المجدي مع العثمانيين. أمّا الخلفاء [العباسيون] فلم يتبنّوا إلاّ بسلطة إسمية، ولم يحاموا في بلاط المماليك، إلاّ كأصحاب مقامات ولم يخرجوا إلى النور إلاّ في مناسبة إعتلاء السلطان الجديد العرش. إنّ انهيار دولة المماليك على أثر معركة مرج دابق،

أمبراطورية أكثر اتساعا من أمبراطورية البويهيين، فمارسوا على الخلفاء وصاية فعلية لكنّها أخفّ وطأة. لأنّها اندرجت في إطار المسبة وطفاً لتوازنٍ سياسي جديد يتوافق والنظام المعروف بنظام السلطنة.

بعد أن اجتاحت جماعات الغزّ المقاطعات الشرقية للدولة، حصل أميرها السلجوقي، طغرل بك، على سُلطات تساوي سلطات البويهيين، وأعطى، زيادةً على ذلك، لقباً لم تعفه الخلافة العباسية لأحد من قبل، وهو لقب «سلطان» الذي شكّل فاتحة لعصر جديد في التنظيم السياسي للعالم الإسلامي. ابتداءً من هذا التاريخ، قبلت كلّ السلالات التي كانت تحكم مختلف مقاطعات الامبراطورية بالخليفة العباسي أميراً للمؤمنين، وقبل هذا الأخير، من جهته، بأن يعطي لقب «سلطان» إلى شخصية نافذة، ومن ثمّ إلى شخصيات عدّة، وذلك إثر تفكّك دولة السلاجقة ومطالبة أكثر من أمير بالحصول على هذا اللقب. أصبح الخليفة يكتفي بفرض هيئته واحترام مكانته على هيئة حاكمة مثبّقة، يقيم اعضاؤها به علاقات ضعيفة، لكنهم يعترفون بقيم الإسلام العباسي ويدافعون عنه ويطبّقون الشريعة بشكل صارم. جرى هذا في فترة كان فيها العالم السّي بهل من نقاليده يعزم متزايد، مُثبّثاً عن التوسّع الجديد الذي عرفه في أواخر القرن السادس للهجرة/ أواخر القرن الثاني عشر للميلاد، عندما استطاع أن يفتكك دولة الفاطميين الشيعة. إستعاد الخليفة، إثر ذلك، السيطرة على الأماكن المقدّسة في مكّة والمدينة حيث تولّى من جديد إدارة شؤون الحجّ. لكنّ حدود الامبراطورية التي كانت قد اتسعت مع فتح الأماضول على يد الأتراك ابتداءً من النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة / أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، لم تكن تصمّ إلاّ عدداً من المناطق المتباعدة حيث ينتزع عدّة من السلالات تركية السلاجقة الكبار. وقد استطاع الخليفة نفسه، في القرن السادس للهجرة / القرن الثاني عشر للميلاد، أن يمارس الحكم في العراق وكأنّه أمير محلي، ما ساعد على تألّق سلطانه. برز آنذاك إسم المكنكي، وخصوصاً إسم الناصر الذي أعاد حكمه الطويل، بين سنتي ٥٧٥ و٦٢٢هـ/ ١١٨٠ و١٢٢٥م، لعاصمة العراق وبلابلها برشاً كان من

خارجية سببها أضاع قصيرة روسيا كاترين الثانية. ولقد وقعت السلطنة في عهده، في انعام ١٧٧٤، صلح كوجوك تينزجي، وتمت في ما بعد بهزائم عسكرية. نتج عن كل ذلك خسارة شبه جزيرة القرم وخسارة مناطق أخرى على الحدود مع روسيا. وقد حصلت هذه الأخيرة، في المقابل، على حرية الملاحة في البحر الأسود وسمح لأسطولها التجاري بعبور المضائق بدون أية قيود. واعترف لها بحق التدخل في شؤون الأقليات الأرثوذكسية في السلطنة. إن الضربات التي تلقتها السلطة العثمانية لم تؤثر على الأوضاع الداخلية ولم تدفع بالعثمانيين إلى اعتماد برنامج إصلاحى لإخراج السلطنة من الوهن وانحجر الذين أصابها، على الرغم من محاولات التجديد التي قام بها بعض الوزراء.

عبد الحميد بن يحيى ... ١٨٣٢-١٨٧٥م. أديب وكناب مشهور إيل رأس الكتاب في الدولة الأموية. ترك رسائل بالعربية نالها كثير من الشناء لبلاغتها.

مولى لعشيرة قُرشية ويرجع أن يكون أصله عراقياً، لكننا نعرف القليل عن حياته وعن شخصيته. دخل إلى الإدارة في عهد الخليفة هشام، ثم اختص بمروان الثاني آخر الخلفاء الأمويين في الشام. رافق هذا الخليفة في هروبه وشاطره مصيره المأسوي بعد نجاح الثورة العباسية. يقال إن ابن المقفع، الذي اشتهر في ما بعد في خدمة العباسيين الأوائل، كان يكتب بين يديه. يعكس أسلوبه في الكتابة مؤثرات يونانية في مقالات قصيرة، استوحى مضمونها من التقاليد الإيرانية - الساسانية، وهي التي سمحت له بأن يفرض نفسه واحداً من مؤسسي علم اثبات عند العرب، في المرحلة التي بدأت تتكون فيها، في الأوساط الإسلامية، الثقافة المعرفة الخاصة بالكتاب.

عبد الحميد الثاني، سلطان عثماني ١٢٥٨-١٣٣٦هـ/ ١٨٤٢-١٩١٨م. حكم من سنة ١٨٧٦ إلى سنة ١٩٠٩. كان من آخر الحكام العثمانيين المسمتين. واجه حروباً خارجية وثورات داخلية قمعها بعنف. إن سياسته الشخصية كرئيس دولة عنيد وكثير الشك - عُرف به السلطان الأحمر - في الكتابات التاريخية

العقيدة الإسلامية. من هنا جاءت تسميات «عبدالله» و«عبد الرحمن» و«عبد العزيز» وغيرها.

أصبحت الكلمة، في المرد كما في الجمع، تعني، بعد ذلك، في أنظار الإسلامي، المؤمن المستسلم لله. غالباً ما ظهرت بهذا المعنى في الألقاب: نجدها مثلاً، منذ العصر الأموي، تتقدم اسم الخليفة يقال «عبدالله...» ويتبعها الاسم. نجدها، بعد هذا التاريخ، بصورة شبه دائمة، في النقوش العربية، ولا سيما في تلك التي تشير إلى التأسيس والبناء، حيث كانت تسبق اسم المؤسس أو الوهاب بحسب الصيغة المتواضعة والكلاسيكية التالية: «العبد القليل إلى رحمة ربه» فلان...

عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار العمداني ٣٢٥-٤١٥هـ/ ٩٣٦-١٠٢٥م. فقيه عراقي من المعتزلة. عاش في العصر العباسي في عهد الأمراء البويهيين. شغل منصب قاضي في مقاطعة الرتي حيث دعاه راعيه الوزير [المصاحب] إلى عباد.

ولد هذا الرجل، الذي اشتهر بالفقه، في بغداد، وكان على المذهب الشافعي. عرف بشكل خاص على أنه واحد من كبار مفكري المعتزلة. إن كتاباته الغنية بالمقالات المعقدة لا تزال محفوظة بصورة جزئية حتى اليوم. اكتشفت في اليمن، منذ أكثر من عشرين عاماً، أجزاء عدة من مؤلفه المصنف «المغني في أبواب التوحيد والعدل»، وقد سمحت هذه الأجزاء بتكوين فكرة أكثر وضوحاً عن آرائه. أما المؤلفات التي كانت تُنسب إليه من قبل فهي كتب ملفقة أو ملخصات جمعها تلاميذه. اعتُمد مذهب، الذي بدأ المتخصصون يدرسون، مصدراً مهماً للزيديين الذين اعتمدوا عليه في كتاباتهم. وكان هؤلاء قد تبنوا، منذ مدة، قسماً من طروحات المعتزلة، فوجدوا في مؤلفات عبد الجبار قاعدة نظرية واضحة وصلبة، اعتمد عليها بنوع خاص الزيديون الذين استمروا في اليمن حتى اليوم.

عبد الحميد الأول، ١١٣٧-١٢٠٣هـ/ ١٧٢٥-١٧٨٩م. سلطان عثماني، حكم ابتداء من سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٤م حتى وفاته. وكان متقدماً في السن عندما اعتلى العرش. واجهته بصورة مستمرة صعوبات

عرف بنوع خاص بكتابه «الإسلام وأصول الحكم» الذي صدر عام ١٩٢٥، بعد إلغاء الخلافة بقليل ونأسس الجمهورية التركية على يد كمال أتاتورك. عالج في كتاباته الفكرة القائلة إن أي تنظيم للدولة في بلد مسلم هو تنظيم محض زمني، لأن رسول الله ﷺ لم ينظم قط بنفسه أية حكومة. إن موقفه هذا، المعاكس لموقف رشيد رضا، أدى إلى إدانته من قبل السلطات القضائية- الدينية الممثلة آنذاك بشيوخ الأزهر.

عبد الرحمن، إسم حمله امراء عدة من السلالة الأموية أو المروانية في الغرب، ومن بينهم ثلاثة تركوا أثرهم في تاريخ الأندلس، في المرحلة الأولى من القرون الوسطى.

عبد الرحمن الأول أو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، ١١٣-١٧٢هـ/٧٣١-٧٨٨م، كان، بين الثلاثة المذكورين، أول من حكم شبه جزيرة إيبيريا. دامت إمارته من سنة ١٣٨ إلى سنة ١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م. لُقِب أيضاً بالداخل لأنه كان سورياً وحفيد الخليفة الأموي الأشرفي هشام بن عبد الملك. استطاع، بعد الانتصار الدموي الذي أحرزه العباسيون، أن يتحوّل من المذبذبة التي قصت على والديه، ولجأ في النهاية، بعد أن - في امكنة عدة بدون أية نتيجة، إلى مقاطعة بعيدة [الأندلس] (٧)، حيث حلّ سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م. اعتمد هناك على عناصر عربية كانت موجودة قبل قدومه أو وصلت بعده، ففرض نفسه بقوة السلاح أميراً على قرطبة. كرّس فترة حكمه، على الرغم من الثورات والانقسامات، لتثبيت سلطته محافظاً بأمانة على تقاليد عائلته.

عبد الرحمن الثاني أو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن، ١٧٦-٢٣٨هـ/٧٩٢-٨٥٢م، حكم من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م، بعد أن خلف أباه، الحكم الأول، بدون أية صعوبة. مارس سلطته بغاية.

واصل، على الحدود، القتال ضدّ المسيحيين، وقمع، في الوقت نفسه، بعض حركات التمرد كما ردة غزوات خارجية كالتي قام بها النورمان على إشبيلية. أقام علاقات دبلوماسية مع بيزنطة ومع الممالك الإسلامية

الأوروبية المعاصرة - جعلت منه أيضاً المحقّق لمشروع حديث وموضح ذي أهمية دينية واستراتيجية، هو خط سكة الحديد الحجازي الذي بلغ المدينة المنورة في العام ١٩٠٨م، واستُخدم لنقل جموع المسلمين الآتين من الشمال لإتمام مناسك الحج في مكة المكرمة. إنّ الأبحاث التي حاول عبد الحميد الثاني أن يفرض عن طريقها آرائه في الميدان السياسي، ممارساً سلطة مطلقة تتناقض مع التقاليد العثمانية السائدة التي كان فيها الحكم بيد الوزارة، وساعياً إلى تحقيق الجامعة الإسلامية التي أنتجتها نظريات جمال الدين الأفغاني، أدت في النهاية إلى فشله وإلى عزله في سنة ١٩٠٩. اتخذ انقراض بشأن تحيته مجلس المبعوثان الذي كان السلطان قد أقامه بنفسه، في العام ١٨٧٦، حين وصل إلى الحكم بدعم من الأتراك الجدد. لكنه سرعان ما عاد فعمل على عرقلة سير هذا المجلس. لقد مهّد أيضاً نعرله سلسلة متوالية من النزاعات المسلحة غير الموفقة، خاضتها السلطنة ضد روسيا واليونان بنوع خاص، وكذلك سلسلة من الصراعات من أجل الإستقلال عرفتها المقاطعات البلقانية. كانت تجتاج تيارات ثورية آنذاك الدولة العثمانية التي تعرّضت أيضاً لتأثيرات، وحتى لتدخلات خارجية، انعكست سلباً على ازدهارها الاقتصادي.

شهد عهد عبد الحميد الثاني، في ميدان الهندسة المعمارية وتنظيم المدن، تحديث مدينة اسطنبول بشكل واضح، ولا سيما الأحياء المخصصة لسكن الأجانب في پيرا (Pera) القديمة، حيث كانت البيوت الأبنية تتبع الطراز الأوروبي المعاصر. نجد الأنماط الفنية ذاتها في الصرح الذي كان السلطان يعتبره مسكنه المفضل، أعني به قصر يلدز (Yildiz)، حيث المقصورات وأجنحة الإستقبال والأبنية الملحقة - وكانت كلّها موزعة، بحسب التقاليد، داخل سور يحيط برابية مشجرة تطلّ على البوسفور - تعكس هي أيضاً العادات الأجنبية في البناء والزخرفة.

عبد الرازق (علي)، ١٣٠٥-١٣٦٦هـ/١٨٨٨-١٩٤٧م، كاتب ومفكر مصري معاصر، ترك مؤلفات ذات طابع إصلاحي.

احتضان الآداب والفنون، وظهر غنى هذا الخليفة البتاء الذي جعل مدينة قرطبة تعادل بأبنيتها وتنظيمها المدني العواصم الإسلامية في الشرق، على الرغم من أنها لم تبلغ قط الأحجام نهائية التي بلغتها تلك العواصم. وقد ظهرت عظمة مثاريمه بتأسيسه، حول قصره. مدينة الزهراء، مدينته الملكية التي جرت فيها الاستقبالات ونقلت إليها الدواوين في سنة ٨٣٣٤هـ/٩٤٥م. بلغت في عهده الحضارة الإنسانية - الإسلامية ذروتها، وقد استطاعت تلك الحضارة أن تتجاوز سننها الإقليمية بالنسبة إلى العالم الإسلامي الأسوي حيث قامت المراكز الحية للأمبراطورية، بفضل صورتها المشقة التي لعمت في أوروبا المشهورة، في المرحلة الأولى من القرون الوسطى. لقد ساهمت ذكرى هذه المدوة في الحفاظ على حيوية الإمارات الإسلامية الصغيرة في عهد ملوك الطوائف، وذلك خلال القرون الخمسة التالية. وقد تناسم هؤلاء ما نتج من الخلافة الأموية، ويعود الفضل، ولو جزئياً، في استمرارهم، إلى ما تركته تلك الخلافة من إرث إقتصادي وثقافي.

◀ راجع المسمندت ١١ و ٥٠ إلى ٥٢

عبد شمس (بنو)؛ أبناء العشرة الأكثر غنى في قبيلة قريش زمن الدعوة الإسلامية في مكة، وأبناء عمٍ بعيدون للنبي محمد ﷺ ولأهله الهاشميين.

استمد بنو عبد شمس، داخل الأوليغارشيّة المكيّة، قوّتهم من تعيينهم المتزايد من تجارة القوافل التي كانت تشكّل ثروة المدينة. لذا أظهر تجّارهم، أصحاب الأعمال المزدهرة، ولمدة طويلة، معارضة شرسة للنبي محمد ﷺ ورسالة القرآن الكريم، إلى درجة أنهم شكّلوا حملاتٍ حربية في محاولة للقضاء على أوّل جماعة إسلامية في المدينة. ناصب رئيسهم آنذاك، أبو سفيان، النبي محمد ﷺ أعداء، حتى تاويع استسلام مكة ولكنّ الدور السياسي الكبير الذي قام به بعد اعتناقه الإسلام يعتبر مقدّمة للنجاح الباهر الذي أحرزته أسرته في ما بعد، إذ أعصت المسلمين أوّل سلاله من الخلفاء هي سلاله بني أمية. استمرّت المواجهة في ما بعد، لمدة قرن تقريباً، بين الأمويين والهاشميين. وتقول بعض المصادر غير الموثوق بها إنّ هذه المواجهة كانت قد

الصغيرة المستقلّة في أقصى المغرب. بذل جهداً كبيراً لتحسين الإدارة والحياة الداخليّة في دولته التي أخذت تفتتح على المؤثرات الاجتماعيّة-الفكرية الآتية من العراق العبّاسي والتي نافست، إن في الثمادات الثمرهفة أو في الأبنية الفخمة، إنجازات الحضارة العربية الإسلامية الشريفة التي كانت قد بلغت آنذاك عصرها الذهبي.

عبد الرحمن الثالث أو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ٢٧٧-٣٥٠هـ/٨٩٠-٩٦١م، كان شاعراً عندما اعتلى العرش وبقي عليه زهاء خمسين سنة (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م). تميّز حكمه الطويل بالأبعية.

ثبت هذا الأمير النشاط هيبه انسلالة الأموية في المغرب، وكان أوّل حاكم للأندلس يظلم بلقب خليفة، متصلياً للحليفة العبّاسي الذي كانت سلطته قد بدأت تتداعى وسط الاضطرابات المختلفة، ومتصلياً أيضاً للخليفة الفاطمي المتمركز في إفريقيا. كانت طموحات هذا الأخير تصطدم مباشرة بطموحاته. اتخذ عبد الرحمن لقب أمير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله، وذلك في سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، بعد أن انتهى من توطيد السلم الداخلي في مملكته. فضيّب بذلك نفسه مدافماً عن السنة في وجه خصمه البغدادي، كما في وجه الشيعة في بلاد إفريقيا. ساعده هذا الوضع على أن يكون أكثر تصلياً في مواقفه السياسية وعلى أن يريده بلاطه شهرة. إنّ الحروب التي خاضها ضد الملوك المسيحيين في شبه جزيرة إيبيريا والتي اعتمد فيها على المرزوقة من البربر وعلى المقاتلة الأروبيين سمحت له، على الرغم من الهجمات التي كان يشنها جيرانه من الشمال، بصيانة حدود مملكته. أثار شر حملات ضد حاكم بطليوس ثم ضد حاكم طليطلة، في الوقت الذي وضع فيه حداً للثورة ابن حصصون الذي توفي سنة ٣٥٥هـ/٩١٧م، بانتصاره على إبنائه. وأحرز، إضافة إلى ذلك، انتصارات على الأمازيغ النصارى. وينوع خاص عندما استعاد منهم مدينة بنبلونه سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، وقرض عليهم أن يدفعوا الجزية، على الرغم من الهجوم المصاد الذي شنه ملك ليون. أمّن لنفسه، في الجهة المقابلة للمتوسط، نقاط دعم حقيقية. منها غنبله وسبتة وطنجة.

برزت، بموازاة ذلك، ميول عبد الرحمن إلى

خلال مفاوضاته المتعاقبة مع الفرنسيين. وقد اعترف خلالها بسلطته على مناطق كانت مساحتها تزداد بصورة مطردة. لكنه أخيرًا تخلى عن تنظيم دولته العربية الواسعة لمهاجمة منطقة بتيجه سنة ١٨٣٩. قرر آنذاك

الجنرال بوجو (Bugcaud)، الذي كان قد عُيّن حاكمًا عامًا سنة ١٨٤٠ والذي كان يرغب في تحويل الاحتلال الفرنسي الجزئي للجزائر إلى احتلال شامل، وضع حدًا لنهجهم الذي كان يبذلها عبد القادر، ووقف الدعم الذي كان يتلقاه من المغرب. وقد تمّ ذلك للقائد الفرنسي في معركة إسلي سنة ١٨٤٤. أجبر الزعيم الجزائري على الاستسلام في سنة ١٨٤٧/١٨٤٧م، وعلى القبول بالشروط التي فرضها الفرنسيون فطبقها بأمانة. استطاع الأمير، الذي كان من الداعمين إلى الجهاد، الانتقال إلى السلطنة العثمانية بعد إقامة جبرية في فرنسا دامت خمس سنوات، فسكن ابتداءً من سنة ١٨٥٣ في بورصة، لكنه ما لبث أن غادرها، في العام ١٨٥٥، إلى دمشق حيث أنهى حياته في هدوء وعزلة. كتب في دمشق مجموعة مؤلفات ذات صبغة صوفية، وقد تمّ مؤخرًا نشر بعضها. لكنه لم يتخلّ قط عن تحفظه ولم يتخلّس في أية مؤامرة لها طابع سياسي ولم يقبل بأية مهمات لها الطابع نفسه.

عبد الكريم أو محمد بن عبد الكريم، ١٢٩٩-١٣٨٢هـ/١٨٨٢-١٩٦٣م، زعيم قومي مغربي، أمّنت له الثورة التي أشعلها في منطقة الريف بين سنتي ١٣٣٩ و١٣٤٤هـ/١٩٢٠ و١٩٢٦م، الشهرة لبعض الوقت، لكنه لم يترك وراءه إنجازًا سياسيًا ثابتًا.

وُلد في قبيلة محبة للحرب، وتلقّى ثقافة إسلامية تقليدية، وأصبح مؤلفًا في الإدارة الإسبانية وقاضياً في ما بعد. أطلق، في سنة ١٩٢٠م، حركة عصيان في شمال المغرب ضد السيطرة الإسبانية. أحرز انتصارًا في سنة ١٩٣٩/١٩٢١م، سمح له بتأسيس دولة صغيرة عمل على توسيعها لتشمل منطقة الريف بكاملها، وأرادها أن تكون داخل الدولة الشريفة العلوية، جمهورية مستقلة يرأسها بنفسه. كان هذا الوضع بهذا، في الوقت نفسه، إسبانيا وسلطات الحماية الفرنسية وسلطان المغرب، لأنّ عبد الكريم لم يكن يعترف بسيادة هذا الأخير على دولته الفتية. فكانت، نتيجة لذلك، الحملة الفرنسية -

بدأت بين الأخوين عبد شمس وهاشم، ابني عبد مناف^(٧٧)، وقد أعطى كلّ منهما اسمه إلى إحدى العشيرتين المتنافستين.

«راجع المستند ١ و٢»

عبد العزيز، ١٢٤٦-١٢٩٣هـ/١٨٣٠-١٨٧٦م - السلطان الثاني والثلاثون من سلالة بني عثمان. حكم من سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٨٧٦م، في مرحلة عرفت فيها السلطنة العثمانية المحترصة تحولات داخلية واضطرابات.

هو الابن الثالث للسلطان محمود الثاني. خلف أخاه عبد المجيد الأول وتابع تطبيق سياسة الإصلاح المعروفة بـ«التنظيمات». واجهته صعوبات مالية وسياسية، تفاقمت بفعل تدخل الدول الكبرى، ومنها على سبيل المثال روسيا. عرفت بلاد البلقان في عهده عددًا من الثورات. وكان للسياسة التي اتبعها في الميدان الاقتصادي نتائج غير مرضية، ما أدّى إلى استياء الشعب. وقد تعاطف هذا الاستياء لدرجة أنّه كان سببًا لعزله ثمّ لانتحاره. على الرغم من ذلك، أنجز عددًا من الإصلاحات تتعلق بإعادة تنظيم الإدارة، طال بعضها نظام الولايات وبعضها الآخر وضع الأجانب وتطوير التعليم الرسمي طبقًا للنموذج الفرنسي، مع إنشاء جامعة ومدرسة ثانوية هي مدرسة غلاطه سراي حيث كان أستاذة فرنسيون يؤمّنون التعليم.

عبد القادر، أو عبد القادر بن محي الدين، ١٢٢٢-١٣٠٠هـ/١٨٠٨-١٨٨٣م، أمير جزائري من أصل ريفي، ذو ثقافة دينية تقليدية، نوّدي به، بعد أن استولى الفرنسيون على الجزائر عام ١٨٣٠، سلطانًا على العرب. تجسّدت فيه، حتى سنة ١٨٤٨، روح المقاومة الإسلامية ضدّ الاحتلال المسيحي.

خلف أباه الذي كان من رؤساء القادرية، فاعتمد على مكانته هذه كي يقاوم القوات الفرنسية في وهران، مستفيدًا بدكاء، في الوقت نفسه، من مفاوضات أعدائه وترددهم في اتخاذ القرارات السياسية. لم يبن قوّته، التي لم تدم طويلًا، على نتائج العمليات العسكرية التي قام بها لإرهاق العدو، بل على المكاسب التي حقّقها

طالب. عاش في مكة وهو والد رسول الإسلام ﷺ.
كل ما ترويه عنه الأحاديث الشريفة هو أنه مات شاباً
خلال سفره كان يقوم به، وأن ولادة ابنه محمد جرت قبيل
موته أو بعده بقليل.
❖ راجع المستند رقم ١.

عبد المجيد الأول، سلطان عثماني، ١٢٣٨-
١٢٧٧هـ/١٨٢٣-١٨٦١م. مات شاباً بعد أن حكم من
سنة ١٢٥٥ إلى سنة ١٢٧٧هـ/١٨٣٩-١٨٦١م. اهتم
بمعالجة إصلاحات أبيه محمود الثاني. حقق إنجازات
مهمة على الصعيد التشريعي ودشنها بإصداره مرسوم
التنظيمات المعروف أيضاً بخط كُتلخانة، نسبة إلى
المكان المسمى (Gulkhaneh) أي بيت الزهور، في
قصر توب كابي (Topkapi)، حيث أعلن المرسوم
المذكور بعد اعتلائه العرش بفترة قصيرة. قام أيضاً
بإصلاحات عديدة طالت الإدارة والنقد والجيش
والتعليم وراقبها إنشاء مؤسسات وتشيد أبنية جديدة،
منها قصر دولما باغچه (Dolmahagge) على ضفة
البحر الذي أنجز في سنة ١٨٥٣. تشهد هذه المباني
على ميل السلطان إلى هندسة معمارية موسومة بالتأثيرات
الأوروبية، لكن ذلك كله لم يحسن وضع الدولة المالي
الذي كان آخذاً في التدهور يوماً بعد يوم.

تعاقبت، بشكل متكرر، الصعوبات الخارجية
والثورات الداخلية في الحقبة التي نلت معاهدة لندن
عام ١٨٤٠. لقد جيّت هذه المعاهدة، بفضل تدخل
الدول الأوروبية، السلطة العثمانية نتائج الانتصارات
التي أحرزها عليها إبراهيم باشا بن محمد علي، حاكم
مصر، الذي كان يُعتبر عملياً مستقلاً. إندلعت بعد ذلك
الحرب المعروفة بحرب القرم بين عامي ١٨٥٣
و١٨٥٦م، في وقت كانت فيه الفتن تتسبب بتدخلات
عسكرية وبأعمال فمعية في المناطق الكردية، وفي
البوسنة وفي المقاطعات الدانوبية، كما في لبنان
وسوريا. صدر، في هذه الظروف، البرنامج الإصلاح
الثاني المعروف بالخط الهمايوني، وذلك قبيل التوقيع
على معاهدة باريس.

عبد المجيد الثاني، هو ابن السلطان العثماني عبد

الإسبانية المشتركة التي نلت الهجمات العنيفة التي شنها
الأمير الربيعي على فاس، ما أدى إلى هزيمته واستسلامه
نهائياً في ١٤ ذي القعدة ١٣٤٤هـ/٢٧ أيار ١٩٢٦م.
نُفي عبد الكريم أولاً إلى جزيرة ريونيون
(Réunion) وأذن له، في سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م،
بالانتقال إلى فرنسا. ولكنه هرب خلال السفر واثقاً
إلى القاهرة حيث أنشأ «هيئة تحرير المغرب العربي».
لم يحصل قط إجماع حول شخصه، على الرغم من أنه
ظل يؤكد أنه يعمل لاستقلال أفريقيا الشمالية بكاملها.
ابتعد عنه، في الواقع، باقي الزعماء القوميين المغاربة
ولم يبق له سوى شهرته كبطل ناضل بالسلاح ضد
الاستعمار. توفي في سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م متقدماً في
السّن.

عبدالله [إبن الحسين] ١٢٩٩-١٣٧٠هـ/١٨٨٢-
١٩٥١م، أمير من سلالة أشراف مكة الهاشميين،
مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية. أصبح ملكاً بعد أن
كان أميراً على شرق الأردن.

شارك بنشاط، هذا الإبن الثاني للحسين، شريف
مكة، في المحادثات التي مهدت للثورة العربية في العام
١٩١٦م. لكنه بقي بعد ذلك في الظل كأمير على مقاطعة
واقعة تحت الإنتداب البريطاني، بينما نصبت الحكومة
الإنكليزية أخاه فيصلاً ملكاً على عرش العراق في سنة
١٩٢١م. توج ملكاً على الأردن في سنة ١٩٤٦، عندما
حصل هذا البلد على استقلاله تحت إسم «المملكة
الأردنية الهاشمية». تبع سياسة ميالة إلى الغرب. بدأ في
نهاية حياته بضغط بدور دبلوماسي هادفاً إلى تطوير
علاقة بلده بالعالم الخارجي. ضمّ إلى مملكته، في سنة
١٩٥٠م، بُعيد حرب فلسطين (١٩٤٨-١٩٤٩م)،
الأراضي التي استولى عليها الجيش الأردني غربي نهر
الأردن، قبل أن يقضي اغتيالاً في القدس. خلفه على
العرش حفيده الحسين سنة ١٩٥٢م^(٧٨).

❖ راجع المستند رقم ٦.

عبدالله بن الزبير ← إبن الزبير.

عبدالله بن عبد المطلب ٥٥٤-٥٧٠م، قريشي من بطن
بني هاشم أو الهاشميين، أخٌ غير شقيق للمبّاس ولأبي

عليها ابنُ الخليفة نفسه، الوليد.

إنَّ الجهود التي بذلها عبد الملك، بوجه عام، كي يعيد إلى الأمبراطورية وحدتها لم تمنعه عن متابعة الحرب ضد البيزنطيين. وكانت هذه قد استنزفت في الأناضول منذ سنة ٨٧٣/٦٩٢م وأسفرت، في إفريقية، سنة ٨٧٨/٦٩٧م، عن تقدّم جديد للمسلمين. وعلى الرغم من هذه الحروب، اهتم الخليفة باستمرار تأمين الإردناق الاقتصادي لمختلف الولايات ومركزية الإدارة فيها. وقد رافق تطوّر طرق المواصلات وتطوّر البريد تعريب الدواوين، فشكّل ذلك عملية إصلاح ضخمة، إذ حلّت العربية محلّ اليونانية في محرّرات الإدارة وفي نقوش المسكوكات. فأضحت الكتابة العربية كتابة الدولة الرسمية وأصبحت حروفها منتظمة وجديرة بمناصفة الحروف اليونانية. وبيان ذلك في الكتابات المنقوشة على نُصُب الأيمايل أو على الدوام التي تحمل اسم عبد الملك، كما في أقدم نصّ عربيّ موجود داخل بناء ومحفوظ حتّى اليوم، وهو الكتابة التي يحملها الإفريز السفاساني الذي يزيّن من الداخل قبة الصخرة. إنّ الغنى الإستثنائي الذي يميّز هذا البناء وكذلك كماله الهندسي يعطيان فكرة واضحة عن القوّة التي بلغها الدولة الإسلامية آنذاك، وعن رغبة عبد الملك في التركيز على الإرث الديني الذي تمثّله القدس. وقد أراد الخليفة أن يُظهر أنّ هذا الإرث قد اندمج في الإسلام واتّحد به. كما أراد أن يزيد، عن طريق هذا البناء، شهرة الإقليم السوري-الفلسطيني الذي كان يقيم فيه والذي كان يُعتبر آنذاك القاعدة الصلبة لسلطة بني أمية.

❖ راجع المستندات رقم ٢ ٨٩ و ٣٧ و ٣٨ و ٩٠.

عبد المؤمن بن علي ٤٨٧-٥٥٨هـ/١٠٩٤-١١٦٣م.
أوّل ملوك سلالة الموحّدين أو السلالة المؤمّية، حكم ابتداءً من سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م. خلف المهدي ابن تومرت في تروّس الحركة الدينية-السياسية التي أسّسها هذا الأخير.

التقى هذا الشاب، الذي ينتمي إلى زنّانة، إحدى قبائل البربر، حوالى سنة ٥١١هـ/١١١٧م، في جوار بجاية حيث كان يطلب العلم، ابن تومرت، المهدي في ما بعد، وتعلّم له. أدّى إلى جانبه، منذ ذلك التاريخ،

العزیز. توفي في المنفى في سنة ١٩٤٤. لم يشكّل قط عرش السلطنة التي أُلقيت مع محمّد السادس آخر السلاطين؛ لكنّ الجمعية الوطنية التركية الكبرى انتخبته خليفة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢م، بعد أن غادر ابن عمّه، محمّد السادس، إسطنبول. لم يؤدّ إلاّ دوراً دينياً هاماً، انتهى مع إعلان الجمهورية على يد مصطفى كمال أتاتورك في خريف ١٩٢٣، ومع إلغائه الخلافة في ربيع ١٩٢٤.

عبد الملك بن مروان ٢٦-٨٨٦هـ/٦٦٦-٧٠٥م. هو الخليفة الخامس في السلالة الأموية. شكّل حكمه الذي دام عشرين سنة مفصلاً في التطوّر السياسي للأمبراطورية، وكزّس انتقال السلطة العليا إلى الفرع الأموي المعروف بالمرواني.

تابع المهمة التي كان أبوه مروان الأوّل قد بدأها عندما وصل إلى الخلافة، إثر الاضطرابات التي أدّت إلى سقوط الفرع المعروف بالفسيفياني. اعتلى عبد الملك العرش سنة ٦٨٥هـ/٦٨٥م وكان عمره أربعين سنة تقريباً، فبدأ بإخماد الفتن وبضبط أمور الدولة. اضطّرت جيوشه إلى القتال، خلال سنوات عدّة، لقمع حركات عصيان قديمة ذات طابع سياسي-ديني: قاتلت في الحجاز أولاً حيث كان ابن الزبير قد بويع بالخلافة، ثمّ في العراق حيث كان الخوارج والشيعة قد انتصروا، عقب الثورات العديدة التي قاموا بها. سمحت له انتصاراته باستعادة السيطرة على مكّة، منذ نهاية سنة ٧٧٢/٦٩٢م. وبغهر سكّان الكوفة والبصرة. لم تستتب له الأمور إلاّ بعد أن أسّس، سنة ٨٨٣هـ/٧٠٢م، في قلب العراق، مدينة جديدة جمع فيها فوائده وأطلق عليها اسم «واسط»، فاستعملتها، منذ ذلك التاريخ، الجيوش العربية الآتية من سوريا، كقاعدة لإحكام قبضتها على مقاطعات الهلال الخصيب كافة. وما كان لسياسة القمع وإعادة تنظيم الدولة انّثي شعبها أن تتجنّب لولا دعم الحجاج وحزمه، وكان الخليفة قد عبّثه حاكماً على الحجاز ثمّ على العراق. ثمّ ينكث الحجاج يوماً عهد إخلاصه. أفاد عبد الملك أيضاً من خدمات أخيه عبد العزيز، فأوكل إليه حكم مصر وعبّث وديناً شرعياً له. لكنّ عبد العزيز توفي قبل أن يُطرح موضوع الورثة، وإلاّ لكان نافسه

عبد الواد (بنو -) أو بنو زيان. ٦٣٤-٩٩٩هـ/ ١٢٣٦-١٥٥٠م، سلالة من أصل بوبري حكمت، في ظروف غير مستقرة، المغرب الأوسط حيث أقامت سلطة منظمة حول العاصمة تلمسان التي غالباً ما تعرضت لهجمات مسلحة.

كان الموحدون قد بسطوا سلطتهم على أفريقيا الشمالية بكاملها، فدعموا يغمورسن، وهو زعيم مجموعة كبيرة من البدو الزناتة، ما سمح لهذا الأخير بالإنطلاق في تأسيس مملكته التي حكمها بنفسه لمدة طويلة قاربت الخمسين سنة. كان آنذاك بنو شخص يتبنون استقلالهم في تونس. إن الحصار غير الموفق الذي فرضه المريدون على تلمسان والذي بناه خلاله مدينتهم-المعسكر المنصورة، بين سنتي ٦٩٨ و٧٠٦هـ/ ١٢٩٨ و١٣٠٦م، ثم احتلالهم لتلمسان خلال فترتين زمنيتين (من ٧٣٧ إلى ٧٤٩هـ/ ١٣٣٧-١٣٤٨م، ومن ٧٥٣ إلى ٧٦٠هـ/ ١٣٥٢-١٣٥٩م)، دفعا بملوك بني عبد الواد إلى التصدي لهجمات جيرانهم الأقوياء بعداء. ولكن هؤلاء الملوك لم يمتلكوا فقط موارد ذات شأن، لذا خضعوا بعد ذلك، منذ الربع الأول من القرن الخامس عشر، للحدود صين، ثم في القرن السابع عشر، لإسبان وهران. فلبات الجزائر وأخيرًا لسعدي المغرب.

عبدّه (الشيخ محمّد)، ١٢٦٦-١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩-١٩٠٥م، كاتب ومفكر مصري معاصر. يعتبر من المعتقدات الرئيسية للإصلاح. كان لأفكاره تأثير عظيم على مختلف مظاهر هذه الحركة في القرن العشرين.

أصله من عائلة قروية من مصر السفلى. تلقى في قرينته، على أيدي عدد من العلماء، تعليمًا إسلاميًا متقنًا، قبل أن يتابع دراسته في الأزهر حيث وصل في سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م. لكن التعليم الديني التقليدي الذي تلقاه لم يمنعه من التأثر بالصوفية، وقد مرّ بأزمة نفسية مال خلالها إلى الزهد. إن الكتب التي ألفها بين ١٢٨٩ و١٢٩٤هـ/ ١٨٧٢ و١٨٧٧م تعكس توجهاته الأولى: فهي «رسالة الواديات» حيث حصر الوجود الحقيقي بالله، تبنى موقفًا قريبًا جدًا من «وحدة الوجود» التي نجدها عند ابن العربي. كتب بحثًا في العقيدة

دورًا نشطًا سمح له بأن يكون عضوًا في مجلس العشرة في دولة تبشّل انجلبّة، وأن يشارك في الحملات العسكرية التي جرت ضدّ المرابطين، وهم آنذاك حكام المغرب والأندلس الأقوياء.

لم تبدأ حياته السياسية الحقيقية إلا في سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م، أي بعد ثلاث سنوات من موت ابن تومرت، عندما بايعه أتباعه الجدد. قام على أثر ذلك بعدد من العمليات العسكرية داخل المغرب، فطوّق مراكز المرابطين الأساسية في الأطلس الأوسط وفي منطقة وهران، واستولى، في سنة ٥٣٩-٥٤٠هـ/ ١١٤٥-١١٤٦م، على فاس، وفي السنة التالية على مراكش فتلمسان. لُقّب عبد المؤمن عند ذلك بأمر المؤمنين، فرفض الاعتراف بأية سلطة لممثلي العباسيين في المغرب، ونظّم إدارة جديدة تقيّد بالمبادئ التي أطلقها أول حكومة للموحدين مستفيدة، في الوقت نفسه، من التقاليد الأندلسية العريقة في هذا الميدان. إنطلق عبد المؤمن بعد ذلك في سلسلة من الفتوحات، فبلغ مقاطعة إفريقية حيث أوقف حملاته في سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، وكانت هذه قد أوصلته إلى المهدية وقابس وطرابلس المغرب. في المقابل، لم تغب الأندلس أبدًا عن باله، وكانت جيوشه قد بدأت تغزوها منذ سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م، فاستولت على أراضي المرابطين السابقة وحاولت، بعد ذلك، تخفيف الضغط الذي مارسه الإسبان خلال حروب الإسترداد، فأحرزت بعض النصر كاحتلالها المرئيّة مثلاً سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م. وفي سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٦م، قمع عبد المؤمن تمردًا محليًا قام به ابن مردنيش.

توفي عبد المؤمن سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م، فتوقّفت الجهود الجبّارة التي كان ينوي تكريسها للجهاد ولنصرة الإسلام في شبه جزيرة إيبيريا. وكان قد جمع في سبيل ذلك جيشًا ضخمًا بالقرب من سلا، في المكان الذي أنشأ فيه الرباط، المدينة- المعسكر، تحت اسم «رباط الفتح».

« رابع المئتين رقم ١٩ »

عبد الناصر (جمال) - ناصر .

الدينية في سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، اعتمد فيه طريقة شائعة في عصره وهي طريقة الحواشي والشروحات، وقد استعملها في شرح كتاب، في الموضوع نفسه، للإيجي، وهو عالم أشعري عاش بين القرنين السابع والثامن للهجرة/الثالث عشر والرابع عشر للميلاد. دعا، في شروحه هذه، إلى الانسجام بين الفرق والمذاهب الإسلامية وشدد على دور العقل كمرشد إلى الإيمان الحقيقي. ظهرت في هذا الكتاب أفكار فلسفية خجولة هي، دون شك، من تأثير جمال الدين الأفغاني الذي التقاء عبده في القاهرة في سنة ١٨٧٢م واستمع إلى محاضراته.

أغرت، في الفترة نفسها، محمد عبده، الصحافة، فاتحهم ميدان السياسة. أراد أن يثقف مواطنيه لكي يجابهوا الاضطرابات الاجتماعية التي تميزت بها نهاية حكم الخديوي إسماعيل، فكتب في جريدة «الأهرام»، ابتداء من أيلول/سبتمبر ١٨٧٦م، معالجا موضوعات مختلفة وجديدة. عرفت مصر، في الأزمنة الغابرة، بحسب رأيه، حضارة مجيدة، ولم يكن هناك من سبب يحول دون احتلالها مركزا حضاريا مزدهرا. يتوجب، لبلوغ تلك الغاية، تطوير الثقافة والصحافة، للتأثير في الرأي العام ومحاربة السيطرة الأجنبية وإزاحة الحكام الذين يقبلون بهذه السيطرة، وتخفي الاختلاف في الرأي بين المذاهب خدمة للوحدة، وعدم التصدي للعلوم الحديثة التي لا تنصر بالدين والتي، بخلاف ذلك، يمكن توظيفها للدفاع عنه. يتوجب أخيرا تحديث اللغة العربية.

لكنه اضطر، في أيار ١٢٩٩م/١٨٨٤هـ، إثر ثورة عرابي باشا، إلى التخلي عن انشطته، التي لم تكن لترضي السلطات الإنكليزية، وإلى مغادرة مصر. أمضى سنة في بيروت، ثم لحق بصديقه الأفغاني في باريس حيث ساهم في تحرير جريدة «الحرة الوثقى»، فتعاون مع مؤسسها على كتابة افتتاحيات هذه النشرة التي كانت موجهة إلى قراء شريطين والتي لم تعمّر طويلا. عاد في سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م إلى بيروت حيث نقل إلى العربية كتاب الأفغاني «الرد على الدهريين» وألقى محاضرات في علم الكلام، شككت لاحقا أساسا لأحد مؤلفاته المشهورة. سُمح له أخيرا، في سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، بالعودة إلى مصر، فشكل فيها وظائف رسمية عدة، ما أتاح له الفرصة ليوضح موقفه الإصلاحية.

تُعين قاضيا في محكمة البداية القومية وأصبح، بعد ذلك بقليل، عضوا في محكمة الاستئناف. تميز باستقلاليته في تفسير الشريعة وبصره ضد الفساد وصد ممارسة شهادة الزور التي كانت شائعة في ذلك العصر. اقترح على الخديوي عباس الثاني، في سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م، إصلاح نظام التعليم المعتمد في الأزهر، ونجح في تغيير مناهجه مدخلا عليها بعض المواد الحديثة. قبل أن يصطدم بمقاومة أجبرته، في سنة ١٩٠٥، على الاستقالة من الهيئة التي كانت قد أنشئت في سنة ١٨٩٥ حيث كان يمثل الحكومة. عُين في غضون ذلك مفتيا للديار المصرية (١٨٩٩) فسنتح له الفرصة لإصدار عدد من الفتاوى ما زالت مشهورة حتى اليوم، سمحت إحداها لسلمي جنوب أفريقيا بأكل لحم الحيوانات التي يذبحها اليهود والمسيحيون والتي لم تدفع بحسب الشريعة الإسلامية، وذلك بسبب الظروف القاهرة. سمحت فتوى أخرى للسلميين، على ما يبدو (لأن أحدا لم يشر على نضها)، بإيداع أموالهم في صناديق التوفير، وهذا يعني أن هذه الفتوى شرعت شكلا معينا من أشكال الافتراض بالفائدة أو الربا.

أصبح محمد عبده، منذ سنة ١٨٩٩، أيضا، عضوا في المجلس التشريعي. لم يكن لهذه الهيئة آنذاك سوى صفة استشارية لدى الحكومة، لكن كان يسمح لأعضاء المجلس بالتعبير عن أفكارهم. إضافة إلى ذلك كان

إقتحم محمد عبده، من سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م إلى سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، ميدان التعليم ودرس في الجامعة التي أسست في العام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣ تحت إسم «دار العلوم»، لتزويد قضاة مصر بثقافة أكثر حداثة. غير أن الخديوي الجديد، توفيق، عزله من وظيفته في أيلول/سبتمبر ١٢٩٧م/١٨٧٩هـ، وعينه، بعد مدة قصيرة، محررا في الجريدة الحكومية «الوقائع المصرية». كتب، بهذه الصفة، مقالات ركز فيها على أهمية التعليم وهاجم الفساد، حاثا، في الوقت نفسه، على الزواج الأحادي مؤكدا أن النظام البرلماني يتوافق مع الإسلام.

إقتحم محمد عبده، من سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م إلى سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، ميدان التعليم ودرس في الجامعة التي أسست في العام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣ تحت إسم «دار العلوم»، لتزويد قضاة مصر بثقافة أكثر حداثة. غير أن الخديوي الجديد، توفيق، عزله من وظيفته في أيلول/سبتمبر ١٢٩٧م/١٨٧٩هـ، وعينه، بعد مدة قصيرة، محررا في الجريدة الحكومية «الوقائع المصرية». كتب، بهذه الصفة، مقالات ركز فيها على أهمية التعليم وهاجم الفساد، حاثا، في الوقت نفسه، على الزواج الأحادي مؤكدا أن النظام البرلماني يتوافق مع الإسلام.

العقل أن يكتشفها بقوّته الذاتية. إنها، إضافةً إلى ذلك، تقوم مقام ضعف الطبيعة البشرية في تأمين النظام الاجتماعي. أخيراً إن إصرار محمد عبده على تأكيد حرية الاختيار عند الإنسان بشكل إدانة لعقيدة التحديد المسبق لإرادة هذا الإنسان التي هي في أصل الذهنية المستسلمة فلقدرد، وهي عقيدة طالما أضرت، في الماضي، بصالح الشعوب الإسلامية.

من المؤكد أنّ «رسالة التوحيد» لم تشكّل تجديداً بارزاً في صياغة علم الكلام، لأنّ مؤلفها ظلّ، على العموم، وفياً للنخط الأشعرّي. إنّ دور محمد عبده القاضي والمفتي لم يؤدّ إلى تحديد حقيقي في الميدان القانوني. لكنّ مؤلفاته ومدخلاته نمت عن رغبته الواضحة في إعمال العقل، ومن شأن ذلك، بحسب رأيه، أن يؤدي إلى تحديد في ميدان الأخلاق والدين، بانتهاج طريق وسطي بين اتّجاهي المحافظين والمُحدّثين المتعارضين. على الرغم من أنّ معالم نظريته الإصلاحية لم تكن محدّدة بدقّة، فقد كان لها أثر عميق في عدد كبير من البلدان الإسلامية، في إندونيسيا كما في الجزائر حيث استوحته حركة العلماء. إنها وراه الحزب الذي نشأ في مصر، في مطلع القرن العشرين، باسم «حزب المنار» الذي ساهم بصورة فعالة في محاولات التغيير التي عرفها هذا البلد.

عُبَيْدُ اللَّهِ بن زياد، ٢ - ١٦٦هـ / ٩ - ٦٨٦م. هو ظهير وفيّ لسلالة الأمويين في الشرق، استقطب حقد الشيعة لمسؤوليته عن موت الحسين في كربلاء.

إنّه ابن والي العراق زياد بن أبيه الذي رفعه الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى رتبة أخ له بالنسبة، وعُهدت إلى عبيد الله، وكان ما زال يافعاً، مسؤوليّة خراسان، فانطلق منها محارباً في أسيا الوسطى إلى أن بلغ سمرقند، قبل أن يُحرّق، نحو سنة ٥٦/٦٧٥م، والياً للبصرة. هناك، حارب الخوارج، ثم وسّع الخليفة يزيد الأوّل دائرة سلطته لتشمل مدينة الكوفة، ومنها شنّ معركة ضدّ الحسين الذي قُتل خلالها مع كثيرين من أعضاء أسرته في كربلاء. سنة ٦١/٦٨٠م.

يُعيد ذلك، خلال مرحلة الفوضى التي عيّبت موت يزيد الأوّل وآخر معقل لفرع السفينيين، ساند عبيد الله

عبده ينتمي، منذ سنة ١٨٩٢، إلى جمعية البرّ الإسلامية وأصبح رئيساً لها في سنة ١٩٠٠. وكان هدف هذه الجمعية مساعدة المعوزين. أسّس أيضاً في سنة ١٩٠٠ جمعية لتجديد العلوم العربية، ودافع عن أهدافها في العديد من كتبه. منحت له الفرصة، في الفترة نفسها، للدفاع عن الإسلام ضدّ اتهامات غريبال هانوتو (Hanotaux)، وزير الخارجية الفرنسي آنذاك، في مقال نشر في باريس ونقل إلى العربية. وقبل أن تدرّكه السنون في الإسكندرية في تموز ١٩٠٥، تعاون مع مجلة «المنار» التي كان رشيد رضا قد أسّسها في سنة ١٨٩٨. تشكّل «رسالة التوحيد» التي نُشرت في انعام ١٨٩٧ الكتاب الأساسي في علم الكلام. وعلى الرغم من أنّ محمد عبده كان قبل كل شيء صحافياً، فهو مدين بشهرته الواسعة إلى كتاباته في العقيدة، وملك الرسالة هي أهمّها على الإطلاق. يعرض فيها الكاتب العقيدة الإسلامية بصورة مبسّطة، ساعياً إلى التوفيق بينها وبين الذهنية الحديثة. والرسالة، في الواقع، كتاب في الدفاع عن الدين. وهذا النوع من المؤلّقات غير معروف في الكتابات التقليدية في علم الكلام: يظهر عبده من جهة وكأنّه سلبيّ، لأنّه يطالب بالعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى، وبالتأكل في النصوص مباشرة، لكن من دون اللجوء إلى التقليد الأعلى الذي كان يرفضه، ويظهر، من جهة ثانية، وكأنّه عقلائيّ، لأنّه يدعو إلى التوفيق بين الدين والعقل. إنّ الإسلام في نظره هو دين عقلائي للعبة فلا يمكن نالاً أنّ يناقض العقل. كان محمد عبده بوعي، في حال وجود تناقض ظاهري بين العقل والتقاليد، بالتمسّك في النصّ لأنّه يتوجّب أن يتوافق معناه الحقيقي مع العقل. وقد عبّر عبده عن ذلك في رسالة التوحيد، وفي مقاله «الإسلام والصراية في علاقتهما مع العلم والحضارة» الذي نشر في مجلة المنار في العام ١٩٠٦. تميّزت رسالة التوحيد بعرض سريع للموضوع الكلاسيكي المتعلّق بصفات الله وبركيزها على ضرورة النبوّة. تقوم هذه الضرورة، في نظر محمد عبده، على اعتبارات نفسية واجتماعية. إنّ النبوّة في نظره هي برهان على وجود الحياة الآخرة وهي تعللنا على بعض صفات الألوهيّة التي لا يستطيع

إلى السُّنة التي لها ولدٌ والتي يقال لها بالعربية أمّ الولد والتي كان من حقّها أن تُحرَّرَ بموت سيدها، فيُحرَّرَ بذلك بيعها حتّى ذلك الحين. أخيرًا، كان يمكن أن يشتري العبد حرّيته بدفع مبلغ مُتَّفقًا، وهذا بموجب عقد يسمّى المكاتبَة.

ومع أنّنا لا نملك أيّ إحصاء يتعلّق بأعمال تحرير العبيد في العالم الإسلامي، في أيّ عصر كان، فإنّه لا يبدو أنّ هذه الحالات من التحرير كانت مرفوعة العدد، لكنّها ساهمت، كما ساهم اعتناق الإسلام، في زيادة عدد الموالى الذين كثر الحديث عنهم في القرن الإسلامي الأوّل. في الواقع، يبدو أنّ هذه الحالات من الإعناق مورست بشكل خاص في داخل التنظيم العسكري لفرق المماليك، وكان، لغة، أيام حكم سلالة العبّاسيّين في القرن التاسع، ديوان الجبل الذي كان يُعنى خاصة بالمعبيد المعتنقين.

أدّى العتق دورًا مهمًّا داخل أوساط الحكّام المسلمين، ولا سيّما في محيط الخلفاء حيث كان أصحاب المصائب المعزّبين أو المحميين، في أكثر الأحيان، عبيدًا معتنقين يحملون باعتزاز لقب مولى ذلك المليك أو السيّد. وقد امتدّت العادة إلى أهل السلالات التي كانت تدور في فلك العبّاسيّين، وتنامت بكثرة في عهد السلطانات، في مختلف الدُول التي أسّسها رجال حرب ظافرون، كانوا بدورهم عبيدًا سابقين حُرّصاء على ألاّ يمتنحوا لقبهم إلّا لمعتنقين: كان هؤلاء يعرفون بزيادة نسبة على اسمهم مشتقة من أحد العناصر الشريفة المُمكنة للقب سيدهم، وقد تشابه هذا النظام حيثما كان معمولًا به بصورة واضحة داخل الترابيّة الحكوميّة لدى المماليك الذين حكموا مصر وسوريا في القرنين السابع والثامن للهجرة/ الثالث عشر والرابع عشر للميلاد.

عثمان، هو اسم حملة ثلاثة سلاطين من السلالة العثمانية، وخصوصًا مؤسس السلالة عثمان الأوّل الذي ترجع إليه نسبة آل عثمان التي أُطلقت على عائلته وأخلافه.

لا نعرف تقريبًا شيئًا مؤكدًا عن عثمان الأوّل الشهير هذا، المعروف بـ«الغزي» الذي قد يكون توفي سنة ٧٢٦/١٣٢٦م، بعد حكم دام تسع عشرة سنة. ففترة

دعوى الخليفة المقبل مروان الأوّل وشارك في معركة مرج راهط في العام ٦٨٤/٥٦٥م. وما لبث الخليفة الجديد، عبد الملك بن مروان، أن عبّته مجذّبًا حاكمًا على الكوفة فترتّب عليه قمع تمرّد نهض به المختار [الثقف] ونجح في ذلك؛ لكنّه سقط بعد ذلك تحت ضربات تمرّد شيبي آخر هو ابن الأشتر، في سنة ٦٨٦/٦٨٦م.

العتبات المقدّسة. اسم أعطاه الشيعة لِمزارات في العراق تضمّ أضرحة ستة من الأئمّة العلويّين الذين تكوّنهم الشيعة الإثنا عشرية. وأسماء المزارات هي النجف حيث دُفِن الإمام علي، وكربلاء حيث قُتل الحسين، والكاظمية وهي حيّ في بغداد دُفِن فيه الإمامان السابع والتاسع موسى الكاظم وحفيده، ثمّ سامراء حيث دُفِن الإمامان العاشر والحادي عشر، قبل أن يخشي فيها لاحقًا الإمام الثاني عشر الذي سبّقى في حالة احتجاب إلى أن يعود كمهديّ.

أَلْعَنَ، إجرأه قانوني في الإسلام لتحرير عبد. وهذا العبد، وإن كان عضوًا في الجماعة الإسلامية في حال كونه مسلمًا، يبقى مع ذلك مرتبطًا بمالكه القديم على أنّه مولى له، والجمع موالى.

لم يكن العتق ممكنًا وحسب، بل كان مندوبًا إليه في القرآن الذي دعت تعاليمه بمعمق، في هذا الموضوع، المجتمع الإسلاميّ في القرون الوسطى. عُمِلَ بالعتق أحيانًا إثر قسم لم يُنفَّذ، كما أنّه كان يتيح الفرصة للتكفير عن أنواع أخرى من الأخطاء، فكان الوسيلة الوحيدة لعدم التبرّ بفساد أخذه على نفسه رجل بأن يتمتع عن آية علاقة جنسيّة بزوجه. وكان تنفيذ القرار، في جميع هذه الحالات، يخضع لتدابير محدّدة في حضور القاضي الذي كان يوقع الوثيقة المعزّزة بشهادة شاهدين. وكانت الأفضلية في العتق تطلّ العبيد الذين اعتنقوا الإسلام.

كانت ثمّة، أيضًا، تدابير أخرى عُمِلَ بها. كأن يعلن مثلاً سيّد عن تحرير عبده له بعد موته، بحسب تعهّد يسمّى تدبيرًا، والعبد المسمّى مدبرًا كان يصبح حرًّا، في الواقع، بموت المعلن. كانت هذه القاعدة تُنصّب بالنسبة

عمر بن الخطاب له واحداً من الأعضاء السنة في المجلس الذي عُهد اليه تسوية مسألة الفراغ في السلطة بعد وفاته. جرت عندئذ مواجهة، خلال التداول الذي تبع هذه الوفاة، بينه وبين علي، وكانت الغلبة له. يقال إنه كان الأجدر بمتابعة المهمة الموكولة لسلفه، ومن المرجح أن كتاباته لإدارة الشؤون قد أخذت في الاعتبار. يُقسم حكم عثمان تقليدياً إلى مرحلتين كل منهما من ست سنوات. خلال المرحلة الأولى، تابع الخليفة الفتوحات الكبرى ونظم الأباطورية بحسب المبادئ التي وضعها عمر بن الخطاب؛ وفي المرحلة الثانية تعرض لانتقادات ثقافت عفاً وأدت إلى اغتياله في المدينة.

تواصل توسع الإسلام في الواقع بقوة في ظل حكمه الذي شهد إكمال احتلال أراضي الأباطورية الساسانية القديمة، فيما استولت الجيوش العربية الإسلامية. في الوقت نفسه، على أرمينيا، وشئت هجمات على المغرب وكذلك في النوبة. واستعدت هذه الحملات الملء إلى مجتدين جدد، في حين استمر عثمان في السياسة السابقة القائلة إن الأراضي المحتلة، بدلاً من أن تُوزع بين المحاربين، تُترك لشاغليها الذين يدفعون ضريبة لتغذية الخزانة التي تديرها الدواوين. بيد أن يُباطر حركة الفتح، ونالاً انخفاض حصص الغنيمة من المتاع، والاستعانة بمحاربين لا ينتمي بعضهم إلى المسلمين القدامى، أدت كلها إلى استياء متزايد لدى العرب من سكان مدن العراق ومصر على الخصوص.

أضف إلى ذلك نبعات قراوات عثمان الشخصية، إذ إنه سعى جاهداً للاحتفاظ بسلطته على الأقاليب المضمومة؛ ما ألجأه إلى الاستظهار بأعضاء أسرته الذين أوكل اليهم حكم مقاطعات بارزة. لكن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا من المسلمين الأولين، كما أن بعضهم لم يسلك سوله السبيل، ما أثار غير الصحابة الأولين. من جهة أخرى فرض الخليفة، على ما يبدو، تعزيزاً لسلطة الدولة، نصاً رسمياً للفران الكريم، وأحل النص الموحّد محلّ النسخ غير المطابقة التي كانت لا تزال متداولة؛ وهذا ما أدّى إلى استعاده مكشوف له من قبل من سُموا «قوّاء القرآن» الذين اعتبروا أنفسهم

حكمه كانت عند مؤرخي الوقائع الأتراك موضوع روايات أسطورية أضيفت إلى رواية الوقائع الفعلية. ولا نعرف التاريخ الدقيق لاعتلائه العرش الذي يوافق وفاة والده أرتغرل بين ٦٦٢ و٦٦٤/هـ ١٢٨١ و١٢٨٢م. فرمّا غدا، في هذه الفترة، زعيماً لعشيرة تركية نصف بدوية أقامت مخيمها الشتوي في منطقة سوغوت الواقعة في ناحية دوربلي القديمة، وهي منطقة أقطعها إيّاها السلطان السلجوقي الحاكم في تلك الفترة.

انطلق عثمان عندئذ في فتوحاته إلى المواقع البيزنطية المحصنة، وهي فتوحات دؤنها، بوجه خاص، المؤرخون اليونانيون. أوّل هذه الفتوحات كان حوالى سنة ٦٨٩/هـ ١٢٩٠م. أمّا مجموعة الفتوحات الثانية فقد سهلها انتصار الأتراك على البيزنطيين في بافوس (Bapheus) قرب نيقوميديا سنة ٨٧٠٢/١٣٠٢م. هكذا قامت الإمارة الجديدة على أرض سائلة لتلك التي كان يسيطر عليها الأمراء المجاورون، وبخاصة بني كزيمان وبني منشأ وبني آيدن. وقد اتسعت هذه الإمارة في بداية القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد باحتلال قرى مختلفة، في الوقت الذي هدّدت قوة عثمان مدن بورسه ونيقية ونيوميديا، التي ستصبح في ما بعد بروسا وإزنيق وإزنيث. وهكذا نجح عثمان - بمساعدة المقرئين منه وجماعة من الموالين له، وكذلك بدعم رؤساء المنظمات الشبانية وميليشيات الغزو - في تأسيس إمارة مستقلة عرفت، في فترة لاحقة، نمواً مذهلاً.

عثمان بن عفان ٤٦٦ق. هـ-٣٥٥/٥٧٦-٦٥٦م، ثالث الخلفاء الراشدين، حكم من العام ٢٣ إلى ٣٥/هـ ٦٤٤-٦٥٦م. وأدى اغتياله، بعد سنوات، إلى استيلاء معاوية، مؤسس سلالة الأمويين، على السلطة. ينتمي عثمان إلى الأرسطراطية المكية، إلى أسرة بني أمية. وهو من ذوي المقامات العليا القلائل الذين انخرطوا باكراً في دعوة النبي محمد ﷺ. يُذكر أنه شارك في الهجرة إلى الحبشة، ثم في الهجرة إلى يثرب، وبذلك يُعتبر من أقدم صحابة نبي الإسلام. تزوّج إحدى بناته، وبعد وفاتها تزوّج ابنة له أخرى، ما أكسبه لقب «ذو النوزين».

ولئن بقي في الظل طوال حياة النبي محمد ﷺ وحكم خلفيه الأولين، فهذا لم يُخلّ دون اختيار الخليفة

«أمير المؤمنين»^٢، يساعده وزير وقاضي، تحل محل المسائل القائمة. وهكذا وجد نفسه على رأس أمبراطورية خفيفة ناشئة من الجهاد. لكنه تخلى عن الشؤون السياسية لأخيه عبدالله وابنه محمد بلو اللذين تقاسما السلطة على المناطق الخاضعة له. عند وفاة والده سنة ١٨١٧، أصبح محمد بلو السيد الوحيد لحكم حتى سنة ١٨٣٧، واحتفظ بسوكوتو عاصمة له. واستمر خلفاؤه، بحسب توافر الظروف، على رأس دولة سلكت طريق الإضمحلال، وسقطت سنة ١٩٠٤ باحتلال الإنكليز لسوكوتو.

قام مذهب عثمان هذا الذي يتطوي على نقاط تشابه مع الوهابية في الشرق، مع مزيد من ارتباطه بالمذهب المالكي الصارم، على الإصرار على التطبيق الكامل للشريعة، وبخاصة في ما يتعلق بالمقوبات الشرعية والوراثة والشؤون المالية. وكان عثمان بنعت بالكفر المسلمين الذين يقيمون تحالفات مع غير المؤمنين أو الذين يرتكبون أخطاء فظيعة. وكان يحترم مبدأ «الإجماع»^٣. ولهذا السبب لم يحترم، كما فعل الوثقائيون، تكريم الأولياء.

العثمانيون (عثمان أغلري)، ٧٠٢-١٣٤٣هـ/١٣٠٢-١٩٣٤م أو آل عثمان، سلالة تركية من العُزْ، تستمد اسمها من مؤسسها عثمان الذي ظهر في إمارة في الأناضول في بداية القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، امتدت أمبراطوريتها في ما بعد حتى القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، من البلقان حتى المشرق العربي والمغرب، لتبدأ بعد ذلك بالتفكك تدريجياً بدءاً من القرن الثامن عشر، فمسخة في المجال، غداة الحرب العالمية الأولى، لقيام الجمهورية التركية.

١ - يبدو أنّ بدايات الدولة العثمانية تعود إلى سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، حيث كانت في البدء مجرد إمارة على رأسها زعيم تركي يدعى عثمان، وكان قد خلف والده أرطغرل. هاتان الشخصيتان اللتان كانتا على علاقة بالسلطان السلجوقي في قونية، حصلتا منه على إقطاع قسبة تدعى «السوغوت»^٤، وتوجت في دحر المغول من هرقلية. وبعد النصر الذي أحرزه لاحقاً على البيزنطيين سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م وتوسيع الأراضي الذي نتج عنه،

المؤمنين الوحيدين على النص المُؤزل. وهكذا، أثارت مختلف الإجراءات التي اتخذها عثمان، سواء ما وافق منها سياسة سلفه أو تلك التي انتبشت من أفكاره الخاصة، غيظ فئات إجتماعية عدّة لا غنى عنها في سبيل تماسك الأمبراطورية الحديثة النشأة. وكان المحاربون العرب المقيمون في مصر، على الخصوص، هم الذين عبّروا عن غيظهم. فانطلق وفد منهم إلى المدينة حيث استقبلهم الخليفة، وبحسب التقليد، أحمدهم غضبيهم فعادوا. ولكن تنامي اليهم، في طريق العودة، أنّ الخليفة أمر بأن يعاقبوا. فعادوا أدرجهم وحاصروا منزل عثمان الذي قضى على أيديهم في ذي الحجة ٣٥هـ/٦٥٦م.

أذى اغتيال عثمان بن عفان، ليس فقط إلى فترة من الفوضى استمرت حتى المعتادة، عام ٤٠هـ/٦٦٠م، بمعاوية خليفة، بل أيضاً إلى انقسام بين المسلمين دام عشرات السنين، بين مؤيدين لاغتيال عثمان وشاجيين له. وسُمّيت المرحلة التي عفت ذاك الحدث «الفننة الكبرى»^٥، وقد شكّلت بهذا العنوان موضوع كتاب حديث للكاتب المصري طه حسين.

❖ راجع السند رقم ٢.

عثمان بن فودي ١٧٥٤ - ١٨١٧، عالم وداع مسلم من أفريقيا الغربية، تحوّل في ما بعد قائداً حربياً. كانت أنشطته في أساس نشأة أمبراطورية القُلبية في سوكوتو، في المقاطعات الشمالية لنيجيريا الحالية.

تابع عثمان السلود سنة ١٧٥٤ من أسرة قُلبية مسلمة في منطقة فُوناتُورُو، دَروساً تقليدية على شيوخ عدّة، وجرى تأهيله بحسب الطريقة القادرية. وحوالي سنة ١٧٩٠ بدأ بمقاتلة المسؤولين في دول الهاوسا بمساعدة أخيه، وحرض الشعب على التسليح لإقامة نظام إسلامي أكثر صرامة يوافق مبدأ كان يعتبره أساسياً: لا حلّ وسطاً مع الوثنيين. وحوالي سنة ١٨٠٤، دفع بأتباعه إلى تجنيد هجرة النبي محمد (ﷺ) فعادوا إلى أراضي سوكوتو حيث نابع أعماله الحربية ضد ملك الهاوسا في الغوبير، وتمكّن سنة ١٨٠٨ من الاستيلاء على عاصمته. ومع متابعة الفتحاحات في اتجاهات أخرى، حدّد عثمان لنفسه هدفاً وهو تأسيس «جماعة» تكون تحت سلطة

العثمانيون يسيطرون على تراقية ومقدونية وبنشاليا ودوبرودجا وبلغاريا، إضافة إلى ألبانيا وفلاشيا وجزء من صربيا. وتبعاً لذلك، انحصرت سلطة بيزنطية في منطقة القسطنطينية وجوارها وكذلك في المورة. وفي الأناضول، كانت سميرونا/إزمير وسينوب وطرابزون، المناطق الوحيدة الباقية خارج إطار النفوذ العثماني.

وبين سنتي ١٤٥١ و١٦٠٦ للميلاد، استمر صعود نجم العثمانيين. قنغ محمد الثاني القسطنطينية، العاصمة البيزنطية التي صارت تدعى إسطنبول وغدت العاصمة الجديدة للإمبراطورية العثمانية. وقد أعطى ذلك محمدًا الثاني دفعة متزايدة للفتوحات، سواء في أوروبا أو في الأناضول، فاستولى على المستوطنات التابعة لجنوى، وتلقم إمبراطوريته المترامية الأطراف التي عمل ابنه بايزيد الثاني أيضاً على توسيع رقعتها أكثر فأكثر، رغم مكاند جمّ أخيه غير الشقيق، والصعوبات السياسية الأخرى التي واجهها. وفي الواقع، مع مطلع القرن السادس عشر، وجدت الإمبراطورية نفسها مهددة من الشرق بالطموحات المتزايدة للصفويين، بينما برزت محاولات تمرّد جديدة أثارها الصراعات على خلافة العرش، عمل السلطان سليم الأول على إخمادها. وقد تميّز حكم هذا السلطان بشكل خاص بإلحاقه البلاد العربية بإمبراطوريته بعد انتصاره على دولة المماليك السورية - المصرية في سنة ١٥١٦ - ١٥١٧.

هذا الكمّ الكبير من الانتصارات ساهم آنذاك في جعل الإمبراطورية العثمانية القوة المهيمنة في الشرق. بحيث امتدّ سلطانها على قارات ثلاث، ولم يبق أمام السلطان سليمان القانوني - المعروف في أوروبا بلقب «سليمان العظيم» - إلا أن يكمل هذه الفتوحات باستيلائه على بلغراد وروفس، ثم على بودا في هنغاريا، وعلى العراق واليمن والأناضول الشرقي، وصولاً إلى أذربيجان. إنّ حكمه الذي امتدّ من سنة ١٥٢٠ إلى سنة ١٥٦٦، كان الأبرز في التاريخ العثماني، فقد عرفت خلاله الإمبراطورية التي بلغت آنذاك الحدود القصوى لتوسّعها، تنظيمًا زادت في تحسينه الإجراءات التي اتخذها هذا السلطان، راعي الآداب ومشجع الحجة الفكرية والفنية التي شهدت نشاطًا مميزًا. وقد ظلّ

وجد عثمان نفسه في وضع يمكنه من منافسة الإمارات التركمانية المجاورة. وعند وفاته سنة ١٤٧٦/١٣٢٦م، انتقلت السلطة إلى ابنه أورخان الذي تمكن من الاستيلاء على بورسه سنة ١٤٧٦/١٣٢٦م. ويعود إلى أورخان أيضاً الفضل في توفير موطئ قدم لإمارته في أوروبا عبر الدردنيل وتراقية، وهي مهمة أوكلها إلى أحد أولاده الذي قام بحملات عسكرية في الأناضول ساهمت، بدءاً من سنة ١٣٦٠، في توطيد النفوذ العثماني في المنطقة. تميّزت السنوات اللاحقة بشوّه أمراء جدد العرش ويتقدّم أحرزوه بفضل فتوحاتهم الحربية وتنظيم حكيم لحكومتهم ولتملكاتهم. وقد تثبت الجهود التي تولّت، ما بين ٧٦٣/٨٥٥ و١٣٦٢/١٤٥١م، هذه الانطلاقة التي لم تترك سوى تأثير طفيف عليها هزيمة بايزيد الأول بلدرم أمام هجوم تيمورلنك سنة ١٤٠٢م. وبالفضل، فإنّ معركة كوسوفو سنة ١٣٨٩/١٣٨٩م والتي قُتل فيها السلطان مراد الأول - الذي كان قائدًا حربيًا نشيطًا والذي أسّس فرق الإنكشارية - فتحت الباب أمام بسط السيطرة العثمانية على جزء كبير من البلقان. وتتابعت الانتصارات العسكرية في أوروبا كما في الأناضول على عهد بايزيد الأول الذي هُزم، رغم كل ذلك، في أواخر حياته وأُسر على يدي نيمورلنك في معركة أنقرة.

ترتّبت على هذه الهزيمة الأخيرة آثار خطيرة جدًا، إذ إنّها أدت، وسط الخراب الذي لا يوصف، إلى تفكك وحدة الأراضي العثمانية وانقسامها إلى ثلاث مناطق، وإلى إعادة تكوين الإمارات الأناضولية التي كانت ألحقت في السابق بالسلطة العثمانية. لكن، مع بداية سنة ٨١٦/١٤١٣م، تمكن السلطان محمد الأول من إعادة توحيد الأراضي المقسّمة وفرض سلطته على أمراء الأناضول. وتشهد المؤسسات الجبّارة التي أقامها على درجة القوة التي بلغها هذا السلطان. وعمل ابن مراد الثاني من بعده على تهدئة الوضع بشكل كامل، وإلى الحكم محاطًا ببلاط مزدهر، منصرفًا إلى القتال في مواجهة اعتداءات البندقية وهنغاريا وأعداء آخرين في البلقان. وبذلك استعادت الإمبراطورية الحدود التي كانت عليها سنة ٨٠٥/١٤٠٢م. وفي أوروبا كان

هي عليه في عهد محمد الثاني، صُرف النظر عن تطبيقها بدءاً من حكم محمد الثالث في بداية القرن السابع عشر. كان السلطان عند اعتلائه العرش يتلقى، كما كانت الحال مع الخلفاء في السابق، يمين الولاء أو البيعة من كبار شخصيات الدولة؛ كما كان يوم صلاة الجمعة؛ وكان اسمه يُذكر في الخطب الرسمية التي تلقى في كل المساجد الجامعة في جميع أنحاء السلطنة. كما كان يتمتع بسلطات وصلاحيات مماثلة لتلك التي كانت قديماً للخلفاء، وكان يدير السياسة الخارجية، وكان عليه احترام الشريعة وتطبيقها. على أنَّ الإجراءات العملية التي كان في إمكان السلطان اعتمادها، إضافة لوسائل تطبيق الشريعة، اتخذت في السلطنة أهمية خاصة بحيث أنَّ هذه التدابير كانت أحياناً تجري تعديلاً على أحكام الشريعة أو حتى تتجاوزها. وقد اشتهر السلطان سليمان بقوانينه التي استحقَّ عليها لقب «القانوني».

كان السلطان محاطاً بعدد وفير من خدم البلاط يعملون وفق مهمات محددة ودرجات منظمة؛ وكذلك بعلماء دين وأطباء وعلماء فلك. كما كان محاطاً بكتّاب ملحقين بالدواوين، وكذلك بالقادة العسكريين. أما الفريدة المميّزة لهذا التنظيم فتكمن في طريقة اختيار الفئات المختلفة من الخدم والإداريين ومعظم العسكريين، الذين كانوا، بالمعنى الحضري للكلمة، «عبيد» السلاطين، يجري اختيارهم من بين فتيان مسيحيين يخضعون لنظام «الدوشيرما». بعد أسلمتهم، وكان هؤلاء الشبان، بحسب مواهبهم وطاقتهم، يخضعون لأنواع مختلفة من التدريب، وبذلك يبلغ الأكثر موهبة من بينهم أعلى المراتب. وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر، كان معظم الذين تبنّوا مركز الصدارة العظمى من أصل غير تركي، ينتمون، في أكثر الأحيان، إلى بلدان البلقان. ولم يتمّ التخلي عن هذا التنظيم الفعال إلا في القرن السابع عشر. أمّا القضاة الذين كان يجري اختيار «قاضيين عسكريين» من بينهم، وكذلك قسم من موظفي الإدارة والقادة العسكريين، فكانت طريقة انتقايتهم مختلفة. لكن، يبقى أنَّ مجمل موظفي الدولة، باستثناء القضاة، كانوا يدينون بتعيينهم وترقيتهم لإرادة السلطان، السيد الوحيد لكل الأجهزة

الوضع مستقرّاً بعد وفاته بفضل الوزير سوكولو محمد باشا الذي أدار شؤون الإمبراطورية خلال حكم مراد الثالث حتى سنة ١٥٧٩. إلّا أنَّ عدم الاستقرار طبع المرحلة اللاحقة للسلطة العثمانية التي انهمكت في حرب مع إيران الصفوية (١٥٧٧ - ١٥٩٠)، وهي حرب لم تؤدَّ أبداً إلى نتائج حاسمة ودائمة.

٢ - في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، بلغت الإمبراطورية العثمانية ذروة اتساعها الجغرافي، وأوجها، وكانت دولة متعددة الأعراق والديانات، مكوّنة من مناطق متنوّعة جداً، سواء في أوروبا أو في آسيا، وضامنة شعباً متنوّعة هي أيضاً: أتراك، أكراد، إيرانيون، نثر، عرب، بربر، أقباط، يونانيون، أرمن، ألبان، رومانيون وهنغاريون. وكانت لغات محلية عدّة تُستعمل في أرجاء الإمبراطورية؛ والمسلمون الذين كانوا مثلاً قليلي العدد في البلقان، لم يشكلوا أكثرية في جميع المناطق. لكنّ لغة مشتركة رسمية، هي اللغة التركية أو العثمانية، كانت تحتضن وجود بنية حكومية وإدارية فعالة.

أمّا حاكم هذه الإمبراطورية فهو السلطان الذي ادّعى - كما فعل في السابق الخلفاء - سيطرة كونيّة على كلّ البلدان. وكان يقدّم نفسه على أنّه «ظلّ الله على الأرض». كما فعل في الماضي إمبراطور إيران السلجوقي الكبير. وبعد فتح المشرق العربي، اتخذ السلطان لقب «خادم الحرمين الشريفين». وبالفعل، فهو كان سيد الأماكن المقدّسة الإسلامية، مكّة والمدينة المنورة. أضيفت إليهما القدس وكذلك بغداد، وانجف وكر بلا. المدينة المنورة عند الشيعة. كان السلطان ينتمي إلى سلالة استولت على السلطة بالقوة وحققت لنفسها شرعية أمر واقع. لكن، ضمن هذه الأسرة، كما هي الحال في كل الأسر الحاكمة في الإسلام، لم تكن هناك قاعدة توارث ثابتة للسلطة. فعمد عثمان إلى إلغاء حصر الوراثة بالإبن البكر، المعمول به عند قبائل البدو، وجعل حقّ ارتقاء العرش حكراً على الأبناء الذكور. لكن أمام احتمال المنافسة بين مرشّحين عدّة، جرت العادة أن يقتل الأمير الذي يتسلّم زمام الحكم إخوته. إلّا أنَّ قاعدة «قتل الأخوة» هذه، التي سُنّت كما

المنطقة العربية، فقد كان تنظيمها أكثر مرونة ومطابقة للإدارة المحلية القديمة. لا بل إن هذه الإدارة بقيت، جزئياً، في بعض الأحيان في أيدي الزعماء المحليين كأشراف مكة وخانات القرم. وفي كل مكان، وفي كل الأحوال، كان هناك فصل صارم بين السلطين العسكرية والقضائية، بحيث أن الأخيرة كانت في أيدي قضاة يتم اختيارهم من بين علماء الدين ومرجعهم الوحيد هو شيخ الإسلام.

هؤلاء المساعدون العديدين للسلطان كانوا يديرون أراضٍ شاسعة ويدافعون عنها، ارتبط ازدهارها الاقتصادي بتنوع منتجاتها الطبيعية والحرفية، وبالنظام السائد فيها. وبالنشآت التجارية المحلية التي كانت تفضي إلى مبادلات مع البلدان الغربية أو الشرقية. وكانت الدولة تتدخل في هذا النشاط الاقتصادي عن طريق الضرائب ومن خلال نظم متنوعة لتحديد الأسعار وبعض الترتيبات التي تشجع دخول المنتجات ذات الطابع الكمالي إلى العاصمة. وإذا كان المسيحيون - من يونانيين وأرمن - وكذلك اليهود، لعبوا دوراً من الطراز الأول في التجارة والحرف، إلا أن المسلمين لم يكونوا غائبين عن هذا الميدان، على الأقل في هذه الفترة. أمّا الفلاحون، من مسيحيين ومسلمين، فكانوا يزرعون أراضي الميري التي هي في مجملها ملك للدولة، ويؤدون رسوماً وضرائب عدة، إحداها ضريبة الأعناق الخاصة بمؤدّي الجزية.

كان الحرفيون وأصحاب الحوانيت يتنظمون آنذاك في «طوائف» ينتخب أعضاؤها ممثلهم لدى السلطات. أمّا التجّار، المنتسبون إلى ديانات ومذاهب مختلفة، فكانوا ينصرون بمراسيل برؤوسهم بجزء منها كبار الشخصيات العسكرية والسياسية. وقد سهّل حركة النقل البري والبحري تدخل الدولة، عبر بناء الجسور وخانات القوافل وصيانة الطرق. أمّا المسيحيون الأجانب الذين كانوا يؤمّنون البلاد العثمانية لبيع بضائعهم الكمالية وشراء منتجات كالتيارات والمنظور - التي كان يحقّ لهم تصديرها - فكانوا كثيرون العدد، وتزايدوا أكثر فأكثر في نهاية القرن السادس عشر بعد عهد الأمان [الإماتيات] الذي مُنح لهم في سنة ١٥٦٩. وإذا لم

الحكومية. إضافة إلى ذلك، كان في تصرف السلطان جهاز تقرييري يمكنه أن يرزقه شخصياً إذا شعر بالحاجة لذلك. وهذا الجهاز كان «الديوان» - وهو بمثابة مجلس وزراء - كان يتعقد في قاعة مخصصة لهذا الغرض في المنطقة الثانية من قصر «توبكابي».

ومن بين الأجهزة المتنوعة التي كانت تُبثّر للسلطان ممارسة الحكم، شكّل الجيش - الذي كان تكوينه ذو طابع خاص جداً - الأداة الأولى. وفي الواقع كان التنظيم العسكري يشمل: من جهة، قوّة دائمة مستقرّة في العاصمة يتم احتياؤها بحسب نظام «الدوثيرما»؛ ومن جهة ثانية، جيوش المناطق التي تُدفع رواتبها بحسب نظام التيمار. أمّا فيز الإنكشارية، المكوّن أساساً من مشاة يبلغ عددهم عشرة آلاف رجل تقريباً، فكان يشكّل نواة هذه القوّة الدائمة. وقد تمّ تدعيمه بفيلق مدفعية في بداية القرن السادس عشر، وكذلك بفيلق خيالة يربط في جوار اسطنبول وأدرنة ويوروسه. لكنّ الخيالة كانت تتكوّن أساساً من فرق المقاطعات أو «السباهي»، تُدفع رواتبهم من المداخل المالية للتيمار. وفي عهد السلطان سليمان كانوا جميعاً مسلمين، إذ لم يعد في الإمكان، في تلك الفترة، قبول أفراد من الأرستقراطية المسيحية المحلية، كما كانت الحال سابقاً في الروملي. وبدواً عند الخيالة «انداني» الجوهريّة قد بلغ تسعين ألفاً في منتصف القرن السادس عشر. تضاف إلى هذا الجيش بحريّة فعالة شكّلت مصدر خوف للأعداء. رغم الفشل الذي مُثبت به في معركة ليبانت في أواخر القرن السادس عشر، بحيث أنّ القوّات العسكرية التي كانت بامرة سلاطين سليمان وخلفائه، كانت تُعتبر من الجيوش التي تصعب هزيمتها؛ فهي كانت حسنة التجهيز والتدريب، منضبطة ومزوّدة بإدارة عسكرية فعّالة، ورغم أنّ تحريك جيوش المقاطعات كان يتمّ ببطء في بعض الأحيان.

في الواقع كان السلطان، في كثير من الأحيان، يجد صعوبة في فرض إرادته في بعض الولايات الواقعة في قلب المملكة، التي كان أهمّها في عهده ولاية هم في الأساس قادة عسكريون يساعدهم موقوفو ضرائب وقضاة. أمّا مناطق الأطراف، سواء في أوروبا أو في

التجاوزات من كل نوع لا يسمح بإعادة تكييف بُنيات الدولة مع واقع انخفاض المداخل الناتج عن وقف الفتوحات. لكنَّ عملية إنهاء الوضع تكتَّ، بعد وقت قصير، خلال حكم محمد الرابع بفضل ثلاثة وزراء: أولهم الوزير الأكبر محمد كوبرولو، ومن بعده ابنه فاضل أحمد، ومن ثمَّ صهره مرضي فونلو قره مصطفى. تميَّزت سياسة الأول بحزم مالي وميل إلى الإعدام التسغي لبعض الشخصيات المعارضة؛ أمَّا اهتمام ابنه فانصبَّ على المسائل الخارجية وتمكَّن من الاستيلاء على كريت؛ أمَّا قره مصطفى فقد بادر إلى حصار فانتل ثيبينا سنة ١٦٨٣. فقد كلفه هذا الحصار حياته بعد عودته من الحملة. بعد هذا الإخفاق، انضمت نهاية القرن بهجمات أوروبية متكررة وتوقيع معاهدة كارلوفيتش. كما شكَّلت نهاية القرن هذه، بالنسبة إلى القوى الأجنبية التي كانت حصلت على تجديد عهد الأمان، الظروف المناسب للتعب، في مختلف المراكز، فواصلت بدت مهماتهم أكثر فأكثر ممثلين لحكوماتهم، وبدأوا بالتدخل في السياسة الاقتصادية للأمبراطورية.

وزادت الأوضاع سوءاً خلال القرن الثامن عشر، رغم أنَّ المواجهات مع روسيا انتهت بتوقيع معاهدة أدرة سنة ١٧١٣، خلال حكم أحمد الثالث. إلا أنَّ تجذد العمليات العسكرية ضدَّ النمساويين انتهى بانتصار الأخيرين وفرضهم معاهدة «پاشاروفيتش» سنة ١٧١٨ التي منحتهم السيطرة على فالاشيا الغربية وشمال صربيا، فيما استرجع العثمانيون المورده. واندلعت المعارك مجدداً مع إيران وتقاطعت فيها الانتصارات والانكسارات، وأوصلت، سنة ١٧٤٦، إلى سلام ثبتت ندابير معاهدة قصر الشرين لسنة ١٦٣٩، وكُرس خسارة العثمانيين لبعض الأراضي. لكنَّ المواجهة الأخطر كانت في الهجوم على روسيا في عهد كاترين الثانية سنة ١٧٦٨ الذي وُوجه بردة فعل شديدة من قبل روسيا، إذ أرسلت هذه الأخيرة إلى بحر إيجه أسطول البلطيق. وانتهت العمليات العسكرية في العام ١٧٧٤ بتوقيع معاهدة كوتشوك - كينارجي التي منحت الروس المناطق الواقعة شمالي البحر الأسود، بما فيها شبه جزيرة القرم. وأجارت لهم كذلك تسببة سفير دائم في

يكن الخلل التجاري بين الشرق والغرب ظاهراً في هذه المرحلة، إلا أنَّ الظروف كانت مهيأة لكي يبرز هذا الخلل سريعاً في فترة لاحقة، متسبباً بصعوبات للدولة العثمانية، زاد من حدتها توقف الفتوحات وغياب المكاسب الناتجة عن الغنائم. وقد بدأت هذه القوة العظمى التي كان الغربيون يحترمونها، تعاني أزمات مالية، وعدم قدرة التنظيم العسكري والإداري السائد على معالجتها، وكذلك ضَعُف سلطة بعض السلاطين. كل هذه الأمور زادت في خطورة الوضع مؤقتاً، ولم تتأخر في التسبب في جرَّ الأمبراطورية لاحقاً إلى انحطاط شبه عام.

٣ - شكَّل القرن السابع عشر إذاً، بالنسبة إلى الدولة العثمانية، بداية ضعف راح يزداد خلال انعصور الثانية. فمن الناحية العسكرية، رغم أنَّ الهزيمة البحرية في معركة ليبانت سنة ١٥٧١ لم تترك بالطبع ذيولاً مهمة، إلاَّ أنَّها كانت المؤشر لانتهاء عهد السيطرة المتوسطة التي كان يتعفن بها العثمانيون حتى ذلك الوقت. ووجدت الجيوش العثمانية نفسها، في أماكن عدَّة، سواء في أوروبا أو في الشرق، في موقف الدفاع، بانتظار أن تُفرض معاهدة كارلوفيتش، سنة ١٦٩٩، أولى التنازلات الإقليمية العثمانية في أوروبا.

أمَّا الوضع الداخلي فكان أكثر إثارة للقلق. فالسلطة الفعلية انتقلت من أيدي السلاطين إلى السلطنات - الأمهات أو إلى بعض كبار الموظفين. وإذا كان السلطان أحمد الأول أعاد الاستقرار الذي كان مفقوداً في عهد سلفه، فإنَّ ابنه عثمان الثاني قام بإصلاحات كان من نتيجتها اندلاع ثورة الإنكشارية الذين اغتقلوه وعزلوه عن العرش وأعدموه سنة ١٦٢٢. وكان على مراد الرابع، الابن البكر لأحمد الأول الذي اعتلى العرش سنة ١٦٢٣ أن يعيد هبة السلطة بمعاقبة الثوار والمخلين بواجبات وظيفتهم بقساوة، وبمراجعة السجلات المالية تقويماً لميزانية الدولة، إلاَّ أنَّ أثر هذه الإصلاحات لم يستمر طويلاً.

عادت الفوضى إلى الظهور في البلاط والإدارة خلال حكم السلطان إبراهيم الأول الملقَّب بـ«المجنون» (١٦٤٠ - ١٦٤٨)، فيما كان العجز عن وقف

استنبول وبناء كنيسة فيها، كما أعطتهم حق حماية المسيحيين الأرثوذكس في السلطنة.

هذه الصعوبات والإخفاقات العسكرية التي كان لها انعكاسات مباشرة على الوضع الداخلي، دفعت برجال الدولة العثمانيين . خلال هذا القرن، إلى محاولة القيام بعملية إصلاح - بقيت خجولة - لنظام الحكم. فقد جرى إصلاح الوضع المالي باتخاذ إجراءات متنوعة، في الوقت الذي كان فيه شيخ الإسلام يدافع عن صلاحياته وصلاحيات كبار الموظفين. وخلال حكم السلطان أحمد الثالث أرسل الوزير الأكبر، المذاهب إبراهيم باشا، سفراء إلى العواصم الأوروبية الرئيسية، وقام ببعض الخطوات التحديثية بدءاً بالبحر. لكن اندلاع ثورة الإنكشارية العنيفة سنة ١٧٣٠ وضعت حداً لمحاولات الإصلاح التي بدأها الصدر الأعظم والسلطان. وفي الفترة نفسها، في الولايات النائية في طرابلس وتونس والجزائر، استولى عسكريون من أصل تركي على السلطة وفرضوا على السلطان الاعتراف بهم حكاماً شبه مستقلين، وأنشؤا أحياناً سلالات حاكمة محلية.

نحس السلطان محمود الأول، في ما بعد، إن لم يكن في إصلاح فيلق الإنكشارية، فعلى الأقل في إصلاح فيلق المدفعية، وذلك بمساعدة ضابط فرنسي اعتنق الإسلام هو الكونت بونفال (Bonnaval) (١٧٧٤ - ١٧٤٧). وخلال حكم مصطفى الثالث، حسن الصدر الأعظم راغب باشا سير عمل مختلف إدارات الدولة. ورغم أن السلطنة عرفت ازدهاراً لنحيا الفينة والفكرية، إلا أنها كانت تعاني من الانعكاسات الاقتصادية للتغلغل الأجنبي المتزايد. فقد بالغ الأوروبيون في استغلال الإمكانات التي تقدمها لهم عهود الأمان، لإدخال بضائعهم إلى المرافئ. وكان التجار الأوروبيون يلدجون أحياناً كثيرة إلى وسطاء من اليهود أو المسيحيين الذين ازداد اهتمامهم بالتجارة البحرية الدولية. أما في الداخل فاستمرت تجارة القوافل التقليدية، لكنها غدت لا تلي إلا الحاجات العادية للسكان.

بشكل عام، كانت مقاومة الدولة العثمانية - التي عانى فيها سير العمل صعوبات عدة - تضعف أمام الهجمات العسكرية للقوى الكبرى؛ كما كانت تتغلب،

رغم أنها، الضغط الناتج عن النفوذ الغربي، في وقت كانت حركات التمرد تظهر في الولايات البلقانية والعربية. وقد أفضى هذا الوضع إلى أزمة القرن التاسع عشر التي سمّيت، من جهة بما عُرف بـ «المسألة الشرقية»، ومن جهة أخرى بالإصلاحات التي عُرفت بـ «التنظيمات». لازمت «المسألة الشرقية» الوقائع التي أدت إلى التنجزة التدريجية لسلطنة التي توالى فصولها كما يلي: - ثورة القوميين اليونانيين التي استندت تدخل القوى الكبرى وانتهت بمعاهدة أدرة سنة ١٨٢٩ التي اعترفت باستقلال اليونان والحكم الذاتي لمصر ومولدافيا وقلاشيا، ومنحت روسيا أخيراً حرية عبور المضائق - النزاع مع مصر في عهد محمد علي الذي تمكن أخيراً من الحصول، سنة ١٨٤١، على الحكم الذاتي في بلاده - احتلال الفرنسيين للجزائر سنة ١٨٣٠ - المشكلات في الأراضي المقدسة المسيحية التي دفعت بقبض روسيا إلى مباشرة العمليات العسكرية ضد العثمانيين الذين دعمتهم فرنسا وإنجلترا - حرب القرم التي انتهت بمعاهدة باريس سنة ١٨٥٦ التي ضمنت، من حيث المبدأ، وحدة أراضي الأميراطورية - حرب البلقان وثورة كريت اللتان أدتا إلى انعقاد مؤتمر برلين وتوقيع معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ التي أفقدت الباب العالي الجزء الأكبر من مملكاته البلقانية وجزيرة قبرص وثلاث مقاطعات في الأناضول الشرقي. بعد معاهدة برلين، طغى الطابع الآسيوي والإسلامي على الأميراطورية، إذ ارتفعت نسبة المسلمين من ٦٨٪ إلى ٧٦٪. فضلاً عن ذلك، لم تنجح سياسة الإصلاح المعروفة بـ «التنظيمات» - إلا جزئياً في إرساء الحكومة والإدارة، كما فشلت بشكل كامل في إرساء قواعد جديدة للحياة الاجتماعية. نتيجة لذلك، تخلى السلطان عبد الحميد عن هذه السياسة بشكل فظ، كما عمد، سنة ١٨٧٨، إلى إبطال العمل بالدستور المعلن سنة ١٨٧٦. وفي سنة ١٩٠٨، انتهى نظام الحكم المطلق الذي إرساه عبد الحميد بقيام ثورة تركيا الفتاة وتسلّم أعضائها السلطة. فجزوا البلاد إلى تأسيس الجمهورية التركية التي أنشأها مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٣. عقب التدخلات الخارجية

٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٧٩، ٨٦. راجع المستندات

عَجَم، مصطلح عربي استعمل في انصهر الإسلام في الأولى للدلالة على غير العرب (من الشعوب)، وهو يعني، في الأصل، «من لغتهم غامضة وغير مفهومة». ولما كان يُنظر إليهم كالأبرار في بلاد الإغريق، فإن العجم، في الشرق، كانوا يمثلون بالفرس. وقد اضطر هؤلاء النورث لحضارة قديمة، في معظمهم، إلى الأخذ بوضع الموالي، وظلوا محترفين خلال حكم الأمويين، فأسهوا في إضاحة أسرهم الحاكمة. وقد تغير وضعهم مع خلافة العباسيين التي شهدت التجاهل بكثرة بصوف الجيش والإدارة، ووجه خاص سعيهم إلى أن يتنى العالم الإسلامي ثقافتهم، فكان ذلك سبباً لانطلاق الحركة المعروفة بالشعبوية.

أما في مناطق أخرى، كالاندلس مثلاً، فإن العجم مثلوا عناصر محلية أخرى. وهذا يفسر تسمية «العجمية» التي تمكن إطلاقها على اللهجات المشتقة من اللاتينية المتداولة في إسبانيا. وإن التسمية، في لفظها الأسباني (aljamia) أي الأعجمية، ظلت مستعملة، في نهاية العصر الوسيط، للدلالة على اللغة الإسبانية المشتقة من اللاتينية والكتابة بالحروف العربية.

عَجْمَان - الإمارات العربية المتحدة.

العدالة، مصطلح عربي ينطوي على هذا المدلول العام ومدلول أكثر تقنية، سوغ استعماله، خلال العصور الوسطى الإسلامية، في مجال عمل المؤسسات القضائية.

إن هذا المصطلح الذي كان يُطلق، مثلاً، في أوساط أهل الفلسفة على التفضيلة الأسى، كان يعني كذلك في الواقع تنزعة الخُفَّة والدبَّة التي يجب أن يتحلَّى بها موزِّع الشهادة، لا سيما الشهود المحترفين أو شهود العقد المنصوص عنهم لمعاونة القضاة في محاكمهم.

وقد كانت تُحلَّق بمفهوم العدالة، أيضاً، صفة لتفرُّط منها وهي «العدل» التي تجلَّت، في العصور الوسطى، في ألقاب عدد كثير من الأمراء المسلمين، ابتداءً من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، وهذا ما شَبَّهه في لقب الشرف المعروف لعاهل مهم من

والأصغر ابنت الداخلية وما تلاها من حرب التحرير التي جرت إليها الحرب العالمية الأولى.

١٢٨١ - ١٣٢٤	عثمان الأول بن أرطغرل
١٣٢٤ - ١٣٦٢	أورخان
١٣٦٢ - ١٣٨٩	مراد الأول
١٣٨٩ - ١٤٠٢	بايزيد الأول بُلْغُوم
١٤٠٢ - ١٤٠٣	سليمان الأول
١٤٠٣ - ١٤٢١	محمد الأول شلي
١٤٢١ - ١٤٥١	مراد الثاني
١٤٥١ - ١٤٨١	محمد الثاني
١٤٨١ - ١٥١٢	بايزيد الثاني
١٥١٢ - ١٥٢٠	سليم الأول
١٥٢٠ - ١٥٦٦	سليمان الثاني القانوني
١٥٦٦ - ١٥٧٤	سليم الثاني
١٥٧٤ - ١٥٩٥	مراد الثالث
١٥٩٥ - ١٦٠٣	محمد الثالث
١٦٠٣ - ١٦١٧	أحمد الأول
١٦١٧ - ١٦٢٨	مصطفى الأول
١٦٢٨ - ١٦٣٣	عثمان الثاني
١٦٣٣ - ١٦٤٠	مراد الرابع
١٦٤٠ - ١٦٤٨	إبراهيم
١٦٤٨ - ١٦٨٧	محمد الرابع
١٦٨٧ - ١٦٩١	سليمان الثالث
١٦٩١ - ١٦٩٥	أحمد الثاني
١٦٩٥ - ١٧٠٣	مصطفى الثاني
١٧٠٣ - ١٧٥٤	أحمد الثالث
١٧٥٤ - ١٧٥٧	عثمان الثالث
١٧٥٧ - ١٧٧٤	مصطفى الثالث
١٧٧٤ - ١٧٨٩	عبد الحميد الأول
١٧٨٩ - ١٨٠٧	سليم الثالث
١٨٠٧ - ١٨٠٨	مصطفى الرابع
١٨٠٨ - ١٨٣٩	محمود الثاني
١٨٣٩ - ١٨٦١	عبد المجيد الأول
١٨٦١ - ١٨٧٦	عبد العزيز
١٨٧٦ - ١٨٧٦	مراد الخامس
١٨٧٦ - ١٩٠٩	عبد الحميد الثاني
١٩٠٩ - ١٩١٨	محمد الخامس
١٩١٨ - ١٩٢٢	محمد السادس
١٩٢٢ - ١٩٢٢	عبد المجيد الثاني

أسره الأيوبيين، هو الملك العادل سيف الدين.

عَدَن (الجمهورية العربية اليمنية)، مدينة مرفئية معاصرة لبلاد الحرب الجنوبية على المحيط الهندي، نمت بوصفها مركزاً لإقليم ومحمية بريطانية، قبل أن تغدو، بين العامين ١٩٦٧ و ١٩٩٠، القاعدة السياسية الاقتصادية للجمهورية الديمقراطية الشعبية المؤقتة في اليمن الجنوبي.

بدأ التاريخ الإسلامي لهذه الناحية الساحلية القائمة منذ العصور الوسطى في منطقة لا تزال تحتلها آثار كثيرة من حضارة سبأ القديمة، بينما كان انتمى محدد لا يزال على قيد الحياة. بعدئذ جمعها المصير بالإقليم الداخلي فانها ما نال اليمن، حتى العهد الحديث، من صراعات دينية بين مذهبها، ومن أخذ بالأنشطة التجارية بحكم موقعها على طريق الأفاقية والشرق الأقصى. تمتعت عدن بقرن من الاستقلال في كتف الصليبيين الإسماعيليين من قبيلة همدان. وذلك من سنة ٤٧٧ إلى ٥٧٩ هـ/ ١٠٨٤ إلى ١١٣٨م، خلال ملك السبئية أروى (٧٩) [الحرّة] الشهيرة. وقد بلغت منتهى ثروتها خلال حكم السلالات السبئية الأيوبية ومن تعاقب بعدها. من بين هؤلاء بنو رسول^(٨٠) الذين شجّعوا التجارة البحرية، خلال القرنين السابع والثامن للهجرة/ الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، فأدى ذلك إلى أن يحافظ السكّان في أغليتهم على المذهب السني الشافعي. في مقابل أتباع الزيدية الذين كانوا يسيطرون على الهضاب المجاورة.

إن التراجع الذي أصاب المرفأ بعيد ذلك، على أثر تحويل تجارة المحيط الهندي على أيدي البرتغاليين واتساع سلطة العثمانيين في المنطقة، لم يقل من أهميتها الإستراتيجية على منفذ البحر الأحمر، وهي أهمية تنامت من جديد مع حفر قناة السويس في العام ١٨٦٩، فأدى ذلك إلى تأجيج الشهية البريطانية. تجلّت هذه الأطماع منذ إنشاء الشركة البريطانية للمهند الشرقية وأدت إلى احتلال مرفأ عدن، منذ ١٨٣٩، وتالياً إلى تحصين هذا الموقع بحيث نشأت في العام ١٩٣٧ مستعمرة للنجاح [البريطاني]. بينما كانت تتسع حول ذلك محمية بريطانية مزدوجة، غربية وشرقية، لتضم من جهة الشرق

منطقة حضرموت بكاملها.

أذن عُوِّدَ عدن إلى حكم محلي ابتداءً من ١٩٦٧ بيده عهد شديد الاضطراب، طبعته صراعات بين الفصائل القبلية والطوائف الدينية والأحزاب السياسية، وكذلك تدخلات أجنبية، وبخاصة سوفياتية، في شؤون عمل التجهيزات المرفئية. في حين أدى انقسام اليمن إلى دولتين سيديتين، مع توجهات وأحلاف متناقضة، إلى انقطاع المدينة، لفترة ما، عن سائر البلاد.

« رابع الثوبين ٢٥ و ٣٠ ».

عَدْنَان، ألجئ الأول الذي أعطى اسمه للذين يُقال لهم عرب الشمال، والذين ميّزتهم عداوة تقليدية عن سائر السكّان القدماء لشبه الجزيرة العربية. أي عرب الجنوب المتحدرين من قحطان.

أطلقت قبل الإسلام، على القبائل العربية في الشمال، تسمية مُعَدَن الشاملة، نسبة إلى شخص كان يعتبر ربّاً لعَدْنَان. ولعل هذا كانوا يعبدون نسب سائر الأبطال الذين نسبت بهم العشائر. مثل ابنه نزار وأحفاده مُضَر وإياد وربيعة، كما اتهم أدخلوا، في سلسلة النسب هذه، النسبة التي تربط عدنان بإسماعيل النبي، المعروف في القرآن على أنه ابن إبراهيم الذي كان يتخذ من منطقة مكة مسكناً له.

أعطت مُضَر اسمها لمنطقة في بلاد ما بين النهرين العليا، هي ديار مضر حيث كان يترحل بعض بطونها في بدايات الإسلام، وإليها انتسبت قرش، قبيلة النبي محمد (ﷺ)، وقيس التي استقرت في سوريا أيام الأمويين وكذلك تميم التي قامت بدور مهم أيام رسول الإسلام. ومن ربيعة تحدر بنو بكر وبنو تغلب الذين استقروا، بعد خصومات جرت بينهم في أواسط شبه الجزيرة العربية، في وادي الفرات الأسفل منذ آخر القرن السادس للميلاد.

أَلْعَدَوِيَّة (طريقة) « اليزيدية ».

عَدِيّ الحَقَرِيّ « اليزيدية ».

العذاب (الإلهي)، ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم حيث تشكل أساس التوبيخات التي أطلقها مختلف الأنبياء، بمن فيهم النبي محمد (ﷺ) نفسه، وحيث

ترتبط بمفهوم الثواب ويوم الحساب.

يتمتع العذاب الإلهي بطبيعته عن العقوبات الزمنية التي نصّ عليها القرآن والشريعة، وهي عقوبات شرعية يفرضها ممثلو السلطة والأجهزة القضائية الإسلامية وتطبق داخل الجماعة. ويستمر هذا العذاب للكفار الذين يتمردون على الله برفضهم الخضوع لأوامر رُسُلِهِ. فهو نالًا يطبع الدعوة الإسلامية بسمات رؤيوية يطفى عليها الاعلان عن الكارثة المحتمة الآتية وعن إدانة الأشرار. وهكذا يلمح القرآن مآزًا إلى الشعوب الأتمة التي لم تستجب للدعوات التي وجهها إليها الله عبر رسله. هناك شعبان عربيان بين هذه الشعوب هما عاد وثمود، ولكن يستحيل تحديد تاريخهما في المكان والزمان. هناك روايات أخرى في القرآن يبرز فيها التأثير التوراتي؛ إنها تتكلم عن شعب نوح وشعب فرعون، وكذلك استذكارات أخرى عديدة يصعب تحديدها بشكل دقيق. نلمح الآيات القرآنية التي تتحدث عن آخر الزمان وعن القيامة التي يشر بها النبي محمد (ﷺ) إلى الخوف، يوم الحساب، من العذاب الإلهي ومن الكوارث التي ستسببها. إلا أن الحديث النبوي يستند أيضًا إلى إشارات واردة في النصّ القرآني ليتوسع في الكلام عن تهديد آخر هو «عذاب القبر».

عُدرة (بنو-)، قبيلة عربية كانت منازلها في شمال الحجاز عند ظهور الإسلام، وهي مدينة بشهرتها اللاحقة لشعراء الحبّ الذين نبهوا منها. تنتمي قبيلة عُدرة إلى مجموعة قُصاعة الكبيرة، ذات النسب العتيق والغامض. إلى حدّ ما، لكنها تدّعي نسبها إلى عرب الجنوب المتحدرين من قحطان، ولما كانت على علاقة بقرش في مكة، فقد قامت منازلها في عصر النبي محمد (ﷺ) في منطقة تبوك ووادي القرى؛ من هناك، انطلق أفرادها للمشاركة في الفتوحات الكبرى واحتلّوا خصوصًا المناطق السورية. عُرفت على الخصوص بشعرائها الأوّلين الذين تغنّوا بحبّ مستحيل أدى بهم، بحسب التقليد، إلى الموت من الضنى.

كثيرًا ما تردّت قصة «شهداء الحب» أولئك، في الأدب العربي الإسلامي. والهوى الذي عصف بهم أسمى موضوعًا رمزيًا وفلسفيًا كلاسيكيًا. حمل تسمية الحب

العُدريّ. وقد ابتدعوا تمييزًا له في كلام أو حديث تُسب إلى النبي محمد (ﷺ): «من عشق فقصّ وتُشمّ سرّه ومات به، مات شهيدًا»^(١). وقد انماز ابن داود الفقيه الظاهري بتناوله خلقيته هذا الحبّ. ونبّئ موافقه، في ما بعد، أين حزم في الأندلس، وما لبث أن أخذ بها النصوص الإسلامي، عبر عدد من مثليه، بمن فيهم ابن العربي.

عُراي باشا أو أحمد عُراي، ١٨٤١/١٩١١م، زعيم وطني مصري، سعى لزعة سلطة الخديويين في نهاية القرن التاسع عشر بمحاولته القيام بانقلاب سياسي.

ولد أحمد عُراي في أسرة فلاحين وتلقّى دروسًا تقليدية في القاهرة، في جامعة الأزهر، ثم انخرط في الجيش حيث سرعان ما بلغ رتبة عقيد. كان خطيبًا مفوّهًا، فأفسى ناطقًا بلسان الحركة الوطنية التي أرغمت، في العام ١٨٨٢/١٩٢٩م، الخديوي توفيق على تأليف وزارة أُسندت فيها حقيبة وزارة الحرية إليه. وقد أثار هذا التعيين احتجاجات الحكومتين البريطانية والفرنسية المقلقتين من السياسة الجديدة، ما دفع بأحمد عُراي إلى إعلان نفسه قائدًا عامًا والاستيلاء على السلطة. تدخلت بريطانيا العظمى فاحتلت مصر، ففُي أحمد. عُراي إني سيلان التي لم يُد منها إلا بعد مرور عشر سنوات. إلا أن الانقلاب الذي قام به، وإن اعتُبر حدثًا عابرًا، كان له دور بارز في تاريخ مصر الحديثة، إذ شكّل إنطلاقة لردود الفعل الوطنية التي أدّت إلى إلغاء الحماية البريطانية عام ١٩٢٢.

العراق، أو بلاد ما بين النهرين السفلى، منطقة جغرافية وتاريخية في آن معًا، قامت بدور معيّر داخل العالم الإسلامي بحكم اتّصالها المباشر بإيران ومواجهتها أطماع الدول التي بسطت سلطانها على سوريا، والمناطق العليا من بلاد ما بين النهرين وبلاد الأناضول، قبل أن يُطلق اسم العراق على دولة تضمّ بلاد ما بين النهرين بأسرها.

١- هذه المنطقة المتميّزة بوجود نهريْن كبيرين، دجلة والفرات، اللذين تجتمع مياههما لتشكّل، مع نهر الكارون الإيراني، خطّ العرب، تمتدّ شمالًا حتّى الأرض التي تتوفّق عندها زراعة النخيل. وإضافة إلى افتتاحها

لثورات الشيعة وسواهم. وفي كربلاء، غير بعد من الكوفة، وفي العام ٦٨٠هـ/٦٨٠م، قُتل الحسين بن علي وابن بنت الرسول (ص) في مكان أصبح في ما بعد المركز المعزّم الذي اجتمعت فيه أقصى مظاهر القوى الشيعة. وفي ٨٣٢هـ/٨٣٢م، شعر الأمويون بالحاجة إلى تأسيس مدينة واسط، التي هي حامية عُهدت إليها مراقبة الشعب الثائر في العديتين السابقتين.

كان من نتائج وصول العباسيين إلى الحكم - وقد بوع أول خليفة منهم في الكوفة عام ١٣٢هـ/٧٤٩م، بعد نجاح الثورة العباسية - جعل العراق مركز الأباطورية الجديدة، سواء من وجهة النظر السياسية والثقافية، أو من وجهة النظر الاقتصادية؛ وأحد مصيره، منذ ذلك الحين ولفرون عدة، بالسلالة التي قطعت الصلة بتقاليد الأسباط السابقين في سوريا. والعاصمة الفاتنة ومدينة الإسلام كانت بغداد التي تأسست سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م على يد المنصور، وكسفتها سامراء، فقط بين ٢٢١ و٢٧٦هـ/٨٣٦م. وقد عرف العراق فترات مضطربة خلال قرنين من حكم الخلفاء العباسيين: حصار جيوش المأمون لبغداد في ١٩٦-١٩٧هـ/٨١٢م- ٨١٣م؛ وتأسيس سامراء الذي أوجبه جزئيًا الإنزالات التي اقترفها في بغداد أفراد حرس الخليفة الجدد، الأتراك الأصل؛ وثورة الزنج من ٢٥٥هـ/٨٦٩م إلى ٢٧٥هـ/٨٩٣م، في منطقة المستنقعات. وإذا كانت الحركات الشيعة قد خفّت بعد اختفاء الإمام العلوي الثاني عشر في سامراء في ٢٦٠هـ/٨٧٤م، فقد شيدت أضربة جديدة، تكرمها الإمامية الاثنا عشرية: في بغداد للإمامين السابع والتاسع في الحي الذي سُمّي منذ ذلك الحين «الكاطيفية»، وفي سامراء للإمامين العاشر والحادي عشر.

إن تعيين أمير الأمراء في ٣٢٤هـ/٩٣٥م، فتح عهدًا جديدًا مختلفًا تنازل خلاله الخلفاء عن معظم صلاحياتهم: أولاً لهؤلاء الأشخاص الذين يتمتعون، منذ ٣٣٣هـ/٩٤٥م، إلى عائلة البويهيين الإبرانيين الشيعة؛ ثم، بدءًا من ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، إلى السلاطين السلاجقة الذين كانوا، في البداية، قادة عسكريين أتراك اجتاحتهم أرض الإسلام، ثم تأقلموا ثقافيًا في إيران قبل اعتناقهم

على البحر وعلى نشاطه التجاري، كانت غنية خاصة بزراعتها، بفضل خصب أرضها الغنية بالطين، وبفضل أعمال الري المهمة التي نفذت في الحقيبات السابقة لمجيء الإسلام. وعلى أي حال، فإن الفرات، الضعيف المنسوب، يُهدّذ بالمياه مستنقعات واسعة قبل أن يلتقي دجلة، وإن الجزء من المنطقة المجاورة للخليج العربي - الفارسي التي تطلق عليها أحيانًا نسبة العراق السفلي، يتسم بطبيعة تصعب فيها الحياة بسبب أدغاله ذات الأرض المشبعة بالمياه. في هذه الأرض القريبة من المدن العرفية الغنية، بأوي الهاربون وللصوص الذين يتحينون الفرصة لتعكير الملاحة النهرية التجارية، وبشكّلون بؤرًا للحركات الثورية. لكن وجود هذه المنطقة غير الخصبة، التي تنازع مساحتها تبعًا للظروف، لم يمنع الأجزاء الأخرى من البلاد من أن تشكل، بمحاذاة البدو في الصحراء وعلى السناطة النادرة للمدزجات الجبلية المتحدرة من الهضبة الإيرانية، أرضًا عرفت حضارة قديمة، مكتنتة بموارد وافرة، تكيّفت على الدوام مع ازدهار الحياة الحضريّة ومراكزها المدنية.

في جميع أنحاء بلاد ما بين النهرين، كانت جماعات من العرب قد استقرت قبل ظهور الإسلام: بدايةً، اللخميون، حلفاء الساسانيين، ثم عناصر متنوعة من قبائل نزحت من شبه الجزيرة العربية. أمّهم قبيلتنا تغلب ويكر. وما بين ١٢٢هـ/٧٢١ و٢٣٣هـ/٦٤٢م، أي منذ بداية الفتوحات الكبرى، احتلت العراق مجموعات عربية - إسلامية مكونة من فصائل قبلية أخرى، وحوالي ١٤ و١٧هـ/٦٣٥ و٦٣٨م، تأسست البصرة والكوفة، المدينتان-المعسكران، وشكّلتا محطتين للتوسع العربي في اتجاه الشرق. وبعد فترة قصيرة، وقرب البصرة، خاض علي، بعد توليه الخلافة، معركة الجمل، ثم احتل في الكوفة ودفن بالقرب منها، حيث أنشئت، ابتداء من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، مدينة النخف، بجوار قبره الذي أصبح بالنسبة إلى الشيعة مرآة مقدسة. وعلى كل حال، استقر أتباعه في تلك المنطقة، طيلة عهد الخلفاء الأمويين، الذي كان في خلاله لسوريا الأوثوية، في حين أنّ العراق أصبح مركزًا

التاسع عشر. وباشرت الحكومة العثمانية آنذاك إحكام سيطرتها على أرض كان التدخل الغربي فيها ما يزال محصوراً، ولم يصبح فعلياً إلا في ١٩٢٠، إثر الحرب العالمية الأولى وانتهزام السلطة العثمانية. عندها عهد بهذه البلاد إلى بريطانيا العظمى كسلطة منتدبة، وتوسعت في المناسبات لتشمل بلاد ما بين النهرين العليا. مهدت تلك المرحلة لظهور كيان جغرافي وسياسي جديد يضم وادي دجلة الأوسط والسلاسل الجبلية المجاورة للموصل، متمكناً بذلك مصادر نفطة مهمة من جهة في منطقة البصرة، ومن جهة أخرى في منطقة كركوك. كان السكان مؤلفين منذ ذلك الوقت من ثلاثة عناصر متميزة: الأكراد المستقرّون في المنطقة الشمالية، والسنة وأخيراً الشيعة الذين تركزوا في المنطقة الجنوبية حيث كانوا قد استقروا منذ العهد الأموي، متجسّمين حول مزارات الحسين في كربلاء وعلي في النجف، وهي العتبات المقدسة التي أضحت بالنسبة إليهم مراكز للحياة الفكرية والدينية، ولا سيما النجف الذي كان قد لجأ إليه، في القرن الثامن عشر، علماء طردهم نظام نادر شاه من إيران. ولكن بالرغم من عدم التجانس العرقي والديني بين السكان، وهو أمر يشجّع على الانقسامات وعلى الصراعات الداخلية، أصبح العراق الممتد على بلاد ما بين النهرين القديمة كلها - والذي جرت قبلته في دولة من قبل البريطانيين عندما نصبوا على العرش ملكاً من السلالة الهاشمية، فيصل الأول ابن الشريف حسين - بلداً مستقلاً تمت فيه روح قومية جديدة.

٢- الجمهورية العراقية، مساحتها: ٩٢٤ ٤٣٤ كلم^٢، عاصمتها: بغداد. دولة مستقلة تشكلت من الولاية القروسطية مضافاً إليها بلاد ما بين النهرين العليا، دبانها الرسمية الإسلام. مع وجود نسبة ٩٥ ٪ من المسلمين، ستة شيعية إمامية، يتقاسمون سكاناً يناهز عددهم تقريباً ١٨ مليون نسمة.

نشوء هذه الدولة على أرض تابعة للدولة العثمانية، تم على أيدي الحلفاء في مؤتمر سان ريمو (نيسان ١٩٢٠)، وتبنت بموجب إتفاقية سيفر (Sèvres) في تشرين الأول ١٩٢٠. ورسمت الحدود بينها وبين الدول

المذهب السني. أصبح العراق، خلال تلك الفترة، ولاية كسائر الولايات، لكنّه، على الرغم من ذلك، ظلّ محافظاً على أتية عائدة لإقامة الخليفة فيه، ولاستمرار حياة ثقافية ناشطة فيه. وبينما كان الصراع محتدماً بين المذاهب الكلامية والمذاهب الفقهية، كانت الحياة الاقتصادية في تفهقر نتيجة الاضطرابات الدائمة، وما نتج عنها من انتقال طرق التجارة البرية والبحرية. أخيراً، إن محاولات الخليفة الناصر (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م) تقوية سلطته وإعادة ترميم الوحدة المعنوية والسياسية للخلافة العباسية، خارج حدود مملكته العراقية، هذه المحاولات ضاعت سدى، إذ تلاشت السلطات الحقيقية للخلافة بعد غزو المغول في ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ومعها زالت الهيئة التي نعمت بها، حتى ذلك التاريخ، بلاد ما بين النهرين في العصور الوسيطة.

إبتداء من النصف الثاني من القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد حتى ١٥٣٤م، تاريخ الفتح العثماني، سيطرت على البلاد سلالات عدّة خارجية متعاقبة، كالإيلخانيين، ثم الجلائريين، وهم أيضاً من المغول، وقد فرضوا أولاً سيطرتهم على بلاد ما بين النهرين العليا؛ ثم التيموريين بعد نهب بغداد على يد تيمورلنك في ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م. وقد حكم هؤلاء جميعاً بعد المغامرة المغولية، وخلفهم التركمان، أي القرقيونلو (٨١٤-٨٧٣هـ/ ١٤١١-١٤٦٨م)، ثم الآق قيونلو (١٤٦٨-١٥٠٨م)، وأخيراً الصفويون الذين اضمحلوا شيئاً فشيئاً أمام العثمانيين الذين احتلوا العراق وبلاد ما بين النهرين العليا في العام ١٥٣٤م. كانت الحال في الواقع غير مستقرة، وتمكّن زعماء بعض الجماعات من فرض سيطرتهم في بعض المناطق. هكذا استطاع العثمانيون احتلال بغداد من جديد بين ١٦٦٣ و ١٦٣٨م، وعقد اتفاق في ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م ثبت حدود الامبراطوريتين، الفارسية والتركية، اللتين كانتا تتنافسان للسيطرة على العراق. في القرن الثامن عشر حكم ولاية بغداد العثمانية وال من أصل جورجي، هو حسن باشا الذي خلفه ابنه. هذا وذلك جمعاً حرصاً من الممالك الجورجيين الذين حكموا البلاد حتى القرن

٨، ١٧، ١٣، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣٩، ٤٥، ٤٦. راجع المستندات

العرب، اسم شامل كان له عبر العصور مفاهيم متنوعة وسط العالم الإسلامي، لكنه يشمل السكان الذين يستعملون العربية لغة التواصل بينهم. وهذه اللغة هي واحدة، برغم تنوع لهجاتها بتوابع المناطق.

في عصر ما قبل الإسلام، كانت لفظة «عرب» تشير تحديداً إلى سكان شبه الجزيرة العربية، الذين كانوا، في غالبيتهم، من البدو الرحّل. يتوزعون إلى قبائل توغل بعضها في سبب سوريا ومناطق ما بين النهرين واستقرت فيها. وكان العرب قسمين: العرب العاربة الذين يرجعون بنسبهم إلى قحطان، أو عرب الجنوب، وهم ورثة حضارات سبأ ومنعم وحميز وقتبان وحضرموت، وإن أبقايا الأثرية لهذه الحضارات لا تزال بارزة في الجمهورية اليمنية الحالية، والعرب المستعربة الذين يرجعون إلى عدنان أو عرب الشمال. وهؤلاء وأولئك عرفوا التنقل والتغيرات السكانية، وكان لهم احتكاك بالشعوب المجاورة، فتأثر بعضهم، منذ زمن بعيد، بالأرامية وثقافتها. وفي زمن لاحق برزت، عند العرب، دولة الأنباط في البتراء، وكانت ذات طابع تجاري؛ كما قامت، بدعم من الساسانيين والبيزنطيين، دولة اللخمين ودولة الغساسنة، بهدف الدفاع عن حدود كلٍّ من الإمبراطوريتين، فكان اللخميون تابعين للساسانيين، والغساسنة للبيزنطيين.

وكان التنظيم في عصر ما قبل الإسلام قائماً على أساس قبلي، واستمرت هذه الخاصة قائمة في مجموعات حافظت على قبليتها حتى العصور الحديثة، وعلى إقامتها في مناطق محددة من شبه الجزيرة العربية وما يتاخمها. وفي المقابل، فإن العرب الذين ترحّلوا عن مناطقهم ليستقروا في مناطق أخرى ويعيشوا حياة الحضر، لم يتخلوا عن الشعور بفخر انتمائهم القبلي. وهذا ما يظهر في تعلقهم بالنسب والأسماء الرقبة التي يتخذونها وتكون عائدة إلى أصل قبلي. وهذا الجبل بقي قائماً متجذداً في المناطق المختلفة، يعد التوغل الأول للفترات الكبرى نحو الشمال، وحتى بعد بلوغ بلاد الأندلس وآسيا الوسطى ومائر المناطق التي دخلت ضمن الإمبراطورية العربية - الإسلامية.

التي تجاوزها حالياً - أي إمارة الكويت، والمملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والجمهورية السورية، وأيضاً تركيا وإيران - بعد أن ضمت ولايتا البصرة وبغداد مع كركوك. وألحقت بها، عام ١٩٢٥، ولاية الموصل. كان النظام السياسي ملكياً دستورياً اعترف، في آب ١٩٢١، بالأمير فيصل ابن الشريف حسين ملكاً، تحت الانتداب البريطاني.

عندما انتهى الانتداب البريطاني في عام ١٩٣٢، أعلن الاستقلال، ثم قلب النظام الملكي في ١٩٥٨ على أيدي مجموعة من «الضباط الأحرار»، مستوحين أفكاراً مشابهة لتلك التي عرفتها حركة عبد الناصر في مصر والتي ولدت في العراق سياسة اشتراكية وقومية. أعلنت الجمهورية، التي رنسها على التوالي: اللواء قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣)، المشير عبد السلام عارف (١٩٦٣-١٩٦٦)، اللواء أحمد حسن البكر (١٩٦٨-١٩٧٨) يساعده صدام حسين، وكلاهما من حزب البعث. وكان العراق، في غضون ذلك، قد أصبح، في ١٩٧٠، ديمقراطية شبيهة لها سلطة عليا، هي مجلس قيادة الثورة، المؤلف من ستة أعضاء ينتخبون من بينهم الرئيس الذي كان، في الوقت نفسه، رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة، وقد اضطلع صدام حسين بهذه المسؤولية منذ ١٩٧٩.

العراق بلد واسع، مأهول بالسكان، معزّز بمناخيه القروسطي وغني جداً بالموارد الطبيعية، ومن بينها السواحل النفطية. لكنه، مع ذلك، مرّ بمرحلت تحديث صعبة، طُبعت بالانشقاق السياسي، سواء في تطوّر الداخلي أو في علاقاته المتزعزعة بالبلدان المجاورة، خاصة بسبب ضيق منفذه البحري. لقد طُرحت مشكلة الحدود مع إيران سنة ١٩٢٩، ثم مجدداً في ١٩٧٥. وكانت في أساس الحرب التي أعلنها العراق عليها في ١٩٨٠ وانتهت في ١٩٨٨. وثمة مشكلات أخرى مع الكويت الذي رفض العراق في البدء الاعتراف باستقلاله سنة ١٩٦١، والذي اجتاحت في ١٩٩٠ إلى أن أجبرته القوى الغربية على الانسحاب منه بعد بضعة أشهر. أما المناطق الشمالية المأهولة بالأكراد فقد عانت الاضطرابات، واستمرت فيها صراعات يبدو حلّها بعيد المنال.

في البداية إلا أقلّيات محاربة متمركزة في أماكن إستراتيجية، تأثنت لها الغنائم الوفيرة والأراضي الخصبة. فلم يكن هؤلاء العرب، نالياً، يرغبون في الاختلاط بأبناء البلاد الأصليين. ومن هنا كان اهتمام العرب المسلمين بتأسيس مدن خاصة بهم، هي المدن المتمسكات، لتأكيد تفوّقهم السياسي والعسكري بشكل أفضل. وكان من نتائج ذلك أن استهوت الثقافة العربية المغلوبين. وهذه الجاذبية أدت إلى اعتناق السكّان الأصليين الإسلام، ما سمح لهم بالتحلّص من وضعيتهم كأبناء ذمة، كما سمح لهم بأن ينتهوا إلى الغزاة ويصبحوا من مواليهم، حتّى إنّ هؤلاء الموالي حاولوا عن طريق تبديل أسمائهم بأسماء أخرى وهمية، أن يربطوا أنفسهم بأعرق القبائل العربية من عصر ما قبل الإسلام. وهكذا فإنّ الشعوب غير العربية في الإمبراطورية تمزّجت وأسلمت. ثمّ إنّ عملية ارتباط العرب ببناء غير عربيات، عن طريق الزواج أو التّسري، أدّت إلى إلتجاف أبناء أعشيرة شرعيين. وهذا ما ساعد، في مناطق مختلفة، على قيام مجتمع يستطيع كل واحد فيه أن يدعي أنّه عربي، وأصبح من الصعب تمييز الأصل من الدخيل. إنّ لأنّ هذا التفاعل الإثني لم يمنع السكّان الأصليين من أن يداوموا أحياناً عن تراثهم وماضيهم، في خضمّ صراعات خفية كانت تؤدّي، من وقت إلى آخر، إلى ثورات.

حتّى القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، كان العالم الإسلامي عالمًا التقى فيه عناصر بشرية متنوّعة غير عربية، ببربرية في المغرب، إيبرية في الأندلس، قبطية في مصر، آرامية في سوريا والعراق، إبرانية أو تركية في إيران وفي بلاد ما وراء النهر. وقد تبنّت هذه العناصر اللغة العربية بصورة كاملة، ما يجعلك نظنّ أنّها كلّها من أصل عربي. فمبادئ الثقافة العربية الدينية والدنيوية، في الآداب والعلوم المتنوّعة، في الرياضيات والطب والتاريخ والجغرافيا، كانت من صنع علماء ومفكرين استعانوا باللغة العربية للتعبير عن أفكارهم بعدما تقيّلوا الإسلام.

إنّ لأنّ هذا الواقع تبدّل ابتداءً من القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، عندما أوجدت الغزوات

والتوسع العربيّ الكبير تبعه انتشار الإسلام وإزدهاره. ذلك أنّ النبيّ محمداً (ﷺ) حمل رسالته إلى العرب أولاً، كما نزل الوحي باللغة العربية. فاعتبر العرب أنفسهم شعباً مختاراً فنّز له أن يحمل رسالة النبي (ﷺ) وينشرها في العالم، ذلك أنّ الإسلام، على كونه دين العرب، له طابع عالمي، يستوعب كل الشعوب. واللغة العربية التي ارتدت طابع القداسة، لأنّها وسيلة الصلاة ولأنّ القرآن الكريم أنزل بها، فرضت نفسها على كلّ مسلم مع الفتوحات الكبرى، وحملت كلّ من يتقبّل الدين الجديد على أن يستعملها. والمعروف أنّها لغة سامية تميل إلى الصوامت، وتعود مفرداتها بعامة إلى جذور ثلاثية، وهذه الجذور قابلة لكل أنواع التركيب. فاللغويون الذين عملوا في المعاجم والقواعد احترقوا دراسة هذه اللغة وثبتت أسسها وكتابتها على أثر المشكلات التي نتجت من خصوصياتها وخصوصيات كتابتها، بعد نقل الوحي بواسطتها. وغدت الكتابة العربية الكتابة الإسلامية المميّزة.

في مرحلة تاريخية أولى، انتشرت اللغة العربية عملياً مع انتشار الإسلام في المناطق التي أصبحت تنصّف بأنّها البلاد العربية الإسلامية، على أساس أنّ العربية لم تكن لغة الصلاة فحسب، بل كانت أيضاً لغة التواصل الثقافي. وفي حدود القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، بدأت اللغة الفارسية في إيران تستعيد استعمالها لغةً للأدب والملاحم والشعر، في حين أنّ العربية لم تعد إلا لغة العلوم الدينية والدنيوية. وفي وقت متأخّر، فرضت التركية نفسها تدريجياً في البلدان التي خضعت للأتراك، وتحديداً في آسيا الوسطى وأفريجانا والأناضول. خارج ذلك، في المناطق البعيدة التي دخلها الإسلام متأخراً، كالهند وإندونيسيا وأفريقيا السوداء، بقيت العربية محصورة ضمن نطاق الأمور الدينية، ولم يُنح لها أن تحلّ مكان اللغات المحليّة، لا في الحياة اليومية ولا في الأمور الرسمية.

حصل الانتشار الأوّل للغة بسرعة، في المرحلة الأولى، لأنّ العرب، بعد تقبّلهم الإسلام، قرّروا الإستيطان في مختلف المناطق التي احتلّت. ولم يشكلوا

عن هذا الفنَ يَتمثّل بما وصل إليه في ما بعد، على عهد الخلافة العبّاسيّة، في أوج المرحلة البغدادية - السامريّة. واستمرّ على ازدهاره حتّى القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وذلك في الشرق الإسلامي وغربه. إلّا أنّ رباحاً جديدة حملتها الغزوات الآسيوية المتتابعة استطاعت أن تطوّر جزئياً فن الأرابيسك وأن تعطيه أشكالاً جديدة مع العثمانيين والصفويين والمغول، في حين أنّه في مناطق أخرى، كالمغرب والشرق الأدنى العربي، حافظ على صيغته السابقة التي أخذت تنكّر إلى ما لا نهاية، فكانت أحياناً تزدهر وأحياناً تتحوّل لتتحوّل إلى نوع من الرسوم المغولية التي تُستنسَخ بصورة دائمة والتي لا تزال تُستعمل حتّى اليوم.

العرش، كرسى الملك ورمز السلطة، وقد عبّر عن هذا المفهوم، في جوانبه المتعددة، في الأوساط الإسلامية القروسطيّة، باللجوء إلى مفردات مختلفة.

في المعنى الحقيقي، استُخدمت كلمة «سُرير» التي تعني تحت الأبهة حيث كان يجلس العاقل على الضناش، وفقاً للطريقة الشرقية، والتي عبّر عن العادات الاحتفاليّة في البلاط، أصبح «السُرير»، في فترة متأخرة، قطعة أثاث، خصوصاً عند الصفويين والمغول والعمانيين الذين تركوا لنا نماذج ثمينة منه.

فضلاً عن ذلك، ورد في القرآن الكريم تعبيراً «الكرسي» و«العرش». ففي الآية ٢٥٥ من سورة البقرة، وهي المعروفة بآية الكرسي، ورد: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ». وكان هذا التعبير موضوع تفسيرات عديدة عند العلماء والفقهائ. فبالنسبة إلى بعضهم كالحنبليّة، مثلاً، الذين يُطلقون على الله الصفات البشريّة، فإنّ الله يجلس فعلاً على كرسية. ويشمل هذا الكرسي السماوات والأرض. بينما يرى فريق آخر أنّ هذا الكرسي يشمّل مع السماء الداخليّة، وهي إحدى السماوات السبع التي تحيط بالأرض. ويحمل هذا الكرسي، عند فريق ثالث، معنى مجازياً: المعرفة الإلهيّة. تُشير أيضاً إلى أنّ كلمة «عرش» تُستعمل في بعض الآيات القرآنيّة (الآية ١٥ من سورة غافر) للدلالة على كرسى الله، بينما يستعمل المفسّرون

التركيّة والمغوليّة ميدانين ثقافيتين، ميدان تركيّ وآخر إيراني، استطلاعاً أنّ يتكوّن ويشعأ بفضل بقطة لفتيهما. ومقابل ذلك، بدأت تضعف أهميّة الشعوب الآخذة بالعربية. وبدأت هذه الشعوب تنحسر إلى الشرق الأوسط والمغرب. في هذا المجال، وإلى جانب العرب الأصائل في الجزيرة العربيّة وما جاورها مباشرة من مناطق، عاش بعد ذلك التاريخ عدد من الشعوب التي تُعتبر عربيّة، لكنّها في الواقع تنطق بالعربيّة وحدها، في حين يصعب تحديد الأصول التي تنتمي إليها. هؤلاء العرب هم في غالبيتهم من المسلمين، مع العلم أنّ العروية لا تعني الإسلام حصّاً. وفي الشرق الأوسط عرب مسيحيّون كانوا في القرن التاسع عشر من أهمّ المدافعين عن اللغة العربيّة وثقافتها.

عَرْسَة (أرابيسك)، عنصر تزيني معتمد في الكسوة، يشكّل زخرف الأبنية والتحف الفنيّة في البلدان الإسلاميّة. وهو ليس بعار، في تسميته، عن المفهوم الاتني. لكن ينبغي البحث عن فرادته الإبداعية في تحريم التجسيم في الإسلام. تُستعمل لفظة «أرابيسك» أحياناً للإشارة إلى مجموعة زخرفيّة مفكّكة تجمع، إلى الأشكال النباتيّة، التشبيكات الهندسيّة والكتابات المنقوشة. ولكن، بالمعنى الضيّق للكلمة، يجب أن يقتصر فن الأرابيسك على أشكال ذات أصل نباتي، فنطلق من خطّ متواصل يخضع للإيقاع اللولبي الحلزوني غير المنتاسق أو للخصنيّات. فالأشكال الزخرفيّة الحلزونيّة التي تتخلّلها الأغصان والأوراق والأزهار والتي لا رابط بينها وبين ما تجده في الطبيعة، هي في الواقع أنواع خاصّة من التركيبات التي لها طابع التجريد التي تطوّرت عبر العصور تبعاً للأمكنة وظروف العصر.

نستطيع إذاً أن نتكلّم عن تطوّر الأرابيسك التاريخي المرتبط بمختلف مراحل الحضارة الإسلاميّة. ويمكن القول إنّ ولادة هذا الفن كانت مع الأشكال الزخرفيّة الواعدة التي ميّزت فنّ السلالة الخلافيّة الأولى، نعتي بها سلالة الأمويّين، التي استوحّت فنّ الأرابيسك من إرث الشعوب المغوليّة، ولا سيّما البيزنطيّة والساسانيّة، أكثر ممّا استوحته من التقاليد العربيّة. والتعبير الكلاسيكي

كلمة كرسى بمعنى مدرجة.

عرفة أو عرفات، اسم مكان في الحجاز غدا مشهوراً بفضل احتفالات الحج؛ والتسمية تشتمل في آن، خارج الحرم المكي، السهل الواقع على بعد نحو عشرين كيلومترًا شرقي مكة، والجبال المشرفة عليه.

من بين المرتفعات، تلّة صغيرة معزولة تُعرف باسم «جبل الرحمة»، تتميز بترتيبات قديمة العهد؛ درج حجري واسع فيه مصطبة عند الدرجة الستين، ومذبة تعلو القمة وتنتجها، وهما ما زالَا يُستعملان، كما كانت الحال في القرون الأولى للإسلام، لإلقاء العظات على الحجاج. وقد درجت العادة في موسم الحج على رفع أعلام حامي الأماكن المقدسة عليها، وغالبًا ما كان هذا الحامي هو الخليفة العباسي. وعادة رفع تلك الأعلام في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد نتأكد من وجود نقوش يعود تاريخها إلى ذلك العصر.

في موسم الحج من كلّ سنة، في التاسع من ذي الحجة، أو «يوم عرفة»، يمثل السهل، المقفر عادةً، بجموع الحجاج الذين يتصبون الخيام بانظار «الوقوف» الذي يمتد من العصر إلى الغروب، وخلال ذلك تُنلى الصلوات و«الطلبات»، وتُلقى «الخطب»، ويقوم بذلك في أيامنا هذه قاضي مكة المكرمة، وهذه الخطب كانت قديمًا تُلقى باسم سيد الأماكن المقدسة.

عزرائيل ← ملائكة.

عسقلان، مرفأ قديم على الساحل الفلسطيني، احتلّه المسلمون سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م إبان الفوجات الكبرى، وكان له دور مهمّ خلال الحروب الصليبية.

١- كانت عسقلان مدينة يونانية رومانية، ثمّ بيزنطية، ذات أهمية استراتيجية على طريق مصر. احتلّها معاوية مؤسس الخلافة الأموية بموجب صلح، ثمّ حضنها عبد الملك بن مروان. وقد دخلها الفاطميون لاحقًا وبقيت في قبضتهم حتى منتصف القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، على الرغم من هزيمتهم أمام الفرنج سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م.

كانت عسقلان آخر معقل فلسطيني ضمّه الفرنج إلى مملكة القدس سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، بعد حصار طويل.

ثمّ استرجعها صلاح الدين بعد معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وهدمها خوفًا من هجوم مضاد بشته ريكاردوس قلب الأسد ملك انكلترا، كما هدم قلعتها. وما أن استعادت المدينة بعض عافيتها حتّى وقعت في يدي السلطان المملوكي بيبرس سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م، فدمرها كليًا.

في سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، شُيّد فيها مشهد تكريمًا لرأس الحسين، وبعد سقوط عسقلان تمّ نقل الرأس إلى القاهرة حيث حفظ في مشهد جديد.

٢- جرت معركة عسقلان سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م خارج المدينة، وتركت أثرها في تاريخ الحملة الصليبية الأولى إذ كُتبت سيطرة الفرنج على السواحل السورية. هذه الهزيمة التي مُني بها المسلمون والتي تلت مباشرة سقوط القدس في أيدي الصليبيين منعت قيام الفاطميين بأي ردّ فعل لمُدّة من الزمن، ولكنها لم تؤدّ إلى سقوط قلعة عسقلان التي صمدت حتى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، لذا لم تشكّل لمحتلي فلسطين المسيحيين ذلك الانتصار الإنليبي المهمّ الذي كان في إمكانهم تحقيقه.

◀ راجع السند رقم ١٨.

العسكري (التنظيم)، أحد العناصر الذي ساهم، خلال القرون الوسطى، في تعزيز الدينابية التوسعية في العالم الإسلامي. نشأ نتيجة للغزوات الكبرى خلال القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلادي، من ثمّ تكيف مع نشوء الأباطوريّات الكبرى، وبعدها مع الانقسامات الداخلية الناجمة عن طموحات مختلف أسباط الحرب.

ولم ينفك هذا التنظيم العسكري، نظرًا، عن تأدية دوره في تلبية متطلبات الجهاد وتأمين الدفاع عن «دار الإسلام»، والعمل على توسيعها باتجاه أراضي الأعداء المجاورة. ومن أجل حماية حدود هذه الدار البرية والبحرية القوية، أقيمت تحصينات وأبنية أخرى، معتمدة على هندسة معمارية عسكرية حقيفة، كما تُقوّت ضدّ العدو، غارات موسمية فرضتها ضرورات «تكتيكية»، أذت أحيانًا إلى ضمّ مقاطعات جديدة إلى الأراضي الإسلامية. من ناحية أخرى، أضعفت التزاعات المحلية داخل العالم الإسلامي قدرات القوّات على

العباسي فقد حصلت خلال القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، على أثر الحرب الأهلية الأخوية التي انتهت بحصار بغداد في العام ١٩٦-١٩٧هـ/٨١٢م، هذا الحصار الذي تميز بمعارك عنيفة ودامية.

لذلك، نقادياً لعودة مواجهات شبيهة بين الجنود الذين كانوا منقسمين إلى أحزاب سياسية - دينية متناحرة، قرّر الخليفة المعتصم، في العام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، شراء عدد كبير من العبيد الأتراك من آسيا الوسطى، ليحلّوا تدريباً محلّ المجتدين الخراسانيين السابقين، وليشكّلوا في آن حرسه الخاص. أدّى تمرّكهم في بغداد إلى صعوبات دفعت بالخليفة إلى اتخاذ سارماز مقرّاً جديداً له، حيث تمّ تجهيز أحياء بأكملها لاستقبالهم. لكنّ حرس الخليفة هذا لم يتكوّن من الأتراك وحدهم، بل ضمّ في صفوفه يونانيين، أسرى حرب سابقين، وفُرُساً إضافة إلى البربر، لكنّ هؤلاء كانوا من الأحرار. كان يتمّ تحرير بعض الذين كانوا عبيداً - ولم تكن قد أطلقت عليهم بعد تسمية «ممالك» - وذلك في حال تمتّعهم ببعض الصفات، وكان في إمكانهم آنذاك أن يترقّوا إلى رتبة ضابط مع الحصول على لقب «أمير» أو لقب «قائد». فكانوا يشكّلون آنذاك، في البلاط، فئة الأرستقراطية العسكرية القوية التي غالباً ما كانت توضع في مواجهة الكتاب والفقهاء وغيرهم من رجال الدين.

هكذا أصبحت سلامة السلطة في الخلافة تتركز على وفاء جيش جديد وعديد، لكنّ هذا الجيش لم يشكّل قطّ عنصر الاستقرار المتوخّى، إذ لم يكتفِ فؤاده عن التدخل في الخلافات الداخلية وفي إثارة النزاعات في البلاط. وحتى عندما نجح الخليفة العباسي في تعزيز سلطته بفرضه رقابة قائد عام عليهم - وهذا ما حصل في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بعد قمع ثورة الزنج - واصل التنظيم العسكري ممارسة ضغطه على السلطة التي أصبحت خاضعة لوصاية قائد الفؤات العسكرية. في أواسط القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ضُمّت إلى الجيش العباسي فرق مؤلفة من الديالمة الأحرار القادمين من المناطق الجبلية في جيلان ومازندران. كانت هذه الفرق تدعم، بشكل خاص،

التحرّك. وقد تعدّدت أنواع هذه الفؤات وفقاً للمكان والزمان، وتكيّفت باستمرار مع المعطيات المتغيّرة، منها التطويع وتجنّيات القتال والتسليح، وأخيراً طبيعة الفياق المختلفة، أي أعواق المقاتلين من عبيد أو محرّرين، وثراننية فيادتها.

١) تشكّلت أوّل الجيوش التي قامت بافتوحات الكبرى في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة الأوّلين، حصراً من عرب متطوّعين من قبائل شبه الجزيرة العربية، مارسوا القتال على الطريقة البدوية السائدة في هذه المناطق، وضمت صفوف الجيش عدداً من صحابة نبي الإسلام ﷺ. وكان أفرادها المسجّلون على الجداول وفقاً لأقدمية إسلامهم يتألّون، بعد كل حملة، حصة من الغنيمة تشكّل راتباً حقيقياً. وتميّزت الفرق المختلفة التي تألّف منها الجيش بقلة انضباطها وبعدم قدرتها على إحلال فكرة الحياة الجماعية محلّ الروابط العائلية والقبلية. فتمّ تمرّكها إمّا في مدن - معسكرات مثل البصرة والكوفة والفسطاط، إمّا في أجناد الأراضي المحتلة، ولا سيّما في سوريا، حيث تمّ تجميعها وفقاً للقبائل التي تشكّل منها، على أن تبقى متأهبة لمواصلة القتال في الأماكن البعيدة، على الرغم من وجودها في أحياء المدن أو في مناطق خصّصت لها.

وبقي النظام نفسه سائداً خلال عهد الأمويين، حيث انضمّ إلى الجيش العربي أفراد مسلّحون اعتنقوا الإسلام، أطلق عليهم إسم الموالى، لكنّهم كانوا يتفاوضون أجوراً متدنية. كما انضمّ بعض البربر إلى الفؤات التي اجتاحت شبه الجزيرة الإيبيرية في العام ٩١هـ/ ٧١٠م، بينما تميّزت المقاطعات الأسبوية بأهمية مطالب المتطوّعين المحليين والثورات التي قاموا بها. تزامن وصول العباسيين إلى السلطة مع تحوّل جذري في جيش الخلفاء الذي أصبح جيش محترفين، هيمن عليه أوّلًا مقاتلون من خراسان من أصل عربي أو غير عربي، دعموا حركة العصيان المسلّح أو «الثورة العباسية» وأطلق عليهم اسم «أبناء السلالة العباسية» لأنّهم أنتموا نجاحها. وكانوا يتفاوضون كلّهم أجراً مماثلاً، من دون التمييز بين العرب والموالي، وحلّوا مكان أحفاد البدو الذين استقروا في سوريا وفي مصر. أمّا المرحلة الأخرى في تحوّل الجيش

فروته عندما تواجه ثقافة العلماء العربية - الإسلامية مع خصوصية الضباط والجنود المسلمين غير العرب، ولا سيما الأتراك والشركس، الذين غالباً ما حافظوا على لغتهم الأم وكانوا، فور إنساجهم بالسلطة، ينزّهون - على غرار «الملوك العبيد» الذين شكّلوا أحد فروع سلاطين دلهي خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي - بانتمائهم السابق إلى طبقة العبيد.

وهكذا تصرّف أيضاً معاليك مصر وسوريا عندما استولوا على السلطة في العام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، ووضعوا نظاماً للحكم خُصّصت أعلى المناصب فيه للأجانب الذين جندهم السلطان بهدف تدريبهم على التقنيات العسكرية التي كانت تُخصّص مكاناً كبيراً لغنم الفروسيّة. وكان هؤلاء المماليك، الذين تمّ شراؤهم عبيداً في البداية، يتابعون مساراً في تدريبهم يمكنهم من ارتقاء درجات في تراتبية صارمة، على الرغم من أنّها كانت باستمرار عرضة للتبدّل نتيجة للصراعات والمنافسات الدامية. أما السلطنة العثمانية فكانت في هذه الحقبة تلجأ إلى جيش مؤلّف، بشكل أساسي، من أصحاب التيمارات، يُضاف إليه خيالة أتراك وفرقة النخبة، وهي فرقة الإنكشارية المكوّنة من شبّان تحوّلوا إلى الإسلام بعد أن تمّ تجنيدهم منذ طفولتهم، على أيدي حكام مختلف المناطق، بموجب نظام «الديوشيرما». هكذا هيمنت عناصر أصلها من الرقيق على التنظيم بكامله. في حين انضمت إلى الحملات الموجهة ضد أعداء الإسلام عناصر من الميليشيات المُدنيّة السابقة التي كانت قد تحوّلت إلى شبه جمعيات برأسها «إخوان»، كما انضمّ إليها، بشكل خاص، مقاتلون مستقلّون شاركوا في الجهاد تحت إسم «الغزاة». ومن جهة أخرى، أوليت المدفعية عناية خاصّة، وكانت قد بلغت درجة عالية من النخبّة في عهد محمّد الثاني إبان فتح القسطنطينية.

ونتيجة لمسيحهم الدائم لفعالية أكبر، أدرك العثمانيون، في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر، قبل سواهم من المسلمين، أهمية تجهيز جيوشهم وتدريبها على الطريقة الأوروبية. وأفضت أخيراً إصلاحات متعاقبة، في حزيران ١٨٢٦، إلى إلغاء تنظيم

أمرأة أسرة البويهيين الأقوياء. وتأقّلت منذ ذلك التاريخ الجيوش الإسلامية في الشرق من المرتزقة الأجانب، وغالباً من العبيد الأرقاء، وذلك ليس في بغداد وحدها، إنّما في كافّة الدول التي نشأت نتيجة تفكّك الأمبراطورية، سواء أُنشئت أو لم تفرّ بالسلطة المركزية للخلافة. هذا كان مثلاً وضع جيش السامانيين أو جيش الغزنويين.

وفي الغرب الإسلامي، سرعان ما أقدم الفاطميون في إفريقية ومصر على زيادة عديد قوّاتهم المؤلّفة أساساً من عناصر متمرّسة من السلافيين والزنج العبيد المستوردين. وكان حكام الأندلس، من جهتهم، قد طوّعوا فرقاً من الصقالية، إضافةً إلى العرب والبربر المستقرّين في شبه الجزيرة الأيبيرية منذ الفتح، فضلاً عن بعض المرتزقة من المسيحيين. ظلّت مثل هذه الأساليب متّبعة في ما بعد طيلة القرون الوسطى، في أمبراطوريات المغرب التي كان قد أسّسها زعماء روهيون اعتمدوا، على غرار المرابطيين والموحدين، على قوّات جُمعت باسم الجهاد. لم يكتف هؤلاء باستخدام قوّات مؤلّفة من أتباعهم ومن أفراد القبائل التي دعمت قضيتهم والتي ينتمون إليها، ولكن قاموا أيضاً بتطويع مقاتلين مسيحيين فضلاً عن الأتراك والعرب، بحيث أصبحت جيوشهم بدورها مؤلّفة من عناصر مختلطة، واستمرّ هذا التقليد في عهد خلفائهم. وخلال القرن السابع عشر مثلاً، كانت القوّات المغربية السعدية، ومن ثمّ العلوية، تضمّ بربراً وعرباً وزنوجاً، لم يتردّد البعض منها، في بعض المناسبات، من إثارة اضطرابات خطيرة.

(٢) في المشرق السلجوقي، برز أيضاً بوضوح الدور الذي أدّاه التنظيم العسكري. ارتكز على هذا التنظيم توازن مجتمعي إسلامي جرت العادة فيه، منذ القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر الميلادي، على التمييز بين «المحمّمين» أو رجال الدين الذين اقتصر دورهم على المسؤوليات الفقهيّة، وبين «رجال السيف»، الذين يُمسكون بالسلطة الفعلية، بفضل سلاحهم وبفضل الشرعيّة التي اكتسبوها بصفتهم مدافعين عن الإسلام. وبلغ هذا التمييز بين الفئتين

لعب دوراً أساسياً في تاريخ الدول الإسلامية وحضارتها خلال القرون الوسطى.

بسبب الصعوبات ذات الأصول المزدوجة الناتجة، من جهة، عن محاولات الأمبراطورية العربية التي نشأت بعد فتوحات القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي توطيد سلطتها وتوسيعها أحياناً، ومن جهة ثانية عن الانقسامات الداخلية التي نتجت عن نزاعات مختلفة والتي تسببت بصراعات مسلحة وبظهور مناطق دائمة الاضطراب، شهدت البلدان الإسلامية في القرون الوسطى تكاثراً للنشآت الدفاعية المتعددة المظاهر. كانت هذه المنشآت، التي بدأت بالظهور على حدود دولة الخلافة خلال عهدي الأمويين والعباسيين، مرتبطة بشكل أساسي، في ما خص الأناضول وبلاد ما بين النهرين العليا، بإنشاء مناطق لحماية الأجناد، سبّت بالعربية ثغوراً وعواصم، وانطلقت منها الغزوات ضد الأعداء وحاولت، في أوقات معينة، وقف الهجمات البيزنطية.

ولذلك استُخدمت قلاع قائمة وتحصينات قديمة لمعدن اعتبرت حدودية، مثل مدينة ديار بكر التي حافظت إلى يومنا هذا على أسوارها البارزة العائدة جزئياً إلى العهد البيزنطي. كما شهدت هذه الفترة قيام بعض الأبنية الجديدة مثل الرباطات التي كانت تشكل مراكز دفاعية ونصم حاميات من المقاتلين المتطوعين، «المرباطين»، وغيرهم من المجاهدين المجتدين، وكان بعضهم من أتباع الصوفية. وسادت العادات نفسها في المغرب الإسلامي حيث أقيمت، على مر العصور، شبكة من التحصينات في شبه الجزيرة الأيبيرية، هدفها حماية مقاطعة الأندلس، بينما جُهزت الشواطئ الجنوبية، على البحر الأبيض المتوسط، بقلاع صغيرة وبأبراج تطلق عند الحاجة إشارات لصد الهجمات والإنزال الأجنبي.

وفي الوقت نفسه حافظت أبنية عسكرية أخرى، خارج المناطق الحدودية، على تقاليد رومانية - بيزنطية، تجسدت، إما ببض الحصون أو الأسوار القديمة التي حورفت عليها في مدن الداخل مثل دمشق، وإما بأسوار شاهقة تدعمها أبراج أقيمت حول القصور. وحظيت هذه النماذج، خلال القرون الوسطى الإسلامية، برواج

الإنكشاريين الذين كانوا قد وقفوا في وجه كل محاولات الإصلاح ورفضوا كافة التدابير الهادفة إلى إنشاء جيش جديد. وتم تدريجياً اعتماد التجنيد الإلزامي وفرض خدمة عسكرية في عام ١٨٤٣، كانت مدتها في البدء خمس سنوات، ثم حُفّقت إلى ثلاث في العام ١٨٨٦. وكان القانون ينصّ عندئذ على إلزامية الخدمة العسكرية للرجال المسلمين فقط، وفقاً لتعرف الإسلامي. ولكن، في عهد التنظيمات، نصّ الحط الهمايوني، في العام ١٨٩٦، على إلزامية هذه الخدمة للرجال كافة، من مسلمين وغير مسلمين. وفي الواقع لم يتم تطبيق هذا التدبير، إذ استمرّ إعفاء غير المسلمين حتى العام ١٩٠٩، وذلك مقابل تسديد ضريبة خاصة.

وكان محمد علي وورثته وخلفاؤه الخديويون قد باثروا في مصر، منذ العام ١٨١٥، إصلاحاً عسكرياً مشابهاً، أدى، في العام ١٨٢١، إلى إعادة تنظيم قوات كبيرة وحشدتها لمواجهة العثمانيين في المشرق. وقد واصلت هذه القوات حملاتها في الجزيرة العربية وفي السودان، وكان لا بدّ من تخفيض عديد هذا الجيش في ما بعد. وفي العام ١٨٨٠ صدر قانون نصّ على إلزامية الخدمة العسكرية لمدة أربع سنوات بالنسبة إلى الرجال المصريين كافة، مهما كان دينهم، ولكن الذين يُفرض عليهم فعلاً الالتحاق بالجيش يُختارون عن طريق القرعة. وتَمَّ هكذا، في العام ١٨٨٢، إنشاء جيش جديد مؤلف من عشرة آلاف عنصر. كما أخذت في ما بعد مبادرات مماثلة في دول أخرى. ففي إيران مثلاً لم تر محاولات إصلاح الجيش النور إلّا في العام ١٩٢١، بعد وصول رضا شاه بهلوي إلى السلطة. إن مختلف دول الشرق الأدنى العربية التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى، قررت، منذ ذلك الوقت، اعتماد التجنيد الإلزامي، إنَّما من دون تطبيقه دائماً بشكل فعال. فكان هذا النوع الجديد من التنظيم العسكري، في جميع الحالات، مرتبطاً في معظم مناطق العالم الإسلامي بالدول القومية التي أفرزتها الحركات الوطنية.

(٣) من جهة أخرى، نشأت هندسة عسكرية لا علاقة لأيّ من سماتها المميّزة بالإسلام، استمدت خصائصها من مصادر محلية مختلفة، وراقت تطوّر تنظيم عسكري

وسوريا مثلاً، من خلال المواقع التي يحتلها عدد من الحصون، على أهمية بعض الخطوط الدفاعية. إن هذه الإنجازات العديدة والمتطورة حيشماً وُجدت، ومهما اختلفت المواد والأنماط الهندسية التي اعتمدت في بنائها، أُنشئت لأغراض متشابهة. وقد استطاعت، في كل الأحوال، أن تطبع بصماتها، وبصورة دائمة، مناطق ساهمت من قبل في صياغة تاريخها.

« رابع السنين ٥٤ و ٥٦ »

عسيري، منطقة في شبه الجزيرة العربية، تقع على السلسلة الساحلية الغربية، بين الحجاز في الشمال واليمن في الجنوب. وهي اليوم تشكّل جزءاً من المملكة العربية السعودية.

تُشرف منطقة عسير الجبلية على البحر الأحمر، وهي أقلّ انحداراً من جهة هضبة نجد، وتتكوّن من تضاريس مجرّاة أسهمت في تقسيم مواطن السكّن. كما تضمّ المنطقة مجموعة من القبائل المتنوعة، على غرار اليمن، تستثمر بعض الأراضي الزراعية الجبلية حيث أُقيمت المصاطب أو الجلال. ومع غياب الحدود الطبيعية، أدّى التحوّل التاريخي للمنطقة، في القرنين الأخيرين، إلى تجمع سكّاني حول العاصمة أيّها التي تقع على ارتفاع ٢٢٠٠ م.

وقد بدأت هذه المدينة تأخذ أهميتها كمركز قضاء عثماني بين سنتي ١٨٧٢ و ١٩١٨، على أثر الحملات التركية - المصرية المتتالية التي قام بها محمد علي باشا والتي استمرّت حتى سنة ١٨٤٠، وتلاها تدخل تركي مباشر سنة ١٨٧٢. شكّلت هذه الحملات ردّة فعل السلطنة العثمانية على انتشار الحركة الوهابية وعلى امتداد سلطنة آل سعود في وسط شبه الجزيرة العربية. فإلى جانب اثتنافس الداخلي الذي كانت تغذّيه الطموحات المحلية والأطماع الخارجية والجوار مع اليمن، والصراعات القبلية القديمة على هذه المنطقة النوعية، أضيف، طوال القرن التاسع عشر، صراع سياسي وديني. حتى إن الأمر أدى إلى قيام دولة في ضيّبا تديرها الطريقة الإدريسية. وهذا الوضع يُثبّت آل سعود إذ أوجدوا سلطة خاصة لمنطقة ضيّبا بعد إخضاعها، على أثر حملتهم التوسّعية خلال سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٢. وقد استتبّ الأمر

متفاوت، إذ أدّت دورها خلال حقبات الغزوى، في حين ضعف هذا الدور خلال المراحل التي استطاعت فيها السلطة المركزية أن تفرض السلم. استفادت هذه النماذج من تحسينات فنية مهمّة كذلك التي أدخلتها الحملات الصليبية في سوريا، ولكنها، بصورة عاقبة، حافظت على طابعها القديم إلى أن طُرأت عليها التحوّلات المعاصرة.

وبالفعل لم يطرأ أيّ جديد، لزمن طويل، على وسائل الدفاع المعتمدة في القصور الملكية، وظلّت قريبة ممّا تمّ خلال عهد العباسيين في بغداد واسماء. ما زالت بقايا أبنية عديدة من عصور مختلفة، مثل أبنية لشكري بزار في سجستان من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وأبنية فُتُحُور سكر في الهند من عهد المغول، أو أبنية مكناش في المغرب من القرن الثامن عشر، تشهد على ذلك.

كما أنّ الحصون التي كان يُطلق عليها اسم قلعة، في المشرق، وقصبة في المغرب، والتي دخلت في أسماء العديد من المواقع الجغرافية، ظلّت تعني المدن لتلعب دور الموقع الدفاعي أو المقرّ الملكي، وفي الوقت نفسه لمراقبة السكّان والدفاع عنهم في حال تعرّضوا لهجوم خارجي مفاجئ، كما حصل في حلب خلال عهد الأيوبيين والمماليك. واستمرّت هكذا حصوناً ضخمة عرفت تاريخاً طويلاً واستُخدمت ضدّ أعداء من كل نوع، أحياناً ضدّ قوات زعماء محليين أو ضدّ البدو الساعين للغنائم. ما زالت هذه الحصون تتّوجّ بعض المنحدرات راسمةً عليها ظلالها بأبراجها الضخمة. وفي المواقع الجبلية وانقاط الإستراتيجية حيث ما زالت تنتصب، تبدو وكأنّها تهيمن على مفترقات الطرق أو على الجسور الممتدة على طول طرق القوافل القديمة. حافظت أحياناً على شهرتها كاملة، على غرار حصن أَلَمُوت الذي جعله الإسماعيليون مقراً لحكمهم في إيران، وعلى غرار القصور التي لا تقلّ شهرة والمعروفة بحصون الحشّاشين في سوريا. كم من مرّة تمّ الاستيلاء عليها واستعادتها خلال حروب مواقع حقيقية، ولا سيّما مع الفرنج. واستفادت من التحوّلات التكتيكية الجديدة الخاصة بكلّ غزو، وما زالت تؤكّد، كما في قشتالة

ومع أنَّ أحد الأحاديث النبوية الشريفة قد نبذ العصية القبلية لمخالفتها روح الإسلام، فإنَّ مفهومها اكتسب شهرة بفضل التفسير الذي صاغه ابن خلدون لمضمون دلالاتها. إذ لم يَزِ هذا المؤرِّخ من القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد روح تضامن بين القبائل، بقدر ما رأى فيها «حسَّ انضمام بين البشر». وبهذا المعنى فهي الرابط الذي يفسر نشأة المجتمعات والممالك والدول عبر التاريخ الإسلامي. كما رأى أنَّ هذه النزعة، وهي عامل غير ديني، قد تزوجت مع العامل الديني، من دون أن يبيِّن كيف تمَّ هذا التزاوج الذي تحكَّم في صيرورة الجماعة الإسلامية.

عصمة، مصطلح فقهي عربي يشير إلى صفات المنعة والترقُّع عن الخطأ التي ينسبها الشيعة، خاصة الإمامة الاثنا عشرية. إلى أنَّهم العلويين، وقد توسَّعت في هذا الوسط، منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فشملت الأنبياء.

هذا المبدأ هو عقيدة أساسية عند الإمامية، يشار كهم فيها الإسماعيلية، لكن ليس الزيدية. ومن جهتهم، يؤكِّد المعتزلة عموماً عصمة الأنبياء، بينما يبدو الأشعريون أكثر تحفظاً حول هذه المسألة، ولا يقبلون التنزيه عن الخطأ والغلط عند الأنبياء، إلَّا في إطار دعوتهم. أمَّا بالنسبة إلى السنة التقليدية، فهم لا يقبلون مفهومها يبدو لهم مناقضاً للقرآن والحديث. ومن الصوفية من ينسبون العصمة إلى النبي محمد (ﷺ)، حتَّى لو لم يتوزَّع نقلُ الحديث، في الزمن الأوَّل. عن الإشارة إلى الأخطاء التي ارتكبها نبي الإسلام (ﷺ) الذي لم يدَّعِ إطلاقاً النجاة من الضعف البشري.

عَصَدُ الدَّوْلَةِ، أبو شجاع فتًا حُسُرو، ٣٢٥-٣٧٣هـ/ ٩٣٦-٩٨٣م، أمير شهير من البويهيين، وافق حكمه، ابتداءً من ٩٣٨/٩٤٩م، بلوغ الفرع الأساسي لهذه الأسرة أوج عزِّه، وهي الأسرة التي نجحت، في الواقع، في أن تخضع لوصايتها خلافة العباسيين.

وَفِي هذا الأمير الطموح المولود في أصفهان وهو ابن أخي معز الدولة، سحابة سنين عدَّة، في إرساء أسس مملكة بويهية مرخَّصة خاضعة لسلطان. إنطلاقاً من موقعه كسيد للقسم الأكبر من إيران، مختاراً شيراز مركزاً

بعد المفاوضات التي جرت سنة ١٩٢٣ مع صاحب ضيَّا الإدريسي، وبعد توقيع اتفاقية ١٩٣٤ التي وضعت حدًّا للحرب مع اليمن.

عُشُر (ضريبة العُشُر)، كانت هذه الضريبة تُدفع في القرون الوسطى، في الجزيرة العربية، من قِبَل أصحاب الأملاك الواسعة، وأيضاً من قِبَل أصحاب الانقطاعات. هذه الضريبة، أو الزكاة، كانت تُجبي على المحاصيل، وتُحديداً على المنتجات الزراعية التي يمكن حفظها، فُتشتى من ذلك، بحسب بعض المدارس الفقهية، الفاكهة والخضر.

عُشِير، موقع أثري قروسطي في مرتفعات تيتري، على حوالي مائة كيلومتر بعد جنوب غربي الجزائر، يطابق المواقع المتتالية لمكان محصَّن باند، كان نقطة ارتكاز لقبائل بربرية من فصيلة صنهاجة عندما كانت سلطتها تنصاعد.

لا تسمح التفتيات التي أُجريت حتَّى الآن بإعادة تشكيل تاريخ الأبنية التي تعاقبت في تلك البقعة والتي يمكن نسبة الأهم منها، بحسب المصادر المدوَّنة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، إلى الزيريين، إذ إنَّ الفاطميين الذين ملكوا في إفريقية أيامهم، أقصَّعوا هؤلاء قسماً من أراضيهم وسمَّحوا لهم بإقامة عاصمة لهم على الحدود الغربية لِمَمْلَكَاتِهِمْ. وبعد استقرار الفاطميين في القاهرة وتولِّي الزيريين حكم إفريقية في العام ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م، انتقلت حاضرة عُشير إلى سلطة أسرة من أنسابهم، هي أسرة بني حَمَاد التي فضَّلت لعاصمتها موقفاً إستراتيجياً أكثر تحصيلاً، سُمِّي منذ ذلك الحين قلعة بني حَمَاد. وقد أدَّت الحالة المضطربة في المغرب الأوسط، في تلك الحقبة، إلى أن تعرَّض عُشير لهجمات متتادة، بينها هجمة للمرابطين حدثت في العام ٤٩٤هـ/ ١١٠١م.

➤ راجع المستدرك ١١.

عصية، تعبير يعني رابطة النسب بين الأفراد والقبائل. والعصية أنواع: عصية الأرحام، والعصية القبلية، وعصية الجماعة. وقد أدَّت دوراً مهمًّا في المجتمع الإسلامي خلال القرون الوسطى.

العقائد [الإيمانية]، جمع عقيدة، هي الشهادات المدونة التي تفصل أئمّه بنود الإيمان الإسلامي، موضحة الجهر الموحى بالإيمان أو الشهادة المطلوبة من كل مسلم، والتي تعكس، من خلال تنوع أشكالها، نتائج المجادلات والاختلافات حول العقيدة التي توالى في ديار الإسلام عبر القرون.

وقد ظهرت المؤلفات القديمة من هذا القبيل على شكل رسائل، موجزة جداً أحياناً، غالباً ما دونها رجال دين لهم في محيطهم سلطة متسعة، شكل الدفاع فيها عن العقيدة القاعدة الأولى، وقامت ميزتها الأساسية على عدم تقديم أي برهان أو دليل على مقولاتهم. إلا أن شواهد من القرآن أو السنة كانت ترد فيها من دون أية محاولة لاستدلال العقل، إذ حُصر الاستدلال هذا في كتب الفقه والكلام.

إن أشهر رسائل تقرر عقيدة الإيمان هي التي خلفها حنابلة تقليديون دفاعاً عن الإيمان، لكن هناك رسائل تعود إلى مؤلفين ذوي نزعات أخرى نجعل أسمائهم. ويمكن أن نذكر في هذا الضد واحدة من أكمل هذه الرسائل عنوانها «العقيدة» للحنبلي ابن تظّة، ما تزال شاهدة على هذا النوع من المؤلفات، في زمن كان خلاه أهل البحث في العقيدة يفضلون اللجوء إلى الاحتجاج بالبراهين العقلية في كتاباتهم.

كما ينبغي اعتبار البيانات الرسمية التي صدرت عن بعض خلفاء السلالة العباسية من قبيل رسائل تقرر عقيدة الإيمان، إذ إنهم كانوا يقدمون أنفسهم على أنهم حماة مذهب التشيع، فكانوا يتدخلون بصفتهم هذه في الخلافات الدينية السائدة في تلك الأيّام. من باب ذلك، رسالة الخليفة الرافضي الذي دان، عام ٣٢٣هـ/٩٣٥م، بقساوة عقيدة الحنابلة وأعمالهم، ومما جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، من ناظر بإظهار الدين وتوثيقه على المسلمين وأكل به أموال الملعدين كان قريباً من سخط رب العالمين وغضب الله وهو من الضالين. وقد تأمل أمير المؤمنين أمر جماعتكم وكشفت له الخيرة عن مذهب صاحبكم (ياهي) في الأصل مساحة كلمات عدة، رُبّ لعنة المحفور ويُدني لهم جبل القرون. فمن ذلك: تشغلكم بالكلام في ربّ العزة، تباركت أسماؤه، وفي نيته والعرش والكرسي، وضغمتكم على خيانتكم، ونسبكم شعبة أهل بيت رسول الله - ﷺ - إلى الكفر والفساد، ونزادهم بالتمكّار في

إقامته، محاولاً بسط سيطرته على العراق بانتصاره على ابن عمه بختيار عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م؛ كما هزم حلفاء هذا الأخير وتابع تقوية سلطته، حتى موته في بغداد بعد ذلك بضع سنين.

حرص عضد الدولة، الذي رُوج ابنته للخليفة الطائع، على تثبيت أئمّه ومجده، ففتحوا بنسبه الإيراني. حصل على امتيازات كثيرة لم تنافر لسابقه من الأمراء البويهيين، منها لقب إضافي هو ناج السلة، وخصوصاً ذكر اسمه بعد اسم الخليفة في خطبة صلاة الجمعة في بغداد. إلا أن ما ميّزه، أيضاً، هو همّه في أن يؤمّن للشعب الهدوء، فحسن أداء الإدارة في المقاطعات الإيرانية حيث رفع أبنية ذات منفعة عامة مثل بيمارستانّي شيراز وبغداد.

ولمّا كان متشيّكاً كسائر أفراد أسرته، ومؤيداً للإمامية الإثني عشرية، فإنّه أمر ببناء ضريح جديد على قبر عليّ في النجف. ومع ذلك فقد عمد إلى نهضة النفوس في بغداد حيث حال دون إقامة الاحتفالات بالأعياد الشيعية. كما حاول أن يُعيد إلى العاصمة العظيمة التي كانت فقدتها في أعقاب الإضرابات التي سبقت حكمه والتي وقعت، بوجه أساسي، بسبب عنف الاختلافات الدينية بين فئات الشعب. وقد انقضت توجهاته السياسية مع نشاطه كراعٍ للعلماء والأدباء والشعراء، فأقام في شيراز مكتبة ذاع صيتها لزمان مديد.

القطار، فريد الدين محمد بن إبراهيم، ٥١٣-٦١٧هـ/١١١٩-١٢٢٠م، صوفي من أصل إيراني عاش في خراسان، وكان أيضاً شاعراً مشهوراً.

كان القطار متزقداً يقول بوحدة الوجود ويسمى إلى الفناء التام في الله، معتبراً أن لا وجود شيء خارج الله. وقد تُسبت إليه أعمال ثرية وشعرية كثيرة، علماً بأنّ قسماً كبيراً منها مزيف. وغالباً ما يستند فيها إلى الحلاج عند الحديث، بشكل مجازي، عن طريقته الروحية. كما أظهر اهتمامه بعدد وافر من المصوّفين الذين جمع ترجمة حياتهم في كتابه «تذكرة الأولياء». أمّا عن حياته فلا نعرف سوى أنه أقدم خلال الغزوات الأولى للمغول عند احتلال نيسابور، وهي المدينة التي عاش فيها.

حوالي عشرة رجال قبل سنة. وكانوا من يثرب أيضاً^(٨٣). وقد قال لهم النبي (ﷺ) ما معناه: أدعوكم إلى مساعدتي على حماية نفسي ضد الذين تحمبون نساءكم وبناتكم منهم. وهذا القسمان إذاهما الرجال خلال اجتماعات سرية عقدها النبي (ﷺ) في مكان بين منى ومكة في موسم الحج بين سنتي ٦٢١ و٦٢٢م. وفي أثناء ذلك تم الاتفاق على الإعداد للهجرة التي ستؤدي إلى ولادة أول دولة إسلامية، وإلى انتصار النبي (ﷺ) النهائي على أعدائه المبكين.

عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري القرشي، ٩ - ٦٨٣ هـ/ ٩ - ٦٨٣ م. قائد عسكري عربي قام بدور بارز في احتلال المغرب العربي في مرحلة الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى.

وولد هذا الأمير في السنوات الأخيرة من حياة النبي محمداً (ﷺ)، كان ينتمي إلى قبيلة قريش، وهو ابن شقيق عمرو بن نفاص، وحاز في العام ٤٢٣ هـ/ ٦٦٣ م، في بدء العهد الأموي، على حكم إفريقية حيث قام بعدد من الأعمال العسكرية: في سنة ٥٥٠ هـ/ ٦٧٠ م، أرسى أساساً مئبلاً لجيوش الفتوحات بتأسيسه المدينة - المعسكر المسماة القيروان. أسعده بعدئذ إلى المشرق في العام ٥٥٥ هـ/ ٦٧٥ م، واستعاد قيادته في العام ٦٦٢ هـ/ ٦٨٢ م.

قام، بملزمة بربر انضمو إليه، بحملة في اتجاه طنجة ثم الأطلس الأوسط ومقاطعة اليوس والأطلس الأعلى، ما سمح له بالانصال بالقبائل الرنسية كتمارة ولعنوة ومصودة. إلا أن شعوب الأراض التي اجتازها لم تخضع لسلطان البتة، فاضطر عقبة إلى أن يعود أذرجه، حيث اصطدم بمقاومات غير منتظرة. وقع في النهاية ضحية عصابة من البربر هاجمته على تخوم الصحراء، وما يزال ضريحه، وسط المركز الشكبي المعروف باسم سيدي عقبة، في جنوب شرقي بركرة، موقع إجلال على غرار مزارات الأولياء، حماة المغرب العربي. كما أن المسجد الجامع في القيروان الذي بقل أن عقبة اختار موقعه، يحمل اسمه أيضاً.

العقل، لفظ قد يعني الإدراك والتفكير والتأمل والتبشُّر والذكاء والفكر، مع تطور مفهوم الكلمة عبر العصور.

الطرق والتمحل. ثم استعازكم الصالحين إلى الذين باليدع الطاعة والمأذوب الناجرة التي لا يشهد عا الغراك، ولا يقنضها فرائض ارحم وتكرام وباراة بفر الأئمة - صلوات الله عليهم - وتنبهكم على رؤوها بالإنداع. وإنكم مع تكرامك ذلك تنلقون وتجنمون قصد وحل من العوام - ليس ندي شرف ولا نسب وسبب برسول الله ﷺ - وأغفرون بباراة قبره والخوش لئذ تربه، والفتنة عند حفرته. قلن الله رؤا حنككم على هذه المنكرات ما أردا، وسقطنا زنته لكم ما أغفوا. وألبر المؤمنين يقدم الله فسفا جهه الله بزمه الوقت به لئن لم تصرفوا من مذنبه منكم وسعج طريقكم ليرسلكم ضربا ونشيدا وفلا ونفعا، ويستعملن السيف في رقابكم وأثار في محالكم ومنازلكم. فليبلغ الشاهد منكم العايب، فقد أغفر من نذر. وتوفين أمير المؤمنين إلا باق، عا به منكر وإليه شيب.

« (مكويه، تجارب الأمم، ضمة مطبعة التمدن الصناعية بمصر، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، ج ١، حوادث سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٣٢ م، ص ٣٢٢-٣٢٣.

من جهة أخرى، نذكر الرسالة القادرية أو رسالة القادر التي قرئت في الناس علنا عام ٤٤٠ هـ/ ١٠١٧ م، والتي أذات العقائد الجامعة وأواسب المعتزلة. وقد ورد عنها عند ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٠٨ هـ ما يأتي:

وفي هذه السنة استتاب القادر المعتزلة. أخيرا سعادته من على الميزان. أخرنا أبو بكر الطرطوشي، أجبرنا به الله بن الحسن الطبري قال: «وفي سنة ثمان وأربعمائة، استتاب القادر بالله أمير المؤمنين فقهه المعتزلة الحنفية فظهروا الرجوع ونزلوا من الاعتزال ثم نهامهم عن الكلام والتفويض والمناظرة في الاعتزال والرفض والمخالفات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك. وانهم من خالفوه حل بهم من الكمال والغفوة ما يخط به امتا لهم. واستل يمين الدولة وأمين الدولة أبو القاسم محمود أمير المؤمنين، واستن بسننه في أصاله التي استخفنه عنها من خراسان وغيرها في قيل الله تلة والرافقة والإسماعيلية والفرقة والنجية والشيعة، وحسبهم وجسهم وضاه، وأمر بقتلهم على منابر المسلمين وإبعاد كل طاعة من أهل الديار وطردهم عن ديارهم وصار ذلك سنة في الإسلام.» ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة الدار، حيدر آباد، سنة ١٢٥٨ هـ، ج ٧، ص ٢٨٧.

اللقاب ← لاس نافاس دي تولوزا

العقبة^(٨٣) (بيعة -)، قسم لآء أمام النبي محمداً (ﷺ)، سنة ٦٢٢م. مجموعة ضمت سبعين رجلاً من سكان يثرب (المدينة المنورة في ما بعد)، اعترفوا برسالته وقيادته وأقسموا على حمايته.

وقسم البيعة هذا الذي عُرف باسم بيعة الحرب، سيقه قسم آخر عرف باسم بيعة النساء، كان قد آذاه

مقبولة من حيث المبدأ.

والعقود الأكثر شيوعاً هي عقود البيع التي تشمل في الواقع، بحسب الفقهاء، كل العقود التي نشترط المعاملة بالمثل، وعقود الزواج. ويعزل عن أعمال الموقف التي لا يصطبها الفقه في فئة العقود، تجدر الإشارة إلى عقود واتفاقات يقرها الشرع: الرهن الذي يعني تسليم شيء ما ضماناً لإيفاء الدين؛ البحوالة أي التنازل لمدين عن دين يكون لشخص ما على شخص آخر (وهو أسلوب اتبعه التجار منذ القرون الوسطى، إذ كانوا يستعملون بشكل دائم كتاب الاعتماد، وكذلك اتبعته الأجهزة المالية في مختلف الدول الإسلامية)؛ الضمان الذي بموجبه يضمن شخص معين تنفيذ التزام مترجّب على شخص ثالث؛ الشركة التي بموجبها يوكل فريقان أوالهما بالمشاركة للقيام بعملية تجارية ويتحتملان معاً الأرباح والخسائر؛ شركة المضاربة وتقوم على إعطاء تاجر ما رأساً محدداً لممارسة تجارة ما في مقابل حصول صاحب الرأسمال على جزء من الأرباح (وهي ممارسة كانت رائجة جداً في العالم الإسلامي القروصلي حيث شجعت نمو المبادلات، لكن شرعيتها استندت إلى السنة وحدهم)؛ الوكالة التي رجبها يقوم شخص مفوض بإتجاز عمل معين نيابة عن المفوض (ولا تشمل الوكالة معظم الفرائض الشعائرية، ما عدا الحج الطقسي في بعض الحالات)؛ الأمانة وهي وضع شيء ما أو شئك ما في عهدة شخص معين يلتزم بإعادته عند الطلب.

هذه العقود التي يشهد على صحتها شهود، كانت موضوع وثائق مكتوبة عديدة مثلت منذ البدء دوراً كبيراً في العلاقات بين المسلمين. واحترام العقود مرتبط بتقوى المتعاقدين، وهو جزء من الالتزامات التي تنص عليها بعض الآيات القرآنية:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ ذِكْرًا وَلَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرَوْنَ كَرَامَتَ رَبِّهِمْ وَلَهُمْ جَزَاءٌ شَدِيدٌ﴾ [المؤمنون، ٨-١١].

العقيدة الإسلامية، هي مجمل المفاهيم التي تشكل أساس الإيمان وتحظى بموافقة واسعة، حتى لو أنه لم يتم تحديدها إلا بعد مناقشات وقرارات متوالية تثبتت

ومعنى الكلمة العادي، التفكير، يتردد بكثرة في القرآن الكريم، فقع على فعل «عقل» كما في القول: «ألا تعقلون؟»، وبه ينتهي عدد كبير من الآيات، كالآية ٤٤ من سورة البقرة. أمّا عند العلماء المسلمين فإن الاسم «عقل» بمعنى «وسيلة للمعرفة» يناقض «النقل» الذي يعني معرفة الحقيقة عن طريق تلقيها منقولاً.

فعند ممثلي الفلسفة، استعين بالعقل في مختلف مفاهيمه، بعد التأثر بالفكر القديم. وهكذا قد أُشير إلى «العقل الفعّال» الذي يسمح بالانتقال إلى مرحلة «العقل المكتسب» القادر على فهم الأنواع. لكن المفاهيم حول العقول تختلف من مفكر إلى آخر: فابن رشد يعطي لتفرد العقول البشرية نفسياً يختلف عن ذلك الذي تبتناه نقلة الفلسفة الإغريقية الأولى، كالفارابي وابن سينا.

المقويات الشرعية ← الحدود.

العقود مفردتها العقد، أنواع من التعهدات المكتوبة في أكثر الأحيان، أفق الفقه الإسلامي دائماً وجودها وأخضعها لقواعد دقيقة. وتوفر النماذج القدية العديدة لهذه العقود مادة بحث جزئية لعلم المستندات القديمة والمحفوظات الإسلامية.

ولا قيمة لأي عقد في المجتمع الإسلامي ما لم يغم على الأقل بين فريقي متعاقدين، ويستند إلى قبولهما الحر ويكون موضوعه شرعياً. وبما أنه يفترض أن تكون للمتعاقدين حرية التصرف بأملهما، فإن هذه الضرورة تؤدي إلى استبعاد القاصرين من التعاقد وتشليهم بوصي حتى سن الرشد. كذلك يستثنى من التعاقد الممتوهون والمُسْتَفْهِون الذين يتسلّون هم أيضاً بوصي في حال قرّر القاضي ذلك، والمُفْلِسُونَ والمُعِيَد والمرضى، وفي بعض الحالات غير المسلمين. وفي حال وجود غش أو خطأ في مادة العقد أو في حال استعمال العنف، يصير رضا المتعاقدين لاغياً.

ويمكن أن يُرهن العقد ذاته بشرط معقل أو بأجل محدد. وعلى المتعاقدين تنفيذ التزاماتهم التي لا تزول إلا في حال فسخ العقد حياً أو الظروف خارجة. أمّا موضوع العقد فيجب أن يكون محدداً وأكيداً؛ أمّا العقود غير الأكيدة كالدخل مدى العمر أو التأمين، فهي غير

على تطوّر دُعايهم الإسلامي، وغذّت عدداً كثيراً من النزاعات الدموية، ولا سيما الثورات المسلّحة التي استقت من تلك التفسيرات دوافع قيامها. والعصر الحديث نفسه يبقى منطبقاً، في البلدان الإسلامية، بالانقسامات الداخلية، وبالصرع بين الدول بسبب خلافات ذات طبيعة عقائدية.

العُقَلِيَّون، أو بنو عُقَيْل، ٣٨٠-٥٦٤هـ/٩٩٠-١٠٦٩م، هم أسرة أمراء عرب شيعة المذهب، عرفت أن تسيطر بفروعها المختلفة، خلال بضع عقود، على بلاد ما بين النهرين العليا والعراق وسوريا الشمالية، وقد جهد أبناؤها في الاحتفاظ بها في وجه قوّة السلاجقة الكبار المتنامية.

نحو العام ٣٨٢هـ/٩٩٢م، حصل المدعو محمّد، وهو جدّ السلاطة، من آخر الخُملانيّين على مدن جزيرة إين عمر ونصيبين والباطل، قيل أن ينجح في الاستمرار في الموصل في ظلّ سيادة أنبويّيين المطلق. ولم تخلُ النزاعات الأخويّة بين المتحدّرين من سلالته دون استمرار سيطرتهم على هذه المنطقة حيث ناهضوا، شأن حلفائهم آل مُزَيْد في الجبل، زحف الأتراك السلاجقة الذين حاربوهم أيضاً في سوريا لمصلحة الفاطميّين. ولكنّهم دعموهم في بعض الأحيان للحصول منهم على امتيازات سياسية. كما أنّ سلاطينهم، التي احتلّت مواقع إستراتيجية بين الأناضول وتركيت، بلغت أوجها في ظلّ حكم شرف الدولة مُسلم الذي وسّع سلطته، في العام ٤٩٠هـ/١٠٧٩م، حتى حنب وأراضها وقد انتزعها من بني مرداس. لكنّ هذه السلاطة أبعدت في النهاية عن حلب على يدي الأمير السلجوقي تُتُش، في العام ٤٨٩هـ/١٠٩٦م. إلّا أنّ بعض أبناؤها استمروا بعدن حكاماً وأسياداً لمناطق كاترقّة أو قنّة جفير.

١- عُقَيْليو جزيرة ابن عمر

جتاح الدولة علي	٣٧٦-٣٩٠هـ/٩٩٦-١٠٠٠م
سلا الدولة الحسن	٣٩٠-٣٩٣هـ/١٠٠٠-١٠٠٣م
نور الدولة مُصعب	٣٩٣هـ/١٠٠٣م

٢- عُقَيْليو الموصل

حسام الدولة المظفّر	٣٩١-٣٩٦هـ/١٠٠١-١٠٠٦م
---------------------	----------------------

على أثرها تعدّية الفكر الإسلامي في مدارس الكلاسيّة، وكثرة التباينات، وحتى البدع والميل التي لم تكف عن الظهور.

هذه العقيدة، على الرغم ممّا اعترأها من مناقشات، تبقى واضحة وبسيطة. فالإسلام في جوهره دين نوحيلي، وهو يستند إلى إرث إبراهيم، ويقوم أساساً على الإيمان بالله واحد هو الله. وتُختصر العقيدة بأقرار إيمانٍ هو الشهادة التي تثبت، في سطرها الأوّل، وحدانيّة الله، وفي الثاني رسالة النبي محمد (ﷺ)، الذي هو نبيّ نزلت عليه الرسالة وحياً وتضمّن القرآن الكريم. واستُكملّت الرسالة بتعاليم أخذت من مسيرة النبي (ﷺ) أو السُنّة التي يعكسها الحديث، وهي تقدّم للمسلمين قواعد حياتهم، كما تؤمّن الركيزة لتذكيرهم الديني.

إنّ طبيعة الله التي تبيّنها الصفات المعروفة بأسماء الله تبرز واضحة في القرآن الكريم، وهي تؤكد سموّ العلّيّ التقدير بالنسبة إلى العالم الذي خلقه. والله تعالى المحاط بالملأئكة، وكذلك بالجنّ، أرسل إلى أناس أنبياء كان النبي محمد (ﷺ) خاتمهم، وقد كلّنوا بالدعوة إلى الإقياد لمُشيئة الله، أي إلى الإسلام، وبوضع فرائض بشكلٍ مجموعها ما يُعرف باسم الشريعة. والناس بعد الموت يحضرون للحساب، فيكون مصيرهم النعيم أو الجحيم. وهم في الواقع مسؤولون عن أعمالهم، على الرغم من أنّ مسألة حريّة الاختيار تشكّل موضوع جدل، وعلى الرغم من أن العقليّة الإسلامية تنطبع بفكرة القضاء والتقدّر.

انطلاقاً من هذه العناصر، وضع علماء الدين صيغاً لإعلان العقيدة الدينية، بشكل مفصّل أحياناً. كما أعدوا في مصنفاتهم، خصوصاً بعد ازدهار علم الكلام، خلاصات عقديّة ودُعائية واضحة ومحدّدة تهدف إلى حلّ المسائل العالقة، ولا سيما مسألة الإمامة وانتقال السلطة، وقيمة الأعمال الإنسانيّة، وصفات الله، وطبيعة الإيمان ودرجانه.

هذه التفسيرات العقائدية التدريجيّة، التي غالباً ما أدّت في مدارس متعدّدة سنيّة وشيعيّة إلى آراء متباينة، لا مست من قريب قضياً سياسيّة هيمنت خلال العصور

أنَّ اسمها عاد إلى الظهور خلال حصار بونابرت المناقل لها عام ١٧٩٩م والحملات الشرقية التي جُردَها إبراهيم باشا في العام ١٨٣٢ ضد السيطرة العثمانية.

« راجع المستند رقم ١٨

علائيا ← علائيا.

عَلَّال الفاسي، هو محمد عَلَّال الفاسي، ١٩٠٦-١٩٧٤م، مناضل وطني مغربي ومفكر إسلامي ذو ثقافة تقليدية، أدَّى دورًا سياسيًا نشطًا قبل الاستقلال وبعده. ينتسب إلى أسرة كبيرة في فاس، وهو مرتبط بالمجتمع الفكري لهذه المدينة حيث أتمَّ دروسه في جامعة القرويين المشهورة وأصبح استاذًا فيها.

برز عَلَّال الفاسي، أَوَّل الأمر، رجلاً صاحب مواقف سياسية رافضة، فشارك في النشاط المؤيد لعبد الكريم ونقل فكرة الوحدة العربية التي دعا إليها شكيب أرسلان، وكان قد التقاه سنة ١٩٢٣ في باريس. ثمَّ أصبح عضوًا بارزًا في الحزب الوطني، ثمَّ في حزب الاستقلال، وفي غير مرَّة من المغرب. فتنقلَّ في بلدان مختلفة، إلى أن أقام في القاهرة سنة ١٩٤٧ قريبًا من مقر الجامعة العربية. وكان له بعد ذلك نشاط فكري بارز، إذ انصرف إلى التأليف وإلقاء المحاضرات. ومن المؤلفات التي وضعها «الحركات الإستقلالية في المغرب» الذي صدر سنة ١٩٤٨، و«من الغرب إلى الشرق»، و«النقد الذاتي»، وأخيرًا «انقضاء القاهرة» الذي نُشر سنة ١٩٥٧.

حرص الفاسي على استمرار روابط الصداقة مع الملك محمد الخامس من الأسرة العلوية، خصوصًا عندما استعاد هذا الأخير عرشه سنة ١٩٥٦، فتولَّى الفاسي مسؤوليات وزارية متزعة. لكنَّ هذه الصداقة لم تحل دون انتقاله إلى صف المعارضة، فحاول بعدها من دون جدوى، بالتعاون مع الاتحاد الوطني للقوى الشعبية، إحياء جبهة وطنية جديدة. وقد عجز عن ضبط ما كانت تشهد الجبهة من تطورات، إلى أن استنفحل الخلاف بين أعضائها وكان الشقاق في سنة ١٩٧٢ الذي وضع حدًا لنفوذ الفاسي السياسي.

علائيا أو علائيا (الجمهورية التركية)، المعروفة قديمًا باسم أَلَايا أو علائية بالعربية - كَنْدُلُورُ أو

معتمد الدولة قروايش
زعيم الدولة بركة
علم الدين قريش
شرف الدولة مسلم
إبراهيم
علي

٣- عقيليو نكريت

خيس
ابو عثمان
عيسى
نصر

عَكَّا أو **سان جان دأكر** بحسب تسمية راجت منذ القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، مدينة - ميناء فُزُوسَطِيَّة مهذَّبة، أدرك أهميتها الإستراتيجية والتجارية، على ساحل فلسطين، المسلمون ومن بعدهم فرنج المملكة اللاتينية.

لم يبق من العناصر [الأثرية] التي تعود إلى المدينة الإسلامية القديمة سوى القليل. فقد طُمست فيها بقايا أبنية العهد الصليبي منجزات الأمويين والعباسيين في أوائل العصر الوسيط، ولا سيما أعمالهم لتقوية الحصن الذي ذكره المؤرخون العرب. وهذه الآثار المتبقية من العهد المسيحي تعود إلى الحقبة التي تلت سيطرة العهد الإسلامي الثاني الموقفة، على يدي صلاح الدين بين ١١٨٧ و ١١٩١م، أي من العهد الذي شكَّلت فيه هذه القلعة البحرية، في القرن الثالث عشر، قاعدة قوية لحماية ممتلكات الصليبيين الأخيرة، وكانت، في الوقت نفسه، عاصمة مملكة القدس الثانية. ولم تبدل حالتها إلا بعدما استطاع السلطان الملك الأشرف خليل، من فرع أسرة المماليك البحرية السورية - المصرية، أن يسيطر سلطانه عليها كاملاً، رغم مقاومتها البطولية. فأدَّى استرجاعه لها إلى تخریبها الكامل. إذ التهديم المتوالي الذي أصابها في ما بعد خلال سيطرة سواء من المماليك، ثمَّ خلال حكم العثمانيين، بما في ذلك ما حلَّ بها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، رغم منساع محليَّة لجعلها أمة بالسكان ولاستخدامها قاعدة عسكرية، كلَّ ذلك أدَّى إلى أنول نجمها نهائيًا، بينما كان يرتفع طالع مرفأ حيفا، المدينة الكبيرة الحديثة. إلا

تجارية وسياسية.

« رابع: المستندين ٢١ و ٢٧.

علم، مصطلح عربي يدل أصلاً على المعرفة الدينية؛ لكن مفهومه تطور بالاستعمال تبعاً لتطور الحضارة الإسلامية. كانت هذه النقطة في البداية مختصة بالمعرفة المستندة إما إلى الوحي أي القرآن الكريم، وإما إلى الحديث؛ وكلمة «علم»، إذا ما استعملت مجردة من أي نعت، تعني، بنوع خاص، «علم الحديث»، ومنها تسمية عالم (جميعها علماء) التي أطلقت في انحصار الوسطى على جهابذة الإسلام، وأعطت، انطلاقاً من صيغة الجمع لفظ (Ouléma) بالفرنسية، إن اللفظة، بهذا المدلول، تتميز عن لفظ «معرفة»، أي «المعرفة السحلية بالحدس»، وتتميز كذلك عن لفظ «فقه» أو «العلم الذي يقصر اعتماد التفكير على البحث عن الحلول القانونية».

إن طابع المعرفة المكتسبة، القائم على الدراسة والحفظ أكثر منه على ممارسة التفكير الشخصي المرتبط بلفظة علم، وجد في ما بعد، خارج النطاق الديني، مجالاً لتطبيقه، سواء في ذلك علم الكلام الذي اعتمد نماذج مستوحاة من المنطق اليوناني، أو العلوم الزمنية الموروثة عن الحضارة القديمة التي ازدهرت في البيئة الإسلامية في القرون الوسطى، كالرياضيات وعلم الفلك والطب. واعتمد المصطلح نفسه، في فترة لاحقة، للدلالة على العلوم التي أدخلها التعليم الغربي إلى البلاد الإسلامية، في العصر الحديث.

علم الأثرية الإسلامية، علم أبصر النور في القرن العشرين بدفع من الغرب، وتميز باكتشافات تدريجية لمعالم أثرية ساعدت على إحياء جوانب كاملة من ماضي الإسلام ومن قوته.

وترافقت التفتتات المتبعة التي تعتمد علم الأثرية التقليدي، مستعينة بالعلوم الأخرى المساعدة للتاريخ، في عمليات تنقيب تاجحة داخل مناطق يصعب بلوغها. والنتائج التي تم تحقيقها جذدت المعلومات التي كانت متوافرة - حتى ذلك التاريخ، عن الهندسة الإسلامية في المناطق القريبة من حوض المتوسط، كالمغرب

شكندريوور في المصادر الغربية الوسيطة، مستعينة الاسم الإغريقي غالونوروس الذي كانت تحملها قلعتها البيزنطية - هي ناحية مرفئية محصنة في منطقة الأناضول الجنوبية، تعود أهميتها الاستراتيجية إلى موقعها الذي نشهد عليه أبنيتها الباقية.

ورغم سهولة الدفاع عنها بحكم موقعها إلى الجنوب من جبال طوروس، فقد ضمت إلى الإسلام، في مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، بعد احتلالها من قبل علاء الدين كيقباد، من سلاجقة الروم، الذي وسما باسمه - وهو الاسم المعروفة به حالياً، والمأخوذ من لقبه الملكي - وجعل منها مقره الشتوي. إن خرائب قلعتها ومواقع دفاعاتها البحرية والبرية المهمة التي نعلوها كتابات تاريخية بالعربية والتي تجاورها بقايا معمارية كثيرة من العهد نفسه، سواء منها الدنيوية والدفاعية والدينية، تبين، حتى يومنا هذا، الخصائص المميزة لمرقا علايا الوسيط: فإن استخدام ملوك فونية له، ابتداء من ٦١٧هـ/١٢٢٠م. أمّن لأمبراطورية سلاجقة الروم الانفتاح المباشر على البحر المتوسط، في الوقت الذي كانت هذه الأمبراطورية قد بلغت فيه ذروة قدرتها. لقد شكلت الحركة التجارية لعلايا مع الخارج والتي تشهد عليها الامتيازات الممنوحة أيامئذ لتجار البندقية، أحد أسباب ازدهار المدينة التي كانت تربطها بإيطاليا طريق ساحلية كثيرة الازدياد. لكن مميزاتها كمرسى محمي بحاجز جبلي تحول مع الزمن إلى قلعة لا تقهر، جعلت منها موضعاً مثالي شكل عربناً للقراصنة، معزولاً عن داخل البلاد بحاجز جبلي مرتفع. إن الدور الذي مثله، في العهد الهلبسنسي، كوراسيزيوم العتيقة التي قامت مقامها، الناحية البيزنطية الأرمنية التي استولى عليها علاء الدين كيقباد، يُبنى بالقدر الذي كان علايا في آخر العهد الوسيط، في مواجهة دولة فيرس اللاتينية ودولة المماليك السورية-المصرية. ثم استمرت هذه الأنشطة الحربية عندما وقعت هذه الناحية تحت سيطرة إمارات القرامانيين والحمليين؛ وثوبعت لفترة بعد إحقاق المدينة الصغيرة بالعثمانيين سنة ١٤٧١م. فأغرقها آنذاك السلام العثماني في سبات حتى بقيتها لتحديث كمدينة

علم الأخلاق الإسلامي، هو مجال كان لتعاليم القرآن والحديث فيه أثر أساسي، كما أثر فيه، عبر العصور، تنوع الإسلام الواسع ومجتمعاته المهيمنة، سعيًا لصياغة مثلها الأعلى، لاستيعاب عناصر كانت، أحيانًا، غريبة عن الشريعة الإسلامية.

حافظ الإسلام، في أول الأمر، العرب المعترين بنظام قيمهم والخُرُصاء على المحافظة عليه، ولو جزئيًا، بتوجيهات أخلاقية جديدة. لم يتناس القضيبة الأساسية التي كانت سائدة في بلاد العرب، قبل الإسلام، أي المروءة، التي جمعت بين الشجاعة والكرم مفرونتين بالصبر. فكان أهم رافد قدمه القرآن في هذا السياق تحديد نوع من التقوى لا يقوم على الإيمان بالله الواحد الأحد ويوم الذين فحسب، بل أيضًا على أداء أعمال طقسية إلزامية، مثل إقامة الصلاة وأداء الزكاة - وهي، في الوقت نفسه، عمل تضامني وفريضة دينية وعلى الكرم وحسن الضيافة وعلى احترام الوالدين والاعتصام بالصبر. وفيما شددت الآيات القرآنية على فضائل الصبر والكرم وروح التضامن، بدون أن تقبح الانتماء العائلي والقبلي، ولا أن تنسخ الفضائل التي كانت موضوع فخر قبل الإسلام، فإنها أثرت مفهوم المروءة بمضامين جديدة، مستبدلة مفهوم الكرامة الإنسانية بالشجاعة الممهودة.

على هذه القاعدة الخلفية المقبولة لدى الجميع، أقام مؤلفون كثيرون نظامًا استعانوا في بنائها بتقاليد ثقافية سابقة، أو مجدّوا أنماطًا من التصرفات الاجتماعية-الوطنية التي أثرت، أحيانًا، بعمق في الجماعة الإسلامية الجديدة. فمنذ القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، بادر كاتب، هو ابن المقفع، من خلال مؤلفات نقلها من اللغة الفهلوية أو عبر ما استوحاه من أدبها، إلى إبراز مفهوم للمروءة ممثّل لمفهومها السائد، يقوم على مواجهة المواقف العدائية والشروع المنتشرة في العالم، كما أنه امتدح اليقظة التي تساند هذه المواجهة والصداقة التي شدد على ترسيخها بين البشر. وهكذا، نشأت حكمة إنسانية إلى جانب نوصيات القرآن والسنة النبوية بشكل عام. وقد تجلّت هذه الحكمة في المصنفات التوجيهية التي اندرجت

والاندلس، أكثر مما كانت متوافرة عن المناطق الآسيوية - وهي قلب العالم الإسلامي في العصور الأولى - كالعراق وإيران وخراسان وبلاد ما وراء النهر. يُضاف إلى ذلك أن مسائل تاريخية كبيرة، كتلك التي تتعلق بتنظيم المدن القروية أو تلك التي تنصل بتطور المجتمع الإسلامي، من مديانته حتى أواخر القرون الوسطى، أمكن دراستها انطلاقًا من معطيات ثابتة وجديدة كليًا.

ثم إنّ انحنف الفئمة الصغيرة، كالقطع الزخرفية والمعدنية شبه الثمينة التي كانت تُحفظ سابقًا لجمالها وحسب، خضعت مجددًا لجهود ساعدت على تأريخها وتصنيفها، بتسهيل من مقاربات علم الطبقات ومن المعالم الثابتة التي تحوّلها والتي تدلّ على تاريخها. كما أدّت أبحاث كثيرة إلى إعادة تقويم لأساليب المدارس الفنية، ما سمح بدراسة التطور الحرفي الإسلامي بطريقة أعمق، كما ساعدت الأبحاث على معرفة مدى تأثير الصناعات الصغيرة القائمة في المدن في التطور الاقتصادي.

لا شك في أنّ المعطيات الأثرية تتباين بين منطقة وأخرى أو بين عصر وآخر. وهي تستحضر بعض وجوه النجاح لدى أسرة محلية حاكمة، أو تبيّن الازدهار الفني الخاص ببعض الأعراق، كالازدهار الذي عرفه الفن التركي أو الفن الإيراني - الهنديّ مثلاً، أكثر مما نبرز مختلف مراحل التطور الخاص بالمجتمع الإسلامي. لذلك، فلا يمكن الاعتماد عليها إلّا في عدد قليل من المواقع الأثرية المختلفة الانتشار التي اشتهرت بفضل الحفريات التي أجريت فيها، كحفريات عنجر في لبنان، وواسط وسمراء في العراق، وسوس في إيران، وصبرا - المنصورة في تونس، ولشكري بازار في أفغانستان، وقلعة بني حنّاد في الجزائر، وكوبادباد في تركيا، وبليرش في المغرب. وهذه النماذج تزوّدتنا بمعطيات صالحة للاستعمال، وهي نمود إلى أمكنة ونواحي مختلفة. والصعوبات التي لا تزال قائمة، والتي تحول دون ربط هذه المعلومات النادرة ببعضها الآخر، لا تُسبب قيمة الجهود الأولى التي بُذلت في هذا الميدان والتي ساعدت على وضع عدد من الدراسات التقييمية.

اختارت الاستسلام لإرادة الله والزهد في الدنيا، فدفعها ذلك إلى الجبرية. وهكذا لم يتوافر النجاح الصريح إلا لعلم أخلاق اقتصادي، في مجاله المحدد، اقتبس واضعوه سيادته من تعاليم القرآن الكريم، فدمج بطابعه، في وضوح كامل، حياة المسلمين العامة والخاصة، طوال القرون الوسطى.

علماء الدين، هم علماء الدين الذين يشار إليهم أيضًا في الفرنسية بـ «فقه الشريعة» (docteurs de la Loi)، ويحملون في الوسط الشيعي لقب «الملا»^(١).

ما كان استعمال هذا التعبير، الذي يشمل العلماء المتبحرين في العلوم الأساسية للإسلام، أن يشيع تدريجيًا إلا بالمقدار الذي كان العلماء المعترف بكفايتهم ينجحون في اقتطاع موقع مميز في المجتمع، وحتى في الحكم في مختلف بلاد الإسلام. عند السنة، لم يشكل العلماء هيئة ترابية إلا في الامبراطورية العثمانية، موازياً لهيئة الملائي في إيران الشيعية خلال القرن التاسع عشر.

في فترات غابرة، كان هناك مفسرون للقرآن وفقهاء وعلماء كلام ومفكرون يسمون إلى مختلف المدارس الكلامية، إضافة إلى مطبقي أحكام الفقه، كالقضاة مثلاً. لكن هؤلاء العلماء في الفقه والعقيدة لم يندرجوا في إطار تنظيمي إلا في ما يتعلق بالقضاء الذين كانوا موظفين لدى السلطة من جهة، والأشخاص المسؤولين عن إنشاء المدارس الفقهية السنّة وتطويرها من جهة ثانية. هؤلاء الآخرون الذين كانوا يصدرون إستشارات فقهية من دون أن يشغلوا، مع ذلك، وظائف رسمية، اضطلموا بدور أساسي، لأن القضاء كانوا يستعينون بغناوهم لحل المسائل الحساسة التي كانوا يواجهونها. وهكذا كانوا مفسري الشريعة التي تنظم جميع شؤون الحياة الاجتماعية في الإسلام. مع ذلك، لم يكن لفتاويهم - التي كان من الممكن أن تتعارض في ما بينها - أية صفة إلزامية، ما كان يترك للقضاء والملوك حرية الاختيار بين الآراء المتعارضة.

حصل التبديل الأول في هذا الوضع في نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، عندما أدرك العلماء - ولا سيما الفقهاء منهم - مكانتهم وعملوا على

تحت عنوان الأدب وقام بتأليفها كتب الدواوين الذين كانوا، في أكثرية، ذوي أصول فارسية، والتحقوا بخدمة الخلافة، منذ القرون الأولى.

بُنِى ذلك، قام مفكرون أخلاقيون متأثرون بالفلسفة القديمة من أمثال مسكويه، مستندين إلى الآراء الأرسطوية الدائمة، بتحديد نظام لنفضائل والبرذائل. فذكروا النفضائل الرئيسية مثل الاعتدال والشجاعة والكرم التي من شأنها أن تقضي إلى إقامة العدالة، وهي فضائل تنافس البرذائل المتطرفة. وقد كان لهذا المفهوم الأخلاقي أثره في الكتاب المؤلفين الذين أنسوا إلى المباحث الفلسفية، كما احتفظ بطابعه «العتلائي»^(٢)، إذ من شأن العقل أن يحارب الأهواء، ما دامت الميول الرديئة والعوائق الفبيحة توسوس للناس، وذلك في توجه قرآني، فلطالما دعا القرآن إلى التفكير: «أفلا تتفكرون»؟

في موازاة ذلك، كان المنصفون يوصون بتصرف فائز على الثقة بالله ستموها «التوكل»، وعلى الصبر والاعتدال وروح الفقر والتحرر من العلائق الدنيوية، وهي كلها فضائل، ووصولاً إلى زهد معتدل، كانوا يرون أنها ضرورية لبلوغ الوجد الانضائي، كما أنها، في الوقت نفسه، استند في صياغتها إلى بعض التوجيهات الواردة في القرآن. وقد تأثرت الأوساط الشعبية بهذه التعاليم الصوفية، عبر دعوة أهل الطرائق الصوفية وأعمالهم، فقدت هذه التصرفات نماذج يحتذونها على أنها مثل أعلى في الحياة، فأذى ذلك بهم، في أحيان كثيرة، إلى عدم الرغبة في الزّبح وفي العمل.

في ضوء هذه المعطيات، يصعب التكلام على فلسفة خلقية إسلامية تقليدية. مع ذلك، عمد بعض الفقهاء، كالماوردي، إلى وضع مؤلفات رصينة في الموضوع، فوقع الاختيار على المصطلح التقني المشهور بـ «الإحسان» للدلالة على حسن التصرف، سبيلاً إلى إكمال إيمان المسلم وممارسة الشعائر، في حين انصرف فقهاء آخرون إلى تعداد «الدنوب الكبيرة». أمّا في أوساط المثقفين فقد ساد، من جهة أخرى، نيتي نظم الحياة التي أفرزتها الفلسفة من دون تعارضها مع التعاليم القرآنية، فيما كانت الأوساط الشعبية قد

علوي (ألوي Alevis)، اسمٌ أُعطي في الجمهورية التركية - وهو يعود إلى الكلمة العربية علوي، وجمعها العلوية - لفتين من الأقليات الدينية لهما صلة متقاربة بذكرى علي.

يتحدّر العدد الأكثر من هؤلاء العلويين من تركمان الأناضول الذين انصهروا، منذ قرون، إلى الشيعة، وهم يشكلون حاليًا، إلى حدٍّ ما، عامل عدم استقرار ومعاد للسلطة.

من جهة أخرى، نجد في مقاطعة هتاي، أو سنجق إسكندرون القديم، أتباعًا للطائفة النصيرية وهم علويون، لم يغادروا المنطقة إبان ضمّها إلى تركيا في العام ١٩٣٩. أنهم لا يشكلون، اليوم، سوى قسم صغير من سكّانها. هذه الطائفة التي تقلّص عددها تنبذ باستمرار كعنصر اضطراب سياسي يشجّعها على المطالبة بحقوقها، على غرار ما فعله العلويون الذين يعيشون في الجمهورية العربية السورية والذين وصلوا إلى السلطة منذ العام ١٩٧٠.

العلوية (السلالة)، سلالة الأشراف الحسينيين، ومهدم تاغلايث - ومن هنا تسميتهم بالقيلايين - التي تحكم المغرب منذ ١٦٦٥م، وقد عرفت الانتقال من نظام حكم قروسطي، استمرّ لمدة طويلة، إلى دولة حديثة مسلمة، قومية ومزدهرة إقتصاديًا.

إنّ الضعف الذي أصاب السلالة الأولى من الأشراف المراكشيين، أي سلالة السعديين - وهي أيضًا سلالة علوية تنتمي إلى الحسن بن علي - يشرّ لمؤسسي السلطة الجديدة، مولاي الشريف وولديه، مولاي محمد ومولاي الرشيد، توسيع إمارتهم الأولى في المغرب الشرقي حول نازة، وصمّ القسم الأكبر من المغرب الأقصى، باستيلائهم المتعاقب على فاس في العام ١٦٦٦، ومراكش في ١٦٦٩. وقد رمت جهودهم إلى محاربة القوضى المنتشرة الناتجة، بوجه خاص، عن النزاعات الدينية الداخلية التي آثارها في المنطقة ازدهار الطرائق الصوفية ورباطات العبادة التي بلغت من القوة قدرًا عرفت معه كيف تستغلّ لمصلحتها رقّات فعل الجهاد المروّج لها في البلاد منذ القرن الخامس عشر للميلاد، بسبب غزوات الإسبان والبرتغاليين على

أن يتمّ الاعتراف بها. في هذه الفترة، كان خلفاء السلالة العباسية قد فقدوا الجزء الأهمّ من سلطتهم لمصلحة سلاطين السلاجقة الأتراك. أفاد العلماء من الأمر ليشغلوا موقع المؤمنين على الشريعة. ووصل بهم الأمر إلى حدّ الإعلان عن أنهم يتولّون «ميراث النبوة» التي كان خلفاء النبي محمد (صلى الله عليه وآله) يدعونها لأنفسهم حتى ذلك الحين. وهكذا استطاعوا التمتع باحترام متزايد، ووصل بهم الأمر إلى أن يطرحوا أنفسهم مرشدين للملوك التابعين للسلاجقة - وكان هؤلاء قد برزوا إلى ساحة الحكم في جميع بلدان المشرق بقوة السلاح ونتيجة تفكّك النظام - فتوسّلوا رجال الدين دعم سياستهم وتأييدها. بلغ هذا التطوّر ذروته مع العثمانيين الذين نظموا مجمل السلطات الدينية في الإسلام تحت اسم «علمية»، ووضعوا نظامًا ترابيًا للمفتين، أي للفتاه الذين يُطلب منهم فتاوى يحصلون في مقابلها على أجر وعلى موقع أعلى من مركز القضاة. قام على رأس الهرم التنظيمي هذا المفتي الأكبر لاسطنبول الذي كان يُسمّى أيضًا شيخ الإسلام. وبصفته زعيمًا روحيًا ورأس المفتين، كان يقوم إلى جانب السلطان بدور المستشار القانوني الذي يؤخذ بأرائه بشكل عام. لذا، كان المفتون والقضاة يُختارون بالضرورة من بين أساتذة المدارس الدينية الذين اختصّوا في دراسة الفقه. وقد أُلغيت هيئة «العلمية» مع قيام الجمهورية التركية سنة ١٩٢٤.

أمّا العلماء الذين ظلّوا يقومون بدور فاعل في بلدان إسلامية أخرى، وبخاصة في المغرب، فامتدوا في القرن العشرين إلى حركات ذات توجّه إصلاحية. هذه كانت الحال في تونس، وبخاصة في الجزائر حيث دافعت جمعية العلماء، ما بين ١٩٢٥ و ١٩٤٠، عن نظريات مستوحاة من المفكّر المصري محمد عبده، في الوقت نفسه الذي عملت فيه على فتح تيار قومي غدا مهمّتها بعد الحرب العالمية الثانية. وهكذا استمرّ هؤلاء الأشخاص في شغل مراكز نامت أهمّيتها في المناطق ذات الطابع الشعبي، وهي كثيرة العدد في العالم الهندي - الإيراني، ومنها الجمهورية الإسلامية الإيرانية حيث جعلت الثورة الإسلامية من جماعة الملاي الدعامة الأساسية للنظام السياسي الجديد.

١٧٩٣-١٧٩٧	هشام
١٨٢٢-١٧٩٣	سليم
١٨٥٩-١٨٣٢	عبد الرحمن
١٨٧٣-١٨٥٩	محمد الرابع من عبد الرحمن
١٨٩٥-١٨٧٣	الحسن الاول بن محمد
١٩٠٧-١٨٩٥	عبد العزيز
١٩١٢-١٩٠٧	الحافظ
١٩١٧-١٩١٢	يوسف
١٩٥٣-١٩١٧	محمد الخامس بن يوسف
١٩٦٦-١٩٥٥	محمد بن عرفة
١٩٥٥-١٩٥٣	الحسن الثاني بن محمد
١٩٩٩-١٩٦٦	محمد السادس

الشاطي، الأنطسي للمتفة.

وقد وجب انتظار الجهود التي بُذلت خلال العهد الطويل وأشهير لمولاي إسماعيل، انذي اعتمد على أمن مدينته الملكية الجديدة مكناس، كي يبرُخ قدرة هذه السلالة التي عرفت، في ما بعد، لفترات متناوبة من الاضطرابات الداخلية ومن جفب التجدد. وكانت محاولات التجدد تجري كلما أقت الأعمال العسكرية والسياسية للسلطين، أمثال محمد بن عبدالله، إلى إعادة تنظيم مؤقتة للبلاد. مهما يكن من أمر، فإن المصاعب المالية تلسطة المركزية، أي للمخزن، التي كانت تواجه القوضى المتزايدة في المقاطعات التي لم تغلقها محاولات بسط الأمن، والتي كانت تُعت لذلك ببلاد السبية، أو بلاد الانتشاق، لم تقف عند حد حتى نهاية القرن التاسع عشر الذي شهد كذلك ازدياد التدخل الأوروبي. في ذلك الوقت انماز عهد مولاي الحسن بنوقع اتفاق مدريد في العام ١٨٨٠، قبل أن تساهم تدخلات خارجية أخرى، في عهد خلفائه، بالمزيد من التفكك الداخلي للمغرب.

في المقابل، كانت إقامة الحماية الفرنسية التي كُرسها معاهدة وقُعت في العام ١٩١٢ عاملاً مساعداً لاستمرار سلالة احتفظت بمكانة غير مقوصة، رغم مخاطر الأوضاع. وقد تيسرت، بفضل ذلك، حركة توحيد أراضي البلاد التي استغرقت زهاء عشرين عاماً من الحملات العسكرية. وقد غدا سيدي محمد أو محمد الخامس ابن يوسف، بعدئذ، ابتداء من العام ١٩٥٦، أول ملك يستعيد استقلال البلاد التاجز، وقد أفاد منه إبنه الحسن الثاني، أو الحسن بن محمد، منذ اعتلائه العرش عام ١٩٦١، ما يشر له القيام بتحديث منهجي للبلاد.

١٦٣٥-١٦٣١	محمد الأول الشريف
١٦٦٤-١٦٣٥	محمد الثاني بن محمد
١٦٦٤-١٦٦٢	الرشيد
١٦٧٢-١٦٧٧	إسماعيل السني
١٧٢٧-١٧٢٩	أحمد الفلبي
١٧٢٩-١٧٣٥	عبدالله
١٧٤٥	عبدالله
١٧٥٧-١٧٩٠	محمد الثالث بن عبدالله
١٧٩٠-١٧٩٢	بريد

العلويون / العلوية أي «أشباع علي»، وهي تسمية تشير، منذ عهد قريب، إلى المشايخ السورين لفرقة التصيرية الشيعية.

١- أطلقت هذه التسمية ذات السمة الإدارية، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، إبان الانتداب الفرنسي، على الأراضي التي أُنشئت عليها الجمهورية العربية السورية الحالية. وقد خلت بذلك من المفهوم المنقوص الذي كانت تنطوي عليه التسمية العربية السابقة، أي التصيرية، التي كان يستخدمها النُشون الذين يشكلون الأكثرية في المناطق الأخرى من سوريا، وظهرت، بصورة رسمية، في تعبير هو «دولة العلويين»، للإشارة إلى المنطقة التي يُطلق عليها حتى اليوم، في الغرب، اسم «بلاد العلويين». وتطلق أيضاً تسمية «علويين» على بعض المجموعات التي احتارت أقباء، في تركيا بعد إتحاق سنق إسكندرون القديم بهذه الدولة، وبشاطرهم إتباعاً شيعياً آخرون.

٢- بلاد العلويين، منطقة في الجمهورية العربية السورية الحالية، سميت بهذا الاسم في القرن العشرين، إقراراً بالمكانة التي يحتلها، بين سكانها، أشباع الفرقة التصيرية المميزة المسماة أيضاً بالعلويين.

تشكلت هذه المنطقة الجبلية المعروفة كذلك بجبل التصيرية، من الناحية الإدارية، ابتداء من العام ١٩٢٠، خلال الانتداب الفرنسي، وأطلق عليها اسم الإقليم المستقل، ثم دولة العلويين، ثم حكومة اللاذقية. إن

مختلفة في تاريخ الإسلام، وهما فرع الحسينيين وفرع الحسينيين، المتحذران على التوالي من الحسن والحسين، إبن علي من زوجته فاطمة ابنة النبي محمد (ﷺ). وفي البدايات الأولى للإسلام، لم تكن علاقة البنت المباشرة بالنبي (ﷺ) عبر فاطمة ذات أهمية كبرى، والدليل على ذلك أن إحدى الثورات التي اندلعت ضد الأمويين، قامت باسم محمد بن الحنفية^(٨٥)، إبن الإمام علي من امرأة غير فاطمة. إلا أن إجلال أسرة النبي محمد (ﷺ) التي غدا اسمها عاملاً توحيدياً استعان به دعاة الثورة الذين أوصلوا العباسيين إلى الحكم، أدى إلى حصر المطالبة بالشرعية العلوية في أبناء آل البيت، أي في أسرة النبي (ﷺ) المباشرة، بالمعنى الضيق لتلكلمة.

إنطلاقاً من هذا المفهوم انتمت سلالة الأئمة الاثني عشرية إلى الحسين بن علي، وهي التي تعترف بها الإمامية الاثنا عشرية. وتتفق الإسماعيلية مع الاثني عشرية على الأئمة السنة الأول^(٨٦)، ذلك أن ذرية هؤلاء تمثلت بعد ذلك بالأسرة الفاطمية. كما أن زياد بن علي وابنه يحيى ينتبيان إلى الحسين بن علي، وقد حاولا إثبات حقهما بالقوة في أواخر العصر الأموي، وفتحا بذلك الباب أمام ظهور الحركة الزيدية.

إن العلويين الذين حملوا السلاح في العصر العباسي دفاعاً عن شرعية دعوتهم كانوا في غالبيتهم ينتمون إلى الفرع الحسني، بدءاً بمحمد النفس الزكية، إبن عبدالله، وأخيه إبراهيم، وقد ثارا في زمن المنصور سنة ٧٦٢/١٨٤٥م. كما ثار الحسين بن علي بن الحسن وقتل سنة ٧٨٦/١٦٩٩م في موقعة فح، وكذلك أديس إبن عبدالله، أحد أخوة محمد وإبراهيم، الذي نجا من مذبحة فح وأسس في المغرب سلالة الأدارسة. وتذكر كذلك الأئمة الذين حكموا باسم الزيدية في طبرستان واليمن. وإلى الفرع الحسن بن علي ينتمي الأشراف الهاشميون الذين فرضوا أنفسهم حكماً على مكة المكرمة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وإليهم تعود السلالة الملكية الحاكمة اليوم في الأردن. وكذلك أشراف المغرب وسوس الذين استقروا في المغرب الأقصى في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، وإليهم يعود

حدوداً طبيعية شديدة الوضوح، بين الساحل المتوسطي غرباً ومنخفض العاصي شرقاً، بين مقاطعة أنطاكية شمالاً. ومقاطعة طرابلس جنوباً، تجعل منها منطقة مميزة حتى اليوم، في إطار بلد مستقل يجد من خلالها افتتاحه الاقتصادي على البحر، عبر مرفأ اللاذقية. ويحتل البحر المنطقة الحدودية بين الجمهورية التركية، من جهة، ولبنان، من جهة أخرى. وقد جعل الموقع الجغرافي من هذه البلاد، عبر القرون، ملجأً تنازعت فرق شيعية مختلفة، قبل أن يغدو في أكثرية سكّانه نصيرياً.

إن الإسماعيليين الموجودين حالياً في بعض نقاط هذه المقاطعة كانوا سابقاً، بين القرنين الخامس والسابع للهجرة/ الحادي عشر والثالث عشر للميلاد، يُشكلون مجموعة من الإسماعيليين الجدد أو التزايين. يدير شؤونها من قلعة مصيف «شيخ الجبل» الشهير رشيد الدين سنان. كانت هذه الدولة قائمة بقوة، بين مواقع الفرنج في إمارة أنطاكية و«كوتية» طرابلس من جهة، والممالك المسلمة التابعة لنور الدين ثم لصلاح الدين، من جهة أخرى. كانت تعتمد على سلسلة من القلاع. وتعرض، منذ ذلك التاريخ، لهجمات النصيريين المستقرين في شمال المنطقة والذين لم يلبثوا أن وسعوا ممتلكاتهم، ثم سكنوا «الجبل» بأكمله ومنحوه اسمهم. وقد غدا المدي الذي شغلوه، في ظلّ السيادة غير المكتملة التي مارستها المماليك ثم العثمانيون، المنطقة المخصصة بالطائفة النصيرية التي حافظت، في إطارها، على أساليب حياة قديمة ودافعت عن نفسها بقوة السلاح. وحدها التحولات التي أحدثتها، في القرن العشرين، الإدارة الفرنسية للإنداب، ولا سيما الهجرة الحالية لكثير من العلويين نحو المناطق السورية الداخلية حيث شكلوا دعماً لسياسة الرئيس حافظ الأسد، أدت إلى تطوير الوضع، بحيث يصعب الآن توقع النتائج المترتبة على ذلك: إما تقوية المنطقة التي كانت تشكل بالنسبة إلى العلويين معقلاً طائفيًا حقيقيًا، أو انتحلي عنها تدريجيًا.

العلويون، هم ذرية الإمام علي بن أبي طالب وأحفاده الذين يحفظ لهم أتباع الشيعة حق قيادة المسلمين.

والعلويون في الأساس فرعان، كانت لهما أدوار

بن الخطاب، إذ لم يوافقه على المبدأ الذي على أساسه تم تنظيم الديوان، فكان يفضل أن يوزع مغانم الفتوح على المحاربين. ثم عُيِّنَ عضوٌ في النخبة التي كلّفها الخليفة عمر اختيار خلف له، لكنه أبعد مجدداً عن الخلافة لأنه لم يتعهد بالسير على نهج الخلفيتين السابقتين. وسريعاً ما وجد نفسه في الصف المعارض للخليفة عثمان بن عفان، وقد لاهه لعدم تطبيق حدود القرآن بدقة، كما كان لسان حال المعارضين الآخرين من مصر، من دون أن يشجعهم على العنف.

بعد موت عثمان بن عفان أعلن الامام علي خليفة في المدينة، في ذي الحجة سنة ٣٥هـ/حزيران ٦٥٦م. لكنه لم يضع، على ما يبدو، برنامجاً سياسياً يرضي الجميع. فأسرع إلى عزل بعض الولاء المعشّين من قبل الخليفة السابق، وقسم الأموال التي كانت مجتمعة في بيوت مال المدينة والنصرة والكوفة. وعمد، من جهة ثانية، إلى رفع شأن القدماء المهنيين الأوائل إلى الدين، وقدمهم على أبناء قبيلة قريش، ما نفّر عدداً من هؤلاء. ولكنه لقي دعماً من الأنصار ومن المقاتلين في الولايات. إلا أنه اصطدم بمعارضة والي الشام، معاوية، الذي كان من أنصار عثمان، والذي رفض مبايعته واتهمه بالتآمر مع قتلة عثمان. كما وقف في وجهه اثنان من صحابة النبي (عليه السلام)، هما طلحة والزبير اللذان انضمّا إلى عائشة، إحدى زوجات النبي (عليه السلام) وكانت مفضّلة بينهم. وطالب المعارضون بتطبيق حدود القرآن، وبالنار لدم عثمان، ثم جمعوا عدداً من المناصرين والأتباع وأنشجوا نحو العراق. فترك علي المدينة واتجه نحو مشري الفنة وقتلهم في مكان غير بعيد من البصرة، في جمادى الثانية سنة ٣٦هـ/كانون الأول سنة ٦٥٦م، في معركة سمّيت معركة الجمل، إشارة إلى المهدج الذي كان يحمل عائشة. وقد قُتل الزبير في المعركة وجرح طلحة جرحاً مات على أثره. وأرجعت عائشة إلى المدينة في موكب يليق بها.

بعد هذا الانتصار خلت الساحة أمام علي لمعالجة أمر معاوية. ولم يقبل هذا الأخير أي نوع من التسوية، وألجأ بأن يُسلم إليه قتلة عثمان بموجب الآلة القترانية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَقْتُولاً فَدَفَّنْهُ

نفس ملوك المغرب اليوم، ونسب من كان قبلهم من السلاطة السعدية.

في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، عندما كان النوبيون يدمعون الميول الشيعية في العراق، كان العلويون قد أصبحوا متفصلين من العباسيين، وسط الكتلة الهاشمية الكبيرة، وغدا لهم لقب خاص اتخذ لقب الشريف. وهذا اللقب حمل الجميع على تقديم الاحترام والإجلال لمن هم من سلالة نبي المسلمين، وإن تم ممارسوا أي نشاط سياسي، وإن قطعوا كل صلة بالشيعية.

راجع السنن ٤ و ٥.

علي بن أبي طالب، (٤٠-٤١هـ/٦٦١م)، هو الإمام أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، بن هاشم القرشي، وهو ابن عم النبي محمد (عليه السلام) وصديقه المخلص. أظهر وقاه للنبي (عليه السلام) في الأوقات الصعبة وتزوج من ابنته فاطمة. برز وجهاً مهماً في تاريخ الإسلام، وكان الخليفة الرابع بين الخلفاء الراشدين، وهو الإمام الأول الذي يتكلمه أتباع الشيعة.

هذا الإمام الذي تختلف بشأن حياته وصفاته، نظرة الشيعة ونظرة السنة، هو ابن أبي طالب، أحد أعمام نبي المسلمين وممن اهتموا بحمايته. وكان الإمام علي أصغر سناً من ابن عمه النبي (عليه السلام)، إذ لم يكن قد تجاوز العاشرة عندما تقلب الإسلام، وهو أول الداخلين إلى الدين الجديد بحسب عدد وافر من المؤرخين. كما أنه ينتمي إلى مجموعة المهاجرين، وتزوج في المدينة المنورة. وخلال حياة النبي (عليه السلام)، شارك الإمام علي في معارك عديدة، مظهراً شجاعة ورياسة جاش إلى حد أن المؤرخين الشيعة أفصوا، في ما بعد، في ذكر شجاعة «أسد الله» وقوة سيفه.

بعد وفاة النبي (عليه السلام)، كان علي في حدود الثلاثين من عمره، فلم يشترك في اجتماع «السيف» الذي تم فيه اختيار الخليفة أبي بكر الصديق. وقيل إنه كان خلال ذلك منهمكاً بدفن ابن عمه النبي (عليه السلام). يبدو أنه لم يطالب آنذاك بالخلافة، ورفض في المقابل مبايعته أبي بكر، فلم يبايعه إلا بعد ستة أشهر. وبعد وفاة فاطمة، وكان للإمام علي علاقة صعبة بالخليفة الثاني عمر

حيث أقيم بعد ذلك ضريح جعل المكان مزارًا والمدنية مقدسة عند الشيعة، وكما هي حال كربلاء ومدنيتي مشهد وقم الإيرانية.

نظرًا إلى مجمل هذه الأحداث، التي فتحت الباب أمام تفسيرات متضاربة، يبقى فهم طبع الإمام علي أمرًا صعبًا. ولا نستطيع، من جهة ثانية، الانزياح كليًا إلى صحة نسبة الكثير من الخطب إليه، إذ إن ما تركه قد جمعه الشريف الرضي، في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، تحت عنوان «نهج البلاغة». وعلى الرغم من أن عليًا كان حريصًا على احترام مبادئ الإسلام، فإنه لم يتوصل قط إلى اتباع خط واضح ومتناسك. وقد أتهم بأنه كان مترددًا وغير واقعي، وهذا ما يفسر بعض أسباب فشل أعماله. وعلى الرغم من الانطباع الذي يمكن استخلاصه من الروايات والأخبار التقليدية، فإن صورة علي بقيت دائمًا، في نظر مجمل المسلمين، محظًا واحترامًا وتكريم، وهي صورة الأقرب إلى النبي محمد (ﷺ) والأكثر وفاء له والمؤمن الأول برسالته. ولم تكف شخصيته عن إثارة حماسة الجماعة المعتنقة في سبيل فضيلته والغيورة على مبادئه، منذ البداية وعلى مر العصور، وهي جماعة الشيعة. ولا شك في أنه يستحيل أن نعرف ما إذا كان علي نفسه يعتقد أن له الحق بالخلافة أكثر من سائر صحابة نبي المسلمين (ﷺ)، لأنه لم يظهر يومًا بقوة هذا الطموح، إلا أن أتباعه كانوا مفتنعين بحقه ووضعوا لاحقًا، في مرحلة زمنية يكتنفها الغموض، مبدأ يرتكز على كلام للنبي محمد (ﷺ) قاله في غدير الخُم، قبل وفاته بقليل: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فبري الشيعة أن النبي محمدًا (ﷺ) أراد بذلك جعل علي خليفته. أما السنة فتعطي كلمة «مولاه» معنى «صديق» مما يسمح باحتمالات وتفسيرات مختلفة. كما تركز الشيعة على بعض الآيات القرآنية التي تعطي مكانة مميزة لآل البيت، أي لأسرة النبي محمد (ﷺ)، المحصورة بعلي وفاطمة ولديهما الحسن والحسين.

بعد موت علي، جعل منه بعض الغلاة قيسًا من الألوهية المتجسدة، وذلك إذا ما أردنا تصديق التأكيدات التي أطلقها، في وقت متأخر، بعض أصحاب النظريات.

جَمَلًا لِرَبِّهِ سُلْطَنًا فَلَا تُشْرِكْ فِي الْقَتْلِ لِمَنْ كَانَ مَسْئُورًا (سورة الإسراء، الآية ٣٣)؛ كما رأى أن هذه الآية تسمح بأن ينزل العقوبون لدم المؤمن إذا قُتل مظلومًا. ومتأبل ذلك، رأى علي أن عثمان قُتل بسبب أعماله التمتعية ويجب ألا يثار لدمه. وعندما أصبحت الأمور غير قابلة للتسوية، قاد علي جيشه لمقابلة معاوية، فالتقى الخصمان في صفين. وعندما بدأ الزهن يبدب في صفوف جيش معاوية، رُفعت صحائف القرآن على رؤوس رماح بعض محاربيه، بناء على نصيحة عمرو بن العاص، إشارة إلى التمسك بالأنسب إلى أحكام القرآن. على الرغم من حذره تجاه هذا العرض الذي قد يكون حيلة، اضطر الخليفة علي إلى القبول به وأوقف القتال. هذا القرار الذي اتخذته علي أوقع الشقاق داخل جيشه، فانفصل الخوارج عنه مؤكدين في هذه المناسبة أن «لا حكم إلا لله»، ومعتبرين، بموجب القرآن، أن مقاتلة الثائرين واجب حتى يمودوا إلى الطاعة.

بعد أن تغرر الحكيم في صفين، سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، اجتمع ممثلًا الطرفين في واحة دومة الجندل على ما يبدو، وذلك في شهر رمضان سنة ٣٧هـ/شباط ٦٥٨م. فمُثل عمرو بن العاص معاوية، ومُثل أبو موسى الأشعري علي بن أبي طالب. وبحسب الروايات المتنوعة المحفوظة، فإن مناقشات الحكيم تركزت على مسألة واحدة، وهي معرفة ما إذا كان عثمان قد قُتل ظلماً. ويبدو أن الطرفين أقرّا بذلك، وهذا يعني إدانة علي. وقد بايع الشاميون معاوية في السنة نفسها، في حين كان الإمام علي متهمًا بمحاربة الخوارج وقد انتصر عليهم في معركة النهروان في صفر ٣٨هـ/تموز ٦٥٨م، ثم رجع إلى الكوفة من دون أن يتخذ أي تدبير ضد معاوية. ثم عُقد اجتماع آخر في أذرب، في شعبان سنة ٣٨/كانون الثاني ٦٥٩م، من دون أن يسفر عنه أي قرار. وقد بقي أتباع علي أوفياء له واستمرّ هو في حالة انتظار، بينما نجح معاوية في السيطرة على مناطق جديدة. أخيرًا عمد أحد الخوارج، وهو عبد الرحمن بن ملجم، إلى طعن علي على مدخل المسجد الجامع في الكوفة فقتله، ودُفنت جثة الخليفة الرابع في مكان سري. وفي عصر العباسيين حُدد مكان قبره في النجف

والتنصحية. ويبدو أن صلاحية مبادئه كانت تتسجم مع قناعاته الدينية. وكانت له علاقاته بسمكلي الصوفية المشهورين، وهذا ما يفسر محاولاته الياسنة لإيقاف محاكمة الحلاج. كما حمى عدداً من رجال الأدب والفن، علماً أنه تخلى بعد ذلك عن نشاطه كراغ للأدب. عند تسلمه الوزارة، حرص علي بن عيسى على أن يحافظ على ازدهار الخلافة، وأن يكون الاعتدال طابع الضرائب، فألغى عدداً من الضرائب الجائرة، وحاول وضع حد لبعض الممارسات التي تسيء إلى المصلحة العامة، كما عمد إلى وضع حد لعادة تزييم الضرائب. ومن أجل أن تحافظ الموازنة على توازنها، اضطر إلى تقليص نفقات البلاط، وإلى استئانة الأموال من اليهود العاملين في حقل الصيرفة. والواقع أن هذا النوع من التدابير يجد صعوبة في النجاح ضمن أوضاع غير مستقرة. فالظروف [الصعبة]، وعدم تماسك النظام، وزيادة الخليفة نفسه، كلها عوامل حالت دون السماح له بتحقيق عمل يكون فعلاً مفيداً للدولة سائراً إلى الإنهيار والضعف على الصعد كافة.

علي بن يوسف بن تاشفين (٤٧٧ - ٥٣٨هـ / ١٠٨٤ - ١١٤٣م)، هو ثاني ملوك المرابطين، تسلم سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م مقدرات أمير الطويزة مغربية أندلسية واسعة كانت في ذروة عظمها، ولكنها كانت في الوقت عينه مهددة بأخطار خارجية وداخلية.

ولد علي في سبتة، وهو ابن يوسف بن تاشفين وأمه أسيرة مسيحية. كان عليه، فور تسلمه الملك، أن يبدل كل جهده لتثبيت التنظيم الإداري لأمبراطوريته، فكان يعمد إلى تغيير الأمراء والولاة من منصب إلى آخر من أجل أن يبقى سيد الموقف. وبالمقابل تصرف بصفته أميراً مثقفاً وبنانياً، حرصاً على استمرار وجمع بلاطه ومحيطه. ومع ذلك فإنه لم يتردد في ترك عاصمته مراكش - وقد جعلها بأبينة لا يزال بعضها محفوظاً من أجل الانتقال إلى الأندلس مجاهداً حيث قاد أربع حملات تكلفت في بداياتها بالنجاح.

إلا أن الخط الذي يسم له زمناً في الممارك، بدأ ينقلب على أثر خسارة مدينة سرقسطة سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م، بعدما كانت جيوشه قد انتزعتها من أسبانيا

كما يُنتظر أن يعود بصفة مهدي. إلا أنه بصعب التأكد من أن عقيدة كهذه أبصرت النور فعلاً في ذلك الوقت. لكن ظهر باكراً في قلب الشيعة، وأكثر من مرة، تبار يرى تجسداً للروح الإلهية في علي نفسه، أو في أحد الأئمة الذين أتوا بعده. وعدد التمل التي تأخذ بهذا الاعتقاد هو من الأهمية بحيث يحملنا على القول إنه ليس معزود اختراع من قبل مؤرخي البدع المسلمين في العصور اللاحقة.

راجع المستند ١ و ٤ و ٥.

علي بن عيسى بن داود بن الجراح (٢٤٥ - ٣٣٤هـ / ٨٥٩ - ٩٤٦م)، وزير عباسي - تسلم الإدارة غير مرة خلال عهد خلافة المعتز، وبعثاً حاول إصلاح الأوضاع الإقتصادي المتدهور، وإبعاد خطر أمير الأمراء الذي كان على وشك السيطرة على الحكم المركزي للخلافة الإسلامية.

ينتمي علي إلى أسرة إيرانية الأصل استقرت في العراق، ونشأ في كنف جماعة من الكتاب السجيين. واستطاع بسرعة أن يتبوأ المراكز العالية، لما كان يتشبع به من صفات شخصية ومن قدرات عقلية. إلا أن جهوده الاقتصادية لم تجد الارتياح لدى الخليفة الشاب والمتكبر، وكان علي قد وقف ضده في ثورة القصر التي قادها ابن المعتز. وهذا الموقف حال دون السماح له، كلما وصل إلى السلطة، بالقيام بإصلاحات واسعة. وقد عمل جاهداً من أجل إبعاد الخلافة العباسية عن الأخطار المتوقعة التي كانت تهددها. ورغم عدم نجاحه مال إلى صلب الحسن، ما جعل المؤرخين يشيرون إلى ذلك، وما حمل أحد المستشرقين الحديثين على إعطائه لقب «الوزير العظيم».

فصلاً عن وظيفته ككاتب محترف، توافرت له ثقافة إسلامية متينة استقاه من معلمين ينتسبان إلى المذهب الشافعي ويميلان إلى المعتزلة. ومن أجل مواجهة موظفين إداريين ينتمون إلى الشيعة وسيطرون على مراكز عالية قرب الخليفة من دون أن يعترفوا بشرعية سلطته، ويحاولون كسب الثروات على حساب الدولة، راح يدافع عن نظرية الخليفة المسؤول، ويستعين بخبرة وخدمات أتباع عُرفوا بالاستقامة

علي زين العابدين، ٣٨/٩٤٠-٦٥٨/٧١٢ م. ويُعرف أيضاً باسم 'السجاد' أي الكثير السجود. هو رابع الأئمة العلويين: اعترف بهم من قبل الإثني عشرية والإسماعيلية. عُرف بعلمه ونفاذه، وعاش في شبه عزلة ولم يضايق قط الأمويين. وهو ثاني أولاد الحسين، شهيد الشيعة، ويُطلق عليه اسم علي الأوسط بين أخويه علي الأكبر وعلي الأصغر. كان صغيراً يوم مأساة كربلاء فنجاً من المذبحة. أحاطه عدد من أتباعه وأهلوه لأنّه، بحسب القاعدة المتبعة عند الإمامية الاثني عشرية، قد عُيّن شريعاً، بموجب وصية. وربّما يُنسَف. وكذلك كان حال خُلفه الإمامين الخامس والسادس، محدّد الباقر وجعفر الصادق. تميّز خلال حياته بثقافته الدينية وبأعمال التقوى، ما ترك الشاب مفتوحاً أمام محدّد ابن الحنفية [ابن الإمام علي بن أبي طالب من زوجة خوّلة]، ممثلاً بالتمسك بالثقفي، للقيام بمبادرات عنيفة وبحركات ثورية. ونشر معطيات سير الأئلياء عند الشيعة إلى أنّ زين العابدين أثار حسد وليّ العهد هشام بن عبد الملك فدنس له السم. فدُفن في 'القم' في المدينة، قريباً من مدفن عمّه الحسن، بعد أن تسلّم للإمامة مدة خمس وثلاثين سنة.

علي الهادي والثقي، هو أبو الحسن علي بن محدّد (٢١٢-٢٥٤هـ/٨٢٧-٨٦٨ م) والمعروف أيضاً بالعسكري^(٨٧)، عاشير إمام من الأئمة الاثني عشر، اشتهر بخصمه مع الخليفة العباسي المتوكل الذي وضعه في 'الإقامة الجبرية' في سامراء^(٨٨).

وهو ابن الإمام التاسع محدّد الجواد ووريثه المعترف به، على الرغم من أنّ أحد أئمه، موسى، كان له أتباع ومؤيدوه. أمضى مرحلة خلافة المعتصم والواثق في المدينة حيث لم يعكّر صفو حياته شيء. إلا أنّ التبدّل تجذري في السياسة الدينية التي اعتمدها المتوكل والعتصم الذي أظهره ضد الشيعة أدياً، في حدود سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨ م، إلى إقامة الجبرية قرب الخليفة، من دون أن يمسّ بأذى، بل إنّهُ لقي التقدير والاحترام من الخليفة نفسه. وقد انتشرت بين أخبار الأئمة وفي مؤلّفات الكتاب ذوي الميول الشيعة، أمثال المسعودي، أخبار كثيرة تشير إلى تقوى الإمام الهادي

المحبّين بني هود. وانتصار أحد قادته سنة ٢٢٨هـ/١١٣٤ م على القنوسو الأول ملك أرغون في معركة فراغان، ثمّ بجل دون استمرار الحملات المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية الممرّقة. والحرص الخاص الذي أبداه أمير المرافطين في الدفاع عن الأندلس، فأبده ضعف السلطة المرافطة في وجه الثورات والهجمات التي تكاثرت عليها في المغرب كلّ، وذلك بتحريض من ابن نورمت المصلح الديني الجديد. وكان من نتيجة النجاح الشعبي الذي لقيته دعوة الموحّدين، والانتصارات الحربية المتلاحقة التي حقّقوها، أن أسس سيد مراكش معزولاً داخل قصره. وهذا ما مهّد لقيام سلطة جديدة مكان المرافطين بعد خمس سنوات من موت عليّ بن يوسف.

علي الرضا (١٤٨-٢٠٥هـ/٧٦٥-٨٢٠ م). هو ثامن إمام علويّ من أئمة الإمامية الاثني عشرية. استطاع، بمبادرة من الخليفة المأمون، أن يضيف إلى الاعتبار الذي كان يتّسع به، إمكان أداء دور مهمّ في حياة الخلافة زمن العباسيين.

كان علي الرضا ابن الإمام السابع موسى الكاظم، وقد أثار تسلّمه الإمامة معارضة قوية على أثر وفاة والده سنة ١٨٣هـ/٧٩٩ م، وانفتحت عن تلك المعارضة بدع شيعية جمعت خصومه. بقي في المدينة زمناً يعيش في شبه وحدة، متصرفاً إلى العلوم والتعليم، إلى أن استدعاه المأمون إلى مرو، بعد انتصار هذا الأخير على أخيه الأمين، وجعله وليّ العهد ووريثه في الخلافة وغمره بالتكريم. إلا أنّ ذلك الفعل العنيف من قبل العرب، ومظاهر العداء الشعبي التي اصطلم بها في العراق غيّرت الأوضاع بسرعة، إذ مات علي الرضا في طوس سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠ م. وهو في طريقه إلى بغداد مرافقاً المأمون، ويُرجّح أن يكون قد قُتل مسموماً. دُفن علي الرضا إلى جانب الخليفة هارون الرشيد، وكان ضريحه أو المشهد الذي أُقيم له أساساً لقيام مدينة تحمل اسم مشهد، تمت حول ضريحه بعيداً من مدينة طوس القديمة، وغدت عاصمة خراسان الحالية وحاضرة كلّ إيران الشرقية.

واسم «غليغز» الذي يعني القلعة العالية أعطي في أواخر القرن الثامن عشر لمدينة «كوبل» القديمة، وكان الإسلام قد دخلها سنة ١٥٩٠/١١٩٤م في زمن الغوريين. وبحكم وقوعها على الطريق التي تربط دلهي بأفرا، استمرت مدة تتمتع بأهمية إستراتيجية، كما عرفت تاريخياً مضطرباً، وقد زارها الرحالة العربي ابن بطوطة في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. في سنة ١٨٠٣ وقعت المدينة تحت الاحتلال البريطاني بعد حصار طويل ومقاومة عنيفة، كما عانت في ما بعد بسبب مشاركتها في عصيان سنة ١٨٥٧.

وتحدث المهّم الذي ترك تأثيره اللاّحق على مصر المدينة. كان تأسس المعهد المتحدّي الإنكليزي الشرقي، في حدود سنة ١٨٧٥. بفضل جهود رجل الإصلاح سيد أحمد خان. وقد أراد من خلال عمله هذا أن يضع موضع التنفيذ بعض المبادئ التربوية الغربية من أجل خلق نخبة محلية، بخاصة - ولكن ليس حصراً - من المسلمين. والنجاح الذي حققه هذا المعهد، بعدما استمرّ مؤسسه في إدارته حتى وفاته سنة ١٨٩٨، وانتظور الذي بقي عليه، كان في أساس قيام الجامعة التي حلّت مكان المعهد سنة ١٩٢٠. وقد شملت برامجها الآداب والعلوم والتكنولوجيا وعلوم الدين، وغدت نموذجاً لمؤسسات أنشئت في مدن أخرى. واستمرت هذه المؤسسة قائمة حتى في مرحلة الاضطرابات التي نتجت عنها ولادة باكستان سنة ١٩٤٧.

وبفضل الحداثة التي تميّز بها هذا التعليم، منذ نهاية القرن التاسع عشر، برزت فعالية الحركة التي عُرفت باسم حركة غليغز. وقد عملت بإشراف أحمد خان على إحياء الفكر الإسلامي وتنشيطه انطلاقاً من المسطبات العلمية الغربية. وقد واجهت هذه الحركة صلابة التقليديين الذين حملت لواءهم، في ذلك العصر، مدرسة «ديوبند». وبقي لهذا النشاط تأثيره في الفكر الديني الساعي إلى موافق واقفة.

عماد الدين الكاتب الأصفهاني، محمد بن محمد، ٥١٩ ٥٩٧م/١١٢٥-١٢٠١م، أديب ومؤرخ من العهد الصفوي، انتمى إلى حاشية صلاح الدين. ولد في أصفهان حيث أمضى شبابه، وانتقل بعدها

والى علمه العميق. وقد مات في سائرء بعد نحو عشرين سنة، في زمن خلافة المعتز الذي قيل إنه دسّ له السم. فوقع الخلاف بين أتباع ثلاثة من أولاده، واختير (ابنة) الحسن «العسكري» إماماً للشيعه الأثني عشرية، برغم ظهور آراء معارضة نتج عنها بعض الارتباك. لا يزال مدفن علي الهادي مكرّماً في سائرء، يعلوه ضريح فحم مع قبة مذنبة، هي قبة العسكريين التي تحتضن مدفنه ومدفن ولده الإمام الحادي عشر الحسن العسكري. راجع المستند رقم ٤.

علي الهمداني، أو السيد علي بن شهاب الدين بن محمد الهمداني (٧١٤-٧٨٧هـ/١٣١٤-١٣٨٥م)، ويعرف أيضاً باسم الأمير الكبير. صوفي تقي وإليه يُنسب الفضل في تقبّل كشمير النهائي للإسلام، وهو لا يزال عندهما الولي المكرّم.

ولد في مدينة همدان الإيرانية، في قلب أسرة علوية تعود بنسبها إلى الحسين، ويرجع بأصله إلى نجم الدين كبرى مؤسس الفرقة الكرولية. وكان علي الهمداني رحالة جاب مختلف أقطار العالم الإسلامي في زمانه، كما كان كاتباً غزير الإنتاج، وكتابات التي لم تُدرس كلياً تهتم بالآخلاق السياسية، وبطرق الصلاة الشخصية التي تقود إلى الوجد الصوفي. والفضل الأول الذي استحقّه هو أنّه، بعد زيارات طويلة ومتكررة، استطاع نشر الاسلام في كشمير، وخصوصاً لدى السلطان شهاب الدين (٧٥٥-٧٧٧هـ/١٣٥٤-١٣٧٤م) وخليفته قطب الدين (٧٧٧-٧٩١هـ/١٣٧٤-١٣٨٩م) اللذين عملا بتوجيهاته. وبعد وفاة علي اهتمّ ولده بنشر تعاليمه فُتيت له، في عاصمة سرينغار، في عهد سكندر (٧٩١-٨١٦هـ/١٣٨٩-١٤١٣م)، خاتمه تحولت إلى مزار، وهذه الخاتمة التي بنيت تكريماً للسيد علي الهمداني لا تزال اليوم مقصد عدد كثير من المؤمنين.

غليغز (الاتحاد الهندي)، مدينة في مقاطعة «أوتار براديش» الحالية، جنوب شرقي الهند، نسبة كبيرة من سكّانها من المسلمين. وتعود شهرتها الحديثة إلى الحركة الإصلاحية التي تطوّرت فيها.

واسعة. وهي تشكل، اليوم، سلطنة مستقلة.

١ - تضم هذه المنطقة الجبلية، في جزئها الشرقي، سهلاً ساحلياً ضيقاً مزروعاً، يسمّى الباطنة، تعلوه سلسلة قمم وعرة تتحدر مباشرة في اتجاه مضيق هرمز، قبالة المدينة الإيرانية العرفية هرمز/ بندر عباس. وفي الداخل تقوم هضبة تنتشر عليها واحات عذة تفضي إلى كيان رملية غير مأهولة. ومن جهة الجنوب تقوم منطقة ظفار وهي ذات مناخ رطب يجعل منها، جزئياً، أرضاً خصبة. وفي مجموعة هذه المناطق، كانت صُحار المدينة الأهم في القرون الوسطى. لكن، بدءاً من القرن الرابع عشر، حلت محلها في مرحلة أولى مدينة قلها، وفي ما بعد مدينة مسقط.

لقد عرفت عُمان، منذ بدايات الإسلام، استقلالية نسبية تعزى إلى موقعها المنعزل في منطقة كانت تسكنها آنذاك قبيلة الأزد، وقد شكّلت ملجأً للخوارج من فرقة الإباضية. وكانت الأنشطة التجارية لشريطها الساحلي، المنفصل عن باقي البلاد، تتوجّه، بشكل خاص، نحو البحر حيث كان البحارة يفيدون من الرياح الموسمية ليلبغوا القرن الأفريقي والبلاد الموعلة جنوباً من جهة، وليلتصموا في اتجاه آخر نحو أراضي الهند واندونيسيا والشرق الأقصى، ولا سيما الصين. هذا الازدهار التجاري الذي كان يتنامى من خلال الاتصال أو المنافسة مع المدن الساحلية الإيرانية المحاذية للخليج العربي - الفارسي، أعاقته أنشطة البرتغاليين الذين فرضوا سيطرتهم على المواقع العرفية لسلطنة عمان في القرن السادس عشر. استمرت هذه السيطرة حتى الفترة التي تمكّنت فيها سلالة البعاربة من زعزعة نيرهم، واستولت بدورها على مناطق جديدة زادت في غناها، وذلك بعد أن استعادت السيطرة على مسقط سنة ١٦٥٠. وبالفعل، منذ القرن الثامن عشر، استولى سلاطين مسقط المتمتون إلى عائلة بو سعيد آل بو سعيد على السلطة بدءاً من سنة ١٧١٤. وقد اتّبع هؤلاء سياسة توسّع سمحت لهم بمزيد سيطرتهم على زنجبار، وكذلك على بلادهم الأصلية. وقد أفاد هؤلاء السلاطين من الدعم الإنكليزي، بعد تمكّنتهم من بسط نفوذهم على عُمان سنة ١٧٩٨، ليقيموا بوجه طموحات الفرنسيين والهولنديين

إلى بغداد حيث تابع دراسته، ولقي حظوة لدى الوزير ابن ميمونة ولدى حاشية الخليفة. ثم انتقل إلى سوريا حيث عهد إليه نور الدين بالتعليم في مدرسة. وكلفه مهمات دبلوماسية وأعمالاً إدارية. وبعد وفاة سيّد عاد إلى الموصل سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م. ولقي حظوة في ما بعد لدى صلاح الدين، وذلك منذ سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م، فرافقه في حملاته حتى وفاة هذا الأخير سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، فاعتزل منصرفاً إلى الأعمال الأدبية.

عماد الدين كاتب عُرِف بصنعة الأسلوبية. جمع مختارات أدبية ووضع مؤلفات تاريخية، أبرزها مختصر للاستيلاء على القدس وعنوانه «الفتح القسي في الفتح القدسي» الذي يتضمن قيمة تعميشية، لكن يُخفيها تصلّع الأسلوب.

عمّار (بنو -)، اسم أسرة حكمت مدينة طرابلس الواقعة على ساحل ولاية سوريا القروسطية، وجعلتها إمارة شبه مستقلة قبل قليل من قدوم الفرنج الذين جعلوها مركز كونية.

والحاكم الأول من أسرة الفضاة هذه التي استطاعت، بفضل حسن سياستها، أن تحتفظ بالسلطة مدة أربعين سنة، ثبت سيطرتها سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م. بعد موت حاكم المقاطعة المعين من قبل الفاطميين. وحتى سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م، تاريخ سقوط المدينة بأيدي الصليبيين، نبتى المؤسس ومن خلفه سياسة قامت على الاعتماد على التجار الذين جعلوا همّهم الدفاع عن مصلحة مدينتهم البحرية. وكان ذلك وسط بلاد مقسمة أصغفها أعمال العصابات التركية، إلى جانب صراع الخلافتين الكبيرتين اللتين كانتا تتنازعان الشرق الأوسط. والانتباه الشعبي لأكثريّة السكان لم يقف عائقاً أمام بني عمّار كي يؤيدوا العباسيين والسلاجقة الذين كانوا من حماة الله.

العمارة (فن -) ← الهندسة المعمارية الإسلامية.

عُمان، مقاطعة قروسطية تقع جنوب شرقي الجزيرة العربية، يحيط بها الخليج العربي - الفارسي والمحيط الهندي، وتفصلها عن باقي شبه الجزيرة العربية صحار

عَمَّان (المملكة الأردنية الهاشمية)، مدينة جعلها انتطوّر الديمغرافي والتنظيم قادرة على أن تؤدّي دور العاصمة، وهي تملو موقعاً لا تزال فيه بقايا أثرية من العصر الأموي.

كانت فيلادلفيا القديمة تنتمي إلى مجموعة المدن العشر، واستمرت مزدهرة في العصرين الروماني والبيزنطي، بعد أن قامت على انقاض موضع سكنه الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ. ونابت المدينة ازدهارها في العصور الأولى للإسلام، بعد أن احتلتها الجيوش العربية - الإسلامية سنة ٦٣٦م/١٥هـ خلال الفتوحات الكبرى. وإلى العصور الإسلامية الأولى يعود تاريخ خرابب قصر كبير، يخضع اليوم للدرس والتنقيب، وقد يقدم لنا جواب ما تزال مجهولة عن الفن الأموي.

مرت المدينة بعد ذلك في مرحلة انحطاط طويلة، وأُسست قرية بسيطة في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. لكن إعمال المدينة لم يكن لبصيص واقعاً قبل نهاية القرون الوسطى، إذ إنَّ عَمَّان استمرت، كما تؤكد المصادر العربية القديمة، تؤدّي دور عاصمة مقاطعة البلقاء، وتحكم بمقتضى طرق القوافل التي كانت تعبر هضبة مؤاب. أما الازدهار الحالي المتمثل في اتّساع مساحتها المبنية والذي بدأت معالمه تظهر بعد الحرب العالمية الثانية، فإنّه بدأ في الواقع سنة ١٩٢١، وهو التاريخ الذي اختيرت فيه عَمَّان عاصمةً لمملكة الأمير عبد الله المستقبليّة. كما عرفت المدينة نمواً متزايداً بعد ولادة دولة إسرائيل وتدفّق عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين إليها.

عَمَّرَ بْنُ الْخَطَّاب، ٣١ ق - ٥٩١ / ٢٣ - ٦٤٤م، هو الخليفة الثاني في سلسلة خلفاء الإسلام الراشدين، حكم بين العامين ١٣ و ٢٣ / ٥٩١ و ٦٤٤م، خلال فترة الفتوحات الكبرى التي جرى في أثنائها إرساء أسس تنظيم الأُمَيراطوريّة العربيّة - الإسلامية.

كان عمر من صحابة النبيّ محمد ﷺ، ومثله من سكّان مكّة القداسي، وأحد أعضاء أسرة قليلة البهر من قبيلة قريش، لكنه ينتمي، من جهة أمّه، إلى عشيرة مخزوم النافذة. ناهض في البدء رسالة نبيّ الإسلام

بشكل فقال: «غير أنّ مستقبل زنجبار انفصل في ما بعد عن مصير عَمَّان التي شهدت تراجعاً في اقتصادها، والتي تمّ رسم حدودها نهائياً سنة ١٩٠٥ من قبل محكمة العدل الدولية في لاهاي. وقد وجب انتظار التوجّه الجديد الذي نهض به السلطان قابوس بن سعيد سنة ١٩٧٠ لكي تستعيد البلاد ازدهارها السابق.

٢ - أما سلطنة عَمَّان الحاليّة فتبلغ مساحتها ٤٥٧ ٢١٢ كلم^٢، عاصمتها مسقط، وعدد سكّانها يزيد عن مليون ونصف مليون نسمة هم، في مجموعهم تقريباً، مسلمون، يتّسمون بنسبة تزيد عن ٧٥٪ إلى الفرقة الإناضية. وهي اليوم متاخمة للجمهورية اليمنية التي تمّ ترسيم الحدود معها نهائياً من فترة وجيزة؛ كما أنّها تجاور المملكة العربية السعودية التي تفصلها عنها المناطق الرميّة في الربع الخالي؛ كما تجاور الإمارات العربية المتّحدة التابعة لها إمارة انفجيرة التي تعزل، عن سهل باطن، منطقة شماليّة تقع قبالة إيران وتألّف من جزيرة مُسَدان التي تشرف على مضيق هرمز. هذه المجموعة المتنوّعة من الأراضي، التي تطابق التقسيم الطبيعي الذي دمج دائماً جغرافية هذه المقاطعة القديمة، كلّها - بخمسة في ظلّ حكم سلاطين مسقط - تاريخ زاد في حدة التناقضات بين فئات السكّان المتنوّعة: سكّان المدن الذين تتّجه أنظارهم نحو البحر والأنشطة التجاريّة؛ مزارعو السهل الساحليّ الضيّق، جيليّو السهول العالية ويدو الداخل الصحراوي.

إنّ التّزاعات الداخليّة التي فرّقت طويلاً بين السكّان والمسيق من تناقضات ذات طابع اجتماعي - ديني، بدأت تصمحلّ قليلاً، في أيامنا هذه، تحت وطأة حركة التحديث التي لم تبدأ قبل سنة ١٩٧٠. وتعود أسبابها إلى الإمكانيات الجديدة لهذه المنطقة منذ البدء باستثمار الثروات النفطية. وتشمل هذه العصرية ميادين عدة، منها الثروة، إذ تمّ إنشاء جامعة، سنة ١٩٨٦، قرب مسقط. وهي تنسجم مع مبادرات نظام ملكي إسلامي مطلق تسيطر عليه شخصيّة السلطان الحاليّ قابوس بن سعيد، وتتبع إيقاع التطوّر في الدول الإسلاميّة الغنيّة الأخرى في الجزيرة العربيّة.

المدينتان - المعسكران البصرة والكوفة اللتان سَنَصُبِحَان قاعدتي المنطقة في اليهود الأولى للإسلام. من هناك، صعد المسلمون وادي دجلة والفرات في اتجاه بلاد ما بين النهرين العليا، في حين زحف تعزيزات آتية من شبه الجزيرة العربية لمهاجمة الأراضي الإيرانية.

بعد معركة نهاوند، سنة ٦٢١/٦٤٢م، احتُلت ميديا شيئاً فشيئاً وأذربيجان أيضاً. وهكذا صُغِت إيران الغربية إلى الأباطورية في نهاية حكم عمر. كذلك، من المرجح أن فتح مصر حدث بمقتضى أوامر الخليفة الذي أرسل إليها وحدة بقيادة عمرو بن العاص، سرعان ما عززتها وحدة أخرى بقيادة الزبير. نجح القائدان المعسكران في التغلب، في معركة هيلوبوليس (رجب ١٩هـ/ تموز/ يوليو ٦٤٠م)، على الجيش البيزنطي، ثم السيطرة على حصن بابلون في صفر ٢١هـ/ شباط/ ٦٤١م، والإسكندرية في شوال ٢٢هـ/ أيلول ٦٤٢م. وهكذا أمسى المعسكر القديم الذي استُخدم في أثناء محاصرة بابلون، معسكراً دائماً ومدينة مسلمة، نلق عليها اسم المُسطاط، في جوار موقع أنشئت فيه، في ما بعد، مدينة القاهرة.

هكذا يتبين حجم الإنجاز الكبير الذي تمّ خلال خلافة عمر - بحسب توجيهاته في قسم منه. فعند وفاته أمست سوريا وبلاد ما بين النهرين وإيران الغربية ومصر أراضي إسلامية. وجلّ ما عُرف عن الخليفة نفسه أنه كان رجلاً ناشطاً وفعالاً، ذا طبع قاسي، يراقب بدقة نشاط قوّاده وحكّامه. وقد يسّرت له واقعيته الانصراف إلى تنظيم الدولة الجديدة أخذاً في الاعتبار، في اختيار مساعديه، الكفاية أكثر من صفة المسلم الصانع. ويعزى إليه فضل تنظيم مكاتب، نحو سنة ٢٠هـ/ ٦٤١م، تحفظ فيها السجلات، وهي الدواوين حيث كانت تودع الإيرادات وتُتخذ المصاريف العامة. ويقال إنه أمر أيضاً بأن يُسَخَّل كلّ محارب على جدول لكي يتمكن من الحصول على نفقة تصاف إلى حصصه في الغنمة، وإنه أعطى تعليماته لكي تقسم الأراضي السورية دوائر تُسَمَّى أجناداً، يُوزَّع عليها المحاربون الجاهزون للتعنبة. ولئن كانت مختلف المصالح الإدارية تلك لا تزال على جانب

عندما أُطلق دعوته الأولى، ثم انضمّ إلى الديانة الجديدة خاصّةً لتأثيرات بصعب تحديدها، وأصبح من أفضل أنصار النبي محمد ﷺ تبعه إلى المدينة في فترة الهجرة وزوّجه ابنته حفصة. بعد وفاة النبي محمد ﷺ، اضطلع بدور حاسم في اختيار خلفه، فأخذ المبادرة بجمعه في المدينة أكثر الصحابة نفوذاً من بين المهاجرين - في ما سُمّي باجتماع السقيفة - لحملهم على مبايعة أبي بكر، وفاقّ التقليد المتبع، وقد بايع الخليفة الجديد، في ما بعد، الأنصار من أهل المدينة.

وقد أوصى أبو بكر، الذي لم يستمرّ حكمه إلا سنتين، قبل وفاته عام ١٣هـ/ ٦٣٤م، بأن يختار المسلمون عمر خليفة لهم، فأفاد هذا من حركة التهديد في شبه الجزيرة العربية التي أعقبت أحداث الثورة الكبرى وتيسّر له أن يعاود، من جديد، محاولات التوسّع نحو الشمال التي كان النبي محمد ﷺ شجّع عليها خلال حياته. وقد اتسعت دائرة هذه الجهود بحيث أدّت إلى فتوحات حثيثة شملت جميع الأراضي المجاورة للشهب السورية - العراقية. في سوريا حيث نجح نصر أختادين في نهاية خلافة أبي بكر، وجّه عمر وحدات من المحاربين أتاح للجيوش المسلمة محاصرة دمشق (محرم سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م)، ثم سائر المدن السورية، ونالاً التغلب نهائياً على الجيوش البيزنطية في معركة اليرموك عام ١٥هـ/ ٦٣٦م. وقد اضطلع الحكّام المعيّنون في ذلك الإقليم، أبو عبيدة ثم معاوية بإنجاز الاحتلال، وتوجّه الخليفة نفسه إلى فلسطين، فصلّى في القدس حيث شُيّد مسجد لا يشبه في شيء، قبة الصخرة الحالية، المسماة خطأ جامع عمر^(٨٩).

في بلاد ما بين النهرين، تسلّلت عشائر عربية في عهد الخليفة أبي بكر من دون قيام عمليات عسكرية تذكر. فأرسل عمر فصائل جديدة بإمرة سعد بن أبي وقاص، لمحاربة الجيوش الساسانية؛ وكانت المعركة الحاسمة سنة ١٦هـ/ ٦٣٧م في القادسية، التي فتحت أمام الجيوش المتحمّة طريق خيبرفون، عاصمة ملك الملوك، فاحتلّوها ونهبوها. عندئذ، أنشئت في العراق، بمقتضى أوامر أصدرها عمر من المدينة، على الأرجح،

معارضة الشيعة والخوارج. ولئن بقيت مراسلته مع الأمبراطور البيزنطي، ليون الأيزوري، والرسالة التي انتقد فيها العقيدة المسيحية موضوع جدل من حيث سببهما إليه، فينبغي، من دون شك، أن نعزو إليه التوجيهات المتعلقة بوضع "مؤدّي الحزبة" في بلاد الإسلام.

إن الصورة التي انطبعت في الأذهان خلال القرون اللاحقة عن ذلك الخليفة قد تلاصق، إلى حد ما، الأسطورة. لكن شخصيته تميزت، من دون شك، عن سائر الخلفاء الأمويين. كما أن القرارات التي اتخذها كان لها دور لا يستهان به في مرحلة من الاضطرابات وعدم التوازن، فتركت بصماتها في تاريخ امبراطورية عربية - إسلامية كانت تسرّ بمرحلة من الانكشاف.

عمر الخيام، غياث الدين أبو الفتح بن إبراهيم ٩٠-٥١٧هـ / ١١٢٣م، عالم فلك ورياضيات عاش في اراكان، أيام حكم السلاجقة. كان كذلك مفكرًا وشاعرًا اشتهر في أوروبا بالقيمة الأدبية العالية لرباعياته.

عرف عمر الخيام، بدءًا من القرن التاسع عشر، بوجه خاص، في البلدان الأنكلوسكسونية، شهرة مدعشة قامت على الاقتباس الأدبي لنتاجه الذي نشره، سنة ١٨٥٩، الشاعر الإنكليزي ادوارد فيتزجيرالد (Fitzgerald). هذا العالم المميز في العلوم الدينية التي نمت في العالم الإسلامي في القرون الوسطى يتمتع في الغرب بمكانة سامية اليوم، بسببه الشاعرية المتجسّدة في الرباعيات. يُنظر إلى هذه النصوص الفارسية الموجزة على أنها من أكمل ما أنتجته العناية الشعرية الإيرانية، وتُعتبر وصية فيلسوف مُؤرّ فنته نظريات القياس. من جهة أخرى، ما يزال غموض لا شك فيه يحيط بحياة عمر الخيام وآثاره. فقد وُلِدَ في مقاطعة خراسان في مدينة نيسابور الغنيّة، وأوّلع بالأبحاث العلمية والميتافيزيقية التي أثارت الشكوك حول خروجها عن السمة الموروثة، وواظب على التعبير عن قناعاته من خلال تغنيها باستعارات مجازية أُنِقة. ولستنا متأكّدين من أنّ هذه القصائد الفارصة يجب أن تُنسب إليه. كما أنّنا لستنا متأكّدين من تأويلها، إذ إنّها تترجّع بين طلب النذرة والأخذ بالتشاؤم واعتماد المفاهيم

من البداية، فإنّ عمر قد وضع، بذلك، أسس نظام عربي - إسلامي شهد في ما بعد تطوّرًا هاملاً. ويقال إنّهُ اتخذ لأوّل مرة لقب أمير المؤمنين الذي غدا اللقب المميّز في ما بعد للخلفاء، وجميع الطامحين إلى الخلافة. وعندما اغتيل، بعد عشر سنوات من الحكم وهو قريب من الستين، على يد أحد الموالى، تسوّى له، قُبيل وفاته، أن يعمّن مجموعة من سنة من الصحابة أو كل اثنين أمر اختيار الخليفة من بينهم.

عمر بن عبد العزيز: ٦١ - ٦٨٠هـ / ١٠١١م - ٧٢٠هـ خليفة من سلالة الأمويين، حكم من العام ٧١٧م إلى العام ٧٢٠م / ١٠١١هـ، واستحقّ سمعة عالمٍ تقي ومُجَلِّدٍ للشريعة، ممّا أحلّه، في نتائج المؤرّخين المسلمين، مكانةً مميّزة بين أمراء أسرته.

عنه سرًا وليّاً لتهدد ابن عمه سليمان الذي أبعد ذرّيته عن السلطنة، فنهج عمر بن عبد العزيز، خلال حكمه الذي كان وجيزاً، سياسة مختلفة شيئاً ما عن سياسة أسلافه. بقاء الفتوحات، لا سيّما عندما كانت تحفها المخاطر كالحصلة ضد الفسطاطية، وصيّة اهتمامه على المسائل الداخلية في الامبراطورية، فكثف على الخصوص الجهود المبذولة لأسلمة الشعوب في الأراضي المفتوحة. في هذا السياق، طوّر سياسة مغايرة لتلك المعتمدة سابقاً، أخذاً في الاعتبار مطالب المسلمين الجدد، الخارجين من صفوف مؤدّي الحزبة أو أهل المذمة الذين لم يُعاملوا بالتساوي مع المسلمين القدامى. في ما يتعلّق بأداء الضرائب والمخدعة في الجيش. فأصدر براءةً نالت حقاً من الشهرة، رغم غموض بعض فقراتها، لأنّها وضعت المبادئ التي أخذت بها الإدارات الإسلامية اللاحقة، ولا سيّما في ما يتعلق بمسألة شائكة ومختلف فيها تتعلق بالوضع القانوني للأراضي.

إن هذا العامل المتبحّر في العلوم الدينية والفقه، وكذلك في الحديث - إذ يُنسب إليه مصنف في الأحاديث النبوية - قد يكون من أقدم المجموعات المحفوظة من هذا النوع - خاض كذلك مناقشات علم الكلام بإدائته، في رسالة له، الحركة الفقّرية. وسمى كذلك، جاهداً، بنجاح متفاوت، إلى التخفيف من

وصل معه إلى تأييد معاوية في الصراع على السلطة. وقد ساعده بحزم على بلوغ الخلافة، إن في معركة صفين أو في تحكيم أذرح. قبل أن يرجع محدثاً حاكماً على مصر التي أخذ على عاتقه مهمة إرجاعها إلى حظيرة الأيوبيين. وقد توفي فيها بعد وقت قليل، بعدما تقدمت به السن.

عُتَابَة (الجمهورية الجزائرية)، عرفت أيضاً بـ «بونة» عند العرب، وبعد ذلك عرفت بـ «عتابة»، والاسم مأخوذ من ثمر العُتَاب. مدينة بحرية جزائرية في المغرب الأوسط، تقع قريباً من الحدود الحالية للجمهورية التونسية. خضعت مدينة «هبيون» أو «هبيو ريجس» القديمة للإسلام خلال الفتح الكبري في مطلع القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد. وبسمّ تاريخها في كونها مكاناً تجارياً ناشطاً، وفي أنها كانت في العصور الإسلامية الأولى مسرحاً لأعمال الفرصة المتنوعة. وبدافع الانتقام، تحوّلت هدفًا لهجمات الأساطيل المسيحية من أيبير^١ و«جنوى» في مطلع القرن الخامس للهجرة/الحدادي عشر للميلاد، قبل أن يحتلّها، بعد ذلك، ن (١١٥٣م)، ملك صفّية النورماني، روجه الثاني، الذي نصب عليها أميراً من الأسرة الحنّابية. ثم أصبحت المدينة جزءاً من الإمبراطورية الموحّدية ابتداءً من سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، ثم جزءاً من المملكة الحفصية في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، مع احتفاظها ببعض الاستقلال، ولكنها تأثّرت بالسلطة التي تمتعت بها مدينتا بجاية وقسنطينة. ثم خضعت طوعاً سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م، في زمن خير الدين، لسلطة أتراك الجزائر العثمانيين، وبقيت على هذا الوضع حتى الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠، فظلتها، منذ ذلك التاريخ، نحوّلات الحفّة الحديثة.

عنترة، بطل أسطوري لرواية عربية قديمة هي «سيرة عنترة»، تجري أحداثها في عصر ما قبل الإسلام، إلّا أنّ روح الإسلام تراققها في مختلف مراحلها.

ويبدو بطل الرواية، مع استمراره نموذجاً لصاحب الفضائل في الحب والحرب التي تحلّى بها البدوي في ذلك العصر، متدفّفاً في مغامرات خرافية، متصرّفاً على طريقته كبطل للإسلام، مع خلفيّة تبقي على ذكريات

لصوفيّة، وقد انتقلت هذه القصائد، في أكثر الأحيان، عبر ترجمات ساهم كلّ منها، على طريقته، في صياغتها من جديد وفي رواجها الذي لا مثيل له.

مساعدة عمر الخيام في العلوم لم تكن بأقل أهمية. فقد عمد الخيام الذي كان منكّباً على علم الفلك رئيساً لمركز مرو -، مثلاً، على إصلاح التقويم الفارسي بناءً على طلب السلطان ملكشاه، واهتم أيضاً عن قرب بـ «الجيومتريا» وعلم الجبر، والمعلوم أنّ أحد مؤلفاته كان على المعادلات من الدرجتين الثانية والثالثة.

لُعمرة ← الحج.

عمرو بن العاص السهمي (ت ٤٣٣هـ/٦٦٣م)، هو أحد الصحابة وسياسي ماهر برز في مرحلة الفتح الكبري. قاد الحملة إلى مصر وافتتحها وبقي شهرته على نصائره فيها.

ولد في مكّة في قبيلة قريش، ولم يتقلّد الإسلام إلّا قبل سنتين من وفاة النبي (ﷺ)^(١). قاد الجيوش العربية الإسلامية التي انتزعت، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، بين سنتي ١٩ و ٢١٠ هـ/ ٦٤٠ و ٦٤٢م، وادي النيل من السلطة البيزنطية. وأمتاز عمرو بن العاص على الأخص بموهبته التنظيمية والإدارية، إذ نظم جباية الضرائب فوضع لها قواعد جديدة، وبنى معسكراً تحوّل إلى مدينة القسطنطينية، قرب مدينة القاهرة اليوم، مشمّناً مساحتها حصصاً بين مختلف القبائل، وشيّد المسجد الجامع الذي ما يزال يحمل اسمه. فمسجد عمرو بن العاص، أو الجامع العتيق، كان أوّل مسجد للمسلمين في أرض مصر، وهو ما يزال حتّى اليوم يحمل ذكرى ذلك القائد الذي اختار لتشييده مكاناً قريباً من مقرّ إقامته ومن الأبنية المخصّصة للجيش، وأعطاه وقتنّه قياساته الأولى المتواضعة. والترميمات والتعديلات المتلاحقة التي أدخلت على المسجد، والتوسيع الذي عرفه، خصوصاً في سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، كلّ ذلك لا يُسي اعتبار المرتبط بظروف تأسيسه.

عزل الخليفة عثمان بن عفّان عمراً بن العاص، لكنّ هذا الأخير استمرّ في أدائه دور سياسي ناشط وحذر،

المالكي في المنطقة التي تولى القضاء فيها من قبل سلالة المرابطيين.

ينتسب عباس إلى أسرة عربية بمعنى الأصل، كانت قد استقرت في المغرب، في سبتة (ولنا عُرف بالسبتية)، بعد أن أقامت في الأندلس ثم في فاس فالقيروان. أنهى علومه في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى شبه الجزيرة الإيبيرية حيث تعلم على عدد من المعلمين، ثم عاد إلى سبتة سنة ٥١٥هـ/١١٢١م حيث تولى القضاء. عيّن سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م، في غرناطة، لكنه لم يلبث أن عُزل بسبب طبعه المنحرج. ثم عاد قاضياً على سبتة سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م، وقام بدور سياسي حاسم في قيادة الحركة التي تصدّت للموحدين ولعقيدتهم التي رافها مخالفة للسنة. وبعد انتصار الحرك السياسية-الدينية الجديدة وتسلم قاداتها زمام الأمور نُفي إلى مراکش حيث توفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م. تارك ذكرى محدث وفقيه متعدد المؤلفات، ومذافع شديداً للغيرة عن المذهب المالكي.

عيد (أعياد)، مجموعة من الأفراح والتعبيرات الشعبية الأخرى التي يعنى بها في رموز مختلفة، منذ ماضٍ غليظ معلوم، في المجتمعات الإسلامية حيث تميز عن نقاب دينية إسلامية، كما أنها ثمرة عادات محلية أو تأثيرات أجنبية.

١ - إن العيدين الشرعيين والمنحفيين بهما رسماً حتى أيامنا، لصفتهما الشرعية الإلزامية المسلّم بها يطبعان السنة الإسلامية في تاريخ محدّد حسب التقويم القمري المعمول به منذ دعوة النبي محمد ﷺ، أي من تعديل ليضعة أيام من سنة شمسية إلى أخرى. ويحتج بكلٍ منهما بموجب طقوس تتكرر منذ قرون في المناطق الكثيرة التّنوع من العالم الإسلامي. ويتضمن كلاهما اشتراك المؤمنين في صلاة عامة. وتمتاز هذه بممارسات طقسية خاصة، ولا سيما عدد الركعات والتكبيرات وينبغي، عادة، إقامتها في الهواء الطلق، على مصطبة المصلين، رغم انتشار العادة بالتجمّع بكل بساطة في أي مسجد جامع. يُرافق هذه الصلاة الموصى بها بالاحتفاء مظاهر تقوية لا تعتمد أن تتحوّل، كمثل زيارة القبور، إلى مناسبات فرح باجتماعات عائلية يتخلّلها تبادل هدايا.

متنوعة مختلفة من عصر الفتوحات الكبرى في القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، ومن عصر الحروب ضد الفرنج ابتداءً من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. وهو بذلك يعكس، في المجتمع الإسلامي في هذه الحقبة، تحوّل وتبني مفهومي المروءة والفنوة اللتين أدت دوراً مميزاً في تفكيره الثقافي، وفي مشاعر معظم الحركات الاجتماعية والدينية.

عنجر (قديمًا: عين الجبر)، موقع أثري لمدينة ملكية شيدت في العصر الأموي وخضعت حديثاً للتقريب والترميم.

هذا البناء يرتبط باستثمار هضبة البقاع الخصبة [حاليًا في لبنان]، ما كان يعود بالقائدة على الجيوش العربية - الإسلامية المرابطة في سوريا بعد الفتوحات الكبرى، ويبيّن مدى تكيف العادات المحلية مع حاجات الأسباط الجدد.

فقد أنشئت قنوات لتصريف المياه وجّهها من أجل الري، إضافة إلى قصر ملكي أمر بتشيد الخليفة الوليد بن عبد الملك بين سنتي ٨٦ و٩٥هـ/٧١٤ و٧١٥م. وهذا ما ساعد على قيام تجمّع سكي صغير ذي طابع رسمي. كما تؤدّع الأبنية السكنية على شوارع عريضة، تحيط بهما الحوائط القائمة وراء صف من الأعمدة، وهما يلتقيان عند زاوية قائمة حول بناء رباعي الشكل يشير إلى أنه القسم المركزي.

برز هذا التصميم المنتظم للمقيمين، وكان يحيط به سور مستطيل الشكل، واضح المعالم، داخله مجموعة آثار أبنية متنوعة، كالمسجد الجامع، والحمامات، والمساكن، فضلاً عن القصر الملكي الذي يميزه بمجاسده الكبيرة القائمة على شكل بازيليكي. ويُلاحظ بوضوح، في عملية البناء وفي الشكل والزخرفة، أثر الفن المعماري القديم وأثر الفن البيزنطي.

« راجع المسند ٩ و٢٦ ».

العيّارون ← ميليشيات المدن.

عياض (القاضي)، عياض بن موسى بن عياض ابن عمرو البحصوي السبتي، ٤٧٦ هـ/١٠٨٣ - ١١٤٩، قاضي شهير في المغرب، وممثل المذهب

المكرمة، إلى العيدين الشرعيين، مع تفاوت في نجاحها بحسب المناطق. وكانت بعض هذه الاحتفالات المعروفة بـ«المواسم» تجري في ذكرى مولد أشخاص أقياء أو في ذكرى وفاتهم، وحتى الأنبياء. فكانت حشود الناس تتجمع، في كل عام، حول مقام غدا موضع زيارة أو حول أي مكان موثّر، ويكون في أكثر الأحيان ضريح وليّ، أثا كان موقعه. وكانت بعض هذه الاحتفالات، التي احتفظت بطابع محليّ بارز، تقضي بحضور أنواع الطرائق الصوفيّة في المنطقة. وهكذا كانت تشهد على تنامي نفوذ أهل التصوّف الذين ساهمت تقوَاهم، منذ القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، في استيعاب الإسلام بدعًا غريبةً عن تقاليدهِ الأصلية.

كذلك كان لأعياد أخرى صفة غير إلزامية عامة، وذلك منذ البداية، مثل عاشوراء لدى السنة التي طبعنها طقوس مختلفة في غرة شهر محرم، وهو الشهر الأوّل من السنة الفجرية الإسلامية، تذكّارًا للصيام الشرعي الذي فوّره نبيّ الإسلام (ﷺ) بشكل مؤقت في ذلك التاريخ. كما أنّ العادة جرت بالاحتفاء، في الخامس عشر من شعبان، بـ«ليلة البراءة»، وهي تسمية ما تزال غامضة، وفي السابع والعشرين من رمضان بـ«ليلة القدر» الموافقة ذكرى نزول الوحي على النبي محمد (ﷺ) لأوّل مرّة. أخيرًا، كان السابع والعشرون من رجب يصادف ذكرى الإسراء، في حين أنّ ذكرى مولده المحدّد، اصطلاحًا، في الثاني عشر من ربيع الأوّل غدا في أيامنا عيد مولد النبي (ﷺ)، وهو أحد الاحتفالات الإسلامية الذي يتزايد رواجه باستمرار، رغم معارضة بعض العلماء.

يتبنّى النمر، في كثير من الأحيان، في هذه الأعياد المتنوّعة، حرصًا على تكريم شخص النبي محمد (ﷺ). كما أنّ الأوساط (الشيعيّة تكمّم عينيّ وأسرته، مع الأعياد التي تحيي المراحل البارزة بامتياز لعبياته أو حياة ذريّته وورثته في القداسة، أي الأئمة العلويّين، عند الشيعة. من ذلك عيدان حرت الاحتفالات بهما، بوجه خاص، وبحسب طبيعة كل منهما، أحدهما عيد الغدير أو غدير حتم، وعيد العداد على الحسين الذي يعرف كذلك باسم

إثّ عيد الأضحى المعروف أيضًا بعيد النحر هو أهمّ لعيدين الشرعيين من الناحية الدينية، ويُطلق عليه عادة اسم العيد الكبير، وبالتركية ببولوك بيرم. في هذا اليوم، الذي يقع في العاشر من ذي الحجة الموافق يوم الحجّ الكبير، يبادر الحجاج المتجمّعون بالقرب من مكّة، في إدي منى، إلى تقدمة أضحية تذكّارًا لأضحية إبراهيم. هكذا يقوم كل مسلم، بحسب استطاعته، بالتضحية حيوان يكون في أكثر الأحيان حملًا يتناعه لهذه الغاية. لا يخصّ نفسه منه إلا بنصيب قليل مؤدّا الباقي على سواء من الناس.

خلال العيد الآخر، الذي يصادف الأوّل من شوال، ثمّ ظهور الهلال المنتظر، يحتفي المسلمون بختم فترة لصيام الشرعيّ لشهر رمضان، وذلك بمظاهر حبور. تبادل التهاني وتقديم السكاكر والحلويات للمهنّين. توزيعها على الأولاد بوجه خاص، ومن هنا أطلق عليه نبي تركيا اسم «شكر بيرمي» أي عيد السكر. إنّ الأقبال لذي امتازت به احتفالات عيد الفطر، رغم نعمته بالعيد لصغير، بالتركية «كوجوك بيرم»، دفع بالناس إلى إهتمام به أكثر من احتفائهم بعيد الأضحى.

٢ - ثُمَّ احتفالات وتذكّارات إسلاميّة من شأنها أن تنبع للناس التعبير عن فرحهم أو عن حزنهم، أحيانًا، صورة علنيّة، تنامت شيئًا فشيئًا مع المعتقدات المختلفة لتي استندتها، مقبنة أحيانًا من تقاليد سابقة لبعض لطقوس. بعض هذه الأعياد عبارة عن اجتماعات عائلية أحيانًا تراقف مناسبات مهمّة في حياة كل مؤمن، كالولادة والموت أو الختان، كذلك الزواج؛ وبعضها لآخر يندرج في إطار حياة منطقيّة ما وينتم عن بروز جديد مظاهر نفوذه لا شعورية قديمة، واحتفالات خاصة مرتبطة بتقاليد «تكريم الأولياء». وهي، في واقع الأمر، مودة إلى تقاليد يهوديّة أو مسيحيّة وحتى فولكلورية أو طنيّة، ترتبط باصول إيرانيّة أو هنديّة أو تركيّة أو بربريّة و أفريقيّة. وقد استمرّت حيويّتها بوجود جماعات من هل اللدّة حافظت على تقاليدّها في أوساط آية جماعة إسلاميّة، مهما تكن صرامة معتقدّها، فكانت تحتفي بأعباءها الخاصّة، بأنّيّة وجلال في بعض الأحيان.

وهكذا أضيفت احتفالات كثيرة، مرتبطة بالمواقع

عاشوراء.

العید الصغير ← عید (أعياد).

العید الكبير ← عید (أعياد).

عیداب، محلّة مرفئة إسلاميّة قديمة على الشاطئ الإفريقي للبحر الأحمر، لا يُعرف مكانها اليوم إلا من خرائطها الموجودة في مكان متعزل.

يعود الفضل في ازدهار هذه المدينة الموقّت إلى موقعها على محور نشاط تجاري بحري وبزّي معًا، كما يربطها باليمن. ومنها كانت تمر أنثى السلع الثمينة القادمة من الهند وسائر مناطق الشرق الأقصى، عبر المحيط الهندي، في اتجاه المراكز التجارية شمالًا مصر. وكان يقصد هذه المراكز، في القرون الوسطى نجار مسيحيون يشاركون في الملاحة المتوسطية بين الشرق وبلدان أوروبا. والحركة التجارية التي انطلقت في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، والتي كانت تؤمّنّها، بالتعاقب، السفن والقوافل بين النيبا والبحر، عبر «قرص» و«أسوان»، أسهمت في غنى دولة المماليك في مصر، إلى أن غيّر اثيرتغاليون مساه التجارة واختطوا طرقًا خارج نطاق عالم الإسلام. ول يكن خراب الرقّا - الذي يُعزى إلى السلطان المملوك بارساي - في النصف الأول من القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد - إلا تأكيدًا لانحطاط هذه المحلّة. من جهة ثانية كانت عیداب، في زمن ازدهاره البحري، تؤمّن نقل الحجاج إلى الجزيرة العربية ومكّة المكرمة، بعد أن يجتمعوا فيها قادمين من مصر والمغرب وأفريقيا السوداء.

«راجع المستدين ١٣ و٢٥».

عيسى أو يسوع، يُطلق عليه غالبًا في اللغة العربيّة اسم عيسى بن مريم، وهذا التعبير نجده في حوالى خمس عشرة آية قرآنية حيث يُعتبر غالبًا نبىً مرسلًا ومُهدىً للنبىّ محمد (ﷺ). تستعيد الرواية القرآنيّة المتعلّقة بالحمل العجائبي لمريم وبولادة عيسى ونشأته ورسالته وموته ما ورد في رواية الإنجيل، ولكنها تختلف عنها في نقاط عدّة. إن المقطع الأكثر أهمية المتعلّق بولادة عيسى نجده في سورة مريم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ آدَمَ نَكَلًا

العید الأول تذكّار، خلال شهر ذي الحجة، للخيار الذي اتّخذه النبيّ محمد ﷺ، في ذلك المكان، بحسب التقاليد الشيعية، في ما يتعلّق بوصاته إلى عليّ بن أبي طالب في السلطة إذ أعلن «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وقد احتُفي بهذا العيد علنًا في بغداد ابتداءً من العام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م، خلال سيطرة البويهيين من الشيعة، وأدّى ذلك إلى بعض الأحداث بسبب معارضة أهل السنة. العيد الثاني الذي أثار ردود فعل مشابهة في الفترة نفسها، والذي كان جعل من العاشر من محرم الذي كان النبيّ محمد ﷺ اتّخذ منه يوم صيام، تقدّسه أهل السنة لهذا العنوان، يوم حداد علنيّ تذكّارًا لمأساة الإمام العلويّ الثالث وحفيد رسول الإسلام الذي قتل في ذلك اليوم، في كربلاء، خلال التحام مع فرق مغتالة موالية للحاكم الأمويّ سنة ٦٨٠/ ٦٨٠م. وقد انطوت هذه الذكري، التي أصابت في بعض المناطق وخلال بعض المنعهود أهمية عظيمة جدًا، على مشاهد من النجيب والمرائي، تحوّلت أحيانًا إلى عروض مسرحيّة حقيقيّة سمّت (مجالس العزاء).

أخيرًا يُشار، خلال أواسط القرون الوسطى، إلى أعياد غير إسلاميّة، غير مرتبطة بالدين أو أعياد مسيحيّة، اشتركت في احتفالها جموع من أهل المدن وذكرتها مدوّنات تلك الأيام. والمعروف منها كان يُقام في بغداد خلال العهد العبّاسي حيث كانت الأعياد المسيحيّة الكبرى، مختلطة بطقوس موسميّة، تُتيح مناسبات للهو يشترك فيها الجميع، وحيث عرفت أيضًا الإحتفالات، في المدينة وفي البلاط معًا، بالنسبة الجديدة الإيرانيّة الشمسية المعروفة بالنيروز والمناشئة لاحتفالات الربيع [العتيقة]. وكذلك الأمر كان بالنسبة إلى القاهرة، عاصمة الفاطميين، حيث استمرّت، على سبيل المثال، الطقوس القديمة للسنة الجديدة القبطيّة، وحيث كان عيد الغطاس عند المسيحيّين يجمع معظم سكّان العاصمة على ضفّتي النيل فينصرفون إلى المأكّل والمشرّب والرفص على أنغام الموسيقى. وثمة حالات مشابهة أخرى يمكن الإشارة إليها كانت سائدة في الهند وجزر الهند وأفريقيا السوداء وأمكنة كثيرة أخرى.

الحالية، مدينة في جنوب شرق الأناضول، كانت في القرون الوسطى مسرح معارك مستمرة على الحدود السورية، قبل أن تصبح اليوم مركزاً ناشطاً في الجمهورية التركية.

تقع في حوض الفرات الأوسط على مفترق طرق قوافل تنح من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، ما وقر لها أهمية اقتصادية وإستراتيجية. وقد نمت مدينة عينتاب في نهاية القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، في جوار الأبراطورية البيزنطية. لكونها من مدن الثغور على الحدود الشمالية للمملكة حلب الحمدانية، وقد خلفت، في هذا الدور، مدينة دوليشي القديمة التي أصبحت قلعة دولوك بعد احتلال الجيوش العربية - الإسلامية لها خلال الفتوحات الكبرى، وقد دمرتها الهجمات البيزنطية.

ضمتها فرنج الحملة النصليبية الأولى إلى كونية الزها/أورفا، لكن المسلمين استعادوها في العام ٥٤٦هـ/١١٥١م، انتزعها نور الدين الزنكي من سلاجقة الروم عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م، وجعل منها موقع دفاع عن مقاطعة حلب، وبقيت طوال قرنين ونصف القرن بين أيدي أسباط تقاتلوا على حكم سوريا من أيوبيين ومماليك، ونتج عن حملات تيمورلنك في العام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م أن انتقلت إلى حكم السلالات التركمانية الصغرى في عصر الإمارات في الأناضول، وخلفهم عليها العثمانيون في القرن السادس عشر من دون أن تشهد أي تقدم.

أصبحت عينتاب تدعى «أنتيب»، وأضاف إليها الأتراك نعت «غاري» خلال الحروب التي وافقت، في عامي ١٩٢٠-١٩٢١، ولادة تركيا الجديدة، وقد عرفت إزدهاراً اقتصادياً وإدارياً، بعد قطع علاقاتها بحلب وسوريا.

عين جالوت (معركة)، ١١ شوال ٦٥٨هـ/ ٣ أيلول ١٢٦٠م، معركة واجه فيها المماليك الغزاة المغول قرب قرية عين جانوت في فلسطين شرقي مدينة نابلس. وكان الجيش المملوكي قد قدم من مصر بقيادة السلطان قُطُز الذي اغتيل لاحقاً، وقوامه مئة وعشرون ألف محارب. فانتصر على الفرسان الأسبويين الذين كانوا

ذلك موقف ابن العربي الذي يجعل من عيسى «خاتم المقدسة العالمية».

وفي الواقع، وخلال ازدهار تكريم الأولياء في توسط الإسلامي في القرون الوسطى، كانت صورة المسيح/ عيسى الإسلامية تكثر في العديد من المزارات القائمة في أماكن كانت عادةً موضع إجلال في التقاليد المسيحية. فتبناها المسلمون، لا سيما عندما كانت التذكري التي تخلدها تتفق مع تعاليم الإسلام. في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي مثلاً، يشير دليل النهري إلى أن بعض هذه المزارات تتطابق مع مراحيل من طفولة المسيح ويحدثها، إما في فلسطين بالنسبة إلى ولادته في بيت لحم أو إلى طفولته في الحرم القدسي، وإما في مصر حيث يجبل الأقباط. منذ زمن بعيد، آثار مرور المسيح وأمه في اثينسا والمطرية. قليلة هي الأماكن المرتبطة بذكرى المسيح/ عيسى الشاب، كـ«أعجوبة المائدة» التي حُدد مكانها في كنيسة صهيون، أو كموضوع الصعود نفسه.

جرى جدلٌ عنيف ما بين المسيحيين والمسلمين حول شخصية يسوع/ عيسى في تلك الفترة وما قبلها، وهو مستمر حتى أيامنا هذه، وإن غلبت لدى المفكرين المسلمين عادةً جعلتهم يقصرون تفسيراتهم على الملامح القرآنية لهذه الشخصية. بيد أن هذه العادة المحترمة على الدوام، لم تمنع حصول محاولتين فريديتين في القاهرة، أحدهما عام ١٩٥٢م والأخرى عام ١٩٥٦، حينما أثار كل من محمود العقاد، في «عبقريّة المسيح»، وكامل حسين في «المدينة الباغية»، مسائل ميتافيزيقية وأخلاقيّة جديدة مُعتمدين على الانجيل والقرآن.

عيساوية، طريقة صوفية إسلامية دعت باسم مؤسسها في المغرب، محمد بن عيسى الذي عاش من ٨٧٠هـ إلى ٩٣١هـ/ ١٤٦٥ إلى ١٥٢٣م، وتعاليمه مرتبطة بتعاليم البُزُولي.

تبئى مربدوه طرائق خاصة في النشوة نجعل الصوفي فافذا الشعور بالنار والشفيف. كان مركز هذه الجمعية في الجزائر قرب ميديا (Média).

عينتاب (الجمهورية التركية)، هي غازي أنتيب

أعدائه. والواقع أنه لم يمنع ذلك قيام مملكة جديدة شرقية شملت إيران والعراق والأناضول حيث ظلّ المغول يشكلون خطراً داهماً على جيرانهم لسنوات عديدة. ومقابل ذلك، سمح الانتصار للسلاطين المماليك بتقوية دولتهم الفتية في مصر، كما سمح لاحقاً للسلطان بيبرس بأن يتسلم الحكم بعد أن تفوق في ساحات القتال.

العبونيون ← البحرين، الأحساء.

بقيادة كنجغا الذي أسر وأعدم. هذه الهزيمة وضعت حدّاً للزحف الظافر الذي قاده هولاكو انطلاقاً من خراسان. والذي تميّز بنهب بغداد سنة ١٢٥٨/١٢٥٨م، وقد جعلت المغول يمتنعون عن القيام بأيّة حملة انتقامية على سوريا، وذلك لأنّ هولاكو، الذي أسس لاحقاً دولة الإيلخانيين، استُدعي إلى منغوليا بسبب الأحداث السياسية التي تلت موت الخان الأكبر مونكو.

اعتُبر أنذاك انتصار المماليك في عين جالوت، في نظر المؤرّخين العرب، إنصافاً حاسماً للإسلام على

المقدسة . وأدت استعادة القدس من قبل صلاح الدين في العام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، إلى عودة سيطرة المسلمين على البلاد المصرية والسورية من القرن السابع إلى العاشر للهجرة/ الثالث عشر إلى السادس عشر للميلاد ، تحت حكم الأيوبيين والمماليك ، في حين بقي الأناضول الذي توحد لفترة تحت حكم سلاجقة الروم في أيدي المسلمين ، على الرغم من الانقسامات السياسية في ذلك العصر ، في الحقة المعروفة بحكم الإمارات . وهكذا انتقلت جهود الغزاة شمالاً في اتجاه البلقان . وأدت هذه الجهود إلى ازدهار الدول التي استمرت أنجحها فيها فاعلاً ، ما أنحاز للعثمانيين وضع أسس امبراطوريتهم المستقبلية .

في تلك المرحلة ، كان الغزاة ينسبون في آسيا الصغرى إلى مجموعات «أخي» وإلى جمعيات الفتوة الدينية ، كما انضموا أحياناً إلى الطوائف الصوفية . وقد غدوا أعضاء في جمعيات الدراويش المحاربين واضطلعوا بدور سياسي يتلاءم والاحترام الذي كان الناس يبدونه تجاههم بسبب شجاعتهم . نستطيع أن نكون فكرة عن هذا الاحترام من خلال نص لمؤرخ تركي من القرن الرابع عشر الميلادي يقول فيه :

«الغازي هو يد دين الله ، هو حاد الله الذي يفتخر الأرض من دنس الشرك . والغازي هو سيف الله ، فهو حامي المؤمنين وملجأهم . فإن استشهد في سبيل الله فلا تحسبه ميتاً ، بل هو حي سعيد بالقرب من الله ، ينسج بهجة أبدية» .

غازي ← الظاهر غازي (الملك) .

غازي عيتاب ← عيتاب .

غامبيا (جمهورية غامبيا) ، مساحتها ١١ ٣٠٠ كم^٢ . عاصمتها بنشون ، دولة معاصرة مستقلة ، عدد سكانها دون المليون نسمة ، غالبيتهم من المسلمين بنسبة ٨٦ إلى ٨٩٪ .

غازي ، كلمة عربية دخلت اللغة التركية ، كانت تعني ، في الأصل ، من يشارك في غزوة . وبعد ظهور الاسلام غدت تعني من يشارك في حملة ضد الكفار ، أي في عملية جهاد .

والغازي أو المحارب هو لقب شرف أسد ، عبر التاريخ ، لكثير من الملوك والأمراء الذين تميزوا في عمليات الغزو أو الجهاد وقد جعلوه في جملة ألقابهم . وكان آخر من أطلق عليه لقب «الغازي» ، في التاريخ المعاصر ، مصطفى كمال أتاتورك الذي دافع عن تركيا ضد أطماع جيرانها . وفي القرون الوسطى استعملت اللفظة كنسب علم حمله ، على سبيل المثال ، في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، ابن صلاح الدين الأيوبي وأمير حلب الملك الظاهر غازي . وأطلق لقب الغازي على الجنود غير النظاميين الذين كانوا يحاربون على الثغور في المصور الأولى للإسلام ، إما على تخوم بيزنطية وإما في مناطق أبعد مثل ما وراء النهر وخراسان وآسيا الوسطى ، وذلك دفاعاً عن «دار الإسلام» . وقد استعمل بعض هؤلاء الغزاة ، محمود الغزنوي ، الذي أدخلهم في جيشه الذي قاده إلى الأقاليم الشمالية من الهند .

تُعيد ذلك ، أدى الزحف الكثيف للغزاة الأتراك وقيام الأمبراطورية الإبرانية السلجوقية إلى منح مكانة خاصة ، في الدفاع عن الاسلام ، لهذه العصابات من التركمان غير المنتظمة التي كانت تحركها روح الجهاد . والتي سرعان ما احتلت الأناضول وأقامت فيها من دون أن تتخلى عن حياة الترحل ولا عن شراستها في القتال ، في حين نشبت أيضاً معارك جهادية أخرى في سوريا وبلاد ما بين النهرين العليا لمحاربة قرون الأرض

٢ - جمهورية غانا: مساحتها ٥٣٧ ٢٢٨ كلم^٢، عاصمتها أكرا، وهي دولة معاصرة مستقلة فيها أقلية مسلحة تقدر بعشرين بالمائة من أصل خمسة عشر مليون نسمة.

ولدت غانا من مستعمرة الشاطئ الذهبي البريطانية، وهي مفتحة جنوباً على خليج غينيا، ومن الجهات الثلاث الأخرى محاصرة بشاطئ العاج غرباً وبجمهورية بوركينا فاسو شمالاً، وجمهورية التوغو شرقاً. وهكذا فهي تضم مناطق مختلفة مأهولة، ابتداء من الغابة الاستوائية المجاورة للمنطقة الساحلية، وصولاً إلى سهوب الساحل السوداني. وقد تلا الظهور الأول للإسلام، في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، الأنشطة التجارية لقبائل ديولا والمهوسا الوافدة من الشمال ومن الشمال الشرقي. وقد تكاثرت هذه القبائل على طرق القوافل التي تربط تلك المنطقة بملتقى الطرق في وادي النيجر، ما أدى إلى الازدهار الموقت الذي عرفته دولة غونجا الإسلامية شمالي البلاد.

سلكت مجموعات صوفية مختلفة بعددٍ طفرات هذا التوسع، فأدى ذلك، في مطلع القرن الثامن عشر، إلى أسلعة سلطانين لمملكتين صغيرتين في الجزء الشمالي من البلاد حيث نمت هندسة إسلامية ما تزال آثارها باقية. وقد ساهمت أنشطة أخرى متصلة بحركة عثمان دان فوديو في شمال نيجيريا، وبنشوء الأمبراطوريات البهوية في انطلاق الإسلام. وقد شهدت المنطقة أيضاً حيوية متزايدة للطرق الصوفية مثل النيجانية والقادارية، كما تفرقة الأحمدية إثر الحرب العالمية الأولى. تبع ذلك في القرن العشرين تضاعف عدد الجمعيات والهيئات المختلفة التي تُعنى بالتعليم وينشر الإسلام، ما أسهم في تزايد اعتناق الإسلام الذي نلاحظه في تلك المنطقة منذ بضعة عقود.

◀ راجع المستندين ٣٨ و٢٩

غَاو (جمهورية مالي)، ويقال لها في العربية كاوكاو: مدينة في ما كان يُعرف قديماً بالسودان الساحلي، تقع على مجرى نهر النيجر غير بعيدٍ من مُبُكُتو. وكانت في القرون الوسطى المتأخرة مركزاً إمبراطورية ثرية

تفتح من الغرب على الساحل الأطلسي لأفريقيا، لكنها محاطة، من بقية الجهات، بجمهورية السنغال وهي محمية بريطانية قديمة، استقلت في العام ١٩٦٢.

عُرف أول ظهور للإسلام في البلاد ما بين القرنين الخامس والثامن للهجرة/الحادي عشر والرابع عشر للميلاد. لكن انتشار هذا الدين قد تمّ فعلياً في القرن التاسع عشر مع تأثير روح الجهاد التي حرّكت في تلك المرحلة إمبراطوريات اليول (الغلبة) في ما كان يُعرف بالسودان الساحلي.

هذه الإنطلاقة تطوّرت في إطار المذهب المالكي ونشاط الطوائف الصوفية، وبخاصة القادرية والنيجانية اللتين حافظتا على نفوذهما إلى يومنا.

غانا، إسم حملته في أفريقيا الغربية السوداء، على التوالي، مملكة في القرون الوسطى ذات ماضٍ أسطوري، وجمهورية حالية تحتل مساحة من الأرض تختلف كلياً عن مساحة المملكة السابقة.

١ - كانت هذه المملكة تحمل اسم مدينة زانت اليوم، تتماهى مع الموقع المسمى كومي صالح، على النجوم الجنوبية الشرقية لجمهورية موريتانيا الإسلامية الحالية. أمّا أحداث تاريخها فغامضة غموض التحولات التي عرفتها جزءاً ما أصاب طرق القوافل، التي كانت في أصل غناها الاقتصادي، من تغيّرات. تطوّرت هذه الطرق مع تطوّر الدول الإسلامية في المغرب ومع تقدّم الفتوحات التي قامت بها القبائل البربرية أمثال لُثُونَة، فيما كانت تتعاظم مراكز تجارية أخرى مثل أوداغوست وغاو (كاوكاو). إنّ المراحل الدقيقة التي مرّت بها غانا غير واضحة المعالم، في حين يكفي المؤرخون العرب بذكر الانحطاط الذي شهدته إثر الاستيلاء العنيف على عاصمتها في العام ١٠٧٦/٨٤٦٨م من قبل أحد قواد المرابطين المغامرين.

والشبهة المتصلة إلى يومنا بذكرى هذه المملكة القروسطية كانت في أصل تسمية «جمهورية غانا» التي اعتمدها الاستعمار البريطاني للشاطئ الذهبي عند استقلالها في العام ١٩٥٧، على الرغم من أنها لا تنتمي البتة إلى المناطق الساحلية التي ازدهرت فيها دولة غانا القديمة.

للمُستعْثَين قبل أن يجري تدميرها.

مفترق طرق القوافل هذا سنكه، في القرون الأولى للإسلام، التجار المسلمون. وتسمح لنا الأوصاف التي تركها الرحالة العرب، مثل ابن بطوطة في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر الميلادي، والجغرافي البكري في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أن نكون فكرة عن غنى هذه المدينة وهندستها قبل انحطاطها إثر الهزيمة التي منيت بها غاو عام ١٥٩١. وهذه المدينة التي تطلّرت عند مفترق الطرق العابرة للصحرى التي كانت تربط نيجيريا بما كان يُعرف بإفريقية في القرون الوسطى، وصولاً إلى النحوص الشرقي للمتوسط، فقدت تماماً دورها كعاصمة تجارية وإدنية. فقد عاشت كمحمية مغربية أولاً وسيطر عليها الطوارق ابتداءً من العام ١٧٧٠، من دون أن تشهد ازدهاراً حقيقياً في المرحلة الاستعمارية أو المعاصرة.

◀ راجع المبتدئين ٢٨ و ٢٩.

عُجْرَات، منطقة في الهند، تقع في الشمال الغربي لشبه القارة، وهي جزء من الاتحاد الهندي اليوم. إنها تحفظ بأقلّيات إسلامية تعود إلى الحقبة الطويلة، بين ١٢٩٨ و ١٨١٧، التي كانت فيها سلطنة مستقلة، ثم إقليمًا من إمبراطورية المغول.

هذه المنطقة الساحلية التي نمت ازدهارها الملاحية البحرية - الإسلامية والتجارة البحرية عبر العصور، وظلت، بفضلها، علاقات متقدمة مع البلدان الإسلامية. ثم كانت مسرحاً لغزوات فاتحين مسلمين كالغزنويين الذين هاجموا منطقة الكانجاور في عهد محمود، في العام ١٠٢٦م، أو كانغورين الذين وجهوا إليها، في العام ١١٩٧م، حملة طافرة بامرة قاندهم قطب الدين إيبك. إلا أنها استمرت حتى في العام ١٢٩٧م، حين ضمّها سلاطين دلهي. من سلالة خلجي، إلى إمبراطوريتهم. وعندما بدأ أفول حكم التتلقين، الفرع الآخر لسلاطين دلهي، وابتداءً من نهاية القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، اتخذ الحاكم مظفر لقب شاه، ما يترس لخلفائه حكم سلطنة مستقلة ونوفاير الإشاع لعاصمتهم الجديدة، أحمد آباد وتشابتر/محمود آباد، مرشحين مذهب

التسنن، لكن باعتدال. وهكذا، فتحت المنطقة لانطلاقات المتصوّفين، وبخاصة الطريقة النيشية، وأمام تعاليم الفقهاء. كما استقبلت دعاة الإسماعيلية الذين استقر أكثرهم في شبه جزيرة كانتش التي كان احتلها الملك محمود شاه الأول. إن أمراء عُجرات، الذين قاتلوا ضد جيرانهم في ملوى، وخانديش والدكن، والذين استندوا على تحالفهم مع المماليك والأسطول المصري، اضطروا، كذلك، ابتداءً من العام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م، لقتال أمير تغالين الذين أخذوا يهددون النشاط التجاري لمرقاني كمانبي ثم سورت. وقد اضطروا أيضاً إلى الاتفاق مع البرتغاليين الذين لم يترددوا في اغتيال السلطان بهاذوري في العام ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م، ولم تعرف عُجرات، بعد هذا الاغتيال، سوى انقاسامات داخلية. ففي العام ١٥٧٣ اجتاحت الإمبراطور أكبر المنطقة فغدت إقليمًا في إمبراطورية المغول، على الرغم من محاولات عدة للمقاومة، ولكنها عرفت، بعد ذلك، عهداً من التراجع.

وقد استخدمت مرافئها التي عادت التجارة إليها، من قبل السكان المتوجهين إلى مكة للحج. وبعد انتهاء السيطرة المغولية في العام ١٧٥٨، خضعت عُجرات لتبلاء محليين إلى أن سقطت في أيدي البريطانيين في العام ١٨١٧.

سلاطين عُجرات (١٣٩١/١٥٧٣م)،

١٣٩٦-١٤١١م	مظفر الأول
١٤١١-١٤٤٣م	أحمد الأول
١٤٤٣-١٤٥١م	محمد كبريه
١٤٥٨-١٤٥٨م	قطب الدين أحمد الثاني
١٤٥٨م	داود شاه
١٤٥٨-١٥١١م	محمود الأول بابزرا
١٥١١-١٥٢٦م	مظفر الثاني
١٥٢٥م	بيكندر شاه
١٥٢٥م	ناصر خان محمود الثاني
١٥٢٦-١٥٣٦م	بهادر
١٥٣٧-١٥٥٣م	محمود الثالث
١٥٥٣-١٥٦١م	أحمد الثاني
١٥٦١-١٥٧٣م	مظفر الثالث

◀ راجع المبتدئين ٣١ إلى ٣٤.

والخاصيات الخارجة على القواعد المعروفة. إلا أنَّ التوجه البصري في صياغة هذه القواعد هو الذي ساد في نهاية الأمر. لكنَّ مفهومها لعلَّ اللغة تنامي في الأوساط الخصوصية الباطنية، القريبة من المذهب الإسماعيلي. من هذا المنطلق اعتبر جابر بن حيان أنَّ أحرف الألفباء كانت في أساس الخلق، تجسيداً لكلام الله. وأنَّ الكلام نشأ عن النفس الكلية. إلا أنَّ هذه المقولات اقتصرَت على أوساط محدودة.

غراري (خانات)، سلالة أمراء من العقول المسلمين؛ من أحفاد جنكيزخان، حكموا بلاد القرم طوال ثلاثة قرون. استقروا، في بادئ الأمر، في القرن الرابع عشر للميلاد، في أراضي أقطمهم إياها غابات الدين تُقشش. وهي تعود لخانات القبيلة الذهبية. وقد عمل هؤلاء الأسباط الجدد لشبه جزيرة القرم وأوكرانيا الجنوبية، وصولاً إلى مرتفعات القوقاز، على تثبيت استقلالهم تجاه الدولة المغولية السيبيرية التي كانت تواجه صعوبات داخلية. وقد نصبوا أنفسهم، في ما بعد، في القرن السادس عشر، ورثة لها، وجعلوا من مكان إقامتهم في باغجه سراي، بالقرب من سفروبوليس، مركز قوة عسكرية وثقافية مرموقة أثرتها أنشطة تجارية بزية وبحرية في آن. إلا أنَّ وضعهم الذي جعلهم على اتصال مباشر ببلاد الروس الذين كانوا قد قضوا على خانيات قازان واستراخان في العامين ١٥٥٢ و ١٥٥٤م، أجبرهم على وضع أنفسهم تحت حماية الأباطرة العثمانيين. وكان من نتائج ضعف الباب العالي، في القرن السابع عشر، أن قُضي على هذه السلالة، بعد أن احتلَّت جيوش كاترين الثانية بلاد القرم وضممتها إلى الامبراطورية الروسية في العام ١٧٨٣.

غرب ← الغرب.

غرناطة، مدينة في الأندلس، كانت آخر مدينة استردها الأسبان من المسلمين في نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، ما تزال تحفظ من ماضيها الإسلامي بأثار ذات شهرة معيّنة.

كانت غرناطة، الواقعة في منطقة جبلية، جنوبي شبه الجزيرة الإيبيرية، تمتد على الضفة اليمنى لنهر

غُدالميس (الجمهورية العربية الليبية)، واحة مسكونة، مُدنية بوجودها لنوع ارنوازي، ومُدنية بإزدهارها القديم لموقع احتلته على مفترق طرق القوافل الوافدة من طرابلس وقابس وأورغلا.

ضمَّتها إلى دار الاسلام في العام ٨٤٧/٦٦٧م. زمن الفتوحات الكبرى، عقبه بن نافع. وأصبحت غدامس الواقعة على حدود إفريقية مركزاً للإباضية، بادئ الأمر. وبقيت تتمتع باستقلال نسبي عبر القرون لكنَّها اضطرت، في العام ١٨٦٠، إلى الاعتراف بسلطة العثمانيين عليها. احتلَّها الإيطاليون في العام ١٩١٣، ثم الفرنسيون في العام ١٩٤٣، وضُمَّت بعدئذ إلى مقاطعة طرابلس وأصبحت جزءاً من دولة ليبيا المستقلة.

غذاء ← الأغذية (المحرمة).

الغراماطيق العربي، أو قواعد اللغة العربية. هو علم يمكن، في بعض جوانبه، نعتة بالإسلامي، لأنه نشأ وتنامى، في أول الأمر، على أنه أحد العلوم الدينية التي تساهم في دراسة القرآن. وقد ظهرت، أولاً في مدينة البصرة، الدراسات النحوية التي سادها الإهتمام بإيضاح الغموض الظاهر في النص القرآني. عن طريق توفير المزيد من المعرفة بلغة الشعراء القدماء من العرب. وتجلَّت حصراً، في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، في دراسات الخليل المتوفى في العام ١٧٥/٧٩١م، الذي اعتبر مبتدعاً لعلم العروض، ودراسات سيويه المتوفى في العام ١٧٠/٧٨٦م، الذي غدا حجة متخصصاً في علم الأصوات. وقد أثبت المؤثفون الذين خلفوا لنا المعاجم والمصنَّات الأولى، أخذهم بروح المنطق. ويمكن عزو ذلك إلى الأثر الذي تركه المنهج الأرسطي الذي كان شائعاً في الامبراطورية الساسانية.

وفي القرن التالي توسَّعت دراسة قواعد اللغة في البصرة والكوفة حيث قامت مدرستان مختلفتان. في المدرسة الأولى، تركَّز العمل على تحديد ضوابط للقواعد منطقيَّة، والتدقيق في استخراج قوانين اللغة، واستبعاد أي استعمال لغوي لا يتوافق مع هذه الضوابط. أمَّا في المدرسة الثانية فقد كان التوجُّه منصّباً على علم مختلف تماماً يأخذ في الاعتبار الشاذ من الحالات

عُزْنُو بَدَخْشَان (منطقة)، ناحية في جمهورية طاجيكستان الفدرالية. يبلغ عدد سكانها الحاليين ١٣٠٠٠٠ نسمة، جميعهم تقريباً من المسلمين.

تشكّل هذه الناحية قسمًا صغيراً من إقليم بدخشان القديم الذي لم يندمج لأفغانستان، بموجب التقسيم الذي جرى في العام ١٨٩٥ تحت إشراف بريطاني، كما حصل للأقسام الباقية من هذه المنطقة، ونالاً ارتباط قدرها بمجمل المستعمرات الروسية في آسيا الوسطى.

العُزْنُو، إسم مشترك يُطلق على مجموعة الشعوب التركية البدوية المعروفة بشعوب الغرب، بعد أن تأثرت بالإسلام في مرحلة أولى في آسيا الوسطى في أواخر القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد. انتحمت هذه الشعوب، في القرن الأخير، بقوة السلاح، وبزيادة السلاجقة الذين كانوا دخلوا في الإسلام، الأراضي الإيرانية الخاضعة آنذاك للأميراطورية العباسية.

وقد أدّى تدخل هذه العناصر إلى تغيير طويل الأمد في التوازن الإثني اللغوي، كما في بعض سمات الهندية الهندية في الشرق المسلم. وقد بلغت هذه العناصر التي كانت تشكل في جماعات خيالة قليلة الانضباط لكنها ذات فاعلية قتالية، بفتوحاتها في الأناضول. ولم تكف بخدمة السلطة الجديدة التي انبثقت من صفوفها، بل استعمرت أيضاً لحسابها مناطق مناسبة لتربية قطعانها، ما تسبّب في تراجع الزراعة فيها. مثلك، شكّلت هذه الشعوب سكان هذه المناطق وعُرفت باسم **التركمان**. إضافة إلى ذلك، فإنّ بعضهم، من الذين رفضوا الدخول في تلك الدولة السلجوقية، أو الإندفاع في الجاه أهداف الجهاد، استقروا في حالة عدم تنظيم فوضوية، في الجزء الشرقي من خراسان، ولا سيما حول بلخ، لكنهم، قبل أن تظفي عليهم موجات الفتوحات الآتية من آسيا الوسطى، نجحوا في مواجهة سنجر، آخر سلاطين السلاجقة الكبار الذي حاول إخضاعهم - وسحقوا جيشه في سنة ١٥١٣، كما سحّق قبل قرن من ذلك جيش العزنيون في معركة دندكان.

العزالي، أبو حامد بن محمد الطوسي ٤٥٠-٥٠٥هـ/ ١٠٥٨-١١١١م. صوفي، عالم كلام وفقه، كان من أبرز مفكرين الإسلام القروسطيين، ندين له بالتوفيق ما

الذواؤ، في مقابل قلعة قديمة يُطلق عليها إسم الحمراء. وهي التي منحت اسمها لقصر الحمراء الشهير. ولم تكن في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، عندما دخلت في تاريخ شبه الجزيرة، سوى قرية كبيرة محاطة بالتحصينات ومعظم سكانها من المسيحيين واليهود. وقد بادر أمره من البوير من فرع آل زيري، تسلّموا السلطة، في قطاع البيرة حيث تقع غرناطة، من الحليفة الأموي سليمان المسمعين، إثر الحصار الذي فرضه عليهم الخليفة المرئى، إلى تحويل قلعة غرناطة إلى موقع حصين، فبنّوا فيها أعمالاً تحصين اتست بالجديّة البائلة، ما أدّى إلى أقول نجم انتمركز السابق للولاية. في الوقت نفسه، قرّر آخر أمير زيري، وهو عبدالله، أن يسلم المدينة إلى المرابطين. وهكذا عرفت غرناطة ما بين ٤٨٣ و٥٥١هـ/١٠٩٠ و١١٥٦م، حكمًا من المرابطين، ثم خضعت لحكم الموحدّين قبل أن يحتلّها ابن الأحمر مؤسس سلالة آل نصر. أصبحت بعد ذلك عاصمة لهذه السلالة، إلى أن سقطت في أيدي الملوك الكاثوليك في العام ١٤٩٢م.

تعود النصوص الأساسية التي تقوم عليها شهرة غرناطة إلى عهد آل نصر، ومن بينها أقسام القصر الذي رفعه النصريون فوق قلعة الحمراء، إحتل محلّ الدار الملكية التي كان آل زيري اتخذوها في المدينة. وقد انتهى العمل من بناء الأسوار والمباني الأولى في عهد الأمير الثاني. في أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، لينالها الدمار في القرن الثاني. وتحتل مكانها المباني التي ما تزال قائمة وهي موزعة على مجموعتين: إحداهما، وهي تضم قاعة السفراء أو قاعة العرش، تحيط بالقاعة المعروف بفناء الريحان الشامي أو الأسر، ويعود تاريخ بنائها إلى عهد يوسف الأول (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م)؛ أمّا الأخرى التي تحيط بالقاعة المعروف بفناء الأسود فتعود إلى عهد الأمير محمد الخامس. أنّ هذه النصوص، الممتلئة لظن العربي - الأسباني في أواخر عهده بقيت قائمة. ثم كان استسلام غرناطة، في كانون الثاني/يناير من العام ١٤٩٢م، إلى الملوك الكاثوليك الذين كانوا قد ضربوا حولها الحصار.

➤ راجع المستندت ١١، ١٥، ١٦، ١٩.

العقيدة الإسماعيلية التي رفضها أيضًا، إذ لم يعثر على طريق الخلاص إلا في الصوفية. وبنيني تأويل هذه المسيرة الفكرية التي عُرِضت علينا على أنها تطوّر مثالي كان القصد منه إبراز الأهمية التي أولاها الغزالي في نهاية حياته للصوفية وطرق الوصول إليها، من دون أن يتعلّق عن نُظُم الإسلام التقليدية.

في الواقع إنّ الأسباب الحقيقية التي جعلت الغزالي يترك المدرسة النظامية ما زالت مجهولة. وقد ذهب بعضهم إلى أنّها كانت سياسية، إذ إنّ السلطان السنجوقي الجديد الذي تسلّم السلطة لم يكن على علاقة طيبة بالغزالي؛ أو أنّها كانت ظرفية، لأنّ الغزالي ربما كان يخشى عسف الاسماعيليين الجدد أو الزنارئين. التفسيرات المتنوّعة حول اعتزال الغزالي تساعدنا على كشف دور الفكر السياسي الذي قال عنه المستشرق هنري لاوست أنّه، مع تشعباته المتعدّدة، يُمكن أن يُفسّر جزئيًا ما لأجواء التي كانت سائدة آنذاك، وإنّه يشكّل مرحلة أو محطة في تاريخ الأفكار السياسية والدينية لعلّماء الكلام المسلمين من الماوردي إلى ابن تيمية.

كتب لاوست (Laoust):

ما بين الأول، معرّج التوحّدانية السياسية، والثاني المقاتل بالتعددية السياسية، ما بين الفقيه الرسمي الذي سعى كل نظريته في وحدانية الخلافة على الخضوع للدولة، والمتمزّع انفسًا الذي رأى هدف الحياة السياسية هو المشاركة في الدولة، بحقل الغزالي موقفًا وسطًا أو موقع انفصال، إذ ما شئتاه

من هذه الوجهة، يبقى العمل الرئيسي للغزالي كتابه «إحياء علوم الدين» الذي تكلم فيه بعد أن حادّ أركان العقيدة، على القواعد التي ينبغي على المؤمن اتّباعها تمهيدًا للبلوغ معرفة الله بالحدس، و«ندوة الله» و«كشف» الحقائق العميقة. وبيّن الغزالي في مؤلّفه هذا أنّ هناك - وفق نظرية تقليدية - درجات عدّة في الإيمان، أسماها بلوغ الاتّحاد بالله من خلال الحب. ومن دون أن يصف الانخراط الروحي، فإنّه يوضح أنّ الأمر يتعلّق بـ«التقرّب من الله»، لا بـ«الحول» الله في النفس، نتيجةً لتهمة الكفر. إنطلاقًا من هنا فإنّ العقيدة التصوفية، كما حددها السّنة من خلال علماء قدامى وغير مشهورين كالشّيرازي على سبيل المثال، بدأت تلقى قبولًا لدى الجميع وتكوّن قاعدة للحركات الصوفية

بين الصوفية ومذهب الشّمس، بعد الانقراضات التي تلت إعدام الحلاج في العام ١٠٢٢/٣١٠هـ.

لا ننكر على الغزالي فريدة مسيرته، لكن الإصرار اليوم على الاكتفاء بالأحاطة بشخصيته الحميمة، غير أزمة الشك التي تظهرها الاعترافات الواردة في أحد أشهر مؤلّفاته، قد تخفي من جهة أخرى الصلات التي تجمع الخطوط الرئيسة لعقيدته الدينية والسياسية إلى خلفية محدّدة تاريخيًا، ألا وهي خلفية عصره وثقافته التقليدية كاستخصّص في الفقه.

وُلد في طوس من أعمال خراسان، غير بعيد من مدينة مشهد الحالية، فدرس الفقه فيها. كان تلميذ الحوتمي الملقّب بإمام الحرمين، ودرس كذلك في جرجان ونيسابور قبل أن يتوجّه إلى بغداد في العام ١٠٩١/٤٨٤هـ، حيث عمل مدرّسًا. فعادًا قرّر التوجّه إلى سوريا وفلسطين حيث أقام في دمشق وحجّ إلى مكّة وزار أيضًا المدينة، قبل أن يجمع حوله حلقة تدريس في نيسابور ويتوجّه نهايةً إلى مدينته طوس حيث توفي في زاوية أو «خانقاه» كان يتولّى شؤونها. تميّزت بداية مسيرته العلمية بالموقع الرفيع الذي شغله في محيط كبار السلافة حيث علّم الفقه في المدرسة النظامية في بغداد، بناءً على استدعاء الوزير نظام الملك له. ويبدو أنّ أزمة فكرية وروحية كانت وراء دفعه إلى مغادرة العاصمة العراقية في العام ١٠٩٥/٤٨٨هـ، ليعيش في عزلة ويأخذ نفسه بالزهد خلال تنقلاته المتعدّدة في الشرق الأوسط، قبل أن يعود ليضطلع بمهامّه أسندًا في مسقط رأسه في خراسان. إنّ الوقت الذي كرّسه للاعتزال والذي سمح بتطوير فكره كان سببه اعتناقه الطريقة الصوفية، هذا ما يوحّ لنا به في كتاب سيرته انشائية «المفدّ من الضلال». لكن ينبغي ألا نأخذ بحرفيّة كلامه حين يذهب إلى أنّه هجر العيش الرغيد ومراسم التكريم البغدادية إثر مرحلة من الشك جعلته يرنّاب بالحواس وحتى بالعلل، إلى أنّ شغفي من هذا «العرض» بـ«نور» من الله. ليس هناك ما يؤكّد أنّ هذه التجربة قادته إلى إعادة النظر في الآراء السائدة آنذاك، بلنا يعلم الكلام النظري الذي سرعان ما اعترف بحدوده، ليستقل بعدنّز إلى الفلسفة التي لم تُرضه بدورها، ثمّ إلى

القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. استعادها صلاح الدين في العام ٥٨٣هـ/١١٨٧م. ثم استولى عليها ريكاردوس قلب الاسد، واستعادها الأيوبيون في العام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م. بموجب معاهدة يافا.

ازدهرت أيام حكم المماليك، وقامت فيها مبانٍ كبرى، بينها مسجد جامع بُني على أنقاض كنيسة صليبية باسم القديس يوحنا، إلا أنها عانت خلال حكم العثمانيين. إثر الحملة الظافرة لسليم الأول في العام ١٥١٦. مع ذلك، في نهاية القرن السابع عشر، كان من نصيبها أن أفادت من تعيين حاكم عليها، هو حسين باشا، الذي أوقف غارات البدو عليها وأقام علاقات طيبة بالأوروبيين. وعادت الاضطرابات إليها في القرن الثامن عشر قبل أن يستولي عليها بونابرت في العام ١٧٩٩. ثم كانت منطقتها مسرحاً لمعارك في الحرب العالمية الأولى، وأصبحت جزءاً من فلسطين تحت الانتداب البريطاني بعد تفكك الامبراطورية العثمانية. أُنحت بمصر في العام ١٩٤٩، لكن موقعها القائم مباشرة في جوار إسرائيل حياً لاحتلالها في العام ١٩٦٧. وأصبح قطاع غرزة ذي الكثافة السكانية الفلسطينية الكبيرة مستقلاً، بعددته، في العام ١٩٩٣.

«راجع المسمى ١٨»

غرزة (جمهورية الفانسان الإسلامية)، مركز الإقليم الحالي المعروف بهذا الاسم، تقع على طريق قديم ما بين كابل وقندهار، مجاورة الأطلال المديدة لغرزة القروسطية، إحدى حواضر الغزنويين والغوريين ما بين القرنين الرابع والسادس للهجرة/العاشر والثاني عشر للميلاد.

إن الموقع الإستراتيجي والتجاري الذي احتلته غرزة قديماً، في نقطة عبور طرق القوافل التي تربط ما بين إيران وآسيا الوسطى وشبه القارة الهندية، يُفسر سبب اختيارها من قبل المرترق التركي سيكتكين، مؤسس السلالة الغزنوية، قاعدة لحكمه، بعد مرور قرن على الفتح الإسلامي لآريستان حيث بقي الحكم طويلاً في يد حاكم محلي مستقل. إنطلاقاً من هنا، استطاع محمود بن سيكتكين احتلال سهول البنجاب والسند، ثم حكم دولة واسعة الأطراف جهد خلفائه عبثاً في الحفاظ على كامل

الموصوفة بالاعتدال.

تناولت مؤلفات أخرى للغزالي الموضوع نفسه، لكن هذه ليست الأهم في إنتاج غزير. من الأحق التنويه برسالة في الأخلاق بعنوان «ميزان العمل»، ورسالة في المنطق عنوانها «معيان العلم»، ومؤلفات في الفقه كان آخرها كتاب «المستصفى» الذي ألفه في أواخر عمره، وهو بُيئت عدم عزوفه عن الاهتمامات الفقهية. بعض مؤلفاته دحضت أقوال الفلاسفة، ك«تهافت الفلاسفة»، وكتاب آخر دحض مزاعم الإسماعيليين، وله مؤلف صغير حول علم الكلام وهو «المقصد في الاعتقاد» حيث استعمل القياس من دون التركيز على علم المنطق الذي يعترف له الغزالي فقط بقيمة دفاعية. وتُنسب إليه كتابات أخرى من دون وجه حق، ككتاب في دحض العقيدة المسيحية، مع أن النقاد اليوم يرفضون صحة نسبة هذا المؤلف للغزالي.

لم تُحل نشأة الغزالي التقليدية ولا بروزه في تدريس الفقه دون تزيّنه، بالنسبة إلى معاصريه ومن تلاهم، مقام المرشد الخبير في الحياة الصوفية التي عرف كيف يحددها. ومع أنه دمج عصره بانتقاده الآخرين بمذهب الفلاسفة، وقد ردّ مزاعمه لاحقاً كتاب «تهافت التهافت» لابن رشد، فإنه لم يتردد في الاقتباس عن الفلسفة بعض أساليب التفكير المنطقي، وكان له الفضل في اعتماد هذه الأساليب في علم الكلام كما في أسس الفقه.

غرزة، (الأراضي الفلسطينية المستقلة ذاتياً)، مدينة مجاورة للبحر المتوسط، كان لموقعها في منطقة صحراوية على نخوم سوريا ومصر أثره في تاريخها المضطرب في القرون الوسطى.

يبدو أن غرزة كانت، منذ العصور القديمة، مركزاً زراعياً ومعبراً للقوافل الوافدة من شبه الجزيرة العربية، ومن مكة قبل الإسلام. من هنا نشأ التقليد القائل إن أحد أجداد النبي محمد ﷺ، وهو هاشم، توفي فيها وأصبح فيه مزاراً يُعرف باسم النبي هاشم. احتلت الجيوش العربية - الإسلامية المدينة زمن الفتوحات الكبرى فأصبحت جزءاً من إمبراطورية الخلافة، ومن ثم من أملاك الفاطميين. إلى أن سقطت في أيدي الفرنج في

أصل تركي، نال أعضاؤها الأكثر نفوذاً، من قادة عسكريين وملوك على الأقاليم الشرقية، شهرة إنشائهم إمبراطورية امتدت حتى الهند وخدمتهم لقضية مذهب التشن.

استخدمت الخلافة العباسية قوة الغزنويين لرد الخطر الناتج عن وصاية البويهيين المنتسبين إلى الشيعة الإمامية الإثني عشرية. وهذه القوة التي بلغ تأثيرها العراق كانت وليدة مشينة ضابط تركي في جيش السامانيين يدعى سبكتكين الذي عهد إليه حكم غزنة (٩٧٧/٣٦٧م)، المعروفة اليوم باسم غزني، والواقعة على أطراف الأراضي الجبلية لسياده في آسيا الوسطى، وكان أبدى احترامه لحكمهم في بادئ الأمر. إن الموقع الاستراتيجي لعاصمته على حدود شبه القارة الهندية أتاح لهذا القائد، الذي أسس السلالة ودمغها بمذهب أهل السنة، أن يباشر أول تحرك له في اتجاه البنجاب. ولكن بفضل في اخضاع «الكفار» يعود إلى ابنه محمود الذي جمع اسمه في التاريخ بطلاً إسلامياً والذي أسس، خلال ثلاثين سنة من الحكم، دولة واسعة الأرجاء تركا لورثته في العام ٤٢١هـ/١٠٣٠م. ولم يمتد حكمه على الهند الشمالية وحسب، بل إلى خراسان غرباً وخوازم وصولاً إلى أطراف المناطق الغربية من إيران.

هؤلاء الغزنويون الذين آمن لهم تفاهم محمود مع جيرانه الفراهانيين في الشمال زدها زملحوظاً. واجهوا في ما بعد، في بلاد ما وراء النهر، صعوباتهم الأولى الخطيرة: فقد تسَلَّت شعوب تركية من الغز الذين شكّلوا أساس الإمبراطورية السلجوقية إلى خراسان؛ وبعد عقد من الزمن - إثر وفاة محمود سيد السلالة الشهير - انتصر السلاجقة على جيش مسعود الأول الغزنوي في معركة دندقان. بعد هذا التاريخ، لم تنحصر الأراضي الإيرانية برمتها من حكم الغزنويين فحسب، بل إن السلاطين الضعفاء الذين تعاقبوا على العرش الغزنوي، أجبروا على الدفاع عن سلطتهم ضد السلاجقة الذين حلّوا مكانهم في الدفاع عن الخلافة السنية. وقد حاربهم في سحستان إلى أن عقدوا معهم صلحاً يقضي بقبول إبراهيم بن مسعود وابنه مسعود الثالث بسلطة السلاجقة.

أراضيها. كما أن معز الدين، الذي أخضع بدوره شمالي الهند، اتخذ من غزنة عاصمة له في نهاية القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد. وعلى امتداد تلك الحقبة، استمرت ثروة غزنة في الازدياد بفضل غنائم الحملات العسكرية الظافرة وبفضل أنشطتها التجارية. وقد كانت مسرح صراعات وأطماع، فاحتلها السلاجقة مرتين وأحرقها الغوريون في العام ٥٤٥هـ/١١٥٠م، بقيادة علاء الدين الذي نُقِب بهجهان سوز (حارق العالم) بسبب ذلك، وسقطت لغزنة قصيرة قصيرة بين أيدي الخوارزمشاهيين، ونهها المغول بقيادة جيكيزخان في العام ٦١٨هـ/١٢٢١م، ما شكّل بداية انحطاطها. أما أسياذ المنطقة الآخرون، فقد أعجبوا بموقع كابل، فأهملوا غزنة التي تحولت إلى بلدة قليلة الأهمية، وقد خربت في ما بعد الحملات العسكرية الفارسية في القرن الثامن عشر، والانكلزية في القرن التاسع عشر.

مثلت غزنة، خلال ازدهارها، مخططاً تقليدياً للمدن الإيرانية الإسلامية في القرون الوسطى، وكان يقوم على تجاور مدينتين، إحداهما علياً قوامها قلعة وقصر، والأخرى سفلى تجارية، إضافة إلى ضاحية تجارية أيضاً. ولم تغب عنها ذكرى الأبنية الأميرية من قصور ومساجد، كان الغزنويون قد أكثروا منها. استمرت تشهد على هذه الأبنية لمدة طويلة مدينتان - برجنا ظلتا قائمتين عبر بعد عن ضريح سبكتكين ومحمود، فوق تلّتين من الزكام، إنهما تشكّلان إثباتاً لنوعية الزينة المعمارية الرفيعة التي تعتمد الأجر المطبوع والتي سادت أيام محمود الثالث وبهرام شاه. وقد تمعّد هذان السلطانان أن يؤنّا آيينهما بمقوشات كتابية ثبتت من دون لبس نسبتهما إليهما، مع أنّ النقش العائد لهرام شاه نُسب لفترة إلى محمود الأول، وأدى إلى خلط في التاريخ استمرّ قرناً كاملاً. وقد أضيفت إلى هذه الأبنية في ما بعد بقايا قصر مسعود الثالث التي عُثر عليها بفضل حفريات أركيولوجية، وهي شبيهة ببقايا القصور الأميرية المعاصرة لها، التي أنشئت إلى الجنوب منها فوق موقع لشكري بازار.

«راجع المستدرك ١٧، ٣٠»

الغزنويون، ٣٦٧-٥٨٢هـ/٩٧٧-١١٨٦م، سلالة من

٤٤١ ٤٤٤هـ/١٠٤٩-١٠٥٢م	عز الدولة عبد الرشيد
٤٤٤ ٤٤٥هـ/١٠٥٢-١٠٥٣م	طغرل
٤٤٥ ٤٥١هـ/١٠٥٣-١٠٥٩م	جمال الدولة هجراد
٤٥١ ٤٩٣هـ	ظهر الدولة ابراهيم بن مسعود الأوّل
١٠٥٩ ١٠٩٩م	علاء الدين مسعود الثالث بن ابراهيم
٤٩٣-٥٠٨هـ	
١٠٩٩ ١١١٤م	كمال الدولة شيرزاد بن مسعود الثالث
٥٠٨-٥١٩هـ	
١١١٤-١١١٥م	سنگان الدولة لسلان شاه بن مسعود الثالث
٥١٩-٥١٢هـ	
١١١٥-١١١٨م	بمين الدولة بهرام شاه بن مسعود الثالث
٥١٢-٥١٧هـ	
١١١٨-١١٦٠م	معز الدولة خسرو شاه
٥١٧-٥٥٥هـ/١١٦٠-١١٨٦م	ناج الدولة خسرو ملك

غطفان (بنو)، قبيلة منازلها في الناحية الوسطى لشبه الجزيرة العربية، كانت معروفة عند يديّة الإسلام، وهي فرع من قيس أي من عرب شعالي شبه الجزيرة. كانت غطفان معادية للنبي محمد ﷺ في بداية دعوته. فتحالفت مع اليهود والمكثّين ثمّ عقدت بحسب التقليد، سلماً مع نبي الإسلام ﷺ. لكن بعد وفاته شاركت في الردّة. بعدئذ شاركت في الفتوحات الكبرى وناضلت في سوريا زمن الأمويين، وبخاصة ضد قبيلة كلب في معركة مرج راهط عام ٦٨٥هـ/٦٨٤م. وبعدئذ خفّت ذكرها، سواء خلال الخلافة العبّاسيّة أو بعدها.

الغلاة ← الشيعة.

غلبايقان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، كان اسمها في القرون الوسطى جربادقان، هي بلدة تشتهر اليوم، بوجه خاص، بالقيمة المعمارية لمسجدها الجامع الذي يعود، في قسم من بنائه، إلى العهد السلجوقي. ولما كانت جربادقان تشكّل محفلة على طريق القوافل ما بين آصفهان وحمدان، على ارتفاع أنفي متر، عن سطح البحر، فإنّ الجغرافيين اكتفوا بذكرها. برزت أهميتها لفترة من الزمن على أثر الاجتياح الذي قام به الأتراك في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. يشهد على هذه الأهمية حجم الجناح

أما خلفاؤهم فواجهوا طموح الغوريين القادمين من جبال الغور، لذلك وخجوا آمالهم واهتمامهم نحو ممتلكاتهم الهندية، وكانت محفلة وواسعة تمتد حتى أغزا. وقد لجأ إلى البنجاب الممثلون الآخرون للسلالة الغزنوية بعد أن شهد بهرام شاه الذي حكم خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وكان على خلاف مع السلجوقي سنجر، تدمير عاصمته غزنة في العام ٥٤٥هـ/١١٥٠م بصورة نهائية على يدي الغوري علاء الدين. واستمرت قوة الغزنويين في الهند كما يشهد عليها مادحومهم المشهورون وكما تشهد عليها أبنية المباني التي شادوها، ففدوا في لاهور السلطتين الأتوليين للهند إلى أن أدّى التقدّم المقلود لحملات الغوريين ضدهم إلى تدمير أسرتههم بصورة نهائية في العام ٥٨١هـ/١١٨٥م.

يبد أن ذكر الغزنويين استمرّ بوصفهم رعاة متشبعين للعلوم والآداب واقتنون. فقد استقطبوا إلى بلادهم، منذ بداية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، بحثاً من طراز الرياضي والمؤرّخ والجغرافي البيروني، أو الشاعر الفارسي الكبير الفردوسي. وقد شجّعوا، بوجه خاص، الإنتاج الحرفي المترف. وأكثروا من تشييد المباني الفخمة ذات الأنظمة المعمارية. إنّ القيمة البادرة من هذه المباني، كمثل العاذن البرجية من عهدي مسعود الثالث وبهرام شاه - عُرفت بإحداها طويلاً باسم برج مسعود - التي ما تزال فواعدها قائمة حتى اليوم في غزنة، وكذلك بعض أجزاء القصور التي كُشِف عنها أخيراً في غزنة ولشكري بزار. تشهد ثلثورة التي كانت متوافرة أيامئذ. كما أنّها تشير الإعجاب ببعض ميزات الطراز المعماري والتزييني الذي امتازت به والذي استخدم في الشرق الإيراني خلال ذلك العهد.

٣٦٧-٣٨٧هـ/٩٩٧-٩٩٧م	ناصر الدولة ابو منصور شُكْتُكِين
٣٨٧ ٣٨٨هـ/٩٩٧-٩٩٨م	إسحاق
٣٨٨ ٤٢١هـ/٩٩٨-١٠٣٠م	بمين الدولة محمود
٤٢١ ٤٢٢هـ/١٠٣٠-١٠٣١م	جلال الدولة محمد
٤٢٢-٤٢٣هـ/١٠٤٠-١٠٤١م	
٤٢٢ ٤٢٣هـ/١٠٣١-١٠٤٠م	شهاب الدولة مسعود الأوّل
٤٢٣ ٤٤٠هـ/١٠٤٠-١٠٤٨م	شهاب الدولة مودود
٤٤٠-٤٤١هـ/١٠٤٨-١٠٤٩م	مسعود الثاني

عُتْبِد قابوس (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، بلدة تقع في إقليم جرجان القديم، تدعى باسمها الحالي لتضريح الأمير الزبيري قابوس بن وُشمغير.

هذا الضريح، أو، بالفارسية، عُتْبِد، مؤلف من برج رائع معشّر الأضلاع من الآجر، في ارتفاع ستين مترًا، يعود تاريخ بنائه المثبت عليه إلى مطلع القرن الخامس الهجري/القرن الحادي عشر الميلادي، ويشكّل مركزًا للمدينة التي تحيط به. وقد بنيت هذه على مقربة من آثار الحاضرة القروسطية المدفونة التي كانت تحمل قديمًا اسم جرجان، وهو اسم إقليم كانت هذه المدينة مركزًا له، وقد هجرها سكّانها بعد الغزو المغولي. وقد انتقلت تسمية جرجان إلى مدينة أخرى في تلك المنطقة كانت تُعرف سابقًا بسام أستراباد.

الغنمية ← الفيه.

غواليبور أو **غواليار** (الاتحاد الهندي)، مدينة تقع في إقليم ماديا برادش الحالي، وموقع قديم محصّن وسط السهل الشمالي الكبير، على الطريق الذي يربط ما بين أغرا والدكن، وهي تحفظ بأثار معمارية جليظة القدر من ماضيها الاسلامي.

إن الأهمية الاستراتيجية لهذا الموقع في بلاد الراجبوت الذي ضُمّ إلى الإسلام خلال النصف الثاني من القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، يُفسّر الاهتمام الذي أولاه إِيّاه ملوك عدّة ساعين إلى ترسيخ السيطرة الإسلامية في الهند والاحتفاظ بها.

هاجم هذه القلعة محمود الغزنويّ في العام ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م وغدت، في العام ١٥٤٢م، مركزًا خاضعًا للأفغان، يؤمّن الدعم لآل سوري سلاطين دلهي. وقد أعجب المغول بموقعها، فضاغفوا دفاعاتها بعد استيلاء أكبر شاه عليها في العام ١٩٦٥هـ/١٥٥٨م. واستمرّ اهتمام أسياذ هذه الأباطورية الشاسعة بالمدينة حتى القرن الثامن عشر، إذ أصبحت مركز دولة سنديا، وما لبثت أن وهنت بعد تقلّب أحوالها. وإلى العهد المغوليّ تعود المباني الإسلامية التي لا تزال قائمة في المدينة القديمة: مساجد متعدّدة، وضريح ولّي المحلّة وهو صوفيّ ينتمي إلى الطريقة الشقارّة، يعرف باسم محمد غوث

المقبّب وانشان بناته، وقد شُيّد بين ٤٩٨ و٥١٢هـ/١١٠٥ و١١١٨م. وهو يشكّل الجناح الأساسي لمسجدها لجامع. وقد حُفّظت هذه الهيكليّة وزينتها القائمة على ندخل قطع الآجر، بحال جيدة حتى أيّامنا، رغم إعادة بناء بعض أقسام المبنى خلال عهد الفاجاريتين.

عُلمُشي، إبراهيم بن محمد، ٨٣٧-٩٤١هـ/١٤٣٣ - ١٥٣٤م، صوفيّ وشاعر تركيّ من الأناضول الشرقيّ حيث عاش في أواخر عهد الإمارات، ثمّ خلال الحكم العثماني.

ينتمي عُلمُشي إلى أسرة استقرّت في ديار بكر، حيث درس العلوم الدينية، ودخل، وهو حدث، في خدمة قاضي نريز خلال حكم أوزون حسن، عاهل أسرة لاقى قبولًا، ثمّ كرّس نفسه للتصوّف والزهد في الدنيا. وبعد الحجّ إلى مكّة في العام ٩٠٠هـ/١٤٩٥م، اضطرّ إلى مفاداة تبريز التي احتلّها الصفويّون، ففرّ إلى ديار بكر، ثمّ إلى مصر حيث لحق به عدد من مرّبيه. وقد نتاب السلطان سليمان القانوني قلق من نشاطه، فاستدعاه إلى اسطنبول وسأله حوّن بعض الأمور، وأعادته إلى مصر حيث توفّي في العام ٩٤١هـ/١٥٣٤م. وهو صاحب قصائد كثيرة صوفيّة بالفارسيّة والتركيّة والعربيّة، كما أسّس طريقة صوفيّة تنسب إلى الطريقة الخلوتيّة.

عُلمه ← اسطنبول.

عُلمارة، قبيلة من البربر في المغرب الأقصى. تابعة لمجموعة مسمودة المنتسبة بدورها إلى قبائل صنهاجة التي ما يزال ذكرها واسمها قائمين في منطقة الريف المغربي. اعتنقت عُلمارة الإسلام خلال الفتحوات الكبرى في مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، عندما احتلّ الأراضي التي كانت تقيم فيها موسى بن نُصَيْر. وقد تميّزت عُلمارة لاحقًا بتبنيها مذهب الخوارج وقيامها بثورات ذات طابع ديني أحيانًا، نكبتها خضعت لسلطة الأدارسة، ثمّ لأمويّ قرطبة قبل أن تساعد دولة الموحّدين الإصلاحية وتقوم باضطرابات متنامية زمن المرينيين. إلى أنّ خمد ذكرها.

غواليري المتوفى في العام ١٥٦٢/٨٩٧م. وقد كان له موقع خاص في نفس همايون، المعادل الثاني للسلافة.

غواندو، أو غاندو (جمهورية نيجيريا الفدرالية). بلدة في إقليم سوكونو، شمالي البلاد، بدأت تزدهر ابتداءً من العام ١٨٠٦، خلال المنازعات التي عقيت إعلان الجهاد وتكوين إمبراطورية عثمان دان فودي.

غدت إحدى الحواضر الدينية والإدارية للدولة الحديدة ومركزاً لإمارة إسلامية مستقلة في ظل الأدب عبدالله، شقيق عثمان دان فودي. وفي الوقت نفسه مركزاً للممتلكات الغربية للإمبراطورية. وقد أدى اضطلاعها بهذا الدور إلى إقامة مجموعة من الأبنية فيها، رغم أنها لم تحتل إلا المركز الثاني، بعد مدينة سوكونو التي كان يسيطر عليها محمد بلو، ابن عثمان، والتي استمرت، في الناحية الشرقية، مركزاً لإقامة سلافة هذا الأخير حتى العام ١٩٠٤.

الغوري ← قانصوه الغوري.

الغوريون، ٥٤٠-٦٤٩هـ/١١٤٦-١٢٥١م. سلافة توارثت سلطتها العائلية على فروع مختلفة، وتعاظمت في المقاطعات الشرقية النائية من الإمبراطورية العباسية، بالغة الذروة مع سلاطين ملكا في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي - ما بين الهند الشمالية وخوارزم - على إمبراطورية شبيهة بإمبراطورية الغزنويين الأوائل. إنهم أمراء محتلون من أصل إيراني، لم يكونوا حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي قد اعتنقوا الإسلام. هؤلاء الأسباط الصغار المحاربون هم من أقدم النور الجبلي الذي يصعب الوصول إليه. في قلب أفغانستان الحالية، جهدوا أول الأمر في الحفاظ على استقلالهم ضد القوة التركية الغزنوية بعدما صمدوا في وجه محمود بن سبكتكين نفسه، عزموا على الدفاع عن أوديتهم المرتفعة التي كانوا يمتازون بها في ما بينهم، وقد تحصنوا في قلاعهم وقصورهم، لكنهم اضطروا إلى الاعتراف بسيادة جيرانهم وأذوا لهم الجزية. ثم خضعوا لسلطة السلجوقيين، إلى أن حانت الفرصة لهم لأخذ ثأرهم بغزو السلاح. وإلى عهد علاء الدين جهان سوز

وأخوه الذين ثار لهم بتدمير غزنة القديمة في العام ٥٤٥هـ/١١٥٠م، مكتسباً لقب جهان سوز أي محرق العالم، تعود بداية السيطرة الغورية التي بلغت أوجها مع حكم غياث الدين محمود بن سام. هذا السياسي الماهر الذي احتفظ، في عمق الجبال، بقلعة فيروز كوه/جَم، كمدينة ملكية، تزيتها مبانٍ من بينها برج مندة اكتشف مؤخراً، شاطر أخاه معز الدين محمود الحكم. كان هذا الأخير يقيم في غزنة ليراقب عن كثب الهند الشمالية التي كانت تتعرض لغزوات، فنجح في النهاية، مع احتلاله لاهور في العام ٥٨١هـ/١١٨٥م، في القضاء نهائياً على السلافة الغزنوية في العام ١١٩٠م. من جهة شرق غياث الدين حملات على إيران، فاستولى على هرا، وخراسان بكاملها وتمكن من الانتصار على الخوارزمشاهيين، كما تصدى لنسب السلالة السامانية إلى أراضيهم ونصب نفسه مدافعاً عن مذهب السنن، ضامناً مساندة الخليفة العباسي الناصر لدين الله.

إلا أن بناء هذه الإمبراطورية الواسعة غذا هنأ، فقد زعزعت حسارة خراسان التي استولى عليها الخوارزمشاهيون، أيام معز الدين محمد الذي خلفه أخاه على العرش، لكنه اغتيل بدوره في العام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م. وفي العام ٦١٢هـ/١٢١٥م دخلت هذه الإمبراطورية تحت حكم الخوارزمشاهيين، قبيل الغز المغولي الذي غيب معالم هذه الحضارة التي رفعها سلاطين الغوريين الذين أثرتهم غالبهم الهندية، فأنهت انغلاقها إلى حين.

٤٩٣-٥٤١هـ/١١٠٠-١١٤٦	عز الدين حسين
٥٤١-٥٤٤هـ/١١٤٦-١١٤٩	سيف الدين سوري بن حسين
٥٤٤هـ/١١٤٩	بهاء الدين سام الأول
٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٦١	علاء الدين حسين جهان سوز
٥٥٦-٥٥٩هـ/١١٦١-١١٦٣	سيف الدين محمد
٥٥٨-٥٥٩هـ/١١٦٣-١٢٠٣	غياث الدين محمد بن سام
٥٥٩-٥٦٣هـ/١٢٠٣-١٢٠٦	معز الدين محمود بن سام
٥٦٣-٥٦٦هـ/١٢٠٦-١٢١٢	غياث الدين محمود
٦٠٩-٦١٠هـ/١٢١٢-٦١٣	بهاء الدين سام الثاني
٦١٠-٦١٣هـ/١٢١٣-٦١٤	علاء الدين أنور
٦١١-٦١٤هـ/١٢١٤-٦١٥	علاء الدين محمد

اسم هذا الصوفي من الدكن بسلالة البهمنين. وقد عاد إلى دلهي أيام حكم الفرع التغلبي من سلاطين دلهي، ليصبح، بعد طفولة قضها في دولت آباد، تلميذاً لـ شيرازي دلهي، لكنه اضطر إلى مغادرة عاصمة الشمال إثر غزو تيمورلنك لها. في تلك الفترة، بعدما هاجم على وجهه في منطقة عُجرات، أقام محمد غورداز، الذي اشتهر شاعراً وشارحاً لمؤلفات دينية، في عاصمة آل بهمن في مدرسة بناها له شهاب الدين أحمد، السلطان في ما بعد، في غولبرغا. جمع حوله حتى وفاته تلامذة عديدين، وأقام له ضريحاً أحمد الأوّل نفسه الذي ترك غولبرغا في ما بعد ليستقر في بيدار، المركز الاستراتيجي والاداري الجديد لمملكته.

غينيا (جمهورية غينيا)، مساحتها ٨٦٠ ٢٤٥ كلم^٢ عاصمتها: كوناكري. دولة معاصرة تقع على الساحل الأفريقي الغربي، على المحيط الأطلسي، يبلغ عدد سكانها ستة ملايين تقريباً، بأكثرية إسلامية تصل نسبتها إلى ٨٠٪ تقريباً.

أن هذه الدولة التي نشأت من غينيا القديمة التي كانت جزءاً من أفريقيا الفرنسية الغربية، تُجاور، في الشمال والشرق، دولاً أخرى ذات أكثرية مسلمة مثل جمهورية السنغال أو جمهورية مالي، وفي أمكنة أخرى، دولاً أخرى، حيث يشكل المسلمون أقلية، مثل جمهورية غينيا - بيساو وسييرا ليون وليبيريا وشاطئ العاج. ويُفسر موقعها الجغرافي، في طرف السودان الساحلي الغربي القديم، التقدم المتواصل للتسرب الإسلامي إليها، وقد بدأ في القرن الخامس للهجرة/الحدادي عشر للميلاد. ورسخته في ما بعد عناصر عرقية قُبِمت من الشمال.

واقع الأمر أن الدخول الأوّل للإسلام إلى هذه المنطقة تلا اعتناق عامل مملكة مالي القديمة هذا الدين في العام ١٤٤٢هـ/١٠٥٠م. وقد قوي هذا المدّ مع وصول البوّل المسلمين إليها، في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، قادمين من مَنيّا من وادي النيجر الأعلى، حيث أشْشوا، في منطقة فوناجالون، مملكة تحركها باستمرار روح الجهاد. هذه الدولة الإسلامية الفاتحة، رغم صراعتها المستمرّ مع السكّان المحليّين الذين سعت إلى إبعادهم نحو الساحل، استطاعت الاحتفاظ بسيطرتها

لويانا، (جمهورية)، مساحتها: ٩٧٠ ٢١٤ كلم^٢، عاصمتها: جوجتاون؛ وهي دولة صغيرة مستقلة في سيركا الجنوبية، تضمّ، كما جارتها سورينام، أقلية من لمسلمين تبلغ العشرة بالمئة من مجموع السكّان الذين بلغ عددهم ثمانمائة ألف نسمة.

لغيبية، وصف للحال التي دخل فيها، بحسب الشيعة لإمامية الاثني عشرية، الإمام الثاني عشر العلوي الذي ناب وهو حدث، في سامراء، حوالي ٢٦١هـ/٨٧٤م. بحسب بعض الروايات، حدثت هذه الغيبة الغامضة في سرداب المعزل الأيوبي للإمام، وهو مكان صار في ما مد مزاراً تقوياً ويعرف باسم «غيبه المهدي». وفي القرن لسادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، وبجهود الخليفة نبهاسي الناصر لدين الله، تحوّل هذا المكان مزاراً. منذ ذلك الحين اعتُبر الإمام الثاني عشر، المسمّى حقّاً المهدي أو المنتظر، في حالة غيبة، ينتظر لمؤمنون ظهوره مجدداً في المستقبل ليملأ الأرض بـدلاً. هذا التوجّه الخلاصي الملازم للتشيع منذ بداياته، ثاب في أساس نشأة مفهوم الإمامية الاثني عشرية تغذّى به، في ما بعد، الفكر الفلسفي - الديني. وعُتبر عن هذا لتوجّه خلال مرحلتين متابعتين، في ظاهرتين تاريخيتين تميّزتين عُرفتا بالغيبة «الصغرى» والغيبة «الكبرى». ففي المرحلة الأولى، أي الغيبة الصغرى (٢٦٠-٣٢١هـ/٨٧٤-٩٤١م)، كان للإمام الثاني عشر أربعة حتّلين ظاهرين عُرفوا بـ «السفراء»، ورايع هؤلاء، لمتوفاً سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، اعتبر «السفير» الأخير الذي كانت له علاقات مراسلة بالإمام الغائب. وبدلاً من سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، بدأت المرحلة الثانية، أي الغيبة لكبرى التي لم يعد ممكناً خلالها لأي كافر يشري أن تصل بالإمام الغائب. هذا الوضع، على ما هو عليه منذ ذلك في المذهب الإمامي الاثني عشري، يكلّ لرجال الدين، الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد، مهمة تفسير الشريعة باسم لإمام الغائب.

نيسودراز بَنَدَن أولاز، السيّد محمد حسيني، ؟ - ١٨٢٠هـ/؟ - ١٤٢٢م، صوفي شهير من الهند من أتباع نظرية الجنبية، وضريحه مكرّم في غولبرغا. يرتبط

كلمة عاصمتها: بيساو؛ وهي دولة أنشئت حديثاً، تقع على الشاطئ الغربي لأفريقيا السوداء، يشمل عدد سكانها البالغ مليون نسمة أقلية إسلامية مهمة تبلغ نسبتها خمسة وثلاثين بالمئة، تقريباً.

إنّ هذه البلاد الصغيرة التي ولدت من مستعمر برنغالية قديمة والمحاذية للمحيط الأطلسي، تجد نفسها محاصرة بين دولتين مجاورتين لها، أكثرية سكانهما مسلمين، لم تتردّد في ممارسة بعض النفوذ عن وضعها الديني، وهما في الشمال جمهورية السنغال وفي الجنوب جمهورية غينيا.

على البلاد حتّى ظهور الأباطوريّتين الإسلاميتين اثنتين أنشدهما الحاج عمر وساموري توريه في القرن التاسع عشر. ثمّ كان عهد الاحتلال الإستعماري وإنشاء غينيا الفرنسية عام ١٨٩٩، التي رُسمت حدودها آنذاك بدقة مع ساحل العاج ومع ما كان يُعرف آنذاك بالسودان، أي دولة مالي الحالية. واستمرّ الإسلام في التقدم بصورة سلمية بين سكّان تلك المنطقة، باستثناء سكّان الغابات، إلى أن أقرّ الاستقلال لهذا البلد الذي أصبح رئيسه مسلماً.

غينيا - بيساو (جمهورية -)، مساحتها: ١٢٠ ٣٦

ف

الفائدة - القرض بالفائدة.

الفاتحة، إسم السورة الأولى من القرآن، وهي تشكل عنصراً أساسياً لتفصلاً الطقسية.

لذلك، ينبغي تلاوة نص هذه السورة في بداية كل ركعة، أي سبع عشرة مرة في كل يوم، كما أنه يُتلى في مناسبات متعددة، كما يُتلى، عن نفس الميت عند زيارة قبر ما. يحتوي هذا النص الآيات الآتية:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿الْإِخْلَاصُ الرَّحِيمِ﴾

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ﴾

الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان، ٢٥٨-٣٣٩هـ/

٨٧٢-٩٥٠م، عُرف في الغرب اللاتيني خلال القرون

الوسطى بإسني الفارابيوس أو أفانصر (Avennasar)،

وهو من رواد ممثلي الفلسفة الذين طارت شهرتهم بها،

وقد صرف جلُّ همِّه لبيان مقولة الوفاق الضروري بين

الإسلام وميراث الأوائل الفلسفي.

ولد في بلاد ما وراء النهر لأسرة نبيلة تركية

الأصل، على ما يظهر، وقد بقيت معرفتنا بحياته

وشخصيته محدودة. أقام في بغداد ثم في حلب، حيث

التحق ببلاد الحمدانيين في العام ٣٢٩هـ/٩٤١م،

ونوفى في دمشق في العام ٣٩٩هـ/٩٥٠م. أطلق عليه،

لاحقاً، في أوروبا لقب المعلم الثاني - كما أطلق على

أرسطو، قبله، لقب المعلم الأول. حصل معرفة معمقة

لعلوم الأوائل التي شاعت في الشرق الإسلامي في أواخر القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد. وقد أفاد، بوجه خاص، من التعليم الذي كان قائماً في بعض الأوساط المسيحية في خراسان، ولاسيما في مرو حيث لجأ علماء من المدرسة اليونانية بالأسكندرية. تناولت مؤلفاته الأساليب التي كتبها بنفسه شروحاً لأثار أرسطو ورسالة «الجمع بين آراء الحكيمين، أفلاطون وأرسطو»، وكتاب «إحصاء العلوم»، ورسالة في العقل، وكتابه الشهير «آراء أهل المدينة الفاضلة».

قال الفارابي، كما جميع الفلاسفة من بعده، بالوفاق بين العقل والوحي، وقد وضع لذلك مجموعة من المبادئ التي أخذ بها أخلاقه، مع بعض الفروق في معالجة هذه المسألة. وهذه المبادئ هي كما يلي: من ناحية، نظرية ماورائيه للوجود تفرق بين الجوهر والوجود، على أن الوجود أمر عارض عن الجوهر، وذلك تمييزاً للمكانن الضروري من المكانن الممكنة من ناحية أخرى، نظرية انشاق العالم من عقول عشرة منبعثة بدورها من الوجود وعاشرها هو العقل الفعّال «واهب الأشكال».

تضاف إلى هذه المبادئ نظرية المدينة الفاضلة التي يتولّى أمرها حاكم نبئ متصل بالعقل الفعّال، وهو تصوّر يرى فيه بعض الباحثين فلسفة ذات منحنى صوفي، بينما يعتقد آخرون في معرض وصف الفارابي المدن غير الفاضلة، أنها إشارات دقيقة لأوضاع حقيقية كانت قائمة في أيامه.

فارِس. كلمة مشتقة من اليونانية - الرومانية «پرساي»، (Persac) أي الفرس، ومستخدمة في الغرب منذ القرون الوسطى للدلالة على مجموعة مناطق شرقية تمتد

اسلمتها، وهي تُعرف، اليوم، باسم إيران الذي ظهر من جديد في القرن التاسع عشر.

اعتمدت كلمة «فارس» طويلاً تسميةً للممالك الإسلامية القروسطية والحديثة التي تعاقبت في الهضبة الإيرانية. ولُصِّدلت بها، في الأيام المعاصرة، كلمة إيران التي اعتمدت رسمياً سنة ١٩٣٤، لئلا على الدولة التي تشكل حالياً «الجمهورية الإسلامية الإيرانية» ينبغي التمييز بين كلمة «فارس» وكلمة «فارس» (Fars) المعتمدة قديماً في العالم الإسلامي للدلالة على منطقة يرسيس القديمة الواقعة في الجنوب الشرقي من إيران.

فَارَس، أو **فَارِس** بالعربية، ولاية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية الراهنة، عُرفت بهذا الاسم خلال القرون الوسطى الإسلامية محتفظةً بأصلها ببعض شهرتها المرتبطة بفارس القديمة التي عرفها اليونان.

هي منطقة جبلية تتاخم الهضبة الإيرانية المركزية على امتداد الخليج العربي-الفارسي. وقد ضُمَّت إلى الإمبراطورية العربية-الإسلامية في زمن الفتوحات الكبرى، خلال حكم الخليفة الثالث عثمان بن عفان. ومنذئذٍ مثلت دوراً مهماً في تاريخ إيران التي كانت منها بمثابة القلب خلال العهد القديم وضُمَّت أهم الآثار المعمارية حول پرسبوليس. وقد استمرت معزلة لأهم مسائل القوافل، تربط داخل البلاد بالطرق البحرية في المحيط الهندي، من حيث موقعها بين خوزستان ومطقة الجبال وكرمان، فضلاً عن مسالك القوافل المتوجهة من العراق إلى الهند.

منذ ذلك الحين، تعاقب عليها حكام محليون ناشطون مثل الصفاريين، والويهيين خلال خلافة بني العباس، والأتاتكة السلجوقيين في فترة تغتك الأمبراطورية السلجوقية، أو آل مظفر بعد حكم الإيلخانيين. إن هذه الولاية التي فقدت منطقة بزد، احتفظت بمعدن أساسية مثل إصطخر، الحاضرة الساسانية القديمة، ولا سيما شيراز التي بناها العرب، ففازت أرتجان بالثروة والسكان، وكذلك دارالجزد وميرف. وقد تركز ازدهار ولاية فارس حول شيراز خلال حكم سلاني الصفويين والزنديين، قبل الركود الذي أصابها في عهد القاجاريين. إن الصعوبات التي واجهها مرفاً

بوشهر الذي وُدت في القرن الثامن عشر، بدفع من نادر شاه، الحركة التجارية التي انتقلت إليه من سيراف، والذي غدا، مع جزيرة خاؤك المجاورة، محط أنظار البريطانيين في القرن التاسع عشر، قبل تخلُّفه بسبب نقص في التجهيز، أفقدت ساحل فارس أهميته الاقتصادية، على الأقل حتى بناء مصب للنفت قرب خارك في العام ١٩٦٠، فاستطاعت لوتباه آنذاك البواخر ذات الاحمال الثقيلة.

« راجع المستندات ٨، ١٣، ١٧، ٢٣، ٢٤.

فَارْنَا (بلغاريا)، مدينة مرفئية على شواطئ البحر الأسود، غدت جزءاً من السلطة العثمانية، وخضعت لسلطة الإسلام على مدى أكثر من أربعة قرون.

إن العلاقات التجارية القديمة لفارنا مع الغرب المسيحي التي كانت محكومة بأنشطة التجار الإيطاليين منذ القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، لم تُجَتِّها الوقوع في أيدي الجيوش التركية كما حلَّ بأراضي البلقان الأخرى، حتى قبل سقوط القسطنطينية. وقرب فارنا، وقعت معركة انتصر فيها السلطان مراد الثاني على البيروثيين والمجريين سنة ١٤٤٤م. وفي ما بعد وقعت فيها معارك خلال فترة السيطرة العثمانية، كما عاد إليها الروس مؤقتاً سنة ١٨٢٨. مع نهاية الحرب الروسية - التركية سنة ١٨٧٨، تخلَّى عنها العثمانيون، قبل أن يضمَّها مؤتمر برلين نهائياً إلى بلغاريا.

فارو (البرتغال) وساننا ماريتا الغرب، بالبرية أخصوئوبا، شاننا ماريتا الغرب وساننا ماريتا آل هارون، بلدة مرفئية على ساحل الأطلسي، في جنوب الأندلس، ببرزاً تاريخها تميَّز هذه المقاطعة التي عُرفت في ما بعد باسم الخرقه (الغرب).

بين الاحتلال الإسلامي الأول، حوالي ٩٤هـ/ ٧١٣م، للمقاطعة التي كانت تحمل - مثل البلدة، اسم أخصوئوبا (Ossonoba)، واستعادتها المتأخرة على يد المسيحيين في العام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، مرَّ عليها عهد طويل ترشَّع خلاله النشاني المستنر لازدهارها، سواء الزراعي أو البحري، واستمرار الاضطرابات السياسية

الفاروقيون أو خانات خُندش، ١٣٧٠ - ١٦٠١م.
سلالة حكام من المسلمين في شمال الدكن، إذعت
الانساب إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الفاروق،
ومن ذلك اتخذت اسمها.

استغلّ مؤسسها، وهو ضابط كان، بدايةً، في خدمة
آل بهمن، ثمّك سلطان آل ثُلُك، سلاطين دلهي،
ليؤسّس استقلاله. إلى جانب أسيا دملوى وعُجرات.
لكنّ جيرانه الأقوياء لم يسمحوا لحكام الدولة الجديدة
بأن يتخذوا لأنفسهم سوى لقب خان. إلّا أنّ ذلك لم
يقف حجر عثرة دون ازدهار الدولة الجديدة، ولا سيّما
في القرن الخامس عشر. وتحصّنها بقلعة مركزية عرفت
باسم أسير غرّه. وقيام عاصمتها لها هي برمانبور. ثمّ ما
لبثت أن تراجعت أمام توسّع إمبراطورية المغول خلال
حكم أكبر الكبير.

ملك راجا الفاروقي ١٣٧٠-١٣٩٩م

ناصر خان ١٣٩٩-١٤٣٧م

عادل خان الأول ١٤٣٧-١٤٤١م

ميران مبارك خان الأول ١٤٤١-١٤٥٧م

عادل خان الثاني ١٤٥٧-١٥٠٣م

ولاد خان ١٥٠٣-١٥١٠م

عادل خان الثالث ١٥١٠-١٥٢٠م

ميران محمد الأول ١٥٢٠-١٥٣٧م

مبارك شاه الثاني ١٥٣٧-١٥٦٦م

ميران محمد الثاني ١٥٦٦-١٥٧٦م

حسن شاه ١٥٧٦-١٥٧٧م

راجا علي خان ١٥٧٧-١٥٩٧م

بهارشاه ١٥٩٧-١٦٠١م

◀ راجع المستند رقم ٣١

فاس (المملكة المغربية)، عاصمة تقليدية للشمال،
يعود تأسيسها إلى سلالة الأدارسة ويتجلى دورها،
كمركز ثقافي وكمدينة دينية مميّزة بمبانيها المعماريّة،
في ازدهارها اليوم كمركز حديث للتاحية التي تقوم
فيها.

تقع فاس في وادٍ لنهر يحمل الاسم نفسه، على
مفتقٍ طرفين عظيمين للمواصلات كانا، في ماضٍ،
طرفين للقوافل تربطان، من الغرب نحو الشرق،
انساحل الأطلسي بالمغرب الأوسط، ومن الشمال نحو

التي سبّتها علم تجانس السكّان المؤرّعين بين المؤلّدين
والمستعربين.

◀ راجع المستند رقم ١٥

فاروق، ١٩٢٠-١٩٦٥، ملك مصر من سلالة
الخديويين المتحدّرين من محمّد علي. ملك من ١٩٣٦
إلى ١٩٥٢، فكان آخر عاهل في تلك السلالة.

هو ابن الملك فؤاد وحفيد الخديوي الشهير
إسماعيل. خلف والده في الحكم في السادسة عشرة
من عمره. وكان حزب الوفد أنتمى الذي حقّق نصرًا في
الانتخابات النيابية، قد ألّف حكومة ائتلافية قبيل عقد
المعاهدة مع بريطانيا العظمى التي ألغى بموجبها نظام
الحماية. مع استمرار الاحتلال العسكري البريطاني
لمنطقة قناة السويس.

عاصر حكم الملك فاروق لمصر مرحلة تغيّرات
سياسية واجتماعية أدّت إلى سقوط النظام، بينما كانت
الحركات الوطنية تنامي مطالبة برحيل العيوش الأجنبية.
ولم يكن الموقف المُحتاط الذي اتّخذه الملك خلال
الحرب العالمية الثانية، والذي أغضب البريطانيين، كافياً
لإرضاء الرأي العام في بلده. فاشتدّت معارضة حزب
الوفد. ما حمل الملك على إقالة حكومته فجأة في أكتوبر
من العام ١٩٤٤. وفي هذه الأثناء قوي نفوذ حركة الإخوان
المسلمين التي أُسّست في العام ١٩٢٩. ثم إن مصر التي
كانت تزعم جامعة الدول العربية وتتخذ موقفاً حيادياً من
الحلف الأطلسي، دخلت في الحرب ضد إسرائيل في
العام ١٩٤٨، في الوقت الذي استدعي فيه إلى الحكم من
جديد، في العام ١٩٥٠، زعيم الوفد نخاس باشا الذي
نقض، في العام ١٩٥١، المعاهدة البريطانية - المصرية.
وهكذا فإنّ نفعة الرأي العام والوضع الاقتصادي الذي
أفضى إلى بؤسٍ متنامٍ في الطبقات الشعبية أدباً إلى
الاضطرابات التي وقعت في القاهرة، في كانون الثاني/
يناير من العام ١٩٥٢، واستمرّت حتّى قيام مجموعة
الضباط الأحرار بالاستيلاء على الحكم في تموز/ يوليو من
العام نفسه. ومنذ العام ١٩٥٣ ألغيت الملكية في مصر،
واضطرّ فاروق الذي كان قدّم استقالته لمصلحة ابنه
الطفل، إلى قضاء المرحلة الأخيرة من حياته في روما
حيث اختار مغاه.

الجنوب، الساحل المتوسطي بتفاليات وأفريقيا
السوداء. ويبدو أنَّ موقعها المميز بغزارة مائه وبمحيطه
الترابي الخصب، لم يعرف العمران المدني قبل بدايات
العهد الإسلامي.

جاء في الأخبار أنَّ العلوي إدريس الأول، من أعقاب
الحسن، أقام في تلك المنطقة بُعيد وصوله إليها، في
العام ١٧٢هـ/٧٨٩م، بلدة على الضفة اليسرى للنهر،
وقد أطلق عليها اسم مدينة فاس. بعد مرور عشرين سنة،
في العام ١٩٢هـ/٨٠٨م، أسس ابنه إدريس الثاني مركزاً
جديداً على الضفة اليسرى سُميّ العليّة. نزلت فيه
جماعات من أهل القيروان. إلّا أنَّ خفّة هاتين المنشأتين
البدائيتين لم تأخذ بالتموج المعروف للندن الشرقية،
رغم احتواء كل منهما مسجداً جامعاً. وقد قدمت عناصر
بشرية جديدة إلى البلدة المنشأة على الضفة اليمنى، في
العام ٢٠٣هـ/٨١٨م، وصلتها من الأندلس، إثر الثورة
التي قامت في ضاحية قرطبة. بعيد ذلك، خلال العامين
٢٤٣ و ٢٤٥ للهجرة/٨٥٧ و ٨٥٩ للميلاد، قام في
المدينتين المنشأتين الميناء الجديدان، مسجد
القرويين ومسجد الأندلسيين اللذان أصبحا، بحسب
التقليد، في العام ٣٢١هـ/٩٣٣م، المسجدين الجامعين
المعروفين، اليوم، بهذين الاسمين.

بقيت مدينة فاس، حتى منتصف القرن الخامس
لهجرة/الحادي عشر للميلاد، في شتّى، مسرح
صراعات بين أنبياء البلاد المتعاقبين، الإدريسيين
والفاطميين وأُمويي الغرب والبربر من قبيلة زناتة.
وفي العام ٤٦١هـ/١٠٦٩م، أو بعده بضع سنوات، قام
المرابطون، الذين كانوا قد بسطوا سلطتهم على
المدينتين بتوحيدهما، وأنشأوا، إلى الناحية الغربية،
حصناً أو قسبة بغيّة حمايتهما. كما أعادوا، بين العامين
٥٢٩ و ٥٣٧ للهجرة/١١٣٥ و ١١٤٢ للميلاد، بناء جامع
القرويين المدين لهم بأجمل زخارفه. ورغم الدمار الذي
أحدثه الموحّدون عندما استولوا على فاس في العام
٥٤٠هـ/١١٤٥م، احتفظت المدينة خلال سيطرتهم
بازدهارها. كذلك أقيمت عليها حصون جديدة ما تزال
ماثلة حتى اليوم. ثمّ غدت، بعد ذلك بقليل، خلال حكم
المرينيين، عاصمة المملكة التي أنشأوها في القسم

الغربي من إمبراطورية الموحّدين، وبذلك غدا هذا
المجمّع السكّني المهمّ ذا اتّساع كبير، إذ إنهم أقاموا
فوق القسبة مجمّعاً مستقلاً سُمّي فاس الجديدة. هذه
المدينة الملكية ضُمّت قصوراً ومباني إدارية ومساجد
لكبار الموحّدين يحيط بها جميعاً سور مزدوج. كما
ضُمّت حتّى دُعي اليهود إلى النزول فيه وتُعرف باسم
الملاح (نسبة إلى نبع مالح بالقرب منه). أمّا المدينة
«القديمة» التي احتفظت باسم فاس البالي، فقد بقيت
مركزاً للصناعات اليدوية والتجارة وشهدت إنشاء
مدارس سُميّ من خلال التدريس فيها إلى إزالة عقيدة
الموحّدين. وقد شكّل مجموع المجمّعات طوال تلك
الفترة عاصمة ثرية وناشطة تناولها بالوصف لبون
الإفريقي.

فقدت فاس مكانتها في العام ١٥٤٩م لمصلحة
مراكش، خلال عهد السعديين، متأثرة بالقوضى التي
سادت جميع أنحاء المغرب في القرن السابع عشر. إلى
أن استولى عليها أول ممثل للسلالة العلوية في العام
١٦٦٦. إنّ منافسة مكّناش لها، وهي مدينة حكومية
جديدة أنشأها مولاي إسماعيل المقدر في مطلع القرن
الثامن عشر، أدّت إلى إضعافها، كما تأثرت، في القرن
الثاني، بنتائج اضطرابات طائفة. إلّا أنّ ذلك لم يمنحها
من استعادة مكانتها السابقة، من وقت إلى آخر، ومن
استعادة دورها كعاصمة، وتناقص هذا الدور مع مراكش.
فعلى سبيل المثال، أجرى فيها السلطان مولاي الحسن
(١٨٧٣-١٨٩٤)، أعمالاً معيدة، منشأ فيها، بوجه
خاص، سوراً ضخم، في الوقت نفسه المدينة القديمة،
المعروفة بالمدينة، والمدينة الغربية؛ كما أنشأ قصراً
في حيّ بوجلود، في الموقع القديم للقسبة. ثمّ حدثت
فيها تحولات مصيرية بعد بسط الحماية الفرنسية عليها
في العام ١٩١٢، إذ قامت، إلى جانب المجمّعات
السكّنية السابقة، حيث كان يسود مناح من المعارضة
السياسية، مدينة أوروبية جديدة. وقد أضيف عليها، منذ
١٩٥٠، تجمع سكّني إسلامي جديد ذو سمة أكثر
حداثة، نزل فيه عدد من الأسر الآتية من المدينة القديمة.
في مقابل ذلك، شهدت هذه نزوحاً سكّنياً إليها، من
الريف المجاور، من الطبقات الفقيرة، في أكثر

من الصعب إصدار حكم على شخصية امرأة بدت، حيناً، معزولة وخجولة، وحيناً ذات قرار عندما اضطرت للدفاع عن حقوق زوجها أو أهلها الأقربين. وفي كل الأحوال بقيت غير مبترزة خلال معظم مراحل حياتها التي تناولتها الأحاديث النبوية أو الحواريات، بينما غدا شخصها، من خلال المعتقدات ومظاهر التقوى في عهود متأخرة، ذا طابع أسطوري. وفي رواية رابحة بوجه خاص لدى الشيعة، ومقبولة في الوقت عينه في الأوساط السنية، أن محمداً ﷺ ضم بردانه، خلال مناسبة عاقبة، ابنته فاطمة وعلياً ولديهما، فانطلقت على خستهم تسمية أهل الكساء، وهي تعني بحسب الشيعة أهل البيت، وهي تسمية خاصة بأسرة محمد.

كما أن فاطمة اتّسمت لدى الشيعة، ولا سيما لدى الإسماعيليين بوجه خاص حيث ظهرت منهم سلالة تنتسب إليها، بصفات مميزة حُصّص بها. فوصفت بالزهراء أو المشقة التي قبست من الله نوراً يضيء السموات. وقد نسبت إليها عجائب متعددة. وستكون أول الداخلين إلى الجنة بعد القيامة. فإذا بلغت عرش الله أدخلت بين الأخيار عترتها وأنصارها. ثمّة تفاصيل أخرى تترنّ سيرتها الشيعة المنيّة وتعظم ذكرها في أعياد متعددة، في حين غدت تذكارات حياتها في المدينة موضوع زيارات تقوية.

◀ راجع المسمندت ٤٠١، ٥٠.

الفاطميون، ٢٩٧ - ٥٦٧/٩٠٩-١١٧١م. سلالة خلافة شيعية ذات مطامع توسعية، ملكت، أولاً، في المغرب، ثم في مصر ابتداء من ٩٦٩/٣٥٨م. أقلحت، على مواجهتها صعوبات في بداية انطلاقها، في فرض قدرتها في مواجهة حمة التسنن الذين كانوا ممثلين بأئمّة بسلالة العباسيين.

١- أخذت اسمها من فاطمة بنت النبي محمد ﷺ وزوجها عليّ التي أعلن العللاء الفاطميون انتسابهم إليها. انتقلت هذه السلطة الجديدة من حركة فرقة شيعية هي الإسماعيلية، رغم أن نسبة مؤسسها المهدي عبيدالله كانت موضوع خلاف، تكرواً. سجّلت نجاحاتها الأولى في إفريقيا حيث كان الداعي أبو عبدالله قد أعلن قيام الإمامة الشورية في رجب ٢٩٦هـ/آذار مارس ٩٠٩م.

الأحيان، وتوزّعت فيها بشكل فوضوي، معرّضة للخطر ترانها المعماري المتميز الذي لا ينفذه سوى تدابير فاسية.

لا تشغل فاس سوى المرتبة الثالثة، اليوم، بين مدن المغرب، فقد تجاوزتها الرباط، العاصمة، وكذلك الدار البيضاء. وقد احتفظت بجامعة التقليدية، أي جامعة القرويين، حيث تقدّم للناشئة تعليماً حديثاً كما احتفظت بمكانتها كمركز فكري دأبه الدفاع عن الإسلام ونطوره، وبمدينة متحفية حيث التقاليد الحرفية تشكّل شهادات حيّة لماضيها الفروسطي. أمّا أكثر مبانيتها تمثيلاً لها فهي، إضافةً إلى المسجدين الجامعين، المساجد التي تستخدم كمصليات، ولا سيما المدارس التي - منذ أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد حتى العهد العلوي، لم تتوقّف عن الأخذ بتقاليد البناء والزخرف الخاصة بالفن الإسباني العربي الموريسكي المتسم بالذوق الرفيع.

◀ راجع المسمندت ١٠، ١١، ١٢، ١٦، ١٩، ٢٨، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧

أقدم منها يُعرف بالفسطاط، وقد ثبت هذا التاريخ بداية العهد المصري للخلافة الفاطمية.

٢ منذ ذلك الحين، وُضِعَ أمر المؤسسات المرتبطة بالنظام. كان على كل خليفة أو إمام، مثلاً، أن يُخَيَّنَ من قبل سلفه، ويَقَىَ تعيينه سرّاً حتّى اللحظة الأخيرة، لا يُنَاجَ به إلا لكانم سرّ الخليفة الذي بولج وحده بكشفه. وهكذا غابت الثوري السائدة في البيئة النسيبة، أو ما يوصف بالثوري التي تأخذ برأي جماعة المؤمنين طاهراً، فتبادر إلى مبايعة الخليفة فور الإعلان عن ذلك. ومن الممكن أن يختار ولد للخلافة، وفي هذه الحال، كان يحكم بمؤازرة وصي. رغم هذه الاحتياطات، نشأت خلافات حول الخلافة، في بعض المناسبات، ولا سيّما بعد موت المستنصر الذي استُبعد ابنه تيكز نزار، فشكّل ذلك سبباً للمعيان الذي أذى إلى الحركة الزاوية أو الإسماعيلية الجديدة.

كان الخلفاء الفاطميون يعيشون في قصورهم الفخمة في القاهرة محاطين ببلاط شبيه ببلاط العباسيين، وإلى جانبهم قاضي القضاة وذاعي الدعاة المولجان نشر العقيدة بين الشعوب، وقائد عسكري ووزير. خلال النصف الأول من تاريخ حكمهم حتّى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، لم يكن منصب الوزير أمراً ضرورياً. وعلى أية حال لم يكن الوزير سوى منقذ لأوامر الخليفة الذي كان الحاكم الفعلي. لكنّ الوضع تغيّر في ما بعد، عندما اضطرّ المستنصر إلى استدعاء قائد الفرق في سوريا، بدر الجمالي، الذي تسلّم معاً رئاسة الإدارة وقيادة الجيوش، ومنصب قاضي القضاة، أي أنّه تولى، بحسب مصطلح الفقهاء، سلطات وزير «بالنفيوض»^٢. ومنذ ذلك الوقت غدا جميع الوزراء، تقريباً، وزراء سيف^٣، ولم يحل ذلك دون وصول بعض المسيحيين إلى هذا المنصب. استظهر نظام الحكم الفاطمي، منذ البداية، بفرق عسكرية غير متجانسة تجمع مرتزقة من أصول متعدّدة، ومن الرقيق أحياناً، ولم يكن هذا الواقع إلاّ يؤديّ إلى اضطرابات داخلية. تشكّلت التواء الأولى منه من قبيلة كاتمة البربرية التي كانت أوّل من استقبل دعاة المهديّ الأولين. ثم انضمّ إلى هؤلاء عبر

وبعد نصر أحرزته ضد الرُستُميين. أحلست على العرش الخليفة عبيدالله المهديّ. ثم تيسّر لها احتلال المغرب ونشر الأمن فيه بفضل مساعدة الثبرير من قبيلة كاتمة. إلاّ أنّ الأيديولوجيا التي شكّلت حيوية النظام [الجديد] كانت غريبة تماماً عن العقائد التي سبق أن انتشرت في أفريقيا الشمالية باسم العباسيين وتنامت في إفريقية مع الأغالبة. وهكذا اضطرّ الخلفاء الشيعة، خلال فترة إقامتهم في الأرض التي تتشكل منها تونس اليوم، إلى مواجهة شديدة مع علماء أهل السنة في القيروان التي شدّت أزرها، لسنوات مديدة، معارضة الخوارج المتمردين بقيادة المذوّ أبو يزيد المنلقب «صاحب الحمار». وقد نجح هذا، ما بين ٣٣٢ و٣٣٦هـ/٩٤٣ و٩٤٧م، في تعريض الخلافة القائمة هناك للخطر، وقد توسّلت هذه الصمود بلجوها إلى المدينة المحصنة التي بُنيت كمكفر ملكي منذ ٨٣٠هـ/٩٢٠م على مرتفع ساحليّ لا يقهر، والتي حملت منذ ذلك الوقت اسم المهدية. وإذ عادت الأمور إلى نصابها، نهضت بدورها مدينة ملكية ثانية فاستقبلت أهل البلاط ووطنه، وهي مدينة صبرا/ المنصورية التي كانت بُنيت قرب القيروان.

انتهج الخلفاء الفاطميون طوال فترة إقامتهم الإفريقية سياسة خارجية ناشئة. بُنيت أقدامهم في صقلية، رغم عداء سكانها، وعُتِبوا عليها حكّاماً من الكُنُسيين. استمروا فيها حتّى الغزو النورماني لاستعادتها، وكان هؤلاء الحكّام يسعون للحصول على قدر من الاستقلال الذاتي. كذلك، قاوموا التنظيمات بسجاح، وكان هؤلاء يهدّدون ممتلكاتهم المنوسطة، فاضطّروا إلى توقيع معاهدة صلح معهم. في العام ٣٥٦هـ/٩٦٧م. إلاّ أنّ الفاطميين كانوا يهدفون، بوجه خاص، إلى توسيع سيطرتهم على سائر البلدان الإسلامية، بدءاً بمصر التي وجّهوا ضدها حملات عدّة بامت، في أوّل الأمر، بالفشل. مع ذلك، في العام ٣٥٨هـ/٩٦٩م، دخل جيشهم بقيادة جوهر تلك البلاد التي كانت ضحية القروص والجوع في تلك الفترة. وفي العام ٣٦٢هـ/٩٧٣م، دخل الخليفة المعزّ، بدوره، مدينة القاهرة، وهي مدينة حكومية أسّسها جوهر منذ العام ٣٥٨هـ/٩٦٩م، قليلاً إلى الشمال من مركز سكني

الموعودة التي كان من المفروض أن تتأقّق المعنى 'نوافي' للتوصف الدينية ناسخةً انقراض التقليدية، بقيت معلقة تنتظر الإعلان عن صدورها. وقد دعا ذلك بعض الأنبياء إلى عقد أمّالهم على ظهور مهدي حقيقي وتصوّروا تجلّيه في شخصية الحاكم، حتّى إنهم قالوا بتأليه، ما أدّى إلى نشوء الفرقة الدرزية.

رغم هذه الاضطرابات المختلفة، شهدت مصر ازدهاراً اقتصادياً حقيقياً يعود، في الوقت نفسه، إلى استخدام أفضل للوارد 'طبيعية' والمنتجات الصناعية وتنمية الأنشطة التجارية، بينما كان التبادل التجاري الدولي يهجر الخنجر العربي - الفارسي والعراق إلى البحر الأحمر وادي النيل. ويبدو أنّ اليهود مثقّفوا دوراً مهماً في هذه التجارة، كذلك الحواضر التجارية الإيطالية، بدءاً بأماغي، التي كانت توفد ممثّلين لها إلى مدن مصر السفلى التي كان نموّها شاهداً على كثافة ذلك التبادل.

لم تكن الحياة الثقافية أقلّ ازدهاراً. لكن، إذا استثنينا الكتابات الإسماعيلية، فإننا نبيّن أنّ علوم الأوائل سادت مصر الفاطمية في فروعها المختلفة: من الرياضيات إلى علم الفلك والطب على سبيل المثال. كما تفرّقت فنون العمارة والفنون الزينية محتفلة لنفسها بتميّز محقّق في إطار الإنجازات الأخرى للقرون الوسطى الإسلامية.

٣- كان لفاطميين، كما مرّ بنا، مطامع توسعية بانته منذ تولّيهم السلطة. إلّا أنّ توسّعهم توقّف سريعاً. فبعد احتلالهم مصر، دخلت جيوشهم سوريا، ونجحت في احتلال المنطقة كلّها في مطلع القرن الخامس للهجرة/العادي عشر للميلاد. لكنّ النتيجة كانت مؤقتة؛ فقد أفلست سوريا الشمالية بسرعة من السيطرة المصرية مع وصول السلاجقة. ولم تتوقّف الاضطرابات في سائر أنحاء البلاد. كما أنّ الحال، في المغرب، لم تلبث أن تدعورت، وتقصّ الحاكم الزيري: 'الذي أوكل إليه الفاطميون أمرهم، وصينهم. منذ العام ٤٤٣هـ/١٠٥١م، ليعمل اعترافه بالخليفة العباسي في بغداد. وقد شجّع هذا الحدث، كما يقال، أهاليّين من البدو على مهاجمة إفريقية فعاثوا فيها فساداً. وفي الوقت نفسه استعادت صقلية استقلالها، عملياً، فلم يهتمّ الفاطميون لأمر.

العصور، جماعات من الأتراك والديالمة جيّدوا في مصر منذ أواخر القرن الرابع للهجرة/العشر للميلاد. وعوضاً عن أن تكون هذه الجيوش غير المتجانسة وفية للسلالة الحاكمة، فإنها تسبّبت بصعوبات لها. فوقعت معارك بين مجموعات من الفرق المتخاصمة، فأدّت هذه النزاعات إلى إضعاف الخلافة تدريجياً.

لكنّ المشكلات اندلعت، بوجه خاص، في المجال الاجتماعي - الديني. فقد اصطدم الخلفاء الفاطميون الذين عمدوا إلى فرض الإيديولوجية الإسماعيلية على مصر، كما في إفريقية، بمقاومة جادة، في الوقت الذي كان يسود الأوساط الإسماعيلية نفسها تملّك ما. صحيح أنّ نعليناً موجّهاً نحو أهداف الحركة جرى نشره في مسجد القاهرة، في الجامع الأزهر، ثم في مسجد الحكيم، كما في دار الحكمة الشهيرة التي أنشئت لهذه الغاية. إلّا أنّ فقهاء من مذهب أهل السنة تباروا على اعتراضهم، مع تبديل من وقت إلى آخر في موقف السلطة منهم، وقد تارّجح هذا الموقف بين الليونة والتشدد، في حين أنّه، على مستوى ممارسة الشعائر، كان يقصّر النظر أحياناً عن الممارسات السيئة، ويُعبد، أحياناً أخرى، إلى منعه. ثم إنّ سياسة الفاطميين تجاه أهل الذمّة من المسيحيين واليهود اتّسمت بالتسامح، بشكل عام، وبسّرت للخلفاء إحباط مقاومة المسلمين من السنة بالإعتماد على غير المسلمين الذين أسندت إليهم مواقع مهمة في الإدارة. وبالأحرى في الحكومة، بينهم بعض الوزراء، كما هو معلوم. ومع ذلك وقعت أزمة خطيرة خلال حكم الخليفة الحاكم تسبّبت في اضطهاد حقيقي للمسيحيين. لكنّ هذه الأزمة التي خلّقت أضراراً كبيرة، والتي ما يزال المؤرّخون المحدثون يتساءلون عن أسبابها، لم تستمر سوى سنتين قليلتين. إذ بذل الخليفة رأيه وسمح للذين أُجبروا على اعتناق الإسلام أن يعودوا إلى دينهم، من دون أن توجه إليهم نهمّة الارتداد.

والأخطر من ذلك كان تصاعد القلق الذي ساد أوساط الموالين للفاطميين، حين نبّهوا أنّ ظهور المهدي لم يؤدّ إلى أيّ من التغييرات العميقة التي كان يتوقّعها أتباعه الإسماعيليون: فالتشريعة الإسلامية استمرت قائمة، مع بعض تعديلات، بينما كانت التشريعة

القال، جزر (Laquides)، أرخبيل مرجاني في المحيط الهندي قبالة شاطئ أنغولابار، في جنوبي غرب الهند، بشكل اليوم إقليم لاكشادويب داخل الاتحاد الهندي، وغالبية سكانه من المسلمين.

تُجاور جزر القال، لا سيما جزيرة ماليكو، جزر المالديف وهي، مثلها، كانت معروفة لدى البحارة العرب منذ القرون الوسطى الأولى، يطلقون عليها ماعاً في كتاباتهم اسم اللبججات. إننا نجهل الظروف الحقيقية لدخول الإسلام إلى هذه الجزر، إذ تعزوه روايات محلية إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، على الرغم من أن موقع هذه الجزر، على الخط البحري الذي يربط الجزيرة العربية بالشرق الأقصى، قد يرجع تاريخاً أقدم، مترسماً مع نشأة الطائفة الإسلامية في أنغولابار. تأثر التاريخ الحديث لجزر القال بالعلاقات التي سادت بين هذه الجزر والماليلاس، وهم زعماء قدموا من الماليلابار ومازوسا الحكم على بعض الجزر، ابتداءً من منتصف القرن السادس عشر حتى العام ١٧٧٩؛ ومن العام ١٨٧٥ حتى العام ١٩٠٨ على بعضها الآخر، حتى قامت عليها الوصاية البريطانية التي عقبتها الاستقلال في العام ١٩٤٧. يتشكل السكان الحاليون من المسلمين السنة التابعين للمذهب الشافعي، ولكنهم ينقسمون إلى ثلاث فئات نشبه الطبقات، ونجد بينهم بعض أتباع الطوائف الصوفية ينسبون إلى الطريقتين الرفاعية والقادرية في أكثرهم، وكذلك بعض العناصر من ذوي النزعة الأصولية.

الفتى، جمعه **الفتيان**، عبارة عربية تعني «الحدث»، صادفت استعمالاً مختلفاً في العالم الإسلامي خلال القرون الوسطى. راجت كلمة فتى، مثلاً، في الأندلس، لتعني الشخص المتمتع إلى الرقيق، إلا أنه دخل في خدمة الحاكم أو وزيره وحاز مكاناً رفيعاً بين حاشية البلاط، بمعنى آخر كان «ضابطاً» يفوق مقاماً العبيد العاديين.

في الشرق، من جهة أخرى، حيث سادت كلمة «غلام» للذكورة على أفراد طبقة الخليفة، وأعضاء حرسه، الذين كانوا ينتمون إلى الرقيق، إنَّما كانت زينةهم: كانت كلمة «فتيان» تُطلق على الرجال الأحرار

في مقابل ذلك، ثابر أنطاضميون على شتّى الحملات ضد البيزنطيين الذين كانوا يصطدمون معهم في شمال سوريا، في الوقت الذي كانوا يعقدون معهم المفاوضات. وقد عقد الطرفان اتفاق هدنة بينهما. في العام ٣٩١هـ/١٠٠١م، تم بلبث أن اهتز إثر تدمير كنيسة القبر المقدس في القدس. وقضى اتفاق بينهما بإعادة بناء هذا الأثر، ثم بُثت بمعاهدة سلام وقّعت لمدة ثلاثين سنة في العام ٤٢٩هـ/١٠٣٨م. وعند بلوغ الفرنج، المشرق الأدنى، يبدو أن الفاطميين الذين كانوا استعادوا القدس في العام ٤٩١هـ/١٠٩٨م من السلاجقة، كانوا عني وشك أن يقيموا حلفاً مع البيزنطيين ضد الأتراك، إلا أن هذا المشروع لم يتبدل إلى نتيجة. أمّا الأمر الثالث فهو أن الفاطميين، فيما اشتركوا في اقتتال ضد الحملة الأولى للفرنج، لم يستطيعوا الحؤول دون احتلال هؤلاء مدناً فلسطينية عديدة، كان آخرها عسقلان. بعد ذلك طُلب الوزراء المتخاصمون الذين خدموا الفاطميين، واحداً بعد الآخر، مساعدة الفرنج حياً، وحيثاً آخر مساعدة ملك مسلم مثل نور الدين الذي لبث جيوشه انتداء مرتين، ثم غادرت عائلته. وفي المرة الثالثة لم تغادر الجيوش السورية مكانها وكان قائدها شيركوه عين وزيراً، فأذنت هذه الأحداث إلى زوال الحكم الفاطمي في تلك البلاد لصالح ابن أخي شيركوه الذي أسس دولة الأيوبيين السورية - المصرية، وهو صلاح الدين.

عبدالله المهدي	٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م
اتقانم	٣١٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٦م
المنصور	٣٣٤-٣٥١هـ/٩٤٦-٩٥٣م
المُعز	٣٥١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م
العزيز	٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م
الحاكم	٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠١٢م
الظاهر	٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢١-١٠٣٦م
المستنصر	٤٢٧-٤٣٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م
المستعلي	٤٣٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م
الأمر	٤٩٥-٥٢٥هـ/١١٠١-١١٣٠م
الحافظ	٥٢٥-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م
الظاهر	٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م
الناصر	٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م
العاقد	٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م

الحبيقة من المدينة.

بعد ذلك، اعتبر كل انقسام فتنه، فدان الفقهاء والمفكرون التقليديون بقوة سيطرة كل فتنه كانت تزدي إلى قسم وحدة الجماعة. إلا أن هذا المفهوم انسحب على مراحل فتحت بعض الامبراطوريات وتقسيمها. ففي الأندلس، على سبيل المثال، استعملت كلمة فتنه للدلالة، بوجه خاص، على المرحلة التي غابت سقوط الخلافة الأموية ونشأتها وهي المرحلة التي يستيها المؤرخون الغربيون، في أكثر الأحيان، عهد الطوائف.

الفتوة. كلمة استعملت في المحيط الإسلامي القروسطي للدلالة على فضائل الفتن، جمعة الفتيان، حيث برز مثل أعلى جديد تجاوز مفهوم «شرف الرجل الناضج» أو «المروءة».

شكل هذا المثل الأعلى عنصرًا محوريًا، في نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، لنشوء جمعيات مرتبطة في ما بينها، ذات نهج تراتبي، في إطار تنظيم شامل ما يزال يكتنفه الغموض، حمل بدوره اسم الفترة.

تأمل تنظيم الفتوة الذي اختصر به الشرق الإسلامي امتدادًا لحرس شعبي مُدني أقدم منه عهدًا، يمكن اعتباره مظهرًا مهملًا له، واقتبس بعض سماته من المحيط الديني لتلك الحقبة المدموعة بازدهار التصوف. وهكذا عدا شيعيًا، في تنظيمه، بالجمعيات الباطنية، وبلغ أوجه في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد ليخفي من بعد، لكنه استمر في أشكال مختلفة من التجمعات المهنية، وربما في جمعيات حرية ذات توجه اجتماعي وصوفي معًا. كما أن بعض هذه المجموعات استعادت، في ما بعد، في بعض المناطق، دور العصابات المسلحة، مؤدية دور الحرس المدني ومتصدية لأعمال سياسية لا تخلو من قتالية.

جرى الاعتراف بتنظيم الفتوة، في صورة رسمية، بقرار اتخذ أحد الخلفاء العباسيين الآخرين في بغداد، هو الناصر لدين الله، الذي يادر إلى استخدام المضمون الخلفي، ولا سيما الروحي، للعقيدة المضمرة في جمعيات قديمة، ليزيد من رفعة مكانته الشخصية. إن هذا الخليفة، الذي لم تكن سلطته الحقيقية تتجاوز في

من سكان المدن. وقد غني بها، بشكل خاص، أعضاء الجمعيات المنتمية إلى الفتوة الذين كانوا يأخذون أنفسهم بالشجاعة والكرم، وهما صفات يتحلى بهما جيل الشباب.

فتحتور سيكري، مدينة ملكية مهجورة، تقع على بعد نحو من أربعين كيلومترًا من أغرا، رفع بنائها الملك الشهير أكبر الأول من سلالة المغول، لتضم قصره وبلاطه وأفراد حكومته.

وكان أكبر، قبل أن يقوم بزيارة المنصوف سليم الجشتي في موقع سيكري، عام ١٥٦٩، وبينه هذا بولادة ابن له قريبًا، قرّر أن يبني في هذا الموقع عاصمة جديدة، يحيط بها سور ممتد على ستة كيلومترات، وقد فرغ من العمل فيها العام ١٥٧٤، وسماها فتحتور أي مدينة القصر. ومع ذلك اكتفى بأن جعل منها مقرًا مؤقتًا، ثم ما لبث أن هجرها في العام ١٥٨٦، ولم يعد إليها بعد ذلك. فاحتفظت بسبب ذلك بيمانيتها الشامخة مصنوعة من عوادي الآثام، مبنية بالصفائح الحمراء، محيطة بضريح من المرمر الأبيض بني إكرامًا لسليم الجشتي. وهي مبانٍ تُعبر، بكل تأكيد، من أكثر الشواهد دلالة على غنى الفن المعماري للهند المغولية.

◀ راجع: المستند رقم ٧٨

الفتنة. كلمة كثر استعمالها، في العربية، خلال تاريخ الإسلام الطويل، للدلالة على فترات الاضطرابات والإنشغافات والصراعات الداخلية، وأحيانًا على الحروب الأهلية والفوضى، التي دمنّت تقوّر الجماعة الإسلامية.

كثيرًا ما وردت كلمة فتنه، بمعنى «محنة، إغواء»، في القرآن. وهي تعني، بصورة عامة، إغواء موجهًا أو متغاضيًا من قبل الله امتحانًا لإيمان المؤمن.

استعملت هذه الكلمة، منذ العهد الأولي للإسلام، للدلالة على حالات انثورة أو الحرب الأهلية التي تعرض للخطر نقاء إيمان المسلمين ووحدة الجماعة. إن اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان في العام ٣٥هـ/ ٦٥٦م والأحداث التي تلت، بما فيها الحربان الأخويتان بين الصحابة، وهما زُعمتا الجمل وصفين، تعتبران «الفتنة الكبرى» التي امتحنت بها جماعة [المسلمين]

الدولة الجديدة وتوسيع سلطتها: فوضع تصوّر للأسس الجماعية لهذه الدولة خلال فترة هجرته إلى المدينة. وكان يأمل من ذلك تأمين نجاح الدعوة التي أطلقها والتي ووجهت بالصدق من قبل. فكما أن التنابؤ انحتمى ما بين الانتصارات العسكرية والعمل السياسي سمح وحده للفنّي محدّد (٢٢٢) بالعودة المظفّرة إلى مسقط رأسه مكّة ليجعل منها المركز الديني للإسلام، كذلك فإنّ المراحل اللاحقة للرئاسة الموحدة إليه ارتبطت بالضرورة بالتوسيع الدائم لأفق الأهداف الموضوعة للحملات العسكرية وللقدّم المظفر للصعابة. ولم يخفى التقليد الإسلامي المرتبط بالحديث الشريف في هذا الشأن، إذ إنّه اعتبر دائماً أنّ غزوة تبوك - وقد ثنت حملة عسكرية قام بها النبي ﷺ نفسه شماني شبه الجزيرة قبل وفاته بعام واحد - كانت المؤشّر للانقلاب التاريخي الذي كان له الفضل في انتصار الإسلام، كما أنّه رأى فيها أيضاً حالة خاصة لانهايار العالم القديم في القسم الغربي من آسيا.

والظاهرة التي أدت، في القرن الأوّل للهجرة/ السابع للميلاد، إلى قيام عالم إسلامي حقيقي شامع الأجزاء ومنصهر، تندرج في بداياتها بشكل ما في امتداد الاختراق التدريجي لجماعات بدوية للأراضي الخصبة المزروعة الواقعة شمالي الجزيرة العربية، ويعود هذا الاختراق إلى فترة سابقة، وقد أدّى ذلك إلى نشأة دويلات عربية شبه مستقلة. وهكذا، فإنّ الحملات العسكرية الإسلامية الأولى تبعت خطوط مسارات قديمة. ولم يكن الأنباط ذوو الأصول العربية هم وحدهم الذين أسسوا حوالى بداية العصر المسيحي، مملكة حول البتراء وتبوّأ الثقافة المحلية اليونانية - الآرامية. وبعد فترة قصيرة، صار النُصَيمِيُّون الذين استقروا في بلاد ما بين النهرين حلفاء لساسانيين إيران، بينما صار الفساسنة - الذين اعتنقوا المسيحية هم أيضاً - حلفاء البيزنطيين في سوريا. والحركة التي أحدثها ظهور الإسلام في هذه المناطق تميّزت عن سابقتها باتساعها وبالروحية التي تحركت الوافدين الجدد. فكانوا يفتنون، في أن معاً، من أجل قضية واضحة ومن أجل تأمين المكاسب لأنفسهم. ونصّروا كمانحين منظمين

ذلك العهد حدود العراق، جذب إليه، بهذه الوسيلة، الحكّام المسلمين الأساسيين من الشرقيين الذين لم يكن يربطهم به، حتى ذلك الوقت، سوى رباط الموالات. جهّز الناصر، بعد أن انفضّ إلى الفتوة البغدادية وغدا مرشدتها الأكبر، في فرض نظام حقيقي على جميع الأعضاء، مشجعاً علّة القوم وكبارهم، في الوقت نفسه، على الانضمام إلى الحركة والمساهمة، بإدارته، في العودة إلى التسلّح بالأخلاق بمتصد مزدوج أحدهما إنعاش الإسلام بتوحيد زعمائه المتعددة، والآخر استعادة الاحترام الشامل لدور الخلافة. مهما يكن من أمر، إلى هذا العهد تعود اتصالات المتعددة المؤلّفة حول الفتوة في ما وصلنا منها، وهي في غالبيتها مطبوعة بتأثير صوفي، يبرز النفاذ المشتركة التي جمعت ما بين سلوك المتصوّفين والأفكار التي عمل بها في نطاق العراق التي نشأت أبانتو، والمعطيات التي تحقّقت من خلال تنظيم الفتوة. وقد جاءت في هذه الرسائل بعض التفاصيل التي تطلعت على رسوم الإحتفال المحصّر للانضمام إلى التنظيم، ومنها اتخذ برّة مميزة لذلك وسروال عرف بسروال مكارم الأخلاق. كما ذكرت مختلف المراتب التي يرقاها العضو بحسب نظام الجماعة الداخلي.

الفتوحات (الكبرى). تبير يستعمل كتعبير «الفتح» الذي تجده في عنوان مؤلّف البلاذري «فتوح البلدان» لئلا تدلّ على التوسّع المذهل الذي عرفه الإسلام في القرن الأوّل للهجرة.

خلال السنوات العشرين التي تلت وفاة النبي محمّد (ﷺ) في العام ٦٣٢م، سمحت هذه الإنطلاقة - ذات انطباع العسكري في الأساس - بفياح امبراطورية عربية - إسلامية شكلت الجزيرة العربية النقطه المركزية فيها، وامتدت من الأطراف الشرقية لإيران إلى أبواب أفريقيا. وبعد فترة قصيرة، في ظلّ الحكم الأموي، توسّعت نحو الهند وآسيا الوسطى والمغرب والأندلس.

ومنذ حقبة حكم الخلفاء الراشدين الأربعة، شكّلت السياسة الهجومية المتبعة باستمراراً مباشراً لواجب الجهاد - أي الحرب المقتضية الشرعية - التي قادها النبي محمّد نفسه (ﷺ) عندما صمّم على ضمان استقلال

٦٤٥/هـ.

- فتح إيران ونفكك سلطة الساسانيين بالكامل بعد انهيار جيشهم. وقد توسع هذا الفتح خاصة بعد الانتصار الذي تحقّق في معركة نهاوند ٦٤٢/هـ. وهي نقطة إستراتيجية، في ما سيصبح مستقبلًا مقاطعة الجبال، ومهدّ هذا الفتح، بعد مرور عشر سنوات، لاحتلال خراسان بعد ضمّ أفرييجان سنة ٦٤٣/هـ وفارس وكرمان ما بين ٦٤٥ و٦٤٧/هـ. وهذا الانتصار المستمرّ للجيوش الإسلامية صار أكثر ثباتًا مع غياب آخر ملوك الساسانيين يُدجّرُد الثالث الذي قُتل في ما وراء النهر، حوالي سنة ٦٣٢/هـ. بعد فرار طويل وغير مجدٍ نحو الشرق من وجه الغزوات والتفكّم التدريجي للقوات التي كانت تلاحقه.

- فتح مصر ما بين ٦٤٠ و٦٤٢/هـ. وهو إنجاز للقائد العربي عمرو بن العاص الذي ربط اسمه بهذا الفتح وشيّد أوّل مسجد جامع في البلاد في الشُّطاط - المدينة المعسكر ذات المستقبل الزاهر - التي كان أسسها بعد استسلام المدن الرئسية في البلاد، والإسكندرية إحداهما. وقد تمكّن عمرو بن العاص أخيرًا، حوالي سنة ٦٤٥/هـ، من دحر الهجمات البيزنطية المضادة الآتية من البحر.

- فتح بَزْقة وطرابلس في ليبيا، ونخبطهما في هجمات واسعة النطاق باثجا إفريقيا، إلى أن تمكّنت القوات الفاتحة من الاستيلاء عمليًا عليها بعد الانتصار على البيزنطيين في معركة سَبَيْطَة سنة ٦٤٧.

وقد تميّزت أول موجة من الهجمات خارج الجزيرة العربية إذاً بسلسلة عمليات - كانت تشع أكثر فأكثر، وطمّعت عليها في بعض الأحيان طابع المغامرة - في مناطق كان يتمّ عبورها سريعًا، ودائمًا بعد معارك مخفّض لها، لكن من دون الاهتمام بإعادة السلام إليها فعلاً. وحدثها هذه المعارك المنظمة أتاحَت ملاحظة الخلل المتنامي بين القوّات الإسلامية والاحتياط العسكري للإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية اللتين تقاسمتا في انساب كل هذه الأراضي. فالوهن النسبي الذي أصاب الأمباطورية البيزنطية حال دون دفاعها عن مقاضعاتها المتوسطية الأكثر غنى والتي تسكنها، في حاصل الأمر،

ونخضعوا بشكل وثيق - بالقوة أو بالمعاهدات - أراضي استسلمت لهم، ولم يكن أمام سكانها سوى خيار القبول بالشريعة باعتناقهم الإسلام، أو العيش وفق نظام أهل اللدّة، فيما إذا كانوا متمتّين إلى ديانات ترتكز على كتاب موحى به (أي في حال كانوا من أهل الكتاب). أمّا المراحل الأساسية للفتوحات الأولى هذه وفقًا لترتيب يغلب فيه الطابع الجغرافي على الزماني، فهي كما يلي:

- فتح سوريا بدءًا من العام ٦٣٤/هـ. إنطلق هذا الفتح مع الانتصار في معركة أجنادين، واستمرّ بعد معركة اليرموك في العام ٦٣٦/هـ، وتوجّح بالاحتلال الكامل والمنظم للبلاد، وتكرّس بالإسلام النهائي سنة ٦٣٨/هـ للقدس، ومن قبلها لدمشق التي أصبحت في ما بعد العاصمة الإدارية. انكفأت جيوش الأمباطور البيزنطي هيراقليوس بعد اندحارها إلى ما وراء انطاكية، حتى إلى ما وراء مضائق كيليكيا، وأضعة نصب أعينها هدفًا واحدًا هو الدفاع عن أراضي الأناضول.

- فتح بلاد ما بين النهرين، الذي اتّخذ طابعًا أكثر حدّة بعد أن تمّ عبور الفرات بالقوة والانتصار في معركة القادسية في ٦٣٦/هـ و٦٣٧/هـ. تلا ذلك احتلال عنيف ونهب لسوقية - طُيُفُون عاصمة الساسانيين، التي ستصبح «المدائن» في ما بعد. وبينما كانت خوزستان عرضة للاجتياح ما بين سنتي ٦٣٧ و٦٣٨/هـ، كانت المدن - المعسكرات التي أنشأها أسباط البلاد الجدد في البصرة، بالقرب من ضفاف الخليج العربي الفارسي، وفي الكوفة، على مسافة أبعد إلى الشمال، تُستخدم أيضًا قواعد إستراتيجية لاجتياح البقيّة وسلسلة الجبال المجاورة، عبر سلوك خطّين مختلفين.

- فتح بلاد ما بين النهرين العليا الذي تمّ بعد صعود القوّات العربية - الإسلامية أودية دجلة والفرات مجتاحين في طريقهم مدينة نينوى القديمة سنة ٦٤٠/هـ (التي تقع قرب الموقع الذي ستقوم عليه الموصل مستقبلاً). وقد وصل هذا الفتح في حدوده القصوى إلى أراضي أرمينيا القديمة التي تمّ إخضاعها حوالي سنة

عبر أراضي سيجستان (سيستان) المنعزلة، وتطأ سهول الهندوس: فمدينة ذبيل المرتفعة احتلت في العام ٩٢هـ/ ٧١١م، وأصبحت ملتان عاصمة مقاطعة السند الإسلامية الغنية، رغم استمرار بعض الجيوب تقاوم الإسلام في العمق الجبلي لأفغانستان، وهي جيوب ستتم محاصرتها في فترة لاحقة.

من ناحية ثانية، في اتجاه الغرب، أحرز المسلمون تقدماً منهجياً في تمركزهم في إفريقية، ولا سيما مع تأسيس القيروان، وهي رابع مدينة - مسكر كانت في أساس شهرة القائد العربي عقبة بن نافع الذي أنشأ فيها مسجداً جامعاً يحمل اسمه. إنطلاقاً من هذه القاعدة العسكرية الجديدة ضمَّ الجزء الأكبر من المغرب بين سنتي ٥٠ و٨١هـ/ ٦٧٠ و٧٠٠م. وقد بقيت بالطبع شعوب بربرية عذّة عاصية على الإسلام تسكن المناطق الجبلية للمغرب. ومع ذلك، كان للوجود الإسلامي ما يكفي من القوة ليُنظَّم لاحقاً، إنطلاقاً من المغرب، حملة في اتجاه الغرب، أدت إلى فتح شبه شامل لشبه جزيرة إيبيريا التي صارت تعرف مذكاً عند العرب باسم الأندلس. ويُعتبر طارق بن زياد، وهو رجل عسكري من أصل بربري، المستند الأكبر لهذا الفتح. ومع أنه كان نائباً لموسى بن نصير، حاكم إفريقية في هذه الفترة وحسب، فإنه اتخذ مبادرة الإنزال وتمكن، بالتعاون مع قائد قوّاته، من إخضاع مملكة طليطلة القوطية. هذا التقدم الصاق الذي أتاح له الوصول إلى جبال الپيريني، منذ السنة الأولى للعمليات العسكرية، والاستيلاء على الجزء الأكبر من الأراضي الإسبانية - البرتغالية الحالية، استنبح بغارات، وحتى بفنوحات مشمرة في جنوب فرنسا، شكّلت معركة بواتيه (Poitiers)، وتعرف عند المؤرخين العرب بـ«بلاط الشهداء» سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م، امتدادها الأقصى.

أخيراً، تميّزت سنوات الذروة التي عرفتها الامبراطورية العربية - الإسلامية تحت حكم الأمويين، بمحاولتين بارزتين قام بهما الجيش والبحرية الإسلاميّان اللذان حاصرا القسطنطينية على مرحلتين: ما بين ٥٣ و٨٥هـ/ ٦٧٣ و٦٧٨م، ثم ما بين ٩٨ و٩٩هـ/ ٧١٦-٧١٧م. وتمكّنت الامبراطورية البيزنطية - التي كانت

أقوام لا يخفيها تأثير السيادة، وهو تغير كان يحصل، في أكثر الأحيان، بموجب «صلح». والانهيار الحاد للامبراطورية الساسانية أوقعها بالكامل تحت سيطرة وحدت بدوية تحضرت شيئاً فشيئاً على أراضي هذه الامبراطورية الأكثر غنى. وعن ذلك نتج، بشكل مباشر، إطار الدولة الإسلامية الجديدة التي تكوّنت من مجموعتين بشريتين متباينتين فرضت عليهما، مذكاً، قراراتاً خليفة واحد يعيش في المدينة شريفة وإدارة مشتركتين.

إن المشكلات التي نجمت، في داخل امبراطورية من هذا النوع، عن دمج شعوب مغلوبة متعدّدة وغير متجانسة جعل منها وضعتها، بما هي من أهل الذمّة، في مستوى دوني من حيث التشريع والتبعية المالية، تحكّمت بمسار تطوّر العالم الإسلامي، تحت سيادة الأمويين، السلالة الخليفة الأولى. كما أنّ الصعوبات الملزمة لشوانب نظام مالي كان وقعه قاسياً على المغلوبين، لأنّه يركّز على فكرة الغنيمة، ويفترض، تالياً، إعادة النظر به في حال اعتناق السكان المحليين القديمة الإسلام، كانت في أساس العديد من الاضطرابات اللاحقة. إلّا أنّ هذا الوضع القلق لم يدفع في اتجاه وضع حد لموجة الفتوحات، لا بل إنّه أبقى على ديناميكتها حتّى طوال القرن الأوّل للإسلام.

لقد استقرّت حركة الفتوحات مع الخليفة الراشدي الثالث، عثمان. ولكن في مطلع العهد الأموي، جرى تقدّم ملحوظ، في هذا الميدان، في اتجاهات مختلفة. من جهة أولى، إنّ احتلال خراسان الذي ترسّخ نهائياً لم يعد يتمحور حول المراكز الإدارية في هراة وبلغ وحدهما، بل إنّه اعتمد، منذ عبور جيحون/ آمودريا سنة ٨٥١هـ/ ٦٧١م، ضمّاً منهجياً لآسيا الوسطى: هكذا أخضعت واحات بخارى وسمرقند وخوارزم نفسها، بين ٩٥هـ/ ٧٠٥ و١٣هـ/ ٧١٣م، بفضل جهود القائد الناشط قتيبة بن مسلم والقوات الإسلامية التي تجاوزت حدود فرغانة ودخلت في علاقات مع شعوب غير إيرانية (تركية وحتى صينية)، وسوف تضطرّ لاحقاً وفي مناسبات عدّة لمواجهة.

في الوقت نفسه، كانت فرق تسلك طريق الجنوب

جعلت منه خلافاته مع العثمانيين وعلاقاته السياسية بالموارنة أبًا للبنان الحديث، في نظر كثيرين.

هو حفيد فخر الدين الأول الذي كافأه السلطان العثماني سليم الأول بمنحه لقب أمير مقاطعجي، في مقابل خضوعه لسلطته في العام ١٥١٦. إلا أن السلطة التي ورثها لم تكن مؤكدة الأركان. فكان على القائد الفتي، أن ينتظر حتى في العام ١٥٩٣ كي يستعيد، بعد حروب شتتها على خصوم بني قومه، الوضع الذي نعم به والده قُرماز المتوفى في العام ١٥٨٥ خلال هجوم على الشوف شتته القوات التركية. وقد أخذ على عاتقه، في توجّهاته المستقلة، مهمة توحيد الدروز والموارنة في لبنان. وما أن حاز دعم الباشا والي دمشق حتى يادر إلى توسيع رقعة حكمه التي شملت، خلال القرن السابع عشر، صيدا وبيروت، إضافة إلى البقاع وكسروان.

إلا أنه اضطرّ، مع تعيين وزير عثماني جديد، إلى أن يغادر لبنان مؤقتاً في العام ١٦١٣، متوجّهاً إلى نوسكانا التي كان قد أقام معها علاقات دبلوماسية. ولما تمكن من العودة إلى مقاطعاته في العام ١٦١٩، استطاع كذلك أن يوسع رقعتها من جديد في اتجاه فلسطين والشمال حيث عقد صلحاً مع عدوّه القديم من آل سيفا يزواجه من ابنته. وهكذا بلغ في العام ١٦٣١ أوج قدرته باسقاط سلطته حتى تدمر وجوار الأناضول. غير أن ردة فعل العثمانيين، مدعومين بغير ظهير، جعلت باشا دمشق يجزّد على الأمير الدرزي، في العام ١٦٣٣، حملة هزمته وأسرته، ثم أعدم على أثرها في اسطنبول، في العام ١٦٣٥.

فخر الدين الرَّازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين، ٥٤٣-١١٤٩/١٧٠٦-١٢٠٩م، عالم كلام ومفسر للقرآن، وُلد في الرّزي، كما يدعى ذلك اسمه، وقد غدا مدافعاً شجاعاً عن مذهب التسنن في الولايات الشرقية حيث استقرّ به المقام حتى وفاته.

كان والده واعظاً في الرّزي حيث درس الفقه العلوم الدينية والدينية، وكذلك الفلسفة. ثم حمل عصا التسيار إلى ما وراء النهر وآسيا الوسطى، كما إلى الهند. اقتصل بالخوارزمشاه محمد بن تگش، لكنه استقرّ في هرة تحت رعاية غياث الدين الغوري، وأنجبه له، خلال

قوتها البحرية بدأت بالتراجع منذ الاحتلال الإسلامي الأول لفرس سنة ٦٢٩/٨٢٨م - مع ذلك من الإفلات من قبضة المحاصرين، بينما استقرّ الأناضول على حالة حرب دائمة في خطّ مواجهة ثابت، رغم بعض التقلّبات النظرية، إلى أن أطاح استغزاه الاجتياح التركي الأوّل مئة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. منذ ذلك الحين، مع التحوّلات الاجتماعية - المدينية التي عايشها العالم الإسلامي في أواخر القرون الوسطى، بدأت مرحلة توسع جديد تحكمت مباشرة بتطوّرات الأزمنة الحديثة في العالم الإسلامي. وهذه المرحلة، رغم تخطّيها، إلى حد بعيد، المدى الذي بلغته الفتوحات في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، إلا أنّها لم تضاه الشهرة الأسطورية التي لازمت، منذ زمن بعيد، ذكريات الفتوحات العربية الأولى.

« راجع المستند رقم ٨.

فتوى، جمعها فتاوى وفتاوى، تقيد جوانبا عن سؤال بتعلّق بحكم شرعيّ يصوغه فقيه موكلٌ بتخريج حلٍّ لمسألة محدّدة يسهل تطبيق الشريعة.

فقد دعت الحاجة، في ديار الإسلام، للرجوع إلى اختصاصيين في الفقه حول مسائل عولجت بقدر يسير من الدقّة باللجوء إلى الاجتهاد الذي مارسه مؤسّسو المدارس الفقهية أو المجتهدون. وكان الاختصاصيّ الذي يُدلي برأيه في هذه المسائل - وهو رأي استشاري غير ملزم - يعرف بالمفتي. ومنذ القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، تقريباً، جرت العادة بتصنيف مجموعات من الفتاوى للرجوع إليها. وهذه التصنيفات تتشكّل في أيماناً وثائق ثمينة، تيسر الإطلاع على الحياة الاجتماعية في العصور الواسطة الإسلامية. وقد اختلف الأمر في الأوساط الشيعة الإمامية الإثني عشرية حيث اتّسمت الفتاوى بفيحة سلطوية، إذ كان يُصدرها ممثلون للإمام الغائب مؤقّلون شرعياً للقيام بتأويل نصوص الشريعة.

فَخَّ (صاحب) ← الحسين بن علي بن الحسن.

فخر الدين، ١٥٧٢-١٦٣٥، أمير درزيّ من آل مغلّ

يهاجمون، بشكل خاص، الأجانب أو رجالات السياسة الذين كانوا على اتصال بالبلدان الأجنبية، وارتكبو مجموعة من الاغتيالات السياسية. وقد نفى بعضهم، في العام ١٩٥٢، إلى بندر عباس الوزير مصدق، كما أوقف زعماءهم الثلاثة الأساسيون وأعدموهم في العام ١٩٥٥.

وخلال الفترة نفسها، ما بين ١٩٥٠ و١٩٥١، ظهر فدائيون في مصر شنوا هجمات ضد الفرق العسكرية البريطانية المتمركزة في منطقة قناة السويس. بعد ثورة ١٩٥٢، ضموا إلى منظمة سميت «الحرس الوطني» ووجدوا لهم مجالاً للعمل في مهاجمة الأراضي الإسرائيلية حيث كانوا يتسللون لمهاجمة المستوطنات اليهودية. وقد أطلقت التسمية نفسها على عرب فلسطين الذين يقومون، منذ ١٩٦٧، بهجمات ضد الإسرائيليين.

الفرائض ← الإرث في الإسلام.

فرائضية (بدعة) ← البنغال.

فِرْعَانَة، ناحية من اسيا الوسطى دخلها الإسلام. كانت في القرون الوسطى عبارة عن وادٍ في مجرى نهر سيرديا أو سيجون الأعلى، وهي، اليوم، بمعظم أراضيها، تدخل في نطاق جمهورية أوزبكستان.

هذا السهل الداخلي الخصب الذي استُصلح للزراعة باستخدام وسيلة الصَّرْف والذي تشرف عليه سلسلة من الجبال المرتفعة، كانت تخترقه، في اتجاه كاشغور/ كاشي، طريق القوافل العتيقة المعروفة بـ «طريق الحرير» التي كانت تربط إيران بالصين، والتي كانت أوزكند/ أوزغن آخر محطاتها الشرقية المهمة. إنَّ الفخوات الكبرى العربية الإسلامية، كانت تحكم هذه الناحية سلالة إيرانية. فضّست إلى أمبراطورية الخلفاء، ثمّ عادت إلى حكم أمراء محليّين في سنة ١٠٣٠هـ/ ٧٢٢-٧٢٣م وعرفت عهداً من عدم الاستقرار، إلى أن قامت الخلافة العباسية. وقد استطاع السامانيون الذين حكموها خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد أن يخمدوا أمة مقاومة ضد الإسلام والسيطرة العربية، فكانت فرغانة، منذئذٍ، تمثّل جيش العراق بالمرتزقة، وتنتج الذهب والفضة والحديد والنحاس، بحيث ازدهرت فيها الفنون

نشاطه الثقافي، أن يعقد مناورات مع المعتزلة في ما وراء النهر، وكذلك مع الزكمانية في خراسان، ما دفع بهم، في العام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م، إلى تاليف الناس عليه في عاصمة الغوريين، فيروزكوه أو جنم. وما يزال ضريحه في خوارزم، فوق موقع كونيا أورغنج/ أورغنج المطابق أحد مواقع غورجنج/ أورغنج القديمة، قائماً منذ بنائه في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.

تتطوي مؤلفات الرازي الكثيرة على ما يلي:

- رسائل في علم الكلام تجري في خط الأنشعرية؛
- شروح ومختصرات لبعض مؤلفات ابن سينا - تفسير للقرآن بعنوان «مفاتيح الغيب»، أفرغ فيه ما وسعته معرفته بالعلوم الفلسفية والدينية، وقد تناوله بالنقد عالم متشدد هو ابن تيمية، رغم تأثره بأفكار الرازي؛
- مؤلف في مسائل الخلاف ذو توجه نحو الشريعة الذاتية؛
- وأخيراً، رسالة في فلسفة ما وراء الطبيعة صادقت رواجاً كبيراً باسم «الحصّل». إنَّ هذا الأثر الذي يمتاز بفرادة في عدم الأخذ إلا بما يعلّمه الفعل، واستبعاد كتب الوحي، والذي يدرك، في غير موضع، بكتاب الشفاء لابن سينا، يضع الرازي بين المتكلمين الأشاعرة الذين لم يشكّوا عن الأخذ بعلوم الأوائل المتوارثة، ولو باحتياط وحذر.

فدائي، الجمع فدائيون؛ تسمية عربية تعني «من يقدي شخصاً آخر بحياته»، وُصف بها أتباع بعض الحركات أو الأحزاب من الذين أعلنوا استعدادهم للتضحية بحياتهم في سبيل القضية التي كانوا يدافعون عنها.

التصفت هذه التسمية، في القرون الوسطى، بأتباع الحركة الاسماعيليّة الجديدة المعروفة بالثرارية، التي كانت تعمد القتل السياسي بتعرض الأئمة للخطر، والتي، غير تسمياتها الأخرى، أدّت إلى التسمية الفرنسية «أشاسان» (Assassin).

في ما بعد، استخدمت تسمية فدائي للدلالة على أعضاء مجموعات إرهابية نفّذت أعمالاً في الشرق الأدنى في ظروف متعدّدة، وبخاصة الإرهابيين الذين كوّنوا، في إيران، ما بين ١٩٤٢ و١٩٥٥، منظمة سرّية هدفت إلى التطبيق الكامل للشريعة الإسلامية والنصدي للإلحاد. كان هؤلاء الفدائيون، بحسب التسمية الفارسية،

المعدنية والحالة الاقتصادية.

ثم تنازعت هذه المنطقة سلالات متعددة، مع احتفاظها بأمراتها المحليين. فسقطت، منذ الغزوات التركية الأولى، بين أيدي الفراعانيين الغربيين الذين جعلوا من أوزكند قاعدة لحكمهم. بعدئذ دخلت في سيطرة التيموريين، ولا سيما في عهد ابن حفيد تيمورلنك عمر شيخ، وابنه باير الذي أنشأ فيها مدينة هي خوكند/كوكند جعلها عاصمة له، إلا أنه اضطر إلى التخلي عنها في العام ١٥٠٤ م هارباً إلى الهند. في القرن الثامن عشر، غدت هذه الناحية مركزاً لخانات كوكند؛ وفي ١٨٧٦ ضمّ الروس هذه المملكة المستقلة إلى أراضيهم وأدخلوها في نطاق حاكمية تركستان، وأسسوا فيها مدينة جديدة تدعى فرغانة منذ العام ١٩٢٤. إن المراكز الصناعية والماجم المعدنية، بما في ذلك النفط، والغاز الطبيعي، أدت إلى ازدهار هذه المنطقة ونموها السكاني الذي تجلّى في حيوية بلدانها القديمة والحديثة التي يقع بعضها في جمهوريتي طاجيكستان وقرغيزستان اللتين تشعلان، إلى جانب جمهورية أوزبكستان، قسماً صغيراً من هذه المنطقة التي كانت تتشكل منها الولاية القروسطية.

راجع المستتين ٨ و ٣٥

الفرغاني، هو أبو العباس أحمد بن محمد، (القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد)، عالم فلكي أصله من فرغانة في آسيا الوسطى، وكلّ ما نعرفه عنه أنّه كان في خدمة الخليفة العباسي المتوكل.

أما مؤلّفه الأساسي الذي يحمل في العربة عناوين متعدّدة فقد عرف، بفضل وضوحه، انتشاراً واسعاً في أوروبا خلال القرون الوسطى، بعد نقله إلى اللاتينية، كما نُشر في القرن السابع عشر تحت عنوان «مبادئ علم الفلك» (Elementa Astronomica). كما نعرف أنّ الفرغاني وضع دراسات أخرى يتناول بعضها كيفية صنع الأسطرلاب. ويأمر من الخليفة المتوكل أشرف على بناء جهاز قياس مياه النيل في الجيزة، قرب مدينة القاهرة الحالية.

الفرق، اسم أطلق على الحركات السياسية الدينية أو

على الإنشقاقات التي نشأت داخل الإسلام. تميّزت الفرق بعقائد مخالفة للعقيدة [الرسمية] التي كان يدّعيها الخليفة العباسي السني، وهي عقائد وُضعت حولها، في القرنين الرابع والسادس للهجرة/ العاشر والثاني عشر للميلاد، مصطلقات توصف، اليوم، بأنّها تتناول مسائل البطل. ومن هذه المصطلقات، تلك التي وضعها الأشعري والبغدادي وابن حزم والشهرستاني.

والواقع أنّه من غير الدقّة أن تُطلق على هذه الفرق تسميتا «هراطقة» و«هرطقة» المستعملتان في الغرب، لأنّ هذا المفهوم لا ينطبق على واقع العالم الإسلامي. فالفرق ذات الآراء المتباعدة، والتي نشأت بسبب خصومات داخلية وإنشقاقات، ثم تصدر بحقّها أحكام الإدانة من أي سلطة عليا تدّعي استقامة عقيدتها. والعلماء المسلمون الذين اهتموا بمسألة الفرق في القرون الوسطى اكتفوا بعرضها على تنوّع آرائها، مدّكرين بالحديث النبوي الشريف القائل: «... أنا أمّي فسفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة والناحية منها واحدة». إنّ تمييز الفرق التي ستنجو، عن طريق مقارنتها بغيرها، كان الهدف الذي سعى إليه أحد هؤلاء الكتاب، وهو أبو منصور البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٨ م، في حين اكتفى الآخرون بعرض آراء كلّ من الفرق. والموقف المثبّئ لم يكن خالياً من الصعوبات إذ إنّ، في مقابل الحديث الذي يذكر ثلاثاً وسبعين فرقة، يمكن اعتماد تأكيد كان منتشرًا بشكل واسع بين ممثلي مختلف المذاهب الكلامية، وهو أنّ كلّ مؤمن في الإسلام، مهما كانت أعماله وخياراته العقائدية، سيخلص في النهاية من عذاب الجحيم. ولكن تبقى المسألة في تحديد صفة المؤمن، إذ يطلقها البعض على كلّ من أعلن الشهادة وأقام، إذا استطاع، الصلوات الخمس.

أما البغدادي فيعطي تحديداً أكثر دقّة، فيعتبر أنّ المؤمن هو من يقول بخلق العالم وكذلك بوحدة الخالق وأزليّته. والمؤمن هو الذي يعترف بأنّ الله هو عنوان الحكمة والعدالة، وبأنّه منزّه عن كلّ نجس وشبه، ولا ينكر صفاته، ويُقرّ بكلّ الأنبياء وبأنّ محمّداً نبيّ أرسله الله لكلّ الشعوب، وأنّ الشريعة المنزلة كلّها

المسلمين في سوريا والفرنج في الدول المسيحية التي أقاموها في المنطقة، لم تؤد إلى تقدم حقيقي في إثارة الفضول بالنسبة إلى جنسياتهم أو إلى البندان الذي جازو منها. كذلك العثمانيون الذي كانوا أكثر اهتماماً بأوروبا المسيحية ابتداء من القرن السادس عشر، احتفظوا بعاداً تسميهم بالفرنج بالمنع العام للكلمة.

من هنا لم تكن «بلدان الفرنج» التي نُعتت بالـ «بربرية» - لأن الإسلام، في نظر معتنقيه، هو المصدر الوحيد لأبنة حضارة - محظ اهتمام الجغرافيين المسلمين في القرون الوسطى إلا في ما ندر ومن دون تدقيق، فاكثفوا بإيراد حكايات كثيرة عنهم تعود إلى نسج الخيال.

الفروسية (نظام -)، مفهوم يرافق أحياناً ذكر الإسلام في القرون الوسطى، لكن يجب استعمال هذا التعبير بحفظ، حتى لو أن وجود قصة فروسية عربية حقيقية كقصة عنترة يدفع إلى افتراض توافر نقاط تلاقي على هذا الصعيد مع الغرب المسيحي.

من المؤكد قيام جمعيات في الشرق، منذ القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، ينتمي إليها أفراد من الأرستقراطية وتحركها مثل التضامن والتضحية المتبادلة، إنطلاقاً من روحية «الفتوة»، وهي روحية شجعها بشكل خاص الخليفة الناصر في أواخر الحفيا العباسية. لكن لم يكن لهذه الجمعيات إلا رابط بعيد بجمعيات الفروسية الأوروبية. أضف إلى ذلك أنه، في الفترة السابقة، لم يظهر في بلاد الإسلام إلا تجمعات ذات طابع جماهيري أساساً. أما جماعات «الفتيان» التي كانت تشكل ميليشيات محلية في المدن خلال الاضطرابات، فقد استغلت هذه الأوضاع أحياناً للاستيلاء على السلطة، وكانت متباعدة في إيران وفي سوريا ومصر. بعد ذلك انبعث من جديد في الأناضول مع تكاثر جمعيات «الأخي» التي كانت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر تختار أعضائها بخاصة من أوساط الحرفيين.

من جهة أخرى، عرف المجتمع الإسلامي الوسيط ممارسة وتنظيراً لثقون الفروسية التي كانت بالتأكيد تعطي الأفضلية للطابع التقني لهذه الفنون ولمختلف

حقيقة، وأن القرآن منيع أحكامها. والمؤمن أخيراً هو الذي يقبل راضياً بالفصولات الخمس ويقر بالزاميتها، كما يقر بالزامية الزكاة، والصوم، والحج. ومن وجهة نظر فقهية، فإن البغدادي يعتبر أن المؤمن الحقيقي هو الذي يتبنى، في صفات الله، موقفاً وسطاً بين المعتزلة والفاطيين بالتجسيم.

ويصف البغدادي في الإسلام عدداً من الفرق على حدة، واصفاً إياها بالانشقاقية. وهي في رأيه تنتمي إلى الإسلام ولكنها تنافع عن آراء منحرفة. أهمها: الشيعة الزيدية والإمامية الإثنا عشرية، الخوارج، المعتزلة، المرجئة، النجاشية، والمشيئة. وهو يستبعد بشكل عنيف بعض الفرق التي، بحسب رأيه، يجب إقصاؤها عن الجماعة واعتبارها كافرة. وهذه الفرق هي: غلاة الشيعة، الإسماعيليون وكلّ الفاطنيين بوحدة الإنسان مع الروح الإلهية، وأنباغ مذهب التخصّص، وبعض غلاة المعتزلة والخوارج. ويُعتبر موقف البغدادي معتدلاً نسبياً، إذ يختلف عن موقف الحنابلة الذين يدينون المعتزلة والشيعة بفسوة، ويتخذون الموقف نفسه من الأشعرية.

الفرنج ← الفرنكيون.

الفرنكيون. تسمية استعملت لترجمة الكلمة العربية **الفرنج** أو **الفرنج** التي، بدورها، عنت، في العالم الإسلامي في القرون الوسطى، غير المسلمين من البلدان المسيحية المجاورة، وبخاصة بلدان أوروبا الغربية والمحيط المتوسطي، باستثناء البيزنطيين المعروفين بالروم.

كان المسلمون ينظرون إلى هؤلاء على أنهم جماعات عليها أن تواجه الغزو أو تعتنق الإسلام، حتى إذا ما نالت وقائع حروب الاسترداد في شبه الجزيرة الأيبيرية وتحقق نجاح الحملات المعروفة بالحملات الصليبية في الشرق، غداوا أخصاماً للمسلمين، فأقر هؤلاء بكفائهم أو، في بعض الظروف، تحالفوا معهم. إلا أن التسميات المطلقة عليهم بقيت مبهمة الدلالة ومفترقة إلى الوضوح، وشمل ذلك كتاب العرب في الأندلس. كما أن العلاقات الحربية، وكذلك التجارة والدبلوماسية، التي ربطت بومند بعلاقة وثيقة بين

كما تتضمن نمازين أخرى كالرمي بالقوس أو بالنفذاة (أقواس قديمة تُلْقَذ السهام والحجارة...)، ولتنفيذ هذه النمازين كانت تُعتمد تقنيات خاصة للانتحام العسكري الذي يطلق عليه بالعمرية اسم «الكُرّ والقرّ». إضافةً إلى ذلك، عرفت تلك العصور السباقات، والاستعراضات، وممارسة الصيد، من دون أن ننسى لعبة البول أو الجوكان التي انطلقت من إيران القديمة وعرفت رواجاً لقرون طويلة. وهكذا ظهرت عصا الجوكان في عصر المماليك كشعار للجوكاندار، وهو الضابط الذي يراقب مسار اللعبة، بينما تطابقت نصوص لرحالة أوروبيين وصفوا فيها حفلات مماثلة كانت تدور في قصور الصفويين بين القرنين السادس عشر والسابع عشر، مع ما نراه في منمنمات فارسية تعود إلى الحقبة الزمنية نفسها. من جهة أخرى، حوت نصوص عائدة لعهد المماليك، ككتابات المؤرخ اللامع ابن تغري بردي، تعداداً لكل صفات المروءة في الفروسية والمسايفة التي تركز عليها تربية المملوك الناشئ: كان على الشاب المملوك أن يستحق لقب الفارس الممتاز، كما يذكر الكاتب في مصنفه «النجوم»، ويجب أن يلم بكل ما يتعلق بالحصان والأسلحة وبطريقة استعمالها وفق القواعد المعروفة والمحددة لدى أساتذة هذا الفن، كما ارتبطت هذه التربية بشهامة ونبيل أخلاقي، عُبر عنها، وإن نادراً، بكلمة «فروسية».

فريد الدين مسعود المعروف بكنية شَكْر، ٥٧١-٦٦٤م/ ١١٧٥-١٢٦٥، صوفي من أهل النوى ولد في أبنجاب، وانضوى إلى الجنيّة. ما يزال ضريحه في باكش، أي أجودهام القديمة في الباكستان، مركز توفير وزيارات تقوية.

بلغ من الزهد غايته، وأخذ نفسه بالفقر، وفسى على حكام زمانه، فطارت بذلك شهرة هذا الشيخ الصوفي، فاستقطب الكثيرين إلى اعتناق الإسلام، وتيسر له بذلك إشاعة نفوذ طريقته التي تولّى فيها دوراً بارزاً، فاختاره قطب الدين بختيار خلفاً له، وكان، بدوره، معاصراً وخلفاً لمعين الدين الجنيشي. واستمرّ تقليد لابنته في ذريته الكثيرة العدد، وكان أحدهم سليم الجنيشي علماً نموذجياً خلال الحكم المغولي.

مراحل التدريب العسكري. وكان يمكن أن تتضمن أيضاً، بحسب بعض التفسيرات، تدريبات على الشجاعة التي هي ضرورة للحياة؛ وليس من المستبعد أن تكون ذهنية الشرف الخلقي والشجاعة، القريبة بشكل أو بآخر من مفهوم الفروسية في الغرب، قد لامست بعض التعابير الرائجة لهذا المفهوم [في الدول الإسلامية].

الفروسية (الفنون والألعاب)، هي مجموعة من النمازين الحربية والتقنية بُنِيتُاُ الفرسان بموجبها وتولاهم للسيطرة على مطاياهم وقادتها. وقد شكّل الفرسان في القرون الوسطى الإسلامية، وحتى تعميم استعمال الأسلحة النارية، القاعدة الصلبة لكل مؤسسة عسكرية. إن شروط التدريب التي تضمن وحدها تفوق الفارس، تنسّر المكانة المهمة التي احتلتها المعرفة المتوارثة في هذا الفن، وذلك بفضل تناقلها بالممارسة وعن طريق إرشادات المعلم. وُضعت باللغة العربية دراسات نظرية عديدة حول الموضوع، تجسّدت في مؤلفات موجزة تتناول فنّ الفروسية، جاءت لتكمّل إنتاجاً أدبياً وشعرياً ونثرياً، مخصّصاً للثناء على الحصان ولزُصفه؛ وتنطرق لأساليب تربيته وترويضه. وقد جُمعت في أعمال خاصة يعلم الخيل وطيب الخيل، ظهرت في كتابات ابن المنذر في عهد المماليك. وقد عكست هذه الكتابات المتنوعة الأهمية التي خصّصت بها الحضارة الإسلامية، من القرن الأول حتى القرن التاسع للهجرة/السابع حتى القرن الخامس عشر للميلاد، هذا الحيوان الذي بقي العطية المفضلة لعرب ما قبل الإسلام ولكل الرُحّل الغزاة، من بدو البلاد العربية إلى بربر شمال أفريقيا، إلى الغزاة الآسيويين من أصل تركي أو مغولي الذين تدفّقوا على بلاد الشرق ابتداءً من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وقد اعتمد محاربو السهوب الشمالية الخطط نفسها التي اعتمدها محاربو إيران القدامى والتي اعتمدها جيوش الفترات العربية-الإسلامية الأولى.

كانت نمازين الفروسية تنفّذ في ميدان الخيل (كلمة ميدان بقيت في صيغتها الفارسية) مع السلاح الثقليدي. فمنها ما كان يشمل القتال بالسلاح الأبيض (الرمح، الحربة، والسيف)، ومنها ما يشمل استعمال المشعّمة،

على مرافقة والده إلى إيران ، خلال الرحلة التي قضى فيها هارون الرشيد نجه في طوس في العام ٨٠٩م ؛ فيسّرت هذه النصيحة للمأمون حضوره آنذاك في الولايات الشرقية مهتمة له فرصة الإفلات من سيطرة أخيه الأمين . وما لبث أن غدا المستشار الحميم للمأمون الذي استقر في مرو وقد قلّده الوزارة والإمارة ، أي مسؤولية الإدارة المدنية والعسكرية للأراضي المفتوحة . كما أنه ، على ما يظهر ، شجّع الخليفة الجديد على أن يحيط نفسه بعلماء من ذوي التوجّه المعتزلي ، منفصلاً إلى سياسته الشخصية التي كانت تقضي باختيار علويّ لولاية عهده . إلّا أنّ قتل هذه السياسة أدّى إلى اغتياله في سَرْخُس بإيران في شعبان ٢٠٢هـ / شباط / فبراير ٨١٨م ، بينما كان الخليفة (المأمون) في طريق نقل مقرّه من مرو إلى بغداد . وأغلب الظنّ أنّ القتل ، المتممين إلى حرس الخلافة ، قاموا بالاغتيال بناء على أوامر الخليفة . كان الفضل شديد التعلّق بالتقاليد الإيرانية ، فسمى إلى ترجيح كفة الموالين ؛ لكنّه اصطدم بممثلي الأرستقراطية العربية الذين كانوا ما يزالون نافذين في بلاط الخلافة .

الفقه ، أو الحقوق الإسلامية ، تعبير عربيّ تقنيّ معناه العام «العلم ، الفهم» . إلّا أنّه ، بعد أن أريد به ، في العبداء ، أي نوع من المعرفة ، اتخذ في الإسلام قيمة دينية يعنى به المعرفة بالشريعة ودراساتها .

في هذه الحال ، يختلف الفقه عن العلم . ففي ما يعنى العلم معرفة النتائج الأساسية للشريعة ، أي القرآن والسنة ، يقوم الفقه على البحث في الحلول القانونية السبّغ على إعمال الفكر ، أي أنّه مرادف لتلّوي بمعنى «التفكير الشخصي» حول مسألة قانونية . إلّا أنّ مصطلح الفقه ما لبث أن غدا يعني ، بشكل عام ، معرفة الشريعة والعناصر التي تقوم عليها ، سواء منها النصوص أو إعمال الفكر . فالمتخصّصون في الفقه ، وهم الفقهاء بالعربية ، هم إذن أهل القانون من ذوي الدراية بالشريعة وأسسها أو الأصول وتطبيقاتها ، أو الفروع التي تحدّد الحلول المناسبة للمسائل التي لم تعالج بشكل كافٍ في النصوص أو أنّها لم يرد فيها نصوص . وصولاً إلى ذلك ، يعتمد هؤلاء الاختصاصيون المناهج التي توصّلت

فُزَّان ، إقليم في جنوب الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية . أي ليبيا الحالية .

هذه المنطقة الصحراوية ، الواقعة جنوبيّ طرابلس - والمكوّنة من منخفضات تحيط بها هضبات صخرية تتخلّلها واحات ، تخترقها طرق القوافل - كانت في ما مضى الطريق الأقرب التي تصل ما بين البحر المتوسط إلى منطقة الساحل من السودان القديم ، التي تنفّاسها اليوم جمهوريتا النيجر ومالي . سكّناها الموزعون هنا وهناك ، يتكلّمون العربية والبربرية ، وهم جميعاً مسلمون على المذهب المالكي .

اجتاحت فُزَّان جيوش عقبة بن نافع العربية - الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى . في العام ٤٦هـ / ٦٦٦م . وقد غدت مدينة زويلا التي أسست في هذا الاقليم في ما بعد ، في العام ٣٠٦هـ / ٩١٨م ، مركزاً مهماً للنشطة التجارية . إلّا أنّ هذه المنطقة بقيت نائية عن الصراعات ولم يعد العثمانيون إلى بسط سيطرتهم عليها إلّا في العام ١٥٧٧ ، وفي ما بعد اختاروها لبغوا إليها . في أوائل القرن العشرين ، جماعة تركيا الفتاة الذين لم يكن مرغوباً بإقامتهم في اسطنبول . إنّ طريق التجارة عبر الصحراء التي كانت ازدهرت في فترة القرون الوسطى والحديثة ، أصيبت بالانحطاط وكادت تختفي لأسباب مختلفة ، من بينها إلغاء العبودية . احتلّ الإيطاليون إقليم فزان في العام ١٩١٢ ، ثم أخلى خلال الحرب العالمية الأولى وأعيد احتلاله في العام ١٩٣٠ . وبموجب الاتفاق الفرنسي - البريطاني لعام ١٩٤٣ ، أُعلن بالأراضي الجنوبية للجزائر ، ثم غدا في العام ١٩٥١ واحداً من ثلاثة أقاليم تابعة للمملكة الليبية التي تحولّت في ما بعد إلى جمهورية .

الفضة ← المعدن (صناعة-) ، المسكوكات الإسلامية .

فضل الله الأسترلابادي ← الحُرُوفِيَّة .

الفضل بن سهل ، ٢ - ٢٠٢هـ / ٩ - ٨١٨م ، شخصية ذات نسب إيرانيّ وميل إلى الزرادشتية . وُزر للمأمون الخليفة العباسيّ من ١٩٦ إلى ٢٠٢هـ / ٨١٢ إلى ٨١٨م . عُزّف إلى جعفر البرمكيّ فخلّعه مرثياً للمأمون ، واعتنق الإسلام عام ١٩٠هـ / ٨٠٦م . وقد شجّع ولّي العهد الثاني

المعتدل، وهي صفات لازمت أهل القوى الذين غدوا موضوع تكريم وزيارات تقوية. وفي الهند راج استعماله بحيث صار يعني كل زاهد متسول تُرجى بركه وتُسبب إليه موهبة الشفاء، سواء عند الهندوسيين أو لدى المسلمين. من هنا راج استعمال كلمة فقير (Fakir) في افرنسية، للدلالة، بصورة غامضة وعمامة، على شخص خُصَّ بقدرات سحرية وسريّة.

فلاشيا، وباللغة التركية «إفلاك». مقاطعة رومانية تقع شمالي الدانوب، عرفت منذ نهاية القرون الوسطى غزوات الدولة العثمانية ووصابتها.

منطقة حدودية اجتاحتها جيوش بايزيد الأول بلُغْدِم، مع مطلع عام ١٧٩٥م/١٣٩١م، ثم وقعت تحت نفوذ السلاطين الذين كانوا يتلقون جزية بدفعها أمراء البلاد، الذين قاوموا، في الوقت نفسه، التأثير الإسلامي وقاموا بثورات عديدة.

غير أنّ الجهود المستمرة التي بذلها نبلاء من مختلف التوجّهات للتخلّص من فيود التبعية هذه، تضاعفت شدتها مع نهاية القرن السادس عشر، وفي الوقت نفسه تعاظمت التدخلات النمساوية والروسية. إلّا أنّ ارتباط فلاشيا بالنظام الإقتصادي العثماني ظلّ قائماً، كما بقيت خاضعة لسلطة الباب العالي حتى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ التي بَسَرَت لها، في ما بعد، أن تتحد بمولداвия، ما مهّد السبيل للإعتراف باستقلال رومانيا سنة ١٨٧٩.

◀ راجع الويفتين ٢٠ و٢٧.

الفَلَاغَة، من العربية الدارجة فَلَاق، وهو تعبير كثير الاستعمال في افرنسية للدلالة على مجموعات العصاة الذين ظهروا في المغرب منذ أوّل القرن العشرين.

استعمل، لأول مرة، على ما يبدو، في مطلع الحرب العالمية الأولى للدلالة على العصاة الذين قادهم خليفة بن عسكر في الجنوب التونسي، ثم أطلق على الذين كانوا وراء الأحداث التي وقعت في بلاد تونس بين ١٩٥٢ و١٩٥٤، ثم على المتمردين في الجزائر بين ١٩٥٤ و١٩٦٢.

الفُلبَة ← البول.

إليها المدارس الفقهية المتعددة، أو المذاهب الفقهية. يشمل الفقه، تقليدياً، مجالين يدرسان منفصلين في المؤلفات الفقهية، أحدهما يُعرف بالعبادات وذلك يعني الأوامر الدينية، والآخر يُسَمَّى المعاملات وهو يشمل الأصول المتعددة للعلاقات الاجتماعية. وبذلك يقوم الفقه على نظام كامل يحدّد حقوق المسلم وواجباته، وينتظم مختلف وجوه حياته اليومية وعلاقاته الاجتماعية، وصولاً إلى النظام السياسي الذي عليه أن يطبّعه.

فقهاء مفرداً فقيه، هم المتخصصون في علم الشريعة الإسلامي أو الفقه، كان لهم على الدوام دور بارز في الحياة الاجتماعية والسياسية في الإسلام. وبعد أن ساهموا في إعداد الشريعة في المراحل الأولى، تحوّلوا إلى مفسرين لها، وأخذوا في الاعتبار الخلافات القائمة بين المدارس الفقهية، والتي أدّت أحياناً إلى تطبيقات حسّاسة وصعبة. ينتمي الفقهاء إلى فئة العلماء في الدين. فالعلماء، ومفرداً عالم، كانوا متخصصين في علم الشريعة والتفسير، وعلم الحديث؛ وكان دورهم الأساسي المحافظة على الشريعة، وتأمين تدريس الفقه، بطريقة مستقلة، أو في المدارس عندما تمّ إنشاء هذه المؤسسات. وكان في إمكان الفقهاء أن يكونوا أيضاً مستشارين للحكّام.

أما على الصعيد العملي فكان الفقيه معيّناً بإرشاد القاضي، وإبداء رأيه في المسائل المعروضة عليه، بيد أنّ رأيه لم يكن ملزماً في القرون الوسطى، ولم يتقاضَ أجرأ في مقابل إصداره فتاوى. وفي العصر العثماني، ظهر المفتون كموظفين في الدولة، وتابعين لمعني اسطنبول. إنَّ الذي كان بدوره مستشاراً لسلطان في الأمور الشرعية.

فقير، جمعها فقراء، مصطلح عربيّ كُنِيَ به المتصرف أو الرّحاد الذين نذروا الفقر لينصرفوا إلى ممارسات اتقوى، على أن توفر لهم ولأسرهم سبل العيش هبات المحسنين.

غالباً ما تُستعمل كلمة فقير مرادفة لكلمة صوفي، لكنّها تنطوي على معنى إضافي يفيد أنّ الفقير هو من سلّم أمره لله كلياً، ومن أغناه الله عن كل شيء. كما أنّ هذا المصطلح اقترن بمعاني التجرّد والتأثّل والتسك

الفلس ← المسكوكات الإسلامية.

التاسع عشر، لزيادة هؤلاء السكان بسبب موجة هجرة حاولت السلطات العثمانية عبثاً أن تخفف منها. في أعقاب ذلك، قامت في فلسطين، سنة ١٨٩٧، مستوطنات يهودية وانعقد مؤتمر في بازل بإدارة نبودور هرتزل الذي حدد الصهيونية بأنها حركة «تهدف إلى إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين يضمنه القانون العام». بعد الحرب العالمية الأولى، وُضعت المنطقة - التي كانت القوات البريطانية قد احتلتها بكاملها - تحت الانتداب البريطاني، اعتباراً من أيلول/ سبتمبر ١٩٢٣، وأصبحت كلمة فلسطين تدل على مقاطعة محددة تقع بين مجرى نهر الأردن وساحل المتوسط. في غضون ذلك، كانت الحركة الصهيونية قد لاقت تشجيعاً في وعد بلفور، في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧، الذي كان يؤيد إقامة «وطن قومي» للشعب اليهودي في فلسطين. فازدادت بسبب ذلك الهجرة حتى بلغ عدد السكان اليهود في ١٩٣٩ أربعمائة ألف، فيما كانت ردة الفعل العربية عنيفة.

بعد الحرب العالمية الثانية ووصول مهاجرين جدد، ازدادت جهود المصالحة تعقيداً، فقررت منظمة الأمم المتحدة، في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧، تقسيم فلسطين وإنشاء دولتين، واحدة يهودية وأخرى عربية. أدى رفض العرب إلى أعمال حربية انتهت بهدنة شباط/ فبراير (١٩٤٩) بينهم وبين إسرائيل وإلى تقسيم جديد لمصلحة اليهود. احتفظ العرب بالضفة الغربية التي ضمتها إمارة شرق الأردن التي تحولت إلى المملكة الأردنية. ولكن، على اثر حرب ١٩٦٧، احتلت إسرائيل أراضي الضفة وكذلك القدس القديمة التي كانت الجيوش العربية قد ضمتها في العام ١٩٤٩. حصلت أراضي الضفة وقطاع غزة على الحكم الذاتي بموجب اتفاق واشنطن سنة ١٩٩٣. وانتخب مجلس السلطة الفلسطينية في كانون الثاني/ يناير ١٩٩٦ برئاسة ياسر عرفات، لكن وضع القدس لم يلق حلاً.

« راجع المستندات ٨، ٩، ١٨، ٢٠، ٨٩.

الفلسفة، مصطلح عربي أخذ به، في العالم العربي - الإسلامي، خلال القرون الوسطى، أشخاص مارسوا أعمال الفكر، فكان يُنظر إليهم بحذر في الأوساط

فلسطين، منطقة مطابقة لمقاطعة قديمة رومانية ثم بيزنطية ما كان يُعرف بـ «فلسطين الأولى»، تشمل تقريباً السامرة واليهودية والشريط الساحلي. منذ العام ١٨١٣/ ١٨٣٤م، احتلت الجيوش العربية الإسلامية المنطقة بكاملها إبان الفتححات الكبرى، إلا أن بعض المدن المرافئ المحصنة، مثل قيسارية وعسقلان، قاومت بعض الوقت ولم يتم احتلالها إلا في العام ١٢٠٠م. أما القدس فقد رفض سكانها الاستسلام إلا لخليفة عمر بن الخطاب الذي أتى إليها لهذه الغاية. منذ ذلك الوقت أصبحت فلسطين محافظة إدارية وعسكرية، أي جندياً، كانت اللد مركزاً له، في العصر الأموي، ثم انتقل إلى المدينة الحكومية الجديدة التي أنشئت في الرملة. خضعت حدود هذا الجند - الذي كان جزءاً من مقاطعة الشام أو سوريا، محاذياً لجند الأردن المتاخم لجهة الشمال - لمتغيرات مع الوقت، وامتدت نحو الشمال ونحو الجنوب، إلى أن أدخل المماليك تقسيمات إدارية جديدة. في غضون ذلك، كان القسم الأكبر من فلسطين تحت احتلال الفرنج الذين غادروا القدس سنة ١٢٨٣/ ١٢٨٧م. بعد أن كانوا قد استولوا عليها في العام ١٢٩٢/ ١٢٩٩م، لكنهم لم يخلوا قواعدهم الساحلية بصورة نهائية إلا في العام ١٢٩٠/ ١٢٩١م.

في العصر العثماني، لم يعد اسم فلسطين مطابقاً لمنطقة محددة ولم يعد مستخدماً، وقد عاشت المنطقة فترة اضطرابات بسبب ثورات القادة المحليين وحملات بونايرت سنة ١٧٩٩، وإبراهيم باشا بن محمد علي بين ١٨٣٢ و ١٨٤٠. من جهة أخرى تدخلت الدول الأوروبية مراراً لدى الحكومة العثمانية بشأن الأماكن المقدسة المسيحية. وكان قد تم إسناد حراستها إلى بطريك القدس الأرثوذكسي منذ القرن السادس عشر وتكرس هذا الوضع بفرمان سنة ١٨٣٥، في حين كان الكليروس اللاتيني المقيم في القدس ينعم منذ القرن السادس عشر بحماية فرنسية.

ولما كانت فلسطين قد احتفظت بسكان من اليهود طيلة القرون الوسطى، فقد شهدت، في نهاية القرن

توجهاتها بطبيعة الحال، والتي كانت تصطدم باستمرار بانعقبات نفسها، لم تكن ليقبل بها القيمون على مذهب الشئش. وحدهم شيعة أهل البيت وأتباع الشيع المختلفة، من موقع حرصهم على تبرير المكافيات غير الاعتيادية لأنفسهم، افتتحوا، خلال هذه الحقبة الأولى، على الفلاسفة الذين خضعوا، في الوقت نفسه، لتأثير بنوجهات العلوم السرية ذات الصلة بحركات سياسية دينية نبذها معظم العلماء والفقهاء.

بعد النقد الذي تعرض له هؤلاء الفلاسفة من قبل الغزالي حوالي أواخر القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، تناولت الفلسفة التي عالجها، في الشرق والغرب على حد سواء، مفكرون أمثال فخر الدين الرازي وابن باجة وابن طفيل وابن رشد، مسائل واعتصامات أكثر تنوعاً. فإذا بآين رشد، بنوع خاص، يستلهم التعاليم الأرسطية الأصلية مباشرة، في الوقت الذي تجلّت فيه التطويرات الفلسفية في علم الكلام، أي بحسب المذهب الكلامي المعتمد في الأشعرية. بذلك حصل تقارب بين الفكر الشئشي وأفكار كانت تُعتبر حتى ذلك الحين هامشية ومرفوضة، بينما كان كاتب مثل آين خلدون يستمر في انتقاد الفلسفة، وفي الوقت نفسه يبذل جهداً عقلانياً لدراسة المجتمعات.

الفلك (علم -)، أو علم الهيئة أو علم النجوم. علم دنيوي أخذه المسلمون عن الإغريق، اغتنى بعد ذلك بإضافات من الحضارتين الساسانية والهندية. وقد لقي هذا العلم اهتماماً هامشياً في العالم الإسلامي خلال القرون الوسطى، لكنه اعتُبر مهماً بما توصل إليه من إنجازات تركت أثرها البارز في الغرب المسيحي. في بداية الأمر، تنط هذا العلم في أوساط أهل الذمة، ثم بين الذين نقيلاً الإسلام في عصر الفتوحات الكبرى. وقد أفاد هؤلاء من المناخ الفكري الملائم الذي أوجده الخلافة العباسية. ارتبط هذا العلم، مع ذلك، بعلم التنجيم - الذي أُمّت له شهرته نموذ الذاتي - وحقق تقدماً ملموساً، وكان الحقل المثالي لتطبيق المعلومات الرياضية التي بدونها لا وجود له. ومن أهم الانجازات التي حققها: تطوّر عمليات الرصد الجوي وتحسين الوسائل التقنية كالإسطرلاب الذي كانت

الدببة. وقد عُرف واحدهم بالفيلسوف، جمعه فلاسفة، وهو منقول عن الكلمة اليونانية فينوسوفوس.

تنامت الفلسفة في أواخر القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي، إثر نقل المؤلفات الفلسفية وأعلمية من اليونانية إلى العربية، ولا سيما في العراق، إبان العصر الذهبي للخلافة العباسية، وبدفع، إلى حد ما، مارسه بعض الخلفاء، مثل المأمون الذي جعل الفلسفة في مقدمة أولويات مؤسسته، أي المكتبة التي أطلق عليها اسم بيت الحكمة. من الصعب تحديد المؤلفات التي كان لها الأثر البالغ على مفكرتي ذلك العصر. يبدو أنّ تصوّر فلاسفة الإغريق للعالم، كما فهمه الفلاسفة (الإسلاميون)، كان يطاقن. في معظمه، ما كان سائداً من تصوّر في أوساط الأفلاطونية الحديثة، وفاق الأفكار التي راجت خلال الحقبة الهلنستية. وقد نجّى هذا التصوّر، بوجه خاص، في مؤلف بعنوان الاهوت أرسطو، وهو لا يمت إلى الفيلسوف الشهير، بل كان ثمرة المدارس الأفلاطونية الجديدة المتأخرة التي نجحت في التوفيق بين فكري أرسطو وأفلاطون. إلّا أنّ هذا الخلط الناتج عن هذا الخطأ ثم يُحل دون التعرف إلى بعض مؤلفات أرسطو الحقيقية، ولا سيما رسالته في المنطق، واستخدامها منذ عهد متقدم، إذ أخذ بها أولئك الذين حوّلوا، عن غير قصد منهم، موافقه الماورائية.

إنّ الفلسفة، التي تمثّلت في الشرق، بين القرنين الثالث والخامس للهجرة/التاسع والحادي عشر للميلاد، يعلماء من أمثال الكندي والقارابي ومُسكُوته وابن سينا، سعت إلى تكييف النظرة الإغريقية المتوارثة إلى العالم مع معطيات العقيدة الإسلامية، وإلى تبيان أنّ العقل والوحي اللذين ينبغي أن يُقضى إلى توافق بينهما، في وسع كل منهما أن يبلغ محجة الحقيقة. هكذا تبثّت الفلسفة التمييز بين الجوهر والوجود، فأنه يخلق العالم من نُدْ إليه هو، في الوقت نفسه، جوهر ووجود، على أنّه عبور الجوهر إلى الوجود. إلّا أنّها لم تفلح في تقديم عمل الخلق من العدم، كما علم الإسلام. كذلك، لم تبرز بحث الأجساد الذي قالت به العقيدة بما يشفي العقل، أخذت بنظرية العقل التي أغفلت خلود النفس. هذه المباني الفلسفية المتكاملة، على تنوع

بقياس خط الهاجرة، وذلك في أماكن اختبرت للمراقبة في بغداد ودمشق.

هذا النشاط العلمي الذي ادهش في العراق، واشتهر خلاله أسماء مثل خيش الحبيب المؤززي (النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة/ النصف الثاني من القرن التاسع للميلاد) ومعاصره أبو معشر البجلي، تابع انطلاقته في عهد البويهيين الذين شجعوا بناء مرصد حقيقي في بغداد. وبرعايتهم عمل أبو الوفاء البوزجاني (٣٢٨-٣٨٨هـ/ ٩٤٠-٩٩٨م) الرياضي الشهير، وابن الأعلام وعبد الرحمن الصوفي. وقد قضوا معظم حياتهم في إيران. وظهرت مراكز أخرى اهتمت بعلم الفلك، نجدها في أعالي بلاد ما بين النهرين، عند صابئة حران حيث اشتهر البتاني صاحب «الزيج الصابي»، كما نجدها في القاهرة. عاصمة الفاطميين الجديدة، حيث وضع ابن يونس لاحقاً «الزيج الحاكمي». شكّلت هذه الإنجازات، في هذه المناطق، نقطة بداية لنجاحات ضاعت تلك التي عرفتها الولايات الشرقية الإيرانية التي أنجبت، في عهد السامانيين، علماء كالبيروني.

وقد كثرت التداخلات بين مراكز الأبحاث الفلكية هذه، وإليها أضيفت بعد ذلك، في الطرف الغربي من العالم الإسلامي، المدرسة الأندلسية التي تطوّرت بتشجيع من الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث. وهذه المدرسة فتحت الأبواب أمام مختلف التيارات، مع ميلها إلى المدرسة التقليدية الهندية الإيرانية وتبنيها زيج السندهند. والأعماص التي تركها مُسلّمة المُجربطي تبليها، في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. العديد من تلاميذه كابن السّمع وابن الصّغار، والزرّقالي المشهور (توفي سنة ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م)، صاحب «الزيج الطليطي». ولا ننسى ابن رشد الذي كان، كمعده كثير من علماء الفلك، طبيباً وفيلسوفاً أيضاً. وعن طريق المدرسة الأندلسية والمغربية، انتقل إلى أوروبا المسيحية القسم الأكبر من الأبحاث الفلكية التي عرفتها المرحلة الأولى.

وفي أواخر القرون الوسطى، أحرزت الحسابات الفلكية تقدماً ملحوظاً، وذلك على أيدي علماء كانوا يجرون أبحاثهم في مراصد حقيقية منظمّة، على نسق

قواعد صنعه موضوع أبحاث متعددة. وتطوير طرق الحساب، ولا سيّما حساب المثلثات، ما أدّى إلى حل مسائل متنوعة. وقد أثر تطوّر علم الفلك في البلدان الإسلامية على الأبحاث التي كانت تجري في بيزنطية، وأفاد هذا العلم من رعاية الكثير من الحكّام في مناطق مختلفة، ساهموا في نموه بمعزل عن الخصوصيات المحلية. فتمكّن، من جهة، من التركيز بصورة ثابتة في إيران والهند حيث بقي مزدهراً حتى العصور الحديثة، كما لقي، من جهة ثانية، في الأندلس والغرب بين القرنين الرابع والسابع للهجرة/ العاشر والثالث عشر للميلاد، شهرةً أتاحت لعلمائين فيه نقل نتائج أعمالهم إلى أوروبا عبر الترجمات العربية واللاتينية.

إنّ النظام الذي عرضه بطليموس في كتابه «المجسطي» والذي اعتمد عليه المسلمون منذ القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، بعد دراسة الأصل اليوناني أو الترجمة السريانية، كان الأساس الذي انطلقت منه الأبحاث الأولى بتشجيع من الخلفاء، ولا سيّما المأمون. ففي بيت الحكمة الذي أسسه هذا الأخير في بغداد، بذلت جهود مثمرة للتوفيق بين النظام الصارم الذي وضعه بطليموس - والذي انتشر عن طريق ترجمات وضعها إسحق بن حنين السبيعي. وثابت بن قُرة الصائبي - والتقنيات الأخرى التي تعود إلى أصل فلهولي أو سنسكريتي. وهذا ما ساعد على تحسين الثوابت المستعملة في وضع الجداول الفلكية أو الزيج. والمعطيات الهندسية التي شكّلت أساساً لوضع نظرية فلكية وصورة عن الكون تعتبر الأرض ثابتة وتحيطها سلسلة من الأفلاك، والتي كان قد اعتمد عليها في العصور القديمة في البحث والتحليل. اغتنت بتطبيق الطرائق الكمية المعتمدة في الجداول المكية الإيرانية أو «زيج النشاء»، وفي الجداول الهندية أو «زيج السندهند». وأشهر المنجزات الجديدة كانت تلك التي حققها أبو جعفر الخوارزمي - الذي قدّم قسم من نصّه الأصلي - وكانت موضوع تعليق من قبل الفرغاني في حدود سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م، ومن قبل علماء آخرين كانوا يعملون في بيت الحكمة. وتشجيع من المأمون جرى، في الوقت نفسه، تحضير لوضع برنامج واسع يرتبط

المركز الكبير الذي أنشأه السلطان السلجوقي الكبير ملكشاه في أصفهان والذي عمل بين سنتي ٤٣٩ و ١٠٤٧/١٠٩٢. ومن أهم تلك المنشآت تلك التي أنشأها هولاء في مراغة بأذربيجان، وقد استمر نشاطها على زمن الإيلخانيين حتى سنة ١٢١٦/١٣١٦م. وعلى الرغم من الازدهار القصير لمركز أشتي في ضاحية تبريز حوالي سنة ١٢٩٩/١٣٠٠م بهمة غازان، وأعمل بعد ذلك بخمس عشرة سنة، فإن مرصد مراغة الذي لا تزال خرابته موجودة قد أفاد، مدة خمسين سنة، من استمرارية أعمال المراقبة التي بدأت بإشراف نصير الدين الطوسي، صاحب فكرة إنشاء هذا المرصد. وعلى ما يبدو، فإن أعمال هذا المرصد شكلت أساساً لمراجعات أضعف لها النظام الذي وضعه بطليموس، واستخرجت نتائج متنوعة تعلم أنها وصلت إلى «كوبرنيك»، ولكننا لا نستطيع أن نحدد بدقة طريقة انتقالها إلى أوروبا.

بعد مرصد مراغة الذي اعتُبر نموذجاً، تأسست مراصد أخرى في انبلاء الإسلامية. ففي مطلع القرن التاسع للهجرة/الخلاص عشر للميلاد، أُنشئ مرصد سمرقند من قبل الملك التيموري أولوغ بك الذي كان هو أيضاً عالماً فلكياً، وذلك في سنة ٨٢٣/١٤٢٠م، وعمل مدة خمسين سنة تقريباً. وقد أقيم المرصد في أبنية مميزة يجري اليوم فيها التفتيش. وفي القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، بنى السلطان العثماني مراد الثالث مرصداً أكمله سنة ٩٨٥/١٥٧٧م، إلا أنه تهدم بعد ذلك بثلاث سنوات. جرت الأمور على عكس ذلك في الهند المغولية إذ بقيت مراصدها الخمسة، التي تعود إلى القرن الثامن عشر، تعمل لمدة طويلة، وكانت قائمة في جايبور ودلهي وبنارس وماتورا وأجن. وكان قد بناها «جاي سنغ»، أمير أمبير الكبير من سنة ١٦٩٩ إلى سنة ١٧٣٤م.

فالحضارة الإسلامية، وعلى الأخص تلك التي استمر وجودها حتى عصرنا الحالي، قد عمل التوسُّع الجغرافي المتسارع على تزايد التقطع فيها بفعل الأحداث التاريخية، إلا أنها لا تزال في حقل الفنون تتميز بالحفاظ على وحدتها واستمرارها. وبالطبع، فإن الوحدة التي ذكرناها لا يجب أن تُنسب للنوع العميق في الإلهامات والتأثيرات المتبادلة التي كانت وراء ازدهار أساليب فنية محلية. مناطقية أو حتى وطنية، حفرتها في أعلام الإسلام موروثات سابقة ومساهمات خارجية. وبسهولة تصنف مظاهر الازدهار وفق السلالات الإسلامية المتعاقبة، إذ إن تصنيفاً كهذا يسمح لنا بأن نفهم مظاهر النمو والانبعث والتأثيرات الخارجية، أخمين في الاعتبار الشروط المتعلقة بالزمان والمكان. ولكن لا مانع من إدراج هذه المظاهر في إطار أوسع، هو إطار دولة الخلافة وإطار عالم إسلامي يخضع لشرعية واحدة وتتقاطع فيه مبادلات داخلية، فكرية بمقدار ما هي اقتصادية. والعالم الإسلامي الذي شهد تقدماً وتراجُعاً في مسيرته، لم يفقد أبداً العناصر الأساسية التي أمنت في القرون الوسطى تلاحمه وتماسكه.

في الصناعات الحرفية، برزت في الوسط الإسلامي سمات مشتركة رافقت نمو الأعمال الفنية، لكن التحف الفنية تتميز في ما بينها، برغم خروجها من مشاغل ومؤسسات متشابهة، بمرزة تفوق هذه المفصلة أو هذه المدينة في فنون متنوعة، كالخزف مثلاً، أو في صناعة الكتب أو في المعادن أو في النسيج. وفي فن البناء هناك اتجاه إسلامي مشترك يعطي الأفضلية لنوع من الأبنية أو لطرائق بناء معينة، وفي الوقت عينه طغت في تزيين المعمار مواضيع زخرفية متشابهة، نجدتها أيضاً في فنون الزينة المعبرة عن مظاهر العظمة، ونشر أخيراً إلى أنه كانت حاضرة على الدوام، في أذهان المبدعين ورعاة الفنون المسلمين وفي أعمالهم، ضرورة التفيد بالأعراف القائمة. لكنهم سوغوا لأنفسهم سرّاً بعض الحرية، مستعملين في هذا التسييل وسائل شبيهة بتلك التي تتيحها «نباطية» لمفكرين حريصين على إحياء أفكارهم المدفونة.

فالقرن الإسلامي، في مختلف مراحله التاريخية،

على خطوط ثابتة ومرتبطة بالطابع الأصلي لمجتمعها.

القرن الإسلامي، تعبير يحمل قيمة رمزية واختزالية للإشارة إلى مجمل الأعمال التي تحققت على مر العصور في البلدان الإسلامية التي كثرت فيها المدارس الفنية، مع محافظة هذه المدارس، في عالمها الجمالي، على خطوط ثابتة ومرتبطة بالطابع الأصلي لمجتمعها.

واقته هو غياب وجدان كل الأشعب، تسييراً لثماي
الرفاء الأكثر شمولاً، بفصل صفات جديدة نهياً الله
عبد، وحال وجود في الله تُسعى البقاء.
إلى النظرية التي قامت عليها هذه العبارة نشأت، منذ
بزوغ القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، ويلور
مضمونها لتجديد. وقد حدثت إلى احتضان التسنن
للصوفية، تجلّياً لشوء أي مفهوم يقول بفناء الإنسان في
الله.

فؤاد ١٨٦٨-١٩٣٦، ملك مصر من السلالة الخديوية
المنتمية إلى محمد علي. ملك من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦.
كان فؤاد إيثاً لتخديوي إسماعيل الذي عزله
الحكومة العثمانية في العام ١٨٧٩، فاضطر إلى التوجه
للتنفي. درس في أوروبا ونقل عائداً إلى مصر في العام
١٨٩٢. خلف أخاه حسين في العام ١٩١٧ مع لقب
سلطان، فبذل إلى ملك في العام ١٩٢٢. في هذا العام
اعترفت بريطانيا بتمنّي بمصر دولة سيّدة ومستقلة،
وأعلن الدستور في العام ١٩٢٣، وهكذا تمكّنت البلاد
من تعلّم ممارسة الحياة النيابية. وقد دمع الفترة التي
تلت، والتي تزامنت مع التحولات التي سبّبتها الحرب
العالمية الأولى، الصراع الخفي الذي نشب بين الملك
وحزب الوفد الوطني. كما تزامنت مع النمو الاقتصادي
النسبي الذي أصابه مصر ودعمه تأسيس بنك مصر، في
حين انصرف الملك فؤاد للاهتمام بتأسيس معاهد
التعليم أو الجمعيات العلمية.

فوتا تورو، مقاطعة غنية بالإمكانات الزراعية، لكنها
مفتوحة على الهجمات الخارجية، مثلت دوراً تاريخياً
على امتداد الوادي الأوسط لنهر السنغال.

عُدت هذه المنطقة، منذ القرن الخامس للهجرة/
الحادي عشر للميلاد، منطلقاً لشعب البول الذي تقبّل
الإسلام والذي أفاد من ضعف مملكة غانا للتقدم في
اتجاهات عدة نحو الشرق منذ القرن الثامن للهجرة/
الرابع عشر للميلاد في اتجاه مُسبنا. ثم في اتجاه
نيجيريا الشمالية خلال القرن الثامن عشر، ونحو
الجنوب وفوتا جالون منذ القرن السابع عشر.

خلفت السلطة المحلية لسلالة البول الهجاء واحدة
من الدول الإسلامية الدينية التي انبثقت من انجهاود التي

اتخذ بدأ طابعا موحداً. وقد شكّل البقاء أفضل ميدان
لبروزة، إذ كان عليه أن يستجيب، عن طريق برامج لأبنية
فخمة ومدروسة، لما يتطلبه الملوك والحكام من مساجد
وقصور وأضرحة، تمجيداً للإسلام. وقد تعاطى هذا
الفن أيضاً المزيّنون والمزخرفون المتخصصون بأعمال
التعطية الذين كانوا يستعملون، على جدران الأبنية أو
على أجسام أخرى، أفاريز وصالات متجاوزة أو متداخلة
أو متراكبة تغطي كل فراغ.

ويتميّز الفن الإسلامي أخيراً بكونه فن العلماء
والرياضيين المتمكّنين من التجريد، والحرص على
احترام الضرورات الشكلية الخارجية كالامتناع عن
الرسم التجسيمي، وعلى اتباع الحسابات الهندسية
وعلى زيادة، تداخل التشيكات والأشكال العربية
والكتابات التي لا نهاية. وقد تتداخل الكتابات مع
الزبيبات فتخسر وضوحها، وتتلذّز قراءتها وتتحوّل إلى
مزيج من الخطوط الملتفة. وإلى ذلك تُضاف الألوان
المتعددة الزاهية مع غنى في المواد بلتي متطلبات الأمراء
الشغوفين بالأنهية والجمال. وحدهم هؤلاء الأمراء
استطاعوا تأمين الحماية لأشكال متنوعة نادرة من
الانتاج الفني، كالممنمات التي تمكّن أجساماً بشرية،
وذلك داخل مساكنهم الخاصة أو في مكتبات أماكن
إقامتهم.

هكذا نجد أنفسنا أمام فن فني وفخم مثلاً، ملوّن
ومُزخرف، يحصر إبداعه التزييني في دقة التنظيم
والتنسّق والخطوط: وهو يبدو خالياً من كل انفعال،
وراء زخارف، عموماً متعمد، لا تخفي إلا مغايري
المنعة الجمالية القوية. ويبقى هذا الفن، بابتعاده عما
هو قصصي وإنساني، أفضل ما يمثل المناخ الفكري
المزدوج الذي عاش فيه، على مرّ العصور، مجتمع
إسلامي متصّل في الظاهر، إنما حريص على أن يقي
بعيداً عن أنظار العامة، ميولاً غنائية أو صوفية، وأن
يُحصر، في الصفوة من الخاصة، المواضيع التي تُثير
الاهتمام أو التي تبدو جذرية بالبحث والتأمل.

الفناء، تعبير عربي يفيد «الغياب والامحاة»، ويعني، في
المفهوم الصوفي، نوعاً من النشوة أو استغرق الصوفي
في الحقيقة الإلهية التي لا وجود حقيقياً إلا لها.

اشتهرين كراموكو ألفا وإبراهيم صوري، اللذين ظهرا في القرن الثامن عشر، سليلو الفرعين الملكيين الذين تحذروا منهما، أي سلالة أنغيا وسلالة صوريا. تقاسم هؤلاء الحكام، بطريقة معقدة، سلطة كان مركزها بلدة بُمبو، ومحاولين بسطها كلما سحنت الفرصة على القبائل غير المسلمة في جوارهم. بعد ذلك أخذت قدرتهم تضعف باستمرار، رغم بقاء المنطقة، بالنسبة إلى الإسلام، مركز تعليم ديني وإشعاع. وآخر المستعبدتين من سلالة رؤساء البول الذين أصيبوا خلال القرن التاسع عشر بهزائم متعددة قبل أن يفقدوا استقلالهم تحت سيطرة الإدارة الفرنسية، غابوا عن الساحة نهائياً في العام ١٩٥٧، في إطار الحياة السياسية والاقتصادية لجمهورية غينيا.

الفونج أو الفونج، إسم لقبيلة وسلالة سلطانية عاصر ظهورها في السودان النيلي، خلال القرن السادس عشر، موجة أسلمة أكثر اكتمالاً للبلاد.

استندت هذه الدولة الإسلامية التي أُسست حول العاصمة الجديدة، بنار، على ضفة النيل الأزرق، على العرب الذين كانوا يسيطرون على المناطق النوبية الشمالية بعد تسريحهم إليها خلال سلطان الأسرة العبداللهية. إن السيطرة المشتركة لهذه المجموعات على إقليم الجزيرة الغني، بين النيل الأبيض والنيل الأزرق، سَرت امتداد السلطة المركزية نحو هضبي كوردوفان ودارفور، ورافق ذلك ازدياد التأثيرات العربية - الإسلامية. وإذا كانت هذه التأثيرات قد انتقلت بفضل العلاقات والأنشطة التجارية، فإنها، في الوقت نفسه، جاءت نتيجة للجهود التبشيرية التي بذلها أعضاء في الفرق [الصفوية] مثل الغفاري، أو، بصورة أعم، لتعليم منصّرين متحولين يقال لهم في التسمية المحلية فاكلي. أما الفوضى التي تلتها تمتد بعددٍ في تلك المنطقة، حوالي النصف الثاني من القرن الثامن عشر، فقد استمرت حتى انعام ١٨٢١، وهو تاريخ احتلال البلاد على أيدي الجيوش التركية - المصرية بقيادة محمد علي.

الفئة أو الفئمة، أحد مصادر الدخول للجماعة الإسلامية الأولى في المدينة أدنى، بصفته هذه، في

ازدهرت في فوتا تورو خلال القرن الثامن عشر، لتفقد بسرعة استقلالها إثر حملات حربية شنت عليها من موريتانيا. إلا أن الجذر الثقافي والديني، الذي وقره لها الإسلام الفاعل على أيدي «الانكرو»، يسّر لها استمرار بقائها مركزاً سياسياً حيث نشأ، خلال القرن التاسع عشر، الحاج عمر تيل، القائد العسكري المستقبلي الذي سينتشر على أمبراطورية سينا.

فوتا جالون، مقاطعة جبلية في غينيا الوسطى غدت، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مركزاً لدولة إسلامية حكمها القبلة أو البول (Peuls)، نشأت من إحدى سياسات الجهاد التي أدت إلى قيام مجموعة من الأميراتيات المحلية خلال تلك الحقبة.

نتيجة لهذه المنطقة، الثموية بصورة جيدة في معظمها والمستعملة زراعياً بفضل ارتفاعها، دور تاريخي جديد بسبب الهجرة إليها من قبل أقوام البول المسلمين الأتيين من سينا، حوالي أواخر القرن السابع عشر. وقد أرسى هؤلاء لمصلحتهم نظاماً شبه إقطاعي لاحتلال البلاد واستغلال سكانها الأصليين، استلهموه جزئياً من الوضع الذي طُبّق في الإسلام على أهل الدقة. قام نشر التعليم الإسلامي التقليدي، في تلك البلاد، على توافر طبقة من العلماء آمن لها استقرار العيش، وكان هؤلاء قد اتقنوا العربية خلال تحصيلهم العلوم الدينية، لكنهم ساهموا كذلك في نقل ميراث أدبي لشعب البول بواسطة الكتابة العربية، غداً أصيلاً، في شكل شعري إجمالي، قام على الاقتباس المتعمد أوجه من مؤلفات لباحثين أجانب نقلت إلى لغة البلاد المحكية. رافق ذلك نمو ثروة تجارية قامت على توافر نظام للوقايف امتد إلى الساحل، وشمل زبائنه التجار البحريين من الأجانب، كما شمل سكان المنطقة الشمالية. وقد قامت هذه التجارة على السلع الاستهلاكية والرفيق الذين أسروا خلال حملات حربية مستمرة، وخُرجت شرعية استرقاقهم بكونهم من غير المسلمين.

في سياق كهذا، كان من البديهي أن تنحصر السلطة في قواد عسكريين ينتمون إلى الطبقة الدينية ويفيدون من مكانتهم الشخصية كمربطين حاملين لقب «ألمامي» المحرّف عن إمام في العربية. وقد خلف الرئيسين

أفرون الوسطى، دوراً في تطوير النظام الضريبي الإسلامي المعقد الذي لا يخضع إلا جزئياً للشرعية.

نظم القرآن بدون تأخير توزيع العتمة المأخوذة من العدو، يظهر ذلك بوضوح في الآيات الآتية: ﴿لَقَدْ آتَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلَهُ الْكَلْبُ وَالْقَرْيَةُ وَالْأَنْصَارُ وَالْمَكِينُ وَالْمَكِينُ وَالْمَكِينُ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَبَيْنَكُمْ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤَدُّوا بَعْدَهُ وَمَا يَكُنْ لَكُمْ أَلَّا تُؤَدُّوا بَعْدَهُ إِنَّ اللَّهَ يَنْتَظِرُ عُقُوبَتَكُمْ﴾ (سورة الحشر، الآية ١٧).

﴿وَأَطِيعُوا أَمْرًا عَنِ اللَّهِ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّ لَهُ حُكْمًا وَكَلْبًا وَلِقَاءَ الْقَرْيَةِ وَالْأَنْصَارِ وَالْمَكِينِ وَتَرَىٰ النَّبِيَّ إِذْ كَتَمَ بَيْنَهُمْ يَأْتِيهِمْ وَمَا أَرْكَأَ عَلَىٰ عِبِيدِهِ يَوْمَ الْقُرْآنِ يَوْمَ الَّذِي أَتَمَّعَ الْأَنْصَارَ وَأَمْرًا عَنِ كُلِّ نَفْسٍ مَقْرَبَةٍ﴾ (سورة الأنفال، الآية ١٤).

استناداً إلى الآية الثانية، اعتمدت القاعدة التي تعطي خمس الغنائم للنبي محمد (ﷺ) الذي يؤدعها كما يشاء على الأشخاص الذين يستنون إلى الفئات المصنفة أعلاه. أما الأخماس الأربعة الباقية فكانت تعود إلى الفاتحين أنفسهم. جرى، في المرحلة الأولى، تمييز بين الغنائم التي يحصل عليها المسلمون نتيجة للقتال، أي بالقرعة، وتسمى «فيءاً» وتلك التي يحصلون عليها بموجب معاهدة وتعرف بـ«الغنائم». لكن هذا التمييز لم يعمل به طويلاً.

ثم يطبق مبدأ الخمس على الأراضي: لقد قرّر الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، إعتبار مجمل الأراضي التي سيطر عليها المسلمون عن طريق الفتوحات الكبرى ملكاً جماعياً لهم، غير قابل للتجزئة. أمّا الذين كانوا يستمرون تلك الأراضي ففرضت عليهم، مقابل ذلك، ضريبة عرفت بالخراج، مخصصة لتمويل خزانة الدولة. وحدها الأشياء المنقولة كانت توزع على السقائين. وقد سُمح لهؤلاء بالإقامة في الأراضي المسؤولة عليها، شرط أن تكون أملاكاً غير مستعملة، وهذا ما جرى مثلاً بالنسبة إلى أملاك الدولة البيزنطية في سوريا. لقد اختلف الوضع بعض الشيء في شبه جزيرة أيبيريا حيث حصل الفاتحون، من عرب وiber، على أراضي استقروا فيها، ما أعطى الأندلس طابعاً مميزاً بالنسبة إلى الإعمار والإدارة.

ضُمَّت، مع الوقت، في مالبة مختلف الدول

الإسلامية، قيمة المدخول التي كانت تُؤمّن الغنائم. ولكن استمرت الأفادة من الأسرى الذين غالباً ما اعتُبروا عبيداً. وقد استغلّوا كأيدٍ عاملة رخيصة أو شكّلوا فرقاً مقاتلة خاصة في إطار التنظيم العسكري المعقد للدول الإسلامية.

عند الشيعة الإسماعيليين، أُجيز اقتطاع الخمس المخصص لرئيس الجماعة ليس من الغنائم وحدها، بل أيضاً من مداخيل الأتباع. هذا ما يُفسّر الثروة التي يملكها آغاخان، الرئيس الحالي للطائفة الإسماعيلية.

فصل، اسم لعاهلين عربيين من السلالة الهاشمية، ملكاً على العراق قبل قيام جمهورية العراق الحالية.

فصل الأول، ١٨٨٣-١٩٣٣، أمير ينتسب مباشرة لأسرة الأشراف الهاشميين في مكة. وهو أول من حكم مملكة العراق التي أنشئت في العام ١٩٢١، على أساس معاهدة فرساي (١٩١٩)، بسعي من الدولة البريطانية المستتبة.

كوفي هذا الإبن الثالث للشريف حسين، لكونه المحرك الأساسي للثورة العربية التي تدلعت في العام ١٩١٦، ولاشتراكه في مختلف الأعمال الحربية الموجهة ضد العثمانيين، بنسب عرش بغداد، تمويهاً عن الإخفاق الذي أصابه في العام ١٩٢٠ في دمشق، حيث سعى إلى القيام بدور الوسيط بين مواقف الحلفاء وأعيان سوريا لإنشاء مملكة عربية. لكنه نجح، بفضل صفاته الشخصية المتمثلة بالدبلوماسية والهيبة السلطوية، في تأمين التجانس والإنطلاق إلى دولة قادها بسرعة إلى الاستقلال. وقد اعترف بها عضواً في عصبة الأمم في العام ١٩٣٢. قبل وفاة فيصل المفاجئة، في سويسرا، كان يحفظ، بعد انتهاء هذه المهمة، إقامة اتحاد وثيق بين العراق والجمهورية السورية.

وقد أدى غياب فيصل إلى دخول بلاده مرحلة صعبة وحافلة بالصراع تجلّت في قصر عهد ابنه غازي الذي ما لبث أن توفي عام ١٩٣٩ بسبب حادث، ثم في اندلاع الحرب العالمية الثانية وتوالت في فيصل الثاني القاصر بشأ مسؤولية العرش التي انتهت بمقايعة.

فصل الثاني، ١٩٣٥-١٩٥٨، حفيد فيصل الأول وملك العراق، فقد الحياة والعرش شاباً، بعد خمس

العابسة صفة المؤسسات في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إثر معاناتها المالية، لم يكن للمستفيدين منها سوى بعض الامتيازات المالية، من دون أن يكون لهم على إقطاعاتهم أية سلطة شرعية أو ضرائبية، إذ إن السلطة المركزية وحدها كانت تضطلع بمسؤولية الضرائب التي تفرضها على المشتغلين بالأراضي.

وقد اتفق، في ما بعد خلال بعض العهود، وبخاصة في سوريا، في القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، أن حصل قواد عسكريون أو أمراء من أنبياء الحاكم، وهم في أغلب الأحيان من أصل تركي، على إقطاعات، بحسب أعراف تقاسم السلطة في الأسرة السائدة لدى السلاجقة، شملت أراضي ذات أهمية نسبية، مثل مدينة، على أن يتعهد أصحاب الإقطاعات، في المقابل، بتقديم فرقي عسكرية حين تدعو الحاجة. كان أصحاب هذا النوع من الإقطاع يضطعون بمهيات تتداخل والسلطات الممنوحة للحاكم. وكان في مقدورهم أن يتحدوا سلطته، إن سمحت لهم الظروف، لحاجته الماسة إلى مساندتهم: من هنا كانوا يتظاهرون بمظهر «السياد النبلاء»^{١٠}. إلا أن ممارستهم السلطة كانت محدودة بأحكام الشريعة، إذ لم تكن إقطاعاتهم، مبدئياً، وراثية، ولم يرق أي نظام ترانسي لعهود وفاء شخصية - كما كان يجري في النظام القيودالي (الإقطاعي) الغربي - بإنشاء سلطات محلية تهدف، بوجه خاص، للتحرز من سيطرة أهل السلطنة أو الخلافة. فإذا ما عادت تلك السيطرة إلى سيرتها الأولى، غاب نفوذ أسياد الحرب كما غشي النسيان ذكر إماراتهم العابرة.

فيودوسيا (أوكرانيا)، وهي، قديماً، كافاً، كافا أو كيه، مدينة مرفئية على البحر الأسود ومركز تجاري مهم في القرون الوسطى المتأخرة، خضعت للسلطة الإسلامية منذ القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد حتى ١٧٨٣.

هذه البلدة التي كانت تقع على الساحل الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة القرم، ذات تاريخ عتيق يعود بها إلى تسميتها نيودوسيا، كانت خلاله مشهورة كمركز

سنوات من مرحلة وصاية التسمت بالكثير من الاضطرابات.

قتل خلال الانقلاب الثوري الذي أطاح الملك الشريفي في بلاد هي، في بنيتها، غير مستقرة، فاعلت فيها متصارعة تيارات مختلفة منذ وفاة فيصل الأول، ومعه غيبت الإغتيالات الوصي عليه خاله، ووزيره الأول المسن نوري السعيد اللذين حكما باسمه من ١٩٢٩ حتى ١٩٥٣.

« رابع المسند رقم ٦.

الفيليبين (جمهورية)، مساحتها ٣٠٠ ٠٠٠ كلم^٢ وعاصمتها مانيلا. دولة معاصرة مستقلة في جنوبي شرق آسيا، يقدر عدد سكانها بأكثر من ستين مليون نسمة بينهم نسبة قليلة من المسلمين (حوالي الخمسة بالمائة)، ولكن هؤلاء على خلاف مع السلطة المركزية.

في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، عندما عرف الإسلام انتشاراً واسعاً في مجموعة الجزر الهندية الشرقية، أتى بخارة وقراصنة مسلمون من جزر السوند الأخرى واستقروا في القسم الجنوبي للأرجيل الذي عانى كثيراً التجزئة. وقد بقي من تحدر منهم في البلاد التي تتمتع بحضارة فريدة بنظام ديموقراطي برلماني، تتعايش فيه إثنيات وديانات متعددة. وتجاورها، من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية، من الجهة المقابلة لبحر سيلاب، بلدان يعرف فيها الإسلام انتشاراً واسعاً مثل أندونيسيا وماليزيا.

« رابع المسند رقم ٣٠.

الفيدالية (في الإسلام) تسمية غير دقيقة أطلقها مؤرخون غربيون لوصف بعض مظاهر المجتمع الإسلامي القروسي، وبخاصة اتهام حملات الفرنج، حين واجه أسياد بعض المناطق من الطرفين الخصمين بعضهم بعضاً.

ليس في عالم الإسلام طبقة نبلاء بالمعنى الدقيق للمصطلح. وليس ما وُصف بـ«العرين» (lief) في المدونات الأوروبية سوى إقطاعات أرضية لا يربطها شيء بمستلزمات نظام النبلاء وامتيازاته الذي عرفته أوروبا. حين ظهرت الإقطاعات ومنحتها الخلافة

استولت عليها جيوش كاترين الثانية، وغدت مدينة روسية باسم فيودوسيا، بعد أن غادرها ما تبقى من سكانها المسلمين.

◀ راجع المندردقم ٢٣.

القُبُوم، محافظة في غرب وادي النيل كانت، قديماً، واحة نخيل خصبة، مجاورة لبحيرة نفقوها مساحةً، احتفظت بدورٍ تاريخيٍّ في مطلع القرون الوسطى لتفقد بعد ذلك.

تراجع ازدهار هذه المنطقة الخصبة من مصر والأهلة بالسكان خلال الحكم الإسلامي في زمن الفتوحات الكبرى، وذلك، بوجه خاص، بسبب الغارات المستمرة التي كانت تشنها عليها القبائل العربية والبربرية. كانت مركزاً للمسيحية القبطية التي درست أديارها عبر العصور، وشكلت في الوقت نفسه، في بداية الأمر، مصدر دخلٍ لمكوس الأمباطوريّات الأولى للخلافة. وقد عُثر فيها على وثائق متعددة مخطوطة على ورق البردي، يعكف على دراستها المؤرخون في العصر الحديث منذ الكشف عنها في القرن التاسع عشر لأوّل مرّة، وهي تتضمن نصوصاً مكتوبة بالعربية، ذات أهمية بالغة لدراسة العصر الأمويّ.

نقل بحريّ. ثم ازدهرت باسم كافا بسبب ربطها بين سهوب الكيتشاك والأناضول وأحيانا القسطنطينية، أي استنبول في ما بعد. كانت في أوّل أمرها مثلثاً لبرنطقة، تستقبل تجاراً من الترك، ثم حوالي ١٢٦٠/١٢٦٨م، تجاراً من جنوى سُمح لهم بالإقامة فيها بصفتهم التجارية، بإذن من خان القبيلة الذهبية الذي كانت سلطته على المدينة إسمية أكثر منها واقعية. في القرن الخامس عشر، بلغ ازدهارها الإقتصادي مبلغاً عظيماً، حيث كان يتردّد عليها تجار رقيق يمدّون مصر بالمماليك.

إلا أنّ العثمانيين، الذين تضايقوا من نشاط تجار جنوى، سعوا إلى موطنٍ قدم فيها، وبعد محاولات غير مجدية استطاعوا أخيراً، في العام ١٤٥٧م، الإستيلاء على كافا. وقد تركوا أمر داخل البلاد في أيدي سلالة جيراى خان، حكم شبه جزيرة القرم، الذين انتزعوا السلطة من خانات القبيلة الذهبية في القرن السابع عشر. غدا معظم سكّان المدينة من المسلمين، واثمت بطابع المباني ذات الطراز العثماني المميّز، كما أقيمت فيها قلعة، ذات قيمة إستراتيجية تثير الطمع فيها. وخلال الحروب الروسية - العثمانية في مطلع القرن الثامن عشر، أصبحت هدفاً لحملات عسكرية، فيما أخذ قسم من سكّانها الأتراك يجلون عنها. في العام ١٧٨٣

ق

سنية، وهي سلالة العباسيين، والثانية شيعية إسماعيلية هي سلالة الفاطميين.

إن أقدم الاثنين هو الخليفة الفاطمي «القائم» الذي حكم إفريقية من ٣٢٢ إلى ٩٣٤هـ/ ٩٤٦م. استطاع هذا الخليفة أن ييسط سلطته، غداة نجاح الدهوة الإسماعيلية في استقطاب بعض الأوساط البربرية في المغرب وتسمية عبيد الله المهدي إماماً. كان القائم - وهو ابن عبيد الله بحسب التقليد الإسماعيلي الذي يثبته فيه البعض - قد عُنَّ ولبًا لتعهد منذ سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، وهو في العشرين من عمره، فقاد، بعد هذا التاريخ، حملات عسكرية مهمة. ولما أصبح خليفة، واصل حملاته نارة باتجاه مصر، ولكن بدون جدوى، وطوراً باتجاه إيطاليا، وقد حالفه الحظ في إحدى حملاته البحرية إذ تمكّن من احتلال مدينة جنوى في العام ٣١٢هـ/ ٩٢٤م. أرسل إلى صقلية حاكماً جديداً هو خليل بن اسحق الذي أساء استعمال السلطة ضد الشعب. وفي سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م انفجرت في إفريقية الثورة

التي عرّضت حياته للخطر وأجبرته على اللجوء إلى المهديّة، المدينة المحصنة التي كان قد أمر ببنائها، وتوفي فيها في شوال ٣٣٤هـ/ أيار ٩٤٦م.

بعد مرور قرن، وصل إلى السلطة في العراق القائم بأمر الله أبو جعفر، الخليفة العباسي السادس والعشرون، الذي حكم من ٤٢٢ إلى ٤٦٨هـ/ ١٠٣١ إلى ١٠٧٥م، وسمى جاهداً إلى استعادة جزء من السلطة التي فقدتها العباسيون في زمن وصاية أمير الأمراء.

يُعتبر دخول قُطْرُلُوك بَك السلجوقي بغداد بداية انطلاق سيرة تنحلت عن تلك التي اجتازتها الخلافة خلال سيطرة البويهيين، أتباع الإمامية الاثني

القائد، وجمعه القُواد، لفظة عربية ذات معنى قديم وغير دقيق، أطلقت بخاصة على الزعماء العسكريين.

كانت اللفظة متداولة في جزيرة العرب قبل الإسلام، وتُطلق في المحيط الهندي على الشخص الذي كان، إلى جانب سيد القبيلة ولاحقاً شيخها، يرأس الحملات العسكرية ويتولى قيادتها. وفي التنظيم العسكري الإسلامي طال استعمال اللفظة كل من يتولى قيادة جيش أو فصيلة، أيّا كانت رتبته. وهكذا، عُدت هذه التسمية في الشرق تُطلق، بصورة عامة، على قبادتي الطبقة العسكرية الذين كانوا يشغلون مركزاً مهماً في عهد الخلافة العباسية؛ وفي الحقبة نفسها، في الأندلس، اقتصرَت التسمية على القائد الأعلى للجيش. أطلقت التسمية لاحقاً في المغرب العلوي على حاكم محليّ تعينه السلطة المركزية وتختاره من بين أعيان قبيلة ما، ومنها استمدّت لفظة «قائد» (caid) الفرنسية التي استعملت للدلالة على الزعماء المحليين الذين يمارسون سلطة معينة.

القائم، لفظة عربية تعني «الذي يقوم»، تشير بصورة عامة، في المصطلح الشيعي، إلى المهديّ الذي يُنتظر ظهوره ليقيم العدل. من هنا نفهم استخدام اللفظة في لقب بعض الخلفاء والحكام في صيغة «القائم بأمر الله»، أي الذي يقوم بأمر من الله أو لينتدّ أمر الله. يعتبر بعض الإسماعيليين أن القائم هو قائم القيامة، بمعنى أن القائم هذا سيدين البشر، وأنه يحتلّ مرتبة أعلى من مرتبة الأنبياء والأئمة.

القائم بأمر الله، لقب شرف مستمد من لفظة «القائم» المتداولة في القرون الوسطى بين عدد من الأمراء، وقد اعتمدته خليفتان ينتميان إلى سلالتين عدوّتين، الأولى

قائمقام، تعبير يُستعمل في اللغة التركية وهو من أصل عربي، يحمل معنى وكيل الحاكم، ويطلق اليوم في الجمهورية التركية على مدير المقاطعة أو القضاء.

وكان هذا اللقب يُستعمل في السلطنة العثمانية للإشارة إلى الموظفين الكبار، ومنهم حكام الولايات وبعد إصلاحات القرن التاسع عشر، أصبح يُعطى لحاكم السنجق ثم لحاكم القضاء. وهذا التعبير يُستعمل، في المعنى نفسه، في عدد من بلدان الشرق الأوسط التي كانت جزءاً من السلطنة العثمانية، ولا سيما في مصر زمن محمد علي وخلفائه.

قايس (الجمهورية التونسية)، مدينة مرفئية تقع على الشاطئ الجنوبي للبلاد، على مقربة من الحدود الحالية مع ليبيا.

يعود تاريخ قايس إلى العصور القديمة الأولى، وقد وصلتها الجيوش العربية الإسلامية حوالي العام ٥٣٤هـ/ ٦٥٤م، وتم احتلالها حوالي نهاية القرن السابع الميلادي. إنها باب إفريقية الحففي للقدامين من الشرق ومنفذ على البحر لتجارة القوافل العابرة للصحراء. وقد خضعت، على التوالي، لحكم الأغالية والفاطميين، قبل المعركة التي وقعت في العام ٤٤٣هـ/ ١٠٥٢م، ووقرت السيطرة على البلاد بُني هلال عرفت بعدئذ، خلال قرنين، مرحلة مضطربة، فهاجمهم نورمان صقلية وانتهى بها الأمر إلى التحالف معهم وتوقف هذا التحالف عندما دخلت قايس في أمبراطورية الموحدين. لكنَّ الخصميين الذين خلفوهم في إفريقية لم ينجحوا في فرض سلطتهم على المدينة بصورة مستدامة. في العام ١٥٧٤ سيطر عليها العثمانيون وتبعهم الحسينيون.

تقع داخل البلاد منطقة الجريد التي يفسر ازدهارها تاريخها المضطرب. قديماً، وفي الطرف الشرقي لخليج قايس، كانت تقع جزيرة جربة المشهورة بزراعتها والتي تشهد اليوم ازدهاراً سكانياً واقتصادياً، وكان يسكنها لفترة مديدة البربر المسلمون حيث كان الخوارج الإباضيون أكثرية، إلى جانب أتباع المذهب المالكي الذين حلّوا محلّهم في سائر أنحاء البلاد. وقد دُفع قدرها - منذ دخولها في الإسلام خلال الفتوحات

عشرية^(١٢). لقد أصبح في إمكان الخليفة أن يفيد من الخصومات التي كانت قائمة بين إقطاعيين ذوي نفوذ وغزاة ينتمون إلى مذاهب متعددة وأغراق مختلفة، إلى الترك من جهة والإيرانيين من جهة ثانية.

إنَّ القائم الذي خلف والده القادر بدون صعوبة تذكر واجه بالفعل، حتى العام ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥م، نزاعات عديدة مع السلالة البويهية، ونجح إلى حد بعيد في أن يفرض آراءه في بعض المسائل، فجدّد، بخاصة، في العام ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م، الإعلان المتعلق بالعقيدة كما ورد في «الرسالة القادرية». تمكّن في العام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م القائد التركي من أن يدخل بغداد، رغم الجهود التي بذلها الخليفة لصدّه، وأقام في قصر الأمراء، وحصل، في ما حصل عليه من ألقاب، على لقب «سلطان» الذي يتناسب مع دوره كحاكم للخلافة. هذا الحامي الجديد الذي تمتّع بالسلطات التي كان العبّاسيون قد منحوها من قبل لأمير الأمراء، حرص مع ذلك على التمييز عن أسلافه الشعبة بسلوك سياسيٍّ خاص.

نُفي القائم في أثناء حركة التمرد التي قام بها القائد العسكري الشيعي النيسابري التابع للإسماعيلية، لكنّه ما لبث أن عاد إلى بغداد بعد أن نسى له التخلص من هذا الخصم ذي الطموحات الخطرة. ولم يكن القائم ليتقن كلياً بالسلاجقة، وظلّت علاقته مع أول سلطان من هذه السلالة متوترة، وبخاصة لما اقترن طغرل بك بابنة الخليفة نفسه. نحست الحالة بعض الشيء عندما خلف ألب أرسلان طغرل بك في العام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م، ولم يُقم في بغداد، وكذلك عندما ولي ابنه ملكشاه سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م. إلّا أنَّ سياسة الخليفة الدينية المناصرة للحنبلية كانت تصطدم بمبادرات وزير السلاطين السلاجقة، نظام الملوك، الذي ناصر الشافعية وأسس المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م. توفي القائم سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م، بُعيد وفاة ألب أرسلان، وكان قد تمكّن، خلال هذه الفترة المضطربة، من الدفاع، ما أمكن، عن مؤسسة الخلافة. خلفه حفيده الذي عيّنه بنفسه والذي اتخذ اسم المعتدي.

◀ رابع المستد رقم ٣.

سلطه على جزء من الأراضي التي وحدها نادر شاه. وضع آغا محمد حدًا لسلطة الزنّديين في شبّرل سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م، ثم تُوجّ شَاهَا في طهران التي كان قد اختارها عاصمةً له. اغتيل في العام ١٧٩٧، فخلفه ابن أخيه فتح علي شاه، ثم مجموعة من الحكّام. وعرفت مملكة القاجار مشكلات شبيهة بتلك التي عرفتها إيران في ظلّ السلالات السابقة. كان على الحكام القاجاريين الذين مارسوا حكمًا مطلقًا أن يدافعوا عن أراضيهم ضدّ طموحات جيرانهم، وبخاصّة العثمانيين. أمّا في الداخل فإنهم عملوا على دمج العنصر القبلي في دولتهم الجديدة. كما عانوا من العداوة بين الإمبرياليّتين الروسية والبريطانية حيث كانت كلّ منهما تسعى لتعزيز وضعها في إيران، مستفيدة من المشكلات التي نشأت في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في بلد كان في حاجة إلى إحداث تغييرات على مستوى التنظيم والتجهيز والحكم.

فيل ذلك اعتمد الحكّام القاجار، في تنظيم الإدارة، النسق الضعفوي، وأنفقوا أموالًا طائلة على المراسم والاحتفالات، ما أدّى إلى إتهام المالبّتهم. ومع ذلك فإنهم شعروا بضرورة العمل على تحديث جيشهم، فنجّأوا، مرارًا، إلى مدزّبين أودوبيّين. ولكنّ جهود هؤلاء بقيت من دون جدوى، على الرغم من تأسيس مدرسة إعداد عسكرية في العام ١٨١٥، عُرفت باسم دار الفنون، وكانت نواة لجامعة مستقبلية على الطراز الأوروبي.

بعد ذلك سعى بعض الحكام، وبخاصّة ناصر الدين شاه الذي زار المعرض العالمي في باريس في العام ١٨٨٩، إلى تحسين ظروف الحياة الإقتصادية في البلاد، محاولين معالجة وضعهم المالي السيئ، وفكّروا بالاستعانة بالأوروبيين.

ففي العام ١٨٧٢ أعطت إيران إلى أحد الإنكليز، ويدعى البارون رويتر (Reuter)، إمتيازًا لبناء بعض الطرقات والسكك الحديدية، ومدّ شبكة للبرق وتأسيس مصرف وطني. لكنّ هذا الإجراء لم يلبث أن ألغى، في العام التالي، بسبب الاستياء الشعبي. ولم يُبصر المصرف الأمبراطوري الفارسي النور إلّا في العام

الكبرى في العام ١٣٥٦هـ/ ١٩٦٦م - عزلتها وروح الاستقلال المهيمنة على سكّانها. وهي لم تنجح بالتصمود في وجه الهجمات المسيحية المتكررة الآتية من البحر والتي نتجتا فترات قصيرة من الاحتلال وحسب، بل أفنت من سيطرة سلالات إسلامية عدّة، ولم تخضع سوى للقوى البحرية العثمانية. ثمّ للسلطات المحليّة التي تعاقبت عليها، كسلطة الحسينيين على سبيل المثال.

◀ راجع المستندات ١١، ٨، ١٩.

قابوس بن وشمشير بن زيار، شمس المعالي، ٩ - ١٤٠٣هـ/ ١٠١٣م، عاehl من السلالة الزّيارية التي حكمت في مطلع القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد في ماژندران.

حكم هذا الأمير، الدافع الصيت شاعرًا وعالمًا، على شواطي بحر الخزر أو بحر قزوين بدءًا من العام ٣٦٦هـ/ ٩٧٧م، منطقة كان يطالب بها السامانيون واليوينيون. أفاد، في بادئ الأمر، من دعم الأمير البرهيمي الكبير، عضد الدولة، لكنّه اضطرّ، في ما بعد، إلى التخلّي عن العرش لمدة سبعة عشر عامًا وللجرح إلى السامانيين. خلال الفترة التي تمع خلالها بالسلطة في إمارته بلا انقطاع، ما بين ٣٨٨ و٤٠٣هـ/ ٩٩٨ و١٠١٣م، شبد لنفسه ضريحًا رائعًا في العام ٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م، ما يزال قائمًا حتى اليوم. أعطى هذا الضريح اسمه، كُتبت قابوس (أي قُبّة قابوس)، إلى البلدة الحديثة التي حلّت محلّ العاصمة القروسطيّة المدمّرة أي جرجان، في حين أنّ جرجان الحديثة توافق اليوم بلدة مختلفة من الإقليم نفسه هي أستراتاد القديمة.

قاجار (١٧٩٤ - ١٩٢٥)، سلالة من أصل تركماني سيطرت على إيران في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وواجهت مشكلة تحلّيت البلاد وتدخّلات الغرب الأوروبي.

في عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٧م، استغلّ آغا محمد بن محمد حسن قاجار، رئيس قبيلة المازندران المنتمى إلى أسرة من الأعيان وضعت نفسها في خدمة الصفويّين، الاضطرابات التي تسبّبت بها وفاة نادر شاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، فأصبح حاكمًا لأذربيجان وفرض

حاميه الشيعي، الذي كان مستقرًا في شيراز، حزية التصرف، في حين أنّ الغزنويين تصرّفوا تجاهه كحلفاء مخلصين. في سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م، لم يتورّد القادر في رفض تعيين الشريف أبي أحمد الموسوي - الذي رشحه أمير الأمراء - قاضيًا للقضاة ونقيبًا للعلويين وربّما لديوان المظالم، كما نجح، في العام ٣٩٨هـ/١٠٠٨م، في حمل لجنة من علماء السنة على إدانة تنقيح ابن مسعود للقرآن.

أخيرًا في سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م، بعد أن أدان عقيدة الفاطميين الإسماعيليين ونظام حكمهم، ثلّا علنًا في بلاطه بيانًا ضمّنهُ أسس العقيدة وعُرفَ بـ «الرسالة القادرية»، حدّد فيها العقيدة الرسمية ألا وهي العقيدة الحنبليّة التقليديّة الموافقة لأراء السلف، والمعارضة، في الوقت نفسه، ليس للشعبة فحسب، بل للمعتزلة والأشعرية، معتبرًا هذه الأخيرة خطيرة لأنها مذهب تسوية. كذلك، في العام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، أنفذ إلى الناس رسائل تتلى عليهم، من بينها واحدة تدبّر مجددًا القول «دخل القرآن»، وثانية تعلن تمزّق الخلفاء الثلاثة الأوائل أو الراشدين، ساعيًا، في الوقت نفسه، وبهذه الروح، إلى تأمين خلف له. وفي الواقع تمكّن القادر، قبل وفاته في العام ٤٢٢هـ/١٠٣١م، من أن يؤمّن البيعة لورثته وابنه القائم، من دون أن يرجع في ذلك إلى أمير الأمراء. إن أبرز المكاسب التي حقّقها خلال خلافته كانت إعادة الاعتبار إلى منصب الخلافة. وفي الوقت نفسه دعم الشّيعة، التي تعرّضت للخطر بسبب مبادرات الأمراء البويهيين (الشعبة).

➤ راجع المستد رقم ٣.

القادرية، طريقة صوفيّة إسلاميّة ما تزال تنعم حتى أيامنا بتأثير كبير، تدبّر باسمها لثقبة حنبلي واعظ، ذاع صيته في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد في بغداد، هو عبد القادر الجيلاني.

بعد وفاة عبد القادر، استخلص تلاميذه عقيدته، الصعبة التحديد، من كتاباته الروحية والخطب التي تركها، ونشروها مع سيرته في أرجاء مختلفة من العالم الإسلامي، بدءًا من اليمن، وسوريا ومصر. وكان قد تمّ إنشاء رُبط قادرية حوالى العام ٦٩٩هـ/١٣٠٠م. بخاصة

١٨٨٩. وفي العام ١٨٩٠ أثار التنازل عن امتياز بيع التبغ وتصديره لأحد البريطانيين رفضًا شعبيًا بنحريض من العلماء، ما أدّى إلى إلغائه. بيد أنّه، في العام ١٩٠٩، تمّ التنازل عن استثمار الغاز الطبيعي والبتروك لمصلحة الانكليز، وإنشاء شركة النفط الإنكليزية-الفارسية.

لكنّ استمرار حالة الإستهاء لدى الرأى العام في سياسة لم تؤت ثمارها، أسفر عن حصول اضطرابات جدية في البلاد، فيما كانت حركة الأفكار الغربية تتابع نفاذها إلى الأوساط الثقافية. طالبت حركة المعارضة، التي كانت قد نمت خلال حكم مظفر الدين شاه، بإقامة نظام دستوري، وتوصّلت إلى إعلان دستور في العام ١٩١١، ولكنّ هذا الدستور علّق العمل به فورًا. ثمّ ما لبث أن تجدد القتال بين القوى الخارجية والحركات الثورية المحلية - وهذا ما تميّزت به إيران خلال الحرب العالمية الأولى - ما سمح للقائد العسكري رضا خان بإقالة آخر عاهل قاجاري في العام ١٩٢٥، وتسلّم الحكم تحت اسم رضا شاه بهلوي.

أفامحمد	١٧٧٩ - ١٧٩٧
فتح علي شاه	١٧٩٧ - ١٨٣٤
محمد شاه	١٨٣٤ - ١٨٤٨
ناصر الدين شاه	١٨٤٨ - ١٨٩٦
مظفر الدين شاه	١٨٩٦ - ١٩٠٧
محمد علي شاه	١٩٠٧ - ١٩٠٩
أحمد شاه	١٩٠٩ - ١٩٢٥

القادر بالله، أبو العباس أحمد، ٣٣٦-٤٢٢هـ/٩٤٧-١٠٣١م، الخليفة العباسي الخامس والعشرون، حكم من سنة ٣٨٢ إلى ٤٢٢هـ/٩٩٢ إلى ١٠٣١م وامتاز، خلال الفترة الثانية من حكمه، بالعزم الذي واجه به سياسة البويهيين ووصايئهم اللتين قبل بهما أسلافه المباشرون على مضض.

هو حفيد المتتدر وابن عمّ الخليفة الطائع الذي خلعه البويهيون في العام ٣٨١هـ/٩٩١م، واختاروه ليجلّ محله، آمليّن أن يكون خليفة سهل الإقباد. تظاهر، في بداية حكمه، بدعم توجه أمير الأمراء الشيعي، فلم يحفظ إلّا حوالى العام ٣٩٠هـ/١٠٠٠م باعترااف السلالات السنّية الحاكمة في المقاطعات الشرقية، ولا سيّما السامانيين والغزنويين. إنطلاقًا من هذا التاريخ، ترك له

إنَّ اختلافات المصادر العربية القديمة لا تسمح لنا إلا بتاريخ تقريبي - مع فارق سنة أو سنتين - لهذه المعركة التي أُلست المسلمين هزيمتهم في معركة الجسر، قرب البحيرة، سنة ١٠١٣هـ/١٦٢٤م، حيث حاولوا عبور نهر الفرات ولكّهم لم يفلحوا. أمّا الهجوم الجديد فحصل هو أيضًا في جنوب غربي العراق، لكن في موقع أكثر ملاءمة للقاتلين، وهو السهل المجاور لبلدة القادسية، خارج المنطقة المزروعة على ضفاف النهر. وعلى مقربة من البلدة التي اندثرت اليوم، أُسست، في ما بعد، المدينة - المعسكر المعروفة بالكوفة.

عقب هزيمة الجيش الساساني الكاملة، اندفع الفاتحون في اتجاه العاصمة، طَيْسَفُون، المعروفة بالعربية باسم المدائن، فاستولوا عليها، وذلك بعد اجتيازهم الفرات ودجلة. حققت هذه الانتصارات شهرة القائد العربي وأحد صحابة النبي (ﷺ)، سعد ابن أبي وقاص، الذي كان الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، أوكل إليه قيادة الحملة.

قازان (جمهورية تاتارستان الفدرالية)، مدينة تقع في حوض الفولغا الأوسط، وأكثر سكّانها اليوم من الروس؛ كانت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر عاصمة خانية قازان التركية المسلمة.

تأسست إمارة قازان المستقلة سنة ١٤٤٦م، وازدهرت داخل البلاد القديمة للاتراك الذين عُرفوا باسم البلغاريتين. وبعد غزو المغول في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، أصبحت جزءًا من الأمبراطورية التي أقامها خلفاء جنكيزخان والتي عُرفت باسم امبراطورية القبيلة الذهبية، وكانت آنذاك في حالة نفثت. وقد شاركت دولة قازان الجديدة في معارك حربية متنوعة، وبرز فيها تأثير السياسة الروسية؛ كما كان لها دور تجاري ساعد على ازدهار عاصمتها. وقد استطاعت أن تجمع ميراثًا ثقافيًا محليًا تركيًا وإسلاميًا.

ورقي هذا الميراث حيًا بعد الاجتياح الموسكوفي سنة ١٥٥٢، على الرغم من استعمار روسي فاعل رافقته جهود لحمل السكان على اعتناق المسيحية. وهذا الإرث ساعد على تنشيط الحركات القومية التركية في القرن التاسع عشر، وقد برز النشاط القومي على الأخص في

«الرباط» البغدادي حيث كان المعلم يتصرف إلى التعليم، وقد واصل أبنائه إدارته بعد وفاته، إلا أنَّ الطريقة لم تنتشر قبل القرن التاسع الهجري/الخاص عشر الميلادي، وكذلك الضريح الذي يحمل اسم المعلم لم يتحوّل إلى مزار «تقوي» إلا في تلك الفترة. من المعروف أنّه، خلال تلك الحقبة، كان عدد غير يسير من متكلي الطريقة القادرية قد بلغوا في نجواهم شبه القارة الهندية وأقاموا في بيجاور في الدكن، كما في سائر أرجاء البنجاب، وبخاصة في أوّل التي ما زالت حتى اليوم مركز الأنشطة القادرية في باكستان. ومن هذه المنطقة وصل بعضهم إلى السند والبعض الآخر إلى لاهور حيث ما يزال ضريح ميان مير (١٥٥٠-١٦٣٥م) مكرّمًا حتى اليوم. إنَّ تعاليم هذا الصوفي الشهير وقعت من فلوب العائلة الملكية المغولية خير موقع، فأثّرت في الأمير دارا شكوه وشقيقته جهانارا.

شهد القرن السابع عشر ظهور الطريقة القادرية في اسطنبول حيث أسس الشيخ اسماعيل تومي، المعروف بلقب «پير ثامي»، أي «السيد الثاني»، خانقاهًا شهيرًا في طوفان. في موازاة ذلك، ازدهرت فروع في المغرب، منها الجبلية المنطوقة، وقد قام ممثلوها بدور سياسي خلال احتلال فرنسا للجزائر في القرن التاسع عشر وشاركوا في المقاومة التي قادها [الأمير] عبد القادر، وكان هذا الأخير واحدًا من زعمائهم. وفي القرن التاسع عشر كانت هذه الطريقة إحدى الطوائف التي دخلت ماليزيا، وحققت تقدّمًا مطردًا في أفريقيا السوداء حيث تمكّنت، رغم منافسة الطريقة التيجانية لها، من أن تُنشط العمل السياسي والحربي لدى عدد من الزعماء الذين أسسوا امبراطوريات الغلبة المعروفة بامبراطوريات الجهاد. وما تزال هذه الطريقة تقوم بدور كبير في القرن العشرين، ولا سيّما في ما يتعلّق بالدعوة إلى الإسلام.

القادسية (معركة)، أثار ١٥ أو ١٦هـ/٦٣٦ أو ٦٣٧م. انتصار في زمن الفتوحات الكبرى، فتح أمام الجيوش العربية - الإسلامية أبواب الأمبراطورية الساسانية، وأيضًا طريق بلاد ما بين النهرين، حيث اختلّ نظام المدافع لجيوش بزجرود الثالث.

عندئذ، وإن لم يفعل فإنها تُقبل. وإلى جانب ذلك، تتطلب أحكام المذهب الشافعي مثلاً أن يُقسم المدعي ذاته اليمين، بدلاً من غياب الدليل لديه. وعند الضرورة يمكن أن يتمثل المدعي والمدعى عليه بوكيل مفوض. وفي العالم الإسلامي الفُرُوسُطِي، كان القاضي يكلف أيضاً بتحرير أنواع عدة من الوثائق الإدارية كالعقود المتنوعة، وشهادات البيع، والإيجار، وإعتاق الرقيق، وكذلك الإفادات وأعمال الوقفية. وكان في إمكانه مراقبة كيفية إدارة أموال الوقف وأموال اليتامى ومؤسسات خيرية شتى. وكان يساعده في مهماته هذه شهود محترفون مشهود لهم بعدالتهم. وكان القاضي، رغم حيازته إقراراً بكتايبه واسع النطاق في جميع هذه الميادين، وذلك بفضل الطابع الديني لمهمته، يدخل في نظام مؤسسات قضائية تراتبية، يحتل فيها وظيفة في الدولة التي تعينه وتجري عليه راتباً.

خلال الخلافة الأُموية، كان يتم اختيار القاضي من قبل حاكم الولاية؛ وفي الفترة العباسية وفي ظل حكم أكثرية السلاطون السنية، كان الخليفة أو ولاته من السلاطين والأمراء يقومون بالمهمة. ومنذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، كان عليه أيضاً إلتزام توجيهات قاضي القضاة، وهو منصب أشأه في بغداد الخليفة هارون الرشيد، واستمر دوره في ما بعد في مختلف الدويلات التي انبثقت من الخلافة العباسية. وفي الوقت نفسه، كان قاضي القضاة يقوم بوظيفة قاضي في أحد أحياء العاصمة. في الأندلس، اعتمد ما عرف بقاضي الجماعة، كما في قرطبة. لكن يبدو أنه لم يكن له مهمات قاضي القضاة في بغداد.

في القرون الوسطى، كان القاضي يُصدر أحكاماً نافذة، لكنها كانت قابلة للاستئناف من خلال التماس يُرفع للمعالي الذي كان يرأس الهيئة القضائية المسماة زُدُ المقاليم، وكان ينتق باستقلالية إزاء رجال الفقه الذين كان يسوغ له استشارتهم في ما إذا ساورته الشكوك، لكن من دون أن يكون رأيهم بالضرورة ملزماً له. فإذا اختلفت آراؤهم عند، في هذه الحالة، إلى اختيار الرأي الأفضل في نظره. وكان القاضي، رغم توافر مساعدين لديه، منفرداً في دائرته يُصدر أحكامه استناداً إلى قواعد

صفوف طبقة التجار الأشراف من ذوي الأرومة القديمة. ومدينة قازان نفسها كانت، في ذلك العصر، تضم جامعة فيها فروع متخصصة لدراسة اللغات الشرقية. وقد أصبحت عاصمة جمهورية تاتارستان الاشتراكية السوفياتية المستقلة ذاتياً والتي أصبحت، بعد ١٩٩١، جمهورية تاتارستان المستقلة داخل الاتحاد الروسي.

◀ راجع السند رقم ٢٣

القاضي، مؤلف تابع لنسطة، ينتمي إلى الجهاز القضائي، مهمته القضاء في الشؤون المدنية والجزائية، بحيث تتوافر له إقامة نظام مطابق للشرعية بين جماعة المؤمنين.

كانت مهمة القاضي في القرون الوسطى تقضي، من جهة، ببت النزاعات بين الأفراد، استناداً إلى قواعد العدالة والإنصاف، ومن جهة ثانية، تطبيق القواعد الفقهية المقررة المتعلّقة بقضايا الأحوال الشخصية في ما يختص بالزواج والميراث مثلاً، وإنزال العقوبات الشرعية التي ينص عليها القرآن والسنة بالمذنبين. غير أنّ مهمة القاضي، في قضايا العقوبات، كانت تقتصر على إصدار الحكم المناسب، تاركاً لمفوض الشرطة أمر التنفيذ، كما كان ينزك له والمسؤول عن الجسبة أمر معاقبة كل أنواع المخالفات الأخرى.

وفي حالات النزاع كانت الأصول المتبعة تخضع لقواعد ثابتة طيلة قرون، تقوم على أسلوب خاص في البحث عن الأدلة، وهو أسلوب لا يتلاءم والذهنية القانونية المعاصرة. يقوم هذا الأسلوب على مجموعة خطوات، إذ يتعين في البدء على المدعي تقديم دعواه أمام القاضي، في حضور المدعى عليه الواجب استدعاؤه مسبقاً، فإذا اعترف هذا الأخير بصحة الشكوى (وهذا هو الإقرار)، يصار إلى الحكم في القضية. أما إذا اعترض على ما ورد فيها، فينتج عن ذلك على المدعي تقديم شهادات تدعم حجته. وإذا لم يمثل الشهود أمام القاضي، يُعطى المدعي مهلة ثلاثة أيام لاستقدمهم، ويُعرض على المدعى عليه تقديم كفالة لضمان مثوله أمام القاضي في اليوم المعين، وإذا لم يتمكن المدعي من تقديم شهود، فله أن يطلب إلى المدعى عليه أن يُقسم اليمين على براءته؛ فإذا قام بذلك، تُرفض الدعوى

كعلماء دين، لآته لا يتطلب أبداً، بشكل واضح، معارف تقنية. ولا سيما أنّ رجلاً ضحلي المعرفة شغلوه من قبل. ويروي كتاب الحوليات في هذا المجال قصة تاجر أقمشه عيّنه الوزير ابن الفرات قاضياً مكافأة له على مساعدته على الهرب بعد زوال حظوته لدى الخليفة في إحدى الفترات، ويبدو أنّ هذا التعيين شكّل خطوة حاسمة نحو انحطاط مستوى هذا المنصب، رغم تعيين رجال علم مشهود لهم، كان بعضهم من رجال الفقه الشيريين، اختيروا أحياناً من بين صفوف الوعاظ أو من الشهود المحترفين السابقين. وفي كل الأحوال، يُمكن تحديد فترة الانحطاط النهائي لوظيفة القاضي خلال القرن التاسع عشر، وقبل وقت قصير من الإصلاحات التي طالت، في الحقبة المعاصرة، المؤسسات القضائية في معظم الدول الإسلامية، وهي إصلاحات ساهمت في تحجيم إضافي لمكانة هؤلاء القضاة من النمط التقليدي، إذ انحصرت مهماتهم بذلك، في ما يتعلق بتطبيق الشريعة، في النظر في قضايا الأحوال الشخصية.

قائصوه القُوري، أو القُوري، ١٤٤٠-١٥١٦م، السلطان ما قبل الأخير للمماليك البرجية في مصر، حكم ابتداءً من ١٥٠١م، وقُتل في معركة مرج دابق الفاشلة ضد العثمانيين. شرّكتي الأصل، من مماليك السلطان قايتباي، رقي قائصوه سلّم الوظائف الحكومية بشكل طبيعي.

كان متقدّماً في السن عندما تودى به سلطاناً في ظرف أجبره على مواجهة خيانة الأُمراء المحيطين به، والأزمة الاقتصادية، وتهديدات البرتغاليين في البحر الأحمر، وطموحات العثمانيين والصفويين التوسّعية. لكنّ ذلك لم يثر قائصوه، الذي نهج سياسة عمرانية باذخة، عن الاهتمام بالتحصينات الدفاعية وتنظيم جيوشه وتحسين سلاحها، وبخاصة لجهة تجهيز مدقّعية احتياطية ووحدة مسلّحة بالبنادق، إضافة إلى سعيه للمحافظة على استمرارية حربي قادر على مواجهة ضغوطات أبرز أعدائه. وهكذا تمكّن قائصوه من إرسال حملات بعيدة لمساندة سلطان غجرات أو للمحافظة على وصاية المماليك على مكّة وعلى جنوب شبه الجزيرة العربية. وعمل أيضاً على ردّ الهجمات المتتالية من إيران

المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها. إلّا أنّ الدولة المملوكية السورية - المصرية عملت على تعيين أربعة قضاة كبار ينتمي كل واحد منهم إلى إحدى المدارس الفقهية الأربع المعترف بها.

أمّا خلال حكم العثمانيين فقد باتت تفاصيل الأجور التي كان يتقاضاها هؤلاء الأشخاص الذين يحصلون على مخفض يومي معلومة لدينا، كما كان يُسمح لهم بتقاضي بدل مباشر عن أنشطتهم بصفة الكاتب العدل. وكانت وظائفهم التي خضعت للترانجية بحسب اتّساع دوائهم، والتي تمنحهم سلطة على الشؤون العامة، مرتبطة جزئياً بسلطة شيخ الإسلام أو المفتي الأكبر في اسطنبول. وقد حلّ نفوذ هذا الأخير، في القرن السادس عشر، محلّ قضاة العسكر، الأعضاء في ديوان السلطنة، الذين توارثوا صلاحياتهم من صلاحيات القاضي الأكبر العباسي أو الأيوبي، وهي صلاحيات ازدادت منذ عهد صلاحقة الزوم. وحدث بعد ذلك أن عهد السلطان العثماني مراد الأول، سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، إلى تسمية قاضي العسكر في القضاء العسكري وفي مراقبة مجموع القضاة في آن؛ كما أنّ محمّداً الثاني أنشأ، في سنة ٨٩٦هـ/١٤٨١م، مركزاً ثانياً لهذا المنصب وكلف أحدهما بمنطقة الأناضول والآخر بمنطقة الرُّوملي.

على أنّ أهمية الدور السياسي الذي آل إلى بعض الأشخاص لم يبدل أبداً، على مرّ العصور، صورة القضاء في المجتمع، التي جنبحت إلى المزيد من الترتي. فمنذ البداية كانت المهمّات التي أوكلت إلى القضاة، والتي منحهم السلطة في المدن، تقتصر على عمليات تحكيم تفترض تمعّن الشخص الذي يقوم بها بإنسانية وحرص على العدالة، أكثر مما كانت تتطلب كفاية فقهية بالمعنى الحصري للكلمة، على أنّ رجال الفقه المحترفين كانوا يفتلّون من شأن هذه المهمّات. وبحسب المصادر القديمة، فإنهم كانوا يرفضون أحياناً كثيرة مسؤولية القيام بها. في هذا السياق، يندرج موقف أبي حنيفة الذي أدّى به رفضه هذا المنصب إلى دخول السجن. كذلك، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، اعتبر رجالات فقه من المذهب الشافعي في العراق القبول بهذا المنصب غير جدير بهم وبموقعهم

على تسميتها من حيث أنها مدينة ملكية منذ أن أسسها الفاطميون في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، بالقرب من مجتمعات سكنية سابقة لها، فاستحوذت على أمجادها وازدهارها. ارتبط مصير القاهرة، من جهة، بمصير مؤسسيها والسلالات التي خلفتهم، ومن جهة ثانية بوقوعها، في وادي النيل الخصب وعند ملتقى مصر العليا والدلتا، أي عند التقاطع المركزي والإستراتيجي لكل طرف مواصلات البلاد الداخلية والخارجية. من هنا كان النمو المستمر لهذه العاصمة التي توسعت على مر العصور حول محورها المركزي، والتي شهدت مراحل ازدهار معماري متعاقبة ألّفت سماتها الخاصة. إلا أن هذه المدينة كانت تنامت في تفاعل وثيق مع بلدة إسلامية أقدم منها، هي القسطنطينية، التي لم يتفصل تاريخ القاهرة عن تاريخها، إلى أن استوعبتها القاهرة في مجالها العمراني.

وقد أنشئت القاهرة الفاطمية بُنيْد انتصار القائد جوهر على الإخشيديين؛ وترزامن إنشاؤها مع استقرار عوائل الشيعة الإسماعيلية في مصر، وقد اضطر هؤلاء، في بادئ الأمر، للهجرة إلى إفريقية البعيدة للحصول على سلطة كانوا دائماً يأملون استعادتها في الشرق. هكذا كان إنشاء القاهرة نجسباً لمكانة هؤلاء العوائل وعظمتهم. وقد أنشئت، لأسباب عسكرية، على مسافة قريبة من القسطنطينية حيث القوات العربية - الإسلامية التي اجتاحت مصر في فترة الفتوحات الكبرى بقيادة عمرو بن العاص، في سنة ٢١هـ/٦٤٢م، نصبت خيامها على ضفة النهر أمام الحصن المسمى «بابيلون» باليونانية، وهو تحريف للإسم القبطي الأصل. وبلدة القسطنطينية - التي يبدو أن اسمها مشتق من التسمية البيزنطية «فوشانون» - امتدت على حوالى أربعة كيلومترات على طول ضفة النيل وضمت، حول مسجدها الكبير ومركز الحكومة، مجموعة أحياء خُصّصت لمختلف الجماعات القبلية، كما كانت العادة في المدن - المعسكرات التي كانت قائمة في العراق آنفاً. وقد نمت هذه البلدة، بجميع أجزائها، بسرعة؛ فأعيد بناء الجامع الكبير - المعروف بجامع عمرو حتى يومنا هذا - في أواخر القرن الأول الهجري/السابع

في اتجاه شمال سوريا. إلا أنه لم يستطع أن يقاوم ضغط الجيوش التي قادها السلطان العثماني، سليم الأول، الذي كان قد تسلّم زمام الحكم سنة ١٥١٢، في إمبراطورية كانت قد غدت سيّدة البلقان واسطنبول، والذي كان قد أحرز انتصاراً على الصفويين في جالديران في العام ١٥١٤، أدّى إلى إطلاق يده للتصرف بالشرق الأدنى. ثم توجه سليم الأول إلى البلدان العربية، فأنزل بجيوش المماليك، في آب ١٥١٦، هزيمة قاسية وحاسمة في شمال حلب فتحت له أبواب سوريا ومصر وسمحت له، في الوقت نفسه، بوضع حدّ لحكم المماليك.

قانون، جمعها قوانين، لفظة مشتقة من اليونانية، ومستخدمة في البلاد الإسلامية للدلالة على الأنظمة الموضوعية خارج إطار الشريعة والمتعلقة بالشؤون الإدارية والمالية والجزائية.

في ما مضى كان القانون إجراء يهدف إلى تطبيق الشريعة، بمبادرة من الحكّام، ازدادت أهميته في عهد العثمانيين، فبات بدلاً على قرار يمكن أن يعدل في الشريعة، لا سيما في ما يتعلّق بالشؤون المالية ونظام الأراضي. إن السلاطين العثمانيين، بخاصة ابتداء من القرن السادس عشر، أصدروا هذه الأحكام التشريعية وجمعوها في «قانون نامه»، من هنا لقب «القانوني»، أي المشرّع الذي أعطى للسلطان سليمان المعروف باسم سليمان القانوني، وفي الفرنسية بلقب سليمان العظيم، في أيّامنا الحاضرة، تعني لفظة قانون مجموعة القوانين المطبّقة في دول الشرق الأدنى، سواء كانت هذه القوانين مستوحاة من التشريع الغربي، كما هي الحال في موضوع التجارة، أو من الشريعة نفسها.

للفظة «قانون» أيضاً معنى تقني محدود: إنه يعني القاعدة المتبعة في تحديد قيمة ملكية عقارية خاضعة للضريبة، وهذا ما جعل منها مرادفاً للفظ «السجل العقاري». أمّا في بلاد البربر فإنها تعني العادات المتبعة في موضوع العقوبات.

القاهرة (جمهورية مصر العربية)، تقع بجوار القسطنطينية، عاصمة مصر منذ القرون الوسطى ومركز رمزي للإسلام، نظراً إلى حبريتها الفكرية. وقد حافظت

الرئيسية؛ وكانت تسلكهما الطوافات والعواكب الرسمية التي كانت تشكل عند خروج الملك من قصره. وكان الجامع الكبير المسمى «الأزهر» قريباً من القصر، لكن غير ملاصق له. أما الأحياء المختلفة فكانت تحدد تخونها شوارع مخططة بشكل هندسي، بعضها مخصص لسكن أصحاب الرُتب العسكرية العالية أو المدينة، وبعضها الآخر لسكن مختلف الفرق العسكرية، من البير، وكذلك من الأتراك ومن إيرانيي الذئلم. وكانت هذه الفرق تنوَّى حماية السلالة الحاكمة. وفضلاً عن ذلك، تركزت الأسواق على طول الجادة المتفرعة، لكن هذه الأسواق لم تكن تضم إلا عدداً قليلاً من الأنشطة التجارية. وإلى جانب أجهزة الإدارة والقوات المسلحة توافرت، بخاصة في الفترة الأولى للخلافة الفاطمية، العناصر الضرورية لحركة فكرية نشطة، تعود حيويتها إلى حرص الخلفاء الفاطميين الشديد على تشجيع الدعوة الإسماعيلية التي كانت في أساس نشأة دولتهم الخاصة وعلى دعم نموها. لهذا السبب كان المسجد الجامع مركزاً نشيطاً للتعليم، وبموازاة ذلك كان لاساتذة، تدفع الدولة أجورهم، يعطون دروساً في أحد القصور حيث أقيمت في ما بعد، وفي العام ٣٩٥هـ/١٠٠٥م، «دار الحكمة» التي جُهِّزت بمكتبة مهمة جداً.

منذ ذلك الوقت، وطوال حقبة فاطمية امتدت حوالي قرنين، عرفت القاهرة ازدهاراً أشاد به مدونو الوقائع، كما عرفت تحولات عمرانية متلاحقة تجسدت، بشكل خاص، في بناء الخليفة الحاكم «مسجد الحاكم» في ١٠٠٣م، خارج السور الشمالي للمدينة مباشرة، وكذلك بناء مساجد أخرى خارج المدينة وفي الضاحية الممتدة حتى المرفأ النهرى العسكري المعروف بالقصر، وأخيراً تشييد الأضرحة الفخمة جنوبي المدينة المقامة على اسم أفراد آل البيت، وبخاصة على اسم حفيد النبي محمد (ﷺ)، الحسين بن علي. أخيراً، حوالى نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، حصل توسيع بسيط في المساحة العمرانية للمدينة. ويعود هذا التوسيع إلى تعديل جزئي في أسوارها ترافق مع قيام بدر الجمالي بتنظيم مداخل

الميلادي؛ كما بُنيت أسواق مسقوفة؛ وتزايد عدد السكّان مع إقبال الأقباط - سواء منهم الذين اعتنقوا الإسلام أو الذين لم يُسلموا - على الاختلاط شيئاً فشيئاً بالعناصر العربية؛ وأخيراً عرفت القسطة إضافات عمرانية عديدة نتيجة ازدهار الخلافة العباسية التي أقام حكامها الأوائل في منطقة «المسكر» شمالي القسطة، حيث شُيّد مسجد كبير وقصر أميري وأسواق ومساكن حضرية.

بعد فترة قصيرة، أنشأ ابن طولون - الذي كان انتزع، في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، استقلاله عاصمته الخاصة شمالي منطقة «المسكر» باسم «القطائع»، وهو تعبير مشتق من الانقطاعات أي قطع الأرض التي كانت تُمنح لبعض أصحاب المقامات لبناء مكان أقامتهم. وقد عمل ابن طولون، حوالى سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م، على بناء مسجد كبير مميز - ما يزال قائماً حتى اليوم - وكذلك على بناء قصر اضمحلّت آثاره كما أنّه استحدث، أيضاً، ميدان سباق للخيول وأسواقاً. وقد دُمِّرت هذه الإنشاءات الفخمة - التي تشهد على شبه الاستقلال الذي نشط به الطولونيون، ما عدا المسجد الكبير - بعد فترة قصيرة على يد الجيش العباسي الذي استعاد السيطرة على مصر سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م. لكن أعمال التدمير الناتجة عن مثل هذه الصراعات لم تحل دون حفاظ القسطة - هذه المدينة المكتظة بالسكّان والتي قامت فيها أبنية من طبقات عدة ونمت بحركة اقتصادية كثيفة - على موقعها إلى جانب المدن الملكية التي تأسست تباعاً، كما استمرت على هذا الوضع حتى إلى ما بعد تأسيس القاهرة في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م. لكن كان من المستحيل أن تنافس القسطة لفترة طويلة القاهرة، آخر المدن الأميرية التي كانت محمية بدورها بسور بُني شمالي موقع مدينة ابن طولون، والتي كان من شأن تألقها بسرعة أخول نجم عواصم الخلفاء العباسيين.

في وسط القاهرة، قام قصر الخليفة الفاطمي الفخم رمزاً معمارياً مميزاً للمدينة، وقابله في الجهة الأخرى لأحد الأبنية قصر ولي العهد، بحيث كانت شعبتين جادة أنشئت في اتجاه شمالي جنوبي تُفضيان إلى هذه النواة

في مدن الشرق الإسلامي آنذاك؛ كما عمد آخر السلاطين الأيوبيين، في سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، إلى بناء قلعة في جزيرة الروسة مخصصة لسكن مماليكه. وكانت إحدى المدارس الدينية التي بُنيت آنذاك تقع بجوار ضريح الإمام الشافعي، وهو بناء ضخم أعيد تجديده في سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، وألحقت به بعد فترة قصيرة أضرحة بعض الملوك، منها ضريح الملك الصالح.

وفي القرن التالي تميزت سيطرة المماليك بتوسع جديد للمدينة، ثم بتشييد أبنية فخمة عديدة - كان لبعضها طابع الضخامة - تشهد على عظمة ثروة الأمراء الذين شيّدوا أكثرها. وكانت هذه الأبنية الدينية - من قاعات صلاة إلى زوايا ومدارس بوجه خاص - تجلّ أحياء المدينة المختلفة. وقد نهضت المدارس الدينية أيضاً بدور المسجد الجامع، كما هي الحال مثلاً بالنسبة إلى مدرسة السلطان حسن حوالي سنة ٧١٦هـ/١٣٦٠م. أخيراً، بلغت الأضرحة التي بُنيت تماذجها الأولى في الفترة الأيوبية مستوى معمارياً وزخرفياً مميزاً، فيما شكّلت جزءاً من مجمّعات أوسع هي المجمّعات المخصصة للمدافن. وقد أُقيمت بعض هذه المجمّعات في المدافن الواقعة خارج سور الحاضرة، كذلك المعروفة بمدافن الخلفاء والأخرى الموسومة بمدافن المماليك. واكتمل هذا المشهد الحضري الغني والمتنوع بالخانات المهيبة والمستشفيات والقصور والمقاصير الخاصة التي تقيم فيها الشخصيات البارزة من الاستقرارية الحاكمة. وترافقت هذه الحيوية العمرانية مع التنامي المستمر للسكان الناشطين وتكاثر الأحياء التي يقيمون فيها.

وعندما ألحقت مصر بالأميراطورية العثمانية، لم يتوقف هذا النمو، بل اتّخذ طابعاً مختلفاً بعض الشيء. فالولاة الذين أرسلهم السلاطين العثمانيون إليها ومن خلفهم لاحقاً من أمراء محليين شبه مستقلين، لم يقيموا أضرحة ولا مدارس دينية، بل انصبّ جلّ اهتمامهم على بناء المساجد، وأحد أهم هذه المساجد ذلك الذي بناه محمد علي في القلعة قرب قصره سنة ١٨٤٨. إضافة إلى ذلك، انتشر في الوقت نفسه ما عُرف باسم «سبيل الكتّاب»، وهي سبل ماء عامة ملحقة بمدرسة إعدادية

ضخمة محصنة - كباب النصر وباب الفتوح وباب زويلة - اشتهرت بهندستها المعمارية المميزة. وقد ضمّ جامع الحاكم إلى داخل السور الذي قام ببنائه معلّم بناء متخصص من الأرمن. وقد ظلّت القسطنطينية مركزاً تجارياً نشطاً ومتنوعاً للأعمال الحرفية، يؤمّه تجار غربيون، وإيطاليون بشكل خاص - قدموا من بيزا وألماني - حصلوا، كما في الإسكندرية، على امتياز إقامة فنادق؛ وكان هؤلاء يشترون البهارات المستوردة عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي. لكنّ القسطنطينية شهدت، في آخر هذه الحقبة، تراجعاً مفاجئاً في ازدهارها. وبالفعل، في العام ٥٦٣هـ/١١٦٨م، عمد الوزير الفاطمي آنذاك إلى إفراغ المدينة من سكانها ومن ثمّ إلى إحراقها، وذلك تخوفاً من هجوم يقوم به الفرنج الذين كانوا يهدّدون القاهرة، ولم تستكن المدينة بعد ذلك من النهوض من كبوتها. ومع ذلك، بعد فترة قصيرة، دُمج موقع المدينة بداخل السور الذي قرّر صلاح الدين إقامته لحماية الأبنية القائمة.

وقد أدّت الصعوبات الداخلية التي سبقت سقوط النظام الفاطمي في يدي صلاح الدين إلى تغييرات مهمة في موقع القاهرة، لاحقاً. فصالح الدين لم يُثمّن في قصر الخلافة، بل تركه لسكن العائلة المخلوطة، كما عزم على بناء حصن على سفح جبل المقطم لضمان أمن حكمه، لكنّ بناء هذا الحصن لم يكتمل إلا في عهد خليفته الملك العادل حوالي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م. وبحكم هذا الواقع، انتهى دور المدينة القديمة عاصمة للسلطة؛ فالقصر والمؤسسات الإدارية والثكنات العسكرية نُقلت إلى القلعة. وهذا ما أتاح للتجار إشغال المساحات التي أُفرغت بشكل سريع، ولا سيّما أنّ مدينة القسطنطينية، من جهتها، كانت قد تضررت بشكل كبير. وشهدت المرحلة الآتية إعادة ترميم جزئيّ لمحلة القسطنطين واستصلاح بعض الأراضي الواقعة في محيطها لجهة القاهرة. وبناء سور في قسمها الجنوبي، لم يكتمل العمل فيه على الأرجح. كل ذلك أعطى العاصمة الأيوبية سبيها شبيهة بالمدن السورية المحصنة التي كانت قائمة في الفترة ذاتها. وفي تلك الفترة أيضاً، تكاثرت المدارس الدينية والزوايا التي انتشرت

المحمودي الظاهري. ١٨٩٦م - ١٩٠٤م. أحد سلاطين الحقبة البريجية لمعاليك مصر وسوريا، حكم من ١٨٧٣ إلى ١٩٠٢م/١٤٢٨ إلى ١٤٢٩م.

عبد قن، أصلاً، كان ابتاعه برسياني وأعتقه جَعْفَر. إرفقى قاييتي درجات السلك العسكري. وبلغ رتبة أتاك في سنة ١٨٨٢م/١٤٦٧م، في مطلع عهد ثَمْرُغَا، ومن ثم، إثر اضطرابات متعددة، قُدِّمَتْ له السلطنة فقبلها. وخلال عهده الذي استمر مدة استثنائية قياساً على ذلك الزمان، وضع قاييتي هدفين لحكمه: أولاً مقاومة تهديدات العثمانيين والآق قيونلو. وثانياً السعي إلى تنمية الحياة الاقتصادية. نجح في أن يزوج في السجن، سنة ١٢٧١هـ، أمير أُنْجِسْتَان في الأناضول، التابع للعثمانيين. لكنه اضطر إلى مقابلة أمير الآق قيونلو أوزون حسن، وإلى التصدي لاجتياح العثمانيين لكيليكيا سنة ١٢٨٩م/١٤٨٦م. ومع أن معاهدة صلح عُقِدَتْ في العام ١٢٩١هـ، وكانت لمصلحة المماليك، إلا أن تكاليف الحرب كانت باهظة. ما دفع بقاييتي، لتحسين وضعه المالي، إلى أن يمنح التجار الإيطاليين امتيازات. ثم تسمح نتائج انتمو الاقتصادي الجديد أن تزيد موارد الدولة، وانتهى الأمر بالسلطان، في آخر عهده، إلى مضاعفة نظام الضرائب والإكثار من الرسوم الاستثنائية، في وقت أصبحت فيه مملكته ضعيفة في مواجهة تهديدات الأمبراطورية العثمانية.

القبائل أو «بلاد القبائل»، منطقة جبلية من جمهورية الجزائر الحالية، نسكها جماعات إسلامية ناطقة، في غالبيتها، بالبربرية. هذه التسمية الجغرافية الحديثة، التي ظهرت عند الرحالة الأوروبيين، إنطلاقاً من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي تقريباً، تعبّر عن حقيقة سياسية - اجتماعية قديمة جعلت من هذه الأرض الوعرة منبعاً لجماعات بربرية اعتنقت الإسلام تدريجياً، وهي تحرص على المحافظة على لغتها وتقاليدها.

في القرن السادس عشر، وفي بداية السيطرة العثمانية، كان تحالف الزواوية الكبير لا يزال قائماً، وكان الحيد من أعضائه منخرطين في القوات العسكرية الجزائرية، وهم في أصل الكلمة الفرنسية "Zouave".

كانت تقام إجمالاً على تقاطع طرق كثيرة العبور. وفي الوقت نفسه بدأت القاهرة، في القرن التاسع عشر، تتخذ طابع المدينة المصرية، فنجّهزت بأولى الخدمات البلدية، ونشأت فيها قطاعات صناعية من نوع جديد في أحياء مخصصة للمشغل، كحي بولاق الذي اشتهر بمطابعه بنوع خاص. وهذا الحي قائم منذ القرن الخامس عشر على مساحة أرض نتجت عن التحوّل البطيء لمجرى نهر النيل نحو الغرب. وقد تمّ العمل بطرائق أخرى لتوسيع مساحة المدينة، إذ إن محمّد علي، رجل الإعمار الكبير، لم يكتف بتجديد داخل القلعة، بل عمد إلى تجفيف حوض النهر في المنطقة المعروفة بالأزبكية، وشقّ شوارع جديدة ولا سيما في حي الأزهر. من بعده، أنشأ الخديوي عباس مدينة العباسية العسكرية الصغيرة التي حملت اسمه، والتي أصبحت في ما بعد ضاحية سكنية مهمة. وابتداءً من سنة ١٨٥٠، في عهد الخديوي إسماعيل باشا، تفرّعت المدينة واتخذت بعض المظاهر التي ما تزال تطبعها حتى اليوم. ويعود لإسماعيل باشا مثلاً فضل بناء حي الإسماعيلية الحديث. جذباته الواسعة تستوحا من: التنظيم المدني الأوروبي بأسلوب هوسمان (Haussmann)؛ كما تمّ أيضاً بناء جسر حديث على النيل. ومع بداية القرن العشرين - أنشئت الزمالات على جزيرة، وحي عين شمس إلى شمال المدينة - وفي الوقت نفسه كانت تُشاد في كل مكان أبنية تستوحي الفن المعماري الأوروبي. كما عملت السلطات مثلاً إلى إقامة جامعات مستقلة تماماً عن جامعة الأزهر القديمة التي ظلت مختصة بالتعليم الديني ومغلقة على العلوم الاندوسية حتى سنة ١٩٦١. واستمرّ نمو القاهرة بشكل مقدر خلال القرن العشرين - بينما كانت أحياء جديدة تظهر حتى بعد قيام الحكم الناصري في سنة ١٩٥٢ كما بُنيت القاهرة - العاصمة السياسية والإدارية لمصر - مكانتها كأكبر مركز نفدي في الشرق الأدنى العربي، إذ أضافت إلى جامعاتها ومناخها الواسعة مجمع اللغة العربية الذي أُسس سنة ١٩٣٢، وكذلك ضمّت عدداً وافداً من المؤسسات الأجنبية.

◀ راجع المستندات ٨، ١٠، ١٢، ١٣، ٢٠، ٢٥، ٤٤، ٦٣، ٦٤.

قاييتي، الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين

المميّزة داخل المجمّعات .

والأشكال المتنوّعة التي استُعملت لجعل القبة تترابط مع البناء ، ككوى الزوايا والمشاكي والأشكال الإسطوانية المنضّدة - وهي تُفضّل على المثلثات الكروية - تراعى الميل إلى التّوّع في تطوير الهيئة الخارجيّة للقبة لتكون منسجمة مع كل طراز من طُرُز البناء بحسب المناطق . إلّا أنّ الإهتمام بالقضايا التّفنّية أو التّزيينية بقي خاضعاً لقاعدة واحدة ثابتة ، وهي اللجوء إلى القبة التي تنتشر استعمالها في الوسط الإسلامي بعد نجاح بناء قبة الصخرة ، بهدف إعطاء طابع العظمة ، أو بهدف تحميل فسحة داخلية ، فيوحي وجودها بالجلال في دور العبادة وبأبهة الثّلك في القصور . فأصبحت القبة ضرورية ورمزاً لمكان الشرف داخل المسجد الجامع ، أو لقاعة خاصة داخل القصر ، هي قاعة العرش . كذلك غدت القبة ضرورة لتتّويع عدد وافر من الصروح التذكاريّة التي تبنى فوق الأماكن الموقّرة ، لا سيّما الأضرحة والقبور .

قبة الصخرة ، هي أهم صرح إسلامي في القدس ، يقع في موضع المسجد الأقصى المذكور في القرآن . وفي جوار البناء الحالي الذي يحمل الاسم نفسه - وهو الذي يعطي ، في نظر المسلمين ، للمدينة القديمة هالتها الدنيّة الفريدة .

يقع هذا البناء النفيس ، تقريباً ، في قلب فناء الحرم الشريف ، وتعلوه قبة مذقبة ما تزال تشهد حتّى اليوم على قدرة سلالة الأمويين وغناها ، وهي التي شيّدت في آخر القرن الأوّل للهجرة/ السابع للميلاد . وقد حالف الحظ هذه القبة في أن تبقى ، حتّى يومنا هذا ، في حالة جيّدة . وقد أثارَت في القرون الوسطى إعجاب الغرب المسيحي الذي صنّفها في مؤلّقاته على أنّها «هيكل داود» ، وذلك زمناً طويلاً قبل أن تُطلق عليها في أوروبا نسبة «مسجد عمر» ، نسبة إلى عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين الذي جاء ، بحسب بعض الأحاديث الشريفة ، وصلى على أنقاض الموقع المعتبر للهيكلي اليهودي القديم .

وبالفعل ، يحمل النصب تاريخاً محدّداً هو سنة ٦٩١م/ ٧٧٢م ، أي عهد الخليفة عبد الملك الذي هو

ولم تكفّ الصراعات المتنوّعة عن إضعاف السيطرة التي مارسها كل من كُتامة وصنهاجة على الناحية الشرقيّة والغربيّة لمنطقة نفوذ الزواوية . وقد أدّى زوال السلطة التركيّة وحكم اندابات إلى المساس باستقلاليّة «القبائل» التي لم تشأ الإدارة الفرنسيّة المحافظة على بنيتها ، ومع ذلك فإنّها حافظت على وجود منطقة القبائل التي استمرّت بطريقة ما بعد الاستقلال ، ولا تزال حيّة إلى أيامنا هذه .

قُبَادَاد ، موقع أثري في القسم الأوسط من الأناضول ، فيه بقايا القصر الذي بناه كِبَاد الأول ، أهمّ سلاطين سلاجقة الروم ، على شاطئ بحيرة نيشهر .

في سنة ١٢٢٤هـ/ ١٢٢٧م ، وعلى بعد مئة كيلومتر جنوبي غرب قونية ، بنى كِبَاد «مدينة ملكيّة» بغيت منها اليوم آثار مهمّة . وقد أقام فيها أيضاً كلّ من كيخسرو الثاني وكيكاوس الثاني . ثم تناقصت أهميّتها بسرعة مع هيمنة الإلخانيين المغول . وقد كشفت الحفريّات الأثريّة عن خمسة عشر بناءً ، بينها مسجد يعود تاريخه إلى سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م ، بحسب ما تشير إحدى الكتابات المنقوشة . وبين الأبنية المكتشفة بناءان ينتميان إلى القصور الملكيّة : ظلّة ذات حجم كبير ومجمّع حول إيوان كان بمنزلة قاعة للإستقبالات . وكانت جدران تلك الأبنية مُزَيّنة داخليّاً ، بمقدار طول الإنسان ، ومغطاة بمرمّعات خزفيّة اعتُبرت من أهمّ ما اكتُشف في هذا الموقع ، وذلك لتنوّع أشكالها ولخصائصها ورسومها الفنّية .

قبة ، تعبّر يُستعان به للإشارة إلى المصريح الذي تعلوه قبة ، ويكون مدفناً يُكرّم فيه أحد الأولياء ، وموضع زيارات تقويّة ، ويُقصّد أحياناً في عمليّات حجّ غير منسكية . هذا المفهوم الخاص الذي يختلط فيه مفهوم القبة والمزار ، يعلّله انتشار الأضرحة التي تعلوها القباب في العالم الإسلامي والتي تُعدّ من الأمكنة المكرّمة . ويجب ألا ننسى أنّ القبة تُعتبر ، بشكل عام ، عنصرًا بنيويّاً مهمّاً في الهندسة الإسلاميّة . ويكون بناء القبة بمواذ مختلفة ، لكن غالباً ما تُبنى بمواذ خفيفة كالخشب ، والكارفميد على الأخص . وقد استُعملت القبة في سقف المقاصير الخاصّة المنعزلة ، كما في سقف القاعات

ومِن المؤكَّد أنَّ صحت المصادر العربية المدونة الأكثر قَدَمًا أو غموضها، وكذلك الاقتضاب في الصيغة المستعملة في الكتابة الأموية، وكذلك الاقتضاب في الصيغة للدلالة على الصرح بتعبير «القبة» - التي أُضيفت إليها أدعية وآيات قرآنية ذات طابع دفاعي عن الذين - كل ذلك لا يسمح بتحديد دقيق للأسباب الدينية والسياسية في أنَّ انَّني دفعْتُ عبد الملك إلى تشييد مثل هذا الصرح. فلا أحد يعرف ما إذا كان موقعه يطابق مرجع انَّني مُحَمَّد (عليه السلام)، أي إذا كانت الصخرة تعتبر المكان الذي وطئه النبي ﷺ خلال الإسراء والذي منه، أو خلال سفر آخر، (الأحاديث الشريفة في هذا الصدد كثيرة ومتناقضة) ارتفع إلى السماء السابعة، يقوده الملك جبرائيل، على ظهر دابة خارقة تسمى «البُراق». كما أنَّ التفاصيل المتنوعة المتعلقة بالمعراج وبالوقائع المرتبطة به لم تدوَّن إلا في مؤلفات تاريخية متخصصة خلال القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وكان ينبغي انتظار النولج في صميم القرون الوسطى لتبلور وعي واضح حول القيمة الدينية لقبة الصخرة: فالحديث عنها لا يظهر إلا، بدءًا من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، في كتب تمجِّد «فضائل» القدس، وفي شهادات وردة في كتب تستعمل دليلًا للزيارات النفوثة، وأقدمها كتاب الهروي الذي يعود إلى النصف الثاني من القرن السادس للهجرة/القرن الثاني عشر للميلاد. يلي ذلك، في بداية القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، شهادات مكتوبة تدلُّ عليها نماذج إفادات زيارات تعود إلى هذه الحقبة، نُقِشت في ما بعد في صفائح خزفية من الحقبة العثمانية. تدفع هذه المعطيات إلى الظنِّ أنَّ الانقطاع التاريخي الذي تسبَّب به احتلال الفرنج الموقَّت للقدس بين سنتي ٤٩٢ و١٠٩٩/٥٥٣ هـ و١١٨٧م، تلاه مباشرة، حول قبة الصخرة التي عادت إلى المسلمين، تجمُّع قطع فنية غدت موضوع تكريم ومواقع للزيارات النفوثة، أفادت آنذاك من نسيان طقوس تكريم الألباء، وهي ما تزال محفوظة حتى اليوم.

ارتبط بمظاهر التقوى هذه رواج متزايد لموضوع المعراج، مضافًا إليه استذكار لأسماء مختلف أنبياء التوراة الذين يتحدث عنهم القرآن، بمن فيهم عيسى والدته.

مشيئة الحقيقي، رغم التحريف في النص المتقوَّش الذي أحلَّ اسم الخليفة العباسي المأمون محل اسمه. فالدقة الهندسية في بنيته هي من خصائص المعمارين الأمويين: رُواق مزدوج مثنَّ الأضلع، يضم فسحة دائرية مخصصة لموقع الصخرة ومخططة هندسيًا من خلال استعمال مناهج الرياضيات التطبيقية المعروفة في العالم البيزنطي. كذلك الزخرفة الداخلية الفخمة التي أفادت من البرونز والخشب المنقَّب، والرخام الملون على الأعمدة والتفافيح، وكسوة الفسيفساء هي أيضًا من السمات المميزة للفنِّ الزخرفي الأموي. هذه الفسيفساء، التي تستوحي الأسلوب البيزنطي، على خلفية ذهبية متأللة، ترسم تشكُّلات نباتية شجرية في أساسها أو سقفاً من النخيل وعناصر زهرية مكثرة مزخرفة بنيجان وجواهر. وتستفي كلُّ هذه النماذج روحها من الفنِّ الزخرفي الهلنستي المتأخَّر ومن الشرق الساساني. لذلك لم يزل هذا النموذج القريب لأوَّل فنِّ أمبراطوري إسلامي يشير اهتمام دراسات الاختصاصيين، إذ إنَّه يعكس في أبعاده المتوازنة كمال التخطيط المنظم، كما يعكس في بريقه الداخلي (إذ إنَّ كسوة الخزف الخزاري الخارجية تعود إلى القرن السادس عشر، إلى العهد العثماني) صلابة صمدت في وجه كلِّ جهود الترميم الضرورية المتلاحقة.

بناء على ذلك فإنَّ قبة الصخرة ليست تحفة معمارية تاريخية وحسب، بل هي أيضًا حزم فريد من نوعه في العالم الإسلامي لا مثيل له، لم تَكُزْ هيكلته في صرح آخر، حتى لو أنَّ تصميمه المركز أوحى في ما بعد تصاميم أضرحة متنوعة. وواقع الأمر أنَّ محاولة ما لم نُقَمَّ أبدًا لاستعمال تصميمه الأساسي بالطريقة نفسها، وهو يقوم على تقليد إغريقي يقضي بتعاقب المرتبعات في داخل دائرة ما، فيسهل بذلك التكامل المركزي للأحجام ويسمح بإقامة مُدخِر تقوِّي ذي أقطار خارجة عن المألوف: قبة يبلغ قطرها حوالي عشرين مترًا، ترتقي إلى ثلاثين مترًا في أعلاها فوق الأرض؛ جدران خارجية يبلغ ارتفاعها اثني عشر مترًا، إذا أضفنا إليها الدوابزون الذي تنتهي به، وهي - جميعًا تعمل على الإحاطة، حول الصخرة المقدسة، بالمسار الذي يسلكه الرُّوَّار.

قبر، قبور، هي مدافن تُؤوى فيها جثث الاموات نبأ للمعادن الإسلامية المدفنية، وتلازمها أبنية تذكارية تطوّرت تدريجيًا من شاهد إلى ضريح.

ومن المثلث أنّ حديثًا نبويًا شريفًا أوصى بجعل سطح القبر في مستوى الأرض. وكان العلماء المسلمون القادمون يُجمعون على دفن من يزُيّر القبور، وبدا هذا الأمر جليًا بقول ابن بطة، أحد حنابلة القرن الرابع للهجرة/المعاشر تلميذ: «من البدع أن يشاد بناء على قبر، أو أن يطّين جدار عليه، أو أن تُسرج دابة إليه».

ولم تلبث هذه القاعدة التي لم تتخذ صفة التحريم الإلزامي أن اهملت. منذ عهد قديم. كذلك درجت عادة جميع القبور في جبانات خارج المدن، ويمكن أن نزر. وقد درجت العادة أيضًا أن يُشار إلى موضع كل قبر بنصب تذكاري يحمل كتابات، أو علامات فارقة. بدأ بالسور البسيط أو بانباء الحجري المخروطي، وصولًا إلى التابوت الحجري وإلى الضريح. وقد تفاوت الحجم والقناعة بين ضريح وآخر.

وهكذا سهّلت عملية الإسهال أمام الأضرحة. وقد سمح بها الإسلام، كما سمح بكلّ تصرف ينه عن ورع المصلحة المتوقّ. وقد شجّع على ذلك أنباء بعض المذاهب الفقهية. إلا أنّ الحنابلة منعوا، بشكل خاص، زيارة الأضرحة، وممارسة شعائر وثنية، كالتبرّك منها مثلاً، فضلاً عن أي سلوك آخر يشبه طقوس المسيحيين. وبمرور الزمن، تطوّرت الزيارات الخفية للقبور وغدت مشروعة بإجماع الأئمة، بعد أن توسّلها ممثلو الشيعة لتكريم ذكر الأئمة العلويين. وقد توسعت في ما بعد مع انطلاق عادة تكريم الأولياء، وطالت مدافن الصوفيّين، ومدافن أشخاص آخرين استدرازا لبركاتهم. كما أنّ القبور العادية التي ما كان يجدر أن نحذّر بأنّه إنشاء أو بناء. نبأ لما كان معمولاً به في عهد النبي محمد (ﷺ)، عُمد إلى تحديد معالمها باكراً جدّاً، بحجارة مكّسة، أو بجدران من اللبن، أو بشواهد منتصبة مرتفعة الزوايا، أو بجذوع أعمدة خُفر عليها اسم المتوفي وتاريخ وفاته. كما كانت تُنقش عليها أيضاً صيغ ونصوص دينية مسئلة بمعظمها من القرآن الكريم.

فإنّ جانب «الشهادة» وبيئات أخرى هي بمثابة

هذه الأدلة المختلفة تدفع أحياناً إلى التساؤل عمّا إذا كان تقديس المسنمين لقيّة الصخرة قد بدأ في فترة متأخرة: كما تدفع إلى التساؤل عن المغزى الحقيقي لمبادرة عبد الملك. لكنّها ليست على درجة من الإقناع كما تبدو في الظاهر، أو إلى الحد الذي يريد بعضهم إضفاءه عليها في المناخ الانغمالي نسبياً للجدالات المتصلة بالتاريخ الديني للقدس في الإسلام. فالاهتمام الذي أبداه عبد الملك لجعل من قبة الصخرة صرحاً لا مثيل له - وهو يضاهي بتقنيته وحجمه الجناح اندلثي المتعجب في كنيسة القيامة - هو في ذاته معبر عن التكريم المرتبط بموقعها، وذلك في فترة كان الإسلام يرغب خلالها في استيعاب الإرث السابق للبيانات الأخرى، مع تأكيد، في الوقت نفسه، تفوّقه عليها. إضافة إلى ذلك، صار من المسلّم به عامة أنّ الجدالات الأولى حول الطبيعة الحقيقية للإسراء والمعراج قد بدأت في مرحلة مبكرة كانت، في نظر فئات، واختبارات حقيقة عاشها النبي ﷺ، وفي نظر سواها مجرد رؤى. ومن المعروف أيضاً أنّ إحياء ذكرى الإسراء، المحذّر في ٢٧ من شهر رجب، قد يكون بدأ الاحتفال به منذ عهد عبد الملك. أخيراً، بحسب بعض كتّاب الوقائع، حدث عبد الملك نفسه الرغبة في تأكيد سلطته في فترة كانت مكة في قبضة المتمرد ابن الزبير، ما شجّع القيام باحتفالات سنوية عند قبة الصخرة تتزامن مع فترة الحج. وهكذا ساعدت المعطيات والنظروف على تأمين الشهرة لهذا المركز الديني الجديد للإسلام، الذي يتكيف وطقوس الطواف كما هي الحال في الكعبة، والذي هو مثله مرتبط بذكرى قيم تاريخية، لكنّه يتخلل في فخامته الأبنية الدينية القديمة.

إنّ الأسلمة الرمزية للمجال الفارغ والمدمر الذي قام عليه في السابق هيكل اورشليم اليهودي، من خلال إقامة قبة الصخرة، يطابق من دون شك مخططاً مرسوماً يهدف إلى إبراز التنوّع الصخري المركزي الذي تمّ تأكيد ارتباطه مباشرة بفترة عظيمة من حياة النبي محمد (ﷺ)، وتالياً إضفاء صبغة إسلامية لا جدال فيها على مكان يتّمسع برصيد من الورع الديني تعود جذوره إلى ماضٍ أقدم بكثير من الإسلام.

١٢٦٧/هـ ١٢٦٧م، فرضت عليها في البداية دفع جزية؛ وفي سنة ١٢٦٣/هـ ١٢٦٣م استقرت فيها حامية عسكرية سبغها الخليفة الأموي يزيد الأول في سنة ١٢٦١/هـ ١٢٦١م. وفي سنة ١٢٦٦/هـ ١٢٦٥م، كُتبت المعاهدة المعقودة بين الأباطور البيزنطي قسطنطين الرابع والخليفة عبد الملك تقسيمها بين الأباطوريتين المسيحية والإسلامية اللتين كانت تتنازع بحريتهما السيطرة في المتوسط. لكن التفوق كان لبيزنطية التي نجحت في إعادة بسط سيطرتها الكاملة على قبرص بعد أن استعادت جزيرة كريت في سنة ١٢٥٢/هـ ١٢٥٢م.

خضعت قبرص بعد ذلك لسيطرة الفرنج بين ١٢٩٢م و١٢٨٩م. وعانت خلال هذه الفترة الاجتياح الموقت لجيوش السلطان المملوكي بؤسباي في ١٢٢٦م، ثم سيطرة البندقية ما بين ١٢٨٩م و١٢٧١م، وهي فترة شهدت فيها الجزيرة حصارًا عثمانيًا لمدنها الرئيسة بلفا من ١٢٥٢م. وفي سنة ١٢٧٣م تخلت البندقية رسميًا عن قبرص للعثمانيين الذين أخضعوا إدارتها للشرع الإسلامي وقسموها ستاق. في القرن السابع عشر، كان الأتراك ما يزالون أقلية في الجزيرة حيث كان يغطي العنصر المسيحي المحلي، فعمدت السلطة العثمانية إلى إلغاء المهيكلية الكنسية الكاثوليكية لتعترف بالطائفة الارثوذكسية وحدها، التي تمكنت بذلك من الحفاظ على تقاليدها ودورها الاجتماعي. وأدت حرب استقلال اليونان سنة ١٨٢١ إلى إدانة الشخصيات البارزة في الجزيرة وإعدامها، رغم أن مشاركة القبارصة في هذه الحرب كانت ضعيفة. إلا أن تحسنًا طرأ على الوضع في مرحلة «التنظيمات»، إذ أُعطي المسيحيون حصة أكبر في إدارة الشؤون العامة. في عام ١٨٧٨، قبيل انعقاد مؤتمر برلين، حصلت بريطانيا أخيرًا على تنازل السلطان عبد الحميد عن الجزيرة، لكنه احتفظ مع ذلك بالسيادة عليها، حيث كان يعين المفتي والقضاة. وفي معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ تخلت تركيا عن كل حق تدعيه في قبرص التي تحولت، سنة ١٩٢٥، إلى مستعمرة خاضعة للتاج البريطاني. لكن سكان الجزيرة ذوي الأصل اليوناني ظالبوا بشدة، بعد سنة ١٩٤٥، بالوحدة مع اليونان، في

إعلان واضح لمعقيدة الإيمان، نجد الآية ٢٣ من سورة التوبة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَبِإِنِّ الْغَيْبِ يُظْهِرُ عَلَى الْبَاطِنِ كَيْدَهُ. وَلَوْ كَفَرَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أو في بداية الآية ١٨٥ من سورة آل عمران، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ولا سيما سورة الإخلاص: «قل هو الله أحد» التي تؤكد وحدانية الله. إلى جانب ذلك كانت تكثر على شواهد القبور نماذج كثيرة تُكتب بخطوط مرهقة محفورة أو نائنة، إظهارًا لفهم الحروف المزخرفة نسبيًا التي كانت تتناسب أشكالها مع مثيلاتها المستخدمة في استعمالات أخرى، وتعتمد على نماذج متنوعة من الكتابة، كان الخط الكوفي المزخرف أقدمها.

ومن الواضح أن دراسة فن الخط بلغت أوجها ما بين القرنين الخامس والسابع للهجرة/ الحادي عشر والثالث عشر للميلاد، عندما عم استخدام النصب التذكارية، أو القبور التذكارية الضخمة المتوازية الجوانب والمصنوعة من خشب، أو حجارة، أو خزف، والتي كانت تقام أحيانًا داخل الأضرحة وتُترك فيها مساحات واسعة للكتابة والمزخرفين المُؤهلين زخرفتها. وفي ما بعد، استؤنف استخدام النصب التذكارية في بعض الأماكن، فجات عند العثمانيين غير تقليدية مبنية على عناصر أصلية نابعة من عاداتهم الاجتماعية السائدة آنذاك، مثل العمدة وعمرة الرأس اللتين كانتا تتوجان أحيانًا القسم الأعلى من النصب. وكانت تلك العمرات تُبرز من جديد، وبدقة متناهية، العلامات الفارقة التي كانت تميز الصوفي في حياته، بغية تحديد منزلته أو مستواه الوظيفي في التراتب الهرمي في الوظائف الرسمية العثمانية. وفي الوقت نفسه تجددت عادة إقامة معارضات تقوية أو احتفالات شعبية حول أضرحة الشخصيات المكزمة، أو في حرم القبور التي أضحت عناصر ضرورية في المشهد المدني للضواحي.

قبرص، بالتركية كَبْرِس، جزيرة تقع في المتوسط الشرقي، تعاني اليوم مشكلة تقسيمها على أسس قومية ودينية في آن، وكانت ألحقت لفترة وجيزة بالامبراطورية الإسلامية في مرحلة الفتوحات الكبرى، ومن ثم خضعت للحكم العثماني ما بين ١٥٧١ و١٨٧٨م.

اجتاحت قبرص حملة بحرية عربية-إسلامية سنة

المكان ولخط عرض مكّة، وللفرق في خطوط الطول بين المكانيين. إن العلماء الذين سعوا إلى تحديد وجهة القبلة غالباً ما توصلوا، عبر العصور، إلى أن يحددوا اتجاهاً غير دقيق، لأن حساباتهم استندت إلى معلومات جغرافية يكتنفها الغموض. هكذا ارتكبت أخطاء في تحديد الاتجاه وصُححت في زمن إنشاء المساجد القروسطية: إذا ما دققنا في بقايا بعض المساجد - ومنها، على سبيل المثال، مسجد الكُتَيْبَة في مراكش - نجد أحياناً دليلاً على ذلك.

قبيلة، قبائل، هي تجمعات بشرية مبنية على روابط عائلية وموزعة أحياناً على عشار متحدة، وأحياناً أخرى مرتبطة بأحلاف واسعة. قامت عليها بنية المجتمع العربي قبل الإسلام، كما بنية المجتمعات القبلية الأخرى التي لم يتوقف الإسلام عن مجابهتها على مدى تاريخه.

من الواضح أن الإسلام نشأ أولاً ونما في الجزيرة العربية، في بيئة تستند إلى نظام قبلي معقد. وعلى الرغم من أنه أعرض عن تخليد عادات ذلك النظام عندما أنشأ الجماعة الإسلامية الأولى في المدينة، إلا أنه نقل معه بعض مظاهره عندما بلغ انتشاره مستوى الإمبراطورية، بفضل الدينامية القتالية لمجاهدي مختلف القبائل التي كانت قد اعتنقت الدين الجديد. ندرك، والحالة هذه، أن تكون أسماء معظم هذه القبائل - التي استمرت تحالفاتها وعداوتها تؤثر على التطور التاريخي للإسلام في عصوره الأولى، بعد أن كانت قد طُبعت مرحلة ما قبل الإسلام - ظلت حية في ذاكرة الفاتحين.

وكانت القبائل التي يُعتدُّ بها، في بداية العهد الإسلامي، تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين هما: عرب الشمال وعرب الجنوب. وكان بعض أفراد هاتين المجموعتين قد بدّل مكان سكنه في عهد النبي محمد (ﷺ). وقد لعبت هذه القبائل دوراً مهماً في القيادات العسكرية خلال الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، التي تجتمع خلالها محاربوها للقيام بحملات عسكرية كُتِلت في معظمها بالنجاح. وقد شغلوا الأحياء التي حُصّصت لهم في المدن - المستعمرات الأولى. وفي الوقت نفسه لم تكف خصوماتهم التقليدية عن نسيم

الوقت الذي ظهر فيه حزب قومي تركي في الجزيرة. لكن الأمم المتحدة لم تستجب لمطلب القبارصة اليونانيين، ودفعت النزاعات والاضطرابات المتعددة ببريطانيا إلى إعلان استقلال الجزيرة سنة ١٩٥٩، وإلى إصدار دستورها في آب ١٩٦٠، مراعيةً فيه حقوق العائنين. ومن المسلم به إجمالاً أن القبارصة اليونانيين كانوا يشكلون في هذه الفترة ٧٨٪ من السكان، بينما كانت نسبة القبارصة الأتراك ١٨٪. في الواقع لم يمكن تطبيق أحكام الدستور، وأدت محاولة انقلابية، قام بها القبارصة اليونانيون سنة ١٩٧٤، إلى تدخل عسكري تركي، وإلى إعلان دولة قبرصية تركية منفصلة في الجزيرة عام ١٩٧٥. وترتب على هذه التطورات حركة تنقلات سكانية واسعة النطاق، نُكِّتْها لم نؤدَّ أبداً إلى حل لهذه المشكلة السياسية التي ما تزال قائمة حتى اليوم.

« راجع المجلدات ٨، ١٢، ١٨، ٢٠ إلى ٢٢ و ٢٦.

قِبْلَة، لفظة عربية تدلّ على عنصر أساسي في الطقوس الدينية عند المسلمين، وهو الوجهة التي يتخذها المؤمن ليؤدي صلاته؛ من هنا عبارة «أهل القبلة» التي استعملت للدلالة على أتباع الدين الإسلامي.

إنَّ التوجّه بالصلاة وَجْهَة مكّة، أو بالأحرى في اتجاه نقطة محدّدة هي الكعبة، مسألة حدّدها النبي محمد (ﷺ) في المدينة، بعد هجرته إليها بسنتين تقريباً، أي حوالي سنة ٦٢٤م. وهذا التقليد يشكّل نخلةً عن الاتجاه في الصلاة نحو القدس الذي اعتُمد سابقاً تقليداً للعادة اليهودية، والذي دام زهاء ستة عشر أو سبعة عشر شهراً.

إنَّ القبلة التي يتخذ وجهتها المقبل على أدها الصلاة منفرداً، بما في وسع من دقّة، يُشار إليها في المساجد عن طريق اتجاه الحائط في مؤخرة المسجد الذي تقابله صفوف المؤمنين ويدلّ عليه المحراب. هذا الاتجاه يتغيّر من بلد إلى آخر بحسب الجهات الأصلية الأربع: الشرق في المغرب، الجنوب في الأناضول وسوريا، الجنوب الغربي في إيران مثلاً. إنَّ تحديد الاتجاه الصحيح ينتج عن حسابات دقيقة تتعلّق بعلم الفلك الكروي وتأخذ في الاعتبار، لموضع معين، الدالة المثلثية لخط عرض

شكّل التراتب القبلي بُنية الجيوش الغازية وسطوة قادتها، سواء عند الأتراك كـالسلاجقة وورثتهم، أو في ما بعد عند المغول، كأفراد عائلة جنكيزخان وأعقابها. وعلى هذا، وأكثر من أيّة فترة مضت، فقد اعتُمدت في انتقال السلطة في الأمبراطوريات والممالك - التي قُسمت وكأُنها أملاك عادية - نُظم انتقال السلطة عند هذه القبائل وأنماطها.

لكن، وفي الوقت نفسه، كانت بدأت نظمي تدريجيًا مظاهر متعدّدة للتثاقف، ما يمنعنا من القيام بعملية تقييم دقيقة للدور الذي لعبته الروابط بين العشائر. وإنّا نهجّل إلى أيّ مدى تمازجت بعض القبائل مع السكان، أو إنّها، كما عند التركمان، حافظت على بنى قديمة أثّرت على حياة أبنائها الاجتماعية. وكانت كل غزوة تأتي من آسيا تجلب معها تأثيرات لا تلبث أن تفقد أهميتها في دولة بيروقراطية كبيرة كالدولة العثمانية، لكنّ هذه التأثيرات استمرّت فاعلة في إيران، وعادت لتظهر بعد زوال الدول المركزية التي مثلتها لفترة دولة الإيلخانيين، ثم دولة تيمورلنك، فدولتا التيموريين والصقويين.

إنّ تأثيرات مماثلة استمرّت، في آسيا الوسطى، تتحكّم بتطوّر خانات القراخانيين والأوزبكيين، فضلًا عن التحكم بالعلاقات النزاعية العابرة بفسراوة داخل البلاد التي احتلّها قبائل جديدة، والتي أصبحت في ما بعد دولة أفغانستان. وفي الوقت نفسه تمثّل ضعف البنى الحضريّة الذي شهد الشرق الأوسط منذ نهاية القرن الثامن عشر، بسبب إفقاره قاسيًا بأوروبا، بتجدد نشاط البدو الذين نهروا أطراف شبه الجزيرة العربية وسوريا والعراق وبسطوا سطوتهم عليها.

لقد تأكد، مرّة جديدة، انتصار البدو على الحضّر، واستمرّ هذا الوضع حتّى تحوّلات القرن العشرين التي خصّت العالم الإسلامي بأنماط جديدة من العيش، وبتوزانات سياسية جديدة. والمرحلة التي أعقبت تلك التحوّلات قطعت كل الصلات بالتقاليد السابقة، واحتقرت البداوة التي أخذت تزول تدريجيًا، لكنّها لم تمنح كليًا ذكرى النظام القبلي وتراتبته. ونستمرّ السلطة، غالبًا، حكرا على أسر كبرى تتمتع هنا وهناك

الحياة السياسيّة في العهد الأموي، الذي كان يستند نارة إلى فريق وطوروا إلى فريق آخر. هذا ما فعله الأمويون خلال الصراع بين بني قيس وبني كلب.

تفاخمت هذه الصراعات، بخاصة عندما أُلزم معتنقو الإسلام من غير العرب - وفي فترة لاحقة من أهل الدّمة - أن يُصبّحوا موالي لسيد كان يفضّلهم إلى القبيلة التي ينتمي هو إليها. كانت إذاً الحياة الاجتماعيّة، في القرن الأوّل للهجرة، ما تزال محكومة بنظامٍ ترانبيّ قديم يظهر تأثيره، حتّى في الأسماء التي يتخذها الممتنعون الجدد إلى المجتمع العربي - الإسلامي. وخلال العهد العبّاسي، ومع استبعاد المقاتلين العرب عن التنظيم العسكري ونكاثر عدد معتنقي الإسلام من غير العرب، بدأ هذا النظام بالإضمحلال. لم ينسب بعد ذلك الإنساب إلى القبائل العربية في الشرق إلا ابتزاعات بين بعض الزعماء الذين أسسوا محليًا إمارات شبه مستقلة كان وجودها ظرفيًّا، كإمارة الحمدانيين في بلاد ما بين النهرين العليا.

أمّا في المغرب فكان الوضع مختلفًا، لأنّ معظم السكّان كانوا من قبائل البربر الذين، بعد انتهاء الفتوحات الإسلاميّة، حافظوا على تماسكهم وإنّ انصراعات السياسيّة - الدّينية التي طبعت في ما بعد تاريخ المغرب. وقد دخلت بعض قبائلهم، مثل كتامة، في خدمة الفاطميين، وبعضها الآخر تحوّل إلى مذهب الخوارج. وما إن زال الحكم الفاطمي، كما حكم الأدارسة في المغرب الأقصى، حتّى أسّس بعض رؤساء قبائل البربر السلاطات المنتهية التي حكمت الأميراطوريات الكبرى، إلى أن وصل من جديد أشرف إلى الحكم: السعديون والمعلويون. أمّا بالنسبة إلى الاندلس، فقد استقرّت فيه عناصر من قبائل عربية، وأخرى من قبائل البربر لم تنسجم في ما بينها، ما أدّى إلى تجزئة السلطة بين مراكز إقليميّة طبعت عهد ملوك الطوائف. ووافقت محاولات لاحقة لضمّها قام بها على التوالي المرابطون والموحّدون.

واعتبارًا من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، شهد الشرق غزوات متلاحقة لقبائل رحّل قدّمت من وسط آسيا ومن مناطق أكثر بعدًا. وهنا أيضًا

للهجرة/ ١٣٩١ و ١٣٩٥ لتليلا. انتهى الأمر إلى نشوء خانات إسلامية مستقلة في قازان وإستراخان والقرم. ويعود إلى أمراء القرم المعروفين بـ«خانات غزاي»، الذين دعمهم العثمانيون، القضاء نهائياً على آخر ممثلي القبيلة الذهبية.

قُتيبة بن مُسلم الباهلي، أبو حُصَيْن، ٤٩-٩٦هـ/ ٦٦٩-٧١٥م، قائد عربي يتحدّر من أسرة ذات نفوذ في البصرة؛ والي شهير على خراسان، في عهد الخلفاء الأمويين. استطاع الاستيلاء على آسيا الوسطى في أقل من عشر سنوات.

حظي قُتيبة - وكان أبوه مقرّباً من الخليفة يزيد الأوّل - بفضل والي العراق، الحُجّاج بن يوسف، ثقة الخلفيتين الأوّلين من الفرع المرواني، عبد الملك والوليد الأوّل، فخدمهما بإخلاص. بعد وفاة حاميه وإثر تحوّل في توجّه النظام، تمزّد قُتيبة على سلطة الخليفة ولاقي حتفه في هذه المغامرة.

سُحّت له الفرصة، قبل ذلك، كي يُظهر جدارته، فأعاد تنظيم المقاطعات الشرقية التي كان قد تولّى حكمها تحت سلطة الحُجّاج، واستمال إليه بعض فئات الشعب الإيراني، وعمل على توسيع رقعة دار الإسلام. استطاع، بفضل حملاته العسكرية وحنكته السياسية، أن ينتزع من أهل الشّند مناطق ذات أهمية كواحاح بُخارى التي استولى عليها بين العامين ٨٦ و ٩٠هـ/ ٧٠٥ و ٧٠٩م. كما استولى على سمرقند سنة ٩٣هـ/ ٧١٢م. أخضع خوارزم وقادته طموحاته بعيداً، فجعل من وادي جيحون أو أَمُوقَرباً حول بلغ مركزاً ناشطاً للمنفوذ الإسلامي، كما واجه صوب فرغانة وحدود الصين غزوات، ربّما استهدفت مراقبة الخط التجاري للقوافل، الذي كان يشكّل قديماً «طريق الحرير» باتجاه الشرق الأقصى.

قُحطّان، جدّ تسمّى به عرب الجنوب أو اليمينيون من الذين وضعتهم في مواجهة عرب الشمال. العدنانيّين أو بني معدّة، عداء قديمة، وكان القحطانيّون يزعمون أنّهم من ذُرّيّة النبي مُود ويضاخرون بأنّهم يستلون العرب الأفايح.

يُذكر منهم الجُمَيزيون من أهل الحضَر، وكهلان، وتُنسب إليهم جماعات بدويّة بينها الأزد، وطية.

بامتياز اجتماعي حقيقي بفضل سلسلة نسبها. ونستشف دور هذه الأسر، ليس في الدول التي ما زالت تحكمها مباشرة كإمارات وممالك شبه الجزيرة العربية وحسب، بل أيضاً في الدول التي نشأت نتيجة ليقظة القوميات ولانتفاضاتها الشعبية حيث غالباً ما نجح أبناء هذه الأسر في أداء دور سياسي بانخراطهم في الأحزاب الجديدة.

القبيلة الذهبية (خانات)، ١٢٢٦-١٥٠٢م. ملوك مغول، ورثة سلالة الباتوقين الذين أقاموا في السهوب الروسية السيرية الجنوبية، وأدخلوا إمبراطوريتهم في الإسلام ابتداء من مطلع القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد.

هؤلاء المتحدّرون من ابن جنكيز خان البكر (جوجي) وحفيده بانو الذي نكّث باسمه سلالاتهم الأولى، بسطوا نفوذهم على إمبراطورية بدويّة غربية مركزها سُرّاي على مجرى نهر الفولجا الأسفل. بدأ التأثير الإسلامي خلال عهد بزرگ خان (٦٥٥-٦٦٥هـ/ ١٢٥٧-١٢٦٧م) الذي اعتنق الإسلام بحسب المذهب الشيعي مخالفاً الإيلخانيين في إيران الذين حافظوا على اتّهامهم الشّمني أو البوذي، وقد عقد بزرگ خان معاهدة مع مماليك مصر.

لم نعط هذه التجربة الأولى آية نتيجة، ولكنّها تجلّدت بعد بضعة عقود عندما اعتنق أوزبك خان أو غياث الدين محمد أوزبك الإسلام، وقد دام حكمه من ٧١٣ إلى ٧٤٢هـ/ ١٣١٣ إلى ١٣٤١م.

استغلّ هذا العامل انهيار النفوذ الإيلخاني عام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م، ليُجعل من القبيلة الذهبية دولة إسلامية قويّة ترتبط ثقافياً بالأناضول، وتعتمد على شعب تترّي كان قد تحوّل إلى الإسلام.

استطاعت إمبراطوريّة المغول الروسية أن تغتني، جزّاء موقعها الجغرافي الذي كان يمكّنها من بسط نفوذها على طرق قوافل آسيا الإسلامية باتجاه الشمال، ومن ممارسة سيادتها على أوروبا الشرقية، إلى حدّ جعل دوقية موسكو الكبرى تدفع لها جزية.

غير أنّ السلطة والثروة لم تحولا دون تشكّك الإمبراطورية الداخليّة، وقد سرّع هذا التشكّك التّمار الذي أحدثه تيمورلنك خلال العامين ٧٩٣ و ٧٩٧

خدم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، قال إن كل صاحب سلطة شرعية يمكن أن يخلع إن لم يحكم وفاقاً لمبادئ القرآن الكريم والسنة. فكان هذا سبباً لإعدامه في دمشق، في حين أنَّ معارضين آخرين نفههم السلطة إلى جزيرة في البحر الأحمر.

وقد أخذ بهذا المذهب الخليفة يزيد الثالث عندما تسلم زمام الحكم لفترة وجيزة عام ١٢٦هـ/٧٤٤م.

وبعد انقضاء هذه الفترة من الحيوية المثيرة للجدل، استمرت القُدْرِيَّة في مطلع العصر العباسي، في صيغ «كلامية» و«ذابت في مذهب المعتزلة الناشئ». هكذا ثلاث نهائياً هذه الحركة الفريدة التي وافقت ظروفاً تاريخياً محدداً، ربما يمكننا إيضاح رواجها بتأثير المناظرات الجدلية القائمة وقتئذ، في الوسط الإسلامي، مع مسيحيين كانوا بدورهم يدافعون عن طروحات قريبة من طروحات القُدْرِيَّة وملخصها: بما أنَّ الخطيئة لا يمكن نسبها إلى الله، ينبغي اعتبار الإنسان مسؤولاً عن جميع أفعاله، حسنة كانت أو سيئة.

القُدْرِيَّة أو حرية الاختيار، من أكثر المواضيع التي أثبتت في أثناء النقاشات التي جرت بين المدارس الكلامية المختلفة والتي أدت إلى التعمق في العقيدة الإسلامية.

الموقف السائد في هذه المسألة كان يقول إنَّ الأعمال البشرية مسيرة، أي ناتجة عن قرار إلهي سابق، فليس للإنسان حرية الاختيار، رغم تحمله تبعات أفعاله. نمتك المحافظون بهذا المفهوم القائم على معطيات قرآنية مفادها أنَّ الله كلي القدرة، يضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء، والمضئد، في الوقت نفسه، على مسؤولية الإنسان الذي سوف يعاقب أو يكافأ على أفعاله، في يوم الدين.

ثمة علماء كلام أخذوا بتفسيرات مختلفة: فأناصر القُدْرِيَّة، وكذلك المعتزلة الذين خلفوهم، حصروا تدخل الإرادة الإلهية واعتبروا بقدرة الإنسان على التحكم بأفعاله، أما الاشعرية فكان لهم موقف وسطي، إذ أقروا بأنَّ أعمال الإنسان يحددها الله بشكل مسبق، لكنَّ الإنسان يستطيع أن يكتسبها.

وهمدان، وكذلك اللُخْمِيُّون، والفساسنة [من الأزدي] وكثيرة. وقد عُرف هؤلاء بتأسيهم ممالك في المناطق السورية-العراقية قبل الإسلام. إلى الحميريين ينتسب بنو كلب الذين استولوا سوريا وناصروا الأمويين، وكذلك بنو تونخ. كما ينتسب الأوسم والمُخَزَّج إلى الأزدي، وكان قسم منهم قد استقرَّ في واحة بئر - المدينة المنورة في ما بعد - وذلك قبل هجرة النبي محمد (ﷺ) إليها.

قدامة بن جعفر، أبو الفرج الكاتب البغدادي ٢٦٠-٣٢٨هـ/٨٧٣-٩٤٠م)، عالم لغة، ناقد ومؤرخ، ينتمي إلى العصر الذهبي للعباسيين، حملت كتاباته ثقافة طبقة الكتاب الذين كانوا يعملون في دواوين الخلفاء.

كان قدامة الذي نجعل الكثير عن حياته، من دون شك، مسيحياً اعتنق الإسلام في عهد الخليفة المكتفي، وتغلغل وظائف إدارية عدَّة في بغداد قبل أن يعيَّن سنة ٩١٠م، رئيساً للكتاب في ديوان الشرق. خلف مؤلفات ذات دلالات، ما تزال ثلاثة منها محفوظة، أبرزها، لقيمت الوثائقية، «كتاب الخراج» الذي تناول فيه تنظيم الإدارة المركزية في الأباطورية. وفي مجال آخر، «كتاب نقد الشعر» الذي يقدم تحديداً فريداً لفن الشعر، إضافة إلى الاهتمام بفنون البلاغة. وأخيراً «كتاب الألفاظ» الذي يعنى بالنثر الفني، بشكل خاص.

القُدْرِيَّة، نثار فكري يرتبط بموقف ديني وسياسي في آن معاً. أُنكذ هذا المذهب، بدءاً من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد - حرية الاختيار عند الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله، مقلداً من تدخل الله في تسيير هذه الأفعال وفقاً لعقيدة «الفضاء والقدر».

يبدو أنَّ نعت «قُدْرِي» اعتُبر في ذلك الوقت محقراً وألصق بالمعارضين للحكم الأموي، لأنهم كانوا يؤمنون أنَّ الخليفة، شأنه شأن كلِّ مؤمن، مسؤول عن أفعاله. دافع عن هذه العقولة الزاهد الحسن البصري في رسالة وجهها إلى الخليفة عبد الملك، كما دافع عنها معبد الجُهني، صديق الحسن البصري، الذي شارك في ثورة ضد الأمويين، فأمر بقتله الخليفة الأموي نفسه. كما تبتأها غيلان الدمشقي، القبطي الأصل، الذي، بعد أن

شيدته الأمويون تخليداً لهذه الذكرى. ساهم تموضع هذه الأحداث الميثية منذ القديم في تدعيم سياسة تهدف إلى أسلمة مدينة القدس، عبر تشييد معابد جديدة على أيدي الأمويين الرواسيين. وقد ارتكزت هذه السياسة على دوافع دينية وسياسية لها أبعاد عميقة. إذا كان المؤرخون، في العصر الحديث، يناقشون إلى الآن مرامي هؤلاء الحكام والأهمية الحقيقية لإنجازاتهم، فيبقى من الواضح، نظراً إلى أهمية وضخامة مشروعاتهم المعماري الذي جمع، في المكان نفسه، مسجداً جامعاً واثراً تذكاريّاً في الأهمية نفسها، أنّ هذا المشروع هو بحجم طموحات هذه السلالة في امتلاك أرض قديمة مقدسة. وهنا تكمن، بالنسبة إلى الإسلام، مرحلة أوليّة في تطور مفهوم قدسية القدس الذي طغى طفلة القرون الوسطى، متوافقاً مع اهتمام متنامٍ يسعى للدفاع عن الصفة العالمية أو الشسولية للإسلام.

يتفق هذا التطور، الذي تشجعه بعض المواقف الدينية، ومنها تأملات المتصوفة وتقاربه وتأثير بعض المذاهب الدينية والممارسات الشعبية المتعلقة بتكريم الأولياء، مع ازدهار أدب متخصص في مديح القدس وفضائلها. وقد اهتمت أعمال علمية حديثة بتحليل هذا الأدب، لكن لا يمكن في أي حال دراسته بمعزل عن الأحداث التاريخية. بالطبع، حافظت القدس على أهميتها الدينية الموروثة من الأمويين، وقد عُرفت في سوريا، في القرون الوسطى، كثالث المدن المقدسة في الإسلام - رغم كونها أقل شهرةً من الأماكن المقدسة الأخرى كمكة والمدينة - إلى أن احتلها الفرنج في العام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. هذه الأهمية حوّظ عليها بطريقة ما، كجواب عن حيوية ونشاط زيارات الحج التي كان يقوم بها، باستمرار، الحجاج المسيحيون القادمون من الغرب الأوروبي. فالمدينة المتنازع عليها اعتُبرت، بالرغم من هذه الصفة، وربما بسببها أيضاً، موضعاً من فلسطين لم يكن، على عكس المدن المجاورة، كاللذرة والرملة، مغزواً لحاكم أو مغزواً إدارياً ريفياً ولم يستقطب الأنشطة التجارية والحرفية.

إنّ تطوّر القدس الديموغرافي المتواضع، مقارنة بالنموّ الواسع الذي عرفته معظم المدن السورية في عهد

القدس، أورشليم قديماً (فلسطين المحتلة - إسرائيل)، حاضرة حديثة حافظت على بقايا المدينة المقدسة عند اليهود والمسيحيين. بعد استيلاء المسلمين عليها في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، أصبحت بالنسبة إليهم، بالرغم من تاريخها المضطرب، مدينة ذات اعتبار ديني دائم. إنّ الاسم العربي «بيت المقدس» الذي أطلق عليها إبان الفتوحات الكبرى، والذي يدلّ على لفظة مستعارة من الآرامية بمعنى «بيت الهيكل»، يفترض مفهوماً من القدسية بسبب الجذر السامي «قدس» الموجود في تسمية «البيت المقدس»، وبصورة خاصة القدس. كُتبت هذه التسميات مصير القدس الإسلامي إذ إنّ، بدءاً من العام ١٧هـ/٦٣٨م، عقب انتصار أجنادين في العام ١٣هـ/٦٣٤م والبرموك في العام ١٥هـ/٦٣٦م، عدت القوّات العربية الأولى إلى ضمّ المدينة البيزنطية الصغيرة إلى الإمبراطورية الإسلامية بموجب معاهدة صلح. فالتاريخ اللاحق لهذه المدينة المقدسة التي بقيت آهلة بغير المسلمين من مؤيدي الجزية، يُختزل بشعور الاحترام الذي شعر به الفاتحون الأوائل حيال هذا الموقع والآثار المرتبطة به. في الواقع، اهتم المسلمون بصورة خاصة بالساحة المدمّرة حيث توجد بقايا هيكل هيرودس، فقرّروا أن يجعلوا منها مكاناً إسلامياً، فأطلقوا عليها اسم المسجد الأقصى، وهو اسم أخذوه من آية قرآنية (سورة الاسراء، الآية الأولى) تتعلّق بالمعراج، وقد تملّكوا إرادياً إرث الديانتين الموحديتين اللتين أكّدت الدين الجديد أنّه يخلّعهما. حصل هذا الأمر برعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي يشير مؤرخو القرون الوسطى العرب، بدءاً من الطبري، إلى الزيارة الأسطورية التي قام بها إلى المدينة والتي أُرشدته خلالها كتب الأخبار اليهودية اليمينية. واستناداً بخاصة إلى هذا الحدث، ساهمت روايات عدّة، عُرفت بالأسرائيليات، في تبرير احترام المسلمين لهذا الحرم المهيّب، من خلال ربطه بذكرى أنبياء الثوّارة الذين ورد اسمهم في القرآن الكريم، ومن بينهم عيسى [يسوع] وآلده، وكذلك من خلال البحث عن أثرٍ للمعراج، أي انتقال النبي (ﷺ) ثيلاً إلى أعلى الصخرة التي يقوم عليها اليوم مسجد قبة الصخرة الذي

المجاورة بسبب الانقسام داخل الصف الإسلامي، والنزاعات بين الامارات المتخاصمة، وابتزاز البدو، والخراب الذي بلغ ذروته مع الغزوات التي قامت بها جماعات تركية أتت بها من آسيا الوسطى اجتياحات السلاجقة.

وفي نهاية هذه الحقبة سقطت القدس، بعد أن تجاذبها السلاجقة والفاطميون في الأعوام ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م، ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م، ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، في أيدي فرنج الحملة الصليبية الأولى في ١٥ تموز ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، وعرفت نظاماً مختلفاً نتجت عنه تحولات إقتصادية وعمرانية عديدة. أصبحت القدس عاصمة المملكة اللاتينية، فاستقبلت مجموعات جديدة من السكّان ونأملت لها شروط أعطتها الأولوية، إذ أصبحت مركزاً للحكم ومركزاً دينياً وتجارياً في آن. تلاشت آثار هذا التحول بسرعة بمودة القدس إلى الإسلام التي تمت على مرحلتين: في البداية دخول صلاح الدين إليها مسلماً وبموجب صلح في سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، بعد انتصاره في معركة حطين؛ ومن ثم إعمال السلب والمجازر فيها، على يد الجحافل الخوارزمية التي اجتاحتها في سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، جاعلةً منها من جديد أرضاً إسلامية، بعد أن كان قد تنازل عنها الملك الكامل الأيوبي، في العام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، للإمبراطور فريدريك الثاني. بعد ذلك تغيرت الظروف بشكل تام. فالسلطة التي مارسها على القدس المماليك، حكام مصر، حتى ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، ومنذ ذلك التاريخ العثمانيون الذين أصبحوا أسياداً إمبراطورية تركية استمرت طويلاً، لم تبق لهذه الحاضرة إلا أمجادها السابقة. فالمدينة التي عمل المسلمون على استعادتها بالقوة، في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، أصابها الخمول بعد أن أصبحت مركزاً لقضاء عادي، تكاد لا تحيي تجمعات المدارس والخوانق التي تحيط بالحرم الشريف أو هي على مقربة منه. ومع ذلك استمر الحجاج الأجانب من جميع الطوائف في المجيء إليها. وقد ساهمت الرسوم التي كانت تُجبي من زيارة قبر السيد المسيح في تأمين متعلّقات الشعائر الدينية التي تجري في الحرم الأقصى. وقد أفادت المدينة، في

الامويين - سواء كانت مدناً قديمة ما تزال ناشطة، مثل أنطاكية وحلب ودمشق، أو مدناً أُسست حديثاً في أماكن احتلت من أجل استغلالها زراعياً، كعنجر أو قصر الحير الشرفي - لم يكن سوى ثمرة استمرارية فريدة من نوعها، لمدينة مقدّسة حافظت على شهرتها في الخارج إلى ما بعد انتقالها إلى الإسلام. هكذا تبدو الحظوة التي تمتعت بها على تناقص مع الازدهار المتواضع الذي عرفته مواردها الأخرى.

بالطبع، يشهد اكتشاف بقايا أثرية، منذ فترة قريبة، لحيّ سكني أموي، عن رغبة أسياد المدينة الجدد في تشييد مباني جميلة خارج المدينة الضيقة حيث كان يقطن اليهود والمسيحيون، وحيث فضل هؤلاء الأسياد ألا يسكنوا بأنفسهم. لكنّ Aelia الرومانية القديمة، التي أصبحت في ذلك العصر Ilya إيلياه الوارد ذكرها في بعض الكتابات الموجودة على التّصّيب الدالة على المسافات التي تعود إلى عهد عبد الملك، لم تمتنع بأي من خصائص الحواضر الإسلامية الفكرية أو الاقتصادية الناشطة. تضاءلت في ما بعد أهمية القدس تحت وطأة الفقر العام والاجتياحات الحربية التي طبعت تاريخ سوريا، اثر خضوعها للدولة العباسية، ابتداءً من العام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، انطلاقاً من العراق، وللدولة الفاطمية، ابتداءً من العام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م انطلاقاً من مصر. لم يكلف أي خليفة نفسه عناء زيارة القدس بعد زيارة المنصور في العام ٧٥٨هـ، وابنه المهدي بعد ذلك بقليل. شاع الخراب والثرورات والمجاعة في القدس، لكنّ التدفق المستمر للحجاج والمسافرين الغربيين من مسيحيين ويهود حافظ على مستوى معين من النشاط فيها. وبصورة إجمالية احترمت المباني غير الإسلامية في القدس، على الرغم من الأثر السلبي الظرفي الذي تركته، في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، سياسة الخليفة الفاطمي الحاكم الذي أمر بهدم كنيسة القيامة في العام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، ليعود ويسمح ببنائها من جديد بمساعدة البيزنطيين.

وبشكل عام، طيلة هذه الفترة من الانكفء التاريخي ومن تفتت المقاطعات السورية - الفلسطينية، تأثرت المدينة بحالة الدمار الذي ضرب بشدة المناطق

باسم الله خلال رسالته؛ وقد دُون القسم الأكبر منها بعد وفاته وشكلت أحد الأسس الرئيسة للعقيدة والشريعة، وكذلك المادة الأساسية للمعالم الدينية الإسلامية.

١ - يرى العلماء الغربيون قربي بين هذه التسمية وتعبير «قرآنا» السرياني ومعناه «قراءة الكتاب المقدسة» بينما يكفي المسلمون باعتبارها المصدر المشتق من فعل «قرأ» النوارد مرّات عدة في النص القرآني، وبخاصة في آية - هي من بين الآيات الأقدم - تلقى عبرها النبي محمد (ﷺ) الأمر التالي: «أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» [القرآن، سورة العلق، الآية ١]. في الواقع، يمكن أن تعني كلمة قرآن إما فعل تلاوة الآيات، وإما، في غالب الأحيان، مجموعة النصوص التي أعلنها النبي محمد (ﷺ) والتي جمعها الصحابة في كتاب هو «الكتاب» بامتياز، يعظم المفسرون المسلمون مثاله السماوي لدرجة أن هذا الأمر أثار جدلاً على صعيد علم الكلام في القرون الوسطى، نتيجة جهود العقلة التي قام بها مفكرو المعزلة. وظل هذا الجدل محتدماً لفترة طويلة ما بين القائلين بعقيدة «القرآن الأزلي» أو «القرآن غير المخلوق»، والقائلين بعقيدة «خلق القرآن».

يشتمل القرآن على عدد من السور تحتوي كلّ منها آيات تطابق النداءات والأوامر والقصص التي أعلنها النبي محمد (ﷺ) منذ بدايات الدعوة في مكة، حوالي السنة ٦١٠م، حتى وفاته سنة ٦٣٢م. وكان الملك جبرائيل ينقل الآيات الموحاة للنبي؛ ومن الملاحظ أن طريقة إيرادها تتغير، وأن المتكلم في بعضها غير مذكور. وفي الواقع لا ترد الإشارة إلى الملك جبرائيل إلا مرّة واحدة، في الآية ٩٧ من سورة البقرة، التي تُعزى إلى المرحلة المدنية.

شكل التسلسل الزمني باستمرار المشكلة الأساسية لتزول السور والآيات التي فُوتت في ما بعد من دون ترتيب محدد وفي ظروف لم تُضح، رغم الأبحاث التي جرت حول هذا الأمر. فبحسب العقيدة التقليدية، رأت النسخة الأولى المكتوبة للقرآن النور في نهاية عهد الخليفة أبي بكر، أي في سنة ١١٣هـ/٦٣٤م: فقد أبدى عمر بن الخطاب - أحد المقرّبين من أبي بكر والذي

القرن السادس عشر، من سخاء كبار سلاطين اسطنبول. أخيراً، أدّت تحولات أخرى برزت في بداية الفترة المعاصرة، بسبب الاهتمام الدولي المتزايد بالقرآن، إلى زعزعة ظروف انتائها السياسي للعالم الإسلامي. بدأ هذا الأمر بعد الفوضى والقمع اللذين عرفتهما المدينة في بداية القرن التاسع عشر (العام ١٨٣١)، خلال الرقابة التي أرادت مصر فرضها على القدس إبان حكم محمد علي وإبراهيم باشا. نلت هذه المحاولة الفاشلة جهود بعض القوي الأوروبية التي سعت لتحسين وضع مسيحيي القدس في ظل الإدارة العثمانية، فأُنشئت من جديد بطريركية لاتينية في العام ١٨٤٧، وازداد عدد الممثلين الدبلوماسيين وعدد الأجانب المقيمين فيها. ثم حصلت هجرات يهودية إلى فلسطين، كما حصل الانتداب البريطاني الذي جاء متضمناً، منذ العام ١٩٢٠، احتلالاً عسكرياً بدأ في العام ١٩١٧، في أثناء الحرب العالمية الأولى. منذ ذلك الحين، تطوّر وضع القدس، وتأثرت، عاماً بعد عام وبشكل مأسوي، بارتدادات التطور الانتي والإجتماعي والإقتصادي لبلد دخل في الحداثة وهو منقسم على نفسه. ازدادت حالة الفوضى بعد الحرب العالمية الثانية وأدّت، بعد رفض تدويل القدس الذي دعت إليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ١٩٤٧، إلى تغيّرات مفاجئة نتجت عن أعمال عسكرية متتالية. فُقست القدس في العام ١٩٤٩ ما بين إسرائيل والأردن بعد وقف إطلاق نار كرز سيطرة الجيش الأردني على القدس القديمة. وبعد نحو عشرين عاماً، وإثر حرب ١٩٦٧، ضمت إسرائيل الجزء العربي من المدينة وسيطرت على الضفة الغربية لنهر الأردن. إن التطور الحديث للجزء الغربي للقدس يتناقض مع التنظيم المدني القديم المحافظ عليه جزئياً في القسم الشرقي، حيث ظلّت مجمعة، داخل آثار أسوار القرون الوسطى، الأحياء الإسلامية القريبة من قبة الصخرة والحرم والتي لا تزال تتميز بأبنية دينية مملوكية وعثمانية.

« راجع المسندات ٨-١٠، ١٢، ١٣، ١٨، ٢٠، ٢٣، ٣٧، ٣٨، ٨٩، ٩٠.

القرآن، مجموعة الوحي الذي نقله النبي محمد (ﷺ)

في النص وحسب، بل أيضاً إلى آيات وسور لم ترد في التجميع الذي قام به عثمان.

كذلك، بحسب التقاليد القديمة، لم يبدأ استعمال النقاط فوق الحروف أو نحتها، في النص القرآني، للتمييز، داخل الكلمة الواحدة، بين حرفين يُكتَبان بالطريقة نفسها إلا في نهاية العصر الأموي، ثم أُضيف إليه لاحقاً نظام الحركات لضبط اللفظ. ووجب انتظار بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حيث قام ابن مجاهد (المتوفى سنة ٩٣٥هـ/٩٣٦ ميلادية) بتحديد سبع قراءات للقرآن، منسوبة إلى سبعة علماء من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، تُعتبر وحدها مرجعاً. وفي بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، تمت إدانة نسخة ابن مسعود بشكل نهائي.

وأصبحت القراءات الرسمية المعتمدة في المدن الكبرى في الخلافة، كالمدينة ومكة والفسطاط والبصرة والكوفة ودمشق، هي تلك العائدة إلى نافع المتوفى في المدينة سنة ٧٨٥هـ/٧٨٥، وابن كثير المتوفى في مكة سنة ١١٩هـ/٧٢٧. وأبي عمرو المتوفى في الكوفة حوالي سنة ١٥٣هـ/٧٧٠، وابن عامر المتوفى في دمشق سنة ١٤٥هـ/٧٦٢، وعاصم المتوفى في الكوفة سنة ١٢٧هـ/٧٤٤، وحزمة المتوفى في العراق سنة ١٥٥هـ/٧٧٢، والكسائي المتوفى قرب الرئي سنة ١٨٩هـ/٨٠٥. كما قُبلت قراءات أخرى أيضاً. ولكن، في الفترة المعاصرة، عرفت قراءتان فقط رواجاً كبيراً هما: قراءة عاصم في مصر التي استند إليها في الطبعة المصرية للقرآن سنة ١٩٢٣؛ وقراءة نافع المعتمدة في أفريقيا. وفي مطلق الأحوال، لا يمكن النظر إلى موضوع قراءات القرآن بمعزل عن الظروف التي تم ويتم فيها نسخها في كتابة عربية تعوزها الدقة.

٢ - والقرآن، كما تبرزه النسخة المصرية التي هي الأكثر رواجاً، يحتوي ١١٤ سورة متفاوتة الحجم، نشتمل كل منها على آيات يراوح عددها، بحسب السور، ما بين ٣ و٢٨٧. وبالإجمال، ترد السور الأطول في بداية الكتاب والأقصر في نهايته. إلا أنه يجب تمييز السورة الأولى «الفاتحة» التي هي صلاة، وكذلك السورتين الأخيرتين اللتين تشكلان الخاتمة واللتين تدعوان لشد العزائم.

صار خليفة بعده - فلقه من غياب عدد من المسلمين الذين يحفظون القرآن ممن قُتلوا في حروب الردة، فأقنع الخليفة أبا بكر بأن يطلب من زيد بن ثابت، كاتب النبي، جمع كل المقاطع المكتوبة أو «المحفوظة» في صدور الرجال^٢. غير أن روايات أخرى، تحتوي تفاصيل مختلفة، تنفض الرواية السالفة، لا بل إنها تؤكد أن أي نص مكتوب لم يتوافر قبل التجميع الذي تم في عهد عثمان بن عفان، ثالث الخلفاء الراشدين. من هنا نجم الموقف النقدي اللاذع لبعض العلماء الذين يؤكدون أن القرآن الذي دُوّن خلال عهد عثمان لا يعكس بالضرورة دقة الرسالة النبوية، ويكتفي علماء آخرون بالإشارة إلى أن الأحاديث النبوية مالت إلى التقليل من دور هذا الخليفة.

مهما يكن من أمر، فُرض التجميع الذي قام به عثمان نصاً رسمياً منذ بدايات الإسلام. ورغم ذلك ظلت الأستلة تُثار حوله. فبحسب الرواية التقليدية، طُلب إلى عثمان وضع صيغة رسمية للقرآن على أثر خلاف نشب بين مجموعتين كانتا تتلوانه بشكل مختلف خلال الصلوات الجماعية، فعمد الخليفة إلى تعيين لجنة ضمت زبداً وثلاثة مكتبين أوكل إليها وضع نسخ عدة للنص المكتوب بلهجة قريش، وقد حفظ عثمان نسخة في المدينة حيث مقر إقامته، وأرسل النسخ الباقية إلى المدن الكبرى في الأمبراطورية، البصرة والكوفة ودمشق؛ كما أنه أمر أيضاً بإتلاف النسخ التي كانت موجودة سابقاً، وهذا ما حصل في كل الأمكنة ما عدا الكوفة حيث حُفظت النسخة التي تلقّاها ابن مسعود. لكن هذه الرواية، كما وردت، تثير صعوبات عدة. فقد أصبح من المؤكد اليوم أن النص القرآني الذي حُوّظ عليه لا ينطبق على لهجة قريش، ما يفتح باب التساؤل عن ماهية دور اللجنة التي شكلها عثمان. ما من شك في أن النص القرآني المعمول به يعود - لناحية ترتيب السور - إلى فترة الخليفة عثمان. لكن الإلهام ظلّ محيظاً بالمحتوى، إذ إن الكلمة ذاتها تتخذ في الكتابة العربية معاني مختلفة بحسب طريقة ضبطها بالشكل، كما أن ثمة، حتى اليوم، قراءات متعددة لتلاوة القرآن تُعتبر منذ زمن بعيد شرعية. ويشير المفسرون القدماء للقرآن ليس إلى وجود فوارق مهمة

أرسلهم الله، ونفرد مكاناً مميزاً لوصف كلٍّ من النجاة ووحشهم. وتظهر خصائصها في القافية، التي تصنف عادةً في المرحلة المبكرة الثانية، وكذلك في سور أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[illegible]

(انقرآن، سورة نوح وآياتها ٢٨).

قَالَ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُنَّ [٣٥] إِنْ جِئَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلُ وَمَا نَحْنُ
بَشَيْءٍ [٣٥] قَالُوا بَلْآئِنَا أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [٣٦] قُلْ خُذُوا قُرْآنَ
مُحَمَّدٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْلَمُونَ [٣٧] كَالَّذِينَ خَرَّبُوا [٣٧] وَمَا عَلَّمْنَا
النَّصُوبَ وَالْأَنْصَارَ وَمَا يَتَّبِعُ لِمِيعٍ [٣٨] مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَكِنْ أَصْغَرْنَاهُمْ لِمَا يَكْفُرُونَ [٣٩] إِنْ يَوْمَ الْقَضَاءِ يُبْعَثُهُمْ
أَحْيَا [٤٠] يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ
يُضَرَّرُونَ [٤١] إِلَّا مَنْ تَبِعَ أَتَى إِلَهُهُ الْعَزِيزَ الرَّحِيمَ [٤٢]
فَإِنَّ شَجَرَةَ الزُّلُمِ [٤٣] تِلْكَ الْأَشْيَاءُ [٤٤] كَالَّذِينَ يَقُولُ

كُلَّهِمْ خَيْرٌ شَقِيقَةً [٥٠] قَرْنٌ مِنْ قَسْوَمٍ [٥١] بَلْ يُرِيدُ لَكُلِّ
أَمْرٍ بِهِمْ أَنْ يَدُورَ حُجْرَةً [٥٢] كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ
الْآخِرَةَ [٥٣] كَلَّا إِنَّكَ تَدْرِكُهُ [٥٤] مَتَرٌ شَذَّ ذِكْرَهُ [٥٥]
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَكُنَّ آهَةً لَهُمْ أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ [٥٦]
[الفرقان - سورة المدثر، آياتها ٥٦].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ (١) وَيَتْلُوهُ إِذْ سَمِعَ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَىٰ (٣)
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَىٰ
(٥) أَلَمْ يَعِدْكَ غَدًا يَتَذَكَّرُ (٦) وَوَعَدَكَ حَالًا فَمَهْدَىٰ (٧)
وَوَعَدَكَ غَدًا مِّثْلَ مَا وَعَدَكَ غَدًا (٨) فَلَمَّا أَتَاهُ فَلَا نَهَارَ (٩) إِنَّكَ لَمِنَ
الْمُتَكَبِّرِينَ (١٠) وَإِنَّا بِعِصْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِيثٌ ﴿١١﴾ (١١)

[القرآن، سورة الضحى، آياتها ١١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَتَمُّ يَوْمَ الْيَوْمِ (١) وَلَا أَتَمُّ بِالْبَيْتِ الْيَوْمِ (٢) أَفَئِنَّ
الْأَنْسَ كَانَ يَجْعُ بِعَاصِمِ (٣) عَلَى خَيْرِ عَمَلٍ أَلْ شَيْءُ بَعْلَهُ (٤) عَلَى رُبِّ
الْأَنْسِ يَفْعَلُ لَكُمْ (٥) بِخَلْقِ الْيَوْمِ الْيَوْمِ (٦) بِنَا رُبِّ الْيَوْمِ (٧)
وَعَفَى الْيَوْمِ (٨) وَجَعِ الْيَوْمِ الْيَوْمِ (٩) بَعْلُ الْيَوْمِ يَوْمَهُ فَرِ الْيَوْمِ
(١٠) عَلَا لَا وَدَّ (١١) عَلَى يَوْمِهِ الْيَوْمِ (١٢) يَوْمُ الْيَوْمِ يَوْمِهِ
بِنَا قَدَّمَ وَالْكَرَّ (١٣) عَلَى الْيَوْمِ عَلَى قَبْلِهِ بَعْلَهُ (١٤) وَلَا أَتَمُّ مَعْرِفَةِ
(١٥) لَا تَحْمِلُهُ يَوْمَ يَسْتَعْلِجُ بِهِيَ (١٦) عَلَى عَمَلِهِ حَسَبَ وَفَائِدَةٍ
(١٧) قَدَّمَ قَرْنَهُ الْيَوْمِ الْيَوْمِ (١٨) قَرْنُ يَوْمِهِ بَعْلَهُ (١٩) عَلَا عَلَى
يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٢٠) وَتَعْلَمُ الْيَوْمِ (٢١) وَتَعْلَمُ الْيَوْمِ (٢٢) عَلَى
يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٢٣) وَتَعْلَمُ يَوْمِهِ يَوْمَهُ (٢٤) تَعْلَمُ عَلَى يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٢٥)
عَلَا عَلَى الْيَوْمِ الْيَوْمِ (٢٦) قَبْلُ مَرَّ يَوْمِ (٢٧) وَتَعْلَمُ الْيَوْمِ (٢٨)
وَالْكَرَّ الْيَوْمِ الْيَوْمِ (٢٩) عَلَى يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٣٠) لَا سَعْدَ لَا
مَرَّ (٣١) وَتَعْلَمُ كَذَلِكَ وَتَعْلَمُ (٣٢) قَرْنُ يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٣٣)
قَرْنُ يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٣٤) قَرْنُ يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٣٥) جَعَلَ الْيَوْمِ الْيَوْمِ (٣٦)
(٣٧) قَرْنُ يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٣٨) قَرْنُ يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٣٩) قَرْنُ يَوْمِهِ الْيَوْمِ (٤٠)

[الفرآن، سورة القصص، آياتها ٤٠].

أما سور المرحلة المكيّة الثانية فيقلب عليها الطنّيع الشعري. لكنّها في الأجمال أطول وذات أسلوب أقلّ نطقاً، وهي تشدّد على «الإشارات» التي أطلقها الله في الخلق، وعلى رحمته؛ لكنها تشدّد أيضاً على العقاب الذي سيمطر بالشعوب التي لم تصغ إلى الأنبياء الذين

كان للمسلمين: حميد الله في ١٩٥٩، وسي حمزة بوبايكر في ١٩٧٢، ترجمة فرنسية خاصة بكل منهما. من جهة أخرى، تبقى الترجمة الإنكليزية الأكثر تداولاً تلك التي نشرها أ.ج. أوبري (Arberry) في ١٩٥٥؛ كما أنَّ الترجمة الألمانية الأكثر تداولاً أيضاً تبقى تلك التي نشرها بارت (Paret) في العام ١٩٦٦ وأرفقها بتفسير.

القراخانيون أو القره خانيون أو الإيلك خانات ٣٨٢-٨٠٨هـ/٩٩٢-١٢١١م، سلالة مالكة تركية مسلمة حكمت، حتى الغزو المغولي، أراضي شاسعة في آسيا الوسطى.

اعتمد علماء المسكوكات الأوروبيون، في القرن التاسع عشر، تسمية «القراخانيين» انطلاقاً من بعض العملات التي ثبت انتماء هؤلاء إلى سلالة الخانات الكبار، لكن مؤرخي الوقائع المسلمين لم يأخذوا بهذه التسمية، واكتفوا بالحديث عن الخانات. أما تسمية «إيلك - خانات» التي اعتمدها بعض علماء المسكوكات أيضاً، فليست أكثر تسويقاً. وما يزال الغموض، في الواقع، يكتنف تاريخ ونسب الفروع المختلفة لهذه السلالة؛ لكننا نستطيع القول، بصورة عامة، إنَّ القراخانيين هم أتراك ينتمون إلى مجموعة قزلوقس القليلة التي قاتل زعمائها الأوائل السامانيين. تنظم هذه السلالة، وفق نسلسل هرمي للخانات، تحت سلطة الخان الأكبر حاكم الشرق، انطلاقاً من مقر إقامته في قره أوردو، فضلاً عن خان مساعد يحكم الجزء الغربي، ويقع في كاشغر/كاشي.

يعتق القراخانيون الإسلام خلال القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد بعد احتكاكهم بالسامانيين، واتخذوا لأنفسهم أسماء إسلامية. احتل أحدهم بخارى في سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م، لكنه اصطدم بمحمود الغزنوي. وابتداءً من نهاية القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وبعد زوال دولة السامانيين، شكّل نهر آمودريا الحدّ الفاصل بين دولة الغزنويين في الجنوب ودولة القراخانيين في الشمال. بعد ذلك، ابتداءً من العام ٤٣٣هـ/١٠٤١م، انقسم القراخانيون إلى دولتين: قراخانيو الشرق الذين حكموا فرغانة الشرقية، ومنطقة شاش/طشقند، وكاشغاريا؛ وبعد أن ضعفت سلطتهم، حلّ مكانهم

المذهب الحنفي هم الوحيدون الذين سمحوا، في القرون الوسطى، باستعمال الترجمات في مثل هذه الحالة. وطُرحت المسألة مجدداً حوالي العام ١٩٢٠، عندما قررت السلطات التركية الكمالية أن تلاوة الأذان والصلاة الطقسية يجب أن تتم باللغة التركية. وفي ١٩٣٢ أكد أحد أساتذة الأزهر، من المذهب الحنفي، أنّه من المسموح للمسلمين الذين لا يعرفون العربية تلاوة النصوص الطقسية بلغتهم الأم مستعينين في ذلك بترجمات للقرآن. وقد وضعت ترجمات فارسية وتركية للقرآن منذ فترة قديمة، تعود إلى القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد؛ وفي الحقبة الحديثة، تُرجم القرآن باللغات الأوردية والصينية واليابانية ولغات إندونيسيا ولغات أفريقية مختلفة.

منذ القرون الوسطى، تُرجم القرآن باللغات الأوروبية، لكن بروح مختلفة تماماً، وأقدم هذه الترجمات الشرح اللاتيني الذي قام به روبرت دوكتون (Robert de Ketton) وأتمه سنة ١١٤٣م. بناءً على أمر بيار لوفينبرال (le Vénérable) لمحاولات ترجمة أخرى عديدة. وفي عام ١٥٤٧م، رأت ترجمة إيطانية النور، وكذلك ترجمة فرنسية عام ١٦٤٧م وضعها اندريه دي ريبير (André du Ryer). ونجد الإشارة في القرن الثامن عشر إلى ترجمات: إنكليزية وضعها سبيل (Sale)، وفرنسية لبسفاي (Savary)، وألمانية ليايبن (Baysen). ويعود الفضل في هذه الترجمات إلى هؤلاء العلماء الذين أثروا الدقّة على أمانة التعبير. كما تضاف إليها ترجمات أخرى فرنسية وإنكليزية وضعها مسلمون. وفي الحقبة المعاصرة نشر بلاشير (Blachère) في العام ١٩٥١ القرآن بالفرنسية وفاق الترتيب الزمني للآيات المنزلّة، كما ارتأى، لكنّ محاولته لم تُلز سوى نجاح محدود؛ وفي ١٩٥٧ حقّق بلاشير ترجمة أخرى للقرآن احترم فيها الترتيب الزمني التقليدي المعمول به. وتعتبر هذه الترجمة مرجعاً من الناحية العلمية، رغم أنّ ترجمة د. ماسون (Masson) التي نُشرت في العام ١٩٦٧ هي أيضاً دقيقة وتتمتع، إضافة إلى ذلك، بأمانة التعبير. وعمل جاك بيرك (Berque) بدوره، في ترجمته التي نُشرت عام ١٩٩٠، على التوفيق بين الدقّة والتعبير الأدبي. كذلك

محمود الأول	(١٠٩٧-١٠٩٩/هـ ٤٩٠-٤٩٢م)
جبرائيل	(١٠٩٩-١١٠٢/هـ ٤٩٥-٤٩٦م)
محمّد الثاني	(١١٠٢-١١٢٩/هـ ٤٩٥-٥٢٣م)
نصر الثاني	(١١٢٩/هـ ٥٢٣م)
أحمد الثاني	(١١٢٩-١١٣٠/هـ ٥٢٣-٥٢٤م)
حسن	(١١٣٠-١١٣٢/هـ ٥٢٤-٥٢٦م)
إبراهيم الثاني	(١١٣٢/هـ ٥٢٦م)
محمود الثاني	(١١٣٢-١١٣٣/هـ ٥٢٦-٥٢٧م)
إبراهيم الثالث	(١١٣٦-١١٤١/هـ ٥٣١-٥٣٦م)
علي	(١١٥٦-١١٦٠/هـ ٥٥٥-٥٥٩م)
مسعود الثاني	(١١٦١-١١٧٨/هـ ٥٥٥-٥٧٢م)
إبراهيم الرابع	(١١٧٨-١٢٠٤/هـ ٥٧٤-٦٠١م)
عثمان	(١٢٠٤-١٢٠٦/هـ ٦٠١-٦٠٣م)

القراقينلو أو القراقينلو (٧٨٢-٨٨٧٣/هـ ١٣٨٠-١٤٦٨م)

أدور الخروف الأسود، سلاطة سيطرت، في محيط بحيرة وان وأذربيجان، على مجموعة قبائل تركمانية تحمل الاسم نفسه، وقد نجحت، خلال فترة ازدهار قصيرة، في بسط سلطانها ونشاطها الحربي والتجاري على منطقة تمتد من الأناضول إلى العراق، وصولاً إلى خراسان.

أدّى ضعف الدولة الجلائرية في العراق، وهي دولة قامت على أنقاض إمبراطورية الإيلخانيين، إلى نجاح جماعات تركية بدوية متحذرة من قبائل الغز، في تحقيق انتصارات جعلتها قادرة على مواجهة اجتياحات تيمورلنك الأولى، فاستولت على تبريز، المحققة التجارية المهمة لقوافل التجارة العالمية وتلك. وقد أثنى ذلك لدولة القراقينلو موارد رئيسة، فاستطاع قوه يوسف، بعد أن كان تيمورلنك قد طرده لفترة من أراضيه، أن يؤمّن لدولته الازدهار على أثر المعارك المتواصلة والناجحة التي خاضها ضد جبراته المباشرين، الجلائريين في العراق والآق فيونلو في بلاد ما بين النهرين العليا، إضافة إلى أمراء مناطق القوقاز، مثل جورجيا وشروان بصورة خاصة. كما نجح قوه يوسف في صد هجمات التيموريين المتكررة وهجمات المماليك. هكذا ترك لخلفائه مملكة شاسعة تمتد من أذربيجان إلى ماردين فزوين بالبصرة.

بعد ذلك تابع جهان شاه الشهير سياسة قوه يوسف،

أقره ختاي غير المسلمين، فيما امتلك قراقينلو الغرب ما وراء النهر وبلاد الصغد، ومدن بخارى وسمرقند، إلى أن قضى عليهم الخوارزمشاهيون.

لم يكن للممالك القراقينلو تنظيم مركزي مشابه لنظم الممالك التركية التي نشأت في إيران. لقد بقيت بنية نظامهم قريبة من بنية نظام الاتحادات القبلية. ومع أنهم اعتمدوا التنظيمات الإدارية القائمة في البلاد الإسلامية، فإنهم شجّعوا الثقافة التركية. وفي أيامهم، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، صنف المعجمي محمود الكاشغري، بعد مغادرته بلادهم وإقامته في بغداد، مؤلفه الشهير المعجم اللغة التركية. علي بن موسى (٩-٣٨٨/هـ ٩٩٨-٩٩٩م)

أحمد الأول أرسلان قوه خاك (٣٨٨-٤٠٦/هـ ٩٩٨-١٠١٥م)
أو طوغان خان

منصور أرسلان خان (٤٠٦-٤١٥/هـ ١٠١٥-١٠٢٤م)

أحمد الثاني طوغان خان (٤١٥-٤١٧/هـ ١٠٢٤-١٠٢٦م)

يوسف الأول قدير خان (٤١٧-٤٢٣/هـ ١٠٢٦-١٠٣٢م)

قراقينلو الشرق

سليمان	(٤٢٣-٤٢٨/هـ ١٠٣٧-١٠٤٦م)
محمّد الأول	(٤٢٨-٤٤٩/هـ ١٠٥٦-١٠٥٧م)
إبراهيم الأول	(٤٤٩-٤٥١/هـ ١٠٥٧-١٠٥٩م)
محمود	(٤٥١-٤٦٧/هـ ١٠٥٩-١٠٧٤م)
عمر	(٤٦٧-٤٦٨/هـ ١٠٧٤-١٠٧٥م)
حسن/هازون	(٤٦٨-٤٩٦/هـ ١٠٧٥-١١٠٣م)
أحمد/هازون	(٤٩٦-٥٢٣/هـ ١١٠٣-١١٣٨م)
إبراهيم الثاني	(٥٢٣-٥٢٤/هـ ١١٣٨-١١٣٩م)
محمّد الثاني	(٥٢٣-٥٢٤/هـ ١١٣٨-١١٣٩م)
يوسف الثاني	(٥٢٤-٥٢٥/هـ ١١٣٩-١١٤٠م)
محمّد الثالث	(٥٢٥-٥٢٦/هـ ١١٤٠-١١٤١م)

قراقينلو الغرب

محمّد عين الدولة	(٤٣٣-٤٤٤/هـ ١٠٤١-١٠٥٣م)
إبراهيم الأول بورينجين	(٤٤٤-٤٦١/هـ ١٠٥٣-١٠٦٨م)
طغش خان	
ناصر الأول	(٤٦٠-٤٧٣/هـ ١٠٦٨-١٠٨٠م)
خضر	(٤٧٣-٤٧٤/هـ ١٠٨٠-١٠٨١م)
أحمد الأول	(٤٧٤-٤٨٢/هـ ١٠٨١-١٠٨٩م)
يعقوب	(٤٨٢-٤٨٨/هـ ١٠٨٩-١٠٩٥م)
مسعود الأول	(٤٨٨-٤٩٠/هـ ١٠٩٥-١٠٩٧م)
سليمان	(٤٩٠-٤٩٧/هـ ١٠٩٧-١١٠٤م)

البيزنطيين بعد معركة ملاذكرد/مانتيكوت في العام ١٠٧١م/٤٦٤هـ بوقت قتل - ولكنها انتقلت، عام ١١٦٥م/٥٦٠هـ من سيطرة الدانمنديين إلى سيطرة سلاجقة الروم، وأصبحت منطقة حدودية مهددة. ورغم ذلك، فقد نجحت في حماية الأراضي الإسلامية من الهجمات التي كانت تنطلق من مملكة أرمينيا الصغرى. ولكنها لم تعرف الازدهار إلا بعد قيام دولة قوية في المنطقة، أسسها، في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، أحد الزعماء الأتراك واسمه قرامان بن نورا.

أصبحت لارنده القديمة مركزاً لشهر بنشاطه الفني والثقافي برعاية أمرائها. وتطورت المدينة، رغم الخسائر التي لحقت بها على أيدي القراخانيين مراراً، وبخاصة في عامي ٦٨٧هـ/١٢٨٨م و٦٩١هـ/١٢٩٢م، ورغم انتقال مركز الحكم مؤقتاً إلى قونية في العام ٧١٢هـ/١٣١٢م. إنها لا تزال تحتفظ، من زمن القرامانيين - ببعض المنشآت التي رُمت جزئياً، مثل الضريح المعروف بضريح علاء الدين، والمدرسة الحاتونية. بيد أن منشآت أخرى، بما فيها المسجد الجامع وجزء كبير من تحصينات المدينة، دُمّرت خلال سقوطها في العام ٧٩٩هـ/١٣٩٧م في يدي السلطان العثماني بايزيد الأول بلدرهم.

عرفت مدينة قرامان الإزدهار بعد أن جعل منها تيمورلنك مجدداً مركزاً لإمارة يُنداء من العام ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، ولقد مجّدها ازدهار الأورويون كثيراً، لكن ذلك لم يمنع تعرّضها لهجمات المماليك ولحروب داخلية قبل أن تسقط في أيدي العثمانيين وتعرض للنهب في الفترة الممتدة من العام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م إلى العام ٨٨١هـ/١٤٧٦م. تحولت بعد ذلك إلى مركز لمقاطعة محلية وفقدت، بعد ١٥١٧، دورها العسكري في مواجهة دولة المماليك. أصبحت مذكاً منزلة عن خط سير القوافل والأنشطة التجارية. ولم يبق لها من الموارد سوى بعض المحاصيل الزراعية المنتجة في ضواحيها.

◀ ربيع المستنق ٢١ و ٢٧.

القرامانيون أو قرامان أوغلاري (٦٥٤-٨٨٨هـ/١٢٥٦-١٤٨٣م)، سلالة تركمانية بكونية من عصر الإمارات،

وانتهز فرصة وفاة شاه رُخ للتخلص من كل تبعية تجاه التيموريين. ولتوسيع أمراطورية تميّزت بغابلية تنظيمها العسكري والإداري، وأيضاً بغناها. تظهر الرفاهية الفنية التي كان يحلو للحاكم أن يزين بها حاضرتة في آثار تبرز المنمنمة بجامع جهان الأزرق، الذي صمد إلى حد ما مع زخرفته المكوّنة من موزاييك وخزف، في وجه الكوارث الحربية والهزّات الأرضية. وتشهد بقاياها على مدى الإنفاق الفني والطرازي الذي نلّغه هذا الإنجاز الطموح، في الوقت الذي لقي فيه جهان شاه حتفه، خلال حملة أخيرة شقها ضد الآق قويونلو، ما أنهى حكم سلانته. هكذا ضعفت، لبعض الوقت، الميول المؤيدة للشيعية التي كانت تُظهرها كل قبائل القراقاينلو والتي انتعشت في ظل هيمنة هذه القبائل. وقد تسببت هذه الميول بكثير من مظاهر الاضطراب في منطقة أذربيجان خلال القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، واستمرّت متأججة بفعل الصراعات السياسية-الدينية اللاحقة التي نشبت في المنطقة بين الصفويين، من جهة، والآق قويونلو والعثمانيين من جهة ثانية.

فره محمد نروسي (٧٨٢-٧٩١هـ/١٣٨٠-١٣٨٩م)
فره يوسف (٨٩١-٨٩٣هـ/١٣٨٩-١٤٠٠م)
(٨٠٩-٨١٣هـ/١٤٠٦-١٤٢٠م)
اسكندر (٨٢٣-٨٤٢هـ/١٤٢٠-١٤٣٨م)
جهان شاه (٨٤٢-٨٧٣هـ/١٤٣٨-١٤٦٧م)
حسن علي (٨٧٣-٨٧٣هـ/١٤٦٧-١٤٦٨م)

◀ ربيع المستنق ٢٤

قَرَامَان (الجمهورية التركية)، كانت تُعرف باسم لارنده (I.arendé)، وهي ناجية في الأناضول الأوسط، يعود اسمها إلى إمارة قرامان أوغلاري التركمانية، أو القرامانيين، وكانت عاصمتهم في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. تشرف هذه المدينة، الواقعة جنوبي قونية، على منفذ إحدى الطرق التي تخترق جبال طوروس باتجاه شواطئ المتوسط، وما تزال تظهر في المدينة الحالية بعض الآثار الفنية العائدة إلى عصر القرامانيين والتي تشهد على أهميتها الاقتصادية والإستراتيجية في العصور الوسطى.

انزعت القوّات التركية السلجوقية هذه المدينة من

أضنة الصغيرة دون انتصار السلطان العثماني بايزيد الأول على شقيق زوجته علاء الدين خليل بك وقته في العام ١٣٩٩هـ/١٣٩٧م. لكن ثقة حقبة مزدهرة كانت تنتظر، في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، دولة «فرمان الكبير» الذي كان الغربيون المسيحيون يسعون للحالف معه. كان تيمورلنك قد أطلق هذه الدولة من جديد، بعد انتصاره على العثمانيين في أنقرة سنة ٨٥٠هـ/١٤٠٢م، فأضحت، في ظل حكم تاج الدين إبراهيم، مركزاً لكل المقاومات العسكرية وعقدة لكل التحالفات الهادفة للحد من توسع الأبراطورية العثمانية. وعندما حاول القرامانيون التوسع على حساب الإمارتين الحميدية وذوي القادرية، حصلوا على دعم الآق قيونلو وأميرهم أوزون حسن، وكانوا آنذاك قد ألروا بفضل الاتفاقات التي كانوا قد عقدوها مع البنادقة.

وفي العام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، تحولت إمارة القرامانيين إلى مقاطعة عشائية، بعد الضربات التي وجهها إليها فاتح القسطنطينية محمد الثاني. وأصبح الممثلون الآخرون لهذه الأسرة أتابغا للسلطان العثماني، ولجأ بعضهم إلى حنب وبعضهم الآخر إلى القاهرة، بعد أن حرّضوا على فتن وثورات استمرت حتى عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م.

١٢٦١-١٢٥٦هـ/١٢٦١-١٢٥٦	قرمان بن مورا صوفي
١٢٧٨-١٢٦١هـ/١٢٧٧-١٢٦١	محمد الآون
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	غنيي بك
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	بلر الدين محمود
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	بلر الدين إبراهيم
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	برهان الدين موسى
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	فخر الدين أحمد
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	شمس الدين
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	سليمان بك
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	علاء الدين خليل بك
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	محمد الثاني
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	علاء الدين علي
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	تاج الدين إبراهيم
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	سحق
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	ير أحمد
١٢٧٨-١٢٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٧	قاسم

◀ راجع لستند رقم ٢٢.

أقامت سلطنتها في جنوب الأناضول الأوسط بعد انهيار سلاجقة الروم، وكانت آخر من قوام قوة العثمانيين الناصعة.

قني إنعام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، في المنطقة الجبلية اثواقية جنوبي قونية، والتي تفصل هذه المدينة عن ساحل المتوسط، وحول مناطق أرمنك، وموت، وآنامور، ولأرندة/فرمان، استقرت قبائل تركية عديدة كانت تقيم سابقاً في آران وفي منطقة سيواس الأناضولية. من هنا ولدت سلطة قرامان، مؤسس هذه السلالة وابن شيخ متصوف شهير. وتقديراً للدور الإداري والحربي النشط الذي قام به هذا الرجل، منحه السلطان السلجوقي قلع أرسلان الرابع إقطاعاً انتقل إلى أبنائه، بعد أن قُتل قرامان في مواجهة مع مملكة الأرمن المسيحية، فدافع أبناءه عن أراضيهم، ووسعوا رقعتها، على امتداد تاريخ سياسي غامض. فقد انتصروا، بعد أن تعرّضوا لهجمات الإيلخانيين والمماليك، على سائر الإمارات المعادية التي ظهرت عقب نشأت السلطة السلجوقية.

اكتسب هؤلاء الأمراء الذين لا تعرف أسماءهم جيداً، كما لا نعرف الممتلكات الخاصة بكل منهم خلال انطلاقتهم في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، أهمية خاصة، بعد أن نجحوا في بسط سيادتهم على قونية، واستبدلوا، في الإدارة والبلاط، باللغة الفارسية السائدة آنذاك، اللغة التركية. في مواجهة السلطة المتنامية للعثمانيين الذين مارسوا الجهاد في أوروبا واستولوا على اليبلقان، أصبح القرامانيون المدافعين عن الإرث السلجوقي التقليدي، إقتصادياً وثقافياً. وقد ساعدتهم في ذلك توسّتهم في قلب الأناضول. وقد عبّروا عن ازدهار هذا الإرث بفهمهم الذي مارّلت تذكر به الآثار القليلة الموجودة في أرمنك وموت، وخاصة في العاصمة المتألفة لأرندة التي عُرفت في ما بعد باسم قرامان.

لم تحل الثروة والمفعالية الإستراتيجية له حاكم جبال الروم في نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي - التي سمحت له بمضايقة انشداد الديلوماسي، أو على العكس بإظهار العدائية تجاه حكّام القاهرة المماليك وتجاه الرمنضانيين، حكام إمارة

انصاره أعداء للإسلام، ووُضع في موضع الاتهام الوزير علي بن عيسى لأنه عقد معهم هدنة.

وقد بلغت الجراءة بالقرامطة أن هاجموا الحرم المكي، وانتزعوا سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، الحجر الأسود من الكعبة. وقد ادّعى أبو طاهر أنه يعمل بحسب تعاليم الإمام المخفي، ولكنه عقد، في النهاية، إتفاقاً مع السلطات العباسية في العام ٣٢٧هـ/٩٣٩م، وبعد موته في العام ٣٣٢هـ/٩٤٤م، أظهر خلفاؤه ليونة، ووصل بهم الأمر إلى إعادة الحجر الأسود سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م.

لم يعضي زمن حتى دخل القرامطة في صراع مع الفاطميين الذين استقروا في مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، ولم يشاطروهم العقيدة. تبع ذلك عدد من العمليات العسكرية في فلسطين، ثم اتفاق اعترف القرامطة بموجبه بسيادة الخليفة الفاطمي العزيز. وفي أواخر القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، بدأ تفكك الجماعة القرامطية في البحرين، قبل زوالها في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد.

أظهرت دولة القرامطة، قبل ذلك، فداة أكيدة وقرت لها الشهرة التي نعمت بها لفترة طويلة. غير أنها لم تقب بالورود التي قطعها على نفسها في الحد من الظلم الاجتماعي؛ فهي لم تضع تصوراً لأي برنامج في هذا المجال، ولم تتجاوز إنجازاتها محاولات، ظلت يتيمّة، لنحويل الأراضي إلى ملكيات جماعية.

يبدو أن القرامطة الذين كانوا ينتظرون عودة محمد ابن اسماعيل والذين تبوّأوا الرؤية الكونية للداعية الإيراني الشيعي، تمكنوا من تطبيق نظام سياسي خاص. لقد أنشأ أبو سعيد مجلساً يضم أبرز موثقّي الدولة لاتخاذ القرارات المهمة، وكان أعضاء هذا المجلس يشعرون عموماً إلى عائلة المؤسس؛ ورغم الأحداث العديدة، كان المجلس ما يزال قائماً في مطلع القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، بعد أن مارس أبو طاهر وأشقائه السلطة داخل المجلس بشكل جماعي، ولكن خلال حكم أخفاد أبي سعيد الذين خلفوهم، تزايدت الانشقاقات الداخلية.

قام ازدهار دولة القرامطة على الأنشطة التجارية المتوافرة في المنطقة، وبالتحديد على الضرائب

القرامطة، أتباع أحد فروع الإسماعيلية، قاموا بأعمال تمرد ضد سلطة الخلفاء العباسيين في سوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية، ابتداء من أواخر القرن الثالث وخلال القرن الرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد.

إن تسمية القرامطة، بحسب رأي مدوّني الوقائع، أطلقت على أتباع حمدان قرظط الذي كان رئيساً إسماعيلياً من منطقة الكوفة. يظهر أن مجموعة أتباعه ظلت مؤيدة لمحمد بن إسماعيل على أنه المهدي المنتظر، ويبدو أنها، لهذا السبب، تمردت في العام ٢٨٦هـ/٨٩٩م على السلطات الإسماعيلية في السّلمية ورفضت الاعتراف بمهدي الفاطميين في ما بعد، عبيد الله المهدي.

بُعيد ذلك، في مطلع اقرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، عمل رجل يدعى زُكرويه مع ابنه على استقطاب بدو بني كلب، ثم تحرك أحد المشايخين الملقب بإرجل الناقة وقاد سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م حركة القرامطة؛ ادّعى أنه من ذرية محمد بن إسماعيل المذكور سابقاً وحاصر دمشق، ولاقي حتفه خلال ذلك. ثم خلفه آخر، زعم أنه المهدي، وزرع الرعب في عدد من مدن سوريا، وسك نقوداً باسم المهدي، غير أنه ما لبث أن وقع في أيدي الجيوش العباسية، فأعدم في بغداد سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م. وتكاثر عدد منبري الفتن الذين كان زُكرويه يرسلهم إلى مختلف المناطق؛ فنهب القرامطة مدن سوريا الجنوبية، وهاجموا الكوفة في العراق، وجردوا حملات ضد حركة القوافل. غير أن زكرويه جرح في العام ٢٩٤هـ/٩٠٧م، وتوفي بعد قليل من إصابته، وهكذا انتهت الاضطرابات في سوريا والعراق.

وشتت جماعات أخرى تنتمي إلى القرامطة قامت من جهتها، من دون نجاح يُذكر، بأعمال في إيران واليمن، إلى أن تمكن أحدهم، ويدعى أبو سعيد الجبائي، موفناً من قبيل حمدان، من التزوّن في البحرين، على الشاطئ الشرقي لجزيرة العرب، في العام ٢٧٣هـ/٨٨٦م، وخلفه، بعد اغتياله سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م، ابنه ويدعى أبو طاهر. قاد هذا الأخير سلسلة من الغزوات المسلحة على العراق الجنوبي، فنهب مدينتي البصرة والكوفة، وانقض على قوافل الحج، وهدد بغداد حيث اعتُبر

بسلطة المسلمين. وفي سنة ١٠٦٤/٥٤٥٦م، دخلت تحت سيطرة السلطان السلجوقي أتب أرسلان، ثم تنازعتها الأيدي إلى أن تغلب عليها الجورجيتون سنة ١٢٠٣/٦٠٣م. وقد ضمها المغول إلى أمبراطوريتهم باعتبارها جزءاً من جورجيا، وخزنها بعد ذلك تيمورلنك. أعيد بناء المدينة على أيدي أسرة محلية سنة ١٥١٥/٨١٢م، ووقعت سنة ١٥٣٤/٩٤١م في أيدي العثمانيين الذين جعلوا منها محطة متقدمة خلال صراعهم مع الصفويين.

وبحكم موقعها الدفاعي على سفح جبل بركاني - وهذا الموقع لا يزال يسترعي الانتباه حتى في العصر الحاضر - أصبحت قرص، في القرنين التاسع عشر والعشرين، مجال صراع بين الروس والعثمانيين، ثم بين القوميين الأرمن والجيوش التركية في أواخر الحرب العالمية الأولى. وكان الروس قد ضتبوا إلى دولتهم سنة ١٨٧٨، ثم أعيدت إلى الأمبراطورية العثمانية سنة ١٩١٨، واسترجعها الأرمن سنة ١٩١٩، وأخيراً دخلتها الجيوش التركية سنة ١٩٢٠. إنها اليوم مدينة في حالة تطوّر وازدهار، كونها مركز مقاطعة تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة أنزوروم.

القرض بالفائدة، ممارسة مالية محرمة في الإسلام، منذ بدايته، عُرفت باسم الربا، طبعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلدان الإسلامية حتى يومنا هذا، رغم المحاولات المختلفة للتكثيف معها.

إن القرض بالفائدة محرم صراحةً في الآيات القرآنية ٢٧٦ إلى ٢٨١ من سورة البقرة المعروفة بـ «آيات الربا»، نضاف إليها الآية ١٣٠ من سورة آل عمران وهذا نصها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْرِضُونَ﴾.

في ما بعد حرم الربا، بصورة مطلقة، جميع الفقهاء. إلا أن ذلك لم يمنع قيام ممارسات «ربوية» استنكر بعض المؤلفين تكرارها. فقد اعتُمدت وسائل تهرب من التحريم، أكثرها تداولاً كان البيع الوهمي المزدوج: يشتري المستدين من الدائن شيئاً يعود لبيعه إياه بعد فترة يسعر أرخص، ويعمل الفرق فائدة المبلغ المستدان. من ناحية أخرى، كانت لغير المسلمين،

والرسوم الجمركية التي كانت تدفعها السفن التي تستخدم الممرات البحرية في الخليج العربي - الفارسي. كانت هذه الرسوم، شأنها شأن سائر الإيرادات - مثل رسوم الحماية التي تسدها قوافل الحج - تدرّج على ذمة أبي سعيد. كان هذا النظام ناجحاً لدرجة أنه أثار إعجاب عدد وغير من الزائرين من غير القرامطة، على الرغم من أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو أكد أن «القرض الإسلامي الأساسي التي توجيهها الشريعة كانت قد ألغيت في دولة القرامطة».

أبو سعيد الحسن الجاثي	٢٨١-٣٠٠/٨٩٤-٩١٣م
أبو القاسم سعيد	٣٠٠-٩١٣/٣١١-٩٢٣م
أبو طاهر سليمان	٣١١-٩٢٣/٩٤٤-٩٢٣م
أبو منصور أحمد	٣٣٣-٩٤٤/٣٦١-٩٧٢م
أبو يعقوب يوسف	٣٦١-٩٧٢/٣٦١-٩٧٧م

«راجع المستند رقم ١٢».

قَرَّة بن شريك، ٩-٩٠هـ/٩-٧١٤م، والي مصر من ٩٠ إلى ٩٦/٧٠٩هـ إلى ٧١٤م، في زمن الأمويين، خلال خلافة الوليد بن عبد الملك، أكثر ما اشتهر به قرة هو حفظه لمجموعة من المخطوطات البردية التي عثر عليها في الأرض المصرية. وقد أدت دراستها من قبل المؤرخين الغربيين إلى رسم صورة لهذا الرجل أنصع من تلك التي تظهر في مؤلفات الوقائع التي تعود إلى عهد العباسيين. عُني قرة بتطوير الزراعة بعد المحاجة التي سادت في عامي ٨٦-٨٧/٧٠٥-٧٠٦م، وحسن وضع الأراضي المهملّة وأنشأها. كما جاهد للحوزون دون نزوح الفلاحين إلى المدن، وفرض على الأقباط الذين اعتنقوا الإسلام أن يواصلوا دفع الجزية. كذلك أعاد تنظيم الدواوين، وأفسح في المجال لتوظيف العرب فيها، في زمن غدت فيه اللغة العربية اللغة الرسمية للإدارة الجديدة.

قُرص (الجمهورية التركية)، مدينة تقع شرقي الأناضول أدت دوراً إستراتيجياً بقي مميّزاً حتى العصور الحديثة، وهي اليوم غير بعيدة عن الحدود المشتركة بين تركيا وجمهورية أرمينيا وجورجيا.

بعد الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، كانت مدينة قُرص تنتمي إلى أرمينيا القديمة التي اعترفت

خضعت للسيطرة الإسلامية من سنة ٩٣هـ/٧١١م حتى سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م؛ وفيها بقايا أثرية تعود إلى هذه الحقبة وتشكل شاهداً على موقعها عاصمة شهيرة للأندلس، خلال فترة حكم سلالة أمويي الغرب المعروفين أيضاً بأمويي قُرْبَة.

تقع قُرْبَة على ضفاف نهر «غواذيكثير» (وهو نهر يشق اسمه الإسباني من التعبير العربي «الوادي الكبير»)، وفي قلب مقاطعة الأندلس الحنابلة. كانت قُرْبَة، في ما مضى، مركز مقاطعة البشك الرومانية؛ لكنها كانت قد فقدت أهميتها عندما احتلها طارق في سنة ٩٣هـ/٧١١م، في مرحلة الفتح الكبري العربي الإسلامية. وبعد فترة وجيزة، جعل منها الحاكم الجديد عاصمة للمقاطعة بدلاً من إشبيلية، وأعيد ترميم أسوارها، وكذلك جسرهما الروماني الذي كان يترّس فوق النهر ويؤمن العبور المباشر للتجارة الآتية من الشمال. وفي سنة ١٢٨هـ/٧٥٦م، مع وصول الأمير الأموي عبد الرحمن الأول، دخلت قُرْبَة في مرحلة ازدهار لا مثيل لها، استمرت حتى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، وساحت للمدينة بالإفادة من مزاياها منقطة طرق تجارية واستراتيجية تتركز فيها كل القوى الحية للمملكة الجديدة.

وبحسب المؤرخين، تمّ في العام ١٧١هـ/٧٨٧م تحويل كاتدرائية قُرْبَة إلى مسجد جامع وشيّد في مقابلته قصر الأمير. يميّز هذا المسجد - الذي أنجز إعداده في عهد هشام الأول - حتى اليوم، بنسقه الهندسي القائم على صفوف أعمدة تحمل نيجاناً من رخام وعلى أنظمة عقود متراكبة. وقد فرضت الحاجة تكبيره سريعاً نظراً إلى تزايد عدد السكّان المسلمين. وأخيراً، جهر الحكم الثاني أمام محاربه قبلاً مكسوة بفسيفساء جعلت منه أجمل نموذج للمقصورات الضخمة التي عرفتها نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. من جهة ثانية، كانت الأسواق تتراحم في حواض المسجد في اتجاه الباب الغربي للأسوار، كما هي الحال في مدن عديدة أخرى.

هكذا عرفت قُرْبَة، منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، نموّاً مشهوداً. وفي سنة ٢٠٣هـ/

اليهود والمسيحيين، حرية التعايش بالأعمال المالية. في بداية القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، كان في العاصمة العباسية بغداد صياغة يهود، تحضّل لهم من الثروة ما كان يكفي لإفراض الخليفة نفسه بالغ ضخمة بغالدة غير مرتفعة، على ما يبدو. وهناك نتائج أخرى لتحرير الرّبا جرى تخفيف وقعها بممارسة «المضاربة» وهي عقد مسموح به من شأنه السماح بالمشاركة في أرباح شركة تجارية معينة.

في الزمن الحاضر، انتشر الفرضي بالغالدة غير الربوية تلبية لحاجات الواقع اليومي، وأنشئت مصارف ناشطة حالياً في العالم الإسلامي، وقد شُج بذلك بناء على فتوى أصدرها الإصلاحي محمد عبده في مصر عندما شرّع، في سنة ١٩٠٣، للأفراد إيداع أموالهم في صناديق توفير في مقابل مكافأة. منذ القرن التاسع عشر لجأت الدولة العثمانية في أواخر أيامها إلى الاستدانة، وقد حدّد قانون صادر في العام ١٨٨٧ نسبة القاندة المسموح بها بـ ٩ بالمئة.

إنّ الممارسات المصرفية أخذت اليوم في التطوّر في أنحاء العالم الإسلامي كافة، ورغم استمرار بعض الدول، مثل باكستان - بموجب دستورهما الصادر في ١٩٥٦ - والمملكة العربية السعودية، في النظر إلى تحريم الرّبا على أنّه هدف جوهرية لأنظمة الإسلامية. في معظم البلدان، يحاول النظام المصرفي المُستوحى من النظام الغربي فرض الاعتراف بمشروعيته بمختلف الوسائل. بصورة عامّة، تعتبر المصارف المسماة إسلامية القاندة التي تؤدّي، إمّا مكافأة لخدمة وإمّا مشاركة في الأرباح المحققة، في هذه الحال، يكون المصرف شبيهاً بشركة نوصية، وفقاً لطبيعة عقد وافق عليه رجال الفقه في القرون الوسطى، ويُعتبر زبائن المصرف «شركاء». من ناحية أخرى، أفتى مفتي مصر سنة ١٩٨٩، لمصلحة إصدار سندات استثمار، وهذا يُعتبر وجهاً من وجوه الاستدانة بالقاندة. أخيراً، تجتهد جمعية للمصارف الإسلامية، منذ بضع سنوات، في تنسيق الفتاوى المتعلقة بالمعاملات المصرفية وفي توحيد طرائق إجرائها في البلدان الإسلامية.

قُرْبَة (إسبانيا)، مدينة في جنوب شبه جزيرة إيبيريا.

يتسبب، كما يدلّ على ذلك إسمه، إلى أسرة عربية من قرطبة، زعمت أنها من ذرية الأنصار بالمدينة. سافر القرطبي إلى الشرق وأقام في مصر العليا حيث بقي حتى وافته المنية. كان ينتمي إلى المذهب المالكي، وقد انكبّ على دراسة الأحاديث. إن شرحه للقرآن الكريم المميّز بغناه ووفرة معانيه، يشدّد على القيم العليا للكتاب، ويفسّره بالاعتماد خصوصاً على الشروح التقليدية من دون أن يهمل ما له علاقة باللغة والأسلوب.

قرغيزستان (جمهورية)، دولة حديثة استقلت سنة ١٩٩١، مساحتها ١٩٨ ٥٠٠ كلم^٢، وعاصمتها بيشكك، وهي واحدة من جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الخمس. يشكّل المسلمون فيها حوالي ست وستين بالمئة، ويبلغ عدد سكانها أكثر من أربعة ملايين.

تكوّنت قرغيزستان إثر سيطرة الأيديولوجية السوفياتية بعد الحرب العالمية الأولى. وقد نشأت إنطلاقاً من تسمية «قرغيز» التي كانت تُطلق على مجموعة قبائل تركية مسلمة تتكلّم اللغة الكيشناكية، هاجرت إلى المنطقة في حدود القرن الثامن عشر، وشكّلت بعد ذلك أكثرية السكّان الذين نجد أيضاً بينهم الروس والأوزبك. وقرغيزستان عبارة عن سهوب وجبال تضمّ مناطق جبلية، وتجاور حوض «كارم» المجفّف. وتفصلها حدود مصطنعة عن جمهوريات كانت سابقاً ضمن الاتحاد السوفياتي، ومنها كازاخستان في الشمال، وأوزبكستان وتاجيكستان في الجنوب الغربي؛ كما تتصل شرقاً بالتركستان الصيني أو سين كيانغ. وحتى دخول الروس إليها في القرن التاسع عشر وقيام الحكومة العسكرية في سامبرانشي، لم تعرف تلك البلاد سوى صراعات بين اتحاد القبائل التركية التي جمعها الإسلام لمواجهة المغول، وبشوع خاص الكلكموك. مع ذلك فإنّ القسم الصغير من أراضيها الحالية الذي كان في القرون الوسطى جزءاً من مقاطعة فرغانة الغنية ما يزال يحافظ اليوم، خصوصاً في مدينة أوزغن، على معالم مهمة من هذا الماضي.

القرم، بالتركية كيريم، شبه جزيرة تقع شمالي البحر الأسود، ظلّت تحت الحكم الإسلامي من القرن الخامس

٨١٨م، إثر اندلاع ثورة في المدينة، دمر الحُكم الأوّل الضاربة الواقعة على الضفة الأخرى لنهر الوادي الكبير ومنع إعادة بنائها. لكنّ ضواحي أخرى أنشئت وانبسطت حول المدينة القديمة، وبخاصة من جهتها الشرقية. وكان اتّساع المنطقة كبيراً حيث بلغت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي - بحسب بعض الجغرافيين العرب الذين بالغوا من دون شك في تقديرهم - مساحة قرطبة نصف مساحة بغداد تقريباً. ومهما يكن هذا التقدير مبالغاً فيه، فإنّ فيه دلالة على الأهمية التي كانت للمدينة آنذاك في العالم الإسلامي كمركز سياسي وفكري واقتصادي.

إذا إنّ قرطبة فقدت، خلال حكم عبد الرحمن الثالث الكبير، بعض هالتها، إذ غادرها الخليفة الجديد للإقامة في مدينة ملكية جديدة أسّسها في الشمال الغربي وأطلق عليها اسم الزهراء. وبعد فترة بنى الوصي على العرش، المنصور، بدوره، مدينة تقع في الشرق وأطلق عليها اسم المدينة الزاهرة، جاعلاً منها المركز الإداري حيث استقرّت دواوين العاصمة. أخيراً، إنّ الاضطرابات التي طبعّت بداية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد ونهاية الخلافة الأموية ارتدت دماراً بارزاً على قرطبة التي باتت، منذ سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م، وخلال حقبة ملوك الطوائف، عاصمة إمارة وحشِب. ووقعت المدينة في ما بعد تحت حكم بني عمّاد أصحاب إشبيلية، ثم على التوالي تحت حكم المرابطين والموحّدين. قبل أن يعيد ملك شتالة الاستيلاء عليها في العام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م. منذ ذلك التحين طبعّت بعض التغييرات المسجد الجامع الذي عاد من جديد كنيسة/ كاتدرائية. لكنّ البنية العامة للبناء، كما أصبحت بعد التوسيع الأخير الذي قام به المنصور، وكذلك عظمة زخرفته، ما يزالان حتّى يومنا الدليل الساطع على نوعيّة الفنّية الاستثنائية.

◀ راجع السنوات ٨، ١٠، ١٢، ١٦، ١٩، ٥٢.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري الفزّرجي الأندلسي ؟ - ٦٧١هـ / ؟ - ١٢٧٢م، فقيه، مفسّر وعالم كلام، ولد في الأندلس، اشتهر بوجه خاص بشرحه للنص القرآني.

عشر إلى القرن الثامن عشر.

الحملة العسكرية الأولى التي وصلت إلى القرم أرسلها السلطان علاء الدين كَيْبَاد من سلالة سلاجقة الروم التي كانت تحكم الأناضول. ثم وقعت منطقة القرم بأيدي خانات القبيلة الذهبية بين سنتي ٦٢٠ و٦٣٦هـ/١٢٢٣ و١٢٣٩م، وكانت حينئذ على اتصال بممالك مصر الذين أنموأ معها علاقات تجارية، وكانوا يستوردون منها الرقيق. وفي بداية القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، خلال حكم الخان أوزبك، تجذّر الإسلام السنّي بقوة في القرم. وفي هذا الوقت كانت النزاعات والصراعات الداخلية حول السلطة تُفسد ازدهار المنطقة القائم أساساً على المبادلات التي كان فيها للتجار المسيحيين، ولا سيّما تجار جنّوى، الدور الفاعل.

بعدئذٍ بسط أمراء مغول آخرون، هم أسرة جيبراي خان، سلطتهم على شبه الجزيرة في القرن الخامس عشر وأحياناً فيها، حول عاصمتهم باغچه سراي قرب سيمفروبول (Simferopol)، مركزاً ثقافياً كان له نشاط بارز في بعض المراحل. وكانت الدولة التي نفّسوها تخضع لسيادة العثمانيين الذين وجّهوا اهتمامهم إلى هذا الجزء من ساحل البحر الأسود منذ احتلالهم لبيردوسيا في ١٤٧٥م. وهكذا خضعت هذه الدولة لتفوذ اسطنبول، لكنها لم تتوقّف مع ذلك عن توسيع علاقاتها بجيرانها في الشمال.

وبدا من القرن السادس عشر، طرح خانات القرم - الذين تصرفوا في البداية كحلفاء لدوقات موسكو الكبار - أنفسهم ورثةً لأمبراطورية مغول القبيلة الذهبية المنقرضة، ودخلوا في مواجهات عسكرية مع الروس دعماً لثّرت المناطق المجاورة. لكنّ محاولاتهم فشلت مع زوال خانات قزاق، في العام ١٥٥٢م، وخانات أستراخان في ١٥٥٤م. ويعود الفضل في استمرار خانات القرم إلى ١٧٨٣ - تاريخ ضمها إلى روسيا - إلى حماية العثمانيين الذين كانوا يستخدمون خانات جيبراي وسعاه مع دول الشمال. وقد غادرت عناصر تترية مختلفة المنطقة حينئذٍ للإقامة في الأمبراطورية العثمانية واستمرّت حركة النزوح هذه طيلة القرن التاسع عشر.

أما التتر الذين بقوا في القرم فقد نقلوا إلى آسيا الوسطى في العام ١٩٤٥.

◀ راجع المستندين ٢٣ و٢٥.

قَرْمَنَلِي (القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي)، سلالة من حكام شبه مستقلين حكموا ليبيا، وسيطروا على طرابلس الغرب محاولين سلبها عن السيادة العثمانية.

ففي العام ١١٢٢هـ/١٧١٠م، حصل الحاكم أحمد القرماني من الباب العالي على حق ممارسة سلطته على المناطق الثلاث التي تشكّل منها ليبيا، وهي: زّان وطرابلس الغرب وبنغازي. شرع في تحديثها وحكمها بطريقة أكثر حزمًا من ذي قبل، موجّهاً البلاد نحو الاستقلال الذاتي، وجاعلاً الحكم فيها وراثياً. لكنّ العثمانيين، بتأثير من القوى الغربية، حسّمو الوضع لمصلحتهم في العام ١٨٣٥، وأخضعوا هذه المناطق لرقابتهم المباشرة.

قَرّه جلييزاد، أسرة من العلماء والعثّفين شغلت مكانة مرموقة في الأوساط القيادية في الأمبراطورية العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر. كان مؤسسها مربّيًا لابن السلطان سليمان القانوني وقاضيًا على أدرنة ثم على اسطنبول، وقد تُقّب بـ «قرّه جلييزاد» تيمنًا بجده. شغل ابنه وأحد أحفاده منصب القضاء في الأناضول والروملّي في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع السادس عشر. يبرز في العائلة أحد أحفاده الآخرين واسمه عبد العزيز الذي ولد في العام ١٥٩٢هـ/١٥٩٢م، وتوفي في العام ١٦٥٧هـ/١٦٥٧م. بعد أن عاش حياة مضطربة. فقد كان استأداً في مدرسة ثم قاضيًا، قبل أن يُعزل ويُنفي إلى قبرص في سنة ١٦٣٤م. وعند عودته إلى اسطنبول، أصبح «قاضي عسكري» في الأناضول ومن ثمّ في الروملّي، فسُجّل أمر اعتقاله بمحمد الرابع سدة العرش، ما سمح له بأن يحصل على منصب شيخ الإسلام في سنة ١٦٥١م. نُفي بعد ذلك إلى جزيرة كيوس. ومن ثمّ إلى بورصة حيث توفي. صنّف عبد العزيز مجموعة من كتب التاريخ، أفردتها، بصورة خاصة، لحكم سليمان القانوني وحملات مراد الرابع العسكرية.

وتجارتهم. إن تنظيم مَكَّة الداخلية ومسؤوليات التجارة البعيدة كانا في أيدي زعماء العشائر الأساسية المتنوعة من القبيلة، وكانت علاقات هذه العشائر في ما بينها قبل الإسلام متغيرة، تحكمها أنظمة تحالف سياسية واقتصادية في آن، وقد عرفت كل منها، عبر العصور، تغيراً في قدرها. وفي بدايات الدعوة الإسلامية، كانت السلطة [العلوية] في أيدي عشيرة عبد شمس التي كانت أكثر قوة من عشيرة هاشم (ومنها اسم الهاشميين) واليهما ينتسب مباشرة النبي محمد (ﷺ).

وقد استمرت، خلال القرون الأولى للإسلام، العلاقات الداخلية والخصومات التي كانت قائمة من قبل بين العشائر المتعددة لقبيلة قريش: فالأمويون المتحذرون من عبد شمس استولوا على الخلافة (بعد انحكم الراشدي)، ولكنهم أجبروا على التخلي عنها سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م للهاشميين، من ذرية العباس، أي العباسيين، إذ إن الخلافة كانت، بحسب المفهوم السائد يومئذ، حقاً قريش. إن ضرورة الانتماء إلى قريش شرعها النظرية السنية في الإمامة، ولم بطرحها اتفقها مجتذلاً للبحث إلا في مرحلة متأخرة، عندما أراد حكام من غير العرب، يسيطرون على أمبراطوريات، كالغول والعمانيين، أن يحملوا بدورهم لقب خليفة.

« راجع المستندات ١ إلى ٥ »

قزوين (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، محلة فليقة النشاط اليوم، كانت في ما مضى مدينة ذات أهمية في إقليم الجبال القروسطي المجاور لأذربيجان وجيلان وطبرستان.

تقع قزوين إلى الشمال الغربي من العاصمة الحالية طهران، وقد شغلت زمناً طويلاً موقفاً إستراتيجياً وتجارياً لا مثيل له. من هذا الموقع كانت تُراقب، من جهة، الممرات التي تقود إلى إقليم التليزم الجبلي وشواطئ قزوين، ومن جهة أخرى طرق القوافل التي تربط تبريز بالزنج وبهمذان. حال شح الماء في الهضبة التي تقع فيها دون توسعها، لكنها شكلت دائماً نواة لمركز مديني محصن ومتنازع عليه، وملقى لطرق المواصلات.

احتلتها الجيوش العربية - الإسلامية منذ سنة ٢٥٠هـ/٦٤٦م، في زمن الفتوحات الكبرى، وتحولت إلى موقع

قره كلبستان، جمهورية مستقلة عاصمتها نوکوس، كانت سابقاً جمهورية إشتراكية سوفياتية تتمتع بالحكم الذاتي، تقع جنوبي بحر آرال في منطقة عُرفت، في القرون الوسطى، بخوارزم. وهي اليوم جزء من جمهورية أوزبكستان، وسكانها البالغ عددهم المليون نسمة هم بغالبية ٩٥/١٠٠ مسلمون.

في عام ١٩٣٦ اعترفت لـقبيلة قره كلبك التركية المسلمة باستقلالها الذاتي في الوسط الأوزبكي، بعد أن تكوّنت، منذ العام ١٩٢٦، نواة منطقة، ومن ثم جمهورية ذات حكم ذاتي تنتمي إلى جمهورية كازاخستان الإشتراكية السوفياتية. يعود ظهور هؤلاء القوم في آسيا الوسطى إلى نهاية القرن السابع عشر، حيث أقاموا في أودية سييردزيا وآمودريا. وكان عليهم، من أجل الحفاظ على استقلالهم، أن يقاتلوا خانات خيْزه. لم تشهد هذه البلاد أي تنظيم إداري مميز إلا بعد الاحتلال الروسي للمنطقة في العام ١٨٧٣. داخل حدود الجمهورية المستقلة التي تحمل اليوم الاسم نفسه، والتي هي بعيدة عن التمتع بالمستوى الاقتصادي الذي يتمتع به الجزء الشرقي من أوزبكستان، ثمة آثار عديدة تشير إلى المواقع الأثرية العائدة لخوارزم في العصور القديمة والوسطية.

قُرَيْش قبيلة عربية ناعم بمكانة مميزة في الوسط الإسلامي، شغلت أراضي مَكَّة وضمت بين أبنائها نبي الإسلام (ﷺ) وعائلته.

اعتُبرت من عرب الشمال المتحذرين من عدنان، وأعلنت انتماءها، إلى جد يقال له فهر أو قريش، وهو جدّها الأعلى الذي اتخذت إسمها منه. ويُروى أنّ قائداً يدعى قصي جمع شمل أبنائها لانتزاع الكعبة من قبضة خزاعة.

يصعب، إستناداً إلى روايات علم الأنساب، تحديد الزمان الذي غدا فيه القرشيّون أساد مَكَّة، وسيطروا، بعدئذٍ، على طرق القوافل في نجد ومنطقة الطائف. إلا أنّهم، في نهاية القرن السادس للميلاد، احتكروا التجارة التي كانت تعبر الحجاز وتصل المحيط الهندي، من جهة، بالبحر الأبيض المتوسط، من جهة ثانية، ضامنين ازدهار المدينة التي أضحت مركز أقامتهم الدائم

تجارية جديدة حول مسجد جامع ثالث، مسجد الشاه، الذي شُيّد ليناكس المسجد الذي بناه هارون الرشيد وجعله خزانة. ما زالت هذه الأحياء تسترعي الانتباه، حتى فترة غير بعيدة، بثرونها العمرانية، وخاناتها المدينة وأسواقها السقوفة، على مقربة من منازل رائعة الجمال وذات طراز تقليدي. إنها تشهد على تغيير موضع المدينة بالنسبة إلى ما كان بشكل مركزها الأكثر قديمًا، إلا أن هذه الأحياء عرفت بدورها أفولاً سريعاً. أمّا في عصرنا الحاضر فقد تراجعت قزوين إلى مجرد مركز إداري إقليمي.

«راجع المستدين ١٣ و ٢٤»

القزويني، أبو يحيى زكريا بن محمد، ٦٠٠-١١٨٢هـ/ ١٢٠٣-١٢٨٣م، جغرافي وكوزموغرافي، اشتهر في مطلع عهد الإلخانيين موسوعياً ومبسّطاً للمعارف.

ولد في قزوين، في إيران، من أسرة عربية، قصد بغداد حيث تلقى تعليمًا فقهيًا تقليديًا. عمل قاضيًا في العراق في عهد السعديين، آخر الخلفاء العباسيين. بعد سقوط بغداد في أيدي المغول سنة ١٢٥٨هـ/ ١٢٥٨م، كرس وقته لكتباته العلمية بفضل مساعدة المؤرخ علاء الدين الجويني الذي أهداه القزويني مؤلفه في وصف الكون. تناول هذا المؤلف المؤلف المَعْنُون «عجائب المخلوقات»، في قسمه الأول، الظواهر السماوية ومسائل تسلسل الأحداث التاريخية، وتناول في قسمه الثاني، بعد وصفه الأرض وإقليمها السبعة، المراحل الثلاث التي مرّت بها: المعدنية والنباتية والحيوانية.

ثمة مصفّ آخر للقزويني وصل إلينا وهو بعنوان «آثار البلاد» يصف، بالترتيب الأبجدي، المدن والبلدان والجبال والبحار والأنهار، وهو أقرب ما يكون إلى معجم ياقوت.

القسطنطينية ← إسطنبول.

القَسَم، هو تأكيد علني، له في الإسلام قيمة دينية وشرعية، ما دفع إلى تنظيم استعماله وإلى تحديد قانوني لبعض مظاهره.

واللجوء إلى القسم أشار إليه القرآن الكريم: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضَحُوا أَلْسِنَتَكُمْ

محصّن. في ما بعد استخدمها الأمويون قاعدة لانطلاق حملاتهم الجهادية في اتجاه الشمال. ازداد نموها في مطلع عهد العباسيين، فأصبحت إلى القلعة مدينة أنشأها الخليفة موسى المهدي وحملت اسم مدينة موسى؛ وبعد فترة وجيزة، وبالتحديد في سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م، أنشأ مدينة أخرى أحد معطي الهادي، مبارك التركي، وحملت اسمه. أمّا هارون الرشيد الذي مرّ بقزوين في أواخر عهده وأعجب بموقعها كمحطة، فأصدر الأوامر ببناء سور حول ضيعها الثلاث لم ينته العمل فيه إلا سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م؛ كما أمر ببناء المسجد الجامع وسط المدينة، على ممّر القناة الرئيسية التي كانت تغذي المدينة بالماء... لم يبق من هذه الأمان إلا آثار محفوظة اليوم في المدينة المتينة تشهد على قدمها.

لما كانت قزوين تشكّل منطقة حدودية فإنها تعرّضت لهجمات عديدة إبان سيطرة البويهيين عليها، وبخاصة إبان حكم السلاجقة، بسبب قربها من «ألموت» ومن سائر الفلاع الإسماعيلية الزلزالية. غير أن قزوين نجحت بالآلية التي شجدها الحاكم خوارناش، أحد أنباغ الأتابكة الإيلدكزيين: فقد بنى فيها القناد العسكري، تحت اسم مقصورات، أجنحة ذات قباب ضخمة تزيناها النقوش والكتابات الفخمة، تضفي جمالاً على المسجد الجامع القديم كما على المسجد الجامع الجديد الحنفي. وقد بقي من هذا الأخير، اليوم، آثار تُعرف باسم مسجد الحيدرية. إن نوعية هذه الأبنية، التي تشهد للتطور الهندسي السلجوقي في إيران، كافية للدلالة على غنى قزوين في تلك الحقبة من التاريخ.

بعدئذٍ شهدت قزوين احتلال المغول لها وتدميرها على أيديهم في العام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، واستقبلت، إثر ذلك، قبائل تركية نزحت إليها وساعدت في تغيير هوية سكّانها. بعد إعادة بنائها، أصبحت قزوين سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م عاصمة مملكة الصفويين الجديدة. ثمّ حلّت محلّها، على عهد الشاه عباس الأول، مدينة أصفهان. إلا أنها ظلّت تواصل نموّها وتطورها بفضل العلاقات التجارية بأوروبا وروسيا الجنوبية، إلى أن صارت في القرن التاسع عشر، في ظلّ حكم الفاجار، مركزاً اقتصادياً ذا حيرة مطردة النمو. فقد أنشئت فيها أحياء

الحالي فقد أقبم مكان الجسر الحجري الذي كان أعيد بناؤه في القرن الثامن عشر مكان الجسر الروماني (المنهار). وقد احتلت المدينة في فترة الفتوحات الكبرى العربية - الإسلامية في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي. وأُنحت بولاية «أفريقية» وشاركتها مصيرها، خلال فترة اجتياح بني هلال، إذ انتقلت من سلطة الزيريين إلى سلطة الحمّادين. واستسلمت لاحقاً للموحدين، وخصصت لقبضة الحفصيين ومن بعد للمرينيين؛ لكنها غالباً ما عرفت، طوال هذه الحقبة، تَمَرَّدَات آثارها القبائل العربية في المنطقة. ومع ظهور العثمانيين في المغرب العربي، برز في قسنطينة حزبان، أحدهما مؤيد للأتراك والآخر معاد لهم. وفي آخر الأمر، حوالي عام ١٥٧٠، فرض العثمانيون سُلطانهم، وأصبحت المدينة عاصمة بيك الشرق وثابعةً لِذَليّ الجزائر. وفي القرن الثامن عشر، جهد حكام هذا البيك لتجميل المدينة التي احتلتها القوّات الفرنسيّة بصعوبة في العام ١٨٣٧. لكنها حافظت، لاحقاً، حتّى الاستقلال، على موقعها الإداري مركزاً لمنطقة واسعة صارت مقاطعة في ما بعد. منذ ذلك الوقت، عانت قسنطينة تقلص رفعة نفوذها. لكنها عوّضت الآثار الاقتصادية السلبية الناتجة من هذا التنظيم اللامركزي، بالجهود المبذولة، على الصعيدين الصناعي والتجاري، للإفادة من ميزات موقعها في قلب الشرق الجزائري. لكنّ موقعها، الذي كان في السابق أساساً في مستقبلها وشهرتها، شكّل عائقاً في وجه نموّها الديمغرافي ونهضتها المعاصرة.

قسنالة، مقاطعة تقع في وسط الأرخيل الإيبري وتضمّ، بخاصة في منطقة قسنالة الجديدة، أراضي من الأندلس خضعت لسيطرة إسلاميّة امتدّت أربعة أو خمسة قرون، ووضعت حدّاً لها مواجهات عسكريّة قاسية. وقد مثل ملوك مملكة ليون المسيحيون الناشطون، ومن بعدهم ملوك قسنالة، دوراً مهماً في هذه الصراعات دفع بالمرايطين إلى التدخل ضدهم بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة في العام ١١٧٨هـ/ ١١٨٥م. ونتج عن هذه التقلّبات مناخ متصلّب طبع المنطقة في مرحلة الاسترداد، يشهد عليه غنى المنطقة

تَوَكُّبِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْلًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ تَعْلَمُونَ (سورة النحل، ٩١).

والواقع أنّ القسم الذي يؤدّي مع استلهاهم إسم الله أو إحدى صفاته له طابع مقدّس، والنكت به خطيئة. ويتمّ اللجوء إلى القسم أمام القضاء ويُسمّى يميناً، لكن لا يكون ذلك إلّا في حال غياب أيّة وسيلة إثبات أخرى ولتأكيد قرينة ما. وهو يؤدّي أمام القاضي، وبناء على أوامره، خلال جلسة محاكمة. فبينما يُقسم المسلمون بالله، يتوجّب على اليهود أن يقسموا بالإله الذي أوحى بالتوراة إلى موسى، وعلى المسيحيين بالإله الذي أوحى بالإنجيل إلى عيسى. أمّا اليمين الكاذبة فعقابها كعقاب شهادة الزور.

ويتمّ اللجوء إلى القسم كذلك في مناسبات متنوّعة، تأكيداً لعهد أو ارتباط. وعدم الإنترام به يُعتبر، في كلّ الحالات، خطأً جسيماً يمكن أن يحصل صاحبه على التكفير عنه، إمّا بتقديم غنّه إلى الفقراء، وإمّا بإعتاق عبد، وإمّا بالصوم ثلاثة أيّام. وقد يصل التكفير حدّاً يضطرّ صاحبه إلى تنفيذ ما أقسم من أجله، أن يطلق امرأته مثلاً. ويمكن أن يتخذ القسم شكلاً أكثر علانية إذا ما أدّاه الإنسان في مسجد، وخصوصاً داخل الكعبة.

في الحياة السياسيّة، في القرون الوسطى، كان يتمّ اللجوء إلى القسم في بعض المناسبات المهمّة. فعند تسلّم الخليفة مقاليد الحكم، كان الناس يؤدّون له يمين الولاء أي البيعة، كما أنّ الحاكم بدوره كان يؤدّي القسم عند منحه الأمان لأحدهم. لكنّ التاريخ الإسلامي يشير إلى مناسبات متعدّدة لم يكن فيها القسم العلنيّ محترماً دائماً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أنواع أخرى من القسم، كتلك التي يموّجها بتعهد الأمير باحترام بنود وصيّة.

قُسْطَنْطِينَة (الجمهورية الجزائرية)، مدينة تقع في المغرب الشرقي تحيط بهضبتها الصخرية بهاداً، حافظت على العظمة التي عرفتها في القرون الوسطى، وأصبحت ثالث أكبر مدن الجزائر.

اشتهرت قسنطينة، وما تزال، بموقعها الذي يعطيها أهمية إستراتيجية توازي أهمية قلعة حصينة. يميّزها الجسر القائم فوق «خانق رومل» (أما الجسر الحديدي

قصة ، وكذلك بعض القصور والمدن الملكية الشهيرة ، ومن ثم استعملت اللفظة بالفرنسية بصيغة «kasbah» أو «casbah» للدلالة على مجموعة الأحياء القديمة المحيطة في مدينة ما .

توسّع استعمال اللفظة لتعني ، في المغرب ، القلاع التي تحفّ ببعض الحدود أو ببعض السالك ، وقد بنيت على عهد السعديين والعلويين ، أمّا الرحالة الأوروبيون فاعتادوا لاحقاً أن يطلقوا تسمية «قصة» على المنازل ذات الوظيفة المدنية والعسكرية التي يسكنها الزعماء المحليون في الأطلس المغربي ، وأيضاً على مختلف الأبنية الريفية القائمة في المنطقة نفسها والتي تجذب النظر بغزواتها الهندسية الدفاعية والزينية .

القصر ، لفظة عربية دلّت في العهود الإسلامية الأولى على بناء محصّن ، يقع غالباً في واحة ويستخدم مركز إقامة لممثلي السلطة .

في الفترة الأموية أطلقت التسمية على دور الأمراء الواقعة عامّة في السهوب ، وسط أراضي مزروعة ومُسوّرة ، كما أطلقت على أبنية كانت تستخدم تزيّلاً وخانات .

في ما بعد استعمل الاسم عادةً للدلالة على القصور التي كانت تقوم بدور مدن ملكية ، شأن قصور الخلفاء في بغداد والقاهرة ، إذ إنّ الاسم لم يقتصر وحده للدلالة على السكن الملكي الذي كان يُعرف أيضاً بالدار .

أمّا في الأندلس فلفظة قصر دلّت ، بشكل عام ، على قصر الخليفة أو الأمير واستمرّت في الاستعمال مع «أله» التعريف في شكل «ألكازار» (alcázar) وهي مُطلّق ، اليوم ، على دور السكن القروسطي المحصّن المشرفة على المدن الكبرى في شبه الجزيرة الإيبيرية . وفي صقلية ما تزال مستعملة في لفظة كاسارو (Cassaro) في بالرمو .

قصر أبي دانس ← القصر دو سال .

قصر الحُجّر ، إسم عربي حديث تحمله مجموعتان من آثار الصحراء ، في الجمهورية العربية السورية وهما شاهدان على أبنية ملكية تعود إلى العصر الأموي ، وتقع إلى الجنوب الغربي والشمال الشرقي من تدمر .

الأثرى بالقصور المحصّنة التي تميّز قشتالة بالنسبة إلى منطقة أراغون .
◀ راجع السند رقم ١٦ .

القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم بن هُوَازن ، ٢٧٦ - ٩٨٦/٤٦٥ - ١٠٧٢م ، عالم كلام وصوفي من خراسان في إيران الشرقية ، صاحب رسالة شهيرة في التصوّف .

من أصل عربي ، ولد في عائلة غنيّة من الملاكين ، وتلقّى القشيري تربية رفيعة الشأن ، جمعت بين علوم الدنيا وعلوم الدين ، قبل أن يتلمذ في نيسابور على شيخ صوفي ، درس الفقه الشافعي وعلم الكلام الأشعري ، وعلم لاحقاً الحديث ، وعقد في الوقت نفسه جلسات صوفية . وثمّاً بسط السلاجقة الكبار سلطتهم على المنطقة ، ما بين ٤٢٩ / ٤٤٦هـ / ١٠٣٨ - ١٠٥٤م ، دافع القشيري عن الأشعرية بقوة وعن العلماء الشافعيين ، فأدّى به دفاعه هذا إلى دخول السجن .

انتقل سنة ٤٤٨ / ١٠٥٦م إلى بغداد حيث كلفه الخليفة التعليم في القصر ، ثم عاد إلى خراسان ، إلى طوس ، فأقام فيها حتى سنة ٥٥٤ / ١٠٦٣م ، ونوّجه أخيراً إلى نيسابور حيث قضى آخر سنّي حياته . ترك رسالة في الصوفية هي بمثابة ثمرة نجاوه وتشكّل مختصراً في المصطلحات التي استعملها الصوفيون . لقد سعى فيها للتوفيق ، قبل محاولة الغزالي ، بين ممارسة التصوّف واحترام أحكام الشريعة .

القَصْبَة ، لفظة عربية عنت ، بشكل عام في العصور الوسطى ، وبخاصّة لدى الجغرافيين العرب في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد ، المركز الإداري لناحية أو لمنطقة ما .

في الغرب الإسلامي ، حيث التسمية في الإسبانية «ألكازابا» (alcázar) وفي البرتغالية ألكاسوفا (alcaçova) ، استخدمت لفظة القصة ، بشكل أدق ، للدلالة على دار محصّنة تعود إلى أحد الملوك داخل مدينة ما ، أو على حصن مرتبط بسور ناحية ، وبشكل الموقع الدفاعي لها ويُعرف عامة في الشرق باسم قلعة . واتخذت المدينة المحصّنة بكاملها في ما بعد اسم

في قصر خربة المنجر، قرب أريحا.

قصر الحَيْر الشرقي، حافظ هذا القصر على أطلال أكثر ضخامة من تلك الموجودة في قصر الحير الغربي، إضافة إلى سور أكثر اتساعاً، على امتداد مجرى ماء موسمي حَوْل، بدوره، إلى نظام ريّ لواجهة إصطناعية.

لم تحط آثار قصر الحير الشرقي بالاهتمام إلا مؤخراً، فشكّلت موضوع تنقيبات بسّرت التعرّف إلى تاريخه. هناك أبنية من النوع الممتاز كانت تشكّل مجتمعين متجاورين ضخمين، يحيط بهما سوران، أحدهما كبير والآخر صغير، أُرِخَ قسمٌ منها من بداية القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، إذ ظهرت، داخل السور الكبير، أساسات بناءٍ تحمل كتابةً تنسبه، هي أيضاً، إلى الخليفة الأموي هشام، وتحمل تاريخ سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م. صحيح أنّ الموقع يُؤنّس الشروط الضرورية للاستثمار الزراعي، إلا أنّ أعمال التنقيب داخل السور الكبير وحول ساحة مركزية مرّبة الشكل، كشفت عن سلسلة من المنازل المتلاصقة سكنتها، من دون شك، مجموعات قبلية عدّة، وهذا يفسّر معنى لفظة «المدينة» المستعملة في النصّ المذكور أعلاه.

أمّا داخل السور الصغير فلا يوجد سوى خان استُخدم في الفترة اللاحقة التي شهدت خلالها سوريا إزدهاراً تجارياً مع نشأة النفوذ الأيوبي الذي أنعم، في أواخر القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وضماً عانى، حتّى ذلك التاريخ، الإضطرابات الداخلية والهجمات الغارجية.

إنّ الموقع الضخام في زمن الأمويين والذي ما لبث أن أهمل في عصر العباسيين، استعاد حيويته في أواخر العصور الوسطى. خير أنّ الأنشطة التجارية، التي استفادت من الإزدهار الجديد الناتج عن اتساع امبراطورية السلاجقة في إيران والأناضول وعن طموحات من خلفهم، لم تدم أكثر ممّا دامت فترة الفتوحات العربية المظفرة في بدايات الإسلام، إذ ما لبّثت الغزوات المغولية ونجزة الشرق الأدنى التي نتجت عنها، في أواخر القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، بين سلطة الإيلخانيين وسلطة المماليك السوريين - المصريين، أن قضت بدورها، وبشكل

قصر الحَيْر الغربي، دار أميرية، حفرت على العتبة التي تتّوجّ باب مدخل أحد الأبنية الملحقة بها كتابة عربية تحمل اسم الخليفة هشام، وتاريخ ١٠٩هـ/ ٧٢٧م. كان هذا القصر موضع تنقيب أثري بين الحريين العالميين وكشف عن معلومات مفيدة على ثلاثة صعد:

من جهة، جرى تقييم للطريقة التي تمّ بموجبها تنظيم الموقع: بُني القصر في محلة كانت في الماضي مزروعة ومسكونة، وتتطابق مع تقاطع مسارين كبيرين لقوافل سوريا القروسطية، وهما محوراً مرور، أحدهما يربط دمشق بتدمر، والثاني يربط فجوة حمص بمنخفض دومة الجندل شمالي جزيرة العرب.

تميّز هذا الموقع بتنوع الإنشاءات الأخذة بأساليب تقنية لجسّ المياه في وادي يكثر فيه السّبح (سدّ، قناة، قناة مكشوفة، خزّان) واستعمالها في ريّ حدائق وبساتين مسوّرة.

من جهة ثانية، تبيّنت بذلك دراسة مختلف الأبنية السكنية التي شيّدها الأمير الأموي إلى جانب مبنى كان قائماً من قبل، وهو دير بيزنطي قديم.

إنّ هذه العناصر العمرانية التي رافقتها منازل متواضعة وأبنية ذات منفعة زراعية اندثرت كلّها اليوم، كانت تتألف، بشكل أساسي، من حِمامٍ ضخم منفرد، ومن خان وقصر، قد أظهرت الحفريات أنّ القصر كان يحتوي شققاً مستقلةً في الطبقة الأرضية، مستندة إلى سور خارجيّ تملؤه أبراج، وهي تفتّح على رواقٍ يحيط بفناء مربع مركزي، في حين أنّ قاعات الإستقبال كانت تقع في الطبقة العليا.

أخيراً، كان القصر يحتوي رسوماً كثيرة للاهتمام تُغطّي أرضه، وهي بمثابة تليط من الفسيفساء، تمثّل مشهد صيد ووجهاً رمزياً، في حين أنّ زينة الكسوة تنصّصن تشبيكات هندسية وعربسات منحوتة في الجصّ، وكانت تغطّي واجهة المدخل والواجهات المصّلة على الفناء: كل هذه البقايا من الجصّ والرسوم الجدرانبة اعتمدت أسساً في إعداد مخطط القصر الذي يعرضه المتحف الوطني السوري في دمشق. من المفيد مقارنة أسلوبها الهلنستي بأسلوب الزينة المستوحاة من الفنّ الساساني، الغنيّة بالزخارف، التي عُثِرَ على قسم منها

حاكماً عادياً أو أمير حرب شبه مستقل. تفاوت القصور إبتقاءً إلى حد كبير، بالنسبة إلى مساحتها وتنظيمها الداخلي وفخامتها وطرز مبانيها، كما تفاوت ذوق الذين يؤتمنون. إن القصر كان دائماً المركز الأساسي للأنشطة السياسية والفكرية وحتى الدينية التي كانت تنامي داخل مملكة أو إمارة، ومركز استقطاب لأي ازدهار إقتصادي، والسكان الذي تنجبه إليه شبكات الأعمال الحرفية والتجارية. كان الحاكم يسكن في القصر وسط أعياه وحرسه وأركان حربه، فيما كانت دواوينه الرسمية تعمل على مقربة منه. وكان القصر يضم الأجنحة الخاصة والحدائق الترفيحية الضرورية للحاكم وأقاربه، كما يؤمن له الحماية التي قامت، تارة على وفرة الفرق المسلحة، وتارة على فعالية هيكلته المعمارية. بذلك غدا القصر مركزاً لمحاولات التطور كافة، حرية وسياسية ونفعية وجمالية، التي عرفتها جميع المناطق والمحلب التاريخية، على مر العصور، وذلك نتيجة لحاجات الدفاع والنفوذ والرفاهية الحسية والفكرية.

كذلك شكّل القصر مجالاً لعقد الحفلات الشعرية والمناسبات الشفوية والأدب، نواكبها الموسيقى مع الرقص، ومجاسن الشرب واللقاءات الأدبية، وصولاً إلى الجذالات الدينية بين العلماء وغيرهم ممن يتعاطون الفلسفة والطب وعلم الفلك والرياضيات من الذين يستقدمهم صاحب السلطان. في أجنحة القصر وفي الحدائق، ولا سيما على مقربة من المياه الجارية أو الأحواض التي تشكل الثروة الأولى في مناطق يغلب عليها الجفاف، كانت مناسبات اللهو تنوّل وكذلك الحفلات الرسمية والجلسات الاحتفالية والمعرض العسكرية والتدرب على الفروسية.

في الوقت نفسه، كان القصر يشكّل أهراماً لمواد من كل نوع: الحبوب والأغذية والسلع الاستهلاكية الأخرى التي تودع بصورة موقفة في مستودعات واسعة، إضافة إلى المعدات والآلات الهجومية التي نكّس بكميات تتناسب وحجم الفرق التابعة للأمير، كذلك الأشياء الثمينة التي تشكل احتياطي الخزانة الملكية والتي كانت تؤلف العناصر المميزة للتبادل أو للهدايا،

نهاي، على الطريق التجارية التي كانت تربط ساحل البحر الأبيض المتوسط بالموصل عبر واحات قصر الحير الشرقي.

«راجع المستند رقم ٩».

القصر الصغير، موقع مدثر في شمال المغرب، على مضيق جبل طارق. كان في ما مضى مدينة مبنية قروسطية عرفت نشاطاً واسعاً في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد.

اختار «الموحّدون» هذه المحلة نوقوعها مقابل جزيرة طريف، على أقرب نقطة من الساحل الإيبيري، لتكون نقطة إبحار في اتجاه الأندلس، وكذلك مركزاً محصناً للرسالة البحرية. أقيمت بعض التحصينات فيها، بخاصة في العام ٥٥٨هـ/ ١١٩٢م على يدي أبي يوسف يعقوب يوم كانت سلالة في ذروة مجدها. وقعت المحلة في ما بعد في أيدي البرغلاتين الذين استولوا عليها في العام ١٤٥٨م، إثر حملة بحرية مهمة بقيادة الفونسو الخامس، فأقيمت فيها تحصينات جديدة، وظلّت تحت سلطة المسيحيين حتى سنة ١٥٤٠م، حيث دُمّرت وأُهملت نهائياً ولم يبق منها اليوم سوى آثار أسوارها المجاورة لمرقد غطّته الرمال.

القصر الكبير ← كُمار الكبير.

قصر هشام ← خربة المفجر.

القصور (الملكية)، مباني ضخمة استُخدمت في القرون الوسطى الإسلامية على أنها «مدن ملكية»، ضمت سكّنى الملوك وإدارتهم الحكومية وحاشياتهم العسكرية والمدنية، فتميّزت بذلك عن القلاع العادية، إذ مثّلت دوراً في تطوّر الحضارة الإسلامية، ولا سيما في مجالات الفن والهندسة والثقافة الدينية.

١ - كان القصر الذي استخدمه الخليفة أو السلطان، ذو السلطة الاستبدادية في أكثر الأحيان، مقرّاً لتصرف الشؤون العامة ومسكناً خاصاً في آن، وحصناً ورمزاً لسلطته؛ كما كان مجالاً لتبيان أبهة سيده وتلبية حاجات الحياة اليومية والرسمية. كانت مقرّاته المعمارية تختلف باختلاف الموقع الذي يقام فوقه والأمير الذي يسكنه، أكان سيّداً ذا مملكة شاسعة، أو

تسمح لنا اليوم بأن نتبين، من خلال الأفنية والأجنحة التي يصعب تلمس تصميمها، اكتشاف مواقع المسارات الثرائية الخاصة بهذه الأماكن: من المكان العادي إلى المكان الأسمى، شروعا من المدخل الأول الضخم المفتوح أمام بعض الناس وصولاً إلى القطاع المخصص لحفلات الخليفة واستقبالاته والذي يقوم بمحاذاة غرف الاجتماعات الأكثر خصوصية حيث كان يتوافر المزيد من منظر المياه والمساحات الخضراء.

لقد زالت قصور بغداد اليوم من الوجود، سواء القصر الأول للمصور الذي بناه في «المدينة الدائرية» سنة ١٦٤٥هـ/١٧٦٢م، أو قصور آخر خلفه السلالة على الضفة اليسرى للجلية. وانحت أيضاً مباني خليفته أخرى كانت ارتفعت لجهة الشمال، وكذلك المدن الحكومية المتعاقبة التي شُيّدت على خفاف النيل بأبنيتها الضخمة من الآجر غير المطبوع أو من التراب المدكوك ذات الجدران الداخلية المكسوة بحداد ملونة والمقواة بالآجر المطبوع على مستوى الدعامات والقاطرات والقباب في الأقسام الأكثر فخامة. لكنها لم تكن لتصد أمام عوادي الزمن في سهول من الطمي ذات الأرضية غير المستقرة. لم يبق منها، في أفضل الحالات، سوى أكمات وأجزاء أنقاض إلى جانب أقسام تم التقيب عنها، أظهرت بنوع خاص زخارف الأجزاء السفلى. يمكن ملاحظة ذلك في سامراء حيث الانقاض كانت ما تزال تمتد حتى عهد قريب على أكثر من عشرين كيلومتراً، في حين أن أماكن القصور القديمة في بغداد أو في القاهرة طُبِسَتْ بفعل تنامي المساكن المدنية. لكن، إذا صرفنا النظر عن تلك المدن القديمة التي سيطرت اليوم عليها الحداثة بعد أن كانت قد تعرّضت للدمار مرّات عدة، يمكننا أن نكتشف الصورة الحقيقية للمباني القديمة العائدة للخلفاء من خلال تلك التي لم يتيسّر الوصول إليها من قبل بسبب عزلتها في منطقة سيجستان الأفغانية.

في لشكر بازار أبنية أصغر من التي قامت في سامراء، وهي تبرز المعيار الذي بموجبه جرى إعداد صرح كل قصر ملكي من خلال عمق المنظور المحوري لصالة العرش الضخمة حيث كانت تجري مراسم الاستقبالات. كان منظر الصالة يخضع لتصاميم لم

كالمخطوطات المحفوظة لقيمته الفنية أو العلمية في مكتبات متقة، وأخيراً محفوظات مختلف الدواوين العاملة في القصر والمساهمة في إبراز مجد الأمير، بفضل روائع الخط أو الزخارف التي تلبي متطلبات علم المستندات القديمة.

إن المهمات المتعددة التي يضطلع بها القصر أدّت به إلى استقبال عدد من كتاب الدواوين والخدم وإيوانهم، لا يقلّ هذا العدد كثيراً عن عدد الممالك والمرزقة الملحقين بفرق الجيش. يفسّر ذلك استخدام عبارة «مدينة ملكية» للدلالة على مقرّ الأمير وعلى أهمية سكّانه وعلى المسافة الرمزية أو الحقيقية التي تفصله عن المدينة. ما من عبارة أنسب منها للدلالة على المباني الضخمة التي ما تزال تشهد لها آثار من العصر العباسي، مثل سامراء في العراق والرقة في سوريا ولشكر بازار في أفغانستان، ولا ننسى في ما بعد القصور - القلاع العائدة إلى القرون الوسطى والتي يبقى أشهرها قصر الحمراء في غرناطة.

من المؤسف أن تكون هناك، إلى جانب تلك القصور المذكورة، قصور أخرى لا تقل عنها ضخامة لم يبق منها أي أثر. لكننا نعلم أنها حافظت على معالم تدلّ على نسقها الأساسي، على أقلّ تقدير حتى العصر الحديث، الأمر الذي نجسده الأبنية الملكية التابعة لتركيا في عهد العثمانيين، ولإيران في عهد الصفويين، وللهند في عهد المغول، وللمغرب في عهد العلويين وغيرها. إن ما يمكن تسميته «حضارة القصر»، التي استمرت عبر العصور في البلدان الإسلامية من غير أن تتجدد في روحها ومبادئها، يسمح لنا بتركيز ملاحظتنا على الحقبة التي تكوّنت خلالها، للمرة الأولى، العادات التي أصبحت عادات كلاسيكية. من هنا تبرز أهمية العصر الذي كانت فيه شهرة المدن الملكية تبعث على تقليدها في المناطق كافة وترتدّد أصداؤها حتى في الآداب الأوروبية في القرون الوسطى.

٢ - إن الآثار المتبقية من تلك القصور الشهيرة لا توفر المعلومات التي دُوّلت في المصادر المكتوبة، فهذه تيسر لنا معرفة الكثير من التفاصيل عن مراسم الحفلات الرسمية. وتكاد أجزاء الجدران المتبقية لا

الكبرى التي تضم في وسطها جناحاً ضخماً ما تزال قاعدته قائمة، يقابله مبنى ظريف آخر برواقه وواجهاته. لذلك قامت داخل مجموعة المباني أقسام تضم شققاً خاصة، وبينها خدور الحريم السرية المعلقة على النساء، الزوجات منهن وجوارى الترسّي، غير مغلقين والدها العامل التي كانت، في أغلب الأحيان، تضطلع بدور سياسي. كانت هذه تضمّ ساحات محاطة بمساحات مزروعة تعشها الأحواس. وكما في داخل قصر لشكر بازار الرئيس، كانت تلك الأقسام متلاصقة بتصل بعضها ببعض بواسطة باب واحد، وكانت كلّها ذات تصميم واحد يتألف من أربعة إيوانات وبعض الغرف الأخرى، تفتح بشكل متناسق على ساحة وسطى غير مسقوفة. وكانت أحياناً في شكل تزل يفصل بعضها عن بعض وتتميز بموقعها في وسط تشابك أبنية القصر، مثل مجموعة «قصور الشمال» شبه المستقلة في لشكر بازار. وكانت لا تختلف بهيكلتها عن سائر «المساكن الخاصة»، المسماة أحياناً «مساكن الأسايد»، التي كانت تشيد خارج المدينة الملكية، وهي متوافرة بكثرة في موقع لشكر بازار المهجور.

كان بعض تلك الأبنية مخصصاً للأعيان ولأفراد الأسرة الحاكمة، ومنهم أولياء العهد الذين كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة ويقيمون في مساكن فخمة خلال حياة والدهم، كما يصل بهم الأمر، أحياناً، إلى إقامة صروح خاصة بهم في مقاطعة ثابتة. من تلاحظ تلك المؤسسات الملكية المتحصنة أو المتعاقبة، التي كانت تُشيد وتُهجّر بالسرعة نفسها، ظهرت تراكبات بلاطية ضخمة تجتمعت أحياناً بصورة فوضوية حول مراكز عدة. كانت تلك الأبنية، باستمرار، عرضة لتعديلات كلية أو جزئية، تتخللها أقسام غير مبنية تحميها بشكل أو بآخر أسوار متعددة. وكانت تشيد بُنماً للظروف على مواقع متغيرة، أو على العكس تُقل من موقع مؤقت في العاصمة إلى آخر.

غير أن اتساع تلك المدن الملكية المختلفة وأهميتها الاقتصادية كان مردها أيضاً إلى المساحة المذهلة التي كانت تحتلها الأبنية المشتركة: مساكن ومستودعات ومشايخ عادية وغيرها من الأماكن الثانوية التي درست

نعرفها، بالنسبة إلى العصر الكلاسيكي، من خلال مؤلفات الواقع، إلا ابتداء من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لكنها ساهمت من قبل بتعديل التصميم الداخلي لمساكن الأمراء القديمة المحفوظة في سوريا من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، مثل المشفى. بالنسبة إلى العصور اللاحقة، نبيّن من النصوص كيف كانت الستارة تخفى، خلال الاستقبال، خليفة عابثاً لا يخرج إلا نادراً من قصره وكيف كان أهل السلطة ينظّمون الوافدين المختارين الذين يُسمح لهم وحدهم بالدخول على الأمير.

إضافة إلى ذلك، نكتشف في لشكر بازار تنظيم صالة العرش بتخصّص الصالة الثمينة الكائنة في أقصى بهو المدخل والتي كانت ما تزال تحتفظ، بعد رفع زكام القبة المتهلّمة، بالمنصة المشعّة المبنية خصيصاً لتحمل عرش السلطان. لم تكن تلك الصالة تقضي إلا إلى واجهة إيوانين موجّهين الواحد بعكس الآخر ومستدّين إلى جانبها: أحدهما لاستقبال الزوّار، يمكن بلوغه مباشرة من الفناء الرئيسي، والآخر مخصص من دون شك للملك وصحبه، وهو يقترن بصالة استقبال ثانية بقيت زخارفها تحمل إلى اليوم مجموعة رسوم كاملة لأفراد حرس الغزنويين من الأتراك، مصطفىين في أبهة بملابسهم وأسلحتهم.

لم تكن القصور معدّة تحديداً لتشكل موقفاً للاستقبالات المقصورة على من يحالفهم الحظّ عبر معزّات تثير فيهم الرهبة والإعجاب. فقد كانت تيسر في ساحاتها، كما في لشكر بازار مثلاً، إمكان تحرك فرق المشاة والخيالة الملكية، وأمكنة لحشد الجنود المرابطين خارج القصر. كما كانت تقوم في القصور مصطبات وأروقة تعلو الباب الرئيس، اعتاد الحاكم أن يستعرض منها دورياً الجيوش وأن يطلّ أحياناً علانية على أفراد رعيته. كما كان يفعل الخليفة المعتضد، ومن بعده عدد وافر من السلاطين الذين كانوا يطلّون من أعلى مقصورة في قصرهم. وكانت في القصور أخيراً مساحات مسوّدة ومزروعة مخصصة لتزوّد الأمير مع المقرّبين إليه وحيث كان يستقبل زائريه، إن شاء، بالقرب من عيون ماء وأكشاك، كما في حديقة لشكر بازار

تابعون كذلك القيم المكلف حسن سير الأعمال.

إلى جانب «الاختصاصيين» الذين يمكن اختيارهم من بين الأحرار، كانت هيئة خدم الخليفة وعائلته، الكثيرون العدد، من الرقيق بوجه خاص. وكان بينهم عدد وافر من الخصيان الذين لم يكونوا، كما يُعتقد أحياناً، مكلفين مجرد الخدمة داخل «الحريم» بل، بحسب المبدأ السائد آنذاك والمتبع أيضاً في الأُميراطورية البيزنطية، كان هؤلاء، أكثر من سواهم، مهيين ليصبحوا خدماً أمناء للخليفة، صادقين ومتفانين في سبيله، جديرين بمراكز الثقة. وكان هؤلاء يُحرِّرون ومحرَّرين عند تَبَرُّعهم بعض المراتب. يُذكر من بينهم، في خدمة الخليفة الفاطمي، الخصي المقدم الذي كان يلتصق عمامة الخليفة على شكل تاج، والقيم على قاعة الاستقبالات، وناقل الرسائل، ومدير المراسم، وأمين بيت المال، ومنظم سجل الاجتماعات، وحامل لوح الكتابة، والقيم على شؤون أقارب الخليفة ومدير المائدة، إضافة إلى كبار المسؤولين هؤلاء الذين يظلمون بمسؤوليات فخرية ومحددة بدقة، كان العدد الأكبر من الخدم المسترقين يقطنون حول المساكن الملكية ويكلفون بمهام محددة. فيما كان بعضهم يهتم بصيانة الأماكن المختلفة وأثاثها، بينما يتولى آخرون شؤون المائدة أو يختصون بخدمة الخليفة الفاطمي فيساعدونه على ارتداء ملابسه - كذلك المرأة الملكية «زينة الخزان» التي كان في أمرتها ثلاثون امرأة - ويسهلون له الوضوء أو يعاونونه في ركوب الخيل. هذه المهام المختلفة - التي كانت عديمة الفائدة بقدر ما كانت عادة ذات أهمية لأنها تمنح الألقاب لأصحابها - دامت حتى عصور متأخرة إلى جانب مهام حكومية حقيقية.

كان ضباط عديدين يتولَّون، بنوع خاص، إدارة خزانة الخليفة وواردات أملاكه الخاصة، ومراقبة مستودعاته التي تخزن الطرائف. والنظام إياه كان معتمداً بالنسبة إلى أملاك الأعيان وأموالهم، مثل أفراد عائلة الخليفة (الملكة الأم والأمم والإخوة أو الأبناء ومن بينهم أولياء العهد)، أو ذوي المقامات الرفيعة الذين بلغوا أعلى درجات التشريف. كان هؤلاء القيمون

اليوم، في الغالب، في حين نجد تفاصيل حولها في بعض ما كتبه الإخباريون القدامى. إلى جانب اصطبلات الخيل والجمال، وإلى جانب أبراج الحمام ومخابئ الكواسر التي تُستخدم للصيد، ومعارض الوحوش والحيوانات النادرة، تكثر مثلاً مختلف الأبنية المخصصة لملايين الخليفة العامة والخاصة، ومخازن المؤن والخمور، والمطابخ ومصانع الحلوى، ومستودعات التموين والبهارات والمواد العطرية، والمفروشات وحانوت الحلوى والمواد الثمينة والسروج ومستودع الخيَّم ومصنع الأسلحة ومستودع الرِّيايات حيث كانت تحفظ الشارات والأسلحة الفخمة المستخدمة في الاحتفالات العامة، وأخيراً بيت «التدبير» المكلف بترتيب القصر بالأزهار.

٣ - إن مختلف الأمكنة المجمعّة على أطراف المدينة الملكية كانت مجاورة لمساكن الخدم الذين كانوا ينشطون في خدمة سيدهم أو يعملون ممثلين عن هيئات المهن المختلفة. فلمصلحة الخزينة الملكية ومحلّها كان يعمل بلا هوادة الصاغة والخياطين والسكاكوت والتجارون وصبايو البرونز وغيرهم من صناع الطرائف، بينما كان النساجون والمطرّزون يقومون، إضافة إلى أعمالهم العادية، بإعداد الطراز وهو رداء المراسم، والناسخون والمزخرفون بتأمين الألق المعهود لفنون الكتاب. في معرض آخر، كان هناك مزارعون ويسانة لِرَبِّ الحدائق وصيانتها. أمّا بالنسبة إلى شؤون الصيد، فقد كان لدى الخليفة مدجنون ومرؤسون لإطعام الصقور والوحوش. وكان هناك سؤاس يهتمون بالخيل المخصصة لرحلات الخليفة ولاستعراضات خياله، وكذلك قسم للركاب يهتم بزهات الخليفة على نهر دجلة. في ما يتعلق بالولائم، يضاف إلى الطباخين وخبراء الحلوى والجزّارين والسقّانين وسائر ممثلي المطابخ الذين لا بدّ منهم، كافّة فئات الموسيقيين والراقصين والروائيين والمهزّجين وغيرهم من محترفي اللّهُو الضروريين في مناسبات مشابهة. إنّ الجدال التي تورد كل هذه الأسماء، تضيف إليها الأطباء والمكتبيين والملحقين مباشرة بسيد القصر لإسداء النصّح، وهم

يؤكد شرعية سلطته - من بعض الشبهات التي تتعارض نوعاً ما مع السلطة الشخصية لمفسري هذه الشريعة والمدافعين عن السنة.

من هنا برزت تحفظات العالم الإسلامي في القرون الوسطى تجاه «حصارة القصر»، مع أنها كانت حاضرة دائماً في تاريخه، وقد تميّزت، في إن، برخانها الباذخ وبعدها المشاركين فيها الذين كانوا يؤثرون، بحسب مزاجهم، في الازدهار الفني والأدبي الذي كانت تنعشه «طلبات» الأمير. إشتاداً إلى الشواهد العادية المتبقية، يمكننا أحياناً منح أهمية أساسية لتلك «الحصارة المتخيلة» حتى في نموِّ الفن الرسم التجسيمي الذي كان محزناً خارج أسوار القصور، على الرغم من أن ذلك لم يكن إلا وجهاً من وجوه الحضارة الإسلامية المعقدة حيث كانت وقائع أخرى كثيرة، إجتماعية ودينية بنوع خاص، تتسبب بردات الفعل الشعبية وتتحكم بمصير مختلف السلالات الحاكمة.

«راجع السندات ٤٥ إلى ٦٦، ٥١ إلى ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٧ و٧٨»

قَصِير عَمْرَةَ، اسم عربي حديث أطلق على أسلال حَمَام ضخم أموي. تنتصب وحيدة في منخفض من هضبة البلقاء في الأردن - أثارت باستمرار، منذ اكتشافها في القرن التاسع عشر، اهتمام علماء الآثار. لم يقتصر الأمر على التمتع بجودة مبنى ذي حجم صغير لم تعبت به يد الأيام نسبياً، تجلّت فيه، كما في حَمَام السراح - وهو موقع أموي مجاور له - العناصر المعمارية المختلفة المتولدة عن الحضارات القديمة المزودة بقاعة استقبال، هي بمثابة قاعة تُستخدم لخلع ثياب والراحة، لكن ما يسترعي النظر هنا أيضاً هو توافر مجموعة من الرسوم التي تغطي الجدران الداخلية ومختلف الفناطر والقبب. وقد خلّت هذه الرسوم التي رُمّت أخيراً على وضع دراسات وشروح فنية حولها: إنَّ البناء الذي رأى فيه البعض، طبقاً لنظرية سقطت حالياً، قصراً صغيراً استعمل مصيفاً صحراوياً لنبلاء العرب من الذين استقروا في المنطقة بعد الفتوحات الكبرى، يحتل مكانه الطبيعي بين الأبنية التي تشهد على استبطان العناصر العربية في سوريا في العصر الأموي. ورغم اندراس آثار الأبنية ذات

على الأموال ينتمون إلى مجموعة الكتاب الذين كانوا يحتلون داخل القصر الملكي، أو في نَزْزٍ مجاورة له، مكاتب الإدارة ويعملون بإمرة الوزير، محافظين على روح التضامن في ما بينهم، وعلى كتابتهم الثقافية وعلى تفردهم بصفة مغايرة لثقافة المسنين. من جهة أخرى، كان عناصر المنظمة العسكرية الأكثر إثارة للقلق في المدينة المنكية. نجد بينهم، بخاصة منذ القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، قدامى الرقيق من أصل أجنبي بعيد، اشترتهم الخليفة ودرّبهم خصيصاً ليكونوا حرساً له، وكانوا يعيشون في أقسام مجفزة داخل السور أو إلى جانبه مباشرة، وكان عددهم يفوق عدد انخراط المدنيين. كان رؤسائهم وقادتهم، من مختلف الرتب، يعيشون بالقرب منهم، وكان هؤلاء أيضاً من قدامى الرقيق يتولون مسؤولية إرفقهم ويؤمنون الدفاع عن الخليفة. كان قادة القوّات هؤلاء ينتمون بولاء جنودهم لمشاركتهم إلتزامهم الإثني، وكانوا باستمرار على استعداد إما للمشاركة في ثورات محتملة وإما لإخماد مثل هذه الثورات، شاعلين المركز الأول لدى سيدهم. في مقابل هؤلاء الأفراد المأجورين في بيت الخليفة - وهو بيت على قدر كبير من الأهمية إذ إنّه، عندما عانت السلالة العباسية الصعوبات، أصبح أحد أسباب العجز المالي ومن ثمّ انحطاط السلطة - كان هناك الفقهاء والعلماء الذين كانوا يترددون إلى القصر من دون الاختلاط بالقاطنين فيه. من بينهم كان يتمّ، بصورة طبيعية، اختيار أعضاء الجهاز القضائي المرتبط بدوره بالحليفة. كان بعض القضاة الذين أُلِيط بهم، ضمن مهنتهم، مسؤوليات واسعة، يشاركون في اجتماعات الخليفة والتي يحتلّ فيها ممثلهم، قاضي القضاة، المركز الثالث في الدولة. بطبيعة الحال، كان في استطاعة الفقهاء وعلماء الكلام تأدية دور لدى العامل. هو دور المستشارين الخاصين، وإلمشاركة في اجتماعاته الخاصة حيث يحتلّ الأدباء بالندماء المقربين، لكن هذه الامتيازات لم تكن تشمل حكماً الاشتراك الدائم في حياة البلاط التي لا تخلو في سياقها - رغم أنها لا تتضمن أي شيء يستحق الإذانة، إذ إنَّ المعامل الممجد كان عاجلاً مسلماً، يعمل ويحكم بحسب الشريعة لكي

القضائية (المؤسسات)، وسائل يمتلكها القادة المسلمون لفرض النظام المتلائم مع متطلبات الشريعة وممارسة السلطة في المجتمع الإسلامي. في بداية الإسلام، كانت العدالة تؤمّن عادة في البيئة السنية بواسطة قاض له صفات عديدة، يعيّنه الخليفة أو من ينوب عنه، لأنّ رئيس الجماعة الذي يده سائر السلطات - ما عدا السلطة التشريعية - هو مصدر كل قضاء. وإلى جانب القاضي الذي كان يناط به، عادة، تطبيق العقوبات الشرعية المنصوص عنها بشأن عدد من الجنح، ثقة من جهة، فائد الشرطة المكلف تنفيذ الأحكام الصادرة عن المحاكم، إضافة إلى الحفاظ على النظام، وثقة من جهة أخرى، المحتسب أو المسؤول عن تطبيق الحسبة، وكان يفرض عقوبات كيفية خفيفة في مقابل مخالفات صغيرة. كانت سلطة الخلافة تحدّد بدقّة إختصاص كل من هؤلاء المسؤولين، كما كانت تحدّد صلاحيات القاضي في ما خصّ المكان والزمان والمادة. واستحدثت وظيفة القاضي الكبير، أو قاضي القضاة، لمراقبة مجمل التنظيم القضائي بواسطة أحد الأعيان المقربين من السلطان. وقد ظهرت هذه الوظيفة لأوّل مرّة في بغداد في عهد هارون الرشيد، وعرفت في ما بعد، بحسب العصور والمناطق، صيغاً مختلفة قليلاً، كان آخرها في زمن الدولة العثمانية. عرف الوسط الشيعي جواً مماثلاً لما عرفته المجتمعات السنية، على الأقلّ في المراحل التي كان يمارس خلالها الإمام العلوي السلطة بنفسه. في هذه الحالة، عند الفاطميين مثلاً، كان الإمام هو مصدر السلطة القضائية، والفرق الوحيد الجدير بالذكر، مقارنةً بالنظام السني، يعود إلى اعتبار هذا الإمام المفترس الأعلى للشريعة. وفي المقابل، في الدول الشيعية التي انتظمت في غياب كل إمام، كما حصل في الشرق عند الإمامية الإثني عشرية، بعد غياب الإمام الثاني عشر من السلالة الحسينية المباشرة، كانت المسألة أكثر تعقيداً لأنّ السلطة الحاكمة اعتُبرت، ميدانياً، غير شرعية، أيّاً كان مصدرها. وفي حال كهذه، كان يُقبل، بصعوبة، شكل من التناوب بين قاض شيعي يحكم وفق الفقه الإمامي وحكومة أمر واقع. أمّا القوانين فكانت تخضع لتأويلات كثيرة القلب، وارتكزت

المنفعة العامة وكذلك مساكن الفلاحين، وحتى قصر الحاكم، ومن المفترض أن تكون كلّها قريبة من موقع الحقام - ولكن ليس بالضرورة في المكان نفسه حيث تغزر المياه الجوفية التي كان من السهل استخراجها بواسطة ناعورة. فلا يمكننا أن نشكّ في المنفعة العامة التي كانت لحقام قُصّير عمرة في ذلك الوقت. يشهد استخدامه على العادات التي كانت متبعة في القرن الأوّل للإسلام حيث نشأ الأسياد الجدد للبلاد بعض العادات المرفقة لشعوب العالم القديم، إذ أصبح الحقام ضرورة، كما اتبعوا نموذج اقتصادها الزراعي القائم على استصلاح الأراضي المتشعبة التي استمرّت في تأمين ازدهار البلاد.

« راجع السند رقم ٩.

القضاء والقدر، مفهوم أخذ به، بوجه عام، في العقيدة الإسلامية وفي الذهنية الشيعية الإسلامية، رغم تحفّظات مذاهب كلامية متعددة. فقد ساد تأويلٌ لعمل الخلق الإلهي للعالم جعل منه عملاً مستمراً، بفعل قرار إلهي يشار إليه بعبارة «القضاء والقدر». وشملت هذه المشيئة، بحسب التفسير، الأحداث كافّة التي اعتُبرت مرتبطة بإرادة الله، من دون غيرها. ينتج عن ذلك أنّ كلّ ما يدعوه الناس مسبباً ليس إلا تسلسل أحداث أرادها الله، وأنّ قدرته الكلية تُسيّر كذلك الأعمال البشرية التي تُقرّر من دون أي تدخل لحرية الاختيار.

أصبح هذا المفهوم، الواسع الانتشار في أوساط التقليديين، أساساً لعقيدة الإستسلام للقدر التي انتشرت في الأوساط الإسلامية خلال القرون الوسطى، رغم نباين الآراء حولها وتناولها بالثد، من قبل مفكرين عديدين. فالمعتزلة، بخاصة، إلى جانب إقرارهم بنوع من الجبر، دافعوا عن المسؤولية البشرية وحرية الاختيار. وقد طوّروا فلسفتهم واستقبلوا في صفوفهم المدافعين عن القدرية المرتبطة بمنحى سياسي، والمعتمدة على الطرح نفسه. جاءت الأشعرية لتؤكد إمكان تحمّل الإنسان مسؤولية أعماله، رغم القضاء بها من قبل الله. في ما بعد، أصبح بقد عقيدة القضاء والقدر في العصر الحديث أحد الموضوعات المفضّلة عند الإصلاحيين.

جماعي، لها صلاحيات إدارية. ثم صدر قانون في العام ١٨٦٤ وأنشئت بموجبه محاكم بدائية واستئنافية في مختلف الدوائر، كما صدر قانون في العام ١٨٧٩. وقد حدد مهمة المحاكم النظامية التي أنبثت بها، مذكر، صلاحية الحكم بقضايا مدنية من كل الأنواع، وقضايا جنائية صغيرة، والشروع بتحقيقات حول جنح خطيرة، والحكم في قضايا تجارية عند الانقضاء. غير أن هذا النظام لم يعمل به بصورة جدية، في ظل حكم السلطان عبد الحميد، قبل أن تصادق عليه وتحذده جمعية تركيا الفتاة في العام ١٩١٠. وفي العام ١٩٢٠ كان النظام القضائي يسير نحو النظام العلماني القومي الموحد الذي ستبنيه، في ما بعد، جمهورية تركيا الجديدة.

وعلى النحو نفسه، في إيران، جرت محاولات إصلاح النظام القضائي خلال القرن التاسع عشر. لكنها لم تؤد إلى إقامة نظام قابل للحياة بسبب معارضة رجال الدين. إنما في القرن العشرين، وفي عهد رضا شاه بهلوي، صدر ما بين ١٩٢٥ و ١٩٣٥ قانون مدني يحصر صلاحيات المحاكم الشرعية في قضايا الزواج والطلاق والإرث والوصاية. لكن هذه الانجازات أعيذ النظر فيها بعد الثورة الدينية التي أسفرت عن إقامة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في العام ١٩٧٩. في القرن التاسع عشر أيضاً، وبصورة خاصة في العام ١٨٧٣، جرى التصديق على سلطات المحاكم الشرعية في مصر، وذلك بمبادرة من الخديويين خلفاء محمد علي، فأنشئت محاكم وطنية أو أهلية في العام ١٨٨٣، كان من صلاحياتها قضايا عديدة انزعجت من المحاكم القديمة. وفي العام ١٩٥٥ ألغيت المحاكم الشرعية وكذلك محاكم الطوائف الدينية غير الإسلامية، وانتقل دورها إلى المحاكم الوطنية. ومنذ ذلك الحين تطالب حركة الأخوان المسلمين بإلغاء كل الأحكام التشريعية المخالفة للشرعية، لكن محاولاتها باءت جميعها بالفشل.

في الفترة عينها، ظهرت بعض المشكلات الخاصة في البلاد التي تشتمل على مذهبين إسلاميين مختلفين. ففي العراق مثلاً تأسس، في العام ١٩٢٣، نظام محاكم مزدوج، سني وشيعي، ولكن تمّ التوصل إلى توحيد قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في العام ١٩٥٩.

السلطة الحقيقية، إلى حد بعيد، على القرارات الملزمة التي كان يتخذها الفقهاء المعروفون في إيران باسم «الملاي». وبعد أن استولى الصفويون على السلطة، عبثوا قضاة إماميين لم يترددوا في قبول مهمات كهذه. في الحقب القديمة، ومهما كان النظام، كان القضاء، وهم العنصر الأساسي في نظام القضاء الإسلامي، يستمذون سلطانهم من حاكم يمارس وحده القيادة المباشرة للتنظيم العسكري والأمني. وكان هذا الحاكم يحتفظ لنفسه بمسؤولية القضاء المتعلق بالتجاوزات أو بهرة المظالم، ما كان يسمح له بالتدخل في الأحكام عندما يتظلم رعاياه، وكذلك بمراقبة كل ما يتعلق بالأعمال الإدارية. من هنا نشأ، في بعض الأحيان، قضاء حكومي في أساه، مستقل عن قضاء القضاء ومواز له، كان يسر أنظمة عشوائية لا صلة لها في أغلب الأحيان بالشرعية. بدأت أهمية هذا القضاء الموازي بالظهور ابتداء من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، في دولة السلاجقة وورثتهم. وفي عهد العثمانيين أضيف قضاء آخر هو القضاء العرفي، فأصبحت الحيل القضائية العديدة تسمح للسلطان أن يمارس سلطته التفتيشية، في حين عرف فيه النشاط التنظيمي امتداداً جديداً. وبدءاً من العام ١٨٠٠ تقريباً، سمح هذا النشاط التنظيمي للسلطات العثمانية أن تقوم بإصلاحات أدت في النهاية إلى إقامة نظام قضائي جديد. في الواقع، في هذه الفترة بالذات، وفي معظم البلاد الإسلامية، بدأ ظهور تحولات في القانون وتطبيقه، استمرت في القرنين التاسع عشر والعشرين، واعتمدت قوانين من طراز أوروبي وضعت حداً لصلاحية المحاكم الشرعية، في الوقت الذي طُرح فيه موضوع توحيد قانون الأحوال الشخصية للمسلمين من مختلف المذاهب الفقهية، أو لمجمل شعب، مكون من المسلمين وغير المسلمين.

وخلال القرن التاسع عشر، أسفرت إجراءات أخرى اتخذتها الدولة العثمانية عن وضع المحاكم الشرعية، في العام ١٩١٧، تحت رقابة وزارة العدل. وفي مولدات ذلك، كان الحدث الأهم التطور التدريجي للمحاكم النظامية. ففي العام ١٨٤٠ تم تأسيس مجلس أعلى للقضاء مركزه اسطنبول، ومجالس محلية ذات طابع

طويل، وبخاصة إثر الاستقلال، دخلت البلاد طور الحداثة: فشهدنا، مثلاً، في العام ١٩٥٦، إلغاء الأوقاف، وإلغاء السلطة القضائية التي كان يتمتع بها القضاة وإصدار قانون تونسي للأحوال الشخصية أدخل تعديلات مهمة، منها منع تعدد الزوجات.

هناك أنماط أخرى من التطور نلاحظها أيضاً، منذ القرن التاسع عشر، في البلاد المسلمة جزئياً، كشيء المقارنة الحديثة، حيث أعدت السلطات البريطانية قانوناً خاصاً أحدث تعديلاً في ملامح الشريعة الإسلامية، ويُعرف باسم «القانون المحمدي الانكليزي»، وكانت المحاكم تصدر أحكامها وفقاً لهذا القانون. كان الأمر على عكس ذلك في إندونيسيا حيث استمرت المحاكم الإسلامية في جواره. وقد تمّ إدخال إصلاحات على هذه المحاكم في العام ١٨٨١، ومن ثمّ في العام ١٩٣٧، ولكنها فقدت بعض صلاحياتها، المتعلقة بالإرث مثلاً، التي انتقلت إلى محاكم علمانية. بقيت هذه المحاكم، إذن، في جواره بعد الاستقلال، بينما عملت محاكم أخرى مختلفة في بقية المناطق. وهكذا نرى كيف أن تنوع الحلول المعتمدة في الدول الإسلامية اليوم، وعدم ثباتها تجاه تطورات سياسية مستمرة وتصورها البرامج المطلوبة للحركات السياسية-الدينية، تجعل من التوازن القضائي هدفاً صعب المنال.

إنّ ضرورة موازنة الشريعة الإسلامية والنظم الحديثة للقانون الخاص، المعتمدة هنا وهناك، تبقى حجر عثرة أساسي يواجه الاسلام في كل محاولة لتكييف مبادئه مع متطلبات العالم الحديث، كما في كل جهد إنشائي سلفي على نفسه.

قُطْب، لفظة تقنية عربية تعني عامة «القطب» أو «المحور» وتدلّ، في الإصطلاح الصوفي، على رئيس هرم الأولياء، في التراتبية الصوفية.

في المفهوم الصوفي، كان القطب يقوم بدور «المحور الروحي» الضروري والخفي. وقد أدى القطب دوراً خاصاً في نظام ابن العربي حيث اعتُبر المبدأ العقلي الكوني وزوج النبيّ محمد (ﷺ) الذي به انتقلت المعرفة الإلهية إلى الأنبياء والأولياء. إن مفهوم القطب عند الصوفيين ومفهوم الإمام عند الشيعة متشابهان إلى

في المقابل، لم يتغيّر، حتّى اليوم، النظام القضائي التقليدي في المملكة العربية السعودية إلّا في ما خصّ صلاحيات المحاكم المختصة. فالإجراءات التي أدخلها العثمانيون على النظام القضائي تمّ إلغاؤها بقرار ملكي في العام ١٩٢٧، وقد أنشأ هذا القرار ثلاثة أنواع من المحاكم: - محاكم العجلة النافذة في الجناح الصغيرة، وفي الجرائم التي تستدعي تطبيق احكام القرآن، باستثناء حكم بئر أحد الأعضاء وحكم الإعدام (وهي عقوبات يفرضي التصديق عليها من قبل لجنة المراقبة)؛ - المحاكم العليا النافذة في القضايا الجزائية الخطيرة، وتعالج الدعاوى المدنية؛ - وأخيراً لجنة المراقبة. في العام ١٩٧٤ استُبدل بهذا النظام نظام آخر اشتمل على محاكم بداية ومحاكم مناطق ومحكمة تمييز. لكن ذلك لم يمنع تطبيق القانون الإسلامي بشكل شامل في هذه المحاكم، وفق أحكام الفقه الحنبلي الذي يفرضه النوّابيون.

تشكل المملكة المغربية حالة خاصة، لأنها تشتمل، منذ القرن التاسع عشر، على أراضي مأهولة بالبربر أو الناطقين بالبربرية، يحكمها قانون عرفي مختلف عن القانون الإسلامي. سعت الحكومة، بعد الاستقلال، إلى إقامة محاكم شرعية في مناطق البربر؛ وفضلاً عن ذلك، إنشاء محاكم «عادية» لتحل محل قضاء الباشاوات القديم. وفي الوقت نفسه بُنيت طريقة المحاكمة المعتمدة في المحاكم الشرعية. وهدف قانون صدر في العام ١٩٦٥ إلى توحيد النظام القضائي بشكل تام، وهذا ما لم يحصل إلى الآن.

في الجزائر، حيث للقانون الفرنسي تأثير كبير وانتشار واسع، فإنّ التعديلات التطبيقية التي أدخلت على القانون في العام ١٩٥٩ لم تتناول سوى الزواج والطلاق. وقد أعدّ قانون جديد ما بين ١٩٠٦ و ١٩٦٦: مشروع أولي للقانون الإسلامي الجزائري المعروف باسم قانون «موران» (Morand). لكنّ هذا النص الذي كان له دور مهمّ في الحياة العملية لم يعتبر أبداً قانوناً. وفي تونس، أخيراً، ثمة قانون مدني وتجاري يرتكز إلى الشريعة. لكنه مخصّص للتطبيق في المحاكم المدنية، وقد أبصر النور منذ العام ١٨٩٩. بعد ذلك بوقت

١٢٣٥م، صوفي شارك في الإنطلاقة الأولى للطريقة الجشّية في الهند الشماليّة. وما يزال صريحه في مهرولي مقصد زيارات تقويّة حتّى اليوم.

أصله من أوّش في منطقة فرغانة الشرفيّة، عاصر معين الدين الجشّي الكبير، وأعتبر خليفته. كان التقاه خلال بحثهما المشترك عن العلم الديني لدى علماء إيران والعراق، ثمّ تقرب منه في الوسط الهندي، حوالي مطلع القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، يوم استقرّ في دلهي، عاصمة أبرز الحكام المسلمين في البلاد. ما تزال ذكراه مكرّمة في هذا المكان حيث عاش، على مقربة من قطب بنار الشهير، ونوفي في إحدى الجلسات الصوفيّة الموسيقيّة التي كان يحرص كل الحرص على أن يشارك فيها.

القُطْبِ شَاهِيُون، ٩٠٢-١٠٩٩هـ/ ١٤٩٦-١٦٨٧م، سلالة من الدُكُنْ أُلُفّت، خلال القرنين اللذين حافظت فيهما على استقلالها واعتمدت خلالها على علّكُنده وحيدر آباد عاصمتين لها، نهضةً ثقافيّة إسلاميّة هندية رائعة.

مؤسّس السلالة من أصل إيراني ومن عشيرة الفراقويولو التركمانيّة. أصبح حاكم الأراضي الهنديّة من قبّل آل بُهْمَن، فاستقرّ قرب محلة كوكلكنده المحصنة، بعد أن مُنح لقب قطب الدين (رواليه ينسب اسم السلالة) مضافاً إلى إسمه سلطان قُلي. دأب قطب الدين وخلفاؤه، شأن العادليّين المقيمين في بيجاپور، على ترويج التشيّع، وأقاموا علاقات سياسيّة بالصوفيّين في إيران وطلبوا منهم أن يدعموهم ضدّ طموحات المغول. كما شجّعوا على استيعاب الهندوسيّة والتقاليد الهنديّة في تنظيم دولتهم التي اضطلع فيها غير المسلمين بمسؤوليّات عديدة، وقد ساهم هؤلاء في ازدهار نهضة أدبيّة وفنيّة بلغت أوجها في عهد محمد قُلي.

بعد حروب طويلة مع أمراء مسلمين آخرين في الدُكُنْ، كان القُطْبِ شَاهِيُون آخر السلالات التي فقدت مملكتها تحت ضربات جيوش السلطان المغولي أورنغ زيب، وضُمّت أراضيهم إلى إمبراطوريّة هذا الأخير وانهارت تاليّاً سلالاتهم نهائيّاً.

حدّ بعيد، بحيث أنّ بعض علماء الشيعة اعتبروا القطب والإمام يمثلان شخصاً واحداً، غير أنّ قسمًا من العلماء ميّز بشكل دقيق بين سلسلتي التراتب العائدين لكلٍ من الأرواليّ الصوفيّين والألقّة العلويّين.

قُطْب (سيد)، ١٩٠٦ - ١٩٦٦، مفكّر مصري ذهب ضحية نضاله لمصلحة الإخوان المسلمين، أخذت بنظريّاته حركات إسلاميّة ظهرت في بلدان أخرى.

أبدي سيد قطب، في البدء بتأثير من العقاد، إهتماماً بالفكر الغربيّ والمسائل الأدبيّة. وابتداءً من سنة ١٩٤٩، خصّ جهده بدراسة المسائل الإسلاميّة الصّرف، كما يفيد كتابه «العدالة الاجتماعيّة في الإسلام» الذي نشر في ذلك الوقت، وتبعته مؤلّفات أخرى مشابهة. بعد سجنه، للمرّة الأولى، في العام ١٩٥٤، بسبب الخلاف بين حكومة عبد الناصر والإخوان المسلمين، انتسب إلى هؤلاء وتبنّى عقيدتهم وأصبح أحد زعمائهم، ما أدّى إلى سجنه ثانية، وإلى إعدامه بعد محاكمته.

نشر سيد قطب بين ١٩٥٢ و ١٩٦٧، بشكل كراسيات، تفسيره المسمون «في ظلال القرآن»، وهو يقع في ثلاثين مجلّدًا تقريباً، يضاف إليه مؤلّف في التاريخ نشر بعد وفاته، سنة ١٩٦٧، في المملكة العربيّة السعوديّة.

يسعى سيد قطب، من خلال فكره، إلى أن يثبت، من جهة، أنّ وجود الإسلام هو، بذاته، بهران فاطم على أصالته ومن جهة ثانية، أن يؤكّد أنّ نظاماً دينيّاً واجتماعيّاً ولد من الإسلام وأنّ هذا النظام ينطبق على البشر كافّة، في كل مكان وزمان. هذا الإنبات يشبه إلى حدّ بعيد المبادئ الإيمانيّة الأصوليّة القديمة: لا حكومة إن لم يقمها الله، لا شرع إلّا من الله، لا سيادة لأحد على أحد، لأنّ السيادة كلّها هي من الله. إنّ حُكم الله هو العلاج في وجه الأنظمة المعاصرة، الرأسماليّة منها والإشراكيّة والشيوعيّة، لأنّ كل هذه الأنظمة تعتمد على القيم الإنسانيّة، لا على القيم التي أوحى بها الله في قرآنه. يجب إذاً تنظيم المجتمع طبقاً للشرعية التي لا تتبدّل، حتّى إن أفسح الفقه في المجال أمام التأقلم مع الحياة الحديثة.

قُطْب الدين بختيار كاكّي الأوشي، ٩ - ١٣٣٣هـ - ٩ -

٢ - دولة قطر الحالية، مساحتها ١١ ٠٠٠ كلم^٢، عاصمتها الدوحة، وهي دولة معاصرة مستقلة في شبه الجزيرة العربية. يبلغ عدد سكانها حوالي النصف مليون نسمة، جلهم من المسلمين.

يمتد البلد على شبه جزيرة قطر المجاورة للبحرين وللمملكة العربية السعودية. لدولة قطر التي حصلت على استقلالها في العام ١٩٧١ حدود برية مشتركة مع الإمارات العربية المتحدة، وهي جزء من إمارات الخليج التي يقوم غناها على الثروات النفطية الموطنة في عملية التحديث. يقوم نظام قطر على الملكية الإسلامية المطلقة وهي تؤمن، منذ ١٩٧١، استمرار السلطة التي مارسها عائلة آل ثاني في المنطقة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إبان صراعات وتوترات كانت تضعها في مواجهة عائلات أخرى حاکمة في الأقطار المجاورة.

قَطْرِيُّ بْنُ الْمُجَاعَة، ٢ - ٨٠هـ / ٩ - ٦٩٩م، زعيم عربي للخوارج الأزقة، ثار في خوزستان في أواخر القرن السابع للميلاد بعد أن باعه أنصاره بالخلافة. شارك قطري في فتح سجستان سنة ٤٢هـ / ٦٦٢م، وصار لاحقاً، في وقت غير معروف، زعيم الأزقة الذين نشطوا في غرب إيران. بويع خليفة من قبل فرقته سنة ٦٩هـ / ٦٨٩م، فهاجم العراق واحتل الأهواز، ثم أُرغم على التراجع إلى كُزمان حيث صمد لبعض الوقت وقتل سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م. حُمل رأسه إلى الكوفة، ثم إلى دمشق حيث قُدِّمَ للخليفة الأموي عبد الملك.

كان قطري خارجياً متشدداً قام، بحكم عقيدته، بتصفية «الكفار» جسدياً، واضعاً في مصافهم المؤمنين من أصحاب الكاثر. كما اشتهر، من جهة أخرى، خطيئاً مفوهاً وشاعراً مجيداً.

قطيعة، جمعها قطائع، لفظة عربية استعملت وراجت، بصورة خاصة في عصور الإسلام الأولى، للدلالة على قطعة أرض ريفية أو مدينية تنازلت عنها السلطة لهذا أو ذاك.

خضعت إجراءات منح الامتيازات العقارية للمساكن المعقدة المرتبطة بتطور نظام الأراضي في العالم الإسلامي القروسطي. مُنحت هذه الامتيازات في الأصل

١٤٩٦ - ١٥٤٣م	فلي قطب الملك
١٥٤٣ - ١٥٥٠م	جمشيد بن فلي
١٥٥٠م	سبحان بن جمشيد
١٥٥٠ - ١٥٨٠م	ابراهيم بن فلي
١٥٨٠ - ١٦١٢م	محمد فلي بن ابراهيم
١٦١٢ - ١٦٢٦م	محمد بن محمد فلي
١٦٢٦ - ١٦٧٢م	عبدالله بن محمد
١٦٧٢ - ١٦٨٧م	ابو الحسن

قطر، منطقة تشكل شبه جزيرة في بلاد العرب، تقع على ساحل الخليج العربي - الفارسي، عرضها ستة كيلومتر تقريباً وطولها لا يقل عن مائتي كيلومتر. وهي، اليوم، قاعدة دولة مستقلة تعرف باسم إمارة قطر.

١ - كانت شبه جزيرة قطر مسكونة منذ عصور ما قبل التاريخ، وكانت تشكل، بحسب جغرافيتي العصور الوسطى المسلمين، محطة على الطريق التي تؤذي من البصرة إلى إقليم عُمان. وكانت المياه المحيطة بقطر تحتوي على لآلي، وكان لها مرفأ يستخدمه القراصنة. في نهاية العصور الوسطى، اتخذت هذه المقاطعة التي سكنها عدد من العشائر العربية التي تصارعت للسيطرة عليها، قيمة إستراتيجية لأنها كانت تشكل، إلى الجنوب الشرقي، سداً للخليج البحرين وتحمي شاطئ الأحساء. في العام ١٧٦٦ نزلت عشيرة آل خليفة القادمة من منطقة الكويت في قطر، وسعى أحمد بن خليفة شيخاً عليها في العام ١٧٨٣، قبل أن ينقل مركز حكمه إلى جزيرة البحرين. يذكر أنه حوالي ١٨٠٣، احتل الوثاقبيون لفترة مؤقتة منطقة قطر.

ثم ظهر آل ثاني الذين عقدوا، في العام ١٨٦٨، أول اتفاق مع بريطانيا العظمى. لكن هذا الاتفاق لم يحل دون تمركز العشائريين في المنطقة لبضع سنوات، بدءاً من العام ١٨٧١. عقب ذلك اتفاقات أخرى ونزاعات أخرى، إلى أن وقع ابن الشيخ جاسم، في العام ١٩١٦، اتفاقاً مع بريطانيا العظمى يضمن لقطر استقلالها، شريطة ألا تمنح أي امتياز للدولة أخرى بدون موافقة البريطانيين. ظلت الأوضاع في قطر على حالها لعشرات السنين، إلى أن اكتشفت فيها، ابتداءً من سنة ١٩٤٠، حقول غنية بالنفط، وبدأ استقلالها منذ سنة ١٩٤٩.

الاستراتيجية السافرة.

« راجع المسند رقم ١٩ ».

قلاوون، الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي

الصالح النجمي العلائي ٢ - ١٢٨٩هـ / ٤ - ١٢٩٠م،

خاص سلاطين المماليك البحرية، حكم من سنة ٦٧٨ إلى ١٢٨٩هـ / ١٢٧٩ إلى ١٢٩٠م، وكان أكبر أسباط تلك الحقبة من التاريخ.

أصله من بلاد الفجاق شمالي البحر الأسود، استحصل عليه أمير في خدمة الأيوبيين مقابل ألف دينار (من هنا لقبه الألفي)، وإسم هذا الأمير علاء الدين (من هنا نسبة العلائي). دخل هذا المملوك في حرس السلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب (من هنا اللقبان الإضافيان). عندما صار أميراً اضطر للجوء إلى سوريا لسنين عدة، بعد أن شارك بمؤامرة فاشلة ضد أول سلطان مملوكي (إيبيك). عندما عاد إلى مصر سنة ١٢٥٧هـ / ١٢٥٩م، ساعد بيبرس على الاستيلاء على السلطة وأصبح «أمير ألف».

شارك في حملة عين جالوت التي أوقفت في سوريا هجوم مغول هولاكو، وارتقى مراتب الشرف إلى حد تزويج ابنته من ابن بيبرس. بعد وفاة هذا الأخير، حكم ولداه لفترة قصيرة، ثم اختير قلاوون سلطاناً.

شأنه شأن بيبرس، عمل قلاوون على مقاتلة جيوش الإيلخانيين التي عاد خطرها إلى الظهور، ومقاتلة الأرمن والفرنج. أوقف زحف الجيش الإيلخاني الذي تمكن من اجتياز الفرات محرراً عليه انتصار حمص سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م. وفرض على الأرمن سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م حدة وأرغمهم على دفع جزية سنوية. وطارده الفرنج بشكل متواصل، فاستعاد منهم حصن الرقبة سنة ٦٨٨هـ / ١٢٦٥م، وطرابلس سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، وحاصر أيضاً عكا التي سقطت بين يدي ابنه خليل سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م. إلا أنه عمل على تعزيز التجارة مع الغرب من جهة، ومع الشرق الأقصى، من جهة أخرى. وهو الذي أنشأ فرقة المماليك المعروفين بالبرجية وأسس المستشفى المنصوري العظيم في القاهرة، إلى جانب إنجازات معمارية ذات طابع عسكري، في أكثر الأحيان، وهو الذي أمر بترميم قلاع حلب وبلبل ودمشق. كان

من قبل الخليفة أو باسمه، وشملت أراضي تخلى عنها أصحابها القدامى في زمن الفتوحات، وكان على المستفيد الجديد أن يدفع ضريبة العشر على المحاصيل الزراعية.

ومع تبدل الأحوال والظروف، اتخذت الامتيازات اسم «إقطاع» الذي ينطبق على واقع تاريخي مختلف قليلاً. في ما يتعلق بالامتيازات المدنية، كانت القطيعة، في العصور الأولى للسلام، قطعة أرض تقع في مدينة جديدة أسسها صاحب سلطة. كانت قطعة الأرض تعطى لأحد الوجهاء كي يشغلها، ويقم فيها داره على نفقته، ويشارك في تنظيم المدينة الجديدة. وفي داخل القاهرة الحالية وضواحيها فإن المدينة الحكومية أو «الملكية» التي أنشأها ابن طولون قرب القسطة في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، شُيّدت على الشكل المذكور وحملت اسم «القطاع». وتذكر المصادر المكتوبة أيضاً الدور الذي قامت به هذه القطاع في ذلك، يوم تأسيس سامراء في العام ٢٢١هـ / ٨٣٦م، مع أحيائها السكنية الشاسعة الواقعة على طول نهر دجلة، في جوار قصور الخليفة المعتصم.

قصة (الجمهورية التونسية)، مدينة في واحة تقع على طريق عبور كانت تصل، منذ القرون الوسطى، ما بين الصحراء وسهوب إفريقيا.

وهي مدينة قديمة أشبه ما تكون بمفتقر طرق قوافل، وقد دخلت في الإسلام زمن الفتوحات الكبرى. بلغ قصة، أولاً، عُثْمَان بن نافع حوالي العام ٥٠هـ / ٦٧٠م، وتم احتلالها نهائياً في العام ٧٨هـ / ٦٩٧م. والخوارج الإباضيون، الذين سكنوها بداية وشاركوا في ثورات الجريد، هجروها بعد عمليات القمع التي مارسها الأغابة الذين خلفهم الفاطميون وآل زيري.

احتلها بنو هلال وجعلوا منها عاصمة مملكة صغيرة ضمت الجريد. قضى عليها الموحدون في العام ٥٥٤هـ / ١١٥٩م. ثم وقعت بين أيدي الحفصيين، فعرفت حياة مضطربة إثر محاولات استقلال إلى أن احتلها، في العام ١٥٥٦، قرصان يعمل لحساب العثمانيين، فخضعت لسلطة هؤلاء ثم لسلطة الحسينيين، قبل أن تشهد داخل تونس الحالية أهمية اقتصادية حلت مكان أهميتها

«ميريوكيالون»^١، وكان هؤلاء قد بدأوا يغلبون من تعاظم قوّته.

أما نهاية ملك قلع أرسلان الثاني فجاءت مضطربة: من جهة أدّى مرور الصليبيين، بقيادة فريديك بربروسا، إلى نهب قونية سنة ١١٩٠/١١٩٠؛ ومن جهة ثانية وقع الخلاف بين الوردية المباشرين للملك، فاضطرّ قلع أرسلان إلى أن يلجأ إلى ابنه كيخسرو، وهو من أم يونانية، وكان يحكم المقاطعات الغربية، وذلك هرباً من سائر الطامحين إلى الملك.

القلزم، ناحية قروسطية مدقّرة، قامت في مصر، في العصور الأولى للإسلام، بدور تاريخي كمراف على البحر الأحمر قبل أن تختفي نهائياً لمصلحة مدينة السويس الحالية.

القلزم قلعة تستمد اسمها من اليونانية وهو يعني «السّد». تقع على مصب قناة تصل نهر النيل بالبحر الأحمر، وكان قد أمر بحفرها الإمبراطور الروماني تراجان (Trajan)، وأعاد ترميمها، سنة ١٩٣/١٩٣، الخليفة الراشدي الثاني، عمر بن الخطاب، تسهلاً لنقل القمح من مصر إلى شبه الجزيرة العربية. وقد طمر قسمًا منها، في ما بعد، الخليفة العباسي المنصور، سنة ١٥٨/٧٧٥، للتحوّل دون وصول المون إلى المتمردين في شبه الجزيرة. أعيدت القناة، بعد ذلك، إلى حالتها السابقة، ثم حوّل مجراها، قبل أن تُزال نهائياً في العام ١٩٩٩. استُخدم المرفأ الذي كان يتصل بالقناة في القلزم، في العصور الوسطى الأولى، لنقل البضائع والجيوش، ومنه انطلق الأسطول المكلف القضاء على مشروع ريتو دي شاتيلون (Renaud de Châtillon) الذي كان يتو، سنة ٥٧٨/١١٨٢، القيام بغارة على الأماكن المقدسة في الحجاز. وبعد هذه الفترة فقد اُعرف بأدوره العسكري والتجاري وأُعمل موقعه لمصلحة السويس.

قلعة بني حمّاد، موقع أثري لمدينة ملكيّة بناها في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، وفي مكان إستراتيجي من إفريقية القروسطية، حكم محبّيون، هم الحمّاديّون، الذين جعلوا منها قلعتهم وحاضرهم

تأثيره كبيراً لدرجة أنّه، خلال قرن بعد وفاته، تناوب على السلطة إمّا أحفاده وإمّا ممالك من أتباعه.

قلع أرسلان، إسم حمله سلاطين عدّة من سلالة سلاجقة الروم الذين حملوا إجمالاً اللقب النشريفي العربي: «عز الدين».

من أولئك السلاطين عز الدين أرسلان الأول الذي تسلّم الملك بين سنتي ٤٨٥ و٥٠٠/١٠٩٢ و١١٠٧م. وهو ابن سليمان بن قُلمش الذي ينتمي إلى فرع جانبي من الأسرة السلجوقية الحاكمة في إيران، وكان قد استقرّ في نيقية (إزنيك) بعد الإحتياج الأول للأناضول من قبل الجحافل التركية. وقلع أرسلان الأول هو ثاني الملوك السلاجقة في المنطقة، لكنّه لم يستطع أن يرث عرش والده الذي قُتل في سوريا سنة ٤٧٩/١٠٨٦م إلّا بعد موت سلطان إيران ملكشاه سنة ٤٨٥/١٠٩٢م. فعاد عندئذ إلى نيقية وأقام علاقات طيبة بالإمبراطور البيزنطي، لكنّ الفرج أخرجوه من نيقية بعد معركة «دوريليا»، فانتقل إلى قونية التي قدّر لها أن تصبح لاحقاً عاصمة السلالة، وثبت دعائمه ملكه إلى جانب الدانشمنديين الذين كان ملكهم يمتدّ نحو الشمال. وهذا ما سمح له، بعد موت دانيشمند سنة ٤٩٩/١١٠٦م، بأن يحتلّ ملطية. لكنّه قُتل سنة ٥٠٠/١١٠٧م خلال معركة وقعت في أعالي بلاد ما بين النهرين.

عز الدين قلع أرسلان الثاني، تسلّم الملك في ما بعد وحكم من سنة ٥٥٠ إلى سنة ٥٨٨/١١٥٥-١١٩٢م في قونية، فأعاد إلى السلالة قوّتها ومهد للذروة التي بلغت مع خلفائه المباشرين في النصف الأول من القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد. وكان قد خلف والده مسعود الأول سنة ٥٥٠/١١٥٥م، فحافظ على العلاقة الطيبة التي أقامها والده بالبيزنطيين، قبل أن يحتلّ قسمًا كبيرًا من أراضي الدانشمنديين. واصطدم بعد ذلك بضموحات نور الدين [محمود] زنكي، سيّد سوريا، وقد كان هذا الأخير حليفه أحياناً وخصمه أحياناً أخرى. وقد ساعده موت نور الدين سنة ٥٧٢/١١٧٧م، على أن يضمّ ملطية وممتلكات دانشمندية أخرى إلى ملكه. وكان قد أُنزل بالبيزنطيين، في سنة ٥٧١/١١٧٦م، هزيمة كبرى في معركة

وزَّودها بأبنية عديدة.

إنَّ هذه القاعدة الأميرية القائمة على ممرِّ وهضبة صخرية لا تَقَلُّ ارتفاعاً عن ألف متر، والمُستندة إلى جبل أجرد يطلُّ على سهل «هدنا» في الجمهورية الجزائرية، خلقت مدينة أشير كمركز نفوذ لبني حمَّاد.

تمَّ اختيار الموقع لإمكانات الدفاع المتوافرة له والتي سمحت، في ما بعد، بمقاومة حصارات كثيرة، أبرزها حصار الزيريين الذين لم يرق لهم كثيرًا قيام الدولة الجديدة. إلا أنَّ تقدُّم قبائل الهلاليين (أو بني هلال) باتجاه الغرب - وكان هؤلاء يَعْزُزون المنطقة للخطر - أجبر بني حمَّاد على الإجماع على القلعة، في أواسط القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، واللجوء إلى مدينة بجاية المرفئة. بعد ذلك بقليل، جرى فتح القلعة وتدميرها على أيدي «الموحِّدين» خلال هجومات عدَّة كان آخرها سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، ما أزال معالمها من التاريخ.

إنَّ مجتمع الأبنية الذي تألفت منه القلعة، رغم الإطراء الذي خصَّ به عددٌ من المؤلفين القدامى، كان أقرب إلى معقل جبلي منه إلى مدينة فخمة معدة للحكم. على أنَّ بعض الآثار الباقية حتَّى اليوم تشهد للحركة والنشاط اللذين عرفهما في تلك الحقبة. استطاع المعنَّبون بالآثار إعادة تشكيل تصميم تقريبي للسور وحدِّدوا، في داخله، مكان المسجد الجامع ذي المئذنة الحجرية المربعة الزوايا ذات الكُوى الصَّماء مع عدد من القصور التي تحمل أسماء مثيرة للذكريات، منها قصر السلام، وقصر الكوكب، وقصر المُلْك وقصر البحر وقصر المنار المُستند إلى البرج الذي حمل الاسم نفسه. أظهرت مراحل التنقيب المتعددة تزيينات وزخارف وأدوات رفيعة الذوق أحياناً. ولكنها لم تسمح بإجراء دراسة وافية تحدِّد، بالسلسل الزمني، قيام الأبنية التي امتدت تشييدها على مدى قرن ونصف. هكذا لا نعرف إلا القليل عن سير الحياة وعن غنى هذه المدينة الملكية التي استلزمت جزَّ المياه إليها بقنوات مهمة، ما يعني أنَّ تعاطيها مع التقنيات في عصرها كان على مستوى عالٍ من الجودة.

قلعة جَعْبَر، قلعة قروسطية مدمرة في بلاد ما بين

النهرين العليا، في منطقة الجزيرة السورية، ما تزال قائمة على الضفة اليسارية للفرات في مقابل موقع صُفَّين.

رفع بناء هذه القلعة شخصٌ يدعى جعبر، ارتبط اسمه بها، للدفاع عن المنطقة القروسطية الواقعة بين الرقة وبالس. وكان قد استولى على تلك المنطقة في عهد السلاجقة. اضطرَّ جنُير إلى تسليم القلعة في ما بعد إلى مُلُكشاه، ثمَّ استلَّها أميرٌ من بني عُقيل يدعى سليم، وانتقلت إلى ذريته لمدَّة قرن. حاصرها زنكي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م واحتلَّ خلال الحصار، غير أنَّ ابنه نود الدين تمكَّن من الاستيلاء عليها سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م. منذ ذلك الحين وقعت القلعة في أيدي الأيوبيين والمماليك. أُعيد ترميمها سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٣٥م نظرًا إلى موقعها الإستراتيجي، ثمَّ أُهملت. لم تُشكَّل آثارها بعد مادة لدراسة أثرية جدِّية.

قلعة رَياح، مدينة إسلامية محصنة في الأندلس، أسهمت بقايعلة في الدفاع عن أراضي البلاد خلال حروب الاسترداد المسيحية للأندلس. تحمل أطلالها اليوم اسم كالاترافا لا فييخا (Calatrava la Vieja).

تأسست بين قرطبة وطليطلة في عهد أمويي الغرب، على الضفة اليسرى لنهر غادانا، وكانت المركز الإداري لهذه المنطقة. أصبحت هذه المدينة الإستراتيجية هدفًا لصرعات عديدة ابتداءً من القرن الخامس للهجرة/ العاشر للميلاد. تمَّ الاستيلاء عليها، للمرَّة الأولى، بعد سقوط طليطلة في العام ١٠٨٥م، واستعادها «المرابطون» إثر انتصارهم في معركة الزلاقة، ثمَّ فقدوا المسلمون مجدِّداً بين ٥٩٢هـ/ ١١٤٧ و١١٩٦م. احتلَّها «الموحِّدون» بعد انتصارهم في معركة الأرك التي جرت في جوارها سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م. قبل أن تستسلم لآلغونسو الثامن سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، في أثناء معركة لاس نافاس دو تولوزا (Las Navas de Tolosa). أُهملت موقعها لمصلحة المركز الإداري الجديد، فيلاربال، الذي برز في العام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م والذي سُمِّي سيوداد ريال (Ciudad Real)، ابتداءً من ٨٣٢هـ/ ١٤٢٠م.

◀ راجع المستند رقم ١٦.

والتطبيقية الضرورية لكل من ينهد إلى ممارسة هذه المهنة؛ إلا أن فضل هذا المصنف هو في جمعه وناشر ومستندات تعود إلى مختلف العهود، وهي تشكل مصدرًا غنيًا يتعلّق بالتنظيم الإداري والسياسي والعسكري لكل من سوريا ومصر في القرنين الثامن والتاسع للهجرة/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، مع إلقاء الضوء على المؤسسات العائدة لفترات سابقة.

للقلقشندي، كذلك، مؤلفات في علم الأنساب، أفرد، في واحد منها، معجمًا للقبائل العربية، كما خلف رسالة حول الخلافة أهداها لأحد الخلفاء العباسيين الصوريين الذين كانت إقامتهم في القاهرة تساعد على تثبيت شرعية نظام المماليك فحسب.

قُلْمَرِيَّة، مدينة في البرتغال، تُعرف باسم كُومبريا (Coimbra)، تقع في وادي مونديفو الخصيب وكانت فترة احتلال المسلمين لها قصيرة نسبيًا ومتوترة.

هذه المدينة القروسطية التي كانت قائمة في موقع مدينة (Aeminium) القديمة والتي استمدت اسمها من كُونبريما (Conimbriga) - وهي مدينة رومانية مدمرة تقع على مسافة قريبة منها - مثلت في البدء، وفي أقصى الحدود الغربية للأندلس، دوزًا غير معروف. فقد احتلها المسلمون في فترة مبكرة في ٩٥-٩٧هـ/٧١٤-٧١٦م، لكنها حافظت على تركيبة سكانية مكونة أساسًا من المحليين ذوي الغالبية المستعرة. وازدهرت هذه المدينة، من دون شك، بهضمتها مركزًا حدوديًا أُعيد إعمارها واستيطانها سريعًا، بعد أن احتلها المسيحيون من جديد بين ٨٧٨ و٩٨٧م، لكن تمّ تدميرها بصورة شبه كاملة خلال هجمات المنصور العنيفة. وإلى هذه الحقيقة تعود السمات الخاصة التي ظلت تميز عمرانها بعد أن احتلها المسيحيون مجددًا في العام ١٠٦٤م.

قُلْدُنَرِيَّة، طريقة صوفيّة، لأعضائها عادات وآراء غريبة، كانوا يمارسون في الإسلام أشكالًا من الترهّد غير النمازوفة. وهم، كأبناء الطريقة الملاميّة التي ظهرت في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، والتي اعتمدوا تعاليمها، اقتصر اهتمامهم على توفير «راحة قلوبهم»، رافضين في الوقت عينه القرائن الشعائرية

قلعة نجم، قلعة قروسطية مدفنة في بلاد ما بين النهرين العليا في منطقة الجزيرة السورية، قائمة على الضفة اليمنى للفرات، على مقربة من محلة منبج الحدودية القديمة.

بنائها سنة ٩١٢/٣٠٠م شخص يدعى نجم، وحملت اسمه. كانت القلعة تتحكم بجسر من مراكب تجاز النهر عبره القوافل المتجهة من حلب إلى حرّان. أُطلقت نسبة «جسر منبج» على الناحية التي كانت قائمة في ذلك المكان على عهد الأمويين، في منطقة دخلها الإسلام منذ سنة ٦٢٩/١٨م، مع أول موجة من الفتحاح العربية الإسلامية الكبرى.

استمرت قلعة نجم في القيام بدور إستراتيجي خلال الصراعات التي زعزعت، في أجواء الجهاد ضد البيزنطيين أو بسبب الخصومات الداخلية، منطقة انتقلت من أيدي الخلفاء إلى المماليك، ثم إلى النجاشيين، فالزنجيين فالأيوبيين.

بادر نور الدين، وبعده الملك الظاهر الغازي الذي عزز القلعة لتأمين الدفاع عن إمارته في حلب، في مطلع القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، إلى إنجاز أعمال ذات أهمية كبرى فيها، قبل أن يقضي تحويل الطرق التجارية عنها على دورها الدفاعي.

القُلْقَشُنْدِي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي الشافعي، ٧٥٦-٨٢١هـ/١٣٥٥-١٤١٨م، كاتب ومؤسّس، عاش في مصر في عهد المماليك، أكسبته تحقيقاته ومصنفاته الموسوعية شهرة كبيرة في زمانه. ولد لأسرة عربية النسب استقرت في مصر الشّغلى، ودرس في الإسكندرية العلوم النقلية التي سمته الإجازة في إصدار الفتاوى والتدريس وفاق تعاليم المذهب الشافعي. التحق في العام ٧٩١هـ/١٣٨٩م بإدارة ديوان القاهرة الحكومي، حيث عمل نائبًا لكاتب يتحدّر من عائلة «بني فضل الله» الشهيرة.

كتب شروخًا لمؤلفات في الفقه، ومصنقات في الأدب، وهو بخاصة صاحب موسوعة ضخمة في «فن الكتابة» عنوانها: «صُبْح الأُشْش في صناعة الإنشاء». هذا المؤلف من سبعة أجزاء يحتوي ثلثات مفيدة حول مهنة الكاتب، وحول مجموعة من المعارف النظرية

الأول الذي قضى على السَّكان في العام ١٦١٢هـ/ ١٢٢٤م.

منذ القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، نمت قَم بعطف أسباط أذربيجان وإيران التركمان، أي القراقونلو والآق قيونلو، ونمت، بصورة خاصة، على عهد الصفويين الذين جعلوها بأينية دينية فحمة، فأصدين جعلها حرمًا قوميًا إيرانيًا. تابع الفاجار السياسة نفسها، فأصبحت المدينة من جديد مركزًا مهمًا للتعليم الشيعي، وقيم فيها أشهر العلماء الكبار والعلماء والمجاهدين وآيات الله. وقد قاوم بعضهم محاولات التحديث الذي مال إليه بعض الحكام، وتحولوا أحيانًا إلى معارضين سياسيين، لا سيما في عهد البهلويين. منذ ثورة ١٩٧٩ الإسلامية، تحولت قَم إلى مركز لإعداد أركان النظام الجديد وما تزال تحتفظ، إلى جانب مسجدتها المركزي، الصفويّ البناء، بمسجد جامع وبعدد وافر من الأضرحة، يعود بعضها إلى العهدين السلجوقي والإيلخاني.

القمر (جزر -)، مجموعة من أربع جزر اغتنفت الإسلام في المحيط الهندي، تشكل ثلاث منها اليوم جمهورية القمر الفدرالية الإسلامية.

يعود تركُّز الديانة الإسلامية في هذا الأرخبيل الواقع شمالي مدغشقر إلى وصول عائلة شيرازي في القرن الخامس عشر؛ وإلى هذه الفترة أيضًا يعود نشييد المساجد الأولى. والمذهب الفقهي الشافعي هو المسيطر منذ ذلك الوقت؛ كما أنَّ طرائق عدة منبثقة من الصوفية انتشرت بين السَّكان، منها الشاذلية والمقاديرة والنقشبندية.

في العام ١٨٨٦، تمكَّنت فرنسا - التي كانت تحتل جزيرة مايوت منذ ١٨٤١ - بسط حمايتها على مجمل جزر القمر التي حصلت، في العام ١٩٤٦، على وضعية «مقاطعات ما وراء البحار» منفصلة عن مدغشقر. وفي العام ١٩٧٥ أعلنت القمر استقلالها. بينما بقيت جزيرة مايوت مرتبطة بفرنسا بناء على رغبة سكانها. وتبلغ مساحة الجزر الثلاث المستقلة ٢١٧٠ كلم^٢، وعدد سكَّانها مليون نسمة أكثرتهم الساحقة من المسلمين.

قندهار (جمهورية أفغانستان الإسلامية) مركز للمنطقة

للشريعة الإسلامية والأعراف العادية للحياة الاجتماعية. وفي حين كان الملامتية يمارسون معتقداتهم سرًا، فإنَّ هؤلاء المتصوفة الجوالين، المتأثرين بالبوذية والعادات الهندية، قد لفتوا الأنظار بغرابتهم وأثاروا، بقوة، إهتمام الناس. لقد ظهرت القلندرية، لثمرة الأولى، في خراسان وفي آسيا الوسطى، لانتشر حركتها، من ثم، باتجاه الغرب، في سوريا ومصر، وبصورة خاصة في الأناضول بتأثير من جمال الدين الشَّاوي (المتوفى حوالي ١٢٣٢هـ/ ١٢٣٢م) الذي حدّد، بطريقة منهجية، الملامح المميّزة لحركته. كما انتشرت القلندرية في الهند، وانخرطت فيها شخصيات اشتهرت بتقواها، مثل: لال شاهباز القلندري (المتوفى حوالي العام ١٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، مؤسس معبد سهوان في بلاد السند، والشاعر الصوفي أبو علي القلندري (المتوفى في العام ١٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) الذي ما يزال ضريحه موضع تكريم في باتيات. في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي تعاطف نشاط القلندريين ومهابتهم في الوسط الهندي المسلم، لتستوعبهم، بعد ذلك، طرق صوفيّة أخرى. أمّا مؤسستهم في بلاد الأناضول العثمانية فكانت لا تزال قائمة في نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وكذلك الأمر في شمال إيران، في زمن الصفويين.

قَم (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة مقدّسة للشيعية الإمامية الاثني عشرية، تقع على نخوم الصحراء الكبرى الوسطى، على طريق القوافل الجنوبي، في إقليم الجبال القروسطي.

يبدو أنَّ مجموعة من سبع قرى، يحيط بها سور، اتخذت، في مطلع العصر الإسلامي، اسم قَم. نزل في هذه القرى، على الأرجح، عرب من الشيعة قادمون من الكوفة، قضوا على الزرادشتيين المستعزين بأماند في المنطقة، وفيها أيضًا توفيت ودُفنت، سنة ٢٠١هـ/ ٨١٧م، فاطمة، شقيقة الإمام العلوي الثامن علي الرضا. اعتُبرت المحلّة مركزًا للفكر الشيعي منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، وأصبحت مقصدًا لزيارات تقوية للشيعة الإمامية الاثني عشرية الذين كانوا يكرّمون ضريح هذه العلوية. إلّا أنَّ الضريح دُمّر إثر الغزو المغولي

الفتوحات الكبرى، تحولت مدينة قُتْسرين القديمة إلى مركز الجند الذي يحمل اسمها، وظلّت في أوّل الأمر زاهرة ومأهولة بالسكان.

غير أنّ الصراع بين البيزنطيين والمسلمين، في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، أفرغ قُتْسرين من سكّانها، ولم يبقَ منها في العام ١٠٤٩هـ/١٠٤٧م إلا قرية صغيرة، وفي القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، تحولت إلى محطة بسيطة لتجارة القوافل، ومن ثمّ درست.

قَهستان، مقاطعة فاحلة جبلية تقع شرقي الهضبة الإيرانية، جاورت مقاطعة خراسان الفروسيّة، وغالبًا ما كانت تشكّل قسمًا منها، وأسس مصيرها كمصير خراسان.

ويحكم ارتباط قهستان الإسلامية بمناطق مجاورة مهمة، ككيسابور في الشمال، وهراة وسجستان في الشرق، وكزّمان في الجنوب الغربي كانت تجتازها طريق للقوافل تتصلّ، شرقي الصحراء الكبرى المالحة، بالطريقين الإستراتيجيّين والتجاريّين اللذين كانا ينطلقان من العراق ومن إيران الغربية، واحد باتجاه آسيا الوسطى، والآخر باتجاه بلاد الهند. وقد ساعدت تلك الوضعية، في القرون الوسطى، على تأمين بعض الغنى لعدد من بلدانها الواحات، حول «طيس»، وحول «خاف» (خواف) في الشمال حيث ازدهرت مراكز صغيرة مثل «كارجرده» و«دُوزَن».

وصعوبة الوصول إلى مقاطعة قَهستان قديمًا جعلتها في عزلة نسبية داخل العالم الإسلامي الشرقي، كما حولتها ملجأ لمجموعات قديمة من الحضّر تتكلّم اللغة الإيرانية. ثمّ امتزجت مع هذه الشعوب، في مناطق الأطراف، قبائل من أصل عربي، وتركّي، وأفغاني أو بلوتشي. كما تجمّع فيها أعضاء الحركات الدينيّة المشقّة، كالإسماعيليين - وخصوصًا النزاريّين منهم - وقد تحصّصوا فيها، كما في أنشُوت. لكنّ المغول دمّروا معاقلمهم في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد. وأدّت هذه الكارثة إلى خراب المقاطعة التي عانت بعد ذلك، في القرن التاسع عشر، من تقسيمها بين دولة القاجار في بلاد فارس ودولة أفغانستان الناشئة.

المعروفة بالإسم نفسه، وهي تقع في قلب المناطق الأفغانية الأهمّة بالسكان، كانت قبل الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي حاضرة لـ «أراكوزي» القديمة، وقد استعادت في القرنين التاسع عشر والعشرين بعضًا من تألقها الغابر.

يفسر الازدهار الزراعي الذي عرفه حوض هلمند وأرغنداب، أو منطقة زميندازور، في القرون الوسطى، استمرار السكن في موقع يتمتع بمناخ حار نسبيًا، على ارتفاع ألف متر فقط، ويتحكّم بخط المواصلات التجارية بين الهند وإيران. لقد أدّت أهمية قندهار الإستراتيجية - والتي يشهد عليها جهد الحكّام المسلمين المجاورين اندووب لضعتها إلى أراضيهم منذ أن فتحت الجيوش الأموية (العربية - الإسلامية) المنطقة إلى جعل مصيرها مضطربًا، ما أدّى إلى إعادة بنائها مرّات متتالية. وبعد أن عرفت المنطقة الازدهار في أيام الغزنويّين والتغويّين، بالرغم من أنّها كانت أقلّ أهمية من القطاع المدنيّ الآخر المتمثّل ببُشت وبمفرّ لشُكُري - بازار الملكي، فقد عانت قندهار، بعد ذلك، الأمرين في ظلّ حكم الشيموريّين والإيلخانيّين، قبل أن يتنازعها المغول والصوفيّون.

خضعت قندهار، في ما بعد، لسيطرة القبائل الأفغانية الناطقة بالپشتو، التي استقرّت في المنطقة خلال القرون الوسطى والتي دفعها أحمد شاه بدلي، في نهاية القرن الثامن عشر، إلى إنشاء أمبراطوريّة مترامية الأطراف. أصبحت قندهار، منذ العام ١٧٤٧، قاعدة لحكم الدُرّانيّين. وبقيت، من ثمّ، المركز الرئيسيّ للوقية الأفغانية. وكان لها، خلال الاعتداءات الخارجية والحروب الداخليّة التي تعرّضت لها البلاد في القرن التاسع عشر، مكانة جعلتها تنافس كابل، كما مثلت دورًا نشطًا في ازدهار لغة البشتو، وهي ما تزال إلى اليوم تتمتع بوضع سياسي واقتصادي من الطراز الأوّل.

◀ راجع المصنّفات ١٢، ٨ و ٣.

قُتْسرين، محلة قديمة على مقربة من حلب، أصابها الدمار. كانت عاصمة للدائرة إداريّة وعسكرية في سوريا في القرون الأولى للميلاد.

احتلّها الجيوش العربية سنة ١٧هـ/٦٣٨م في زمن

هذه الناحية بعد أن هجرتها النشاطات التجارية، وأخذت في الانحطاط حتى القرن العشرين حيث أنشئ فيها مصنع حديث للسكر أعاد إليها بعض حيويها الاقتصادية.

« راجع السند رقم ٢٥ »

قويس، إسم قروسطي غييه النسيان، كان يُطلق على إقليم قديم في إيران الإسلامية.

إن أراضي هذا الإقليم الموزعة، اليوم، بين المناطق الإدارية ل طهران وساري ومشهد، كانت تنطبق، في ما مضى، مع كوميزان (Comisène) القديمة، وكانت قبيلة الانساع بالنسبة إلى التسميات الإدارية الأخرى في إيران العصور الوسطى.

كانت تشمل، إلى الجنوب من مازندران وجرجان، المنطقة شبه القاحلة الواقعة بين سفوح سلسلة جبال ألبرز والصحراء الوسطى الكبرى حيث كانت تمر، في القرون الوسطى، طريق القوافل الرئيسة التي تربط الرئي بنيسابور، وكانت تشكل جزءاً من «طريق الحرير» القديمة.

يُقسم إقليم قويس انطلاقاً من الجنوب إلى ثلاث مقاطعات: الأولى حول سيستان، ثلها مقاطعة دمغان فمقاطعة بستام. كانت قويس تتحكم بمدخل إقليم خراسان الواسع والغني. كانت لها إذاً، بفضل هذا الموقع، أهمية اقتصادية واستراتيجية في آن: لقد شكّلت طريقاً تسلكها النشاطات التجارية، وفي الوقت عينه ممراً للاستيلاعات القادمة من آسيا الوسطى، وقد خزّبتها هذه الاستيلاعات في أكثر من مرة.

القومية (النزاعات -)، ظاهرة بدأ تطورها، في العالم الإسلامي، في أواخر القرن التاسع عشر، وانتهت إلى قيام عدد من الدول-الأمم المعروفة اليوم، وقد اصطدمت ولادة هذه الدول بمعارضة إسلامية أحياناً، وترافقت مع تشجيعها أحياناً أخرى، متداخلة مع التطور المعاصر للإسلام.

طبع الانتماء إلى الإسلام بالعمق، وبدرجات متفاوتة، تاريخ المصائر القومية في كل من المنطقة ذات الثقافة العربية والمناطق الإسلامية المجاورة، مثل التركية والإيرانية، كما المناطق الأبعد. كان في أساس

القوة، كلمة عربية شكّلت معانيها التقنية لفظاً مهمة في المفردات الدينية الإسلامية.

تدل لفظ «قوة» في القرآن على إحدى صفات الله الحسنى: القدرة، أو بالأحرى القدرة الكلية. وخارج إطار الصفات الإلهية اشتقت منها عبارات بمعنى التقريط والمديح والتبريك، منها «قوة الإسلام»؛ وقد استُعملت هذه العبارة لتسمية مسجد كبير وشهير بناه في دلهي قطب الدين أيّيك مؤسس السلالة الأولى لسلطين دلهي.

استخدمت اللفظة بوجه خاص وبكثافة في المصطلحات الفلسفية، ليس للدلالة على «الاحتمال» فحسب، أي على ما يمكن حدوثه، في مقابل «الفعل»، بل أيضاً للدلالة على مختلف ملكات النفس التي في إمكانها أن تتحوّل إلى فضائل أو إلى رذائل، بحسب التربية التي يتلقاها الإنسان.

قُوص (جمهورية مصر العربية)، ناحية في مصر العليا نالت أهمية في القرون الوسطى وتقلّص دورها في ما بعد لمصلحة مدينتين مجاورتين هما الأقصر وقنا. لم تكن قوص، القبطية الإسم، نائمة في عصور الإسلام الأولى، وبدأت بالانساع، في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، في الوادي الأعلى للنيل، حيث يغدو موقع النهر الأكثر قرباً من البحر الأحمر. وكان أحد أسباب ازدهارها الاتجار مع النوبة؛ إذ أدّت الاضطرابات العاصفة بأسوان يومذاك إلى ترسيخ التجارة فيها ابتداء من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. كما غدت المدينة سوقاً مهمة للتجارة البحرية مع المشرق الأقصى، ومحطة للحج إلى مكة، في عهد الصليبيين، بحيث وصفها الجغرافيون العرب، في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، على أنها المدينة الثالثة في مصر. عرفت قوص أوج ازدهارها في زمن المماليك البحرية حيث كانت ما تزال مشهورة كمركز تعليم لأهل السنة.

في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، أذّي غياب الأمن الذي عاث فساداً بالطريق المؤدية إلى عيذاب - وهو المرفأ الذي كان منفذاً لقُوص على البحر الأحمر - إلى أن يتجنّب التجار مسار القوافل هذا. فتراجعت حينئذٍ

الاستقلال الاقتصادي للدول التي تتمتع بالسيادة، ولنحاول، من جهة ثانية، توحيد الدول الإسلامية الناطقة بالعربية. فبعد الناصر الذي قرّر، في العام ١٩٥٦، تأميم قناة السويس، في الوقت الذي كان يضع خلاله برنامجا الاشتراكي الجماعي، حاول، بموازاة ذلك، دمج مصر وسوريا في جمهورية عربية مّحدة، ولكنّ هذه دامت فقط من ١٩٥٨ حتى ١٩٦١. كذلك، حاولت الحركة القومية مع حزب البعث الذي كان ينمو في سوريا والعراق، العمل على توحيد البلدان العربية مع اعتماد الاشتراكية وسيلة ضرورية لتحقيق هذه الغاية. لكنّ فشل الاندماج في مصر واستمرار الخصومة القديمة بين سوريا والعراق، حالا دون حصول تقدّم حقيقي في هذا السبيل. لقد اكتفت القومية العربية ببعض إنجازات التفاهم التي تحقّقت عن طريق إنشاء جامعة الدول العربية، ولكنها استمرت في تغذية شعور العداة تجاه إسرائيل وتأكيد التضامن مع الفلسطينيين. لكن، في هذا المجال أيضاً، ظلّ موقف مختلف الدول المستقلّة ملتبساً، إذ إنّها وضعت حدّاً لنشاطات المجموعات الفلسطينية المسلّحة على أراضيها وواصلت هي النضال ضدّ إسرائيل، من دون أن تحقق أيّ نجاح عسكري أو سياسي.

في الفترة نفسها، ظهرت أو استمرّت في المغرب أشكال أخرى للقومية العربية مستندة إلى الإسلام. كان المغرب العربي آنذاك، أي بعد الحرب العالمية الثانية، ما يزال يناضل من أجل الاستقلال. حصلت تونس على استقلالها في العام ١٩٥٤، والمغرب في العام ١٩٥٦، وليبيا في العام ١٩٥٣، والجزائر في العام ١٩٦٢، وأدّى ذلك إلى قيام أنظمة ووضع دساتير مختلفة.

٢- في الجزء التركي من السلطنة العثمانية ظهرت، منذ مطلع القرن العشرين، فكرة الوطن التركي، وكان ذلك على أساس لغوي ثقافي. هكذا بلور ضياء كوك ألب النظرية الطورانية الهادفة إلى توحيد الشعوب الناطقة بالتركية كافّة في تجمّع سياسي اسمه طوران. ظهرت القومية التركية بوضوح، وخاصّة عند نهاية الحرب العالمية الأولى التي قلّصت حدود السلطنة العثمانية إلى الأراضي التي يقطنها أتراك، وكاد أن يكون ثمن الهزيمة

الحركات الإستقلالية التي اتخذت في هذه البلدان أشكالاً مختلفة في أغلب الأحيان، ظاهرة عامة نسمي صحوة القوميات، وهي في المبدأ تتعارض مع الإسلام ونصوّره للأمة. من هنا كانت نشأة الأفكار الإسلامية الجامعة المتعارضة مع تعدّد الدول المستقلّة عند نهاية القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من دفعة التأثير الأجنبي الأوّل، وبالتحديد الأوروبي الغربي، تلازمت التجسيدات الوطنية في مختلف المناطق، باستثناء تركيا، مع أنماط دفاعية عن الهوية الإسلامية المهدّدة، بحيث ظهرت، بعامّة، إمكانات تحالف بين القوميات والإسلام وإمكانات دعم متبادل.

١- ظهرت القومية العربية في مصر، في القرن التاسع عشر، ردة فعل على هيمنة العثمانيين، وازمة هدفاً لها محاربة المشاريع الاقتصادية والسياسية التابعة للأوروبيين غير المؤمنين. أمّا همّ الدفاع عن الإسلام الذي طبع محاولات محمد علي الاستقلالية فقد برز أولاً بإتقان مقاومة الفرنسيين في أعقاب الإنزال الفرنسي في العام ١٧٩٨، ليصبح أكثر وضوحاً في أثناء ثورة عرابي باشا في العام ١٨٨٢. في أنحاء أخرى من الشرق الأدنى، ساهم رفض مماثل للتدخلات الأجنبية في المجتمع العربي والإسلامي في صياغة الشعور القومي المعارض للعثمانيين الذي تميّز، خلال الحرب العالمية الأولى، في صورة سلالة: استند فيصل (ابن الحسين، شريف مكّة) إلى هذا الشعور في مطالبته بإنشاء مملكة عربية في سوريا تكون عاصمتها دمشق. لكنّ عمر هذه المملكة كان قصيراً جدّاً.

في ما بعد، تطوّر الوضع قليلاً. في فترة ما بين الحربين العالميتين، وفي مختلف الدول الشرقية الناشئة عن تفكك السلطنة العثمانية، لم يكن للقومية من هدف سوى حصول هذه الدول على استقلالها السياسي. وقد تحقّق ذلك على التّوالي كالآتي: في مصر سنة ١٩٢٢، في العراق سنة ١٩٣٠، ثم بنجح في سوريا ولبنان في سنة ١٩٣٦ لأنّ البرلمان الفرنسي لم يصادق على المعاهدة المتعلقة بالاستقلال الذي لم يتحقّق إلّا في العام ١٩٤٥. كذلك، بعد الحرب العالمية الثانية، تنظّمت القومية العربية بخاصة نؤمن، من جهة

سلاجقة الروم ومقر إقامتهم.

إلى جانب موقعها الجغرافي المناسب في واحة عالية على سفح هضبة سهبية، فإن وجود «إيكونيوم» (Iconium) القديمة على مفترق إسترانيجي من الطرق التجارية النشطة، أمن لها البقاء ووقر لها الغنى، فعمرت بسكنائها واشتهرت بأنواع الحرف وبحركتها التجارية. وفي هذه المدينة تلقى اليوم الطريقتان الرئيسيتان اثنتان تربطان الشمال بالجنوب، والشرق بالغرب، ففتلان، من جهة، أنقرة واسطنبول بالساحل الجنوبي، وأعلى بلاد ما بين النهرين أو المقاطعات الشرقية بمناطق الأناضول الواقعة على بحر إيجه، من جهة ثانية. ولا نعرف الكثير عن تاريخ المدينة البيزنطية التي كانت قائمة هناك، لكن مواداً كثيرة من ذلك العهد أُعيد استعمالها في أبنية العصور الإسلامية، تشير إلى أنها كانت حاضرة مزدهرة. ولم نصبها الأضرار إلا عندما احتلها المسلمون بعد انتصار جيوش ألب أرسلان التركية في موقعة ملازكرت/مانزيركوت سنة ١٠٧١هـ/١٠٧١م.

في مطلع القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، اهتم مسعود الأوّل، سلطان سلاجقة الروم، بتطوير المدينة التي اتخذها عاصمة له. ثم تابع خلفاؤه الإقامة فيها، كما تابعوا عملية الإعمار والتجميل. إلى حد أن فريديك بربروستا شبهها بمدينة كولونيا بعدما احتلها واجتازها سنة ١١٩٠هـ/١١٩٠م. وكانت قونية محاطة بالأسوار، وفيها أبنية دينية متنوعة، وقصر بقي منه اليوم ظلّة تعود إلى السلطان قلع أرسلان الثاني. وبلغت المدينة ذروة ازدهارها في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، وهو القرن الذي وصلت فيه السلالة الحاكمة إلى قمة عظمتها. وقد تمّ خلاله الإنتهاء من بناء مسجد جامع يُعرف اليوم باسم مسجد علاء الدين، وهو يحمل إسم السلطان الكبير علاء الدين كيتباة الأوّل الذي أولى بناءه اهتماماً خاصاً. وقد أقيم في فناء هذا المسجد ضريح كبير دفن فيه أعضاء الأسرة الحاكمة ابتداء من سنة ١١٩٢هـ/١١٩٢م. وعلى مسافة غير بعيدة، توزعت مساجد أخرى ومدارس وخوانق، ومنها الخانقاه التي أنشأها كيتباة الأوّل سنة ٦٢٨هـ/١٢٢١م لنصوفي

العسكرية أكثر ثقلاً. فبعد مقاومة مصطفى كمال (أناتورك لاحقاً) العسكرية لأطماع الغرب، أوقف ذلك بسياسة العلمنة - وهي الأولى في بلد مسلم - فأفضت من جهة إلى إنشاء الجمهورية التركية، ومن جهة ثانية إلى إبعاد الأقليات، وخاصة اليونانية منها، إلى خارج الأناضول.

وفي مناطق غير بعيدة، ظهرت أيضاً قوميات أخرى، مثل الكردية والفارسية، وقد قامت على أسس محلية وإثنية، كما في إيران حيث الشعور بالخصوصية كان حياً حتى في عهد الخلفاء العباسيين. لكن، في الحالة الإيرانية، أثرت عوامل دينية قوية إذ، منذ القرن السادس عشر، في عهد الصفويين، كانت ميزة هذه الدولة الإقليمية ذات الحدود الواضحة مدعومة باعتمادها رسمياً الشيعة الإمامية الاثني عشرية. في القرن العشرين ظهرت ردود فعل أحياناً عنيفة ضدّ الهيمنة الأوروبية، بخاصة في المجال الاقتصادي، واتخذت طابعاً قومياً مستفيدة من دعم رجال دين. كانت ردود الفعل نفسها ما تزال مستمرة، حوالي الخمسينات، إذ تطورت حملة لمصلحة تأميم الصناعة النطّية. لكنّها زالت بعد إقالة نظام مصدق في العام ١٩٥٣، لتحلّ مكانها قومية سلائية شهدت عليها احتفالات بيرسيبوليس في العام ١٩٧١. ثمّ أتت الثورة الإسلامية مصحوبة بالعنف لتؤكد، في العام ١٩٧٩، عودة القومية الشيعية والدينية التي قامت عليها حيوية الجمهورية الإسلامية.

إنّ حالات أخرى من المد القومي الحديث، مطبوعة بمعتقدات محرّكها الإسلامية، نستأهل أن تضاف إلى النموذج الإيراني، وذلك في حال توسّعنا في رصد هذه الحالات، من جهة، باتجاه أفريقيا السوداء، ومن جهة ثانية، باتجاه شبه القارة الهندية وآسيا الموسمية. إن الدور الذي تلعبه ذكرى المهديّة في بلد كالسودان لا يمكن التغاضي عنه، وكذلك الحال بالنسبة إلى الانقسامات الدينية بين المسلمين وغير المسلمين التي ميّزت نشأة دولة مثل باكستان في العام ١٩٤٧.

قونية (الجمهورية التركية)، مدينة في القسم الأوسط من الأناضول، تحافظ اليوم على أهميتها كمركز مقاطعة. بعد أن كانت في القرون الوسطى عاصمة

أن يؤدي إلى أحكام أخرى لم تكن من قبل مقدّرة أو متوقّعة. فإذا كان مثلاً شرب الخمر محرّماً لآته سبب السكر، فإنّ السبب عنه يسمح كذلك بتحريم تناول كل مشروب كحولي. إلّا أنّ البراهين بالقياس، من الناحية العملية، لا تكون دائماً بهذا الوضوح. وقد بقي البرهان بالقياس مثبّثاً، خلال قرون، في المدارس الفقهية الحنفيّة التي تترك للاجتهاد مكاناً.

القيروان (الجمهورية التونسية)، حاضرة إسلاميّة تقليديّة في إفريقية، يعود تأسيسها إلى عصر الفتحوات الكبرى، تحيي أمجادها السالفة آثار المدينة الصغيرة الحالية.

في العام ٥٥٠هـ/٦٧٠م وجّه الخليفة الأموي الأول، معاوية، القائد العسكري عقبة بن نافع نحو المغرب، لنحويله إلى قاعدة انطلاق للمقاتلين العرب المسلمين القادمين على دفعات لاجتياح المناطق الخاضعة لتبليزطيين في المغرب. فاختر عقبة موقفاً، في منتصف الطريق بين الساحل والجبل، يختلف عن مكان تجمع الجيوش الذي اعتمده أسلافه. فالقيروان، التي يعني اسمها «المخيم»، كانت - كالبرصة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر - مكاناً مخصّصاً لإيواء العسكريين المتقدّمين في بلاد العدو. لكن القيروان، خلافاً لتجمّعات الخيم وأكواخ القش المستخدمة لهذه الغاية في بداية الاسلام، نُقِمت مباشرة مدينة شديدة في وسطها مسجد جامع ومقرّ للحكم، واشتملت على العديد من الأحياء المخصّصة للجماعات الإنيّة أو الدينية. أمّا تغذية منطقة السهوب هذه بالمياه، حيث قامت في الماضي مدينة رومانية مندثرة، فكانت تجري بواسطة منشآت مائة تعود إلى العصور القديمة وقد تمّ نجدها. أقيمت الأسواق على امتداد جادة في عرض المدينة، أطلق عليها الجغرافيون العرب اسم «سباط» (Simât)، ومن المرجّح أن تكون اللفظة من أصل لاتيني؛ ولكن لم يتمّ تشييد سور للمدينة قبل العام ١٤٥هـ/٧٦٢م، أي بعد مرور نحو قرن على إنشائها، وذلك إثر اضطرابات مختلفة عصفت بالبلاد.

في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أصبحت القيروان، في ظلّ حكم الأغالبة، مدينة مهمة

المشهور جلال الدين الرومي للطريقة المولوية. ويُعرف البناء شعبياً باسم «نكية مولانا»، وقد خضع لتعديلات دخلت فيها المفاهيم الهندسية المتأخّرة. والواقع أنّ العثمانيين عمدوا إلى تكبيره وترميمه باستمرار منذ القرن السادس عشر حتّى القرن العشرين. ومقابل ذلك، حافظت أبنية أخرى على عناصر متنوّعة من طبيعتها القديمة، وهي تشهد على الخصائص الهندسية والتزيينية التي تميّز بها المهندسون والفنانون في ذلك العصر، إذ كانت لهم مهارتهم في نحت الحجر وفي صنع التليبيسات الخزفية. من تلك الأبنية نذكر مدرسة سيرجالي (١٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، ومدرسة فراه ناي (١٦٤٩هـ/١٢٥١م)، وجامع صاحب عطا (١٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، ومدرسة إنجي منارلي (١٦٦٢هـ/١٢٦٤م).

في أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، بدأت قوّة سلاطين قونية تضعف أمام ضربات المغول، ما أرغمهم على التخلّي عن سيادتهم لمصلحة الإبلخانيين الذين أصبحوا، في سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، أسياة القسم الأكبر من الأناضول.

هذا التطوّر الأخير الذي رافقه تمزّق جغرافي جديد أفقد قونية قوّتها. وقد ألحقت، سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، بإمارة القرامانيين، ثم ضُمَّت، سنة ١٤٧٥م، إلى الإمبراطوريّة العثمانية المتنامية. ولم بعد في استطاعة قونية أن تؤدّي دوراً أوّلياً كالذي كانت تؤدّي وسط شبكة طرق القوافل وما يتطلّبه ذلك من خانات. لكنّ تلك الخسارة لم تكن تعني الإهمال، ذلك أنّ العثمانيين اهتموا بتشبيد العمائر فيها من كلّ نوع. وهذه العمائر ساهمت في تأمين التوازن الداخلي لهذه الحاضرة القديمة التي بقيت بعيدة عن التقلّبات التاريخية، وسمحت لها بأن تقيّد، حتّى الحفّة الحاليّة، من بريق ماضيها ومن المميّزات المتعلّقة بموقعها الجغرافي.

«راجع المستندات ٨، ١٢، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٧».

القياس (البرهان بالقياس)، نوع من البرهان لجأ إليه الفقهاء منذ عهد قديم، لكن بشكل مختصر، بغية حلّ مسألة فقهية لا تشير إليها النصوص. والفقيه الشافعي، مؤسّر المدرسة الشافعية، كان أوّل من أوضح طبيعة القياس بإسناده إلى البحث عن «سبب» حكم ما، يمكن

٤٤٤ هـ / ١٠٥٢-١٠٥٣م، ويحيط، في الوقت عينه، بالمدينة القديمة وبمدينة صبرا - منصورية. ورغم تحولها إلى مركز ريفي يقع بجانب مدينة تونس المزدهرة، فقد استمرت المدينة القديمة، في ذلك الوقت، مركزاً فكرياً للمالكية، ومولاً لتعاليم ابن أبي زيد القيرواني ولتعاليم القبايلي وغيرهما من العلماء والأدباء. وأدى نهب القيروان، على أيدي بني هلال في العام ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧م، إلى تحويلها إلى سوق برتاها البدو، بالرغم من انتعاشها الجزئي في ظل الموحدين، واستمرت كذلك حتى القرن التاسع عشر، حين استعادت مكانتها في المرتبة الثانية بين المدن التونسية. اشتهرت القيروان بصناعة القرو والجلود، وكانت تُعتبر الحاضرة الروحية للبلاد بفضل وجود عدد وافر من المساجد والزوايا فيها. وفي الوقت الذي حاولت فيه المحافظة على سمعتها هذه، والانتاج على الحياة الجامعية، وجدت القيروان نفسها متأخرة عن ركب المدن التونسية المعاصرة، وهي ما تزال إلى اليوم تتمتع بشهرتها التاريخية المتمثلة بمسجدها الجامع الأثري والعظيم الحجم. كما تتمتع بالتقدير المرتبط بذكرى «سبدي عُقبة»، في انتظار أن تتمكن أعمال الحفريات والدراسات والترميم من إظهار قيمة إرثها التاريخي.

❖ راجع المستندات ٨، ١٠، ١١، ١٩، ٢٨.

قيس (بنو -)، مجموعة قبائل من عرب الشمال المتحدرين من عدنان، قامت بدور فاعل في عهد الأمويين.

هذا التجمع الذي كان يضم قبل الإسلام عدداً كبيراً من القبائل المعروفة، كسند وسُلَيم وعُظفان وثقيف وعابر وقُبَس والذي كان مقرّبا من بني ثُمَم، وأيضاً من بني ثعلبة الذين كانوا قد استقروا في بلاد ما بين النهرين، كان ينتسب بصورة خاصة إلى مَضَر، وكان يُقال إن جدّه الأوّل، قيس عيلان الذي اعطاه اسمه، كان من مَضَر. يبدو أنّ التماسك السياسي النسبي بين ممثلي هذه القبائل التي ضمت في ما بعد مجموعات مهمة، كقبيلة القيس أو كُبَيْر بن وائل التي عُرفت في ما بعد باسم دُبَعة، لم يظهر إلا بعد الفتوحات الكبرى، وبشكل خاص خلال الخلافة الأموية.

ومركزاً سياسياً وإدارياً واقتصادياً ودينيّاً، وحاضرة لدولة مستقلة، ومقرّاً للباط الأميري. وقد نُقل مقر الحكم بسرعة، خارج محيط المدينة، إلى قصور أصبحت مدناً ملكية حقيقية في العباسية بداية، في العام ١٨٤ هـ / ٨٠٠م، ثم في الرقادة في العام ٢٦٥ هـ / ٨٧٧م، فيما تذكر المصادر أنّ السكان نفسه قد اتُخذ، بعد أن فقد أسواره، شكلاً مريئاً واتسعت مساحته. أمّا المسجد الجامع، الذي كان قد أعيد بناؤه في العام ١٥٨ هـ / ٧٧٤م، فقد دُمّر ثمّ جدد بناءه الأمير زيادة الله الأوّل، في العام ٢٢٢ هـ / ٨٣٦م، محافظاً على تخطيطه عقبه الذي بقي اسمه مرتبطاً بهذا البناء. وللجامع منمنمة مرتبة تعود إلى ذلك العصر، وقد أُدخلت تعديلات عليها وجُمِلت في العام ٢٤٨ هـ / ٨٦٢م. وفي الوقت عينه تمّ تحسين تغذية المدينة بالماء، بإنشاء مجموعة من الخزانات المعروفة باسم أحواض الأغالية. ولا جدال في أنّ شهرة القيروان في هذه الفترة تعود بخاصة إلى قهاتها من المالكية، وقد دافع عن هذا المذهب، بشكل خاص، سحنون وأتباعه العديدون، وكان بعضهم قد جاء من الأندلس. وثمة أيضاً عدد وافر من النحويين والأطباء الذين ساهموا في عظمة المدينة الثقافية.

لكنّ المدينة ما لبثت أن عرفت نهضة في بداية القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، باستيلاء الفاطميين عليها واصطدامهم بالسكان المحليين المتأثرين للشيعية، ولم يفعل الفاطميون شيئاً لتطوير المدينة. وكل ما قاموا به هو أنّهم، بعد أن غادروا مقرهم الأوّل في المهدية، شيدوا مقرهم الجديد، صبرا - منصورية، بجوار القيروان، وذلك خلال العامين ٣٣٥-٣٣٦ للهجرة/ ٩٤٨-٩٤٧ للميلاد، فجذب اليه النشاط التجاري وكلّ النشاطات المتعلقة بالكماليات. وكان هذا المقرّ، في نهاية القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، لا يزال يحافظ على أهميته، وفق ما ذكره الجغرافي المقدسي، لكنّ هذه الأهمية تلاشت تدريجياً، بعد انتقال الفاطميين إلى مصر في العام ٣٦٦ هـ / ٩٧٢م.

أمّا بنو زيري، الذين حلّوا مكان أسلافهم الفاطميين، فقد هجروا موقع القيروان، حيث كانت لا تزال تعيش جماعات كلودة ونشطة، يحميها سور شيد خلال العامين

لم تحل التحصينات الجديدة التي أقيمت عليها دون أن يستعبدتها الملك المعظم الأيوبي في العام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م.

ولكن قيسارية أعيدت إلى فريدريك الثاني سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م بحكم معاهدة يافا، واهتم لويس التاسع بإعادة بناء المدينة ومرفأها. سقط أخيراً هذا الموقع المحصن في أيدي المماليك في العام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م، وأعمل لمصلحة سلسلة من القلاع واقعة في الداخل، ما أدى إلى تراجع المدينة، وتواصل التراجع في عهد العثمانيين. استقر فيها بعض المسلمين اللاجئين من البوسنة في العام ١٨٨٤م أُخليت خلال الحرب العربية الإسرائيلية في العام ١٩٤٨، ولا يفي منها اليوم إلا موقع أثري هو مسرح نقيب وترميم جزئي.

« راجع المستند رقم ١٨ »

قَيْصَرِي (الجمهورية التركية)، في العربية قيصريّة: مدينة مهمة في كبادوقية وسط الأناضول، بقيت مدة مركزاً إدارياً للمنطقة، وفيها معالم أثرية تعود إلى ماضيها القروسطي.

وتقع قيصريّة، كما في الماضي، على ملتقى طرق كانت من قبل تجوبها القوافل المتنقلة من قونية إلى سيواس، ومن أنقرة إلى ملطية أو أضنة. كان اسمها في الماضي قيصريّة مَزَاكا (Césarée Mazaka)، وقد هاجمتها الجيوش العربية-الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى زمن الأمويين، ولكنها لم تخضع لسيطرة الإسلام إلا سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م على أيدي أتراك قبوا من أمبراطورية السلجاقية الكبار. نُهبت وسقطت في قبضة دانيشمند غازي، مؤسس السلالة الدانشمندية، ثم في يدي ابنه الذي عمد إلى ترميمها. وفي سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م، استولى عليها قُلُج أرسلان الثاني، أحد سلجاقية الروم. وغدت واحدة من المدن المهمة التابعة للسلطنة، وتحوّلت مركزاً للنشاط التجاري والحرفي في منطقة زراعية مزدهرة من الهضبة الوسطى. على ارتفاع ألف متر تقريباً.

إلى هذه المرحلة تعود قلعة المدينة وعدد من الأبنية الجميلة المشيدة بالحجارة السوداء والتي تشهد على الغنى الذي حافظت عليه، إلى أن خرّبتها المنول سنة

في هذا الوقت، أثار اعتماد مؤسس السلالة الأموية، معاوية، وابنه يزيد الأوّل على بني كلب من عرب الجنوب عدائية القيسيين تجاههما، فساند هؤلاء خصم الخليفة ابن الزبير، ولما اشتدت الفوضى بعد غياب الخلفاء الأراذل، لم ينضمّ القيسيون إلى السلالة الأموية إلا بعد أن أحرز مروان الأوّل انتصاراً عليهم في معركة مرج راهط في العام ٦٥هـ/ ٦٨٤م. إلا أنّ دخولهم في طاعة الأمويين لم يمهّد خصوصتهم لبني كلب. إنهم دافعوا في ما بعد عن السياسة التوسعية التي انتهجها الخلفاء الأمويون من الفرع المرواني، باستثناء سليمان وعمر بن عبد العزيز ويّزيد الثالث، ونجحوا في إبعاد أعدائهم عن بطانة الخلفاء حتى الانقلاب السياسي الذي أدى إلى انتصار العباسيين.

تراجع العداء القائم بين فيس وكلب في العصور اللاحقة، لكنه لم يزل نهائياً. فقد برز بخاصة في الأندلس. وفي زمان متأخر في فلسطين، خلال عهد المماليك والعثمانيين، عندما تردّى الإقسام القيسي - اليمني إلى صراع فعلي بين أحزاب تشكّلت بصورة اصطناعية.

قيساريّة، مدينة مرفئية مدمرة في فلسطين القروسطية، كانت تقع على بعد أربعين كيلومتراً تقريباً إلى جنوب مدينة حيفا الحالية.

هذه المدينة المسماة قيسارية - لا يجب الخلط بينها وبين قيصريّة التي أصبحت «قَيْصَرِي» في الأناضول - دخلها الجيش العربي الإسلامي في زمن الفتوحات الكبرى، في ذي القعدة سنة ١٩هـ/ تشرين الأول ٦٤٠م، بعد حصار دام سبعة أشهر.

دافع عنها في ما بعد الأمويون وصدّوا غزوات الأسطول البيزنطي، ثم أهملت في زمن العباسيين وأخذ الرمل يطمس مرفأها. في سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠١م، حاصر الفرنج، بعد استيلائهم على القدس، قيساريّة، بمساعدة الأسطول الجنوبي، واستولوا عليها.

وبعد أقل من قرن، استعاد صلاح الدين المدينة، سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. ولكنّ تحصيناتها هُدمت سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، ثم استولى عليها ريكاردوس قلب الأسد من جديد، في العام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م.

١٢٤١/١٢٤٣م، كما احتلها المماليك بصورة مؤقتة سنة ١٢٧٥/١٢٧٧م، قبل أن تصبح عاصمة الأرمنيين بين سنتي ١٣٤٤/١٣٤٣م و١٣٨١/١٣٨٣م. استولى عليها السلطان العثماني بايزيد الأول بلبريم سنة ١٤٠٠هـ/١٣٩٨م، وعادت، مع مرور بعض الوقت وبعد غزوة تيمورلنك، عاصمة إمارة مستقلة. ثم ألحقت نهائياً، سنة ١٤٧٤/١٤٧٩م، بالسلطنة العثمانية، ولم يعد لها بعد ذلك إلا دور محدود. إنى جانب السوق أو بدستان والأحياء القديمة حولها، تمتلك المدينة مساجد وأبنية تعود إلى العصر العثماني الأول، ومنها «كورسئلو كامي» الذي يُنسب إلى المهندس سنان، أو تعود إلى عصر سلاجقة الروم كجمع «هواند حاطوم» وعدد كثير من الأضرحة، أشهرها يُعرف باسم «دؤنر كؤيت».

« راجع السندات ٢١، ٢٧ و٢٨.

قبصرية، نوع من الأسواق المسقوفة، راجت في القرون الوسطى، كانت تُستخدم لتخزين السلع الثمينة وبيعها.

وقبصرية إسم قديم العهد، مستمد من اليونانية، وبدلًا، من دون شك، على بناء تجاري «أمبراطوري»؛

على غرار سائر الأبنية العامة في المدن البيزنطية. إن تنظيم بناء القبصرية المعماري، المتعلق والمحمي، والمزود بأروقة مغطاة تحيط بباحة داخلية مستطيلة، والتي كانت تحمل الاسم نفسه في أقدم المدن الإسلامية، يذكر أيضًا بتنظيم الأغورا (Agora)^(٩١)، من دون أن نستطيع القول إذا كان علينا البحث عن النموذج المستخدم في العصر الإسلامي، في الإسكندرية أو في أنطاكية.

في البداية، نمت القبصرتان في البلاد العربية زمن الأمويين والعباسيين، معتمدة تخطيطًا وفق طراز البازيليك^(٩٢)، حيث كانت تحصل فيها تجارة الحرير والمصوغات. وقد انتقلت من سوريا إلى مصر، وظهرت أيضًا في المغرب والأندلس. لكن في الشرق أهمل اسم قبصرية، منذ القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وحلّ مكانه إسم خان ووكالة، بينما استخدمت في البلاد التركية لفظة «بدستان» المشتقة من «بزازستان» للدلالة على سوق الأقمشة.

قبصرية ← قبصري.

ك

المقاومة المشتركة للإستعمار الروسي في القرن التاسع عشر، استمرت الانشقاقات بين القبائل الجبلية المسلمة التي تتجاوز عددًا الروس والأوكرانيين الذين فصدوا المنطقة لاستغلال أراضي السهل الصالحة للزراعة.

كابل، (دولة أفغانستان الإسلامية)، عاصمة حديثة للبلاد، اختيرت لتضطلع بهذا الدور في عهد الحاكم الثاني للذرائين في نهاية القرن الثامن عشر، لكنها عرفت سابقًا شأنًا عظيمًا، حتى قبل أن يجعل منها بابر، مؤسس دولة المغول في الهند، في بداية القرن السادس عشر، مقره المفضل.

إنّ موقع كابل، في واد خصيب من أودية الهندوكوش - وقد أثار اهتمام بابر بمناخه المعتدل وجماله - وقر في الماضي للمدينة أهمية تجارية واستراتيجية من الدرجة الأولى، إذ كانت هذه المدينة تشغل موقعًا مهمًا بالقرب من سهول البنجاب، وعلى مفترق طرق القوافل التي تربط آسيا الوسطى ببلوشستان، من جهة، وإيران بشبه القارة الهندية من جهة أخرى. ولكنّ الازدهار الذي عرفته مملكة الكابل شاه القديمة (يطلق اسم كابل أيضًا على المنطقة وعلى نهريها) ثم بلبش أن ضعف منذ اعتناقها الإسلام خلال القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، وقد اتخذ انغزونيون المسلمون مدينة غزنة، التي تبعد عنها قليلًا باتجاه الجنوب، مركزًا لهم.

لقد أدى نهب غزنة الشهير في العام ٥٤٥ للهجرة/ ١١٥٠ للميلاد، على يد أحد التورين، والكارة التي أحدثها اجتياح المغول لهذه المدينة في العام ٦١٨ للهجرة/ ١٢٢١ للميلاد، إلى استعادة كابل تدريجيًا

كابردينو - بلكاري، جمهورية فيدرالية، تبلغ مساحتها ١٢٠ ٤٠٠ كلم^٢، وعاصمتها نالشيك، كانت في السابق جمهورية اشتراكية سوفياتية تتمتع بالحكم الذاتي، وهي تنتمي اليوم إلى الإتحاد الروسي، وأكثر من نصف سكانها المتعددي اللغات، والبالغ عددهم حوالي ٧٥٠ ألف نسمة، هم من المسلمين.

هذه الجمهورية الواقعة شمالي القوقاز، والمجاورة من الشرق إلى «أوسيتيا الشمالية»، ومن الغرب إلى كراتشيفو - شركاسيا، عرفت منذ نشأتها تاريخًا متقلبًا. اعُرف أولًا باستقلال منطقة الكابرد في العام ١٩٢١، بعد إقامة النظام السوفياتي، ثم أضيف إليها، في العام ١٩٢٢، منطقة بلكاري، ما سمح، في العام ١٩٣٦، بإنشاء جمهورية ثنائية الاسم. في العام ١٩٤٤، اقتُطع جزء من أراضيها، وأبعد البلكار إلى آسيا الوسطى في العام ١٩٤٦، ثم ما لبث أن استعادت، في العام ١٩٥٧، اسمها ومكانتها السابقة داخل جمهورية روسيا الاشتراكية الفدرالية السوفياتية. واستمرت قائمة، بعد تفكك الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٩١، بدون أن تتمكن من التغلب على الاضطرابات الداخلية التي ورنها من ماضيها.

وفي الواقع تُقدّم الإسلام في هذا الجزء من القوقاز الأوسط، محدثًا تحولًا في مناخ المنطقة الثقافي، منذ القرن الثامن عشر، وقد جرى بشكل متواز بين الشركس الشرقيين المعروفين بالكابرد، الناطقين بالثغة انفقازية، وبين البلكار الناطقين باللغة التركية والمنسبين إلى إثنية غير معروفة تمامًا. وقد قبل البلكار سيادة الكابرد المطلقة منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. وبالرغم من

وأحياناً بوزنية، وبينهم عدد من المسيحيين من بلاد ما بين النهرين. والكتاب بمجملهم شكّلوا في ذلك العصر طبقة، بل طائفة، توارث المعارف والعلوم القديمة مكتملة ببقافة تقنية دقيقة.

سواء كان الكتاب متخصصين في كتابة وثائق ديوان الرسائل أو في المهام المرتبطة بالشؤون المالية، فكان من الضروري أن يمتلكوا ثقافة موسوعية، إلى جانب إتقانهم اللغة العربية كتابةً وقواعد، وكذلك علم الحساب، وأن يلمّوا بالفقه الإسلامي وبالجغرافيا. فمهامهم كانت تقضي كتابة الرسائل بأسلوب أنيق، وتدوين الوثائق والقرارات الرسمية واحتساب الضرائب، وتنظيم سجلات بذلك ومراقبة نفقات الدولة. وقد وُضعت لمساعدتهم بعض المؤلفات المتخصصة، مثل الكتب الجغرافية الأولى التي تحدثت عن المدن والطرق في الأمبراطورية الساسانية، قبل أن تصدر الموسوعات الجديرة بهذا الاسم المتعلّقة بمهامهم، والتي ازدهرت لاحقاً في العصر المملوكي بمصر.

في مطلع القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، اُثْمِ عدد من الكتاب بالميل إلى التقاليد الأدبية الإيرانية على حساب الدين الإسلامي، وبمعاولة الحركة الثقافية والاجتماعية التي عُرفت باسم الشيعوية. لكن هذه الظاهرة راحت تختفّ تدريجياً لتختفي في أواخر القرن. وأصبح الكتاب يَمَيِّزون بكفائتهم المالية قبل تسلّم مهام الوزارة التي نجح فيها بعضهم ونالوا شهرة كبيرة.

بعد تفكك الدولة الساسانية، استمرّ الكتاب في أداء دور لا يستغنى عنه، على الرغم من انحسار مجال نفوذهم. ومع ظهور المدارس في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، اقترب أوساطهم من أوساط العلماء المسلمين ذوي التشتت التقليديّة، فشاطروهم علومهم ومعارفهم على حساب ثقافتهم الدنيوية السائدة. وبات هؤلاء وأولئك يُعرفون آنذاك باسم «المعتمدين»، إشارةً إلى صفتهم كمسلمين ورعين، في مقابل رجال الحرب من الغزاة الذين كان معظمهم من الأرقاء الذين غدوا أصحاب السلطة في

صفها المزوجة كمستودع تجاري نشيط وقلة حصينة للثيموريين في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي.

قام بابر بالعديد من التحسينات في المدينة ابتداء من العام ٩١٠هـ/١٥٠٤م، وانطلق منها في حملته على الهند، وأوصى أن يُدفن فيها. استمرّ خلفاء بابر المغول في اعتماد كاتل مركزاً لمقاطعة كبيرة شملت أيضاً كشمير، إلى أن سقطت المدينة في يد تادر شاه في العام ١١٥٠هـ/١٧٣٨م، ومن ثمّ في أيدي الأفغان منذ العام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م. أصبحت كاتل، بعد ذلك بقليل، عاصمة لدولة الدرانيّين الجديدة، وحافظت على هذا الوضع في عهد أسرة «الباركزاي»، وهذا لم يمنع تعرّضها، خلال القرن التاسع عشر، لتدمير ومأس عديدة لم تسمح لها بنشيد أي بناء مهم، إلى أن حصلت تحولات الزمن المعاصر. تُرجعت جهود التحديث فيها، في القرن العشرين، بإنجازات مدنيّة قام بها آخر ملوك الدولة، وما لبثت أن زالت بفعل الاضطرابات التي نلت ثورة ١٩٧٣. واحتلال السوفييت للبلاد حتّى العام ١٩٩٢، وبلغت أوجها في المعارك الحاصلة التي اتخذت كاتل هدفاً لها وحولتها إلى حقل من الدمار.

« راجع المستندات ٨، ١٣، ٣٥.

الكاتب، جمعها كتاب، أشخاص كانوا يقومون، في الإدارة الإسلامية في القرون الوسطى، بمهام متنوعة على مستويات مختلفة، تساعدهم أحياناً على أن يصبحوا رؤساء دواوين، وأن يمارسوا، إلى جانب الخليفة أو وزيره، مهام نوازي تلك التي يقوم بها الوزير.

والكتاب الذين كانت في أيديهم إدارة الدولة الساسانية بكاملها، كانوا في غالبيتهم من كبار الأدباء المميزين ومن واضعي المصنفات وجلساء الملوك، وأحياناً من رعاية الآداب والعلوم، كما اختير بعضهم من الموالي غير العرب الذين ينتمون إلى ما هي عريق. وهكذا فإنّ الأمويين اتخذوا كتاباً من السكّان المحليين، وخصوصاً من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، وكانوا يعملون في الإدارات السورية أو المصرية زمن البيزنطيين. وفي العصر العباسي حلّ مكان الموالي السوريين والعصريين نواب إيراينون ذوو ثقافة زرادشتية

كترس معظمها لتحصيل العلوم. وإلى جانب منصب كاتب المالية، شارك في حملات عسكرية مختلفة. إنه بشكل، في القرن السابع عشر، نموذجاً للذين كانوا يتذوقون الثقافة الدنيوية ويسعون وراء المعرفة الموسوعية التي انتشرت، منذ مطلع العصور العباسية، لدى أفراد الإدارات المركزية وفي الأوساط الخلافة والسلطانية. ومع افتتاحه على ما تحويه المؤلفات الغربية من غنى وإطلاع عليها بوساطة متقن للإسلام من أصل فرنسي، فإنه مارس فنَّ «التوليف» التقليدي المعروف في الأوساط الإسلامية، وجمع أعمال كبار المفكرين، ووضع عنها خلاصات وشرحات متنوعة. ومن المصنّعات الكثيرة التي تعالج مواضيع مختلفة، ترك حاجي خليفة في العربية مجعلاً فهرساً مرتباً ترتيباً ألفبائياً يحوي ما يقارب ١٤ ٥٠٠ عنوان، هو كتابه المشهور «كشف الظنون»؛ كما ترك مؤلفاً في التاريخ العام. وفي اللغة التركية ترك مؤلفات حول التاريخ العثماني، وحول مسائل بحرية نجد فيها ملاحظات دقيقة. والجدير بالذكر بصورة خاصة أنه جهد، في كتاباته الكوزموغرافية، في أن يُبجّر، ضمن مؤلّفين مختلفين لم يكملهما، وصفاً للعالم. فبدأ الأول سنة ١٦٤٨ والثاني سنة ١٦٥٤، مستوحياً ترجمته الشخصية للأطلس الصغير الذي كان قد وضعه [في القرن السادس عشر] العالم الكبير ميركاتور (Mercator)، واعتمد مؤلفه الثاني، في القرن الثامن عشر، أساساً لدراسة ظهرت مطبوعة سنة ١٧٣٢، وأكملت عن طريق ترجمة مؤلفات أخرى غربية، وهي تقدم وصفاً كاملاً لقارة آسيا.

كاث، مدينة كانت عاصمة خوارزم في العصور الوسطى، لم تعد اليوم موجودة، وخرابها تقع قريبة من مدينتي خيو وكركنج أو الجرجانية.

كانت، في عهد الفتوحات العربية-الإسلامية، الحاضرة الرئيسة في تلك المنطقة، وقد دخلها قبيلة ابن مسلم سنة ٧١٢/٨٩٣م. لقد حافظت عاصمة سلالة الأفريغيين هذه - وهي السلالة الأولى من السلالات المنتمية إلى الخوارزمشاهيين التي اعتزقت بسيادة الخلفاء الأمويين، حتى بعد دخولها الإسلام - على بعض خصائص حضارتها التقليدية. وقد نوّه الجغرافيون

الشرق الأدنى، إثر التطوّرات التي عرفها العصر السلجوقي، والحالة نفسها عرفتها مصر في العصر الفاطمي، إذ إنّ الإدارة فيها كانت قد وقعت في أيدي عدد من أبناء البلاد الأصليين، ومنهم من لم يكن مسلماً. هنا، خلافاً لما كان يجري في مناطق أخرى، فإن كتاباً غير مسلمين استطاعوا بلوغ أعلى المراتب والمتاصب، كمنصب الوزير. أمّا بلاد الأندلس فقد عرفت هي أيضاً كتاباً بارعين، لكن أدوارهم كانت محدودة في منطقة لم تكن لديها طموحات إمبراطورية واسعة.

بصورة عامة، فإن أوضاع الكتاب والإدارة تغيّرت في أواخر القرون الوسطى وفقاً للأنظمة السياسية وللمناطق. ففي إيران، خلال حكم الإيلخانيين، برز أشخاص يتقنون اللغتين التركية والمغولية أو كلت إليهم القضايا العربية، في حين أنّ الخدمات الأخرى كانت في أيدي إداريين يعتمدون في اللغة الفارسية وحدها. واستمرّ الوضع على حاله في ظلّ خلفاء تيمورلنك الذين أبقوا على ديوان تركي مستقل عن الديوان الفارسي. ولم يتبدل الوضع إلّا مع الصفويين الذين اغتوا إدارتهم بعدد وفير من الكتاب المتخصصين.

أمّا السلطنة العثمانية فلأنها، لشدة أخذها بالبيروقراطية، استخدمت عدداً كبيراً من المؤلّفين الذين عرّفوا بالكتاب، وأصبحت لهم أهمية خاصة إنطلاقاً من القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، في عهد السلطان سليمان القانوني. وقد توزّع الكتاب، كما في سائر الدول، على ديوانيّ الرسائل والمال، وكانوا ينتمون إلى جسم خاص من المؤلّفين في الخزانة السلطانية التي كانت تتمتع بنوع من الاستقلالية. فالكتاب في ديوان الرسائل كانوا يخضعون لأوامر «النشاجي»، والكتاب في ديوان المال كانوا يخضعون لأوامر «الدفتردار».

كاتب بجلي، مصطفى بن عبدالله المعروف باسم حاجي خليفة (١٠١٧-١٠٦٧هـ/١٦٠٩-١٦٥٧م)، صاحب مصنفات في مواد مختلفة وعالم من العصر العثماني، اشتهر على الاخص بأعماله الجغرافية والتاريخية، كما اشتهر بالكتب التي تهتمّ بالفهرسة. ولد وتوفي في اسطنبول، وتخلّلت حياته أسفار

الاتحاد السوفياتي. عدد سكانها حوالي ١٨ مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها تبلغ نحو ٤٢ بالمئة.

هذه البلاد التي برزت فيمنها الزراعية والصناعية مؤخرًا بفضل تأثير الاستعمار الروسي وهجرة الروس إليها، تمتد في منطقة دخلها الإسلام في عصر متأخر. وتشمل شمالي شرق بحر قزوين وبحر أزال، وصولاً إلى التركستان الصيني أو سين كيانغ. ولجمهورية كازاخستان حدود مشتركة طويلة مع الاتحاد الروسي، وهي تجاور في الجنوب عددًا من الجمهوريات التي كانت سابقًا داخل الاتحاد السوفياتي، وهي تركمانستان وأوزبكستان وقرغيزستان، من غير أن ننسى حدودها الشرقية المشتركة مع جمهورية الصين الشعبية.

في أواخر القرون الوسطى، شهدت سهوبها تانيًا سكانيًا نواته قبائل تركية مترحلة عُرفت منذ القرن السابع عشر باسم «كازاخ»، وكان بعضها ينتهي إلى الاتحاد القبلي المعروف باسم «أوزبك»، وكانت هذه القبائل قد هاجرت إلى المناطق الواقعة إلى الشمال الشرقي من مناطقها السافية. وفي منطقة الكازاخ تأسست، في القرن التاسع عشر، مدينة ألما آتا، وجُمِلت سنة ١٨٦٧ مركزًا إداريًا لحاكمية «سبزشييه» العسكرية الروسية، وذلك قبل اختيارها، سنة ١٩٢٩، عاصمةً لكازاخستان. إلا أن تدفق المهاجرين الروس والأوكرانيين إلى ألما آتا وسائر أنحاء البلاد قلّل من أهمية دور الإسلام في بلد يحاول فيه الكازاخ اليوم إثبات أوليتهم السياسية والاجتماعية واللغوية.

«راجع المستند رقم ٣٥»

كاشان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة تقع على تخوم الصحراء، وعلى الطريق التي تصل يزد بقم وطهران، ويعود الفضل في شهرتها إلى إنتاجها الحريري من البياض والقطع المخزقة الأخرى.

كاشان مدينة سامانية قديمة دخلت الإسلام في بداية الفتوحات العربية - الإسلامية، وكانت في العصور الوسطى تابعة لمقاطعة الجبال، وقد ازدهرت بنوع خاص في العصر السلجوقي، فأنشئت فيها المدارس التي قصدها طالبو العلم ورجال الفكر، كما نشطت فيها صناعة الخزف البزافي. أصبحت عاصمة ثقافية في عهد

العرب، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بغنى المدينة التي كانت مركز نشاط زراعي وتجاري قريب من البلاد التركية، على الرغم مما كانت تعانيه من تبدّل مجرى نهر أمودريا الذي كانت تحلّل الضفة اليمنى منه. ثم بدأ انحطاطها مع وصول سلالة جديدة من الخوارزمشاهيين إلى السلطة سنة ١٢٨٥/١٢٩٥، كما أن غزوات المغول والتموريين قضت على ما تبقى من هذه المدينة التي كانت قد أمست مهمة من القوافل، كما أن سكانها اضطروا إلى تركها قبل القرن السابع عشر.

كارلوفيتش، معاهدة تم توقيعها، في ٢٩ رجب ١١١٠/٢٦ كانون الثاني ١٦٩٩م، في هذه البلدة من مقاطعة فويفودين (Voivodine) المعروفة اليوم باسم سرمسكي كارلوفيتشي (Sremski Karlovci)، بعد محادثات صعبة جرت بين العثمانيين وبعض القوى الأوروبية، مثل النمسا وبولونيا والبندقية وروسيا.

بموجب هذه المعاهدة، انكفأ العثمانيون عن هنغاريا وكرواتيا وسلوفانيا وترانسلفانيا ودلماسيا، واحتفظوا ببعض الأراضي الاستراتيجية، مثل منطقة تيميشوارا والمناطق الداخلية من بلغراد، واسترجعوا من البندقية ما كانت قد استولت عليه في العمود. هذه هي النتيجة التي آلت إليها الحرب التي بدأت في العام ١٦٨٥، وتميّزت بانتصارات متواصلة أحرزها الهابسبورغ وحلفاؤه. إنها تشكل مؤشرًا واضحًا لتفهم قوة الأتراك في أوروبا الوسطى، بعد أن كانوا قد أحرزوا سلسلة من الانتصارات في القرون السابقة. يُبَدّ أن خسارة العثمانيين بموجب معاهدة كارلوفيتش كانت أقل مما كان يُخشى، وذلك بفضل مهارة مفارضيهم في مؤتمر امتد طوال شهرين من الزمن. وقد حقق هذا المؤتمر شهرة للمدينة الصغيرة التي عُقد فيها، فاستعبدت من العثمانيين في العام ١٦٨٧، بعد أن استمرّت، لأكثر من مئة عام، تحت إسم كارلوفشا، ومركزًا لمقاطعة تركية تابعة لباشا بقيم في المنطقة التي أنشئت فيها مدينة بودابست الحالية.

كازاخستان (جمهورية)، مساحتها ٣٠٠ ٧١٧ ٢ كلم^٢ وعاصمتها ألما آتا. هي دولة مستقلة منذ سنة ١٩٩١؛ كانت واحدة من جمهوريات آسيا الوسطى الخمس داخل

عند أولوغ بك.

ما نعرفه عن حياته أنه، بعد أن عمل في كاشان حيث راقب خسوف القمر سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، قبل الإلتحاق ببلاد «أولغ بك» في سمرقند في سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، والمساهمة في إنشاء المرصد الكبير في تلك المدينة. ومن نتائج نشاطه العلمي أنه صَحَّح وأكمل حساب الجداول الفلكية. إن مؤلفه «زيج الخاقاني» الذي وضعه سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، صَحَّح جداول نصير الدين الطوسي وحسَّنَها. كما ترك مجموعة من المصنَّفات حول الآلات، وحول نظام العدِّ الميغرومي المستعمل في علم الفلك؛ وله إلى ذلك كتاب في النظريات الحسابية بعنوان «مفتاح الحساب».

الكاطمية (الجمهورية العراقية)، حيّ في بغداد نما حول ضريح شيعي بُني ليؤوي قبري الإمامين السابع والتاسع من الأئمة المكرَّمين لدى الإمامية الأثني عشرية، موسى الكاظم ومحمد الجواد.

فالزيارات المتكرَّرة ورحلات «الحجّ» الخارجة عن الفرائض الشرعية، إلى هذين القبرين أبرزت باكراً، في نظر الشيعة، ما كان ينتمى به الإمامان من امتيازات فريدة. ونال القبران تكريساً رسمياً في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وذلك أيام نفوذ البويهيين في عصر الخلافة العباسية السُنيّة. فتكاثرت على أثر ذلك الهبات للمقام وأقيمت حوله الاحتفالات الكبيرة. إلّا أنّ تعاقب الأحداث على بغداد في العصور اللاحقة، ودخول المغول إليها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، ثمّ تيمورلنك سنة ٨٧٥هـ/١٣٩٣م، أدباً إلى خراب المزار المقدّس الذي لم يعرف ازدهاره ثانية إلّا بعد احتلال الصفويين سنة ١٥٠٨م الذين أعادوا بناءه. ثمّ إنّ التعديلات التي أدخلها الشاه إسماعيل الأوّل أعطت المقام طابع عظمتته الحالية، خصوصاً بقبتيه ومآذنه الأربعة المذقبة. كما عمد ممثّلو سلالة القاجار الفارسية إلى ترميمه في أواخر القرن التاسع عشر، وإضافة مزيد من البريق والعظمة عليه.

كاكويه (بنو-)، (٣٩٨-٤٤٣هـ/١٠٠٨-١٥١٠م)، سلالة حكمت إيران الفرية بعد زوال حكم البويهيين،

الصفويين، وقد شيّد فيها الشاه عباس الأوّل وخلفاؤه القصور والأسواق المسقوفة، وبنوا في محيطها سدوداً لتحسين عملية تزويدها بالمياه. واستمرّت شهرة منتوجاتها الحرفيّة في القرن السابع عشر، ولا سيّما منها النسيج (المقشّب بخيوط ذهبية والحرير على أنواعها)، والسجاد، والخزف. إلّا أنّ زلزال سنة ١٧٧٩ دمر فُسّاً من المدينة، ولم تستطع بعد ذلك استعادة نشاطها التجاري ولا بلوغ غناها السابق، برغم تحديث المنطقة. لقد حافظت على كثير من الأبنية القديمة، منها ضريح الشاه عباس الأوّل، وبقايا مساجد ومنازل من العهد السلجوقي.

« راجع المستدين ٢٣ و ٢٤.

كاشي (جمهورية الصين الشعبية)، هي كاشغر القديمة، مدينة في تركستان الصينية أو سينكيانغ، حافظت سكّانها الأتراك على الإسلام بعد تقبلهم إياه في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد.

ويحكم موقعها ضمن واحة في حوض تريم المحفّف، على الطريق الآسيويّة الكبيرة والمعروفة باسم «طريق الحرير»، أصبحت كاشغر واحدة من أهمّ المدن في مملكة الفرائخانيين الشرقيّة. وفيها وُضِع، في القرن الخامس للهجرة/الحدادي عشر للميلاد، مصفّ أدبيّ تركيّ بعنوان «كُونْدَغُو بيليغ». وفي المرحلة الزمّية عينها عاش فيها محمود الكاشغري، وهو عالم لغويّ وضع بعد ذلك في بغداد «معجم اللغة التركيّة». انتقلت المدينة بعد ذلك إلى سلطة القره ختاي، وهم سلالة تركيّة غير مسلمة، ثمّ احتلّها المغول، وتعايقت من ثمّ على حكمها سلالات إسلاميّة متنوّعة. وبعدها رُمّمت في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، استولى عليها الصينيون سنة ١٨٧٧ وجعلوها مقرّ حاكم المنطقة. أمّا اليوم فإنّ غالّية سكّانها من السُنة.

« راجع المستندات ٨، ١٢، ٢٣، ٣٠ و ٣٥.

الكاشي أو الكاشاني (٢-٨٣٢هـ/١٤٢٩-١٤٢٩)، هو غياث الدين جمشيد بن مسعود بن محمود؛ رياضي وفلكي إيراني، لقي حظوة عند التيموريّين، ولا سيّما

البلاد. وهذه الجبوحه القديمة، التي أشار إليها الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، استمرت بعد غزو سلاطين دلهي للمدينة في ١٢٩٨م، وكذلك خلال الفترة التي أعقبت إيفاد سلاطين دلهي حكماً ما لبثوا أن تحولوا، في القرن الخامس عشر، إلى سلاطة سلاطين شجرات المستقلين الذين واجهوا اضطرابات متفرقة وطموحات الدول الإسلامية المجاورة. لكن، منذ بداية القرن السادس عشر، أضعفت غزوات البرتغاليين - الراغبين في تجيير الملاحة والتجارة في المحيط الهندي تمصلحتهم - ازدهار المدينة التي ألحقت بأميراطورية المغول في العام ١٥٧٣م. إثر الحملات العسكرية التي قام بها جلال الدين محمد أكبر، وقد سبب توخّل الخليج منذ القرن السابع عشر تراجع أهمية مرفأ المدينة في ما بعد.

« راجع المستدين ٣٠ و ٣١.

كامل باشا (مصطفى)، (١٨٧٤-١٩٠٨)، محام وسياسي من أوائل المدافعين عن القومية المصرية. بعد دراسته الحقوق في تولوز (فرنسا)، ركّز مصطفى كامل على معارضة السيطرة البريطانية على بلاده، وقد سعى لتأمين التطور الثقافي لمصر بمعزل عن الغرب. كان ذا توجه ليبرالي، معتبراً نفسه وريثاً لفكر عرابي باشا. أسس جريدة «الولاء» وحزباً سياسياً عُرف باسم «الحزب الوطني». وقد استمر تأثير هذا الحزب إلى ما بعد وفاة مؤسسه.

الكامل (الملك)، ناصر الدين أبو المعالي محمد بن أحمد بن أيوب (٥٧٦-٦٣٢هـ/١١٨٠-١٢٣٨م)، هو ابن أخيه صلاح الدين، تولى عرش المملكة الأيوبية المصرية - السورية في العام ٦١٥هـ/١٢١٨م إلى حين وفاته، وأقام علاقات حسنة مع فريدريك الثاني هوهنشتاوفن.

ولد الكامل في العام ٥٧٦هـ/١١٨٠م، في أعالي بلاد ما بين النهرين، حيث كانت تقيم أسرته، وانتقل إلى القاهرة، في العام ٥٩٦هـ/١٢٠٠م، برفقة والده الملك العادل، ثم ما لبث أن خلفه في الحكم في العام ٦١٥هـ/١٢١٨م، وحمل طموحاته نفسها كسلطان على

وخضعت للسلاجقة الذين نشأت سلطنتهم نتيجة للغزوات التركية.

مؤسس هذه السلاطة هو علاء الدولة محمد بن دشمينزار الدبليعي المعروف بابن كاكويه، أي «ابن الخال» (من هنا تسمية دولتهم)، لأنّ أباه كان خال الأمير البويهبي حاكم الرّي ومنطقة الجبال. في العام ٣٩٨هـ/١٠٠٨م، أصبح ابن كاكويه حاكماً على أصفهان، فأنشأ إمارة شبه مستقلة اشتملت على همدان ومدن أخرى في المنطقة، فأفاد من موارد غنيّة، واستغبط في بلاطه فلاسفة وشعراء، من بينهم ابن سينا الشهير الذي تقلّد الوزارة في عهد ابن كاكويه واستمرّ بها إلى حين وفاته. وبعد خضوع حاكم البلاد لمحمود الغزنوي بدايةً في العام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، أسفر وصول الغزّ وامتداد سلطة طغرل بك السلجوقي إلى أصفهان، في العام ٤٤٣هـ/١٠٥١م، عن طرد أفراد أسرة كاكويه من المدينة بأنحاء همدان، ونهاوند، ويزد، وانصرائهم في النهاية في خدمة كبار سلاطين إيران.

علاء الدين محمد بن دشمينزار (٤٣٣-٣٩٨هـ/١٠٠٨-١٠٤١م)
ذابو منصور فرمائز (٤٣٣-٤٤٣هـ/١٠٤١-١٠٥١م)
أبو كاتيجار كرشاب الأول (٤٣٣-٤٤٤هـ/١٠٤١-١٠٤٨م)
أبو منصور علي (٤٠٢-٤٨٨هـ/١٠٩٥-١١٠٠م)
أبو كاتيجار كرشاب الثاني (٤٨٨-٥١٣هـ/١٠٩٥-١١١٩م)

كامبائي (الاتحاد الهندي)، وبالبريّة كُتبايا أو خُتبايت، ناحية ساحلية في مقاطعة شجرات، كانت في القرون الوسطى إحدى المدن المرفئية الناشطة على الساحل الغربي للهند، غيّز من خلالها الإسلام - الذي كان وصل إلى السند بطريق البر - إلى عمق البلاد.

عُرفت كامبائي منذ بداية الحقبة العباسية بمؤسستها الإسلامية التي زارها المسمودي، وهو جغرافي عربي من القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، كما كانت محطة لدعاة الدعوة الإسماعيلية الذين يعود إليهم الفضل في ازدهار جماعة البهّرة في ما بعد في المنطقة.

وصارت كامبائي، في فترة مبكرة، مركزاً ناشطاً للحياة الاقتصادية. وذلك عائد إلى الأعمال الحرفيّة والأنشطة التجارية التي ساعدت على ازدهار التجارة البحرية، إلى جانب الغنى الزراعي للمناطق الداخلية في

بكامليها؛ واستاء المسلمون بسبب التنازل عن القدس. وألقى العديد من العلماء المسلمين بدمشق خطباً ملتهبة أدانت سياسة الكامل. ومع ذلك، فقد تمكن هذا الأخير، رغم المعارضة الداخلية الشرسية، من بسط نفوذه على مملكة دمشق، وعزز سلطته في بلاد ما بين النهرين العليا؛ فبعد انتصاراته الأولى، كان عليه أن يجزء حملة ضد علاء الدين كيقباد الأول، سلطان سلاجقة الروم في الأناضول، الذي استولى على أخلط، في العام ١٢٣١هـ/ ١٢٣١م. ولم يمنعه شبه الاخفاق الذي مني به في حملته على الشمال من تعزيز رقابته على حلب إذ أصبح، قبل وفاته في دمشق في سنة ١٢٣٦هـ/ ١٢٣٨م، السيد الفعلي لمملكة الأيوبيين المصرية - السورية.

لم يترك الملك الكامل وراثة سوى ملوك ضعفاء عاجزين عن إطلاق مشاريع مماثلة لمشايخه ومتابعي تحقيقها.

الكاميرون (جمهورية)، تبلغ مساحتها ٤٧٥.٠٠٠ كلم^٢، عاصمتها ياونده. وهي دولة حديثة مستقلة تقع على الساحل الغربي لأفريقيا السوداء الإستوائية، تضم أقلية مسلمة تقارب ١٥٪ من مجموع سكان البلاد البالغ أحد عشر مليوناً.

وتركز المسلمون في هذه الجمهورية - التي كانت في الأصل، مستعمرة ألمانية ثم انتقلت إلى الوصاية الفرنسية بعد ١٩١٦ في الشمال، في لسان أرض يلامس بحيرة تشاد، ويتجاور مع المناطق الإسلامية في جمهورية نيجيريا الفدرالية وجمهورية النشاد، بحيث يتقاسم معها حدوداً مشتركة.

كانم، مملكة إسلامية في أفريقيا السوداء الساحلية في القرون الوسطى. امتدت شهرتها الأسطورية حتى أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حين نقل حكامها سلالته إلى بورنو.

منذ زمن بعيد، عرفت هذه المملكة شهرة قامت على مراقبة حركة التجارة عبر الصحراء، وكانت حدودها تتجاوز كثيراً حدود المنطقة شبه الصحراوية التي تشكل حائلاً مقاطعة في جمهورية تشاد والتي تحمل

مصر وسوريا، رغم أنه وجد صعوبة كبيرة، خلال فترة حكمه، في الحصول على اعتراف أمراء أسرته الأيوبية الآخرين الذين كانوا يتقاسمون السلطة في سوريا، في بسط سلطته على بلاد ما بين النهرين، وفي توطيد علاقاته بالفرنج.

وعندما اعتلى الكامل سدة العرش، كان الفرنج قد استولوا على قلعة مدينة ديباط، ولم يتمكن السلطان الجديد من منعهم من احتلال المدينة؛ غير أنه نجح في تطويق قواتهم المتقدمة على غير هدى والتي فوجئت بفيضان النيل، فأنتهى الأمر باستسلامها، في العام ١٢٢١م. ١٢٢١هـ/ ١٢٢١م. أنقذت ديباط، رغم استمرار الخطر الداهم على مصر، فأعذ الملك الكامل مشروع اتفاق مع الفرنج مفتوحاً فيه التنازل لهم عن الأراضي التي استعادها صلاح الدين في فلسطين، في مقابل مغادرتهم ديباط. وإذا كان هذا الاقتراح قد لقي لدى نبلاء الفرنج ميلاً للقبول به، فإنه ما عثم أن رفض بإصرار من قبل بيلاج (Pélagie)، المبعوث البابوي، على الرغم من المرونة التي أبداهها الملك الكامل. لكن هذا الأخير لم ينخلع عن مشروع الاتفاق بعد تراجع الفرنج عن ديباط، لأنه كان يخشى قدوم فريدريك الثاني، إمبراطور ألمانيا وملك صقلية، إلى فلسطين؛ كما كان يسعى إلى التخلص من ضغط الفرنج لكي يتفرغ لمقابلة أخيه الملك المعظم صاحب دمشق، ومن ثمّ ابن أخيه الملك الناصر داود الذي ورث دمشق في العام ١٢٢٤هـ/ ١٢٢٧م. لذا سارع الملك الكامل إلى إرسال موفد إلى فريدريك الثاني، حينما علم بوصوله بحرًا إلى عكا، في أيلول ١٢٢٥هـ/ ١٢٢٨م، ليعرض عليه اقتراحه مجدداً نجبتاً للمواجهة المسلحة.

وبعد إتمام المفاوضات، عقدت إتفاقية حيفا في شباط ١٢٢٦هـ/ ١٢٢٩م، فاستعاد الفرنج بموجبها جانباً من المنطقة الساحلية، كذلك الناصرة والقدس. وهكذا، استعاد المسيحيون كنيسة القيامة، إلا أنه كان عليهم احترام المقامات الإسلامية المقدسة، وضمان حرية الأهلالي لزيارتها.

نتج عن هذه الإتفاقية الجريئة استيلاء عام. إستانه الفرنج لأن الأراضي التابعة لبطريك القدس لم تسترجع

العصر الحديث صراعات سياسية مختلفة، كما ساعدت الناس على تأكيد هويتهم الإسلامية وقوميتهم المحلية في آن.

« راجع المستندين ٢٨ و ٢٩ ».

الكُبرُوتية، طريقة صوفية إسلامية تستمد إسمها من الصوفي نجم الدين كُبرى، وقد انتشرت في فروع عدة، في الاوساط التركية-الإيرانية، انطلاقاً من القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.

ولد الشيخ المؤسس لهذه الحركة سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م في خوارزم، وتوفي فيها سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م. وكان قد اتبع نظاماً زهدياً مدرّساً، في مصر، إيراني يُعرف باسم روضيهان المصري، المتوفى سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، وكان من أتباع الشُّهرُوردية. أسس نجم الدين، في ما بعد، في بلده، خانقاه جمع فيها عددًا وفيرًا من التلاميذ، بينهم مجد الدين البغدادي الذي كان معلّم الشاعر الصوفي الفارسي فريد الدين العطار. وقد مات المؤسس حاملاً سلاحه في مواجهة الغزو المغولي، ثم نشر تلاميذه مؤسسانهم التي ازدهرت في العهد الإيلخاني، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م. والمعروف أنّ المغولي «بركة»، الذي أصبح زعيم «القبيلة الذهبية»، أعلن اعتناقه الإسلام في خانقاه سيف الدين البخارزي في بخارى. وقد ذُفن كبرى في المقرّ الذي أسسه، وأصبح قبره مزارًا لا يزال معروفًا في أطلال أورغيتش (الجرجانية)، بفضل الصريح الذي شُيّد فوقه.

انتشرت فروع الكُبرُوتية في خراسان وفي شبه القارة الهندية، لا سيّما في كشمير، وأيضًا في العراق وخصوصًا في بغداد. وفي القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، اشتهر البُخْتَانِي الذي أسس مقرًا في سيمنان بإيران حيث توفي سنة ٨٣٧هـ/ ١٣٣٦م. وقد حارب أنواع التجديد وأتبع خطًا تقليديًا صارمًا في تفسير القرآن الكريم. وقد تحدّد هذا الخط لاحقًا باسم «وحدة الشهود»، وهو يعارض في الأساس آراء ابن العربي. لكنّ السمناني تبنّى، من جهة أخرى، ممارسة الذُّكُور الذي يقود إلى التوجّد، وهي ممارسة تأثّر فيها بتقنيات اليوغا التي كان قد اطلع عليها في شبابه، وهي تقنيات

الاسم عينه. كما تُجاور، من جهة الغرب، جمهورية النيجر.

ويقال إنّ ألبو الرعاة في كانم اعتنقوا الإسلام منذ العصر الأموي، وإنّ شهرتها وصلت، في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، إلى الشرق الأدنى حيث توفي أحد حكامها خلال رحلة حجّ إلى الديار المقدّسة. كما لفت إلى ثرائها، في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، توجيهها بعثة مهمة إلى بلاط الحفصيين في تونس وإنشائها مدرسة مالكية في القاهرة.

إنّ سقوط الدولة المملوكية في الشام ومصر، توقّفت العلاقات الدبلوماسية والتجارية التي كانت تربط كانم بالفتك المملوكي. ومن ثمّ أدّت الصراعات المحليّة إلى انهيار بلاد كانم، بسبب تعرّضها على الدوام، حتّى تثبيت الاحتلال الفرنسي بين العامين ١٩٠١ و ١٩٠٥، إلى هجمات حكام بورنو، وياجرمي وودّاي.

كانو (جمهورية نيجيريا)، مدينة في شمال البلاد، ما تزال الحياة الفكرية والدينية الإسلامية ناشطة فيها، بعد أن عرفت انطلاقتها الأولى في القرن الخامس عشر للميلاد.

في ذلك الزمن، اعتنق حكام دولة كانو - التي كانت قائمة في بلاد الهوسا - الإسلام عقب صلات قديمة وغير معروفة تمامًا مع ممالك مالي وبورنو والصُّغْغاي بصورة خاصة. وقد عرف هؤلاء الحكّام الإسلام بفعل الحركة التجارية النشطة عبر الصحراء وعلى امتداد خط سير القوافل، حيث كانت بلادهم تشكّل إحدى نقاط الوصول.

في خضمّ الصراعات العديدة التي عرفتها كانو، بدأت تظهر في العادات الاجتماعية، وبصورة خاصة في مراسم الاحتفالات التي كان يعتمدها الحكّام، بعض نتائج التأثير التبريجي بالإسلام. تأثّرت البلاد في القرن السادس عشر بتعاليم الداعية البربري المغيلي. ثمّ ازداد هذا التأثير في القرن التاسع عشر، مع إقامة إمارة قُليّبة أنت نتيجةً للجهاد في ظلّ دولة سوكوتو الجديدة والقوية. ازداد في الوقت نفسه تأثير الطرائق الصوفيّة، وبصورة خاصة القادرية والتيجانية، التي أثارت في

المقدس، ورافقه تحسين مستمر في طريقة عرضها. استخدمت لذلك تقاف، بل كزاسات، سرعان ما تمّ جمعها وتجليدها من قبل الذين نسخوها وأعادوا نسخها مرّات عديدة. وقد تمّ اختيار الرقّ في هذه المحاولات، إذ إنّ الأملس منه أمّن من البردي الذي كان يفضّل استخدامه في المستندات الرسمية. وقد سهّل ارتقّ المحاولات الأولى لتحسين الخط. وقد أُضيفت زخارف في فواتح الصفحات وفي مواضع العناوين أو ضمن أشكال بيضوية، كثيرًا ما كانت تشير إلى علامة وقف، إن بالنسبة إلى المعنى أو بالنسبة إلى التلاوة. كانت هذه زخارف تستقي تفاصيلها من الموروثات التزيينية في فن الزخرفة العربي والتشبيك الهندسي، ونجدها أيضًا في التوليفات العزّية للخط. كانت أعمال الخطاطين والمزخرفين الذين استهوهم الجهر الملون مع بعض الرسم والتذهيب تنيّ بظهور تقاليد مميزة لفنّين وضوا، في ما بعد، معرفتهم ومهارتهم في خدمة إنتاج من نوع آخر، بعد أن غدت أدواق محبّي الكتب وطلّبتها تتحكّم في الأنماط السائدة في مختلف المراكز الثقافية العائدة للعالم الإسلامي. وقد شهدت الحضارة الإسلامية بذلك، تلبّي طلبات رعاية الثقافة، وتجاوبًا مع حاجات تجارة مزدهرة، تنامي عدد الكتب وغناها الزخرفي. وغالبًا ما كانت أعمالها تُنفذ في مشاغل حرفيّة مزدهرة، لتباع في حوانيت الورّاقين أو تحفظ في المكتبات الخاصة والعامة. كان منظرها المُتّزن يميّزها عن الكتب الموضوعية بخط مؤلّفيها أو انني نسخها البهّاء الساعون إلى العلوم، في حين كانت تزداد على مر العصور، استقلالية الجمعيات الحرفيّة المعنية بتنفيذ هذه التحف الفنيّة، سواء أكانت خاضعة لرقابة البلاطات الملكيّة - التي كانت، في هذه الحالة، تحتضن المشاغل وتحتفظ بنتائجها - أو قائمة قرب المساجد الكبرى والأسواق العامة حيث تشكّلت، خلال القرون الوسطى، مجموعات من النشّاط والرسّامين والمذهّبين والمجلّدين وغيرهم، الذين كانوا يتبادلون أسرار مهنتهم، إمّا عن طريق العلاقات التجارية. وإمّا عن طريق انتقال السكان من مكان إلى آخر بسبب الاضطرابات السياسيّة..

يرفضها أهل السّنة. وفي مرحلة لاحقة تراجعت الكبرويّة، في آسيا الوسطى، أمام النقشيدية، ابتداء من القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، ولم تعد تعرف، في الغرب والأناضول والدول العربيّة، سوى تقدّم بطيء.

الكتاب (أهل) - (gens du Livre)، مصطلح متداول لندلالة على غير المسلمين الذين لهم كتب دينيّة سابقة للقرآن الكريم.

استُخدمت تسمية «أهل الكتاب»، منذ الأيام الأولى للإسلام، للندلالة، بنوع خاص، على اليهود والمسيحيّين الذين كانوا يسكنون البلدان المفتوحة. ألجفت بهم مجموعات أخرى، بخاصة الزرادشتيّين، وكان على المجاهدين المسلمين ألاّ يمتزّجوا بهم في حال تمّ عقد الصلح معهم. وقد استمرّت هذه الفئات جميعًا في البلدان الإسلاميّة في منزلة دنيا هي منزلة أهل الذلّة أو مؤدّي الجزية، يُقيل بهم، نكثهم، في المبدأ، يُبعدون عن القيام بأي دور فاعل ضمن الجماعة الإسلاميّة التي كانت تؤمّن لهم الحماية، وكانوا يخضعون لأداء ضرائب مرهقة، وأحيانًا لابتزازات قاسية تبعًا للزمان والمكان.

الكتاب (فنون-)، أعمال متعلّقة بصناعة وتزيين المجلّدات المخطوطة المتمدّدة، والفاخرة في أغلب الأحيان، وقد احتلّت مكانة مهمّة، عبر القرون، في البلدان الإسلاميّة وحقّقت إنجازات ذات نوعيّة عالية في التنبّية والأسلوب.

نشأت هذه الأعمال، منذ عهد الخلفاء الأوّلين، نتيجة عامل ديني خاص بالمجتمع الإسلامي، هو ضرورة المحافظة على نصّ القرآن الكريم في حين كانت هناك محاولات لتتقيح النصّ الرسمي، مع أخذ بعض «القرارات» المختلفة المسموح بها في الاعتبار. وفيما كانت الأبحاث المعجميّة والنحويّة تسعى إلى كشف خصائص اللغة العربيّة، لغة الرسالة المحمديّة، كان الخط العربيّ المستخدم في تدوين هذه الرسالة موضوع تحسين وتجميل من الناحية الشكليّة، كما أنّ الاحترام الذي حظيت به، منذ البداية، صحائف الكتاب

على الموضوعات الحاضرة أبداً في رسوم البلاطات ومستلزماتها من اللباس، وعلى الدور الذي اضطلعت به ما نسبته «حضارة البلاط» في توجيه الفنون ورعايتها. بسبب ذلك فإن المعطيات المتنوعة المتعلقة بفن المنمنمات المُنقَر في الخصوصية لا توضح، إلا من بعيد، المشكلات التي يطرحها الكتاب الإسلامي نفسه، سواء كان قروسطياً أو حديثاً، بصفتها نموذجاً مخرّفاً اختاره المجتمع الذي انتجته وقُبِلَ به ففرض عليه، تحقيقاً لهذا الهدف، بعض العادات في الخط والزخرفة سرعان ما غدت مقننة.

الكتاب، تعبير يشير إلى المدرسة الابتدائية التي كان لها دورها الدائم في التعليم في بلاد الإسلام. وكان الكتاب - الذي يُعرف في المغرب باسم «مُسبِّد» (ربما نسبة إلى مسجد) - يؤمّن الثقافة الإسلامية الأساسية للمسلم، إذ كان الأولاد يتعلّمون، عبر النصوص القرآنية، الأصول الأولى للقراءة والكتابة، وقواعد اللغة، والحساب، وعلى الرغم من هذا الدور الأساسي، فإن معلوماتنا عن تاريخه هي أضعف من معلوماتنا عن تاريخ المدرسة التي كان لها، منذ البداية، مهمات محدّدة. ومن المؤكّد أنّ الكتاب كان، في العصور الأولى، مرتبطاً إرباطاً وثيقاً بالمسجد الجامع، ثم انفصل لاحقاً عنه ليستقرّ، كالمدرسة، في أماكن أخرى، على الأقلّ في الشرق حيث بدأت هذه العادة في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. وتنقصنا التفاصيل المتعلقة بطبيعة الأبنية حيث كان الأولاد يجتمعون تحت أنظار من يسوّونه المدرّس، أو المعلم، أو المؤدّب في البلدان العربية، و«خوجا» في تركيا، و«مكتب دار» في إيران، و«مُلم» أو «فقيه» في بعض اللهجات العربية. كما كان الأولاد يكتبون عن طريق الإملاء، ليقرأوا بعد ذلك ما كتبه بصوت عالٍ، أو ليحفظوا غيباً ما كتبه، ذلك أنّ الهمّ الأوّل كان تطوير الذاكرة. كما كانوا في الكتابة يستعملون الواحاً صغيرة. أمّا شكل بناء الكتاب وأقسامه وتنظيمه فقد كان يتغيّر بتغيّر المصور وتبدّل البلدان. ففي الأمبراطورية العثمانية كان الكتاب، في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، عبارة عن قاعة كبيرة ذات قبة،

إن تاريخ فنون الكتاب ومظاهرها المتعدّدة التي تطوّرت عبر طرق وتقنيات جرت محاولة تصنيفها، بشكل خاص، وفق مدارس أسلوبية اتّسمت بهيمات السلالات الحاكمة، آثار القليل من الملاحظات التي تأخذ في الاعتبار الطابع الفني للكتاب، وفي الوقت نفسه، تأثير الضرورات الاقتصادية والتقنية الكامنة وراءها. ما تزال الدراسة العلمية للنصوص القديمة تسعى لإيجاد الوسائل التي تسمح لها بتقويم التقنيات المعتمدة في وضع هذه النصوص، في حين لم تنته بعد الأعمال الأساسية لتصنيف المخطوطات القديمة المحفوظة في المكتبات الحالية. ناهيك من أنّ أنواع الخط المستخدمة لم تخضع قط لتحاليل أو لأوصاف منهجية تشمل مجموعات كافية من النماذج. أمّا دراسة الرسوم والمنمنمات التي نجمل الكتب المغرقة في الفخامة فهي، أيضاً، لم تبلغ بعد الدقة المطلوبة، رغم قدّم الأبحاث الأولى التي تناولتها، مركّزة على بعض الصور الرائعة التي فصلت عن النص المكتوب، أو على بعض الشخصيات العريقة الشهرة لدى رعاة الفنون من الأمراء، مثل بهزاد.

اهتم العلماء الأوروبيون بمجال هامشي ومحدود في ما يتعلّق بفنون الكتاب الإسلامي، وهو مجال الرسوم المجسّدة الخارجة على التقليد العام الذي كان يحظرها، والمرافقة لبعض النصوص، وذلك في ما يختص حصراً ببعض العصور وبعض المناطق. على الرغم من كون هذا المجال ينطوي على تحنّ حقيقيّة، وعلى الرغم من أنّ دراسته أدّت إلى ظهور قوائم مفصّلة للمجموعات العامة أو الخاصة المحفوظة في الغرب، وفقاً لاهتمامات هواة الفن وتقويماتهم للأساليب، فإنّه مع ذلك لا يطلّ إلا مجموعة محدودة من المنتجات المحلية تنوّع بصورة عامة على ثلاثة أبواب هي: «منمنات فارسية»، «منمنات مغولية»، و«منمنات عثمانية». من جهة أخرى، لم يُنظر إلى تلك الرسوم، من حيث مدلولها الواقعي، كونها جزءاً من مجموع الإنتاج الإسلامي للمخطوطات المؤنّنة. إن اكتشاف الأساليب وتياراتها، وأحياناً التعرف إلى أساتذة هذا الفن ومشاغلهم كانا كائنين لتوجيه الأبحاث، في وقت جرى التركيز فيه

ليعودوا إلى السنة التقليدية التي تسيطر حالياً في تلك المناطق. وهم اليوم يقطون شمال الجمهورية الجزائرية حيث يستقر أحفادهم في أماكن جبلية، بعدما ضعفت قوتهم في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، تحت ضربات الهلائين وبفعل حملات الموحدين. وهم يُصنّفون اليوم، مع قبائل الزولوا، من العناصر البربرية التي ما تزال تحافظ على أصالتها وفرادتها في منطقة القبائل.

كراتشي (جمهورية باكستان الإسلامية)، مدينة كبيرة حديثة ذات مرفأ، تقع على ضفاف نهر السند غربي دلتا الهندوس، وما تزال تُعتبر، إلى اليوم، أكبر مركز تجاري وصناعي في باكستان بعد أن أضحت عاصمة للبلاد منذ العام ١٩٤٧ وحتى العام ١٩٦٠.

ازدهرت مدينة كراتشي، منذ القرن التاسع عشر، وحلّت مكان المدن القديمة، كدبيل في القرون الوسطى، وثانا ابتداءً من القرن السادس عشر، وهما مدينتان مطلّتان على بحر عُمان. شهّرتا بالبحيوة بسبب حركة التجارة النشطة آنذاك في هذا البحر. لكنّ التجمّع الجديد (كراتشي) استفاد، على وجه الخصوص، لانطلاقته، من قدوم الإنكليز إلى البلاد في العام ١٨٤٤، حين اعتمد شاول نابيه (Napier) كراتشي مركزاً للإدارة العسكرية والمدنية للمنطقة كلّها. لقد أدّى تجهيز مرفأ المدينة وإنجاز سكك الحديد التي تربطها بالبنجاب، في العام ١٨٧٨، إلى تزايد نمو كراتشي، حتّى وصل إلى حد الانفجار الديمغرافي الذي عرفته عاصمة الدولة الجديدة، بعد انقسام العام ١٩٤٧ وقيام صناعات مختلفة، بما فيها الصناعات النفطية. وقد استمرّ التضمّن السكاني في كراتشي مترافقاً مع تنامي نشاطها إلى ما بعد انتقال العاصمة إلى إسلام آباد.

◀ راجع المستند رقم ٣٥.

كراتشي - تشيركي، جمهورية فدرالية، مساحتها ١٤٢٠٠ كلم^٢ وعاصمتها تشيركي. منطقة تنتم بالحكم الذاتي، أصبحت جمهورية في العام ١٩٩١، وهي ما تزال واحدة من جمهوريات روسيا الفدرالية، يبلغ عدد سكّانها نصف مليون نسمة، نصفهم من المسلمين.

قريبة من المسجد وتابعة له، كما كان له أوقاف. أمّا الكتائب، في أماكن أخرى، فكانت بدائية جداً. وابتداءً من القرن التاسع عشر عرف الكتاب أوضاعاً جديدة، إذ واجه في بلدان مختلفة المدرسة الابتدائية التي أثبتت النمط الغربي في التعليم؛ كما اضطرّ، في مناطق أخرى، إلى القبول بمراقبة الدولة. وهكذا عُيّن في مصر، سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٤٦، مفتش للمدارس؛ وفي الدولة العثمانية أصبحت المؤسسات من هذا النوع تابعة لوزارة التربية.

أمّا في عصرنا الحالي فقد تبدّل وضع الكتاب، إذ أقفلت هذه المدارس في البلدان التي يشكّل فيها المسلمون أقلية (الإتحاد السوفياتي سنة ١٩٢٨، يوغوسلافيا سنة ١٩٤٦)، كما أقفلت في البلدان التي نبّئت نظاماً علمانياً (تركيا سنة ١٩٢٦). وقد استمرّت قائمة في القسم الأكبر من البلدان الأخرى، لكنّها أُدخلت في إطار التنظيم المدرسي الوطني من دون أن تُسَنّ الأهداف من وجودها. فأساس التعليم فيها يبقى، في غائبة الأحيان، دراسة القرآن الكريم ومبادئ الإسلام.

كُتامة، قبائل يبربرية من صنهاجة، كان لها دور فاعل خلال القرون الوسطى في المغرب الشرقي والأوسط حيث دافعت، بنوع خاص، عن القضية الفاطمية.

بعد الموجة الأولى من اعتناق الإسلام التي تبعت الفتحاحات العربية-الإسلامية في أواخر القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، في أفريقيا، انتهى عدد من أبناء هذه القبيلة إلى العقيدة الإسماعيلية، إبان قدومهم إلى الجزيرة العربية لأداء فريضة الحج، ما جعلهم يفتقون إلى جانب المهدي الفاطمي عبيد الله. وقد اعتمد المهدي عليهم لنجاح دعوته، فساعده في حروبه ضد الأغابة، كما شكّل أبناء هذه القبيلة قسماً كبيراً من قوّة الدولة الفاطمية ومن جيشها، في المغرب كما في المشرق حيث انتقل بعضهم بعد استقرار الخلافة الجديدة في مصر. والذين ظلّوا في المغرب من الكتائب كانوا في أساس قيام الدولة الزيرية والدولة الحمّادية وقد استمروا في صراعمهم مع منافسيهم من القبائل البربرية التابعة لزنانة. وفي مرحلة لاحقة تركوا الإنتماء إلى الشيعة

وهي تستمد شهرتها من وجود ضريح الحسين بن علي فيها، وقد شُيّد الضريح في الموقع الذي استشهد فيه هذا الإمام العلوي. ففي هذا المكان، اقترِب من نهر الفرات، لقي الحسين مصرعه في العام ٦١٠هـ/٦٨٠م، خلال معركة مع جيوش أمير المنطقة الأموي، الذي أرسل رأس الحسين إلى الخليفة، ودفن جسده في المكان الذي سقط فيه. تحوّل ضريح الحسين مراراً للتقوى منذ القرنين الأول والثاني الهجريين. أزال الخليفة العبّاسي المتوكلّ الضريح ليضع حدّاً للزيارات التقوية. ولكن في ما بعد، شُيّد مكانه بناء ذو قبة عُرف باسم مشهد الحسين، وقد ورد ذكره في نصوص مكتوبة في العام ٣٦٧هـ/٩٧٧م، ثم ما لبث أن اهتم به الأمير البويهي عضد الدولة، كما اهتم بمقامات شيعية أخرى. زار كربلاء والتحف العديد من الحكّام، وبصورة خاصة السلطان السلجوقي ملكشاه في العام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، وكذلك قازان الإيلخاني في العام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، وإسماعيل الأول الصفوي في العام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م، والسلطان العثماني سليمان القانوني في العام ٩٤١هـ/١٥٣٤م. ازدادت مظاهر التقوى في هذا المكان إلى أن أضحي إحدى العتبات الأكثر قدسية في تاريخ الإسلام الشيعي، وأحد المراكز الدينية حيث ازدهرت عقيدة الإمامية الإثني عشرية.

◀ راجع التمسند رقم ٨.

الكرج، كرجستان ← جورجيا.

كرج، كارك أو كراك، كلمة سريانية تعني «الحصن»، تظهر بالفرنسية بصيغة «Crac» أحياناً، كانت تشير، في القرون الوسطى، إلى حصون شيدّها الفرنج في سوريا. سقطت هذه الحصون في أيدي المسلمين الذين أدخلوها في نظامهم الدفاعي الخاص.

١ - حصن الأكراد، يقع في الجمهورية العربية السورية الحالية، ويُعرف باسم قلعة الحصن، وهو أهم نموذج لهذه الحصون. يقع حصن الأكراد في موقع إستراتيجي على قمة جبلية مشرفاً على خط المواصلات الذي يصل سهل طرابلس بالداخل، إلى ما بعد منخفض حمص. وقد حصّنه المسلمون في البداية وتنازَعوا عليه

تجاور هذه المقاطعة الجبلية من القوقاز الشمالي - التي أصبحت جمهورية منذ فترة قريبة - منطقة كاربدينو - بلغاري ذات الأكرثية الإسلامية، من جهة الغرب، ومنطقة أبخازيا من الجنوب الغربي، وهذه الأخيرة هي جزء من جمهورية جورجيا الواقعة في ما وراء القوقاز. يُقدّم الإسلام في المنطقة بفعل اثنين مختلفتين: الأتراك القرانشاي من جهة، والشركس من جهة أخرى. وقد اتحدت هاتان الاثنيتان، في العام ١٩٢٢، في إطار وحدة إدارية، ثم انفصلتا في العام ١٩٢٦، ثم عادتا واتحدتا من جديد في العام ١٩٥٧ بعد عودة القرانشاي من المنفى القسري الذي تعرّضوا له في العام ١٩٤٤.

الكرامة، أتباع طائفة، تعرف عنها القليل، نشأت في العصور الإسلامية الأولى، ينتمي مؤسسها، ابن كزّام من سيجستان (المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، إلى المذهب الحنفي.

نشر ابن كزّام عقيدته الخاصة في منطقة خراسان الشرقية حيث واجه مشكلات عديدة مع الطاهريين أمراء نيسابور، ثم انتقل إلى القدس وتابع نشر تعاليمه، محافطاً بأتباعه الذين كانوا يجتمعون في الخانقاه الخاصة به. كان لتعاليمه طابع صوفيّ ونقشبنيّ، حتى قيل إنّ انس طريقة صوفية، وذلك قبل أن تُعرف مثل هذه الفكرة. لكن لابن كزّام مواقف دينية مميزة حاول من خلالها، باعتماده صيغاً جديدة، أن يضع حدّاً للصراع القائم بين المعتزلة والزعّة التقليدية في الإسلام من جهة، وبين الشيعة والسنة من جهة أخرى.

لعبت الكرامة دوراً مهماً في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد عندما رعاها الغزنويون الأوائل. كما حصلت، في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، على دعم الغوريين. ومن الصعب الحكم على أفكار ابن كزّام التي عُرفت، في الواقع، من خلال الانتقادات التي وجهها إليه خصومه، فضلاً عن صعوبة تقييم مدى تأثير الكراميين على الناس. ولكن يبدو أنّه كان كبيراً بسبب مثابته تشقّف أتباعه.

كربلاء (الجمهورية العراقية)، مدينة شيعية مقدسة تقع على بعد مائة كيلومتر إلى الجنوب الغربي من بغداد،

تعود إلى العصور القديمة، أصبحت في ما بعد بيزنطية. وهو يطل على البحر الميت من جهة وعلى طريق الصحراء^{١٨} من جهة ثانية.

سخر الفتح الحربي الأوروبي لبناء الحصن كل ما لديه من براعة، حتى برز بمظهر أكثر تطوراً عما هي الحال في حصن الجنوب. استطاع هذا الحصن الجديد، الذي سمح لغرنج الأراضي المقدسة بمراقبة طريق الحج والذي مثل متطلاً لمبادرات رينو دي شاتيون (Renaud de Châtillon) الحربية، أن يصمد إبان حصار نور الدين وصلاح الدين له، واستمر كذلك حتى استسلام حاميته أخيراً بسبب المجاعة في العام ٥٨٤هـ/١١٨٨م، بعد عام واحد على معركة حطين.

أصبح حصن الكرك من أهم القلاع الإسلامية، واستُخدم في ما بعد في الحروب الداخلية التي نشبت بين الأمراء الأيوبيين والقادة المماليك المتنافسين على السلطة. بقيت أسوار الحصن، حتى بعد احتلال العثمانيين لسوريا ومصر، تؤمن الحماية للمركز الرئيسي للمنطقة، ولم تُدمر إلا جزئياً، في العام ١٨٤٠، على يد إبراهيم باشا المصري. وفي الوقت عينه فإن الإضافات المتتالية، التي نتجت عن أعمال الترميم التي أصابت الحصن، ساهمت في منح الآثار الإسلامية والفرنسية الأكثر قدماً والعائدة إلى القرون الوسطى.

«راجع المستند رقم ١٨»

كركان ← جرجان.

كر كوك (الجمهورية العراقية)، مدينة في بلاد ما بين النهرين العليا، عُرف اسمها في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، وهي في منطقة غالبية سكّانها من الأكراد.

كانت المحلة موجودة في العصور القديمة، لكنّ الجغرافيين العرب قلّموا أشاروا إليها. وكانت قد فقدت أهميتها في القرون الوسطى، وارتبط مصيرها بمصير الموصل، إذ احتلّها جيوش الأقباط فيونلو بعد غزوة المغول، ثم دخلها الصفويون. ولما نبئت أهميتها الإستراتيجية، تحوّلت إلى ساحة صراع بين الصفويين والعثمانيين خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر.

مع صليبي الحملة الأولى بين العامين ٤٩٢-٤٩٤هـ/ ١٠٩٨-١١٠٠م، ليحتلّ، من ثمّ، إلى قلعة مهمة تمثل الفن الحربي الغربي.

تعرّزت إستراتيجيات الحصن عقب أعمال ترميم تلت الزلازل العديدة والعمليات العسكرية والمتتالية التي استهدفت. ساهم هذا الحصن - الذي استُعيد في العام ١٢٧١، خلال حملة ظافرة قادها إلى المنطقة السلطان بيبرس الأول، الحاكم الجديد لدولة المماليك السورية - المصرية - منذ ذلك الحين، في حماية سوريا المملوكية، ثم ما لبث أن فقد أهميته، لكنّه احتفظ بقيمته الأثرية القائمة إلى الآن.

٢ - إلى الجنوب، وإلى ما بعد منخفض البحر الميت، في أراضي المملكة الأردنية الهاشمية الحالية، شيد بودوان الأول في أودوم، سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م، كرك موتريال. قد عُرف، بعد استيلاء صلاح الدين عليه في العام ٥٨٥هـ/١١٨٩م، إثر انتصاره في حطين، باسم حصن الشوبك الإسلامي، ولم يبق منه سوى بعض الآثار في المنطقة الجبلية الجنوبية من الهضبة.

إن موقع هذا الحصن، الذي اختبر منذ زمن طويل لثباته بحركة التجارة الإسلامية عبر «طريق الصحراء» التي تربط سوريا بمصر من جهة، وبالجزيرة العربية من جهة أخرى، أو لإعاقتهما - وهذا ما يجعل مسار القوافل هذا طريقاً للحج إلى المناطق المقدسة في الحجاز انطلاقاً من سوريا - سمح لهذه القلعة الفرنجية أن تؤدّي دورها خلال القرن الأول من الحروب الصليبية. بيد أنّ أهمية الحصن ضعفت بعد وقوعه في قبضة المسلمين، بالرغم من أنّ الأيوبيين والمماليك جعلوا منه لبعض الوقت إحدى قواعد سلطتهم.

٣ - حوالي العام ٥٣٥هـ/١١٤٠م، شيد سيد حصن الشوبك الفرنجي، وداثماً داخل الأراضي الأردنية. في مكان مدينة الكرك الصغيرة الحالية، حصناً جعله مقراً له، عُرف باسم «كرك دي مواب» (Krac de Moab) أو انكرك، حملت المنطقة التي أقيم فيها اسمه، وكان يدعى أيضاً «بيترا ديزرتي» (Petra Deserti)، وهو في موقع طبيعي يسهل الدفاع عنه، على نزه صخري منفصل عن القمم المجاورة وقر التحلود لقرية صغيرة

وفي سنة ١٧٤٦م ضمَّ العثمانيون كركوك إلى إمبراطوريتهم، فبقيت خاضعة لهم حتى الحرب العالمية الأولى. وعلى الرغم من مطالبة الجمهورية التركية بها، ألحقت كركوك بالعراق بناءً على قرار أصدره مجلس عصبة الأمم سنة ١٩٢٤.

وكركوك التي يسكنها خليط من الأكراد والأتراك والعرب تحولت، بعد سنة ١٩٢٥، إلى مركز تجاري نشط، أغنتها وجودها داخل حقل بترولي مزا استمأه، في القرن العشرين، في أوضاع صعبة. فالأحداث السياسية المتتالية التي رافقت تطوُّر الدولة العراقية أدت إلى زلزال فاعل عنيف، وصولاً إلى المرحلة الحالية المضطربة.

كرمان، مقاطعة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كانت في القرون الوسطى معروفة بهذا الاسم الذي تحمله أيضاً عاصمتها. وبفضل موقعها على الأطراف، تمتعت داخل إيران بشبه استقلال ذاتي.

إن منطقة كرمـان - التي تجتازها سلسلة جبال عالية - تقع بين فارس ومكران والمحيط الهندي والصحراء الكبرى، وفي داخلها فسات قليلة مسكونة وصالحة للزراعة، وسط مساحات صحراوية واسعة، جعلتها هذه الأحوال الطبيعية الصعبة في عزلة نسبية وحوَّلتها إلى ملجأ للمستعدين والمنشقين. مع ذلك فإنَّ طريق المواصلات التي تربط فارس والعراق بسجستان والهند كانت تمرُّ بها، وكذلك طريق القوافل التجارية التي تصل خراسان بالخليج العربي الفارسي. وقد عرفت تلك الطرق تبدُّلاً وتغيُّراً في مسارها عبر العصور، ومع التبدُّل كانت مصائر حواضرها الرئيسة تتبدَّل أيضاً، ومنها زَرَنْد، وسبيرجان التي كانت من قبل العاصمة، وبزُذشير التي أصبحت في ما بعد كرمـان، وبُنم، وجيرُفت ومرغاب هُرمُز أو بندر عباس.

أمَّا احتلال البلاد من قبل الجيوش العربية - الإسلامية، خلال الفتوحات الكبرى، فقد تمَّ بشكل بطيء، وكان التدخل الأوَّل سنة ٨١٧/٦٣٨م. وفي العصر الأموي كانت كرمـان ملجأً لخوارج بين سنتي ٦٨ و٨١٠/٦٨٧، ثم لجأ إليها ابن الأشعث بين سنتي ٨٣ و٨٨٥/٧٠١ و٧٠٣م. بعد ثورته على المحتاج^(٩٥) والأمويين. في العهد العباسي استقرَّ فيها

الصفاري يعقوب بن الليث في حدود سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م. ثم تنازع مقاطعة كرمـان كلٌّ من السامانيين واليوهيين، وحتى الغزنويين. وبعد الغزوات التركية الأولى في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، استولى عليها سلاجقة كرمـان وازدهرت معهم مدة مئة وخمسين سنة، ثم حلَّ بها الخراب على أيدي عصابات جديدة تنتمي، هي أيضاً، إلى الغُز. وبرغم جهود الحكَّام المحليين، فإنَّ الاضطرابات المتنوعة تلاحت في منطقة ضعيفة كان أسياذ فارس يسيطرون عليها سلطتهم من بعيد، ويضوُّون النظر عن النزاع بين قاذتهم العسكريين وولايتهم للسيطرة الفعلية عليها. فالإلخانيون، والمظفرطيون، والتميموريون، والصغويون، والزندتيون، والقاجار، فلما حاولوا إرساء الأمن الذي كان وحده كفيلاً بأن يورق لكرمان، قبل العصر الحالي، الأسباب الضرورية لأزدهارها.

◀ راجع السنوات ٨، ١٢، ١٣، ١٧، ٢٣، ٢٤.

كرمانشاه ← الجبال.

الكرماني، حميد الدين أحمد بن عبدالله (٩-٤١١هـ/١٠٢١م)، أحد مرؤجي الدعوة الفاطمية، وصاحب مصنفات حول الشيعة الإسماعيلية.

ولد في مقاطعة كُرمـان في إيران، ومكث سنوات عدة في هذا البلد أو في العراق، يعمل على نشر الدعوة الفاطمية. وفي مطلع القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، انتقل إلى القاهرة حيث الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. فتنسَّى له أن يعلن موقفه من ادِّعاءات هذا الخليفة بالالوهية، وكتب رسالة سنة ٤٠٤هـ/١٠١٥م أظهر فيها تعارض هذا الإدِّعاء مع عقيدة سَمَوَّ الله ووَخْدانِيته. ولدى عودته إلى العراق وضع كتاباً بعنوان «راحة العقل»، وفيه يعرض مجمل العقيدة الإسماعيلية ويظهر تأثير الفلسفة فيها، ذلك أنَّه يجعل خلق العالم قبضاً من العقل الكلي.

الكرميانيون أو **بنو كُرميان أَهْلَ لري**، ٦٣٦-٨٣١هـ/١٢٣٩-١٢٤٨م، سلالة من البكوات التركمان من عهد الإمارات، حكمت مقاطعات واسعة من الأناضول الغربي حول كوناهاية.

مجموعة قراصنة أتوا من الأندلس، بعد أن اضطروا للهرب من قرطبة إثر ثورة الزبّض في سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م. وقد استقرّ هؤلاء المنفيون في البلد في الإسكندرية حيث أسسوا جمهورية صغيرة مستقلة ذاتياً بين ٢٠٠ و ٨١٢/٨١٦م. وبعد أن طردهم الحاكم العبّاسي الجديد، استقروا في إفریطش التي كانوا عرفوها سابقاً، فسيطروا على مدن عدّة، وأسّسوا مدينة في المكان الذي نزلوا فيه إلى البرّ أطلقوا عليها اسم شندق، التي صارت في ما بعد كندي، تبناً بالخنق الذي حفره هؤلاء المنفيون للدفاع عن أنفسهم. ونشأت آنذاك إمارة مستقلة اعترفت مع ذلك بسيادة الخليفة العبّاسي عليها، وقامت بهجمات متكرّرة على الأراضي البيزنطية، بخاصة في بحر إيجه، إلى أن تمكّن نيقفورس فوكاس من دحرها سنة ٣٥٠هـ/٩٦١ بفضل أسطول وجيش كبيرين.

وبعد سبعة قرون على ذلك، تمكّن السلاطين العبّاسيون، بعد هجمات عدّة فاشلة، من استعادة كريت في عام ١٦٩٩م من أيدي البنادقة الذين كانوا أسياها آنذاك، فجعلوا منها ولاية تحت إدارتهم المباشرة ووظفوا فيها أنراكاً من الأناضول، ما عدّل في تركيبها السكانية نتيجة إدخال هذه الأقلية الإسلامية الكبيرة. لكنّ ذلك لم يخلّ دون استمرار الاضطرابات في الجزيرة. وفي القرن التاسع عشر، إثر الثورات التي انفجرت تبعاً بعد حرب استقلال اليونان في ١٨٢١، حصلت كريت، في مرحلة أولى، على استقلال ذاتي في العام ١٨٩٧، وأُلحقت في ما بعد باليونان في العام ١٩١٢. وفي الفترة الممتدة ما بين ١٩١٢ ومعاودة لوزان في العام ١٩٢٣، غادر الجزيرة معظم سكّانها الأتراك.

◀ راجع المستندات ٢٠، ٢٥ و ٢٨.

الكِسائي، أبو الحسن علي بن حمزة (١١٩-١١٨٩هـ/٧٣٧-٨٠٥م)، لغوي عربي عاش في العصر الذهبي لنخالة العبّاسية.

ينتسب الكِسائي إلى أسرة من الموالي الإبرانيين، كانت تسكن إحدى ضواحي بغداد. وقد درس في الكوفة ثم في البصرة، قبل أن يصبح أحد مؤسسي مدرسة الكوفة اللغوية التي اهتمت، على الأخص،

في هذه المدينة التي أصبحت عاصمة البلاد، أقامت أسرة كُزّميان، حوالي نهاية القرن الثالث عشر للميلاد، حكماً شبه مستقلّ اعتق لاحقاً من وصاية الإيلخانيين ومن وصاية آخر سلاطين سلاجقة الروم، وشمل الجزء الأكبر من فريجيا (Phrygia) القديمة. هذه الدولة الواسعة الأرجاء والمزدهرة، المتصلة بأنشطة تجارية بممرّ في بحر إيجه، فقدت في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي موقعها المميّز، ووجدت نفسها منفصلة عن الشاطئ بوجود إمارات يحكمها من كانوا سابقاً تابعين لها من الصاروخانيين والأبيديين. واضطدم الكرمانيون، في الفترة عينها، شمالاً وجنوباً، بجيرانهم الأقوياء من عثمانيين وقرامانيين، إلى أن استولى على أراضيهم السلطان العثماني بايزيد الأوّل بلديزم.

واغتتم أحد أمرانهم فرصة ثانية، وهو يعقوب الثاني، عندما أعاد إليه تيمورلنك، بعد معركة اقتره، في العام ١٤٠٢م، بعض الأراضي، وقد استطاع يعقوب، بفضل تحالفه مع العثمانيين، أن يدافع عنها ضد أطماع القرامانيين وأن يحتفظ بها تحت حكم محدّد الأوّل ومراد الثاني. وبوفاة يعقوب الثاني في العام ١٤٢٨م، استعاد العثمانيون الإمارة التي تركها لهم آخر الكرمانيين إرثاً، وقد خلّد يعقوب الثاني ذكراه، وإعياً للآداب والفنون وعلميّة ومحبّاً للجهاد، فبنى في كوناية، على طراز المباني العثمانية في بورصة، مجمّعاً من الأضرحة يحيط بمقام ضريحه، مضافاً إلى مساجد ومدارس كان الكرمانيون قد شيكوها من قبل في المدينة، وهي تأخذ في بعض أسلوبها التقليدي السلجوقي.

◀ راجع المستند رقم ٢٢.

كريت (إفریطش بالنعربية)، جزيرة تقع في حوض البحر المتوسط الشرقي، تشكّل اليوم جزءاً من اليونان. خضعت هذه الجزيرة للحكم الإسلامي على فترتين، بين سنتي ٢١٢ و ٨٣٥/٨٢٧ و ٩٦١م، وبين ١٦٦٩ و ١٨٩٨م، إذ كانت ملحقة بالأمبراطورية العثمانية.

كانت مسرحاً لهجمات عربية - إسلاميّة ممتدّة منذ الحفّة الأموية وبدايات الحكم العبّاسي. ألحقت بالعالم الإسلامي في بداية القرن التاسع الميلادي على أيدي

السلجوقية مباشرة بعد معركة مانزيكرت (٤٦٤هـ/ ١٠٧١م). وقد عرفت مدينة كستانموني البيزنطية، خلال المرحلة التي تمتد من هذا التاريخ حتى إلحاقها نهائياً بالدولة العثمانية سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م، تاريخاً يكتنفه بعض الغموض. والواقع أنها تحولت مركزاً لعدد من السلالات الصغيرة المحلية، ثم تنازعها الأتراك والبيزنطيون، وانشغلت بعد ذلك من سلطة الدانشمنديين إلى سلطة سلاجقة الروم، فألى الإيلخانيون، قبل أن تصح، في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، عاصمة إمارة التركمان الأسفندياريين. وإلى هذه المرحلة المضطربة يرقى قيام أهم الأبنية التي ارتفعت في مدينة مزدهرة، وصفها لنا الرحالة العربي ابن بطوطة. وقد فقدت كستانموني بعد ذلك الكثير من نشاطها التجاري ولم يكن لها دور مهم في العصر العثماني، بحكم بُعدها عن طرق القوافل وعن الطريق التي كانت تنطلق من سكوتاري (أسكودار) باتجاه المقاطعات الشرقية. والتراجع الذي جاء فوراً في القرن التاسع عشر، لم يتوقف إلا مع الإصلاح السياسي والاقتصادي الذي شهدته تركيا عقب الحرب العالمية الأولى.

كشمير، مقاطعة جبلية في شمال الهند، أدخلت في دار الإسلام. وعلى الرغم من أنّ الأكثرية الساحقة من سكّانها هم مسلمون، فهي ما تزال حتى اليوم مقسّمة بشكل غير متساوٍ بين باكستان والاتحاد الهندي اللذين يسيطران، كلّ بدوره، على قطاع من كشمير.

ظلت سريناغار (Srinagar) لفترة طويلة عاصمة لهذه المقاطعة الواقعة في الجزء الغربي من جبال هملايا، التي تميّز بخصوصيات جغرافية وتنبئية تُفسّر، إلى حدّ ما،فرادتها الثقافية. إنّ الأثر الذي خلّفته الفتوحات الكبرى والاحتلال العربي-الإسلامي الأوّل للسند والبنجاب لاحقاً، كان ضعيفاً في هذه المقاطعة. ورغم عدم استهدافها، في القرن الحادي عشر الميلادي، بحملات محمود الغزنوي المسكّنة، فإنّها، في مقابل ذلك، خضعت للتأثير العثماني الذي مارسه على أمرائها، في أواخر القرن الثامن للهجرة/الرابع

بالصين اللغوية الشاذة. كما أكّبت الكسائي على دراسة القرآن الكريم، واعتُبر صاحب «قراءة» اعترُف بصحّتها وغدت واحدة من القراءات السبع. وكانت له علاقات طيبة بخلفاء بغداد ومن يحيط بهم، وعمل مرتباً لهارون الرشيد ثمّ لولديه الأمين والمأمون، وقد جعله الرشيد بين المقرئين واصطحبه إلى الحج. مات الكسائي في الريّ في إيران، تاركاً مؤلّفات عدّة ضاعت؛ كما يُنسب إليه، عن غير حقّ، كتاب «قصص الأنبياء».

كُتَار الكبير (المملكة المغربية)، في العربية الفصحى القصر الكبير: مدينة تقع في القسم الشمالي من المغرب، بلغت أهميتها القصوى في عهد الموحّدين. في أواخر القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، عند وصول الموحّدين إلى قمّة عظمتهم، إهتمّ أبو يوسف يعقوب المنصور - الذي اشتهر بإنجازاته العمرانية، كما بحملاته العسكرية ضدّ الأندلس - ببناء سور حول هذا الموقع الاستراتيجي الذي يقع على الطريق المؤدّي إلى المضيق، وإلى مرافئ إبحار الجيوش نحو الأندلس، وكان هذا المرفأ يُعرف باسم «القصر الصغير». إنّ الشهرة التي أعطاها السور الجديد للقلة وللمحلّة تظهر في الاسم الذي أُطلق عليها، أي «القصر الكبير». كان لهذه المدينة أهميتها أيضاً عند المرينيين الذين بنوا فيها مدرسة. وقد أثبتت قيمتها كمركز حربي منبع في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، بمقاومتها هجمات البرغاثيين. كما أثبتت دورها كمركز متقدّم للجهاد ضدّ المراكز الأجنبية المتواجدة على الساحل المغربي. تحولّت «كُتَار الكبير» لاحقاً إلى عاصمة بسيطة لمقاطعة، ولكنها تحتفظ بمعالم أثرية تشير إلى دورها في القرون الوسطى.

« راجع المسند رقم ١٩.

كُستانمونو (الجمهورية التركية)، عُرِفَت قديماً باسم كُستانموني؛ مدينة تقع شمال الأناضول قريباً من البحر الأسود، كانت عاصمة المناطق البَنطَية التي شملها بعد ذلك الإسلام.

إنّ قلعتها هي التي أعطاها قيمتها الإستراتيجية. وعلى الرغم من ذلك، فقد دخلتها القوّات التركية

عشر للملباد، صوفيون يتنمون إلى طرائق صوفية مثل الشهودردية، ولا سيما الكبروية.

شكّل وصول صوفي ذائع الصيت هو السيد علي همداني المنتمي إلى الطريقة الكبروية في سنة ١٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م، بداية الأسلمة الفعلية للبلاد على عهد السلطان شهاب الدين وخلفائه. حتى إن تذبذب السياسة الطائفية لبعض الملوك المسلمين في القرن الخامس عشر مثل بيكندر الذي اتبع سياسة الشدة تجاه غير المسلمين، وزين العابدين الذي اتبع تجاههم سياسة اللين والتسامح، شجّع النمو المستمر للإيمان الإسلامي في كشمير. لكن هذا التذبذب احتوى، من جهة أخرى، بذور الشقاق الذي تقافم منذ ذلك الحين بين مؤيدي التيار السني ومؤيدي التيار الشيعي المرتبط بالطرائق الصوفية.

مهما يكن من أمر، أتمسك المناخ الديني في ممارساته الشعائرية بالحفاظ على طقوس هندوسية عذّة ذات أصول محلية. ولم يلحق بهذا الوضع أيّ تغيير ملموس مطلقاً خلال حقبة سيطرة المغول. فهؤلاء أيضاً ظلوا يترجّحون ما بين التوفيق الديني-المذهبي والتطبيق المتشدد للشرعية، تبعاً لخيارات هذا أو ذلك من السلاطين. وقد أدى ضمّ كشمير نهائياً إلى ممتلكاتهم، في فترة حكم جلال الدين أكبر سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م، إلى نتائج إقتصادية بشكل خاص، تعود إلى السلام النسبي الذي عرفته هذه الأراضي التي ارتبطت، رغم حرمانها استقلالها القديم، بأميراطورية واسعة الأرجاء. وهكذا، رغم زوال سلطة السلاطين المحليين الذين يعود إليهم الفضل في ازدهار نهضة جزئية معمارية - تشهد عليها مساجد استعملت فيها بنوع خاص الإمكانات الفنية والفنية التي يؤمنها الخشب -، فإن إنجازات جديدة أدّت إلى ازدهار حقيقي للزراعة والصناعة والتجارة. إنّ نمو صناعة الورق والنسيج أوصل شهرة المنطقة إلى الغرب حيث عُرفت بوجود ثالاتها مثلاً: وفي الوقت نفسه، تكاثرت القصور والمنازل الصيفية المعدة لإقامة مختلف أفراد العائلة المغولية كأكبر وجهانغير اللذين كانا يفتقدان المنطقة لتنتعج بالبرودة والطرارة في أعاليها.

بعد وقوعها، في سنة ١٦٦٥هـ/ ١٧٥٢م، في قبضة

الملوك الأفغان من سلالة دُرّاني، عانت كشمير فترة من الاضطهاد الديني والضغط الضريبي، حصلت خلالها تحولات سياسية لم تُعد منها إلا قليلاً: غزاها، في سنة ١٨١٩م، رنجيت سينغ عاهل البنجاب، وهو من طائفة السيخ، وقد هزمه البريطانيون سنة ١٨٤٦م، وولّوا مكانه سلالة دوغراس الهندية من جامو، وكانت ضميّة الميل لمرعاة جانب رعاياها المسلمين. تبلورت بنجاح حينئذٍ في البلاد، حركات سياسية راح نشاطها يتزايد، بما يستجيب لمطالب المنظرين المسلمين الجدد وأحلامهم بالاستقلال. وقد استند هؤلاء إلى الحركات القومية الشعبية للدعوة إلى قيام دولة باكستان، وكانوا قد أسسوا في كشمير، في العام ١٩٣٢، المؤتمر الإسلامي الذي تحول سريعاً إلى مؤتمر وطني. ومع تقسيم البلاد سنة ١٩٤٧م، لم تستطع جهود هؤلاء الحوّل دون إلحاق هذه المنطقة ذات الأكتريّة الإسلامية بالاتحاد الهندي في تشرين الأول من تلك السنة، نتيجة مخاوف الأمير هري سينغ ومماطلاته. وانتهت الحرب التي اندلعت بين الهند وباكستان في العام ١٩٤٩ إلى تقسيم كشمير منطقتين، لكنّ منهما حكومة محلية. إحدى هاتين المنطقتين بقيت تحت السلطة الهندية وألحقت في ما بعد بالاتحاد الهندي بموجب دستور ١٩٥٦، بينما بقيت المنطقة الأخرى تحت رقابة باكستانية. وهذا التقسيم، الذي هو اليوم جزء من الواقع الاجتماعي - الديني - رغم أنّه اعتُبر في البدء إجراءً مؤقتاً، يشكّل أحد عناصر الصراعات الكامنة التي ما تزال ترمي بظلها على العلاقات بين الهند وباكستان.

سلاطين كشمير

١٣٤٩ - ١٥٨٩	شمس الدين شاه ميرزا سواتي
١٣٤٩ - ١٣٤٩	جشميد
١٣٥٠ - ١٣٥٠	علاء الدين علي شير
١٣٥٩ - ١٣٧٨	شهاب الدين شيراشافاك
١٣٧٨ - ١٣٩٤	قطب الدين هُندال
١٣٩٤ - ١٤١٦	بيكندر بُت سُكن
١٤١٦ - ١٤٢٠	علي ميرزا خان
١٤٢٠ - ١٤٧٠	زين العابدين شاهي خان
١٤٧٠ - ١٤٧١	حيدر شاه حاجي خان
١٤٧١ - ١٤٨٩	حسن

شهرة من تأليف شاعر آخر، ويدعى البوصيري.

الكعبة، بناء شيد في مكة قبل الإسلام، بشكل القطب الدني الذي يشبه نحوه جميع المسلمين في أثناء الصلاة، ويتوجهون إليه خلال فريضة الحج بشكلها الحج والعمرة. ويقع هذا البناء - الذي يشار إليه بالعربة باسم «بيت الله» - وسط الأماكن المقدسة في الإسلام والمتعلقة، في مكة، بأرض مقدسة أو الحرم، وسهل عرفة.

تشير آيات قرآنية عدة إلى ما تتمتع به الكعبة من احترام. فقد تحولت من مزار كان المشركون يقصدونه، ومصدر ثروة لأهلها، إلى مكان دعا النبي محمد (ﷺ) لقيام شعائر الدين الجديد فيه، ما أدى إلى تغيير العادات السابقة:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ كَعْبٌ يَتَنَبَّأُ بِمَا فِي رُوحِهِمْ وَمَنْ ذَكَرَهُ كَانَ آمِنًا وَلَقَدْ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْكَبَةِ مِنْ أَشْغَلٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَنِيٌّ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٦ - ٩٧].

ونجد الروحية نفسها في موضعين آخرين أيضاً: في السورة الثانية (سورة البقرة، الآية ١٢٥)، في ما عني مقام إبراهيم وبناء الكعبة، وفي السورة الثانية والعشرين (سورة الحج، الآية ٢٥-٢٦)، في ما يخص بإذانة الذين لم يدركوا أهمية الدين الجديد. يضاف إلى هذه المعطيات المكتوبة العديد من المعتقدات الشعبية التي تجعل من الكعبة مركزاً للكون، ومقرّاً لأضرحة الأنبياء، عاكسة بشأنها معتقدات متصلة بعلم الكون مستمدة، بدون شك، من البيئة اليهودية - المسيحية.

وتبرز، في الوقت نفسه، مهمة خدمة الكعبة الموكولة إلى بني شبة، وهم بطن من قريش. هم أدا ميدانة الكعبة، وعليهم أن يسهروا على تمكين الحجاج من زيارتها. بيد أننا لا نعرف شيئاً محدداً عن منشأ هذه المهمة، فكل ما نعرفه عنها يعود إلى قصص الرخالة في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني والثالث عشر الميلاديين.

يبلغ طول الكعبة ١٢ متراً وعرضها عشرة أمتار تقريباً، وهي مغطاة بسلط منحنٍ قليلاً باتجاه الشمال - الغربي، حيث يوجد الميزاب المطلي بالذهب،

محمّد ١٩٨٩ - ١٤٩٠ - ١٤٩٩

١٥٠٠ - ١٥٢٦، ١٥٢٩ - ١٥٣٣

١٤٩٠ - ١٤٩٩، ١٤٩٨ - ١٥٠٠

١٥٢٦ - ١٥٢٧

١٥٢٧ - ١٥٢٩، ١٥٤٠، ١٥٥١، ١٥٥٢

١٥٣٣ - ١٥٤٠

١٥٥٢ - ١٥٥٥

١٥٥٥ - ١٥٥٧

١٥٥٧ - ١٥٦١

١٥٦١ - ١٥٦٣

١٥٦٣ - ١٥٦٩

١٥٦٩ - ١٥٧٩

١٥٧٩ - ١٥٨٦

١٥٨٦ - ١٥٨٩

فتح شاه

إبراهيم الأول

نازك

شمس الدين

إبراهيم الثاني

اسماعيل

حبيب

غازي خان بن بخت

نصر الدين حسين

ظاهر الدين علي

نصر الدين يوسف

يعقوب

١٦، ٣٢، ٣٤، ٣٥.

كعب الأبحار (؟ - ٨٣٢هـ / ١٤٣٢م)، يهودي من اليمن اعتنق الإسلام، يُنسب إليه مجمل التراث اليهودي - النسخي الذي نقله المؤثّقون المسلمون والمعروف بالإسرائيليات.

وصل إلى المدينة إثان حكم الخليفة عمر بن الخطاب، وربما رافق هذا الأخير إلى القدس في العام ١٧هـ/٦٣٨م، واعتنق الإسلام بعيد ذلك. دافع عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي مات مقتولاً. دعاه معاوية إلى دمشق، فرفض دعوته، وذهب إلى حمص حيث توفّي في العام ٣٢هـ/٦٥٢م. عُرف باطلاعه الواسع على التوراة، وبأنه مصدر العديد من الروايات التي ظهرت في التراث الإسلامي لتوضيح قصص بعض شخصيات العهد القديم الذين اعتبرهم القرآن أنبياء.

كعب بن زهير، شاعر عربي معاصر للنبي ﷺ، وربما كان له شرف الحصول على عيادته.

بعد أن رفض اعتناق الإسلام ونظم قصائد هجائية في النبي ﷺ، قرّر الاستجابة لدعوته. نظم عندها قصيدة عنوانها «مات سعاد» طلب فيها العفو من النبي محمد ﷺ وخضّعه بقصيدة مديح شمل فيها قبيلة قريش. أثارت هذه القصيدة إعجاب النبي ﷺ، وقيل إنه وهب كعباً عبادة المعروفة بـ«البردة»، والتي حملت القصيدة اسمها. وأطلق اسم البردة لاحقاً على عمل أكثر

والمعروف بـ «ميزاب الرحمة»، ويبلغ ارتفاعه ١٥ م. شُيّدت حيطان الكعبة من حجارة ضخمة مأخوذة من الجبال المجاورة، وهي ترتكز على قاعدة صلبة من الرخام بارزة قليلاً، وزوايا تراعي اتجاه الجهات الأصلية. في هذا البناء باب واحد، يوصل إلى حجرة خالية تحتوي على مصابيح لإتارنها، كانت في الماضي، على ما يبدو، مليئة بالأصنام الوثنية وبصور مسيحية أزالتها النبي محمد (ﷺ).

وفي خارج الكعبة، في الجهة الشمالية الغربية، ثمة حائط منخفض نصف دائري، (الحطيم) يحدد مساحة الجِحر الذي لا يمكن الدخول إليه، ويُعتقد أنَّ فيه ضريح إسماعيل وأمه هاجر. بيد أنَّ المكان الأكثر قدسيةً، من دون شك، يقع في الجهة الشرقية، حيث يوجد الحجر الأسود الذي على كل مؤمن أن يلمسه ويقبله أثناء أدائه مناسك الحج، وهو مجاور لمكان يدعى «المُلتزم»، حيث يتجمّع الحجاج مقابل حائط لتلقي البركات. تعود هذه الممارسات إلى زمن الرسول ﷺ، كما يؤكد الحديث، بالنسبة إلى الحجر الأسود الذي يُقال عنه إنَّ ثاني الخلفاء الراشدين، عمر بن الخطاب، خاطبه قائلاً: «أعلم بأنك لست سوى حجر، ولا يمكنك أن تسببَ بالخير ولا بالشر. ولو أني لم أُرسل الله قبلك، لما فعلت ذلك أبداً».

يُنسب بناء الكعبة الأساسي، كما رأينا، إلى إبراهيم وذلك بطلب من الله، فصعد من أجل تشييده على حجر يقال له «مقام إبراهيم»، ما يزال، إلى الآن، موضع تكريم، وهو قائم في الجهة الشمالية الشرقية للكعبة. وُثِّمت الكعبة مرّات عدّة قبل الإسلام، كانت إحداها خلال فترة شباب محمد. حرصت أعمال الترميم هذه، التي حيكت حولها أساطير كثيرة، أن تحافظ على النسق القديم للكعبة، وهكذا الأمر بالنسبة إلى أعمال الترميم اللاحقة. وثمة محاولة واحدة جرت في العام ٦١٤هـ/٦٢٨م، قام بها عبدالله بن الزبير المعارض للخليفة، أحدثت تغييراً في نسق البناء وشوّهته إلى حين، وذلك بضم الجِحر إليه، لكن الخجاج أعاد البناء إلى سابق عهده إثر انتصاره على ابن الزبير في العام ٦٩٣هـ/٦٩٢م. لحق بالكعبة ضرر كبير طاول الحجر

الأسود، نتج عن حريق تعرّضت له مكّة إبان سيطرة ابن الزبير عليها. انقسم الحجر الأسود، على أثر ذلك، إلى ثلاثة أجزاء، ما استدعى إحاطته، في وقت لاحق، بدائرة من الفضة لتدعيمه. تمكّن القرامطة من دخول الكعبة في العام ٣١٧هـ/٩٢٩م، واستولوا على الحجر الأسود، ثم استبد منهم بعد عشرين عاماً. وأخيراً، حصل أحد أهم أعمال ترميم الكعبة، في العام ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م، إثر الكوارث التي تسببت بها الأنظار خلال العواصف العنيفة التي ضربت المنطقة.

تُشكل الكسوة إحدى أهم مزايا الكعبة، فهي تغطيها كلياً، وتزدان في وسطها بكتابات، منها نص الشهادة. قديماً، كانت الكسوة تجلّد سنوياً برعاية الخليفة، وبخاصة عندما كان ينحج في فرض سيادته الفعلية على الديار المقدّسة في شبه الجزيرة العربية. في زمن العباسيين، كانت الكسوة، في الغالب، سوداء اللون، وهو لون شعار دولتهم، على الرغم ممّا جاء في بعض الأوصاف التي تتحدث عن تنائي اللونين الأبيض والأسود على الكسوة. وبشكل التبرّع بالكسوة، وهو يكرّس عادة ترجع إلى ما قبل الإسلام، تعبيراً عن عظيم تقدير زعيم المسلمين للكعبة، ويُرفق بالكسوة هدايا أخرى قيّمة، مثل مفاتيح باب الكعبة المصنوعة من البرونز المتغنّ الصنع والتي كانت صانعها وتقديما للكعبة حكراً على الحاكم المسلم، بوصفه الحامي الرسمي لمكّة وأماكنها المقدّسة.

وحول الكعبة مساحة دائرية مبلّطة تُعرف بـ «المطاف»، تسمح بالقيام بجولات طقسية، أو الطواف (الدوران) حول الكعبة التي تبقى على يسار الزائر. وعلى هذا الأخير التوقّف عند كل جولة لتقبيل الحجر الأسود أو للمسه على الأقل. يتمّ الطواف، وهو أحد الطقوس الأساسية في الحج الأكبر والحج الأصغر، مترافقاً مع مظاهر تقوى يُعبّر عنها تجاه الكعبة، وهي تمارس حالياً بسهولة أكثر في أثناء احتشادات المؤمنين الكبيرة، بسبب الترتيبات العديدة التي سهّلت، منذ العام ١٩٥٦، إمكان الوصول إلى الكعبة. وذلك بإزالة الأبنية الصغيرة الملحقة بها، كنكث التي كان يقف فيها أئمة المذاهب الفقهية الأربعة خلال أداء فريضة الصلاة.

بالتأكيد هم أيضاً الوثنيون الذين يرفضون رسالة النبي محمد (ﷺ)، أما المسيحيون واليهود، بصفتهم خفلة الكتاب أو من أهل الكتاب، فلهم الحق بمعاملة خاصة. وإذا كان الكفار يجب أن يُحاربوا حتى إسلامهم أو استرقاقهم، فإن أهل الكتاب يشكّلون استثناء، إذ يستطيعون الحصول على نوع من الحماية، وعلى وضعية أدنى من المسلمين، بصفتهم أهل ذمة يؤذون الجزية!

وبحسب المؤلفات الفقهاء التي تستند، بوجه خاص، إلى النص القرآني ﴿يَتَّخِذُ الْكُفَّارُ الْمُشْرِكِينَ حَسْبًا﴾ (سورة التوبة، الآية ٢٨)، يُعتبر الكفار نجسين، وبالتالي، يحرم عليهم دخول المدينتين المقدستين: مكة والمدينة. ومحاربة هؤلاء الذين منهم يعيشون في مناطق غير خاضعة للإسلام، واجب جماعي يُدعى «الجهاد». أما مسألة التكفير داخل الإسلام فقد أثارها فقهاء المذاهب المختلفة. بعضهم اتهم بالكفر المؤمنين الذين ارتكبوا الكبائر، وهذا ما أدى في القرون الأولى إلى مناقشات طويلة بين الخوارج والمعتزلة والمرجئة في جدالهم حول هذا المفهوم، وآخرون خصّوا بهذه التهمة الذين يعتقدون بمبادئ اعتُبرت منحرفة، ولا سيما في ما يخص عقيدة وحدانية الله، وهذا ما يؤدي إلى الاتهام بالشرك. إن المنكرين الشبهة المهنئين بموضوع الهرطقة، لم يُحزجوا، مثلاً، في أن يتهموا بالكفر أتباع بعض البدع، والمدافعين عن العقائد الشيعية، حتى إنهم ساءلوا عما إذا كان المعتزلة لا يستحقّون أن يُعدّوا كافرين هم أيضاً. إن المسلمين الذين يُضنّون كُفَّاراً، يطبق عليهم عقاب المرتدين، مع العلم أن التاريخ لم يشهد إلا حالات نادرة نسبياً فرض فيها الحكم بالموت على أصحاب البدع.

إن لفظة «كافر» العربية دخلت إلى التركية (gıavur)، وإلى الفرنسية (giaour)، وأصبحت لاحقاً شنيعة. وانتقلت اللفظة التركية إلى اللغات السلافية، بينما لفظة «كافر» وُجدت في الإسبانية (cafre) ولفظة كذّار في الفرنسية (cafard).

كلام، لفظة عربية تعني «الخطاب»، وتشير بشكل خاص إلى «الحديث» عن الإيمان في الإسلام، ويعني علم الدين النظري الذي لا يستند إلى المعطيات المدوّنة

كما تمّ، في الوقت نفسه، تقليص المساحة المخصصة لمقام إبراهيم، وتغيير الطريق المؤدية إلى بئر زمزم يجعلها في مكان واسع تحت الأرض، حتّى محلّ القبة القديمة. إن هذا الفناء الذي يحيط بالكعبة، وكذلك الأزوقة ذات الأبواب العديدة، تشكّل «المسجد الحرام»، ويجب تمييزه عمّا يُعرّف بـ«الحرم»، وهي منطقة أكثر انشاعاً تتجاوز حدود مكة، تحلّد، بحسب الأعراف السامية، بالمحرّمات المتعلقة بها.

تقام الصلاة في المسجد الحرام حيث توجد الكعبة، كما في كل المساجد، ويحدّد اتجاه القبلة فيه بنقطة معينة من الكعبة تقع بين الزاوية الغربية و«ميزاب» الواجهة الشمالية - الغربية. أمّا شكل أزوقة المسجد فيعود إلى أعمال البناء التي قام بها السلطان سليم الثاني، بين العامين ١٥٧٢ - ١٥٧٧م. وللجامع سبع مآذن تحدّد محيطه. وفي الخارج، من الجهة الشمالية - الشرقية، شُيّد، منذ العام ١٩٢٠، البناء الواسع الذي يحتضن «السمي» بين الصفا والمروة، إحدى فرائض العمرة. وهذا البناء هو اليوم جزء من أبنية شيدّها الملوك السعوديون حول المسجد ما بين ١٩٥٥-١٩٧٨، لتسكينه من استقبال حوالي ثلاثمائة ألف مصلّي في وقت الصلاة.

وفي العقود الأخيرة أُجريت تحسينات وتوسّعات كثيرة على الكعبة لاستيعاب تدفّق الحجاج إليها، وبخاصة منذ أن ربطت وسائل النقل الحديثة الحجاز وشبه الجزيرة العربية بسائر مناطق العالم. وقد ضمنت هذه التحسينات صحة الحجاج ورفاهيتهم، وبرهنت على مدى اهتمام «خدام الأمان المقدسة الإسلامية الجدد» وكرمهم وتقانيهم في النهوض بالمهام الموكلة إليهم.

الكفار والكافرون، مفرداها كافر. تسمية يوصم بها، في المجتمع الإسلامي، «الذين لا يعتقدون الإسلام» (القرآن، سورة الكافرون)، كما يمكن أن تُطلق على مسلمين يُعتبرون ملحدّين.

هذا المصطلح العربي الذي معناه «الكُتود» يعني في القرآن «الذين لا يُقرّون بأنعام الله عليهم»، أي الكفار المحكوم عليهم بالعذاب الأبديّ. كافرون

أن يعتمد على القيسيين، ومن جهة ثانية لأسباب أكثر عمقاً، تعود إلى رفض بني كلب السياسة الحربية والتوسعة لآخر الخلفاء الأمويين.

لم نسمع كثيراً عن بني كلب في عصر العباسيين، ما يدل على أن صراعهم مع القيسيين كانت له أسباب ظرفية. لكنّ العدواة بين القيسيليين ظهرت أيضاً في شبه الجزيرة الأيبيرية حيث ساعد بنو كلب الأمير الأموي عبد الرحمن على تركيز دعاته حكمه. وبعد ذلك بقليل قام بعض أبناء هذه القبيلة، في المغرب، بنزوح مهم في الأنظمة التي أقامها الأغالية والفاطميون وأصبحو، بصورة خاصة، حكام صقلية عند فتحها على يد الفاطميين.

كَلْكُتَا (الاتحاد الهندي)، عاصمة حديثة لولاية البنغال الغربي، تزامنت انطلاقتها مع استقرار البريطانيين في البلاد، وترافقت مع تنامي أقلية إسلامية ما تزال ناشطة حتى يومنا، رغم تقسيم البلاد في العام ١٩٤٧، وقيام باكستان الشرقية التي أصبحت في ما بعد بنغلادش. جرى تأسيس كَلْكُتَا في نهاية القرن السابع عشر مركزاً محصناً أجنبياً، ضماناً لأمن التجار الغربيين. وقد شكّلت دوراً إدارياً من الطراز الأول في الهند الإنكليزية، ما يفسر تحولها آنذاك مركزاً مهماً للثقافة الإسلامية. كما أفادت من سمعة جامعتها واستقبلت الكثير من الملوك المسلمين المخلوعين. وإبان أحداث ١٩٤٦، ضعفت الجماعة الإسلامية فيها، لكنها عادت إلى النمو في ما بعد، بدون توقف، حتى بات مسلمو كَلْكُتَا يشكلون اليوم أكثر من ١٥ بالمئة من عدد سكان المدينة الكبيرة. ◀ راجع المستندين ٣٤ و٣٥.

كِلَوِي (جمهورية تنزانيا المتحدة)، مدينة مرفئية على المحيط الهندي، تقع في جزيرة صغيرة قرب الساحل الشرقي لأفريقيا السوداء، كانت في القرون الوسطى محطة للملاحة البحرية الإسلامية، ومركز أهم سلطنة على ذلك الساحل.

تشير مصادر غير أكيدة إلى أن مؤسس السلطنة قدم من شيراز في إيران، فاشترى، سنة ١٣٤٦هـ/٩٥٧م، ذلك المكان غربي المرفأ الحالي لمدينة دار السلام، وجعله

فحسب، بل أيضاً إلى الحجج المنطقية. في نهاية القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، كان المعتزلة أول من مارس الكلام، ثم اعتمدته الأشعرية من بعدهم، فيما رفضه الحنابلة، ورأوا فيه خطراً على الدين باستخدامه المنطق البشري لتحديد بنود الإيمان، وهم يعتبرون أنه عندما يجادل خصماً ما، فإننا نخشى أن نقبل بعضاً من طروحاته، ونوصل إلى تسوية معه. لقد أدخلت مكتسبات الكلام في النتائج التي توصّلت إليها المجادلات الدائرة في مختلف المذاهب الإسلامية.

كلب (بنو -)، قبيلة عربية من أصل يمني. وهي تنتمي إلى سلالة فحطان التي اضطلعت بدور مهم في زمن الأمويين.

غادر بنو كلب، قبل ظهور الإسلام، وسط شبه الجزيرة العربية، واستقروا في السهوب الواقعة بين سوريا وبلاد ما بين النهرين حيث اعتنق قسم منهم المسيحية وساعدوا القساسة. وقد استهدفهم الحملة التي أرسلها النبي محمد ﷺ، في العام ٦٢٧هـ/١٠، إلى دومة الجندل في شمال شبه الجزيرة العربية. لكنهم، في العام ٦٢٩هـ/٩، أبلغوا النبي ﷺ بأنهم اعتنقوا الإسلام.

استقر بنو كلب، منذ زمن بعيد، في سوريا؛ ويبدو أنهم لم يشاركوا في الفتح الكبير في هذه البلاد، ولكنهم دعموا الأمويين، أو على الأقل الخلفاء الأوائل منهم، إلى جانب عناصر قبيلة أخرى كقبيلة جُذام. وكان بنو كلب على علاقة جيدة بعثمان بن عفان الذي تزوج بامرأة من قبيلتهم. واستمرت علاقتهم الجيدة مع معاوية ومع خلفائه، حيث تابع هؤلاء سياسة تعزيز الروابط الزوجية مع القبيلة. إنطلاقاً من هذا الواقع، فإنّ القيسيين، خصوم بني كلب، الذين رافقوا الجيوش العربية - الإسلامية من شبه الجزيرة إلى سوريا، وقفوا إلى جانب ابن الزبير، فانتصر عليهم مروان الأول في مرج راهط في العام ٦٦٥هـ/٦٨٤م. بقيت هاتان القبيلتان في صراع دائم. وعلى الرغم من نجاح الخليفة عبد الملك في تلطيف مناخ العداء بينهما، فإنّ حالة العداء عادت للظهور خلال «الثورة العباسية». فقد دعم بنو كلب هذه الحركة، من جهة لأنّ مروان الثاني اختار

التي أمر بإنشائها محمد الثاني الفاتح وسليمان القانوني .
 فالتى شُيِّدت في عهد سليمان ، مثلاً ، كانت تضم سبع
 مدارس ، ومعهداً إعدادياً ، وآخر لتدريس الحديث ، وكلية
 لتدريس الطب ، ومركزاً لتعليم الصبيّة ، وآخر للصناعة
 الفنّية ، وحقاًماً ، وضريحاً للسلطان وزوجته ، ومساكن
 لخدم الممسجد . كلّ هذه الأبنية كانت تحيط بالمسجد
 الجامع الذي ما يزال يُطلق عليه اليوم اسم سليمانيّة .
 والتعبير العربيّ «كلية» ، وبفضل هذا المعنى
 الخاص الذي أعطاه إياه الأتراك ، استعمل لاحقاً في
 البلدان العربيّة للدلالة على فروع التدريس داخل
 الجامعات الحديثة التي بدأت بالظهور في أواخر القرن
 التاسع عشر .

❖ راجع المصنفات ٨١ ، ٨٢ ، ٨٦ .

كليم الله الجهانابادي (بير) ، ابن نورالله بن أحمد
 المعمار الصديقيّ (١٦٦٠-١١٤١هـ/ ١٦٥٠-١٧٢٩م) ،
 صوفيّ من الهند في عهد المغول ، أقام في هذه البلاد
 فرعاً للطريقة الجشتيّة .

وكند كليم الله بالقرب من دلهي قبل وصول
 أوزتركيب إلى الحكم بشان سنوات . تعرّف إلى
 الجشتيّة خلال إقامته في الحجاز . وعند عودته إلى
 الهند نشر تعاليمه الصوفيّة في الخانقاه التي شيّدها له
 حاكم البلاد في المعاصرة .

أمضى كليم الله حياة قاسية ، لا تتلاءم كثيراً مع
 جلسات «السماع» المعروفة عند الصوفيّين ، فأدان
 الممارسات الغربيّة وناضل بحماسة من أجل انتشار
 الإسلام . ثوفي عن عمر مديد ، تاركاً وراءه العديد من
 المصنفات باللغتين العربيّة والفارسيّة ، ودُفن في
 خانقاهه ، وما يزال ضريحه بالقرب من القلعة الحمراء
 في دلهي يُعتبر مرزاً .

الكليّنيّ ، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الرازي (؟ -
 ٨٣٢٩هـ/ ٩٤٠-٩٤٤م) ، محدث وفقه شيعي عاش في أواخر
 العصر الذهبي العبّاسي ، بشكل عمله أحد أسس عقيدة
 الإماميّة الاثني عشرية .

ولد الكليّني في إحدى القرى القريبة من الرّي في
 إيران ، وتلقّى علومه في قَمّ ، في مطلع القرن الرابع

مركزاً للنشاط التجاري . ومنه امتدّت سلطة ورثته إلى بندا
 وزنجبار وماقيا ، وصولاً إلى سوغالا في إقليم موزامبيق .
 ازدهر هذا المركز التجاري بين القرنين الخامس والثامن
 للهجرة/ الحادي عشر والرابع عشر للميلاد ، وكان
 يتسلّم من داخل البلاد الذهب والعاج ، كما كان يتسلم
 الأرقاء ويستبدل بهم بضائع آتية من الشرق الأقصى . وقد
 زاده الرحالة ابن بطوطة سنة ١٧٣١هـ/ ١٣٣١م في عهد
 عاهل كان أوّل من أدّى فريضة الحجّ من هذه السلالة .
 في أواخر القرن الثامن للهجرة/ الخامس عشر
 للميلاد ، دبّ الضعف في سلطنة كَلَوِي بسبب الحروب
 الداخلية ، ما أفسح في المجال أمام مرافي الشمال التي
 نشطت في أرخبيل «لامو» أو في مومباسا . ثمّ كان قدوم
 البرتغاليّين الذين أقروا المدينة بعدما راقبوا بأنفسهم
 العلاقات مع سوغالا . وعندما خضعت لسلطة عُمان سنة
 ١٦٩٨م ، كانت كَلَوِي قد فقدت نهائياً إزدهارها ،
 وألحقت من ثمّ بزنجبار التي أصبحت المركز الجديد
 لتجارة الرقيق . وتعرّف اليوم إلى حيويّة ماضيه من
 خلال غنى معالمها الأثرية ، حيث تتجاور خرائب
 المدينة القديمة القروسطيّة ويقابها مساجدها مع أبنية القرن
 الثامن عشر . وهناك معالم أثرية كثيرة ، يعود بعضها إلى
 عهود قديمة ، تتناثر كذلك فوق جزر أخرى كجزيرة
 «سُونُغو منارة» .

❖ راجع المصنف رقم ٢٨ .

كَلْبَة ، تعبير عربي استعمله الأتراك للإشارة إلى
 مجتمعات الأبنية التي كانت ، طوال التاريخ العثماني ،
 تحيط بالمساجد السلطانيّة الجامعة ، والتي كانت تشهد
 نشاطاً دينياً متنوّعاً ، لا سيّما منه التدريس .

في القرن التاسع للهجرة/ الرابع عشر للميلاد ،
 وفي عواصم الأناضول ومدنه المفضّلة لدى السلاطين
 الأوائل للسلالة الحاكمة ، كمدن بورصة وأماسيا أو
 أدرنة ، ظهر عدد من الكليّيات التي تميّزت بهندستها
 وتنظيمها . ثمّ شُيِّدت كَلْبَات أخرى في اسطنبول ما يزال
 بعضها محفوظاً ، وهي تشمل أبنية متنوّعة حول المسجد
 الجامع ، وحول ضريح مؤسّسها وعائلته ، ولهذه الأبنية
 في الأساس طابع المنفعة العامة . وأهمّ تلك الكليّيات
 التي تعود إلى العصور المجيدة للسلطنة ، كانت تلك

المتلاحقة التي أنجزت بين الحربيين العالميتين على يد الجنرال ورئيس الدولة مصطفى كمال الذي عُرف بعد ذلك باسم أتاتورك. فقد سَيرَ بيد من حديد الجمهورية التي وُلدت بفضل عمله العسكري والسياسي، ووضع كلَّ الأنظمة والقوانين الضرورية لانطلاقها على أساس الفصل الكلي بين التشريع المدني والحياة الدينية. هذه الوسيلة التي اعتمدت لحلَّ المشكلات الصعبة التي كانت تواجهها هذه الدولة الحديثة بسبب وجود الشريعة التي كانت تسيّر الحياة العامة والخاصة للمؤمنين بتفاصيلها، واجهتها عقبات وتسببت بأزمات لم يتم التوصل إلى حلّها، ما دعا في ما بعد إلى اتّخاذ عدد من التدابير المعتدلة.

الكُميت بن زيد الأسدي (٦٠-١٢٦هـ/٦٨٠-٧٤٣م)، شاعر عربي، عاش في العصر الأموي وكان من المدافعين عن الشيعة.

ولد الكميّ في الكوفة، وأظهر باكراً ميله نحو العلويين الذين كان أنصارهم منتشرين في تلك المدينة، فامتحن الشعر ووضع قصائد يمدح فيها أبناء أسرة النبي محمّد (ﷺ)، وهذا ما سبّب له عداوة الوالي الخليفة هشام الذي سجنه. إلّا أنّه نجح في استرضائه فغفا عنه، لكنّه تابع نشر آرائه وإظهار تشبّعهِ، إلى أن قتله الجنود البعثيون من حرس الوالي. واشتهر الكميّ بشيوانه في مدح علي وذريته، ويُعرف هذا الديوان باسم «الهاشميات»، وضعه بأصلوب يبعد عن التكلف، خلافاً لما كان سائداً بين شعراء عصره.

كندة (بنو -)، اسم قبيلة عربية قديمة من عرب الجنوب، انتشرت في شبه الجزيرة بين القرنين الخامس والسادس للميلاد، وكان لها دورها السياسي البارز قبل ظهور الإسلام، واستطاعت بعد ذلك أن تحافظ على تأثيرها.

في القرن الخامس للميلاد، استطاع بنو كندة إخضاع عدد من القبائل المجاورة لسلطتهم، كما استقرّوا مدة في الجيرة داخل بلاد ما بين النهرين. وعشية الفتوحات العربيّة-الإسلاميّة كانوا يسيطرون سلطتهم على مناطق مختلفة، منها مدينة بثر حيث

للهجرة/ العاشر للميلاد، قبل أن ينتقل إلى بغداد حيث انصرف إلى التدريس. وفي بغداد وضع مؤلّفه «الكافي»، وهو مصفّ ضخم جمع فيه الأحاديث النبوية كما رواها الأئمة الشيعة. وقد عالج في القسم الأوّل منه «الأصول»، أي أصول الفقه، وفي القسم الثاني «الفروع»، أي أحكام الفقه وتطبيقاته. مات في بغداد ودفن فيها، وأصبح قبره مكشّفاً منذ عهد الفصويين. ولم يبقَ من مؤلّفاته سوى كتاب «الكافي» الذي ما يزال يتنقّش بشهرة خاصة، وهو يُعدّ واحداً من مصنفات الحديث الأربعة التي يعتمد عليها الفقه عند الإثني عشرية.

كمال باشا زاده، هو شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا (٨٧٣-٩٤١هـ/١٤٦٨-١٥٣٤م)، أديب من العهد العثماني تسلّم منصب شيخ الإسلام.

درّس مدة في مدرسة أدرنة، ثمّ في إسطنبول، ودخل بعد ذلك الجيش كسباغي. ليعود من ثمّ إلى مهنة القلم ويكتب بحثاً بيّن فيه أنّ الحرب ضدّ الصفويّ الشاه إسماعيل الأوّل لها طابع الغريضة وأنها واجب كل فرد. في سنة ١٥١٥ عُيّن قاضياً في أدرنة، ثمّ «قاضي عسكر» الأناضول؛ وفي أثناء حملة سليم الأوّل على مصر أصدر فتوى لمصلحة الصفويّ ابن العربي. وترك بعد ذلك وظيفته سنة ١٥١٩ ليعود إلى التدريس في أدرنة، وأصبح سنة ١٥٢٦ شيخ الإسلام، فبقي في منصبه حتّى وفاته سنة ١٥٣٤. كان كاتباً غزير الإنتاج؛ إليه يُنسب نحو مئتي مؤلّف، بعضها وُضع في اللغة التركية، ككتابه «تاريخ العثمانيين»، وديوان شعر؛ وبعضها في الفارسية، ومنها مجموعة قصائد؛ وبعضها الآخر في العربية، ومنها «شرح القرآن الكريم» ومجموعة من الفتاوى وتفسيرات متنوعة. أمّا التأثير الذي كان له على شيخ الإسلام «أبو السعود» وعلى السلطان سليمان القانوني، والذي طالما ذُكر، فلم يظهر ما يؤكّده.

الكماليّة، عقيدة سياسيّة انتشرت في القرن العشرين، وعلى أساسها قامت جمهورية تركيا العلمانية. تشير الكماليّة، كما بيّن ذلك إسمها، إلى الأعمال

المقياس اعتبر الكندي مؤسس الفلسفة.

الكهف (أهل أو، بعبارة أصح، أصحاب الكهف)، تسمية ندل على الثمانين السبعة في أفسس الذين ذاع صيتهم في الإسلام الوسيط بدليل تردد المسلمين، في زيارات تقوية، على أماكن لها علاقة بذكرى هؤلاء.

بحسب التقليد المسيحي، يقصد هؤلاء سبعة شبان لجأوا، في فترة الاضطهاد على عهد الإمبراطور داقبوس (Dèce)، في القرن الثالث الميلادي، إلى مغارة قرب أنسس في آسيا الصغرى حيث رقدوا طيلة فترتين، ليستيقظوا بعد ذلك بوقت قصير. وأصبح المكان الذي لجأوا إليه والمقابر التي دفنوا فيها محل تكريم منذ القرن السادس الميلادي. وقصتهم التي تأتي على ذكرها كتابات أدبية عدة، شرقية وغربية، وردت أيضاً في القرآن الكريم في الآيات ٨ إلى ٢٦ من سورة الكهف المخصصة لهم:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرُّبُوعِ كَانُوا مِنْ دُونِ عِلْمٍ﴾ [٩] ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقًا وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [١٠] ﴿فَقَرَّبْنَا عَنْ أَصَابِعِهِمْ فِي الْكَهْفِ سَبْعَ عَشْرَ سَنًا﴾ [١١] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا نَفَسَهُمْ فَذَرَيْنَاهُمْ عَلَى تَلْوِينِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ لَهَا لَقَدْ قَاتَيْنَا أَهْلَ الْمَدَائِنِ فَأُولَئِكَ كَانُوا فِي سُدُورِهِمْ فِتْنَةٌ فَلَمَّا فُتِنُوا خَرُّوا مُسْتَقَرِّينَ﴾ [١٢] ﴿فَقَرَّبْنَا قُصَصَهُمْ عَلَى الْعَلَمَةِ لَعَلَّ الْكَهْفَ يُنْشَرُ لَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا﴾ [١٦].

من خلال هذا الاستدراك المقتضب لمغامرة هؤلاء الشبان، غدا إخلاصهم لربهم مثلاً للمؤمنين. وفي الوقت الذي تُرد في هذه الآيات تفاصيل شتى يشير تفسيرها جدلاً، فإن التفسيرات القرآنية التي جهدت لتوضيح هذه التفاصيل لم تحل دون استغلال بعض التعابير التي نسب إليها البعض قوة وفاعلية في الأعمال السحرية. من جهة أخرى، أدى الرواج الذي أصابه هذه الرواية إلى أن تتجسد في مواقع متعددة، من الأندلس

كان يقيم عددٌ منهم قبل دخولهم الإسلام^(٩٧). وكان لبني كندة دور سياسي في مرحلة لاحقة، إذ شاركوا في الإنفاضة ضد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان. كما برز من كندة ابن الأشعث الذي ثار في العراق ضد الحجاج زمن الخليفة الأموي عبد الملك. وأظهر من رحل منهم إلى الأندلس خروجهم على الطاعة والنظام، كما كانت حالهم في المشرق، وتوصلوا هناك إلى إنشاء إمارات لهم في عهد ملوك الطوائف، ولا سيّما إمارة النجيبين في سرقطة.

الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحق (١٦٨-٢٥٦هـ/ ٨٠٠-٨٧٠م)، هو أقدم ممثل للفلسفة العربية، عاش في العصر الذهبي للخلافة العباسية، وكان أول من حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية والعقيدة الإسلامية.

ولد الكندي في الكوفة من أسرة عربية، ولقي الحماية والرعاية من الخلفيتين المأمون والمعتصم، ومن أحد أبناء المعتصم الذي كان تلميذاً له. شارك في حركة ترجمة الأعمال الفلسفية والعلمية في بيت الحكمة الذي أنشأه المأمون، واعتم بالموثقات المشهورة المتعلقة بالماورائيات عند أرسطو، وبالجغرافيا عند بطليموس. وكان عالماً متعدد النشاط حملته فضوله إلى الإلتفات نحو علم الهيئة (علم النجوم) ونحو الخيمياء، وكذلك نحو تطوّر النباتات.

وكان له في الحلل الفلسفي نشاط ملحوظ، فترك أبحاثاً صغيرة عدة نُقلت إلى الغرب المسيحي، في القرون الوسطى، باللغة اللاتينية، وما تزال أصولها العربية محفوظة، منها رسالة في العقل^(٩٨). وفي كتاباته كلها بدا مقتنئاً بالتوافق القائم بين الروحي والبحث العقلي، وحاول إيجاد الفرق بين العلوم الانسانية التي يمكن بلوغها بالنظر العقلي، والعلوم الالهية التي تُفُحل بواسطة الأنبياء، مع اعتباره أنّ هاتين الوسيّلتين في كسب المعرفة تقيبان في تناغم وانسجام. وقد نجح على الأخص في التوفيق بين العقيدة الإسلامية المتعلقة بخلق الكون من العدم ونظرية الفيض التي نادى بها الافلاطونية الجديدة. وهو، في اعتماده على الفكر اليوناني، كان يختار ما يبدو منسجماً مع العقيدة الإسلامية، وقابلًا للمعالجة والمواجهة. وضمن هذا

كوبرولو، اسم لعدد من الوزراء اختارهم السلاطين العثمانيون، وكان لهم دورٌ سياسي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد. ويعود اسمهم في الأصل إلى مدينة كوبرو الواقعة في منطقة أماسيا من الأناضول حيث استقرّ مؤسس الأسرة.

كوبرولو محمد باشا (١٥٧٨-١٦٦١)، صدر أعظم بين سنتي ١٦٥٦ و١٦٦١، من أصل ألباني. دخل في خدمة السلطان بموجب نظام ضريبة الغلمان (دوشزما) وتسلّم مناصب عدّة في القصر السلطاني، لكنّ طبعه المتمرد تسبّب في إرساله إلى المقاطعات كسباغي، فاستقرّ في كوبرو. ثم عاد إلى اسطنبول ليعمل في خدمة قائد الفرقة الانكشارية، خسرو آغا. واضطرّ بعد ذلك إلى مغادرتها ليشغل مناصب مختلفة، منها حاكمية مدينة طرابزون، وذلك قبل أن يُعيّن نيسا للوزراء سنة ١٦٥٦ ويظهر كفاءته كرجل دولة. فبعد نجاحه في بسط الأمن والنظام داخل مدينة اسطنبول، جهّز الحملات ضدّ البنادقة الذين كانوا يهدّدون المضائق، فأبعد خطرهم واستعاد، سنة ١٦٣٧، جزيرتين كانوا قد احتلّوها. استدعني بعدها إلى أدرنة، ثم إلى بلغراد ليقود حملة إلى ترانسلفانيا، ثم عاد إلى اسطنبول ليقمع تمرد عدد من الضباط، فقصى على انتفاضتهم وأخذ في حقّهم تدابير صارمة. وقبل وفاته كان قد توصّل إلى القضاء على روح التمرد التي جعلت البلاد تُصاب بالشلل منذ عهد السلطان مراد الرابع. وقد طلب بنفسه من السلطان محمد الرابع أن يتخذ ابنه وزيراً له.

كوبرولو فاضل أحمد باشا، ويُعرف كذلك باسم كوبرولوزاده (١٦٣٥-١٦٧٦م)، هو الابن الأكبر للسابق. كان يتعلّم في إحدى المدارس، ثم ترك التدريس ليحصل في الإدارة، فغيّر سنة ١٦٥٩ حاكمًا على أرضروم ثم على دمشق، فقصى على حركات التمرد التي أثارها الدروز في سوريا. ولمّا خلف، بعد ذلك، والده في الصدارة العظمى سنة ١٦٦١، جعل هذه الأول تأمين حماية السلطنة وتوسيعها في اتجاه أوروبا. فوجّه حملات ضدّ النمساويين، أدّت إلى اتفاق «فارفار» سنة ١٦٦٤؛ ثم حاصر كانديا في جزيرة كريت، ما اضطرّ البنادقة إلى الإستسلام سنة ١٦٦٩؛

حتى آسيا الوسطى، مرورًا بهضاب الأناضول أو الأردن. وكان الشكريم الشعبي المحلي في كل من هذه الأمكنة في أساس شهرة مزار جديد يتحوّل مقيماً لزيارات نفوذة. وقد ذكر الهروي في دليله في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد بعض هذه المزارات التي أفادت من تنامي ظاهرة تكريم الأولياء.

الكواكبي، عبد الرحمن بن أحمد (١٨٤٩-١٩٠٢)، مفكّر ورجل إصلاح، عاش في الشرق الأوسط، وكان من دعاة الوحدة العربية.

ولد في مدينة حلب، وتلقّى فيها ثقافة واسعة وعميقة، من دون أن يتعلّم أيّة لغة أوروبية. ثم عمل في حفل الصحافة، فأُسّر سنة ١٨٧٨ أوّل جريدة أسبوعية في حلب ثم تلبّث أن مُنعت من الصدور بأمر من السلطة العثمانية. عمل بعد ذلك في البلدية، لكنّه حُجّل على الرحيل إلى القاهرة سنة ١٨٩٨ ومات فيها إثر عودته من سفر أوصله إلى كراتشي.

لا نعرف إلّا القليل عن نشاطه السياسي، وجلّ ما يبدو واضحًا عنه أنّه كان يدعم خديوي مصر عباس حلمي في مطالبته بالخلافة. وتعود شهرته إلى مؤلّفين كتبهما عندما كان لا يزال في سوريا ونشرهما أوّلًا تحت اسم مستعار. فالأوّل بعنوان «أمّ القرى»، إشارة إلى مكّة المكرمة، يدافع فيه عن الطروحات العربية وبطالِب بخل السلطة العليا من العثمانيين إلى أبناء السلالة القرشيّة ويجعل مقرّها مكّة المكرمة لتتأزس منها هذه السلطة على منطقة الحجاز وحدها. هذا البحث الذي نشره الشيخ رشيد رضا في القاهرة في جريدته «المنار» بين سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٣، يتركّز إذاً على دور العرب البارز في قلب العالم الإسلامي. أمّا الثاني فهو بعنوان «طبايع الاستبداد»، وقد ظهر سنة ١٩٠٠ على شكل مقالات تنال من الحكم العثماني، وكانت في الواقع ترجمة لكتاب إيطالي نُشر سنة ١٨٨٠. وفي كلا الكتابين، ينفّذ الكواكبي بقوّة في وجه حركة الجامعة الإسلامية التي كان يرغب السلاطين العثمانيون في الاعتماد عليها، ويتنمّسك، مقابل ذلك، بضرورة وضع نظام جديد للخلافة.

التاريخي الذي أذته خلال العصور الوسطى، رافقه ازدهار ثقافي بتشجيع خاص من الكُرمياتيين. فقد عرف هؤلاء كيف يجذبون رجال المعرك إلى بلاطهم، ويرفعون في مدينتهم أبنية مميزة تبرز فيها المعالم الأولى للمهندسة العثمانية. وفي الوقت عينه بدأت كوتاهية تشهد تطوّر مشاغل النسيج، وانتشار حرفة الفخار والخزف التي لقيت نجاحاً فائلاً في عهود الإزدهار العثماني. وقد استمرّ هذا النشاط قائماً حتى العصر الحديث.

« راجع المستند رقم ٢٧ »

كوسوفو (معركتا-) (١٣٨٩هـ/١٧٩١م - ١٢٨٥هـ/١٤٤٨م)، اسم لمعركتين كبيرتين وقعتا في إحدى هضبات البلقان التي تشكّل اليوم جزءاً من أراضي كُوسوفو-ميثوهيجا في صربيا، وأدتا إلى تقدّم الجيوش العثمانية المنتصرة في اتجاه أوروبا.

في المعركة الأولى، قُتل السلطان مراد الأول، ولكنّ الأتراك انتصروا، بقيادة بايزيد الأول بليزيم - الذي سيصبح سلطاناً - على الجيش السلافي بقيادة الأمير لازار. أصبحت صربيا بعدئذ دولة خاضعة لآسياد «بروسا» (بورصة) في الأناطول.

وجرت المعركة الثانية في منتصف القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، بين جيوش السلطان مراد الثاني وجيش ملك هنغاريا تساعده قوَّات من فلاحيا وبوهيميا، وقد أحرز العثمانيون تقدُّماً أكمّله محمد الثاني الفاتح بعد ذلك، مظهرًا نفوذه وقدرته العسكرية، ما سيؤدّي إلى سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣.

« راجع المستند رقم ٢٧ »

كوسوفو - ميثوهيجا، مقاطعة من صربيا تتمتع بالحكم الذاتي، يشكل المسلمون نسبة عالية من سكّانها تصل إلى تسعين بالمئة.

هذه المقاطعة التي يسكنها مهاجرون من أصل ألباني تضمّ المنطقة التي وقعت فيها معركة كوسوفو في عامي ١٣٨٩هـ/١٧٩١م و١٢٨٥هـ/١٤٤٨م، وكانت النتيجة تثبيت الاحتلال العثماني للبلاد. أمّا عاصمة المقاطعة فهي مدينة بريشتينا التي تحافظ على معالم هندسية تعود إلى العهد العثماني. ضمت هذه المدينة - على غرار

كما جهرّ حملات أخرى ضد يولندا. إنّ الجهود التي بذلها في سبيل الدفاع عن الأميراطورية وتوسيع مداها لم تمنعه من أن يكون رجلاً مثقفاً ومندباً. فأقام مؤسسات خيرية عذّة، منها مكتبة قريبة من مسجد آيا صوفيا، أي الكنيسة البيزنطية القديمة التي كانت على اسم القديسة صوفيا.

كوپرولو فاضل مصطفى باشا (١٦٣٧-١٦٩١م)، هو أخو السابق الأصغر، عُيّن صدراً أعظم من سنة ١٦٨٩ إلى ١٦٩١، بعد أن ارتقى بدرجة، بعد وفاة كوپرولو زاده، درجات العمل الإداري. ثمّ شارك في خلع محمد الرابع، واصطدم بعد ذلك بموقف الجيش العدائي، فتمّ بعد صدور حكم بإعدامه لم يُنفذ. وتسلّم أخيراً الصدارة العظمى سنة ١٦٨٩، بناءً على توصية العلماء. كان عليه على الأخص أن يقود حملات جديدة ضدّ النمساويين، فأظهر كفاءة عسكرية وقدرة حربية. وفي الوقت عينه اتّخذ الإجراءات المناسبة لتحسين أوضاع الرعايا، ووضع الإصلاحات الضرورية لذلك. لكنه قُتل في معركة سولانكامين (Solankamen)، ما أدّى إلى هزيمة الجيش العثماني، وإلى إهمال السياسة الداخلية التي كان بدأ تطبيقها بنجاح. وقد تميّز عدد من أبناء تلك الأسرة وأحفادها بالأعمال الإدارية الناجحة، لكنهم لم يبلغوا الشهرة التي بلغها الممثلون الأوائل لتلك السلالة الوزارية.

كوتاهية (الجمهورية التركية)، مدينة في الأناطول تقع غربي الهضبة الوسطى، بقيت حتى أيامنا مشهورة بصناعة الخزف المطليّ بالمينا.

هذه المدينة من مقاطعة «فريجيا» (Phrygie) التي كانت تُعرف سابقاً باسم «كوتياوم» (Cotyacum)، وقعت بأيدي أتراك سليمان بن قُلُش على أثر معركة مانزيكرت سنة ١٠٧١هـ/١٠٧١م، واستعادها البيزنطيون بعد معركة دوريلييه (Dorylée)، ثمّ وقعت مجدداً في أيدي سلاجقة الروم سنة ١١٨٣هـ/١١٨٣م. وعرفت المدينة بعد ذلك تقلّبات من النوع نفسه قبل أن تصبح، في عهد الإمارات، عاصمة الكُرمياتيين، وتنتازعها من ثمّ القوى التركمانية المتنافسة، ويحتلّها بعد ذلك العثمانيون نهائياً سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م. هذا الدور

الأوسط، سعد بن أبي وقاص، في بداية الفتوحات الكبرى. وكانت في بداياتها، كمدينة البصرة، مركز تجمع الجيوش العربية-الإسلامية المخططة نحو إيران. وقد تحولت سريعاً إلى مركز سكني دائم، يتطابق مع سياسة الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب، ويخضع للقواعد التي وضعها: بقاء المسلم المتصر بعيداً عن السكان الأصليين، عدم استثمار المسلمين بأنفسهم الأراضي المحتلة، عدم نشأت المحاربين في الأراضي العراقية، والاتصال الدائم والمباشر بالجزيرة العربية التي كانت في ذلك الوقت قلب العالم الإسلامي.

والتجمع السكاني الذي وُجد بهذه الطريقة بُنيت مساحته في البداية من مواد خفيفة، وانتظمت المدينة بحسب مخطط دقيق نسبياً. فالمسجد الجامع شُيّد في وسط المدينة، كما في البصرة، وبقره مقر الحاكم. بعد ذلك نوّدت الأحياء على مختلف القبائل العربية، وكانت تفصل بينها خمس عشرة جادة بعرض عشرين متراً. ويبدو أنّ تلك القبائل كانت كثيرة العدد، وبينها نسبة كبيرة من عرب الجنوب، معظمهم من أتباع الإمام علي. وقد انتموا في ما بعد إلى الشيعة، والخليفة الرابع نفسه جعل الكوفة مقرّه وسط جوّ سياسي كان يلائمه، وفيها مات قتلاً على يد أحد الخوارج.

تحولت الخيم والأكوخ التي انتشرت في البداية إلى مدينة حقيقية بين سنتي ٥٠ و٥٣هـ/٦٧٠ و٦٧٣م، في ظلّ الخلافة الأموية؛ واستعمل الوالي زياد بن أبيه الحجارة القرميضية لتوسيع المسجد الجامع ومقرّ حكمه؛ كما نظّمت الأسواق لاحقاً على يد الوالي خالد بن عبدالله القسري، ١٠٥-١١٩هـ/٧٢٣-٧٣٧م، وارتفعت دور أبناء الخاصة في قلب المدينة فوق أرض مُنحت لعددٍ من الأشخاص. وتشير المصادر إلى وجود مقابر قبليّة داخل المدينة لا خارجها كما قصت القاعة لاحقاً، ويبدو أنّها استُخدمت أماكن للتجمع. كما خُصّصت إحدى الساحات في ضاحية المدينة لهذه التجمّعات وأطلق عليها اسم «كناسة»، وكانت تُستعمل أيضاً سوقاً لتجارة المواشي. أمّا سكّان المدينة في ذلك العصر، فلم تقتصر أجناسهم على العرب، فمن المرجّح أن نكون قد وفدت إليها شعوب اعتنقت الإسلام

مدن سارافو في البوسنة، وسكوبيجي في مقدونيا، وتينوغراد في مونتينيغرو - المقرّ المركزي لوحدة من المناطق الأربع المستنفة للإتحاد الإسلامي الذي كان قائماً داخل جمهورية يوغوسلافيا الفدرالية. وقد تمتعت كوسوفو باستقلال داخلي واسع ضمن يوغوسلافيا الفدرالية منذ سنة ١٩٧٤. لكنها خسرت هذا الامتياز سنة ١٩٨٩ مع التطوّرات التي نتج عنها تفكّك الفدرالية. ووجد سكّانها الألبان والمسلمون في حالة صدام مع صربيا التي تشكّل كوسوفو - ميتوحيها جزءاً منها.

كوسيداغ (معركة)، محرم ٦٤١هـ/حزيران ١٢٤٣م، معركة بسط المغول بعدها حماية أولى على دولة سلاجقة الروم.

هذه المعركة التي تنقصنا المعلومات الدقيقة عنها جرت شمال غربي مدينة سيواس في وسط الأناضول. فقد أرسل الأمير المغولي «بابجو»، الذي كان يحكم المناطق القوقازية، جيشاً دحر قوّات السلطان كيخسرو الثاني، ما اضطرّ هذا الأخير إلى الخضوع، قبل أن تنجح سلطة مغوليّة أخرى، ممثلة بالإلخانيين، في أن تنضمّ إلى ملكها قسمًا كبيراً من الأناضول.

«راجع المستند رقم ٢١»

كوشيار بن لبّان، أبو الحسن الجيلي، (القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد)، رياضي وفلكي إيراني، عمل في مدينة بغداد. وُلد في منطقة جيلان وانتقل إلى عاصمة الخلافة العبّاسية بغداد حيث وضع بحثاً مهماً في الرياضيات بعنوان «أصول حساب الهند»، وفيه يصف نظام العدّ اللأكنّي، مع تطبيقه في العمليات الأساسية الأربع، وفي استخراج الجذور التربيعية، وكسور النظام الستيني. كما وضع جداول فلكية، وهي الزيج، أنت أكثر دقّة من تلك التي وضعها أبو الوفاء، وكذلك من تلك التي وضعها البتاني.

الكوفة (الجمهورية العراقية)، من أهم المدن الإسلامية في القرون الوسطى في العراق، اشتهرت بنشيج سكّانها، عرفت الضعف والخراب بالآزكا، وأمسّت اليوم في عداد الأماكن السكانية الصغيرة.
أسس الكوفة، سنة ١٧هـ/٦٣٨م على الفرات

في المجال، في ما بعد، أمام تطوّر الأبحاث اللغوية في بغداد، خلال العصر الذهبي للثقافة العباسية.

◀ راجع المستندات ٨، ١٣، ٢٩.

كوك ألب، ضيا، ١٩٧٥-١٩٧٤، GÖKALP (Zia)، كاتب تركي ومفكر مجتهد، عاش أيام اليقظت الأخيرة لأمبراطورية العثمانيين، قبل أن يساند سياسة كمال أتاتورك، محاولاً التوفيق بين مواقفه الإسلامية وقومية تركية غدا المنظر لها.

ولد في ديار بكر واضقّر، بسبب آرائه السياسية، بعد فترة دراسة في اسطنبول، للرجوع إلى مسقط رأسه، ثم انخرط في جماعة تركيا الفتاة في العام ١٩٠٨، وغدا عضواً في «جمعية الاتحاد والترقي»، ثم استأذا لعلم الاجتماع في جامعة اسطنبول، ابتداء من ١٩١٢. انضم، في أول أمره، إلى الحركة الطورانية التي كانت تدعو إلى أمبراطورية تركية لا تقتصر على المناطق المأهولة بالأتراك، بل تتعداها إلى الأراضي التي كانت تتكوّن منها الأمبراطورية العثمانية في العام ١٩١٤، لكنه أخذ، بعدئذ، بالحركة القومية التركية التي قادها مصطفى كمال، مسانداً بحوية حزب الشعب، فانتخب نائباً في الجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة، لكنه توفي قبل أوائله في اسطنبول، مخلّفاً مجموعة من المؤلفات الأدبية المهمة، بينها عدد والفر من المقطوعات الشعرية.

كوكبان (الجمهورية العربية السورية)، محلّة قديمة محصنة شمال غربيّ صنعاء، كانت من قبل مركز مقاطعة.

إن الدور الذي أدّته كوكبان في التاريخ الإسلامي لليمن خلال القرون الوسطى يعود الفضل فيه إلى مركزها الاستراتيجي، إذ تقع في منطقة جبلية على ارتفاع ٢٦٠٠م. وفي العصر الحديث تحوّلت ملجأً لسلالة من الأئمة الذين قاوموا العثمانيين، كما كان يلجأ إليها أئمة صنعاء. وعيناً حاصرها الأتراك سنة ١٥٦٩م، ولم تستسلم إلا صلحاً سنة ١٨٧٢، بعد حملة جديدة وقوية قادها العثمانيون إلى هذه المنطقة.

كوكند (جمهورية أوزبكستان). مدينة في فرغانة،

ومجموعات من أهل الذمة، وعاشت على مقربة من الفاتحين، داخل مجموعة الأبنية التي لم تكن تحدها الأسوار.

وفي مدينة الكوفة، على أثر الثورة العباسية، أعلن السفاح أول خليفة عباسي، وجعل فيها جهازه الإداري. لكنه هو نفسه وخليفته المباشر لم يستقروا في هذه المدينة المتمردة والمضطربة، إذ كان يحذر أنباء الشيعة فيها. ولما تسلم المنصور الخلافة، ترك تلك المنطقة نهائياً إلى مدينته الجديدة ببغداد. ولما لم تكن الكوفة فقط مركزاً تجارياً ناشطاً، ولم يكن لها مستقبل سياسي واعد، ضعفت وتراجعت بسرعة. وقد نهىها القرامطة في مطلع القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد. وفي العهد البرهقي برز، في القرب منها، تجمع سكاني فاقها بأهميته، وعُرف باسم النجف حيث صريح الإمام علي. مع ذلك كانت المدينة ما تزال قائمة، على الأقلّ حتى القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، حين زارها الرحالة ابن جبير وأشار إلى مسجد الجامع وإلى قاعة الصلاة فيه المكوّنة من خمسة أروقة. وما تزال حتى اليوم معالم أثرية لهذا المسجد وللمقر الحاكم، وقد ساعد التقيب على إبقائها. وعلى الرغم من تدهورها الباك، ما تزال الكوفة تزدهر بأسجاد الماضي، بفضل الدور المهم الذي أدّته في بداية التاريخ الإسلامي، إذ إنها كانت نقطة انطلاق للحركات الشيعية في العصور الأولى. ففي العهد الأموي كانت، في سنة ٦٦١هـ/ ٦٨٠م، ساحة الإعداد للمعركة كربلاء، وفي سنة ٦٦٦هـ/ ٦٨٥م شهدت قيام ثورة المختار الذي كان قبره ما يزال موجوداً في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد؛ وفي سنة ١٢٦١هـ/٧٣٩م انطلقت منها ثورة زيد بن علي؛ وتحوّلت بعد ذلك إلى مركز سريّ لبث الدعوة العباسية. وهذه المدينة - التي كان يهيم عليها رؤساء القبائل الذين كان بعضهم يعمل للثورة ضد بني أمية، وبعضهم الآخر يدافع عن الخلافة الأموية - عرفت كلّ أنواع الاضطرابات، وكانت من الأماكن التي تُقرّر فيها مصير الإسلام وأميراطوريته. على الرغم من ذلك، فقد استمرّ النشاط الفكري في الكوفة التي اشتهرت بحوية مدرستها اللغوية التي واجهت مدرسة البصرة. ما أفسح

امتيازاً حضرياً للدولة.

سقطت المدينة وضُمت إلى إمبراطورية المغول في العام ١٦٨٧، خلال حكم أورنكزيب، بعد انقضاء سنة على سقوط عاصمة العادلشاهيين، بينجاپور، التي كانت تنافسها.

٤ راجع المسند رقم ٣٣.

كولوغلي، أو بشكل أصح كول أوغلي (ابن رقيق)، تعبير تركي أطلق في الولايات العربية على الذين ولدوا من أب تركي وأم عربية. وكان هؤلاء إجمالاً في مرتبة دنيا، لا يستطيعون الإرتقاء إلى مراتب عالية في الجيش. إلا أن أفراداً من ذوي الطموح السياسي استطاعوا، على الرغم من ذلك، أن يؤدوا أدواراً مهمة في المغرب خلال القرن التاسع عشر، لا سيما في تونس والجزائر وطرابلس الغرب. فالباي أحمد، مثلاً، الذي كان حاكماً على مدينة قسنطينة منذ ١٨٢٦، والذي أصبح مستقلاً بعد عزل داي الجزائر، كان من أب تركي وأم جزائرية.

الكويت، مدينة مرفئية على الخليج العربي، جعلتها أهميتها الاقتصادية في العصر الحديث مركز إمارة آل الصباح، وأصبحت، سنة ١٩٦١، دولة مستقلة.

١ - يعود تاريخ تأسيس الإمارة إلى القرن السابع عشر، حين طرد العثمانيون بعض القبائل العربية من العراق، فاستقرت في هذه المنطقة التي كان يسكنها الصبّادون والبدو. وقد عملت تلك القبائل على تأمين النهضة لمحلة صغيرة ساحلية مفتحة على التجارة البحرية مع العراق وإيران الجنوبية. وحصل التطور بفضل أسرة آل الصباح التي تسلّمت مركز القيادة، ما جعل وجودها مهلاً من قبل العثمانيين سياد العراق، ومن قبل وثائبي وسط الجزيرة العربية، في حين كان الأوروبيون يسعون إلى التمرّك في هذه المدينة التي تتمتع بأهمية اقتصادية واستراتيجية. وفي أواخر القرن الثامن عشر، فضّلت الشركة الإنكليزية للهند الشرقية الكويت على البصرة، لمدة وجيزة، كنقطة وصول القوافل القادمة من حلب ووادي الفرات.

لم تفرض الحكومة البريطانية على الكويت، في سنة ١٨٢٠، الامتناع عن تجارة الرقيق، كما فرضت

كانت في القرن الثامن عشر عاصمة مملكة مستقلة عُرفت باسم خانية كوكند، تأسست بعد ضعف الأوزبك الشيبانيين.

تقاسمت هذه الإمارة النفوذ في آسيا الوسطى مع خانيّتي بخاري وخيو، وبلغت أقصى مدى من الاتساع في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ما سمح لهذه المدينة التي أنشأها بابر أن تزهو وتمتلك أبنية ما تزال تظن، حتى اليوم، على وجهها المعماري، ومنها المساجد والمدارس والأضرحة، فضلاً عن القصر الذي اكتمل بآؤه سنة ١٨٧١، وما يزال جديراً بالاهتمام.

في سنة ١٨٧٦ خلع الروس خان كوكند بعدما كانوا قد دخلوا طشقند سنة ١٨٦٥، وأسّسوا سنة ١٨٦٧ حاكمية تركستان وضمّوا إليها قرغانة التي عُيّن لها مركز إداري جديد. ومع أن كوكند حرّمت من علاقاتها التجارية والسياسية مع كاشغر (كاشي)، فإنها حافظت على أهميتها التجارية، بالرغم من الإضطرابات التي عرفتها سنة ١٩١٨، وبقيت حتى عصرنا الحالي في تطوّر ونمو.

٤ راجع المسند رقم ٣٥.

كوكُنْدَه (الاتحاد الهندي)، وتعرف أيضاً باسم معتمد بنّار، قلعة في إقليم الدكن الإسلامي، حازت شهرة لا مثيل لها، قبل تأسيس حيدر آباد في العام ١٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م، كعاصمة للسلطنة الشاهيين، ومنحت اسمها للمنطقة كلها.

إن إقامة حصن، محاط بأسوار وباستحكامات، فوق هذا الموقع الطبيعي الذي يسهل الدفاع عنه، أتى بقرار من أحد ضباط البهمانيين الطموحين الذي قرّر أن يُنْشئ لنفسه مملكة مستقلة في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. ولقد دعمت التوجهات الدينية الشيعية لهذا المعامل وخلفائه، كما ميلهم إلى الثقافة الهندية، المدينة في مبانيها واختلاط الأساليب المعمارية فيها. إلا أن ما طبع في الأذهان الصورة التي عمت، منذ ذلك الوقت، خارج العالم الإسلامي، عن كوكُنْدَه وكنوزها، كان وفرة الرخاء الذي أصاب مجتمعاً مدينيّاً أثرى بفضل أنشطته التجارية وازدهار أشغاله الحرفية البدوية. ولا سيما تجارة النحاس الذي كان يُستخرج من مناجم كانت

أسرة سلاجقة الروم. وقد تبنى ثلاثهم لقب غياث الدين، وهي تسمية عربية تشريفية.

١ - غياث الدين كيخسرف الأول: هو ابن عز الدين قلع أرسلان الثاني، ملك ما بين سنتي ٥٨٨ و٦٠٨هـ/ ١١٩٢ و١٢١١م، مع انقطاع عن الحكم بين سنتي ٥٩١ و٦٠٠هـ/ ١١٩٥ و١٢٠٤م. كان واحداً من كبار سلاطين الإزدهار. وقد لقي صعوبة في إخضاع إخوته عند موت والده سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٢م، فنجأ إلى مقاطعة أولوبورلو القريبة من الحدود البيزنطية حيث كانت له تحالفات متينة. ثم أعاد توحيد مملكته سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م، بعد وفاة ركن الدين الذي كان قد أخلى له المكان لفترة. ومن أجل توسيع حدوده وثبتت سلطته، اغتصب البيزنطيون بعد سيطرة الفرنج على القسطنطينية مع الحملة الصليبية الرابعة، واعتنى بسلسلة خانات القوافل على الطرق التجارية الداخلية، ونجح في السيطرة على مدينة أنطاليا العرفية الواقعة على الساحل الجنوبي للأناضول. بذلك فتح آزل منفذاً متوسطياً أمام النشاط التجاري للسلطنة السلجوقية وحسن علاقة دولته مع تجار البندقية الذين منحهم امتيازات خاصة، كما تدخل في شؤون مملكة نيقية (إزنيك) اليونانية، لكنه قُتل خلال إحدى المعارك مع البيزنطيين سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م، تاركاً السلطة لولده عز الدين كيكافوس الأول.

٢ - غياث الدين كيخسرف الثاني، خلف والده علاء الدين كيكافد الكبير سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م، وتوفي سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م، وعاش بداية ضعف سلالة التي كانت قد وصلت قبله إلى ذروة قوتها. فقد أقسم ملكه، في بدايته، بسلسلة أعمال وإعدامات عنيفة، وأصر على بسط سلطته على منطقة أميدا (ديار بكر) الاستراتيجية، كما برز حامياً وراعياً لرجال الفكر. لكنه اصطدم بسلسلة من الفتن الداخلية، إلى أن هُزم في معركة كوسداغ سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م ضد المغول الذين فرضوا عليه سلطتهم.

٣ - غياث الدين كيخسرف الثالث، اعتلى العرش وهو لا يزال صبياً، وملك ضعيفاً بين سنتي ٦٦٤-٦٨٣هـ/ ١٢٦٥-١٢٨٥م، تحت حماية الإيلخانيين الذين أوعزوا أخيراً بقتله.

ذلك على إمارات الخليج الأخرى. وقد عقدت سنة ١٨٩٩ إتفاقاً مع الأمير يستفيد هذا الأخير بموجبها من الدعم البريطاني. شرط ألا يتخلى عن أي جزء من أراضيه لدولة أخرى. وهذا الإتفاق وضع المدينة في بداية مرحلة ازدهار سياسي ساعد الإمارة على التوصل إلى الحكم الذاتي في قلب الأمبراطورية العثمانية، ثم إلى شبه استقلال بحماية بريطانيا العظمى، إلى أن كان اكتشاف البترول خلال الحرب العالمية الأولى، ما وفر للإمارة الغنى، وسمح لها بنيل استقلالها الكامل.

٢ - إمارة الكويت الحالية: مساحتها ١٧٨١١ كلم^٢، عاصمتها الكويت، وهي دولة حديثة ومستقلة، يبلغ عدد سكانها حوالي المليون نسمة جلهم من المسلمين. هذه البلاد التي تحمل اسم عاصمتها وتشمل عدداً من الجزر، منها جزيرة فيلكا، لها حدود مشتركة مع الجمهورية العراقية من جهة، ومع المملكة العربية السعودية من جهة ثانية. وكانت حدودها الشمالية قد تبنّت سنة ١٩١٣، بموجب اتفاق عُقد مع السلطات العثمانية، لكنه لم يدخل نفاذ حتى التنفيذ. ولم تبنّت حدودها بشكل دقيق إلا في سنة ١٩٢٣، بدعم من بريطانيا العظمى التي كانت تحتل العراق بصفة دولة متتدية. وكانت بريطانيا قد أعلنت سابقاً، منذ العام ١٩١٤، أنها تعترف بالكويت دولة مستقلة تحت حمايتها.

بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الكويت بين الدول الأولى المنتجة للبترول، وهذا ما أثار طمع الجمهورية العراقية التي رفضت، في البدء، الاعتراف بها، عندما حصلت على استقلالها التام في العام ١٩٦١. وقد رُفع الخلاف إلى مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة، فوجدت له التسوية، لكنه عاد إلى الواجهة مجدداً سنة ١٩٩٠. ولم يتردد العراق في اجتياح الكويت، فأجبرته الولايات المتحدة الأميركية، بمساعدة حلفائها، على الانسحاب منها. واستعادت البلاد بعد ذلك نظامها الأميري الذي فرضه آل الصباح ودرّمت اقتصادها البترولي، وخففت، بشكل جذري، عدد الأجانب الذين يُسمح لهم بالإقامة داخل الدولة.

كيخسرف - كيخسرو باللغة الفارسية، اسم أخذ من تاريخ الميتولوجيا الإيرانية وحمله ثلاثة سلاطين من

على شاطئ المتوسط. أعطى المدينة اسمه، فسيت علانية وجعلها مقرًا شتويًا له. وبعدما استولى على إمارة بني مَنكوجك في أروزنجان، وعلى أراضي بني أُرْتش في خربوت، نجح في التصدي للخورزميين بمساعدة حلفائه الأيوبيين في سوريا، وفي بسط سيطرته على منطقتي أرضروم وأخلاط. أمام هذا النجاح، جهّز الملك الأيوبي الكامل حملة لمحاربه ولكنها فُزمت سنة ١٢٣١هـ/١٢٣٣م، ما سمح لعلاء الدين بالتوغل حتى المناطق العليا من نهر دجلة. وقد توفي سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م، فلم يدرك نالًا أن نجاحه العسكري واتساع ملكه سيؤوضان مع وصول المغول الذين انتصروا على ونّده سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م في معركة كوسيداغ.

تميّز علاء الدين كيقباد باتباع سياسة توسعية، وكان آخر سلطان مستقل في دولة عرفت الغنى بفضل نشاطها التجاري وبفضل المبادلات التجارية بين أوروبا وآسيا بواسطة البنادقة الذين أقامت معهم علاقات وثيقة. وقد ساعدته الظروف على أن يرعى الفنون والآداب، وأن يبني المساجد والمدارس وخانات القوافل، فضلًا عن القصور كالتي في قونية، وفي الكيقبادة قرب قيصريّة، وفي كوداذيان قرب بيشهر.

٢ - علاء الدين كيقباد الثاني وعلاء الدين كيقباد الثالث: لم يدم حكم هذين السلطانين إلا وقتًا قصيرًا، في مملكة كانت قد أصبحت عمليًا تحت سلطة الإلخانيين المباشرة.

كَيْكَاوُوس، اسم أخذ من الميتولوجيا الإيرانية وحمله اثنان من سلاطين سلاجقة الروم، وكلاهما تلقب باسم عز الدين.

١ - عز الدين كيكاووس الأول، ملك من سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م إلى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، بعدما خلف والده غياث الدين كيخسرف الأول. أفاد من المكتسبات السياسية السابقة وعمل على دفعها في الاتجاه عينه، فوسّع ملكه ووطّر الحركة التجارية. كما عمل على أن يستقر السلام مع بيزنطية (إزنيك) من أجل أن ينصرف إلى الجهات الأخرى، وهذا ما جعله ينجح في الاستيلاء على مرفأ سينوپ على البحر الأسود وإقامة علاقات بحرية شبه جزيرة القرم. وإذا كان قد عجز عن

الكيسانية، فرقة إسلامية برزت عند بدايات الشيعة ودعمت الثورة التي أعلنها المختار في الكوفة، حوالي سنة ٦٦٦هـ/٦٨٥م، لمصلحة محمد بن الحنفية، وانبثق منها عدد من الفرق المنتظرة.

لقد تبوّأ أنصار المختار، الذين ضمّوا عددًا من ممثلي الأسر العربية الكبيرة وكثيرين من الموالي الإيرانيين، أفكارًا تحمل طابع البدع، وهذه الأفكار انتقل بعضها إلى فرق شيعية لاحقة. فقد كانوا يعتقدون أن محمدًا بن الحنفية لم يمت، وإنما انزوى في أحد الجبال، وسيرجع يومًا بصفة مهدي. إن ظاهرة عودة المهدي المنتظر هذه، الأولى في الإسلام، حرّكت فرائع عدد من شعراء ذلك العصر، ومنهم كثير عزة والسيد الجُمُهرِي. كما يرى أتباع الكيسانية أن الله يمكن أن يغيّر رأيه، وقد ظلّوا بهذه الفكرة لتبرير فشل الثورة. وتبنّى بعضهم أفكارًا ومواقف أدت إلى ولادة فرق جديدة، كالحاشمية التي تبع أصحابها أبا هاشم، ابن محمد بن الحنفية، واندادوا به إمامًا. وبعد موت أبي هاشم انقسم أتباع الحاشمية بين مؤيّد أخيه على ومؤيّد لأحد المطالبين بالخلافة من بني العبّاس، زعم أن أبا هاشم جعله وريثه. وانضمّ عدد من الكيسانيين إلى المدعو إين حرب الذي كان في أساس الفرقة الحربية التي اعتقدت بتجسيد روح الله، كما اعتقدت بالنقص. كذلك أيد آخرون المدعو بيان، فكانت البيانية التي رأت في مؤسستها نبيًا مكلفًا بإبطال الشريعة. فالمعتقدات التي تبناها لاحقًا غلاة الشيعة كانت قد نبتت باكراً في أوساط أتباع الكيسانية الذين كانوا سباقين في نشر أفكارهم وتنظيم دعوتهم.

كَيْقُبَاد، اسم أخذ من التقاليد الإيرانية وحمله ثلاثة من سلاطين سلاجقة الروم وتبوّأ ثلاثتهم لقب علاء الدين.

١ - علاء الدين كيقباد الأول، حكم من سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م إلى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م وكان ملكًا قديرًا قويًا ذا هبة وسطرة، بلغت معه السلالة أوجها. خلف أخاه كيكاووس الأول واستطاع، في السنوات الأولى من الحكم، أن يوسّع رقعة دولته باتجاه الجنوب والشمال والشرق. ومن مملكة أرمينيا الصغرى انتزع موقعًا مرفئيًا على أقدام جبال طوروس، عُرف في ما بعد باسم علانيا

للميلاد، أقيمت فيها وكالات تجارية أمنت لها الغنى من التجارة البحرية، وكانت في أساس تكوين أسر محلية حاكمة في مدن مستقلة بعضها عن بعض، في لامو ومالندي ومومباسا وغيرها. وقد أدى التطور الاقتصادي لاحقاً، قبيل التوسع الاستعماري في القرن التاسع عشر، إلى خراب هذه المدن التي ضُتت، تحت رقابة سلاطين عُمان، إلى منطقة أكثر اتساعاً مرتبطة بجزيرة زنجبار. وهذا ما ساعد على استمرار مجموعات سبئية مهمة على الساحل تنتمي إلى المذهب الشافعي، وهي تحافظ اليوم على كيانهما ويُطلق على أصحابها اسم العرب السواحليين.

إلى هؤلاء أضيف، في أواخر القرن التاسع عشر، عدد من المسلمين المهاجرين، جلهم من أصل هندي، ينتمي بعضهم إلى الشيعة الإمامية، بينما تنتمي أغليتهم إلى الإسماعيلية وتفرعاتها، منهم نزاريون سابقون كـ«الحوجاه» اتباع الأغا خان، ومنهم مجموعات تعود بأصلها البعيد إلى الفاطميين، أمثال البهرة.

وقد نتج عن هذه المعطيات وضع ديني تعقّد مع التدخّلات الأوروبية، وخصوصاً مع سيطرة بريطانية لمدة طويلة، من سنة ١٨٩٠ إلى ١٩٦٣. ولم يشهد الإسلام أيّ تنوّع جديد، وبقيت جهود انتشاره عاجزة عن تجاوز المناطق الساحلية. وقد قامت حركة على أيدي مسلمين من التجّار والجنود العاملين في الإدارات المحلية ضمن المدن، كمدينة نيروبي، ولكن تأثيرها لم يدم طويلاً. ويبدو أنّ سكان السواحل لم يُظهروا ميلاً إلى الدعوة إلى دينهم، كما أنّهم لم يزيّدوا التيارات الحديثة أو الإصلاحية، سواء كانت محاولات محلية كالتي قام بها الشيخ الأمين المزروعوي، أم كانت خارجية كالتي عُرفت باسم الأحمدية. حتّى إنّ الأنشطة الفكرية التي شجّعها الأغا خان بقيت محصورة في مدينة مومباسا المرنفية، ولم يستطع تأثيرها الوصول إلى المناطق البعيدة.

➤ راجع المستدق رقم ٢٨.

الاستيلاء على مدينة حلب بعد موت الملك الظاهر الأيوبي سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، فإنّه في المقابل وسّع نفوذه في المنطقة وأقام علاقات طيبة مع الخليفة العباسي الناصر. إلى جانب ذلك، أظهر اهتماماً بالنشاط التجاري وبالأعمال الحرفية، فبنى خانات إضافية للفواغل، ووقّع اتفاقات جديدة مع البنادقة. وقد عرف كيف يرمي الفنون والآداب، فبنى المساجد وشجّع الحركة الأدبية باللغة الفارسية، وأبدى اهتماماً بحركة النصوص التي كان يمثلها ابن العربي.

٢ - عزّ الدين كيكاولوس الثاني، هو ابن كيكسرف الثاني وقد ورث منه الملك. لم يكن يتمتع في ظلّ حكم الإيلخانيين، إلاّ بسلطة ضعيفة، كما جاء ملكه المضطرب متقلّباً بين ستي ٦٤٤-٦٥٥هـ/١٢٤٦-١٢٥٧م. وقد تقاسم المملكة مع أخويه، وكانا فاضرين مثله، في حين أنّ كبار الدولة كانوا يحكمون باسم الثلاثة. ثمّ لزم عزّ الدين المنطقة الغربية من الأناضول مرتاحاً إلى أبنائه كون أمّه من أصل يوناني، في حين أنّ أخاه الذي بقي على قيد الحياة اعتمد على المغول في المنطقة الشرقية. أخيراً لجأ نهائياً إلى القسطنطينية سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، وتوفّي في شبه جزيرة القرم سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، من دون أن يستطیع استعادة عرش قونية.

كينيا (جمهورية)، مساحتها ٥٨٢ ٦٤٠ كلم^٢ وعاصمتها نيروبي. دولة مستقلة حديثة، ولدت من مستعمرة بريطانية سابقة في أفريقيا الشرقية السوداء، وفيها أقلية مسلمة تبلغ حوالي ثمانية بالمئة من السكّان البالغ عددهم خمسة وعشرون مليون نسمة تقريباً.

هذه الأقلية المسلمة هي ما تبقى من الماضي في دولة تُجاور شرقاً دولة ساحلية إسلامية كجمهورية الصومال الديمقراطية، وتضمّ، في الداخل، مناطق غير إسلامية لها حدود مشتركة مع جمهوريات الحيشة والسودان وأوغندا وتنزانيا. إنّ المناطق القريبة من المحيط الهندي تسكنها غالبية مسلمة، وفيها تمت ثقافة إسلامية قديمة. ومنذ القرن الرابع للهجرة/العاشر

ازدادت بعد العام ١٩٣٩ ، عندما جرى التخلي لتركيا عن سنجق إسكندرون ، إذ أصبحت المنطقتان السوري الوحيد على البحر . اعتباراً من العام ١٩٤٨ ، نُفِذَتْ فيها أشغال أدّت الى إنشاء المرفأ الكبير الحديث الحالي .

◀ راجع المستندين ٩ و ١٨ .

لامس نافاس دي تولوزا (معركة ، وتُعرف بالعربية بهزيمة الوَقَاب) ، ١٥ صفر ٦٠٩هـ / ١٨ تموز ١٢١٢م ، هزيمة حاسمة في الأندلس لحيش محمد الناصر ، الخليفة الرابع من سلالة المرّحدين ، تحت ضربات تحالف مسيحي مهمّ .

وقف ملكا نافار وأراغون إلى جانب الملك ألفونس الثامن الذي كان يسعى لمحو ذكر النصر الإسلامي السابق في معركة الأرك . حصل الإلتحام في مقاطعة نيوداد وبِل الحائِية ، في مكان يدعى بالعربية العقاب ، بعد فترة من تحضير وتجميع لقوّات المتطوّعين المسيحيين والمسلمين الآتين غالباً من أمكنة بعيدة . وكان الإلتحام في مستوى الوسائل الممتدّة ، فشكّل بدء نهاية السيطرة الإسلامية على الأندلس ، هذا الجزء من شبه الجزيرة الأيبيرية المحتلة منذ خمسة قرون الذي أخذت مساحته تنفّض نتيجة الهجمات المتعاقبة خلال حروب الإسترداد .

◀ راجع المستندين ١٦ و ١٩ .

لامو (جمهورية كينيا) ، مدينة ومرفأ على المحيط الهندي على الساحل الشرقي لأفريقيا السوداء ، كانت ، في قلب الجزيرة والأرخبيل اللذين يحملان اسمها ، محطة تجارية للملاحة الإسلامية منذ القرون الوسطى . وإذ تقاسمت هذا الدور مع الجزيرتين المجاورتين

اللاذقية (الجمهورية العربية السورية) ، مدينة ساحلية شمال سوريا . بعد أن عرفت قلداً متقلّبا في القرون الوسطى ، أصبحت اليوم المرفأ السوري الوحيد المهمّاً لحركة التجارة العالمية .

بعد أن كانت تابعة لإمبراطورية الخلفاء خلال الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى في القرن الأوّل الهجري / السابع الميلادي ، أصبحت ، لفترة ، بيزنطية في سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠م . ثمّ احتلّها الفرنج مرّة أولى سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧م ، ومرّة ثانية سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٣م . سمّيت لانيش (La Liche) وتبعّت إمارة أنطاكية ، إلى أن استعادها صلاح الدين في سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م . احتفظت بدورها بالإقتصاد تحت حكمه وحكم خلفائه الأيوبيين في سوريا ومصر . استحصل فيها تجّار البندقية ، في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م ، من أمير حلب الملك الظاهر ، على خان وحمام وكنيسة . ثمّ استقرّ فيها تجّار جنوى عندما عادت ، في سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٦م ، بعد غزو المغول ، إلى أيدي الفرنج الذين تمكّنوا من البقاء فيها بموجب اتفاق مع السلطان بيبرس ، بشرط أداء إتاوة . وفي سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧م ، بعد أن كان قد دمرها الزلزال ، استعادها المماليك ، وجعلوا منها مركز قضاء لولاية طرابلس حيث كان النصيريّون الذين سمّوا في ما بعد بالعلويّين قد أخذوا في الانتشار . في القرن السادس عشر ، دخلت اللاذقية تحت سيطرة العثمانيين ، وكانوا قد ضمّوا سوريا إلى إمبراطوريتهم . في القرن العشرين ، كانت تابعة أوّلًا لولاية بيروت العثمانية وحصلت ، في العام ١٩٢٢ ، في ظلّ الانتداب الفرنسي على سوريا ، على وضع إداري جديد جعل منها إحدى المدن الأساسية لدولة العلويّين التي كان قد تمّ إنشاؤها . إلّا أنّ أهميّتها

وبعد أن اختيرت لاهور مقرًا للسكن، غادرها الحُكَّام الجدد المنتمون إلى سلالة سلاطين دلهي ليتخذوا من هذه المدينة عاصمةً لهم، بعد إعلان استقلالهم في سنة ١٢٠٦هـ/١٢٠٦م، وليحكموا شمال الهند باسم «المغزيين» أو «الملوك - العبيد». ثم غدت مقرًا لحكام آخرين، واستمرت عرضةً لهجمات من الجبال العالية الشمالية الغربية سواء من قبل المغول، في سنة ١٦٣٩هـ/١٦٤١م، أو من قبل عصابات تركية مختلفة، حتى احتلال تيمورلنك لها في العام ١٣٩٨م. لكن ظلت تثير مطامع أسياد كثيرين تعافوا على حكمها، بمن فيهم الأفغان. وبرزت خلال تلك الفترة المدينة الكبرى في الجنوب والمركز الناشط للدعوة الإسلامية. فإلها كان يقصد ومنها كان ينشر، كما من مدينة ملتان، عدد كثير من المتصوفين الآتين من إيران وآسيا الوسطى ليعملوا على نشر عقيدة إسلامية مدموغة بتعاليم الصوفية. وما يزال أقدم هؤلاء، وهو انهجويري المسمّى أيضًا داتاگنج بيش، يكرّم في ضريحه القائم فيها على أنه وليّ المدينة.

ثم تعاقبت على لاهور احتلالات، بينها احتلال باهر في سنة ٨٣٠هـ/١٥٢٤م الذي لم يدم طويلًا، تلاه احتلال ابنه هُملابون الذي استردها في سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٥م، مؤهلاً لمرحلة جديدة تحت حكم السلالة المغولية. شهدت لاهور الازدهار خلال حكم أكبر الذي جعل منها قاعدة حملاته إلى كشمير والسند أو قندهار، وعندما أصبحت عاصمةً الإمبراطورية ومقرًا لبعض الحكام من أمثال جهانگیر، إينده من سنة ١٠٣١هـ/١٦٦٣م، ولاحقًا شاه جهان. وغدت «مقر السلطنة» في عهد أورنگزيب، وإن يكن سكنه فيها لم يطل مثل سكن أسلافه. نعمت مدينة لاهور خلال تلك الحقبة بازدهار إقتصادي عزّزه دورها الإداري المهم. كما أنها استمرت مقصدًا لمتصوفين معروفين ما تزال أضرحتهم معروفة ومكرّمة، مثل ضريح ميان مير من الطريقة القادرية. وهو الذي أعجب به الأمير دارا شكوه، أحد أبناء شاه جهان الذي لم يوفق في الوصول إلى العرش.

وتشهد على غنى لاهور المميز، في تلك الحقبة - وهو عائد، في جزء منه، إلى فضل الأباطرة عليها -

ماندا، وخاصة بات التي يُعتقد أنها خضعت للسلالة الحاكمة نفسها، ربما أوت لاهور. في شمال موقع مالندي، سلطنة محلية قد ترقى بحسب النصوص السواحلية إلى الأمويين، لكنها لم تترك أي نقوش عربية أو أية آثار تعود إلى ما قبل القرن الرابع عشر للميلاد. بدأ انحطاطها حوالي العام ٩١٢هـ/١٥٠٦م، مترافقًا مع انشاء البرتغاليين مقاطعة تابعة لهم، فقاموا بالسيادة عليها، في نهاية القرن السادس عشر، مع العثمانيين، مجزّين غزوات تخلفت إريتريا والساحل الصومالي. ابتدأت مرحلة إقتصادية جديدة في العام ١٦٥٨ عندما ألحق المرفأ، بطريقة غير منضبطة، بمنطقة بحرية تابعة لعمان، إلى أن مارس الحكم، في العام ١٨١٢، أحد أكبر حكام عائلة آل بو سعيد الذين كانوا آنذاك سلاطين مسقط وزنجبار. كان ذلك بداية مرحلة ازدهار كبير لمدينة لاهور، رافقه ازدهار ثقافي. إلا أنها فقدت في القرن العشرين حيويةًها التجارية لمصلحة مومباسا، ولم تحتفظ إلا بأهميتها مركزًا دينيًا للتعليم الإسلامي.

◀ راجع المسند رقم ٢٨.

لاهور (جمهورية باكستان الإسلامية)، ثاني المدن الباكستانية أهميةً بعد كراتشي. احتفظت بدورها الإستراتيجي عاصمةً للجناب المسلم.

إن موقعها في منطقة الهندوس الأعلى، عند الممرات الجبلية التي تقذ منها إلى شمال الهند الغزاة المسلمون الآتون من المرتفعات الإيرانية، يفسّر جزءًا من تاريخها. فبعد احتلال المنطقة، انطلاقًا من السند، في أيام الغزوات الكبرى التي حظيت خلالها مدينة ملتان بدور بارز، استعادت لاهور أهميتها بعد الهجمات التي شنّها الغزنويون، وأصبحت العاصمة الثانية للإمبراطورية التركية - الإيرانية - الهندية التي انبثقت من غزوات محمود، في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، والتي حكمها خلفاؤه. لجأ إليها هؤلاء بعد سقوط غزنة في سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، إلى أن نجح الغوريون المنتصرون عليهم، بدورهم، في السيطرة على المدينة في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وفي جعلها مركز سلطنة ما لبثت أن امتدت إلى سهل الغانج، بفضل مبادرات الضباط المماليك التابعين للغوريين.

المنطقة، أصبحت لاهور، بعد أن تمّ ضمّها إلى باكستان الغربية، مدينة ناشطة ومركزاً لمقاطعة البنجاب الجديدة منذ العام ١٩٧٠.

« راجع المستندات ٢٣، ٣٠ إلى ٣٣، ٣٥.

لاؤن الأفريقي، عُرف بهذا الاسم في الغرب المسيحي الحسن بن محمد الوزان، ٨٩٤-٩٥٧هـ/١٤٨٩-١٥٥٠م، صاحب كتاب «وصف إفريقيا» الشهير.

ولد في غرناطة قبل استعادة هذه المملكة من قبل المسيحيين، وهاجر إلى المغرب حيث نشأ في فاس، ثم قدّر له أن يسافر إلى أفريقيا السوداء وصولاً إلى تومبوكتو، كما إلى الشرق. قُبض عليه في جربة قراصنة من صقلية واقتادوه إلى روما حيث قدّم نلبابا لاون العاشر الذي أقنعه باعتناق الدين المسيحي وعمّده في العام ١٥٢٠م، مانحاً إياه اسمه الخاص وهو يوهانس لاون دو ميدبشي. يبدو أن المعتنق الجديد للمسيحية عاد في ما بعد إلى تونس قبل العام ١٥٥٠م حيث قضى سنواته الأخيرة على دين الإسلام.

من أشهر مؤلفاته «وصف أفريقيا» الذي أنهى كتابته في العام ١٥٢٦م ببلدة إيطالية رديئة، فتّوّم بيانه راموزيو في العام ١٥٥٠م، ونسب إلى المدعو جيوفاني ليو الأفريقي الذي أصبح لائون الأفريقي. تُرجم الكتاب إلى الفرنسية ولغات أخرى، وهو مصدر معلومات ثمينة حول الحياة الاجتماعية في المغرب في القرن السادس عشر، كما في الجزائر وتونس ومصر و«بلاد الزنوج» أو السودان الساحلي.

اللباس (طرز - الإسلامي)، عادات تجلّدت شيئاً فشيئاً على مدى القرون الوسطى، من دون أن تلحق الضيم بتنوّع الطرّز المعروفة لدينا بحسب العصور والمناطق والتي لم تغب فرادتها إلّا مع تحولات العصر الحديث.

وعلى الرغم من أنّ الإسلام لم يفرض، في بداياته، لباساً خاصاً على أتباعه، وأنّ التقاليد العربية المتكثّفة مع المناخ الصحراوي ومتطلّبات حياة البداوة انتقلت يسير إلى الأوساط الإسلامية بعد الفتوحات الكبرى، فقد انتشرت، على نطاق واسع، بعض العادات في

مابنّ ما تزال تشكّل حتّى اليوم مجموعة من الإنجازات المغولية الرائعة. واقع الأمر أنّ القلعة أو القصر الملكي المحصّن الذي بدأ بنائه «أكبر» في موقع جرى اختياره في عهد الغزنويين والغوريين، ما تزال تشرف على وسط المدينة بأسوارها وأبوابها الضخمة المحيطة بساحة متسعة مستطيلة. إنّ التصميم الداخلي الفاخر للانجنته الملكية، من قاعات استقبال واسعة ومقصورات تقضي إلى حدائق، يتضمّن، على الرغم من ترميمات متأخرة، عناصر معمارية تعود إلى عهد جهانگیر وبخاصة إلى شاه جهان الذي أمر، مثلاً، بحوالى سنة ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م، بإقامة بناء من الرخام الأبيض هو أوّل «مساجد الجوهرة» أو «موني مسجد» التي سيُقام مثلها لاحقاً في «قلعتي» دلهي وأغرا. وفي المدينة نفسها التي كانت قديماً محاطة بالأسوار، بنيت مساجد عدّة بينها مسجد وزير خان، وخاصة مسجد بادشاهي الذي أمر ببنائه أوزبكريب في سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م، وهو يفوق بتوسّعه المسجد المغولي الكبير في دلهي. ومن الأضرحة التي ما يزال معظّمها قائماً في وسط حدائق أُعيد ترميمها، تجلّد الإشارة إلى ضريح جهانگیر الذي انتهى العمل فيه في سنة ١٠٧٤هـ/١٦٣٧م، وضريح زوجته نور جهان.

إلّا أنّ أوّل أفول لقدرة المغول، كان من شأنه أن عرّض عاصمة البنغال لهجمات السيخ والمُهمّة ولاجتيحات قام بها الفارسي نادر شاه والأفغاني أحمد شاه من سلالة الدُرّانيين، وذلك من دون أن يستطيع حكام دلهي التدخل بفاعلية. إنّ الانتصار النهائي للسيخ مكّن رئيسهم وانجيت سينغ الذي أعلن ماهاراجا البنجاب في العام ١٨٠٢، من الاستقرار بدوره، في لاهور والسعي إلى النهوض بها. لكن خلفاء خسروها بشكل نهائي في العام ١٨٤٩ لمصلحة البريطانيين الذين قدّروا قيمتها الاستراتيجية. حينذاك عرفت لاهور مصيراً جديداً إذ إنّها شهدت نمواً ديموграфияً واقتصادياً قوياً وأصبحت في موازاة ذلك أحد مراكز النشاط السياسي الإسلامي، خلال الفترة المضطربة التي سبقت تقسيم العام ١٩٤٧.

وكانت في الوقت نفسه مقراً لتعليم محدّد إقبال وفكره، وقد دُفن فيها بعد موته في العام ١٩٣٨. على الرغم من مطامع السيخ الذين حملوا بدولة خاصة في

الرأس الخاصة، كالطربوش عند العثمانيين أو الكوفية عند البدو.

لكن، مثلاً لا شك فيه، أنَّ بعض خصائص اللباس في البلدان الإسلامية اتخذ دلالات دينية بارزة. فبعضها كان يتعلق، في القرون الوسطى، بطبقة المتصوفين والزهاد الذين كانوا يتميزون غالباً بثوب من الصوف، استحقوا من خلاله لقب الصوفيين. نستطيع، بالتحديد، أن ننسب إلى احترام العادات والمتطلبات الخاصة بالإسلام، تبني النساء خماراً يغطي تقريباً الوجه وهو يخفي أسفله أحياناً، وأحياناً أخرى الجسم بكامله، ويحمل بحسب المناطق اللقوة أسماء متنوعة وهي، بالعربية: الحجاب، والخمار، والثام؛ كما يحمل، في اللغة الفرنسية أسماء كـ «التشادر» (tchador) و«الشرف» (tcharchaf)، مع العلم أن الأول هو من أصل فارسي والثاني من أصل تركي.

تتعلق أخيراً بنموذج العمرة الذكوري قيمة رمزية خاصة، وقد غدا هذا النموذج، مع مرور الوقت، النموذج الإسلامي المميز، أي العمامة المولفة من قبة مجوفة تلفها قطعة قماش تطوى أو تقصر بحسب الظروف. وتبدو الكلمة ذاتها المستعملة حصراً في اللغات الأوروبية (turban) متحدرة من اللغة الفارسية «دولبند»، وتعادل في اللغة العربية لفظة العمامة ولفظة «مارك» التركية. لكن العمرة التي نحن بصدها يعود أصلها، من دون شك، إلى الشرق القديم، وغالباً ما اكتسبت معاني مختلفة مبكرة. إستناداً إلى الأحاديث الشريفة منذ القرون الوسطى، إذ نبدو أولاً وكأنها عمرة عربية في مقابل نيجان الملوك الساسانيين قبل الفتحوات العربية - الإسلامية الكبرى. ويبدو أنَّ هذه العمامة ارتبطت بتبني الإسلام لها، مع أنَّ اعتمادها لم يُحرّم على غير المسلمين، فشكّلت بذلك عنصراً في اللباس الأنثوي المذكور في النصوص المتعلقة بخلفاء سلالة الفاطميين، بوجه خاص.

بعد فترة وجيزة، انتشر استعمال العمامة في المجتمع الإسلامي بأسره بحيث أصبحت، بدءاً من القرن السادس للهجرة/ الثالث عشر للميلاد تقريباً، العلامة المميزة للمهن غير العسكرية. ففي مصر المماليك،

أميراطورية الأمويين، وأثرت على التطور اللاحق لللبسة المسلمين القروسطية.

ثمة سمة رُوعيت على نطاق واسع وهي أنَّه فُرض على غير المسلمين احترام بعض القواعد التي تسمح بتمييزهم من خلال مظهرهم. وهناك أخرى لم تكن أقل انتشاراً كانت تفرض على المسلمين اعتماد غطاء الرأس الذي يلام الحركات الطقسية للصلاة.

أخيراً هناك خاصة نالت نجحت في اتخاذ ملابس رسمية مطرزة ومقشّرة بالذهب تدعى «الطرّاز»، وقد تزيّن بها الحكام منذ ذلك الوقت، وكل الذين يحيطون بهم، لأنَّ الخلفاء وممثليهم اعتادوا، ليس تقليد البلاطات الملكية الشرقية بفخامة لباسهم البهية الرسمية فحسب، بل أيضاً تقديم أثواب الشرف المصنوعة في مشاغل الدولة لكلّ الذين يريدون مكافأتهم، بحيث يتنسّمون منها سلّم مكانتهم الاجتماعية في الدولة.

وبعد انقضاء فترة وجيزة، خلال العصر العباسي الذي شهد تطوّرات في رسوم البلاط ورمزياته، أدخلت اللبسة الخاصة على بعض الوظائف الرسمية، فكان يرتدي أعضاء الحرس والتنظيم العسكري معطفاً قصيراً يدعى القباء، وانماز الإداريون والكتاب الآخرون بثوب طويل مُففل من الأمام يدعى الثُّرّاعة؛ أمّا القضاة والفقهاء ورجال الدين فاعتَمروا الطيلسان دلالة على منزلتهم. ثمَّ أدخلت تعديلات على الأزياء البغدادية في المراكز الثقافية الجديدة في الدول التي نشأت آنذاك. بعض هذه التعديلات نتج عن تأثيرات محلية، كالحفاظ على ارتداء البرنس في المغرب، وبعضها الآخر عن تسرّب عادات جديدة أدخلها الفاتحون، منها تبني لباس الخبالة الخاص بالبدو الآسيويين من الأتراك والمغول. لكن في المناطق الحارة التي شكّلت قلب العالم الإسلامي، بقيت، حتى وقت قريب، عادة ارتداء الثياب الواسعة الفضفاضة التي تختلف كثيراً عن الثياب الغربية، والتي اعتبرها الأوروبيون من مميزات المجتمعات الإسلامية. إلّا أنَّ اللباس التقليدي الذي حافظت عليه الطبقات الشعبية في ذلك العصر، أهمل شيئاً فشيئاً من قِبل الطبقات الحاكمة التي حافظت على بعض نماذج أعطية

في بداية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد. وشكّلت هذه المنطقة جزءاً من الأبراطورية الإسلامية الناشئة في بداية الفتوحات الكبرى، في القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، وخضعت لسلطة الخلفاء الأمويين الذين كانوا متمركزين في سوريا، ثمّ لسلطة العباسيين في العراق، إلى أن بسط عليها الفاطميون، أسياذ مصر، سلطتهم إعتباراً من سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م. في عهد الصليبيين، سيطر الفرنج على لبنان سيطرة جزئية لمدة قرنين تقريباً، ولم يتمكن المماليك السوريون - المصريون من طردهم بشكل كامل من الساحل إلا في سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، فقصّروا لبنان إلى مملكتهم بدون أن يجعلوا منه منطقة مميزة، فتمّ تقسيمه بين ولايتين: ولاية دمشق وولاية طرابلس، وفق نموذج تنظيمي عُمل به في العام ١٥١٧م، تاريخ احتلال العثمانيين للبلاد. لم يحصل تغيير في الوضع إلا في العام ١٦٦٠م، إذ أُنشئت ولاية جديدة كان حاكمها يقيم في صيدا، وكانت مهمته مراقبة الدرّوز والموارنة. غير أنّ باشا دمشق كانت له اليد على حاكمي طرابلس وصيدا.

بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، طمحت بعض الأسر البارزة إلى حكم الجبل اللبناني فاستحصلت على مهمة جبالية الضرائب المنوطة للسلطات العثمانية. برزت منها شخصيتان في أزمنة مختلفة هما الأمير فخر الدين المعني، والأمير بشير الشهابي. لكنّ الاثنين اصطدما برذات فعل السلطات العثمانية، فأعدم الأول في اسطنبول سنة ١٦٣٥، بينما اضطرّ الثاني للتخلي عن مهمّته سنة ١٨٤٠ ومات هو أيضاً في اسطنبول في العام ١٨٥٠. في هذه الأثناء، دفعت التوترات الاجتماعية التي سببتها المتغيّرات الاقتصادية، في بداية القرن التاسع عشر، بالعثمانيين إلى القيام بتقسيم إداري جديد في العامين ١٨٤٢ و١٨٤٥. فقصّوا الجبل اللبناني إلى قانقمايتين: أوكلوا الأولى منها إلى قانقماق مسيحي في الشمال، والثانية إلى قانقماق درزي في الجنوب، تابعت كليهما لوالٍ مقيم، ليس في صيدا، بل في بيروت. غير أنّ هذه المتغيّرات لم تمنع وقوع أحداث بين الدرّوز والموارنة سنة ١٨٦٠، ما حمل فرنسا على إرسال قوات إلى لبنان

مثلاً، كان المعمشون من الفقهاء والأساتذة والقضاة والإداريين يمتازون عن حنّلة السيوف. أمّا في أبراطورية العثمانيين فكانوا يتمتعون إلى فئة أصحاب المراتب الرسمية الحاصصة لتنظيم دقيق في تفاصيل الثياب أمر به السلاطين، بخاصة السلطان سليمان القانوني. كان ثمة إذًا أشكال عدّة من العمامات، تُظهر كلّ منها مكانة هذا الشخص أو ذلك بين موطنَي الدولة. من جهة أخرى، اعتُبر اللون الأخضر شارة خاصة بالشرقاء من سلالة النبيّ محمد (ﷺ)، وهذا ما أصبح شائعاً منذ بداية القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، حين فرضه، بأمر ملكي، سلطان من المماليك على عمامات العلويين.

لكن، من الصعب تحديد الفترة الزمنية التي ربطت فيها عمامة الأسياذ وأعضاء بطانتهم بمظهر من الجلال. لم يكن خلفاء السلالة العباسية في بغداد يمتدّونها بل كانوا يتباهون بقبة طويلة تدعى «الفلّسوة»، مختلفة في حدّ ذاتها عن العصابة أو تاج الأمويين. في حين تميّز الفاطميون في القاهرة وسلاطين المماليك بالعمامات التي تنبأها أيضاً سلاطين العثمانيين أو صفويّو إيران، كما سالات الهند وأباطرتها. إلّا أنّ العمامة بقيت غائبة عن لباس الأمراء وشرقاء الأندلس مثلاً، ولم يأخذ بها أبداً أسياذ الأتراك والمغول الذين احتفظوا، على عهد السلاجقة والإيلخانيين، بعمرة خيالي السهوب. وفي عهد متأخر أيضاً، اختار ملوك إيران من القاجار، على سبيل المثال، تاجاً مصنوعاً على شاكلة تيجان الساسانيين القدماء، في حين استلّ العثمانيون وبطانتهم اعتماد الطربوش.

لبنان، منطقة، جبليّة بنوع خاص، تحاذي البحر المتوسط، إلى الشمال من فلسطين (إسرائيل)، أصبحت دولة مستقلة في أقرن العشرين، بعد أن كانت في القرون الوسطى ملحقة بولاية سوريا.

١- تميّزت هذه المنطقة منذ القديم بسلسلة جبال لبنان العالية التي شكّلت ملجأ في بعض الأحيان. ساهم هذا الوضع [الجغرافي] في تكوين طابع تعددي لسكانها حيث نجاوّر السكّان الأصليّون من المسيحيّين الموارنة أو من أتباع الطقّس البيزنطي مع المسلمين، ممّن السّنة والشيعه، وكذلك مع جماعات من الدرّوز استقرّت فيها

بشكل حكومة جديدة وتبني ميثاق وطني أكمل دستور سنة ١٩٢٦. بموجب هذا الميثاق وُزعت المهام الحكومية على منكملي الطوائف الدينية الرئيسة وفق ما يلي: ماروني لرئاسة الجمهورية، سني لرئاسة الحكومة وشيعة لرئاسة مجلس النواب. لكن نظام ١٩٤٣، المعني على توزيع سكاني انماز ببعض التفوق العنصري للمسيحيين، سرعان ما تزعزع نتيجة الازدياد السريع لعدد المسلمين. فضلاً عن أنّ استقرار عدد وغير من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ضاعف، اعتباراً من العام ١٩٧٠، حدة النزاعات التي كانت قبلُ كامنة بين الطوائف المتعددة. اندلعت حرب أهلية سنة ١٩٧٥ تبعها انتشار جزئي للقرّات السورية في البلاد. ولئن حاول اتفاق الطائف، في العام ١٩٨٩، وضع حد لهذا الانحراف المأسوي بإحلال السلام والمحافظة على وحدة لبنان الظاهرية، فإنه لا يبدو كونه مجرد اعتراف بالوصاية السورية الإسلامية. ولا شيء يمكن بعد من التكهن بما تحته التطوّرات اللاحقة.

اللّد، محلّة نامت استمرار الحياة فيها، خلال القرون الوسطى الإسلامية، بفضل موقعها على تقاطع طرق القوافل (في فلسطين)، على الرغم من وجود «الرّملة» الجديدة التي بنيت لتحل مكانها.

إن مدينة ليدا القديمة التي سمّيت ديوسبوليس لفترة من الزمن أصبحت، في أيام البيزنطيين، مدينة مسيحية مزدهرة. سبق لها أن كانت بعد استسلامها، سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م، في بداية الفتح العربي - الإسلامية الكبرى، العاصمة الأولى لجند فلسطين تحت الحكم الأموي. شُيّدت فيها كنيسة شهيرة على اسم القديس جاورجيوس الذي قد يكون دفن فيها، إلّا أنّها شهدت تراجعاً عندما قرّر حاكم المقاطعة وخليفة المستقبل، سليمان بن عبد الملّك، أن يبني، على مقربة منها، مدينة الرّملة، وأن يجعل منها مكاناً لإقامته. وأن ينقل إلى هذا المركز الإداري والاقتصادي والثقافي الجديد سكّان مدينة اللّد التي يُقال إنّ دمر جزءاً منها، ولكنّها بقيت مأهولة رغم ذلك.

إن الكنيسة الشهيرة كانت ما تزال قائمة في سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٠٨م، عندما دمرها الخليفة الفاطمي الحاكم.

لفرض الهدوء. وكانت النتيجة أن أوجدت السلطات العثمانية، في العام ١٨٦١، مقاطعة جبل لبنان وأولكتها إلى حاكم مسيحي. لم تلبث هذه المقاطعة أن تميّزت، ليس بأنشطتها الاقتصادية وحسب، بل الفكرية أيضاً. فاللبنانيون كانوا في أساس النهضة الأدبية العربية التي انطلقت آنذاك، في حين فُتحت لبنان عناصر من الغرب، ولا سيّما المرسلون الكاثوليك والبروتستانت، سعياً إلى تحديث التعليم فيه. وهكذا أُقيمت فيه مؤسسات مستحوّل فيما بعد إلى جامعات حقيقية، كجامعة القديس يوسف والجامعة الأميركية.

بعد الحرب العالمية الأولى، أدّى التدخل الفرنسي ضد مملكة الأمير فيصل العربية إلى إنشاء دولة لبنان الكبير المميّزة عن سوريا، وقد وُضعت تحت الانتداب الفرنسي في العام ١٩٢٣، بعد أن كان قد تم إعلانها كدولة سنة ١٩٢٠. فاق لبنان الجديد هذا مقاطعة جبل لبنان السابقة اتساعاً، وكانت غالبية السكّان في البلد من المسيحيين ولا سيّما من الموارنة، وكان هناك أيضاً مسلمون من السنة والشيعة، وكذلك دروز. وقد انبثقت من لبنان هذا جمهورية لبنانية مستقلة.

٢- الجمهورية اللبنانية الحالية: مساحتها ١٠٤٥٠ كلم^٢، عاصمتها بيروت. دولة معاصرة تعدّ حوالي أربعة ملايين نسمة، يتوزعون على طوائف دينية مختلفة، إلّا أنّ عدد المسلمين اليوم يزيد عن الخمسين في المائة.

إنّ الوضع السياسي لهذه الدولة الجبلية ذات الشاطئ البحريّ الطويل والتي لها حدود مشتركة مع الجمهورية العربية السورية شمالاً وشرقاً، ومع فلسطين المحتلة (دولة إسرائيل) جنوباً، يتسم بالغموض، رغم كونها، من الناحية النظرية، ديمقراطية برلمانية. تضم أراضيها، إضافة إلى جبل لبنان كما كان محدّداً في العهد العثماني، سهل البقاع، ومصدّاً عرفت نشاطاً كبيراً في السابق، مثل بيروت وطرابلس وصور وبعبك وصيدا. لكنّها لا تشهد إلا توازناً هشاً يعكس تحولات خمسين سنة من الصعوبات المختلفة.

بعد أن كانت سلطات فرنسا الحرة قد أعلنت استقلال لبنان، أصبح هذا الاستقلال ناجزاً عام ١٩٤٣

لَشْكْرَبازار أو لشكرگاه (جمهورية أفغانستان الإسلامية)، مجموعة قصور إسلامية من القرون الوسطى، مهجورة وخربة منذ عهد بعيد. شهد موقعها حديثاً ولادة مدينة ناشئة تحمل الاسم نفسه.

تقوم المدينة الحديثة المزدهرة، الواقعة جنوبي البلاد، في الحوض الحارّ والخصب لنهر هلمند، في أقاصي الإقليمين القديمين سيحستان وزمندانور، في نقطة طالما كانت موضوع نزاع، تنفني عندها طرقات القوافل ذات الأنشطة التجارية والإستراتيجية التي شكلت شهرة المدن القروسطية التي توالى في هذا المكان. من جهة، كانت تقوم فيها مدينة بُسْتُ المهجورة اليوم، التي عُرِفَتْ في ما بعد بقلعة بست؛ ومن الجهة الأخرى يقوم المقرّ الملكي للفزونيّين والغوريّين، على بعد عشرة كيلومترات تقريباً من المكان السابق المسمّى العسكر، بالعربية، وهو ما يزال حتى اليوم يحمل معالم المباني الأميرية المعروفة باسم لشكرگاه أو لشكربازار.

لقد كشف التنقيب الجزئي الذي قامت به بعثة فرنسية بين العامين ١٩٤٨ و ١٩٥١ لهذا الموقع المعبر [عن طراز] الفن المعماري الإسلامي، أهميته القديمة: قصور وسكان أميرية ارتفعت جدرانها وسط الساحات والحدائق والأسوار الخضراء غدت مقفرة، بعد أن أوت، ما بين القرنين الثالث والسابع للهجرة/ التاسع والثالث عشر للميلاد، البلاط وجيوش السلاط الفوية التي كانت تملك على إيران الشرقية. من بين هذه القصور ذلك الذي سُمّي خلال الحفريات «القصر الجنوبي» وقد احتفظ، تحت أنقاض أجزائه العليا، ببقايا من جدرانه المبنية بالطين، وأحياناً بالقرميد المطبوخ، والمزينة، وهي تكفي لظهور ملامح زينته وتصميمه الفزنويّ الذي عدّه الغوريّون بعد الحريق الذي تسبّب به احتلال المنطقة، في سنة ٨٥٤٥/ ١١٥٠م، على يدي الموري علاء الدين حسين الملقّب «جهان سوز» أو «مُخْرِق العالم». من أهمّ مميزات القصر الجنوبي: - تصميمه المصنّب الشكل وإيوانات الشفّق الداخلية المستقلة التي تنصلّ كلّ منها بباحة وتُجاور زوايا باحة مركزة كبرى؛ - دقّة المِزْر الكبير الذي يقود الزائر من انبوابه الكبرى إلى قاعة الاستقبالات الرسمية الواقعة

في ما بعد أعيد بناؤها. وتمّ تدميرها من جديد على يدي صلاح الدين الذي احتلّ اللدّ في سنة ١١٨٧/ ٥٨٣م. ثمّ على يدي السلطان المملوكي بيبرس الذي احتلّها في سنة ١٢٦٦/ ٦٦٧. استمرّت المدينة في المنطقة الداخلية الخصبة والمزروعة بإفغان، وازداد ازدهارها عندما باشر صلاح الدين بتطبيق سياسة التخلّي عن الساحل. وقد شهد على أهميتها الاقتصادية والإستراتيجية حرصُ الفرنج على الإشراف عليها في أثناء محادثاتهم المتتالية مع الأيوبيين في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. ترسّخت تلك الأهمية في عهد السلاط الذين جعلوا طريقهم البريّة من دمشق إلى القاهرة تمرّ فيها. كانت هذه الطريق تستخدم، في الوقت نفسه، للقوافل وللبريد. من هنا برز الدور المعبر للمدينة في ذلك الوقت وثبته بناء جسر في جهتها الشمالية في سنة ١٢٧١/ ٦٧٣م، وكذلك مسجد جامع أشرف على بناهما المهندس نفسه، وذلك قبل الفتح العثماني في القرن السادس عشر، الذي أفقر السكّان من جديد.

لسان الدّين ← ابن الخطيب.

لِشبونة (البرتغال)، مدينة مرفئية تقع غربي الأندلس عُرِفَتْ أيضاً بالعربية بالأشبونة، اشتهرت في العهد الإسلامي بفضل ثروة منطقتها الداخلية، وقد قاسمتها الشهرة مدينة صغيرة مجاورة هي شبتارا وتدعى اليوم سييترا.

بين احتلال إسلامي أدّت اليه الفتوحات الكبرى حوالي سنة ٧١٦/ ٩٧م، واستعادة المسيحيّين لها نهائياً سنة ١١٤٧/ ٥٤٢م، لم يعرف تاريخ المدينة من الأحداث المهمة سوى الصراعات العادبة في تلك المنطقة الحدودية، مع أنّها كانت تنعم بحماية قلعة شانترين/سانتارام الإستراتيجية المجاورة. في ما بعد، عرفت لشبونة أنشطة بحرية وتجارية مع انطلاق الملاحة في المحيط الأطلسي. أخذ مرفأها في الازدهار في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد استافس الكتّاب العرب في التنويه بها، رغم إحسانهم بأنّها غريبة بعض الشيء عن عالمهم.

مسجد كبير منقطع النظير، بقي منه ما يدعى «قوس بُست»، وهو قوس الرأس من الأيوان الكبير الذي كان يشير إلى القبلة. وكان لا بد، بعد كوارث الاجتياح المغولي وثم عبور تيمورلنك، من أن يُسدل الستار على عهد عظيم لم يأفل نجمه إلا بعد ازدهار قندهار. عندها انحصرت مساحة المدينة بجوار القلعة التي هوجست وتم ترميمها مرّات عدّة خلال الحروب بين مغول الهند والصّغويين الإيرانيين، قبل أن يهدمها نادر شاه نهائياً عندما احتلّها في العام ١٧٣٨.

«راجع السندت ٤٧ إلى ٤٩».

لطفى السيد، أحمد، مفكّر ورجل سياسة من الحقبة المعاصرة، أحد منظري القومية المصرية.

غداً تتلخّذ هذا الصحافي على محمد عبده أنشأه في العام ١٩٠٧، صحيفة سقاها «الجريدة»، دافع من خلالها عن الأفكار الإصلاحية التي نبّأها. كان يُعتبر، في الوقت نفسه، من المعتدلين الذين يقبلون بالتعاون مع البريطانيين.

على الرغم من ذلك، ظلّ لطفى السيد يدافع عن المبدأ القائل «إن مصر للمصريين»، كما فعل من قبله عرابي باشا، وهو الذي عرّف بالمفهوم القومي المصري. بعد أن شارك في الوفد الذي قصد أوروبا في العام ١٩١٩ للدفاع عن مطالب بلاده، اعتزل الحياة السياسية وأصبح رئيساً للجامعة التي أنشأها، في العام ١٩٢٦ الملك فؤاد، الممثل قبل الأخير لسلالة الخديويين المتحذرين من محمد علي. ترأّس بعد ذلك مجمع اللغة العربية في القاهرة وكان قد انضمّ إليه في العام ١٩٤٠.

لقب، ألقاب، هي مجموعة العناصر التشريفية والنوع ذات الصفة التبجيلية التي كان يتباهى بها، في انعالم الإسلام، في القرون الوسطى، وحتى في الحقبة المعاصرة، أشخاص مهمّون في مختلف الأنظمة التراتبية، ولا سيّما منوّلّي السلطة وأصحاب الرتب العالية المحيطين بهم.

إنّ تعقيدات الصيغ التي أُعدت، على مدى عصور، ألقاباً للشخصيات البارزة ومنحتهم الاحترام الذي يتوافق مع امتنانهم إلى الإسلام، كانت تنافسها الصيغ التي

في طرف البناء والتي تشرف على النهر من فوق جرّفت - تنوّع الزينة التي تكسو من الداخل والخارج، والتي تنسجم مع الأشكال المعمارية، المرسومة والمحفورة في آن، في الطين أو الخصر، جامعة أحياناً بين الرسوم المجسّمة وتوايف الأشكال الهندسية والشبكيّ الزهري والعُزينة والكتابات التزيينية المختلفة. وقد تمّ أيضاً اكتشاف انسجام هذا البناء المقفل والمحاط بالأبراج، مع قصور أخرى أو مقاصير يضمّها السور نفسه، مع أنّه الوحيد الذي يشرف على الباحة التي تؤدّي إلى الطريق العريض المستقيم الذي تحيط به حوائط إحدى الأسواق. هذه العناصر، مجتمعة، شكّلت مجموعة من الدلائل المعبّرة عن فنّ هندسة القصور في الحضارة الإسلامية الفروسطية، في زمن كان نموذج قصور الخلفاء المراقبة الفخمة في بغداد أو سامراء يراود أحلام حكام السلالات في الأطراف.

كما أخذ يترسّخ، في الوقت نفسه، طابع إقليمي لهندسة خاصة بسجستان، فوامها رسوم لقناطر وكوى وهيكلات مميزة للأبنية السكنية. من المؤسف ألا يكون المتقبّون قد تمكّنوا من دراسة هذه الحالة، وسبب ذلك غياب الاستقصاءات المنهجية في تلك المنطقة التي كانت قديماً مزروعة ومروية على ضفتي النهر، والتي تنتشر فيها آثار «مساكن الأعيان» المعاصرة للقصور الكبرى، وبقايا خانات أو ميايٍ دينية كلّها مهجورة.

لم تحظ مدينة بُست نفسها بنصيب أكبر من التفتيات الأثرية، وهي المخزن التجاري لنقطة عبور إلزامية لنهر هلمند خلال القرون الوسطى، بواسطة جسر من السفن قريب من ملتقى هذا النهر مع نهر أرغنداب. لقد اجتازت بُست الحملات العربية - الإسلامية في عهد الفتوحات الكبرى، خلال القرن الأوّل للهجرة/السابع الميلادي، وكذلك جيوش الصّغاريين في نهاية القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، ومثلها جيوش السلاجقة التي تمّ إيقافها في المدينة في العام ٤٤٢هـ/١٠٥٠م. إنّ الأرباع المزروجة الناتجة عن الزراعة وعن تجارة القوافل، على الطريق المؤدّي من فارس إلى السند، تقسّر بدون شك ازدهار المدينة التي كانت نحمةا أسوار متعاقبة، وكان لها في عصر الغوريين

العساة «كلاسيكية» التي برزت فيها عظمة السلالة العباسية. ومنذ تولي العباسيين الحكم، جُمِلَ هؤلاء نظام الألقاب الأموي وعملوا على طبع حكمهم بشرعية دينية، فعمّموا استخدام لقب إمام الذي أُتُخِذَ بالأسماء التي اختارها الخليفة لخلافته، ما شكّل ابتكارًا مثيرًا للاهتمام.

وترتبط هذه الأسماء، بدون شك وبطريقة ما، بالألقاب المميزة التي أُطلقت، على ما يُذكر، على ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة: الصديق لأبي بكر، والقاروق (العادل) لعمّار، وذو النورين لعثمان. أمّا الخلفاء العباسيون فقد ادّعوا أنّ الله قد أسبغ عليهم نعمه فاتخذوا منها أساسًا لألقابهم الرسمية، وأضافوا إليها، في الوقت نفسه، إستعدادات تملّك بدورهم الخلاصي، وذلك لمواجهة إدعاءات العلويين خصوصهم العنيدين، كما أضافوا توكيدات متكررة تعبّر عن الثقة بالله. نذكر من ألقابهم «المهديّ بالله» و«الواثق بالله» و«الموكل على الله» و«المقتدر بالله». وقد استخدمت كل السلالات الحاكمة اللاحقة هذه الألقاب نفسها، ولا سيّما السلالات التي ادّعت حقّها بالخلافة، اعتبارًا من القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، سواء أكانت شيعة كالفاطميين، أو سنيّة كأمويي الأندلس، ما أدّى إلى تشابه بين أسماء الخلفاء نتج عنه غموضٌ في كتابات مدوّني الأحداث.

ويموازة ذلك تطور عُرف منح كبار موظفي الدولة والبلاط العباسيين، المدنيين والعسكريين - ولا سيّما المساعد المباشر للخليفة الذي مُنح لقب وزير، كما أيضًا للقادة العسكريين وحكام الولايات الذين لم يعودوا يرتضون بلقب أمير - صفات مختلفة تقوّنت في دواوين الخلافة، لأنّها مُنحت لهم رسميًا، كالكبراءات والاقارباء الأخرى التي تُبِت شرعية تنصيبهم في مراكزهم، وأيضًا كأثواب التشريف (الطرز)، والهدايا العديدة التي كان يقدمها لهم الخليفة، تبعًا لمراسم الاحتفال البلاطي، ما كان يُعْظَمُ سخاء الخليفة وأفعًا ورمزيًا. وإنّنا نعرف من النصوص الأكثر قديمًا، والتي اسْتُمدَّ شكلها من اللغة العربية، ألقابًا مركّبة من كلمتين: «ذو» وكلمة أخرى، مثل «ذو الرئاسين» التي أُطلقت

نجدها في أسماء العلم المتداولة. وقد انمازت، هي أيضًا، بتنوّع جذورها اللغوية بحيث كان يطيب اقتباس من لغات أخرى، ألقاب جديدة تعبّر عن الهيبة والنفوذ. كما كان ينفخ باستمرار، بعبارات فارسية أو تركية أو هندية، هذا النسق في التسمية الذي أخذهُ الإسلام، عند ظهوره، مباشرةً من عادات القبائل البدوية. وكانت تعقيدات الألقاب تزداد مع التطوّر التاريخي، وتمتدّ على مناطق أكثر فأكثر اتساعًا وتجزئة؛ وقد انعكست فيها الاختلافات المحلية أو الإقليمية، وزادت من حدّتها، بالنسبة إلى بعض المناطق، إمّا الأصول الخارجية لسلالاتها المحلية وإمّا موقعها الجغرافي على أطراف العالم الإسلامي الذي كان في عزّ توسّعه.

١ - إنّ التسميات الأولى التي أُطلقت عليها لفظه «لقب» وأُعبرت بمثابة كنية - كما كان يحصل في بعض الكنى المرتبطة بخصائص جسدية، والتي تحوّلت إلى نعوت تحفيرية أو «نبدية» - كانت تعبّر، في بادئ الأمر، عن الوظيفة التي يشغلها صاحبها. إنّ تسمية «خليفة» تُعتبر النموذج الأقدم الذي اعتمد لقبًا لبيان أهمية الوظيفة السياسية - الدينية، وقد أُطلق على من خلف النبي محمّد (ص) ليدبر شؤون الجماعة الإسلامية انطلاقًا من عبارة خليفة رسول الله.

وقد أظهرت النقوش الأموية العائدة إلى بداية القرن الثامن الميلادي اعتماد الصيغتين التاليتين، إلى جانب أسماء الخلفاء، وهما: «عبدالله» و«أمير المؤمنين»، كانت الأولى ترافق التسميات التي تُذكر بنسب الخليفة، أمّا الثانية فتطلق على سيّد الأمبراطورية وحده وتشكّل اللقب الخليفي بامتياز. وفي الوقت نفسه، اعتمد دعاء ديني، كان يلي اللقب المطلق على صاحب الوظيفة، أكان خليفة أو غيره، يتناسب مع منزلته. ومع الوقت أصبح هذا الدعاء مقوّلًا. من دون شك كان هذا الأمر تقليدًا إراديًا في المحيط الإسلامي لهذا الترتيب التشريفي والتفديري الذي ميّز التنظيمات الإدارية في الأمبراطوريتين الشرقيتين الكبيرتين اللتين أخضعهما المسلمون، سواء البيزنطية منهما أو الساسانية. وقد استمرّ استخدام هذه الألقاب في ما بعد بانتظام على مدى عصور، وقد أدخلت عليها إضافات منذ العصور

صاحبها لقاء مبلغ من المال يدفع لبيت المال، كما كانت تربط بشخص الخليفة القادة العسكريين الذين أنسوا سلالات محببة كانت تساهم بزيادة دخل بيت المال في بغداد.

إنَّ اللقب الذي كان يشتميه الكثيرون والذي كان يخضع لمراقبة صارمة هو الذي كانت تدخل في تركيبه عبارة «أمير المؤمنين»، لأنَّه كان يجعل من حامله «الساعد الأيمن» أو «السند» للخليفة أمير المؤمنين. كما أنَّ لقب «سلطان»، الذي أطلق على السلاجقة الكبار عند تأسيس إمبراطوريتهم، استمرَّ على مدى عصور لقباً إستراتيجياً.

وفي الوقت عينه شهدت الألقاب التي اعتدها مختلف الأمراء أو، بتعبير أكثر شمولاً، أبناء الطبقة العليا للتباهي بعظمتهم، تحولاً ملحوظاً تبعاً للمنطقة. إنَّ الألقاب التي استُخدمت، مثلاً، في أواخر العصور الوسطى في الغرب (المغرب وإسبانيا)، في المقاطعات التي خضعت عنها باكراً لير الوصاية العباسية، حافظت على رصانة نسبية، وفي مطلق الأحوال على أصالة مقصودة، على خلاف ما كان يجري في الشرق. كما أنَّ سمات أخرى، يسكن وصفها بالمحلية، تأثرت بتحوّلات لغوية كالتّي حملتها الغزوات التركية ثمَّ المغولية، التي أدخلت تعابير غربية، في موجات متتالية، مثل «خان»، «بك»، «اتابك»، «خاتون» و«لالا». كما راجت تعابير أخرى مثل «خواجا»، «صدر»، «شيخ»، «سيد» و«صاحب». بصورة عامة، يمكننا القول إنَّ التحوّل الكبير في هذا الميدان جرى خلال القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد.

٢ - ففي هذه المرحلة، أتاحت المغالاة في بعض الألقاب الإكثار من العودة إلى ذكريات متنوعة من الماضي، بهدف إضفاء صورة القائد المسلم النموذجي على حاملها: يتمتع هذا القائد بصفات جسدية وأخلاقية عديدة ولكنه يُعتبر، قبل كلّ شيء، حامي الإسلام ومُهلك الكُفار وسط الحروب المتلاحقة التي عرفها العالم الإسلامي. إنَّ مثل هذا القائد يتميز عن جدارة بالانتصارات التي وُعد بها المؤمن المقدم. وقد استُعملت في هذا السبيل صفات لها طابع تشريفي،

على الوزير الفضل بن سهل، و«ذر اليمينين» التي أطلقت على مؤسس الدولة الطاهرية^(٩٧). كما استعين بصبح أخرى مثل «أمير الأمراء».

ثمَّ، في ما بعد، إقتباس نعوت غريبة تزيد من قيمتها هيئة الدولة الساسانية، بحيث ظهرت مفردات فارسية مثل «إِسْفَهْسَلَار»^(٩٨) أو قائد، و«شاهنشاه» أو ملك الملوك. وقد استعمل البيهقيّون هذا اللقب الأخير في بلدٍ كانت فيه لفظة «شاه» ما تزال حيّة، لأنَّها حافظت على مدلولها، ما جعلها تظهر مجدداً على أعلى مستوى، إعتباراً من القرن التاسع للهجرة/الخاص عشر للميلاد. هذا إضافة إلى ظهور صيغ أخرى ذات إحياء سياسي - ديني حيث أضيف إلى عنصرها الأول التخييمي المميز مفاهيم إسلامية أساسية باللغة العربية مثل: «دين» و«دولة» و«مُلك» و«مُلك» و«أمة» و«بِقَّة». إنَّ الاستعمال المنتظم لسلاسل من هذه الألقاب المزودة - التي ظهر كلّ منها في حقبات تاريخية مختلفة والتي فقد بعضها قيمته لمصلحة البعض الآخر - أمّن لها الرواج والتكاثر لوقت طويل، وغالباً ما ساعد على ذلك السّجع الذي تميّزت به ألفاظها. لكنَّ إضافة هذه الكلمات الواحدة للأخرى، تبعاً لانتظام مقوِّلب، لم يعطها جميعها القيمة عينها، لأنَّ بعضها كان يدلُّ بدقة على شخصية محدّدة مثل تسمية «نور الدين»، و«عضد الدولة» أو «نظام الملك»، في حين أنَّ بعضها الآخر، كما في الثلاث التالية: «مُعتمد الدولة» و«شرف الملة» و«فخر الأمة»، لم يكن إلّا تكملة لتسمية أخرى تُعتبر وحدها معتبرة، كما في اللقب الذي أطلق على أتابك دمشق ظهير الدين طفتكين في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد.

إنَّ ميلاً للإطناب والمبالغة طبع نظور الألقاب، على الرغم من أنَّ تقديرها ومتحجها كانا يخضعان في العصور العباسية لقواعد صارمة، سهرت دواوين الخلافة على حسن تطبيقها، ونمت السيطرة عليها ومراقبتها، كما هي الحال بالنسبة إلى امتيازات أخرى، كضرب السكّة وذكر اسم الخليفة الحاكم في الخطبة. لأنَّ هذه السمات التشريعية الممنوحة شكّلت أيضاً رمزاً للبتية، وكانت لها مهمة سياسية أيضاً، وكانت تساهم في تعظيم

مثلاً عن اهتمامهم بالدفاع عن السِّتة، وترتبط بفرادة نظام حكمهم القائم على أساس عسكري. وتختلف هذه الأعراف عن تلك التي سادت، في الحقبة عنها، عند السلالتين الخفصية والعربيتي اللتين نشأتا في المغرب نتيجة لتفكك سلطة الموحدين. أما التقاليد التركيتي

الإيرانية، التي نقلها سلاطين دولي إلى الهند، فشهدت شكلاً خاصاً من التطور، زادت حدته في ما بعد نتيجة فرادة السلالة المغولية الكبرى الهندو-إسلامية، وشهدت أيضاً تحولات جديدة في اندونيسيا. وقد عرف الصوفيون ألقاباً خاصة بهم طبعها التوجه الشيعي لسلاطنتهم وورثها القاجار عنهم جزئياً، في حين أنّ التوسع العثماني ساعد على أن تنتشر، حول البحر المتوسط، تقاليدهم التابعة من نظامهم البيروقراطي بامتياز.

وقد يكون تتابع الصفات التضخيمية في ترويسة القُرمانات لتيجل مختلف السلاطين العثمانيين خير تعبير عما آلت اليه الأعراف التي بدأ اعتمادها في الماضي في الدواوين العباسية، في حين أنّ القاباً أخرى شفوئية كانت تتراكم لتشير بدقة إلى تراتبية المسؤولين العسكريين وأصحاب المقامات، من مدنيين ودينيين، الذين كانوا هم أيضاً موكّفين في الدولة ويعهد اليهم تأمين وحدة قواعد الحكم ومركزيته في اسطنبول كما في الولايات. هذه الألقاب الشرفية التي حُصّ بها القضاة والبكوات والباشوات، كما «الرياس» والأغوات والشاويشة وحتى الانكشارية العاديين، استمرت في انشراح حتى في بعض التعبيرات المعاصرة، رغم أنّ الامبراطورية العثمانية بدأت تدريجياً، في عهد التنظيمات، باختزال الألقاب، إلى أن ألغتها تركيا الحديثة نهائياً في عهد مصطفى كمال أتاتورك.

لُقمان، شخصيّة ذكرها القرآن الكريم لحكمتها، وخصّ السورة الحادية والثلاثين بها، وقد ورد ذكر لقمان في الشعر العربي القديم لطول عمره.

إنّ نصاحه لابنه التي تنسبها إليه آيات القرآن تُقسم، بنوع خاص، بطابع حكمة الشرق الأدنى القديمة. كذلك تُسبّت إليه أمثال عربيّة نقلها إلينا أدب الحكمة العربيّ، إضافة إلى مجموعة من الحكايات متأخرة يظهر بوضوح

منها «الشهير» و«المعظم» و«السيد» و«المظفر» و«العدل»؛ كما استعملت تعابير مركّبة تفرط في المديح مثل «المجاهد» و«الغازي» و«حامي الإيمان» و«شرف الإسلام» و«قُبّ الملوك والسلاطين» و«قاهر الكفار والمشرّكين».

إنّ أناقة القوافي وغنى المخيلة تنافسا مع تنميط البيان من أجل تفخيم ملوك القرنين السادس والسابع الهجريّين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديّين، حتّى الأصغرهم شأنًا، إن في البلاد العربية أو بلاد العالم التركي-الإيرانيّ الممتد إلى قلب القارة الهندية. وتلقّب، في المرحلة المذكورة عنها، بألقاب أو نعوت مشابهة، كل من ادّعى انتماءهم إلى النخبة الاجتماعية، إمّا لملهم وتقواهم أو لغناهم؛ كما تلقّب بها رجال الدين، قضاة وعلماء ومدّرسين، من الذين اشتهروا بمعرفتهم العقيدة والشريعة؛ وكذلك الصوفيّون، خصوصاً من صار منهم صاحب فرقة. إنّ كلّ هؤلاء اعتادوا اتخاذ ألقاب مكوّنة من مجموعة من الصفات أو النعوت التيجيلية التي تُعبّر عن أهميّتهم الذاتية وتضطلع لقباً تدخل في تركيبه كلمة «دين»، ومن خلاله كانوا عادة يُعرفون.

ومع هذه الغزارة التكرارية، وهذا التدوّن للعبارات الأكثر تعلّقاً التي يشدّ بعضها لبعض الآخر غنائية بلغت أحياناً حدّ الشاعرية، لا يجب علينا أن نستنتج أنّ تلك الألقاب كانت مبتذلة؛ بل إنّها، على عكس ذلك، احتوت عناصر موحية تساعد حالياً علماء النقوش والمؤرخين، كما كانت في الماضي تشكّل للمعاصرين دليلاً على أهمية الأشخاص الذين يحملونها ودورهم. إنّ ترتيب مختلف أجزائها يسمح عملياً بأن نضمها في إطارها الزمني والمكاني، تبعاً لاستعمالها الخاصة في كلّ دولة أو كلّ سلالة، كما يسمح باكتشاف بعض السمات المتعلقة بوطنية صاحبها أو بشخصيته. ازداد هذا الاهتمام بمفاضلة الألقاب المتجاوبة مع بعض الخيارات، الدينية كما السياسية، في العصور المتأخرة، عندما زالت الضوابط التي فرضها العباسيون لمدّة طويلة، وانتشر الإسلام أيضاً في الأطراف البعيدة.

تنمّ الأعراف التي اتّبعها المماليك في سوريا ومصر

خضعوا. اعتبارًا من القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. لسيطرة الدول السوداء المسلمة الجديدة التي نمت شيئًا فشيئًا في المناطق النيجيرية. «راجع المستند رقم ١١٤.

لؤلؤ، بلر الدين الملك الرحيم (٤ - ١٦٥٧/هـ - ؟ - ١٢٥٩م)، أمير حكم الموصل في نهاية العصر العباسي. وخلف سلالة الزنكيين في بلاد ما بين النهرين العليا. كان في الأصل عبدًا - ربما من الزنوج - مما يفسر من باب التهكم، لقبه «لؤلؤ»، حوَّره آل زنكي وأصبح سنة ١٢١٧/١٢١١م وصيًا على ابن أرسلان شاه الأول، ثم على ابن أرسلان شاه الثاني. في سنة ١٢٣٦/١٢٣٩م، تم الاعتراف به أميرًا على الموصل بموجب براءة من ديوان الخليفة في بغداد. أمضى سنوات عدَّة في نزاع أو في تقاض مع أمراء سلالة الأيوبيين المصريين والسوريين، ومع الخوارزمشاهيين، ومع المغول الذين قاموا بالهجوم نلؤ الآخر على إيران. وقد استسلم لؤلؤ لهولاكو، مُجِبًّا مدينة الموصل النهب. توفي في سنة ١٢٥٧/١٢٥٩م عن عمر يناهز الثمانين عامًا، قبل سيطرة الإنليخانيين على المنطقة.

أصبحت مدينة الموصل خلال حكمه مركزًا حربيًا وثقافيًا ناشطًا تزته مبان متنوعة. كان لؤلؤ نفسه حربيًا على أن يكون رجل عمران، فبنى له قصرًا بقيت منه بعض الزخارف شبه الخفية، على مرتفع يُشرف على مجرى دجلة. وكان أيضًا زاعمًا فن تزيين الكتب، وقد جرى التعرّف إلى رسمه على الثُلف المزخرفة لأجراء عدَّة من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني التي تم نسخها وزخرفتها من أجله.

لوط، من شخصيات الكتاب المقدس، ورد ذكره مرّات عدَّة في القرآن الكريم على أنّه أحد الأنبياء المكلفين نقل رسالة إلى شعوبهم شبيهة برسالة النبيّ محمد ﷺ. أغنى الفكر الإسلامي، في ما بعد، قصة لوط بمعطيات مختلفة من أصل عبري استقاها من «الإسرائيليات». ارتبطت صورته، بغض النظر عن صورة نسيبه إبراهيم، بالعقاب الذي دمر شعبه المجرم. في تلك النصوص، تماهت «المدينة الفاسدة» التي حلّ

أنها مستوحاة من حكايات إيزوب. ومع أنّ القرآن الكريم يعتبر لقمان «حكيمًا» وحسب، فقد عمدت مجموعة من الكتاب المتأخرين إلى ذكره بين الأنبياء. وفي عصر ازدهار «تكريم الأولياء» في الإسلام، تحوّل لقمان شفيع مقامات غدت مقصدًا للزيارات الثنوية. وقد تسنى لنا معرفة بعضها من خلال «دليل» الهزوي، في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، الذي ذكر، من جملة المواضع المختلفة لقبه، واحدًا بالقرب من بحيرة طبرية، وآخر في اليمن.

لكنو ← لوكنو.

لُمتونة وآحيانًا **لُمتونا**، قبيلة أو اتحاد قبائل بربرية بدوية تابعة لمجموعة صنهاجة التي ملكت دورًا بارزًا في الصحراء الغربية بين القرنين الثاني والثامن للهجرة/الثامن والرابع عشر للميلاد والتي إنبثقت منها سلالة المرابطين.

إنّ أفراد لُمتونة، وهم من جماعة «المتحجّين» أو «المُثلّمين»، بسطوا سلطانهم، بنجاح متفاوت، من جنوب المغرب المؤسلم إلى تُخوم البلدان السوداء، على مناطق صحراوية كانت تعبرها القوافل بين سجلماسة وغانا. وتوزّع أراضيهم اليوم بين المملكة المغربية وجمهورية موريتانيا ومالي. يُعتقد أنّهم اعتنقوا الإسلام في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد وبدأوا باسم الجهاد غزواتهم لبلدان السود الساحلية الغربية. وقد أنشأوا في البدء دولة سَماها الجفرايتون العرب في القرون الوسطى «أُتُيبًا». في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، شهدت لُمتونة تطوّر حركة التجديد الإسلامي التي أدّت إلى ازدهار جماعة دينية قوية وإلى الانتصار العسكري لروسانها الروحانيين الأمراء المرابطين. غير أنّ هؤلاء ما لبثوا أن خسروا السيطرة على الأباطورية الشاسعة التي احتلّوها من المغرب إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، واضطّروا، منذ سنة ١٥٤٢/١١٤٧م، إلى التراجع أمام مصلحين جدد هم الموحّدون الذين استظفروا بمجموعة بربرية أخرى هي مصمودة. أمّا أفراد لُمتونة الذين بقوا في الصحراء شاركوا في مغامرة المرابطين فقد نجحوا في الاستيلاء على مملكة غانا. إلا أنّهم ضعفوا في ما بعد حتى إنهم

القانوني. اشتبك الأسطولان في عرض البحر، قبالة المدينة المعروفة باسم لبياتو بالإيطالية، ونواكوتوس باليونانية، وعُيِّن بخني بالتركية، التي كانت تتحكم في القرون الوسطى بمدخل خليج كورنثس. كان هذا المرفأ المحصن قد وقع في أيدي البنادقة في العام ١٤٠٧م، ثم احتله العثمانيون في العام ١٤٩٩، بعد حصارٍ أول غير مجلٍ في العام ١٤٨٤م. وباستثناء فترة قصيرة امتدت من ١٦٨٧ إلى ١٦٩٩، ظلَّ مركزًا لمقاطعة تابعة للروملي، ولم يخرج عن الحكم الإسلامي إلا في العام ١٨٢٩.

ليبيا (جمهورية)، أو الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، مساحتها ١٧٥٩ ٥٤٠ كلم^٢، عاصمتها طرابلس (الغرب)؛ دولة مستقلة معاصرة قليلة السكان، تدين بالإسلام بصورة شبه كاملة. يعود المصطلح الجغرافي في كلمة ليبيا إلى أصل يوناني هو «ليبي» (Libyè). استخدمه الأوروبيون في القرن التاسع عشر للدلالة على مقاطعتين عثمانيتين هما السيريانيك (Cyrénaïque) الواقعة حول برقة، وطرابلس الواقعة حول طرابلس الغرب، وكلاهما على البحر الأبيض المتوسط، وقد ضُمَّت إليهما لاحقًا مقاطعة فزان الداخلية. على أثر الاحتلال الإيطالي لتلك المقاطعات في العام ١٩١١، أنشئت، بموجب مرسوم مؤرخ من سنة ١٩٣٤، دولة جديدة اسمها ليبيا. واجه الإيطاليون صعوبة في تهدئة البلاد إذ اصطدموا بمقاومة أنياع الطريقة الصوفية المعروفة بالسُوسية. لكنَّ هؤلاء، رغم هزيمتهم، نجحوا في إسداد السلطة السياسية في منطقة السيريانيك إلى أحدهم، وهو محمد إدريس السنوسي الذي أصبح كذلك أمير طرابلس، قبل أن يلوذ بالفرار إلى مصر سنة ١٩٢٢، ويعود في العام ١٩٥١ ملكًا على ليبيا التي أعلن استقلالها، وأصبح لها دستور أسس لملكية دستورية.

سرعان ما أصبحت ليبيا منتجة للنفط والغاز وصاحبة عائدات طائلة. فشهدت حياة سياسية مضطربة، خاصة بسبب موقعها الاستراتيجي بين أراضي الشرق الإسلامية والمغرب وأفريقيا السوداء الساحلية الغربية التي كانت تربطها بها طرق القوافل السريعة. وقد زاد

عليها غضب الله بمدينة سدوم التي غرقت في مكان البحر الميت.

لوكنو، أو **لكنو** (الاتحاد الهندي)، مدينة في ولاية أوثر براديش الحالية، كانت عاصمة ولاية أود في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تحافظ أقليتها المسلمة، منذ ذلك الحين، على صبغتها الشيعية.

تمَّ احتلالها وأسلمتها ابتداء من القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، في أيام سلاطين دلهي أو سلاطين جونپور. ونمت بخاصة كمركز ولاية بعد ضمها إلى أمبراطورية المغول إثر الحملات العسكرية التي قام بها الملك أكبر في العام ١٥٧٦. فأفادت، منذئذ، من موقعها الطبيعي في وسط سهل الغانج الغني لتطوّر نموها التجاري والحرفي. لم يمض وقت طويل حتى طبعها بمق بنو نواب في توجهها الديني وفي تنظيمها المدني. فما أن اتخذوا منها مقرًا لهم في العام ١٧٢٣، حتى أكثروا من المباني الفخمة، بينها بناء ضخم يُعرف بإمام بارا، وهو بناء مخصص لمراسم التزينة للاحتفالات الشيعية بعاشوراء. بعد توسع السلطة البريطانية في الهند، قُدِّر لمدينة لوكنو، مدينة التمرد الكبير الذي اندلع في العام ١٨٥٧. أن تعاني مباشرة القمع، وأن تتأثر بالانفضاض السياسية التي رافقت مختلف مراحل انوصاية الاحتلال، وقد تطلّب هذا الاحتلال حوالي القرن لكي يتحقّق كليًا.

ليبانت (معركة)، ٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٥٧١م، معركة بحرية تواجّهت فيها البحرية التركية وأساطيل البندقية والأسبان، وأدّت إلى خسارة العثمانيين وإلى التدمير شبه الكامل لسفنهم.

كانت النتائج المباشرة لتلك الخسارة مدوّية في الغرب، لكنها لم تقترن بأية نتيجة على صعيد التوسع العثماني، إذ إنَّها لم تخلُ دون الاعتراف باحتلال العثمانيين لقيصر في العام ١٥٧٣م وبمقدّمه اتفاقًا مع البندقية بهذا الخصوص، ولا دون احتلالهم تونس في العام ١٥٧٤م. غير أنَّه، منذ ذلك التاريخ، وُضع حدٌّ للسيطرة التامة للبحرية العثمانية على المتوسط، بعد أن حازت مكانة كبيرة خلال حكم سليم الأول وسليمان

الغربي للقارة الأفريقية. يقارب عدد سكانها المليونين، بينهم أقلية إسلامية تبلغ حوالى العشرين في المائة. اعترف الدستور بحقوقها منذ العام ١٩٥٣.

في هذا البلد الذي ولد سنة ١٨٢٠ بفضل إرادة بعض الأميركيتين الخبيرين الذين نقلوا إليه عبيداً محرّرين، والذي حصل على استقلالٍ مراقب في العام ١٨٤٧، نما الإسلام حديثاً بشكل هادئ، ابتداء من القرن التاسع عشر، بفضل مهاجرين قصدوه من المناطق الداخلية لأهداف تجارية. إنّ المسلمين المنتمين في مجملهم إلى أهل السنة والمذهب المالكي والذين تنتشر بينهم، منذ ١٩٥٧، الطريقة [الصوفية] الأحمدية، يزايد عددهم، على ما يبدو، بانتظام، بسبب تحوّل آخرين إلى دينهم. إلّا أنّ المعلومات حول وضعهم غير كافية لأنّ صفو هذا البلد تعكّره، منذ بضع سنوات، نزاعات داخلية وحروب أهلية.

من أهمية هذا الموقع الترسيم الجديد لحدود ليبيريا الذي أصبح بفصلها لجهة الشرق عن جمهورية مصر العربية وجمهورية السودان، ولجهة الغرب عن الجمهوريتين الجزائرية والتونسية، ولجهة الجنوب عن جمهوريتي النيجر والتشاد. في العام ١٩٦٩ خلع الملك إدريس بشورة عسكرية بقيادة هيئة ضباط أحرار يستوحون المبادئ الناصرية، على رأسهم العقيد معمر القذافي. وفي سنة ١٩٧٣ تمّ إعلان «الثورة الشعبية» التي كان القذافي، بطل العروبة والإسلام التحديثي، قد حدّدها في «الكتاب الأخضر» للتخلّص من الديمقراطية البرلمانية وهيمنة طبقة معيّنة. وبموجب هذه المبادئ انتقلت السلطة إلى الشعب في العام ١٩٧٧، وسُمّيت الجمهورية الليبية «الجمهورية» أو «جمهورية الجماهير».

ليبيريا (جمهورية). مساحتها ٩٥ ٤٠٠ كلم^٢، عاصمتها مونروفا. دولة مستقلة معاصرة، تقع على الساحل

وتمكّنت قوات المأمون، من خلال هذا النصر الذي أحرزته بالقرب من الرّي، من احتلال غربي إيران، بينما أصبح الأمين - الذي طالب بإمدادات عربية من سوريا ولكنها لم تُرسل - محاصراً في بغداد حيث قابل الشعب المهاجمين بمقاومة شرسة. هوجمت العاصمة في شعبان ١٩٦هـ/ نيسان ٨١٢م، وسقطت في محرم سنة ١٩٨هـ/ أيلول ٨١٣م، ودُمّرت «المدينة المستديرة» كلياً.

أما الخليفة الأمين الذي كان في ذلك الوقت قد أعلن خُلُفه في العراق وفي الجزيرة العربية، فتم قتله بعد حرب أهليّة كشفت ضخامة الانقسامات القائمة آنذاك ضمن الدولة العبّاسيّة. غير أنّ النزاع الشخصي الذي تجلّى بين الشقيقين - وكان المأمون يتمتع من دون أيّ شك بذكاء خارق - كان يعكس صراعاً أكثر عمقاً بين التيارات السياسيّة والدينيّة التي بدأت تتواجه خلال عهد هارون الرشيد، والتي اتخذت كلّ من الشقيقين موقفاً منها. وبينما كان الأمين يركّز على التيارات التخلّدية وعلى الثقافة العربيّة، كان المأمون يؤيّد التيارات الفكرية المتجددة، المتأثرة بالأفكار والتقاليد الأجنبية التي كانت تحظى بتأييد خاص بين سكان المقاطعات الشرقية. أمّا الصراع العربي - الإيراني، الذي لم يشكل سبباً مباشراً للنزاع، فقد لعب دوراً أكيداً في تطوّره.

إلى ذلك قرّر المأمون، بعد أن أصبح الخليفة غير المنزاع وبعد أن انتصر جيشه، مواصلة إقامته في مرو، يعاونه وزيره الوفّي، الفضل بن سهل، الذي وضع فيه كل ثقته. وبمحاولة منه لمعالجة إنقسام العالم الإسلامي بين السنة والشيعّة، أخذ قرّراً، مذهلاً في نظر معاصريه، باختيار وريثه من خارج السلالة العبّاسيّة، وتحديدًا من

المأمون، عبدالله، ١٧٠-٢١٨هـ/ ٧٨٦-٨٣٣م، سابع خليفة في سلالة العبّاسيين، حكم من سنة ١٩٧ إلى ٢١٨هـ/ ٨١٣ إلى ٨٣٣م، وتميّز بأفكار وسلطة طبعت بشدّة تاريخ المسلمين خلال الفترة التي أطلق عليها، بحق، إسم العصر الذهبي للخلافة..

إنّه ابن الخليفة الشهير هارون الرشيد من محظية إيرانيّة، ولد قبل ستة شهور من أخيه غير الشقيق محمد، ابن زوجة الخليفة الشرعيّة المتحدّرة من أصل عربي. ويقال إنّ الخليفة، عندما اضطرّ إلى تسوية مسألة الخلافة مسبقاً، تردّد بين ولديه. واتّخذ قراره أخيراً لمصلحة محمد فأعلنه وريثاً أوّلاً في العام ١٧٦هـ/ ٧٩٢م تحت اسم الأمين، ولم يتمّ إعلان عبدالله وريثاً ثانياً تحت اسم المأمون إلّا في العام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م. وفي ما بعد، في العام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م، حدّد الخليفة من خلال وصيّته حقوق كلّ من الشقيقين: إقرار المأمون بخلافة الأمين مقابل إقرار الأمين بسيادة أخيه شبه المطلقة على مقاطعات الدولة الشرقيّة وإعلانه وريثاً له.

وبالرغم من الاحتياطات التي اتخذها هارون، أدّت وفاته، في جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ/ آذار ٨٠٩م، إلى أزمة حادة. وبينما تمّ الاقرار بأحد الأخوين في بغداد، استولى الآخر على مقاطعة خراسان واتّخذ من مدينة مرو مقراً له، وقام كلاهما بتبادل النهم بعدم التفتّد بوصية والدهما قبل أن يحتكما إلى السلاح. في جمادى الآخرة سنة ١٩٥هـ/ آذار ٨١١م. وفي الواقع كان المأمون - الذي نزع عنه الأمين حقّه بخلافته - يتمتّع بدعم إيرانيّ بارز، هو الفضل بن سهل، الذي أصبح في ما بعد وزيره، كما يدعم قائد عسكري إيرانيّ أيضاً، طاهر، الذي استطاع التغلّب على جيش الأمين الضخم.

على استحضار مخطوطات مهمة غير موجودة في الدول الإسلامية من بيزنطية، وأنشأ مراصد خاصة بعلم الفلك استطاع بواسطتها العلماء المسلمون تدقيق المعلومات المتوارثة منذ العصور القديمة. وأخيراً أخذ يدعم بصورة مباشرة المعتزلة، فقام بفرض عقيدتهم البعيدة عن المفاهيم التقليدية التي كانت، حتى ذلك التاريخ، تركز عليها سلطة الخلفاء العباسيين والتي كانت تحيّد، إلى حد ما، بعض التقارب مع الشيعة. وكان المأمون يرى في هذه العقيدة التي استهوت به بسبب الصرامة الفكرية لبعض مواقفها، وسيلة للححد من نفوذ العلماء القيمين على تفسير القرآن والرافضين لمفهوم خلق القرآن، ولحث الرأي العام على الاقرار بتصوّر أكثر ليونة للخلافة. وفي الواقع أقدم بنفسه، في العام ٢١٢هـ/٨٢٧م، على تأكيد نفوذ علي على بقية أهل الصحابة، وهذا دليل على البعد السياسي لخياراته العقائدية.

ودخل قراره باعتماد عقائد المعتزلة طور التنفيذ في أوائل العام ٢١٨هـ/٨٣٣م، بينما كان يقود بنفسه حملة عسكرية ضد البيزنطيين في منطقة طرسوس، وأوكلت التحقيقات إلى قائد الشرطة الذي استدعى على التوالي القضاة وعلماء الحديث للحصول على موافقتهم الرسمية. وتعلّلت الاعتراضات بين هؤلاء، فحاول المأمون إسكاتها باللجوء إلى التهديد، إلّا أحياناً بدون أي نجاح، كما حصل مع ابن حنبل، مؤسس المذهب الحنبلي، الذي أرسل تحت حراسة مشددة إلى طرسوس، ولكنّه نجا بسبب وفاة الخليفة المفاجئة في شهر رجب سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م. في ما بعد، أطلق القيمين على التقاليد اسم «المحنة» على استخدام الإكراه بهذا الشكل، وهذا يدلّ على أنّ قسماً من الرأي العام كان يناهض الأفكار التي دافع عنها المأمون بشدة والتي سرعان ما اضطرّ خلفاؤه إلى الابتعاد عنها.

وهكذا نبتى المأمون طيلة حياته، في المجال السياسي والديني، أفكاراً شخصية أدّت في الواقع إلى الفشل. ولم يتمكّن أبداً من وضع حد للاقتسامات التي مزّقت الأمة الإسلامية خلال عهده. أما العنف الذي لم يتردد في اللجوء إليه في نهاية عهده لفرض العقيدة

الأسرة الهاشمية العلوية المتحدثة من نسل الحسين. فوقع اختياره على علي الرضا، ابن موسى الكاظم والإمام الثامن بالنسبة إلى الإمامية الإثني عشرية، وقد أتى به خضياً من المدينة المنورة إلى مرو، وأعلنه الأكثر جدارة لتولي الخلافة من بعده، بفضل صفاته الشخصية البارزة، وزوّجه من ابنته بهدف مصالحة الأسرتين المتنازعتين المتحدّتين من عشيرة هاشم، أسرة ورثة العباس، عمّ النبي محمد ﷺ، وأسرة ورثة علي، ابن عمّ نبي الإسلام وصهره. وتكريساً لهذه المصالحة استبدل باللون الأسود، شعار العباسيين التقليدي، اللون الأخضر شعار العلويين.

غير أنّ هذا التدبير المدهش أثار في العراق انفعالاً شديداً بدون أن يحذ من عداة الشيعة المتطرفين، إلى درجة أنّ مناصري الشرعية العباسية نادوا في بغداد بخلع المأمون لمصلحة أمير عباسي آخر، إبراهيم ابن الخليفة الثالث المهدي، بينما شهدت المدينة اضطرابات شعبية كبيرة. وأخذ المأمون عندئذ قراراً جديداً بمغادرة مرو والانتقال إلى بغداد، وخلال الرحلة توفي على التوائي الوزير الفضل الذي اغتيل في سرخس في شهر شعبان ٢٠٢هـ/٢٠٢هـ شباط ٨١٨م، وعلي الرضا الذي قضى في شهر صفر ٢٠٣هـ/أيلول ٨١٨م في مدينة طوس، وبما جراه السّم. وفي الوقت نفسه ظهر توجه ديني مختلف طبع السنوات الخمس عشرة التالية، تولى خلالها المأمون مباشرة سير العمليات وحّد من نفوذ معاونيه المباشرين ومن سلطة حكام المقاطعات. وحده قائده السابق، طاهر، بقي يتمتع باستقلالية نسبية في مقاطعة خراسان التي أوكلت إليه، وقد أسّس فيها سلالة شبه مستقلة هي السلالة الطاهرية.

في الوقت نفسه، تخلّى المأمون عن سياسته الهادفة إلى التقرب من العلويين، وقد تجسّد هذا التخلّي بالعودة إلى اللون الأسود التقليدي وبالعزل لمصلحة ممثلي حركة المعتزلة، وكان قد أظهر ميلاً تجاههم في مرو. ودعماً لجهودهم، أخذ يشجّع ترجمة مؤلفات يونانية، فلسفية وعلمية، وأنشأ لهذه الغاية نوعاً من الأكاديمية ومكتبة أطلق عليها اسم «دار الحكمة»، وألحق بها مترجمين مسيحيين في غالبيتهم. كما عمل

كانت تعود إلى وضع السهوب أو الصحارى فور التوقف عن ريتها اصطناعياً بفضل عمل شاق. فكان من الضروري أولاً تأمين المياه اللازمة: باعتماد أسلوب بسيط، يقضي بتأمين المياه من مجارٍ قليلة دائمة التدفق، وجرحها، بالاعتماد على انحدار الأرض. في تحويلات تنطلق من سدود بُنيت على الأنهر أو السواقي. كما تنفّرع من هذه التحويلات بدورها أقيمت مجارٍ مجهزة بعدد من السكور، هدفها تأمين الانتفاع من «ساعات تدفق» المياه للمساحات المختلفة. فكان نمو الواحات ابتدءاً من الواحات الجبلية الغنية بالمزروعات في المناطق المعتدلة، كما في سوريا أو في إيران، وصولاً إلى واحات النخيل والتمر في العراق، الأسفل ومصر أو في الصحراء. أحد أهم الأمثلة الواضحة لهذا الاستعمال تمثل، منذ العصور القديمة، بالحائط أو المجال المسور للملكيات القديمة التي تحتوي مزروعات نادرة، أو الحدائق الترفيهية المغلقة التي تحيط بها سدود تربية لتخزين المياه، والتي غالباً ما نجدها حول مساكن الأمراء أو الأرستقراطيين، كالأسوار العائدة إلى عصر الأمويين مثلاً والمحيطه بقصر الحير وقصر خربة المنجر في سوريا، أو القصور الغزنوية والغورية التي ما تزال آثارها المهملدة موزعة في جوار لشكر بازار في بيجستان. كما كان هناك طرق أخرى لتجميع المياه أو تخزينها بواسطة خزانات ضخمة أحياناً، في شكل أحواض كبيرة كأحواض الأغالية في القبروان، أو في شكل أحواض كبيرة مليئة بالمياه كالغرف التابعة لقصر أغوداك في مراكش، وأحياناً في شكل خزانات مسقوفة، قائمة في منازل الاستراحات على طول طرق الحج التي تقطع شبه الجزيرة العربية، أو في كل الخانات المقامة على طرق القوافل في إيران. كما كانت هناك أشكال مختلفة من الآلات التي تعمل لرفع المياه من الآبار أو الأنهر المنخفضة، مثل النواعير على نهر العاصي في حماه. لكن تبقى «الفنانات» الأسلوب الأكثر ابتكاراً وتميزاً في العالم الإسلامي. فمن إيران حتى الأندلس نجد قنوات أو «سراي» تصريف المياه، حيث بقيت نماذج التهورية التي كانت تطابق فوهات رفع الركام في أثناء الحفر، لتشير، على وجه الأرض، إلى خط القناة

الملائمة بحسب رأيه، والتي رفضها معظم المؤرخين في ذلك الوقت، فقد ساهم في تطبيع صورة هذا الخليفة الذي تميّز بعقل مستنير، والذي لم يكف أبداً عن إبداء اهتمامه المباشر والشخصي بعلم الكلام وبالفلسفة وبالعلوم على أنواعها.

الماء، عنصر كان استعماله التقني أساساً لازدهار الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، ولا سيما في المناطق الجافة التي شهدت ظهور الإسلام.

وقد كان للمياه، منذ البدء، مكانتها الخاصة في المدن التي سكنها المسلمون، ليس من باب الحاجة إليها للطهارة الطقسية أو الوضوء فحسب، بل لأن القرآن كان قد رفع قدرها بتعابير شاعرية أجباناً، عندما تكلم على ندوة الحدائق وأشار إلى ضرورة ري المزروعات، فالنياه كانت تجري للوضوء في ساحات المساجد وتغذي مباني معذة خصباً للتطهر الشامل كاستخدامها في الحمامات، بينما اعتبرت المناهل العامة أو السبل من أعمال البر، وغالباً ما كان يتعهدا الوقف.

وقد قامت كل هذه التجهيزات المدنية على أنظمة شبكات مدّت بصورة علمية واستخدمت فيها الأبنية والخزانات والينابيع التي أقيمت في العهود القديمة وتم توسيعها بواسطة مجموعات جديدة من خزانات المياه والموزعات الثانوية، حتى نستطيع هذه الشبكات تأمين الاستفادة من المياه الجارية لكل المدينة. وقد استمرت هذه التدابير التي بدأت في عهد الإسلام الأول، عبر العصور. إن أعمال المهندس المعماري سنان في عصر العثمانيين للإفادة من مياه الغابة المسماة بغابة بلغراد وجرحها إلى مدينة اسطنبول، تشكل أحد أهم الأدلة على الأعمال الهيدروليكية التي أنجزت في العالم الإسلامي. فكانت المنازل الخاصة تستفيد، على غرار الأبنية العامة، من منافع شبكات التوزيع التي أشاد بها مدونو الوقائع في القرون الوسطى كشبكات دمشق وحلب على سبيل المثال. كما كانت هناك شبكات مشابهة لتأمين صرف المياه المبتذلة واستعمالها في ري أرض الواحات كالغورة الدمشقية.

كذلك أقيمت شبكات أخرى لجري المياه اللازمة للزراعة ونوزيعها في «مساحات ريفية» سرعان ما

بالأشخاص الذين حفرُوا الآبار أو الذين يملكون الأرض التي تنبع منها ينبع بشكل عام. اعتبر الفقهاء حقوق المياه ملكية يمكن إيرادها أو بيعها أو وضعها في تصرف وقف، كما أنَّ ملكية القنوات المحفورة في أرض كانت سابقاً بوراً، كانت تعود لمالكي الأرض الجدد.

❖ راجع المستدرك ٥٥ و ٦٢.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد السمرقندي، ٢٥٧ - ٣٣٣ هـ / ٨٧٠ - ٩٤٤ م، مفكر أسس، في ماوراء النهر، مدرسة فقهية شهيرة، نافست المدرسة الأشعرية، واشتهرت عامة باسم «الماتريدية».

وُلد في ضواحي سمرقند حيث نعرف أنه مات وُدفن. والتحق الماتريدي بالمدرسة الحنفية الفقهية التي طوّر أفكارها على مستوى العقيدة، من المؤلفات الكثيرة المنسوبة إليه، وصل إلينا بعضها، وأبرزها «كتاب التوحيد» في علم الكلام. موقفه العقدي الذي عبّر عنه تلاميذه كان أقرب إلى المعتزلي منه إلى السلفيين. فالإنسان يمكنه، في نظره، معرفة الله من دون مساعدة الوحي، ويجب تفسير تعابير النص القرآني التي تخلع على الله صفات بشرية على أساس أنها استعارة؛ ولكنه قبل بوجود بعض الصفات الإلهية مثل المعرفة والقدرة والكلام. وأخيراً، في ما يتعلق بمسألة النسيب والتخيير، أكد الماتريدي، بطريقة مبتكرة، على أنَّ الأفعال البشرية هي، في الوقت نفسه، مخلوقة من الله ومختارة من الإنسان.

انتشرت «الماتريدية» في الأوساط التركبة واستفادت من توسّع السلطة السلجوقية؛ لكنها اصطدمت باستمرار بالأشعرية.

ماردة (إسبانيا)، مدينة تقع غرب الأندلس، عرفت خلال الحقبة الإسلامية إحتفاظاً بطيئاً.

كانت من أهم المدن القديمة في شبه الجزيرة، وكانت تُعرف في ذلك الوقت باسم إيميريتا (Emerita) العظمى، واحتفظت بهذا اللقب خلال الحقب اللاحقة. احتلّها المسلمون في العام ٧١٣/٩٤ م، خلال الفتوحات الكبرى. وبالرغم من إعجابهم بأبنيتها

وهي تطيع حتى أيامنا، كما في القرون الوسطى، المشهد الطبيعي لبعض المناطق التي حافظت على طرائق الحياة التقليدية. كما تستعمل عبارة «قناة»، إلى جانب عبارات «كاريز» في أفغانستان وتركستان «وخطارة» في المغرب و«فجرة» في الصحراء، للتعبير عن طرائق استغلال مخزون المياه الجوفية، وكانت هذه الطرائق تقضي بتوفير مجموعة من التفتّات للمتنكّن من جرّ المياه بواسطة الجاذبية، في شروط طوبوغرافية دقيقة. ومع انتشار هذا النظام، تطورت خلال القرون الأولى للإسلام طرائق تنظيم وتعمير أقاليم كانت صحراوية سابقاً حيث كانت سرايب عيقة جداً تؤنّس، من أقدام الجبال أحياناً، المياه الضرورية لحياة سكّان مدن هذه الأقاليم ولزراعة حقولها. كما تحكّمت صيانة القنوات، حتى عصرنا الحاضر، بإزدهار بعض المناطق، بالتحديد في إيران، حيث يعمل حتى الآن عمال متخصصون وورثة خبرة عريقة في هذه المهنة.

مهما يكن مصدر هذه المياه المخزّنة والمورّعة، فقد حدّثت الشريعة والتقاليد استعمالها في البلدان الإسلامية. كما ميّز شرعاً بين حقّ الشرب وحقّ الاستعمال المخصص للرّي الزراعي. فكان استعمال المياه مسموحاً به مبدئياً للجميع، سواء كانت مياه الجدول أو الآبار أو الينابيع أو القنوات، لأنّ هذه المياه تنجّد. لكنّ حصر هذا الحقّ بالشرب ولم يتعدّه إلى حقّ رّي الأراضي. أمّا في ما يتعلق بالرّي فقد حُصر حقّ استعمال المياه بالمصلحة العامة، إذ كان من غير المسموح به تحويل مجرى نهر بواسطة قناة أو سد إذا أضرّ بالمقيمين على ضفاف النهر. وهكذا نشأ شيئاً فشيئاً تنظيم مبني على تقاليد قديمة أقرّها الفقهاء. فاعتُبرت مياه الأنهر الكبيرة ملكية تخصّ جماعة المسلمين، فنتج عن ذلك أن وجب على وليّ أمر هذه الجماعة، الخليفة أو من يمثله، الحفاظ على ضفاف الأنهر والسدود، في حال وجودها. وفي المقابل كانت تقع على عاتق سكّان الضفاف صيانة الأقيّة الثانوية، على أن يتمّ توزيع المياه وفق نظام مقبول لدى جميع الشركاء في الملكية. أخيراً حصر حقّ استعمال مياه الآبار والينابيع للرّي،

نيمورلنك الذي تمكن من اقتحام المدينة في العام ٨٠٤ هـ/١٤٠١م، من دون أن يستولي على القلعة. وانتهى حكم الارتقيين نهائيًا في العام ٨١١ هـ/١٤٠٨م. ابتداءً من هذا التاريخ، أصبحت المنطقة موضع نزاع بين دولتي القرايولن والاق قيونلو، قبل أن يجتاحها الصفويون في العام ١٥٠٧، والعثمانيون في العام ١٥١٦.

ما زالت ماردين - التي تُعدّ أقلية مسيحية - تتميز بنوعية أبنيتها المصنوعة من الحجر الكلسي الأبيض ويعمل بتأنيها المينكر. حافظت المدينة على تقاليد البناء هذه، ولا سيما من خلال مصاصب المنازل وقناطرها، خصوصًا في المدينة العليا التي ما زالت تحتضن أبنية قديمة من الحقبة الارتقية، منها المسجد الجامع الذي يعود إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي والذي أدخلت عليه تعديلات مهمة، ومنها أيضًا أماكن الصلاة العائدة إلى القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، والمدارس كمدرسة السلطان عيسى الشهيرة المشيدة في العام ٨٧٧ هـ/١٣٨٥م.

قامت في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في موقع مجاور، هو دُنيصر أو هوش حصار، الذي يضم حاليًا محلة كِرل نبيي، مدينةً تجارية مزدهرة تابعة لماردين والسلطة الارتقيين. وقد بُنِيَ منها مسجدٌ مهذّب، بشكل نموذجيٍّ مميزًا لفنّ هذه السلالة، أُنجز في العام ٨٦١ هـ/١٢٠٤م، وكان العمل فيه قد بدأ قبل عقد أو عقدين. وتتميز هذا المسجد بتصميم فريد ونادر، سواء في ما خصّ بنيته أو ما خصّ زخرفته. إنّه يعبر عن التوازن الذي بلغه الفنّ المعماري في تلك المنطقة حيث استطاعت التأثيرات الخارجية، من سلجوقية وإيرانية وزنكية، الآتية من الموصل أو من سوريا، أن تندمج بالخصائص التي تميز هذا الإقليم.

« راجع المسند رقم ٢١.

المارستان ← المستشفى.

مارند (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة في أذربيجان لعبت دور محطة إستراتيجية، تبعد حوالي ستين كيلومترًا عن تبريز في جهة الشمال. تقع هذه المدينة المحصنة في المرتفعات. شكّلت

القديمة، فرضوا عليها حكمًا متشدّدًا لم يُخل، خلال حكم الأمويين، دون بقائها بؤرة ثورات محلية، لأنّ سكّانها كانوا بأكثرية من المولّدين ومن المستعربين. وفي الوقت نفسه، تضاعف دورها كموقع محصّن إستراتيجي. إنّ بقايا قلعتها (Alcazaba) التي تعود إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ما تزال ظاهرة للعيان. وانتقل الدور الذي كانت تؤديه في المنطقة إلى المدينة الجديدة التي تمّ تأسيسها في بطليوس والتي كانت أكثر تأثرًا بالطاقم الإسلامي. ولذلك عندما استرجع المسيحيون مدينة ماردة في العام ٦٢٥ هـ/١٢٢٨م، وجدوها قد تحوّلت إلى بلدة أُخليت من سكّانها منذ اعوام طويلة.

« راجع المسند رقم ١٩.

ماردين (الجمهورية التركية)، مدينة في شمال بلاد ما بين النهرين تشمّت، بفضل موقعها الطبيعي المحصّن والمنيع، بحيوية جعلت منها، منذ القرون الوسطى، مركزًا إداريًا متميزًا بنمطه المعماري التقليدي.

شُيّدت ماردين على ارتفاع ألف متر على خاصمة جبل يُشرف على حوض الفرات الأوسط، وهيمنت هذه القلعة السنية على مسار القوافل الذي كان يربط في ما مضى نصّيبين والموصل بالرها وعنتاب، كما كانت تربطها طريق بمدينة ديار بكر في أعالي وادي دجلة. لذلك لعبت دورًا إستراتيجيًا وتجاريًا طوال القرون الوسطى المضطربة، غير أنّها لم تشهد أيّ تجدّد في الحقبة المعاصرة نتيجة لموقعها البعيد عن طُرق المواصلات.

احتلّت القوّات العربية - الإسلامية، في العام ٦٤٠ هـ/١٢٤٠م، المدينة البيزنطية خلال الفتوحات الكبرى وضمتّها إلى مقاطعة شمال بلاد ما بين النهرين المسماة آنذاك ديار ربيعة. دخلت العالم الإسلامي، لكنّها بقيت أحد مراكز المسيحية النسطورية، وعانت من انكسارات تجرّته الدولة العباسية منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. ومارس على التوالي الحمدانيّون والمروانيّون والسلاجقة الكبار سلطتهم عليها، إلى أن أصبحت هذه المدينة المتوسطة الحجم والمزدهرة عاصمةً لأحد فروع الارتقيين. وقد تمكّن أسابدها من البقاء في الحكم تحت هيمنة المغول، إنّما من دون أن ينجحوا في صدّ هجمات

التاريخ، أصبحت المنطقة مركزاً لحركات التمرد الشيوعي لدعم طامعين من العلويين الذي ينتمون إلى الحركة الزيدية والذين أسسوا سلالة من الأئمة معروفا باسم زيديي طبرستان. وتنتشر في هذه المنطقة أضرحة تضمّ مذابن لشخصيات مختلفة تنسب إلى الأسرا العلوية، وهذه الشخصيات ما تزال تُكرّم تحت اسم «إمامزاد». وكذلك كانت تسود فيها عادة إقامة المذابن - الأبراج التي أصبحت أضرحة الأمراء، ومنها برج لاجيم وربستيت على سبيل المثال. واستمر زعماء محليون، حتى القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، في المحافظة على استقلالهم في ولايا أصبحت لاحقاً خاضعة بانتظام لسلطة الحكّاء المتعاقبين في إيران. وكانوا ينتمون خصوصاً إلى الأسرة الزيدية التي عرفت ثلاث سلالات رئيسة قبل زوالها النهائي في سنة ١٧٥٠هـ/١٣٤٩م.

◀ راجع المستندات ١٢، ١٣، ١٧، ٢٤.

مالابار، الاسم الذي عُرفت به، في القرون الوسطى المنطقة الساحلية في الهند، الواقعة جنوب غرب الدكن، والتي تضمّها اليوم ولاية كيرالا في الاتحاد الهندي.

تشكّلت فيها طائفة إسلامية قد تكون الأقدم في شبه القارّة كلّها، حتّى قبل فتح السند، حيث كانت هذه المنطقة، قبل الاسلام، على اتصال بحريّ وتجاريّ بالعرب. ويبدو أنّ التجّار الذين جازوها مراراً في السنوات الأولى للهجرة قد عقدوا زيجاتٍ «موثقة» بحيث أنّ أولاد ذريّتهم المتكاثرين والنشطين ذكروا في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في الكتابات الأدبية للجغرافيين العرب. وقد يكونون في أساس طائفة المايلا (Mapillas) السنية حالياً، في ولايا كيرالا، التي تضمّ حوالي خمسين في المئة من مجموع السكان. وقد تجمّعت هذه الطائفة في روابط إسلامية عدّة، تؤدّي دوراً مهماً على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، ولا سيّما في مقاطعة مالابورام التي أنشئت حديثاً وحيث تشكّل هذه الطائفة الأغلبية.

◀ راجع المستندات ٣١ - ٣٤.

في العصر العباسي محطّة لمسارات القوافل، عندما احتلّها معاصر اسمه ابن باعث شارك في الصراع ضد بابك. وتحزّرت عندئذ من سلطة العباسيين إلى درجة أنّ الخليفة المتوكل اضطرّ إلى إرسال حملة لمحاصرتها في العام ٨٤٩/٨٥٠ للمقبض على ابن باعث الذي تمّ تسليمه. ثم استعادت مارند، في عهد السلاجقة، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، أهميتها. يشهد على ذلك المسجد الجامع الذي شُيّد فيها والذي أدخلت عليه تعديلات في ما بعد. في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، في عهد سلالتي «الغراقيونلو والاق قيونلو». وفي وقت لاحق بدأ وضع المدينة يتحسن من جديد عندما أقدم الروس، في العام ١٩٠٦، على شقّ طريق تربط تبريز بمدينة جولفا، مجتازة مارند. وقد استُبدل بهذه الطريق خطّ حديدي في العام ١٩١٥.

مازلندران، ولاية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، تمتدّ شمال جبال ألْبُزُّز وعلى طول شاطئ بحر قزوين وكانت تحمل في القرون الوسطى إسم طبرستان.

تتقاسم هذه الولاية، مع جيلان الواقعة أكثر إلى الغرب، سهلاً ساحليّاً غنيّاً ووطناً تعلوه منحدرات متعرّجة. وكانت هذه الأرض المجاورة من جهة الشرق ليجرجان القديمة التي عُرفت لاحقاً باسم أستراياد، مشهورة بزراعات شبه استوائية، لا سيّما الأرز، وبغابات كثيفة تغطي جوانب قفّة «الذماوند». وكانت تمتازها طرق قوافل آتية من الرّيّ باتجاه مرفأ عباسكون في جرجان، وكذلك باتجاه خوارزم وخراسان. هذا الطريق الثاني كان أقلّ استخدماً من ذلك الذي يمرّ بالهضبة الداخلية الجرداء، من الجهة الأخرى لِلْبُزُّز وعبّر قويس، لكنّ النشاطات التجارية كانت تُضاف إلى الموارد المحلية، بما فيها موارد تربية دود الفز، لتغذّي ازدهار آمل، عاصمة المنطقة في بدايات القرون الوسطى، وازدهار مقاطعة ساري، وهي اليوم مدينة مهمة كمركز اقتصادي وإداري.

لم يتمّ الاستيلاء على مازندران إلّا في نهاية الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، وكان من الصعب فرض السلام عليها. وفي العام ٨٤٠/٨٥٤م، اعتنق أميرها أو «الإصمّهيد» الإسلام. ابتداء من هذا

وبعد تطوّرات مختلفة، ضُمَّت في العام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م، إلى مملكة بني الأحمر في غرناطة، وقد نازعهم عليها المربيتون واعتُبرت من بين معاقلم الأخيرة في الأندلس، إلى أن حاصرتها جيوش الملوك الكاثوليك في العام ١٤٨٧م وافتتحتها عنوة.

حاضرة ناشطة وصناعية، اشتهرت بمنتجاتها الزراعية والصيد البحري، إضافة إلى المنتجات الحرفية. كانت تضمّ داراً للصناعة وحوصاً للاعتناء بأسطولها؛ كانت، في الوقت عينه، تستقبل التجار الأجانب ونشاطهم التجاري. وقد مدح الجغرافيون العرب في القرون الوسطى مالقة، وهي ما زالت حتى اليوم تحفظ بعض الآثار الهندسية من ماضيها المجيد. كانت تضمّ داخل أسوارها منطقة عالية وأخرى منخفضة، في كلّ منهما مسجد جامع. والمنطقة العليا شكّلت قلعة أعيد بناؤها مرات عدّة، ولا سيّما في أيام بني الأحمر الذين عرفوا آه من الضروري الاحتفاظ بها.

« راجع المستدث ١١، ١٥، ١٩ ».

مالك بن أنس، أبو عبد الله الأصمحي، ٩٢-١٨٠هـ/ ٧١١-٧٩٦م. فقيه عاش في المرحلة الأولى من تاريخ الإسلام، وهو معروف بكونه إمام المدينة المنورة حيث قضى حياته وحيث عمل على تصنيف مبادئ الشريعة المعمول بها آنذاك، وهو مؤسس المذهب المالكي. إنّنا نعرف القليل عن حياته، ولكن من المؤكّد أنّه، في بداية العصر العباسي، كان يتنصّع في المدينة، حيث عاش، باحترام كبير، لذا أوكل إليه الخليفة المنصور مهمة وساطة مع الآخرين العلويين محمّد وإبراهيم، ابني عبدالله، اللذين كانا مثبّمين بالتأمر على الخلافة العباسية. فشلت مهمته وأعلن الأخوان المذكوران الثورة في العام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، فأنحاز مالك إليهما، ما حمل حاكم المدينة العباسي على إساءة معاملته. يبدو أنّ الخليفتين العباسيين، المهدي وهارون الرشيد، صفحا عنه في ما بعد، ويقال إنّ الرشيد زاره في منزله. أهم آثاره التي جمعها تلامذته، «الموعظ»، وهو أقدم مؤلّف في الفقه الإسلامي، وقد وصلت إلينا منه نسخٌ تختلف في مضمونها. عرف هذا المصنّف نجاحاً كبيراً. لا سيّما في أوساط المذهب الذي تكوّن حول

مالقة، جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، تقع جنوب صقلية على مقربة من إفريقية، احتلتها القوّات الإسلامية من حوالي ٢٥٦ إلى ٤٨٣هـ/ ٨٧٠ إلى ١٠٩٠م.

في العام ٥٦هـ/ ٨٧٠م، استطاع أسطول إسلامي أن يحرّر مالقة من احتلال أسطول بيزنطي، ما يعزّز الاعتقاد أنّ الجزيرة كانت قد خضعت للفتح الإسلامي بتاريخ سابق بصعب تحديده، ربّما في أوائل عهد هيمنة الأغالبة على إفريقية. استعاد الملوك النورمان مالطا في العام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، إلّا أنّهم سمحوا للمسلمين بالإقامة فيها حتى العام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، عندما أقدم خلفهم فريدريك الثاني على طردهم، كما كان قد فعل مع مسلمي صقلية. حاول العثمانيون بعد ذلك، من دون جدوى، في العام ١٥٦٥م وفي العام ١٦١٤م، الاستيلاء على الجزيرة التي تولّى تحصينها والدفاع عنها فرسان القديس يوحنا، بعد أن طردهم الأتراك من جزيرة رودس.

ما زالت اللغة المستعملة حاليّاً في مالطا تحمل آثار إلتحاق الجزيرة الموقّت بالإسلام، وتستخدم أبجدية لاتينية معدّلة تتألف، في الوقت نفسه، من عناصر عربية وعناصر لاتينية.

مالقة (إسبانيا)، مدينة ومرفأ على البحر المتوسط، تقع جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية بين الجزيرة الخضراء (الخيبراس) وألفرّة في الأندلس. وقد ظلّت طوال ما يزيد على السبعة قرون تحت سيطرة الإسلام. احتلّت مالقة في العام ٩٢هـ/ ٧١١م إبان الفتوحات الكبرى على يدي طارق بن زياد، أو على يدي ابن موسى بن نصير. وقد شكّل موقعها الساحلي، وسط واحات مزروعة، مركزاً لمنطقة لها طابعها المميّز. هذه المنطقة التي استقرّ فيها جند الأردنّ السوري، استقبلت برحاب الأمويّ عبد الرحمن الأوّل. ثمّ أضحت مركزاً لحركات ثورية عدّة، لم تهدأ إلّا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وبعد تفكّك خلافة قرطبة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وقعت مالقة في أيدي بني حمّود فنجعلوها إحدى دويلات الطوائف، ولكنها كانت مضطربة. ثم استولى عليها، على التوالي، المرابطون فالموحّدون الذين فرضوا حكمهم عليها.

البصرة، ومن ثم في العراق وفي مصر، ومنها انتقلت إلى المغرب. واستمرت في المشرق حتى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، عندما توافدت في العراق وفي خراسان. وبقيت قائمة بصعوبة في الحجاز، وتراجعت في مصر أمام المذهب الشافعي لتتحصن في مصر العليا. وفي الواقع لم تتمكن المالكية من المهمة إلا في المغرب وفي الأندلس خلال السيطرة الإسلامية على شبه الجزيرة الأيبيرية. وانتشرت مراكزها الفكرية أولاً في قرطبة وفي القيروان، عاصمة الأغالبة. غير أن مثليها عانوا من قيام النظام الشيعي الإسماعيلي على يد الفاطميين. ثم، وفي أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، خلال حكم المرابطين، حظيت المالكية برعاية متواصلة، وتالياً تكاثرت الدراسات الخاصة بالفقه المالكي التطبيقي. لكن التراجع الذي تلا، خلال عهد الموحدين، منعها من استعادة ازدهارها إلى ما بعد قيام المرينيين والحنفيين. عندئذ بدأت بسط هيمنتها إلى ما وراء المغرب، على أفريقيا السوداء بكاملها، مع انتشار الإسلام في أفريقيا الشرقية والوسطى والغربية.

مالي، مملكة إسلامية قديمة في السودان النيجيري، حكمها المالكية أو الماندنغ وعرفت ذروة عزها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وما تزال جمهورية مالي الحالية تحمل اسمها.

١- إن أراضي هذه المملكة الواقعة في الساحل، على تخوم القفار الصحراوية، تطابق أراضي مالي الحالية، مضافاً إليها جزء من بعض الدول المجاورة، وتحديداً السنغال وغامبيا والنيجر. وقد نشأت هذه المملكة، ولا شك، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، عندما دخل الإسلام كَنابا (Kangaba). هنا، في مهد مملكة مالي المستقبلية وفي جوار ياماكا، اغتسم الزعماء المحليون سريعاً انحطاط مملكة غانا ليوسموا نطق سلطتهم ولتصلوا، في الوقت عينه، بالعالم الإسلامي في الشمال، ويصبوا ملوكاً مسلمين يحثون إلى مكة بدءاً من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. وقد قام مؤسس موسى، أحد أعظم ملوكهم، ببناء المساجد وإرسال

تلامذة مالك. لم تتأثر شهرته من أصالة فكره الفقهي، بل من كونه اعتمد في صياغته على الممارسة التي كانت سائدة في المدينة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، ومن كونه أوّل من عمل على جمع قواعد هذه الممارسة وتنظيمها.

المالكية، مدرسة فقهية مرجعها مالك بن أنس، تركز، بشكل أساسي، على التقاليد المدنية التي كانت تتمتع في ذلك الوقت بقوة أكبر من نصوص الحديث. كانت هذه الممارسة تُعتبر تمثيلاً حياً لسته النبي محمد ﷺ وصحابته. لكن مالكاً كان يلجأ أيضاً، في حالات إستثنائية، إلى نوع من الأفكار الشخصية التي تعتمد المصلحة العامة والتي أطلق عليها اسم «استصلاح». أمّا كتابه «الموطأ» الذي عمل اتباعه على جمع مضمونه فقد أضيفت إليه، في ما بعد، أبحاث عديدة وضعها فقهاء من أتباع مدرسته. وهكذا خصّص القيرواني «سحتون»، في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، في كتابه «المُدونة»، مكاناً مميزاً للممارسات التجارية، بينما وضع فيرواني آخر (ابن أبي زيد)، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بحثاً أطلق عليه اسم «الرسالة». وفي ما بعد كتب «خليل بن إسحق» (توفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) «المختصر» وقد خصّصت له تفسيرات عديدة.

لكن المالكية لم تقتصر على مجرد مدرسة فقهية، إنما شكّلت أيضاً تياراً فكرياً معادياً بنوع خاص للفرس وللخوارج الذين اعتُبروا مخلفين بالنظام العام. وكانت، من جهة أخرى، شديدة التحفظ تجاه الصوفية، وليس من المصادفة أن يكون حكم الإعدام بحق الحلاج، في العام ٨٣٠٩هـ/٩٢٢م، قد صدر عن قاضي مالكي. كما أدان المالكيون في المغرب أعمال الغزالي، لكنهم لم يتمكّنوا من الحد من انتشار المذهب الصوفي في تلك المناطق. وابتداءً من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ظهر العديد من المتصوفين المنتمين إلى هذا المذهب، بينما واصل العلماء المالكيون ممارسة تشددهم تجاه الآراء التي كانت في نظرهم معادية لعقيدة الإسلام.

انتشرت المالكية، إنطلاقاً من المدينة، في

لعبت الحركة الحمالية دورها في المنطقة في القرن العشرين. إن سيطرة رؤساء الطرائق هذه أدت إلى ردة فعل أصولية، وصفت أحياناً بالوقاية الجديدة، وكانت في أساس حزب راديكالي مقاوم للاستعمار. سيطر على المدن وما زال ناشطاً حتى اليوم. ولكن هذه التأثيرات الإسلامية المختلفة لم تحل دون استمرار بعض الميول الوثنية التقليدية التي تسيطر على حوالي أربعين في المئة من السكان الذين تُشغلهم الاختلافات العقائدية والصراعات العرقية، كالتصراع بين السود والفقراء.

« راجع السنتين ٢٨ و ٢٩.

ماليزيا، شبه جزيرة، تقع جنوب شرق آسيا. لعبت سواحلها الجنوبية دوراً أساسياً في العلاقات التجارية بين الصين والهند من جهة، والعراق الإسلامي من جهة أخرى، ما جعل المسلمين يستقرون فيها، منذ القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد حتى يومنا هذا.

١- إن نشوء مملكة ملقا في القرن الخامس عشر للميلاد يؤكد وجود طائفة إسلامية كبيرة فيها. واستمر الإسلام بالانتشار تحت تأثير الصوفية، على ما يبدو، التي لم تكن شعائرها تختلف كثيراً عن العادات الدينية المحلية. ومذاك، استخدم الكتاب المسلمون الصوفيون اللغة الماليزية. ثم احتل البرتغاليون البلاد، فالهولنديون، وأخيراً الإنكليز الذين استقروا فيها بدءاً من العام ١٨٧٤، مُبقيين فيها على إدارة إسلامية وعلى سلطات محلية إسلامية. ولم تستقل شبه الجزيرة إلا في العام ١٩٥٧ وانخرطت في الاتحاد الفدرالي الماليزي - وهي لا تزال تشكل اليوم الجزء الغربي منه - إلى جانب الجزء الجزيري الإندونيسي الذي يضم، بشكل رئيسي، القطاع الشمالي الغربي من كاليمانتان أو بورنيو.

٢- تبلغ مساحة دولة ماليزيا الفدرالية الحالية ٣٢ ٩٧٥٠ كلم^٢، وعاصمتها كوالا لومبور. وهي تضم ثلاث عشرة ولاية موزعة بين شبه جزيرة ماليزيا وإندونيسيا. أما سكانها فيقدرون بنحو عشرين مليوناً، نصفهم من المسلمين.

وإلى الولايات اتسع في شبه الجزيرة الماليزية - وكلها سلطات إسلامية ذات حكم وراثي ضمت، سنة ١٩٥٧، إلى الكومنولث - أضيفت سنة ١٩٦٣ بعض

طلاب إلى فاس وإقامة علاقات طيبة مع الميرانيين، كما وضع، بشكل ملحوظ، أراضي المملكة بحيث ضمت تُسبكتو التي أصبحت مدينة تجارية مهمة. وفي الوقت عينه مركزاً ثقافياً. وتخيرنا رحلة ابن بطوطة إلى مالي، في العام ٨٧٥٣/١٣٥٢م، عن الحالة الاجتماعية، حيث كانت ما تزال بعض التقاليد الوثنية شائعة في حياة المسلمين الذين كثر عددهم في المدن. وقد أدت سيطرة شعب الصنغاي في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد إلى تقليص مملكة مالي حتى حجمها الأساسي كدولة صغيرة في السهوب عانت لاحقاً، في القرن التاسع عشر، النزاعات التي قامت بين إمبراطوريات الجهاد. أي إمبراطوريات القلبة (Peuls).

٢ - جمهورية مالي الحالية، مساحتها ١ ٢٤٠ ٠٠٠ كلم^٢؛ عاصمتها باماكو. هي دولة مستقلة معاصرة في أفريقيا الغربية السوداء. يبلغ عدد سكانها حوالي ثمانية ملايين نسمة، منهم ٦٨ في المئة من المسلمين.

هذه الدولة التي هي جزء من منطقة الساحل الأفريقية والتي توافق حدودها السودان الفرنسي القديم، تقع بين جمهوريتي الجزائر والبنجر في الشرق، وموريتانيا والسنغال في الغرب، وتجاور جنوباً جمهوريتي غينيا وبوركينا فاسو. وهي، إذ تضم جزءاً من القفار الصحراوية - إلا أنها تنتمي إلى منطقة السهوب التي عُرفت في القرون الوسطى باسم السودان، وحيث يعبر، في هذا المكان بالذات، المجرى الأعلى لنهر النيجر. كما أنها تدعى لنفسها الإرث التاريخي لهذه المنطقة ذات التاريخ المضطرب، كما تنسب لنفسها التقاليد الثقافية لمملكة مالي القديمة ولمدينة القوافل فيها أي تُسبكتو.

إن الأحداث التي جرت في الفترات التاريخية الأقرب إلينا هي التي تركت آثارها على الوضع الودي في البلاد بسبب الدور الذي أدته، وما زالت، الطرائق الصوفية - بنوع خاص القادرية والنيجالية - في أثناء المواجهة التي جرت بينها في القرن التاسع عشر، خلال الصراعات التي نشبت بين إمبراطوريات القلبة الجهادية التي أنشأها تباغا شغو أخمدو والحاج عمر. كذلك

أسياذ القسطنطينية، بعد ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي وبعد الاحتلال الطويل الذي شهدته أراضيهم من قبل القوات العربية - الإسلامية خلال الفترات الكبرى. غير أنّ تغيير الحكم في القسطنطينية، في العام ٤٦٢هـ/١٠٦٨م، دفع بالبيزنطيين إلى صد كافة الغزوات الأجنبية وإلى القيام بسلسلة من الغارات الانتقامية. ولكن الغارة التي أدت إلى معركة مانتزيكرت/ ملازكرت كانت كارثة بالنسبة إلى الإمبراطور رومانوس ديوجين الذي أُسر على يد السلطان السلجوقي والذي لم يستطع استعادة عرشه بعد إطلاق سراحه.

لا ندرى إذا كانت الاتفاقية التي وقّعها العاهلان والتي نصّت، بدون شك، على دفع فدية للمنتصرين قد طبقت أم لا، لأنّ السلطة في بيزنطة انتقلت، خلال هذا الوقت، إلى إمبراطور آخر. لكنّ هزيمة مانتزيكرت/ ملازكرت سمحت للمجموعات التركمانية التي اعتنقت الإسلام بالدخول بحرية إلى الأناضول حيث تكاثرت، وأصبحت الطريق، بفضل ذلك، مفتوحة لتغيير سريع في البلاد التي باتت مقسّمة بين أسياذ الحرب، وقد أخذ هؤلاء يشككون أحياناً شاسعة منها في جو من الاضطرابات والغوضى.

« رابع المسند رقم ١٧ ».

مافيسا (الجمهورية التركية)، مغنيسا سابقاً، مدينة في الأناضول الإيجي، وتقع في الأراضي الداخلية لمدينة إزمير، على مفترق طرق مهمة لمسارات القوافل.

لم تخضع هذه المدينة المزدهرة للحكم الإسلامي إلّا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، في عهد سلاجقة الروم الذين اختنحوها لتصبح، في العام ٧١٣هـ/١٣١٣م، مدينة محصنة وعاصمة إمارة التركمان المصاروخانيين التي سقطت نهائياً تحت هجمات العثمانيين في القرن الخامس عشر للميلاد. إلى هذه الحقبة تعود النهضة الفنية التي ما زالت تشهد عليها أبنية عدة، ولا سيّما المسجد الجامع الذي شيّده اسحق بك في العام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، والذي اعتُبر من أهمّ الانجازات المعمارية المُنبئة بالتطوّر اللاحق لهذا النوع من البناء.

الجزر، ولا سيّما دولنا ساباغ وسزوك الواقعة في الجزء الشمالي من جزيرة بورنيو والمجاورتان لسلطنة بروناي التي فضّلت البقاء خارج المجموعة. وقد قامت الدولة الاتحادية الجديدة، التي لها حدود مشتركة مع مملكة تايلند وأراضي سنغافورة، بتوسيع مجالها البحري جنوباً حتى جمهورية إندونيسيا ذات الغالبية الإسلامية. اعتمدت ماليزيا النظام الملكي الدستوري حيث الحاكم، «الملك الأعلى»، مسلم، يعبّر لخمس سنوات، مداورة بين السلطين التسعة.

ماليندي (جمهورية كينيا)، مدينة مرفئية على المحيط الهندي، على الساحل الشرقي لأفريقيا السوداء، شكّلت، في أواخر القرون الوسطى، محطة للملاحة الإسلامية وللشواطئ التجارية المثمرة.

تقع هذه المدينة بين أرخبيل لامو ومومباسا. أتى على ذكرها الجغرافي الإدريسي، في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وعُرفت بشكل خاص من خلال سلطنتها المحلية التي هيمنت على ملاحتها خلال القرن الخامس عشر للميلاد. وقد استقبلت، في العام ١٤٩٨، فاسكو دي غاما قبل رحيله إلى الهند. انتقلت سلالة ماليندي في ما بعد، في العام ١٦٣٢، إلى مومباسا. ومنذ ذلك التاريخ بدأ تراجع هذه المدينة التجارية التي لا تحتفظ من ماضيها سوى ببعض البقايا، والتي تجاورها منطقة شاسعة مهذمة تضمّ موقع جدي (Gedi) الأثري حيث كان يقوم، في الماضي، قصر ملكي تحوّل، مع الزمن، إلى مركز سكني جديد.

« رابع المسند رقم ٢٨ ».

مانتزيكرت/ ملازكرت (معركة)، ذو القعدة ٤٦٣هـ/ آب ١٠٧١م، معركة انزلت خلالها الجحافل التركية الزاحفة إلى الأناضول، بقيادة السلجوقي ألب ارسلان، في البيزنطيين، بقيادة الإمبراطور رومانوس ديوجين، هزيمة قاسية تلتها فتوحات واسعة.

إنّ مانتزيكرت/ ملازكرت مدينة صغيرة في الأناضول الشرقي، تقع شرق بحيرة وان في المنطقة الجبلية التي كانت تمرّ فيها طريق القوافل الآتية من إيران. وكانت هذه المنطقة قد أفلتت لفترة من أيدي

ونشأ أبو الطيّب في محيط بدوي مشبع بالأفكار الشيعة حيث اكتسب ثقافته الدينية وتلقّى، في الوقت نفسه، أصول اللغة التقليدية. بعد أن بدأ حياته المهنية بممارسة التمديد في العراق وفي سوريا، قاد في السهوب الممتدة بين الكوفة وتدمر تمرّداً - ذا طابع سياسي به بالقتل - ما يزال توجّهه مجهولاً. وبسبب تلك الحركة التي أدّت إلى سجنه في مدينة حمص في سوريا، أُعطي لقب «المتنّي». بعد إطلاق سراحه، واصل تجواله إلى أن أصبح، في العام ٩٣٧هـ/٩٤٨م، شاعر بلاط سيف الدولة الذي جسد في نظره بطل الجهاد والعروة.

تستلّت للمتنّي عندئذ فرصة لصياغة أشهر قصائده المديحية، في حين اصطدم بعدها إبن عمّ راعيه، الشاعر أبي فراس، ما دفعه، في العام ٩٥٧هـ/٩٥٦م، إلى مغادرة حلب متوجّهاً إلى مصر الأخشيدية حيث أصبح مادح الوصي على هذه الدولة، كافور، العبد الزنجي السابق، الذي لم يكن له سوى الاحتقار، فتركه في العام ٩٥٣هـ/٩٦٤م ساعياً وراء حماية أمير أو وزير بويهجي، قبل أن يغتاله قطاع طرق. ما يزال شعره - الذي غالباً ما خرج عن الإطار المشدّد للمنظومات الممانعة ليشتمل موضوعات سياسية أو دينية - محظّ إعجاب بسبب بعض مقاطعه الطاغية والفلسفية، ولا سيّما تلك التي عبّر فيها المتنّي عن تشاؤمه وعن مرارته نجاه صعوبات الحياة.

المتوكل على الله، أبو الفضل جعفر بن محمّد - ٢٠٦هـ - ٢٤٧هـ/٨٢٢ - ٨٦١م، الخليفة العبّاسي العاشر، إبن المعتصم، حكم من ٢٢٢ إلى ٢٤٧هـ/٨٤٧ إلى ٨٦١م، خلال ما عُرف بحقبة سامراء.

وضعه عظماء الأباطورية على العرش بعد وفاة أخيه الخليفة السابق الواثق. ابتعد الخليفة الجديد عن السياسة الدينية التي اتبناها أسلافه المباشرون، فاعتمد من جديد المبادئ السلفية وأدان المعتزلة وكلّ محاولة لاستدلال العقل في مسائل الإيمان. وطلب لهذه الغاية من المنخصّصين في الحديث نشر الأحاديث النبوية المخالفة لعقائد المعتزلة. هكذا استعاد إبن حنبل حرية التعليم التي كان فقدناها في عهد المعتصم، لكنّه رفض تولّي أيّ منصب رسمي مقرّب من الخليفة. وفي سياق

حافظت المدينة على ازدهارها في العصر العبّاسي بفضل أنشطتها التجارية وبفضل موارد المنطقة الزراعية، وأدّت دوراً بارزاً على الصعيد الإداري، إذ عُيّن أبناء السلاطين الأيكار حكاماً عليها. ونشأ في ما بعد، في أسفل المدينة القديمة حيث كانت قائمة سابقاً المؤسسات الصاروخانية، تجمّع سكني شيدت فيه أبنية عديدة من نوعية عالية، ومنها مجمّع معماري للمهندس ستان. غير أنّ مرفأ الزمير المجاور حجب هذا النجاح في القرن السابع عشر للميلاد، واحتكر، منذ ذلك الوقت، كل قدرات المنطقة الاقتصادية، فافتصرت أهمية مانيسا على كونها مركزاً إقليمياً.

«راجع السنين ٢٢ و٢٧».

ما وراء النهر ← بلاد ما وراء النهر.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد، ٣٦٤ - ٤٥٠هـ/ ٩٧٤ - ١٠٥٨م، فقيه شافعي حظي بتقدير الخلفاء العبّاسيين الذين قرّبه إلى محيطهم، ولا يزال معروفًا حتى يومنا هذا بفضل مؤلّف له عن الحق العام.

ولد في البصرة حيث تابع دراسته وأصبح معلّماً في بغداد، ثمّ قاضياً في مدن مختلفة. نغم الماوردي بحظوة لدى اثنين من السلاطة العبّاسية، القادر والفاطم، اللذين مارسا سياسة متعاطفة مع السنة، في وجه البويهيين ذوي العقيدة الشيعية، وقد أسندوا إليه أحياناً مهمّات دبلوماسية. توفّي في بغداد حيث دفن وترك مؤلّفات متنوّعة حول تفسير القرآن واللغة والقواعد، وخصوصاً مصتفاً بعنوان «الأحكام السلطانية». يسعى هذا المصنّف للدفاع عن حقوق الخليفة، في عصر كانت مؤسسة الخلافة تعيش صعوبات، ويقترح برنامجاً لإنهائها. وقد كتب الماوردي كذلك مصتفاً في الأخلاق عنوانه: «أدب الدين والدنيا».

المتعة ← النكاح.

المتنّي، أبو الطيّب أحمد بن الحسين، ٣٠٣ - ٣٥٤هـ/٩١٥ - ٩٦٥م، شاعر عربي اشتهر بشكل خاص بتمرّده وبقصائده التي ملّح فيها سيف الدولة العبّاسي الذي جامد ضد البيزنطيين.

ولد في الكوفة من عائلة متواضعة عربية الأصل،

المحاسبي، أبو عبدالله الحارث بن أسد، -١٦٥- ٢٤٣هـ/ ٧٨١-٨٥٧م، متصوف عراقي من العصر العباسي الأول، يُكْرَم قبره في بغداد، ترك كتابات عدة أنتت له دوراً رائداً في نشأة الصوفية.

ولد في البصرة، واكتسب هذا الرجل التقى لقبه نتيجة للأهمية التي كان يوكلها «لحساب الضمير» أو المحاسبة. جاء في وقت مبكر إلى العاصمة العراقية وأمضى فيها القسم الأكبر من حياته التي لم يُعرف عنها شيء. وقد أثارت تعاليمه بعض المعارضة من قبل علماء الكلام ورجال الدين السنة من أمثال ابن حنبل. لكن يبدو أن عظمته تميّزت بعبارات شديدة اللهجة، كما أن نداهاته المتعددة في سبيل الكمال أو الاهتداء الروحي لم تمنعه من التمسك باحترام دائم للسنة.

تم تصنيف المحاسبي في عداد الصوفيين «المعتدلين». وكانت، بالنسبة إليه، تتمثل المرحلة الأولى من الحياة الدينية بالصراع ضد الشهوات والرفايل، كاللذّة والنفاق والمعجزة والإهمال، وهذا الصراع يقوده العقل. أما المرحلة الثانية ففقتصر على اكتساب الفضائل واستعداد النفس للبحث، من خلال التأمل وممارسة الصلاة والذكر. والمرحلة الثالثة الأخيرة تتمثل بحبّ الله الذي يسمح للخليفة بأن تصبح «خليفة» الله على غرار إبراهيم الخليل.

محارب، عنصر هندي وزخرفي أضيف، منذ العهد القديمة، إلى حائط القبلة الداخلي في قاعات الصلاة في المساجد، ليحتل مكاناً أساسياً على الصعيد الهندسي كما على الصعيد الرمزي.

ساهم المحارب في الدلالة على القبلة في مكة التي يتوجّب على المؤمنين الاتجاه نحوها للصلاة، وأصبح، بسبب ذلك، مرافقاً لا غنى عنه في كل مصلى عام أو خاص. كما استُخدم في الأضرحة وفي إيوانات المدارس مثلاً، للإشارة إلى مكان الصلاة واتجاه المصلين. وجرت العادة، في بعض الأحيان على حفر صورة المحارب على لوحات بسيطة من الحجر أو الجص أو الخشب لاستخدامها كمحارب ثانوي على جدران أنواع متعددة من الأمكنة، منها أروقة المساجد الجامعة وبعض الغرف في المنازل الخاصة، والمحارب المتفنة التي

هذا التوجّه نفسه، اتخذ المتوكل تدابير قاسية ضد الشيعة، فأمر بتدمير الضريح المقام على قبر الحسين في كربلاء. كما اعتمد تدابير قمعية ضد غير المسلمين وأرغمهم على التقيّد كلياً بالأنظمة التي ترعى وضعهم بصفتهم ذميين، وعلى إبراز سمات هذا الوضع الدوني بشكل جلي، ولا سيما من خلال لباسهم ومظهرهم الخارجي. وأدى هذا التحول السياسي المفاجئ إلى بعض الاضطرابات والصعوبات.

قُور المتوكل، الذي كان ما يزال يقيم في الأبنية الملكية الفخمة المجاورة للمعسكر الذي أنشأه والده في سامراء، منح ثقته لقادة حرسه الأتراك فخرتهم منه. واثراً الاستياء العام الناتج عن العودة إلى السلفية، أقدم أحد هؤلاء الأمراء المضالعين دوماً في مؤامرات القصر على اغتيال الخليفة في المقر الملكي الجديد الذي كان قد أقامه في مدينته الملكية المسماة الجعفرية. وما زالت هذه المدينة تحتفظ ببقايا مسجد جامع يُعرف بمسجد أبو دلف.

المجريطي، أبو القاسم مسلمة بن أحمد الفرضي، منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حتى حوالي سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٧م، فلكي ورياضي أندلسي، استعمل بانتقائية مواد علمية إيرانية وهندية، ونقلها لاحقاً إلى أوروبا المسيحية في القرون الوسطى.

وُلِد في مدريد - عرفها العربُ باسم مجريط، ومنها اسمه - وعاش في قرطبة. أما سيرة هذا العالم فإنها غامضة، على الرغم من أنه خلف لنا أعمالاً تقنيّة بامتياز، بعضها لم يصلنا إلا بنسخته اللاتينية أو العبرية. فقد عمل على مطابقة تقويمات الخوارزمي، الموضوعه بحسب زيج قديم «السندهند الكبير»، مع خط زوال قرطبة؛ لكنه لم يهمل كذلك المعطيات الهلنستية الأصل التي عرفها وتآلف معها في طائفة أشهر خلفاء السلالة الأموية في الغرب، الخليفة عبد الرحمن الثالث. كما اشتهر المجريطي بمعارفه التطبيقية التي كتب فيها رسالة في الأسطرلاب، وبخبرته في الأرصاد. وقد يكون أسهم، في الأوساط الأيبيرية، في نشر الأفكار الفلسفية الدينية التي تفضّلتها موسوعة إخوان الصفا الذين كان يشاطروهم ولا شك، بشكل غير علني، الميل إلى التشيع.

من الخزف. وفي المساجد الجامعة التي كانت ترمز إلى عظمة السلالة، غالبًا ما كان المحارب يجسد فخامة المكان ويثقل الأنظار بضحامته وبرخفته الساطعة. تفاوت حجمه وشكله وفقًا للتقنيات والأنماط المتبعة في مختلف مراكز الحضارة، حيث التفتت التاريخة الخاصة بالعالم الإسلامي حكمت تشييد أو تجهيز أو تزيين أو ترميم الأبنية الدينية المزودة بالمحارب. لذلك فإنّ التحجيف في الحائط يتخذ تارة شكل كوة مقعرة، وطورًا مستطيلة أو مكسورة الزوايا أو متوافرة العمق والارتفاع ومقسمة إلى كوات مُنفذة عدة. وكانت الكوة، بشكل عام، تقع داخل إطار مستطيل متفاوت العرض، تتوسطها عصابات متتالية أو سلسلة من القناطر الصماء ومن الصفايح. وتميّزت كلّ مقاطعة وكل حفة بنوع من المحارب، حيث تحكّمت طبيعة المواد المستخدمة ببعض عناصر الزخرفة المستعملة، من هندسية ونباتية وبخاصة نخطيطية، إذ إنّ الكتابات المنقوشة كانت تحلّ مكانًا خاصًا إلى جانب الأشكال المشابكة والزُرنمة، ضمن ناسق يُشبهه إلى حدّ بعيد ناسق مداخل الأبنية الفخمة لكنّه ينمّ، من خلال النصوص المختارة، عن إرادة خاصة بإضفاء صبغة انتدّيس على المكان.

شكّلت المحارب المصنوعة من الجصّ، على غرار تلك التي عرفتها إيران في العهد السلجوقي، أهمّ النماذج وأغناها بتقسيمها المنحوتة على مستويات عدة، بينما تميّزت اللوحات المنقّدة بالآجر، في الحفّة نفسها والمنطقة نفسها، بفساحة بنيتها ودقّة ترصيفها. واستعملت أيضًا مواد من الحجر المنحوت في بناء المحارب، وذلك في أنحاء العالم الإسلامي كافّة، في المغرب والهند ولدى الشمايين، من دون إغفال محارب العهد السلجوقي في القاهرة التي تميّزت بترصيفاتها الرخامية المتمددة اللون، وأيضًا من دون اغفال محارب المسجد الجامع في قرطبة المصنوع من الفن البيزنطي والذي شيّده الخليفة الأموي الحكم الثاني في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. وتألّقت في ما بعد في المشرق، خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، محارب مصنوعة كليًا

تزيّن سجادة الصلاة الفردية. تعمّم استعمال المحارب تدريجيًا بدون أن تفرضه سنة النبي محمد ﷺ. اعتُمد أولًا، وفقًا للمصادر المكتوبة، في العقود الأولى للإسلام، في المسجد الجامع الذي تميّز بأهميته السياسية والدينية في آن، والذي احتضن النماذج الأولى لما سمي في ذلك الوقت «محرابًا»، وكان لهذه التسمية معانٍ عديدة سابقة للإسلام، منها «الحجرة» و«الفصر». ويبدو أنّ أول المحارب ظهرت بشكل كوات مجوّفة بأمر من الخليفة الأموي الوليد الأول في أواخر القرن الأول الهجري/أوائل القرن الثامن الميلادي، في المساجد الجامعة في المدينة المنورة ودمشق، والنسفاط في مصر، بالقرب من المدينة التي عُرفت في ما بعد باسم القاهرة. يميل البعض إلى اعتبار الكوات التي بقيت من هذه الحفّة والتي صُنعت على قياس الإنسان، بغضّ النظر عن حجم المبنى الذي وُجدت فيه، نُسخًا مصغّرة لِصَلَر المجلس في البلاط الذي أذى دورًا مهمًا في المراسم الملكية خلال العهد الأموي. ترتبط المحارب، وفقًا لفرضيات أخرى، بصدور الكنائس المسيحية وكوات المعابد اليهودية؛ ساهمت في إجلال دور الإمام الذي يترأس الجماعة خلال صلاة الجمعة. تُجاور المحارب مع التعبير الذي يُعتبر وجوده ضروريًا لإلقاء الخطبة وللتعريف بالمسجد الجامع، وكلاهما يزيّن الفسحة المخصصة للمقصورة، في وجه الصحن المحوري المنروك شاغرا بين صفوف الحرس المنوط بهم حماية رأس السلطة أو مثله. وبذلك شكّلت المحارب جزءًا من الجهاز الذي يُضفي على المبنى طابعه الملكي، أمّا شكلها فهو مستوحى من عادات شرقية قديمة، وكذلك عناصر زخرفتها، لا سيّما تجويفها المحاط بأعمدة صغيرة والمنزّج بقبة نصفية.

فقد المحارب، في ما بعد، مغزاه السياسي ليحافظ وحده على طابعه الديني، فاعتمد في المساجد الجامعة وفي المصليات الخاصة والعامة، حيث المحارب يدلّ على المكان الذي يقف فيه الإمام. أمّا بالنسبة إلى المقامات العادية والأضرحة، فكان المحارب يُنقش بصورة رمزية، على الحجر أو الخشب، أو يُصنع أحيانًا

إنجازه الأكبر تجسّد في توصّله إلى إعطاء شرعية، من جديد، للحكم الأبراطوري المرتكز في آن على مجموعات عسكرية منظمّة، وعلى نظام إقطاعي للأراضي يضمنه النظام عمل الحكومة المركزية. وفي الوقت نفسه، تجلّت القوة التي استعادت السُلطة العثمانيّة خلال عهده في الأعمال الهندسيّة التي خلّفها. فقام بتشييد المجمع المسّى المسجد الأخضر في مدينة بورصة حيث استُخدم خزف ملوّن لا مثيل له لتزيين أبينته التي ضاعفت بضخامتها الأبنية التي شيّدها والده حول مسجد يلدرم في المدينة نفسها، كما أشرف على إنجاز المسجد القديم الذي كان العمل فيه قد بدأ في العام ٨٠٥هـ/١٤٠٣م، في مدينة أدرنة. وفي الوقت نفسه، ظهرت عناصر بنويّة مثيرة للاهتمام في تنظيم صالة الصلاة في المسجد الذي أشرف على تشييده في مدينة ديمثوكا في منطقة أدرنة.

محمّد الثاني، الملقّب بـ«الفاتح»^١، ٨٣٦-٨٨٦هـ/ ١٤٣٢-١٤٨١م. السلطان السادس في السلاطة، تولى الحكم في ١٤٤٤ إلى ١٤٤٦م، ومن ثمّ من ١٤٥١ إلى ١٤٨١م، واكتسب شهرة واسعة لنجاحه في فتح القسطنطينيّة.

هو الابن الرابع للسلطان مراد الثاني، اعتلى العرش في الثانية عشرة من عمره بإرادة والده الذي ننحى عن الحكم لمصلحته في العام ١٤٤٤م، وقد عمل على توجيهه في الحكم مستشارون ذور آراء منيابة، فطالبوا بعودة مراد الثاني خوفاً من حرب صليبيّة جديدة تشنها أوروبا، وتقارباً للأزمات الداخليّة المتعدّدة. وقام مراد، بعد عودته إلى الحكم في العام ١٤٤٦م، بإشراك محمّد بتصيبه حاكماً لمدينة مانيسا Manisa وباصطحابه معه في حملاته البلقانيّة.

بعد وفاة والده، تركّزت أولى اهتمامات محمّد على سحق الأبراطوريّة البيزنطيّة التي كانت تشكّل تهديداً دائماً لدولة العثمانيّين، وعلى غزو القسطنطينيّة، مستفيداً من تفوّق مدفعيّة الثقيلة. إنّ الحاضرة الرائعة التي نجت مراراً في السابق من هجمات العثمانيّين بفضل وصول الأمدادات إليها، اقتحمت بعد حصار دام شهرين فقط، في ٢٩ أيار ١٤٥٣م، وقد تعرّضت للنهب، بينما

من الخزف المزخرف، بقيت منها نماذج رائعة في الأناضول وفي إيران، بينما، في بعض الحالات النادرة، تمّ استعمال الخشب الملانم لتنفيذ زخارف هندسيّة ونباتيّة شبيهة بزخارف المناير والمقاصير العائدة إلى الحقبة نفسها. لم تخضع بعد كل هذه الأعمال ذات الأنماط الناجحة لأيّ إحصاء أو دراسة بشكل منهجي، في حين أنّ دراسات مفصّلة ومعقّدة للشماذج، لو وُجدت، لألقت الضوء على أجزاء كاملة من تاريخ الفنون في الإسلام وعلى الدور الاستثنائي الذي لعبه المحراب في كافة المناطق.

مِخْمُوت، الصبغة التركيّة لإسم محمّد بالعربية، حملة سلاطين عدّة من سلالة العثمانيّين، ولا سيّما عاهلان هما محمّد الأوّل، ومحمّد الثاني اللذان مثلاً دوراً مهماً في ازدهار الأبراطوريّة.

محمّد الأوّل شلي، الملقّب بالأمير، ٧٨٨-٨٢٤هـ/ ١٣٨٦-١٤٢١م. السلطان الثالث في السلاطة، حكم ابتداء من ١٤١٣م، وتمكّن من استعادة الهيمنة العثمانيّة الموحّدة في البلقان والأناضول بعد الصدمة التي أحدثتها اجتياح تيمورلنك. إنّه الابن الرابع لبازيد الأوّل يلدوريم. أصبح محمّد، في العام ١٣٩٩م، حاكم الأناضول بعد هزيمة والده في معركة أنقرة ووفاته في العام ١٤٠٢م. حافظ على هذا المنصب بعد انسحاب تيمورلنك الذي أراد تفكيك الدولة العثمانيّة، واضطرّ إلى إعادة بسط سلطته على الولايات التركمانيّة التي استعادت استقلالها بالرغم من ضمّها خلال القرن السابق. كما اضطرّ أيضاً إلى وضع حدّ للمرحلة الانتقاليّة التي تلت تقسيم السُلطة بين أبناء بازيد الثلاثة، وإلى إبعاد إخوته الذين كانت قد آلت إليهم حكومة الروملي. وفي العام ١٤١٣م، نمت أخيراً مياميته سلطاناً في مدينة أدرنة بعد أن أعاد الوحدة إلى الأراضي العثمانيّة.

واجهته في ما بعد صعوبات أخرى، سواء في البلقان أو في الأناضول حيث قام التيموري شاهرخ بغزوة في العام ١٤١٦م. لكنّه استطاع التخلّب عليه بكثير من الدبلوماسية، وتوفي في العام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، بعد أن توصّل إلى تأمين السُلطة لابنه البكر مراد الثاني. لكنّ

«مجموعة القوانين» (قانون نامه) التي صمّمت بشكل متعاضد جميع القوانين، المرتكزة منها على الشرع الإسلامي وغير المرتكزة عليه، التي كانت معتمدة والتي كانت تحكم في المسائل كافة، ولا سيما نظام العقوبات والنظام الضريبي وموجبات أصحاب التيمارات. وتميّزت هذه القوانين بأحكام تجيز للسلطان الحاكم القضاء على جميع الطامحين إلى العرش. وظلّ هذا القانون - الذي يحلّ للأخ قتل أخيه - معمولاً به حتى عهد محمد الثالث. إلى ذلك، قام محمد الثاني بتعزيز نفوذ السلطان الشخصي بإستناد المناصب الحكومية الأساسية إلى «عبيده» بدلاً من إسنادهما إلى أفراد الأسر الكبيرة.

وهكذا ورث خلفاءه أمبراطورية بيروقراطية مركزية تميّزت بحكمها المصلط، كما تميّزت بالأبنية العديدة التي شيدها، ولا سيما الروائع العسكرية مثل حصن «الروملي حصار» على البوسفور، وحصن «بدي كوله» ضمن أسوار اسطنبول. كما شيد أول الأكشاك في قصر «طوب كاي ساري» في الموقع الذي اختاره لإنشاء قصر يليق بسلطانه، وأشرف في مدن عديدة، بما فيها اسطنبول، على تشييد المساجد تبعاً للأسلوب المعتمد في مدينتي بورصة وأدرنة، وقام بخاصة، بين ١٤٦٢ و١٤٧٠م، بإنشاء أولى المؤسسات الأمبراطورية في اسطنبول، المسجد الجامع الذي عُرف باسم «القائع»، والذي، بالرغم من الترميمات التي أجريت عليه، ما يزال يحتضن ضمن أسواره أهم أبنية مجمع «الكلية»، إضافة إلى ملامح العناصر الهندسية المبتكرة، ومنها قبة مركزية واسعة.

محمد الثالث، ٩٧٤-١٠١٢هـ/١٥٦٦-١٦٠٣م، السلطان الثاني عشر في سلالة العثمانيين، تولى الحكم ابتداءً من العام ١٥٩٥م، خلال فترة اضطرابات وعدم استقرار.

ابن مراد الثالث، أقدّم، فور تولّيه الحكم، على إعدام إخوته غير الأشقاء التسعة عشر، وفقاً للعرف الذي اعتمدته محمد الثاني. ولم يكتفَ في ما بعد عن ممارسة سلطة مترقّدة وعنفية تحت سيطرة والدته، بينما كانت الحروب الخارجية قائمة في أوروبا الوسطى، كما في

كان المتصّر يمنح حمايته لغير المسلمين من سكّان حيّ غلاطا ويورغ الامتيازات على الجالية الجَنُوتِيّة، محاولاً إعادة إعمار هذه المدينة العريقة التي جعل منها فوراً عاصمة الدولة العثمانية باسم اسطنبول [إسلام پول]. وهكذا أصبح محمد يمتنع في بلاد الإسلام بشرعية جديدة من خلال انتصاراته التي جاءت تعمّر طموحاته الأمبراطورية. وتركزت اهتماماته التالية على توسيع حدود دولته للهيمنة على جميع المناطق الممتدة من الدانوب إلى الفرات.

بعد أن منح الجنوئين حرية الوصول إلى المدينة وعقد، في العام ١٤٥٤، معاهدة مع البندقية اعطت تجارها حقّ الدخول إلى المرافئ العثمانية والمناجزة فيها، سعى محمد إلى السيطرة على المضائق واستولى على المراكز التجارية الجنوبية في البحر الأسود وفي بحر إيجه، ومن ثمّ حوّل نظره نحو البلقان. مُني بهزيمة أمام بلغراد، لكن في العام ١٤٥٩م أصبحت صربيا مقاطعة عثمانية، وفي العام ١٤٦٠ تمّ ضمّ مقاطعة الموردة اليونانية، وفي عام ١٤٦١ أطلق محمد حملة في الأناضول مكّنته من القضاء على إمارة الجانداريين ومن الاستيلاء على سينوب، على كشتامونو وعلى مدينة طرابزون، آخر الممتلكات البيزنطية في المنطقة، لكي يصبح البحر الأسود نالياً بحيرة عثمانية. استولت من ثمّ الحملات في البلقان، بالاستيلاء على فالاشيا - التي أسندت إلى أمير موالٍ للعثمانيين - وعلى البوسنة، وبمواصلة الحرب ضد البندقية (١٤٦٢-١٤٧٩م) التي انتهت باحتلال جزيرة أروبة ومناطق مختلفة أخرى. واستطاع محمد، في الوقت نفسه، في الأناضول، القضاء على ولاية القرمانيين والتصدي بنجاح لملك الآق قيونلو، أوزون حسن. توفي محمد في العام ١٤٨١، تاركاً أمبراطورية شاسعة وأصبح هو نفسه، كما ورد في سلسلة ألقابه، سلطان «القازين» و«خاقان» البحرين، أي البحر الأسود وبحر إيجه، وبات مطالبته بالسيادة على العالم الإسلامي تُبشّر بإنجازات سليم الأول ياوز خلال القرن التالي.

لم يكن محمد محارباً كبيراً فحسب، بل سعى إلى تنظيم أمبراطوريته. واهتمّ بشكل خاص بتحرير

تأمين المستقبل لديانة أسست، من خلال شريعته، مجتمعاً من نوع جديد.

نشر النبي محمد ﷺ حوله، منذ عظامه الدينية الأولى في الوسط العربي المشترك، نص القرآن الكريم الذي «تلا» بنفسه على أنه رسالة وضعها الله في عهده رسوله المسمى أيضاً في الكتاب نبياً، وتحديداً النبي الأمي. وتحول من ثم النبي محمد ﷺ إلى مقاتل ومشترع، وإلى قائد لمجموعة المؤمنين الصغيرة التي نجح في توطئتها في واحة يثرب التي عرفت باسم المدينة، وأحرز النجاحات السياسية والعسكرية التي أدت، في ما بعد، إلى توسع سريع لآل أميراطورية إسلامية.

إن هذا الدور الأساسي الذي اعترف به للنبي محمد ﷺ دفع بالصحابة إلى جمع أقواله وأفعاله، في ما عُرف بـ«الحديث». وقد نُقلت إلى التابعين والمحدثين الذين تولوا عندئذ حفظها ودرسها وإضافة تفاصيل إليها عن سلوكه، ذُوت. هي أيضاً، بكثير من الفتوى، لتشكل مجموعة أطلق عليها اسم «السنة»، وقد اعتُبرت هذه أحد المصادر القانونية للشريعة. وما لبثت العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي أن تطوروا انطلاقاً من هذه المجموعة الأساسية التي أُضيفت إليها معطيات قديمها «السيرة النبوية» وروايات أولى المعارك أو «المغازي». وفي هذا الإطار أيضاً، لم تكف الأجيال اللاحقة عن البحث عن موضوعات للتأمل في حياة النبي ﷺ والإقتداء بها، وفقاً لرغبة العودة إلى الجذور واحترام السلف الذين يُعبرّان الحضارة الإسلامية بمجملها.

بدأت دعوة النبي محمد ﷺ في أوائل القرن السابع للميلاد، حوالي العام ٦١٠ بلا شك. إننا نعرف مضمونها من خلال نص القرآن، إذا ما اعتبرنا أن هذا النص، بشكله النهائي المتداول، يتطابق مع النص الأصلي المستظهر في مرحلة أولى، أو المدون بشكل موجز. لكننا لا نعرف الكثير عن مختلف الأحداث المتعلقة بحياة النبي محمد ﷺ التي تناقلتها تقاليد متباينة في أغلب الأحيان، ومكوّنة من جملة عناصر، ومن بينها روايات عن معجزات. وتتضمن هذه المصادر، القريبة بطبيعتها الحال من سير الأولياء، آراء متباينة وأحياناً

أذربيجان، حيث أقدم الصوفي عباس الأول على استعادة تبريز في العام ١٦١٠م، كما كانت الثورات المسلّحة الداخلية تتسبب بحالة قريبة من الفوضى. لكنّ عهده شهد بداية تشييد مسجد إيني وليده^٢ في اسطنبول، وكانت الملكة الأم قد قررت بنائه، ولكنه لم يُنجز إلا بعد ستين سنة، خلال عهد محمّد الرابع.

محمّد الرابع، ١٠٥٢-١١٠٤هـ/١٦٤٢-١٦٩٣م، السلطان التاسع عشر، حكم بين العامين ١٠٥٨ و١٠٩٨هـ/١٦٤٨ و١٦٨٧م، من دون أن يعير اهتماماً حقيقياً لشؤون الدولة.

هو ابن السلطان إبراهيم، أصبح سلطاناً في السابعة من عمره بعد أن خُلع والده. وخلال سنتي حياته، كانت السلطة بيد الملكة الأم والانكشارية. تمكّن محمّد كوبرولو، الذي أصبح صدراً أعظم في العام ١٦٥٦، من إبعاد نفوذ الحريم، ودافع بنجاح عن حدود الأمبراطورية ضدّ تهديدات البنادقة، وترك لابنه أحمد الذي خلفه في العام ١٦٦١ مهمة إنجاز ما بدأه بغزو جزيرة كريت وإبراهيم معاهدة صلح مع البندقية.

بعد وفاة أحمد كوبرولو في العام ١٦٧٦، فشل ورثته عسكرياً بينما تجذدت الحرب مع النمساويين وادت إلى فشل الحصار الذي ضربه العثمانيون على فيينا، في العام ١٦٨٣، وإلى هزيمة موهاكس في العام ١٦٨٧ التي كُرست نهائياً فقدان المجر. أدت هذه النتائج المفجعة إلى ثورة وحدات الجيش وإلى خلع محمّد الرابع الذي أبدى ارتياحه حين تمّ عزله وإبعاده إلى مدينة أدرنة. ثمّ في عهده، بين العامين ١٦٦١ و١٦٦٣، وبمبادرة من الملكة الأم النشطة، إنجاز المتجمع الهندسي لمسجد إيني وليده^٣، وهو آخر مجمّع أمبراطوري ضخم بُني في اسطنبول، وكان العمل فيه قد توقّف خلال عهد محمّد الثالث.

٢ راجع المستندين ٨٢ و٨٦.

محمّد (النبي ﷺ)، أبو إبراهيم محمّد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، ٥٧٠ - ١١هـ/٦٣٢م، المؤسس التاريخي للإسلام، ولد في الجزيرة العربية في مكة، في قبيلة قريش، وأفلح في نشر دعوته، وفي الوقت نفسه، في ترسيخ سلطته بين معاصريه، وتمكّن تالياً من

خديجة وعمّه في العام ٦١٩م، فوجد نفسه وحيداً. فأنّصل عندئذ بعض المؤمنين له من خارج مكّة وتقبّل ولاء ممثلين عن أهل يثرب الذين عقدوا معه ما سُمّي «بيعة النخبة».

غادرت مجموعة المؤمنين الأولى مكّة في العام ٦٢٢م، وفي ٢٤ أيلول بلغ النبيّ محمد ﷺ، آخر الراحلين، الأرض التي أراد أن يجعل منها أكثر من ملاذ، فتحوّل دخوله إليها حدثاً مهمّاً. واعتُبرت سنة الهجرة بداية التنظيم الإسلامي الذي اعتمد بعد بضع سنوات. واستقبل نبيّ الإسلام في يثرب استقبال الحكّام القادم لإحلال النظام بين مختلف القبائل المقيمة في الواحة من جهة، وبين هذه القبائل والمكثّين المبعدين الذين حلّوا ضيوفاً عليها من جهة أخرى. كما تمّ عقد معاهدة أخوة بين القادمين الجدد الذين عُرفوا بالمهاجرين، وسكّان الواحة السابقين من العرب المشركين الذين اعتنقوا بدورهم الإسلام، فأطلق عليهم اسم الأنصار. بينما قررت قبائل عربية متحوّلة إلى اليهودية وموجودة في يثرب البقاء فيها، من دون التخلّي عن دينها.

إنطلاقاً من هذه اللحظة، أهداف النبيّ محمد ﷺ إلى دوره كناقل للوحي الإلهي، دور الرجل السياسي والقائد الحربي الساعي إلى تنظيم الدولة الإسلامية الجديدة والدفاع عنها، لكنّ هدفه الأساسي ظلّ استعادة مدينة مكّة التي اضطرّ إلى مغادرتها. وقد تمّ تحرير وثيقة عُرفت باسم «الصحيّة». وقد وصل نصّها إليها، ولكن يبدو أنّ بعض الإضافات أدخلت عليه لاحقاً - هدف النبيّ (ﷺ) من خلاها إلى تحديد واجبات مختلف الأفراد الذين يحيطون به في المدينة. رَسَم هذا المستند ملامح الجماعة التي أطلق عليها اسم «أُمَّة» والتي تميّزت بصابعها الدينيّ الذي طغى على التقسيم العشائري السابق، وأسس لقاعدة رئيسة من التضامن الداخلي المادي والمعنوي، أفزّ بموجبها أعضاء هذه الأُمَّة بسلطة محمد رسول الله ﷺ، وكفانيته في نسوية نزعائهم. أمّا بالنسبة إلى العشائر اليهودية، فقد تمّ قبولها داخل هذه الأُمَّة، من دون أن تكون في الواقع جزءاً منها.

خلال هذه المرحلة من حياة النبيّ محمد ﷺ المعروفة بالمدّنية تميّزها عن المرحلة الأولى المسماة

معقّدة تعكس المجادلات التي نشأت بعد وفاة القائد والمرشد الأوّل للجماعة.

كان النبيّ محمد ﷺ عربياً من أصل قبلي نبيل، متحقّراً من أسرة شهيرة في مسقط رأسه، لكنه كان ينتمي إلى عشيرة فقيرة نسبياً، عشيرة هاشم بن عبد مناف. يتيمّاً، استقبله جدّه ومن ثمّ عمّه أبو طالب الذي كان قائد قوافل، وتنظّل محمد من أجل هذه التجارة حتّى منطقة غزّة في سوريا. في سنّ الخامسة والعشرين تقريباً، تزوّج أرملة ثروية تُدعى خديجة، وأدار أعمالها فحصل على مزيد من الاستقلالية، من دون أن يتمكن من الإنتماء إلى الطبقة المهيمنة. وحوالي العام ٦١٠م، يُذكر أنّ الوحي نزل عليه للمرّة الأولى بواسطة صوت نسبته آيات قرآنية إلى الملاك جبريل الذي طلب منه قراءة ما سمعه. كما يُذكر أنّه انتظر أربع سنوات قبل أن يتكلّم علناً. ومنذ ذلك الوقت، وحتّى العام ٦٢٢م، لم يكفّ عن توجيه نداءاته المتعدّدة التي أثارت ضده وضدّ المحيطين به سخرية المكثّين واضطهادهم له بشكل متزايد.

ولم يتمكن من أن يجمع حوله إلا بعض الأوفياء، ومن بينهم ابن عمّه علي بن أبي طالب ومجموعة صغيرة من الرجال المنتسبين إلى أوساط مختلفة، بعضهم من أصل محترم، وبعضهم الآخر، كما يبدو، من المحرومين أو الغرباء. وكان يشهرهم بافتراق يوم الدين بعد البعث، ويطلب منهم الرجوع إلى الله، ويوصيهم بمساعدة الضعفاء، مُدنياً الشّرك السائد في مكّة حينئذ، وكان في الوقت نفسه يدافع عن الإيمان بإله واحد، هو الله. وكان نصيبه، خلال هذه الأعوام القليلة من الدعوة، عدم التجاوب معه ورفض دعوته وتعرّضه للنشائم. ويبدو أنّ هذا العداء الواضح الذي تعرّض له من قبل أترياء مكّة ناتج، على الأرجح، من خشيته من وصوله إلى الزعامة السياسية. وتعرّض جميع الذين تبعوه ودعموه، ومن بينهم مختلف أفراد عشيرة بني هاشم، إلى ضغوطات إقتصادية من قبل عشائر قريش الأخرى وخروما من كل مساعدة. وجزّاه ذلك هاجر بعضهم، في العام ٦١٦م، إلى الحبشة. أمّا محمد ﷺ فاختار، في بادئ الأمر، البقاء في مكّة، لكنه قدّ زوجته

انسحب المكِّيون.

قرَّر النبي محمد ﷺ عندئذٍ الإفادة من تَفَوُّقه وتحويل أنظاره باتجاه مكة بعد أن تَمَكَّن من فرض سلطته على واحة يثرب في الداخل كما في الخارج. وإثر خلافات مع المشائير اليهودية التي بغيت محايدة خلال الإشتباكات الأولى أو التي انضمت إلى صفوف أعداء المسلمين، اتخذ بحقها تدابير أكثر تشدداً: فبعد طرد عشيرة قَيْنُقَاع إثر معركة بدر، وعشيرة بني النضير إثر معركة أحد، أقدم على إعدام جميع رجال عشيرة قُرَيْظَة إثر معركة الخندق. وتزامن هذا الموقف العدواني تجاه اليهود بتوجه ديني جديد: تم اعتماد الكعبة في مكة قبلة للصلاة بدلاً من القدس، واستُبدل بالصوم اليهودي المعتد سابقاً صوم شهر رمضان، وبشكل عام اعتبرت الديانة الجديدة نفسها الديانة الحقيقية، ديانة النبي التوراتي إبراهيم الذي بات مكرِّماً بصفته أوَّل باني للكعبة وأوَّل الموحَّدين، كما اعتُبر أن مضمون رسالته قد حُوِّر على أيدي اليهود والمسيحيين.

تواصلت جهود النبي محمد ﷺ عندئذٍ لتكريس انتصاره على مكة، المدينة المقدَّسة التي باتت مرتبطة بمراسم العبادة الإسلامية. فحاول أولاً تأدية شعائر العمرة بطريقة سلمية، ولهذه الغاية توجَّه، في آذار ٦٢٨م، إلى حدود الحرم. وإذ تملَّز عليه الدخول، توصَّل إلى إبرام اتفاق الحديبية الذي حصل النبي ﷺ بموجبه، لنفسه ولأنصاره، على إمكان العودة في السنة التالية لتأدية هذه الشعائر، وهذا ما جرى فعلاً. إثر هذا النجاح، أقدم المسلمون، وكان عددهم عشرة آلاف، على احتلال مكة في رمضان سنة ٨هـ/ كانون الثاني ٦٣٠م. عدها قرَّر أبو سفيان زعيم القُرَيشيين، بعد مداوات سرية. الانضمام إلى النبي محمد ﷺ الذي دخل الكعبة منتصراً وحطَّم الأصنام التي كانت تملأ جوفها. وبعد عامين، أي في ١٠هـ/ ٦٣٢م، قام النبي محمد ﷺ بتأدية شعائره الحج كاملة وفقاً للطقوس القديمة التي أعطاهم مفهومها جديداً. وتوفي بعد ذلك بقليل في ربيع الأوَّل/ ١١هـ/ حزيران ٦٣٢م، بعد أن كرس، من خلال هذا الحج الذي أطلق عليه اسم حجَّة الوداع والذي تلت خطبة شهيرة، انتصاره النهائي ونهاية

المكة، نزل الوحي عليه مرَّات عديدة، ما أتاح له أن يحدِّد القواعد العامة والخاصة التي يترقَّب على الصحابة التقيد بها في حياتهم. وأوردت الآيات القرآنية العائدة لهذه الحقبة التعاليم الأساسية المتعلقة بالعبادة، ولا سيَّما تلك التي فرضت الصلاة والحجَّ وصوم رمضان والزكاة، والتي عالجَت شؤون الحياة الاجتماعية والعائلية المتعلقة بالإرث والزواج، بما في ذلك الطلاق وتعدد الزوجات والعمليَّات التجارية والجرائم الخطيرة والحدود، أي العقوبات وغيرها من الموضوعات. وكان النبي محمد ﷺ من جهته يتصرَّف ويصدر قراراته بنفسه ويُطلِّق أحكاماً شكَّلت أسساً لقواعد تقيَّد بها الإسلام لاحقاً. وبعد أن تزوج بعائشة، ابنة أبي بكر، أحد أوائل الصحابة، أقدم النبي محمد ﷺ على الزواج من نساء أخريات، لعقد تحالفات، على ما يبدو، مع عدد من الأسر القادرة على أن تقدِّم له المساعدة، إذ إنَّه كان قد قام بتطويع المهاجرين والأنصار في حملات هجومية ضد المكِّيَّين في ظل نشوء فكرة الجهاد أو الحرب الشرعية.

لم يكن المهاجرون، بسبب عدم إلمامهم بالزراعة، يتمتَّعون في المدينة بأية موارد خاصة، ولذلك كان لا بُدَّ لهم - لأنَّه كان يتعلَّز عليهم تحقيق أي ربح من خلال تجارة القوافل التي بقيت بين أيدي المكِّيَّين، وبعد أن قُطعت كل روابط التضامن مع هؤلاء - أن يشتروا الهجمات على المكِّيَّين وأن يُعيقوا رحلاتهم التجارية لتحويل المكاسب لمصلحتهم والاستيلاء على حيوانات القتل وعلى البضائع المنقولة. وهكذا أقدمت، في شهر آذار ٦٢٤م، مجموعة مؤلفة من ثلاثمائة مسلم على نصب كمين لقاطنة مكة مائة بالقرب من المدينة وتشثيت قوة أكبر منها بثلاثة أضعاف: هذه هي معركة بدر التي نجد صدقاً لها في بعض الآيات القرآنية. وفي السنة التالية، جرت معركة أخرى لم تحسم نتائجها بالقرب من جبل أحد، وفي آذار ٦٢٧م أخذ المكِّيَّون المبادرة بفرض الحصار على المدينة، ولم تنج هذه إلا بفضل أحد سكَّانها، سلمان الفارسي، الذي قام بحفر خندق للدفاع عن الواحة، ولذلك أطلق على هذا الاشتباك اسم «معركة الخندق». وبعد مرور ثلاثة أشهر

رسالته في آن ممّا.

عن المسائل الدنيوية، كزس حياته للعبادة ولجمع «الأحاديث» بعناية. غير أنّ بعض أتباعه المعروفين بالباقرية اعتبروه المهدي ورفضوا الإفراج بوفاته، كما رفضوا الاعتراف بأنه جعفر الصادق إماماً. كما ادّعت تبعته بخلعة شيعية أخرى اعتبرها مؤرّخو اندع غير شرعية وإرهابية. وقد قُضي على أتباع هذه الطائفة المعروفة بـ«المنصورية» - نسبة إلى مؤسسها أبي منصور العلّجلي الذي ادّعى أنّه ورث محمد الباقر - في منطقة الكوفة حوالي العام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م، على أيدي الجيوش الأموية.

محمّد بن الحنفية، ١٦-١٦٣هـ/ ٧٠٠م، ابن علي (الإمام الأوّل) وامرأة من قبيلة حنيفة، وهو أوّل علوي أدّت مطامعه في الإمامة إلى قيام تمرد مسلّح، وقد تميّز أنصاره المعروفون بالكيسانيين، منذ ذلك الوقت، بتطرّفهم الشيعي.

سعى عربي من عائلة شريفة موالية للعلويين، هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، إلى الثار لمقتل الحسين وشهداء كربلاء بمشاركته في ما سُمّي بـ«ثورة التّزيين» التي قمعها الأمويّون بعنف في العام ٦٨٥هـ/ ٦٨٥م. ففرّز، من ثم، قيادة ثورة واسعة النطاق في الكوفة والاستيلاء على السلطة فيها باسم محمد بن الحنفية. وكان نجاحه الأوّل نابعاً عن انضمام بعض الزعماء العرب وعدد وفير من الموالي الإبرانيين الراغبين في تحسين أوضاعهم من خلال تغيير النظام. لكن سرعان ما بدأت حركته في سبيل «المقهورين» وغيرهم من الضحايا - وعلى رأسهم أفراد من بيت النبي محمد (ﷺ) - من أبعادوا ظلماً عن السلطة - بالتراجع تحت تأثيرات ابتداءية أبعدت عه سريعاً معظم مؤيديه. وأعقبت ذلك هزيمة عسكرية أدّت إلى مقتل المختار لتضع حدّاً لهذه الثورة في العام ٦٧هـ/ ٦٨٧م.

تابع محمد بن الحنفية، خلال فترة العنف هذه، حياته في المدينة من دون أن تضايقه السلطات الأموية. وفي العام ٦٨هـ/ ٦٨٨م، بعد قمع الانتفاضة العراقية، شارك في الحج، وتوجّه بعد ذلك إلى دمشق لأداء قسم الطاعة للخليفة عبد الملك، وعاد من ثم للإقامة في المدينة حيث توفي في العام ٨١هـ/ ٧٠٠م. ظلّ بعد ذلك

وكان النبي محمد (ﷺ) قد عمل، في وقت سابق، على تعزيز سلطته من خلال قدرته السياسية على جمع البدو العرب الراغبين في الحصول على حمايته، في مقابل اعتنائهم الإسلام. وفي الوقت نفسه قاد حملات عسكرية عدّة توجّعت بالنجاح. وهكذا غزا واحدة خيبر اليهودية (٨٧/٦٢٨م) التي واصل سكّانها زرع أرضها في مقابل نصف محصولها، وقام بقمع تمرد أهل الطائف في معركة حثّين في عام ٩هـ/ ٦٣٠م، كما احتلّ بلدة تُجران المسيحية التي حافظ سكّانها على حق صناعة البرد في مقابل تسليم جزء من إنتاجها السنوي. كما قرّر أخيراً شنّ هجمات بعيدة في اتجاه الشمال ولا سيما في اتجاه سهوب ثوك ومؤنة.

وهكذا نجح النبي محمد (ﷺ)، وفقاً للروايات التقليدية، في فرض سلطته على الجزيرة العربية بأكملها من خلال حصوله على طاعة أهمّ القبائل، ومن خلال النظام الذي فرضه على غير المسلمين من يهود ومسيحيين والفاطم على دفع الجزية. كما أنّه وضع أسس فتوحات الإسلام الكبرى التي أدّت، في أقلّ من عشر سنوات، إلى نشوء أمبراطورية حقيقية. لكنّه استطاع بشكل خاص، من خلال تصرّفه، أن يبيّن أنّ الديانة الجديدة التي أنزلت على العرب باللغة العربية، موجهة أيضاً إلى غير العرب، فتوجّب نالها فرص هيمنتها عليهم، انطلاقاً من موقع قوّة، طبقاً للسياسة التي اتبعها النبي (ﷺ) والتي اعتمدت القتال والحكمة في آن. هذا هو المثل الذي تقدّمه لنا نجاحاته الخاصة.

محمّد الباقر، ٦٩-١١٤هـ/ ٦٨٨ - ٧٣٢م، ابن علي زين العابدين وخامس إمام علويّ بالنسبة إلى أتباع الإمامية الاثني عشرية (الرابع بالنسبة إلى الإسماعيلية). قامت مكانته على طول باعه في علم الحديث وعلى شهرته بغزارة العلم التي تجاوزت الدوائر الشيعية. كان يقيم في المدينة خلال عهد الخليفة الأموي هشام. كان حفيد الحسين، «شهيد كربلاء»، وأخاً غير شقيق للعلويّ زيد ابن علي الذي قاد، إلى جانب ابنه يحيى، حركات ثورية عتيقة قمعتها السلطة، لكنّه شخصياً وقف على الحياد ولم يشار كهما مبادراتهما. كان رجلاً مترقفاً

حيث يجاور قبره قبر جده موسى الكاظم، في الصريح المسمى «صريح الكاظمين». وكان وصوله إلى الإمامة منار صعوبات وجدالات فقهية، بسبب صغر سنه عند وفاة والده، ذلك لأن عمه أحمد بن موسى، كان في وسعه المطالبة بالإمامة بسوجب نظام انتقال كهذا السلطة من أخ إلى أخيه، وقد تعددت أمثلة هكذا انتقال في تاريخ الإسلام. انكب محمد على التقوى وعلى تدريس العلوم الدينية، عاش في المدينة، ثم في بغداد، حياة تميزت بزواجه من ابنة الخليفة العباسي المأمون الذي كان يكنى له أعلى التقدير. لكن الوضع تغير مع وصول المعتصم إلى السلطة، فتعرض عدل الإمام، وفقاً لبعض المصادر التاريخية، إلى القتل بالسهم، بإيعاز من الخليفة الذي عمل مع ذلك على تشييعه بمراسم الشرف اللألفة بمقامه.

محمد علي، أو محمد علي باشا، ١٧٦٩ - ١٨٤٩م، حاكم مصر من ١٨٠٥ إلى ١٨٤٨ ومؤسس سلالة الخديويين فيها، ومن ثم «الملوك المنحدرين من أعقابهِ.

ولد في مقدونيا وأصبح ضابطاً في الفرق العسكرية الألبانية المنخرطة في خدمة العثمانيين التي بقيت في مصر، في العام ١٨٠١، بعد حملة بوناپرت، فنهض بمهمة الحكم بين الباشوات المعيّنين من قبل الباب العالي والبيكوات العماليك. وما لبث أن نجح في كسب موادة سكان القاهرة واعتراف السلطات العثمانية به حاكماً للبلاد. فاستطاع عندئذٍ، خلال فترة حكمه التي دامت حوالي نصف قرن، إعادة بناء قدرة مصر العسكرية والاقتصادية. كما نجح، في نيسان ١٨٠٧، في صد هجوم عسكري إنكليزي، في مدينة رشيد، وأمر في العام ١٨١١، بقتل ثلاثمائة من العماليك في قلعة القاهرة. وإرضاء لحكومة اسطنبول، شرع حملة على نجد ضد الوهابيين في الجزيرة العربية، تلتها سلسلة من الأعمال العسكرية في السودان النيلي، وذلك بقيادة ابنه إبراهيم باشا الذي ساهم أيضاً في قمع الثورة اليونانية، إلا أن مبادرته عطلت - ما خلا سيطرته على جزيرة كريت - بعد الهزيمة البحرية في نافارين، في العام ١٨٢٧.

أنصاره المعروفون بالكيسانيين يعتبرونه إماماً، وحافظ على دور تجاوزاً بأهميته الدور الذي أسنده إليه، لفترة، المختار. وكان في الواقع يحتل، كما فعل ابنه أبو هاشم من بعده، مكانة أساسية في الأوساط الشيعية، في وقت لم يكن فيه المذهب الإمامي يعتبر بعد أن السلطة يجب أن تنتقل عن طريق النساء، وبالتحديد عن طريق فاطمة ابنة النبي محمد (ص)، إذ إن هذه كانت تنتقل آنذاك عن طريق الوصية أو «النص». ولم يكن ذكر اسمه يقتصر فقط على بلورة المطالب لمصلحة آل البيت، لكن الحركة المؤيدة له استمرت من خلال تنظيم سري ناشط بالرغم من فشل محاولات التمرد.

هذا وقد صرح في ذلك الوقت بعض الكيسانيين الذين ظلوا موالين لمحمد بن الحنفية حتى نهاية حياته أن الإمام قد اعتزل في الجبل، على أن يعود يوماً ما للتغلب على أعدائه. ويبدو أن هناك فكرة جديدة تقول بمجيء المخلص المنتظر، ظهرت آنذاك، بحسب المؤرخين، وأصبحت، في ما بعد، إحدى ركائز العقيدة الشيعية. ومفادها أن الإمام الذي لا يشارك في النزاع الزمني، كان يتميز بصفات تفوق الصفات البشرية، وكان مرتبطاً على النور الإلهي ووسيطاً بين الله وخليقته. أما أتباع محمد بن الحنفية الذين لم يبتنوا هذه الفكرة، فانقسموا إلى ابنه أبي هاشم وثقوداً يرادونه التي أعلنها قبل وفاته في العام ٧١٦/٨٩٨م والتي قضت بنقل حقوقه إلى أمير عباسي باسم محمد بن علي كان مرتبطاً به من خلال عائلة زوجته، وكان هذا الأمير يقيم عندئذٍ في بلدة الحُميمة في الأردن الحالي بالقرب من البتراء القديمة.

وهكذا استطاع ممثلو أحد الفروع العلوية الذي غاب عن الساحة سريعاً، أن يجسّدوا الأمل في مخلص منتظر، وهو المهدي، ومن ثم أن ينشروا حولهم أفكاراً عديدة، أدت إلى نشوب طائفتهم إلى حركات عدة، فكانوا مثلاً وراء انطلاق «الثورة العباسية» التي شارك فيها بشكل ناشط بعض أنصارهم السابقين.

محمد الجواد، أو الثاني، ١٩٢-٢٢٠هـ/٨٠٨ - ٨٣٥م، هو ابن علي الرضا وتاسع إمام علوي لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

ما يزال ذكر محمد الجواد مركزاً حالياً في بغداد

حذرت مسبقاً الميزات الأساسية لشخصيته .

محمّد النفس الزكيّة، محمّد بن عبيد الله ، ٩ - ١١٤٥هـ / ٩ - ٧٦٢م ، علويّ من سلالة الحسن ، تمرد على سلطة العباسيين خلال خلافة المنصور في العام ١١٤٥هـ / ٧٦٢م .

اشترك ابن حفيد الحسن بن علي هذا ، في وقت مبكر ، في مساعي العلويين ، والمهاشمين بشكل أوسع . الهادفة إلى المطالبة بالسلطة لأحد أفراد عائلتهم . وكان والده ، قبل سقوط الأمويين ، قد حاول الحصول على إقرار بأفضليّة تمثيله لسلالة نبي الإسلام ، وتؤكد بعض الروايات أنّ المنصور الذي أصبح في ما بعد خليفة قدّم له الولاء .

كان محمّد وشقيقه إبراهيم موجودين في المدينة ، في العام ١١٣٧هـ / ٧٥٤م ، عند وصول الخليفة العباسي الثاني إلى السلطة ، ولمّا رفضا أدله قسم الولاء له اضطرّوا إلى الاختباء . لكنّ الاضطهاد الذي وقع صحبته والدعما وحسينون آخرون رُجّوا في السجن في الكوفة ، حتّى محمّد على التمرد في المدينة في جمادى الآخرة ١١٤٥هـ / أيلول ٧٦٢م . وتمكّنت قوات الخليفة من القضاء على الثوّار في شهر رمضان/ كانون الأول ، بينما كان إبراهيم شقيق محمّد يتور بدوره في منطقة البصرة قبل أن يلاقي حتفه حاملاً سلاحه ، خلال اشتباك مع القوّات العباسيّة في ذي القعدة ١١٤٥هـ / شباط ٧٦٣م . وأطلق على محمّد الذي سقط شهيداً لقب مستخرج من عبارة واردة في إحدى آيات القرآن (سورة الكهف ، الآية ٧٤) حيث يقول فيها موسى : ﴿ أَتَلَّكَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِمَا نَفَعْتَ نَفْسًا لَّكَ ﴾ .

المحمديّة ← الريّ .

محموت ، الصيغة التركيّة لكلمة محمود العربية ، وقد حمل هذا الاسم سلطانتان من السلالة العثمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

محموت الأول غازي ، ١٦٩٦ - ١٧٥٤م ، هو السلطان العثماني الثامن والعشرون ، حكم من سنة ١٧٣٠ إلى ١٧٥٤ ، وقام بالدفاع عن الحدود الآسيوية والأوروبية للأمبراطورية في ظروف صعبة للغاية ، كما

في هذه الأثناء ، طالب محمّد علي العثمانيّين بالمفاوضات السوروية تعويضاً له لمشاركته في الحرب ضدّ اليونان ، فاضطرّ ، للحصول عليها ، في العام ١٨٣٣ ، إلى إرسال ابنه مجتدًا في حملة أوصلته إلى داخل الأنابول . لكنّ طموحاته الهادفة إلى الهيمنة على مجمل الولايات العربية أدّت إلى بروز موقف عدائي صريح تجاهه من قبل الباب العالي بدعم من الدول الأوروبية ما اضطرّه ، في العام ١٨٤١ ، إلى التخلّي عن سوريا وعن جزيرة كريت ، لكنّه استطاع ، في المقابل ، الحصول على الإقرار بحكمه الوراثي على مصر . إلى ذلك ، تمكّن ، منذ العام ١٨١٩ ، بمعاونة ضابط فرنسي اعتنق الإسلام ، من تأسيس جيش حديث استطاعت مصر بواسطته فرض هيمنتها . ولم يكن ذلك إلّا مظهرًا من مظاهر سياسة التحديث التي اعتمدها في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة والتي جعلت من مصر دولة مزدهرة تتمتع بموارد اقتصادية أساسية .

محمّد المهدي ، الملقب أيضًا بالخبّجة والمُنتظر وصاحب الزمان ، ٢٥٤ - ٢٦٠ / ٨٦٨ - ٨٧٤ ، هو ابن الحسن العسكري ، والإمام العلويّ الثاني عشر بالنسبة إلى الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، وقد حصلت غيبته في سمره بعيد وفاة والده .

يبدو أنّ هذا الطفل البالغ خمس سنوات ، أو تسعًا وفاق مصادر أخرى ، قد دخل هذه الحالة الخفيّة المزدنة بعودته المجيدة مهدّدًا في المنزل نفسه الذي كان يقسم فيه ، في سرداب تحت الأرض حيث كان يختلي للصلاة والذي ما يزال موضع تكريم بصفته مكانًا ذا قدسيّة خاصّة ، تشير إلى وجود قبة مجاورة للقبة التي تتوجّ الضريح الذي يضمّ قُبُري الإمامين العاشر والحادي عشر ، علي الهادي والحسن العسكري ، وهما على التوالي الجدّ والوالد لمحمّد ، الأخير في سلسلة الأئمّة . وبشكل حرم الغيبة الذي يحتفظ ببقايا تعديلات هندسيّة عائدة إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي مقصد زيارات نفويّة ترافقها مجموعة من الصلوات موجهة إلى الإمام المنتظر ، على أن يعود هذا الإمام ويظهر مجتدًا بالقرب من هذا المكان في مدينة الحلة . وإنّ وجوده القصير على هذه الأرض قد شكّل تحقّقًا للنبوءات الأخروية التي

رأس دولة تصف بها الفوضى، فكان عليه أن يظهر كثيرًا من الحزم ليُخمد حركة التمرد في العاصمة. وفي الوقت عينه، أعاد الأمن إلى المناطق الحدودية والمقاطعات مؤقتًا، في بداية عهده، تسويات مع الروس مثل معاهدة بخارست عام ١٨١٢، ومؤقتًا تقدّم الوهابيين في شبه الجزيرة العربية بفضل مساعدة محمد علي له؛ وبمساعدة محمد علي مرةً جديدةً، أحبط ثورة اليونانيين بين ١٨٢٠ و ١٨٢٦ التي استتبت ثورات قام بها المصرب.

عندئذٍ، عزم محموت أمباشرة بإصلاحات أساسية، فتصدى بجراً وإقداماً للانكشارية الذين ثاروا، فأبدهم سنة ١٨٢٦، وشكّل جيشاً جديداً. لكنّ القوى العظمى الغربية هبّت لنجدة اليونانيين، فاضطرّ العثمانيون، بعد الانكسار في معركة نافارين سنة ١٨٢٧ وهجمات الروس في البلقان، إلى التخلّي عن دلتا الدانوب بموجب معاهدة أدرة عام ١٨٢٩، كذلك عن بلاد اليونان في ١٨٣٢. وواجه السلطان هزائم عسكرية أخرى عندما اضطرّ إلى ردّ هجمات الجيش المصري التابع لمحمد علي، والذي كان، كما في شبه الجزيرة العربية أو في اليونان، بإمرة إبراهيم باشا. وكان هذا الأخير، بعد احتلاله سوريا، قد غزا الأناضول، وسبق انتصاره الأخير في نرب موت السلطان بغرة وجيزة.

لم تكن نتائج الحملات والأعمال العسكرية التي قام بها مُجَلِّية في أي شكل من الأشكال. فهو لم يستطع، في العام ١٨٣٠، منع الفرنسيين من احتلال الجزائر، كما كانت السلطنة العثمانية، إيمان حكمه، تبدو في انحطاط مستمرّ بالمقارنة مع أوروبا التي كانت في أوج التبدّل والتغيّر. لكنّ السلطان لم يتوان في إطلاق إصلاحات داخلية عدّة، شكّلت بداية عصر جديد: إصلاح الجيش، وبشكل أخفّ إصلاح الإدارة لتصبح أكثر فعاليةً. فجمّل النظام الإداري كلّ تحت سلطة الصدر الأعظم في ما يخصّ الشؤون المدنية، وتحت سلطة شيخ الإسلام في الشؤون الدينية أو القضائية، وسلطة البيرغشكر للشؤون العسكرية؛ وهؤلاء الثلاثة كانوا متساوين ومسؤولين أمام الحكم. والموظفون، من ناحيتهم، تحوّلوا من «خُدّام» إلى «مأمورين». كما

قام بالمحافظة على الأمن في الأقاليم الأخرى.

أمضى محموت طفولته في أدرة، ثم عاش طوال سبع وعشرين سنة حياةً منزوية. ذلك أنّه، بعد خلع والده مصطفى الثاني وتسلّم عهده أحمد الثالث مقاليد الحكم عام ١٧٠٣، تمّ احتجازه مع والدته في اسطنبول، داخل جناح خاصّ في القصر. تسلّم الحكم إثر تنحي أحمد الثالث بسبب تمرّد الإنكشارية، فاضطرّ إلى إخماد هذا التمرد وقمع آخر سبّه إعدام قادة المتمرّدين. وإن كان محموت قد اهتمّ بالأوضاع الداخلية للسلطنة، إلّا أنّه استحقّ لقبه «غازي» بفضل حملاته العسكرية البعيدة. فقد قاتل أولاً نادر شاه، وقاد عمليّات حربية عدّة في المقاطعات المتنازع عليها بين العثمانيين والصفيّين، من تخوم ما وراء القوقاز حتّى تبريز والموصل وبغداد. وبعد أن تمّ التوقيع على صلحين مع الصفيّين، تانيهما سنة ١٧٣٦، اندلعت أعمال عسكرية ضدّ الروس في الوقت الذي كان فيه النمساويون يشكّون هجمات جديدة. وقد سمحت معاهدة بلغراد سنة ١٧٣٧ بإعادة احتلال هذه المدينة، وكذلك بالغاء بعض مفاعيل معاهدة پاساروفيتش. لكنّ خلافات محموت مع الصفيّين تجلّدت بعد أن غزا هؤلاء شمال العراق، ولم يحلّ السلام قبل ١٧٤٦، عندما تخلّى نادر شاه عن أطماعه في مدينة قرص ذات الموقع الإستراتيجي. في الداخل، اضطرّ محموت تكراراً إلى قمع اضطرابات محلية متتوعة؛ لكنه توفيّ مخلّفاً وراءه أميراً طوريق ذات حدود متباعدة. كما أنّ العاصمة اسطنبول جرى تجميلها وتحسينها، أكانت تحسينات هائلة على ضفاف البوسفور بما في ذلك الإنشاءات المائية، أم أعمال بناء، بالأسلوب الباروكي المعروف آنذاك بـ«الخُزامي»، بصروح ضخمة كجميع مسجد نوو عثمانية الذي أنهى بناءه في ما بعد أخوه وخلفه عثمان الثالث.

محموت الثاني عدلي، ١٧٨٥ - ١٨٣٩م، هو السلطان الثلاثون في السلالة العثمانية، حكم من ١٨٠٨ حتى ١٨٣٩ وحاول، بعد أن أمر بالقتل بالانكشارية، إصلاح دولةً مفكّكة تماماً.

وإذ خلف محموت الثاني، مصطفى الرابع الذي خلع عن عرشه، وجد نفسه، يعد أن عاش منزوياً، على

كان والده قد حكمها، وهذا ما شكّل في نظر الخلافة العباسية، ليس نجاحاً مذهباً وحسب، بل أيضاً نجاحاً ذا فائدة كبرى. لقد انتصر محمود على منافسيه وأعدائه بفضل جيش أشرف بنفسه على تنظيمه وفق قواعد اختُبرت في الهند، معتمداً بنوع خاص على الفيلة. أمّا في الجنوب فلم يكتب بمقاطعتي بلوچستان وسجستان، بل أضاف إليهما خراسان بكاملها، فامتد نفوذه حتى خوارزم حيث عيّن حكاماً من قبّله. توفي في سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م، بعد أن غزا منطقة «الجبال» لينتزع من البوهييين مدينتي الري وهمدان.

استطاع الأمراء الشيعة البوهييون، الذين يعودون بأصلهم إلى الذّيل، أن يرفضوا نفوذهم في العراق وقد أعطى الخليفة أحدهم لقب أمير الأمراء، لكنّ هذا النفوذ ضعف بعد أن سطع نجم محمود في الشرق، وهو تركّي الأصل، ليراني الثقافة. تذكر هنا بأنّه حمى الشاعر الإبرائي الفردوسي واعتمد مبادئ الإدارة الفارسية. وقد عمل على إحياء مراكز الحضارة الإسلامية التي كانت قد بزغت من قبل في آسيا الوسطى في العهد الساماني.

المحنة، إجراء لم يكن مبدئياً قائماً في الإسلام، ومع ذلك بدأ بالظهور خلال العصور، من دون أن تُحدّد الهرطقة بشكل واضح في الوسط السني.

وإذا كان الإسلام لا يُقر بوجود طيف من رجال الدين مكلف بالسلطة العقائدية، فإنّه يعود للخليفة أو لممثلي عنه، يعاونه الفقهاء، أن يمارس هذه السلطة بقدر ما تقتضيه محاربة البدع المذمومة (المستكررة). واستناداً إلى هذا الإمكان، أراد الخليفة العاُمون، مثلاً، أن يفرض عقيدة المعتزلة التي ارتأى أنّها مطابقة لعقيدة السلف. فكانت المرحلة التي صُحّت تسميتها «المحنة»، وفيها أُجبر أو حاول إجبار كبار الفقهاء والمحلّثين على اعتناق هذه العقيدة، ولا سيّما في مسألة خلق القرآن.

في مرحلة لاحقة، لا شهد إلا بين وقت وآخر دعاوى تؤدي إلى أحكام بسبب آراء إنحرافية. كما حصل بالنسبة إلى «قارئ» القرآن ابن شتابوذ، المتهم بإحداث قراءات في الصلاة العامة تختلف عن تلك التي تمّ إقرارها رسمياً. فقد حكمت عليه، سنة ٢٢٣هـ/٩٣٥م، محكمة برأسها الوزير ابن مُقلة، وأرغمته على التراجع

حصلت تغيّرات كثيرة أخرى فعلت فعلها في حكم الذين خلفوا محمود الثاني.

محمود، يعين الدولة محمود بن سُبُكتكين المعروف أيضاً بمحمود الغزنوي ٣٥٩-٤٢١هـ/٩٧٠-١٠٣٠م، فاتح الهند وأوّل ملوك الأسرة الغزنوية الكبار. حكم ابتداءً من العام ٣٨٧هـ/٩٩٧م، وحاز على شهرة أسطورية، مرّدها سعة الأراضي التي افتتحتها بحذو السيف وفرض فيها الإسلام السني معتمداً على الجهاد. إنّ ابن ضابط تركي أرسله السامانيون حاكماً على هذه المنطقة. يُعرف هذا الغزافي باسم السلطان محمود، على الرغم من أنّه لم يحمل رسمياً هذا اللقب. لا تزال صورته حيّة في أفغانستان حيث يُنظر إليه كبطل قومي، كما لا يزال ضريحه مكرّماً في غزنة. كان عمره سبع سنوات عندما استطاع والده أن يفرض سلطته على هذه المدينة. وعندما خلفه في الحكم، بعد أن أبعد أخاه، كانت الحملات ضدّ البنجاب قد انطلقت بنجاح. هدفت محاولاته السياسية الأولى إلى الانفاق مع جيرانه الجدد في الشمال، الفراكخانيّين (Karakhanides)، لانقسام بقايا ممتلكات الدولة السامانية المحتضرة وتُدفع الحدود الشماليّة لدولته إلى مجرى نهر آمودريا. إنّ أفاد من التغيّرات التي أصابت منطقة ما وراء النهر ليعلى ولأده للخليفة العباسي القادر بالله الذي كان حاجسه الدفاع عن السنة. وقد اعترف القادر رسمياً بسلطة محمود، ما أضفى على غزواته في الأراضي غير الإسلامية صبغة جهادية.

إنّ حملاته المتتالية بين ٣٨٩ و٤١٨هـ/٩٩٩ و١٠٢٧م، سمحت له بالقيام بغزوات ناجحة على مدن هندية أحياناً بعيدة: أوّلًا باتجاه مدن ماتورا وجوالبور وكانّوج حيث بلغ نهر الغانج؛ وثانيًا باتجاه عُجرات حيث نهب، في العام ٤١٧هـ/١٠٢٦م، هيكل سومنات الشهير. إلّا أنّ هذه الغزوات لم تشكّل احتلالاً نهائيّاً للمنطقة. إضافة إلى البنجاب والسند اللذين كانا داخل حدود الدولة الغزنوية، هناك عددٌ من المقاطعات الهندية التي صُمّت وأُجبرت على دفع الجزية. علاوة على ذلك، استطاع محمود أن يسطر سلطته تدريجيّاً باتجاه الغرب، إلى أبعد من زابلستان والمناطق المجاورة التي

اتهموا، لا بالثورة فحسب، بل، عند الاقتضاء، بمعتقدات معادية للإسلام، ولكن من دون أن يكون ممكناً الفصل دائماً ما بين الآراء المنحرفة للثقيمين وجريمة الخيانة بحق السلطة أو الإسلام. وفي الواقع كان يُحكم على هؤلاء بالموت بسبب ارتدادهم عن الإسلام، الظاهر في أعمالهم الثورية، وليس بسبب انحراف بسيط في آرائهم.

مُخَا (الجمهورية العربية اليمنية)، مرفأ في جنوب الجزيرة العربية، في حالة دمار حاليًا، يقع على شاطئ البحر الأحمر، وكان خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر يؤمن تجارة البن.

تطورت هذه المدينة، المهمة في ذلك الوقت، وإن بقاياها الأثرية ما تزال قائمة حول ما كان في ما مضى مرسى متواضعا في منطقة نهامة، تكاد تنساه المصادر العربية القديمة. أقام معها البرتغاليون والهولنديون والإنكليز علاقات تجارية، ساهمت في ازدهارها الذي نتج أيضاً عن علاقاتها التجارية بإثيوبيا وعن دورها الاستراتيجي المؤكد خلال الفترة الأولى لهيمنة العثمانيين على المنطقة. وأدت التحولات الاقتصادية والسياسية في القرن التاسع عشر إلى أفولها السريع، في حين شهدت الفترة نفسها تطوراً مرفأياً عذناً والجديدة؛ ولم يعد الموقع يستهوي حالياً سوى علماء الآثار.

المَخْزَن، مصطلح كان يعني في القرون الوسطى بيت مال الدولة أو، توسعاً، المال المحفوظ والإدارة المسؤولة عنه.

في المغرب، في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، عني المصطلح الحكومة المكلفة بإدارة أموال المسلمين المتأثية من الضرائب. فكانت كلمة مَخْزَن تعني آنذاك الدولة، بقتضى الوضع الذي كان سائداً إبان حكم السلاطين السعديين. وفي مواجهة القبائل العربية الخاضعة للسلطة والمتمركزة في المنطقة المعروفة باسم «بلاد المخزن»، كانت تقف جماعات البربر المتمركزة في «بلاد البيه» أو «البلد الشنتي». فيحكم هذا الوضع، كان المخزن هو المنطقة التي تخضع لسلطة السلطان وتطبق عليها أحكام الشريعة الإسلامية؛ بينما سادت العادات والتقاليد البربرية في

عن موقفه. وفي بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حُكم أيضاً في بغداد على المتصوف الحلاج، وتُقدّر به حكم الإعدام، سنة ٣٠٩هـ/٩٢٢م، بعد محاكمة طويلة نابها الوزير باسم الخليفة، يساعده قضاة وفقهاء. والحلاج الذي لوحق بسبب أفكاره المضادة للعقيدة التقليدية، حُكم عليه أخيراً لارتداده عن الإسلام، استناداً إلى كتاباته في مسألة الحج. وثمة متصوفون آخرون تعرّضوا للملاحقة، وأحياناً نُفذت فيهم أحكام بالموت، كالسهروردي المقتول، من دون أن تُعرف بالضبط الإجراءات التي اعتمدها الأمراء الذين حكموا عليهم، ولا الأخطاء الدينية أو السياسية-الدينية التي اتُهموا بارتكابها.

وفي الأندلس، حيث سيطر المذهب المالكي، ضُيق بعض المتصوفين إلى حد أنهم اضطُروا إلى مغادرة البلاد، كما حصل لابن سبعين الذي اتُهم بنشر عقائد وحيدة الوجود، فلجأ إلى سبّة، ثم اضطُر إلى مغادرتها نحو المشرق، قاصداً مكة حيث توفي سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م.

وأخيراً، لا سبباً في عهد المعاليك، في مصر وسوريا، شهد دعاوى موجهة إلى رجال دين بسبب أفكارهم المنحرفة. إن سبب هذا التشدد عائد، في تلك الفترة، إلى مواقف بعض الفقهاء الذين أعلنوا وجوب الجهاد، لا ضد الكفار فحسب، بل أيضاً ضد «الهرطقة»، ملتفتين بذلك مع موقف قديم اتّخذه الشيعة. والحنبلي ابن تيمية نفسه، على الرغم من تشدّده، تعرّض مرّات عدّة لمضايقات حاكم دمشق، تليّكز، الذي جمع مجالس علماء للبحث في آرائه الفقهية. وفي سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، حُكم على ابن تيمية بالسجن بسبب أفكاره في مسألة الطلاق؛ ثم في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، حُكم عليه مجدداً بالعقوبة نفسها لتعاليمه في موضوع الزيارات التقوية، والحج الخارج عن الفروض الدينية. وكانت الأحكام تصدر عن الحاكم الذي يتصرّف باسم السلطان، ويساعده في ذلك قاضي القضاة.

مثل هذه الدعاوى بتهمة «الهرطقة» يجب تمييزها عن الدعاوى المقامة في مراحل مختلفة، ضد ثوّار

الأقل، علانية.

وهكذا وجب انتظار بداية القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد لشهد قرار الأشعري، وهو المنشق عن المعتزلة - بالانضمام إلى الأطاريح السلفية مع الاستمرار في اللجوء إلى علم الكلام الذي اعتبره الحنبليون خطيراً. فكان أن طوّز اتباع الأشعرية أو الأشعريون أبحاثاً كلامية قدّمت حلولاً جديدة تقوم على مركز فلسفي، ونشأت نزعة جمعت قطعاً عريضاً من الرأي العام حتى عصرنا الحاضر.

أمّا الماتريدّيون، أو أتباع الماتريدي المرتبطين بالمذهب الفقهي الحنفي، فقد قدّموا من جهتهم حلولاً قريبة من المعتزلة الذين حافظوا على بعض المخلصين لتعاليمهم.

أخيراً انصرف الحنبليّون الذين كانوا مبدئيّاً معارضين لعلم الكلام، منذ منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إلى وضع رسائل كلامية انطوت على قسط من التفكير العقلاني. إلّا أنّ المذهب الحنبليّ، الأخذ بحرفيّة النصّ، لم يلبث أن ألهم في وقت متأخّر، في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، علامة شهيرة مثل ابن تيمية، في صياغة مدرسته التي تبنتها الحركة الوهابية، نسبة إلى محدّد بن عبد الوهاب، هو الذي صاغ المواقف السياسية - المدينية التي أقيمت عليها المملكة العربية السعودية.

أما الفقهاء من الشيعة فقد اعتمدت أغلبيّتهم نظماً كلامية تحفظ مكانة خاصّة لمفهوم الإمامة الذي اعتمدوه: هذا ما فعله الآخذون بالمذهب الاثني عشري والإسماعيليّون. ولكنّ الزيديين اكتفوا بالانضمام إلى مذهب المعتزلة. وكان بين الاثني عشريّة من استنائه النزعة السلفية، وآخرون النزعة المعتزلية، ولكنهم كبقوا مع ما يخدم قناعاتهم. وقد أخذ الإسماعيليّون بتيارات الفلسفة التي كانت تُسرّ لهم تبرير المكانة البارزة لشخص الإمام في نظامهم الفكريّ.

وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى المتصوّفة أنفسهم، فإنّهم، رغم انصرافهم إلى الزهد والتصوّف، إمّا توازوا أحياناً بمفاهيم كلامية خاصة بهم. وإذا كانت فئات منهم

البلد المنشق. ومُذاك حاول مختلف حكّام المغرب جاهدتين، وبنجاح متفاوت، تقليص رقعة المتطرفة المنشقة وإدخال نفوذهم إليها.

المدارس الكلامية، هي مناهج نشأت في القرون الأولى للإسلام في موازاة المدارس الفقهية، بغية إيضاح مَنومات العقيدة، لكنّها لم تحظ بالمكانة التي حظي بها علم الفقه الذي اعتبره المجتمع الإسلامي وحده علماً أساسياً.

في بداية الأمر، اقتصرَت الكتابات في هذا الموضوع على مشاهدات إيمانية ينبغي أن نتميّز بينها وبين الشهادة الأساسية أي الإقرار بالإسلام. تلك المشاهدات كانت شبيهة بكتب التعليم الديني، وكانت تكفي بتعداد الأصول العقائدية، من دون السعي إلى ردها بالتحجج أو إلى شرحها. ولكن انطلاقاً من النقاشات المدينية - السياسية المتعلّقة بفكرة الله، ووضع المؤمن أو الاختيار الحرّ تحديداً، أدّى إلى ظهور دراسات عقائدية غير رسمية تجاوز أصحابها تبرير بنود الإيمان بالعودة إلى القرآن والحديث، إلى الأخذ ببعض وجوه استعمال التفكير الشخصي. هذا «اللاهوت» النظري الذي سُمي «بالكلام» أو «الكلام عن العقيدة»، أدّى لاحقاً إلى نشوء مدارس كلامية بكل معنى الكلمة، عُرفت منذ القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، أهمّها المعتزلة والأشعرية والماتريدية والمذاهب الشيعية التي تشابه أحياناً المدارس السابقة، وفي زمان متأخّر، نذكر المحاولات المختلفة التي قام بها المصلحون.

كان تيّار المعتزلة الفكريّ التيار الأوّل الذي نما ظهور عقائديّاً في منتصف القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد باعتماد مجموعة من المواقف جُمعت في ما بعد تحت عنوان المبادئ الخمسة. فقد سادت إشكاليّته - انبثاقه من النزاعات العمليّة والنظرية التي نشبت منذ العهد الأوّل للإسلام - لاحقاً، جميع الأطاريح التي طوّرها علماء الكلام من مختلف التوجّهات. وإذا كانت أطاريح الاعتزال قد تبنّت الصادرة في عهد الخليفة العبّاسي المأمون، وخلفه الاثنيّين، فإنّ النزعة السلفية، الممثلة بشكل خاصّ بآبَن حنبل وأتباعه، نمت بحماية الخلفاء، وغدا علم الكلام الذي تعهّده المعتزلة محظوراً، على

مؤسسة إسلامية للتعليم، مخصصة لطلاب العلوم الدينية والقانونية، أي الفقه الذي رسم التعليم النقلي الذي تطور، ابتداء من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وأثر في الحياة الاجتماعية الإسلامية وفي تطور فن الهندسة.

١- إن اللفظة العربية «مدرسة» تعني مكان الدرس، وقد أُلقت، بلا ريب، على نوع من المؤسسات ما تزال معلوماتنا ناقصة حولها، وقد تكون تأسست في خراسان أو في بلاد ما وراء النهر منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين. وفي نيسابور، بنوع خاص، قد تكون ازدهرت، في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مدارس تولّى التعليم فيها فقهاء حنفيتون وشافعيون وعلماء ومحدّثون. ولكن المنشآت في هذه المرحلة، التي كانت هزيلة ولم يبق منها شيء أثر، كانت تشكّل مسكن للطلبة العابرين الراغبين، لبعض الوقت، في متابعة دروس أحد فقهاء المدينة.

في سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م، تأسست، للمرّة الأولى، في بغداد، مدارس تلزم المبادئ والأعراف التي أُلّفت لاحقاً... فمن جهة، كانت هذه المؤسسات مخصصة فقط لتخفيف الطلاب وفق إحدى المدارس الفقهية المعترف بها حينذاك، ومن جهة أخرى، والمرّة الأولى، كانت لهذه المؤسسات مداخلها الخاصة بفضل مردود وقف معين تتيح عائداته دفع الأجور للهيئة التعليمية التي يعيّن مؤسس المدرسة أو ورثته، وتوفّر للطلاب إمكان الإقامة فيها. أقدم نموذج لهذه المدارس تأسس في بغداد على عهد الوزير نظام الملك، ولذا عُرف بالمدرسة النظامية، وقد أُلقت التسمية على مؤسسات مشابهة على عهد الوزير نفسه في مدن أخرى من العراق، في البصرة والموصل، وكذلك في إيران وما وراء النهر، في نيسابور وبلخ وهراة ومرور وأصفهان. وفي السنة نفسها (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م)، أُسّست في بغداد، على يد أحد أعيان الدولة السلجوقية، لتعليم الفقه الحنفي، مدرسة ضمت مسجداً مجاوراً لصريح أبي حنيفة، وخائناً مخصصاً للسكن، وكل ذلك كان يستفيد من مردود الوقف. في مرحلة لاحقة، نشأت مدارس متعدّدة أخرى

لم تتجاوز المواقف التقليدية، فإنّ الفئات الأخرى التي كانت تمارس الاتحاد الشخصي استهوتها وحدة الوجود التي كان من الصعب التوفيق بينها وبين التنزيه الإلهي، والتي أدّت إلى إيدانهم بالمروق في الدين، من قبل المدافعين عن الشريعة.

بشكل عام، هدأت تدريجياً المجادلات حول المسائل التي طرحت نفسها في العصور الأولى والتي حلّت في معظمها في إطار أفكار متناقضة، بعد أن تبلور، في الوسط السني، موقف وسطي. بالطبع لم يغب ذلك بقاء اختلافات في التفكير كانت لها أصداء في الخلافات اللاحقة بين المذاهب والمبادئ الفكرية التي غذّت التيار السياسي- الدينية.

لكنّ أنّ جديد مهم لم يطرأ على ملف الخلاف بين المعتزلة والسلفيين الذي استمرّ بالانتقال من عصر إلى آخر، حتّى زمن المناقشات الأخيرة التي ظهرت داخل نيار الإصلاح.

المُدجّن، مصطلح استُعمل في إسبانيا للإشارة، في أراضي الأندلس القديم التي استردّها الممالك المسيحية، إلى المجموعات الإسلامية التي حافظت على نواحيها، مستفيدة من نظام شبه عرفي غير مدوّن. كان هذا النظام في الواقع شبيهاً بالنظام المطبّق على مؤدّي الجزية في بلاد الإسلام وتأنجاً عن مبادرة قام بها ملوك قشتالة والأراغون. ظهر الواقع المدجّن، ابتداء من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، وبلغ ذروته خلال حروب الاسترداد في القرن السادس للهجرة/ الثالث عشر للميلاد. تاركاً آثاره بشكل خاص في المقاطعات الشرقية لشبه الجزيرة الإيبيرية حيث نشأت عنه مراكز حضارية ناشطة في حواضر مثل سرفسطة وطلبلطة، وبلنسية وقرطبة وإشبيلية. وتمثّل أهميته من خلال الشواهد الفنية العديدة، المعمارية منها والزخرفية، الناتجة عن طلبات ملكية أو مخلفات شعبية دفعت مراراً إلى البحث في تحديد الفن المدجّن وإمتهاد وتطور أسلوبه. هذا الأسلوب الذي ينطبق على روائع مختلفة، أوصل بعض أشكاله وتقنياته المستعارة من الفن الإسلامي إلى الفن الإسباني بعد عصر النهضة. مدرسة، بالتركية «مدرسة»، وفي المغرب مبلّوثة.

المؤسسين غالباً ما كانوا ينتمون إلى بيئات تختلف عن التي ينتمي إليها قادة البلاد، ولم يؤسسوا مراكز دعوة شبيهة بـ «بيوت الحكمة» التي أسسها الفاطميون. وفضلاً عن ذلك، فإن وجود منافسة بين هذه المدارس، كما حصل في العراق، كان يعبر عن الانقسامات القائمة بين السنة حول تفسير المعطيات الفقهية والعقائدية. وبطريقة غير مباشرة، استطاعت هذه المعاهد، التي كانت تحتفظ ببعض الحرية تجاه السلطة، أن تساهم في الدفاع عن التسنن وفي إحيائه في منطقة الشرق الأدنى.

في هذه المراحل المتقدمة، لم تنظم المدارس في أبنية ذات أنماط هندسية محددة. إن الأشكال التي اعتمدت حينذاك، والتي لا نملك أي دليل أثري عليها، لا يجوز إعادة تصورها اعتماداً على نماذج من مرحلة لاحقة، كما حاول الكثيرون أن يفعلوا؛ فليس ما يسمح بأن تلقى على العاظمي سماتٍ تميزت بها الأعمال الهندسية الناجحة التي تحققت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، سواء لجهة الضخامة أو للناحية العملية، إنطلاقاً من النماذج التي تقدمها العاصمة العراقية، والمنطقة بالمدارس المستنصرية وبقايا مدرسة أخرى محفوظة داخل القلعة. إن مثل هذه الأبنية المميّزة بقياساتها الكبيرة وتنظيمها الداخلي الذي يتناغم فيه شكل الإيوان وشكل الساحة المحاطة بالغرف، لا يسمح بالإستنتاج، كما وُهم كثيرون، بأنه اعتمد، في بناء المدارس السلجوقية، مخطط مصلب يتضمن أربعة إيوانات. كذلك لا نستطيع أن نحصل على أي برهان في هذا الاتجاه من النماذج الهندسية الرائعة التي شُيّدت في مرحلة لاحقة، في إيران أو في آسيا الوسطى، أي المدارس التي شيدتها تيمورلنك والصفويون في خرجرد أو سمرقند، على سبيل المثال، أو في أصفهان.

في الأقاليم الواقعة غربي العراق وشماله، كبلاد ما بين النهرين العليا وسوريا ومصر أو حتى الأناضول، انتشرت المدارس تدريجياً، ولكن ليس لدينا معطيات أثرية قديمة كافية عنها. من المؤكد أن معاهد نشأت في دمشق منذ ١٠٩٨/٤٩١م، وتبعها واحد في حلب سنة ١١٢٣/٥١٧م. وفي سنة ١١٧٤/٥٦٩م، عند وفاة

في المناطق الشرقية بفضل أعيان من أصول مختلفة: إما هم من الإديريين أو من العسكريين، وإما من السلطين أو الخلفاء والحكّام الآخرين، وإما من الأفراد الذين ينتمون إلى الأسر الحاكمة. وكانت الاتجاهات التعليمية تعكس التنافس القائم بقوة حينذاك بين المذاهب الفقهية، كالمذهب الحنبلي الذي كان يدعمه العباسيون، والحنفي الذي يدعمه السلاجقة، والشافعي الذي يدعمه بعض الوزراء. وبعد مرور قرن، توقفت هذه النزاعات، فقام الخليفة العباسي المستنصر، سنة ١٢٣٠/٦٣٣م، بإنشاء مدرسة في بغداد عُرفت باسمه هي المستنصرية التي ما يزال بناؤها الضخم المشيد بالخرف، ماثلاً إلى اليوم على الضفة الشرقية لنهر دجلة. وكانت هذه المدرسة مقصد طلاب يؤمنونها لتلقي العلم وفق المذاهب الفقهية الأربعة الأكثر انتشاراً يومذاك.

وبحسب المصادر المكتوبة، كان يوجد، في هذه المرحلة، حوالي أربعين مدرسة في عاصمة الخلافة، حيث يلتقي المعلمون الأوفر شهرة. إن تعدد المعاهد لم يُلغِ التعليم في مواضع أخرى، كالمسجد المنصوري الجامع الذي كان يُشغل قسماً مما كان يعرف بـ «البلدية المستديرة» القديمة، أو كالمصليات المنتشرة في المدينة، إذ كان يُسمح لكل مدرّس أن يجمع طلابه في «حلقة»، سواء في مكان عام أو داخل منزله، من دون أن يحتاج إلى موافقة مسبقة. فموافقة الخليفة لم تكن ضرورية إلا للتدريس في المسجد المنصوري الجامع. ولم يظهر إلا في مرحلة لاحقة شكل من المراقبة مردها تصلب النظام، ذلك أنّ المعلمين الذين كان يعينهم المؤسسون - وهؤلاء هم إجمالاً من الذين يحتلون المراتب العليا - كانوا يصبحون فعلياً المؤلفين الوحيدين للتعليم، في حين أنّ المساعدات الممنوحة للطلاب تنبع، من هذا الجانب أيضاً، نوعاً من الإختيار. إن الإنتلاق الأول للمدارس في مرحلة ما بعد السلاجقة - لم تكن هذه المدارس تسمى للاستئثار بالتعليم العالي وضبطه - لم يكن يهدف، رغم ما كتبه بعض المؤرخين الحديثين، إلى تطبيق سياسة سنّية مدروسة لمواجهة الخطر الشعبي الذي كان لا يزال قائماً. إن المشجعين

السلطان نور الدين زنكي، كانت المدارس قد بلغت ثمان في حلب واثنتين وعشرين في دمشق، ذلك بدون أن تغفل تلك التي أسست في مناطق أقل أهمية، كما في الموصل وسنجار مثلاً، حيث وجدت ست مدارس، وفي بعلبك وبصرى وحماة وحمص ومعرّة النعمان وحرّان ومنبج والرقّة والرّها وديار بكر حيث يذكر المؤرخون العرب وجود عدد من المدارس. وهذا العدد أخذ في التزايد ابتداءً من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، على عهد صلاح الدين وسائر ممثلي السلالة الأيوبية، سواء في مصر التي تغيّرت أحوالها الفكرية بعد سقوط الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧١م، أو في القدس، بعد أن خسرها الفرنج سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، أو حتى في بلاد الأناضول حيث شهدت العلوم الدينية تقدّماً مقررّاً بالتوازي مع حركة الأسلمة التي راقت نموّ الدولة السلجوقية في قونية. لكنّ الأبنية التي ما تزال قائمة، لا تعود إلى ما قبل نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وفي هذه المرحلة كانت المدارس قد تحوّلت إلى مؤسسات رسمية، تستند في كل منطقة إلى إرادة الحكام المهتمين بنشر أفكارهم السياسية-الدينية، وبإعطاء البراهين التي تثبت أهمّ من نصيري الأدباء والعلماء.

هذا الاعتدال في بناء المدارس في سوريا وفي بلاد ما بين النهرين العليا لم ينساق على مدارس مصر التي شهدت تطوّراً عمرانياً مختلفاً بعض الشيء، ولا مدارس هضبة الأناضول التي بلغت، في زخرفتها على عهد سلالة سلاجقة الروم وفي المرحلة اللاحقة المعروفة بعهد الإمارات، ضخامةً وروعةً مميّزين. ثمة نماذج لافتة، ذات إيوانات تفتّح على فناء مركزي تحيط به غرف عديدة، تمتدّ تحت أروقتها، وكانت مزينةً عند المدخل بأشكال هندسية مركّبة، يحتلّ شكل المآذن المزودة مكانةً واضحةً فيها، وهذه المآذن تضفي جمالها على المداخل ذات الأطر المستطيلة التي تعلوها التجاويف. نذكر أمثلة على ذلك مدرستا جُلفِه ميناّرلي (Çifte Minareli) وباقوتية في أرضروم، ومدرسة السلطان عيسى في ماردين، والبيروسيديّة ومدرسة غوك في سيواس، ومدرستي شيرشلي وصاحب عطا في قونية. ولكن ثمة مبانٍ أكثر طرافةً تنتظم حول كتلة

السلطان نور الدين زنكي، كانت المدارس قد بلغت ثمان في حلب واثنتين وعشرين في دمشق، ذلك بدون أن تغفل تلك التي أسست في مناطق أقل أهمية، كما في الموصل وسنجار مثلاً، حيث وجدت ست مدارس، وفي بعلبك وبصرى وحماة وحمص ومعرّة النعمان وحرّان ومنبج والرقّة والرّها وديار بكر حيث يذكر المؤرخون العرب وجود عدد من المدارس. وهذا العدد أخذ في التزايد ابتداءً من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، على عهد صلاح الدين وسائر ممثلي السلالة الأيوبية، سواء في مصر التي تغيّرت أحوالها الفكرية بعد سقوط الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧١م، أو في القدس، بعد أن خسرها الفرنج سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، أو حتى في بلاد الأناضول حيث شهدت العلوم الدينية تقدّماً مقررّاً بالتوازي مع حركة الأسلمة التي راقت نموّ الدولة السلجوقية في قونية. لكنّ الأبنية التي ما تزال قائمة، لا تعود إلى ما قبل نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وفي هذه المرحلة كانت المدارس قد تحوّلت إلى مؤسسات رسمية، تستند في كل منطقة إلى إرادة الحكام المهتمين بنشر أفكارهم السياسية-الدينية، وبإعطاء البراهين التي تثبت أهمّ من نصيري الأدباء والعلماء.

٢ - عند ذلك حصل في الإمارات الشرقية، بعد عهد السلاجقة، ازدهار حقيقي للمدرسة على الصعيدين المؤسسي والهندي. فقد أصبحت عنصرًا ثابتًا ومتنوعًا في المشهد الحضري، وفي الوقت نفسه وسيلة لتطوير العلوم الإسلامية الأساسية ونشرها، متقبلة الأبحاث والتجارب المتصلة بالتصوّف وبما أحدثه من ممارسات نفوذة. ونشأت الخواص التي كثيرًا ما يصعب التفرّيق بينها وبين المدارس، وفي الوقت نفسه كثرت المدارس «الضريحية»، أي المسلحة بأضرحة أراد مؤسسوها أن يدفنوا بالقرب منها ليستفيدوا، بعد موتهم، من الفضل الذي لهم في تأمين دراسة النصوص الدينية وتلاوة القرآن بصورة مستمرة. هذه المدارس كانت تشيّد أحيانًا من نموذجين، أحدهما داخل المدينة والآخر خارجها، حتى إذا ما توفي المؤسس دفن مباشرة في أحد النموذجين، أيًا يكن موضع الوفاة، من دون مرور

والتبقيانية من السلطنة، بل ظهرت كذلك في مصر أغنى مناطق الشرق الأدنى العربي وأهمها، ثقافياً ومادياً. في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، بخاصة، أي في أواخر عهد المماليك، شُيِّدت أشهر المدارس المصرية، وغالباً ما كانت تحمل اسم شخصية متوفاة، وانتشرت خصوصاً في القاهرة. وهي تندرج في إطار التقاليد الاجتماعية الدينية والهندسية التي ظهرت في العصر الأيوبي. في هذا الوقت، وقبله بقليل، في بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، حين ظهر نموذج مدرسة أناصر محمد، اعتمد الشكل المصلب الذي يسمح باعطاء كلٍّ من المدارس الفقهية الأربع إيواناً يختص للفقه المدرس ولتلاميذه. ومن أبرز أمثلة هذا الطراز مدرسة السلطان حسن التي بُنيت بين ٧٥٧ و٧٦٤هـ/١٣٥٦ و١٣٦٣م. قبل أن يتوغل، كما حصل في الوسط العثماني المعاصر، طراز المجمعات الهندسية التي برزت في عهدي قايتباي وقانصوه الغوري. إذا كان الفتح العثماني، في بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، لم يُسَد عمل المدارس، مع أن تأخراً حصل في تشييد مباني جديدة، فإن التحولات الناتجة عن الاتصال بين مصر وأوروبا منذ مطلع القرن التاسع عشر، لم تلبث أن أعقبتها، كما في اسطنبول، أزمة في التعليم التقليدي نتج عنها فتح مدارس تقنية لم تلبث أن حلت محلها جامعات على النموذج الغربي.

كانت هذه الحركة مهددة لكل التحولات التي أصابت لاحقاً مجمل البلاد العربية في المشرق كما في المغرب. لأن المدرسة اعتُمدت أبشاً في شمال أفريقيا، ابتداءً من أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، من قبل السلالات الحاكمة المهمة بإعداد أتباعها وأعضاء إدارتها وفق معتقداتها الخاصة. إن النماذج الأولى المبينة في إفريقية، منذ العام ٨٦٥هـ/١٢٥٢م، بمبادرة من الحفصيين، نبعثها الأينية التي شيدتها المرينيون الذين حكموا المغرب، وجاروا بكل الوسائل، محاربة عقيدة الموحدين يُبْجَلُوا محلّها، المذهب المالكي. في فاس ومكناس وتلمسان وسلا، تعددت المؤسسات التي اتبعت الطراز المعتمد في

مركزية فسحة تعلوها قبة وتحيط بها إيوانات داخلية. وقد لاقى هذا الطراز اهتماماً حقيقياً تؤكده مدرستا كرتاني وإئش مبناري في قونية، وقد استفادت في زخرفتها من ازدهار فن الخزف في تلك المناطق. وفي الوقت نفسه، كانت تتشكل مجمعات هندسية تشهد على المحاولات الأولى لإدخال المدرسة في مشاريع واسعة أُطلقت، قبل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، كمجموعة ديريجي المؤلفة من مسجد جامع تلازمه مدرسة ومستشفى، أو مجمع هواند حانوم في قيصريّة. هذه المجمعات التي يمكن اعتبارها مدارس أو مساجد جامعة، كانت تحيط بها مباني متنوعة؛ إنها مهدت لنبشآت السلطانية التي شُيِّدت في بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، على نلال بورصة، على عهد بعض السلاطين كبايزيد الأول ومحمّد الأول. نبعثها منشآت فاخرة على عهد سلاطين متأخرين من السلالة العثمانية، شُيِّدت في اسطنبول في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/السادس عشر والسابع عشر للميلاد، حول مسجد سليمان القانوني وأحمد الثالث، على سبيل المثال.

في هذه المنشآت التي شُيِّتت كليات، كانت المدارس المختصة بدراسة المذاهب الفقهية والطب والحديث، مثلاً، تُضمّ إلى مباني أخرى نفعية في مجمعات هندسية يظهر فيها، بشكل لافت، التكامل في الهندسة والأسلوب. إن الشكل العام المكوّن من طبقات تجمع الضخامة والأناقة وتنصهر في مجموعة من الأبنية، بفضل التجاور المتناسق والترايب لعناصرها المختلفة، هو خير شاهد، مادياً وفنياً، على الذروة التي بلغها التنظيم الرسمي للتعليم يومذاك. لكن هذا التنظيم الذي نتج عن تحسين النظام القديم، كان في مرحلته النهائية، في حين أنّ المواجهات الحتمية العسكرية والتجارية مع أوروبا، التي لم تصب في مصلحة السلطنة العثمانية ابتداءً من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، مهدت لانحطاط المدارس التقليدية وروالها لمصلحة المدارس التقنية والجامعات على الطريقة الغربية.

لم تنحصر هذه التحولات في الأقاليم التركية

المدارس استمرت طويلاً تقوم بدور بالغ الأهمية في المشهد العمراني في المدن الإسلامية حتى عصرنا الحاضر. واستمرت تعكس تنظيم التعليم العالي الإسلامي الذي سهرت هي على تطويره بطريقة منظمة، ابتداءً من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، إلى جانب ما كانت تقدمه المساجد الجامعة، في بعض البلدان، من إعداد لرجال الدين وللموظفين الإداريين. كانت هذه المدارس تعتمد الطرائق القديمة لنقل المعرفة، ولكننا لا نعرف، مع الأسف، بدقة سباق التدريس ومضمونه طوال مدة وجودها. ويبدو، بحسب بعض المعلومات، أن الطلبة المتقدمين الذين يُعدون أنفسهم لتعاطي الفقه أو القضاء كانوا يساعدون أساتذتهم بصفة «صاحب» إلى وقت الحصول على عمل؛ وفي المقابل، كان الذين يستعدون للانخراط في الإدارة يكتسبون بنوع من التدريب لمدة قصيرة.

والمعتمد عليه أن طرائق الدراسة، التي كانت قائمة على القراءة والشرح والإملاء، تستدعي الحفظ من دون التخلي كلياً عن بعض جلسات المناقشة. وكان المعلمون يسمحون لبعض طلابهم بتدريس المؤلفات التي سمعوا منهم شرحها، وكانت هذه «الإجازة» تختص بكتب محددة، ولم تكن تتجاوز مجمل أعمال مؤلف ما. وأهم ما وصل إلينا من معلومات هو أن التكوين المعرفي لم يتجاوز نطاق العلوم «الإسلامية» التي تشمل عادةً، إلى جانب الفقه والشريعة المستمدين من القرآن والحديث، معارف أخرى كاصول اللغة والمعاجم. وفي مرحلة لاحقة، أي في القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، أضيف إليها الرياضيات والجغرافيا. لكن اهتمام الأساتذة والطلبة استمر منصباً بنوع خاص على المعارف الدينية، كما هي الحال، حتى اليوم، في بعض الجامعات، مع كونها حديثة، تلك التي تسمى الكليات أو الجامعات المتخصصة بالعلوم الدينية، والتي ما تزال قائمة في مناطق مختلفة، من دون أن تختلط بالجامعات المختصة لتدريس العلوم ذات الطابع غير الديني.

◀ راجع المستندات رقم ٥٧، ٦٠، ٦٣، ٧١، ٨١، ٨٦.

المدرسة الابتدائية ← الكتاب.

المناطق الشرقية. فالأبنية التي بُنيت وطُرائق البناء المحيطة بذلك المنطقة، بحيث أن تلك «المدارس» تُعد اليوم بين النماذج الأولى تمييزاً عن الفنون المربنية أو العلوية، في حين أننا لا نعرف في الأندلس إلا مدرسة واحدة، هي التي أسسها بنو نصر في غرناطة سنة ٨٧٥٠/١٣٤٩م.

إن إطلاق مثل هذه الأنماط في مغرب العالم العربي كان نتيجة للنجاح الذي حققته في الشرق تقاليد كانت قد أصبحت متجذرة وكانت قد ولدت أنماطاً معمارية تميل أكثر فأكثر نحو الأناقة؛ كان الهدف، في المغرب، تقليدها من دون السعي إلى التفتيد بعلامتها الخاصة، لأن الفنون الإسلامية كانت قد اتسمت، في تلك الحقبة، بالطابع القومي، فتأثرت المدارس بهذا التوجه في إيران كما في آسيا الوسطى. وعند المغول اعتمدت المدارس الأسلوب القارسي وميله إلى التركيز على الألوان، في تركيبات بلغت فيها براعة الدخول، المغطاة بالقيشاني، حد الفخامة المدهشة، قبل أن توصلك إلى ساحة تحيط بها أقواس مفتوحة، بالأسلوب الزخرفي نفسه، تحيط بها إيوانات مزوّجة بشكل مصطب. يسيطر على كل ذلك، في بلاد الهند، الرخام الأبيض أو الأحجار المصلصالية ذات الألوان الحية، التي تكسوها في الداخل والخارج. أما في المناطق الأخرى، فضيّفاء أو مربعات من القاشاني المتعدد اللون، تلتصق على بناء من الخزف، وتبلغ أوجها في القباب والمآذن. هذه المدارس كانت ملحقة بمساجد أو بأضرحة، وقد تكون أحياناً جزءاً من التخطيط المدني، كما نشاهد في القرنين التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، والحاددي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي في تخطيط ساحة رجستان في سمرقند. إن النماذج الأولى التي وُضعت على عهد الإيلخانيين تتجاوزها لاحقاً، من حيث الغنى الزخرفي وضخامة البناء، الأعمال التي تركها في هراة كما في بخارى أو سمرقند، التيموريون ومنافسهم، وكذلك منشآت الصفويين أو الأوزبكيين الذين كانوا لا يزالون يحكمون خابنات فرغانة وما وراء النهر إبان الفتوحات الروسية في القرن التاسع عشر.

٣ - أيّا تكن المنطقة موضوع الدراسة، فإن

يخضعون لسلطته، والذين يؤمن لهم محلًا كل الإمكانيات للالتزام بالنواحي القانونية، ذات الطابع الثقافي والاجتماعي، التي تفرضها الشريعة. عن هذا التعريف تنتج الافتراضات العقائدية التي يُعني بها الفكر الإسلامي الحديث فكرة «المدينة الإسلامية». إن هذه المعطيات لا تتلقى مع نتائج الدراسات التاريخية والأثرية والجغرافية التي جرت لفهم ما كان عليه، عبر العصور، تطوّر المدن الحقيقية، ذات الأشكال المختلفة والمصائر المتنوعة، التي تعاقبت أو تكاثرت في العالم الإسلامي لأسباب سياسية واقتصادية.

المدينة (المملكة العربية السعودية)، مدينة أقام فيها النبي محمد (ﷺ) بعد الهجرة، وهي تقسم قبره، وأصبحت في ما بعد عاصمة الأمبراطورية في عهد الخلفاء الراشدين. وهي أكثر المدن الإسلامية قداسة بعد مكة.

في موقع المدينة المهمة الحالية، كانت هناك واحة في مرحلة ما قبل الإسلام، باسم يثرب، تقع في قلب سلسلة الحجاز الجبلية، على بعد حوالي ٣٥٠ كيلومترًا من مكة و١٦٠ كيلومترًا من البحر الأحمر، وكانت مؤلفة من قرى محاطة بأشجار النخيل. سكّانها كانوا من العرب، ومنهم قبيلة الأوس والخزرج، اللتان يقال إنهما انتقلتا للإقامة فيها بعد انهيار سد مأرب في اليمن؛ وكذلك بين سكّانها ثلاث عشائر يهودية من المزارعين والحرفيين. استقبل هؤلاء العرب الوثنيون النبي محمدًا (ﷺ) في سنة ٦٢٢م، وحين أصبحوا مسلمين باتوا يشكلون الأنصار أو مناصري النبي، في حين أنّ تاريخ يثرب أصبح تاريخ أوّل جماعة إسلامية تمّ تحديدها في «دستور المدينة»، وكانت العشائر اليهودية - التي سيتمّ القضاء عليها في ما بعد - ملحقه بهذه المجموعة. في يثرب توفي النبي محمد (ﷺ) في حزيران ٦٣٢ ودُفن في منزله الذي يطلّ على الباحة التي تُعتبر أوّل مسجد جامع في تاريخ الإسلام. في يثرب أيضًا انعقدت الجماعة التي بايعت أبا بكر بالخلافة، وفي هذه المحلّة التي أصبحت المدينة، أو «مدينة النبي»، أقام خلفاؤه الثلاثة الذين قادوا من هناك انطلاقا الفتوحات الكبرى. في حين أنّ عليًا، بعد أن أصبح خليفة، غادر المدينة سنة

مدغشقر (جمهورية مدغشقر الديمقراطية)، دولة معاصرة، تأثّر سكّانها بالإسلام في أواخر القرون الوسطى، ولكنّ هذا التأثير لم يدم حتى عصرنا الحاضر، إذ لا يشكّل المسلمون اليوم إلا حوالى واحد في المئة من السكّان.

إنّ الأحداث التي أدّت إلى أسلمة المنطقة الساحلية من هذه الجزيرة الأفريقية ما تزال غير واضحة؛ لكن يبدو أنّ الملاحين اتخذوها محطة لهم، قبل العام ٣٩١م/ ١٠٠٠م، وأنّ تجلّزا مسلمين امتلكوا بعض المنشآت في المنطقة الجنوبية منها. وقد تعدّدت تلك المؤسسات بين القرنين السادس والثامن للهجرة/ الثاني عشر والرابع عشر للميلاد، حين ظهرت المساجد الأولى المبنية بالحجر، والتي استمرت مزدهرة على عهد البرتغاليين الذين لم يستطيعوا إخضاعهم. ووُفد من الهند مسلمون أقاموا في تلك المنطقة في القرن التاسع عشر.

إنّ الإسلام المدغشقري الذي استطاع بصموده المحافظة على هويته إلى جانب الديانة التقليدية في البلاد، لم يحقّق انتشارًا واسعًا، وهو يقتصر حاليًا على نسبة ضئيلة من السكّان، في المناطق الواقعة في الشمال - الغربي والجنوب - الشرقي من الجزيرة. حتّى الألبانية العربية المختصة بمدغشقر التي اعتمدت في أواخر القرون الوسطى لتدوين لغة البلاد، وهي ذات أصل أندونيسي، لم تعد مستعملة اليوم إلا على الساحل الجنوبي - الشرقي.

المدينة أو «مكان القضاء»، مصطلح عربي كان يفضّل في ما مضى معانيم كثيرة التعقيد.

إنّ معاني الجذر العربي الأصل التي نحددها في لفظة «دين» تسمح لنا بأن نحدّد بدقة الدور الاجتماعي - الديني الذي يُقوّ به، بشكل أساسي، لكلّ مدينة إسلامية اتخذت من مدينة الرسول مثالًا لها. ففي الأصل اللغوي، وتقليديًا، كان المصطلح يدلّ على المكان الذي تُعَلَّن فيه وتُجنز، على مشهد من الجماعة الإسلامية، المقرارات التي هي من صلاحية الحاكم المسلم. فهو يفوّض، كما كانت الحال بالنسبة إلى النبي (ﷺ)، مهمة محددة في مجالي القضاء والإدارة إلى الذين

مالك بن أنس، مؤسس المذهب الفقهي المالكي. وفي الحقبة نفسها كان يعيش أيضًا في المدينة نافع، أحد العلماء السبعة الذين كانوا في أساس القراءات القرآنية المعترف بها رسميًا في الإسلام.

ابتداءً من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، اختلط تاريخ المدينة بتاريخ الحجاز وتاريخ القسم الغربي من الجزيرة العربية. لاحقًا، مثلها مثل مكة، عرفت المدينة الاحتلال العثماني الذي قطعته سنة ١٨٠٤، ثورة الوهابيين الذين استولوا على كنوز المسجد ومنعوا الزيارات بقبر النبي. لكن السيادة العثمانية استعبدت في العام ١٨١٥، ولم تنته إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. في ظلهم أقيم، في سنة ١٩٠٨، خط سكة الحديد الذي يربط دمشق بالمدينة. وفي سنة ١٩٢٦ تم ضم المدينة إلى المملكة العربية السعودية الجديدة.

وبموجب فتوى أطلقها الشيخ محمد الطيّب، عمدة الوهابيين إلى تدمير القبور في مقبرة «القيح» حيث دفن عدد من الشخصيات الشهيرة في القرون الأولى للإسلام، وذلك لتحويل دون حركة الزيارات التقوية التي كانوا يدينونها. ونصحوا أيضًا بعدم إجلال مسجد النبي محمد ﷺ وقبره، لكن الملك عبد العزيز سمح للحجاج بزيارة المسجد للصلاة. هذا الصرح الذي يشكل الحزام النبوي وسط تجمع سكني يحظر دخوله على غير المسلمين، شهد، بين ١٩٣٤ و١٩٥٥، أعمال توسيع ضاعفت مساحته وسهّلت عبور المشاركين في الحج الأكبر الذين يفصدون المدينة قبل أو بعد مكة. وهم يُقدّرون بحوالي ثلاثة أرباع الحجاج. ويوجد في المدينة، منذ سنة ١٩٦٠، جامعة إسلامية، أنشئت بمبادرة من الإخوان المسلمين المطرودين من مصر.

المدينة الإسلامية، عبارة شائعة الاستعمال، اليوم، في الغرب كما في البلدان الإسلامية، وهي تنطوي على مجموعة مفاهيم غير موثقة كفاية لشرح مبدأ استمرارية نموذج حضري، عبر العصور، يُجسّد، بشكل أو بآخر، «مدينة إسلامية مثالية».

في الواقع، لم يظهر مطلقًا نموذج فريد ووحيد لمدينة في عاتم متعدد الوجه كالعالم الإسلامي. فقد

٣٥٦/٦٥٦م ولم يعد إليها. بعد ذلك، وبالتحديد في العام ٤١١/٦٦١م، لم تعد المدينة عاصمة الخلافة لأن السلطة انتقلت إلى الأمويين.

في ظل هذه السلالة التي ركزت سلطتها في سوريا، ثم في عهد العباسيين الأوائل الذين أقاموا في العراق، أصبحت المدينة ملجأ، سواء لأعداء النظام، أو للأشخاص الذين كانوا يريدون أن يبقوا في منأى عن الحياة السياسية. وإلى المدينة انكفأ حفيد نبي المسلمين، الحسن بن علي، بعد أن تخلى عن حقوقه في الخلافة، وإلى هناك نُقل ابن أخيه (علي بن الحسين) ونسأوه بعد مجزرة كربلاء؛ وهناك عاش محمد بن الحنفية، وهو ابن آخر لعلي؛ وهناك أيضًا نار الحسينان: محمد بن عبدالله في ١٤٥/٧١٢م، والحسين بن علي في ١٦٩/٧٨٦م؛ وهناك أقام الأئمة المتحدرون من الحسين مع عائلاتهم، لا سيما الأوائل، من علي زين العابدين إلى جعفر الصادق وولده موسى الكاظم قبل اعتقاله. إلى أن مُلِّب من المتأخرين منهم، أحيانًا بالضغط عليهم، أن يُقيموا على مقبرة من الخلفاء العباسيين، لا سيما في سامراء.

في العصر الأموي أيضًا، أعيد بناء مسجد النبي محمد ﷺ الذي كان ملاصقًا لبنيته والذي كان شهد توسعات عدة، وذلك على يدي الخليفة الوليد الأول من الفرع المرواني، في بداية القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، بحيث بات يضم قبر النبي محمد ﷺ، وكذلك قبوري الخلفيين الأتيين، أبي بكر وعمر بن الخطاب. كان المبنى يضم في الوسط جناحًا مزخرفًا حيث يبرز المكان المسمى مقصورة، وفيها كان يقف رئيس الجماعة أو مثله. وصار هذا المسجد مقصدًا لزيارات تقوية، واعتُبر ثاني الأكنة المقدسة في الإسلام، غالبًا ما يتوجه إليه المؤمنون العائدون من الحج، للحصول على البركات المرتبطة بذكرى النبي محمد ﷺ. والمدينة نفسها، التي لم تعد تلعب أي دور سياسي مباشر، أصبحت مركزًا ثقافيًا مهمًا يلتقي فيه خصوصًا الفقهاء الذين كانوا يطلقون أحكامًا، تنبؤية في بعض الأحيان، ضد ممارسات الحلفاء العباسيين. أشهر هؤلاء الفقهاء في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد،

النواحي الصغيرة المحصنة والمشادة هنا وهناك، والتي استطاعت، حتى الفترة الحديثة، أن تحافظ على أسوارها الصامدة في أغلب الأحيان. وكانت هذه المدن تضم، بصورة عامة، مقر إقامة للأمير أو الملك، وكان هذا المقر يشكل، على الأغلب، مركزها كما يمكن أن يشغل قلعةً مجاورة. كما هي الحال في المدن القديمة الملحقة بالإسلام من خلال الفتوحات كالمدين الإيرانية، مثل نيسابور، والمدن السورية، كحلب ودمشق.

بانت هذه الحالة الأخيرة قاعدة في عصور ضعف السلطة المركزية: حفاظًا على أمنها، لم يكن في استطاعة المدينة أن تستغني عن سور تتجاوزها ضواحيها ذات الأنشطة والمهارات المتعددة، في حين كانت القلعة تستمر في تأمين الاستقلالية والسلطة الفعلية للأمير أو لعمّته. ترتبط أهمية قصر السلطة، سواء كان داخل القلعة أو لا، بعدد المساكن ذات الجودة المخصصة داخل المدينة، وأحيانًا على أرض مُنحت لهذا الغرض، للأعضاء البارزين من الأرستقراطية العسكرية، تحيط بهم وبيعاليهم حاشيتهم العسكرية الخاصة. إن الرخاء الذي تمارت به هذه المساكن، في عصر المماليك في مصر وسوريا، مثلاً، التي كان يشغلها أصحاب المقامات الذين تفصلهم وظائفهم أو أصلهم الأجنبي عن عامة الشعب، ساهم في تكييف صورة المدينة العمرانية؛ وقد خُصّصت لهم، كذلك، مساحات شاسعة للترتين، ورحاب وميادين خيل تُعرض فيها فرقم أو تقام فيها ألعاب الفروسية، وأسواق خاصة تُعرف بأسواق «الخيول» حيث يستطيع الفرسان الحصول على كل التجهيزات التي يحتاجون إليها.

من جهة أخرى، ترسخت الوظيفة الدينية مع بداية الإسلام في كل بلدة تمتلك عددًا من السكان من خلال وجود مسجد جامع يشكل مركزًا سياسيًا وعباديًا تُقام فيه، كل نهار جمعة عند الظهيرة، صلاة طقسية جماعية مصحوبة بالخطبة، وهي فرض على كل مؤمن. واكبت هذه الوظيفة الدينية وظيفة تقيفية انطلقت من المسجد نفسه حيث كانت تُلقن العلوم والتي انتقلت، في ما بعد، إلى أمكنة أخرى فرضها إنشاء مؤسسات جديدة. هكذا كثرت المؤسسات التي كانت تدرّس الفقه والحديث،

خضعت المدن الإسلامية المتتالية، كما يظهر سبب واقع الأحداث التاريخية والمعطيات الأثرية، عبر العصور، لنماذج مختلفة، ولم يتميز دورها مطلقًا عن الدور الذي كانت تنهض به، في ذلك العصر، مدن غير إسلامية تمتعت بالأهمية نفسها.

كان، ثمة، قدر مشترك ربط بين ضيق ومدن العالم الإسلامي الوسيط الكثيرة وعواصمه، وأدى إلى تطورها بحسب ونيرة موازية لتنامي الحضارة التي كانت تحضنها والتي كانت، في الوقت نفسه، لا تني تؤثر في تكوينها. وقد أدى ذلك إلى نشوء معطيات معمارية تبعا للمراحل التاريخية الكبرى، لبّت حاجات ثابتة استمرت حتى الزمان المعاصر. إلّا أنّ هذه التماثلات الناتجة عن بقاء هذه العوامل المختلفة لم تكن قط مرتبطة مباشرة بالعقيدة أو بالشرعية، ولا حتى بالمؤسسات العامة للإسلام. ولم تكن هذه المؤسسات تخطط لإنشاء أية هيئة تعنى بتنظيم الممتلكات والنواحي التي لم تعرف أبدًا حياة مستقلة، بل كانت تخضع لسلطة الأمير اُفتمّر عليها والرعاي لها، الذي كان يقيم فيها أو يعين حاكمًا عليها يمثلّه، ويعاون هذا الحاكم، في أغلب الأحيان، صاحب الشرطة. حتى عملية المحاسبة (الجسبة) الموكلة إلى محاسب مهتة مراقبة انتظام المعاملات التجارية التي كانت تجري في الأسواق، ظلّت تُمارس وفقًا للتقاليد المحلية ولتعاليم الدين، من دون أن تخضع لإدارة بلدية في مدن يحكم سيطرته عليها الأمير الحاكم.

١- كان الأمير يولي المدينة الإسلامية الوظيفة الأكثر أهمية التي يمكن أن تطمح إليها، نعتي بها الوظيفة السياسية، والتي كانت تضطلع بها، بألقٍ نسبي، إمّا عواصم الأباطوريّات الكبرى المتتالية التي اختارها الخلفاء والسلاطين، وإمّا مراكز الأقاليم وحاضرات الإمارات المستقلة.

وقد نماحت الوظيفة المدنية السياسية تقريبًا والوظيفة العسكرية والدفاعية التي طُبعت تنظيم المدن - المعسكرات الأولى المشيدة على الأراضي الإسلامية في الكوفة والبصرة أو القسطنطينية، ثم تنظيم المدن الملكية المحمية التي تضم قصرًا، وأخيرًا تنظيم

المدن الصغيرة أو الوسطى أو الكبرى التي كان سكانها يتفرغون بشكل رئيس للأعمال الحرفية وللأنشطة التجارية. ولما كانت هذه المدن تشكل منازل ومستودعات ومحاور لتجارة عبور، كان لها آنذاك إنشعابات بعيدة المدى، فقد ضمت أترالاً وخانات أدت دوراً مهماً في عملية التجارة الكبرى التي كانت تسلك مسارات القوافل والطرق النهرية أو البحرية أيضاً.

وإلى جانب هذه الأنزلات والخانات، كانت متاجر البيع بالمفرق حيث يبيع الحرفيون نتاجهم الذي يصنونه بأنفسهم، ويعرض التجار الصغار السلع المستوردة من الخارج. وكانت هذه المتاجر تتجمع أحياناً في أمكنة مغلقة لتكون أسواقاً أو بازارات، بحيث أن موقعها الطبوغرافي وأشكالها المعمارية أثرت كثيراً في الشكل العمراني للمدن. تعود فريدة هذه الأسواق إلى بعض متطلبات الاقتصاد ذي النموذج القروسي، وبعده أدنى إلى الأحكام الشرعية الخاصة بالإسلام. إن شوارع هذه الأحياء التجارية كانت في الواقع معدة لتنظيم التبادل التجاري، بحسب «قانون السوق» المزمو بالأخلاق الاقتصادية الإسلامية، بين المدينة ومحيطها المباشر أو البعيد الذي يؤمن لها المواد الضرورية لاستهلاكها ونموها.

وتجاوباً مع مختلف هذه الوظائف، فإن المدن التي نستطيع تتبع تاريخها على المدى الطويل، في عالم إسلامي متغير الأبعاد، قد عرفت تبايناً، أو على العكس نشأها، في التنظيم والشكل، يعود إلى عوامل كثيرة. إن العوامل الجغرافية المشتركة بين البلدان الواقعة في منطقة قاحلة حيث تنباعد المساكن، فرضت على بعض التجمعات تكيفاً قاهراً، من السهل أن نتبينه هنا أو هناك بشكل أو بآخر: هكذا كانت مشكلة التغذية بالمياه في طليعة هذا التكيف في كل مكان، وقد أُنشئت بواسطة زواقد وأقنية كما في دمشق، وبيجر مياه الينابيع كما في حلب، وباستخدام الزواجر كما في حماة، وبناء أقنية ضخمة كما في اسطنبول، وبيجر سراديب على شاكلة «قناة» كما في المدن الإيرانية، وبواسطة الأنحاض والبرك كما في القيروان، أو من خلال القرب المباشر من الأنهر الكبيرة كما في بغداد والقاهرة. وقد وافق هم

أي المدارس بمختلف اختصاصاتها، كما أخذت بتبصير من العلوم الدينية لتعليم الطب في المارستان أو المستشفى، وتعليم أصول التصوف في خلوات ظهرت منذ القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد وحملت أسماء الزياط أو الخانقاه أو الزاوية أو البكة وسواها، وكلها مبان مجمعة أحياناً بقرب مكان العبادة الرئيس في المدينة، وأحياناً أخرى منتشرة في مختلف الأحياء (داخل السور أو خارجه) مصحوبة بمصلى يقوم مقام مسجد خاص بها.

ورغم كثرة مراكز الصلاة هذه التي كتبت المشهد المدني، خصوصاً مع نهاية القرون الوسطى، فإنها لم تستطع منافسة المسجد الجامع الذي كان مهياً أولاً للتوسع لاستيعاب الزايد السكاني المدني بكامله، وقد نوزعت هذه المراكز، في ما بعد، على صروح شُيّدت في الأحياء. إنطلاقاً من هذا الواقع، فإن نوعية الروائع الفنية الهندسية المتبعة في المدن، نعتي بها المساجد، أظهرت اهتمام كل سليل حاكم بأن يفرد ببناء يفوق بروعه أبنية سابقه أو منافسه. بفضل غنى الأمير، كانت تتجسد تكراراً حيوية الشعوب المسلمة الساكنة في موضع ما، في البناء المحكم الذي يشكل بامتياز مكاناً لاجتماع الجماعة والذي كان يضم، في بداية الإسلام، خزانة الدولة، وكذلك محكمة القاضي وحلقة أسناد العلوم الدينية على سبيل المثال. كما كانت هذه الحيوية تتجلى في عدد من الأبنية الأخرى الدينية والأميرية، وأهمها الأضرحة بضخامتها المتفاوتة التي أدت إلى إنشاء مجموعات معمارية جذرية بالتقدير، نجمت عن منشآت خاصة أو ملكية مع نهاية القرون الوسطى. كانت هذه المباني تقام عادة خارج المدينة ويُقن عليها من مبالغ محجوزة لهذا الغرض بحسب النظام الخاص القاضي بتجميد الممتلكات، أو ما يُعرف بالوقف الذي يُستعمل أيضاً لتأسيس المدارس والمستشفيات. وكانت هيكليّة هذه المنشآت المشيدة أحياناً في الأحياء الحديثة العهد تتوسع، فتضيق بها المساحة المكثرة للبناء، فتمتد إلى خارج هذه المساحة إلى أن تصل عادة بالمقابر.

من جهة ثالثة، كان الدور الاقتصادي، في أغلب الأحيان، يحدد مدى تراجع المدن أو ازدهارها، سواء

المجمعات التي بُنيت تلبيةً لحاجة الفاتحين كانت، في بادئ الأمر، مدناً في هيئة مخيمات بدائية جداً، لا بل مؤقتة. إنَّ الأحياء السنية عُبِت في ما بعد المأوى الخفيفة والخيم القليلة المجمعّة لكل عشيرة على حدة. وقد أدّت إلى نشوء مجمعات ثابتة ونهائية، كما في العراق مدينتي البصرة والكوفة، وفي مصر مدينة القُسطاط، وفي سوريا مدينة الحلبية التي تركها الفاتحون ليستقروا في ما بعد في دمشق المدينة الدائمة الازدهار.

يُعَد ذلك، أنشئت في إيران والمغرب مخيمات أخرى كمخيم القبروان في سهل إفريقيا الداخلي الذي استمر في الازدهار حتى عصر الزيريين. لكنّ بعض هذه المخيمات، وبخاصة في المقاطعات الإيرانية، لم يتوافر له إلا وجود عابر وسط الثورات المتكررة للشعوب الأصلية التي لم تُسلم.

في القرن التالي ظهر، بفعل التعايش الذي لم يستلزم أكثر من نصف قرن ليترسّخ، نموذج المدينة الأموية الذي سيُشكل، جزئياً، نموذجاً للمدينة العباسية. وتعود خصائصه العمرانية الأكثر تميزاً إلى ارتباطها بالمدينة القديمة التي سبقته وأحياناً في الموقع نفسه. هكذا حافظت حلب ودمشق واللاذقية على بعض آثار المخططات الهلنستية. لكنّ استمرار هذه التقاليد السورية السالفة يتجلى بقوة في شكل المدن المنشأة آنذاك بأمر من الأسياد الجدد. ومثال ذلك حاضرة عنجر التي هي مدينة أموية استعادت طراز مدينة قديمة، تحرقها شوارع معقّدة ومحاطة بحال تجارية. وهذا النموذج من المدن كان قد أمهله العمران الإسلامي في مرحلة سابقة. بعددٍ استُحدثت «مدينة الحكم» لثُصيب رواجاً مبدئياً، وقد انمازت بأقطارها عن المدينة الملكية، أو المؤسسة البلاطية حصراً، وقامت ضخامة تصميمها على مخطط مستوٍ، بشوارعها العريضة الممتظية التي تحيط بمبانيها الرئيسة، أي قصر وليّ الأمر والمسجد الجامع الملاصق، تحفّ بها أحياء ناشطة ومسكونة. والمثال الأبرز هو بلا شك «المدينة الدائرية» للخليفة العباسي الثاني المنصور. تم تأسيس هذه المدينة سنة ٨٤٥هـ/ ٧٦٢م، لتكون مفتوحة على كل الأنشطة التجارية

المياه هذا عند السكان رغبة تهدف إلى الإكثار من سبل المياه ونقاط توزيعها. في المنازل وعلى طول الشوارع، كما في الحمامات العامة والخاصة.

أحياناً تبقى مسألة تأمين المنافع إلى المدن، وهي من المسائل الأساسية، وذلك لأسباب سياسية واستراتيجية وتجارية أيضاً. من هذا المنطلق، أُقيمت أكبر المجمعات الإسلامية على المفارق الطبيعية وعلى مفاصل الطرق. وخير شاهد على ذلك «المدن المؤسّسة» حديثاً، ك بغداد والقسطاط/ القاهرة. فهي نموذجية في هذا الصدد. لكن بالمقدار ذاته، ينطبق ذلك على المدن التي حافظت، في ظلّ الإسلام، على ازدهارها السابق كدمشق واسطنبول على سبيل المثال؛ أمّا عدم محافظة بعض المجمعات الأخرى على مكانتها، فيعود سببه إلى موت بعض شبكات المواصلات التي كانت تمتاز منها وإلى هشاشة بعض نماذج التبادل التجاري.

٢- هناك مدن مرفئية على البحر الأبيض المتوسط أو على المحيط الهندي ومدن الواحات الواضحة في السهول والجبال، والمدن التجارية حيث يتركز إنتاج مقاطعة غنية، والمدن الملاحي التي تستفيد من عزتها؛ وثمة عواصم السلالات الحاكمة التي كان قدرها في ما بعد نسياناً لا مفرّ منه، ومدن مقدّسة ظلّت تتمتع بشهرتها السالفة. ولدت إذاً المدن في بلاد الإسلام ونمت كما كلّ المدن الأخرى في العالم متأثرةً بميزات تختلف باختلاف طبيعة تأسيسها، إذ إنّها إنّما نشأت طبقاً لمشروع واحد متكامل، وإثماً، على العكس، نمت بفضل تجاور المجمعات السكنية المتعاقبة وضمتها إلى بعضها بعضاً. بين هذه المدن كلّها، تتفرد بعض النماذج بجث التي أقدمها ضرورات فتوحات القرن الأوّل للهجرة/ السابع للميلاد. نجمت هذه الضرورات عن توافد الغزاة الأتني من الجزيرة العربية على أثر التوسّع السياسي الكبير. إنّ حاجات هذه الفرق المسلّحة التي ظلّت متراسّة في بادئ الأمر وحاولت التقدّم إلى مناطق معادية لها، توضح لنا ظاهرة ناجمة عن تحفّز مجموعات لم تنصرف إلا نادراً إلى استغلال الأراضي الزراعية. إنّ

وقد فرض واقع الأمر تعديل مخطط الطرق في اتجاه تشابك الدروب وفتح شوارع لا مفلح لها مغلقة بأبواب، كما نشاهد ذلك في دمشق حيث تمّ تحلّ الطريق الضيقة والمعزّجة مكان الشارع الرئيس المعمّد الذي كان يعبر المدينة سابقاً، بل إنّ مجموعة المنازل القديمة المنتظمة تركت شيئاً فشيئاً المجال لبعض الأبنية الطارئة والعابرة كي تنحو آثار هذا التوزيع القديم. وقد أدّن ذلك بظهور عوارض الشيوخوخة التي شلّت شيئاً فشيئاً المدن المتألّفة سابقاً، والمتحوّلة إلى «مدن قديمة» (Medinas)، بحسب التسمية التي استعملت مؤخراً في المغرب، ولم تتخلّ هذه المدن عن موقعها إلا تحت تأثير العصرية اللاحقة.

في الوقت نفسه، وبطريقة معاكسة، عادت فظهور في بعض الأمكنة من الشرق، كما في المغرب، بمبادرة من الأمير الحاكم، مخططات جديدة لمدينة الحكم العظيمة والهيبة، المتعلّقة حول مدينة أو مدن ملكيّة عدّة بحسب إرادة المؤسّسين، وكان هذا النوع من المدن قد طبع القرون الأولى للإسلام. هكذا نشأت مثلاً سلطانية التي أقامها الإيلخانيّ أولجيتو أو مدينة فارس الجديدة التي بناها المرينيّون. بدون أن ننسى المخططات الكبرى للمدينة التي حقّقها السعدونيّ في مراكش، والتميمونيّ في سمرقند أو هراة، والصوفيّون في أصفهان، والمغول في دلهي أو أغرا، والعثمانيّون في إسطنبول. هكذا، وفي كل مكان، ظلّت المخططات المُدنيّة ذات الشكل الهندسي المنظم والمزاد عليه في كلّ مرّة أبنية باذخة، أُميّة للمخططات التي تقدّمت سابقاً في بغداد أو سامراء، والتي كوّنّت النماذج الأخيرة للمدينة الأميريّة المعدّلة بحسب رغبات رعاها، وقد بقي العالم الإسلامي يشهد ازدهار هذه النماذج إلى أن جاءت تحولات المرحلة المعاصرة.

«راجع المستندات ٣٦، ٣٩، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٥٩، ٦٦، ٦٨، ٧١، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٩٠».

مدينة الزهراء ← الزهراء.

مدينة السلام ← بغداد.

المذاهب الفقهيّة، أنظمة تعني أحياناً مجموعة أعراف

والجزئية المعدّة للانتشار في كلّ المناطق المجاورة، ولأنّ تجعل من بغداد العاصمة الضخمة للإمبراطورية والمركز السياسي والثقافي والديني والاقتصادي الذي لم يتوقّف، خلال قرون عدّة، عن التوسّع على ضفتي نهر دجلة.

ومثلها كانت العاصمة الموقّعة سامراء، مدينة الحكم في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد. وقد ضُمَّت، إضافة إلى قصور شكّل كل واحد منها مدينة ملكيّة، مجمعات امتدّت على طول نهر دجلة، تتابع مسار حيازها الخاصّة بجوار أبنية منظومة الحكام. إذا غادرنا عراق الباسيين، نجد أن خلفاء السلالة الفاطميّة أسسوا أيضاً مدينة للحكم في مصر، حملت اسم القاهرة، خلفاً للفسطاط وللمدن الملكيّة التي عيّنت المدينة المعسكر هذه. أخيراً، لم تتوقّف قرطبة الأمراء والخلفاء عن أن تكون مدينة الحكم التي عرفت في عهد الأمويّين في الأندلس ذروة قوّتها، ولا سيّما في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد. كذلك، إثر انحطاط هذه العواصم الضخمة للإمبراطوريّة، وتمزّق العالم الإسلامي نفسه، وُلد نموذج آخر من المدن مختلف على نحو ظاهر عن الحواضر العباسيّة وقريب من المدن المعاصرة التابعة للغرب المسيحي. لم تقتصر نماذجها المتعدّدة على المناطق السوريّة، بل إنّها تكاثرت في سوريا بنوع خاص خلال القرون الوسطى. هناك قامت مدن مُغلقة على نفسها داخل أسوارها وبجانب قلاعها العظيمة. ونموذجها الأجل، إلى جانب قلاع دمشق وحمص وبلبلق وبصرى، يبقى قلعة حلب المتحصّنة حتى اليوم فوق منحدرها الدائري.

إنّ العناية الشديدة بالدفاعات العسكريّة بسبب الحروب المستمرّة بين الأمراء المتنافسين آنذاك، لم يمنع هذه المدن المحمية من أن تفرض نفسها مراكز نشاط على صعيدي الثقافة والاقتصاد. ودلائل على ذلك، تضرب مثال التوسّع المتواصل للمساكن والأسواق في ضواحي المدن وتزايد عدد الخانات والفتاقد المعدّة للتجار المسلمين أو الغريب، وعدد الصروح الدينيّة الثانوية أيضاً التي تزيّن الأحياء المنظمة بدورها والمزوّدة بدفاعاتها الخاصّة.

إصدار الأحكام والاعتراف بشرعية القرارات المتخذة من كل من القضاء الأربعة، مع انقضاء السابق الذي كان يقضي على منطقة ما باختيار قضائهما جميعهم من مدرسة واحدة. فكانت الأفضلية في محاكم بغداد، في ظلّ العباسيين، للمدرسة الحنيفة، وفي مملكة الأيوبيين للمدرسة الشافعية. وهكذا كانت الأحكام تتخذ وفق المدرسة المنتمى إليها صاحب العلاقة بواسطة قاضي تابع لمدرسة أخرى. كما توافرت، منذ زمان بعيد، مصنفات فقهية أظهرت الاختلافات ودرست تفاصيلها في المبدأ والتطبيق، وفقاً لتقاليد كل مدرسة.

وفي ما بعد، أدى التطور إلى تجانس نشأ بين هذه المدارس - التي كانت في الأصل مقتصرة على حقل الفقه - وبين المدارس الكلامية المختلفة التي أخذت في الظهور شيئاً فشيئاً. وهكذا مثل الحنابلة تباراً فقهياً وكلامياً في الوقت نفسه، بينما كان الشافعيون غالباً على علاقة بالأشعرية وكان الحنفيون يميلون إلى مذهب المازنيدية، أو إلى مذهب المعتزلة. كما ساد في الوسط الشيعي مذهب سمي جعفرياً، نسبة إلى الإمام جعفر الصادق الذي حدد أصوله، والذي كان يتميز ببعض الخصائص: وجوب الطاعة غير المشروطة للإمام، انتقال الإرث كاملاً إلى الابنة الوحيدة وغير ذلك من تفاصيل.

مذبح (بنو -)، قبيلة في الجزيرة العربية قديماً، سكنت في منطقة اليمن، وقامت بدور مهم في الفتح العربية - الإسلامية، لا سيما في مصر.

كان زعماء هذه القبيلة، الذين أقاموا في مدينة الفسطاط أو القاهرة القديمة، قد عبروا عن استيائهم من الخليفة عثمان بن عفان، وحاصروه ثم قتلوه في المدينة المنورة^(١٩٩). واتخذ بنو مذبح، لاحقاً، موقفاً إلى جانب الحركات المعادية للأيوبيين، كما أثبتوا ثورة إين الأتعت، ثم ساندوا في اليمن الحركات الزيدية.

مذهب، مذاهب ← المذاهب الفقهية.

المرأة (وضع -)، مسألة طرحت، منذ القدم، في دار الإسلام. وظلت مطروحة عبر العصور، وهي، في

تبلورت مع العصور الأولى للإسلام، كان هدفها تحديد الأصول أو أسس الشريعة، وكذلك تفصيل شروط تطبيقها.

لقد تطوّرت هذه الأنظمة حتى تحوّلت أحياناً إلى مدارس فكرية، استمرّت في التأثير بوضوح على الحياة الاجتماعية في البلدان الإسلامية، منذ القرون الوسطى حتى يومنا هذا، وحيث اختار كل بلد إسلامي بشكل تفضيلي ما يناسبه منها. وكان السبب الأساسي لنشونها أنّ القرآن والسنة النبوية لا يعطيان حلولاً مباشرة للمسائل الوافية التي واجهت الجماعة الإسلامية الناشئة، سواء في حياتها اليومية أو في تنظيمها السياسي. وهكذا، تلافياً لهذا النقص وتركيزاً لعلم القانون الذي أطلق عليه اسم الفقه، كان من المفترض إيجاد طرائق تسمح بالتوصل إلى قراءات تبرّرها مضامين النصوص المتوافرة.

هكذا تكوّنت، حول العلماء، عادات تشريعية أخذها عنهم تلاميذهم وأتباعهم. فكان مثلاً في المدينة مالك ابن أنس المشهور، وأبو حنيفة في الكوفة في العراق، والأوزاعي في سوريا. وقد بدأ هؤلاء العلماء بتطبيق «جهد التفكير» أو الاجتهاد في نهاية الخلافة الأموية وبداية العصر العباسي، ما جعلهم يستحقون لقب المجتهدين. وقد ظهرت في الوقت نفسه فروع شاسعة في النهج الذي سلكه القضاء في تطبيق القانون في المناطق المختلفة، غير أنّ الخليفة العباسي المنصور، خلافاً لتصبّحه ابن المقفع، أبى التدخل في هذا المجال. كما أنّه في القرن التالي، نتيجة لهذه الحرية التي تُركت للمشرعين أو الفقهاء في إيضاح خلاصة نتائج أبحاثهم باسم الاجتهاد، ظهرت مدرستا الشافعي وابن حنبل، إضافة إلى المدارس الثلاث السابقة، وأعداد من المدارس الثانوية التي اخفت مع الزمن. فمُنذ القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، كان السمة بأخذون بأحكام التقاليد المعرّية للمدارس الشافعية والحنبلية والحنفية والمالكية وحدها. ففي مصر الماليك، اعترف بالمدارس الأربع بشكل متساوٍ، وكان على مشايخي كلٍ منها أن يحتكموا إلى قاضي تابع للمدرسة المعنية ووفق أحكامها. وقد تناقضت هذه الطريقة في

إلا ثلاث عشرة سنة لدى تسلّمه السلطة.

أما في ظروف أخرى ميّزت عالم السلاجقة التركي الذي اعتنق الإسلام، فكان الزواج بأرملة ملك وسيلة لإضفاء الشرعية على سلطة قائد عسكري بادر إلى تأسيس حكم سلافي. هذا ما لجأ إليه رأس سلالة البوريين الأتابك طغتكين الذي انتزع السلطة في دمشق، إذ تزوّج الأميرة صفوة الملّك أرملة السلجوقي تُشّر.

ثمّة حالة مشابهة أدت إلى تأسيس دولة النعمانيك المصرية ببادرة من شجر الدر. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ بعض هؤلاء الأميرات سبق أن تشي لهنّ، من دون تدخل ذكور إلى جانبهنّ، تحتلّ مسؤولية الوصاية أو الحكم بجدارة جلبت لهنّ إطراء مدوّني الأحداث المعاصرين لهنّ.

إنّ هذه الكفايات الشخصية التي بشرت السبيل لنساء من عالم الإسلام القروسطي، حُرّون بعد أن كان بعضهم من السّراري في أوّل الأمر، أن يتقدّموا إلى الأوساط الحاكمة، كما ساعدتهنّ على البروز في المجال الثقافي حيث استطاع بعضهم استقطاب الاعتراف بكنفائهنّ وحيازة لقب شيخة في مقابل مشيخة الرّجال، بسبب تبحّرن في علوم الدين. إلا أنّ مظاهر النجاح هذه شكّلت استثناء، إذ إنّ الغلبة السائدة، كما تجلّت في الأمثال العامية والشعر، لم تكن دائما لمصلحة المرأة. وإذا كانت لم تعد إلى تقديمهنّ على أنهنّ أدوات للمتعة والشهوة، فقد نظرت إليهنّ كصورة ونجلّ لجمال يؤدّيان إلى ضرر بسبب الأهواء التي يمكن أن تنزع إليهما. هذا هو الموقف الذي تدبّر من منغيات اليهود الأولى للإسلام اللواتي تجسّدت في شخصياتهنّ مظاهر الترف ومغامرات الثقافة المتحوّلة في البداوة إلى مراكز الحضارة، خلال تلك المرحلة.

٣- في العصر الحاضر، أخيرا، تنامي وعي عميق بالمسائل المطروحة حول دور المرأة ومكانتها في المجتمع، في نطاق المجتمع الإسلامي وبسبب الاحتكاك بالغرب الأوروبي. فمذ القرن التاسع عشر، كان موضوع المرأة مثار مناقشات كثيرة. في العام ١٨٩٧ صدر لرجل الإصلاح المصري فاسم أمين كتاب

مع اعتماد السلطة الوراثية في السلالة الواحدة، فقدت وشائج القرى بالمصاهرة بعض أهميتها، لكنّها لم تفقد دورها نهائيا. بقي العهد العباسي قام الخليفة المأمون، سعيّا منه إلى إضفاء الشرعية على حقوق ولّي العهد العلوي الذي اختاره، بنزوح ابنته له، وتزويج ابنة أخرى له إلى ابنه؛ إلا أنّ هذه الأواصر المعقودة لم تعد بالفعّال لأنّ المأمون تخلّى، بعدئذ، عن سياسته المؤيدة للعلويين. وفي ما بعد، جرت محاولات مشابهة لإقامة مثل هذه العلاقات بالمصاهرة بين بعض الأمراء والسلاطين من جهة، والخليفة من جهة أخرى، سوله بناء على طلبه، أو ضدّ إرادته. وهكذا عمد الخليفة الطالع إلى اتّخاذ ابنة أمير بويهّي زوجة له، تقوية لموقعه، لكنّ اغتيال هذا الأخير حال دون بلوغ هدفه؛ في حين اضطرّ الخليفة القائم إلى مصاهرة السلطان الحديد الذي جامت به الحملات التركية، طغول بك السلجوقي، رغم أنّ هذا الطلب بدا له في منتهى الجرأة. بصورة عامة، كثيرات كانت النساء، زوجات الحكّام المسلمين، اللواتي استطعن، رغم الخجّر عليهنّ في سرايات الحريم، ممارسة نفوذ سياسيّ فعليّ، ولا سيّما خلال فترات انتقال السلطة من عاهل إلى آخر. مثال ذلك الخيزران الشهيرة، محظنة الخليفة العباسي المهديّ التي عدت زوجة له. فقد نوّشت المؤامرة لإبصال ابنها البكر، الهادي، إلى سُدّة الخلافة، ومن المحتمل أن تكون لجأت، لصعوبة براسها، لوسائل جرميّة كي يتسرّر لابن الثاني هارون الرشيد لتسّم عرش الخلافة، فاضطرّه ذلك إلى اتّخاذ وزير له كان للملكة الأم عليه سطوة فعليّة. ووفقا هذا النهج عمدت، في ما بعد، الزوجة العربيّة لهارون الرشيد نفسه، وهي زبيدة التي ضاعفت شهرته، إلى تسمية ابنها الأمين ورثا أوّل لأبيه، مع أنّ المأمون كان يفوقه موهبة، وهو ابن محظنة إيرانية، ما أدّى إلى نشوب حرب أهليّة بين الأخوين. وفي مستهل القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، كان لمحظنة من أصل يوناني، هي أمّ المقتدر الفتي الذي أعلن خليفة في العام ٢٩٥هـ/ ٩٠٨م، دور حاسم خلال سنوات في إطار مجلس الوصاية الذي جرى تأليفه لتوجيه ابنها، إذ لم يكن عمره

الجامعات للنساء في العام ١٩٣٦، وسُرعَ بُعيد ذلك، ارتداء الحجاب وتبعه حق الاقتراع الممنوح، في العام ١٩٦٣، في حين حُدَّت قوانين ١٩٦٧ و ١٩٧٥ من تعدد الزوجات وممارسة الطلاق. إلا أنَّ هذه التدابير أُلغيت بعد ثورة ١٩٧٩ وأُقيمت الشريعة، من جديد، كاملةً في الجمهورية الإسلامية الإيرانية الحالية حيث صار ارتداء الحجاب إلزاميًا ومطبَّقًا بصرامة.

وإذ يستمر هذا النموذج المنظرَف وحيثًا في سائر أنحاء العالم الإسلامي، حيث تشهد أنَّ وضع المرأة الذي كان لفترة طويلة متغيِّرًا وغير مستقرٍّ ومُحكومًا بالتناقضات من منطقة إلى أخرى، ويتناقضات مماثلة داخل المنطقة نفسها، بحسب الأوساط المعنوية ومتغيِّرات السياسة، يستمرُّ في التطوُّر، حاليًّا، في اتجاهات متناقضة أحيانًا، ومما لا شكَّ فيه أنَّ المكتسبات الكمّائية في تركيا ما تزال ثابتة، رغم بعض ردّات الفعل الشعبية، إلا أنَّ هذه الدولة القومية والمعلمنة تبقى نموذجًا فريدًا حتى الآن.

فإذا تولَّعنا إني أبعد من ذلك، نحو المشرق، أُلغينا ظروف حياة النساء متناسقة مع الدور الفعّال الذي يجهُذُ للاضطلاع به في الهند وجنوب شرق آسيا طوال القرن العشرين. وقد بان ذلك في الإتحاد الهندي بعد التقسيم الذي أصابه في العام ١٩٤٧، وفي باكستان التي بدورها لم تعتمد إلى إيقاف مدّ التقدّم المستمرِّ في ما يتعلّق بالإصلاحات الاجتماعية التي طالبت بها الجمعية النسائية لكل باكستان، المؤسسة عام ١٩٥٠.

وهكذا، أُضيفت إلى وجوه النجاح النسائية في الميدان الأدبي ما أحرزته كثيرات منهنَّ، إثر ذلك، في الحياة السياسية حيث ناضلن بفعالية داخل الأحزاب وتجاوزن ذلك إلى تسلّم مهمّات حكومية، بما في ذلك مهمّة رئاسة الوزارة، ومما لا شكَّ فيه أنَّ عادات محلّية قديمة وقفت وراء ذلك، كما في ما ليّزيا وأندونيسيا، إلا أنَّ وضع حال المرأة لم يتعرّض لتعديلات قانونية حسّاسة، والظاهر أنَّ الأخذ بالحجاب، بحسب التقليد الإسلامي، يسلك سبيل التراجع.

في ما يتعلّق بالبلدان العربية، تبقى المملكة العربية السعودية الدولة الوحيدة التي حافظت على أحكام

بعتوان «تحرير المرأة» دفاعًا عن أطروحة مفادها أنَّ الوضع المتدنّي الذي عرفته المرأة المسلمة عبر العصور لم يكن للدين فيه يد، بل كان عائدًا إلى تأويل فقهيّ خاطئ للمعطيات تؤكّد، عكس ما حدث، المساواة بين الجنسين. بناءً على ذلك، أوصى الكاتب بتعليم المرأة وبالسُّفور.

صادفت هذه الدعوة تحوُّلاً نحو تعليم المرأة انتشر في بعض النواحي بنجاح. ففي أوائل القرن التاسع عشر، على سبيل المثال، فتحت مدارس خاصة بالفتيات أبوابها في بعض الأوساط التركية العثمانية. في المحيط العربي، كان ثمة مؤسسة مماثلة أوجدها المرسلون الأميركيون في بيروت، عام ١٨٣٩، ظلّت بثيمة لمُدّة طويلة. أمّا في مصر فلم تفتح مدرسة ابتدائية للبنات أبوابها إلّا في العام ١٨٧٦. ثمّ تبع العراق المسيرة. كذلك فعلت إيران في مطلع القرن العشرين، بينما كان تعليم البنات ينتشر بازدياد في ظلّ الحكم الاستعماريّ. كذلك في الهند، أدّت جهود المجذّوبين، أمثال سيّد أحمد خان، إلى فتح مؤسسات للتعليم العالي تعنى بتدريس النساء المسلمات، منذ بداية القرن العشرين، في عليگره، ودلهي، ثمّ في بومباي، وسواها.

وإذا كان تعليم النساء لاقي رواجًا كبيرًا، فإنّ سائر الأمور المتعلقة بالمرأة كانت تنطوّر ببطء شديد، إذ ظلّت الجمهورية التركية هي البلد الوحيد الذي تخلّى، قبل الحرب العالمية الثانية، عن تطبيق الشريعة فاستبدل بها تشريع علمانيّ. بعد العام ١٩٢٥، يمنع تعدّد الزوجات وارتداء الحجاب ويمنع النساء حقّ الانتخاب بعد وضع دستور العام ١٩٢٤ موضع التنفيذ. في البلدان الأخرى، إذا استثنينا شبه الغاظة الهندية حيث استطاعت النساء الهنديات والمسلمات ممارسة الانتخاب منذ العام ١٩٣٥ والإنخراط في أنشطة أخرى، لم يُعْظَ الإذن للنساء إلّا بعد العام ١٩٤٥ لخروج من محابسهنّ ويمعنسنّ، منذئذٍ، بهنًّا مختلفة، سواء في مجال المشاريع أو في المكاتب، أدّت بهنّ في أحيان كثيرة إلى نمط حياة شبيه بحياة النساء الغربيات، وإلى التكتّل في جمعيات حديثة التأسيس وفعالة في بعض الأحيان. وقد شهدت إيران، بشكل خاص، تطوُّرًا سريعًا وبيّنًا، إذ فتحت أبواب

المعمارية، أو أسماء أولياءه أو أنبياءه في حال تَضَمَّنَتْ أضرحة هؤلاء، كما يمكن أن تَضَمَّنَ قبورًا لمقاتلين ولصوفيّين.

المرابطون (٤٤٨-٥٤٢هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)، إسم أسرة مالكة بربرية من قبيلة لمتونة، بسطت سلطتها على المغرب الأقصى والأندلس، وأقامت حضارة متقدمة قبل أن تترك المكان للموحدين.

ينتمي المؤسسون الأوائل لهذه الدولة القوية إلى مجموعة بدوية - تم تقبل الإسلام في البداية بشكل صحيح - كانت تجوب المناطق على الحدود الصحراوية بين الجنوب الغربي المراكشي وبلدان نهر النيجر. وقد أُسِّست، في مطلع القرن الخامس للهجرة/ مطلع القرن الحادي عشر للميلاد، نجمًا دينيًا ناشطًا بعد تقبل التعاليم من فقيه يُعرف باسم عبدالله بن ياسين. وكان هذا الأخير قد جمع أهم أتباعه في رباط صحراوي، ودعاهم باسم الجهاد وصلابة موقفهم الديني إلى محاربة السود. وحاول الكثيرون تحديد مكان هذا الرباط، فجعل بعض المؤرخين الحديثين في إحدى جزر السنغال. ويبدو أنَّ اسم المرابطين لا يشير في الأرجح إلى بناء معين، بل إلى نشاط المحاربين الذين كان على رأسهم المدعو يحيى، فكان هذا الأخير صاحب النفوذ الحربي إلى جانب الرئيس الديني عبدالله.

كان المرابطون يسيطرون على طرق القوافل غربي الصحراء، فحرَّكته روح الجهاد واحتلُّوا سلجماسة سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م، ثم ضمُّوا إليهم منطقة السوس. وعلى الرغم من الصعوبات المتنوعة، أكملوا توسعهم نحو الشمال، بدءًا من سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م، بقيادة أبي بكر اللمتوني أولًا، ثم بقيادة ابن أخيه يوسف بن تاشفين الذي اتخذ من مراكش عاصمة له، وكانت قد بُنيت حديثًا، وفيها جمع الثروات التي حصل عليها من الفتوحات والغزوات المتنوعة.

والواقع أنَّ الانتصارات السياسية والحربية التي حقَّها هذا القائد المرابط الكبير جعلت المغرب الأقصى يسرع إلى تقديم الخضوع له، ثمَّ المغرب الأوسط. وقد ترك بلاد الأندلس وأوقف زحف الجيوش الإسبانية وسحقها في معركة الزلاقة سنة ٤٩٩هـ/١١٠٦م. وبعد

الشريعة والأعراف الملزمة لها حيث يجري الفصل بين الجنسين، في مجال الحياة العامة، (جامعات خاصة بالفتيات، حظر قيادة السيارات على النساء)، رغم حصول إصلاحات طفيفة، كمثل إلغاء «حق الإلزام» الذي يُجبر للأب تزويج إبنته بمن يشاء. وقد بُرز هذا الإلغاء بأنَّ الحقَّ المشار إليه مرتبط بعادة محلية. في البلدان الأخرى، ليس ثمة إشارة رسمية إلى الشريعة. إلَّا أنَّ ارتداء الحجاب الذي جرى التخلُّي عنه تدريجيًا، بشكل عام، وبخاصة في الأوساط المتطورة منذ الخمسينيات للقرن العشرين، عاد إلى الظهور بتأثير من الحركات المعروفة بالإسلامية. من جهة أخرى لم تُسفر الجهود المبذولة لإلغاء تعدد الزوجات عن نجاح إلَّا في تونس، واستمرت القواعد الفقهية القديمة على حالها في كل البلدان، إلَّا في ما ندر، حتَّى إن لم تطبَّق بعض العادات، وبخاصة ما يتعلَّق منها بجزاء الزنا. واقع الأمر أنَّ الدور المتاح أحيانًا للنساء في الحياة السياسية يتجانس مع أهميَّته الجديدة في الحياة الاقتصادية - في إطار ما يتوافر لبعضهنَّ من كسب معاشهنَّ بأنفسهنَّ - ويمكن أن يساعدهنَّ على تحقيق تقدُّم في مجال وضعهنَّ الذي يبدو حتَّى الآن متقدِّمًا صوريًّا، أكثر من تقدُّمه واقعيًّا.

مرابط، إسم يطلق حاليًا في المغرب وأفريقيا الغربية على رؤساء الطوائف الذين كانوا، في ما مضى، يجمعون أتباعهم في أمكنة أطلق عليها اسم «مرابط» و«زاوية» في ما بعد.

استُخدم مصطلح «مرابط» في القرون الوسطى الإسلامية للإشارة إلى المقاتلين المقيمين على التخوم في حصون الجهاد، والمتفرغين، في الوقت نفسه، للممارسات القويَّة. من هنا أتت التسمية التي حملتها سلالة المرابطين. وأطلق هذا المصطلح في ما بعد حصراً على كل زعيم ديني يلعب دورًا سياسيًا وعسكريًا ضمن نطاق الجهاد. وغالبًا ما كان المرابط شخصية تقيَّة تُلتبس برتبتها في حياتها وبعد موتها. وهكذا عُمِّم استعمال المصطلح للإشارة، بخاصة في المغرب، إلى المقامات الصغيرة المحلية التي كانت موضع زيارات قوية والتي حملت أيضًا اسم «قُب» بسبب هندستها

تأثرت بالأدب والفنون الأندلسية وبأعمال الفقهاء والعلماء الذين عبروا المضيق ووفدوا إلى المغرب. إلى هذه الحضارة تنسب الأعمال الهندسية والزخارف التي ازدهرت بها المساجد الجامعة في الجزائر وتلمسان والتي نجدها في بقايا تريبينات قبة مسجد مراكش، كما في الزيادات التي أضفت سعةً وجمالاً على مسجد القرويين في فاس. هذه الأعمال التي حوفظ عليها جزئياً كانت بتأثير أندلسي مباشر، وهي تشهد على ما بلغه الفن من ذوق رفيع، وعلى الانتشار الذي عرفه، إذ إنه عمّ المناطق المغربية حتى البعيدة منها. وهذا ما سوف يتبدل على أيدي الموحدين الذين حلّوا مكان المرابطين.

يحيى بن ابراهيم البغدالي

يحيى بن عمر اللمتوني

أبو بكر بن عمر اللمتوني ٤٤٨-٤٥٣/١٠٥٦-١٠٦١م

يوسف بن تاشفين ٤٥٣-٥٠١/١٠٦١-١١٠٦م

علي بن يوسف ٥٠٠-٥٣٧/١١٠٦-١١٤٢م

تاشفين ٥٣٧-٥٤١/١١٤٢-١١٤٦م

ابراهيم ٥٤١-٥٤٦/١١٤٦-١١٤٦م

إسحق ٥٤٦-٥٤٦/١١٤٦-١١٤٦م

◀ راجع المستتين ١٤ و ٦٧.

مُرات أو مراد، اسم غامض الأصل، ربما استعملته بعض الأوساط المتصوفة في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، حملة خمسة من سلاطين العثمانيين ولا سيما مؤسس الامبراطورية العثمانية.

مُرات (مراد) الأول هداغندبغار أو «السيد»، ٧٢٦-

٧٩١/١٣٢٦-١٣٨٩م، ثالث ملك في دولة العثمانيين

وفي الوقت عينه أول سلطان لها، حكم من ٧١٣ إلى

٧٩١/١٣٦٢ إلى ١٣٨٩م. وكان فائزاً عظيماً استطاع

أن يغطي الإمارة التي أسسها عثمان حجم دولة بفضل

الأراضي التي تمكن من احتلالها في أوروبا.

إبن أوردخان والأميرة البيزنطية نيلوفر (Nilüfer)،

كان مُرات حاكم بورصة عندما توفي والده. وعندما

أصبح «بيكاً» على إمارته الصغيرة تميّز بأهميّة عملياته

العسكرية في البلقان، لا يزال الغموض يحيط بتسلسله

الزمني. استولى في مرحلة أولى على تراقيا الغربية

وعلى جزء من بلغاريا، وفي العام ٧٦٧/١٣٦٦م، نقل

ذلك بوقت قصير، بسط نفوذه على بلاد الأندلس بعدما قضى بفترة السلاح على ملوك الطوائف. وفي أواخر القرن السادس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، كانت تسيطر على بلاد الأندلس وأفريقيا الشمالية الغربية امبراطورية مرابطية سبّية ينظم حياتها السياسية والدينية أسباحتها الكبرى، ولكنها ظلت وقبةً لما اكتسبه سابقاً من المجتمع الإسلامي المالكي، وانطبع يارث حضاري إسباني مغربي متطور. وقد قبلت الدولة الجديدة الاعتراف بسلطة خليفة بغداد الدينية والمعنوية، من دون أن يكون له نفوذ فعلي في الداخل حيث ظلت بعض المناطق تشكو من اضطرابات أمنية. مقابل ذلك أحمل المرابطون مراقبة المناطق الصحراوية التي منها انطلقت قوتهم، فانتقل النفوذ هناك إلى فرع آخر من الأسرة نفسها التي أسسها أبو بكر اللمتوني.

إن الفروء التي بلغتها الامبراطورية المرابطية، والإزدهار الاقتصادي الذي عرفته، والعظمة التي نمت بها، كل ذلك تراق مع علامات واضحة للتفكك شهدته الامبراطورية في النصف الأول للقرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، في أثناء حكم علي بن يوسف. ونهضة الحضارة الأندلسية التي برزت معالمها من على جهتي المضيق، والتي تركت آثارها الباقية في الحقول الفكرية والفنية، في مراكش وقرطبة معاً، بدأت في الواقع تشهد انحساراً بسبب التصادم بين العادات المرفهة المتبعة في الأوساط القريبة من البلاط، والتشدد في تطبيق تعاليم الدين الذي فرضه المذهب المالكي المسيطر على المجتمع.

على أثر ذلك بدأ الاضطراب الداخلي ينتشر، وساعد على قيامه ظهور المصلح المهدي ابن تومرت. كما بدأت الجيوش المرابطية في الأندلس تضعف مع حلول سنة ٥١٢/١١١٨م، وبات الأمراء الأندلسيون يجدون صعوبة في تحمّل وصاية البربر الذين قدموا للدفاع عنهم وإخضاعهم معاً. وجاء موت علي بن يوسف سنة ٥٣٧/١١٤٣م فوضع حدّاً للتوازن القائم. وقد سقطت مدينة مراكش سنة ٥٤٢/١١٤٧م في أيدي الموحدين وانتهى بذلك عهد المرابطين. ولا تزال في المغرب آثار تذكر بحضارة مزدهرة

بالمقابل، لم يتمّ التقيّد بالمعاهدة التي كان قد وقعها مع المجر في العام ١٤٤٤م، واضطّر مُرات، بعد أن كان قد تنخّى لمصلحة ابنه الصغير السنّ، للعودة إلى إدارة العمليات في العام ١٤٤٦م، وليحكم بنفسه حتى وفاته بعد خمس سنوات. وكان قد نجح، من جهة أخرى، في الإبقاء على علاقات سلمية مع الأمراء الخاضعين له، ولا سيما أمير صربيا في أوروبا وأمير سينوب في الأناضول. حكم مُرات بمساعدة وزراء من الأسر القديمة

المنتمية إلى المحيط العثماني، وتأثر بشيوخ منصوبين من أصل شرقي، وطوّر بلاطه ليجمع منه مركزاً للنشطة الفكرية والدينية ومنطلقاً للعلوم الإسلامية التي شكّلت أساساً لتطوّر الأدب العثماني الكلاسيكي. كما ساهمت رعايته الناشطة في مجال الهندسة المعمارية والفنون في تغيير التنظيم المُدني لعاصمته أدرنة حيث برزت مؤسسات سلطانية رائجة، مثل مسجد «المرادية» وخصوصاً مسجد «أوش شيرقلي» اللذين يُعتبران ابتكاراً رائعاً بالنسبة إلى الإنجازات العثمانية السابقة، وقد لعبا بين المساجد الصغيرة الأخرى العديدة التي شيدها أعيان من المحيط الملكي. لكنّ هذه الحركة العمرانية الاستثنائية، التي تميّز بها المقرّ الملكي الرئيسي، لم تمنع مدينة بُورُسه بدورها من تشييد مسجد المرادية، وهو آخر عمل سلطاني شهده المدينة.

مُرات (مراد) الثالث، ١٥٤٦-١٥٩٥م، السلطان الحادي عشر الذي حكم من ١٥٧٤ إلى ١٥٩٥م، من دون أن يتمكن من التصدي لبداية انحطاط السلطة العثمانية التي كانت قد بلغت ذروتها، قبل بضع سنوات، في عهد سليمان القانوني.

ابن سليم الثاني من حظيّة من أصل بنديقي، حكم مُرات الثالث، في أوائل عهده، بمساعدة رئيس وزراء والده سوكولو محمد باشا الذي كان قد سهّل وصوله إلى الحكم، لكنّه خضع أيضاً لتأثير والده، وفي ما بعد لتأثير زوجته المفضّلة. أبعد مناصري سوكولو الذي اغتيل في العام ١٥٧٩، وكثّف في ما بعد، على التوالي، حوالي عشر شخصيات بالصدارة العظمى. وهكذا طبعت مؤامرات عديدة عهده الذي شهد، من ١٥٧٧ إلى ١٥٩٠م، نزاعاً مع إيران الصفوية انتهى

عاصمته من بورسه إلى أدرنة. أما المرحلة الثانية فتتزامن مع احتلال مقدونيا وفي مرحلة ثالثة، اهتمّ بتوسيع فتوحاته، ولكنه قُتل في معركة كوسوفو. وبموازاة ذلك كان مُرات قد أطلق حملة في الأناضول ضدّ مدينة نوقات مكنته من تثبيت احتلاله لأنقرة، وحصل على جزء من أراضي الكرمانيين عن طريق زواج ابنه، وحقق انتصاراً في العام ١٤٧٧هـ/١٤٨٥م على القرامانيين الأقوياء.

تمكّنت نجاحاته في مجموعة ألقابه الجديدة عندما تخلّى عن لقب «هيك» الذي ورثه عن أبيه واستعاض عنه بلقب «ملك» و«خاقان» و«سلطان». كما استعان بمستشار لا ندرى إذا كان قد حمل لقب الصدر الأعظم، لكنه مارس صلاحياته، ونُسب إليه إنشاء فيلق الإنكشارية المؤلف من سجناء حرب (وفقاً للتقليد القاضي بافئطاع خمس الفتيمة لمصلحة الملك). وعمل أيضاً على تنظيم فتوحاته الأوروبية بإنشاء ولاية الروملي التي وضعها تحت سلطة «بيرباي» والتي خصّصت فيها إقطاعات لضباط مسلمين، وأيضاً لإقطاعيين مسيحيين. وكانت أخيراً أنشطته العمرانية بمستوى إنجازاته السياسية، فترك الكثير من المؤسسات الدينية، ولا سيما تلك التي ما تزال تنتفع، في الوقت الحاضر، بشهرة كبيرة، ومنها بناء «نيولوف خاتون» في إزنيق ومسجد «هدافنديغار» في بلوفديف في بلغاريا، وبخاصة مسجد شيكرجي بالقرب من بورسه.

مُرات (مراد) الثاني، ٨٠٦-٨٥٥هـ/١٤٠٣-١٤٥١م، السلطان الخامس الذي حكم من ١٤٢١ إلى ١٤٤٤م ومن ١٤٤٦ إلى ١٤٥١م، أعاد إلى الأمبراطورية مظهرها السابق لغزوات تيمورلنك وأعطى بلاطه دفقا حاسماً باتجاه انطلاق الحياة الصوفية والأديبية.

بعد أن تمّت ميايعته في أدرنة، بعد بضعة أيام من وفاة والده محمّد (محمّد) الأوّل شلي، اضطّر هذا السلطان إلى قيادة حملات متعدّدة في أوروبا. وفرض الحصار من ثمّ على القسطنطينية في العام ١٤٢٢م، لكنّه تخلّى عن محاولته وعقد صلحاً في العام ١٤٢٤م مع الأمبراطور الجديد يوحنا باليولوغ (Paléologue). وبعد أن احتلّ سالونيك، عقد الصلح أيضاً مع البندقية. لكن

الفنوحات الكبرى وثم اختيارها مقرًا للحكم. ورُؤدت بأسوار في عهد هارون الرشيد والمامون، غير أنها دُمّرت مرّات عدّة. وعانت بعد ذلك، ابتداءً من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، جزءًا الاضطرابات العنيفة التي هزّت أذربيجان بعد احتلالها من قبل الأتراك، وضمتها إلى إمبراطورية السلجوقية الكبار، ثم سقطت بدورها في أيدي سلالة من الأتابك (لا تعرف إلا القليل عن تاريخهم)، هي سلالة «أولاد إيلدكز». ولم تستعد أهميتها إلا بعد اجتياح المغول الذين استولوا عليها في العام ٥٢٥هـ/ ١٢٣١م، وأُجبروا بالعراصي المجاورة لها. كما استقرّ فيها، في العام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، هولاء، مؤسس السلالة الإيلخانية، وشيّد المرصد الشهير الذي عمل فيه العالم الفلكي نصير الدين الطوسي والذي ما زالت بقاياه ظاهرة حتى اليوم. من الحقبة التي سبقت الحكم المغولي مباشرة، بقيت آثار الأضرحة الضخمة المبنية بالأجر والمزخرفة بانحرف وحدها، وكانت شُيّدت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وإن أمّتها بحمل اسم «جنباي سورخ» أو «القبر الأحمر»، و«جنباي كابد» أو «القبر الأزرق». وتشهد نوعيّة هذه الأعمال الهندسيّة النادرة المتبقية، على التألق الثقافي الذي تميّزت به مراغة آنذاك. كما أنّها تميّزت بالتألق نفسه في ما بعد، في عهد الإيلخانيين، حيث شكّلت مركزًا فكريًا بارزًا بالنسبة إلى المسيحيين، إذ كتب فيها ابن العربي مثلاً تاريخه العالمي. غير أنّ الاضطهادات التي تعرّضت لها في عهد غازان في العام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م ساهمت في تغيير طبيعة سكّان المدينة التي يسكنها حاليًا أكراد أقاموا في المنطقة منذ زمن طويل، إضافةً إلى مسلمين من السنة والشيعة الناطقين بالتركية. وفي الوقت نفسه، لم تُكفّ المدينة عن التراجع بالرغم من احتفاظها بصناعة فنيّة من الأجر الملبّس بالخزف الملون، وذلك حتى بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، عندما شُيّد فيها الضريح الجميل الذي أطلق عليه اسم «جنباي غفاريّة». غير أنّ الصراعات بين السلالات التركمانية، والاحتلال العثماني، والحملات الإيرانية، كحملة نادر شاه، والحروب الروسية - التركية، سرّعت في القضاء

بمعاهدة مُنح بموجبها العثمانيون أراضٍ مهمّة في جورجيا وفي منطقة تبريز، كما شهد في العام ١٥٩٣م نشوب حرب طويلة بين السلطان وسلاطة الهابسبورغ. لكن من جهة أخرى كان مرّات الثالث مثقفاً، تميّز بحبه للشعر والتصوّف وعلم الكلام والعلوم الباطنيّة، وأكرم العديد من الكتّاب والعلماء واحتفّ بالأعمال المعماريّة، فشيّد مسجد المارديّة في مانيسا وأشرف على تزيين قصر نوب كايي سراي في اسطنبول.

مرّات (مراد) الرابع، ١٦١٢ - ١٦٤٠م، السلطان السابع عشر والإبن الخامس للسلطان أحمد (أحمد) الأوّل، حكم من ١٦٢٣ إلى ١٦٤٠م، وكان آخر السلاطين المحاربين في السلالة العثمانية.

بعد أن تمكّن بصعوبة، ما بين ١٦٢٣ و ١٦٣٢م، من فرض سلطته على عرش اعتلاء شابًا بعد خلع عثمان الثاني وإعدامه، مارس مرّات الرابع قمعًا عنيفًا ضدّ المعارضين كافةً وجابه أعداء الإمبراطوريّة بحزم. قادته حملاته ضد الصفويّين في إيران إلى يريفان في أرمينيا، وإلى بغداد التي استعادها في العام ١٦٣٨م وعمل على قتل الشيعة فيها كافة. ولكن علاقته مع النمسا ومع البندقيّة ظلّت سلميّة بالرغم من بعض الصعوبات، وأقدم، في العام ١٦٦٤م، على تجديد عهد الأمان المعروف بـ«الامتيازات». ونجح هكذا في المحافظة على وحدة الإمبراطوريّة. اتّسمت سمعته بالوحشية، لكنّه كان أيضًا رجلًا مثقّفًا، شجّع أعمال أوليا شليبي وأقام في قصر نوب كايي سراي في اسطنبول أكشاكًا في غابة الأنافة، أطلق عليها اسم أكشاك يريفان وبغداد.

مراد ← مرّات.

مَراغة (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة كانت عاصمة لمقاطعة أذربيجان ضمن الخلافة العباسيّة وأصبحت، في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، إحدى عواصم السلالة الإيلخانية.

تقع هذه المدينة على ارتفاع ١٤٠٠ متر، على منحدر سلسلة جبلية تفصلها عن تبريز، بالقرب من بحيرة أرميا حيث يصب مجرى النهر الذي يروي واديهما. احتلّت القوّات العربيّة - الإسلاميّة هذه المدينة خلال

الواقع، إنَّ أمبراطورية القرون الأولى التي امتدَّت سريعاً إلى ثلاث قارات، تربط في ما بينها طرقات معتمدة منذ العصور القديمة، كانت محاطة بالبحار والمحيطات التي تدخل أحياناً إلى عمقها، وبالأنهر الكبيرة التي كانت، أحياناً، تشكّل امتداداً لمداخلها المُشرفة. وكان لها بخارة مجرَّبون سبق لأسلافهم أن جابوا البحر المتوسط أو المحيط الهندي، فيما جرى احتلال مواقع ملائمة على الشواطئ أو على ضفاف الأنهر مثل النيل ودجلة والفرات والهندوس، ما ساعد أنظمة النقل البحري والنهري على إكمال التواصل مع الأراضي النائية. شكَّلت هذه المصارف الكبرى لتقلِّ الناس والبضاعة بالسفن والقوافل شبكةً مهمةً في أوائل العصرين الأموي والعبّاسي، وتطوَّرت في ما بعد وفق المتطلبات الخاصة بكل عصر.

من بين المسالك البحرية التي كانت تصل سواحل أفريقيا الشرقية وجزرها بالهند أو بالشرق الأقصى، استمرَّت طرقات المحيط الهندي - لفترة طويلة امتدَّت إلى القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر بعد السيطرة الأوروبية على بعض أرباعها - في تغذية ثروة مدن مرفئية متعدّدة. إنَّ حركتها لم تؤدِّ إلى نشوء المدن المتتالية التي نمت في عصور مختلفة على شواطئ الخليج العربي - الفارسي والبحر الأحمر، مثل البصرة ثمَّ الكويت وسيراف والبحرين وجلفار وهرمز/بندر عباس ومسقط وعدن ومُخا وجُدَّة أو عيذاب وحُصْب، بل أدَّت أيضاً إلى إنشاء مراكز تجارية نائية استُخدمت مراسي مرحليّة، بخاصة في مناطق غير إسلاميّة، وانتظم سكّانها، وقد تمَّ تنظيمها على شكل جماعات إسلاميّة تحوّلت، في كثير من الأحيان، إلى دول. تلك كانت حال المراسي الواقعة على شواطئ كينيا والسودان والدُّغُر أو على شواطئ ماليزيا وإندونيسيا والصين الجنوبيّة. وقد شكَّلت رؤوس جسور حيّة للإسلام، وفي الوقت عينه مستودعات تستقبل حمولات السفن وتتكفّل بأمن البخّارة وأصحاب السفن.

في مقابل هذه الموانئ النائية والشهيرة التي تعاقبت أو انتقلت غالباً إلى أمكنة أخرى بسبب كوارث طبيعيّة وفيضانات أو غرق بالوحول، وكذلك بسبب

على هذه المدينة التي أصبحت خربة، بالرغم من استعادة حيويّتها في القرن العشرين، إلّا أنّها تخلَّت بعد ذلك عن مركزها الأوّل وعن لقب عاصمة المقاطعة لمصلحة أورميا.

« راجع المستنين ١٧ و ٢٣.

المرافئ والمدن المرفئية الإسلامية، مواقع ازدهرت في العالم الإسلامي القروسطي بازدهار الملاحة والنمو المحلي للأساطيل البحريّة المتنوّعة.

هذه المرافئ التي كان لها دور ناشط في العلاقات التجارية أو البحريّة آنذاك وتشابهت في إيوانها مسلمين أكثر تنوّعاً وتنقلاً من سواهم ساعدت في كثير من الأحيان، في انتشار الإسلام. لكن لم يكن لها طابع إسلامي شبه نموذجي أكثر من الذي توافر للمدن الأخرى التي تسمّى مدناً إسلاميّة، ورغم أنّ طرازها المعماري عكس بعض الخصائص الاجتماعيّة الدالة على ذلك والمتجلّية في منح الأولويّة للمساجد أو المباني الإسلاميّة النموذجيّة.

كانت الظروف المتبدّلة وفقاً للتحوّلات التي شهدتها الساحل والمتطلّبات التّجاريّة التي فرضتها السفن المستخدمة، وراء ظهور هذه التجمّعات المميّزة الطابع أو زوالها، كما وراء نموّها أو انحطاطها. وكانت هذه المرافئ تشكّل تارة نقاط توقّف وتارة أخرى قواعد دائمة مزوّدة أحياناً بالترسانات وخاضعة، مثل سائر المدن، للتقلّبات الاقتصاديّة والسياسيّة. كان عددها لفترة طويلة مرتبطاً بازدهار المبادلات التي تؤدّي إلى أنشطة حرجيّة، على الرغم من صغر تلك المنشآت وسعتها الموقّنة البينة من الآثار المتبقية، سواء كانت المرافئ تجاريّة تتطلّب نظام حماية، أو كانت مواقع عسكريّة تحوّلها تحصيناتها إلى حُرُوز إستراتيجية وملاجئ للأساطيل البحريّة، وكذلك إلى مراكز فرصة ومستودعات تُغنيها الغنائم.

في بداية الإسلام، عرفت هذه المرافئ الموروثة عن الحضارات السابقة مصيرًا حديدًا وتمكّنت من الاستمرار، رغم الأهمية التي حظيت بها طرقات القوافل البريّة، جزءاً من الامتداد الآسيوي والأفريقي للأمبراطوريّة العربيّة - الإسلاميّة خلال الفتوحات الكبرى. في

خلافة مستقلة، قبل أن تُستبدل بالخلافة إمارات الطوائف. إنَّ حالة العداء التي نشأت بين مجموعتين متخاصمتين من القوى الإسلامية كانت تتنافس أيضاً فوق أرض المغرب بواسطة القبائل البربرية، ساعدت لفترة في التطور العسكري لعدد من المدن المرفئية مثل بجاية وسوس والمهديّة التي نشأت على الشاطئ الحالي لتونس، تؤمّن لها الحماية سلسلة من الرباطات، في حين كانت تنعزّز على الواجهة المتوسطية لشبه الجزيرة الإيبيرية بلنسيا ومالقة والجزيرة [الخضراء] وفي ما بعد ترسانة المريّة أو دانية ومراسي جزر البليار. وهكذا نشأت، على امتداد الشاطئ الذي لم نغب عنه الأنشطة المحلية وصيد الأسماك، سلسلة من الأحواض الممتنة البناء والمحمية، لتحلّ محلّ المرافئ العادية حيث كان البحارة من قُبل يكتفون بسحب السفن الخفيفة المحمولة إلى رمال الشاطئ.

أخذت هذه المرافئ تستقبل شيئاً فشيئاً سفناً أجنبية يفوق عددها السفن الإسلامية، نمتلكها، بوجه خاص، مدن تجارية إيطالية، وقد أصبحت هذه السفن تؤمّن، منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، القسم الأكبر من الحركة التجارية في البحر المتوسط، من الأندلس والمغرب في اتجاه سوريا ومصر، ومنذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في اتجاه الأناضول، لنقل البضاعة المورّعة بين أنطاليا أو غلانيا في الجنوب ومينوب أو سمسون في الشمال، وفي ما بعد شواطئ البلقان والموه. بذلك كان يتمّ نقل مواد استهلاكية متنوّعة إلى البلدان الإسلامية، ومواد دخيلة آتية من المحيط الهندي يتمّ إنزالها إلى البز، ثمّ يعاد شحنها بحراً إلى أوروبا القرون الوسطى.

وهكذا أصبح الشاطئ الإسلامي الشرقي غنياً بالمدن التي سُمّيت «أساك» (Fichelles) أي مدارج المشرق، عندما استقرّ فيها، لمقتضيات التجارة، سكان مسيحيون من أصل أوروبي، يحمّهم تطبيق مبدأ الأمان، واعترفت الدولة العثمانية رسمياً بشرعيّة وجودهم بموجب عهد الأمان التي عُرفت لاحقاً باسم «الإميازات». أشهر هذه المرافئ، بدّا بكافا/فيودوسيا وصولاً إلى تريبيزوند/طرابزون، واسطنبول وبيرا، وإزمير وبيروت وعكا، أو

تبدلات سياسة داخل بلدانها أو تقلّبات اقتصادية نتيجة مزاحمة النقل البري، كان هناك في الجهة الثانية لبروخ السويس، عدد من المرافئ الإسلامية على البحر المتوسط شهدت هي أيضاً تاريخاً مضطرباً. هذه الأماكن التي كانت تنتشر منذ العصور القديمة على شواطئ صعبة المقاربة أحياناً، عرفت مصيراً سيّئاً، أو على العكس زاهراً، بفعل المواجهات الحربية التي كان لها تأثير مباشر على حركتها العمرانية. في بداية القرون الوسطى، رغم الانتصارات الإسلامية التي تحقّقت في قبرص منذ العام ١٠٦٤م/١٠٦٤م والتي استمرّت حتى الاحتلال الإسلامي لصقلية وكريت في بداية القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، عرفت مرفأ الحوض الشرقي نوعاً من الجمود، إذ إنّ هذا القطاع البحري بقي، لمدة طويلة، بالنسبة إلى الإسلام، نقطة صراعات وخصومات مع البيزنطيين. فهؤلاء لم ينفكوا لفترة طويلة عن تهديد الساحلين السوري والمصري مخزيين جزئياً، بسبب حالة الألمان، المنشآت البحرية التي ساهمت من قبل في إثراء مدن شهيرة كالإسكندرية أو أنطاكية التي كانت تعتمد على مرفأها المعروف بمرفأ سلوقية. وحدها تعرّزت الأسوار الدفاعية وترسانات المواقع المحصّنة عسكرياً، مثل عكا، وبخاصة صور. فقد اختار الخلفاء الأمويّون الأوائل هاتين المدينتين لكي يدهما، في بداية القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، سياستهم البحرية الهجومية، وقد أصبحتا قاعدتين للأساطيل الحربية في عهد الخليفة العبّاسي المتوكل في منتصف القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، وفي عهد ابن طولون حاكم مصر شبه المستقلّ بعد بضع سنوات.

في هذا الوقت كانت مرفأ إسلامية أخرى، واقعة غربي البحر المتوسط وأقلّ تعرّضاً للهجمات البيزنطية منذ أن احتلّ الأغالية صقلية، تصيب نصيباً من التطور يشهّر لها اعتماد سياسة بحرية هجومية كان لها انعكاساتها خارج العالم الإسلامي وداخله. ونشبت معارك بحرية وبرية في آن بين دولة الأغالية، وفي ما بعد بين الدولتين الفاطمية والزيرية في إفريقية وبين الدولة الأموية في الأندلس التي نشأت على أرض أصبحت هي بدورها مقرّ

من دون شك، تلك التي رعاها، في القرن التاسع عشر في المحيط الهندي، سلاطين مسقط الذين انتقلوا إلى زنجبار. أما البحر المتوسط فقد شهد، في المقابل، بشكل مفاجئ، هبوطاً في ازدهار مدن مرفئية عرفت التدهار إما في القرون الوسطى، وإما في بداية العصور الحديثة. ولم ينجُ من الضعف النهائي إلا القليل من هذه المدن، إذ تحولت إلى حواضر بحرية معاصرة داخل الدول القومية التي تقاسمت الأمبراطورية الإسلامية.

«راجع المستندات ١٠، ١١، ١٣، ١٦ إلى ٢٠، ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٧».

مراكش (المملكة المغربية)، ثانية المدن الكبرى حالياً في المملكة المغربية، تم تأسيسها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، على سفح جبال الأطلس العليا، وهي لا تزال «عاصمة الجنوب» الساحرة، وقد أعطى الأوروبيون إسمها، مع شيء من التحريف أي «Maroc»، لأراضي المغرب الغربي.

أسس مراكش، حوالي العام ٥٤٢هـ/ ١١٦٠م، أول ملك من سلالة المرابطين، يوسف بن تاشفين، إذ كان في حاجة إلى محطة بين المناطق الصحراوية ومملكة فاس. كانت في البداية، مع مسجد جامع، معكراً ضمن بلاط ملكياً فخماً تتبعه أبنية من الطراز الإسباني - العربي. أما اليوم، فلم يعد يشهد عليها سوى قبة وحيدة ذات زخارف منققة، لا تزال قائمة وهي تعود إلى عهد المرابطين. في العام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، شُكِد سور حول هذه المجموعة الهندسية الفنية لحمايتها من تهديدات حركة ابن تومرت السياسية - الدينية التي قامت في أعماق ثم في بئمل.

في العام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، تمكن خليفة ابن تومرت والمؤسس الحقيقي لسلالة الموحدين، عبد المؤمن، من توسيع أراضيه ومحاصرة مراكش التي استولى عليها بعد أحد عشر شهراً ليحبل منها، بدوره، عاصمة له. من ثم قام خلفاؤه، وهم من مشجعي البناء والفن، بإعادة البناء إلى المدينة، فشيّدوا فيها قصبة جديدة ومسجداً جامعاً جديداً وعدة مبانٍ أخرى منها مارستان (مستشفى). في تلك الحقبة، أُعطيت مراكش الشكل الذي لا تزال تحتفظ به مع تصميم شعاعي ومسجد جامع في الوسط،

الإسكندرية، عرفت ازدهاراً كبيراً قبل أن تُهجر أوصافها نتيجة المواجهة الأوروبية أو الاضطرابات الاقتصادية والسياسية في القرن التاسع عشر. في غضون ذلك، حدثت صراعات حول السيطرة البحرية على أثر التبدلات السياسية في الحوض الغربي للمتوسط، مع استعادة المسيحيين أراضيهم في أوروبا أو مع تمرّكهم الموقت في بعض نقاط الشاطئ الأفريقي.

لم تكن التجارة بين الشرق والغرب الهدف الوحيد الذي طبع مصير الأماكن الحديثة المنشأ والثراء، مثل تونس والجزائر وهران وخُين وسبّنة. فالقوّات البحرية ذات الأحجام الكبيرة، سواء منها الأساطيل العثمانية أو أساطيل الدول الأوروبية المتعددة التي تواجعت في معارك بحرية مذهلة كما في ليبانت (Lépante) سنة ١٥٧١م، لم تكن وحدها في حاجة إلى مرفأٍ حربية ومخازن أسلحة. إن الصراع كان أيضاً صراعاً مع القراصنة الذين يجوبون المتوسط انطلاقاً من المعامل البربرية في تونس والجزائر، أو الذين يجولون في المحيط الأطلسي على مقربة من المغرب. منذ أن أدخل الإسلام العمليات البحرية في إطار أعمال الجهاد، استمرت أكثر من أي وقت مضى ممارسة أشكال الفرصة كافة في تلك المناطق. إن الترحاب الذي لقيه أعمال القرصنة كان يناسب وإحدى الضرورات المستحبة، ألا وهي ضرورة تأمين ازدهار بعض المدن مثل الجزائر وتونس، أو على الأطلسي، مثل الرباط.

وسلا التي وجدت في تحويل الأسرى إلى رقيق، وفي مغامرات الحرب فائدة أكبر من تلك التي يدرّها التبادل التجاري المنظم. أخذت القيمة الاستراتيجية لهذه المدن في الازدياد. وفي مقابل قوّتها الهجومية التي كانت تشكل المصدر الرئيس لوارداتها، كانت أسوارها ووسائل حمايتها في مستوى التوعية الفنية لقوّاتها البحرية، وهي ما تزال حتى اليوم تحافظ على جمال نراها الآن.

غير أنّ ذلك البريق لم يكن ليديم. فقد شهدت التجارة في العالم الإسلامي الشرقي تحولاً جذرياً في القرنين التاسع عشر والعشرين، على جانبي بروز السويس والأنشطة التي دامت أكثر من غيرها كانت،

مؤتلة (البرتغال)، حصن إسلامي منيع يسد وادي غاديبانا، ساهم، حتى سقوطه في أيدي المسيحيين في العام ١٢٣٦هـ/١٢٣٨م، بتأمين الدفاع عن غرب الأندلس.

ما زال موقع مرتلة حاليًا - وقد نشأت بالقرب منه مدينة في أسفل القصر - يحتضن بقايا أثرية من الحقبة الإسلامية، منها تحصينات مهذمة وبقايا مسجد. وتُنسب هذه البقايا إلى حقبة سيطرة الموحديين التي تمتعت خلالها البلدة بأهمية عسكرية كبيرة.

مرج دابق ← ذابق.

مرج راطط (٦٥/٦٨٤م و٦٩٨هـ/١٢٩٩م)، معارك عسكرية دارت في سوريا الوسطى في مكان استراتيجي يصلح للإشتباكات المسلحة، وهو المرج المحيط بالنصراء من الجهة الشمالية الشرقية لواء الشام.

في هذا السهل الذي يسمى اليوم مرج عذراء، والذي كان مسرحًا للمعارك أيام الفتوحات الكبرى، دارت معركة مهمة في العام ٦٥٥هـ/٦٨٤م، بعد وفاة آخر خليفة سفياني من السلالة الأموية. اضطر الخليفة الجديد، مروان الأول، الذي تدعمه قبيلة كلب، إلى تفريق بني قيس الذين كانوا يساندون الناصر ابن الزبير. هكذا وضع مروان حدًا لحركة المعارضة التي نشطت منذ انتهاء ولاية يزيد الأول بن معاوية. غير أن انتصاره أجج العداء الذي كان قائمًا بين كلب وقيس، منذ أن نقلت القبائل العربية إلى الأراضي السورية الانقسامات التي ورثتها من جذورها البعيدة والتي أثارها في ما بعد الصراعات من أجل تعزيز موقعها في السلطة.

أما المعركة الثانية التي دارت في مرج راطط سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م، فقد كانت حلقة من مقاومة المماليك لهجمات المغول الذين كانوا قد عدلوا عن محاولة اجتياح المنطقة بعد معركة عين جالوت في العام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، ولكلهم لم يتخلوا عن رغبتهم في التوسع. في تلك المناسبة قدمت جيوش من إيران يقودها غازان، ملك من سلالة الأيلخانيين، ولم تسحب إلا بعد سلسلة معارك ضارية رافقها احتلال مفاجع إنمّا قصير للشام ولغواحيها.

في حين أقيم القصر الملكي المحصن، إلى جانب السور الجنوبي، وسط مجتمع سكاني ملتصق بالمدينة. بعد فترة من الاضطرابات، دخل أبو يوسف يعقوب المريني عاصمة الموحدين القديمة في العام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، بدون أن يعيرها أي اهتمام خاص، وأرسل المنطقة إلى حكم حصلوا على استقلال فعلي في منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. استمر الوضع على هذه الحال إلى أن استولى شريف من السعديين، في العام ٩٣١هـ/١٥٢٥م، على المدينة التي أصبحت من جديد، ولأكثر من قرنين، مقرًا للسلطة. وقد جعلها بنوع خاص السعدي أبو العباس أحمد المنصور بتشيده قصر البديع الذي لم يبق منه أثر اليوم. إلا أن السلطان العلوي مولاي اسماعيل أنزل مراکش إلى مصاف عاصمة ثانوية مثل فاس ومكناس، واستمرت حتى اليوم في تأدية دورها كمركز لمنطقة غنية ونشطة. تحتفظ مراکش - التي لم يعرف ازدهارها الاقتصادي أي تباطؤ - بالعديد من الأبنية القديمة والمهمة: - السور الذي أعيد بناؤه وتمت تقويته لمرات عدة منذ إنشائه في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد - مسجد علي بن يوسف، من عهد المرابطين، الذي أدخلت عليه تعديلات أكثر من مرة - المسجد الجامع من عهد الموحدين الذي يدعى «الكتيبة» تقربه من حوانيت باعة الكتب. وقد أعيد بناؤه مرتين متتاليتين، لأن توجيهه في المرة الأولى لم يكن سليمًا - مسجد القضيبة الذي شيده الموحّد أبو يوسف يعقوب المنصور في العام ٥٩١هـ/١١٩٥م - مدافن السعديين الشهيرة حيث يرقد، إلى جانب المتصوّف الجزولي، أول ملّكين من هذه السلالة. لم يبق شيء من القضيبة نفسها التي شيدها سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م، الموحّد المذكور والتي لا نجد وصفًا لها إلا في بعض المراجع المكتوبة. غير أن العديد من الآثار يشهد على نوبة الأشغال التي تمت لتأمين جمع المياه وجربها. فقد أغنت هذه المياه المدينة باستمرار بحداثق جديدة، غالبًا ما تزال قائمة حتى اليوم حول أحواضها الواسعة التي تضم في هذا الإطار مساكن حديثة للحكام، وقد بُني بعضها في نهاية القرن التاسع عشر.

قيس، تحتلّ، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، القسم الشمالي من الشَّيْب السُّورِي - العراقي. وفي هذا الوسط، في العام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، برز صالح بن مرداس سيّدًا لبلدة الرُّحبة المدمّرة الآن. وكان حُكْم الحُمَدَانِيّين في تلك الفترة قد أخذ بالتفكك، بينما كان الفاطميّون يهدّون البلاد بأطماعهم. نجح صالح في الاستيلاء على حلب وعلى قلعتها في العام ٤١٤هـ/١٠٢٣م، وفي السيطرة بعد ذلك على الأراضي المجاورة لها جنوبًا حتّى حمص وبعليّك وطبرية حيث قُتل خلال معركة في العام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م. وتخبّط ورثته خلال سنوات عدة بين البيزنطيّين الذين كانوا يغيرون على حدودهم، والفاطميّين الذين احتلّوا إمارتهم مرّتين، الأولى بين ٤٢٩ و٤٣٤هـ/١٠٣٧م، والثانية من ٤٤٩ إلى ٤٥٢هـ/١٠٥٧م إلى ١٠٦٠م. ثم عرفوا حالة أشدّ اضطرابًا عندما برزت لهم زُمر العُزّ التركيّة التي كانت اجتاحت المشرق الإسلامي فاضطّروا، في العام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م، إلى التخلّي عن حلب لمصلحة العُقيليّين قبل أن تسقط المدينة في يدي تُتُش، مؤسّس سلالة السلاجقة التي حكمت سوريا لفترة وجيزة:

٤١٤-٤٢٠هـ/١٠٢٣-١٠٢٩م	أسد الدولة صالح بن مرداس
٤٢٠-٤٢٩هـ/١٠٢٩-١٠٣٧م	شبل الدولة نصر الأوّل
٤٢٩-٤٣٤هـ/١٠٣٧-١٠٤٢م	(استيلاء الفاطميّين)
٤٣٤-٤٤٩هـ/١٠٤٢-١٠٥٧م	معزّ الدولة ثمان
٤٤٩-٤٥٢هـ/١٠٥٧-١٠٦٠م	(استيلاء الفاطميّين)
٤٥٢-٤٥٣هـ/١٠٦٠-١٠٦١م	رشيد الدولة محمود
٤٥٣-٤٥٤هـ/١٠٦١-١٠٦٢م	معزّ الدولة (مرّة ثانية)
٤٥٤-٤٥٥هـ/١٠٦٢-١٠٦٣م	رشيد الدولة (مرّة ثانية)
٤٦٨هـ/١٠٧٥م	جلال الدولة
٤٦٨-٤٧٢هـ/١٠٧٦-١٠٧٩م	أبو الفضائل سابق

مُرُصِيّة (إسبانيا)، مدينة في جنوب شرقي شبه الجزيرة الإيبيرية، أسّسها عرب الأندلس وكانت جزءًا من بلاد الإسلام لأكثر من أربعة قرون.

تقع مرسيه بين الحدائق، على بضعة كيلومترات من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، حيث كانت قرطاجنة مرفأً لها، ويقال إنّ الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني هو الذي أنشأها حوالي العام ٢١٠هـ/٨٢٥م. لكنّ المنطقة

مرج الصُّفَر معارك، (٤١٤هـ/٦٣٥م و٧٠٣هـ/١٣٠٣م)، معارك دارت في سوريا الوسطى في مكان إستراتيجي يصلح للاستيكاكات المسلّحة وهو المرج المحيط بالصحراء الجنوبي واحة دمشق.

خاضت قوات الفتوحات الكبرى العربيّة - الإسلاميّة في العام ١٤هـ/٦٣٥م، في مرج الصُّفَر، معركة ضد البيزنطيّين بعد انتصارها في معركة أجنادين، الأمر الذي سمح لها بمحاصرة دمشق، لا سيّما أنّ انتصارًا مماثلًا كان قد تحقّق، في الوقت نفسه، في مرج راط، إلى الجهة الشماليّة الشرقيّة.

في العام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، وإلى الجنوب من دمشق حيث توقّفت في السابق وخيّمت جيوش عدوّة متعدّدة، بخاضة في أيام الفصليّين، دارت معركة حاسمة بين المماليك وجيوش المغول التابعين للإلخانيّين الذين سبق لهم أن دُحروا في العام ٦٩٨هـ/١٢٩٩م، خلال هجماتهم انطلاقًا من مرج راط. وقد جرت هناك أيضًا معارك ضارية بين مماليك متخاصمين في نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

المُرُجِيّة، تيّار فكري ظهر في عهد الأمويّين وتميّز برفض إصدار الأحكام على الأفعال البشريّة في هذا العالم، أي بالامتناع عن إدانة المسلمين المخلّين بأحكام الشريعة وإقصائهم عن الجماعة.

نحدّد موقف هذا التيار بالضبط، إستنادًا إلى عبارة إبراهيم مصدر التسمية، بإرجاء كلّ حُكْم من هذا النوع، والإمتناع تاليًا عن تحمّل الإنسان أيّة مسؤوليّة، وتعزيز وضع الخلفاء آنذاك بإبعاد كلّ الاتّهامات عنهم. وتميّزت هذه الآراء «الكلاميّة» المخالفة لأراء الخوارج والقدرة بأبعادها السياسيّة. ونضالّت مظاهر المُرجيّة في ما بعد، عندما امتصّها أهل السُنّة الذين تبنّوا لاحقًا أفكارًا مماثلة.

المرِداسيّون أو بنو مرداس، ٤١٤-٤٧٢هـ/١٠٢٣ - ١٠٧٩م، سلالة من الأمراء العرب من أهل الشَّيْب، حكموا سوريا الشماليّة على مراحل مختلفة قبل وصول السلاجقة.

كانت عشائر البدو التي انتمى إليها هؤلاء الأمراء والمعروفة بالمشائر الكلاّبيّة، المتحدّرة بدورها من بني

شكلت المدينة المحصنة مركزاً متقدماً في الصراع بين الأمباطوريتين البيزنطية والإسلامية وصارت، ابتداءً من نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، موضع نزاع محلي بين المسيحيين والمسلمين؛ من جهة، الثفرنج الذين نشطوا في المنطقة حتى سقوط مقاطعة الرها في حوالي العام ١١٥٠/١١٥٠م، وكذلك الأرمن المستقرون هناك؛ ومن جهة أخرى سلاجقة الروم وحكام سوريا، بدءاً بطور الدين محمود (ابن زنكي)، وصولاً إلى الأيوبيين والمماليك. سقطت في ما بعد، في نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، في أيدي سلالة ذي القادرين، واكتفت، منذ مطلع القرن التالي، بدور عاصمة مقاطعة حافظت عليه في العهد العثماني وفي الجمهورية التركية الحالية.

مرو أو ماري (جمهورية تركمنستان)، مرو الشاهجان قديماً، بلدة حديثة في آسيا الوسطى متاخمة، على السجري الأسفل للخراب، بقايا إحدى أكبر مدن خراسان الفروسطية، وهي تُعتبر أيضاً إحدى حواضر العالم الإسلامي الفروسطي.

مطلّة على منطقة واحات على طريق القوافل التي تربط الشرق الأدنى بالصين، تعرّضت مارجيانا القديمة، أي مرو، في العام ٦٥١/٦٥١م، لاحتلال القوات العربية - الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى. حُدّد مكانها حالياً في موقع «جافوز قلعة» شرقي «إسكندر قلعة» القديمة، وكانت تتألف آنذاك من حصن، من مدينة عليا ومن ضاحية. شُيّد في المدينة العليا أول مسجد جامع، بينما امتدت الأسواق في الضواحي. لكنّ الوسط الإداري والديني انتقل تدريجياً نحو الضاحية الغربية حيث شُيّد مسجد جامع في أوائل القرن الثالث الهجري/الثامن الميلادي. هذه المدينة الجديدة المعروفة اليوم باسم سلطان قلعة، والتي كانت عاصمة السلجوقي سنجر قبل تدميرها على يد المغول في العام ١٢٢١/١٢٢١م، حلّت في العام ٨١٢/١٢٠٩م، مكان المدينة التي شيدها التيموري شاه روح والتي تمتد إلى الغرب.

كانت المدينة الأولى الفروسطية ناشطة ومبسورة

التي أصبحت مركزاً لها بعد تفوّقها على أورهيولا انتفضت في وجه سلطات قُرطبة في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الهجريين/أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الميلاديين، ولم يتمّ إحلال السلام فيها إلا في ظلّ خلافة عبد الرحمن الثالث. أصبحت، في عهد ملوك الطوائف، عاصمة إمارة صغيرة ما لبثت أن ألحقت بمملكة بنسية، ومن ثمّ ضمّتها، إسمياً على الأقل، مملكة بني عبّاد في إشبيلية قبل أن تسقط في أيدي المرابطين في العام ٤٨٤/١٠٩١م. استعادت استقلالها نسبياً بين ٥٤٠ و ٥٤٣/١١٤٥ و ١١٤٧م، والتحقّت بعد ذلك من جديد بمملكة بنسية، ثمّ احتلتها الموحدون في العام ٥٦٧/١١٧٢م، قبل أن يسترجعها المسيحيون في العام ٦٤٣/١٢٤٣م. لم يبقَ حالياً في مرسية من ماضيها الإسلامي - إذا ما استثنينا بعض المعالم التي تميّز بها مساكن أحيائها القديمة - إلا العادات المتعلقة بتقنيات الريّ والتحكّم بالماء التي ما تزال تساهم في ثروة سهلها.

◀ راجع المستندات رقم ١٦، ١٥، ١٩.

مَرَعَش (الجمهورية التركية)، مدينة في جنوب شرقي الأناضول، لم يبقَ منها حالياً سوى ذكرى دورها كمدينة حدودية وكحصن متنازع عليه طوال القرون الوسطى الإسلامية.

تقع هذه المدينة في شمال سهل كيليكيا، على خاضرة جبال الأنتي-طوروس حيث كان حصنها يُهيمن على طريق مُلُطية. عُرفت في العهد البيزنطي باسم جروانيكيا، واستولت عليها القوات العربية - الإسلامية خلال الفتوحات الكبرى. أصبحت في العصر الأموي إحدى القواعد التي انطلقت منها الحملات العسكرية ضدّ الأراضي التي ما زالت في أيدي البيزنطيين. وحافظت على هذا الدور البارز خلال القرون الأولى من الخلافة العبّاسية. شَرّ البيزنطيون عليها هجمات عديدة وتمكّنوا من الاستيلاء عليها بصورة مؤقتة. في المقابل، بذل حكام بغداد، ولا سيّما هارون الرشيد، جهوداً كبيرة لتعزيز الخطوط الدفاعية الحدودية في تلك المنطقة، بينما استُخدم محيط المدينة كنقطة انطلاق لحملات عسكرية كالتى شنها الحمدانيون.

المروءة أو المروءة: مصطلح عربي يشير إلى «الرجولة، والسيطرة على النفس، والكرامة»، استمدّه الإسلام من نظام القيم السائدة عند قدامى العرب لكي يشكّل، إلى جانب مفهوم «الفتوة» اللاحق، أحد المفاهيم الأساسية في علم الأخلاق الإسلامي.

وكان هذا المثال الأعلى، كما تمّ تحديده أعلاه، الذي يستند أيضاً إلى مزايا بسيطة كالكرم والشهامة والشجاعة، إضافة إلى اللجوء إلى العقل ومزاولة الصداقة والاعتدال في الرغبة، مرتبطاً بدايةً بالحكمة البشرية التي تطوّرت على مر العصور في الجزيرة العربية في الفترة السابقة للإسلام. وقد اعتمدها المجتمع الإسلامي الناشئ، مضيئاً إليها صفات مثل «الثبات في المحنة» أو «الصبر»، «الطاقة في العناية الإلهية» أو «التوكل»، وترتّب على المؤمن الحقيقي التمثّل بها. وهكذا كان هذا الأخير يوقّف في أفعاله بين المقترضات التي فرضتها عليه خشية الله أو «التقوى»، والإمتثال لشرعية منبثقة مباشرة من الوحي.

مروان: إسم حمله خليفان ينتميان إلى الفرع المرواني من السلالة الأولى لخلفاء المسلمين، أي سلالة الأمويين الذين اختاروا سوريا مقراً لحكمهم.

أول الخلفين هو مروان الأول أو مروان بن الحكم ابن أبي العاص (٢ - ٦٦٥ - ٦٨٥م) الذي يُعتبر صانع قدر عائلته. تمّ اختياره خليفة - وهو الرابع في السلالة - بعد الاضطرابات التي طبعّت نهاية الفرع السفنياني، وكان طاعناً في السن ولم يحكم سوى بضعة أشهر في ٦٤ - ٦٥م/٦٨٤ - ٦٨٥م.

إنّه أحد صحابة النبي محمد ﷺ القدامى^(١٠٠) وابن عمّ الخليفة الثالث المنتخب عثمان بن عفّان. كان كاتباً لهذا الأخير، وربما حاول أن يحميه في أثناء اغتياله، وقد شارك في معركة الجمل إلى جانب عائشة وحلفائها، وبإيعان في ما بعد، على ما يبدو، عليّاً. عيّنه قريبه معاوية، الذي أصبح خليفة على رأس الدولة، حاكماً على البحرين، ثمّ على المدينة. لكنّه اضطرّ إلى مغادرة شبه الجزيرة العربية في أثناء ثورة ابن الزبير، تاركاً ما يملك ومتوجّهاً بدوره إلى سوريا. هناك، وبعد وفاة معاوية

بشكل خاص، إلى اقتصادها التقليدي الريفي المرتكز على إنتاج الحرير والقطن لصناعة النسيج، أُضيفت موارد صناعاتها الحرفيّة ومداخل نشاطاتها التجارية القائمة على التخزين وعلى العبور. وكانت أيضاً، في ذلك الوقت، عاصمة إداريّة ومقرّ الحكام الناهيين للخلافة، وكان لها الأوليّة على نيسابور أو بلخ. استقرّ فيها أبو مسلم لتحضير «الثورة العباسيّة»، وفي ضواحيها التي كانت تضمّ العديد من العرب الذين اختلطوا بالسكان المحليين، قام بتطويع الأنصار الذين أعدّوا لمحجّه السلالة الجديدة. وفيها أيضاً مكث بعد تنصيبه حاكماً على خراسان بعد النصر، وفيها شيد داراً للحكومة. وفيها أيضاً استقرّ المأمون قبل أن يصبح خليفة، عندما انسحب إلى الأقاليم الشرقيّة بعد وفاة والده، ومنها أطلق جيوشه لغزو بغداد. وقد واصل الجيش فيها بعد اعتلائه العرش حتّى العام ٢٠٢هـ/٨١٧م. واستمرّ تفوّق مدينة مرو في ظلّ الحكام الطاهريّين شبه المستقلّين، بالرغم من اختيارهم نيسابور^(١٠١) عاصمة لهم، كما تمّ اختيارها بعد خضوعها للهيمنة التركيّة في العام ٤٢٨هـ/١٠٣٧م، من قبل السلجوقي نشغري بك (Tchaghribeg) مقراً لحكمه، ومن ثمّ، ابتداءً من العام ٤٩٣هـ/١١٠٠م، من قبل السلطان سنجر بن ملكشاه الذي أقام سوراً ضخماً حول المدينة، كما شيد، قرب المسجد الجامع، ضريحاً ضخماً تعلوه قبة، ما زال يحمل إسمه وما زال قائماً وحده بين التلال داخل الأسوار.

لم تتمكّن المدينة الجديدة التي بُنيت في ما بعد، على أثر الغزو المغولي، أكثر جنوباً، من استعادة أهميّتها السابقة، بالرغم من بقائها مأهولة حتّى أواخر القرن الثامن عشر، عندما أدّى تدمير السد على نهر المرغاب إلى هجرها الموقت من جديد. أُعيد تأهيل المنطقة بعد الغزو الروسي في العام ١٨٨٤، وفي ظلّ الإدارة القيصرية أولاً، والсоветيّة من بعدها. وفي العام ١٩٣٥ تمّ إنشاء مجمّع سكني جديد أطلق عليه اسم «بيرم علي». استطاع بفضل تطوّر الصناعات استعادة مكانة مدينة مرو القديمة المعروفة اليوم باسم ماري.

◀ راجع المستندات رقم ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢،

مروان في معركة الزاب الكبير في شهر جمادى الآخرة ١٣٢هـ/ كانون الثاني - يناير ٧٥٠م، ففرّ إلى سوريا ثم إلى مصر حيث أُسر وقتل في شهر حزيران/ يونيو من السنة نفسها.

◀ راجع السند رقم ٢.

المروانيون أو بنو مروان، تسمية أُعطيت، داخل سلالة الأمويين، للفرع المتحدّر من مروان الأوّل الخليفة الرابع في الشرق الذي وصل إلى الحكم في العام ٦٦٤هـ/ ٦٨٤م، منهياً بذلك التورات التي حرّمت الخلافة بعنف خلال العهد السابق^(١١٣).

قام أفراد هذا الفرع الجانبيّ الذين حكموا بعد الخلفاء المتحدّرين مباشرة من معاوية الأوّل، بالإسك بزماء الأمور في الدولة العربيّة - الإسلاميّة بصورة مذهلة، ما دفعهم إلى تمييز عظمهم عن عمل السفينيين، وقد عُرف هؤلاء بهذا الاسم نسبة إلى جدّهم أبي سفيان، والد معاوية، وابن عمّ الحكم جد المروانيين. وهكذا نزح الأسياد الجدد إلى الاختيار بنسبهم الخاص داخل ذريّة أميّة، الجذ المتشرك الذي وهبهم اسمه. استمرّ الشعور بإياد يلعب دوره، ربّما بصورة متزايدة، عندما نقل إلى الأندلس أمير مرواني - هرب بعد انتصار العباسيين واغتيال معظم أفراد عائلته في الشرق - الآمال التي وُلدت منها السلالة الأمويّة الثانية، أي سلالة أموييّ الغرب أو أموييّ قرطبة.

مروانيّو بلاد ما بين النهرين العليا، ٣٧٣-٤٧٨هـ/ ٩٨٣-١٠٨٥م، سلالة كرديّة عرفت في أوجها القصير كيف تحافظ على استقلال إمارتها ذات الموقع الإستراتيجي على حدود الأنصوس.

أميدا (Amida) التي تُعرف اليوم باسم ديار بكر، ميّافارقين التي أصبحت سيلفان، حصن كيفا، أخلاط وماننزيكرت/سلازكرت، كانت جميعها الحواضر الحيويّة للمقاطعات التي جمعها المروانيون تحت سلطنتهم. ظهرت قوّتهم عندما أراد أحد قوّادهم العسكريين الاستفادة من موت البويهبي عضد الدولة ليحتزّب حقّه في السيطرة على الموصل، لكنّ المدينة صمدت. حاول أيضا أن يقرض نفسه دعامة لسلالة

الثاني، آخر ممثلي الفرع السفيناني، قدّم ترشيحه إلى رؤساء القبائل العربيّة [اليميّة] المجتمعين في الحجابة، فبإيعاده.

واجه صعوبات جزاء الفوضى التي كانت سائدة عندما أراد أن يفرض سلطته، فتصدّى أولاً لأنصار ابن الزبير وخاض معهم معركة انتصر فيها في مرج راهط قرب دمشق، في شهر رجب ٦٦٤هـ/ يوليو ٦٨٤م. ثم تمكّن لبضعة أشهر من تعزيز سلطته في سوريا وفي مصر معاً، ولكنه توفي^(١١٤)، في ربيع العام ٦٨٥هـ/ ٦٨٥م، بعد أن عيّن ولديه عبد الملك وعبد العزيز ورثين له. لقد أظهر، خلال ولايته القصيرة، قدرة على القرار ومهارة استفاد منها أولاده.

أمّا الخليفة الأخير من الفرع المرواني ومن سلالة الأمويين التي انهارت في عهده في الشرق، فهو مروان الثاني أو مروان بن محمد بن مروان الملقّب بمروان النحمار. حكم لاحقاً من ١٢٧ إلى ١٣٢هـ/ ٧٤٤ إلى ٧٥٠م، ولكنّ نفوذه تراجع أمام الصراعات داخل الأسرة الأمويّة، في حين كانت تتنامى «الثورة العباسيّة» التي ستقضي على الدولة التي كان يحكمها السورويون.

يقال إنّ ولد من أم غير عربيّة وكان حفيداً لمروان الأوّل، قاد مع عته^(١١٥) مسلمة بن عبد الملّك حملات عديدة في أرمينيا وفي القوقاز، قيل أن يصبح حاكماً لهاتين المنطقتين في عهد الخليفة هشام، ثم حاكماً لبلاد ما بين النهرين العليا في عهد يزيد الثالث ١٢٦هـ/ ٧٤٤م. بعد موت هذا الأخير، رفض الاعتراف بشرعيّة إبراهيم بن الوليد، شقيق الخليفة المتوفى، وتمكّن بمساعدة مجموعة من القبائل القيسية، من بسط سلطته على شمال سوريا. بويع بعد ذلك بالخلافة في دمشق في شهر ربيع الأوّل ١٢٧هـ/ كانون الأوّل ٧٤٤م. ولكنه أبى مقرّه في بلاد ما بين النهرين العليا واختار حزان عاصمة له. على الرغم من انتصاراته الأولى، كان في حاجة للعز يد من الوقت لكي يفرض سلطته نهائياً على سوريا والعراق حيث ظلّ الاستقرار مزعزعاً حتّى العام ١٢٩هـ/ ٧٤٦م. ولكن، في هذا التاريخ، كانت قد ظهرت في خراسان جيوش أبي مسلم التي وصلت لاحقاً إلى المنطقة، وبالتحديد ابتداءً من العام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م. هُزم

السفال ولا سيما - خلافاً لكثير من التنظيمات الصوفية الأخرى - من خلال الإشادة بالعمل اليديوي. وقد غدا قبره في طوبى محجة سنوية إلزامية للمريدين كافة الذين يقدر عددهم بحوالى ربع سكان جمهورية السنغال الحالية.

مريم - تُدعى غالباً مريم بنت عمران والدة عيسى. خُصِّصَتْ لها السورة التاسعة عشرة من القرآن الكريم، ودُكرت تكراراً في مقاطع أخرى تعود للمرحلتين المذنبية والمكية من الدعوة.

نجد، في بداية السورة التاسعة عشرة (سورة مريم)، قصة البشارة وقصة خذل مريم وهي غداً، وولادة عيسى، كما نجد في بعض آيات سورة آل عمران، فيما تظهر في أمكنة أخرى تلميحات إلى هذه الأحداث. وتنتظر بعض هذه المقاطع بدقة متناهية للحبل بعيسى ولطهارة مريم، إنما من غير تمييز بين الملاك والروح الإلهي: ﴿وَمَرْيَمَ إِتَمَّ عَمَلُهَا إِذْ أَنْصَتَتْ هَوَاهَا فَفَعَلَتْ مَا يَوْسُو وَأَسَدَّتْ بِحُجَّتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَسَبِ رِخَاءً﴾ (الفرآن، سورة النحر، ١٢) ﴿وَإِذْ قَالَتْ رَبِّ اجْعَلْنِي مُطَهَّرَةً وَاجْعَلْنِي فِي بَرٍّ مَكِينٍ وَاجْعَلْنِي فِي رِجْلَيْكَ وَاجْعَلْنِي مُطَهَّرَةً وَاجْعَلْنِي فِي بَرٍّ مَكِينٍ﴾ (الفرآن، سورة آل عمران، ٤٢-٤٣). ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (سورة مريم، ١٧).

تنطبق المواضيع المذكورة مع روايات الأناجيل، وأحياناً مع روايات الأناجيل المنحولة. في الوقت عينه، تحتل مريم مكانة خاصة في التقليد الإسلامي الذي يعتبرها إحدى النساء الأربع الأفضل في العالم، إلى جانب آسيا، زوجة القروان، التي خلصت موسى، وخديجة زوجة النبي محمد ﷺ وفاطمة ابنته. ولكن مريم لا تظهر في القرآن كأحد ألقاب الثلاث بحسب اعتقاد قديم كان منتشراً، على ما يبدو، في بعض أوساط الجزيرة العربية. وترد في هذا الخصوص توضيحات في بعض الآيات: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِمَرْيَمُ إِنَّكِ مَرْيَمُ مَا يَكُونُ لَنَافِي أَنْ تُقَدِّسَ وَتَكُنِي مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَذُوْنِ الْقُلُوبِ الْغَافِلِينَ﴾ (الفرآن، سورة النحر، ١٢) ﴿وَإِذْ قَالَتْ رَبِّ اجْعَلْنِي مُطَهَّرَةً وَاجْعَلْنِي فِي بَرٍّ مَكِينٍ وَاجْعَلْنِي فِي رِجْلَيْكَ وَاجْعَلْنِي مُطَهَّرَةً وَاجْعَلْنِي فِي بَرٍّ مَكِينٍ﴾ (الفرآن، سورة آل عمران، ٤٢-٤٣).

الخلفاء العباسيين، وهنا أيضاً لم يوفق، ما جعله يعتمد على منطقته ويستند بشكل أكبر إلى فلاحه. في مرحلة لاحقة، تمكن خليفته الأكثر أهمية، نصر الدولة، المعروف عادةً بابن مروان، بعد أن حكم ديار بكر لفترة طويلة، من احتلال مركز مرموق، مستفيداً من تنافس القوى المحيطة به: خلفاء بغداد، الفاطميون الذين أصبحوا أسياد مصر وسوريا، البيزنطيون الذين كانوا ما يزالون موجودين في شمال الأناضول، العقبليون في الموصل، وحتى الغزاة الجدد الذين كان مفتراً لهم حكم طويل الأمد، نعتي بهم السلاجقة المُمثلين آنذاك بطغرل بك.

غير أنّ التفوق الذي كسبه ابن مروان بمهارته خلال النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي لم يصد، في ما بعد، أمام اقتسام ممتلكاته بين ولديه ولا أمام الضعف الدبلوماسي الذي نتج عن ذلك. زاك حكم المروانيين سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، بعد انتصار الغزاة الأتراك الذين ضفوا عندئذٍ بلاد ما بين النهرين العليا إلى إمبراطورية السلاجقة. وحدها النقوش الضخمة المحفوظة في ديار بكر لا تزال تشهد على الإشعاع الفني الذي عرفته تلك المنطقة والذي دافق أوج السلالة ومير تائق حياتها الثقافية.

الحسن بن مروان ٣٨٠-٣٨٧هـ/٩٩٧-٩٩٧م

مهدي الدولة سعيد ٣٨٧-٤٠١هـ/٩٩٧-١٠١١م

نصر الدولة أحمد بن مروان ٤٠١-٤٥٣هـ/١٠١١-١٠٦١م

نظام الدولة نصر ٤٥٣-٤٧٢هـ/١٠٦١-١٠٧٩م

منصور ٤٧٢-٤٧٨هـ/١٠٧٩-١٠٨٥م

مروة ← المروة.

المرويدية، طريقة صوفية أسسها في السنغال، في العام ١٨٨٦، رجل كان ينتمي إلى الطريقة القادرية عرف باسم أحمدو بابا.

حمل أعضاء التنظيم الجديد لقب «مريدي»، (الجمع مريدون)، وهو مصطلح عربي يعني حرفياً «المبتدئ»، لكنه استعمل في الأندلس، في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، للدلالة، بشكل عام، على الصوفيّين. وكان مؤسس المرويدية قد اعتبر نفسه مكلّفاً من قبل الملاك جبريل بإصلاح الإسلام في

سورة المائدة، ١١٦).

﴿مَا أَلَمَسِهِمُ أَرْبٌ مِّنْهُ إِلَّا رَسُولٌ فَذَٰلَٰهُنَّ مِنْ قَبْلِهِ
الرَّسُولُ وَأَرْبُ يَدِيهِ سَمَاءٌ أَلَمَسَهُمُ الْفُلُكِيُّ فَأَنظَرَهُ
سَكَنَةً مِّنْهُنَّ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَظُنُّوا أَنَّهُ لَئِنْ كُنْتُمْ

(سورة المائدة، ٧٥).

في المقابل، لا يوضح القرآن الكثير حول أصل
مريم، جاعلاً إياها بنت عمران وليس بنت يواكيم كما
في التقليد المسيحي، وشقيقة هارون شقيق موسى، إلا
إذا كان هناك هارون آخر. أخيراً، كان ذكر مريم موضوع
تكريم في القرون الوسطى الإسلامية في بعض مزارات
فلسطين التي كانت تقصد بهدف الزيارة، والتي غالباً ما
كانت، من قبل، موضوع احترام في التقليد المسيحي.
وهكذا يكرم بيئها في الناصرة وقبرها في القدس؛ وقد
ورد ذكر هذين المكانين، في القرن السادس الهجري/
الثاني عشر الميلادي، في دليل الهروي.

المريـنونيـن أو بنو مـرين، ٦٥٦-٨٦٩م/١٢٥٨-
١٤٦٥م، سلالة بربرية تنتمي إلى مجموعة الزناتة،
حكمت، بكثير من العظمة خلال قرنين، مختلف
الناطق المغربية وفرضت سلطانها لفترة على المغرب
العربي بأكمله.

في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر
الميلادي، ظهرت طموحات المريـنيتيـن الأولى، بعد
مشاركتهم في مقاومة حروب الاسترداد التي خاضها
المسيحيون في الأندلس، خصوصاً بعد مشاركتهم في
معركة الأرك في العام ٥٩١م/١١٩٥م، في وقت كان
فيه حكم الموحديين قد بدأ بالتفكك. حاولوا اقتحام
المدن وفرض الضرائب على المناطق التي كانوا
يجتازونها خلال ترحالهم حول تازة أو سجلماسة. وقد
تمكنوا من السيطرة على مكناس في العام ٦٤٢هـ/
١٢٤٤م، وعلى فاس في العام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، وأخيراً
على مراكش في العام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م. وكان على
رأسهم خلال هذا الفتح الأخير أبو يوسف يعقوب الذي
خلف أخوته في العام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، والذي يُعتبر،
بشكل عام، أول الملوك المريـنيتيـن.

خلال قرن تقريباً، من ٦٦٨ إلى ٧٥٩هـ/١٢٦٩ إلى
١٣٥٨م، كانت روح الجهاد والحملات العسكرية نحت

ورثة هذا القائد العسكري الذي استولى على سبتة في
العام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، واجتاز المضيق في العام ٦٧٤هـ/
١٢٧٥م و٦٨٤هـ/١٢٨٥م، لكي يهب إلى نجدة
النصرين في الأندلس. كان للمريـنيتيـن جيش قوي
مؤلف من خيالة من أصل بربري، ومن نبالة من أصل
أندلسي، إضافة إلى فرقة مسيحية. وكانوا يسيطرون
سيطرتهم على أسبانيا وعلى المغرب: - حملات متتالية
للبقاء في الأندلس في العام ٦٩٠هـ/١٢٩١م، ٧٠٩هـ/
١٣٠٩م، ٧٢٩هـ/١٣٢٩م و٧٣٣هـ/١٣٣٣م حتى هزيمة
ريو سلاو في العام ٧٤١هـ/١٣٤٠م - حصار طويل
لمدينة تلمسان من ٦٩٨ إلى ٧٠٧هـ/١٢٩٩ إلى
١٣٠٧م - الاستيلاء على المدينة في العام ٧٣٨هـ/
١٣٣٧م - احتلال موقت لتونس في العام ٧٤٨هـ/
١٣٤٧. وشكلت هذه الانتصارات الأخيرة التي حققها
أبو الحسن علي ذروة قوة هذه السلالة، تلتها جهود
عقيمة بذلت خلال حكم ابنه أبي عثمان فارس.

في الوقت نفسه، أدت جهود المريـنيتيـن إلى تطور
مذهبي كبير، فكانوا يسعون إلى تجميل المدن القديمة
وتحصينها، وقد شيّدوا فيها، لهم ولحكاهم، مساكن
عظيمة. في فاس حيث أقاموا مركز حكمهم، انشأوا
مدينة فاس الجديدة حيث بنوا القصور الملكية. وبالقرب
من الجزيرة الخضراء في إسبانيا أسسوا قصر البنية،
وبالقرب من تلمسان المجمع المعروف بالمنصورة.
وأقاموا زاوية ومدافن في شالة بالقرب من الرباط. كما
أسسوا ترسانات في مرفأ سبتة وسلا لتعزيز سلاح
البحرية. وأقاموا مؤسسات عديدة ضمت، بشكل خاص،
أبنية دينية ومساجد ومدارس، مشجعين المذهب المالكي
الذي أصبح في عهدهم المذهب الرسمي، وكان ذلك
ردة فعل على عقيدة الموحدين. وانكب المريـنونيـن على
إنشاء هيئات فقهية مؤيدة لقضيتهم، فاستوردوا، في
سبيل ذلك، مؤسسة المدرسة وشيّدوا خمسة مبانٍ من هذا
النوع، أربعة منها في فاس ومبنى في سلا، وزيّنها
بغناء فاخرة. إنها تشكل مثلاً بارزاً لهندستهم المعمارية
ولما يسمّى عادة الفن الإسباني - المغربي. إلى ذلك
تطوّرت رعايتهم للفن بفضل الثروات الطائلة الناتجة عن
تقدّم الحياة الاقتصادية في غرب المغرب. وازدهرت

ابو محمد عبد الحز الثاني ٨٣١-٨٨٦٩/١٤٢٨-١٤٦٥م

مزاب، منطقة صحراوية تضم واحات تقع بالقرب من وُقلَة في الجزائر، سكّانها الأصليون من البربر الإياضيين الذين طُردوا أولاً من تاهرت ثم من سدراتة، وهم يُعرفون اليوم باسم المزابيين.

دخل الإسلام إلى عمق هذه المنطقة في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، وقد أُنشئت آنذاك تجمعات سكنية تمتد على تسعة كيلومترات على طول وادي المزاب، أممها الأطوف، ٤٠٢هـ/١٠١١م، بنونورا، ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، مالكة، بني أصغر وغرداية ٤٤٥هـ/١٠٥٣م. وقد أُضيف إليها تجمعات ظهرا في القرن السابع عشر الميلادي.

إنّ سكّان هذه المنطقة، الذين يتكلمون اللغة البربرية، والذين يتميزون بانتماثلهم إلى الإياضية وتنظيمهم الاجتماعي المحكم، يحافظون أكثر من سواهم على عاداتهم القديمة. إنهم محضّون منذ قرون في مناجم المحاط بالصحراء، وقد عاشروا في عزلة ومراسوا الزواج التّحتم، ما خلق عندهم طابعا خاصا من حيث التكوين الجسدي والمظهر. يعتقد هؤلاء المسلمون الذين يتّبعون بالشريعة كما يعلمها مذهبهم المنتمي إلى الخوارج، أنّ الإيمان وحده لا قيمة له بدون الأعمال. نجد بينهم، إلى جانب العامة، علماء دين يُعرفون بالـ«أضليّة» يتكوّنون مجلسا من إثني عشر عضوا يدير شؤون الجماعة.

مزارو ← زيارة.

المزارعة، نوع من التّفود نجات إليه الزراعة الإسلامية في القرون الوسطى، يقوم بموجبه صاحب أرض بتلزم استغلالها إلى مزارع مقابل جزء من المحصول.

اعتمد هذا النوع من التّفود بالنسبة إلى الأراضي المزروعة بالحبوب، على أنّ يقوم المزارع بتأمين الأدوات والبذور إضافة إلى عمله، ويسدّد للمالك كمية من الحبوب تختلف باختلاف المحالات، ولكنّ نسبتها كانت تراوح بين الثلث والخمسة، وكانت تأخذ في الاعتبار المخاطر المتعلقة بتقلّبات المحاصيل. وكان عقد المزارعة يختلف عن عقد الإيجار الذي يفرض

التجارة مع الدول المسيحية من خلال مرفأ سبتة ومن خلال مرفأ الساحل الأطلسي. كما ازدهرت أيضا مع الصحراء ومع أفريقيا السوداء. وساهم هذا النجاح في إعطاء سمات ثابتة للمدن المغربية ما تزال تحتفظ بها حتى اليوم.

خلال الحقبة الثانية من تاريخ المزابيين، من ٧٦٠ إلى ١٣٥٩هـ/٨٧٠م، تراجع نظامهم تدريجيا تحت وطأة الممانسات العائلية، وإزمات تعاقب السلطة، والثورات والنزاعات بين الأحزاب أو بين القبائل. ووقعت السلطة في أيدي الوزراء، وانضّقت السلالة أخيرا نتيجة ثورة شعبية قادها الشرفاء، بينما قام فرع جانبي عُرف أبناؤه بالـ«وُقلّاتيين» - كان أفرادهم قد شغلوا مراكز مهمة تحت حكم آخر السلاطين المزابيين - بتوليّ الحكم خلال بضعة عقود، ومارس سلطة أضعفتها الفوضى الداخلية والهجمات الخارجية.

٦٥٦ ٦٥٨/١٢٨٦-١٢٨٦م أبو يوسف يعقوب

٦٨٥ ٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٧م أبو يعقوب يوسف

٧٠٦ ٧٠٨-٧٠٨/١٣٠٧-١٣٠٨م أبو ثابت عامر

٧٠٨ ٧١٠هـ/١٣٠٨-١٣١٠م أبو الربيع سليمان

٧١٠ ٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م أبو سعيد عثمان الثاني

٧٣١ ٧٣١هـ/١٣٣١-١٣٤٨م أبو الحسن علي الأول

٧٤٩ ٧٤٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٩م أبو عثمان فارس

٧٥٩ ٧٥٩هـ/١٣٥٩-١٣٦١م محمد الثاني السعيد

٧٥٩ ٧٥٩هـ/١٣٥٩-١٣٦١م أبو سالم علي الثاني

٧٦٢ ٧٦٢هـ/١٣٦١-١٣٦١م أبو عمر تاشين

٧٦٢ ٧٦٢هـ/١٣٦١-١٣٦٢م عبد الحليم

٧٦٣ ٧٦٣هـ/١٣٦٢-١٣٦٢م أبو زيان محمد الثالث

٧٦٣ ٧٦٣هـ/١٣٦٢-١٣٦٢م عبد العزيز الأول

٧٧٤ ٧٧٤هـ/١٣٧٢-١٣٧٢م أبو زيان محمد الرابع

٧٧٤ ٧٧٤هـ/١٣٧٢-١٣٧٢م أبو العباس أحمد

٧٧٤ ٧٧٤هـ/١٣٧٢-١٣٧٢م موسى

٧٨٦ ٧٨٦هـ/١٣٨٦-١٣٨٦م أبو زيان محمد الخامس

٧٨٦ ٧٨٦هـ/١٣٨٦-١٣٨٦م محمد السادس

٧٨٦ ٧٨٦هـ/١٣٨٦-١٣٨٦م أبو الفارس

٧٩٥ ٧٩٥هـ/١٣٩٣-١٣٩٣م عبد العزيز الثاني

٨٠٠ ٨٠٠هـ/١٣٩٧-١٣٩٧م عبد الله

٨٠٠ ٨٠٠هـ/١٣٩٧-١٣٩٧م أبو سعيد عثمان الثالث

٨٠١ ٨٠١هـ/١٣٩٩-١٤٠١م

وتدابير لعزل المصابين بالبرص عن سواهم من الناس. وما عدا ذلك، فقد تَكَاثَرَتْ في ما بعد المؤسسات الملكية التي لم يرافق انتشارها إلزاماً بنظَرِ الطَّبِّ كعلم قائم بذاته.

إن أولى المستشفيات التي يذكرها المؤرخون قامت في عاصمة العباسيين بغداد، أفدعها هي المستشفى التي بناها هارون الرشيد في أواخر القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، في الضاحية الجنوبية الغربية من المدينة المستديرة. لقد كُلِّفَ الطبيب المسيحي جبريل بن يحنشوع، من جنديسابور، بتنظيم المستشفى. وإذا فانتا الكثير عن سير العمل فيها، إلا أنه يمكن القول إنه في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، رأى النور عدد كبير من دور الشفاء: مستشفى بدر، قائد جيوش المعتمد، والمستشفيات المنسوبة إلى المعتمد نفسه وإلى أصحاب الرُّتب العالية المحيطين به، منهم الوزير علي بن عيسى، ووالدة الخليفة، والوزير ابن القرات. في هذه الحقبة من الزمن، كان الخلفاء وذوهم وكبار القادة ينشِرون ببناء المستشفيات في مختلف أحياء العاصمة. وقد حظيت هذه المستشفيات بمبادرات عن طريق الأوقاف لتؤمن تكاليف سير أعمالها.

أمّا مؤسسة الأمير البويهبي الكبير عضد الدولة التي أُسِّسَتْ سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م، فكانت نعم، إضافة إلى تجهيزها الممتاز - بأربعة وعشرين طبيباً من مختلف الإختصاصات.

كان في تلك الحقبة الزمنية بعض المستشفيات في المدن الإيرانية، ولكننا لا نعرف الكثير عنها، إلا أنَّ مستشفى مدينة الري، التي كان يديرها الرازي في مطلع القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وُرد ذكرها في أكثر من نص.

وفي القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، أسَّس ابن طولون، الناطح إلى تقليد آسياد بغداد، مستشفى في مصر. بعد ذلك، وبالتحديد في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، ظهر في القاهرة مستشفى صلاح الدين، كما برز سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م مستشفى السلطان المملوكي قلاوون الذي اعتبر، استناداً إلى أوصافه، أكبر وأبرز مؤسسة إستشفائية في الشرق الإسلامي.

إيجازاً ثابتاً، وكان الفقهاء أحياناً يرفضونه بسبب المخاطر الناتجة عنه. لكنَّ استعمانه ظلَّ ساوياً في العالم الإسلامي منذ العهد الأولي للإسلام إلى أيامنا هذه.

مُسْتَأَر (البوستة والهَرَسَك)، من أهمّ مدن الهرسك، حافظت طويلاً على بقايا من الفترة التي كانت خلالها جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، والتي تمتدّ على أربعة قرون تقريباً.

بعد احتلالها على أيدي الجيوش التركية في العام ١٤٨٣/ ١٨٨٨م، تطوّرت مُسْتَأَر التي لم تكن آنذاك سوى قرية متواضعة - وأصبحت نقطة إستراتيجية ومركز أنشطة تجارية، مشهورة بجسرهما الخشبي الممتد فوق نهر نيرتغا الخطر العبور.

استُبدِلَ بهذا البناء الهشّ، في العام ١٥٦٦م، جسر حجري يُعتبر من أهمّ إنجازات الهندسة المعمارية العثمانية. كما اختيرت المدينة مقراً لحاكم السنجق، وتمّ تجهيزها بأبنية أخرى متعددة هيمنت على أحيائها القديمة الرائعة التنسيق. وفي الوقت نفسه شهدت نشأة فكرياً تمثل في أعمال الشعراء والعلماء الذين كتبوا باللغة العثمانية. ألحفت بالإمبراطورية التساوية - المجرية في العام ١٨٧٨ وأصبحت، منذ ذلك التاريخ وحتى العام ١٩١٨، مركز المعارضة الإسلامية للنظام الجديد، قبل أن تدخل مرحلة من التحديث، وضعت حداً لها اضطرابات الحقبة الحديثة.

المستشفى (قديمًا، بيمارستان أو مارستان مأخوذة من الفارسية) ودار الشفاء.

هذه المؤسسة عرفت ازدهاراً مميّزاً في الحضارة الإسلامية خلال القرون الوسطى، ويشهد على هذا التقدّم ما ورد في النصوص عن دور الشفاء وأيضاً عن مخلفات الأبنية الاستشفائية العديدة. قد يرتبط أصل هذه المؤسسة بالتأثير الذي مارسه علماء مدرسة جنديسابور في خوزستان، في مطلع العصر العباسي.

إنّ التقاليد التي تنسب إلى بعض الخلفاء الأمويين تأسيس مستشفى ما تزال موضوع شك، وأكثر ما يمكن أن ينسب إلى هؤلاء الخلفاء هو محاولة اتخاذ إجراءات

أما في ما يتعلق بالغرب الإسلامي، فإن بناء المستشفيات فيه كان بطيئاً ومتأخراً. ففي الأندلس، ورد ذكر أول مستشفى في العام ٨٧٦٦/١٣٦٥م في مدينة غرناطة، علماً أن البلد أعطى عدداً من مشاهير الأطباء. وقد مارس بعض هؤلاء الأطباء مهنتهم في مراكز في المستشفى التي بناها «الموحدون»، في أواخر القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، ولكنها زالت في ما ولكنه زال فيما بعد، بانتظار أن تتكاثر لاحقاً المؤسسات في المغرب، بفضل المرينيين والحفصيين في إفريقية، وبفضل العلويين في المغرب في القرن التاسع عشر.

المستعرب، مصطلح استُخدم في تاريخ الأندلس للدلالة على المسيحيين المحليين الذين حافظوا على ديانتهم بعد الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، في أوائل القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد.

كان هؤلاء المسيحيون، على غرار ما كان يحصل في أماكن أخرى من الأباطورية بالنسبة إلى الفئة من الشعب التي كان يُطلق عليها تسمية أهل اللدنة أو مؤدي الجزيرة، يشكلون جماعات أدنى منزلة، إلا أنهم كانوا يتمتعون باستقلالية نسبية. غير أنهم أيدوا تماسكاً في ما بينهم في شبه الجزيرة الإيبيرية أكثر من أي مكان آخر. وبالرغم من التمازج الذي حصل بين العناصر المختلفة، من عرقية ودينية، والذي طبع حياة هذا المجتمع غير المتجانس، فإنهم أظهروا أيضاً نوعاً من روح المقاومة؛ وهكذا تم، في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، ملائحة عدد من أبناء هذه الجماعة المسيحية في قرطبة وإعدامهم لإقدامهم على شتم نبي الإسلام. وتلت هذه الأحداث موجة من الاستشهاد عملت السلطات الدينية على وضع حد لها.

ثمة مستعربون آخرون هاجروا تدريجياً من الأراضي الإسلامية للإستيطنان في البلدان المسيحية، ولا سيما في تلك التي استعادتها الممالك الجديدة. وبفضل تأثيرهم نشأت خصائص فنٍ يحمل اسمهم ويتميز في هندسة الكنائس الصغيرة، كما في الأعمال الفنية الصخرية، بظهور أشكال إسلامية يسهل التعرف إليها ضمن تقاليد مسيحية محلية.

اتبعت السياسة نفسها في سوريا، في حلب كما في دمشق. قام في هذه الحاضرة الأخيرة داران للشفا، أحدهما تُنسب إلى نور الدين، وتعود إلى أواسط القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، وكانت هناك أيضاً مدرسة للطب تميّزت بفتح أبوابها أمام المسلمين الفقراء والمعوّزين، كما يستدل من الكتابة المنقوشة على باب مدخلها.

وظهرت دار شفاء ثالثة في إحدى ضواحي دمشق وسط القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد. في هذا الزمن كانت المستشفيات جزءاً من الأعمال الخيرية التي تؤمن للمسلمين، من جهة، المعرفة الدينية بفضل المدارس، ومن جهة ثانية، صون صحتهم بفضل العناية التي كانت تقدّم لهم في أبنية صمّمت على شكل أبنية المدارس، أو على شكل خانات المتصوفين المتكاثرة في المدن. غير أن سير الوظيفة الخاصة بالمستشفيات كانت تتطلب هندسة متقدمة. وظهرت النتائج في مبان حجرية رأت النور في القرنين السابع والثامن للهجرة/الثالث عشر والرابع عشر للميلاد شأن مستشفى أرغون الكاملي، القائمة في حلب، المدينة الناشطة في سوريا الشمالية، أو شأن مستشفيات مدن الأناضول مثل سيواس وأماسيا وديرجي. في مدن الأناضول شيد الأبنية زعماء الحرب الأتراك الذين أقاموا إمارتهم الخاصة على أراضي بيزنطية استولوا عليها، لكن الانقسامات السياسية لم تمنع استمرار عادات حضارية قديمة.

تابع العثمانيون الجهود التي كان قد بذلها سلاجقة الروم لغرض المركزية الإدارية، فواصلوا بدورهم الأنشطة نفسها، معتمدين وسائل تنسجم مع غنى أمبراطوريتهم. من هنا بناء المجمّعات المسماة «كليات» التي تُشع لمستشفيات في غابة التنسيق والجمال، إلى جانب المدارس والفنادق، والمطاعم والحمامات، وسواها من الأبنية، منها مثلاً المؤسسة العظيمة التي بناها بايزيد الثاني بين ١٤٨٤ و١٤٨٨م في أدرنة.

لقد بنى السلاطين في إسطنبول وفي مدن أخرى عدداً من المستشفيات على النمط الهندسي نفسه، قبل أن تقام في القرن التاسع عشر مدارس حديثة للطب والجراحة.

والوثائق التي وصلت كانت تُكتب باللغة العربية، وهي لغة الوحي التي اعتمدت في العصور الأولى للإسلام. ومع العودة إلى اللغات المحلية في بعض الدول، في أواخر القرون الوسطى، كان الاعتماد على اللغة الفارسية أو التركية. لكن دأبت العادة على سيطرة اللغة العربية والتفكير بالتقاليد السابقة، ما يسمح لنا بإطلاق صفة «إسلامية» على كل هذه المستندات القديمة.

تلك الوثائق التي تشابه نماذجها يمكن أن تُصنّف إلى أنواع. فهناك نصوص البيعة، أي تلك التي جرى فيها أداء يمين الولاء للخليفة عند تنصيبه؛ ونصوص «العهد» وهي التي يعين بموجبها الخليفة وليّ عهده ويقسم إرثه، وأشهرها النصّ الذي يوجه عين الخليفة العباسي هارون الرشيد أحد أبنائه وليّ للعهد وهو الأمين، وابنه الآخر واليّا على خراسان وهو المأمون، وفيه يتعهد الأباّن باحترام القرار المتخذ؛ وهناك نصوص تتعلق بتعيين الموظفين الكبار والقضاة والقادة العسكريين، ونصوص تمنح امتيازات عقارية تُعرف باسم الإقطاعات؛ وتلك التي تعهد بتوفير الأمان للأعداء الذين يُظهرون الخضوع وتعرف بـ«الأمان» أو بـ«عهد الأمان»؛ وتلك التي تتضمن التوجهات للولاء وكبار المسؤولين، والقرارات المتعلقة بإلغاء أنواع من الضرائب غير الشرعية، والعرائض الموجهة إلى المسؤولين، وقد دُوّن عليها الردّة من قبل المراجع المختصّة.

هناك من جهة أخرى وثائق ذات طابع اقتصادي، أو خاصّ، تتعلق بمختلف أنواع العقود، والإفادات، ووثائق إثباتية قضت الحياة اليومية باستعمالها وهي تتضمن توقيع تشهد على صحتها القانونية. وخلافاً للشهادات والوثائق الرسمية الصادرة عن الدوائر الحكومية، والتي تتميز غالباً بالزخرفة والتجميل، فإنّ الوثائق الأخرى كُتبت على عجلة بخط ردي، تصعب قراءتها. وهنّ الخط العادي الذي تسعمله العامة. نذكر منها، عدا العقود المختلفة، قرارات الإعفاء من الضرائب، تصاريح تجوّل الأجانب في الأرض الإسلامية، استشارات قضائية أو فتاوى، إجازات

المستعقلين، اسم يُطلق، أحياناً، على الإسماعيليين التقليديين الذين، خلافاً للزاريين أو الإسماعيليين الجدد أنصار نزار، أبدوا وصول شقيقه الأصغر ابن المستنصر إلى الخلافة الفاطمية. وقد حكم هذا الأخير مصر من ٤٨٧ هـ إلى ٤٩٤ هـ/١٠٩٤ إلى ١١٠١م، متخذاً اسم «المستعلي».

أقر المستعليون بعد ذلك، في العام ٥٨٨ هـ/١١٤٢م، بغية إمامهم أبي القاسم الطيّب، حفيد المستعلي. وكما فعل الإمامون الإثنا عشريون عند اختفاء إمامهم الثاني عشر، تفكّد المستعليون منذ ذلك الوقت بتوجهيات ممثّل هذا الإمام الذي أطلق عليه لقب «الداعي المطلق» والذي أقام في اليمن حيث استقرّ المستعليون ولاقوا نجاحاً كبيراً، كما ازدهرت دعوتهم في الهند حيث عُرفوا باسم البهرة، ومنها انتقلوا إلى أفريقيا الشرقية السودا.

المستندات القديمة الإسلامية (علم -)، هي دراسة الوثائق الكتابية القديمة، من جهة نوعها وقيمتها وجماليّتها، لمعرفة الأهمية التي كانت لها في المجتمع الإسلاميّ خلال القرون الوسطى.

فالأرشيف الذي يحفظ الأوراق الرسميّة والخاصة والذي تمّ تنظيمه باكراً في العالم الإسلامي، بفضل انتشار الكتابة العربية بين الناس، كان له مكانة مهمة في حضارة سيطرت عليها، حتّى الحفنة المعاصرة، البيروقراطية التي كان نفوذها يوقى أو يضعف طبقاً للمظروف. كان هذا النفوذ مرتبطاً بكثرة التنظيمات المنبثقة من الشريعة، وكان يتوافق مع النمط الذي تعتمد السلطة في إدارة البلاد. نلاحظ أنّ كل سلطان، إلى أيّ سلالة انتمى وفي أيّ بلد كان، يجد نفسه، من أجل أن يستطيع أن يحكم، في حاجة إلى دعم من إدارة يُعهد بها إلى كتاب وأمناء سرّ، وتوزّع على دواوين متفرقة. من جهة ثانية، فإنّ العقود المرفقة طبقاً للشروع، مهما كان نوعها، كانت تعتبر مستندات تنظم العلاقات بين الأفراد بمراقبة السلطة القضائية، ويُعتمد عليها في الشكاوى والدعاوى التي تكون في أيدي ممثلين عن السلطة الحاكمة الذين كانوا في حاجة إلى بيتانٍ خطيّة للفصل في بعض القضايا.

الى ١٠٩٤م، وهكذا يكون قد مارس الحكم خلال فترة طويلة للغاية.

تزامنت نجاحاته السياسية الناتجة خصوصاً عن تأثير الدعوة الإسلامية في المشرق، مع ازدهار إقتصادي عززته العلاقات والأنشطة التجارية بين بيزنطية من جهة ودول المحيط الهندي من جهة أخرى، مروّداً بمصر. عرف عهده أيضاً اضطرابات عديدة، كالتزاعات المسلحة التي وضعت القوات العربية والبربرية في مواجهة فرق العبيد الزوج الذين طوّعهم والده الخليفة السودانية الأصل، وكالمجاعة التي ضربت مصر من سنة ٤٥٩ إلى ٤٦٤هـ/١٠٦٧م إلى ١٠٧٢م. وعادت البلاد أخيراً إلى وضعها الطبيعي بفضل جهود بدر الجمالي، العبد السابق الأرمني الأصل.

عند وفاة الخليفة، تمزّد ابنه نزار بعد أن أبعد عن الخلافة لمصلحة أحد أشقائه، الخليفة الثالث المستعلي، ولجأ مؤيدوه إلى سوريا وإلى إيران حيث شكّلوا حركة الإسماعيليين الجند الناشطة أو الزوايين، بينما بقي مناصرو المستعلي أو المستعليون في مصر. بعد مرور قرن، حكم في بغداد، من سنة ١٢٣ إلى ١٢٦٤هـ/١٢٦٤ إلى ١٢٦٤م، خليفة السادس والثلاثون من سلالة العبّاسيين، باسم المستنصر.

اعتلى العرش إثر حركة قادها جده الناصر الذي عمل لترسيخ سلطة الخلافة أولاً في الأراضي العراقية، ومن ثم، وبشيء من الحنكة، في المشرق الإسلامي بجمعه. ولا يزال اسمه يُذكر اليوم بفضل المدرسة التي أسسها في بغداد باسم «المستنصرية» والتي ما تزال قائمة على ضفاف دجلة بجدرانها الأجرية المزخرفة بدقة. تتميز هذه المدرسة عن السابغ القائمة في مناطق أخرى بمساحاتها الكبيرة، وبصميمها الذي أطلق عليه خطأ تسمية «التصميم القائم على أربعة إيوانات»، وببخصصها في تعليم الفقه على مذاهب المدارس الفقهية السنية الأربع.

المسجد، «موسكيه» (Mosquée) في صينته الفرنسية، وهي مشاكلة لكلمة مسجد العربية، دخلت الفرنسية عن طريق لفظة «مركبا» الإسبانية، وتعني

للتعليم، وثائق إقرار بمنزلة إثبات رسمي، إفاذات عقارية، زُسد أموال للأوقاف، وصايا تتعلق بالإرث، إفاذات حج بالتوكيل كانت، بين القرنين الخامس والسابع للهجرة/الحادي عشر والثالث عشر للميلاد، تُزَيّن بزخارف دقيقة نظراً إلى أهميتها الدينية...

وقد ذُوت الوثائق كلها على الورق، ما عدا تلك التي تعود الى ما قبل القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، إذ كانت تُكتب على ورق البردي، ولا سيما في مصر، أو على ورق الرق. وعندما كان الأمر يتعلق بعمل حكومي رسمي أو يتزج نهائي للوقف من بناء أو غيره، فإن الكتابة كانت تُنقش على الجدار. وكانت الكتابات الرسمية كلها تحمل عبارات إلزامية خاصة بكل نوع من التحرير، كما أنّ الرسائل الرسمية تبدأ بإحالة الى المرسل إليه تُذكر فيها الألقاب التي يحملها، إضافة إلى نعت فخري طباً للتقليد المتبع آنذاك في الدواوين. ثم إنّ الوثائق الرسمية الصادرة عن الحاكم كانت تُمهر بختمه وتوقعه. وفي العصر العبّاسي كان التوقيع يُستنسخ بخط حميل ويُنقش ويعرف باسم «العلامة». ومع السلاجقة ظهرت الظفيرة التي استمرت لدى العثمانيين وتطوّرت شكلها لتؤدّي دوراً رمزياً وجمالياً يعتدّ بالإفادة العملية.

وعندما بدأت الوثائق تُدوّن في إيران باللغة الفارسية زمن الغزنويين، أطلق على القرارات الرسمية اسم فُرمان. وفي الأمبراطورية العثمانية التي بلغت معها الوثائق المحفوظة في الأرشيف كميات كبيرة، كانت المكتوبة منها باللغة التركية تعتمد صيغاً وأساليب تُذكر في الوقت نفسه بالكتابات العربية والكتابات البيزنطية. وكانت النصوص المختلفة الصادرة عن دواوين الباب العالي تحمل تسميات مختلفة يشير كل منها الى مرتبة الشخصية التي أصدرتها.

المستنصر بالله - إسم حمله عواهل كثيرون، ولا سيما خليفان انتمى أوّلهما إلى سلالة الفاطميين والثاني إلى سلالة العبّاسيين، إضافة إلى حفصتي إفريقية. إنّ أوّل من اتخذ لقب خليفة منهم هو أبو عبدالله محمد الأوّل. حكم ثامن خليفة من سلالة الفاطميين، المسمّى المستنصر، في القاهرة من سنة ٤٢٧ إلى ٤٨٧هـ/١٠٣٦

الأولى للإسلام. مساجد كان يجتمع فيها بشكل خاص أفراد القبائل المختلفة التي كانت تزود الخلافة بالوحدات المقاتلة. وسرعان ما زالت هذه المساجد لتتحلّ مكانها قاعات الصلاة المنتشرة في مختلف الأحياء. كما شُيّدت، منذ وقت مبكر، مساجد ذات قيمة تذكارية: إحياء لذكريات من حياة النبي محمد ﷺ في الأماكن المذكورة مثلاً في روايات «السيرة»، كذلك ذكريات آلّه وصحبه، وذكريات العلويين الذين يكرمهم الشيعة، وذكريات الأنبياء السالفين ومختلف الشخصيات الثّقة التي أصبحت، منذ القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، مع ازدهار التصوف، موضوعاً لتكريم الأولياء.

إنّ هذه المباني المتوزعة الوظائف - حيث تكاثرت الزيارات القويّة والتي حملت أسماء متعدّدة، منها مقام ومشهد وثقّة - كانت في الوقت نفسه مساجد مفتوحة للصلاة الفرديّة حملت بحقّ هذه التسمية المشتركة. وفي الوقت نفسه لم يغيّر بوضوح بينها وبين المساجد المرتبطة بأضرحة، رغم الإادات الدينية الدائمة التي رافقت مفهوم المسجد القريحي هذا، وقد استُحضرت باستمرار، لهذه الغاية، أحداث متعدّدة تحت الألقاب على غنم ممارسة أيّ من الشعائر بالقرب من المدافن. هكذا أصبح تشييد المساجد الصغيرة العديدة المستخدمة قاعات للصلاة والمزايدة بالظراد - إذ إنّها شغلت مكاناً مهمّاً في بعض المناطق حيث كانت تنتشر حول الطرق الرئيسيّة في المدن - مظهرًا مهمّاً للمجتمع الإسلامي في القرون الوسطى، وموضوع فخر للحكّام المعروفين بقواهم الذين ساعدوا على تكاثرها. وقد شُيّد بعضها ضمن مُلكيّات سكنيّة خاصّة أو قرب قاعات الاستقبال في الصروح والقصور، في حين اعتُبر بعضها الآخر أمكنة عامة أعدت داخل الخانات والأسواق المسقوفة والمدارس والخوانق والرباطات والحصون الصغيرة حيث يقيم المقاتلون المولّجون بحماية الثغور. وكانت كلّها منظمّة بحسب قواعد الأساليب الهندسيّة المتّبعة في المناطق المعنيّة، بالنسبة إلى قاعات الصلاة الملكية، كما في مصليات قصري الجعفرية في سرقسطة ولشكري بازار في سجستان من القرنين

المبني الطقسي الأكثر تميّزاً في الإسلام والحضارة الإسلاميّة، بأشكاله الهندسيّة والوظيفيّة المتعدّدة. من المصلّى البسيط إلى المسجد الجامع.

(١) تشير كلمة مسجد (من حيث الإشتقاق اللغويّ) إلى «مكان السجود»، أي المكان الذي يُقام فيه شعائر الصلاة بالنوّة نحو الكعبة. وكان أوّل نموذج له ذلك الذي أعده النبي محمد ﷺ في منزله في المدينة وهو يتألف، بحسب التقليد، من قاعة صلاة يقوم سقفها على جذوع من أشجار النخيل، ومن باحة أكثر اتساعاً. كان مسكن نبي الإسلام ﷺ الخاص يُفضي إلى المسجد الذي كان أشبه بقاعة اجتماعات محبّة، لكن غير مقدّسة. ولم تكن تُستخدم للصلاة فحسب، بل أيضاً للخطب التي كان يلقيها المكلف بإمامة الصلاة يوم الجمعة. حلّ في ما بعد مكان هذا المسجد الأوّل الذي ضمّ قبور النبي محمد ﷺ والخليفين الراشدين الأولين، أبي بكر وعمر بن الخطاب، بناء جرى تعديله مرّات عدّة مكتسباً، في عهد الأمويين، أوّل مظاهر المسجد الجامع الذي يُعتبر نموذجاً لنقّ العمارة في تلك الحقبة.

كانت كلمة «مسجد» معروفة لزوردها في القرآن الكريم حيث تشير، في الآية الأولى من سورة الإسراء، إلى موضع الحرم بمكّة المعروف بالمسجد الحرام. ومن جهة أخرى، إلى المسجد الأقصى الذي حُدّد موقعه في وقت مبكر في بناء هيكل أورشليم القديم، وعُرف، في ما بعد، بالحرم الشريف. بهذا المعنى القديم السابق لتنظيم الجماعة المقيّمة في المدينة، يعني المسجد مكاناً للعبادة من دون أيّ تحديد آخر. إلّا أنّ مكاناً مخصّصاً للصلاة حُدّدت معالمه، في ما بعد، في مكّة حول الكعبة؛ كما جرى تشييد مسجد في القدس في المكان المذكور سابقاً أطلق عليه اسم المسجد الأقصى. ثمّ تكاثرت المساجد خلال فتوحات القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلادي وتميّزت من بينها المساجد الكبرى أو الجامعة، المسماة أيضاً مساجد الخطبة أو المئبر التي كانت من الإشتاع بحيث تستوعب جميع المؤمنين من سكّان بلدة قدموا لأداء فريضة صلاة الجمعة الإلزاميّة. إلى جانب هذه المساجد الجامعة، قامت أيضاً في المدن - المعسكرات التي شُيّدت خلال حركة التوسّع

دولة إسلامية منظمّة. من هذه الخصائص المحراب والمقصورة والمئذنة وحوض الوضوء الثانوي والمراحيض والمواضع المخصصة للوضوء الأساسي، والأبنية الملحقة حيث تتم أنشطة التعليم وأعمال المؤسسات السياسية والقضائية. لكن ميزته الأساسية، منذ ظهوره في الأمبراطورية الناشئة عن الفتوحات الكبرى، تكمن في كونه يشكل وحده البناء الذي يمثل قوة الإسلام السياسية - الدينية، في ظروف كان من شأنها أن تؤدي إلى تطوره اللاحق نحو الضخامة. ومنذ ذلك الوقت فعلاً، جعلت العلاقات التي تربط، في الإسلام، بين السلطة والمسجد الجامع، من هذا المعنى الرسمي أكبر تعبير عن الفرق الخاص بكل أسرة حاكمة، وفي الوقت نفسه صورة عن مستوى التقدم الفني والخبرة الفنية التي بلغتها كل مدينة إسلامية كانت تطمح إلى أن تكون عاصمة أو مركزاً إقليمياً أو حاضرة بشكل عام.

إن نموذج المسجد الذي أقيم في منزل النبي محمد ﷺ في المدينة يشمل جميع مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية في هذه الحقة، وجه تنظيم الأشكال الهندسية الأولى للمسجد الجامع. أما الميزات الخاصة بالمصلى المعد لاستقبال المؤمنين للصلاة، فلم تُمنح إلا الاهتمام اليسير في مخططات البناء التي كانت تهدف إلى إبراز شخصية الحاكم أو سلطته، وهو في الأصل الخليفة أو من ينوب عنه. وفي الوقت نفسه، كان من شأن هذه المخططات أن تجمع في مكان مركزي أدوات الحكم، أي الدوائر الإدارية وحتى المالبة العامة، وأيضاً المحكمة. وكانت تشكل، في الوقت نفسه، مركزاً للأبحاث المتعلقة بالفقه وبشعر العلوم الدينية والقانونية والعقدية. وبموجب دوره السياسي، جاور مسجد الخطبة في عهد الأمويين قصر الخلافة الذي التصقت جدرانه بحائض قبلة المسجد، أما في عهد العباسيين والفاطميين، فكان المسجد الجامع يقع في جوار قصر الخلافة تجمعهما ساحة واحدة، أو أنه كان ينضّل به بجاذة عريضة. وشكل المسجد خلال فترة طويلة المكان الذي مارس فيه كل أمير حاكم حق إمامة الصلاة، أو بتوجيه رسائله إلى رعاياه مباشرة أو، على الأقل،

الخامس والسادس للهجرة/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، وكما بالنسبة إلى المصليات المدنية المتمثلة بمسجد بوفاتنة في سوسة من القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، أو مسجد بيت مردوم في طليطلة من القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، والمتمثلة أيضاً بالمساجد المتأخرة المكوّنة من قاعة واحدة تعلوها قبة والتي انتشرت في المدن التي أصبحت في ما بعد عثمانية.

تُعتبر هذه المساجد دليلاً واضحاً على أهمية الدينية، وقد أدى بعضها، بفضل ضخامته. دور المساجد الجامعة كلّمًا تأمن تجهيز قاعات الصلاة فيها بالمنابر التي كانت تُلقى الخطب من أعلاها. وعوضاً من أن تكون بناء تابعاً لمجتمع أكثر أهمية، غدت قبة مركزياً للأبنية التي كانت تحيط بها، أي الخواص والمدارس والمستشفيات والمطاعم، وسواها من الأبنية المتداخلة في مجتمعات هندسية حقيقية، أطلق عليها في الأوساط العثمانية اسم «كليات»، وكانت قد بدأت بالظهور في عهد المماليك السوريين - المصريين أو في الأناضول في عهد الإمارات. من جهة أخرى، ظلّت المصليات تشكل جزءاً من التجمّعات المدنية والمقرّات الملكية، فبلغت مثلاً في القصور المغولية قدراً من الضخامة تشهد عليه مساجد اللؤلؤ في فلعتي أغرا ودلهي.

٢) يتميز المسجد الكبير عن المصلى بدوره وهندسته، ويُعرف بالعربية بإسم المسجد الجامع أو الجامع، وبإسم مسجد الجُمعة بالفارسية، وبإسم «جامي» (Cami) بالتركية. ويمكن تحديده بأنه المسجد الذي يحق فيه للمسلمين، يوم الجمعة ظهوراً، إقامة الصلاة بصورة رسمية، وللإمام إلقاء الخطبة. وهو يجمع، في هذه المناسبة، في مدينة ما، أفراد الجماعة الذكور ويشكل المظهر الأساسي لحياة هذه الجماعة. خلال القرون الأولى للإسلام، كان المسجد الجامع يمتاز عن المسجد العادي بحجمه وتوافر المنبر فيه، وهذا ضروري لإلقاء الخطبة في مستهل صلاة الجمعة. ثم ظهرت تباهاً خاصاً هندسية أخرى تلتها المتعلّقات الطقسية أو الوظائف المتعددة التي كانت تؤدي، منذ البدء، من خلال هذا المعنى الذي يُعتبر ضرورياً في كل

العهد الأموي سوى بعض الأبنية الصغيرة المشيدة في أفنية بعض المساجد، والمحاطة بأعمدة والمتوجة بقبة، كانت تُستعمل لحفظ الثغائن والموارد الضريبية العائدة للدولة. كما أن متطلبات القضاة الذين كانوا يُعقدرون أحكامهم في المسجد الجامع حيث كانوا يستندون المقاضين، كانت تقتصر على الجلوس في مكان ثابت، في قاعة الصلاة أو في ظل رواق، على غرار قراء القرآن ومفسريه ورواة الحديث وأساتذة الفقه، وسواهم من المدرسين من جميع المستويات، الأساسية والعالية.

لم تؤثر هذه العادات بدايةً على تصميم البناء أو على حجمه، لكنها ساهمت في محافظته على هيئته على مر القرون ومكنته من التوثيق، في قلب كل مدينة، بين دوره كبنية جماعي، ودوره الآخر كمؤسسة ملكية، إلا أنها أدت بشكل خاص، على المدى الطويل، إلى اعتماد صيغ معمارية جديدة وفقاً لتشتت أو لتجمع الوظائف التي كان يؤقدها المسجد، وقد اختلفت هذه مع الحقب التاريخية المتتالية. كما أدت ضرورات المهمات التدريسية في بادئ الأمر، بعد ثلاثة قرون أو أربعة، إلى إنشاء مؤسسات مميزة كالكتاتيب والمدارس، استقرت تارة في بعض أقسام المسجد - ونرى ذلك مثلاً في أصفهان - وتارة في أبنية منفصلة لكن متجاورة، كما في أمّ/ديار بكر، أو أنها شيدت مستقلة داخل أسوار المدينة أو خارجها. لكن هذه الأبنية المتعددة النوع، المخصصة لاستقبال الطلاب وأساتذتهم والتي شهدت، على غرار الخوانق، رواجاً متزايداً بصفتها مؤسسات خيرية قائمة على سخاء المانحين، لم تكتف بأن تشغل موقفاً متزايد الأهمية في تطور الهندسة المعمارية الإسلامية الدينية في القرون الوسطى، بل إنها، بعد أن اكتسبت صفاتها المميزة خارج المساجد الجامعة الأولى، عادت، خلال القرون الوسطى المتأخرة، للانضمام إليها ضمن مجمعٍ هندسي ضخم حمل في الأوساط العثمانية اسم كُلية.

(٣) تُعتبر أكثرية المساجد الجامعة الأبراطورية، أو السلطانية تحديداً - التي تتوجّ تلال إسطنبول والتي تضمّ، حول هياكلها الصخنة المرزودة بالقباب، أبنية ثانوية عديدة، يتطابق كلٌ منها مع أحد أنشطة المسجد

بواسطة ممثليه أو الموالين له. وظلّ الدعاة للخليفة الحاكم، حتى نهاية عهد العباسيين، إشارة إلى إقرار رسمي بسيادته.

كانت النتيجة المباشرة لهذا الوضع أن يزداد اهتمام كبير بالفسحة الوسطى التي تضمّ المنبر والمحراب، في مقابل صحن محوري عريض، مرتفع وكثير الزخرف. كانت هذه الفسحة مخصصة، في أغلب الأحيان، لظهور الخليفة أو الممسك بزمام السلطة، بشكل علنيّ، ومنها كان يقوم بتصريحاته السياسية، كما كان يتقبل عهد البيعة، بين صفوف من الحرس تحيط بالفسحة الوسطى. وتفسر العادات نفسها تعيين حدود المفصورة التي تمّ ذكرها لأول مرة في عهد الأمويين والتي كانت معدة، بحسب المؤرخين، لتدرك الاعتداءات المحتملة. وقد افئس، في سوريا الأموية، من التصميم «البازيليكي» القديم - الذي اعتمد أيضاً في قاعات الاستقبال الملكية المجهزة بمحراب - تنظيم القاعة الواسعة والمسقوفة حيث يجتمع المؤمنون. وقد نشأ أيضاً تنوع هندسيّ، من مظاهر المفصورة التي تعلوها قبة، والإيوان الضخم، ومجموعة من الأقواس والقباب التي تتلاقى في وسط حافظ القبلة وفقاً لتسنيق متنوع، والقبّة الماسعة التي تعلو قاعة الصلاة بكاملها، وهي أشكال أفضت من خلال تنوعها إلى نشوء نماذج إقليمية من المساجد الجامعة سعت إلى التميّز والمحافظة على وضعها، وفقاً للأسلوب الفني السائد، بصفتها أبنية ملكية تساهم في تمجيد عظمة الأمير، بقدر ما تساهم في تمجيد عظمة الإسلام. لذلك نشأت علاقات معمارية دائمة بين المسجد الجامع القائم في المدينة والقصر؛ فكلّهما كان يُستخدم لإحياء مظاهر احتفالية علنية تأكيداً لعظمة الحكام. لكن هذه المظاهر كانت تجري، في الحالة الأولى، علناً أمام الشعب، بينما كانت، في الحالة الثانية، مخفية وراء الستائر والإجراءات الخاصة بمراسم البلاط.

لم يؤدّ وجود بعض الدوائر - الدولوين الحالية بشكل خاص - النابعة للحكومات الإسلامية الأولى في المساجد الجامعة، إلى تأثيرات مهمة على الصعيد النبوي، لانه لم يستمرّ طويلاً. ولم يبق منها أي أثر من

ما يسمح لنا بالكلام عن المسجد التركي والهندي والاندونيسي والصيني، أو السلجوقي والعثماني والمغولي، الخ. إن دراسة هذه الصيغ، إذا ما تمّ تحديد العناصر المشتركة الناتجة عن استمرارية وظيفيّة، غير مرتبطة بمسألة المسجد بقدر ما هي مرتبطة بالأبحاث المتعلقة بتطوّر الفنّ والعمارة الإسلامية، في مختلف مراكز الحضارة المعنيّة. وكانت هذه المراكز تلجأ في كلّ مرّة إلى مجموعة أسس خاصّة بها وإلى التأثيرات التي خضعت لها، بما يناسب مميزاتها العرقيّة والجغرافيّة، فظهرت انحصيّة في إنجازاتها المعماريّة التي أنتت تعبيراً عن تاريخها السياسي وعن الاهتمام بالقانون الذي أبداه حكماءها.

❖ راجع المستندات رقم ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٥٢، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٧ إلى ٨٢، ٨٥، ٨٦.

المسجد الأقصى، تعبير مستعار من نص القرآن ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ الَّذِي أُسْرِفَ بِهِ، ذَلِكُمْ لَعَنَ اللَّهُ الْقَسِيدَ الْكُفْرَ إِلَى أَقْسَامِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الإسراء، ١).

بالمعنى الواسع، كانت هذه العبارة أقدم اسم عربي أعطاه المسلمون للمساحة التي كان يقوم عليها، في القدس، منذ القرن الأوّل للمهجرة. هيكل هيرودوس القديم، والتي أشير إليها في ما بعد بعبارة «الحرم الشريف» التي لا تزال قيد الاستعمال. يضمّ الحرم في وسطه مسطحة مرتفعة يقوم عليه الرمز العظيم الذي تشكّله قبة الصخرة. والحرم هو مساحة مرتفعة الشكل، أضلاعها قليلة الانحراف، يبلغ طولها ٥٠٠م وعرضها ٣٠٠م تقريباً. تعود الأبنية الرئيسة القائمة عليها إلى عهد الأمويين، وقد أجريت عليها، عبر العصور، تعديلات عدة، لا سيّما في عهد المملكة الأتابكية في القدس. وبعد أن استعاد صلاح الدين المدينة في العام ٥٨٣هـ/١١٨٧، وجرت أيضاً إصلاحات أخرى في عهده المماليك والعثمانيين شوّحت الواجهتين الشمالية والغربية للحرم، في المكان الذي يتصل فيه مباشرة بالمدينة. إن الأبحاث الأثرية الحديثة التي أجريت حتّى الآن هي غير كافية، ومن الصعب إجراء المزيد منها داخل حرم كهذا، وهي نالها لا تسمّح ببلورة انثراخ

الجامع السابقة - من أبرز روائع الحقبة الثالثة التي خلّفت نجاحات المماليك في القاهرة خلال القرن التاسع للمهجرة/الخامس عشر الميلاد، كما نجاحات العثمانيين الأوائل في بوزنة وأدرنة. لكنّ هذا لم يمنع مساجد كبيرة أخرى، لا ملحقات لها ولا أبنية ضخمة، من استقبال رجال الدين والعلماء في سبيل نشر العلم وإلقاء العظات، وهذا ما يفسّر استمرارية الشهرة التي نمت بها المساجد الجامعة القديمة، مثل المسجد الأزهر في القاهرة ومسجد القرويين في فاس أو مسجد الزيتونة في تونس، بصفتها مراكز تعليميّة.

وفي أماكن أخرى تزامنت التغييرات اللاحقة التي ربطت المسجد الجامع بالمدرسة أو بالكلية، مع تزايد عدد هذه الأبنية. وكانت هذه الأبنية قد شيدت أو جُهِزَت في أوائل أيّام الإسلام، جعلت مبنى واحد لكلّ مدينة، في جميع المدن التي تمّ فتحها أو تأسيسها، والتي كانت صلاة الجمعة فيها إلزاميّة - وفقاً للأصول السائدة - لدى نوافر أربعين مسلماً على الأقل. وكانت المدرسة الشافعيّة، بشكل خاص، ترفض الإقرار بأكثر من مسجد جامع في المدينة الواحدة. بقيت هذه الإجراءات سارية المفعول في المدن المتوسطة؛ ولكن سوعات ما تمّ التحلّي عنها في الحالات الأخرى. فكانت حاضرة بغداد مثلاً، المكوّنة من تجمّعات سكنيّة عدة، مزوّدة منذ البلدة بمسجدين جامعين، واحد على كل من ضفتي دجلة، وبلغ عددها أربعة مساجد في القرن الرابع للمهجرة/العاشر للميلاد، قبل أن يتزايد في ما بعد. كما كانت الحال نفسها في القاهرة التي تكوّنت أيضاً من تجمّعات سكنيّة عدّة متناوبة والتي شهدت انطلاقها الأساسية خلال حكم الفاطميين الإسماعيليين الذين لم يتغيّدوا مطلقاً بالأنظمة الشافعيّة.

وفي الوقت نفسه كان الأسلوب المعماري الخاص بالمسجد الجامع «الكلابسي» الأموي والعباسي - الذي غالباً ما يوصف بالعربي بالرغم من انتشاره في أصفهان أو القيروان أو قرطبة، كما في بغداد - يتطوّر على النمط البيروني، ما عدا في الأندلس والمغرب، مع بعض التغيّرات المحليّة. واعتمدت أشكال جديدة في العالم التركي - الإيراني وفي المناطق الأكثر بعداً،

وضع في مصر مؤلفه الأشهر «مروج الذهب»، الذي أعاد النظر فيه في العام ٩٥٦م/١٥٦٥م. ومع أنه ترك مؤلفات أخرى استوحى بعضها من قناعته الشيعة الإمامية، وتعتبر اليوم مفقودة، فإن السعدي يدين باسمه وبشهرته كعالم ذي عقل راجح لذلك المؤلف الواسع الذي يتضمن قسمين: الأول، بعد أن يأتي على ذكر تاريخ الأنبياء، يعطي خصوصاً معلومات تتعلق بالكون والجغرافيا، في حين أن الثاني يبدو كتاريخ لعالم الإسلام منذ النبي محمد ﷺ حتى الخليفة المطيع من سلالة العباسيين. ويبدو أن الكتاب هو ملخص لعمل أكثر تفصيلاً لم يصل إلينا. والسعدي هو أيضاً مؤلف كتاب صغير يقدم معلومات جغرافية وتاريخية، هو «كتاب التنبيه والإشراف» الذي يبدو أنه وضعه قبل موته بقليل.

مسقط (سلطنة عُمان)، مدينة ومرفأ في الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية، تقع على خليج عُمان. شكّلت، منذ القرن الثامن عشر، مركزاً لأنشطة سلاطين مسقط، وهي العاصمة الرسمية للدولة العُمانية المعاصرة.

١ - لم يكن لمسقط أي نفوذ تجاري في القرون الوسطى، في حين كانت المنطقة تشهد ازدهار مدن بحرية أخرى مثل صُحار وقلحات. احتل البرتغاليون مسقط في العام ١٥٠٧، وقد أعجبوا بموقعها الإستراتيجي، لا سيما بعد أن استعاد الصوفيون منهم موقع هرمز/بنبر عباس. في العام ١٦٤٩ استولى الإمام النيّزي على هذا الموقع المحضن، وطرّدت سلالة الحكام الجدد لحسابها أنشطة تجارية مع الهند وأفريقيا الشرقية السوداء. ثم اضطر هؤلاء الحكام، خلال مرحلة عمّت فيها الفوضى، إلى ترك السلطة لآل بو سعيد أو «سلاطين مسقط» الذين جعلوا من المدينة، منذ النصف الثاني للقرن الثامن عشر، مركزاً للرحلات البحرية البعيدة ومحطة غنية لتوقّف السفن يصعب الوصول إليها من جهة البر.

لأسباب عديدة، ضعفت سيطرة العرب على حركة الملاحة في المحيط الهندي. وكانت مسقط قد حافظت لفترة على هذه السيطرة، بفضل الدعم البريطاني لها.

الهندسي للمباني؛ بينما الحفريات الخارجية، التي انطلقت منذ خمس عشرة سنة تقريباً، تسمح بإلقاء الضوء على هذا التاريخ خارج الواجهة الجنوبية، وقد مكّنت هذه من الكشف عن الأساسات التي كانت مطبوعة.

أما بالمعنى الفنيّ الذي درجت عليه العادة، فلا تنطبق عبارة المسجد الأقصى اليوم إلا على المسجد الجامع المشيّد على القسم الجنوبي من الموقع المذكور، فوق الثغر الذي كان يصل المدينة الأموية الموجودة في الأسفل بالمكان المقدس. هذا المسجد الجامع، ذو الشكل الرابع، الذي شيّد في عهد الخليفة الأموي وليد الأول، بين العامين ٨٦ و٩٦هـ/٧١٥ و٧١٥م، قبالة قبة الصخرة التي تشكّل مع مجموعة هندسية، كان يضم عدداً وفيراً من الأجنحة المتعامدة مع حائط القبلة، على جانبي جناح محوري وسطي. ولكن المسجد صمد بصعوبة أمام الدمار المخزّب الذي عاياه لاحقاً: زلزالان في ١٣٠ و٧٤٨هـ/١٣٣٣ و١٠٢٣م، ترميمات في المهدين العباسي والفاطمي، تغييرات في العهد الصليبي، وإصلاحات أخرى في العهد الأيوبي وبعده. هكذا اختل التوازن الهندسي لبناء خسر من مساحته، ولكنه احتفظ، على الرغم من ذلك، بنقوش خشبية من العصر الأموي واستفاد، في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر، من زخرفات رائعة في تزيينه الداخلي، إذ أضيفت إليه بنوع خاص فسيفساء جدران على أرضية ذهبية.

« راجع المستند رقم ٩٠.

المسجد الحرام ← الكعبة، مكة.

السعدي، أبو الحسن علي بن الحسين، ٢٨٠ - ٨٩٣م/٩٥٦م. ناثر عربي معروف كواحد من أبرز ممثلي الأدب، وقد ترك أيضاً أعمالاً مهمّة، كمؤرخ وجغرافي.

وُثِد في عائلة عربية من العراق تقول إنها متحدثة من ابن مسعود، أحد أفراد صحابة النبي محمد (ﷺ). تلقى السعدي دراسته في بغداد على أيدي أساتذة معروفين، ثم قام برحلات عدّة، من دون أن يُعرف مصادر أمواله. والظاهر أنه، في العام ٩٣٢م/٩٤٣م،

ارتقاء السلطان الحالي، قابوس بن سعيد، العرش، ومع نجاح جهوده لتحديث بلاده بفضل الإمكانات التي توفرها الموارد النفطية الجديدة.

١٧٤١ - ١٧٨٣	أحمد بن سعيد
١٧٨٣ - ١٧٨٦	سعيد بن أحمد
١٧٨٦ - ١٧٩٢	حميد بن سعيد
١٧٩٢ - ١٨٠٦	سلطان بن أحمد
١٨٠٦	سليم بن سلطان
١٨٠٦ - ١٨٥٦	سعيد بن سلطان
١٨٥٦ - ١٨٦٦	قوثني بن سعيد
١٨٦٦ - ١٨٦٨	سالم بن تويني
١٨٦٨ - ١٨٧٤	عزيز بن قيس
١٨٧٤ - ١٨٨٨	تركي بن سعيد
١٨٨٨ - ١٩١٣	فيصل بن تركي
١٩١٣ - ١٩٣٢	نيمور بن فيصل
١٩٣٢ - ١٩٧٠	سعيد بن فيصل
١٩٧٠ -	قابوس بن سعيد

المسكوكات الإسلامية. قطع معدنية ذهبية، فضية وبرونزية استُخدمت في الدول الإسلامية حتى فترة التحولات المعاصرة، ارتبط بعضها بمفهوم انتقال السلطة الشرعية في الإسلام، وظهرت أولى نماذجها في الامبراطورية الناشئة عن الفتوحات الكبرى. إلى الحقبة الأساسية التي تنبع عنها النظام المالي الذي اعتمد في العالم الإسلامي في القرون الوسطى، تعود معيّنات القطع المضروبة منذ ذلك الوقت، وقد استمرت هذه المعيّرات، بالرغم من التغيّرات الناتجة عن تبدل الملوك والسلالات. وتكمن الميزة الأساسية، في كون ضرب العملة أو السكّة امتيازًا ملكيًا، ما فرض إلزاميًا ومنذ أوائل عهود الإسلام، ووفقًا للتقاليد المحددة في عهد العبّاسيين، وجود إسم الخليفة على كافة العملات المضروبة في مختلف مشاغل المنطقة الخاصة لسلطة الخلافة. وكان يجوز إتباع اسم الخليفة باسم الوزير، بينما كان اسم الحاكم يُدرج على الظهر. وكان التقيد بهذا الالتزام بشكل إقرارًا بالولاء الذي فرضته الإدارة الخلافة على أسيا الحرب وغيرهم من الأمراء شبه المستقلين الذين كانوا يطلبون من الخليفة تكريس سلطتهم على الصعيد الشرعي الإسلامي.

انتقلت السيطرة بعد ذلك إلى زنجبار حيث تولّى الحكم، بعد العام ١٨٥٦، فرع من سلالة «بو سعيد». عرفت مسقط إثر ذلك انحطاطًا طغيًا، قبل أن تصبح تقريبًا خارج دائرة التبادل التجاري. وظلّت مقرًا لسلطين يتمتعون بسلطة محدودة داخل بلد منقسم، ولم يصلها التحديث إلا بعد أن تولّى العرش، في العام ١٩٧٠، السلطان الحالي المصلح قابوس بن سعيد. ولكن وضعها كعاصمة، وقد احتفظت به، يبقى نظريًا نوعًا ما أمام الازدهار الحديث الذي تشهد مدينة ضلالة، مقر الحكومة التابع لمقاطعة ظفار.

٢ تدلّ تسمية «سلطين مسقط» أو «أسرة بو سعيد» منذ ١٧٤١ على السلالة التي اتخذت من مسقط عاصمة لها، والتي أشرفت على الشواطئ الأفريقية للمحيط الهندي إلى أن تحوّل أفرادها إلى حكام منطقة عُمان دون سواها.

إن آل بو سعيد الذين يذكرون لغاية اليوم أصلهم القبلي والذين أُخبروا أن يحملوا لقب «السيد»، عرفوا، منذ القرن الثامن عشر، تاريخًا حافلًا بالتغيّرات. في المرحلة الأولى، استولى أحمد بن سعيد على السلطة خلفًا للمُخربين إبان فترة من الفوضى المحلية، وورث عن هؤلاء الأئمة أنشطتهم التجارية في المحيط الهندي. بلغت تلك المرحلة أوجها في بداية القرن التاسع عشر، في عهدي سلطان بن أحمد وابنه سعيد. لقد اهتم الأول باستثمار طريق الهند البحرية بالتنافس مع إيران، أما الثاني فوَقَّفت تحالفه مع البريطانيين لتوسيع امبراطوريته الاستعمارية في أفريقيا السوداء الشرقية.

بعد وفاة سعيد سنة ١٨٥٦ واقتسام ممتلكاته بين ولديه، بدأت مرحلة ثانية ضَعُفت خلالها نفوذ أسيا مسقط الذين كانوا قد تخلّوا، لفرع سلطين جزيرة زنجبار، عن الإشراف على الموارد التجارية الأكثر غنى وامتلاك الجزيرة المذكورة، الغنيّة بالمنتجات الطبيعية. في عُمان، حيث تفتت الصراعات الداخلية على شكل حركات انفصال وتسرّد، لم يتعاقب على السلطة إلا حكام ضعفاء. يضاف إلى ذلك أنّ إمكاناتهم المادية كانت محدودة بسبب تراجع مدينة مسقط. منذ العام ١٩٧٠، بدأت مرحلة ثالثة من تاريخ آل بو سعيد، مع

الواقع للتغيير، إذ عمد بعض الملوك، ولا سيما اليوبيتين والأيوبيين، إلى ضرب عملة ذات عيار ضعيف، ما أدى إلى نوع من التخفيض في قيمة الدينار المتداول.

عندما أقدم عبد الملك على سك قطعه النقدية الجديدة، استبدل بالرسوم المقتبسة من صورة الامبراطور البيزنطي على القطع الذهبية ومن صورة الملك الساساني على القطع الفضية، صيغاً مقرونة اعتمدت حروف كتابة عربية نظامية، فرضها أيضاً على كتاب الإدارة وأعطاهام مكانتها الرفيعة باستعمالها على الأنصاب والأبنية. وكانت أقدم النصوص الواردة على المسكوكات تتألف من آيات قرآنية ومن نص الشهادة، إضافة إلى تاريخ الضرب ومكانه. ولم يظهر إسم الخليفة على وجه القطع النقدية إلا في أواخر القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، قبل أن تنتشر عادة ذكر أسماء أخرى، من حكام وأمرء محليين وسلاطين في ما بعد - وفقاً للقواعد السياسية المتعلقة بحق السكة المذكورة أعلاه - إضافة إلى مكان الضرب وزمانه.

هذه النصوص المنقوشة التي اعتمدت صيغاً وألفاظاً مختلفة، وفقاً للتحوّلات التاريخية التي طبعها العالم الإسلامي، لم يكن الهدف منها في البدء سوى الحلول مكان النصوص الفهلوية على القطع الساسانية، والنصوص اليونانية أو اللاتينية على القطع البيزنطية. وشهدت في ما بعد تحولات وتطوّرات فنية رافقت مختلف مراحل تطوّر الكتابة العربية، كما عكست العادات الزخرفية الخاصة بالمراكز الثقافية حيث كانت تُضرب العملة. أمّا في ما يتعلق بالصور المنقوشة، فقد أزيلت عن المسكوكات ولم تُستعمل سوى على بعض نماذج من الميديّات حملت صور الخلفاء العباسيين، وعلى النقود المعدنية التي ضربتها سلالة الأرتقيين في بلاد ما بين النهرين العليا. إنّ ملوك هذه السلالة، لأسباب لا تزال مجهولة، استوحوا في سك قطعهم المعدنية، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ممّا زاوه على القطع النقدية المسيحية المتداولة في منطقتهم.

مِسْكُونِيَّة، أبو علي أحمد بن محمّد، ؟ - ٢٨/٤٢١ -

أمّا في ما يتعلّق بأنواع القطع النقدية المضروبة، فالدولة العربية-الإسلامية اعتمدت، في وقت مبكر، المسكوكات التي كانت متداولة في المناطق التي تم فتحها، أي في مقاطعات الأمبراطوريتين البيزنطية والساسانية. ويبدو، فضلاً عن ذلك، أنّ المسكوكات البيزنطية كانت متداولة في الجزيرة العربية قبل الإسلام. إذ إنّ القرآن الكريم يُشير إلى ذلك. سكّت قطع نقدية جديدة بأمر من الخلفاء الأمويين الأوّلين، وكانت تُقلد المسكوكات البيزنطية أو الساسانية، مع بعض التعديلات: حمل بعضها المصنوع من الذهب مثلاً رسم هرقل، بعد إزالة كلّ رمز مسيحي عنها وإضافة شعائر إسلامية بالعربية، بينما قلّد آخرون في المغرب المسكوكات البيزنطية المزوّدة بكتابات باللغة اللاتينية. لكنّ الخليفة المرواني عبد الملك أقدم، ابتداء من العام ٨٧٧/٦٩٦م، على إجراء إصلاح للمسكوكات، حدّد من خلاله وزن الوحدات الجديدة، وأمر بضرب قطع نقدية خالية من الرسوم، ومزينة حصرئاً بكتابات عربية مرثئة، كلّ تميّز تخطيطها بأشكال مرثية هي غاية في التشاغم، كلّ ذلك تقيّداً بمبادئ الإسلام التي تحرّم التجسيم.

حدّد عندئذ الدينار الذهبي (denarius باليونانية وdenarius باللاتينية) بوزن ٤,٢٥ غرامات بدلاً من ٤,٥٥ غرامات للقطعة البيزنطية السابقة المسماة «سوليدوس» أو الدينار الذهبي، وكان هذا الوزن يعادل ٢٠ قيراطاً، علماً أنّ القيراط كان يشكّل وحدة الوزن المعتمدة في العالم السوري - العربي. من جهة أخرى، تمّ تحديد وزن القطعة الفضية أو الدرهم (ذرخما باليونانية) بـ ٢,٩٧ غرام، بدلاً من ٤ غرامات بالنسبة إلى القطعة الساسانية السابقة. وكان هذا الوزن يمثل سبعة أعشار المثقال الذي يعادل وزنه وزن الدينار، وفقاً للقيمة النسبية المشار إليها في المصطلقات النظرية. وهكذا أبى الخليفة على نظام يعتمد على معدنين، ناتج عن إرث الحضارات السابقة: الحضارة البيزنطية التي اعتمدت المسكوكات الذهبية، والأمبراطورية الساسانية التي استخدمت قطعاً نقدية فضية. وكانت نسبة الدرهم إلى الدينار محدّدة بـ ١ إلى ٢٠، لكنّها تغيّرت لاحقاً وفقاً لظروف متعدّدة. وكان عيار الدينار خاصاً في

النيسابوري، ٢٠٢-٢٦١هـ/٨١٧ - ٨٧٥م، محدث ومؤلف أحد المصنفات الستة الصحيحة للحديث النبوي.

ولد مسلم في نيسابور وتحوّل في مختلف البلدان لجمع الأحاديث التي كانت تبدو له صحيحة. إنّ العمل الضخم الذي وضعه والمعروف، على غرار عمل البخاري، باسم «الصحيح»، يتضمّن عددًا كبيرًا من الأحاديث مروّعة على اثنين وخمسين كتابًا، خُصص كل منها لإحدى مسائل الفقه أو علم الكلام المهمة. وتميّز عمله عن الأعمال الأخرى المماثلة بمقدماته التي تنطرق إلى علم الحديث وغسل تمهيدي يعالج مسألة الإيمان، وهو يشكّل إحدى أقدم الدراسات في علم الكلام الإسلامي.

مسلمة بن عبد الملك، ؟ - ١٢١هـ/٩ - ٧٣٨م، أمير أموي وقائد عسكري، قاد أهمّ حصار قامت به، في ذلك العصر، الجيوش العربية - الإسلامية للقسطنطينية. والدّه الخليفة عبد الملّك وأمّه جارية، الأمر الذي استبعدّه عن خلافة العرش. إلّا أنّه تميّز بحملاته العسكرية؛ وقد كُلف بحملات الجهاد الموسمية ضدّ البيزنطيين في الأناضول ابتداءً من سنة ٨٨٦/٧٠٥م. بصفته حاكمًا لأرمينيا وأذربيجان، احتلّ مدينة باب الأوباب على ساحل بحر قزوين ودمرها، ثمّ أعاد بنائها وحفنها لاحقًا، في العام ١١٢هـ/٧٣٠م. في ٩٩-١٠٠هـ/٧١٧ - ٧١٨م، قاد الهجوم البري والبحري ضدّ القسطنطينية، ولكنّه فشل بسبب استخدام النار الإغريقية من قبل المدافعين عن المدينة. استُبعد مسلمة في نهاية عهد يزيد الثاني، ثمّ استدعاه الخليفة هشام وأوكل إليه ثانية حكم أرمينيا وأذربيجان. في العام ١١٤هـ/٧٣٢م، انسحب إلى شمال سوريا حيث توفي بعد بضع سنوات.

المسلمون السود، اسم أطلق على طائفة أميركيّة سوداء تدين بالإسلام، ظهرت في الولايات المتّحدة الأميركيّة في بداية القرن العشرين.

أسسها أليجاه محمّد في الثلاثينات من القرن المذكور. أكّدت هذه الطائفة، التي تأثّرت بحركتيّ حديثيّتين منبثقتين من الأحمدية، تفوّق العصر الأسود على الأبيض. في الوقت نفسه، تبثّت نظرية الأحمدية

١٠٣٠م، مفكّر وأديب إيراني الأصل، من أشهر ممثلي المنظور الثقافي في الأمبراطورية العبّاسية خلال سيطرة البويهيين.

ولد في الرّي، في عائلة حديثة العهد بالإسلام، واسمه بالفارسية يشكّونه وتوفّي في أصفهان بعد أن توفّي مكتبة الوزير ابن العميد، وكان مقرّبًا من الأمير البويهي علاء الدولة. وفي حين خلف وراءه بعض الآثار ذات المنحى الفلسفي، المتأثّر بتراث الأوائل، وبخاصة يالثرات الهليني، فإنّه اشتهر، بشكل خاص، كمؤرّخ. إطلافاً من تأمّلات شخصية في معظم الأحيان، وضع بحثًا في علم الأخلاق هو «كتاب الأخلاق» المستوحى في أن واحد من كتاب أرسطو «علم الأخلاق التوجّه إلى تقوم ماخوس». ومن كتابات الأفلاطونية الجديدة. ومن خلال فلسفته الأخلاقية البعيدة الأثر حدّد الفضيلة بقوله إنّها الوسط بين غيبتين وتكلّم عن ثلاث فضائل أساسية هي الحكمة والشجاعة والاعتدال، يؤدّي اتحادهما إلى العدالة. كان أثره التاريخي المسمّى «تجارب الأمم»، الذي تضمّن أجزاءه الأخيرة وصفًا حيًّا للحياة السياسية في بغداد في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بمثابة تاريخ عام للبشرية ذي منحنى أخلاقي، وقد شدّد على النتائج المشوومة الناتجة عن التدابير المخالفة لتحكيم العقل، وعلى صفات رجل الدولة المثالي. استكمل هذين الكتابين بمصعق أسماء «الحكمة الخالدة» ضمّنه الأمثال والحكم المتوارثة عن شعوب مختلفة، ولا سيّما اليونانية والإيرانية والمهندية، إضافةً إلى الشعوب العربية في المرحلة السابقة للإسلام وخلال الحقبة الإسلامية.

وكان مسكويه - الذي ألزم المعتقدات الشيعية الطائفة في ذلك الوقت في الأوساط الحاكمة التي كان يرتادها - يسعى إلى تقديم الدليل على أنّ الإسلام، بحسب المفهوم الشيعي، يستوعب مضمون تجارب الأوائل في مجال الحكمة ويصهرها في بوقته على أحسن وجه. وقد تلقّي، حول مفهوم الحكمة هذا، المدارس المختلفة، ذات الطابع شبه الرسمي، المشيعة بالعلوم الباطنية.

مُسلم بن الحَجَّاج، أبو الحسين القُشَيْري

بازيليك. وكانت تلك القاعة المخصصة لاستقبال الاحتفالات البلاطية تحظى بعظمة مهيبة، وهي مزودة في آخرها بثلاثة محاريب مزودة على شكل ورقة النفل (المثلثة)، وتقوم من جهة وأخرى في تلك القاعة، ويشكل متوازٍ أربعة أجنحة متعائلة مخصصة للإستقبال والسكن، إنساناً مع المعايير التي كانت سائدة يومها والتي كانت تنظم حول هذه المساحة الوسطية أربع صالات مستطيلة.

مقابل هذا القسم الرئيسي المخصص لاستخدام سيد المكان، والذي تم بناؤه وفق تقنيات الأجر، وكان مزوداً بقنطرة ومسقوفة على طريقة الأبنية الساسانية، كان هناك قسم آخر شيد بحسب المفهوم الكلاسيكي، مع القنطرة المثلثة القائمة على قواعد حجرية تتزججها زهرة الأقتنية، وهو يشير إلى مدخل القصر المهيّب. وإلى التقاليد الآتية من العصور الكلاسيكية القديمة تنتمي مجموعة النقوش البارزة المنحوتة في الحجر والتي تزين قواعد أبراج واجهة المدخل. هذه النقوش البارزة كانت تحيط في الماضي بالبوابة الكبرى التي تفتح في السور وتسمح بالدخول إلى أولى مجموعات البناء حيث نستطيع أن نعيّر حصراً الموقع المدمر للمسجد الجامع داخل القصر. ولقد تم نقل هذه النقوش، بعد اكتشافها بقليل في القرن التاسع عشر، إلى متحف برلين، ما سمح بأن تحظى بدراسات خاصة قام بها مؤرخو الفن. أما أسلوبها المشيع بالتأثيرات الأغربيقية التي تظهر من خلال غصون الدالية التي تكسو عتق اللوحات المثلثة، كما من خلال الديكورات الطبيعية المذهلة حيث الحيوانات والعصافير التي تختبئ في أوراق الشجر، فقد جعل البعض ينسبون هذا الصرح إلى مرحلة ما قبل الإسلام. في الواقع إن الفائدة الكبرى من هذا المبنى الملكي الذي كان يفترض أن تضاف إليه، في الأجنحة غير السكنية، أقسام مشتركة ومبانٍ أخرى ملحقة، تكمن في أنه يمثل، في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، في عهد الأمويين، نموذجاً أوّل للقصور الملكية الإسلامية التي ستزدهر في زمن الخلافة العباسية لتقوم آنذاك بوظائف «المدن الملكية» الباذخة.

◀ راجع المستدير ٩ و ٤٢.

التي تقول إن المسيحية شُحى بها من المسيح الدجال الوارد ذكره في الأغرويات الإسلامية.

منذ ١٩٧٥، تاريخ وفاة مؤسسها، تخلّت هذه الطائفة عن آرائها المتطرفة، واتّخذت اسم «رسالة المسلمين الأميركيين»، وأرسلت طلباً إلى المراكز الثقافية الإسلامية في القاهرة والمدينة المنورة. ومن الصعب اليوم تقدير عدد المنتسبين إليها ومدى تأثيرها.

مَسِينَا، منطقة في وادي النيجر الأعلى، تقع إلى الشمال الشرقي من سيجو (Ségou) كانت، في بداية القرن التاسع عشر، مركزاً لإحدى إمبراطوريات الغلبة (Pouls) الجهادية.

في تلك الأراضي بدأ الغلبة الآتون من فونا نورو بالتسلّل، ابتداءً من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، إلى داخل مملكتي مالي والصّغاي. هنا أقام القائد العسكري الصوفي، من الطريقة القادرية، شيخو أحمدو المولود سنة ١٧٧٥، حكمه الخاص، ابتداءً من العام ١٨١٥. بعد أن وكّر عاصمته في حمداكو سنة ١٨٢١، ووسّع مملكته من جنى إلى تومبوكتو. ضُعفت دولته التيوقراطية في أيام خلفائه، ثم دُمّرت عندما فتحها قائد عسكري جديد من أصل تكوروي ومن اتباع النيجانية، هو الحاج عمر تل، الذي انتصر على مَسِينَا في العام ١٨٦٢.

◀ راجع المستد رقم ٢٩.

المُشْتَى، قصر من عصر الأمويين اعتُبرت أنقاضه، المحفوظة في المملكة الأردنية الهاشمية. ومنذ اكتشافها في نهاية القرن التاسع عشر، واحداً من أشهر المواقع الأثرية في هضبة مؤاب القديمة.

وتتميّز أطلال هذا البناء الكبير بمقاييسها وبنائها الهندسي لجهة التصميم الأساسي والحالة عدم الاكتمال التي بقيت عليها حين توقف العمل فيه: مربع ضلعه ١٤٤ متراً، حدوده سور مزروع بأبراج مثل بقية القصور الملكية الأموية، تم تقطيعه إلى أقسام ثلاثة منتظمة، ورُسم مخططه الذي اعتمد لإنجاز قسم من عمليات البناء، تلك التي، في آخر الباحة الكبرى الرئيسة، تنظم حول قاعة اجتماعات ضخمة مصممة على شكل

سناباد، حيث دُفن، من قُتل، أحد أفراد سلالة العباسيين الحاكمة، هارون الرشيد الشهير، في ٨٩٣/٨٠٩م، مكاناً مكرّماً ومركز زيارات تقوية. في السابق، وفي مكان غير بعيد، كانت محلة طوس في المقاطعة التي تحمل الاسم نفسه، الوحيدة المعروفة، وما يزال موقعها ظاهراً حتى اليوم.

إنّ الإزدهار القديم لهذه المنطقة، الذي استمر إلى ما بعد الفتوحات العربية - الإسلامية، يعود في قسم منه إلى العائلات الزراعية والمنجمية لواحاتها الجبلية، التي يرونها أحد روافد هاري رود، غير بعيد من المكان الذي تغور فيه مياه هذين النهرين، باتجاه الشمال في رمال كاراكوم في قلب تركمنستان الحالية. وفي القرون الوسطى أيضاً، استمرت هذه النشاطات التجارية المشهورة عنها، منذ وقت طويل، في هذا التقاطع من طرق القوافل التي كان أكثرها نشاطاً تلك التي تربط إيران الغربية بالعراق وآسيا الوسطى، مروراً بطوس لتصل إلى مرو وبُخارى وسمرقند. لكنّ حيوية الموقع تعاطلت بنسبة تعاطل الأهمية المعطاة لقبير الإمام ونسبة تدقّق الزائرين الذين، من خلال مضاعفة الحسنات والعبادات التقوية، راحوا يرسمون، في الوقت نفسه، المصير الإشتتاني للمدينة الجديدة. ومنذ أن أعيد بنائه الضريح للمرة الأولى في عهد محمود الغزنوي، في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أصبح محيط المقام قلب تجمع سكاني ناشط. بعد الدمار الذي تسببت به لاحقاً غزوات المغول، ظهر اهتمام بالضريح من جانب الإبلخانيين، وخصوصاً من جانب الجائتو خاندان، في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، متزامناً مع انطلاقة جديدة للشعبة الإمامية الإثني عشرية في إيران. إنّ الترميمات التي قام بها الإبلخانيون هي التي أعطت الضريح الشكل الذي وصفه الرحالة ابن بطوطة، قبل أن يضيف سخاء شاهزُخ التيموري وزوجته جوهر مبانٍ جديدة إلى المكان. إنّ المسجد الذي يحافظ اليوم على إيواناته الأربعة وزخرفه من الخزف الأزرق يُعَدُّ من بين الإنجازات الهندسية الأكثر أناقة لتلك الحقبة. بعد ذلك بقليل، لم نؤدِّ هجمات الأوزبك، التي هددت لفترة نفوذ الصفويين في

مشهد، نصب أو مكان تذكاري يدلّ اسمه على مكان شهد فيه شخص على إيمانه الإسلامي.

بصورة عامة، تُستخدم لفظة مشهد عند الجغرافيين العرب في القرون الوسطى وعند الذين يدرسون أصول الأسماء الجغرافية للدلالة، على حدّ سواء، على قبر شهيد، أو على مزار يُحفظ فيه تذكّار، وأحياناً على قبر نبي أو وليّ، على قبر شيخ أو أيّ رجل تغيّ أو عالم وفاضل، وأخيراً على قبر إمام علويّ قضي عنفاً. ونشاد أحياناً الاضرحه فوق هذه القبور.

إنّ تكريم المشاهد كما كان زيارات تقوية لم يعاثر في الواقع في بداية الإسلام، بل ازدهر مثلما ازدهرت الزيارات غير المفروضة شرعاً، نتيجة انتشار عادة «تكريم الاولياء». منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بدأ بعض الكتاب، مثل المقدسي، يُشيرون إلى وجود المشاهد في مدن العالم الإسلامي المختلفة. ولكننا لا نجد لاحقة بعدد كثير من المشاهد إلّا في دليل الهروي، في مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. أشهر المشاهد التي ميّزتها، منذ القدم، التقوى الشعبية، هي مشاهد الأئمة العلويين، وقد أصبح أهمّها مقامات كبيرة لها أوقافها وأبنيتها، يتهاقت عليها «الزوّار» الشيعة وتُغطى فيها العظمت والتعاليم الدينية، كما يجري في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء في العراق، أو قم ومشهد في إيران.

مشهد (الجمهورية الإسلامية الإيرانية). هي العاصمة الإدارية والإقتصادية الحالية لخراسان الإيرانية، وقد جمعت، إلى ازدهارها الحديث، إنطلاقتها كمدينة مقدسة بالنسبة إلى الشيعة.

إنّ نموّها المتزايد، ابتداءً من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، في هضبة عالية ذات مناخ قاسٍ، قائمة على حدود العالم الإسلامي القروسطي، يعود إلى شهرة ضريح أعطاها اسمه - انطلاقةً من لفظة «مشهد» التي تعني مدفن شهيد - وهو يسيطر على منظر المدينة ويجذب إليها حشود «الزوّار». في الواقع، إنّ موت علي الرضا ودفنه في هذا المكان، في ٢٠٢/٨٢٠م، وهو الوريث المفترض للخليفة المأمون وثمان أئمة العلويين من الإمامية الإثني عشرية، جعل من قرية

الصدارة. عمل العثمانيون على الحظ من هذا المركز، ولكن مصر عادت فاسترجعته بعد ١٩٥٣، على أثر قيام جمهورية مصر العربية.

(١) شملت مصر في القرون الوسطى الدلتا ووادي النيل مع قسمه العالي، أي الصعيد أو مصر العليا. واستطاعت الاحتفاظ بمزايا خاصة بها. كما ضمت مساحات صحراوية تقطعها طرقات للقوافل يصل ساكنوها غرباً إلى المغرب، وشرقاً إلى بعض موانئ البحر الأحمر مثل عيذاب التي كانت تؤمن التجارة مع شبه الجزيرة العربية. وفي سبيل إحكام السيطرة على مصر، اضطرت جيوش الفتوحات الإسلامية الكبرى، بقيادة عمرو بن العاص، إلى بناء مدينة - معسكر دعيت القسطنطينية، وفي جوارها مدن أخرى، حيث استقرت الإدارات الحكومية، وأخرها كانت مدينة القاهرة التي تأسست سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م. تطورت هذه المدن الداخلية لتحل تدريجياً مكان العاصمة القديمة، أي الإسكندرية، وذلك بسبب الغزوات البحرية التي نغزها لها مسلمو القرون الأولى من قبل الأسطول البيزنطي الذي كان يسيطر على الحوض الشرقي للبحر المتوسط، قبل أن تحل محله السفن الغربية أيام الحملات الصليبية وتباشر اعتداءاتها المتتالية على الدلتا. قامت مصر بدور لم يتعد دور الإقليم في الإمبراطوريتين الأموية والعباسية، مع العلم أنها تمتعت دائماً بتألق خاص في العالم الإسلامي ورثته عن ماضيها المجيد، حتى قوي حكمها فأنشأوا دولة مستقلة أيام الطولونيين (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م) والإخشيديين (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م). ثم انتقلت إليها الدولة الشيعية الإسماعيلية في أفريقيا أيام الممير الفاطمي، وكان قدرها أن تتألق طوال قرنين.

ارتبطت مصر، بعد ذلك، بسوريا وماوست تجاهها نوعاً من الوصاية، وحكمها أقوى ملوك الأسرة الأيوبية التي سيطرت على الشرق الأوسط من سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م حتى ظهور المماليك في سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م. وقد نجح هؤلاء السلاطين، على الرغم من أصلهم الغريب، في أن يحولوا مصر إلى محور للعالم العربي، في مواجهة العالم التركي - الإيراني الذي تحكم بشرقه

المنطقة، إلى إعاقة التنمية التي عرفتها المدينة والتي أفادت أيضاً، في القرن الثامن عشر، من جهود نادر شاه لنأمين الإطلاقة لمشهد التي تصبح لاحقاً عاصمته الخاصة، بين ١٧٢٧ و١٧٣٥، والتي ظلت في ما بعد في أيدي سلالاته حتى ١٧٩٦. في القرن العشرين، تمت أعمال تنظيم في المدينة بمبادرة من عاهلين من السلالة النُهلوية، واما غيّرت بعض ملامح الأحياء القديمة، ولكنها أكدت تفوق مشهد على بقية مدن خراسان. ولم تنافر ببلخ وهراة ونيسابور التي نافست في الماضي مشهد، ظروف مؤاتية شبيهة بالتي توافرت لمشهد لكي تحافظ، حتى العصر الحالي، على مكانتها القديمة.

مصطفى، ١٨٨١ - ١٩٦٧، سياسي إيراني، زامن الحكومة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٣، وانتج سياسة قومية على غرار ما كان يجري أيامه في دول إسلامية أخرى. تولى هذا المؤلف الأسبق للثانية، في العام ١٩٢١ في مملكة إيران، منصب وزير المالية بعد تسليم الملك رضا بهلوي الحكم. وكان عندئذ مؤيداً لتأمين شركات النفط وللقام بإصلاحات تؤدي إلى العلمانية. تم سجنه في العام ١٩٢٥ بسبب آرائه وتوقف عن كل نشاط سياسي حتى العام ١٩٤١. انتخب من ثم نائباً بعد الحرب العالمية الثانية، فأسس الجبهة الوطنية أو حزب «توده» الذي ساهم في إثارة البلاد. انتهز فرصة تعيينه رئيساً للحكومة في نيسان ١٩٥١ لتمرير قانون زراعي وتأمين النفط، لكن، إثر انخفاض إنتاج النفط بسبب عدم توافر technicians، توجه مصطفى إلى الاتحاد السوفياتي طلباً للمساعدة، بينما كان الشاه محمد رضا بهلوي، ابن الملك السابق، يغادر البلاد إلى منفاه في روما، لكنه ما لبث أن عاد إثر مظاهرات لمصلحته. تمت، إثر ذلك إقالة مصطفى في نيسان ١٩٥٣ وسجن مجدداً. بعد الإفراج عنه في العام ١٩٥٦، بقي بعيداً عن الحياة السياسية حتى وفاته في العام ١٩٦٧.

مصر، بلد غني أهل بالسكان طوال القرون الوسطى. كانت مصر مركزاً لسلطة شبه مستقلة أيام الإمبراطورية العباسية ومركزاً لخليفة منافس للعباسيين في عهد الفاطميين، قبل أن تحل، في عهد المماليك، مركز

الشمال الشرقي، بينما تصله حدوده الأخرى بالجمهورية العربية الليبية الشعبية في الغرب وجمهورية السودان في الجنوب، بدون إغفال قربه من المملكة العربية السعودية التي تقع على الضفة الأخرى للبحر الأحمر. لكن هذه المكانة المميزة لم تمنع وجود مصاعب عدة خلفها التزايد السكاني السريع، وعمقها، على الصعيد السياسي-الديني، سلوك الحركة الإسلامية المعارضة، فانعكست على حياة الأقلية القبطية التي حافظت على وجودها في المنطقة منذ الفتح العربي الإسلامية في القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد. إن عوامل عدم التوازن هذه كانت موجودة عند تأسيس الجمهورية في العام ١٩٥٣، وقد استُبدل بالرنيس نجيب، وهو الرئيس الأول، في سنة ١٩٥٤، جمال عبد الناصر المخفط الأساسي للانقلاب بعد الإعلان عن إصدار دستور جديد.

طُحِ العهد الناصري (١٩٥٤-١٩٧٠) بتأميم قناة السويس وبحرب الأيام الستة ضد إسرائيل في العام ١٩٦٧، وبسياسة تأميم داخلية دُفعت إلى حذها الأقصى، وسياسة عدم انحياز خارجية تُرجمت عملياً باللجوء إلى مساعدة الاتحاد السوفياتي. حاول عبد الناصر، من جهة أخرى، توحيد مصر وسوريا تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨ - ١٩٦١). خلف أنور السادات جمال عبد الناصر سنة ١٩٧٠ وركّز على المفاوضات التي وضعت حداً للعداء مع إسرائيل، كما سمحت له باستعادة سيناء. لكنه اصطدم، كسلفه عبد الناصر، بعداء المجموعات الإسلامية، ما كلّنه حياته سنة (١٩٨١)، لكن خلفه الرئيس مبارك استطاع أن يضبط تحركات هذه المجموعات.

◀ راجع المستندات: ١٠٨، ١٢، ١٣، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٤٤، ٦٣ و٦٤.

مصر السفلى ← مصر.

مصطفى كمال ← أتاتورك.

المُصَلِّي، مصطلح عربي يشير إلى «مكان الصلاة» الذي كان يتألف، في القرون الوسطى، من باحة

الإيلخانيون المتحذرون من الغزاة المغول. واستمرت مدينة القاهرة، هذه المدينة النشطة والتجارية، عاصمة ثقافية للإسلام والعرب، وحلّت مكان بغداد المهذمة، وهي ما تزال نحافظ على هذا الدور حتى عصرنا الحاضر.

لقد أنهت حملة بونابرت المرحلة القروسطية من تاريخ مصر. إن سيطرة العثمانيين - التي بدأت مع انتصار السلطان سليم على المماليك في أواخر ١٥١٧ - لم تتغير شيئاً بالنسبة إلى هذه المرحلة. أراد محمد علي الذي حكم مصر من سنة ١٨٠٥ إلى سنة ١٨٤٨ أن يطور بلاده وأن يدخل إليها الحداثة. وقد تابع النهج عينه، خلفاؤه الخديويون الذين استمروا حتى ١٨٧٩، وكانوا قد تحرروا من سلطة الباب العالي. لكن سلالتهم الطموحة التي لقيت، خلال الحرب العالمية الأولى، بالسلطان ثم بالملك، لم تستطع تخطي المصاعب الاقتصادية والأزمات الداخلية التي غالباً ما أضرمها الوطنيون والمجددون والمصلحون أو أخصامهم السياسيون، إضافة إلى الخلافات بين الأحزاب. فرض البريطانيون حمايتهم على مصر سنة ١٨٨٢ وثبوتها سنة ١٩١٤. لكن البلاد تحولت، سنة ١٩٢٣، إلى مملكة مستقلة على رأسها الملك فؤاد أولاً، ثم الملك فاروق الذي فقد عرشه مع ثورة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢. وُضع حدٌ للحماية البريطانية وتأسست، سنة ١٩٥٣، جمهورية مصر العربية، وكان رئيسها الأولان نجيب وعبد الناصر.

٢) جمهورية مصر العربية، دولة معاصرة مستقلة مساحتها: ١ ٠٠١ ٤٤٩ كلم^٢ عاصمتها القاهرة، وهي تغطي تقريباً أرض مصر القروسطية، سكّانها أكثر من ٧٠ مليون نسمة، ٩٠٪ منهم مسلمون، مع المحافظة على أقلية مسيحية قبطية قديمة جداً. يتابع هذا البلد المحكوم بجغرافيته - الذي يُعتبر مركز الحياة الثقافية الإسلامية في البلدان العربية - الدفاع عن قدم مركزه على مفترق طرق تجارية واستراتيجية في الشرق الأوسط الحديث. فهو في الواقع يتحكم بنقطة التقاء بحرية بين المتوسط والمحيط الهندي بواسطة قناة السويس، وله حدود مشتركة مع إسرائيل (فلسطين المحتلة) في

الموحدين وقد ساندت حركة هؤلاء الناشئة وكانت أبرز معاونيهم، وساهمت في ما بعد بإنجاح حكم الحفصيين، عندما حلت سلطة المرينيين محل سلطة الموحدين في المغرب، استعادت بعض قبائل مصمودة، في جنوب البلاد، استقلالها، وذلك منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بقيادة زعماء محليين ثم اختيارهم من العائلات الكبرى. لم يتنجح السعديون أكثر من أسلافهم، اعتباراً من القرن السادس عشر، في السيطرة على القوضى التي كانت تعيش فيها هذه القبائل في جبال الأطلس. في المقابل، توصل العلويون تدريجياً إلى فرض سلطتهم على تلك المنطقة حيث بقي السكان الذين يتكلمون اللغة البربرية على مستوى عالٍ من النشاط. غير أن اسم مصمودة اختفى ليحل مكانه الاسم المعروف اليوم وهو «الشلوح» (بالفرنسية Chleuhs).

مصياف (الجمهورية العربية السورية) أو مصياد، موقع وقلة مدثرة من القرون الوسطى، تقع في شمال غرب البلاد، في سلسلة جبال الصبيرة.

يظهر اسم هذه القلة في الأخبار المتعلقة بتاريخ الحملات الصليبية. تحديداً في العام ١١٦١م/ ١١٦١م، استولت على مصياف مجموعة من الإسماعيليين النزاريين الذين كانوا قد استقروا في قصر قدموس بعد أن كانوا قد تركوا مواقعهم في بانياس، إلى الجنوب. وهذا ما سمح لهم بأن يتركزوا بقوة في جوار إمارات الفرنج، في منطقة يسهل الدفاع عنها وهي مهمة إستراتيجياً، وهي التي سُمّيت غالباً، في المرحلة اللاحقة، ببلاد الحشاشين.

وبسرعة امتلكوا فيها سلسلة من المواقع القوية غير البعيدة من مصياف، ومن بينها، إضافة إلى قدموس، الرصافة، قلة الكهف - التي كانت آخر المواقع التي انتزعت منهم على يد بيبرس في العام ١١٧٢م/ ١١٧٣م - قلة الخواي، أو الكويل (Coïble)، بحسب تسمية المؤرخين الغربيين، قلة أبو قبيس، أو بكوكيبايس، قلة مَلَيْقَة أو مليكا، قلة عُلقَة، قلة بني إسرائيل أو بيكرسايل وأخيراً القُلَيْغَة. في العام ١١٦٣م/ ١١٦٣م، أصبحت مصياف مقر إقامة ومركز حكم رشيد الدين

مكشوفة خارج المدن، اعتاد الخليفة أو مملكته إمامة الصلاة فيها لمناسبة العيدين الكبيرين.

نشأت أمكنة للصلاة كهذه في بغداد وفي القاهرة، لكن مواقعها تغيرت على مر القرون. وعُرفت أيضاً في كل مكان، من الأندلس إلى الهند، لا سيما في التجمعات السكانية ذات الأهمية. وكانت هذه البنايات خالية من أي بناء باستثناء محراب حجري مفرد. واقتصرت أهميتها على قدرتها على استيعاب عدد وفير من المؤمنين في مناسبة الأعياد المهمة، خلافاً للمساجد الجامعة. وشكلت هذه الاحتفالات مناسبة لقيام الملك بتطواف خارج المدينة وفقاً لمراسم تعود ممارستها إلى سنة وضعها النبي محمد ﷺ بنفسه.

تشكل المصلى في ما بعد، في بلاد خراسان وآسيا الوسطى - وهو يُعرف بالفارسية باسم «نمازگاه» - بأشكال معمارية مؤلفة من إيوانات وقاعات مقيّبة، شهدت تطوراً متفاوتاً في هراة ومشهد، وبخارى مثلاً. أما النموذج الأكثر انتشاراً في المشرق، كما في المغرب، فكان يقتصر على مربع بسيط مسوّر، ومزوّد أحياناً، كما في أفرا، بأبواب ضخمة. وبعد أن كانت أماكن الصلاة هذه تندمج، خلال القرون الوسطى، في السيج المدني، فقد اختيرت لها، في عصرنا الحاضر، مواقع جديدة.

مصمودة، مجموعة من البربر الحضر، ينتمون إلى الأصل نفسه الذي تنتمي إليه صنهاجة، وهم يُسَمَّون إليها. احتلوا في القرون الوسطى القسم الأكبر من المغرب الأقصى، من المتوسط حتى جبال الأطلس الداخلية، ولكتهم طردوا، اعتباراً من القرن السادس عشر، إلى المناطق الجبلية.

إلى جانب مصمودة التي كانت تحتل بخاصة منطقة سوس، كانت مجموعتهم تضم قبائل عمارة وبرغواط، المؤرعة في شمال المنطقة الغربية الشاسعة وزُسطها.

لقد خضعت هذه القبائل جزئياً لحكم الأندلس الأمويين ثم لإدريسي فاس، ولكنها حصلت على استقلال نسبي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلا أنها، في العام ١٤٤٩م/ ١٥٠٧م، خضعت لحكم المرابطين. يختلط تاريخها في ما بعد بتاريخ

الذين أسسوا في لبنان، سنة ١٧٣٤م، مطبعة لنشر النصوص العربية المسيحية. ثم ظهرت في بيروت، سنة ١٨٣٤م، مطبعة الإرسالية البروتستانتية، ثم تبعها، سنة ١٨٤٨م، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، وفق طريقة أُنشئت كذلك في مناطق أخرى. وفي مصر كانت حملة بونابرت صاحبة الفضل في إنشاء دار للطباعة في الاسكندرية ثم في القاهرة، لكنها ما لبثت أن توقفت سنة ١٨٠١م. وفي سنة ١٨٢٢م، افتتحت الحكومة المصرية مطبعة بولاق، على اسم إحدى ضواحي القاهرة، وقد مدت العالم العربي، خلال عقود عدة، بطبعات حجرية، وأتاحت نشر الجريدة الرسمية المصرية المعروفة باسم «الوقائع المصرية».

وإلى إيران أدخلت تقنية الطابعة سنة ١٦٢٩م على أيدي الآباء الكرمليين وكذلك على أيدي الأرمن في جلفا، بضواحي أصفهان. تَكَرَّر المؤلفات باللغة الفارسية لم تطبع إلا ابتداءً من سنة ١٨١٧م، في حين كانت الطابعة الحجرية تلقى نجاحاً واسعاً، خلال القرن التاسع عشر.

أما الهند الإسلامية فقد شهدت، منذ ١٧٨٠م، مؤلفات مطبوعة بالعربية والفارسية والأردية، وذلك بدفع من الشركة الانكليزية للهند الشرقية التي كانت تحتاج إلى طباعة بعض النصوص لأغراض عملية.

مظفر (آل -)، ٧١٣-٧٩٥/١٣١٤-١٣٩٣م، سلالة نشأت عن تفكك إمبراطورية الإيلخانيين. بسطت سلطتها لفترة على إقليميّ فارس وكرمان، وعلى جنوب غربي إيران بأكمله.

استمدت السلالة إسمها من إسم مؤسسها، أحد حكام يزد في عهد المغول، المعروف بشرف الدين المظفر، وتميّزت، بشكل خاص، بالإنجازات العسكرية والدبلوماسية التي حقّقها خلفه، محدّد بن المظفر، الذي حكم لأكثر من أربعين عاماً وبلغ ذروة سلطته في العام ٧٥٧/١٣٥٦م. ولم تلبث الإمبراطورية الضعيفة أن انهارت تحت وطأة خلافاتها الداخلية وتنافسها بين إمارات متنافسة، ما سهّل مساعي الجلائريين تجاهها وعرضها لخرب نهائي، نتيجة للضربات التي وجهها إليها تيمورلنك في أواخر القرن الثامن للهجرة/الرابع

سنان الذي تولّى قيادة الحركة الإسماعيلية في سوريا وأربع الفرج، كما المسلمين، تحت اسم «شيخ الجبل». هنا حاصره صلاح الدين في العام ٥٧٢هـ/١١٧٦م، لكنه تراجع وانسحب بعد أن عقد معه اتفاقاً لا نعرف شيئاً عن مضمونه.

في العام ٦٦٩هـ/١٢٧٠م، ألحقت مصياف بدولة اسماعيلك السورية - المصرية. وفي القرن السادس عشر الميلادي دخلت في الإمبراطورية العثمانية. لكن، على الرغم من هذه الأحداث، بقي فيها إسماعيليون ما يزالون يعيشون فيها حتّى اليوم، بعد أن فاقوا الحملات التي قامت عليهم، في القرن التاسع عشر، من قبل النصرانية أو العلويين الذين نجحوا في الاستيلاء على مجمل المنطقة التي أصبحت، في مطلع القرن العشرين، دولة العلويين. وقد احتفظت قلعة مصياف بقسم كبير من سورها الخارجي وببقايا أثرية جذيرة بالإهتمام.

المطبعة، تبنّت انتشارت في البلاد الإسلامية في عهد متأخر، في حين كانت التفوق على الخشب مزدهرة في الشرق منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، لطباعة تعاويذ ووثائق دينية واسعة الانتشار. هذا التأخر في استعمال المطبعة في العالم الإسلامي يُعزى، في الوقت نفسه، إلى أسباب اقتصادية واجتماعية - كالمكانة التي يحتلّها النسخ والحفاظون - وإلى كون العثمانيين، في أواخر القرن الثامن الهجري/الخامس عشر الميلادي، منعوا المسلمين من طباعة النصوص بالحرف العربي. واستمرّ هذا الواقع حتّى سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م، حين أنشأت حكومة الباب العالي مطبعة رسمية في اسطنبول عملت، حتّى سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣، ثم عُلّق العمل فيها، إلى أن استعادت نشاطها سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٣م لطباعة المؤلفات التقنية أو العملية. وفي سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م، أضيفت إليها دار للطباعة في مدرسة المهندسين، وسنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م افتتحت دار ثالثة لطباعة نصوص لاستعمالات متنوّعة.

في المرحلة الزمنية نفسها، ظهر تيّار ذو مصدر مختلف، داخل المناطق العربية من السلطنة العثمانية في الشرق الأدنى. فالتقنيات الضرورية أدخلها المسيحيون

من إحدى الأسر الأكثر ثروة في مكة، عاصر النبي (ﷺ) وأسس أولى السلالات الخليفة، سلالة الأمويين في سوريا.

كان معاوية ابن رجل ثري هو أبو سفيان، زعيم قبيلة قريش حينذاك في مكة. اعتنق الإسلام بعد استسلام المدينة، وخدم النبي محمدًا (ﷺ) كاتبًا، وكلفه الخليفة أبو بكر مساعدة شقيقه يزيد بن أبي سفيان في الحملات التي قادها هذا الأخير ضد سوريا خلال الفتوحات الكبرى. برز مرات عدة خلال هذه الحملات، ولا سيما لدى احتلال قيسية، وعُيِّن في العام ١٧هـ/٦٣٨م حاكمًا على دمشق، ومن ثم حاكمًا على سوريا بأكملها، وقد أوكلت إليه مهمة تنظيم هذا الإقليم الذي تركز فيه العديد من المقاتلين القادمين من شبه الجزيرة العربية، قبل أن يستقروا فيه بشكل دائم. وبعد مقتل ثالث الخلفاء الراشدين، عثمان بن عفان، في العام ٣٥هـ/٦٥٥م، توجَّب على معاوية، بصفته أقرب أنسابه، المطالبة بالثأر له، فدخل من جراه ذلك في نزاع مع الخليفة الرابع، علي، ومع أنصاره، وقد تمكن من إضعافهم منوئًا في معركة صفين في العام ٣٧هـ/٦٥٧م. وعلى أثر تحكيم أدُّوح الذي انعكس سلبيًا على علي، تمكن معاوية من حمل مناصره على إعلانه خليفة في القدس، في أوائل العام ٤٠هـ/٦٦٠م، بعد أن بايعه جمع من قياديي العرب.

تقبَّل العالم الإسلامي بمجمله هذا التويُّب للسلطة العليا، بعد مقتل علي في العام ٤٠هـ/٦٦١م على يدي أحد الخوارج، وبعد تحلِّي ابنه الحسن عن مطالبته بالسلطة (٤١هـ/٦٦١م). وبقي معاوية على العرش حتى العام ٦٠هـ/٦٨٠م، بدون مواجهة أبته معارضة جدية، واعتبره الكتاب القدامى نموذجًا للحاكم العربي بصفاته القائمة على الاقتناع بدلًا من الإكراه للحصول على الطاعة، وعلى التصرف، في الظروف كافة، بجُلْم وسيطرة على النفس. وفي الواقع، كان الخليفة الجديد - الذي جعل من دمشق عاصمة له والذي تميَّز عن أسلافه بهذا الخيار وبأسلوب حكمه - ملهمًا بالشؤون التنظيمية قبل أن يكون قائدًا حربيًا ومقاتلاً. صحيح أنه أطلق حملات ضد جزيرتي قبرص وروُدس لإخراج

عشر للميلاد. وكانت بعض بلاطاتها قد لمعت سابقًا في شيراز وأصفهان بفضل مواهب بعض الشعراء، مثل حافظ، وبشكل خاص بفضل رستمين استفادوا من عطاءات سخية وأطلقوا مدرسة في الرسم تميَّزت بأسلوب خاص في منمنماتها.

مارز الدين محمد بن مظفر ٧١٣-٧١٤/١٣٥٨-١٣٥٩م
قطب الدين شاه محمود ٧٥٩-٧٦٥/١٣٥٨-١٣٦٤م
جلال الدين شاه شجاع ٧٦٥-٧٨٦/١٣٦٤-١٣٨٤م
مجاهد الدين زين العابدين علي ٧٨٦-٧٨٩/١٣٨٤-١٣٨٧م
شاه يحيى (في يزد) ٧٨٩-٧٩٥/١٣٨٧-١٣٩٣م
سلطان أحمد (في كرمات) ٧٨٦-٧٩٥/١٣٨٤-١٣٩٣م
شاه منصور (في أصفهان) ٧٨٩-٧٩٥/١٣٨٧-١٣٩٣م
« راجع السند رقم ٢٣.

المعاجم العربية (علم -)، هو علم ازدهر، بفضل العلوم الدينية في الإسلام، يُبرز ازدهاره القصد إلى سير غور المعاني الواردة في آيات القرآن. ابتدأت، سعيًا إلى هذا الهدف، دراسة لغة العرب بصفتهما لغة الوحي، في زمان مبكر، في الوسط الإسلامي. إستنادًا إلى التراث الذي وقَّره لها الأدب القديم، ومعظمه من الشعر، وحفظته ذاكرة الرواة من البدو. إلى جانب ذلك، كانت هناك بالطبع جهود لإحصاء العبارات أو التعبيرات القرآنية الخاصة، وقد انتهت إلينا نماذج منها قديمة، في شكل جداول مدوَّنة على الرق، تشبه الجداول الحديثة للتطبيقات القرآنية. أمَّا العمل الأهم فقام على جمع النصوص غير الدينية وتحليلها سعيًا إلى تبيان غنى اللغة العربية وخصائصها. وقد أدَّى إلى وضع معاجم ظلت صعبة الاستعمال لأنها لا تعتمد تراتب المفردات بحسب اشتقاقها ووفق ترتيب أبجدي. أجلُّ هذه المعاجم يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، وبه ذاعت شهرة التحوي الخليل. تبعته محاولات أخرى حثَّت بعض الشيء في تنظيم المداخل، إلى أن تمَّ إنجاز «لسان العرب» لابن منظور في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد.

معاوية بن أبي سفيان، ٦٠٥م - ٦٨٠م (٤٠هـ)، شخصية مهمة من مطلع عصور الإسلام الأولى، متحدث

إنهاء برعم متين في المغرب الإسلامي أطلق عليه اسم أموي قرطبة.

المعتزلة، تيار فكري عقلاني تعود جذوره، وفقاً للتقاليد، إلى نهاية العهد الأموي في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي. ورغم بقائه على هامش الإسلام، فإنه استرعى، بشكل خاص، انتباه العلماء الغربيين المعاصرين الذين انكبوا على دراسته وتفسيره.

ما تزال أصول هذا التيار الفكري الكلامي ذي النوجه السياسي - الذي تبلورت خصائصه العقائدية المختلفة خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد - مجهولة بسبب فقدان النصوص الأساسية. ويبدو أن مؤسسي هذا التيار المفترضين، ولا سيما واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد (توفي في العام ١٤٤هـ/٧٦٦م)، قد تتبوا آراء وأفكاراً كانت قد بدأت بالظهور سابقاً. من القدورية مثلاً، يبدو أنهم استمدوا مفهوم إرادة الإنسان الحرة - ما يؤدي إلى الحد من القدرة الإلهية - مع التشديد على مسؤولية كل مؤمن. وكانوا، من جهة أخرى، ينادون برفض الصفات الإلهية ويقولون بالإيمان بإله قريب من الكائن الواحد الذي تكلم عنه الفلاسفة اليونانيون، غير محلو في زمان ومكان، والذي تقتصر صفاته على المظاهر. وكانوا أخيراً يقولون بالمعتزلة بين المنزلتين بالنسبة إلى المذهب الذي لا يجوز إخراجهم من الجماعة كما أراد الخوارج، كما لا يجوز له التمتع بالحقوق المخصصة للمسلمين بكاملها. إضافة إلى هذه الآراء الكلامية، اتخذ المعتزلة موقفاً معتدلاً من النزاع الذي نشأ سابقاً بين علي وأعدائه؛ ورفض واصل وعمرو الإنحياز في هذا الموضوع، مؤكدين أن أحد الطرفين المتنازعين كان حتماً على خطأ، لكن بدون التمكن من تحديد أيهما.

تستنتج من مختلف هذه الأفكار المنسوبة إلى مؤسسي المعتزلة أنهم كانوا ينادون، في ما يتعلق بوضع المؤمنين، بعقيدة متوسطة بين الآراء المتباعدة السائدة آنذاك. ونجحوا نالاً في إعطاهم حركتهم مكاناً مميزاً بين الفرق الإسلامية الأولى التي اختلفت على تحديد الجماعة وعلى تكوينها. لكنهم أتيدوا طروحات في علم الكلام متعلقة بإرادة الإنسان الحرة والتوحيد، كانت قد

البيزنطيتين منهما، وأطلق حملات أخرى باتجاه المغرب، لكنه لم يقد بنفسه أبداً من هذه الحملات، كما كلف ابنه يزيد بهمة مهاجمة القسطنطينية. أما بالنسبة إلى المقاطعات الشرقية في العراق وإيران، فقد سلم إدارتها إلى شخص غامض الأصل عُرف باسم زياد بن أبيه، فتأني في خدمة معاوية فجعله هذا الأخير أخاً له بالتبني، فأطلق عليه اسم زياد بن أبي سفيان.

وفي سوريا، قام نجاح هذه السياسة بشكل خاص على قدرة معاوية على تأمين تعاون الإداريين المحليين، ولا سيما المسيحي ابن سرجون، وعلى اعتماده على قبيلة كلب العربية التي كانت زوجته تنتمي إليها. وهكذا أخضعت الأمبراطورية الإسلامية الناشئة بمجملها لهيمنة سوريا حيث كان الخليفة يعتمد على جيش من أشرف العرب الذين أقاموا، منذ ذلك الوقت، في البلاد وكانوا على استعداد دائم، وفقاً لنظام الأجناد، للانطلاق إلى الحرب فور صدور الأوامر. وفي الوقت نفسه، كان أول الخلفاء الأمويين يعمل على التخلص من المعارضة الشعبية بتوزيع مساعدات كبيرة على أفراد أسرة العلويين وعلى مناصريهم. كما لم يتردّد في إعدام أحد أنصار هذه الأسرة، حجر بن عدي، الذي كان قد رفض الانضمام إليه والذي حوكم أمام مجلس من الزعماء العرب.

أما أهم أعمال معاوية فكانت بلا شك تعيين ابنه يزيد ولياً للعهد. وقد استلزمه هذا الأمر مفاوضات طويلة مع الأسر العربية الكبرى الموزعة على مختلف المقاطعات، وصولاً إلى تسوية مسبقة لمسألة خلافة وإلى استبدال بعبداً الشورى المتمدّد حتى ذلك التاريخ لانفغال السلطة الخليفية، مبدأ استمرارية السلالة المبتكر حديثاً. ولجأ في العام ٦٧٨هـ/٦٧٨م، إلى دعوة وفود من مختلف المناطق إلى دمشق لأداء قسم ولاء مسبق لمصلحة يزيد بصفته الخليفة المقل. حصل ذلك بالرغم من بعض المعارضات، ونمت من ثمّ مبايعة يزيد بسهولة بعد وفاة أبيه. هكذا أنشأ معاوية عُرقاً ما يزال قائماً في بلاد الإسلام إلى أيامنا هذه، وأسس لورثته سلالة حكمت قرابة القرون في المشرق من خلال فرعين متتاليين، فرع الوردية المباشرين أو السفليين، وفرع أبناء عمهم المروانيين الذين قُدّر لهم، بعد العام ١٣٢هـ/٧٥٠م،

إسلام لم يكن يشكّل بعد أغلبية السكّان في منطقة مثل العراق.

ارتكزت عقيدة المعتزلة آنذاك على خمسة مبادئ واضحة واقتصرت في الواقع على اثنين: الإيمان بوحداية الله أو «التوحيد»، والإيمان بالعدالة الإلهية أو «العدل». تضمّن المبدأ الأول مفهومها لله قائماً على الوحي، لكن تمّ عرضه بشكل فلسفي نوعاً ما: إنّ الله الذي لا مثل له وفقاً للقرآن الكريم، متميّز كلياً عن العالم المخلوق، لا يمتّ إليه بصلة، وهو خارج الزمان والمكان. أدّى هذا المفهوم إلى «نفي» الصفات المعبودة وإلى الإيمان بخلق الكتاب المقدّس، إذ اعتبروا أنّه مؤلّف من كلمات ومقاطع لفظيّة وحروف، لا يمكن تاليّاً أن يكون غير مخلوق، بحيث لا يجوز مماثلته بأحد مظاهر الجوهر الإلهي على غرار الصفات الإلهية - كالقدرة والعلم المتناهية، بحسب المعتزلة، مع الله نفسه، إذ إنّ هؤلاء كانوا يؤكّدون أنّ الكلام على علم الله يوازي الكلام على واقع الله نفسه لا عن وجود قائم بذاته.

أصبح في ما بعد هذا النفي للصفات الإلهية إحدى ركائز العقيدة المعتزلة، لكثرة نسَب ببعض المشكلات للمفكرين اللاحقين عندما نساءلوا مثلاً عن إمكانية وضع الصفات كافّة على المستوى نفسه أو عن كيفية إدراك الإرادة الإلهية، وأعطيت عندئذ تفسير عدّة لهذا الأمر. لكنّ المعتزلة لم يكتفوا بنفي الصفات الإلهية المتميّزة والأبدية، بل رفضوا، باسم التعالي الإلهي، كل تمثيل مجسّم للألوهية. فكان يتوجّب، بحسب رأيهم، فهم العبارات القرآنية التي أوردت ذكر «يد» أو «وجه» الله، بمعناها المجازي، وقد ذهبوا إلى عرض تفسير مبهم لبعض الآيات القرآنية. وكان سعيهم إلى التماسك العقائدي يرفعهم على اعتماد موقف يؤخذ عليه عدم تقيّده بالمعنى المباشر للمصنّ المنزل.

أمّا المبدأ الثاني المتعلّق بالعدالة الإلهية فأدى إلى تأكيد إرادة الإنسان الحرة ومسؤوليّة التأمّة وخضوعه تاليّاً للمذاب أو للمكافأة. إنّ الله الواحد والمتعالي هو، بالنسبة إلى المعتزلة، بمنتهى العدالة. وبما أنّ الشّر بعيد عن صفاته، فإنّ الإنسان وحده، وفقاً لهم، يقرّر أفعاله

ظهرت في ظروف ما تزال غامضة، متأثرة بأفكار فلاسفة اليونان الذين ينتمون إلى العصور المتأخّرة، وبالأجواء السياسيّة التي كانت سائدة في أوساط معارضي النظام الأموي. ويمكن وصف تيارهم بالبدني، إذ إنّهم كان يشدّد على الخشية التي يجب أن يشعر بها المؤمن، المسؤول الوحيد عن أفعاله، كما كان يعتبر أنّ السلطة الإلهية هي مقيدة بقواعد العدالة، ما يحذّ تاليّاً من مفاعيل رحمتها وحلمها. لكنّ تيارهم كان أيضاً سياسيّاً، لأنّه أصرّ على التقيّد بالحياديّة في النزاعات بين المسلمين - وتفاوّد، حيال هذه المسألة، كل إدانة قاطعة - بينما كان ينادي بتشدّد أخلاقي قريب من تشدّد الخوارج، وكان قد تبنّى بعض مواقف هؤلاء. فضلاً عن ذلك، ذكرت الرواية المتداولة التي أوردت أسباب نسبية مؤسّس هذا التيار بـ«المعتزل»، حادثة إيتعاد واصل عن اجتماع مناظرة عُقدت في البصرة وجمع الخوارج والمرجئة، وبالرغم من الشكوك التي ما تزال سائدة حول صحة هذه المناظرة، فإنّها تعتبر، بشكل مجازي، عن الموقف الفكري الخاص بأهل الاعتزال الأوائل. لكن يبدو أنّ الجانب الفلسفي الذي أولاه المؤرّخون المعاصرون أهمية كبيرة لم يظهر في الفكر المعتزلي إلّا في وقت لاحق.

تاريخيّاً، بلغ المعتزلة ذروتهم في أوائل القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، خلال خلافة المأمون الذي أعجب بعقيدتهم، بعد أن كانوا قد تطلّؤوا على هامش الأوساط الرسميّة في أواخر الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد. في هذه الفترة، دافع مفكّرون قنّدت أعمالهم، مثل أبي الهذيل والطّام وبشر، عن أفكار المعتزلة بحجج جديدة نقلها كتاب لاحقون. فأضافوا، بالنسبة لا الكون، تفسير متفاوت جداً من شخص إلى آخر، إذ إنّ فئة منهم كانت ترى في هذا الكون مجموعة من الذرّات، وتميّز بين الجوهر والغرض، بينما كانت فئة ثانية تعتقد بتداخل العناصر داخل الأجسام. من جهة أخرى، نزح هؤلاء المفكّرون إلى شتّى هجمات ضد غير المسلمين، من يهود ومسيحيّين وماتويّين، أثارت ردة فعل كتّاب مسيحيّين، عُرف منهم أيوب الرّهاوي وعمّار البصري. لم يتصرّف المعتزلة آنذاك كمفكرين منفصلين عن الواقع اليومي، بل كعلماء كلام يناضلون في سبيل

وعهد الواثق، على التوالي شقيق وابن أخي المأمون. لكن سياسة القمع الممتدة لم تكن تحظى بإجماع الأهلالي الذين تميزوا بوفائهم للتعاليم التقليدية وبتمسكهم بالشريعة العباسية التي حاول المعتزلة زعزعتها عندما أسروا على أن يتخلى الخليفة بصفات إستثنائية. نتيجة لهذا الشك في المعتقد، قرّر الخليفة التالي، المتوكل، القيام بتغيير مفاجئ، فسارع بعد وصوله إلى الحكم، في العام ٢٣٢هـ/٨٤٧م، إلى إعادة ترسيخ العقيدة التقليدية. ولم تعد المعتزلة منذ ذلك الوقت تُدرّس جهرا، لكنها حافظت على بعض المؤيدين الذين عمل بعضهم على تحديد نظرياتها.

في القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد، خلال فترة وصاية الأمراء البويهيين الشيعة على الخلفاء العباسيين، شهدت حركة المعتزلة فترة نشاط جديدة. وخلال هذه الفترة، كتب القاضي عبد الجبار أبحاثه، في ظل حماية السلطات آنذاك، فوضع مصنفًا كلاميًا في أجزاء عدة بدل فيه مجهودًا فكريًا متقلمًا بدأت أهميته بالظهور حاليًا، لكن لم يُكتب لمحاولته النجاح. وبعد القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ووصول السلاجقة المؤيدين للمذهب السني إلى الحكم، توارى المعتزلة عن الأنظار بالرغم من العطف المتحفظ الذي أبداه تجاههم بعض العلماء المشهورين أحيانًا مثل الرزمخشري الذي أخذ ببعض أفكارهم في تفسيره للقرآن.

لكن الأغرب من ذلك ربما التعاطف القوي الذي ظهر تجاه الفكر المعتزلي في كتابات بعض الباحثين الأوروبيين الذين رأوا في مناصري هذا المذهب مدافعين جريئين عن الفكر النقدي وعن حرية الرأي. في الواقع لم يكن تصرّف المعتزلة المدافعين عن أفكار قروسيّة لاقت رواجًا أكيدًا - ولكن من دون أن تستطيع أن تفرض نفسها - إلا تمثيلًا مع واقع عصرهم وسعيًا إلى انتصار عقيدتهم. لكن الحقيقة أنهم كانوا تاريخيًا، بسبب اقتناعهم بنفوذ أفكارهم، رواد «الكلام» عن عناصر الإيمان الإسلامي وممارسة ما يُسمّى علم الكلام النظري، وأنّ حركتهم أثّرت، من دون أي شك، في تطوّر المدارس الكلامية كافة، السنية منها والشيعة.

الجيدة أو السيئة. كما أنّ أثر الموجود في العالم ليس صنيعة الله، بل هو مجرد ظاهرة. وأدى بهم هذه المفهوم إلى اعتماد رؤيا فلسفية للعالم. أما الإنسان فيعاقب أو يكافأ وفقًا لتصرفه الخاص، إذ إنّ الله يتخذ تهديداته ويغي بوعوده ولا يتصرّف لا بحقد ولا برأفة، وتاليًا لا يتأثر بأي من المواقف القريبة من المواقف البشرية. أدى هذا الإقرار بتنفيذ التهديد أو الوعد، والذي شكّل إحدى النقاط المشتركة بين الخوارج والمعتزلة، إلى استبعاد كلّ أنواع الوساطة في يوم الدين لمصلحة المؤمنين المذنبين الذين سيحكم عليهم حتمًا بالعذاب إذا لم يتوبوا. لكن في الممارسة، كان المعتزلة أقلّ تشددًا، وكانوا يرفضون إقصاء هؤلاء المؤمنين المذنبين عن الجماعة، بعد أن خصّوهم بوضع متوسط ربما يجتهد المصير المخصص للكفار.

كما يؤدي مبدأ العدل إلى وجوب «إحقاق الخير» أي فرض العقيدة الحقيقية بالقوة، إذا ما اقتضى الأمر، فيتوجب على زعيم الجماعة، وفقًا للمعتزلة، التقيّد بهذا الالتزام، ما يبرز إمكان اللجوء إلى السلطة القمعية التي كان الخليفة يتمتع بها. وتميّزت هذه الفترة - التي عُرفت بفترة «المحنة» والتي تزامنت مع اعتماد السلطة العباسية مواقف المعتزلة - بالذكوى الأليمة المتسمة بالتشدد التي تركتها في روايات المؤرخين العرب. وبالفعل لم يكتف المأمون في أواخر عهده بفرض الإيمان بقرآن مخلوق، بل عمد إلى التأكيد من تقيد الجميع بهذا القرار. ولهذه الغاية وجّه الخليفة الموجود آنذاك بعيدًا من العاصمة، إلى قائد الشرطة سلسلة من الرسائل برّر فيها العقيدة الرسمية الجديدة، لا بواسطة الحجج المنطقية، بل استنادًا إلى آيات قرآنية عدة. وتبين بوضوح، من خلال هذا القرار، أنّ المعتزلة، عندما كانوا يتوجهون إلى الفقهاء، ولا سيما القضاة والمُؤدول، كانوا يستعملون لغة تختلف عن منطقهم الذي يبرز من خلال الكتابات التي وصلت إلينا والتي اعتمد عليها بعض المفسرين المعاصرين بشكل أحادي المعنى. توّقي المأمون يُعيد اعتماد هذه التدابير التي حاول القضاء والمحدثون التصدي لها من دون جدوى. لكنّ المحنة استمرّت خلال العهدين التاليين، عهد المعتصم

٢٥٦ إلى ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ إلى ٨٩٢م.

بعد الحقبة الصعبة التي تميزت بمقتل والده في سامراء، وبسبب التشدد السنّي الذي فرضه على سياسة الخلافة الدينية، شهد المعتمد عهداً مضطرباً. واضطر إلى مواجهة ثورة الرُّنَج التي لم تُقمع إلا في العام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م، على يدي شقيقه الوصي الموفق، وإلى مواجهة إنتفاضة الصفّاريين في الأقاليم الشرقية المجزأة نتيجة لأطماع السلاطات الحاكمة المختلفة، ومحاولة استقلال ابن طولون، حاكم مصر. كما اضطرّ، في نهاية عهده، إلى تعيين ابن أخيه خلفاً له، وقد اعتلى هذا الأخير العرش في ما بعد باسم المعتمد. وغادر سامراء متوجّهاً إلى بغداد حيث توفي بعد أن نقل، في تلك السنة، مقرّه الملكي إليها.

المُعْجَزَات، وقائع اعتبرها الإسلام بشكل عام «خروفاً للمعادات» في السياق الطبيعي للأمر، سلّم بها علماء الكلام على أنّها شهادة على صحة النبوة.

فبحسب ما جاء في القرآن الكريم، قام الأنبياء الذين سفروا النبي محمداً ﷺ بأعمال مختلفة من هذا النوع. أمّا في ما يخص النبي محمداً ﷺ، فإنّ المعجزة الرئيسية التي يركّز عليها الكثير من علماء الدين هي إعجاز القرآن الكريم. غير أنّ التقوى الشعبية نسبت إليه، في وقت مبكر، معجزات أخرى عدّة مرثها سواء إلى عبارات قرآنية من مثل «انشق القمر» الواردة في سورة القمر، الآية ١، أو إلى ما ورد في كتب السّير مثل سيرة ابن هشام التي تورد واقعة الصعود أو المعراج. وتعرّض هذا التوجّه التقويّ على مرّ القرون، ولا سيّما بتأثير الحركة الصوفيّة وأهل طرائقها.

ينبغي تمييز المعجزات عن الأعاجيب - المعروفة في العربيّة بالكرامات - التي تشكّل مظاهر يؤتاها أهل التقوى منذ قيام حركة تكريم الأولياء في القرن السادس للهجرة/اثنائي عشر للميلاد. كانت هذه المظاهر تارة تحاط بالكتمان، وطوراً تتناقلها الروايات الشعبية. على أنّ الكرامات بشكل عام، مثل المعجزات، هي «خروف للمعادات» يجيز الله حصولها. لكنّ المعجزات تشكّل إشارات إلى رسالة أصحابها، فيما تقتصر أهداف الكرامات على تعزيز مسار الأولياء وغيرهم من شيوخ

المعتمد بالله، أبو إسحق محمّد بن هارون الرشيد، ؟ - ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م، الخليفة العبّاسي الثامن، شقيق المأمون وخلفه، حكم من ٢١٨ إلى ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ إلى ٨٤٢م، مستهلاً ما عُرف بحقبة خلفاء سامراء.

كان المعتمد حاكم الأقاليم الغربيّة في عهد الخليفة السابق، وبدأ بتطويع عبيد أنراك من آسيا الوسطى في صفوف قوّاته الخاصة. وعندما ثبّر الخلافة قرّر تعميم هذا النظام على الجيش بأكمله، وعمل تدريجياً على إبعاد العناصر الخراسانية الأصل التي كانت، حتى ذلك التاريخ، تشكل دعامة السلالة بعد أن أمّنت نجاح «الثورة العبّاسيّة».

نسب اللجوء إلى آلاف الخيّالة من الأتراك العبيد لتسيير التنظيم العسكري بصعوبات جديدة، ولا سيّما بالنسبة إلى علاقة هؤلاء بسكان بغداد الذين سارعوا إلى إظهار معارضتهم للأوساط الحاكمة، بعد أن عانوا تصرفات القادسين الجدد. دفع هذا الوضع بالخليفة إلى إنشاء مقرّ خليفي منزّل شمالي العاصمة، وجّهه بشكّات واسعة أدى تطوّرها في ما بعد إلى قيام مدينة سامراء. وواصل المعتمد، من جهة أخرى، ممارسة السياسة الدينية المؤيدة للمعتزلة التي بدأها شقيقه المأمون. ولجأ إلى التحفيظ الجنائيّ أو «المحة» في محاكمة المتهمين، فأمر باستجواب ابن حنبل، معتلّ السلفية، قبل أن يُطلق سراحه ويُمنع من التدريس.

المعتمد بالله، ؟ - ٢٨٩هـ/ ٩٠٢ - ٩٠٢م، الخليفة العبّاسي السادس عشر وابن أخيه المعتمد، حكم من ٢٧٩ إلى ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ إلى ٩٠٢م.

إنّه ابن الأمير الموفق، الوصيّ على العرش، الذي أعاد الاستقرار إلى البلاد خلال خلافة شقيقه، تميّز حكمه أيضاً بالعزم والنشاط. نجح في عقد السلام مع خُمازويه الطولوني، وتمكّن، بمساعدة وزيره عبيدالله بن سليمان وقائد قوّاته العسكرية بدر، من إعادة فرض سلطته على الامبراطوريّة الخليفية المعرّضة آنذاك لعوامل تفكّك عديدة.

المعتمد على الله، ؟ - ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ - ٨٩٢م، الخليفة العبّاسي الخامس عشر وابن المتوكل، حكم من سنة

حد بعيد على ثروة مناجمها، تملك مشاغل تصنيع مجهزة بأدوات بدائية، لكن اليد العاملة كانت عالية الخبرة ومتخصصة في تقنيات عديدة، من صناعة النحاس إلى إنتاج وتصنيع مختلف أنواع الحديد والفولاذ، واهتمها المستعمل في صناعة نصال السيوف الخفيفة والمتينة. وقد انتشرت مصانع أخرى في معظم المدن والحوضر الاقليمية لتزويد الأسواق ولتلبية حاجات السكان المباشرة في ما يتعلق بالأدوات المنزلية والآلات، إضافة إلى تأمين متطلبات القصور الملكية الأساسية، ومنها الأسلحة، والحلي والأوعية والكؤوس والمزهريات ومجارس العطور والشاعد والصناديق والمعاير. وكانت دقة تقسيم العمل، التي تميزت بها العادات المتبعة في الأحياء الصناعية والتجارية، تتناسب مع تنوع التفتيات المستعملة للقبولة والخرطة وصنع الصفائح والأسلاك المعدنية وإنتاج المجوهرات وزخرفتها بالحبيبات والتخريم، وكذلك بالمينا واللؤلؤ والأحجار الكريمة، ونقش المعادن وضررها وحفرها، وأخيرًا تليسيها بالفضة أو بالذهب أو بالمينا أو بالون الحُفري.

وكانت هذه السلع النادرة والتميزة تُقَدَّر وتُصنع من الخزف بكلفة أقل، لكن المعدنية منها كانت تَمَرَّ عبر الشبكات التجارية إلى داخل العالم الإسلامي وخارجه، وكانت تلاقي رواجًا في الغرب المسيحي حيث تَمَّ الاحتفاظ ببعض أجمل النماذج منها، مثل الحوض الكبير الذي أُطلق عليه اسم «جرن عماد القديس لويس». وغالبًا ما كانت تمثل نموذجًا دقيقًا وطريقًا للزخرفة المبتكرة التي وُصفت بـ«الإسلامية» تأكيدًا لأصالتها، وهي تَمَرُّ أعمالًا تعود بأصلها إلى مقاطعات مختلفة، من هراة ورمرو ونيسابور في خراسان العباسية والسلجوقية، إلى أذربيجان وبلاد ما بين النهرين العليا الزنكية، حول الموصل، من دون إغفال إنجازات دمشق الأيوبية والقاهرة المملوكية. وجمعت هذه الأعمال بين التشابك الهندسي، النجمي الشكل، الذي تتخلله إشارات مزخرفة ورسوم نافرة، وبين العزيمسة النباتية المنمطة التي كانت أيضًا مستخدمة في الزخرفة الهندسية في ذلك العصر، إضافة إلى ميل إلى إعطاء الأولوية

المتصوفة، مشكّلة مادة الروايات الرمزية والأفاقيص العجبية التي اكتسب بفضلها الأكثر وقارًا منهم شهرتهم كصانعي معجزات، من شأنها أن تُيسر لهم السبيل لبلوغ الحقائق الروحية السامية.

إلا أن مواقف جماعة المدارس الكلامية اختلفت في مسألة المعجزات والكرامات على مرّ العصور. وفي حين مال المعتزلة إلى نفي هذه الظواهر، أدى تأثير الفلسفة، على عكس ذلك، إلى الإقرار بها من قبل الجميع على أنها نتيجة لبلوغ بعض الأنفس البشرية مرتبة الكمال. ويعود مفهوم «فراق العادات» إلى الأشاعرة، وقد تبعهم في ذلك الحنابلة، في حين قال منظرو الصوفية بعدم سعي الولي إلى امتلاك موهبة القيام بالكرامات، غير أن هذه الموهبة تدفعه قدمًا للسعي إلى المزيد من الخضوع للإرادة الإلهية.

المعدن (صناعة)، إنجازات تميزت، بين كافة الفنون الحرفية الإسلامية في القرون الوسطى، بوفرته وتنوعها ووجودتها الفنية والزخرفية.

نظّر هذا الإنتاج المتعدد الأشكال في العالم الإسلامي في القرون الوسطى بفضل نوعية المعادن الخام المعروضة محليًا أو المنقولة من مناطق أخرى أو المستوردة أحيانًا من الخارج، والتي استطاعت تزويد مختلف مشاغل التعدين بالمعدن الخام بكميات كافية لسد حاجات المجتمع في ذلك الوقت: من أسلحة ومعدات عسكرية أخرى، إلى أدوات للإستعمال اليومي وإلى قطع كمالته، إضافة إلى المسكوكات والمجوهرات. إن أهم المناطق التي كانت، على مرّ العصور، تنتج هذه الموارد المعدنية، من حديد ونحاس وفضة، هي، من جهة، المقاطعات الإيرانية - ومنها خراسان - وآسيا الوسطى من خوارزم إلى فرغانة؛ ومن جهة ثانية الأناضول وتخوم القوقاز، وفي ما بعد البلقان الذي ضمّ إلى الروملي العثمانية؛ وأخيرًا الأندلس وبعض مقاطعات المغرب الغربي. وفضلاً عن ذلك، كانت التجارة في الصحراء تؤمّن نقل الذهب من غانا أو من تكرور في أفريقيا الساحلية، بينما كانت المعادن الثمينة تُستورد من الهند بكميات كبيرة. وكانت هذه المقاطعات، التي ارتكز ازدهارها إلى

لدى المصنوفة، الذين يزورون فيه دليلاً على إمكان الاتصال بالله، بينما تعتبره الأوساط الشعبية معجزة تؤكد صحة رسالة النبي محمد ﷺ. لكن بعض العلماء المتشددين تحفظوا بشأنه، بينما سلم به آخرون. وراى بعض المحدثين في «المعراج» وسيلة تصعد بها النفوس إلى السماء وتبلغ، من خلالها، أعمال البشر إلى الملائكة الذين يعملون إلى تسجيلها.

« رابع المستندات رقم ٣٨، ٣٧، ٩٠.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، ٣٦٣ - ٤٤٩هـ / ٩٧٣ - ١٠٥٨م، مفكر ضريع، وشاعر وأديب شهر في سوريا على عهد الحمدانيين والفاطميين بصفته شخصية تجمع بين الحياة المبهمة التي عاشها والاحترام الشديد الذي لقيه، وهو قدم في دواوينه طروحات فلسفية ودينية متمسكة بمؤثرات شيعة متطرفة.

وُلد في بلدة معرة النعمان السورية في أسرة عربية الأصل، فقد بصره منذ الطفولة، إلا أنه أظهر مواهب فكرية مبكرة، وتلقى في مجتمعه القروي عناية تربوية أتاح له الانصراف، منذ حدثه، إلى الشعر. تابع دراسته اللغوية على فقهاء اللغة في المعرة وحلب حيث كانت ما تزال ماثلة في الأذهان ذكرى المتنبي؛ ثم انتقل إلى طرابلس (الشام) وربما إلى أنطاكية حيث تعرف، بحسب بعض الأخبار المأثورة، إلى الفيلسوف الهلنستية عبر اتصاله بأحد الرهبان المسيحيين. وفي حوالى سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م، قصد بغداد حيث تزكد إلى المكتبة الشيعية المعروفة بدار العلم، لكنه لم يستطع الإقامة فيها لأكثر من ثمانية عشر شهراً، ربما لقلة موارده المادية أو بسبب كراهية المجتمع السني له، فعاد سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م إلى المعرة التي لم يبرحها قط في ما بعد، ولذا لُقّب بـ«رهبين المحبين»، العمى والمزمل. وكان على صلة بشخصيات سياسية وأدبية، وكذلك بعلماء ذوي نزعة إسماعيلية. ومن خلال نظريته الشاؤمية، رأى أنّ الحياة مصيبة، ولم يتزوج قط، ونوفي حين كان السلاطين الأتراك السلاجقة يسيطرون على بغداد قبل أن يسطوا سيطرتهم على مجمل الشرقيين الأدنى الأوسط. من مؤلفات المعري الكثيرة، نتوقف عند المجموعة الشعرية التي كتبها في المرحلة الأولى

للكتابات الأنيقة المنقوشة، القائمة أحياناً على أشكال فريدة من نوعها، تجسدت بكتابات ذات شكل حيواني أو بشري. كما تميزت أيضاً باللوحات المشكّلة المقولية التي استخدمت خلال الحقبات السلجوقية والأيوبيّة والمملوكيّة سلسلة من المواضيع السائدة المتعلقة بحياة البلاط وبالحياة اليومية، قبل أن يُقدم العثمانيون والصفويون والمغول على إغفال هذه المجموعة من اللوحات النابضة بالحياة لمصلحة أعمال تقليدية اعتمدت رسوماً نخطيطة وأشكالاً نباتية.

المعراج، صعود النبي ﷺ على مرقاة سماوية، خلال إسرائه ليلاً انطلاقاً من الصخرة في بيت المقدس التي ما تزال قائمة وسط قبة الصخرة.

وردت وقائع رحلة الصعود في روايات عدة، يُنسب بعضها إلى ابن عباس، ابن عم نبي الإسلام ﷺ، في حين أورد بعضها الآخر ابن هشام في ترجمته للنبي محمد ﷺ المعروفة بـ«السيرة النبوية»، كما وردت في «تفسير الطبري للقرآن»، في ما خصّ الآية ١ من سورة الإسراء التي ورد فيها ذكر «المسجد الأقصى». وتناقلتها أيضاً بعض الروايات عبر كتابات صوفية مثل «رسالة القشيري»، ومقولات شيعية شفيوية جرى تدوينها في وقت لاحق. ويبدو أنّ الرواية الأكثر تفصيلاً وردت في نصّ عربي فقدت نسخته الأصلية، لكنّ مضمونه جاء في ترجمة لاتينية له وضعت في إسبانيا، خلال القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد. وتصف معظم هذه الروايات بإسهاب متفاوت المواقع التالية: إيفاط الملاك جبريل النبي محمداً ﷺ من النوم ليرافقه في هذه الرحلة؛ السفر ثيلاً إلى القدس على ظهر حيوان خيالي أطلق عليه اسم البراق؛ لقاءه الأنبياء وإمامة صلاتهم؛ صعوده إلى السماوات، زيارة السماوات السبع؛ مثوله في حضرة الله وحواره، بمشاركة موسى، حول عدد الصلوات اليومية؛ وأخيراً عودته إلى مكة حيث قبلت روايته بكثير من الشك في محيطه، إلا من بعض المعقّرين منه، ولا سيما أبي بكر.

إنّ هذا التقليد الذي يساهم، منذ القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، في تكريم قبة الصخرة وتثبيت مفهوم قداسة بيت المقدس، يحتل مكانة مهمة

السياسي، مشاركاً في حملات غير مضمونة ضد الحمدانيين في بلاد ما بين النهرين العليا، ومجاهداً ضد قرامطة البحرين حتى وفاته في العام ٣٥٦هـ/٩٦٧م. وإلى عضد الدولة ابن أخيه الحسن (ركن الدولة) يعود الفضل في ترسيخ قدرة الأسرة البويهية التي بلغت أوجها في زمانه.

المُعزّ لدين الله، أبو تميم مُعزّ بن اسماعيل المنصور، ٣١٩-٣٦٥هـ/٩٣١-٩٧٥م، خليفة من سلالة الفاطميين، وأولهم في بسط سلطته على بلاد المشرق. وند المعزّ في المهدية على شاطئ إفريقية (في تونس حالياً) وارتقى العرش في العام ٣٤١هـ/٩٥٣م. أعاد بسط سيطرته على الجزء الأكبر من المغرب الأوسط وقاد حملات جهادية ضد بيزنطية في جزيرتي كريت وصقلية فوجت بالنجاح. أقدم على اجتياح مصر بواسطة قائده جوهر وجيشه القادم برّاً في العام ٣٥٨هـ/٩٦٩م. وتوجّه بنفسه إلى وادي النيل بحراً في العام ٣٦٢هـ/٩٧٢م، واستقرّ في مدينة القاهرة الحديثة العهد حيث توفي بعد سنتين، بعد أن تمكّن من فرض سلطته على المنطقة بأكملها ونشر سيادته على الأراضي المقدّسة في مكة والمدينة.

نجح خلال وقت قصير في إعادة تنظيم الإمبراطورية الشاسعة التي اكتسبها، إدارياً وعسكرياً، مواصلاً في الوقت نفسه جهوداً حربية جديدة برّاً وبحراً ضد بيزنطية في سوريا. وتوصّل إلى هذه النتائج السياسية البالغة الأهمية بالرغم من الصعوبات المتمثلة بمعارضة جماعة أخرى تنتمي إلى الحركة الإسماعيلية، هم القرامطة الذين ناضلوا ضد جوهر، بعد أن تحالفوا مع الإخشيديين والحمدانيين والبويهيين.

المغرب، إسم مشتق من اسم مدينة مراكش، وقد اعتاد الأوروبيون، منذ نهاية القرون الوسطى، أن يطلقوه على القسم الغربي للمغرب، أي المغرب الأقصى الذي يشكّل اليوم المملكة المغربية.

١ - هذه الأرض الواسعة التي يسكنها البربر والتي اعتدت إلى الإسلام بصعوبة في نهاية مرحلة الفتوحات الكبرى، والتي كانت قاعدة للحملات التي أقتت الإنطلاقة الأولى في الأندلس، كانت قد لعبت دوراً

من حياته، والتي عنوانها «سقط الرّند»، وهي تتضمّن مراني ومدانج، رمزية أحياناً، موجهة إلى أعضاء البلاط الحمداني، أو إلى أعيان كانوا في خدمة الفاطميين، وهي تتسم بالصنعة وبالبحث عن الصور البيانية والمجموعة الشعرية التي كتبها بعد إقامته في بغداد، وعنوانها «لزوم ما لا يلزم»، يدلّ عنوانها على ما تضمّنته من غنى مفرد في القوافي؛ في حين أنّ محتواها المعزّ بتعظيم الله، يدلّ على نشاطه يلامس الإلحاد، وقد تبيّن فيها بعض الدارسين أفكاراً إسماعيلية؛ أمّا مجموعة «الفصول والغايات» الموضوعية بالشر المستجع، فقد رأى فيها النقاد القدامى محاولة لتقليد القرآن الكريم انّذي شكّك أبو العلاء في (عجازه) وأخيراً القصة التي كتبها سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٣م وعنوانها «رسالة الغفران» حيث تختلّ المؤلف شخاطبه وقد دخل الفردوس للبحث عن الشعراء والعلماء الذين حصلوا على الغفران، وقد تناولهم غالباً بأحكام نقدية قاسية.

يبدو المعزّي، عبر كل هذه المؤلفات، مفكراً دينياً مضطرباً إزاء مشهد العذابات البشرية، مملوءة بالعاراة، جاهزاً للثورة ولرفض المبادئ الموروثة، كما يبدو وكأنّه من أتباع المذهب التأليهي (déiste) وليس مسلماً بالمفهوم الدقيق. تعكس شخصيته المميّزة صورة المجتمع السوري في عصره، وكانت تسيطر عليه الصراعات الداخلية، والخلافات المذهبية التي زادت حدة الاضطرابات السياسية والمنافسات بين العباسيين والفاطميين، وقد قاسى هو نفسه بعض نتائجها.

مُعزّ الدولة، أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع، ٣٠٣-٣٥٦هـ/٩١٥-٩٦٧م، أول أمير أمراء في عائلة البويهيين. استولى على السلطة في بغداد في العام ٣٣٤هـ/٩٤٥م، حيث حصل على لقبه الفخري، أي أمير الأمراء، من الخليفة العبّاسي المستكفي.

قام، قبل ذلك، بحملات متتالية في كرمان والأهواز، وفي العراق ضد أمير الأمراء التركي في السلطة آنذاك. تمكّن أبو الحسين - الذي عُرف لاحقاً بإسم معزّ الدولة - من الدخول منتصراً إلى عاصمة الإمبراطورية، ما أجبر ديوان الخلافة على منحه امتيازات لاقّة بمقامه. وبقي منذ ذلك الوقت في مقدّمة المسرح

الكبير. ثم كرس اتفاق فاس، في شهر آذار/ مارس ١٩١٢، الحماية الفرنسية التي أصبحت، في الواقع، احتلالاً للملاد، وقد رفضت مناطق عدة أن تخضع لها. استمرت السيطرة خلال الحرب العالمية الأولى بفعل الجهود التي بذلها الجنرال إيوتيه، قبل أن يصطدم، في ١٩٢٥-١٩٢٦، بثورة عبد الكريم في الريف. ولم يعترف المغرب بكامله بسلطة السلطان وبالإدارة الفرنسية إلا سنة ١٩٣٤، بعد أن استتب فيه الأمن تماماً، طبعاً تستثنى من ذلك المنطقة الإسبانية.

في غضون ذلك تشكلت، منذ سنة ١٩٣٠، حركة وطنية بقيادة علّال الفاسي بدأت بالإعتراض على قانون اعترف بالحدود البربرية في القانون المدني. اتسعت هذه الحركة في السنوات التي تلت، وفي ١٩٤٣ تأسس حزب الاستقلال. في العام ١٩٥٢ بدأت مفاوضات مع الحكومة الفرنسية، ولكنهم لم تفلح وتم خلع السلطان محمد الخامس بواسطة «مجلس باشاوات وقادة»، وحل محله قريبه ابن عرفة؛ ولكن، في العام ١٩٥٦، استدعي السلطان من المنفى، وأعيد إلى الحكم وأعلن الاستقلال، بينما حصلت المنطقة الإسبانية هي أيضاً على الاستقلال في شهر إبريل وانضمت إلى الدولة الجديدة.

٢- تبلغ المساحة الحالية للمملكة المغربية ٥٠٠ ٠٠٠ كيلومتر مربع؛ وهي دولة مستقلة عاصمتها الرباط، وسكانها في غالبيتهم من المسلمين. وهي تغطي تماماً القسم الغربي من المغرب.

هذه الدولة - التي اعترفت بها فرنسا في العام ١٩٥٦ - تضم أيضاً الممتلكات الإسبانية القديمة الواقعة إلى شمال المحمية الفرنسية السابقة وإلى جنوبها. تشتمل على مجموعة واسعة من الهضاب والسلاسل الجبلية والسهول الساحلية التي لا تزال جرداء في أقسامها الصحراوية، في حين أنها تتلقى كمية كافية من الأمطار في الأجزاء الشمالية. يحده المغرب، على طول الجهة الغربية، المحيط الأطلسي، في حين أنه له حدوداً مشتركة شرقاً وجنوباً مع الجمهورية الجزائرية، وفي أقصى الجنوب مع جمهورية موريتانيا، في منطقة الصحراء الغربية، ريو دو أورو القديمة.

أساساً في تاريخ أفريقيا الشمالية في القرون الوسطى. كانت مقراً للمملكة العلوية المتحدرة من الأدارسة التي تعرضت لهجمات فاطمية إفريقية، ثم خضعت لحماية أموي قرطبة، ومن ثم احتضنت عواصم الامبراطوريات الأندلسية-المغربية الكبرى التابعة للبرابطين وللموحدين. أصبحت تلك الأرض، في ما بعد، منطقة نفوذ السلاطون المحليين مثل المرينيين والموحدين، وبخاصة منطقة نفوذ العائلات الشرفية ذات الأصل الحسني، أي السعديين الذي أسكروا بزمام الأمور في بداية القرن السادس عشر، والعلويين الذين خلفوهم خلال القرن السابع عشر.

حدود المغرب الحالي هي حدود الدولة السعدية التي نشأت بفعل الجهاد وبفعل شعور مقاومة التدخلات الأجنبية. عرفت هذه الدولة كيف تتجنب الاحتلال العثماني، وقد اتخذت مراكش عاصمة لها. اعتمد العلويون بدورهم على انتصاراتهم العسكرية الخاصة للاستيلاء على السلطة، ونجحوا في استعادة بعض المرافق التي كان البرغاثيون قد استولوا فيها، وفي توسيع سلطنتهم انطلاقاً من شمال البلاد، وقد بلغت تلك السلطة أوجها في عهد مولاي إسماعيل؛ ولكنهم لم يستطيعوا في ما بعد انتصاتهم للطامع الأوروبية ذات الطابع الاقتصادي والتي اتخذت، في النهاية، طابعاً سياسياً. صيغ أن الأمير مولاي الحسن استطاع، في العام ١٨٩٢، الإفلات من الاتفاقية التجارية التي كانت بريطانيا العظمى تريد أن تفرضها عليه، كما تمكن، في العام ١٨٩٣، من تجنب الحرب مع إسبانيا، ولكن الصعوبات المالية أرغمت على إبرام فروض مع الدول الغربية. وكان الاتفاق الموقود في هذا الخصوص، سنة ١٩٠٤، والذي سمح بتمركز مراقبين فرنسيين في المرافق المغربية، في أساس تدخل الدول الأوروبية الهادفة إلى إرساء سيطرتها على البلاد.

إذا كان مؤتمر الجزيرة الخضراء قد اعترف، في العام ١٩٠٦، بحقوق خاصة لفرنسا وإسبانيا، فقد كان لألمانيا أيضاً مطالع في المغرب. وقد حصلت حوادث متفرقة أدت إلى احتلال فاس من قبل القوات الفرنسية وإلى تمركز القوات الإسبانية في العرائش والقصر

أفريقيا الشمالية، لكن القسم الشرقي من هذه البلدان الذي يتجاوز حدود الجمهورية التونسية الحالية، كان يُعرف باسم إفريقيا، في حين أن القسم الغربي منها أي المغرب الأقصى، كان يشمل ما يُعرف اليوم بالمملكة المغربية، وكذلك القسم الأوسط من الجمهورية الجزائرية.

بعد المغرب، شمالاً، البحر المتوسط، ويمتد غرباً حتى المحيط الأطلسي. أما جنوباً فتحده الصحراء لجهة بلاد السود أو السودان أفريقيا الساحلية، كما يشمل المغرب ليبيا ابتداء من منطقة بركة، أو على الأقل من منطقة طرابلس. هذه الحدود هي التي ما تزال معتمدة في تعريف المغرب، فنذكر في إطارها الدول المعاصرة التي تضمها المناطق المذكورة آنفاً. وتضاف إليها جمهورية موريتانيا الإسلامية.

تشكل مجموعة هذه الأراضي وحدة جغرافية واضحة يميزها مناخ قاسي، وتضاريس جبلية، وأجزاء متقطعة اعتُبرت غالباً بأنها في أساس التضيق والوقوع في حياة الجماعات والإمارات التي نشأت فيها. فخلال القرون الوسطى، تميزت الحياة الاجتماعية بسيطرة خليط من الشعوب، يتجاوز فيه البربر الأصلون الذين احتفظوا بلغتهم الأم، والغاتحون العرب المسلمون والمستعربون المحيطون بهم من أتباعهم، كل ذلك بعد أن فتحت المغرب الجيوش العربية - الإسلامية بصعوبة، إبان الفتوحات الكبرى في القرن الأول الهجري/السايع الميلادي.

كان أول الأحداث المهمة استيلاء عمرو بن العاص على منطقة بركة سنة ٦٤٢-٦٤٣م، ثم معركة سببيلة سنة ٦٤٧م. وتعددت الحملات على إفريقيا بين ٦٤٥/٦٤٥ و ٦٦٥م. ولم تنشأ مدينة القيروان إلا سنة ٦٩٦/٦٩٦م. وفي سنة ٦٨٥/٦٨٥م قام القائد عقبة بن نافع، بحسب المرويات، بحملته أوصته إلى شواطئ المحيط الأطلسي. لكن إقرار السلام في تلك البلاد كان بطيئاً. وإذا كان بعض البربر الذين اعتنقوا الإسلام شاركوا، في أواخر القرن الأول الهجري/أوائل الثامن الميلادي، في الاستيلاء على شبه الجزيرة الإيبيرية، فإن آخرين اعتنقوا عقيدة الخوارج

نظام الحكم في المغرب ملكي، يقوم على نظرية الحق الإلهي، مع بعض عناصر الملكية الدستورية، وهو نتيجة مبادرات قام بها عاهلان من السلالة العلوية هما محمد الخامس، وبعد ١٩٦١ ولده الحسن الثاني.

عمل هذان العاهلان على تنظيم السلطة المطلقة التي ورثها بالديموقراطية وعلى تحديثها، مع التصدي لمعارضة الأحزاب التقدمية التي تدافع عن برامج لا تتوافق مع أهدافها الخاصة. ظل ههما الأساسي تأمين النمو الاقتصادي لكامل البلاد، من دون التنكر لإرث الماضي. في العام ١٩٦٣، أُقر دستور يُدخل مبدأ الملكية البرلمانية؛ ثم في ١٩٧٠ و ١٩٧٢، رُضعت دس. بر أخرى أعطت كلها صلاحيات واسعة للملك الذي كان قد تخلى، سنة ١٩٥٧، عن لقب سلطان ليأخذ لقب ملك، ولكنه ظل أميراً للمؤمنين.

في موازاة ذلك، وعلى الرغم من بعض الأحداث المتفرقة، لم يتأثر مبدأ التعاون مع فرنسا بشكل جذري. أما إسبانيا التي كانت تحتفظ بمراقبة حصني سبتة ومليلة، بعد أن غادرت، في العام ١٩٥٦، ما كان يسمى المغرب الإسباني في منطقة الزيف، فقد أعادت إلى المملكة الشرفية، في العام ١٩٦٩، منطقة أخرى هي إفني. طالبت المملكة في ما بعد، في العام ١٩٧٥، باستعادة مستعمراتها القديمة، ريو دو أورو، الواقعة على الساحل الأطلسي للصحراء الكبرى.

إن التوازن الاقتصادي في بلد يتمتع بموارد طبيعية مهمة، سواء زراعية أو منجمية، لم يتأثر في العمق بالنمو الديموغرافي الذي رفع عدد سكانه إلى ٢٥ مليون نسمة، موزعين بين البربر والعرب. إن تفوق الإسلام السني التابع للمدرسة المالكية ينسجم مع تطبيق معتدل للشريعة الإسلامية، ومع الاعتراف الشرعي بحقوق الرعايا الأوروبيين وبحقوق الأقلية اليهودية. لا يؤثر ذلك على الحياة الدينية النشطة التي لا تزال مطبوعة بالحياة الصوفية ذات التشعبات الشعبية المتعددة والتي تحييها طرائق عديدة، منها القادرية والنيحانية، وخصوصاً الشاذلية ذات الفروع المتعددة كالذرقاوية والميسوية.

◀ راجع المستندات ١٤، ١٩، و ٦٦ إلى ٦٨.

المغرب، تسمية أطلقها الجغرافيون العرب على بلدان

منها لاحقاً تونس، وقد استعادت هذه المناطق استقلالها الذاتي في ظلّ السلاطة الحسينية. بسط العثمانيون أيضاً سيطرتهم على المغرب الأوسط المرتبط مباشرة بالسلطة الجديدة في الجزائر. وحدها المملكة المغربية لم تقع تحت قبضتهم. بعد ذلك، سنة ١٨٣٠م، وفي السنوات اللاحقة، احتلّ الفرنسيون الجزائر، وطردوا منها الداي؛ وفي سنة ١٨٨١ فرضوا حمايتهم على تونس؛ وسنة ١٩١٢ جعلوا الدولة المغربية محمية، مع بقائها تحت نفوذ السلطان. وأخيراً فإنّ المرحلة الحالية تميّزت في بلاد المغرب بحصول دولة على استقلالها، هذا ما حصل للبيبا في سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٥، ولتونس سنة ١٩٥٦، وللمغرب سنة ١٩٥٧، ولموريتانيا سنة ١٩٦٠، وللجزائر سنة ١٩٦٢.

❖ راجع السنتات ٨، ١١، ١٤، ١٩، ٢٨، ٥٠ إلى ٦٦، ٥٤ إلى ٦٨، ٨٧، ٨٨.

المَعُول، بدو من السهوب الآسيوية، عُرفوا بهذا الاسم في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، واجتاحوا إيران والأناضول والعراق، إثر غزوات امتدّت من الصين إلى شمال القوقاز وأدّت إلى تغييرات جذرية في تاريخ المشرق الإسلامي.

من الغزوات المعولية انبثقت مباشرة، بعد عقود عدّة، إمبراطورية الإيلخانيين التي سرعان ما اعتنقت الإسلام، بينما استمرّت أو تطلّورت جماعات إسلامية في مناطق أخرى تحت هيمنة الجغتانيين، خصوصاً سلاطة الباتو التي خلفتها، في ما بعد، خانات القبيلة الذهبية. وكان قد تمّ سابقاً، في العام ٦١٠٣هـ/ ١٢٠٦م، تأسيس أوّل دولة مغولية في صحراء غوبي ضمن مجموعة من القبائل غير المستقرّة، على يدي قائد عشيرة لُقْب بد الخان الأكبر، وهو خنكيزخان. وبعد أن أعلن أنّه مؤمن على رسالة كلّفته بها آلهة المعول والأتراك أبناء عقمهم، انطلق هذا القائد الجديد على رأس جماعات مسلّحة هانجة في سلسلة من الحملات العبدية، نحو الشرق الأقصى منذ العام ٦١٩هـ/ ١٢١٢م، وفي اتجاه الغرب في العام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، تمكّن إثرها من توريث إمبراطورية هائلة لأعقابها، امتدّت من شواطئ المحيط الهادئ إلى بحر قزوين. تمّ بعد ذلك تقسيم هذه

وثاروا على أسياهم الجدد. وفي المغرب الأوسط، ولا سيّما في المغرب الأقصى، سيطرت حالة من الفوضى، ما أتاح الفرصة، بعد سقوط الخلافة الأموية في الشرق، لبعض الممالك الصغيرة الانفصالية أن تبسط سيطرتها، بعيداً من سلطة العباسيين المركزية.

هذه، مثلاً، كانت حال الأدارسة مؤسسي فاس، والرستميين مؤسسي تاهرت. وبعد مدّة وجيزة حصل ابن الأغلب، حاكم إفريقية، سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، من الخليفة العباسي على شبه استقلال استغلّته سلالته في سبيل ازدهار الدولة الأغلبية. أزال الفاطميون هذه السلالات الحاكمة وسلطات محلية أخرى، عند وصولهم سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، فقمعوا الثورات المعارضة لهم وسيطروا على معظم بلاد المغرب، ولم يصدّ أمامهم، لجهة الغرب، إلا الدولة الأموية التي كانت تحكم الأندلس، انطلاقاً من عاصمتها قرطبة. استمرّ المغرب عرضة للزراعات بين القبائل البربرية الكبرى ككتامة وصنهاجة، فنقسم بعد انتقال الفاطميين إلى مصر، وكان هؤلاء قد تركوا المغرب لأنبياعهم القدامى بني زيري وأبناء عقمهم بني حمّاد الذين علّوا غزوات مجتاهدين عرب واندلج من الشرق، هم ينو هلال. لكنّ المرابطين، في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، استطاعوا أن يوحّدوا في إمبراطورية واسعة أراضي المغرب الأقصى والأوسط، مضافاً إليها الأندلس. إلى أن اسقطهم الموحدون في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، مؤسسين دولة أوسع من سابقتها إذ بلغت إفريقية. وقد اضطرّ خلفاؤهم المرينيون في فاس إلى الحدّ من طموحهم، بينما بقيت إفريقية في أيدي الحفصيين.

وقد شهد القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي المغرب مجزأ: ففي القسم الغربي منه، حلّت محلّ المرينيين سلالات الأشراف السعديين. ثمّ العلويين، في حين أنّ البرتغاليين استولوا على بعض المراكز التجارية؛ أمّا لجهة الشرق فقد حاول الإسبان الاستقرار في تونس، ولكنّ القراصنة التايغين ميدنيًا للعثمانيين طردوهم منها. وقد استطاع العثمانيون، سنة ١٥٧٤م، فرض سيطرتهم على المناطق التي تكوّنت

منقسمة داخلياً بسبب عدم تجانس سكّانها المتعددي الإنتماء الديني.

بلغت عظمة ملوكها الشهيرين الذين أطلقت عليهم أوروبا اسم «المغول الكبار» أوجها، بخاصة خلال السنوات الأولى من القرن السابع عشر. استطاع هؤلاء، من خلال الإنتاج الأدبي والأعمال الفنية الفخمة، أن يتفوقوا شهرةً على الصفويين، أسياذ إيران، وعلى العثمانيين، أسياذ الأناضول والبلقان والمشرق العربي وحوضي البحر الأبيض المتوسط.

نشأت سلالة المغول في الهند نتيجةً لطموحات أحد أعقاب تيمورلنك المتحدّر كذلك من جنكيزخان من جهة والدته، المدعو باير والذي استقرّ في الهند منذ انتصاره في باتنياب في العام ١٥٢٦م. بعد أن غادر منطقة فرغانة في آسيا الوسطى حيث كان قد اصطدم بالأوزبكيين. ولم يخلف هذا الأخير سوى سلطة مترجحة لآبته همايون الذي اعتلى العرش واضطرّ بعد ذلك إلى التخلّي عن الحكم لمدة خمس عشرة سنة قضاها منفياً في إيران. وحده إبن همايون، الأمباطور الشهير أكبر - الذي يعود إليه الفضل في إنشاء الأمباطورية المغولية الجديدة وتنظيمها خلال عهده الظافر، ونتيجة نجاحاته العسكرية - تمتّع بسلطة لم يتنازع إياها أحد. لكنّه فشل في آخر المطاف في محاولاته للتوفيق بين المعتقدات الدينية المتضاربة. وخلفه بعد ذلك مباشرة أربعة من ذريته استطاعوا، بالرغم من فترات الاضطرابات والحروب الأهلية المتعاقبة، الارتقاء بدولتهم إلى درجة غير مسبوقة من المجد، من خلال سعيهم الدائم إلى تعزيز دفاع حدودهم على الهضبة الإيرانية وفي منطقة الدكن، كما فعل الملكان جهانكير وشاه جهان. أو من خلال نجاحات لم يكتب لها الدوام، على غرار ما فعله مجاهد الإسلام العنيد الملك أورنكزيب بين ١٦٥٨ و ١٧٠٧م.

وتعود ذروة النفوذ والازدهار هذه، المحققة بالرغم من حروب داخلية، إلى صفات الملوك الحاكمين وإلى فعالية التنظيم الحكومي التراثي المغلق. كما تجسّدت هذه الذروة في خضامة تجهيزات قصور السلاطين ومنهم الملكية، كما في هندستها. لكن، في الوقت

الأمباطورية بين أبنائه الأربعة، بينما وُضعت المناطق المخصصة لكل من الأسر، وفقاً للتقاليد البدوية، تحت امرة خانات حافظوا في بادئ الأمر على ديانتهم الشامانية المطلقة بالمسيحية.

وبينما حصل الإبن الثاني جغتاي، مؤسس سلالة الجغتائين، على منطقة ما وراء النهر، وفي حين استقرت سلالة البانويين، المنتسبة من الإبن المتوفى، في سيبيريا الغربية بالقرب من روسيا، خلف جنكيزخان بلقب الخان الأكبر ولده الثالث اوغوداي أو أوكتاي. انتقل اللقب بعد ذلك إلى رورث الإبن الرابع الذي كان قد حصل على منغوليا. وبعد نزاعات دامية طبعه الصراع على السلطة المطلقة، خرج منكم متحصراً في العام ١٢٩٩/١٢٥١م، وكلف أحد إخوته، هولاكو، مواصلة عمليات الفتح في الشرق الأدنى، ما أدى إلى ولادة دولة الإيلخانيين.

تميّزت هذه الدولة الإيلخانية ضمن العالم الإسلامي في العام ١٢٥٤/١٢٥٦م، عندما أقدم قبلاي، الخان الأكبر الجديد وأحد إخوة هولاكو ومنكو المتوفى بدوره في العام ١٢٩٩/١٢٥١م، على هجر كراكوروم العاصمة الأمباطورية في منغوليا للإستقرار في الصين، وتحديداً في خان بليو/يكنين. وكان قسم من المغول، المشتتين في تلك الفترة في أنحاء آسيا كافة، قد تحوّل إلى المسيحية النسطورية وقسم آخر إلى الإسلام، بينما بقي بعضهم وفياً لديانة أجداده. وأدى هذا الوضع إلى مناخ عام من التسامح الديني النسبي، تميّز به المجتمع الإيلخاني لفترة، قبل أن يعتنق ملوكه الإسلام، ونجحت عنه محاولات عديدة من قبل دول أوروبا المسيحية لإقامة علاقات مع أسياذ آسيا الداخلية الذين أسقطوا الخلافة العباسية وشكّلوا تهديداً للمماليك.

« راجع البند رقم ٢٤.

المغول (الهند)، ٩٣٢-١٢٥٧/١٥٢٦-١٨٥٨م، سلالة تركية تيمورية الأصل، احتفظت بسلطتها على الهند الإسلامية خلال أكثر من ثلاثة قرون، وتجنّدت هذه السلطة بشكل خاص في قيام أمباطورية ضخمة غنية بمواردها الطبيعية وبأنشطتها الحرفية، لكنها كانت

١٧١٢ - ١٧١٣ م	معز الدين جهانداد
١٧١٣ - ١٧١٩ م	فؤاد سيار
١٧١٩ م	وفيع الدولة شاه جهان الثاني
١٧١٩ م	نيكو سيار
١٧١٩ - ١٧٤٨ م	نصير الدين محمد
١٧٤٨ - ١٧٥٤ م	أحمد شاه بهادر
١٧٥٤ - ١٧٦٠ م	عزير الدين عالم كبر الثاني
١٧٦٠ م	شاه جهان الثالث
١٧٦٠ - ١٧٨٨ م	جلال الدين علي جوهر شاه غم الثاني
١٧٨٨ - ١٨٠٦ م	بيدار نذخت
١٨٠٦ - ١٨٣٧ م	معين الدين أكبر الثاني
١٨٣٧ - ١٨٥٨ م	سراج الدين بهادر شاه الثاني

◀ راجع المستندات رقم ٣٣ و ٧٥ إلى ٧٨.

المفتي، ضليح في الفقه، يُصدر آراء فقهية أو فتاوى تميزت، خلال الحقبة الكلاسيكية، بطابعها الإستشاري، لكنها كانت مجردة من أي طابع تنفيذي.

إعتاد القضاة في الحالات الصعبة إستشارة مفتين، وهم شخصيات لا تحتل أي منصب رسمي ولا تنقاص أي أجر. وكان القضاة من تم يُصدرون أحكامهم وفقًا للفتوى التي كانوا يرونها الأنسب. لكنهم غالبًا ما كانوا، في بعض المناطق، يستعينون بخدمات مفتين ملحقين رسميًا بهم.

أصبح هذا اللجوء إلى المفتي ممارسة مألوفة في المذهب السنّي وأدى، ضمن الأمبراطورية العثمانية، إلى تنظيم مهنة حقيقية هيمنت عليها شخصية «شيخ الإسلام» أو مفتي اسطنبول الكبير الذي أصبح، في القرن السادس عشر، ثاني شخصية في الأمبراطورية بعد السلطان، بينما كان المفتون المعنّون في الأقاليم من قبل شيخ الإسلام لمعاونة القضاة يتمتعون بدور ثانوي. وكان الوضع معقدًا في الولايات العربية بشكل خاص، حيث كان جزء من السكان لا ينتمي إلى المدرسة الفقهية الخنقية التي أخذ بها العثمانيون. وإلى جانب مفت حنفي معين من قبل اسطنبول، كان ثمة مفتون يمثلون المدارس الأخرى بجري تعيينهم من قبل أتباع مذهبهم.

بعد ذلك جرى إلغاء منصب شيخ الإسلام في الجمهورية التركية. وظهرت عندئذ الحاجة، في الدول

نفسه، بدأ يُطوّر إسلام هنديّ ساهمت خلافاته المتجددة في زوال السلاطة. كان هذا الإسلام بالتأكيد يتميز بتقدمه المتواصل في شبه القارة ويقتطع دينية دائمة ساهمت في إحيائها حركات صوفية عديدة. وكان التطور في هذا السياق يتمّ بدفع من الأولياء المكرّمين، في إطار طرائق صوفية حديثة العهد أثمرت أحيانًا بالخروج عن الإسلام لأنها شجعت التداخل - وفي بعض الأحيان، قبلت السلطات الرسمية بذلك - بين المعتقدات أو الممارسات الإسلامية والهندوسية. وفي هذا الإطار ظلت الأخطار تهدد البناء السياسي على المدى الطويل، نتيجة توضع الإسلام القائم على أقلية حاكمة، فيما لم يتمكن أبدًا من الانتشار بين أكثرية السكان الأصليين.

هكذا شهدت السنوات التالية ضعف أمبراطورية قوّضتها الخلافات الدينية من الداخل، وأصبحت على حافة تفكك سريع تحت وطأة هجمات عشائر مختلفة من الأفغان والهنود. تلا هذه الحقبة إستيلاء نادر شاه على دلهي في العام ١٧٣٨ - ١٧٣٩ م، ونشوء سلطات متنافسة أفغانية من الملوك الذرانيين والباركزانيين، ثم توسع الاحتلال الاستعماري الإنكليزي الذي انتهى، بعد ثورة «انغراسان»، بخلق آخر حكم المغول ونفيه في العام ١٨٥٨. إن تفكك الدولة الممّولة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لم يمنعها من أن تُورث الحقبة المعاصرة مجتمعًا هنديًا إسلاميًا تكثف، عبر العصور، مع المواقف المتقلّبة بين الليونة والتصلّب التي اعتمدها الحكام باستمرار. وفي الوقت نفسه حافظت أعمال هؤلاء الحكام الفنية الفخمة على نضارتها وعلى صفاتها المرهفة، حتى حلول الحقبة التي هيمن فيها الاقتصاد الأوروبي عليها.

١٥٢٦ - ١٥٣٠ م	ظهير الدين بابر
١٥٣٠ - ١٥٤٠ م	ناصر الدين هُمايون
١٥٥٦ - ١٥٥٦ م	جلال الدين أكبر الأوّل
١٥٥٦ - ١٦٠٥ م	نور الدين جهانكير
١٦٠٥ - ١٦٢٧ م	داور بهنّش
١٦٢٧ - ١٦٢٨ م	شهاب الدين شاه جهان الأوّل
١٦٢٨ - ١٦٥٧ م	محيي الدين أورنگزيب عالم كبر الأوّل
١٦٥٨ - ١٧١٢ م	شاه عالم الأوّل بهادر شاه الأوّل
١٧٠٧ - ١٧١٢ م	

نحو فلسطين، منها مقامان في حلب مثلاً، إضافة إلى المكان الذي وقف فيه عندما باشر ببناء الكعبة. كما ورد في إحدى الآيات القرآنية (سورة البقرة، الآية ١٢٥). إن هذا المقام الواقع في مكة مؤلف من صخرة تعتبر مقدسة تحمل آثار قدميه، وتذكر بعض الأحاديث أن نبي الإسلام ﷺ كان يصلي فيه لدى أدائه شعار الطواف. لذلك يوصي القرآن في الآية المذكورة بتحويل مقام إبراهيم إلى مكان صلاة، غير أن هذه الوصية لم تفلح دون نقل هذا المقام المكرم إلى مكان آخر، وهذا ما حصل مؤخرًا عندما قرّرت حكومة المملكة العربية السعودية توسيع مسار الطواف. وقد شُيّدت أبنية صغيرة على شكل قبب أو أضرحة على مواقع مقامات أخرى. ويحمل مصطلح المقام في اللغة العربية معنى آخر خاص بالصوفيين يشير إلى مختلف مراحل الحياة الروحية.

المقتدر بالله، أبو الفضل جعفر، ٩٠٤/٣٢٠ هـ - ٩٣٢ هـ، الخليفة الثامن عشر من سلالة العبّاسيين. حكم من ٩٠٤ إلى ٩٣٢ هـ/٩٠٨ م. وأُنتصف عهده بالضعف، في مرحلة سياسية صعبة شهدت تدهور السلطة المركزية.

خلف المقتدر شقيقه الخليفة السابق المكتفي بصعوبة، بسبب صغر سنّه، وشكّل تعيينه فرصة لنفّضة بغداد، لتحديد السنّ القانونية لنُبُوّه منصب الخلافة بالثالثة عشرة من العمر. لكنّ الماداة به خليفه لم تحصل على الإجماع. فبعد مرور ستة عشر شهراً أرغمته مؤامرة بقيادة مجموعة من الأمراء والكُتّاب على الاعتزال لمصلحة ابن عمّه إبن المعتز، إلى أن انقلب الوضع فجأة وأجهّض ثورة القصر هذه التي لم تُعمر أكثر من أربع وعشرين ساعة. وحصلت فضلاً عن ذلك، بعد حوالي عشرين سنة، حادثة مماثلة لم يكتب لها النجاح أيضاً. تميّز عهد المقتدر الطويل الذي حكم، في البداية، بمساعدة والدته وخاله اليوناني الأصل، بتصاعد الاضطرابات التي كانت تعصف بمقاطعات الأباطورية الشرقية، وبعده التهديدات التي مارستها على الخلافة جماعات سياسية دينية منشقة كالإسماعيليين المعروفين باسم القرامطة، وأخيراً بأزمة

العربية، إلى تكليف وظيفة المفتي مع الحياة العصرية، وفي العام ١٩٣٥ أقدمت جامعة الأزهر في القاهرة على إنشاء مجلس دائم مؤلف من اثني عشر فقيهاً، ينتمون إلى المدارس الفقهية الأربع، يُصدر سنوياً عدداً وفيراً من الاستشارات.

المفيد، الشيخ أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان الحارثي العكبري، الملقّب أيضاً بابن المعلم، ٣٣٦ - ٤١٣ هـ/٩٤٨ م - ١٠٣٢ م، متكلم شيعي، من أتباع الإمامية الإثني عشرية، قام بدور ناشط في عهد البويهيين.

ولد الشيخ المفيد بالقرب من عُكْبَرَة في العراق من والدٍ معلّم (مصدر لقبه)، وقدم شاباً إلى بغداد حيث درس على المحدثين الشيعة في هذه الفترة من أمثال الشيخ الصدوق، والمعتزلي البلخي. وأصبح سريعاً الشاطن باسم الإماميين في المدينة وأطلق عليه اسم الشيخ المفيد إشادةً بفعاليّة عمله. وكتب هذا المتكلم الجديد أبحاثاً عديدة لم يبقَ سوى بعضها، وقد ناقش من خلالها علماً وبعده إخصامه من أهل السنّة. وتمّ بين ٣٩٨ و٤٠٩ هـ/١٠٠٨ م إبعاده مرّات عدّة عن المدينة، بسبب الفتنة التي أثارها مجادلانه.

كان علم الكلام الذي دافع عنه قريباً من علم معتزلة بغداد، لكنّه كان متمسكاً بموقف الإمامية الأساسي في ما خصّ الإمامة. تعلّم عليه كثيرون، من بينهم الأخوان الشهبان الشريف الرضيّ والشريف المرتضى. من جهة أخرى، أدّى نهجه في الأخذ بأسلوب علم الكلام المعتزلي القائم على تدبّر علوم المنقول بتحكيك العقل، إلى وضع النظرية الإمامية على صراط عقلائي أبدها عن مواقف الشيخ الصدوق ويات بشكل مدخلاً للنظريات اللاحقة.

مقام، مصطلح عربي يشير إلى نصب أو مكان تذكاري يرتبط بشكل عام بذكرى أحد الأنبياء، ويشكّل مقصداً لزيارات تقوية تحصل خارج الفرائض الشرعية.

خصّص لإبراهيم، من بين الأنبياء، أوفر عدد من المقامات في بلاد ما بين النهرين العليا ولي سوريا الشنابلة وفي مكة. وتنتشر هذه المقامات في الأماكن التي يقال إنّه عبرها عندما غادر بلاد ما بين النهرين متجهاً

تشمل معلومات ثمينة حول الوضع الديني السائد في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد. غير أنَّ المعلومات المتوافرة ضئيلة في ما يتعلق بميول المقدسي السياسي والدينية، علماً أنَّ جدّه كان يعمل مهندساً معمارياً في خدمة ابن طولون في فلسطين. ومن سيرة حياته نعلم أنّه أذى شعائر الحجّ في مكّة في العام ٩٣٥هـ/ ٩٦٦م، عندما كان في سنّ العشرين تقريباً. نذكر النسخة الأولى لكتابه، المهداة إلى شخصيّة مجهولة، سلالة السامانيين وتعتبرهم أهمّ سلالة في ذلك الزمن، بينما حُف هذا الأهداء من النسخة الثانية التي تبدو أكثر تأييداً للفاطميين، ما يشير إلى تغيّر في مجرى حياة المقدسي، وربما في معتقداته.

مَقْدُونِيَّة، منطقة في البلقان، احتلّها العثمانيون طوال ما يزيد عن خمسة قرون. وقد استمرّت منذ الفرون الوسطى، بفضل موقعها وطبيعتها أرضها، معزّاة ومفترق طرق، قبل أن تنقسمها يوغوسلافيا السابقة، وبلغاريا واليونان.

اكتمل استيلاء العثمانيين عليها، باستثناء منطقة سالونيك، بين ٧٨٤ و ٧٩٣هـ/ ١٣٨٣ و ١٣٩١م، إثر معركة كوسوفو. أذى ذلك إلى احتلال إداريّ حازم، فرض واقعاً جديداً للأراضي قضى بتجزئتها إلى تيمارات، وتطبيق ضريبة الخلمان، بينما كان معظم المقاطعات خاضعة لنظام ضرائبي فاسٍ. وفي ذلك الوقت كانت القبائل التركية الأناضوليّة تستقرّ حول سالونيك وإشطب وأسكوب. لقد شجّعت بعض الفرق، كالبكتاشية، الناس على اعتناق الإسلام، فدخل فيه كثيرون، وهذا ما يفسّر استمرار وجود الأقليات الإسلامية في المنطقة واستمرار نشاطها حتّى اليوم.

عرفت مقدونية، منذ أواخر القرن التاسع عشر، المراحل التي مرّ بها نضال شعوب البلقان ضدّ السلطنة العثمانية، وقد اكب ذلك صراع بين الصّرب واليونان والبلغار، بلغ أوجّه في حرب البلقان ١٩١٢ - ١٩١٣. وفي نهاية الحرب العالمية الأولى، تقاسمت أراضي مقدونيا ثلاث دول قومية حديثة النشأة: بلغاريا واليونان وما عُرف في ما بعد بجمهورية يوغوسلافيا الاتحادية. وحصلت تغيّرات لاحقة بفعل انتقال السكان، ما عدل

ماليّة دائمة وبعدم استقرار الحكومة المركزيّة الناتج عنها. أخطأ بالخليفة عدد من الكتاب المتميّزين ومن المتخصصين بالمسائل الماليّة، وقد كلّفهم على التوالي بإدارة شؤون الدولة. لكنّه لم يتبع فقط السياسة ذاتها طويلاً، حتّى تلك التي اعتمدها بإيعاز من كتّابه، كما ضاق ذرعاً بكل من وزرائه، فاستدعى مثلاً عليّاً بن عيسى المعروف بنزاهته للقيام بإصلاحات إقتصاديّة، ولكنّه أقاله واستبدل به ابن الغرات المرتبط بالأوساط الشيعيّة والسخني حيال البلاط.

في الواقع، أدّت الاضطرابات الداخليّة واللجوء الدائم إلى العمليات العسكريّة لقمع حركات التمرد، إضافة إلى طبع الخليفة المثقل، إلى تعزيز دور القائد الأعلى للقوّات المسلّحة في إدارة شؤون الدولة، لكنّ ذلك لم يؤدّ إلى تحسين الدفاع عن الامبراطوريّة. وعندما قتل المعتد على رأس جيشه في مواجهة أحد القوّاد المتمرّدين، كان الوزير مجرّداً من السلطة والامبراطوريّة في حالة تفكّك تام والخزينة فارغة. وبعد بضع سنوات أذعنت الخلافة لسلطة أمير الأمراء الصاعدة الذي فرض وصايته عليها.

المُقَدِّسِي أو **المُقَدَّسِي**، أبو عبدالله محمد بن أحمد، ٣٣٥ - ٣٩٢هـ/ ٩٤٦ - ١٠٠٠م. عالم ورحالة عربي من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وضع وصفاً كاملاً للعالم الإسلامي في زمنه.

يُعتبر المقدسي، إلى جانب ابن حوقل، في القرون الوسطى الإسلامية، مثلاً لكتاب الجغرافيا البشرية التي نشأت خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ إنّ وصفه يتجاوز تعقّب مسارات القوافل والتعليق عليها كما فعل أسلافه من قبله. ويتألّف كتابه [أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم] الذي أُنجز حوالي العام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، من وصف لمختلف المناطق التي زارها بنفسه، باستثناء الأندلس، وفقاً لمخطط ثابت: معلومات عموميّة عن المنطقة وعن فضائلها، لائحة بالمقاطعات والمدن الرئسية، وصف لكلّ مدينة ومعلومات عن العقائد السائدة، وعن العادات والموارد الزراعيّة والمجمعيّة، وعن المقاييس المعتمدة، وأخيراً عن الطرقات. ويتألّف الكتاب من أقسام عدّة، إضافة إلى مقدّمة

مقصورة، في البلبه كانت تعني كل مكان مفصول، مخصص في مجمع ما، مركز للاستعمال الخاص، وأصبحت في القرون الوسطى تعني، بشكل محدد، المكان المخصص للخليفة أو للحاكم داخل قاعة الصلاة في المساجد الجامعة.

والمقصورة الملكية أو الأميرية التي عرفنا منها أشكالاً مختلفة، مزودة بلوحات منحوتة أو مطعمة أو مخزومة، مرتبة على شكل شبكات، أوتحت كذلك ببعض الأشكال الهندسية التي لعبت دورها في تطور عمارة المساجد. إلا أننا نغتر إلى الشواهد الأثرية، في ما خص عصر الخلفاء الراشدين، حيث أشار المؤلفون العرب إلى استخدام المقصورة لحماية الخليفة. ولما أمر الأمة، من اعتداءات مُحتملة. وإن تطوّر التقاليد الرسمية في البلاط إبان العصر الأموي عزز الحاجة إلى إيجاد حاجز بين الأمير والجمهور المحتشد خلفه للصلاة. أكان ذلك لحماية أمير المؤمنين نفسه في المسجد الجامع في العاصمة، أم الولاة الذين يمثلونه في مراكز الأقاليم. وهنا أيضاً تنقص الشواهد الدقيقة لتحديد مدى التحسين والتجهيز اللذين اعتبرا نجديداً وتطوراً آنذاك، وقد اقتصر ربما على حماية المجال المركزي الذي يشغله الإمام، والمخوّج بقبة صغيرة في طرف الصحن المحوري الذي يضم المحراب والمنبر. لم يتجسّد هذا الأمر، وكثير غيره، بشكل واضح، إلا في الفترة العبّاسية الكلاسيكية. فانطلاقاً من هذه الفترة، يمكننا التحدث - إن لم يكن يوجد آثار عراقية واضحة بهذا الخصوص - عن إجراءات هدفت، في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، إلى تنظيم شكل وزخرفة الفسحات أو مقاطع الفسحات المجاورة لحائط القبلة في مسجد الأغالبية في القيروان، أو التي تشغل التوسيع الفخم الذي قام به الحكم الثاني في الحامع الكبير في قرطبة، كذلك يجب الأخذ في الاعتبار نماذج أخرى تقدمها بعض الحوامع الفاطمية في القاهرة مثل جامع الحاكم. ولكن المعطيات القروسطية الأهم تناول، من دون شك، التنظيم الداخلي للمساجد الجامعة التي بناها السلاجقة ومن خلفهم، منذ نهاية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، حيث

جذبوا نسبة المسلمين في كل دولة. لقد تم ذلك إما بالتبادل السكاني بين اليونان وبلغاريا وتركيا، وإما بالانتقال الطوعي، كما فعل المقدونيون الأتراك. إن جمهورية مقدونية الحالية التي نشأت من تفكك يوغوسلافيا السابقة، وأصبحت مستقلة، هي مقدونيا القاردار (Vardar)، وهي تتميز عن مقاطعتين مقدونيتين أخريين، تتبع إحداهما لبلغاريا والثانية لليونان. في جمهورية مقدونية هذه. المستظمة حول مركزين مدنيين يحتفظان بمأصيهما العثماني، وهما مونستير وأسكوب، استمر المسلمون، منذ عهد جمهورية يوغوسلافيا الفدرالية، مجتمعين ضمن اتحاد ديني مقره في أسكوب، وهو يؤثف واحداً من الفروع الأربعة التي تتمتع بالاستقلال الذاتي ضمن الاتحاد الاسلامي الذي يشمل سارييفر في البوسنة، ونيوغرادر في الجبل الأسود، بريشتينا في منطقة كوسوفو - متوشيا. ما يزال المسلمون في هذه المناطق واغري العدد، وقد تزايدوا بانضمام عناصر من ألبانيا المجاورة اليهم.

« راجع المستد رقم ٢٧.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، ١٣٦٦-١٤٤٢هـ/ ١٣٦٤-١٤٤٢م، عالم ومؤرخ من أواخر عصر المماليك في مصر.

ولد المقريزي في القاهرة في العام ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م ضمن عائلة ميسورة، وتابع دراسة تقليدية في العلوم الدينية والفقهية على يد علماء بارزين قبل أن يمارس، في مدينته، وظائف رسمية كمحتسب ومدّرس وخطيب وموظف إداري. ثم انتقل إلى دمشق حيث درس في مدارس عدة بين ٨١٠ و٨٢١هـ/ ١٤٠٨ و١٤١٨م. وعاد إلى وطنه حيث تخلّى عن حياته العامة ودأب، حتى تاريخ وفاته في القاهرة، على وضع مؤلفات غزيرة مكرسة بشكل أساسي للتاريخ.

اشتهر بكتابه الضخم المعروف باسم «الخطط» والمختص للطوبوغرافيا التاريخية لمدينتي فسطاط والقاهرة، وأيضاً لتاريخ مصر. ترك لنا أيضاً مؤلفات تتعلق بالسلالات الفاطمية والأيوبيّة والمملوكيّة، ودراسات حول مواضيع متعددة كالجغرافيا والمسايل الإنصابتة، إضافة إلى بحوث دينية وسيرة شخصية.

المحطات أو المواقيت التي يسلكها الحجاج. وتحافظ المدينة الحديثة، الموقلة لاستيعاب الملايين من المسلمين، بدقة متناهية على كافة المواقع والآثار التذكارية التي طبعها قدوة النبي العربي، المكي الأصل، والذي أصبح نبي الإسلام. تأتي قيمة هذه المدينة الحرم، المحظورة على غير المسلمين، التي تحتضن القطب الديني المؤلف من الكعبة ومن المسجد الجامع المحيط بها، من كونها مركزاً مميزاً لإقامة الشعائر الدينية في الإسلام، ورمزاً بتجمع حوله أبناء الأمة الذين ينتمون إلى هذا الدين.

تميزت في ما مضى بلدة مكة التجارية في الجزيرة العربية بموقعها على طريق القوافل المؤدية، من جهة إلى الساحل الفلسطيني وغزة، ومن جهة أخرى إلى اليمن، والمستخدمة لتجارة البخور الثمينة. كما تميزت مكة، في ذلك الوقت، بوجود معبد «الكعبة» حيث كانت تنام مراسم حجّ وثني خلال شهر رجب، شهر الهدنة الذي كانت تُمنع خلاله الأعمال الحربية كافة. ويبدو أنّ وجود مثل هذا الحج، والنشاط التجاري الذي كان يرافقه، قد ساهما في النمو الاقتصادي الذي عرفته هذه البلدة التي هيمنت عليها قبيلة فريش، والتي توصل سكانها، في مستهل القرن السابع الميلادي، إلى السيطرة على تجارة المنطقة الممتدة، بمحاذاة البحر الأحمر، على طول الجزيرة العربية. وقد تمّ وصف هذه المدينة القديمة «بالجمهورية التجارية» بسبب توجه نشاطها كلياً نحو التجارة. غير أنّ هذه التسمية مبالغ فيها، إذ إنّ تجمع العُشائر هذا كان يفترق إلى جهاز حكم حقيقي ويقرّ بسيطرة بعض الأسر الكبرى وحسب.

في مكة عاش النبي محمد ﷺ وتزوج وأطلق دعوته كنبيّ؛ وهنا انضمّ إليه أوّل أنصاره وتكبد أولى خسائره وواجه التهكمات والتهديدات، ما أدى إلى هجرته. بعد فترة الفتي الطورعي هذه التي أمضاها في واحة يثرب التي أطلق عليها لاحقاً اسم المدينة، قاد حرب استنزاف ضدّ مكة سقط رأسه، وعاد إليها منتصراً في العام ٨/٦٢٩م، وأدخل بعض أعراف الحجّ القديم إلى الإسلام. لكنه لم يسكن مكة بعد هذا التاريخ، إلّما اكتفى بإجراؤه آخر حجّ له، حجّ الوداع، قبل موته بقليل، في العام

جري، أمام المحراب، إدخال جناح مفصل ذي قبة على الطريقة الإيرانية، يُستخدم كمقصورة. وقد ظهر أوّل الأمر في التحسينات التي أدخلها ملكشاه على المسجد الجامع في أصفهان، عاصمته، والتي سرّوت لاحقاً على كلّ الجوامع الإيرانية المعاصرة له، قبل أن تعرف قُدراً هندسياً جديداً مع إنجازات سلاجقة الروم والبلخانيين والمماليك.

من ناحية ثانية، استُخدمت مقاصير أخرى، أقلّ فخامة، في بعض المساجد للتعليم أو كمكتبات فعلية. نجد نماذج منها في الجناحين الشرقي والغربي المحيطين بصحن المسجد الجامع في أبدا/ ديار بكر، وقد أُشير إليها بكلمة «مقصورة» في الكتابات الزخرفية التي تعود إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، والتي ما تزال تُزَيّن هذين الجناحين حتى اليوم. هذه المقصورات، التي جرى استخدامها لوظائف جانبية لا علاقة لها بأيّ شكلٍ بقاعة الصلاة أو الاحتفالات الرسمية، قد مهّدت للإنشاءات التي نظّرت في المساجد الأناضولية لاحقاً، لاستقبال اجتماعات العلماء والصوفيّين المستصرفين إلى الدراسات الفقهية. وقد عُرفت هذه الإنشاءات آنذاك باسم «طبهان».

مكارستان ← هنغاريا.

مكة (المملكة العربية السعودية)، مدينة الإسلام المقدسة حيث ولد وعاش النبي محمد (ﷺ) وحيث أطلق دعوته، من دون نجاح، قبل أن يُخضعها بالقوّة، وحيث تنتصب الكعبة بين الأماكن المقدسة التي تستقبل الحجّ سنوياً.

تقع مكة في الحجاز ضمن مشهد طبيعي تكثر فيه الجبال الفاخلة، غير بعيدة من ساحل البحر الأحمر ومرافئ جدة، وتوسط المدينة الحالية وإو ضيق تحيط به مرتفعات وتقوم فيه الكعبة حيث تتلاقى مقرات عدة ضيقة. وبشكل أحد هذه الممرات مسار الحجّ الذي يؤدي عبر ميني والمزدلفة إلى السهل الذي يطلّ عليه جبل عرفة. وتندرج كل هذه المجموعة ضمن المنطقة المقدسة التي تحمل اسم «الحرم» الذي تحدده بعض

خلال خلافة المأمون التي شهدت تنافسًا للثورة العلويين.

شهد مستهل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي غزوات القرامطة الذين استولوا على الحجر الأسود في العام ٣١٨هـ/٩٣٠م، ولم يبعدوه إلا في العام ٣٣٩هـ/٩٥٠م. وبلي حبة الغزوات هذه. حوالي العام ٣٥٦هـ/٩٦٧م، ظهر سلالة صغيرة من الحكام هم الشرفاء الهاشميون الحسنيون من الفرع الموسوي والمذهب الشيعي. وقد خلفتهم، في العام ٤٢١هـ/١٠٣٠م، سلالة الهواشم من الحسنيين أيضًا. حاول هؤلاء مقاومة السلاطين الأتراك السلاجقة، لكن الأيوبيين تمكنوا في النهاية من إخضاعهم ومن ترسيخ السلطة من جديد. وبقيت مكة، خلال بضعة قرون، مركز إمارة تتمتع بإدارة ذاتية يحكمها شرفاء حسنيون من خارج سلالتي الموسويين والهواشم. وقد استطاع ورثة الشريف قتادة الذي استولى على المدينة في العام ٥٩٦هـ/١٢٠٠م، حكم مكة حتى قدوم الروهابيين، إنما بدون أن يتمكنوا من إبعاد نفوذ بعض الحكام، من السلاطين والخلفاء، الراغبين في فرض مراقبتهم على الأراضي المقدسة بهدف زيادة هيبتهم. هؤلاء الحكام هم الفاطميون والعباسيون ومعاليك مصر، وأخيرًا العثمانيون. وكان الباب العالي، في القرن السادس عشر، قد ضمَّ إلى ممتلكاته قسماً كبيراً من شبه الجزيرة العربية.

بدأت، في العام ١٠١٠هـ/١٦٠١م، حقبة اضطرابات جديدة تميّزت بسلسلة نزاعات بين الأشراف وبين الموحّدين والقباط العثمانيين. ومن بين هؤلاء، تميّز، في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، حاكم مصر محمد علي الذي أرسل قواته إلى الحجاز من وادي النيل والبحر الأحمر بهدف تحقيق طموحاته، فتسكّن، في العام ١٨١٣م، من الاستيلاء على المدينة ومن تنصيب شريف جديد عليها. هكذا دخل الحجاز من جديد في منطقة النفوذ المصري. ودام النوض على ما هو عليه حتى العام ١٨٤٠، تاريخ عودة السيطرة العثمانية. وفي الوقت نفسه، بقي الحكم محلياً في أيدي الشرفاء حتى وصول الشريف حسين الذي عيّنه الأتراك الجدد في عام ١٩٠٨ والذي أعلن استقلاله في

١١هـ/١٦٣٢م. احتفظت مكة بمكانتها القديمة، أمّا الكعبة التي اختارها النبي محمد ﷺ نقطة التقاء بتوجه نحوها المسلمون كافة للصلاة، والتي تمّ تجديدها من أستانها عندما تمّ فتحها، فقد أصبحت موضع تكريم من قبل المؤمنين الذين يمارسون حولها شعيرة الطواف.

نجهل الكثير عن تاريخ مكة خلال عهد الخلفاء الراشدين الأربعة وخلال خلافة معاوية الذي كان هو أيضاً من أصل مكي. كانت المدينة، خلال الفتوحات الكبرى، قد فرغت جزئياً من سكّانها التجار والمقاتلين الذين غادروها في سبيل الجهاد أو بسبب طموحاتهم، ليجتلبوا مراكز قيادية بارزة في مختلف أنحاء الأمبراطورية، إذ إنهم، بالرغم من اعتناقهم الملتأخر للإسلام، وبالرغم من الحملات التي قادوها ضد النبي محمد ﷺ، نجد بينهم العديد من أهل الصحابة الذين برزوا في الأستقراطية العربية التي هيمنت على الأمبراطورية.

في فترة لاحقة، وبعد وفاة معاوية الذي اختار الإقامة في سوريا وأنشأ سلالة الأمويين، أصبحت مكة مركز المقاومة التي قادها ابن الزبير الذي جمع حوله بعض الفريشيين المناهضين للخليفة الجديد يزيد الأول. وفي العام ٧٣هـ/٦٩٢م، استطاع أموي آخر، هو عبد الملك بن مروان الأول، بعد اعتلائه العرش، أن يعيد السيطرة السورية على مكة. وكانت الكعبة قد تعرّضت للحريق، وأعاد ابن الزبير تشييدها بعد أن أدخل عليها بعض التجديد، لكنها أعيدت إلى حالتها الأصلية مع عودة الأمويين. وينسب إلى الخليفة الوليد الأول، ابن عبد الملك، بناء الرواق الذي يحيط بالكعبة وكذلك باحتها الخارجية. بشكل كل ذلك المسجد الحرام الوارد ذكره في الآية الأولى من سورة الإسراء.

خلال الخلافة العباسية، أصبحت مكة التي حكمها أمير من العائلة المالكة مقرّاً لمجموعات من العلويين، نجد بينهم محرّضين وقادة لثورات عدّة. وقد تمّ مثلاً في بلدة فح، بالقرب من مكة، قتل الحسن بن الحسين بن علي الذي سيطر على المدينة المنورة في العام ١٧٠هـ/٧٨٦م. وكانت الحقبة التالية مضطربة أيضاً، ولكنها كانت أقل اضطراباً خلال خلافة هارون الرشيد، منها

النهج/التاسع الميلادي، وارتبطت كذلك بازدهار الحركات الاجتماعية-الدينية التي وقّرت لها الكتابة إمكان التفكير العقائدي ونشر دعوتها.

هذه المؤسسات لم تتشكل فقط مكتبات عامة بالمعنى المعروف، ذلك أنّ أقدمها كان تابعاً لمعاهد التعليم التي أنشأها الحكّام، وأصبح في ما بعد، ابتداء من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، مُلحقاً بالمعاهد العلمية التي عُرفت باسم المدارس.

أولى المكتبات الكبرى كانت، من دون ريب، تلك التي اشتمل عليها بيت الحكمة الذي أسّسه الخليفة المأمون في بغداد، في أوائل العصر العباسي: كان هدفها أن تضمّ ترجمات فلسفية وعلمية تُنقل من اليونانية إلى العربية. وعلى الرغم من شهرة هذه المؤسسة، نكاد لا نعرف شيئاً عن تنظيمها أو موقعها بشكل دقيق، لكننا نعرف أن نشاط الترجمة الذي كان في أساس نشوئها، والذي منته حركة المعتزلة، توقّف منذ أواسط القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

وفي مرحلة فديمة أيضاً وجدت مكتبات صغيرة في المساجد الجامعة في المدن الكبرى، تلك المساجد التي شكّلت مراكز للدراسات مرتبطة بالعلوم الدينية. إنّ الشواهد الوحيدة الباقية من تلك المرحلة هي نسخ من القرآن الكريم تناهت إليها، وهي تحمل كتابات تثبت أنّها كانت وفقاً على المساجد، حفظت فيها ليستفيد منها طلاب العلم.

بعد ذلك بقليل، في سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، أنشأ الوزير الشيعي سابور، تحت سلطة البويهيين في العراق، مكتبة كانت تهدف إلى نشر عقيدة التشيع، عرفت بدار العلم. وثمة مكتبات أخرى تعود إلى الحقبة نفسها، أُسّست في المدن الإيرانية كشيراز حيث وضع غُضد الدولة البويهي كل وسائل البحث في تصرف المتّقين ورجال الفكر. كذلك وجدت في قصور أمويي الأندلس بقرطبة مجموعة قيّمة من المخطوطات عمد الحُكْم الثاني إلى إغنائها، فاستفد من القسطنطينية مؤلفات علمية يونانية تُنقل إلى العربية.

بعد زمن يسير، سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م، أُسّست في مصر، زمن الفاطميين، مكتبة هي الأبرز في تلك

العام ١٩١٦. لكنّ أمير نجد، عبد العزيز، مؤسس دولة آل سعود الثالثة، طرده من مكّة في العام ١٩٢٥. ابتداء من هذا التاريخ تغيّرت أيضاً معالم مكّة الطبوغرافية، وكذلك تنظيمها المدني بشكل ملحوظ، وتحسّنت أيضاً ظروف الحج باستمرار، خلال العقود التي تلت ترسيخ النظام السعودي.

إنّ التغيير الأكثر ظهوراً طرأ على المسجد الجامع بين العامين ١٩٥٥ و ١٩٧٨، بإضافة أبنية جديدة حول المبنى القديم وتوسيع هذا المجمّع لكي يضمّ الطريق المستخدمة للسعي بين تلّي الضفا والمروة. ألغيت ضريبة الحجّ في العام ١٩٥٢، ولا يتوجّب على الحجاج، منذ العام ١٩٧٢، سوى تسديد رسوم الضرورية لتغطية نفقات الخدمات التي تؤدّي لهم. لكنّ يتوجّب عليهم دفع أجر «المطوّفين» الذين يتولّون أمر «الطواف» ويراقبون المجموعات على اختلاف أجناسها خلال مراسم الحجّ. يسيطر هؤلاء «المطوّفون» اليوم، إلى جانب التجار والعلماء، على المجتمع المكي.

إنّ عدد المقيمين في مكّة ضئيل مقارنة بأعداد المسلمين الآتين إليها خلال فترة الحجّ، لكنه يشمل عدداً من الوافدين الذين يواصلون، منذ القرون الوسطى، تقليد الذين يُعرفون بـ«المجاورين» الذين يقصدون الإقامة قرب الحرم الشريف سعياً وراء العلوم الدينية أو بهدف إقامة الشعائر الدينية في جوّ تسوده التقوى.

يبقى نشاط مدينة مكّة طوال السنة مركزاً على استقبال الحجاج المشاركين بالعمرة، وخاصة بالحجّ. وهذا النشاط يتطلب تنظيمًا بالغ الدقّة بسبب وجود أكثر من مليوني شخص في الوقت نفسه في المدينة، وبسبب إمكان حدوث اضطرابات نتيجة للتوترات التي يعرفها العالم الإسلامي، والتي تؤكد دوام الدور الاستثنائي الذي تؤدّيه مكّة بالنسبة إلى الإسلام.

■ رابع المستندات رقم ١٠، ١٢، ١٣، ٢٨، ٢٩، ٣٠.

المكتبات، المكتبة أو خزانة الكتب بالعربية، وكتابخانه بالفارسية، وكُتُب هانه بالتركية: مؤسسات ظهرت منذ بداية القرون الوسطى في الشرق الإسلامي، وقد ازدهرت نيباً للتطوّر الذي شهدته المخطوطات بفضل نموّ صناعة الورق، بدءاً من القرن الثالث

والزخرفية، كما هي الحال في قصري روان وباغدات كوشك، أو في مكتبة أحمد الثالث في قصر طوب كابي سراي في اسطنبول.

إن التحولات الاجتماعية-السياسية في القرن التاسع عشر لم تجب دائماً هذه المجموعات الرائعة الأضرار، فقد نشئت مملكتها بعض الأفراد، أو أُنقلت جزئياً كما حصل لمكتبة المغول في الهند سنة ١٨٥٧. قلّة من هذه المجموعات انتقلت إلى المكتبات أو المتاحف في البلاد الإسلامية في العصر الحاضر، فاندمجت بما كانت تحتويه المدارس، وجمعت في مؤسسات حديثة. قسم آخر من هذه المخطوطات حُفظ في الأقسام المنخفضة بالثروات الشرقية في مكتبات أوروبا أو الولايات المتحدة، وقد حصلت عليها هذه المكتبات بالشراء أو بطرق أخرى.

إن تنظيمًا منهجيًا بجمع شتات هذه التروات المتراكمة خلال عصور من الحضارة القروسطية كفيلاً وحده بوضعها في متناول الباحثين.

المكتفي بالله، ٩-١٢٩٥هـ/ ٩-٩٠٨م، الخليفة السابع عشر في السلالة العباسية، ابن المعتضد، حكم من العام ٢٨٩ إلى ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ إلى العام ٩٠٨م.

كان عهد المكتفي قصيراً، لكنه شهد، في العام ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م، القضاء على الإمارة المستقلة التي أنشأها الطولونيون في مصر، وطبعته حملات عديدة ضد القرامطة والبيزنطيين. فتحت وفاة الخليفة الباكورة أزمة صراع على السلطة تم حلها بشكل مؤقت بمباينة شقيق المنوغي، والبالغ من العمر ثلاثة عشر عامًا فقط.

مُكرّان، مقاطعة جنوبية في الهضبة الإيرانية في العصور الوسطى، تقع بين كرمان والسند جنوب الصحراء الوسطى الكبرى وواحات سجستان.

وكانت مقاطعة مكران التي احتلها الجيوش العربية الإسلامية إبان الفتوحات الكبرى في فترة غير محددة، قد شكّلت قاعدة انطلاقاً لمحمد بن القاسم عند فتحه السند. وظلّت هذه المنطقة فقيرة بسبب مناخها الجاف على طول الساحل القاحل. إلا أن قبائل البلوش استوطنتها منذ فترة غير بعيدة وشاعت لغتها فيها، فُعرفت هذه المنطقة باسم بلوچستان أو بلوشستان. وهي

الحقبة. أُسست في القاهرة على عهد الخليفة الحاكم وعرفت باسم دار الحكمة، وكانت في الوقت نفسه معهداً للتعليم ومؤسسة معدة لنشر العقيدة الإسلامية، ولإعداد الدعاة. كانت مجموعتها تضم مجلّلات قيّمة محفوظة في جناح من القصر، وتشتمل، في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، على نسخ متعددة لمؤلفات أساسية تتناول العلوم الرئيسة للثقافة الإسلامية. وقد أُغلقت هذه المكتبة سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م سقوط الدولة الفاطمية.

في هذا الوقت الذي شهد عودة السنية، أُسست مكتبات ملحقة بالمدارس وبالمساجد الجامعة. وقد اهتم القيمون بتطوير العلوم الإسلامية التقليدية الأساسية، ولا سيما الفقه، من دون الرجوع إلى المكتبات القيمة التي أُسست في مرحلة سابقة. هذا ما حصل، في عهد الماليك، في عاصمتهم القاهرة، حيث نشأت مدارس عدة، إلى جانب الجامع الأزهر. وكذلك حصل في القيروان وفاس، كما في دمشق وبعد ذلك في اسطنبول حين اتخذها العثمانيون عاصمة لهم.

فضلاً عن مكتبات المدارس التي تشتمل على كتب متخصصة أساسية، لا سيما في الفقه، باللغات العربية والفارسية والتركية، استمرّت تلك التروات الكتيبة التي تحفظها قصور الحكّام في العالم الإسلامي. إن قصور السلاطين العثمانيين، وقصور حكام المغول في الهند، وقصور حكام المغرب، على سبيل المثال، استمرّت في حفظ مجموعات خاصة تتناول فنّ الكتاب، بحيث نجد أحياناً فئة تهتم على حدّ سواء العلماء ورجال الدين، وتقدّم أنواع النماذج التي خلفتها القرون السابقة في فنون التجليد والتذهيب والمنمنمات. إن الأختام التي تحمل أسماء العواهل مالكي الكتاب والتي يزدان بها غلاف الكتاب وصفحة العنوان، فضلاً عن عبارات الإهداء، ما تزال تشهد على أسماء الذين ملكوها هذه المخطوطات القديمة، كما تؤكد اهتمام الأمراء في البلاد الإسلامية بأن يتألّى نجمهم من خلال الكنوز التي يجمعونها في مباني عُرفت بالخزانة (خزانة الكتب). وفي بعض الأحيان كانت المباني المشيدة خصّصاً لذلك تُظهر العناية التي أولاها القيمون للنواحي الهندسية

مشروعه، إلى فرض السخرة على القبائل، والاشغال الشاقة على حوالى ألف أسير مسيحي. دُفن مولاي إسماعيل في مكناس في الضريح الذي احتضن شقيقه. ندى وفاة هذا السلطان الشيعي في العام ١٧٢٧، اندلع صراع على الحكم لم يتمكن محمد بن عبد العزيز من السيطرة عليه. وتوالت الاضطرابات بدون انقطاع حتى بداية القرن العشرين، بسبب عدم انضباط الحرس وقوات المرتزقة والعبيد، بينما كان السلاطين يقيمون تارة في فاس وطورًا في مراكش. أمّا مكناس، التي ما زالت تحتضن وراء أسوارها بقايا قصورها، فأصبحت مركزًا إقليميًا في غاية النشاط.

«راجع المستندين ١٤ و ١٩».

الملا، لقب فخري مشتق من الكلمة العربية «مولى» أو «سيد» ومستخدم عادة في العالم المهندي - الإيراني للإشارة إلى العالم الشيعي المعروف في الأوساط الشنّية بعالم الدين.

كان الملالي يتمتعون في بلاد الإسلام بمقام مميّز خاص برجال الدين، بينما أدّوا، وما زالوا يؤدّون في إيران - دورًا يفوق أهمية دور العلماء في البلدان السنيّة، لأنهم يمثلون، بالنسبة إلى أتباع الشيعة، السلطة الشرعية الوحيدة الفاعلة في غياب الإمام، ولأنهم يتمتعون بحق الإجتهد وبحق تفسير الشريعة، ومن بينهم يُختار الذين يترقّون إلى مقام آية الله. يشكّل الملالي طبقة من رجال الدين ذات تنظيم تراتبيّ، ولا يتردّدون، إذا لزم الأمر، في مواجهة السلطة الزمنية.

ساهمت هذه المجموعة من رجال الدين، في أواخر القرن التاسع عشر، بفعالية كبيرة في التصديّ لنفوذ أوروبا. إنَّها شاركت مثلاً بنجاح في حملة مقاطعة التبغ الذي كانت تستثمره شركة إنكليزية حائزة امتيازًا من الشاه في العام ١٨٩٠. وتابعت في القرن العشرين عملها الاجتماعي السياسي بنشاط وفعالية متزاينين بحسب الحقبات. وباتّراع من فشلها في التصديّ للمحداثة التي دعمتها سلالة البهلويين، كانت في طليعة المحرّضين على ثورة ١٩٧٩ التي منحتها السيطرة على الجمهورية الإسلامية الإيرانية الجديدة وعلى إدارتها.

تحاذي اليوم، بحدودها الشماليّة، دولة أفغانستان الإسلامية، وتنقسم بشكل غير متساوٍ بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية ودولة باكستان التي تضمّ القسم الأكبر منها.

«راجع المستندات ١٢، ٨ و ١٣».

مكناس (المملكة المغربية)، مدينة في أقصى المغرب، تقع في الهضبة الوسطى على بعد سنين كيلومترًا إلى الجنوب الغربي من مدينة فاس، تطوّرت فأصبحت مقرًا وعاصمة للسلطان العلوي مولاي إسماعيل.

استمدّت مكناس إسمها من قبيلة «مكناسة» الزناتية التي قاومت سلطة الأدارسة. ويبدو أنّه في الموقع الذي توجد فيه المدينة، تجسّمت خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بضعة قرى وشكّلت بلدة أحيطت بسور في عهد المرابطين، فقاومت الموحّدين الذين لم يتمكنوا من احتلالها إلّا في العام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م، بعد حصار طويل. وفي عهد المرينيّين، أصبحت البلدة مدينة مهمة جهّزها الحكّام الجدد بعدد من المدارس، لكنّها أُصيبَت بالقوضى التي شهدتها الفترة الأخيرة من حكم هذه السلالة، في القرنين التاسع والعاشر للهجرة/الخامس عشر والسادس عشر للميلاد.

دخل السعديّون مكناس في العام ١٥٤٨م، لكنهم لم يغيروها أيّ اهتمام، فمرّت المدينة في أوائل القرن السابع عشر بمرحلة صعبة استمرّت حتى وصول العلويّين، فشهدت عندهم انتعاشًا مفاجئًا عندما أولاها اهتمامه أحد أهم ملوك السلالة، مولاي إسماعيل، بسبب موقعها الإستراتيجي المركزي على مفترق الطريقتين الممتدّتين من شمال الأيالة إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها. اتخذ مولاي إسماعيل - الذي كان قد عاش في مكناس في عهد أخيه - من المدينة مقرًا لحكمه وعمل، خلال ولايته التي دامت خمسين سنة، على تشييد الأبنية الرائعة. باشر بنشيد قصره والأبنية الملحقة به والمخصّصة لزوجاته ولعائلته في العام ١٦٧٢، وانتهى العمل بالقصر في العام ١٦٧٩. ولم يتنو بناء المجموعة بكاملها إلّا في العام ١٧٣١ - ١٧٣٢، بعد وفاة مولاي إسماعيل الذي لجأ، من أجل إنجاز

يبدو أنّ هذه التسمية المستعملة حصراً في القسم الغربي من المغرب تعود بأصلها إلى الحي الذي سكنه يهود فاس، في أوائل القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، في موقع كان يسمى «الملاح» أو «النبع المالح»، وأطلق هذا الاسم في ما بعد على الأحياء اليهودية في المدن الأخرى. نجده متداولاً بنوع خاص في مدينتي فاس ومراكش.

الملاحه، فنّ مورس بكثرة في العالم الإسلامي، في القرون الوسطى حيث ملكت المناطق الساحلية المحيطة بالمعتوسط أو بالمحيط الهندي أساطيل حربية - ساهمت في قوّتها العسكرية - أو سفناً تجارية تابعت أنشطتها على طول الطرق البحرية والطرق النهرية الكبيرة.

ما تزال مراحل تطوّر الملاحة هذه غير معروفة تماماً، لأنّها لم تدرس بالقدر الكافي، على الرغم من التفاصيل التي نقلتها الكتب العربية القروسطية ومصنفات الوقائع أو كتب الرحالة. وما تزال المصطلحات المتنبّية الواردة في هذه النصوص في حاجة إلى تفسير طبّقاً لأنواع المعدات والأدوات المختلفة، المستعملة في الملاحة الشاطئية أو في الرحلات البعيدة التي كانت تسمح بها الرياح الموسمية. من المعروف حصراً أن السفن التي كانت تبحر في المعتوسط، القوادس أو المرفقات، كانت تختلف عن القوارب الرقيقة التي كانت تواجه البحار الشرقية، إلى الجنوب من القرن الأفريقي أو باتجاه الهند والصين. وكانت أكثر اختلافاً كذلك الزوارق التي كانت تؤمّن نقل البضائع في الأنهار مثل الفرات، أو الفُكُكات الأنفية التي اقتصر مهمتها على صعود مجرى النيل ونزوله. يضاف أنّ مراكب هذه الأساطيل التجارية كانت تتميز عن السفن الحربية ذات المجاذيف أو الأشعرة، المسلّحة أو المحقّلة بالجنود والتي كانت تشارك في المعارك البحرية والإنزال التي تتبعها أعمال النهب أو الاحتلال الطويلة الأمد، كما في المكاسب الكبيرة الناتجة عن القرصنة الموجهة ضدّ الأجانب.

تطوّر فنّ الملاحة نفسه خلال القرون الوسطى، مستفيداً من التجنّز السابق، في البيئة العربية - الإسلامية،

الملائكة، كانت روحية يذكرها القرآن الكريم في مناسبات متعدّدة، وحولها عرفت العقيدة الإسلامية، بتفسيرات سنّية وشيعية، مناقشات متنوّعة، كما أعطيت توضيحات تطوّرت عبر العصور وغذّت المعتقدات الشعبية. وأشهر الملائكة، ممن ورد ذكرهم سابقاً في التوراة، الملاك جبريل الذي من تلقى النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله) والملاك ميخائيل أحد الذين يحملون عرش الله، وعزرائيل الذي هو ملك الموت، وإسرافيل الذي يعلن يوم القيامة فينفخ بوقه ليحثّ الأموات.

وهناك اهتمام بأسماء أخرى، منها ملك حارس الجحيم. وهاروت وماروت اللذان علّما السحر للناس، ومنكر ونكير المسؤولين عن عقاب القبر. كما نذكر الملائكة الذين يمشون قرب الله لتمجيده باستمرار وهم المقزّبون، والملائكة الذين يقيمون حول عرشه وهم القروبيون أو (الكاروبيم).

هذه «الجمهرة السماوية»، بحسب ما يذكر القرآن الكريم، تقابلها جمهرة الجن والشياطين. وقد فتحت هذه المخلوقات باب القصص والأخبار التي أدّت إلى كثير من الجدل.

ويتعلّق الأمر، على الأخص، بضيعة مخلوقات تخضع كلّها لله، كما يتعلّق بصفاتها المعبّودة. فالملائكة خدام الله، خلفهم من نوره الصافي، وهم المرسلون الذين يكثفهم عند الانقضاء إيصال نوره الإلهي إلى الأنبياء. كما يُعتبر نفوق الملائكة على البشر موضوع نقاش. والله تعالى أمرهم بالخضوع والسجود لأدم، وهذا الأمر الذي يتركّز ذكره في القرآن الكريم كان سبب تعرّذ إبليس أو الشيطان. أمّا عصمة الملائكة فلم تتأكد بدون تردّد إلا من قبل الشيعة الإمامية الاثني عشرية الذين يربطون الملائكة بالأئمة، ويعتبرون أنّهم يُشاطرهم الحماية الإلهية من كلّ خطيئة أو زلل. أمّا علماء الإسماعيلية فيقولون الملائكة مكانة مختلفة، لكنّها مهمة في عالمهم الكوني.

ملاح، اسم أطلق، منذ أواخر القرون الوسطى، في مدن المغرب، على الأحياء التي كان يقيم فيها اليهود والتي غالباً ما كانت موجودة بالقرب من «القصب» مقرّ الحاكم.

وقد أطلق الاسم على مختلف الصوفيّين الذين يرفضون طاعة معلّم يضعون أنفسهم فوق الشريعة ولا يسعون إلّا إلى تطوير حياتهم الروحية، متحذرين إراديًا الرأى العام الإسلامي الذي احقرهم، فاتخذوا من هذا الاحترار دليلًا على قداساتهم. ويبدو أنّ زعيمهم الدينية القائمة على فكرة عدمية الإنسان المطلقة أمام الله، قد ظهرت في إيران الشرقية، وتحديداً في نيسابور. والملائيّ يصبو إلى أن يتحرّر من العالم وشهوته، وإن عاش فيه، ولا ينتمي إلى أيّ طريقة روحانية معيّنة، مع أنّه وُجِدَتْ جمعيات ملائيّة التقت حول بعض الشيوخ من دون أن تدّين لهم بالطاعة.

ملاوي (جمهورية)، مساحتها: ١١٨ ٤٨٠ كلم^٢. عاصمتها: ليلونغوي.

دولة معاصرة مستقلة، تقع في جنوب أفريقيا الشرقية السوداء، نسبة الأقلية المسلمة فيها حوالي أحد عشر في المئة من مجموع السكّان البالغين حوالي ٨ ملايين نسمة.

هذه المقاطعة التي كانت تابعة لمستعمرة نياساند البريطانية القديمة، والتي نالت استقلالها في العام ١٩٦٤، تحيط بها جمهوريتا زامبيا والموزامبيق، ومن الجهة الشمالية جمهورية تنزانيا الاتحادية.

وقد نشطت فيها التجارة - وأهمّها تجارة الرقيق - على أيدي العرب المسلمين، تلك التجارة التي ربطت، لفترة طويلة، هذه المنطقة بالمدن المرفئية في المحيط الهندي حيث ازدهرت الحركة الملاحية بدءاً من القرن السابع عشر، تحت سيطرة سلاطين مسقط وزنجبار. هنا نشأت أقلية مسلمة ذات سمات شبيهة، في مجملها، بتلك التي عرفتها الأقليات المسلمة في تنزانيا المجاورة والتي شهدت ظروفاً مشابهة في تطوّرها.

«راجع المستندات ٨، ١٠ و ١٨».

مِلّت، مصطلح تركي مأخوذ من الكلمة العربية **مِلَّة** وجمعها **مِلَل**، بمعنى «الدين»، استُخدم في العهد العثماني بهذا المعنى، وكذلك بمعنى «طائفة دينية». يُستعمل المعنى الأوّل الذي يوافق مفهوم كلمة عربية مختلفة تماماً عن كلمة «دين»، للدلالة، على حدّ

للمعارف الرياضية القديمة التي سمحت، منذ بداية العهد العباسي، للملاحين الذين ورثوها باختيار اتجاههم، بالاعتماد على النجوم والشمس، وتحديد مواقعهم باستعمال الإسطرلاب والخرائط الموضوعة لتمثيل الكون. تعود هذه المعارف في علم الفلك والجغرافيا مباشرة إلى الجهود الأولى التي بذلت، حول الخليفة المأمون، في بيت الحكمة حيث التقى علماء و مترجمون للبحث خاصة في علم الكون، وهي تُعتبر ثمرة التأثيرات الهندية والإيرانية المنقولة كتابة والمضافة إلى المعلومات اليونانية الموروثة عن بطليموس.

من جهة أخرى، انتقلت شفويًا دورس عملية مستقاة غالبًا من خبرة البحارة الإيرانيين المترسّخة عند «المعلمين» العرب البارزين الذين دوّنوا بدورهم، انطلاقًا من هذه التقاليد واختياراتهم الخاصة، معلومات توجيهية للبحارة وخرائط ملاحية متخصصة. هكذا، في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، خلف ملاح مثل ابن ماجد وراهه كتابات في علم الفلك التطبيقي وتطويرات تقنية للمعدات، إضافة إلى دليل لطرق المحيط الهندي التي ضمنت له شهرة أسطورية. كان ذلك في الوقت الذي وصل فيه الأدب الإسلامي في الجغرافيا البحرية والملاحية العلمية إلى الأوج فأفاد منه البرتغاليون.

بعدئذٍ قام ملاحو فترة العظيمة العثمانية بوضع المصطلحات التي أضافت إلى مضمون المؤلفات التقليدية نتائج المعايينات الجديدة التي أمّنت لهم شهرة متوّقة. كان أشهر هذه الأعمال، من دون شك، الموجز الملاحي لبيري رئيس حول المتوسط وخريطة العالم التي قدمها للسُلطان سليم الأوّل، في العام ١٥١٧. وكانت من آخر النجاحات في علم الخرائط في القرون الوسطى، قبل أن تحلّ التفنّينات الحديثة مكان تقنيّات تلك الحقبة.

ملازكُرت ← **مانتريكُرت**.

مَلامِيَّة، متصوّفة مسلمون، لا يشكّلون طريقة بالمعنى الدقيق للكلمة، ولكن يميّزهم موقف مشترك يدلّ عليه اسمهم بالعربية «ملائي» وهو يعني «الذي يبحث عن الملامة».

إقليمياً في إمبراطورية المغول، واحتلها السيخ في أوائل القرن التاسع عشر، والبريطانيون من بعدهم في العام ١٨٤٨، لكنها حافظت على حيويتها حتى أيامنا هذه. تحتضن ملتان بقايا أثرية، بينها أضرحة لأمرأة مسلمين وأولياء، تتميز بهندسة معمارية جذابة بالاهتمام.

ملديف (جمهورية)، مساحتها: ٢٩٨ كلم^٢، عاصمتها ماله. دولة صغيرة مستقلة، تشكل أرخبيلاً مرجانياً في المحيط الهندي، جنوب غرب الهند وسيلان، ويبلغ عدد سكانها حوالي مئتي ألف نسمة، كلهم مسلمون.

وكما بالنسبة إلى جزر لكاديف المجاورة، لا تزال غامضة الظروف التي جعلت الملديف تدخل الإسلام. بعد أن زلها رواد الملاحة العرب المسلمون، في بداية القرون الوسطى، وهم في طريقهم إلى الشرق الأقصى حيث كان الإسلام قد ترسّخ على شواطئ مالابار عن طريق التجارة ومراكزها. وتغلّ إحدى الروايات المتأخرة أنّ آخر الحكام البوذيين قد يكون أعلن إسلامه في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، وأصبح سلطاناً على الأرخبيل، ما يجعلنا نعتقد أنّ البلد، في نهاية القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، كان قد تحوّل إلى الإسلام. وهذا ما أكدته كتابات إين بطوطة الذي توقف فيه بين العامين ٧٤٤ و٧٤٥ للهجرة/١٣٤٣ و١٣٤٤ للميلاد. إن غارات البرتغاليين في بحر الهند التي أدّت في بداية الأمر إلى تحويل تجارة المسلمين من مالابار نحو ملديف، نجم عنها احتلال موقت لبلاده من ١٥٥٨ إلى ١٥٧٣م، ما أدّى بطريقة غير مباشرة إلى انتقال المسلمين المحليين من المالكية إلى الشافعية. حكم الجزر مذاك سلطان جديد، ثم وقعت تحت الحماية البريطانية سنة ١٨٨٧، لكنها عادت فاستقلت سنة ١٩٦٥ وأعلنت الجمهورية في ١٩٦٨. حالياً، كل السكان يتبعون المذهب الشافعي، ولا يستطيع أي شخص الحصول على الجنسية الملديفية إذا لم يكن مسلماً وعلى المذهب الشافعي.

« راجع المستد رقم ٣٠ ».

مَلطية (الجمهورية التركية)، مدينة في الأناضول تقع على تخوم بلاد ما بين النهرين العليا، تشكل اليوم مرفأ

سواء، على الدين الإسلامي أو الدين الحقيقي الوحيد بحسب أتباعه، أو على أي دين آخر، مثلاً المسيحي أو اليهودي. لذلك تمّ حصر دلالة المعنى الثاني، العثماني تحديداً، وفي الطابع التاريخي، بالطوائف الدينية غير المسلمة التي كان يرعاها، داخل الدولة العثمانية، العهد الخاص بأهل الذمة الذي كانت أحكامه سارية، منذ أوائل العهد الإسلامي، على مؤدي الجزية.

مثلاً لا شك فيه أنّ استعمال المصطلح الثاني كان متداولاً قبل القرن السادس عشر. وفي القرن الثامن عشر أفزّت السلطات العثمانية بوجود ثلاث ملل هي الأرثوذكسية والأرمنية واليهودية. وكان لكل منها رئيسها المعترف به من قبل السلطان وتنظيمها الخاص، ولا سيما في ما يتعلق بأحوال أفرادها الشخصية ونسوبة الخلافات التي قد تنشأ في ما بينهم. وقد توسّع مفهوم هذا المصطلح للدلالة على شعوب أو دول ملحقّة بالإمبراطورية العثمانية أو على شعوب، مثل الشعب الصربي، التي كانت ترغب في استعادة كينونتها القومية.

مُلتان (جمهورية باكستان الإسلامية)، مدينة في البنجاب احتلتها الجيوش العربية - الإسلامية إبان الفتحاح الكبرى في أواخر القرن الأوّل الهجري/أوائل القرن الثامن الميلادي، وأصبحت أئنيذ عاصمة المقاطعة، قبل أن تنفد هذا الدور لمصلحة لاهور.

استولى عليها، في عهد الخليفة الأموي الوليد الأوّل، قائده محمد بن القاسم، وأصبحت مركزاً متقدماً لبدایات الأسلمة في الهند، إلّا أنّها احتفظت بمعبدتها الهندوسي القديم حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حين سقطت المدينة في أيدي دُعاة الإسماعيلية. امتدّ نفوذ هؤلاء إلى شمال السند حتى المنصورة، قبل أن يقضي عليه اجتياح الغزنويين الستة ثمّ الغوريين الذين تمكّنوا، بالتوالي، من بسط سيطرتهم على البنجاب.

بدأت أهمية مُلتان بالإنحسار إثر تطوّر لاهور وعرفت، منذ ذلك الوقت، نازيحاً مضطرباً. وعانت نتائج الغزوات المغولية لتصبح مقرّ سلالات محلية وسريعة الزوال في أغلب الأحيان. أصبحت مركزاً

علي وابنه إبراهيم باشا. إن أحياءها القديمة التي كانت مكرسة للسكن في فصل الصيف والتي تقع قليلاً إلى الجنوب وعلى بعض الارتفاع، أصبحت مركز التجمعات السكنية الحديثة.

مَلَقَا (دولة ماليزيا الاتحادية)، مدينة تقع على الساحل الغربي لشبه الجزيرة الماليزية، كانت، في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، عاصمة السلطنة التي حملت اسمها.

لم تتأسس ملقا إلا حوالى سنة ١٤٠٠م، على مسافة غير بعيدة من ستغافورة، وفي ظروف تتداخل فيها الأساطير مع التاريخ، بحيث تبقى الحقيقة غير واضحة. إلا أنها سرياً ما أصبحت مركزاً تجارياً على الخط البحري الذي يربط الصين بالشرق الإسلامي وبأوروبا. وقد ظلت هذه الدولة الصغيرة، التي حكمها أمراء مسلمون، تحت سلطة جزيرة جاوه لقرب من الزمن. ثم استولى عليها البرتغاليون سنة ١٥١١م. وهربت عائلة ملقا المالكة إلى جوهور في المنطقة الجنوبية لشبه الجزيرة، حيث فقدت دورها في نشر الإسلام في الجزر الإندونيسية. وقد احتفظ البرتغاليون بملقا حتى مجيء الهولنديين، سنة ١٦٤١م، الذين اضطروا إلى التخلي عنها بدورهم للإنكليز الذين احتلوا سنة ١٧٩٥. ولم تستطع الإمارة أن تنهض من جديد، فضمت إلى الاتحاد الماليزي سنة ١٩٥٧.

« راجع السندرقم ٣٠ »

مَلِك، لفظة تعني صاحب المُلْك، وصاحب الأمر والسلطة، وهي مرادف لكلمة «شاه» في الفارسية وكلمة «خان» في التركية، وقد استعملت لغياً في البلدان الإسلامية في القرون الوسطى بمعانٍ اختلفت بين حقبة وأخرى.

في الأساس، وبحسب النص القرآني (سورة العنكبوت، ٢٦)، يختص هذا اللقب بالله وحده «مالك الملك»؛ أما زعماء الأمة، فلا يجوز أن يُعتبروا ملوكاً إلا إذا حصلوا على هذه الصفة بإرادة الله. لكن عبر العصور، دخلت على لفظ «ملك» معان جديدة. المعنى الأول هو الذي استعمله أعداء الأسرة

صناعياً نشطاً على بعد حوالى عشرة كيلومترات من آثار المدينة القروسطية التي تحمل الاسم نفسه، إسكي ملطية، أو ملطية القديمة.

وقد شُيّدت على مسافة غير بعيدة من المجرى العلوي للنهرات، على إحدى الطرق الجنوبية التي تخترق الهضبة الأناضولية الوسطى، وعلى الطريق التي توصل من كيليكيا وعينتاب (غازي عينتاب) إلى أروزم وشرق تركيا. وكانت تُعرف قديماً باسم ميليتين (Mélitène)، وقد احتلها الجيوش العربية - الإسلامية منذ ٦٣٧/٦٤٧م، إبان الفتوحات الكبرى. وأصبحت آنذاك مركزاً من المراكز على تخوم العالم الإسلامي، بهاجمه البيزنطيون باستمرار ويحتلونهم مؤقتاً ثم عزّزه الخلفاء الأمويون ومعهدهم العباسيون، حتى مجيء الأتراك السلاجقة الذين اجتاحتهم الأناضول في العام ٤٦٣هـ/١٠٧١م. ومذاك توقفت التجاذب حولها بين الإمبراطوريتين العربية والبيزنطية، وضمت نهائياً إلى الإسلام في العام ٥٠٥هـ/١١٠١م، عندما وقعت في أيدي الأسرة الدنشمندية التي اعتبرتها إحدى حواضرها. ولكن نازعتها لاحقاً مختلف القوى الإسلامية المتنافسة على المنطقة، ولا سيما سلاجقة الروم والأيوبيون في سوريا، إلا أن سكانها ظلوا من المسيحيين والمسلمين على السواء.

حاصر المغول ملطية سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م، قبل أن يبسط الإلخانيون سيطرتهم عليها. وقد تمّ في تلك الفترة تشييد مسجد جامع يتميز ببعض الملامح الهندسية، وهو مبني بالآجر ومزخرف بالخزف. ثم انتقلت، بدءاً من ٧١٥هـ/١٣١٥م، إلى أيدي المماليك الذين جعلوها مركزاً متقدماً لدفاعاتهم الشمالية. أخيراً ضمت إلى الإمبراطورية العثمانية في العام ١٥١٦، إثر الحملة المضففة التي قام بها السلطان سليم الأول. وتحولت إلى مجرد مركز لمقاطعة، وراحت تراجعت شيئاً فشيئاً بشكل ملحوظ، ولا سيما بدءاً من القرن السابع عشر. وبعد أن كانت لفترة طويلة مدينة تجارية فيها سوق مسقوفة (بدستان) وخانات عدة للقوافل، أصبحت مهجورة في منتصف القرن التاسع عشر. في أثناء مرور الجيوش العثمانية فيها إبان الحملة ضد محمد

محمد الخامس في العام ١٩٥٧. إن هذا العمل الجديد في الدول الإسلامية نحو الملكيات الطامحة إلى الاقتدار، كانت نتيجة أن سقط عدد من هذه الأنظمة الملكية الجديدة، كالنظام المصري عام ١٩٥٢، والنظام العراقي عام ١٩٥٨، والنظام الأفغاني عام ١٩٧٣.

الملك العادل ← العادل .

ملكشاه بن ألب أرسلان، جلال الدولة معز الدين أبو الفتح، ٤٤٧-٤٨٥هـ/١٠٥٥-١٠٩٢م، سلطان من سلالة السلاجقة الكبار، حكم من ٤٦٥ إلى ٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م، خلال الفترة التي شهدت فيها الأمبراطورية الناشئة عن الغزوات التركية ذروة قوته وانتشارها الأفريقي.

إن ملكشاه الذي عيّنه والده ألب أرسلان، منذ العام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م، ورثاً له، تميزت كسلافه بمهارات القتالية، إلا أنه استطاع أيضاً ممارسة سياسة رجل دول والإفادة من المؤازرة الفعالة التي قدمها له الوزير نظام الملك الذي أبقاء إلى جانبه طيلة فترة حكمه. باشر تعزيز سلطته، في العام ٤٦٦هـ/١٠٧٤م، بالقضاء على عمه ومناقبه «قارورد»، وبوضع حد، في الأقاليم الشرقية، لطموحات السلالات التركية الأخرى، ولا سيما سلالة القراخانيين في آسيا الوسطى، وكانوا قد اجتاحتها منطقة بلخ، وسلالة الغزنويين في غزنة وقد عملوا على توسيع ممتلكاتهم في الاتجاهات كافة وسعيًا لحماية حدوده الشمالية، سمح للسلاجقة قتلش ولعائلته بالاستقرار في الأناضول الذي كان عرضة للنهب وللغرض منذ انتصار مانزيكرت/ ملازكرت في العام ٤٦٣هـ/١٠٧١م، لكنه فرض عليهم رقبته المباشرة. كما اضطر أيضاً إلى التدخل في سوريا حيث كانت تتسلل عصابات تركمانية، وإلى ردع القبائل العربية ومحاربة القوات الفاطمية التي كانت لا تزال موجودة في فلسطين، بينما بسط شقيقه تشر سيطرة سلالة على أنطاكية وحلب والرها. واصل قادة عسكريون آخرون طريقهم جنوباً وفتحوا الجزيرة العربية حيث أرغموا شريف مكة على رفض النفوذ الفاطمي.

يهدف تثبيت سلطته من خلال رعاية الفنون، فزر

الأدوية. وهو الذي يجعل من «الملك» سلطاً زمنية طامحة وغير متقيدة بقواعد الشريعة، وقد لام أعداء السلالة الحاكمة الخلفاء لممارستهم مثل هذه السلطة. ظهر في العصر العباسي، تحت تأثير التقاليد الإيرانية، معنى آخر للقب «ملك» سمح له أن يستعيد مكانته. وقد عمل كتاب هذه الحقبة على تحديد واجبات «الملوك»، أي أصحاب السلطة بوجه العموم، كما استطاع بعض الأمراء الخاضعين للخليفة أن يستأثروا بلقب «ملك». هذا ما فعله بعض أفراد أسرة البويهيين، مثل عضد الدولة، وبعض السامانيين وخصوصاً في ما بعد، سلاطين السلالة السلجوقية الذين لقبوا رسمياً بلقب «ساشانشاه»، وهو يعني في الفارسية «ملك الملوك». حملت لاحقاً بعض الأسر التي حكمت سوريا لقب «ملك»، منها الأيوبيون الذين لم يكن يحق لهم أن يحملوا لقب «سلطان» لأنه كان محصوراً بعدد قليل من السلالات. من جهتهم، حافظ المماليك الذين حكموا سوريا ومصر بعد الأيوبيين والذين دُعوا «سلاطين»، على لفظة «ملك» بين ألقابهم، ولكنهم كانوا يُسمونه بصفة ويعتبرونه من المرتبة الثانية. أمّا المؤت «ملكة»، فقد حملت عامنان، شجر الدر، «ملكة المسلمين» في العام ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، في دولة المماليك الناشئة، ورضية ملكة دلهي (٦٣٤-٦٣٨هـ/١٢٣٦-١٢٤٠م). ولم يكن يحقّ لا للأولى ولا للثانية أن تُلقب بـ«سلطانة».

إن لقب «ملك» الذي كانت قد تراجعت قبته في أواخر القرون الوسطى، عاد فاستعمل من جديد في مطلع القرن العشرين. ففي العام ١٩١٦، أعلن الشريف حسين نفسه ملكاً على العرب، ثم في العام ١٩٣٢ ظهرت المملكة العربية السعودية. وكان فيصل الأول بن الشريف حسين قد أصبح، في العام ١٩٢١، ملكاً على العراق، كما أصبح أخوه، في العام ١٩٤٦، ملكاً على الأردن، وحمل اللقب نفسه أنبازاً من بعده. وفي وادي النيل، أصبح الخديوي فؤاد، المتحدث من سلالة محمد علي، ملكاً على مصر في العام ١٩٢٢. من جهته، أعلن أمير أفغانستان، الذي يُنسب إلى سلالة الباركزيين، نفسه ملكاً من العام ١٩٢٦، وكذلك فعل «سلطان» المغرب

ملكشاه إظهار عظمته في عاصمته أصفهان حيث أدخل تعديلات رائعة على المسجد الجامع الذي تمت زخرفته في عهد البويهيين، والذي كان مزوداً بصالتين تعلو كل منهما قبة - أحدهما كانت بلا شك خارج المبنى - وتعتبران من أهم إنجازات الفن السلجوقي المصنوع من الأحمر، إن من حيث المبنى وإن من حيث الزخرفة. أما أكبرهما التي كانت تستخدم كمقصورة ضخمة فقد ضمت المحراب؛ إنها ضُمَّت أولاً كبناء منفرد محاط بممر مكشوف، مُدرج في طرف الجناح المحوري الذي يُشير إلى قاعة الصلاة. تشكل هذه الصالة نمطاً جديداً في الفن المعماري وفي توازن الأحجام، إن في الداخل أو في الخارج. وقد اعتُبرت نموذجاً في ما بعد في كافة الأبنية المماثلة التي ساهمت في نشوء نوع جديد من المساجد المشيدة في إيران، في عهد السلاجقة الكبار، فيل أن يمتد تأثيرها إلى مناطق الأمبراطورية الأخرى، من دمشق إلى ميفارقين، ومنها إلى الأناضول. هكذا شكّلت مقصورة أصفهان الضخمة مصدرًا لتقليدين نمّلا، خلال القرون اللاحقة، من جهة في المساجد الإيرانية خلال عهدي الإلخانيّين والصفويّين، ومن جهة أخرى في المساجد التركية خلال عهدي سلاجقة الروم والعثمانيين. كما شكّلت أيضاً شهادة فريدة تمجّد ذكرى ملكشاه من خلال مجموعة الألقاب الملكية المنقوشة على قاعدة القبة والتي تُحدّد تاريخ تشييدها بأواخر عهد السلطان. وشهدت أصفهان أيضاً ولادة نموذج هندسي آخر، هو نموذج المدرسة الذي انطلق بفضل الدفع الذي أعطاه الوزير نظام الملك. ولكن لم يبقَ أيّ شواهد أثرية عن هذه المؤسسة.

ملكشاه إظهار عظمته في عاصمته أصفهان حيث أدخل تعديلات رائعة على المسجد الجامع الذي تمت زخرفته في عهد البويهيين، والذي كان مزوداً بصالتين تعلو كل منهما قبة - أحدهما كانت بلا شك خارج المبنى - وتعتبران من أهم إنجازات الفن السلجوقي المصنوع من الأحمر، إن من حيث المبنى وإن من حيث الزخرفة. أما أكبرهما التي كانت تستخدم كمقصورة ضخمة فقد ضمت المحراب؛ إنها ضُمَّت أولاً كبناء منفرد محاط بممر مكشوف، مُدرج في طرف الجناح المحوري الذي يُشير إلى قاعة الصلاة. تشكل هذه الصالة نمطاً جديداً في الفن المعماري وفي توازن الأحجام، إن في الداخل أو في الخارج. وقد اعتُبرت نموذجاً في ما بعد في كافة الأبنية المماثلة التي ساهمت في نشوء نوع جديد من المساجد المشيدة في إيران، في عهد السلاجقة الكبار، فيل أن يمتد تأثيرها إلى مناطق الأمبراطورية الأخرى، من دمشق إلى ميفارقين، ومنها إلى الأناضول. هكذا شكّلت مقصورة أصفهان الضخمة مصدرًا لتقليدين نمّلا، خلال القرون اللاحقة، من جهة في المساجد الإيرانية خلال عهدي الإلخانيّين والصفويّين، ومن جهة أخرى في المساجد التركية خلال عهدي سلاجقة الروم والعثمانيين. كما شكّلت أيضاً شهادة فريدة تمجّد ذكرى ملكشاه من خلال مجموعة الألقاب الملكية المنقوشة على قاعدة القبة والتي تُحدّد تاريخ تشييدها بأواخر عهد السلطان. وشهدت أصفهان أيضاً ولادة نموذج هندسي آخر، هو نموذج المدرسة الذي انطلق بفضل الدفع الذي أعطاه الوزير نظام الملك. ولكن لم يبقَ أيّ شواهد أثرية عن هذه المؤسسة.

المُلْكِيَّة (حق -) في الإسلام. حق يُقرّه الفقه، تختلف أنواعه باختلاف الحالات المقرّرة.

يجري التمييز بين المُلْك الكامل، أي حق تملك الشيء حصراً والاستفادة من كل ما ينتج، وحق التصرف الذي يُمكن أن يكون محصوراً في وجوه عدّة. هناك أيضاً ملكيّة بالشروع، وهي حالة لطالما تكثر بسبب القواعد الخاصة بالإرث في الإسلام. وفي ما يتعلّق بالأراضي، هناك حقّ اقتطاع الضريبة على حكرة عقارية، لا يملكها من يستفيد منها بحكم الإقطاع أو التيمار. نعرف الشريعة الإسلامية بالملكيّة الخاصّة، لكنها تضع لها حدوداً تُيسّر لصاحبها خدمة الله على وجه أفضل وتُبعدّه عن الظلم، لذا فهي تحرم الاحتكار والأرباح المفرطة وتضع أسس الأخلاقيّات الاقتصادية الحقيقية.

ملوى أو مالوى، منطقة في وسط الهند، خضعت للإسلام بعد فتحها في العام ١٣٠٥/٧٠٥م، على يد سلاطين دلهي، وتشكّل حالياً جزءاً من الاتحاد الهندي. تعرّضت هذه المقاطعة، الواقعة عند مفترق الطرق المؤدية إلى شمالي منطقة الدكن والمشرقة على مواصلات غجرات مع الساحل الشرقي، منذ العام ١٢٣٥/٦٣٢م، إلى غزوات سلاطين دلهي الذين سيطروا عليها في أوائل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وأوكلوها إلى حكّام من قبائل جعلوا منها، في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، إمارة مستقلّة عاصمتها ماندو التي سرعان ما

ملكشاه إظهار عظمته في عاصمته أصفهان حيث أدخل تعديلات رائعة على المسجد الجامع الذي تمت زخرفته في عهد البويهيين، والذي كان مزوداً بصالتين تعلو كل منهما قبة - أحدهما كانت بلا شك خارج المبنى - وتعتبران من أهم إنجازات الفن السلجوقي المصنوع من الأحمر، إن من حيث المبنى وإن من حيث الزخرفة. أما أكبرهما التي كانت تستخدم كمقصورة ضخمة فقد ضمت المحراب؛ إنها ضُمَّت أولاً كبناء منفرد محاط بممر مكشوف، مُدرج في طرف الجناح المحوري الذي يُشير إلى قاعة الصلاة. تشكل هذه الصالة نمطاً جديداً في الفن المعماري وفي توازن الأحجام، إن في الداخل أو في الخارج. وقد اعتُبرت نموذجاً في ما بعد في كافة الأبنية المماثلة التي ساهمت في نشوء نوع جديد من المساجد المشيدة في إيران، في عهد السلاجقة الكبار، فيل أن يمتد تأثيرها إلى مناطق الأمبراطورية الأخرى، من دمشق إلى ميفارقين، ومنها إلى الأناضول. هكذا شكّلت مقصورة أصفهان الضخمة مصدرًا لتقليدين نمّلا، خلال القرون اللاحقة، من جهة في المساجد الإيرانية خلال عهدي الإلخانيّين والصفويّين، ومن جهة أخرى في المساجد التركية خلال عهدي سلاجقة الروم والعثمانيين. كما شكّلت أيضاً شهادة فريدة تمجّد ذكرى ملكشاه من خلال مجموعة الألقاب الملكية المنقوشة على قاعدة القبة والتي تُحدّد تاريخ تشييدها بأواخر عهد السلطان. وشهدت أصفهان أيضاً ولادة نموذج هندسي آخر، هو نموذج المدرسة الذي انطلق بفضل الدفع الذي أعطاه الوزير نظام الملك. ولكن لم يبقَ أيّ شواهد أثرية عن هذه المؤسسة.

من ناحية أخرى كان العاهل التركي يهدف إلى بسط سلطته على العراق الذي كان ما يزال متأثراً بهيئة الخليفة العباسي. وفي العام ١٠٨٥/٤٧٨م تمكن من الدخول إلى بغداد حيث منحه الخليفة المقتدي لقب «سلطان»، قبل أن يتم الاحتفال بزواجه من إيسة الخليفة. ومن ثمّ باشر ملكشاه، في عاصمة العباسيين، بتشييد قصر لائق بمبانيه الأخرى لكي يُستخدم مقراً شتوياً له. لكن لم يبقَ أي أثر لهذا المبنى، كما لم يبقَ شيء من المسجد الجامع الذي شيّده في بغداد والذي أطلق عليه اسم

وحافظت على هذا الدور بعد سقوطها على التوالي في أيدي المرابطين في العام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م، والموحدين في العام ٥٣٧هـ/١١٤٢م، ثم المرينيين في العام ٦٢٤هـ/١٢٧٢م. وعرفت، بفضل الحركة التجارية التي ربطت اوربا بمدينة فاس مروراً بمدينة تازة، ازدهاراً كبيراً مال إلى الزوال في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. شهدت بعد ذلك، ابتداء من العام ١٥٠٦، الاحتلال الإسباني، وأوت مرآزا عديدة مسلمين متمردين على سلطة الشرفاء المغاربة المركزية، ولكنها كانت تتعرض للنحصر وللسلسلة من الهجمات العنيفة. ولم تنتهِ هذه الحقبة الصعبة - التي تأكدت خلالها أهمية موقعها الإستراتيجي بالنسبة إلى الإسبان - إلا في أوائل القرن العشرين. ومنذ هذا التاريخ، تطوّرت انشاءات مرفأها الحديثة وتمكّنت المدينة من خلالها أن تزدهر بفضل ارتباطها بمناطق الريف الداخلية.

◀ راجع المستندين ١٤ و ١٩.

ممالك سوريا ومصر، سلاطين أصلهم من الرقيق. حكموا مصر من ٦٤٨ إلى ٩٢٢هـ/١٢٥٠ إلى ١٥١٧م. وسوريا من ٦٥٨ إلى ٩٢٢هـ/١٢٦٠ إلى ١٥١٦م، وفقاً لسلالتين متتاليتين من الملوك الذين أطلق عليهم اسم البحريين والبرجيين، والذين شهدت سلطتهم خلال حوالي ثلاثة قرون نجاحاً اقتصادياً وثقافياً بارزاً.

١- انطلقت سلطنة المماليك خلال سلسلة التعديلات على السلطة التي طبعت نهاية الدولة الأيوبية والتي نتجت، من جهة، عن هجمات الفرنج بقيادة لويس التاسع على مصر، ومن جهة أخرى عن اجتياح المغول لسوريا. بعد أن أبدى ممالك الملك الصالح، آخر الملوك الأيوبيين، تذمرهم من تصرفات السلطان الشاب توران شاه الذي تولى الحكم بعد وفاة والده في معركة المنصورة، أقدموا، في ربيع الأول ٦٤٨هـ/أيار ١٢٥٠م، على اغتياله وعلى المنادة بشجر الدر، أرملة الصالح، ملكة. وقاموا بعد ذلك، في جمادى الأولى ٦٤٨هـ/نومر ١٢٥٠م، بتصيب واحد منهم، أليك، سلطاناً. فأقدم هذا الأخير، في العام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م، على الزواج من شجر الدر بهدف إضفاء الشرعية على سلطته. وخلال النزاعات والخلافات الداخلية التي

تحولت، داخل أسوارها، إلى مركز فني وثقافي بارز. وهنا ازدهرت سلطة سلاطين من السلاطين، الغوريين والخلجيين الذين وسّعوا أنشطتهم العسكرية في الاتجاهات كافة، ضد أسياذ عجمت وضد بني بهمن في بيدار، أو ضد بني شرقي في جزنبر، والذين تميّزوا أيضاً برعايتهم للفنون وإدارتهم الحكيمة. وما زالت في مندو بعض البقايا التي لم نخضع إلا جزئياً للدراسة والترميم، والتي تنتمي إلى مدرسة معمارية مهمة تميّزت بقصورها ومبانيها المدنية الأخرى وبأبنيتها الدينية، ولا سيما المساجد والأضرحة، إضافةً إلى مدرسة للمنمنمات.

سقطت مقاطعة ملوى بين ١٥٣١ و ١٥٣٥م في أيدي سلاطين عجمت وضمت، في العام ١٥٧٠، إلى أمبراطورية المغول، في عهد «أكبر»، حيث شهدت فترة ازدهار جديدة. غير أنّ مقاتلين من قبائل المهراته استولوا في العام ١٧٤١ على المنطقة التي أصبحت أحد أهم ميادين النزاع بين المسلمين والمهراته والبريطانيين. **السلاطين الغوريون والخلجيين:**

ديلافر خان حسين غوري	٨٠٤-٨٠٨هـ/١٤٠٥-١٤٠٠م
ألب خان هوشانغ	٨٠٨-٨٣٩هـ/١٤٠٥-١٤٣٥م
غزني خان محمد	٨٣٩-٨٨٤هـ/١٤٣٥-١٤٣٦م
مسعود خان	٨٤٠-٨٤٣هـ/١٤٣٦م
محمود شاه الأول خلجي	٨٤٠-٨٧٤هـ/١٤٣٦-١٤٦٩م
غياث شاه	٨٧٤-٩٠٦هـ/١٤٦٩-١٥٠٠م
ناصر شاه	٩٠٦-٩١٧هـ/١٥٠٠-١٥١١م
محمود شاه الثاني	٩١٧-٩٣٨هـ/١٥١١-١٥٣١م

◀ راجع المستندين ٣٢ و ٣٣.

مليلة (إسبانيا)، مدينة ومرفأ على البحر الأبيض المتوسط، تقع على ساحل المغرب، كانت خلال القرون الوسطى جزءاً من المغرب الإسلامي وعرفت تاريخاً مضطرباً.

تُذكر مليلة لأول مرة في الحوليات التاريخية خلال عهد عبد الرحمن الثالث، خليفة قرطبة الأموي، الذي استولى عليها وأحاطها بأسوار وأوكلها، في العام ٣١٥هـ/٩٢٧م، إلى أحد حلفائه المعادين للفاطميين. كان دورها الاقتصادي في ذلك الوقت كبيراً بسبب وجودها عند مفرد طريق القوافل الآتية من سجلماسة،

سيطرة الأيوبيين والإسماعيليين وحمايتها ضد المغول والفرنج. وكان بيبرس أول من قرّر حماية هذه الأراضي بمهاجمة الفرنج، مبتدئاً هكذا عن سياسة التعايش السلمي التي مارستها الأيوبيون تجاههم. وتمّ الاستيلاء على مدن وحصون عدّة، بين ٦٦٣ و٦٦٩هـ/١٢٦٥ و١٢٧١م، حيث تمّ احتلال قلعة حصن الأكراد. ثمّ واصل قلاوون المهمة نفسها وفتح طرابلس في العام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، بينما استولى ابنه على عكا في العام ٦٩٠هـ/١٢٩١م، وأيضاً هذا الأخير معقل من مملكة أورشليم اللاتينية في سوريا. من جهة أخرى، لم يعد المغول يشكلون أي خطر، بعد أن استخروا في المملكة الإيرانية - الإسلامية التي حكمها الإيلخانيون المتحدرون من هولاكو. وقد فشل هؤلاء في آخر محاولة قاموا بها سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م للتوسّع.

منذ ذلك الوقت، وحتى العام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م، استطاع ابن قلاوون، الناصر محمد، الذي كان حينئذٍ يحكم للمرّة الثالثة والذي لم يعد يخشى المطامع الأجنبية على سوريا، التفرّع لإصلاح الدولة السورية - المصرية على الصعيد الداخلي، وعلى صعيد النظام الضريبي. فأوكل المناصب المهمة إلى ممالكه وحّد من نفوذ المحاربين القدامى وأعاد توزيع «الإمنايات» العقارية أو الاقطاعات في منطقة دمشق؛ كما أقدم على إلغاء الضرائب غير الشرعية لتحسين شبكته بين الناس. لكنّ هذه التدابير لم تضع حدّاً للزاعات بين جماعات الممالك، بل زادت حدة بعد وفاة السلطان. وتزايد عدد ونفوذ العبيد المتحدرين من أصل شركسي الذين باشر قلاوون بطويعهم، إلى أن أقدم أحدهم على قلب نظام الممالك الأتراك الذين أطلق عليهم اسم «البحريين»، لأن سيدهم الأوّل الأيوبي كان قد أنشأ ثكناتهم في جزيرة في وسط النيل، أي «البحر» عند المصريين.

وهكذا بدأت في العام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م - لكي تنتهي مع الفتح العثماني (١٥١٧) - المرحلة الثانية من سلطنة الممالك المستقلّين. مرحلة المتحدرين من منطقة القوقاز الذين أطلق عليهم اسم البحريين، نسبة إلى البرج الذي اتخذوه مقرّاً لهم. وعلى غرار أسلافهم،

استمرّت، اغتيل إبيك بأمر من شجرة الدر التي قُلت بدورها على يد ممالك زوجها. ومن ثمّ، بعد هزيمة المغول في معركة عين جالوت، تنازع على السلطة قائدان ساهما في تنظيم المقاومة ورّد الغزاة. هما قُطر، أحد ممالك أبيك السابقين، وبيبرس، مملوك آخر مستنفر في سوريا. وأدّى هذا النزاع إلى استيلاء بيبرس وحده على السلطة بعد أن اغتال قُطر.

وهكذا نشأت في جو من التقاتل الأخوي، ومن خلال إنجازات بيبرس على الصعيد الحربي والتنظيمي، دولة ذات طابع خاص وُضعت السلطة المطلقة والمراكز المهمة في أيدي أرسقراطية عسكرية مؤلّفة من المماليك، أي من العبيد السابقين المحرّرين المتحدرين من عناصر مختلفة، ولا سيّما في ذلك الوقت من العنصر التركي. أمّا أعقاب هؤلاء المماليك، في حال وجودهم، فكانوا مستبغدين عن كل مسؤوليّة عسكرية أو حكوميّة، وكانت السلطة تنتقل لمصلحة المماليك الجدد الذين كان يجتدهم كل زعيم ليشكّل منهم «بيته» الذي يبرز من بين أفراد خلفه، من خلال المؤامرات والنزاعات المسلحة، ليثبت قدراته الحربية والسياسية.

أراد بيبرس، المؤسّر الحقيقي للسلطنة، أن يضفي عليها هبة معيّنة، ولهذه الغاية استقبل في القاهرة أحد الأمراء العباسيين الذي نجا من مجزرة بغداد والذي بوع بالخلافة، فنصب هذا الخليفة الجديد، في العام ٦٥٩هـ/١٢٦١م، سلطاناً. ومنذ ذلك الوقت تمّ تصيب سلاطين الممالك الآخرين كافّة على يد خلفاء لا ينتمون بأيّ سلطة. لكنّ السلالة التي حاول بيبرس تأسيسها لم تصمد طويلاً بعد وفاته، إذ أقدم قلاوون، في العام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، على نفي أبناء بيبرس والاستيلاء على الحكم. وبعد ذلك، في العام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، أبعد برقوق سلالة قلاوون عن الحكم واستهلّ عهد المماليك البحريين المتميّز بأصل عرقي مختلف.

تميّزت الفترة الخاصة بحكم السلاطين البحريين الأوائل، بيبرس وقلاوون وورثتهم، حتى العام ٧٠٩هـ/١٣١٠م، بحملات عسكرية هدفها توسيع المملكة الناشئة عن ضمّ الأراضي السورية الواقعة سابقاً تحت

قبل هذه الفترة يعتمدون على نظام قوي ومركزي قوامه طبقة عسكرية عديدة وفعالة في آن.

٢- كان هذا النظام المبتكر قد صُمم، منذ نشأته، نظامًا مختلفًا عن نظام الأيوبيين، فقد استُبدل بالأمرء على رأس المقاطعات حكام مرتبطين ارتباطًا وثيقًا بالسلطان، وحيث تم إصلاح نظام الامتيازات العقارية بشكل يضمن، أفضل من السابق، ممتلكات الدولة ضد أي محاولة سيطرة طويلة الأمد أو رائية. وكان السلطان يمارس سلطة حازمة على الحكّام وعلى الغداة العسكريين الخاضعين بدورهم لثرائية عسكرية إقطاعية محكمة، أُطلق على أفرادها الأسماء الآتية: أمير مئة، أمير أربعين، وأمير عشرة. وقد تم إخضاع هؤلاء جميعًا لتدريب متخصص حولهم من عبيد إلى مقاتلين متمرسين في الدفاع عن الإسلام وعن السلطنة. نمت، من جهة أخرى، عسكرة العديد من مناصب البلاط، ما أدى إلى تزايد نفوذ الأرستقراطية المقاتلة. فاحتلّ المماليك في قصر السلطان مراكز متعددة سميت مراكز «السيف»، مقابل المراكز الإدارية السماة مراكز «القلم». وأعطى لكل من هذه المناصب متفاوتة الأهمية أو الفخريّة لقب نمت صيغته وفقًا للتنسبة القديمة التي غالبًا ما كانت مرتبطة بالمنصب: («ودار» أي حامل المجبرة، «جندار» أي الحارس الشخصي، «جوكاندار» أي القيم على لعبة البول)... وكان هذا اللقب يشكّل جزءًا من سلسلة الألقاب وينتج عنه شعار يمنحه السلطان للمملوك يوم تعيينه ويحتفظ به هذا الأخير في ما بعد. وكانت هذه الشعارات تظهر على الأشياء المصنوعة باسمه أو ترافق النقوش الواردة على بعض الأبنية والمؤسسات بما فيها الأضرحة. ومع الوقت أصبحت هذه الشعارات أكثر تعقيدًا وتركيبًا لكي تشمل المناصب المتعاقبة التي شغلها كل مسؤول عسكري تدرج في المسؤوليات والمراكز الرفيعة.

ومع ذلك، تم الاحتفاظ بمدينتين في بعض المراكز، إنّما بعد أن حُدّدت صلاحياتهن، على غرار ما حصل للوزير الذي أصبح، في أواخر الحقبة، مجرّد رئيس للخزينة. وحدهم العلماء حافظوا على بعض الاستقلالية واحتلوا مراكز مخصصة لهم بطبيعة الحال. غير أنّ

فشل السلاطين اليرجونيّون في تأسيس سلالة ثابتة. غير أنّ الذين تماقوا على الحكم خلال الحقبة بكاملها، والذين غالبًا ما اغتصبوا السلطة، كانت تربطهم ببعضهم علاقات التبعية. اضطرت سلطنتهم أولاً إلى مواجهة إجتياح تيمورلنك الذي احتلّ سوريا مؤقتًا وعك فيها دمارًا في العام ١٤٠٣/١٤٠٠م. ثم في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، بين ١٤٨٥ و١٤٩١م، اضطرت، في ظل حكم قايتباي، إلى مواجهة التهديدات التي بدأ العثمانيون بتوجيهها ضد الأقاليم الشمالية لتلك السلطنة.

كان وضع المماليك شديد الحرج بسبب وجود دولتين كبيرتين على حدودهم، دولة العثمانيين الحاكمة في الأناضول من جهة، ودولة الصفويين القائمة في إيران من جهة ثانية. وفي الوقت نفسه كانت هبنتهم التجارية تواجه صعوبات كبيرة بسبب سيطرة البرتغاليين على المحيط الهندي وعلى البحر الأحمر. وفي العام ١٥١٦م أراد السلطان العثماني، سليم الأول، خلال صراعه مع الصفويين، أن يحمي خاصرته، فأقدم على اجتياح سوريا حيث أنزل بالمماليك، وبسلطانهم قانصوه الغوري، هزيمة قاسية في مرج دابق. ثم أطاح آخر سلاطين المماليك واحتلّ مصر التي أصبحت، على غرار سوريا، مجرّد مقاطعة عثمانية. وأنت هذه الانتصارات نتيجة فعالية جيشي مجهّز بمدفعية، واجه قوّات متعجّرة ومتفطرة و متمسكة بأسلحة تقليدية مر عليها الزمن، وكانت أفضل عناصرها قد تدرّبت على فنون القروسية بنوع خاص. غير أنّ مرحلة المماليك الشركس لم تتميز بالصعوبات السياسية والهجمات الأجنبية فحسب، بل عانت من مفاعيل انحطاط إقتصادي عميق، وبما نتج عن تعثّر القطاعين المماليك، ثم نفاقم تحت وطأة الأوبئة المتعددة، وبشكل خاص الطاعون الأسود. لذلك اضطّر السلاطين، بسبب انخفاض العائدات الضريبية، إلى اتّخاذ تدابير قاسية وإلى السماح باحتكارات، لحساب الدولة. وقد أسادت هذه الاحتكارات إلى النشاط التجاري وزادت من حدّة التراجع. وهكذا دخل العثمانيون مصر فوجدوها ضعيفة على الصعد كافة، بينما كان السلاطين المماليك الذين تماقوا على الحكم

١٣٤١-١٣٤٠/٧٤٤٢-٧٤٤١م	المصور سيف الدين أبو بكر
١٣٤٢-١٣٤١/٧٤٤٣-٧٤٤٢م	الأشرف علاء الدين كجك
١٣٤٣-١٣٤٢/٧٤٤٤-٧٤٤٣م	الكصر شهاب الدين أحمد
١٣٤٥-١٣٤٢/٧٤٤٥-٧٤٤٣م	الصالح عماد الدين إسماعيل
١٣٤٦-١٣٤٤/٧٤٤٦-٧٤٤٤م	الكامل سيف الدين شعبان الأول
١٣٤٦-١٣٤٥/٧٤٤٨-٧٤٤٧م	المظفر سيف الدين حاجي الأول
١٣٥١-١٣٤٧/٧٤٥٢-٧٤٤٨م	الناصر ناصر الدين حسن
١٣٦١-١٣٥٤/٧٤٦٢-٧٤٥٥م	
١٣٥٤-١٣٥١/٧٤٥٥-٧٤٥٢م	النصائح صلاح الدين صالح
١٣٥٤-١٣٦١/٧٤٦٤-٧٤٦١م	المصور صلاح الدين محمد
١٣٦١-١٣٦١/٧٤٦٤-٧٤٦١م	الأشرف ناصر الدين شعلان الثاني
١٣٦١-١٣٦١/٧٤٦٤-٧٤٦١م	المصور علاء الدين علي
١٣٦١-١٣٦١/٧٤٦٤-٧٤٦١م	النصائح صلاح الدين حاجي الثاني

الممالك البرنجيون

١٣٨٩-١٣٨٢/٧٩٩١-٧٩٨٤م	الظاهر سيف الدين برفوق
١٣٩٩-١٣٩٠/٨٠٠١-٧٩٩٢م	الناصر ناصر الدين هرج
١٤٠٥-١٣٩٩/٨٠٠٨-٨٠٠١م	المنصور عز الدين عبد العزيز
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	العادل المستعين بالله
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	المؤيد سيف الدين شيخ
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	المظفر أحمد
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الظاهر سيف الدين ططار
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	النصائح ناصر الدين محمد
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الأشرف سيف الدين روسي
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	العزيز جمال الدين يوسف
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الظاهر سيف الدين جقمق
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	المنصور فخر الدين عثمان
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الأشرف سيف الدين إبنال
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	المؤيد شهاب الدين أحمد
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الظاهر سيف الدين خوش قدم
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الظاهر سيف الدين شيباني
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الظاهر ترمويعا
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الأشرف سيف الدين قنيتاي
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الناصر محمد
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الظاهر قانصوه
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الأشرف حبالاط
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	العادل سيف الدين طرمون باي
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الأشرف قانصوه المغوري
١٤٠٥-١٤٠٤/٨٠٠٨-٨٠٠٧م	الأشرف طرمون باي

◀ راجع المستندات ٢٣ إلى ٦٥ .

انسلطين لم يترددوا في التدخل في السلطة القضائية ، فتمن بيرس أربعة مقضاة كبار ، قاض لكل مذهب فقهي ، لتحل بدون شك من نفوذ المدرسة الشافعية الأكثر شيوعا في مصر . أما الخليفة العباسي المقيم في القاهرة فكان دوره ثانويا ولم يكن يتمتع ، في هذا المجال أو في أية مجالات أخرى ، بآية قدرة على التحكم ، واقتصر دوره على تنصيب السلطان المستولي على الحكم . غير أن الشعب بقي بعيدا عن نظام الحكم السياسي - العسكري ، إذ حُظر على الممالك الزواج بنتيات من الأسر العربية واضطروا إلى الزواج بنتيات من الرقيق يتحدثون من أعراقهم . وأدى هذا الوضع إلى تجاذبات إجتماعية بلغت أحيانا درجة العنف ، نكتها لم تؤثر على النظام نفسه .

بعد العام ١٥١٧ والنصر العثماني النهائي ، لم تود نهاية السطنة إلى نهاية المجتمع المملوكي . وبينما وضع السلطان العثماني حكما مبرر بتطبيق الباب الخاني في سوريا وفي مصر ، بقي جيش الممالك إلى جانب فيالق القوات العثمانية وأعيد في ما بعد تجديده . وكان هذا الجيش المنقسم إلى فئات متناحرة ما يزال موجودا في مصر ندى دخول بونابرت إليها في العام ١٧٩٨ ، وهُزم على أيدي القوات الفرنسية في معركة الأهرام . وبعد رحيل بونابرت ، مُني بهزيمة أخرى في جليوبوليس في العام ١٨٠٠ .

الممالك البحرينيون

١٦٤٨/١٦٤٠م	شجر الدر
١٦٥٥-١٦٥٧/١٦٥٥-١٦٥٧م	المؤيد عز الدين إيبك
١٦٥٧-١٦٥٩/١٦٥٧-١٦٥٩م	المنصور نور الدين علي
١٦٥٩-١٦٦٠/١٦٥٩-١٦٦٠م	المظفر سيف الدين فطر
١٦٦٠-١٦٦٧/١٦٦٠-١٦٦٧م	الظاهر زين الدين بيرس ، الأول
١٦٦٧-١٦٦٨/١٦٦٧-١٦٦٨م	السعيد ناصر ، الدين بركة خان
١٦٦٨-١٦٦٩/١٦٦٨-١٦٦٩م	العادل بدر الدين سلامش
١٦٦٩-١٦٧٩/١٦٦٩-١٦٧٩م	المنصور سيف الدين قلاوون الثاني
١٦٧٩-١٦٩٣/١٦٧٩-١٦٩٣م	الأشرف صلاح الدين خليل
١٦٩٣-١٦٩٤/١٦٩٣-١٦٩٤م	الناصر ناصر الدين محمد
١٦٩٤-١٦٩٩/١٦٩٤-١٦٩٩م	
١٦٩٩-١٧٠٩/١٦٩٩-١٧٠٩م	
١٧٠٩-١٧١٠/١٧٠٩-١٧١٠م	
١٧١٠-١٧١٦/١٧١٠-١٧١٦م	العادل زين الدين كيتغا
١٧١٦-١٧٢٩/١٧١٦-١٧٢٩م	المنصور حسام الدين لاجين
١٧٢٩-١٧٣١/١٧٢٩-١٧٣١م	المظفر زين بيرس الثاني

القروسية مكانة كبيرة. كان يُخصَّص سيّد لكلّ عبد يدين له هذا الأخير بولاء تامّ ويعتبره أبًا له. وفي نهاية مرحلة التدريب، كان يتمّ تحرير المملوك لكي يصبح جنديًا عاديًا. وكان من ثمّ باستطاعته الوصول إلى رتبة أمير وإرتقاء درجات السلك العسكري. وكان مجتمع المماليك مؤلّفًا من هؤلاء المحرّرين الذين كانوا يشكلون الأرستقراطية العسكرية. أمّا وريثهم - في حال وجودهم - إذ إنّ عددًا منهم كانوا من الخصيان - فكانوا مبعدين عن هذه الاسترقاقية التي لا سبيل للوصول إليها إلّا من خلال العبوديّة التي تؤدي مباشرة إلى مناصب القيادة والحكم.

المنار (حزب)، مصطلح عام استُخدم للإشارة إلى شخصيات متعدّدة كانت تعيش في مصر في نهاية القرن التاسع عشر، وكانت تُعتبر، لأسباب عديدة، رفاق درب لمحمّد عبده.

وكانت هذه الشخصيات التي ساهمت في مجلة «المنار» التي أنشأها رشيد رضا في القاهرة، في العام ١٨٩٩، للمساعدة على إطلاق حركة إصلاحية إسلامية مبتكرة، تنتمي إلى مجموعات عدّة، ومن بينها:

- مجموعة «الأزهريين» التي ضمت كبار علماء الأزهر ومفتين استطاعوا أحيانًا، من خلال مناصبهم، المساهمة في الجهود التي بذلها محمّد عبده في سبيل تغيير بعض الأساليب في تطبيق الشريعة في مصر.

- مجموعة «المثقفين»، وقد برز فيها كتاب مثل الموليحي (١٨٤٦-١٩٠٦) الذي عمل على تجديد اللغة العربيّة، وزغلول باشا (١٨٦٣-١٩١٤) القاضي الذي ترجم مؤلّفات عدّة من اللغات الأوروبية إلى العربيّة، والمنفلوطي (١٨٧٦-١٩٢٤) الكاتب الذي تميّز بأنّجاهاته المحافظة، وحافظ إبراهيم (١٨٧٣-١٩٣٢) المستنقش بشاعر النيل، الضابط السابق الذي ابتكر شعورًا أكثر تجديدًا.

- أخيرًا مجموعة رجال السياسة التي ضمّت الصحفي عبدالله التدمي (١٨٤٥-١٨٩٦)، «خطيب الثورة» التي قام بها عرابي باشا، وقوميين آخرين أكثر اعتدالًا مثل زغلول باشا الذي سبق ذكره والذي احتلّ منصب وزير التربية العامّة في سنة ١٩٠٦، وأخيرًا قاسم

مملوك، جمعها ممالك، مصطلح عربي يشير إلى «الشيء المملوك»، إلى «العبد»، وبشكل خاص «العبد العسكري»، سواء تمّ تحريره بشكل شرعي أم لا.

إنّ أول ظهور لمثل هؤلاء العبيد العسكريين في الإسلام يعود إلى أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، خلال العصر الذهبي لسلالة الخلفاء العبّاسيين، عندما بدأ أحد أفراد هذه الأسرة الذي عُرف في ما بعد بالخليفة المعتصم، والذي كان عندئذ شقيق الخليفة الحاكم، بتطويع جيش من الرقيق الأتراك لكي يشكل حرسه الخاص، وقد جمعهم، في ما بعد، في مقرّ إقامته في سامراء. لم يطلّق على هؤلاء الأتراك اسم «ممالك» في النصوص، على غرار السلاطين المستعدين في الأندلس والذين أطلق عليهم اسم «صفالبة»، غير أنّ وضعهم كان مشابهًا للوضع الذي عرفه في ما بعد، في مصر وسوريا، المجتذون الذين عُرفوا باسم الممالك والذين شكّلوا أساسًا لنظام سياسي جديد. كما أنّ الظاهرة نفسها طبعّت الإمارات الأخرى الناشئة داخل الامبراطوريّة العبّاسيّة المتفكّكة أو على حدودها والتي لجأت إلى تجنيد فرق من العبيد من أصول مختلفة. ومن أشهرهم ضبّاط الغوريين الذين أصبحوا في ما بعد «الملوك-العبيد»، أو «المعزّين»، والذين حكموا الهند كسلّاطين من سنة ٦٠٢ إلى ٦٨٩هـ/١٢٠٦ إلى ١٢٩٠م واتّخذوا دلهي عاصمة لهم، فشكّلوا هكذا أولى سلالات سلاطين دلهي.

من بين كل العبيد الجنود، فالذين أُلقيت عليهم أوزًا تسمية «ممالك»، هم الذين جندهم ملك من سلالة الأيوبيين، الملك الصالح، وكانوا متجنّدين من آسيا الوسطى. وخلال المرحلة الأولى من حكم سلطنة القاهرة، شكّلوا الفرق المعروفة بـ«البحرية». ثم استُبدل هؤلاء الأتراك شركس من القوقاز، هيمنوا خلال مرحلة حكم الممالك البرجيين وضَمُّوا أيضًا عبيدًا من أعراق متعدّدة.

كان يتمّ شراء العبيد المخصّصين للخدمة العسكريّة من تجّار مسلمين من خارج الدولة، ثم يتمّ تدريبهم في مدرسة حربيّة في قلعة القاهرة. وكانوا يتابعون، في الوقت نفسه، دروسًا دينيّة وتدريبًا خاصًا تحتلّ فيه

للهجرة/ التاسع للميلاد، مسجد بن كبيرين شيدهما في سامراء الخلفاء العباسيون، وكذلك مسجد ابن طوئون الذي ما يزال قائماً في القاهرة. وفي القيروان تم، في عهد الأغالية، تشييد برج ضخم مرتفع الزوايا لغايات دفاعية بوجه خاص، وذلك لمناسبة إعادة إعمار المسجد الذي شيده في ما مضى عقبة بن نافع. وتجدر الإشارة في جميع هذه الحالات إلى سعي جميع الحكام المسلمين إلى العظمة، ما يعكس العلاقات التفضيلية التي كانت تربطهم بالمركز الرمزي والسياسي في أن واحد، المتمثل بالمسجد الجامع.

تجسدت هذه الإرادة في ما بعد في أبراج الأجر المشيدة، خلال القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، في غزنة، على أيدي الغزنويين مسعود الثالث وبهرام شاه. كما في تلك التي أقامها حكام خراسان في دماغان مثلاً، وأيضاً في المئذنة الحجرية المرتفعة الزوايا التي خلفها السلجوقي تثنى في المسجد الجامع في حلب. كما شيدت، في أواخر القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، نماذج أخرى لا مثيل لها مزودة بطبقات عدة أسطوانية الشكل جزئياً أو مخروطية التجذع، مثل مئذنة جام/ فيروزكوه ومئذنة زيار بالقرب من أصفهان، أو قطب مار في دلهي. كما ساد في الغرب طابع ملكي مماثل، في المغرب الأقصى وفي الأندلس. تمثل في الأبراج الشهيرة المرتفعة التصميم والشاعقة التي شيدها الموحدون تأكيداً لفخامة المساجد الجامعة التي أقاموها في مراكش وإشبيلية أو في الرباط. ساهمت هذه الإرادة الملكية الساعية إلى العظمة، والتي قابلتها الموصفات البيئية والزخرفية الخاصة بهذه المآذن المختلفة المتكررة كأعمال فريدة واستثنائية، في تعظيم النماذج الهندسية المتقنة من تقاليد متعددة من دون التمييز بينها. وكان بعضها مستوحى من البرج الأسطواني الشكل، المصنوع في معظم الأحيان من الأجر والذي امتد على طول مسارات القوافل في إيران، أو الذي استُخدم لتعزيز دفاع الحصون ورباطات الحدود، مثل رباط سوسة في إفريقية على سبيل المثال. بينما كان بعضها الآخر مؤلفاً من برج مرتفع الزوايا، دفاعي أو سكني، مصنوع من مداميك

أمين (١٨٦٥-١٩٠٨). المعجزة الناشط في الدفاع عن حقوق المرأة والمناادي بتعليم النساء والتخلي عن المنجاب ورفض تعدد الزوجات.

منارة أو منار، صومعة ومأذنة أو مئذنة. برج يشكّل حاليًا جزءاً من النظام الهندسي للمسجد الجامع. ورمزاً حقيقياً للإسلام.

إنّ تنوع المصطلحات المستخدمة في اللغة العربية مع دلالاتها الخاصة، من «برج مراقبة مُضاء أو غير مُضاء» لكلمة منارة، و«المكان الذي تنطلق منه الدعوة إلى الصلاة أو الأذان» لكلمة مئذنة، كافٍ لإظهار تعدد المفاهيم المتصلة بعنصر بنياني ارتبط في بلاد الإسلام، وفقاً للمكان والزمان، بوظائف ومواصفات مختلفة. أمّا المصطلح الفرنسي (Minaret) فيعود أصله إلى مصطلح تركي حديث، مشتق من كلمة منارة، استُخدم من دون أيّ التباس في الأمبراطورية العثمانية للدلالة على مكان معدّ لرفع الأذان، وعلى عنصر هندسي عالٍ وضامر الجسم، يُقام منفرداً أو بمجموعات من عنصرين أو أربعة أو حتى ستة عناصر منمّعة للقباب التي كانت تعلو المساجد الجامعة، تأكيداً لدور المنارة المزدوج على الصعيدين الديني والجمالي.

كان الوضع السابق مختلفاً، إذ إنّ الدعوة إلى الصلاة في أوائل أيام الإسلام، وفقاً للعرف الذي وضعه النبي محمد ﷺ، لم تكن تستدعي سوى منصة متفاوتة الارتفاع. أطلقت في سوريا في عهد الأمويين تسمية مئذنة على المكان المخصص على السقف لهذه الدعوة، وكان يُبلغ إليه بسلام خارجي مثل الذي ما يزال قائماً في مسجد البصرة الجامع والذي ربّما له علاقة بكتّابة عائدة إلى العام ١٢٨هـ/ ٧٤٥م. وما تزال هذه العادة متبعة في الوقت الحاضر في بعض الدول الإسلامية، ولا سيّما في المناطق الريفية.

وفي الوقت نفسه ظهرت، في أنحاء العالم الإسلامي كافة، أبراج بأشكال ومواد مختلفة استُعملت أيضاً لغايات متعددة، وأطلق عليها اسم منارة أو صومعة. أجمل النماذج وأضخمها هي تلك التي خلّقتها المؤسسات الخليفة والأميرية، مثل أبراج الأجر ذات السلم اللولبي الخارجي التي رافقت، في القرن الثالث

المنافقون، كما يبدو، يشكلون مجموعة متجانسة، ومن المعلوم أن كبيرهم عبدالله بن أبي، انتقد الطريقة التي أدار بها النبي محمد ﷺ معركة أحد. واستخدمت هذه العبارة في ما بعد، خارج النطاق التاريخي الخاص بالدولة الإسلامية الأولى، خلال النزاعات الدينية التي سادت في القرون الأولى، بمفهوم حشيش ما زال مرتبطاً بها.

منبج (الجمهورية العربية السورية)، مدينة قروسطية غنية ونافذة في شمال سوريا، اندثرت في ما بعد إلى مستوى قرية بسيطة.

تقع مدينة منبج، هيرابوليس قديماً، شمال شرقية حلب، على مقربة من نهر الفرات الذي كانت مياهه تروي منطقتها. عُدت في العام ١٦هـ/٦٣٧م، صلحاً مع القوات العربية - الإسلامية - وفتحت لها أبوابها، فاستولت عليها هذه القوات في بداية الفتوحات الكبرى مقدرةً أهميتها العسكرية. هكذا أصبحت أحد المواقع المحصنة الأكثر ثباتاً أمام الإمبراطورية البيزنطية، فرفعها الخليفة العباسي هارون الرشيد، في العام ١٧٠هـ/٧٨٦م، إلى مرتبة عاصمة المنطقة الحدودية المفصولة عن جند قسرين.

بانت منبج، خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أحد أهداف الهجمات البيزنطية، فقام نيقفور فوكاس، في العام ٣٥١هـ/٩٦٢م، بانتزاعها من إبن عم سيف الدولة الحمداني، الشاعر أبي فراس، الذي اقتيد أسيراً إلى القسطنطينية. وانتقلت بعد ذلك مراراً من معسكر إلى آخر إلى أن ضُفها نهائياً إلى الأراضي الإسلامية السلجوقية ألب أرسلان في العام ٤٦٣هـ/١٠٧١م، على أثر معركة مانتزيكرت/ملازكرت، فكان

لها، بفضل قلعة نجم وموقعها المتقدم على الفرات، دور كبير في حماية مملكة حلب خلال عهد الأيوبي الملك الظاهر غازي. ثم تدهورتها، في العام ٥٦٢هـ/١١٦٧م، بمدرسين، الأولى شافعية والأخرى حنيفة. وهذا دليل على الأهمية النسبية لعدد سكانها. وتعرضت مرتين، خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، لنهب المغول، ووقعت أخيراً تحت سيطرة المماليك، لكنها فقدت خلال القرن الثامن الهجري/

حجرية كان معروفاً في الشرق القديم وفي العهد البيزنطي، وقد اعتمد في ما بعد في الأقاليم الإسلامية في هذه المناطق وفي المغرب.

إن محاولات هندسية جديدة أجريت في ما بعد في بعض مراكز الحضارة الإسلامية، تنبئ مظهر المآذن التي اكتسبت نهائياً، خلال القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، مكانتها وتبريرها الوظيفي. وأصبحت المئذنة رمزاً من رموز الإسلام وأداة للدعوة الدينية التي يتضمنها نص الأذان، كما أصبحت عنصرًا لا غنى عنه في أي مسجد جامع، أو أي مُجمّع هندي جُهِز فيه المصلّى بيمين، أو في أية كلية ضمنها مدارس وخوانق وأضرحة مجمعة ضمن مؤسسات ملكية. ومنذ ذلك الحين تكاثرت في المغرب المآذن الصغيرة من النوع القروسطي المتأثرة أحياناً بالنمط العثماني والتي باتت ترافق أمكنة الصلاة، حتى الصغيرة منها. وتكثفت في مصر العناصر الأسطوانية الشكل، المرتفعة والمزخرفة، التي تشكل تمييزاً عن أجمل أبنية المماليك الدينية. كما تطوّرت، آنذاك، في العالم التركي - الإيراني، وصولاً إلى الهند، عناصر المواجهات والمداخل التيمورية أو النصفوية أو المغولية المحاطة بمذنتين أو أكثر، وسلسلة المآذن المرتفعة المحيطة بقباب العثمانيين الإمبراطورية. وأصبح المسلمون في الدول كافة يربطون هذه العناصر الزخرفية التي بانت ضرورية، بإنجازات ذات طابع شعائري ديني، وأصبحت علامة مميزة لكل مسجد، وحتى لكل مبنى ديني ذي أهمية.

« راسع المستند رقم ٤٤، ٥٤، ٦٣، ٧٤، ٧٦، ٨٥.

المناظرة ← الجدول.

المنافقون، مصطلح عربي يشير في القرآن إلى بعض سكان المدينة الذين لم يتمكن النبي محمد ﷺ من الاعتماد عليهم والذين غالباً ما وجه إليهم التوبيخ والولوم.

كان المنافقون في الحقيقة جماعة أسلموا «مترددين»، فلم يشاركوا دوماً في الحملات التي جُزّدها قائد الجماعة الإسلامية. إضافة إلى ذلك فإنه كان مضطراً إلى مراعاة جانبهم. لم يكن هؤلاء

بإفريقية، وإمّا إلى القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر لتتميلاد، مثل بعض منابر إيران. وببعد ذلك، نَمَّ انجاز أجمل الأعمال الفنية من هذا النوع، إذ أصبحت المنابر مزودةً بأبواب متوّجة ذات مصراحين ويزدبزين، وبظُلَّة تعلوها قبة صغيرة، واستلزم تنفيذ هذه الأعمال اللجوء إلى زخرفة مفرّصة وإلى تقنيات متطوّرة في استعمال الخشب، مركّزة على تجميع القضبان والألواح. وفي الوقت نفسه ظهرت منابر مصنوعة من مواد أخرى، مبنية ومكسوة بالخزف الملون أو مصنوعة من أجمل الحجارة أو من الرخام، مثل بعض منابر المماليك في القاهرة. ومثل الكثير من النماذج العثمانية المشيدة في الأناضول، ومن ثمّ في اسطنبول وفي أماكن أخرى من الأمبراطورية.

منتشا (بنو -)، ٧٠٠ تقريباً-١٣٠٠ تقريباً-١٤٢٥م، ثلاثة تركمانية من عهد الامارات، حكمت جنوب غربي الأناضول الأيحي حول عاصمتها ميلاس. إنّ المقاطعة التي حكمها بنو منتشا تقع في منطقة ساحلية وجبلية يصعب الوصول إليها، كانت تضمّ مقاطعتي كاريّا (Carie) وليسيا (Lyce) الفدّيتين، وقد انتقلت إلى المسلمين في العام ٦٥٩هـ/١٢٦١م، على أيدي أتراك خاضعين لسلاجقة الروم. وحكم حوالي ٦٨١هـ/١٢٨٢م منتشا بك بنفسه. لا نعرف الكثير عن تاريخ خلفائه الذين حاولوا، بدون جدوى، الاستيلاء على جزيرة رودس، والذين اصطدموا بالبنادقة وبالعثمانيين. أعاد تيمورلنك، بعد معركة انقره، بناء الإمارة التي كان السلطان العثماني بايزيد الأوّل قد احتلّها في العام ٧٩٥هـ/١٣٩٣م ولم تمنح السيادة العثمانية قفليّة عليها إلّا في العام ١٤١٤م، خلال عهد السلطان محمد الأوّل جلبي. قبل أن يقضي مراد الثاني على هذه السلالة في العام ١٤٢٤م.

كان بنو منتشا من محبّي العلماء والعقّفين، كما كانوا أيضاً من البَنّائين. ففي مدينة ميلاس، كما في موقع بيجين المحصّن الذي كان يحكمها من الجهة الجنوبية والذي ما تزال بقاياه قائمة على هضبة صخرية، وأخيراً في مرقا بلات القروصلي، ما تزال أبنية عدّة قائمة تبعث ذكراهم ومن بينها عدد من المساجد.

« راجع المستند رقم ٢٢ »

الرابع عشر الميلادي، وضعها المميّز كعاصمة للمواقع الحدودية لمصلحة مدينة أنطاكية. انتقلت من ثمّ، في العام ١٥١٦، إلى سلطة العثمانيين وانعكس عليها سلبيّا تحوّل طرق القوافل عنها، ما قضى على تجارتها وعلى مركزها الإستراتيجي اللذين شكّلا قاعدة ازدهارها. وأدّى إلى حالة من الانحطاط لم تتمكّن الحقبة الحالية من معالجتها.

« راجع المستند رقم ٩ »

المنبر، هو أحد العناصر التي قام عليها تجهيز المسجد الجامع منذ أيام النبي ﷺ والتي استمرّت إلى أيامنا هذه في شكل منبر متدرّج، وفي أغلب الأحيان في شكل سلّم متعدد الدرجات. مثل هذا المنبر دوراً غاية في الأهمية في شعائر صلاة الجمعة، بحيث أصبحت عبارة «مسجد بمنبر» تعني المسجد الجامع، أي المسجد الوحيد الذي كان يمكن أن تُلقى فيه الخطبة ذات الطابع السياسي والديني في آن، والتي طالما شكّلت إحدى أهمّ معيّنات الصلاة الأسبوعية الرسمية. اقتصر المنبر أوّلاً على استخدام مرقفٍ مخصّص لنبي الإسلام ﷺ، ولخلفائه ورؤساء الجماعة من بعده، كما ثبت أنّ النبي محمّداً ﷺ كان يجلس على مقعد خشبي مرتفع لإصدار أحكامه القضائية وخطبه المهمة والتوجّه إلى المؤمنين. بقي هذا العرف مرتبطاً بالمكانة الخاصة التي احتلّها المسجد الجامع في حياة المسلمين العامة. وخلال العصر العبّاسي كان على الخليفة أن يقف على المنبر لتُقلّل قُسم الولاء أو البيعة. لكن، مع مرور الزمن، اقترنت وظيفة هذا المنبر الضخم بأهداف طقسية بشكل خاص، وتضاءلت تدريجيّاً رمزيته الملكية واقتصر استعماله على منبر للخطيب الديني. وأصبح إمام الصلاة أو الخطيب يتكلّم وحده، واقفاً على إحدى درجات المنبر، من دون اعتلاء المنصة العليا.

لم يبنئ شيء من منابر قرون الإسلام الأولى المشار إليها في المصادر المكونية وحدها. ويبدو أنّها كانت متحرّكة ومصنوعة من الخشب على غرار المقعد الذي شغله النبي محمّد ﷺ. كما كانت مصنوعة من الخشب أيضاً أقدم النماذج المنقّية والتي تعود إمّا إلى القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، مثل المنبر الأغلي في القيروان

أن يمنع، بانتصاراته العسكرية، نجم خلافة قرطبة من الأول.

هذا القائد العسكري والسياسي الطموح، الذي تلقى العلوم التقليدية في الفقه والحديث، تسلّم مناصب متنوعة في القضاء والإدارة، قبل أن يصبح وزيراً ثم حاجباً، سنة ٩٧٨/٨٣٦٨م، للخليفة هشام الثاني الذي كان للمنتور الفضل في إبعاده إلى سدة الخلافة. وقد توصّل بعد ذلك إلى الاستئثار الكامل بالسلطة، ما سمح له بأن يتخذ لنفسه، سنة ٩٨١/٨٣٧١م، لقب المنتور بالله. وقد حرص على أن يبقى على وفاق مع العلماء، وعلى أن يظهر للرأي العام بمظهر المدافع الجديد عن الإسلام، القادر على القيام بسلسلة حملات عسكرية ضد المناطق المسيحية، وعلى القضاء على ما حقّته حروب الاسترداد خلال السنوات السابقة من إنجازات. واستطاع في الوقت نفسه ضبط سير عجلة الدولة، عن طريق جعل السلطة المركزية محصورة في «المدينة الزاهرة» التي بناها قريباً من قرطبة، وقد أراد أن ينافس بها مدينة «الزهراء» التي بناها الخليفة عبد الرحمن الثالث.

والانتصارات العسكرية التي انتقدها المؤرخون المسيحيون في ذلك العصر، كانت ثمرة تنظيم جديد للجيش، عمد فيه إلى إقصاء الأندلسيين وتطويع المحترفين من المرزقة. هذه الوسيلة التي نجحت عسكرياً كانت لها سلباتها، إذ استلزمت (تفاق الأموال الكثيرة، وأقت إلى إفقار أبناء البلاد الذين أقلتهم الضرائب، فضلاً عن حرمانهم من كلّ أنواع التدريب العسكري. بذلك تغيّرت هيكلية الدولة وضعفت، على الرغم من الانتصارات السريعة، وفقدت إمكان استعادة قوّتها في مجتمع بات يعيش أزمنة معيشية حادة. أمّا أبناء المنتور فلم ينجحوا في الحفاظ على إنجازاته في قرطبة، ولم تستطع الأسرة العماريّة أن تستمرّ إلا زمناً قصيراً، على رأس إمارة بلنسية، في مطلع القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد.

المنتور، أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي، ٩٠-١٥٨هـ/٧٠٩-٧٧٥م، الخليفة الثاني في سلالة العباسيين. وُلد من امرأة بربرية، وهو الأخ غير الشقيق لإبراهيم والسفاح، حكم ابتداء من العام

مُنْشِير (الجمهورية التونسية)، «قصور المنشير» سابقاً، مرفأ من مرفأ منطقة الساحل. يقع جنوبي سوسة. اكتسب شهرته خلال القرون الوسطى من خلال مرفعه الاستراتيجي.

في العام ٨١٨/٧٩٦م، بأمر من الخليفة العباسي هارون الرشيد الحرّص على الدفاع عن إفريقية ضدّ هجمات البيزنطيين والمدن الإبطالية الساحلية. قام حاكم المقاطعة بتجهيز منشير ببرباط ما يزال قائماً بعد أن طرأت عليه تعديلات عدّة، عند زاوية المدينة المحميّة. ولم تتوافر المعلومات المتعلقة بالتصميم الإجمالي إلا من خلال وصف قليل الدقّة لكاتب من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، هو أبو عُبيد البكري. أمّا بقايا الحصن المعماريّة، المجهّز مثل حصن سوسة ببرج مضاعف، أسطواني الشكل، ساهم في ما بعد في تطوير هندسة المآذن، فقد خضعت لدراسات وترميمات عديدة.

كانت مدينة منشير تعتبر أرضاً «مقدّسة» بفضل رباطها الذي كان يُنظر إليه كقلعة وزاوية في آن، وقد لجأ إليه مناضلو الجهاد المتمسّون أيضاً إلى الصوفيّة. كما حرص عدد وافر من الشخصيات على أن يُدفنوا في المدينة، ولا سيّما أمراء أسرة الزيريين خلال الفترة التي تلت غزو الهلاليين في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد. وامتدّ عبر القرون نشاط المرابطين الذين كانوا يقيمون فيها، وقد أتى على ذكرها في عهد العثمانيين يري رئيس محبي الدين الذي استخدم عندئذٍ مصطلح «الزاوية» للإشارة إلى المعنى المخصّص لحماية المرفأ.

ازدادت شهرة منشير بشكل خاص خلال الفترة المعاصرة، لأنّها مسقط رأس الحبيب بورقيبة، الرئيس المؤسّس للجمهورية التونسية. وتمّ تجهيزها مؤخراً بمسجد جامع يحمل اسمه، ويضريح لعائلته.

المنتور، أو المنتور بن أبي عامر، أبو عامر محمّد بن عبدالله، (٢٢٦-٣٩٢هـ/٩٣٨-١٠٠٢م)، هو عمدة القصر الذي، في أواخر عهد الدولة الأمويّة في الأندلس، تسلّم السلطة الفعلية في البلاد، بين سنتي ٣٦٨ و٣٩٢هـ/٩٧٨ و١٠٠٢م، وحاول من دون جدوى

خفق المعارضة العلوية المشددة أو استرضائها..

المنصورة - اسم حملته مدن عدة أنشئت خلال القرون الأولى الإسلامية كقواعد أو كمخيمات عسكرية أراد مؤسسوها، من خلال هذه التسمية، جلب الحظ أو الإنبئة عن أحداث سعيدة.

بين هذه المدن التي تعود إلى حقب مختلفة والتي أنشئت لأهداف مماثلة، كانت أقدمها مدينة في السند، تأسست سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م، في أسفل وادي الهندوس، بالقرب مما عُرف في ما بعد بمدينة حيدر آباد في باكستان، لكي تكون عاصمة إقليمية. وقد ضمت قوات عربية إسلامية قامت، على أثر الفتوحات الكبرى، بالمحافظة على استمرار السلطة الإسلامية في المنطقة. كانت المنصورة مقرًا لحاكم متدب من قبل الخليفة الأموي، ومن ثم مدينة تجارية مزدهرة خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد، بحسب ما ورد عند الجغرافي القديم ابن خرداذبة، قبل أن تقع في أيدي أمراء محليين أقروا بسلطة العبّاسيين في بغداد، إنما احتفظوا باستقلالية واسعة. تراجعت المدينة في ما بعد ولم يبقَ منها سوى بعض الأطلال في منطقة شديدة التأثير بقلبات مجرى النهر حيث حلت محلها تجمعات سكنية جديدة مثل ثانا، وفي ما بعد حيدر آباد.

بين المدن الأخرى التي تحمل الاسم نفسه ظهرت، في العام ١٦١٦هـ/١٢١٩م في مصر، بهدف حماية البلاد من الفرنج، مدينة المنصورة المحصنة. ثم في أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، تم تشييد مدينة-معسكر في جوار مدينة تلمسان، أطلق عليها الاسم نفسه، خصصها المريني أبو يعقوب يوسف لمحاصرة عاصمة بني عبد الواد (أو بني زيان)، بين عامي ٧٠٠ و٧٠٧هـ/١٢٩٩ و١٣٠٧م. وبعد العام ٧٢٧هـ/١٣٣٥م، على أثر حصار ناجح هذه المرة، أصبحت تجمعا سكنيا ضم مقر السلطة وبلاد العربيتين حتى العام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. وما زالت أطلالها ظاهرة في جوار تلمسان، من جهة وجدة والحدود المغربية.

المنصورة (جمهورية مصر العربية)، مدينة في دلتا النيل، أصبحت مدينة حديثة ناشطة بعد أن تم تأسيسها

١٣٦هـ/٧٥٤م واعتُبر المؤسس الحقيقي لسلطة أسرته. عندما تولى المنصور الحكم بعد أن عبّته شقيقته خلفاً له، رفض عنه عبدالله بن علي هذا التعمين، فأرسل الخليفة الجديد ضده جيشاً بإمرة أبي مسلم. ومنذ ذلك الوقت أبدى المنصور تخوّفه تجاه أبي مسلم الذي ساهم في وصوله إلى الحكم وفي إنجاز «الثورة العبّاسية» والذي احتفظ بمركزه كحاكم لخراسان، فاستدرجه إلى البلاط وأمر باغتياله. وتوصل بهذه الطريقة إلى توطيد عرشه وإلى المحافظة عليه طيلة عشرين عامًا، نظم خلالها أول دولة عبّاسية ونجح في حمايتها من أعدائها، بدأ بالعلويين الذين سلبهم انتصارهم السياسي.

بمساعدة الجيش الخراساني الذي أحكم سيطرته عليه بعد وفاة أبي مسلم، بدأ في نهاية العام ١٤٥هـ/٧٦٢-٧٦٣م، بقمع الثورات التي أطلقها في المدينة وفي جوار البصرة حسبان هما محمد النفس الزكية وشقيقه إبراهيم. ومن جهة أخرى، أعاد ترسيخ الأمن في خراسان حيث ظهرت، إثر اغتيال أبي مسلم، حركات تمردية عدة متأثرة بالمعاند الإيرانية. وقام، بشكل خاص، بتعزيز سلطته من خلال المقر العراقي الذي اختاره، في موقع إستراتيجي ومحمي، نغني به مدينة بغداد. وقد شهدت العاصمة الجديدة للخلافة التي تم تأسيسها في العام ١٤٥هـ/٧٦٢م، في مكان يكاد يكون خاليًا من السكان ويتميز بقساوته، في غضون بضعة سنوات، توسعًا هائلًا وتطورًا سريعًا جعل منها إحدى أكبر حواضر القرون الوسطى.

قام المنصور أيضًا بتنظيم إدارة الدولة الجديدة ودواوينها المركزية بمساعدة حاجبه الفضل بن يونس، وهو عبد سابق مُعتق، وبمساعدة المولى أبي أوب، كاتب المالية الذي استبعد في نهاية العهد. أخيرًا، وبعد أن أمر بسجن مناصري الشيعة المتمردين، واصل الخليفة سياسته القمعية التي كانت في اعتقاده وسيلة لضمان أمن السلالة ومستقبلها. لذلك عمل على تأمين الخلافة لذريته فأعلن، خلال حياته، ابنه المهدي وريثًا له، غير أن خلفه تخلّى عن هذه السياسة. وقد شهد تاريخ الخلفاء العبّاسيين تقلبات عديدة من هذا النوع، إن في الأساليب وإن في الوسائل، وذلك نمطًا مع ظروف الحكم وبغية

في مجال الفقه، ثمَّ جهدٌ للشافعي في استعمال المنطق، به طوَّر مفهومه للقياس. لكنَّ الفضل الأكبر يعود إلى المتفكر الشهير الغزالي في إدخال المنطق والقياس إلى هذا الحقل كما إلى الكلام. أمَّا الفلاسفة فقد خصَّصوا بطبيعة الحال مكانًا فسيحًا للمنطق. ولا سيَّما ابن سينا الذي خصَّه في مؤلَّفاته بكتابات كثيرة.

منكوجك (بنو) - ٥١٢ - ٦٥٠هـ/١١١٨-١٢٥٢م، سلالة تركمانية من شرق الأناضول، حكمت في منطقة أروُنجان قبل أن تخضع لسلطة سلاجقة الروم التي فرضها عليها كخِيفاء الأول.

لم يصلنا إلَّا القليل عن تاريخ هذه الإمارة التي نشأت في شرق المقاطعة التي حكمها الداشمندیون. بعد أن فتحت معركة مانزيكرت/ملازكرت حدود الأمبراطورية البيزنطية الشرقية أمام الغزاة الأتراك.

تميّزت عاصمتها أروُنجان، الخالية حاليًا من الآثار القديمة، باختصاصها مركزًا ثقافيًا، إرثه شعراء وعلماء من أصل إيراني أو عربي. احتفظت بلدة ديوريكي، حيث تمكن فرع من العائلة البقاء حتَّى الفتح المغولي، بضعة أبنية تعود إلى هذه الحقبة، منها مجمع هندسي يشمل مسجدًا جامعًا ومستشفى، وهما خير شاهد على رعاية أفراد هذه السلالة للفن والثقافة.

مُني، وإدِّقع شرقي مَكَّة على الطريق المؤدِّبة إلى سهل غُرَفة ويُقصد إليه خلال تأدية مراسم الحجِّ.

في هذا الوادي جعل التقليد الإسلامي موضع أفضحية إبراهيم الذي ضحَّى بكِش مكان ابنه إسماعيل. وفي هذا المكان يخيم الحجاج ويقضون الليل قبل التوجُّه إلى جبل غُرَفة. وإلى هذا المكان أيضًا يعودون يوم العاشر من ذي الحِجَّة لاستيفاء آخر الشعائر - وبينها التضحية بحيوان، غالبًا ما يكون كَبشًا - قبل العودة إلى الكعبة. ومن ثَمَّ الرجوع مجددًا إلى بني لقضاء ثلاثة أيام تستمرُّ من ١١ إلى ١٣ من ذي الحِجَّة يقال لها «أيَّام التَّشريق». ذكريات أخرى تلازم وادي بني إذ إنه، على مقربة منه، أبرم ميثاق العفية بين النبي محمد ﷺ وأهالي يثرب.

المهاجرون، تسمية أُطلقت على قسم من صحابة النبي

خلال الحملات الصليبية، وبعد أن لعبت حينها دورًا إستراتيجيًّا بارزًا.

أقدم الملك الأيوبي، الملك الكامل، في العام ٦٦٩هـ/١٢٦٩م، بهدف مواجهة الفرنج في دِمياط، على إنشاء معسكر محصَّن، عند ملتقى ذراعي النيل الشرقيين، للدِّفاع عن الطريق المؤدِّبة إلى القاهرة، وأطلق عليه اسم المنصورة تيمُّنًا بدعم الله وبالنصر المتوخَّى.

أوقف تقدُّم الفرنج في العام ٦٦٨هـ/١٢٢١م أمام المدينة الجديدة، بفضل فتح السدود والقيضان الذي نتج عنه. وفي ما بعد، في شتاء ٦٤٧ هـ/٦٤٨هـ-١٢٤٩-١٢٥٠م، هاجم جيش الصليبيين بقيادة الملك لويس التاسع المنصورة ودخلها، لكنَّهُ طُرِد منها بعد معركة قاسية عُرفت بمعركة المنصورة شتَّها قوات المماليك التي سرعان ما تسلَّمت الحكم بعد الأيوبيين، والتي كان يرأسها بيبرس الذي سيصبح في ما بعد سلطانًا. أصبحت المدينة في القرن السادس عشر للميلاد مركزًا إقليميًّا تحت هيمنة العثمانيين بعد أن انتصروا بدورهم على مماليك سوريا ومصر، وتطوَّرت لتصبح مخزنًا للقطن الذي تنتجه المنطقة.

المنصورة (بدعة) - محمد الباقر.

المنطق، أحد علوم الأوازل الموروثة، شكَّل جزءًا من العلوم التي أخذ بها المشتغلون بالفلسفة وكان له، بصورة عامة، تأثير كبير على بعض المفكرين المسلمين في القرون الوسطى. عُرفت رسائل أرسطو في المنطق في الأوساط المسيحية، وسرعان ما تُرجمت إلى اللغة العربية في أزمئة مبكرة. وإذ نظر الفلاسفة إلى المنطق على أنه «وسيلة تحصيل العلوم»، فقد خالط عددًا من العلوم على نطاق واسع في كثير من الأحيان. كما خالط المنطق دراسات قواعد اللغة ثمَّ بحوث المدارس الكلامية والمدارس الفقهية. وقد ميَّزت الاحتمالات المنطقية بوجه خاص كلام المعتزلة والأشاعرة. أمَّا الحنابلة فابُدوا نجاحه تحقُّقًا حرصًا منهم على حرية تدخُّل الإرادة الإلهية. وقد كتب أحد كلاميِّ هذا المذهب من المتأخرين، في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وهو ابن تيمية، «نقض المنطق».

المهدي يجب أن يكون واحداً من أسرة الرسول ﷺ (من أهل البيت). أدى ذلك إلى الاعتبار حيناً أنه أحد العلويين، من سلالة عليّ أو من أبناء الحسين، وحيناً آخر أنه من سلالة العباسيين. في هذا السياق نذكر أن يكون الخليفة العباسي الثاني قد أطلق على ابنه ووريثه في الخلافة لقب المهدي، قاصداً بذلك أن هذا العامل سيقم عالماً من النزاعة، ما يترجى من الأئمة العلويين أفضل حجة يعتمدونها في دعوتهم.

وبالفعل، فإن تسمية المهدي اعتمدها الشيعة منذ عهد مبكر، ثم أطلقت للدلالة على الإمام الغائب الذي تنتظر عودته. وقد عُرف به كثيرون من أئمتهم، وبنوع خاص الإمام الثاني عشر المدعو محمد عند الامامية الاثني عشرية. وفي إطار الإسماعيلية، أطلق القاططون تسمية المهدي على الإمام الغائب الذي، بحسب عقيدتهم، قد ظهر مجدداً في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بشخص حبيد الله المهدي مؤسس سلالتهم.

إن مفهوم «المهدي»، بكل ما يتضمن من آمال متعلقة بالشخص الذي يُطلق عليه أتباعه هذا اللقب، لم يقتصر على زعماء الحركات الشيعية. إننا نجد هذا اللقب يبرز، عبر التاريخ، ويُعطى لأشخاص من السنة لديهم برنامج إصلاحية، ولزعماء سياسيين - دينيين يتحمس لهم أتباعهم، كإبن نومرت، مؤسس الحركة التي أدت إلى نشوء دولة الموحدين في المغرب. وفي نهاية القرن التاسع عشر، تطوّرت في إطار المهديّة، في منطقة النيل الأعلى، حركة ثورية أشعلت السودان المصري الذي أصبح اليوم الجمهورية السودانية، والتي استندت في عقيدتها إلى العنف لفرض سلطة إسلامية ثورية واعتدادية.

المهديّ، أبو عبدالله محمد، ٩ - ١٦٩هـ / ٧٨٥ - ٧٨٥. الخليفة العباسي الثالث وابن أبي جعفر المنصور، تولى الخلافة سنة ١٥٨هـ / ٧٧٥م، ولقبه بتضمين معنى الرسالة المرتبطة، في الوسط الإسلامي، باسم المهديّ.

كان المهدي قائداً للجيش الشرقي ومقيماً في الري ويتولى من هناك حكم خراسان، وكان له مقره الخاص في محلة الرصافة من بغداد، كان موجوداً في إيران حين

محمد (ﷺ)، رافقوه خلال هجرته إلى واحة يثرب، وانصهروا في ما بعد في مجتمع المدينة.

تعرّض أتباع الإسلام الأوائل من أهل مكة، سواء أكانوا من قبيلة قريش المنعبة أو من أصل متواضع، إلى الاضطهاد والهجمات في مسقط رأسهم قبل أن يتبعوا مرشدهم وينتبهوا إلى منافعهم. وكانوا يفتقرون في عدادهم أفراداً مقربين من عائلته مثل ابن عمه علي، إضافة إلى أصدقاء أولياء من أمثال أبي عكر وعمر بن الخطاب، ما يفسر الدور السياسي الأساسي الذي لعبه هذان الأخيران بعد النصر النهائي على أهل مكة، ولا سيما بعد وفاة النبي محمد ﷺ إذ اعتبر أنهما مؤهلان لخلافته.

كان النبي محمد ﷺ قد أقدم أولاً على ضمّ المهاجرين إلى الجماعة التي أراد إنشائها على قاعدة من التضامن الجوهري بين المسلمين، كما أدخل فيها، بالطريقة نفسها، القادمين الجدد وسكان واحة يثرب الذين استقبلوهم، وقد أطلقت على هؤلاء تسمية «الأنصار». إلا أن مبدأ المساواة بين المؤمنين كافة لم يحل دون مراعاة ما كان قائماً من قبل من تراتيب وروابط تستند إلى تقاليد العرب القديمة، وتظهر بشكل خاص في الخلافات والنزاعات الداخلية التي لم تكف عن زعزعة الامبراطورية العربية - الإسلامية في بداياتها.

المهدي، تسمية أطلقت في البلاد الإسلامية على الذي يأتي ليحيي الدين والعدالة قبل نهاية العالم، وفق اعتقاد واسع الانتشار، لكنه لا يتضمن المفاهيم نفسها ولا القبعة نفسها لدى الأوساط والفروق المختلفة.

بحسب غالبية المؤلفين السنة، فإن مجيء المهدي يحصل في نهاية العالم، وإنه يأتي لمساعد عيسى للانتصار على الدجال الذي يشيع الفساد والظلم خلال أربعين يوماً أو أربعين سنة، قبل الذبينة الأخيرة. إنّ مفهوم المهدي، اختلف نوعاً ما عما كان في الأصل، وإنه ينطبق على مخلص مصلح يُنتظر ظهوره، وقد نتج عن ذلك انمساكات في مناسبات تاريخية متعددة. في عهد الأمويين، مثلاً، ثمة خلفاء أو أشخاص آخرون أطلقت عليهم صفة «المهدي» لأنّ الناس كانوا يأملون منهم إقامة العدالة. ومنذ ذلك الحين، في بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ظهرت تقاليد تؤكّد أن

الثاني ٩١٠م، بفضل دأبته أبي عبدالله الذي، بعد إعلانه الخلافة الفاطمية سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م، تنبّه في المغرب الأقصى حيث كان عبيدالله سجيناً. وقد كرم هذا الأخير بصفته إماماً معصوماً أي كاملاً ولا يُخطئ، وتجب له الطاعة الكاملة، ومارس السلطة بحزم، ولا سيما بعد أن قضى على أبي عبدالله بسبب شكوكه في ولائه، ووقع الثورة التي نجمت عن قراره هذا. إنَّ التأييد الذي لقيه لدى قبيلة كتامة البربرية التي استقبلت موفده خلال السنوات الأخيرة من حكم الأغالية، ساعده على بسط نفوذه باتجاه غرب بلاد المغرب. وقد أضاف أبو عبدالله إلى الانتصارات الأولى التي حققها ابتداء من سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م باستيلائه على تاهرت عاصمة المرسميين، انتصارات جديدة باستيلائه على فاس، سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م، حيث كان الأدارسة قد أرغموا سابقاً على الإقرار بسيادته.

إنَّ الانتصارات التي حققها عبيدالله بقوة جيوشه لم تحل دون اعتراض أعدائه على ادّعاء نسبه العلوي، وهو على قيد الحياة، لا سيما في محيط العبّاسيين السنة الحاكمين في بغداد. وقد وجّه إليه مؤرّخون عرب قدامى الاتهام بأنّه دجّال، ونحا نوحهم مؤرّخون غربيون حديثون اعتمدوا براهين خصومه. وبعض هؤلاء نساءلوا عما إذا لم يكن عبيدالله من سلالة رجل يدعى «ميمون القذّاح» (الذي يبري الأفداح أي السهام)، والذي ربّما تلقى من جعفر الصادق - الإمام الخامس بحسب الإسماعيليين، السادس بحسب الإماميين - دعوة للاهتمام بعقيدته محدّد من إسماعيل. هذا مع الملاحظة أنّ عبيدالله منح ابنه المزعوم، الملقّب بالقائم، تشریفاً غير مألوف، ما دعا إلى الاعتقاد بأنّ القائم وحده هو من السلالة العلوية، وبأنّ عبيدالله لم يكن إلّا ممثله. وثمة علماء حديثون آخرون ألّغوا الشك على النسب العلوي لعبيدالله، وافترضوا، مثلاً، أنّه يتحلّر من فرع جانبي، حتّى محلّ النسب الصحيح، بفعل تشابه الأسماء. ومهما تكن الحال، فإنّه استطاع أن يضع في المغرب أسس دولة قيّص لها أن تقوى، وأن تستقرّ في مصر، وأن تحتلّ المكانة السياسية الأولى، في العالم الإسلامي المتوسطي، على امتداد ثلاثة قرون.

وفاء والده. وعندما بوع بالخلافة، اتّبع سياسة مخالفة لتلّي كان يتبعها المنصور، فأصدر عفواً عاماً عن مؤيدي الشيعة المسجونين، محاولاً كسب مودّتهم. واتّخذ مساعداً أساسياً له رجلاً حازماً ومؤيداً هذا الاتجاه السياسي - الديني، هو يعقوب بن داود، الذي لقّب رسمياً بالوزير، ولا ندرى إذا كان أحد حجاب الخلفاء قد حمل سابقاً هذا اللقب. وقد حقّق يعقوب هذا نتائج لا تُنكر، ولكنه لم يستطع أن يهذئ كلياً المعارضة العلوية، ما أدّى لاحقاً إلى سقوطه وسجنه.

ومن جهة أخرى، فإنّ المهدي الذي أبدى تسامحاً تجاه الشيعة، حارب المانويّين الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام رسمياً ولكنهم اتّهموا بالحفاظ على عقائدهم القديمة، والدعوة إليها، ما كان يعرّضهم لتهمة الارتداد عن الدين ولتهمة الزندقة. وهذا ما أدّى إلى مضايقة أشخاص كثيرين في العراق وسوريا، من دون أن يُعرف شيء عن نشاطهم الحقيقي. إضافة إلى ذلك، فإنّ الخليفة الذي استطاع أن يفرض الأمن في المناطق الشرقية حيث واجه تمرد المقتع الخراساني بين ١٥٩هـ/٧٧٥م و١٦٣هـ/٧٨٠م، نجح في الحصول على البيعة لولديه اللذين أنجبتهما زوجته المفضّلة الخيزران، مبعثاً بذلك ولاية العهد عن ابن عم له كان أبوه قد اختاره. وثبّت للعهد في الدرجة الثانية، أي بعد المهدي مباشرة، إنّ سلالة المنصور المباشرة، الممثلة على التوالي بالمهدي والهادي وهارون الرشيد، ظلّت ممسكة بالسلطة العليا، بينما كان الإزدهار يتنامى. ممهّداً للفتنة التي بلغت الدولة العبّاسية وحضارتها في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، المسوّى غالباً «العصر الذهبي».

المهديّ أو عبيدالله المهديّ، ؟ - ٣٢٣هـ/٩٣٤م، أزل خلفاء السلالة الفاطمية، حكم ابتداء من سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م، نتيجة لادّعاءه بأنّه المهديّ، وللدعوة الناجحة التي أطلقها في إفريقية حيث أسّس دولة جديدة انبثقت من حركة التشيع، ولا سيما من الإسماعيلية. لقد أعلن نفسه من سلالة الإمام العلوي السابع عند الإسماعيليين، محدّد بن إسماعيل بن جعفر، أي من سلالة ابنة الرسول فاطمة، وأقام الحاكم الجديد في رفادة قرب القيروان في ربيع الآخر ٢٩٧هـ/كانون

ضفوطها. وفي أيلول ١٨٩٨ سقطت الدولة المهدية، التي كان المهدي قد أعلن أنه سيؤسسها على غرار الجماعة الأولى، لكنه نظمها على نموذج الدول الإسلامية القائمة آنذاك.

على الرغم من اعتقال الزعماء الأحياء، فإن المهديّة استمرّت في السرّ، وإنّ أحد أبناء المهدي، الذي وُلد بعد وفاته، ترأس سنة ١٩٤٥ الحزب القومي الجديد. أي حزب الأمة الذي يلعب في الوقت الحاضر دورًا داخل جمهورية السودان.

المهدية (الجمهورية التونسية)، ناحية نحتلّ شبه جزيرة صخرية ضيقة، جنوبي مدينتي سوسة ومنستير، كانت مدينة مرفئية مهمّة محصنة، في إغريقية الفروسطية.

هذه المدينة التي تعود تسميتها إلى المهديّ عبّيد الله مؤسس سلالة الفاطميين بُنيت سنة ٩١٢/٣٠١م، في موضع مركز تجاري قديم، وأُنجزت سنة ٩٢١/٣٠٩م. كانت، في الوقت نفسه، رمز السلطة الجديدة ومدينة ملكيّة يسهل الدفاع عنها بوجه الثورات المحتملة، في منطقة لم يكن سكّانها بعد قد اعتنقوا العقيدة الإسماعيلية. كانت قائمة على رأس من الأرض يبلغ طوله ١٤٠٠م، ومتّصلة بالبابسة عن طريق برزخ ضيق جدًّا، كانت المدينة تضمّ قصرين، أحدهما للخليفة والآخر لابنه، ومسجدًا جامعًا ما يزال قائمًا حتّى اليوم، ومتاجر ومنشآت بحريّة. وكان يحيط بها سور عريض، تتخلّله بوابة يحميها لجهة البرّ حصن حقيقي. وكان النشاط الاقتصادي يجري خارج المدينة، في ضاحيتها المدعّورة زويلة، على اسم الجيوش البربرية التي أقامت فيها، وهذه الضاحية أحيطت بدورها بجدار حوالي سنة ٩٣٢٢/٣٣٤م، على عهد الخليفة القائم.

اختار الفاطميّون المهدية عاصمة لهم، ما أتاح للقائم الصمود، سنة ٩٤٣/٣٣٢م، بوجه ثورة الخارجي أبي يزيد الملقّب «بصاحب الحمار». ولكنّ الخليفة المنصور تخلّى عنها، إذ بنى قرب القيروان مقرًّا جديدًا يدعى صبرا - منصورية. إنّ موقع المهدية المميّز، بصفتها مدينة ساحلية، هو الذي قرّر مصيرها. أمّا مرفأها فشكّل قاعدة انطلاق لحملات بحرية كثيرة سبّبت لها

المهدية، مصطلح يراد به، بنوع خاص، الدلالة على حركة دينية وسياسية أطلقها في السودان، سنة ١٨٨١، محمّد أحمد بن عبدالله المعروف بمحمّد المهديّ.

تُعَلّل نشأة هذه الحركة بالضيوط الاجتماعية التي نتجت في أواخر القرن التاسع عشر - عندما خضعت هذه البلاد للبطرة المصرية - عن السياسة المركزية التي اتّبعها الخديوي إسماعيل، بمساعدة مستشاره البريطاني غوردون الذي أصبح سنة ١٨٧٧ حاكمًا عامًا على السودان، وحاول أن يضع حدًا لتجارة الرقيق.

إنّ خلع إسماعيل سنة ١٨٧٩ ضاعف جوّ الرنص الاجتماعي والسياسي الكامن في تلك المنطقة، لأنّ انتظار مهدي كان يهبس على عقول كثيرين من عامة الناس.

ولد محمّد أحمد سنة ١٨٤٤م، وهو أحد مريدي شيخ صوفي من منطقته، وأعلن أنّه المهديّ المنتظر، وكان على رأس دعوة إصلاحية اتّخذت هدفًا لها إعادة تكوين الجماعة الإسلامية الأولى (كما على عهد الرسول). لقد قدّم نفسه على أنّه خليفة رسول الله ﷺ؛ ورُشد عبدالله بن محمد دُعي خليفة أبي بكر أو خليفة الصديق؛ ودعي أتباعه الأنصار، كصحابة الرسول ﷺ في المدينة. وفضلاً عن ذلك، فقد اختار المهدي، في نيسان ١٨٨١، لمواجهة الحملات التي شنتها عليه السلطات المصرية، أن ينسحب مع أتباعه نحو جبل قدير محفّقًا بذلك هجرته، على مثال نبيّ الإسلام (ﷺ).

وهكذا استطاع، بين ١٨٨١ و ١٨٨٥، أن يصدّ الهجمات الخارجية، ويؤسّس في الوقت نفسه، في كردفان، دولة صغيرة توسّعت شيئًا فشيئًا حتّى إنّها، قبيل وفاته، استطاعت الهيمنة على معظم السودان المصري، واختارت أم درمان عاصمة لها، وهي تقع في مقابل الخرطوم.

بعد وفاة المهدي سنة ١٨٨٥، تولّى أحد مريديه، عبدالله، ترؤس الحركة، فواجه بعض الصعاب، لا سيّما من قبيل أسرة المهديّ. وأراد متابعة سياسة التوسّع، لكنّ النشاط العسكري توقف فعليًا ابتداء من سنة ١٨٨٩؛ ووقمت البلاد فريسة المجاعة، وتزايدت الانتفاقات داخل الحركة، وشدّدت القوات البريطانية - المصرية

التجارية حتى نهاية هيمنة العثمانيين على الشرق الأدنى، وصولاً إلى التحولات السياسية والاقتصادية في الزمن المعاصر. وشكّلت ضرورة حماية هذا الصحور، الذي مثل دوراً أساسياً لفترة طويلة، أحد العوامل التي أدّت، خلال القرون الوسطى، إلى تطوير بعض مواقع المنطقة والتي جعلت من بلدة الكرك، المسماة أيضاً كرك مؤاب، موقعاً حصيناً وأهم مدينة في هذه المنطقة. ◀ راجع المستندين رقم ٩ و ١٨.

المواكب، هي من المظاهر التي كانت تميّز، في القرون الوسطى الإسلامية، تقاليد الاحتفالات الملكية، كما تشمل المسيرات الشعبية ذات المعزى الديني. كان المعامل المسلم يسير في المناسبات محاطاً بمجموعة من أركان الدولة والحراس والخدم، فتزداد هيئته لكثرة عددهم وعذتهم. كانت هذه المسيرات تنظم لدواعٍ دينية عندما كان يبنى التوجّه من القصر إلى المسجد الجامع أو إلى المصلى بقصد إقامة الصلاة، وكذلك لدواعٍ دينية بحثة في أثناء الاحتفالات المختلفة، أو للتوجّه في حملة عسكرية أو العودة بعد انتصار. وقد طرأ بعض التغيير على هذه المواكب، من حيث عددها ولسانها الخاصة، بحسب المصور وأنظمة الحكم، وحازت أهمية خاصة خلال عهد الفاطميين في مصر، وعهد العثمانيين.

وقد تنهى إلينا ذكر مواكب دينية خلال الأعياد الشيعية في شهر محرم إحياء لذكرى الإمام الحسين وموته الأسو في كربلاء، وهي مواكب اتسمت بطابع محلي وشعبي خاص بكل منطقة. وكانت تجري أحياناً، بقيادة الخليفة أو ممثله، كما في مصر أيام الفاطميين، وفي العراق أيام التوّهيين.

كان يحدث أن تنظم رعية الخليفة مسيرة أمام مقرّه. كما في القاهرة أيام الفاطميين. تنامت هذه العادة في عهد العثمانيين. وفي بعض الأعياد في العاصمة اسطنبول وأمام مقصورة أمبراطورية تقام خبيصاً للمناسبة، كان ممثلو المجموعات الحرفية يتظفون في عرض أمام السلطان تحية له، وقد مثّلهم بيزاتهم وشاراتهم الرّسامون في مجموعات خاصة من المتمنعات. كم جرت عروض للحرفيين وطوائفهم في إيران أيام

ردوداً عنيفة، كالهجمات البحرية التي شنها المسيحيون، ومنها الحملة التي قامت بها بيزا وجنوى سنة ١٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وحملة التورمان، سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م، الذين نجحوا سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م في الاستيلاء عليها، ولكنهم اضطروا للجلاء عنها سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م. أصبحت المهديّة، بعد ذلك، قاعدة للقراصنة، لا سيّما بعدما استقرّ فيها القرصان العثماني دراغوت، فصارت مسرحاً للصراع بين الأتراك والإسبان، إلى أن احتلها شارلكان (شارل الخامس) سنة ١٥٥٠م، بعد استيلائه على تونس، ثم هدم أسوارها وحصونها سنة ١٥٥٤م وتخلّى عنها. منذ ذلك التاريخ، استقبلت المهديّة عدداً كثيراً من الحولون. من آباء أترك وأتهات غير تركيات (Kulughlis)، بعد أن تداخل سكّانها الأصليون مع العناصر التركية ومع المسلمين الإسبان الوافدين إليها. وأخيراً، فإن البقايا الأثرية الموزعة في الأجزاء القديمة من المدينة الصغيرة تُفسّر الاهتمام الذي ما زالت تُثيره، حتى في وقتنا الحاضر.

◀ راجع المستندين ١١ و ١٩.

مؤاب، لفظة انتهت إلينا باللغة العربية في صيغة مأب للإشارة، في القرون الوسطى الإسلامية، إلى البلاد التوراتية التي كانت تضمّ مجمل الهضبة المطلة شرقاً على البحر الميت، حتى حدود الصحراء السورية - العربية، والتي تنطبق مع القسم الجنوبي للمملكة الأردنية الهاشمية الحالية.

لعبت المنطقة دوراً إستراتيجياً خلال الفترات الكبرى العربية - الإسلامية في القرن السابع الميلادي، منذ أوّل اشتباك في مؤنة وتحكيم أدّج، قبل أن تتحوّل، في العصر الأموي، إلى مكان استيطان مُفضّل للأسر العربية الكبرى، لأملها ولقصورها. وكانت طريق القوافل التجارية التي تمرّ بها لربط شبه الجزيرة العربية بساحل البحر الأبيض المتوسط والتي اجتازها النبي محمّد ﷺ نفسه عندما كان تاجراً مكثاً، هي نفسها التي اتبعتها الفرق المكوّنة من القبائل البدوية التي افتحمت سوريا البيزنطية. وأصبح المسار نفسه، في ما بعد، طريقاً يسلكه الحجاج المتوجهون إلى مكّة لأداء شعائر الحجّ والحجرة. وساهم هذا الأمر في تأمين استمرارية الحركة

عند الموالى الى درجة أنهم شكّلوا، منذ القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، الجزء الأهم من شعب امبراطورية لم يعد العرب ينعمون فيها بأي امتياز أو موقع خاص. ولم تستمر المشكلات السياسية الناجمة عن ردود فعل المنصّتين إلى الإسلام إلا في الأندلس، حيث كان أبناء هذه الطبقة الاجتماعية يُعرفون باسم آخر هو المولّد، وجمعه المولّدون.

الموت، مفهوم مطروح في الإسلام على أساس عقدي أثار القليل من الجدل عبر التاريخ.

لم يتمّ تحديد هذا المفهوم الناتج عن مشيئة الله بشكل واضح في القرآن الكريم الذي يعتبره امتداداً للخلق. استعمل مصطلحا النفس والروح مترادفين، بينما تقضي العقيدة السائدة بأن يترك الله للإنسان نفسه لدى وفاته وينزع عنه روحه، على أن تُعاد إليه في يوم القيامة. على هذا الأساس، جرى التقيد، منذ قرون عديدة، بمختلف العادات المأتمية الخاصة بالمجتمعات الإسلامية، مع استيعاب بعض التقاليد المحليّة السائدة هنا أو هناك. تخضع هذه العادات أحياناً لتعليمات الفقهاء الدقيقة القاضية بنسل الجنان ولفّه بالكفن، ومن ثم الصلاة عليه في المسجد وفقاً لطقوس محدّدة ودفنه في التراب، وجهه في اتجاه مكّة، في قبر موجّه نحو القبلة، على أن يستثنى الشهيد الساقط في المعركة من مرحلة الغسل. يتعارض التقيد الشامل تقريباً بهذه القواعد القليلة، مع التنوع الكبير الذي شهدته العادات السائدة في ما يتعلق بإحياء ذكرى الميت: منها مظهر المقابر الخارجية ومضمون نقوش الشواهد، وبشكل خاص الهندسة المعمارية المعتمدة في بناء الأضرحة. من بين المعطيات العقائدية المتعلقة بالموت، أفرد مكان خاص في نقاشات المدارس الفقهيّة لعذاب القبر الذي يذكره التقليد مستنداً إلى الآية ٢١ من سورة الشّجدة: ﴿وَلْيُنْذَرْنَ بِهِ الْعَذَابَ الْأَلَدَ ذُنُوبَ الْعَذَابِ الْأَلَدِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الشّجدة، الآية ٢١]. ويُقال إنّ الملايين مُنكر ونكير يتولّان إجراء هذا الاستجواب المُصحوب بالعذاب، فيجد على أثره الصالح في قبره مكان غبطة، أي نوعاً من الجنة التمهيدية، بينما يستمرّ الهالك في عذابه إلى يوم القيامة. ولا يستثنى من هذه

الصفويّين، وفي المغرب أيام المرينيين.

الموالى، جمع اللفظة العربيّة «المولى» التي استُخدمت في بدايات تاريخ الإسلام، للدلالة على المسلمين غير العرب ممّن تمّ إلحاقهم بقبيلة عربيّة يدينون لها بالولاء، والذين قاموا بتحريك في الشرق في القرن الهجري الأوّل.

يُعتبر غير العربي الذي اعتنق الإسلام والذي انضوى إلى مجموعة عربيّة، كما المولى المنحدر من الرق بعد إعاقته، عضوين في الجماعة الإسلاميّة: فلهما، من حيث المبدأ، الحقوق نفسها التي للمسلمين القدامى. لكنّ وضع الموالى الحقيقي كان في البداية مختلفاً، ما ولّد مشكلات في عهد الأمويّين حيث كانوا يُعتبرون دعايا من الدرجة الثانية، غير جديرين بشيوّ وظائف السلطة، من دينيّة ومدنيّة وعسكريّة، لكنّ عدد هؤلاء ازداد بسرعة، وقد سمح لهم بالاشتراك في الحملات العسكريّة: فالجيوش التي اجتاحت شبه الجزيرة الإيبيريّة كانت، مثلاً، مؤلّفة جزئياً من البربر المهتمّين حديثاً إلى الإسلام، لكنّ هؤلاء كانوا يتقاضون رواتب أدنى من رواتب العرب.

من جهة أخرى، فإن المزارعين المتحوّلين إلى الإسلام لم يُغفوا، كما كان من المفروض أن يحصل، من الضرائب الباهظة على العقارات، التي كانت تُجبي على الأراضي المفتوحة، وكان الاستياء الناجم عن هذا الوضع كبيراً في الولايات، خصوصاً الأيرانية منها. وإذا لم يكن في استطاعتنا التأكيد أنّ الإنفاضة التي تزامنت في خراسان مع بداية «الثورة» العبّاسيّة، كانت أسبابها مطالب الموالى، فإنّ هذه الظاهرة أُضيفت إلى عوامل أخرى وكانت نطال، في تلك الفترة، المسلمين الجدد المنتمين إلى أوساط مختلفة، وثانيًا إلى فئات مختلفة، وساهمت في مضاعفة الاضطرابات السياسيّة والاجتماعيّة.

بعدها، ورغم صعوبات المرحلة الأولى، فإنّ الموالى ذابوا تدريجيّاً داخل المجتمع الإسلامي. فقد كان هناك قضاء غير عرب وحكام غير عرب منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك، وهذه الحركة التي انطلقت على هذا الشكل نمت في عهد العبّاسيين. فقد تكاثرت

تمكّن رابعهم، خالد بن الوليد، من تنظيم انسحاب من بقي من رجال الحملة على قيد الحياة. وبالرغم من ذلك، لم تتوقف الحركة التوسعية في هذا الإنجاز، وتواصلت من خلال حملة نبوك، قبل أن تبلغ مرحلة الفتوحات الكبرى التي تلت وفاة النبي محمد (ﷺ).

المؤتمر الإسلامي (منظمة -) منظمة معاصرة للتعاون السياسي والفني، أسست في العام ١٩٧٢، وهي تضم حاليًا سناً وأربعين دولة ذات أكتريّة سكانية إسلامية.

يندرج هذا التجمع في سياق المحاولات المجهضة التي هدفت إلى إعادة الخلافة بعد زوالها في العام ١٩٢٤، بعد أن ألغى مصطفى كمال الخلافة العثمانية في تركيا. وهو يضمّ دولاً أعضاء من قارات ثلاث.

الهيئة العليا في المنظمة هي مؤتمر رؤساء الدول الذي نادراً ما يتخذ (عقد ثلاث اجتماعات بين ١٩٧٤ و١٩٨٧)؛ أما الهيئة التنفيذية فهي مؤتمر وزراء الخارجية الذي يجتمع سنوياً لدراسة الشؤون ذات المصلحة المشتركة التي تشغل بالأهداف المحددة في ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي. أما مركز الأمانة العامة فهو في جدة في المملكة العربية السعودية. ويضطلع الأمين العام الذي يختاره مؤتمر وزراء الخارجية بدور دبلوماسي مهم.

الموحّدون (٥٢٤-٦٦٨هـ/١١٣٠-١٢٦٩م)، إسم سلالة مالكة أسسها عبد المؤمن، بسطت سلطتها على المغرب والأندلس، وسعت إلى إصلاح ديني كما وضعه مؤسس الحركة الذي هو من أصل بربري ويُعرف باسم ابن تومرت.

والهدف الذي نادى به الحركة هو الاحترام المطلق للتوحيد، وهذا ما جعل الأتباع يُعرفون باسم الموحّدون. أمّا الدولة التي نهضوا بها فقد وضع قواعدها المؤسس الذي يكتنف حياته الغموض، والذي اتخذ عبد المؤمن مساعداً ووريثاً بعدما انتفاه في بجاية. وقد أعدّ معه أسس العقيدة التي راح ينشرها بين البربر في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من مراكش.

وتتمثل العقيدة في التشدد الأخلاقي، ونبذ التسامح في كثير من العادات التي يبدو أنها انتشرت في

المحنة سوى المجاهدين الشهداء بحسب ما تشير الآية القرآنية: ﴿وَلَا تَحْسَبِ الْآيَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا يَا أَهْلَ الْغِيَاةِ عَذَابُ الْغَيْرِ الَّذِي يَحْتَلُّ مَكَانًا مَهْمًا فِي الْمُعْتَدَاتِ الشَّعْبَةِ شَكْلٌ مَوْضُوعٌ تَفَاسِيرٌ مُتَنَوِّعَةٌ، بَيْنَمَا رَفَضَهُ، بِشَكْلِ قَاطِعٍ، أَتْيَاعُ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزَلَةِ، إِضَافَةً إِلَى بَعْضِ أَتْيَاعِ الشَّيْعَةِ الْمُنْتَظِمِينَ الْمُنْتَظَرِينَ.

أما على الصعيد الفقهي فإن الموت العنيف، الناتج عن جريمة قتل - يُعاقب مُسبِّبُهُ بموجب أحكامٍ محدّدة بدقّة، بينما خضعت عقوبة الإعدام في المجتمع الإسلامي لإجراءات تجيز لصاحب السلطة الشرعية اللجوء إليها بشكل واسع. يذكر الحديث النبوي الشريف أنّ دم المسلم لا يمكن إراقته إلا في حال الرّدة والزنى والقتل المتعمّد، ما يفسح في المجال لبعض التأويل. لكنّ الشريعة حدّدت الحالات التي يجوز فيها إصدار حكم الإعدام بحق مسلم وهي: - القتل المتعمّد، في حال عدم الموافقة على التعويض المالي المقدّم من قبل مقرر الجريمة؛ - الزنى المعاقب عليه بالموت بواسطة الرجم بالحجارة أو بواسطة السيف في بعض الحالات؛ - قطع الطرق والتمرد؛ - الارتداد من دون توبة؛ - وأحياناً، التخلي عن الصلاة الذي يُعتبر بمثابة ارتداد. واستعمل الهام الارتداد في كافّة الحقبات لإدانة كل مسلم يقاوم رئيس الجماعة، مفسحاً هكذا المجال للحكّام في اللجوء، من دون أي إجراء آخر، إلى تنفيذ أحكام بالإعدام تبرزها «مصلحة الدولة» التي كانت تنصّح في الأوساط الإسلامية وقضية الإسلام.

مؤنة (المملكة الأردنية الهاشمية)، بلدة قائمة على هضبة مؤاب، جنوبي الكرك، استمدّت شهرتها من الحملة غير الموفّقة التي قادتها الفرق العربية - الإسلامية في أيام النبي محمد (ﷺ) في العام ٦٢٩م. تذكر المصادر التاريخية العربية والبيزنطية أنّ نبي الإسلام (ﷺ) أرسل حوالي ثلاثة آلاف رجلٍ لإخضاع العرب، من وثنيين ومسيحيين، المقيمين في المنطقة الواقعة جنوبي البحر الميت، ولكنهم هُزموا على يد جيش قوي جمعه البيزنطيّون الموجودون في الحاميات المجاورة. قُتل ثلاثة من قادة القوات الإسلامية، بينما

يعود الفضل في تنظيم دولة الموحدون التي استمرت نحوًا من قرن إلى عبد المؤمن الذي شرع في التأسيس لسلالة حاكمة، إذ عيّن ولده وريثًا له بدعم من القادة العرب الذين كان قد استفادهم لمساندة جيشه العامل في الأندلس، مخالفًا بذلك إرادة ابن تومرت. إن عوامل الضعف وأسباب النزاعات التي لازمت الإجراءات التي اتخذت في السنوات الأولى استمرت في ما بعد. فكان كلٌّ من حكام المقاطعات مثلاً يخضع لرقابة مبعوث خاص. كانت هذه العوامل وراء انهيار الدولة السريع، على الرغم من الحرص الذي أبداه الملوك في تنظيم الضرائب وتطبيق العدالة وتسلم مظالم الناس. وقد شادوا مجموعة أبنية دينية ومدنية نذرت هندستها على مفهوم جديد لفن البناء الإسلامي في المغرب.

والإنجازات التي حققها الموحدون أكسبتهم شهرة واسعة، وكان ذلك بفضل الغنى الذي تأتّى عن طريق النشاط التجاري لأمبراطورية كانت تؤذي دور الوسيط بين أوروبا المتوسطية والقرارة السوداء. ولزدهار الأوضاع الاقتصادية ساهم في تنشيط الحركة الفكرية، وقد أتاح الموحدون البحث في القضايا الكلامية وشجّعوا البحث الفلسفي، وكزمو المفكرين من أمثال ابن طفيل وابن رشد، وهما من الأطباء البارزين، وغيرهم ممن كانوا بجالسون أسياهم في بلاط مرفه. أمّا المجتمعات المدنية فقد عمّها تدريجيًا مناخ آخر طابعه صوفية شيعية كانت تضاف إلى المذهب المالكي الشرعي.

٥٢٤-٥٥٨هـ / ١١٣٠-١١٦٣م	عبد المؤمن
٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م	أبو يعقوب يوسف الأول
٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٩م	أبو يوسف يعقوب المنصور
٥٩٥-٦١١هـ / ١١٩٩-١٢١٤م	محمد الناصر
٦١١-٦٢١هـ / ١٢١٤-١٢٢٤م	أبو يعقوب يوسف الثاني المنصور
٦٢١-٦٢٤هـ / ١٢٢٤م	عبد الواحد الأول المملوك
٦٢٤-٦٢٧هـ / ١٢٢٤-١٢٢٧م	أبو محمد عبدالله العادل
٦٢٤-٦٢٧هـ / ١٢٢٧-١٢٢٩م	يحيى المعتمد
٦٢٦-٦٣٠هـ / ١٢٢٩-١٢٣٢م	أبو العلا إدريس المأمون
٦٣٠-٦٤٠هـ / ١٢٣٢-١٢٤٢م	أبو محمد عبد الواحد الثاني الرشيد
٦٤٠-٦٤٤هـ / ١٢٤٢-١٢٤٨م	أبو الحسن علي السعيد المنصف
٦٤٦-٦٦٥هـ / ١٢٤٨-١٢٦٦م	أبو حفص عمر المرتضى

المغرب؛ وعلى الصعيد الديني، دانت العقيدة كلٌّ ما يتعلّق بالتجسيم والتشبيه، فرفضت خلع الصفات البشرية على الله وتشبيهه بالإنسان، وشذّدت بقوة على وحدانية الله؛ كما اشتملت الدعوة على إعلان قدوم مخلص يملأ الأرض عدلًا، هو المهديّ المجسّد في ابن تومرت. وهذا الأخير كان يقيم منذ العام ٥١٩هـ / ١١٢٥م، في أعالي جبال الأطلس، في ينّمل، وأذى له بين الولاء أتباع جميعهم من قبائل مصودة. وقد شكّل الأنواع مجموعة العشرة ثلها مجموعة الخمسين، وعلى الأنواع جميعًا كان المهديّ يمارس سلطة لا تُنازع، باعتباره كاملًا ومعصومًا.

بعد أن تركزت دولة الموحدون على الأسس الدينية والسياسية، باشر المهديّ جهاده ضدّ المرابطين الذين كانوا أسياد المناطق التي يطمع فيها، فبدأ، سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م، بحصار مراكش الذي أدّى إلى مقتله. عندئذٍ تسلّم السلطة ورثه عبد المؤمن، واعترف العشرة ثمّ الخمسون بسلطته، وكان ذلك في حدود سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م. فاستطاع أن يجتاح المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، كما احتلّ الأجزاء من الأندلس التي كانت لا تزال في أيدي المسلمين. وفي الأندلس قضى على ثورة ابن مردنيش سنة ٥٥٦هـ / ١١٦١م. ثمّ جمع قوّاته قرب سلا، في مكان عُرف باسم «رباط الفتح»، وهو الذي بنيت فيه مدينة الرباط، لكنّه توفّي في السنة نفسها قبل أن يستطیع القيام بحملته. في عهد خليفته، أبي يعقوب يوسف وأبي يوسف يعقوب، استكملت الفتوحات وثبّنت، على الرغم من الوضع غير المستقرّ. وقد قام أبو يوسف يعقوب بالجهاد الكبير، فنصّدى للممالك المسيحية الإيبيرية وانتزع النصر في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م. لكنّ الملوك اللّاحقين لم يستطيعوا الحؤول دون تمزّق الأمبراطورية الأفريقية، ولم يتسكّنوا من مواجهة تقدّم الإسبان في حروب الاسترداد. والهزيمة التي مني بها الموحدون في معركة العقاب، سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م، أدّت إلى انكفائهم نحو المغرب. وقد سقطت دولة الموحدون تحت ضربات أعدائهم الجدد، وهم المرينيّون الذين استولوا على مراكش سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م.

أبو العلاء الوائلي

٦٦٥ ١٢٦٦-١٢٦٩م

« راجع المستدين ١٦ و ١٩ ».

أَلْمُودُودِي (سيد)، أو مولانا أبو الأعلى المودودي، ١٩٠٣ - ١٩٧٩، إصلاحى وفقه أصولى لعب دوراً أساسياً في سياسة باكستان. ولد في أورنگ آباد في الدكن من عائلة تقول إنها تتحدّر من قطب الدين جنشي. كما تلقى المودودي تربية تقليدية ضمن المدرسة الفكرية التي يقال لها «مدرسة ديوبند» (Deohend)، مبقياً نفسه في منأى عن التأثيرات الغربية. لكن كان عليه أن يكسب عيشه، فعمل كصحافي بعد أن فقد والده وهو في السادسة عشرة من عمره. في العام ١٩٣٢ أصبح رئيس تحرير مجلة «ترجمان القرآن» التي أناحت له، طوال حياته، عرض أفكاره، وكان هدفه أن يُبَيِّنَ للمتقنين المسلمين أنه ليس لهم أن يحولوا شيئاً في ثقافتهم، وإنما عليهم تطبيق الشريعة بصرامة ضمن دولة تيوقراطية، ذلك أن الإسلام هو نظام ديني، سياسي، اجتماعي وأخلاقي كامل، ومتفوّق على كل ما يمكن أن يحمله الغرب.

قاده اقتراب استقلال الهند، في أربعينات القرن العشرين، إلى النضال من أجل إنشاء جماعة إسلامية، وليس دولة قومية تضمّ مسلمين. ومع ذلك فلأنه عمل، ابتداءً من العام ١٩٤٧، على تنظيم دولة باكستان الجديدة التي هاجر إليها، وهناك نادى ببنّي دستور إسلامي ومبادئ اعترف بها بالواقع في العام ١٩٥١، وأصبحت جزئياً في أساس الدستور الذي أقرّ في العام ١٩٥٦. بعدها، لم يتوقّف المودودي عن معارضة الأنظمة التي حكمت باكستان، باستثناء حكم الجنرال ضياء الحق الذي بدا له أنه الوحيد الذي يتلاءم مع نظام اجتماعي إسلامي حقيقي. توفي في العام ١٩٧٩، بعد أن دافع طوال حياته عن نظرية سياسية تقوم على مواقف دينية متصلة.

مؤدّن — أذان

« راجع المستدين رقم ٢٦ و ٢٧ »

١٤٦٠ و ١٨٢٨، في إطار أميراطورية العثمانيين التركية. باستثناء بعض غارات القراصنة اللاتين من إمارة كريت خلال الحروب البحرية العربية - البيزنطية في مطلع عصور الإسلام، لم تبدأ هجمات المسلمين الجديدة على المورده إلا خلال القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد. وشاركت بعض الدول التركمانية في الأناضول الغربي في عهد الإمارات بهذه المعارك. وتوالى بعد ذلك الاجتياحات التي أدّت إلى فرض الجزية والتي قادها عثمانو بورسه وأدرنة باسم الجهاد، في عهود السلاطين مراد الأول، بايزيد الأول يلديرم، محمد الأول ومراد الثاني. لكن لم يتحقّق نجاح دائم على البيزنطيين والبنادقة الذين كانوا يحتلون البلاد، إلا بعد الاجتياح النهائي الذي قاده قوّات محمد الثاني الفاتح في العام ١٤٦٠م، بعد فتح القسطنطينية.

تمّ عندئذ ضمّ المورده إلى باقي الامبراطورية، فشكّلت سنجاقاً منفصلاً أداره مباشرة الأتراك الذين استولوا على أهم الأراضي الزراعية. وتميّز السكّان الأصليون - وأكثرهم من المسيحيين الذين كانوا يتمتعون ببعض الامتيازات، منها عدم خضوعهم لضريبة القلنس «الدوشيزما» - بروح المعارضة، بينما أصبحت البلاد، في القرن السادس عشر، مسرحاً لصراعات جديدة بين البنادقة والعثمانيين الذين انتصروا في النهاية. وبعد وقت وجيز، إثر تدخّلات أجنبية، أرغمت معاهدة كارلوفيتش العثمانيين، في العام ١٦٨٩، على التخلّي عن المورده لمصلحة البندقة التي لم يدم احتلالها لها إلا فترة قصيرة. وأدّت معاهدة باساروفيتش إلى عودة المورده، مرة أخرى، إلى أسيادها الأتراك الذين احتفظوا بها من جديد لقرن تقريباً. وفي العام ١٨٢٦ اندلعت حرب الاستقلال التي شهدت تدخّلاً غير مثمر لإبراهيم باشا الذي قدم من مصر، بأمر من الباب العالي، لقمع الثورة؛ لكنّ الحرب انتهت بإخلاء المورده كلياً من قبّل العثمانيين إثر الهزيمة البحرية التي حلّت بالقوّات التركية - المصرية في نافارين في العام ١٨٢٧.

المُورُوي، تسمية مشتقة، في اللغة الفرنسية القديمة، من لفظة كانت تعني في العصر الروماني شعب البير

المورده، جزء قاريّ من اليونان، عُرف بهذه التسمية منذ القرون الوسطى، وهو يشكّل شبه جزيرة البيلوبونيز التي خضعت، لأكثر من ثلاثة قرون، للسيادة الإسلامية بين

ضمن الحدود المذكورة، أخذت اسمها من أكثرية سكّانها الذين أرادوا، باعتمادهم تسمية «المور»، أن يتميزوا عن ألبو الرّحل، من الأصول نفسها، الذين يعيشون في الأجزاء الصحراوية من الجزائر والمغرب. هؤلاء «المور» المتحدّرون من قبائل بربرية اختلطت بها مجموعات صغيرة من العرب، أفسحوا في المجال لسوء من الحضر، أصبحوا مسلمين بعمق، للاندماج في مجتمعهم، وكان هؤلاء يزعمون الواحات ولهم وضعية العبيد، وهي وضعية أنغبت رسميًا رغم أنها ما تزال موجودة حاليًا في بعض مظاهر التنظيم الاجتماعي. يعود اعتناق سكّان موريتانيا الإسلام إلى عهد المرابطين وإلى انطلاقتهم، في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، وقد عرفت البلاد لاحقًا، وخصوصًا ابتداء من القرن الثامن عشر، نشوء طوائف صوفيّة متنوّعة مارست نفوذًا كبيرًا على الحياة الدينيّة. وينتمي حاليًا كلّ الموريتانيين تقريبًا إلى طريقة صوفيّة.

حصلت جمهورية موريتانيا، التي تغطي أرضًا كانت جزءًا من أفريقيا الغربيّة الفرنسيّة ابتداء من العالم ١٩٠٣، على استقلالها في العام ١٩٦٠، وأقرّت في العام ١٩٦١ دستورًا ونظامًا رئاسيًا. وقد احتفظ أول رئيس منتخب لها، مختار ولد دادا، بمنصبه حتّى العام ١٩٧٨، حين استبدلت بحكومته اللجنة العسكريّة للإنقاذ الوطني. ثمّ تولى السلطة، ابتداء من العام ١٩٨٤، رئيس جديد أقرّ في العام ١٩٨٥ ميثاقًا دستوريًا يؤكد أنّ الإسلام هو دين الدولة والشعب، وأنّ الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع. بعد فترة وجيزة، وإثر صدامات دامية أدّت إلى تبادل سكّاني مع السنغال، تمّ، في العام ١٩٩١، اعتماد دستور جديد ديمقراطي ونظام حكم مدني، تميّز بقيام انتخابات رئاسيّة.

موريس (جمهورية)، مساحتها: ٢٠٠٠ كلم^٢، عاصمتها بور لويس، دولة مستقلّة تقوم على جزيرة، جنوبي المحيط الهندي، حيث يضمّ سكّانها البالغ عددهم حوالي المليون نسمة، أقلية مسلمة من حوالي ١٥٪.

هذه الأرض الواقعة شرق مدغشقر، وليست بعيدة عن جزيرة «ريونيون»، كانت تحتلّها في الماضي فرنسا. وبعد أن أصبحت محبة بريطانيّة في العام

في أفريقيا الشماليّة («مورّي» (Mauroi) في اليونانيّة، (Mauri) «موري» في اللاتينيّة) والتي أصبحت في الإسبانيّة «مورو» للدلالة على المسلمين العرب والمستعبرين.

ومن «مورو» جاءت لاحقًا تسمية «موريسكوس» أو «الموريسكيون» التي اقتضرت على المسلمين الذين ظلّوا في إسبانيا بعد أن استعادها المسيحيّون. من جهة، كان اللفظ الفرنسي «مور» (Maures) يُستخدم عادةً للدلالة على المسلمين بشكل عام؛ لكنّه كان يدلّ أيضًا، بشكل أضغ، على الذين استقروا منهم مؤقتًا، في القرون الوسطى، في جنوب فرنسا - وظلّ اسمهم يُطلق على السلسلة الجبلية «المور» (les Maures) - وعلى الذين كانوا يسكنون مدن المغرب في مراحل لاحقة حيث تكثّفت الاتصالات من جهتيّ البحر الأبيض المتوسط. من هذا المعنى تتحدّر تسميات مثل «حمام مور» أو «مقهى مور». وفي السياق نفسه اشتقت صفة «موريسك» الدالّة تحديداً على الفن والعمارة في المغرب الإسلامي مع دلالات أدبيّة في الغالب.

في المرحلة المعاصرة، ينتمي إلى تسمية «الموروي»، بمعنى مختلف، ألبو الرّحل القدامى في الصحراء الغربيّة الذين أسسوا دولة مستقلّة هي «موريتانيا» الحاليّة. هناك أصبح هؤلاء البربر، المتمزجون مع عرب والناطقون بلهجة عربيّة، أكثرية. وهم يشملون الفئة الخاصّة من السود القدامى والخلّاسين الذين يعتبرون أنفسهم أيضًا من الموروي.

موريتانيا (جمهورية موريتانيا الإسلامية)، المساحة: مليون كلم^٢، العاصمة: نواكشوط. دولة مستقلّة معاصرة يتشكّل شعبها البالغ عدده حوالي المليون نسمة بكامله تقريباً من المسلمين.

تقع المساحة الصحراوية الواسعة لهذه البلاد، على خط تماس المغرب العربي - الذي تنتمي إليه - وأفريقيا الساحليّة حيث تقع مباشرة على تخوم جمهوريات مالي والسنغال، ولها، في الوقت نفسه، شواطئ طويلة على المحيط الأطلسي. وهي تمتدّ نحو الشمال حتّى حدودها المشتركة مع المناطق الصحراوية في المملكة المغربيّة والجمهورية الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة. هذه البلاد،

عاصمتها: مايوتو، دولة مستقلة معاصرة، تقع على الساحل الشرقي لأفريقيا السوداء، إلى الجنوب من خط الاستواء. يقدر عدد المسلمين فيها بنسبة تفوق أربعة عشر بالمائة من مجموع سكانها البالغ عددهم حوالي خمسة عشر مليوناً.

تمتد أراضي هذه الدولة التي خلفت مستعمرة برتغالية سابقة كانت تحمل الاسم نفسه، على طول ساحل المحيط الهندي، لها شمالاً حدود مشتركة مع جمهورية تنزانيا المتحدة الأكثر تأثيراً بالحضارة الإسلامية؛ كما تحدها، من الشمال الغربي، جمهورية ملاوي التي تضم نسبة ماثلة من المسلمين. ويعكس وجود المسلمين فيها حائلاً ناتج الأنشطة التجارية القديمة التي تطورت منذ القرون الوسطى في أفريقيا الشرقية والتي بلغت، بلا شك، ذروتها خلال القرن التاسع عشر، بالرغم من وجود مراكز تجارية عربية على هذه الواجهة البحرية منذ زمن بعيد جداً. وفي هذه المواقع ما زال تقيم أكثرية من المسلمين المنتشرين كذلك في المناطق الداخلية، على طرق القوافل التي كانت تسلكها في ما مضى تجارة الرقيق.

موسى، بعبارة أدق، موسى بن عمران، الملقب بـ"كليم الله". شخصية توراتية ذكر مراراً في القرآن الكريم على أنه نبي لله ورسوله المعهود للنبي محمد ﷺ.

تاريخ موسى، كما ورد في القرآن في آيات عديدة، يتوافق جزئياً مع الرواية التوراتية، لكن مع إضافة عناصر مقتبسة من السيرة اليهودية. ويصير القرآن على الوحي المنزل على موسى، كما يصير على حادثة عصا موسى التي ابتلغت عصي سحرة فرعون، وعلى معجزاته التسع، وعلى الدغل المتقد، وعلى لوحي الوصايا اللذين أحضرهما، وأخيراً على رواية العجل الذهبي. وتتضمن الروايات التي تلت القرآن عناصر غير توراتية، كما تدخل بعض التعديل على أجزاء من الروايات السابقة، ولا سيما تلك المتعلقة بعصا موسى ذات المفاهيم المعجانية المخافة.

تتوافق، على كل حال، العناصر القرآنية والتقاليد اللاحقة لتثبيت المقامات العديدة المخصصة لموسى التي هي مواضع زيارات تقوية؛ وقد تزامن رواجها مع

١٨١٤، شهدت في القرن التاسع عشر هجرة قوية من الهند أثرت في تطورها الاجتماعي والسياسي؛ ثم حصلت على استقلالها في العام ١٩٦٨. مع البقاء ضمن منظومة الكومنولث البريطانية. وينتمي المسلمون القليلو العدد، ولكنهم ناشطون، إلى مجموعات متنوعة تتمثل فيها خصوصاً السنة والإسماعيليون.

الموريسكيون (Morisques)، في الإسبانية (Moriscos)، إسم أطلق في شبه الجزيرة الإيبيرية على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد استرجاعها على أيدي المسيحيين.

تجمع هؤلاء المسلمون أولاً في الأراغون، وفي منطقة بلنسية، كما تواجدوا في أراضي مملكة آل نصر القديمة في غرناطة، بعد أن استعادها الملوك الكاثوليك في كانون الثاني ١٤٩٢. وكانوا يتمتعون بمبدأ بوضع مشابه لوضع المسيحيين في الأراضي الإسلامية وتمتعوا بضغوط هادئة لتحويلهم إلى الدين المسيحي، ما أدى إلى اندلاع عدد من حركات التمرد. ولما دُعوا، منذ أعام ١٥٠١، للتحويل إلى المسيحية أو مغادرة البلاد، لجأ كثيرون منهم إلى الجبال المجاورة لغرناطة، لكن من دون اعتناق الدين المسيحي. تمّرضوا لإجراءات كيدية عديدة بين العامين ١٥٢٦ و١٥٦٦ أدت إلى قيام انتفاضة جديدة في الأندلس استغرق قمعها وقتاً طويلاً. أخيراً أصدر فيليب الثالث، في العام ١٦٠٩، مرسوماً قضى بطرد الموريسكيين من إسبانيا، فتوجهوا إلى مناطق متعددة من المغرب: - إلى المغرب الأقصى، ولا سيما إلى سلا والزباط وكذلك إلى فاس وتطوان؛ - إلى المغرب الأوسط أو ما عُرف في ما بعد بالجزائر، إلى تلمسان، ووهران ومدينة الجزائر؛ - وحتى إلى إفريقية القديمة أو تونس. وكان بعضهم بخارة يمارسون الغزوات والقرصنة، بينما تمّ تطويع البعض الآخر في جيوش مختلف الملوك، لا سيما في جيش السعديين في مراكش. كما ضمت صفوفهم أيضاً علماء وحرفيين نقلوا إلى أماكن إقامتهم الجديدة بعض المعلومات الدقيقة الفكرية أو الفنية التي تميّزت بها حضارة الأندلس منذ قرون.

الموزمبيق (جمهورية)، مساحتها: ٧٨٣ ٠٠٠ كلم^٢،

سالكاً طريقاً مختلفة عن طريق طارق أوصلته إلى إشبيلية ومارده. تلاقى القائدان بالقرب من طليطلة وتابعاً معاً إخضاع البلاد إلى أن بلغا سرسطة ونافار. ترك موسى في العام ٩٥٠هـ/٧١٤م الأندلس في عهد ابنه عبد العزيز وعاد أولاً إلى القيروان حيث أحضر غنيمة هائلة وعدداً كبيراً من الأسرى. أبدى حذره تجاه الخليفة الوليد الأول بن عبد الملك الذي كان يحثه على العودة إلى دمشق، فمات ولم يعد إلى سوريا إلا قُبيل وفاة الخليفة الذي خلفه سليمان. استُقبل استقبالاً سيئاً وتوفي في العام ٩٨٨هـ/٧١٧م، بعد أن فقد الحظوة بسبب نجاحاته، وفقاً لمصادر تاريخية غير موثوقة بها.

موسى الكاظم، الملقب أيضاً بالعبد الصالح، ١٢٨-١٨٣هـ/٧٤٥-٧٩٩م. هو ابن جعفر الصادق وسابع إمام علوي في سلسلة الإمامية الاثني عشرية، ورت إمامة كانت موضوع خلاف، وتمتع بسمة متميزة بالقداسة طيلة فترة إمامته التي دامت ثلاثة وثلاثين عاماً.

في العام ١٤٨هـ/٧٦٥م، لدى وفاة والده الإمام جعفر، رفض أنصار شقيقه إسماعيل وعائلته، المتشبهون بدورهم إلى نزعات عذّة ساهمت في نشوء الإسماعيلية، مُنّحه لقب إمام. وكان آخرون من أتباع الشيعة ينصرون إثنين من أشقائه موسى الآخرين، إلا أنّ كليهما لم يكن ليهما إماماً بالشأن الفقهي بقدر إمامه به. وفي الواقع، كان موسى المقيم في المدينة بكَرْس نفسه للعلوم الدينية وللتقوى. ولذلك أراد اثنان من الخلفاء العباسيين التناكُد من ولاته، فأحضراه إلى بغداد: المهدي أولاً، ثم هارون الرشيد الذي لم يتردد في سجنه وقتله.

أثارت وفاة الإمام في السجن انتقاسات جديدة، ولا سيّما بين أولئك الذين كانوا يعتقدونه حيّاً وأولئك الذين كانوا ينتظرون عودته مهديّاً، وأدّت إلى نشوء طوائف واجهها أنصاره الذين انقضوا بمعظمهم إلى ابنه الحديث السن، عليّ الرضا. وأصبح قبره في بغداد في مدفن قريش، حيث دُفن في ما بعد إلى جانبه حفيده محمّد الجواد، موضع زيارات تقوية منذ وقت مبكر، وأقيم في موقعه ضريح عُرف بـ«ضريح الكاظمين» الذي أعطى اسمه إلى إحدى ضواحي العاصمة وهي الكاظمية.

انتشار عادة «تكريم الأولياء» في أوساط الطبقات الشعبية الإسلامية. وهي كناية، وفقاً لمعلومات من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، أتى على ذكرها «دليل» الهروي، عن زيارات نافلة شاعت بعد تحديد مواقع أهم الأحداث التذكارية العائدة إلى اليهودية المسيحية، كتحديد موقع الدغل المقدد في سيناء مثلاً، أو بلاد شيب في مَدين، أو ضريح موسى في المكان المسمّى وادي موسى على الطريق المؤدية من أريحا إلى القدس والذي ما يزال يتمتع في أيامنا هذه بالشهرة نفسها. أما المواقع التذكارية الأخرى الواقعة في مصر وفي سوريا، وصولاً إلى جوار طبرية بالقرب من «أرض الميعاد» التي قصدها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر بقيادة النبي موسى، فيبدو أنّها تنتمي إلى إطار أدبي إسلامي مرتبط، إمّا بمراحل طفولة موسى وبنزاعه مع «الفرعون»، وإمّا بالمرحلة التي شهدته قائماً ومشرعاً تاركاً آثار قديمة أو عصاه على الصخور. كما نمسكُ الصور التي أيضاً بصورة موسى المؤتمن على الشريعة الإلهية المنزلة في زمانه رغبة منهم بإثبات إمكان اتصال الإنسان بالله.

موسى بن نُصَير، ١٩-٩٨هـ/٦٤٠ - ٧١٧م. قائد الجيوش الإسلامية التي نجحت في فتح شبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الأمويين، وفي إنشاء إقليم الأندلس الإسلامي الجديد.

ولد في العام ١٩هـ/٦٤٠م، من أب مسيحي اعتنق الإسلام وخدم معاوية، ودخل موسى بدوره في خدمة الخليفة عبد الملك الذي كلّفه بجباية الخراج في منطقة البصرة. وُجّهت إليه تهمة الاختلاس، فالتجأ إلى مصر حيث حصل من حاكم هذه الولاية وشقيق الخليفة على منصب حاكم إفريقية. ومن موقعه هذا، انطلق موسى لاجتياح القسم الغربي من المغرب حيث أخضع البيربر الذين اعتنقوا الإسلام، ثم عاد إلى إفريقية بعد أن كلّف مساعده طارق بالسهر على الوضع.

أقدم عندئذ طارق على إزلال جيوشه في إسبانيا، فأثار غيرة موسى الذي اجتاز بدوره المضيق على رأس جيش مؤلف من عشرة آلاف رجل معظمهم من العرب. اجتاحت أراضي القوط انطلاقاً من الجزيرة الخضراء،

الإسلامية حيث اختلطت بالتقاليد المحلية.

الموصل (الجمهورية العراقية)، مدينة في بلاد ما بين النهرين العليا، ما تزال تشكل مع إربيل واحدة من أهم المدن في المنطقة، لكنها عرفت في القرون الوسطى، أهمية إقتصادية وإستراتيجية أكثر اتساعاً.

تقع الموصل على ضفة دجلة الغربية، مقابل نينوى القديمة، وهي حاضرة ديار ربيعة، وكانت قد خلفت مدينة محصنة سابقة بعد احتلالها في العام ١٢٠هـ/٦٤١م من قبل جيوش الفتوحات الكبرى العربية - الإسلامية. جُهِزَت بجسر قائم على سفن، في عهد الأمويين، نسيلاً للنشاط التجاري وأصبحت، في عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان الثاني، مركز إقليم الجزيرة أو بلاد ما بين النهرين العليا. وشهدت، في عهد العباسيين، اضطرابات ناتجة عن تغلغل الخوارج بين سكّانها؛ وفي العام ٢٩٣هـ/٩٠٦م، تولى الحمداني أبو الهيثم حكمها الذي بقي بين أيدي أسرته حتى العام ٣٥٩هـ/٩٦٩م.

بعد أحداث متعددة، أصبحت هذه المدينة - التي عرفت، منذ القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، استيطاناً كردياً - في العام ٥٢١هـ/١١٢٧م، عاصمة الزنكيين، وهم سلالة من الأتابكة التي اشتهرت، بعد عهد عماد الدين زنكي، من خلال خلفائه من سلالة ولده سيف الدين. وشُيّد فيها عندئذٍ مسجد جامع، وهو غير مسجد مروان الثاني، لكن المدينة اضطرت، في العام ٥٨١هـ/١١٨٥م، إلى الخضوع لصالح الدين. ابتداء من العام ٦٠٧هـ/١٢١١م، استولى عليها بدر الدين لؤلؤ، وهو عبد سابق وضابط في جيش الزنكيين، وأمن استقلالها في العام ٦٣١هـ/١٢٣٤م حتى وفاته في العام ٦٥٧هـ/١٢٥٩م. بعد أن تمكّن في غضون ذلك من إقناع الغزاة المغول بالمحافظة على المدينة. غير أنها هُيئت في العام ٦٥٧هـ/١٢٦١م، بسبب سياسة ابن لؤلؤ، بعد أن كانت عرفت، حتى ذلك التاريخ، ازدهاراً تجلياً في إنجازاتها الجرفيّة، ولا سيما المعدنية والنسجية منها، وفي تألّق هندستها المعمارية القائمة على الأجر. وقد أشاد الجغرافيون والرحالة العرب في القرون الوسطى بأسواقها المسقوفة وأبنيتها المتنوعة القائمة داخل سور نصف دائري، وقلعها الضخمة التي تحولّت

الموسيقى، شكل من أشكال الفن المحظور مبدئيّاً في المجتمع الإسلامي الذي لم يتغيّد قط كليّاً بهذا الخطر، بل عرف، بالعكس، قيام مدارس موسيقية عذّة.

أدان بعض العلماء مزاوله الموسيقى وشجبوا به قدر ما شجبوا تعاطي الخمرة وغيرها من المشروبات الروحية، إذ إنّ جلسات تعاطي الخمرة غالباً ما كانت تُردف بحفلات موسيقية تعتمد على آلات مختلفة ويتخلّلها أداء المطربين، ولا سيما المعزجات اللواتي برّعن في غناء الشعر غير التقوي، بقدر براعتهنّ في مزاوله فنّ الرقص. لكنّ هذا لم يمنع رواج الموسيقى الترفيحية في القصور الملكية وفي الحفلات الأرستقراطية طيلة القرون الوسطى. وقد وردت، منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، معلومات عديدة متعلّقة بممارسة الموسيقى وأدائها في كتاب وضعه أبو الفرج الأصفهاني باسم «كتاب الأغاني» المتميّز بتوجيهاته الاجتماعية والأدبية. كما ذكرت مصطلحات الوقائع التاريخية أسماء موسيقيين ومطربين اشتهروا في عهد العباسيين، ومن بينهم إبراهيم الموصلي وابنه إسحق، وزّيا ب الشهير الذي كان يُشرف على اللياقة والأناقة في بلاط الأمويين في قرطبة. وعرفت الجاريات المغنيات رواجاً استثنائياً. لكنّ الدور الديني الذي أدّته الموسيقى، على الأقلّ منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بمرافقة الجلسات التي كان يسمى خلالها المتصوّفون إلى الوجد، اكتسب أهمية أكبر في ما بعد.

شهدت إذاً الموسيقى في العالم الإسلامي تقديراً متفاوتاً طيلة القرون الوسطى، ولاقّت علومها النظرية المقتبسة عن الأفريق، خارج الأوساط المتشدّدة، رواجاً متقلّباً، وقد اهتمت بها، بنوع خاص، بعض الكتاب الملمّين بالفلسفة مثل الكندي والفارابي اللذين خلّقا بحوثاً موسيقية مثقفة للغاية. وبشكل عام، بلغت الموسيقى الشرقيّة الفروسطيّة، المنتشرة من الموسيقى القديمة، بفضل بعض الفنانين المتميّزين برعاية الطبقات الحاكمة والأثريّة، درجات عالية في إغنان الشغبات الصوتية والآلات الموسيقية. وما زالت طرقها متبعة، حتى يومنا هذا، في مختلف الدول

مستمرة، بينما تكوّنت حول المكان بقعة مقدّسة ازدادت أهميتها تدريجيًا، فباتت تشكّل ملأًا وحرماً.

مولاي إسماعيل بن الشريف، ١٦٤٦ - ١٧٢٧،
ثاني ملك في سلالة العلويين، حكم كل المغرب من ١٦٧٢ إلى ١٧٢٧، وتميّز بصلافة سياسية وبنشاطه في البناء.

هو شقيق السلطان مولاي الرشيد. غادر تافيلالت ليستعيد سلطنة شريفية تخلى عنها آخر السعديين، وكان حاكمًا على مكناش عند وفاة الرشيد. وبعد أن أغلّب سلطانًا في هذه المدينة، صادف في البداية بعض المتعصبين لثقافته على منافسيه، ومن بينهم شقيقه وابن شقيقه، فاضطرّ للاعتراف بهما حاكمين على الأطلس وتافيلالت، وكان عليه أن يقيم تمرّدًا في منطقة مراکش. لكنّه اتخذ لاحقًا كل الوسائل التي فرضت احترام سلطته في كل مكان. أوّل همومه كان الدفاع عن المغرب ضدّ العثمانيين المتمركزين في الجزائر، وكذلك ضدّ الأوروبيين الذي يهدّدون الساحل الأطلسي. ولكي يتمكّن من ذلك، عمد إلى تنظيم جيش جديد، وجنّد عددًا من العبيد السود الذين أنشأ منهم الحرس المعروف باسم «عبيد البخاري» - وسبب هذه التسمية أنّه كان عليهم أن يُسموا اليمين على نسخة من كتاب البخاري - واختار بعضًا منهم لينظّموا مجموعة «المتطوّعين» الذين كانوا يجاهدون ضدّ البرتغاليين والإسبان. هكذا أرغم هؤلاء على الجلاء عن طنجة، والعرانش وأصيلا، في حين أنّه كان يقيم علاقات جيدة بالفرنسيين الذين طلب منهم تزويده ببعض المنتجات التجارية أو الإشراف على مختلف أشغال البناء، من طرقات ومباني من كل نوع.

ودائمًا، نحت هاجس التنظيم العسكري، شيّد مولاي إسماعيل في مختلف النقاط الحساسة من البلاد، قلاعًا، عُرف كلّ منها باسم «قُصبة»، أقام فيها حاميات من «العبيد» بهدف احتواء، ليس مطامع الأعداء الخارجيين وحسب، مثل باي الجزائر، ولكن أيضًا حركات التمرد التي قد تقوم بها بعض القبائل. وكان أيضًا رجل علم وبناء، أقام المدينة الملكية الخاصة في مكناش، ولجأ، لتمويل هذه الأعمال المختلفة، إلى

إلى قصر مُعدّ للسكن. كما أعجبوا بضواحيها الخصبة وبحدائقها المروية بواسطة نواعير، ما يؤكّد أنّها كانت تتحكّم بتقنيات المياه.

لم تثبت السلالات والأمباطوريات المختلفة التي عرفها المشرق الإسلامي ولا سيّما الجلائريّين والآق فيونلو والصوفيّين والعمشانيين - أن تنازعت الموصل، واستمرّت المدينة منذ ذلك الوقت في التفهّر إثر الغزوات الأجنبية المتعاقبة والنزاعات الداخلية الناشئة عن تباين سكّانها عرقيًا ودينيًا، بينما كانت تفقد أنشطتها التجارية. أخيرًا، وبعد الحرب العالمية الأولى، أُنحقت مقاطعتها - التي كانت ما تزال تضمّ أقليات مسيحية - بالمملكة العراقية تحت الانتداب البريطاني، وفقدت مذكّ إمبازات موقعها الذي كان يشكّل نقطة انطلاق لرحلات القوافل المتوجّهة إلى الأناضول. وباتت مركزًا إداريًا لا يحتضن سوى بقايا بعض الأضرحة وبقايا المسجد الجامع ومزارات شيعية، إضافة إلى بقايا قصرها الذي حوّل فيضان نهر دجلة إلى خراب. كما عُرف فيها قبر النبي جرجس، وعلى ضفة النهر الأخرى شواهد تذكارية للنبي يونس، ولا سيّما مشهده، وكانت خلال القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، مقصد زيارات تقوية أتى على ذكرها الهزوي في دليله.

«راجع السندباد رقم ٨، ١٠، ١٢، ١٣، ٢٠، ٢٤».

مولاي إدريس (المملكة المغربية)، مدينة جبلية صغيرة تحتلّ موقعًا مرتفعًا على منحدر جبل زُرُفُون، تعود شهرتها إلى المزار الذي يضمّ قبر إدريس الأوّل مؤسس سلالة الأداوس.

كانت البلدة القروية التي نشأت حول هذا الضريح تقع بالقرب من مدينة فولوبيليس الرومانية المعروفة بالمربية باسم زُلَيْلَى التي بقيت قائمة بعد الفتح العربي - الإسلامي لفترة أطول ممّا يُذكر عادة. لم ينشأ تجمع سكاني حقيقي في مولاي إدريس إلّا في وقت متأخر، كما لم يأت الكتاب على ذكرها إلّا بحلول القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. وقد استُبدل، في القرن الثامن عشر، بالضريح المعروف آنذاك، بناءً أمر به الملك مولاي إسماعيل وما يزال قائمًا حاليًا، وأصبحت عندئذ زاوية مولاي إدريس الجديدة مقصد زيارات تقوية

من الأولى، الدور التشريفي نفسه بالنسبة إلى أسماء رجال الدين والأقباة في العالم التركي - الإيراني وفي شبه القارة الهندية، وبشكل أخص بالنسبة إلى المتصوفين الذين أصبحوا مشهورين بفضل مزايهم الشخصية أو بفضل الدور الذي أدّوه في تأسيس المدارس أو الطوائف الصوفية، ووصلت الأمور إلى أن صارت كلمة «مولانا» جزءاً من الأسماء التي يُعرف بها بعضهم اليوم.

المَوْلَد، جمعه مَوْلَدُونَ، مصطلح عربي استُخدم في القرون الوسطى في شبه الجزيرة الإيبيرية، واستعمله أيضاً المؤرخون الغربيون في العصر الحديث للإشارة إلى السكان الأصليين في المناطق المنحوتة إلى الإسلام إثر الفتوحات الكبرى.

غالباً ما توصّل أفراد هذه الفئة المهمة من السكان الذين شكّلوا، منذ القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، جماعات متماسكة - إلى المطالبة بنوع من الاستقلالية، أو حتى إلى التمرد صراحةً على السلطة الإسلامية. ومن أشهر هذه الحركات كانت ثورة إبن حفصون الذي لم يتردد، بعد أن حقق بعض الانتصارات على السلطة المركزية، في العودة إلى الدين المسيحي. وكانت هذه الاضطرابات التي هزّت المجتمع الإسلامي القروسي في الأندلس شبيهة بتلك التي شهدتها الأقاليم الشرقية، لكن بشكل مختلف نوعاً ما، خلال محاولات تحرّر معتنقي الإسلام الجدد الذين أطلق عليهم في هذه المناطق تسمية «الموالي». وفي الواقع، تَكَثَّرَت مشكلات هؤلاء الموالي - التي طالما أثّرت على تاريخ الخلافة في العصرين الأموي والعبّاسي - لكن بشكل مختلف، في أقاليم المغرب الإسلامي.

مولدافيا، بُغْدَانْ إلي أو بُغْدَانْ بالتركية، مقاطعة شرقيّ جبال الكاربات، تُشرف على البحر الأسود، شهدت، ابتداءً من نهاية القرون الوسطى، ما يقارب خمسة قرون من الهيمنة الإسلامية في إطار الأباطورية العثمانية. فرض العثمانيون سيطرتهم غير المحكّمة في بادئ الأمر، وذلك في العام ١٤٥٥، بعد هجمات عدّة سابقة على مقاطعة كانت في الوقت نفسه عرضة لمطامع خانات القبيلة الذهبية الإسلامية وخانات كراي في بلاد

وسائل غير مشروعة أحياناً. هذه الأنشطة التي قام بها ملك داهية وقاسي، ولكنّه ماهر أيضاً، سمحت له بأن يحافظ على السلام في القسم الأكبر من مملكته، حيث قرّى «المخزن» وقرض نظام رعب لم تُعرف نهايته إلا بعد أن توفي عن ثمانين سنة، بعد حكم طويل استمرّ خمسين سنة.

المولى، لفظة عربية يمكن أن تعني «معلم، سيد» - ومنها اشتقت تسميات «مولانا» أو «مولاي»، وكذلك الاشتقاق الفارسي «مُلا» أو الفرنسي «مولا» (molla)؛ في حين أنّ معناها الآخر «العبد، الخادم، النصير» جعلها تدل، في صيغة الجمع، على طبقة اجتماعية هي «الموالي».

«مولى»، بمعنى «المعلم» أو «السيد» تنطبق على الله في القرآن الكريم حيث تجد، مثلاً، صيغة «أَنْتَ مولانا» في سورة البقرة، الآية ٢٨٦؛ وتظهر أيضاً في سور أخرى، بمعنى «حليف»، «صديق» أو «محمي». أمّا الاستخدام الغالب للفظه فهو بمعنى «السيد»، كما تُستخدم خصوصاً في «الحديث»، وهذا يُفسّر أنّها كانت تُطلق على الملوك أو على شخصيات مبجلين، وذلك تحت أشكال اختلفت بعض الشيء، كما اختلف الرواج الذي لقيته، تبعاً للمناطق وللمصور الإسلام. هكذا انتشرت كلمتان مُركبتان بالحقاق «الضمير» بهما، في مناطق جغرافية مختلفة، وهما «مولاي» أي «سيدي» و«مولانا»، أي «سيدنا».

الأولى، «مولاي»، أصبحت في المغرب والأندلس لقباً مشرفاً استُخدم، ابتداءً من القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، للدلالة على أولياء أصبحت ذكراهم أسطورة، مثل إدريس الأول الذي كان ضريحه في أساس ولادة محلة «مولاي إدريس» قرب فاس؛ أطلقت أيضاً لفظة مولاي، بشكل عام، صفةً لأفراد مختلف السلالات، للنصريين في غرناطة، للحمصيين في تونس، ولا سيّما للسلطين الأشراف في المغرب، وللصنّيعيين والعلويين الذين جعلوا من كلمة «مولاي» صفة ظلّت لفترة طويلة ملازمة لاسمائهم.

الثانية، «مولانا»، ربما لعبت في وقت مبكر، أكثر

الهندي، على الساحل الشرقي لأفريقيا السوداء، يتميز حالياً بأهميته الاقتصادية، وقد أدى في الماضي دور محطة تجارية للملاحة الإسلامية.

تحتلّ البلدة موقعاً متوارياً ومحمياً في جزيرة، جنوب مدينتي لامو وماليندي التجاريين. ويبدو أنها شاركت هاتين المدينتين المصير نفسه، وشهدت مثلهما نشوء سلطنة محلية، في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، ذكرها الجغرافي الإدريسي، وزارها في ما بعد الرحالة ابن بطوطة. لكن لم تُكتشف فيها أية معطيات أثرية تؤكد قدم ارتباطها ببلاد الإسلام، رغم أنّ بعض المصادر الكتابية السواحلية تعزو هذا الارتباط إلى الخلفاء الأمويين.

مارس البرتغاليون سيادتهم عليها منذ أواخر القرن الخامس عشر، فباشروا بنقل السلطة إلى سلالة من ماليندي، وأخضعوها من ثمّ لحكم مباشر حتى العام ١٦٩٨، بالرغم من التدخلات العثمانية العديدة حوالي العام ١٥٨٥، والثورات المحليّة المتعددة، وبخاصة حوالي العام ١٦٣٠. وكانت النجاحات الأجنبية قد أدت إلى تشييد حصن ضخم تزامن سقوطه، في العام ١٦٩٨، بعد حصار دام حوالي العامين، مع بدء احتلال المنطقة الساحلية بأكملها على أيدي فرق عسكرية وحكام أتوا من عُمان. وترسّخ في مومباسا، منذ ذلك الوقت، نفوذ سلاطين مسقط وزنجبار الذين سيطروا على النشاط البحري والتجاري في المحيط الهندي حتى وقوعها، في العام ١٨٨٧، تحت الوصاية البريطانية التي انتهت في العام ١٩٦٤.

● رابع المئتين رقم ٢٨.

مونتيفرو، أو قرا داغ بالتركية، مقاطعة في البلقان بقيت تحت الهيمنة الإسلامية ضمن الأمبراطورية العثمانية، من القرن السادس عشر إلى أوائل القرن العشرين، وما تزال تضم أقلية مهمّة من المسلمين.

كانت هذه المنطقة المحليّة الصغيرة، البالغة مساحتها حوالي أربعة عشر ألف كيلومتر مربع والمحصورة بين ألبانيا ومقاطعتي البوسنة - الهرسك وصربيا. وهذه الأخيرة تضمّ حالياً مقاطعة كوسوفو^(١) - قد تشكّلت، في القرن الخامس

انقرم، لكنها كانت، نظراً إلى علاقاتها الاقتصادية، مهمّةً للاتحاق باسطنبول. وكان من شأن السيطرة التي مارسها السلاطين العثمانيون بشكل غير مباشر على أمير تابع لهم، ولكنه يتمتع باستقلال ذاتي، يسدّد ضريبته في مقابل الحماية الممنوحة له، أن أعطي تجار المنطقة حرية التجارة في المقاطعات العثمانية كافة. وحلّت محلّ هذه الاتفاقية تدريجياً، بخاصة ابتداء من المنعطف الذي شكّله حملة سليمان القانوني العسكرية في العام ١٥٣٨، تبعية متزايدة أدت إلى فرض «الخراج» على كثير من الأراضي التي بات وضعها أشبه بالامتلاكات العثمانية. ازدادت التدخلات النمساوية والروسية في القرن الثامن عشر وانتهت في العام ١٨٢٦، من خلال معاهدة أكبرمان، بالاعتراف بوصاية روسيا على مولداڤيا التي تمّ في ما بعد، في عام ١٨٥٩، ضمّها إلى فلاشيا لإنشاء دولة رومانيا في عام ١٨٧٨.

● رابع المئتين رقم ٢٦ و ٢٧.

المولوية، طريقة صوفيّة إسلاميّة، أطلقت عليها أيضاً تسمية طريقة «الدراويش الذوّارين» في الأناضول، واستُمد اسمها من لقب «مولانا» الذي أعطي لمؤسّسها جلال الدين الرومي.

اشتهرت الطريقة المولوية التي اتخذت في مدينة قونية مقراً لها من خلال الثمارين الجسدية، ولا سيما جلسات الموسيقى والرقص، التي كان أعضاءها يمارسونها للوصول إلى النشوة، وكذلك من خلال الشهرة التي اكتسبتها قصائد مؤسّسها الصوفيّة. تعزز نفوذها أولاً في الأوساط التركيّة من خلال الخوانق العديدة التي تكاثرت في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، في مقاطعات سلاجقة الروم، وفي ما بعد في مناطق السلطنة العثمانية كافة. وبفضل اتّساع هذه الشبكة، امتدّت الروابط التي طالما شدّت المولويين إلى العناصر الأرستقراطية في المجتمع التركي، في قونية كما في اسطنبول، إلى المقاطعات العثمانية في الشرق الأدنى وإلى المجتمعات المدينيّة في دمشق والقدس والقاهرة.

مومباسا (جمهورية كينيا)، مرفأ حديث على المحيط

غالبًا ما يُطلق اسم «معركة موهاكس الثانية» على الاشتباك الذي حصل في آب ١٦٨٧، على بعد عشرين كيلومترًا من هذه المدينة الصغيرة والذي انتهى بهزيمة الجيوش العثمانية وبخسارة منطقة سلافونيا. وتم التصديق على نتائج الحرب التي شنتها أباطرة النمسا الهابسبورغ وحلفائهم على الباب العالي، بين ١٦٨٥ و١٦٩٩، في معاهدة كارلوفيتش.

الميثاق، عهد بين الله والإنسان، يُشير إليه القرآن الكريم تكرارًا، ورد النص الأساسي لهذا الميثاق في الآية ١٧٢ من سورة الأعراف:

﴿وَلَقَدْ لَعَنَّكَ مِنْ تَحْتِ آدَامَ بْنِ مَرْيَمَ إِذْ ظَهَرْتَ لَهُمْ وَأَوْنَيْتَهُمْ وَنَقَسْتَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

مثل هذا الميثاق دورًا خاصًا في التفكير الصوفي الذي جعل منه حدثًا سابقًا للأزل، إذ يؤكد أن الإنسان، قبل خلقه، تعهد بالإقرار ب«عدميته» أمام الله الكائن الوحيد وفقًا لمفهوم «الفناء» الصوفي. كما يؤكد هذا الفكر أن الله خلق محمدًا ﷺ في الفترة السابقة للخلق من النور الإلهي، قبل أن يخلق الإنسان انطلاقًا من النور المحمدي الذي من شأنه أن يعيد الخلق إلى الله.

شمل هذا الميثاق، بحسب القرآن، بني إسرائيل في سيناء، قبل أن يُقدم هؤلاء على نقضه، كما شمل بعد ذلك المسيحيين والمؤمنين. وهناك تفسير آخر يعود إلى بعض الكتاب من الشيعة حول الميثاق يؤكد أن الله قد عقده عند الخلق مع النبي محمد ﷺ ومع «آل البيت»، أي مع ذرية نبي الإسلام. ومن السعولم أن المعتزلة ينكرون وجود أي ميثاق معقود خلال الفترة السابقة للأولية ويعتبرونه تمثيلًا رمزيًا.

ميريوكيفالون (معركة)، ١٥٧٢/١١٧٦م، اشتباك أنزل خلاله السلطان قلع أرسلان الثاني، من سلالة سلاجقة الروم، هزيمة قاسية بقوات الأمبراطور البيزنطي مانويل كومين (Commène).

اضطرَّ عتدب الأمبراطور البيزنطي إلى دفع غرامة وإلى تدمير قلعتي دوريلي وسيلابون. وشكّلت هزيمته فشلًا لمحاولاته استعادة الأناضول من الأتراك الذين بات وجودهم في البلاد نهائيًا، وكترست في الوقت نفسه

عشر، مملكة مستقلة ضمن الدولة الصربية القروسطية. أصبحت في العام ١٤٨١م تابعة للدولة العثمانية، ومن ثم خضعت لها مباشرة ابتداء من العام ١٤٩٦م. وشهدت عندئذ، كمقاطعة نارة مستقلة ووطورًا مرتبطة بمقاطعة شوفور/سكوتاري الألبانية، نظامًا ضريبيًا مميزًا لم يحل دون الثورات المحلية العديدة الناتجة عن الروح القتالية السائدة لدى سكّانها وعن علاقاتها بالبنادقة في المنطقة الساحلية.

استطاعت مونتنيغرو التحرر تدريجيًا من السيطرة العثمانية منذ أواخر القرن الثامن عشر، وقد اعترف باستقلالها مؤتمر برلين في العام ١٨٧٨. وقد شاركت، بصفتها دولة مستقلة، في حرب البلقان في العام ١٩١٢، وفي الحرب العالمية الأولى، قبل أن يُربط مصيرها مجددًا بمصير الدولة الصربية وبمصير جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الفدرالية السابقة. ويُقدَّر حاليًا المسلمون الناطقون خاصة باللغة الصربية - الكرواتية مع نسبة صغيرة من الألبان، بحوالي خمسة عشر بالمئة من مجموع السكّان. وقد تميّزوا، خلال العقود الأخيرة، بنشاطهم الكبير، وكانت تجمعهم منظمة دينية إسلامية شكّلت جزءًا مستقلًا داخل الاتحاد الإسلامي الذي له ثلاثة مراكز أخرى هي: سراييفو في البوسنة، سكوبيا في مقدونيا وبريشينا عاصمة إقليم كوسوفو.

موهاكس (معركة)، آب أغسطس ١٥٢٦، معركة فتحت للجيوش العثمانية طريق أوروبا الوسطى ومكّنتها من بسط هيمنة الإسلام لفترة قرون ونصف على الأراضي المجرية.

أحرز السلطان سليمان القانوني هذا النجاح المهم في سياسته المهادنة إلى غزو الغرب بعد الاستيلاء، في العام ١٥١٢، على موقع بلغراد المنيح. وجرت المعركة في وادي الدانوب، في نقطة إستراتيجية مجاورة لمدينة موهاكس الصغيرة في المجر الحالية، وقد بذلت الأبحاث الأثرية جهودًا كبيرة لتحديد موقعها بدقة. لكن لم يتم غزو الدولة المجرية بأكملها عسكريًا وضُمها إلا بعد عشرين سنة، بعد سقوط حصن بودا الذي شُيِّب بودابست لاحقًا، إثر حصارات عدة لم تتر إلا في العام ١٥٤١.

الداخلية. إنها لا تزال تحتفظ ببعض الأبنية المميزة للفن التركياني، وأبرز نماذجها مسجد فيروز بك الذي شيّده أحد حكام المدينة بعد أول احتلال عثماني لها. إنه متأثر بالفن الذي تآلف في عهد الإمارات والذي ازدهر أيضاً في الأبنية العثمانية الأولى، منها أبنية بورصة أو بروسا.

ميليشيات المدن، تجمعات مسلحة محلية، انتشرت خلال القرون الوسطى في مدن الشرق الإسلامية حيث مارست أحياناً نوعاً من السلطة المحلية العفوية، وقد سبقت ظهور الجمعيات ذات التنظيم الترابي المعروفة باسم «الفنقة»، خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

كانت هذه المجموعات تهاجم تارة بعض الفئات الاجتماعية، ناشرةً الدرع ومتحذيةً السلطات النظامية، وتحلّ طوّراً محلّ الشرطة المحبلة لفرض النظام. وكانت في معظم الأحيان مؤلفة من شبان أطلق عليهم إسم «الأحداث» في سوريا، وإسم «الفتيان» في العراق وإيران، كما كان يُطلق عليهم اسم «العيارين» عندما كانوا يقومون بأعمال الشغب. ويبدو أنّ دوافع بعض هؤلاء الشبان قامت على مثلٍ عليا مثل الشجاعة والشهامة التي شكّلت إحدى ركائز جمعياتهم. وكانت هذه الجمعيات، بالرغم من بقائها هامشية، تمنح ممثليها في كل مدينة كبيرة، وكان في استطاعتها، تالياً، الانخراط في منظمات أوسع ذات أهداف أكثر طموحاً. نهج الكثير من المراحل التي مرّ بها تطور هذه الميليشيات الشعبية المؤنّبة التي قيل عنها أحياناً إنها ظاهرة مميزة للحدية في المدن الإسلامية، ولكن ينبغي تحديد صلاتها بالحرركات الاجتماعية - الدينية المنشقة نوعاً ما التي نشأت في الأوساط نفسها، والتي أطلقت عليها تسمية عامة هي «الفنقة». إنّ الظروف التي سمحت ب بروز هذه الظاهرة في بعض المناطق تبدو كثيرة التنوّع. ففي بغداد مثلاً، ظهر عيّارون خلال الحروب الأهلية، في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، عندما أقدم محرومون مزوّدون بأسلحة بدائية على المشاركة بالدفاع عن الخليفة الأمين، خلال الحصار الذي فرضته قوات المأمون على المدينة المستديرة*. كما قامت في ما بعد قوات غير نظامية

تفوق السلطة الإسلامية المركزية والموحدة التي كانت، حتى ذلك الحين، تشكّل هدف سلاجقة قونية، وقد واصل هؤلاء معهم بلوغ هذه الغاية، فسيطروا سلطنتهم لاحقاً، في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، من شواطئ البحر الأبيض المتوسط إلى شواطئ البحر الأسود.

الميسر (المغامرة)، ألعاب نُهي عنها وتقيّد بهذا النهي الجماعة الإسلامية الأولى، جماعة المدينة، والتزمت بذلك في ما بعد كل المجتمعات الإسلامية. إن القرآن الكريم ينهى عن الميسر نهياً قاطعاً ويلحقه بخاتمة الخمر والأنصاب والأزلام (سورة المائدة، الآية ٩١). يُقال إنّ هذا النوع من اللعب كان يمارسه البدو قبل الإسلام، وكان يقضي تقاسم أجزاء دابة مذبوحة باستخدام طائفة من الأسهم منها ما هو رابح ومنها ما هو خاسر. إن النهي عن أنواع ألعاب الحظ كافة ورد في الأحاديث التي استند إليها الفقهاء. ولهذا السبب، إن كل عقد يقوم على مخاطرة كان مشجوباً. في الحقيقة إنّ بعض ألعاب الحظ، بشكل خاص ألعاب الطاولة، مارسها المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى.

ميلاس (الجمهورية التركية)، ميلاسو او ميلاسو في المصادر الغربية، مدينة في جنوب غربي الأناضول، عاصمة إمارة أصبحت، ابتداءً من القرن الثامن عشر، أحد مراكز صناعة السجاد.

احتلّها الأتراك مؤقتاً بعد معركة مانتيكورت/ ملازكرت في العام ١٤٦٣هـ/١٠٧١م، وعادت بعد ذلك إلى سلطة البيزنطيين الذين تنازعوها مع امراء مسلمين متنافسين. وانتقلت مرّات عدّة، خلال تاريخها، من معسكر إلى آخر. عُرفت قديماً باسم ميلاسا (Mylasa)، وكانت عاصمة مقاطعة كاريّا (Carie). وأصبحت في ما بعد، خلال القرون الوسطى، أهم مدينة في دولة التركمان المانتشي - أوغولاري أو بني شمش الذين احتلّوا الإقامة في جوارها، بالقرب من موقع بجن المحضن. تحوّلت أخيراً، خلال العصر العثماني، إلى مدينة مزدهرة، مشهورة بتبغها وبسجّادها المصنوع في مناطقها

المعنية، أمنَ يوافق مصالح صغار التجار. واستمرَّ تنظيم الأحداث إلى أن قرَّر الأمير نور الدين حله، في حلب أولاً، وفي دمشق في ما بعد، واستبدل به قواته الخاصة. يبدو أذاً أنَّ مثل هذه الميليشيات لم تُشكَّل إلا لفترات وجيزة، أُجبر خلالها السكَّان على التدخل بأنفسهم لحفظ الأمن. كما أنَّه لا يمكن المقارنة بين تصرفاتهم المعتدلة وبين أعمال العنف التي تقدَّتها، في أماكن أخرى، عصابات مشكوك في أمرها. لم يتم، إلا في فترات لاحقة، الكلام على وجود جماعات غير منضبطة في سوريا تُعت أفرادها بـ«الجساس»، وقورنت تصرفاتها بتصرفات العيارين في بغداد، إنَّما من دون أن تتمتع بفوز سياسي مماثل.

إنَّ ظاهرة تطوُّر الميليشيات المُدنية الشعبية التي توفَّقت خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، لتحلَّ محلَّها جمعيات الفتوة برعاية أصحاب السلطة، والتي انخرطت في نوع من أنظمة الفروسيَّة القتاليَّة ذات مضمون ديني واضح، عاودت نشاطها تلقائيًّا خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد. وفي بعض الدول نشأت مجددًا أنواع متعدِّدة من الجمعيات المحليَّة التي عُرفت أحيانًا باسم «الفتوة الشعبيَّة» أو «الأخوة» بمعنى تجمع أشخاص أطلق عليهم إسم إخوان. وهذا ما جعل البعض يميِّزون في الشرق الإسلامي، ابتداءً من الفتح المغولي، بين نوعين مختلفين من الفتوة: من جهة فتوة البلاط أو ما تبقى من الفتوة التي أعاد تنظيمها الخليفة الناصر والتي انتشرت عند الإيلخانيين والمماليك؛ ومن جهة أخرى الفتوة الشعبية التي انتشرت بشكل خاص في الأناضول وفي إيران والتي أطلق على قادتها، وأحيانًا على أعضائها، إسم «الإخوان». إنطلاقاً من هذه الجمعيات، التي كانت تتألف بخاصةً من الحرفيين، والتي كانت تمارس نوعاً من الضيافة الانتقائيَّة المخصَّصة لأفراد شبكتها الواسعة، تطوَّرت، ابتداءً من القرن الخامس عشر للميلاد، أوَّل نماذج لطوائف الحرفيين، لكنَّ أعضائها ظلُّوا متمسكين بالفتوة. فإضافة إلى تقيِّد الأعضاء بطقوس الإنساب، ما كان يسمح لهم بالتدرُّج داخل المنظَّمة، أضيف - على غرار

بالمشاركة في النزاعات التي نشأت بين خلفاء آخرين. خلال عهد البويهيين، عندما ضعفت السلطة في عاصمة الخلافة، يبدو أنَّ مجموعات أخرى صبَّت غضبها على التجار الأثرياء في أحياء مختلفة، ما أرغم هؤلاء على الاعتصام في منازلهم، وأحياناً على نقل بضائعهم إلى أماكن أكثر أمناً. وفي أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فرض زعيم العيارين سلطته على معظم السكَّان، ولم يتمكَّن صاحب الشرطة إلا بصعوبة أن يفرض هيبة. هل يمكننا أن نستنتج أنَّ هذا النوع من الفتن التي أثارها شبَّان لا يمارسون عملاً ثابتاً أو يمارسون مهناً صغيرة، هو ناتج عن الأزمة الاقتصاديَّة المسيطرة والمرتبطة بمفاعيل النظام البويعي؟ إنَّه مرتبط أيضاً بعدة النزاعات الاجتماعيَّة - الاقتصاديَّة، ولا سيَّما بين الشيعة والسنة، التي اندلعت آنذاك بين مسلمي العراق.

يبدو أنَّ جمعيات مماثلة استمرَّ وجودها في العهد السلجوقي بالرغم من عدم تمكُّنها، خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، من البروز بقوَّة. وغالباً ما كانت تُطلَق عندئذٍ على العيارين تسمية «تبيان»، بينما كانت تُنسب اليهم المثل العليا للفتوة المتجسِّدة بقيم الشباب والشجاعة، والعمل من أجل المساواة عن طريق التصدِّي للأثرياء، والتقيِّد ببعض القواعد، لا سيَّما عدم إلحاق الأذى بالنساء. تعرَّضت، خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، هذه المجموعات التي لم تردنا عنها سوى معلومات وجيزة وجزيئة، إلى انتقادات بعض الكتاب الذين حقروا أعضائها على ممارسة نشاطات أخرى. وبدأ عندئذٍ الوجهاء بالتسلُّل إلى صفوفها وبإزالة الطابع الشعبي عنها بهدف إنشاء حركة فتوة رسميَّة بلغت أوجها بدفع من الخليفة العبَّاسي الناصر لدين الله.

ويبدو أنَّ الميليشيات التي كانت تُعرف في سوريا، خلال الحفنة نفسها، باسم «الأحداث» كانت من نوع مختلف. فعلى الرغم من حداثة سنِّهم، لم يكن أفراد هذه الميليشيات ينتمون إلى الطبقات الفقيرة. وقد اتخذ قادتهم، الذين اعتُبروا منذ البداية شخصيات مرموقة، لقب «رئيس». وساد، في ظل رعايتهم، في المدن

كذلك في الأناضول، خلال الحقبة نفسها، مارس قادة الإخوان السلطة في المدن التي لم يكن يقيم فيها أي أمير، وتمتعوا هم بهذه الصفة، أي برتبة أمير، وهذا مؤكد. لا سيما في أنقرة خلال الفترة التي سبقت تسليم المدينة على أيديهم إلى السلطان العثماني مراد الأول في العام ١٥٧٦م/ ١٣٦٠م. تُعتبر مثل هذه الأنشطة المسلحة امتداداً لنشاطات الميليشيات الإسلامية المُدنية السابقة، وهي مرتبطة أيضاً، في هذه الحقبة، بمسألة مواصلة الجهاد. وكان الإخوان، من دون أن يتماثلوا بالغزاة المجاهدين الذين اقتصر نشاطهم على الجهاد، لا يفوتون فرصة للمشاركة مع هؤلاء في بعض الحملات المسلحة. وهذا ما حصل فعلاً خلال غزو بورصة حيث أُشير إلى وجودهم. إن المساعدة التي قدّموها للسلطين دفعت بهؤلاء إلى إقامة علاقات مميزة بهم.

ما كان يجري في الجمعيات الصوفيّة التي تأثّر بها الإخوان، ولكنهم ظلّوا متميّزين عنها - واجب تكريم الشفيع الذي كان يؤمّن لهم الحماية.

خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، كان للإخوان ممثلون في مدن الأناضول المهمة كافة، ولم يترقّدوا أبداً في اللجوء إلى السلاح للدفاع عن قضيتهم وعن مصالح المتسبين إليهم، وكان لهم نشاط سياسي مميّز. وهذا النشاط، الذي لم تأت الأبحاث المخصصة للفتوة على ذكره، مورس بوضوح في المناطق التي تضالّ فيها نفوذ السلطان. في أذربيجان مثلاً، تمكن أحد قادة الإخوان، في تبريز، من إدارة المدينة لمدة ثلاث سنوات في أواسط القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. ومن جهتهم استعان الصوفيّون الأوائل برفاق من الإخوان.

ن

نادر شاه، ظَهْمَاسَب قُلي خان، ١٦٨٨-١٧٤٧.
مؤسس سلالة الأفشاريين القصيرة الأمد، التي حكمت إيران ما بين ١٧٣٦ و ١٧٤٧، بعد حصولها على السلطة والشهرة بفتحاتها.

زعيم قبيلة أفشار التركمانية من خراسان، ورجل حرب متعصر، استقر في مشهد عند أقول الصفويين خدم الملك ظهмасب الثاني (من هنا كان اسمه «عبد ظهмасب») جاهداً في الدفاع عن الأرض الإيرانية ضد الأعداء الذين كانوا يهددونهم من الشرق كما من الغرب كانت انتصاراته الأولى على الأفغان الذين تعدوا على وحدة أرض إيران، هي التي سمحت له، منذ سنة ١٧٢٧، بالتقدم من مجرد حاكم للمقاطعات الشرقية إلى مقام أمير مستقل. قادت حملاته في اتجاه أذربيجان حيث طرد العثمانيين، وإلى ما وراء القوقاز حتى قلب داغستان. تمّ توصّل، في سنة ١٧٣٦، إلى احتلال عرش ظهмасب الثاني وولده عباس الثالث بعد أن عزلهما. عندما استقر على رأس المملكة، تابع حروبه ضد العثمانيين وأتراك آسيا الوسطى، مجرّداً في الوقت نفسه حملة ظافرة على الهند، في سنتي ١٧٣٨ و ١٧٣٩ مكّنته من انتزاع الولايات الشمالية الغربية من السند مرّ يدي أميراطور المغول ناصر الدين محمد، إضافة إلى غنيمة ضخمة. بعد ذلك تعاقبت حركات عصيان وقيد في مملكته الواسعة حتى اغتياله في سنة ١٧٤٧. كان بلاد فارس مملكة منهكة بسبب توسعها في اتجاهات متعددة، غير أنّها استمدت وحدتها بفضل حملات العسكرية المكثّلة بالنصر. وحدها فشلت محاول استئصال الإمامية اثني عشرية من إيران وإحلال نوع من التشيع المعتدل مذهباً للدولة، مستنداً إلى أفكار الإما

نائب (ج. نواب)، مصطلح عربي معناه «وكيل، مفوض» اتخذ، عبر العصور، معاني عدّة، للدلالة، بصورة عامة، على «المفوض» أو «القائم مقام» لأي سلطة مدنيّة أو عسكريّة، أو على وكيل قاضي، أو أيضاً «ممثل» شيخ طريقة صوفيّة. عرفت التسمية رواجاً خاصاً في دول العصور الوسطى التي حكمها، كما في مصر والهند، العبيد العسكريون المعروفون بالمماليك. ففي الأراضي السورية-المصريّة الخاضعة لسلطة المماليك البحرين والبرجيين، ما بين القرنين السابع والعاشر للهجرة/الثالث عشر والسادس عشر للميلاد، كان يحكم المقاطعات الأساسيّة التي تحمل اسم نيابة حاكم مفوض أو نائب السلطنة، بينما كان في السلطة المركزيّة السلطان، يعاونه في أداء مهمّاته من يُمكن اعتباره نائب سلطان، ويسمّى أيضاً نائباً ويُقدّر عليه لقب يليق بالمقام. في الحقبة نفسها، كان النائب لدى سلاطين دلهي مندوباً يمثل الملك، لكنّه يحتل وظيفة تختلف عن وظيفة الوزير.

في ما بعد، اعتُمد مصطلح نواب، وهو من الجذر نفسه، في الهند في عهد المغول، للدلالة على نائب الملك أو على حاكم إحدى مقاطعات الإمبراطوريّة. ودنّ، لاحقاً، على مؤسسي سلالات شبه مستقلة مثل نواب أوده ولُكناو وبهوپال. كذلك كان يستعمل على أنّه لقب فخري. وعن طريق التسمية الإنكليزيّة «نائب» (nabob) المأخوذة عن نواب، أمّى المصطلح الفرنسي «ناباب» (nabab) الذي شاع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر للتعريف بالمتنفذين من الإنكليز المعاندين أثرياء من الشرق.

نادر (بنو -) ← محمد.

حرب فلسطين، بدأ انضباط الأحرار بالتعرض للنظام ثم قاموا، في ٢٣ تموز ١٩٥٢، بانقلاب قضى على الملكية. على الرغم من أن عبد الناصر هو الذي قاد العمليات، ترك في الواجهة الجنرال نجيب الأكبر سناً، فأصبح هذا الأخير رئيساً للجمهورية ورئيساً لمجلس الثورة. لكن، في آذار ١٩٥٤، إثر استقالة نجيب مرغماً، أصبح عبد الناصر الرئيس الفعلي للحكومة؛ وتولى رئاسة الجمهورية واستمر فيها حتى وفاته في العام ١٩٧٠. وبقي «الرئيس» الأوحيد أو «الرئيس» للشعب المصري طيلة هذه المرحلة، على الرغم من المصاعب التي واجهها، وبخاصة في نهاية حياته.

أصبحت السياسة القومية الاشتراكية المطبقة في مصر التي عرفت بـ«الناصرية» مثلاً، إذ استوحى منها، في ما بعد، زعماء آخرون في العالم العربي. عرض عبد الناصر مبادئ هذه السياسة في خطاب مختلفة كما في مؤلفه فلسفة الثورة. ابتداءً من العام ١٩٥٢، قام بمفاوضات للحصول على جلاء الإنكليز عن قناة السويس، مُصدراً في الوقت نفسه أول قانون إصلاح زراعي، وعاملاً على التخلص من الحركتين المعارضةتين لسلطته، أي: حزب الوفد وحزب الإخوان المسلمين. في العام ١٩٥٦، بعد أن رفض الأميركيون تقديم قرض لتمويل بناء سد في أسوان، قرّر تأميم قناة السويس، الأمر الذي أدّى إلى حملة عسكرية على مصر قامت بها كل من فرنسا وبريطانيا وإسرائيل، لكنها لم تخلّ دون نجاح سياسته في مصر، بفضل دعم الاتحاد السوفياتي له. ظهر عبد الناصر عندئذٍ مدافعاً عن الدول العربية المستقلة والفتية. ثم أراد توحيد بلاده مع سوريا بإنشاء الجمهورية العربية المتحدة. في العام ١٩٥٨، لكن هذه الجمهورية لم تدم إلا ثلاث سنوات، أي حتى العام ١٩٦١.

أما داخل مصر فطوّز عبد الناصر، بدءاً من العام ١٩٦٠، «الاشتراكية العربية» المبنية على النهج التعاوني وليس على صراع الطبقات. أتم المصارف والمؤسسات الرئيسية، وفرض قانوناً زراعياً جديداً يمنع تملك أكثر من مئة فدان، وأنشأ حزباً وحيداً اسمه الاتحاد الاشتراكي العربي، محاولاً إشراك الشعب في

العمل السادس جعفر الصادق، وإقراره مذهباً فقهياً خامساً في إطار التشيع. رفض الفرس، في الواقع، نتج هذا التوفيق الذي لم يوفّر له حتى فرصة تحسين علاقاته الدبلوماسية بالعثمانيين.

الناسخ، صفة تطلق على آية من القرآن الكريم (أو على حديث) إذا ما أدخلت هذه الآية، في إطار التطور التاريخي والقانوني الذي عرفه الإسلام، تعديلاً لقاعدة نصت عليها آية أخرى (أو حديث آخر). يطلق على الثانية آنذاك صفة «المسوخ».

إن وجود آيات قرآنية أو أحاديث متباعدة حمل المفسرين والمعلقين على الإعتبار أن الحقائق الأساسية التي تشكل مادة الوحي يمكن أن يكون قد غيّر عنها في حقب تاريخية مختلفة بهيئة بعض التباين، ذلك أن نزول الرسالة الإلهية امتد على عشرين سنة. فقال هؤلاء المفسرون والمعلقون إن هناك تطوّراً طال تفاصيل النظم التي نصّ عليها القرآن الكريم والنسب. يقبل الجميع بإمكان أن يُطل آية قرآنية آية أخرى (مثلاً إن الآية ١٨٠ من سورة البقرة التي تفرض على المسلم أن يترك ميراثه لوالديه قد أبطلتها الآيتان ١٠ و ١١ من سورة النساء اللتان حددتا بدقة توزيع حصص الميراث، وكذلك أن يبطل حديث حديثاً آخر. لكنهم أحياناً يختلفون حول إمكان أن يبطل حديث آية قرآنية.

شكلت هذه المسائل عبر العصور مادة لعلم خاص عرف بـ«علم الناسخ والمنسوخ».

ناصر (جمال عبد الـ -)، ١٩١٨-١٩٧٠، ضابط ثوري، أصبح رئيساً لجمهورية مصر العربية، حقق أهم نجاحاته بطرح نفسه بطل القضية العربية في وجه الغرب.

وُلد عبد الناصر في الإسكندرية في عائلة من الطبقة الوسطى وانتقل إلى القاهرة لمتابعة دروسه. وبرز في المظاهرات ضد البريطانيين، ثم دخل، في العام ١٩٣٧، المدرسة الحربية. في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، تولّد الشعور لديه بالرغبة في تغيير مصر وتحريرها من النفوذ البريطاني. فما لبث أن انضم إلى مجموعة الضباط الأحرار حيث مثل دوراً مهمّاً. وبعد

وبعد مغامرات عدة، حصل ناصر الدولة على الحكم في كل من سوريا وبلاد ما بين النهرين العليا. في ما بعد، أي في العام ١٢٥٣هـ/٩٦٤م، وبعد أن ترك حكم حلب لأخيه سيف الدولة الذي حاز فيها مجداً المقاتل في سبيل الإسلام ومدح الشعراء، حصل لابنه أبي تغلب على حكم الموصل.

ناصر الدين - القوسي.

الناصر لدين الله، أبو المباس أحمد، ٥٥٢-١٢٢٢هـ/١١٥٨-١٢٢٥م، الخليفة الرابع والثلاثون من سلالة العباسيين. حكم في بغداد ما بين ٥٧٦ و١٢٢٢هـ/١١٨٠ و١٢٢٥م ونجح، خلال عهده الطويل، في إعادة السلطة المفقودة إلى الخلافة وإن جزئياً.

حاول الناصر، في البداية، الإفادة من انحطاط سلطة السلاجقة لمصلحته، ونجح في قهر آخر حكام هذه السلالة في الرئي، وهو طغرل الثالث الذي سقط في ساحة المعركة في ٥٩٠هـ/١١٩٤م. لكن محاولاته لوضع يده على الأباطورية التركية واجهت طموحات خوارزمشاه تكمش الذي لم يترك له سوى خوزستان. سعى، عندئذ، إلى إقامة علاقة، على ما يبدو، بالمغول للحصول على دعمهم ضد سلالة خوارزم. كانت هذه السياسة خطرة لأن المغول كانوا قد استفزوا، بدءاً من هذه الفترة، في أذربيجان.

استطاع الناصر، على الرغم من التقلبات المتنوعة، استعادة ممارسته لسلطته الدينية في العراق وبعض الأقاليم المجاورة، بينما كان أمره الشرقي الأدنى يعترفون بسلطته، ومن بين هؤلاء صلاح الدين، على الرغم من اهتمام هذا الأخير بالاحتفاظ بمجده انتصاراته الشخصية. في شبه الجزيرة العربية، كانت سلطته ظاهرية أكثر من حقيقة، فشملت أشرف مكة الذين احتفظوا باستقلالهم الذاتي مع قبولهم بسلطته، رغم قناعاتهم الشيعية. من جهته، اعترف بسلطته، في العام ٥٠٦هـ/١١١٢م، زعيم الحشاشين حسن الثالث.

كان الناصر السني، في الحقيقة، مهتماً بأن يجمع حوله الأمة الإسلامية كافة، فدعا مثلاً إلى بلاطه ممثلين عن الشيعة، وأوكل إليهم وظائف مهمة. وقد حرص، بوجه خاص، على ترويض حركة الفتوة التي بدأت

السياسة. لكن أحداثاً خارجية جديدة هزّت قوته عندما هُزم العرب في الحرب الإسرائيلية العربية التي اندلعت في العام ١٢٦٧. ويعود جزئياً سبب هذه الحرب إلى مبادرت مصرية، وقد حملت الهزيمة عبد الناصر على إعلان استقالته التي رُفضت. قضت عليه نوبة قلبية، في أيلول ١٩٧٠، قبل أن يستطيع تصحيح الوضع الناشئ عن انتصار القوات الإسرائيلية واحتلالها لسيناء.

ناصر خسرو، ٣٩٤-٤٥٢هـ/١٠٠٣-١٠٦٠م، مثقف إيراني شيعي إسماعيلي المعتد، تقوم شهرته اليوم على كتاب رحلته [سفرنامه].

ولد في منطقة نينج، والده من ملاكي الأرض. قام بدراسات جذبة مكثت من أن يصبح كاتباً في مرو، ابتداءً من العام ٤٣١هـ/١٠٤٠م. لكن، في العام ٤٣٦هـ/١٠٤٥م، بحسب روايته، تخلى عن مركزه وملذات الحياة ليؤدي فريضة الحج إلى مكة. فاده سفره حتى مصر حيث وجد وضعاً أكثر هدوءاً من إيران التي تركها خلال اجتياحها من قبل الأتراك الغز بقيادة السلاجقة.

أعجب بحكم الفاطميين، فأنصروا إلى مذهبهم، وقتل عائداً إلى نينج داعياً له، لكن السلطات السنية السلاجقة لاحقة، فاضطر إلى الهرب إلى المناطق الجبلية من بدخشان حيث توفي بعد سنوات، وضع خلالها أهم كتاباته. خلف مجموعة قصائد فلسفية ثمائل الأفكار الواردة فيها أفكار ابن سينا، وكتاب رحلته [سفرنامه] الذي يحتوي معلومات قيمة عن الوضع في الشرق الإسلامي في أواسط القرن الحادي عشر للميلاد.

ناصر الدولة، أبو محمد الحسن بن عبيد الله، ٣٧٦-٩٠٢هـ/٩٦٨-٩٠٢م، أمير من أسرة العلويين حصل من الخليفة الضعيف المتقي، من سلالة العباسيين، على مركز أمير الأمراء.

ورث سلطة والده أبي الفيجاه في حكم الموصل في العام ٣٩٧هـ/٩٢٩م. وعمل على توسيع رقعة إمارته، ثم أفاد من ضعف سلطة الخلافة ليحصل، في العام ٤١٩هـ/٩٢٩م، على إمارة الأمراء مع لقب تشريفي مناسب للمقام. لكن، في السنة التالية، اضطر للتنازل عن المركز للتركي توزون الذي اضطر بدوره إلى التحلي عن المركز إلى أول أمير من الأسرة البويهية.

عليها أخيراً في حرب استقلال اليونان، ما بين ١٨٢١ و١٨٢٨، بين اليونانيين وأتراك المنطقة، تدعمهم قوات إبراهيم باشا. أفادت ناقلين من الهزيمة التي لحقت بالبحرية العثمانية لتتخلص نهائياً من الحكم العسكري الذي كان يستعمل منشأها.

فأين أو ناقلين (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة صغيرة في محافظة قازس، تقع في واحة مريوة في الهضبة الوسطى على حدود الصحراء الكبرى المالحة. تسترعي البلدة الانتباه بقبعة مسجدها الجامع وهو من أقدم مساجد إيران إلى جانب مسجد نري خانه في قاتمان. يشكل المسجد شاهداً مميزاً على فن العمارة في عهد آل بويه. بُني بالأجر وتُزين أروقة فناءه الداخلي أشكال هندسية يتصل بعضها ببعض، أما هيكلته، مع الجناح الأوسط المحوري الذي يؤدي إلى القبة - وهي تملو الفسحة الوسطى حيث المحراب - وجدوانه المكسوة بالجص والمزخرفة بالعربية التي تمتاز بها هذه الحقبة، فتبدو فريدة من نوعها، لا تتوافر مثيلاتها في مكان آخر. وإذا كان أسلوبها يعم مؤرخي الفن بوجه خاص، فإنه يشهد أيضاً على ازدهار المنطقة خلال التاريخ الوسيط. كان لها سابقاً قلعة محصنة على طريق القوافل التي تربط بزد بأصفهان. من المرجح أن سكانها كانوا يعتمدون في معيشتهم على العائدات الزراعية والحرثية، وهو أمر لم يتناوله مؤرخو الوقائع من القدامى.

نبي، جمعها نبيون وأنبياء، صفة منحها القرآن الكريم والتقوى الإسلامية الشعبية لسلسلة طويلة من الأشخاص الذين يشروا بالكلمة الإلهية والذين حُتمت قانمتهم بشكل نهائي بدعوة النبي محمد (ﷺ) «خاتم الأنبياء» وفي الوقت نفسه «رسول الله».

يظهر الأنبياء الذين يعترف بهم الإسلام في معظمهم في نص القرآن الكريم الذي يذكر، غالباً في بعض سطور، وأحياناً عبر مقاطع قصصية، سير حياتهم وشخصياتهم من منظور الدعوة المحمدية. هناك روايات أخرى ورد ذكرها بانقضاء في التفسير القرآني القديم، وفي ما بعد في الكتب المختصة بذلك، أي «فصص

شعبية، ثم ما لبثت أن توسعت، في نهاية القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، إذ انقسم إليها وجهاء. كذلك دعا الأمراء وأنبايعهم للدخول في هذه الجمعية التي جذعها، في محاولة لفتحها أمام كل المسلمين. اعتمد، في الوقت نفسه، مفهوماً جديداً للخلافة كان قد جذبه أبو حفص عمر السُهرودي، مؤسس السُهرودية. جعل هذا المفهوم من الخليفة «ممثلاً لله على الأرض» ووسيطاً بين الله والمؤمنين.

أظهر الخليفة نفسه في صورة شيخ صوفي يساعد أتباعه على التقرب من الله. شككت هذه الإيديولوجية الجديدة المستوحاة في آن من الفتوة والتصوف، القاعدة لاستعادة سلطته المعنوية. في الوقت نفسه، شجع الناصر دراسة العلوم الدينية والدنيوية، فاهتم بإعادة تأهيل المدرسة النظامية، كما اهتم بإنشاء مكتبات ودعى، بوجه خاص، أهل الفقه من الشافعيين كما الصوفيّين. يعود إليه الفضل أيضاً في عدد من الإنجازات الهندسية في بغداد، من بينها بوابة السور الحصين المعروفة بـ«الطلسم» التي شُيّدت في العام ١٢١٨هـ/ ١٢٢١م ودمرها انفجار في العام ١٩١٧. كذلك أهل الحرم الشيعي في سامراء المسمّى غيبة المهدي، في الموقع الذي جرت فيه غيبة الإمام الثاني عشر للإماميين الإثني عشريّين، وفاق رواية أتباعه.

نأفارين (معركة)، ٢٠ تشرين الأول ١٨٢٧، معركة بحرية استطاعت خلالها الأساطيل الحليفة، أي أساطيل فرنسا وإنكلترا وروسيا، تدمير القوى البحرية الإسلامية التي جمعها العثمانيون تدميراً كاملاً. وكان بين هذه القوى السفن الآتية من تركيا ومصر وتونس.

حصل الالتحام في عرض مرسى ناقلين المحصن، وهو محلّة مرثية في المورة، جنوب شبه جزيرة البلقان، التي كانت، على مدى ثلاثة قرون، تابعة للعالم الإسلامي، وقد جعلت منها قيمتها الإستراتيجية موضع صراعات واحتلالات متتابعة. كان قد طمع بها السلطان محمد الثاني الفاتح منذ العام ١٤٦٠، فوفقت في أيدي الأتراك في العام ١٥٠١ ثم استعادها البياتة لفترة، وبالتحديد ما بين العامين ١٦٨٦ و١٧١٥. ثم خسرها مجدداً العثمانيون في العام ١٧٧٠، في أثناء الحروب التركية - الروسية، ليعود الصراع

في العهد القديم، غير أنَّ أخبارهم اقتُبِسَ من سينر نُقِلَت من مصادر أخرى، وهم: هابيل، شيت، لوط، إسحق، إسماعيل، يعقوب، يوسف وإخوته، إدريس صاحب الاسم الغزير، شُعَيْب، هارون شقيق موسى، يوشع، إلياس، إيلساع، حزقيال/ذو الكُفْل، أيوب وبونس. ويجب ألا ننسى هود، لقمان الحكيم، صالح، الخضر وجرجس. وهناك أخيراً أشخاص عدّة من التقليد المسيحي يحتلون موقعاً خاصاً بصفة «أنبياء» مثل زكريا وابنه يحيى، ومريم وعيسى.

يذكر القرآن الكريم في بعض آياته معظم أصفاء الله هؤلاء:

﴿وَلَيْكَ حُجُجَاتٌ عَلَيْهَا إِنِّي مَوَدُّهُ عَلَى قَوِيٍّ. رَفَعَ دَرَجَتِي مَن شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَبِيدٌ﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَوَكَّلْنَا بِهِنَّ وَجِينَ وَعِشَىٰ وَالْبَاسَ كُلِّ بَيْنَ الْمَنَيبِينَ﴾ ﴿وَرِاسَتِي عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْكَافِرِينَ وَالْكَافِرِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ (سورة الانعام، الآيات ٨٣-٨٦).

تخصّص الجزق المنتمية إلى الشيعة، ولا سيما الإسماعيلية منها، مكاناً مرموقاً للأنبياء. فتاريخ العالم، بحسب تعاليمها، يتضمن دورة مؤلفة من سبع مراحل نبوية متتالية، تتناوب فيها فترات الظهور والغيبة، وتتميز كل مرحلة بظهور نبي يليه إمام؛ كان النبي الأول آدم تبعه الإمام شيت؛ والنبي السادس محمداً تبع الإمام عليّاً، وقد أتى بعد نوح وإبراهيم وموسى وعيسى؛ والسابع نبي القيامة الذي سيكشف المعنى المستتر للنوحي كاملاً.

نَجْد، منطقة واسعة في وسط شبه الجزيرة العربية، سطر عليها الإسلام خلال حياة النبي محمد (ﷺ) وبقيت سبّية حتى الحقبة الحالية، وهي جزء من المملكة العربية السعودية. هذه المهضبة نصف القاحلة التي يغطيها جزئياً الصلصال والرمال، تشكّل سلسلة جبل طُوقين عمودها الفقري، وكان فيها دوماً، حول صحراء النفود القاحلة، سهوب تنخلها بعض الواحات. قطنها طويلاً البدو الرحّل الذين كانت الأقطار الفضلية في الربيع والخريف تسمح لهم بتأمين الكلا لقطعانهم. تخترقها

الأنبياء، التي جرى جمعها منذ القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد استناداً إلى الأحاديث النبوية، وفي قسم منها، إلى الآداب الدينية السابقة - ولا سيما اليهودية والمسيحية - التي غالباً ما تعرف بالاسرائيليات.

إلا أنَّ بعض الأشخاص الذين ألمح إليهم القرآن الكريم باقتضاب احتلوا حيزاً في «قصص الأنبياء»، إلى جانب المذكورين صراحةً في الكتاب المنزل. كذلك درجت العادة على ربط ذكرهم بأماكن مقدسة، شكّلت مواقع زيارات تقوية خلال حقبة ازدهار «تكريم الأولياء». ما تزال الأحرام التي تحمل اسم «نبي» وليس اسم «ولي» كثيرة، اليوم، بين أمكنة الزيارات التقوية، وقد لاقت بحسب «دليل» الهروري إقبالاً في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، بعد أن كانت موضع تكريم منذ القدم.

والأنبياء، في نظر مذاهب علم الكلام الإسلامية، هم كباقي الناس، غير أنَّ الله كلّفهم تبليغ شعوبهم غير المؤمنة دعوات يهددهم بالعقاب الإلهي، وتحذيرات تهدف إلى تبيينهم في الاتجاه الصحيح. إنهم يشكلون سلسلة مترابطة، كما أنَّ رسالتهم جميعاً جزء لا يتجزأ من الوحي الإلهي الذي أعلنه النبي محمد (ﷺ) في النهاية في شكله الأكمل. وإذا كانت التوراة قد وُجّهت إلى بني إسرائيل عبر شخص موسى على جبل سيناء، والإنجيل عبر يسوع، فإن محتوَاهما، بحسب تعاليم الإسلام قد حُرّف، وإنَّ القرآن الكريم الذي قرأه من أنزل عليه آيات متتالية، يحتوي، وحده، الشريعة الإلهية في شكلها النهائي.

إلا أنَّ هذا التحديد العام لا يحول دون التمييز بين فئات عدّة من الأنبياء متفاوتين في تلقي التكريم. فمن بين أشهرهم نذكر آدم، الإنسان الأول، ثم نوحاً الذي فشل في إبلاغ رسالته وأُعيد شعبه، فيما نجا بغيره من الطوفان، وإبراهيم محظّم الأصنام والموحّد الحقيقي الأول ومؤسس الكعبة، وموسى الذي فشلت أيضاً مهمته لدى الفرعون والذي قاد «بني إسرائيل»، وداود المنتصر على جوليات، وابنه سليمان الحكيم والعظيم. وهناك أشخاص أقل شهرة جاء ذكر أكثرهم

لهذا الجزء من المدينة، إلى جوار الأسواق العثمانية، بُني، في العام ١٧٣٠هـ/١٣٣٠م، مسجد مُشترَبك، الحاكم المحلي من قِبل الإيلخانيين. وفي مكان آخر، بُنيت في العام ٨١٢هـ/١٤٠٩م، المدرسة القزمانية، كما بُني المسجد السلجوقي المعروف بـ «ثربة خدأؤند خاتون».

نَجْرَان، (المملكة العربية السعودية)، مقاطعة في شبه الجزيرة العربية، في جوار عُسير وجمهورية اليمن. تحتفظ الناحية الرئيسة فيها بما يذكر بمدينة نجران القديمة.

تقع على طَرِيق القوافل التي تربط بين حضرموت وفلسطين، ويسقيها مجرى مياه يصلها من جبال اليمن ثم يضيغ في الصحراء الوسطى الكبرى. كانت نجران معروفة، عند ظهور الإسلام، بأنها تحتضن جماعة مسيحية مهمة نزلت فيها منذ العهد الأول للمسيحية. وقد نُقِلَ أَنَّ النبي مُحَمَّدًا (ﷺ) وقَّع مع هذه الجماعة عهدًا، بعد فشل عرضه القيام بتحكيم الجي أُمِّهاة. وقد نصَّ العهد المذكور بالسماح لأعضاء الجماعة بالاحتفاظ بحرية معتقدهم، في مقابل تقديم جزء من إنتاجهم الحرفي من الأغنية. أصبح هذا النموذج من الانشقاقات، كما العهد الذي وقَّعه النبي مُحَمَّد (ﷺ) مع يهود خيبر، قاعدة لمعاهدات الاستسلام التي وُقِّعت بعدئذٍ في أثناء الفتوحات العربية-الإسلامية الكبرى مع الشعوب المسيحية في المناطق المحتلة.

حافظ الخليفة أبو بكر، أول خلفاء النبي مُحَمَّد (ﷺ)، على الاتفاق. لكنَّ الخليفة الثاني، عُمر بن الخطاب، قرر طرد المسيحيين^(١٠٠) واليهود من شبه الجزيرة متفدًا بحديث يقول إنَّه يجب ألا يكون في شبه الجزيرة العربية سوى دين واحد. بقي من غير المعروف إلى أي حدَّ طبق قرار عُمر، وبخاصة في نجران، لأنَّه من المؤكَّد استمرار وجود عدد من اليهود والمسيحيين في هذه المنطقة حتى القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد.

النَّجَف، (الجمهورية العراقية)، مدينة تمت حول ضريح هو مقصد زيارات تقوية لذكرى علي، ما فتئت تنزاد أهميتها خرمًا للشيعية.

طرق للقوافل، صبة أحيانًا، تسلك التواءات الصخرية والمنخفضات في الأودية الطويلة في بعض الحالات، مثل وادي الرُّمة. فرضت هذه الهضبة على أهلها، خلال قرون، طريقة عيش قاسية جدًا.

جعلت منها القبائل التي كانت تسيطر عليها - وعلى رأسها، في الحقبة الحديثة، آل سَعُود الذين استطاعوا فرض سلطتهم، بدءًا من القرن الثامن عشر - مركزًا لسمالكهم المتعاقبة التي طبعها الحركة الوهابية ذات النزعة السلفية والتي انتظمت حول عاصمتين جارتين هما أولًا الذُرْعَة وبعدها الرياض. وقد وافق الدولة السعودية الثالثة انطلاق المملكة العربية السعودية الحالية التي سمحت ثرواتها النفطية بتحديثها السريع. وكان لذلك تأثير مَوَازٍ على طبيعة نجد التي شهدت تحولًا في مشاهدتها حيث ظهرت المجتمعات المدنية الطموحة المتصلة في ما بينها بشبكة حديثة من الطرق السريعة.

يُجَدُّه (الجمهورية التركية)، بالعربية: بَنَدَه، مدينة في الأناضول، تحتفظ بأثار معسارية تشهد على عظمتها في القرون الوسطى، أي في الحقبة التي كانت تسيطر فيها على الطريق الإستراتيجية المؤدية إلى الهضبة الوسطى إنطلاقًا من مداخل كيليكيا. يظهر اسم بَنَدَه في آثار مؤرخي أواخر القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، حين حُلَّت مكان تيانا القديمة البيزنطية التي هُدمت في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد والتي تقع على بعد حوالي عشرين كيلومترًا إلى الجنوب. أسسها علاء الدين كُيُشَاد الأول على طريق القوافل المؤدية من أضنه إلى قيصريّة، عبر ممرات طوروس، وقد نشطت تجاريًا في أبام سلاجقة الروم. سقطت في أيدي القرامانيين الذين تنازعوها مع الأرتنيين ومع القاضي برهان الدين والذين شيدوا فيها، في الوقت نفسه، أبنية عدة. احتلها العثمانيون في العام ١٤٧٠م ففقدت، إثر ذلك، موقعها مركزًا مزدهرًا بالنشاط الاقتصادي الذي تحول إلى مدينة غير بعيدة منها هي بور. لكنها استمرت مأهولة وتكوّنت من مدينة عالية فيها قلعة ومسجد جامع يحمل اسم علاء الدين الكبير، يعود تاريخه إلى العام ١٦٣٠هـ/١٧٢٣م. وفي الطرف الجنوبي

كانوا شبابًا غير معروفين لدى الرأي العام. فلم يعارض لا إلغاء دستور ١٩٢٣، ولا تأجيل الانتخابات لثلاث سنوات، ولا فرض الرقابة والمحاكم الاستثنائية، ولا التوقيفات الاعتبارية التي نلتها أحيانًا إعدامات. جعل منه سقوط الملكية، في ١٨ حزيران ١٩٥٣، الرئيس الجديد للجمهورية ورئيسًا للحكومة ورئيسًا لمجلس الثورة. لكن حكمه كان شكليًا أكثر مما كان فعليًا، والسياسة الموالية للإتحاد بين مصر والسودان التي كان هو رمزها سقطت، في العام ١٩٥٤، لمصلحة العروبة، في الوقت عينه أعلن عبد الناصر حلّ جمعية الإخوان المسلمين من دون استشارته. أدى ذلك إلى أزمة انتهت باضطراره إلى تقديم استقالته من رئاسة الحكومة، في نيسان ١٩٥٤، بعد أن قاوم وحاول إعادة النظام الدستوري. أما لقب رئيس الدولة الذي احتفظ به بعد هذا التاريخ فقد سحب منه، في تشرين الثاني من العام نفسه، واضطرّ إلى البقاء في إقامة جبرية في منزل في ضاحية القاهرة حتى وفاة عبد الناصر.

نَجْمُودِين (جمهورية أذربيجان)، بالعربية نُفْشَو، ناحية قريبة من الحدود الحالية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، تحيط بالمنطقة التي تقع فيها أراضي جمهورية أرمينيا المستقلة. حازت المدينة القروسطية المنيّة بالأجر أهمية في أيام السلاجقة والإيلخانيين في أثناء تقدّم الترك ثم المغول نحو الشمال، وما لبث هؤلاء أن بدّلوا سكان هذه المنطقة وسرعوا في أسلمتها. ذكر بعض المؤلّفين القدماء عددًا من الآثار في نَجْمُودِين مسوبة إلى ضياء المُلْك، ابن نظام المُلْك الذي كان وزير السلطان السلجوقي الكبير ملكشاه. من آثارها المعروفة حتى اليوم ضريح، على شكل برج، من الطراز الهندسي المعتمد في إيران الإسلامية خلال القرون الوسطى.

النَّزَارِيُّونَ أو **النَّزَارِيَّة**، أتباع فرقة شيعية منبقة من الإسماعيلية الفاطمية وُصِفَتْ، أحيانًا، بالإسماعيلية الجديدة. كان تاريخها، منذ نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، مضطربًا وقد نشأ عنها عدد من الدول. وفي القرن التاسع عشر كانت أساسًا لقيام نظام جديد، نصف علماني ونصف ديني، لمصلحة الأغاخان.

في هذه الناحية القريبة من الكوفة القديمة، دفن صهر النبي محمد (ص)، الخليفة الرابع للمسلمين الذي اغتيل، بحسب التقليد، في مسجد المدينة الشهيرة، معسكر الفتوحات الكبرى. وكان ينبغي انتظار نهاية القرن الثالث للهجرة/بداية القرن العاشر للميلاد حتى يشيّد أبو الهجاء الحمдاني فوق الضريح مقامًا أعاد بناءه في ما بعد، سنة ٩٧٩/٣٦٩م، البويهبي عضد الدولة الذي شاء إعطاه مظهرًا ذا جلال. وقد اتسعت الضواحي المحيطة بهذا الصرح بحيث أدّت إلى بناء سور حوله في سنة ٤١٤/١٠٢٣م. وأسس أول حاكم مسلم من السلالة الإيلخانية، هو قازان الموالي للشعبة، أول مركز ديني في النجف.

استمرّ تطوّر البلدة التي زارها لاحقًا السلطان العثماني سليمان القانوني. وظلّ تطورها، منذئذٍ مستمرًا. تشكّل النجف، اليوم، إلى جانب كربلاء ومشهد ومُك، أحد أماكن «الزيارات» الشيعية المهمة، وهي إحدى الغُتَبات أو «العُتبات المقدسة» وتحتلّ، في الوقت نفسه، المركز الفكري الأكثر أهمية عند الإماميين الإثني عشرتين.

نجم الدين كبرى ← كُتُوبِيَّة.

نجيب (محمد)، ١٩٠١-١٩٨٤، أول رئيس للجمهورية في مصر، قاد انطلاقها لسنوات قليلة بعد «ثورة» ١٩٥٢.

وُلد في الخرطوم حيث شارك أبوه، وهو ضابط مصري، في استعادة السودان من المهدي، وبقي فيها. ترقّى إلى رتبة مقدم في العام ١٩٤٠. فرض نفسه وطنيًا باحتجاجه، في العام ١٩٤٢، على تعيين النحاس باشا رئيسًا للوزراء. ثمّ رُقّي إلى رتبة عبيد وشارك في حرب فلسطين، في العام ١٩٤٨، واتّصل بالجمعية السرية للضباط الأحرار، بينما ساعدته شبيبته في الجيش على ترشيحه ثلاث مرات، في العام ١٩٥٢، لوزارة الحرب. هذه الشعبية وشهرته رجلًا حكيمًا ومعدلاً أعلّته ليتولّى، بعد انقلاب الضباط الأحرار في ٢٣ تموز ١٩٥٢، قيادة الحركة، بناء على اقتراح جمال عبد الناصر. وقّع بعد ذلك على أول بيان رسمي قرأه المقدم السادات. هكذا شكّل نجيب ضمانته شرعيةً للانقلابيين الذين

الدولة، في العام ١٢٠٣هـ/١٢٠٦م، وذلك على الرغم من أن ردة فعل قوية برزت، في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، في مختلف أنحاء الشرق، ضد جماعة أئمتهم.

في موازاة ذلك، تنامي تعليم باطني، وروحاني وفكري في آن، خاص بالزَّيَّاتية تضمنت كتابات الرئيس الأول للفرقة. ظهرت في هذا المذهب بعض التباينات مع الإسماعيلية التقليدية، وبخاصة مفهومه لتلميم سلطوي يسطع به الإمام وهو يُعتبر ضرورة عقلية. استمر أسباط أئمتهم بنشر «الدعوة الجديدة»، فيما تميَّز رابعهم المسمى حسن، بإعلانه، في العام ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م، باسم الإمام الذي يمثل، ساعة القيامة مُلْكِيًا، بصفته التمثيلية هذه، تطبيق الشريعة الإسلامية. بعد مقتل حسن، وقعت على كاهل ابنه محمد صياغة أفكار والده من جديد وتحسينها. من جهة، اعتبر أباه إمامًا أصليًا من سلالة زيار الذي لجأ، بحسب زعمه، إلى أئمتهم. من جهة ثانية، برَّر دعوته إلى «القيامة بآبائها» استغراق في الله من خلال الحقيقة السامية للإمام التي ترفعه فوق مرتبة النبي محمد (ﷺ). وهكذا اقتربت الزَّيَّاتية من الصوفية، علمًا أنها عرفت أزمنة داخلية أخرى لأن خلفاء المعلم الكبير محمد أعادوا جزئيًا تطبيق الفرائض الإسلامية. في الواقع، بقي الفكر الزَّيَّاتي سرِّيًّا لكنه كان موضوع تعمق فلسفي مستمر، وظلَّ حيًّا في إيران حتى بعد تدمير أئمتهم، أحيانًا تحت غطاء نظريات صوفية، ليعود بصورة أوضح إلى الظهور ابتداءً من القرن السادس عشر.

سياسيًا، أقام الإسماعيليون الجدد مركز سلطنتهم في إيران، أي في قلعة أئمتهم والمواقع القريبة منها، ونمت في سوريا أيضًا مجموعة زيارية ارتبط اسمها بقلعة قائمة في «الجليل»، في شمال غربي البلاد، وبخاصة في قدومس، في العام ٥٢٦هـ/ ١١٣٢م. وفي مصياف، من هنا كانوا، في العام ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م، يحكمون مجموعة من القلاع، وقد شاركوا إخوانهم بالمذهب في إيران في الاغتيالات السياسية المذكورة أعلاه. وإذا كانوا لم يوفقوا أبدًا في البقاء في مدن مثل دمشق أو حلب حيث كان لهم في البداية، أي في آخر القرن الخامس

سُحلت هذه الفرقة أبرز نجاحاتها في العصور الوسطى في سوريا وإيران، بعد تميَّزها بالدفاع عن قضية زيار، الابن الأكبر للخليفة الفاطمي المستنصر. تعود هذه النجاحات بخاصة إلى اعتماد أعضائها الأساليب الإرهابية للتخلص من أعدائهم. بنى القادانيون الوارد ذكرهم في المؤلفات التاريخية العربية، أو الحشاشون كما نسبهم المصادر الغربية، قوتهم على التعصب ومناة مواقفهم المحصنة، ولكنهم لم يتمكنوا، في نهاية القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، من الحؤول دون دمار دولتهم التي كانت تمتلك قلاعًا ظلَّوها منيعًا، كقلعتي أئمتهم ومصياف.

بدأت الحركة، في العام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، قبل موت الخليفة المستنصر، بثورة أحد دعاة الدعوة الفاطمية الحسن بن الصباح، الذي دافع عن حقوق زيار، متخذًا قاعدة لثضاله قصر أئمتهم في بلاد الذليل، وكان قد استولى عليه في العام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م. إن إعلان أخي زيار الأصغر، المُستعلي، خليفة، واعتلائه العرش في مصر بإرادة الوزير الأفضل كرمًا انقسام الإسماعيلية الدائم إلى فرعين، أي الزَّيَّاتية وفرع أنصار المُستعلي أو المُستعلي. في هذا الوقت، انصرف الحسن بن الصباح، بفعالية مخفية، إلى تنظيم سيطرته السياسية. فقد أدت الاغتيالات التي كلف بها دعاته إلى نشر الهلع من هذه الدولة الفتية. ينسب المؤرخون العرب إلى هؤلاء الدعاة عددًا كثيرًا من الاغتيالات في المجتمع الإسلامي. في العام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، كان مقتل نظام المُلْك، وزير السلاجقة الكبير في إيران، المدافع عن السنة، ومقتل ابنه فخر المُلْك، في العام ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م، ومقتل قضاة أصفهان الداعمين إلى الجهاد ضد الإسماعيلية، في العام ٥٠١هـ/ ١١٠٨م، إضافة إلى جرح ابن نظام المُلْك الثاني الذي كان بدوره وزيرًا للسلاجقة، في العام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م، وبعدئذ كان مصرع الأفضل نفسه في مصر، في العام ٥١٥هـ/ ١١٢١م، ومصرع الخليفة الفاطمي الأمر، في العام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م؛ وفي العراق مصرع الخليفتين العباسيين المسترشد، في العام ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م، والراشد، في العام ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م؛ وفي المناطق الشرقية، مقتل السلطان الغوري مُعزَّ

نور الدين محمد الثاني ٥٦١-١١٦٦/٨٦٧-١٢١٠ م
جلال الدين حسن الثالث ٦١٧-١٢١٠/٨٦٨-١٢١٠ م
غلاء الدين محمد الثالث ٦١٨-١٢٢١/٨٦٩-١٢٢٥ م
زكي الدين خورشاه ٦٥٣-١٢٥٥/٨٦٥-١٢٥٩ م

❖ راجع المستدين ١٧ و ١٨.

النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شُعَيْب ٢- ٣٠٣/٩- ٩١٥ م، مؤلف أحد المصنفات السنة الأصلية للحديث الشريف.

قام هذا العالم، الذي يكتنف حياته الغموض، برحلات كثيرة لجمع الأحاديث. أقام في مصر ثم في دمشق حيث يُظن أنه مات إثر معاملة سيئة. لقد أخذ عليه بالفعل ولاؤه لعلي ومعارضته للأمويين الذين كان ذكرهم ما يزال حياً عند الشعب.

النسائيون ← ديار بكر.

النسج ← الأنسجة الإسلامية.

نَصْر (آل) أو بنو الأحمر، ٦٣٥- ١٢٣٧/٨٩٨- ١٢٣٧- ١٤٩٢، سلالة حكمت آخر مملكة إسلامية في الأندلس، أي مملكة غرناطة.

كان مؤسس هذه السلالة أميراً عربياً اسمه محمد بن يوسف المدعو ابن الأحمر والملقب بالغالب. كان يرجع نسبه إلى سعد بن عبادة من أهل المدينة. نجح ابن الأحمر، إبان انحلال سلطة الموحيدين في شبه الجزيرة الإيبيرية، في السيطرة على مدن عدة وصولاً إلى غرناطة، في العام ٣٣٥هـ/١٢٣٧م، حيث شيد دار إقامة له محصنة عُرفت، من بعد، باسم «قصر الحمراء» الشهير الذي ما يزال قائماً حتى اليوم. إلا أنه اضطر، لبلوغ مراده إلى أن يعلن نفسه تابِعاً لملك قشتالة فرديناندو الثالث. وقفت مملكته عند حدود الجبال العالية في الشمال، وامتدت جنوباً حتى الساحل، من جبل طارق إلى الأندلس.

ورث الحكم ابنه وحفيده الذين ملكوا حتى العام ٧٢٤هـ/١٣٢٤م. خلال هذه الفترة، حاول بنو نصر التحالف مع المرينيين في المغرب، فاستطاعوا الحصول، لقاء التنازل عن الجزيرة الخضراء، على دعمهم ضد أعدائهم القشتاليين، واستفادوا من ميليشيا مغربية وضعت تحت سلطة قائد تابع لأسباط مراکش. أما

للهجرة/الحادي عشر للميلاد، نفوذ كبير، ذلك لأنه قُسم عليهم هناك في أثناء ردة فعل السنة، لكنهم استطاعوا الإفادة، في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، من تقاسم سوريا بين دول الفرنج والمسلمين ليجعلوا مواقعهم المحصنة، على طول خط الحدود، مراكز لإمارة حقيقية.

اشهر الزعماء الذين حكموا هذه المواقع معترفين بسلطة أسباط أُلُوت، من دون مشاطرتهم نظرياتهم الكلامية، كان رشيد الدين بنان الذي سماه الفرنج «شيخ الجبل». تراجعت قوتهم في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد إذ خضعوا، من دون مقاومة كبيرة، للمماليك ثم للعثمانيين الذين فككوا فلاعهم بانتظار تراجعهم، في القرن التاسع عشر، أمام «النصيرية» الذين كانوا يقيمون أصلاً في الشمال. أصبحت مدينة السلمية المركز الجديد للإسماعيليين في سوريا.

في هذا الوقت، نتيجةً للاجتياح المغولي، سقطت الدولة الزنكية المرموقة في إيران التي كان «الجبل» في سوريا تابِعاً لها والتي كانت تمتلكها المحمية بقوة تشمل، حول أُلُوت، ناحية رودبار بكاملها في ظهيرستان ونقاط ارتكاز مهمة في فوس وفارس وقهستان وحتى في بندكشان. أدت الكارثة التي تلقت الاستيلاء على أُلُوت وتدميرها على يدي هولاكو، مؤسس دولة الإيلخانيين، إلى إنهاء مرحلة التوازن والتقارب القصيرة مع السنة التي تأثر خلالها المعلمون الكبار بنفوذ الخليفة العباسي الناصر وشاركوا في سياسته المعارضة لطموحات الخوارزمشاهيين. لكن مثلكي الفرقة لم يخفوا كلياً: فبرز في صفوفهم، في القرن التاسع عشر، إمام جديد، أصبح يعرف باللقب الإيراني آغا خان، وقد فرض الاعتراف بسلطنته المعنوية في الهند بفضل الدعم البريطاني وأصبح رئيس جماعة الخوجيين الغنية.

المعلمون الكبار في أُلُوت ما بين العامين ٤٨٣ و٦٥٤هـ/١٠٩٠ و١٢٥٦م:

حسن الصنح ٤٨٣-١٠٩٠هـ/٥١٨-١١٢٤ م
يكا يَزَك أُنيد ٤١٨-١١٢٤هـ/٥٢٢-١١٢٨ م
محمد الأول ٥٢٢-١١٢٨هـ/٥٢٧-١١٦٢ م
الحسن الثاني على ذكره السلام ٥٥٧-١١٦٢هـ/٥٦١-١١٦٦ م

١٤٠٧-١٣٩٢/٨٨١-٧٩٤	محمد السابع المستعين
٨١٠-١٤٠٧/٨٩٢-٨١٠	يوسف الثالث
٨٢٠-١٤١٧/٨٩٣-٨١٠	محمد الثامن (المستنك باله)
٨٣٠-١٤٢٧/٨٩٣-٨٢٠	محمد التاسع (الصغير)
٨٤٣-١٤٢٩/٨٩٣-٨٣٠	محمد العاشر (أيضا)
٨٣٥/٨٤٣	يوسف الرابع
٨٣٥-١٤٤٤/٨٨٩-٨٣٥	محمد العاشر (للمرة الثالثة)
٨٤٨-١٤٤٤/٨٨٩-٨٤٨	محمد العاشر (الأحف)
٨٤٩-١٤٤٥/٨٥٠-٨٤٩	سعد الصغير
٨٥٠-١٤٤٦/٨٥٠-٨٥٠	محمد العاشر (أيضا)
٨٥٧-١٤٥٣/٨٥٧-٨٥٧	سعد (أيضا)
٨٦٦-١٤٦١/٨٨٧-٨٦٦	علي (أبو الحسن)
٨٨٧-١٤٨٢/٨٨٨-٨٨٧	محمد الحادي عشر
٨٨٨-١٤٨٣/٨٨٩-٨٨٨	علي (أيضا)
٨٩٠-١٤٨٥/٨٩٢-٨٩٠	محمد الثاني عشر (الزغل)
٨٩٢-١٤٨٦/٨٩٧-٨٩٢	محمد الحادي عشر (أيضا)

راجع المستندين: ١٥ و ١٦.

التصيرية، المعروفة منذ حوالي نصف قرن بالتصويين أي مشايخي علي. هم أتباع حركة شيعية مغالية وتوفيقية انفصلت، في أواخر القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، عن الإمامية الاثني عشرية.

كان التصيريون، في العصور الوسطى الإسلامية، موضوع إدانات قاسية من قبل سلطات السنة. لكنهم، على الرغم من ذلك، استمروا في سوريا حتى الفترة المعاصرة، في منطقة واقعة إلى الشمال الغربي في الجمهورية العربية السورية الحالية، وخاصة حول مدينتي جبلة واللاذقية، وتعرف هذه المنطقة بـ «بلاد العلويين».

هذه الجماعة المحصورة بإحكام في المكان، لعصور طويلة، أفادت من التحولات في الشرق الأدنى، خلال القرن العشرين، وبخاصة من نظام التسامح للاندثار الفرنسي، لتخرج من عزلتها. إليها تنتمي اليوم الأوساط الحاكمة التي تكوّنت تدريجياً حول الرئيس السوري حافظ الأسد، وذلك منذ وصول هذا الأخير إلى الحكم في بداية السبعينات من القرن العشرين.

يُنسب تأسيس هذه الطائفة، خلال عهد الخلفاء العباسيين، إلى محمد بن نُصير التميمي القتيبي، المتوفى حوالي العام ٢٧١هـ/٨٨٤م، الذي عاش في البصرة، وساند الإمام العاشر العلوي علي الهادي معتبراً

رابع ملك من السلالة، واسمه نصر، فأبعده إسماعيل، أحد أفراد الأسرة الذي حكم ما بين العامين ٧١٣ و ٧٢٥هـ/١٣١٤ و ١٣٢٥م، والذي نجح في استعادة بعض مواقع المملكة السابقة. بعد ذلك بفترة، لم يستطع يوسف الأول، على الرغم من دعم التبريتيين له، مواجهة المسيحيين الذين أنزلوا في الجيوش الإسلامية هزيمة كبيرة في ريو سالادو (Rio Salado) في العام ٦٤١هـ/ ١٣٤٠م. على الرغم من ذلك، استطاع يوسف تشييد عدد من المباني الرائعة في الحمراء. تميز تاريخ آخر ملوك بني نصر بالخلافات الداخلية وبالنزاعات المستمرة مع القشتاليين. ومع حلول عهد الملوك الكاثوليكين، فرديناند ملك أراغون وإيزابيل وريثة عرش قشتالة، تضاعف ضغط الحملات المسيحية. وهكذا، اضطر آخر ملوك بني نصر، محمد الحادي عشر المعروف باسم أبي عبدالله، إلى التخلي تدريجياً عن أهم ممتلكاته، بدءاً من العام ١٤٨٢م، إلى أن غادر غرناطة في الثاني من كانون الثاني ١٤٩٢م، لينهي حياته في المغرب.

على الرغم من صغر مساحة مملكة بني نصر وتبعيتها الجزئية التي سمحت لها بالاستمرار، كانت بمثابة مركز حضاري لامع. ترمز إلى ازدهارها الفني زخرفة قصر الحمراء الراقية. لقد زعت المملكة أيضاً حياة فكرية نشطة، كان ابن خلدون من الذين شاركوا لفترة فيها. وكان أبرز ممثلي هذا النشاط الوزير إسمان الدين بن الخطيب صاحب مصنف وقائع وضع بلغة عربية مميزة.

٦٤٩-٧١٣هـ/١٢٤٢-١٢٧٣	محمد الأول الثالث المعروف بابن الأحمر
٦٧١-٧٧٠هـ/١٢٧٣-١٣٠٢	محمد الثاني القوي
٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩	محمد الثالث المخلوع
٧٠٨-٧١٣هـ/١٣٠٩-١٣٠٨	نصر
٧١٣-٧١٢هـ/١٣١٤-١٣١٤	إسماعيل الأول
٧٢٥-٧٢٣هـ/١٣٢٥-١٣٢٣	محمد الرابع
٧٣٣-٧٣٥هـ/١٣٣٣-١٣٣٥	يوسف الأول
٧٥٥-٧٥١هـ/١٣٥٤-١٣٥٤	محمد الخامس (القانع)
٧٦٠-٧٦١هـ/١٣٥٩-١٣٦٠	إسماعيل الثاني
٧٦١-٧٦٢هـ/١٣٦٠-١٣٦١	محمد السادس
٧٦٣-١٣٦٢هـ/١٣٦٢-١٣٦١	محمد الخامس (أيضا)
٧٧٣-١٣٩٢هـ/١٣٩٢-١٣٩٢	يوسف الثاني

من الاستقلالية الذاتية في ما اعتُبر إقليماً، في العام ١٩٢٠، ثم دولة العلويين في العام ١٩٢٢، التي تحولت إلى حكومة الألاذقية، في العام ١٩٣٠.

ساعدت هذه المبادرة التي اختفت آثارها المباشرة مع نهاية الانتداب، على نمو طبقة وسطى علوية لم تخسر شيئاً من تحفظاتها تجاه هيئة السنة الذين يشكلون الأكثرية في سوريا المستقلة، بينما أُتيحت لها وسائل جديدة للضغط، بفضل اللعبة الديمقراطية. فقد كانت هناك أحزاب عمدت كلها، على الرغم من الفروقات بينها، إلى استقطاب المنتسبين إليها من أوساط دينية مختلفة. فيسّرت للعلويين ولغيرهم من العناصر المنشقة، مثل الدروز، حيازة أهمية موازية للدور الناشط الذي ينهض به المنتسبون إلى هذه الأحزاب.

وهكذا استطاع علوي مثل حافظ الأسد، وهو ضابط سابق وأحد قادة حزب البعث، أن يصل إلى الحكم في العام ١٩٧٠ وأن يولد، منذ هذا التاريخ، المكانة الأولى في المجتمع السوري لأقلية تمثل ثلاثة عشرة بالمئة من مجموع سكان البلاد. من هذا المنطلق، تكونت مجموعة سياسية وعائلية ضمت وفأؤها باختيارها أعضاءها من المقربين من السلطة، وأسست بوتيرة نظام الحكم في سوريا، على الرغم من بروز فتن داخلية عدة أُخمدت بقسوة. ليس في مقدورنا، حتى الآن، أن نبيّن - بالنسبة إلى طائفة نماحت والسلطة المركزية وحازت امتيازات عظيمة - إذا كان ذلك يواكب تحولاً في أهدافها، خصوصاً أن مجال نفوذها يغطي حالياً سوريا بأكملها، أو إنه، في النهاية، سيؤدي إلى تدعيم تجذرها المحلي التقليدي. ثمة مصالح علوية أخرى ترتبط سياسياً بالتطورات، إما في لبنان حيث استقر نصيريون منذ العهد العثماني في بعض القرى، وإما بمنطقة حناي (Hatay) اسكنندرون سابقاً التي أدى ضمها إلى تركيا في العام ١٩٣٩ إلى هجرة علوية من دون أن يمنع بقاء بعض العلويين في أروهم حيث يسميهم الأتراك «ألفي» (alevis)، وهي نسبة تشمل بعض الفئات الشيعية الأخرى.

النظام، إبراهيم بن سيار. ٩ - ٢٣١٠م / ٩ - ٨٤٥م، عالم كلام معتزلي ضاعت كتاباته، لكن آراءه الرئيسة معروفة

بإياه تجسّداً إنشائياً، ومقدّمًا نفسه على أنه الناطق باسمه ووريثه أي الباب. على أن تاريخ أنصاره ما يزال غامضاً. لكن، من المعروف أنهم أقادوا، في شمال سوريا، من دعم الحمدانيين السياسي في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وأنهم نجحوا في الاستقرار في المنطقة الجبلية من جبل النصيرية الذي يحمل حتى اليوم اسمهم، ومنه طردوا التزاريين من الشيعة الإسماعيلية. انقسموا، في القرن الخامس عشر، مجموعتين: الشمالية أو الخيدوية والقمرية.

تبثّى التصيريون السرية في نشر عقيدتهم، ولذلك طُلّت غير واضحة، متوافقة، على ما يبدو، مع حركات باطنية على هامش الاسلام وشريعته، ومتجاوزة ذلك إلى اقتباس عناصر من المسيحية والزرادشتية. لذا صرّتهم مؤلفو كتب البدع المسلمون في فئة الشيعة المتطرفين أي **الغلاة**. إن إيمانهم بالتجسد واعتقادهم بالوهية النهدي المتنظر وادّعاء توريثهم المميّز لعل، كان بالنسبة إليهم الظهور السابع والآخر لله الواحد المتجلي عبر ثلاثي يمثله ممّا كلٌّ من: علي، المعنى المتنامي والنور، والنبيّ محمد (ص)، وهو **الحجاب** أو **الاسم**، وسلمان الفارسي، الباب. لكن مثل هذه المعتقدات، المحصورة بالمريدين، بحسب العادات التي تميّز تنظيم كل الفرق الإسلامية، كانت تفرز مكاناً في معتقدات الديانة الشعبية لعقيدة خلاصية حية، مهتأة لإثارة حركات عصيان ملتهبة، كانت إحداهما مذهلة بصورة خاصة، في بداية القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، فأخدها انتماليك بالقوة إذ كانوا خرساء على التخلص من الأقليات المنشقة العديدة في سوريا، لكنهم لم يستطيعوا كبح جماح روح المقاومة عند النصيريين المتعلقين بالأرض التي اختاروها.

أدت صلابة هذا التجذّر الإقليمي للفلاحين يشكلون جماعة متجانسة دمجت، بعد الحرب العالمية الأولى، في ما أصبح دولة سوريا الحديثة تحت الانتداب الفرنسي، تدريجياً، إلى انصلافة جديدة للطائفة. أولاً، ظهر تأثير السلطة المنفذ التي شخّنت، سعيًا منها إلى إضعاف التيارات القومية العربية، من جهة. والتركية من جهة ثانية، التوجهات الانفصالية لدى أقلية متحتنا نوعاً

المكلف، مع الإشارة إلى أنَّ الاختيار بين هذين الأسلوبين في الاقتطاع ظلَّ مرتبطاً بوضع كل أرض على حدة. كانت جباية المبالغ المستحقة تجري بحسب ثلاث طرائق: - تسديد مبلغ محدد براعي مساحة الأرض ونوعية التربة، ويتنوع تبعاً لريِّ الأرض بشكل طبيعي أو بوسائل اصطناعية؛ - دفع مبلغ بتلاتم ومحصول الأرض؛ - أداه مبلغ مقطوع يُسدّد سلفاً. في الحالة الأولى، كانت ضريبة الخراج تجبى على يدي مزارع بتسديده، مسبقاً، دفعة على الحساب لبيت المال. وكان ذلك يجري خلال فترة نطاق، على وجه التحديد، موسم غلة الأرض، وقد استدعى ذلك تعديلات مستمرة تأخذ في الاعتبار التقويم الشمسي الذي كان ينظم الأعمال الزراعية، وفي الوقت نفسه التنويم القمري الذي كانت تنظم بموجبه الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية في ديار الإسلام.

من جهة أخرى، كانت الضريبة المعمودة على المسلمين المعروفة بالزكاة أو أحياناً بالصدقة - رغم أنَّ التسمية الثانية تُطلق عادةً على صدقة اختيارية - تجبى على الأموال المنقولة. ويبدو أنَّ النظام الضريبي كان يخضع لأُسس محلية، ولم يكن مردوده خاصاً لرعاية السلطة المركزية. أخيراً، استمرَّ العمل بضريبة الجزية المفروضة على غير المسلمين، إلَّا أنَّ طرق جباية هذه المجموعة من الضرائب استمرت غير معروفة تماماً. فالمعلومات الأكثر دقة الواردة في مدونات أهل النظر في هذه الأمور ومؤرخي الأحداث، وقفت عند جباية الخراج التي كان يُعهد بها في الأقاليم إلى شخص عرف بالعامل، وكان يتمتع باستقلال في مسؤوليته عن الحاكم والقاضي. ولم يكن مسؤولاً إلَّا تجاه سلطة الخلافة.

خارج هذا الإطار، الذي كان يشكل قاعدة غير ثابتة للنظام الضريبي المعمول به حتى عهد قريب في جميع الدول الإسلامية، كان أهل السلطة يجبون ضرائب مختلفة يجدهونها بحسب رغبتهم، ينظر إليها على أنَّها غير شرعية في معظم الأحيان، إذ إنَّها لم تكن قائمة على نصوص الوحي وسنة النبي محمد ﷺ. كان ذلك، على سبيل المثال، ينطبق على الرسوم المجباة على مداخل المدن والتي حُمِّل بها خلال القرن الرابع الهجري/

من خلال مصنفات لاحقة.

نشأ في البصرة حيث قضى فترة من حياته قبل الانتقال إلى بغداد. تلمذ على أبي الهذيل لكثرة انفضال عنه ليؤسس مذهباً كلامياً مستقلاً. أثبت به أفكاره إلى توجبه نقد حاد إلى الذهرتين وإلى تطوير مفهوم للعالم يُجلب مكان المذهب الذري الذي كان أبو الهذيل يدافع عنه، مبدأ تداخل الأجسام والنظرية المعروفة به «الطفرة». وقد استوحى هذا المفهوم للعالم من الأفكار اليونانية، على ما يبدو، لكنَّ علمه الكلام المسلمين وحتى أهل الفلسفة رفضوا طروحاته.

النظام الضريبي الإسلامي: هو مجموعة التدابير المنفوعة من أوامر وردت في القرآن والسنة أقيمت عليها، في العصور الوسطى، نظام منشعب الجوانب يشمل الضرائب والرسوم والاقتطاعات التي تلبي حاجات مختلف الدول الإسلامية، وذلك بتنفيذ مقررات الشريعة ومبادئ «الخُلَفة الاقتصادية».

تشتمل التدابير المنصوص عليها في القرآن بالسهولة، نسبياً. فعلى المسلمين أداه ضريبة تُعرف بالزكاة يمكن تسويتها «الصدقة» أو ضريبة التضامن، وهي أحد «أركان» الإسلام الخمسة. أمَّا غير المسلمين الخاضعين لسيطرة الإسلام، فعليهم أن يؤدوا ضريبة تعرف بالجزية وتوصف أحياناً بضريبة الرؤوس. يُضاف إلى ذلك غنيمة الحرب التي ينبغي أن توزع بين القتاتلين بحسب قواعد دقيقة حالت فترات الخليفة الثاني عمر بن الخطاب دون تطبيقها على الأملاك العقارية [=الخراج] التي استولى عليها المسلمون.

واقع الأمر أنَّ النظام الضريبي الذي اعتمد معد الفتوحات الكبرى العربية - الإسلامية، بموجب التشريع المتعلق بالأراضي المقرَّر أَيْتَمِدَّ، ترك الباب مفتوحاً لتنوع كبير في المعايير والطابع المتعلقة بالضريبة. وما لبث أن ازداد تعقيداً بسبب التطور الذي ووعي، بعيد ذلك، خلال حكم الأمويين. وهكذا جاءت الحال التي نشأت منه مغايرة، إلى حد، لما نصّت عليه النصوص القرآنية.

كانت جباية الضريبة العقارية على نوعين: العشر الموافق الزكاة، والخراج الذي كان أثقل على كاهل

على سبيل المثال، على وزنها، بحيث أنّ مجموع المبالغ المسدّدة من قبل التجّار عند ورودهم كانت تجاوز من بعيد مبلغ رسوم الجمر، وهذه بدورها كانت تحدّد بشكل كيفي.

ولكننا، على هذه الممارسة الكيفيّة خلال القرون الوسطى الإسلاميّة، تجاه المسلمين كما تجاه الأجنبيّ، في ما يتعلّق بفرض الرسوم عليهم والضرائب، رواية وصلتنا من آخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، خلّفها لنا الرحّالة ابن جبير. فقد ورد فيها، بكلام مباشر وحيّ، ذكر أنواع الإبتزاز الذي كان ضحيّته أشخاص آتون من المغرب أو الأندلس بالسفينة، لدى وصولهم إلى مصر الأيوبيّة وخلال عهد صلاح الدين، ليسلكوا، بعدئذ، طريق الحجاز إيتاء الحج. كانت ممارسات القسوة عليهم من قبل مأموري الضريبة لمصلحة الحاكم، تقرّن بسعيهم إلى تبرير شرعيّ انتزيع للضرائب التي يفرضونها نعتماً على أنّها زكاة. يقول ابن جبير:

«شهر ذي الحِجّة من السنة المذكورة (١٢٧٥هـ)

«أول يوم الأحد ثاني يوم زولنا بالإسكندرية. من أول ما شاعنا فيها، يوم فركنا. أن طلع أمّاء إلى المركب، من قبل السلطان بهاء، لتقيّد جميع ما جلب فيه.
«فأشخصر جميع ما كان فيه من المسلمين. واحداً واحداً. وكُتبت أسماءهم وصفاتهم وأسماء بلادهم، وُسِّل كل واحد عمّا لديه من مبلغ أو نافع^(١)، يُؤدّى زكاة ذلك كلّ، دون أن يبعث عمّا حال عليه الحال من ذلك أو لم يخل. وكان أكثرهم متشخصين لأداء الفريضة، ثم يستعجرون سوى زائد لطريقهم. فلزموا أداء زكاة ذلك دون أن يسأل هل عليه حول أم لا.

«واستمرّ أحمد بن حشاش مثلاً، يسأل عن أهله والمغرب وسلع المركب، فطبع به مرّتين على السلطان أولاً، ثم على القاضي، ثم على أهل الديوان، ثم على جماعة من حاشية السلطان، وفي كل يسألهم ويضيق قوله - ضللي سبيله.

«وأمر السلطان بتزليل أساليبهم، وما فضل من أروادهم، وعلى ساحل البحر أنوعاً يتوكلون بهم، ويحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان. فاستدعوا واحداً واحداً، وأخضع ما لكل واحد من الأسباب، والديوان قد عمى بالرحام. فوقع انتقش لجميع الأسباب ما دفع منها وما حل، واختلط بعضها ببعض، وأدخلت الأيدي إلى أوساطهم بحثاً عمّا عسى أن يكون فيها، فما استخلفوا بعد ذلك هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا. وفي أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس، لاختلاط الأيدي وتكاثر الزحام، ثم أطلقوا بعد موقف من القتل والنزوي العظيم».

(رحلة ابن جبير، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ١٢-١٣).

العاشر الميلادي في أمبراطورية العباسيين، أو على الرسوم المفروضة على بعض المعاملات التجارية أو تلك المتعلقة ببعض السلع الثمينة، بصورة أساسية في المحيط المدني، وهي جميعاً ضرائب كان العمل بها مدار انتقاد يؤدّي أحياناً إلى رفعها بصورة مؤرّثة. على سبيل المثال، هذه الضرائب المتعددة التي كانت تفرض على أسواق المدن ومختلف النقابات الحرفيّة في عهد سلطة المماليك المبسوطة على الديار السوريّة - المصريّة، إبان حكم بعض أمراء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي على المنطقة، بلغنا ذكرها من خلال قرارات إنفاذها. وهذه القرارات كانت تُنشر دورياً - عند تسلّم أحد السلاطين الحكم أو خلال زيارته لمدينة ما - وتُنش، كي يراها الجميع، على مباني حيث حُفّظت لنا مضمونة الدقّة والبقاء، أكثر من ورودها في نصوص المصادر التاريخية. إلّا أنّ هذه نذكر لنا، إضافةً إلى ذلك، قرارات تفوقها في القِدَم تتعلّق برفع الضريبة، مثل تلك التي اتخذها، خلال خلافة العباسيين، وزير لهم في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي مثل عليّ بن عيسى، وهي كذلك تقدّم لنا تفاصيل أخرى حول هذا الموضوع، مثل اللوائح الدقيقة للرسوم المُجبّاة في مدن الولاية السوريّة، عشية الغزو المموني في العام ١٢٥٨هـ/١٢٦٠م.

يُضاف إلى هذه المعتقدات، المعهودة أو الاستثنائية، التي كانت تُفرض على سكّان منطقة معينة، ضرائب مألوفة على الأنشطة التجارية. وكانت هذه تجبى عند دخول الحدود، وذلك على منتجات مستوردة أو حتى مبلغ عابرة إلى منطقة أخرى. هذه الضريبة المفروضة على التجّار من الأجانب كانت تبلغ عشرة بالمائة، ويبدو أنّها نسخّت عن الضريبة البيزنطيّة. إلّا أنّ هؤلاء التجّار، في حال إقامتهم في البلد نفسه، كانوا يؤدّون ضريبة مخفضة مقدارها، لغير المسلمين، خمسة بالمائة وللمسلمين إنسان ونصف بالمائة، ولو أنّ هذه القروق لم تكن لتراعى باستمرار، من الناحية العمليّة. من جهة أخرى، كان يضاف إلى رسوم المدخول المحدّدة، في مرفأ مثل الإسكندرية، ضرائب أخرى على مُسافرة البضائع أي نقلها من سفينة إلى أخرى، أو،

السلطة إقتصادية، وبحسب بعض المؤرخين، عمل على توطين التركمان غير المنضبطين الآتين من آسيا الوسطى في الأراضي الإيرانية، مطبقاً في هذه الأراضي نظام الإقطاع الذي اعتمدته البويهيون في العراق، والذي يعني إعطاء الزعماء العسكريين حقّ جباية الضرائب عن الأراضي الخراجية، وكان ذلك بمثابة أجر لهم.

لكنّ الإنجاز الرئيس لنظام الملك يبقى، من دون شك، زيادة عدد المدارس المتحددة على الأوقاف لتدريس الفقه، مع تأمين سكن الأساتذة ورواتبهم وحاجات الطلاب. أنشأ الوزير، في العام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م، مدرسة في بغداد بقيت مشهورة باسم النظامية، كما بنّيت عطاياه، في ما بعد، تأسيس العديد من المدارس التي أطلقت عليها التسمية نفسها، في مدن إيرانية وفي بلاد ما بين النهرين العليا. كانت هذه المدارس كافة على المذهب الشافعي الذي أراد نظام الملك المساعدة على نشره في العراق، إنطلاقاً من مركز حكمه في أصفهان، في حين كان يشجع، في الوقت نفسه، ازدهار المذهب الأشعري.

في هذا الموضوع، واجه معارضة شرسة من قبل الحنبلين الذين أرغموه على تحية بعض الأساتذة والقبول بأن يستمر عدد من المدارس السنية بتقاسم إمكانيات الدراسة والتعليم. لكن قامت في وجهه معارضة أشدّ عنفاً لمحاولة التنظيمية هذه من قبل الإسماعيليين الزائريين أو الحشاشين الذين كان يحارب مواقفهم الدينية وطموحاتهم السياسية. تحت ضربات هؤلاء هلكت بوحيشة هذه الشخصية التي كانت أفضل دعامة لقوة السلاجقة الكبار والضامنة، لأمل قصير، لمئات أميراطوريتهم.

النظامشاهيون ← دولت آباد، الدكن.

النظامية ← الجشتية.

الشُعمان (القاضي) اسمه الكامل القاضي أبو حنيفة الشُعمان بن أبي عبدالله محمد... التسمي الإسماعيلي المغربي ٣٦٤-٤هـ/ ٩٧٤-٩م، فقيه وعالم كلام، نال حظوة لدى الخلفاء الأوائل من سلالة الفاطميين. خلف مؤلفات أساسية لتوسط الإسماعيلي.

نظام الدين أولياء البديوني، ٦٤٠-٧٢٥هـ/ ١٢٤٣-١٣٢٥م، صوفي وُورع ينتمي إلى الطريقة النجشية، اشتهر في حياته، في دلهي، واعظاً، ما يزال قبره القائم في هذه المدينة موضع توفير.

وُلد في بديون، من عائلة قدّمت من بخارى، في إقليم هندي سيطر عليه الإسلام منذ كان فتح الغوريين له في نهاية القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد. كان هذا الصوفي الجشتي في عداد «الأشخاص» الذين انتقامهم فريد الدين مسعود، المعروف بـ «غنج شكر»، ليُخلّوه. نشر الدعوة في عاصمة سلاطين دلهي حيث أفلح مع النبلاء والفقراء معاً. ما يزال ضريحه الشهير الذي بُني بأمر من السلطان تغلق في هذه المدينة، مقصد زيارات تقوية، محاطاً بقبور أتباعه وأصدقائه، ومن بينها قبر الشاعر الموسيقي أمير خسرو الدهلوي.

نظام الملك الحسن بن علي، ٤٠٨-٤٨٥هـ/ ١٠١٨-١٠٩٢م، وزير إيراني عمل لاثنتين من السلاطين المشهورين في أوج عهد السلالة السلجوقية، وبرز رجل دولة مميّز.

أصله من طوس في خراسان حيث أصبح حاكماً بعد دخول الأتراك الغز إليها متصرفين. كان الحاكم الشاب قد تلقى ثقافة دينية وحصل في ما بعد على لقب شرف هو نظام الملك. ثم أصبح وزيراً للألب أرسلان، في العام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م، عندما اعتلى هذا الأخير العرش وأعزّم الوزير الكندري. احتفظ بهذا المنصب في عهد ابن الألب أرسلان ووريثه ملكشاه، إلى أن اغتيل بدوره قبل وفاة السلطان نفسه الذي كان قد أوكل إليه سلطاته. طوّل هذه الحقبة، نهض نظام الملك بأعباء إدارة الدولة السلجوقية التي كان سلاطينها أنزاعاً وأهل حرب بخاصة، فكان بذلك هو الحاكم الفعلي والمعنوي. يُنسب إليه بحث سياسي باللغة الفارسية يشدد فيه على فكرة محورية حاول تطبيقها في الممارسة، ألا وهي التدخل بين الدين والدولة. وإذا كان طالب بطاعة غير مشروطة لإرادة السلاطين الجدد الذين تضنّ لقبهم عبارة «ظنّ الله على الأرض»، فإنه يعيد هذا المجد إلى التولية التي كان يمنحهم إيّاها الخلفاء السنة العباسيون الذين لم يتنكر قطّ لأولويتهم. لقد سهر على ازدهار

ذات الماهية غير المادية. فالفقهاء يعترضون، مثلاً، على مفهوم إخوان الصفا الذي يقول إن الإنسان مكون، من جسد ومن ماهية غير مادية اسمها نفس. من جهة ثانية، اعتمد أتباع الفلسفة المفهوم الأرسطوطاليسي، الذي يميز بين الأرواح الإنسانية والحيوانية والنباتية، من دون أن يتوصلوا إلى فرض نظرتهم على رجال الدين. وحده الغزالي حاول اعتماد نوع من الحل الوسط بين المفاهيم التقليدية والمفاهيم الفلسفية، معتبراً وجود ماهية روحية في الإنسان. لكن هذه الفكرة لم تُعتمد بحيث أن فيها حنبلاً مثل ابن القيم اعتبر النفس ماثلة للروح على غرار جسم خفيف يلزم الجسم المادي في القبر بعد الموت في انتظار القيامة.

النفس الزكية ← محمد النفس الزكية.

نقوسه، قبائل بربرية من المغرب الشرقي، تحتل حالياً هضبة في ليبيا تقع في جنوب غرب طرابلس. تميز أبناؤها عبر التاريخ بانضوائهم، منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، إلى مذهب الخوارج الإباضية المعتدل، ودعمهم، بسبب ذلك، الرُستميّين. وفي ما بعد، نتيجة عداوتهم الشديد لفاطميين الذين استقروا في إفريقيا، هُزموا على أيدي هؤلاء في سنة ٩٢٢/٨٣١م. لكنهم ظلوا لحقات تالية أوفياء لمعتقداتهم الإباضية، محاولين الإبقاء عليها بلحوتهم إلى الجبال حيث حافظوا على استقلالهم. وقد استطاع العثمانيون، في القرن التاسع عشر، وإن بصعوبة، احتلال هضبة النقوس، فاخترأ هؤلاء، في ما بعد، أي في سنة ١٩١٣، الخضوع للإيطاليين.

➤ راجع المسند رقم ١٩.

نقيسة (السيدة) أو الميت نقيسة، ٢٠٩-٢٠٩/٨-؟-٨٢٤م، نقيّة وعالمة علوية من نسل الحسن. مدفنها في القاهرة مكرم كأنه لولي، وهو مقصد زيارات تقوية.

هي زوجة أحد أبناء الإمام العلوي السادس جعفر الصادق. ويروى أنها قدمت إلى مصر بصحبة زوجها، وماتت فيها بعد حياة مميّزة بالمعجزات أو الكرامات. أتاحت سمعتها للضريح الذي شيد على قبرها في عهد الفاطميين والذي كان واقفاً إلى جنوب مسجد ابن

ينتمي الثعمان إلى أسرة مالكية من القبروان، اعتنق في حياته المذهب الإسماعيلي الذي كان مذهب أسباط إفريقية الجدد. ودخل آنذاك، أي ما بين العامين ٣١٣ و٣٢٢ للهجرة/٩٢٥ و٩٣٤ للميلاد، في خدمة الفاطميين في المنطة: أولاً مع المهدي، ثم مع القائم والمنصور. وأخيراً مع المعز. تبع هذا الأخير إلى مصر عندما انتقل مركز هذه السلالة إليها، وتوفي في السطاط قرب القاهرة. عيّنه القائم قبيل موته، في العام ٣٣٤/٩٤٦م، قاضياً ونعم بحظوة نادرة في عهد خلفائه. أوكلت إليه، في عهد المعز، مهمة مراقبة مجمل التنظيم القضائي ولكنه لم يحصل رسمياً على لقب قاضي القضاة.

كان القاضي الثعمان متخصصاً في الفقه الإسماعيلي الذي عرضه في كتابه دهائم الإسلام. كتب أيضاً رسائل في العقيدة ومؤلّقات في تفسير القرآن وفي التاريخ. احتلّ كذلك مرتبة رفيعة في تراتبية الدعوة الإسماعيلية، وعرض، في مجلّد قيم بالنسبة إلى المؤرخين، مراحل هذه الدعوة التي أدت إلى قيام الخلافة الفاطمية.

النفس، مصطلح عربي، يترجم غالباً بـ«الروح». حقله تطوّر الفكر الإسلامي عبر الزمن، تباينت في الدلالة واعتبارات متنوعة.

ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم، بمعنى «كان بشري» و«نفس» في الوقت عينه. وبهذا المعنى الأخير يتخذ دلالات متعددة. فباستطاعة النفس أن تكون مُحَرَّضَةً على السوء، وفي هذه الحال ينبغي السعي إلى كبح جماحها. وهذا ما يفتر، في الأدب الصوفي اللاحق، أن مصطلح «نفس» يعني «الأهواء». وللنفس أيضاً ملكة التائب أو هي الباعثة على الاطمئنان. هذا التمييز بين اتجاهات مختلفة يعبر عنها دوماً بمصطلح نفس هو في أساس علم النفس عند بعض المؤلفين المسلمين. أما بالنسبة إلى فتحة الحياة والروح، وحتى الروح الإلهية، فيُطلق عليها في السياق نفسه لفظ الروح.

التحديدات المتعلقة بكلّ من كلمتي نفس وروح تبقى، ورغم ذلك، غامضة في الإسلام. يستوي في ذلك الفقهاء والمُفكرّون الذين يستعملون هذين التعبيرين الواحد مكان الآخر، والذين نادوا ما يذكرون مفهوم الروح

النكارية ← الإباضية.

نَهَاوَنْد (معركة)، ١٨ أو ١٩هـ / ٦٣٩ أو ٦٤٠م، اشبليك مهمّة، في بداية الفتوحات الكبرى، أتاح للغزوات العربية - الإسلامية إلحاق الهزيمة بالجيوش الساسانية واجتياح الهضبة الإيرانية. ونهاند محلّة تقع في إيران، على ارتفاع حوالي ألف وسبعمئة متر، ليست بعيدة عن مهران. كانت، في القرون الوسطى، تتحكّم بإحدى طرق القوافل والطرق الإستراتيجية المتّجهة من العراق إلى إيران. وأصبحت، في الفترة الحديثة، موضوع تنافس ومواجهات عسكرية بين العثمانيين وملوك الفرس أخصامهم، سواء منهم الصفويّين أو القاجار، في ما بعد. راجع المستند رقم ٨.

نَهْرَوَان (معركة)، رجب ٣٨هـ / تموز/يوليو ٦٥٨م، معركة وقعت بين مناصري خليفة المسلمين الرابع علي وعصاة خواجه فُضي عليهم جزئيّاً. لا يمكن نحدد بدقة مكان المعركة التي وقعت جنوب بغداد. لكنّه، يُحدّث عادة على أنّه يقع قرب محلّة تعرف بجسر النهروان، وهو اسم جسر يقطع أحد الأقيّة التي أنشئت في هذه المنطقة في عهد الساسانيين. عانى نظام الأقيّة هذا الذي استمرّ حتى القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، كثيرًا جزء الأعمال العسكرية التي حصلت في هذا القطاع خلال تلك الحقبة وبعدها. هكذا غدت المنطقة عملياً مهملة، منذ القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.

نوائى، نظام الدين علي شير المعروف أيضاً بـ **شير علي شير**، ٨٤٥-٩٠٧هـ / ١٤٤١-١٥٠١م، شخصية أدت دوراً سياسياً مهمّاً في بلاط السلطان حسين بايقرا من سلالة التيموريّين، وفي الوقت نفسه شغّت في آسيا الوسطى أنشطته أدبيّاً وراعياً للأدب.

وُلد في هراة من عائلة تركيّة تولّت الكتابة الديوانيّة للتيموريّين. لذلك سافقه الظروف إلى الدخول في خدمة باير قبيل وفاة هذا الأخير في العام ١٤٥٧م. ثم دخل في العام ١٤٦٩، في خدمة حسين بايقرا الذي نسّلم الحكم في هراة. أصبح صديقاً حميماً للملك الذي تربّى معه، فأُسندت إليه مهمّات كبيرة لها علاقة بشؤون

طولون، تناسُم الشهرة مع المقامات الأخرى الخاصّة آل النبيّ محدّد (عليه السلام)، مثل مقامات السيّدة زينب والسيّدة سَكِينَة والسيّدة زُفَيْة، وهي ليست بعيدة عن ضريح الشافعي.

النَقْشَبَنْدِيَّة، طريقة صوفيّة يعود اسمها إلى بهاء الدين النقشبندى (توفي في العام ٧٩٩هـ / ١٣٨٩م) الذي نظمها، لكنّ القواعد الخاصّة بها وضعها يوسف الهمداني (توفي في العام ٨٣٥هـ / ١١٤٠م) الذي شدّد، بوجه خاص، على حصر الذكر بالفكر.

انتشرت هذه الطريقة في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، بين أتراك آسيا الوسطى الذين ارتبطوا عبرها بالنسبة. أمّا امتدادها اللاحق في جوار بلاد ما وراء النهر، من جهة باتجاه الأناضول، ومن جهة ثانية باتجاه شبه القارة الهندية، فلم يخل، في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، دون احتفاظها بمراكز مهمّة في سمرقند وبخارى ومرو وهراة، بدفع خاص من قبل خواجه أحرار (توفي في العام ١٤٩٠م).

دخلت إلى الهند، في القرن السادس عشر، على يدي الفاتح باير المعجب بخواجه أحرار، واستمرّت ناشطة خلال حكم المغول، موجّهة سياسة بعضهم وملهمّة جزئيّاً عقيدة أحمد سيرهندي الذي عارض التوجّهات التوفيقيّة للملك أكبر. واقع الأمر أنّ التقليد النقشبندى المهمّ بالإصلاح شدّد على التزام دقيق بسنة النبيّ محدّد (عليه السلام). وفي القرن الثامن عشر، حرّك هذا التوجّه النسيّ نفسه جهود متصرّفي منطقة دلهي الذين لهم بعض الارتباط بهذه الطريقة، مثل شاه وليّ الله وصديقه مظهر جانجانان (١٦٩٩-١٧٨١) وخواجه مير ذرد (١٧٢١-١٧٨٥)، قبل أن يتداخل ومحاولات أحدث منه طرحها بعض مفكرى القرنين التاسع عشر والعشرين.

نقد نشط النقشبنديون أيضاً في السلطة العثمانية وانتشروا في سوريا وفي الأناضول، وخاصة في العاصمة إسطنبول. لكنّهم كانوا أقلّ نجاحاً في مصر حيث استطاعوا التوجّل بصعوبة.

نكاح ← زواج.

الذي يخصها بالسورة الواحدة والسبعين ويقدمها على أنها «نبى» مرسل ومُندَر، عقد الله معه ميثاقاً تَكَرَّرَ شعب استخفَّ به.

الرواية القرآنية تستعيد ما ورد في العهد القديم مع بعض الفروق. يكلف فيها الله نوحاً بتوجيه رسالته إلى أبناء آدم الذين لا يتقبلونها، ثم يأمره ببناء فلك. وكان الشعب الضال ضحية طوفان ناتج عن فيضان الماء من تَنُور أخذ «يغلي» (القرآن، سورة المومنون، الآية ٢٧ وسورة هود، الآيات ٣٧-٤٢). توقفت السفينة التي لجأ إليها نوح وعائلته فوق قَمَّة تدعى جُودِي (القرآن، سورة هود، الآية ٤٦) يجعلها التقليد في بلاد ما بين النهرين العليا، بينما يشير التقليد المسيحي الأرمني إلى قِمَا آرارات. هكذا نجا من كان في السفينة وحدهم.

اعتمد كتاب السير في ما بعد هذه العناصر المختلطة بسعيات مصدرها التقليد العبراني، وجمّلوه أو ضخّموها معتمدين أيضاً على المصادر نفسها. وفي الوقت عينه أدّت العناصر الرئيسة للرواية، التي رُبِطت بعدد من الأماكن، إلى تشييد مزارات يؤمّها الوريثون وذلك خلال فترة ازدهار تكريم الأولياء. واستناداً إلى ما ذُكر في دليل الهَزَوِيّ في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد حول هذه الزيارات، نعلم مثلاً أن الوفاة العائدة إلى بداية الطوفان كانت تُحيى ذكراها في منطقة الكوفة في العراق وفي سوريا الوسطى، كما في بلاد بين النهرين العليا. بينما كانت الذكريات المتعلقة بتمركز الناجين الخارجين من الفلك مركزة حول الموصل وجزيرة ابن عُمر. من جهة أخرى، كان قبر نوح يُكرَّم، في الوقت نفسه، في الخليل وفي قرية في البقاع اللبناني اسمها كَزَك نوح، تضم خزاناً صغيراً في ناووس من حجر مفرط الطول.

نُور الدين محمود بن زَنْكِي، ٥١٢-٥٧٠هـ/١١١٨-١١٧٤م، أتاكب من السلالة الزَنْكِيَّة، من أصل تركي، حكم في سوريا ما بين العامين ٥٤١ و ٥٧٠ للهجرة/١١٤٦ و ١١٧٤ للميلاد حيث اشتهر لمُدَّة طويلة بأنّه «مُحيي الإسلام».

عند موت أبيه زَنْكِي، اضطرَّ نور الدين إلى التخلّي لأخيه سيف الدين عن إمارة الموصل. في المقابل

الدولة. اهتمّ أيضاً بالانتاج الفنّي والأدبيّ ومراقبته. يعود إليه الفضل في تألّف قَرْنِ التمنّعات الملوّنة، في نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، وفي تزيين الكتب وذلك في المدينة كما في اليلاط. يعود إليه الفضل أيضاً في تشييد الصُرُوح المختلفة في المدينة وجوارها كما في إعادة بناء المسجد الجامع. وقد خلّف شخصياً إنتاجاً وفيراً من الشعر والنثر جعله محط إعجاب معاصريه، خاصة بالنسبة إلى إنتاجه الشعري المميّز، وبذلك أسهم في الدفاع عن قضية اللغة التركية الشرقية أو الجغتائي.

الثُوبَةُ، اسم قديم استمرّ في العصور الوسطى الإسلامية، يدلّ على منطقة من أفريقيا السوداء تمتدّ جنوبي مصر، بدءاً من أوّل شلال على النيل حتّى منطقة محدّدة بصورة غير دقيقة في جمهورية السودان الحالية. شهدت الثوبة المسيحية في عهد الفتوحات الكبرى اجتياحين عربيّين إسلاميّين متتاليين، في حوالي العامين ١٩ و ٢٩هـ/٦٤٠ و ٦٥٠م. انتهى الأمر إلى معاهدة نصّت على أن يدفع التبوّين لدولة الخلافة جزية سنوية عالية من الأرقّة. بدأ المسلمون بأكثَر الدخول إلى الثوبة لمتابعة أنشطة تجارية، بينما كان سيّد البلاد يقيم علاقات سلمية بالعباسيّين حُكّام بغداد. في العامين ٥٦٨ و ٥٦٩هـ/١١٧٢ و ١١٧٣م، اضطرَّ صلاح الدين إلى التندخل ضدّ عرب بني كُزّ الذين كانوا قد استقروا، منذ القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، على حدود مصر والثوبة، مساندين أحد المطالبين بعرش الفاطميين. أثار نشاط بني كُزّ ودود فعل مختلفة من قبل المماليك الذين تدخلوا في مناسبات عديدة في شؤون المنطقة حيث كانت الأسلمة تنمو. وانتهت المملكة الثوبية القديمة بالتفتت كما تراجعت المسيحية في البلاد، إذ ظهر في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، حُكّام مسلمون واعتنقت نسبة كبيرة من السكان الإسلام. بقي فقط بعض المجموعات المسيحية المعزولة في وسط السكّان المسلمين. وفي القرن السادس عشر، احتلّ العثمانيون القسم الشمالي، بدءاً من الشلال الثالث، وضَمّوه إلى مصر.

« راسع المستندين ٨ و ٢٨ »

نُوح، شخصية توراتية كثيرة الذكر في القرآن الكريم

«دار العدل»، التي بناها في حلب ودمشق في أسفل القلعة، يستمع إلى شكاوى السكان الذين يكونون قد تعرّضوا لإساءات العسكرتين. كما أحيى، بوجه خاص، سياسة دينية لتقوية الإسلام السني. لذا أسس مدارس عدة وشجّع على إنشاء عدد آخر منها في المدن الكبرى في مملكته، لا سيّما في حلب ودمشق. واستقدم، للتعليم في هذه المدارس، أساتذة من بلاد ما بين النهرين العليا أو من إيران. أنشأ في دمشق مدرسة متخصصة في دراسة الأحاديث النبوية باسم «دار الحديث». اهتم أيضا بفتح العمارة العسكرية وصيانة الأسوار وإقامة الأبنية ذات المتفعة العامة مثل الحمامات الضخمة. كذلك أقرن للمدن السوروية المؤسسات الضرورية لتطوير الحياة الفكرية والدينية ورفاهية الشعب.

شغلت الفترة الأخيرة من حكم نور الدين الحملات التي وجّهها إلى مصر الفاطمية ثلاث مرّات ما بين العامين ٥٥٩ و٥٦٣هـ/١١٦٤ و١١٦٨م. قاد هذه الحملات الكردي شيركوه بعاونه ابن أخيه صلاح الدين. أقت هذه الحملات إلى قلب النظام في العام ٥٦٦هـ/١١٧١م، أي إلى انتصار السنة على الشيعة الإسماعيلية. لكنها خلقت تأزّما سياسيا محتوما بين حاكم سوريا وصلاح الدين الفتي الذي حلّ مكان نور الدين، عند وفاته في العام ٥٧٠هـ/١١٧٤م، على رأس مملكة جمعت مصر وسوريا معا.

النور الإلهي، مفهوم في العقيدة الإسلامية يعود إلى عبارة قرآنية صادقت رواجًا كبيرًا في الفكر الفيلسفي - الديني، كما في الفكر الصوفي الإسلامي.

النص القرآني الأشهر المتعلق بهذا الموضوع تُعبّر عنه الآية ٣٥ في سورة النور:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ، كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِي يَدٍ يَصْلَحُ يَصْلُحُ فِي نَاصِيَةِ الرَّجُلِ كَالنَّارِ كَوَكَبٍ دُرٍّ يُوقَدُ بِسَمَرٍ مَثَرِ حَصَى زَيْتُونٍ لَا تَرْفِقُهُ وَلَا عَرِيَّةٍ بِكَارٍ زَيْتٍ يَخْرُجُ، وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فسّر علماء الكلام النور الإلهي بمعنى أنّه يمثل حقيقة الوحي الذي أنزله الله على نبيه والذي إليه يهدي الناس.

عرف هذا المفهوم نجاشًا كبيرًا، وبخاصة في

ورث في حلب ممتلكات زنكي السوروية فأصبح، بواقع الحال، مدفوعًا لمتابعة طموحاته في اتجاه دمشق التي حاول السيطرة على حكمها. استطاع أولًا الحصول على الاعتراف بسيادته من قبل أمير دمشق الذي خلف البويرتين فيها. ثمّ عمل على احتلال المدينة ومقاطعتها، فكتب له النجاح في العام ٥٤٩هـ/١١٥٤م، بمساندة فريق من الأهاليّ كان حافقًا على البويرتين ويطانهم لضعنهم تجاه الفرنج. هكذا قطعت ثمار الجهود السابقة التي بذلها لتنظيم أراضيه على أساس روح الجهاد ولمحاربة إمارات الصليبيين بنجاح. في الواقع، كان الهدف الأساسي لنور الدين مقاومة حكم الملوك المسيحيين في الأراضي المقدسة في فلسطين. فمعد الشهور الأولى لحكمه، توصّل إلى وضع حدّ نهائي لموضوع كونيتية إدبسا/ الرّها، بقمع الثورة التي فجرها الأرمن محاولين إعادة الكونت جوسلين الثاني إلى المدينة التي كان زنكي قد سيطر عليها، بعد قتال عنيف، في العام ٥٣٩هـ/١١٤٤م. ثمّ، انطلاقًا من دمشق التي كان قد احتلها جاعلا منها عاصمة لمملكته، وجّه حملات عدة ضدّ الفرنج وسيطر على المواقع المحصنة في غراز وحارم وعلى مدينة أفامية، مرغما أخصامه على التراجع إلى ما وراء العاصي. ثمّ استقرّ في عكا، في مقابل قلعة الحصن. وأخيرًا نجح، في آخر عهده، في وضع يده على موقع بانياس. استطاع إذاً، من دون أن يحرز انتصارات حاسمة، أن يفكّ العلق الذي كان يشلّ المدن الإسلامية الرئيسة في سوريا الداخلية. ولم ينسَ أبدًا أن الهدف الأقصى لأعماله كان القدس (أورشليم) التي صنع خصبها لها منبرًا من الخشب المنقوش ليوضع في المسجد الأقصى بعد استعادته.

من جهة أخرى، عُرف نور الدين بأنّه حاكم نقي متعلّق بالدين، ولم يكنف بالأعمال العسكرية. لقد أعاد تنظيم ممتلكاته السوروية التي عزّز حماياتها، وطوّر حوله الشعور الإسلامي الكفيل بمساندة الجهد المعادي للصليبية. كان أيضًا حريصًا على أن يحترم حكمه العدالة. لذا جعل إلى جانبه مجلس أمراء يستشيرهم بانتظام في مقرّه الملكي الواقع في قلعة دمشق. وكان يجهد في أن يقضي بنفسه بين الناس، فكان يجلس في

التيّة، مفهوم يعتبره الفقه ضرورياً لتحقيق تصرف إنساني سليم، مع أنّه شكّل، عبر العصور، موضوعاً للثلاثين. ومع أنّ ثمة حديثاً مأثوراً يذكر غالباً إنّما الأعمال بالنيّات، فإنّه يجوز التساؤل عما إذا كانت النيّة يجب أن تتكوّن مباشرة قبل القيام بالعمل، أو يمكن أن تسبقه بوقت قليل. وأثير النقاش حول ما إذا كانت لازمة قبل كلّ تصرف طقسي أو فقط قبل الصلاة.

النيجير (جمهورية) مساحتها ١ ٢٦٧ ٠٠٠ كلم^٢ عاصمتها: نيامي. دولة مستقلة معاصرة، هي جزء من أفريقيا الساحلية، يبلغ عدد سكّانها حوالي ثمانية ملايين نسمة، أكثريةهم الساحقة (حوالي ٨٠٪) من المسلمين نشأت هذه الدولة في العام ١٩٥٨ من مستعمرة تحمل الاسم نفسه في أفريقيا الغربية الفرنسية. تحتل مساحة واسعة من أفريقيا السوداء في جوار الصحراء وجمهورية الجزائر وليبيا في الشمال. وفي الجهات الثلاث الأخرى تقع جمهوريات مالي وبنين ونيجيريا وتشاد. إنّ موقعها الحالي وكثافة سكّانها الضخمة تعكسان حتى اليوم توترات قديمة طبع، في القرون الوسطى، مرحلة أسلمة جنوبي الصحراء، جاعلةً منها منطقة نزاعات ومواجهات متعاقبة. لكنّ ذكرى الحروب والسيطرة القديمة لأباطوريّات الفاتحين، منه أميراطوريّات الضنغاي وبورنو وسوكوتو، نتجته نحو النسيان، في حين يقوم توازنها الاقتصادي على علاقات سلمية تتوافر لها عبر وادي نهر النيجر، وبخاصة عبر جمهورية نيجيريا الاتحادية.

❖ راجع المستند رقم ٢٩.

نيجيريا (جمهورية نيجيريا الاتحادية)، مساحتها ٩٢٤ ٠٠٠ كلم^٢، عاصمتها: أبوجا. دولة مستقلة معاصرة في أفريقيا السوداء، نشأت عن مستعمرة بريطانية تحمل الاسم نفسه، تقع على خليج غينيا. سكّانها يتجاوزون المائة والاثني عشر مليوناً، نصفهم مسلمون. دولة اتحادية تجمع عشرين إقليمًا. تقطنها جماعات إنسيّة ودينيّة مختلفة، هي غالباً في حال عداء. يحدثها من الغرب جمهورية بنين، ومن الشرق جمهورية الكامرون؛ وتتصل في الشمال بدولتين ساحليتين أغلبية سكّانها من

الأساط الشيعية التي أعلنت، دونما تأخير، أنّ النور الإلهي الذي أنزل على آدم آثار محمداً ﷺ، ومن بعده أفراد عائلته علي، أي الأئمة العلويين المتعاقبين. أمّا أتباع الفلاسفة فيخوضون النور بمكانة بارزة، فيربطونه بـ«العقل» الذي اكتشفوه عند المفكرين من الأراذل، ويدرجونه في إطار سيروية عمل الخلق. فيحسب رأيهم إنّ النور الذي قاض من العلة الأولى أو العقل الأول وتوزّع، في ما بعد، في سائر العقول وفي العالم. لكنّ الفلاسفة لم يتأثروا وحدهم بتطوير ميتافيزيقا تعتبر أنّ الله نور ومصدر كلّ وجود أو معرفة، إذ تشيّن طريقة مشابهة لدى الصوفيّين الذين أخذوا بهذا المفهوم تنويراً للعقل المُعَال وسبباً لبلوغ الاتحاد الوجودي الذي يشكّل أساساً لنظرية الإشراف. سواء بالنسبة إلى الصوفيّين أو إلى الفلاسفة، ليس النور المحمّدي سوى فيض إلهي، وهو مفهوم يلجأون إليه لتفسير العلاقات التي يمكن أن تقوم بين الله والعالم المخلوق.

التَّوَرِي محيي الدين أبو زكريا يحيى، ٦٣١-٦٧٦هـ/ ١٢٣٣-١٢٧٧م، سلفي وعالم ينتمي إلى المذهب الفقهي الشافعي، عاش في دمشق في آخر عهد الأيوبيين وبداية عهد المماليك.

كان التَّوَرِي معلماً في مدرسة لعلوم الحديث وفيها، فعارض على هذا الأساس سلطان المماليك يبيرس الذي أراد أن يفرض على الناس في سوريا ضرائب إضافية. وهو واضع كتب عديدة في مجالات الحديث والفقه وقواعد اللغة.

التَّوَرِي، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري البكيتي الشافعي، ٦٧٨-١٢٧٣هـ/ ١٢٧٩-١٣٣٢م، كاتب ذو طموحات موسوعية، عاش في مصر أيام المماليك. وُلد في مصر العليا، إنّما لموظف، واحتلّ مراكز مهمة كلفه بها السلطان محمد بن قلاوون في كلّ من القاهرة وسوريا. عُرف بخاصة بأنّه صاحب مصنّب ضخم، هو قيد الطباعة حالياً، سعى فيه إلى جمع مجمل المعارف المفيدة لكتاب دواوين الدولة، لا سيّما في ميادين الجغرافيا والتاريخ والأدب.

نياسالاند ← ملاوي.

كانت مؤمنة أيضاً للمدينة. أصبحت نيسابور، لفترة قصيرة، عاصمة للملحوقي طغرل بك في العام ١٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م، قبل أن يحتلها خوارزم شاه تكتش في نهاية القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. عانت هزات أرضية عدة قبل أن يدمرها المغول، في العام ١٢٢١هـ/١٢٦٨م، ليعاد بناؤها ولتعاني مجدداً الهزات. هي اليوم بلدة قرية من الموقع المهجور حيث لم نجر بعد أعمال تنقيب منهجية. لكن أعمال التنقيب الأولى أدت إلى اكتشاف بقايا من الخزف تشهد على ازدهار قديم للفنون الخزفية في الموقع. وتدلّ أضرحة حديثة على المواقع التي دفن فيها بعض الشخصيات الشهيرة مثل فريد الدين العطار وعُمر الخيام.

■ راجع المستندات ٨، ١٠، ١٢، ١٣، ١٧، ٢٣ و ٢٤.

نيكوبوليس (معركة)، ٢٨ ذو القعدة ٧٩٨هـ/ ٢٥ أيلول ١٣٩٦م، اشتباك وقع في أرض بلغاريا الحالية سمح للجيش العثماني بسحق قوات صليبية قادمة من دول أوروبية مختلفة.

سهل هذا الانتصار، بصورة مباشرة، تثبيت سلطة بايزيد الأول بلدريم في البلقان، كما سهل، في ما بعد، توسع الفتوحات التركية في الموزة والأفلاق (فلاشيا). حصلت هذه المعركة قبيل انتصارات تيमورلنك في الأناضول وموت السلطان العثماني بعد معركة أنقرة، في العام ١٤٠٢م، وتفكك إمارته مؤقتاً، ما هدد استمرار إنجازاته.

كانت مدينة نيكوبوليس، وهي بالتركية نيكوبوي وحالياً نيكوبول، موقفاً محصناً ذا قيمة إستراتيجية كبيرة على الضفة الجنوبية لنهر الدانوب. إنها تقع على ملتقى طرق عسكرية وتجارية، وقد سقطت في أيدي العثمانيين، في العام ١٣٨٩هـ/١٧٩١م، وقد حاولت حملة صليبية برية استعادتها بمساعدة أسطولتي جنوى والبندقية. وحدها سرعة بايزيد الأول في التخلي عن حصار القسطنطينية والتوجه لنجدة المحاصرين، سمحت بقلب الوضع العسكري وتدعيم القوات المعادية بصورة شبه كاملة.

المسلمين، هما نيجر وتشاد. إنطلاقاً من هذه المنطقة الشمالية، استطاع الإسلام أن يتوغل بالقوة في الأراضي النيجيرية الواسعة، في سوكوتو وكانو وبيورنو حيث تامت إمبراطوريات القبلية الجهادية. حديثاً، نشطت عمليات اعتناق الإسلام في المنطقة الساحلية الجنوبية، عن طريق الدعوة التي قامت بها الأحمدية التي بدأت عملها في لاغوس منذ الحرب العالمية الأولى، وعن طريق منظمات مذهبية إسلامية أخرى للتعليم والتربية.

عرف البلد، منذ استقلاله في العام ١٩٦٠، أحداث عنف مختلفة، منها الحرب الأهلية المعروفة بحرب بيفارا، ما بين ١٩٦٧ و ١٩٧٠. ومنذ العام ١٩٩٠ أنشأ المجلس العسكري الحاكم حزبين ترأس أحدهما مسيحي بينما ترأس الآخر مسلم.

نيسابور (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، بالعربية نيسابور، مدينة أثرية في شرق إيران، كانت في القرون الوسطى أحد المراكز السكانية الأربعة المهمة في خراسان، وما تزال آثارها موجودة قرب المدينة الحديثة المعروفة بالاسم نفسه.

هي في الأصل مدينة قديمة أسسها الساسانيون. احتلتها القوات العربية - الإسلامية إبان الفتوحات الكبرى، في العام ٣١١هـ/٦٥١م، لكنها عرفت ثورات عدة ولم يستتب الأمن في منطقتها إلا في العام ٧٣هـ/٦٩٢م. كانت مركزاً لنشاط التجاري وللقوافل بفضل وقوعها في سهل خصيب، عند نهاية الطريق الآتية من غرب البلاد لتتقسّم فرعين، أحدهما يتجه نحو هراة والآخر نحو مرو وبخارى. أصبحت عاصمة إمارة الطاهريين ثم موضوع صراعات بينهم وبين الصفاريين، قبل أن تسقط، في العام ٢٨٨هـ/٩٠١م، في أيدي الشامانيين. وصفها الكتاب العرب، في هذه الحقة، بأنها حاضرة كثيفة السكان واسعة المساحة تنقسمها أحياء عدة، يحسب التقاليد الإيرانية الفروسطية في تنظيم المدن: في المدينة العليا قلعة ومسجد جامع وقصر؛ في المدينة المنخفضة جامع وعمرو الكبير الصفاري وسوق تتقاطع فيها شوارع عديدة ذات زوايا قائمة. تميّز البناء فيها بنوعيته وبالجنان المحيطة به التي تامت بفضل تمكّن أهلها من تقنيات جز المياه التي

إسماعيل. هذه الرواية التقليدية التي تركز على رواية توراتية من سفر التكوين، نجدها مختلفة عند المفسرين المسلمين للقرآن، الذين قالوا إن إبراهيم اصطحب إلى جزيرة العرب هاجر وإسماعيل، قبل أن يعود إلى بلاده لمخافة سارة.

أطلق لفظ المهاجرين، كما لفظ «ساراسين» أو السارازين، على عرب ما قبل الإسلام، ثم على العرب المسلمين، ثم، في وقت متأخر، على المسلمين، أيًا كان عرقهم، على سبيل المثال، على الأتراك المغنحين لبلاد الأناضول البيزنطية، في أواخر القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد.

الهادي إلى الحق ← الزيدية.

هارون بن عمران، شخصية من الكتاب المقدس ذكرت في القرآن الكريم بين [أسماء] الأنبياء، لا لصفات صاحبها الذاتية بل لكونه أخًا لموسى الذي سُمّي، بدوره، «موسى بن عمران».

إن تاريخه الذي غذاه الفكر الإسلامي، في ما بعد، باقتباسات من معضبات أسطورية متنوعة، عبرانية الأصل حملتها إليه، بوجه خاص، «الإسرائيليات»، بشركة في بعض الأحداث التي رافقت ترحال «بني إسرائيل» النافذين في الصحراء بقيادة موسى، بعد خروجهم من مصر [الفرعونية]. وهكذا يُحتمل أن يكون «هارون» دفن في بلاد «مؤاب» حيث كان قبره موضع تكريم في العصر الوسيط. يُذكر «هارون»، بشكل أساسي في كل الروايات، على أنه مساعد لموسى أو، بحسب التعبير العربي، وزيره، وفق تسمية كثر استعمالها في ما بعد في الحضارة الإسلامية للدلالة على وزير الخليفة. وقد حازت شخصيته أهمية دينية متزايدة في تقاليد الشيعة،

هابيل وقابيل، شخصيتان من الكتاب المقدس، ذكر القرآن الكريم إسميهما ساردًا قصة هذين الإبنين البكرين للنبي آدم.

إن رواية مقتل هابيل على يد أخيه قابيل، كما تظهر في القرآن، في الآية الثلاثين وما بعد من سورة المائدة، تشكل القاعدة الدينية التي اعتمدت عليها الشريعة لمنع الإنسان من قتل أخيه الإنسان. أُضيفت إليها في ما بعد تفاصيل مختلفة على أيدي مؤلفين كانوا يعرفون رواية الكتاب المقدس، لكنهم استوحوا أيضًا من التقاليد اليهودية المتأخرة.

إن العبادة الشخصية في الإسلام التي تجلّ هابيل كرسول، شأنه شأن آدم وابنه الثالث شيت، أدت إلى ظهور العديد من المعابد التي تحمل اسمه والتي تحولت في القرون الوسطى إلى مزارات، في الفترة التي تطوّر فيها تكريم الأولياء. إذا ما اعتمدنا على ما ورد في الدليل الذي وضعه الهزوي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تحت عنوان «الإشارات إلى معرفة الزيارات»، نرى أنّ هذه المزارات التي كان يُحتفى فيها بذكرى هابيل، تطوّرت خارج طغرس العبادة الشرعية، خصوصًا في سوريا، في الأمكنة التي كان يعتقد أنّ هابيل قُتل ودُفن فيها.

هاناي ← إسكندرون (سنجق).

المهاجرون، إسم أطلقه الكتاب البيزنطيون في العصور الوسطى، على العرب والمسلمين بشكل عام.

يقول تقليد كان منتشرًا في الأوساط المسيحية واليهودية، كما في الأوساط العربية في عهد النبي محمد (ﷺ)، إنّ عرب شبه الجزيرة العربية هم من سلالة هاجر، أمة إبراهيم التي طُردت إلى الصحراء مع ابنها

على عقد معاهدة سلام؛ واستولى في العام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م على هرقلة، ما أرغم الأمبراطور ثيوفورس على إبرام معاهدة سلام مهينة. أعاد الرشيد تنظيم جهاز اندفاع عن أراضيهِ من جهة الأناضول، فأنشأ منطقة «العواصم» الحامية المنفصلة عن جند قسرين. وبحسب الروايات الغربية، يبدو أنَّ هارون الرشيد تبادل مع شارلمان السفارات والهدايا، كما منحه بعض الحقوق على القدس، إلا أنَّ المصادر العربية لا تذكر شيئاً عن ذلك.

غير أنَّ المصاعب لم تكن لتغيب عن مسرح أسباطوريته، فاضطرَّ هارون، في إفرقية، أن يقبل، في العام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، بسيادة الحكام الشرقيين واستغلالتهم، وكانوا مكلفين حفظ النظام في هذه الأجزاء من الإمبراطورية، ما أدَّى إلى ولادة سلالة الأغالية. كما أرغم سابقاً، وعلى أثر خلافات خطيرة وقعت بين القبائل العربية في سوريا، أن يرسل في العام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م جعفر (البرمكي) الوفي لهذه الدولة. أضف إلى ذلك الثورة التي تأججت في اليمن من ١٧٩هـ إلى ١٨٨هـ/ ٧٩٠م إلى ٨٠٤م. وعرفت إيران بدورها حركات شيعية، منها بروز ذرية الحسن (ابن علي) في طبرستان/مازندران، وثورات الخوارج المتمردين، ما اضطرَّه إلى قمعها.

وتجدر الإشارة إلى التمرّد الذي اندلع في العام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م في خراسان، على أثر إرسال حاكم عامل الرعية بتعمّد واستبداد، وتباطأت الدولة بيزله، ما دفع بهارون الرشيد إلى أن يتوجّه بنفسه إلى المنطقة ليتفقد الأوضاع. وقد وافته المنية في أثناء رحلته هذه، فمات في طوس في جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ/ آذار ٨٠٩م. إلا أنَّ المسألة التي شغلت الرشيد أكثر من سواها كانت الحركة الشيعية التي اختلفت نظراته إليها عن نظرة وزرائه البرامكة. فلقد استطاع الفضل أن يحظى بتراجع أحد الحسينيين في طبرستان عن ثورته وتمردّه، فعاد به إلى بغداد بعد أن قطع له وعداً بالأمان. إلا أنَّ هارون الرشيد ارتاب في الأمر، فعقد مجلس قضاء ألقى فيه الأمان ورمى بالشخص المذكور في السجن كما أمر لاحقاً بإعدام سابع إمام علوي، موسى الكاظم، من دون

ولا سيما تقاليد الإسماعيلية. ومن هذا المنطلق شهد العصر الوسيط تنظيم عددٍ من الزيارات [إلى مقامه] تخليداً للذكراء.

هارون الرشيد، هارون بن محمّد الرشيد، ١٤٩-١٩٣هـ/ ٧٦٦-٨٠٩م، الخليفة الخامس في السلالة العباسية، ترتبط شهرته الأسطورية بالدور الذي أسند إليه في مجموعة قصص ألف ليلة وليلة، دون التغاضي عن شخصيته التاريخية الفدّة في العصر العباسي الذهبي.

ولد في الرّي، وهو الابن الثالث للمهدي، أمّه جارية يمنية تدعى الخيزران، تمكّنت بمساعدة وصيّة، يحيى البرمكي، أن تدافع بفعالية عن مصالحه. كان ولي العهد الثاني لوالده، إلا أنَّ أخاه الهادي أساء معاملته خلال توليه الخلافة، ورغب في أن يتترع حقّه فيها. ولكن الموت المفاجئ والغماض الأسباب الذي أصاب الهادي حمل هارون، في العام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، إلى الجلوس على عرش الخلافة. وقد طبع بداية عهده صمود نجم البرامكة ونكبتهم، ومُهم أسرة من الكتيبة كان ينتمي إليها يحيى، الوزير الذي فوّض إليه هارون سلطات واسعة، كذلك ولده الفضل وجعفر. بدا الخليفة الشاب شديد الميل إلى جعفر، وعلى الرغم من ذلك، أصدر الأمر بقتله بشراسة في محرم سنة ١٨٧هـ/ كانون الثاني ٨٠٣م، ورمى يحيى والفضل في السجن. إنَّ فقدان البرامكة الحضوة لدى الرشيد، ترك أعنف الأثر في معاصريهم، فنسبوا إليه تفاسير ساذجة لا تنم عن معرفة الأسباب التي تُعزى في الواقع إلى اختلافات سياسية بليغة العمق وضعت الوزراء في مواجهة حالة مع سيدهم. لقد كان هارون الرشيد مناهضاً للعلويين ومعارضاً للحركات العقائدية العقلانية المتمثلة بالمتزلة، في حين أنَّ البرامكة كانوا أكثر انفتاحاً ومسالمة تجاه الميول الشيعية.

كان هارون متصلياً، وغير متساهل في مواقفه الدينية، ولكنّه كان حاكماً نقيّاً يوفّق بين الحجّ إلى مكّة، سنة، والنهوض بأعباء الجهاد في السنة التالية. فقد قاد حملات عدّة ضدّ البيزنطيين، ففتح أنكير أو أنقرة في ما بعد، في العام ١٨١هـ/ ٧٩٧م، وأجبر الأمبراطورة إيرين

اسم هاشم، يُكنى أحفاد النبي (ﷺ) من ابنته فاطمة وحبيبه الحسن والحسين بالهاشميين وكذلك أعقاب أعمامه.

الهاشميون أو بنو هاشم، هم سلالة هاشم بن عبد مناف الجد الأعلى للنبي محمد (ﷺ)، المسمى بسيد العشيرة التي ما زال اسمها قائماً حتى اليوم بسبب انتماء العائلة المالكة في الأردن إلى هذا الاسم.

عند بدء الدعوة الإسلامية كان بنو هاشم يشكلون، في مكة، أحد البطون التي تميزت داخل قبيلة قريش. وكانوا يتوزعون على ثلاثة فروع رئيسة في موازاة الأحفاد الثلاثة لهاشم وهم العباس، الجد الأول للعباسيين، وعبدالله والد النبي محمد (ﷺ)، وأبو طالب، وقد عرفت سلالة هذا الأخير باسم العلويين نسبة إلى ابنه علي، صهر النبي (ﷺ). واتحدت، لاحقاً، بالسلالة المتحدرة مباشرة من نبي الإسلام ﷺ، عبر ابنته فاطمة.

هذه العائلات كانت تنتمي إلى الأرستقراطية المكية، إلا أن أعضائها عانوا الفقر بسبب اختلال التوازن الاقتصادي الناتج، في المجتمع المكي، عن الازدهار التجاري المتزايد الذي أفاد العناصر الأكثر نشاطاً، ومنها مثقو عشيرة عبد شمس.

غير أن الهاشميين كانوا يعتزون بنسبهم الخاص الذي يصلهم بشخص هاشم بن عبد مناف، أحد أبطال ما قبل الإسلام، صاحب السيرة الشهيرة، القائم بأعباء السفاية والزفافة عند الحزم المكي. أي تأمين الماء والطعام للحجاج، وهي مهمات انتقلت في ما بعد إلى العباس وورثته.

إن المصير الخاص بكل من الأسرتين الهاشميتين، العلوية من جهة، والعباسية من جهة ثانية، بفتر المصير المتفاوت النجاح الذي لاقته، بحسب العهد التاريخي، هذه النسبة الهاشمية التي لم تبغ قط عن بال أي من الذين اعتبروها حقاً من حقوقهم.

كان توجه العباسيين، منذ انتزعوها الخلافة في العام ١٣٢هـ/٧٥٠م، إلى التشديد على نسبهم الذي يرفهم إلى مستوى منافسهم العلويين، وجعلهم من أهل البيت، المنتسبين إلى عشيرة نبي الإسلام، فاطلوا على

برهان على قيامه بأعمال تخريبية.

استبق هارون الرشيد الأمور بتعيين ابنه الأمين خلفاً أولاً له وابنه المأمون خلفاً ثانياً، وأودع عقد الوصية رسمياً في الكعبة في مكة في العام ١٨٠هـ/٨٠٢م، فاطماً دابر الجدل حول مصير الخلافة عند موته. إلا أن ذلك لم يُجد نفعا، إذ إن حرباً أهلية اندلعت ووضعت الأخوين غير الشقيقين في المواجهة، أحدهما تدعّمه العراق والثاني خراسان. انتهت الحرب بمحاصرة بغداد في العام ١٩٦هـ/٨١٢م، ونهب مدينة المنصور المستديرة نهبا لا مثيل له.

إن شخصية هارون الرشيد بطل الروايات الأدبية المجهولة العهد، يصعب تحليلها وتقديرها، حتى لو استندنا إلى المعطيات التاريخية الأكثر صحة وإثباتاً. وصل هارون إلى الخلافة وهو في العشرين من عمره، فقصى فترته الأولى في الحكم بطبع أوصيائه وحساته، وكوّن تدريجياً فكره السياسي الخاص. وإن بدا مهتماً بالقيام بواجباته كحاكم مسلم يدافع عن سلامة الأباطورية وسيادة السلطة ويحافظ على الحكم في سلالة، إلا أن الإجراءات التي اتخذها لم تكن دائماً ناجحة. لا شك في أن عهده تميز بحياة فكرية ونشاط اقتصادي لم يكن يلاؤه غريباً عنهما، وقد امتد هذا الازدهار عشرات السنين بعد انقضاء عهد الرشيد. غير أن العلاقة بين السبب والنتيجة ليست واضحة، فلا يبدو أن هناك علاقة مباشرة بين تألق هذا العصر العباسي الذهبي ومبادرات الخليفة المنعم في قمع حركات التمرد وفي مقاومة أعدائه، في الداخل كما في الخارج، في ظل أباطورية كانت في طريفها إلى التفكير.

هاشم (بنو -) ← الهاشميون.

هاشم بن عبد مناف، الجد الأعلى للنبي محمد (ﷺ)، ينسب إلى قبيلة قريش، كان يُدعى في مكة ما قبل الإسلام وظيفته السفاية التي من شأنها أن تزود الحجاج بالماء.

هذا التاجر كان يقود القوافل حتى المناطق المتوسطة في سوريا القديمة. مات في إحدى رحلاته في غرة، وما يزال ضريحه موضع تكريم. لقد ترك ابن عبد مناف في المدينة لبناً يدعى عبد المقلب. انطلاقاً من

الوضع في الموقف الذي اعتمدته إحدى السلالات العلوية الهاشمية المتحدرة من الحسن، عندما تمكنت من تثبيت استقلاليتها فوق رقعة من الأرض خاصة بها. هذه السلالة المعروفة بسلالة أشراف مكة، نسبة إلى هذه المدينة التي حكمتها بشكل متواصل، من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حتى انعام ١٩٢٤، إختارت لنفسها تسمية «السلالة الهاشمية». وتجدر الإشارة إلى ضرورة عدم خلطها بتسمية «هاشميين» التي حملها في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أحد فروع السلالة، بالانتماء إلى أحد كبارها المدعو أبو هاشم.

ومن سلالة الهاشميين في الحجاز تفرّعت، في العصر الحديث، العائلة الهاشمية التي استطاعت أن تملك على الحجاز (١٩٠٨ - ١٩٢٥) ممثلةً بالشريف حسين، قبل أن يجعل منها إبنه فيصل العائلة المالكة في العراق (١٩٢١ - ١٩٥٨)، وإبنه عبدالله العائلة المالكة في الأردن منذ توليه في العام ١٩٢١ عرش الإمارة ثم المملكة الهاشمية في الأردن.

«راجع المستند ١ و٦».

الهاشميون ← أشراف مكة.

الهجرة، تعني هجرة النبي محمد (ﷺ) الذي خرج من مسقط رأسه مكة في أيلول ٦٢٢م إلى واحة يثرب التي وصل إليها في ٢٤ من الشهر نفسه.

اختيرت سنة الهجرة نقطة انطلاق للتخويم الإسلامي، وقد نتج عن هجرة نبي الإسلام إقامة أول دولة إسلامية هي دولة المدينة، وشكلت نقطة انطلاق للتأريخ الإسلامي أو التأريخ الهجري. كان لهذا الحدث دور كبير وُعد خاص في ضمائر المسلمين الذين ما افكروا يرون فيه المثال الأعلى الذي يجب أن يتشبه به كل مسلم يصبو إلى مركز سياسي وكلّ مصلح ديني يرغب في تأسيس دولة وجعلها قاعدة لحروب وفتوحات مستقبلية تسجل لتأريخ انتصاره الشخصي وانتصار حركته.

في ما يتعلق بالأحداث التي أغنتها تفاصيل وردت في «سيرة النبي» (ﷺ)، يُذكر أنه سبق الهجرة ميثاق أو

عاصمتهم الإدارية اسم «الهاشمية»، وذلك قبل بناء بغداد. والجدير بالذكر أن «الهاشمية» هذه كانت مركزاً مؤثراً يحمل اسم المواقع التي أقام فيها السّاق، والمقصود بعده، في بداية العهد العباسي.

كما أنهم خصّوا الهاشميين بامتيازات عديدة، مثل إعفائهم من الزكاة، وإفادتهم من نفقة رمزية، هذا عدا التكريمات ومراتب الشرف، وحتى الصدارة في المناسبات الرسمية.

كان هؤلاء الهاشميون - الذين بلغ عددهم ما يناهز الأربعة آلاف شخص في أواخر القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، بحسب إحدى الروايات - يحتشدون في مركز الخلافة، ويعتبر نقيبهم الذي كانت ترافقه إلى الاستقبالات هبة منهم، إحدى الشخصيات المقدّمة.

كما أطلق العباسيون على أنفسهم وعلى أنصارهم ومحازبيهم لفظة «هاشميين» أو «هاشمية» التي اتخذت، في مطلع انتشار الدعوة التي أدت إلى الثورة العباسية، معنى مغايراً، إلى حد دفع مؤرخي العصر الحديث إلى انتزاعه من السياق، ألا وهو تسمية العباسيين بهذه الصفة لفئة سياسية دينية شيعية انضوت إلى البيت العباسي معترفة له بحق الإمامة الموروثة عن علوي يدعى «أبو هاشم». وتطوّر الوضع تدريجياً طيلة حكم السلالة العباسية، وقد جدّ أعضاء هذه السلالة باستمرار في البحث والكشف عن الحجج الداعمة شرعية لتوكيهم السلطة. غير أنّ المدافعين عن القضية العباسية لم يتوانوا عن استغلال أي لبس في التعبير ليحولوا دون تميّز العلويين وسط المجموعة الهاشمية الكبيرة.

إن الانتصار المؤقت الذي سجّله الشيعة في بغداد في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وذلك خلافاً لثروقات العباسيين، أحلّ محلّ النقيب الوحيد المدافع عن الهاشميين، نقيبين، يمثل الأول العائلة العلوية، والثاني العائلة العباسية، ما يعني أنّ الانفصال قد تم بين الأسرتين.

انطلاقاً من هذا الواقع، لم يعد في إمكان العباسيين الإفادة لحسابهم من النسبة الأشرفية الهاشمية إزاء النجاح الذي لاقته مطالب بعض العلويين. وظهرت نتائج هذا

الحنفي المذهب الذي عاش في حقبة تاريخية مهمة بالنسبة إلى تطور الفكر الصوفي الإسلامي.

يدين بشهرته إلى المؤلف الذي وضعه بالفارسية تحت عنوان «كشف المحجوب»، وهو كتابه الوحيد الذي وصل إلينا. إن هذا البحث الموثق، الذي هو ثمرة التجارب والآراء الشخصية، يشكل طرْحاً شاملاً عن الصوفية في عصره، ويحتوي عرضاً دقيقاً للعقائد الصوفية وممارساتها.

أضف أن الهجوري قام بدور مهم في نشر الإسلام في الهند، وقد قرّر، بعد حياة من السفر والتجوال - وهو نمط مشترك لدى المتقين والزهاد - أن يقيم وسط الأراضي الخاضعة لنفوذ الغزنويين. مات في لاهور حيث غدا ولياً لها وما يزال ضريحه مزاراً تقوياً.

هراة (جمهورية أفغانستان الإسلامية)، عاصمة أحد الأقاليم الذي يحمل الاسم ذاته، وما تزال تحتفظ بنماذج هندسية قلبية من ماضيها القروسطي، ماضي مدينة مزدهرة من خراسان، كانت في القرن الخامس عشر عاصمة التيموريين وتعرضت مراراً للهدم والخراب.

تقع على ضفتي نهر هري رود، وسط منطقة خصبة مجاورة، من الجهة الشمالية، لجمهورية تركستان، ومن الجهة الغربية، للجمهورية الإسلامية الإيرانية. لقد فقدت هراة الدور المميز الذي احتفظت به قرونًا طويلة، على مفترق مسالك القوافل التجارية التي تصل المتوسط من جهة، وآسيا الوسطى والهند من جهة ثانية. احتلتها القوات العربية-الإسلامية في زمن الفتوحات الكبرى منذ العام ٦٥٢/٦٥٢م، ثم أعيد الاستيلاء عليها في العام ٦٦١/٦٦١م إثر ثورة اندلعت فيها. ومنذ ذلك الحين حافظت هراة على ازدهارها، وقد اشتهرت بصورة خاصة بنسجها إبان العصور العباسية، كانت مركزاً ثقافياً، ومسقط رأس عدد وافر من العلماء. أضف إلى ذلك أن تنظيمها الذي وصفه الجغرافيون العرب في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، كان يقوم على تصميم مرتج ما يزال واضحاً حتى اليوم، ويعود في الواقع إلى عهود سابقة للإسلام.

نهها وهدم جزءاً منها المغول سنة ٦٦٨/١٢٢١م بعد أن عرفت عراً على عهد الغوريين، ثم أعادت بنائها

ما يعرف بـ«بيعة العقبة»، عقد بين نبي الإسلام (ﷺ) ووفد يمثل إحدى قبائل يثرب. وإن النبي (ﷺ) الذي لم يعد له أي نصير في مكة توجه، برفقة أبي بكر، إلى مركز اقامته الجديدة حيث التحق به عدد من صحابته. شكلت هذه الحفنة من المسلمين جماعة المهاجرين الذين كان لهم شأن خاص، والذين منحوا في ما بعد معاشاً مرتفعاً ميزهم عن سواهم من المعاتلين. كان في عداد هؤلاء المهاجرين الأقلية التي شكلت معتقي الإسلام الأوائل الذين أتوا مغادرة مكة والتوجه إلى الحبشة حوالي ٦١٥م، ثم عادوا إلى مكة (في حين أن القسم الأكبر بقي متغياً في أفريقيا حتى العام ٦٢٨). اعتُبر هؤلاء أهل الهجرتين وتميّزوا بحظوة خاصة.

شكلت الإقامة المؤقتة بالنسبة إلى النبي محمد (ﷺ) خارج وطنه الأم أساساً لنجاحه في المستقبل، إذ أُطل على الساحة كرجل سياسي وزعيم حربي. وهذا النوع من الهجرة الذي اعتُبر نوعاً من الزواج إلى بلد مضياف، أصبح نموذجاً اقتدى به عدد من مؤسسي الفرق في الإسلام. ففي القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، جمع نافع بن الأزرق، رئيس فرقة من الخوارج، في منطقة من جزيرة العرب، انصاراً له دعاهم المهاجرين لأنهم انتقلوا معه ورافقوه في هجرته. يليه في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد المهدي ابن نورث، مؤسس دولة «الموحدين» الذي انسحب إلى تنمل وأعلن هجرته إليها. وهذا ما فعله أيضاً المهدي في السودان، الذي قصد في العام ١٨٨٠ جبال النوبة قرائاً من المطاردات التي لاحتته وتحضيراً للجهاد ضد أعدائه، فأعلن يومها هجرته.

إن ممارسة الهجرة والجهاد عرفها القرن التاسع عشر لدى بعض الزعماء المسلمين في أفريقيا السوداء الغربية، الذين نهلوا منها قوة لتنظيم إمبراطوريات عسكرية حقيقية كإمبراطورية سوكوتو على سبيل المثال.

الهجوري، أبو الحسن علي بن عثمان بن علي الغزنوي الجلاي ؟-٤٦٥هـ/؟-١٠٧٢م، شخصية تقية ولدت في ضواحي غزنة ودفنت في الهند حيث تُكْرَم وتُجَل في ضريح تحت اسم دانا غانج بخش. لا تعرف الكثير عن حياة هذا الصوفي الشّي

هروبوت (الجمهورية التركية)، في العربية خربوت، ناحية تقوم في موقع حصن ومدينة من القرون الوسطى، في بلاد ما بين النهرين العليا، نزع عنها سكّانها لمصلحة مدينة حديثة ونشطة، إلاّ زغ.

عند مفتقر مسالك القوافل التي تقود من الأناضول الأوسط إلى المناطق الشرقية والقوقازية، عبر الطرقات التي تربط اليوم ملطية أو ديار بكر/أميدا بأرضروم، شيد البيزنطيون قديماً هذا الحصن الضخم المعروف باسم خُرْبُوت على قمة صخرية، وسط موضع جبلي غير مستو. كان لهذا الحصن موقع إستراتيجي على الحدود الفاصلة بين أمبراطورية البيزنطيتين والعالم العربي - الإسلامي الذي أوجدته الفتوحات الكبرى في القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد.

سقط الحصن في أيدي الحمدانيين سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م، ثم استولى عليه سلاجقة إيران، مرّة بعد مرّة، بعد الغزو التركي للأناضول، كما وضعت يدها عليه فروع عديدة من سلالة الأرتقيين، وأبرز من استولى عليه وتملكه أمير من هذه السلالة مشهور بدعى بلق (المتوفى في العام ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) الذي شارك ببسالة في الحرب ضد القرعج في الأرض المقدسة.

ثم تناصر على الحصن الأيوبي الملك الكامل وأنسلجوقي الرومي كقائد الأول الذي ضمّه إلى ممتلكاته. ثم بسط حكام محليون نفوذهم على الحصن أمثال سلالة الأرتقيين والآق قيونلو، قبل أن يسقط بين أيدي الصفويين، ويُلْحَق، في ما بعد، نهائياً بالأمبراطورية العثمانية في العام ١٥١٥م.

غادر سكان الحصن المكان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واستقروا في المنطقة الساحلية، في مدينة تدعى العزيزية، أنشأها السلطان العثماني عبد العزيز.

إلاّ أنّ الحصن في وضعه الحالي حافظ على تحصينات ضخمة وعلى مسجدين جامعين، ينسب الأول إلى أمير من الآق فيونلو، أوزون حسن، والثاني، وهو أقدم عهداً وذو تصميم سلجوقي إيراني، إلى أحد الأرتقيين وهو قرّه أرسلان من حصن كفا الذي ترك كتابة منقوشة تعود إلى فترة حكمه.

سلالة محلية من الحكام تدعى كارنس (Karts)، حكمت هراة من سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م إلى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م، وعرفت ازدهاراً جديداً وواسعاً على عهد النيموريين. فبعد أن استولى عليها تيمورلنك في سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، قرّر النيموريون أن يجعلوها منها مركز حكومتهم، فشهدت هراة أوج عظمتها السياسية والفنية، على عهد سيدها شاه رخ. وعند زوال سلالة هذا الأخير، حكمها السلطان بختيار من ١٤٦٩ إلى ١٥٠٦م بعاونه وزيره العظيم علي شير نوائي، وكان هذا الأخير شاعراً ونصيراً للأدب. شيدت طيلة فترة هذا الحكم أبنية فاخرة وساحرة، تنافست في الجودة والجمال مع صناعات فنية تخدم الذوق الرفيع والحنّ المرحف لدى الأمراء. هذا إضافة إلى مشغل المهنات حيث نشأ وتعلّم الفنان المشهور بهزاد المولود في هراة.

سقطت المدينة في مطلع القرن السادس عشر في أيدي الأوزبك من الأسرة الشيبانية، ثم في أيدي الصفويين الذين ما انفكوا يتنازعونها مع الأوزبك. ثم ظهر طموح الأفغانيين بالسيطرة عليها ابتداء من العام ١٧١٦، فاستطاعوا أن يُبَيِّتوا نفوذهم، بعد وفاة نادر شاه، من خلال معاهدة ١٨٥٧، ثم باستيلائهم على المدينة ابتداء من العام ١٨٦٣.

إنّ هذه المدينة الساحرة التي عانت الكثير من الدمار والخراب هي اليوم مدينة أفغانية، ولكنها لا تزال تبرز، عبر أبنيتها الرُبُشَة، الأسلوب الهندسي النيموري الخاص بأسيا الوسطى. نذكر من هذه الأبنية مصلّى أو مدرسة جوهوشاد، زوجة شاه رخ النيمورية الثغية، وكذلك معبد غزركاه، وهو يحتوي على ضريح المنصوّف عبدالله أنصاري، وقد أصبح مقصد زيارات إحياء لذكرى ولّي هراة. إنّ كساء من الخزف المطلي يغطي الأبنية ويضفي عليها إشراقاً، ولكنه لا ينسبنا النخبة الفنية الأقدم وهذا المتمثلة ببرواز الباب الشمالي للمسجد الجامع المزيّن بكتابات، وقد شيد في نهاية القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، على يدي التودري غياث الدين. إنّ نقوشه الخزفية المزرقاء تبرز نافرة على أرضية من الطين.

البلاط، وميوله كمتفكر أخلاقي، تظهر بوضوح في الوصايا الأخيرة من «الوصية الهروية»، ولا سيما في كتابه الموجه إلى الحكام وعنوانه «التذكرة الهروية في الحيل الحربية» حيث تناول معظم نواحي أعراف السلطة. لا شك في أن سداد نصائحه كان السبب الذي جعل المعامل الذي حماه في أيامه الأخيرة، يحبطه بالتقدير وبيني له «خاتقاء» حيث جمع تلاميذه وحيث دفن عندما وافته المنية.

هشام، إسم حمله عدد من خلفاء بني أمية في الشرق والغرب، سنكتفي بذكر اثنين منهم: هشام بن عبد الملك في سوريا، وهشام الثاني المؤيد في قرطبة، الذي انتهى معه الحكم الأموي في الأندلس.

هشام بن عبد الملك، ٧٢-١٢٥هـ/٦٩١-٧٤٣، الخليفة العاشر من السلالة الأموية التي أسسها معاوية ابن أبي سفيان، والخليفة السابع من الأسرة العروانية، والابن الرابع لعبد الملك. لم يتوَّ الخلافة إلا سنة ١٠٥هـ/٧٢٤م، لكن حكمه المطويل، الذي ناهز العشرين عامًا، شكّل إحدى الحقب المهمة من تاريخ السلالة الأموية، بخاصة في ما يتعلق بالمحافظة على قبضة السلطة المركزية على الأراضي المفتوحة كافة، في شرق الأمبراطورية وغربها، وببسط نفوذ هذه السلطة على مناطق جديدة.

في حين كان العراق منطقة هادئة بفضل الحكام المتعاقبين على هذا الإقليم، فإن المدّ التركي أوقف في ما وراء النهر، وضلّت جيوش الخزر من أرمينيا. لقد تقدمت الجيوش العربية-الإسلامية حتى القوقاز ومصب القوقاز، من دون تحقيق الاستيلاء النهائي على هذه المناطق. كما وُجّهت حملات إلى المغرب لتسيير على ثورة البربر ولترسي السلام والهدوء في شبه الجزيرة الإيبيرية التي كانت فريسة الانقسامات الداخلية. يمكن القول إن هشام، بمساعدة أخيه غير الشقيق مسلمة في حربه ضد البيزنطيين، بقي أمينًا لسياسة الفتح التي نهض بها معظم الخلفاء الأمويين في الشرق، مع قيامه بمحاولات لتهدئة استياء الموالي عن طريق إجراء بعض الإصلاحات المالية. لكن أسبابًا عديدة للاضطرابات استمرّت تعمل عملها في هذه الأمبراطورية الواسعة، ما

هرر (جمهورية أثيوبيا أو الحبشة)، أبرز مدينة إسلامية في الحبشة القروسطية والحديثة، أعطت إسمها لأقليم حفظ ذكرى الجهود التي بذلتها في دعم انتصار الإسلام وتوسعه.

هذا المركز التجاري والثقافي النشط، الذي يستغل التجارة الآتية من الساحل في اتجاه الهضبة الوسطى، كان مقرّ أهم دولة إسلامية في المنطقة في القرنين السابع والثامن للهجرة/الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، المدعوة دولة إيفث وعلى رأسها سلالة زُنُما. في القرن السادس عشر أصبحت هرر مركز القائد العسكري أحمد غران الذي استأثر بالسلطة وانتحل لقب إمام.

إن مقتل هذا الرجل على أيدي البرتغاليين، في العام ١٥٤٣، وضع حدًا لتطورات، بدون أن يحذ من أهمية ذلك الحصن الذي تابع منه خلفاؤه شنّ الغارات على الحبشة وأباطرتها المسيحيين، إلى أن قامت إمارة إسلامية جديدة مستقلة في هرر، في القرن السابع عشر، استمرّت حتى ١٨٨٧.

هرمز ← بندر عباس.

الهَرَوِيّ، تقي الدين أبو حسن علي بن أبي بكر الهروي الموصلّي، ٩ - ١١٢هـ/٩ - ١٢١٥م، شيخ متصوّف أنهى أيامه في حلب بعد أن كان مستشار المعامل الأيوبي الملك الظاهر غازي.

ولد في الموصل كما يُستدلّ من اسمه، من عائلة أصلها من هراة. صاحب فكر أصيل، نتمّ كتاباته القليلة، المترجمة والمنشورة منذ زمن قصير، عن معاناة زاهد فضولي، تابع وقائع عصره طيلة حياة صرفها في السفر وقام خلالها إلى حد بعيد بذور داعية. إنّ خياراته السياسية - الدينية المصبوغة بالتشيع غير العلني وبالولاء لجهود الخليفة العباسي الناصر وبالنساعي الحبشية لإحياء الإسلام عبر تكريم الأولياء، تظهر في الدليل الجغرافي الذي وضعه، وهو دليل خاص بالمقامات والمباني التي أقيمت للأولياء والتي غدت مراكز للزيارات «النفوسية»، وقد اعتمد فيه الدقة استنادًا إلى تحقيقات قام بها شخصيًا وضّمّها في مؤلف بعنوان: «كتاب الزيارات». غير أنّ ذكرياته كواحد من رجال

يكون عند رؤية القمر بانعين المجردة. هذا ما قرره أهل السنة في القرون الوسطى، وكذلك الإباضيون والشيعية الزيديون والإماميون الإثنى عشريون. الإسماعيليون، وحدهم، أخذوا بحسابات علم الفلك لتحديد بزوغ القمر الجديد واستندوا في ذلك إلى تفسير للآية الخامسة من سورة يونس. وعلى كل حال، أدخل الفاطميون هذه الطريقة الحسابية منذ القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد في المناطق التي كانوا يحكمونها.

فضلاً عن ذلك، فالهلال رمز زخرفي كان رائجاً في إيران ما قبل الإسلام، إذ كان يُقشّ بخفر على العملات العربية - الساسانية العتقة، قبل أن يُستخدم في القرون الوسطى الإسلامية لزخرفة أدوات شتى. ويبدو أنّ القيمة الجمالية للهلال كانت وحدها وراء هذه الخيارات الزخرفية. إذ إنه لا يُستشف منها أبداً أي بُعد رمزي أو ديني. والعالم العربي غير الإسلامي هو أوّل من استبان في الهلال، منذ منتصف القرن الخامس عشر، شعاراً رسمياً تركياً ذا شكل محدد. أمّا الشهادات الشرقية، التي لا نتيج لنا أن نحدد بدقة فترة هذا التحول، فإنها تشير إلى أنّ هذا الزمزم كان مرسومًا مثلاً في بداية القرن السادس عشر على يبارق السلطان سليم الأول العثماني، وكذلك على يبارق القرصان خير الدين والبيارق التي تمّ الاستيلاء عليها في معركة ليبانت في العام ١٥٧١م. والرمز نفسه، مضافاً إليه نجمة، كان مرسومًا على أعلام الأميراتورة العثمانية، ومنها انتقل إلى الجمهورية التونسية والجمهورية التركية. من جهةها، اعتمدت مصر الهلال الأبيض، على خلفية حمراء في فترة الحكم العثماني؛ لكنّها استبدلت به، في العام ١٩٢٣، هلالاً أبيض على خلفية خضراء. ومنذ ذلك الوقت اختارت دول عديدة الهلال شعاراً لأعلامها الوطنية ودرسته باللون وفي أوضاع مختلفة، بينما صار الهلال الأحمر على خلفية بيضاء في الدول الإسلامية معادلاً للصليب الأحمر.

هلال الصابئ، أو هلال بن المحسن الصابئ ٣٥٩-٤٤٨هـ/٩٧٠-١٠٥٦م، كاتب خدام الخلافة العباسية، ومؤرخ نال، على عهد البويهيين، الشهرة بفضل كتاباته وجذوره الصابئية. جدّه الفلكي وعالم الرياضيات، أبو إسحق إبراهيم

سياسهم في ما بعد في إنجاح الثورة العباسية^٢. اكتسب الخليفة لقب البهاء، نظراً إلى أنشطته وأعماله، كما اهتم بقفارانه وأراضيهِ فشيّد عدداً من «قصور الصحراء»، بخاصة قصر الخيّر الغربي. وبدأ قصر الحير الشرقي الصغير مرادفاً للرصافة القديمة مقر إقامته سابقاً. أضف إلى ذلك المجتمع الذي بناه في وادي الأردن، على مقربة من أريحا، والمعروف باسم خربة المنّجر أو قصر هشام.

هشام الثاني، ٣٥٥-٤١٣هـ/٩٦٦-١٠١٣م، ابن الحكم الثاني المستنصر. حكم الأندلس من سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م إلى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م، ثم من سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م إلى ٤١٣هـ/١٠١٣م. بويح خليفة بغضل تدخل عمدة البلاط، المنصور، مؤسس السلالة العامرية الذي مارس عليه وصاية وحكم مكانه ابتداء من سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م. ترك المنصور المهمة لابنه المنظف الذي خلفه بين ٣٩٢هـ/٣٩٨م و١٠٠٢هـ/١٠٠٨م، وإلى ابنه الثاني شنجول الذي تمكن بدوره من كسب عطف الخليفة إلى درجة جعلت هذا الأخير يعينه وريثاً له.

لقد أثار هذا التعيين سخط سكّان قرطبة الذين استغلّوا المناسبة لتأجيج ثورة قُتل فيها شنجول، فاضطرّ هشام إلى التنازل عن العرش سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م، ولّا أنّه أعيد إليه سنة ٤١٠هـ/١٠١٠م، قبل أن تسلم عاصمته نهائياً سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م إلى المتزوّدين العصاة الذين حاصروها، ودخلوها ونهبوها، ما شكّل عملياً نهاية الخلافة. وافت المنية هشام بعيد سقوط قرطبة.

« راجع المستند رقم ٢. »

الهلال، هو الرمز الحالي للإسلام، لكنّه لم يصبح كذلك إلّا في فترة متأخرة تعود، من دون شك، إلى القرن التاسع عشر.

لا شيء، من حيث الشكل، يجيز الربط ما بين رواج هذا الرمز والمكانة التي يحتلّها الهلال في الحضارة الإسلامية، بإعلانه بدء كل شهر، إذ إن الشهر الإسلامي هو قمري بحسب التقويم الذي اعتُمد بعد الهجرة. ومن المعروف أنّ مراقبة ظهور الهلال الذي يعلن بدء شهر رمضان وانتهائه، وهو شهر الصوم، كانت تتمّ دائماً باعتماد كبير، بحسب التقليد، لأنّ تحديد بدء شهر رمضان

هليوبوليس ← القاهرة.

همايون، ناصر الدين همايون بادشاه ٩١٤-٩٦٤هـ/ ١٥٠٨-١٥٥٦م، الحاكم الثاني من السلالة المغولية في الهند، حكم من ٩٣٧ إلى ٩٤٧هـ/ ١٥٣٠ إلى ١٥٤٠م، ومن ٩٦٣ إلى ٩٦٤هـ/ ١٥٥٥ إلى ١٥٥٦م.

هو ابن باير، ولد في كابل. وافق والده في حملاته على الهند ابتداء من العام ١٥٢٥، ثم خلفه في العام ١٥٣٠ وجلس على عرش أغرا ودلهي في زمن لم تكن فيه السلطة الجديدة قد تركزت بعد. حارب لسنوات طويلة خصومه وأعداه، أفراد عائلته أو أمراء محليين وغرباء، ومن بينهم الزعيم الأفغاني الداهية شيرخان سوري الذي انتصر عليه باير وأرغمه على الهرب إلى المقاطعات الشرقية حيث تمكن من الاستيلاء على البنغال. وبعد معركة فتوح في العام ١٥٤٠، اضطر همايون الذي هزمه شيرشا إلى أن يتنازل له عن سهل الغانج الأعلى والبنجاب وأن يلدجأ إلى السند. من هنا دخل إلى إيران في العام ١٥٤٣ حيث استقبله الصفوي الشاه طهماسب. تمكن همايون، بفضل الجيش الذي قسّمه له شاه إيران، من أن يسترجع أراضي عدّة كان قد استولى عليها أمراء مغول، وعاد سنة ١٥٥٥ إلى دلهي حيث كان شيرشا قد توفي في العام ١٥٤٥. وأصاب الضعف والوهن خلفاءه. وبعد فترة قصيرة وافق همايون المنية تاركاً لابنه «أكبر» مملكةً سيبلغ بها هذا الأخير إلى الذروة. إن الصريح الذي بني له قرب العاصمة يعتبر اليوم من أبرز الأبنية الموجودة في مدينة دلهي المغولية، وهو خير شاهد على فن تلك الحقبة.

هَمْدَان (بنو -)، قبيلة من قبائل عرب الجنوب، شغلت، على عهد النبي محمد (ﷺ)، منطقة اليمن حيث بقي أسخادهم. يروى أنها دخلت الإسلام على يدي علي بن أبي طالب.

لم يكف بنو همدان، طيلة العصور الوسطى، عن إظهار ميل صريح إلى التشيع، الذي كان سائداً بأشكال مختلفة في هذه المنطقة.

انبتق من بني همدان بعض العائلات التي، رغم الغرض المستمرة، تمكنت من فرض نفوذها على اليمن في القرنين الخامس والسادس للهجرة/الحادي عشر

ابن هلال الحزاني الصائبي، القادم من حرّان. عيّن سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م، بدون أن يعتنق الإسلام، كاتباً في ديوان الأمير البويهبي الكبير مُعز الدولة. إلّا أنّ خليفة معز الدولة، الأمير عضد الدولة، استهدف أباً إسحاق وسجنه سنين عدّة. ولما وافته المنية في بغداد سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨١م، كان قد ترك مصنفًا نفيساً من الرسائل الرسمية. وفاقه هلال بن المحسن شهرةً، وهو أوّل فرد من عائلته يعتنق الإسلام ويتخلّى عن عقيدته القديمة، وقد دخل أيضاً في خدمة الدولة. لقد كتب هلال عدداً من المؤلفات التاريخية المبنية على وثائق محفوظة لدى عائلته. كما أنّ كتابه «تنحة الأمراء في تاريخ الوزراء»، ورسائله في المراسم أو «البروتوكول» يُعتبران حتى اليوم مصدرين مهمين لتاريخ زمانه.

الهاليون أو بنو هلال، قبيلة عربية، كانت منازلها الأولى في نجد، بجزيرة العرب، إلّا أنّها اشتهرت بسبب هجرتها إلى إفريقية في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد ومساهمتها في تخریبها.

دُعي الهاليون، الذين تميّزوا بالحركة، للانتقال، في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، إلى مصر، واجتهد الفاطميون، في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، لحصر منازلهم في الصعيد. ولكن عندما استقل الأمير الزيري بالمغرب بعد رحيل أسياده إلى الشرق، دعا الخليفة المستنصر هؤلاء البدو (بنو هلال) الشغوفين بالغزو، لاجتياح أراضي سيد إفريقية الجديد. انطلق بنو هلال، سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م، فخرّبوا أولاً بزقة وهزموا الجيش الزيري قرب قابس عام ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م، وبلغوا القيروان سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، وأجبروا أميرها على اللجوء إلى المهدية سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م. ثم نهبوا وسلبوا القيروان، وعثت الفوضى في كل البلاد حتّى بلغت غرباً أراضي الحمّادين. ولم يعد الهدوء إلّا في عهد «الموحّدين» يوم هُزم الغزاة البدو قرب سطيف، بعد نحو قرن، أي في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م.

لم يكن غزو الهاليين بدون تأثير على اقتصاد إفريقية: فقد تراجعت الزراعة واشتدت حركة تعريب البلاد.

الصليحيون الهمدانيون :

الكاثر أبو الحسن علي بن محمد ٤٣٩-٤٥٩هـ/١٠٤٧-١٠٦٧م
 التمكن الأول أحمد بن علي ٤٥٩-٤٧٧هـ/١٠٦٧-١٠٨٤م
 السيدة الحرة عروة ٤٧٧-٥٣٢هـ/١٠٨٤-١١٣٨م

همدان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة من مدن أقاليم العصور الوسطى في منطقة الجبال، ما تزال قائمة حتى أيامنا، وهي تقع على خط القوافل، ومن ثم الطرق التي تصل العراق بالري أو بتهران.

تعود همدان إلى أقدم العصور، فكانت عاصمة الميدين، وهي إكيانان القديمة. فتحها الجيش العربي - الإسلامي في العام ٢١هـ/٦٤٢م، في زمن الفتوحات الكبرى، بعد فترة وجيزة من سقوط نهاوند. تعرف القليل عن وضع المدينة في العصور الوسطى، إلا أنه، استناداً إلى ما ذكره الجغرافيون العرب في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كان للمدينة أربعة أبواب، وضواحي واسعة المدى، كما قامت بدور المركز الاقتصادي بفضل أنشطتها التجارية ومحيطها الزراعي. تنازعاها الصفويون والعثمانيون ابتداء من القرن السادس عشر، ثم ألحقت نهائياً بإيران في العام ١٧٣٢، ولا تملك من آثار الماضي إلا ضريحاً يعود إلى نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي يعرف باسم قبة الأولياء.

« راجع المستندات ١٧، ٢٣، ٢٤.

الهند، مجموعة جغرافية واضحة الحدود لم تكن الأسلمة فيها إلا جزئية، على امتداد تاريخ متقلب، وهذا ما يفسر اليوم انقسام البلاد بين جمهورية فدرالية ذات أقلية إسلامية، هي الاتحاد الهندي، ودولتين يسكنهما مسلمون هما جمهورية باكستان الإسلامية، وبنغلادش، تصاف إليهما جمهورية مالديف الإسلامية والجمهورية الديمقراطية الاشتراكية السريلانكية في جزيرة سيلان.

يتأثر الوضع الحالي بالثقل السياسي والاجتماعي الذي يشكله جمهور إسلامي يزيد عن مئتين وخمسين مليون نسمة، متفاوت التوزيع، بحسب البلدان، ويتسم كذلك بالفراوة العميقة التي يمتاز بها الإسلام الهندي، في عاداته وطقوسه واحتفالاته وتفاعلاته مع الأحداث، وهي كذلك متنوعة بحسب المناطق والائتبات التي

والثاني عشر للميلاد، على أثر غياب سلطة الأئمة الذين أسسوا السلالة الزيدية، وقبل سقوط البلد في يدي الأيوبيين في العام ٥٦٩هـ/١١٧٤م.

إن أول فرع همداني قام بدور سياسي ذي أهمية هو فرع «الصليحيين» (٤٣٩-٥٣٢هـ/١٠٤٧-١١٣٨م). وضعا يدهم على الحكم بصفتهم أتباع الفاطميين وحماة الإسماعيلية. وينسب إلى علي بن محمد تأسيس هذه السلالة التي لم تستمر طويلاً. اهتم علي بنشر الدعوة في منطقة تنازعها مع دعاة مذهب شيعي آخر هو الزيدية.

خلف علياً بن محمد ابنه وزوجة هذا الأخير السيدة عروة. حافظت عروة بفعالية، خلال عهدها وعهد ولدها، على سلطة نلقت الضربات من كل الجهات. لقد اضطرت إلى مغادرة صنعاء والنزوح إلى مكان آخر أقل شأناً، ذو جبهة، للإقامة فيه. غير أنها أبت في عهدها مراقبة مرفأ عدن قاعدة نفوذها الأساسية، في حين أخذ همدانيون آخرون، من مناصري الإسماعيلية الفاطمية، يتنافسون على صنعاء ويثبتون سيطرتهم عليها. إن الوضع المتقلب في أوساط الهمدانيين ازداد اهتزازاً بسبب استمرار حكام محليين في زيد، وبصورة خاصة في صعدة، مركز الأمامة الزيدية.

خارج الزعماء القبليين الذين برزوا في اليمن لفترة تقل عن المئة عام، تمتخر قبيلة همدان بعيضة خاصة اكتسبتها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وقرأ لها العالم الهمداني (أبو محمد الحسن ابن أحمد الباقلي المعروف بابن الحاتك) المولود في صنعاء. يُعتبر هذا الأخير متخصصاً بتقاليد جنوبي الجزيرة، إضافة إلى تبحره بثقافة واسعة اشتملت له أسفاره العديدة، وذلك من دون أن تحذ من ولائه لبلده الأم ومن دراسة ماضيه.

ترك لنا الهمداني وصفاً تقليدياً لشبه الجزيرة، ويحكي عن موسوعة ضخمة، لم تصل إلينا إلا جزئياً، عنوانها «الإكليل» وتتضمن وثائق عن ممالك الجنوب القديمة، وعن أنساب جُمُير وتاريخها، وعن الشعر والآثار والطوبوغرافيا، كان قد جمعها هذا العالم الأديب الذي لا يني ولا يكل.

الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، بمرافئ الساحل الغربي للهند، وكانت هذه المرافئ تتوزع من دلتا الهندوس حتى مالابار: كل هذه المحطات كانت تنتعش بالتجارة المزدهرة بين الشرق الأدنى والأقصى حتى إندونيسيا والصين. إن ازدهار مدينة مرفئية في السند مثل الديبل القديمة يشهد على الزمن الذي كانت فيه السفن التجارية تصل أيضاً إلى كامباي والمناطق الساحلية الأخرى في عُجرات التي كانت تملك مؤسسات تجارية ومالية إسلامية، ورغم أن تلك المنطقة قد لبثت هندوسية.

المرحلة الثانية من انتشار الإسلام بدأت، بعد ذلك، في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، باحتلال مظدر للسل للهندي-الغانجي، بعد ما كانت الغزوات الظافرة قد حققت لمحمود الغزنوي اللقب العظيمي «فاتح الهند»، وأدت إلى استقرار آخر أفراد السلالة التي طردت من غزنة سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م، في لاهور التي أصبحت عاصمتهم. وعلى الغوريتين المنتصرتين على الغزنويين، والذين صاروا بدورهم حكاماً، سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، على لاهور كما على غزنة، ستقع مهمة تقدم مظدر في اتجاه دلهي وأجمار وقنوج وغوالور، وتوجيه هجمات حتى البنغال من جهة وغجرات من جهة أخرى. من هنا نشأت مملكة إسلامية قوية في شمال الهند، عائدة «لسلاطين دلهي»، سارت باتجاه سياسة جهاد وفتوح مستمرة، كل ذلك بمبادرة من قطب الدين أيبك، الضابط التركي السابق عند معز الدين محمود الغوري. وذهبت قوات هذه المملكة إلى حد مهاجمة الدكن، رغم الثغبات المتنوعة، ورغم المنافسات التي وسعت من ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦ إلى ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م مصير ست سلالات متعاقبة من السلاطين، ابتداء من السلوك العبيد ورثة أيبك، حتى آخر سلاطين سلاني «لودي» و«سوري» في القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد.

في غضون ذلك لم تتوقف في المناطق التي حكمها الإسلام مجابهات متلاحقة، سياسية وعسكرية (هجمات المغول، ثم تيمورلنك، وثورات العشائر الأفغانية وتمرد بعض القوى المحلية، والصراعات

طالتها جهود التوسع في نشر الدين الجديد. وإذا لم تكن في الهند أرض لم تؤثر فيها، مع مرور الوقت، الهجمات المتواصلة التي قامت بها الممالك الإسلامية الفاتحة، وكذلك المصوّفون المنتحسون الذين وجّهوا في كل مكان إيمان الإسلام وثقافته، فإن هذا الوضع لم يخل، في المقابل، دون استمرار حيوية المعتقدات والمؤسسات المرتبطة بمختلف مظاهر الهندوسية. فهذه المعتقدات والمؤسسات حائل تارة، وبشكل قوي، دون اعتناق الإسلام؛ وعملت، تارة أخرى، على تحرير طفوسها وممارساتها إلى العبادات الشعبية الإسلامية، وكذلك إلى التأثرات لفكر صوفي ذي اتجاهات حلوية.

إن المتطور الذي بدأ على هذه الحال، كان محتماً عليه أن تنشأ عنه تدخلات متزايدة التعقيد في وسط مرتب أصلاً، عرقياً ولغوياً، زادت في إثرائه أيضاً المساهمات الاستعمارية الوافدة من الشرق الإسلامي. عناصر عربية وإيرانية وتركية، لكل منها طابعها الخاص، لم تتوان عن أن تفرض نفسها، إثر التبادل التجاري البحري، أو بواسطة القوافل، مستفيدة كذلك من جهود الدعاة المبشرين، ومن الغزوات الحربية المتلاحقة، ومن تحدد الأسر الحاكمة بفعل النزاعات الداخلية المستمرة.

يعود تاريخ الإسلام في الهند إلى عهد الفتوحات، عندما وصلت الحملات العربية-الإسلامية الظافرة، في بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، إلى المقاطعات التي يجتازها نهر الهندوس وروافده، وهي هضاب واسعة صحراوية في بعض المواضع، أو سهول معرّضة للفيضانات. وكان الاحتلال المتدرج للسند ثم للبنجاب في مسار التنظيم الأمبراطوري الذي اتبعه الأمويون، ورثه البساسيون في ما بعد. وكان تيار من التبادل يتقدم على طول الطرق الإستراتيجية والتجارية التي تعبر جنوبي إيران، وصولاً إلى مدينتي ملتان والمنصورة الغنيتين اللتين تشكلان موقعين متقدمين، ولو بعيدين، للثقافة الإسلامية. وكانت الخطوط البحرية النشطة تصل مرافئ الخليج العربي-الفارسي، ذات الحيوية المميزة في العهد الذهبي لبعثاد في القرنين

المغول الكبار، برزت ضخامة المشكلات الدينية المختلفة المطروحة.

إنّ التناقض ملموس بين سلسلة الانتصارات العسكرية الخارجية (التي حققت للمشاير من هؤلاء السلاطين أن يسيطروا سيطرتهم شيئاً فشيئاً من قندهار إلى أطراف الدكن)، وبين الحروب الداخلية المؤذية التي تواجّه فيها هؤلاء السلاطين أنفسهم في سبيل الحصول على العرش، إذ قاتل الابن أباه، والأخ أخاه. وكانت الغاية في كل مرة، من هذه الحروب، فرض نمط مختلف من السياسة الداخلية يضع حداً لعدم الاستقرار في العلاقات التي جعلت، في البلاد نفسها، فئات مختلفة في مواجهة أخرى، والتي فصلت بين أكثرية واضحة من الهندوس، ومسلمين متشدّدي المذهب المتباعدة.

وراء إشراق فن وهندسة يعكسان غنى الدولة المنتصرة، و وراء نجاحات حقّقها تنظيم مركزي يرمي، في الإدارة كما في التنظيم العسكري، إلى إدخال عناصر من آليات ومذاهب دينية مختلفة، استعمرت الانشغافات العميقة. ذلك ما يتيح لنا أن نفهم، من جهة، الاتجاه التوفيقى لدى أكبر، وميول جهانگیر الشيعية، والاصطفاء التصوّفى المتأثر بالهندوسية لدى ابني شاه جهان، دارا شكوه وجان آرا بيگم؛ كذلك، من جهة أخرى، الردود المعاكسة التي نمت لمصلحة إسلام متضلل، لا سيما على يد النقشبندية والتي بلغت ذروتها خلال عهد أورنگزيب الذي أراد أن يفرض على الهندوس قوانين الضرائب القديمة المتعلقة بدفع الجزية. هنا يكمن سبب المصراعات التي استعمرت بعد تجزئة الأميراطورية، خلال زمن الانحطاط الذي غيّب وفاة أورنگزيب سنة ١٧٠٧م، والذي تميّز، على امتداد أكثر من قرن ونصف، بغزوات موقّعة، كتلك التي قام بها نادر شاه، متبعاً الاتجاه المتفنيدي نحو الشمال الغربي، أو بتدخلات أوروبية أدّت، بعد ثورات عدّة، إلى احتلال البريطانيين المباشر للبلاد ابتداء من سنة ١٨٥٧.

أخيراً شهدت المرحلة الرابعة، في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، تحولاً جديداً للتسيج الديني في الهند الإسلامية بتأثير اهتمامات متنوّعة، منها

الداخلية)، ما أضعف وحدة هذا الحكم. وقد أضيفت إلى هذه الأحداث مطامع بعض الحكّام وأسياد الحرب، ما أدّى، منذ أواسط القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، بسوازة انحلال السلطة في دلهي، إلى نشوء سلالات إسلامية أخرى. وقد ازدهر أحدها في مناطق خاصّة، كالسلالات التي حكمت بنغال وكشمير وغجرات ومنطقة جاونپور وملوى وخاندش، ولا سيّما في مختلف أنحاء الدكن حيث تقسّمت أميراطورية الهمچين، فنشأت عنها دول صغيرة، كانت تميّزها، في ثقافتها وإنجازاتها، خصائص محلية تعود أحياناً إلى انتماء حكامها إلى التشيع.

لذلك عرف الإسلام في جميع أرجاء الهند التطوّر الذي أضفى عليه طابعاً خاصاً. فقد تأثّر بنشاط متصوّفين التزموا تلقائياً ببعض موجبات التصوّف والتقوى الهندوسية، كما تأثّر أيضاً بنشاطات أمراء عسكريين كانت توجههم إرشادات ونصائح هؤلاء الأشخاص الأتقياء. وفي كلّ مكان، ظهرت حيوية الطرائق الصوفيّة الكبرى الأتية من إيران: الجشنيّة والسهروردية والقادريّة، ولا سيّما الشقارّة التي انحدر أعضاؤها نحو الجنوب عبر البنجاب ودلهي لإنشاء مراكز دينية محلية، ولدت من حلقات مريدبهم، ومن تردّد أتباعهم إلى أضرحتهم التي أصبحت مزارات، من جهة أخرى، ترسّخت على ساحل المحيط الهندي، من السند حتّى الدكن، حركات شيعية إسماعيلية، إمّا من المستعيلة الخاضعة للفاطميين، وإمّا من الزائرية. وفي كلّ مكان كان المسلمون الوافدون ذوو الأصول المختلفة يظهرون بين وقت وآخر ركّات فعل عنيفة بوجه مناخ ديني توفيقى (بين اتجاهات مختلفة) لم يكونوا قد اعتادوه. فكانوا يصطدمون مع حديثي المهد بالإسلام، كما مع القدماء، وكذلك مع السكّان الأصليين الذين استمروا أوفياء لمعتقداتهم، فلم يستطيعوا، تالفاً، أن يعيشوهم من دون نزاعات ظاهرة حياءً وخفية حيناً آخر، ما كان يؤدّي إلى إضعاف التوازن، ولكن مع الإبقاء على التنوّع الذي ميّز الأقاليم الخاضعة لحكّام مسلمين.

وفي المرحلة الثالثة التي تميّزت، منذ سنة ١٥٢٦م، بتوسّع الدولة السنية وازدهارها على عهد

الفن الإسلامي، غالباً ما يُطلق على فن البناء الخاص بالعالم الإسلامي. وقد عرف هذا الفن عبر العصور تنوعاً كبيراً في الأساليب، إلا أن ما يميّزه هو طغيان أنواع معينة من الأبنية، واستلهامه موضوعات كبيرة مشتركة على صعيد البناء والزخرفة.

والواقع أن التنوع الذي عرفته هذه الهندسة عبر مدارسها الكبرى ذات الأبعاد التاريخية، لا يطاق، في ما خصّ القرون الوسطى، إلا عدداً قليلاً من نماذج البناء التي تقدّم بدورها أمثلة محدودة من الأساليب. أمّا في العصر الحديث فقد أصبحت العناصر المكونة للبناء أكثر تعقيداً، ولا تقتيد كلها بما يُمليه الشرع الإسلامي. وهذا ما جعل السمات الغالبة لهذه الإنشائية تزول شيئاً فشيئاً من هذا الفن.

١- إذا ما وضعنا جانباً الأبنية الحربية، فإنه يتعدّر علينا إحصاء الإنجازات المتنوعة للهندسة الإسلامية كحدّناها سابقاً. وقد بدأت هذه الإنجازات تظهر في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، عندما انطلقت الحضارة الإسلامية الأولى في ظلّ الخلافة الأموية الشرقية. ثم انتشرت بعد ذلك في ثلاث فترات تشمل تدريجياً مناطق تمتدّ إلى أبعد من القسم المركزي في الأمبراطورية، ومن الحدود المتوسطية والإيرانية، فنصل إلى الولايات في الأطراف البعيدة كالأندلس والصين وإندونيسيا وأفريقيا السوداء. ونعداد الإنجازات لا يساعد على تكوين فكرة واضحة عن واقع تلك الهندسة الفنية كما أن عرضها، بحسب الترتيب المكاني والزمني الذي يفرض نفسه، لا يُظهر الطابع الإسلامي المشترك ويعطي الأوليّة للطابع المحلي الذي أغنته تداخلات محلية متبادلة. وما يمكن إبرازه، في هذا المجال، هو سطوة التقاليد والخيارات الوطنية، وتأثيرات الصراخ الانتقي السياسي المترافقة مع التنافس بين المراكز الاقتصادية النشيطة، مع الأخذ في الاعتبار الدفع الذي تولّقه طلبات الحكم والذي يحركه الإزدهار الاقتصادي.

إلا أن التركيز على الدور الذي أدّته ثلاثة أنماط أساسية من الأبنية، في عملية تطوّر الهندسة الإسلامية هو وحده الكفيل بإبراز المتطلّبات الوظيفية التي يفرضه

الانتفاضة على السيطرة الغربية، وذلك من خلال المزج بين المصالح الإسلامية ومصالح قومية هندية ناشئة، ما ولد في البلاد حركات إصلاحية أو تحديثية نتج عنها بطرق مختلفة نحو هدف واحد.

إن الأجوبة التي قدّمها في الهند العلماء التقليديون أو المثقفون المشبهون بالروح العلمية الأنكلوسكسونية نكاد لا تختلف عن الاقتراحات التي صيغت في بلدان إسلامية أخرى، على الرغم من أن الشهرة العالمية التي لقيها شاعر فيلسوف، كمحمد إقبال، أكسبت العمل المكري في الأوساط المثقفة، في البنجاب، رونقاً خاصاً.

هذه الحالة لم تمنع أن تستمرّ في الإسلام الهندي مميّزات متعدّدة، مختصة بالثقافة الشعبية التي تقرب بين المسلمين والهندوس، عبر شعر التصوّف، أو من خلال «تكريم الأولياء». وفي الوقت نفسه كانت المواقف الإسلامية في بعض المناطق تبدو أكثر تشدداً، وذلك حيث شكّل المسلمون، على الرغم من كل الفتوح السابقة، أقلية معرّضة لضغوط الغالبية السكانية. وهذا سبب التشجّجات التي تطوّرت أحياناً إلى اضطرابات عنيفة حضّرت الأهالي، على مدى عدّة عقود، لتقسيم الهند الذي بدأ، بصورة مثالية متزامناً مع الاستقلال. هذه التجزئة ترمي إلى طمس الصعوبات السابقة التي واجهتها الدول الإسلامية ولم تستطع أن تجد لها حلاً، وكانت ناشئة عن عدم الانسجام الديني (المذهبي) بين رعاياها. وذلك بالرجوع إلى صفاء الإسلام في المجال المختصّ به. إن الأحداث الدامية، والتبادل السكاني الذي رافق هذا التقسيم، يظهران أن الحلّ المعتمد لا يخلو من الأخطاء التي لم تلحظ أهميتها حتّى ذلك الوقت. وفضلاً عن ذلك، أعقب هذه الأحداث إقرار بالعجز: مشكلات ما يزال يطرحها وجود أقلية إسلامية في داخل الاتحاد الهندي، وصعوبات أدّت إلى انفصال جديد بين الأقاليم الستة التي شكّلت باكستان، سابقاً، وقد قسمت حالياً في دولتين متميزتين: باكستان وبنغلادش.

◀ راجع المبتدأ ٣٠ إلى ٣٥ و٧٣ إلى ٧٨.

الهندسة المعمارية الإسلامية، عبارة ترتبط بمفهوم

في المدينة. وقد نقل أو تكبر أهميته، إذ تراوح بين قصر ملكي مهيب أشبه بالمدينة الملكية، وصرح بسيط، محصن أحياناً. وفي كل الأحوال، فإن خصائص حياة الأسرة الإسلامية تحتم توزيعاً معيناً للأمكنة داخل الدار. فهناك أقسام مفتوحة للاستقبال وأخرى محمية المداخل وهي للحياة الخاصة، وتحديدًا للحريم. والتنظيمات العائدة إلى هذا الفصل الضروري بين الأقسام أفادت، منذ البداية، من طريقة قديمة اعتمدها البناؤون المسلمون، وهي تكرار النماذج المتشابهة والقائمة حول فناء، مع تقسيم المساحة المبنية إلى ساكن مغلقة على نفسها. وهذه هي الطريقة التي اعتُمدت لتوزيع المساكن داخل القصور، وتقسيمها إلى مقاصير للزوجات والخليلات ولولادة العامل، وكذلك للأمراء الذين بلغوا سناً تسمح لهم بامتلاك الحرس والخدم والعبيد. والتفصيل الأخير المعتمد في كل القصور المترفة، والعائد إلى ضرورات الدين، يتعلق بوجود مصلًى خاص بالأمير في داخل كل بناء فخم أو في حواره المباشر، وكذلك وجود مسجد جامع يقصده الجنود، مع مقاسل وحمامات مراعاة لقواعد الوضوء. لا شك في أن هناك تقاليد خاصة بكل منطقة، تختلف باختلاف طبيعة الأرض والمناخ والتاريخ، غالباً ما تبرز في عملية اختيار هذه المادّة أو تلك في البناء، وفي تطبيق هذه الهندسة أو اعتماد تلك الوضعية أو ذلك الارتفاع. ففي المناطق الحارة أو المجيدة من العالم الإسلامي، أدى البحث عن البرودة والطراوة، والميل إلى إنشاء الحدائق والمساحات الظليلة والبياء الجارية، إلى اعتماد خصائص هندسية جديدة. منها البحث عن نظام تهوية لتأمين مجرى للهواء البارد، وتكاثر عدد النوافير والأحواض، والمساحات الظليلة والخضراء، والظل والمقاصير على الشرفات، والغرف الميزّدة بالمياه التي تحيطها تحت الأرض وتُعرف باسم السرايب. هذه التقاليد التي سادت في مدارس هندسية محلية وطبعتها بطابع خاص، تزاوجت مع مؤثرات أخرى تعود، بخاصة، إلى كون المقر الأميري، أو القصر الملكي، قبل كل شيء، إنجازاً حققته السلالة الحاكمة. لقد شيدت أسرات العباسيين والفاطميين قصوراً

المجتمع الإسلامي نفسه على البناء الإسلامي. فالنمط الأول يتوافق مع المسجد بشكله، أي إما أن يكون مصلًى عادياً معزولاً أو ملحفاً عند الضرورة بأبنية متنوعة تلبي الحاجات السكنية والتجارية والدفاعية؛ وإما أن يكون مسجداً جامعاً أعد ليغرض نفسه كبناء لا غنى عنه في حياة الجماعة الإسلامية المدنية المنظمة. أمّا في ما يخص المسجد الجامع، فبإندفاع واضح تأقنت له مواد البناء ووسائل الإعمار المعتمدة في هذه المقاطعة أو تلك. والمعروف أنّ وجوده يكون لغايتين مهتتين: فهو من جهة يجمع المؤمنين لتأدية الصلاة، ومن جهة ثانية يُعتبر مكاناً عائلاً يتحلّق فيه المسلمون حول أميرهم أو من يتوب عنه لسماع خطبته الرسمية. وقد تُرجم هذا الإندفاع عبر بناء مساجد بأشكال هندسية متنوعة. وإذا ما حدّدنا مثلاً المسجد بأنه فاحة صلاة معدّة، فإن هذا التحديد لا ينطبق على المسجد البازيليكي الأموي، ولا على المسجد الإبراني زمن السلاجقة أو الإيلخانيين أو الصفويين، ولا على المسجد المغولي في الهند، ولا على المسجد العثماني. إلّا أنّه لم يُنس قط أنّ المسجد الجامع يضيء على الحجر أو على القرميد أو على أيّة مادة أخرى تستعمل في بنائه طابع القداسة الذي يميّزه، كما يلبس هذه المواد هبة الأمير الحاكم، لأنه يعتبر معبّراً عن هذه الهبة وناقلاً. علاوة على ذلك، حدث، بدءاً من القرن الخامس للهجرة/العاشر الميلادي، توزيع تدريجي، في أماكن وأبنية متنوعة، لأنشطة كانت مجمّعة من قبل في المسجد الجامع، عقبه لاحقاً ميلٌ إلى إعادة جمع هذه الأنشطة في مكان واحد. وفي كلتا الحالتين كان ذلك يجري وفق ما تمليه العادات الشائعة في العالم الإسلامي كنه. ففي ذلك العصر نفسه، وفي كل مكان، تكاثرت تدريجياً، خارج المسجد، المدارس والمحاكم والمستشفيات والخوانق. وتكاثرت في كل مكان، بعد ذلك، مجمّعات دينية، وتُعتبر «الكتليات» العثمانية أفضل نماذج عنها؛ إلّا أنّ هناك نماذج أخرى بأسماء مختلفة في البلدان الإسلامية البعيدة. والنوع الثاني من البناء الذي عرف انتشاراً موزانياً للأول تقريباً يتمثل بالمقر الأميري، أكان في الريف أم

أبينة يعيش فيها تلامذة هذا المعكزم وينشرون تعاليمه. وقد انقضت كلها ببساطة الهندسة وتكونت من برج أو مقصورة تعلوها قبة. إلا أنه ظهر الميل بعد ذلك إلى إغنائها، كما جعل بعضها داخل مجمع بنائي يدور في فلك المسجد الجامع، وتحوّل المجمع بذلك إلى مقر تكريم.

٢- على صعيد آخر، فإنّ العناصر المشتركة والمستعملة في هذه الهندسة تشهد، عبر المصور ومن بلد إلى آخر، على استمرارية بعض طرائق البناء وانتشارها. وقد اعتُمدت هذه الطرائق خلال الفتوحات الكبرى، عندما بدأ المجتمع العربي الإسلامي الذي لم يكن يمتلك أيّة تقاليد هندسية وفنية، يتقبّل الإرث التقني والفني للشعوب المغلوبة التي حوّلها الفاتحون إلى أهل دمه. أو إلى موالى تم دمجهم تدريجياً في المجتمع الإسلامي. وفي هذا الإطار تمّ تبني إجراءات عملية شكّلت أساساً للتغييرات اللاحقة: فكان الحفاظ على الأشكال الهندسية للأبينة وأشكال الأعمدة والقباب، وعلى الصدر البازيليكي للبناء ممّا كان مألوفاً ومتبعاً عند الرومان والبيزنطيين. ومن جهة أخرى، كان اللجوء إلى الأقواس المزينة، والقباب القرميدية، وإلى الإيوان وعُقد الزاوية، وسائر خصائص الهندسة الساسانية وما قبلها. والتطبيق العملي لهذا الإرث المزدوج أفضى في ما بعد، عبر الصهر الموقّق للطرائق الهندسية ونحسبها المستمر، إلى النتائج التي ميّزت المراحل اللاحقة حيث تكرر، إلى ما لا نهاية، استعمال هذه المخفّطات الهندسية.

ومع ذلك فإنّ النهضة التي أحدثتها العناصر الدخيلة الجديدة، والتي ساهمت فيها السلالات الحاكمة المتعاقبة، أثبتت على بعض التقاليد الهندسية التي يمكن أن تُعتدّ بالهـ كـلاسيكية. فقد حوّلت مثلاً على الأعمدة الحجرية والدعامات القرميدية، كونها ضرورية لحمل سقف القاعات الكبرى التي طُلّفت فيها القباب قائمة، وذلك في كلّ مرّة بُرّاد فيها إبراز فُسحة داخلية في القصور والمساجد والأضرحة. وصوف الأعمدة القديمة التي أُهمل استعمالها، بعد العهد الأموي، على جانبي الجادات، بقيت تحيط بالأروقة والأجنحة

عظيمة في بغداد وسامراء والقاهرة، وجعلنا منها بلاطات في غابة الروعة والشهرة، وقد قلّدت في ما بعد في قصور غزنة ولشكاري بازار في المناطق الشرقية، وكذلك في المهدية وقلعة بني حماد في المغرب. وبرزت في ما بعد العظمة المعمارية مع أبينة الإيلخانيين، والتميموريين، والعثمانيين والصغويين، والسلاجقة، والمغول. وفي غضون ذلك تكاثرت المنشآت الملكية المتواضعة التي أقام فيها أسباط الحرب بعدما فرضوا سلطتهم بقوّة سلاحهم وأنشأوا لهم الإمارات، وعاشوا في قصورهم حياة البذخ، كما كانت حال الملوك النصريين في الأندلس. وإلى جانب قصورهم رفعوا أبينة محصنة من أجل اللجوء إليها عند الحاجة، وأبينة يقيم فيها الملوك والأمراء مؤقّتاً، على شاكلة خان رباط الشرف في سبب خراسان، والأنزال التي بناها الفادة وأبناء الخاصة داخل المدن، كما في دمشق والقاهرة في عهد المماليك، أو في اسطنبول والجزائر في عهد العثمانيين. نذكر أخيراً دور الراحة التي أقيمت خارج التجمّعات السكنية وسمحت لأصحابها بأن يتمتعوا بمنظر خلابة، كشواطيّ البوسفور التي توزّع عليها ما عُرف عند العثمانيين باسم «يُلي».

أما انتمط الأساسي الثالث من الهندسة المعمارية الإسلامية فيتمثل بالأضرحة التي شهدت انتشاراً واسعاً في الأوساط الإسلامية في القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد وما بعدهما، وذلك بدفع مزدوج: أولاً تحت ضغط مظاهر التكريم التي بدأت تبرز عند الشيعة تجاه أضرحة أئمّتهم، وثانياً رغبة بعض الملوك - وبخاصة في إيران - في تخليد ذكراهم. فالأضرحة التي أداثتها، في البداية، بعض الأحاديث النبوية كانت تغطّي بفخامتها القبور الحقيقية أو التذكارية لأشخاص يستحقّون التكريم، وقد تسبّبت برقات فعل أثارها الفقه، إذ رأوا في تلك الظاهرة بدعة مُدانة. إن انتشار عادة تكريم الأولياء عبر الزيارات التقوية سمح لهذه المنشآت بأن تصبح من الإنجازات الأكثر نجاحاً بين الأبينة الإسلامية. وكانت قد توسّعت في بعض الأحيان وتحوّلت إلى معابد حقيقية يؤمّها المصلّون لنيل بركات المعكزم. وقد ألحقت بها أحياناً

كله، حتى عصرنا الحاضر، يُظهر غلبة التزيينات القائمة على أشكال هندسية كان لها دور مهم في وضع تصاميم الأبنية، ولكنها كانت تتشكل في حد ذاتها نوعاً من الزخرف. وتقضي التزيينات تقسيم كل مسطح، بشكل دقيق، إلى قطع وشرائط وأفاريز متجاورة أو متشابكة. وقد بقي التزيين هذا ملازماً الهندسة الإسلامية حتى عصرنا، مع تطوره باتجاه الدقة والنهذيب، فأعمل المزيج المتعاود وأنسج في المجال أمام تشابك المضلعات النجمية الشكل. وكانت تجاور هذا التشبيك الهندسي، على المسطح عنه، أشكال زهرية تقليدية تُعرف باسم الفُرْسَة «أرابيسك»، وكتابات منقوشة ذات طابع تجريدي. وهي تهدف كلها إلى الاستجابة لرغبة الفنان في البلاد الإسلامية الذي يكره المساحات الفارغة، وهذه الكراهية تتشكل ميزة أساسية ملازمة لإحساس هذا الفنان.

ما خلا بعض الاستثناءات النادرة العائدة إلى مناطق تقع في الأطراف، لم تعرف الهندسة الإسلامية عناصر تزيينية أخرى غير الثلاثة التي ذكرناها. وقد استعملت بنجاح متفاوت، بحسب الأمكنة والعصور، وقد تقيدت دائماً هذه الهندسة بقاعدة تحريم التجسيم. وقد يكون من غير الحكمة أن ننسب إلى الإسلام وحده سبب هذا التحريم. وبالفعل، ليس هناك ما يثبت أن التحفظات تجاه الرسوم التجسيمية، وكذلك الاحترام الخاص لكتابة عربية، شكّلت، كاللغة العربية، وسيلة لنقل نصوص الوحي، كانت كافية، بمعزل عن أية أسباب أخرى، لتفسير هذا التحريم الذي التزم به البناؤون المسلمون منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، ولم يتحولوا عنه منذ ذلك التاريخ.

والثابت في كل حال هو الاستمرار الألف للتعلم لطريقة تزيينية كانت قد استعملت في أقدم الأبنية الإسلامية، وهي اللجوء إلى الألوان المتعددة والبراقة في الزخرفة. فالرخام الملون والمعادن الثمينة والفسيخاء الجدران مع خلفية مذهبة بيزنطية الأصل، سمحت كلها بخلق المريق في الإنجازات الأموية، كما في قبة الصخرة في القدس، واستمرت هذه الطريقة التزيينية في ما بعد. والرسوم المتقدمة على كسوة من

المحورية وأضلاع المساجد، ولا سيما في المغرب حيث لا تزال عادة البناء هذه قائمة. وفي الشرق على الأخص، ظلّت الفينة عتصراً أساسياً في الأبنية المشيدة بالحجارة أو القرميد، مع اللجوء إلى طرائق مختلفة لربط قاعدتها الدائرية بالبناء المكعب الشكل الذي تعلوه، وذلك داخل قاعة الصلاة في المسجد، أو فوق عرش أو قبر. وإذا كانت المثلثات الكروية بين أقواس القبة لم تستعمل بكثرة إلا في العصر العثماني، وهي بيزنطية الأصل، فإن اختبارات كثيرة أجريت، في أماكن أخرى، على كوى في الزوايا وتُعدّ بأشكال منتزعة، كما قُسمت أحياناً إلى بخارِب ومجوفات متراكبة. وهذا العمل برع فيه البناء الإيراني. أمّا الإيوان - الذي غاباً ما ترتفع فيه الحنية وسط إطار مستطيل وتعليه طابع العظمة - فقد حافظ قروناً على دوره في المساجد والقصور، وفي دور الأسياد، أي إنّه قاعة استقبال ويُستعمل أيضاً للاجتماعات العامة أو لاجتماع المريدین حول المعلم. حتى إنّ الأضرحة نفسها استعملت لها بالإيوان على شكل مدخل فخيم؛ وقد أصبح وجوده، وإن مصغراً، ضرورياً لتوازن الواجهة.

أعطيت هذه العناصر الهندسية - التي بانّت من الثوابت - وظيفة تزيينية كُتب لها البقاء: فقد أعطت صفوف الأعمدة المجال أمام ولادة أنواع كثيرة من الركائز والقوود الصغيرة، أو من المحاريب التي تحولّت كوى صماء. كما أنّ الأقواس فوق الأعمدة اغتنت بالزخارف المتنوعة، وجاءت منكسرة أو متجاوزة أو متعدّدة القوسات لتعطي أحياناً شبكات من طبقات عدة، وهذا ما نلاحظه في تركيبات بعض أبنية الغرب الإسلامي، أو لتتحد بمجموعات من النخاريب والتجاويف العادبة أو الكروية التي أطلق عليها اسم المُقَرَّسات. ونعلم أنّ أسلوب الفُرْسَة كان في البدء تقنية بناء حقيفة، ولكنه قد تدرّجاً هذا الطابع، بعد أن لاقى رواجاً كبيراً في زخرفة الجدران والسقوف، فأصبح تالياً وسيلة مصطنعة ومتكررة، لا علاقة لها بالهيكلة الأساسية للأبنية، ولكنها كانت تُعَدّ بالاعتماد على رسوم نباتية معقّدة للغاية.

٣ - إن اللجوء إلى المفرنس في العالم الإسلامي

سنة ١٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م، والتوفى في دمشق سنة ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م. إن طبيعة العلاقات التي ربطت شعوب هذه المنطقة بالإسلام، التي تتحدّر من جذور مختلفة ومتنوعة، لم تتضح بعد.

وفقاً لما ورد في المصادر القديمة، يُذكر أنّ عناصر مسلمة كانت تعيش، في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، في الدولة المجرية الاتحادية القائمة آنذاك. كان هؤلاء المسلمون قد غادروا بشكل قبائلي رحالة سهول روسيا الجنوبية المجاورة لبلغارتي الفولغا. كان بينهم جماعات تعود بأصلها إلى خوارزم أو إلى أراضي الخزر الأوروپية الآسيوية، وكذلك بعض التجار، وبصورة خاصة عناصر تركية تنتمي إلى قبيلة اليشتينيين التي استمرت، حتى القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، في التوغل داخل هنغاريا أفواجاً متعاقبة حيث كانت تقوم بالدفاع عن الحدود.

لقد لقيت جميع العناصر التي دخلت هنغاريا حظوة لدى الحكام المجرين في حينه. أمّا وضعها كأقليات فلم يشكّل معضلة لأنها كانت تطبّق الشريعة الإسلامية بشكل فضفاض. وفي ما يخصّ تنصّر هذه العناصر، فقد تمّ نهائياً في أواسط القرن الرابع عشر للميلاد، عندما أعلن ملك هنغاريا، شارل - روبر دانجو، وحدة البلاد الدينية. أمّا العادات الاجتماعية التي استمرت لبعض الوقت، فقد اعتُبرت في البدء شكلاً من الثقافة التقليدية وما لبثت أن زالت تدريجياً ولم يبقَ منها شيء، يذكر اليوم.

بعد مرور قرنين تمكّنت الجيوش العثمانية من الاستيلاء على بلغراد في العام ١٥٢١. وبحرفض من السلطان سليمان القانوني، قادت هذه الجيوش الحملات الثلاث غير الموفقة في ١٥٢٦ و ١٥٢٩ و ١٥٣٢، ومن ثمّ وضعت بدءاً على حصن بودا واستولت على مدينة بست في العام ١٥٤١، وضمت إلى ممتلكات المسلمين السهل الذي طالما حلم الأتراك بانتزاعه من آل هابسبورغ ليتمكنوا من الانطلاق منه لمهاجمة مدينة فيينا.

وهكذا بدأ احتلال عسكري عرف مراحل نوبت

النجص الناعم أو المقشوش في العمارات العباسية ساهمت في استمرار أهمية الألوان، وإن كانت البقايث الأثرية الدالة على ذلك قليلة. إن تطوّر فنّ الخزفيات وبريقه الدائم سمحا لهذا المنحى الفني، بفضل ازدهار طريقة الزخرف بالخزف المطلي، بأن يزدهر، معطياً الأولوية للألوان التي غالباً ما طبعت صروح المسلمين، مع أنّ هذا التقليد لا يعود في جذوره إلى الإسلام.

◀ راجع المستندات ٣٦-٤٥، ١٧-٥١، ٥٦، ٥٩-٦٥، ٦٧-٦٩، ٧٢-٧٤، ٨٢، ٨٥، ٨٦.

الهندي (الاتحاد)، مساحته ٥٩٠ ٢٨٧ ٣ كلم^٢، وعاصمته نيودلهي. دولة فدرالية ولدت إثر تقسيم الهند سنة ١٩٤٧، تحتفظ اليوم، إلى جانب الباكستان وبنغلادش الإسلاميين، بأقلية إسلامية تبلغ ١٢٪ من مجموعة السكان الذين يبلغون ثمانمائة مليون نسمة. في هذا الاتحاد، المكوّن من خمس وعشرين مقاطعة فدرالية وست مناطق، تقع أهم الآثار الهندسية التي خلّفها حكام الهند المسلمون القدامى، من سلاطين دلهي إلى المغول، مروراً بالسلاسل المتنوعة في عجرات والدكن. ما يزال المسلمون اليوم مؤرّعين بطريقة متفاوتة. فبعض المقاطعات الفدرالية يضمّ نسبة عالية جداً، مثل كشمير، وبعضها الآخر يحتضن فرقاً تقرب جزئياً من الإسلام، كالسُيخ. وفضلاً عن ذلك، نمت مدينة ممبئي للإسلام مركزاً فكرياً وجامعياً عالمياً الإشعاع، هي مدينة حيدرآباد في الدكن مع جامعتهما المسماة عثمانية^١.

هنغاريا، بالتركية مكارستان، منطقة تقع على الدانوب الأوسط في أوروبا الوسطى، غزّلتها في ما مضى، في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، قبائل آسيوية أسلم بعضها، وعرفت في القرنين السادس عشر والسابع عشر عقوداً عديدة من السيطرة الإسلامية، في ظلّ الامبراطورية العثمانية.

وردت بعض المعلومات حول هذه المنطقة في مؤلّفات علماء الجغرافيا العرب، وأبرزهم رحالة أقام فيها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، هو أبو حامد الأنديلسي الفرناطي، المولود في غرناطة

اليهوديون أو بنو هود ٤٣١-٥٤٠/١٠٣٩-١١٤٦م، واحدة من أبرز سلالات الأندلس خلال حكم ملوك الطوائف، كانت قاعدة حكمها سرقسطة.

هذه الأسرة العربية الأصل، التي تؤكد أنها تنتسب إلى النبي هود الذي وهبها اسمه، شغلت موقعاً إستراتيجياً في الدفاع عن الثغور العليا، شمالي شبه الجزيرة اليبيرية. كما تمكنت من الصمود لفترة في وجه المملكة الأراغونية، متصدية في الوقت نفسه للحملة المسيحية خلال حروب الاسترداد، ولأطماع المرابطين. تميز أفراد هذه الأسرة بنجاحهم السياسي وأخذهم بالحكمة الدبلوماسية والحزم العسكري معاً، سواء في علاقاتهم بالأمراء الغرابة أو مع خصومهم من المسلمين. وهكذا، وسط الأراضي التي ورثوها عن بني ثجيب، والتي كانت تضم وادي الأبيرو بكامله، لعم نجم بلاط ملكي قصده الشعراء والعلماء. ولا تزال آثار قصر الجعفرية - الذي دُمم حديثاً في سرقسطة، ويعود إلى حكم أبي جعفر أحمد الأول المقتدر - تشهد على عظمة هذا البلاط.

أما المرابطون الذين جاوزوا لنجدة أبي جعفر أحمد الثاني المستعين، بعد هزيمته، سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، على أيدي الجيوش المسيحية، فلم يفرقوا إلا بعد موته فرض هيمنتهم على خلفائه والدخول إلى عاصمته التي ما لبث أن استولى عليها ألفونسو الأول الأراغوني في العام ١١١٨هـ/١١١٨م. إلا أن السلالة اليهودية استمرت قائمة في أمكنة أخرى، وقد شاركت متتصرة في ثورة الأندلس ضد «المرابطين» سنة ٥٤٠هـ/١١٤٦م. وافق المتب آخر ممثل لها خلال إحدى المعارك.

سليمان المستعين ٤٣١-٤٣٨هـ

١٠٣٩-١٠٤٦م

أحمد الأول المقتدر ٤٣٨-٤٧٤هـ

١٠٨١-١٠٨٦م

يوسف المؤنن ٤٧٤-٤٧٨هـ

١٠٨٥-١٠٨٦م

أحمد الثاني المستعين ٤٧٨-٥٠٣هـ

١١١٠-١١١٥م

عماد الدولة عبد الملك ٥٠٣-٥٢٤هـ

١١١٣-١١١٥م

متعاقبة من العام ١٥٦٦ إلى العام ١٦٦٣. أدى هذا الاحتلال إلى تنظيم إداري ناجح وباهظ الكلفة، تديره اسطنبول بواسطة حكّام تعيّنهم مباشرة.

لم يواكب هذا الاحتلال أي ترسخ قومي للإسلام، لا عن طريق توطين عائلات تركية ولا عن طريق اعتناق السكان الأصليين دين المحتلين في بلد فقير إقتصادياً، هجره قسم كبير من سكّانه. وفي ما عدا بعض الأبنية الأثرية العثمانية الواقعة في بودا أو في بكس (Pécs)، يمكن القول إن آثار السيطرة الإسلامية ما لبثت أن اُمحّت في النتيجة بعد قرن ونصف القرن من الثورات وزالت بسهولة. إن استرجاع المسيحيين للمنطقة تم على أيدي جيوش آل هابسبورغ وحلفائهم، الذين نزلوا بودا وبست في العام ١٦٨٦، ودخلوا بعد ذلك تونسلقانيا. ولم يبق للعثمانيين إلا مقاطعة نيميشوارا التي انتشرت منهم في العام ١٧١٨.

« رابع المسند رقم ٢٠ ».

هود، شخصية ذكرها القرآن على أنها أحد الأنبياء المرسلين إلى العرب قبل الإسلام.

إن الرواية الواردة في سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء، تجعل منه المنذر لقبيلة عاد المنحدرة من ذرية نوح. يبدو أن شعب هود لم يصغ إليه، شأنه شأن الأنبياء الآخرين المرسلين قبل النبي محمد (ﷺ). لقد تمكن معظم المفسرين في القرون الوسطى من تحديد موضع الرواية في منطقة من جزيرة العرب الجنوبية تقع بين عُمان وحضرموت، وقد تطابق زمال الأحقاف.

إلى هذا التوضع تعزى الشهرة التي تُنسب، في الوسط الإسلامي وفي زمن انتشار تكريم الأولياء، إلى معبد هود أو النبي هود في حضرموت، الذي كان مقصد زيارات تقوية، وهو لا يزال قائماً حتى اليوم. لكنه لم يكن المكان الوحيد الذي كُرمت فيه ذكرى هود. ففي معجم الهُزوي، في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، ورد ذكر أماكن أخرى لقبره في دمشق، في المسجد الجامع وفي مكة، جعل منها الهُزوي أماكن زيارات تقوية.

سيف الدولة أحمد الثالث المستنصر ٥٢٤-٥٥٤هـ/

١١٣٠-١١٤٦م

الهوسا، شعوب مسلمة من زنوج أفريقيا الغربية، انتشرت ممالك ومثلت دوراً فاعلاً في تحول سكانها إلى الإسلام.

من المؤكد أنّ الهوسا اعتنقوا الدين الإسلامي منذ القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، بتأثير دعاة من المندنيغ قدموا من مملكة «مالي» التي كانت تربطهم بها صلات تجارية، ثم تأثروا في القرن الثاني بتعاليم المصلح الديني البربري المغيلي. إن تاريخ الهوسا اختلط، طوال تلك الفترة، بتاريخ مملكة «كانو» والإمارات المجاورة لها، وقد طُبعت مؤسساتها الإسلامية بطابع وثني محلي. بعدئذ خضع الهوسا، في مطلع القرن التاسع عشر ومنصفه، ووسط جو مشحون بالأزمات الداخلية، لدولة عثمان دان فوديو، وهي دولة إسلامية منشدة تحركها روح الجهاد وتسيطر على مقدراتها جماعة من الأرسقراطيين الغرباء، تدعى البول. إنّ البنى التي قامت عليها بلاد الهوسا منحتها حيوية وفعالية سياسية وافضتها صرامة قانونية عقائدية مألوفة المنحى، لكنها كانت مصبوغة أيضاً بشيء من الوهابية، ما أدى إلى الازدهار الذي عرفته العاصمتان غواندو وسوكوتو. في محيط هاتين المدينتين، وذلك حتى عهد الاستعمار وما بعده، كُتب الاستمرار لوضع اجتماعي ديني فريد ما زال يطبع حتى اليوم تنظيم نيجيريا الشمالية الداخلي.

« راجع المستندين ٢٨ و ٢٩.

هولاكو، ٦١٥-٦٦٣هـ/١٢١٧-١٢٦٥م، أمير مغولي، مؤسس سلالة الإيلخانيين في إيران، حكم من العام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م حتى وفاته.

حفيد الفاتح المغولي الشهير جنكيز خان وشقيق الخانين الكبيرين منكو وقوبلاي اللذين تعافيا على الحكم، الأوّل من ٦٤٩ إلى ٦٥٨هـ/١٢٥١ إلى ١٢٦٠م، والثاني من ٦٥٨ إلى ٦٩٣هـ/١٢٦٠ إلى ١٢٩٤م.

قاد هولاكو في اتجاه الغرب، بتكليف من منكو، حملات عسكرية، وكانت هذه قد توقفت عند وفاة جنكيز خان، في العام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، بعد تخريب بلاد ما وراء النهر وخوارزم. غادر هولاكو مُتُغُوليا في العام ٦٥١هـ/١٢٥٣م، وغزا إيران حيث انتصر في العام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م على الإسماعيليين النزاريين المعروفين باسم الحشاشين، واستولى على قلعتهم الحصينة ألموت. ثم دخل العراق ودمّر بغداد، في العام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وقتل الخليفة وأنهى سلطة الخلافة العباسية. وبعد ذلك دخل سوريا، واستولى على حلب ودمشق في العام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، لكنّه اضطر إلى العودة إلى مُتُغُوليا إثر خبر وفاة شقيقه. أمّا جيشه الذي سلّم قيادته إلى القائد كُتُبغا، فعرف هزيمة شنعاء في فلسطين في عين جالوت حيث صدّه المماليك القادمون من مصر، فاضطر إلى الانسحاب حتى العراق.

شكّلت الصحراء السورية - العراقية، بعد ذلك، حدوداً غربية للدولة التي أدارها هولاكو تحت وصاية أخيه البعيدة، الخان الأكبر قوبلاي الذي منحه لقب خان. اختار السيد الجديد منذ ذلك الحين أن يقيم، خلال فترات السلام، في أذربيجان، على ضفاف بحيرة أرمية، وبالتحديد في مزارعه حيث شيّد مباني عديدة، ومن بينها مرصد شهير أنشأه بناءً على طلب العالم الفلكي نصير الدين الطوسي.

الوائق بالله، أبو جعفر هارون (١٩٦-٢٣٣هـ/٨١١-٨٤٧م)، خليفة من السلالة العباسية، حكم من سنة ٢٢٨ حتى سنة ٢٣٣هـ/٨٤٢-٨٤٧م، في حقبة ساءت له المضطربة حيث كانت حامية الخلفاء التركية هي المسيطرة على السلطة.

لم يكن يتمتع حفيد هارون الرشيد هذا، إين المعتصم من أمة يونانية، بأية كفاية خاصة، وقد اختفى من الساحة بعد خمس سنوات من تسلّمه السلطة. كان عليه أن يواجه ثورة القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، فأوكل مهمة قمعها إلى القائد التركي بُغا الكبير، وأيضاً قمع غيرها من الثورات، بينها واحدة قامت في دمشق. لم يغيّر شيئاً في السياسة الموالية للمعتزلة التي اعتمدها أسلافه المباشرون والتي تابعها هو بالحماسة عينها، إلا أنه اصطدم بمعارضة متزايدة من قبّل الأوساط التقليدية التي كانت مهيمنة في بغداد. حينئذ أذكى أحدهم، وهو أبو نصر الخراساني، ثورة فعلية سنة ٢٣١هـ/٨٤٦م أعدم على أثرها بعد أن استجوبه الخليفة بنفسه ولكنه ظلّ متمسكاً بأرائه.

واداي، متنفذة تقع في أفريقيا السوداء هي، اليوم، جزء من جمهورية التشاد. عرفت بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر انطلاقتهما مملكة مستقلة توالى على حكمها ملوك عديدون من سلالات شتى.

في بداية القرن السابع عشر، كان الإسلام قد انتشر بسرعة بين سكّان هذه المنطقة الواقعة غربي دارفور والمُشرّعة على التأثيرات الإسلامية الوافدة من مناطق نهر النيل. وقد دعا شخص يدعى عبد الكريم إلى الجهاد ضد الملك، وأسس، سنة ١٦٣٥، دولة إسلامية جديدة قُدّر لها أن تستمرّ حتى الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٠٩،

وسط اضطرابات ونشوب معارك متعددة طيلة فترة وجودها: صراعات ضدّ الجيران المباشرين، علاقات متضاربة بأباطرة وديانات الفُلّية الناشئة، وصولاً إلى أمبراطورية عثمان دان لوديو، ومع السودان خلال حكم المهدي، ومع بزّة خلال حكم الستوسيين. وفي هذه الفترة تمّ التخلّي عن وارا، عاصمة هذه المنطقة، التي أنشئت في القرن السابع عشر، لمصلحة مدينة أبيشه الحالية.

واسط، مدينة مندثرة في الوقت الحالي، كانت إحدى أهمّ مدن العراق الفروسطية بعد أن أدّت دوراً مهماً، بشكل خاص في بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، في عصر الأمويين.

تقع واسط على المجرى القديم لنهر دجلة حيث أثرها ما يزال على أحد سواعد النهر، في وضع وسطي - أعطاه اسمها - بين الكوفة والبصرة. أسّسها في القرن الأوّل للإسلام الحجاج، حاكم المقاطعات الشرقية باسم الخليفة عبد الملك الذي أرسله إلى العراق لإخماد الثورات. شيّد هذا القائد المنتصر، بين سنة ٨٣ و٨٦هـ/ ٧٠٢ و٧٠٥، هذا المقرّ للجيش السورية المكلفة المحافظة على النظام، وكان مخصصاً للعرب. أمّا غير العرب، وخصوصاً التجّار الذين كانوا يرنادونه، فقد كان عليهم أن يغادروه عند هبوط الليل إلى مدينة كسكر. كان يرتفع، في القسم المركزي من المدينة المحصنة، قصر مجهز بقبة خضراء عالية ومسجد جامع مجاور، اقتصر على الحفريات الأثرية. تنفّرع من هذا المجمّع، الذي كان من المفروض أن يكرّز نموذج بنائه في بغداد، بعض الشوارع المحاطة بالحوائط؛ كما كان السور يضمّ أيضاً، إذا سلّمنا بالأوصاف القديمة التي

للميلاد، طُوِّر الوغاط في سوريا كما في العراق أنساب علمهم بشكل بارز، ونجحوا في أن يجمعوا حولهم جماهير حقيقية، وبذلك كان لهم تأثيرهم السياسي والدبني، وقد وُفِّقوا لمصلحة التقوى. وهذا التأثير خفّت قوّته في العصور اللاحقة.

الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر (١٣٠-٢٠٧هـ/ ٧٤٧-٨٢٣م)، فقيه ومؤرخ عربي، عاش في عصر العباسيين الذهبي، وما تزال كتاباته حول عصر النبي محمد (ﷺ) تشكل مصدراً وحجة عند العلماء المسلمين.

هو مولى لعائلة من المدينة المنورة حيث ولد، وقد أوصى به عند الخليفة هارون الرشيد، ونُصِّد قصره في الرقة حيث حظي بدعم يحيى البرمكي. وفي ما بعد، أقام أيضاً علاقات جيدة بالخليفة المأمون الذي عينه قاضياً لأحد أحياء بغداد. وضع مؤلفات كثيرة لم يسلم منها إلا كتاب «المغازي»، أو كتاب غزوات النبي محمد (ﷺ) العسكرية. له الفضل في جمع مواضع مصنفه بحسب تسلسلها التاريخي. يكشف هذا الكتاب عن صاحبه، فضلاً عن ذلك، ميولاً شيعية.

الوالي ← حاكم إقليم.

وان (الجمهورية التركية)، مركز حديث لمقاطعة مهمة في منطقة الأناضول الشرقية الواقعة على الضفة الشرقية لبحيرة تحمل الاسم نفسه.

كان الموقع سابقاً يتميَّز بقلعة عرفها عالم الجغرافيا القروسي ياقوت، وما تزال أطلالها حتى اليوم تعلو أجرف هضبة صخرية مدهشة. وفي أسفلها كانت تمتدّ محلة دُمُرت كلياً وهُجرت في أثناء الحرب العالمية الأولى، بحيث تميَّز بصعوبة آثار بعض المباني التاريخية، ولا سيَّما المساجد.

بقي تاريخ القرون الوسطى لهذا الموضوع غامضاً إلى حدٍّ ما، وقد ظهر اسمه في كتب المغازي العربية خلال حكم الخلفاء العباسيين ضدَّ بعض الإمارات المسيحية. كانت تسكن المنطقة شعوب أرمينية وكردية، انضمت إليها في ما بعد جماعات عربية. وفي فترة لاحقة يَنازل من التركمان، أشهرها على الإطلاق تلك التي تمثل

وصلت إلينا، ساحات كبيرة كانت معدة لتجمعات الجيوش. وبسبب عدم وجود أبحاث أثرية كافية، لا نعرف المزيد عن المخطط الذي اعتمد عند تأسيسه.

أُسِّتت واسط عاصمة إدارية لعراق الأمويين، وكانت آخر مدينة صمدت بوجه الجيوش التي أمّنت في ما بعد إنصهار «الثورة العباسية». استمرَّت واسط، التابعة في منطقة خصبة غنية بشجر النخيل وبالمحاصيل الزراعية من كل نوع، في عهد الخلافة العباسية، مركزاً حرفياً وتجارياً وفكرياً حيوياً، وكذلك مرفأً نهرياً كبير الارتفاع حتى الآونة التي حوّل فيها نهر دجلة عن مجراه، أي في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد. آنذاك، اندثرت المدينة بشكل كامل، بحيث جرى التعرف إلى موقعها بصعوبة بالغة في القرن التاسع عشر.

«راجع المسند رقم ٨».

واصل بن عطاء، أبو حذيفة الغزّال (٨١-١٣٢هـ/ ٧٠٠-٧٤٩م)، عالم كلام والمؤسس المفترض للمعتزلة. ولد في المدينة، في أسرة من الموالي، ثم انتقل إلى البصرة حيث استقرَّ جُلُّ ما نعرفه عنه أنّه كان ينتمي إلى حلقة الحسن البصري، وقد امتاز فيها بمواقف طريفة، بحسب بعض الروايات. صاهر عمرو بن عبيد، وكان على علاقة وطيدة به. وقد دافعاً معاً عن أطارب غدت، على ما يبدو، أساساً لأفكار حركة المعتزلة.

الواعظ، جمعها الوغاط، دعاة شعيون وأشخاص عُرفوا بالتقوى برزت أسماؤهم منذ العصور الأولى في المجتمع الإسلامي حيث أدوا أدواراً لم يكن لها في البداية طابعها الرسمي.

كان عمل الوغاط يصبّ في نشر الدعوة، وهو يختلف عن أعمال الخطباء الذين كلّفوا أيام الجُمُع بالقاء خطب في المساجد، غالباً ما يكون لها طابع سياسي. وكثيراً ما كان الوغاط يدافعون عن آراء فقهية محدّدة، أو يطلقون النداءات باسم الصوِّبة. ونشاطهم الذي كانت تحظّره السلطة أحياناً، كان موجّهاً إمّا إلى عامة الشعب في الشوارع والأسواق وإمّا محصوراً في المدارس، في الحفّة التي ظهرت فيها هذه المؤسسات. وفي القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر

مفهوم أساسي في الإسلام، أعطى النص القرآني الذي تلاه النبي محمد (ﷺ) قيمته المقدسة. وهو ينسحب على كل الرسائل المساوية السابقة التي نقلها الأنبياء الذين كان النبي محمد (ﷺ) خاتمهم.

لقد وجه الله مثل هذه الرسائل إلى الناس تثبيثاً لهم في الطريق القويم لأنهم معرضون لوساوس الشيطان. هكذا عقد الله ميثاقاً مع أبناء آدم، وهو ميثاق ألمحت إليه آيات قرآنية عدة. جدد الميثاق مع أبناء إسرائيل في زمان موسى، لكنهم نقضوه، فوقعوا؛ ويعدن شمل (الميثاق) العرب. لذا تكرر الوحي في التوراة، ومن ثم في الإنجيل، وأخيراً في القرآن الذي وجه إلى العرب والذي أعاد الحقيقة إلى نصابها، بعد أن شرّها اليهود والنصارى، كما تؤكد بعض الآيات القرآنية وكذلك التفسير اللاحقة:

﴿رَأَى عَلَىكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَّ الْقُرْآنَ وَالْإِنجِيلَ مِنْ قَبْلِهِ هُكَيِّقَيْنِ وَأَنَّ الْقُرْآنَ إِذْ أُتِيَ كَفَرُوا بِآيَاتِهِ اللَّهُ لَهُ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْقِصَارٍ﴾ (سورة آل عمران، الآيات: ٣ - ٤).

ورامين (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، وبالفارسية فرامين، ناحية حالية تقع على بعد خمسين كيلومتراً جنوب شرقي طهران، وقد كانت خلال عهد الإيلخانيين مدينة مهمة في مقاطعة الجبال الفروسيّة.

خلّفت ورامين مدينة الرّي بوصفها مركز محافظة محلية بعدما دمّرت هذه الأخيرة غزوات المغول، ثم فقدت دورها بقيام العاصمة طهران، فلم يتيسر لها الازدهار إلّا بين القرنين السابع والتاسع للهجرة/الثالث عشر والخامس عشر للميلاد. أدّت آنذاك، في سهل خصب - حيث تعبر حتى اليوم مركزاً تجارياً - دور محطة يرئادها الكثيرون، على طريق القوافل القديمة المؤدّية من مدينة الرّي إلى أصفهان. والازدهار الذي عرفته ورامين، منذ عهد السلاجقة إلى أيام التيموريين، يترّ لها الحفاظ، حتى يومنا هذا، على بعض البقايا الأثرية التي تعود إلى ذلك العصر.

إنّ شُذ الأضرحة الشيعية أو ما يعرف بـ «إمامزاده» يشهد لما كان عليه اتّوجه الديني آنذاك. نذكر أيضاً، النبرج - المدفن القائم حتى اليوم على شكل نجمة،

تجمّعات الفراقيونلو والآق قيونلو، وقد امتدّت سلطتها على أذربيجان كلّها قبل أن تقيم إمبراطوريات بالمعنى الحقيقي للكلمة. فقدت وإن مركزها السياسي بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر للميلاد، لمصلحة أخلاط الواقعة على الضفة الغربية من البحيرة، وقد باتت، بخاصة في القرن السادس عشر للميلاد، عرضة للصراعات بين العثمانيين والصفويين الذين كانوا يحكمون آنذاك إيران. احتلّها سليمان القانوني نهائياً وضمّها إلى السلطنة العثمانية سنة ١٥٤٨م. بالرغم من أنّ الروس استقروا فيها بين سنتي ١٩١٥ و ١٩١٧، إلّا أنّ وضعها بقي غير واضح لفترة طويلة، إلى أن ضمت نهائياً إلى أراضي الجمهورية التركية.

وجدة (المملكة المغربية)، مدينة في المغرب الغربي، تقع شمالي البلاد، قرب الحدود الحالية مع الجمهورية الجزائرية، في موقع ذي أهمية إستراتيجية.

أسست وجدة سنة ٨٢٤/٨٢٣م على يدي بربري من زناتة، هو زعيم قبيلة مغراوة التي كانت تناصر أمويي قرطبة، لكنه لم يكن يشعر بالأمان في منطقة فاس فجعل من وجدة مدينة محصنة مزوّدة بحامية مهمة. وفي ما بعد عانت وجدة تداعيات التطوّرات السياسية التي عرفتها المنطقة خلال العصور اللاحقة. فبسبب موقعها على منفذ الطريق الشرقي - المغربي التي تتبع فجوة تازة، كانت عرضة لاحتلالات متتابة من قبل المرابطين والموحّدين، وفي ما بعد ألحقت بولاية بني عبد الواد الذين تركّزوا في ثلثمان سنة ١٦٧٠/١٢٧١م، دمرها المرينيون. ثم أعادوا بنائها سنة ١٦٩٥/١٢٩٦م. منذ ذلك الحين، كانت موضوع نزاع مستمر بين المرينيين وجيرانهم في ثلثمان؛ ثم بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، بين أسباط الجزائر الأفراك وملوك المغرب. ولم تعرف وجدة انطلاقتها الإدارية والاقتصادية الفعلية إلّا في الفترة الحديثة، بعد أن خرجت من الأسوار التي تحيط بها والتي كان أعيد بناؤها مجدداً سنة ١٨٩٦.

«راجع المستندين ١٤ و ١٩».

الوحي الإلهي، التنزيل بالعربية وغالباً الوحي. هو

الذي كان من نصيب أنواع متعددة من الورق، بحسب المشاغل الحرفية والعصور، والذي أطلق أنشطة تجارية مشهورة لها، قبل أن يجري التخلي عن الورق الشرقي التقليدي خلال القرن التاسع عشر لمصلحة الورق الأوروبي المستورد. بعد ذلك استُخدمت طرق صناعية حديثة طمست خصائص صناعة القرون الوسطى التي كانت تستمد المواد الأولية من جرق الكتان وقطع حبال الكيف، لتحصل على اللباب داخل الأجران وطواحين الورق، قبل أن يضاف إليه الماء ويجهز بواسطة غراء من نشاء القمح. أما العجينة فكانت تُغمرش على القوالب قبل أن تجفف وتُفرك وتُملس لتوفر نماذج من الورق ذي النوعية الرفيعة.

وَرَقْلَة (الجمهورية الجزائرية)، مدينة - واحة تقع في قلب البادية الصحراوية، على بعد ٦٠٠ كلم جنوبي الجزائر العاصمة. يُعتبر ازدهارها الحديث صدقاً لماضيها التاريخي.

عُرفت وَرَقْلَة في بداية القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد بإيوائها الإباضيين الذين طردوا من ناهزت بعد خراب مملكة الرُستُميين على أيدي فاطمي إفريقية الأولى. استقر هؤلاء الإباضيون على بُعد ١٠ كلم جنوبي ورقلة، فوق موقع محلة سدرانا. وفي نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، اضطروا إلى مغادرة هذا الموقع متوجهين إلى منطقة المزاب، لكنه ظل بدون شك مأوئاً بعد مغادرتهم. وقد تم الكشف جزئياً عن آثار هذه المدينة، وريثة فن الرُستُميين، التي أثرت عن طريق تجارة القوافل، وهي غير بعيدة عن الموقع المفترض لمسجد جامع ما يزال الإباضيون يزورونه حتى اليوم. وقد تم العثور هناك، داخل مساكن واسعة مطبورة تحت الرمل، على لوحات من الجص المزخرف، لم تتم بعد دراسة خصائصها الأسلوبية كما ينبغي.

بعد أفول نجم سدرانا، عرفت ناحية ورقلة، خلال قرون عدة، مصيراً متقلباً طبعته صراعات بين السلالات المتنافسة في المغرب. لكن ذلك لم يحل دون حفاظها، على فترات، على نوع من الاستقلال الذاتي، ولا سيما في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. خلال

وهو يعود إلى سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، ومسجداً جامعاً كبيراً مميزاً بأربعة إيوانات ومزيناً بالقرميد وقطع الفاشاني، كان قد شيده، ما بين سنة ٧٢٢ وسنة ٧٢٦هـ/١٣٢٢م، الإلخاني أبو سعيد خلف أنجابتو، وأعيد تجميله من جديد سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م في عهد النيموري شاهرخ.

ورق، مادة أُخسّر العالم الإسلامي في القرون الوسطى تطوير استعمالها وصناعتها، ناطقاً إليها على أنها توفر الشروط اللازمة لنهضة فكرية واقتصادية رائعة.

لم تظهر دراسات تقنية تحدد بدقة التطويرات التي أدخلها الحرفيون المسلمون على الطريقة الصينية التي وصلت، منذ النصف الثاني للقرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، إلى الامبراطورية العباسية بواسطة أسرى حرب وقعا في أيدي المسلمين في معركة فالاس. وحدها المصادر الأدبية العربية العائدة إلى القرون الوسطى تفيد أن التطور الأول لمعامل الورق بدأ في سمرقند، ثم في المقاطعات الشرقية كلها في ما وراء النهر وخراسان، قبل أن تنكاثر تلك المعامل في بغداد، مع مؤسسة الفضل البرمكي في العام ١٧٨هـ/٧٩٤م، وفي الجزيرة العربية وسوريا ومصر والمغرب، وفق ما جاء في كتاب الزبيري المسمى بن باديس (٤٢٢-٥٠٢هـ/١٠٣١-١١٠٨م). وكذلك في الأندلس في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. نعلم أيضاً أنه، منذ بداية القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، أمر الخليفة هارون الرشيد بأن يُستخدم الورق - الذي أصبح شائعاً - في الإدارة العباسية بدلاً من الرق والبردي.

من ناحية أخرى، وُضعت عدد وفير من المخطوطات تكفي وفرتها ونوعيتها لتشهد على قيمة إنتاج الورق الذي سمح بنشر مؤلفات علمية تم نسخها بأعداد كثيرة. إن المكانة المرموقة التي احتلتها فنون الكتاب، الذي كان دائماً من أهم مميزات الحضارة الإسلامية - سواء من ناحية الخط أو الزخارف أو الممنمات - تعود في مجملها إلى تطور صناعة الورق التي سمحت بخفض سعره.

لم تُبدَل، حتى الآن، جهود كافية لاستثمار المعلومات المتوافرة في سبيل مراحل التطور الحرفي

إنَّ لقب «وزير» الذي أُعطي خلال الثورة العباسية للداعية أبي سلمة الذي ما لبث أن أُعدم بجرم الخيانة، أُل إلى رجل يُعرف بأبي أيوب، الكاتب الخاص بالخليفة العباسي الثاني المنصور، بحسب مدوّنَي الوقائع التاريخية. أمّا ثالث الخلفاء العباسيين، المهدي، فقد حوّل لإدارة بيت المال نائبه الخاص الذي ربما كان وزيراً، ثم دعا شعبياً نائباً اسمه يعقوب، وعينه «أخاً في الله ووزيراً»، دلالة واضحة على الآية القرآنية التي تخصّ هارون. في ما بعد، خلال خلافة هارون الرشيد، برزت أسرة البرامكة التي تعود بأصلها إلى بلخ، ومنها يحيى الذي أصبح وزير هارون الرشيد بعد أن كان وصياً عليه في شبابه. ساعد رجل الدولة القوي هذا إِبْشاء اللذان كانا يتصرّفان على أنهما مباشرين للخليفة. لكنّ أشهرهم على الإطلاق كان جعفر الذي دفع حياته ثمناً للموقع المتميز الذي شغله على مدى خمس عشرة سنة في خدمة الخليفة. بعد فترة وجيزة، امتنع المأمون عن اعتماد وزراء خلال القسم الثاني من ولايته، بعد أن اتخذ مستشاراً إيرانيّاً أميناً له، هو الفضل بن سهل. لكنّ خلفاءه اضطروا تدريجياً، مع نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، بسبب تعرّضهم لمتاعب مالية ضخمة، إلى إسناد إدارة الدولة إلى وزراء متخصصين. هكذا ندب المقتدر انشاب نبأً لهذه المسؤولية شخصين من اصحاب الكفاية، رغم توجّهاتهما السياسية والدينية المختلفة جدّاً، وهما ابن الفرات وعلي بن عيسى. كان الوزير يحتلّ آنذاك المكانة الأولى في الدولة، إلى أن اضطّر ابن الفرات إلى الإفصاح في المجال لقائد الجيوش - وكان آنذاك الأمير مؤنس - فأرغم على استدعائه إلى بغداد ومعاملته بمزيد من الشرف، بذهابه شخصياً لإلقاء التحية عليه يوم عودته.

في الواقع، خلال هذه الفترة الأولى التي تمتد بين العامين ١٣١ و٧٤٩هـ/٩٣٦م، بدا الوزير بشكل أساسي على أنّه رأس الإدارة وأنّه أصبح الوسيط الوحيد بين الخليفة وأصحاب الدواوين. لقد رُقّي إلى مستوى رئيس حقيقي للحكومة، يطبّق سياسة شاملة - شرط أن يقدم أمام سيّده الموافق على سياسته حساباً بأعماله

هذه الفترة، كانت ورقة مركزاً تجاريّاً شبيكاً فوصفت به «باب الصحراء». وكان اقتصادها يقوم على غنى نخيلها وعلى المبادلات بين البدو والحضر؛ لكنّه بدأ بالتحوّل سنة ١٨٧٢. ومنذ ذلك الحين بدأت يشائر التحديث تظهر بوضوح نتيجة تمركز السلطة الفرنسية فيها. وتتميّز هذا التحديث بفضل الاهتمام الذي أولّته إِيّاه الحكومات الجزائرية بعد الاستقلال.

الوزير، لقب شرف كان يُمنح للشخص الذي يقوم لدى الحاكم بمهامّ رئيس الوزراء في مختلف الدول الإسلامية في القرون الوسطى وحتى الفترة المعاصرة. وكان حاملة يجمع، إلى كفايته السياسية، مكانة انخام الشخصي للخليفة التي تجعله واحداً من الأشراف الكبار في بلاطه.

١- ظهر اللقب في العصر العباسي واستعمل للدلالة على المساعد الرئيسي للسلطة، بحيث يمكن أن تتنوع مهمّته حسب الحالات: فيكون أمين سرّ للديوان أو مديراً للشؤون المالية أو حاجباً، أو مستشاراً شخصياً غير محدّد مهمّاته. عُرف بالتسمية العربية «وزيراً» التي «فرست» وصارت «فُزِير» (vizir) بعد استعمالها في الإدارة العثمانية - لأن استعمالها انتشر بشكل واسع عبر القرون - لكنّها لم تحط بالشهرة نفسها في الغرب الإسلامي كما كانت الحال في الشرق. ظهرت هذه اللفظة أوّلاً في القرآن الكريم حيث استعملت لهارون، أخي موسى ومساعداه. هنا يبدو بلا شك السبب الذي من أجله استعمل العباسيون هذه اللفظة، فهم الذين رُوجوا لمتّهمهم بعناية إلهية خاصة، فحرصوا على أن يصفوا الشخص الذي يمثلهم في مهمّاتهم على هذه المشاكلة بهذه الصفة. وتذكّر مهمّته أيضاً بمهمّة وزراء ملوك الساسانيين الذين دأب الخلفاء على مناصبتهم، معتبرين أنفسهم مساوين لهم، لا بل ورثة لهم. يبدو أنّ مثلي السلاطة الخليفة الثانية الكبرى في الإسلام لجأوا إلى الاستعانة بوزراء لسبب مزدوج: توطين الهالة التي انصبت بها سلطتهم وزيادة عظمتهم الدينية. يُستثنى من ذلك الخلفاء الذين، في البدء، اعتدوا بأنفسهم بشؤون إمبراطوريتهم، ولم يعبثوا مفوضين أقوياء بنوبون عنهم.

عدة هذه المسؤولية في مختلف العواصم. بعد فترة وجيزة، منح السلاطين المتمتون إلى سلالة السلاجقة الوزارة رونقاً مميزاً: فقد تولى الوزراء الذين يحملون هذا اللقب ويختارون في الأغلب من بين الإيرانيين إدارة إمبراطورية السلاجقة، وأشهرهم الوزير الكبير المعروف بنظام الملوك.

تناقصت أهمية وظيفة الوزير في ما بعد خلال تفكك الإمبراطورية السلجوقية الإيرانية وتجزئتها، لكنها عادت فاستعادت بعض رونقها لدى الخلفاء العباسيين الذين حاولوا آنذاك أن يتحذروا من وصاية السلاطين، فاستخدموا مساعدين كابن قتيبة مع نهاية القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. في غضون ذلك، تصدّر بعض الوزراء في مصر الفاطمية بصفتهم رؤساء حكومة مكلفين خصوصاً بالأعمال الإدارية والمالية. كان هؤلاء الوزراء يتحذرون، في أغلب الأحيان، من أوساط يهودية أو مسيحية ولكثمتهم اعتنقوا الإسلام. ويمكن أن نجد أيضاً أشخاصاً حافظوا على مسيحتهم وتسموا في بعض الحالات هذا المنصب الرفيع، وهذا ما لم يكن ليحدث في مكان آخر. إن انحطاط الخلافة الفاطمية خلال الفترة الأخيرة من حكم السلالة، زاد من أهمية الوزير الذي كان، إضافةً إلى منصبه، يتولى في أغلب الأحيان قيادة الجيش، كما حصل مع بدر الجمالي الشهير ومع ابنه الأفضل، على سبيل المثال.

في الأناضول لعب وزراء آخرون، كصاحب عطا، دوراً مهماً خلال حكم سلاجقة الروم. لكن وظيفة الوزير عرفت، في ظلّ الحكم العثماني، تطوراً جديداً ظلت بدايته غامضة. من جهة، أطلق على وزراء أقدم السلاطين اللقب الفارسي «پروان» الذي يعني «نظام»، ومن جهة أخرى فإن لقب الوزير، عندما بدأ استعماله، أطلق على أشخاص علة. ويبدو أنّ السلطان، بعد سقوط القسطنطينية في سنة ١٤٥٣م، اعتمد على وزير كبير عُرف أيضاً باسم الصدر الأعظم. وقد نهض بدور مشابه لدور الوزير العثماني في الحقبة الكلاسيكية، محافظاً في الوقت نفسه، بوزراء ثلاثة دُعوا «وزراء القبة»، كانت توكل إليهم مهمة القيادات العسكرية.

بانتظام - وفي المناسبة، سمح لنفسه بالاستثناء بصلاحيات أوسع. كان يمكن في بعض الأحيان أن تظهر إلى العلن صراعات عنيفة بين سيد اغتصبت سلطته وخادم فعّال قادر على أن يظهر استقلالية واسعة. إن زوال حظوة البرامكة بعد فترة صراع مُستتر بين سياسة الخليفة وسياسة أتباعه الطموحين، يبقى المثال النموذجي لهذا الوضع. إلا أنّ هامش الحرية هذا لم يتوافر لجميع الوزراء. إن تفاوت مواقعهم يفسّر نظرية القتيبة الماوردي الذي ميز بين وزارة «التفويض» التي ينتخب صاحبها بكل السلطات، ووزارة «التنفيذ» التي يكون صاحبها محدود الصلاحيات. لم يكن لهاتين المسؤوليتين ما يناسب كلاً منهما من لقب واضح، بل كان ذلك يتعلق بالأدوار المختلفة التي كان يقوم بها هؤلاء الأشخاص، في دولة بني العباس، خلال العقود المشار إليها.

خلال الفترة نفسها، عرفت أيضاً مقاطعات الإمبراطورية والدول المعاصرة للدولة العباسية أشكالاً أخرى لمنصب الوزير، تحت اسم مختلف كلياً. فقد استعان أمويو فرطية بوزراء لم يحصلوا على لقب وزير بل على لقب حاجب. أدار هؤلاء الأشخاص المهرة الذين لقوا حظوة كبيرة، شبيهة بحظوة وزراء العباسيين في تلك الحقبة، مجموعة دواوين الدولة، وقاموا أحياناً بدور رؤساء الحرب. لقد نجحوا في أواخر القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد في أن يصبحوا عمدة البلاط بحق، على غرار ابن أبي عامر الذي اشتهر في الإسمانية باسم المنصور. لكن الكثيرين من صدور العاشية الملكية الذين بقيت مهماتهم ثانوية، حصلوا في المقابل على لقب وزير من دون أن يتسموا بأية سلطة أو امتياز. ٢- في الحقبة اللاحقة، تطوّرت ممارسة السلطة في الشرق، وخلال مرحلة ثانية ممتدة من سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م حتى الفترة المعاصرة، فقد وزراء الخلافة وقمة مقامهم، وإن بدت وظيفة الوزير ضرورية أكثر من أي وقت آخر، لتنظيم الدولة الإسلامية. إنّ البويهيين وكلّ الذين تولّوا منصب أمير الأمراء قد انتزعوا من الخلفاء العباسيين استقلالية قراراتهم، واتخذوا لأنفسهم وزراء يقومون بأعباء الإدارة والاضطلاع بعدد من المسؤوليات. ولما لم تكن مملكة البويهيين موحدة، فقد تولّى وزراء

والأكراد الذين تولّوا الوزارة استعاضوا، في الوقت نفسه، توسيع سلطة هذا المنصب.

أمّا اليوم فقد اندثرت الوزارة، في مفهومها التقليدي، كما الخلافة والسلطنة، لكن لفظة وزير المستعملة باستمرار غدت مرادفة للمدلول المتعارف عليه في أيامنا.

الموصية، الوصايا، تدابير قانونية خُليقت في البلاد الإسلامية وأضيفت إلى ما قضى به الشرع الإسلامي بشأن الإرث، وقد حدّد هذا الشرع بدقة نصب كل فرد من المعيّنين. وطبقاً لبعض الأعراف، كان ينصح باعتماد الهبة بالوصية. وإن كانت لا تتجاوز ثلث الإرث كما يؤكّد الفقهاء المسلمون. إنّ أحكاماً قانونية أخرى غير متعلّقة بثروة المتوفى، ولا سيّما الوصية ذات المطابع السياسي، كان لها أهمية كبيرة في المجتمعات الإسلامية خلال العصور الوسطى. كان يلجأ إليها الحكام إمّا لتسمية وريث تأمينا لاستمرارية السلالة، بموجب عقد أو عهد - وقد استخدمها، بصورة خاصة، الخلفاء العبّاسيون الذين غالباً ما كانوا يعبّتون وريثين متعاقبين للتأكد من استمرارية السلطة في هذا البيت - وإمّا لاعطاء وراثي السلطة نصائح سياسية عن طريق الوصية. وقد كُتبت نصوص الوصايا التي حفظت بأسلوب متكلف بدفعنا أحياناً للشك في أصلها، إذ يبدو أنّ لم يكن الهدف من بعضها سوى أن تُبَرّر استدلالاً السياسة التي اتّبعها الأمير. إلّا أنّ هذه النصوص لها دلالات مهمة بالنسبة إلى المؤرخين.

من جهة ثانية، كان للوصية قيمة سياسية معيّنة لدى أهل الشيع، لأنّ هؤلاء كانوا وما يزالون يؤكّدون شرعية الحقوق المعترف بها لعلي وللائمة، عبر تعيينات متتالية، بناء على «النص». إن هذا النوع من التعيينات الذي حافظت الاوساط الشيعية باستمرار على أهميته الأساسية، غداً مقبولاً أيضاً في الأوساط السنية كنهج متبع لاختيار الخليفة الجديد، لكن كان لزاماً، في هذه الحالة، أداء يمين الولاء أو البيعة تقليداً أساسياً يؤخذ به في انتقال السلطة.

الوطاسيون أو بنو وطاقس (٨٧٧-٩٥٦/١٤٧٢-

كان متقلّداً هذه المناصب يُعتبرون خلفاء محتملين لنصير الأعظم شاغل المنصب، وكان يحلّ ثانيهم مكانه عندما يموت أو يُعزّل، وقد اختيروا من صفوف الدُوريزما، وهذا ما يفسّر كونهم في أغلب الأحيان من قرى مسيحية في البلقان. إلى جانبهم كان يجلس، في الديوان السلطاني، رئيس التنظيم القضائي ويدعى «قاضي عسكر»، ورؤساء الإدارة المالية (بيت المال) المعروفون بلقب «دفتر دار»، وكان سِرّ السلطان، النيشانجي. كان الصدر الأعظم في الدولة العثمانية يتمنّع بسلطات واسعة، لكنّه كان معزّضاً، ككل وزراء القترات الماضية، لعزل عني، وإن يكن نجح في فرض هيته وهيبته عائلته. وخبر مثال على ذلك عائلة كوبرولو التي كانت خلال ثلاثين سنة، من ١٦٥٦ حتى ١٦٨٣، قد تمتنّع بسلطات واسعة: ففي حين أنّ محمد كوبرولو وهو من أصل ألباني، قد تقلّد وظيفة الصدر الأعظم بعد وظائف أخرى عدّة، وعمل على إصلاح النظام بالجورج إلى إجراءات قاسية أحياناً لتطهير النظام الإداري والعسكري، ومع أنّ ابنه الذي تابع سياسته وأنهى فتح كريت، نرى أنّ صهره، وهو من أصل تركي، قد أعدم بأمر من السلطان سنة ١٦٨٣، بسبب فشله في حصار فيينا.

في الفترة ذاتها، ومباشرة بالقرب من الأمبراطورية العثمانية، وُجد في إيران الصفويين، بطريقة مشابهة، وزير أعظم كان يمارس سلطاته المختلفة في إطار مجلس استشاري أمبراطوري أو ما يُعرف بالديوان. وهناك أيضاً كان الرجل الأقوى يتعرّض لمنافسة أصحاب المقامات الأخرى، كالكوبل أو ممثل الملك المتكلف حمل مهره، والقائد العام. لم يحدث إلّا نادراً، في فترات قصيرة، خصوصاً خلال القرن السادس عشر، أن اجتمعت هذه الوظائف الثلاث في وزير واحد يحتلّ مكانة مرموقة من الدرجة الأولى. وكان الأكثر شيوعاً أن توكل هذه المهمات إلى رجال عدّة، وغالباً من أصل مختلف، لأنّ الوكيل والقائد العام كانا عادةً من أصل تركي، بينما الوزير الأعظم الذي ظلّ متمنّع بسلطة رئيسة على كل إدارات الدولة كان بالأحرى من أصل إيراني، على الأقل حتى نهاية القرن السابع عشر، بحيث أنّ الأتراك

هذه التسمية تذكر بالوفد الذي قُوض المطالبة بإلغاء الحماية البريطانية سنة ١٩١٨، وقد أوقف أعضاؤه آنذاك، ومن ثم، أخلي سبيلهم. لم يكف يوماً هذا الحزب الذي أدار سياسته، حتى سنة ١٩٢٧، سعد زغلول باشا، ومن ثم مصطفى النحاس أو النحاس باشا، عن المطالبة بالاستقلال الكامل للبلاد، وبشمول الإدارة المصرية السودان، وتأميم قناة السويس. منذ سنة ١٩٢٣، دخل الحزب في صراع مع الملك فؤاد الذي ينتمي إلى سلالة الخديويين المتحدرة من محمد علي، لكن لم ينسحب له حكم البلاد إلا خلال ثلاث فترات، ولأوقات قصيرة جداً.

بعد وفاة الملك فؤاد سنة ١٩٣٦، فاز حزب الوفد بالانتخابات التشريعية، وهذا ما أهله لحكم البلاد من جديد بين سنتي ١٩٣٦-١٩٣٧ في عهد الملك فاروق، ولعقد الاتفاقات مع بريطانيا العظمى التي جاءت مكاملة للإعلان البريطاني حول إنهاء نظام الحماية على مصر. إلا أن المشكلات السياسية والاجتماعية، الناجمة عن الحرب العالمية الثانية، قلصت نفوذ الحزب وأدت إلى إبعاده عن الحكم فعلياً بعد الانقلاب الذي جرى في العام ١٩٥٢ والذي مهّد إلى تسلّم عبد الناصر السلطة.

الوقف، جمعها أوقاف، أو الخُوس في المغرب، من العربية حَسَنَ (وقف في سبيل الله)؛ أملاك مرصودة في الوسط الإسلامي، لا يحقّ لمالكها الأصلي أن يتصرّف بها، ترجع عائداتها لاستعمال معين، يحدّده الواهب بحيث يحوز وقفه مرضاة الله.

يجب أن يكون الوقف املاكاً لا تتضاءل قيمتها بالاستعمال، صالحة للتجارة. وكان في أغلب الأحيان، عبارة عن أراضي أو حوانيت، وأحياناً أشياء ككتب مخصّصة لمكتبة. كانت عائدات الوقف تساعد عادةً على صيانة الأبنية الدينية كالمساجد والمدارس والزوايا، كما كانت تساهم أيضاً في المحافظة على الأبنية ذات المنفعة العامة، كالمسشفيات والجسور والواقية. وُجد أيضاً ما يُسمى «الوقف الذري» الذي كانت عائداته مخصّصة لذرية المؤسس؛ لكن، في حال انقراض الذرية، تعود العائدات إلى الفقراء. انتشر نظام الوقف هذا في القرون الوسطى بشكل واسع، لأن الأغنياء

(١٥٤٩م)، سلالة تُسبى للمرينيين، بعد أن غاب هؤلاء عن المساحة السياسية، استولت على السلطة في المغرب الأقصى، وحكمت هناك خلال عقود عدّة من دون أن تنجح في حلّ المشكلات القائمة في البلاد. كان الوفاستيون الأوائل أوصياء على الحاكم المريني عبد الحق الثاني الذي هلك ضحية ثورة شعبية سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م. وفي سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م، وبعد فشل الذي مُني به شريف من الذرية الإدريسية، نجح محمد الشيخ في الاستيلاء على فاس حيث حصل على لقب سلطان. استدعى الوفاستيون، مع أنهم بربر، عناصر عربية لتسلّم بعض المراكز المهمة وأبعدوا الزعماء المحليين، لكنهم لم ينجحوا أبداً في إعادة وحدة المملكة، في مواجهة البرتغاليين الذين استولوا على أصيلا وطنجة سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م، ما أرغم الوفاستيين على قبول هدنة نُقضت سنة ١٥٠١م، ولم يستطع هؤلاء، في ما خصّ الأندلس، أن يمنعوا سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. إن عدم قدرتهم على مقاومة البرتغاليين الذين استولوا على الجديدة سنة ١٥٠٢ وعلى أسفي سنة ١٥٠٨، أدّى، منذ العام ٩١٨هـ/١٥١٢م، إلى ظهور مجاهدين في هذه المنطقة، ينتمون، بشكل عام، إلى فرقة الشاذلية. وقد اضطّر الوفاستيون آنذاك إلى الانكفاء نحو الشمال، بينما استولى السعديون على مراكش في سنتي ٩٣٩ و٩٤٠هـ/١٥٣٣ و١٥٣٤م، وعلى فاس في سنة ٩٥٦هـ/١٥٤٩م، مسجلين بذلك نهاية السلطة الوفاستية، وقد ساعدتهم إندفاعهم للتصدي للتدخلات الأجنبية على الانتصار.

أبو زكريا يحيى ٨٣١-٨٥٢هـ/١٤٢٨-١٤٤٨م

علي ٨٥٢-٨٦٣هـ/١٤٤٨-١٤٥٩م

محمد الأوّل الشيخ ٨٦٣-٨٧٧هـ/١٤٥٩-١٤٧٢م

محمد الثاني البرتغالي ٨٧٧-٩٣١هـ/١٤٧٢-١٥٢٥م

أحمد ٩٣١-٩٥٢هـ/١٥٢٥-١٥٣٥م

٩٥٤-٩٥٦هـ/١٥٤٧-١٥٤٩م

محمد الثالث القصري ٩٥٢-٩٥٤هـ/١٥٤٧-١٥٤٩م

الوفد، لفظ عربي يعني البعثة. وقد أُطلق، بشكل خاص، على حزب سياسي اضطلع بدور مهمّ في مصر، خلال الفترة التي تفصل بين نهاية الحرب العالمية الأولى وإسقاط الملكية سنة ١٩٥٢.

كانت عائداتها تُستعمل، في جزء منها، لتأمين دخل منتظم لبعض الأشخاص. نُضاف إلى هذا، نتائج الأعمال المشبوهة والفساد التي غالباً ما تبرز فيها القضاة المكلفون مراقبة الأوقاف.

إن أهمية رؤوس الأموال المجمدة بهذه الطريقة، والتجاوزات التي أدت إليها إدارتها، دفعت بمختلف الحكومات الإسلامية، منذ القرن التاسع عشر، إلى التدخل في إدارتها. إذا كانت قد جرت المحافظة على الأوقاف بشكل كامل في إيران، فإنه، في المقابل، تم تأسيسها في الجمهوريات السوفياتية الإسلامية السابقة. أما في تركيا فإن إدارة الأوقاف التي أنشأها نظام أتاتورك قرّرت، سنة ١٩٣٨ أن تباع الأراضي ذات المردود الضعيف لإقامة مباني ذات عائدات أكثر أهمية. وفي بلدان أخرى، أخضع هذا النظام للمراقبة. أما في مصر، فمُنذ سنة ١٨٤٥ منع محمد علي استحداث أوقاف جديدة؛ وفي سنة ١٩٤٦ اعتمد تنظيم يحد، بشكل خاص، من اللجوء إلى الأوقاف «الذرية» التي أُلغيت في النهاية سنة ١٩٥٢. كذلك اتُخذت قرارات في الاتجاه نفسه في الهند وأفريقيا الشرقية.

الولاية، بالتركية «فيلایت»، لفظ عربي يشير أصلاً إلى مهمة الحاكم أو الوالي، وبالتوسّع في المعنى، إلى الأراضي التي يمارس عليها هذا الحاكم سلطته.

إن اللفظ الذي حافظ في شكله، حتى العصر الحالي، على معناه «كدائرة ومحافظة»، كانت قد استعملته الإدارة العثمانية للإشارة إلى حكومات هذه المقاطعات الكبرى. أما في المعجم العربي التقني الفقهي فكان يحمل معنى «الوصاية»، إما الوصاية التي يمارسها الوصي على يتيم، وإما الوصاية الزوجية التي فرضتها ثلاث مدارس فقهية من أصل أربع، في حال زواج الفتيات.

لا يجب الخلط بين ولاية والكلمة القريبة منها ولاية التي تشير إلى صفة الصديق، وأكثر تحديداً، إلى حبيب الله أو الولي، التي حازها، بحسب العقيدة الشيعية، عليّ والأنسة العلويون؛ والتي اعترف بها، في ما بعد، للأشخاص الأتقياء المكثرين، وذلك مع ازدهار حركة «تكريم الأولياء».

الكبار، وبخاصة أصحاب المراكز المهمة في الدولة، قد أخذوا به لمنع أية مصادرة محتملة لثروتهم. زد على ذلك أن الوقف الذري كان أحياناً وسيلة لتجنب قواعد الإرث الإسلامية التي تنصّ على تقسيم صارم لأملاك المتوفى.

اعتُبرت الأملاك التي تكوّن الوقف أملاكاً خاصة بالله، وتالياً مقدسة. إن القاضي هو الذي يسهّر على حسن استعمال عائداتها وعلى استمرار الأوقاف الخيرية التي يتحمّل مسؤوليتها. وكانت جميع صكوك الوقف تذكر باللعنة الإلهية التي تحلّ على كل من يحاول تغيير وجهة استعمالها أو بيعها، وقد جرت العادة أن يُرَكِّز في الصكوك على تلك اللعنة بالإستشهاد بالآية القرآنية: ﴿فَمَنْ بَدَّلْ بَدَلًا سِمْمَ فَإِنَّهُ عَلَى اللَّهِ يُبْلَوُهُ إِنَّ اللَّهَ نَجِيعٌ عَرِيمٌ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٨١).

إن بدايات نظام الأوقاف غير معروفة. يربطها فقهاء القرون الوسطى بأعمال الخير المنصوبة إلى النبي محمد (ﷺ)، وبغزوبنها من أعمال الصدقة. إلا أن القوانين المطبقة بهذا الخصوص لم تُحدّد فعلاً، على ما يظهر، قبل عصر الشافعي الذي يتصدّى في مؤلفاته لبعض المفاهيم التي يعتبرها مغلوطة. ومهما يكن من أمر، فقد أدّى نظام الوقف دوراً مهماً في بلاد الإسلام حتى الفترة المعاصرة. وبفضل هذا النظام، وُجدت منشآت مدنية عدّة، نتيجة لمبادرات خاصة، واستمرت مفاعيلها عبر السنين مؤسّسة أعيان إدارة الأبنية وصيانتها. حتى الانشاءات الناتجة عن مبادرة الملوك، كانت نرافها أوقاف، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لتأمين الصيانة المنتظمة للأبنية الدينية والمدنية دون أي تدخل للدولة. وهكذا غدت حياة المدن مرتبطة بالوقف الذي كان يحافظ على أكثر الضروس جمالاً، ويحتفظ، لهذا الغرض، بجزء كبير من الأبنية ذات المدخل أو المحابيت التجارية: حتى الأراضي الزراعية المجاورة، غالباً ما كانت تُلحَق بالوقف بغية تغذية المنشآت من خلال عائداتها. ساعدت هذه الطريقة على المحافظة على غنى العديد من المدن وعلى نموّها. لكن، في المقابل، كانت لها نتائج مضرّة لأن الأملاك الموقوفة لم يكن يُسمح بيعها أو إدخال تعديلات عليها، في حين

منذ إنطلاق تقليد «تكريم الأولياء» في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، حاملي بركات [الله] إليهم. غالباً ما كانوا من الأتقياء الذين أخذوا بممارسات أهل الصوّف وحازوا احترام معاصريهم. أمّا الأضرحة التي ضُمَّت رفات الأئمة فقد أطلق عليها اسم «إمام زاده»، في حين أنّ مقام الأولياء وسائر القباب، المعروفة في المغرب بإسم رباطات، تعني المباني الشّادة تكريماً للمتصوّفين المزوّدين نعماً خاصة، سواء انتموا إلى الطرق الصوفيّة أو لم ينتموا إليها.

ولي الله الدَّلَّوَلِي ← شاه ولي الله.

الوليد، اسم حمله خليفان كانا ينتميان إلى فرع المروانيين من السلالة الإسلاميّة الأولى، وهي سلالة الأمويين، وقد عاشا في سوريا في أواخر القرن الأوّل، وبداية القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد.

الأقدم هو الوليد الأوّل أو الوليد بن عبد الملك، (٥٥-٩٦هـ/ ٦٧٥-٧١٥م)، الذي خلف والده عبد الملك في حكم دام عشر سنوات، بين ٨٦ و٩٦هـ/ ٧٠٥ و٧١٥م. عُرف، بنوع خاص، بحبّه لإقامة الأئمة، فأمر بأن يُرفع في دمشق، داخل قدس هيكل قديم. مسجد الأمويين الشهير، المسجد الجامع الذي ما يزال قائماً حتّى اليوم، والمزقن جزئياً بأشكال الفسيفساء التي أسهمت في شهرته، رغم أعمال الترميم المتتالية. أشرف الخليفة على أعمال بناء المسجد عن قرب، بعد أن انتزع من المسيحيين ودمر كنيسة القديس يوحنا المعمدان. وكانت هي قد حلّت من قبل محلّ هيكل وثني. يعود إليه الفضل أيضاً في تجديد بناء المسجد الجامع في المدينة المنوّرة والمسجد الأقصى في القدس، الواقع قبالة قبة الصخرة التي رفعها والده عبد الملك وأكملها هو. تابع أيضاً تعريب الإدارة التي شرع بها عبد الملك. كما أبعد المسيحيين، من أعقاب ابن سرجون، عن ديوان المال الذي كانوا يتولّون إدارته حتّى ذلك التاريخ. في عهد خلافته تناهت الفتوحات الإسلاميّة الكبرى، سواء في الشرق حيث وصلت الجيوش العربيّة الإسلاميّة إلى ما وراء النهر والسند، أو في الغرب حيث ابتدأ احتلال شبه الجزيرة الإيبيرية التي أخضعها موسى بن نصير بين

وَلِيّه (إسبانيا)، مدينة مرفئية صغيرة في غرب الأندلس، يعود ازدهارها المرتبط بازدهار ضاحيتها في جزيرة شلنيش إلى نموّ الملاحة الأطلسيّة في القرون الأخيرة من الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية. قامت في وليّه، إلى جانب أنشطتها التجارية، صناعات لبناء السفن تنامت، بوجه خاص، خلال عهود ملوك الطوائف في بداية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. نهض بأعباء حكمها خلال تلك الحقبة بلضع سنوات، عاهل مستقلّ، هو والد العالم الجغرافي البكري، ثم لم تلبث أن عادت إلى حظيرة سلطة بني عبّاد وسائر الأسر الحاكمة في أشبيلية، وارتبط مصيرها بمصيرهم، إلى أن استعادها المسيحيون خلال حروب الاسترداد بشكل نهائي في العام ١٢٤٦/ ١٢٤٨م.

◀ راجع المستند رقم ١٥.

الوَلِيّ، والجمع أولياء، لفظ عربي. يُنقل أحياناً إلى الفرنسيّة بالتعبير عنه (ouali)، وهو يصف، في الاستعمال الإسلامي المألوف، شخصاً قديساً موضوع تكريم، كما يعني المزار المُقام تخليداً لذكراه. بصورة عامّة، يعني اللفظ «الصليق والحامي والقريب لكذا». هذه المعاني هي التي نجدها في القرآن الكريم حيث يعني الوَلِيّ أقرب الأقرباء الذي يُرزّ مقتله الثأر، كما يعني أيضاً صديقاً أو قريباً إلى الله. وقد أطلقت اللفظة على النبيّ محمّد (ﷺ) وعلى الله نفسه الذي هو «وَلِيّ الذين آمنوا» [القرآن، سورة البقرة، الآية ٢٥٧].

ساد الاعتقاد بأن أولياء الله يحظون في الجّة بمكانة معيّنة، نجعلهم في منزلة «المقرّبين» الذين يشير إليهم القرآن تكراراً، وبمنزلة «الصالحين» الذين يذكّركم القرآن أيضاً (مثلاً في الآية ٣٩ من سورة آل عمران). هكذا عنت كلمة وَلِيّ من شملته «المحبة الإلهيّة» أو الولاية، وهي كلمة من الجذر نفسه عنت في الوقت عينه الامتيازات التي للأئمة العلويين، والتي بموجبها كان على مشايخهم أداء الطاعة المطلقة والتفاني في سيّلمهم.

أمّا بالنسبة إلى عامّة الناس فكان هؤلاء الأولياء، الذين هم من أصول متنوّعة والذين بدأ تكريم أضرحتهم

شهد ابن عبد الوهاب، بعد أن كان مستشاراً لمحمد بن سعود ولايته عيد العزير، أولى الفتحاح السعودية.

هدفت الوهابية إلى إقامة دولة سنية مبنية على إسلام متجدد. تخالف عقيدتها عقائد فرق المعتزلة والمقدورية والخوارج والشيعية. حاربت بشكل خاص الحركة الصوفية و«البدع المستنكرة» التي أدخلتها هذه الأخيرة [في الإسلام]. وعملاً بتعاليم ابن تيمية التي استلهمها ابن عبد الوهاب، أدان الوهابيون تكريم الأولياء ومختلف مظاهره، ولا سيما زيارة الأضرحة، وقد عمدوا إلى تدمير بعضها. إنطلاقاً من دفاعهم عن وحدانية الله المطلقة، لم يكتفوا بالسعي إلى إقرار وجود الاله الواحد الذي لا شريك له، بل أيضاً إلى فرض التقيد المطلق بالتعاليم التي أوحى بها الله.

من هنا كانت الصرامة في تطبيق الشريعة التي وسعت لاحقاً الحياة السياسية والاجتماعية في الدول السعودية المتعاقبة.

وهب بن منبه، شخصية تعود إلى بداية عهد الاسلام، من رواة الحديث النبوي، اشتهر بمعرفته التقاليد اليهودية - المسيحية، أو ما عرف بالاسرائيليات. نكاد لا نعرف شيئاً عن حياته سوى أنه من اصل بني، ومن التابعين للمصاحبة. نُسب إليه مؤلف بعنوان «المبتدأ»، تناول فيه بدايات الخليفة.

وهران (الجمهورية الجزائرية)، مدينة مرفئية في المغرب الأوسط، تقع غربي الجزائر، أسسها مهاجرون من الأندلس، ولم تشهد الحيوية الاقتصادية إلا في القرن التاسع عشر، وهذه الحيوية تفسر انطلاقها العمرانية المعاصرة.

تنازع هذه المدينة الإسلامية الحديثة النشأة في أرض البير، طيلة القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، الخلفاء المتنافسون من أمويي قُرطبة وفاطميين إفريقية. إلا أن ذلك لم يخلّ دون أن يقوم الجغرافيون العرب المعاصرون بوصف مرفئها الحصين وذكر احتفاظها بعلاقات تجارية مع إسبانيا، ولا سيما مع المرفأ البحري الكبير في ألمرية. في ما بعد، سقطت وهران في أيدي المرابطين سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، وفي

سنتي ٩١ و٩٤هـ/٧١١ و٧١٣م والتي أصبحت، في إطار الأمبراطورية، مقاطعة الأندلس.

لم يثبت الوليد الثاني بن يزيد (٩٠-١٢٦هـ/٧٠٩-٧٤٤م) على العرش إلا لفترة قصيرة (ربيع الأول ١٢٥ - جمادى الأولى ١٢٦هـ/شباط ٧٤٣ - نيسان ٧٤٤م)، بعد أن اكتسب لنفسه، خلال ملك عمه هشام، شهرة أمير فنان ومثقف، وشاعر طريف أيضاً، ورجل ملذات في الوقت عينه. كان يحب أن يروج عن نفسه بمعاشرة الفاسفين، كما كان يحب الموسيقى والصيد. ينسب إليه بعض المؤرخين الحديثين بناء قصر خربة المفجر الفخم في وادي الأردن وقصور أخرى واقعة في سهوب هضبة البلقاء في الأردن، خصوصاً قصير عمرة^(١١٧) والمشتى، لكن ذلك هو مجرد فرضيات لم يثبتها دليل. على كل حال، لم يكتف الاستياء يوما عن الازدياد من الوليد الثاني، ابتداء من الفترة التي باشر فيها ممارسة سلطته، ومصدر هذا الاستياء كان من القبائل العربية البهية التي تنسب إلى سلالة فحطان، كما من القديين، إلى أن أطاحه انقلاب، قام به أحد أبناء الوليد الأول وحفيد عبد الملك، الذي أصبح في ما بعد يزيد الثالث. وقد هلك الوليد الثاني في قلعة قرب تدمر حيث لاحقه أعداؤه.

«راجع المستدات ٣٦، ٤٠ - ٤٣».

الوهابية، حركة سياسية - دينية، تجمعت لها محمد بن عبد الوهاب وأمن لها الازدهار في القرن الثاني عشر للهجرة/القرن الثامن عشر للميلاد وأنتس، وفق مبادئها، نظام المملكة العربية السعودية الأولى.

ينتمي ابن عبد الوهاب، المولود سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م في نجد والمتوفى سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م، إلى أسرة فقهية حنبلية. بعد رحلات عدة إلى العراق وإيران، عاد ليستقر في الجزيرة العربية سنة ١١٥٢هـ/١٧٣٩م. عندئذ أطلق دعوته وألف كتابه الأكثر شهرة، «كتاب التوحيد». واذ واجهته معارضة فئات ذات ميول شيعية، توجه إلى «الدعوة»، حيث وجد حامياً له في شخص زعيم عائلة آل سعود، هو محمد بن سعود، وعقد معه، سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، اتفاقاً التزم بموجبه الأمير وعالم الدين الوفاء، توسلاً لنشر كلمة الله. شكّل هذا الاتفاق أساساً لنظام حكم السعودية المستقبلي. وقد

وهران سنة ١٧٣٢ لتخلفوا عنها نهائيًا لداي الجزائر أيضًا سنة ١٧٩١، بموجب اتفاق سمح لبعض العائلات الإسبانية بالاستمرار في العيش فيها. وفي ٤ كانون الثاني ١٨٣١، احتل الفرنسيون وهران التي عرفت بذلك نموًا مذهلاً ساهم بعد الاستقلال في جعلها مدينة كبيرة ونشطة في الدولة الجزائرية الحالية، محتلةً، المركز الثاني بعد مدينة قسنطينة.

أيدي الموحدين سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م، قبل أن تُلحق بدولة بني عبد الواد فشكّلت، إلى جانب حُتين، منفذًا بحريًا لتلمسان. احتلها المبريتيون لفترة، وما ثبت أن أثارت لاحقًا أطماع الإسبان الذين استولوا عليها سنة ١٥٠٩م، وحافظوا عليها بصعوبة حتى سنة ١٧٠٩ حين اضطروا إلى الاستسلام لجيوش داي الجزائر. وعاد الإسبان إلى

ي

شقى تتناول في رؤاها أوضاع آخر الزمان وانقضاء العالم. وقد افترن اسم هذين الشيعين بالإسكندر الأسطوري الذي يُقال إنه رفع سورًا لاحتوائهما. إن زعم بعضهم أنَّ هذا السور هو سور الصين العظيم وبعضهم الآخر أنه أطلال الأسوار القديمة التي كانت تحمي، شمالاً، موقع داغستان المعروف باسم باب الأبواب/ دزبند، على ضفاف بحر قزوين، أذى، في ما بعد، بالمؤلفين المسلمين في القرون الوسطى، إلى تحديد موقع الأراضي التي يسكنها هؤلاء البرابرة في سهوب آسيا الشمالية.

يافا، مدينة مرفئية على ساحل فلسطين، اشتهرت في مرحلة الحروب الصليبية التي ما تزال ذكراياتها وآثارها قائمة إلى اليوم، ضمن الشكّل الواسع الحديث الذي شكّله تل أبيب وضواحيها.

استولى المسلمون على يافا في العام ١٥/٦٣٦م، في مستهل فتوحاتهم، وألحقوها بجند فلسطين، كمغذ بحري يوصل إلى القدس وإلى الرملة. أُبعت لفترة بمصر في زمن الطولونيين، ثم استعادها الخلفاء العباسيون في العام ٢٩٢/٩٠٥م، لتسقط في يد الفاطميين في العام ٣٥٨/٩٦٩م، عندما أنشأ هؤلاء دولتهم في المشرق الإسلامي. ثم أصبحت المدينة جزءاً من مملكة الفرنج باستيلاء هؤلاء عليها في العام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، واحتفاظهم بها حتى حملات صلاح الدين الظاهر في العام ٥٨٣/١١٨٧م. ثم انتقلت، بعد ذلك، من سيطرة إلى أخرى، لتسقط أخيراً في العام ٦٦٧/١٢٦٨م، بيد السلطان بيبرس، فدمر قلعتها وأسوارها.

ومنذ ذلك الحين استمرت المدينة، في زمن دولة

ياثرة (البرتغال)، بلدة تقع غربي الأندلس، أذى نموها في أواخر العصر الإسلامي إلى ازدهارها اللاحق كقاعدة لمنطقة ألتينجو (Alentejo).

وقد برزت، في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، حاضرة إسلامية مكان المدينة الرومانية القديمة التي كانت تُعرف باسم لبرتيا جوليا (Libertia Julia)، والتي أُطلق عليها في ما بعد، في عهد الفيزيغوث (Visigoths)، اسم إلبورا (Elhora). وما لبثت هذه أن حلّت، كمركز إداري للمنطقة، محلّ المدينة المجاورة التي غادها سكانها تدريجياً، وهي باجة. إن أنشطتها التجارية، في موقعها على طريق يصل مرفأ قصر ابي دانس بمدينة بداخوس (بظليوس) التي تحولّت سريعاً إلى قاعدة حكم للمختصين، تبيّن لنا بشكل لا يرقى إليه الشكّ تفوّق هذا المركز الذي حقّق لنفسه شهرة من ناحية الثقافة الإسلامية، واحتفظ بمكانته بعد حرب الاسترداد المسيحية للمنطقة، في العام ٥٦٠/١١٦٥م.

ياجوج وماجوج، إسم لشعنين ذُكرا في التراث الأخروي التوراتي والإسلامي، كان المؤرّخون العرب والمسلمون يكترون من ذكرهما.

ذُكر هذان الشعبان في سفر التكوين وفي كتاب حزقيال حيث ورد أنّهما سيأتان من الشمال، لمهاجمة شعب إسرائيل الذي سيخفّ يهوه للدفاع عنه. كذلك أشار القرآن الكريم في موضعين إلى مجيئهما والدمار الذي سيحدثانه (سورة الكهف، الآية ٩٤ وسورة الأنبياء، الآية ٩٦).

وفي الأحاديث النبوية الشريفة، أيضاً، كلام كثير حول هذه الحملة المنتظرة، إضافة إلى كتابات إسلامية

إتياء نبياً. يستعيد القرآن الكريم جوهر الرواية الواردة في الإنجيل والمتعلقة بولادته، مع تغيرات طفيفة، مضيفاً إليها الإشارة لتركها بهذه الولادة، لكنه لا يشير إلى دوره اللاحق بصفتة «المعمدانية». ويقول عن هذه البشارة: ﴿هَٰذَا أَنَا الَّذِي كُنْتُ وَهُوَ فَتَمَّ بِكُمْ يَسْمُو فِي الْغَيْبِ أَنَّ اللَّهَ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَعْرِفَةً بِكُمُ يَرَى اللَّهُ وَسَيَدُّ وَحُضُورًا وَيُنَبِّئُ بِنُصْرَتِكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ٣٩)، ويخصه بصفات عديدة من دون أن يذكر شيئاً عن وفاته. بيد أن أصحاب كتب التفسير المسلمين، وبصورة خاصة الطبري، يقولون أن هيرودس حكم على يحيى بالموت، وقد فارت دماؤه بعد قطع رأسه، وهو أمر تقول به الرواية عن دمه زكريا أيضاً. وبعد فترة قصيرة أشار مؤرخ آخر، هو السعدي، إلى موضوع عماد عيسى أو يسوع المسيح على يد يحيى. ونُسب إلى البصايات، والدة يحيى، قصة واقعة الهروب إلى مصر، وهو أمر يعني عادةً مريم ويسوع وحدهما. وفي قاعة الصلاة في المسجد الجامع في دمشق، نجد إلى الآن المكان الذي يُقال إن رأس يوحنا المعمدان قد حُفِّظ فيه، وهو مقصد للترك، ورد ذكره عند العديد من الكتّاب في القرون الوسطى، وذكر بصورة خاصة، في دليل الهروي الذي يحدد موقع قبر يحيى بن زكريا في مدينة الشامة (ببشطية، قديماً) في فلسطين. وهناك العديد من المزارات التي يُقال إنها تقصم رفات رأس يحيى، وكانت مقصدًا للزيارات إبان رواج تكريم الأولياء في الإسلام، وقد التبت رفات رأس يحيى مع رفات رأس الحسين التي يجلبها الشيعة بشكل خاص.

يحيى بن زُيد (؟-١٢٥٠م/؟-٧٤٣م)، حفيد علي دين العابدين، وابن أول ممثل للزيدية الذي يعتبره أتباعها أحد أئمتهم. مات كوالده شهيداً مجتهداً القناعات الشيعية للزيدية الحسين. يادر إلى عصيان مسلح في خراسان يُعيد فشل ثورة أبيه، فسُحق وأُتياعه في منطقة هراة في شهر حزيران من سنة ٧٤٣م/١١٦٦م. أرسل رأسه إلى خليفة الأمويين في دمشق وعُرض جثمانه في قاعدة المقاطعة التي جاهر فيها بطموحاته. كان لمقتل يحيى بن زُيد أثر عميق في أوساط خراسان الشيعية التي وجدت في شخص الداعية «أبو مسلم» متفقاً له.

الماليك السورية - المصرية، ومن ثم الأمبراطورية العثمانية، تؤدّي دور مرافق متواضع تابع للرملة. لم تتمكن بافا من النهوض من دمارها حتى نهاية القرن الثامن عشر. استولى عليها مؤقتاً جيش بونابرت في العام ١٧٩٩. إبتدأ من العام ١٩١٧، خضعت للبريطانيين في إطار نظام الانتداب الذي أقاموه في فلسطين. لكنها سرعان ما فقدت أهميتها لمصلحة المستعمرة اليهودية [تل أبيب] التي أنشئت مباشرة في جوارها، وذلك بدءاً من العام ١٩٢٢، والتي حلّت مكانها كحاضرة في أوج ازدهارها.

«راجع السند رقم ١٨».

ياقوت الرومي، أو شهاب الدين أبو عبد الله يعقوب بن عبد الله الحموي (٥٧٤-٦٦٦هـ/١١٧٨-١٢٢٩م)، جغرافي علامة وموسوعي عربي، ما تزال أعماله حتى اليوم مرجعاً ومصدرًا للباحثين. ولد هذا العبد أصلاً - الذي يعني إسمه حجر الياقوت - في الأرض البيزنطية (من هنا كان لقبه الرومي أي المنتمي إلى بلاد الروم)، وتلقّى من سيده، وكان تاجراً بغدادياً، تربية جيدة ثم أمضى في ما بعد قسماً من حياته في التنقل بين مختلف بلدان العالم الإسلامي، إلى سوريا، إلى مصر فخراسان. كان في خوارزم حوالي سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، فلاذ بالهرب لدى وصول أولى مجموعات جيوش المغول، منتهباً به المطاف إلى حلب حيث أغاثه ابن القفطي، وبقي في هذه المدينة حتى وفاته. لكنه أقام مجدداً، خلال هذه الفترة، في الموصل ومصر. أظهر كسافر معاصريه ميلاً لإعداد المعارف في قالب المعاجم، وأنجز هو نفسه منها ما هو قيم للغاية. أضاف إلى «معجم الأدباء»، «معجم البلدان» الشهير أو المعجم الجغرافي الذي لا يقف عند المعلومات القمّة في شأن المدن والمواضع الموصوفة فحسب، بل يتجاوزها إلى معلومات ذات طابع تاريخي، خصوصاً في ما يتعلق بالشخصيات التي عاشت فيها خلال القرون الوسطى.

يحيى أو يوحنا المعمدان، يشار اليه غالباً باللغة العربية باسم يحيى بن زكريا. وهو من شخصيات العهد الجديد، وغالباً ما يأتي القرآن الكريم على ذكره معتبراً

حظيت يزيد، المدينة التي نشأت على طريق القوافل المؤدية من الغرب إلى الشرق نحو كُؤمان وسجستان، بزيارة ماركو بولو سنة ١٢٧١هـ/١٢٧٢م، فوصفها بالمدينة الكريمة. ويعود الفضل في القسم الأكبر من ازدهارها إلى أنشطتها التجارية. وبالرغم من أنها تعرّضت، في ما بعد، لمخاطر مختلفة بسبب تاريخ البلاد المضطرب بعد سقوط الصفيين والانحيار الاقتصادي الذي تلاه، فقد نجحت في أن تبقى، حتى الفترة الحالية، مركزاً مأهولاً مهماً في المنطقة. «راجع المستدين ١٣ و ٢٣».

يزيد، إسم حمله في سوريا ثلاثة عواهل من السلالة الخليفة الأولى للإسلام، أي سلالة الأمويين. الأقدم بينهم والأكثر شهرة، هو يزيد الأول أو يزيد بن معاوية (٦٤٢-٦٨٣م) الذي مات بعد ولاية دامت ثلاث سنوات فقط. كان الخليفة الثاني للسلالة وأيضاً لفرع السفيايين. وقد استقطب لنفسه باستمرار عدوة الشيعة الذين ما انفكوا يلعنون ذكره خلال قرون. عينه معاوية ولياً لعهده وأثنى له البيعة وهو على قيد الحياة، بحسب تدبير أخذ به لاحقاً. لكن يزيداً الذي شارك في حصار القسطنطينية قبل توليه الحكم اصطدم، منذ ارتقائه الخلافة، بثورة انفجرت في الجزيرة العربية وجرت معها رفض أحد أبناء علي، الحسين، كما عبدها بن الزبير الاعتراف بسلطته.

لم يلبث الحسين أن قصد الكوفة لملاقاة أتباع والده، وكانت قلة منهم مستعدة لمساندته، إلا أنه قُتل في التحام بكرلاء، في محرم سنة ٦٦١هـ/تشرين الأول سنة ٦٨٠م، عندما أراد حاكم الكوفة عبيدالله بن زياد تجريد المجموعة العسكرية الصغيرة من السلاح، لنبذة لأوامر الخليفة الجديد. هذه الحادثة التي رسخت لاحقاً ضابعا المأسوي الروايات التاريخية، أحدثت شرخاً نهائياً بين الأمويين والمدافعين عن قضية العلويين الذين تم بكفراً عن إلقاء المسؤولية على يزيد. أمّا ابن الزبير فحوصر في مكة مدة شهرين، لكن موت الخليفة الأموي الطائري في ربيع الأول سنة ٦٨٤هـ/تشرين الثاني ٦٨٣م، أدى إلى انسحاب الجيوش السورية منها.

كان يزيد، رغم أوصاف المصادر التاريخية له -

فانضم أتباعه إلى الحركة الموالية لآل بيت الرسول التي أدت إلى «الثورة العباسية» وإلى انتصار ذرية أحد أعمام محمد (ﷺ)، أي العباسيين. «راجع المستد رقم ٤».

الميرموك، (معركة) (١٥٠هـ/٦٣٦م)، انتصار حاسم، بعد سنتين من معركة أجنادين، حققته جيوش الفتوح العربية - الإسلامية الكبرى ضد جيوش هرقل البيزنطية. إن اسم زاهد الضفة اليسرى لنهر الأردن الذي يساب واديه إلى أعلى المنخفض الذي تشغله بحيرة طبريا، بقي مرتبطاً بهذه المعركة التي طبعت السبابة الهجومية التي اتبعا الخليفة الغزوم عمر بن الخطاب. غالباً ما تنسب المدونات الاحبارية العربية النتائج الإيجابية للمعركة إلى كفاية خالد بن الوليد الحربية، وهو قائد عربي من صحابة النبي محمد (ﷺ) وقد أدى دوراً أساسياً في مختلف مراحل احتلال سوريا.

يزيد أو يزيد (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، مدينة في مقاطعة فارس تقع جنوب شرقي أصفهان، غير بعيدة عن صحراء الملح، وهي ما تزال تحتفظ بعبان مهمة من العصر الوسيط.

هذا الموضع القديم الذي كان معروفاً بإسم كاثو والذي احتل سنة ٦٢١هـ/٦٤٢م خلال الفتوحات العربية - الإسلامية الكبرى، كان مقراً لأتباع زرادشت، ودليل ذلك وجود هياكل للآثار في الريف المجاور، واستمرار وجود مجموعات غير مسلمة في المنطقة. في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وافق كتابات الجغرافيين العرب، طبعت تنظيم هذه المدينة إقامة تحصينات وبناء مسجد واقع في إحدى الضواحي. أعيد بناء السور والمسجد الجامع سنة ٥١٣هـ/١١١٩م، على ما يظهر، خلال سيطرة السلاجقة الكبار في إيران، لكن البناء الأخير خضع لتعديلات في عهد آل مظفر في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، وهي حقبة أقيمت خلالها أبنية أخرى في المدينة، منها ضريح لأحد أبناء الأئمة (إمام زاده). وحده الضريح المسمى «الأنا عشر إماماً» حافظ على حالته التي تعود إلى القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد.

اليزيدية، هم أتباع بدعة ليست شيعية، لانوا في العصور الوسطى حظوة كبيرة لدى الأكراد من سكان بلاد ما بين النهرين العليا، مع أنهم يُعتبرون على هامش الإسلام. سُموا اليزيدية، نسبةً إلى الخليفة يزيد الأول من السلالة الأموية في القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي.

ما تزال جذور هذه الجماعة غامضة، كما هي عقيدتها أيضاً المقصورة على بعض من أودعت إليهم أسرارها. وقضاه أهل السُّنة بشكل قاطع وحاولوا مرات عدّة القضاء عليها بموجب فتاوى صادرة عن العلماء، وغالبًا ما نعتوا أفرادها بعبدة الشيطان. إلّا أنّ أبحاثاً حديثة كشفت أنّ هذه الجماعة نشأت من حركة سياسية - دينية أخذت على عاتقها الدفاع عن الأمويين، وقد ركزت دفاعها هذا بتكريم ذكرى الشخص الذي انصبّ عليه الهجوم من هذه السلالة، أي يزيد الأول، وهو الخليفة الذي كان يحكم الامبراطورية خلال الفترة التي قُلت فيها وحدة من الجيش السوري في كربلاء الحسين، الإبن الثاني لعلّي.

إنّ هذا التيار الوافد من العراق الذي انتشر، في ما بعد، في جنوب كردستان شهد نشوءاً جديداً، عقب الدعوة التي نشرها صوفي في القرن السادس للهجرة/القرن الثاني عشر للميلاد، هو غدي بن مُسافر الهكاري المعروف عادةً بالشيخ عدي، المولود في بعلبك والمتوفى حوالي السنة ١١٦٢هـ/١١٦٢م. أسس هذا المتحدث من السلالة الأموية الذي كان له اتصال بمُناصره عبد القادر الجيلاني، في جبال الهكارية، الطريقة الغدوية التي لاقت نجاحاً كبيراً في الأوساط الكردية.

بعد وفاة الشيخ عديّ عمد القيثمون على الطريقة، من سلالة أخيه الشيخ حسن، إلى إقامة نظام ديني فريد واكمه أسلوب خاص من النظام الاجتماعي على شاكلة طبقات ترابنية، واستمرّوا وراثيًا في رئاسته. إنّ العقيدة التي قام عليها هذا النظام المقصور على من وُلدوا بيزيديين هي توليفة معقّدة تتوقّف بين معتقدات انتهت إليها من الزرادشتية التي رأى فيها فريق ميراثاً كردياً، وأخرى اقتبست من المسيحيين واليهود والصابئة والغنوصيين

وهي مغرّسة في أغلب الأحيان - على أنّه أمير طائش مُحبّ للهو، شاعرًا وروائيًا للفنون. كما أنّه أبدى اهتمامًا بالتنظيم الإداري والعسكري الذي حسّنه في المقاطعات السورية. اهتمّ خاصة بالزراعة وحفر آنية للري، من بينها واحدة محوّلّة من نهر بردى وسّمت على نحو ظاهر مساحة الواحة الدمشقية، وتُسمّى اليوم نهر يزيد أو قناة يزيد. وعند وفاته عُهد بالسلطة لابنه الخلدث. معاوية الثاني، الذي مات في السنة نفسها وسط اضطرابات فوضوية، فكان آخر ممثّل لسلالة معاوية المباشرة.

يتسمي يزيد الثاني أو يزيد بن عبد الملك - الذي تولى الخلافة لفترة قصيرة من سنة ١٠١ إلى ١٠٥هـ/٧٢٠ إلى ٧٢٤م - إلى الفرع الثاني من السلالة أي فرع المروانيين، وخلف قريبه عمر بن عبد العزيز، مع أنّه لم يكن يشاركه آراءه السياسية. جاء حكمه عقب اثنين من أولاد الخليفة الكبير عبد الملك، هما أخواه الوليد الأول وسليمان، ومباشرة قبل حكم أخيه الآخر هشام، وتميّز حكمه بالعداوة التي أظهرتها تجاهه القبائل العربية الجنوبية أي اليمنية. ويقع العصيان، ابتداءً من سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م، الذي أثاره آنذاك في العراق يزيد إبن المهلب، حاكم خراسان السابق.

لنذكر، أخيرًا، يزيد الثالث أو يزيد بن الوليد، وهو أحد خلفاء سلالة الأمويين المتناخّرين في الشرق. كان ينتمي أيضًا إلى فرع المروانيين، لكنّ حفيد عبد الملك هذا لم يحكم إلّا سنة أشهر، من رجب حتّى ذي الحجة سنة ١٢٦هـ/٨١٢م من نيسان حتّى أيلول من سنة ٧٤٤م. استولى على الحكم بانقلاب عسكري أطاح بقريبه الوليد الثاني. انتهج سياسة جديدة حدّدها بنفسه في خطبة شهيرة مستفيضة وصلنا نصّها، واعداً فيها بالمساواة في المعاملة بين العسكريين العرب والموالي الذين كانت أوضاعهم تتسبّب الكثير من المصاعب الاجتماعية في تلك الفترة، كما وعد بعدم إرسال أية مجموعة عسكرية بعيداً من المنطقة التي كان عناصرها يقيمون فيها. التزم أن يستغنى من مهامه إذا لم يُنفذ برنامجهم المستلهم من الأفكار السلمية ومن مبادئ الحركة القدسية. إلّا أنّ موته السريع قضى على هذا البرنامج.

« راجع المستدرك ٢ »

محلّة ياسي في تركستان في آسيا الوسطى حيث ولد مؤسسها، ونفّرت في ما بعد إلى الطريقتين الخلواتية والنفسانية المشهورتين.

كان أحمد بن إبراهيم، المتوفى سنة ١٥٦١هـ/ ١١٦٦م، من ياسي، وهو تلميذ ليوسف الهمداني الذي كان يُعتبر، بين سنتي ٤٤٠ و٥٤٤هـ/ ١٠٤٩ و١١٥٠م، واحدًا من الأقطاب الصوفيّين الإيرانيين في ذلك العصر. وقد نهض مريدو أحمد بدور مهمّ في أسلمة القبائل التركية في الأناضول. كما أنهم قضوا جانبهم في التنقل، واستأطعوا بذلك بسط تأثيرهم بشكل واسع. قامت طريقتهم، بصورة خاصة، على التقيّد ببعض الممارسات التنويّة، أكثر ممّا قامت على تنمية حياة صوفيّة حقيقية. وتُعتبر طريقتهم، التي نشّعت إلى فروع عدّة أحد مصادر الإحياء للشاعر التركي الصوفي يونس إمره في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد.

يعقوب، شخصية توراتية، ورد ذكرها في القرآن الكريم مراراً، حظيت بالتكريم في التراث الإسلامي. اعتبر يعقوب نبياً، كما اعتبر، في الغالب، أخاً لإسحاق، وليس ابنه. ل. ورد ذكر يعقوب تكراراً في نص السورة الثانية عشرة من القرآن الكريم، سورة يوسف، ويصوّر أيضاً في روايات شاحيه على أنّه والد يوسف وإخوته.

على هذا الأساس، خُصّصت ليعقوب زيارات عديدة في مرحلة ازدهار «تكريم الأولياء» في المحيط الإسلامي القروسطي، وحفظت هذه الزيارات ذكرى يعقوب في فلسطين أو أحياناً في مصر.

في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد مثلاً، وفق ما جاء في دليل الهروي، كانت مسرحاً لزيارات تقويّة تلك الأماكن التي أقام فيها يعقوب وبكى وفاة ابنه الأعز، بالقرب من الأردن، على طريق بانياس، أو بين نابلس والقدس. لكنّ ذكره كانت موضوع توفير أيضاً في وادي النيل، واحة القيوم، وموقع مفيس القديمة. وثمة أماكن تكريم كثيرة أخرى بأسماء أبنائه بمن فيهم بناته، وذاعت بصورة خاصة شهرة قبور البطارقة الإثني عشر الذين أصبحوا، في ما بعد، جدود قبائل اسرائيل الاثني عشرة. أو الأسباط، ويشار اليهم

والماتريين والمسلمين كذلك. تقول عقيدتهم في نشأة الكون بوجود إله واحد أوجد محاط بسبعة ملائكة، أهمهم طاووس الملائكة، وهو الشيطان نفسه. وقد أُعيد له اعتباراً وتكرّم في شكل طاووس. أمّا طقوس العبادة، فتؤنّ بواسطة أسير من الشيوخ والرؤساء الروحيين الآخرين الذين يضاهون تقريباً في نفوذهم وغناهم أمير اليزيديين الذي يحتفظ من جهته بالسلطة الزمينة.

على كل حال، أمّن الأكراد، ما بين القرنين السادس والتاسع للهجرة/الثاني عشر والخامس عشر للميلاد، رسوخاً محلّياً وازدهاراً بارزاً لليزيديّة التي ما لبثت أن تعرّضت، في ما بعد، لغزوات الأمراء المسلمين المجاورين، وواجهت أشدّ مصاعبها عندما تصلّب الشمانيون في مفههم كمدافعين عن السّنة، مع بداية القرن السادس عشر. هكذا تراجعت الحركة اليزيدية لدى الأكراد بحيث لم تستمرّ إلّا في غرب وشمال غرب مدينة الموصل، في مقاطعة سلّجار، وبخاصة في مقاطعة شيخان. المركز الديني للجماعة، جميع هذه المناطق تعرّضت لهجمات شرسة خلال القرن التاسع عشر.

إلى ممثلي اليزيدية الأواخر في العراق، يجب أن يضاف تنجس أقل أهمية استقرّ أيضاً منذ القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد في سوريا، في شمال غرب حلب في جبل سمعان، فيما اضمحلّ وزال بالهجرة التجمّع المنتمي إلى الأناضول التركي.

استفاد اليزيديون المقيمون في منطقة ما بين النهرين العليا وسوريا، بعد الحرب العالمية الأولى، من دعم السلطات الأوروبية المنتدبة التي أعانوها خلال فترة الحروب. لكنّهم يواجهون، اليوم، تراجعاً مستمراً وهذا يعود، في الجمهورية العربية السورية، إلى مناعيل الضغط الاقتصادي والاجتماعي على الفلاحين الفقراء. أمّا في مملكة العراق، ومن ثمّ في جمهورية العراق، فيعود سبب هذا التراجع إلى الضغوط العسكرية التي وُجّهت، منذ سنة ١٩٣٥، ضدّ هذه الجماعة لإخضاعها للدولة الجديدة، من دون أن يُسمح لها بأن تدافع بالعصيان المسلح عن استقلال ذاتي محكوم عليه بالفشل.

اليساوية، طريقة صوفيّة مسلمة، أخذت اسمها من

طارت بها شهرة مملكة سبأ. ولا شك في أن السلاسل الحبلية التي تنتصب حدودها الوعرة على امتداد جُرف البحر الأحمر، أوجدت هناك، كما في غسير، طبيعة ذات تضاريس متناثرة ومجزأة، في حين تضاءلت السهول الساحلية. بيد أن هذه الحواجز لم تمنع أبداً التجارة بين الهند وغرب البحر المتوسط من أن تتبع هذا الطريق البرّي الوحيد السالك لنقل الأفاويه والسلع التجارية القيّمة الأخرى المستوردة بحراً، بينما كان يتدفّق عليها الإنتاج المحلي من البخور.

نتج عن هذه الظروف المعاكسة لتلك التي نجدها في المساحات الصحراوية المجاورة، الشهرة التي نعتت بها، في العصور القديمة، الحضارات المحلية التي أقادت من هذا الوضع الملائم، وما تزال أطلالها الأثرية التي حظيت بشيء التقدير الإسلامي نفسه ماثلة حتى اليوم. بيد أن انحطاطها حدث قبل أن يطلق النبي محمد (ﷺ) دعوته مع بداية القرن السابع للميلاد. كانت اليمن بدون سلطة سياسية عندما التحقت بركب الديانة الجديدة واستقبلت في ما بعد، بطيبة خاطر، المعارضين للنظام الخليفي الأموي ومن ثمّ العبّاسي، سواء منهم الخوارج، أو بخاصة العلويّون المنتهون إلى مختلف فروع المذهب الشيعي.

إنّ الحملات القمعية الموجهة من العراق، بما فيها تلك التي أدّت سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م إلى نشوء سلالة بني زياد المحلية، لم تستطع أن تحول دون تجدّر مختلف هذه الفُرَق؛ وأكثرها فاعلية، على هذا الصعيد، كانت الإسماعيلية، الممثلة لفترة من الزمن بسلالة الصُلَحيّين المنحدرين من قبيلة هُشْدان، وفرقة الزيدية التي بقيت مسيطرة على البلاد - رغم تنحيها لبعض الوقت - منذ الفترة التي استقرّ فيها أئمة علويّون في البلاد، وقد نشأت منهم السلالة الزيدية في اليمن.

هؤلاء الأئمة الزيديّون الذين كانت عاصمتهم، في أغلب الأحيان، صنعاء، وهي المدينة الرئيسة للبلاد وسط الهضاب العالية، حافظوا على موقع صعدة في شمال البلاد، واعتبروه ملكاً خاصاً، وكانوا يبدّجون إليه كلّما تداعى سلطانهم بسبب عصيان طويل الأمد. لقد استطاعوا الصمود والاستمرار رغم المحاولات التي قام

باسم «بنو إسرائيل». كانت قبورهم ماثلة لآثار قديمة في فلسطين ومصر، وحتى أحياناً في مناطق بعيدة من البلاد النورانية.

اليقوي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العبّاسي (٤ - ٢٨٤هـ/ ٩ - ٨٩٧م)، مؤرّخ وجغرافي عربي، شيعي الهوى، يُعتبر أحد أشهر الباحثين الذين زها بهم العصر الذهبي للعبّاسيين. كان اليقوي سليل رفيق أعتقه الخليفة المنصور (من هنا كان لقبه الكاتب العبّاسي). كان هذا الرقيق حاكماً على مصر، وقد قدّم حياته ثمناً لدفاعه عن إدريس العلوي الحسيني الذي هُزم في موقعه فتح، سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٦م. نجح بعدها إدريس في الفرار وفي تأسيس السلالة الإدريسية. كان اليقوي مشايخاً كسلفه للمذهب الشيعي طوال حياة ملتبسة المعالم: ما نعرفه عنه أنّه كان في خدمة الطاهريّين في خراسان، وأنّه أقام في المقاطعات الشرقية حتى زوال سلطتهم سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، ثمّ قصد مصر حيث استقرّ به المقام حتى مماته.

خلف اليقوي تاريخاً عامّاً للخليفة خُصص القسم الأوّل منه لبيدات الخليفة وتطوّرها السابق للإسلام، بينما تناول القسم الثاني معالجة الوقائع السياسية التي طبعت المجتمع الإسلامي حتى سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م. في ما بعد ألّف «كتاب البلدان» الذي أنجزه سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م، والذي وصلنا متقوصاً، وهو يتضمن أوصافاً نعيمة، ولا سيّما لبغداد وسامراء.

اليمن، أي العربية السعيدة القديمة، مقاطعة من العالم الإسلامي القروسطي؛ وقرّت لها صعوبة النفاذ إليها وهامشية موقعها من مركز الدولة وضعاً مستقلاً عن الأباطوريّين الخليفة والسلطان في الشرق، وهي تشكّل اليوم القسم الأكبر من الجمهورية اليمنية.

١ - عرفت المنطقة، طوال فترة العصور الوسطى، إزدهاراً ناتجاً عن غناها الزراعي وأنشطتها التجارية البحرية وغير الفواقل في آن. وقد شكّل ذلك فريدة اليمن بالنسبة إلى شبه الجزيرة العربية الفاحلة، جاعلاً منها المساحة الأكثر اكتظاظاً بالسكان لفترة طويلة. ساهمت في غنى البلاد زراعة أراضٍ في شكل جلالٍ تطوّرت بفضل المشاريع المائية، ولا سيّما السدود، التي

اليمن الحالية (جمهورية)، ماحتها ٩٦٨ ٥٢٧ كلم^٢، عاصمتها صنعاء، هي دولة مستقلة معاصرة، سكانها كلهم تقريباً مسلمون، تضمّ في جنوب شبه الجزيرة العربية، أراضي اليمن القروسطي وأراضي حضرموت.

للجمهورية واجهه على البحر الأحمر وأخرى على المحيط الهندي، ولها حدود مشتركة مع المملكة العربية السعودية من جهة، وسلطنة عُمان من جهة ثانية؛ هذه الجمهورية التي طالما تميّزت بينها بروابط النسب القبليّة وبالتوازنات المذهبية المستمرة، هي نتيجة اندماج دولتين، عام ١٩٩٠، كانتا منفصلتين لفترة، هما الجمهورية العربية اليمنية في الشمال التي تأسست في العام ١٩٦٢، والجمهورية الديمقراطية الشعبية لليمن الجنوبي التي تأسست في العام ١٩٦٧.

إن دولة الشمال، بعدها الجنوبي الذي ينتهي إلى حدود المحمية البريطانية القديمة التي كانت قائمة حول مدينة عدن المرفئية، تكونت وعُرفت بهذا الاسم منذ الثورة التي أطاحت، سنة ١٩٦٢، بالإمام محمد البدر، وهو آخر ممثل لسلالة الزيديتين في اليمن، والمالك آنذاك على مجمل المملكة اليمنية بحدودها المعترف بها بعد الحرب العالمية الأولى في معاهدة سيفر سنة ١٩٢٠. نتجت ثورة ١٩٦٢ عن تألب المصالح الاقتصادية والدينية والقبليّة، منتقدة السياسة الاقتصادية السابقة التي أرادت أن تغلق البلاد على نفسها وتعزّلها، يرفضها كلّ محاولة للعصرنة. وتكرّرت الثورة على المطالبة بنظام أكثر تحرراً، وما لبثت، بفضل الدعم العسكري لمصر عبد الناصر، أن حققت انتصاراً. مستفيدة من التناقضات ذات الطابع الاجتماعي والعائلي التي تفصل في البلاد بين السنيين الشافعيين، وهم تجار نشطون يسكنون الساحل، وبين أتباع الزيدية الذين يحتلون المواقع المحصنة في الهضاب العالية حيث يستقرون منذ قرون عدة. لم يتمكّن نجاح الثورة من القضاء على سيطرة الزيديتين على اليمن الشماليّة، هذه المنطقة التي حافظت على استقلالها في عهد حكومات عسكرية عدة. ولكنها عانت وضماً فوضوياً ابتداء من سنة ١٩٧٧.

بها السلة لاسترجاع الحكم - والتي نجحت في بعض الفترات - وأهمّها المحاولة التي قام بها الأيوبيون بدءاً من سنة ١١٧٤/٥٧٠م. والتي تواصلت حتى سنة ١٢٥٤/٨٥٨م، بواسطة خلفائهم الرسوليين الذين حكموا المناطق المنخفضة من اليمن حتى حضرموت وساحلها. شجعت سياسة هذه السلالة الأخيرة الإصلاح والتجارة، ومنحت الحيوة لمُدُن زَيد وتَعزّ ولحج والمكلا، وخصوصاً لعدن التي كانت تُعتبر أفضل ميناء طبيعي في المنطقة كلّها. وهذه الحيوة تلازم مع نشاط الجماعات السنية الشافعية التي كثر عددها في البلاد وواجهت زيدي الهضاب العالية.

لكثّ المقاطعة الجنوبية من البلاد لم تعرف قط في ما بعد تفوّقاً مائلاً، لا في عهد طاهريّ لَحَج وعدن الذين استولوا على السلطة حوالي سنة ١٢٥٤/٨٥٨م، ولا ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي حيث تلاقحت محاولات العثمانيين والبرتغاليين المتنافسة لوضع اليد على تجارة البخور. كما على إنتاج جديد ومرغوب فيه، هو إنتاج البن الذي كان يُصدّر إلى الغرب. إن استمراريّة الإمامة الزيدية الممتنعة بأراضيها المحمية والتي حاولت أحياناً توسيع رقعة سلطتها، من دون أن تستطيع بسطها على اليمن بكامله، وقّرت لهذه البلاد خصوصيّة محلية مميزة.

أمّا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد سمحت عودة التداخلات الأجنبية بإقامة مراقبة بريطانية على كلّ القسم الجنوبي، بموجب تقاسم فعلي مع العثمانيين كُرس بالاتفاق الإنكليزي - التركي الموقع سنة ١٩٠٤، ما سبّب انقسامات داخلية تفاقت شيئاً فشيئاً. لم تؤد هذه الانقسامات، في النصف الثاني من القرن العشرين، إلى الاعتراف المؤقت بجمهوريةين يمينيتين وحسب، لكلّ منهما اتجاهات سياسية وايدولوجية مختلفة، بل استمرت هذه الانقسامات مرنكة على بُنى قبليّة ما تزال ماثلة في خلفيّة المؤسسات العصرية. في الوقت نفسه الذي تُعقل فيه الخصومات المذهبية، بين الزيديين والسنيين، وهي خصومات مستمرة منذ القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، ولم تكف عن خلق الاضطرابات.

وهكذا يشير دليل الهرودي، في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، إلى زيارات تقوية لإحياء ذكرى يوسف، إيا في فلسطين حيث يوجد قبره، وإما في مصر خاصة حيث ترتبط آثار فرعونية عديدة بمراحل مختلفة من قصته، منذ أن بيع كعبد وسُجن، حتى أعماله الأسطورية الحكيمة كوزير. وفي المناسبة ينسج هذه الحلقة ذكر أشقائه أولاد يعقوب الآخرين المعروفين بـ"بنّي اسرائيل"، وخاصة ذكرى الذين منهم، مثل "بنيامين"، يحتلون مكانة كبيرة في قصة يوسف.

يوسف بن تاشفين، (؟ - ٥٥٠٠هـ / ١١١٧م)، عامل من سلالة المرابطين، حكم ابتداء من سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م تقريباً، وأقام سلطة جمعت، في إطار بناءه أميراطوري ضخم، القسم الأكبر من المغرب والأراضي الأندلسية التي كانت ما تزال خاضعة للحكم الإسلامي. بقي زعيم الحرب الطموح هذا بدوياً بربرياً صحراوياً من قبيلة لمتونة، مدفوعاً في الوقت نفسه بروح الجهاد التي ميّزت العمل الديني الإصلاحية لتعلمه الروحي عبدالله بن ياسين. كما بدأ، في المقابل، منذ بدايات عمله، فاتحاً موهوباً بميزات تنظيم بارزة. جعل من تأسيسه لمراكش: المعقدة لأن تحلّ مكان أغمار القديمة التي تعاورها النسيان، نقطة انطلاق لتزاعه مع برغواطة ولتقدّمه نحو شمال المغرب الأقصى. هناك شهد ازدياد سلطته واطمأن بعد أن غادر خصمه الأشدّ بأساً، الأمير أبو بكر اللمطوني، سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م، إلى منطقة الصحراء حيث توفي بعد خمسة عشر عاماً.

لم تنافر بذلك ليوسف بن تاشفين، في جنوب المغرب، عاصمة محصنة بمحاذاة أراضي خصبة وفي موقع استراتيجي مهم فحسب، بل كان قد عمد إلى احتلال مدينة فاس منذ سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٩م، ومن ثمّ توجه نحو المغرب الأوسط حيث توقفت غزواته أمام جبال منطقة القبائل بعد الاستيلاء على وُجْدَة وإيلسان ووهران ورئس، متبعاً ذلك بحصار الجزائر. إن إعادة الاستيلاء على طليطلة سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، من قبل جيوش القونسو السادس عامل قشتالة، والدعوة إلى المساعدة التي أطلقها أمراء المسلمين المحليين

أثارت دولة الجنوب ذات التوجه الماركسي والسرقي التي خلفت محمية عدن البريطانية وتوابعها سنة ١٩٦٧، فقد عرفت منذ ذلك التاريخ اضطرابات داخلية نابعة عن تناحر الفئات المختلفة، كما عن فقر شعبها وقلة عدده الذي كان دون نصف عدد سكان الجمهورية الشمالية. إن الأهمية التجارية والاستراتيجية التي أعطتها لمرفأ عدن عملياً شقّ قناة السويس سنة ١٨٦٩، ساعدت على تمييز هذه المنطقة ذات الأراضي المنخفضة والسجوة للبحر والتي يسكنها تجار المدينة؛ كما أنّ الخلافات واكتنبت صراعات دينية بين السنة الشافعيين والمعتزليين في السهل وأتباع الزيدية المعتزليين في الجبل. لكنّ تخوم الدولة الجديدة الممتدة حتى أعماق حضرموت الصحراوية، أثّرت استمراراً حدود المحيطين اللتين عن طرفيهما حاول البريطانيون تدعيم احتلالهم لعدن خلال اتفاق ١٩٠٤ الإنكليزي التركي، بضمتهم إلى محبتهم الغربية التي تبلغ مساحتها ما يقارب ٦٣٠٠٠ كلم^٢، محمية شرقية مساحتها ١٢٠٠٠ كلم^٢ تقريباً. إن التناقضات والاختلافات ذات الطابع الديني التي استمرّت بين دولتي الجنوب والشمال خلال العقود الثلاثة لانتصاليهما تظهر من جديد اليوم، بأشكال صراعات ومصاعب مرحلية أخرى، داخل الجمهورية الحالية المتحدة، ولبدء اندماجهما.

➤ راجع السجلات ١٨-١٢-١٣-٢٥ و٣٠.

يوحنا المعمدان ← يحيى.

يوسف، يوسف بن يعقوب أو يوسف الصديق. شخصية توراتية، يُعتبر في القرآن الكريم والسنة نبياً. تروي السورة الثانية عشرة من القرآن الكريم قصة يوسف، في رواية متتابعة، تتوافق جزئياً ما ورد في العهد القديم. لكن هذه القصة هي في الواقع مروية بطريقة غير واضحة، ومضاف إليها بعض التفاصيل المؤثرة أحياناً. أثارت هذه الرواية إعجاب الرواة المتأخرين، مثل التعليلي، فأضيفت إليها كتابات أخرى. وفي الوقت عينه، حملت معابد عديدة ذكرى يوسف وأضحت أماكن زيارات تقوية، وذلك في الفترة التي راج فيها تكريم الأولياء في الإسلام.

موتهم ، لعقاب القبر المذكور في التراث القديم
الثالث .

إن تصورات يوم الدين هذه التي أعطاها المتكلمون السلفيون أهمية عقائدية وتشربها عنلية العامة مضافة عليها جمالاً وروفاً، كانت موضوع نقد من قبل مفكرين آخرين. فمنذ القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، رفض المعتزلة ما ورد في التعابير القرآنية من صفات تشبه الله بالإنسان وأرأوا فيها صوراً لا تطابق الواقع، كما رفضوا كل شاعرة، ولم يؤمنوا «بعقاب القبر». وحاول بعض المفكرين، في ما بعد، اعتماد موقف وسط قريب مما ذهب إليه الأشعريون الذين يقبلون بالتعاليم السلفية المتعلقة بهذا الموضوع، ولكنهم يعتبرون أن طبيعة الأحداث التي تشكل عنها تختلف عما نعرفه على الأرض. وفي العصر الحديث، ما تزال مختلف هذه الاتجاهات قائمة: فالعالمون بالثقافة لا ينكرون الوصف المتعارف عليه، ولكنهم لا يشددون على مظاهره المثيرة متجنبين التأويل المجازي الذي يعتمد به انصار الفلسفة والتصوف.

يونس أو يُونان، يونس بن مَتَّى أو ذُو النُون. شخصية توراتية، يرد ذكرها في القرآن الكريم، نبياً مهبطاً للحي، النبي محمد (ﷺ). فالسورة العاشرة من القرآن، أو سورة يونس، مخصصة كلياً لقصته. كما ورد ذكره أربع مرات في أماكن أخرى من القرآن الكريم، اثنتان منها باسم آخر: «صاحب الحوت» و«ذو النون». وليونس في القرآن دور مهم كمرسل من قِبَل الله، وإن معارته كتبني ابتلعه الحوت وكمثالاً للصبر لحظها العهد القديم، قبل أن تجعلها الروايات اللاحقة بعلامح خارقة.

وهكذا نرى، في عصر ازدهار تكريم الأوبياء في الإسلام، أنَّ ذكرى النبي يونس مرتبطة بأماكن مقدَّسة عديدة هي مقصد زيارات تقوية. في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، كانت هناك مجموعتان من هذه الزيارات تحرفهما من خلال دليل الهروري: المجموعة الأولى في فلسطين تُدَّعى بدون شك، بالنبي العربي يونس (أو يونان) بن إسماعيل (سفر الملوك الثاني، الفصل ١٤، الآية ٢٥) الذي مُنِّسب إليه التسمية

المجموعتين إلى مصيرهما إلا بصورة غامضة. نذكر،
على سبيل المثال، ما ورد في إحدى السور حول هذا
الموضوع:

[illegible]

ويضاف إلى هذه المعطيات القرآنية ما ورد في الحديث وفي تفاسير القرآن التي تتنافس لإعطاء معلومات إضافية حول كيفية حصول الدينونة. وقد استعبدت تفاصيل هذه المعلومات التي تُبرّرها تفسيرات القرآن الكريم الحرفية، في المجاهرة بالعقيدة التي يعتقدها السلفيون الذين يعتبرون الإيمان بيوم الدين من أركان العقيدة. وهكذا فإن الدينونة تلي البعث الذي يملن عنه نغير يُطلقه الملاك إسراقي، فيجتمع الناس في «فناء» فإذا هم «قيام يظنون» أن يظهر الله، فيتم التعرف إليه بإشارة خاصة، وذلك بالكشف عن ساقه، ويفسر ذلك ما ورد في سورة القلم، الآية ٤٢، ﴿يَوْمَ يُكَفِّرُ عَنْ سَائِي وَيَذْعَرُ إِلَى الْكُفُورِ فَلَا يَنْتَفِعُونَ﴾، ومن ثم يحاسبون بحضور الانبياء الذين يحق لهم التماس الرحمة لجماعتهم. ومن ثم يمرّون أمام حوض حيث يلتفون النبيّ محمد (ﷺ) الذي يمكن أن يشفع لكل مؤمن ثبت أنّه أخطأ، ولكنّ الحكم الأخير إمّا هو بيد الله، الذي هو، كما ورد في التصور، عادل وصارم ومنسامح ورحيم.

وَتَعْلَمُ الْأَحَادِيثُ أَيْضًا أَنَّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتَجَنَّبُوا
«جسراً»، أو صراطاً، يَسْمَحُ لَهُمْ بِالْوَصُولِ إِلَى الْجَنَّةِ،
مَرُوراً فَوْقَ جَهَنَّمَ. يَسْتَطِيعُ الْمُخْتَارُونَ مِنْ اجْتِنَابِ هَذَا
الْجَسَرِ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ زَفَاقَةً مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَكْثَرُ حِدَّةً مِنْ
نَعْلِ السَّيْفِ، يَتِمَتُّ تَعَتُّرُ الْمُخْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَيَقْمُونَ فِي
السَّعِيرِ. وَتُذَكِّرُ هُنَا بِأَنَّ الشَّهَادَةَ يُنْقَلُونَ بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ فَوْقَ
اسْتِثْنَائِهِمْ، وَأَنَّ الْبَشَرَ الْآخَرِينَ يَخْضَعُونَ، لِحَقْلَةِ

الشخصية الرئيسة في «مفر يونان» (يونس): أمّا اليوم
فثمة تكريم خاص لمزار النبيّ يونس الذي حلّ محلّ
المشهد الغروسطي في تالّ نؤبة.

العربية يونس بن مَتَّى؛ أمّا الأضرحة الأخرى الأكثر
شهرة، فإنّها تشير إلى مواضع في منطقة الموصل في
بلاد ما بين النهرين العليا، حيث جرت، بحسب التقليد
اليهودي-المسيحي، فصول قصة «نبيّ نينوى»، وهو

الهوامش

١. أو إبليس، والمقصود عصيانه أو أمر الله في السجود لأدم.
٢. المقصود الاتحاد بالله بعد المجاهدات والمرور بمختلف المقامات والأحوال.
٣. [المعقوفتان نعتيان زيادة.
٤. ليس بالضرورة أن تكون آيات الله مهتات سياسية. أو أن يكونوا محصورين بإيران، فقد أصبحت هذه التسمية تطلق على بعض كبار المجتهدين من الشيعة الاثني عشرية.
٥. المقصود هنا كتاب «طبقات الشعراء».
٦. المقصود كتاب «البدع».
٧. كانت الغنائم مما أغرى بها أبو بكر المغالين، ولكن هؤلاء انخرطوا في ظُلِّ عقيدة وقاتلوا تحت لوائها.
٨. لم يكن التذمر مقتصرًا على الموالي فحسب، بل كان جزءًا من القبائل العربية، لا سيما اليمنيين، يعارض الحكم الأموي حينذاك.
٩. لم يحدث أن قام أبوه محمد بن الحنفية بأي نشاط سياسي في العهد الأموي.
١٠. الصحيح يَنْشِئ (بالجيم المثناة المفتوحة)، وهي نسبة إلى قرية يَنْشَتْ CAST على مقربة من مدينة هراة (بأفغانستان، اليوم)، وهي كانت منبأً لسلسلة صوفية منسوبة إليها، رأسها الخواجه أبو أحمد أندال، ثم الخواجه قطب الدين مودود والخواجه معين الدين (موضوع كلامنا) ونجيب الدين شيخ المشايخ الذي انتهت إليه هذه السلسلة.
١١. من المعروف في الروايات التاريخية أن خالدًا بن الوليد الذي استدعاه الخليفة من العراق، كان أميراً (قائدًا) للجيش الإسلامي في هذه المعركة.
١٢. هو عهد وصاية دوق أورليان، فيليب، على لويس الثامن عشر الفاصر.
١٣. جامبايز هو الاسم الهندي لقلمة استولى عليها محمود الأول وكانت أساسًا للممبنة.
١٤. من مؤلفاته «تفسير القرآن»، ثم تذكره النائرة.
١٥. نسبتهم إلى بَهْمَن، ابن البطل الإيراني اسفنديار.
١٦. هو الخواجه محمود غوان (١٤٠٥-١٤٨١)، وزير محمد الثالث البهمني وأحد مؤرخي الهند الأوائل.
١٧. تبنى حزب البعث الذي أسسه ميشال عفلق مع صلاح البيطار السائد الاشتراكية بعد انضمام الحزب الاشتراكي إليه بقيادة أكرم الحوراني.
١٨. أطلقت هذه التسمية أيضًا على رواة التاريخ في القرن الثاني الهجري، من أمثال أبي مخنف وعوانة بن الحكم وسيف بن عمر...
١٩. كان الموقف عكس ذلك في حروب النغور، لا سيما في العهد الأموي الذي شهد حملات مكثفة إلى هذه المناطق، في إطار ما يعرف بالشواطي والصوائف.
٢٠. لقب زوجته هو «ممتاز محل»، ومعناه ذات المكانة المميزة، أما تاج محل فهو اسم الضريح.
٢١. بلخ، مدينة عريقة في القدم تقع غربي مزار شريف وجنوبي نهر جيحون، كانت ملتقى طرق القوافل التجارية بين إيران والهند، ومركزًا لتجارة الحرير بين الصين وبلدان الغرب. كما كانت عاصمة خراسان في العهود الأولى للإسلام ومركزًا ثقافيًا مزدهرًا في عهود السامانيين والسلاجقة والغزنويين، وموطن اليرامكة الذين وُزروا للعباسيين. تلاتت فيها البردّة والزرادشتية والإسلام.
٢٢. هو عبدالله أبو يحيى المعروف بـ«البقال» في الروايات التاريخية.
٢٣. مات في سقوطه في مكتبته.
٢٤. «دين إلهي» في الفارسية، كما ورد في الأصل.
٢٥. إنه قُتل بعد عودته من غزوة في الشمال.
٢٦. يُنسب بناء مسجد قبة الصخرة لعبد الملك، فيما يُنسب بناء المسجد الأقصى إلى الوليد، وهو أمر شبه متفق عليه في الروايات التاريخية.
٢٧. بلبس الأمر على المؤلف بين حركة المعتز وحرارة ابن الزبير. إذ إن مصعب بن الزبير هو الذي قضى على حركة المعتز ولبس الحجاج.

٢٨. حدث ذلك في عهد ولاية الحجاج على يد شبيب بن يزيد زعيم الخوارج الصفرية، أي حوالي منتصف عهد الخلافة الأموية وليس في آخر أيامها.
٢٩. كان عبد شمس أماً توماً لهاشم، ولم تحدث بينهما خصومة، وإنما كانت هذه بين هاشم وأميه بن عبد شمس.
٣٠. أو العرفان، وهو العلم بأسرار الحقائق الدينية، أي الغوص على بواطنها، تجاوزاً لظاهر دلالاتها.
٣١. قد يكون هذا التأكيد في غير محله لأن التقيفي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء وابن العبري في «تاريخ مختصر الدول» يجهلان ولادته في الرقة.
٣٢. في شباط ٢٠٠٢، عُقد دستور البحرين وتحوّلت الإمارة إلى ملكة.
٣٣. سقط نظام صدام حسين في ربيع ٢٠٠٣م.
٣٤. صدر كاملاً، منذ سنوات قليلة، عن دار الفكر - بيروت، تحقيق الدكتورين سهيل زكار ورياض الزركلي.
٣٥. في هذه التواريخ اضطراب، إذ بدأ حكم هذه السلالة في البنگال الشرقية سنة ١٣٣٦م مع فخرالدين مبارشكاه، أمّا في البنگال الغربية وفي ساتو امحاء البنگال، فاستُهلّ الحكم مع علاء الدين عليشاه عام ١٣٣٩م ومع شمس الدين إلياس شاه عام ١٣٤٥م.
٣٦. الفلّة أو اليول: شعب إفريقي من أصول بربرية، ينتشر في أيتاما في مالي وغينيا.
٣٧. هذا القول غير دقيق. فهناك مجموعات بهائية في مصر، لبنان والكويت، وكذلك في جمهورية أذربيجان وبعض جمهوريات آسيا الوسطى.
٣٨. بعض الأسماء هي مكررة لأن أصحابها حكموا بلدين أو أكثر.
٣٩. قبائل من جنوب روسيا اختلطت بالهنود والأكراد.
٤٠. هو سعيد بن الحسين الإمام الإسماعيلي وأول خليفة فاطمي في المغرب، والمقصود بإفريقية المنطقة الشرقية من المغرب حيث قامت الخلافة الفاطمية سنة ٩٠٩م.
٤١. المعروف برشيد الدين فضل الله.
٤٢. كان يُعرف باسم محمد خُدايتش.
٤٣. في علم الكلام وفي الفقه الإسلاميين.
٤٤. هو خير الدين الملقب ببربوسة أي ذي اللحية الحمراء.
٤٥. تُعرف، أيضاً، بالرجانية.
٤٦. هو الناصر فرج بن برقوق.
٤٧. ورد في تاريخ اليعقوبي حول هذا الموضوع أنّ رسول الله (ﷺ) دعا «مَن كان في بيته صنمٌ فليكنمه»، فكسروا الأصنام؛ ج ٢، ص ٦١، طبعة صادر، بيروت، ١٩٦٠.
- ورد في «مروج الذهب» للمسعودي: «في سنة تسع حجّ أبو بكر الصديق (رضي) بالناس وقرأ علي بن أبي طالب عليهم صورة براءة وأمر أن لا يحجّ مشرك وأنه لا يطوف في البيت عريان» (ج ٢، ص ٢٩، طبعة دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٣).
٤٨. الأصح القول إن مؤتمر الصلح هو الذي حثّ آمال الشريف الحسين، وليست معاهدة فرساي.
٤٩. يُدرج المؤلف هنا، باللغة الفرنسية، نموذجاً عن قسّم كان يؤيده أتباع الشاذلية ولكنه لا يذكر مصدره. لم نشر على النص العربي الأصلي لهذا القسم، لذا لم نورد في صلب النص، بل قلنا إدراج في باب الحواشي بعد أن أعدنا ترجمته إلى العربية، وبهذا نقه الحرفي:
- يا إلهي، إني أعلن توبتي أمامك وأقبل سيّدًا على الشيعة (فلان). أقبل به شيئاً في هذا العالم وفي العالم الآخر أقبل به سيّدًا ومرشدًا أمام حضرتك. أقبل به هاديًا على طريقك. لن أعصي أوامره لا قولاً ولا عملاً، لا جهراً ولا سراً. أثبتني يا إلهي في طاعته وفي طريقته في هذا العالم وفي العالم الآخر، وفي طريق شيخ الشيوخ وإمام الأئمة وقطب الجماعة سيدي أبو الحسن الشاذلي. رضي الله عنه.
٥٠. لو كان متشدّداً في تطبيق أحكام الشرع، فلماذا تار على أهل الأمصار محتجين على محاباته أقاربه وعد، المساواة في المعاء؟
٥١. أسعد بن مهذب ١١٤٩-١٢٠٩م، وزير وأديب وشاعر قطيعي، أسلم في عهد الأسرة الأيوبية وولّي دواوير الدولة. من مشاهير «فوائيد الدواوين» ودبوان شعر توفّي في حلب.
٥٢. جمال الدين الوطواط، ١٢٣٤-١٣١٨م، كاتب مصري متشرب، من مؤلفات «مجموعة رسائل» و«غزّ» والمصنفات الواضحة.
٥٣. بعد المهديّة، بنى الفاطميون في العام ٣٢٦-٣٣٧هـ/ ٩٤٧-٩٤٨م عاصمةً جديدة لهم قرب القبروان هي صبرا-منصورية.
٥٤. في التواتر، أنّ المقام يعود إلى زينب بنت علي، أخت الحسين، وربما يعود بناؤه إلى زمن الفاطميين الذين اعتنوا بإحياء تراث أهل البيت وبناء مقامات تكريميّة لهم.
٥٥. ليس هو الذي اختار البصرة معسكرًا، إنّ الذي اختاره هو عُتَبة بن غزوان.
٥٦. لقد أدخلنا على هذه اللانحة، إستناداً إلى مصادر أخرى بعض التعديلات التي بدت لنا ضرورية.

٥٧. لا نشاطر المؤلف هذا الرأي لأن القرآن الكريم يميز بين المشركين وأهل الكتاب من نصارى ويهود. راجع على سبيل المثال سورة البقرة، والآية ١٠٥، سورة آل عمران، الآية ١٨٦، وسورة المائدة، الآية ٨٢...
٥٨. لم يكن ابن سبأ من صحابة علي الذي علقه ورفض مقولته بصدد الرصبة، وتالياً ليس صحيحاً أن ابن سبأ أنه علقه.
٥٩. إذا كان المقصود هنا الحركة التي قادها المختار باسم محمد بن الحنفية، فقد قامت هذه في سنوات القرن الأول الهجري وليس في نهاية الحقبة الأموية.
٦٠. المعروفة بالعربية بالجبل الصخري.
٦١. كان الخليفة هارون الرشيد قد أوصى بالخلافة لأولاده الثلاثة بالتتابع: الأمين والمأمون والمعتصم.
٦٢. يابوز: هو لقب السطان سليم الأول وبني الريحب أو المخيف.
٦٣. هو طريف بن مالك البربري المعافري.
٦٤. قائد الجيش العباسي.
٦٥. المقصود أمويو الأندلس.
٦٦. إحدى قرى مغارة بمحافظة المنيا في صعيد مصر.
٦٧. عنوانها «مستقبل الثقافة في مصر».
٦٨. نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك.
٦٩. أبو عمرو عباد بن محمد المعتضد.
٧٠. خلافاً لما ورد، فإن العباس لم يتأوى جهراً الرسول ﷺ على غرار أخيه أبي لهب، حتى إنه عشي الهجرة إلى يثرب استوفى من أهلها بأن الرسول ﷺ أمر في ديارهم.
٧١. بدأت الدعوة العباسية في أواخر القرن الأول وأعلنت في القرن الثاني الهجري.
٧٢. إحدى قرى البلقاء في الشام.
٧٣. لم يكن أبو سلمة من النقباء لآلئ عشر، ولكنه عُرف بوزير آل محمد.
٧٤. ينتهي ميدان العصر الذهبي مع المعتصم، في الثلث الأول من القرن الثالث للهجرة/منتصف القرن التاسع للميلاد.
٧٥. توافقت الشرعية العباسية مع مبدأ البيعة الذي اعتمدته الخلافة الأموية، أما الراشدون فاعتمدوا عامة مبدأ الشورى في البيعة.
٧٦. حلّ أولاً عند أخواله من بني نغزة في المغرب، ثم انتقل إلى لأندلس.
٧٧. لم يحدث تنافس بين الأخيرين التوأمين: هشام وعبد شمس، ولكن أمته، بين الأخير، نافس عمه على الزعامة.
٧٨. ولكنه فشل، فرحل بعد ذلك إلى الشام.
٧٩. نازل لابنه الحسين ابن طلال عام ١٩٥٢م.
٨٠. يشير إلى أم السيدة أروى بنت أحمد منكث من ١٠٩٢ إلى ١١٣٧م.
٨١. حكم بنو رسول بين ١٢٢٩ و ١٤٥٤م وأسس حكمهم عمر بن علي في نمر ورسخه ابنه يوسف، فضى عليهم بنو طاهر.
٨٢. ورد هذا الحديث في رواية أخرى في «مصارع العشاق» (بشر الفلسطينية ١٣١١هـ، ص ٤) نجعفر بن أحمد السراج هكذا: «من عشق وكنم وعفّ وعبر غفر الله له وأدخله الجنة». كما ورد مع تغيير في لفظه في مصادر عديدة منها: «محاضرات الأدباء»، «كنوز الحقائق» في حديث خير الخلائق، «محاضرة الأبرار ومسيرة الأخبار»، وفي «تزيين الأسواق».
٨٣. العقية: اسم المكان الذي التقى فيه الرسول ﷺ عدداً من أهل يثرب (من الأوس والخزرج)، حيث بايعوه في هذا المكان ودعوه إلى مدينتهم.
٨٤. كانوا اثني عشر رجلاً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.
٨٥. هذا المصطلح غير معمم بصورة شاملة.
٨٦. ثم يُعرف عن ابن الحنفية أنه قاد بنفسه ثورة ضد الأمويين، إذ إنه عاش مهادئاً في الحجاز، باستثناء ما زعمه المختار الثقفي في دعوته، باسمه في الكوفة، الأمر الذي استنكره ابن الحنفية.
٨٧. هؤلاء الأئمة هم: علي، الحسن، الحسين، علي (زين العابدين)، محمد (الباق) جعفر (الصادق). وكان اسماعيل الإمام السابع عند الإسماعيلية، ولذلك عرفوا بالبيعية.
٨٨. عُرف بلقبه «الهادي»، أمّا «المسكري» فهو لقب ابنه الإمام الحادي عشر.
٨٩. هذه المعلومات تطابق الحسن العسكري ابن الهادي. وضع عمر أسس المسجد الأقصى، وهو يختلف عن مسجد قبة الصخرة الذي يعود بناؤه إلى الخليفة الأموي عبد الملوك.
٩٠. ماتت بعد وقت قليل من البيعة لأبي بكر، فكيف نكود قد قاومت بشدة الخلفيتين الأولىين؟ ربما يقصد المؤلف موقعها من خلافة أبي بكر التي كان لعمد دور أساسي فيها.
٩١. يقصد المؤلف هنا المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم التي نصّت على إنشاء نظام الانتداب الدولي، وقد وقّع على

في قتله، ولقد نُسب ذلك إلى عرب من مصر من بني عكّ.

١٠٠. لم يكن مروان من صحابة الرسول ﷺ، وقد عُرف أبوه (الحكم) بطريد الرسول، كما أن سته - بحسب

المؤلف - لا يسمح له بأن يكون من رفاق الرسول ﷺ.

١٠١. قبل أيضًا إنه قُتل بتدبير من زوجته أرملة سلفه يزيد بن معاوية.

١٠٢. هو ابن عمّه وليس عمّه.

١٠٣. ليس مروان الذي أنهى الثورات وحركات التمرد، إنّ الذي أنشأها هو ابنه عبد الملك.

١٠٤. حصلت كوسوفو على استقلالها في ١٧ شباط/فبراير ٢٠٠٨.

١٠٥. لم تُشر المرويات التاريخية إلى طرد المسيحيين من شبه الجزيرة، ويبدو أنّ الأمر اقتصر آنذاك على اليهود.

١٠٦. الدراهم والدنانير.

١٠٧. ينسب معظم المؤرخين قصير عمرة إلى الوليد بن عبد الملك.

هذا الميثاق في فرساي مع المعاهدة المعروفة بمعاهدة فرساي.

٩٢. يرجع عدد من المؤرخين أنّ البيهيين كانوا على المذهب الشيعي الزيدي.

٩٣. الساحة العامة في المدن اليونانية والبيزنطية القديمة.

٩٤. البيزنطيك: مبنى روماني مستطيل، في أحد طرفيه جزء ثاني نصف دائري.

٩٥. كانت ثورة ابن الأشتب بين سنتي ٨٨١/٧٧٠م و٨٨٤/٧٧٣م، وقد لجأ بعد فشله إلى كابليستان حيث سلّمه

«ملكها» في ما بعد إلى الحجاج.

٩٦. لم نهجر كتنة قبل الاسلام الى العراق أو إلى يثرب، وإنما كان لها وجود حينذاك في الشام (دومة الجندل)،

ثمّ اتّسع حضورها في العراق (الكوفة خاصّة) بعد الفتحاحات الكبرى.

٩٧. هو طاهر بن الحسين، من كبار قوّاد المأمون العباسي.

٩٨. قائد الجيش، والمفظة أطلقت أساسًا على قائد الاسطون.

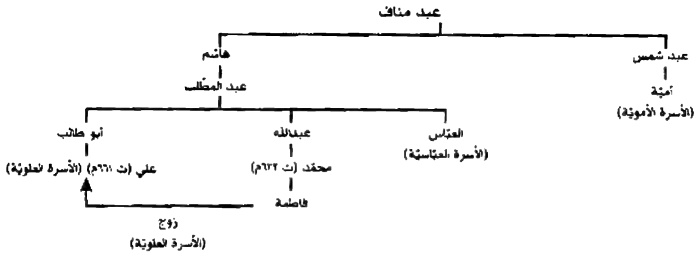
٩٩. شارك بنو مذحج في حصار عثمان ولكنهم لم يشاركوا

- نلفت إلى أنّ ليسا ورد في الصفحة ٩ من هذا المعجم (مقدمة الطلبة الفرنسية)، يتعلّق موضوع التنشيط، فيها هذا الأخير وكأنّه يوقّر الإمامة أكثر من النبوة. هذا أمرٌ مستنكر، بل مرفوض لدى الشيعة (الإناني عشرة) الذين يتفقون مع سائر المسلمين على ترفيع الرسول ﷺ، نيّة الإسلام الأكرم والأفضل. مع العلم أنّ مثل هذا الرأي خلقت منه مادة «الشيعة» السجدة في متن المعجم.

الملاحق

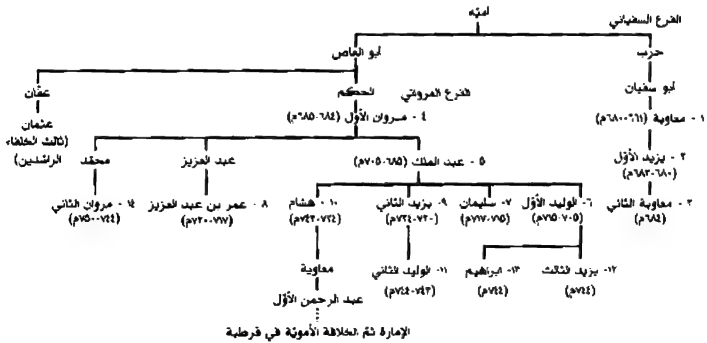
- سلاسل الأنساب
- الخرائط التاريخية
- الرسوم والمخططات الهندسيّة

١ - الهاشميون والأمويون

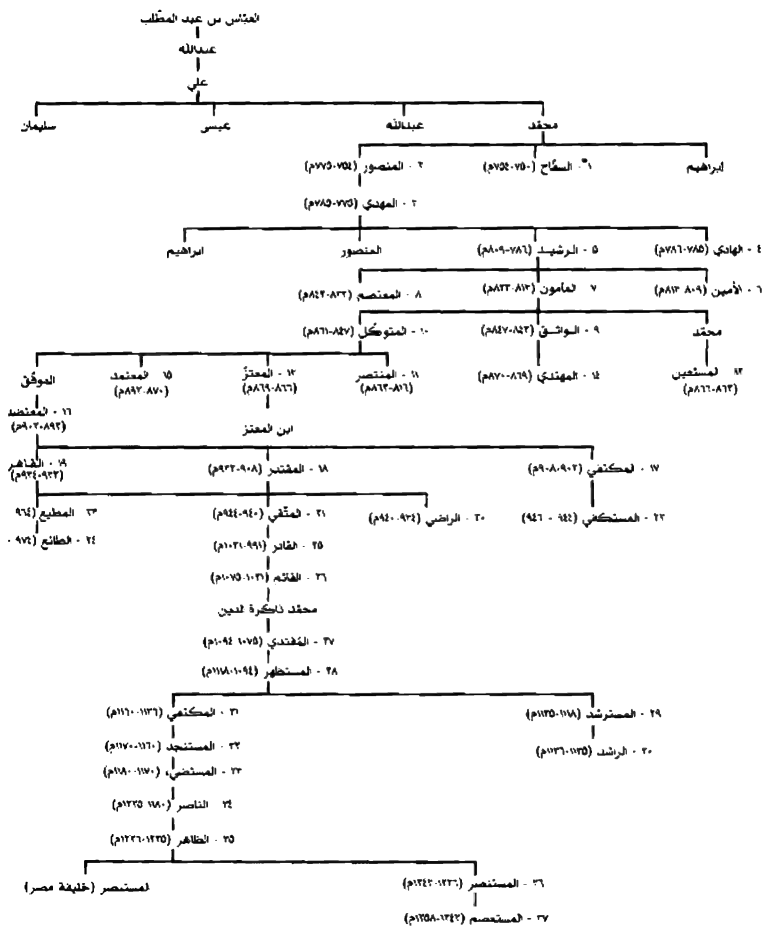


٢٠

٢ - الخلفاء الأمويون في المشرق

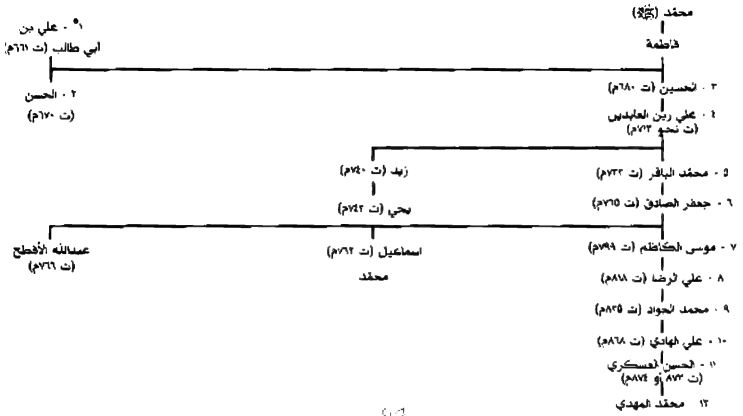


٣ - الخلفاء العباسيون



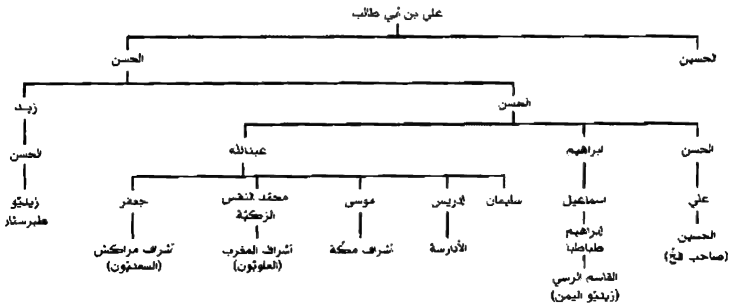
• تشير الأرقام إلى الشخصيات التي نبأت تباعاً عرش الخلافة.

٤ - العلويون المتحدرون من الحسين (الأنفة)

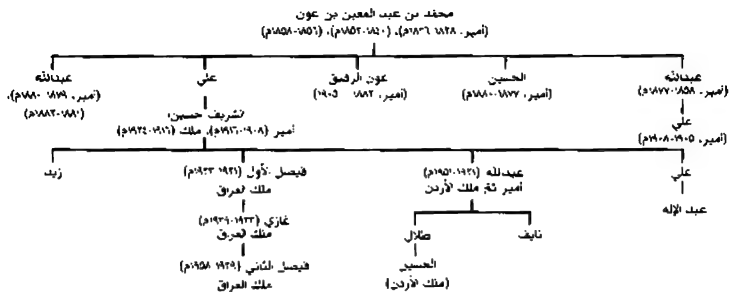


* تشير الأرقام إلى الشخصيات التي وصلت ناعاً إلى مركز الإمامة.

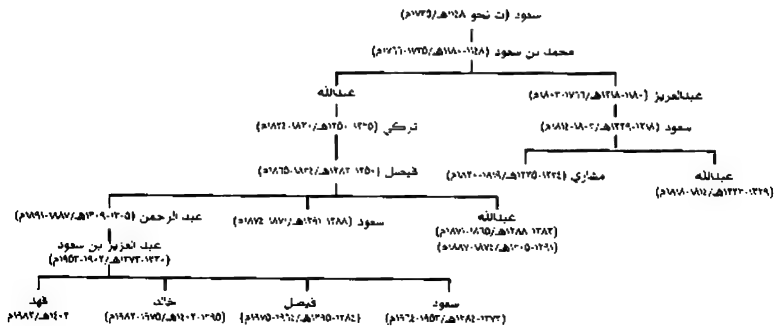
٥ - العلويون المتحدرون من الحسين



٦ - أشرف مكة الهاشميون



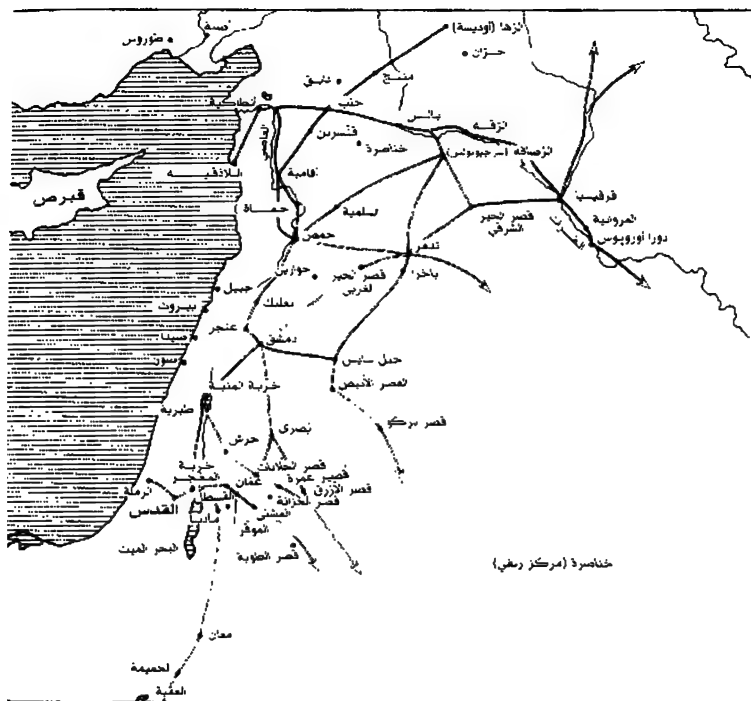
٧ - الأسرة السعودية





٨ - الخلافة الأموية بعد الفتوحات الكبرى

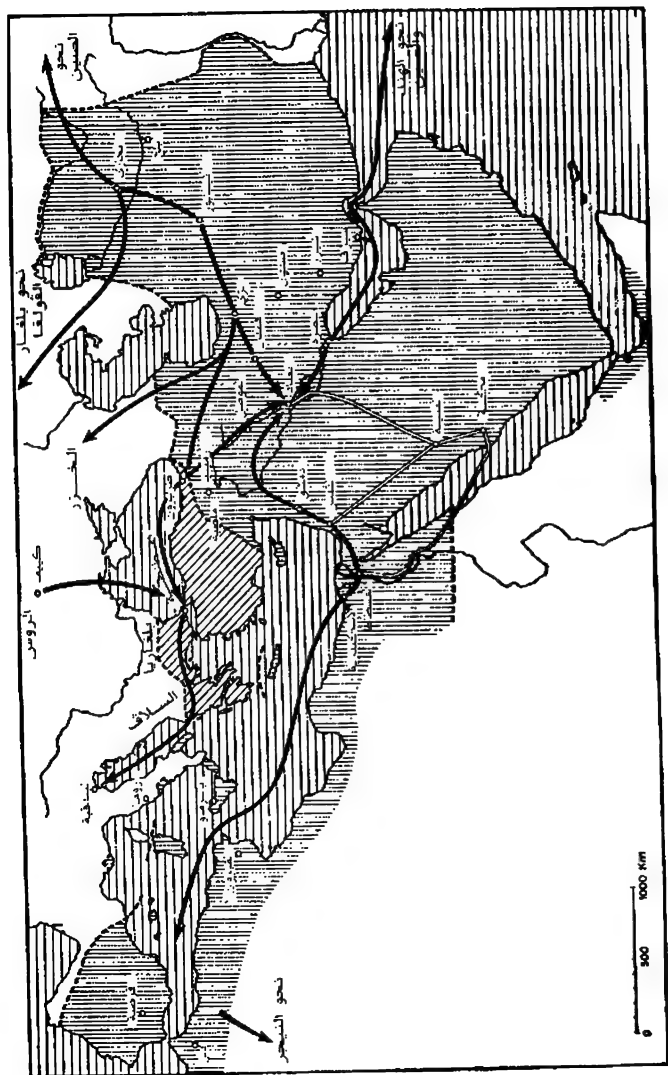
cf. apud R. Marican, L'expansion musulmane, PUF.



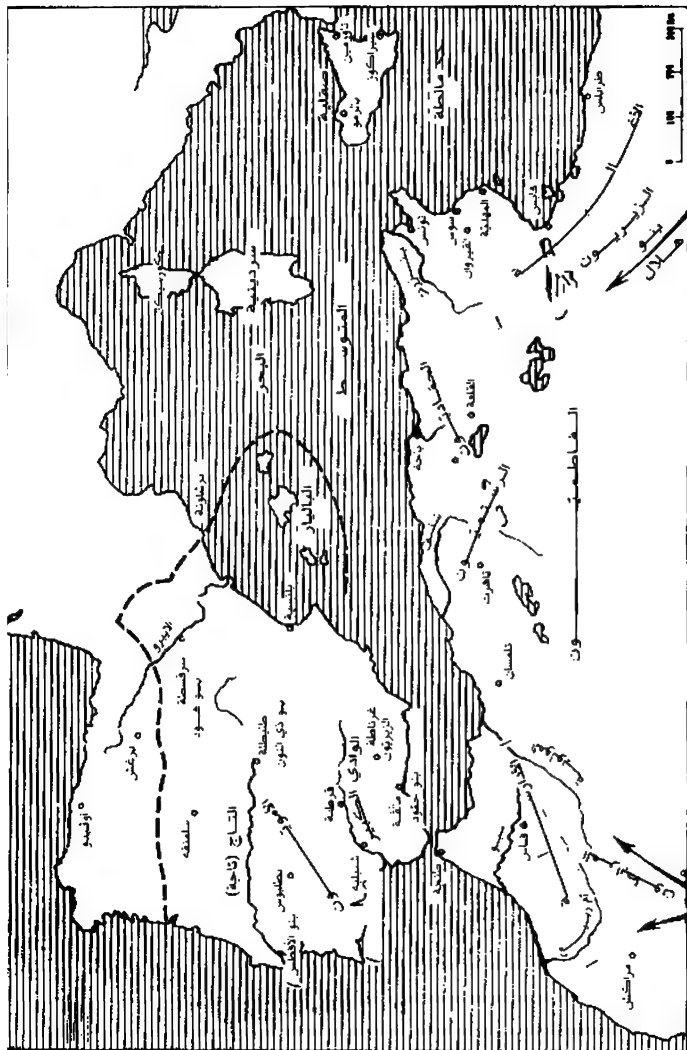
٩ - سوريا الأموية في مطلع القرن الثامن الميلادي

المدن القديمة والمدن التي أسسها المسلمون

(d'après J. et J. Sourdel, La civilisation de l'islam classique, Arthaud)



١٠ - العالم الإسلامي والأمبراطورية البيزنطية في القرن الثالث للهجر/التاسع للميلاد
d'après : Percy Le Vayn Age, IUP.



١١ - السلاط الإسلامية في المغرب والأندلس حتى القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد

(d'après H. Vatin, L'expansion musulmane, PUF)

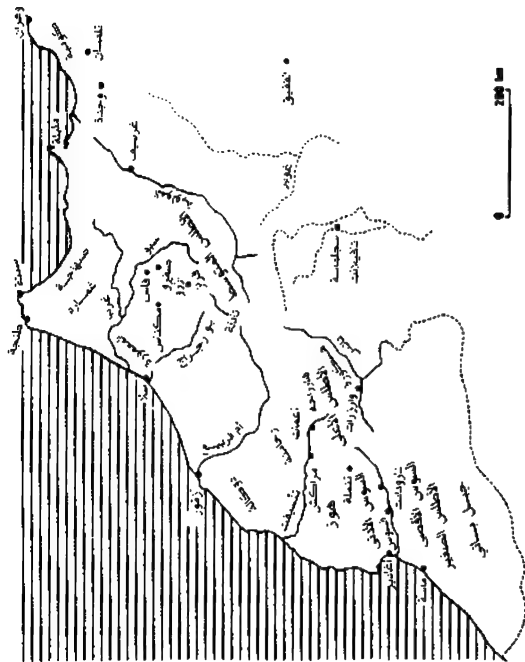


١٢ - الحركات الداخلية وتحركة الأمبراطورية البيزنطية منذ نهاية القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد

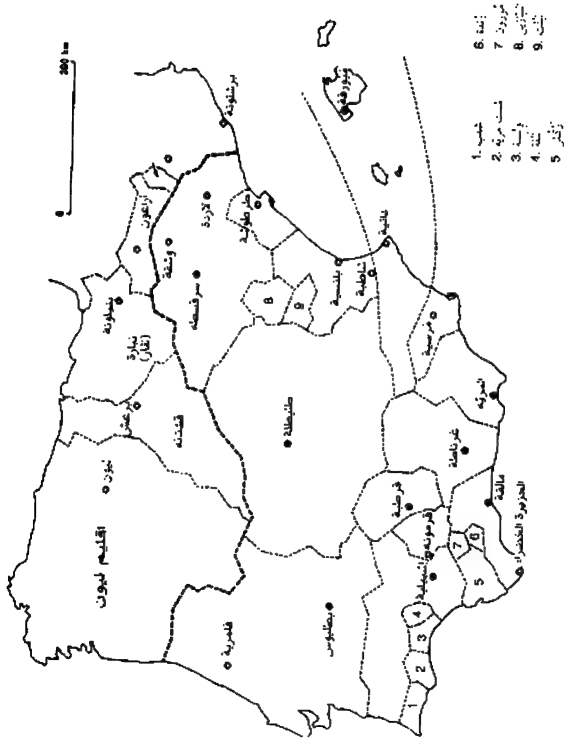
(d'après R. FOL et al. De l'Antiquité au Moyen Âge, PUF)



١٣ - مدن الشرق الإسلامي وإقليميه في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي
 D'après J. C. Gauthier et ses Fils, Société et Compagnie de l'Industrie Musulmane Reunis, S.A.F.

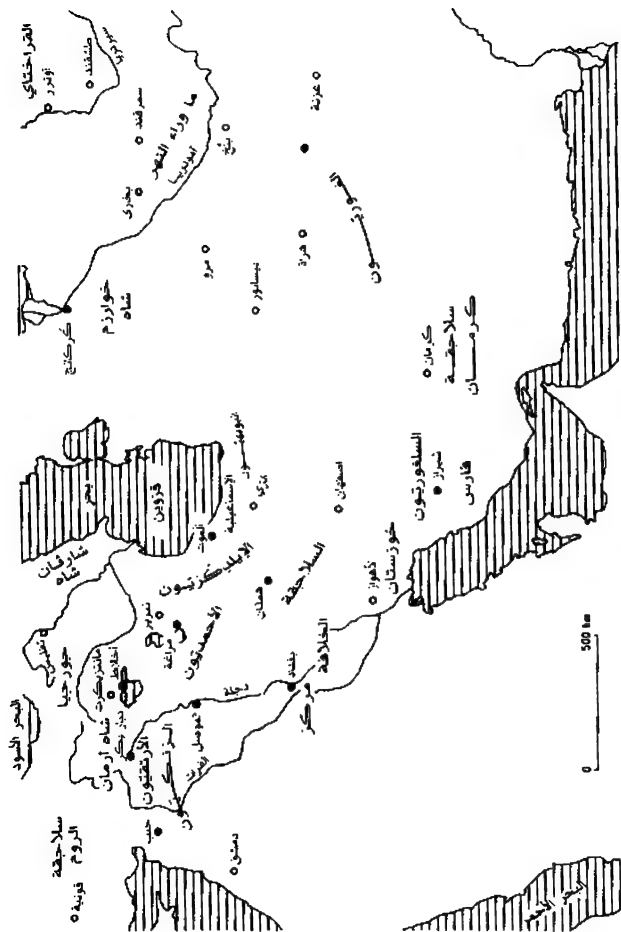


١٤ - المغرب الأقصى في عهد المرابطين (القرن الخامس الهجري/العاشر الميلادي)
(المصدر نفسه)

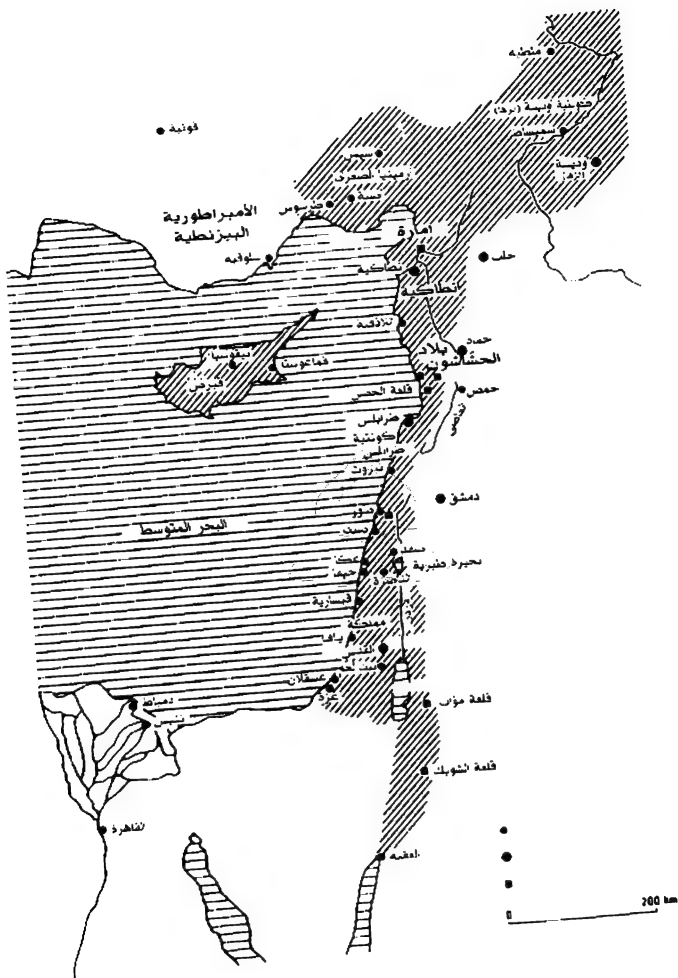


1. شهب
2. بنت مرية
3. راس
4. بنت
5. زلفر
6. راس
7. حورون
8. حورون
9. بنت

١٥ - القدس في عهد إمارات الطوليف في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد
(المصدر نفسه)

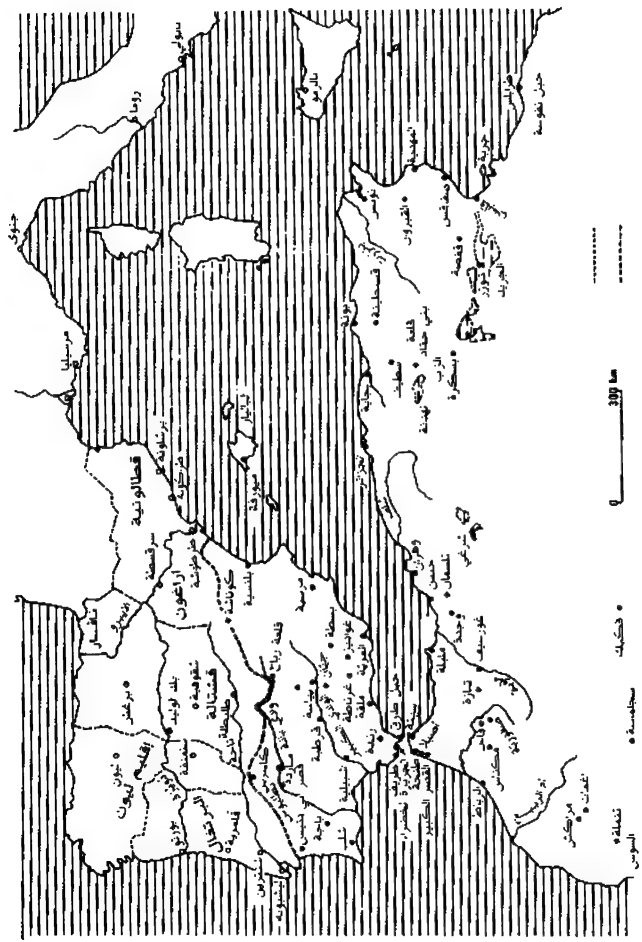


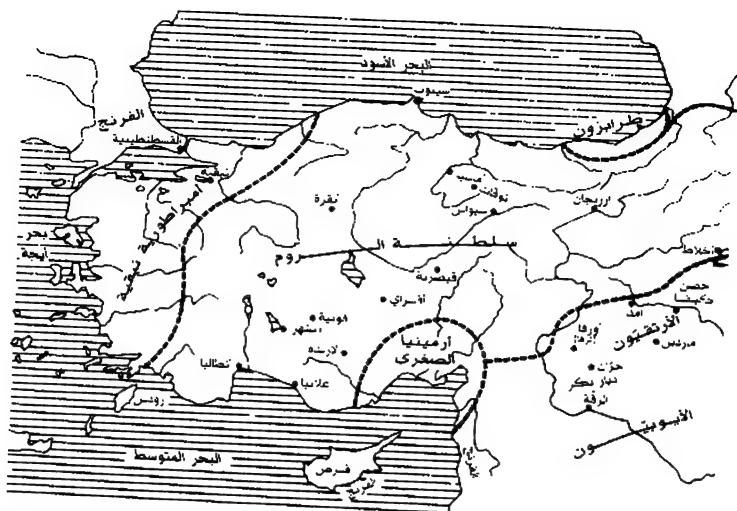
١٧ - السلطنات القروية - الإبراهيمية في الشرق السلجوقي في أواخر القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد (المصدر نفسه)



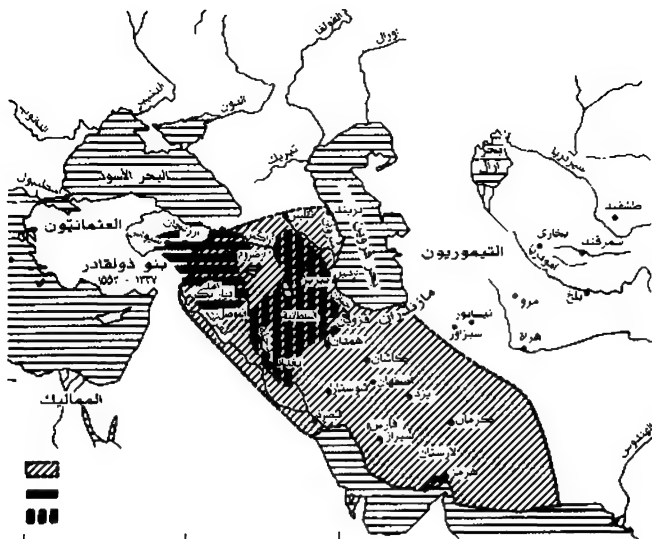
١٨ - الساحل المتوسطي للأناضول ومصر والدول اللاتينية
 في أوائل القرن السادس للهجرة/الثاني عشر الميلادي
 (المصدر نفسه)

١٩ - إمبراطورية الموحدين في المغرب والأندلس في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي (المصدر نفسه)

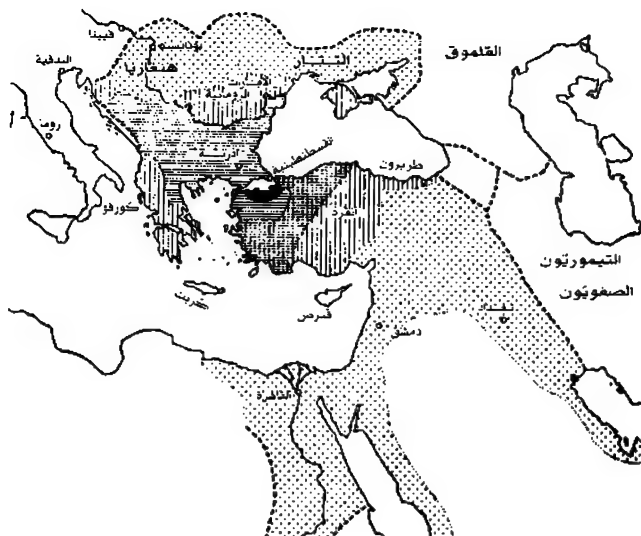




٧. - سلطنة سلاطنة الروم وتوتنخ في الأندلس في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد
 (r) après J. C. Garr n et al., *États, sociétés et cultures d, monar musulman médiévale*, PUF

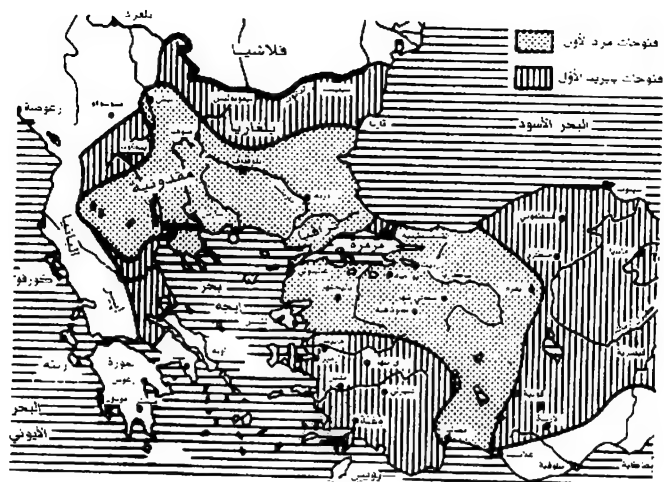


٢٤ - الشرق الإسلامي، من التيموريين والإمارات التركمانية
حتى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي
(المصدر نفسه)



٢٦ - توسع امبراطورية العنمانيين في البلقان وشرقي المتوسط منذ القرن الثامن حتى العاشر للهجرة/الرابع عشر حتى السادس عشر للميلاد

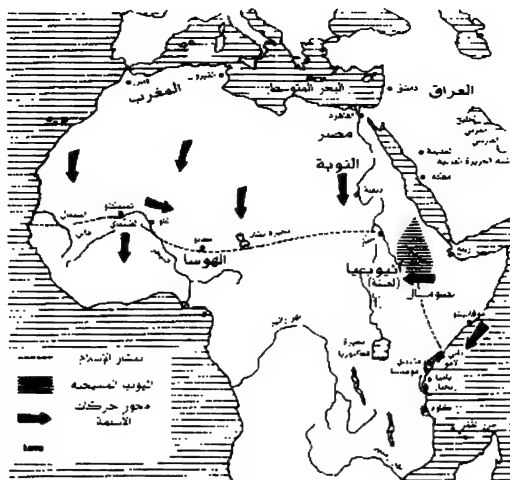
by Francis E. Penny in the Modern Age. FUR.



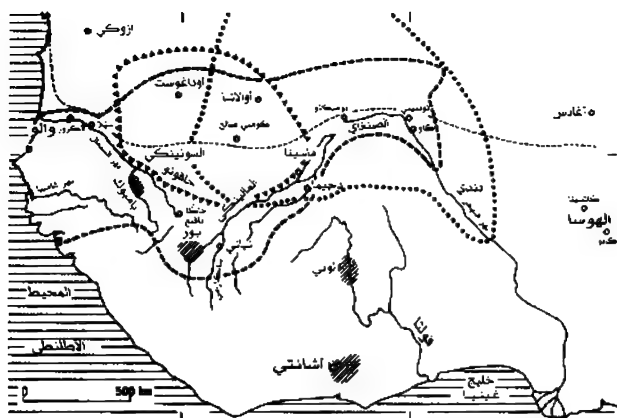
٢٧ - الفتوحات العثمانية الأولى في آسيا وأوروبا إبان عهدي مراد الأول

وباييزيد الأول في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد

Id adrien J.C. Gauthier et al. L'Asie, sources et culture au monde et l'histoire moderne, PUF.



٢٨ - توسع المقاطعات الإسلامية في أفريقيا
حتى القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد
(المصدر نفسه)

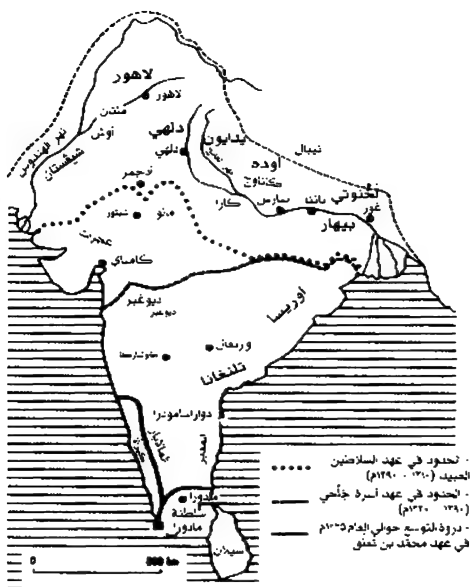


- الحدود الجنوبية للصحراء.
- الحدود التقريبية لغانا
- في أوج مجدها
- الحدود التقريبية لمملكة مالي
- التوسع التقريبي لمملكة الصنهاجي
- مناطق تحتوي على مذاهب للنخب

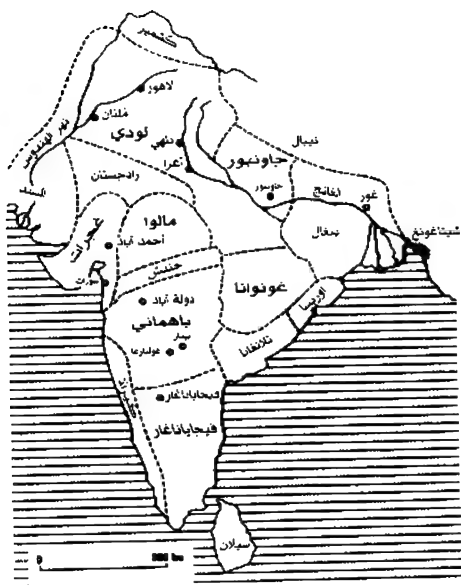
٢٩ - الأمبراطوريات المؤسّسة في السودان النيجيري

حتى القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر للميلاد

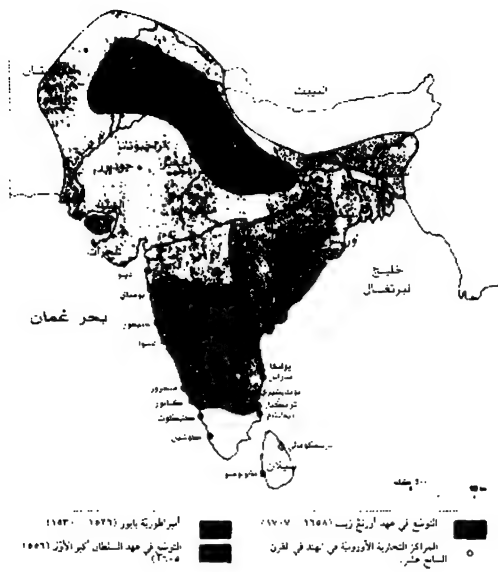
(المصدر نفسه)



۳۱ . توسع الإسلام في الهند في ظل سلطنة دلهي
(المصدر نفسه)

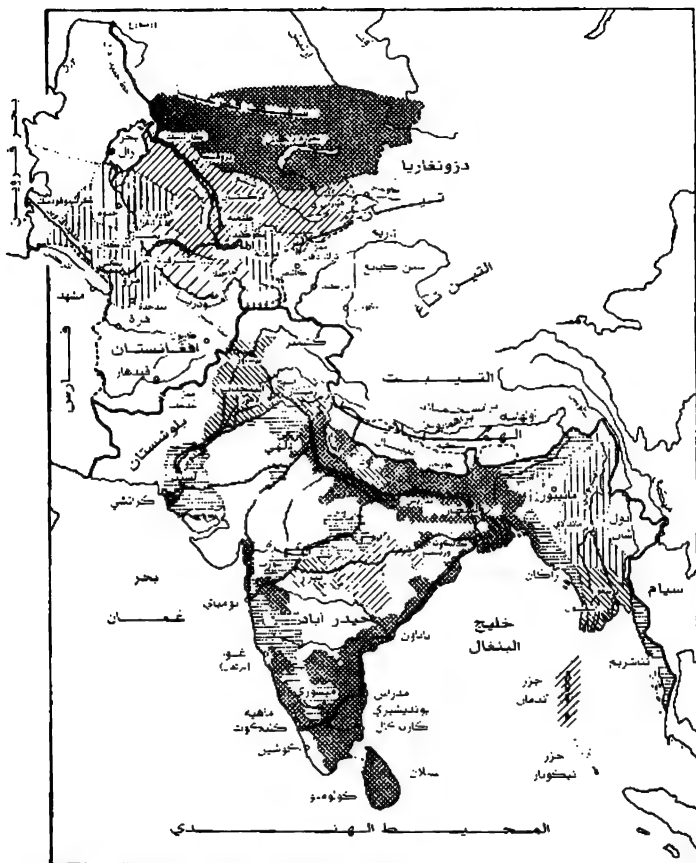


٣٢ - السلطنات الإسلامية والدول الهندوسية في الهند
في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي
(المصدر نفسه)



٣٣ - امبراطورية المغول وتوسعها بين القرنين السادس عشر والثامن عشر

(d'après M. Davin, *Histoire de l'Inde*, PUF)

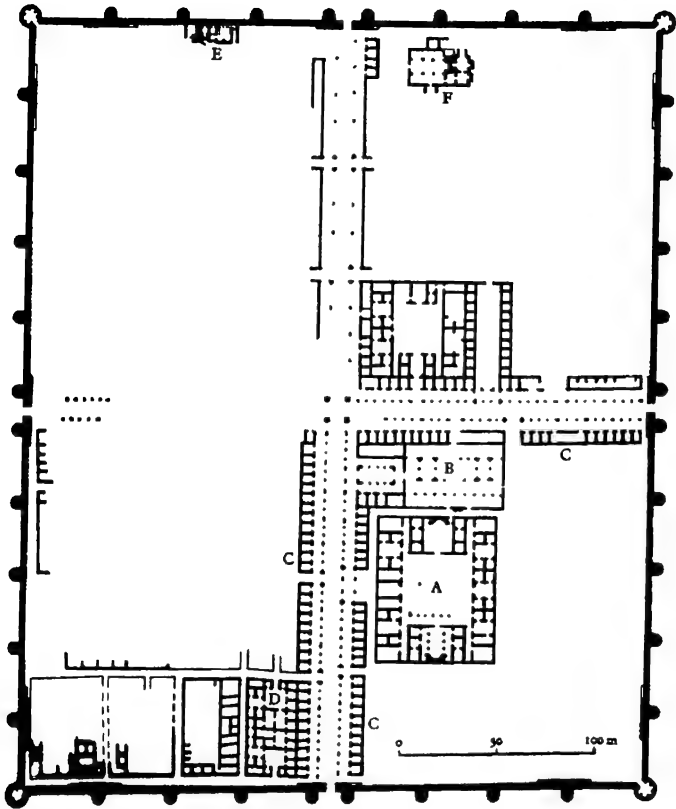


٣٥ - التقدّم البريطاني في الهند

والتقدّم الروسي في آسيا الوسطى خلال القرن التاسع عشر،

١ - في بداية القرن التاسع عشر / ٢ - بين ١٨١٥ و ١٨٤٨ / ٣ - من ١٨٤٨ حتى ١٨٥٧ / ٤ - بين ١٨٥٧ و ١٨٧٠ / ٥ - بعد ١٨٧٠

(d'après H. Schmitt, Le XIX^e siècle, P. ٢٢٢)



٣٦ - حاضرة عتجر الأموية في لسان، المستوحاة في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي من فن تنظيم المدن القديم

/A قصر ذو قاعة استقبال مزدوجة

/B المسجد الجامع

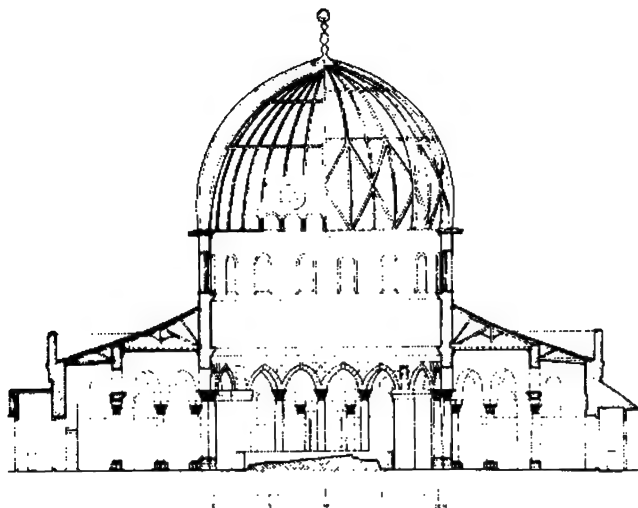
/C معبّرات معبّدة تؤدّي من المداخل إلى المربع العنبد المركزي

/D سوق للمجتمع سكني

/E حمام عام

/F حمام فخّم مخصّص للأفراد

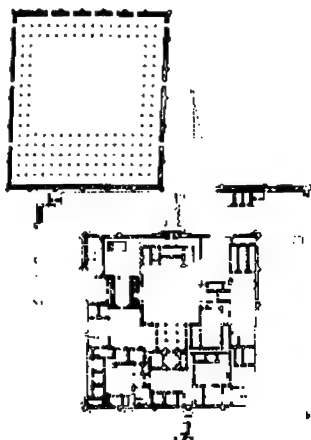
(d'après D. et J. Sourdel La civilisation de l'islam classique Arthaud)



٣٧ - مقام عظيم في فلسطين مستوحى من تقاليد الفن المعماري القديم: مقطع بالعرض لقبة الصخرة في القدس
(d'après J. Sourdel-Thomine et B. Spuler, *Die Kunst des Islam*, Verlag Ulstein GmbH)

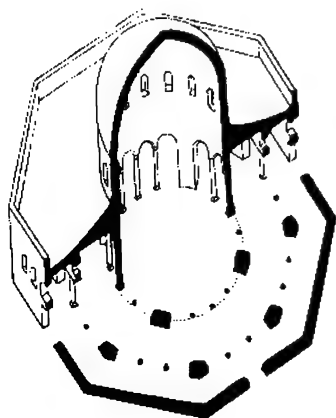
٣٩ - مسكن أميري ومسجد جامع في الكوفة بالعراق

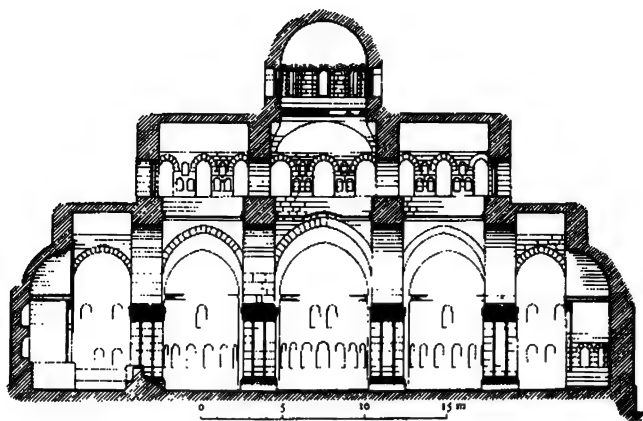
(d'après J. Sourdel-Thomine et B. Spuler, *Die Kunst des Islam*, Verlag Ulstein GmbH)



٣٨ - مقطع ثنائي لقبة الصخرة ولأسس الهندسة للهيكلة المارة

(après G. Marçais, *L'art musulman*, PUF)





٢٠ مقطع العرض لقاعة لاسكن في قصر حربة لاسكن قرب أريحا

Impero D. et J. Suess, La colonnade de l'église consacrée, Athènes

٢١ مجمع سكني أموي في سورية، ساني حربة الصغير

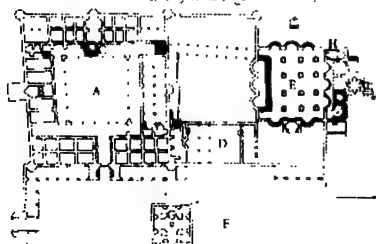
في وادي الأردن

A / ع. رواق في القصر B / مصلّى خاص

C / سرداب D / مسجد أموي E / قاعة مقابلات

F / قاعة الخوض G / جناح غلّو حوض

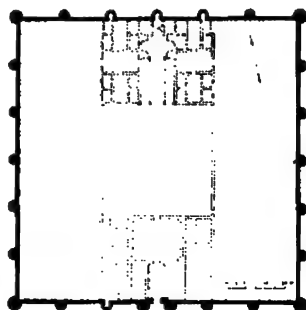
H / حشد خاص (المصدر نفسه)

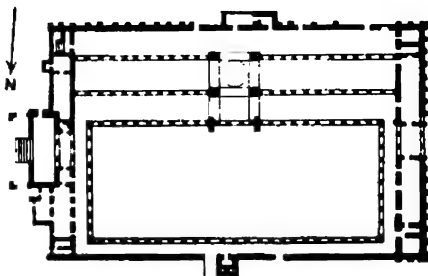
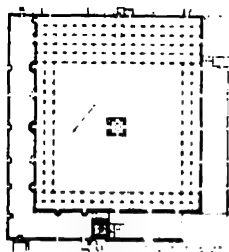


٢٢ قصر خلافي من العصر الأموي، هاشم الشنق غير

المكتمل، قاعة اسكن صحنه ومسكن أموي

(المصدر نفسه)





٥٢ - جامع من مولات العس في نهاية القرن
ثالث الهجري المسمى سلاوى في مدينة
السلوى بمصر وهو يمتدح اليوم في
الجامع السلطاني الحديث بالقاهرة

Reproduit d'après la reproduction de l'original
classé par l'Institut

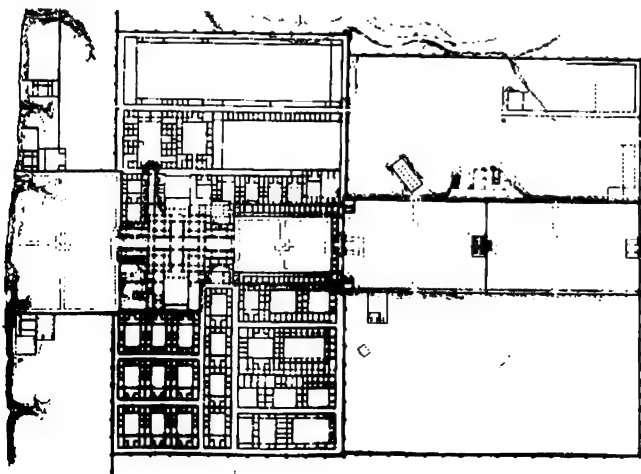
٥٣ - المسجد الجامع الأموي في دمشق من سنة المئتين المئتين
الفرج من الحفريات لعقبة حميد كان يحيط بالأموي

Reproduit d'après la reproduction de l'original

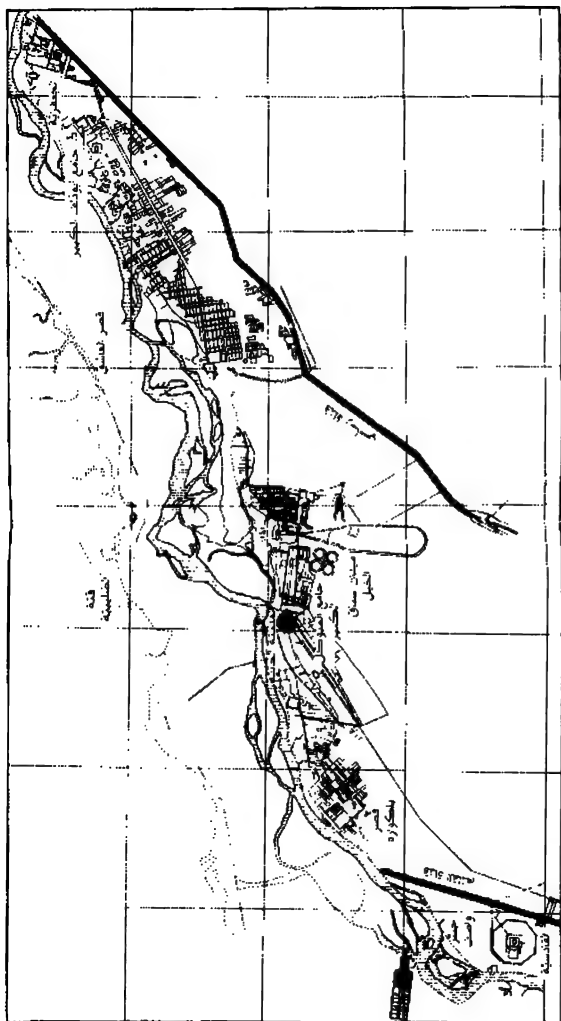
٥٤ - قصر بني خلفاء العباسيين في سامراء، وقد استحدثت من لاهة وقاعة العرش حسب الشكل ويوجد ضريح بعض

العلماء في القاعة

Reproduit d'après la reproduction de l'original de l'Institut de l'Université de l'Égypte

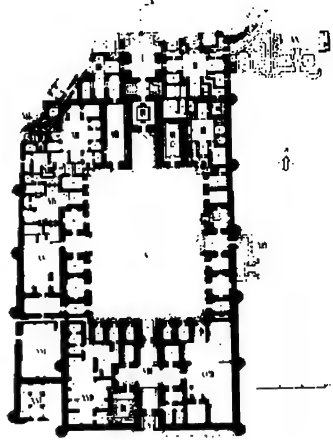
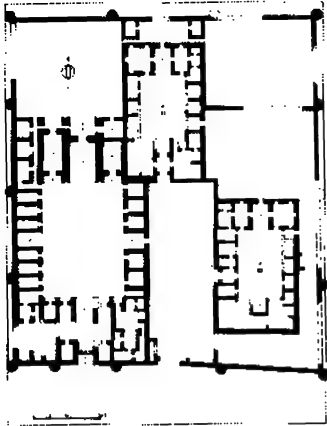


Reproduit d'après la reproduction de l'original de l'Institut de l'Université de l'Égypte



٥٤ - عواصم الخلافة الخبيثة في سائر بلاد العراق والسنجد الجامعة والقصير علمي املاو دولة

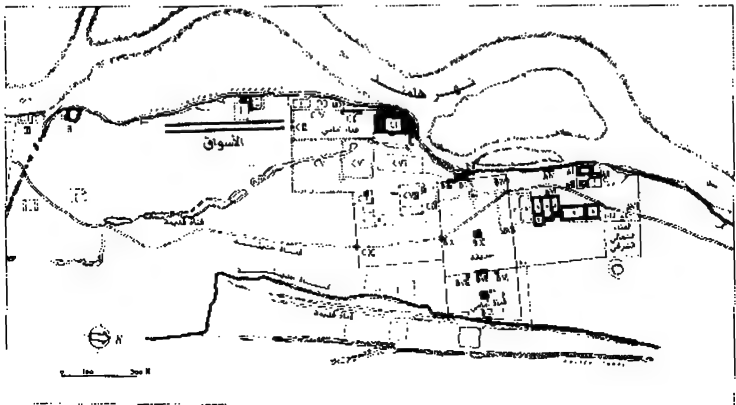
(d'après D. et J. Seurde. La civilisation de l'Égypte classique. Arnauld)

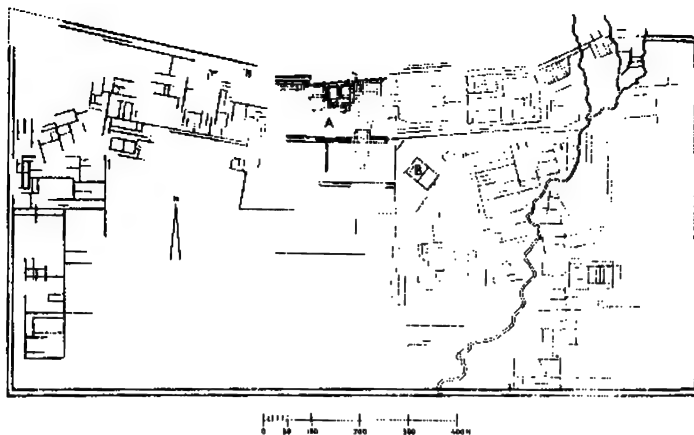


٤٧ - قصر الغزنويين والتموريين المعروف بالقصر الجنوبي في ٤٨ - ساكن أميرية معروفة بقصر الشمال في موقع لشكري بازار لشكري بازار بأفغانستان
(المصدر نفسه)

(d'après D. Schlumberger et J. Sourdil-Thomine Lashkari Bazar)

٤٩ - المدينة الملكية في لشكري بازار على ضفاف نهر هلمند: القصر المعروف بقصر الجنوب (C I) مع القاعة المفضية إلى أفنية (C III) وحدائقه المنفصلة بعضها مرفدة بشقار، وبعضها غير مرفدة (CV à CXI, BI à BXI) وجامعة (C II) وسكانه الأميرية المعروفة بقصور الشمال (AI à IV) (المصدر نفسه)

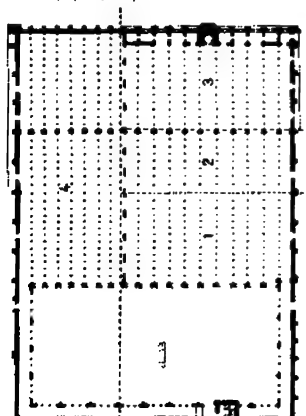




٥٠ - مدينة الخلفاء الأمويين الزهراء قرب قرطبة في القرن العاشر الميلادي مع قصرها (A) والجامع (B)

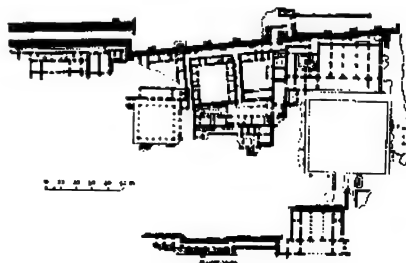
(d'après J. Suredet-Thomine et B. Spuler, *Die Kunst des Islam*, Verlag Ulstein GmbH)

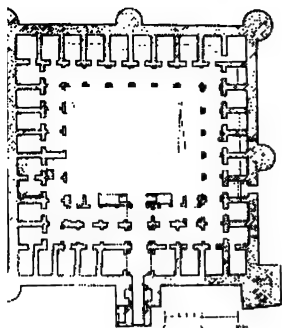
٥٢ - المسجد الجامع في قرطبة، مع توسعاته المتتالية من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي (d'après G. Maugas, *L'an musulman*, PUF)



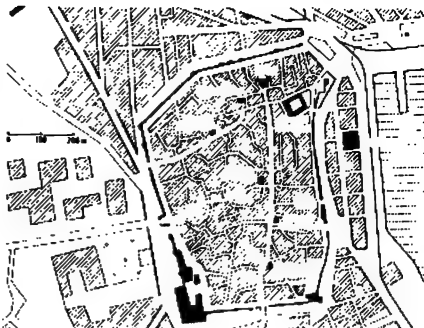
٥١ - قاعات وحجرات استقبال في قلب حاضرة الخلافة، مدينة الزهراء (من الوثيقة A٥٠)

(d'après H. M. J. Suredet, *La civilisation de l'Islam classique*, Arthaud)

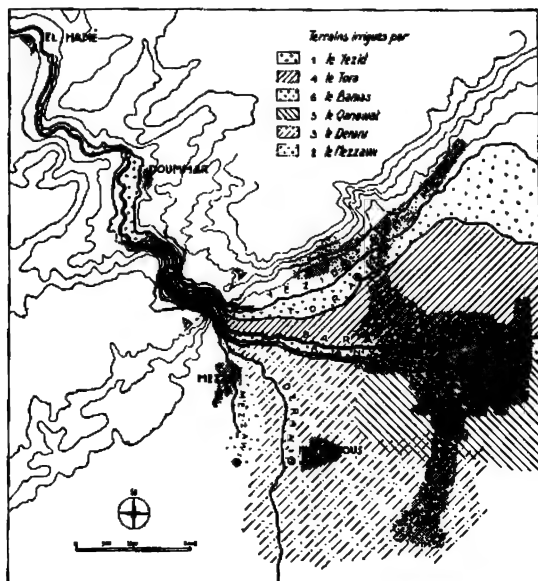




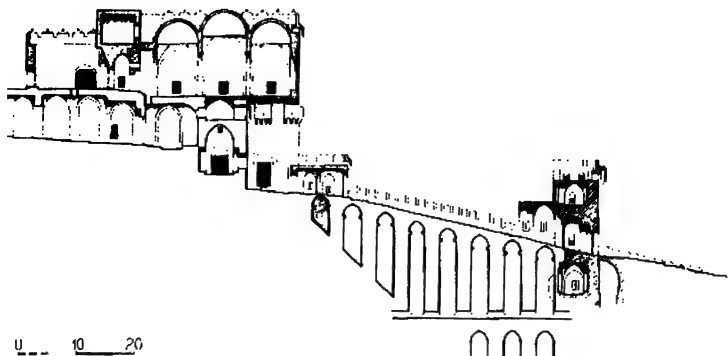
٥٤ - الزيادة لأغلبية من القرن التاسع الميلادي
المحفوظ عليه في سوسة قرب موقع المدفأة القديمة
près J. Sourdel-Thomine et B. Spuler, *Die Kunst des Islam*,
Verlag Walter de Gruyter



٥٣ - مدينة مرقية محصنة في إفريقيا لأغلبية من القرن الثالث
الهجري/ التاسع الميلادي: حاضرة سوسة المتبعة محاطة بقايا سورها
(d'après M. Boulares et .. Duvalnaud, *La Tunisie*, PUF)



٥٥ - أقيسة منشئة للزيت في
الواحة القديمة لغوطة دمشق
(après M. Ecochard et C. Le Camus
Les bords de l'Orontes)

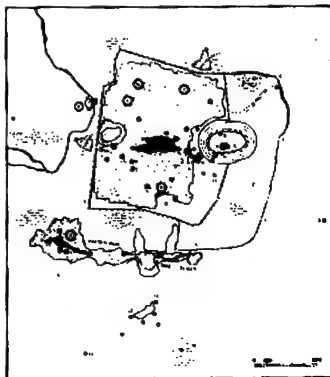
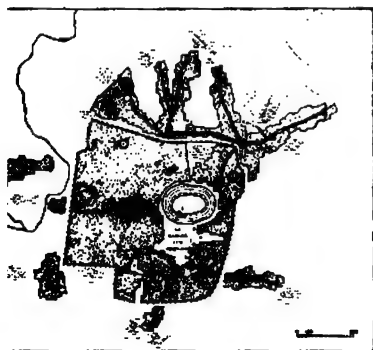


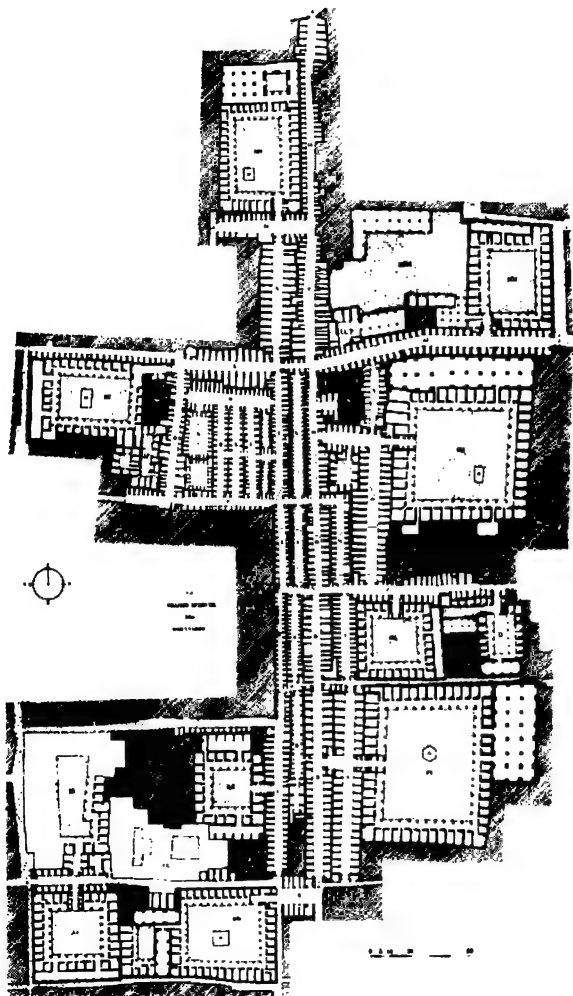
٥٦ - دفاعات أيوب وإضافات مملوكية لتحصين مدخل قلعة حلب

(d'après J. Sauvaget, 1960)

٥٧ - مدينة حلب في القرن السابع الهجري/الثالث عشر
عشر أسلادي خلال حكم الأيوبيين لموريا: تقوية
دفاعات السور والقلعة الحاضرة للقصر الملكي، وزيادة
المدارس والمؤسسات الخيرية داخل الأسوار وخارجها
(المصدر نفسه)

٥٨ - استجتمعات السكانية في حلب خلال القرن السادس عشر
الميلادي تحت الحكم العثماني: ازدياد المساجد والأسواق
والحدائق والقصور في أعقاب الازدهار التجاري للمدينة
(المصدر نفسه)

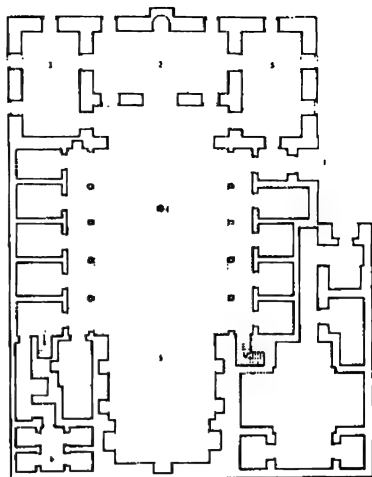
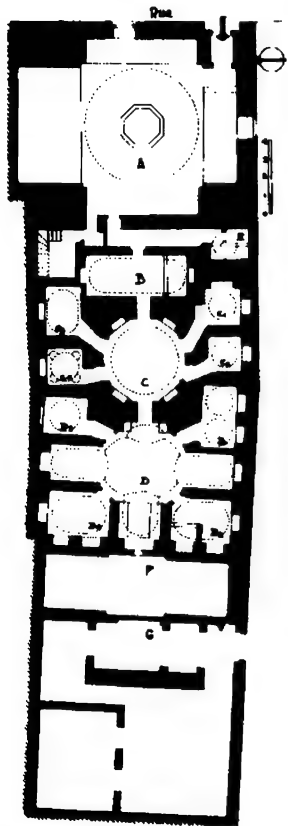




٥٩ زبداد لأسواق المفتوحة. المخطط مدون في المنطقة والمناخة لأخصاصات، وقد كان لحمام المدينة ومشاع
 الجوفين في مذكر حسب البحري، من القرون الوسطى حتى القرن التاسع عشر.
 (المصدر: ...)

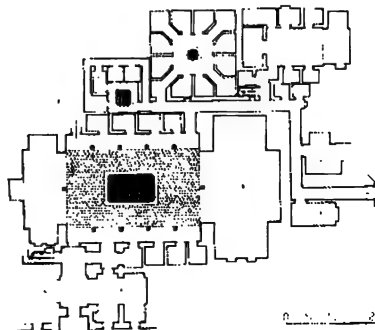
٦٤ - حجرة مصغرة ضحلة من القرون التاسع لبحري /
 الخنافس حشر المصغرة في سوريا ، من خلال الحفريات سوريا
 الاستعمارية - حجرة القبر في دمشق

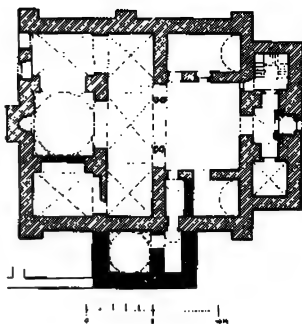
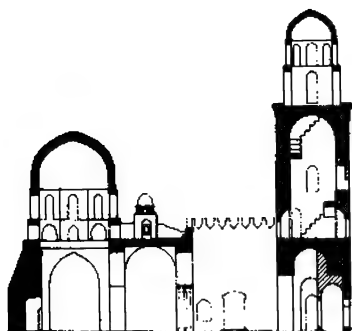
Source: M. Hachem, in L. A. Greif, (ed.), *Lebanon and Syria*



٦٥ - حجرة مصغرة بويضة من القرون الثالث عشر - سوريا ،
 قلعة الحجر - الحفريات في صقير ، وغرفة الحفريات ، ريويت ،
 ومضيق وقفا - حجرة من الحفريات في حلب
 (المصدر نفسه)

٦٦ - مستشفى مصغرة - سوريا من القرون الحادي عشر /
 لربيع حشر المصغرة - حجرة من الحفريات في دمشق ،
 (المصدر نفسه)





٦٣ - مبنى تذكاري فاطمي أقامه الوزير والقائد الحربي بندر الجمالي: مقطع وهيكلية لمشهد الجيوش في القاهرة

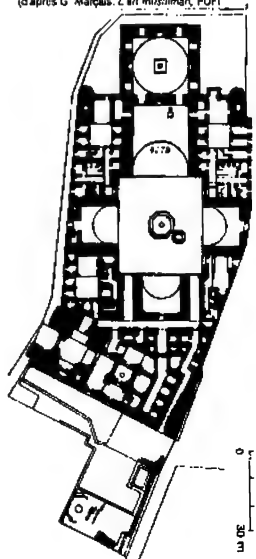
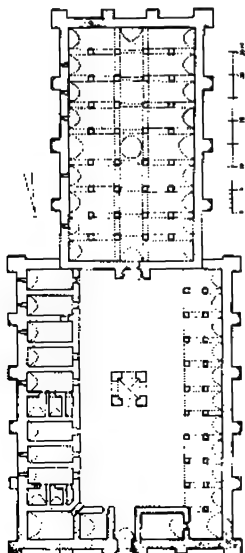
(d'après J. Soudet-Thomine et B. Spuler, Die Kunst des Islam, Verlag Ulstein GmbH)

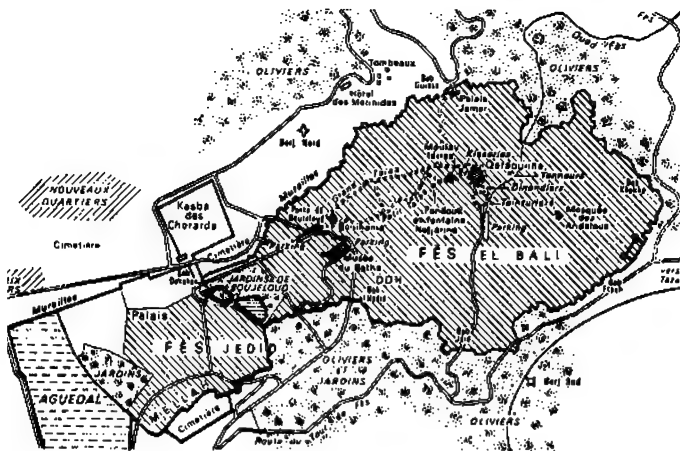
٦٤ - خان ضخم يشهد على اهتمام سلاجقة الروم بالمسالك التجارية في الأناضول: السلطان خان العيني في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي قرب أفسس، على طريق قونية

(d'après J. Soudet-Thomine et B. Spuler, Die Kunst des Islam, Verlag Ulstein GmbH)

٦٤ - مجمع ذو معمار مخصص لتشيون الدينية، يضم مصلى وغرفة للتعليم وضريحاً، يقع بناؤه في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي في عهد التيماليك: مسجد السلطان حسن في القاهرة

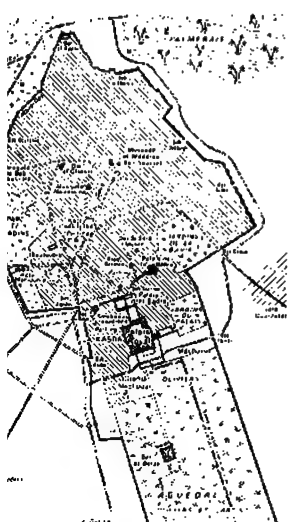
(d'après G. Marçais, L'art musulman, PUF)





٦٦ - مجتمعات ملكية مغربية من القرنين الثامن والتاسع ومن القرن الثالث عشر للميلاد: في فاس حيث تضم المدينة القديس ماني الأدارسة (فاس وبالي) ومدينة المرينيين (فاس الجديدة)

(d'après J. Berque et J. Doubar, Le Maroc, PUF)

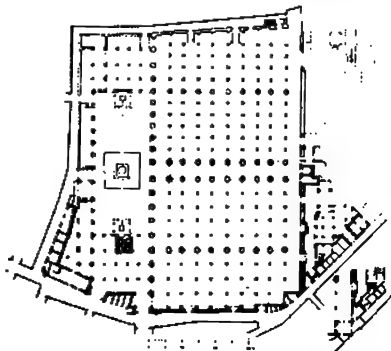


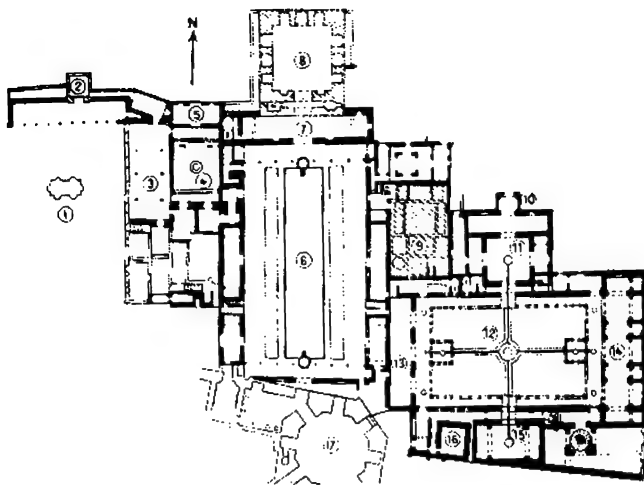
٦٨ - مجتمعات ملكية مغربية من القرنين الحادي عشر والثاسع عشر للميلاد: ميرة المرابطين وقصور السعديين في مراكش.

(d'après J. Berque et J. Doubar, Le Maroc, PUF)

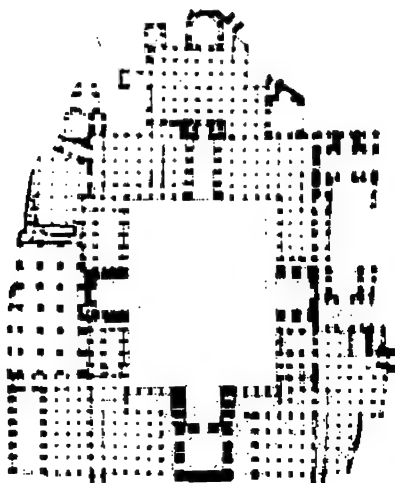
٦٧ - مسجد جامع استمر مركزاً شهيداً للتعليم التقليدي من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حتى أيامنا: مسجد القرويين في فاس

(d'après J. Soustelle-Thom ne et B. Sauter, Die Kunst des Islam, Verlag Ullstein GmbH)



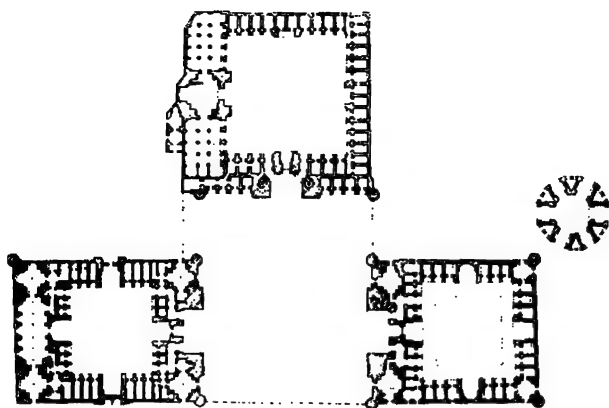


٦٩ - قاعات مقابلات وقاعة ملكية لآل نصر من القرن الرابع عشر للميلاد داخل قلعتهم بالحجراء في غزنجة
(d'après G. Margon, *Les musulmans en Inde*)

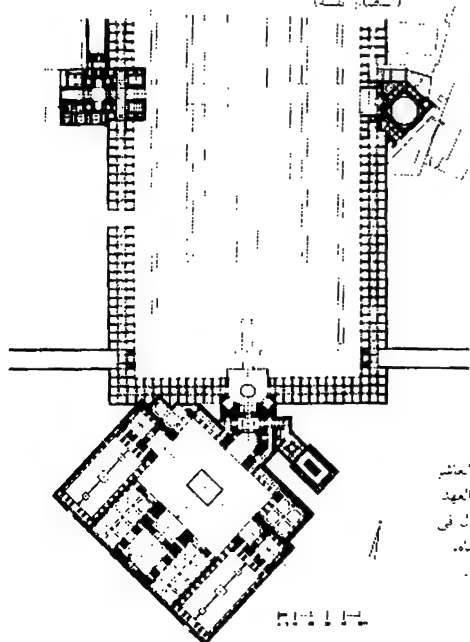


٧٠ - مسجد جامع غزنوي حول مسحة سلجوقية
مع جناح مقبب وأربعة إيوانات: مسجد الجمعة في
أصفهان وتعدياته المتتالية.

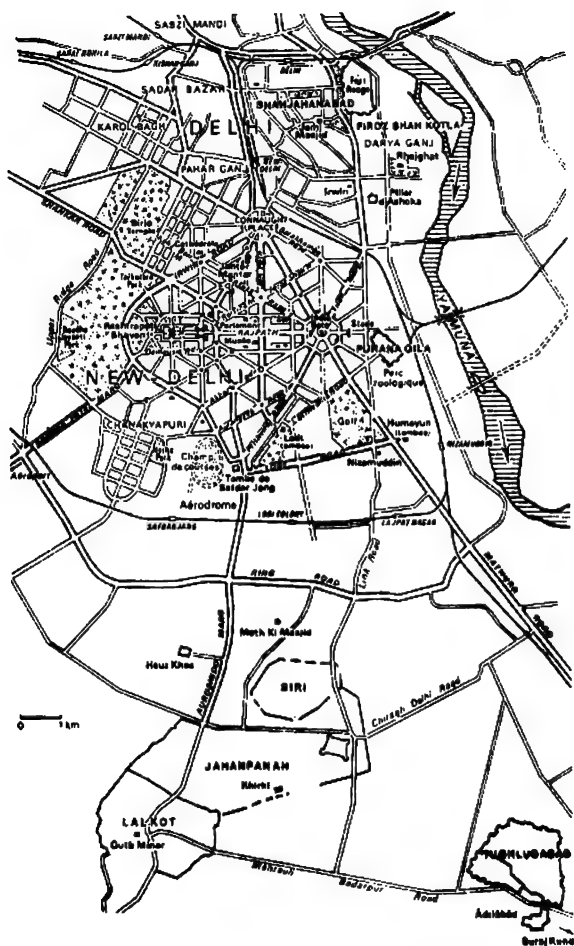
(d'après J. Sourdel-Thomine et R. Spuler, *Les Mosquées
Islam*, Verlag Ulmann GmbH)



٧٦ - ساحة ملكية أمر ببنائها في مطلع القرن التاسع الهجري/الحادي عشر خلافاً لشيخواري ألج بك حور مدينته:
واحيثان سرفقد في أوزبكستان
(المصدر نفسه)



٧٧ - ساحة ملكية أقيمت في مطلع القرن الثامن
الهجري/السادس عشر الميلادي خلال العهد
تصفوي في إيران: ميدان شاه عباس الأول في
أصفهان تحيط به المسجد الجامع للشاه
ومدخل قصر المياف وشرح قلم.
(المصدر نفسه)

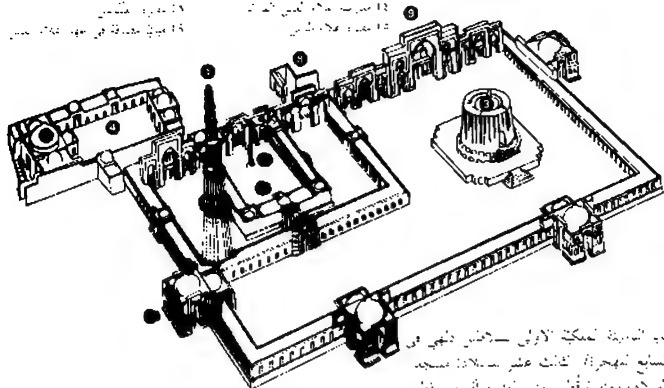


١٣ المحتللات الملكية القديمة في دلهي، وهي ما تزال بارزة وسط المدينة الحديثة أو في ضواحيها

(in Alfred F. Dore: *London and North in 1840*, 1917)

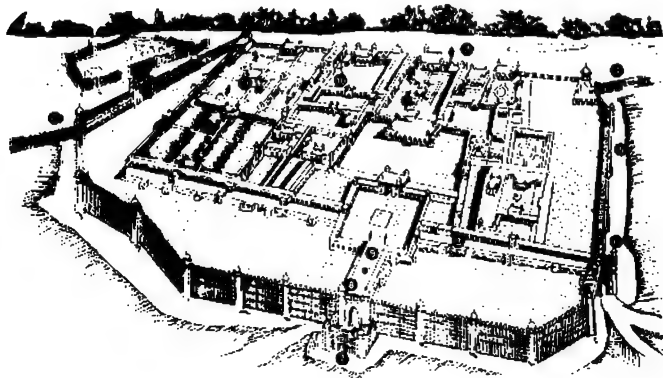
- ١٦ - برج الساعة (البرج الجنوبي)
١٧ - كعبة - حجرة المصليين
١٨ - دارالعلم
١٩ - حجرة المصليين
٢٠ - حجرة المصليين في حجرة المصليين

- ٢١ - حجرة المصليين
٢٢ - حجرة المصليين
٢٣ - حجرة المصليين
٢٤ - حجرة المصليين
٢٥ - حجرة المصليين



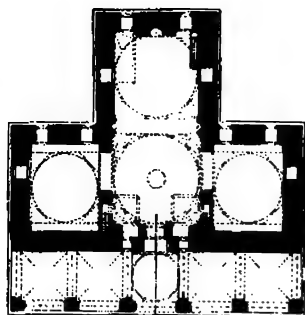
٧٤ - بقايا الدار الحكيمة الأولى - دار الحكيمة في
القرن السابع الميلادي - ثلاث عشرة مسجداً
قُرأت بالمداد - (منها: قطب مصر - أولين القديس قطب
الدين - ملك من سلالة الخلفاء الجدد)

٧٥ - إحدى حوائط الخندق في القاهرة - الحائط الأخير من القرن السابع عشر في القاهرة - حائط جديد
(المتحف المصري)

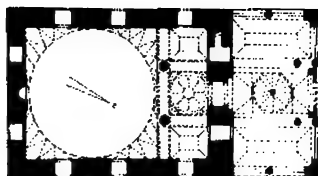


- ٢٦ - حجرة المصليين
٢٧ - حجرة المصليين
٢٨ - حجرة المصليين
٢٩ - حجرة المصليين
٣٠ - حجرة المصليين

- ٣١ - حجرة المصليين
٣٢ - حجرة المصليين
٣٣ - حجرة المصليين
٣٤ - حجرة المصليين
٣٥ - حجرة المصليين

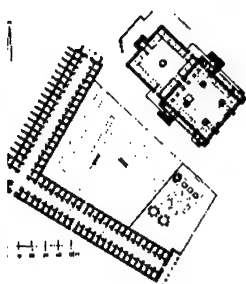


خاص محل (المقام الخاص)

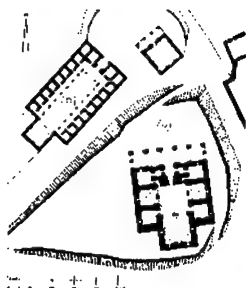


البرج المفقون

جسر هني

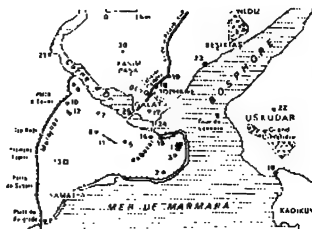


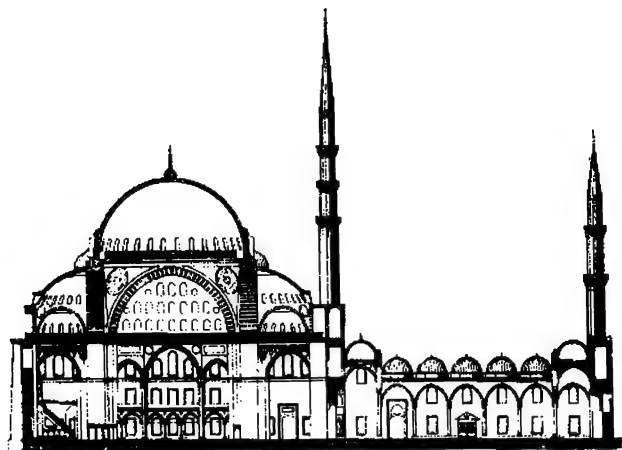
باب دولي



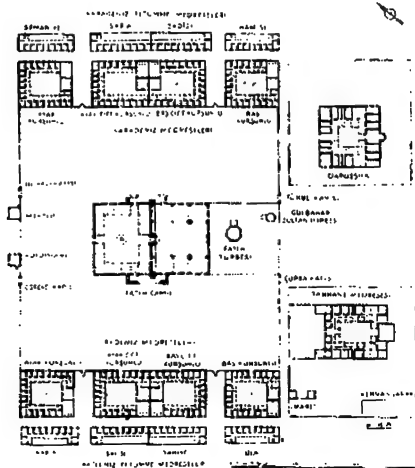
نصبون القاء

قصر جهنمكبر

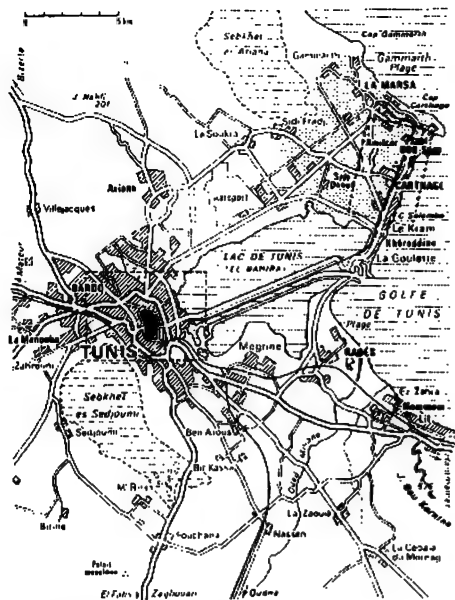




باب امارين



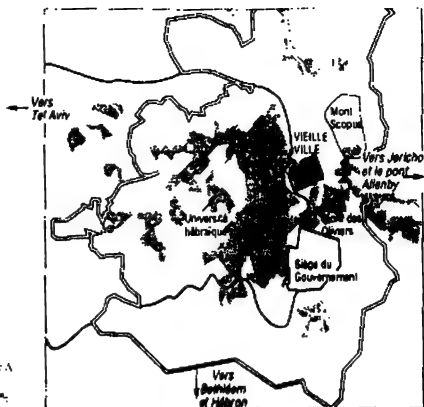
نكوي باغ (قصر العنب)



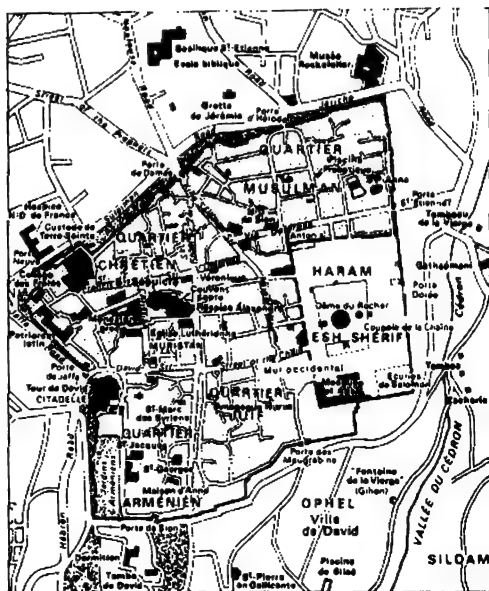
٧٧ - لمدينة الملكة التي أمتها
المغربي أكبر وأقام بها جهنكير وشاه
جهان في الحصن لأحمر باغرا.



(انحصار; نفسه)



٧٨ الحدود الموقوتة للسكنى المهجورة
بعد إقامت في عهد كبر في القرن التاسع



خبر في فتح يوزمكزي، غير بعيد عن
القدس (المصدر نفسه)

مصادر المعجم ومراجعته

PLAN

I. Ouvrages généraux

- A. Encyclopédies
- B. Répertoires bibliographiques
- C. Ouvrages de référence
- D. Etudes générales

II. Islamologie

- A. Généralités
- B. Le Coran
- C. Le hadith
- D. Fiqh et institutions
- E. Théologie non chiite
- F. Chisme
- G. Mystique
- H. Falsafa et sciences philosophiques
- I. Ethique
- J. Réformisme sunnite et mouvements contemporains

III. Histoire des Etats islamiques jusqu'au XI^e siècle

- A. Muhammad
- B. Les grandes conquêtes
- C. Les premiers califes Râshidûn et les Omeyyades
- D. Le califat abbasside

E. Les Fatimides

- F. Les dynasties d'Asie centrale, Iran et Inde
- G. Les dynasties post-seljoukides de Syrie, d'Égypte et d'Anatolie
- H. Maghreb
- I. Espagne et Sicile
- J. Les Mandchoux

IV. Histoire des Etats islamiques de 1400 à 1914

- A. Empire ottoman
- B. Proche-Orient arabe à l'époque ottomane
- C. Maghreb
- D. Afrique noire
- E. Iran et Asie centrale
- F. Inde et Asie orientale

V. Histoire des Etats islamiques à l'époque contemporaine

- A. Généralités
- B. Turquie
- C. Égypte
- D. Proche-Orient arabe
- E. Maghreb

F. Afrique noire

- G. Iran
- H. Océan Indien, Pakistan, Inde, Indonésie
- I. Divers (Europe, Amérique)

VI. Société et économie

- A. Indices généraux
- B. Les villes
- C. Vie palatine
- D. Vie religieuse et intellectuelle
- E. Armée et milieux militaires
- F. Artisans et marchés
- G. Paysans et agriculture
- H. Nomades
- I. Non-musulmans

VII. Art et archéologie

- A. Généralités
- B. Etudes régionales d'architecture
- C. Types monumentaux
- D. Décor et techniques
- E. Sciences auxiliaires de l'histoire

N.B. Dans chaque rubrique les ouvrages sont présentés par ordre chronologique

I — OUVRAGES GÉNÉRAUX

A. Encyclopédies

Encyclopédie de l'Islam, 1^{re} édition, 4 vol. et supplément. Leyde, 1913-1942 [abréviation : *Enc. Islam* (1)].

Encyclopédie de l'Islam, 2^e édition, Leyde, en cours depuis 1954 (8 vol. parus jusqu'à R) avec index des matières et index des noms propres pour les volumes parus [abréviation : *Enc. Islam* (2)].

B. Répertoires bibliographiques

Abstracta islamica, bibliographie sélective portant à la fois sur les périodiques et les ouvrages, publiée par la *Rev. Etudes islamiques*, Paris, Geuthner, de 1927 à 1980.

Storey C.A., *Persian Literature. A Bio-bibliographical Survey*, Londres, 1927-1984.

Brockelmann C., *Geschichte der arabischen Literatur*, 5 vol., Leyde, 1937-1949.

Sauvaget J., *Introduction à l'histoire de l'Orient musulman*, Paris, 1943.

Pearson J.S., *Index islamicus 1906-1955*, Cambridge, 1958 et Suppl.

Creswell K.A.C., *A Bibliography of the Architecture, Arts and Crafts of Islam to 1st Jan. 1960*, Le Caire, 1961 et Suppl.

- Sezgin F., *Geschichte des arabischen Schrifttums*, Leyde, 1967 et suiv.
 Cahen C., *Introduction à l'histoire du monde musulman médiéval, VII^e-XV^e siècles*, Paris, 1982.
 Endres G., *An Introduction to Islam*, Edinburgh, 1988.

C. Ouvrages de référence

1. Atlas généraux

- Tübinger Atlas des Vorderen Orients*, Wiesbaden, 1977-1988.
 Schwartzberg J.E., *A Historical Atlas of South Asia*, Chicago, 1978.
 Bruce W.C. (ed.), *An Historical Atlas of Islam*, Leyde, 1981.
 Cozma G., *Atlas du monde arabo-islamique à l'époque classique*, Leyde, 1983-1985.
 Ade Ajayi J.F. et Crowder M., *Atlas of African History*, Londres, 1985 et adaptation fr. C. Coquery-Vidrovitch et G. Laclavère, *Atlas historique de l'Afrique*, 1990.
 Lemarchand P. (ed.), *Atlas géopolitique du Moyen-Orient et du monde arabe*, Paris, 1993.

2. Topographie régionale

- Le Strange G., *Palestine under the Moslems*, Cambridge, 1890.
 Ramsay W.M., *The Historical Geography of Asia Minor*, Londres, 1890.
 Schwarz P., *Iran im Mittelalter nach den arabischen Geographen*, t. I à IX, Leipzig, 1896-1936.
 Le Strange G., *The Lands of the Eastern Caliphate*, Cambridge, 1905, rééd. 1930.
 Maspero J. et Wiet G., *Matériaux pour servir à la géographie de l'Égypte*, Le Caire, 1914.
 Dussaud R., *Topographie historique de la Syrie ancienne et médiévale*, Paris, 1927.
 Mauny R., *Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Âge*, Dakar, 1961.
 Pitcher D.E., *An Historical Geography of the Ottoman Empire*, Leyde, 1972.
 Krawulsky D., *Iran : Das Reich der Ilâne. Eine topographisch-historische Studie*, Wiesbaden, 1978.
 Lewis B., Plesline, *On the History and Geography of a Name*, *The International History Review*, 11, 1980.
 Krawulsky D., *Horasan zur Timuridenzeit*, 2 vol., Wiesbaden, 1984.

3. Chronologie et dynasties

- Lane-Poole S., *The Muhammadan Dynasties*, Londres, 1894.
 Zarnbauer E. de, *Manuel de généalogie et de chronologie*, Hanovre, 1927, rééd. 1955.
 Taqizadeh S.H., *Various eras and calendars used in the countries of Islam*, *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, IX-4, 1939 ; X-1, 1940.
 Caillonez H.G., *Tables de concordance des ères chrétienne et hébraïque*, Rabat, 1954.
 Boxworth C.E., *The Islamic dynasties*, Edimbourg, 1967, rééd. 1980.

4. Historiens et géographes médiévaux

- Rosenthal F., *A History of Muslim Historiography*, Leyde, 1952, rééd. 1968.
 Lewis B. et Holt P.M. (eds.), *Historians of the Middle East*, Oxford, 1962.
 Işighāfiya, dans *Enc. Islam* (2) (par Maqbul A.).
 Maquet A., *La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du XI^e siècle*, t. I, Paris, 1967.
 Sourdel D., *Chroniques et sources narratives dans l'Orient islamique médiéval*, apud D. Porion (éd.), *La chronique et l'histoire au Moyen Âge*, Paris, 1984.
 Cahen C., *L'historiographie arabe des origines au VII^e s. H.*, *Arabica*, XXXIII, 1986.

D. Etudes générales

1. Histoire de l'Islam et civilisation islamique

- Mez A., *Die Renaissance des Islams*, Heidelberg, 1922, et trad. angl. *The Renaissance of Islam*, Londres, 1937.
 Gaudelroy-Denomyne M., *Les institutions musulmanes*, Paris, 1946.
 Grunebaum G.E. von, *Medieval Islam*, Chicago, 1946, et trad. fr., Paris, 1962.
 Sourdel D., *L'Islam*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1949, 18^e éd. 1995.
 Lewis B., *Les Arabes dans l'histoire*, trad. fr., Neuchâtel, 1958.
 Gardet L., *La cité musulmane*, Paris, 1961.
 Watt W.M., *Islam and the Integration of Society*, Londres, 1961.
 Gontier S.D., *Studies in Islamic History and Institutions*, Leyde, 1966.
 Gibb H.A.R., *Studies on the Civilization of Islam*, Londres, 1968.
 Sourdel D. et J., *La civilisation de l'Islam classique*, Paris, 1968 et nouv. éd. 1983.
 Watt M.W., *Islamic Political Thought*, Edimbourg, 1968, et trad. fr. *La pensée politique de l'Islam*, Paris, 1993.

- Mantran R., *L'expansion musulmane, VI-XI siècle*, Paris, 1969, rééd. 1995.
- Cahen C., *L'Islam, des origines au début de l'Empire ottoman*, Paris, 1970, rééd. 1995.
- Grunebaum G.E. von, *Classical Islam, a History 600 AD to 1258 AD*, Chicago, 1970.
- Planhol X. de, *Les fondements géographiques de l'Islam*, Paris, 1970.
- The Cambridge History of Islam*, 2 vol., Cambridge, 1970, et trad. fr. *Encyclopédie générale de l'Islam*, Paris, 1988.
- Folz P., Guillou A., Musset L., Sourdel D., *De l'Antiquité au Moyen Age*, Paris, 1973.
- Conard M., *L'expansion arabo-islamique et ses répercussions*, Londres, 1974.
- Hodgson M.G., *The Venture of Islam : Conscience and History in a world civilization*, 3 vol., Chicago, 1974.
- Lewis B., *Islam, from the Prophet Muhammad to the Capture of Constantinople* (textes traduits), 2 vol., New York-Londres, 1974.
- Watt W.M., *The Majesty that was Islam. The Islamic world, 661-1100*, Londres, 1974.
- Nagel T., *Rechtlichkeit und Kalifat : Versuch über eine Grundfrage der islamischen Geschichte*, Bonn, 1975.
- Sourdel D., *Histoire des Arabes*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1976, 5^e éd. 1994.
- Lewis B. (ed.), *Islam and the Arab World, Faith, People, Culture*, Londres, 1976.
- Cahen C., *Les peuples musulmans dans l'histoire médiévale*, Damas, 1977.
- Gardet L., *Les hommes de l'Islam*, Paris, 1977.
- Sourdel D., *L'Islam médiéval*, Paris, 1979.
- Rodinson M., *Les Arabes*, Paris, 1979.
- Nagel T., *Staat und Glaubensgemeinschaft im Islam*, Zurich-München, 1981.
- Makdisi G., Sourdel J. et D. (éds.), *La notion d'autorité au Moyen Age, Islam, Byzance, Occident, Colloques internationaux de La Napoule*, Paris, 1982.
- Luoma H., *Pluralismes dans l'Islam*, Paris, 1983.
- Makdisi G., Sourdel J. et D. (éds.), *Prédication et propagande au Moyen Age, Islam, Byzance, Occident*, Paris, 1983.
- *La liberté au Moyen Age, Islam, Byzance, Occident*, Paris, 1986.
- Kennedy H., *The Prophet and the Age of the Caliphates, The Islamic Near East from the Sixth to the Eleventh Century*, Londres-New York, 1986.
- Hartmann U. (ed.), *Geschichte der arabischen Welt*, Munich, 1987.
- Bürgel J.C., *Allmacht und Mächtigkeit. Religion und Welt des Islam*, Munich, 1991.
- Humphreys R.S., *Islamic History*, Londres, 1991.
- Garcin J.-C. et al., *Etats, sociétés et cultures du monde musulman médiéval*, 1, Paris, 1995.
- 2. Relations entre l'Islam et l'Europe**
- Daniel N., *Islam and the West*, Edimbourg, 1960, nouv. éd. et trad. fr. *L'Islam et l'Occident*, Paris, 1993.
- Wardenburg J.-J., *L'Islam dans le miroir de l'Occident*, Paris-La Haye, 1962.
- Southern R.W., *Western views of Islam in the Middle Ages*, Cambridge (Mass.), 1962.
- Kritzeck J., *Peter the Venerable and Islam*, Princeton, 1964.
- Daniel N., *Islam, Europe and Empire*, Edimbourg, 1966.
- Vadet J.-C., *L'esprit courtois en Orient*, Paris, 1968.
- Watt W.M., *L'influence de l'Islam sur l'Europe médiévale*, Paris, 1974.
- Schacht J. et Bosworth C.E. (eds.), *The Legacy of Islam*, Oxford, 1974.
- Hourani A., *Europe and Middle East*, Londres, 1980.
- Lewis B., *The Muslim Discovery of Europe*, New York, 1982, et trad. fr. *Comment l'Islam a découvert l'Europe*, Paris, 1984.
- Bernard Y., *L'Orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français. Regards portés sur la société musulmane*, Paris, 1985.
- Frémont J., *La France et l'Islam depuis 1789*, Paris, 1991.
- Alverny M.-Th. d', *La connaissance de l'Islam dans l'Occident médiéval*, Londres, 1994.
- *La transmission des textes philosophiques et scientifiques au Moyen Age*, Londres, 1994.

II — ISLAMOLOGIE

A. Généralités

- Goldziher I., *Muhammedanische Studien*, Halle, 1889-1890, rééd. 1961, et trad. angl. *Muslim Studies*, Londres, 1967-1971.
- Horten M., *Die philosophische Systeme der spekulativen Theologie im Islam*, Bonn, 1912.
- Goldziher I., *Le dogme et la loi de l'Islam*, trad. fr., Paris, 1920.
- Wensinck A.J., *The Muslim Creed, its Genesis and its Historical Development*, Cambridge, 1932.
- Watt W.M., *Free Will and Predestination in Early Islam*, Londres, 1948.

- Gardet L. et Anawati M.M., *Introduction à la théologie musulmane*, Paris, 1948.
 Gibb H.A.R., *Les structures de la pensée religieuse de l'Islam*, trad. fr., Paris, 1950.
 Arberry A.J., *Revelation and Reason in Islam*, Londres, 1957.
 Akida, dans *Enc. Islam* (21 par W.M. Watt).
 Watt W.M., *Islamic Philosophy and Theology*, Edimbourg, 1962.
 Corbin H., *Histoire de la philosophie islamique*, Paris, 1964.
 Laoust H., *Les schismes dans l'Islam*, Paris, 1965.
 Gardet L., *Dieu et la destinée de l'homme*, Paris, 1967.
 Corbin H., *En Islam iranien. Aspects spirituels et philosophiques*, 4 vol., Paris, 1971-1972.
 Brunschwig R., *Etudes d'islamologie*, Paris, 1976.
 Wolfson H.A., *The Philosophy of the Kalam*, Cambridge (Mass.), Londres, 1976.
 Ginaret D., *Théories de l'acte humain en théologie musulmane*, Paris, 1980.
 Cook M.A., *Early Muslim Dogma: a Source-Critical Study*, Cambridge, 1981.
 Ess J. van, *Theologie und Gesellschaft im 2. und 3. Jahrhundert Hidschra. Eine Geschichte des religiösen Denkens im frühen Islam*, I. 1 à III, Berlin-New York, 1991-1992.

B. Le Coran

1. Traductions et concordances

- Bell R., *The Qur'an*, Edimbourg, 1937-1939.
 Flügel G., *Concordantiae Corani arabicae*, Leipzig, 1942.
 Blachère R., *Le Coran*, Paris, 1947-1951 (avec reconstitution de l'ordre primitif des sourates).
 — *Le Coran*, Paris, 1957 (traduction utilisée le plus souvent).
 Hamidullah M., *Le Coran*, Paris, 1959.
 Paret R., *Der Koran*, Stuttgart, 1962-1966.
 Masson D., *Le Coran*, Paris, 1967.
 Berque J., *Le Coran*, Paris, 1990.

2. Etudes

- Nöldeke Th., *Geschichte des Qurans*, 3 vol., Leipzig, 1909, 1919, 1938.
 Goldziher I., *Die Richtungen der islamischen Koranlesung*, Leyde, 1920, rééd. 1952.
 Tor Andree, *Les origines de l'Islam et du christianisme*, trad. fr., Paris, 1955.
 Masson D., *Le Coran et la révélation judéo-chrétienne*, Paris, 1958.
 Blachère R., *Introduction au Coran*, Paris, 1959.
 Bakker D., *Man in the Qur'an*, Amsterdam, 1965.
 Watt W.M., *Bell's Introduction to the Qur'an*, Edimbourg, 1970.
 Lüling G., *Über den Ur-Qur'an*, Erlangen, 1974, rééd. 1993.
 Graham W.A., *Divine Word and Prophetic Word in Early Islam*, La Haye, 1977.
 Crone P. et Cook M., *Hagarism. The Making of the Islamic World*, Cambridge, 1977.
 Wansborough J., *Qur'anic Studies. Sources and Methods of Scriptural Interpretation*, Londres, 1977.
 Burton J., *The Collection of the Qur'an*, Cambridge, 1977.
 Rahman Fazlur, *Major Themes of the Qur'an*, Minneapolis-Chicago, 1980.
 Goldfeld I., *The Illiterate Prophet, an Inquiry into the Development of a Dogma in Islamic Tradition*, *Der Islam*, 57, 1980.
 Neuwirth A., *Studien zur Komposition der mekkanischen Suren*, Berlin, 1981.
 Dagorn R., *La peste d'Ismail*, Genève, 1981.
 Watt W.M., *Muhammad's Mecca: Qur'anic Studies*, Edimbourg, 1988.
 Mir Musawwir, *Verbal Idioms of the Qur'an*, Ann Arbor, 1989.
 Gilliot C., *Exégèse, langue et théologie en Islam. L'exégèse coranique de Tabari*, Paris, 1990.
 Firestone R., *Journeys in Holy Lands. The Evolution of the Abraham-Ishmael Legends in Islamic Exegesis*, Albany, 1990.
 Calder N., *The Ummi in Early Islamic Literature*, *Der Islam*, 67, 1990.
 A Commentary on the Qur'an prepared by R. Bell, ed. by C.E. Bosworth and M.E.J. Richardson, Manchester, 1991.
 Nagel T., *Der Koran. Einführung. Texte. Erläuterungen*, Munich, 1991.
 Mc Auliffe J.D., *Qur'anic Christians. An Analysis of Classical and Modern Exegesis*, Cambridge, 1991.

C. Le hadith

- al-Bukhari, *Les traditions islamiques*, 4 vol., trad. fr. A. Houdas et W. Marcas, Paris, 1903-1914.
 Guillaume A., *The Tradition of Islam*, Oxford, 1924.
 Wensinck A.J., *Concordance et indices de la tradition musulmane*, Leyde, 1933 et suiv., rééd. 1992.
 Goldziher I., *Etudes sur la tradition islamique*, trad. fr., Paris, 1952.

- Wensinck A.J., *A Handbook of early Muhammadan Tradition*, Leyde, 1960.
 Lecomte G., Le « Traité des divergences du hadîth », d'Ibn Qutayba, Damas, 1962.
 Juynboll G.H.A., *Muslim Tradition, Studies in Chronology, Provenance and Authorship of Early Hadith*, Cambridge, 1983.
 Le Livre de l'Échelle de Mahomet, trad. G. Bevon et M. Brossard-Dandré, coll. « Lettres gothiques », Paris, 1991.
 Burton J., *An Introduction to the Hadith*, Edimbourg, 1991.

D. Fiqh et institutions

1. Généralités

- Van Den Berg L.W.C., *Principes du droit musulman selon les rites d'Abou Hanifa et de Châfi'i*, trad. fr., Alger, 1896.
 Pesle O., *Les fondements du droit musulman*, Casablanca, s.d.
 Ostrogorsky L., *The Angora Reform*, Londres, 1927.
 Schacht J., *G. Bergsträsser's Grundzüge des islamischen Rechts*, Berlin, 1935.
 Santillana D., *Istituzioni di diritto musulmano mulichita con riguardo anche al sistema scuffito*, Rome, 1938.
 Bousquet G.-H., *Du droit musulman et de son application effective dans le monde*, Alger, 1949.
 Schacht J., *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, Oxford, 1950 (résumé en français : *Esquisse d'une histoire du droit musulman*, Paris, 1952).
 Milliot L., *Introduction à l'étude du droit musulman*, Paris, 1953.
 Anderson J.N.D., *Islamic Law in Africa*, Londres, 1954.
 Linant de Bellefonds Y., *Traité de droit musulman comparé*, Paris-La Haye, 1955.
 Fyzee A.A.A., *Outlines of Muhammadan Law*, Londres, 1955.
 Khadduri M., Lieberman H.J. (eds), *Law in the Middle East*, Washington, 1955.
 Laoust H., Le hanbalisme sous le califat de Bagdad, *Rev. Etudes islamiques*, 1959.
 — Le hanbalisme sous les Mamlouks bahrides, *Rev. Etudes islamiques*, 1960.
 Bekir A., *Histoire de l'école malikite en Orient jusqu'à la fin du Moyen Age*, Tunis, 1962.
 Schacht J., *An Introduction to Islamic Law*, Oxford, 1964, et trad. fr. *Introduction au droit musulman*, Paris, 1983.
 Coulson N.J., *A History of Islamic Law*, Edimbourg, 1964, et trad. fr. *Histoire du droit musulman*, Paris, 1995.
 Hanafîyya, dans *Enc. Islam* (2) (par W. Heffening et J. Schacht).
 Hanâbila, dans *Enc. Islam* (2) (par H. Laoust).
 Halm H., *Die Ausbreitung der shaf'itischen Rechtsschule von den Anfängen bis zur 8/14. Jahrhundert*, Wiesbaden, 1974.
 Anderson J.N.D., *Law Reform in the Muslim World*, Londres, 1976.
 Hunwick J.O., *Shari'a in Songhai: The Replies of al-Maghillî to the Questions of Askia al-Hajj Muhammad*, Oxford, 1985.
 Burton J., *The Sources of Islamic Law: Islamic Theories of Abrogation*, Edimbourg, 1990.
 Malikiyya, dans *Enc. Islam* (2) (par N. Collart).
 Motzki H., *Die Anfänge der islamischen Jurisprudenz: Ihre Entwicklung in Mekka bis zur Mitte des 2./8. Jahrhunderts*, Wiesbaden, 1991.
 Weiss B.G., *The Search for God's Law: Islamic Jurisprudence in the Writings of Sa'ad al-Din al-Amudi*, Salt Lake City, 1992.

2. Traités de droit

- Ibn Abi Zayd al-Qayrawani, *La Risâla*, trad. J. Berchet, Alger, 1932.
 Laoust H., *Le traité de droit public d'Ibn Taïmiya*, Beyrouth, 1948.
 — *Le précis de droit d'Ibn Qudama*, Beyrouth, 1950.
 Khalil Ben Ish'âq, *Abrégé de la loi musulmane selon le rite de l'imâm Mâlek*, trad. fr. G.-H. Bousquet, 4 vol., Alger, 1956-1962.
 Khadduri M., *Islamic Jurisprudence Shafi'i's Risâla*, Baltimore, 1961.

3. Prescriptions rituelles

- Zakât, dans *Enc. Islam* (1).
 Gaudesfroy-Demombynes M., *Le Pèlerinage à la Mecque*, Paris, 1923.
 Bousquet G.-H., *Les grandes pratiques rituelles de l'islam*, Paris, 1949.
 Jomier J., *Le mahmal et la caravane égyptienne des pèlerins de la Mecque*, Le Caire, 1953.
 Grunbaum G.E. von, *Muhammadan festivals*, Londres-New York, 1958.
 Hadjî, dans *Enc. Islam* (2) (par A.J. Wensinck et J. Jomier).
 Peters R., *Islam and Colonialism: The Doctrine of Jihad in Modern History*, La Haye, 1979.
 Sourdel D. et J., Une collection médiévale de certificats de pèlerinage à la Mecque, *Études médiévales et patrimoine turc*, Paris, 1983.
 Faruqi S., *Herrscher über Mekka. Die Geschichte der Pilgerfahrt*, Munich-Zürich, 1990.
 — *Pilgrims and Sultans. The Hajj under the Ottomans*, Oxford, 1992.
 Morabin A., *Le jihad dans l'islam médiéval*, Paris, 1993.
 Peters F.E., *The Muslim Pilgrimage to Mecca and the Holy Places*, Princeton, 1994.

Ramādūn, Ṣalāt, Sawm, dans *Enc. Islam* (2) (par M. Plessner, G. Monnot, C.C. Berg).

4. Statut personnel

(voir aussi VI A 1 : Histoire sociale)

Bousquet G.-H. et Bercher L., *Le statut personnel en droit musulman hanéfite*, Paris, s.d.

Art 'Abd. dans *Enc. Islam* (2) (par R. Brunschwig).

Tomiche N., La femme en Islam, dans *Histoire mondiale de la femme*, t. III, Paris, 1965-1966.

Boismans M., *Statut personnel et famille au Maghreb de 1940 à nos jours*, Paris, 1977.

Marsot A.L.S. (ed.), *Society and Sexes in Medieval Islam*, Malibu, 1979.

Bouhdiba A., *La Sexualité en Islam*, Paris, 1979.

Walther W., *Die Frau im Islam*, Leipzig Stuttgart-Berlin, 1980.

Mosallam B., *Sex and Society in Islam: Birth Control before the Nineteenth Century*, Cambridge, 1982.

Bo Utas (ed.), *Women in Islamic Societies. Social attitudes and historical perspectives*, coll. « Studies on Asian Topics », Londres, 1983.

Powers D.S., *Studies in Qur'an and Hadith. The Formation of Islamic Law of Inheritance*, University of California Press, 1986.

5. Droit pénal

Anderson J.N.D., Homicide in Islamic Law, *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, XIII, 1951.

Heyd U., *Studies in Old Ottoman Criminal Law*, Oxford, 1973.

Krämer J.L., Apostates, Rebels and Brigands, *Israel Oriental Studies*, X, 1980.

6. Éthique économique et fiscalité

Qureshi A.L., *The Theory of Interest*, Delhi, s.d.

Aghnides N.P., *Mohammadan Theories of Finance*, New York, 1916.

Løkkegaard F., *Islamic Taxation in the Classic Period*, Copenhagen, 1950.

Dennett C., *Conversion and the Poll Tax*, Cambridge (Mass.), 1951.

Rodinson M., *Islam et capitalisme*, Paris, 1966.

Udovitch A.L., *Partnership and Profit in Medieval Islam*, Princeton, 1970.

Hasan Z., *Theory of profit*, New Delhi, 1975.

Kharādj, dans *Enc. Islam* (2) (par Cl. Cahen et A.K.S. Lambton).

Beldiceanu N., *Le Timar dans l'Etat ottoman (début XIV-début XVI siècle)*, Wiesbaden, 1980.

Johansen B., *The Islamic Law on Land Tax and Rent. The Peasant's Loss of Property Rights as Interpreted in the Hanafite*

Legal Literature of the Mamluk and Ottoman Periods, Londres-New York-Sydney, 1988.

Beaugé G., *Les capitaux de l'islam*, Paris, 1990.

Gailloux M., *Finance islamique et pouvoir politique. Le cas de l'Égypte moderne*, Paris, 1996.

7. Organisation judiciaire

Lévi-Provençal F., *Séville musulmane au XI^e siècle*, Paris, 1947.

Tyan E., *Histoire de l'organisation judiciaire en pays d'Islam*, Leyde, 1960.

Chalmers P., *El Señor del zoco en España*, Madrid, 1973.

Hisba, dans *Enc. Islam* (2) (par Cl. Cahen et M. Talbi).

Qādi, dans *Enc. Islam* (2) (par E. Tyan).

Ibn Taymiyya, *Traité sur la hisba*, éd. et trad. fr. H. Laoust, *Rev. Études islamiques*, LII, 1984.

Buckley R.P., *The Muhtasib*, *Arabica*, XXXIX, 1992.

8. Organisation gouvernementale

al-Mawardi, *Les statuts gouvernementaux*, trad. E. Fagnan, Alger, 1915.

Sauvaget J., *La poste aux chevaux dans l'empire des Mamlouks*, Paris, 1941.

Tyan E., *Institutions du droit public musulman*, I. *Le Califat*, Paris, 1954 ; II. *Sultanat et califat*, Paris, 1957.

Hopkins J.F.P., *Medieval Muslim Government in Barbary*, Londres, 1958.

Sourdel D., *Le vizirat 'abbāsīde*, Damas, 1959-1960.

Barid, dans *Enc. Islam* (2) (par D. Sourdel).

Divān, dans *Enc. Islam* (2) (par A.A. Duri, H.L. Gottschalk, G.S. Colin, A.K.S. Lambton, A.S. Bazmee Ansari).

Duy U.N., *Administrative System of the Delhi Sultanate. 1206-1413*, Allahabad, 1965.

Laoust H., *La politique de Gazālī*, Paris, 1970.

Klausner C.L., *The Seljuk Vizierate. A Study of Civil Administration, 1055-1194*, Cambridge (Mass.), 1973.

Khulifa, dans *Enc. Islam* (2) (par D. Sourdel).

Lambton A.K.S., *State and government in Medieval Islam*, Londres, 1981.

Regierung und Verwaltung des vorderen Orients in islamischer Zeit, I (H.R. Idris et K. Rühhorn), Leyde, 1970. 2 (D. Sourdel et J. Bosch Villa), Leyde, 1988.

Al-Imad L.S., *The Fatimid Vicariate, 969-1172*, Berlin, 1990.

9. Non-musulmans et étrangers

Heffening W., *Das Islamische Fremdenrecht*, Hannover, 1923.

Fattal A., *Le Statut légal des non-musulmans en pays d'islam*, Beyrouth, 1958.

Dhimma, dans *Enc. Islam* (2) (par Cl. Cahen).

Djizya, dans *Enc. Islam* (2) (par Cl. Cahen et H. Inalcik).

E. Théologie non chiite

1. Ecole traditionaliste

Patton W.M., *Ahmad ibn Hanbal and the Mihna*, Leyde, 1897.

Laoust H., *Essai sur les doctrines... d'Ibn Taymiyya*, Le Caire, 1939.

— *La profession de foi d'Ibn Baïta*, Damas, 1958.

— *Ahmad ibn Hanbal*, dans *Enc. Islam* (2) (par H. Laoust).

— *Le hanbalisme sous le califat de Bagdad*, *Rev. Etudes islamiques*, 1959.

— *Le hanbalisme sous les Mamlouks bahrides*, *Rev. Etudes islamiques*, 1960.

Makdisi G., *Ibn 'Aqil et la résurgence de l'Islam traditionaliste au XI^e siècle*, Damas, 1963.

Handbila, dans *Enc. Islam* (2) (par H. Laoust).

Makari V.E., *Ibn Taymiyyah's Ethics. The Social Factor*, Chico (California), 1983.

Ibn Taymiyya, *A Muslim Theologian's Response to Christianity*, éd. trad. Th.F. Michel, New York, 1984.

Laoust H., *La profession de foi d'Ibn Taymiyya, la Wāṣitīya*, Paris, 1986.

Olesen N.H., *Culte des saints et pèlerinage chez Ibn Taymiyya*, Paris, 1991.

2. Ecole acharite

Klopper H., *Das Dogma des Imām al-Haramain al-Djuwaini*, Wiesbaden, 1958.

Makdisi G., *Ash'ari et les Ash'arites in Islamic Religious History*, *Studia Islamica*, XVII, 1962.

Watt W.M., *Muslim Intellectual. A Study of al-Ghazali*, Edinbourg, 1963.

Allard M., *Le problème des attributs divins dans la doctrine d'al-Aṣ'ari et de ses premiers disciples*, Beyrouth, 1965.

Frank R.M., *The Structure of the Created Causality according to al-Aṣ'ari*, *Studia Islamica*, XXV, 1966.

Ess J. van, *Die Erkenntnislehre des Adudaddin al-Iṣṭi*, Wiesbaden, 1966.

Nagel T., *Die Festung des Glaubens*, Munich, 1988.

Gimaret D., *Les noms divins en Islam : exégèse lexicographique et théologique*, Paris, 1988.

Bello I.A., *The Medieval Islamic Controversy between Philosophy and Orthodoxy : Ijmā' and Ta'wīl in the Conflict between al-Ghazālī and Ibn Rushd*, Leyde-New York-Cologne, 1989.

Gimaret D., *La doctrine d'al-Aṣ'ari*, Paris, 1990.

3. Zahirisme

Goldziher I., *Die Zahiriten*, Leipzig, 1894.

Arnaldez R., *Grammaire et théologie chez Ibn Hazm de Cordoue*, Paris, 1956.

4. Mu'tazilisme

Nader A., *Le système philosophique des mu'tazila*, Beyrouth, 1956.

Hourani G.F., *Islamic Rationalism. The Ethics of Abd al-Jabbar*, Oxford, 1971.

Peters J.R.T.M., *God's Created Speech*, Leyde, 1976.

Frank R.M., *Beings and Their Attributes. The Teaching of the Basrian School of the Mu'tazila in the Classical Period*, Albany, 1978.

Ess J. van, *Une lecture à rebours de l'histoire du mu'tazilisme*, *Rev. Etudes islamiques*, 1978-1979.

Bernard M., *Le Problème de la connaissance d'après... Abd al-Jabbar*, Alger, 1982.

Daiber H., *Wāṣit ibn 'Aṭā' als Prediger und Theologe. Ein neuer Text aus dem 8. Jahrhundert v. Chr.*, Leyde, 1988.

Mu'tazila, dans *Enc. Islam* (2) (par D. Gimaret).

5. Ecoles dissidentes non chiites

Wellhausen J., *Die Religions-politischen Oppositionsparteien im alten Islam*, Göttingen, 1901, et trad. angl., Amsterdam-Oxford, 1975.

Le Livre de Mohammed ibn Toumert, éd. J.D. Luciani, Alger, 1903 (avec une introduction de I. Goldziher).

Laoust H., *Les schismes dans l'Islam*, Paris, 1963.

— *Pluralismes dans l'Islam*, Paris, 1983.

- Vadeti J.-C., *Les dissidences de l'islam*, Paris, 1983.
 Cuperly P., *Introduction à l'étude de l'ibadisme et de sa théologie*, Alger, 1984.
 Shahrastani, *Livre des religions et des sectes*, I, trad. fr. par D. Gimaret et G. Monnot, Louvain, 1986 ; II, trad. fr. par J. Jolivet et G. Monnot, Louvain, 1993.
 Friedmann Y., *Prophery Continuous. Aspects of Ahmadi Religious Thought and its Medieval Background*, Berkeley, 1989.

F. Chiisme

1. Généralités

- Querry A., *Droit musulman. Recueil de lois concernant les Musulmans schyites*, Paris, 1871-1872.
 Donaldson D.M., *The Shi'ite religion*, Londres, 1933.
 Hollister J.N., *The Shi'a of India*, Londres, 1953, rééd. 1979.
 Laoust H., *Les schismes dans l'islam*, Paris, 1965.
 Antes P., *Zur Theologie der Shi'a*, Fribourg, 1971.
 Löschner H., *Die dogmatischen Grundlagen des Schitischen Rechts*, Cologne, 1971.
 Laoust H., *Pluralismes dans l'islam*, Paris, 1973.
 Momen M., *An Introduction to Shi' Islam*, New Haven-Londres, 1985.
 Cole J.R.I. et Keddie N. (eds), *Shi'ism and Social Protest*, New Haven, 1986.
 Halm M., *Die Schia*, Darmstadt, 1988 ; trad. angl. *Shiism*, Edinbourg, 1991 ; trad. fr. *Le chiisme*, Paris, 1995.
 Sachedina A.A., *The Just Ruler in Shi'ite Islam. The Comprehensive Authority of the Jurist*, New York-Oxford, 1988.
 Richard Y., *L'islam chi'ite, croyances et idéologies*, Paris, 1991.

2. Imamisme duodécimain

- Nöldeke A., *Das Heiligtum al-Husains zu Kerbela*, Berlin, 1909.
 Strothmann K., *Die Zwölfer - Shi'a*, Leipzig, 1926.
 Musé H., *Croyances et coutumes persanes*, Paris, 1938.
 Le shi'isme imamite, Colloque de Strasbourg, Paris, 1970.
 Calmard J., Le chiisme imamite en Iran à l'époque séleucide d'après le Kitah al-naqd, *Le monde iranien et l'islam*, IV, 1971.
 Sourdel D., L'imamisme vu par le cheikh al-Mufid, *Revue Etudes islamiques*, 1972.
 Al-Hadadi J., *Zur Soziologie des schiitischen Chiasmus. Ein Beitrag zur Erforschung des irakischen Passionsspiels*, Fribourg/Bz., 1975.
 Laoust H., Les fondements de l'imamat dans le *Minhaj* d'al-Hilli, *Revue Etudes islamiques*, XLVI, 1978.
 McDermott M.J., *The Theology of al-Shaikh al-Mufid* (d. 413/1022), Beyrouth, 1978.
 Sachedina A., A Treatise on the Occultation of the Twelfth Imamite Imam, *Studia Islamica*, XI.VIII, 1978.
 Chelkowski P.J. (ed.), *Ta'zieh Ritual and Drama in Iran*, New York, 1979.
 Richard Y., *Le shi'isme en Iran, Imam et révolution*, Paris, 1980.
 Algar H., *Islam and Revolution. Writings and Declarations of Imam Khomeini*, Berkeley, 1981.
 Sachedina A., *Islamic Messianism. The Idea of the Mahdi in Twelver Shi'ism*, Albany, 1981.
 Hussain J.M., *The Occultation of the Twelfth Imam*, Londres, 1982.
 Arjomand S.A., *The Shadow of God and the Hidden Imam. Religion, Political Order and Societal Change in Shi'ite Iran from the Beginnings to 1890*, Chicago Londres, 1984.
 Taheri A., *Khomeini and the « Islamic Revolution »*, Hambourg, 1985.
 Newmann A., *The Development and Political Significance of the Rationalist and Traditionalist Schools in Imami Shi'a History*, Los Angeles, 1986.
 Rizvi S.A.A., *A Socio-Intellectual History of the Isma'ili Shi'is in India*, Canberra, 1986.
 Ajami F., *The Vanished Imam. Musa al Sadr and the Shia of Lebanon*, Londres, 1986.
 Pensées politiques de l'Ayatollah Khomeini, trad. fr. Y. A. Henri, Paris, 1986.
 Khomeini, *Pour un gouvernement islamique*, trad. fr. Kotobi et Simon, Paris, 1989.

3. Ismailisme

- Lewis B., *The Origins of Isma'ilism*, Cambridge, 1940.
 Ivanow W., *Brief Survey of the Evolution of Isma'ilism*, Leyde, 1952.
 Madelung W., Fatimiden und Bahrainqarmaten, *Der Islam*, XXXV, 1959.
 — Das Imamat in der frühen ismailitischen Lehre, *Der Islam*, XXXVII, 1961.
 Corbin H., *Trilogie ismaélienne*, Paris, 1961.
 Marquet Y., *La philosophie des Ihywan al-safa : de Dieu à l'homme*, Lille, 1973.
 Ess J., van, *Chilastische Erwartungen und die Versuchung der Göttlichkeit. Der Kalif al-Hakim*, Heidelberg, 1977.
 Halm H., *Kosmologie und Heilslehre der frühen Isma'iliya*, Wiesbaden, 1978.
 Stern S.M., *Studies in Early Isma'ilism*, Jerusalem/Leyde, 1983.
 Halm H., Der Treuhänder Gottes. Die Edikte des Kalifen al-Hakim, *Der Islam*, LXIII, 1986.

- Daftary F., *The Ismā'īlīs. Their History and Doctrines*, Cambridge, 1990.
Walker P.E., *Early Philosophical Shiism, The Ismā'īlī Neoplatonism of Abū Ya'qūb al-Sijistānī*, Cambridge, 1993.

4. Néo-ismailisme

- Hodgson M.G.S., *The Order of Assassins*, Leyde, 1955.
Lewis B., *The Assassins*, Londres, 1968, et trad. fr., *Les Assassins*, Paris, 1982.
Fischauer W., *The Agū Khans*, Londres, 1970.

5. Zaydisme

- Strothmann R., *Das Staatsrecht der Zaiditen*, Strasbourg, 1912.
Arendonck C. von, *Les débuts de l'imamat zaydite du Yémen*, trad. fr., Leyde, 1960.
Madelung W., *Der Imām al-Qāsim und die Glaubenslehre der Zaiditen*, Wiesbaden, 1965.
Gochenour D.T., *The Penetration of Zaidi Islam into Early Medieval Yemen*, Ann Arbor, 1985.

6. Druzes

- Silvestre de Sacy, *Exposé de la religion des Druzes*, 2 vol., Paris, 1898.
al-Darazī, Durūz, dans *Enc. Islam* (2) (par H.G.S. Hodgson et M. Tayyib Gökbelgin).
Bryer D.R.W., *The origins of the Druze religion*, *Der Islam*, LIII, 1975.
Abu-Izzeddin N.M., *The Druzes. A New Study of their History, Faith and Science*, Leyde, 1984.

7. Alaouites et extrémistes

- Dussaud R., *Histoire et religion des Nasairis*, Paris, 1900.
Roemer H., *Die Babi-Beha'ī. Eine Studie zur Religionsgeschichte des Islams*, Potsdam, 1911.
Halm H., *Die islamische Gnostik. Die extreme Shi'a und die 'Alawiten*, Zürich-Munich, 1982.
Smith P., *The Babi and Baha'ī Religion. From Messianism Shi'ism to a Worldreligion*, Cambridge, 1987.
Kehl-Bodrug K., *Die Kizilbaş/Aleviten, Untersuchungen über eine esoterische Glaubengemeinschaft in Anatolien*, Berlin, 1988.

G. Mystique

1. Soufisme

- Nicholson R.A., *Studies in Islamic Mysticism*, Cambridge, 1921.
Arberry A.J., *Sūfism*, Londres, 1950, et trad. fr., Paris, 1952.
Anawati G.C. et Gardet L., *Mystique musulmane, aspects et tendances, expériences et techniques*, Paris, 1961.
Molé M., *Les mystiques musulmans*, Paris, 1965.
Nwyia P., *Exégèse coranique et langage mystique*, Beyrouth, 1970.
Corbin H., *En Islam iranien. Aspects spirituels et philosophiques*, 4 vol., Paris, 1971-1972.
Böwering G., *The Mystical Vision of Existence in Classical Islam*, Berlin-New York, 1980.

2. Soufis

- al-Hudjwiri, *Kashf al-mahdjuh*, trad. Nicholson, Londres, 1911.
Massignon L., *La passion d'al-Hallāj*, Paris, 1922 : nouv. éd. 1975.
Smith M., *Rabi'a the Mystic and her Fellow-saints in Islam*, Cambridge, 1928.
Corbin H., *Sohrawardi d'Alep, fondateur de la doctrine illuminative*, Paris, 1939.
Ritter H., *Das Meer der Seele. Mensch, Welt und Gott in den Geschichten des Fariduddine 'Aṭār*, Leyde, 1955.
Wensinck A.J., *La pensée de Ghazālī*, Paris, 1958.
Jabre F., *La notion de ma'rifa chez Ghazālī*, Beyrouth, 1958.
— *La notion de certitude selon Ghazālī*, Paris, 1958.
Ess J. van, *Die Gedankenwelt des Hārī al-Muḥāsibī*, Bonn, 1961.
Watt W.M., *Muslim intellectual, a study of al-Ghazālī*, Edinbourg, 1963.
Laugier de Beaurecueil J., *Khawāḍir 'Abdullah Ansārī*, Beyrouth, 1965.
Meyerovitch E., *Mystique et poésie en Islam : Djalāl-ud-din Rūmī et l'ordre des derviches tourneurs*, Paris, 1972.
Chittick W.C., *The Sufi Doctrine of Rumi. An Introduction*, Téhéran, 1974.
Ibn 'Arabi, *Les soufis d'Andalousie*, trad. fr. R.W.J. Austin et G. Leconte, Paris, 1979.
Vadet J.-C., *Le traité d'amour mystique d'al-Daylami*, Genève, 1980.
Al-Kalabadhi, *Traité de soufisme*, trad. R. Deladrière, Paris, 1982.
Chittick W.C., *The Sufi Path of Love. The Spiritual Teachings of Rumi*, Albany, 1983.
Chodkiewicz M., *Le sceau des saints. Prophétie et sainteté dans la doctrine d'Ibn 'Arabi*, Paris, 1986.
Szaue M.L., *L'amour de Dieu chez Ghalzali. Une philosophie de l'Amour à Bagdad au début du XI^e siècle*, Paris, 1986.
Hujwiri, *Somme spirituelle*, trad. D. Mortazavi, Paris, 1988.

- Ibn 'Arabi, *Les illuminations de la Meïque*, trad. M. Chodkiewicz et al., Paris, 1988.
- Anvari, *Cris du cœur*, trad. fr. S. Laugier de Beaurecœur, Paris, 1988.
- Demeerseman A., *Nouveau regard sur la vie spirituelle de 'Abd al-Qādir al-Jilāni et sa tradition*, Paris, 1988.
- Molla Sadra Shirazi, *Le livre des pénétrations métaphysiques*, trad. H. Corbin, Paris, 1988.
- al-Qusayrī, *Das Sendschreiben al-Qusayrī über das Sufismus*, trad. R. Gramlich, Stuttgart, 1989.
- Chittick W.C., *The Sufi Path of Knowledge: Ibn al-'Arabi's Metaphysics of Imagination*, Albany, 1989.
- Norris H.T., *Sufi Mystics of the Niger Desert: Sidi Muḥammad and the Hermits of Air*, Oxford, 1990.
- Chittick W.C., *Faith and Practice of Islam: Three Thirteenth Century Sufi Texts*, Albany, 1992.
- 3. Confréries**
- Depont O. et Coppolani X., *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger, 1897; réimpr. Paris, 1987.
- Tarīqa, dans *Enc. Islam* (11 par L. Massignon).
- Drague G., *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc: confréries et zaouias*, Paris, 1951.
- Gramlich R., *Die Sufischen Derwischorden Persiens*, I-III, Wiesbaden, 1965-1980.
- O'Brian D.B.C., *The Mourides of Senegal. The Political and Economic Organisation of an Islamic Brotherhood*, Oxford, 1971.
- Trimingham J.S., *The Sufi Orders in Islam*, Oxford, 1971.
- Nwiyi P., *Ibn 'Atā' Allāh et la naissance de la confrérie ṣāfi'ite*, Beyrouth, 1972.
- Faruqi S., *Der Bektāschī-Orden in Anatolien (vom späten 15. Jahrhundert bis 1826)*, Vienne, 1981.
- Popovic A. et Veinstein G. (éds), *Les ordres mystiques dans l'Islam, cheminements et situation actuelle*, Paris, 1986.
- Kishling H.J., *Dissertationes orientales et balcanicae collectae*, I. *Das Derwischtum*, Munich, 1986.
- Fernandes L., *The Evolution of a Sufi-Institution in Mamluk Egypt: the Khawāṣṣ*, Berlin, 1988.
- Paul J., *Die politische und soziale Bedeutung der Naqshbandiyya im Mittelalten im 15. Jahrhundert*, Berlin, 1991.
- Gronke M., *Derwische im Vorhof der Macht. Sozial- und Wirtschaftsgeschichte Nordwestirans im 13. und 14. Jahrhundert*, Fribourg, 1992.
- Ansari S.F.D., *Sufi Saints and State Power. The Pirs of Sind, 1843-1947*, Cambridge, 1992.
- Triaud J.-L., *La légende noire de la Sanusiyya*, Paris-Aix-en-Provence, 1995.
- 4. Culte des saints**
- Goldziher I., *Le culte des saints chez les musulmans*, *Rev. d'Histoire des religions*, II, 1880.
- Heiligenverehrung im Islam, apud *Muhammedanische Studien*, Halle, 1889-1890, et trad. angl. *Muslim Studies*, Londres, 1967-1971.
- Doutté E., *Magie et religion dans l'Afrique du Nord*, Alger, 1909.
- Sourdél-Thomine J., *Les anciens lieux de pèlerinage damascains d'après les sources arabes*, *Bull. d'Etudes orientales*, XIV, 1952-1954.
- al-Harawī, *Le guide des lieux de pèlerinage*, trad. J. Sourdél-Thomine, Damas, 1957.
- Gramlich R., *Die Wunder der Freunde Gottes. Theologen und Erscheinungsformen des islamischen Heiligenwunders*, Wiesbaden, 1987.
- Sourdél-Thomine J., *Traditions d'emprunt et dévotions secondaires dans l'Islam du XII^e siècle*, *Rev. Etudes islamiques*, LV, LVII, 1987-1989.
- Olesen N.H., *Culte des saints et pèlerinages chez Ibn Taymiyya*, Paris, 1991.
- Kaptein N.G., *Muhammad's Birthday Festival*, 1993.
- Mayer-Jaouen C., *Al-Sayyid al-Budawī, un grand saint de l'Islam égyptien*, Le Caire, 1994.

M. Falsafa et sciences profanes

1. Falsafa

- Steinschneider M., *Die Arabischen Uebersetzungen aus dem Griechischen*, Leipzig, 1893.
- Madkour J., *L'« Organon » d'Aristote dans le monde arabe*, Paris, 1934.
- Kraus A., *Plotin chez les Arabes*, Le Caire, 1941.
- Menasce J. de, *Arabische Philosophie*, Berne, 1948.
- Rescher N., *The Development of Arabic Logic*, Pittsburgh, 1964.
- Corbin H., *Histoire de la philosophie islamique*, I. *Des origines à la mort d'Averroès (1188)*, Paris, 1964.
- Walter R., *Greek into Arabic*, Oxford, 1962.
- Jadaane F., *L'influence du stoïcisme sur la pensée musulmane*, Beyrouth, 1968.
- Walter R., *L'éveil de la philosophie islamique*, *Rev. Etudes islamiques*, 1970.
- Falsafa et Falsafa*, dans *Enc. Islam* (2) (par R. Arnaldez).
- Grunebaum G.E. von (ed.), *Logic in Classical Islamic Culture*, Wiesbaden, 1970.
- Stern S.M. et al., *Islamic Philosophy and the Classical Tradition*, Londres, 1972.
- Kraemer J.L., *Humanism in the Renaissance of Islam*, Leyde, 1986; — *Philosophy in the Renaissance of Islam*, Leyde, 1986.

Netton I.E., *Allah Transcendent. Studies in the Structure and Semantics of Islamic Philosophy, Theology and Cosmology*. Londres-New York, 1989.

Rosenthal F., *Greek Philosophy in the Arab World. A Collection of Essays*, Londres, 1990.

2. Philosophes

Madkour I., *La place d'al-Fārābī dans l'école philosophique musulmane*, Paris, 1934.

Goichon A.-M., *La philosophie d'Avicenne et son influence en Europe*, Paris, 1944.

Gauthier L., *Ibn Rūshd*, Paris, 1948.

Anawati G.C., *Essai de bibliographie avicennienne*, Le Caire, 1950.

Gardet L., *La pensée religieuse d'Avicenne*, Paris, 1951.

Arnaldéz R., *La pensée religieuse d'Averroès*, *Studia Islamica*, VII-VIII, 1957, et X, 1959.

Jolivet J., *L'intellect selon Kindī*, Leyde, 1971.

Hawī S.S., *Islamic Naturalism and Mysticism. A Philosophical Study of Ibn Tūfayl's Ḥayy bin Yaqẓān*, Leyde, 1974.

Asin Palacios M., *The Mystical Philosophy of Ibn Masarra and his Followers*, trad. Douglas et Yoder, Leyde, 1978.

Netton I.R., *Muslim Neoplatonists. An Introduction to the Thought of the Brethren of Purity*, Londres, 1982.

Marquet Y., *La philosophie des Iḥwān al-ṣafā. De Dieu à l'homme*, Lille, 1983.

Urvoý D., *Ibn Rushd (Averroes)*, trad. O. Stewart, Londres-New York, 1991.

— *Pensers d'al Andalus. La vie intellectuelle à Cordoue et Seville au temps des empires berbères*, Paris, 1991.

3. Textes philosophiques

Ḥayy ben Yaqẓān, *roman philosophique d'Ibn Thofail*, texte et trad. fr. par L. Gauthier, Beyrouth, 1936.

al-Fārābī, *Idees des habitants de la cité vertueuse*, trad. fr. Jaussen et al., Le Caire, 1949.

Ibn Sina (Avicenne), *Livre des directives et remarques*, trad. fr. A.-M. Goichon, Paris, 1951.

Avicenne, *Le récit de Ḥayy ibn Yaqẓān*, trad. H. Corbin, Téhéran, 1953.

The Theologus autodidactus of Ibn al-Nafīs, éd. trad. Meyerhof et Schacht, Oxford, 1968.

Avicenne, *La métaphysique du Shifā'*, trad. G.C. Anawati, Paris, 1978.

Walzer R., *Al-Fārābī on the Perfect State*, éd., trad. et commentaire, Oxford, 1983.

4. Sciences

Sarton G., *Introduction to the history of sciences*, 4 vol., Baltimore, 1937-1948.

Massignou L. et Arnaldéz R., *La science arabe*, dans R. Taion, *Histoire générale des sciences*, t. I, Paris, 1957.

Mieli R., *La science arabe et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale*, rééd. Leyde, 1964.

Ullmann M., *Die Medizin im Islam*, Leyde, 1970.

— *Die Natur- und Geheimwissenschaften im Islam*, Leyde-Cologne, 1972.

— *Islamic Medicine*, Edimbourg, 1978, et trad. fr. *La médecine islamique*, Paris, 1995.

Elgood C., *A Medical History of Persia and the Eastern Caliphate, from the Earliest Times until the Year A.D. 1932*, Amsterdam, 1979.

Dols M., *Medieval Islamic Medicine*, Berkeley, 1984.

Behrens-Abouseif D., *Faṭh Allāh and Abū Zakariyya. Physicians under the Mamluks*, Le Caire, 1987.

Jacquart D. et Micheau Fr., *La médecine arabe et l'Occident médiéval*, Paris, 1990.

I. L'éthique

Mac-Donald D.B., *The Religious attitude and life of Islam*, Chicago, 1909.

Bousquet G.-H., *La morale de l'Islam et son éthique sexuelle*, Paris, 1953.

Akhḫāk, dans *Enc. Islam* (2) (par R. Walzer).

Donaldson D.M., *Studies in Muslim ethics*, Londres, 1963.

Charles-Dominique P., *Le système éthique d'Ibn al-Muqaffa' d'après ses deux épitres*, *Arabica*, XII, 1965.

Arkoun M., *Miskawayh philosophe et historien*, Paris, 1970.

Hourani G.F., *Islamic Rationalism. The Ethics of 'Abd al-Jabbar*, Oxford, 1971.

Madelung W., *Nasir ad-Din Tusi's Ethics between Philosophy, Shi'ism and Sufism*, apud R.G. Hovannissian (ed.), *Ethics in Islam*, Malibu, 1985.

Vadet J.-C., *Les idées morales dans l'Islam*, Paris, 1995.

J. Réformisme sunnite et mouvements contemporains

Laoust H., *Le réformisme orthodoxe des Saifiya*, *Rev. Etudes islamiques*, 1932.

Adams Ch.C., *Islam and Modernism in Egypt*, Londres-Oxford, 1933.

Laoust H., *Le califat dans la doctrine de Rūṣid Rūḡā*, Beyrouth, 1938.

al-Afghani Jamāl al-dīn, *Réfutation des matérialistes*, trad. fr. A.-M. Goichon, Paris, 1942.

- Smith W.C., *Modern Islam in India*.
- Gibb H.A.R., *Les tendances modernes de l'islam*, trad. fr., Paris, 1949.
- Sayyid Qutb, *Social Justice in Islam*, trad. angl. par J.B. Hardie, Washington, 1953.
- Jomier J., *Le commentaire coranique du Manâr*, Paris, 1954.
- Tapiéro N., *Les idées réformatrices d'al Kawakibi*, Paris, 1956.
- Schimmel A., *Gabriel's Wing: A Study into the Religious Ideas of Sir Muhammad Iqbal*, Leyde, 1963.
- Abdou Mohammed, *Rissalat al-tawhid, Exposé de la religion musulmane*, trad. fr. B. Michel et Moustapha Abdel Razik, Paris, 1965.
- Ahmad A., *Islamic Modernism in India and Pakistan, 1857-1964*, Londres, 1967.
- Keddie N.R., *An Islamic Response to Imperialism, Political and Religious Writings of Sayyid Jamâl al-dîn al-Afghânî*, Berkeley, 1968.
- Kerr M., *Islamic Reform, The Political and Legal Theories of Muhammad Abduh and Rashid Rida*, Berkeley, 1968.
- Pakdaman H., *Djamat-ul-din Assad Abadi dit Afghani*, Paris, 1969.
- Mitchell R.P., *The Society of the Muslim Brothers*, Oxford, 1969.
- Keddie N.R., *Sayyid Jamâl al-Dîn « al-Afghânî »*, Berkeley, 1972.
- Islâh, in *Enu Islâm* (2) (par A. Merad et al.).
- Schimmel A., *Bottschaft des Ostens, Anthologie aus Iqbals poetischen und Prosa-Schriften*, Tübingen, 1977.
- Troll Ch.W., *Soviet Ahmad Khan: A Reinterpretation of Muslim Theology*, Delhi, 1978.
- Sabaneh E.S., *Muhammad « Le Prophète », portraits contemporains : Égypte 1940-1950*, Paris, 1981.
- Delanoue G., *Moralistes et politiques musulmans dans l'Égypte du XIX^e siècle*, 2 vol., Le Caire, 1982.
- Rahman Fadlur, *Islam and Modernity, Transformation of an Intellectual Tradition*, Chicago, 1982.
- Caré O. et Michaud G., *Les frères musulmans (1928-1982)*, Paris, 1983 ;
- Musique et politique (Lecture révolutionnaire du Coran par Sayyid Qutb, frère musulman radical)*, Paris, 1984.
- Merad A., *L'islam contemporain*, coll. « Que suis-je ? », Paris, 1984 ; rééd. 1995.
- Etienne H., *L'islamisme radical*, Paris, 1987.
- Le défi du fondamentalisme islamique*, Genève, 1988.
- Ebert J., *Religion und Reform in der arabischen Provinz, Husayn al-Gisr al-Turabellusi (1845-1909)*, Francfort-Paris, 1991.

III — HISTOIRE DES ÉTATS ISLAMQUES JUSQU'AU XV^e SIÈCLE

A. Muhammad et les débuts de l'islam

1. Muhammad

- Bluchère R., *Le problème de Mahomet*, Paris, 1952.
- Watt W.M., *Muhammad at Mecca*, Oxford, 1953 ; trad. fr. *Mahomet à la Mecque*, Paris, 1958.
- *Muhammad at Medina*, Oxford, 1956 ; trad. fr. *Mahomet à Médine*, Paris, 1959.
- Gaudelroy-Demombynes M., *Mahomet*, Paris, 1957.
- Paret R., *Muhammad und der Koran. Geschichte und Verkündigung des arabischen Propheten*, Stuttgart, 1957.
- Hamidullah M., *Le Prophète de l'Islam*, 2 vol., Paris, 1959.
- Rodinson M., *Mahomet*, Paris, 1961, rééd. 1968.
- Watt W.M., *Muhammad Prophet and Statesman*, Oxford, 1961 ; trad. fr. *Mahomet, prophète et homme d'État*, Paris, 1962.
- Sergeant R.B., *The Sunna Jamî'ah Pact with the Yathrib Jews and the Tahrim of Yathrib*, *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 41, 1978.
- Cook M., *Muhammad*, Oxford, 1983.

2. Péninsule Arabique

- Lamrous H., *L'Arabie occidentale à la veille de l'hégire*, Beyrouth, 1928.
- Gabrieli F. (ed.), *L'antica società beduina*, Rome, 1959.
- Fahd T., *Le panthéon de l'Arabie centrale à la veille de l'hégire*, Paris, 1968.
- Trimingham J.S., *Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times*, Londres-New York, 1979.
- Crone P., *Mecan Trade and the Rise of Islam*, Oxford, 1987.

B. Les grandes conquêtes

- Goeje M.J. de, *Mémoires sur la conquête de la Syrie*, Leyde, 1886.
- Gibb H.A.R., *The Arab conquests in Central Asia*, Londres, 1923.

- Honigmann E., *Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches von 363 bis 1071*, Bruxelles, 1935.
 Bousquet G.-H., Observations sur la nature et les causes de la conquête arabe, *Studia Islamica*, VI, 1956.
 Canard M., *Byzance et les musulmans du Proche Orient*, Londres, 1974.
 Butler A.J., *The Arab conquest of Egypt*, 2^e éd. par P.M. Fraser, Oxford, 1978.
 Donner F.M., *The Early Islamic Conquests*, Princeton, 1981.
 Morony M.G., *Iran after the Muslim Conquest*, Princeton, 1984.

C. Les premiers califes Rāshidūn et les Omayyades

- Wellhausen J., *Das Arabische Reich und sein Sturz*, Berlin, 1902 ; rééd. 1960 ; trad. angl. *The Arab Kingdom and its Fall*, Calcutta, 1927.
 Lammens H., *Études sur le siècle des Omayyades*, Beyrouth, 1930.
 Gabrieli F., *El califfato di Hisham*, Alexandrie, 1936.
 Abū Bakr, dans *Enc. Islam* (2) (par W.M. Watt).
 'Alī, dans *Enc. Islam* (2) (par L. Veccia Vagheri).
 Sellheim R., *Der zweite Bürgerkrieg in Islam (680-692)*, Wiesbaden, 1970.
 Shaban M.A., *The Abbasid Revolution*, Cambridge, 1970.
 — *Islamic History A.D. 600-750 (A.H. 132). A new interpretation*, Cambridge, 1971.
 Abd Dixon, *The Umayyad Caliphate, 65-96/684-705. A Political Study*, Londres, 1971.
 Nagel T., *Untersuchungen zur Entstehung des abbasidischen Kalifats*, Bonn, 1972.
 Sayed R., *Die Revolte des Ibn al-Ash'ath und die Koranleser*, Fribourg-en-B., 1977.
 Rotter G., *Die Umayyaden und der zweite Bürgerkrieg (680-692)*, Wiesbaden, 1983.
 Sharon M., *Black Banners from the East*, I, Jérusalem, 1983.
 Blichfeldt J.-O., *Early Mahdism. Politics and Religion in the Formative Period of Islam*, Leyde, 1985.
 Crone P. et Hinds M., *God's Caliph. Religious Authority in the First Centuries of Islam*, Cambridge, 1986.
 Hawling G.R., *The First Dynasty of Islam. The Umayyad Caliphate AD 661-750*, Londres-Sydney, 1986.
 Crone P., *Roman, Provincial and Islamic Law. The Origins of the Islamic Patronate*, Cambridge, 1987.
 Eisener S., *Zwischen Faktum und Fiktion. Eine Studie zum Umayyaden Kalifen Sulaimān b. 'Abdalmalik und seinem Bild in den Quellen*, Wiesbaden, 1987.
 Hamilton R., *Walid and his Friends. An Umayyad Tragedy*, Oxford, 1988.
 Djait H., *La grande discorde. Religion et politique dans l'Islam des origines*, Paris, 1989.
 Gil M., *A History of Palestine, 634-1099*, Cambridge, 1992.
 Sharon M., *Black Banners from the East. II. Revolt, the Social and Military Aspects of the 'Abbasid Revolution*, Jérusalem, 1992.

D. Le califat abbasside

1. Les débuts

- Gabrieli F., *al-Ma'mūn et gli Alidi*, Leipzig, 1929.
 Wiet G., *L'Égypte arabe, de la conquête arabe à la conquête ottomane*, Paris, 1934.
 Abbott N., *Two Queens of Baghdad*, Chicago, 1946.
 Herzfeld E., *Geschichte der Stadt Samarra*, Hambourg, 1948.
 Sourdel D., *Le vizirat 'abbāside*, Damas, 1959-1960.
 — La politique religieuse des successeurs d'al-Mutawakkil, *Studia Islamica*, XIII, 1960.
 — La politique religieuse du calife al-Ma'mūn, *Revue Études islamiques*, 1962.
 Tollner H., *Die türkischen Gardien am Kalifenhof von Samarra*, Waltham, 1971.
 Shaban M.A., *Islamic History. A new Interpretation*, Vol. 2 : A.D. 750-1055 (A.H. 132-448), Cambridge, 1976.
 Popovic A., *La révolte des esclaves en Iraq au IX^e siècle*, Paris, 1976.
 Daniel E.L., *The Political and Social History of Khurasan under Abbasid Rule 747-820*, Minneapolis-Chicago, 1979.
 Lassner J., *The Shaping of Abbasid Rule*, Princeton, 1980.
 Kennedy H., *The Early Abbasid Caliphate*, Londres-Totowa, 1981.
 Sourdel D., *Gouvernement et administration dans l'Orient islamique jusqu'au milieu du XI^e siècle*, apud *Regierung und Verwaltung des vorderen Orients in islamischer Zeit. Handbuch der Orientalistik*, B. Spuler (ed.), I 6-5/2, Leyde, 1988.

2. Du X^e au XIII^e siècle

- Bowen H., *The Life and Times of 'Alī b. Isā. The Good Vizier*, Cambridge-Londres, 1928.
 Canard M., *Histoire de la dynastie des H'amanides de Jazīra et de Syrie*, Alger, 1951.
 Makdisi G., *Ibn 'Aqil et la résurgence de l'islam traditionaliste au XI^e siècle*, Damas, 1963.
 Busse H., *Chalif und Grosskönig. Die Buyiden im Iraq*, Beyrouth, 1969.
 Zakkar S., *The emirate of Aleppo, 1004-1094*, Beyrouth, 1971.

- Richards D.S. (ed.), *Islamic Civilization, A.D. 950-1150*, Oxford, 1973.
- Hartmann A., *Al-Nāẓir li-Dīn Allāh (1180-1251)*, Berlin, 1975.
- Mottahedeh R.P., *Loyalty and Leadership in an Early Islamic Society*, Princeton, 1980.
- Sabari S., *Mouvements populaires à Bagdad à l'époque abbasside*, Paris, 1981.
- Glassen E., *Der mittlere Weg. Studien zur Religionspolitik und Religionsdi der späteren Abbasidenzeit*, Wiesbaden, 1981.
- Miquel A., *La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du XI^e siècle*, t. IV : *Les travaux et les jours*, Paris, 1988.
- Renault Fr., *La traite des Nours au Proche-Orient médiéval, VII-XV siècles*, Paris, 1989.

E. Les Fatimides

(voir aussi II F 3 : Ismaélisme)

- Wiet G., *L'Égypte arabe, de la conquête arabe à la conquête ottomane*, Paris, 1934.
- Fatimides, dans *Enc. Islam* (2) (par M. Canard).
- Canard M., *Miscellanea orientalia*, Londres, 1973.
- Ess J. van, *Chiliasmatische Erwartungen und die Versuchung der Göttlichkeit, der Katif al-Hakim*, Heidelberg, 1977.
- Beshir B.J., *Fatimid Military Organization, Der Islam*, LV, 1978.
- Halm H., *Die Söhne Zikrawayhs und das erste fatimidische Kalifat, Die Welt des Orients*, X, 1979.
- Dachraoui F., *Le califat fatimide au Maghreb*, Tunis, 1981.
- Halm H., *Der Treuhänder Gottes. Die Edikte des Kalifen al-Hakim, Der Islam*, LXIII, 1986.
- Bianquis Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide (359-468/969-1076)*, 2 vol., Damas, 1986 et 1989.
- al-Imad L.S., *The Fatimid Vizierate, 969-1172*, Berlin, 1990.
- Halm H., *Das Reich des Mahdi. Der Aufstieg der Fatimiden (875-973)*, Munich, 1991, trad. angl., Leyde, 1996.
- Lev Y., *State and Society in Fatimid Egypt*, Leyde, 1991.

F. Les dynasties d'Asie centrale, Iran et Inde

- Barthold W., *Turkestan down to the Mongol Invasion*, Londres, 1926.
- The Cambridge History of India*, III, Cambridge, 1928.
- Spuler B., *Die Mongolen in Iran. Politik, Verwaltung und Kultur der Ilchanteit, 1220-1350*, Berlin, 1939 ; 4^e éd., Leyde, 1985.
- *Iran in frühislamischer Zeit*, Wiesbaden, 1952.
- Bosworth C.E., *The Ghaznavids. Their Empire in Afghanistan and Eastern Iran, 944-1040*, Edimbourg, 1963.
- Spuler B., *Die Goldene Horde. Die Mongolen in Russland 1223-1502*, 2^e éd., Wiesbaden, 1965.
- Qureshi I.H., *The Muslim Community of the Indo-Pakistan Subcontinent, 610-1047. A Brief Historical Analysis*, 1962 ; 2^e éd., Karachi, 1977.
- A Comprehensive History of India*, vol. V : *The Delhi Sultanat 1206-1526*, Delhi, 1970.
- Smith J.M., *The History of the Sarbadār dynasty, 1336-1381 A.D., and its Sources*, La Haye-Paris, 1970.
- Hind, dans *Enc. Islam* (2) (par S. Maqbul Ahmad et al.).
- Saunders J.J., *The History of the Mongol Conquests*, Londres, 1971.
- Klausner C.L., *The Seljuk Vizierate. A Study of Civil Administration, 1055-1194*, Cambridge, 1973.
- The Cambridge History of Iran*, IV, Cambridge, 1975.
- Bosworth C.E., *The Later Ghaznavids. Splendour and Decay*, Edimbourg, 1977.
- Schimmel A., *Islam in the Indian Subcontinent*, Leyde-Cologne, 1980.
- Lambton A.K.S., *Continuity and Change in Medieval Persia. Aspects of Administrative, Economic and Social History, 11th-14th century*, Londres, 1988.
- Mac Lean D.N., *Religion and Society in Arab Sind*, Leyde, 1989.
- Wink A., *al-Hind. The Making of the Indo-Islamic World*, vol. I, *Early Medieval India and the Expansion of Islam*, Leyde, 1990.

G. Les dynasties post-seljoukides de Syrie, d'Égypte et d'Anatolie

- Witteck P., *Das Fürstentum Mentesche*, Istanbul, 1934, réimp. 1967.
- Cahen C., *La Syrie du Nord à l'époque des Croisades*, Paris, 1940.
- Setton K.M. (ed.), *A History of the Crusades*, t. I à V, Philadelphie, 1955-1962 ; Madison, 1964-1985.
- Gottschalk H.L., *Al-Malik al-Kāmil von Ägypten und seine Zeit*, Wiesbaden, 1958.
- Avyoubides, dans *Enc. Islam* (2) (par C. Cahen).
- Gabrieli F., *Storici arabi delle Crociate*, Turin, 1963, et trad. fr. *Chroniques arabes des Croisades*, Paris, 1977.
- Elisséeff N., *Nūr al-Dīn 511-569/1118-1174*, 3 vol., Beyrouth, 1967.
- Sivan E., *L'Islam et la Croisade. Idéologie et propagande dans les réactions musulmanes aux croisades*, Paris, 1968.
- The Cambridge History of Iran*, V, Cambridge, 1968.

- Cahen C., *Prentoman Turkey*, Londres, 1968 ; version fr. *La Turquie préottomane*, Istanbul, 1988.
 Yronis S., *The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor*, Berkeley-Los Angeles-Londres, 1970.
 Ehrenkruetz A.S., *Saladin*, Albany, 1972.
 Rabie H., *The Financial System of Egypt, 564-741/1169-1341*, Oxford, 1972.
 Cahen C., *Turco-Byzantinism et Orient christianus*, Londres, 1974.
 Humphreys St., *From Saladin to the Mongols. The Ayyubids of Damascus, 1193-1260*, Albany, 1977.
 Lyons M.C. et Jackson D.E.P., *Saladin. The Politics of the Holy War*, Cambridge, 1982.
 Cahen C., *Orient et Occident au temps des Croisades*, Paris, 1983.
 Zachariadou E.A., *Trade and Crusade. Venetian Crete and the emirates of Menteshe and Aydin (1300-1415)*, Venise, 1983.
 Holt P.M., *The Age of the Crusades. The Near East from the Eleventh Century to 1517*, Londres, 1986.
 Pouzet H., *Damas au vir/xiii siècle. Vie et structures religieuses d'une métropole islamique*, Beyrouth, 1988.
 Mouton J.-M., *Damas et sa principauté sous les Seljoukides et les Bourides*, Le Caire, 1994.
 Eddé A.-M., *La principauté ayyoubide d'Alep (à paraître)*.

H. Maghreb

(voir aussi III E : Les Fatimides)

- Brunschwig R., *La Berbérie orientale sous les Hafsides*, 2 vol., Paris, 1940-1947.
 Marçais G., *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age*, Paris, 1946.
 Terrasse H., *Histoire du Maroc, des origines à l'établissement du protectorat français*, Casablanca, 1949-1950.
 Julien Ch.A., *Histoire de l'Afrique du Nord*, 1^{re} éd., Paris, 1951-1952, et rééd.
 Bosch Villa J., *Los Almorávides*, Tétouan, 1956.
 Huici Miranda A., *Historia política del Imperio almohade*, Tétouan, 1956-1957.
 Idris H.R., *La Berbérie orientale sous les Zirides, X-XII siècles*, 2 vol., Paris, 1962.
 Talbi M., *L'Emirat aghlabide 184-296/800-909. Histoire politique*, Paris, 1966.
 Le Tourneau R., *The Almohad Movement in North Africa in the Twelfth and Thirteenth Centuries*, Princeton, 1969.
 Thoden J., Abu'l-Hasan Ali. Merinidenpolitik zwischen Nordafrika und Spanien in den Jahren 710-752 h/1310-1351, Fribourg, 1973.
 Shatzmiller M., Les premiers Mérinides et le milieu religieux de Fès : l'introduction des mēdersas, *Studia Islamica*, XLIII, 1976.
 Forstner M., *Das Wogenetz des zentralen Maghreb im islamischen Zeit*, Wiesbaden, 1979.
 Kably M., *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen Age*, Paris, 1986.
 Khaneboubi A., *Les premiers sultans mérinides, 1269-1331*, Paris, 1987.
 Zerouki B., *L'imamat de Tahart*, t. I, Paris, 1987.
 Lagardère V., *Les Almoravides jusqu'au règne de Yūsuf b. Tāṣfin (1039-1106)*, Paris, 1989.
 Triki H. et al., *Tūmel, l'épopée almohade*, [Rabat], 1992.

I. Espagne et Sicile

(voir aussi III H : Maghreb)

- Amari M., *Storia dei Musulmani di Sicilia*, 2^e éd. par C.A. Nallino, 3 vol., Casane, 1933-1939.
 Lévi-Provençal E., *Histoire de l'Espagne musulmane*, 3 vol., Paris, 1944-1953.
 Gonzalez Palencia A., *Historia de la España musulmana*, 4^e éd., Madrid, 1948.
 Terrasse H., *Islam d'Espagne*, Paris, 1958.
 Gabrieli F. et Scerrato U., *Gli Arabi in Italia*, Milan, 1970.
 Arié R., *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides (1232-1492)*, Paris, 1973, nouv. éd. 1990.
 Ahmad A., *A History of Islamic Sicily*, Edimbourg, 1975, et trad. fr. *La Sicile islamique*, Paris, 1990.
 Arié R., *España musulmana (siglos VIII-XV)*, t. III de *Historia de España*, Barcelone, 1980.
 Wasserstein D.J., *The Rise and Fall of the Party-Kings : Politics and Society in Islamic Spain, 1002-1086*, Princeton, 1985.
 Lagardère V., *Le vendredi de Zallaqa, 23 octobre 1086*, Paris, 1989.
 Smith C.L., *Christians and Moors in Spain*, vol. I et II, Warminster, 1989.
 Guichard P., *Les musulmans de Valence et la Reconquête (X-XIII siècles)*, 2 vol., Damas, 1990-1991.
 — *L'Espagne et la Sicile musulmane aux XI et XII siècles*, Lyon, 1990.
 Melville Ch. et Ubaydli A., *Christians and Moors in Spain*, vol. III : *Arabic Sources*, Warminster, 1992.
 Martínez-Gros G., *L'idéologie omeyyade. La construction de la légitimité du Calife de Cordoue (X-XI siècles)*, Madrid, 1992.
 Jayyusi (ed.), *The Legacy of Muslim Spain*, Leyde, 1992.
 Wasserstein D.J., *The Caliphate in the West. An Islamic Political Institution in the Iberian Peninsula*, Oxford, 1993.
 Picard C., *Le Portugal et l'Espagne occidentale à l'époque musulmane*, Paris, 1994.

J. Les Mamlouks

- Gaudefroy-Demombynes M., *La Syrie à l'époque des Mamelouks*, Paris, 1923.
 Dodwell H.H., *The Founders of Modern Egypt A Study of Muhammad Ali*, Cambridge, 1931 ; 2^e éd., 1967.
 Mayer L.A., *Sultanic Heraldry*, Oxford, 1933.
 Wiet G., *L'Égypte arabe*, Paris, 1934.
 Poliak A.N., *Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and Lebanon*, Londres, 1939.
 Ayalon D., *L'esclavage du Mamlouk*, Jérusalem, 1951.
 — *Gunpowder and Fire arms in the Mamluk Kingdom*, Londres, 1956.
 Darrag A., *L'Égypte sous le règne de Barsbay*, Damas, 1961.
 Rabie H., *The Financial System of Egypt, A.H. 564-741/A.D. 1169-1341*, Londres, 1972.
 Dols M.W., *The Black Death in the Middle East*, Princeton, 1977.
 Ayalon D., *Studies on the Mamluks of Egypt (1250-1517)*, Londres, 1977.
 — *The Mamluk Military Society*, Londres, 1979.
 Halm H., *Ägypten nach den mamlukischen Lebensregistern*, 2 vol., Wiesbaden, 1979-1982.
 Nielsen J.S., *Secular Justice in a Islamic State. Mazalim under the Bahri Mamluks*, Leyde, 1985.
 Irwin R., *The Middle East in the Middle Ages. The Early Mamluk Sultanate, 1250-1382*, Londres, 1986.
 Thoma P., *Sultan Barsbay I. von Ägypten. Beitrag zur Geschichte des Vorderen Orients im 13. Jahrhundert*, Wiesbaden, 1987.
 Ayalon D., *Islam and the Abode of War. Military Slaves and the Adversaries of Islam*, Londres, 1994.
 — *Le phénomène mamlouk au Proche-Orient*, Paris, 1996.

IV — HISTOIRE DES ÉTATS ISLAMQUES DE 1400 À 1914

A. Empire ottoman

- Koprulu M.F., *Les origines de l'Empire ottoman*, Paris, 1935.
 Wittek P., *The Rise of Ottoman Empire*, Londres, 1938. rééd. 1965.
 Gibb H.A.R. et Bowen H., *Islamic Society and the West*, vol. 1, *Islamic Society in the Eighteenth Century*, Oxford, 1950-1957.
 Bahning F., *Muhamet le conquérant et son temps*, Paris, 1954.
 Lewis B., *Istanbul and the Civilization of the Ottoman Empire*, Norman, 1963 ; trad. fr. *Istanbul et la civilisation ottomane*, Paris, 1990.
 Ramsaur E.E., *The Young Turks. Prelude to the Revolution of 1908*, Beyrouth, 1965.
 Ahmad F., *The Young Turks. The Committee of Union and Progress in Turkish Politics, 1908-1914*, Oxford, 1969.
 Inalcik H., *The Ottoman Empire. The Classical Age 1300-1600*, Londres, 1973.
 Shaw S.J. et Shaw E.K., *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey*, 2 vol., Cambridge, 1976-1977.
 Inalcik H., *The Ottoman Empire. Conquest, Organization and Economy*, Londres, 1978.
 Findley C.V., *Bureaucracy Reform in the Ottoman Empire. The Sublime Porte, 1789-1822*, Princeton, 1980.
 Beldeceanu N., *Le Timar dans l'Etat ottoman (début XIV^e - début XVI^e siècle)*, Wiesbaden, 1980.
 Alexandra-Dersca M.-M., *La campagne de Timur en Anatolie (1402)*, Londres, 1982.
 Braude R. et Lewis B. (eds), *Christians and Jews in the Ottoman Empire*, 2 vol., New York-Londres, 1982.
 Kunt I.M., *The Sultan's Servants. The Transformation of Ottoman Provincial Government, 1550-1650*, New York, 1983.
 Repp R.C., *The Mufti of Istanbul*, Londres, 1986.
 Baqued-Grammont F. L., *Les Ottomans, les Safavides et leurs voisins. Contribution à l'étude des relations internationales dans le Moyen-Orient de 1514 à 1524*, Istanbul, 1987.
 Mantran R. (éd.), *Histoire de l'Empire ottoman*, Paris, 1987.
 Weinstein G. (éd.), *Soliman le Magnifique et son temps*, Paris, 1992.

B. Proche-Orient arabe à l'époque ottomane

- Shaw S.J., *The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt, 1517-1798*, Princeton, 1962.
 Holt P.M., *Egypt and the Fertile Crescent, 1516-1922*, Ithaca, 1966.
 Chevallier D., *La société du Mont Liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe*, Paris, 1971.
 Cohen A., *Palestine in the 19th Century. Patterns of Government and Administration*, Jérusalem, 1973.
L'Égypte au XIX^e siècle, Paris, 1982.
 Abdel Nour A., *Introduction à l'histoire urbaine de la Syrie ottomane (XVI^e-XVIII^e siècles)*, Beyrouth, 1982.
 Marsot L.A.S., *Egypt in the Reign of Muhammad 'Ali*, Cambridge, 1983.
 Hunter F.R., *Egypt under the Khedives, 1805-1879*, Pittsburgh, 1984.

Marcus A., *The Middle East on the Eve of Modernity. Aleppo in the Eighteenth Century*, New York, 1989.
Toledano E.R., *State and Society in Mid-Nineteenth Century Egypt*, Cambridge, 1990.

C. Maghreb

Massignon L., *Le Maroc dans les premières années du XVI^e siècle*, Paris, 1906.
Cour A., *La dynastie marocaine des Beni Ouatnas*, Constantine, 1920.
Lévi-Provençal E., *Les historiens des Chérifs*, Paris, 1922.
Le Tourneau R., *Les débuts de la dynastie sa'dienne*, Alger, 1954.
Ricard R., *Mazagan et le Maroc sous le règne du sultan Moulay Zidan (1608-1627)*, Paris, 1956.
— *Études sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Paris, 1956.
Miège J.L., *Le Maroc et l'Europe (1838-1894)*, 4 vol., Paris, 1961-1963.
Juhén Ch.-A., *Histoire de l'Algérie contemporaine*, t. I (1827-1871), Paris, 1964, 2^e éd. 1979.
Valensi L., *Le Maghreb avant la prise d'Alger (1790-1830)*, Paris, 1969.
La Véronne Ch. de, *Vie de Moulay Isma'il, roi de Fès et du Maroc d'après Joseph de Léon (1708-1728)*, Paris, 1974.
Brown L.C., *The Tunisia of Ahmad Bey 1837-1855*, Princeton, 1974.
Krieken G.S. van, *Kheyr al-Din et la Tunisie (1850-1881)*, Leyde, 1976.
Cherif M.H., *Pouvoir et société dans la Tunisie de H'usayn Bin 'Ali (1705-1740)*, 2 vol., Tunis, 1984-1986.
Laurens H., *Le royaume impossible. La France et la genèse du monde arabe*, Paris, 1990.

D. Afrique noire

Trimingham J.S., *Islam in the Sudan*, Oxford, 1949.
— *Islam in Ethiopia*, Oxford, 1952, rééd. 1965.
Holt P.M., *The Mahdist State of the Sudan, 1881-1898*, Oxford, 1958.
Trimingham J.S., *Islam in West Africa*, Oxford, 1959.
Freeman-Grenville G.S.P., *Medieval History of the Coast of Tanganyika*, Oxford, 1962.
Gray J.M., *History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856*, Oxford, 1962.
Trimingham J.S., *A History of Islam in West Africa*, Londres, 1963.
— *Islam in East Africa*, Oxford, 1964.
Fadl Hasan Y., *The Arabs and the Sudan*, Edimbourg, 1967.
Trimingham J.S., *The Influence of Islam upon Africa*, Londres, 1968.
Fisher A.C. et Fisher H.J., *Slavery and Muslim Society in Africa*, Londres, 1970.
Triand J.-L., *Islam et sociétés soudanaises au Moyen Âge*, Paris, 1973.
Cissoko S.M., *Tombouctou et l'Empire Songhay. Épanouissement du Soudan nigérien aux XV^e-XVI^e siècles*, Dakar, 1975.
Ly-Tall M., *L'empire du Mali*, Dakar, 1977.
Smaldone J.P., *Warfare in the Sokoto Caliphate : Historical and Sociological Perspectives*, Londres, 1977.
Zouber M.A., *Ahmad Bâhâ de Tombouctou (1556-1627). Sa vie et son œuvre*, Paris, 1977.
The Cambridge History of Africa, vol. III, Cambridge, 1977.
Holt P.M. et Daly M.W., *History of the Sudan from the Coming of Islam to the Present Day*, 3^e éd., Londres, 1979.
Cuq J., *L'islam en Éthiopie des origines au XVI^e siècle*, Paris, 1981.
Jacques-Meunier Dj., *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.
Cuq J., *Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest*, Paris, 1984.
Robinson D., *The Holy War of Umar Tall. The Western Sudan in the Mid-Nineteenth Century*, Oxford, 1985.
Cuq J., *Islamisation de la Nubie chrétienne, VII^e-XVI^e siècles*, Paris, 1986.
Norris H.T., *The Arab Conquest of the Western Sahara*, Beyrouth, 1986.
Sulaiman I., *A Revolution of History. The Jihad of Usman Dan Fodio*, Londres, 1986.
The Islamic State and the Challenge of History: Ideals, Policies and Operation of the Sokoto Caliphate, Londres, 1987.

E. Iran et Asie centrale

(voir aussi II F 2 : Imamatisme duodécimain)

Browne E.G., *The Persian Revolution of 1905-1909*, Cambridge, 1910.
Hinz W., *Irans Aufstieg zum Nationalstaat im fünfzehnten Jahrhundert*, Berlin, 1936.
Lockhart L., *Nadir Shah*, Londres, 1938.
Lambton A.K.S., *Quis custodiet custodes ? Some reflections on the Persian Theory of Government*, *Studia Islamica*, V, 1956.
Lockhart L., *The Fall of the Safavide Dynasty and the Afghan occupation of Persia*, Cambridge, 1958.
Algar H., *Religion and State in Iran 1758-1906. The Role of the Ulama in the Qajar Period*, Berkeley-Los Angeles, 1969.
Mazzoui M.M., *The Origins of the Safavids, Shi'ism, Sufism and the Qulār*, Wiesbaden, 1972.
Nashat G., *The Origins of Modern Reform in Iran, 1870-1880*, Urbana-Chicago-Londres, 1973.

- Woods J.E., *The Aqqunyly: Clan, Confederation, Empire. A Study in 15th/9th Century Turko-Iranian Politics*, Chicago, 1976.
- Savory R.M., *Iran under the Safavids*, Cambridge, 1980.
- Bosworth C.E. et Hillenbrand C. (eds), *Qajar Iran. Political, Social and Cultural Change 1800-1925*, Edimbourg, 1983.
- The Cambridge History of Iran*, vol. VI, *The Timurid and Safavid Periods*, Cambridge, 1986.
- Hamedani M., *Le Châh et les Qizilbâhs. Le système militaire safavide*, Berlin, 1987.
- Manz B.F., *The Rise and Rule of Tamerlane*, Cambridge, 1989.
- Allworth E.A., *The Modern Uzbeks from the Fourteenth Century to the Present. A Cultural History*, Stanford Univ., 1990.
- Migeod H.G., *Die persische Gesellschaft unter Nasirü'd-Din Shâh (1848-1896)*, Berlin, 1990.

F. Inde et Asie orientale

- Lane-Poole S., *History of India. From the Reign of Akbar the Great to the Fall of the Moghul Empire*, Londres, 1906, rééd. 1975.
- The Cambridge History of India*, vol. IV, Cambridge, 1937.
- Lombard D., *Le sultanat d'Ajeh*, Paris, 1967.
- Hind et Indonésie, dans *Enc. Islam* (2) (par S. Maqbal Ahmad, P. Wheatley et al.).
- Bouchon G., Les musulmans du Kerala à l'époque de la découverte portugaise, dans *Mare Luso-Indicum*, II, Genève-Paris, 1973.
- Schimmel A., *Islam in the Indian Subcontinent*, Leyde, 1980.
- Barnett R.B., *North India Between Empires. Awadh, the Mughols and the British 1720-1801*, Berkeley-Los Angeles, 1980.
- Metcalf B.D., *Islamic Revival in British India : Deoband 1860-1900*, Princeton, 1982.
- Wink A., *Land and Sovereignty in India. Agrarian Society and Politics under the Eighteenth-century Maratha Swarajya*, Cambridge, 1983.
- Leslie D.D., *Islam in Traditional China. A Short History to 1800*, Canberra, 1986.
- Alam M., *The Crisis of Empire in Mughal North India : Awadh and the Punjab*, Delhi, 1987.
- Bouchon G., *L'Asie du Sud à l'époque des grandes découvertes*, Londres, 1987.
- Ahmad A., *An Intellectual History of Islam in India*, Edimbourg, 1989.
- Farooqi N.K., *Mughal-Ottoman Relations. A Study of Political and Diplomatic Relations between Mughal India and the Ottoman Empire, 1556-1748*, Delhi, 1989.
- Steuversand D.E., *The Formation of the Mughal Empire*, Delhi, 1989.
- Mulaise (péninsule), dans *Enc. Islam* (2) (par L.Y. Andaya).

V — HISTOIRE DES ÉTATS ISLAMIQUES À L'ÉPOQUE CONTEMPORAINE

A. Généralités

(voir aussi II 3 : Réformisme sunnite et mouvements contemporains)

- Antonin G., *The Arab Awakening*, Londres, 1938.
- Massignou L., *Annuaire du monde musulman*, 4^e éd. rev. par V. Monteil, Paris, 1954.
- Zeine Z.N., *Arab-Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism*, Beyrouth, 1958.
- Gabrieli F., *The Arab Revival*, Londres, 1961.
- Hourani A., *Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939*, Cambridge, 1962, rééd. 1983.
- Smith W.C., *L'Islam dans le monde moderne*, trad. fr., Paris, 1962.
- Hanna S.A. et Gardner G.H., *Arab Socialism*, Leyde, 1969.
- Ule W., *Der arabische Sozialismus und der zeitgenössische Islam*, Opladen, 1969.
- Colombe M., *Orient arabe et non-engagement*, Paris, 1977.
- Yazbeck-Haddad Y., *Contemporary Islam and the Challenge of History*, Albany, 1982.
- Rondot Ph., *Le Proche-Orient à la recherche de la paix, 1979-1982*, Paris, 1982.
- Chabry L. et A., *Politiques et minorités au Proche-Orient*, Paris, 1984.
- Delval R., *A Map of the Muslims in the World. Explanatory Summary with Statistic Tables*, Leyde, 1984.
- Balta P., *L'Islam dans le monde*, Paris, 1986.
- Djalili M.R., *Diplomatie islamique. Stratégie internationale du Khomeynisme*, Paris, 1989.
- Schulze R., *Islamischer Internationalismus im 20. Jahrhundert, Untersuchungen zur Geschichte der islamischen Weltliga*, Leyde, 1990.
- Landau J.M., *The Politics of Pan-Islam. Ideology and Organization*, Oxford, 1990.
- Laurens H., *Le grand jeu. Orient arabe et rivalités internationales*, Paris, 1990.
- Flory M. (éd.), *Les régimes politiques arabes*, Paris, 1990.

- Inde W. et Steinbach U., *Der Islam in der Gegenwart*, Munich, 1991.
 Planhol X. de, *Les nations du Prophète*, Paris, 1992.
 Carré O., *Le nationalisme arabe*, Paris, 1993.

B. Turquie

- Mantran R., *Histoire de la Turquie*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1952.
 Benoist-Méchin J., *Mustapha Kemal*, Paris, 1964.
 Lewis B., *The Emergence of Modern Turkey*, Oxford, 1961, trad. fr. *Islam et laïcité. La naissance de la Turquie moderne*, Paris, 1988.
 Berkes N., *The Development of Secularism in Turkey*, Montréal, 1964.
 Jacob P.X., *L'enseignement religieux dans la Turquie moderne*, Berlin, 1982.
 Jevakhoff A., *Kemal Atatürk*, Paris, 1989.

C. Egypte

- L'Égypte indépendante 1937*, Paris, 1938.
 Tomiche N., *L'Égypte moderne*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1966.
 Barque J., *L'Égypte : impérialisme et révolution*, Paris, 1967.
 Vatikiotis P., *The Modern History of Egypt*, New York, 1969, rééd. 1976 et 1980 sous le titre *The History of Egypt*.
 Lacouture J., *Nasser*, Paris, 1971.
 Deeb M., *Party Politics in Egypt : the Wafd and its Rivals, 1919-1939*, Londres, 1979.
 Smith Ch.D., *Islam and the Search for Social Order in Modern Egypt. A Biography of Mohammad Husayn Haykal*, Albany, 1983.
 Waterbury J., *The Egypt of Nasser and Sadate*, Princeton, 1983.
L'Égypte d'aujourd'hui, Paris, 1988.

D. Proche-Orient arabe

1. Arabie

- Benoist-Méchin J., *Ibn Séoud ou la naissance d'un royaume*, Paris, 1955.
 Tur J.-J., *Les émirats du Golfe arabe*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1976.
 Habib J.S., *Ibn Sa'ud's Warriors of Islam. The Ikhwān of Najd and Their Role in the Creation of the Sa'udi Kingdom, 1910-1930*, Leyde, 1978.
 Bouteillier G. de, *L'Arabie Saoudite : cité de Dieu, cité des affaires, puissances internationales*, Paris, 1981.
 Bonnenfant P. (éd.), *La péninsule Arabique d'aujourd'hui*, Paris, 1982.
 Heard-Bey F., *From Trucial States to United Arab Emirates*, Londres-New York, 1982.
 Chelhod J. (éd.), *L'Arabie du Sud, histoire et civilisation*, 3 vol., Paris, 1984.
 Daum W., *Yemen, 3000 Jahre Kunst und Kultur des glücklichen Arabien*, Innsbruck, 1987.
 Zorgbibe Ch., *Géopolitique et histoire du Golfe*, Paris, 1991.
 Slot B.J., *The Origins of Kuwait*, Leyde, 1991.

2. Jordanie

- Gaichon A.-M., *Jordanie réelle*, 2 vol., Paris, 1967-1972.
 Rondot Ph., *La Jordanie*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1980.
 Salibi K.S., *A Modern History of Jordan*, Londres, 1993.

3. Liban

- Salibi K.S., *The Modern History of Lebanon*, Londres, 1965.
 Picautou N., *La déchirure libanaise*, Bruxelles, 1989.
 Corm G., *Liban, les guerres de l'Europe et l'Orient, 1840-1992*, Paris, 1992.
 Hourani A. et Shehadi N., *The Lebanese in the World. A Century of Emigration*, Londres, 1992.

4. Syrie

- Devlin J.F., *The Ba'ih Party. A History from its Origins to 1966*, Stanford, 1976.
 Rondot Ph., *La Syrie*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1978.
 Dam N. van, *The Struggle for Power in Syria. Sectarianism, Regionalism and Tribalism in Politics, 1961-1980*, Londres, 1980.
 Raymond A. (éd.), *La Syrie d'aujourd'hui*, Paris, 1980.
 Roberts D., *The Ba'ih and the creation of modern Syria*, Londres, 1987.
 Kienle E., *Ba'ih versus Ba'ih. The Conflict between Syria and Iraq*, Londres, 1990.

5. Irak

Rondot Ph., *L'Irak*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1979.

Saint-Prot Ch., *Saddam Hussein*, Paris, 1988.

Luizard P.-J., *La formation de l'Irak contemporain. Le rôle politique des ulémas chiites à la fin de la domination ottomane et au moment de la création de l'État*, Paris, 1991.

E. Maghreb

1. Généralités

Le Tourneau R., *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920-1961*, Paris, 1962.

Laroui A., *L'histoire du Maghreb. Un essai de synthèse*, Paris, 1970.

Balta P., *Le grand Maghreb. Des indépendances à l'an 2000*, Paris, 1990.

Ganiage J., *Histoire du Maghreb contemporain*, Paris, 1993.

2. Libye

Flory M. (éd.), *La Libye nouvelle. rupture et continuité*, Paris, 1975.

Laroui A., *La Libye, 1835-1990. Essai de géopolitique historique*, Paris, 1991.

Burgat F. et Laronde A., *La Libye*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1996.

3. Tunisie

Raymond A. et Poncet J., *La Tunisie*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1977.

Carnau M., *La Tunisie*, Paris, 1989.

4. Algérie

Charney J.-P., *La vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence de la première moitié du XX^e siècle*, Paris, 1965, rééd. 1991 (avec annexe sur la situation récente).

Ageron Ch.-R., *Histoire de l'Algérie contemporaine*, t. 2 (1871-1954), Paris, 1979.

Dehouvels L.W., *Islam et pensée contemporaine en Algérie. La revue « Al-Asala », 1971-1981*, Paris, 1991.

5. Maroc

Miège J.-L., *Le Maroc*, coll. « Que sais-je ? », Paris, 1950.

Lacouture S. et J., *Le Maroc à l'épreuve*, Paris, 1958.

Laroui A., *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain*, Paris, 1977.

Eickelman D.F., *Knowledge and Power in Morocco*, Princeton, 1985.

F. Afrique noire

Monteil V., *L'Islam noir*, Paris, 1964.

Abdel-Rahim M., *Imperialism and Nationalism in the Sudan : a Study in Constitutional and Political Development, 1899-1956*, Londres, 1969.

Frolich J.-C., *Les Musulmans d'Afrique noire*, Paris, 1972.

Harrison C., *France and Islam in West Africa, 1860-1960*, Cambridge, 1988.

Lavergne M., *Le Soudan contemporain. De l'invasion turco-égyptienne à la rébellion africaine, 1821-1989*, Paris, 1989.

G. Iran

(voir aussi II F 2 : Imamisme duodécimain)

Hairi A., *Shi'ism and Constitutionalism in Iran. A Study of the Role Played by the Persian Residents of Iraq in Iranian Politics*, Leyde, 1977.

Akhavi S., *Religion and Politics in Contemporary Iran : Clergy-State Relations in the Pahlavi Period*, Albany, 1980.

Ezzati A.F., *The Revolutionary Islam and the Islamic Revolution*, Téhéran, 1981.

Keddie N.R., *Roots of Revolution*, Yale, 1981.

Keddie N.R. et Houglund E. (eds), *The Iranian Revolution and the Islamic Republic*, Ann Arbor, 1982.

Abrahamian E., *Iran Between Two Revolutions*, Princeton, 1982.

Algar H., *The Roots of Islamic Revolution*, Londres, 1983.

Keddie N.R. (éd.), *Religion and Politics in Iran. Shi'ism from Quietism to Revolution*, New Haven-Londres, 1983.

Benard Ch. et Halilzad Z., « The Government of God », *Iran's Islamic Republic*, New York, 1984.

Bashiriyyeh H., *The State and Revolution in Iran 1962-1982*, Londres, 1984.

Arjomand S.A., *From Nationalism to Revolutionary Islam*, Londres, 1984.

H. Océan Indien, Pakistan, Inde et Indonésie

- Gassita R.N., L'islam à l'île Maurice, *Revue du monde musulman*, XXI, 1912.
 Benedict B., *Mauritius. the Problems of a Plural Society*, Londres, 1965.
 Hamid A., *Muslim Separatism in India. A Brief Survey 1858-1947*, Lahore, 1967.
 Testa Fr. de, *Le Pakistan*, Paris, 1968.
 Ahmad A. et Grunebaum G.E. von, *Muslim Self-Statement in India and Pakistan, 1857-1968*, Wiesbaden, 1970.
 Monteil V., *Indonésie*, Paris, 1970 et 1972.
 Korsna J.H. (ed.), *Contemporary Problems of Pakistan*, Leyde, 1974.
 L'islam en Indonésie, *Archipel*, n° 29 et 30.
 Riklefs M.B., *A History of Modern Indonesia*, Londres, 1981.
 Boland B.J., *The Struggle of Islam in Modern Indonesia*, La Haye, 1982.
 Andaya B.W. et L.Y., *A History of Malaysia*, Londres, 1982.
 Forbes A.D.W. (ed.), *The Muslims of Thailand*, vol. I, 1988.
 Loyre-de-Hautecloque Gh., *A la recherche de l'islam philippin. La communauté maranao*, Paris, 1989.
 Lombard D., *Le carrefour javanais. Essai d'histoire globale*, 3 vol., Paris, 1990.
 Bowen J.R., *Muslims through Discourse. Religion and Ritual in Gavo Society*, Princeton, 1993.
 Steenbrink K., *Dutch Colonialism and Indonesian Islam. Contacts and Conflicts 1596-1950*, Amsterdam, 1993.
 Schubel V.J., *Religious Performance in Contemporary Islam. Shi'i Devotional Rituals in South Asia*, Columbia, 1993.

I. Divers (Europe, Amérique)

- Lincoln C.E., *Black Muslims in America*, Boston, 1973.
 Popovic A., *L'islam balkanique. Les musulmans du Sud-Est européen dans la période post-ottomane*, Berlin, 1986.
 Delval R., *Les musulmans en Amérique latine et aux Caraïbes*, Paris, 1992.
 Nielsen J.S., *Muslims in Western Europe*, Edimbourg, 1992.

VI — SOCIÉTÉ ET ÉCONOMIE

A. Etudes générales

1. Histoire sociale

(voir aussi II D 4 : Statut personnel)

- Colebrooke V.T.E., On the Proper Names of the Mohammedans, *Journal of the Royal Asiatic Society*, 1879.
 Lane E.W., *An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians*, Londres, 1895, rééd. 1986.
 Levy R., *The Social Structure of Islam*, Cambridge, 1951.
 Canard M., Quelques aspects de la vie sociale en Syrie et Jazira au x^e siècle, *Arabic and Islamic Studies*, Leyde, 1965.
 Guichard P., Structures sociales « orientales » et « occidentales » dans l'Espagne musulmane, Paris-La Haye, 1977.
 Bullett R.W., *Conversion to Islam in the medieval period*, Cambridge, 1979.
 Levtzion N. (ed.), *Conversion to Islam*, New York, 1979.
 Gellner E., *Muslim Society. A Sociological Interpretation*, Cambridge, 1981.
 Udovitch A.I. (ed.), *The Islamic Middle-East 700-1900. Studies in Economic and Social History*, Princeton, 1981.
 Baer G., *Fellah and Townsman in the Middle East*, Londres, 1982.
 Lewis B., *Race et couleur en pays d'Islam*, trad. fr., Paris, 1982.
 Lapidus I.M., *A History of Islamic Societies*, Cambridge, 1988.
 Renaut F., *La traite des Noirs au Proche-Orient médiéval, VI-XIV siècles*, Paris, 1989.
 Schimmel A., *Islamic Names*, Edimbourg, 1990 ; trad. fr., Paris, 1996.
 Sublet J., *La voile du nom. Essai sur le nom propre arabe*, Paris, 1991.

2. Histoire économique et commerce

(voir aussi II D 6 : Ethique économique et fiscalité)

- Heyd W., *Histoire du commerce du Levant au Moyen Age*, trad. fr., Leipzig, 1885, rééd. 1969.
 Schaube A., *Handelsgeschichte romanischen Völker des Mittelmeergebietes bis zur Ende der Kreuzzüge*, Munich, 1906.
 Lombard M., L'or musulman au Moyen Age, *Annales, E.S.C.*, 1947.
 Sauvaget J., *Relation de la Chine et de l'Inde*, Paris, 1948.
 Lewis A.R., *Naval power and Trade in the Mediterranean (1500-1100)*, Princeton, 1951.

- Hourani G.F., *Arab Seafaring in the Indian Ocean*, Beyrouth, 1963.
- Meglio R.R. Di, Il commercio arabo con la China della Gāhiliyya al X secolo. *Annali (Napoli)*, XIV, 1964.
- Labib Y., *Handelsgeschichte Aegyptens im Spätmittelalter*, Wiesbaden, 1965.
- Dufourcq Ch.-E., *L'Espagne catalane et le Maghreb aux XII et XIV siècles*, Paris, 1966.
- Ashor E., *Histoire des prix et des salaires dans l'Orient médiéval*, Paris, 1969.
- Cook M.A. (ed.), *Studies in the Economic History of the Middle East*, Londres, 1970.
- Richards D.S. (ed.), *Islam and the Trade of Asia*, Oxford, 1970.
- Ashor E., *A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages*, Londres, 1976.
- Wirtschaftsgeschichte des vorderen Orients in islamischer Zeit, Teil I, Handbuch der Orientalistik*, Leyde, 1977.
- Cahen C., *Mukh-ūmiyyāt. Études sur l'histoire économique et financière de l'Égypte médiévale*, Leyde, 1977.
- Karimi, dans *Enc. Islam* (2) (par S. Labib).
- Lomhard M., *Les textiles dans le monde musulman*, Paris-La Haye, 1978.
- Duri A., *Arabische Wirtschaftsgeschichte*, Zurich, 1979.
- The Cambridge Economic History of India*, vol. I, Cambridge, 1980.
- Afāwīh, dans *Enc. Islam* (2) Supplément (par A. Dietrich).
- Ashor E., *Levant Trade in the Later Middle Ages*, Princeton, 1983.
- East-West Trade in the Medieval Mediterranean*, Londres, 1986.
- Lubān, dans *Enc. Islam* (2) (par A. Dietrich).
- Hausig H.W., *Die Geschichte Zentralasiens und der Seidenstrasse in islamischer Zeit*, Darmstadt, 1988.
- Rādhāniyya, dans *Enc. Islam* (2) (par Ch. Pellat).

B. Les villes

1. Études générales

- Planhol X. de, *Le Monde islamique*, Paris, 1957.
- Cahen C., Mouvements populaires et autonomisme urbain dans l'Asie musulmane au Moyen Âge, *Arabica*, V, 1958 et VI, 1959.
- Lapidus I.M., *Muslim Cities in the later Middle Ages*, Cambridge (Mass.), 1967.
- Hourani A.H. et Stern S.M. (eds), *The Islamic City*, Oxford, 1970.
- Serjeant R.B. (ed.), *The Islamic City*, Cambridge, 1976.
- Boudhiba A. et Chevalier D. (éds), *La ville arabe dans l'islam*, Tunis, 1982.
- Raymond A., *Grandes villes arabes à l'époque ottomane*, Paris, 1985.
- Wirth E., Zur Konzeption der islamischen Stadt, *Die Welt des Islams*, XXXI-1, 1991.
- Esquisse d'une conception de la ville islamique, *Géographie et Culture*, 5, 1993.

2. Études de villes

(voir aussi VII B 1 à 9 : Art et archéologie, Études régionales)

a. Péninsule ibérique et Maghreb

- Mercier H., *La civilisation urbaine au Mzab*, Paris, 1922.
- Le Tourneau R., *Fès avant le protectorat*, Casablanca, 1949.
- Torres Balbás L., *Ciudades hispanomusulmanas*, Madrid, s.d.
- *Ciudades yermas hispanomusulmanas*, Madrid, 1957.
- Bosch Vila J., *La Sevilla islamica 712-1248*, 2^e éd., Séville, 1988.
- Caillé J., *La ville de Rabat jusqu'au Protectorat français*, 3 vol., Paris, 1949.
- Deverdun G., *Marrakech des origines à 1912*, 2 vol., Rabat, 1959.
- Lazine A., *Mahdia*, Paris, 1965.
- Daoulatti A., *Tunis sous les Hafssides. Evolution urbaine et activité architecturale*, Tunis, 1976.
- Barrucand M., *Urbanisme princier en Islam, Meknès et les villes royales islamiques post-médiévales*, Paris, 1985.
- Revalet J. et al., *Palais et demeures de Fès*, 3 vol., Paris, 1985, 1989, 1992.
- Hassas-Benslimane J., *Le passé de la ville de Salé dans tous ses états*, Paris, 1992.
- Fertat H., *Sabta des origines au XIV siècle*, Rabat, 1993.

b. Proche-Orient arabe

- Le Strange G., *Baghdad during the Abbasid Caliphate*, Oxford, 1924.
- Sauvaget J., Esquisse d'une histoire de la ville de Damas, *Rev. Études islamiques*, VIII, 1934.
- *Alep*, 2 vol., Paris, 1941.
- Herzfeld E., *Geschichte der Stadt Samarra*, Hambourg, 1948.
- Baghdad*, dans *Enc. Islam* (2) (par A.A. Duri).
- Bagdad*, volume spécial d'*Arabica*, 1962.

- Ziade N.A., *Damascus under the Mamluks*, Norman, 1964.
 Dimashq, dans *Enc. Islam* (2) (par N. Elisséeff).
 Lassner J., *The Topography of Baghdad in the Early Middle Ages*, Detroit, 1970.
 Halab, dans *Enc. Islam* (2) (par J. Sauvaget).
 Abulughod J.L., *Cairo*, Princeton, 1971.
 Garcin J.-Cl., *Un centre musulman de la Haute-Egypte médiévale, Qūs*, Le Caire, 1976.
 Staffa S., *Conquest and fusion. The Social Evolution of Cairo*, Leyde, 1977.
 al-Kāhira, dans *Enc. Islam* (2) (par J.-M. Rogers et J. Jomier).
 Hanna N., *An Urban History of Bulaq in the Mamluk and Ottoman Periods*, Le Caire, 1983.
 Gaube H. et Wirth E., *Aleppo*, Wiesbaden, 1984.
 Peters F.E., *Jerusalem. The holy city in the eyes of chroniclers, visitors, pilgrims and prophets from the days of Abraham to the beginnings of modern times*, Princeton, 1985.
 Djait H., *Al-Kūfa, naissance de la ville islamique*, Paris, 1986.
 Kubiak W.B., *Al-Fustat. Its foundation and early urban development*, Le Caire, 1987.
 Sack D., *Damaskus. Entwicklung und Struktur einer orientalistisch-islamischen Stadt*, Mayenne, 1989.
 Kopp H. et Wirth E., *Beiträge zur Stadtgeographie von Samarra*, Wiesbaden, 1990.
 Denoix S., *Décir le Caire. Fustat-Misr d'après Ibn Duqmaq et Maqrizi*, Le Caire, 1992.
 Mackenzie N., *Ayyubid Cairo. Topographical study*, Le Caire, 1992.
 Müller-Wiener M., *Eine Stadtgeschichte Alexandrias von 564/1169 bis in die Mitte des 9./15. Jahrhunderts*, Berlin, 1992.
 Raymond A., *Le Caire*, Paris, 1993.

c. Turquie et Empire ottoman

- Manuran R., *Istanbul dans la seconde moitié du xiv^e siècle*, Paris, 1962.
 Todorov N. (éd.), *La ville balkanique, xv-xix siècles*, Sofia, 1970.
 Beldiceanu N., *Recherche sur la ville ottomane au xv^e siècle. Etudes et actes*, Paris, 1973.
 Kreiser K., *Edirne im 17. Jahrhundert nach Evliya Çelebi. Ein Beitrag zur Kenntnis der osmanischen Stadt*, Fribourg, 1975.
 Müller-Wiener W., *Bildlexikon zur Topographie Istanbuls*, Tübingen, 1977.
 Istanbul, dans *Enc. Islam* (2) (par H. Inalcik).
 Faruqi S., *Towns and Townsmen of Ottoman Anatolia*, Ankara, 1981.
 Çelik Z., *The Remaking of Istanbul. Portrait of an Ottoman City in the Nineteenth Century*, Seattle et Londres, 1986.
 Lewis B., *Istanbul et la civilisation ottomane*, Paris, 1990.
 Panzac D. (éd.), *Les villes dans l'Empire ottoman : activités et sociétés*, I, Marseille, 1991.

d. Iran et Asie centrale

- Frye R.N., *Bukharā, the medieval achievement*, Norman, 1965.
Studies on Isfahan, 2 vol., *Iranian Studies*, VII, 1974.
 Isfahan, dans *Enc. Islam* (2) (par A.K.S. Lambton et J. Sourdel-Thomine).
 Gaube H., *Iranian Cities*, New York, 1979.
 Allen T., *Timurid Herat*, Wiesbaden, 1983.

e. Inde

- Dikht, dans *Enc. Islam* (2) (par J. Burton-Page).
 Nābi Khan A., *Al-Mansurāh, a Forgotten Arab Metropolis in Pakistan*, Karachi, 1990.
 Blake S.P., *Shayāhanābad : The Sovereign City in Mughal India, 1639-1739*, Cambridge, 1991.
 Michell G. et Eaton R., *Firuzabad. Palace City of the Deccan*, Oxford, 1992.

C. Vie palatine

- Nizam al-mulk, *Traité de gouvernement*, trad. fr. Ch. Schefer, Paris, 1893, rééd. 1984.
 Richter G., *Studien zur Geschichte der älteren Fürstenspiegel*, Leipzig, 1932.
 Penzer N., *The Harem*, Londres, 1936, rééd. 1965.
 Canard M., *Le cérémonial fatimide et le cérémonial byzantin. Essai de comparaison*, *Byzantion*, XXI, 1953.
 Sourdel D., *Questions de cérémonial abbāside*, *Rev. Etudes islamiques*, 1960.
 Sourdel-Thomine J., *Les conseils du shaykh al-Harawī à un prince ayyūbide*, *Bull. d'Etudes orientales*, XVII, 1961-1962.
 Chejne A.G., *The Buḥārī-Companion in Early Abbasid Times*, *Journal of the American Oriental Society*, 1965.
 Ghulām et Ḥādīb, dans *Enc. Islam* (2) (par D. Sourdel et al.).
 Necipoğlu G., *Architecture. Ceremonial and Power. The Topkapı Palace in the Fifteenth and Sixteenth Centuries*, New York-Cambridge (Mass.), 1991.

D. Vie religieuse et intellectuelle

(voir aussi II D 8 : Organisation gouvernementale et II G 3 : Confréries)

- Dār al-hikma, Dār al-'ilm*, dans *Enc. Islam* (2) (par D. Sourdel).
- Eche Y., *Les bibliothèques arabes... au Moyen Age*, Damas, 1967.
- Bulliet R.W., *The Patricians of Nishapur. A Study in Medieval Islamic History*, Cambridge (Mass.), 1972.
- Keddie N.R. (ed.), *Scholars, Saints and Sufis, Muslim Religious Institutions in the Middle East since 1500*, Berkeley, 1972.
- Havemann A., *Ri'āsa und qadā' : Institutionen als Ausdruck wechselnder Kraftverhältnisse in syrischen Städten vom 10- bis zur 12- Jahrhundert*, Fribourg-en-B., 1975.
- Sourdel D., Réflexions sur la diffusion de la madrasa en Orient du IX^e au XIII^e siècle, *Rev. Etudes islamiques*, XLIV, 1976.
- Sourdel-Thomine J., Locaux d'enseignement et madrasas dans l'Islam médiéval, *Rev. Etudes islamiques*, XLIV, 1976.
- Green A.H., *The Tunisian Ulama 1873-1915*, Leyde, 1978.
- Urvoy D., *Le monde des ulémas andalous du IX^e au VII^e/XIII^e siècle*, Genève, 1978.
- Gilbert J.E., Institutionalization of Muslim Scholarship and Professionalization of the 'ulamā' in Medieval Damascus, *Studia islamica*, LII, 1980.
- Petry C.F., *The Civilian Elite of Cairo in the later Middle Ages*, Princeton, 1981.
- Makdisi G., *The Rise of Colleges. Institutions of Learning in Islam and in the West*, Edimbourg, 1982.
- Sa'ad E.N., *A Social History of Timbuktu : the Role of Muslim Scholars and Notables, 1400-1900*, Cambridge, 1983.
- Madrasa, dans *Enc. Islam* (2) (par G. Makdisi).
- Masjd, dans *Enc. Islam* (2) (par Pedersen et al.).
- Berkey J., *The Transmission of Knowledge in Medieval Cairo. A Social History of Islamic Education*, Princeton, 1992.
- Sourdel-Thomine J., *Les civils et l'administration dans l'Etat militaire mamluk (IX/XV siècle)*, Damas, 1992.
- Elboudran H. (éd.), *Modes de transmission de la culture religieuse en Islam*, Le Caire, 1993.

E. Armée et milieux militaires

(voir aussi III J : Les Mamlouks)

- Fries N., *Das Heerwesen der Araber zur Zeit der Omajyaden*, Tübingen, 1921.
- Huuri K., *Zur Geschichte des mittelalterlichen Geschützwesens aus orientalischen Quellen*, Leipzig, 1941.
- Eickhoff E., *Seerrieg und Seepolitik zwischen Islam und Abendland (650-1040)*, Sarrebruck, 1954.
- Djaysh, dans *Enc. Islam* (2) (par C. Cahen) et *Djund* (par D. Sourdel).
- War, *Technology and Society in the Middle East*, Londres, 1975.
- Crone P., *Slaves on Horses. The Evolution of the Islamic Polity*, Cambridge, 1980.
- Pipes D., *Slave Soldiers and Islam, the Genesis of a Military System*, Yale, 1981.

F. Artisans et marchés**1. Artisans**

- Description de l'Egypte*, Paris, 1821-1829.
- Sergeant R.B., Material for a History of Islamic Textiles up to the Mongol Conquest, *Ars islamica*, IX, X, XI et XIII-XIV, 1941-1948.
- Mayer L.A., *Islamic Architects*, Genève, 1956.
- *Islamic Astrologists*, Genève, 1956.
- *Islamic Woodcarvers*, Genève, 1958.
- *Islamic Metalworkers*, Genève, 1959.
- *Islamic Armourers*, Genève, 1962.
- Wiet G., Le monde musulman (VII-XIII siècle), *Histoire générale des techniques. I. Les Origines de la civilisation technique*, Paris, 1962.
- Wulf H., *The Traditional crafts of Persia*, Cambridge (Mass.), 1966.
- Raymond A., *Artisans et commerçants au Caire au XVII^e siècle*, 2 vol., Damas, 1973-1974.
- Sourdel-Thomine J., Libertés et liberté de l'artiste dans le monde islamique médiéval, *La notion de liberté au Moyen Age*, Paris, 1985.

2. Corps de métiers

- Baer G., *Egyptian Guilds in Modern Times*, Jérusalem, 1964.
- Baer G., The Administrative, Economic and Social Functions of Turkish Guilds, *International Journal of Middle East Studies*, 1, 1970.
- Cahen C., Y a-t-il eu des corporations professionnelles dans le monde musulman classique ?, *The Islamic City*, A.H. Hourani et S.M. Stern (eds), 1970.

- Stern S.M., *The Constitution of the Islamic City, The Islamic City*, 1970.
 Taeschner F., *Zünfte und Bruderschaften im Islam*, Zurich-Munich, 1979.
 Keyvani M., *Artisans and Guild Life in the later Safavid Period*, Berlin, 1982.

J. Marchés

- Wirth E., *Zum Problem des Bazars, Der Islam*, 1974-1975.
 Al-Genabi H.K.N., *Der Suq (Bazar) von Bagdad*, Erlangen, 1976.
 Gaube H. et Wirth E., *Der Bazar von Isfahan*, Wiesbaden, 1978.
 Raymond A. et Wiet G., *Les Marchés du Caire*, Le Caire, 1979.
 Scharabi M., *Der Bazar*, Tübingen, 1985.

G. Paysans et agriculture

1. Agriculture

- Weulersse J., *Paysans de Syrie et du Proche-Orient*, Paris, 1946.
 Lambton A.K.S., *Landlord and Peasants in Persia*, Oxford, 1953.
 Sourdel-Thomine J., Le peuplement de la région des villes mortes à l'époque ayyoubide, *Arabica*, I, 1954.
 Müller-Wodarg D., Die Landwirtschaft Aegyptens in der frühen Abhassidenzeit, *Der Islam*, XXXI XXXII, 1954-1958.
 Besançon J., *L'homme et le Nil*, Paris, 1957.
 Tchalenko G., *Villages antiques de la Syrie du Nord*, Paris, 1958.
 Canard M., Le riz dans le Proche-Orient aux premiers siècles de l'islam, *Arabica*, VI, 1959.
 Calendrier de Cordoue, rééd. et trad. par Ch. Pellat, Leyde, 1961.
 Bolens L., *Les Méthodes culturales au Moyen Age d'après les traités d'agronomie andalous : traditions et techniques*, Genève, 1974.
 Watson A.M., *Agricultural Innovation in the Early Islamic World : the Diffusion of Crops and Farming Techniques, 700-1100*, Cambridge, 1983.
 Frantz-Murphy G., *The Agrarian Administration of Egypt from the Arabs to the Ottomans*, Le Caire, 1986.

2. Procédés d'irrigation

- Colin G.S., La noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe, *Hesperis*, XIV, 1932.
 Torres Balbas L., Las Norias fluviales en España, *Al-Andalus*, V, 1940.
 Solignac M., Installations hydrauliques de Kairouan et des steppes tunisiennes du VI^e au XI^e siècle, *Ann. Inst. Et. ar.*, X-XI, 1952-1953.
 Mac Adams R., *Land behind Baghdad*, Chicago-Londres, 1965.
 Goblot H., *Les qanats*, Paris, 1979.
 Beaumont P. et al. (eds), *Qanat, Kari, and Khattara : Traditional Water Systems in the Middle East and North-Africa*, 1989.
 Ballard D. (éd.), *Les eaux cachées*, Paris, 1992.

H. Nomades

- Jausen A., *Les coutumes des Arabes au pays de Moab*, Paris, 1908.
 Musil A., *Manners and Customs of the Rwala Bedouins*, New York, 1928.
 Oppenheim M. von, *Die Beduinen*, 5 vol., Leipzig, 1938-1954.
 Caskel W., *Die Bedeutung der Beduinen in der Geschichte der Araber*, Cologne-Opladen, 1953.
 Badw, dans *Enc. Islam* (2) (par G.S. Coon et al.).
 Bulliet R.W., *The Camel and the Wheel*, Cambridge (Mass.), 1975.
 Thesiger W., *Le désert des déserts*, trad. fr., Paris, 1978.
 Sivers P.N., Military Merchants and Nomads : the Social Evolution of the Syrian Cities and Countryside during the Classical Period, *Der Islam*, 56, 1979.

I. Non-musulmans

(voir aussi II D q : Non-musulmans et étrangers)

- Hasluck F.W., *Christianity and Islam under the Sultans*, Oxford, 1929.
 Fischel W.J., *Jews in the Economic and Political Life of Medieval Islam*, Londres, 1937.
 Massignon I., La politique islamico-chrétienne des scribes nestoriens de Deir Qunna à la Cour de Bagdad au IX^e siècle, *Vivre et penser*, II^e série, 1942.
 Goitein S.D., *Jews and Arabs : their Contacts through the Ages*, New York, 1964.
 — *A Mediterranean Society : the Jewish communities of the Arab world*, 5 vol., Berkeley, 1967-1978.

- Stillman N.A., *The Jews of Arab Lands : a History and Source book*, Philadelphia, 1979.
 Lewis B., *The Jews of Islam*, Londres, 1985, trad. fr., Paris, 1986.
 Damasçène (Jean), *Écrits sur l'Islam*, comm. et trad. R. Le Coz, 1992.
 Valognes J.-P., *Vie et mort des chrétiens d'Orient des origines à nos jours*, Paris, 1994.

VII — ART ET ARCHÉOLOGIE

A. Généralités

- Creswell K.A.C., *Early Muslim Architecture*, 2 vol., Oxford, 1932-1940, nouv. éd. revue, 1969.
 Terrasse H., *L'art hispano-mauresque des origines au xii^e siècle*, Paris, 1932.
 Pope A.U. et Ackerman P., *A Survey of Persian Art from Prehistoric Times to the Present*, 7 vol., Londres-New York, 1938-1939 ; rééd. Tokyo, 1977.
 Marçais G., *L'art de l'islam*, Paris, 1946, rééd. 1962.
 Creswell K.A.C., *Muslim Architecture of Egypt*, 2 vol., Oxford, 1952-1959.
 Marçais G., *L'architecture musulmane d'Occident : Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Paris*, 1955.
 Creswell K.A.C., *A Short Account of Early Muslim Architecture*, Londres, 1958 ; éd. revue et augmentée par J.W. Allan, Aldershot, 1990.
 Sourdel-Thomine J., *Islam*, apud *Encyclopédie de la Pléiade, Histoire de l'art, le Monde non chrétien*, Paris, 1961.
 Monneret de Villard U., *Introduzione allo studio dell'archeologia islamica*, Venise-Rome, 1966.
 Otto-Dorn K., *L'art de l'islam*, trad. fr., Paris, 1967.
 Sourdel D. et J., *La civilisation de l'islam classique*, Paris, 1968 et nouv. éd. 1983.
 Sourdel-Thomine J., *Art et société dans le monde de l'islam*, *Rev. Etudes islamiques*, XXXVI, 1968.
 Fann, dans *Enc. Islam* (2) (par J. Sourdel-Thomine).
 Aslanapa O., *Turkish Art and Architecture*, New York, 1971.
 Eitinghausen R., *From Byzantium to Sasanian Iran and the Islamic World*, Leyde, 1972.
 Grabar O., *The Formation of Islamic art*, Newhaven, 1973, trad. fr. *La formation de l'art islamique*, Paris, 1987.
 Spuler B. et Sourdel-Thomine J., *Die Kunst des Islam*, Berlin, 1973.
 Rogers M., *The Spread of Islam*, Oxford, 1976.
 Ecohard M., *Filiation de monuments grecs, byzantins et islamiques*, Paris, 1977.
 Sourdel-Thomine J., *Art et grandeur dynastique dans l'Orient islamique du xii^e siècle*, *Rev. Etudes islamiques*, XLV, 1977.
 Rogers J.M., *Islamic Art and Design, 1500-1700*, Londres, 1983.
 Sourdel-Thomine J., *De l'art de l'islam*, Paris, 1983.
 Eitinghausen R., *Islamic Art and Archaeology, collected Papers*, Berlin, 1984.
 Harle J.C., *The Art and Architecture of the Indian Subcontinent*, Harmondsworth, 1986.
 Eitinghausen R. et Grabar O., *The Art and Architecture of Islam, 650-1250*, Harmondsworth, 1987.
 Welch S.C., *India, Art and Culture 1300-1900*, New York, 1988.
 Lentz T.W. et Lowry G.D., *Timur and the Princely Vision, Persian Art and Culture in the Fifteenth Century*, Los Angeles, 1989.
 Hillenbrand R., *Islamic Architecture*, Edimbourg, 1993.
 Blair S.S. et Bloom J.M., *The Art and Architecture of Islam, 1250-1800*, Yale, 1994.

B. Etudes régionales d'architecture

(voir aussi VI B 2 : Etudes de villes ; VI C : Vie palatine)

1. Péninsule Ibérique

(voir aussi VI B 2 a)

- Torres Balbás L., *Arte Almohade. Arte Nazarí. Arte Mudéjar*, Madrid, 1949.
 Gomez-Moreno M., *El arte árabe español hasta los Almohades, Arte mozárabe*, Madrid, 1951.
 Brisch K., *Die Fenstergitter und verwandte Ornamente der Hauptmoschee von Cordoba. Eine Untersuchung zur spanisch-islamischen Ornamentik*, Berlin, 1966.
 Ewert Chr., *Spanisch-islamische Systeme sich kreuzenden Bögen, I. Cordoba*, Berlin, 1968 ; *III. Die Aljafería in Zaragoza*, Berlin, 1978-1980.
 Pavon Maldonado P., *El arte hispano musulmán en su decoración geométrica*, Madrid, 1975 ; 2^e éd., Madrid, 1989.
 Stern H., *Les mosaïques de la grande mosquée de Cordoue*, Berlin, 1976.
 Ewert Chr., *Hallazgos islámicos en Balazguer y la Aljafería de Zaragoza*, Madrid, 1979.

- Pavon Maldonado P., *El arte hispano-musulmán en su decoración floral*, Madrid, 1981.
 Hernandez Gimenez F., *Madinat al-Zahra*, Grenade, 1985.
 Bazzana A., Cressier P. et Guichard P., *Les châteaux ruraux d'al-Andalus. Histoire et archéologie des husún du Sud-Est de l'Espagne*, Madrid, 1988.
 Barrucand M. et Bednorz A., *L'architecture muise en Andalousie*, Cologne-Berlin, 1992.

2. Maghreb

(voir aussi VI B 2 a)

- Terrasse H., *Kasbas berbères de l'Atlas et des Oasis*, Paris, 1938.
 Meunier J. et Terrasse H., *Recherches archéologiques à Marrakech*, Paris, 1952.
 Lézine A., *Le Ribdi de Sousse*, Tunis, 1956.
 Meunier J. et Terrasse H., *Nouvelles recherches archéologiques à Marrakech*, Paris, 1957.
 Golvin L., *Recherches archéologiques à la Qal'a des Banu Hammad*, Paris, 1965.
 Lézine A., *Architecture de l'Ifrigiya. Recherches sur les monuments aghlabides*, Paris, 1966.
 Revault J., *Palais et demeures de Tunis (XV et XVI siècles)*, Paris, 1967.
 Terrasse H., *La mosquée al-Qaraouiyin à Fès*, Paris, 1968.
 Barrucand M., *L'architecture de la qasba de Moulay Ismail à Meknes*, 2 vol., Casablanca, 1976.
 Ewert Chr. et Wissak J.P., *Forschungen zur almohadischen Moschee. I. Hierarchische Gliederungen westislamischer Betsäle des 8. bis 11. Jahrhunderts, II. Die Moschee von Tinnal*, Mayence, 1981 et 1984.
 Ewert Chr., *Forschungen zur almohadischen Moschee. IV : Die Kapitelle der Kutubiya-Moschee in Marrakech und der Moschee von Tinnal*, Mayence, 1991.

3. Egypte

(voir aussi VI B 2 b)

- Hauteceur L. et Wiet G., *Les mosquées du Caire*, Paris, 1932.
 Brandenburg D., *Islamische Baukunst in Ägypten*, Berlin, 1966.
 Revault J. et Maury B., *Palais et maisons du Caire du XIV au XVIII siècle*, 4 vol., Le Caire, 1975-1983.
 Meineke M., *Die Restaurierung der Madrasa des Amirs Sābiq al-Dīn Miqdād al-Anākī und die Sanierung des Darb Qirmiz in Kairo*, Mayence, 1980.
 Behrens-Abouseif D., *Islamic Architecture in Cairo. An Introduction*, Leyde, 1989.
 Meineke M., *Die mamlukische Architektur in Ägypten und Syrien (646/1250 bis 923/1517)*, 2 vol., Glückstadt, 1990.

4. Syrie, Jordanie, Israël

(voir aussi VI B 2 b)

- Sauvaget J., *La citadelle de Damas*, Syria, XI, 1931.
 — *L'architecture musulmane en Syrie*, *Revue des arts asiatiques*, VIII, 1934.
 — *Remarques sur les monuments omeyyades*, *Journal asiatique*, 1937-1940.
 — *Les ruines omeyyades du Djebel Seis*, Syria, XX, 1938.
 — *Les monuments ayyoubides de Damas*, 3 livraisons, Paris, 1938-1940.
 — *Caravansérails syriens du Moyen Age*, *Ars islamica*, 1939 et 1940.
 Ecochard M. et Le Coeur C., *Les Bains de Damas*, Beyrouth, 1942-1943.
 Hamilton R.W., *Khirbat al-Majfar. An Arabian Mansion in the Jordan Valley*, Oxford, 1959.
 Brisch K., *Le château omeyyade du Djebel Seis*, *Annales archéologiques de Syrie*, 1963.
 Sauvaget J., *Châteaux omeyyades de Syrie*, *Rev. Etudes islamiques*, XXXV, 1967.
 Gaube H., *Ein arabischer Palast in Süd-Syrien Hirbet el Raïda*, Beyrouth, 1974.
 Grabar O. et al., *City in the Desert. Qasr al-hayr East*, Cambridge (Mass.), 1978.
 Almagro Gorbien A., *El Palacio omeya de Amman*, I, *La arquitectura*, Madrid, 1983.
 Schlumberger D., *Qasr el-Heir et Gharbi*, Paris, 1986.
 Burgoyne M.H. et Richards D.J., *Mamluk Jerusalem : an Architectural Study*, Londres, 1987.
 Rosen-Ayalon M., *The Early Islamic Monuments of al-Haram al-Sharif*, Jérusalem, 1989.
 Wallis A.G., *Geometry and Architecture in Islamic Jerusalem. A Study of the Ashrafiyya*, Buckhurst Hill, 1990.
 Sadek M.M., *Die mamlukische Architektur der Stadt Gaza*, Berlin, 1991.

5. Arabie

(voir aussi VI B 2 b)

- Sauvaget J., *La mosquée omeyyade de Médine*, Paris, 1947.
 Al-Rasheed S.A., *Darb Zubaydah. The Pilgrim Road from Kufa to Mecca*, Riyad, 1980.
 Serjeant R.B. et Lewcock (eds), *Sun'a'. An Arabian Islamic City*, Londres, 1983.

6. Irak

(voir aussi VI B 2 b)

- Sarre F. et Herzfeld E., *Archäologische Reise im Euphrat und Tigrisgebiet*, 1911-1920.
 Herzfeld E., *Erster vorläufiger Bericht über die Ausgrabungen von Samarra*, Berlin, 1912.
Excavations at Samarra 1934-1939, Bagdad (Iraq Government Department of Antiquities), 1940.
 Sajar F., *Wasit*, Le Caire, 1945.
 Schmid H., *Die Madrasa der Kalifen al Mustansir in Bagdad*, Mayence, 1980.

7. Turquie

(voir aussi VI B 2 c)

- Gabriel A., *Monuments turcs d'Anatolie*, 2 vol., Paris, 1931-1934.
 — *Voyages archéologiques dans la Turquie orientale*, 2 vol., Paris, 1940.
 Vogt-Göknil U., *Les mosquées turques*, Zurich, 1953.
 Gabriel A., *Une capitale turque*, Brousse, 2 vol., Paris, 1958.
 Erdmann K., *Das Anatolische Karavansaray des 13. Jahrhunderts*, Berlin, 1961.
 Unal R.H., *Les monuments islamiques anciens d'Erzurum*, Paris, 1968.
 Otto-Dorn K. et Onder M., *Bericht über die Grabung in Kobadabad*, 1966, *Archäologischer Anzeiger*, 1969.
 Aslanapa O., *Turkish Art and Architecture*, Londres, 1970.
 Davis F., *The Palace of Topkapı in Istanbul*, New York, 1970.
 Goodwin G., *A History of Ottoman Architecture*, Londres, 1971.
 Crane H., *Risale-i Mi'mariyye. An Early Seventeenth Century Ottoman Treatise on Architecture*, Leyde, 1987.
 Goodwin G., *Sinan. Ottoman Architecture and the Renaissance*, 1992.
 — *Sinan: Ottoman Architecture and its Values Today*, Londres, 1993.

8. Iran, Afghanistan, Asie centrale

(voir aussi VI B 2 d)

- Sarre F., *Denkmäler persischer Baukunst*, Berlin, 1901-1910.
 Dietz E., *Chorasaniische Baudenkmäler*, Berlin, 1918.
 Siroux M., *Caravansérails d'Iran et petites constructions routières*, Le Caire, 1949.
 Sourdelle-Thomine J., *Deux minarets d'époque seljoukide en Afghanistan*, Syria, XXX, 1953.
 Pugachenkova G.A., *Ishrat Khane*, Tachkent, 1958.
 Maricq A. et Wiet G., *Minaret de Djum*, Paris, 1959.
 Wilber D.N., *The Architecture of Islamic Iran: the Ilkhanid Period*, Princeton, 1955; rééd. 1969.
Les monuments historiques de l'Islam en URSS, Tachkent [1962].
 Bombaci A., *The Kūfic inscription in Persian verses in the palace of Mas'ūd III at Ghazni*, Rome, 1966.
 Golombek L., *The Timurid Shrine at Gazur Gah*, Toronto, 1969.
 Siroux M., *Anciennes voies et monuments routiers de la région d'Isfahan*, Le Caire, 1971.
Monuments d'architecture en Asie centrale, Moscou, 1971.
 Knobloch E., *Beyond the Oxus*, Londres-Toronto, 1972.
 Galdieri E., *Isfahan: Masjid-i ġum'a*, 3 vol., Rome, 1972-1973.
 Sourdelle-Thomine J. et Wilber D.N., *Monuments seljoukides de Qazwin en Iran*, Rev. Etudes islamiques, XLII/2, 1973 et XLII/1, 1974.
 Naumann R., *Die Ruinen von Tacht-e Suleiman und Zendan-e Suleiman*, Berlin, 1977.
 Schlumberger D. et Sourdelle-Thomine J., *Lashkari Bazar. Une résidence royale ghaznvide et ghoriide*, 3 vol., Paris, 1977.
 Nemtseva N.B. et Shvab lu Z., *Ansaml' Shakh-i Zinda*, Tachkent, 1979.
 Blair Sh.S., *The Ilkhanid Shrine complex at Natanz, Iran*, Cambridge (Mass.), 1986.
 O' Kane B., *Timurid Architecture in Khurasan*, Costa Mesa, 1987.
 Golombek L. et Wilber D., *The Timurid Architecture of Iran and Turan*, Princeton, 1988.
 Herdick K., *Formal Structure in Islamic Architecture of Iran and Turkistan*, New York, 1990.

9. Inde, Afrique orientale

(voir aussi VI B 2 e)

- Kirkman J.S., *The Arab City of Gedi. Excavations at the Great Mosque*, Oxford, 1954.
 Brown P., *Indian Architecture. The Islamic Period*, Bombay, 1956; 5^e éd., 1968.
 Dani A.H., *Muslim Architecture in Bengal*, Dacca, 1961.
 Garlake P.S., *The Early Islamic Architecture of the East African Coast*, Oxford, 1968.
 Crowe Y., Haywood S. et Jellicoe S., *The Gardens of Mughal India*, Londres, 1972.
 Chittick H.N., *Kilwa. An Islamic Trading City on the East African Coast*, 2 vol., Nairobi, 1974.
 Nath R., *History of Sultanate Architecture*, New Delhi, 1978.

- Merklinger E.S., *Indian Islamic Architecture. The Deccan 1347-1686*, Warminster, 1981.
 Chittick H.N., *Manda. Excavations at an Island Port on the Kenya Coast*, Nairobi, 1984.
 Brand M., *Akbar's India. Art from the Mughal City of Victory*, New York, 1985.
 Mumtaz K.K., *Architecture in Pakistan*, Singapore, 1985.
 Koch E., *Mughal Architecture. An Outline of its History and Development, 1526-1858*, Munich, 1991.
 Asher C.B., *Architecture of Mughal India*, Cambridge, 1992.

C. Types monumentaux

(voir aussi VI C : Vie palatine, VI D : Vie religieuse et intellectuelle,

VI E : Armée et milieux militaires et VI F 3 : Marchés)

- Burdj, dans *Enc. Islam* (2) (par J. Sourdél-Thomine, H. Terrasse et J. Burton-Page).
 Grabar O., *The Early Islamic Commemorative Structures*, *Ars orientalis*, VI, 1966.
 Sourdél-Thomine J., La mosquée et la madrasa, types monumentaux caractéristiques de l'art islamique médiéval, *Cahiers Civ. méd.*, 1970.
 Hammām, dans *Enc. Islam* (2) (par J. Sourdél-Thomine et A. Louis).
 Sourdél-Thomine J., Renouveau et tradition dans l'architecture saljuquide, *Islamic Civilization, 930-1150*, Oxford, 1973.
 Bloom J., *Minaret. Symbol of Islam*, Oxford, 1989.

D. Décors et techniques

(voir aussi VI F : Artisans et marchés)

- Herzfeld E., *Der Wandschmuck der Bauten von Samarra*, Berlin, 1923.
 Kühnel E., *Islamische Kleinkunst*, Berlin, 1925 ; rééd. Braunschweig, 1963.
 Herzfeld E., *Die Malereien von Samarra*, Berlin, 1927.
 Arnold T.W., *Painting in Islam*, Oxford, 1928 ; rééd. New York, 1965.
 Schlumberger D., Deux fresques omeyyades, *Syria*, XXV, 1946.
 Lane A., *Early Islamic Pottery*, Londres, 1947 ; rééd. 1958.
 Wiet G., *Soieries persanes*, Le Caire, 1948.
 Marçais G. et Poinssot L., *Objets kairouanais. IX au XIII siècle*, 2 vol., Tunis, 1948-1952.
 Monneret de Villard U., *Le pitture musulmane al soffito della Capella Palatina in Palermo*, Rome, 1950.
 Lane A., *Later Islamic Pottery*, Londres, 1951.
 Kühnel E. et Bellinger L., *The Textile Museum. Catalogue of dated Tiraz fabrics : Umayyad, Abassid, Fatimid*, Washington, 1952.
 Rice D.S., *The Baptisterie de Saint-Louis*, Paris, 1953.
 Erdmann K., *Der Orientalische Knüpfteppich*, Tübingen, 1955.
 Dimand M.S., *A Handbook of Muhammadan art*, New York, 1958.
 Rice D.S., *The Wade Cup*, Paris, 1959.
 Gray B., *Persian Painting*, Genève, 1961.
 Eitinghausen R., *La peinture arabe*, trad. fr., Genève, 1962.
 Fakhkhār, dans *Enc. Islam* (2) (par G. Marçais).
 Sourdél-Thomine J., L'écriture arabe et son évolution ornementale, *L'écriture et la psychologie des peuples. XXIX semaine de synthèse*, Paris, 1963.
 Sauvaget J., Introduction à l'étude de la céramique musulmane, *Rev. Etudes islamiques*, XXXIII, 1965.
 Grube E.J., *The World of Islam*, Londres, 1966.
 Erdmann K., *Seven Hundred Years of Oriental Carpets*, Berkeley-Los Angeles, 1970.
 Harir, dans *Enc. Islam* (2) (par N. Steensgaard et al.).
 Sourdél-Thomine J., Clefs et serrures de la Ka'ba, *Rev. Etudes islamiques*, XXXIX, 1971.
 Rice D.S., *Islamic Painting*, Edimbourg, 1971.
 Kühnel E., *Die islamischen Elfenbeinskulpturen. VIII-XIII. jh.*, Berlin, 1971.
 Rosenberg M., *Geschichte der Goldschmiedekunst auf technischer Grundlage*, Osnabrück, 1972.
 Rosen-Ayalon M., *La poterie islamique. Ville royale de Suse IV*, Paris, 1974.
 Robinson S.W., *Islamic Painting and the Arts of the Book*, Londres, 1976.
 Onoy G., *Turkish Ceramic Tile Art*, Tokyo, 1976.
 Welch A., *Calligraphy in the Arts of the Muslim World*, Austin (Tx), 1979.
 Ispiroglu M.S., *Chefs-d'œuvre de Topkapı, peintures et miniatures*, trad. fr., Fribourg-en-B., 1980.
 Kalus L., *Catalogue des cachets, bulles et talismans islamiques*, Paris, Bibliothèque nationale, 1981.
 Baer E., *Metalwork in Medieval Islamic Art*, Albany, 1983.
 Grabar O., *The Illustrations of the Magamat*, Chicago-Londres, 1984.
 Schimmel A., *Calligraphy and Islamic Culture*, New York-Londres, 1984.

Ma'din, dans *Enc. Islam* (2) (par E. Ashtor, E. Baer et al.).

Kalus L., *Catalogue of Islamic Seals and Talismans*, Ashmolean Museum, Oxford, 1986.

Brosch N. (ed.), *Jewellery and Goldsmithing in the Islamic World*, Jérusalem, 1991.

E. Sciences auxiliaires de l'histoire

Van Berchem M. et al., *Matériaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum, Egypte, Syrie du Nord, Jérusalem, Asie Mineure*, Le Caire, 1894 à 1922.

Répertoire chronologique d'épigraphie arabe, 18 vol., Le Caire, 1931-1991, et Index géographique des tomes 1 à 16, Le Caire, 1975.

Lévi-Provençal E., *Inscriptions arabes d'Espagne*, Leyde, 1931.

Grohmann A., *Arabic Papyri in the Egyptian Library*, 6 vol., 1934-1959.

Sourdel-Thomine J., *Epitaphes coufiques de Bāb Saghir. Les monuments ayyoubides de Damas*, Paris, 1950.

Hertzfeld E., *Matériaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum, Alep*, Le Caire, 1954-1955.

Hinz W., *Islamische Masse und Gewichte*, Leyde, 1955.

Grohmann A., *Einführung und Chrestomatie zur arabischen Papyruskunde*, Prague, 1955.

Walker J., A unique medal of the Seljuk Tughrikbeg, *Centennial volume of the American Numismatic Society*, 1958.

Sourdel-Thomine J., Quelques étapes et perspectives de l'épigraphie arabe, *Studia Islamica*, XVIII, 1962.

Miles G.C., A portrait of the Buyid prince Rukn al-Dawlah, *The American Numismatic Society, Museum notes*, XI, 1964.

Sourdel D. et Sourdel-Thomine J., Nouveaux documents sur l'histoire religieuse et sociale de Damas au Moyen Age, *Rev. Etudes islamiques*, XXXII, 1964.

— A propos des documents de la Grande-Mosquée de Damas conservés à Istanbul. Résultats de la seconde enquête, *Rev. Etudes islamiques*, XXXIII, 1965.

Grohmann A., *Arabische Chronologie. Arabische Papyruskunde, Handbuch der Orientalistik*, Leyde, 1966.

— *Arabische Paläographie*, Vienne, 1967-1971 (inachevé).

Khaff, dans *Enc. Islam* (2) (par J. Sourdel-Thomine).

Sourdel D. et Sourdel-Thomine J., Dossiers pour un Corpus des inscriptions arabes de Damas, I, *Rev. Etudes islamiques*, XLVII, 1979.

Kalus L. et Gyselen R., *Deux trésors monétaires des premiers temps de l'islam*, Paris, Bibliothèque nationale, 1983.

Déroche F., Les manuscrits du Coran, apud *Catalogue des manuscrits arabes*, 2^e partie, *Manuscrits musulmans*, t. I, 1 et 2, Paris, Bibliothèque nationale, 1983 et 1985.

Wiet G. et al., *Matériaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum, Arabie*, I/1, Le Caire, 1985.

Kitābāt, dans *Enc. Islam* (2) (par J. Sourdel-Thomine).

Chen D. et Kalus L., *Corpus d'inscriptions arabes et persanes en Chine*, I, Paris, 1991.

Blair S.S., *Monumental Inscriptions from Early Iran and Transoxiana*, Leyde, 1992.

مؤلفات دومنيك وجانين سورديل

DOMINIQUE SOURDEL

Ouvrages

- L'Islam*, 1 vol., 128 p., coll. « Que Sais-je ? », n° 355, Paris, PUF, 1949, 18^e éd., 1995.
Les cultes du Hauran à l'époque romaine, 1 vol., XVI + 136 p., 6 pl. ht., coll. « Bibliothèque archéologique et historique », t. LIII, Paris, Geuthner, 1952.
Inventaire des monnaies musulmanes anciennes du Musée de Caboul, 1 vol., IX + 146 p., 6 pl. ht., Damas, PIFD, 1953.
La description d'Alep d'Ibn Šaddād, édition critique précédée d'une introduction, 1 vol., XXXII + 231 p. (ar.), 4 pl. ht., Damas, PIFD, 1953.
Le vizirat 'abbāside de 749 à 936 (132 à 324 de l'Hégire), 2 vol., LXXVIII + 797 p., Damas, PIFD, 1959-1960.
Histoire des Arabes, 1 vol., 128 p., coll. « Que Sais-je ? », n° 1627, Paris, PUF, 1976, 5^e éd., 1994.
L'Islam médiéval, 1 vol., 224 p., coll. « Sup. L'Historien », n° 39, Paris, PUF, 1979 ; trad. anglaise par J. Montgomery Watt, *Medieval Islam*, Londres, Routledge and Kegan Paul, 1983.

Participation à des ouvrages collectifs

- Littérature arabe, dans *Histoire générale des littératures*, Paris, A. Quillet, 1961, t. I, p. 415-441, 755-763 ; t. III, p. 589-596, 805-807, 811.
Le jugement des morts dans l'Islam, apud *Le jugement des morts*, coll. « Sources orientales », 4, Paris, Seuil, 1961, p. 179-205.
The 'Abbāsid Caliphate, apud *The Cambridge History of Islam*, I, 1970, p. 104-139.
Collaboration à R. Folz, A. Guillou, L. Musset, D. Sourdel, *De l'Antiquité au monde médiéval*, 1 vol., 657 p., coll. « Peuples et Civilisations », t. V, Paris, PUF, 1972, p. 187-239, 414-451, 599-622.
L'éducation dans le monde islamique médiéval, apud *Histoire mondiale de l'éducation*, I, Paris, PUF, 1981, p. 203-280.
Gouvernement et administration dans l'Orient islamique jusqu'au milieu du XI^e siècle, apud *Handbuch der Orientalistik* (dir. B. Spuler), Leyde, Brill, 1988.

Articles

- Les professeurs de madrasa à Alep aux XI^e-XIII^e siècles, dans *Bulletin d'Etudes orientales de l'Institut français de Damas*, XIII, 1949-1951, p. 85-115.
Esquisse topographique d'Alep intra-muros à l'époque ayyoubide, dans *Annales archéologiques de Syrie*, II, 1952, p. 109-133.
Rūhīm, lieu de pèlerinage musulman de Syrie du Nord au XIII^e siècle, dans *Syria*, XXX, 1953, p. 89-107.
Le livre des secrétaires de 'Abdallāh al-Baghdādī, dans *Bulletin d'Etudes orientales*, XIV, 1952-1954, p. 115-152.
La biographie d'Ibn al-Muqaffa' d'après les sources anciennes, dans *Arabica*, I, 1954, p. 307-323.
Les cadis de Basra d'après Waki', dans *Arabica*, II, 1955, p. 111-114.
La valeur littéraire et documentaire du *Livre des Vizirs* d'al-Ġāhšiyārī, d'après le chapitre consacré au califat de Hārūn al-Rašīd, dans *Arabica*, II, 1955, p. 193-210.
Sur quelques traditionnistes d'Alep au temps de Nūr al-Dīn, dans *Arabica*, II, 1955, p. 353-355.
Une lettre inédite de 'Alī b. 'Isā (317/929), dans *Arabica*, III, 1956, p. 80-90.
Nouvelles recherches sur la deuxième partie du *Livre des Vizirs* d'al-Ġāhšiyārī, dans *Mélanges Louis Massignou*, III, Damas, 1957, p. 271-299.
Fragments d'al-Šolī sur l'histoire des vizirs 'abbāsides, dans *Bulletin d'Etudes orientales*, XV, 1955-1957, p. 99-108.
Les circonstances de la mort de Tāhīr I^{er} au Ḥurāsān, dans *Arabica*, V, 1958, p. 66-69.

- L'originalité du *Kitāb al-Wuzarā'* de Hīlāl al-Sābī, dans *Arabica*, V, 1958, p. 272-292.
- La politique religieuse des successeurs d'al-Mutawakkil, dans *Studia Islamica*, XIII, 1960, p. 5-21.
- Questions de cérémonie à l'abbāside, dans *Revue des Etudes islamiques*, 1960, p. 121-148.
- La politique religieuse du calife 'abbāside al-Ma'mūn, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXX, 1962, p. 27-48.
- Wazīr et ḥāṭib en Occident, dans *Etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de E. Lévi-Provençal*, Paris, 1962, p. 749-755.
- Bagdad, capitale du nouvel Empire 'abbāside, dans *Arabica*, IX, 1962, p. 252-265.
- Mahomet et les études mohammadiennes d'après deux publications récentes, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXI, 1963, p. 105-110.
- A propos des dix élus, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXI, 1963, p. 111-114.
- Un trésor de dinars gaznavide et sa légende découverte en Afghanistan, dans *Bulletin d'Etudes orientales*, XVIII, 1963-1964, p. 197-219.
- Une inscription 'abbāside en Syrie du Nord (en collaboration avec S. Ory), dans *Bulletin d'Etudes orientales*, XVIII, 1963-1964, p. 234-240.
- Une lettre du vizir 'abbāside Ḥamīd b. al-'Abbās (306/918), dans *Arabic and Islamic Studies in Honor of Hamilton A.R. Gibb*, 1965, p. 603-608.
- Un pamphlet musulman anonyme d'époque 'abbāside contre les chrétiens, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXIV, 1966, p. 1-31 + 1 pl. ht.
- Les études arabes à la faculté des Lettres de Bordeaux, apud *Les études islamiques dans le monde*, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXIV, 1966, p. 203-204.
- Une profession de foi de l'historien al-Tabarī, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXVI, 1968, p. 177-199.
- La classification des sectes islamiques dans le *Kitāb al-Milal d'al-Sahrastānī*, dans *Studia Islamica*, XXXI, 1970, p. 239-247.
- L'imamisme vu par le cheikh al-Mufīd, dans *Revue des Etudes islamiques*, XL, 1972, p. 217-296.
- Deux documents sur la communauté hanbalite de Damas, dans *Bulletin d'Etudes orientales*, XXV, 1972, p. 141-151 + 2 pl. ht.
- Les conceptions imamites au début du XI^e siècle d'après le Shaykh al-Mufīd, dans *Islamic Civilisation 950-1150*, Oxford, 1973, p. 187-200.
- Les cas de déchéance du calife, dans *Mélanges E.R. Labande*, Poitiers, 1974, p. 635-641.
- Réflexions sur la diffusion de la madrasa en Orient du XI^e au XIII^e siècle, dans *Revue des Etudes islamiques*, XLIV, 1976, p. 165-184.
- Khulifa* (Histoire de l'institution du califat), dans *Encyclopédie de l'Islam* (2), IV, p. 970-980 (1977).
- Hady-Roger Idris (1912-1978), dans *Revue des Etudes islamiques*, XLVI, 1978 (1980), p. 155-161.
- La fondation umayyade d'al-Ramla, dans *Studien zur Geschichte und Kultur des vorderen Orients* (Festschrift B. Spuler), Leiden, 1981, p. 387-395.
- La notion d'autorité dans le califat sunnite, dans *La notion d'autorité au Moyen Age*, Paris, PUF, 1982, p. 101-116.
- Appels et programmes politico-religieux durant les premiers siècles de l'Islam, dans *Prédication et propagande au Moyen Age. Islam, Byzance, Occident*, Paris, PUF, 1983, p. 111-131.
- Chroniques et sources narratives dans l'Orient islamique médiéval, dans *La chronique et l'histoire au Moyen Age*, Paris, Presses de l'Université de Paris-Sorbonne, 1984, p. 85-99.
- Peut-on parler de liberté dans la société islamique médiévale, dans *La notion de liberté au Moyen Age. Islam, Byzance, Occident*, Paris, Les Belles Lettres, 1985, p. 119-133.
- L'organisation de l'espace dans les villes du monde islamique, dans *Fortifications, places publiques, portes de villes dans le monde méditerranéen*, Paris, PUPS, 1985, p. 1-11.
- La Syrie au temps des premiers califes abbassides (132/750-264/878), dans *Revue des Etudes islamiques*, XLVIII/2, 1980 (1985), p. 155-175.
- Universitaires sans université dans les villes des pays d'Islam, dans *Milieus universitaires et mentalité urbaine au Moyen Age*, Paris, 1987, p. 119-128.
- Les civilisations passées vues par deux historiens musulmans, dans *Revue des Etudes islamiques*, LV-LVII, 1987-1989, p. 313-318.
- Articles dans *Encyclopédie de l'Islam*, 2^e édition, 1954 et suiv.

JANINE SOURDEL-THOMINE

Ouvrages

- Epitaphes couffiques de Bâb Saghîr*, 1 vol., 91 p. et 34 fig., coll. « Les monuments ayyoubides de Damas », livr. IV, Paris, de Boccard, 1950.
- Le guide des lieux de pèlerinage d'al-Harawî*, texte arabe, 1 vol., XXIX + 141 p. et 7 pl., Damas, PIFD, 1953.
- Le guide des lieux de pèlerinage d'al-Harawî*, traduction française annotée, LXIV, 232 p., et 4 cartes, Damas, PIFD, 1957.
- Islam*, apud *Encyclopédie de la Pléiade*, 1. *Le monde non chrétien*, Paris, Gallimard, 1961, p. 933-1087, 2 cartes et 36 fig.
- Die Kunst des Islam* (en collaboration avec Berndt SPULER), 1 vol., 426 p., 416 pl. ht., 68 pl. en couleur ht., 89 fig., coll. « Propyläen Kunstgeschichte », Bd. 4, Berlin, 1973.
- Lashkari Bazar. Une résidence royale ghaznévide et ghori* I B : *Le décor non figuratif et les inscriptions*, 1 vol. infol., 78 p. et 29 pl. ht., coll. « Mémoires de la Délégation archéologique française en Afghanistan », t. XVIII, Paris, de Boccard, 1977.
- De l'art de l'islam*, 1 vol., 200 p., Paris, Geuthner, 1984.

Participation à des ouvrages collectifs

- Art de l'islam, dans *Dictionnaire universel de l'art et des artistes*, II, Paris, Hazan, 1967, p. 231-260.
- Islamische Baukunst, dans *Lexicon des Mittelalters*, Artemis Verlag, I, p. 1662-1665.
- Éditeur de *Études médiévales et patrimoine turc*, contributions réunies et présentées par Janine Sourdel-Thomine, 1 vol., 272 p., Paris, CNRS, 1983.

Articles

- Inscriptions arabes de Karak Nûh, dans *Bulletin d'Études orientales*, XIII, 1949-1951, p. 72-84 et 2 pl. ht.
- Note sur le cénotaphe de Qûrus (Cyrrhus), dans *Annales archéologiques de Syrie*, II, 1952, p. 134-136.
- Deux minarets d'époque seljoukide en Afghanistan, dans *Syria*, XXX, 1953, p. 108-136 et 2 pl. ht.
- Une inscription inédite de la madrasa Suljâniya à Alep, dans *Annales archéologiques de Syrie*, III, 1953, p. 67-70.
- Deux décrets mamelouks de Marqab, dans *Bulletin d'Études orientales*, XIV, 1952-1954, p. 61-64.
- Les anciens lieux de pèlerinage dantascains d'après les sources arabes, dans *Bulletin d'Études orientales*, XIV, 1952-1954, p. 65-85.
- Le peuplement de la région des « villes mortes » (Syrie du Nord) à l'époque ayyoubide, dans *Arabica*, I, 1954, p. 187-200.
- Inscriptions du mausolée d'Abû l-'Alâ à Ma'arrat an-Nu'mân, dans *Arabica*, II, 1955, p. 289-294 et 4 pl. ht.
- Stèles arabes de Bûst (Afghanistan), dans *Arabica*, III, 1956, p. 295-306 et 4 pl. ht.
- Stèles arabes anciennes de Syrie du Nord, dans *Annales archéologiques de Syrie*, VI, 1956, p. 11-38 et 7 pl. ht.
- Le couffique alépin de l'époque seljoukide, dans *Mélanges Louis Massignon*, III, Damas, 1957, p. 301-317 et 4 pl. ht (traduction turque par Zeynep Kerman dans *Tarih Dergisi*, n° 26, p. 85-96).
- Les décors de stuc dans l'est iranien à l'époque saljûqide, dans *Akten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongresses*, München, 1957, Wiesbaden, 1959, p. 342-344.
- Survivances anciennes dans l'art musulman de Syrie, dans *Arabica*, VI, 1959, p. 312-313.
- L'art gûnde d'Afghanistan à propos d'un livre récent, dans *Arabica*, VII, 1960, p. 273-280.
- Les conseils du Sayh al-Harawî à un prince ayyûbide, dans *Bulletin d'Études orientales*, XVII, 1961-1962, p. 205-266.
- Le style des inscriptions arabo-siciliennes à l'époque des rois normands, dans *Études d'orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris, 1962, p. 307-315.
- L'art de Bagdad, dans *Arabica*, IX, 1962, p. 449-465 et 2 pl. ht.
- Quelques étapes et perspectives de l'épigraphie arabe, dans *Studia Islamica*, XVIII, 1962, p. 5-22.
- L'écriture arabe et son évolution ornementale, dans *L'écriture et la psychologie des peuples. XXII^e semaine de synthèse*, Paris, 1963, p. 249-261 et 3 pl. ht.
- Deux épitaphes arabes anciennes, dans *I.A. Mayer Memorial Volume*, Jérusalem, 1963 (*Eretz-Israel*, vol. VII), p. 112-115 et 1 pl. ht.
- Peinture arabe et société musulmane à propos d'un livre récent, dans *Revue des Études islamiques*, XXI, 1963, p. 115-121.

- L'architecture islamique de l'Iran, dans *Art et littérature en Iran*, ouvrage publié sous le patronage de la revue *Orient*, Paris, 1964, p. 77-94 et 8 pl. ht.
- Inscriptions et graffiti d'époque umayyade, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXII, 1964, p. 115-120.
- Le classement des documents de Max van Berchem à Genève, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXIII, 1965, p. 195-197.
- Le testament politique du Shaikh 'Alī al-Harawī, dans *Arabic and Islamic Studies in Honor of Hamilton A.R. Gibb*, 1965, p. 609-618.
- Les origines de l'écriture arabe à propos d'une hypothèse récente, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXIV, 1966, p. 151-157.
- Art et société dans le monde de l'islam, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXVI, 1968, p. 93-114.
- Perspectives nouvelles dans le domaine de l'épigraphie arabe, dans *Boletín de la Asociación española de Orientalistas*, V, 1969, p. 183-190.
- Monuments islamiques de Tunisie d'après quelques travaux récents, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXVII, 1969, p. 345-349.
- Inscriptions et monnaies, apud K. Otto Dorn, Bericht über die Grabung in Kobadabad 1966, dans *Jahrbuch des deutschen archäologischen Instituts Archäologischer Anzeiger*, Heft 4, 1969, p. 500-505.
- Les dates de construction de l'Agzkarahan d'après ses inscriptions, dans *Forschungen zur Kunst Asiens*, Istanbul, 1970, p. 74-78.
- La mosquée et la madrasa, types monumentaux caractéristiques de l'art islamique médiéval, dans *Cahiers de civilisation médiévale*, XIII, Poitiers, 1970, p. 97-115.
- Clefs et serrures de la Ka'ba. Notes d'épigraphie arabe, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXIX, 1971, p. 29-86 et 10 pl. ht.
- Le mausolée dit de Baba Hatim en Afghanistan, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXIX, 1971, p. 293-319 et 14 pl. ht.
- A propos de quelques catalogues de musées et expositions, dans *Revue des Etudes islamiques*, XL, 1972, p. 393-397.
- Quelques réflexions sur l'écriture des premières siècles arabes du Caire, dans *Annales islamologiques (Mémoires Gaston Wiet)*, XI, 1972, p. 23-35.
- Renouvellement et tradition dans l'architecture saljuqide, dans *Islamic Civilisation, 950-1150*, Oxford, 1973, p. 251-263.
- Inscriptions seljoukides et salles à coupole de Qazwin en Iran, dans *Revue des Etudes islamiques*, XLII, 1974, p. 3-43.
- Introduction à l'art de l'islam, dans *Revue des Etudes islamiques*, XLIII, 1975, p. 3-40 et 195-225.
- Locaux d'enseignement et madrasas dans l'islam médiéval, dans *Actes du 1^{er} Colloque de La Napoule : Islam et Occident au Moyen Age*, *Revue des Etudes islamiques*, XLIV, 1976, p. 185-197.
- Art et grandeur dynastique dans l'Orient islamique du x^e siècle, dans *Revue des Etudes islamiques*, XLV, 1977, p. 3-17.
- Khafī* dans *Encyclopédie de l'Islam*, IV, p. 1144-1154 [1978].
- Kutābāt* f, dans *Encyclopédie de l'Islam*, V, p. 208-213 [1980].
- Lashkari Bazar*, dans *Encyclopaedia Universalis*, 1980, p. 477-481.
- Réflexions sur l'art islamique du bas Moyen Age en Orient, dans Hans R. Roemer und Albrecht Noth, *Studien zur Geschichte und Kultur des Vorderen Orients. Festschrift für Bertold Spuler zum siebzigsten Geburtstag*, Leyde, 1981, p. 396-405.
- A propos du cénotaphe de Mahmud à Ghazna (Afghanistan), dans *Essays in Islamic Art and Architecture in Honor of Katharina Otto-Dorn*, Udena Pub, 1981, p. 127-135, 1 pl. ht.
- L'expression symbolique de l'autorité dans l'art islamique, dans *La notion d'autorité au Moyen Age. Islam, Byzance et Occident*, Paris, PUF, 1982, p. 273-286.
- Le chaykh 'Alī al-Harawī et la propagande politico-religieuse dans la Syrie du x^e siècle, dans *Prédication et propagande au Moyen Age. Islam, Byzance et Occident*, Paris, PUF, 1983, p. 241-255.
- Etudes médiévales et patrimoine turc, dans *Etudes médiévales et patrimoine turc*, Paris, CNRS, 1983, p. 7-13.
- L'Etat ayyoubide vu par un homme de religion de cette époque, dans *Israel Oriental Studies*, X, 1980 (1983), p. 124-131.
- Libertés et liberté de l'artiste dans le monde islamique médiéval, dans *La notion de liberté au Moyen Age (Islam, Byzance, Occident)*, Paris, Les Belles Lettres, 1985, p. 143-154.
- Une image musulmane de Jérusalem au début du x^e siècle, dans *Jérusalem, Rome. Constantinople. Civilisations médiévales*, n° 5, Paris, PUF, 1986, p. 217-230.
- Traditions d'emprunt et dévotions secondaires dans l'islam du x^e siècle, dans *Revue des Etudes islamiques*, LV-LVII, fasc. 1, 1987-1989, p. 319-327.
- Articles dans *Encyclopédie de l'Islam*, 2^e édition, 1954 et suiv.

DOMINIQUE ET JANINE SOURDEL

Ouvrages

Index analytique de l'œuvre de Jean Sauvaget, Mémorial Sauvaget, t. II, 1 vol., XXVII + 284 p., Damas, PIFD, 1961.
La civilisation de l'Islam classique, 1 vol., 676 p., 224 pl. ht. en couleur, 65 fig. et 4 cartes, coll. « Les Grandes Civilisations », Paris, Arthaud, 1968, 2^e éd. 1976, 2^e éd. révisée, 1983.

Participation à des ouvrages collectifs

Editeurs (en collaboration avec George Makdisi) du I^{er} Colloque international de La Napoule, *L'enseignement en Islam et en Occident au Moyen Age*, 1 vol., XII + 314 p., Paris, Geuthner, 1977 ; du II^e Colloque international de La Napoule, *La notion d'autorité au Moyen Age*, Islam, Byzance, Occident, 1 vol., 286 p., Paris, PUF, 1982 ; du III^e Colloque « Penn-Paris-Dumbarton Oaks », *Prédication et propagande au Moyen Age*, Islam, Byzance, Occident, 1 vol., 279 p., Paris, PUF, 1983 ; du IV^e Colloque « Penn-Paris-Dumbarton Oaks », *La notion de liberté au Moyen Age*, 1 vol., 287 p., Paris, Les Belles Lettres, 1985.
 Co-direction du *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, t. XVII, Le Caire, IFAO, 1982, et t. XVIII, 1991.

Articles

Notes d'épigraphie et de topographie sur la Syrie du Nord, dans *Annales archéologiques de Syrie*, III, 1953, p. 81-105.
 Nouveaux documents sur l'histoire religieuse et sociale de Damas au Moyen Age, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXII, 1964, p. 1-25.
 A propos des documents de la Grande Mosquée de Damas conservés à Istanbul. Résultats de la seconde enquête, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXIII, 1965, p. 73-85.
 Publication de l'étude posthume de Jean Sauvaget, Introduction à l'étude de la céramique musulmane, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXIII, 1965, p. 1-72 (postface p. 69-72).
 Trois actes de vente damascains du début du IV^e-X^e siècle, dans *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, VIII/2, 1965, p. 164-185.
 Publication de l'étude posthume de Jean Sauvaget, Châteaux umayyades de Syrie, dans *Revue des Etudes islamiques*, XXXV, 1967, p. 1-52 (postface p. 50-52).
 Biens fonciers constitués waqf en Syrie fatimide pour une famille de šarīf damascains, dans *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, 1972, p. 269-296 + 7 pl. ht.
 Un acte de vente arabe portant sur la région d'Ahlāt au VII^e-XIII^e siècle, dans *Tarih Araştırmaları Dergisi*, VI, 1968 (1972), p. 51-60 + 7 pl. ht.
 Un sanctuaire chiite de l'ancienne Balis, dans *Mélanges d'islamologie (volume dédié à la mémoire de Armand Abel)*, Bruxelles, 1974, p. 247-253 + 2 pl. ht.
 Un texte d'invocations en faveur de deux princes ayyubides, dans *Near Eastern Numismatics, Iconography, Epigraphy and History (Studies in Honor of George C. Miles)*, Beyrouth, 1974, p. 347-352.
 Une collection islamique ancienne de textes de prières, dans *Recherches d'islamologie (Mélanges Anawati-Gardet)*, Louvain, 1978, p. 285-294.
 A propos des monuments de Sangbast, dans *Iran (Mélanges Basil Gray)*, XVII, 1979, p. 109-114 et 1 pl. ht.
 L'évolution de la ville islamique, dans *Encyclopaedia Universalis, Supplément*, 1980, p. 1491-1496.
 Islam, la civilisation du palais, dans *Encyclopaedia Universalis, Supplément*, 1980, p. 819-823.
 Nouvelle lecture d'un docteur hanbalite de Damas à l'époque ayyubide, dans *Journal of the Near Eastern Studies (Mélanges N. Abbott)*, 40, 1981, p. 265-276.
 Dossiers pour un Corpus des inscriptions arabes de Damas, I, dans *Revue des Etudes islamiques*, XI, VII, 1979 (1983), p. 119-172.
 Une collection médiévale de certificats de pèlerinage à la Mekke, conservés à Istanbul, dans *Etudes médiévales et patrimoine turc*, Paris, CNRS, 1983, p. 167-273.
 Les villes portuaires de l'Orient méditerranéen pendant le haut Moyen Age d'après les sources arabes, dans *Colloque sur la cité portuaire médiévale*, 1985.
 Deux actes de vente damascains du bas Moyen Age, dans *Studies in Islamic History and Civilization in Honour of Professor David Ayalon*, Jérusalem-Leyde, 1986, p. 517-525.
 Un acte notarié d'époque bouride : pouvoir politique et propriété immobilière dans un quartier de Damas au XII^e siècle (en collaboration avec J.-M. Mouton), dans *Annales islamologiques*, XXIX, 1995, p. 59-74.

فهرس المداخل

٢٤	ابن اياس	١٣ ..	آداب ..
٢٥	ابن بابونه أو بابوي ← الصلوق (الشيخ)	١٣	آدم
٢٥	ابن باجة	١٤	أزاد
٢٥	ابن باديس	١٤	أسفي (المملكة المغربية)
٢٥	ابن بطة	١٥	آسيا الوسطى
٢٥	ابن بطوطة	١٦	آغا (آقا)
٢٦	ابن البواب	١٦	آغا خان ..
٢٦	ابن سبي أو ابن السبي	١٧	الأق قيونلو ..
٢٦	ابن البيطار	١٧	آل
٢٦	ابن نغري يزدي	١٨	آل أفراييب ← القراخانيون
٢٧	ابن تومرت، المهدي	١٨	آل بو سعيد ← مسقط
٢٧	ابن تبعية	١٨	آل ثاني ← قطر
٢٨	ابن حجر	٢٨	آل خليفة ← البحرين
٢٩	ابن الجوزي	١٨	آل سمود
٢٩	ابن خنجر العفلاتي	١٩	آل صباح ← الكويت
٢٩	ابن خزم	١٩	آل محقق
٣٠	ابن حفصون	١٩	أمد + ديار بكر
٣٠	ابن خلدس	١٩	الأمدي
٣١	ابن حنبل ← أحمد بن حنبل	٢٠	آية الله
٣١	ابن الحنفية ← محمد بن الحنفية	٢٠	أيدين (الجمهورية التركية)
٣١	ابن حوقل	٢٠	الإباضية ..
٣١	ابن حيان ..	٢١	أبخازيا (جمهورية) ..
٣١	ابن خردادبه أو خردادبه	٢٢	إبراهيم أو إبراهيم
٣١	ابن الخصيب ..	٢٣	إبراهيم باشا
٣٢	ابن الخطيب	٢٣	إبراهيم بن أدهم
٣٢	ابن خفيف	٢٣	إبراهيم بن المهدي
٣٢	ابن خلدون	٢٣	الأهله ..
٣٣	ابن خلكان	٢٤	إبليس ← الشيطان
٣٣	ابن داود	٢٤	ابن أبي زيد القيرواني
٣٤	ابن دُرَيْد	٢٤	ابن الأثير
٢٤	ابن رشد	٢٤	ابن إسحق

٤٤	ابن سَمَوَة	٣٥	ابن رضوان
٤٥	ابن مسعود	٣٥	ابن الرومي
٤٥	ابن المعز	٣٥	ابن الزبير
٤٥	ابن المعلم ← المفيد	٣٦	ابن زهر
٤٥	ابن المقفع	٣٦	ابن سبعين
٤٦	ابن مقلة	٣٦	ابن السطري ← ابن البواب
٤٦	ابن مكرم ← ابن منظور	٣٦	ابن سعد
٤٦	ابن مَنَاتي	٣٧	ابن سعود ، آل سعود
٤٧	ابن منظور	٣٧	ابن سينا
٤٧	ابن النديم	٣٨	ابن شداد
٤٧	ابن النفيس	٣٨	ابن مُطَفَّل
٤٧	ابن هاني الاندلسي	٣٨	ابن طولون ← الطولونيون
٤٨	ابن عُبيدة (وال)	٣٨	ابن عباد
٤٨	ابن هبيرة، عون الدين أبو المظفر	٣٩	ابن عبد الوندي
٤٨	ابن هشام	٣٩	ابن عبد ربه
٤٨	ابن الهيثم	٣٩	ابن عذاري
٤٨	ابن واصل	٣٩	ابن العربي
٤٨	ابن يونس	٤٠	ابن عساكر
٤٩	أبو أيوب الأنصاري	٤٠	ابن عطية الله
٤٩	أبو بكر	٤٠	ابن عقيل
٤٩	أبو الحسن علي	٤١	ابن العميد
٥٠	أبو حنيفة	٤١	ابن الفارض
٥٠	أبو داود السجستاني	٤١	ابن الفراء
٥٠	أبو السعود	٤١	ابن الفرات
٥١	أبو سفیان بن حرب بن أمية	٤٢	ابن فضلان
٥١	أبو شعاع قنا خسرو ← عضد الدولة	٤٢	ابن الفقيه الهمداني
٥١	أبو طالب، ابن عبد المطلب	٤٢	ابن قتيبة
٥١	أبو ظبي ← الإمارات العربية المتحدة	٤٢	ابن القفطي
٥١	أبو حُبيد البكري	٤٣	ابن الفلانسني
٥١	أبو العنانية	٤٣	ابن كثير
٥٢	أبو العلاء المعري ← المعري	٤٣	ابن كزّام ← الكزّامية
٥٢	أبو العلاء المودودي ← المودودي	٤٣	ابن الكلبي
٥٢	أبو عنان فارس	٤٣	ابن كلّس
٥٢	أبو الفداء	٤٣	ابن ماجد
٥٢	أبو فراس	٤٤	ابن ماجه
٥٣	أبو الفرج الأصفهاني ← الأصفهاني	٤٤	ابن مرزوق

٦٨	أحمدو ← شيخو أحمدو	٥٣	أبو قبر (معارك)
٦٨	أحمدو بكو ← الحاج عمر	٥٣	أبو المحاسن ← ابن تغري بردي
٦٨	الأحمدية	٥٣	أبو مدين
٦٨	الأحمدية (فرق) ← بدوي (السيد)، إدريسة	٥٣	أبو مسلم
٦٨	أحمر (بنو آل -) ← آل نصر/ النصرئون	٥٤	أبو فغشر الكلخي
٦٨	أخباري (الأخباريون)	٥٤	أبو تواس
٦٨	الاختلاف (علم -)	٥٤	أبو هاشم
٦٩	الإخشيديون	٥٥	أبو الوفاء البوزجاني
٦٩	أخلاط أو خلط (الجمهورية التركية)	٥٥	أبو يزيد البسطامي ← البسطامي
٧٠	الأخلاق ← علم الأخلاق الإسلامي	٥٥	أبو يزيد النكاري
٧٠	الإخوان	٥٥	أبو يعلى (قاضي) ← ابن الفراء
٧٠	إخوان الصفاء	٥٥	أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي
٧١	الإخوان المسلمون	٥٥	أبو يوسف يعقوب بن يوسف
٧١	الأخضر	٥٦	أتابك
٧٢	الإدارة الإسلامية القروسطية	٥٦	أتاتورك، مصطفى كمال
٧٢	الادارة	٥٨	الأتراك
٧٣	أدب	٦٠	الأتراك الجدد أو تركيا الفتاة
٧٣	أذنة (الجمهورية التركية)		الأثرية الإسلامية (علم) ← علم الأثرية الإسلامية
٧٤	إدريس	٦١	إثيوبيا
٧٤	إدريس (ني)	٦١	أجازيا (جمهورية)
٧٥	إدريس (محمد المهدي السنوسي)	٦٢	إجتهاد
٧٥	الإدريسي	٦٢	الإجماع
٧٥	الإدريسة	٦٣	أجمر (الاتحاد الهندي)
٧٦	أدمازا	٦٣	أجنادين (معركة)
٧٦	إديسا ← الزها	٦٤	أحد (معركة)
٧٦	أديغ (منطقة) ← الأديغتون	٦٤	الأحدية
٧٦	الأديغتون (جمهورية الأديغتون الفدرالية)	٦٤	الإحرام ← الحج
٧٦	أذان	٦٥	الأحساء ← الحسا
٧٦	أذربيجان	٦٥	أحسن آباد ← بھمن (آل -)
٧٦	أذوح	٦٥	أخيت
٧٨	الأراضي (تشرع أو نظام-)	٦٥	أحمد آباد (الاتحاد الهندي)
٨٠	أراغون	٦٦	أحمد بن حنبل
٨٠	أزبان	٦٦	أحمد خان بهادر (Sir)
٨٠	الأرتقيون	٦٧	أحمد مير هندي (الشيخ)
٨١	الأرتنيون	٦٧	أحمد نمر (الاتحاد الهندي)
٨٢	الإرث في الإسلام		

الأسماء الإسلامية	١٠٧	أردبيل	٨٣
الأسماء الإلهية	١٠٨	أردستان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٨٣
إسماعيل (شخصية توراتية)	١٠٩	الأردن	٨٤
إسماعيل الأول	١٠٩	أرزنجان (الجمهورية التركية)	٨٥
إسماعيل باشا	١١٠	أوضروم (الجمهورية التركية)	٨٥
إسماعيل بن جعفر	١١٠	أركان الدين - الشريعة الإسلامية	٨٦
الإسماعيلية	١١٠	أزمية (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٨٦
الإسماعيلية الحديثة - الزارثيون	١١٢	أرمينيا	٨٦
الإسناد	١١٢	إريتريا (جمهورية)	٨٨
الأسواق الإسلامية	١١٣	أريحا (جريكو)	٨٨
أسوان (جمهورية مصر العربية)	١١٥	أزد (بنو -)	٨٨
أسوط (جمهورية مصر العربية)	١١٦	إزمير (الجمهورية التركية)	٨٩
إشبيلية (إسبانيا)	١١٦	إزنك (الجمهورية التركية)	٨٩
الإشتراكيات الإسلامية	١١٦	الأزهر	٩٠
أشرف المغرب أو الشرقا	١١٨	الأساطيل البحرية الإسلامية	٩١
أشرف مكة الهاشميون	١١٨	أشام	٩٣
إشراق	١١٩	أسامة بن منقذ	٩٣
أشروضا	١١٩	الإستحسان	٩٣
الأشعري	١١٩	أستراخان (الاتحاد الروسي)	٩٤
الأشعرية	١١٩	الاستصلاح	٩٤
إصطخر	١٢٠	إسحق	٩٤
أصفهان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	١٢١	أسد (بنو -)	٩٤
الأصفهاني	١٢٢	إسرائيليات	٩٥
الإصلاح	١٢٢	الأصرة	٩٥
أصول	١٢٦	إسطنبول (الجمهورية التركية)	٩٦
أصولي - إخباري - الإمامية الإثنا عشرية	١٢٦	الأسطول - الأساطيل البحرية الإسلامية	٩٩
الأصولية	١٢٦	الإسفندياريون أو اسفنديارو أوغلوري أو الجنداريون	٩٩
أضنة (الجمهورية التركية)	١٢٦	الإسكندر الكبير	٩٩
إعتماد الدولة، ميرزا غياث الدين محمد	١٢٧	إسكندرون (منجنق)	٩٩
إعتناق الإسلام	١٢٧	الإسكندرون (الجمهورية التركية)	١٠٠
الإعجاز	١٢٨	الإسكندرية (جمهورية مصر العربية)	١٠٠
أغادير (المملكة المغربية)	١٢٨	أسكودار (الجمهورية التركية)	١٠١
الأغالبية	١٢٩	الإسلام	١٠٢
الأعاني (كتاب -) - الأصفهاني	١٣٠	الإسلام (صورته وتأثيره في أوروبا)	١٠٣
الأغنية (المحرمة)	١٣٠	إسلام آباد (جمهورية باكستان الإسلامية)	١٠٧
أغرا (الاتحاد الهندي)	١٣٠	الإسلامي (التوجه -)	١٠٧

١٤٨.....	الإمارات العربية المتحدة	١٣١.....	أَنَمَات (المملكة المغربية)
١٤٨.....	أمازي (الجمهورية التركية)	١٣١	أفراسياب
١٤٩.....	الأماكن المقدسة الإسلامية	١٣١	أفراسياب (موقع) ← سمرقند
١٤٩.....	إمام	١٣١.....	أفريقيون ← الخوارزمشاهيون
١٥٠.....	إمام الحرمين ← الجويني	١٣١.....	أفريقيا السوداء الإسلامية
١٥٠.....	إمام زاده	١٣٣.....	أفريقيا الشمالية ← المغرب
١٥٠.....	إمام علوي	١٣٣.....	إفريقيّة
١٥١.....	الإمامة	١٣٤.....	الأفشاريون
١٥١.....	الإمامشاهيون ← خوجا	١٣٤.....	الأفصل (لقب شرف)
١٥١.....	الإمامية الإثنا عشرية	١٣٥.....	الأفكس (بنو -)
١٥٤.....	أمان	١٣٥.....	أفغانستان
١٥٤.....	الأمة الإسلامية أو جماعة المؤمنين	١٣٧.....	الأفغاني ← جمال الدين
١٥٥.....	الامتيازات	١٣٧.....	أفندي
١٥٦.....	أمر	١٣٧.....	أفيون (الجمهورية التركية)
١٥٦.....	أمويو قُرطبة	١٣٨.....	إقبال (محمّد)
١٥٨.....	الأمويون	١٣٨.....	إقطاع
١٦٢.....	أُمّي	١٣٩.....	أكبر آباد ← أعزّ
١٦٣.....	أُميّة بن عبد شمس	١٣٩.....	أكبر الأوّل
١٦٣.....	أمير	١٤٠.....	الأركوس (معركة)
١٦٤.....	الأمير	١٤٠.....	ألاها ← علاثيا
١٦٤.....	أمير خُسرو دهلوي	١٤٠.....	ألب أرسلان
١٦٤.....	أمير سلطان	١٤٠.....	ألبانيا
١٦٥.....	أسير علي (سيد)	١٤٢.....	أُنجانينو
١٦٥.....	أميركا	١٤٢.....	الجزيرة (إسبانيا)
١٦٥.....	الأمين، محمّد	١٤٢.....	ألغرب (Algarve)
١٦٦.....	الأناضول	١٤٣.....	ألفسر دوسال (البرتغال)
١٦٧.....	الأندلس	١٤٣.....	الأكرد
١٧٠.....	أندلوسيا	١٤٤.....	الله
١٧٠.....	أندونيسيا	١٤٥.....	الله آباد أو إلهاباد (الاتحاد الهندي)
١٧٢.....	الإنسان الكامل	١٤٥.....	ألمرية أو مرتبة بجانة (إسبانيا)
١٧٢.....	الأنسجة الإسلامية	١٤٦.....	أَلْمُوت (قلعة)
١٧٤.....	الأنصار	١٤٦.....	أَلْمُوت (المعلمون: الكبار) ← الترابيون
١٧٤.....	الأنصاري الهروي	١٤٦.....	إليشاع أو ألباسع
١٧٤.....	الإنصاف	١٤٦.....	أم الفيّرين (مدينة) ← الإمارات العربية المتحدة
١٧٥.....	أنطاكية (الجمهورية التركية)	١٤٦.....	أمّ الولد
١٧٥.....	أنطاليا (الجمهورية التركية)	١٤٧.....	الإمارات (عصر -)

١٩٣	الإيمان ..	١٧٦	أنقرة (الجمهورية التركية)
١٩٤	إيوان + الهندسة المعمارية الإسلامية ..	١٧٦	الإنتشارية ..
١٩٤	أيوب ..	١٧٧	أنور بانسا ..
١٩٤	أيوب الأنصاري + أبو أيوب ..	١٧٧	الأهرام (جريدة) ..
١٩٤	الأيويون ..	١٧٧	أهل ..
١٩٧	ياب ..	١٧٨	أهل البيت - آل محمد ..
١٩٨	الباب العالي ..	١٧٨	أهل الحق ..
١٩٨	بابا ..	١٧٨	أهواز (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)
١٩٨	بابا طاهر ..	١٧٨	أود أو غود ..
١٩٨	باباني (باباين) ..	١٧٩	أوداغوست (محلة) ..
١٩٨	بابر ..	١٧٩	أورخان ..
١٩٩	باتك ..	١٧٩	أورشليم - القدس ..
١٩٩	البانية ..	١٧٩	أورغتش ..
٢٠٠	الباتويون + القبيلة الذهبية ..	١٨٠	أورغز زيب ..
٢٠٠	باجومي (مملكة) ..	١٨١	أوروبا الغربية ..
٢٠٠	بالجه ..	١٨١	الأوزبك ..
٢٠١	باديشاه ..	١٨٢	أوزبكستان (جمهورية)
٢٠١	الباركزاي أو المحمديزي ..	١٨٢	أوزغند (جمهورية قرغيزستان) ..
٢٠١	باريس (معاهدة) ..	١٨٣	أوزون حسن ..
٢٠١	باساروفيتز (معاهدة سلام) ..	١٨٣	أوس (بنو -) ..
٢٠٢	بانسا ..	١٨٣	أوسينيا الشمالية الفدرالية (جمهورية) ..
٢٠٢	باشكورتستان ..	١٨٤	أوغندا (جمهورية) ..
٢٠٢	باطن ..	١٨٤	أولوغ بيگ ..
٢٠٣	الباطنية (مذهب) ..	١٨٤	الأولياء (تكريم الأولياء) ..
٢٠٣	الباطنية + الإسماعيلية ..	١٨٦	إزليا جلبي ..
٢٠٣	الباقرة (فرقة) - محمد الباقر ..	١٨٦	إيريا (شبه الجزيرة الإيرانية) - الأندلس ..
٢٠٣	البافلاني ..	١٨٦	الإيجي ..
٢٠٣	باكستان (جمهورية - الإسلامية) ..	١٨٦	الأيدينيون ..
٢٠٤	باكوه أو باكويه ..	١٨٧	إيران ..
٢٠٤	پالرمو (إيطاليا) ..	١٩٠	إيطاليا ..
٢٠٥	بالس (موقع أثري) ..	١٩١	الإيلخانيون ..
٢٠٥	بامبالونا (إسبانيا) ..	١٩٢	الإيلدكزيون ..
٢٠٥	بامبهو + الديبل ..	١٩٢	إيلغازي بن أرئق ..
٢٠٥	باتيس ..	١٩٣	إيلكخان - القراخانيون ..
٢٠٦	بانيات (معارك) ..	١٩٣	الإيلك خانات - القراخانيون ..
٢٠٦	الباونديون، آل باؤند - مازندران ..	١٩٣	إيليا أو إلياس ..

٢٢٠	بركه خان	٢٠٦	بايورت (الجمهورية التركية)
٢٢٠	بُرْكِيَاوِي	٢٠٦	بايزيت
٢٢٠	برئين (معاهدة)	٢٠٦	بايزيت أو بايزيد الأول
٢٢١	برهان الدين، القاضي أحمد	٢٠٧	بايزيت أو بايزيد الثاني
٢٢١	برهانپور (الإتحاد الهندي)	٢٠٨	بايزيد ← بايزيت
٢٢١	برونوكول البلاط	٢٠٨	بايزيد الأنصاري
٢٢٦	بروناي (سلطنة -)	٢٠٨	البثاني
٢٢٧	البريد	٢٠٨	پتروفادين (معركة)
٢٢٧	البُسناسيري	٢٠٨	بتليس (الجمهورية التركية)
٢٢٧	بسطام (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٢٠٩	بجانه (إسبانيا)
٢٢٨	البسطامي	٢٠٩	بجابه (الجمهورية الجزائرية)
٢٢٨	السلسلة ← الله، الفاتحة	٢٠٩	البحرين
٢٢٨	البصرة (الجمهورية العراقية)	٢١٠	البحريون ← الممالك السوريون والمصريون
٢٢٩	بُصري (الجمهورية العربية السورية)	٢١٠	بُخاري (جمهورية أوزبكستان)
٢٣٠	البَطَّال	٢١١	البخاري
٢٣٠	بُضْأُوس ← بَدْأُوس	٢١٢	بداخوس (إسبانيا)
٢٣٠	البعث (حزب -)	٢١٢	بُدار (الإتحاد الهندي)
٢٣١	البعث	٢١٢	بَدْخْشان
٢٣٢	بعلبك (الجمهورية اللبنانية)	٢١٣	بُدُر (معركة)
٢٣٢	بغداد (الجمهورية العراقية)	٢١٣	بدر الجمالي
٢٣٤	البغدادي (الخطيب) ← الخطيب	٢١٤	البذع (أمل -)
٢٣٤	بنت أو بني	٢١٤	بذعة
٢٣٥	البُكْشَانِيَّة	٢١٤	البُدُو
٢٣٥	البكري ← أبو عبيد البكري	٢١٥	البُدوي (السند)
٢٣٥	بُكس (الجمهورية الهندية)	٢١٦	برار
٢٣٥	بيلات	٢١٦	البرامكة أو آل برمك
٢٣٦	بلاد ما بين النهرين العليا	٢١٧	برباروسا ← خير الدين
٢٣٧	بلاد ما وراء النهر	٢١٧	البربر
٢٣٨	البلادُوي	٢١٨	البرتغال
٢٣٩	بلاد بن دباح	٢١٨	أبريجيون ← ممالك سوريا ومصر
٢٣٩	بلحارث	٢١٨	البرزاني
٢٣٩	بَلُج (جمهورية أفغانستان الإسلامية)	٢١٩	برسباي، الملك الأشرف
٢٤٠	البلدية	٢١٩	بُزْغُوَاظَة
٢٤٠	البلغار	٢١٩	برقة ← سيرينايك
٢٤١	بغداد (صربيا)	٢١٩	بَزْغُوَف
٢٤٢	البلقان (شبه جزيرة -)	٢٢٠	بُرْكة

٢٥٧	بون ← عبّاة	٢٤٣	بَلَنْسِيَة (إسبانيا) ..
٢٥٨	البُرْهُون ..	٢٤٤	بلوستان (بلوچستان) ..
٢٦٠	پال پاشا ..	٢٤٤	بُلوفدیف (بلغاريا) ..
٢٦٠	بیانَة (نوقَة) ← الکِسانَة ..	٢٤٥	البالار (جزر) ..
٢٦٠	بَیْرُوس (الملك الظاهر) ..	٢٤٥	بَمَ (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..
٢٦١	البيت (أهل) - ← آل محمد ..	٢٤٥	البشّ ..
٢٦١	بيت الله ← الکعبة ..	٢٤٥	البنجاب ..
٢٦١	بيت المقدس ← القدس ..	٢٤٦	بنجالوکارا (البوسنة) ..
٢٦١	بيتولا (مقدونيا) ..	٢٤٦	بندر عباس (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..
٢٦١	بيجاپور (الاتحاد الهندي) ..	٢٤٧	بنزرت (الجمهورية التونسية) ..
٢٦٢	بیر ..	٢٤٧	بنغازي (الجمهورية العربية الليبية) ..
٢٦٢	البيرة ← غرناطة ..	٢٤٧	البنغال ..
٢٦٢	البيرة ← بيرجک ..	٢٤٩	بنغلادش (جمهورية - الشعبية) ..
٢٦٢	بيرجک (الجمهورية التركية) ..	٢٤٩	بنين (جمهورية - الشعبية) ..
٢٦٢	بيروت (الجمهورية اللبنانية) ..	٢٤٩	بهاء الدين زکريا مُلْتاني سَهْرَوَزْدِي ..
٢٦٣	البيروني ..	٢٤٩	بهاء الله ← البهائية ..
٢٦٣	بيري (رئيس محبي الدين) ..	٢٤٩	البهائية ..
٢٦٤	بينشاور (جمهورية باكستان الإسلامية) ..	٢٥٠	البهرة ..
٢٦٤	بشهر (الجمهورية التركية) ..	٢٥١	البَهْرَاد ..
٢٦٤	البيفاري ..	٢٥١	بَهْلَوِي ..
٢٦٥	البيع (عقود) ..	٢٥١	بَهْمَن (آل -) ..
٢٦٥	بيعة ..	٢٥٢	بُهويال ..
٢٦٦	البيعة ..	٢٥٣	يو تاييه (معركة) ..
٢٦٧	بيعة الشجرة ← الحديبية ..	٢٥٣	بوداپست (هنغاريا) ..
٢٦٧	بيلزبي أو بيلزبيكي ..	٢٥٣	بور سجد (جمهورية مصر العربية) ..
٢٦٧	بيمارستان ← منشقى ..	٢٥٣	بورسه أو بروسا (الجمهورية التركية) ..
٢٦٨	التابعون ..	٢٥٤	بورگو - تشاد (جمهورية -) ..
٢٦٨	نارودانت (المملكة المغربية) ..		بورکينا فاسو (جمهورية بورکينا فاسو الديمقراطية الشعبية) ..
٢٦٨	التاريخ ..	٢٥٥	
٢٦٩	نازة (المملكة المغربية) ..	٢٥٥	بورنو (مملكة أو إمبراطورية -) ..
٢٧٠	نأفيلانث أو نأفيلانث ..	٢٥٥	البوربون ..
٢٧٠	ناهرت ..	٢٥٦	البوصيري ..
٢٧٠	نبريز (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..	٢٥٦	بومباي (الاتحاد الهندي) ..
٢٧٢	نبوک (المملكة العربية السعودية) ..	٢٥٦	البوسعيدون - مسقط ..
٢٧٢	تبيليسي (جمهورية جورجيا) ..	٢٥٦	الجوسنة ..
٢٧٢	تارستان أو تاربا (جمهورية الفدرالية) ..	٢٥٧	البوز أو الفلّة ..

٢٩٠	تنزانيا (جمهورية تنزانيا المتحدة)	٢٧٣	تجارة المرافل
٢٩١	التنزيل + الوحي الإلهي	٢٧٦	التجارية (النشاطات -)
٢٩١	تنيس (الجمهورية الجزائرية)	٢٧٨	التجسيم
٢٩١	التنظيمات	٢٧٨	التَّجْيِيزُون أو بنو تَجْيِيب
٢٩٤	تنغانيكا + تنزانيا	٢٧٨	تدمر (الجمهورية العربية السورية)
٢٩٤	تنمال	٢٧٩	نراسلفانيا
٢٩٤	التنوخي	٢٧٩	ترجمان
٢٩٤	التنوخيون	٢٧٩	الترك - الأتراك
٢٩٤	الترديد (قاعدة عقيدة الإسلام)	٢٧٩	تركستان
٢٩٥	الترديد (مبدأ ديني)	٢٨٠	التركان
٢٩٥	التوحيد	٢٨٠	تركمانستان (جمهورية)
٢٩٥	توغو (جمهورية)	٢٨١	تركيا (الجمهورية التركية)
٢٩٥	توقات (الجمهورية التركية)	٢٨٢	ترمز (جمهورية أوزبكستان)
٢٩٦	التوكل	٢٨٣	الترمذي
٢٩٦	التولية	٢٨٣	تسالونيكى - سلونيك
٢٩٧	تومبوكتو (جمهورية مالي)	٢٨٣	تُسْتَر + سُتَر
٢٩٧	تونس (مدينة)	٢٨٣	التشايك الهندية
٢٩٩	تونس (الجمهورية التونسية)	٢٨٣	تشاد (جمهورية)
٢٩٩	تيجانية (الطريقة -)	٢٨٤	تطوان (المملكة المغربية)
٣٠٠	تيجار	٢٨٤	تُجَز (الجمهورية العربية اليمنية)
٣٠٠	تيمور أو تيمورلنك	٢٨٥	التغزية
٣٠١	التيموريون	٢٨٥	التعليم
٣٠٣	ثقف (بنو)	٢٨٦	تغلب أو بنو تغلب
٣٠٣	ثمود	٢٨٦	تفسير القرآن
٣٠٤	جابر بن حيّان	٢٨٧	التقليد
٣٠٤	الجاحظ	٢٨٧	التقويم + الروزنامة
٣٠٥	جاكرتا (جمهورية أندونيسيا)	٢٨٧	التفتة
٣٠٥	جالدان (معركة)	٢٨٨	نكروو
٣٠٥	جامعات	٢٨٨	تكريت (الجمهورية العراقية)
٣٠٧	الجامعة الإسلامية	٢٨٨	نكش
٣٠٧	الجامعة الإسلامية العالمية	٢٨٨	نكئة - ختفاء
٣٠٧	جامعة الدول العربية	٢٨٨	نلس (معركة)
٣٠٧	الجاهلية	٢٨٨	نلمسان (الجمهورية الجزائرية)
٣٠٨	جازوه - أندونيسيا	٢٨٩	نميم أو بنو نميم
٣٠٨	الجَيَّانِي	٢٨٩	التجيم (علم -)
٣٠٨	جبال أو الجبال	٢٩٠	التجيم (ممارسة -)

٣٢٤	الجَنَـل (وقفة -)	٣٠٨	الجَـنَـي
٣٢٤	الجانن (فرز -)	٣٠٩	الجَـنَـة
٣٢٥	جناح (محمّد علي -)	٣٠٩	جَبِلَة - جبيل
٣٢٥	جَـة أو فردوس	٣٠٩	جَبِل طارقي
٣٢٦	جند	٣٠٩	جَبِل (الجمهورية اللبنانية)
٣٢٦	جندبانيور	٣٠٩	الجذ الرئيس الخطيب - أين مرزوق
٣٢٧	جَـي (جمهورية مالي)	٣٠٩	جَذَة (المملكة العربية السعودية)
٣٢٧	الجَـيد ..	٣١٠	الجدل أو المناظرة
٣٢٧	الجهاد	٣١٠	الجديدة (المملكة المغربية)
٣٢٩	جَهَانَكِر	٣١١	جُدام (بنو -)
٣٣٠	جَهَنَـ	٣١١	جُرجان أو كُرْكان ..
٣٣٠	الجهمة (فرقة إسلامية) ..	٣١١	جرجس أو مار جرجس
٣٣٠	جَهَم ..	٣١١	جِرْز (إسبانيا) ..
٣٣١	الجَـوَبُون	٣١٢	الجِرْـس - الشركس ..
٣٣١	جَوَـز	٣١٢	جُـرْهُم (بنو)
٣٣١	خوجيا	٣١٢	الجريد
٣٣٢	الجَوَـز جاني	٣١٢	الجزائر (مدينة)
٣٣٢	الجَوَـلان	٣١٥	الجزائر (الجمهورية الجزائرية)
٣٣٢	جوسور (الإتحاد الهندي)	٣١٦	الجزولي
٣٣٣	جوهـر بن عبدالله الصقلي	٣١٦	الجزية
٣٣٣	الجُـوَيـي ..	٣١٧	جزيرة، جزائر
٣٣٣	جَيَان (إسبانيا)	٣١٧	جزيرة ابن عمر
٣٣٣	جيوتي (جمهورية)	٣١٧	جزيرة العرب - شبه الجزيرة العربية
٣٣٤	جِيلان	٣١٧	جَشَـي ..
٣٣٤	الجِيلاني	٣١٨	الجَشَـيَة
٣٣٥	جِيلِيُولو أو غاليلويس (الجمهورية التركية) ..	٣١٨	جعفر بن أبي طالب ..
٣٣٦	الحاج عمر بن سعيد بن عثمان نال ..	٣١٨	جعفر الصادق
٣٣٦	الحاجب ..	٣١٩	الجعفري (المذهب) - جعفر الصادق ..
٣٣٧	حاتي بكاش - البكتائية	٣١٩	الجفتاويون
٣٣٧	حاتي خليفة - كاتب جَنَـي	٣١٩	الجغرافيا
٣٣٧	الحافظ	٣٢٠	الغفر
٣٣٧	حاكم إقليم ..	٣٢١	الجلاتيون
٣٣٨	الحاكم بأمر الله، أبو علي التصور ..	٣٢١	جلال الدين الرومي
٣٣٩	الحاكم الترمذي ..	٣٢٢	جَمَـ (أمير) ..
٣٣٩	الحاكمية - الدروز ..	٣٢٢	جَمَـ أو فيروزكوه (موقع أثري)
٣٣٩	الحبشة - إثيوبيا ..	٣٢٢	جمال الدين المعروف بالأفغاني ..

٣٥٩	الحشيشية ← الحشاشون	٣٣٩	الحبوس ← الوقف
٣٥٩	حصن الأكراد ← كرك	٣٣٩	الحجّ أو الحجّ الكبير
٣٥٩	حصن كيفا (الجمهورية التركية)	٣٤٣	الحجّاج بن يوسف القففي
٣٥٩	خُضْرَمُوت	٣٤٤	الحجّاز
٣٦٠	خُطَيْن أو خُطَيْن (معركة)	٣٤٤	الحُجَّة (المُجَلَّد إلى -)
٣٦٠	حفصة	٣٤٤	الحجر الأسود ← الكعبة
٣٦٠	الحفصيون	٣٤٤	حدّ ← حدود ← العقوبات الشرعية
٣٦٢	الحكم	٣٤٤	الحدود أو العقوبات الشرعية
٣٦٣	الحكمة	٣٤٧	حدود الإسلام
٣٦٣	الحلّاج	٣٤٧	الحُدُوتية (صلح الحُدُوتية)
٣٦٤	خَلَب (الجمهورية العربية السورية)	٣٤٨	الحديث
٣٦٦	الحلّة (مدرسة) ← الحلّي	٣٤٩	الحُنَيْدَة (الجمهورية العربية اليمنية)
٣٦٦	الخلول	٣٤٩	حرام
٣٦٦	الحلّي	٣٤٩	حُرّان (الجمهورية التركية)
٣٦٦	حماة (الجمهورية العربية السورية)	٣٥٠	الحرية ← الكيسانية
٣٦٧	الحَمَّادِيُون أو بنو حَمَّاد	٣٥٠	حرس الملوك المملوك
٣٦٨	الحمالية	٣٥١	الجزف
٣٦٨	حقام	٣٥٢	خَزَم
٣٦٩	الحَمْدَانِيُون	٣٥٣	الحرم الشريف ← المسجد الأقصى
٣٧٠	حمزة بن عبد المقلب	٣٥٣	الحروفية
٣٧٠	حمزة بن علي ← الدروز	٣٥٣	الحريم
٣٧٠	حمص (الجمهورية العربية السورية)	٣٥٣	حزقيال أو حزقيل
٣٧٠	الحُمُودِيُون	٣٥٤	الحسا أو الأخشاء
٣٧١	الحميدون أو حميد أو عُثْرِي	٣٥٤	حسان بن ثابت
٣٧١	الحنيلة	٣٥٤	الحنينة
٣٧٢	الحنفي (المذهب -)	٣٥٥	الحسن البصري
٣٧٤	خنيف	٣٥٦	الحسن بن الصباح
٣٧٤	خُتَيْن	٣٥٦	الحسن بن علي
٣٧٤	خُتَيْن (معركة)	٣٥٦	الحسن بن محمد الوزان ← لاون الأفريقي
٣٧٤	خردان	٣٥٦	الحسن العسكري
٣٧٥	خيدر آباد	٣٥٧	الحسين بن علي
٣٧٥	الحيرة	٣٥٨	الحسين بن علي (الشريف)
٣٧٦	حيفا	٣٥٨	الحسين بن علي بن الحسن بن علي
٣٧٦	الحيوان (عالم -)	٣٥٨	الحسيني - أمين
٣٧٧	خاتون	٣٥٩	الحصينيون
٣٧٧	خاف أو خَواف	٣٥٩	الحشاشون

٣٩٧	خاقلان ← خان	٣٧٧	خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي
٣٩٧	الخانان	٣٧٨	خان
٣٩٧	خاندوش	٣٧٨	الخانات
٣٩٨	خاندق (معركة -)	٣٧٩	خاندوش
٣٩٨	خواجه	٣٨٠	خاندق
٣٩٨	الخوارج	٣٨٠	الختم
٤٠٠	خوارزم	٣٨٠	خَنَزَر (جمهورية الصين الشعبية)
٤٠١	الخوارزمشاهيون (ملوك خوارزم)	٣٨١	خديجة بنت خويلد
٤٠٢	الخوارزمي (رياضي وفلكي)	٣٨١	الخديوي
٤٠٢	الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى	٣٨١	الخديويون
٤٠٣	خواندмир	٣٨١	الخراج ← الأراضي (تشريع أو نظام -)
٤٠٣	خوجا	٣٨٢	خراسان
٤٠٣	خوجندا ← طاجكستان	٣٨٣	خراسان (بنو -)
٤٠٣	خوزستان	٣٨٣	خربة المُفَجَّر
٤٠٤	خَيزَر (المملكة العربية السعودية)	٣٨٤	خربة الحنية ← طبريا
٤٠٤	خير الدين خضر باشا	٣٨٤	خربوت ← هربوت
٤٠٤	الخيزران بن عطاء	٣٨٤	الخُرطوم (الجمهورية السودانية)
٤٠٤	خيزوه	٣٨٤	الخرفاني
٤٠٦	دايق (معركة مرج -)	٣٨٥	الخزمية
٤٠٦	الدار البيضاء أو كازابلانكا	٣٨٥	خريس ← جرز
٤٠٦	دار الإسلام	٣٨٥	خَزَاعَة (بنو -)
٤٠٧	دار الصناعة	٣٨٥	الخزرج (بنو -)
٤٠٧	دار العلم - المكتبات	٣٨٥	الخزرجات الإسلامية
٤٠٧	دار الهجرة ← دار الإسلام	٣٨٦	الخصيان
٤٠٧	دارفور	٣٨٧	الخضر أو الخضير
٤٠٨	داغستان (جمهورية)	٣٨٨	الخط الإسلامي
٤٠٩	دلداد (مير)	٣٩٠	الخط الشريف ← عبد المجيد الأول، التنظيمات
٤٠٩	دافغان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٣٩٠	التنظيمات
٤٠٩	الدايشمندیون	٣٩٠	الخطبة
٤١٠	دانية (إسبانيا)	٣٩١	خطبة
٤١٠	داود	٣٩١	الخطيب البغدادي
٤١١	دلي أو دلي	٣٩١	الخلافة
٤١١	دُبي ← الإمارات العربية المتحدة	٣٩٦	الخلافة (حركة -)
٤١١	الدشال	٣٩٦	الخلق

٤٣٧	فُتي	٤١١	الْفُرَاتِيُون
٤٣٧	الذهبي	٤١١	دَرْبُند (الإتحاد الروسي الفدرالي)
٤٣٧	ذو القُدر	٤١٢	الدُّرْعِيَّة
٤٣٨	ذو القرنين ← الإسكندر الكبير	٤١٢	دَرْقَاوِيَّة
٤٣٨	ذِي النون (بنو -)	٤١٢	الدروز
٤٣٩	رأس الخيمة ← الإمارات العربية المتحدة	٤١٣	درويش
٤٣٩	الرأي	٤١٤	الدُّسُتُور
٤٣٩	رئيس	٤١٧	دستور (حزب أ -) ← تونس
٤٣٩	الرابطه الإسلامية الهنديَّة	٤١٧	الدعوة
٤٤٠	رابعة العُدُوَّة	٤١٨	الدفاع عن الدين
٤٤٠	الرَّازِي	٤١٨	دَكَّا (بنغلادش)
٤٤٠	الرَّازِي ← فخر الدين الرَّازِي	٤١٨	الدُّكُن
٤٤٠	الرَّاشِدُون (الخلفاء -)	٤١٩	دلهي (الإتحاد الهندي)
٤٤١	الراضي بالله	٤٢١	دمشق (الجمهورية العربية السورية)
٤٤١	رامبور (الإتحاد الهندي)	٤٢٣	دمياط (جمهورية مصر العربية)
٤٤١	الرَّباط	٤٢٤	دندانقان (دندانكان)
٤٤٣	الرَّباط (المملكة المغربية)	٤٢٤	الدَّوَانِي
٤٤٣	الرَّجِيَّة (قلعة -)	٤٢٤	الدواوين الإسلامية
٤٤٤	الرحلة ← الجغرافيا	٤٢٥	دوريلوم (معركة -)
٤٤٤	الرَّحْمَانِيَّة	٤٢٥	دوشيرما
٤٤٤	رَدُّ المَقَالَم	٤٢٦	الدَّوْلَة
٤٤٤	الرُّسْتَمِيُون	٤٢٦	دولت آباد (الإتحاد الهندي)
٤٤٥	الرسم الإيفوني (تحرير -)	٤٢٦	دُومَة الجندل (المملكة العربية السعودية)
٤٤٦	الرَّسُولِيُون	٤٢٧	دِهستان
٤٤٦	الرشيذ ← هارون الرشيد	٤٢٧	دَهْلَك
٤٤٦	رشيد الدِّين بَنان	٤٢٧	دبار بكر (الجمهورية التركية)
٤٤٧	رشيد الدِّين الطَّيِّب	٤٢٨	الدُّبِيل
٤٤٧	الرُّصَافَة	٤٢٨	الدَّيْر
٤٤٨	رضا (الإمام) ← علي رضا	٤٣١	ديفريجي (الجمهورية التركية)
٤٤٨	رضا (رشيد)	٤٣١	الدَّيْنِيم
٤٤٩	رضا شاه ← بهلوي	٤٣٢	دين
٤٤٩	الرضوان (قسم -) ← الحُدُيَّة	٤٣٢	الدين (تسديد -)
٤٤٩	الرضي ← الشريف الرضي	٤٣٢	ديوان
٤٤٩	الرُّفَاعِيَّة	٤٣٣	ديوبند (الإتحاد الهندي)
٤٤٩	الرَّق	٤٣٥	ذُكر
٤٥٢	الرقادة	٤٣٥	النَّمَة (أهل -)

٤٧٠ الرُّبَا + العقوبات الشرعية	٤٥٢ الرُّقَّة (الجمهورية العربية السورية)
٤٧٠ زُفَّة	٤٥٣ رقص ذهولي
٤٧١ الزُّنَج	٤٥٣ الرُّقْم الإسلامية
٤٧١ زنجبار	٤٥٤ الرُّكْمَة + الصلاة
٤٧٢ زنديق	٤٥٤ الرُّمَضَانِيُون أو بنو رمضان
٤٧٢ الزُّنْدَقِيُون	٤٥٥ الرُّمْلَة
٤٧٣ زنكي	٤٥٥ الرُّمَّا (حاليًا أورفا)
٤٧٣ الزُّنَكِيُون أو بنو زنكي	٤٥٦ رؤساء الطوائف + الطوائف (عهد)
٤٧٤ الزهد	٤٥٦ الروح
٤٧٤ الزهد - الصوفية	٤٥٦ رودس (اليونان)
٤٧٤ الزهراء (مدينة -)	٤٥٦ الروزنامة/ التقويم
٤٧٥ زواج أو نكاح	٤٥٧ روسيا (الاتحاد الروسي)
٤٧٦ زوْع الأول	٤٥٨ الروم + السلاجقة
٤٧٧ زياد بن أبيه أو زياد بن أبي سفيان	٤٥٨ الرُّمْنِي
٤٧٧ الزيارات غير المفروضة شرعًا	٤٥٨ الرومي - جلال الدين الرومي
٤٧٩ الزبارة أو الزيارة التقوية	٤٥٨ الرُّمِّي أو المحدثية
٤٧٩ الزُّبَارِيُون أو بنو زيار	٤٥٩ الرِّبَاض (المملكة العربية السعودية)
٤٧٩ زيد بن ثابت الأنصاري	٤٥٩ الرياضيات
٤٨٠ زيد بن علي	٤٦٢ الزَّباب (معركة الزَّباب الكبير)
٤٨٠ الزيدية	٤٦٢ زليشنان
٤٨١ زيد بن طبرستان	٤٦٢ زلزلج
٤٨١ زيد بن اليمن	٤٦٣ زامينداور
٤٨٢ الزيربوتون أو بنو زيري	٤٦٣ زاوية
٤٨٣ زينب	٤٦٤ زيد (الجمهورية العربية اليمنية)
٤٨٤ الساجيون أو بنو ساج	٤٦٤ زُبَيْدَة بنت جعفر
٤٨٤ ساحل العاج (جمهورية)	٤٦٥ الزبير بن العوام بن خويلد
٤٨٤ ساراييفو (البوسنة والهرسك)	٤٦٥ الزُّجاج (فنون -)
٤٨٥ سالار مسعود	٤٦٦ الزراعة الإسلامية
٤٨٥ السالمية	٤٦٨ زرباب
٤٨٥ سالونيك (اليونان)	٤٦٩ الزعيم
٤٨٥ سام بن نوح	٤٦٩ زغلول باشا أو سعد زغلول
٤٨٦ السامانيون	٤٦٩ الزُّكَاة
٤٨٦ سامراء (الجمهورية العراقية)	٤٧٠ زكريا
٤٨٨ سانتا ريم	٤٧٠ الزَّلَاقَة (معركة -)
٤٨٨ ساوّه (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٤٧٠ الزمخشري
٤٨٨ السباهي	٤٧٠ زمزم (بئر -) + الحج

٥٥٥	السلطنة (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٤٨٨	سٲا (انيا)
٥٥٦	السلفيون	٤٨٩	سٲا - الإسماعيلية
٥٥٦	سلفي	٤٨٩	السبيكي
٥٥٦	سلفية - الإخوان المسلمون	٤٨٩	السجاد (صناعة -)
٥٥٦	سلمان الفارسي	٤٩٠	سجستان
٥٥٧	السلمية (الجمهورية العربية السورية)	٤٩١	الشجستاني - أبو داود
٥٥٧	سليم	٤٩١	سجلماسة
٥٥٨	سليم الجشي	٤٩٢	السحر (أعمال -)
٥٥٩	سٲيم (بنو)	٤٩٢	سحنون
٥٥٩	سليمان	٤٩٢	سدود - الماء
٥٥٩	سليمان بن داود	٤٩٢	سرازير (Sarrasins)
٥٥٩	سليمان بن عبد الملك	٤٩٣	سراسين (Saraceni)
٥٥٩	سليمان العظيم أو القانوني	٤٩٣	سرخس (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)
٥١٠	سليمان المهري	٤٩٣	سردنيا أو سزطانيا
٥١١	السماع	٤٩٤	سزكسطة (إسبانيا)
٥١١	سمرقند (جمهورية أوزبكستان)	٤٩٤	سزندب
٥١٢	سمسون (الجمهورية التركية)	٤٩٥	سري لنكا - سزندب
٥١٢	سبحان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٤٩٥	سعد (بنو -) - السعديون
٥١٢	سبان	٤٩٥	سعد بن أبي وقاص بن وهيب
٥١٣	السنة	٤٩٥	سعدى، الشيخ مصلح الدين
٥١٣	سبجز (الجمهورية العراقية)	٤٩٥	السعديون (بنو سعد)
٥١٤	سبجر	٤٩٦	سعود - آل سعود
٥١٤	سبج	٤٩٦	السعودية (المملكة العربية -)
٥١٤	السند	٤٩٧	السعوديون - آل سعود
٥١٥	سبافورة (جمهورية -)	٤٩٧	سعيد أو سعيد باشا
٥١٥	السبغال (جمهورية -)	٤٩٧	السفاح، أبو العباس
٥١٦	السبوسية	٤٩٨	السفياتيون - الأمويون
٥١٦	السببة	٤٩٨	السكة - المسكوكات الإسلامية
٥١٨	السبوزودي	٤٩٨	سكوتاري - أسكودار
٥١٨	السبوزدية	٤٩٨	سلا (المملكة المغربية)
٥١٩	سبيل السبشري	٤٩٨	السلاجقة
٥١٩	السواد	٥٠٢	السلاح الإسلامي
٥١٩	السودان	٥٠٣	سلالي (حكم -)
٥٢٣	سوزات (الإتحاد الهندي)	٥٠٤	السلام
٥٢٣	السورة، السور - القرآن	٥٠٤	سنجوق (الجمهورية التركية)
٥٢٣	سوريا	٥٠٤	السلطان

٥٣٦	البثلي	٥٢٥	سورينام (جمهورية)
٥٣٦	شبه الجزيرة العربية او جزيرة العرب	٥٢٥	سوس (المغرب الأقصى)
٥٣٩	سوسة (الجمهورية العربية اليمنية)	٥٢٦	سوس (موقع أثري إيراني)
٥٣٩	شجر الدر	٥٢٦	سوسة (الجمهورية التونسية)
٥٣٩	شيخو أحمدو	٥٢٦	السوق - الأسواق الإسلامية
٥٤٠	الشرطة - صاحب الشرطة	٥٢٦	سوكوتو (جمهورية نيجيريا الفدرالية)
٥٤٠	الشرك	٥٢٧	سوكولو، محمد باشا
٥٤٠	الشركس	٥٢٧	سومطره - أندونيسيا
٥٤١	شريس - جزر	٥٢٧	السيد
٥٤١	الشريعة الإسلامية	٥٢٨	السيد الجميري
٥٤٢	الشريف	٥٢٨	سيد قطب - قطب (سيد)
٥٤٣	الشريف الرضي	٥٢٨	الشير والتراجم
٥٤٣	الشريف المرتضى	٥٢٨	سيراف
٥٤٣	شنتو (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٥٢٨	سيراليون (جمهورية -)
٥٤٣	الشعر الإسلامي	٥٢٩	سيرينايك أو برقة
٥٤٤	الشعوية	٥٢٩	سيستان - ميجستان
٥٤٤	شعب	٥٢٩	سينغو (جمهورية مالي)
٥٤٥	الشقاعة	٥٢٩	سيف الدولة
٥٤٥	شلب (البرتغال)	٥٣٠	سيف الدين أبو بكر - العادل (الملك -)
٥٤٥	شترين - ساتاريم	٥٣٠	سيلان (جزيرة -) - سرتديب
٥٤٥	الشهادة (القضاء)	٥٣٠	سيلوان (الجمهورية التركية)
٥٤٦	الشهادة (إعلان الإيمان)	٥٣٠	سينوب (الجمهورية التركية)
٥٤٦	شهرسيز (جمهورية أوزبكستان)	٥٣١	سيواس (الجمهورية التركية)
٥٤٦	الشهرستاني	٥٣١	الشيوطي
٥٤٧	الشهد	٥٣٢	الشاذلية
٥٤٧	الشورى	٥٣٢	الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
٥٤٧	شيت (شخصية توراتية)	٥٣٢	شاطبة (إسبانيا)
٥٤٨	الشيخ	٥٣٢	الشافعي
٥٤٨	شيخ الإسلام	٥٣٣	الشافعية
٥٤٩	الشيخية	٥٣٤	الشام - دمشق
٥٤٩	شيراز (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٥٣٤	شامباير (الإتحاد الهندي)
٥٥٠	شيروان	٥٣٤	شامل
٥٥٠	شيرز (الجمهورية العربية السورية)	٥٣٤	الشاه
٥٥١	الشيان (جمهورية - الفدرالية)	٥٣٥	شاه جهان
٥٥١	الشیطان	٥٣٥	شاه رخ
٥٥٢	الشيعة	٥٣٥	شاه ولي الله الدهلوي

٥٦٩	صلاح الدين (الأيوبي)	٥٥٤	الصاين والصاينة
٥٧١	صناعاء (الجمهورية العربية اليمنية)	٥٥٤	الصايرية ← الجشنة
٥٧٢	صُنغاي	٥٥٤	الصاحب
٥٧٢	صنهاجة	٥٥٥	صاحب الحمار ← أبو يزيد
٥٧٣	صور (الجمهورية اللبنانية)	٥٥٥	صاحب الحوت ← يونس أو يونان
٥٧٣	الصوتبة	٥٥٥	صاحب السوق ← الحبة
٥٧٨	الصُولي	٥٥٥	صاحب الشرطة
٥٧٩	الصوم	٥٥٥	صاحب عطا
٥٧٩	الصومال	٥٥٦	صاحب فح ← الحسين بن عني
٥٨١	الصيد	٥٥٦	الصاروخاتيون أو بنو صاروخان
٥٨٢	صيدا (الجمهورية اللبنانية)	٥٥٦	صالح
٥٨٢	الصين	٥٥٦	النصر
٥٨٤	الضرائح	٥٥٧	صبرا - المنصورية
٥٨٦	الضريبة ← النظام الضريبي الإسلامي	٥٥٧	الضُحابة
٥٨٧	الضائف (المملكة العربية السعودية)	٥٥٧	ضُحار (سلطنة عُمان)
٥٨٧	طاجكستان (جمهورية-)	٥٥٨	المصاحفة الإسلامية
٥٨٨	طارق بن زياد	٥٥٩	صدر
٥٨٨	طاشكَنْدِي زاده	٥٥٩	الصدر
٥٨٨	الطائيون ← العلويون	٥٥٩	صدرا (المُلا)
٥٨٨	الطاهريون	٥٦٠	الصدقة
٥٨٩	طاهريو اليمن ← الرسوليون، اليمن	٥٦٠	الصدوق (الشيخ)
٥٨٩	الطب	٥٦٠	الصراف، الصرافون
٥٩٠	طيرستان ← مازندران	٥٦٠	صربيا
٥٩٠	الضري	٥٦١	شُعدة (الجمهورية العربية اليمنية)
٥٩١	طبرية (قلسطين المحتلة)	٥٦١	صعيد مصر
٥٩٢	طُخارستان	٥٦٢	الصُّعد
٥٩٢	طرايزون (الجمهورية التركية)	٥٦٢	الصفات الإلهية
٥٩٢	طرابلس	٥٦٣	الصَّفَّاريون
٥٩٣	طرابلس الغرب	٥٦٤	صَفَّاقس (الجمهورية التونسية)
٥٩٤	طراز	٥٦٤	صُفد
٥٩٤	طرسوس (الجمهورية التركية)	٥٦٤	الصفويون
٥٩٥	طرطوس (الجمهورية العربية السورية)	٥٦٦	صفى الدين إسحق
٥٩٥	طرطوشة (إسبانيا)	٥٦٦	صِفِّين (معركة)
٥٩٥	طريف أو جزيرة طريف (إسبانيا)	٥٦٦	الصقالبة
٥٩٥	الطريقة (الصوفية)	٥٦٦	صَفَّية
٥٩٦	شُمند (جمهورية أوزبكستان)	٥٦٧	الصلاة

٦٢٣	عبد، عبد وعيد	٥٩٦	طغريك أو طغرل بك
٦٢٤	عبد الجبار، بن أحمد	٥٩٧	الطغرى
٦٢٤	عبد الحميد الأول	٥٩٧	طلاس - السحر (أعمال) -
٦٢٤	عبد الحميد بن يحيى	٥٩٧	طلحة
٦٢٤	عبد الحميد الثاني	٥٩٧	طليطلة (إسبانيا)
٦٢٥	عبد الرازق (علي) -	٥٩٨	طنجة (المملكة المغربية)
٦٢٥	عبد الرحمن	٥٩٨	طنطا (جمهورية مصر العربية)
٦٢٦	عبد شمس (بنو) -	٥٩٨	طه حسين
٦٢٧	عبد العزيز	٥٩٩	الطهارة الطنسية
٦٢٧	عبد القادر بن محيي الدين	٥٩٩	طهران (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)
٦٢٧	عبد الكريم أو محمد بن عبد الكريم	٦٠٠	الطوائف (عهد) -
٦٢٨	عبدالله (إبن الحسين)	٦٠٠	طوائف الحرفيين
٦٢٨	عبدالله بن الزبير - ابن الزبير	٦٠١	الطوائف (ملوك) - الطوائف (عهد) -
٦٢٨	عبدالله بن عبد المطلب	٦٠١	طوران
٦٢٨	عبد المجيد الأول	٦٠٢	طوس
٦٢٨	عبد المجيد الثاني	٦٠٢	الطوسي، أبو جعفر محمد
٦٢٩	عبد الملك بن مروان	٦٠٢	الطوسي، نصير الدين أبو جعفر
٦٢٩	عبد المؤمن بن علي	٦٠٣	الغولونيون
٦٣٠	عبد الناصر (جمال) - ناصر	٦٠٤	الظاهر غازي (الملك)
٦٣٠	عبد الواد (بنو) أو بنو زيان	٦٠٤	الظاهرية
٦٣٠	عبد (الشيخ محمد) -	٦٠٥	ظفار
٦٣٠	عبدالله بن زياد	٦٠٦	عائشة
٦٣٣	العتبات المقدسة	٦٠٦	عاد
٦٣٣	العتق	٦٠٦	العادة
٦٣٣	عثمان	٦٠٧	العدل (الملك) أو الملك العادل
٦٣٤	عثمان بن عفان	٦٠٧	العادلشاهيون
٦٣٥	عثمان بن فؤاد	٦٠٨	عاشوراء
٦٣٥	العثمانيون	٦٠٩	العامري
٦٤١	عقجم	٦٠٩	العامريون
٦٤١	عجمان - الإمارات العربية المتحدة	٦١٠	عبد (بنو) أو العبدانيون
٦٤١	العدالة	٦١٠	عبدان، آبادان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)
٦٤٢	عقد (الجمهورية العربية اليمنية)	٦١٠	عباس الأول (شاه)
٦٤٢	عدنان	٦١١	العباس بن عبد المطلب
٦٤٢	العدوية (الطريقة) - اليزيدية	٦١٢	عباس فرحات أو فرحات عباس
٦٤٢	عدي الحفري - اليزيدية	٦١٢	العباسية (الثورة) -
٦٤٢	العذاب (الإلهي)	٦١٥	العباسيون

٦٦٤	العلويون/ العلوية	٦٤٣	عُذرة (بنو)
٦٦٥	العلويون (ذرية الإمام علي)	٦٤٣	غُرابي باشا أو أحمد غُرابي
٦٦٦	علي بن أبي طالب	٦٤٣	العراق
٦٦٨	علي بن عيسى بن داود بن الجراح	٦٤٦	العرب
٦٦٨	علي بن يوسف بن تاشفين	٦٤٨	عُزْبَة
٦٦٩	علي الرضا	٦٤٨	العرش
٦٦٩	علي زين العابدين	٦٤٩	عرفة أو عرفات
٦٦٩	علي الهادي والنفي	٦٤٩	عزرائيل ← ملانكة
٦٧٠	علي الهمداني	٦٤٩	عسقلان
٦٧٠	عليغز (الاتحاد الهندي)	٦٤٩	العسكري (التنظيم)
٦٧٠	عماد الدين الكاتب الأصفهاني	٦٥٣	عُبير
٦٧١	عمار (بنو) -)	٦٥٤	عُشر (ضريبة)
٦٧١	العمارة (فن) -) ← الهندسة المعمارية الإسلامية	٦٥٤	عُشير
٦٧١	عمّان	٦٥٤	عصية
٦٧٢	عمّان (المملكة الأردنية الهاشمية)	٦٥٤	عصمة
٦٧٢	عُمر بن الخطاب	٦٥٤	عَصْد الدولة
٦٧٤	عُمر بن عبد العزيز	٦٥٥	المطار، فريد الدين محمد بن ابراهيم
٦٧٤	عُمر الخيام	٦٥٥	العقائد (الإيمانية)
٦٧٥	العُمرة ← الحج	٦٥٦	العقاب ← لاس نافاس دي تولوزا
٦٧٥	عمرو بن العاص السهمي	٦٥٦	العقبة (بجة-)
٦٧٥	عنابة (الجمهورية الجزائرية)	٦٥٦	عُقبة بن نافع
٦٧٥	عنزة	٦٥٦	العقل
٦٧٦	عنجر	٦٥٧	العقوبات الشرعية ← الحدود
٦٧٦	العيّارون ← ميليشيات المدن	٦٥٧	العقود، العقد
٦٧٦	عياض (القاضي-)	٦٥٧	العقيدة الإسلامية
٦٧٦	عيد، أعياد	٦٥٨	العُقيليون أو بنو عُقيل
٦٧٨	العيد الصغير ← عيد	٦٥٩	عكّا
٦٧٨	العيد الكبير ← عيد	٦٥٩	علائيا ← علايا
٦٧٨	عِيذاب	٦٥٩	عَلال القفاسي
٦٧٨	عيسى	٦٥٩	علائيا أو علايا (الجمهورية التركية)
٦٨٠	عيساوية	٦٦٠	علم
٦٨٠	عينتاب (الجمهورية التركية)	٦٦٠	علم الأثرينات الإسلامية
٦٨٠	عين جالوت (معركة)	٦٦١	علم الأخلاق الإسلامي
٦٨١	العيونيون ← البحرين، الأحساء	٦٦٢	عُلماء الدين
٦٨٢	غازي	٦٦٣	عَلَوِي (ألوي، Alevis)
٦٨٢	غازي ← الظاهر غازي (الملك)	٦٦٣	العلوية (السلالة -)

- غازي عيتاب ← عيتاب ٦٨٢
 غامبيا (جمهورية غامبي) ٦٨٢
 غانا ٦٨٣
 غاو (جمهورية مالي) ٦٨٣
 غحرات ٦٨٤
 غدابس (الجمهورية العربية الليبية) ٦٨٥
 غذاء ← الأعذية (المحرمة) ٦٨٥
 الغراماطيق العربي، أو قواعد اللغة العربية ٦٨٥
 غروي (خانات) ٦٨٥
 غرب ← الغرب ٦٨٥
 غرناطة ٦٨٥
 غُزَنُو بَذْخْشان ٦٨٦
 الغُر ٦٨٦
 الغزالي ٦٨٦
 غَزَّة (الأراضي الفلسطينية المستقلة ذاتياً) ٦٨٨
 غزوة (جمهورية أفغانستان الإسلامية) ٦٨٨
 الغُرُتُون ٦٨٩
 غطفان (بنو-) ٦٩٠
 الغلابة ← الشيعة ٦٩٠
 غلبايقان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ٦٩٠
 غُلْشَنِي ٦٩١
 غُلْطَة ← إسطنبول ٦٩١
 عُمارَة ٦٩١
 عُتْبَة قابوس (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ٦٩١
 الغنمية ← الغي ٦٩١
 غواليور أو غواليار (الإتحاد الهندي) ٦٩١
 غواندو أو غانندو (جمهورية نيجيريا الفدرالية) ٦٩٢
 الغوري ← قاصوه الغوري ٦٩٢
 الغوريون ٦٩٢
 غويانا (جمهورية) ٦٩٢
 الغيبة ٦٩٣
 غيسودز أو تَنْدَن آواز ٦٩٣
 غينيا (جمهورية غينيا) ٦٩٣
 غينيا - بيساو (جمهورية -) ٦٩٤
 الفائدة ← القرض بالفائدة ٦٩٥
 الفائدة ٦٩٥
- الفارابي ٦٩٥
 فارس ٦٩٥
 فازس أو فارس بالعربية ٦٩٦
 فَاوْنا (بلغاري) ٦٩٦
 فاور (البرتغال) وسانتا ماريا الغرب ٦٩٦
 فاروق ٦٩٧
 الفاروقيون أو ختات خُذِش ٦٩٧
 فاس (المملكة المغربية) ٦٩٧
 فاسي ← علاّ الفاسي ٦٩٩
 فاطمة ٦٩٩
 الفاضل ٦٩٩
 الفال (جزر Laquevides) ٧٠٢
 الفتي، الفتيان ٧٠٢
 فَتْحُور بِيْخْري ٧٠٣
 الفينة ٧٠٣
 الفَنوة ٧٠٣
 الفتوحات (الكبرى) ٧٠٤
 فتوى ٧٠٧
 فَخَّ (صاحب -) ← الحسين بن علي بن الحسين ٧٠٧
 فخر الدين (العماني) ٧٠٧
 فخر الدين الرَّزْزَزي ٧٠٧
 فدائي ٧٠٨
 الفرائض ← الإرث في الإسلام ٧٠٨
 فرانضية (بدعة) ← البنغال ٧٠٨
 فِرْعَانَة ٧٠٨
 الفرغاني ٧٠٩
 الفِرْق ٧٠٩
 الفرنج ← الفرنكيون ٧١٠
 الفرنكيون ٧١٠
 الفروسية (نظام-) ٧١٠
 الفروسية (قنن وألعاب -) ٧١١
 فريد الدين مسعود المعروف بِكَنْج شَكْر ٧١١
 فُرْزان ٧١٢
 الفضة ← المعدن (صناعة-)، المسكوكات الإسلامية ٧١٢
 فضل الله الاسترابادي ← الخُرُوفَة ٧١٢

٧٣٠	قانون	٧١٢	القفل بن سهل
٧٣٠	القاهرة (جمهورية مصر العربية)	٧١٢	الفقه
٧٣٣	قائلي، الملك الأشرف	٧١٣	فقهاء، فقيه
٧٣٣	القبائل أو قبلاذ القبائل	٧١٣	فقير
٧٣٤	قبادباد	٧١٣	قلاشيا
٧٣٤	قبة	٧١٣	القلاخه
٧٣٤	قبة الصخرة	٧١٤	القلمنة ← الجول
٧٣٦	قبر، قبور	٧١٤	القلمس ← المسكوكات الإسلامية
٧٣٧	قبرص	٧١٤	فلسطين
٧٣٨	قبتة	٧١٤	القلسفة
٧٣٨	قبتة، قبائل	٧١٥	القلمك (علم -)
٧٤٠	القبيلة الذهبية (خانات)	٧١٧	القرن الإسلامي
٧٤٠	قنية بن مسلم الباهلي	٧١٨	القنفاء
٧٤٠	قحطان	٧١٨	قواد
٧٤١	قدامة بن جعفر	٧١٨	قوتا تورو
٧٤١	القُدرة	٧١٩	قوتا جالون
٧٤١	القُدرة أو حرية الاختيار	٧١٩	القونج أو القونجك
٧٤٢	القدس	٧١٩	القنيء أو القنيمة
٧٤٤	القرآن	٧٢٠	فيسل
٧٥٠	القراخانيون أو القره خانيون	٧٢١	القيليس (جمهورية)
٧٥١	القراينلو أو القرايونلو	٧٢١	الفيودالية (في الإسلام)
٧٥٢	قرامان (الجمهورية التركية)	٧٢١	فيودوسيا (أوكرانيا)
٧٥٢	القرامانيون أو قرامان أوغلاوي	٧٢٢	القَيوم
٧٥٤	القراطة	٧٢٣	القائد
٧٥٥	قوة بن شريك	٧٢٣	القائم
٧٥٥	قُرض (الجمهورية التركية)	٧٢٣	القائم بأمر الله
٧٥٥	القُرض بالقائدة	٧٢٤	قائمقام
٧٥٦	قُرْبَة (إسبانيا)	٧٢٤	قابس (الجمهورية التونسية)
٧٥٧	القُرطبي	٧٢٥	قابوس بن وسعير بن زياد
٧٥٧	قرغيزستان (جمهورية)	٧٢٥	قاجار
٧٥٧	القِرْم، بالتركية كيريم	٧٢٦	القادر بالله
٧٥٨	قُرْمَلِي	٧٢٦	القادرية
٧٥٨	قُرَه جليزاد	٧٢٧	القادسية (معركة)
٧٥٩	قره كليكستان	٧٢٧	قازان (جمهورية تاتارستان)
٧٥٩	قُرْنش	٧٢٨	القاضي
٧٥٩	قزوين (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)	٧٢٩	قانسره القُوري أو القُوري

٧٧٨ القمر (جزر -)	٧٦٠ القزويني
٧٧٨ قندهار (جمهورية أفغانستان الإسلامية) ...	٧٦٠ ... القسطنطينية -+ إسطنبول ..
٧٧٩ قنبرين ...	٧٦٠ القسم
٧٧٩ قنستان	٧٦١ قسطنطينية (الجمهورية الجزائرية)
٧٨٠ القوة	٧٦١ قشتالة
٧٨٠ قوص (جمهورية مصر العربية) ..	٧٦٢ القشيري
٧٨٠ قوبس	٧٦٢ القصبه
٧٨٠ القومية (التراعات -)	٧٦٢ القصر
٧٨٢ قونية (الجمهورية التركية)	٧٦٢ قصر أبي دانس -+ القصر دوسان ..
٧٨٣ القياس	٧٦٢ قصر الخير ..
٧٨٣ القيروان (الجمهورية التونسية)	٧٦٤ القصر الصغير
٧٨٤ قيس (بنو -)	٧٦٤ القصر الكبير -+ قسار الكبير ..
٧٨٥ قيسارية	٧٦٤ قصر هشام -+ خربة المنجر ..
٧٨٥ قيصري (الجمهورية التركية) ...	٧٦٤ القصور (الملكية)
٧٨٦ قيصرة	٧٦٨ قُصْبَر غُمُرَة ..
٧٨٦ قيصرة -+ قيصري ..	٧٦٩ القضاء والقدر
٧٨٧ كابرديو - بلكاري ..	٧٦٩ القضائية (المؤسسات -)
٧٨٧ كابل	٧٧١ قُطَب ..
٧٨٨ الكاتب	٧٧٢ قُطَب (سبَد -)
٧٨٩ كاتب جلبي	٧٧٢ قُطَب الدين بخيار كاكبي الأوشي ..
٧٨٩ كاث	٧٧٢ القُطُشَايُون ..
٧٩٠ كارلوفيتش (معاهدة)	٧٧٣ قُطَر ..
٧٩٠ كازاخستان (جمهورية)	٧٧٣ قُطَرِي بُنْ الفُحَاة ..
٧٩٠ كاشان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..	٧٧٣ قطيعة
٧٩١ كاشي (جمهورية الصين الشعبية) ..	٧٧٤ قصصة (الجمهورية التونسية) ..
٧٩١ الكاشي أو الكاشاني ..	٧٧٤ قلاوون ..
٧٩١ الكاطمية (الجمهورية العراقية)	٧٧٥ قِلج أرسلان ..
٧٩١ كاكويه (بنو -)	٧٧٥ القَلْزَم ..
٧٩٢ كامباي (الإتحاد الهندي)	٧٧٥ قلعة بني حمّاد ..
٧٩٢ كامل ناش (مصطفى)	٧٧٦ قلعة جعير ..
٧٩٢ الكامل (الملك)	٧٧٦ قلعة رَياح ..
٧٩٣ الكامبيرون (جمهورية)	٧٧٧ قلعة نجم ..
٧٩٣ كام ..	٧٧٧ القُلُقُشْدِي ..
٧٩٤ كانو (جمهورية نيجيريا)	٧٧٧ قُلُثْرة ..
٧٩٤ الكَبْرِيَة ..	٧٧٧ قُلُثْرة ..
٧٩٥ الكتاب (أهل -)	٧٧٨ قُم (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..

٨١٠	الكهف (أهل -)	٧٩٥	الكتاب (فرد -)
٨١١	الكواكب	٧٩٦	الكُتُب
٨١١	كويرولو	٧٩٧	كُتامة
٨١٢	كوتايه (الجمهورية التركية)	٧٩٧	كراتشي (جمهورية باكستان الإسلامية)
٨١٢	كوسوفو (مركتا -)	٧٩٧	كرانشيو - نيشوكي
٨١٢	كوسوفو - ميتوهيجا	٧٩٨	الكرامية
٨١٣	كوسيداغ (معركة)	٧٩٨	كرملاء (الجمهورية العراقية)
٨١٣	كوشياو بن ليان	٧٩٨	الكرج، كرجستان ← جورجيا
٨١٣	الكوفة (الجمهورية العراقية)	٧٩٨	كرك، كارك أو كراك
٨١٤	كوك آب، ضيا	٧٩٩	كركان ← جرجان
٨١٤	كوكيان (الجمهورية العربية اليمنية)	٧٩٩	كروك (الجمهورية العراقية)
٨١٤	كوكند (جمهورية أوزبكستان)	٨٠٠	كرمان
٨١٥	كوكندة (الاتحاد الهندي)	٨٠٠	كرمانشاه ← الجبل
٨١٥	كولوغلي	٨٠٠	الكرماتي
٨١٥	الكويت	٨٠٠	الكرميانيون أو بنو كرميان أغلوي
٨١٦	كبخشرف أو كبخشرو	٨٠١	كريت (إفريقيا عند العرب)
٨١٧	الكيساية	٨٠١	الكساني
٨١٧	كقباد	٨٠٢	كُتار الكبير (المملكة المغربية)
٨١٧	ككاووس	٨٠٢	كُستامونو (الجمهورية التركية)
٨١٨	كينيا (جمهورية -)	٨٠٢	كشمير
٨١٩	اللاذقية (الجمهورية العربية السورية)	٨٠٤	كعب الأحبار
٨١٩	لاس نافاس دي تولوزا (معركة)	٨٠٤	كعب بن زهير
٨١٩	لامو (جمهورية كينيا)	٨٠٤	الكمة
٨٢٠	لاهور (جمهورية باكستان الإسلامية)	٨٠٦	الكتار
٨٢١	لاؤن الأفريقي	٨٠٦	كلام
٨٢١	اللياس (هَزَز - الإسلامي)	٨٠٧	كلب (بنو -)
٨٢٣	لبنان	٨٠٧	كُلُكُنا (الاتحاد الهندي)
٨٢٤	اللذ	٨٠٧	كَلُوى (جمهورية تنزانيا المتحدة)
٨٢٥	لسان الدين ← ابن الخطيب	٨٠٨	كَلُيَّة
٨٢٥	لشبونة (البرتغال)	٨٠٨	كنيم الله الجهانابدي (بير)
٨٢٥	لشكر بازار، أو لشكرگاه	٨٠٨	الحُلَيني
٨٢٥	(جمهورية أفغانستان الإسلامية)	٨٠٩	كمال باشازاده
٨٢٦	لطفی السید، أحمد	٨٠٩	الكمالية
٨٢٦	نقب، القاب	٨٠٩	الكَحَنيت بن زيد الأسدي
٨٢٩	لُفَمان	٨٠٩	كِنْدَة (بنو -)
٨٣٠	لكنو ← لوكنو	٨١٠	الكندي

٨٥١	محمد بن الحنفية	٨٣٠	لمتوثة، وأحياناً لمتونا
٨٥٢	محمد الجواد، أو القفي	٨٣٠	لؤلؤ، بدر الدين الملك الرحيم
٨٥٢	محمد علي، أو محمد علي باشا	٨٣٠	لوط
٨٥٣	محمد المهدي	٨٣١	نوكتو أو نوكتو (الاتحاد الهندي)
٨٥٣	محمد النفس الزكية	٨٣١	ليبانت (معركة)
٨٥٣	المحمذية ← الرئي	٨٣١	ليبيا (الجمهورية العربية الليبية)
٨٥٣	محموت	٨٣٢	ليبيريا (جمهورية -)
٨٥٥	محمود	٨٣٣	المأمون، عبدالله
٨٥٥	المحنة	٨٣٥	الماء
٨٥٦	مُحا	٨٣٦	المائريدي
٨٥٦	المَعَزَن	٨٣٦	ماردة (إسبانيا)
٨٥٧	المدارس الكلامية	٨٣٧	ماردين (الجمهورية التركية)
٨٥٨	المدجن	٨٣٧	المارستان ← المستشفى
٨٥٨	مدرسة	٨٣٧	مارند (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)
٨٦٢	المدرسة الابتدائية ← الكتاب	٨٣٨	مازندران
٨٦٣	مدغشقر (جمهورية مدغشقر الديمقراطية)	٨٣٨	مالابار
٨٦٣	المدينة أو مكان القضاء	٨٣٩	مالطة
٨٦٣	المدنية (المملكة العربية السعودية)	٨٣٩	مافقة (إسبانيا)
٨٦٤	المدينة الإسلامية	٨٣٩	مالك بن أنس
٨٦٨	مدينة الزهراء ← الزهراء	٨٤٠	المالكة
٨٦٨	مدينة السلام ← بغداد	٨٤٠	عالي
٨٦٨	المذاهب الفقهية	٨٤١	ماليزيا
٨٦٩	مذبح (بنو -)	٨٤٢	ماليندي (جمهورية كينيا)
٨٦٩	مذهب، مذاهب ← المذاهب الفقهية	٨٤٢	مانترينكوت/ ملازكوت
٨٦٩	المرأة (وضع -)	٨٤٢	مانيسا (الجمهورية التركية)
٨٧٤	مُرباط	٨٤٣	ما وراء النهر ← بلاد ما وراء النهر
٨٧٤	المُرابطون	٨٤٣	الماوردي
٨٧٥	مُرات أو مراد	٨٤٣	المنعة ← النكاح
٨٧٧	مراد ← مرات	٨٤٣	المتنبي
٨٧٧	مراغة	٨٤٣	المتوكل على الله
٨٧٨	المراغي، والمدن المرفقة الإسلامية	٨٤٤	المحيطي
٨٨٠	مراكش (المملكة المغربية)	٨٤٤	المحاسبي
٨٨١	مُرْتَلَة (البرتغال)	٨٤٤	محراب
٨٨١	مرج دابق ← دابق	٨٤٦	مخيم
٨٨١	مرج راعط	٨٤٨	محمد (النبي) ﷺ
٨٨٢	مرج الصُفر	٨٥١	محمد الباقر

٩٠٣	مصلق	٨٨٢	المُرَجَّة
٩٠٣	مصر	٨٨٢	المرداسيون أو بنو مرداس
٩٠٤	مصر السفلى ← مصر	٨٨٢	مُرسية (إسبانيا)
٩٠٤	مصطفى كمال ← أتاتورك	٨٨٣	مَرَعش (الجمهورية التركية)
٩٠٤	المضلى	٨٨٣	مرو أو ماري (جمهورية تركمانستان)
٩٠٥	مصودة	٨٨٤	المروءة أو المروءة
٩٠٥	مصياف (الجمهورية العربية السورية)	٨٨٤	مروان
٩٠٦	المطبعة	٨٨٥	المروانيون أو بنو مروان
٩٠٦	مظفر (آل -)	٨٨٥	مروانيو بلاد ما بين النهرين العليا
٩٠٧	المعاجم العربية (علم -)	٨٨٦	مريئة ← أُمريئة
٩٠٧	معاوية بن أبي سفيان	٨٨٦	المُريدية
٩٠٨	المعزلة	٨٨٦	مريم
٩١١	المعتصم بالله	٨٨٧	المريثيون أو بنو مريث
٩١١	المعتضد بالله	٨٨٨	مزاب
٩١١	المعتمد على الله	٨٨٨	مزار ← زيارة
٩١١	المعجزات	٨٨٨	المزارعة
٩١٢	المعدن (صناعة -)	٨٨٩	مُستار (البوسنة والهرسك)
٩١٣	المعراج	٨٨٩	المستشفى أو دار الشفاء
٩١٣	المعزى، أبو الملاء	٨٩٠	المستعرب
٩١٤	مُعز الدولة	٨٩١	المُستعليون
٩١٤	المُعز لدين الله	٨٩١	المستندات القديمة الإسلامية
٩١٤	المغرب	٨٩٢	المستمر بالله
٩١٦	المغرب (تسمية جغرافية)	٨٩٢	المسجد
٩١٧	المغول	٨٩٦	المسجد الأقصى
٩١٨	المغول (الهند)	٨٩٧	المسجد الحرام - الكعبة، مكة
٩١٩	المفتي	٨٩٧	المسعودي
٩٢٠	المفيد	٨٩٧	مسط (سلطنة عُمان)
٩٢٠	مقام	٨٩٨	المسكوكات الإسلامية
٩٢٠	المقتدر بالله	٨٩٩	مسكُونه
٩٢١	المقدس أو المقدسي	٩٠٠	مُسلم بن الحجاج
٩٢١	مَقْدونية	٩٠٠	مسلمة بن عبد الملث
٩٢٢	المقريزي	٩٠٠	المسلمون السود
٩٢٢	مقصورة	٩٠١	مُشينا
٩٢٢	ميكارستان ← هنغاريا	٩٠١	المُشنى
٩٢٢	مكة (المملكة العربية السعودية)	٩٠٢	مشهد (نصب، مكان تذكاري)
٩٢٥	المكتبات	٩٠٢	مشهد (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)

٩٤٤	المنطق	٩٢٦	المكثفي بالله
٩٤٤	منكوجك (بنو -)	٩٢٦	مُكران
٩٤٤	بنى	٩٢٧	مكناش (المملكة المغربية)
٩٤٤	المهاجرون	٩٢٧	المَلَا
٩٤٥	المهدي	٩٢٨	الملائكة
٩٤٥	المهدي، أبو عبدالله محمد	٩٢٨	مَلّاح
٩٤٦	المهدي أو عُبدالله المهدي	٩٢٨	الملاحه
٩٤٧	المهديه	٩٢٩	ملازكرت - مانتزكرت
٩٤٧	المهديه (الجمهورية التونسية)	٩٢٩	مَلانِيَّة
٩٤٨	مواب	٩٢٩	مَلاري (جمهورية -)
٩٤٨	المواكب	٩٢٩	مِلَّت
٩٤٩	الموالي	٩٣٠	مُلْتان (جمهورية باكستان الإسلامية)
٩٤٩	المَوْت	٩٣٠	مُلبديف (جمهورية)
٩٥٠	مُؤْتة (المملكة الأردنية الهاشمية)	٩٣٠	مَلطِيَّة (الجمهورية التركية)
٩٥٠	المؤتمر الإسلامي (منظمة -)	٩٣١	مَلَقَا (دولة ماليزيا الاتحادية)
٩٥٠	الموحدون	٩٣١	مَلِك
٩٥٢	المؤدودي (سيد)، أو مولانا أبو الأعلى المودودي	٩٣٢	الملك العادل + العادل
٩٥٢	مؤذن - أذان	٩٣٢	ملكشاه بن ألب إرسلان
٩٥٢	الموره	٩٣٣	المُلْكِيَّة (حق)
٩٥٢	المُورُوي	٩٣٣	مَلَوِي أو مَالَوِي
٩٥٣	موريتانيا (جمهورية موريتانيا الإسلامية)	٩٣٤	مَلِيلَة (إسبانيا)
٩٥٣	موريس (جمهورية)	٩٣٤	معاليك سوريا ومصر
٩٥٤	الموريسكيون	٩٣٨	مملوك
٩٥٤	الموزمبيق (جمهورية)	٩٣٨	المنار (حزب)
٩٥٤	موسى، أو موسى بن عمران	٩٣٩	منارة أو منار
٩٥٥	موسى بن نُصير	٩٤٠	المنافرة + الجدل
٩٥٥	موسى الكاظم	٩٤٠	المنافقون
٩٥٦	الموسيقى	٩٤٠	منبح (الجمهورية العربية السورية)
٩٥٦	الموصل (الجمهورية العراقية)	٩٤١	المنبر
٩٥٧	مولاي إدريس (المملكة المغربية)	٩٤١	منتشا (بنو)
٩٥٧	مولاي إسماعيل بن الشريف	٩٤٢	مُنَشِير (الجمهورية التونسية)
٩٥٨	المولى	٩٤٢	المنصور، أو المنصور بن أبي عامر
٩٥٨	المؤلّد	٩٤٢	المنصور، أبو جعفر عبدالله
٩٥٨	مولدانيا	٩٤٣	المنصورة (اسم لمدينة مدن)
٩٥٩	المولوية	٩٤٤	المنصورة (جمهورية مصر العربية)
٩٥٩	مومباسا (جمهورية كينيا)	٩٤٤	المنصورة (بعدة) - محمد الباقر

- ٩٧٧ النشاقشاهايون ← دولت آباد، الدكن ..
- ٩٧٧ النظامية ← الجشنية ..
- ٩٧٧ النعمان (القاضي) ..
- ٩٧٨ تنفس ..
- ٩٧٨ النفس الركبة ← محمد النفس الركبة ..
- ٩٧٨ نفوسة ..
- ٩٧٨ نفيسة (السيدة) أو البيت نفيسة ..
- ٩٧٩ النصفيدية ..
- ٩٧٩ نكاح ← زواج ..
- ٩٧٩ النكارية ← الإباضية ..
- ٩٧٩ نهاوند (معركة) ..
- ٩٧٩ نهروان (معركة) ..
- ٩٧٩ نوالي، نظام الدين علي شير ..
- ٩٨٠ الثورة ..
- ٩٨٠ نوح ..
- ٩٨٠ نور الدين محمود بن زنكي ..
- ٩٨١ التور الإلهي ..
- ٩٨٢ التوروي محيي الدين أبو زكريا يحيى ..
- ٩٨٢ الثوري ..
- ٩٨٢ نبالا لاند ← ملاوي ..
- ٩٨٢ البنة ..
- ٩٨٢ النجر (جمهورية) ..
- ٩٨٢ نيجيريا (جمهورية - الاتحادية) ..
- ٩٨٣ نيشابور (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..
- ٩٨٣ نيكوبوليس (معركة) ..
- ٩٨٤ هابيل وقاين ..
- ٩٨٤ هاناي ← إسكندرون (سنجق) ..
- ٩٨٤ المهاجرون ..
- ٩٨٤ الهادي إلى الحق ← الزيدية ..
- ٩٨٤ هارون بن عمران ..
- ٩٨٥ هارون الرشيد ..
- ٩٨٦ هاشم (بنو -) ← الهاشميون ..
- ٩٨٦ هاشم بن عبد مناف ..
- ٩٨٦ الهاشميون أو بنو هاشم ..
- ٩٨٧ الهاشميون ← أشرف مكة ..
- ٩٨٧ الهجرة ..
- ٩٥٩ مونتينيرو ..
- ٩٦٠ موهاكس (معركة) ..
- ٩٦٠ العياف ..
- ٩٦٠ ميريوفيانون (معركة) ..
- ٩٦١ الميسر ..
- ٩٦١ ميلاس (الجمهورية التركية) ..
- ٩٦١ ملبشبات المدن ..
- ٩٦٤ نائب ..
- ٩٦٤ نادر (بنو -) ← محمد ..
- ٩٦٤ نادر شاه، ظهاسب قلي خان ..
- ٩٦٥ الناسخ ..
- ٩٦٥ ناصر (جمال عبد ال -) ..
- ٩٦٦ ناصر خسرو ..
- ٩٦٦ ناصر الدولة ..
- ٩٦٦ ناصر الدين ← الطوسي ..
- ٩٦٦ الناصر لدين الله ..
- ٩٦٧ نافارين (معركة) ..
- ٩٦٧ ناين أو ناين (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..
- ٩٦٧ نبي ..
- ٩٦٨ نجد ..
- ٩٦٩ يجده (الجمهورية التركية) ..
- ٩٦٩ نجران (المملكة العربية السعودية) ..
- ٩٦٩ النجف (الجمهورية العراقية) ..
- ٩٧٠ نجن الدين كبرى ← كبروية ..
- ٩٧٠ نجب (محمد) ..
- ٩٧٠ نخجوان (جمهورية أذربيجان) ..
- ٩٧٠ الترابون أو الترابية ..
- ٩٧٢ النساني أبو عبد الرحمن ..
- ٩٧٢ التسايون ← ديار بكر ..
- ٩٧٢ النسيج ← الأنسجة الإسلامية ..
- ٩٧٢ نصر (آل -) أو بنو الأحمر ..
- ٩٧٣ النصيرية ..
- ٩٧٤ النظام ..
- ٩٧٥ النظام الضريبي الإسلامي ..
- ٩٧٧ نظام الدين أولياء التدايوني ..
- ٩٧٧ نظام الملك الحسن بن علي ..

١٠٠٦	وَزْغَلَة (الجمهورية الجزائرية) ..	٩٨٨	الهْجُورِي
١٠٠٧	الوزير	٩٨٨	هراة (جمهورية أفغانستان الإسلامية)
١٠٠٩	الوصية	٩٨٩	هربوت (الجمهورية التركية) ..
١٠٠٩	الوطاسيون أو بنو وِطَّاس	٩٩٠	هرر (جمهورية أثيوبيا أو الحبشة)
١٠١٠	الوفد	٩٩٠	هرمز ← بندر عباس
١٠١٠	الوقف	٩٩٠	الهَزَوِي
١٠١١	الولاية	٩٩٠	هشام
١٠١٢	وَلَيْه (إسبانيا)	٩٩١	الهلال
١٠١٢	الولي	٩٩١	هلال الصانين
١٠١٢	وَلِيَّ الله الدهلوي ← شاه ولي الله	٩٩٢	الهالايون أو بنو هلال ..
١٠١٢	الوليد	٩٩٢	هلبوبوليس ← القاهرة
١٠١٣	الولمائية	٩٩٢	هْمَايون
١٠١٣	وهب بن مُبِه	٩٩٢	هَمْدَان (بنو -)
١٠١٣	وهران (الجمهورية الجزائرية) ..	٩٩٣	هَمْدَان (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..
١٠١٥	بَاثَرَة (البرتغال)	٩٩٣	الهند
١٠١٥	ياجوج وماجوج	٩٩٦	الهندسة المعمارية الإسلامية ..
١٠١٥	يافا	١٠٠٠	الهندي (الإتحاد -) ..
١٠١٦	ياقوت الرومي	١٠٠٠	هنگاريا
١٠١٦	يحيى	١٠٠١	هود
١٠١٦	يحيى بن زيد	١٠٠١	الهوديون أو بنو هود
١٠١٧	اليرموك (معركة)	١٠٠٢	الهوسا
١٠١٧	يزد أو يَزْد (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..	١٠٠٢	هولاكو
١٠١٧	يزيد	١٠٠٣	الواقق بالله
١٠١٨	اليزيدية	١٠٠٣	واداي
١٠١٩	اليساوية	١٠٠٣	واسط
١٠١٩	يعقوب (شخصية توراتية)	١٠٠٤	واصل بن عطاء
١٠٢٠	اليقوبي	١٠٠٤	الواعظ
١٠٢٠	اليمن	١٠٠٤	الواقدي
١٠٢٢	يوحنا المعمدان ← يحيى	١٠٠٤	الوالي ← حاكم إقليم
١٠٢٢	يوسف، يوسف بن يعقوب، أو يوسف الصديق ..	١٠٠٤	وان (الجمهورية التركية)
١٠٢٢	يوسف بن تاشفين	١٠٠٥	وَنَجْدَة (المملكة المغربية)
١٠٢٣	يوشع أو يشوع بن نون	١٠٠٥	الوحي الإلهي
١٠٢٣	يوم الدين	١٠٠٥	ورامين (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ..
١٠٢٤	يونس أو يونان	١٠٠٦	ورق

محتويات المعجم

٥	مدخل الترجمة العربيّة ..
٧ ..	مقدمة الطبعة الفرنسيّة
١٣	المداخل .
١٠٢٧	الحواشي
١٠٣١	الملاحق
١٠٨٧	مصادر المعجم ومراجعته
١١١٧	مؤلفات دومنيك وجانين سورديل
١١٢٣	فهرس المداخل
١١٥١	المحتويات

